العـــدد ١٠٩ - ربيـع الثـاني ١٤٠٥هـ - ينـاير/كــانون الثاني ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

د. يوسف القرضاوي: نحو اجتهاد إسلامي معاصر

د. كوثر عبد الرسول: إفريقيا الرائعة... جائعة!

خدعة أدبيّة هزّت بريطانيا

لوحة وفنان



حصاد الخير

فتاة من الشرق ، رسمها الفنان الانجليزى ويليام هيلمان هانت فى عام ١٨٥٤ ، وقد استغرقت رحلته فى مصر والقدس عاما كاملا ، عاد بعده ليقيم معرضه فى لندن ، الذى قدم فيه لجمهور المتعطشين إلى الشرق : لوحات عن القدس والحياة العربية والغزلان وروعة الريف وخضرته !

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٩ - ربيع الثاني ١٤٠٥هـ - يناير/ كانون الثاني ١٩٨٥م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .

العنوان البرقي : المجلة - الدوحة

تيلكس : 4521 MAGDO DH -

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١

التحرير : ٤٤١٢٧٥

المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨

القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا

باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها

فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا

للدوائر الحكومية والشركات :

داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا

بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا

فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر ٦ ريالات
البحرين ٤٠٠ فلس
الامارات العربية ٦ دراهم
عمان ٣٥٠ بيسه
الكويت ٥٠٠ فلس
السعودية ٦ ريال
الجمهورية اليمنية ٤ ريال
اليمن الديمقراطية ٣٥٠ فلسا
العراق ٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٣٥٠ فلسا
سوريا ٣٥٠ قرشا
لبنان ٣٥٠ قرشا
مصر ٢٥٠ مليما
ليبيا ٥٠٠ درهم
السودان ٣٠ قرشا
تونس ٥٠٠ مليم
الجزائر ٥ دينار
المغرب ٥ دراهم
باقي دول العالم : ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .
- **الاردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع على بن على


مع هموم العالم بانتظار الجديد فى التاريخ : بقلم : د. محمد جابر الانصارى (ص ٦)


نحو اجتهاد اسلامى معاصر بقلم : د. يوسف القرضاوى (ص ٨)


حلقة جديدة من سيرة القروى شاعر العروبة : بقلم اكرم زعيتر (ص ٢٠)


حديث عن قطر بقلم : درويش مصطفى الفار (ص ٢٦)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● أبــواب ●

● المــــــواد لا تعــــــاد إلى مرســــليـــــها
نشـــــرت أو لم تـــنــشـــر

كلمة

الدّوحة بين الثقة والمسئوليّة

كلما ازداد الطلب على « الدوحة » شعرنا فى هيئة تحرير المجلة بأن المسئولية التى نتحملها تجاه القارىء تزداد وتتسع ، وأن علينا أن نضاعف جهودنا لكى نكون في مستوى الثقة التى يمنحها القارىء للمجلة . وقد ازداد الطلب على المجلة فى الشهور الأخيرة زيادة كبيرة ، وابتداء من هذا العدد قامت المجلة بزيادة المطبوع منها بنسبة ٢٠٪ ، وهى النسبة التى سمحت بها ظروف الطباعة ، لأنها نسبة لا تعبر عن حاجة القارىء الحقيقية التى تتطلب زيادة المطبوع إلى ١٠٠٪ على الأقل ، وهو ما نرجو أن نحققه بالتدريج حتى نستجيب لكل ما يطلبه منا القارىء العربى فى كل مكان من الأرض العربية ، بل والقارىء العربى فى أوروبا وأمريكا وغيرها من بقاع الأرض التى انتشر فيها المواطنون العرب ، وأخذوا يتطلعون إلى ما يربطهم بوطنهم من الروابط القومية وعلى رأسها روابط الفكر والثقافة ، وهؤلاء القراء فى خارج العالم العربى يكتبون إلينا كل يوم مطالبين بتوفير المجلة لهم في العواصم الأجنبية حيث يوجدون ويعملون .. على أن المسألة عند هيئة تحرير مجلة « الدوحة » ليست مسألة أرقام كبيرة توزعها في كل مكان ، ولكنها مسألة المعادلة الصحيحة فى أى عمل ثقافى سليم ، إنها معادلة الثقة والمسئولية . فكل ثقة تقابلها مسئولية ينبغى أن يتحملها العاملون بالصحف والمجلات وأجهزة الاعلام المختلفة .. الثقة من المواطن والقارىء ثمنها غال والرد الوحيد عليها هو المزيد من العمل الشاق المتصل للتعبير عن احتياجات القراء وتحقيق رغبتهم فى تقديم مادة ثقافية واضحة وجديدة وجذابة وعصرية وقادرة على أن تمس ما يهم القارىء ويشغل عقله ووجدانه .

والحقيقة أنه ليس هناك جزاء لأى جهد مبذول مثل هذا الجزاء الكريم وهو تجاوب القراء وحماستهم ، ونتوقف هنا لنعد القراء الأعزاء بالمزيد من الجهد والعمل والسهر على أن تصبح الدوحة مجلتهم التى تعبر عنهم وتخدمهم وتعكس امامهم ما يهمهم من قضايا في أفضل صورة من حيث الشكل الفني والمضمون الفكري على السواء .

« الدوحـــــة »

مع همـوم العـالم بانتظار "الجديد" في التاريخ

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

شريط المجاعة الأفريقية لم ينته فصولا بعد .. بصوره الحادة التى تمر فى وعي هذا العالم شبه المخدر الذى يتفرج عليها ، وهو راكض الى المجهول على عجلات من الكمبيوتر الشديد الذكاء .. وقد انشغل بأكبر « أوكازيون » استهلاكى عرفه التاريخ !

شريط المجاعة الأفريقية الشاملة لم ينته بعد ، ولكن سرعان مازحمه فى وقت واحد شريط التسمم الآسيوى الهندى بالغازات السامة ، فتراكمت جثث الضحايا المشوهة بكيمياء التمدن على الجثث التى أهلكتها عدالة النظام العالمى الذى يقيس تقدم المجتمعات معيشياً بما تستهلكه من قطع « البيف ـ ستيك » .. أى اللحم الخالص المقلى حسب مواصفات المطبخ الأوربى والأمريكى !

وكفقرة « استراحة » بين الشريطين .. شريط المجاعة الأفريقية وشريط التسمم الآسيوى ، تأتي « مختارات » من شريط المذبحة اللاتينية فى السلفادور وأمريكا الوسطى ، على مراحل لتكمل الصورة .. وتوقظ من لم يستيقظ بعد .. من آثار سهرة الحفلة الاستهلاكية الكبرى التى تقيمها فى مختلف انحاء العالم الشركات متعددة الجنسيات مع أفضل تحيات الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن الدولى !!

وبين هذه وتلك ، تمر سراعاً ، مشاهد خطف الطائرات ، مع تصعيد الخطف الى التعذيب والقتل ، ومشاهد انفجار السيارات المفخخة فى الأحياء السكنية . الى مسلسل الصراعات الدموية الطائفية بين الجماعات العرقية والمذهبية فى كل انحاء العالم من ايرلندا الشمالية الى سيخ البنجاب الى تاميل سيلان .. هذا حتى لا نذكر شيئا عن حياة الجماعات « المتآخية والمتضامنة » فى تخريب مستقبلها ومصيرها فى المنطقة الذائعة الصيت والتى يسمونها .. الشرق الأوسط !

• من الغاب البدائي الى الغاب الالكترونى ؟ •

حقاً .. ماذا حدث ويحدث فى هذا العالم ؟ هل هذه بشائر عالمنا الجديد سنة ألفين ؟ هل هذه ارهاصات القرن الحادى والعشرين ؟

أم أن عالمنا ينوي العودة الى عصور الغاب وقد غلبه الحنين الى أيامه الدموية الأولى زمن سطوة الناب والمخلب ، فقرر العودة إليها ، وفى يده هذه المرة القنبلة النووية والنيوتروجينية والعنقودية بدل الناب والمخلب ، فلا يبقى لمرحلة الحضارة من أثر غير كونها مرحلة الانتقال من الغاب البدائي الى الغاب الالكترونى ؟

ولكن يجب أن يكون واضحاً ـ كي لا نقع فى رومانسية ساذجة ـ ان المشكلة ليست مشكلة تكنولوجيا وليست أزمة إسراف فى الاعتماد على الوسائل التقنية .. فهذه وسائل لا غايات .. والأزمة اليوم فى الغايات .. أو فى القيم النهائية العليا السائدة التى تحدد لعالمنا غاياته ..

ويتوجب أن يقال ويفهم بكل وضوح أن النظام العالمى السائد بقيمه ومنطلقاته وركائزه الأساسية وروحيته وذهنيته الحاضرة ، ان لم يكن قد أفلس ، فهو فى طريقه الى الأفلاس . فلا يعقل أن يكون هذا الذى يحدث كله من اختلال مجرد أحداث عادية يقع مثلها فى كل عصر وزمان ، وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وأن عالمنا الحاضر هو أفضل العوالم ، كما كان يزعم دائماً المعلم الساذج الذى رسم شخصيته فولتير فى قصصه الرمزية الساخرة « كانديد » .

والنظام العالمى السائد ، تحديداً ، هو نظام الرجل الأبيض الذى أقام الحضارة الغربية الغالبة فى العصور الحديثة ، ثم أقام توازناتها الاستراتيجية الحاضرة والتمثلة فى الحلف غير المعلن ، وغير المقدس ، بين الرأسمالية الأمريكية والتوتاليتارية الروسية منذ أن تم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ استراتيجى وايدولوجى وحضارى فى يالطة بعد الحرب العالمية الثانية .. فخضعت لنطقه مختلف الشعوب والأقاليم .

• نظام واحد .. برأسين •

وإذا كان هذا « المنطق » قد استطاع أن يخلف منطق الصراع بين معسكرى تلك الحرب خلال الثلاثة عقود الماضية ، فان مختلف المؤشرات الحاضرة تدل على أنه قد شاخ الآن ، كما شاخت القيادات فى الكرملين والبيت الأبيض ، وكما شاخت الايدولوجيات أيضاً ، فلم يعد بمقدوره ضبط تمخضات عالم اليوم وعالم الغد الذى يولد من رحم عالمنا المضطرب هذا .

وأزمة هذا المنطق الأمريكي — الروسى كأزمة حضارته كلها التى ينتمى لها العملاقان رغم ما بينهما من اختلاف ، أزمة غايات وقيم ومرتكزات ولا تقف عند حدود الأزمة العابرة .

• ففى أمريكا الوسطى من السلفادور الى نيكاراغوا تقول الحرب البشعة الطويلة الجارية هناك ، رغم كل ما يحاط بها من تكتم وتعتيم ، ان العملاق الأمريكي ليس لديه ما يقدمه ، حتى لجيرانه الذين يعيشون على مقربة من حدوده ، غيير المؤامرات والتخريب وارهاب القوة المكشوفة العارية . وعندما تصل أية حضارة وأى نظام الى مأزق اللجوء للقوة المكشوفة العارية ، ولا بديل غيرها ، فمعنى ذلك ان تلك الحضارة وذلك النظام لم يعد لديهما ما يقدمانه غير الارهاب والقمع . وهذه الظاهرة نفسها كانت مستمرة مع الشعب العربى الفلسطيني على يد القوة الاسرائيلية — الأمريكية ، غير أن شعوب العالم الأخرى لم تكن متنبهة لها بصورة كافية حتى أخذ النموذج ذاته تقريباً ينتقل الى مقربة من حدود الولايات المتحدة .. ولم يعد مجرد أزمة متباعدة الفصول ، فى منطقة بعيدة كالشرق الأوسط .

• إن القوة الروسية تتعرض غرباً وشرقاً لاختبارين متماثلين أوصلاها أيضاً الى الوقوع فى مأزق اللجوء للقوة العارية ضد الشعوب الضعيفة ، بشكل ليس له مثيل منذ قيام النظام البلشفي فى روسيا .

ففى بولندا ، مازالت تتفاعل حركة من أهم خصائصها ، تجاوز أعمق ركائز النظام الماركسي نحو نظام آخر ، لا يمكن وصفه أو تحديد معالمه منذ الآن ، لكنه بكل المقاييس نظام مختلف تماماً عن النظام القائم ليس فى بولندا وحدها ، ولكن فى المعسكر الشرقى كله ..

أما فى افغانستان فإن روسيا تورطت لأول مرة فى تاريخ النظام السوفياتي فى حرب مكشوفة وطويلة ضد شعب صغير — كان محايداً — من شعوب العالم الثالث الواقع خارج دائرة النفوذ السوفياتي ، ولا ينطبق عليه ما ينطبق على شعوب أوربا الشرقية ، كالمجر أو تشيكوسلوفاكيا ، من حتمية التبعية الاستراتيجية لموسكو ، حسب اتفاقات يالطا ونظامها .

وخطورة هذه الحرب الروسية فى افغانستان ، انها قلبت الصورة التى رسمها الاتحاد السوفياتي لذاته أمام شعوب العالم من صورة القوة المتحالفة مع الشعوب « ضد الامبريالية » .. الى قوة غاصبة تستخدم جيشها العملاق ضد أصغر شعب مجاور لحدودها .

• أخطر تطور •

• أما أخطر تطور حدث بهذا الصدد مؤخراً ، فهو ظهور نقد علني صريح ، على صعيد الصحافة الرسمية فى الصين الشعبية ، لأصول الماركسية — اللينينية ، وهو نقد صاحبه ويصاحبه تغيير جذرى فى النظام الصيني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وقيادياً . ولا يخفف من خطورة ذلك حدوث تراجع جزئى عن ذلك النقد فى وقت لاحق . فما ذلك إلا لجس النبض واختبار مدى الاستعداد لتقبل التغيير ثم مواصلة الحملة من جديد كما يحدث عادة فى مثل هذه الأنظمة .

وإذا ما خرجت بولندا على الماركسية ، فإن روسيا تستطيع — بمنطق يالطة — غزوها من جديد .. لكن اذا خرج العملاق الصيني على الماركسية فماذا تستطيع روسيا أن تفعل وهى العاجزة عن حل مشكلات حدودها مع الصين ؟

والخروج الصيني على الماركسية لا تنحصر خطورته فى تقديم دليل جديد وكبير على انحسار الفكرة الماركسية ونظامها فى العالم ، لكن الأخطر من ذلك فى رأينا ، ان الصين بخروجها من بوتقة النظام الماركسي تقترب الى حد كبير من بقية بلدان « الجنس الأصفر » فى الشرق الأقصى كاليابان وكوريا الجنوبية بشكل يقوى الروابط بين أطراف « القوة الصفراء » الصاعدة صناعياً وتكنولوجيا بما يؤهلها لخلافة القوة البيضاء فى قيادة الركب العالمى والاستفادة من اختلال نظام يالطة بين عملاقى القوة البيضاء : روسيا وأمريكا معاً . (راجع مقالاتنا عن القوة الصفراء ومستقبل العالم ، فى أعداد سابقة من مجلة الدوحة) .

فالخروج الصيني على الماركسية سيؤدى فى النهاية الى قيام نوع من التحالف الأصفر بين القوة التكنولوجية اليابانية والقوة البشرية الصينية الكثيفة بشكل سيقلب الموازين فى عالم اليوم المضطرب وسيقف هذا التحالف على قدم المساواة مع السوق الأوروبية المشتركة ، والحلف الأطلسى وحلف وارسو ، وينقل العصب الاستراتيجي للعالم الى المحيط الباسفيكى ، ثم يرث تدريجياً ، قسطاً هاماً مما لتلك الأحلاف الغربية البيضاء من نفوذ فى العالم .

• الغرب .. والخطأ المنتظر •

وسيتحمس الغرب كثيراً لهذا التطور فى البداية ، نكاية بالروس ، وقد تقدم أمريكا على تقديم تايوان الى الصين الشعبية مكافأة لها على نبذ الماركسية ، وستشجع بالتأكيد التحالف اليابانى الصيني لموازنة النفوذ السوفياتي شرقي آسيا .

ثم سيكتشف الغرب انه اقترف واحداً من أخطائه الكبرى فى التاريخ ، عندما يترسخ التحالف اليابانى الصيني كقاعدة استراتيجية ثابتة لنفوذ الجنس الأصفر فى العالم كله ، تعمل على تصفية نفوذ الرجل الأبيض . وعندها سيعود الغرب للتحالف مع الاتحاد السوفياتي أو التحالف ، بالأحرى ، مع روسيا البيضاء ، سوفياتية كانت أم غير ذلك ، للوقوف فى وجه الزحف الأصفر ، كما تحالف معها من قبل للوقوف فى وجه المانيا الهتلرية .

• أى جديد ؟ •

غير أن انتقال مركز الجذب العالمى من قوة بيضاء الى قوة صفراء ، لن يغير فى حد ذاته مما تعانيه البشرية من ويلات ولن يحقق بالضرورة ما تتطلع إليه من خلاص .

صحيح أن بلاد القوة الصفراء هى أكثر بلاد العالم انضباطاً وعملا وتكافلا اليوم ، فلا نسمع ان تلك البلاد تعانى ما تعانيه المناطق الأخرى من مجاعات أو مذابح طائفية ، أو اغتيالات أو اختطاف للطائرات ، أو ما أشبه من دلائل الاضطراب .

كما ان مسلكها فى العمل والانتاج مسلك قريب من المثالية . وذلك ما يرشحها ، بالفعل ، للدور المنتظر لها على المسرح العالمى .

وهذه حقيقة لابد أن نتبينها — كعرب — ونحن أحوج ما نكون الى التبصر فى نموذج حضارى شرقى جديد فيه الانضباط ، وفيه التكافل ، وفيه العمل وفيه الالتزام بخلقية البناء الجماعي وروحيته ومعانيه السامية التى يفتقدها عالمنا العربى هذه الأيام .

وأياً كانت طبيعة القوة التى سترث القوة المسيطرة على عالمنا ، فإن مسار المستقبل الانسانى سيتحدد بنوعية الخيارات التى ستنهجها القوة الجديدة .

فإن نهجت النهج الاستهلاكى الحالى بتسخير التكنولوجيا والعلم والجهد الانسانى للاستهلاك وللمزيد من الاستهلاك فإن وضع العالم لن يتغير كثيراً .

ويبدو أن اليابان والصين قد دخلتا حلبة المنافسة على النهج الاستهلاكى ذاته ، مما يرشحهما للتنافس مع قوى الغرب ، ولكنه لا يجعل منهما نموذجا جديداً مشعاً لشعوب العالم .. فكرياً وروحياً ..

فمن أين سيأتى ذلك النهج المشع لإنقاذ العالم ؟ ما أصعب السؤال ..

وما أشد صعوبة الاجابة فى هذا الجو العالمى الحالك . ولكن دائماً هنالك مفاجأة « الجديد » فى التاريخ ! .. وانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

محمد جابر الأنصارى

إن وجـودنا ووقوفنـا فى موضعنـا لا يـوقف
الأفلاك عن الحركة ، ولا الأرض عن الدوران

نحو اجتهاد إسلامي معاصر

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

فى مفاهيمنا الاسلامية الأصيلة كلمتان مشتقتان من مادة واحدة ، لهما أكبر الأثر فى الحياة الاسلامية ، وفى مسيرة الأمة الاسلامية على امتداد التاريخ .

هاتان الكلمتان هما الاجتهاد والجهاد ، وقد اشتقتا من مادة ج هـ د بمعنى بذل الجُهد (بضم الجيم) أى الطاقة ، أو تحمل الجَهد (بفتح الجيم) أى المشقة .

والكلمة الأولى هدفها معرفة الهدى ودين الحق الذى أرسل الله به رسوله ، والأخرى هدفها حمايته والدفاع عنه .

الأولى ميدانها الفكر والنظر ، والأخرى ميدانها العمل والسلوك .

وعند التأمل نجد أن كلا المفهومين يكمل الآخر ويخدمه ، فالاجتهاد إنما هو لون من الجهاد العلمى ، والجهاد إنما هو نوع من الاجتهاد العلمى .

وثمرات الاجتهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من أهل القوة من يتبنى تنفيذها ، كما أن مكاسب الجهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من أهل العلم من يضيء لها الطريق .

وفى عصورنا الاسلامية الزاهرة مضى هذان الأمران جنباً إلى جنب : الاجتهاد والجهاد . فسعدت الأمة بوفرة المجتهدين من حملة القلم ، ووفرة المجاهدين من حملة السيف . الأولون لفهم ما أنزل الله من الكتاب والميزان ، والآخرون لحمايته بالحديد ذى البأس الشديد ، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » (سورة الحديد ٢٥) .

وفى بعض العصور وجد الجهاد ، لكن لم يصحبه الاجتهاد ، فجمدت الحياة الاسلامية وتحجرت ، على حين كانت المجتمعات غير المسلمة قد بدأت فى اليقظة والتفتح والنهوض .

ثم تلت عصور أخرى فقد المسلمون فيها الاجتهاد والجهاد معاً ، فغزوا فى عقر دارهم ، وفقدوا سيادتهم واستقلالهم ووحدتهم .

ثم نادى منادى الجهاد لتحرير الأرض ، وحصل المسلمون على استقلاهم ، ولكنه كان استقلالا ناقصاً قاصراً ، إذ الاستقلال الحقيقى أن يتحرروا من آثار الاستعمار التشريعى والثقافى والاجتماعى ، إلى جوار التحرر من الاستعمار العسكرى والسياسى ويعودوا إلى ذاتيتهم الأصيلة ، وهذا لا يكون الا إذا كانت شريعة الاسلام أساس حياتهم كلها : الروحية والمادية ، الفردية والاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية ، التشريعية والتربوية ، الفكرية والعملية .

إن الشريعة الاسلامية هى خاتمة الشرائع التى تحمل الهداية الالهية للبشر وقد خصها الله بالعموم والخلود والشمول ، فهى رحمة الله للعالمين ، من كل الأجناس ، وفى كل البيئات ، وكل الأعصار ، إلى أن تقوم الساعة ، وفى كل مجالات الحياة المتنوعة ، لهذا اودع الله فيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على الوفاء بحاجات الانسانية المتجددة على امتداد الزمان ، واتساع المكان ، وتطور الانسان .

وانما كانت كذلك بما جعل الله فيها من عوامل السعة والمرونة ، وما شرع لعلمائها من حق الاجتهاد فيما ليس فيه دليل قطعى من الأحكام ، أما ما كان فيه دليل ظنى فى ثبوته أو دلالته أو فيهما معاً ، أو ما ليس فيه نص ولا دليل ، فهو المجال الرحب للاجتهاد . وبهذا تتسع الشريعة لمواجهة كل مستحدث ، وتملك القدرة على توجيه كل تطور إلى ما هو أقوم ، ومعالجة كل داء جديد بدواء من صيدلية الاسلام نفسه ، لا بالتسول من الغرب أو الشرق .

إن « الاجتهاد » هو الذى يعطى الشريعة خصوبتها وثراءها ، ويمكنُها من قيادة زمام الحياة إلى ما يحب الله ويرضى ، دون تفريط فى حدود الله ، ولا تضييع لحقوق الانسان ، وذلك إذا كان اجتهاداً صحيحاً مستوفياً لشروطه صادراً من أهله فى محله .

تراثنا القديم لا يغنى عن اجتهادنا الجديد

ربما يذهب بعض المشتغلين بالعلوم الاسلامية ـ لفرط اعجابهم بتراثنا الحافل ، وفرط ثقتهم بفقهائنا العظام ـ أننا لسنا فى حاجة إلى اجتهاد جديد ، فما من مسألة إلا وجدنا عند الأقدمين مثلها ، فقد اجتهدوا للواقع وافترضوا لما قد يتوقع ، فلم نعد محتاجين إلى أن ننشىء اجتهاداً بعد هؤلاء الأفذاذ ، وكل الصيد فى جوف الفرا !

فما علينا إلا أن نرجع إلى كتبهم وننقب فى أحشائها ، لنجد فيها ضالتنا والاجابة عن مسألتنا بالنص أو بالقياس أو التخريج .

ونحن لا نقلل من قيمة تراثنا ، ولا من عظمة فقهنا ، بمدارسه المتعددة ومشاربه المتنوعة وما فيه من اجتهادات واقعية أو افتراضية .

ولكن الحق أقول : انه من المبالغة وتجاهل الواقع ، الادعاء بأن الكتب القديمة فيها الاجابة عن كل سؤال جديد .

ذلك أن لكل عصر مشكلاته ، وواقعه ، وحاجاته المتجددة ، والأرض تدور ، والأفلاك تتحرك ، والعالم يسير ، وعقارب الساعة لا تتوقف .

ومع هذا الدوران المستمر ، والحركة الدائمة ، والسير الحثيث ، تتمخض أرحام الأيام والليالى عن أحداث ووقائع جديدة لم يعرفها السابقون ، وربما لم تخطر ببالهم ، بل ربما لو ذكرت لهم لعدوها من المستحيلات ! فكيف تصور حكمهم عليها ، وهى لم تدر بخلدهم لحظة من الزمان ؟

على أن بعض الوقائع والأمور القديمة قد يطرأ عليها من الأحوال والأوصاف ما يغير طبيعتها أو حجمها أو تأثيرها ، فلا يلائمها ما حكم به الأقدمون أو ما افتوا به فى شأنها .

وهذا ما جعلهم يقررون وجوب تغير الفتوى بتغير الزمان ، والمكان ، والعرف والحال . وكتب فى ذلك من كتب من محققيهم فى أكثر من مذهب من المذاهب المتبوعة .

فالحاجة إلى الاجتهاد ـ اذن ـ حاجة دائمة ، مادامت وقائع الحياة تتجدد ، وأحوال المجتمع تتغير وتتطور ، ومادامت شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وحاكمة فى كل أمر من أمور الانسان .

وعصرنا خاصة أحوج إلى الاجتهاد من غيره ، نظراً للتغير الهائل الذى دخل الحياة الاجتماعية بعد الانقلاب الصناعى ، والتطور التكنولوجى ، والتواصل المادى العالمى ، الذى جعل العالم الكبير كأنه بلدة صغيرة .

وإذا كان علماؤنا السابقون قد قرروا تغير الفتوى بتغير الزمان ، رغم رتابة الحياة وسكونها إلى حد كبير ، فى العصور الماضية ، حتى قيل فى بعض الخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه : هذا اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان . فكيف باختلاف عصرنا عن عصور أئمة الاجتهاد ؟ بل كيف يكون مدى هذا الاختلاف عن عصور المتأخرين من الفقهاء مثل ابن عابدين الحنفى (ت ١٢٥٢ هـ) أو الصاوى المالكى (ت ١٢٤١ هـ) أو الشوكانى المجتهد المطلق (ت ١٢٥٥ هـ) . برغم قرب عصرهم من عصرنا : بحيث لو بعث أحدهم اليوم ورأى عالمنا وما جد فيه ، لقال : هذا عالم جن أو شياطين !

وهل صنع شياطين سليمان ـ عليه السلام ـ المسخرون له ، من عجائب الصناعات ما صنع إنس اليوم من عجائب وصل بها الانسان إلى القمر ؟!

مجالان جديدان للاجتهاد

واذكر هنا مجالين من المجالات التى حدث فيها تغير ضخم ، قلب ما كان مألوفاً ومقرراً من قبل ظهراً على عقب ، وأصبحنا فى أشد الحاجة إلى الاجتهاد .

١ ـ مجال التعامل المالى والاقتصادى :

المجال الأول : المجال الاقتصادى والمالى .

فلاشك أن عصرنا هذا قد حفل بأشكال وأعمال ومؤسسات جديدة فى ميدان الاقتصاد والمال لم يكن لأسلافنا ـ بل لأقرب العصور إلينا ـ عهد بها وذلك كالشركات الحديثة بصورها المتعددة كشركات المساهمة والتوصية وغيرها . وفى مجالاتها المختلفة كالتأمين بأنواعه المتعددة : تأمين على الحياة وتأمين على الممتلكات .. الخ .

والبنوك بأنواعها المختلفة من عقارى وصناعى وزراعى وتجارى واستثمارى .. الخ . وأعمالها الكثيرة : من حساب جار ، وودائع وقروض وتحويل وصرف ، وفتح اعتمادات واصدار خطابات ضمان ، و (خصم كمبيالات) وغير ذلك مما قد يحل أو يحرم من معاملات البنوك .

إن كثيراً من هذه المعاملات جديد مائة فى المائة ، وبعضها شبيه بمعاملات قديمة ، أو قريب منها ، وبعضها مركب من قديم وجديد .

ترى ما الحكم فى هذه المعاملات والمؤسسات ؟ ربما يسارع بعض أهل العلم إلى أسهل الطرق وهو الرفض والتحريم والتشديد . وفى هذا ما فيه من تعسير على المسلمين وتنفير من الدين . وقد قال الامام سفيان الثورى بحق : انما الفقه الرخصة من ثقة . أما التشديد فيحسنه كل أحد !

وقد يحاول آخرون فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، وكل ما هو واقع مباح بدعوى المصلحة حيناً ، وبدعوى الضرورة حيناً ، وبتخريجات واهية متكلفة حينا ، وبتخريجات واهية متكلفة حيناً آخر .

وفئة ثالثة تحرص على أن تبحث لكل معاملة جديدة عن نظير قديم تضمنته الكتب والمصنفات ، لتخرج على وفقه ، وتكيف على أساسه ، وإلا فهى معاملة مرفوضة .

وأولى من هذا كله أن تخضع هذه الأعمال والمؤسسات الجديدة للبحث الجاد والدراسة المتأنية ، وان يستفرغ أهل الفقه وسعهم لاستنباط الحكم اللائق بها فى ضوء الأدلة الشرعية ، سواء كان الحكم بالاباحة أو التحريم ، فهذا مجال الاجتهاد ، وهنا عمل المجتهد حقاً .

● هل النقود الشرعية هي الذهب والفضة فقط وما عدا ذلك ليس بنقد كما يذهب البعض؟

● الاجتهاد الذي ندعو إليه يمثل حاجة .. بل ضرورة لحياتنا الإسلامية وعلاج مشكلاتنا المعاصرة

ومثل ذلك (النقود الورقية) التى أصبحت عماد التعامل فى هذا العصر ، ما حكمها ؟ ألها حكم النقود المعدنية ، التى جاءت بها النصوص الشرعية من الذهب والفضة ، فى كل شيء : فى وجوب الزكاة وحرمة الربا ، وقضاء الديون ، وغيرها ؟ .

أم النقود الشرعية هى الذهب والفضة فقط ، وماعدا ذلك فليس بنقد كما يذهب إليه بعض ظاهرية عصرنا ، وبهذا لا يوجبون فيها الزكاة ، ولا يجرى فيها الربا ؟ ؟

أم لها حكم الذهب والفضة فى وجوب الزكاة فقط ؟ أم فيه وفى الربا ؟ وليس فى قضاء الديون ؟

وما الحكم فى العملات التى تدهورت قيمتها أو تتدهور باستمرار إلى حد مذهل ؟ وما حكم من كان عليه دين قديم من هذه العملات ويريد أن يوفيه اليوم بعد هبوط القدرة الشرائية هبوطاً غير عادى ؟ كما فى الليرة التركية مثلا ؟

وما الحكم فى الذهب اليوم ؟ ألا زال نقداً وعملة ومعياراً وثمناً للأشياء كما كان فى الماضى ؟ يقوم به غيره ، ولا يقوم هو بغيره ؟ وهل له قوة الابراء كما كان ؟ أم أصبح هو سلعة تباع وتشترى ، وترتفع وتنخفض ، وتقوم بغيرها من الأشياء ؟

وهل الذهب المصنوع المشغول كذهب السبائك ونحوها فى الحكم ؟ أم لكل منها حكمه الخاص ؟ الخ هذه الأسئلة المتشعبة .

وكم عقدت فى عصرنا حلقات وندوات ، وأقيمت مؤتمرات ، ونظمت أسابيع ، لدراسة بعض الموضوعات المالية والاقتصادية ، مثل : التأمين أو البنوك أو الزكاة فى الأموال المعاصرة ؟ واتفقت فى بعض الأمور ، واختلفت فى بعضها الآخر . وحسمت القول فى بعض القضايا ، وظلت قضايا كثيرة مرجأة للبحث ، تنتظر رأى المجتهد فرداً كان أو جماعة .

موضوع كالتأمين نوقش فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ، وفى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وفى ندوة التشريع الاسلامى فى ليبيا ، وفى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى فى مكة المكرمة .. وفى غيرها من المؤتمرات والندوات . وألف فيه عدد من الأساتذة الأفاضل ، اذكر منهم : الأستاذ مصطفى الزرقا ، والشيخ على الخفيف رحمه الله ، والشيخ عبد الله بن زيد المحمود ، والدكتور حسين حامد حسان ، والدكتور محمد الدسوقى .. وغيرهم .

وكتبت فيه عدا ذلك مقالات وبحوث متنوعة ، ولم ينته الرأى فيه بعد ..

فهذا هو المجال الأول للاجتهاد فى عصرنا : مجال المعاملات المالية المعاصرة .

٢ ـ المجال العلمى والطبى :

المجال الثانى : مجال الطب الحديث .

فمما لا ريب فيه أن العلم الحديث بما قدمه من اكتشافات هائلة وتكنولوجيا متقدمة ، وما وضع فى يد الانسان من امكانات تشبه الخوارق فى العصور الماضية وخصوصاً فى المجال الطبى ، قد أثار مشكلات كثيرة تبحث عن حل شرعى وتساؤلات شتى تتطلب الجواب من الفقه الاسلامى وتقتضى من المجتهد المعاصر أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه فى استنباط الحكم المناسب لهـا .

وعندى من هذا النوع أسئلة كثيرة منها مجموعة صيغت من قبل منظمة الطب الاسلامى فى جنوب أفريقيا ، وقد أرسلها إلى أيضاً قسم الطب الاسلامى فى جامعة الملك عبد العزيز بجده ، وتشمل حوالى سبعة عشر موضوعاً .

وأنا أذكر هنا موضوعاً واحداً منها ، لنرى

مقدار حاجتنا إلى الاجتهاد ، لنجيب عن هذه الأسئلة وأمثالها وما أكثرها . وهو ما يتعلق بزرع الأعضاء .

زرع الأعضاء وحاجتنا إلى الاجتهاد فيه

تعتبر زراعة الأعضاء من الحقول التى يتطور فيها الطب سريعاً ، وهذا يتضمن زراعة العضو كله أو اجزاء منه ، أو زراعة أنسجة من الحيوانات ، أو مخلوقات أخرى ومن ثم زرعها فى جسم المريض .

وفيما يتعلق بالحيوانات ، فقد انتزعت صمامات القلب من الخنازير والعجول ، والجلد والكبد من الخنازير كذلك .

أما فيما يتعلق بالبشر ، فإن الأحياء منهم يمكن أن يعطوا بعض الأعضاء مثل كلية واحدة ، أو الجلد أو الدم دون أن يؤذوا أنفسهم ويمكن نزع بعض الأعضاء من الأموات مثل القرنية ، الجلد ، القلب ، الكليتين ، العظام وصمامات القلب ، والقرنيات .

ويمكن أن يكون الغرض من زرع الأعضاء هو انقاذ حياة ، أو تحسين نوعية الحياة ، مثل شفاء أنسجة العظام الصلبة ، أو تمكين الانسان من النظر ، أو أن يتمكن من الأكل والشرب بشكل أفضل بواسطة زرع الكلية .
وهنا تثور الأسئلة التالية :

(١) : هل يجوز زرع أعضاء الحيوان أو أجزاء منها فى الانسان لانقاذ الحياة أو تحسين نوعيتها ، حتى ولو كان الحيوان خنزيراً ، أو جلد خنزير أو كبد خنزير ، أو صمامات قلب خنزير ؟

(٢) : هل يجوز للمسلم الموافقة على نزع أعضاء من جسمه وهو حي لاستعمالها فى الزراعة لمصلحة طفلته أو أحد أبويه أو أخوته ؟

(٣) : هل يجوز للمسلم أن يوافق على نزع أعضاء من جسمه بعد موته لتستعمل فى الزراعة ليستفيد منها أى انسان ؟

(٤) : هل يجوز للمسلمين أن يتبرعوا بأجسامهم بعد الموت لاستعمالها فى التشريح لتعليم الآخرين وبهذا يفيدون الانسانية ؟

(٥) : متى يجوز الاعلان عن وفاة الانسان ؟ فهذا سؤال مهم فى الطب لأنه فى حالة الأعضاء مثل القلب والكلية فإنه يمكن أن يكونا نافعتين فى حالة استقبالهما كمية كافية من الدم (ارتواء) ولهذا السبب فإن مفهوم (موت الدماغ) قد تطور ويستطيع الطبيب بواسطته أن يحكم فيما إذا كان المريض قد أصيب بجرح حاد فى بعض الأجزاء الحيوية ، فإن المريض سيموت حتماً . وللأعضاء تنزع من شخص كهذا وهو ما يزال حياً بواسطة الآلة ، ولا توقف الآلة أو الجهاز إلا بعد نزع الأعضاء المطلوبة .

(٦) : هل يجوز زرع أعضاء من غير المسلمين للمسلمين ؟ وهل يجوز نقل الدم من غير المسلمين للمسلمين ؟ .

هذا نموذج لموضوع واحد من الموضوعات الكثيرة التى يثيرها الطب الحديث ، وتحتاج إلى اجتهاد جديد من فقهاء الاسلام .

ومنذ سنتين عقدت المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بدولة الكويت الشقيقة ندوة جمعت بين رجال الفقه ورجال الطب حول (الاسلام والانجاب) كان لى شرف المشاركة فيها ، وقد اثيرت فيها مسائل مهمة مثل (بنوك الحليب) والاجهاض بناء على تشوه فى الجنين يشخصه الطبيب ، والتحكم فى جنس الجنين ، والرحم الظئر ، وغيرها واصدرت المنظمة الاسلامية بحوث هذه الندوة ومناقشاتها فى مجلد مطبوع .

وفى هذا الشهر (يناير ١٩٨٥) تعقد ندوة أخرى بين الفقهاء والأطباء حول بداية الحياة البشرية ونهايتها . وهو موضوع يترتب على تحديده كثير من الأحكام . أتكون بداية الحياة ، منذ التقاء الحيوان المنوى بالبويضة وتلقيحها ، أى منذ بدء الحمل وهى الحياة (الخلوية) المعروفة ؟ أم لاتبدأ الحياة إلا بما سماه الحديث الشريف (النفخ فى الروح) وذلك بعد مائة وعشرين يوماً ؟
ثم يأتى السؤال الآخر : بماذا تنتهى الحياة ، ويتحقق الموت ؟ ابموت القلب وتوقفه عن النبض أم بموت جذع الدماغ ؟

إن لتحديد هذا وذاك اثارا مهمة تترتب عليها أحكام ذات خطر . ولابد للفقه المعاصر أن يقول فيها رأيه فى ضوء الأدلة الشرعية .

موقف الاجتهاد المعاصر من التراث الفقهى

على أن الاجتهاد لا ينحصر فى دائرة المسائل الجديدة ، بل له مهمة أخرى مع التراث الفقهى ، لاعادة النظر فيه على ضوء ظروف العصر وحاجات الناس ، لاختيار أرجح الآراء ، واليقها بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، بناء على قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والانسان .

فليس صحيحاً أن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، بل الصحيح ما قاله أهل التحقيق : كم ترك الأول للآخر ! بل كم فاق الأواخر الأوائل !

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً
ويرى للأوائل التقديما !
إن هذا القديم كان حديثاً
وسيمسى هذا الحديث قديماً !

ولا تقتصر اعادة النظر هذه على أحكام « الرأى » أو « النظر » وهى التى انتجها الاجتهاد فيما لا نص فيه . بناء على أعراف أو مصالح زمنية لم يعد لها الآن وجود أو تأثير ، بل يمكن أن يشمل بعض الأحكام التى أثبتتها نصوص ظنية الثبوت كأحاديث الآحاد . أو ظنية الدلالة ، وأكثر نصوص القرآن والسنة كذلك . فقد يبدو للمجتهد اليوم فيها فهم لم يبد للسابقين ، وقد يظهر له رأى ظهر لبعض السلف أو الخلف ، ثم هجر ومات . لعدم الحاجة إليه حينذاك ، أو لأنه سبق زمنه ، أو لعدم شهرة قائله ، أو لمخالفته للمألوف الذى استقر عليه الأمر زمناً طويلا أو لقوة المعارضين له ، وتمكنهم اجتماعياً أو سياسياً ، أو لغير ذلك من الأسباب .

وينبغى أن يكون الاجتهاد فى عصرنا اجتهاداً جماعياً فى صورة مجمع علمى يضم الكفايات الفقهية العالمية ، ويصدر أحكامه فى شجاعة وحرية بعيداً عن كل المؤثرات والضغوط الاجتماعية والسياسية ، ومع هذا لا غنى عن الاجتهاد الفردى ، فهو الذى ينير الطريق أمام الاجتهاد الجماعى ، بما يقدم من دراسات عميقة ، وبحوث أصيلة مخدومة ، بل ان عملية الاجتهاد فى حد ذاتها عملية فردية قبل كل شيء .

إن الاجتهاد الذى ننشده وندعو إليه ــ بقيوده وشروطه الشرعية ــ يمثل حاجة ، بل ضرورة لحياتنا الاسلامية ، وعلاج مشكلاتنا المعاصرة والا أصيبت حياتنا بالجمود والعفن ، أو بحثت لادوائها ــ فى الغالب ــ عن علاج من غير صيدلية الاسلام ، فإن جمودنا ووقوفنا فى موضعنا ، لا يوقف الافلاك عن الحركة ، ولا الأرض عن الدوران !

يوسف القرضاوى

جمعية الرابطة الشرقية صفحة جريئة ومنسيّة من تاريخنا المعاصر

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

تلك تجربة فذة قامت بمجهود أفراد معدودين ، وأصابت من النجاح مدى واسعاً . يجعلها جديرة بالتأمل والدراسة وربما بتكرار المحاولة . وسنرى أن أفقها كان أبعد مدى من مجرد رابطة عربية بين الشعوب العربية فقط ، انما امتدت لتشمل الشعوب الشرقية غير العربية أيضاً . وإذا كانت هذه الجمعية قد عاشت ما بين عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٣١ ودون أى مساعدة حكومية أو دولية مقتصرة على جهود الأفراد الأعضاء ، وكان طبيعياً أن تنتهى بانتهاء المؤسسين بالموت أو المرض المقعد ، ولكنى أظن أيضاً أن من الأسباب الهامة لانتهائها ما نص عليه قانونها الأساسى من المبادىء كما سوف نرى فى هذا المقال .

لقد نشأت جمعية الرابطة الشرقية عندما دعا ميرزا مهدى رفيع مشكى بك من تجار ايران بالقاهرة جماعة من اصدقائه الأفاضل إلى منزله فكان منهم المصرى والسورى و« العجمى » والتركى . بعد العشاء تبادلوا أطراف الحديث . فعلق أحمد زكى باشا (المعروف بشيخ العروبة) قائلا : ها نحن اجتمعنا ونحن ابناء أمم مختلفة يجمعها انتماؤها إلى الشرق وحسب . فهلا يستطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع ؟

هداهم التفكير إلى انشاء جمعية تربط الأفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من علاقات اسموها « جمعية الرابطة الشرقية » اختاروا لها رئيساً السيد عبد الحميد البكرى أحد الحاضرين وشيخ الطرق الصوفية واختاروا للسكرتارية أحمد زكى باشا صاحب التعليق الذى أدى إلى انشاء هذه الجمعية .

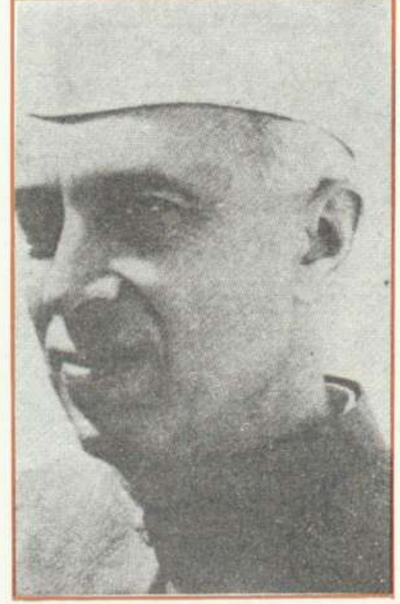
سمع أحمد شفيق باشا من الصحف عن هذه الجمعية فكتب لكاتم سرها طالباً الانضمام إليها ، فرحب به مع السرور . أما أحمد شفيق هذا فهو خريج كلية الحقوق جامعة العلوم السياسية بباريس ، وصل إلى رياسة الديوان الخديوى وكان أول مصرى يتقلد هذا المنصب ، عاش فى المنفى مع عباس حلمى سبع سنوات فى أوربا ، عاد بعد المنفى ليشتغل بالصحافة فى جريدة الليبرتيه الفرنسية حيث نشر أكثر من ٣٠ مقالا عن مصر الحديثة والنفوذ الأجنبى فيها ، ثم طلب من صاحب الجريدة أن يوقف هذه السلسلة عندما وصل السرد إلى عباس حلمى .

صاحب الجريدة هو ليون كاسترو الذى انضم إلى الوفد بعد ذلك ، والذى أوحى بايقاف السلسلة هو السلطان أحمد فؤاد الذى كان يخشى ويكره عباس حلمى وشقيقه الأمير محمد علي والذى رفض أن يستقبل أحمد شفيق لهذا السبب بعد تقييد الأخير لاسمه فى دفتر تشريفات عابدين .





ولسن .. رئيس الولايات المتحدة
حاول أن يتقرب الى الجمعية ويحصل على تأييدها



رشيد رضا..
شبه حملة عنيفة على طه حسين وسلامة موسى

نهرو..
انضم الى الرابطة الشرقية التى يرأسها مسلم عربى







جمال الدين الأفغانى
احتفلت الجمعية بجهاده وذكراه

الأمير عبد الكريم الخطابى
بطل معركة الريف فى مراكش

أحمد فؤاد..
حارب الجمعية وعارضها

وفى يوم ١٩ فبراير عام ١٩٢٢ عقدت الجمعية اجتماعها الأول بسراى رئيسها الشيخ البكرى بالخرنفش ، وحضر اجتماعها حوالى ٥٠ عضواً منهم الأمير يوسف كمال والنبيل اسماعيل داود ، وألقى البكرى خطبة قيمة ، وتم تشكيل مجلس الادارة من البكرى رئيساً ومن الشيخ محمد بخيت مع السيد رشيد رضا نائبين للرئيس ، وأحمد زكى باشا كاتماً للسر ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى والثانى تركى والثالث فارسى ! وانتخب ميرزا مهدى رفيع مشكى أميناً للصندوق وانتخب أعضاء كل من : الشيخ التفتازانى . القاضى صالح بك جودت . الأمير حبيب لطف الله — وهو سورى مسيحى منحه الشريف حسين بن علي هو وأخوه ميشيل لقب الإمارة وعينهما سفيرين له فى لندن وباريس وكانا مستشاريه السياسيين باستمرار . والأستاذ أميل زيدان صاحب الهلال . والشيخ عبد المحسن الكاظمى والدكتور محجوب ثابت — نصير السودان . والشيخ مصطفى عبد الرازق وأحمد شفيق باشا .

وحدد قانون الجمعية أغراضها بأنها توثيق الروابط الفكرية والاقتصادية والاجتماعية — دون السياسة ولا المذهبية بين الأمم الشرقية . وأن تبث شكره وطلب منه ابلاغ شكره إلى بقية معية يحرم الاشتغال بالسياسة أو المذهبية وكل أغراضها قاصرة على التعارف الثقافى والترابط الاقتصادى بين الدول الشرقية ، اقترح عليه أن ينشىء بنك مصر فرعاً له فى اسطنبول ، وكذلك أبدى الخليفة رغبة فى أن يكون بلد بنك وطنى مثلما الحال مع بنك مصر على أن تتولى هذه البنوك فتح فروع لها فى أسطنبول . ثم ناقشا فكرة أن بلداً تجاريا مثل أزمير تأتى إليه سفن تجارية تحمل تجارات مختلفة من الدول الشرقية على سفن غير شرقية . وكان الأولى أن يكون هناك شركة « وابورات بحرية » تربط دول الشرق بنقل الركاب والبضائع .

فطلبت منه الجمعية وفوضته تفويضاً كاملا فى السعى فى الاستانة لنشر اسم الجمعية وأغراضها . هناك قابل الخليفة وعرض عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخلية فقابله ببشاشة وفكره بأيامه فى المنفى عندما كان يقابل الخليفة كمندوب عن عباس حلمى . وقرأ معه مقدمة القانون ـ بالعربية ـ ثم شكره وطلب منه ابلاغ شكره إلى بقية الأعضاء . وعندما قال له شفيق باشا إن قانون الجمعية يحرم الاشتغال بالسياسة أو المذهبية وكل أغراضها قاصرة على التعارف الثقافى والترابط الاقتصادى بين الدول الشرقية ، اقترح عليه أن ينشىء بنك مصر فرعاً له فى اسطنبول ، وكذلك أبدى الخليفة رغبة فى أن يكون لكل بلد بنك وطنى مثلما الحال مع بنك مصر على أن تتولى هذه البنوك فتح فروع لها فى أسطنبول . ثم ناقشا فكرة أن بلداً تجاريا مثل أزمير تأتى إليه سفن تجارية تحمل تجارات مختلفة من الدول الشرقية على سفن غير شرقية . وكان الأولى أن يكون هناك شركة « وابورات بحرية » تربط دول الشرق بنقل الركاب والبضائع .

ثم قابل شفيق باشا أيضا ممثل حكومة انقرة فى اسطنبول واسمه عدنان بك (اسم عربى !) وكان ينوى السفر إلى انقرة لمقابلة كمال اتاتورك شخصياً لولا أن عدنان أفهمه أن مصطفى كمال مشغول جداً . فسلمه رسالة إليه من الأمير عمر طوسون عضو الرابطة .

وكذلك قابل أحمد جودت بك الصحفى صاحب جريدة إقدام وعرض عليه الفكرة ووعد بموازرتها ، ثم قابل مراسل جريدة الأخبار عمر رضا بك وهو فى نفس الوقت معلم اللغة الانجليزية للخليفة وتناقشا فى انشاء فروع للجمعية فى سائر دول الشرق وأن يبدأ نشاط الجمعية بجمع الاعانات للمسجد الأقصى ، وأن يكون هذا هو بدء نشاط فرع الجمعية فى تركيا . ولكن اضطراب الأحوال بعد ذلك بين حكومة الخلافة وبين الكماليين أوقف كل هذا .

وقد بدأت الجمعية المركزية بالقاهرة نشاطها فى ناديها بالاحتفال بذكرى جمال الدين الأفغانى فتكلم ميرزا مهدى بك عن تاريخ الأفغانى ثم تكلم مصطفى عبد الرازق عن نظرية ربط الشعوب الشرقية كفكرة فلسفية وتطبيقية .

ثم كان نشاط الجمعية التالى هو الاتصال بالرئيس ولسن . جمعوا خطبه ورسائله من السنوات ١٩١٣ إلى ١٩١٩ وكان ولسن قد ارسلها بنفسه إلى الرابطة مع صديقه الحميم مستر كراين سفير أمريكا فى الصين ورئيس اللجنة الأمريكية إلى الشرق الأوسط لاستطلاع رأى المنطقة قبيل مؤتمر الصلح فى فرساى .

والمهم أن المستر كراين زار الرابطة شخصياً عام ١٩٢٢ فى دارها فى سراى البكرى بالخرنفش عندما جاء ولسن إلى مصر والقى خطبته فى الجامعة المصرية الوليدة وأثارت خطبته عاصفة سياسية هوجاء وحركت كل الكتاب والشعراء فى مصر ، وحاول كراين عن طريق هذه الجمعية ترجمة هذه الخطبه إلى اللغات الشرقية غير العربية ونشرها فى معظم هذه البلاد ولكن الموت عاجل المستر كراين قبل هذه الحملة الدعائية الواسعة .

ثم كان مشروع الجمعية والكبير هو التدخل فى معركة الريف بمراكش . ففى ٩ يونيو عام ١٩٢٢ عرض على مجلس الرابطة برقية من الأمير عمر طوسون يطلب مساعدة الجمعية لجرحى الريفيين فى مراكش . وقد تبرع أعضاء الجمعية فى هذه الجلسة بمبلغ ١٣٨ جنيها .

ثم فى جلسة ٢٧ اكتوبر تلقت الجمعية برقية من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين تصف الفظائع التى ارتكبتها فرنسا فى دمشق وغيرها من مدن سوريا ، فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ولدى رئيس وزراء فرنسا ولدى رئيس مجلس الشيوخ والنواب بها . وتبرع المجلس لمنكوبى سوريا بمبلغ ٨٢ جنيها ولكنه جمع لهم مبلغ ١٢٠٠ جنيه ، وأهم من ذلك أنه أرسل برقيات لفروعه خاصة فى الهند ضد فرنسا وبربريتها .

وفى ١٧ نوفمبر من نفس العام اقترحت الجمعية عقد صلات بين الرابطة وبين الجمعيات العلمية والأدبية فى جميع دول الشرق ، وألفوا لذلك لجنة عربية تدرس أحوال وشئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية تبحث أحوال تركيا ولجنة فارسية تبحث أحوال فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمالى الهند ، ولجنة هندية لدراسة شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة شئون الهند الصينية والملايو والصين واليابان ، ولجنة الغرب لدراسة شئون شمال أفريقية كلها ، وأخيراً لجنة أفريقية تدرس شئون الحبشة والسودان .

واذا كانت الرابطة قد فشلت فى التوفيق بين الخليفة والكماليين ، ثم فى التوفيق فى قضايا عربية آخرى ، ثم فى التوفيق بين ولسن وأهل الشرق الأوسط ، وذلك لأن قانونها كان يشجب تدخلها السياسى ، الا أن هذه الأدوار نفسها رغم فشلها قوت مركز الرابطة وأضفت على نشاطها حيوية .

ورغم أن نشاط الجمعية كان فى الأصل نشاطاً علمياً وأدبياً واجتماعياً ، إلا أن المعارك السياسية التى دخلتها بروح توفيقية أعطت الجمعية قبولا مشتركاً من كافة الأطراف المتناقضة ، وكأنها الأم تفض المنازعات بين ابنائها حتى لو تغلب القوى فى النهاية على الضعيف منهم .

وأما فى الميدان الثقافى فلم تجد الجمعية عائقاً ولا قابلها فشل ، ففى ١٢ ابريل عام ١٩٢٦ بدأت الجمعية حلقة بحث لمناقشة موضوع الأزياء الشرقية والتقاليد الشرقية ، وتساءل الأعضاء هل يحتفظ الشرق بالمظهر الشرقى من لباس وتقاليد وعادات أم يتقبل ولو بعض العادات الغربية لتحل محل العادات الشرقية ؟ وإذا قررنا التجديد الجزئى فما هى بالضبط حدود هذا التجديد التى نقف عندها . وإذا قررنا تجديد الزى كوعاء لاحتواء كل التقاليد والعادات فهل يلزم توحيد الزى للشعب أم تعدده والاعتراف بالاختلافات ؟

الطريف أن المناقشات امتدت من العصر إلى منتصف الليل واشترك فيها البكرى وأحمد زكى والشيخ أبو العيون ، وصالح جودت (وهو عم الشاعر صالح جودت) ومنصور فهمى ، ولم يصلوا إلى رأى يجتمع عليه الجميع . وإن كانوا الفوا جمعية منهم للنظر فى الموضوع من جهاته الاجتماعية ومن ناحيته الاقتصادية ثم من الناحية الصحية أخيرا .

وفى ٥ ابريل ١٩٢٨ قررت الجمعية اصدار اكتتاب لمجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، فتبرع الأمير يوسف كمال للمجلة بمبلغ ٥٠ جنيها . وعمر طوسون بعشرين جنيها وعلى بك الرفاعى ٢٠ جنيها والسيد البكرى عشرة جنيهات وصدر العدد الأول فى ١٥ اكتوبر وفيه تعريف بالرابطة الشرقية وقانونها وماضيها ومستقبلها ، ودعت الرابطة إلى إنشاء شركات مشتركة خصوصاً للنقل البحرى واستخراج المعادن والبترول واللؤلؤ ، والتبادل التجارى .

ثم حضرت الجمعية حفلة افتتاح المسجد الأقصى ودعت إلى الدفاع عن البراق ضد اعتداءات اليهود ، ومن أنشط ما فعلته هذه الجمعية هو التوفيق فى خلاف حاد كان قائماً بين الأحزاب فى جزيرة جاوة بالملايو ولم يطل بها العهد لتلعب نفس الدور فى مصر وسوريا والعراق . ولو أنها فعلت لكان لها أثر سياسى خالد .

وفى ٢٣ فبراير عام ١٩٣٠ تلقت المجلة خطاباً من الملك فيصل الأول ملك العراق يعبر عن تقديره ومصحوباً باشتراك فيها . وهذا يدل على تصاعد أثر المجلة وعلى أسلوبها الذى لاقى مثل هذا القبول .

وقامت الجمعية أيضاً بتوكيل محامين مصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الخاصة البريطانية فى فلسطين . وكان من أبرز هؤلاء محمد علي علوبة باشا وتوفيق موسى باشا ومكرم عبيد باشا .

وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى كافة الأقطار الشرقية وتجاوزها إلى أمريكا . ودخلت فى الجمعية شخصيات هامة مثل الندوى بالهند والفيلسوف طاغور والسيد أمير علي وآل الحسينى فى فلسطين وأمير حيدر أباد والبنديت نهرو نفسه ! ودخل



اميل زيدان
كان عضوا من أعضاء الجمعية



أمين الحسينى
عضو نشيط فى الجمعية

فيها أيضاً من جنوب أفريقيا رئيس مدرسة الأزهر فى كيبتاون ومن حضرموت الكثير من آل القبيطى ومن السعودية الأمير سعود (الملك فيما بعد) والأمير عبد العزيز بن عبد الله والشيخ فوزان السابق والشيخ حافظ وهبه والشيخ يوسف يس . ومن الأفغان السفير فوق العادة غلام حسين وعلى خان والى كابول وسلطان خان ومن العراق الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب مدير الأوقاف وفهمى بك المدرس من فلسطين ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى أمين الحسينى واسعاف النشاشيبى ومن مراكش الشيخ قدورين غبريط وزير السلطان ومن تونس عبد الحميد الثعالبي الزعيم الكبير ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتى المسلمين فى بولونيا ، وهناك عشرات الأسماء الأخرى ، ولو أن الرابطة عمرت لكان ممكناً أن تزداد عضوية النجوم اللامعة فى كل *أقطار الشرق الأقصى والأدنى والشمال* الأفريقى .

وفى يوم ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٨ نشر الشيخ رشيد رضا نقداً مراً للرابطة . كتب نقده هذا فى جريدة كوكب الشرق . وبنى اتهامه على أن الرابطة افسحت صدرها لمقالات طه حسين وسلامة موسى وغيرهما . ورأى الشيخ رشيد أن فى مقالاتهم خروجا على التقاليد . وقد رد الشيخ على عبد الرازق ــ صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم ــ رداً عنيفاً على رشيد رضا . وآلمه من الرد قول على عبد الرازق ــ انه «دعى» . وفسرها رشيد رضا . بأنه يشكك فى نسبته لأبيه . واشتكاه للسيد البكرى وهو من أكبر رؤوس الجمعية . وقد تأثر البكرى جداً لشكوى الشيخ رشيد وخاصة من كلمة « دَعى » هذه .

وتدخل فى هذه المعركة الحاج أمين الحسيني محاولا إنهاءها ثم الشيخ الزنكلونى . والتفتازانى ومحمد علي الطاهر . وفى مأدبة افطار رمضانية عند اسماعيل شيرين بك قرأوا رداً للشيخ رشيد وجدوه عنيفاً . وقام التفتازانى ومحمد علي الطاهر للبحث عن الشيخ رشيد واحضاره عند الحاج أمين الحسينى .

وانعقد مجلس إدارة الرابطة للنظر فى الاشكال : لقد كان رشيد رضا نفسه عضواً بالرابطة وها هو يهاجمها ، وفى نفس الوقت فالرابطة خرجت على مبادىء الجمعية لتناولها للمسائل العقائديه ، وقرروا عدم التعرض اطلاقاً بعد ذلك لمقالات دينيه إلا بعد عرضها على مجلس إدارة الجمعية ، وبناء على هذا استكتبوا الشيخ رشيد خطاباً إلى كوكب الشرق يطلب وقف نشر سلسلة مقالاته . ولكنها استمرت فى النشر ورفضت أى تعويض مادى وكانت هذه المقالات تحمل اتهاماً جديداً للشيخ البكرى وبضعفه امام سلامه موسى واحترامه الخبيث له !

والواقع أن هذه المبارزات الصحفية هزت الجمعية هزاً عنيفاً وفرطت عقد القيادات الهامة بها أمثال البكرى ورشيد رضا وعلى عبد الرازق وسلامة موسى ، وبدأ السوس ينخر فيها من الداخل .

وقد حاول أحمد شفيق باشا أن يتدارك الأمر باقامة حفلات عشاء تكون فرصة للسمر وتبادل الآراء على المائدة بدلا من تداركها بالقلم العنيف على صفحات الجرائد . وبدأ بحفلة عشاء فى صالة جروبى وحاول أن يجمع فيها جيل الطلبة مع جيل مدرسيهم حتي يضمن الانسجام بين الأجيال المختلفة . وحاول أن يوثق العلاقات مع تركيا بالذات لأنه لاحظ أنه رغم اتساع عضوية الرابطة من الهند إلى مراكش الا أن تركيا كانت بعيدة عنها ، ويبدو أن السياسة لا تدور عجلتها فى هذه المنطقة مالم تكن فيها تركيا ومالم يكن لها دور ربما لأنها هى العتبة بين أوربا من الشمال وافريقيا وآسيا من الجنوب ، وربما لأن تركيا لها تراث سياسى فى المنطقة امتد قروناً طويلة .

ولكن قطار تركيا كان قد فات . انشغلت المنطقة بالانتخابات فى مصر بين سعد زغلول وخصومه وبنتائج معاهدة لوزان وفرساى .

أما تركيا فكانت تعانى من جراحها النازفة لدرجة أنها كانت تعلن عن بيع أملاك وبيوت سكنية فى أحسن المناطق مثل بيوك دره فلم يقبل أحد من المصريين على الشراء سوى أفراد معدودين : الأميرة قدرية حسين اشترت بيتاً كانت تملكه مصانع كروب . واشترى إحسان بك المصرى سراية كانت لأحد أنجال السلطان عبد الحميد فى « بلى كوى » واشترى راسم بك المصرى مصنع نسيج فى طرسوس .

ولكن الطبقة المثقفة نفسها والمشتغلة بالنشر والصحافة لم تمد يدها إلى تركيا . وباستثناء بعض مشايخ الأزهر بقيادة الشيخ عبد المجيد اللبان الذين اظهروا عطفاً على تركيا وعلى الخلافة ، الا أن السفارة البريطانية وسراى عابدين وقفت بالمرصاد لأى تقارب مع تركيا .

وانتهت الجمعية نهايتها المؤسفة بعد المعارك الصحفية التى ذكرناها ، وبعد اعراض تركيا عن الاشتراك فيها ، وبعد تمكن الروح المحلية فى كل من مصر والشام والعراق والهند ، وبعد انشغال العرب بمشكلة فلسطين ، وبعد خروج بعض الأعضاء المهمين أمثال أحمد شفيق باشا بدافع الشيخوخة أو المرض . انتهت هذه النهاية بعد أن حققت شأوا كبيرا من النجاح كان يؤمل من ورائه الكثير . وكان يمكن أن يكون نواة شعبية لجامعة أو رابطة بين الشعوب الشرقية لو استمرت مثابرة الأعضاء .

السيد فهمى الشناوى

لا تغلقوا نوافذ الفكر على الناس



بقلم: عبد الرزاق البصير

يحتفظ تاريخ الفكر العربى الإسلامى بكنوز غنية يجد المهتمون بالحركة الفكرية فوائد جمة كلما وقفوا عليها، فإن الكثير من هذه الكنوز تعبر مواهب متعددة فى الطب والفلسفة مما يجعل آثار أصحابها ميداناً واسعاً يجرى فيه حوار يثرى العقل، من جملة هؤلاء الطبيب والفيلسوف أبو بكر محمد بن زكريا الرازى، الذى منحه الله عقلا يشع بالذكاء والفطنة تشهد له بذلك قصة بنائه لمستشفى بغداد، فقد سئل عن أصلح مكان لبناء ذلك المستشفى، فما كان منه إلا أن أمر غلمانه بتعليق قطع من اللحم فى جهات متفرقة، فاعتبر البقعه التى لم يسرع الفساد فيها إلى قطعة اللحم، هى المكان الصالح لبناء المستشفى لأن ما جرى فيها من بطء فساد اللحم يدل على نقاء هوائها.

وهناك قصة لها دلالة أقوى من هذه القصة، وهى قصة ذلك المريض الذى كان ينفث دماً، وكان ذلك المريض من الوجهاء، وقد عرض على جملة من الأطباء، فعجزوا عن معالجته، فلما عرض على أبى بكر الرازى، أخذ يسأله عن بدء علته، فلم يجد فى أجوبته ما يدل على مرض متأصل كقرحة فى معدته أو تدرن فى رئته، فما كان من طبيبنا الرازى الا أن سأله عن المياه التى شربها فى طريقه فأخبره أنه قد شرب من مستنقعات فى طريق سفره، فقدح فى خاطر الرازى أن علقة قد تسربت الى معدة المريض، وأن نفث الدم هذا من فعلها، عندما قال الرازى للمريض، قد استطيع علاجك على شرط أن تأمر غلمانك بأن يطيعونى فى كل ما آمرهم به، فقال المريض: السمع والطاعة. وجاء بإناء كبير مملوء بطحالب خضراء وأمره أن يبتلع هذا كله، فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال الطبيب عندها للغلمان: اضجعوه على قفاه، ففعلوا ثم فتحوا فاه، فأقبل الرازى يدس الطحالب فى حلقه، والمريض يستغيث، ولكن الطبيب لا يهتم بذلك إلى أن دس فى معدته شيئاً كثيراً من تلك الطحالب، ثم امهله قليلا وأجلسه، وأخذ المريض يقذف ما فى جوفه، وكان الأمر كما توقع الطبيب وبرىء المريض من علته، وتفسير هذا الأسلوب من العلاج أن طبيبنا الرازى أدرك أن علقة تسللت إلى معدة المريض من ذلك المستنقع الذى شرب منه، ومن المحقق أن مكانته الطبية لا تحتاج إلى تنويه، فقد كان يسمى جالينوس العرب، وأنه كان حجة الطب فى أوروبا حتى القرن السابع عشر وأنه كان من أعظم أطباء القرون الوسطى، ولقد كان مقبلا على القراءة أشد الإقبال، فما رئي إلا وفى يده كتاب، ولقد بلغت آثاره أكثر من مائتى مؤلف. وما أشرنا إليه من مكانته الطبية أمر معروف كما ذكرت، لكن له ناحية أخرى لا يكاد يعرفها الا القليل من الناس، وأعنى بها الناحية الفلسفية، تلك الناحية التى أهاجت عليه كثيراً من علماء عصره.

ولقد تصدى لمناقشته كثير من هؤلاء العلماء وفى مقدمتهم أبو حاتم الرازى، وأثبتوا بطلان ما توهمه هذا الطبيب الحاذق، والذى يهمنى فى هذا المقام هو أننا لا نستطيع أن ننقض أى رأى خاطىء فى أى ناحية فكرية الا إذا وقفنا على ما قاله أصحاب تلك الآراء بصورة جلية بطبيعة الحال، وإلا فإن نقضنا لتلك الآراء سيكون على غير أساس صحيح، وهذا يعنى أن منع الآراء التى تخالفنا نهج غير صحيح لما ذكرناه من وجوب وقوفنا عليها بالإضافة الى أن نوافذ الفكر كثيرة يصعب — إن لم يكن يستحيل — غلقها جميعها على الناس، وعلينا أن نتذكر أن معظم كتب الفلاسفة وعلماء الكلام ليست إلا تلخيص لآراء من يخالفهم وإيراد حجج تفند ما وقعوا فيه من شبهات. أريد أن أقول أن إفضل وسيلة لابعاد أو إبطال جميع ما يخالفنا من الأفكار والآراء هو مقارعة الحجة بالحجة، أما المنع فإنه قد يكون وسيلة للتشويق إليها ونشرها بين الناس بطرق غير مشروعة.

فأسلوب الحوار والنقاش هو الذى مكننا من تفنيد آراء القائلين بأن الحضارة العربية الإسلامية لم تضف شيئاً جديداً الى الحضارة الانسانية، وكل ما فى الأمر أنها كانت بمثابة جسر نقلت بواسطته الفلسفة الإغريقية والهندية والفارسية وغيرها من الفلسفات، فقد ثبت أن ابن رشد أضاف الى ما استمده من الترجمات العربية لأرسطو المنقولة عن السريانية آراء جديدة من عنده، وأوجد مدرسة من مدارس الفكر المتقدم أثرت مدة قرون فى التفكير الأوروبى تأثيراً شديداً.

ويقال مثل ذلك فيما قاله المغرضون فى زواج المصطفى «ص» من زينب بنت جحش، وحين وقف كتابنا على أقوال هؤلاء المغرضين أوضحوا للناس أن تلك الأقوال أملاها حب التشهير بخاتم الأنبياء والمرسلين، فليس من شك أن الرسول عليه السلام قد أراد بزواجه منها بعد زواجها بزيد أن يوضح أن البنوة لا تتأكد بالإدعاء وإنما تتأكد بالولادة، وهذا ظاهر من قوله تعالى «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفوراً رحيماً».

على أن كتابنا لم يستطيعوا أن يدحضوا حجج أولئك المغرضين إلا بعد الوقوف على آرائهم.

وصفوة القول إن تفنيد الآراء لا يمكن أن يكون بصورة صحيحة إلا إذا وقفنا عليها وقوفاً تاماً، على أن من شأن أسلوب نقاش الآراء بعد الوقوف عليها أن يثرى العقول، وهو أمر فيه من المنافع الجليلة مالا يحتاج الى تبيين لأنه معروف لدى الجميع.

وأود أن أختم هذه الكلمة الموجزة بتوضيح أمر قد يتبادر الى بعض الأذهان، وأعنى به نسبة تلك الكنوز الفلسفية والأدبية الى أمة العرب، .. إن معظم الذين أصدروا تلك الآثار ينتمون الى غير الأمة العربية، وجوابى على ذلك هو أنى أعتقد بأن الفلاسفة والشعراء الذين عبروا عن أنفسهم فى أغلب الحالات باللغة العربية هم منتمون إلى العرب، إذ أن التعبير باللغة يعنى بأن تفكيرهم تفكير عربى، فلقد انقضى ذلك العصر الذى لا يحسب فيه الفرد عربياً إلا إذا كان نسبه نسباً عربياً خالصاً، ذلك أن الأمة العربية امتزجت بالأمم التى انبسط سلطانها عليها كل الامتزاج.

أما الذين عبروا عن أنفسهم بغير اللغة العربية فإن آثارهم آثار اسلاميه، لهذا نسبت تلك الكنوز الجليلة الى العروبة والاسلام.

الكويت

من بناة الدولة الحديثة في قطر :

الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني

١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م - ١٣٣١هـ / ١٩١٣م

بقلم : الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان العالم الاسلامى يموج باضطرابات وقلاقل داخلية وخارجية لأسباب وعوامل كثيرة انتهت بالقضاء على دولة الخلافة العثمانية ، وتمزق العالم الاسلامى إلى دول وشعوب صارت نهباً للقوى الاستعمارية شرقية وغربية مما لا يخفى خبره عن دارس .

ولم تسلم منطقة الخليج بعامة من هذا الصراع ومنها (قطر) واسطة عقدها . وملتقى كثير من هذه الصراعات التى عانت منها كثيراً من البحر والصحراء معاً .

وقد قيض الله لها فى ذروة ذلك الصراع رجلا قوياً رزقه الله من الصلابة والأناة والصبر ومعالجة الأمور بحزم وكياسة وقوة حتى استطاع أن يجتاز بالبلاد تلك الفترة العصيبة التى خرجت منها وهى (دولة) ذات معالم وكيان سياسى وجغرافى ودولى ذلكم الرجل هو الشيخ (جاسم بن محمد بن ثاني) الذى يعتبر تاريخه السياسى تجسيماً صحيحاً لنشأة دولة قطر وتاريخها الحديث فى القرن الماضى ، إذ كان رجل تأسيسها القوى وأول من حمل لقب شيخها بدون منازع ، فهو مؤسس بنائها ، ومقيم أركانها ، والذى قاد زمامها وسط أمواج متلاطمة حتى استخلص لها شخصيتها من براثن الاستعمار وتصارع القوى الداخلية والخارجية وتناهبها ، وما ركن يوماً إلى الدعة بل كان فى جهاد مستمر ما إن ينتهى من معركة حتى يدخل فى غيرها ، وما ان يفرغ من صراع حتى يشتبك فى غيره فى الداخل وفى الخارج ، ومن حواليه من كل جانب .

ذاق مرارة الهزيمة كما ذاق حلاوة النصر وهو فى الحالين المسلم العربى الملتزم بدينه وسلوكه ، وقيمه .

وبمثل ما كان يخوض ميادين القتال بقلب الشجاع ، كان يجول فى حلبات السياسة بعقل الذكى ، ووعي اليقظ ودهائه .

لم تزده الأحداث إلا صلابة ، ولا الأيام إلا تجارب ، حتى لترى فيه أمة من الرجال فى المجالات الدولية والمحلية ، وفى جبهات القتال ، ودهاليز السياسة ، ومجالات الأدب والشعر والقضاء ، وبين بني قومه وجيرانه ووسط أبناء وطنه . محارباً ، وسياسياً ، وحاكماً ، وإماماً ، وخطيباً ، وواعظاً ، وقاضياً ، ومعلماً ، وشاعراً ، ووالدا للصغير ، وأخاً للكبير ، وإليك حديث ذلك :

كان قد استقر الحكم فى أسرة الشيخ (محمد بن ثاني) فى قطر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، الثالث عشر الهجرى ، إذ بايعها زعماء القبائل القطرية المقيمة آنذاك ، وكان على رأس الأسرة (الشيخ محمد بن ثانى) الذى مارس سلطته الفعلية حاكماً على شبه جزيرة قطر فترة عمل خلالها على إبراز معالمها وكيانها السياسى ، يشاركه ابنه (الشيخ جاسم) ثم اعتزل (الشيخ محمد بن ثانى) الحكم بسبب تقدم سنه ، وتنازل لابنه (الشيخ جاسم بن محمد) عن إدارة البلاد فى عام ١٨٧٦ م .

ويمكن أن نستبين معالم المجتمع على عهده بما كان ينهجه من نهج سلفى ، إذ كان لدعوة الامام (محمد بن عبد الوهاب) التأثير الواضح والقوى فى قطر فى عهده ، فكان ممثلا لها عقيدة ، وسلوكاً ومنهجاً ، ويمثل الاتجاه إلى حفظ التوازن فى المنطقة ، والروح المتوثبة نحو الاستقلال والتطور ، ثم توفى (الشيخ محمد بن ثانى) بعد ذلك بسنتين وذلك عام ١٨٧٨ م ، وبدأ حكم الشيخ (جاسم بن محمد) الذى يعد المؤرخون تاريخه السياسى هو تاريخ نشأة دولة (قطر) الحديثة دون منازع ، فهو المؤسس لها فى القرن الماضى .

ومن المرجح أن الشيخ (جاسم بن محمد بن ثانى) ولد عام ١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م ، وأنه توفى عام ١٣٣١ هـ — ١٧ يوليو ١٩١٣ م ، عن عمر يناهز التسعين عاماً ، وقد مارس الحكم فترة أربعين عاماً تقريباً ، فضلا عن مشاركته لوالده إبان حياته ، وقد تلقى تعليمه فى بواكير حياته على أيدى العلماء ، وكان من الملتزمين للمذهب الحنبلى والمتحمسين للدعوة السلفية ، وكانت الروح الاسلامية تبدو فى سلوكه وأشعاره ، وكان شغوفاً بالعلم محباً للعلماء ، غيوراً على دينه حتى إنه ليباشر بنفسه التعليم بل الامامة والخطابة فى المسجد ، كما باشر القضاء والفصل فى المنازعات بين مواطنيه ، يقول أمين الريحاني فى كتابه عن (تاريخ نجد وملحقاته) :

(ومن دواعى إحسانه الورع والتقوى ، فقد كان حنبلى المذهب متصلباً فيه ، يصرف واردات أوقافه على الجوامع والخطباء ، بل كان هو نفسه يعلم الناس ويخطب فيهم خطبة الجمعة) .

وكان عصامياً نشيطاً فى العمل والتجارة دءوباً ويقظاً ، وقد روى أنه كان يجهز الغواصين باحتياجاتهم ويستوفى من اللؤلؤ الذى يشتريه منهم بقيمته الحقيقية وكان يعد من كبار تجار الخليج ، وقد فتح مجالات واسعة لهذه التجارة درت

الأرزاق على كثير من المواطنين وتوسع فى تجارته مباشرة مع الهند لتسويق اللؤلؤ ، وكان يشجع أبناء وطنه فى تجارتهم تلك ويحميهم من تلاعب المستغلين والقراصنة ووقف دون المحاولات الكثيرة التى كانت تعمل على محاصرة تجارة وطنه ومواطنيه بالقيود ، فرفض الجمارك ، وكل ما يمت للربا بصلة .

الشيخ جاسم والشعر

ومع خصوبة هذه الحياة كلها وكثرة أعبائها ومشاكلها العالمية والمحلية كان هناك جانب خصيب فى حياة (الشيخ جاسم بن محمد) وهو حبه للشعر . وشغفه بمجالسة الشعراء ومطارحاتهم وبلغ من خصوبة هذا الجانب عنده أن عده مؤرخو الأدب من رواد الشعر (النبطى) فى المنطقة ، بل وعدوا ديوانه أول ديوان يطبع لهذا الشعر .

ومن حديث ذلك :

أن الشعر (النبطى) كان قد أشتهر من قديم فى جزيرة العرب ، فتغنى به أهلها وتأثروا به وسجلوا منه مجموعة لا بأس بها ، وكان ممن اعتنى بهذا النوع من الشعر من أهل الفضل والسلطان فى القرن الماضى (الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني) وله ديوان مطبوع يشتمل على قرابة عشر قصائد ، وهذه القصائد على قلتها مليئة بالمعانى القوية الحية ، ودليل على الهمة العالية ، والتفاعل مع الأحداث بنفس يقظة وتجارب وعبر نافعة ، كما تعتبر سجلا تاريخياً لحوادث الأيام الحافلة التى عاشها (الشيخ جاسم) وعاشتها الدولة الفتية (قطر) فى كفاح دائم لصيانة كيانها وكرامتها وكرامة قومه .

وإنك لتجد من روح الاسلام ، ومن الاقتداء بآداب النبوة مالا يصدر إلا عن خلق قويم وقلب سليم ، فهو نفثات محتبسة جاش بها فؤاده فجاءت معبرة أحسن تعبير عن مراده دون تعسف فى الكلام ، ولا تكلف فى الأوزان ، ولا صنعة فى المعانى .

ولهذا سارت على ألسنة العرب فى البدو والحضر يحفظها الكبير ويتغنى بها الصغير ،

وقد طبع هذا الديوان أول مرة فى الهند ، وأعيد طبعه أربع مرات فى (قطر) بعد نهضتها الحديثة ونفد ، ثم أعيد طبعه على نسق جميل عام ١٣٨٩ هـ بعد أن قامت لجنة بتحقيقه وتنسيق أبوابه وتوضيح بعض معانيه ، وضم بعض القصائد التى لها صلة بموضوعاته إليه تحت اشراف دار الكتب القطرية .

ويقتضينا الحديث ونحن بصدد هذا الجانب أن نذكر :

أن الشعر كما هو معروف كان سجلا لتاريخ العرب قبل الاسلام وبه ومنه عرفهم التاريخ والناس ، والمطالع لتاريخ (قطر) بخاصة ومنطقة الخليج بعامة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يهوله أن جل المراجع الأصلية أجنبية ، ومعظمها وثائق سياسية من مراسلات ومعاهدات الخ .

● كان محبًّا للشعر وشغوفـًا بمجالسة الشعراء ورأى النقاد فيه: أحد روّاد الشعر النبطي

وطبيعى أن مثل هذه الوثائق تمثل فى المقام الأول وجهة النظر للطرف الآخر (الأجنبي) ، ومن هنا تأتى ضرورة البحث عن مراجع أصلية أخرى محلية ، لتعطى الجانب الآخر حقه ولتبين عن وجهة نظره .

ونظراً لما كان يعترى المنطقة من اضطرابات ، وعدم استقرار وتوالى الأحداث وتداخلها وكثرة الأطراف فيها ، آنذاك ، ونظراً لما كانت تعانيه من قلة بل انعدام وسائل التوثيق والتأريخ فى تلك الحقبة لأسباب كثيرة ، من أجل هذا كله تأتى أهمية أى مرجع أصلى محلى يتابع هذه الأحداث متابعة المشارك فيها والمنفعل بها .

ويأتى فى هذا المقام أهمية السجل القديم الجديد الذى دونت فيه كثير من معالم وأحداث تلك الفترة فى هذه المنطقة ونعنى به (الشعر) بعامة ، وشعر (الشيخ جاسم بن محمد) بخاصة فقد يجد فيه عالم الأدب بغيته لرصد الحركة الفكرية والثقافية آنذاك ، وقد يجد فيه عالم الاجتماع صورة للمجتمع وتفاعلات انماطه حينذاك ، وقد يجد فيه الأديب صورة من الأدب الشعبى الذى يبرز المعانى القوية الحية التى تختلج بها النفوس باللغة السائدة بينهم .

ثم قد يجد فيه المؤرخ تصويراً نابضاً بالحياة للأحداث وصناعها يتابعها حية حدثاً بحدث ويوماً بيوم وهى تحكى الانطباعات الأولى على فطرتها دون تدخل لصنعة أو حبكة فنية أو تعديل الخ .

وهذا هو ما نجد الكثير منه عند التدقيق والتحقيق فى كثير من أشعار الشيخ (جاسم) ، ومتابعتها بتأن من غير سابق حكم أو تصور غرض معين ، أو انبهار بأسلوب ، أو اعجاب بصنعة بلاغية ، بل يجب أن تؤخذ كما هى هكذا كرصد تاريخى حي يحكي بأسلوب عصره ويعرض الحدث بيد صناعه ، هذه واحدة .

وأخرى : أنه إذا كانت معالم شخصية الانسان تبين وتعرف لأول وهلة من منطقه كما قال الأحنف حين سئل فى كم تعرف الرجل ؟ قال : إذا تكلم أعرفه فى ساعة وإذا صمت أعرفه فى يوم — فان معالم شخصية الشيخ (جاسم بن محمد) تبرز بوضوح خلال أشعاره تلك ، وأول معلمة تبرز فيها هى معلمة الشخصية (الانسانية المسلمة الملتزمة بجد وصدق) ولا يعز عليك إدراك واحد من هذه العناصر فى أية قصيدة من قصائده فى مطلع ، أو وسط ، أو خاتمة .

فان ابتغيت مثالا لذلك تشاد به مفاخر أمة فاليك مضرب ذلك :

فى إبان الأحداث المتلاطمة فى المنطقة بين شد وجذب حدث أن رئيس البحرين آنذاك (محمد بن خليفة) تقاتل هو وبعض رحمه وتنازعا الامارة فيما بينهما ، وكان ذلك بعد أحداث مريرة جرت بينهم وبين الشيخ (جاسم بن محمد) بخاصة و (قطر) بعامة ، وتدخل الانجليز فى ذلك النزاع الذى حدث فى (البحرين) وأخذوا (محمد بن خليفة) منفياً إلى (عدن) وحبسوه بها ، وبعد مدة رآه الشيخ (جاسم بن محمد) فى المنام كأنه يريد أن يشفع له عند ابنى عمه ليطلقاه من الأسر . وأصبح الشيخ (جاسم) مهموماً برؤياه ويسعى من توه بالشفاعة لديهما له . ولم يقبلا ، فقرن الشفاعة بعرض فداء سخى مجز ممثلا فى ألف من كرائم الابل وتسعين من عتاق الخيل ، ومع ذلك لم يقبلا الفداء ولا الشفاعة ، وجاشت نفس (الشيخ جاسم) بهذا الموقف فسجل من المعانى الانسانية ما جرى بها لسانه فى قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً من الشعر النبطى يقول فيها :

شكا لى وشكوانا إلى الله راجعة
يفك من عوق النجيب اغلال
ثم قل لهم كيف سليتوا محمد
بقيد النصارى موثق باغلال
ولا تقطعون الوصل والرحم بينكم
فالله عن قطع الرحام يسال
ولا تؤثرون الملك من دون عمكم
فكم قبلكم من زيل عنه وزال
فأما تفكونه رجا أو مخافة
من الله ولا تطلبون حلال
فإن كان تبغون المال فالمال عندنا
جمعناه حق المكرمات أزمال
فعندى لكم من الخيل تسعون سابقاً
وألف من الهجن النجاب اجلال
وعلي أمان الله إني أسوقها
لعل عثارات الكريم تقال
وسلامى على من عاننى فى فكاكه
وعساه من جزل الثواب ينال

هذه صورة وناهيك بها من صورة نابضة بالحياة والمعانى الانسانية .

وأخرى تريك وجهاً آخر لحياة الكفاح والطعان والنزال .

ذلك أنه جرت بينه وبين الجبهة الجنوبية على طول ساحل عمان أحداث وأحداث سجلها فى

قصيدته التي بعنوان : (صبرنا لها مازعزع الدهر عزمنا) ، وفيها يقول :

فزعنا لهم بكبارنـا مع اصغارنا
ونقدع شبا من دونهم كل عايـل
فبين السما والأرض ثارت عجاجـة
فى محشر مـاذا لهـذا بسايل
وعجت وثجت وأحرقت بعدما سعرت
وأصفى عليها الجـو والموت حايل

ولما أمرت الدولة العثمانية بالقبض على الشيخ (جاسم بن محمد) والاستقلال بامارة (قطر) طمعاً فى الخراج ولشكايات بعض أمراء العرب وتجار الاحساء والقطيف من الشيخ (جاسم) حسداً وبغياً ولأنه يخالفهم آنذاك فى المذهب وطريقة الحياة إذ كان هو سلفياً ملتزماً ، أرسلوا مأمورهم للقبض عليه ، وجاء هذا بجنوده براً ، وبمراكبه الحربية بحراً ، وساعده من العرب بعض الحكام المجاورين والعجمان وهم من القبائل البادية ، ووصلوا (سلوى) باب (قطر) الجنوبى الغربي ولما علموا بهزيمة جيش الباشا التركى الذى وصل بحـراً رجعوا على أدبارهـم ، وكان (الباشا) لما نزل (قطر) جعل يدير المكائد لأسر الشيخ (جاسم) . الخ وبقية الأحداث يرويها الشيخ (جاسم) ويسجلها فى قصيدتين له بعنوان .

- يا الله يا والى على كل والى
- وتحاموا علينـا الدولتان

وفيهما يقول :

وجونا خبيثين العمـل والفعالى
اللى عن أحكام الشريعـة يحيدون
يـبون ملك أرقابنـا والعيالى
وتمشاة حكم اللى يبونه يمشـون
ونفوسنا ترخص لنـا كل غالى
ونرخص بها فى ساعة الناس يغلون

ومن الأحداث الداخلية : ما حدث من تمرد بعض القبائل القطرية الموالية لبعض الحكام المجاورين آنذاك على حكم الشيخ (جاسم) وشقهم عصا الطاعة ، فحاصرهم فى قصر (الربيحة) مدة ، واخذ خيلهم ، ثم تولاهم ، وعفا عنهم ، ومرة أخرى فى قصر (الزبارة) . ثم تولاهم ، وعفا عنهم ، ثم فى آخر الأمر شوشوا عليه فى (الفويرط) وأراد أحد قادة المتمردين أن يترأس عليهم ومشى إلى الجموع بمن معه ولما حل الشيخ (جاسم) بساحتهم قتل بعضهم ، وصادر أموالهم ثم عفا عنهم واستقل بالامارة .

وفى هذا يقول من قصيدة له بعنوان (تمسك بتقوى الله) :

● علاقاته فى حسن الجوار مأثورة ، وشخصيته تتميّز بالخير والقوة ورجاحة العقـل وطـهارة الثـوب

أرى الجفن يجفو النوم مايالف الكرى
إذا هم فى بعض الهمم والمطالب
فلولا ركوب الصعب فى كل شدة
وصبر على شـداتها والكرايب
ما لذ فى الدنيـا لذيذ ومطعم
ولا لذ لي فيهـا لذيذ المشارب
ولينـا وعفينـا وجدنا بعتقهم
وجـدنا لهم بأموالهم والرباييب
فإلا قلت يصفى كدرهم زادغشـهم
وأسـبابهم تازى عليهم عقايب
من الله ذى العرش الذى يعلم الخفا
خبير بنـا علام ما كان غـايب
تمسك بتقوى الله واخلص له العمل
بعلم على حق صـواب وصايب
ترى من أطـاع الله طاعت له الملا
وذلت له ارقاب الملوك الصعايب
فانا أقول ذا وأرجو من الله عفوه
والأقـوال فيها مخطيات وصايب

• • •

وكم للشيخ جاسم من علاقات فى حسن الجوار مأثورة ويذكر فى هذا الصدد أن (آل بسام) من (عنيزة) حدث منهم فى إمارة (آل رشيد) ما احفظ الصدور عليهم ولما ولى الملك الامام (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود) نقلهم عنده فى (الرياض) وعددهم ثلاثة عشر شخصاً ومكثوا عنده أكثر من سنة ، ثم ان أشراف مكة ونقباء البصرة أرسلوا وفودهم إلى الملك عبد العزيز لفك هؤلاء ، فلم يشفعهم فيهم ولم يعف عن (آل بسام) مع ما بذل الأسرى له من الفداء ، حتى شفع فيهم (الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني) فشفعه فيهم وأرسلهم مع خدمه إلى (قطر) سنة ١٣٢٢ هـ .

تثبيت دعـامة الاسلام وشرعته

ويذكر المؤرخون الكثير مما ينبىء عن معالم شخصيته الخصبة بالخير والقوة من رجاحة عقل ودهاء وسداد رأى ، وطهارة ثوب ، ونقاء سريرة ، ثم ما كان من دور قوى ومكانة وفضل فى تثبيت قواعد الشريعة الاسلامية فى (قطر) والمحافظة على غرس التوحيد من كل شائبة ، وذلك بالتصدى والمحاربة لكل مظاهر الشرك ، والأهواء والبدع التى كانت سائدة فى كثير من بلاد العالم الاسلامى . فعندما تولى الشيخ (جاسم) مقاليد الأمور فى قطر — وهو يتبع فى الأصول والفروع المذهب السلفى الذى دعا إليه وجاهد فى سبيله الامام محمد بن عبد الوهاب — ولم يأل (الشيخ جاسم) جهداً فى ذلك بنفسه ، وبابتعاث الدارسين إلى (نجد) للتزود من العلوم الاسلامية والتشبع بروح السلف ، واستقدام العلماء والدعاة من (نجد) موطن دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب لتعليم الناس أمور دينهم .

ويسجل الشاعر القطرى (محمد المرزوقى) وهو بصدد رثائه للشيخ (جاسم) كثيراً من هذه المآثر فيقول :

مضى غارس التوحيد فى (قطر) الندى
مضى هادم الأهواء والبدعـات
مضى بعدما أحيا من الجود والهدى
رسوماً له فى الدار كالهضبات
بنـو قطر من قبله بجهـالة
ممـاليك للأهـواء والشهـوات
ائمتهم أبنـاء جهم تـؤزهم
فزالت بمهدى الرشـد والبركات
فلم يمض حتى علم المجـد كلهم
بصائب فكـر يدحض الشبهـات
وعلمهم نهج المكـارم والتقى
وجاء بأحبـار الهدى ودعاة
وأجلى دعـاة السوء من كل مشرك
ومن كل جهمى أخى لبسـات
طرائق صوفى وزار ومولـد
نفاهـا بحـد السيف والكلمات
وعلمهم نكر الفـواحش جهـرة
وأذهب مـألوفـاتـهم بعظات

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه بقدر ما قدم لدينه ودنياه ووطنه من خير .

حسن عيسى عبد الظاهر

المراجـع :

١ — ديوان الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني .
٢ — دليل الخليج الجزء الثالث .
٣ — بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر .
٤ — الأدب القطرى الحديث .
٥ — التطور السياسى لقطر .
٦ — تطور قطر السياسى والاجتماعى .
٧ — حوض الخليج العربى .
٨ — التيارات السياسية فى الخليج العربى .
٩ — التقرير السنوى لرئاسة المحاكم الشرعية ، وغير ذلك من المراجع .

القروي
شاعر العروبة
سيرته في ذكريات


الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم : أكرم زعيتر

لا أبالي شبعت أم جعت والفن شرابي.. وعزة النفس كنزي

طوفت فى ثلاث عشرة دولة من أمريكا اللاتينية أدعو الجاليات العربية إلى مظاهرة وطنها الثائر ، وأبشرها بنصر من الله وفتح قريب ، وقد سمعنى القروي أقول فى خطاب وداعى : « إن كل واحد منكم يفخر بكونه عربياً ويمتلىء إهابه اعتزازاً بانتمائه إلى أمة ذات حضارة وذات أخلاق ، وعرفت بإبائها ، فما يكون حال هذا العربى اذا قامت دولة صهيونية على عنق بلاده ، وفى فؤاد أمته ، وعلى رغم دوله وحكوماته ؟ ما يكون اذا راحت صيحاتنا هواء ؟ وغضباتنا هباء ؟ ألا نكون نحن الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ؟ اننا بجهادنا نوحى للتاريخ أن يخط : ان هذه امة عربية أبية أجمعت أمرها ووحدت كلمتها ، فقارعت أقوى دول العالم وأخبث شعوب الأرض فقرعتها .. ألا إن المستقبل لنا ، ونصر الله آت ، ولله جنود اذا أرادوا أراد .. ونحن باذن الله جنوده الغالبون .. وواصلت القول : « خصومنا أقوياء وتسندهم دول ذات أساطيل وقنابل ذرية ، ولكننا سنجترح المعجزات ، ونصنع المستحيل ، وسيرى العالم من عبقريات الجهاد العربى ما يدهشه وستخرج أمتنا العربية من هذه المحنة متحدة مصقولة ، قد بعثت فتية بكراً ، تؤدى للدنيا رسالة جديدة تنقذها من حضارة الفتك والعدوان ، وتستبدل بها حضارة انسانية كلها نور وعدل وحق ، على أن المعركة بيننا وبينهم قد تطول وقد تمتد مائة سنة .. ولكن النصر مكتوب لنا .. اننى أكاد اراه مجسداً يقترب منا .. اننى أراه بعين العقيدة وفى ضوء الايمان .. وأكاد أعانقه .. » .

وترقرق الدمع فى عينى القروى ، وهب واخوانه يعانقوننى وبتعبير مهجرى برازيلى « يعابطوننى » أى يضمنى كل واحد بذراعيه إلى صدره .

وعدت إلى وطنى لأرى الكارثة الفلسطينية فى إبانها .. والداهية فى ريعانها ورحت أطارد اليأس و « ألملم » عزيمتي ، وأستجمع قواي لمواصلة النضال .. وشغلتنى حالة نفسية عن الكتابة إلى القروى ، ولعل الكارثة التى كرثت هذه الأمة وكرامتها ، عقدت اللسان ، وعصبت الفم ، ولم يبرح خاطرى قول ذلك الشاعر :

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم نَطَقْتُ ولكن الرماح أَجرّت

على أننى مالبثت ــ ولما يهدأ الروع ــ حتى كتبت إليه ولكن رسالة اعتذار تتنزى باللوعة مما أصابنا ، ولا تخلو من ايذان بتحفز الشعب الفلسطيني لمواصلة الجهاد .. فتلقيت منه جواباً مرفقاً برسالة من صديقه الأعز « الياس عاصي »



الشاعر القروى فى المستشفى ببيروت يزوره أكرم زعيتر والشاعر جورج صيدح (بيروت ــ ١٩٥٩/١/٢٨)



لقطة تذكارية للشاعر القروى مع كاتب المقال وبعض رجال الأدب والفكر (بيروت ــ ١٩٧٧/٥/٧)

وقصاصات صحف فيها أحاديث عن قضيتنا المقدسة .

والقروى فى نثره مثله فى شعره ، رفاعة أسلوب ، ونصاعة بيان ، ورسائله قصائد نثرية ، وأنا ما نعمت برسائله إلا تذكرت اخوانى الشعراء المحلقين فى نثرهم تحليقهم فى شعرهم : بدوى الجبل وأمين نخلة وخير الدين الزركلي وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) عليهم رحمات الله . وهذه هى رسالة القروى :

سان باولو ١٩٤٨/١٠/٢٦ .

أخى أكرم .

لا والعروبة ! ما أرتبنا قط فى مودتكم ، ولا خطر لنا أن نلومكم ، ولا اشفقنا من عدم رضاكم . فما نَبَطَ من قلبنا الغش ، ولا ساغ معين اخلاصكم لغربان الشك . وكنا وما نزال نقدر عبئكم الثقيل ، وجهدكم الجهيد ، وشغلكم الشاغل . وكنا نتسقط أخباركم ، ونقيس مدى سلطانكم على الأفئدة ، بما شهدناه من عبقريتكم النادرة ، وحماستكم الساحرة ، فنتهلل لفوزكم ، ونشارك المعجبين بكم والهاتفين لكم . ولقد رافقنا معكم حوادث فلسطين وتطوراتها ، فشعرنا شعوركم ، وكظمنا كظمكم ، أو سخطنا سخطكم وحرقنا الأرم ، وانفجرنا باللعنات على الخائنين ، وبالدموع اللاهبة على الشهداء ، ثم اننا بالرغم من هذه المثبطات ، لم نيأس من ربح المعركة الحاسمة . وعندنا أن ما نغامر فى سبيله انفس من كل ما بذلنا حتى اليوم . وان العناية التى ترعانا من وراء سجوف الغيب هى احكم وارحم من ان تمد لنا سماط النصر قبل أن تستتم انضاجه ، فتشبعه من قلوبنا ناراً ، ومن اشلائنا وقوداً ، ومن دمائنا دسماً ، لتكفل لنا باللذة والمتعة والشبع وتضمن لنا الصحة والعافية دهراً طويلا . فليس فى حساب الحق أن نؤدى مائة فيما يساوى ألفاً . فضلا عن الغرامة المفروضة على هذه الأمة جزاء وفاقاً لتخاذلها وتواكلها وبيعها الضلالة بالهدى والفانى بالباقى . ولسنا نشك فى أن الشعوب العربية ستغضب غضبتها ، وتثب وثبتها ، فتعاقب المجرمين ، وتولى ثقتها من يستحقها ، وعندئذ تجرى الأمور على نور من رشد ، وصراط من حق ، حتى نختطف القصبة ، ونضع ارجلنا فى الغاية ، وما كان ربك بظلام للعبيد !

ارسل هذا مع كتاب اخينا الياس عاصي رمزاً لانعقاد قلبينا على حبكم . وفى الرسوم والقصاصات التى تشاهدون وتطالعون نموذج للجهود التى ما برح يبذلها فى سبيل العرب والعروبة ، هذا السفير الطوعى والبطل الفرد فى هذا الشطر القصي من دنيا أمريكا . تلطفوا بالتحية والشكر لشمعة

فلسطين المحترقة لوعة وجهاداً ، الأخ محمد علي الطاهر ، ولك ألف قبلة أخوية من : أخيك القروى .

ورانت على القروى كآبة نفسانية بسبب الهزيمة ، وغدا كتلة أعصاب ثائرة وحدث أن دعت الجمعية الخيرية الاسلامية فى سان باولو الجالية العربية إلى الاحتفال بذكرى المولد النبوى وهى أول ذكرى بعد الكارثة ، فألقى أبياتاً هى شواظ من نار أو جمرات غضب رجم بها شعبه وبعث بها إلي ، فنشرتها فى جريدة الحياة البيروتية وقدم لها الشهيد كامل مروة فى جريدته : « ولعلها تبعث فى العرب روح الكرامة » وهذه هى :

يهنىء بعضكم بعضـاً وإنى
أهنى النفس أني لا أهنى
أأنقض مبدئي وأخون عهدى
مسايرة لكم ويقال : إنى ؟
أرى تفاح هذا العيد جمراً
ولو قطفوه من جنـات عدن
وألمس نـاعم الأزهـار شوكاً
وأنشـق عطرها نتناً بنتن
ويطرف ناظرى حسن الغوانى
ويجرح مسمعى شـدو المغنى
وعيـد هائل سمعته روحى
ولولا لغطكم سـمعته أذنى
يفجره النبـى شواظ نـار
على شط وباديـة وحَـزن
أمسخرة الشعوب لُعنْتَ شعباً
ذليلا لستُ منك ولَستَ منى
تُعيّدُ لى وأنت تبيح أرضى
وعرضى لليهود ؟ إليك عني !

ويتوجب عَلَيَّ هنا أن أقول : إن القروي القى فى الذكرى التالية للمولد النبوى خطاباً رائعاً مهد له بقوله مخاطباً المسلمين ومشيراً إلى غضبته فى الذكرى السالفة : « لئن وُلِدْتُ نصرانياً فإن محمداً قال : « من آمن بنبيه وآمن بي فله أجران » ولئن كنت قد أغضبتكم فلقد أرضيت رسولكم القائل : « قل الحق وان كان مراً » وأنطلق يمجد الرسول ثم يناجيه : « يا محمد ، يا نبى الله حقاً ، يا أحكم الحكماء ، وأعظم المصلحين ، وأنبلهم مطلباً ، وأبعدهم غاية وأصدقهم دعوة وأهداهم سبيلا . يا نبى الله حقاً ، يا مجد العرب ، يا مجد الانسانية ، يا آية الصحراء الكبرى . جاء الحكماء قبلك وبعدك عوراً وعمياناً ، وجئت بصيراً بكل نواحي الحياة كأنك ترى الكون وأهله بنور خالقهم جميعاً . لقد خالف الكل الطبيعة ، وسرت معها يدك فى يدها وعيناك فى قلبها وروحك فى روحها فاستغرقتها بعلمك واستوعبتها بفهمك وبعثت راقدها فانبعث غير اهوج ورضت جامحها فانقاد غير ذليل .. » واسترسل : « آياتك آيات الخليقة ، ودينك دين الفطرة . شرعك رياضة لا ارهاق ، وتكاليفه تمرين لا تعجيز ، مذهب يحض على العمل حتى الجهاد ، وجهاد تكفه المروءة عن الجور ، وعدل تحده العفة عن القسوة ، وقوة يربأ بها الحق عن الطغيان . رسالة تتفاءل بالحياة ، وتهلل للنور ، وتبارك الجمال وترهف الحس وتطلق الخيال وتقدس العلم وتغرى بالطموح وتدفع إلى الرقي وتحث على الكسب الحلال وتبعد عن اليأس وتتنزه عن الرياء وتقرب من عرش الله .. » .

وختم خطابه بهذه الروعة الرائعة أو العظة البالغة : « إني لموقن ان الانسانية التى يئست من كل فلسفاتها وعلومها وقنطت من مذاهب الحكماء جميعاً لن تخرج من مأزقها ولن تجد راحة لروحها وصلاحاً لأمرها إلا بارتمائها فى حضن الاسلام ، تجد فيه حلا لمشكلة الحياة والتوفيق بين قوى الانسان جميعاً جسداً وعقلا وروحاً .. » .

ولاعجب اذا هب شاعر العرب الصديق عمر أبو ريشة سفير سورية يومئذ فى البرازيل ، يعانق الشاعر القروى ويقول : إن خطابه اروع ديوان للقروى .

وتلقيت رسالة من الياس عاصى ، يقول فيها « إن نخبة من أصدقاء القروى وقادرى أدبه قد تنادوا الى تأليف لجنة للاكتتاب لاشتراء بيت للقروى ، وان كراماً من الجالية العربية فى الأرجنتين قد بادروا إلى الإسهام فى التبرع » وإنه سيزف إلي قريباً نبأ تقديم البيت إلى القروى .

ولم تنقض مدة على رسالة الياس عاصي حتى جاءتنى جريدة العَلَم العربى التى يصدرها فى بوينس ايريس ، عاصمة الأرجنتين الوطني المجاهد العربى المؤمن الأستاذ عبد اللطيف الخشن ، وفيها بيان للقروى يشكر فيه لذوى المروءة مروءتهم ويعتذر عن عدم قبول الهدية « وايثاره قبراً فى وطنه على قصر فى غربته » ويرجو أن يرد المبلغ إلى المتبرعين الكرام .. وفى الجريدة نفسها قرار اللجنة تحويل المبلغ إلى مشروع طبع ديوان القروى وأن القروى وافق على هذا شاكراً ، وأنه سيشرع فى طبع الديوان ..

وبعث إلي الأستاذ الخشن بالعدد السنوى الممتاز لجريدة « العلم العربى » ولفت نظرى إلى قصيدة للقروى منشورة تحت رسمه ، نظمها على أثر مقال كتبه خصم سياسى للقروى يتهمه فيه بأنه كثير الشكاة والبكاء ، « وقد جاءت عفو القريحة لم أعمل فيها يد التنقيح لقلة الوقت وكثرة الواجب » .. وعندى أن أروع ما فى القصيدة أبياتها الخمسة

اخي كبير العقل والنفس اكرم

باي فلسفة او دين اعزيك في "عادل" ولا أُعد متطفلاً على فلسفتك ودينك . وكيف ابثك اساي على فقده ومثلك من يُكبر شعور اخوانه في مصابه . حتى يحمله لهما فوق همه .

حسبك من التأساء ان قلوب العرب تجتمع في مناحة حول قلبك . وان اسمه الجميل كاسم اخيه ، يتحدى العدم ما بقي للعروبة تاريخ حافل بسير الابطال . وشهداء المجاهدين بالارواح والعقول .

رحمه الله وايانا . وامد في عمرك النافع امداً طويلا . ان شاء سبحانه وتعالى

صنبول ٢٧ - ١ - ١٩٥٨
اخوك
رشيد سليم خوري

إحدى رسائل رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) إلى كاتب المقال

الأخيرة ، وما أكثر ما كان القروى يرددها ويستشهد بها وهى :

بَعُدَت همتى فعفتُ كنوز
الأرض لما عرفت قيمة كنزى
لا أبالى شبعت أم جعت
والفن شرابى وعزة النفس خبزى
ذلٌّ قومى ذلى وان كنت أغنى
الناس طراً ، وعز قومى عزى
قد نبذت العيش الرخي ورائى
لا هيـاً عنــه بـالأعز الأمز
والذى صيده الضراغم لا يعجزه
أن يكــون قنـــاص عنز

وتوفى فى النجف الامام المجتهد محمد حسين آل كاشف الغطاء خريف سنة ١٩٥٤ ، وقد عرفت السيد الحجة وطنياً عربياً مقداماً ، وكانت له فى الدفاع عن قضية فلسطين وقفات باسلات ، وفتواه فى تحريم بيع الأرض لليهود . وموالاة الانكليز مشهورة ، وقد ذاع صيته حين أمَّ فى المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٠ فى الصلاة يوم الاسراء أعلام السنة كرشيد رضا والشاعر محمد اقبال والزعيم الثعالبى ومحمد علي علوبة والحاج أمين الحسيني ومولانا شوكة علي وغيرهم . وتألفت لجنة لتأبينه فى النجف وكتب الأستاذ عبد اللطيف الخشن صاحب « العلم العربى » للشاعر القروى الذى كانت بينه وبين الامام مودة يرجو أن تكون له كلمة فى تأبينه ، وحدث أن توفيت فى الحين ذاته أم الشاعر ، فنظم قصيدة رثاء قدم فيها الأسبق عنده فالأسبق : أمته .. فأمه فالامام ، وقال فى رسالته للأستاذ الخشن : « ان هذا شعر خير ما فيه الصدق ، وانه لم يتكلف به معارضته قصيدة المتنبى فى جدته .. ولكنه نظمه منساقاً مع طبعه وشعوره » « وان نكبة فلسطين لا يماثلها لدي نكبة ما فى الأرض ولا السماء . كل خَطب مهما فدح يهون بالنسبة إليها ، وكل انسان عربياً كان أم غربياً لا يحزن ولا يغضب ولا يثور لها فقد تجرد من كل شعور وكل انسانية وكل دين ، ولذلك استهل قصيدته بقوله :

كفى الَميْتَ منا أن يُحَسَّ له فَقْدُ
أبعد هلاك الجمع يُفتقد الفرد ؟
أبعد فلسطين ، يُناح على فتى
وهل بقيت فى مقلة دمعة بَعْدُ ؟
بكائى على المليون أنضب أدمعى
فما أنا إلا النار والحجر الصلد

ويذكر بعد أبيات أمه فيهتف :

ألا دمعة من « لاجيء » أستمدها
فأبكيَ بالبحر الذى جزره مَدُّ
وأندب أماً لم يَجُدْ مثل حبها
وحبى لها ، لا الوالدات ولا الوُلْدُ
يرفه عنى أننى غير خالد
ومهما يطل عمر الفتى فله حد
طويت إليها الدرب الا أقله
ويرجى التلاقي كلما اختصر البعد

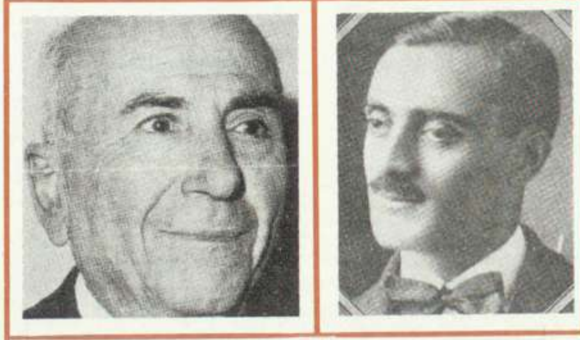
ويسترسل فى رثاء أمه ثم يذكر الامام :

وهل كان من ينعون مثل محمد
وهل أنا إلا مثله عهدىَ العهد ؟
إمام حبانى من جميل ثنائه
جواهر قول ، كل جوهرة عِقْد
أدِلُّ بهـا رداً على كل ناقد
بضاعته الأصداف والأدب الرُّدُّ
فيا راحلا لا فرق بينى وبينه
سوى أنه أغفى وحالفنى السُّهد
هنيئاً لك المثوى السعيد تجوزه
إلى جنة المأوى يواكبكَ السعد
ومن كان جاراً — «للحسين»وفيصل
فقد ضَمنَ الخلدَ الذى بعده الخلد

• • •

ولم تنقض السنة حتى أقبل بالبريد ديوان القروى فى طبعته الأولى يترفل فى حلة أنيقة ، وازدهانى تقديمه « إلى أكرم زعيتر ، فتى فلسطين ، أسدها الزائر ، وموجها الهادر ، وبركانها الثائر » . وشفع الديوان بجدول بأسماء السادة المتبرعين لمشروع طبع الديوان قائلا : « إنى باسم هذا الفريق من كرام اخوانى واخوانك المغتربين أزف إليك ديوانى » ورسالة بخط يده يقول فيها : « أخى الحبيب أكرم . أسأل الله أن يقربنا هذا العام من المحجة ، وينعش آمالنا ببلوغ الغاية .. » ثم يقول : « لقيت فيمن لقى منذ أيام الأستاذ عيسى نخلة (مندوب الهيئة العربية العليا فى أمريكا) وكانت لنا جولة خرجت منها حائراً حزيناً ساخطاً . لقد نافَحَ الرجل عن « عزام » .. وإن اخاك لا يعنيه من الأشخاص غير ما يخلعه عليهم اضطلاعهم بالتبعات الوطنية من خطير الشأن ، وقد ضاعت فلسطين على أيدى رجال فى طليعتهم عزام . لقد مثل الأمة العربية بأسرها فى أمانة سر دولها السبع ، فإذا لم يكن هو مسؤولا فمن هو المسؤول ؟ .. » وختمها : « أرجو جوابكم السريع والسلام والمحبة الخالصة لكم من أخيكم : القروى » .

ورحت اترشف الرحيق الحلال ، من ذلك الديوان .. ثم كتبت إليه : « يا سيدى وأخى وشاعرى ، أقِلَّ اللوم ، وتمهل فى العذل فما انقطعت عن الكتابة وهناً فى إخاء أو ونىً فى وفاء ، ولكنه هذا الذى ألم بوطنى .. وقيام دولة السوء الذى لا افتأ اخاطبها بلسان زميلك الشاعر :


الشاعر القروى فى الخامسة والثلاثين — الياس فرحات

● عند ماصرخ الشاعر : يا نبيّ الله حقاً ، يا مجد العرب ، يا مجد الإنسانية ، يا آية الصحراء الكبرى

● المهاجرون العرب يكتتبون لبناء بيت للقروي ، والشاعر الكبير يعتذر قائلاً : أوثر قبراً في وطني على قصر في غربتي !

يا دولة السوء لا لُقّيتِ صالحةً
هل لا نقارضك من يوم فننتظر ؟
وكيف نرجو خلاصاً أو نرى فرجاً
وفيك طول وفي أعمارنا قِصَر ؟

على أنني فى هذه الغاشية الداهية ، أرانى بين حين وآخر استشفى بديوانك ، واحبر فى روضة غناء من أبلغ قول فى أنصع بيان وأزكى نَفَس فى أعذب ألحان .

وقرأت فى « العلم العربى » نعي الوالدة الرؤوم وحاولت العزاء فما ساعفنى قول ، ولكننى قدرت جلال رزئك وأنا الذى خبرت سراوة عاطفتك أيقنت أن خطبك أجل من العزاء . وقد تطلق وجهى وأنا أتلو أسماء الألى تبرعوا بالمال لمشروع طبع الديوان لا لأنهم أدوا فرض الكفاية عن أمتك ونشروا الديوان الذى نترشف رحيقه فحسب ، ولكن لأن بين الأسماء من استنزلتهم عن نزعة اقليمية عرفوا بها ، وشعوبية أثرت عنهم ، فغدوا فى الدعاة إلى مبادئنا القومية المسكوبة شعراً « قروياً » ، وهذا ربح لفكرتنا . ثم دافعت عن صديقي الكبير العربى المؤمن عبد الرحمن عزام مؤكدا أن الجامعة هى جامعة الدول العربية .. أى أنها مرآة دولها ، والتجنى كل التجنى أن نحمل رجل العروبة فى مصر تبعة تقصير سبع دول وخمسة جيوش .. « وأنا الآن فى نابلس ، فى الشلو الباقى بيد العرب من وطنى الممزع .. وأرقب الأفق العربى ، فقد يطلع ما يبدد همومى ، لائذاً من اليأس بايمانى بالله وبروح هذه الأمة ، معتصماً من هزاهز الدهر ، مع الصبر الجميل بأملي في المستقبل » .

• • •

وألف الصديق الأديب اللبنانى الأستاذ وديع ديب كتاب « الشعر العربى فى المهجر » وطبيعى أن يكون لشعر القروى قسط وافر فى الحديث عنه : وقد اثنى على القروى وقال عنه : « ان القروى أخلص شعراء العربية للقومية العربية ، ولا استثنى منهم أحدا » . ولكنه شفع هذه العبارة بقوله : « ولكنه ما نظم الكثير من شعره الوطنى إلا وفى نفسه شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس » وركز المؤلف الحديث عن شعر الحنين والغزل والتفلسف والأمومة وأعرض عن ذكر حماسيات القروى ووطنياته ، وآية ذلك ان الشاعر بعد أ نَ أَبَنَّ فيصلا فى الأرجنتين فزع من ضجيج العاصمة « ومراسمها » إلى مصيف ريفى جميل اسمه « تنديل » ضيفاً على أنسبائه ، وفى تلك العزلة الهنيئة ، فى الفردوس الأخاذ ، نظم قصيدة مؤلفة من ثلاثة وخمسين مخمساً (والتخميس هو أن يضاف ثلاثة أشطر الى شطرى البيت) . أنشدها فى حفل أقيم لتكريمه ووداعه فى بوينس ايريس ، وقد استشهد صاحبنا« الوديع » من تلك القصيدة

● الشـاعر الذي لايغضب الباطل ولايهيّجه الظلم ولاينفر ويستنفر لنصرة العدالة والحق ليس عندي شـاعرًا بالمعنى العربي الصحيح الجميل
القروي

بمخمس ينضح بالتشاؤم اليائس وهو :

وقل لمن ضلوا سبيل الهدى
وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطنى منك نَفَضتُ اليدا
فمن يحاول عنك دفع الردى
حاول امرا دونه المستحيل

وأغفل المخمس الذى يليه ، وكله عزم وثقة ورجاء وهو :

لا . لا . ستحيا رغم أنف الزمن
بل أنت حى رغم هذا الكفن
مادام حر واحد فى الوطن
فهو بهذا الحر حر وإن
عاش به مليون عبد ذليل !

وتطرق المؤلف إلى قصيدة القروى « وثبات العقول » التى نظمها وألقاها زمن العدوان الايطالى على الحبشة ، وأخذ على الشاعر قوله عن البابا .

إن يكن صاحب القداسة سفاحاً
فماذا تريد من غير صاحب ؟

« وهذا يدل على تطرف فى القول تأباه النفوس .. وهل يجوز أن ينعت قداسة البابا بمثل مايزعم ؟ » وأوماً فى معرض النقد إلى أن كثيراً من أفكار القروى قد اقتبسها من تعاليم نيتشه وغيره من الغربيين .

ومما جاء فى الكتاب « ان الشاعر الياس فرحات والشاعر القروى كادا يتفقان على اتهام اللبنانيين بالذل والخنوع لأنهم لم يمتشقوا السيف ، مع أن لبنان كان بوق التحرر ورسول النهضة الأدبية والفكرية لمن حوله » .

وعلى أثر صدور هذا الكتاب انبرى الشاعر المهجرى الصديق الأستاذ جورج صيدح ــ طابت ذكراه ــ إلى تصحيح ما ورد فيه من آراء بحق القروى وفرحات ، ويؤسفنى ألا أحتفظ بمقال صيدح ، على أن القروى بنى عليه مقالا شديداً نشر فى جريدة « « الجريدة » البيروتية فصل فيه بين الحرية الوطنية السياسية التى يجاهد فى سبيلها وبين الحرية المسيحية الروحية التى يغار عليها الأستاذ وديع .

وبادر المؤلف إلى الكتابة للقروى معاتباً إياه على لهجته القاسية متمنياً لو انه عد العشرة قبل نشر المقال ، وأهدى إليه الكتاب ليبدى حكمه . وطالع القروى الكتاب ، وأعد رداً مفاضاً طبعه فى نسخ محدودة متسلسلة الأرقام وجعل عنوانه : « أدب اللامبالاة أدب الشماتة والعقوق » وخصنى بنسخة مرقومة مهداة الى « خطيب العرب . الصديق الحميم الأبر تحية المحبة الأخوية الخالصة من أخيه القروى » . وفى هذا الرد البليغ من روائع الأنفاس القروية مالايجمل بى اغفالها فى ذكرياتى هذه :

يقول القروى فى رده : « إنما نحن أحوج إلى أدب يخشاه المستعمرون لا أدب يكونون هم أول ناشريه والداعين إليه والمروجيه » « وانى بدورى أسألك : نفوس من تعنى ؟ أالذين يؤلهون البطاركة والبابوات ، ويعصمونهم عن الخطأ؟ أم الذين لا يعبدون غير الله والحقيقة ؟ وهل يجوز لقداسته فى شرع المسيحية التى يجلس على عرشها ويعتصب بتاجها ويحمل صولجانها أن يبارك مدافع لمة ومسيحية مثله أيضاً هى أمة الحبشة ؟ واذا جاز هذا لقداسته فلماذا لا يجوز لخاطىء مثلى أن ينعته بعمله ؟ ومتى كانت تسمية الشر باسمه شراً من الشر نفسه . إن الأمة العربية واستقلالها وبقاءها لأهم عندى بكثير من رجل فرد يقيم فى عاصمة الرومان » .

« إنى فى معرض الذود عن أمتى المهددة بالفناء لا أضع شعراً أهَمم به فى رؤوس الأطفال ، بل أبريه سهاماً لقلوب الطغاة المعتدين ، ولكل راض عن طغيانهم ، ساكت على اعتدائهم ، ولأجلد به ظهر كل أديب يزرع حشيش الأدب ويتاجر به ويعاطى البرىء سمه الزعاف » . « ثم لماذا تبرر غضب المسيح ولاتبرر الذين يهتدون بهديه ويحتذون مثاله ؟ لئن آذاه أن يرى بيت الله مغارة لصوص كما احتججت ، فنحن قد آذانا وأطار صوابنا أن نرى مسقط رأسه ومدفنه وكنيسته لا متجراً للخنا والسلب فقط بل ماخوراً تفعل فيه أفظع ضروب الأفاعيل كما يشهد تاريخ فلسطين الحديث ؟ » .. « واننا لنعجب كيف خطر على بالك اننا اقتبسنا

أفكارنا من تعاليم نيتشه ، أو غيره من الغربيين وعندنا المعلم الذى صاح فى وجوه فريسي زمانه : « يا أولاد الأفاعي » وأخوه (سيدنا محمد) صلى الله عليه وسلم الذى هتف بعده بستة قرون : « قل الحق وإن كان مراً » . إننا عن هذين المعلمين الأكبرين أخذنا » . « أفتطلبون من شعراء الوطنية اعتدالا وهم يطوون بين جوانحهم شعور أمة ؟ أئذا احترق صدرى عطشاً أأستطيع تحديد قياس الماء الذى أصبه فى الكأس اذا كان الى الخط الذى تُزَرّ عليه الجيوب أو الذى تدور عليه القلانس ؟ وإذا لدغتنى أفعى أفأملك تعديل صيحتى لئلا توقظ النائمين ؟ الا إن الشاعر البطيء النبض ، الشاعر الذى لا يغضبه الباطل ، ولايهيجه الظلم ولا ينفر ويستنفر لنصرة العدالة والحق ليس عندى شاعراً بالمعنى العربى الصحيح الجميل . إنه أدنى أن يكون ببغاء كنيسة اذا رأى قوياً يبطش بضعيف ردد قول الناصرى : حبوا بعضكم بعضاً » ولكنه لا يشعر بأقل واجب نحو أحد هذين البعضين ، الذى هشمت أنفه العصا أو فقأت عينه اللطمة أو هراقت دمه السكين ، وإذا تسلق هذا الأديب المتطاول جداراً أو عموداً أو كتفاً ، فإنه لا يعلو عن مستوى رسام بسيط بالحروف والقوافى يحسن رسم طاقة زهر ، أو صحن فاكهة أو زورق فى ميناء ، ولكنه أعجز من أن يصور أثباج النفوس المتلاطمة وما يدمدم فى صدور الشعوب المرهقة المتحفزة من أعاصير الآلام المبرحة والأمانى البعيدة والعواطف القوية الهائجة ، اللهم الا عواطفه وأمانيه الخاصة . إن ثروته من الشعور لا تزيد عن كفاف أنانيته الضيقة ، ولكى يستر فقره المدقع من هذا القبيل يلجأ الى خياله المثلج وينشر منه على الآفاق سحاباً جهاماً يسميه المحبة الانسانية المسيحية التى لا تعرف وطناً ولا عشيرة » .

وفى الرد المفاض : « وهل يتهم بالهوس — حسب تعبيرك — والتعصب الأعمى لوطن أو دين يا عزيزى الوديع من يخاطب علم بلاده بمثل هذه الأبيات !

إن كنتَ للحق فلتخضع لك الأمم
أو كنت للظلم لا حييتَ يا علم
انى أعيذك من مجد يغض لـه
جفن الاباء ويستحيي به الكرم
قد يحسب المرء نذلاً وهو منتصر
وقد يعَد شريفاً وهو منهزم »

« إننى مثلك لا أجحد فضل وطننا الصغير الحبيب لا على البلاد العربية وحدها ، بل على كل بلاد هاجر بنوه إليها ، ولكن كل هذه الحسنات القلمية لم تغنه عندنا عن حريته التى لو ارادها فى ذلك الحين لما عدم وسيلة غير السيف يعلن فيها رغبته وحملتنا النزيهة عليه لم تكن لقعوده عن الجهاد فحسب ، بل لأنه كان بذل الانتداب راضياً ، وله طالباً وعلى من اراد تحريره منه ثائراً :

صبرنا على عيش من الذل انكد
وأنكده الا نرى العيش انكدا

وكانت مصيبة احراره به أشد من مصيبته بالمستعمرين :

ما إن ذممت غريباً يَستبد به
إلا أتــانــى ذم مــن أهاليه

وفى الرد : « وهذه الروح المتجلية فى أقوالى تجسمت مراراً فى أفعالى ، فإنى حين أبصرت راية الأرزة ، الأرزة البريئة من أى شعار أجنبى ترفرف لأول مرة على مطار صنبول وسمعت صدى : « كلنا للوطن » يتجاوب فى سماء مهاجرنا السحيقة طغى شعورى بالعزة القومية حتى كاد ينفجر صدرى وطفقت أبكى وأنشج كالطفل الصغير لشدة فرحى وأحسست فى تلك الساعة السعيدة أننى أستطيع أن أقبل الف اسخريوطى يحتال على صلبى ، وأن أجرف العداوات كلها بفيض العاطفة المقدسة التى غمرت قلبى ، ولقد عبرت عن هذا الشعور الطامي والروح السمحاء ببيتين من قصيدة ، حال من لا اسميهم دون إلقائها فى المهرجان ، حيلولة أضافت حسكة جديدة حادة إلى اكليل الشوك الذى ماضفره لي غير اللبنانيين اخوانى ، والذى طالما أدمى جبينى وفؤادى فى سبيل حرية وطنهم وطنى وهاك البيتين :

لنَمح خطايانا بدمع سرورنا
عفا الله عما لفقته الجرائد
تعالــوا أقبلكم فلبنــان جنــة
ولا يستحق العيش فى الخلد حاقدَ »

وأشار إلى أن هذا ليس رداً ولا حقداً على الكاتب بالذات ، وهو صادق الوطنية طاهر النية « بل لأن الذكرى الأليمة ضربت بعنف على أدق أوتار الحس فى نفسي فكانت عاملا على وَري الزناد واشعال الفتيل ، ولاشك عندى فى أن هذه النار تنزل برداً وسلاماً على كل ابراهيم وطنى حنيف ، ولا تحرق إلا كل مريب لا يشعر بهول الجريمة الكبرى ومأساة المآسى فى تواريخ الأمم قديمها وحديثها ، ولا يترجع لها عن فؤاده صدى غير هذا الصدى الرتيب المنكر : أدب اللامبالاة .. أدب الشماتة والعقوق » . « إن فى الكلمة لسراً يحيى ويميت وليس فى هذا الأدب الذى نعيره كل اهتمامنا علاج لأمة مدنفة بل هو قمين بإضعاف القوى والاجهاز على الضعيف ، وما احتج منا بالأدب الانسانى إلا كل من لا يعد قومه فى الناس ، أو كل عريض الدعوى يتطال إلى الأبعد وهو يقصر عن الأدنى ، وإنى لأعيذ كتابنا وشعراءنا اللاهين منهم بالزهور والخمور والشهوة الحمراء والمعالجين منهم كل فنون النظم والنثر ماعدا أدب الواقع المرير ، أدب الحاجة الملحة . أدب النضال الطبيعى الشرعى فى سبيل البقاء أدب الرجولة والحمية والنخوة والنجدة والتعاون على البر بالأهل والأوطان . الأدب الذى هو اليوم وحده ، دون سائر ألوانه بوق بعثنا ، وكوكب رجائنا ، وخبز كياننا ، وعماد بنياننا ، إنى لأعيذ هؤلاء الأخوان العباقرة أن يحيروا التاريخ يوماً ، فى أى عصر وجدوا ومن أى أمة كانوا .. » .

وفى الواحد والعشرين من تشرين الثانى سنة ١٩٥٧ قضى شقيقى الكبير وأستاذى وملاذى عادل زعيتر الذى كان أمة وحده فيما قدم لوطنه العربى وللثقافة من خدمات تنوء بمثلها مجامع فهطلت عَلي برقيات التعزية ورسائل التأساء وتلقيت من القروى الرسالة التالية بخط يده :

أخى كبير العقل والنفس أكرم .

بأي فلسفة أو دين أعزيك فى « عادل » ولا أعد متطفلا على فلسفتك ودينك . وكيف أبثك أساي على فقده ومثلك من يكبر شعور اخوانه فى مصابه . حتى ليحمله هما فوق همه .

حسبك من التأساء أن قلوب العرب تجتمع فى مناحته حول قلبك . وان اسمه الجميل كاسم أخيه ، يتحدى العدم ما بقى للعروبة تاريخ حافل بسير الأبطال . وشهداء المجاهدين بالأرواح والعقول .

رحمه الله وإيانا . وأمد فى عمرك النافع أمداً . ان شاء سبحانه وتعالى .

صنبول ١٩٥٨/١/٢٧

أخوك
رشيد سليم خورى

وأجبته قائلا : « آيتك أظل أتلوها ، لا لتهدهد حزنى على أخي ، فمعاذ الوفاء لشقيقى وأستاذى أن أنشد سلواناً عنه ، وأن يكون رقيمك الكريم المسلاة ، ولكننى أرتلها ليسرو شجوى ، ويَجمل صبرى ، ويزهر همى . والتأسية البليغة يرسلها ولى حميم ، وفهامة حميم ، وأخ قدسه (١) الله ، فانتذر على نفسه خدمة قوميتى ولغة قرآنى ، أتجاهى بها وأعدها تمجيداً لذكرى فقيدى وكفارة عن جحود الجاحدين بحقه فى حياته ، فحسبك يا أخى وشاعر قوميتى شكراناً لرائعتك أن أدعو لأمتى ولغتى بأن يمتعهما الله بطول عمرك ولنفسي أن أجتلي وجهك فى وطنك . وليحفظك الله لجمال الأدب والمروءات ولأخيك . أكرم زعيتر » .

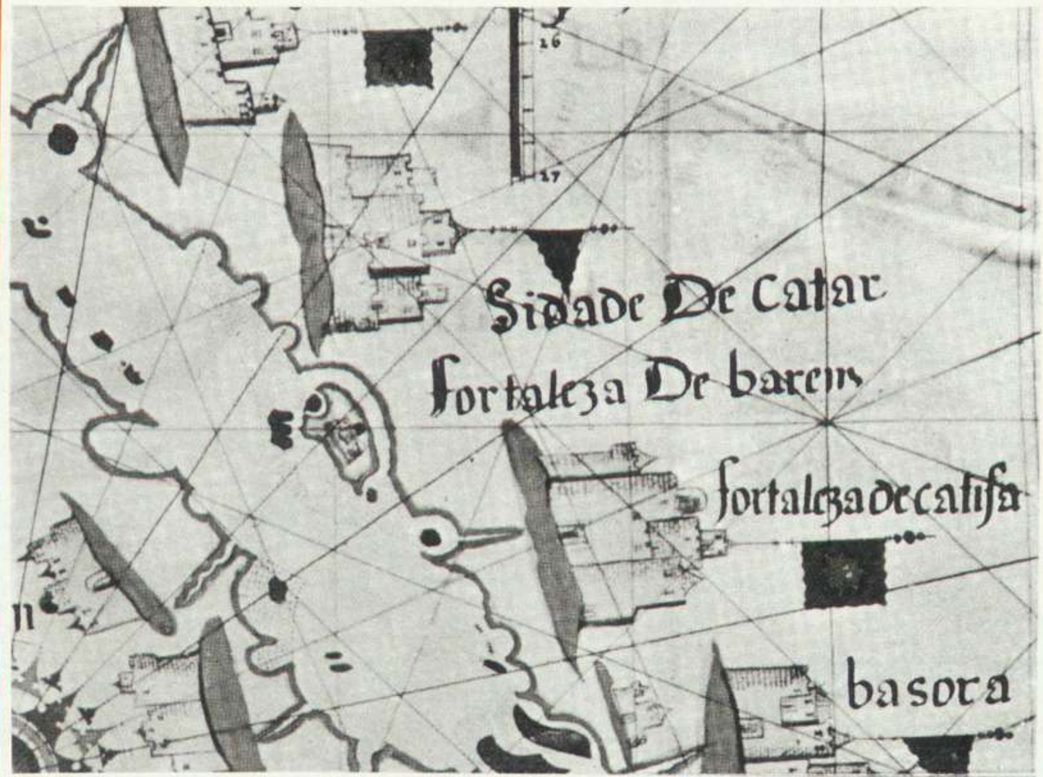
أكرم زعيتر

هامـــش

(١) قدَس الله فلانا : طهره وبارك عليه .

قطر لم توجد على خريطة الدنيا باكتشاف النفط فى أحشاء أرضها فى الثلاثينات وبدء تصديره للعالم الخارجى سنة ١٩٤٩ ، بل هى قديمة قدم التاريخ ..

حديث عن قطر



خريطة رسمها لازارو لويس (١٥٦٣ م) محفوظ أصلها فى أكاديمية العلوم البرتغالية فى لشبونة ، تظهر عليها كلمة مدينة قطر بدون شبه جزيرة .. لاحظ أن شمال الخريطة إلى أسفل وجنوبها إلى أعلا ، وكذلك كان الشأن فى كل الخرائط القديمة

كان الاقليم العربى الممتد من الكويت إلى عمان ، يسمى إقليم الخط أو إقليم خارك أو بلاد البحرين ، وكانت حاضرته هجر ، التى بلغ من كثرة نخيلها وتمورها أن نعت العرب من يعرض بضاعة فى موطن إنتاجها بقولهم فى امثالهم الخالدة : فلان يحمل التمر إلى هجر ..

وإلى جانب التمور والنخيل ، فقد اشتهر هذا الإقليم ، منذ زمان قديم لم يحدده مؤرخ ، بأنواع اللآلىء والدرر التى تغنى بها شعراء العرب فى جاهليتهم الأولى واسلامهم ..

وكان الناس إبان سيطرة الأساطير على تفكيرهم يظنون أن اللآلىء تتكون فى محاراتها عندما تقع (قطرات) الندى أو مطر الوسمى فى جوف المحارات التى تطفو على السطح فاغرة أفواهها فى موسم معين من السنة ، وخطأ ظنوا أن اللؤلؤة الموصوفة فى قول الراعى :

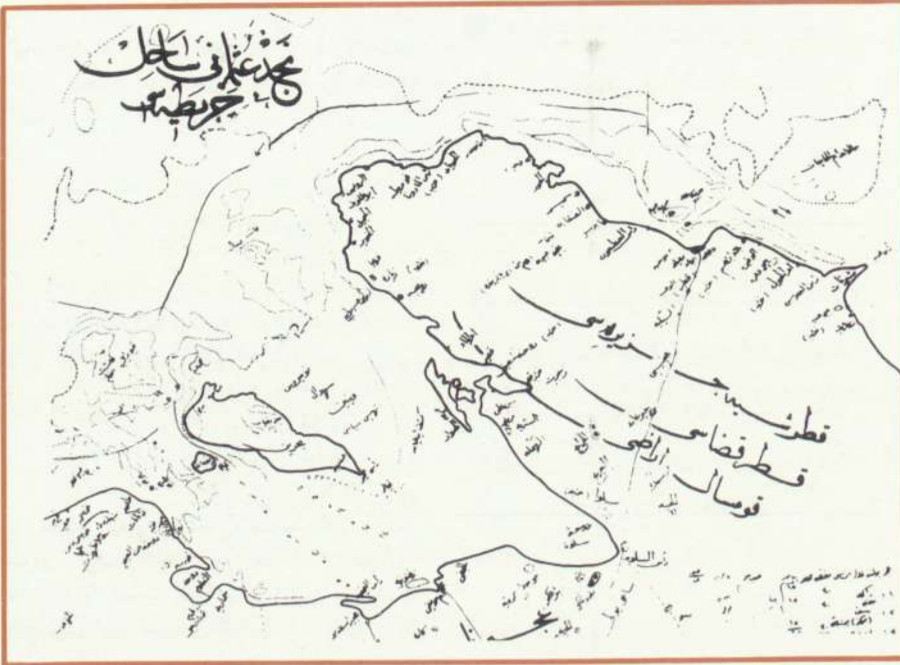
يمانيــة هوجــاء أو قطريــة
لها من شعاع الشعريين لهيب
تنطق بسكون الطاء ، حتى جاء العبقرى الفريد أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (٩٧٣ — ١٠٤٨ م) ودحض فكرة انعقاد اللؤلؤ من قطرات الماء وقال بأن الطاء فى هذا البيت مفتوحة نسبة إلى قطر ..

وقطر لم توجد على خريطة الدنيا باكتشاف النفط فى احشاء أرضها فى الثلاثينات وبدء تصديره للعالم الخارجى سنة ١٩٤٩ ، بل هى قديمة قدم التاريخ ..

فمما ينقله المؤرخون عن أبيهم (هيرودوت) أن أصل الفينيقيين والسومريين من سلالة قطرية ، من شبه الجزيرة هذه القابعة وسط الخليج فى أقصى المشرق العربى .. ولعلهم تلك السلالة التى أشار إليها (بلنى) الكبير عندما ذكر فى كتابه (التاريخ الطبيعى) لمحة عن (بدو من قطر) (٦٢ — ١١٣ م) ..

ولعل أول خريطة نجد عليها اسم (قطر) هى تلك التى نقحها الهولنديون سنة ١٦٩٥ نقلا عن خريطة لبطلميوس ترجع للقرن الأول الميلادى ،

بقلم : درويش مصطفى الفار



لعل هذه الخريطة العثمانية التى ترجع إلى القرن التاسع عشر هى أول خريطة يطلق فيها اسم قطر على شبه الجزيرة كلها



هذه خريطة مستمدة من خريطة بطلميوس « القرن الأول » ، ويظهر فيها اسم قطر عند تقاطع الخط الرأسى المسقط م (١) مع الخط الأفقى الموازى لنقطة (ب) على رأس خليج بارز لعله خليج سلوى ..
وهى أقدم خريطة معروفة حتى الآن عليها اسم قطر

حيث نجد كلمة (قطرا) على رأس خليج صغير لعله خليج سلوى الذى يحتضن شبه الجزيرة القطرية من الغرب .. البرتغالى (لازارو ـ لويس) التى نشرها سنة

ثم نجد (بلدة قطر) على خريطة البحار

١٥٦٣ م . وعلى خريطة (فيرناى ـ فاز ـ دوارادو) التى نشرها سنة ١٥٦٨ .. ولكننا لانجد ذكرها على خريطة (ايمون بووين) سنة ١٧٥٠ ..

ومن العجب أن لا تجد (قطر) على خريطة العلامة أبى عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن ادريس الحمودى الحسنى ، الذى أشتهر باسم (الادريسى) بينما نقرأ فى كتابه الشهير « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) الذى ألفه فى القرن الثانى الميلادى بطلب من الملك روجر الصقلى الذى استدعاه خبيراً علمياً فى بلاطه عندما كان الأوربيون يتخذون من العرب خبراء !! يقول الادريسي فى ذكره لقطر :

« ومن جلفار إلى البحرين تأتى إلى ميناء يسمى السبخة ، حيث يوجد نبع ماء عذب ، ثم إلى شقاب ثم إلى بوار على شاطىء صعب الإجتياز وهذه الاماكن تسمى « بحر قطر » . وفى هذا البحر جزر عديدة لا تسكنها إلا الطيور من جميع الأنواع .

ويتجمع ذرق تلك الطيور فيتكون من ذلك سماد كثير . وعندما يصبح هواء البحر مناسباً ، فإن البحارة فى القوارب يصلون إلى تلك الجزر ويحملون ذلك السماد إلى البصرة وغيرها حيث يبيعونه كسلعة غالية الثمن للزراع الذين يستعملونه هنالك فى تسميد الحدائق والبساتين » .

ولا ندرى أى الجزر القطرية يقصدها الإدريسي ، هل هى حوار أو حالول أو شراعوه أو الأسحاط أو العالية والسافلية أم غيرها ..

أما المسعودى (٩٥٦ م) فيقول فى كتابه « مروج الذهب » :

« وفى مقابل الشاطىء الفارسى ، توجد على الشاطىء العربى بلاد البحرين و « جزر قطر » وسواحل بنى جذيمة وأرض عمان » .

ويشير الهمدانى (القرن العاشر) إلى مورد ماء يسمى « قطر » فى بلاد البحرين .. ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان (١١٧٩ ـ ١٢٢٩ م) ما نصه :

قطر ، بالتحريك وآخره راء . وروى عن ابن سيرين أنه كان يكره القطر ، وهو ان يزن جلة من تمر أو عدلا من المتاع أو الحب ويأخذ ما بقى من المتاع على حساب ذلك ولا يزن . وقال أبو معاذ : القطر البيع نفسه . وقال أبو عبيد : القطر نوع من البرود وأنشد :

كساك الخنظلى كساء صوف
وقطريا ـ فأنت به تفيد

وقال البكراوى : البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة وقال خالد بن جنبة : هى حلل تعمل فى مكان لا ادرى أين هو ، وهى جياد وقد رأيتها ، وهى حمر تأتى من قبل البحرين ،

قال أبو منصور ، فى أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها . وقالوا قطرى فكسروا القاف وخففوا كما قالوا دهرى ، وقال جرير :

لدى قطـريات إذا ما تغولت
بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا

كذا روى الأزهرى ، أراد بالقطريات نجائب نسبها إلى قطر لأن بها سوقاً لها فى قديم الدهر ، وقال الراعى فجعل النعام قطرية :

الأوب أوب نعائم قطرية
والآل آل نحائص حقب

نسب النعام إلى قطر لاتصالها بالبر ورمال يبرين ، والنعام تبيض فيها فتصاد ، وتحمل إلى قطر . ومما يصحح انها (أى قطر) بين عمان والبحرين قول عبده بن الطبيب :

تـذكـر ساداتنـا أهلكم
وخافوا عمان وخافوا قطر
وخافوا الرواطى إذ عرضت
ملاحس أولادهـن البقـر

وجاء فى لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى (٦٣٠ – ٧١١ هـ) : قال أيمن « دخلت على عائشة (رضى الله عنها) وعليها درع قطرى ثمنه خمسة دراهم » .

وقال محمود بن أحمد الزنجاني فى تهذيب الصحاح (٥٧٣ – ٦٥٦ هـ) « وبمنطقة البحرين على سيف عمان مدينة يقال لها قطر » « وقطرى بن الفجاءة شاعر منسوب إلى قطر ، البلد المذكور ، والفجاءة لقب أبيه جعونه بن مازن ، سمى بذلك لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمى به وبقى عليه » .

هذه مقتطفات مما جاء عن قطر فى بعض كتب التراث ..

اما ما جاء به ذكر قطر فى الشعر العربى عدا ما أسلفنا فمنه قول المثقب العبدى (٥٣٥ – ٥٨٧ م) الذى يغلب على الظن أنه عاش فى قطر زمن الجاهلية الأولى ، إذ يخاطب عمرو بن هند :

وإلى عمرو وان لم آته
تجلب المدحة أو يمضى السفر
واضح الوجه كريم نجره
ملك السيف إلى بطن العشر
كل يوم كان عنا جللا
غير يوم الحنو فى جنبى قطر

● ماهو التفسير العلمي الدقيق لاسم قطر؟

● حفائر جديدة قد تلقي أضواء على القرون الغابرة

ولم اتعرف بعد على ما هو الحنو وأين مكانه بالقرب من قطر .. ويقول جندل بن المثنى الطهوى يصف إبلا :

يهوين من اشجه شى الكور
من مجدل ومثقب ومنكدر
ومثلهم من بصرة إلى هجر
ومن ثنايا يمن ومن قطر
حتى أتوا خوا على بنى سفر

وقد ذكر هذا القول ياقوت فى معجم البلدان فى باب « المنكدر » .. وفى محاولة متواضعة لاستكناه احتمال اشتقاق كلمة « قطر » التى تعنى هذه البلاد نقول :

(١) قد يكون الاشتقاق راجعاً إلى « القطر » وهو المطر ، اذ أن شبه الجزيرة كانت أغزر مطراً فى الماضى من المنطقة المحيطة بها حتى أن بعض كبار المعمرين اليوم يؤكدون أن الناس منذ نصف قرن أو يزيد كانوا يصلون لله سائلينه كف المطر حتى لاتنهدم البيوت وتخرب المزارع لكثرة المطر !!!

(٢) قد يكون الاسم مشتقاً من « القطر » بكسر القاف وتسكين الطاء ، وهو النحاس المنصهر ، إذا استطعنا إثبات أن الناس فى قطر كانوا يصهرون خامات النحاس المستوردة من جبال عمان ، لصالح قوافل طريق تجارة التوابل والبخور التى كانت قطر عند نهاية أحد طرفيه من جنوب الجزيرة العربية .

(٣) كلمة « القطر » تعنى فيما تعنى إحراق البخور ، فلعل قطر كانت محطة لإختبار أنواع البخور قبل أن يشتريها تجار أوروبا ليحملوها إلى بلادهم عبر الأناضول وجنوب روسيا .

(٤) وتعنى كلمة « القطر » نوع البيع الذى اسلفناه من معجم البلدان ، فسميت قطر بذلك حيث كان يجرى البيع بتلك الطريقة ..

(٥) الطابور من الإبل يسمى « القطار » ولعل اسم قطر اشتق لكثرة ما كان يصدر منها من الإبل الأصيلة والنجائب ..

(٦) و « قطر » تعنى فى لغة الضاد أيضاً حياكة الثياب وخياطتها فهل جاء الاسم للمكان الذى نعنيه من حياكة البرود القطرية الحمراء ذات الخطوط البيضاء التى اسلفنا ذكرها ؟؟

تلك مجرد محاولات لا نجزم بها ولا نؤكد صحة ما ذهبنا إليه فيها فالأمر يحتاج إلى مزيد من الدرس والاستقصاء .. تقول بياتريس دى كاردى فى كتابها « الدراسات والحفريات الاركيولوجية فى قطر حتى سنة ١٩٧٣ » :

« فى بلاد يشح فيها الماء ، الذى يشكل الإطار لشكل الحياة فإنه لا ينبغى لنا تصور العثور على آثار ضخمة . فالطبيعة القاسية فى قطر (قبل عصر النفط بالطبع) كانت الحياة تنقسم بين البادية والبحر . وهنالك بقايا مستوطنات من القرن الثامن عشر حيث توجد بقايا خزف وفخار من العراق والصين والهند قد ترجع إلى القرنين الثانى والثالث للميلاد » .

وتعتبر دى كاردى الفترة من سنة ٤٠٠٠ إلى سنة ٣٠٠ ق . م . فترة غموض تحتاج إلى دراسة فى تاريخ قطر .

وقد وجد كل من كابل (١٩٨٤) وهوكنز (١٩٨٤) فى مناطق الجساسية بالشمال الشرقى لشبه الجزيرة ، والفريحة بالشمال الغربى نقوشاً وحفائر فى الصخر ، لا نعرف مثيلا لها حتى اليوم خارج شبه جزيرة قطر ، قد تلقى ضوءاً على القرون الغابرة ، وتعطينا فكرة صحيحة عن البشر الذين عاشوا فيها عبر القرون .

ولا يظهر اسم قطر على شبه الجزيرة كلها على خريطة قبل الخريطة العثمانية فى القرن التاسع عشر .

ولعل هذا المقال فاتحة خير لاستقصاء أخبار قطر استقصاء علمياً مستفيضاً على هذه الصفحات أيضاً ..

درويش مصطفى الفار

عصـــام شـــريـــح

يهـــودَ أثـــيوبيـــا : مـــن أنتـــم ؟! ولمـــاذا تهـــجرون وطنكـــم إلى فلســـطين المحتـــلة ؟!

● طائفة الفلاشا تعاني في الكيان الصهيوني من التمييز العنصري .. على الرغم من ادعاء أفرادها أنهم من نسل سليمان !

● ظاهرة الصراع الطائفي في الكيان الصهيوني تستدعي من العرب التأمل والتفكير بعمق وتركيز غير عاديين

لقد كان أمراً مثيراً بالفعل ، ان يوافق مجلس الكونجرس الأمريكي في الثاني عشر من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي ، على تخصيص مبلغ مليونين ونصف المليون من الدولارات ، لانفاقها على تهجير يهود أثيوبيا السود ، والمعروفين باسم « الفلاشا » ، من وطنهم الحقيقي أثيوبيا ، إلى فلسطين المحتلة .. ولكن .. صدق أو لا تصدق ، فإن هذا ما حدث بالفعل ، وهو ما يحدث لليهود السوفييت الذين يهجرون وطنهم روسيا ، للانتقال إلى فلسطين المغتصبة أو إلى دول الغرب ، حيث خصص الكونجرس الأمريكي لهؤلاء أيضا ، مبلغ اثني عشر مليوناً ونصف المليون من الدولارات ! ! .. انه موقف يبعث على السخرية والمرارة في آن .. ولكن من هم اليهود الفلاشا هؤلاء ؟؟! .. ولماذا يجرى التركيز حالياً على تهجيرهم إلى فلسطين المحتلة ؟؟! .. أسئلة ، وأسئلة .. ولكن دعونا نبدأ الحكاية من أولها ..

الفلاشـــا

يعيش في أثيوبيا حالياً حوالى ثمانية وعشرون ألف يهودى ، يقطنون مجموعة من القرى ، تتركز حول العاصمة الامبراطورية السابقة « غوندار » الواقعة على بعد سبعمائة كيلومتر ، إلى الشمال من العاصمة الحالية « أديس أبابا » ، وأهم هذه القرى هى : واليكا — أمبوبر — تيدا ، ولهؤلاء اليهود كنيس واحد للعبادة موجود في قرية واليكا .

ويعرف يهود أثيوبيا ، أو يهود الحبشة ، باسم « فلاشا » Flasha ، ومعناها « المهاجر أو الغريب الذى يهيم على وجهه ، أو يدخل أرض غيره من الشعوب عنوة » ، كما يطلق يهود أثيوبيا على أنفسهم اسم « بنى اسرائيل » الحقيقيين ، لأنهم كما يزعمون ، ينحدرون من سلالة ملك اليهود القديم : سليمان .

أما الشخصية البارزة بينهم حالياً في اثيوبيا نفسها ، فهو المدعو حبيبي بيرهانو ، كما تلفظ باللغة الأمهرية ، أما باللغة العبرية ، فإن اسم هذا الشخص هو « يير بن يورى » Yair Ben Uri ، ولا يوجد بين يهود أثيوبيا حاخامات ، بل كهنة ، والكاهن الحالى يقيم في قرية أمبوبر ، وهو المدعو روفائيل أدانا ، وقد قدم هذا الكاهن اليهودى الأثيوبى نفسه لمراسل وكالة رويتر « بيرنرد إدنجر » الذى زار المنطقة في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٨٢ ، على أنه والد « يوسف آدانا » ، زعيم طائفة الفلاشا في « اسرائيل » .

أصل الفلاشا

ان قول اليهود الأثيوبيين بأنهم أحفاد سليمان ، هو مجرد زعم لا يمت إلى الحقيقة بصلة ، ومع أن هناك نظريات متعددة حول أصلهم ، فان أقربها إلى الواقع وأدناها إلى الفهم والعقل ، هى النظرية القائلة ، بأنهم أحباش أو أثيوبيون تهودوا وأن العناصر اليهودية الطارئة كانت قليلة ، وقد دخلت أراضي الحبشة مع الهجرات العربية قبل الميلاد ، وخاصة من جنوب الجزيرة العربية ، حيث انتشر الدين اليهودى بين بعض القبائل العربية قبل الاسلام . وتذكر بعض المصادر ، أن الاسرائيليين القدماء الذين اغتصبوا أرض كنعان (فلسطين) ، كان لهم نشاط تجارى في البحر الأحمر إبان تلك الحقبة التاريخية ، وقد وصلت سفنهم إلى بعض موانىء البحر الأحمر من الشاطىء الأفريقى الشرقى ، للبحث عن الذهب ، وربما كان هذا النشاط اليهودى عاملا من عوامل تعزيز الديانة اليهودية في بلاد الحبشة ، بيد أن

يهود أثيوبيا: من أنتم؟!

عدد اليهود الذى لم يتجاوز الستين (٦٠) ألفاً فى مطلع القرن الحالي ، والذين لا يتجاوز عددهم ثمانية وعشرين ألفاً حالياً ، من أصل ثلاثين مليون أثيوبى ، لا يوحي بأن الديانة اليهودية قد انتشرت فعلا وبشكل ملفت للنظر فى أثيوبيا أو الحبشة كما كان يسميها العرب . وقد حافظ اليهود الأثيوبيون على عقيدتهم الدينية ، ولم يختلطوا كثيراً بالأجناس الأخرى ، لأن أثيوبيا هى « متحف الشعوب » كما يسميها بعض علماء الأنثروبولوجيا ، حيث تحافظ كل وحدة عنصرية من الساميين إلى الحاميين ، على نقائها الدموى وصفائها السلالي ما أمكنها ذلك ، ويشير « ايرنست لوثر » فى كتابه « أثيوبيا اليوم » ، إلى تعدد الأجناس واللغات والممالك والعصبيات فى تلك البلاد ، وهو ما حدا بالعرب إلى إطلاق اسم الحبشة عليها ، ومعناها البلاد ذات الأجناس المتعددة ، أو البلاد ذات الخليط من الأجناس ، وهو ما دفع بحكام أثيوبيا اليوم ، إلى إلغاء اسم الحبشة ، والأخذ باسم « أثيوبيا » ومعناها الوجه المحروق » .

أسطورة سليمان وماكيدا

أما بالنسبة لمزاعم اليهود الفلاشا ، من أنهم أحفاد سليمان ، فإن ذلك نابع من أسطورة سليمان وملكة سبأ .

ويدور سيناريو هذه الأسطورة ، حول ملكة سبأ المزعومة ، والتى يسمونها باسم « ماكيدا » ، ويقولون بأنها كانت تحكم فى أراضي إقليم إريتريا ، ويقول الأحباش ، إن هذه الملكة ، هى نفسها التى اطلق عليها العرب اسم الملكة بلقيس . وتشير الأسطورة إلى أن سليمان ملك اليهود القديم ، استقبل الملكة « ماكيدا » هذه فى القدس المحتلة حوالى عام ألف قبل الميلاد . ويروى « فتحي غيث » فى كتابه « الاسلام والحبشة عبر التاريخ » ، أن كثيراً من المراجع القديمة ، روت ما حدث بين ماكيدا أو بلقيس والملك اليهودى سليمان ، من مناورات انتهت بزواجهما ، وأن هذا الزواج قد أسفر عن إنجابهما ولداً أطلقا عليه اسم منليك ، وتقول الأسطورة ، ان بلقيس أرسلت ابنها المزعوم منليك بعد أن أصبح شاباً ، إلى والده سليمان ، الذى فرح به وجعله ملكاً على الحبشة ، وتشير مصادر أخرى إلى أن منليك عاد من بيت المقدس مع عدد من أنصاره اليهود إلى أمه بلقيس فى إريتريا ، حيث فرحت هذه به ، وتنازلت له عن العرش ، وتوجته ملكاً بدلا منها .

بيد أن ما يثير العجب فى هذه الأسطورة ، التى أصبحت جزءاً من المعتقدات الحبشية ، أنه تم تسجيلها فى كتاب « مجد الملوك » الذى يقدسه الأثيوبيون ، وقد عمد واضع هذا الكتاب إلى الاعتماد على بعض القصص والأساطير اليهودية الواردة فى التوراة (المحرفة) ، ويقول « ادوارد ألندورف » ، فى كتابه « الأثيوبيون » : « ان أسطورة سليمان وماكيدا ، كانت خلال عصور متطاولة ، مجالا للمبالغات والاضافات الخيالية فى الحبشة وغير الحبشة ، ولابد أيضاً أن تكون مختلف القصص والأساطير ، وقد انصهرت مع بعضها البعض ، على تلك الصورة المتواترة ، وعندما جاء أوان تسجيلها فى القرن الثالث عشر ، غلبت على الكاتب رغبته فى تأييد دعوى الأسرة السليمانية الحديثة العهد بالسلطة فى الحبشة ، والتمكين لها فيما تطمع فيه من قوة ومنعة ، وكانت مهمة المؤلف « نيبورا أديشاق » . (Nebura Ed Yeshag) ، أقرب الى تسجيل أساطير متواترة منذ أمد تحليلها أو إمعان التفكير فيها ، من أجل استخلاص حقيقتها » ، وبمعنى آخر ، فإن أسطورة سليمان وماكيدا هذه ، التى يتمسك بها يهود أثيوبيا ، لاثبات مزاعمهم حول انتمائهم إلى اليهود القدماء الذين اغتصبوا أرض الكنعانيين العرب ، إنما نشأت فى القرن الثالث عشر ، لتثبيت أقدام الأسر المالكة فى أثيوبيا ، التى أخذت تفخر بأن أصلها يعود فى تسلسله إلى سليمان ملك اليهود ، وهذا الأمر إن دل على شيء ، فعلى افتقار المجتمع الفسيفسائي فى الحبشة « متحف الشعوب » ، إلى تاريخ حقيقى يعتد به . وان مما لاشك فيه أن أسطورة سليمان وماكيدا ، كانت وراء اللقب الذى كان آخر ملك حكم الحبشة قبل الانقلاب العسكرى الذى أطاح بعرش الامبراطور هيلاسي لاسي فى عام ١٩٧٤ ، حيث كان النجاشي هيلاسي لاسي يلقب نفسه « بأسد يهوذا » .

وضع الفلاشا فى الكيان الصهيوني

فى أواخر شباط (فبراير) الماضى ، عثرت الشرطة الاسرائيلية ، على جثة يهودي فلاشي يدعى بيرهانى بادهانا (٣٤ عاماً) ، مشنوقاً على شجرة فى الحديقة العامة ببلدة عسقلان الساحلية فى جنوب فلسطين المحتلة ، وقد كشف حادث الانتحار هذا بوضوح ، الظروف المأساوية التى يعيش فيها يهود أثيوبيا ، المهاجرون إلى الكيان الصهيوني ، والذين غررت بهم الدعايات والأكاذيب الصهيونية ، كما كشفت هذه الحادثة عن خيبة الأمل التى أصابت غالبية اليهود الفلاشا فى « أرض الميعاد » المزعومة . وكان بيرهاني ، الذى وصل إلى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٧٨ ، ما يزال يعيش قبل إقدامه على الانتحار ، فى أحد مراكز استيعاب المهاجرين اليهود ، وقد تم العثور فى حجرته على رسالة مقتضبة ، مكتوبة بلغة عبرية رديئة ، وفيها يقول : إنه قرر الانتحار « لأن الحياة قاسية للغاية فى اسرائيل ، ولأنه لم يجد له عملا » . وفى الواقع فإن اليهود الفلاشا الذين لا يتعدى عددهم فى الكيان الصهيوني عشرة آلاف شخص ، والذين بدأوا بالهجرة إلى فلسطين ، فى أعقاب اغتصابها على يد الصهاينة فى عام ١٩٤٨ ، يواجهون تمييزاً عنصرياً بشكل لا مثيل له من اليهود الآخرين ، بسبب لونهم الأسود وما يوصف بتخلفهم الاجتماعى والثقافي والحضارى ، فقد شخص أحد اليهود الغربيين (البيض) واسمه « زفاي أيال » ، وضع اليهود الفلاشا فى « اسرائيل » ، بقوله : « ان اندماجهم فى « المجتمع الاسرائيلى » ، يطرح مشكلات ضخمة للغاية » ، ويضيف : « انهم إخواننا ، ولكنهم يصلون من الأحراش الأثيوبية التى عاشوا فيها ، وسط ظروف من الفقر المدقع ، وهم يجهلون تماماً ما هو الباب والنافذة ، أو الشوكة والملعقة ، أو حتى الكهرباء وأبسط القواعد الصحية » .

وقد جاهر زعماء طائفة الفلاشا ، بما يلقونه من تمييز عنصرى ، وذلك فى اجتماع عقده وزير التعليم الاسرائيلى رفولون هامر مؤخراً مع هؤلاء ، الذين أبلغوه أن نظريتهم فى الصهيونية ، مبنية على أساس مجيء « المسيح المنتظر » (اليهود ينكرون كون عيسى بن مريم هو المسيح وينتظرون مجيء مسيح من اليهود على حد ادعائهم) ، وأنهم لا يريدون سوى العيش فى القدس انتظاراً لمجيء « المسيح المنتظر أو مخلص الشعب اليهودى » ، وقالوا للوزير الاسرائيلى بصريح العبارة ، إنهم يتعرضون للتفرقة العنصرية من اليهود الآخرين بسبب لونهم الأسود .

وهناك صورة أخرى تفضح واقع التمييز العنصرى الذى يواجهه يهود أثيوبيا فى « كيان الشعب المختار !! » . فقبل بضعة شهور ، تسلح سكان أحد الأحياء بمدينة صفد الواقعة بمنطقة الجليل الأعلى بشمال فلسطين المحتلة ، تسلحوا بالعصي والهراوات ، للاحتجاج بالقوة والعنف ، ضد إسكان بضع عشرات من أسر طائفة الفلاشا ، الذين خصصت لهم السلطات الاسرائيلية ، مجموعة من المباني السكنية بالقرب من هذا



مركز هجرة لليهود
«الفلاشا» في اثيوبيا

الحبي . وقد برر « موشى روز نسفايح » الذى كان يقود المعارضة لاسكان اليهود الفلاشا بمدينة صفد ، برر معارضته هذه بقوله : « إننا لا نريدهم ، حتى ولو كانت الحاخامية تعترف بأنهم يهود » وأضاف : متسائلا : « هل رأى أحد يهوداً سوداً من قبل ؟ . ثم إنهم يعبدون ملكة سبأ » .

وتقول المرشدة الإجتماعية الاسرائيلية « أهوفا الكوبي » ، التى عملت لفترة فى رعاية سبعين أسرة ومائة وثمانين طفلا من اليهود الأثيوبيين فى بلدة عسقلان الساحلية ، إنها أصيبت بالرعب منهم ، حييث لم تكن تعرف كيف تتصرف معهم ، فهم لا يريدون لبس الأحذية ، ولا يعرفون كيفية استخدام الأواني المنزلية ، وتصفهم بأنهم متأخرون عشرين قرناً عن اليهود الآخرين ، وأنهم يصابون بصدمة ثقافية لدى وصولهم إلى فلسطين المحتلة .

وقد عبر أحد اليهود الأثيوبيين عن واقع التمييز العنصرى ، الذى يلاقيه أبناء طائفته ، فقد قال « يهودا بن سالومون » وهو يعطي صورة عن استيائه من مصيره فى الكيان الصهيونى : « إن أصعب ما واجهنى لدى وصولى إلى « اسرائيل » . هو ادراكي للوني الأسود ، الذى لم أقم له وزناً من قبل » .

ومن المهازل التى واجهها اليهود الفلاشا أن اخووانهم اليهود البيض قد فرضوا حظراً قاسياً على الزوواج المختلط بينهم وبين الفلاشيين والفلاشيات ، مما دفع بأحد الفلاشيين إلى القول بعد أن رفضوا زواجه من فتاة يهودية من غير طائفته : « لقد رفضت فى الحبشة ، لكوني يهوودياً ، وهأنذا أرفض هنا فى « اسرائيل » مع أنني يهوودي ! ! » .

ومن المهازل أيضاً ، أن الحاخامية فى « اسرائيل » ، رفضت الاعتراف باليهود الفلاشا لأكثر من عشرين عاماً ، ولم تصدر فتواها بأن الفلاشا هم يهود ، وانهم ينحدرون من أحد الأسباط (القبائل) العشرة المفقودة ، إلا فى مطلع السبعينيات . وقد قالت الحاخامية فى تلك الفتوى ، إن بإمكان اليهود الفلاشا ، الإقامة فى اسرائيل ، بموجب هذه الفتوى ، واستناداً إلى ما يسمى « بقانون العودة » .

أسباب قبولهم

إن من الثابت ، أن اليهود الفلاشا ، هم أحباش تهودوا ، فى ظروف تاريخية معينة ، ويستدل علماء الأنثروبولوجيا على ذلك بالتشابه ، بل بالتطابق فى الصفات الجسمانية واللون وغير ذلك ، بين الفلاشا ومواطنيهم الأثيوبيين من مسيحيين ومسلمين ، وهذا الواقع بحد ذاته ، كاف لاسقاط مزاعم الحركة الصهيونية ، حول نقاء الدم اليهودي ، واعتبار اليهود عنصراً واحداً بصرف النظر عن أوطانهم المختلفة .

ويهود أثيوبيا إلى ذلك ، يتكلمون باللغات الأفريقية السائدة فى بلادهم ، وتقتصر معرفتهم باللغة العبرية ، على بضع عبارات وكلمات ، والتوراة التى بحوزتهم ، مكتوبة باللغة الجعجزية – وهى لغة سامية ، انتقلت إلى الحبشة ، مع زحف القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة على مدى أجيال متباعدة فى موجات متعاقبة ، ومعها دخلت لغاتها ولهجاتها التى كان أقدمها شيوعا لغة الجعيز ، وهذه التسمية موروثة من قبيلة يمانية يدعى أفرادها « الأجاعز » ويضاف إلى ما تقدم أن الفلاشا لا يعرفون شيئاً عن الكتب اليهودية الدينية الأخرى مثل التلمود ، كما أنهم أصبحوا فى السنوات الأخيرة يشكلون مشكلة عنصرية فى الكيان الصهيوني ، تضاف إلى المشاكل الطائفية والعنصرية الأخرى بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين .

وازاء ذلك كله ، يطرح سؤال هو : لماذ تسمح سلطات العدو الصهيوني ، بل وتسعى بكل ما أوتيت من جهد ، لتهجير هؤلاء اليهود الأثيوبيين من وطنهم الأصلي والحقيقي إلى فلسطين المحتلة ؟؟!

فى الواقع ، سيطر التردد على السلطات الاسرائيلية فى الستينيات والسبعينيات ، حول تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا إلى فلسطين المحتلة ، بسبب المشكلة العنصرية التى بدأت بالبروز مع قدوم أول فوج من هؤلاء فى مطلع الخمسينيات ، حيث كان هؤلاء يمثلون جيشاً من الأميين القادمين من مجتمعات رعوية وزراعية شبه بدائية . بيد أن سلطات العدو غيرت رأيها ، وخرجت من ترددها ، وبذلت وما تزال تبذل أقصى جهودها لاستقدام اليهود الفلاشا إلى الكيان الصهيوني ، وذلك لسببين :

الأول : هو نضوب مصادر الهجرة اليهودية ، بل وتحول معظم المهاجرين السوفييت إلى الغرب سواء إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو دول أوروبا الغربية ، وعزوفهم عن الهجرة إلى « اسرائيل » .

والثاني : هو حاجة « اسرائيل » إلى جنود وعمال ، حيث يتم إسكان اليهود الأثيوبيين فى المستوطنات الحدودية فى الضفة الغربية أو فى قطاع غزة المحتلين ، وحيث تشكل هذه المستوطنات حزاماً أمنياً ، يقوم على حراسة اليهود البيض ، المنحدرين من أصول أوروبية ، والذين تتركز كثافتهم فى المدن والمستوطنات الداخلية ، من جهة ، وحيث تكون مهمة هذه المستوطنات التى يقيم فيها الفلاشا وغيرهم من اليهود السود والشرقيين ، امتصاص الصدمة الأولى ، فى حال قيام العرب بهجوم على « اسرائيل » ، يضاف إلى ذلك أن اليهود السود والشرقيين بشكل عام السفاراديم يمكن استخدامهم فى الأعمال اليدوية ، التى يأنف اليهود الغربيون (الاشكناز) من العمل فيها .

وعلى أية حال ، فإن مشكلة اليهود الفلاشا فى الكيان الصهيوني ، هى دليل اضافي على استفحال أزمة الصهيونية ، التى تشكل النعرات العنصرية جوهر مبادئها وعقيدتها ، وهذه المشكلة ، التى هى جزء من أزمة حقيقية أخذت تضغط على عنق الكيان الصهيوني مؤخرا ، ألا وهى أزمة الصراع الطائفي فى « اسرائيل » ، نقول إن هذه المشكلة ، تستدعي منا نحن العرب ، التأمل والتفكير .. وبعمق وتركيز غير عاديين .

عصام شريح



فصول أبي البهاء في أيام العسر

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

قال لي أبو البهاء عند مالقيته آخر مرة ، وفي لهجته بعض الجفاء :
ـ قرأت الفصول التي ما تزال تكتبها عني ... وأراك زدتها بعض الشيء .
سألته : زدتها بماذا ؟
قال : خلقت مني شبه أسطورة ... كأني اللص الشريف الذى يسلب الأغنياء ليطعم الفقراء ، أو الذى يعرض نفسه للخطر لينتصف للضعفاء من الظالمين .

فابتسمت للهجته الجافية وقلت : حتى اذا لم يكن فيك شيء من خصال اللص الشريف ، فما أظن مقارنتك به تزعجك .

قال : بلى ، إنها تزعجني . أمس جاءني شخص لا أعرفه مدفوعا بهذا الذى أذعته عني وصورتني به . جاء يرجوني كي أتدخل فى حل مشكلة له منزلية : حماته التى أتته زائرة لأيام قليلة ، استمرأت الاقامة عنده ، فانتهى الشهر ولم تفارقه . طلب مني أن أجد له طريقة يرحلها بها من داره دون أن يكون فى الترحيل مايشي بضيقه من إقامتها أو مايثير نقمة زوجته عليه .

ضحكت وقلت : يمكنك بهذا أن تفتح مكتبا لترحيل الحموات من منازل الأصهار ، ولحل المشاكل المشابهة . وهل لبيت رجاء الرجل ؟

قال : لم أفعل . قلت له إني لو أردت التدخل بواحد من فصولى لجعلته هو ، الصهر ، ضحية الفصل . الأصهار هم المسؤولون عن العداء التقليدى بين الزوج وأم زوجته . وأنا رجل أحب كل الحموات لأنى أحب حماتى وهى تحبنى ، ولا مانع عندى لو بقيت فى منزلى قدر ماتشاء .

قلت : عاطفتك مشكورة يا أبا البهاء . وسأتطوع لأبلغها السيدة أم زوجتك فى أول ما ألقاها .

قال : بعد عمر طويل ، فهي قد سكنت المقبرة الشرقية منذ عدة سنوات . ليس هذا المهم . المهم أنى لست الرجل النزيه المتجرد الذى تصوره فيما تكتبه عني .

قلت : ماذا تعني ؟

قال : بعض فصولى لم أقم بها الا لفائدتي الشخصية ، وما باليت إن كان ضحاياها أبرياء لايستحقون ما أنزلته بهم .

فسألته ، وأنا أتوقع أن عنده حكاية يريد أن يفضي بها الي : مثلا ؟

قال : مثل فصلى مع السيد عبد الهادى والشيخ صادق . انسانان كانا في عسر مادي يبحثان عن فرج له ، ولم أرحمهما حين لقيتهما . لقد كنت أنا كذلك فى عسر مادي آنذاك .

قلت : أما تروى لي فصلك معهما ؟

أجاب . سأرويه لك ، لا لأتبجح أمامك بلطف حيلتى فيما أريده ، بل لتعلم أن لى مثل غيرى معايبى المعدودة .

قلت : كفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، هكذا قال الأقدمون . تفضل واخبرني بفصلك هذا الذى لم يبلغ علمي قبلا .

فهز رأسه كأنما يستجيب لي كارها ، ومضى يقص على الفصل .

° ° °

قال :

ـ حدث هذا فى أيام العسر كما ذكرت لك . كنت فى فترة إفلاس حاد حين رأيت ، فى مساء يوم من تلك الأيام ، صديقى المزارع سليمان الذى كان قادما لتوه من بلدته . سألنى عن حالى فأخبرته أن الجيب خاو حتى من ثمن علبة دخان ، وأنى فوق ذلك ، فى تلك اللحظة ، جوعان . وأضفت أقول : لابد أنك جائع مثلى ، فتعال نتعش معا ، وعلى حسابك . ضحك سليمان وجرنى من موقفنا الى زاوية قريبة وقال :

ـ أنا على موعد . ولكنى أدلك على من يدعوك الى العشاء ، ويشترى لك علبة السكاير التى تشتهيها ، واذا أحسنت التصرف تستطيع أن تضمن لنفسك معه ترف يومين أو ثلاثة .

فسألته : ومن هذا الكريم الذى يتكفل لي بكل هذا ؟

فأشار بيده الى المقهى القريب ، والى رجلين في ثيثياب بدوية على إحدى طاولاته ، منكبين على أوأوراق أمامهما ، وقال :

ـ هذان رجلان من جماعتنا ، السيد عبد الهادى والشيخ صادق . إنهما ، مثل كل أهل بلبلدتنا .. غفل ولكنهم طيبون . وهما في أزمة ربما استطعت أنت أن تحلها لهما وتقبض أجرك .

سألته : أي أزمة ؟

أجاب : أزمتنا جميعا نحن مزارعي القطن . استحقت علينا ديون للبنوك وموسمنا في هذا العام تأخر قطافه ، فجئنا نبحث في مدينتك الكبيرة عمن نبيعه قطننا سلفا . ليس أمامنا غير أصحاب الخانات من التجار الجشعين . إنهم مستعدون أن يدفعوا لنا نقدا اليوم ثمن القطن الذى نسلمهم إياه بعد شهر ، ولكن بسعر يقل كثيرا عن سعره الحقيقى . هذا سبيلنا الوحيد لتسديد الديون المستحقة علينا الآن .

قلت لسليمان : وما شأني أنا بكل هذا ؟

قال : أعطيتك رأس الخيط ، ولك أنت أن تتصرف بما تشاء . سأتركك لئلا تقع أعيننا على معلك فتفسد طبختك ، اذا أردت أن تطبخ شيئا ..

ولم ألبث في مكاني طويلا بعد أن انصرف صاحبي . دخلت المقهى وجلت بين موائده وأنا أدير النظر ، كمن يبحث عن شخص بعينه ، حتى وقفت على الطاولة التى جلس حولها الرجلان المشار اليهما . كانا منصرفين الى تقليب الأوراق بين يديهما ويتجادلان بصوت مسموع . ولما انتبها الى قيامي بجوارهما ورفعا رأسيهما الي بادرتهما بالسؤال قائلا :

ـ أظنكما من بلد السيد سليمان الحاج أحمد ، وتعرفانه .

قال أحدهما : من أدراك بهذا ؟

قلت : لهجتكما مثل لهجته وبلدكما صغير ، فلا بد أن تكون لكما به معرفة .

فرد الآخر قائلا : تقديرك في محله . لماذا تقف هكذا ؟ تفضل واجلس معنا . ماذا تريد من سليمان ؟

فتظاهرت بالتردد قبل أن آخذ مجلسي الى جانبهما وأجيب على السؤال بقولي :

ـ إني أريد خيره وهو يتهرب . عندى له مشروع يجني منه الخير الكثير . لو كنت أعرف أحدا من بلدتكما غيره لصرفت اليه المشروع واسترحت .

قال الذى اسمه الشيخ صادق ، كما عرفاني بنفسيهما بعد ذلك :

ـ إن كان الأمر يتعلق ببلدتنا فنحن أبناؤها . نستطيع أن نفيدك بما يفيدك به سليمان الحاج أحمد وأكثر منه .

قلت : لعلها ساعة مباركة التي جمعتني بكما . هل سمعتما باليونيسكو ؟

فتلاحظ الرجلان فيما بينهما دون أن يجيبا . كانا يعرفان القراءة والكتابة دون شك ، ماداما يتدارسان الأوراق المبسوطة أمامهما . الا أن مظهرهما لم يكن ينم على أن معرفتهما تصل الى العلم بأسماء المؤسسات الدولية ومهماتها ، في ذلك الزمن البعيد حين لم يكن اسم اليونيسكو على كل لسان .

وتابعت أنا سؤالي بقولي :

ـ اليونيسكو واليونيسيف والوهو ، أعني الورولد هيلث اورغا نيزيشن ؟

فبدا على الرجلين أن حيرتهما ازدادت بسماع هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها عندهما من سلطان . ومد لي أحدهما يده بعلبة سكائره فأزحتها عني بترفع وقلت :

ـ لي سكائرى الخاصة التي لا أغيرها .

وتظاهرت بأني أبحث عن علبة لفائف في جيبي وأضفت : يظهر أني نسيتها في المنزل . لا بأس . سيمر البائع وأشترى غيرها . أعود الى اليونيسكو . إنها مؤسسة عالمية ذات رأسمال كبير ، بالملايين ... لا ملايين ليراتنا الهزيلة ، بل ملايين الدولارات . وهى تبحث عن أعضاء لها في العالم الثالث ، أعني في مناطقنا . أنا معاون مندوبها الأمريكي في الشرق الأوسط . سجلنا ما يكفينا من أعضاء في كل المناطق الا منطقة واديكم التى نحتاج فيها الى عدد من المنتسبين أقله خمسة آلاف وأكثره عشرة آلاف . صاحبنا سليمان الحاج أحمد تعهد بأن يسجل لى هذا العدد . ليس مجانا ، بل بالأجر . ولكن الرجل رفس نعمته ، وها أنا أبحث عنه منذ يومين ولا أجده .

وهنا سألني السيد عبد الهادى بفضول : وكم تدفعون لسليمان على هذا ؟

قلت : ندفع على الاسم المسجل . ليس مبلغا كبيرا ، ولكنه مع الكثرة يصبح مقبولا ... عشر ليرات عن كل اسم .

وتلاحظ الرجلان مرة أخرى ، ولكن بحدة ممزوجة بالاستغراب ، وقال الشيخ صادق بلهفة :

ـ عشر ليرات عن كل اسم .. وعشرة آلاف اسم ؟ ماهى شروط التسجيل ، وكيف يكون الدفع ؟

فتشاغلت مرة أخرى بالبحث عن علبة دخاني الموهومة في جيبي ، ثم قلت :

ـ الصحيح أني لا أستطيع الكلام اذا لم اشعل سيكارة . اين هذا البائع الملعون ؟

قال السيد عبد الهادى : انه هناك قرب المدخل . قل لي ماهو نوع سيكاراتك لأحضر لك علبة منها . لا والله .. لاتمد يدك الى جيبك ، فلن تدفع أنت ثمنها . أنت ضيفنا يا ... يا ...

قلت مستدركا : لا تؤاخذني ... لم أعرفكما بعد بنفسي . أنا جورج ب . سمعان ، معاون المدير العام المستر غولد سميث ، مندوب منظمة اليونيسكو العالمية الى البلاد النامية في الشرق الأوسط ...

وكان أول القطر أن دخلت جيبي علبة السكاير التى اخترتها من أغلى صنف . وبعد أن أشعلت أول سيكارة أجبت على استفهام صاحبى عن التسجيل وطريقة الدفع بأن ذلك يكون على مرحلتين . المرحلة الأولى : مرحلة تسجيل الأسماء في قوائم خاصة ، وعند تسلمى تلك القوائم كاملة يجرى دفع ربع المبلغ . أما المرحلة الثانية : فتكون بتوقيع أصحاب الأسماء شخصيا كل حذاء اسمه في القوائم ، مع بيان قيد نفوسه في سجل الأحوال المدنية ووضع خاتم الادارة الرسمية المسؤولة عن هذا القيد ، وعند تمامها تدفع بقية العمولة . وأضفت :

ـ هذه هي النعمة التى رفسها سليمان الحاج أحمد برجله ، وفى نفس الوقت أساء الى بتأخيرى عن إنجاز مهمتى في الفترة المحددة لها .

قال الشيخ صادق بحماس : ولا يهمك يا أستاذ جورج . من يكون سليمان الحاج احمد ؟ معرفته بأهل منطقتنا لن تساعده بأن يأتيك بأكثر من مائتى اسم . اذا كنت مضطرا فاني والسيد عبد الهادى قادران على أن نأتيك بالآلاف العشرة من الأسماء كاملة .

فتساءلت ، بلهجة الشاك : مرفقة بالتوقيع وقيد النفوس والخاتم الرسمي ؟

قال الاثنان معا : نعم . مرفقة بالتواقيع وقيد النفوس والخاتم الرسمى !

فتصنعت الابتهاج بما سمعت وقلت : لا أكاد أصدق . ولكن يبدو عليكما أنكما رجلان جادان ، ولستما كالخبيث سليمان ...

ثم سكت لحظة قبل أن أضيف : أرجو أن تعذراني الآن . حان موعد عشائى ، وليس من عادتى أن أتأخر فيه . نلتقى غدا في هذا المكان ، الساعة التاسعة صباحا ، لنتم ترتيباتنا في الموضوع . عليكما أن تراجعا نفسيكما وتعلما أننا لانقبل بأقل من خمسة آلاف اسم ، ولا ندفع أكثر من عشر ليرات عن كل اسم .

وتلاحظ صاحباي من جديد قبل أن يقول أحدهما : ولماذا غدا ؟ أنا وابن عمى نرجوك أن تقبل دعوتنا للعشاء . نستطيع أن نتم حديثنا على



فصول أبي البهاء في أيام العسر

المائدة ، وخير البر عاجله كما يقول المثل .

وتناولت عشائي مع السيد عبد الهادى والشيخ صادق فى مطعم تركا لي اختياره ، فانتقيته بين المطاعم المتوسطة عن عمد . وحسنا فعلت . ففى الساعتين اللتين قضيتهما فى صحبة هذين السيدين علمت كثيرا عن الأزمة التى ألمح لى بطرف منها صديقى سليمان الحاج أحمد ، والتى كان واقعا فيها كل مزارعى القطن فى منطقته ومنطقتهما . وعلى الرغم من تظاهرهما أمامي بيسر الحال فان تصرفاتهما وبعضا من أحاديثهما دلتني على أنهما من ناحية خواء الجيب لا يبعدان عنى كثيرا فى الحاضر ، وأنهما مرشحان لما هو أسوأ فى المستقبل . قال الشيخ صادق :

ــ تصور يا أستاذ جورج .. هذا الرجل الذى اسمه الحاج عادل ، والذى له خانه الكبير فى محلة باب الحديد ! لقاء سلفة من الليرات لاتكاد تكفى نفقات يومين فى هذه المدينة ، طلب منا أن نوقع تعهداً بتسليمه طنين من القطن عند القطاف ، أعنى بعد شهر واحد ، فى حين ان ثمن الطنين يبلغ ضعف هذه السلفة . لما احتججنا وقلنا له إن هذا ربا مضاعف ، لايرضى به رب العالمين ، عنفنا وقال إننا ننسى أنه حج الى البيت العتيق وأنه طاف حول الكعبة سبعة أشواط متتالية وهو يسأل الله أن لايدخل فى جوفه مقدار خردلة من المال الحرام ! ثم أضاف ان الربا هو أن يأخذ الانسان فائدة على المال من جنسه ، أما هذه فعملية شراء أحلها الله والشرع . وقعنا ، ياسيدى ، وقبضنا ... كنا فى حاجة الى السلفة ريثما نهتدى الى من يعطينا بفائدة أقل من فائدة الحاج عادل ، وربما بأكثر منها ، سلفة ننقذ بها أنفسنا من تهديد البنوك لنا بحجز أموالنا المنقولة وغير المنقولة ... ويفرجها ربنا على كل حال !

وزاد السيد عبد الهادى على حديث رفيقه بتفصيلات وتعليقات أحزنتنى وقطعت قلبى شفقة على جليسي هذين وعلى أمثالهما من ضحايا سوء موسم القطن هذا العام . كدت أندم على ما ابتززته منهما فى هذه الليلة ، الا انى عزيت نفسى بقولى لهما إنى على كل حال أرأف بهما من الحاج عادل وأمثاله ، وانى لقاء علبة لفائف وعشاء بسيط سقت اليهما أملا سيملأ ليلتهما أحلاما جميلة . وافترقنا لموعد عند ظهر اليوم التالى ، على أن أحضر لهما أوراقا معدة للمئها بأسماء المرشحين للانتساب الى اليونيسكو ، وعلى أن يكون اللقاء فى بهو فندق بارون الذى كان أفخم فنادق المدينة فى ذلك الحين .

هل تظننى تهربت من لقاء هذين الرجلين الطيبين فى اليوم التالى ؟ ليس التراجع من عادتى فى هذه الأمور ، لاسيما ان صاحبي الماكر سليمان أغرانى فى ما يشبه التحدى بأن أعيش يومين أو ثلاثة على حسابهما . كان موظفو فندق بارون يعرفوننى حق المعرفة ، فلم يعجزنى أن ألقنهم مايفعلونه اذا سألهم سائلان يرتديان الثياب البدوية عن المدعو جورج ب . سمعان . ولا أطيل عليك . لولا أحاديث الليلة البارحة ، التى كسرت قلبى ، عن هموم المدينين للبنوك وعن كوارث دودة القطن والجفاف وتأخر القطاف وعن جشع أصحاب الخانات واستغلالهم للمزارعين المساكين ، لما اكتفيت من السيد عبد الهادى والشيخ صادق بما اكتفيت به منهما ... وجبة غداء دسمة فى مطعم الفندق الارستقراطى ، وعلبة سيكارات واحدة من ذلك النوع المفتخر . لقاء هذا غادر صاحباي الفندق وفى حوزتهما طبقة من أوراق الكتابة الناصعة البياض تكفى لاستيعاب خمسة آلاف اسم على الأقل من أسماء المواطنين فى منطقتهما ، سيعودان بها فى اليوم التالى ليقبضا لقاءها اثني عشرة ألف وخمسمائة ليرة عدا ونقداً ، هى استحقاقهما من العمولة فى المرحلة الأولى من مشروعنا !

كيف تخلصت منهما فى اليوم التالي ؟ لم تكن تلك مشكلة . حين عادا فى موعدنا ذلك اليوم تلقاهما رئيس كتبة الفندق معتذرا عنى بأن برقية مستعجلة جاءت من مقر اليونيسكو جعلتنى أغادر المدينة فى المساء الفائت . وبما انى لا أعرف للسيدين الكريمين عنوانا فانى لم أتمكن من الاعتذار اليهما شخصيا ، وكلفت رئيس الكتبة بان يبلغهما أسفى لهذا الظرف القاهر راجيا أن يعتبرا اتفاقنا لاغيا من أساسه . كما كلفته أن يبلغهما بتحذيراتى لهما من أن يسلما ذقنيهما للحاج عادل وأمثاله من أصحاب رؤوس الأموال الجشعين .

هذا ياصاحبى هو الفصل الذى أحببت أن أرويه لك . لا ألومك اذا اعتبرته منى فصلا دنيئا . ولكنى قصصته عليك عن عمد لترويه لقرائك كى يدركوا بأن حقيقتى لاتنطبق تمام الانطباق على الصورة الأسطورية التى دأبت أنت على تصويرى بها . ما رأيك ؟

• • •

استمعت مطولا الى أبى البهاء ، وهو يروى حكايته ، دون أن أقاطعه بكلمة . وحين سألنى رأيى فى فصله هذا لم أملك الا أن اسأله بدورى وأنا أبتسم :

ــ كم تكلف صاحباك عليك فى هذين اللقائين اللذين جمعاك به ؟

فراح أبو البهاء يستعيد فى ذهنه تفاصيل مصروفهما فى ذينك اليومين ، ثم قال :

ــ لاتنس أن هذا حدث منذ ما يقارب ثلاثين عاما . كان لليرة قيمتها آنذاك . ربما بلغ ما أنفقاه مائتى ليرة ، اذا خصمت منها ما أكلاه هما وشرباه تجد أنى لم أكلفهما أكثر من خمس وستين ليرة .

قلت : حسنا . اذا كانت فعلتك بذينك المسكينين تخز ضميرك حقا فأنا من ناحيتى أجد بالعكس أنك أحسنت اليهما . لعل صاحبك سليمان التقى بهما وعرفهما بمن سخر بهما .

قال : صحيح . أخبرته بما جرى عندما اجتمعت به ، ولقيهما هو بعد ذلك فأخبرهما بحقيقة الأستاذ جورج ب . سمعان .

قلت : اذا كان من لوم فهو على صديقك ذاك ، سليمان الحاج أحمد . أما أنت فقد لقنت هذين الغرين الساذجين ، القادمين من البلدة الصغيرة ، درسا فى الحذر من أحابيل سكان المدينة الكبيرة وأساليبهم فى الاحتيال . ما أرخصه من درس ما دام لم يكلفهما غير خمس وستين ليرة ...

فتطلع الي أبو البهاء بنظرة طويلة قبل أن يقول :

ــ هكذا اذن ؟ ! أراحك الله كما أرحتنى من تأنيب ضميرى . إنك تشجعنى على مثل هذه الفعال ، وعلى أن أوزع حكمتى على الناس ، اذا لم يكن بالمجان فبأرخص الاثمان ! أستودعك الله إذن .

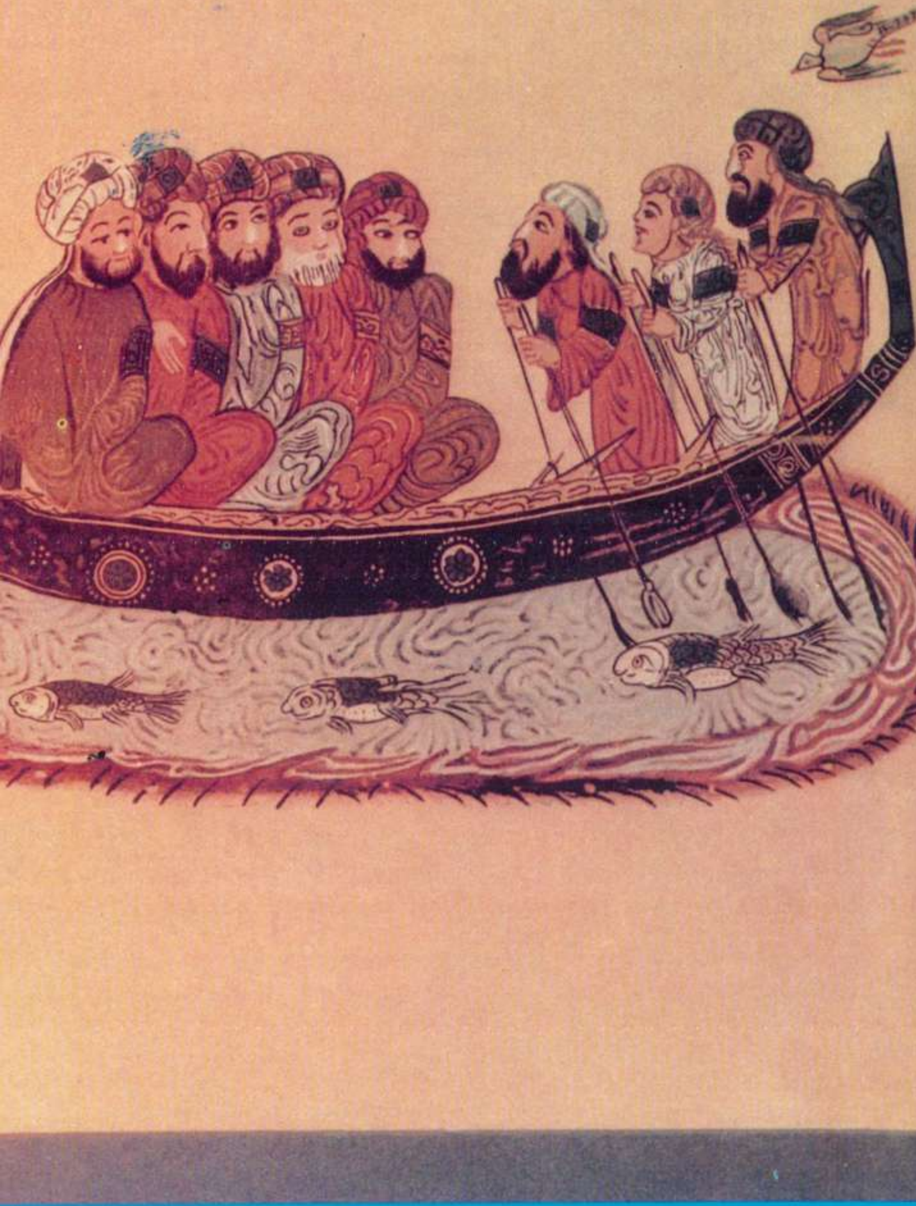
وافترقنا وأنا لا أدرى أهو جاد فى مايقوله ، أم انه كان يسخر منى سخريته من المسكينين ، الشيخ صادق والسيد عبد الهادى ...

عبد السلام العجيلى

الرقة ــ سورية

عجائب بحر الهند

بقلم : الدكتور أنور عبد العليم



لوحة من مقامات الحريرى (القرن الثالث عشر الميلادى) لرحلات البحارة العرب إلى بحر الهند ، تلك الرحلات التى كانوا يتعرضون أثناءها لمخاطر وأهوال رهيبة !

- عندما يحس راكب السفينة أنه يسير في بحر من النار
- منذ أكثر من ألف سنة كان للعرب وجود قوي في موانئ الصين
- مواقف تبعث على الخوف والرهبة في عرض المحيطات
- سلاحف عملاقة كالدبابات تقف في صف واحد لمواجهة أي عدوان بشري



نموذج من السفن البحرية العربية التى كانت تقوم برحلاتها الشهيرة فى بحر الهند من أجل التبادل التجارى ونقل المسافرين

منذ عشرين سنة بالتمام والكمال أتيح لكاتب هذه السطور أن يشارك فى أعمال البعثة الدولية للمحيط الهندى على ظهر سفينة البحث العلمى المسماة « انتون برون » بدعوة من معهد وودز هول لعلوم المحيطات بالولايات المتحدة الأمريكية وأن يقضى شهرين كاملين فى دراسة الأحياء البحرية على جزر نائية مترامية فى عرض المحيط. وبعض هذه الجزر التى قلما وطئتها أقدام البشر تتراءى للمقبل عليها من فوق ظهر السفينة وقد لفها الضباب والغيوم الكثيفة وكأنما هى أشباح تتراقص فوق سطح الماء ، أو كعالم صغير منعزل عن الكرة الأرضية يحوى من الأسرار والأساطير ما يعجز القلم عن وصفه . ناهيك بأسرار ذذا كلمحيط ثفسه وكائناته للعجيبة .

وليس هنا مجال وصف هذه الرحلة أو التعليق على نتائجها العلمية ولكنها والحق يقال قد أثارت فى خاطر الكاتب صوراً حية احتوتها كتب التراث العربى عن المحيط وأهوال الملاحة فيه وعن جزره وعالمها السحرى ، دونت منذ قرون طويلة ولكنها تبدو من صدقها وحيويتها وكأنما كتبت بالأمس القريب .

ومن ثم فقد آثرنا أن نشرك معنا قراء « الدوحة » فى الاستمتاع بها .

القصص البحرى القديم

فلننتقل إذن فى الزمان والمكان لأكثر من ألف سنة إلى الوراء لنرى مراكب الربابنة والنواخيذ العرب الشراعية الضخمة تجوب بحار الزنج والحبشة والسند والهند والملايو وجاوه والصين تحمل التجار وبضائعهم . ولاشك أن هؤلاء الربابين كانوا على جانب كبير من الشجاعة والثقة بالنفس وعلى علم كبير بأسرار الملاحة الفلكية وفنون البحر . ولصدقهم وأمانتهم وثق بهم التجار الأجانب فصارت أغلب تجارة الصين الخارجية تنقل بواسطة المراكب العربية . ثم تستقر فى ميناء خانقو (وموقعه اليوم الى الجنوب قليلا من شنغهاى) .

فى القرن التاسع الميلادى كانت هناك جالية من العرب والفرس المسلمين يزيد عدد أفرادها على المائة ألف أغلبهم من التجار والنواخيذ ذوى الثراء والجاه على حد قول أبو زيد حسن السيراف . وكان لهم بذلك فى الثغر الصينى مساجدهم وقاضيهم ومدارسهم بتصريح من سلطات البلاد . كما كان للتجار العرب كذلك جالية غنية فى سرنديب تحدث عنها الرحالة والمؤرخون من أمثال فاهيهان الصينى الذى يقول : إن بيوت العرب فى الجزيرة كانت مزينة بأبهى الزينات .

وكانت موانىء البصرة وسيراف وهرموز ومسقط وعدن فى ذلك الوقت هى حلقة الصلة بين تجارة الشرق والغرب ، يلتقى فيها الربابنة والتجار على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ويتبادلون أخبار التجارة وأحوال المراكب والبحر ، ولا بأس



كانت السفن فى الطريق الملاحى بين الموانىء العربية وموانىء الهند تتعرض لعدة ظواهر بحرية طبيعية كالعواصف الحلزونية والأمواج العاتية والتيارات البحرية !

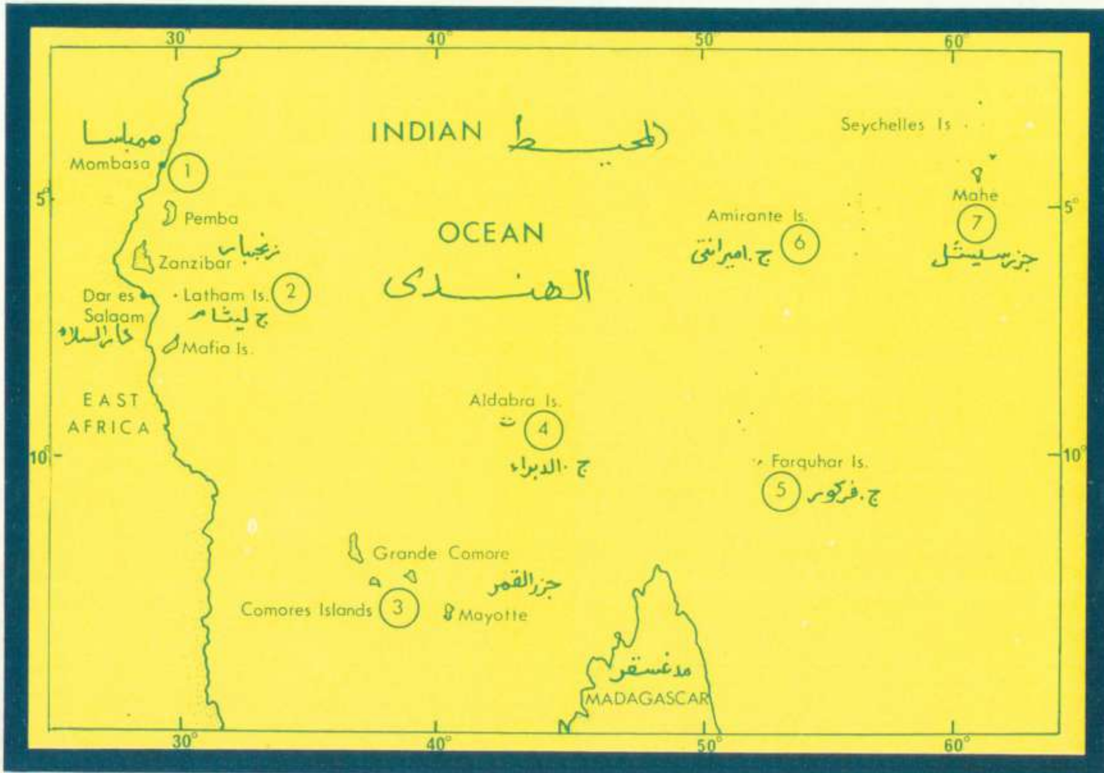
من أن تتضمن تلك المسامرات طرائف عن البلاد البعيدة والشواطىء الغريبة التى تدخلها مراكبهم وأحوال أهلها الاجتماعية وعاداتهم وثمرات بلادهم . وفى مثل هذا الجو راجت حكايات وأساطير عن البحر وسفارته ومنها مغامرات الملاحين فى بحار نائية هائجة مائجة صاخبة لاغبة ، فمنهم من صرعت الرياح العاتية مركبه فغيبتها بمن فيها وما عليها فى قرار البحر ، ومنهم من كتبت له النجاة فقذفت به الأمواج على سواحل مجهولة بها حيوانات غريبة وأقوام ذوو وجوه وألسنة مختلفة الألوان ، فحدث قومه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. وحديث البحارة لا يخلو من شجون ولا يخلو كذلك من تهويل وذلك شأن البحارة فى كل زمان ومكان .

كتاب عجائب الهند

وقد جمع بعض هذه القصص والحكايات التى تتداولت على أفواه الربابنة والتجار ربان يدعى بزرج بن شهريار الرام هرمزى الذى رد كل حكاية منها لراويها وهو غالباً ما يكون تاجراً أو رباناً أو ناخذاه أو حتى من صغار البحارة ويسمونهم « البانانية » وهى كلمة هندية تعنى الملاحين . وتقع أغلب هذه الحكايات فى الفترة بين القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وهى الفترة التى ازدهرت فيها التجارة العربية مع الهند والصين وبلاد الشرق الأقصى بعامة . وسمى المؤلف كتابه باسم « عجائب الهندبره وبحره وجزائره » . وقد حقق هذا الكتاب منذ مائة سنة على وجه التحديد المستشرق الهولندى فندرليث مع ترجمة فرنسية رفيعة المستوى بقلم مارسيل دفيك ليطبع بمطبعة بريل بليدن ، وأعدت المسودة ليكون الكتاب ماثلا أمام مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى ليدن فى شهر سبتمبر عام ١٨٨٣ ، الا أن الكتاب لم يتيسر طبعه إلا بعد ذلك بثلاث سنوات ، أى فى سبتمبر سنة ١٨٨٦ م .

هذا وقد سبق كتاب « عجائب الهند » إلى الوجود كتاب قيم آخر يعرف باسم رحلة التاجر سليمان يرجع زمن تأليفه إلى عام ٢٣٧ هـ (٨٥١ م) وقد نقحه وأضاف إليه أبو زيد حسن السيرافى متقدم الذكر . بيد أن هذا الكتاب يعد أكثر موضوعية من كتاب عجائب الهند ، فهو يصف الطريق الملاحى بين الموانىء العربية وموانىء الهند وكمبوديا وجاوة وسومطرة والصين ومراحله ، كما يصف بعض الظواهر البحرية الطبيعية كالعواصف الحلزونية والأمواج العاتية والتيارات البحرية ولايخلو من سرد طرائف شيقة عن أحوال أهل الهند والصين . وقد نقل عن هذا الكتاب كثيرون من المؤلفين القدامى من أصحاب كتب البلدان أو كتب العجائب نذكر منهم على سبيل المثال ابن الفقيه (٩٥٢ م) والمسعودي (٩٤٣ م) والمقدسى (٩٨٥ م) . كما نقل عن « عجائب الهند » كذلك مؤلفون من أمثال أبو حامد الفرناطى فى كتابه « تحفة الألباب ونخبة الأعجاب » (١١٦٢ م) وزكريا بن محمد القزوينى صاحب « عجائب المخلوقات » (١٢٨٠ م) وشمس الدين محمد بن أبى طالب الدمشقى (١٢٥٦ ــ ١٣٢٧ م) صاحب « نخبة الدهر فى عجائب البحر والبر » .

هذا وقد راجت قصص عجائب الهند على وقتها رواجاً كبيراً وانتشرت بسرعة فى العالم المعروف وقتئذ ثم صارت مادة دسمة لقصص السندباد البحرى وما على شاكلتها من قصص ألف ليلة وليلة كحكايات الرخ والأقزام ووادى الحيات ووادى الألماز والزبرجد وقصص وحوش البحر وتواصل أبناء البر وسكان البحر وما إليها . بل تعدت هذه القصص حوافز اللغة فترجمت إلى اللاتينية والأسبانية وصارت الأصل المشترك لمثيلاتها فى الآداب الأوربية التى انتقلت إليها فى وقت مبكر عن طريق مراكز الحضارة العربية فى مصر والشام وصقلية والاندلس . ونشير على سبيل المثال لا الحصر إلى قصة المركب المعطوبة التى لجأت إلى جزيرة صغيرة فى بحر الهند ودفعت الضرورة بحارتها إلى المقام فيها « ففرغوا حمولة المركب إلى الجزيرة وأقاموا مدة حتى أصلحوا عيب المركب ثم ردوا الحمل إليه وعزموا على الخطوف



جزر المحيط الهندى التى زارها كاتب المقال ، وبعضها كان مسرحا لأحداث قصص عجائب بحر الهند

(الابحار) .. ثم أوقدوا ناراً فتحركت الجزيرة من تحتهم وكانوا بقرب النار فرموا أنفسهم إلى الماء وتعلقوا بالقارب والدونيج (القارب الصغير) وغاصت الجزيرة فلحقهم من اضطراب البحر بحركتها ماأشرفوا به على الغرق .. وسلموا بعد تعب شديد وهول عظيم .. وإذا بها سلحفاة قائمة على وجه الماء ولما أحست حر النار ولذعها هربت ! » .

ونفس هذه القصة وردت بحبكتها فى قصص القديس الايرلندى برندان الذى استبدل السلحفاة بحوت عظيم . وللسلحفاة فى قصة بحر الهند دلالة حيث تعيش على بعض جزره سلاحف عملاقة تستطيع الواحدة منها أن تحمل على ظهرها بعض الرجال ، وقد رأيناها عياناً بياناً على جزيرة الدبراء وفى غيرها من جزر المحيط الهندى . ولعدم تصور كاتب أساطير القديس برندان وجود سلاحف بهذا الحجم فقد استبدل بها الحوت فى القصة الأوربية .

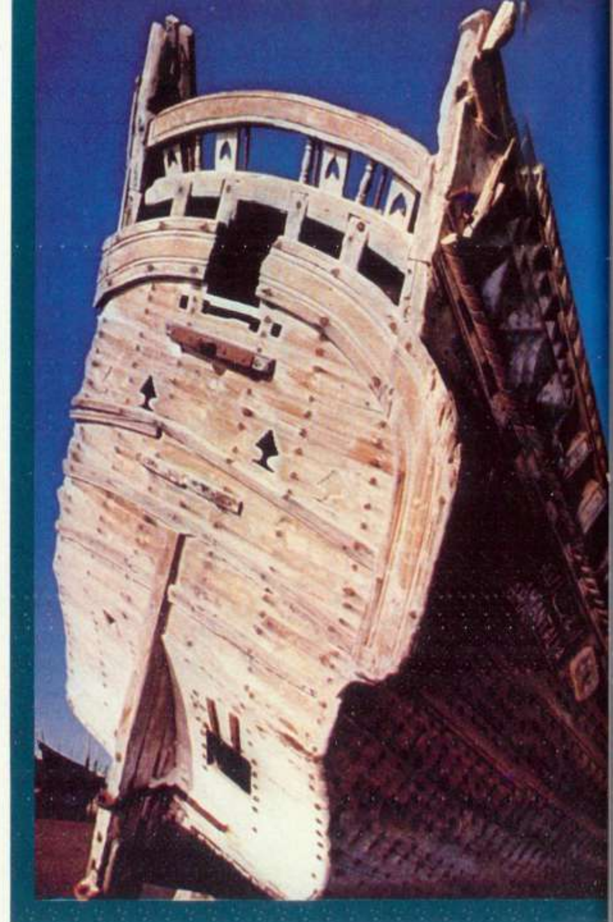
شاهد عيان

ونحن لا نستطيع أن نقيم قصص عجائب بحر الهند تقييماً صحيحاً من مجرد قراءتنا للكتاب أو بمقارنة ما فيه بأساطير الاغريق أو غيرهم من الأمم مالم نتفهم الجو والظروف التى أوحت بكتابتها . ولسوف نرى أن ما يعتقده البعض من أنها كانت مجرد أساطير أو قصص بحارة من وحي الخيال هو أمر لا أساس له من الصحة . بل الواقع أن وراء كل قصة أساس من الحقيقة أو ظاهرة علمية أحياناً .

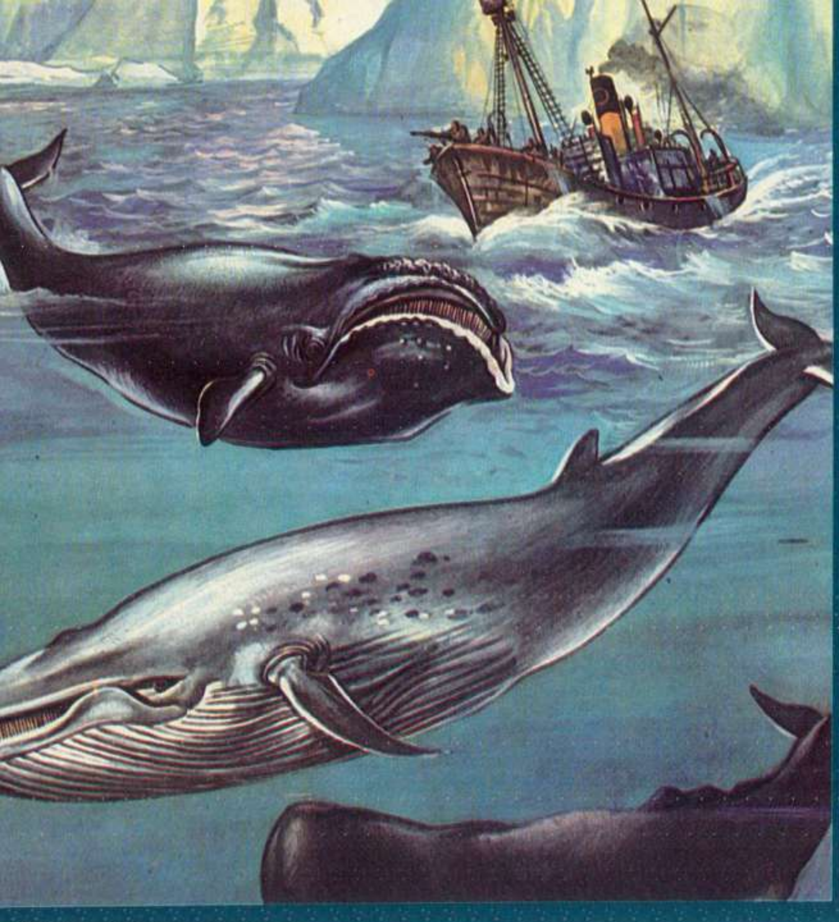
ومنذ عشرين سنة أتيح لكاتب هذه السطور كما أسلفنا القول فرصة الدراسة والحياة على بعض جزر المحيط ومنها جزر الدبراء وليثام والقمر الكبرى وأخواتها الصغرى بين مدغشقر والساحل الأفريقى على خط عرض ١٢ درجة جنوبى خط الاستواء ثم جزر فركور المنعزلة وسط المحيط الهندى ومنها إلى اميرانتى فمجموعة جزر سيشيل الشهيرة التى كانت منفى للزعيم المصرى سعد زغلول منذ أكثر من ستين سنة .

وإذا تغاضينا عن الحياة الآمنة الرضية على ظهر سفينة كبيرة كسفينتنا ، ذات القمرات المريحة والفرش الوثيرة المكيفة الهواء والمعامل المجهزة بأحدث الأجهزة والآلات الملاحية الالكترونية ، والمطابخ الفاخرة التى يقوم على إعداد الطعام فيها طهاة مهرة فرنسيون وصينيون والمكتبة الزاخرة بأحدث الكتب العلمية والروايات المسلية والجريدة اليومية التى تتلقى أخبار العالم بالأقمار الصناعية وتجدها أمامك على مائدة الافطار — أقول إذا تغاضينا عن كل هذا الترف — فإن شيئاً لم يتغير فى المحيط الهندى عما كان عليه الحال منذ ألف سنة بل منذ آلاف السنين : فالعواصف الحلزونية المخيفة لا تزال تفاجىء السفن والمراكب فى عرض البحر من آن لآخر والويل لمركب الشراع إذا وقعت فى العاصفة وزمجر لها المحيط عن أنيابه . وحتى سفينتنا التى ظننا أنها مدينة عائمة لم تسلم من غوائله ، إذ حدث أن كسر رفاصها على الشعاب المرجانية فتعطلت عن السير ساعات طويلة ، ولولا أن نزل الغواصون لاستبداله بآخر جديد فى مياه موبوءة بالقروش والبحارة يرقبونهم من فوق السفينة بحذر مصوبين رصاص البنادق لهذه الوحوش لحدث مالا تحمد عقباه . ومنذ ذلك الحادث لم تجرؤ السفينة على الاقتراب من الشعب المرجانية المحيطة بالجزر بل كانت تلقى مراسيها على بعد أميال منها وننزل بقوارب المطاط الخفيفة للدراسة وجمع العينات . ناهيك بالأضواء الفسفورية التى تتلألأ على صفحة الماء فى الليالى المظلمة ، وبوسعك أن تقرأ صحيفة على ضوئها والتى يصفها صاحب كتاب العجائب منذ ألف سنة بقوله : « فإن الأمواج إذا اضطربت وتكسرت بعضها على بعض انقدح منه النار فيخيل إلى راكب البحر أنه يسير فى بحر نار » وما أصدق هذا الوصف وما أبدعه !

وها هى الأسماك الطائرة لا تنفك تحط على ظهر السفينة أو تصطدم بحواجزها كماكانت تفعل منذ ألف سنة وأكثر ، وستظل تفعل ذلك مالم تنقرض هذه الأنواع من كل الحياة . وشبيه بها أسماك الشراع وأسماك السيف التى تقفز من آن لآخر لعلو بضعة أمتار فوق سطح الماء وانها لتفعل ذلك بقصد التسلية أو هرباً من وحش كاسر يطاردها . وتلك جحافل الثدييات البحرية من دلافين وحيتان تتبع السفن فى سيرها لمسافات طويلة حتى يدركها التعب فتترك الحلبة وتغير اتجاهها . هذا عن الحيوانات المنظورة ، أما تلك



نموذج للسفينة العربية التى حملت التجار العرب إلى الثغر الصينى ، ليصبح لهم فى ذلك الثغر المساجد والمدارس والقاضى المسلم



فى قصص الغرب استبدلوا السلحفاة الضخمة التى ظنها البحارة العرب جزيرة صغيرة ، بحوت عملاق ناسيين أن بحر الهند تعيش على بعض جزره ـ فعلا ـ سلاحف عملاقة !

التى تقطن الأعماق البعيدة كالأخطبوطات العملاقة فلها فى عجائب بحر الهند شأن آخر .

حياة الجزر

وأغلب جزر المحيط الهندى هى جزر بركانية تنبثق من الأعماق السحيقة ، وقد تتجمع على شكل حلقة تحيط ببحيرة ضحلة تسمى « الاتول » وهى فى الأصل فوهة بركان . وبعض جزر المحيط كبيرة الحجم مأهولة بالسكان عليها جبال وأنهار ومدن وقرى وثغور والبعض الآخر لا يعدو أن يكون نقطة ليس لها حدود أو أبعاد ظاهرة فوق سطح المحيط على الخرائط ، وأغلب هذه الجزر غير مأهولة بالسكان ، ولا تزال على حالتها الأولى من البداوة ، وهى محاطة بسياج من الشعب المرجانية المنبسطة التى قد تمتد لمئات الأمتار ولا تكاد تبين الا بصعوبة أثناء الجزر المنخفض . ولكم تحطمت عليها مراكب الربابنة والنواخيذ . وإذا اتيح لك أن تترجل أو تسبح فوق هذه الشعاب لتصل إلى الجزيرة نفسها فسوف تصوب الحيوانات المرجانية نحو جلدك ملايين الخلايا اللاسعة كطلقات المدفع الرشاش ، فإذا نجوت من هذه فقد يداعبك قرش « رذيل » أو تقع رجلك على سمكة الصخر وسمها مميت أو تصادفك أفعى ملونة يفوق سمها سم الكوبرا عشر مرات . وإذا كنت محظوظاً فقد تشاهد عرائس البحر ترعى وسط الأعشاب البحرية الكثيفة على القاع الرملى حول الجزر ولكنها حيوانات ذات حياء وخفر ، نادرة الظهور أثناء النهار !

والمشي فوق الشعاب ليلا فى مياه غريبة منعزلة هو الخطر الجسيم بعينه . ولولا أننا كنا نستعين بضوء البطاريات ونرتدى حلل الغوص لما سلمنا من الأذى .

فإذا ما رافقتك السلامة فى رحلتك فوق الشعاب المرجانية لتصل إلى الجزيرة فستقابلك أشجار النرجيل (جوز الهند) الباسقة على الشاطىء ومن خلفها غابات القندل (نبات ابن سينا) الكثيفة وهى غابات بحرية تغوص جذورها الدعامية فى روبة من الطين المختلط بالماء وقد يغوص الانسان فيه إلى عنقه إذا لم يكن حذراً .

ولكأنى بك واقفاً وحيداً قليل الحيلة على شاطىء احدى هذه الجزر المجهولة فى عرض المحيط بعيداً بآلاف الأميال عن شواطىء القارات ترى ماذا يكون شعورك ؟

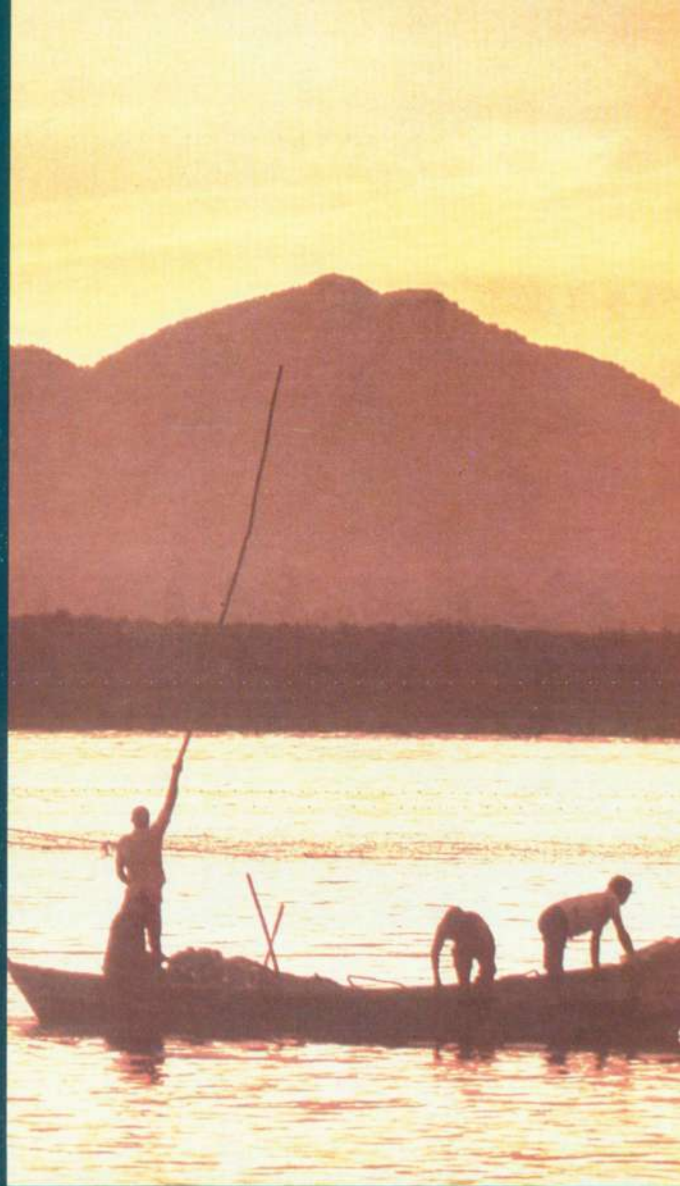
إنه لموقف يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة ورباطة الجأش فإن الانسان لا يدرى ماذا ينتظره من مفاجآت فى تلك الأدغال . أهي سهام مسمومة تصوب إليه من وراء الأشجار أو ثعبان ضخم يعتصره أو وحش مفترس ينقض عليه فجأة . أو هى جماعات من القرود تحيط به أو ترشقه بثمرات الجوز . إنه لموقف يبعث على الخوف والرهبة فى آن واحد ، وحتى منظر تلك السلاحف العملاقة لو رآها المرء وهى كالدبابات فى صف رتيب لأول مرة لحسبها حيوانات منقرضة من قبل التاريخ .

فإذا ما جن الليل وأنت وحدك على هذه الجزيرة فسوف يتهيأ لك أن جنيات البحر وشياطينه قادمة من كل اتجاه وسيؤصل هذا الاحساس لديك تلك الأصوات الغريبة الحادة التى تشبه الصراخ والتى تنبعث بين الفينة من أعلى الأشجار ومن وسط الأدغال فتبدد سكون الليل وتختلط بأصوات الأمواج الهادرة الرتيبة الايقاع .

على أن الحياة على تلك الجزر ليست كلها موحشة مخيفة ، بل إن من الجزر ما تشم أريج عطرها وأنت على مسافة بعيدة فى البحر وهى روائح الياسمين مختلطة بعطور القرنفل والقرفة والزنجبيل ، ناهيك بالجداول الرقراقة والطيور الصداحة ذات الريش المختلف الألوان والأشكال ، إنها تلك الطيور التى أوحت للملاحين بقصص السرخ والسمندل والعنقاء ، وإن كانت هذه الأسماء كلها ذات مدلول واحد ، وتمنوا لو تعلقوا بأرجلها لتحط بهم على بر السلامة .

هذا هو جانب من الجو الذى عاشه ملاحو سفن الشراع منذ ألف سنة أو أكثر ولا يزال على حاله التى كان عليها إلى اليوم ، ولابد لنا من أن نتفهمه ليتسنى لنا الاستمتاع بقصصهم ونعيش بخيالنا فى عالمهم السحرى ، ولا بأس من أن نتغاضى عن شطحات لا تنسجم مع العقل والمنطق وردت فى تلك القصص هى بالتأكيد من بنات أفكار ملاح تحطمت مركبته على جزيرة مجهولة .

أنور عبد العليم



الطبيعة الافريقية الرائعة ، التى كانت تحتل شاشات التليفزيون فى العالم قبل بروز مشكلة القحط والمجاعة

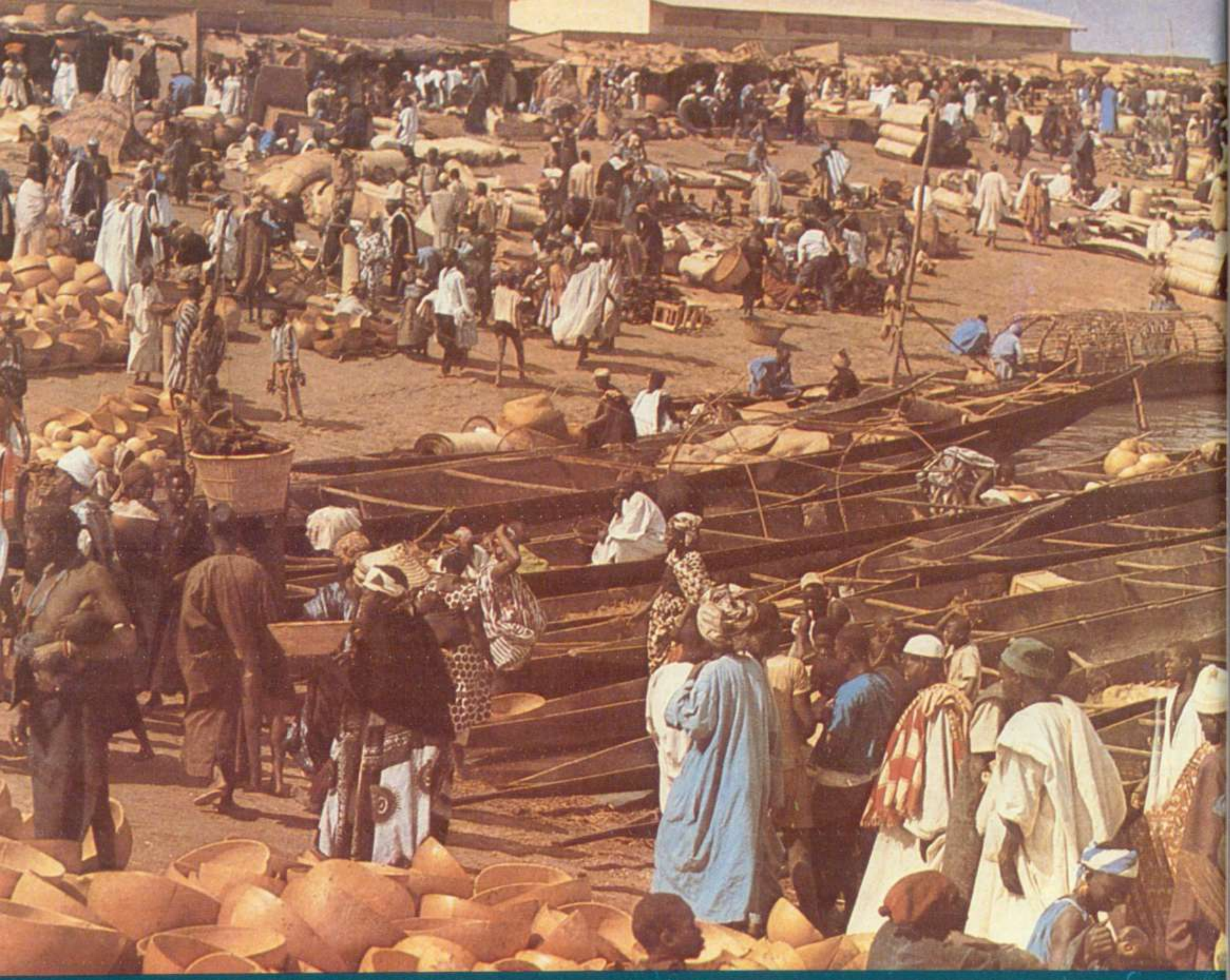
فتاة إفريقية من القارة التى تمتلك الثروة الاقتصادية والمصادر الطبيعية والأرض الخصبة ، ورغم ذلك تعانى من الجفاف والجوع !

إفريقيا الرائعة .. جائعة !

الإفريقيّون يموتون .. والعالم يتفرّج عليهم على شاشة التليفزيون

قصّة الجفاف والجوع في الساحل الإفريقي

بقلم : الدكتورة كوثر عبد الرسول



الأسواق الافريقية التى تعقد فى أيام منتظمة فى الأرض الفسيحة ولا توجد بها إلا بعض الصناعات اليدوية البعيدة عن تكنولوجيا العصر

افريقيا الرائعة ... جائعة .

وهذا وضع غير مقبول وغير كريم ، وعلى الأفريقيين أن يعملوا على استغلال ثرواتهم الضخمة وانقاذ شعوبهم من هذا المصير ... كما أن الضمير العالمي يجب أن يستيقظ أمام هذه المأساة الكبيرة فيجد الافريقيون عونا جديا على مواجهة المحنة .

بمناسبة مايحدث الآن من أزمة ومجاعة في أجزاء من أفريقيا ، كان لابد من أن نقدم بعض المشاركة في التعريف بأسس المشكلة لعلها تساعد الهيئات التي تسهم في انقاذ المتضررين على استمرار المساهمة في حلول طويلة الأمد .

أين يوجد نطاق الجوع ؟

تمتد البلاد التي يمكن أن تتضرر من الجفاف كل بضع سنوات في نطاق عرضي في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى من السنغال في الغرب إلى اثيوبيا والصومال في الشرق ، ويسمى هذا النطاق جغرافياً باقليم الساحل وهي تسمية في الأصل كانت نابعة عن القسم الغربي من النطاق ، في السنغال ومالي والنيجر ، ثم شاع استخدامها حالياً لتعني كل النطاق من السنغال للصومال . ولعل أصل التسمية من القبائل الرعوية الصحراوية التى ترى اقليم الأعشاب جنوب الصحراء كما يرى البحارة اليابسة .

في بعض السنوات يضرب الجفاف بشدة جزءاً معيناً من هذا النطاق ، بينما فاعليته في احداث أزمة اقتصادية تشمل النطاق كله بدرجات أقل . وهذا العام تعاني الأجزاء الشرقية من النطاق - السودان وأثيوبيا والصومال - حدة الجفاف وقمة الجوع . بينما كانت المجاعة منذ بضع سنوات (١٩٧١ - ١٩٧٣ ، وأيضاً ١٩٨٠ - ١٩٨٢) على أشدها في الأجزاء الغربية من النطاق ، وبخاصة جمهوريتي مالي والنيجر .

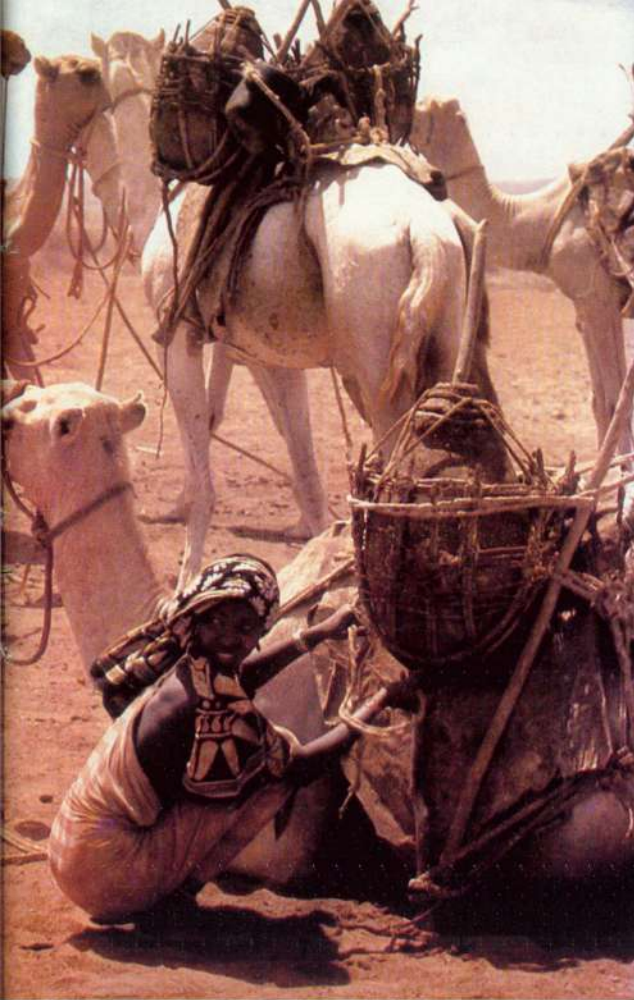
وتوضح الخريطة أن اقليم الساحل يمتد في المناطق التي تتراوح فيها كمية المطر الساقط مابين



خريطة لمناطق الجفاف والجوع فى افريقيا

الدولة	عدد السكان بالمليون (١٩٨٠)	تقدير عدد سكان المنطقة الحرجة	تقدير عدد المسلمين من سكان المنطقة الحرجة
السنغال	٦,٠	١	١
مالى	٧,٥	٣	٣
الفولتا العليا	٧,٠	١	٠,٥
النيجر	٥,٥	٢	٢
نيجيريا	٨٨,٠	٨	٨
تشاد	٤,٥	٢	٢
السودان	٢٠,٠	٥	٥
اثيوبيا	٣٣,٠	١٢	٨
جيبوتي	٠,٢٥	,٢٥	٠,٢٥
الصومال	٥,٠	٣	٣
كينيا	١٧,٠	٣	١
المجموع		٣٧	٣٣

جدول بعدد المسلمين المتضررين فى نطاق الساحل الافريقى



فتاة تحمل على جمال قبيلتها الماء !

١٥٠,٥٠٠ مليمتر في السنة ـ وكلها أمطار صيفية تسقط خلال أشهر الصيف الثلاثة يولية وأغسطس وسبتمبر. ويشمل النطاق الأجزاء التالية من الوحدات السياسية : شمالي السنغال ، وسط مالي ، شمال فولتا العليا ، وجنوب جمهورية النيجر ، الأطراف الشمالية من نيجيريا ، وسط تشاد ، وسط وشرق السودان ، شمال وشرقي وجنوب شرقي اثيوبيا ، النطاق الحيوي في وسط وجنوب الصومال ، شرق وشمال كينيا ، كما يمتد بدرجة مخففة في وسط شمال تنزانيا .

وفي الحقيقة فإن تزايد الجفاف هي ظاهرة مناخية أكثر اتساعاً من ذلك . فهي تظهر في الحدود الشمالية للصحراء الكبرى من المغرب إلى مصر ، وتمتد إلى الجناح الاسيوي من العالم العربي . وهي عملية تاريخية شواهدها كثيرة في بادية الشام والجزيرة العربية . ولكن مشكلة الجوع لا تظهر في هذه المناطق في شمال أفريقيا أو في هوامش صحاري الجناح العربي الاسيوي لأن عدد السكان في هذه المناطق قليل يتمثل في قبائل بدوية تتحرك باستمرار داخل دول على قدر من التنظيم الذي يسمح بإغاثة البدو في الأزمات دون أن تكون هناك كارثة اقليم الساحل المتكررة . أما لماذا يحدث هذا الموقف المحزن في نطاق الساحل فيرجع إلى الأسباب التالية :

• إن سكان الساحل ليسوا بدوا صرفاً ، بل هم زراع وبدو ، أو زراع فقط ولهذا فإن كثافة السكان في اقليم التصحر في شمال أفريقيا والجزيرة هي من ١ ـ ٦ أشخاص للكيلومتر المربع ، بينما هي في اقليم الساحل تتراوح مابين ٣ ـ ٢٥ شخصى لكم٢ حسب الحرفة الإقتصادية . وتزداد الكثافة أكثر في مناطق معينة كوادي النيجر في مالي وشمال اثيوبيا . وحين تقل الأمطار عن المعدل فإن الضرر يلحق عدداً كبيراً من الزراع والرعاة معاً كما هو حاصل اليوم .

• ان معظم دول نطاق الساحل ذوات موارد محدودة مع قلة مخلة في طرق ووسائل النقل مما يجعل مناطق كثيرة معزولة فعلاً .

• الاستقرار السياسي في غالبية دول الساحل غير متوفر ، بل بعضها يعاني من حروب وثورات أو قلاقل وخاصة تشاد واثيوبيا ، حيث تشتد أزمة الجفاف الآن .

من الصعب حصر أعداد المتضررين من الجفاف المتكرر الحدوث سواء في صورة قمة حادة أو في صورة استمرار انخفاض وذبذبة في كمية المطر الصيفي . ويعطينا الجدول التالي تقديرات تقريبية لأعداد الناس الذين يعيشون داخل النطاق الحرج .

ويتضح من الجدول المنشور على هذه الصفحة أن عدد المتضررين من المسلمين كبير في نطاق الساحل ، والسبب في ذلك أن اقليم الساحل هو أول أقاليم افريقيا المدارية الذي دخل الإسلام بعد عبور المسلمين الصحراء الكبرى .

وفيه نشأت ممالك اسلامية تاريخية هي غانه ـ مالي ـ سنغاي ـ الفولاني ـ الفونج ـ وامارات أخرى كالهوسا والفور وعدال . وساعدت هذه الممالك على تثبيت الإسلام في هذا النطاق ، ونشره جنوباً حتى الغابات الإستوائية أو المستنقعات الدائمة .

وبعد وقوع نطاق الساحل في أيدي الاستعمار الأوربي تدهورت الأحوال الاقتصادية بعد أن ركز الاوربيون على تشغيل موارد النطاق الجنوبي بغرب افريقيا بصورة أساسية بالإضافة إلى مشروعات زراعية محدودة في القسم الجنوبي من إقليم الساحل كفول السوداني والقطن . وهذا التوقف الاقتصادي في اقليم الساحل جعله أقل قدرة على مواجهة آثار الذبذبة المناخية أو إيجاد بدائل حياة للمناطق التي يصيبها التصحر .

كما تسود بعض مناطق النيجر في مالي اسطورة تقول أن هناك لعنة تتسبب في حدوث دورة مناخية تتناوب فيها فترات من الجفاف وأخرى من الأمطار الوفيرة كل سبع سنوات . وعلى أية حال ففكرة الدورة ذات السبع سنوات ليست بعيدة عن منطقتنا الحضارية ، ووردت في القرآن الكريم في تفسير سيدنا يوسف لحلم فرعون . والدورة السباعية هي أيضاً ملاحظة بصورة اجمالية في أمطار الأجزاء الشمالية من الصحراء



حتى غزلان وحيوانات الغابات الجميلة فى افريقيا مهددة بالموت نتيجة القحط والمجاعة والجفاف الذى يهدد النباتات ويقضى على كل لون أخضر ! ٠

الكبكبرى .

وفي بحث للجغرافي « ليزلي مسك » من جامعة منشنشستر (المجلة الجغرافية البريطانية اكتوبر ١٩٨٢٨٣) سجل لانحراف كمية الأمطار عن المعدل في اقليقليم الساحل للسنوات من ١٩٤٠ - ١٩٨٠ . وعلى الرغرغم من عمومية هذا السجل (١٤ محطة فقط في اقليقليم يمتد أكثر من خمسة آلاف كيلومتر) فإنه يوضوضح الفترات التالية :

١٩٤٠ - ١٩٤٩ فترة قلة المطر .

١٩٥٠ - ١٩٥٩ فترة زيادة المطر .

١٩٦٠ - ١٩٦٧ فترة ذبذبة حول المعدل .

١٩٦٨ - ١٩٨١ فترة تناقص كبير في المطر يعادعادل ضعف فترة جفاف الأربعينات .

وقد تميزت فترة الجفاف الأخيرة باستمرارية زمنزمنية طويلة من ١٩٦٨ للآن - أي ١٦ سنة متتاتتالية . وخلال هذه الفترة نجد ثلاث فترات بلغ فيهيها الجفاف حد المجاعة تلك هي ٧١ - ١٩٧٣ ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، ٨٠ - ١٩٨٤ . هذه صورة وقائع مطرطر «الساحل» ، فما هي الأسباب ؟ هناك مجمجموعة أسباب تنقسم إلى فئتين : الأسباب الطبطبيعية والأسباب البشرية .

الأسباب الطبيعية خارجة عن متناول الإنالإنسان . فالنطاق الذي نحن بصدده هو الإقليم الانالانتقالي بين الصحراء الكبرى واقليم حشائش السالسفانا ، وتتراوح أمطاره بين ١٥٠ - ٥٠٠ مليمتر كما أسلفنا . وحيث أن هذه الأمطار تسقط صيفاً - أي مع موسم الحرارة العليا ، فإن فاعليتها تكون أقل فيما لو كانت تسقط شتاء . وعلى العموم فإن الأمطار في أي من أقاليم العالم لاتسقط بنفس الكمية كل عام ، بل تعتريها تغيرات سنوية بالزيادة أو النقص لاسباب شديدة التداخل بين عناصر المناخ ، خاصة الضغط الجوي والتيارات الهوائية النفاثة في الأجواء العليا وما يحدث من تزحزح لأوضاع هذه التيارات سنوياً أو كل بضعة سنين . وإلى جانب هذا اختلاف التسخين الشمسي لسطح الأرض واختلاف وعمق الجهات الهوائية الباردة والساخنة وسرعة تحركها في مسارات .

ولكن ليست هذه كل عوامل الذبذبة المناخية . بل يترامى إلى الأسماع أن مناخ العالم برمته آخذ في التغير . وفي دوائر المتخصصين في علم المناخ ليس هذا الأمر بجديد : فإن مناخ الكرة الأرضية ليس ثابتاً إلا فيما ينسب لعصر أو مرحلة زمنية . وفي المليون سنة الأخيرة تغير مناخ العالم عدة مرات تقلباً بين عصور جليدية ومطيرة وجافة بدرجات شديدة التفاوت في التأثير على بقاع النصف الشمالي من الكرة الأرضية . والذي يهمنا أن نطاق الصحراء المجدبة التي نعيش فيها الآن والممتدة من موريتانيا إلى أواسط آسيا انما هو تكوين مناخي أخذ صفاته الجافة تدريجياً في بضع آلاف السنين الأخيرة مع ذبذبة بين عصور أرطب قليلا كان آخرها منذ نحو ستة آلاف سنة مضت .

وأسباب التغيرات المناخية عند المتخصصين غير واضحة ولا مؤكدة . وهي تتردد بين أسباب فلكية بحتة مثل تغير موقع القطب الشمالي ، وبين أسباب مناخية بحتة تأخذ مسارا تدريجياً . مثال ذلك النظرية القائلة أن أي تغيرات كمية محسوسة في الحرارة قد تؤدي إلى تركم جليد أكثر من المعتاد ، وهذا التراكم يخلق ظروفاً مناخية جديدة تساعد على مزيد من التراكم الجليدي . ويؤدي ذلك إلى تضاغط أقاليم المناخ وتزحزحها من أماكنها في اتجاهات مختلفة . المهم أن علم المناخ مازال في نشأته ونحن نجهل الكثير حتى الآن .

وحول اتجاه الأوضاع المناخية الحالية يختلف العلماء فيما بينهم ، فالبعض يرى أننا نسير نحو جفاف أكبر ، وأننا نقع وسط مرحلة زمنية حارة جافة . وأدلتهم كثيرة منها أن الصحاري تتسع لتشمل وتبتلع مناطق لم تكن صحراوية كما هو حادث في اقليم الساحل الإفريقي . ويؤيد ذلك أن مناطق عمرانية قديمة دفنتها أو حاصرتها الرمال ، مثل اندثار مروى القديمة في شمال السودان ، ومدينة تمبكتو في جمهورية مالي والتي كانت منذ خمسة قرون مركزاً حضارياً وبها جامعة إسلامية كبرى (زانكورة) وهي - تمبكتو - منذ قرن ونصف ، قرية صغيرة فاقدة لأهميتها نتيجة التصحر .



أعشاش الطيور فوق شجر ذابل .. ولقطة أخرى للطبيعة الخلابة المهددة بالاندثار نتيجة الجفاف الذى لم يحدث مثيل له فى القارة الافريقية طوال المائة سنة الماضية



والبعض الآخر من المتخصصين يرى أن هناك تزحزحا للاقاليم المناخية نحو الجنوب بحيث تزداد برودة أوروبا وتزداد أمطار شمال أفريقيا وتزحف الصحراء جنوباً فى إقليم الساحل . وسواء كان هذا الرأى أو ذاك ، فانه من المعروف أن النقلات المناخية الجزرية ليست سريعة الحدوث ، بل تستغرق تحولاتها عشرات الآلاف من السنين ، وتنجم عن تغيرات كمية بسيطة على مئات السنين ، وعلى ذلك فإن الميل إلى الاعتقاد بحدوث تغيرات مناخية فى حياة جيل أو عشرة من أجيال الانسان ليس إلا اشاعة عظيمة المبالغة وكل الذى يحدث تحت أعين جيل ليس إلا قدر ضئيل من تغيرات كمية ، أو ربما مجرد ذبذبات مناخية تأخذ ما يشبه الدورات غير المنتظمة ، وبالرغم من الدراسات الكمية المتوفرة حالياً ، إلا أنها فى غالبها دراسة متغيرات الطقس (وليس المناخ) فى مناطق المدن (وبخاصة فى الدول المتقدمة) بصفة أساسية . وفى الكثير من الأحيان يجهل الانسان فاعلية عامل أو عدة عوامل .

وبالتالى فإن تفسير المناخ برغم استخدام أجهزة الكمبيوتر المتخصصة منقوص ومشوش ، أو تسلط عليه أضواء اعلامية برغم أنها فى الواقع جزئيات لا تحكى الوقائع التى نحسها ولا نعلمها علمياً . ولكن علينا الا نغفل أننا الآن على عتبة كشف جديد فى علم المناخ نتيجة دراسات الفضاء التى بدأت تعطينا مدخلا جديداً لتشكيلات تيارات الهواء العليا والضغط الجوى وتراكمات السحب واتجاهاتها . والأمل كبير فى تحسن ادراكنا لعناصر المناخ التى لم تكن معروفة من قبل حيث أننا ننظر الآن من أسفل ومن أعلى معاً إلى مكونات المناخ .

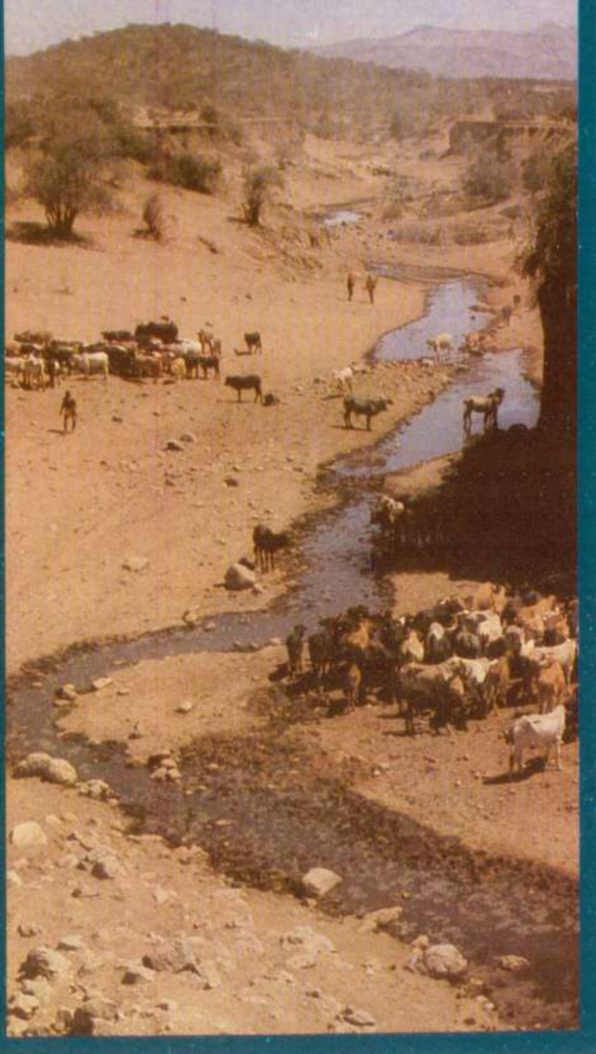
عوامل التصحر والانسان

أما مجموعة العوامل البشرية المؤثرة فى المناخ فهى إلى الآن غير معروفة الأثر على وجه الدقة . والأثر البشرى الأكثر وضوحاً هو أن الانسان بتعريته سطح الأرض من غطائها الطبيعى من أجل الحصول على أراضى زراعية أو رعوية ، فى عملية تاريخية استغرقت الألف سنة الماضية ، قد أدى إلى ايجاد متغيرات لم تقدر آثارها البيئية والمناخية إلا مؤخراً ، وفى إقليم الساحل الأفريقى فإن زيادة قطع الأشجار لاستخدامها كوقود (خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول) ، والرعى الجائر — أى زيادة عدد الحيوانات فوق قدرة المراعى — أدى إلى أضعاف نمو الأشجار والحشائش وازدياد السطوح المعراة من النبات ، وازدياد نسبة الأتربة فى الهواء . وكان لهذا أثره فى ابقاء درجة حرارة الهواء شبه ثابتة . وهو ما يساعد على إيقاف حركة الهواء الرأسية لأعلى وفى النهاية يوقف أحد شروط سقوط المطر فى هذا النطاق ومن ثم الجفاف . هذه الجزئية ليست وحدها كافية لتفسير الجفاف ، بل يضاف إليها تفاعلات أخرى من مكونات التيارات الهوائية العليا والتزحزح المكانى لنطاقات الضغط الجوى المرتفعة والمتخفضة بضع درجات عرضية كل بضع سنوات .

وقد ساعد على ازدياد الرعى الجائر أن الحكومات الحديثة فى دول الساحل قد تبنت فكرة حفر آبار عميقة للرعاة مما أدى إلى تثبيت قطعان عديدة حول عدد محدود من الآبار فى موسم قلة المياه . فالقرارات الحكومية ، وان استهدفت تحسين موارد الماء ، إلا أنها كانت قرارات تنظر إلى الموضوع من زاوية جزئية . ومثل هذه المشاريع الحكومية والخاصة بتوسيع الرقعة الزراعية فى أراضى إقليم الساحل . فالتربة والمناخ هنا يمثلان عناصر هشه لانهما يقعان فى إقليم انتقالى هامشى حدى . والنتيجة فى العديد من التجارب فشل المزارع بعد عدة سنوات وبالتالى تحولها إلى أرض خراب ، فلم تقدر مقوماتها باستمرارها أرضاً زراعية ، ولم تتحول بعد هجر المزارع إلى مراع طبيعية لاجهادها . هذه نماذج للتدخل البشرى الذى يميل إلى زيادة التصحر فى أفريقيا باخلاله بقدرات الأرض . وتحويل الناس من متعايشين مع البيئة حسب ميراثهم الحضارى إلى أنماط حياة جديدة هشة تجعلهم فريسة الجوع عند فشل هذه الأنماط .

مجموعة لقطات لمظاهر الحياة على طول امتداد
الافريقية التى تمد اليوم يدها إلى العالم كله لعل
قلوبا انسانية تعاونها على مواجهة مشاكلها ال





الحدود السياسية وحدة المجاعة

فى الماضى كانت حالات الجفاف والمجاعة متكررة ، ولكنها لم تكن تظهر بالصورة الحالية . فالحدود السياسية الحديثة ــ التى هى نتاج عصر الاستعمار ــ جمدت الناس فى أماكن محدودة ، وصار تحركهم الحر فى المراعى بعيداً عن الأماكن التى تضررت بالجفاف ، كما كان يحدث فى الماضى أمراً صعب المنال ، ومن ثم فإن حركات الجماعات والشعوب قديماً ، وان كان لها بعض محاذيرها . فضغوط على أرض الغير ، كانت فى مجملها صمام الأمن الأساسى فى هذا النطاق الحرج ، مانعة لحدوث مآسى اليوم من هلاك للناس والحيوان . وكان هذا واحداً من أساليب الانسان فى التكيف والتأقلم مع ظروف البيئة .

لكن هذه الأساليب لاتزال موجودة وإن أخذت شكلا جديداً . فالطوارق أو غيرهم من القبائل حين يتضررون ، يهاجرون إلى نيجيريا أو غيرها فى صورة تسرب ــ وهى صورة تنافى الأوضاع القانونية الحديثة ــ ويبقون فى أماكنهم الجديدة ولكن سيف الابعاد مصلط عليهم فى أى وقت تراه الدولة مناسباً . ومثل هذا حاصل فى السودان وبقية دول الساحل ، والغالب أن المهاجرين ، وقد فقدوا كل مقومات حياتهم التقليدية من زرع وضرع ، يتجهون إلى المدن الرئيسية حيث يمكن أن تكون هنالك فرصة حياة ويشكلون ضغوطاً على الحكومات من أجل الاعتراف بوجودهم واعانتهم . وحيث أن الدول المعنية فى معظمها فقيرة فإن ذلك الضغط يربو على امكانيات الدول ويشكل معضلة حقيقية .

خلاصة ومقترحات

تتكون المشكلة من العناصر الرئيسية التالية :

١ ــ أن علاقة الانسان والعوامل الطبيعية ليست علاقة الند بالند . والمهم مزيد من فهم عناصر التفاعل الطبيعى لكى يتعايش الانسان معها بطريقة أحسن . وفى منطقة الساحل الأفريقى لابد من رصد أموال للانفاق على الدراسات لفهم خلفية الواقع البيئى مناخاً وتربة ومياه جوفية ونباتا طبيعيا . وذلك تمهيد ضرورى قبل البدء بأية مشروعات عمرانية .

٢ ــ الكثير من المشروعات الحالية فى نطاق الجفاف (وفى بلاد العالم الثالث بصفة عامة) إما هى ناجمة عن قرارات سياسية تجسم تصورات عامة دون دراسة شاملة ، أو هى دراسات جزئية لأصحاب المصالح الأجنبية للترويج للخبرة والمنتجات الغربية أو هى مبادرات تأخذ الشكل التعاونى أو الفردى وتستخدم تكنولوجيا حديثة كدق آبار عميقة وضخ مياه باطنية إلى حد النضوب دون دراسة مسبقة .

٣ ــ معظم الدول الحديثة مليئة بمشكلات ميراث عهد الاستعمار . فهى ملتهبة بمشكلات حدود مع الجيران . وملتهبة بمشكلات اقليات أو تجمعات لغوية أو سلالية أو دينية أو كلها معاً . وملتهبة بمشكلات الانحياز إلى كتل دولية مختلفة ، والدسائس الأجنبية التى تستثير القلاقل والثورات والحركات الانفصالية . ومن ثم فإن انفاق هذه الدول على التسلح والأمن يضعها فى دوامة افضليات بين انفاق التسلح وبين الانفاق على البنية الاساسية من تعليم وعلاج وتحديث الانتاج وبناء الطرق ومقومات الحياة بصفة عامة .

هذه هى المقومات ، والحلول لابد أنها تنبع أساساً من داخل الداخل فى هذا النطاق ، لأن فهم مقومات المشكلة غالباً ما يؤدى إلى مواجهة الموقف بشكل أفضل . والسياسة الأساسية التى يمكن أن تنبع من أجل حلول طويلة الأجل ليست فى دق آبار وإقامة مشروعات متسرعة ، فهذه حلول إسعافية : انما هى بالضرورة مرتبطة بتنمية الانسان . أى انفاق مكثف على التعليم الاساسى والتدريب المهنى والتغلب على الفجوة بين الحرف والاقتصاد التقليدى والتنمية الاقتصادية الاجتماعية المطلوبة لتحسين نوعية الحياة مهنيا وصحياً وثقافياً .

والمطلوب أيضاً تفاهم مشترك بين دول المنطقة للخروج من شكل الحدود السياسية الجامدة إلى الحدود المرنة التى تقبل تحركات الناس والأفراد فى حالات المجاعة إلى حين تحسن الأوضاع . وذلك كنوع من الممارسات القديمة يضفى عليها صياغة قانونية حديثة لا تتعارض مع سيادة الدول ، علماً بأن الحدود السياسية الحالية غالباً ما قسمت شعوباً وجماعات متجانسة لغوياً وحضارياً .

وفى غير هذه الجوانب تحتاج الدول إلى دراسات شاملة لمقومات البيئة وليس معنى ذلك أن بالامكان إيقاف الجفاف إذا كان هناك تغير مناخى شامل نحو مناخ الصحراء وانما المطلوب هو تقليل أثر الجفاف بمشروعات أقل بريقاً وأكثر دواماً . ويكون ذلك مرتبطا بفهم الطبيعة الانتقالية للإقليم . مثلا رعى أكثر تقدماً من الرعى التقليدى ، لكنه لا يجب أن يكون بالضرورة صورة من الرعى العلمى فى الغرب لاختلاف كافة المقومات البيئية والبشرية والاقتصادية العامة . أو تطور زراعة المطر على منهج الزراعة المتنقلة القديمة مع تحسين البذور وتحسين اداء المزارع بالارشاد والتدريب وليس على منهج الميكنة الزراعية التى تبث ضررها البالغ فى التربات الافريقية وساعدت على تصحر أجزاء من نطاق الساحل الافريقى كانت منتجه بصورة مقبولة ضمن النسيج العام للبيئة والنسان ، هذا فضلا عن إقامة صناعات ريفية أو غذائية من النوع الذى يمكن أن يستخدم عمالة كبيرة دون رأسمال كبير .

د . كوثر عبد الرسول
جامعة قطر

بقلم : د . عبد المحسن صالح



شكل (١) مذنب ذو ذنب أو ذيل طويل يبدو منتشرا خلف الرأس الصغيرة .. ويسمى مذنب وست .. نسبة الى مكتشفه ، وتم تصويره من الأرض فى فبراير عام ١٩٧٦

شكل (٢) مذنب «بينت» الذى رآه الناس فى ريف مصر فى ليال متتالية أثناء حرب الاستنزاف ، وظنوه قمرا صناعيا للتجسس



.. وبدأ العلماء في استقبال زائر من الفضاء ؟!

العقل البشري يقترب من حل لغز الكون وتفسير الكوارث التي تصيب كوكب الأرض

زائر عزيز يقترب هذه الأيام من أرضنا ، بعد أن ظل ما يقرب من ٧٠ عاماً بعيدا عنا ، ولقد أمكن رؤيتة لأول مرة منذ أكثر من سنتين ، وكلما مرت الأيام زاد منا قربا .. وهو يأتينا بغير ذنب ، فاذا اقترب ، ظهر له ذنب ، وعندما يبتعد ، يختفى الذنب .. ثم إن من يراه مرة ، فلن يعيش ليراه ثانى مرة ، ومن أجل هذا يرى علماء ذلك الجيل فى وصوله فرصة ذهبية ، ليتعرفوا عليه أكثر ، ويدرسوه بصورة أعظم ، ولهذه الدراسة مايبررها ، فربما كان يحمل فى رأسه وذنبه لغز نشأة الكون ، ولغز الكوارث التى حلت بكوكبنا قديما وحديثا !

إن زائرنا هذا يعرف باسم مذنب هالى ، وهو واحد من عائلة كبيرة تضم ملايين فوق ملايين من المذنبات ، ولكل مذنب صفات تميزه عن المذنبات الأخرى ، فمنها الكبير ، ومنها الصغير ، ومنها ما يزورنا كل بضع سنوات ، أو قد لايزورنا على الاطلاق ، ومنها ماله ذنب ملايين او عشرات الملايين من الكيلومترات ، لكنها تتوحد فى التكوين ، رغم هذه الاختلافات (شكل ١ وبعض الصور التالية فى المقال) .

ولقد رأى القدماء هذه المذنبات وهى تسبح فى السماء ، ففسروا ظهورها بتفسيرات تختلف عن تفسيرات العلماء ، فحيث اعتبرها الناس نذير شؤم وبؤوس وبلاء ، نظر اليها العلماء على انها تحمل فى طياتها سرا من أسرار السماء ، ومن أجل هذا بدأت استعدادات هائلة لملاقاة مذنب هالى فى الفضاء ، اذ لأول مرة فى التاريخ ستتاح الفرصة للانسان لكى يقترب من هذا الزائر من خلال بعثات فضائية مزوودة بأحدث ماوصلت اليه تكنولوجيا غزو الفضاء من أجهزة حساسة ، ستتجسس على تكوينه ، لتنقل لنا صورا « تشريحية » وتحليلية دقيقة لكل مايتوق العلماء الحصول عليه ، فلعل ذلك يؤكد أو ينفى معلوماتهم السابقة عن هذه الأجسام الهائلة ، أو يقدم لهم صورة واضحة عن أصلها وفصلها وقدرها ، وبذلك يتضح سرها الذى حيرهم ردحا طويلا من الزمان .

المذنبات فى فكر القدماء

على أنه من الأوفق هنا أن نذكر شيئا عن الآراء التى وردت فى تعليل هذه الظاهرة الكونية المثيرة ، وكيف فسرها القدماء أو عبروا عنها فى الآثار التى تركوها .. فأول أثر ظل مسجلا عن المذنبات كان من حوالى ٣٢٠٠ عام ، اذ ترك قدماء المصريين رسما للآلهة الوثنية نوت وقد تهدل شعرها كضفائر تشبه الذنب الطويل ، « وبالرجوع الى كتابات اليونان القديمة ، يتضح أنها قد أشارت الى ان الفراعنة كانوا أول من عبر بالتلميح والاشارة عن العلاقة بين ظهور أحد المذنبات وبين الشعر الطويل الذى ينسدل خلف رؤوس الاناث » على حسب ماذكره بيتر براون تحت عنوان : المذنبات عبر التاريخ !

ولقد نظرت المجتمعات والحضارات المتعاقبة نظرات مختلفة الى المذنبات ، من ذلك مثلا أن البابليين اعتبروها بمثابة لحى سماوية ، وظنها اليونانيون القدامى شعورا متهدلة ، وتخيلها العرب سيوفا ملتهبة ، وفى عصر البطالمة وصفوها بأنها حزم ضوئية ، أو ابواق موسيقية ، او جرار مصقولة (مفردها جرة) .. الى آخر هذه التصورات التى تختلف باختلاف شكل المذنبات ، أو بيئة المجتمعات ! ولقد أعتبر المنجمون القدامى أن ظهور المذنبات تعنى الكوارث والمجاعات والهزيمة فى الحروب ، او ربما ايذانا بزوال دولة أوموت حاكم ، من ذلك مثلا أن زوجة يوليوس قيصر قد ناشدت زوجها ألا يقوم بأية مغامرة فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس ، لأنها فى هذا اليوم قد شاهدت مذنبا !

وكانت أوربا فى العصور الوسطى تتلو الدعوات ، وتقيم الصلوات ، عند ظهور احد المذنبات ، ولقد ذكرها الناس على أنها إحدى شرور ثلاثة « ياإلهنا أنقذنا من الشيطان ، ومن الأتراك ، ومن المذنب الذى ظهر فى السماوات » .. ويرجع هذا الابتهال الى عام ١٤٦٦ حيث ظهر المذنب هالى ، واستولى الأتراك على القسطنطينية ، وهى معقل هام من معاقل المسيحية ، واعتقد الناس فى اوربا وقتئذ ان الله لايرسل هذه المذنبات الا ليوضح لهم أنه فى جانب الاتراك ، وانه قد نصرهم عليهم (شكل ٣)

ويذهب أسقف ماجدبيرج ــ ويدعى آندرياس سيليكيوس ــ الى أبعد من ذلك ، ويسجل فى عام ١٥٧٨ اعتقادا غريبا يجىء فيه « ان هذا الضباب الكثيف من خطايا الانسان يصعد الى السماء كل يوم وكل ساعة وكل ثانية وهو مغلف برائحة نتنة ، ثم


شكل (٣) المذنب الكبير الذى ظهر عام ١٥٧٧ وكما تصوره الأتراك ورسموه فى تلك الصورة الغريبة ، ولقد أثار ظهوره هلع الناس ، وكان ذلك سببا مباشرا فى تشييد مرصد استانبول الفلكى .


شكل (٤) صورة فوتوغرافية نادرة التقطت لذنب هالى فى عام ١٩١٠ ، وهى آخر مرة دخل فيها الى المجموعة الشمسية ، ثم اختفى ، لكنه سيعود العام القادم



شكل (٥) آخر صورة التقطها مرصد حلوان بمصر لمذنب هالى قبل أن يختفى نهائيا عام ١٩١٠ .. لاحظ الرأس وكأنها تتوهج بهالة كبيرة ، وخلفها جزء من الذيل أو الذنب

يتجمع على هيئة كثيفة ، لتكون منه تلك المذنبات ذات الشعر المجعد المجدول ، وعندئذ تضرم فيها نيران الغضب » ! .. وهو هنا يفسر سبب اختفائها عن الأنظار ، وكأنما الخطايا التى اتخذت شكل المذنبات قد محاها الله !

وحتى الى عهد قريب نسبيا ، أى عندما ما أعلن العلماء عن قرب وصول مذنب هالى فى عام ١٩١٠ ، انتشرت الاشاعات بين الناس — وخاصة الأمريكيين — عن قرب نهاية العالم ، لأن ذيل المذنب سوف يحيط بكوكب الأرض ويبث فيه الغازات الخانقة ، والمركبات السامة ، ورعب الناس ناشىء من كونهم قد سمعوا مايردده العلماء من أن المذنبات تحتوى على مركبات السيانور وأول أوكسيد الكربون والميثان .. الخ ، وهذا صحيح ، لكن تركيزه يكون من الضآلة بحيث لايؤثر على سكان الأرض ، وهو أقل بكثير من التلوث الحادث من نفايات السيارات والمصانع ، حتى على فرض أن الأرض قد اخترقت مكونات الذيل ، والغريب أن منتهزى الفرص فى امريكا بالذات قد استغلوا رعب الناس ، وأوعزوا اليهم أن لديهم قناعات واقية ، وحبوب مانعة من أى تسمم قد يلحقهم ، وبالفعل أقبلوا عليها ، وحقق الانتهازيون أرباحا خيالية !

وأحيانا ما يفسر الناس ظهور المذنبات تفسيرات تتمشى مع مايشغل بالهم من أحداث ، من ذلك مثلا أن مراسل « التايمز » فى القاهرة بعث بخبر مؤداه أن أهل الريف فى مصر شاهدوا فى اوائل ١٩٧٠ جسماً مضيئا فى السماء ، ولعدة ليال متتالية ، ولقد عللوا وجوده وقتئذ بأنه أحد الأسلحة السرية الاسرائيلية الخاصة بعمليات التجسس ، لكنه لم يكن — كما ذكر العلماء — الا مذنب « بينت » الذى ظهر بالصدفة فى هذا العام من أعوام حرب الاستنزاف بين الدولتين (شكل ٢)

على مسرح الأحداث

ولمذنب هالى الذى بدأت له الاستعدادت من الآن لمقابلته فى الفضاء فى العام القادم شواهد تفصح عن هويته بين المذنبات ، اذ لم يكن لهذا المذنب اسم قبل القرن السابع عشر ، لكنه سمي كذلك نسبة الى عالم الفلك الانجليزى إدموند هالى الذى عاصر العالم الشهير اسحق نيوتن ، اذ عندما ظهر هذا المذنب فى عام ١٦٨٢ ، بدأ كل من نيوتن وهالى فى اجراء الحسابات الفلكية لمساراته .

المهم أن هالى كان أكثر تحمسا ، وأعظم نشاطا فى دراسة تلك الظاهرة ، ولقد تقصى آثار المذنب الذى ظهر فى عام ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ (وهذا الأخير ظهر فى عصره) . واجرى عليه حساباته ، وتوصل الى حقيقة هامة : ان هذا المذنب يختفى ثم يعود فى فترات زمنية متساوية ، ولكى يدلل على صدق حساباته ، تنبأ بأنه سيعود فى عام ١٧٥٨ ، وطبيعى ان الرجل قد رآه أول مرة ، ولهذا فلم يمتد به العمر ليراه لثانى مرة ، اذ مات عام ١٧٤٢ ، لكن المذنب عاد وظهر عام ١٧٥٨ — كما تنبأ تماما ، ومن أجل هذا اطلق العلماء عليه اسم مذنب هالى تخليدا لذكراه ، والغريب ان سجلات التاريخ التى ذكرت ظهور هذا المذنب بأوصافة المعروفة ، قد امكن تتبع مسارها الى حوالى الفى سنة مضت ، مع الأخذ فى الاعتبار تكرار عودتة كل ٧٦ عاما (او بالتحديد كل ٧٦,١ عاما) ثم انك لو حسبت تاريخ ظهوره فى العصر الحديث ، اى باضافة ٧٦ عاما الى كل تاريخ سابق ، لتحتم ظهوره فى عام ١٨٣٤ ، ثم عام ١٩١٠ ، وهذا ماحدث بالفعل (شكل ٤) وسوف يعود بعد ٧٦ عاما من هذا التاريخ الأخير — أى فى العام القادم .

وطبيعى أن المعلومات التى سيحصل عليها العلماء فى هذا العام والعام القادم ، ستكون أتقن وأوفر واغزر واعمق ، وذلك بفضل التكنولوجيا الحديثة التى مكنت الانسان من غزو الفضاء ، والتجسس على مافيه بأحدث الأجهزة الحساسة والمتطورة ، ومع ذلك ، فقد قدم لنا العلماء الذين عاينوا المذنب فى عامى ١٩١٠ ، ١٩١١ معلومات لابأس بها ، خاصة اذا ما قورنت بزمانهم .. من ذلك مثلا أن أقصى قطر لرأس المذنب كان فى حدود ٥٥٠ ألف كيلومتر ، ولو أضيف اليه الهالة التى احاطته ، لبلغ القطر حوالى ٩٧٠ الف كيلومتر (اى اكبر من المسافة بيننا وبين القمر بحوالى مرتين ونصف المرة) .. اما اقصى طول للذيل او الذنب فقد بلغ ٤٨ مليون كيلومتر ، ولقد كان من المقدر أن تخترق الأرض ذنب المذنب فى يوم ١٩ مايو عام ١٩١٠ ، لكنها مرت فقط فى حافتة الخارجية ، وكان بينها وبين الرأس حوالى ٨ مليون كيلومتر ، أى فى منطقة الأمان التام وزيادة ، ولقد أمكن رؤية المذنب بالعين المجردة لعدة شهور ، لكن المراصد الفلكية ظلت ترصده مابين ذهاب واياب لفترة امتدت لحوالى ٦٤٥ يوما ، وجدير بالذكر أن آخر صورة مرئية واضحة التقطت للمذنب كانت فى يوم ٢٩ أبريل عام ١٩١١ بمرصد حلوان بمصر (شكل ٥) .. إذ ساعد صفاء جوها على ذلك ، ثم أخذ يبتعد ويبهت الى أن اختفى تماما فى شهر يونيو من نفس العام ، وكان وقتها على مسافة تقدر بحوالى ٨٤٠ مليون كيلومتر من الشمس !

وفى بداية هذا العام سوف يبدأ رصد المذنب لأول مرة بالمناظر الفلكية الموجودة فى الأقمار الصناعية ، وستكون الرؤية اوضح ، رغم بعد المسافات التى تمتد الى مئات الملايين من الكيلومترات ، وسوف يظل يقترب ويقترب ، والأجهزة ترصد وتسجل ، الى أن يصل الى اقرب نقطة من الشمس فى يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ، اما أقرب موقع سيصل اليه من الأرض فسيكون يوم ١١ ابريل ، وعندئذ ستكون المسافة بيننا ٦١ مليونا من الكيلومترات ، أى أبعد بكثير من المسافة التى سجلت له فى عام ١٩١٠ ، ومن أجل هذا سيبدو اصغر حجما ، وأقل لمعانا ، ومع ذلك فيمكن رؤيته بالعين المجردة ، الا أنه سيكون أوضح فى نصف الكرة الجنوبى .

أسراب هائلة من المذنبات الهائمة

والواقع أن هالى ليس الا واحدا من مائة الف مليون مذنب تحيط بحافة مجموعتنا الشمسية ، على حسب تقدير العالم الفلكى ج . اورت ، أى كأنها هى اسراب هائلة ، من مذنبات هائمة ، تكون « سحابة » او هالة ضخمة تحيط بمجموعتنا الشمسية من الفضاء البعيد جدا ، اى يفصلنا عنها مسافات تتراوح مابين ١٠٠,٠٠٠ — ١٥٠,٠٠٠ وحدة فلكية (والوحدة هنا تساوى المسافة بيننا وبين الشمس . أى حوالى ١٤٩ مليون كيلومتر) .. او مايعادل ١٨,٦٢٥,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر فى المتوسط ، ومع ذلك فالمذنبات لازالت بعيدة بمقدار مرتين ونصف عن اقرب نجم الينا فى مجرتنا ،

ومن اجل هذا ينجذب القليل منها الى الأقرب ، أى الى مجموعتنا الشمسية ، وتتجول بين كواكبها ، أو تطوف حول شمسها ، ثم تكر راجعة من حيث أتتت ، او قد تسقط فى آتون الشمس ، أو تقع على بعض الكواكب ، خاصة الكواكب الضخمة مثل زحل والمشترى ، ولا مانع أيضا من أن تصيب أرضنا ، فتحدث فيها تخريبا ودمارا هائلا ، وأقربها مثلا ماحدث فى إحدى غابات سيبيريا عام عام ١٩٠٨ ، لكن ذلك موضوع آخر قد نتعرض له فى دراسة قادمة ، فربما يتكرر الحدث بضربة أقسى أو أرحم ، يتوقف ذلك على حجم المذنب !

ولهذه المذنبات مدارات مختلفة (شكل ٦) ، وسرعات متباينة ، وأحجام متفاوتة ، ومن اجل هذا قد تأتى الينا على غير موعد ، أو بمواعيد محددة ، فأقصر فترة زمنية سجلت لمذنب بين ظهور واختفاء كانت ٣,٣ سنة ، وصاحب هذه الزيارات المتكررة هو المذنب « انكة » ، لكنه باهت ، ولايكاد يرى الا بالمناظير الفلكية ، ومنها مايحل علينا ضيفا كلما مرت عشرات السنوات ، مثل مذنب هالى ، وهو من المذنبات الكبيرة اللامعة ، وقد لاتعود بعض هذه المذنبات الا بعد مرور مئات وآلاف السنوات ، فالمذنب كوهوتيك الذى دخل الى مجموعتنا الشمسية ، وتجول فيها فيما بين عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، لن يعود الا بعد مرور ٧٥ ألف عام ، ويقال ان المذنب ديلافان الذى ظهر فى عام ١٩١٤ سيرجع بعد ٢٤ مليون عام — أطال الله أعماركم !

لكن سر شهرة المذنب هالى أنه زائر منضبط الى حد بعيد ، ومثله أيضا عشرات من المذنبات التى ترووح وتجىء فى مواعيد محددة ، ويعنى هذا وجود مذنبات كثيرة غير منضبطة ، ويرجع عدم انضباطها الى عمليات الجذب التى تتسلط عليها من الكواكب اثناء مرورها بالقرب منها ، مما يؤثر على تغيير مداراتها ، فيحرفها عن طريقها ، ولهذا تتعسر الحسابات الفلكية بشأنها !



شكل (٦) مدارات الكواكب والمذنبات حول الشمس ، ويلاحظ أن مدارات المذنبات (المدارات الأربع الحمراء) توجد داخل المجموعة الشمسية ، وبعضها الآخر يتعداها الى الخارج (الرسم هنا لا يتمشى مع النسب الواقعية ، لضيق المساحة)

طبيعة المذنبات

والمذنبات اسم على مسمى ، لأنها « أجسام » تكتسب ذنبا عند دخولها الى العائلة الشمسية ، وكلما اقتربت من الشمس أكثر ، صار الذنب أطول ، واذا ابتعدت ، يبدأ الذنب فى الضمور الى أن يختفى تماما ، فاذا عاد المذنب .. ولذلك سبب ، والسبب يرجع الى طبيعة المذنب ، أو بالتحديد الى رأسه أو جسمه ، لأن الرأس نفسه قد يتضخم او يتورم آلاف او عشرات الآلاف من المرات ، او هكذا يبدو للراصدين من الأرض ، اذ قد يكون قطر الرأس وهو فى متاهات الفضاء حوالى كيلومتر أو ربما عشرة او عشرين كيلومترا ، يتوقف ذلك على حجم المذنب ، فاذا اقترب الرأس من الشمس يبدأ فى التمدد ، وتحيط به هالة كبيرة قد يصل قطرها الى حوالى مائة الف كيلومتر (قطر الأرض بالمقارنة حوالى ١٠,٢٠٠ كيلومترا) ، ومن الرأس أيضا يمتد ذنب يتراوح طوله مابين مليون كيلومتر الى اكثر من ١٠٠ أو ١٥٠ مليون كيلومتر ، اى قدر المسافة بين الأرض والشمس بالتقريب !

ومن أين جاءت المادة التى تزيد هذه الرؤوس تورما ، او الأذنات طولا ، رغم ان المذنب ذاته لايزيد قطره عن عدة كيلومترات ؟

الواقع ان طبيعتة تختلف عن طبيعة أى جسم سماوى آخر ، فهى من غازات وثلوج وأتربة مكدسة فى نواتها او مركزها ، ونظرا لأن هذه المذنبات تقضى معظم حياتها خارج المجموعة الشمسية ، حيث الفراغات الهائلة ، والبرودة المطلقة ، والظلمات الحالكة ، فلابد لكل شىء ان يتصلب ، أى أن الغازات والأبخرة تتجمد وتتكدس ، فاذا دخلت النواة الى حدود الكواكب الخارجية ، واستقبلت من حرارة الشمس نزرا يسيرا ، فذلك كفيل بجعل المركبات الغازية المتجمدة تتسامى (أى تتحول مباشرة من صلابة الى غاز منتشر دون المرور بحالة السيولة) ، فتتطاير وتنتشر حول النواة مكونة غلالة رقيقة غاية الرقة ، لكنها واسعة غاية الاتساع (شكل ٧) .. حتى اذا وقعت عليها أشعة الشمس ظهرت كهالة لامعة أو مضيئة ، ويظل المذنب يقترب من الشمس ويقترب ، والغازات المتجمدة تتسامى وتنتشر ، والنواة والهالة تتضخم وتتسع ، والرؤية تتضح وتتيسر ، الى ان يأتى الوقت الذى يصبح فيه « للرياح » الشمسية المندفعة أثرا متزايد على الهالة ، فتندفع الغازات لتتطاير وراء الرأس ، وتشكل ذيلا طويلا شفافا غاية الشفافية ، وبحيث لايوجد فى الكيلومتر المكعب من مادة الذنب الا بقدر مايحوى الملليمتر المكعب من غلافنا الهوائى من مادة غازية (الكيلومتر المكعب يساوى بليون متر مكعب ، والرياح الشمسية ليست رياحا بالمعنى المفهوم ، بل موجات وجسيمات مندفعة) .. ومع هذه الرقة المتناهية فى الذيل ، الا أنه — مع ذلك — يلمع ، نظرا لعمقه او سمكه الذى يبلغ ملايين الكيلومترات ، واحيانا ما تتغير شدة الرياح الشمسية نتيجة لاضطرابات قد تحدث فى جوف الشمس ، فيغير ذلك من شكل الذيل ، فتارة يستقيم ، وتارة أخرى يلتوى أو ينفرج او يضيق ، وهو مايلحظه المشاهد من كوكبنا ، ويراه اكثر ضياء من أى جسم سماوى آخر ، باستثناء الشمس والقمر .

والواقع ان الدراسات والصور الحديثة التى التقطتها بعض الاقمار الصناعية لعدد من المذنبات التى تتردد على مجموعتنا الشمسية ، توضح ان الرأس يتكون من غازات تجمدت فتبلورت ، وخاصة فى جوف المذنب أو نواته ، لكن يبدو أن هذه البلورات ليست مكدسة فى كتلة واحدة ، بل اقرب ماتكون الى الحالة الاسفنجية ، ولهذا فان كثافتها خفيفة ، وقد لاتتعدى عشر كثافة الماء ، كما يبدو أن البلورات الغازية مختلطة بغبار كونى ، ولهذا جاءت داكنة ، وكأنما هى تكونت من شىء عكر ، وحول النواة تتوزع البلورات وكأنما هى ريش خفيف منتشر — اى أن كثافتها أخف ، وعندما تسقط الحرارة على الطبقات الخارجية تتحول الى غازات ، ولهذا تظهر المذنبات فى الصور الحديثة وكأنما هى تتكون من طبقات ذات تركيبات مختلفة (شكل ٨) .

ولقد أمكن ايضا تحديد طبيعة المركبات البلورية والغازية من طيفها أو « بصماتها » الكيميائية ، إذ أن لكل ذرة أو مركب خطوط تدل عليه ، وتشير اليه ، ومن هذه الغازات نذكر — على سبيل المثال لا الحصر — الميثان والسيلنور الميثيلى (سيانور وميثان فى مركب) وحامض السيانور والايدروجين وأول اوكسيد الكربون والنوشادر (وكلها — كما ترى — غازات خانقة) .. هذا بجوار آثار من الكربون والحديد والكالسيوم والنحاس والسيليكون والسيليكا (الرمل) والنيتروجين والصوديوم والمنجنيز .. الخ .. الخ .

الاستعداد للقاء المثير

ورغم أن العلماء قد جمعوا بعض المعلومات عن المذنبات بواسطة الأقمار الصناعية فى السنوات القليلة الماضية ، الا أن الصيد الأكبر والأعظم سوف يتم من خلال دراسة أعمق للمذنب هالى ، اذ يبدو أن هذا المذنب سيصل فى موعده المحدد تماما ، ولقد أمكن رؤيته لأول مرة فى يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٨٢ ، ولقد تمت الرؤية من خلال المراصد الفلكية المتطورة ، وهذه أول مرة يتم فيها الرصد والمذنب لايزال بعيدا جدا ، اى كان وقتها على مسافة ١٦٠٠ مليون كيلومتر من الشمس ، وكان يندفع بسرعة تقدر بحوالى ٥٢٠ كيلومترا فى الساعة فى المتوسط ، أى اسرع بأربع أو خمس مرات من قطار سريع (وسرعة القطار متروكة لتقديرك على أية حال) .. وبعد ٣,٣ سنة من هذا التاريخ سوف يصل الى اقرب نقطة من الشمس ، ولا شك ان العلماء الآن (وقبل وبعد الآن) ينظرون اليه كل فترة زمنية ، كنوع من الاشتياق او الاطمئنان أو حب الاستطلاع والمعرفة !

ولقد بدأت الدول المتقدمة فى الاستعداد لهذا الحدث بكل الوسائل الممكنة ، عدا الولايات المتحدة ، اذ لم يستجب الرئيس ريجان لعلماء الفلك بتخصيص بند مالى لدراسة المذنب ، بحجة العجز فى الميزانية ، لكنهم سيستخدمون اجهزة الرصد التى تدور الآن فى الفضاء (مثل التليسكوب الفضائى آى ام بى ٨ ، والرائد ٧) ودون ان يكون هناك برنامج حقيقى للقاء (شكل ٩) .. لكن الاستعدادات على الجانب الآخر كانت تتم على قدم وساق ، وفى المقدمة الاتحاد السوفيتى واليابان ومجموعة الدول الأوربية ، بواقع اثنين لكل من روسيا واليابان ، وواحد مشترك بين الدول الأوربية ، ولقد اجتمع ممثلو هذه الدول فى بودابست للتنسيق ، على أن تنطلق سفن البحوث الفضائية بحيث تقترب من المذنب فى شهر مارس عام ١٩٨٦ وهو على مسافة من الشمس تقدر بحوالى ١٤٥ مليون كيلومتر .

ومن المقرر أن يمر قمرا الاستكشاف الروسيان بالقرب من كوكب الزهرة قرب نهاية هذا العام ، ومن كل قمر « أم » سينطلق قمر أصغر ، ليدور حول الكوكب لمزيد من الاستكشاف والدراسة وجمع المعلومات ، ويتابع القمران الأصليان رحلتهما صوب المذنب ، وسيكون أحدهما على مسافة منه تقدر بعشرة آلاف كيلومتر ، والآخر سيقترب الى حدود ثلاثة آلاف كيلومتر ، ويقال إن العلماء الروس قد أعلنوا أنه بالامكان توجيه القمرين الى مسافة مائة كيلومتر لاغير ، واذا صح ذلك فلا شك أنه يعنى الدقة المتناهية للوصول الى الأهداف ، خاصة فى هذا التيه الفضائى الذى يمتد حولنا لمئات الملايين من الكيلومترات (ونحن نتحدث هنا عن الفضاء المحلى فقط) ، لكن اليابان قد أعلنت أن قمرها سوف يرصد المذنب وهو على مسافة مائة ألف كيلومتر ، وسيتم ذلك فى يوم ٨ مارس عام ١٩٨٦ ، وفى يوليو من هذا العام (أى عام ١٩٨٥) سينطلق قمر مجموعة الدول الأوربية لبحوث الفضاء من كورو بطيانا الفرنسية ، حيث يوجد مركز لاطلاق صواريخ الفضاء ، وسوف يقترب من المذنب لمسافة عدة مئات الكيلومترات فى أوائل مارس ١٩٨٦ (شكل ١٠)

ولاشك أن أقمار استكشاف المذنب تحتوى على أحدث ما وصلت اليه تكنولوجيا عصر الفضاء من أجهزة حساسة ودقيقة وذات كفاءة عالية فى الرصد وجمع المعلومات ، ولهذا فقد اسند تصنيع كل جهاز الى أحسن الشركات كفاءة فى هذا المضمار ، فنرى الاتحاد السوفيتى مثلا يعلن أن أجهزة الكشف فى القمرين قد شاركت فى تصنيعها دول عديدة مثل فرنسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبولندا والمانيا الغربية ، بالاضافة طبعا الى تكنولوجيا الاتحاد السوفيتى المتقدمة ، كذلك شارك فى تصنيع اجهزة القمر الأوربى كل من سويسرا وبريطانيا وفرنسا وايرلندا والمانيا الغربية .

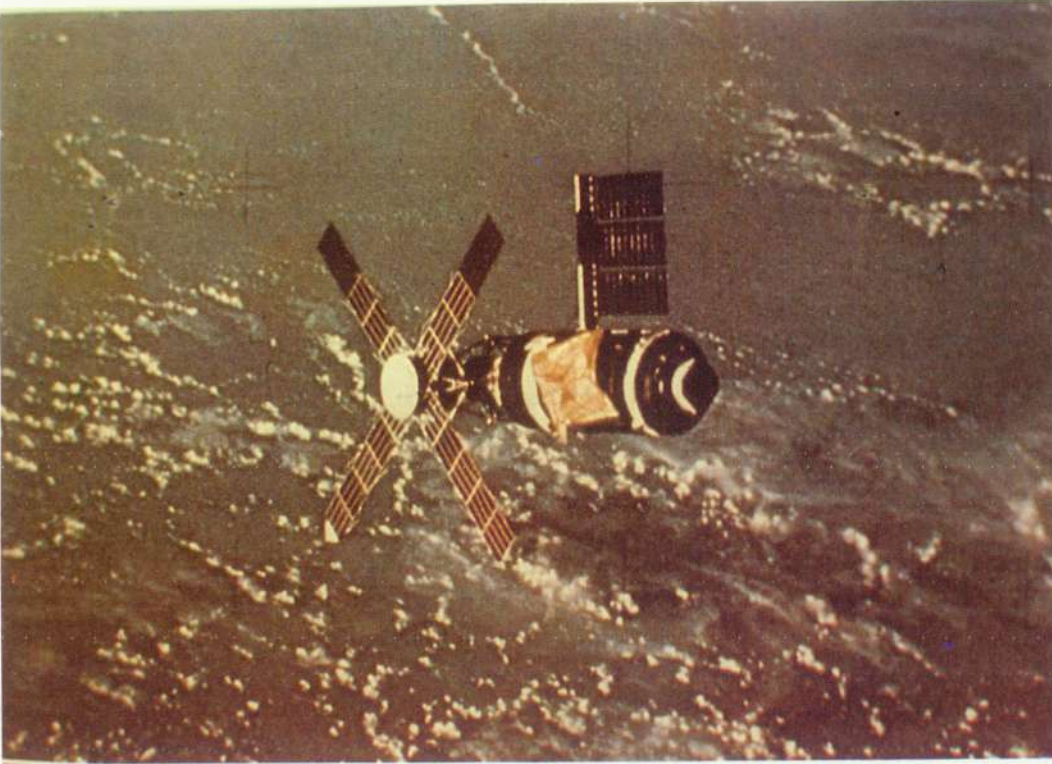
والأجهزة بطبيعة الحال سوف تستقبل وتصور



شكل (٧) صورة لمذنب ايراس التى التقطها أحد الأقمار الصناعية عندما كان فى أقرب منطقة للأرض فى يوم ١١ مايو ١٩٨٣ ، ولم يقترب أى مذنب لمثل هذه المسافة منذ حوالى ٢٠٠ عام ، ولهذا وجدها العلماء فرصة ذهبية لدراسة متأنية .. لاحظ ضخامة الهالة واتساعها حول نواة صغيرة نسبيا (الخطوط مسارات للنجوم نظرا لدوران الأرض)



شكل (٨) صورة حديثة بالأشعة تحت الحمراء توضح الطبقات المختلفة فى رأس المذنب وذيله



شكل (٩) معمل فضائى سيشارك فى استقبال مذنب هالى عن بعد، وسوف يلتقط له صورا أكثر وضوحا، ويقوم بتحليل تكويناته بأجهزة معقدة وحساسة



شكل (١٠) رسم توضيحى لطريقة اللقاء التى ستتم بين مذنب هالى وبين احدى سفن الفضاء عندما يصبح فى أقرب موقع له من الشمس، ومن المقدر أن تقترب سفينة الفضاء لتصبح على مسافة آلاف الكيلومترات من المذنب

وتحلل وتصنف وترسل الى المحطات الأرضية كل مايتوق العلماء الى معرفته، ومن هذه الأجهزة ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر ـ كاميرات تليفزيونية متطورة، وأجهزة حساسة لتحليل الطيف الجسيمى، ومزودة بقنوات ثلاث، لتتعرف على نوع ذرات العناصر والمركبات الموجودة فى كل من النواة والذيل والهالة وأجهزة مثلها تماما، ولكنها تعمل بالأشعة تحت الحمراء، واجهزة لتحليل الغبار، وعدادات لتقدير توزيع الحبيبات، وغيرها لتعيين أطياف الغازات المتعادلة، وثالثة لقياس الجسيمات الذرية ذات الطاقات العالية، ورابعة للمغناطيسية، ومجسات ضوئية، وأجهزة لتحليل المركبات المتأينة (أى التى تحمل شحنات كهربية موجبة أو سائلة)، ومحللات للبلازما الموجية، وكاميرات للألوان المختلفة، وعقول اليكترونية لتنسق بين هذه الأجهزة، وتحدد لها أهدافها، ومحطات ارسال واستقبال ... الى آخر هذه الاستعدادات التى ترصد أقرب، وترى أحسن، وتحلل أسرع، وتحسب أتقن، وتستنتج أكفأ، وتشعر بكل مايخفى عن حواسنا القاصرة.

ولماذا كل هذا؟

للمعرفة باسرار الكون، وكيف نشأ، إذ أن هذه الهائمات الفضائية الرقيقة والبسيطة لازالت على حالتها القديمة جدا، أى أن خامتها البدائية لم تتشكل فى أقمار أو كواكب أو شموس او ماشابه ذلك، اذ ينظر اليها معظم العلماء على أنها بقايا من سحابة ضخمة غاية الضخامة، وأن هذه السحابة كانت منذ حوالى خمسة بلايين عام رقيقة غاية الرقة، لكنها بدات تتجمع شيئا فشيئا، حتى تكونت منها فى النهاية العائلة الشمسية، والغريب أن تكوين هذه المذنبات يحمل معظم العناصر والمركبات البسيطة التى يكتشفها العلماء فى السحب الكونية البعيدة، والتى لازالت فى مراحل تكوين مجموعات شمسية وليدة.

فكأنما هذه المذنبات قد قدر عليها التشرد والتيه فى فضاء واسع، فى حين أن معظم مادة السحابة (وهى ليست كسحبنا بطبيعة الحال) قد استقر فى شمس تدور حولها كواكب ذات تكوينات محددة، ومدارات مقدرة، وحركات منضبطة، لكن بعض هذه المذنبات قد تزورنا بين الحين والحين، ثم تتجول قليلا فى ذلك الملكوت القائم، وكأنما هى تحن اليه، لأنها لازالت من ذاته وأصله، ثم هى قد تنجذب أحيانا الى اجرامه، وتقع فيها، وتصبح جزءا منها، وكأنما هى استقرت بعد أن ظلت ضالة هائمة لملايين أو مئات الملايين من السنين، لكن وقوعها على اى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية قد يتمخض عن كوارث رهيبة، خاصة اذا كان كوكبا معمورا بمخلوقات عاقلة او غير عاقلة، ومن اجل هذا وغيره، كان لابد من مقابلة المذنب القادم، فربما وجدنا فيه مزيدا من الأسرار التى تقربنا من معرفة لغز نشأة المجموعة الشمسية خاصة، والكون عامة، ثم هو قد يبصرنا بطبيعة الكوارث التى حلت بأرضنا حديثا وقديما، إذ قد تأتينا احداها بغتة، دون ان ندرى او نشعر، اذ ما اكثر مايخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد من خفايا الكون والحياة.

عبد المحسن صالح



البوابة الرئيسية للجامعة الاردنية ، ويبدو فيها الطراز المعماري الاسلامي

الجامعة الأردنية

نافذة حيّة على الثقافة والتعليم في العالم العربي

١١ ألف طالب وطالبة .. وثاني أكبر مكتبة في الشرق الأوسط .. ومستشفى جامعي على مستوى عالمي

بقلم : نبيل خالد الأغا

فى احدى أجمل ضواحي العاصمة الأردنية وأبهاها ، ووسط أحضان الخمائل البديعة لأشجار الأثل والسرو والصنوبر ، تتربع الجامعة الأردنية الوارفة العطاء ، واحدة من أعظم جامعات الوطن العربي وأسماها . صرح عربي شاهق ، تنبعث من كافة قواعده وجنباته أضواء العلم والمعرفة ، فتنير قلوب العازمين ، وعقول الطامحين .

كان يوم ميلادها حدثاً مشهوداً في مسيرة المملكة الأردنية الهاشمية ، ففي الثاني من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ م تقرر إنشاء الجامعة الأردنية لتوفير فرص التعليم ، وزيادة المعرفة الانسانية ، ودراسة التراث والثقافة العربية الاسلامية والحفاظ عليهما ، ومواكبة الركب الانساني فى مجالات الفكر والانتاج والابداع بمنهجية علمية تهدف إلى بناء المجتمع الأردنى ، وخدمة الأمة العربية الاسلامية .

ولم تكن الطريق لتحقيق هذه الارادة سهلة ولا ميسرة المسالك ..



بعض طالبات الجامعة بالزي الاسلامي في رحلة الى منطقة الجسور.

كانت القدرات المادية الأردنية يومذاك محدودة، ومقننة .. لكن الطموحات لم تكن أبداً كذلك، وبناء الانسان روحياً وعقلياً كان — وما زال — من اسمى الأهداف، وأنبل الغايات.

وفي إحدى المناسبات العلمية عبر العاهل الأردني عن ظروف إنشاء الجامعة فقال «.. انني أذكر كيف نما هذا الصرح الجامعي من بدايته المتواضعة ليصبح قاعدة للعلم والتعليم نعتز بها في اردننا الحبيب، ونفخر بها في وطننا العربي الكبير، وفي منطقتنا بأسرها، ومن هذه التجربة المحسوسة المنظورة نتعلم في وطننا كيف أن الارادة الانسانية والتصميم يصنعان من الموارد المحدودة وفي أصعب ظروف الضيق انجازات عظيمة تتجاوز الموارد والتوقعات، وتفتح الآفاق الكبرى أمام الوطن والأمة».

والبداية المتواضعة تبدو لنا في الصورة التالية: الجامعة الأردنية «كلها» عبارة عن كلية واحدة هي كلية الاداب .. والتحق بها يومئذ ١٤٩ طالباً، و١٨ طالبة!

اما عدد الأساتذة فثمانية، المتفرغون منهم ثلاثة فقط، والباقون غير متفرغين!

وبالنسبة للميزانية فلم تكن تتعدى الخمسين ألف دينار!

ولم يكن بالحرم الجامعي سوى مبنيين صغيرين.

وبعد أثنين وعشرين عاماً تطالعنا صورة ناطقة للجامعة الأردنية في إطار باهر من الاعزاز والمهابة، وهي بالقطع ليست الصورة الأمثل في أذهان المسئولين الأردنيين، لكنها على كل حال صورة نقية معبرة تماماً عن ارادة الانسان العربي الأردني وتصميمه، ونجاحه.

فما هي الملامح الدقيقة لهذه الصورة اليوم؟

أصبح عدد الكليات ثلاث عشرة تتوزع ما بين العلوم الانسانية والعلوم البحتة والتطبيقية.

في العلوم الانسانية توجد كليات: الآداب والتجارة والاقتصاد والتربية والشريعة والحقوق والتربية الرياضية. وفي العلوم البحته والتطبيقية توجد كليات: العلوم والطب والتمريض، والزراعة، وهندسة التكنولوجيا والصيدلة، وكلية طب الاسنان التي أعلن افتتاحها في العام الماضي، وتضم هذه الكليات مجتمعة أكثر من خمسين قسماً أكاديمياً يدرس فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف مادة دراسية في العام الواحد.

اما بالنسبة للعدد الاجمالي للطلبة فقد بلغ في عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ (١١٥١٨) طالباً وطالبة. منهم ٥٨١١ من الذكور و٥٧٠٧ من الأناث، وقد تم قبول ٢٧٨٢ طالباً وطالبة من المستجدين في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي الحالي ٨٥/٨٤، وبلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية ٦٢٢٧ عضواً من المتفرغين وغير المتفرغين

وقدرت النفقات لعام ١٩٨٣ بما يقرب من أربعة وعشرين مليون دينار؛

كما تجاوز عدد مباني الجامعة الاربعين.

حرية الطالب

وقد جهد المسئولون في الجامعة الأردنية منذ البداية ببنائها وتوسيعها وتطويرها على أساس مخطط تنظيمي، وأصبحت مساحة الأرض ضعف المساحة التي خصصت للجامعة ابتداء.

وترسخ الجامعة مفهوم الحرية والمشاركة كأساس متين قامت عليه منذ تأسيسها، حرية الطالب في أن تكون له أراؤه وتطلعاته، حريته في أن يسهم في تطور العملية الجامعية إلى الأمام، حريته في أن يحدد مستقبله المهني عن طريق ما يختاره من فروع الاختصاص، وأن يختار المواد التي يرغب بدرسها ومن يحب أن يدرس على يديه من مدرسين أكفاء.

وكما تعنى الجامعة بتنمية معرفة الطالب وتدريبه العلمي، فهي تعني أيضاً بتنمية شخصيته، وابراز مواهبه الدفينة. ومن وسائل هذه التنمية نشاطات الطلبة من خلال الجمعيات العلمية الطلابية، وإقامة المعارض والمجلات والرحلات الجماعية واللقاءات المختلفة.

وتتبع الجامعة نظام الساعات المعتمدة الذى يوفر للطالب المرونة في التخصص واعطائه الحرية في الاختيار والتغيير، كما يساعد على التوفير في الجهد، والتفاعل بين طلبة مختلف الكليات باجتماعهم في مواد يدرسونها حسب الخطة الدراسية التي يتبعونها، وفي مواد اختيارية حرة ينتقونها حسب ميولهم ورغباتهم.

وتعتبر الجامعة الأردنية أن من أهم أهدافها القومية خدمة الوطن العربي وابنائه حيثما كان ذلك ممكناً، ويتجسد هذا الهدف بقبول اعداد متفاوته من الطلاب والطالبات العرب في مختلف الكليات سنويا.

وانطلاقاً من التوجه العربي للجامعة فان مجلس امنائها يضم ستة من كبار المسئولين العرب، يشاركون في اتخاذ القرارات والتوجيهات مثل اخوانهم الاردنيين في المجلس.

وهؤلاء السادة هم: معالى الاستاذ عيسى غانم الكوارى (قطر)، معالى الشيخ أحمد زكي يمانى (السعودية)، معالى السيد أحمد السويدى (الامارات)، معالى السيد يوسف الشيراوي (البحرين) معالى السيد عبد اللطيف الحمد (الكويت)، معالى السيد قيس الزواوى (عمان).

اما أعضاء مجلس الامناء الأردنيون فهم السادة:

دولة السيد أحمد اللوزى (رئيس المجلس)، معالى وزير التربية والتعليم، معالى السيد عدنان أبو عوده، معالى رئيس الجامعة الأردنية، معالى الدكتور محمد سعيد النابلسي، معالى السيد سليمان السكر، معالى السيد أحمد الطراونة، معالى السيد فريد السعد، معالى الدكتور محمد نورى شفيق، رئيس جامعة اليرموك، سعادة الحاج محمد علي بدير، معالى السيدة ليلى شرف.

في رحاب الجامعة

تلقيت مكالمة هاتفية تحدد موعد لقائى مع الأخوين الكريمين وليد الموره‌لي مدير العلاقات العامة، ونبيل المجالي رئيس شعبة الأعلام. الساعة العاشرة من ضحى يوم صيفي ساطع

العاهل الاردني فى لقطة تذكارية مع طلبة جمعية الخدمة العامة بالجامعة

الضياء ، وبمجرد أن تخطيت عتبات البوابة الرئيسية للجامعة اعتراني شيء قليل من الرهبة وشيء كثير من الهيبة . فهذه أول مرة أدخل فيها هذا الصرح العلمي الكبير .

ان أول مايثير انتباه المرء عشرات .. بل مئات من الطلبة والطالبات متناثرون فى انحاء مختلفة من الجامعة ، فى الشوارع ، والطرقات الجانبية سائرون زرافات ووحدانا ، وعلى المسطحات الخضراء واقفون أو جالسون ، داخلون أو خارجون من المكتبة ، والمطعم ، والكلية ، وعمادة شؤون الطلبة ، ومكتب البريد ، والبنك ، وصالون تزيين الشعر ..

كل هذه المظاهر الجامعية استرعت انتباهي ، برغم أن الدراسة يومئذ صيفية ، وعدد الطلاب عادة يكون أقل من معدله فى أيام الدراسة الاعتيادية . ورغم ذلك فعدد الطالبات يكاد يكون مساوياً لعدد الطلاب ، والكثير من الطالبات « يدنين عليهن من جلابيبهن » فيظهرن بملابسهن الشرعية فى صورة مهيبة تبعث فى جنان المرء الدفء والسكينة .

وعدد من الطالبات يرتدين أحدث الأزياء والمبتكرات التى انتجتها أعظم دور الأزياء فى أعظم عواصم العالم تحضراً وتمديناً ، ولكنك على كل حال لا تملك الا أن تحترمهن لأنهن ينضوين تحت لواء العلم والمعرفة .



بعض الخريجيين والخريجات بعد استلام شهادات التخرج في الحفل السنوى المعتاد

وخلال ترددي لعدة مرات خلال عدة أيام التقيت بعدد من كرام المسئولين والطلبة والطالبات . وكان لقائي الأول مع الدكتور رزق الرشدان مدير مستشفى الجامعة ، وقد حدثني عن تأسيس المستشفى وأقسامه وتطوره فقال :

تم تشييد المستشفى عام ١٩٧٣ ، وكان يعرف حينئذ بمستشفى عمان الكبير ويتبع وزارة الصحة .

وفى أول يوليو عام ١٩٧٥ ضم رسمياً إلى الجامعة وأصبح يعرف بمستشفى الجامعة الأردنية .

ويضم المستشفى حاليا ٥٥٠ سريراً ، يمكن زيادتها فى الحالات الاضطرارية إلى ٦٥٠ سريراً موزعة على تسعة طوابق ، إضافة إلى طابق خاص بأمراض النساء والتوليد ، وثلاثة طوابق للخدمات العامة والمكتبة .

أما عن الهيكل التنظيمي للمستشفى فيضم

الملكة نور الحسين فى زيارة لطلبة جمعية الخدمة العامة خلال يوم عمل



الملكة نور الحسين في زيارة تفقدية لمستشفى الجامعة ويبدو في الصورة
الدكتور رزق الرشدان مدير المستشفى والاستاذ الدكتور قنديل شاكر

الأقسام التالية :

أولا : قسم الأمراض الداخلية

ثانياً : قسم الجراحة العامة

ثالثاً : قسم الجراحة الخاصة

رابعاً : قسم الأطفال

خامساً : قسم التوليد وأمراض النساء

سادساً : قسم العيادات الخارجية ، وقسم الطوارىء ،

اما بالنسبة للتدريب الداخلى فهو يشمل إعداد الأطباء المقيمين ، واطباء الامتياز ، ومدرسة الممرضات المساعدات .

وبالمناسبة فان عدد الأطباء المقيمين بالمستشفى يزيد عن التسعين وعدد اطباء الامتياز يزيد عن الخمسين ، وأكثر من مائتين وعشرين ممرضة وممرضاً ، ويوجد نفس العدد تقريباً من الممرضات والممرضين تحت التدريب .

اما عدد أطباء الاختصاص من أعضاء هيئة التدريس فقد بلغوا ٧٢ طبيباً يقومون بتدريس الطلبة ويشرفون على تدريبهم العملي داخل المستشفى .

واشار الدكتور الرشدان إلى أن المستشفى يحصل على نسبة من ميزانيته من الدولة لأنه يؤدى خدمات الرعاية الأولية ، بمبالغ زهيدة إذا قيست بالنسبة للقطاع الخاص . ويعالج المستشفى جميع المحولين إليه من وزارة الصحة نظير اعفاء تصل نسبته إلى تسعين بالمائة أحياناً .

ان الجامعة الأردنية تتطور باستمرار ، وعلى الأخص فى الأقسام العلمية التطبيقية ، كما أن الخدمات الطبية فى الأردن تتطور كما ونوعاً .

ولقد تم انشاء مركز تعليمى لتنمية القوى البشرية العاملة فى الحقل الصحى . وتمتد خدماته لتشمل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بالتعاون والتنسيق مع منظمة الصحة العالمية . ويدير المركز بكفاءة واقتدار الأستاذ الدكتور : قنديل شاكر شبير .

تراث الأمة وحاضرها

حرصت أن أزور كلية الشريعة نظراً لما تتمتع


الدكتور ناصر الدين الأسد
اول رئيس للجامعة


الدكتور عبد السلام المجال
الرئيس الحالي


الدكتور راجح الكردي نائب
عميد كلية الشريعة


خلف الطراونة : احدث
ماجستير في الجامعة


اروى محمد الجمال طالبة
من الارض المحتلة

به من سمعة جيدة تخطت أسوار الجامعة ، وحدود الأردن ، لتضع أسرة الكلية وخريجيها فى مرتبة سامقة من التقدير والاحترام ، وما نزال نتذكر كلية الشريعة كلما استمعنا لرأى أو محاضرة أو قرأنا كتاباً أو مقالا لأحد أقطابها الكرام من أمثال ، الدكتور مصطفى الزرقاء ، والدكتور ابراهيم زيد الكيلاني ، والدكتور عبد العزيز الخياط ، والدكتور فضل عباس والدكتور إسحاق الفرحان وغيرهم .

يقول الدكتور راجح الكردي عميد كلية الشريعة بالنيابة متحدثا عن الكلية : تأسست الكلية عام ١٩٦٤ ، والهدف من إنشائها ــ بصفة عامة ــ وصل حاضر الأمة بتراثها وحضارتها الإسلامية ، وتخريج جيل من العاملين للاسلام والداعين إليه . والوفاء بحاجة المجتمع الأردني والبلاد العربية والإسلامية من المعلمين والوعاظ والمرشدين والخطباء وقضاة المحاكم الشرعية .

عندنا الآن بالكلية حوالى ٩٠٠ طالب وطالبة تقريباً ، ستون بالمائة منهم من الاناث ، وأربعون بالمائة من الذكور . ونظراً لاقبال الطالبات خاصة على الكلية لجأت الجامعة إلى تحديد نسبة القبول بمعدل خمسين بالمائة للطلبة ومثلها للطالبات .

كما نستقبل فى كل عام جامعى فى حدود مائتي طالب وطالبة ، وبلغ الحد الأدنى للقبول فى العام الماضى ٨٠ بالمائة للطالبات و ٧٨ بالمائة للطلاب .

وتخرج من الكلية منذ انشائها وحتى اليوم ما يقارب ١٦٠٠ طالب وطالبة .

والحقيقة أن وجود كلية الشريعة فى الجامعة الأردنية هو وجود في موضعه الطبيعي ، إذ أن الكلية تكرس قضية عدم انفصال الدين عن الحياة ، وللكلية أثرها الذى لا يخفى فى محيط الجامعة بشكل خاص ، ونحن نعتز بأن طالباتها ونسبة لا بأس بها من طالبات الجامعة يرتدين الزي الشرعي بمنتهى الاختيار والحرية . فطالبنا ولله الحمد يمارس حقه تماماً فى التوجه إلى تراثه وإلى حقيقة انتمائه لأمته . وكلية الشريعة كلية أكاديمية وعلمية الا أنها تمثل فى نفوس الناس العودة إلى الانتماء ، وهى تتجاوز كونها مهنة يأخذ بها الطالب وثيقة العيش إلى أن يصبح صاحب رسالة .

وعن نشاطات الكلية ومساهماتها فى خدمة المجتمع الإسلامى قال الدكتور راجح : لقد أسهمت الكلية من خلال بعض اساتذتها فى صياغة القانون المدني الأردني المستمد من الشريعة الإسلامية الذى هو الآن طور التطبيق العملي فى الأردن .

كما أن الكلية تدعم بشكل مباشر الجامعة الاسلامية فى غزة المحتلة وذلك باعارتها عضوى هيئة تدريس كل عام . كما أن للكلية علاقات وثيقة ومباشرة مع جامعة الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة بالجزائر الشقيقة ، ونحن فى كل هذا سعداء .. لأننا نؤدى جزءاً يسيراً من واجبنا .

ويشعر الطالب اسامة محمد الزميلي الطالب بالسنة الثالثة بأن سعادته غامرة لانتمائه الى هذه الكلية ، ويقول : لقد تم قبولي فى احدى الكليات العلمية ، ونجحت فى السنة الأولى ، ولكننى وجدت نفسى بعيداً عن السعادة ، فحولت أوراقى إلى كلية الشريعة فوجدت سعادتى فى دخولها لأنها ستساعدنى ــ عملياً وعلمياً ــ فى الدعوة إلى رسالة الإسلام العظيمة ، التى وهبت لها كل ذرة فى كياني ، وكل شهيق وزفير فى حياتي .

طالبات من البلاد العربية

يوجد فى الحرم الجامعى منزلان مخصصان لإقامة الطالبات يستوعبان ١٠٤٦ طالبة ، حيث يستوعب منزل الزهراء (٥٤٢) طالبة ، ومنزل الأندلس (٥٠٤) طالبة ، ويتولى عملية الاشراف على المنازل مشرفات ومساعدات مشرفات . وكل المقيمات فى هذين المنزلين اما اردنيات تسكن أسرهن خارج العاصمة ، أو عربيات من أقطار عربية متعددة .

وبترتيب مع الأخ نبيل المجالي رئيس شعبة الاعلام ذهبت لزيارة منزل الزهراء ، والتقيت بالطالبة القطرية الأخت عائشة الأنصاري التى تدرس بالسنة الثالثة بكلية الصيدلة ، وتحدثت عن ظروف اقامتها ودراستها فقالت :

لقد كيفت نفسي مع الظروف والأجواء الجامعية منذ البداية ، واستطعت أن أبني علاقات ممتازة مع بعض الزميلات من أقطار عربية عديدة سواء فى السكن أو فى مقاعد الدراسة .

ونحن على اتصال مستمر مع السفارة القطرية ، ونحصل على الصحف والمجلات القطرية لنتابع أخبار وطننا وأهلنا .

ولما سألتها عن سبب اختيارها لكلية الصيدلية قالت : أشعر بمتعة حقيقية فى دراستها . والذى يضاعف هذه المتعة أن أساتذتنا يتعاملون معنا باحترام . برغم انهم اشداء ، وحازمون ، ولا يتساهلون على الاطلاق ، ولا يترددون فى تطبيق القوانين الجامعية بحذافيرها . وهذا القول ينطبق على كافة كليات الجامعة الأردنية ، وادعو الله أن يأخذ بيدى وأعود إلى قطر العزيزة لأساهم فى نهضتها وتقدمها . وفى نفس الزيارة التقيت بالطالبة الفلسطينية أروى محمد الجمال التى حضرت من قضاء جنين بفلسطين المحتلة لتدرس فى كلية الآداب بالجامعة . وقالت فى معرض حديثها : لم أشعر بأية غربة فى الأردن . ففلسطين والأردن بلد واحد ، ومن يقول غير هذه الحقيقة فهو أساساً يجهل التاريخ ، ولا يعرف الجغرافيا .

بالنسبة لنظام الدراسة هنا فصارم وحازم ، واما نظام الإقامة فى بيت الطالبات فهو نظام وحدوي ، بمعنى اننا نلتقي هنا مع طالبات من جنسيات عربية مختلفة ، وهو ما يجعلنا أكثر قرباً ووداً .

عندما انتهى من دراستى بعد سنتين إن شاء الله سأعود إلى قريتي العزيزة وأعمل مدرسة فى إحدى مدارسها حتى اشارك فى تعليم الجيل الفلسطيني الجديد الذى يتعرض لعملية تجهيل

الشخصيات العربية فى مجلس امناء الجامعة

١ ــ معالى السيد/ عيسى غانم الكواري	(قطــر)
٢ ــ معالى الشيخ/ أحمد زكى يمانى	(السعودية)
٣ ــ معالى السيد/ أحمد السويدى	(الامارات)
٤ ــ معالى السيد/ يوسف الشيرازى	(البحرين)
٥ ــ معالى السيد/ عبد اللطيف الحمد	(الكويت)
٦ ــ معالى السيد/ قيس الزواوى	(عمــان)



مدير مستشفى الجامعة يتحدث الى المحرر



عزت زاهرة مدير دائرة التصنيف بالمكتبة



محمد عبد العزيز الغنيمين احد خريجى الجامعة



هنا وليد شواش احدى الخريجات



جناح قطر في المهرجان السنوي للجامعة الاردنية

صهيونية كبيرة ولئيمة .

انني أناشد كل اخواننا العرب ، من خلال مجلة الدوحة أن يقدروا ظروف اخوانهم فى الوطن الفلسطيني الأسير ، وأن يقفوا إلى جانبنا فى محنتنا الرهيبة .

مكتبة الجامعة

ان أية زيارة يقوم بها أحد الضيوف للجامعة الأردنية تعتبر ناقصة وغير مكتملة إذا لم تشمل مكتبة الجامعة التى تعد أكبر مكتبة فى الأردن ، وثاني أكبر مكتبة فى منطقة الشرق الأوسط بعد مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت والتى يزيد عمرها عن مائة وعشرين عاماً .

وخلال زيارتى للجامعة توجهت إلى المكتبة ، واستمعت الى شرح شيق عنها من الأستاذ عزت عوف زاهدة مدير دائرة الفهرسة والتصنيف حيث قال :

تتألف مكتبة الجامعة من المكتبة الرئيسة وإحدى عشرة قاعة فرعية فى كليات الجامعة . وهى تعتبر مكتبة قومية ، واكاديمية . ومتخصصة ، يبلغ عمرها الآن ٢٢ عاماً . وقد تطورت خلال هذه الفترة تطوراً ملحوظاً . ويعمل بها حوالى ١١٠ موظفين ، تتراوح مؤهلاتهم بين شهادة الدكتوراه والثانوية العامة ، وتضم ٣٥٠ ألف مجلد ، وتشترك فى حوالى ٣٧٥٠ دورية منها ٨٠٠ دورية عربية ، والباقى دوريات أجنبية . كما تحتوى المكتبة على مجموعات خاصة متعددة من الكتب النادرة والمخطوطات وأشرطة الميكروفيلم والميكروفيش ووثائق الأمم المتحدة وبعض وكالاتها المتخصصة وأنواع متعددة من الأرشيفات .

وتزداد مجموعة المجلدات فى حدود عشرين ألف كتاب سنوياً عدا الدوريات . تفتح الجامعة أبوابها فى الأيام العادية لمدة ١٣ ساعة يومياً ، وتستقبل روادها من مختلف الفئات بما فيهم أناس من خارج الجامعة ، ولمدة ستة أيام فى الأسبوع .

ويتراوح عدد روادها يومياً من خمسة آلاف إلى ستة آلاف .

هذا وتضم المكتبة حالياً خمسة دوائر هى : دائرة التزويد ، ودائرة التصنيف والفهرسة ، ودائرة الدوريات ، ودائرة المراجع والمجموعات الخاصة ، ودائرة الاعارة .

اما على الصعيد الدولى فالمكتبة تتلقى بشكل منتظم مطبوعات العديد من المؤسسات الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة فى نيويورك ، ومنظمة الصحة العالمية فى جنيف ، ومنظمة الزراعة والأغذية الدولية فى روما ، والبنك الدولى للانشاء والتعمير فى واشنطن ، ومنظمة اليونسكو فى باريس ، ومنظمة نزع السلاح فى ستوكهولم ، ومنظمة جامعة الأمم المتحدة فى طوكيو . وغيرها ..

وبعـــد :

فإن الجامعة الأردنية التى تقف اليوم شامخة بين جامعات الوطن العربى ما كان لها أن تصل إلى هذا المستوى وأن ترقى إلى هذه المرتبة لولا العناية المستمرة التى تلقاها من العاهل الأردنى شخصياً ، ومن رؤساء الحكومة الأردنية المتتالين ، ومن أعضاء مجلس امنائها الذين آمنوا بأهداف هذه الجامعة ورسالتها فعملوا مع رؤساء الجامعة المتعاقبين للحفاظ عليها ورقيها ، وتقدمها لتصبح فى مصاف الجامعات المتقدمة فى العالم .

كما أن لكافة هيئات التدريس المتلاحقة أياد بيضاء فى غرس الفضائل النبيلة والمعارف العميقة فى أذهان الطلبة والطالبات الذين ادركوا مسئولياتهم بفهم وعمق وعندما تخرجوا وحملوا شارة الجامعة الأردنية عملوا على الوفاء لجامعتهم ومبادئهم . فصنعوا لاسم الجامعة اطاراً من المهابة والتقدير فى كافة الأوساط العلمية والتربوية على امتداد الساحة الأردنية .. والخارطة العربية .

نبيل خالد الأغـا

رؤساء الجامعة الأردنية

الدكتور ناصر الدين الأسد	من عام ١٩٦٦ م إلى عام ١٩٦٨ م
الدكتور عبد الكريم خليفـة	من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧١ م
الدكتور عبد السـلام المجالى	من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٦ م
الدكتور اسـحاق الفرحان	من عام ١٩٧٦ م إلى عام ١٩٧٨ م
الدكتور ناصر الدين الأسد	من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٨٠ م
الدكتور عبد السـلام المجالى	من عام ١٩٨١ م وحتى الآن .

لقطات من الكون المثير



مخلوق غريب .. من أين جاء ؟!

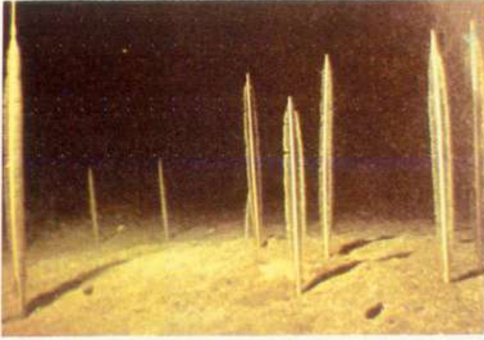
هو بالتأكيد كائن حي ، رغم غرابة تكوينه الذى يشبه كمرات عليها أثقال أو كرات .. ولنتصور — بعد ذلك — ما يمكن أن يكون عليه هذا المخلوق لو أنه قد جاء فى حجم انسان أو حصان ، عندئذ سيكون بالتأكيد ملفتاً للأنظار فى كل زمان ومكان ، فلاشيء يشبهه مما نعرف وإلا فماذا تعنى هذه الكور والمحاور ، أو ما ترتكز عليه من تكوين يشبه القبة ؟ .. وأياً كانت الأمور ، فهذا الكائن موجود معنا على هذا الكوكب .. اسمه نطاط الشجر .. وليس هو النوع الوحيد الذى جاء بهذا الشكل المخيف ، بل هناك أكثر من ٢٣٠٠ نوع ، وكل نوع منها يتخذ شكلا مختلفاً ، وبحيث أصبحت هذه المجموعة بين الحشرات مثل « بلياتشو » السيرك أو كلابسي الملابس التنكرية بين البشر .. أى أنك لا تستطيع التعرف عليها لتضعها فى موضعها الصحيح بين الكائنات .. أضف إلى ذلك أن النطاط يعتبر بطل القفز فى عالمه ، إذ أن قفزته قد تصل إلى ٥٠٠ مرة قدر طوله ، أى لو جاراه انسان طوله ١٧٠ سنتيمترا ، لبلغت قفزته حوالى ٨٥٠ متراً .. هذا ويعتقد العلماء أن مثل هذه الحشرات قد جاءت بهذه الاشكال الكاريكاتيرية المخيفة كنوع من الحماية أو لتخويف الأعداء .. « ويخلق مالا تعلمون » !



كلهم أولادى

أو هكذا ربما يكون لسان حال البقرة التى تقف خلف كل هؤلاء الأنجال .. لكن هل هى فزورة أم مزحة ؟ .. لا هذه ولا هذه ولا تلك ، فهى نتيجة إحدى الإنجازات العلمية الحديثة التى قلبت المعايير فى عقولنا ، فبنظرتنا التقليدية إلى الأمور نقول إن البقرة فى العادة لا تلد إلا واحداً أو اثنين على أحسن تقدير ، أما أن تصل ذريتها إلى كل هذا العدد (ولا حسد) ، فشيء يقع فى بند اللامعقول ، لكن اللامعقول قد تحول إلى المعقول ، فهذه العشرة من العجول من ذرية البقرة — لا جدال فى ذلك — لأن كل عجل منها قد جاء من بويضة أفرزتها البقرة .. وعشر بويضات بعشرة عجول ، ورغم أن العجول منسبة إلى أمها الواقفة خلفها ، إلا أنها لم تحملها ، بل حملت فقط البويضات وأفرزتها (بتأثير هرمون للإخصاب الزائد الذى يحفز المبيضين على إفراز عدد كبير من البويضات) ، وتم تلقيحها من ثور ذى صفات وراثية ممتازة ، ثم قام العلماء باستخلاص البويضات المخصبة من البقرة الأم (أم حتى فى أنبوبة اختبار) وزرعها بعد ذلك فى أبقار عادية الصفات ومهيأة للحمل ، وفيها نمت وتشكلت حتى وضعت كل بقرة حملها ، وعادت الذرية — كما تراها هنا — إلى أصولها الوراثية — إلى الأم ، لأنها منسبة لها ، لا للأبقار التى حملتها ووضعتها .. وهذا بلاشك توجيه للإنتاج الممتاز فى الثروة الحيوانية عن طريق الإكثار من الصفات الممتازة فى الكائنات .. وخير الناس ، أنفعهم للناس !

بـــــانوراما



لاشك أن العلماء هم أسعد الناس برؤية عوالم تنطوى على تناسق وجمال وإبداع ، فى السماوات يرقبون أكواناً متناسقة من وراء أكوان ، وفي الأرض يكتشفون ما خفى على الناس من أسرار الحياة ، وكما أبدعها الله .. وهم في كل ذلك يجمعون مجلدات من فوق مجلدات ، لكن ما خفى كان أعظم وأروع ، ولهذا دعنا نقدم لك هذه اللقطة من مسرح الحياة ، لكنها ليست مما يرى الناس ، لأن هذا المنظر المنصوب ، مسرحه قاع البحر ، وعلى القاع تنتصب هذه الكائنات باستقامة مذهلة لتشكل بانوراما حية .. لكن ، أنباتات هى أم ريش أم أوراق أم حيوانات ؟ .. الواقع انها ريش أو بالتحديد ريش بحر Sea Pens .. هكذا أسماها من رآها أول مرة ، لأنها كانت تشبه الكتابة التى استعملت في الأزمنة الغابرة ، أو هى أيضاً أقرب إلى ريش الطيور ، لكنه ريش حي ، وقد يصل طول الريشة إلى حوالى المتر ، وعلى محور كل ريشة فروع دقيقة ، والفروع تنتهى بحيوانات صغيرة ذات أهداب لتصطاد بها الكائنات الأدق وتعيش عليها .. فكأنما هذا الريش في عالمه بمثابة عمارات شاهقة ذات طوابق كثيرة مشيدة على محور الريشة ، ولكل طابق سكانه .. وكأنما هى فى عالمها ناطحات سحاب .. ولكل عالم ما يناسبه ، ولكل رزقه .. لكن أكثر الناس عن ذلك غافلون !



تشـــــكيـــــل

يبدو أن الفن السيريالى ليس من بنات أفكار الانسان ، ولا كذلك التعبير بالرموز مقصوراً على البشر ، بل نراه منتشراً بين عالمى النبات والحيوان ، وكذلك فى عالم الجماد .. لكن دعنا نعرض هذه اللقطة المثيرة لنبات ضمن العائلة الصبارية ، وهى عائلة نباتية صحراوية تتميز بنسيج عصيرى لتخزين كميات كبيرة من الماء تحتفظ به للأيام العجاف المتميزة بشدة الجفاف .. وأفراد هذه العائلة تنطوى على أشكال جميلة ، وتكوينات بديعة تجذب إليها محبي الجمال فى كل زمان ومكان .. وما هذا النبات ــ الذى تراه ــ إلا نوع واحد من ١٧٠٠ نوع تضمها تلك العائلة .. وأجمل ما فيه هو تناسق الفروع على المحور الأساسى ، وأكثر ما يلفت النظر هو التشكيل الذى ترى فيه ما يشبه الذراعين المتدليين على الجانبين ، ثم التقابل المحسوب بالضبط بين نهاية هذا الذراع وذاك عند نقطة معينة من الساق .. أما توزيع الفروع الأخرى الصغيرة فمتروكة لخيال كل منا ليستلخص منها ما يشاء ، تماماً مثل نظرتنا إلى الفن السيريالي أو التعبيرى .. ترى ، ماذا سيصير عليه حال الفروع القصيرة إذا استطالت ؟ .. وهل يؤدى ذلك إلى تقابل وعناق ؟ .. كل ذلك متروك لخيالك وتقديرك .. وأيضاً لمسار فروع النبات ، فربما تمخض ذلك عن تشكيل مثير يستحق لقطة أخرى تثير خيالنا ، ونتأمل فيها كما نتأمل فى فنوننا ، ثم نستخلص منها ما نشاء لما نشاء !

في الدوحة مركز هام للإشعاع الديني والحضاري

إحياء التراث الإسلامي

- الشيخ عبد الله الأنصاري .. قصة حياة حافلة في خدمة الدين والعقيدة والتراث
- قصة أول معهد ديني في قطر .. وجهود واسعة لبناء العديد من المساجد في الهند وباكستان
- إنشاء أحدث مدرسة إسلامية و٧٤ مركزاً لتحفيظ القرآن
- حصر شامل لكتب التراث في البلاد الإسلامية والغرب

بقلم: السيد حجازي ● تصوير: أمين بدوي

الرجل غنى عن التعريف ، فهو فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصارى .. الداعية الاسلامى الكبير ..

وأما الادارة فهى ادارة حماية التراث الاسلامى التى يتولى شئونها ..

وبين الرجل وهذه المهمة ، حماية التراث ، علاقة تاريخية طويلة ..

فقد نذر حياته لها ، ومن أجلها تفقه فى أمور الدين ، وأصبحت شاغله الشاغل ، يجوب من أجلها الأقطار والممالك ، ويمنحها الوقت والجهد والمال ، ولا يفكر الا فى أحوال الدعوة ، واعلاء كلمة الله ، ورفع شأن الاسلام والمسلمين ، وبناء المساجد وحضور مؤتمرات السيرة والسنة .. وغيرها من جلائل الأعمال ..

وحياته حافلة بكل ما يستحق أن يروى ..

فقد ولد الشيخ الانصارى فى مدينة الخور بقطر سنة ١٣٤٠ هـ فى كنف ورعاية والده صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم بن عبد الله الانصارى .. وكان قاضياً بالمدينة فى ذلك الوقت .

وقد رباه والده تربية دينية صادقة ..

حفظ القرآن على يد والده عندما وصل الى سن الثانية عشرة ، كما درس عليه أيضاً مجموعة من كتب الفقه وألفية ابن مالك وغيرها من الدروس والكتب ..

وفى سن السادسة عشرة استأذن والده فى الرحيل الى مدينة الاحساء فى المملكة العربية السعودية ، للاستزادة من العلم . وتم له ما أراد . ثم استقر به المقام بعد ذلك فى مكة المكرمة لنفس الغرض ، فقضى بها خمس سنوات ، وانتقل بعدها الى مدينة الدمام طلباً للعمل ..

مدرس وخطيب

واستقر به المقام فى احدى القرى المجاورة للمدينة تدعى قرية دارين ..

كان يؤم المصلين ويخطب فيهم أيام الجمع ، ويقدم دروسه الدينية بانتظام لأهالى القرية ، فالتف حوله الناس وأحبه الشباب ، وبعد عدة شهور كان يدير أول مدرسة فى القرية ..

وقد جاءت هذه الخطوة بناء على طلب الأهالى أنفسهم ..

كانت المدرسة شبه رسمية .. لكنه قبل مهمة التدريس فيها برحابة صدر ، وكان يقدم لتلاميذها كل ما تعلمه من دروس التفسير والحديث والنحو والصرف وعلم الحساب ..

وبعد عام من انتظام المدرسة طلب إليه قاضى القطيف فى ذلك الوقت أن يساعده فى عمله ..

وفعلا قضى سنة كاملة يعمل فى مجال القضاء بمدينة القطيف ، لكنه مالبث أن عاد الى قرية دارين بعد أن قامت وزارة المعارف السعودية بافتتاح مدرسة رسمية فيها ، وعينته مديراً لهـــا ..

وقد قضى فى هذا العمل ثلاث سنوات ، كان خلالها يقوم بالتدريس ، ويعمل إماماً وخطيباً للمسجد الجامع فى القرية ، ويتولى معالجة الخلافات التى تنشب بين الناس ويبت فى قضاياهم .. كما كان أيضاً ينهض بمهمة اتمام عقود الزواج والطلاق وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية داخل القرية ..

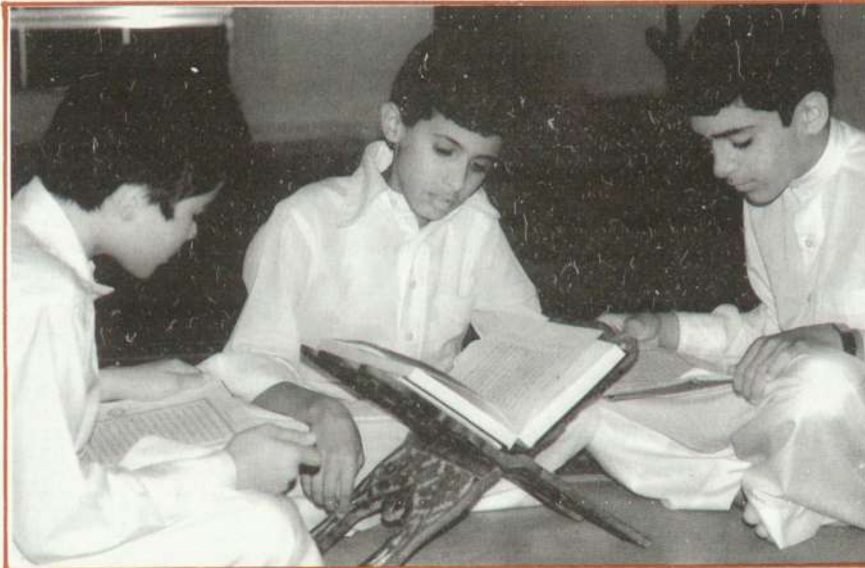
أول معهد دينى

وعاد الشيخ الانصارى بعد ذلك الى قطر ، واستقر فى مدينة الدوحة ، لتبدأ مرحلة حافلة من حياته فى خدمة العلم والدين ..

فقد استأذن صاحب السمو المغفور له الشيخ على بن عبد الله آل ثانى بافتتاح أول معهد دينى فى البلاد . وكان ذلك سنة ١٣٧٤ هـ . وخرجت الفكرة فعلا الى حيز الوجود . فقام بإدارة المعهد والاشراف عليه ، والتدريس لتلاميذه ..



فى مراكز تحفيظ القرآن بدولة قطر : المعلم يقوم بدور هام مع شباب الغد



ثلاثة من الصبية يقرأون آيات مباركة فى المصحف الشريف

وقد استمر هذا المعهد الدينى لمدة ثلاث سنوات ، ثم ضم إلى إدارة المعارف آنذاك ، وتحول الى مدرسة ابتدائية باسم المدرسة الجديدة الابتدائية ، ثم عرفت بعد ذلك بمدرسة صلاح الدين الأيوبى الابتدائية ..

وقد ترك الشيخ الانصارى المعهد بعد أن أسندت إليه إدارة حديثة أفتتحت فى ذلك الوقت هى إدارة الشئون الدينية والقروية ، وكانت تابعة لوزارة المعارف ، ومسئولة مسئولية مباشرة عن القرى التابعة لقطر فى كل شئونها .. من الاشراف على العلوم الشرعية وكتبها ومناهجها ، وما يتعلق بها من تعليم وخدمات عامة فى الطرق والمواصلات والاسكان وغيرها ..

إدارة مستقلة

وفى عام ١٣٧٩ هـ أنشئت إدارة مستقلة باسم إدارة الشئون الدينية على مستوى دولة قطر ، وأسندت إدارتها لفضيلته ..

كانت هذه الإدارة الوليدة حينذاك تختص بالوعظ والإرشاد ، ونشر التراث الاسلامى ، وطباعة الكتب الاسلامية وتحقيقها ومراجعتها ، وانشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم . وقد استمرت الإدارة على هذا النهج لمدة عشرين سنة ..

وفى عام ١٤٠٢ هـ تحولت هذه الإدارة بمرسوم أميرى إلى إدارة احياء التراث الاسلامى وبنفس التخصصات والأهداف .. وأخذ الشيخ الانصارى فى تدعيم جهودها ، ونشر أعمالها فى الداخل والخارج ..

وانطلاقاً من وجوده فيها ، ومن دوره الدينى الكبير ، أصبح الشيخ الانصارى عضواً هاماً فى عدة روابط ومجالس ولجان ، منها على سبيل المثال : رابطة العالم الاسلامى ، ومجلس أمناء المركز





الشيخ الانصارى : وقته مشغول بالرد على الاستفسارات وحل المشاكل

الاسلامى الأفريقى ، ولجنة تحكيم الشريعة الاسلامية ، ولجنة التحكيم لاتحاد مجاهدى أفغانستان ، ومجلس ندوة العلماء فى لكنهو فى الهند ، واللجنة التحضيرية للمؤسسة الخيرية الاسلامية العالمية فى الكويت ، والمجلس الأعلى العالمى للمساجد فى مكة المكرمة ..

العناية بالتقويم

ولا يقف نشاط الرجل عند هذا الحد ..
فالى جانب تأسيسه لأول معهد دينى فى قطر ، فهو يشرف على الوعظ والارشاد واحياء المناسبات الدينية . وهو أيضاً يعنى بالتقويم فى قطر بصورة خاصة وفى الخليج والمملكة العربية السعودية بصورة عامة . وقد بدأ التقويم القطرى منذ عام ١٣٧٦ هـ والى العام الحالى ..

وقد رأس أيضاً لجنة تبرعات مجاهدى أفغانستان ، وشارك فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية الأول والثانى ، واعد ورأس مؤتمر السيرة والسنة النبوية الثالث الذى انعقد فى الدوحة عام ١٤٠٠ هـ .

وافتتح الشيخ الانصارى عدداً من المراكز الاسلامية فى كوريا الجنوبية والهند واليابان والفلبين ، وأشرف على البعثات العلمية المرسلة من قطر الى كوريا والهند واليابان ، كما أشرف على بناء تسعة مساجد فى باكستان ، وأربعة فى الهند ، ووضع الحجر الاساسى لمركز سلمان الفارسى الاسلامى فى كراتشى ..

وقد افتتح كذلك الكلية الاسلامية العربية فى كوتيادى كيرالا بالهند عام ١٤٠١ هـ ، وأشرف على رئاسة بعثة الحج القطرية لمدة خمس عشرة سنة ، كما أشرف على تحقيق ونشر وطبع مختلف الكتب الاسلامية واحياء كثير من كتب التراث والمخطوطات المنوعة ، واظهارها فى شكل طباعى ملائم ..

الندوة القرآنية

وقام الانصارى أيضاً بشراء وتوزيع أمهات الكتب الدينية فى كافة أنحاء العالم الاسلامى على رجال العلم والقضاء وأرباب الفكر الاسلامى . وأسس الندوة القرآنية الاسبوعية فى مسجد الندوة عام ١٣٨٢ هـ ، وتابع استمرارها حتى يومنا هذا فى أداء رسالتها خدمة للقرآن الكريم . وشارك رجال القضاء فى دولة قطر فى كثير من الحالات القضائية وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والطلاق والزواج ..

وكان وراء تأسيس مراكز تحفيظ القرآن الكريم والاشراف عليها من عام ١٣٩٠ هـ للبنين والبنات فى دولة قطر . وقام بالاشراف على مسابقة حفظ كتاب الله الكريم ، وتقديم المكافآت القيمة للفائزين فيها .

وكان دائم العناية ولا يزال بطباعة القرآن الكريم فى طبعات متعددة وبأحجام مختلفة وتوزيعها على العالم الاسلامى ، كما أشرف على انشاء عشرة مساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ، وشارك فى ملتقى الفكر الاسلامى فى الجزائر ، ومؤتمر الأدب الاسلامى فى لكنهو بالهند ، ويقدم الأحاديث الدينية الأسبوعية عبر الاذاعة والتليفزيون ، وفى كل المناسبات الدينية ..

ورجل بكل هذه الصفات وهذا التاريخ الحافل فى خدمة الاسلام والمسلمين والحاضر المعطاء فى هذا المجال الهام والكبير ، يصبح الحديث معه ضرورة



انهم منصرفون الى التلاوة والتجويد والحفظ.. وهم مثل طيب للشباب المسلم

وفائدة ، والانصات الى كلماته من أكبر النعم ..
وقد حرصت على أن يكون حديثى مع الشيخ الانصارى حاملا لكثير من النقاط ، شاملا للعديد من الموضوعات ..
وكان الرجل واسع الصدر كعادته ، فياضاً فى الاجابة ، لم يبخل بجهد أو وقت ..

مراكز تحفيظ القرآن

وعندما سألته فى البداية عن الأعمال التى يعتز بها دون سواها من أعمال الإدارة ، قال على الفور ان مراكز تحفيظ القرآن الكريم تحتل مكانة عزيزة خاصة فى نفسه ، تليها أو تساويها فى المكانة أعمال احياء التراث الاسلامى فى مجالات التفسير والسيرة والعقيدة ..
وهو سعيد سعادة بالغة بالطلبات التى ترد الى الإدارة من مشارق الأرض ومغاربها ، تطلب المطبوع من كتب التراث . وهو يسعد نفس السعادة عندما يزور العديد من البلاد ويشاهد بنفسه المشروعات الوليدة وقد تحولت الى واقع حي ملموس ، يرفع راية الاسلام ،ويفيد المسلمين ..

من هذه المشروعات بالذات يخص بالذكر دور الأيتام ..
ففى الهند مثلا توجد أربع دور منها تحت اشراف الإدارة . وهناك مؤسسة خيرية يقف هو وراء انشائها فى العام الماضى فى الهند أيضاً ، تتولى اعداد دور الأيتام وانشاء المساجد . وهناك كذلك المؤسسة الاسلامية بتايلاند ، وهى وغيرها تعتبر من الأعمال الخاصة التى يتولاها بنفسه ، ويرعى انشاءها بجهد ذاتى ..
ونفس الشيء بالنسبة لعدد كبير من المساجد تحت الإنشاء فى باكستان والهند ..
بل انه قرر البدء فى مشروع منظمة جديدة فى كراتشى باسم الشيخ محمد بن جبر آل ثانى ، تتولى تنفيذ عدد من المشروعات المهمة : انشاء مسجد ومستوصف فى كراتشى ، ومسجد كبير فى إقليم بشاور ، وجامعة لتحفيظ القرآن ..
وهناك أيضاً كما قال فضيلة الشيخ الانصارى مسجد جامع تابع لمحمد عبد الله العطية ، فى حي جهلم من احياء اسلام أباد ..
والمشروعات التى يعتز بها الرجل كثيرة ، لكنه لا يريد تعديدها ، فهى لوجه الله والمسلمين

وخشية الاطالة على القراء أيضاً ..
وحين يتحدث عن سفراته يقف وقفة خاصة عند رحلته الأخيرة الى السودان ..
هناك حضر مؤتمر تطبيق الشريعة الاسلامية فى الخرطوم . وكان ذلك بالنسبة له مصدر سعادة . كما كان تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان مصدر اعجاب وتقدير من جانبه ، وياحبذا كما قال أن تحذو دول أخرى حذوها ..

مؤتمر خاص

ويرحب الرجل ترحيباً بالغاً بتوحيد جهود احياء التراث الاسلامى على مستوى الدول الاسلامية كلها ..
وهو يرحب بخطوة هامة فى هذا الطريق : مؤتمر خاص تحضره كل الجهات والهيئات العامة فى هذا المجال ..
كما يرحب أيضاً بعقد هذا المؤتمر فى قطر ، وهو واثق من وقوف سمو الأمير حفظه الله فى صف هذه الدعوة من أجل احياء التراث الاسلامى بشكل موحد ، وشامل ومكثف ..

وعن الجهود المماثلة التى تقوم بها جهات أخرى لاحياء التراث الاسلامي تحدث ..

قال ان هناك اهتماماً ملحوظاً من جامعتين هما جامعة أم القرى وجامعة الامام محمد بن سعود .. ان كلا منهما تهتم اهتماماً بالغاً بجمع المخطوطات ..

لكنه يضيف نوعاً من التمنى أن يسعى فى احياء هذه المخطوطات التى يتم جمعها . ويعود لما اقترحه من قبل بعقد مؤتمر خاص بهذا العمل يضم الباحثين فى الجامعتين ، والمهتمين باحياء التراث ، على أن تتولى احدى الجامعتين رئاسته ، مفضلا هو الابتعاد عن كرسى الرئاسة كعادته ، لأن ما يهمه هو الوصول الى الهدف ..

الشباب والمرشد

ويعتقد الرجل أن لدى الشباب المسلم الآن اقبالا على سلوك الطريق الصالح ، وعلى احياء معالم الاسلام ، وعلى الاقتداء بالسلف الصالح ..

لكن ما ينقص هذا الشباب الحاجة الى موجه والى مرشد ..

وهو لذلك يأمل من أهل الدراية والمعرفة أن يهتموا بهذا الجانب ، وأن يكون التوجيه صالحاً ، يتمشى مع المنهج الاسلامى الذى خططه لنا القرآن ..

وأسأله عن دور الإدارة فى إرسال دعاة الى بعض البلاد فى أفريقيا وآسيا ، لشرح الدعوة ، وحماية التراث ..

ويأخذ الرجل فى الاجابة بتواضع شديد ..

ان الإدارة فعلا لا تقصر فى هذا المجال . فقد أرسلت دعاة الى كثير من البلاد وبطريقة مباشرة ..

لكن هذا يحدث فى حدود استطاعتها ..

ان هناك مثلا دعاة ومعلمين وموجهين فى كل من كوريا والهند والفلبين والجابون وفى بريطانيا أيضا ..

وهؤلاء ينتشرون فى هذه البلاد فى رمضان وفى غير رمضان .. وكان الأمل ولايزال أن يزداد عدد هؤلاء الدعاة ، وطرح هو الموضوع فى كثير من المؤتمرات ، ولقى الاستجابة .. وبقى التنفيذ ..

لكنه يشير هنا الى جهد ملموس فى هذا المجال ، تبذله رابطة العالم الاسلامى والمجلس الأعلى للمساجد وإدارة الدعوة والإرشاد ..

ان لهذه الجهات عدداً لايستهان به من الدعاة فى آسيا وأفريقيا . ويكفى القول هنا بأن للرابطة مثلا فى أندونسيا حوالى ثمانمائة داعية . وهناك أعداد أخرى فى ماليزيا وبقية الدول الأسيوية والأفريقية ..

العلم الصالح

ويوجه فضيلة الشيخ الانصارى فى نهاية حديثه معى النصح الى الشباب المسلم بسلوك النهج الصحيح ، والاهتداء بالكتاب والسنة والسيرة النبوية ، وتمثل العلم الصالح ، والابتعاد عن الكتب الضالة والمضلة بنظرياتها المفسدة .. ولا ينسى وهو يختم الحديث بأن يسأل الله بأن يهيىء للاسلام الشباب الصالح الذى يرفع علم الشريعة ويعمل بـــه ..

واذا كان الحديث قد دار حتى الآن عن الرجل ومعه ، فماذا عن الإدارة التى يتولى شئونها ، إدارة احياء التراث ؟ ..

ماذا قدمت وماذا تنوى أن تقدم ؟ .. كيف بدأت واستمرت والى أين تنوى أن تسير ؟ ..

ما هى أعمالها الملموسة داخلياً وخارجياً ؟ .. وما هو التقييم الحقيقى لدورها الذى قامت به حتى الآن ؟ ..

وهل نجحت حقاً فى أداء رسالتها ، وما هى مقاييس هذا النجاح ؟ ..

وبداية فقد حددت اللائحة الداخلية للإدارة ثلاثة أهداف كبيرة تنهض بها ، وينبغى عليها تحقيقها ..

ويتمثل الهدف الأول فى الاهتمام بشئون القرآن الكريم وحفظه وطباعته بصفته الدستور الحقيقى لأمتنا حتى يظهر فى أبهى حلة وأكمل صورة . لأنه المصدر الأساسى لتراثنا القائم بين أيدينا نأخذ منه الزاد ..

ويبرز الهدف الثانى فى جمع ما يمكن جمعه من انتاج المفكرين والعلماء من المسلمين قديماً وحديثاً ، مما يمثل روح الأمة الاسلامية وحكمتها وتجاربها وابداعاتها فى مجال العلوم والآداب على مر الزمان ..

أما الهدف الثالث فهو المساهمة برعاية هذا التراث باعتباره ثروة علمية قومية والمحافظة عليه من الاندثار أو التحريف أو التبديل أو الضياع ..

وانطلاقاً من هذه المفاهيم تركزت نشاطات الإدارة فى عدة مجالات هامة ..

انها تهتم بإجراء التحقيق المنهجى الأمين لما يتوفر جمعه من التراث ، الذى يعتمد على الدقة العلمية ، وتأمين السهولة واليسر للقارىء والمراجع ..

وهى تعمل على نشر التراث بعد تحقيقه فى صورة فنية رفيعة من حيث الطباعة والتنظيم والتعليق والتنسيق ، مما يجعله مجالا طيباً لعرض الفكر والحضارة الاسلامية بصورة لابأس بها ..

ثم أن الإدارة ترصد الكتب العلمية الاسلامية القديمة وبخاصة المخطوطات القيمة التى تفرقت فى مكتبات العالم المختلفة ، وتعمل على الحصول عليها أو تصويرها وحفظها ، تمهيداً لدراستها ونشرها حسب برنامج معين ..

ومن نشاطات الإدارة أيضاً العمل على انشاء مكتبة مركزية متخصصة للتراث الاسلامى ، يراعى فى انشائها أن تكون قائمة على أحدث الوسائل لحفظ التراث ، ومزودة بما يجعلها تؤدى دورها بفاعلية ، حتى تكون مرجعاً وعوناً للباحثين والمتخصصين . ومن النشاطات أيضاً اصدار نشرة علمية متخصصة فى شئون التراث الاسلامى ، تعمل على التعريف به ، ونشر أبحاث الدارسين ..

وتقوم الإدارة أيضاً باعداد المواسم الثقافية وعقد المؤتمرات والندوات العلمية والحلقات الدراسية ، للتعريف والبحث والحوار فى أهم الموضوعات التى تتعلق بالتراث الاسلامى جمعاً وتحقيقاً ونشراً ..

وهى كذلك تعمل على رصد انتاج المستشرقين فى مجال التراث ، وتبصير الأجيال بأهداف حركة الاستشراق ، وتقرب بين التراث الاسلامى والشباب ، وتقوى الصلات مع الهيئات والمؤسسات ومراكز الأبحاث التى تعمل على جمع التراث ..

الواقع الحي

وقد انعكست كل هذه النشاطات فى عدة خطوات عملية ، ترجمت الأهداف الى واقع حي ، نابض بالحركة والحياة ..

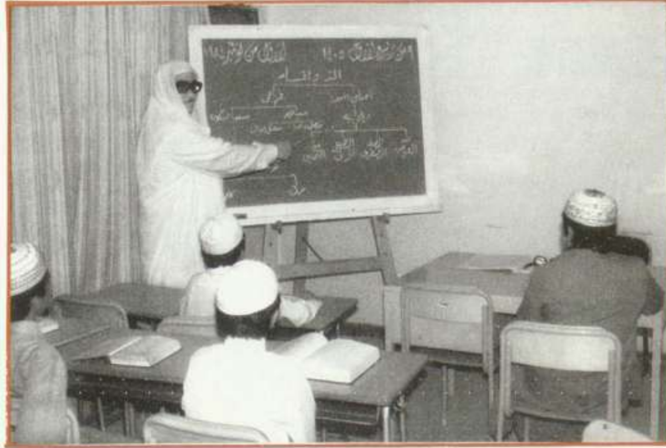
ويستعرض معى الأستاذ محمد الشافعى مساعد الشيخ الانصارى العديد من الأعمال فى كافة المجالات ..

فقد قامت إدارة احياء التراث بإنشاء مدرسة قطر لتحفيظ القرآن الكريم ، ولديها خطة طموحة لتطوير هذه المدرسة . فهى تعمل على أن تكون أحدث مدرسة اسلامية فى المنطقة ، يدخلها الطالب الصغير فى بداية سن التعليم ، ويتخرج منها بعد ست سنوات ، حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، وحاصلا على الشهادة الابتدائية ..

وهناك دراسة شاملة لانجاز هذا المشروع فى



الشيخ الانصارى أثناء حديثة لمجلة الدوحة



داخل الصف في مدرسة قطر لتحفيظ القـــرآن : المدرسة الأولى بالمنطقة

أقرب وقت ..

وكذلك قامت الإدارة بالعمل على انتشار مراكز تحفيظ القرآن الكريم للبنين وللبنات على كل أرض قطر .. ويبلغ عددها للبنين ٦٤ مركزاً وللبنات عشرة مراكز ..

وفي الوقت نفسه قامت بتحقيق ونشر كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن العطية الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤١ هـ . وهذا الكتاب يعتبر موسوعة في علم التفسير لما حواه من أقوال وآراء السابقين وتعليقات المؤلف عليها . فهو لم يترك شاردة ولا واردة الا أوضحها ، وبين رأيه العلمي الرصين فيها ، حتى علم القراءات يجده القارىء متضمناً له بشكل واضح ..

وقد أنجزت الإدارة سبعة مجلدات من هذا الكتاب حتى الآن ، وينتظر أن يصل الى أحد عشر مجلداً ، مع الفهارس ..

كما أن هناك الى جانب هذا العمل مجموعات طيبة من مطبوعات التراث استطاعت الإدارة انجازها في وقت قياسي ..

نشر الكتاب الاسلامي

وجهود الإدارة في مجال نشر الكتاب الاسلامي تستحق وقفة خاصة ..

فهي تقوم بتوزيع الكتاب الاسلامي محلياً وخارجياً ، كما يقول الأستاذ الشافعي ، بين الأخوة المسلمين ، لمساعدتهم على الاستزادة والمعروفة الاسلامية في أمور دينهم الحنيف ، ومواجهة الحملات التبشيرية في بعض البلاد ..

وهناك كتب اسلامية قامت الإدارة بطبعها بأكثر من خمس عشرة لغة أجنبية ، وأبرزها الانجليزية والفرنسية والفارسية والأردية وغيرها . وهي تتناول العديد من الموضوعات ، مثل تعليم الصلاة ، والاسلام تحت المجهر ، وعقيدة المسلم ، والوصية الواجبة في الشريعة الاسلامية ، وفقه محمدي ، وشرح الأربعين النورية ..

وتتنوع الكتب وتتعدد ..

هناك مثلا كتب خاصة بالعلماء وهي المراجع التي يحتاج إليها الباحثون ، وأخرى لكل مستوى من الثقافة . كما أن هناك كتباً للمرأة المسلمة ، وأخرى في تربية النشء في الاسلام ..

والشيء الملفت للنظر في هذا المجال وجود كتب لم يكتب لها الظهور الا في دولة قطر ..

من هذه النوعية : الكتب المخطوطة التي تقوم الإدارة بتكليف العلماء الاجلاء بتحقيقها ، مثل كتاب تفسير مجاهد . وهو من تحقيق الشيخ عبد الرحمن السورتي . وكتاب العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال ، وهو من تحقيق الشيخ عبد الله الانصاري نفسه ..

وهناك أيضاً كتب أخرى حديثة لمؤلفين مازالوا على قيد الحياة ، مثل مصرع الشرك والخرافة وصيحة الحق والكشاف الفريد ، وموضوع هذه الكتب الثلاثة الأساسي هو التوحيد وعدم الشرك بالله . تضاف إليها كتب لمؤلفين راحلين مثل كتب ابن قيم ومنها طريق الهجرتين ، واظهار الحق لرحمة الله الكيرانوي وهو عبارة عن مناظرة بين قسيس مبشر بالهند والشيخ المؤلف ..

وقد بلغت الكتب التي قامت بطبعها الإدارة نحو مائة وخمسين كتاباً ، منها ما قامت هي بتحقيقه ، والباقي طبع باشرافها محلياً أو بالاشتراك مع بعض دور النشر ، مثل كتاب البيان والتحصيل وهو عبارة عن فتاوى بالفقه المالكي ، ومازال تحت الطبع بالاتفاق مع احدى دور النشر ببيروت ..

ميزانية محددة .. ولكن

لكن من أين للإدارة بالأموال التي تنفقها على أعمالها وبالذات على طبع هذا الكم من الكتب ؟ ..

طرحت السؤال خلال وقوفي على نشاطات إدارة احياء التراث ، وخلال لقائي بالعاملين فيها ، وبالتجول في أقسامها ومراكزها المختلفة ..

وجاءتني الإجابة بشكل محدد ودقيق ..

انها إدارة حكومية لها ميزانية محددة ، ومقسمة الى بنود ، ومنها بند لطبع الكتب ..

لكن هذا البند بطبيعته محدود لا يكفي لطبع جميع الكتب التي تشرف على طباعتها .. فماذا تفعل في مواجهة هذا الموقف ؟ ..

انها تتجه الى راعي نهضة هذا البلد حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ..

عندئذ يقوم مشكوراً بطبع ما يتم عرضه عليه من كتب على حسابه الخاص . ولو قدرت تكاليفها لفاقت عدة أضعاف البند المخصص بالميزانية ..

ويهتم سموه بطباعة القرآن الكريم ، وقد قام بطبع عدة طبعات مختلفة من كتاب الله على نفقته الخاصة ..

ويقوم سمو ولي العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بجهد مشكور في هذا الصدد أيضاً ..

انه لا يدخر وسعاً في القيام بطبع الكتب التي تعرضها عليه الإدارة على نفقته الخاصة ..

ولقد قامت الإدارة فعلا بطباعة القرآن الكريم طبعة خاصة على نفقة سمو ولي العهد الى الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدنية المنورة (٢٠٠ر٠٠٠ نسخة) وزعت على كافة مساجد الحرمين ..

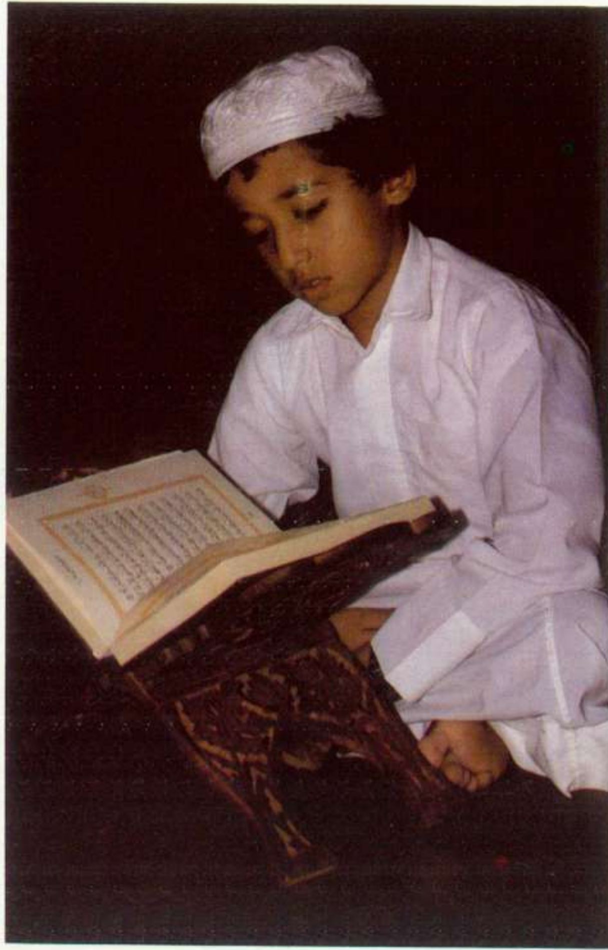
ويقوم بعض رجال الخير وفي مقدمتهم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم بتحمل تكاليف بعض المطبوعات ، كان أخرها طبعة أنيقة مباركة من كتاب الله .

وهناك طبعة خاصة سميت طبعة « الحفاظ » وهي طبعة قديمة من مصر ، أرسلت الإدارة منها ٧٥٠٠ نسخة الى الأزهر الشريف والأوقاف والجمعيات العلمية الأخرى في مصر ..

ولقد قامت الإدارة خلال عام ١٤٠٤ هـ بإرسال ٩٠٨٠٣ من الكتب الى ٢٧ دولة عربية واسلامية وأجنبية في شتى البقاع ، بما في ذلك الكتب المرسلة الى اخواننا في الأرض المحتلة ..

والملاحظ أن الإدارة تتحمل تكاليف شحن هذه الكتب الى الأماكن المرسلة إليها ، والى أقرب مطار منها ..

إحيـــاء
التراث الإسلامي



صبي مجتهد من أبناء مدرسة قطر لتحفيظ القرآن أثناء التلاوة المباركة

طموحات المستقبل

هذه هي بعض لا كل نشاطات الإدارة وأعمالها الإيجابية ..

أجل فالحديث عن كل الأعمال يطول . ويكفي أننا قدمنا ملامح من الصورة الحية التي تجسدها هذه الإدارة ذات الأهمية الخاصة ..

لكن الملاحظ ـ وهنا وجه العجب والتفاؤل أيضاً ـ أن الإدارة برئاسة الشيخ الأنصاري وبمعاونة نفر من الرجال المخلصين لقضية التراث مازالت تطمح الى الكثير من الأعمال في خطتها المستقبلية ..

انها مثلا تريد أن تجعل من انشاء مكتبة التراث حقيقة ، على أن تكون متخصصة في كل ما يهم التراث الاسلامي ..

وتريد أن تطور مدرسة قطر ، وأن تدخل الكمبيوتر في أعمالها ، لتسهيل مهمة الباحث ، وأن تتعاون مع المهتمين بالتراث الاسلامي والعاملين في مجاله في المنطقة وفي سائر البلاد الاسلامية ، لحصر الموجود من كتب التراث في البلاد الاسلامية ودول الغرب ..

وهي تريد أيضاً أن يخرج مشروع المجلة أو النشرة الدورية التي تعنى بالتراث وشئونه الى حيز الوجود ، حتى يتوجه الباحثون الى مالم ينشر ، ولا يرهقوا أنفسهم بما تم نشره في المشرق أو المغرب وهم لا يعلمون . ومن خلال هذه المجلة أو النشرة يمكن للادارة أن تعمل على رصد أقوال المستشرقين التي تمس تراثنا أو عقيدتنا ، وتفند أقوالهم وتدحضها بالأسلوب الديني العلمي الصحيح ..

.. وما تريده الإدارة كثير برغم ما حققته خلال عمرها القصير ، اذ لم يمر على انشائها سوى عامين فقط .. وهي بكل المقاييس قادرة على تحقيقه ، من خلال ما قدمته وتقدمه خدمة لقضايا التراث والعقيدة والاسلام والمسلمين ..

ولنحيي هذا الرجل وادارته والمخلصين العاملين معه ، ولنرقب معه عما قريب هذا الحدث الكبير وهو انعقاد المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية في القاهرة ..

ان هذا المؤتمر المقبل هو امتداد للمؤتمر الثالث الذي عقد في الدوحة ، ولا يزال فضيلة الشيخ الأنصاري يتشرف برئاسته ، حتى يسلمه للأزهر الشريف في الربيع المقبل ..

انه عمل جديد وكبير من أعمال الرجل والإدارة ندعو له بالتوفيق والسداد .. ولتستمر مسيرة الخير من أجل احياء تراثنا الاسلامي الخالد..

السيد حجازي



بقلم: الدكتور محمد البهي

التوكل على الله

إن الانسان أمام (المفاهيم) في اللغة يختلف وضعه من القوة الى الضعف، ومن الضعف الى القوة. فالأصل في المفهوم أن يعطي مدلولا محددا، يمليه الجو الذى قيل فيه. ولكن قد يسقط الانسان هذا الجو المحيط بالمفهوم، ويقف به عند اللفظ وحده، وعندئذ يكون قد انتقل المفهوم عن المدلول الأصيل لمدلول آخر، وهو أقرب أن يكون لفظيا ولغويا، أي أقرب الى أن يكون شكلا لايحمل معنى اطلاقا.

والمفاهيم الدينية لايختلف شأنها عن بقية المفاهيم الأخرى، طالما الانسان هو الذى يغير موقفه منها، وطالما هو الذى ينقلها مما تحمله أصلا من طابع عملى.. الى أشكال لاتحمل أي واقع إطلاقا.

والقرآن بمبادئه من أجل ذلك قد يوجد فى حياة المؤمنين به، إن قوي ارتباطهم به؛ وقد يرتفع من حياتهم العملية ويصبح ألفاظا ومفاهيم ينطقون بها ويتحدثون عنها، ولكن لايجدون لها أثرا فى التطبيق والواقع الذى تسير عليه حياتهم، وذلك عندما يخفف الايمان به أو يتحول الى شعار فقط.

وكثير من المفاهيم الدينية اليوم فى مجتمعات المسلمين تختلف عما يريده القرآن الكريم لها، وتختلف أيضا عما طبق من قبل فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة المؤمنين حقا برسالة الله.

فالتوكل على الله ــ كما يفهم من جو القرآن الكريم ــ هو قوة نفسية لها فاعليتها وتدفع فى غير تردد على مايصمم على تنفيذه. نقرأ قول الله تعالى فى قصة نوح عليه السلام فى مواجهته لقومه: «واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم: إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت (أى شق عليكم نفسيا وجودى فيما بينكم وترديدى لرسالة الله فى مواجهتكم فأنا رغم ذلك مستمر فيها ومتوكل على الله) فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا الى، ولاتنظرون. (أي ولكم أن تتفقوا على الخطة فيما بينكم التى تواجهوننى بها، وأن تتفقوا أيضا على أن تستعينوا بشركائهم ضدي، على أن يكون الأمر فى ذلك واضحاً لكم، ثم اقضوا بما تشاءون علي ــ ولو بالموت ــ وواجهونى بما تقضون به، ولا ترجئوا لحظة واحدة تنفيذ ما حكمتم به) (يونس: ٧١).. فنوح فى موقفه من قومه الذين ينكرون عليه رسالته يعلم تمام العلم مدى تحديه لهم على هذا النحو، ولكن ايمانه برسالة الله، وعزمه على الفناء فى سبيلها، كان أقوى من تحدى قومه اياه. وقد أضاف إيمانه برسالة الله، توكله على الله واستعانته به، فزادت قوة مواجهته، وتحدى الموت لو قضوا به عليه، وطالب بعدم إرجاء مايحكمون به عليه.

فهنا: التوكل على الله قد سبقه إيمان قوي، وتصميم مؤكد على الاستمرار فى الدعوة لرسالة الله، وهى رسالة ضد الباطل، ورسالة الخير ضد الشر، ورسالة الروحية ضد المادية الطاغية.

ويزيد فى توضيح هذا المفهوم للتوكل على الله، وانه نهاية لايمان وعزم سابقين على تنفيذ أمر خير، حق قوله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم فى الأمر، فاذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين» (آل عمران: ١٥٩)..

فهاتان الآيتان يوجههما القرآن الكريم لرسول الله محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ناصحا إياه:

أولا: فى أن لايستمر فى غضبه على ذلك الفريق من المسلمين الذى تخاذل فى غزوة «أحد» ضد المشركين فى سبيل الايمان بالله، وانصرف الى الغنيمة فور أن بدرت بادرة فى نصر المؤمنين عليهم، وأن يعفو عنهم ــ جمعاً لصفوف الأمة ــ ويستغفر الله لهم.

وثانيا: فى أن يستشيرهم فى أمور الأمة، فاذا خلص ــ من المشورة ــ إلى رأى معين، وعزم وصمم عليه، فليتوكل على الله وليثق بنصره ومعاونته.

فالتوكل على الله ــ الذى طلبه القرآن هنا من الرسول عليه الصلاة والسلام ــ هو خطوة تلى قيامه بمشورة أمته، واستخلاصة الرأى المتفق عليه، وعزمه وتصميمه على تنفيذه.

والتوكل على الله ــ أو الثقة فى الله وفى نصره ومعاونته ــ يكون مثمرا للانسان المتوكل وذا إيجابية فى حياته، إذا تقدمه إيمان قوي بالحق فى نفس من يتوكل على الله، وتقدمه كذلك فى نفسه ايضا، تصميم على تنفيذ مايؤمن به.

فهنا عنصران لجعل التوكل ذا فعالية وذا أثر فى حياة الانسان، وهما:

الايمان بالحق وبالخير...

والعزم والتصميم...

فاذا انعدم الايمان، أو كان الايمان بغير الحق وبغير الخير، أو انعدم العزم والتصميم على تنفيذ الايمان، فالتوكل على الله لايفيد من يعلن توكله عليه. ولهذا: اعلان التوكل على الله غير مجد فى حياة من يعلنه، اذا افتقد عنصرا من هذين العنصرين. وتوكل المسلمين اليوم على الله لايصاحبه النجاح المؤمل فيه، لأنه إعلان (لشعار) فحسب دون أن يكون فى نفس المعلن لهذا الشعار إيمان بما لله فى رسالته. وبذلك يختلف التوكل على الله، الذى هو مصدر للعون فى النصر والرعاية ــ كما يتحدث عنه القرآن ــ عن التوكل على الله الذى يعلنه المسلمون فى حاضرنا شعارا وقولا، دون أن يكون له واقع فى نفس المعلن إياه «فتوكل على الله، إنك على الحق المبين».. بهذا يعلل القرآن طلب التوكل على الله من رسوله صلى الله عليه وسلم.. يعلله بأنه على الحق المبين.. أي على الايمان به وعلى العزم والتصميم فى الدعوة اليه.

إن التوكل على الله ليس لفظة سحرية ينطق بها الناطق فيجاب الى مايرغب. إن التوكل على الله يستلزم قوة الايمان بالله، كما يستلزم صلابة العزم والارادة على العمل: فى غير ضعف، أو تردد، أو انقطاع.



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات ②

.. وعرفت فَرَح السجين بالخروج إلى الفضاء والنور

أيامي فى انكلترا لاتنسى .

أجمل احساس هو احساس المرء بأنه في سلام مع نفسه . هاهو الزمن يمد الي يد المصالحة . يد كريمة تفصلني عن ماضي حياتي التي سلفت والتي ماشعرت يوما بالحنين اليها . ان الحنين الى الماضي يصبح جزءا من حياة الانسان حين يكون ذلك الماضي محملا بالذكريات السعيدة فقط .

ليس هناك أجمل من الشعور بالحرية والتحرر من المنغصات المحيطة ، التحرر من العلاقات البشرية المضنية ــ المفروضة علينا فرضا والتي يستحيل الفكاك من براثنها الا بالبعد الجغرافي . لقد عرفت فى انكلترا فرحة السجين بلحظة الخروج الى الفضاء والنور . لايحس بجمال الحرية وبروعة امتلاكها الا أولئك الذين حرموا منها . ماكنت أصدق أنني سأنطلق يوما خارج أبواب تلك العلاقات الكئيبة وأقفالها . كانت أبوابا وراءها أبواب وكنت اقبع خلفها أسيرة اليأس الممزق للنفس والروح ، يملؤني شعور مستمر بأنني قد ألقي بي الى عالم أقوى مني .

في احدى رسائلي التى كنت أبعث بها الى شقيقتي « أديبة » فى الكويت كتبت احدثها عن الغبطة التى تتفجر وتنشر العافية فى كل ذرة من ذرات كياني ، قلت لها : « ... ان حياتي هنا جميلة بشكل غير معقول ، كثيفة الزخم بشكل غير معقول ، شديدة الحلاوة بشكل غير معقول ... ، لقد قرأت ذات يوم هذا القول لأحدهم : لاطعم للحلوى في فم تعود مذاق العسل ــ وأختك التى ماتعود فمها الامذاق المرارات عرفت اليوم مذاق عسل الحياة وحلواها ... »

• • •

بقيت في اكسفورد فى ضيافة فاروق مدة عشرة أيام أو تزيد قليلا ، أكرمني خلالها إكراما كبيرا . لقد أتيح لي معه التعرف لأول مرة على ملامح تلك المدينة العريقة وأهمها جمال الكليات وروعتها . ان للهندسة المعمارية لكليات الجامعة شهرة عالمية ، وفيها يحس المرء بروح اكسفورد تسكن الجدران العتيقة وتسكن باحات الكليات وحدائقها وممراتها .

كان ينطلق بي أحيانا نحو الريف حيث المطاعم الصغيرة المسقوفة بالقش فنتناول طعامنا فى أحد مطاعم تلك الأرياف ، والمطاعم فى الريف تتميز بطابع ذى حميمية خاصة .

لقد أخذت بسحر اكسفورد شاير وبما تضمه تلك المقاطعة من إرث عظيم من الأراضى الحرشية الواسعة والأعداد الهائلة من الأشجار الجميلة . لقد عرف الانسان فى تلك البلاد الخضراء كيف يسيطر على تقطيع الأشجار ويحافظ بعملية التحريج على هذا الارث الثمين ، فهو لاينشر شجرة قبل أن تكون قد طلعت بجانبها ونبتت شجرة اخرى .

قبل أن يأخذني لمشاهدة كليته (نيوكوليج) أى « الكلية الجديدة » كنت أظن وكما يوحى اسمها ،

أنني سأشاهد كلية حديثة الى حد ما ، ولكني فوجئت حين علمت أن تاريخها يرجع الى ستة قرون مضت . وكما لفت فاروق ، نظرى فان الزائر يحس فيها بذلك المزج بين القديم والحديث فهناك مقابل معمار غوطى ينتصب تمثال ضخم لعازر نحته قبل سنوات النحات المعاصر الشهير أبستين . وكان أكثر ما هزني من المشاهد ذلك النصب التذكارى للحرب العالمية الأولى ، فعلى هذا النصب التذكارى قرأت مايلي :ــ

(فى ذكرى طلاب هذه الكلية الذين دخلوا فى ارث هذا المكان قادمين من بلد غريب ، ثم عادوا ليحاربوا ويموتوا من أجل وطنهم فى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨)

أما الطلاب ضحايا الحرب الذين سجلت أسماؤهم على ذلك النصب التذكارى فقد كانوا جميعا من الألمان الذين تركوا الكلية وماتوا فى ساحة الحرب مقاتلين ضد انكلترا . لقد وجدت فى هذا الذى قرأته أقوى تعبير عن روح تلك المدينة الجامعية العريقة .

دعيت مع فاروق الى حفلة مسائية اقامها فى الكلية بعض زملائه الطلاب ، تعرفت فيها على أصدقائه وصديقاته . وكان أكثر مالفت انتباهى الهدوء المخيم على الجو بالرغم من كون عدد الحضور لايقل عن ثلاثين طالبا وطالبة . كانت الأحاديث تدور بين المجموعات المتناثرة هناك بصوت خفيض ، مما جعلنى أستحضر فى ذهنى قول نيتشه : « كلما ارتقى عقل الانسان قلت رغبته فى الضجة » .

ويوم سألت فاروق عن مكان الجامعة استغربت حين قال لي إنه ليس هناك جامعة فى اكسفورد بمعنى جامعة منشستر مثلا أو جامعة برستول ، ذلك أن اكسفورد مثلها مثل كمبردج هى مجموعة كليات ، كل واحدة منها ذات ادارة ذاتية ومستقلة ، فالجامعة هى جسم ادارى فقط ينظم المحاضرات ويرتب الامتحانات ويعطى الدرجات ، فالكليات هى اكسفورد الحيوية الحقيقية ، وكل كلية تضم طلابا من جميع الانواع ، أى أن المرء لايجد كل طلاب العلوم فى كلية ، وكل طلاب القانون فى كلية اخرى ، ففى كل كلية طلاب فى الفنون والعلوم والطب والهندسة وبالطبع فأن كل طالب يتبع فى الدراسة مساقه الخاص وبما أن المحاضرات تنظم بواسطة ذلك الجسم الادارى الذى اسمه الجامعة ، وليس بواسطة الكليات لذلك فان أى طالب يستطيع حضور أية محاضرة فى أية كلية إذ انه عضو فى الكلية وفى الجامعة معا . وهذا مما يتيح للطالب اكتساب الكثير من المعرفة من خلال تعايشه مع أولئك الذين يمثلون كل الفروع الأخرى .

استقر بى المقام المؤقت لدى عائلة فيرنيش فى بوديكوت ، إحدى ضواحى بلدة بامبرى ، البلدة لا حياة فيها بالمعنى العميق والرائع ، ولكن التجربة كانت غنية بالنسبة إلى . أحاطني السيد فيرنيش وزوجته بالرعاية والمودة . كنت أدفع فى



قلب مدينة اكسفورد التى حاولت التعرف على ملامحها العريقة

نهاية كل اسبوع مبلغ سبعة جنيهات وسبعة شلنات مقابل المبيت والطعام والخدمة ، وسرنى أن المبلغ لم يبهظ دخلى المتواضع ولم يتجاوز حدود امكانياتى المادية .

كانت تسعدنى النزهات الخارجية يومى السبت والأحد من كل اسبوع ، من خلال تلك النزهات تعرفت على عدة من المدن الواقعة وسط انكلترا . كانت زيارتى لبلدة سترا تفورد أبون آيفون أول تلك النزهات المتعة . قال لى السيد فيرنيش ونحن فى طريقنا لمشاهدة البيت الذى ولد فيه شيكسبير ، شاعر الدراما العظيم ، والواقع فى شارع هنلي وسط البلدة : « قليلة هي الأماكن التى لها مثل الجاذب الذى يشد السياح الى ستراتفورد ، حوالى ثلاثمئة ألف سائح يفدون كل عام اليها من مختلف أنحاء العالم . »

ان شكسبير هناك فى كل مكان ، ترافقه من البيت الذى ولد فيه ، الى البيت الذى توفى فيه ، الى المدرسة التى تعلم فيها الى الكنيسة التى دفن فيها ، الى بيت « هولز كروفت » الواقع فى البلدة القديمة فى الطريق الى الكنيسة ــ وهو بيت ابنته سوزانا وزوجها الطبيب هول ــ الى مسرح شكسبير على نهر آفون ، الى تمثال الشاعر المنتصب على قاعدة عالية تحيط به أربعة تماثيل لأربع من شخصياته الرئيسية ، قبعوا هناك يراقبون معه آلاف الزائرين وهم يعبرون جسر كلوبتون Clopton العتيق ابن الخمسة قرون . أليس جديرا بستراتفورد أبون آفون أن يصبح أسمها شكسبير أبون آفون ؟ انه ابنها ومن قلبها وحضوره أبدى فيها .

أما الحديقة الخلفية للبيت الذى ولد فيه فتموج بالأشجار والأزهار والحشائش التى ذكرها شكسبير فى مسرحياته .

أخذنا طريقنا الى القرية الصغيرة شوتارى Shottery والتى تبعد عن ستراتفورد مسافة ميل

..وعرفت فرح السجين بالخروج إلى الفضاء والنور

فقط لمشاهدة كوخ زوجته آن هاثاوى هناك الكوخ كما تؤكد أقدم صورة لم يتغير فيه شيء منذ زمن شكسبير : الكراسى العتيقة بجانب المدفأة الحجرية — حتما كان الشاعر يجلس فى ذلك المكان — الصحون التى تناول فيها طعامه — ربما — الزق الجلدى الذى كانت آن تصب منه الجعة لشكسبير ، فى ذلك البيت يشعر المرء كما لو أنه يعيش فى القرن السادس عشر . وقفت مخطوفة مرهفة السمع ، فلم يبق الا أن يطرق أسماعنا وقع خطوات الشاعر وهو يقبل علينا من الدرج الضيق .

حين غادرنا البلدة فى المساء كنت على يقين من أننى سأعود اليها أكثر من مرة ، فلا بد من مشاهدة بعض مسرحياته التى تمثل باستمرار على خشبة مسرح شكسبير الملكى ، هذا المسرح الخاص بعرض أعمال الشاعر المسرحية .

لقد شهدت فيما بعد ، وعلى مدى مايقرب من عامين ، الكثير من الاماكن التاريخية فى انكلترا واسكوتلنده ، كما قمت بزيارة بعض المنازل الكبيرة الفخمة فى المناطق الريفية والتى لم تعد ملكا خاصا لأفراد ، بل تعتبر تراثا قوميا يباح التمتع بمشاهدته لأفراد الشعب مقابل قروش قليلة تدفع عند الدخول ، أقول على الرغم من مشاهدتى للعديد من مواطن الجمال الباهرة والأماكن ذات التاريخ ، غير أننى ماشعرت قط بمثل الهزة التى عرتنى وأنا أقف بضريح شاعر الكون ، ذلك الخالد ، مالئ الدنيا وشاغل الناس ما بقيت الحياة .

وفى أيام الأحد كثيرا ما اصطحبنى السيد فيرنيش فى جولة ريفية وبرفقتنا ولده جون « ١٢ عاما » . كان يترك سيارته على كتف أحد الشوارع ثم نمضى مسافة أميال على الاقدام . ان رياضة المشى فى ريف انكلترا من أروع وأمتع أنواع الرياضة . أكثر ما أثار دهشتى وانبهارى أمام الريف الانكليزى هو ذلك الامتداد والتنوع : مزارع ، حقول ، أحراش ، غابات ووديان ، لقد اكتشفت أن الريف فى كل جزء من انكلترا قريب من المدينة أو البلدة ، فهو يعطى مباهجه بسخاء ليتمتع بها كل الناس . هناك يجد رجل المدينة راحته ، كما أن ساكن الريف يحب الروائع المحيطة به ويحميها بالحفاظ عليها . ان الخضرة هى فرح الناس فى انكلترا ، والغابات فى الريف من أهم ملامح البيئة الطبيعية . انها طبيعة يحرصون على الحفاظ عليها كل الحرص .

ما أقوى احساسى بالطبيعة وما أشد حدته . لا أزال منذ طفولتى اندمج فيها وأشعر كأننى جزء منها . أتخيلها كائنا حيا وأحس بدبيبها ونبضاتها . ويا لذلك الجمال الخارق فى طبيعة الريف الانكليزى ، كيف أصفه ؟ من يستطيع وصف الجمال بالكلمات . مهرجان أخضر ، لهيب بارد زبرجدى يمتد ولا حدود لامتداده ، صمت المراعى ، سكون الطرقات الريفية الضيقة ، الخراف البيضاء ، الأكواخ الوادعة الداخلة فى الطبيعة الخضراء والمندمجة فيها ، الهواء النقى الطازج المحمل برائحة الشجر والمطر والتراب ، ان روح الريف حاضرة فى العشب والماشية والزهر وفى بذخ النباتات الحرجية ، والجمال هناك يهدى نفسه اليك كيفما التفت . أما أروع روائع الريف فهو ذلك الهدوء الشامل ، هدوء يهدهد الأعصاب كترنيمة طفل .

بحكم وظيفته فى مدينة اوكسفورد كان السيد فيرنيش يغادر اليها كل صباح ويعود بعد الخامسة ، كنت فى بعض الأيام أصطحبه اليها ، ليمضى هو الى مكان عمله ولاشرع أنا فى التجوال هنا وهناك ، أكتشف وأستطلع ، وفى الظهيرة أتناول قطعة سندويش مع فنجان قهوة فى أحد المقاهى ثم أمضى الى إحدى المكتبات ومنها الى إحدى الحدائق اذا كان الطقس مشمسا ، أقرأ ساعة وأتأمل أخرى ، وعند الرابعة أنتقل الى متحف « اشموليان » لقضاء وقت ممتع مع أعمال مشاهير الفنانين ، كان أشموليان أول متحف للفنون التشكيلية أشاهده فى حياتى ، ومنذئذ أصبت بالادمان على التردد على المتاحف كلما أتيحت لى زيارة لندن أو سواها من عواصم اوروبا .

عند الساعة الخامسة أكون قد أخذت مكانى خارج باب المتحف فى انتظار السيد فيرنيش للعودة الى بوديكوت وقد ملأنى الشعور بالرضى .

لكى أتمكن من تمديد إقامتى فى انكلترا كان على الالتحاق بدورات تعليمية أستطيع معها الحصول على إذن إقامة طويلة . مثل هذه الدورات متاحة هناك لكل انسان وعلى مختلف المستويات والأعمار . وقد زودتنى السيدة فيرنيش بنشرة صادرة عن مدرسة سانت كليرزهول باكسفورد تتضمن معلومات عن دورتين صيفيتين لعام ١٩٦٢ ، الأولى خلال شهر يوليو وتجرى فى كلية « كرايس تشيرش » إحدى كليات جامعة اكسفورد ، والثانية تجرى فى اغسطس فى « مدرسة سانت كليرزهول » نفسها . لم أتردد لحظة واحدة ، فها هى الفرصة الذهبية تقدم نفسها الى . ومن خلال المراسلة بينى وبين تلك المدرسة تم التحاقى بالدورتين .

هنا بدأت أعرف ما أريد . فقررت الالتحاق بعد الدورتين بمدرسة لمدة عام كامل قابل للتمديد . كما قررت أن تكون مدينة اكسفورد هى المكان المختار . أما مدينة لندن فسوف أوليها المقام الأول فيما بعد .

وغمرنى شعور بالتفتح والانتشاء لايمكن وصفه .

• • •

فى صباح اليوم الأول لافتتاح الدورة الأولى ودعت السيدة الطيبة وأطفالها ، وكان السيد فيرنيش لطيفا جدا وكريما جدا . اخذنى بسيارته الى اكسفورد ، وفى تمام الساعة التاسعة كنا أمام بوابة الكلية . قدمت اسمى للموظف المسؤول هناك فسلمنى مفتاح غرفتى المرقم برقمها ، كما طلب من أحد العمال مرافقتى بالحقيبة الى الغرفة ، أما مستر فيرنيش فلم يغادر الا بعد أن تأكد من أن كل شيء ماض على أتم وجه ، ثم ودعنى بمودة أخوية وبأجمل التمنيات .

عدت فهبطت الى الساحة رباعية الزوايا والمحاطة بأبنية الكلية . كانت الساحة قد بدأت تنبض شيئا فشيئا بالوافدين من الطلبة والطالبات الملتحقين بالدورة . الغربة تكتنف الجميع ، فلا أحد منا يعرف الآخر . ثم سرعان مابدأت لقاءات التعارف العفوية تتشكل حلقة حلقة ، كل واحد يسأل الآخر : من أين ؟ وتتعارف الجموع وتتآلف ، وتصبح النظرات الودودة والبسمات الصافية هى اللغة المشتركة . إحساس جميل ، فى ظرف جميل ومثير ومليء بالتوقع ، إحساس يؤكد الشمول الأخوى فى المجموعات الانسانية حين ينسى أفرادها عصبيتهم العمياء وينفتح القلب لاحتواء الانسانية كلها فى أعماقه .

حان وقت المقابلة مع هيئة الامتحان ، كل طالب على حدة ، وعلى ضوء المقابلة تقرر المستوى الدراسى المناسب لكل منا . كان موقعى فى القسم المتوسط ، وكان ضمن المنهج المقرر لهذا القسم

● وتذكرت قول نيتشه : كلما ارتقى عقل الإنسان قلّت رغبته فى الضجة !

● ثلاثمائة ألف سائح يزورون بيت شكسبير ومدينته كل عام

كتتاب مزرعة الحيوان Animal Farm لجورج اورويل ورواية «غرفة فوق السطح» Room at the Toop لجون برين Braine ثم «مجموعة شعرية بعنوان «شعراء مابعد الطبيعة».

حوالى أربعمئة طالب وطالبة قدموا من مختلف أنحاء أوربا وآسيا وأفريقيا، أعمارهم تتراوح بين الثامنة عشرة والأربعين، وبالطبع كانت الشبيبة هي الأكثرية الغالبة، آوت الكلية حوالى المئتين، لكل طالب غرفته الخاصة كما لكل طالبة، وكانت مباني الكلية الخاصة بالمبيت قد قسمت الى قسمين، للذكور قسم، وللاناث آخر. أما باقى الملتحقين بالدورة فكانوا موزعين بين عائلات انكليزية تكفل لهم المبيت والطعام.

قبل ساعة العشاء بدقائق بدأنا نتجمع أمام قاعة الطعام مغلقة الأبواب فى انتظار لحظة فتحها على المصراعين، وحانت اللحظة وبدأ تدفق الجموع داخل القاعة، قاعة — كما قيل لنا — هى الأكبر والأكثر إدهاشا وروعة بين قاعات الكليات الاخرى. علقت على جدرانها صور زيتية لرجال عظام نالوا تحصيلهم الجامعى فى كرايس تشيرش: الشاعر سير فيليب سدنى، وليم بن مؤسس مستعمرة بنسلفانيا فى امريكا الشمالية، السياسى الانكليزى سير روبرت بيل Peel الواعظ الانكليزى جون وسلى مؤسس مذهب الميثوديست جوون لوك الفيلسوف الانكليزى، وليم غلاد ستون السياسى البريطانى، جون رسكين Ruskin الكاتب والناقد الانكليزى، تشارلس دودغسون الكاتب والعالم الرياضى المعروف باسمه المستعار لويس كارول ومؤلف كتاب (أليس فى بلاد العجائب) المشتمل على أكثر أقاصيص الأطفال اثارة، تلك الأقاصيص التى رواها المؤلف للطفلة الصغيرة ابنة صديقه عميد الكلية خلال رحلة نهرية. لقد قيل لنا ان كرايس تشيرش تفخر بكونها أعطت انكلترا خمسة رؤساء وزارة فى قرن واحد عدا العظماء الآخرين الذين تخرجوا فيها على مدى تاريخها الطويل.

كان مقعدى على مائدة العشاء الكبيرة مجاورا لمقعد فتاة ألمانية فى مثل سنى، بدأنا نتبادل الحديث عن تلك التجربة المثيرة. فى مثل هذه المناسبات سرعان ماتحصل الألفة لاسيما بين الأفراد المتقاربين فى السن. عرفت منها أنها معلمة للغة الانكليزية فى بلدها وقد التحقت بتلك الدورة الصيفية رغبة منها فى اكتساب المزيد من المعرفة باللغة من جهة، وبهدف قضاء عطلة صيفية ممتعة من جهة أخرى، ومنذ ذلك العشاء الأول أصبحنا، أورسلا وأنا رفيقتين.

بعد وجبة العشاء الدسمة عدنا فانتشرنا فى الساحة مربعة الزوايا.كانت بعض زهرات اللوتس تطفو أمام عيوننا على مهل فى بركة الماء المستديرة الكبيرة المغشاة جدرانها بالطحلب. فى الدقيقة الخامسة بعد التاسعة فوجئنا بدقات جرس لم تتوقف الا عند الدقة الواحدة بعد المئة دقة، وعكست العيون علامة سؤال كبيرة، ماذا تعنى هذه الدقات. مالذى تشير اليه.

وعرفنا القصة:

من (برج توم) الذى صممه المهندس الشهير كرستوفرن لكرايس تشيرش يقرع جرس توم الكبير مئة دقة ودقة فى الدقيقة الخامسة بعد التاسعة من كل مساء، وذلك احياء لذكرى المئة تلميذ وتلميذ فى الكلية زمن الملك هنرى الثامن الذى أتم تشييدها بعد وفاة الكردينال ولسى Wolsey فى القرن السادس عشر، والذى لاتزال الكلية تحتفظ بقبعته وكرسيه الى اليوم.

صعدت الدرج الضيق العتيق الى الدور الثانى حيث غرفتى المطلة نوافذها على الساحة، والتى تقع على ظهر كنيسة الكلية او بالأحرى كتدرائية مدينة اكسفورد فهى اقدم من الكلية ويرجع عهدها الى اثنى عشر قرنا.

درت بنظرى فى أرجاء الغرفة، كل ما فيها يشير الى أنها تخص واحدا من الطلبة الأصليين والذين يمضون الآن اجازاتهم الصيفية لدى ذويهم. ترى كم من طالب شهدتهم وعرفتهم جدران الغرفة الصامتة والمشبعة برائحة الزمن. كم احتضنت من مشاعر وأحاسيس لأولئك الطلاب خلال حياتهم الجامعية على مدى القرون الأربعة. الأمانى، والمطامح، والأحلام، ماتحقق منها وما لم... النجاح الفشل، السعادة، الاحباط، الدموع، البسمات، الحب، الألم، الى كل مايختلج فى النفس البشرية من انفعالات ومشاعر وصراعات. ما أقوى احساسى بالأمكنة القديمة التى مرت عليها مركبة الزمن؛ إنها تضعنى وجها لوجه أمام قوة الزمن، أمام المصير الزائل للانسان، أمام اللاديمومة لكل شىء فى الحياة.

أيقظتنى فى الصباح طرقتان على الباب وصوت أجش يهتف: السابعة والنصف، السابعة والنصف، ثم وقع خطوات تنأى عن الباب، ثم الصوت الأجش نفسه مصحوبا بطرقتين على الأبواب المجاورة بابا بابا. كانت تلك وظيفة صباحية لأحد العمال هناك لايقاظ الطلاب كل يوم فى السابعة والنصف.

التمت الجموع فى قاعة الطعام العتيدة. كانت الموائد المستطيلة حافلة بأباريق القهوة والشاى، وبالزبد ومربى البرتقال والخبز المحمص (توست)، بعد ذلك تأتى وجبة الفطور الانكليزية الشهيرة، البيض المقلى والبيكون (لحم الخنزير المملح). تركت شريحة البيكون على حالها، كانت القهوة والزبد والمربى والبيضة المقلية وجبة صباحية كافية وممتازة.

فى صباح اليوم التالى وفيما أنا أحتسى قهوتى مستمتعة بنكهتها العطرية والأخوة والأخوات حولى يتمتم البعض للبعض الآخر: من فضلك ناولنى السكر، اذا سمحت ناولينى الملح، فجأة

● عندما عرفت لأول مرة مذاق عسل الحياة وحلواها
● كيف يمكن القضاء على لعنة الحروب وما تخلقه من مشاعر البغضاء والنقمة فى نفوس البشر
● الأدباء الغاضبون يثيرون الانتباه ويلفتون الأنظار

..وعرفت فرح السجين بالخروج إلى الفضاء والنور

أحسست بقلبي يهوى بين جنبي وأنا أسمع اسمى يهتف به الأستاذ احمر الشعر المشرف على الدورة . وقفت وتطلعت اليه بتساؤل صامت . قال : من فضلك دعينى أراك بعد الانتهاء من الفطور .

خيرا يارب . ماذا هناك ؟ برقية ؟ مصيبة ؟ رحمتك يارب .

حين ذهبت اليه قال : نراك لم تتناولى صباح أمس شريحة البيكون ، لعلك مسلمة ؟ : نعم مسلمة ..

وتنفست عميقا . الحمد لك يارب .

منذ ذلك اليوم اختفت قطعة اللحم الحمراء من صحنى فى وجبة الصباح .

وعي استهلاكى عجيب يتمتع به الانكليز ، كل الانكليز ، وهو وعي قلما عرفناه ، نحن العرب . هذا ما لاحظته خلال إقامتى فى انكلترا . كل شىء مقدر ومحسوب مهما قلت قيمته المادية ، وكلمة « تبذير » موجودة فقط فى القاموس الانكليزى ، أما عمليا فلا أثر لها فى حياتهم . تقف المرأة الانكليزية بدكان البقالة لتطلب نصف خيارة ، حبة بندورة ، ربع فرخة ، فلا تشترى أكثر مما يكفيها .

قبل الدخول الى صفوف الدراسة طلب الينا التجمع فى الساحة المكشوفة ثم أقبلت علينا رئيسة مدرسة سانت كليرزهول . امرأة بل آنسة فى منتصف العمر ، على وجهها آثار جمال لاشك فى أنه كان باهرا . أما عيناها فقد انعكست فيهما أطياف حزن ناعم دفين .

كانت جالسة على كرسى ذى عجلات تدفعه من الخلف فتاة فى الثلاثينات من العمر . وكان على النصف الأسفل لجسم الرئيسة غطاء صوفى يتدلى حتى القدمين .

دقيقتان أو ثلاث ، وكسر الصمت المخيم صوت تلك الانسانة المرهفة المقعدة مرحباً بنا أولا ، ثم شرعت تحدثنا عن الأسباب التى حدت بها الى ترتيب مثل هذه الدورات الصيفية لتعلم اللغة الانكليزية . حدثتنا عن أهوال الحرب العالمية الثانية والمآسى التى مر بها البشر خلال تلك الحرب ، حدثتنا عن القنبلة التى بترت ساقيها فى إحدى الغارات الجوية عام ١٩٤١ . ثم تطرقت الى أهمية تعارف الشعوب وتحقيق التفاهم بينها . من هنا انبثقت لديها فكرة ترتيب دورات ينعكس فيها بشكل رائع روح اللقاءات التى تساهم فى تحقيق التفاهم ، وفى اقامة جسور الصداقة بين مختلف الشعوب ، وفى القضاء على لعنة الحروب وما تخلفه من مشاعر البغضاء والنقمة فى نفوس البشر .

● أدبـاء إنجليـز يعـارضون الاستعمار ويرفضونه ويحملون عليه
● كلمة "تبذير" موجودة في القاموس الإنجليزي وليس لها وجود في الواقع

* * *

كانت الدورتان مكثفتين وممتعتين بما رافقهما من نشاطات وزيارات ورحلات ونشوء صداقات جديدة . أما عن الحصص الدراسية فقد كانت الحصة المخصصة للادب الانكليزى أكثرها متعة واثارة بالنسبة لى . فمن خلالها أخذت فكرة واضحة عن الحركة الأدبية فى الخمسينات ومطلع الستينات ، حيث ظهر أدب يكاد يكون من خلق أولئك الشباب الذين أطلق عليهم اسم « الشباب الغاضب » والذين فتحوا عيونهم على تفجر الثورة التحررية فى العالم والسخط على القيم البورجوازية والأوضاع الاجتماعية وما يسودها من ظلم . لقد عكست حركة الشباب الغاضب رفضاً قاطعا للمجتمع القائم كما عكست الثورة ضد القيم السائدة فى الأدب والفن والسياسة وعدم الاهتمام بقيم الامبراطورية وبسيادة كنيسة انكلترا . وأدهشنى وسرنى سرورا هائلا ، أنا التى نشأت فى ظل الاستعمار البريطاني البغيض لبلادى أدهشنى وسرنى أن أعرف أن هناك كتابا وأدباء وشعراء وفنانين معاصرين لا يؤمنون بالاستعمار ويبغضون العنصرية ، كالشاعر ديلان توماس مثلا والكاتب جورج اورويل والرسام ديفيد هوكنى ، هؤلاء وسواهم كرهوا الاستعمار وكانت لهم ميول تحررية كأكثر معاصريهم .

قبل الشروع فى قراءة رواية « غرفة فوق السطح » للكاتب الشاب جون برين أشار أستاذ الحصة إلى ما اطلق عليه اسم رواية اللابطل ، أو بمعنى أوضح الرواية التى لابطولة لدى بطلها ، فهو انسان عادى جدا . ثم انتقل الى الحديث عن التحول الاجتماعى الذى حصل بعد الحرب العالمية الثانية وعن انعكاس هذا التحول على الرواية الانكليزية الحديثة وعلى مختلف الفنون الأخرى فالموضوعات الاجتماعية هى التى تستقطب اهتمام الروائيين الشباب ، كحياة الطبقة العاملة والفوارق الطبقية ، والاهتمام بالتغير الاجتماعى ، والتأكيد على قيمة الفرد الخ ..

فى تلك الفترة ، ولحسن الحظ ، جرى على أحد مسارح اكسفورد عرض لمسرحية جون اوزبورن (انظر وراءك فى غضب) تلك المسرحية التى اكسبت مؤلفها شهرة واسعة فى بريطانيا وأمريكا والتى جعلت اسمه يتربع على رأس قائمة كتاب المسرح المعاصرين بما أعطت للمسرح من دم جديد وعنيف راح يتدفق فى شرايينه بعد خمود وجمود .

أحصى الأستاذ عدد الراغبات والراغبين فى مشاهدة المسرحية ، وفى مساء اليوم التالى كانت مقاعدنا المحجوزة تنتظرنا فى الوقت المحدد .

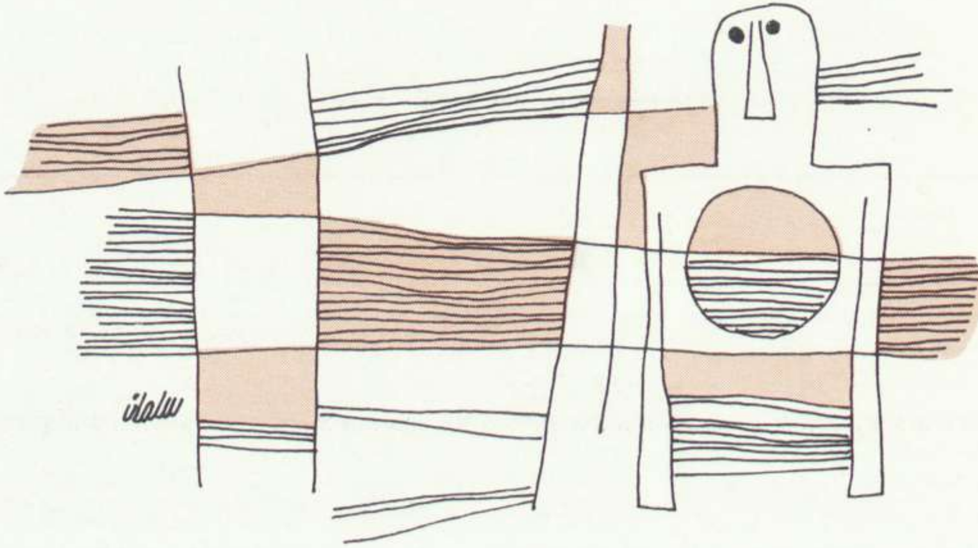
كان الأستاذ قد تحدث الينا عن موضوعها فى النهار لكى يضعنا فى جوها فتزداد متعتنا بمشاهدتها . وقد ظلت عيوننا وآذاننا مشدودة الى مايجرى وما يدور على خشبة المسرح منذ ارتفعت الستارة عن الفصل الاول الى أن أسدلت على آخر مشهد من الفصل الأخير . كان البطل صورة مجسدة للثورة والغضب والنقمة على القيم والاوضاع السائدة فى المجتمع الانكليزى ، وكانت المسرحية فى كل فصولها تنبض بالحيوية والحركة .

منذ ذلك الحين استقطب جون اوزبورن اهتمامى . وقد شهدت بعد بضعة اعوام فى لندن مسرحيته « غرب السويس » التى رسم فيها صورة رمزية للامبراطورية التى انهارت وغربت عنها الشمس . وفى قصيدتى (فى المدينة الهرمة) إشارة الى تلك المسرحية .

« بقية المذكرات فى العدد القادم »

قصيدتان ..

شعر: عزت الطيري



١ — (حزن)

حين أعود إلى البيت ،
فى آخر الليل
أطرق .. يفتح لى الحزن بابى ،
ويدخلنى غرفة للجلوس ،
يقدم لى شايَه
ثم يدخل بى غرفة النوم ،
يجلس بالقرب منى ،
وحين يداعبنى النوم ،
يدخل ما بين طيات حلمى ،
وفى الفجر يوقظنى
كى ينام !!

٢ — (وهكذا ..)

حين يخبرنى الأهل أنك قادمة
يبدأ البيت رحلته للنظام
كل شىء يغادر موقعَه
الفؤاد ، الأوانى ، الحنين ، الملاءات ،
نافذة الحجرة المقفله
ثم تحدث فى داخلى الصلصله
ثم تأتين ، أصمت ..
يمضى بنا الوقت ، تمضين للباب ،
أهمس فى داخلى :
سأحدثها المرة المقبله
مهزله ! !

مابين الطَّبَريّ وابن خَلْدون

بقلم: أحمـــد العنـــاني

لقد أوصل الطبري الأسلوب التاريخي المحكم الصلة بالنزعة الدينية الاسلامية ، وبالنزاهة العالية والتحرج في إثبات الحقيقة التاريخية مرحلة الأوج ، فلاعجب أن جرى الكثيرون في دربه ، وحاولوا إكمال مسيرته وأخذوا يضعون حوليات تمد أمد حولياته .

وعلى الذين يعنون بخصائص الأمة الاسلامية أن يعرفوا أن عناية المسلمين بالتاريخ لايمكن تبريرها بمجرد الدوافع المتصلة بتدوين الأحاديث وتاليا تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه ، وطبقات التابعين من بعدهم .. فما الذي إذاً كان يحملهم على العودة بروايات التاريخ إلى منشأ الخليقة إلا روح التوجه القرآني الذي يشير مراراً وتكراراً ولاسيما في سورة كالشعراء مثلا إلى الحكمة الآلهية في نشوء الأمم ورفعتها وسقوطها . إن فهم التاريخ هو حاجة أساسية في ثقافة المسلم وتقواه .

والمسلمون صادقون مع أنفسهم ومع كتابهم حين يبحثون عن سنن الله المعززة لبقاء الأمم لأن الأمة الاسلامية هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولو هانت وانحلت واستحال تعديل التوجهات الخاطئة الطارئة عليها فإلى أين يكون مصير البشرية ، وقد انتهت الرسالات جميعاً برسالة الإسلام ؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى في بدر أن تتوقف في الأرض العبادة الحقة السليمة لله الواحد الأحد لو هلكت تلك الفئة المسلمة التي وقفت في بدر تدافع عن كلمة الله في الأرض لتكون هي العليا وكلمة الكفر السفلى ؟ ويرى المسلمون أن الخير فيهم وفي أمتهم إلى أن تقوم الساعة ، ولذلك فقد ظلت الثقافة التاريخية جزءاً مكونا من الثقافة الاسلامية بعامة . وقد أدت محاولة المؤرخين المسلمين إيجاد قصة متماسكة الحلقات لتاريخ الإنسان في الأرض إلى دخول عديد من الروايات الاسرائيلية والنصرانية وأحيانا من أخبار الأمم المشكوك فيها كالفرس والسريان . ومن هنا فإن رجال السنة المتشددين كانوا لايرتاحون إلى التوسع في الروايات تحت ستار التاريخ ، وكان بعضهم يرفض ذلك كله ، ويتأثم من الدخول فيه ، ويستمسك بتوثيق الكلمة أمتن توثيق .

توجهات المؤرخين منذ عصر المسعودي

إنه لمن أسف بالغ أن معظم مؤلفات المسعودي قد ضاعت فيما ضاع من تراثنا الهائل ولكن النتف الباقية تكفي لإثبات حقيقة تحول المؤرخين الى اعتماد المعلومات الجغرافية ومزجها بالتاريخ خاصة في تقويم البلدان وفي ذلك دلالة على الشروع في معاملة التاريخ على أسس عقلانية بمعنى استخدام العقل في التوسع في العلوم التي ترتبط بالتاريخ ارتباطا عقليا لا نقليا .. وبهذه الكيفية يمكن أن ترد رواية في التاريخ على أنها غير منقولة لأن فيها مخالفة لمنطق الإقليم الذي يؤرخ له ، أي منطق البيئة والمناخ والأحوال الطبوغرافية .

النزعة الإقليميـــة

لم يكن عجيبا أن تظهر بعد عصر المسعودي تلك النزعة الإقليمية في الاهتمام بمنطقة معينة وبعد سرد حقائقها الجغرافية تسرد الأخبار المروية عنها بمواءمة واضحة بين منطق الإقليم ومايمكن أن يكون معقولا عنه . ولاشك في أن هذه النزعة كانت مرآة لتدهور الأحوال السياسية في العالم الإسلامي اعتبارا من منتصف القرن الرابع للهجرة . ولايمكن في الواقع حصر المؤلفات التاريخية الإقليمية لكنه من الممكن إيراد طائفة من أفضل الأعمال التي أنجزت في هذا الاتجاه مثل «تاريخ بغداد» أو «مدينة السلام» للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، وحيث أن بغداد شهدت فترات العز والقوة من عصور العباسيين فقد أصبح هذا الكتاب مصدراً جيداً للفترة الممتدة بين تأسيس بغداد في عهد أبي جعفر المنصور (١٤٥ للهجرة) وحتى سنة وفاة المؤلف في ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة . والحقيقة أن هذا السفر المطبوع في أربعة عشر مجلدا من الطباعة الحديثة يعتبر معرضا فذاً لمشاهير وأعلام بغداد خلال ثلاثة قرون كاملة . وفي مجال التاريخ يعتبر البيروني (أبو الريحان الخوارزمي العالم الفلكي الشهير) مؤرخا إقليميا لما كتبه من تاريخ خوارزم والهند ، وقد توفى البيروني عام (٤٤٠) للهجرة ، وهناك أيضا تاريخ بخاري للترشحي (٣٣٠ هـ) «وتاريخ أصفهان» للمافروخي و «طبرستان» للبرزادي .. وانه لمن أسف بالغ أن الكثيرين كانوا قد بدأوا رحلة التخلي عن التأليف بالعربية ، والكتابة بالفارسية أو غيرها في القليل النادر

تدهور الأسلوب التاريخي

لم يكن التدهور قاصرا منذ القرن الخامس للهجرة فما بعده على النزعة الإقليمية دون الإنسانية الأممية الإسلامية ، ولا على هجر العربية أجمل لغات الدنيا وأوسعها رحاباً وأعظمها فصاحة ورهافة موسيقية علاوة على أنها لغة القرآن المجيد ، ولكن المتعرضين للتأليف لم يعودوا من العلماء الحاملين أمانة العلم على أعلى درجات المسئولية وإنما هم أخلاط وأمشاج من خلق الله ،



العالم العربي ابن خلدون

ولاسيما الموظفين في الدواوين .. وبطبيعة الحال كان لابد من ضياع أسلوب التنقيب العلمي والرواية الموثقة .. وفي بداية التدهور أصبحت تجد إشارات عابرة للمصادر لكن ذلك الثوب المنافق سرعان ما انشق وطوى وأصبح «المؤرخون» المتطفلون يلقون بالكلام جزافاً دون أية إشارة لمصدر أو وثيقة .

وباتت الحوليات التاريخية قصراً على أمير بالذات أو حاكم متنفذ في موقع كائنا ماكان أصله أو توجهه ، طالما أنه يسره أن يشغل الناس به ويأجر على ذلك أجراً حسناً.

خروج التاريخ من دائرة العلم

وشيئا فشيئا خرج التأليف التاريخي من دائرة العلم إلى دنيا الخيال والرومانسية والأهواء المضطربة ، وأصبح التبرير المقدم لتلك النزعة هو التذرع برسم نماذج فاضلة لأبطال لابأس لو كانوا خياليين ، لكنه لابأس أيضا عند مؤلف سقيم الذوق لو جاءوا على شكل ذوقه السقيم أو خياله المريض .. ولو قد كان في ذلك الزمان المتقدم تفريق واضح بين ماهو علم لايخرج عن منهجية العلم ، وبين ما هو إعلام يستهدف تزيين الزين فوق زينه وتشويه البشع فوق تشويهه لهان الأمر ولكن الذين باتوا يؤلفون أموراً من القصص الخيالي كانوا ينسبون صناعتهم إلى التاريخ وبالتالي إلى العلم .

وكما هو شأن الاعلام الذي لامفر له لكي يعيش ولو حياة عارضة موقوتة أن يستند إلى ذرة من الحقيقة مهما يبلغ به الخيال والتحسين كذلك فإن أولئك القاصين المحسنين كانوا في الغالب يستندون الى رواية أمر يعجبهم دون أن يعنوا بتمحيصها طالما أنها توافق هواهم الاعلامي ثم يبنون عليها ماشاء لهم الخيال والهوى أن ينسجوه .

ولكي نكون منصفين فإن نفراً من هؤلاء كانوا يستهدفون مجرد اللهو والتسلية ، فيما كان البعض يأخذ برواية أو خبر فيضيف إليه من محسنات أسلوبه ما يرجو أن يجعل به قبوله ميسوراً لاسيما عند العامة ومحببا إليهم ليكون أفعل في تقويمهم .

وهنا لابد لي أن أذكر القارىء بمقالي الأول في هذه السلسلة حيث بينت أن التاريخ باعتباره أدباً ، أو الأدب حين يكون تاريخاً فذلك مما يهدف له المعلمون والوعاظ لتحسين الأمور وتقريبها إلى قلوب التلاميذ والعامة .

وكان من أشرف أصناف هذا التوجه التاريخي كتابة التراجم والسير وكما أسلفت من قبل فإن السير التي كتبها الفقهاء كانت أقرب إلى علم التاريخ منها للأدب التاريخي .. خذ على سبيل المثال سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن عبد الحكم فإنك تجده هنا ملتزماً التزاما يكاد يقارب التزام كتاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الحرص على الأسانيد والتزام مسئولية الكلمة التزاما دقيقاً في حق ذلك المؤمن العظيم .

ولكن ذلك الالتزام أخذ يخف بالضرورة ويعنو لعوامل الزمن ، وثمة فرق واضح مثلا بين حرص ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والتزام أبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ) صاحب الكتاب المعروف بـ «حلية الأولياء» صحيح أن فيه أسانيد لكنك لاتستطيع أن تكون مطمئنا إلى مستوى التنقيب في الحقائق في حق كل تلك الأعداد الضخمة من الصالحين الذين يروي أخبارهم ، كما أنك أحيانا تتوقف لتسائل نفسك «أحقاً يمكن أن يكون أحد من الناس على هذا الوصف أو أن يكون هذا قد حصل .. إنه أمر يصل في المثالية حداً لا يجعله إنسانياً» .

وقبل أن يتطاول العهد بنا وبالمؤلفات الإقليمية كان ينبغي لي وقد ذكرت الخطيب البغدادي أن أشير إلى ابن عساكر صاحب كتاب التاريخ الكبير لدمشق والمتوفي عام ٥٧١ للهجرة . والحقيقة أنك تستطيع أن تضع مؤلفي البغدادي وابن عساكر مع التراجم لكثرة من ترجما لهم من علية القوم في بغداد ودمشق .

بين العلم والأدب في صناعة التاريخ

لقد انهمك العالم المثقف الاسلامي أو سمه عالم المثقفين والمصنفين في القرنين الخامس والسادس للهجرة بخاصة في تأليف المطولات في كل اتجاه .. ولم يقتصروا على تقسيم مادة التاريخ على الأقاليم والمدن ، ولكنهم أيضا قسموا التراجم والسير والموضوعات على سير للأدباء ، وأخرى للمغنين وأهل الأصوات ، وتاليا الأطباء والفلكيين وربما كان كتابا الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ومعجم الأدباء لياقوت من أعظم ماكتب في هذا الاتجاه .

وفي هذه الأثناء بدأت اللغة العربية تقاسي لا من مجرد إعراض شرائح ضخمة من المسلمين عن الكتابة بها كما فعل الفرس ، ولكن أيضا من انحطاط الأساليب العربية بصيرورة المحسنات اللفظية أمراً واجباً للتزيين مما سارع باللغة إلى التكلف والتخشب ، ولكنها قبل أن تقع في حفرة الشكلانية السجعية إلى قرون عديدة أدت مهام أخرى في التأليف التاريخي . لقد كان أملنا أن ننتهي الى عصر ابن خلدون ولكن طول الفترة التاريخية بينه وبين المسعودي لم يجعل ذلك ممكنا .



منيرة الفاضل .. العالم الداخلى للمرأة



فوزية رشيد والعالم الحزين فى قصصها

أصوات نسائية في أدب البحرين

١ - في القصة القصيرة

بقلم: أحمد محمد عطية

● فوزية رشيد: عالم حزين موحش ومعذب

● منيرة الفاضل: العالم الداخلي للمرأة

تتميز المرأة البحرينية بدورها البارز فى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، منذ إسهامها فى العمل بمجتمع الغوص على اللؤلؤ قبل ظهور النفط ، حتى توليها الوظائف العامة كأستاذة جامعية ومديرة وصحفية وأديبة فى مجتمع البحرين الحديث .

يذكر الدكتور محمد الرميحى فى كتابه « البترول والتغيير الاجتماعى » : « ان المرأة قد شاركت فى الغوص بنفسها إلى جانب الرجل .. » (ص ٣٧) . بل لقد شاركت المرأة البحرينية الرجل فى كل الأعمال الشاقة ، كأعمال البناء والزراعة ونقل المياه .. وعانت معه الفقر والبؤس فى مجتمع ما قبل ظهور النفط . ولعل هذا ، بالإضافة إلى تجربة تعليمها المبكرة فى الداخل والخارج ، هو الذى دفع بالمرأة البحرينية إلى المشاركة فى الحياة العامة ، وساعدها على « تحقيق شخصيتها ودخولها مجالات العمل » ، كما يذكر الشاعر البحرينى علوي الهاشمى فى كتابه « ما قالته النخلة للبحر » (ص ٢٤) .

شاركت المرأة البحرينية فى الحياة الاجتماعية بالجمعيات النسائية ، وفى الأحداث السياسية والثقافية البارزة فى الحياة البحرينية الحديثة والمعاصرة . ومن هنا ظهرت الأصوات النسائية فى كل مجالات أدب البحرين الحديث ، فى القصة القصيرة والشعر والرواية والمقالة الأدبية ، كما ظهرت أيضاً فى ندوات أسرة الأدباء والكتاب الخاصة والعامة وفى الفنون التشكيلية وأجهزة الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون ، وشغلت حيزاً هاماً من صحافة الخليج الثقافية .

وفى هذه الدراسة نتناول بالتعريف والتحليل والنقد ، أهم النماذج فى الأدب البحرينى النسائى فى القصة القصيرة والشعر .

فوزية رشيد

إذا كان اشتراك المرأة البحرينية فى العمل ، ومشاركتها للرجل فى أعمال الغوص والبناء والزراعة ونقل المياه ، قد دفعها إلى المشاركة فى الحياة السياسية والأحداث العامة ، فإن النشأة الاجتماعية ومساهمة الأديبة البحرينية فوزية رشيد فى العمل الاقتصادى والمالى والفكرى قد دفعاها إيضاً إلى الرؤية السياسية التى برزت فى فنها القصصى والروائى .

ففوزية رشيد ، أديبة شابة شديدة الطموح والحساسية ، تعد بحق أنموذجاً مجسداً للأديبة البحرينية والمرأة البحرينية الجديدة . هى ابنة لعامل فى شركة النفط ، ومن هنا فهى تنتمى إلى قاع مجتمع النفط . وهى تعمل بأحد البنوك التى انتشرت مؤخراً فى البحرين بعد تحول سوق المال من بيروت إلى البحرين وغيرها من عواصم المال والتجارة والانفتاح . وهى متزوجة من الأديب البحرينى عبد الله خليفة . كما انها من أنشط أفراد أسرة الأدباء والكتاب فى البحرين . ويدفعها طموحها الفكرى والأدبى إلى اقتحام التجارب الثقافية الجديدة ، فى القصة والشعر والرواية والمقالة الأدبية ، والمشاركة بحيوية فى الندوات الفكرية والثقافية . فبالاضافة إلى كتاباتها المنتشرة بالصحافة الخليجية الثقافية ، صدر لها حديثاً ، عن دار الفارابى فى بيروت ، كتابان : أول مجموعة قصصية عنوانها « مرايا الظل والفرح » ، وروايتها الأولى أيضاً « الحصار » . وسأتناول فى هذه المقالة ، المخصصة للقصة النسائية فى البحرين ، مجموعة فوزية رشيد القصصية ، ونرجىء الحديث عن روايتها إلى دراستنا المقبلة عن الرواية فى البحرين .

فى سلسلة مقابلات أجريتها مع أدباء وأديبات البحرين ، سألت فوزية رشيد عن تجربتها الأدبية وعن طموحاتها ومشروعاتها فى هذا المجال . فأجابتنى بكلمات شاعرية تعبر عن حساسيتها وطموحاتها ومكانة القصة القصيرة الأثيرة لديها ، قائلة : « يظل الكاتب يبحث عن حالة الوهج ودينامية اللحظة المتفجرة بينه وبين ذاته وبينه وبين العالم على امتداد مساحة وعيه ليجسد حلمه فى دخول لحظة الوهج تلك .. يولد فيها كبرعم ويزهو فيها زهرة برية وسط عنفوان العطش الصحراوى الممتد فى داخله وفى واقعه ، ومن ثم يبدأ بحثه المضنى فى عاله الداخلى .. حبه .. قهره .. حلمه ، ومن ثم أيضاً تبدأ روعة التدفق عبر عوالم أخرى أكثر حميمية مما يعيشه .. هو عالم الفن بكل امتداد مساحة الألوان فيه .. بالطبع هذا لا يعنى أن الفن منفصل عن الواقع ، ولكنه دائماً الوجه الآخر الأكثر نقاء وصدقاً . ان الفن فى أعمق لحظاته يغدو المساحة الشاسعة التى يحاول الكاتب فيها أن يخلق من خلال التحامه بها ومن ثم رفض ما حوله واعادة بنائه .. دخولا فى عالمه المقهور وتجسيدا لذاته المتطلعة لتغيير ما حوله .. ومن هنا تتشكل كل العوالم الداخلية بكل ما يحمله من قيم ونقاء » (« أخبار الخليج » عدد ٥ نوفمبر ١٩٨٢) .

وأضافت فوزية رشيد قائلة : « ومن هنا بدأت تجربة الكتابة فى القصة القصيرة لدى رغم أن كثيراً منها فى البداية جاءت غير مستوعبة لطامحى الفنية ورؤاى فيها . لا أدرى بالضبط لماذا جاء التعبير عما يتفجر فى داخلى تجاه ما أعيشه بشكل قصة وليس أي شكل أدبى آخر .. رغم انه كانت لدى محاولات ساذجة فى الشعر . ان كل ما أدركه أن القصة القصيرة استطاعت أن تمسك الخيط الممتد بين مخزون الذاكرة والمحتوى على هجس القهر الانسانى عموماً وبين إرهاصات الحصاد المتجسد فى كل ما يحيط انسان هذه المنطقة .وبعد فترة بدأ البحث لدى فى شكل أكبر يستوعب الإرهاصات التى أخذت تتسع بالتدريج ، ولم تعد القصة القصيرة تستوعبها . فاتجهت إلى الدخول فى تجربة الكتابة الروائية وكتبت رواية (الحصار) » .

للأدب دور اجتماعى

وهكذا ففوزية رشيد تؤمن بالدور الاجتماعى للأدب والفن ، وتطمح للتغيير نحو الأفضل ، وتتخذ من فن القصة القصيرة الحساس الأداة الأدبية للتعبير عن حساسيتها وطموحاتها ورؤاها الفكرية والسياسية والاجتماعية التقدمية . ومن القصة القصيرة تقدمت كاتبتنا صوب الفن الروائى ، وإن ظلت متمسكة بفنها القصصى الأثير .



غلاف المجموعة القصصية «مرايا الظل» لفوزية رشيد

في مجموعتها القصصية «مرايا الظل والفرح» تقدم فوزية رشيد عالمها القصصي بأحدث الوسائل الفنية تعبيراً عن شخصياتها المعذبة والمطحونة والمقهورة، مراعية، دقة التعبير المكثف من خلال لحظات وأحداث محدودة وبجمل قصيرة ذكية تعبر بها، من خلال الصور والجوس في باطن شخصياتها، عن عالمها القصصي المميز. فشخصيات فوزية رشيد شخصيات وحيدة حزينة معذبة مادياً وروحياً.. فهي تعاني من القهر المادي والفكري، من الجوع والاضطهاد والحصار.

فقصتها «وجوه في الرماد» تصور عذاب طفل يتيم مع أمه من جراء الجوع والفقر والوحدة، من خلال بناء فني حديث يعبر بالصور وباختلاف رؤى الشخصيات، ويستغني عن السرد التقليدي والحكاية المسلسلة، وينتقل بين الوعي واللاوعي، ويمزج بين الأمكنة والأزمنة والشخصيات، مستخدماً تيار الوعي والمونولوج الداخلي والحوار القصير المكثف والمتقطع.

فالطفل اليتيم يعمل في جمع والتقاط قطع الزجاج والورق والحديد القديم والأحذية من النفايات، وتأتي المفارقة عندما يلتقطونه لتمثيل دوره في إحدى حفلات الجمعيات الخيرية الصاخبة. فيتفجر تيار وعيه بالذكريات الأليمة لفقره وجوعه وسؤاله المتكرر لأمه عن أسباب غيابها وعن صلاتها الغريبة، حتى اختفت لتتركه للوحدة والفقر واليتم. في حين تغوص القصة في الوجه الثاني للأم البائسة المعذبة التي اضطرت لبيع جسدها منذ هجرها زوجها، بينما تعذبها أسئلة طفلها، وبخاصة سؤاله المتكرر: «أمي لماذا يقبلك هذا الرجل؟!» (ص ١٠) وفي لحظة احتجاج درامية تقدم الأم على طعن أحد هؤلاء الرجال، وتختفي خلف قضبان السجن رافضة أن تطلع طفلها الوحيد على نهايتها الفاجعة؟!

وتصور قصة «لحظة لم تكتمل» القهر الفكري الذي يعانيه بطلها الرسام وإحساسه المرير بالحصار، الذي تمثل في مطاردته لإبراز هويته وإجباره على تفسير معنى لوحته «حصار»؟! هذا الحصار الذي أخذ يهدد حبه ويصيبه بالفتور حتى قالت له حبيبته: «أشعر انك أصبحت غريباً عني..» (ص ١٨) وتقدم القصة هذه المطاردة كعامل مؤثر تأثيراً سلبياً في مجرى حياة الرسام الفنان، فحبيبته تشعر به غريباً عنها ولوحاته غدت ناقصة ولم يعد قادراً على اكمالها وانجازها. وبعد حيرة وتردد وجد في التعبير عن مأساته بداية جديدة لإبداعه الفني، غير مبال بأية تهديدات، ولكنهم كانوا يتربصون به في انتظار هذه اللحظة. وهكذا لا يتمكن بطل القصة الرسام من إتمام لوحته، التي توسم فيها الخلاص من أزمته وعذابه فغدت لوحة غير مكتملة.

وفي قصتها «من أرشيف الوحدة» تصور فوزية رشيد وحدة المرأة العربية في مجتمع الرجال. فعندما أرادت بطلة القصة الخلاص من وحدتها وقادت سيارتها إلى الشاطىء، فوجئت أيضاً بالحصار والمطاردة، فاضطرت للعودة إلى البيت قائلة: «أنا امرأة! حتى في التوحد.. ليس من حقي.. ودون ان أستمر في حزني ركضت مسرعة وعدت أدراجي إلى جحيم البيت». (ص ٢٢) وعندما توهمت أنها وجدت حبيبها ورجلها من خلال حوار فكري معه فوجئت به يصفعها وينظر إليها نظرة الرجل الشرقي للأنثى: «حاولت مرة انتشال ما تبقى من فرحي بأن أعلنت غضبي.. صفعني!.. أدركت: ان حضوري حوار متطاير بيننا فقط. أدركت أيضاً: ان الميعاد بين الحلم والواقع لا يزال بعيداً. أدركت أخيراً: اني لا زلت بالنسبة إليه أنثى فقط». (ص ٢٤).

ويشكو بطل قصة «الوجه الآخر» للطبيب النفسي من الأرق وعدم النوم، ولكن الطبيب يطالبه أولا بالتوقيع على اعتراف بتحريضه للطلبة في الخارج، فيرضخ لأنه لا فائدة بعد سنتين من المعاناة الأليمة. ويحاول الطبيب استدراجه لمعرفة بداية أزمته وسر عذابه. فيدلنا تيار وعيه المتدفق على ذكريات اضراب العمال وتوقيع عرائض الاحتجاج واضطراره للصمت المؤلم لنفسه، وليكتفي بعلاج الحبوب الصفراء والخضراء.. حتى يتمكن من النوم. ويقع بطل القصة في عذاب الروح والضمير بين الترهيب والترغيب، ويحاول أن يقضي على هذا العذاب بتناول الحبوب المنومة قائلا: «يجب أن أنام.. يجب أن أنام لأستعد للسفر.. والترقية».

غير ان الرؤية السياسية والاسقاط الفكري قد يحولان بعض قصص فوزية رشيد إلى أعمال مخططة هندسياً، كما فعلت في قصتيها «عذابات جلجامش الجديدة» و«خطوات في الظل»، عندما حاولت، في القصة الأولى، تطويع الأسطورة المعروفة لعذابات المنفى، وفي القصة الثانية لعذاب الفقر وقلق الحاجة، دون أن تجسد ذلك في أحداث وأفعال، مكتفية بالكلمات المباشرة في الحوار والسرد. فتبدو القاصة فوزية رشيد، في هاتين القصتين، أسيرة الرؤية الفكرية والسياسية، مما حد من حساسيتها وعفويتها وانطلاقتها المتدفقة، كما فعلت في سائر قصصها الأخرى.

أين هو الفرح؟

وتلمع فوزية رشيد في أفضل لحظاتها الفنية تألقاً عندما تقدم شخصياتها الوحيدة مع الطبيعة، كما تفعل بطلة قصتها «وحشة الأقبية» معبرة بالصور عن وحدتها بين طيور الطبيعة: «جذبني مرأى الطيور تشكل مهرجاناً ساحراً في السماء وهي تعلو.. وتعلو.. بإصرار.. يداهمني شعور الوحدة من جديد.. منذ زمن وهو يتهالك بشراهة واطمئنان في شرايين.. العيون ترصدني.. تضحك وحدتي.. كم مر من الزمن وأنا أنفث نفسي كالسيجارة..» ثم تأخذ هذه الشخصية الوحيدة المعذبة في استعراض تجاربها الماضية عن طريق الارتداد للخلف (الفلاش باك). فتجد أخاها يتقدم ويتزوج وينجب ابناً بينما هي تكبر وتظل في محلها بلا تقدم، تخاطب الطيور والنجوم فـ«لا شيء غير التوحد!» (ص ٥٨) وتركض الصور معبرة عن تجاربها الفاشلة مع الشباب حتى بلغت عامها الأربعين دون زواج، وظلت تكدح لتنقذ أسرتها من الجوع وتفيق على صفعة قوية من أخيها مصحوبة بصياحه: «وقحة!» (ص ٦٢).

وبالرغم من كل هذا الحزن الذي يلف عالم فوزية رشيد القصصي وشخصياتها الوحيدة المعذبة المقهورة المحاصرة والجائعة بشكل أو بآخر، بسبب افتقادها للحب والتواصل الانساني

والطمأنينة والأمن والحرية .. وبالرغم من هذا العالم الكئيب الحزين ، فقد أسمت فوزية مجموعتها القصصية « مرايا الظل والفرح » . فأين هو الفرح فى هذا العالم الحزين الموحش والمعذب ؟!

منيرة الفاضل

منيرة الفاضل انموذج للفتاة البحرينية الحديثة وللأديبة البحرينية الجديدة أيضاً .. فهى من خريجات البعثات الخارجية فى التعليم العالى ، إذ درست اللغة والأدب الانجليزيين بجامعة الكويت ،وعادت لتلقى محاضراتها ودروسها فى تلك المواد على طلبة وطالبات الكلية الجامعية فى البحرين كمدرسة بهذه الكلية . وهى تكتب القصة القصيرة بحرص على الإضافة والتجديد فى أدب البحرين ، مستفيدة من دراستها للآداب الأجنبية ومن معايشتها لحياة المرأة فى البحرين ، ومع انها مقلة فى الانتاج وفى الظهور بالحياة البحرينية العامة الا انها قدمت ثانى المجموعات القصصية النسائية فى أدب البحرين ، مع مجموعة فوزية رشيد « مرايا الظل والفرح » . المجموعة بعنوان « الريمورا » وقد صدرت مؤخراً عن دار الربيعان فى الكويت ، فطالعتنا قصصها بصوت نسائى فريد ومتميز فى أدب البحرين .

تتميز قصص منيرة الفاضل بالجرأة فى تناول قضية المرأة ، والجوس فى عالمها الداخلى ، وبالحداثة فى تشكيل البناء القصصى . وقد اعترفت منيرة الفاضل فى مقدمة قصتها الرئيسية ، التى منحت المجموعة عنوانها « الريمورا » (وهى سمكة مزودة بأسطوانة ، امتصاص تمكنها من الانتقال وهى ملتصقة بأسماك أخرى) قائلة بأن « الجرأة فى حد ذاتها عامل أساسى ، وهى كفعل قد تكون فى لحظة بطولة ، وفى لحظة أخرى ، وقاحة غير محتملة » . (ص ٧) .

ويبين من عنوان القصة ومفرداتها ، استعانة القصاصة برموز من عالم البحر ، ذلك العالم الذى يزخر به تراث الخليج عامة وأدب البحرين خاصة . أما « الريمورا » . تلك السمكة التى تعلق بأكثر من سمكة ، فهى الزوجة التى طال انتظارها لزوجها الغائب حتى تعلقت بأحد أصدقائه . ويكتشف الزوج هذا الحدث الأليم فى عيد زواجهما السابع باعتراف زوجته . وقد شيدت منيرة الفاضل قصتها على شكل التنقل بين الأزمنة والأمكنة والشخصيات .. فتارة ينساب المونولوج الداخلى ليكتشف أحداث الماضى ، وتارة يتقدم السرد والحوار ليصورا الواقع فى الزمن الحاضر ، وتارات يتم المزج بين كل هذه الأدوات الفنية لإثراء القصة وتنويعها .

وهكذا تدور قصص منيرة الفاضل المجموعة فى كتابها « الريمورا » حول العلاقة بين المرأة



غلاف المجموعة القصصية « الريمورا » منيرة الفاضل .

والرجل ، فهى قضيتها المحورية الأثيرة . وفى هذه القصص تتعرى العلاقات الخلفية والجانبية بين المرأة والرجل . فتتكشف خيانة الزوجة فى القصة الأولى : « الريمورا » ، وخيانة الخطيبة فى القصة الثانية : « الومض » . وفى القصتين تصور الأديبة المرأة فى موقف المخدوعة ، وتتناثر معها بعض العبارات الجريئة .. ؟!

ولعل قصتها « تداخل الأزمنة المعتمة » هى أكثر قصص المجموعة تعبيراً عن نهج منيرة الفاضل القصصى والموضوعى ، من حيث الحداثة والجرأة فى التعبير . فالقصة ، كما يقول عنوانها ، تعتمد أسلوب تداخل الأزمنة للتعبير عن أزمة لفتاة بلغت سن الثلاثين وظلت حبيسة جدران البيت « سجينة القرن العشرين » كما تصف نفسها بمونولوجها الداخلى .. أخوها يرفض السماح لها بالعمل لأن البيت هو مكان المرأة الطبيعى ، وأمها تطاردها حتى لا تنفرد بنفسها فى حمام المنزل ، وهم لا يسمحون لها بالزواج بمن تريد ، والبقال يغازلها .. وتنتقل القاصة ، بمهارة وسرعة وجرأة ، بين هذه الشخصيات والأمكنة والأزمنة والضمائر لتكشف عذاب ضميرها الذى يطالبها بألا تفعل ذلك « مرة أخرى » .. هكذا تتلاحق الصور فى التعبير عن العالم الداخلى للفتاة العانس ، حتى يخرجوها من الحصار فى النهاية ليصحبوها إلى الطبيب الذى يقرر فى اطمئنان انها « مازالت عذراء » .

وتجوس قصة « نبضات فى الداخل » لتصور عذاب فتاة حامل لحظة رقادها فى غرفة العمليات لإسقاط الحمل الحرام فى شهره الرابع ، وتستخدم القصاصة منيرة الفاضل المونولوج الداخلى وتيار الوعى للتعبير عن هذا العذاب المادى والنفسى ، وتعميق بؤرة الرؤية ، منذ بدء العملية الجراحية حتى إتمامها بإخراج الجنين غير المكتمل النمو .

وتتراوح قصص المجموعة بين الطول والقصر ، وبين القصة واللوحة القصصية والأقصوصة ، وتتكرر بعض موضوعات القصص عند منيرة الفاضل ، مثل قصتيها « القرار » و « المعادلة » عن ظروف العمل السياسى السرى وصعوباته ومخاطره . غير انها قصص تعج بالتقريرية والمباشرة والتسرع فى تسجيل المواقف .. فالسياسة ليست عالم منيرة الفاضل ، وتظل قصصها النفسية أعظم فنياً وأكثر تعبيراً عن العالم الداخلى للمرأة .

وبعد ، ان فوزية رشيد ومنيرة الفاضل ليستا كل الأصوات النسائية الجديدة فى القصة البحرينية القصيرة ، فثمة أسماء أخرى بدأت السير فى هذا الدرب الأدبى الجديد ، ولكن فوزية ومنيرة نجحتا فى إبداع صوتين قصصيين متميزين ، كما انهما انفردتا بإصدار المجموعتين القصصتين الوحيدتين فى أدب البحرين النسائى حتى اليوم ، وهى محصلة محدودة ولكنها واعدة . أما الأصوات النسائية فى شعر البحرين فهى أكثر وفرة وثراء وتنوعاً . وهذا هو موضوع مقالنا التالى فى الجزء الثانى من هذه الدراسة .

أحمد محمد عطية

فى العدد القادم

أصوات نسائية فى أدب البحرين « الشعر »

دراسة عن : حمده خميس ــ إيمان أسيرى ــ فتحية عجلان

.. وفى العاصمة يحاول أن يقابل المطربة الكبيرة لكن الخدم يقفون فى وجهه .. ويهددونه إذا لم يبتعد أن يطلبوا له البوليس .. وفجاة تبرق فى ذاكرته فكرة .. ماذا لو أرسل لنفسه خطابا على أنه من المطربة الكبيرة ؟ !

أحلام عم السيد

بقلم : صلاح عبد السيد

ويهل عم سيد .. متأرجحاً فى مشيته ـ قدمه اليمنى ملتوية ـ وحذاؤه اللامع يصدر « تزييقة » متصاعدة كلما نقل قدماً ..

يهل مرتدياً جلبابه الأبيض .. الناصع البياض .. والذى ليس به غبرة .. وطاقيته « أم قرص » فى أعلى رأسه قد انحسرت قليلا فأبانت شعره الأبيض .. وفى جيبه الأعلى انحشرت نوتة صغيرة .. يزاحمها قلم كوبيا تلمع « لباسته » من بعيد ..

يتمايل عم سيد قادماً .. متجهاً إلى مقهى الرشيدى .. فيلمحه الجمع ـ مغاورى وجبر وداود ورزق ـ فيسرى فى وجوههم فرح خفى .. ويتنحنحون .

ـ كوتشينة جديدة يا عم الرشيدى .

فيفهم عم الرشيدى داخل نصبته أن عم سيد قد جاء ..

ويدخل عم سيد محيياً .. فيضيع صوته فى زحام الكلمات .

ـ تفضل يا عم سيد .. أهلا يا عم سيد .

ويجلس عم سيد .. والكوتشينة الجديدة أمامه .. وكقاض يسأل .. العشرة من كم .. ؟ ويردون .. والمشاريب .. ؟ ويردون ..

ويضع الرشيدى قطعة الطباشير أمام عم سيد .. لا يتحدث .. فمادام عم سيد موجوداً .. ومادام قد اتفق فكل شىء سيسير فى وضعه الصحيح ..لاخناقات .. ولا مشاكل .. ولا يحزنون ..

و « يفنطون » الكوتشينة ويبدأون اللعب ..

وعم سيد هو الذى يقيد .. وهو الذى يخبر الرشيدى من الذى غلب .. ومن الذى سيدفع ثمن المشاريب .. والرشيدى لا يأخذ الا بكلامه .. بكلامه فقط دون الآخرين ..

وعم سيد لا يتكلم كثيراً .. فكلمته حين يقولها قانون .. وعلى الآخرين اطاعتها .. فمكانته وسط هؤلاء محفوظة .. فهو يقرأ الجرنال كل يوم .. ويكتب الخطابات دون املاء .. ويجالس الأفندية .. ويحتفظ فى نوتته الصغيرة بكلمات مسجوعة تشبه تلك الأغانى التى تردد فى راديو الرشيدى ..

وعم سيد يعمل فى النهار « خولى » للأولاد الذين يجمعون دودة القطن .. يظل طول النهار يضرب بعصاته طرف جلبابه .. زاعقاً على الأولاد ـ أعمل لك همة .. أنت وهو ـ فيسرع الأولاد فى جمع اللطع ـ لا تترك لطعة وراءك ـ فيدقق الأولاد النظر .. وعم سيد وراءهم لا يكل .. وإذا عثر على لطعة وراء أحدهم .. رفع عصاه فى الهواء كأنه سيضربه بها .. لكنه ينزلها على طرف جلبابه مهوشاً ـ أفق يا بغل ـ فيضحك البغل .. ويكرر الأولاد وراءه ضاحكين ..

هكذا عم سيد لا يؤذى أحداً .. الأولاد يحبونه ويترنمون بكلماته .. مرددين وراءه :

قال العويل للأصيل
إيه اللى جابك حداى
رد الأصيل يا عويل
أنى مش لأجلك جاى
ولا جاى أقولك عواف
ولا جاى أشرب شاى

ويظل عم سيد يغنى .. الى أن تدمع عيناه .. وكثيراً ما ينسى نفسه .. ثم يفيق إليها بعد لحظات فيصرخ فى الأولاد ـ أعمل لك همة أنت وهو ـ ويضرب بعصاه طرف جلبابه ..

وكل مساء يعرج عم سيد إلى مقهى الرشيدى .. وعندما يغلق المقهى أبوابه يتسلل إلى حيث يسهر الأفندية .. فيجلس على مشارف القعدة .. يتسمع ما يدور .. يحرص عم سيد على الذهاب إلى هناك والاستماع إلى ذلك الولد ـ ابن الناظر ـ وإلى شعره الذى يلقيه كل مساء ..

ساعتها يتذكر عم سيد حظه الضئيل من التعليم .. لو كان أبوه قد تركه فى المدرسة .. لأصبح مثل ابن الناظر هذا .. وربما بزه .. فهو يكتب مثل هذا الكلام ..

وذات ليلة وجد عم سيد نفسه يقاطع ابن الناظر قائلا .. إننى أكتب مثل هذا الكلام .. ويصمت ابن الناظر قليلا .. ثم يتمتم ـ أسمعنى يا عم سيد ـ ويدندن عم سيد بأغنية .. ويقول ابن الناظر الله .. وغيرها .. الله .. وغيرها .. الله ..

ويقول ابن الناظر .. لماذا لا ترسل أغانيك هذه إلى المطربة الكبيرة يا عم سيد .. ؟ وتنشرح أسارير عم سيد وهو لا يكاد يصدق ..

وفى الليل .. فى الليل المتأخر .. ينكفىء عم سيد على أوراقه يخط خطاباً للمطربة الكبيرة بخط راعش متعرج ..

ويقرأ الخطاب مرة .. ومرتين .. وثلاثا .. ويرتعش .. ثم يغلق الخطاب بعناية .. ويضعه قبالته وهو ينظر إليه ..

وفى الصباح يسلمه فى شباك قطار البريد .. ويظل طول اليوم يحلم .. لم يغن كعادته مع الأولاد .. كان سارحاً فى الخطاب .. يتخيله مسافراً .. قاطعاً الطريق إليها .. فهل يتحقق هذا الحلم الكبير .. ! ! ؟

وفى المساء عندما ذهب إلى مقهى الرشيدى ظل صامتاً سارحاً .. حتى لاحظوا عليه ذلك .. فسألوه مابك ياعم سيد ؟ لكنه هز رأسه نافياً .. لكنهم حاصروه بالسؤال .. مابك ياعم سيد .. ؟ ولكى يريح رأسه .. حكى لهم الحكاية كلها ..

وتمر الأيام ويحلم عم سيد .. يحلم كثيراً .. وكل يوم ساعة وصول قطار البريد يسرع متمايلا .. ويشب على شباك القطار ـ هل من خطاب لى .. ؟ ـ لكن الرجل فى الشباك يهز رأسه نافياً ..

ويعود عم سيد إلى الأولاد .. حزيناً يائساً .. يضرب بعصاته طرف جلبابه .. وفى المساء يجلس شارداً فى المقهى .. ويلحظون عليه ذلك فيسألونه ـ ألم يأت الرد من المطربة الكبيرة .. ؟ ـ فيهز رأسه نافياً ..

كل ليلة يتكرر نفس السؤال .. ويتكرر نفس الجواب .. ؟

ويتجرأ « جبر » ذلك الملعون ويسألة : ربما لم تعجبها أغانيك .. ؟

فيرد عم سيد مدافعاً عن أغانيه قائلا : ـ لقد شهد لها ابن الناظر .

فيرد جبر : ـ وما قيمة شهادة ابن الناظر .. ! ! ؟

ويشرد عم سيد .

لقد مر شهران للآن .. ولاحس .. ولاخبر ..

ويمسك عم سيد بورقة .. ويعيد ما كتب ثانية .. ثم يضعه فى مظروف .. ويلقى به فى قطار البريد ..

وينتظر ..

يسأل كل يوم .. ولا إجابة ..

ويرد جبر صاحب اللسان المفلوت : ـ دعك من هذا الكلام الفارغ .. وابحث عن مصلحتك أحسن لك ..

ويشتبكان ..

لأول مرة يشتبك عم سيد فى خناقة .. ويقسم ألا يقيد لهم ثانية حساب الكوتشينة من أجل خاطر جبر .

ويخرج من المقهى يعرج ..

ماذا بعد .. لماذا لم ترسل .. !!؟ هل حقاً لم تعجبها الأغانى التى أرسلتها ..!!؟

وهل كان ابن الناظر يكذب على .. !!؟

لا .. انه لا يكذب .. اذن لماذا لم ترد المطربة الكبيرة .. !!؟

ويرد على نفسه .. ربما كانت مسافرة .. أو .. أو مريضة .. ويتنهد ..

فلينتظر .. وينتظر عم سيد ..

لكن جبر لا ينتظر .. يظل يلقى بكلماته العابثة هنا وهناك .. ويمصمص شفتيه فى استهزاء كلما رآه ينتحى جانباً وقد فرد نوتته بين يديه وأمسك بالقلم فى اهتمام شديد .

ويرفع عم سيد رأسه .. وتصطك الأعين فى ضيق .. ثم يتنهد ويغلق نوتته .. ويعرج خارجاً ..

لابد أن يسكت ذلك الأبله الذى لايجيد شيئاً فى العالم غير لعب الكوتشينة وأكل الهريسة .. لابد أن يرد عليه رداً يفحمه .. ولكن كيف .. هل يكتب خطاباً آخر .. فلنفرض أنه كتب ولم ترد .. وأخذ يفكر .. وهداه تفكيره .. أن يسافر إلى العاصمة وأن يقابل المطربة الكبيرة ..

وفى الصباح يسافر إلى المركز .. ومن المركز يركب القطار إلى العاصمة ..

وفى العاصمة يحاول أن يقابل المطربة الكبيرة .. لكن الخدم يقفون فى وجهه .. ويهددونه إذا لم يبتعد .. فانهم سيطلبون له البوليس ..

ويسقط فى يد عم سيد .. ماذا يفعل .. وقهقهات جبر تطارده فى كل مكان .. لابد من عمل شيء .. وتبرق فى ذاكرته فكرة .. ماذا لو أرسل خطاباً إلى نفسه .. على أنه من المطربة الكبيرة ..

وتروقه الفكرة .. الآن يستطيع أن ينتصر على جبر .. وأن يسد فمه « بالطين » .. ويكتب الخطاب لنفسه ..

وبعد يومين يصله الخطاب .. ويتعمد أن يكون معه عبد القدوس ــ ذلك الذى لا يبل فى فمه فولة ــ ويمضى إلى داره .. بينما يمضى عبد القدوس إلى مقهى الرشيدى .. فيذيع الخبر على الجميع .. وينتقل الخبر ويشيع ..

وفى المساء .. يدخل عم سيد إلى مقهى الرشيدى .. خفيفاً .. حالماً .. كأنه يعوم على سحابة من عطر .. ويهز رأسه بالسلام .. ثم ينتحى جانباً .. ويهرع إليه الجميع ــ عدا جبر ــ يستوثقون من الخبر .. فيؤكد لهم صحته بهزة من رأسه ــ يجب من الآن أن يقتصد فى الكلمات ــ ويلعبون الكوتشينة .. ولا يجرؤ واحد منهم أن يطلب منه أن يقيد لهم الحساب .. وعم سيد فاتح نوتته .. ممسك بالقلم .. مفكر .. عاصر ذهنه .. وجبر صامت ينظر إليه .. وكل لحظة .. وبتؤده شديدة ينادى على الرشيدى ــ قهوة مضبوطة ــ ويشربها .. وجبر مادا رقبته ينظر له غير فاهم .. هل الذين يكتبون لابد أن يشربوا القهوة .. !!؟

ويصل الخبر إلى زوجة السيد .. فتسأله عن صحته .. فيجيبها بهزة من رأسه .. فتصرخ داعية له .. لكنه يصرخ عليها أن تكف .. فلقد أطارت الفكرة من رأسه ..

وفى الصباح يبدو السيد غير السيد .. المشية غير المشية .. والصوت غير الصوت .. ولم يعد سيد يغنى مع الأولاد .. لم يعد مقامه الآن أن يغنى مع الأولاد .. فالمطربة الكبيرة ستغنى له ..

ويصدق عم سيد .. ويحلم ..

لكن الأيام تمر والمطربة الكبيرة لا تغنى .. وجبر الذى كان صامتاً .. لم يعد صامتاً .. فكلما رأى السيد يكتب .. أطلق ضحكة تدور حول رأسه ..

ويرفع السيد عينيه شذراً إلى جبر .. لكن جبر لا ينزل عينيه .. فينزل السيد عينيه .. ثم يعرج خارجاً ..

يجب أن يسد فم هذا الجبر بالطين .. وأن يلقمه حجراً .. وفكر .. ماذا يفعل .. !!؟

وهداه تفكيره أن يذهب إلى العاصمة فيرسل لنفسه مبلغاً من المال على أنه من المطربة الكبيرة ..

وراقته الفكرة .. لكن من أين له بالمال .. وهو يريد أن يرسل لنفسه بضع مئات من الجنيهات .. !!؟

وفكر .. ولم يجد غير مصوغات زوجته .. سيأخذها فيبيعها .. ويرسل النقود لنفسه .. وبعدها يعيد شراءها ثانية ..

وفى الليل .. فى الليل الأخير .. استولى على المصوغات من مكمنها .. وأسقطها فى جيب جلبابه .. وأسرع خارجاً ..

جلس أمام النهر .. وتحسس المصوغات وارتعش .. وفكر أن يعيدها .. لكن جبر .. جبر اللعين .. كان يتراءى له على صفحة الماء ضاحكاً .. فأمسك بقطعة من الحجر وهوى بها على وجه جبر .. فغاص فى الماء ..

وفى الصباح سافر إلى العاصمة .. وأرسل لنفسه الخطاب وبداخله النقود ..

وعندما عاد إلى بيته تجنب النظر إلى عينى زوجته .. أو الاحتكاك بها .. كان يوليها ظهره ممثلا أنه مشغول .. بينما أذناه المرهفتان وحواسه



كلها ترصد خطواتها ..

وبعد أيام يسرع السيد إلى قطار البريد .. ساحباً وراءه ذلك الذى لايبل فى فمه فولة ــ عبد القدوس ــ لكن الخطاب لا يصل ..

ويذهب فى اليوم التالى .. والتالى .. لكن الخطاب لا يصل ..

ويكاد يجن ..

أين ذهب الخطاب .. لقد كتب العنوان جيداً .. وسبق قبل ذلك أن فعلها ووصل الخطاب .. فلماذا هذه المرة ..؟

وامرأته تراه يكلم نفسه .. ويرفع يده .. ويدخل .. ويخرج .. ويدور كذئب محاصر .. لكنها لا تجرؤ على سؤاله ..

ويذوي السيد .. وتحمر عيناه .. ويصيبه الصداع .. ماذا يقول لزوجته لو اكتشفت الآن غياب المصوغات .. !!؟

وتكتشف زوجته غياب المصوغات .. وقبل أن تصرخ .. يقفز اليها مسرعاً .. واضعاً يده على فمها .. وبتلعثم شديد يخبرها أنه هو الذى أخذ المصوغات ..

وتسأله أين ذهب بها .. فلا يعرف الإجابة .. فتلطم خديها .. فيضربها .. فتذهب إلى أبيها غاضبة ..

وفى المساء يأتى أبوها فيأخذ أثاث ابنته ..

ويجلس السيد وحيداً فى ركن الحجرة .. بلا أثاث ولا زوجة ..

ويتوسط أولاد الحلال لعودة زوجة السيد فيشترط عليه أبوها أن يقسط ثمن المصوغات .. على ألا تعود إليه زوجته .. الا بعد أن يدفع القسط الأول ..

ويوافق سيد ..

ويعود للعمل كخولى وسط الأولاد ..

كل صباح يعرج خارجاً من البيت .. قاصداً الحقل الذى يعمل به .. فإذا وجد الأولاد يغنون .. هوى بالعصا عليهم ــ أوقفوا الغناء يا ملاعين ــ ثم يتمتم لنفسه ــ انه الذى أودى بى فى داهية ــ ويذعر الأولاد ويصمتون ..

وفى الليل .. فى الليل الأخير .. يعرج وحده على جسر النهر .. وهناك يجلس صامتاً أمام النهر .. وتتخايل له صورة المطربة الكبيرة على صفحة الماء .. فيمسك بقطع الحصى .. يضرب بها الصورة .. حتى تتفتت وتغوص فى القاع ..

لكنه الليلة تخايل له وجه الأولاد يغنون .. فهم بالقاء الحصى .. لكن غناء الأولاد تصاعد ــ قال العويل للأصيل .. ــ فوجد نفسه يستمع .. ثم وجد نفسه يردد معهم ــ قال العويل للأصيل .. ــ وصوته يعلو .. والأولاد يردون .. ويأخذه الغناء لحد البكاء .. فيبكي .. ويحس بجسده يهتز .. وبالراحة تتسرب إليه .. فيتحسس جيبه ــ الآن قد اكتمل القسط الأول ــ فيمسح عينيه ــ سيوقظ صهره الآن ويطلب زوجته ــ ويبدأ السير إلى هناك ..

خدعة هزّت الأوساط الأدبية في بريطانيا
ماذا يحدث عندما يقدّم كاتب كبير أعماله على أنها من تأليف كاتب مبتدئ؟!

خدعة هزت الأوساط الأدبية فى بريطانيا

أى مؤلف ناشيء يرفض الناشرون إنتاجه يقول عادة : ليس المهم ما تكتب .. وإنما أن تكون شهيراً ! ويتصور انه إذا كانت مخطوطته تحمل اسم مؤلف معروف لسارع الناشرون إلى الاحتفاء بها .. كيف يمكن اختبار هذا الزعم ؟ ماذا لو أرسل كاتب شهير إلى أحد الناشرين مخطوطة عليها اسم مجهول ؟

هذه التجربة قررت أن تخوضها الكاتبة الانجليزية الشهيرة دوريس ليسنج وفجرت بها قنبلة أدبية فى بريطانيا خلال الشهر الماضى . والذى فعلته دوريس انها قدمت رواية جديدة لها إلى الناشرين بتوقيع مستعار هو « جين سومرز » لترى كيف يكون حظها من الاستقبال والنجاح .

وتعتبر دوريس ليسنج من أشهر الروائيات المعاصرات فى بريطانيا ، وهى تلقى تقديراً عالياً فى الدوائر الأدبية ومن جهة القراء بوجه عام ، وقد أحرزت شهرة مبكرة منذ روايتها الأولى « أغنية المراعى » التى صدرت فى عام ١٩٥٠ ، ومنذ ذلك الحين صدرت لها ١٧ رواية كبيرة وعدة مجموعات قصصية ، وحصلت على جوائز أدبية فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا ، وقفزت مبيعاتها العالمية الى دائرة الملايين ، فقد باعت خماسيتها « أطفال العنف » باجزائها الخمسة مليونى ونصف مليون نسخة وباع أشهر أعمالها « المذكرة الذهبية » ٧٥٠ ألف نسخة ولا يزال فى مقدمة أكثر الكتب توزيعاً ، كما باعت « أغنية المراعى » ما لايقل عن نصف مليون نسخة ، وكذلك مجموعتها القصصية دخلت كل منها فى حدود نصف المليون .

وتبلغ دوريس ليسنج الآن الخامسة والستين من العمر ، ولكنها لا تزال تحتفظ بشىء من « شقاوة العيال » . هذه الشقاوة جعلتها تقرر فى عام ١٩٨١ ، وهى فى قمة شهرتها ، أن تخوض هذه التجربة الغريبة : أن تكتب تحت اسم مجهول وترى رد فعل الناشرين والنقاد والجمهور لأعمالها .

واختارت اسم « جين سومرز » لتضعه على غلاف روايتها الجديدة « يوميات جارة طيبة » ، وهو نفس اسم بطلة الرواية وراويتها ، فالرواية تدور على لسان امرأة تدعى « جانا سومرز » وهى صحفية محترفة فى أواخر الأربعينات من عمرها وتعمل فى إحدى المجلات النسائية المتخصصة ، وتلتقى « جانا » صدفة فى احدى الصيدليات بامرأة عجوز جداً تدعى « مودى » وتربط بينهما الصداقة وسرعان ما تشعر « جانا » بأنها مسئولة عن هذه المرأة العجوز ، فتزورها فى بيتها بانتظام لتساعدها فى أعمالها المنزلية ، وتخوض معها معاركها مع باحثى الخدمة الاجتماعية ومالك البيت والجيران وترافقها فى طريق الاقتراب المرعب من خرف الشيخوخة .

وأعطت دوريس ليسنج المخطوطة التى تتكون من ١٢٠ ألف كلمة على الآلة الكاتبة الى وكيلها الأدبى جوناثان كاولز فى صيف ١٩٨١ وطلبت منه أن يرسلها إلى الناشرين باعتبارها الرواية الأولى لصحفية تكتب تحت اسم مستعار . وقدم الوكيل الكتاب أولا إلى مؤسسة « جوناثان كيب » التى تتولى نشر كتب دوريس ليسنج ويرأس هذه المؤسسة « توم ماشلر » وهو من أوثق أصدقاء ليسنج والمعجبين بأعمالها ، ولكن الذى حدث أن المخطوطة لم تجد طريقها إليه وذهبت إلى مديرة أخرى تدعى « ليز كاولز » فرفضتها خلال أسبوع واحد دون ابداء أسباب .

بعد ذلك ذهبت المخطوطة إلى مؤسسة « جرانادا » للنشر التى تتولى إصدار طبعات الغلاف الورقى Paper back من مؤلفات دوريس ليسنج ، وجاء الرد بعد شهر ، بالرفض أيضاً !

وفى سبتمبر ١٩٨١ وصلت المخطوطة إلى ناشر ثالث يدعى « مايكل جوزيف » وهناك قرأت المخطوطة إحدى رؤساء التحرير وتدعى « فيليبا هاريسون » ووافقت على النشر ، بل جاء فى تقريرها


الكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج

« ان الرواية تذكرنى بدوريس ليسنج فى شبابها » ، وقررت دار النشر اعطاء المؤلفة سومرز ليسنج مبلغ ألفى جنيه استرلينى مقدماً وهو مبلغ سخى بالنسبة لما يتقاضاه المؤلفون المغمورون عادة كما طلبت اجراء بعض التعديلات فى الرواية فقامت ليسنج باجرائها واعادتها إلى دار النشر فى مايو ١٩٨٢ . وعندئذ فقط كشفت دوريس ليسنج عن شخصيتها الحقيقية لفيليبا هاريسون وطلبت منها ابقاء الأمر سراً كى تريا كيف تشق الرواية طريقها بنفسها .

وتحدد موعد صدور الرواية بربيع ١٩٨٣ ، وصممت فيليبا هاريسون على عمل دعاية جيدة لها فأرسلت قبل صدورها نسخاً أولية إلى ١٩ من الشخصيات الأدبية كرؤساء التحرير ونقاد الكتب والاذاعة البريطانية على أمل أن يتحمس أحدهم للكتابة عن الرواية قبل صدورها أو بعد صدورها بقليل .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، والنقاد معذورون إلى حد ما لأنهم يتلقون سيلا لا ينقطع من الكتب الجديدة فقد صدرت فى بريطانيا خلال العام الماضى أكثر من ٥٠٠٠ رواية ، وإذا لم تكن هناك علاقة ثقة أو اهتمام خاص بين الناقد والكاتب فنادراً ما يهتم النقاد بالأسماء الجديدة . وهكذا لم يتحمس للرد سوى أثنتين فقط من النقاد هما الروائية مارجريت فورستر والناقدة انطونيا بيات اللتان اتصلتا بفيليبا هاريسون وأبلغتاها أن الرواية الجديدة لا بأس بها . وفى فبراير ١٩٨٣ ظهرت عن الرواية نبذة صغيرة وحيدة فى مجلة

« بوك سيللر » ولكنها لم تكن متحمسة على نحو كاف ، إذ جاء فيها أن رواية « يوميات جارة طيبة » كان من الممكن أن تبنى على نحو أفضل كما أن المؤلفة وهى صحفية ناشئة لم تستطع أن تتغلب على كل الصعوبات التى تنجم عن رواية الأحداث بالضمير الأول .. أى أن يكون الراوى هو نفسه البطل .

وبعد صدور الرواية فى الأسواق لم تلحظها سوى صحيفة « الأوبزرفر » التى قالت عنها فى نبذة مختصرة انها « متفاوتة الاجزاء من حيث الجودة » ، وكذلك صحيفة « الفاينانشيال تايمز » التى أشادت بدفئها ، وفيما عدا ذلك تجاهلها كل النقاد وعارضى الكتب الآخرين ، فلم تشر إليها بالمرة صحف « صنداى تايمز » و « ديلى وصنداى تلجراف » و « التايمز » و « ديلى أكسبريس » و « ملحق التايمز الأدبى » ، كما لم تشر إليها برامج الكتب الجديدة فى الاذاعة البريطانية .

ونتيجة لهذا الاستقبال الردىء رفضت جميع طبعات « الغلاف الورقى » الثمانى وعلى رأسها « بنجوين » و « بان » و « سيفير » اعادة طبع الرواية فى طبعة شعبية ، وتراوح سبب الرفض بين أن الرواية كئيبة أو حزينة أكثر من اللازم أو ليست مريحة من الناحية التجارية . أما الطبعة الأصلية التى أصدرتها مؤسسة « مايكل جوزيف » فقد باعت إلى ما قبل اكتشاف السر حوالى الفى نسخة فقط .

وفى شهر سبتمبر الماضى فجرت صحيفة « صنداى تايمز » القصة بقلم ناقدتها الأدبية كلير توماليين التى أجرت مقابلة مع الكاتبة الشهيرة دوريس ليسنج حول الموضوع . وقالت ليسنج إن حياة الكاتب تخلو عادة من اللهو والمرح ولذلك قررت أن أمزح قليلا ، أن أداعب دور النشر والنقاد والقراء ، قد كنت أريد أن أهرب من قفص شهرتى ، وها أنت ترين أن المسألة قد انقلبت إلى غم !

وفور اكتشاف الخدعة اهتزت الدوائر الأدبية فى بريطانيا وتناولتها جميع الصحف بالاشارة والتحليل ، وبدأ القراء يتهافتون على شراء « يوميات جارة طيبة » بالآلاف وينتظر أن تضرب أرقاماً قياسية فى التوزيع !

وعلقت « الصنداى تايمز » على القصة قائلة انها تثبت أن أجهزة النشر لدينا غير كافية ، وان نقادنا لا يحفلون إلا بالمشاهير ، وان صحفنا تهتم بارضاء كبار الكتاب أكثر مما تهتم باكتشاف الكفاءات أو باختصار ان كل ناشرينا ونقادنا وصحفنا فى حالة تستحق الرثاء .

وليس لنا تعليق فى النهاية سوى أن نقول : إذا كان هذا ما يحدث فى بريطانيا مع ارتفاع واستقرار معايير النقد الأدبى فيها فياضيعة أدبائنا الناشئين والشبان فى عالمنا العربى !

الشهرة تأتى احياناً .. متــأخرة



هارييت دويار مؤلفة أمريكية تشتهر الآن فى سن الرابعة والسبعين ، فقد لقيت روايتها « أحجار إيبارا » انتشاراً واسعاً وبيعت منها ملايين النسخ خلال الشهور القليلة الماضية . لم تكن هارييت دويار تقصد أن تكون كاتبة ، فهى امرأة عادية من باسادنيا أما وجدة ، هوايتها الوحيدة زراعة حديقة منزلها ، وبعد سنوات من وفاة زوجها عام ١٩٧٢ شعرت هارييت بالفراغ فقررت الالتحاق بالجامعة من جديد لاكمال دراستها فى التاريخ التى انقطعت منذ ٥٠ عاماً . وفى جامعة ستانفورد أخذت هارييت دروساً فى « الكتابة الخلاقة » انطلقت منها إلى كتابة بعض الصور القصصية الصغيرة التى انتزعتها من ذكريات طفولتها ونشرت بعض هذه القصص فى مجلات متفرقة . ولفتت هذه القصص نظر مؤسسة فايكنج للنشر فى انجلترا فاتصلت بها وطلبت اعدادها فى كتاب بعد إجراء تعديلات بسيطة (حتى لا تبدو احدى السيدات حاملا فى فصل فى حين انها وضعت طفلها فى الفصل السابق) وهكذا صدرت أحجار إيبارا التى لم تلبث ان أحرزت شهرة هائلة مفاجئة على جانبى الاطلنطى .

جراهام جرين يخشى شبح الموت

أجرت صحيفة « الأوبزرفر » مقابلة صحفية طويلة مع الكاتب جراهام جرين بمناسبة بلوغ سن الثمانين . فى هذه المقابلة التى تمت فى شقة الكاتب بباريس سيطرت فكرة الموت بشدة على أفكار الكاتب . قال جرين إن كل اصدقائه قد ماتوا خلال السنوات الماضية ، وهو يحتفظ بقائمة من أسماء أصدقائه ومعارفه وكلما مات أحد منهم شطب اسمه حتى شطبت كل سطور القائمة . أعرب جرين عن أفكار متشائمة كتلك التى أعرب عنها الكاتب العربى توفيق الحكيم فى أحاديثه الأخيرة على فراش الشيخوخة والمرض .

اليوت .. الرجل الأجوف
بقلم بيتر اكرويد

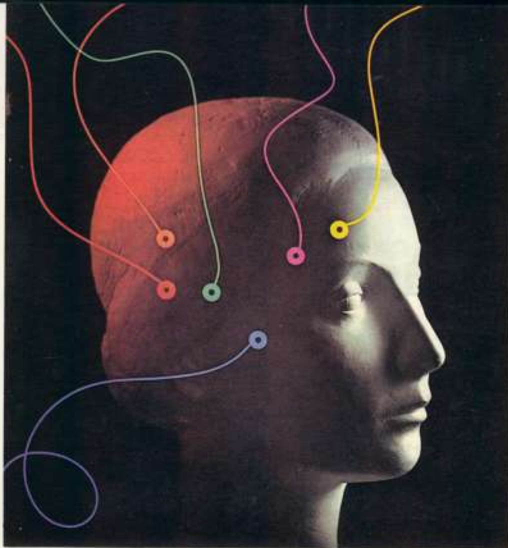
ظهرت أول ترجمه لحياة الانجليزى الشهير ف . س . اليوت صاحب القصيدة الشهيرة « الرجال الجوف » . وهى أول ترجمة كاملة تظهر له بعد وفاته منذ عشرين عاماً . ويسلط فيها المؤلف بيتر اكرويد الضوء على عبقرية اليوت ونزعته المحافظة الشديدة . وقد انتقدت هذه الترجمة لأن المؤلف لم يقتبس فيها عبارات عن اليوت تؤكد أحكامه ووجهات نظره . ورد المؤلف قائلا إنه شخصياً إذا قرأ أية سيرة ذاتية لأحد المشاهير يقفز عادة على المقتبسات دون أن يقرأها . وقد احتفت الصحف البريطانية بهذا الكتاب وأفردت له مساحات كثيرة .

لــوركا يبعث فى بلاده من جديد



احتفلت أسبانيا لأول مرة هذا العام على نطاق واسع بذكرى شاعرها الكبير فيدريكو جارسيا لوركا الذى اغتالته سلطات فرانكو منذ ٤٨ عاماً . جارسيا لوركا معروف فى كل أنحاء العالم كشاعر ذى خيال قوى وذى مقدرة خارقة على تطويع اللغة والتلاعب بالكلمات مما يجعل من قراءته وترجمته متعة فائقة . ومن أشهر مسرحياته « ايرما » و « العرس الدامى » وقد ترجمتا وعرضتا فى كثير من الدول والهمتا عشرات من واضعى الباليه والأفلام والألحان الموسيقية ومع ذلك ظل لوركا فى بلاده أسبانيا شبه مجهول بصفة عامه ، وحتى بعد سقوط نظام فرانكو منذ ثمانى سنوات ظل الاحتفال بلوركا يتم على نطاق ضيق لا يتجاوز نصف ساعة تحت رقابة قوية من السلطات . ولكن احتفالات العام الحالى رفعته فجأة من الغموض الرسمى إلى ما يشبه مرتبة القداسة الوطنية .

وتتلخص ظروف وفاة لوركا فى أن قوات فرانكو اثناء الحرب الأهلية انتزعته من منزله ذات يوم من عام ١٩٣٦ حيث أبقته سجيناً عدة أيام ثم أطلقت عليه النار ودفنته فى قبر مجهول وظلت هذه الجريمة بمثابة لطخة لعهد فرانكو فى أعين العالم المتحضر ، كما حظرت أسبانيا تداول أعماله التى رمقها العالم الخارجى بالإعجاب والتقدير .



حتى العقل البشرى أصيب بأمراض التخمة

● مرض القرن العشرين القاتل هو القلق وقلة الضحك!

هذه المقالة .. رحلة .. ككل رحلة .. تتطلب فى البداية شيئا من الجرأة .. الجرأة التى تمكنك من ممارسة اعمال جديدة ، والاضطلاع بمهام لم تألفها والتفكير بطريقة جديدة ، وقبول افكار جديدة .

كُلْ قليلا واضحك كثيرًا هذه روشتة السلامة!

بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

● الذى لايدخن يستطيع أن يعيش عشر سنوات أكثر من المدخنين .
● لا تأكل وأنت في الأربعين ماكنت تأكله وأنت في العشرين
● الأسماك أفضل من اللحوم والنباتات أفضل من الأسماك واللحوم !

الشعب اليابانى هو أكثر الشعوب نظاما فى الأكل وكميته

اجد نفسي تنزعنى مني غصبا عنى لأتكلم عن بعض امراض البلاد المتقدمة ، ولا ادرى عما اذا كنت راضياً أو غاضباً بهذا التقدم السريع لبعض الشعوب التى تصاب ببعض الامراض ، نظرا لارتفاع المستوى الاقتصادى خصوصا فى بلاد الغرب مثل المانيا والبلاد الاسكندنافيه والولايات المتحدة واليابان .

وآمل ان تعتبر هذه الملاحظات كوصف عام ، فلا اطمع فى تحليل هذه الاعراض على صفحات الصحافة ، واعتقد ان هذه الموضوعات معروفة بين اهل العلم والطب . فالحقيقة ان الحسابات افسدت حياة انسان هذا العصر .

ورغم ضغوط الحياة فان الانسان يعمل لصحته الف حساب بعد ان تحولت حياته وصحته الى ارقام .

الانسان يأكل بحساب .. يتفادى أكلاً معينا .. يقبل على اكل معين .. يمارس الرياضة خوفا على عمره .. يحاول الاعتدال فى اسلوب حياته لمزيد من سنوات العمر بلا امراض .. يحرم شهيته من الحلويات .. ويدرب إرادته على الحرمان .. ورغم ذلك تجد الافراط والاكثار يلازمانه فى كل شيء دون أن يدرى أو حتى وهو يدرى .

فبنظرة سريعة على حوادث السيارات مثلا والاصابات التى تودي بآلاف المصابين والوفيات



الافراط يلازم الانسان فى كل شيء ، حتى فى استخدام السيارات

كُلْ قليلا واضحك كثيرًا

سنويا نجد أنهم اكثر من مجموعة المصابين والقتلى فى الحروب التى اشتعلت طوال خمسين سنة مضت .. فى مدينة تعدادها أقل من ٩ ملايين شخص حوالى ٦,٥ مليون سيارة ، ومتوسط السرعة هو ٦٥ ميلا (اى مايقرب من ١٠٠ ـ ١١٠ كيلو مترا) وترتفع نسبة المصابين بكسور الجمجمة ، والرقبة ، والعمود الفقرى ، وما يصحبه من مصروفات علاجية ، وأدوية مستشفيات . وما يترتب على ذلك من فقد وقلة ساعات العمل للشخص المصاب والتعويضات المادية التى تدفعها شركات التأمين لما هو معروف بتعويضات آلام كرياج الرقبة .

زمن معكوس

ومن الطريف والمدهش ايضا اننا نعيش زمنا معكوسا نظرا لمحاولة تحكم المرأة فى حياة الرجل ، نتيجة لشعورها باستقلالها الاقتصادى وعدم اعتمادهاالتام على الرجل فى معيشتها وحياتها .

وهذا يعكس مدى ما آلت إليه حال العلاقات الزوجية فى عصر التقدم والمدنية بما يتعارض وطبيعته الحياة . ورغم ذلك ما زلنا فى كل يوم نرى الالحاح فى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل لدينا فى الشرق ، أما فى الغرب فأصبحوا يطالبون الآن بمساواة الرجل بالمرأة .

تضاربات خطيرة وسنن متغيرة حتى أصيب العقل البشرى بأمراض التخمة ، كما اصيبت النفس البشرية أيضا بأمراض كثيرة أبرزها القلق بأمراضه التى تؤثر على التنفس ونبضات القلب وآلام المعدة والامعاء حتى سمي القلق بمرض القرن العشرين ، إذ لايوجد انسان فى هذا الزمان خال من بعض امراض القلق سواء بصورة واضحة او خفية وسواء اعترف بها أو أنكرها .

وهذا المرض العصرى أدى بدوره إلى انتشار أمراض أخرى مثل امراض الشهوة نتيجة لتعاطى المخدرات والميرجوانا والكيمائيات المختلفة واستنشاق الصمغ والروائح وما يصحبه من ضعف الشخصية وانقسامها ثم المضار التى تؤثر على الجهاز العصبى والتناسلى وهذا ادى بالتالى الى انتشار امراض السيلان والزهرى نتيجة عدم الاستقرار النفسى والعائلى ونتيجة الاباحية ونظام المعيشة الجماعية وتفكك الاسرة وتباعد آراء الآباء عن الابناء .

ناهيك ايضا عما يصيب بقية اجزاء الجسم نتيجة الافراط والاكثار من تناول الطعام كذلك ، فهناك مايثبت ان كثرة الطعام والمواد الدهنية واللحوم والبيض والتدخين لها علاقة قوية بالاصابة بأمراض شرايين القلب . ولقد ظهرت احصائية حديثة تشير الى ان الرجل الذى لايدخن ولا يشرب الخمر ويقلل من اكل اللحوم يعيش عشر سنوات اطول من الشخص العادى ولا يصاب بأمراض القلب الا بعد سبع سنوات متأخرا عن زميله الشخص العادى ...

فهل تعلم أن البروتينات النباتية (مثل الفول المدمس) احسن قيمة غذائية من البروتينات الحيوانية وان الاسماك عموما احسن من اللحوم ؟..

ذلك لأن البروتين النباتى اخف ثقلا على الجسم كما ان الاسماك بما تحمله من كميات طيبة من اليود البحرى والكالسيوم تعطى الجسم حيوية زائدة وتنشطه ولاتصيبه بزيادة الوزن طالما ان تناولها يتم فى حدود المعقول ودون افراط .. لان الشخص العادى عندما يصاب بزيادة فى الوزن فمعنى ذلك أن « الرطل » الزائد يقلل من العمر يوما واحدا ولذا فمن الطريف ان نجد شركات التأمين على الحياة تقلل اشتراكها للذين « يخسون » ويقللون الوزن .

وقد استخدمت آخر دراسة اجريت على أصحاب الاوزان الثقيلة الباحثين عن الرشاقة الذين دائما ينكرون أنهم كثيرو الاكل ، وينكرون قلة حركتهم ، العقل الالكترونى ليقول ماعنده ، ويفضح كل من يحاول الكذب وينكر مايلتهمه من



الاكثار من الطعام عادة سيئة تعيش معنا

السعرات الحرارية

وتقول هذه الدراسة إن الانسان يحتاج الى ٣٣ سعرا حراريا لكل كيلو من وزنه .. أو ١٥ سعرا حراريا لكل رطل من وزنه ، وهذه السعرات الحرارية لمن يمارس نشاطا عاديا ، واذا كنت تقضى حياتك معظم الوقت جالسا فأنت تحتاج الى سعرات حراريه اقل .

وقد رسم العقل الالكترونى خريطة أوضحت بالارقام الأكلات وموقعها من زيادة الشحوم فى قوامك . وفى نفس الوقت رسم خريطة معادلة للخريطة الأولى تبين كيف تستهلك مواقع الشحم فى جسمك ، حتى لايتحول الى مخازن للشحوم .. تجعل الحركة صعبة على المفاصل ، والقلب ، والاعصاب .

الخريطة ترجمها العقل الالكترونى الى جدول يبين لك أن كل نشاط تبذله فى يومك يتحول الى طاقة محترقه .. وبمعادلة بسيطه تعرف ماهو مطلوب حرقه ، وما هو مطلوب تعويضه .. وعموما فان كل نشاط اشار اليه العقل الالكترونى يساوى احتراق ١٠٠ سعر حرارى فإذا صعدت السلالم لمدة ٥ دقائق ، أو عدوت بدون اسراع لمدة ٨ دقائق أو مارست السباحة لمدة ٨ دقائق ، أو لعبت كرة السلة لمدة ١٢ دقيقة او ركبت الدراجة لمدة ١٣ دقيقة ، أو مارست التجديف لمدة ١٣ دقيقة أو لعبت التنس لمدة ١٤ دقيقة ، أو مارست رياضة المشي لمدة ١٦ دقيقة ، او اذا لعبت الكروكية او الجولف لمدة ١٨ دقيقة ، او رتبت سيدة المنزل اسرة البيت لمدة ١٩ دقيقة ، او لعبت البنج بونج لمدة ٢١ دقيقة او قامت سيدة المنزل بكي الملابس لمدة ٢٤ دقيقة ، أو ركبت الخيل لمدة ٣٣ دقيقة ، فان كل زمن لكل رياضة يساوى احتراق ١٠٠ سعر حرارى من الجسم . فاحتياجات كل فرد من السعرات الحرارية ليست بالضرورة تتساوى مع الآخرين لانها تختلف باختلاف الغدد ومستوى نشاطها .. وفى الغالب فان متوسط احتياج الفرد لايزيد على ١٤٤ سعرا حراريا فى اليوم الواحد .

والخريطة التى يغذيها الكمبيوتر تنذر كل من جاوز سن الثلاثين ان يقلل احتياجاته كل عشر سنوات بنسبة ١٠٪ فلا تأكل إذن وانت فى الاربعين ماكنت تأكله وانت فى العشرين كما ونوعا .

٦٣ وجبه !

والخريطة الثانية راعت فى حسابها ومواقعها أن تقدم ٦٣ وجبه غذائية كاملة المحتوى ، وكل وجبة أو أكلة تساوى ١٠٠ سعر حرارى .. ومن هنا فإن ماتحرقه من سعرات حرارية تستطيع أن تعوضه ، وبالحساب ، من سعرات حرارية أخرى .

قالت الخريطة : ان كلا من الـ ٦٣ صنفا التالية

الطماطم .. أو أربع حبات من عين الجمل ، أو قطعة بطيخ صغيره أو كوب زبادى أو ثلث رغيف من الخبز البلدى .

وكل قطعة حلوى ، أو حبة فاكهة او قطعة لحم أو كوب عصير حسب الأرقام يساوى ١٠٠ سعر حرارى . ولكن يجب التحذير من أن هناك تفاوتا كبيرا بين شخص وآخر . ومعرفة احتياجات جسمك يمكن اكتشافها بسهولة اذا وزنت نفسك كل ثلاثة اسابيع مرة . أما رجال الاعمال وهم كثيرو الشكوى من قلة الاكل ، وكثرة المجهود ، وزيادة السمنة ، وأقول لهم إن تناول جرعات من المشروبات والاطعمة التى تظنون انها تؤثر فى الوزن مثل فنجان الشاى أو زجاجة المياه الغازية أو حبات السودانى هى فى النهاية تجمع السعرات الحرارية التى تؤدى الى زيادة ملحوظة مع عدم الحركة .

ثمن عطاء المدنية

ولكن هل تظل حياتنا تمضى بالحساب وبفاقد السعرات .. وكميتها وعددها من اجل حياة خالية من امراض التخمة ، وهى تحتل قائمة كبيرة من رصيد الأمراض ؟ الطب يقول : هذا ثمن عطاء المدنية . والحياة أخذ وعطاء .. وبالحساب .

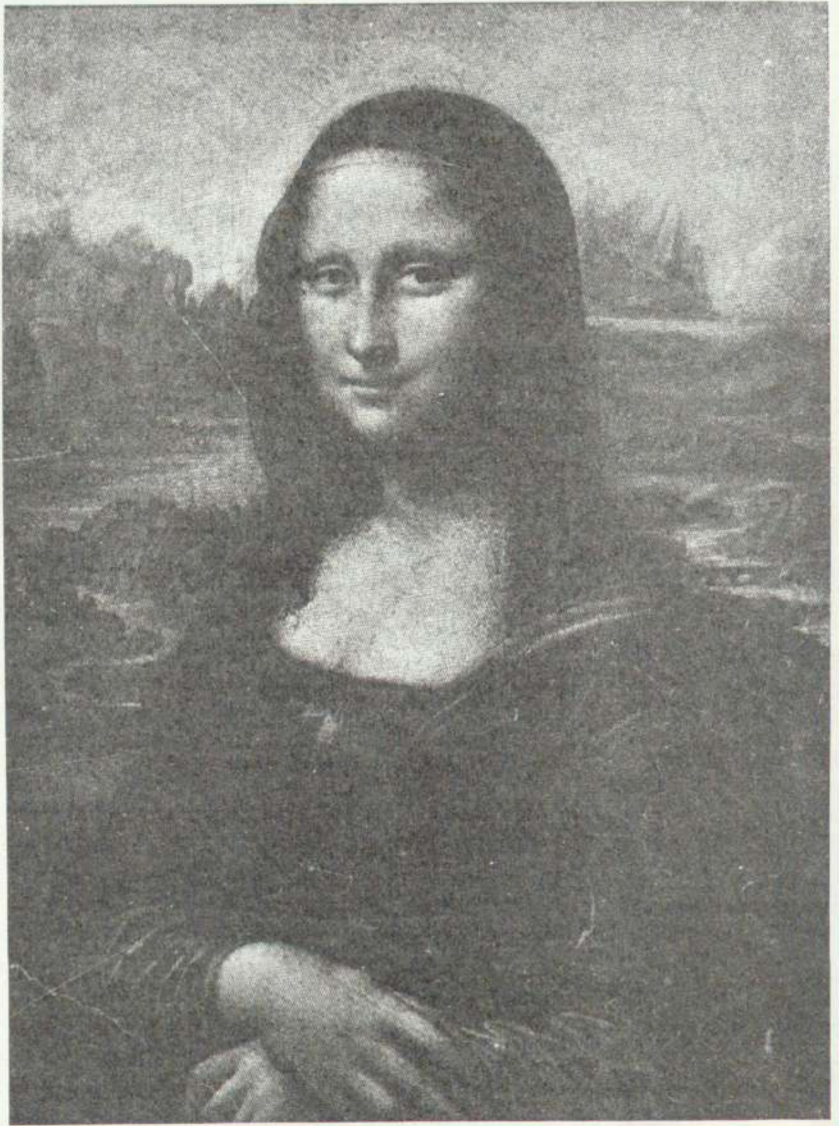
واذا كنت تريد ان تعيش سليما وان تحصل على جواز سفر الى حياة جديدة خالية من متاعب وأمراض المدنية والعصر الذى نعيشه وأن تبعد عنك كل الامور التى تحيرك وتشغل بالك دائما وتريد أيضا أن تظل شابا طوال حياتك وان تستغنى عن العقاقير التى تلجأ اليها لتضمن نوما عميقا ، وأن تتخلص من البدانة المفرطة وأن تضمن استمرار طاقتك الحيوية وان تتخلص من عوامل التوتر واليأس التى تفيض بها حياتنا المعاصرة .. فاعمل بهذه المعادلة الصعبة السهلة :

طعام قليل ضحك كثير مشي طويل حياة سليمة

ابتعد عن « الرمرمة » بين الوجبات وكل قليلا .. واضحك كثيرا فالضحك له فعل السحر فى حياتك وامش طويلا فالحركة بركة ، والمشي حياة ، وهو الذى يشعرك بان لوجودك على قيد الحياة فائدة . وكن حريصا حرصا شديدا على الاستمتاع بكل مافى الحياة من اشياء جميلة هيأها الخالق لنا .

وكن طبيعيا .. اى عالج ما بالطبيعة بالطبيعة .. ولا تلجأ الى هوس الفيتامينات .. فمن المألوف انه عندما نجد صديقا على غير عادته من النشاط والحيوية نفهم بأنه فى حاجة الى فيتامينات . هذه الكلمة السحرية التى تذكرنا بالحياة والحيوية والنشاط .

ولقد أجرى اخيرا فى فرنسا بحث حول وجهة نظر الرأى العام بخصوص الفيتامينات واثبت اختلافا بينا فى الآراء ، فالبعض يعتقد ان للفيتامينات قوة سحريه بينما يرى البعض الآخر



الموناليزا أو الجيوكندا صاحبة أشهر ابتسامة فى الفن والحياة ، وتعتبر هذه اللوحة دعوة دائمة إلى الفرح والتفاؤل فى مواجهة مصاعب الحياة .

يساوى ١٠٠ سعر حرارى . فمثلا تفاحة متوسطة ، وخمس حبات مشمش ، وخرشوفة كبيرة ، وثمرة موزة صغيرة ، وقطعة لحم رقيقة ، ومربعان من الزبد أو مقدار ملعقتي شاى من الزبد ، وربع فرخة ، وقطعتان من البسكويت وأربع بلحات ، وبيضة وثلث مسلوقة أو صفاران من البيض أو قطعة سمك مسلوق او قطعتان ونصف سمك مقلى او عشرون حبة عنب ، أو ايس كريم (بسكوته) ، او ملعقة ونصف الملعقة من المربى أو قطعة لحم ضأن (خرطة صغيرة) أو ملعقتان من شوربة العدس ، او خرطة كبيرة من الكبدة المشوية ، أو خرطة من اللانشون أو مقدار اربع ملاعق من المكرونة او ثلثا كوب من اللبن كامل الدسم أو كوب وربع الكوب من لبن منزوع الدسم ، أو ثلاثة أرباع ملعقة زيت أو عشر حبات من الزيتون الاخضر ، أو برتقالة كبيرة ، أو نصف خرطة صغيرة من البسطرمة او حبتان من الخوخ او عشرون حبة من الفول السودانى أو حبة كمثرى كبيرة او مقدار ثلاث ملاعق كبيرة من البسلة ، أو خرطتان من الاناناس او أربع حبات من البرقوق ، او حبة بطاطس مسلوقة متوسطة الحجم أو ٨ قطع من بطاطس الشيبس ...

وتستمر الخريطة فى عرض الوان وانواع الاكل من فواكه وخضروات ولحوم ، وكل منها يساوى ١٠٠ سعر حرارى مثل ملعقتين من الزبيب أو أربع ملاعق كبيرة من الأرز أو كوب مشروبات غازية أو ٢٠ حبة من اليوسفى الكبير أو ثلاث حبات من

كُلْ قليلا واضحك كثيرًا



معظم أجزاء الجسم تتأثر بالافراط فى تناول الطعام

انها مجرد مادة طبيعية تتواجد فى الخضروات والفاكهة ...

اما فى الولايات المتحدة فإن للفيتامينات شهرة واسعة ولذلك فإنها تباع بكميات ضخمة الى الدرجة التى ازعجت المسئولين عن التغذية . وفى رأى الدكتور جان ماير الفرنسى الاصل ومستشار التغذية بالامم المتحدة « .. أن الافراط اليومى فى تناول الفيتامينات قد يكون مفيدا للكثير من الناس ، ولكن هناك نوعا آخر من الافراط المكلف ماديا بدون داع ، كما أنه قد يكون خطرا كما فى حالة المعالجة بتناول كميات مكثفة من فيتامين معين »

وفى حلبة الآراء المتضاربة والمشوبة بالغموض تقوم بكل أسف بعض شركات الادوية بحملات اعلامية مكثفة ومستمرة لحث الناس على تناول الفيتامينات .

والسؤال المطروح حاليا والمطلوب الاجابة عليه هو :

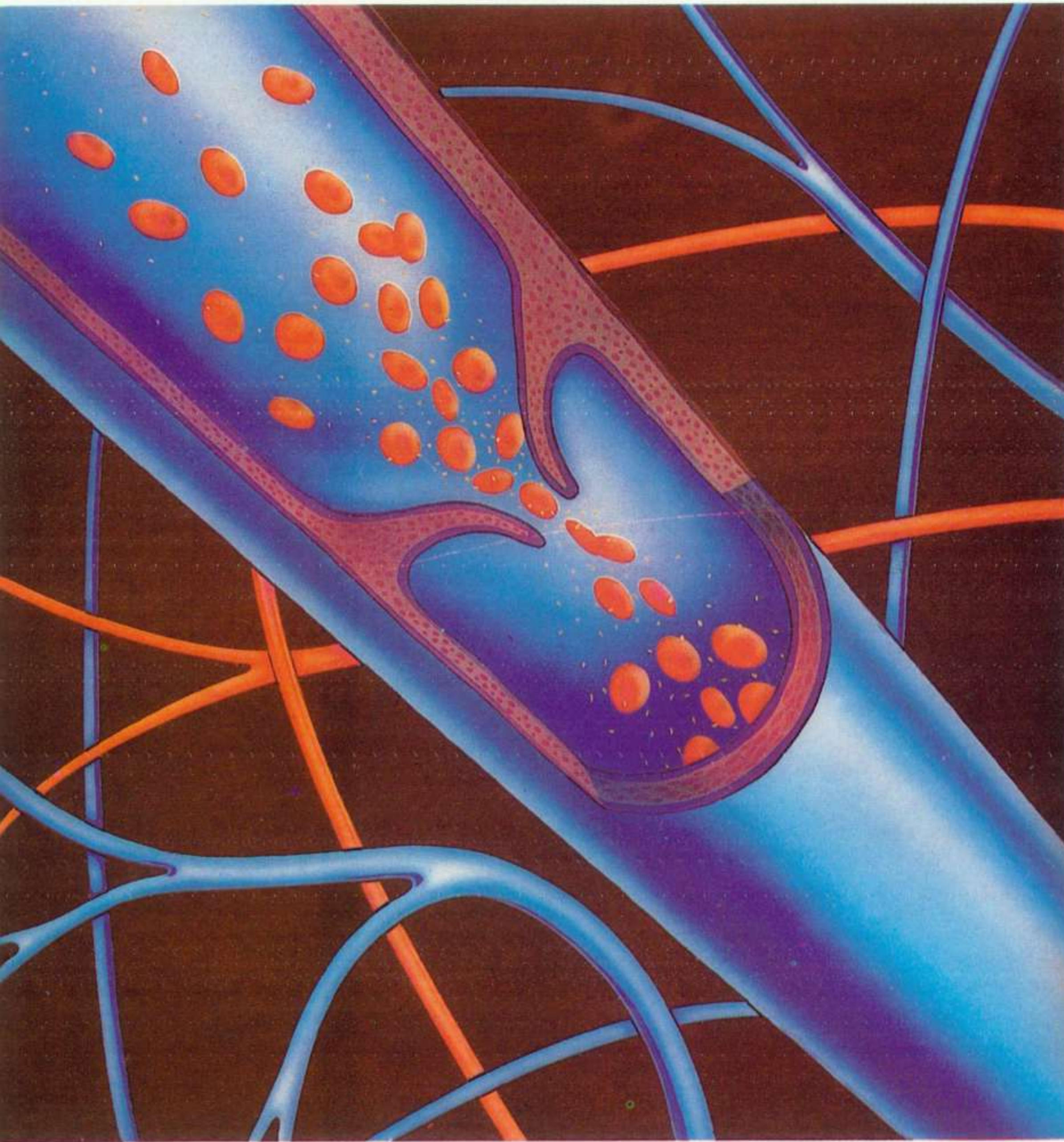
« ما مقدار الفيتامينات المطلوبة للجسم وما مدى أهمية الفيتامينات بالنسبة للانسان ؟

ماهى الفيتامينات ؟

ومن المعلوم أن الفيتامينات فى حقيقتها مادة حيوية ، ونستطيع أن نذكر عشرات من المكونات البسيطة من بين المواد الاساسية التى يتكون منها الجسم البشرى مثل : الاوكسجين ، الكربون ، الهيدرجين ، الآزوت ، الكالسيوم ، البوتاسيوم ، الفوسفور ، الصوديوم ، الكبريت ، الكلور .. وهذه العناصر تمثل ٩٩,٩٨٪ تقريبا من وزن الانسان ويبقى بعد ذلك ٠٢,٪ وهى تمثل بعض المواد الأخرى التى تتواجد بكميات ضئيلة .

ويأتى على رأس قائمة هذه العناصر : الحديد ، الزنك ، المنجنيز ، النحاس ، النيكل ، الماغنسيوم .. وهذه المكونات ضرورية للجسم .

ومن المؤكد أن المواد الضرورية للحياة ليست جميعها معروفة ، كما انه فى حالات كثيرة فإن مفعولها غير محدد . والفيتامينات من بين هذه المواد الضرورية وان كانت ليست عنصرا مثل الحديد أو النحاس ، بل هى مواد مركبة . وتتواجد الفيتامينات فى كل الكائنات الحية ، باستثناء



كثرة المواد الدهنية والبيض واللحوم ربما تكون السبب القوى وراء تصلب شرايين القلب

الانسان فانه على عكس الحيوان غير قادر على تركيبها من موادها الاولية ، وعدم مقدرته هذه تتواجد ايضا بالنسبة لمواد اساسية اخرى ، لذلك يجب عليه ان يتناولها فى طعامه ، مثال ذلك الاحماض الأمنية الاساسية . فالبروتينات مركبة فى الواقع من ٢٤ حمضا أمينيا من بينها ٩ أحماض لايستطيع الجسم البشرى تركيبها بالرغم من اهميتها ، كما توجد ايضا احماض دهنية ضرورية منها ما يسمى فيتامين ف .

ان مفعول هذه « المواد الضرورية » التى يعد الفيتامين واحدا منها مازال غير معروف على وجه الدقة ، وان كان من المعلوم ان العديد من الأنزيمات المتحفزة للتفاعلات العضوية تكون غير فعالة فى غياب المواد الضرورية .. لذا فإن المحرك العضوى لايعمل اذا لم تصل اليه المواد الغذائية « المولدة للطاقة » كالسكريات والدهون والبروتينات ، وأيضا الفيتامينات والمواد الضرورية الاخرى التى يزودنا بها الغذاء كاللبن والفاكهة واللحم والخبز .. الخ ، وكذلك بكتيريا الامعاء ، تلك الميكروبات المفيدة التى تترك لنا الفائض من الفيتامينات .

ومن المعلومات الطريفة ان كل من يدخن علبة سجائر فى اليوم تنخفض نسبة الفيتامينات فى دمه ٣٠٪ كما أن انخفاض معدل الفيتامينات فى الجسم يرتبط ارتباطاً وثيقا بنسبة الكحول الذى يتناولها الفرد .

وطبيعى فإنه من الضرورى أن يعرف كل شخص مقدار الفيتامينات التى يجب ان يحتوى عليها طعامه ، والكمية التى يفقدها الطعام بسبب طريقة الطهو أو الحفظ .. ولاشك انه يمكن احيانا تناول الفيتامينات بجرعات مكثفة فى حالات خاصة وتحت رعاية طبية كاملة .

قد يكون من الاجدر والأحرى فى مثل هذه الحالات توجيه الاعلام عن ذلك للاطباء انفسهم اكثر من عامة الشعب ، لأن العامة يحبذون كل جديد تأتى به المدنية والتقدم .. فهل ياترى سنتمكن من التقدم بشعبنا العربى دون التعرض لهذه العيوب؟ اننا نأمل فى ذلك !

نبيل سليم على



اعترافات امرأة نصف عاقلة

بقلم: ســــــــــارة

فجأة قررت أن أموت ..
هكذا .. بعد أن ضاقت بي الحياة .. وضقت بها .
قررت أن أموت ..
فجأة ـ كلمة غير أمينة ـ الواقع أن القرار لم يكن فجأة .. كل شيء في حياتي كان يتم بعد دراسة عميقة .. ولكن حتى هذه اللحظة .. لم أقرر كيف يجب أن أموت .
فكرت طويلا وأنا أتسكع في الشوارع .. ما أقصر الطرق المؤدية للموت .. جففتني حرارة الشمس .. عدوت إلى أقرب مقهى .. وارتشفت مشروباً مثلجاً لأمنع تفكيري من الجفاف .. فأنا نفسياً أتعرض للعطب بسرعة من رشح الشمس .. ورشح الأجساد .. و .. الذباب .. آه .. نعم الذباب والناس أيضاً !
فكرت طويلا وأنا أشعل سيجارتي « الكليوباترا » وهي أرخص أنواع السجائر ـ كما أعلم ـ وأرجو أن لا يتبادر إلى أذهانكم أنني على وشك الافلاس .. إطلاقا .. ولكنها حالة ذهنية أو نفسية ـ لا أدرى أيهما التعبير الأصح ـ تعتريني فجأة وأرغب في أن أشارك المفلسين إحساسهم .
فكرت طويلا .. وطويلا .. وأنا أستلم من البائعة الثوب الجديد الذى اشتريته .. كان ثوباً مشرقاً بألوان قوس قزح .. تماماً مثلما طلب مني .. ألوان ترقص مرحاً .. لماذا اشتريته لا أدرى .. ولكنى حتماً لن ألبسه فأنا قررت أن أموت كما تعلمون .. وحتى لو لم أقرر فأنا لن ألبس ما يحب .. لاعتقادى أن هذا الانسان ـ دون خلق الله جميعاً ـ يكاد ينجح في احتوائي .. وأنا أرفض كل صور الاحتواء .
فكرت طويلا ..

ما أقصر الطرق المؤدية .. لا يهم أن يكون الألم فيه مكثفاً .. ولكن الأهم أن يكون ألماً خاطفاً كالبرق .. إنني حتماً لا أرغب في تعذيب نفسي .. ولكنى حتماً أيضاً اود أن أموت .. هذا القرار لم يعد قابلا للنقاش .. فقراراتي دائماً حاسمة .

« قرأت مرة تعبيراً لكاتب أدهشنى في وصف الانسان الحاكم إذ شبهه بأنه كان حاسماً كالسيف ، ولا أدرى لماذا لم يقل بأنه كان حاسماً كالقنبلة النووية مثلا ! » .

قررت في مدينتى الصغيرة أن أحصل على الشهادة الثانوية وحصلت عليها رغم كل الاعتراضات .
و .. رفضت الرجل الذى اختاره جدى زوجاً لي .. وكان لي ما أردت .. وقررت أن أسافر إلى « برايتون » لإكمال دراستى .. سافرت .. و .. الشهقات المكتومة ولعنات العجائز وأحلام الصبايا المجهضة تطاردني .
و .. قررت أن أمارس بعض نزواتى الصغيرة في لبس « الجينز » و « التي شيرت » والغناء الأوبرالى .. و .. فعلت .
و .. قررت أن أكون فدائية تتصدر أخبارها صفحات الدنيا .. فحزمت أمتعتى ورحلت .. وكان أكبر إنتصاراتي كسر ساقى بعد أيام من وصولى على سفوح جنوب لبنان .. وعدت إلى « برايتون » والغناء الأوبرالى .

وصممت على الزواج ممن أحب وتزوجت .
و .. أصررت على الانفصال ممن تزوجت وانفصلت .

وسكنني هاجس الكتابة فحزمت أقلامى وأوراقى وسافرت الى مسلمى الهند والفلبين و .. وكتبت .

و .. فجأة ـ وهذا تعبير دقيق ـ مات كل تشوقى للحياة .. وسكنت كل انتفاضاتى .. وشغلتنى هذه القضية طويلا .. بل أرقتنى ـ إذا أردتم أن أحسن التعبير ـ وأخيراً توصلت إلى قرار حاسم ـ كعادتى طبعاً ـ فأنا شخصياً أرفض وأحتقر الحياة الساكنة .. وبما أن كل تشوقى للحياة قد مات ـ ولا أدرى السبب ـ فالأكرم لي إذن سكون الموت لا الحياة .
وبعد تسكع طويل في الشوارع المتربة وفي



"إنني لا أرغب في تعذيب نفسي .. ولكنني حتما أود أن أموت .. هذا القرار لم يعُدْ قابلاً للنقاش .. فقراراتي دائما حاسمة!"

ردهات الفنادق ذات الخمسة أو السبعة نجوم .. لا أدرى .. كما أننى أيضاً لا أدرى لماذا لم تكن أقماراً!! و .. بعد إحراق مئات من المدعوة « كليوباترا » ولا أدرى أيضاً لماذا لم يدعوها توت عنخ آمون أو امنحتب .. لاشك أنه تحيز غير متحضر ومقصود لصالح الرجل .. ولابد أن الذى اختار هذا الإسم قد قرن خطورة السجائر بخطورة المرأة فى اعتقاده المتخلف .. ولم أجد له عذراً فى قواعد التذكير والتأنيث عند الخليل بن أحمد الفراهيدى .. و .. دهشت لعقلى كيف لم يلتفت لهذا الموضوع من قبل .. وهدأت من خاطرى .. واقنعت نفسي أن الوقت قد فات للتفكير فى مثل هذه الأمور .. وأن أمامى قضية عامة ومحددة يجب الفصل فيها .

و ..

لو سألتمونى كيف قررت الموت فى حادث عربة لقلت لكم إنه الالهام .. و .. هذه هى الكلمة الوحيدة التى لم أعتقد بها طوال حياتى .. بل اننى كنت أغرق فى الضحك عندما أسمع الشعراء يتحدثون عن لحظات الالهام هذه . و .. ها قد جاء دورى لتصبح هذه الكلمة اليقين الوحيد والأخير فى حياتى !

و .. بدأت فى « مسح » ، المنطقة التى قررت أن أموت فيها .. وبعد أسبوع كامل من الدراسات الميدانية قررت أن أموت على طريق « الكورنيش » وخططت أن أجتاز النور الأحمر فى اللحظة التى ينهمر فيها سيل العربات القادمة من الكوبرى الممتد يميناً من الضفة الأخرى .

و ..

فى لحظة كنت قد اندفعت بالعربة .. و .. كنت قد استدرت ــ تقريباً ــ بنصف جسدى تجاه العربات المندفعة نحوى .. لا .. بل أعتقد أننى استدرت برأسى فقط .. لا أدرى أظننى ألقيت نظرة فقط .. كان أقربهم إلى عربة نقل متوسطة .. واثقة أنا من ذلك .. كان وجه السائق شاحباً !! يالى من كاذبة !!

وما أدرانى أنا ان كان شاحباً أو نضراً .. الحقيقة المذهلة هى أن إحساسى بالخوف أو الألم قد انتزع مني نهائياً قبل وقوع الحادث المفجع بثوان أو بدقائق .. من يدرى !

و .. استيقظت !!

تصوروا .. بعد كل خططي المحكمة والمدروسة استيقظت لأجد نفسى فى المستشفى .. وبدأت أتحسس جسدى .. ولقد أفزعنى خاطر واحد فقط للوهلة الأولى .. وهو أن تكون الإصابة فى الرأس وبالتالي يكون شعرى الجميل قد طار .. لم أتصور أبداً أن أعيش بدون شعرى الجميل .. ولو سألتمونى ما يعنى لك شعرك .. لقلت لكم أنه يساويني تماماً !

الحمد الله !!

مازال شعرى فى مكانه جميلا وطويلا ورائعاً .. بل اننى تصورت فى تلك اللحظة من فرط سعادتى أن « حليمو » العزيز قد غنى أغنيته الخالدة « الشعر الحرير على الخدود يهفهف ويرجع يطير » من أجلى أنا وحدى .

المهم ..

كانت الاصابات كما قال الطبيب جروحا قطعية فى الساقين وكدمات فى أنحاء متفرقة .. تصوروا .. كدمات .. وجروح قطعية !!

المهم ..

بقى أن أقول لكم أننى قررت فى هذه اللحظة الحاسمة أن ألبس الثوب الجديد ــ عندما تتحسن صحتى طبعاً ــ ذا الألوان الراقصة مرحاً وأذهب إلى ذلك الانسان الذى أعتقد أنه دون خلق الله جميعاً قادر على احتوائي .



الفنان عبد السلام الشريف

رائد فنون الصحافة والكتب في الوطن العربي

رجل يهرب من الأضواء وهو صانع الشهرة للكثيرين من الفنانين والصحفيين والكتاب

بعد جهود طويلة ورائدة قام عبد السلام الشريف « ٧٤ سنة » بتدريس مادة الاخراج الصحفى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، كما يعمل مستشارا لمؤسسات النشر والاعلان الكبرى فى السعودية

بقلم: صبحي الشاروني

من وحى التقاليد الشعبية : هدية « الصباحية »

- ولـد في مدينـة تعشـق الفـل والزعـتر وتزرعهمـا فـوق النوافـذ !
- قـام بتصـميم الأوراق النقـديـة وطوابـع البريـد والخرائـط الحربيـة .
- كان للشريف دور أساسي رائـد في إخراج معظم الصحف العربيـة المعروفة .
- أول محاولة واسعة لاخضاع الاعلانات وأغلفة الكتب للمقاييس الفنية الرفيعة .

كانت الكتب العربية فى مطلع القرن العشرين يطبع على غلافها عنوان الكتاب واسم المؤلف بحروف المطبعة الكبيرة دون أى زخارف أو رسوم أو ألوان ، ولا تتضمن الصفحات سوى النص بغير تصاوير أو حليات ، وكان حال المجلات والصحف مماثلا لحال الكتاب ، حتى استطاع الفنان « الشريف » أن يحقق الدفعة الأولى فى التطوير ، ويعلم الكثيرين لعدة أجيال ، ويعمل الآن تلاميذه من الأجيال التى تعلمت على يديه فى مهنة الاخراج الفنى للكتب والمجلات والصحف فى جميع انحاء العالم العربى .

والفنان الذى يتخصص فى فنون الصحافة والكتاب عليه أن يكون وثيق الصلة بمختلف الثقافات ، وأن يكون ذواقاً للفنون الأخرى كالأدب والموسيقى والمسرح ، وعلى درايه بمختلف العلوم ، لأن تصميم كتاب يختص بالقصة يختلف عن تصميم كتاب فى علوم الفيزياء أوآخر عن الأزياء وهكذا .. هذا الفنان لابد أن تكون معلوماته موسوعية ولديه ادراك دقيق لطبيعة كل نوع من هذه المعارف ، مع التعرف على إمكانات الطباعة المتاحة أمامه .. لقد كانت إمكانات الطباعة محدودة فى الثلاثينات والأربعينات ولم يكن هناك أى مفهوم للاخراج الفنى للكتاب قبل عبد السلام الشريف ، فهو الذى نبه الى ضرورة التعرف على ايقاع الصور والرسوم والفراغات فى صفحات الكتاب أو المجلة أو الجريدة لتتناسب كل هذه المواد وايقاع الكلمات المطبوعة ، مع تجنب الملل والتكرار سواء فى الأحجام أو والألوان أو تشابه الرسوم وتكويناتها ، وهذا المنطق يشبه الى حد بعيد منطق تتابع اللقطات السينمائية فى الأفلام من الناحية الشكلية ، كما انه يشبه أيضاً التنويع فى الايقاعات الموسيقية داخل العمل الموسيقى .

كما نبه الأذهان لأول مرة الى ضرورة وجود تلاؤم وانسجام بين المادة المكتوبة أو الموضوع من جانب ، وطريقة كتابة العنوان وأسلوب الرسم المصاحب له من جانب آخر .. فلا ينشر موضوع طريف ـ مثلا ـ ويكتب عنوانه بالخط الثلث الوقور .. اننا نحس فى مثل هذه الحالة بالخلل فى الرؤية الجمالية والتنافر بين الشكل والموضوع .

لقد استطاع عبد السلام الشريف وتلاميذه ان



« ياراييحين الغورية » .. لوحة خاماتها قصاصات قماش (خيامية)

يحدثوا انقلاباً فى عالم الاخراج الفنى للمطبوعات العربية حتى ارتقوا بها الى حالها الآن .

لكن هذا الفنان الرائد لم يقتصر نشاطه على هذا الفن وحده .. فقد كانت حياته سلسلة متصلة من المعارك من أجل الارتقاء بجميع فروع الفنون الزخرفية ، فضلا عن اهتمامه بالفنون الشعبية ، وعمله الدائب من أجل المحافظة عليها والارتقاء بها .. وقد أنتج لوحاته بخامات البيئة المحلية وبنفس أسلوب الفنانين الشعبيين فى صناعة « الخيام » أى استخدام الأقمشة الملونة المضافة بعضها الى بعض لتحقيق لوحاته المرسومة ، بدلا من استخدام الألوان الزيتية وما شابهها .. وقد شارك بهذه اللوحات لسنوات طويلة فى معارض الفنون الجميلة بمصر وخارجها .

هوايات الطفولة

ولد الفنان عبد السلام الشريف (عبد السلام أحمد محمد صالح) فى حي « الصليبة » بمدينة المنيا التى تتوسط صعيد مصر ، وكان مولده يوم ٢ مايو عام ١٩١٠ .. والفنان يعتقد ان هذا الحي كان من الأحياء القليلة التى احتفظت بالأشكال والتقاليد المتوارثة عن الأحياء الشعبية المصرية القديمة ، فى شكل عمارتها ودروبها ، مع تقاليد زراعة الفل والزعتر فى نوافذها ، ثم تكاتف أهل الحي وتعاونهم وكأنهم أسرة واحدة .

كان أحد جيرانه « عريف » ضرير له صوت قوي ، وكانت نافذة حجرة « الشريف » تطل على نافذة فى بيت هذا الجار ، وكثيراً ما كان يستيقظ عند الفجر فيصله صوت عزفه على الكمان أو العود وهو يردد نغمات الأغاني القديمة أو الألحان التى تنحدر من أصول فرعونية عتيقة .

وهكذا امتزجت فى وجدانه .. واختزنت فى أعماقه منذ الطفولة ، ابتهالات مؤذن الفجر وقراءة القرآن من المسجد القريب ..

كما أن جاره « عزيز » الذى يكبر عبد السلام الشريف ببضعة أعوام كان رساماً ، وكان الطابق الأرضى فى منزله يشبه الأقبية ، ويستخدمه كمرسم يتجمع حوله أطفال الحي يتفرجون ويندهشون .

عندما خرج الصغير من الحي اكتشف منزل « عم أسعد » الصائغ وابنه نجيب الطالب فى مدرسة المعلمين العليا (الفنان المعروف نجيب اسعد) وكان اذا أراد أن يطل عليه ليشاهده وهو يرسم جعل أحد الصغار يحنى ظهره ليقف فوقه مطلا على طالب مدرسة المعلمين العليا وهو يرسم صوراً لوجه أبيه وللشخصيات المعروفة فى ذلك الوقت .

وتفتحت كل الهوايات الفنية فى أشكال ألعاب الأطفال ، فكان « عبد السلام » يصنع خوذات من الورق وسيوفاً من الصفيح للمبارزة ، ومن أوراق الكراسات دمى ومراكب .. ثم التمثيل وعمل الماكياج باستخدام أبسط الخامات كالدقيق والفحم ، ثم كتابة الاعلانات عن تمثيليات الأطفال المرتجلة على جدران منازل الحي .

ثم ظهرت موضة تطريز ملابس السيدات ، فكان الشريف يرقب المطرز وهو يزخرف الملابس بدون رسوم مسبقة أو أمشق ، وحاول تقليده بعمل رسوم مشابهة على ملابس الدمى الخاصة بالبنات الصغار اللاتى يشاركنهم اللعب فى الحي العريق ..

كانت هذه هى ألعاب الطفولة .. وعندما بلغ التاسعة قامت ثورة ١٩١٩ فكان يخرج فى مظاهرات الأطفال تشبهاً بالكبار ويعود الى المنزل مبحوح الصوت ، فى هذه الفترة كانت المدرسة توزع على التلاميذ صوراً لمحمد فريد وبعض الرياضيين والكتاب ، فكان الشريف يرسم منها نسخاً ويوزعها على زملائه فى الحي .

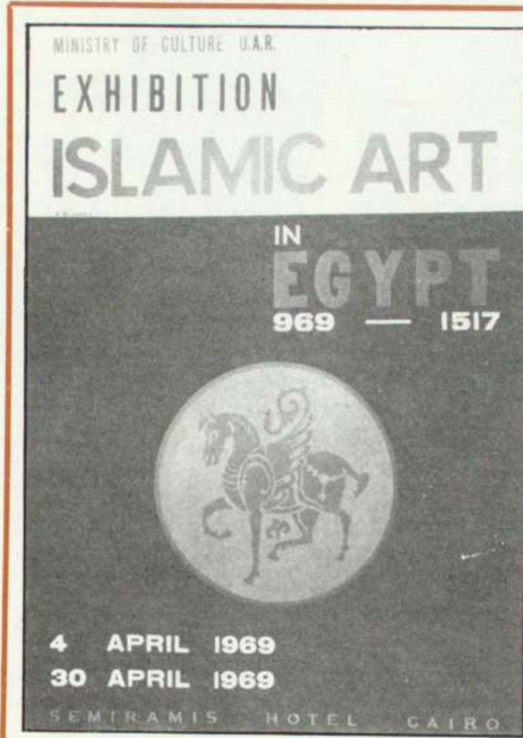
فى عام ١٩٢٤ أفرجت حكومة سعد زغلول عن المعتقلين السياسيين فى ثورة ١٩١٩ الوطنية ، وكان ناظر المدرسة أحد المعتقلين المفرج عنهم .. كما أن الشيخ « أحمد حتاته » الذى تزعم ثوار « المنيا » كان أعرج يقود المظاهرات راكباً حماراً .. وقد أثار الاحساس بالنصر جواً حماسياً عاماً وكان عبد السلام الشريف متفوقاً فى المطالعة والانشاء ، لهذا أختاره ناظر المدرسة ليكون خطيب حفل التهنئة بخروج الزعماء من السجن وقد أقيم الحفل على مسرح أعد فى فناء المدرسة خصيصاً لهذا الغرض ، وفى نهاية الحفل هنأه الشيخ « أحمد حتاته » على خطبته وشكره .

أما جانب الابداع والبحث فكان يتجلى فى محاولات الشريف لعمل كل ما يتمناه بيديه ، فشرع فى صناعة دراجة .. وعندما انتقل الى المدرسة الثانوية قام بعمل آلة تصوير عام ١٩٢٧ بمجموعة من العدسات المتفرقة .. ونجح فى التقاط بعض الصور الفوتوغرافية بها .. كل هذا كان يتم الى جانب النشاط الأساسى وهو الرسم .

كانت أسرة عبد السلام الشريف تريد أن يلتحق ابنها بالأزهر فهو ينحدر من سلالة « السيد البدوى » لكن الفتى كان يرغب فى الالتحاق بالدراسة الثانوية ، وتعللت الأسرة أنها لا تستطيع تحمل نفقات الدراسة الثانوية .. فذهب الفتى الى ناظر المدرسة يطلب قبوله مع اعفائه من المصروفات .. وقد تحقق له ما طلبه لأنه تحدث بثقة وحماس فى مجلس جمع ابن شيخ الجامع الأزهر وآخرين وعرفوا حبه للرسم وتفوقه فى اللغة العربية .. وما ان قبل حتى أخرج مجلة مدرسية مطبوعة كان هو البطل الأول فى تحريرها واخراجها وكانت تلك هى أول مجلة مدرسية فى مدينة المنيا .

امتحان فى الرسم

أقيمت فى تلك الفترة مبان جديدة للمدرسة على شاطىء النيل كلف « الشريف » برسم صور شخصية للزعماء لتزيين الممرات بها بين الفصول ، وتقرر ان يفتتح المدرسة الملك فؤاد ، فاختير عبد السلام الشريف ليقف أمام الملك ويرسم فى دقائق صورة للأمير فاروق .. وقد حضر وزير المعارف « علي الشمسى » الى المدرسة قبل الموعد المحدد للافتتاح ليتأكد من سلامة البرنامج ، ووافق على قيام عبد السلام الشريف برسم الأمير فاروق من ذاكرته أمام الملك .. ومن هذا الحدث تأكد الفنان الصغير من كفاءته وبدأ يتطلع الى آفاق أخرى .



تصميم لاعلان عن المعرض الفنى الاسلامى الذى أقيم بمناسبة مرور الف عام على القاهرة

كان أبرز عضو فى جمعية الرسم ، وعضواً فى الجمعية الموسيقية حيث تعلم العزف على العود والكمان .. كما كان عضواً فى الجمعية الأدبية .. وكان زملاؤه محمد صبيح الكاتب المعروف مؤسس دار التعاون فيما بعد وأحمد الأحمداوى وعبد العظيم عبد الحق وغيرهم ، وقد تعاونوا فى العمل بالصحف المحلية التى كانت متعددة فى ذلك الوقت ، أما اشهرها فكانت جريدة الإنذار لصاحبها الاستاذ « صادق سلامة » .

بعد أن اتم الشريف دراسته الثانوية عمل هو ومحمد صبيح فى بلدة المنيا حيث تولى الشريف وظيفة أمين متحف الآثار الذى كان مقاماً فى أحد القصور المطلة على النيل .. فى هذه الوظيفة تدرب الفنان على فحص الآثار القديمة والتعرف على قيمتها فى وقت كانت زيارة الآثار وقفاً على النساء العواقر اللائى يخطون فوقها طلباً للحمل والانجاب طبقاً للخرافات الشعبية التى كانت شائعة فى ذلك الوقت .

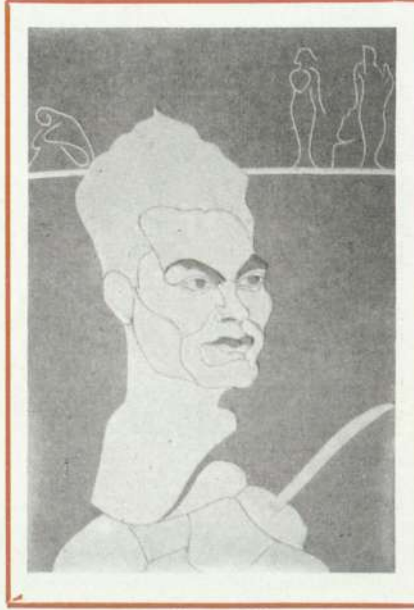
ويقول الفنان أنه عمل على تغيير هذه المفاهيم ، فوجه دعوات أسبوعية لمدارس المدينة كى يزور تلاميذها هذا المتحف ويتعرفوا على قيمة مابه من آثار من الناحيتين التاريخية والفنية .. وعندما زاره فى المنيا مدير دار الآثار بالقاهرة وتعرف على نشاطه دعاه الى زيارة متحف القاهرة لاختيار مجموعة من النماذج الجصية لعرضها فى متحف المنيا كى يستكمل الزائر الصورة التاريخية والفنية للآثار القديمة ..

وكان يدير « المتحف اليونانى الرومانى » بالاسكندرية أثرى أجنبى قام هو الآخر بزيارة متحف المنيا وأعجبه تمثال سيدة من المرمر استخرج من حفائر منطقة « البهنسا » ويرجع تاريخه الى فترة الحكم الرومانى لمصر .. انه يشبه تمثال فينوس الشهير الى حد كبير .. هذا الأثرى الأجنبى طلب نقل التمثال الى متحف الاسكندرية ، لكن « الشريف » عارض هذا الطلب ومنع نقل التمثال من المنيا .. ولم تنقل هذه التحفة الأثرية الى الاسكندرية الا بعد أن ترك الشريف هذا الموقع .

الهجرة الى القاهرة

كان محمد صبيح وعبد السلام الشريف يلتقيان بعد أوقات العمل ، وفى احدى الجلسات قررا استكمال دراستهما العليا بالقاهرة ، واختمرت لدى عبد السلام الشريف فكرة الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة دون علم اسرته ، أما محمد صبيح فقد اتجه الى كلية الآداب ، فسافرا الى القاهرة .

كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها الأول بدرب الجماميز الى مكانها الثانى بشارع خلاط بشبرا وأصبح اسمها « المدرسة العليا للفنون الجميلة » ، وكان المتقدمون ١٧٠ شخصاً نجح منهم ١٥ ، وكان الشريف هو الوحيد الذى التحق بقسم الزخرفه عام ١٩٣٠ ، بينما لم يلتحق أحد



وجه الفنان عبد القادر رزق

بهذا القسم فى العامين السابقين ، فكان ينضم الى طلاب قسم العمارة فى كل المواد ماعدا مادة التخصص .

كان عليه ان يعول نفسه بعد ان استقال من وظيفته بالمنيا فعمل مدرساً للرسم باحدى المدارس الخاصة ، واتصل بحسنى الخطاط (والد سعاد حسنى ونجاة الصغيرة) الذى كان له مرسم بشارع الأزهر مملوء بالتروس الحديدية والصواميل واجزاء الماكينات .. وفى نهاية المحل مكتب يجلس عليه أعظم خطاطى عصره .. لكنه لم يقبل أن يعمل عنده عبد السلام الشريف .. فاتجه الى رسم الاعلانات الكبيرة التى تلصق على واجهات دور السينما ..

كانت الدعوة الى الاستقلال الاقتصادى منتشرة فى الثلاثينات وكانت أول شركة مصرية للإعلانات هى « شركة لوتس » ، وكان من مؤسسيها الفنان عماد حمدى وشقيقه ، وكانا مقربين لطلعت حرب مؤسس بنك مصر وشركائه .. فى تلك الفترة أسس عبد السلام الشريف ثانى شركة مصرية للاعلانات تحت أسم « شركة مصر للاعلان » وبدأ ارتباطه بحزب « مصر الفتاة » هو ومحمد صبيح .. وكان مقر الحزب هو نفس مقر شركة مصر للاعلان وبالطبع ساهم بالناحية الفنية فى صحافة الحزب .

كان الشريف هو أول من نادى بدخول الفتاة المصرية مجال تعلم الفنون وقد نشر سلسلة مقالات عام ١٩٣٠ فى مجلة كوكب الشرق يطالب فيها بفتح باب تعليم الفنون للبنات .. ولكن هذه الدعوة لم تتحقق الا فى عهد ولاية الدكتور طه حسين على وزارة المعارف العمومية عندما كان الفنان الرائد يوسف كامل عميداً لكلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٠ .

وخلال الإجازة الصيفية كان يعود الى مدينته « المنيا » حيث بدأ ينظم المعارض ويلقى المحاضرات بمقر جمعية الشبان المسلمين عن الفنون الجميلة .

وفى عام ١٩٣٣ وهو لا يزال طالباً بالفنون الجميلة ، شارك فى تصميم مجلة الشبيبة واخراجها ، وكان يصدرها وحيد شوقى .

وفى المعرض الثالث للفنون الجميلة الذى اقامه الفنان فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٣ بمقر جمعية الشبان المسلمين بالمنيا كان عبد السلام الشريف سكرتير لجنة المعرض وكان فى نفس الوقت مدير شركة مصر للاعلان . وقد شارك فى هذا المعرض الفنانون نجيب اسعد وانطون سليم مظهر .. وكان العرض يضم الرسم من الطبيعة والكاريكاتير والنحت والعمارة والزخرفة ثم النقل والتكبير والأشغال اليدوية وأشغال الابرة والرسم على الجلد وتفريغ النحاس والنقش على الفخار والرسم على القماش .

وهذا هو أول نشاط فى مصر لاقامة المعارض الفنية خارج العاصمة ، وهى تعتبر حركة رائدة فى هذا المجال .

وفى العام التالى ١٩٣٤ أقيم المعرض الرابع للفنون التطبيقية من المعرض الأول للتصوير الشمسى . وكان من بين لجنة التحكيم فى المعرض الأستاذ صلاح طاهر المدرس بالمدرسة الابتدائية والأستاذ حسين بدوى بمدرسة الصنائع بالمنيا بالاضافة الى الأستاذ عبد السلام الشريف .

وقد شارك فى هذا المعرض المثال عبد القادر رزق ونجيب أسعد وحسين بيكار وصلاح طاهر وحسنى البنانى وعبد السلام الشريف وأبو صالح أحمد الألفى بالفنون الجميلة العليا ـ وحسين بدوى .

وفى عام ١٩٣٤ عمل الشريف فى جريدة الاهرام حيث أسس لها مع رشاد منسى قسماً للاعلانات بعد أن كانت شركات الاعلان هى التى تصمم ما ينشر بالجريدة من اعلانات .. كان مرتبهما معاً الشريف ورشاد منسى خمسة جنيهات شهرية .

ورغم انشغال الشريف فى هذه الأعمال الخارجية الا أنه فى عام ١٩٣٥ أتم دراسته بتفوق بمدرسة الفنون الجميلة ، وحصل على الشهادة الاهلية لتعليم الفنون وهى شهادة تربوية تتيح له العمل مدرساً للرسم فى التعليم العام .. وعين فى مدرسة العطارين الثانوية بالاسكندرية بينما كان الفنان صلاح طاهر مدرساً بنفس المدينة فى مدرسة العباسية الثانوية ، لكنه لم يستمر سوى عام دراسى واحد لانشغاله بأعماله السينمائية بالقاهرة فاستقال ، وانتقل الى القاهرة حيث شارك فى عمل الرسوم والتنظيمات الخاصة باقامة متحف التعليم وكان مقره مكان نقابة المعلمين الحالى بالجزيرة .

خلال حقبة الثلاثينات كان محمد صبيح له اهتمامات مشابهة لكن فى الكتابة والتأليف . وأهم مشروعاته كانت اصدار كتاب شهرى لكاتب واحد هو محمد صبيح تحت اسم « كتاب الشهر » .. وتولى الشريف تصميم أغلفة هذه الكتب الشهرية التى بلغ عددها عشرين كتاباً ، أما الجديد فى هذه الأغلفة فهو انها كانت تتضمن رسوماً لأول مرة الى

الداخلية لمجلة « اللطائف المصورة » مع اسكندر مكاريوس ، وكانت تلك هى بداية تطويع الخط العربى ليتلاءم مع الموضوعات الصحفية والدراسات التى تنشر فى المجلات المصورة .. ثم قام بهذه المهمة فى « مجلة العروبة » .

أما مجلة « نداء الحرية » التى كان يصدرها محمد صبيح ، فقد قدم فيها أول محاولة لرسم الشخصيات العامة رسماً كاريكاتورياً على الغلاف .. وقد أصبح هذا الأسلوب علماً على مجلات صدرت بعدها ، أبرزها هى مجلة « روز اليوسف » .

لكن رغم هذا بهرته السينما وكاد يهاجر من مصر بسببها .

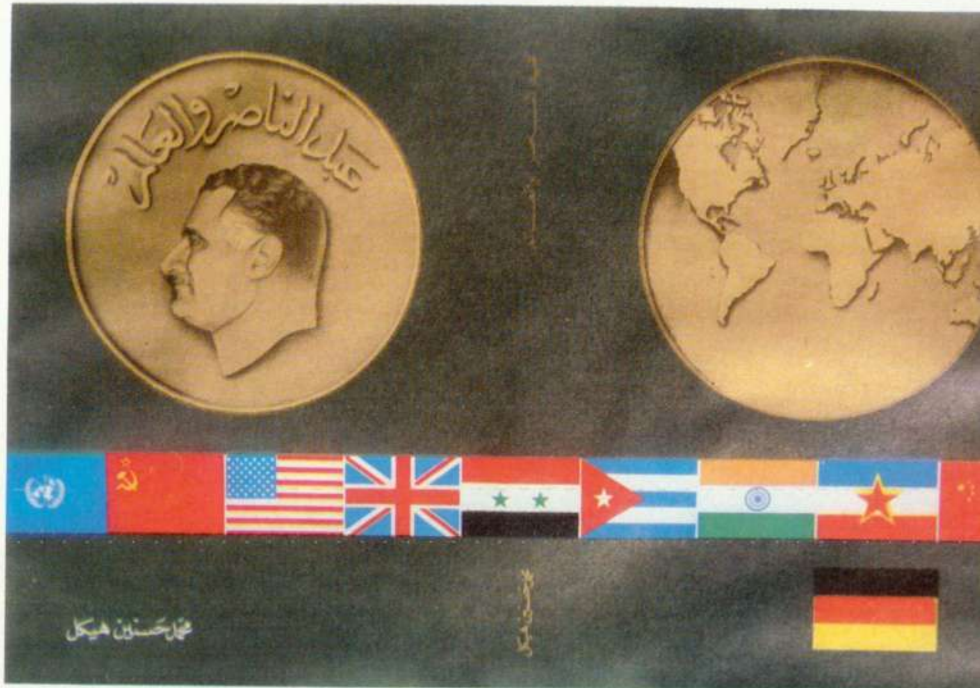
تجربته فى السينما

راودته فكرة الهجرة الى « هوليود » مدينة السينما فى أمريكا .. وعرض الفكرة على محرر صفحة « السينما والمسرح والفنون » ليساعده فى هذا المشروع .. لكن المحرر الفنى اتجه به وجهة أخرى اذ صحبه ليتعرف على الفنانة « أمينه محمد » التى كانت مهتمة بالانتاج السينمائى .. كان ذلك عام ١٩٣٥ ، وكان رأس مالها ١٧ جنيها فقط .

هذه المغامرة المجنونة جعلت اسم عبد السلام الشريف مشهوراً على المستوى الشعبى ، فكان العاملون بالميدان السينمائى يحضرون لمشاهدة هذه المغامرة ومنهم « صلاح أبو سيف » و « كمال سليم » أما الممثل الأول امام « أمينة محمد » فكان « محسن سرحان » .. لكن المصور « دافيد كورونيل » الذى شارك فى المغامرة بالافلام الخام والتصوير اعترض على « محسن سرحان » فقام الوجه الجديد « حسين صدقى » بدوره ، وتولى عبد السلام الشريف عمل الديكور والماكياج بينما قامت أمينة محمد بالاخراج والتمثيل ، وكان أجر حسين صدقى خمسة جنيهات فى هذا الفيلم .. أما عبد السلام الشريف فقد مثل فى هذا الفيلم البطولة الثانية ، كما وضع تصميمات المقدمة .. وابتدع فيها لأول مرة الحركة ، وكانت فى ذلك الوقت تعتبر عملا جديداً شاذاً ، لكن المصور الفرنسى « سامى بريل » ــ مصور استديو مصر الذى نفذ تصوير المقدمة ــ تحمس لها .. المهم أن الفيلم كان اسمه « تيتا وونج » يمثل قفزة جديدة فى جوانبه التشكيلية وهى الاعلانات والديكورات والمقدمة .. صحيح ان الفيلم فشل تجارياً لكن الوسط السينمائى بدأ يتهافت على عبد السلام الشريف ليعمل الديكور فى عدة أفلام ويقوم بتصميم العديد من اعلانات الحائط والملصقات .

ويقول الفنان إن الفيلم كان سبباً فى تعرفه على زكى طليمات ويوسف وهبى وحسين سعيد مدير استديو مصر فى ذلك الوقت الذى طلب منه ان يعمل معهم ..

واشترك فى عام ١٩٣٨ مع مجموعة من الفنانين من بينهم رشاد منسى وأحمد عبد الفتاح



غلاف كتاب عبد الناصر



غلاف مجلة الفنون الشعبية

جانب العنوان واسم المؤلف ، لكن الشريف لم يوقعها فوصفت بانها أشبه بالفنون الشعبية المجهولة المصدر .

وتعرف الفنان على الكاتب « أحمد الصاوى محمد » الذى اصدر « مجلتى » فقام الشريف بعمل قفزة جديدة فى تطوير صحافة المجلة الأدبية وكانت الجوانب الفنية واضحة فى هذه المجلة .

وعندما قام الأستاذ « أحمد حسن الزيات » باصدار مجلة « الرسالة » رشح الفنان الرائد « يوسف كامل » الفنان عبد السلام الشريف لتصميم غلافها ، وكانت تطبع فى مطبعة الرغائب بشارع محمد علي ، وهناك تعرف على أحمد حسن الزيات والدكتور طه حسين .

لقد كان عمله فى جريدة الاهرام خلال دراسته بمدرسة الفنون الجميلة العليا سبباً فى التفاته الى الأعمال الطباعية .. فوضع تصميمات العناوين

وانطون سليم فى محاولة انتاج أفلام الرسوم المتحركة ، واستمرت التجربة لمدة عام كامل ولم يواصل العمل فى هذا المجال سوى انطون سليم الذى نجح فى عمل بعض الأفلام التى تحض على اتباع الارشادات الصحية والأخلاق الحميدة .. ثم هاجر الى الولايات المتحدة وانقطعت أخباره ..

كما عمل فى اخراج الأفلام التسجيلية من خلال الشركة التى كونها « مصرف وصبيح » وقد اخرج « الشريف » فيلماً تسجيلياً عن الأقصر ..

وكان عبد السلام الشريف أول من يلتحق بمدرسة الفنون الجميلة من أبناء الصعيد ، وكان أول خريجى هذه المدرسة الذى يعمل فى ميدان الديكور والاعلان السينمائى ، كما كان أول فنان يعمل فى الصحف والمجلات مخرجاً ومصمماً للاعلانات التى تنشر بها .

لكن الفنان قطع علاقته بالسينما عام ١٩٣٩ مع قيام الحرب العالمية الثانية ولم يعد اليها سوى مرة واحدة عام ١٩٤٢ عندما قام بعمل مناظر وديكورات فيلم « بحبح فى بغداد » .

ركز الفنان جهوده فى تطوير الشكل الصحفى عندما أدخل أسلوباً جديداً فى عناوين الأبواب الفنية الخاصة بالسينما والمسرح له شكل مبتكر يتناسب مع الوضاعات الفنية ، وهو مستمد من الخط التقليدى بعد تبسيطه تبسيطاً زخرفياً جعله مناسباً لقواعد التكوين الفنى ، فى وقت كان الخطاطون يرفضون أى تطوير أو تطويع للحروف لتناسب شكل الاعلان ومساحته .. هذا هو الذى جعله يمارس كتابة الخط كجزء أساسى من التصميم الفنى لمساحة الاعلانات أو عنوان المقال .. وقد جعل الفنان من هذه المسألة قضية فنية يدافع عنها بحرارة فى كل مكان .

وقد أقام الفنان سلسلة من المعارض الخاصة بالقاهرة فيما بين عامى ١٩٣٦ ، ١٩٤٢ .. عرض فيها لوحاته المرسومة بطريقة النسيج المضاف .. نلاحظ فيها اهتمام الفنان بخطوط الرسم لتعبر بغير تظليل أو تدرج لونى عن الاستدارة والعمق ، اما الألوان فطبيعة النسيج فرضت المساحات الصريحة والمحددة النهايات بشكل قاطع . وهذا الأسلوب فى الرسم مستمد من الفن الشعبى والفنون الاسلامية التى لم تهتم بالتظليل أو تحقيق الاحساس الخادع بالعمق أو الاستدارة .

النفي الى سوهاج

وفى عام ١٩٤٠ طلب للعمل رساماً فى مصلحة المساحة (بالقسم المخصوص) حيث تولى تصميم أوراق النقد (البنكنوت) وطوابع البريد . وكذلك وضع الخرائط الحربية للحلفاء وخرائط المعارك .. كان يرأس القسم رجل انجليزى بينما المدير المصرى كان الفنان يوسف همام .. واستمر فى هذا العمل عامين حتى اتهم فى قضية سياسية كانت مرتبطة بقضية « عزيز المصرى » ، وبعد التحقيق نقل الفنان الى سوهاج ورفضت استقالته لأسباب سياسية . وأثناء أبعاده فى سوهاج طلب مرتين لتصميم سندات القطن .. وفى كل مرة كان يلغى الطلب ، مرة فى وزارة « حسين سرى » والأخرى فى وزارة « مصطفى النحاس » .

« الشريف » استاذاً للزخرفة

عاد الى القاهرة عام ١٩٤٤ ففوجىء بعميد الكلية يرشحه للعمل استاذاً بقسم الفنون الزخرفية الذى تخرج فيه بناء على تزكية جماعة من مجلس الكلية نتيجة لما حققه من نشاط متنوع فى هذا التخصص ، ولتاريخه الفنى الحافل وليس بسبب حصوله على الدرجات النهائية عند التخرج .

كانت الدراسة فى قسم الفنون الزخرفية تقدم بشكل شامل لكل فروعها سواء المسطحة كما فى تصميم الاعلانات وورق الحائط والأقمشة والستائر وتنسيق الحدائق وتصميم البلاط .. الخ أو الفراغية كالديكور المسرحى والسينمائى والمنزلى وتصميم الأثاث وواجهات المحلات التجارية وغيرها ..



من وحى الريف

الفنان عبد السلام الشريف

رائد فنون الصحافة والكتب في الوطن العربي



غلاف مجلة نداء الحرية

اهتم الفنان بادخال الفنون المتصلة بالطباعة كتنسيق الجريدة والمجلة وتصميم الأغلفة والاعلانات كما نادى بالتوسع مع التخصص فى هذه الدراسة التى تتصل بالحياة العملية وبمعيشة الانسان اليومية أكثر من اتصال فروع الرسم والنحت والجرافيك بها .

وقدم بنفسه النموذج الايجابى للفنان المتفاعل مع المجتمع والمؤثر فيه .. فتوقف عن عمل اللوحات للمعارض ، وانغمس فى الأعمال الفنية المتصلة بحياة الناس اليومية وخاصة الطباعة ..

فوضع تصميم الشكل الأساسى لصفحات جريدة « الأساس » عام ١٩٤٧ ، وكذلك « الجريدة المسائية » التى كان صاحبها « أحمد حمزة » الوزير الوفدى ، وكان رئيس تحريرها « كامل الشناوى » .

كما صمم وأخرج مجلة الشهر التى كان يرأس تحريرها « أحمد الصاوى محمد » وكانت تطبع طباعة فاخرة .

وفى عام ١٩٥٢ اشترك مع على أمين ومصطفى أمين فى وضع التصميم الأساسى لاخراج صفحات جريدة « الأخبار » اليومية .

وقد كلف من مكتب جمال عبد الناصر عام ١٩٥٣ للاشراف على اقامة الجناح المصرى فى المعرض السياحى الدولى الثالث بالقصر الكبير (جراند باليه) بباريس .. وقد حقق نجاحاً اعلامياً بعرض نسخة طبق الأصل من تمثال « نفرتيتى » الموجود فى المانيا ، ونشرت الصحف ان رأس نفرتيتى فى باريس ، مما حقق اقبالا جماهيرياً على الجناح المصرى ، وفاز الشريف بجائزة عن تصميمه للجناح .

ثم عين عضواً بلجنة المهرجانات التى كان يرأسها وجيه أباظه .. وقد صمم أقواس النصر التى تعبر عن « الاصلاح الزراعى » فى أعياد الثورة ، وكانت تمثل ساقية ضخمة متحركة ..

وفى عام ١٩٥٥ تم اختياره عضواً بلجنة الفنون التشكيلية ثم لجنة ثقافة الطفل فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عند انشائه ، وظل فى عضوية المجلس حتى عام ١٩٧٠ .

وقد واصل الفنان عمله فى الصحافة والمطبوعات والملصقات الحائطية الى جانب عمله استاذاً بكلية الفنون الجميلة ، حتى انتدب مديراً للانتاج الفنى بوزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٦ .. فنظم المسابقات فى فنون الرسم والنحت والعمارة والفنون التطبيقية كان مجموع جوائزها فى آخر مسابقة أقيمت ١٩٥٧ أربعة آلاف جنيه مقدمة لاقرار جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية للفنون الجميلة التى تمنح سنوياً حتى الآن .

كما أقام أول معرض للحضارة المصرية فى مدينة بكين عاصمة الصين عام ١٩٥٦ ، وقد سافر لاقامة هذا المعرض مع المرحوم الفنان عزت مصطفى قبل ان يقع العدوان الثلاثى على مصر ، وكان المعرض مظاهرة اعلامية وحضارية عن الوطن لم يسبق لها مثيل .

وفى عام ١٩٥٧ خلال عمله فى إدارة الانتاج الفنى قام باختيار وفد من الفنانين المصريين لزيارة بولندا حيث اقاموا معرضاً للفن المصرى المعاصر فى « وارسو » و « كاراكوف » .

وفى عام ١٩٥٨ قام بتصميم أجنحة وزارة « الزراعة والاصلاح الزراعى » و « التربية والتعليم » داخل القسم المصرى الكبير فى معرض بروكسل الدولى وكان التصميم الشامل للقسم من وضع الدكتور سيد كريم مع الفنان « فتحى محمود » .. ومعرض بروكسل الدولى يقام مرة كل عشرين سنة تحت شعار تقدم الحضارة فى العشرين عاماً التالية .. كان السابق هو معرض باريس الدولى عام ١٩٣٧ .

وقد وضع تصميمات الاخراج الفنى لمجلة اليونسكو ودوريات اليونسكو الست مع الأستاذ عبد المنعم الصاوى .. وكذلك مجلة المجلة مع الدكتور على الراعى والأستاذ يحيى حقى ، ثم مجلة الفنون الشعبية مع الدكتور عبد الحميد يونس .

كانت ضمن اهتمامات الفنان الاعلانات الحائطية وملصقات الشوارع ، وقد اعتبرها قضية ثقافية حضارية هامة ، فهى تمثل الجانب الجماهيرى المعروض على كل الناس من الفنون الجميلة وتوجيهها يرتبط بالتخطيط العام للمظهر الحضارى للمدينة ، وهذا الأمر يرتبط بتثقيف الجماهير وصقل اذواقهم وفى نفس الوقت يتعلق براحة اعصابهم ، لهذا يعتبر فن الملصقات مسئولية هامة فى طريق الاحتفاظ بسمات الذوق الخاص للمواطنين وارتباطهم بأرضهم وببعضهم .. وقد حاول تفادى أقحام الذوق الأوربى والأمريكى ممثلا فى الملصقات التى تعلن عن الأفلام السينمائية .. وهو يقدم ايطاليا كمثل لدولة حريصة على ذوقها الخاص وعلى مصالح فنانيها ، لهذا أصدرت منذ وقت مبكر قانوناً يمنع استيراد الملصقات الاعلانية عن الأفلام وغيرها من خارج ايطاليا ، ويحتم رسم هذه الملصقات بأيدى فنانين ايطاليين وطبعها فى مطابع ايطالية .. ان هذا النموذج لو تم تطبيقه فى بلادنا العربية ربما ساعد على تأكيد الذوق العربى والطابع المحلى فى فنوننا ابتداء من مئات الصور والملصقات التى يراها المواطنون فى شوارع المدن تعلن عن الأفلام والبضائع .

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ طلب منه أنور السادات وضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣ .. ثم وضع تصميمات مجلة التحرير بالاشتراك مع حسن فؤاد وزملائه .. وفى عام ١٩٥٦ طلب منه خالد محيى الدين وضع تصميمات جريدة المساء .. ثم قام بوضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة الشعب مع صلاح سالم .. وبعد ذلك طلب منه مجلس قيادة الثورة العمل فى اخراج مجلة بناء الوطن ثم « أراب ريفيو » مع أمين شاكر مدير مكتب جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت . وخلال فترة الوحدة المصرية السورية قام بوضع تصميمات الاخراج الفنى لجريدة « الجماهير » التى صدرت فى دمشق مع الدكتور جمال الاتاسى .



النجاشى ورجاله



الفنانة أمينة محمد

وعمل مستشاراً فنياً بهيئة الكتاب ، فقام باعداد جناح مصر فى معرض الكتاب ببيروت عام ١٩٦٤ ثم ١٩٦٦ ، وكان الجناح المصرى أبرز الأجنحة وقد فاز بعدة جوائز عن تصميمه لهذا الجناح .. خلال هذه المعارض توثقت علاقة الشريف بالناشر « محمد المعلم » فأشترك معه فى تأسيس دار الشروق حيث نفذ بعض الأعمال الفنية لكتب ذات صفة خاصة وتعتبر نماذج فى اخراج الكتاب مثل كتاب « كليلة ودمنة » المصور.

وقد حصل الفنان عام ١٩٦٧ على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى كما عمل مستشاراً فنياً فى مكتب الدكتور ثروت عكاشة عندما كان وزيراً للثقافة .

وفى عام ١٩٥٧ أشرف على إنشاء مشروع رائد للثقافة العربية وهو مشروع معهد التذوق الفني ، تأسس المعهد وكان أول عميد له .

ثم طلبته جامعة الملك عبد العزيز بجده لتدريس مادة الاخراج الصحفى بقسم الاعلام . واستمر فى هذا العمل حتى ١٩٨٠ عندما انتقل للعمل كمستشار فنى بمؤسسة « مروة » والدار السعودية للاعلان والكتاب حيث يعمل حتى الآن ، فأشرف على اخراج « المجلة العربية » ثم جريدة « الجامعة » .

صانع النجوم

ولعل أبلغ وصف لشخصية الفنان عبد السلام الشريف هو ما كتبه أحد زملائه الصحفيين عنه يقدمه للقراء عام ١٩٤٨ .. ولاتزال معظم الصفات التى ذكرها تلازمه الى الآن .. قال : « اذا قابلته لأول مرة فلن يوحي لك شكله بأنه فنان عبقرى مرهف .. جسم ممتلىء ووجه أسمر مستدير ، وعينان صغيرتان نفاذتان عليهما منظار غليظ يحجب بينك وبينهما أنف أفطس قليلا وشفتان عريضتان ، ثم جبهة لامعة عريضة يعلوها رأس أصلع تناثرت عليه شعرات خشنة متنافره ..



عود البرسيم

تتعرف عليه ، فيبتسم فى خجل ويتكلم فى حياء ، وتحدثه عن بديهيه من البديهيات فيرفع حاجبيه وصوته فى دهشة متعجباً مما تقول .. تحس انك ترغب فى لقائه مرة ومرات ، فتطلب منه موعداً ، فيشد على يدك فى حرارة مؤكداً سروره بوفاء هذا الموعد ، ويتركك وقد لا تراه الا بعد أعوام .. وفى مصادفة عابرة ..

له بين اللوحة والريشة واللون والقلم مواكب زاخرة بالمجد والنبوغ . فى الصحافة وعلى الشاشة الفضية وبين دور العلم ودور الحكومة .

يرفض عبد السلام الشريف فى تواضع وانزواء أن يوضع اسمه فى اعلان ، أو يكتب فى صحيفة أو يلتصق بقصة فاتنة مشهورة .. الحياة فى قلبه احساس وتجربة ومعرفة ومغامرة ، يحب فيتفانى ، ويهرب من الدنيا بضجيجها وصيحات مجدها الزائلة ، ليجرب الهدوء والوحدة والسكينة تحت سفح جبل أو عند مجرى ماء .. يقرأ ويرحل وينتقل من مكان الى آخر ومن عمل الى عمل ليمتلىء معرفة .

ويتساءل البعض فى دهشه لماذا يفضل عبد السلام الشريف الانزواء عن الشهرة ، وهو الذى يقدم تلاميذه الى دور الصحف يوجههم ويدربهم ويسعى الى ابراز اسمائهم ويدفعهم الى المجد ؟ !

صبحى الشارونى

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

أجاثا كريستي رجل يكتب النقد

الصفحات الثقافية فى الجرائد اليومية العربية هى كأى كائن حي ، ذات مثالب ومآثر ، تخطىء وتصيب ، وتحمد وتذم ، أما إذا كان المسؤول عنها مثقفاً أمياً فهى تتحول الى مزيج من سيرك وملهى ، وتعج بالأقنعة الملونة والأصوات المنكرة ، ولا مكان فيها لوجه حقيقي أو لمغرد يطرب .

وواحدة من هذه الصفحات الثقافية ، نشرت مقالا لمواطن منحته لقب ناقد ، وتناولت بالنقد مجموعة شعرية أصدرها أحد الشعراء الذين يعتبرون أنفسهم طليعيين ورواد الحداثة فى الأدب العربى المعاصر .

وفى مطلع مقاله طرح الناقد بنبرة شرطي متقاعد العديد من التساؤلات المتعلقة بالشاعر ومجموعته الشعرية المطبوعة ، فقال ما يلي :

« أي شعر يكتب ؟ » .
« عن أى قصيدة يبحث ؟ » .
« أى قلق يخلب لبه ؟ » .
« أية لغة يؤسس ؟ » .

ولا يمنح الناقد فرصة للشاعر كي يجاوب بل يسارع الى الجواب قائلا بثقة :
« الشاعر كان ولا يزال ظاهرة خاصة فى الحركة الشعرية الحديثة » .
« عالمه الشعرى شبه وحيد » .
« لغته شبه خاصة » .
« انها لغة رمزية » .
« انها لغة تحقق ذاتها خارج اللغة » .
« انه شاعر يؤسس » .
« انه يكتب وحيداً » .
« انه يؤسس رؤياه الخاصة » .
« وهو رغم وحدته ثابت القدمين على خارطة الشعر العربى » .
« شعره غابة من الرموز والأحاجى » .
« القصيدة لديه أفق رحب » .

« شعره صفا من الأحاسيس الشعورية المباشرة ، ومن ردات الفعل ، ومن الدهشة الفجائية والصدفة والتراكمات الذاتية والتشكيل الصوري ، ليدخل فى التجاذب الجدلى : الروحى - الرؤيوى — الذهنى » .

واذا كانت القصة البوليسية الناجحة تتصف بنهاية مفاجئة غير منتظرة ، فإن النقد الجديد ينبغي له أيضاً أن يختتم ختاماً يدهش ويحير ، وهذا ما حققه الناقد بنجاح باهر اذ قال الآتي في آخر سطور مقالته :

« أعترف بأني قرأت القصائد مرات ثلاثا ، وأعترف بأني لم أقرأها بعد » . فاذا كان الناقد قد كتب نصا لا يقل عدد كلماته عن (١٥٠٠) كلمة مملوأً بالأحكام القاطعة ، فما الذى سيكتبه وأى أحكام سيصدر حين يقر ويعترف بأنه قد قرأ القصائد ؟

لكل أديب متحف

ثمة أدباء عرب يعتقدون أن ما قدموه من نتاج يؤهلهم للخلود ، ويثقون بأن بيوتهم ستتحول بعد وفاتهم الى متاحف ، وستعرض رسائلهم المكتوبة بخط أيديهم فى المزايدات العلنية العالمية ، وستباع بأسعار تفوق أسعار لوحات بيكاسو .

وواحد من هؤلاء الأدباء ، ذائع الصيت فى قريته ، ويؤمن بأن ديستو يفسكى ليس أحسن منه ، وشكسبير لا يفوقه ، ودانتي لايضاهيه ، ولكنه لما كان لا يريد للأجيال المقبلة أن تشقى وتتعب من أجل القيام بواجبها نحوه ، فهو يقرر انشاء متحف خاص به ، ويخصص احدى غرف بيته لتكون مقراً له .

ومن المستحسن زيارة ذلك المتحف والاطلاع على بعض ما يحتويه .

هذا قلم حبر ناشف كتب به قصصه القصيرة التى تحولت الى أناشيد وطنية للشعوب المضطهدة .

وهذه التلال من الورق هى مسودات عنوان أول رواية كتبها .

وهذا فنجان القهوة الذى كان يستخدمه ابان تأليفه للمسرحيات .

وهذه صورة بريجيت باردو التى أحبته بغير أمل بعد اطلاعها على دراساته النقدية .

وهذه رسائل من فولكنر يناشده فيها بأن يرعاه ويرشده ويوجهه .

وهذه بقايا السيجارة التى كان يدخنها لحظة سيبلغ سمعه نبأ منحه جائزة نوبل .

وهذه الثياب الداخلية التي كان يرتديها عندما خطرت له أول مرة فكرة نظم الشعر .



أما هذه الجثث المحنطة فهي نماذج من قرائه .

عيّ صامت خير من عيّ ناطق

من الظواهر الحسنة التى يليق بها اطلاق زغاريد البهجة أن غالبية القصص العربية الموجهة الى الأطفال مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ونجت من اللهجات العامية .

ومن البديهي أن اللغة في قصص الأطفال بالغة الأهمية اذ تستطيع فى آن واحد أن تكون جناحاً أو قدماً مغلولة بالوحل ، وحين تكون سليمة بسيطة مستساغة موحية تتحول الى أداة تحبب الطفل الى لغته ، وتجعله يثق بطاقاتها على التعبير ، أما إذا كانت سيئة ركيكة معقدة مملوءة بالحشو والثرثرة ، اعتقد الطفل أن لغته القومية عاجزة ، ووجد نفسه يعاملها كأنها خصم سمج آن له أن يرحل .

والتجديد فى لغة النصوص القصصية الطامحة الى مخاطبة الصغار يتحقق عن طريق مقدرة اللغة على نقل ما يريد الكاتب قوله وايصاله الى القراء الصغار بأقل عدد ممكن من الكلمات ، أما أن يفهم التجديد على أنه ارتكاب لأخطاء لغوية فاحشة ، فهذا تجديد مرفوض ومدان .

وقد قابلت يوماً كاتباً كتب بضع قصص للأطفال ، احداها تصف عيني بنت صغيرة ، وتقول عنهما إنهما جميلة ، فقلت له : « كان ينبغى لك أن تقول : عيناها جميلتان ، وهذا هو الصواب لغوياً ، والأجمل وقعاً على الأذن » .

فحدق الي بوجوم مفكراً بينما سارع ناقد كان يمشي برفقته الى مناقشتى بانفعال شديد ، واستهل نقاشه بالتساؤل صارخاً بنزق : « الى متى سنظل عبيداً للغة ؟ أما آن لنا أن نتمرد ؟ » .

فقلت له بخوف : « اكتبوا للكبار ما شئتم ، أما الصغار فاتركوهم ولا تشوهوا لغتهم » .

فغضب الناقد كأنى شتمت أمه ، وشرع فى التنديد بموقفى الفنى المتخلف ، مستنجداً بكل ما قاله الفلاسفة ، فألقمني حجراً ، وألقم القراء الصغار أحجاراً من سجيل .

كل ذات ذيل تختال

فى مقابلة أجراها مع احدى المجلات الأسبوعي قال كاتب لا يعرف أي لغة أجنبي إنه تلميذ لجيمس جويس ، فكان جوابه مفاجأة غير سارة أحبطت آمال المعجبين به منذ أن كان فتياً ، فهم كانوا يتوقعون منه أن يقول أن جيمس جويس هو مجرد تلميذ له ولاسيما أن جيمس جويس أجنبي وهو عربي قح .

ولعل الكاتب يبادر الى الاذعان لرغبات المعجبين به منذ أن كان فتياً ، ويتخلى عن تواضعه الذميم ، ويزهق الباطل فى مقابلة أخرى تجرى بغير ابطاء دفاعاً عن أصالة الأدب العربي ، فالهزائم فى ميادين الحرب باتت مألوفة عادية مملة ، أما الهزائم في ساحات الأدب فهى التى ستجلل هامات الأحفاد بعار لا يمحوه الا الدم المراق من غير حساب ، وقد ذل من لا سيف له .

من لم يركب الأهوال لم ينـــل الآمال

تزايدت فى الآونة الأخيرة الأخبار التى تنشرها الصحف والمجلات العربية عن محاولات ترمي الى ترجمة الشعر العربى الحديث الى لغات أجنبية .

وتلك الأخبار تستحق الترحيب بها بحماسة ، فالأجنبي حين يسمع كلمة « عربي » ، يتخيل فوراً خياماً وجمالا وصحارى وآبار بترول وانقلابات وملايين تنفق فى الملاهي ونوادى القمار .

انه لحدث تاريخي جلل أن يترجم الشعر العربى الى لغات أجنبية ، ولكن الخطوة الأولى الذكية المتصفة بالواقعية تقضي بأن يترجم ذلك الشعر الى اللغة العربية أولا لأن معظم ما ينشر على أنه شعر حديث مجرد كلمات مبهمة يعجز ناظمها عن تأويلها .

ولا تأويل لها .

لا حول ولا قوة لا بالله

الأدباء العرب فى العديد من أقطارهم ينعون ببالغ الأسف والأسى فقيدهم المأسوف على شبابه :

الابـــداع

وقد انتقل الى رحمة الله تعالى بعد أن حرم الحرية طويلا .

تغمده الله بواسع رحمته ، وانا لله وانا إليه راجعون .

تقبل التعازي شخصياً أو هاتفياً أو برقياً .

الدنايا ولا المنايا

كتب أديب عربى معروف محرضاً الناس على نبذ الخوف وممارسة حقهم فى التعبير عن آرائهم وأفكارهم ، واختتم تحريضه النبيل القصد بالنصيحة التالية : « قولوا ما تريدون لمن تريدون كما تريدون متى تريدون » .

فهل سينصت الناس لهذه النصيحة ويعملون بها أم أنهم قد تعودوا أن يقولوا مالا يريدون لمن لا يريدون وكما لا يريدون ومتى لا يريدون ؟

ومن المؤكد أن السحب حين تمطر لا تطلب إذناً مسبقاً من الأرض .



من روائــــع
الفـن العـالــمي

بقلم: جمـــال قطـب

سحر الشـرق
بين العصافير والصقـور



الفنان العالمى رينوار

تناولنا على هذه الصفحات من قبل عشرات من روائع الفن العالمى وسير الفنانين العظام الذين أضافـوا بلمساتهـم العبقريـة آفاقـا رائعة رحبة فى عالم الإبداع الرفيع ، وكان لفناننا (أوجست رينوار) نصيبا وافرا من التنويه والتحليل والاشادة بفنه على صفحات مجلتنا (الدوحة) .. ولاشك أنه أهل لهذا الاهتمام الكبير ، لأن أسلوبه قد جمع بين طلاوة الشكل وجمال المعالجة وانسجام الألوان وتناسق التكوين فى غير شطط أو مغالاة أو إغراق فى فلسفة التعبير الرمزى عن اللاشعور أو الرؤية الذاتية .. إلى آخر هذه النزعات المستحدثة .. فكان يرى أن اللوحة – قبل كل شيء – بصرية جميلة .. ومما انفرد به رينوار ، أنه اكتشف الوحدة والتناسق بين الخط واللون والأحجام والأضواء ، وكان يوازن فى أسلوبه التأثيرى بين الألوان الساخنة والباردة ، ويجمع بين طريقة التأثيريين وأساليب العباقرة القدامى مثل فنان الشمال الأوروبى الشهير (روبنز) .. أما من الناحية الموضوعية ، فقد رفض منهج التأثيرية الخالصة واهتمامها الأساسى بالمناظر الطبيعية ، ولجأ إلى تصوير الحياة من حوله فى مرحها وبهجتها ممثلة فى النساء الجميلات والزهور والأطفال .. حتى عرف فى تاريخ الفن بأنه من أساطين فن رسم الصور الشخصية **Portraits** للمجتمع الفرنسى فى عصره ، ولعله بذلك قد انفرد بمنهجه هذا عن باقى أقطاب المدرسة التأثيرية التى قامت أساساً على رسم المناظر الطبيعية الخلوية .. وتعتبر لوحاته التى رسمها فى السبعينات من القرن الماضى (التاسع عشر) وحتى وفاته عام ١٩١٩ سجلا حافلا للحياة الفرنسية وشخصيات المجتمع وعاداته وتقاليده... وجمالياته المبهجة .

وتعتبر لوحته التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة والتى تحوى بجانب توقيعه تاريخ رسمها عام ١٨٨٠ وأسماها (الطفلة الصغيرة مع الصقر) واحده من اهم أعماله التى استوحاها من زيارتيه للجزائر عام ١٨٨١ و ١٨٨٢ .. وهنا سيتبادر الى الذهن – فورا – التاريخ الموقع على اللوحة عام (١٨٨٠) كيف ..؟ !

هل نتصور ان هذه اللوحة كانت مثار تعليق وتحليل بين المؤرخين والنقاد والفنانين .. وتبارى كل منهم فى التبرير أو التشكيك فى صحة هذا التاريخ .. ومن الطريف أنهم – باختلافهم هذا – قد أضافوا الى المكتبة العالمية أبحاثاً قيمة تناولت بالتفصيل حياة الفنان وزياراته للجزائر وتأثره بسحر الشرق كغيره من الفنانين الأوروبيين الذين نزحوا الى بلادنا العربية (ولاسيما مصر والشام والمغرب العربى) ، ونشأ بذلك فن عالمى شهير ازدهر فى القرن الماضى وسمى **Orientalism** ، وكان من أهم الفنانين العظام الذين تأثروا فى أعمالهم بجو الشرق وكنوزه الإلهامية : آنجر وديلاكروا ورينوار وجيروم ولويس وجروز ومولر وفرومنتان دبيلى وهولمان وماتيس .. وعشرات غيرهم .

نعود الى رينوار ولوحته (الطفلة الصغيرة مع الصقر) فنجد أنها بلاشك مستلهمة من وحى الشرق العربى .. ومن التساؤلات التى أثيرت حولها .. هل رسمها رينوار قبل زيارتيه للجزائر متأثراً بما سمعه وما رآه من صور زملائه ؟ .. أو أن اللوحة قد أجريت عليها بعض الترميمات وتعذر معه قراءة التاريخ الحقيقى (الذى هو فى الغالب ١٨٨٢) مما اضطر المرمم أن يكتبه بالتقريب وينشأ هذا اللبس ؟ .. أو أن تاجر اللوحات الشهير (ديران) الذى كان يشترى أعمال التأثيريين قد اشترى ضمن أعمال رينوار لوحته التى رسمها قبل ذلك بباريس باسم البنت والعصفور عام (١٨٨٠) ، وطلب من الفنان أن يغير العصفور الى صقر صغير ، لكى تروج بضاعته عند هواة جمع اللوحات الشرقية المستوحاة من رحلته الى شمال أفريقيا آنذاك ؟ افتراضات وتساؤلات كثيرة أثارها النقاد حول هذا التاريخ ، لماذا ؟ لأن العمل من إبداعات .. رينوار العظيم .. ولذلك استحق كل هذا الاهتمام .. وما زال الجدل محتدماً ليلقى أضواء جديدة على حياة هذا الفنان الخالد .. لقد بيعت إحدى لوحاته الصغيرة مؤخراً بمبلغ سبعة ملايين من الدولارات ، وعلقت إحدى المجلات الفنية المتخصصة بقولها : إنها خسارة عظيمة لمن باعها ، وكسب عظيم لمن اشتراها .. لقد اشترى قطعة من تاريخ العبقرية الفذة التى لن تعود أبداً !



الطفلة الصغيرة مع الصقر.. لوحة أثارت عدة أسئلة حول الفترة التى رسمها فيها الفنان العالمى رينوار

السياسى أى سياسى محكوم عليه بمغادرة الساحة بعد سنوات قصرت او طالت . وهو يمكن أن يكون له أعداء كثيرون ، لايرحبون بمنطقه السياسى ، ولا يطيقون حتى رؤيته ، هذا المنطق يفهمه رجال المخابرات خير فهم . وهم لذلك يدخلون إلى قلوب الملايين فى كل أنحاء العالم بصور النجوم الذين يكون ظاهرهم الفن وباطنهم السياسة . هؤلاء النجوم هم جواز مرور رجال المخابرات إلى عشاق الفن والغناء والرقص فى جميع أنحاء العالم . من هنا تبرز صناعة من أهم الصناعات وأخطرها هى صناعة النجوم . وخير مثل على ذلك ترافولتا ومايكل جاكسون . إن أى واحد منهما أهم وأخطر تأثيراً من أى شخصية سياسية على الاطلاق . وهذه الدراسة تدخل إلى هذا العالم الخفي ، حيث يتم صنع النجوم بفعل أجهزة المخابرات .

نجوم في الظاهر سياسيون في الخفاء

- الفنانون اللامعون موظفون غير عاملين في المخابرات الدولية
- جين فوندا تعارض أمريكا في حرب فيتنام وتؤيد إسرائيل في حرب لبنان
- فرانك سيناترا ودوره المشبوه مع عصابات المافيا

بقلم: محمود قاسم

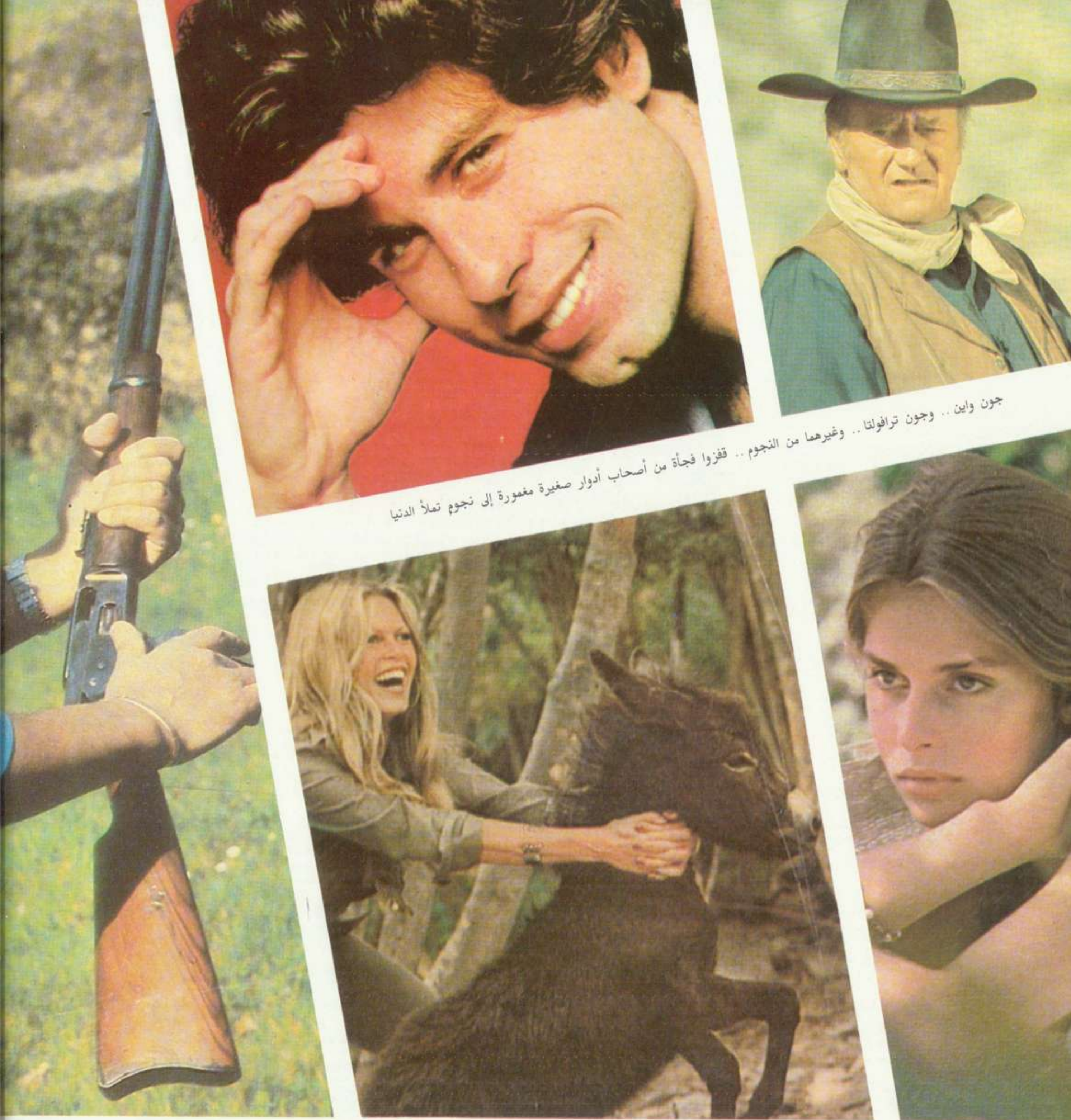
عدة لقطات لفرانك سيناترا المطرب الذى صنعته الدعاية يوما ما .. ثم لقطة أخرى لمايكل جاكسون النجم الذى يقلده اليوم الكثير من شباب العالم فى ملابسه ونهج حياته



جلست أشاهد فيلماً بعنوان « البقاء حياً » قام ببطولته الراقص والممثل والمطرب المعروف جون ترافولتا ، وأخرجه سيلفستر ستالوني . وليس الفيلم بالطبع هو أحد الأفلام السياسية التي تمجد العقلية الأمريكية سواء عسكرياً أو اقتصادياً وتحقر من العقليات الأخرى كما اعتدنا . ولكن الفيلم لا يتعدى أن يروى قصة بسيطة لشاب يسعى إلى تحقيق نجاح كراقص ، وتحبه احدى زميلاته وتساعده أن يصبح الراقص الأول ، بينما هو يتطلع إلى الراقصة الأولى فى الفرقة . على الفور تبادر إلى ذهنى كيف حاولت شركات هوليوود أن تصبغ الحياة المعاصرة كلها ــ وليست الأمريكية فقط ــ بهذا الشاب الذى ألهب مشاعر الشباب ، وجعلهم يندفعون إلى ما سمى بنوادى الديسكو يقلدونه فى جنون ... أليس ترافولتا اذن شخصية سياسية أمريكية من الدرجة الأولى ؟ .

النجم المفضل

تمتع النجوم الأمريكيون الكبار أمثال جون ترافولتا بأهمية تفوق أهمية الرئيس الأمريكى ، نفسه . فشباب العالم لا يقلدون الرئيس الأمريكى ،ولكنهم يقلدون ترافولتا فى تسريحة شعره وبخترته أثناء السير والترنم بأغانيه . ويعيشون جل أوقاتهم مع صور نجومهم المفضلين المنتشرة فى غرفهم ، وأغانيهم التى تنبعث من



جون واين .. وجون ترافولتا .. وغيرهما من النجوم .. قفزوا فجأة من أصحاب أدوار صغيرة مغمورة إلى نجوم تملأ الدنيا

ناستازيا كينسى من أحدث النجوم التى تتركز حولها الأضواء .. وبريجيت باردو التى اعتبروها فى أحد الأيام ثروة قومية فرنسية !

آلان ديلون .. ضابط فرنسى فى الجزائر

مسجلاتهم ويرتدون ملابس أشبه بملابسه . وربما ينتهجون نفس النهج الذى يسير عليه فى حياته . فلعلنا نذكر كيف تمت صناعة جون ترافولتا فى السنوات الأخيرة من السبعينات . فبعد أن كان نجماً مغموراً يقوم بأداء أدوار صغيرة فى أفلام أقل قيمة ، إذا به يقفز إلى مستوى النجوم التى نعرفها جميعاً من خلال فيلم « حرارة ليلة السبت » ..

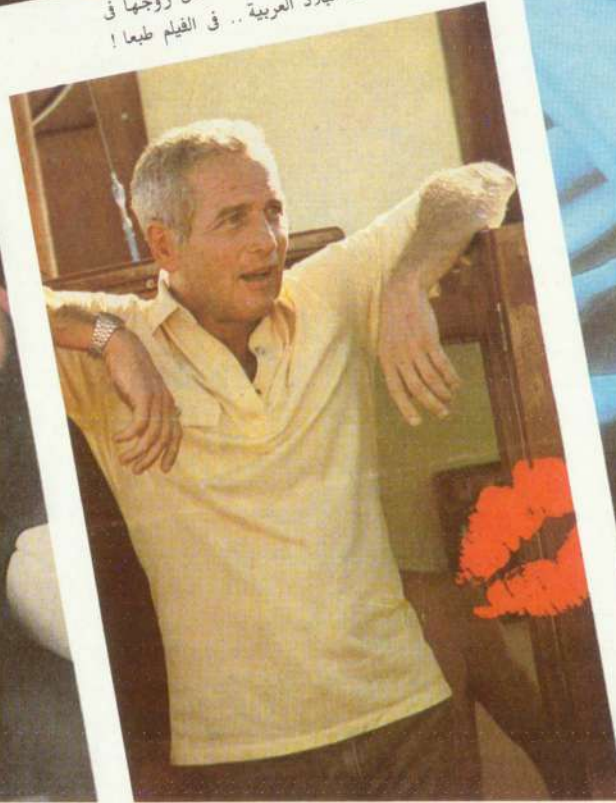
فجأة انتشرت صور النجم وأخباره وقصص حبه وطريقته فى التبختر سيراً وأسلوبه فى ارتداء الملابس وتسريحة شعره وأغانيه ــ وهو فى الواقع مطرب متواضع ــ فى جميع أنحاء العالم . وجدت هوليود أن عليها أن تصنع نجماً يعيد إلى الاذهان صور نجوم سبق أن ولعت بهم الجماهير ، واستطاعت هوليود أن تغزو به العالم وتصدره إلى

كل الدنيا . رغم أن ترافولتا ليس الممثل الجيد مثل بعض نجوم السبعينات كروبرت دى نيرو وآل باشينو وداستين هوفمان . وليس المطرب الصداح مثل فرانك سيناترا وبنج كروسبى ، وليس الراقص المبدع مثل فريد أستير وجين كيلى . وليس النجم الوسيم مثل كلارك جيبل وتايرون باور . ولكن كل هؤلاء فقدوا بريقهم لسبب أو آخر . وعلى هوليوود





صوفيا لورين : تبحث عن زوجها فى أحد البلاد العربية .. فى الفيلم طبعا !





كيرك دوجلاس .. أحد نجوم السينما المدافعين عن اسرائيل !

بول نيومان .. وزيارات دائمة لاسرائيل !

دائما أن تصنع نجمها الذى يمثلها فى كل أنحاء العالم ، خاصة أن صناعة نجم بهذه الصورة تحتاج إلى مجهود شديد وتصحبها دعاية بالغة التكاليف . وإذا كان ترافولتا قد رقص فى هذا الفيلم بخفة ورشاقة ورقة ، فان الممثلة التى قامت ببطولة الفيلم أمامه كارين لين جورنى قد رقصت بنفس القدر ، واستراح الجمهور لوجهها الرومانسى البرىء . لكن بدا أن الضوء لابد من تسليطه على ترافولتا . ومن ناحية أخرى على فرقة البى جيز التى عزفت له الأغانى وغنتها كى يرقص على أنغامها .

وزحف النجم الشاب بسرعة غريبة إلى قلوب الشباب فى جميع أنحاء العالم . وأصبح اسمه على كل لسان . ولم تخل مجلة أو صحيفة فى العالم من الحديث عن شبابه وأمجاده وعن حياته الخاصة ، وكيفية أداء الرقصات التى قام بها ، وأخبار غرامياته وسفرياته ونشاطه الفنى . وتصدرت صوره جميع المجلات ، ليست الفنية فحسب بل السياسية والاقتصادية أيضاً . فهو بهذا شخصية سياسية ، وله أثر على تنشيط الاقتصاد القومى . فهو يدر الأموال على بلاده البالغة الثراء . وانطلقت

نجوم في الظاهر سياسيون في الخفاء

هوليود بلا هوادة ، عليها أن تصنع أفلاماً جديدة لموجة الديسكو التى ظهرت بحرص . فعلى ترافولتا أن يجلس على عرشه وحده لا ينافسه نجم آخر . والغريب أن أفلام الديسكو التى ظهرت فى هذه الآونة كانت البطولة فيها جماعية مثل فيلم « الساحر » لسيدنى لوميت و « شكراً لله . فاليوم الجمعة » .

وقبل أن ينتهى عرض فيلم ترافولتا الأول ، دفعت الشركة المنتجة — ونفس المنتج روبرت ستايجوود — بفيلم آخر لنفس النجم بعنوان « شحم » حاول فيه أن يدفع بنجمة لها نفس الصفات بجانبه كى يشكلا معاً ثنائياً هى اوليفيا نيوتن جون . الا أن « شحم » لم يلق نفس النجاح الذى ناله الفيلم الأول ، رغم أن ترافولتا خاض فيه لأول مرة تجربة الغناء . ولم يكن لأحد أن يتصور أن ترافولتا قد بدأ فى الأفول ، وأن على هوليوود أن تسعى لتقديم نجوم جدد يحتلون نفس المكانة .

عصر الديسكو

حاول ترافولتا وستايجوود المراهنة على أن عصر الديسكو سوف ينتهى ، وأن النجم الجديد يمكنه أن يجذب الجماهير مهما قدم لها .. وظهر النجم الشاب يتبختر فى فيلم « لحظة بلحظة » حول قصة حب حقيقية عاشها قبل أن تواتيه الشهرة . الا أن الفيلم فشل فشلا ذريعاً . ولم يصدق النجم الشاب فشله فكرر التجربة المرة تلو الأخرى فوجد الجمهور يتناساه لأنه قد أحبه رشيقاً يغنى ويرقص أمامه .. وفى العام الماضى سعت الشركة المنتجة إلى إحداث النجاح بأى طريقة . فقدمت فيلماً جديداً جمعه أمام اوليفيا نيوتن جون بعنوان « اثنان من هذا الطراز » . لكن الفيلم لم يحقق النجاح المطلوب . وهنا فكرت الشركة أن تعيد تقديم الشاب على المنوال الذى أحبته به الجماهير ، وأن يظهر أمامها بنفس الصورة التى أعجب بها فى أول الأمر . فقدمت له الجزء الثانى من فيلمه « حرارة ليلة السبت » فى نفس الأجواء الاستعراضية ، لكن بعيداً عن أجواء الديسكو التى انتهى زمنها . فترافولتا لم ينجح فى الفيلم الأول الا عندما رقص وحده على الحلبة . وبدأ فى أحسن حالاته كراقص وهو يرقص وحده على خشبة المسرح ، بعد أن اندمج تماماً فى الرقص فى « البقاء حياً » الذى وقف فيه من جديد أمام ممثلة مغمورة كى يتفرد بصورته كنجم وحيد . وفى النهاية نراه يسير متبختراً فى شوارع نيويورك ، بينما تنطلق موسيقى أغنية « البقاء حيا » التى كانت أحد عوامل نجاح الفيلم الأول .

ويعود ترافولتا من جديد إلى رجل سياسة له من الأهمية مالم يستطع أن يتمتع به الرجل الأول فى البيت الأبيض . فاذا كان الرئيس هو دائماً الواجهة الحلوة لأمريكا : ابتسامة وجاذبية وصحة وتألق وبلاغة ، فان النجم لابد أن يكون أكثر جاذبية وتألقاً ، فالنجم الأمريكى هو السفير الذى يتسلل إلى كل البيوت فى العالم . وإذا كانت شخصية الرئيس الأمريكى هى غالباً موضع التركيز السياسى والاعلامى فان النجوم شخصيات محبوبة يتعاطف الجمهور معهم دائماً ويفضلهم ألف مرة على جميع الوجوه السياسية .

وإذا كنا قد نسينا بعض الشيء تغلغل ترافولتا داخل حياتنا ، فان هوليوود قد سعت خلال عام ١٩٨٤ إلى صناعة نجم آخر أقل موهبة وجاذبية ، لكن لابد من صناعة نجم مهما كان الأمر ، وهو المطرب الزنجى مايكل جاكسون الذى تغلغل أيضاً إلى البيوت فى كل الانحاء ، وتحول بين ليلة وضحاها إلى معجزة القرن العشرين لدرجة أن عشرات المجلات العربية قد شرعت خلال الأشهر الماضية فى نشر مذكراته (! !) وصوره بطريقة بالغة الكثافة .

هذا النجم اللامع للغاية يمثل فى المقام الأول سياسة أمريكية خارجية . ويمكن أن نعتبر أن كل نجم جديد يتم تلميعه بهذه الصورة هو موظف غير عامل فى وزارة الخارجية الأمريكية ، رغم أنه لا يتقاضى عن هذه الوظيفة أى أجر . فهو ينقل السياسة الأمريكية إلى كل أنحاء العالم . وإذا كنا قد تناولنا ترافولتا كنجم فانه فى العامين الماضيين حاولت السينما الأمريكية أن تصنع نجماً من نوع خاص فى وقت لم يكن فيها نجم لامع مثلما نرى الآن مايكل جاكسون . هذا النجم هو دمية دميمة الشكل جاءت من الفضاء اسمها « اى . تى » التى زحفت الى قلوب الصغار والكبار على السواء . وهذا العام قدمت السينما الأمريكية شخصية أخرى هى « أنديانا جونز » . المغامر الجرىء المقدام ، والمتفوق دائماً على كل الأجناس الأخرى .

ولا يشترط أن يكون النجم الأمريكى أمريكياً تماماً . فمن ايطاليا جاء فالنتينو وترافولتا . ومن مصر عمر الشريف . وفشلت الولايات المتحدة فى التعامل مع نجوم أوربا مثل آلان ديلون وبريجيت باردو . لأنهم رفضوا أن يكونوا أمريكيين . ورغم أن جيمس بوند عميل انجليزى الا أننا نشعر أنه أمريكى من الدرجة الأولى . وفى بعض الاحيان تعطى السينما الأميريكية الاحساس بأن هؤلاء النجوم الوافدين ليسوا أمريكيين . وفعلا فإنها تسند إليهم أدوار الشخصيات الأجنبية فى الأفلام الأمريكية مثل روبرت دى نيرو الذى يؤدى دائماً دور الايطالى المهاجر إلى الولايات المتحدة مثل دوره فى « الأب الروحى » و « ثور هائج » و « حدث مرة فى امريكا » .

دور سياسى

وإذا كان بعض الفنانين الأمريكيين يلعبون على المستوى الأمريكى الداخلى دوراً سياسياً ، فإن الدور السياسى الذى يلعبه النجوم الأمريكيون معروف مثل وقوف كيرك دوجلاس ضد القضية العربية على خط مستقيم . والزيارات المتكررة التى تحمل الطابع السياسى لنجوم أمريكيين كبار لاسرائيل ودفاعهم عن سياستها سواء فى مواقفهم أو فى جمع التبرعات أو فى تمثيل أفلام تدين العرب وتدافع عن اسرائيل واليهود مثل اليزابيث تايلور وبول نيومان وجين فوندا . وتهتم الصحافة العالمية كثيراً بهذه الزيارات وتبرزها فى عناوينها وواجهاتها . وإذا اخترنا كيرك دوجلاس كمثال فهو الذى أدى شخصية الجنرال الأمريكى الذى يدافع عن المصالح الاسرائيلية فى فيلم « ظل العملاق » ١٩٦٦ . كما أدى دور الأمريكى الذى هاجر إلى اسرائيل ليعمل حاوياً متجولا على لمتحدة . ولأن الانطباعات عن نفس النجم تتراكم فيمكن لهذه الصور أن تمتزج بنفس الصور التى عرفت عنه كبطل يبحث عن العدالة والحرية فى «سبارتاكوس» و « طرق المجد » ومناضل ومحارب ماهر فى أفلام أخرى له .

هذا الأمر يمكن أن يذكرنا بنجم آخر هو جون واين أو عملاق الغرب . فقد انطبعت صورته لدى الجمهور بأنه العادل الذى يسعى لمحاربة الظلم دائماً سواء ارتدى ملابس راعى البقر يجوب الصحراء الأمريكية ، أو الجنرال الأمريكى الذى يدافع عن المصالح الامبريالية فى فيتنام فى فيلم قام ببطولته واخراجه عام ١٩٦٩ بعنوان « ذوى البيريهات الخضراء » . كما أن جين فوندا التى دافعت عن الحرية ، ووقفت ضد سياسة بلادها ابان غزو فيتنام وقدمت أفلاماً عديدة تدين هذا التدخل الأمريكى . نفس هذه المرأة — المناضلة ! — سافرت إلى جنوب لبنان تبارك الجنود الاسرائيليين بعد غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ . وقد يهمنا أن نؤكد على سلوك النجم ، لكن الأهم هو الانطباع الذى يلتصق بأذهان جماهير هؤلاء الفنانين . فالنجم موجود دائماً بصورة الرجل الأفضل فى أذهانها . ومثل هذه الزيارات السياسية تؤيد أنه فى رحلة للدفاع عن العدالة . والجمهور العادى فى أغلب الأحيان ليس سياسياً ، لكن يهمه

● ديجول يعتبر بريجيت باردو أهم ثروة اقتصادية في فرنسا

بالدرجة الأولى أن يتابع أخبار نجمه المفضل . وهكذا يلعب النجم دوراً سياسياً بالغ الحساسية ، ربما أكثر من محترفي السياسة .

وفي داخل الولايات المتحدة . قد تنشر — في بعض الأحيان — كتب عن تورط نجوم معروفين في أعمال سياسية مشبوهة . الا أن هذا لا يؤثر بدرجة أو بأخرى على شهرتهم وحب الجماهير لهم . فمنذ سنوات نشر كتاب عن ايرول فلين وتورطه لحساب المخابرات الأمريكية كجاسوس مزدوج . أما فرانك سيناترا فهو معروف كاحدى الشخصيات المشبوهة التي تلعب دوراً بالغ الحساسية في أنشطة عصابات المافيا ، الا أن هذا لم يؤثر على شهرته . بل إنه صديق شخصي عزيز جداً للرئيس الأمريكي رونالد ريجان . كما نشرت مقالات تحاول ادانة جريتا جاربو وماي وست .. لكن حب الجماهير لم يقل .. بل ربما زاد ..

بطل قومي !

لم تقل شهرة أحد بعد فضيحة سياسية مثلما يحدث عادة مع رجال السياسة . وهنا نرى إلى أي حد تبلغ حساسية الدور السياسي الذي يلعبه النجم . قد تكون هناك حالات استثناء قليلة لكنها لا تتعلق بدوره السياسي أو بفضائحه السياسية . بالعكس فقد ينظر اليه في بعض الأحيان على أنه بطل قومي .

والذي يساعد هؤلاء النجوم اللامعين في الولايات المتحدة وجود أجهزة اعلامية ضخمة تعمل على تلميع النجم وبنائه في أذهان الجماهير وتخلق حوله هالات من الأساطير المتلاحقة والشائعات العاطفية كي يكون في ذهن جمهوره بصفة مستمرة ، ومن هذه الوسائل اطلاق أسماء معينة عليه مثل « الأسطورة » و « معبود الجماهير » . والاهتمام بدوره في الحياة الفنية والسياسية والاقتصادية ، ودرجة ثقافته .. ومن هوليوود تنتقل العدوى إلى دول أوروبا التي من العجيب أنها تبدو شرهة للنجوم القادمين من الولايات المتحدة ربما أكثر من نجومها هي ، والعجيب أن أوروبا تعتمد في صنع نجومها على هوليوود . بل انها تدفع بنجومها إلى هناك كي يصبحوا أكثر انتشاراً خاصة في مجال السينما والطرب . ثم يتم تصديرهم إلى أوروبا مرة أخرى . والغريب أن الصحافة الأوروبية تزيد من شهرة هؤلاء القادمين من الولايات المتحدة ، بينما هي أقل خبرة في صناعة نجوم لهم نفس بريق النجوم الأمريكيين . ربما لأنه ليست هناك مؤسسات خاصة تحتكر النجم وتتعاقد معه للعمل لسنوات طويلة وتتولى الرعاية له بكل صورها .

وهناك حالات نادرة لشهرة بعض الأوربيين الذين لمعوا في بلادهم ، مثل بريجيت باردو التي اعتبرها ديجول أهم شخصية سياسية فرنسية ، وأنها أهم أسباب ازدهار الاقتصاد الفرنسي . أما صوفيا لورين فقد لمعت في بلادها أولا . وأرسلت هوليود إليها نجومها الكبار ليعملوا أمامها في ايطاليا مثل كلارك جيبل وكاري جرانت وانتوني كوين . الا أن السينما الأمريكية عندما اختطفتها جعلتها تارة تقوم بدور امرأة اسرائيلية تبحث عن زوجها الخائن الذي رحل إلى سوريا قبل حرب ١٩٤٨ في فيلم « جوديث » عام ١٩٦٣ ، ودور الجاسوسة التي تعمل ضد مصالح العرب في فيلم « ارابيسك » عام ١٩٦٧ .

أما بقية النجوم الذين حاولت هوليوود اختطافهم من أوروبا مثل آلان ديلون وكلوديا كاردينالي وايف مونتان فانهم لم يضيفوا هناك إلى نجوميتهم شيئاً . وعادوا إلى بلادهم بخفي حنين ومارسوا نفس الدور . والجدير بالذكر أن أكثرهم لم يلعب دوراً سياسياً مباشراً مثلما يلعب الأمريكيون خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية .

ونجوم الاستعراض والطرب هم دائماً الأكثر جاذبية في هوليوود . والغريب أن عمر هؤلاء النجوم قصير . وهم أشبه ببريق الرعد سرعان ما يلمع ثم ينطفيء ، وقليلون هم الذين يستمرون نجوماً . ولعل شيللا المطربة الفرنسية قد حققت هذا اللمعان بسفرها إلى هناك ، وأصبحت سفيرة لبلادها في برودواي . لكن السينما لم تهتم بها هناك مثلما حدث في بلادها .

والدور السياسي للنجوم في أوروبا أقل منه جدا من الولايات المتحدة . فانتشارهم العالمي أقل . وآلان ديلون لم يؤد دوراً سياسياً الا أنه دافع عن الرئيس السابق جيسكار ديستان في حملته الانتخابية الأخيرة ، والغريب أنه عندما عمل لصالح السينما الأمريكية أسندت إليه دور الضابط الفرنسي الذي يحارب في الجزائر في فيلم « القائد الأخير » عام ١٩٦٥ . أما ايف مونتان فهو يزحف نحو كرسي الرئاسة ببطء — والغريب أن أكثر الأوروبيين الذين يلمعون خارج القارة هم من اليهود مثل مونتان وبولانسكي . أما آخر هؤلاء الذين تم صناعتهم فهي ناستازياكينسكي التي تزوجت من المنتج المصري ابراهيم موسى ، ولم يبرز لها دور سياسي حتى الآن .

وأغرب وأطرف تفسير لما يتمتع به مايكل جاكسون من شهرة تصدر إلى أنحاء العالم أنه قد تم صناعته في نفس الوقت الذي تنشر فيه الولايات المتحدة أسلحتها في غرب أوروبا ، كي يمتص الغضب العام الذي يمكن أن يحدث ازاء مثل هذه الخطوة .

والأكثر غرابة أن هوليوود تسعى إلى جذب بعض النجوم اللامعين المعروفين في خارج امريكا إلى عالم الغرب المبهر ، وتأويهم سياسياً وتعمل على تلميعهم — وأكثرهم من نجوم الأدب والباليه — وتصبح لهم شخصية سياسية أكثر منها فنية . فهم واجهة للهجوم على اضطهاد الفنان في بلاد أخرى . وقد قلل هذا من شهرة بعض الفنانين خارج بلادهم ، وترك للولايات المتحدة الميدان خاليا لصناعة ماتشاء من نجوم ، وفرض ماتراه ، وتشكيل الدور الاجتماعي والسياسي المباشر وغير المباشر للفنان .

لكن ماذا عن صناعة النجم في عالمنا العربي ؟ ليست هناك جهة معينة تسعى إلى صناعة النجوم بصفة دائمة والسعي إلى تلميعهم . وبالتالي ينتفي الهدف السياسي المباشر من دور الفنان الا في حدود ضيقة للغاية . وصناعة النجم العربي أمر متروك للاجتهاد الفردي وللصدفة البحتة . ففي وقت ما يمكن أن نجد النجم الذي يلعب الدور السياسي بالمفهوم الذي قدمناه . وقد يمكن لمرحلة سياسية معينة أن تصنع نجومها الذين يعبرون عنها مثل عبد الحليم حافظ الذي كان الوجه المعبر عن ثورة يوليو ابان الخمسينات والستينات .

وقد لعبت فيروز دوراً رائعاً في الازمات السياسية التي مرت بها الدول العربية . فلم تغن فقط للبنان في محنته . بل لكل العرب في الغربة وفي بلادهم . وفي السينما تتغير الأمور . قد يكون هناك نجم مشهور صنع نفسه بعصامية ، ويمكنه أن يقوم بدور الشخصية السياسية أو المناضلة مثل الادوار التي جسدها محمود ياسين كمحارب في حرب اكتوبر في عدة أفلام ، وأدواره السياسية في أفلام عديدة واشتراكه في العديد من جمعيات الخدمات في المجتمع . وفي السنوات الأخيرة انطبع نور الشريف في أذهان الجماهير بمنظور الفنان الملتزم سياسياً . وهناك بعض الادوار الهامة التي لعبها الفنانون بزيارة جبهات الحروب ، والوقوف إلى جانب شعبي فلسطين ولبنان في اقامة ندوات والقاء قصائد الشعر . لكن أحداً لم يقم بتمثيل فيلم واحد عن القضية اللبنانية أو الفلسطينية ، كما أن هناك بعض الاجتهادات الخاصة من فنانين مثل دريد لحام لكنها في حاجة إلى مؤسسة خاصة تهتم بصناعة النجوم ..

محمود قاسم

مهرجان دمشق التاسع للفنون المسرحية

مناقشات ساخنة حول العروض المسرحية للفرق العربية

بقلم: خالد زيارة



مشهد من مسرحية «المركب» التى عرضها المسرح الوطنى الليبى خلال العروض المسرحية فى مهرجان دمشق



جمع من المشاهدين للمسرحية القطرية «ياليل ياليل» تتوسطهم السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد السورية، وسفير دولة قطر بسورية فهد الخاطر، ومدير إدارة الثقافة والفنون فى قطر موسى زينل

- هل كانت الموسيقى الغربية فى مسرحية «الزير سالم» دخيلة على العرض؟
- ماذا قدم الحكواتى فى مسرحية «رأس المملوك جابر» لسعد الله ونوس؟
- ماذا عن مواويل المسرحية القطرية «ياليل ياليل» ودورها فى تأكيد المضمون؟

انعقد مهرجان دمشق التاسع للفنون المسرحية تحت شعار «من أجل مسرح عربى متقدم ومتطور»، فقد كان انعقاده بمثابة التعرف على التجارب المسرحية العربية المختلفة وتباين مستويات تطورها وتبلورها الفنى، بهدف الاستفادة المتبادلة من هذه التجارب.

وأهمية هذا المهرجان تكمن فى إتاحة الفرصة للفرق العربية أن تتعرف كل واحدة منها على الأخرى وأن تقارن إنجازاتها بإنجازات الفرق الأخرى، كما أنها فرصة جيدة لعقد صداقات جديدة بين المسرحيين العرب وتقوية صداقات قديمة.

ولأن المسرح يقدم شيئاً كامناً فى النفس البشرية ذاتها، فإن هذا المهرجان يؤكد أن فن المسرح مازال يولد وينمو باستمرار بالرغم من التطور السريع الذى يحققه التليفزيون والفيديو على المستوى العالمى.

وفى كلمة افتتاح المهرجان قالت الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية السورية: «إننا نفتتح المهرجان وكلنا أمل فى أن تكون هذه التظاهرة الثقافية مرضية لجمهور المسرح ومفيدة للمسرحيين وناجحة فى المهمة التى وضعناها نصب أعيننا وهى مهمة التلاقى، وتبادل الخبرات، والإسهام فى المزيد من نشر الثقافة المسرحية، هذه الثقافة التى عن طريقها نربى جمهوراً مسرحياً ما برح يكبر منذ أن بدأنا المهرجان الأول هنا فى دمشق».

وطالما أن الهدف الأساسى من قيام مهرجان عربى للمسرح هو لقاء الأخوة المسرحيين من مختلف أقطار الوطن العربى الكبير وتعارفهم



مسرحية «نجران تحت الصفر» التى قدمتها فرقة المسرح الوطنى فى جمهورية اليمن الديموقراطية ..



مشهد من المسرحية المغربية أبو حيان التوحيدى ـ «الإمتاع والمؤانسة» ..



مسرحية «جحا باع حماره» التى قدمها المسرح الوطنى الجزائرى .. ومن اخراج المسرحى المعروف مصطفى كاتب



مشهد من مسرحية «ياليل ياليل» التى قدمتها فرقة المسرح الأهلى القطرى ودارت حولها عدة مناقشات هامة

وتلاقى تجاربهم ، فلاشك أن للندوة اليومية التى عقدتها إدارة المهرجان لمناقشة العروض المسرحية دورا هاماً وكبيراً فى تحقيق هذا الهدف . فالندوات واللقاءات بين المسرحيين العرب فى المهرجان ليست سوى سجل حي للمشاكل والهموم وللأفكار والاستنتاجات ، فى محاولة للنهوض بالمسرح على أسس علمية ونظرية وفكرية وجمالية تساعد على تجاوز المعوقات وتدفع الحركة المسرحية إلى آفاق أكثر انفتاحاً ورحابة .

وقد قدم على مسارح دمشق الثلاثة «الحمراء ، القباني ، العمال» عشرون عرضاً مسرحياً ، هى مجمل العروض التى قدمتها عشر دول عربية ، إضافة إلى عرض بريطاني إيمائي ، وذلك خلال عشرة أيام هى فترة انعقاد المهرجان ، واستطاعت بعض العروض أن تثير الدهشة لدرجة المفاجأة ، وكان عرض دولة قطر واحداً منها ، فلم يتردد أحد من المناقشين فى الإشادة به ، وقد ترددت فى المهرجان مقارنات بين ما قدمه عبد الرحمن المناعي فى «ياليل ياليل» وما سبق أن قدمه المسرحي الراحل صقر الرشود من الكويت ، والذى أحس الجميع بغيابه ، ورددوا اسمه كثيراً .

لم يكن فى المهرجان ما يميز عرضاً عن آخر الا بما يلقاه من قبول لدى النقاد والجمهور .. وكان عرض قطر من المفاجآت غير المتوقعة فى المهرجان . فمسرحية «ياليل ياليل» كانت مفاجأة حقيقية للجميع على كثير من المستويات ، ربما لأن هذا العرض قد عبر تعبيراً جيداً عن البيئة القطرية على وجه الخصوص ، والخليجية بوجه عام مع استخدام للتراث الغنائى الخليجي والتوظيف الفني للبيئة الخليجية . ولأن العرض يحمل فكرة وأداء جيدين ، فإن الكثير من الجمهور والنقاد لم يترددوا بالإشادة به ، باعتباره نصاً جديداً فمعظم عروض المهرجان كانت إما قديمة وإما معدة من مؤلفات عالمية ! .

ولا نغالى أيضاً إذا قلنا : إن عرض مسرح الشارقة الوطنى بدولة الامارات العربية المتحدة كان من العروض التى استحوذت على اهتمام النقاد والجمهور ، وذلك لما يحمله من قضايا إنسانية لا يخلو منها أى مجتمع عربي .. فالعرض مأخوذ عن مسرحيتين للكاتب اوزفالدو دراكون ترجمة قاسم محمد ، وهو عبارة عن حكايتين الأولى «الرجل الذى صار كلباً» والثانية «صديقنا بانشيتو» . وكان العرض جيداً ، حيث نجح مخرج العمل عبد الآله عبد القادر فى إيصال المضمون الدرامى معتمداً على أداء الممثلين .

ومن هذه المحصلة أحب أن أوضح أن المسرح الخليجي قدم عروضاً ممتعة وراقية تقف على قدم المساواة مع عروض المهرجان الأخرى المتميزة .

أما فرقة «مسرح الحكواتي» اللبنانية ، فقد نجحت فى إبراز وجه لبنان العربى الجريح بصورته الوطنية الصامدة المناضلة ضد العدو الخارجي ، فقد استطاعت مسرحية «أيام الخيام» أن توصل إلى جمهور المسرح العربى معاناة وعذابات ونضال إنسان الجنوب اللبنانى وتوقه إلى

مناقشات ساخنة
حول العروض المسرحية للفرق العربية

التحرر وصون كرامته الإنسانية .

وفى الندوة الأولى للمهرجان التى أقيمت حول مسرحية « الزير سالم » لمؤلفها الفريد فرج والتى أخرجتها نائلة الأطرش وقدمتها فرقة المسرح القومى بدمشق ، دعا المنصف السويسى المسرحيين ألا يضعوا المنتج المسرحى داخل قفص الاتهام ، بل يجب أن ينطلقوا فى مناقشة أصحاب العمل من داخل رؤيتهم .

وتحدث فى هذه الندوة من قطر (موسى زينل) طارحاً دور الموسيقى فى العرض ، وقال إنها دخيلة لاستخدام المخرجة الموسيقى الغربية بشكل عام ، بينما كان فى استطاعتها أن تستخدم موسيقى عربية ملائمة للنص .

كما تحدث من سورية (د . عادل فرشولى) فأكد أن مفتاح العرض فى المسرحية كان باستخدام المخرجة فى الخلفية قصيدة « لا تصالح » للشاعر الراحل أمل دنقل ، فجاء ذلك اتساقاً مع المضمون وإضافة إلى حيوية العرض الذى كانت كل عناصره الابداعية وبالأخص عنصر التمثيل يحمل من الحرارة ما ينجح أى عرض .

وفى نفس الندوة طرح (روجيه عساف) من لبنان مسألتين الأولى عن التراث وهل هو مضمون أم شكل ؟ وأما الثانية فكانت عن دور الجوقة فى العرض ، وهو ما استفسر عنه أيضاً الفنان عبد الرحمن المناعى من قطر .

وقد ردت المخرجة نائلة الأطرش على التساؤلات بقولها : إن هاجسها الأساسى هو تحقيق عرض مسرحى يستقطب العدد الأكبر من النظارة ، فقد وجدت أن الحكاية الشعبية يمكن أن تحقق من خلالها هذا الهدف ، لذلك حاولت أن تسقطها على قضايانا الملحة ، فالعدالة المطلقة التى طالب بها الزير سالم هى رمز لا أكثر ، كما أن الموسيقى كانت منسجمة مع النص ولم تكن خارجة عن إطار شكل العرض .

وفى الندوة الثانية حول مسرحية « مغامرة رأس المملوك جابر » لسعد الله ونوس وإخراج د . جواد الأسدى والتى قدمتها فرقة المعهد العالى للفنون المسرحية فى دمشق ، قال عبد الآله عبد القادر من الامارات العربية المتحدة : إن المسرحية تحوى الكثير من الاضافات التى لا تفيد العرض المسرحى .. بينما قال محمد البخارى من موريتانيا إن المخرج تلافى الثغرة التى وقعت فيها مخرجة الزير سالم وهى عدم معرفة البيئة وربطها بالعرض ، فوظفت المسرحية المرحلة الراهنة فى لغة درامية حية فجاءت عملا فكرياً وشكلانياً رائعاً .. وأثار الدكتور عادل فرشولى قضية الحكواتى فى النص وكيف أنه كان يروى قصة رواد المقهى أنفسهم ليدفعهم إلى اتخاذ موقف ما . وفى نهاية الندوة أجاب المخرج د . جواد الأسدى أنه بالنسبة للتراث ومناقشته فهذا أمر شائك يتطلب وقتاً طويلا وللمسرح هدف سياسى حتى لو اتصل بالجزئيات .

أما الندوة الثالثة : فقد ناقشت مسرحية « نجران تحت الصفر » لفرقة المسرح الطليعى بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، التى أعدها محمد صالح الشاعر عن رواية الكاتب الفلسطينى « يحيى يخلف » وأخرجها جميل محفوظ .. وأثار عبود جميعان من العراق وجود خلل فى تأليف الرواية الأصلية وخاصة معالجة الشخصيات الكثيرة والمتنوعة والنهايات التى تنتهى بها كل شخصية .. بينما قال الدكتور شريف شاكر من سورية : إن النص صعب ويتطلب طاقات تقنية فى الاخراج ورغم ذلك حاول المعد بصدق أن يقدم رؤياه . وقال وليد أبو بكر من الكويت : إنه استمتع بالنص المكتوب أكثر من العرض ، وإن الممثلة التى قامت بدور ريتا كانت أقل أخطاء فى اللغة من التى قامت بدور سمية . وأثار عبد الفتاح قلعجى من سورية مسألة تطابق العرض مع جو البيئة اليمنية بصورة كافية وأن الميلودراما التمثيلية أبعدت الحدث عن مهمة الاقناع . ثم تحدث جميل محفوظ قائلا : إن الملاحظات إيجابية وإن البساطة كانت مقصودة نظراً لطبيعة الشعب اليمنى وإن العرض كان بمثابة تجربة تقنية لا أكثر .

ودارت الندوة الرابعة حول مسرحية « أنا الحادثة » التى قدمها المسرح الوطنى التونسى والمأخوذة عن رواية الأديب الكويتى اسماعيل فهد اسماعيل « ملف الحادثة ٦٧ » ، فتركزت حول عدة ملاحظات من بينها أن الديكور هو صاحب الأهمية فى العرض وأن الرواية سيطرت على المخرج وكان هناك فصل للشخصية عن موقعها الاجتماعى ، كذلك كانت هناك محاولة لتقييم الحادثة فى حين أن العمل الدرامى أساساً ينطلق من الخاص إلى العام لا العكس ، وكان هناك أيضاً تكرار لا يمكن أن يكون هو هدف المخرج . وقد رد مخرج المسرحية قائلا : إننا نبحث عن ذواتنا وهمومنا وأن القصد لم يكن مجرد الفرجة ، وقد بحثنا عن نص أدبى يحقق هذا الهدف فوجدنا أن هذه الرواية تحققه بشكل ما ، فنقلناها بكل خفاياها وأسرارها .

وقد طرحت عدة قضايا مسرحية وفكرية متعلقة بمسرحية « جحا باع حماره » للمسرح الوطنى الجزائرى من اخراج المسرحى المعروف مصطفى كاتب .

وفى اليوم السادس للمهرجان نوقشت المسرحية القطرية « ياليل ياليل » لمؤلفها ومخرجها عبد الرحمن المناعى والتى قدمتها فرقة المسرح الأهلى القطرى ، وللحق فإنه لم تحظ مسرحية فى المهرجان بالتقدير والاهتمام مثلما لقيته هذه المسرحية ، وقد انحصرت آراء المشاركين فى الندوة فى أن العرض كان مفاجأة جميلة بسبب مضمونه وإبداعات الفنانين الذين جسدوا الأفكار بشكل جيد ، وكان الديكور فى نظرهم جميلا إنما كان أوسع كثيراً من اللازم ، والإضاءة لم توزع بشكل جيد وأثرت كثيراً على العرض ، إضافة إلى ذلك فإن المواويل وظفت بشكل جيد وأكدت مضمون المسرحية ، وأن المسرحية جاءت إضاءة للمسرح فى الخليج العربى تذكر بالمرحوم صقر الرشود وإبداعاته الفنية ، حيث استطاع المخرج رغم كونه مؤلفاً أن يخفف من بعض الميلودراما الموجودة فى النص ، وذلك من خلال الايقاع المناسب ومن خلال توظيف الغناء . وقال عبد الرحمن المناعى مؤلف ومخرج المسرحية إن همنا الأكبر كان هو أن نقدم عرضاً يحمل هموم الانسان ، وأن الموال لم يهبط بالإيقاع العام للعرض ، كما قال البعض بل حدث العكس ، فالموال جزء من الحدث وليس من خارجه .

وفى بقية الندوة كانت هناك مناقشات موضوعية حول بقية العروض المسرحية فى المهرجان كمسرحية « المهرج » التى قدمها المسرح الجوال فى سورية من تأليف محمد الماغوط واخراج سهيل شهلوب ، ومسرحية « اسمع يا عبد السميع » لفرقة المسرح الوطنى بتونس من تأليف عبد الكريم برشيد واخراج عبد الغنى بن طارة ، وحكايتى « صديقنا بابخيتو — والرجل الذى صار كلباً » من تأليف أوزفالدو دراكون واخراج المخرج العراقى عبد الآله عبد القادر والتى قدمها مسرح الشارقة الوطنى بدولة الامارات العربية المتحدة ، والعرض المسرحى « أيام الخيام » لفرقة مسرح الحكواتى اللبنانية وهى من تأليف جماعى وإخراج روجيه عساف .

والخلاصة : إن هذا المهرجان المسرحى بكل عروضه وندواته ومناقشاته كان ملتقى عربياً ، أثرى الحياة المسرحية والثقافية بين أبناء الوطن العربى الواحد ، وهو ما نرجو تدعيمه وتنشيطه على كافة الأصعدة والأنشطة الثقافية والفنية فى العالم العربى ، من أجل نهضة مسرحية عربية مؤثرة فعالة .

خالد زيارة

أخطاء لغوية معاصرة

بقلم : الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

تماثيل :

ومن الخطأ فى النطق صرف تماثيل فيقولون مثلا (وهناك تماثيل كثيرة من هذه الأشكال) ورأيت فى المعرض تماثيلا تشبه هذه التماثيل) وهذا خطأ فى النطق ، والصواب أن يقال (وهناك تماثيل كثيرة من هذه الأشكال) (ورأيت فى المعرض تماثيل تشبه هذه التماثيل) (بضمة واحدة) فى المثال الأول (وفتحة واحدة) فى المثال الثانى ، ذلك أن تماثيل اسم لا ينصرف مثل مصابيح ، ومسامير ، ودنانير ، وقناديل ، ومساحيق .. فهذه أسماء لا تنصرف لأن هذه المذكورة جاءت على صيغة منتهى الجموع ، أو الجمع المتناهى (أى جمع لا نظير له فى الآحاد ، أو لا مفرد على وزنه) وضابطه : كل جمع بعد ألف تكسيره حرفان كمساجد ، وقنابل ، أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن كمصابيح ومفاهيم ، أما إذا تحرك الثانى فإنه يصرف كـ (صيارفة) و (صياقلة) .

والعلة فى منع الصرف فى هذا الاسم علة واحدة قامت مقام علتين وهى صيغة منتهى الجموع ، أو الجمع المتناهى ، ومعلوم أن الاسم الذى لا ينصرف يرفع بالضمة ، وينصب ويجر بالفتحة ، ومما جاء فى القرآن قوله تعالى (ويعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل وجفان كالجواب) سورة سبأ اية ١٣ فعلامة الجر هنا الفتحة نيابة عن الكسرة .

اكتشاف :

ومن الخطأ الشائع فى عصرنا لدى الكتاب استعمال كلمة (اكتشاف) للعثور على شىء ، واظهار شىء جديد لم يكن من قبل فيقولون مثلا (وقد اكتشفوا نقوشاً أثرية تعود إلى الفين قبل الميلاد) أو تمكنوا من اكتشاف أدوية جديدة لمرض كذا) أو (أن هناك اكتشافات أثرية عديدة للفراعنة تعود إلى ما قبل أربعة الاف سنة) ..

وهذا خطأ ، ذلك أن (اكتشف) بالتاء بعد الكاف على وزن (إفتعل) لا تستعمل لهذا الغرض ، وهو اظهار شىء جديد لم يكن من قبل ، أو العثور على شىء لم يكن فى الحسبان ، وإنما جاء هذا الفعل (اكتشف) لمعنى آخر غير هذا المعنى تماماً ، ومغايراً له ، فقد جاء فى القاموس : إكتشفت المرأة لزوجها : بالغت فى التكشف له ، وجاء فى لسان العرب : واكتشف الكبش النعجة : نزا عليها وتكشف البرق اذا ملأ السماء .

أما إذا أردنا ذلك المعنى وهو (اظهار شىء جديد الى خير الوجود ، أو اردنا رفع شىء عن آخر يواريه ويغطيه فنستعمل كلمة (كشف) ومشتقاتها ، فالصواب فى الأمثلة السابقة أن يقال (وقد كشفوا نقوشاً أثرية تعود الى الفين قبل الميلاد) بمعنى اظهروا نقوشاً وعثروا عليها ، و (تمكنوا من كشف أدوية جديدة لمرض كذا) بمعنى تمكنوا من إظهار أدوية جديدة ، (وان هناك كشوفات ، أو كشوفاً أثرية عديدة للفراعنة تعود الى ما قبل أربعة الاف سنة) وهكذا ..

شفوق :

ويقولون (رجل شفوق على أقاربه) و (والد شفوق على أولاده) على وزن «فعول» ويقصدون بذلك صيغة مبالغة فى اسم الفاعل (أى كثير الشفقة) والصواب ان يقال (رجل شفيق ، أو مشفق على أقاربه) و (والد شفيق أو مشفق على أولاده) بمعنى ناصح لهم حريص على مصلحتهم ، وهو فاعل مأخوذ من أشفق يشفق . وجمع مشفق . مشفقون ، وجمع شفيق : شفقاء وقد اجاز ابن سيده شفق تشفق بمعنى اشفق ، وهما عنده مترادفان لمعنى واحد ، وكذلك ابن دريد من أئمة اللغة وانشد :

فانى ذو محافظة لقوصى
اذا شفقت على الرزق العيال

اما اذا قلت اشفقت منه ، فيعنى أنك تحذره ، أو تجزع منه وقد يأتى بمعنى الخوف كما فى قوله تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) المعارج آية ٢٧ أى خائفون ولم يسمع من العرب «شفوق» على وزن «فعول» .

والشفق والإشفاق : الخوف ، والشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل بين المغرب والعشاء ، والشفق كذلك النهار وقد فسر قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) بذلك .

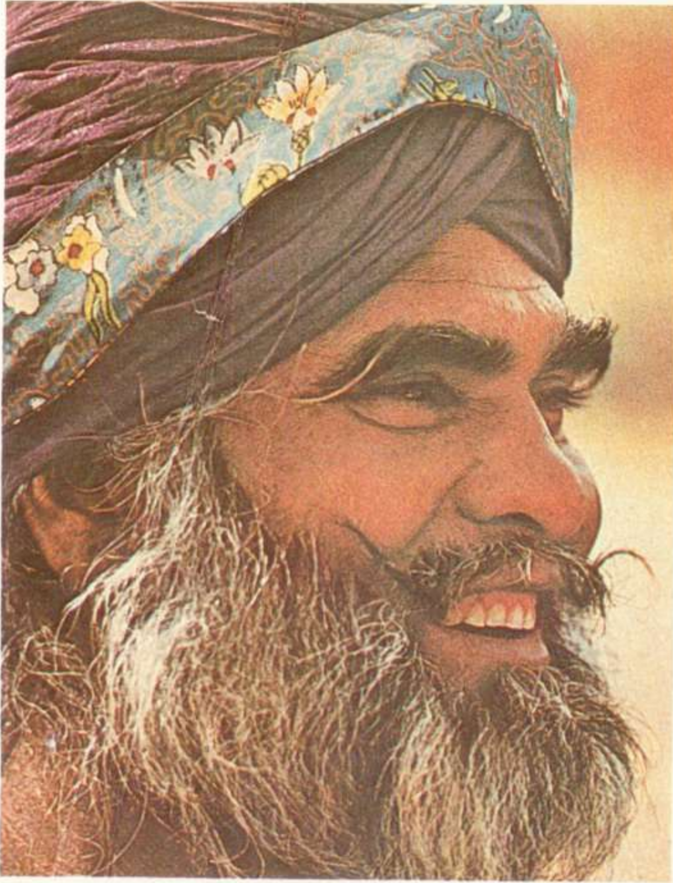
يحارب ضد الاستعمار :

ويقولون (الوطنيون يحاربون ضد الاستعمار) والصواب (الوطنيون يحاربون الاستعمار) أما اذا أتيت بضد ، فذلك يعنى أنهم يحاربون من هو ضد الاستعمار أى يحاربون عدو الاستعمار ، فالمعنى حينئذ يحاربون مع الاستعمار ، ولصالحه ، وليس ذلك مقصودهم ، بل عكس ما يقصدون ، لأن معنى ضد الشىء : عدوه ، وخلافه والضد كذلك هو الند ، أو الشبيه ، ومنه قوله تعالى (ويجعلون لله أنداداً) أى يجعلون له أضداداً وأشباها من خلقه تعالى فهو يعلو عن ذلك علواً كبيراً .

وقد تعنى كلمة «ضد» شبيهاً ، أو مقابلا ، وهم لا يريدون ذلك المعنى كذلك ، لأن المقصود هو اثبات حربهم للاستعمار لا أنهم يحاربون من على شاكلته .

قال الأخفش كما نقل عنه صاحب لسان العرب : الند : الضد والشبيه ، وقال ابن الأعرابى : ند الشىء مثله ، وضده خلافه .

شفيق العمروسي



أحد رجال السيخ : شعر طويل للرأس والذقن .. وعمامة ضخمة من تراث الأجداد



المعبد الذهبي يطل على بحيرة آمريتسار

قصة ١٨ مليونا ينتشرون في أنحاء العالم

السِّيخ

من الغناء على القيثارة إلى السيف والعنف!

لم يكن زعيم السيخ ـ ناناك ـ وهو يجوب القرى والسهول منشداً على قيثارته وداعياً إلى التسامح ، يتصور أن احفادا من أتباعه سوف تحتل أخبار أعمالهم المتسمة بالعنف ـ بعد خمسة قرون ـ الصفحات الأولى لصحف العالم كله !

وهذا التحول إلى الضد قد لاتبدو فيه مبالغة إذا نظرنا إلى الفكرة وتطورها من خلال الظروف التى نشأت فى احضانها ، ثم أدت بها إلى استخدام العنف بدلا من التسامح .

وطائفة السيخ تنتشر اليوم فى عدد كبير من بلدان العالم ، حيث يتراوح عددهم بين عشرة وثمانية عشر مليوناً . إلا أن الأغلبية العظمى منهم تعيش فى القسم الشمالى الغربى من الهند ، حيث تمثل الأقلية الثالثة هناك بعد الاسلام والمسيحية .

ولعل أبرز ما يقابلنا فيما يكتب عن عقيدة السيخ ، تلك الاشارات التى تتحدث عن تأثير الاسلام ، بل وهناك من يجنح إلى اعتبار دعوة السيخ محاولة للتوحيد بين الهندوكية والاسلام . وبالطبع ذلك أمر يستحق أن نتوقف عنده قليلا ، خاصة وأن ذلك يتنافى تماماً مع أصول الفكر الاسلامى وتعاليمه .

فالمعروف تاريخياً أن الاسلام أخذ ينتشر فى الهند عن طريق التجار العرب الذين وصلوا فى فترة مبكرة إلى الموانىء الواقعة على السواحل الجنوبية لشبه القارة الهندية . وقد ساعد على سرعة انتشار الاسلام أن بعض هؤلاء التجار استوطنوا هناك مع أسرهم ، وأقاموا علاقات قوية مع الأهالى حتى أن بعض ملوك الهند استعانوا بهم فى إدارة دفة الحكم . ثم وصلت إلى الهند بعد ذلك طلائع الفتح العربى بقيادة محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ (القرن الثامن الميلادى) . وسرعان ما شملت الفتوحات الاسلامية إقليم السند وجنوب البنغال والبنجاب ، وكان الجيش الاسلامى فى ذلك الوقت مكوناً من ٦٠٠٠ مجاهد وعدد مماثل من راكبى الابل ويتبعهم قطار من ٣٠٠٠ جمل تحمل مؤونة الجيش وعتاده .

والمهم هنا أن أكثر هؤلاء الجنود . استقروا هناك — بعد اتمام الفتح — مع أسرهم مثلما فعل بعض من سبقهم من التجار . وطبيعى أن يكون لهذا الاستقرار أثره فى جذب أعداد كبيرة إلى الدين الاسلامى بعد أن تعرفوا على طبيعته السمحة من خلال تعاملهم اليومى مع اتباعه من المجاهدين ، مثلما « حدث فى جنوب الهند » حيث اقبلت الطبقات المنبوذة والمستضعفة على اعتناق الاسلام . الذى كان يمثل بالنسبة لهم المخلص من القيود الطبقية الصارمة التى فرضتها عليهم الديانة الهندوكية ، ولذلك نجد قبائل وطبقات بأكملها تندفع إلى اعتناق الدين الجديد (قبيلة تيان وطبقة تشرومن — أى حراث الأرض — وطبقة مكهة — ون — أى طبقة السماكين) .

ولم يتوقف الأمر بالنسبة للاسلام على جذب الطبقات المنبوذة ، فسرعان ما أمتد أثره إلى بعض المفكرين الهنود نتيجة للزيارات والمناقشات التى كان يقوم بها علماء الاسلام من فقهاء وصوفية وفلاسفة ومتكلمين ، والتى أدت بزعماء ومفكرى الفكر الهندوكى إلى محاولات لاحياء وتجديد عقائدهم فى محاولة لمواجهة العقيدة الدينية الجديدة . ولهذا عرفت الفترة فيما بين القرن الحادى عشر وحتى نهاية القرن الثالث عشر برحلة إحياء الفكر الهندى ، ثم تلتها مباشرة فيما بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر مرحلة غلب عليها محاولة التوفيق بين العقائد المختلفة وخاصة الهندوكية والاسلام .

دعوات التوفيق الشعبية

وما يهمنا هنا هو المرحلة الثانية . التى ظهرت فيها الفكرة السيخية قرب نهايتها — فى القرن الخامس عشر — وهى مرحلة اتسمت بخضم هائل من الصراعات العسكرية والاضطرابات الفكرية والتوتر السياسى ، خاصة بعد غزو تيمور لنك للهند عام ١٣٩٨ م .

ويعطينا د . الزكى صورة لتلك المرحلة ، حيث « .. نجد عدداً من الهندوك الذين دخلوا الاسلام يرتدون عنه لسبب أو لآخر ، كما نجد مسلمين لا يعرفون كيف يتخلصون من جذورهم الهندوكية ويبقون على ما هم عليه من تقاليد وعادات أبعد ما تكون عن الاسلام ، ومفكرين هندوك يكتبون عن الفكر الاسلامى والآداب الاسلامية باللغة الايرانية ، ومفكرين مسلمين يقومون بدراسات فلسفية وعلمية عن الفكر الهندوكى وشعراء هندوك يقرضون الشعر باللغة الأردية التى تجمع بين اللغة العربية واللغة الايرانية واللغة التركية واللغة السنسكريتية ، وشعراء مسلمين ينظمون القصيد باللغات الهندية بينما يتولى الهندوك المناصب العليا فى الولايات الاسلامية ، ويتولى المسلمون قيادة الجيوش فى الولايات الهندوكية » ..

إذن كان هذا الاضطراب والتفكك وذلك القلق والتوتر هو ما دفع إلى ظهور محاولات متعددة — من المسلمين والهندوك — للتقريب بين الاتجاهين . إلا أن تلك المحاولات لم يقدر لها الاستمرار لأسباب من أهمها تراجع من أقدم عليها من المسلمين لتعارضها أساساً مع جوهر الدين الاسلامى ، وأيضاً اتجاه صاحب كل دعوة إلى تمجيد دينه والحط من شأن العقائد الأخرى .

والمهم أن محاولات التوحيد والتقريب تشعبت إلى اتجاهين ، أولهما اتجاه فكرى فلسفى انحصر فى دوائر المثقفين ، والثانى « نبع من نزعات شعبية تستميل عواطف سواد الناس بالأسطورة والشعر » وقد لعب شعراء بهاكتى وقادة المهراتا دوراً هاماً فى التأثير على العامة . وقد كان هذا الاتجاه هو الرحم الذى خرج منه ناناك ، الذى يدعي السيخ أنه نبيهم !

ولعل أكثر هذه الحركات تأثيراً كانت حركة بهاكتي ومعناها الحب والعشق ، وكانت ترى أن « الدين الحقيقى هو الحياة الروحية التى تمتاز بفعالية فياضة غايتها أولا وقبل كل شيء الله ،

● كلمة السيخ معناها المريد أو التابع

● الدين لا يقتصر على الكلمات فقط ، والرجل الصالح هو الذي يعتقد أن الناس سواسية



الزهرة والسيف .. أو حلم الدولة المستقلة



فرسان السيخ .. أحفاد من قاوموا المستعمر فى منتصف القرن الماضى

السيخ

من الغناء على القيثارة إلى السيف والعنف !

ولا شيء سوى الله ، وأن أمثل الطرق للوصول إلى (الله) ليست العبادات والشعائر والطقوس والمراسم وانما هي الحب والعشق والوجد والتذوق » .

وفي نفس الاتجاه ظهر في القرن الثاني عشر المصلح الهندى الشاعر (جيديف) وبعده بقرنين ظهر المصلح (رامانادا) وأسس فرقة دينية ، وكان من نصيب تلميذه (كابير) (١٤٤٠ — ١٥١٨) أن يكمل المشوار ، وقد أخذ عن المسلمين كراهيتهم للأصنام ، كما أن الملاحظ في كل هذه الدعوات تأثرها بفكرتي التوحيد والتنزيه الاسلاميتين ، كما لا تكاد تخلو أية واحدة منها من عناصر تصوفية اسلامية . كما يجمع بين كل هؤلاء الدعاة اعتمادهم على الشعر والأناشيد الدينية في نشر دعواتهم .

أسطورة ناناك

وسط هذا المناخ العام ولد ناناك (١٤٦٩ — ١٥٣٨) في تالواندى التي تبعد حوالى ثلاثين ميلا من لاهور (عاصمة إقليم البنجاب التي كانت تحت السيطرة الاسلامية في ذلك الوقت) لأبوين من الهندوك ينتميان إلى طبقة تجارية محلية يطلق عليها خاتى ، وهي تنحدر من طبقة الكشتاريا القديمة .

ولم يكن المناخ العام هو المؤثر الوحيد نحو ما اتجه إليه تفكير ناناك ، إذ سوف نجد أيضاً ان حاكم تالواندى — وقت مولده — واسمه راى بولر ، كان من أصل هندوكي ولكنه تحول إلى الاسلام ، إلا أنه ظل متسامحاً حيال تابعي عقيدته القديمة ، وكان يشجع أية محاولة للتقريب بين العقيدتين . ويمكن أن نضيف إلى ذلك اعتناق صديقه ماردانا — الذى ظل مصاحباً له — للاسلام .

وفيما عدا ما يحيط بحياته من تقديس وما يروى عنه من حكايات أسطورية ، لانجد في حياته أى شيء يثير الانتباه . وكل ما نعرفه عن ناناك أنه كان شاعراً بالسليقة ، وكان يميل إلى التأمل . وهناك ما يروى عن فشله في ممارسة أى عمل ، حتى أنه اضطر تحت ضغط من عمه إلى ترك زوجته وطفليه والسفر إلى العاصمة للعمل ، إلا أنه كان هناك أيضاً يمضى الليل يرتل الترانيم الدينية لخالقه .

ومع تحوله للدعوة إلى الدين الجديد نجد بعض الروايات التي تحتفظ بها كتابات السيخ ، والتي تنسج ما من شأنه رفعه إلى مرتبة رفيعة .

ومن ذلك ما يروى عن ادعائه بتلقي الوحي ، إذ تروى مصادر السيخ أن قدميه قادتاه يوماً — بعد أن اغتسل بمياه النهر المقدسة — إلى احدى الغابات حيث اختفى لمدة ثلاثة أيام . أما ما حدث أثناء ذلك . فيدعون أنه ظهر له الرب . « أنا معك ، سأجعلك وكل من يتبعك في سعادة ، اذهب واذكرني ، وادع الآخرين لذلك ، كن طاهراً ، وأذكر اسمي دائماً ، تصدق وتأمل ، اعطيك هذا الكأس الملىء بالمياه المقدسة وعد برعايتي لك » .

وأمام رهبة الموقف نطق ناناك بمقدمة الجابجي أو العبارة المقدسة التي يكررها كل صباح — حتى اليوم — وفي صمت كل فرد من أتباع السيخ ، « ليس هناك سوى الله الواحد ، اسمه الحقيقة ، الخالق ، لا يعرف الخوف ولا البغضاء ، خالد ، لم يولد ، موجود بذاته ، عظيم وكريم » .

« الواحد الحق منذ البداية ، الواحد الحق منذ الأزل » .

« الواحد الحق يكون ، وكان ، وأيضاً سيكون ، الواحد الحق دائماً موجود » .

أما بعد عودته من الغابة فقد ظل صامتاً ليوم كامل ، وفي اليوم التالى نطق بعبارة واحدة : « ليس هناك هندى ولا مسلم » .

وبعد هذه الحادثة قضى ناناك سنوات متنقلا بين المناطق المقدسة الرئيسية للحجاج الهنود (هاردوار ودلهي وبينارس والمناطق المقدسة في الهيمالايا ، منشداً في الأسواق والميادين العامة تراتيله الدينية ، ويصاحبه عازفاً صديقه الأمين ماردانا . وقد استطاع أن يجمع حوله العديد من أفراد طبقة الجان التي تنتمى إلى طائفة الشودرا التي تعمل بالزراعة . واطلق على كل من يتبعه اسم سيخ وهي كلمة سنسكريتيه تعنى المريد أو التابع .

والطريف أن ناناك اعد لنفسه زيا معيناً يتلائم وطبيعة دعوته ، فكان يرتدى حلة ملونة توضح فكرته لجمع الديانتين ، جاكيت ملون وفوقه ملاءة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة ضخمة ، وعقد من العظام ، بينما وضع على جبهته علامة كالهنود .

وفي اكتوبر ١٥٣٨ توفى ناناك ، ويتحول موته إلى اسطورة مصطنعة يتوارثها السيخ ، فيروى أنه حين حضرته الوفاة تجمع حوله السيخ واختلفوا بشأن طريقة دفنه . فقال السيخ من أصل هندوكى بضرورة حرقه ، وقال السيخ من أصل اسلامى بوجوب دفنه ، فما كان منه إلا أن طلب احضار زهور وورود وقسمها بين الفريقين ، وطلب من الهندوك أن يضعوا الزهور عن يمينه ، ومن المسلمين أن يضعوها عن يساره ، ثم طلب من الجميع أن يغطوه ومعه الزهور حتى الصباح ، وحين عودتهم لو وجدوا الزهور على حالها فلأصحابها ان يدفنوه طبقاً لعاداتهم . وبالفعل تم الأمر على ذلك النحو ، ولكن عندما رفع الغطاء صباح اليوم التالى وجدوا الزهور والورود على الجانبين وقد ازهرت بينما اختفى جسد ناناك !

وهكذا اضفت الأساطير المصطنعة والحكايات الشعبية حول شخص ناناك ما عبر عن دعوته إلى نبذ أى خلافات بين العقيدة الهندوكية والديانة الاسلامية ، وكما رأينا عند اسلافه من دعاة التوفيق فقد أخذ عن الاسلام فكرة التنزيه ، والدعوة إلى المساواة ، حيث كان دائماً يؤكد على أن الدين « لا يقتصر على الكلمات فقط والرجل الصالح هو الذى يعتقد أن كل الناس سواسية » . ولقد كان هذا التأكيد هو سر ازدياد اتباعه المستمر من بين الطبقات المنبوذة والمضطهدة .

بدايات التحول

وبعد وفاة ناناك تولى قيادة اتباعه — على التوالى — تسعة رؤساء رسميين اطلق على الواحد منهم لقب جورو ، وتعنى الأستاذ أو المعلم . وقد ظل السيخ تحت قيادة الثلاثة الأوائل من الجورو ، أو حتى نهاية عهد جورو آمار داس (١٥٥٢ — ١٥٧٤) يتبعون تعاليم ناناك ويباشرون حياتهم الزراعية والاجتماعية والدينية في هدوء وسلام حتى كان عهد الجورو راس دام (١٥٧٥ — ١٥٨١) حين بدأت ارهاصات التحول التي سوف تدفع بجماعتهم إلى أخذ صبغة سياسية ، اذ نجح هذا الجورو في إقناع سلطان المغول (أكبر) بأن يمنحهم قطعة أرض تطل على بحيرة آمريتسار (أى بحيرة الخالدين) وهي التي اتخذ منها السيخ بعد ذلك نواة لعاصمتهم التي أخذ ينتشر فيها العمران وتحولت إلى مركز يتجمع فيه الاتباع . وتروى أساطير السيخ أن رام داس اختار هذا الموقع عام ١٥٧٧ عندما شاهد فيه بركة عطرة الرائحة يحط عليها عصفور مكسور الجناح فما لبث أن طار ، كما أن أى غراب يحط عليها يتحول إلى بجعة جميلة ! هذا فضلا عن قدرة مائها على شفاء بعض الأمراض . أما في وسط تلك البحيرة فيقع المعبد الذهبي — الذى شاهد أحداث عنف في الشهور الماضية — وبداخله الهيكل المرصع بالجواهر النفيسة ، إلا أنه لا يحوى سوى كتابهم المقدس (الجرانث) ويطوف حوله الحجاج وهم يستمعون إلى التلاوات المصحوبة بالعزف الموسيقى الذى لا يتوقف ليلا أو نهاراً منذ أربعمائة عام . ويقع بداخل المعبد أكبر مطبخ في العالم . إذ يطعم حوالى عشرة آلاف انسان كل يوم دون نظر لجنسه أو لونه أو دينه .

وجاء دور القوة

وإذا كان الحصول على قطعة الأرض يمثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ السيخ فان الفترة التي تولى فيها الجورو الخامس ، ارجان مال (١٥٨١ — ١٦٠٦) تمثل علامة انتقال جديدة ذات سمات اقتصادية وعسكرية . في عهده استطاع أن يحدث

تحولا خطيراً فى النظام الاقتصادى لجماعة السيخ عن طريق اهتمامه بتجارة الجياد التى كانت تحقق ثروات طائلة آنذاك ، مما ساعد على ظهور طبقة تجارية داخل المجتمع السيخى الذى كان يعتمد على الزراعة إلى وقت قريب ، كما استطاع أن يوفر لجماعته ما يحتاجه من أموال عن طريق هبات الأتباع التى تحولت فيما بعد إلى ضرائب ينظم جبايتها ويحدد مقدارها قوانين عامة .

وقد ازداد نفوذ ارجان مال وقويت شوكته حتى أن خسرو لجأ إليه عندما تمرد على أبيه سليم بعد موت السلطان أكبر ــ الذى كانت بينه وبين ارجان علاقة مودة ــ ولم يتردد ارجان مال فى مد خسرو بالمال والرجال تحت تأثير بعض التطلعات السياسية ، إلا أن النصر كان حليف سليم الذى تولى حكم المغول تحت اسم جيهان جير (١٦٠٥ ــ ١٦٢٨) وبالطبع كان أول ما فعله بعد أن تولى الحكم هو اصدار قرار باعدام ارجان مال (اعدم فى ١٦٠٦) الذى يعتبره السيخ الآن أول شهدائهم .

ولكن ارجان كان قد نجح فى وضع اللبنة الأولى فى نقطة التحول الهامة لجماعة السيخ ، حيث ترك وصية لابنه هارجوفيند بأن يؤسس جيشاً ويعتمد على استخدام السلاح .

الحروب المستمرة

وعند تنصيب الجورو هارجوفيند (١٦٠٦ ــ ١٦٤٥) رفض ارتداء العمامة والعقد وهما التقليد الذى وصل إليه من اسلافه ، وأعلن بصراحة « أن عقدى سيكون حزام السيف وعمامتى سوف تزين بزهور ملكية » وهى عبارة تشير إلى اصراره على إنشاء دولة للسيخ عن طريق القوة .

ولم يضع الوقت فأحاط نفسه بحراس مسلحين ، وبدأ يعد نواة الجيش . وقد ساعده على المضي بثقة لتحقيق احلامه الثراء الذى أصبح يتمتع به السيخ بفضل التحول الاقتصادى الذى احدثه ارجان مال ، ووجود المعبد والعاصمة الذى اعطى أفراد السيخ الشعور القومى بأنهم يمثلون حقيقة إجتماعية وسياسية واقتصادية . وقد قضى هارجوفيند حياته كلها فى معارك مستمرة ضد امبراطورية المغول ، حتى اطاح الامبراطور أوربخزيب برأسه عام ١٦٧٥ .

واستمر القتال بين المغول والسيخ حتى عهد الجورو التاسع ــ أو العاشر على أساس أن ناناك هو الجورو الأول ــ جوفيند سينج (١٦٧٥ ــ ١٧٠٨) وقد كان حذراً فى اقدامه على مقاتلة المغول رغم أنه تلقى تربية عسكرية ، ورغم أن الشعور

● فى المعبد الذهبي يوجد أكبر مطبخ فى العالم ، وهو المطبخ الذي يُطعم عشرة آلاف إنسان كل يوم .. مجاناً

● كيف تحوّل السيخ إلى العنف وقرّروا استخدام السيف ؟!

العام لابناء طائفته كان متشوقاً لاقامة الدولة المستقلة . وقد قدم لتراث السيخ الدينى بعض القصائد المكتوبة بطريقة الجورو إلا أنه كان يغلب عليها الروح العسكرى .

السيف .. تقليد جديد

ولعل أهم ما قدمه جوفيند سينج للنظام العسكرى السيخى هو ما يعرف باسم (معمودية السيف) وهى عملية تعتمد على طقس دينى غريب كان له فضل وضع أسسه التى يعتقد ــ واتباعه من بعده ــ أنها تمت بوحى من الله . فذات يوم أحضر خمسة من اتباعه المخلصين وصب الماء فى طشت حديدى وأخذ يحركه بسيفه ، ثم خلط الماء بحلوى هندية ، وأعطى لكل منهم قليلاً من ذلك الماء ليشربه . وبعد ذلك أخذ يرش بذلك الماء خمس مرات على شعر وعيون كل منهم . وهكذا عمد كلا منهم لحياة جديدة ، وما عليهم بعد ذلك إلا أن يصيحوا صيحة الحرب المقدسة (النقاء لله والنصر لله) .

وهؤلاء الرجال يشكلون بعد تعميدهم مجموعة الخالسا أو الأنقياء ، ويحمل كل منهم لقب سينج أى الأسد . وهم يتمتعون بالكافات الخمسة .

١ ــ الكسى : الشعر الطويل للرأس والذقن .
٢ ــ الكانجا : وتعنى وضع مشط صغير فى الشعر .
٣ ــ الكاشك : وهو ارتداء السروال القصير .
٤ ــ الكارا : أو ارتداء معصم معدنى .
٥ ــ الكاندا وهو الخنجر .

مملكة السيخ الأولى

وبانتهاء عهد جوفيند سينج الذى قتل هو وأولاده جميعاً خلال حروبهم المتواصلة مع جيوش المغول اختتمت ذرية زعماء السيخ ، واكتفوا بكتابهم المقدس جرانث الذى تم جمعه فى عهد الجورو ارجان مال ، وهم يخاطبونه الآن على أنه داعية على قيد الحياة ويغطونه بالكسوة عند حلول كل مساء حيث يقبع داخل المعبد الذهبى .

وقد لجأ معظم السيخ بعد ذلك إلى سفوح جبال الهملايا حتى أوائل القرن التاسع عشر حين هبطوا إلى سهول البنجاب ، واستطاعوا أن يسيطروا على منطقة تمتد إلى ولاية كشمير ومدينة لاهور حيث نجح رنجيت سينج فى تأسيس دولة للسيخ ظلت قائمة حتى ضمتها بريطانيا إلى حكمها بعد حربين فى عامى ١٨٤٥ ، ١٨٤٨ .

ولا تزال حتى الآن هناك بقايا من ابناء طائفة النيهانج أى التمساح التى قاومت الانجليز تعيش بالقرب من مدينة امريتسار ، وتنعى على الانجليز تقويضهم لملكتهم . ومازالوا يرتدون ملابس اسلافهم ، العمامة الضخمة الزرقاء ، ويحملون الرماح والسيوف الطويلة ، وتقع عليهم الآن مهمة حماية المعابد . ومازالت الدعوة لاحياء مملكة رنجيت سينج هى الحلم الذى يعمل على تحقيقه حزب (أكالى دال) الموجود حالياً بالهند ، بجانب جمعية (خالسا دال) التى تعمل على احياء تقاليد الأنقياء أو جماعات الخالسا .

وهكذا تبدو لنا عقيدة السيخ ، واحدة من الاتجاهات الفكرية المتأثرة بالاسلام دون تعمق ودراسة ، وخاتمة لمحاولات التوفيق بين العقائد ، لم تتعرف على الاسلام بما فيه الكفاية . وأصابها الشك فى عقيدة اسلافها ، فكان الحلم بتوحيد الأديان عن طريق الغناء ، فإذا بها تتحول إلى عقيدة جديدة ترفع السيف بدلا من القيثارة .

شفيق العمروسي

المراجــع :

١ ــ سيد عبد المجيد بكر ، الاقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ، رابطة العالم الاسلامى .
مكة المكرمة ــ ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٣ م .
٢ ــ د . عبد العزيز محمد الزكى ، الفكر الهندى من الهندوكية إلى الاسلام ، (مقال) .
عالم الفكر ــ المجلد السادس ، العدد الثانى ــ الكويت ١٩٧٥ .
٣ ــ عبد الرحمن حمدى ، الهند .. عقائدها واساطيرها ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ .

أضواء

احتفال تونس بمرور خمسين عاماً على وفاة "الشابي"

شاعر كبير
لمع كالشهاب وشدّ الانتباه وانطفأ في ريعان الشباب

بقلم: رابح لطفي جمعة



أبو القاسم الشابي

لقد أسعدتني الظروف أن حضرت وشاركت فى احتفال تونس خلال الفترة من ٩ إلى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٤ بمرور خمسين عاماً على وفاة شاعرنا المرحوم أبى القاسم الشابى وذلك بولاية توزر مسقط رأس الشاعر حيث درج فى طفولته بين روابيها ونخيلها ومسارب المياه الجارية .

وقد شارك فى هذا الاحتفال وفود من البلاد العربية فحضر عن دولة الكويت الدكتور جابر عصفور الأستاذ بجامعة الكويت ومن المملكة العربية السعودية الأستاذ عبد الله محمد الغدامى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز ومن مصر الدكتور مختار الوكيل والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف وكاتب هذه الأسطر ، كما شاركت فى الاحتفال وفود من المملكة الأردنية الهاشمية ومن المغرب والجزائر وليبيا والسودان وغيرها من الأقطار العربية ، كما حضره بعض المستشرقين من انجلترا وأمريكا وايطاليا ، فضلا عن أدباء ونقاد وشعراء تونس نفسها . وقد تناول المشاركون فى هذا الاحتفال الشاعر التونسى من جوانب متعددة وألقوا الأضواء على نواح مختلفة من حياته وشعره .

وقد نجح هذا المهرجان الأدبى الكبير الذى كان أشبه بسوق من أسواق الأدب عند العرب نجاحاً عظيماً بفضل الجهود الموفقة التى بذلها المسئولون عن إقامته وتنظيمه وفى مقدمتهم المفكر الكبير الأستاذ محمد مزالى الوزير الأول وصاحب مجلة الفكر التونسية والأستاذ الأديب البشير بن سلامة وزير الشئون الثقافية والدكتور محمد الطالبى رئيس اللجنة الثقافية القومية . ومن المنتظر أن تطبع جميع الدراسات والبحوث التى ألقيت فى هذا المهرجان لتكون وثيقة تاريخية شاهدة على اعتراف الشعوب العربية واحتفائها بشاعر فذ وهبه الله قيثارة ذات أوتار ذهبية فعزف عليها أعذب الألحان وأشجى الانغام فأطرب وأعجب .

الشابى بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى الحديث

والواقع من الأمر أن ظهور الشابى على مسرح الحياة الأدبية فى تونس فى الثلاثينات من هذا القرن العشرين يعتبر بحق بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى المعاصر ، فقد لمع كالشهاب الشارق فى سماء الشعر العربى وشد الانتباه والأسماع إليه ثم لم يلبث أن انطفأ نوره وناره وهو فى ريعان الشباب وضحوة العمر لم يتجاوز الخامسة والعشرين ربيعاً (١٩٠٩ — ١٩٣٤) .

وليس معنى قولنا إن ظهور الشابى يعتبر بداية مرحلة جديدة فى الشعر التونسى المعاصر — أن المغرب العربى لم ينجب شعراء مبدعين قبل الشابى كابن زيدون والحصرى القيروانى وابن هانى وابن خفاجة الأندلسى وغيرهم ، وإنما نعنى بذلك أن ظهور الشابى كان علامة بارزة فى مسيرة الشعر التونسى الحديث وبداية جديدة لانطلاقة نحو الشعر العصرى فى طريق التجديد والابتكار سواء فى الشكل أو المضمون ، فبعد أن كان الشعر التونسى يدور حول الأغراض التقليدية المعروفة من مدح ورثاء ووصف وغزل وفخر وهجاء كما نجد فى شعر محمود قابادو ومحمد الشاذلى خزندار وغيرهما ، نقل الشابى الشعر التونسى نقلة هائلة الى آفاق أوسع رحاباً وأغوار أبعد أعماقاً وانتحى نحو الاتجاه الوطنى ونزع إلى رومانسية ثورية إن صح هذا التعبير .

لم يعرف المشرق العربى أبا القاسم الشابى إلا سنة ١٩٣٢ عندما نشر قصيدته المشهورة « صلاة فى هيكل الحب » بمجلة أبولو التى حملت اسم جماعة أبولو على عهد مؤسسها المرحوم الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، وكم كانت لفتة طيبة كريمة تدل على الوفاء والعرفان من القائمين على تنظيم الاحتفال أن نرى صورة الشاعر المصرى أبى شادى مكبرة ومعلقة بمتحف الشابى بمدينة توزر والذى يضم جميع آثاره وجميع ما ألف عنه من كتب أو دراسات أو رسائل جامعية أو مقالات نشرت بالمجلات الأدبية فى أنحاء العالم العربى .

لقد شد الشابى أسماع الأدباء والشعراء والنقاد فى مصر عقب نشر قصيدته التى أشرنا إليها وما تلاها من قصائد أخرى مبكرة وأدرك جميع من قرأوا له أنهم يستمعون إلى صوت جديد قادم من المغرب العربى ، جديد فى نبرته وإيقاعه ، متميز بأصالته وجدته ، سواء فى شكله أو مضمونه ، وبدأ اسم الشابى يتردد على ألسنة الشعراء وأقلام النقاد فى مصر خاصة وأن أشعاره التى نشرت وذاعت بعد ذلك فى المشرق العربى كانت تبشر بشاعر واعد يرجى منه المزيد من العطاء .

فقد كان المرجو أن يظل الشاعر يعزف على قيثارته أعذب ألحانه وأشجى أنغامه ويثرى خميلة الشعر بأخيلته ومعانيه ورؤاه المجنحة لولا أن شاءت إرادة الله أن يقضى نحبه نتيجة لمرضه بتضخم القلب فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ومن هنا لم يعط الشابى الأدب واللغة العربية والشعر العربى كل ما كان مستعداً لاعطائه ، مثله فى ذلك مثل النجم الذى لم يستخرج كل ذهبه بل بقيت ناحيات من ذلك المنجم بكراً لم تمسسها يد ، فذهب وبعضه — إن لم يكن معظمه — مجهول لنفسه ولمعاصرية .

هل كان الشابى شاعراً رومانسياً خالصاً ؟

لقد أجمع كل من كتب عن الشابى أمثال رجاء النقاش وأبى القاسم كرو وزين العابدين السنوسى وعمر فروخ وايليا حاوى ونعمات أحمد فؤاد ومحمد صالح الجابرى وخليفة التليسى ومحمد الشتيوى وعبد اللطيف شرارة وعبد المنعم خفاجة وعبد اللطيف السحرتى ومحمد لطفى جمعه وغيرهم — على أن الشابى شاعر رومانسي بكل ما تعنى الرومانسية من سمات وخصائص معروفة أو

متعارف عليها .

ولكن هل كان الشابى شاعراً رومانسياً خالصاً بكل ما تنطوى عليه الرومانسية من انفعالات عاطفية ومعاناة وكآبة وآلام وضيق وشعور بالغربة والضياع ولواذ بالوحدة وهيام بالطبيعة واستغراق فى أحضانها ورجوع إلى الماضي واجترار للذكريات وتهويم فى عوالم من الرؤى وأحلام اليقظة وشفافية روحانية تمازجها لمحات من الأذواق والمواجيد الصوفية ؟

الحقيقة أنه يبدو من العسير أن ندرج الشابى ضمن الشعراء الرومانسيين الخالصين ، وانما يمكننا القول بأنه كان رومانسياً من نوع فريد ومن طراز يعتبر نسيج وحده ، استطاع أن يشق لنفسه طريقاً متميزاً بين سائر الشعراء الرومانسيين ، جمع فيه بين الرومانسية والواقعية فى آن واحد ، وهنا يكمن سر عبقرية الشابى وتفرده عن سائر الشعراء الرومانسيين ، ومن هنا أيضاً فاننا نعتبر ظهور الشابى بداية لمرحلة جديدة من مراحل الشعر التونسى المعاصر حتى ليمكننا أن نطلق على هذه المرحلة اسم « عصر الشابى » .

فالشابى لم يعش فى برج عاجي ولم يسكن قوقعة حبس فيها نفسه ، ولم يغلق على نفسه قمقماً عزله عن الحياة والناس وما يضطرب فى هذه الحياة من صراعات ومتناقضات ، وإنما خرج من حصار النفس ونطاق الذات إلى رحاب المجتمع وآفاق الحياة الرحبة الواسعة ، واستطاع أن يمزج بين النزعة الفردية التى يتميز بها التيار الرومانسي وبين الموضوعية التى يتميز بها التيار الواقعي ، وعاش مشكلات عصره وقضايا وطنه بكل ما تعنى به كلمة المعايشة ، فمازج بين الفن الذاتى وبين الابداع الاجتماعي ، فقد كان واقفاً على أحوال شعبه الراسف فى أغلال الأسر والقهر الرازح تحت أثقال التخلف السياسى والاجتماعى ، وكان واعياً تمام الوعي لكل ما يدور حوله من صراع مرير وكفاح بطولي بين الشعب الأعزل والمستعمر الأجنبى المسلح بالحديد والنار ، ينفعل بالأحداث ويتفاعل معها بل وقد يشترك فيها اشتراكاً إيجابياً ، وقد انعكس كل هذا الانفتاح على الحياة والمجتمع على مانظمه من أشعار تدور حول إرادة الحياة عند الشعوب وحول الحرية والانعتاق والانطلاق من قبضة العبودية والقهر ، فهو فى قصيدته « تونس الجميلة » من ديوانه أغانى الحياة يبشر باندحار الظلام أمام فجر الحرية ويقول :

إن ذا عصر ظلمة غير أنى
من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبى ولكن
سترد الحياة يوماً وشاحه

رابح لطفى جمعه

سلمى الأسوانية تثير بعض القضايا الأدبيّة

بقلم : عباس خضر

هما قضيتان : الأولى شهرة الأديب وما يحيط بها وعدم شهرته وما يجنيه هذا العدم ، لا على صاحبه فقط ، بل كذلك على إنتاجه وعلى القراء من حيث عدم وصولهم إلى الانتاج والاستمتاع الأدبى بـه .

هل المسألة « حظ » أو كما يقال « أرزاق » ؟ ربما كان ذلك ، وعلى أية حال ليست الأسباب موضوعنا الآن .

لست أنكر على المشهور شهرته ، ولست أنكر جدارته بهذه الشهرة ، وإن كان بعضهم جديراً بالإنكار ، من حيث أنه نال أكثر مما يستحق ، وسبحان الذى « يعطى الحلق للى بلا ودان » كما يقول المثل الدارج .

والقضية الثانية أشرت إليها فى كلمة سبقت بمجلة الدوحة تحت عنوان « أدب سياحى » قلت فيها إن الأدب الصادق انما يتأتى ممن نبت فى البيئة التى عبر عنها ، لا عن طارىء « سائح » واستشهدت على ذلك برواية « سلمى الأسوانية » لعبد الوهاب الأسوانى ، التى صدرت فى القاهرة من نحو خمسة عشر عاماً .

أين عبد الوهاب الأسوانى الآن ؟ لا حس ولا خبر .. أغلب الظن أن دوامة الحياة واكتساب الرزق قد استوليا عليه .

عادل كامل

مثل كاتب كان زميلا لنجيب محفوظ ، مزامناً له ، وكان يحفر معه الصخر لكى يحييا فن الرواية العربية الحديثة أو عملا على تطورها والارتقاء بها ، وأصدر رواية « مليم الأكبر » وكتب لها مقدمة طويلة صب فيها جام غضبه على المجمع اللغوى ، لأنه لم يمنحها الجائزة .. ربما كان ذلك لأنها تصور بؤس البطل ومعاناته شظف العيش فى عصر فاروق ، وكان يقال اذ ذاك فى مثل هذا العمل إنه يدعو إلى المبادىء الهدامة !

ثم اختفى عادل كامل (اسم الكاتب) من عالم الأدب ، وانغمر فى لجة النسيان !

فهل هذا هو حظ صاحبنا عبد الوهاب الأسوانى ؟ أرجو ألا يكون . كان شاباً واعداً عندما كتب « سلمى الأسوانية » وقدمها لنادى القصة فى القاهرة ، ونالت جائزة النادى ، وكان كاتب هذا أحد المحكمين والفاحصين لهذه الجائزة .

عمل أدبى ناضج

أقول : كان « واعدا » والحق أنه كان منجزاً .. أخرج عملا أدبياً ناضجاً أعظم النضج ، هو هذه الرواية « سلمى الأسوانية » وهى تصور البيئة النوبية التى كانت تقع على شاطىء النيل جنوب مدينة أسوان ، وأغرقتها المياه المتجمعة خلف السد العالى ، تصور الرواية هذه البيئة أدق تصوير ، وتعبر عن أهلها وهمومهم وأفراحهم أصدق تعبير ، كما صنع شعراء العصر الجاهلى فى عصرهم وبيئتهم .

وطبيعى أن نرى فى الرواية ظلالا لشخصية المؤلف نفسه ، فهو من النوبة وإليها ينتمى ، وهذا واضح من اسمه (عبد الوهاب الأسوانى) وأرى أن هذا من أسباب نجحه فى هذه الباكورة ، إلى جانب موهبته واقتداره على التعبير وثقافته .

يسوق الحكى فيها على لسان البطل الذى يقول : إن والده استدعاه من الاسكندرية حيث حصل على وظيفة فيها بعد أن تخرج فى الجامعة ــ استدعاه ببرقية يطلب فيها منه الحضور فوراً ..

سلمى الأسوانية تثير بعض القضايا الأدبية

عـــار الأسرة

لبى مصطفى (وهذا اسمه) دعوة أبيه، فحضر، ثم علم السبب .. وهو أن ينقذ الأسرة من العار الذى قد يلحقها إذا لم يفعل ما يراد منه!

ابنة عمه «سلمى» زفت إلى شاب أهوج من قبيلة «البراطيم» شفع له مركز أسرته التى منها العمدة فى الزواج من سلمى. وفى ليلة الزفاف خرج يصيح فى لوثة أنه وجدها غير عذراء! واتفقت الأسرة على أن تبرق لمصطفى ليحضر ويتزوج من سلمى .. ولم يرض أبوه أن يتزوجها شاب آخر غير ولده مصطفى ..

ذهل مصطفى .. الأسرة يتهددها العار، لن يستطيع أحد من رجالها أن يرفع رأسه أو يخاطب أحداً أو يغشى مجلساً، الأسرة أسرته التى أعطته الفرصة للتعليم والرقى ..

حقاً ان سلمى جميلة .. ولكن عقله وأفكاره الحديثة لا تطلب الجمال وحده، لابد من أشياء أخرى تساعد الجمال، كيف يتزوج محمد ممن لم تفتح كتاباً أو مجلة، كيف يصطحبها إلى الاسكندرية ويتبادل وإياها زيارة الأصدقاء والزملاء وزوجاتهم؟ كيف يسلم من ألسنتهم إذا رأوها تجر ملاءتها المصنوعة من صوف النعاج والتى تسحب وراءها التراب؟

سلمى ونادية

شتان ما بين سلمى وبين نادية التى خطبها فى الاسكندرية .. نادية التى تناقش معه الكتاب الذى يقرآنه، وتقول رأيها فى الفيلم الذى يشاهدانه، وتتذوق الموسيقى الشرقية والغربية، وتطرب لبيت جيد من الشعر.

رفض هذا الزواج الغريب، ووقع فى حيرة ما بعدها حيرة .. ويغضب الأب. ويستمر الصراع بينهما، وبين مصطفى ونفسه من جهة أخرى .. حتى ينتهى فى آخر الأمر بالزواج الذى لا مفر منه .. وفى الختام يهمس له أحدهم قائلا:

ــ مادمت قد (دخلت) على بنت عمك .. فلا عار عليك بعد الآن إن تركتها لتتزوج من غيرك! لكن هل تظن أن البحراويات (بنات بحرى) أجمل منها؟ على الطلاق هى أجمل!

وفى خلال ذلك يعرض علينا المؤلف أنماطاً وألواناً من عادات النوبيين وأخلاقهم ومشاحناتهم وأفراحهم بأسلوب روائى سليم. ومن أعجب ما جرى احتفاؤهم بالعرس، يقول فى وصف الزفة:

«وتحرك موكب الزفة صوب بيت عمى .. الشبان يحيطون بى فى المقدمة وقد حملوا النبابيت المخضبه بالحناء .. والسيدات فى الخلف بدفوفهن وزغاريدهن .. ولم يكن معنا من الشيوخ غير بضعة أفراد من بينهم عم عبد الله الذى همس فى أذنى قائلا:

ــ فى بعض البلاد الأخرى العروسة هى التى تزف إلى (العريس) وكأنها نعجة!»



عبد الوهاب الأسوانى

لن نسلم العريس

وكان الشبان يرددون وراء منشدهم:

«زين الشامات نمدح الله».

وقال أحد الشبان وهو يمسك بنبوته وكأنه يستعد للقتال:

ــ لن نسلم العريس ولو استعملنا القوة!

ويقول عم عبد الله هامساً للعريس:

ــ أحمد ربنا لأن العروسة من قبيلتك .. لو كانت العروسة من قبيلة أخرى لتصدى لك شبانها وطلبوا منك أن تسلم نفسك والا فليس هناك حل غير النبوت!

عندما يقترب موعد العرس تجرى الدعوة هكذا:

يتقدم الواحد من الشباب من باب المدعو ويقول بطريقة تقليدية:

ــ يا هووه!

فيرد عليه صوت من الداخل (حريمى غالبا):

ــ الله هوه!

ــ تفضلوا عند الشيخ عثمان أبو عبد المعطي!

فيجيبه الصوت!

ــ يتمم بخير!

يوم الزفاف

كأنى من هذه الرواية فى بستان أحار ماذا آخذ من ثماره وماذا أدع .. ماذا أقدم لك من هذه الثمرات الطيبات؟ خذ هذه:

يوم الزفاف تقدم العريس، من باب البيت الذى فيه العروس، ووقف أمام حجرة علق على بابها طبق صغير من الصينى، وقال له ابن عمه:

ــ اسحب السيف؟

يقول العريس:

فسحبت السيف وقلت: بسم الله. ثم ضربت طبق الصينى بطرف السيف ثلاث ضربات خفيفة .. وفتح الباب، فدخلت وحدى، وصاح الشبان من الخارج بنشيدهم:

«زين الشامات نمدح الله».

وجدت نفسى فى حجرة واسعة داخلها حجرة أخرى صغيرة، فى الحجرة الداخلية وقفت سلمى ومعها امرأة عجوز. كانت سلمى ترتدى ثوباً أسود شفافاً يكشف عن لون الثوب الأحمر اللامع الذى تحته، وتضع على رأسها شالا أصفر اللون. تقدمت منها وسلمت عليها وأعطيتها ورقة مالية من فئة الجنيه. تناولت الجنيه دون أن ترفع أهدابها، واستدرت لأخرج، ولكن المرأة قالت لى:

ــ أين العادة يا خالة؟

فأعطيتها ورقة من فئة نصف الجنيه.

ثم خرج العريس وذهب به الشبان إلى البحر: النيل. وضع يده اليمنى فى الماء، أخذ رشفة فى فمه كما علموه، وحذره ابن عمه أن ترشه العروس قبل أن يرشها، فلما وقف قبالتها وهى فى صف النساء فوجيء بالماء يغمر وجهه .. غلبته العروس، نصر الله النساء كما قالت إحدى النسوة!

البيت النوبى

ويصف المؤلف أحد بيوت القرية النوبية فيقول على لسان البطل: كان البيت يتكون من فناء واسع تتوسطه نخلة عالية .. وفى الجهة الغربية منه قامت ثلاث حجرات واسعة، داخل كل حجرة حجرة أخرى .. هذه الحجرات تستعمل للمبيت فى الشتاء. وعلى طول الجدار الجنوبى ارتفعت سقيفة أمامها أربعة أعمدة روعى فيها أن تكون أعلى من ارتفاع البيت كله بحوالى نصف متر لتتصيد كل نسمة مارة فى فصل الصيف، وفى آخر السقيفة ــ فى الطرف الشرقى للجدار الجنوبى ــ قامت حجرة المطبخ أو حجرة (الموقد) كما يسمونها، وعلى غير بعيد منها وقفت ثلاث صوامع للغلال، وبجوارها برج للحمام ارتفاعه حوالى مترين، وقف على بابه ذكر من الحمام علا هديله بطريقة بدت فيها نبرة الغضب، فلم أدر أهو يغازل زوجته التى بدت مستكينة بجواره أم أنه يرمى عليها الطلاق!

ذلك رمز جميل إلى موقف المرأة من الرجل فى تلك البيئة وأمثالها .

وفى الجدار الشمالى الذى تقع فيه البوابة الكبيرة ــ قامت حجرة مستطيلة لها بابان ، أحدهما يفضى إلى الخارج ، والآخر صغير يفضى إلى داخل البيت ، وهذه الحجرة هى (الديوان) وتوجد فى أكثر بيوت القرية . وعلى الرغم من أن البيت كله من الطوب النيىء الا أنه كان بالغ النظافة شأن غالب بيوت القرية ، وقومي يتمسكون الطوب النيىء لأنه يعزل الحرارة فى الصيف ، كأن البيت مكيف الهواء صيفاً وشتاء .

هذا المنزل لأحد الأعيان من قرابة مصطفى ، وقد أتي به صاحبه ليسرى عنه مما يلقاه من صرامة أبيه ، وجعل يحدثه فى شتى الموضوعات مراعياً أن يكون أكثرها فكاهياً .. نادى ابنه فى مرح وأجلسه وقال له باسماً :

ــ عد جدودك .

فتربع الغلام وكأنه يقرأ سورة من القرآن ، وعدد جدوده فى سرعة حتى وصل إلى (عامر) فاستوقفه وقال له :

ــ ماذا كان يفعل جدك عامر ؟

ــ كان يحارب الكفار ! لما قتلوا واحداً من قبيلتنا .. ركب الفرس وقتل رئيس الكفار وأحضر رأسه فى المخلاة ! ودفنه فى خيمتنا !

قائد الفتيان

كان حسب الله ــ صاحب هذا البيت ــ قائداً لفتيان القبيلة فى المعارك التى تدور بينهم وبين القبائل الأخرى ، ويعجب مصطفى من جمعه بين الرقة والقوة ! قال العم عبد الله لمصطفى عقب أن همت القبيلة بالاشتباك مع قبيلة أخرى ، ولم يتم هذا الاشتباك لبعض الأسباب :

ــ هل رأيت تلك الخطة المحكمة التى وضعها حسب الله ؟ ياله من ولد مفكر ذى عقل كبير ..

وجاءت أم مصطفى تحمل صينية الشاعر وقد سمعت ذكر حسب الله فقالت :

ــ ربنا يحفظه ويحفظ كل رجالنا .

قال الأب :

ــ كانت خطته تشبه خطط الشياطين !

قالت الأم :

ــ لا تقل الشياطين بسم الله الرحمن الرحيم .. قل مثل خطط الملائكة !

فصاح فيها وهو يلقى (المدغة) من فمه :

ــ اسكتى يا امرأة .. ما أدراك أنت بمثل هذه الأشياء ؟

والتفت إلى مصطفى قائلا فى لهجة متعالية مرحة :

ــ أمك امرأة جاهلة !

ولكن المرأة الراضية بوضعها القانعة قالت :

ــ طبعاً .. وهل النساء مثل الرجال ؟!

مقياس الرجل

ومقياس الرجل فى القبيلة أن يخوض المعارك فى الصف الأول ، قال الأب لمصطفى آسفا :

ــ كنت أتمنى أن تكون فى الصف الأول مع المهاجمين .. لكنهم وضعوك فى الصف الثالث لأنك لم تخض معركة واحدة فى حياتك .. وهذا عيب فى حقك ! ليتنى أراك مثل حسب الله تنظم الصفوف وتضع الخطط .. لاسيما وأنت رجل متعلم !

« حسب الله » من الشخصيات المرموقة فى الرواية ، فى أحد الأعراس كان (القوال) يرتجل ويغنى ، وما رأى حسب الله يقبل على الحفل حتى حياه مرتجلا بصوته الجميل قائلا :

لما حسب الله جانا فى المواعيد
كأنى كنت صايم قابلنى عيد
ده نبوته يرمى الزول من بعيد
حبابك حبابك زعيم المساعيد

(الزول) هو الرجل فى لغة النوبيين كما هو فى اللغة السودانية ، وكذلك (حبابك) وهى تعنى مرحباً بك ، و (المساعيد) اسم القبيلة . ومما يشترك فيه النوبيون مع السودانيين من العادات (المدغة) وهى نوع من التبغ يمضغ فى الفم .

مر الكرام

لست الآن بصدد النقد ، انما أردت التعريف مستنبطاً بعض الدلالات ، أقول أو أضيف إلى ما بدأت به ، فأتساءل مستعجباً : كيف مرت « سلمى الأسوانية » مر الكرام ؟! فلم تأخذ ما هى جديرة به من المكانة فى حياتنا الأدبية الحاضرة .. ألأن مؤلفها غير مشهور ! ولماذا لم ينل بها الشهرة والمكانة وهى من أروع ما كتب فى عالمنا الروائى العربى الحديث ؟ وأقول « من » على سبيل الاحتياط ، فقد يكون هناك ما لم تتح لى قراءته .

ولاشك أن من دواعى الإجادة أن الكاتب من البيئة ، فهو يتحدث من الداخل ولا يصف من الظاهر ، يقول كما قال امرؤ القيس فى « سقط اللوا » وكما شدا قيس بن الملوح بليلاه فى جنبات البيد .

عباس خضر




بريخت

رسالة لنـــدن من : مجـــدي نصيف

حول النفاق والازدواجية في حيـاة فنـان كـبير

مازال مسرح بريخت يستهوى المخرجين والممثلين والكتاب . فى الشهرين الأخيرين ظهر كتابان عن مسرحه . اخترنا هذا الكتاب لأهميته وجديته ، ولأن كاتبه ناقد بريطانى ومخرج عمل مع بريخت . إنه فى كتابه الجديد يقدم « برتولد بريخت » الانسان ، وبريخت « المسرح » .

هذا الكتاب الجديد ليس « سيرة حياة » بالمعنى التقليدى للكلمة . فعنوان الكتاب هو « بريخت فى إطاره الصحيح » .

يناقش الناقد « ويليت » فى كتابه تلك النواحى فى تاريخ الفن المعاصر ، وأوضاع المسرح ، والمؤثرات الأوربية ، التى تشكل ــ كلها ــ الإطار العام لكتابات برتولد بريخت ، ومسرحه ، ونشاطه السياسى .

أما تلك المادة الخاصة . التى تكشف عن النواحى الشخصية والتى يتوقع المرء قراءتها فى سيرة حياة شخص ما ، فلا تظهر فى صفحات هذا الكتاب ، إلا فيما يتعلق بفن بريخت الدرامى والشعرى .

ومما يزيد من وقع هذا الكتاب ، أنه فى جزء منه « سيرة ذاتية » لكاتبه ، ولكنها « سيرة ذاتية » تلتقى بموضوع الكتاب ، أى بريخت .

إن ويليت مؤلف الكتاب يصف علاقته الشخصية بالفنان والشاعر العظيم بريخت ، طوال حياته . علاقته بأعمال بريخت فى البداية ، ثم علاقته ببريخت الانسان نفسه ، وأعماله التى عاصرها ، ومذهبه السياسى .

مادام بريخت هدفاً لهجوم عنيف من جانب ناقديه وخصومه الفكريين ، فمن المحتم ان يكون فى كتاب ويليت شيء من الدفاع عنه ، وإن كان فى الحقيقة لا يحاول بأى حال تبرئة بريخت ، أو مداراة ما هو معروف عنه من حقائق ، خاصة حقيقة أنه كان فى مرات عديدة ملتوياً متشككاً ساخراً .

ما هو تفسير هذا الالتواء والتشكك والسخرية ؟ هل كانت تشكل جزءاً من شخصيته ؟ أم أنه اضطر لاتخاذ هذا « القناع » (من الالتواء والتشكك والسخرية) بسبب ظروف معينة ؟ هل أضطر أن يضع هذا القناع لإخفاء شخصيته وفنه ؟

إن تفسير هذا يكمن فى تلك الظروف التاريخية التى كانت سائدة طوال حياة بريخت ، والتى دفعت به علناً إلى النضال ضد الديكتاتورية ، حيث دفعت به أيضاً ، وفى الخفاء ، إلى ممارسة نوع من النضال السري للاستمرار كشاعر ، وناقد ، وكاتب مسرحى ، لقد وجد أن عليه أن يستخدم كل أسلحة النفاق والازدواجية ليستمر ويبقى على حقيقة الفن الخالصة . وفى الحقيقة فقد نال فنه قسطا من هذه الازدواجية (ذلك الذى يؤيد فيه الدكتاتور ستالين) . ولا يحاول مؤلف الكتاب ويليت إنكار ذلك وإن كان يحاول إقناع القارىء بأن ذلك كان محتم الحدوث .

حجة بريخت فى ذلك أنه استطاع أن يظل ــ فى السر ، وفى بعض الأحيان علناً ــ ناقداً للنظام الديكتاتورى والسلطة المركزية فى روسيا . والتى أيدها بعد ذلك . « ناقد لكن فى سبيل مصلحتها » ــ كما يلاحظ ويليت ، وينقل من وولتر بنجامين قوله : لا يجوز للمرء أن يبني فوق الأشياء القديمة الجيدة ، وانما على الأشياء الجديدة السيئة .

بدأ اهتمام ويليت ببريخت بعد تخرجه من المدرسة بوقت قصير ، وسفره إلى فيينا ليدرس العزف على آلة التشيلو ، وتصميم المسرح أيضاً . آنذاك أخذ يهتم بالتجربة المسرحية الروسية فى ذلك الوقت ، وبالتعبيرية الألمانية . وقد قرأ لبريخت « طبول فى الليل » ، وكما يقول ، كان مقاوماً للشعر حتى قرأ أشعار بريخت لكن المرء يشعر منذ قراءة كتبه بأن اهتمامه بالشعر قد بدأ وانتهى ببريخت (بقدر من أودين ــ على الطريقة البريختية) .

غير أن ضيق نظرته المركزة جداً مفيد للقارىء لأن التركيز على موضوع واحد فقط يربط به كل ما حوله . فقد وجدت نفسى ــ بقراءة هذا الكتاب ــ معنياً بعلاقة الشعر الحديث بما يؤلف الحياة العامة فى ذلك الوقت ــ الناس ، والصراع الاجتماعى ، والفقر ، والحرب ، والتكنولوجيا ، والسياسة ، والطبيعة ــ أكثر بكثير من أى وقت مضى لسنين عديدة . هو كتاب عن المشاكل التى لا تزال مشاكلنا .

و « الأطر » التى يناقشها ويليت ترد تحت عنوان التعبيرية ، والمسرح الواقعى والسياسي للمخرج العظيم بيسكاتور ، السينما ، الفنون المرئية ، والسياسة ، بالاضافة إلى بعض الفصول حول علاقة بريخت بشعر كيبلنج (ظهرت أغانى براك الشعبية مترجمة إلى الالمانية عام ١٩٢٠) .

هناك فصل بعنوان « قضية أودين » حول علاقة بريخت بأودين . فقد كان بريخت مهتماً « بمسرح الجماعة » التجريبى الغامض ، ومشاهد أدائه لعرض سوينى أغونيستيك لاليوت الذى نال إعجابه الشديد عام ١٩٢٩ ، كذلك لابد أنه كان قد سمع عن مسرحيات أودين « المكتوبة بالتعاون مع أشيردود » فى ذلك الوقت .

وقد رأى أودين أوبرا « الثلاث بنسات » لبريخت مبكراً حين زار برلين فى عام ١٩٢٨ .

ويبدو أن بريخت قد شعر بأن أودين يكاد يكون بريختا انجليزياً . وتمنى لو أمكن ترجمة أعماله والتعاون معه بشكل أو بآخر . وفى الحقيقة فإن كل

محاولاته للتعاون معه (مثل إنتاج دوقة مالفى فى نيويورك عام ١٩٤٥) . كانت فاشلة .

أعجب أودين بشعر بريخت لكنه مقته شخصياً . وجد ويليت أن من الصعب عليه فهم هذا الكره الفطرى ، ووضع أسباباً أعتقد أنها غير مقنعة فهو ينقل عن « صديق حميم » لأودين قوله عن أودين : « رغم أفكاره بعد ذلك » بأن « اودين كان ببساطة يخشى من التوحد مع بريخت فى عهد مكارثى » . وسواء اكان ذلك صحيحاً أم لا (وأنا أشك فى ذلك) فلا يمكن أن يكون سبباً لكره بريخت .

لم يكن أودين ليكشف نواحي من سوء تصرف بريخت لأنه كان يعتبر ذلك تصرفاً غير لائق « بجنتلمان » ، لكن براهين عديدة قدمها ويليت نفسه فى الكتاب تدلل على أن بريخت لم يكن « جنتلماناً » ، وبالطبع فلم يكن يريد ذلك لكن إذا كان تصرف « الجنتلمان » جزءاً من شخصية أودين فلابد انها صفة يعلق هو بالذات عليها أهمية خاصة ، وبالتالى فلابد أنه لم يكن يقر بريخت على تصرفه .

ويقلل ويليت من شأن انغماس بريخت فى السياسة مشيراً إلى انها لم تضف ــ بمعيار الخبرة العملية ــ شيئاً .

أما عاطفياً فقد كان بريخت الى جانب الناس العاديين الشعبيين بالكامل : « مستقبل للبشرية لا يمكن رؤيته سوى من الأسفل : من موقع المضطهدين والمستغلين . هكذا أعلن ــ بأسلوب شرير بعض الشيء فى الكلمة التى ألقاها فى حفل تسلمه إحدى الجوائز الأدبيه . وحول أمريكا قال إنه إذا ظل فى تلك البلاد ، فإن هذا يعني أن عليه أن يصبح شخصاً طيباً ، وهذا شيء لا تتجاوز رغبته فيه رغبته فى أن يكون « جنتلمان » .

دفاع ويليت عن بريخت هو أنه كان يناضل فى الخفاء أيضاً فى غالب الأحيان ، رغم أنه دون مراحله كلها فى مذكراته ليحتفظ باستقلالية العقل التى ستمكنه من انعقادها . والحقيقة أن ذلك كان موقفاً مستحيلا سبب له مخاطر عديدة كان شديد الوعي بها ، ولذا فقد احتفظ لنفسه دائماً بخط الرجعة ــ سكنه فى النمسا ، حسابه فى البنك السويسري .

واضح أن ملف بريخت لم يقفل بعد ــ جون ويليت يلتزم دور محامى الدفاع بشدة ــ وكتاباته ذاتها ــ التى تتضمن أشعاراً ومسرحيات عظيمة ــ تستدعي الحكم عليها بمعيار مختلف تماماً عما نحكم به على الشخص ذاته .

مجدى نصيف

قــــــــــــراءة فى :

أنفاس على جدار القلب

بقلم : يوسف أبو العز

— ١ —

ثمة فجوة بين المعرفة والعاطفة ، بين الفكر والخيال ،بين الفلسفة والشعر . فهناك منطقة لابد من تجاوزها فى منطق العقل الجامد ، مثالياً كان أو مادياً ، وذلك من أجل الخروج من حصار موضوعيته المزعومة نحو فضاء أوسع وأشمل وأبهى . ينعش النفس ويغرى بالطيران ، لكن هناك أيضاً منطقة خطرة لا يجب الوصول إليها ، تلك التى لا تمت بصلة إلى الواقع .

عندما نتجاوز حصار العقل ذاك ، وننزل من الخيال البعيد ، فسوف نجد أنفسنا فى القلب . فهو الذى يجمع العقل والعاطفة ويحل تناقضاتهما وعلى جداره تتراكم الأنفاس فى فصل الشتاء تدفئه وتزرع فيه الحب ، فلنتفق اذن على موعد ، : ساعة الغسق . ما رأيكم ؟! هناك حيث نلتقي فى كتاب الأديب الأستاذ عبد الله الجفري (أنفاس على جدار القلب) إذ يختلط المكان بالزمان وينصهر الصوت بالرؤى ، سنتعانق ونتلفع بالضباب لنتوحد ونذوب ..

— ٢ —

حب ، وصور ، ومفاهيم .

القلب يدق ، ينبض بالحب فتنبعث الصور وتطير بعشوائية الفراشات ، الأمر الذى يستفز العيون التى تتابع الحركة فترى فى شكلها علامات استفهام فتسأل ليبدأ الحديث ، ويزداد النقاش .. حتى ترتسم الأفكار الخارجة من الصدر (بيتاً على جناح حمامة ويتخطى الضوء المكان) عندما يعلن



غلاف انفاس على جدار القلب للكاتب السعــودى عبدالله الجفـرى

الكاتب عن الرؤية ولكن باقتباس جميل وحالم : (فاغمض عينيك حتى ترانى) (ص ــ ١٣) .

— ٣ —

منذ البدء ، ثم فى كل الفقرات يرسم الفنان عبد الله الجفرى موضوعه بأسلوب السينمائيين حتى يتوهم المرء أنه يقرأ سيناريو ، فإذا كان لديه (مثلى) حلم دائم بأن يكون مخرجاً فسيبدأ على الفور بتهيئة الكادر .

ــ على فنيي الديكور نصب الجدران وتهيئة المكان .

ــ ولكنه الطبيعة .
ــ فليحمل المصورون كاميراتهم إذن للذهاب إلى هناك .

ــ ولكنهم لن يستطيعوا الدخول في قارورة العطر أو صدر رجل أو رمادية السماء أو الذكرى أو منعرجات الظنون أو داخل النفس .. كما لن تستطيع الشمس ولا مهندسو الاضاءة رسم النور كما هو في ذلك الزمان : هجير الأشواق ، عهد بالوفاء ، باعث التلفت ، يطفو ، البعد الرابع ..
ــ فلنسأل مهندسي الصوت عن الموسيقى التى تستطيع عزف ذلك النغم يتيم البوح ، أصداء النفس ، صمت الفجاءة ، أنفاس الليل القادم ، حلم .. ولكن ذلك صعب ، بل مستحيل لأن الموسيقى هنا تستغنى تماماً عن حاسة السمع وعن مفهومها التقليدى ليستقر صداها في النفس . (راجع مقدمات الفقرات) .

هكذا سنرمى الآلات جميعاً في البحر ونبدأ الحوار الذى تتولد منه الصور الجميلة وكلما كاد الخيال أن يأخذنا بعيداً إلى تلك المنطقة الخطرة فإن الوعي يسيطر على حركة الطيران تلك ويعيدنا للواقع :
(ــ قالت : أنت تتهرب مني كلما بحثت عنك ، وعندما أريدك لا أجدك .
ــ قال : ولكنى معك كل لحظة .. لا تغيبين عن خفقي ووعيي بل تمتلكين حتى احلامي !
ــ قالت تبتسم : نحن تخطينا عصر الرومانسيات ، المرأة اليوم لم تعد تندرج تحت عبارة غزل ترطب انفعالاتها .. نحن في عصر واقعي ومادى ولابد أن تثبت كلامك هذا ؟!) ص ١١ .

لذلك فالأستاذ الجفري يحلق دائماً بالعبارة المجنحة ولكن ليس ليبتعد عن الانسان في الواقع بل ليقودها إليه ويضعها في خدمته ذلك أنها (كما تفضل الناشران : هشام ومحمد علي حافظ في مقدمتهما للكتاب حيث صدر عن الشركة السعودية للابحاث والتسويق الدولية : تعكس شخصيته المحلقة دائماً والحساسة أبداً والأنسانية بكل معاني الكلمة) ص ٣ .

ــ ٤ ــ

علينا اذن أن نأخذ الأمر على محمل الجد ولا نقف بالعبارة عند الأعجاب بقيمتها التعبيرية أو نترك الحلم يستغرقنا بل علينا أن ندرك مفعول العبارة الحقيقي في الانسان حيث أنها وسيلة الادراك :
(ــ قال لها : ترى هل أعجبك التعبير ، أم استغرقك الحلم في الصورة التى رسمتها لتوحدنا معاً وامتزاجنا انسانين في روح واحدة ؟!
ــ قالت : بالنسبة لي .. أعتبر أن عمري يبدأ مع اللحظة التى توحدنا وتجمعنا ، فلا تستغرب أن أشع وأضيء وأفرح في أصداء العبارة التى قلتها لي فرسمت فيها « قيمة » العثور على الحب الحقيقي والغامر .) ص ١٣ .

هكذا تبرز المفاهيم وتتراءى فلسفة الحب الخاصة ، ولكن ترى مع من يلتقي الأستاذ الجفرى بفلسفته في هذا الموضوع ! لقد قرأت لهيجل عن « الذات » فوجدت عنده أن الاندماج في الآخر هو غاية الذات التى تتحقق تماماً بالاشتراك مع الآخر ــ (الحبيب) بروح واحدة . وهذا ما يصر الأستاذ الجفري على توكيده ويسعى إلى اثباته عن طريق الحوار الحي لا الأفكار الجامدة .
ولا يتوقف الأمر على الذات والحبيب فقط بل يتعداه عند الجفري كما عند (سبينوزا) ليشمل الكون بكل عناصره فهو (الروح العام) بتعبير جبران خليل جبران حيث احتفال التحولات الدائم وعرس الحب الأبدى ومهرجان الحياة الجديدة :

قال : اذن .. هي « اللحظة العمر » .. العبارة ، والصورة ، والحلم الذى ينسج خيوط حياة سعيدة تضم في رحابها حبيبين يتوقان لبناء حياة تجمعهما معاً فيتحولان إلى ضوء وإلى أسرة وإلى مجتمع يقبل على زفاف الحب ، ويسقي تربته لتتفتح زهوراً جديدة !) ص ١٣ .
وليست هي مجرد نظريات مثالية أو أفكار رومانسية بل هى فهم متفائل للحياة ، ويقين علمى بقدرة الانسان على الحب ورسوخه في قلبه الذى يخفق ضمن التكامل الانسانى رغم الصبغة المادية التى طغت على هذا العصر .
ــ قالت : ولكن .. ألا تشعر أن الحب ينهزم في عصرنا بشتى النتائج ؟
ــ قال : وكيف ينهزم الحب ، وقلوب الناس تخفق ، وطبيعة التكامل الانساني لم تتغير ، لأنها مازالت أقوى من كل عناصر الماديات وجدل الكراهية ؟!) ص ١٣ .

ــ ٥ ــ

انفاس على جدار القلب ، كتاب غني ومزدحم بالافكار التي تستطيع كل منها أن يشكل موضوعاً فلسفياً واسعاً يحتاج المرء أن يتوقف عنده طويلا ، فالزمن الذى يشكل موضوعاً رئيسياً يعالج من زوايا مختلفة :
ــ لحظة حب رائعة يعيشها الحبيبان ولا يريدان أن تنتهى ، يخافان من الزمن . هنا أسمع فاوست يصرخ : (تريثي قليلا أيتها اللحظة فما أجملك) ــ غوته .
ــ بحث في الماضي واستشراف صورة المستقبل لاكتمال الأبعاد الثلاثة عند الانسان في بيئة الأستاذ الجفرى تميزاً عن الانسان الأوروبي الذى لا يعيش سوى حاضره كما بدأ في كتاب فيلسوف الشباب هربرت ماركوز « الانسان ذو البعد الواحد » .
ــ تفاعل طاقات العمر (السن) حيث يمنح الشباب العنفوان والارتواء والصفاء ويمنح النضج التجربة والالتزام والصدق ليأتي التبلور ويتجسد الحنان ويتم التوحد والتكامل .
وهناك الكثير من الموضوعات الفلسفية الأخرى والتى لا يمكنني في هذه القراءة الأسهاب في تناولها كموضوع اللذة الذى يراه الجفري يطفو على السطح ولا يمثل العمق الانساني كما هو الحب ثم هناك الاغتراب : تلك المرحلة التى تسبق العثور على التوأم ، مرحلة التعلق بلا حبيب ، وفاعلية ولا فاعلية المادة وهناك اشارة إلى ضرورة العنصر الدرامي في حياة (المشاكل ملح الحياة) ثم حديث عن التعب والبكاء : (نبكي في قمة توهج الاحساس والصدق يدلنا) والقتل أو قطع الرأس الذى لا يقتصر على فعل شهريار بل ينطبق أيضاً على فعل إهمال الآخر أو الغرور راجع ص ٣١) كما أن هناك إشارة لأسباب معالجة قضية ما : عدم المبالغة فيها ويقتبس الكاتب من أجل ذلك من غاندى : (ان قضية من القضايا لا يضيعها شيء قدر ما تضيعها المبالغة) وهناك تفكير بقضايا عميقة كالموت والجنون والجوع :
(ــ قال الغريب : كل شيء .. هو القناعة ، وهو شبع النفس وشبع الضمير وشبع الكرامة وشبع العقل والعاطفة .
ــ قال الاسكافي : وما هو الأمر الأقسى من ذلك ؟!
ــ قال الغريب : الأقسى هو اننا ننسى الحب بعد الشبع) ص ١١١ .

ــ ٦ ــ

« أنفاس على جدار القلب » هو كتاب العشق والفكر والخيال والحوار الجميل .

يوسف أبو العز

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● آفة اللغة هذا النحو ●● من خواطر الدكتور زكي مبارك ●●● تعاليم الرجال

منذ أربعين عاماً وأدباؤنا يطالبون بتيسير النحو العربي

آفة اللغة هذا النحو



بقلم: علي الطنطاوي

أستأذن أستاذنا الجليل « الزيات » فأستعير منه هذا العنوان . فأكتب كلمة فى هذا الموضوع الكبير ، الذى نبه إليه الأستاذ بمقالته القيمة المنشورة فى « الرسالة » الثالثة عشرة :

قال الأستاذ : « ليس من شك فى أن دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة ، ودرس القراءات فى القرآن ، ولكن نحن اليوم ، وقبل اليوم ، إنما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج فى الفصيح لهجة واحدة ، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة وطلاب القديم ، على ألا يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه فى النقد ، وإنما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها ، وتأثر بها ، فيكون هو وهى فى ذمة التاريخ ، وفى خدمة التاريخ ؟ » .

ولقد صدق أستاذنا وبرّ ، وأصبح النحو علماً عقيماً ، يدرسه الرجل ويشتغل به سنين طويلة ثم لا يخرج منه إلى شيء من إقامة اللسان والفهم عن العرب . وإننى لأعرف جماعة من الشيوخ ، قرأوا النحو بضعة عشر عاماً ، ووقفوا على مذاهبه وأقواله ، وعرفوا غوامضه وخفاياه ، وأولوا فيه وعللوا ، وأثبتوا فيه ودللوا ، وناقشوا فيه وجادلوا ، وذهبوا فى التأويل والتعليل كل مذهب ،

آفة اللغة هذا النحو

ثم لا يفهم أحدهم كلمة من كلام العرب ، ولا يقيم لسانه فى صفحة يقرؤها ، أو خطبة يلقيها ، أو قصة يرويها ..

ولم يقتصر هذا العجز على طائفة من الشيوخ المعاصرين ومن قبلهم من العلماء المتأخرين ، بل لقد وقع فيه جلة النحويين وأئمتهم منذ العهد الأول :

وقد روى السيوطى فى (بغية الوعاة) أن الكسائى (١) قد مات وهو لا يعرف حد نعم وبئس ، وأن المفتوحة ، والحكاية ! .. وأن الخليل (٢) لم يكن يحسن النداء .. وأن سيبويه (٣) لم يكن يدرى حد التعجب !

وأن رجلا قال لابن خالويه (٤) : أريد أن تعلمنى من النحو والعربية ما أقيم به لسانى . فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لسانى !

فأى فائدة من النحو ، إذا كانت قراءته خمسين سنة لا تعلم صاحبها كيف يقيم لسانه ؟ وما الذى يبقى للنحو إذا لم يؤد إلى هذه الغاية ، وإذا أصبح أصعب فنون العربية وهو لم يوضع إلا لتسهيلها وتقريبها ؟

ومن ــ ليت شعرى ــ يسلك الجادة ليخلص من الوعر ويدنو من الغاية ، إذا رأى من هو أقوى منه وأجلد قد سلكها فانتهت حياته ولم ينته منها ، وأتته منيته وهو فى بعضها .. يقلب حصباءها ، وينبش تربها ، وينظر فى جوانبها ؟ ..

وإذا كان ملك النحاة (٥) بعد أن أنفق عمره كله فى تعلم النحو وتعليمه ، يستشكل عشر مسائل ، وتستعصى عليه فيسميها « المسائل العشر ، المتعبات إلى يوم الحشر » (٦) ويأمر أن توضع معه فى قبره ، ليحلها .. عند ربه ! فما بالك بأمثالنا من السوقة ؟ .. وكيف نفهم هذا النحو وندركه إدراكاً بله الاستفادة منه ؟ وأن نجتنب به الخطأ فى النطق وفى الفهم ؟ ..

ومن يقبل على النحو ، وهو يرى هذه المشروح وهذه الحواشى التى تحوى كل مختلف من القول ، وكل بعيد من التعليل ، وفيها كل تعقيد ، حتى ما ينجو العالم من مشاكلها مهما درس وبحث ونقب ، ولا يستقر فى المسألة على قول حتى يبدو له غيره أو يجد ما يرده ويعارضه ، كالقائم على ظهر الحوت ، لا يميل إلى جانب إلا ميل به إلى جانب ، ولا يدرى متى يغوص الحوت ، فيدعه غريقاً فى اليم ..

وسبب هذا التعقيد ــ فيما أحسب ــ أن النحاة اتخذوا النحو وسيلة إلى الغنى ، وطريقاً إلى المال ، وابتغوه تجارة وعرضاً من أعراض الدنيا ، فعقدوه هذا التعقيد وهولوا أمره ، حتى يعجز الناس عن فهمه إلا بهم ، فيأتوهم ، فيسألوهم ، فيعطوهم ، فيغتنوا ..

روى الجاحظ فى كتاب الحيوان ، أنه قال للأخفش : مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً ، ثم تجعله صعباً غامضاً ، ثم تعود به كما بدأت ؟

قال : ذلك لأن الناس إذا فهموا الواضح فسرهم ، أتونى ففسرت لهم الغامض فأخذت منهم !

وروى السيوطى : أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرة ابن خالويه ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور ؟

فقالوا : لا . فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟

فقال : أنا أعرف اسمين . قال : ما هما ؟

قال : لا أقول لك إلا بألف درهم ! ..

وكان نفطويه (٧) لا يقرىء كتاب سيبويه إلا إذا أخذ الرسم .

من أجل ذلك اتخذ النحاة هذا التعقيد سنة جروا عليها ، وغاية تواطأوا على بلوغها ، لتتم الحاجة إليهم وتثبت لهم مكانتهم ، وتستمر الحاجة إليهم ، حتى ان أبا على الفارسى (٨) ، لما سأله عضد الدولة بن بويه أن يصنف له كتاباً فى النحو ــ وصنف الايضاح ، وأوضح فيه النحو وقربه حتى أتى عليه عضد الدولة فى ليلة ، واستقصره وقال له : مازدت على ما أعرف شيئاً ، أحس أبو على بالخطأ ، وشعر بأنه خرج على هذه الخطة التى اختطوها لأنفسهم : خطة التعقيد .. فعمد إلى تدارك الخطأ ، فمضى فصنف التكملة وحملها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ فجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو (٩) ..

وزاد النحو تعقيداً وإبهاماً وبعداً عن الغاية التى وضع من أجلها ، ماصنعه الرمانى (١٠) من مزج النحو بالمنطق وحشوه به ، حتى ما يقدر من بعده على تجريده منه ، وحتى قال أبو على الفارسى وهو معاصر له :

« إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء .. » .

فخرج النحو بذلك عن الجادة ، ولم يعد واسطة لفهم كلام العرب واتباع سبيلهم فى القول ، بل غدا عاماً مستقلا معقداً مضطرباً لاتكاد تثبت فيه مسألة . ورضي النحاة عن هذا التعقيد ووجدوا فيه تجارة وكسباً ، حتى أن السيرافى (١١) لما ألف كتابه الإقناع (الذى أتمه ولده يوسف) وعرض فيه النحو على أوضح شكل وأجمل ترتيب ، فأصبح مفهوماً سهلا ، لا يحتاج إلى مفسر ولا يقصر عن إدراكه أحد ، حتى قالوا فيه : وضع أبو سعيد النحو على المزابل بكتابه الإقناع .. لما ألفه قاومه النحاة ، وما زالوا به حتى قضوا عليه ، فلم يعرف له ذكر ، ولم نعرف أنه بقي منه بقية !

زاد النحو فساداً على هذا الفساد هذا الخلاف بين المذهبين (أو المدرستين على التعبير الجديد) : المذهب الكوفى ، والمذهب البصرى ، وماجره هذا الخلاف من الهجوم على الحق ، والتدليل على الباطل ، والبناء على الشاذ ، قصد الغلبة وابتغاء الظفر ، كما وقع فى المناظرة المشهورة بين الكسائى وسيبويه ، حين ورد هذا بغداد على يحيى البرمكى ، فجمع بينه وبين الكسائى للمناظرة فقال له الكسائى :

ــ كيف تقول : قد كنت أظن أن الزنبور أشد لسعة من العقرب ، فإذا هو هى ، أو هو إياها .

ــ فقال سيبويه : فإذا هو هى ، ولا يجوز النصب .

ــ فقال الكسائى : أخطأت ، العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وجعل يورد عليه أمثلة ، منها : خرجت فإذا زيد قائم أو قائماً .

وسيبويه يمنع النصب .

فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ قال الكسائى : هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك ، وهم فصحاء الناس فاسألهم .

ــ فقال يحيى : أنصفت .

وأحضروا فسئلوا ، فاتبعوا الكسائى فاستكان سيبويه وقال :



أحمد حسن الزيات

— أيها الوزير . سألتك إلا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك ، فإن ألسنتهم لا تجرى عليه ، وكانوا إنما قالوا : الصواب ما قاله هذا الشيخ !

— فقال الكسائى ليحيى : أصلح الله الوزير ، إنه قد وفد إليك من بلده مؤملا ، فان رأيت ألا ترده خائباً .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج إلى فارس فمات بها بعد قليل غماً وأسى !

فى حين أن الحق كان فى الذى يقوله سيبويه ، وأن الكسائى كان — كما يقول السيطوى — ممن أفسدوا النحو ، لأنه كان يسمع الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة فيجعله أصلا ..

وزاد النحو فساداً على هذا الفساد ، ابتغاؤهم العلة والسبب ، لكل ما نطقت به العرب ، وسعيهم لتعليل كل منصوب ومخفوض ، وسلوكهم فى ذلك أبعد السبل من الواقع ، وأدناها إلى التنطع والوهم . من ذلك ما رواه ابن خلكان من أن أبا على الفارسى كان يوماً فى ميدان شيراز يساير عضد الدولة ، فقال له :

— بم انتصب المستثنى فى قولنا : قام القوم إلا زيداً ؟ قال الشيخ : بفعل مقدر . قال كيف تقديره ؟ قال : أستثنى زيداً . فقال له : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد :

فانقطع الشيخ وقال :

هذا جواب ميدانى فاذا رجعت قلت الجواب الصحيح . ثم انه لما رجع إلى منزله وضع فى ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه .

قال السيوطى ، والذى اختاره أبو على فى الايضاح أنه ينتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا .

قال : والمسألة سبعة أقوال .. حكيتها فى كتابى جمع الجوامع من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذى ذكره أبو على أولا ..

* * *

هذه بعض الأسباب التى جعلت النحو معقداً هذا التعقيد ، مضطرباً هذا الأضطراب ، بعيداً عن الغاية هذا البعد . « فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة التى نستعملها ، وتقوم تلك اللهجة — التى نلهجها — وندع ذلك الطم والرم لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة ؟ » .

ولماذا لا يدلى علماء العربية وأدباؤها برأيهم فى سبيل الاصلاح ، ولماذا لا ينشر شاعرنا الفحل الأستاذ المحقق محمد البزم ، وهو أول رجل أعرفه انتبه إلى فساد هذا النحو ، ولبث خمسة عشر عاماً يعالج أدواءه ، ويصف دواءه ، ويقرأ من أجل ذلك كل ما فى أيدى الناس من كتب النحو وأسفار العربية ، لماذا لا ينشر ثمرة بحثه ، وخلاصة دراسته فى (الرسالة) مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، ليطلع عليها علماء العربية وأدباؤها ، ويبدوا آراءهم فيها ، فيكون من ذلك الخير للعربية إن شاء الله ، ويكون الفضل للأستاذ الزيات على أن فتح هذا الباب ، وللأستاذ البزم على أن كان أول من ولجه ؟

علي الطنطاوى

١٩٣٥

هـــوامـــش

(١) علي بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة ، استنفد علم معاذ الهراء ، وقرأ على الخليل ، وخرج إلى البادية ، فأفرغ فى الكتابة عن العرب حبر خمس عشرة قنينة ، قال ابن الأعرابى : كان الكسائى أعلم الناس ، ضابطاً عالماً بالعربية ، قارئاً صدوقاً توفى سنة ١٨٢ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب العربية والعروض ، قال السيراق : كان الغاية فى استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه ، وهو أول من استخرج العروض ، ورتب المعاجم ، وهو أستاذ سيبويه . وعامة الحكاية فى كتابه عنه ، وهو على الجملة آية من آيات الله فى الذكاء والفهم والعلم ، على زهادة وشرف نفس ، وانقطاع إلى الله ، توفى سنة ١٧٥ .

(٣) عمرو بن عثمان ، إمام البصريين ، أصله من أرض فارس ونشأ فى البصرة ، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش وألف الكتاب فى النحو ، الذى يسمى شيخ الكتب ، ارتحل إلى أرض فارس بعد مناظرته المشهورة مع الكسائى ومات بها غماً سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ سنة .

(٤) هو الحسين بن أحد بن خالويه النحوى الأمام ، قرأ القرآن على ابن مجاهد والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه ، وابن الأنبارى . سكن حلب واختص بسيف الدولة ، وهناك انتشر علمه وروايته ، وله مع المتنبى مناظرات ، كان أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب وله تصانيف جليلة توفى بحلب سنة ٣٧٠ .

(٥) هو الحسن بن صاق ، كان أنحى أهل طبقته ، وكان فهماً ذكياً فصيحاً إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه ، لقب نفسه بملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك ، استوطن دمشق آخر حياته ومات فيها سنة ٥٦٨ قال عنه ابن خلكان : كان مجموع فضائل .

(٦) بغية الوعاة .

(٧) هو ابراهيم بن محمد ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة . لقب بنفطويه لشبهه بالنفط لدمامته ، وجعل على مثال سيبويه لانتسابه فى النحو إليه وجريه على طريقته وتدريسه كتابه . جلس للاقراء أكثر من خمسين سنة ، وكان عالماً بالعربية واللغة والحديث ، مات سنة ٣٢٣ .

(٨) هو الحسن بن أحمد الامام المشهور واحد زمانه فى علم العربية ، أستاذ ابن جنى الامام العالم البليغ ، وله مصنفات كثيرة وجليلة توفى ببغداد سنة ٣٧٧ .

(٩) بغية الوعاة ووفيات الأعيان .

(١٠) هو على بن عيسى بن على المعروف بالوراق والأخشيدى النحوى المتكلم أحد المشاهير ، جمع بين الكلام وعلم العربية ، وله تفسير القرآن الكريم ، قال أبو حيان : لم ير مثله قط علماً بالنحو وغزارة بالكلام ، واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل ، مع تألق وتنزه ودين وفصاحة وعفاف ونظافة ، مات سنة ٣٨٤ .

(١١) الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيراف كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبا سعيد عبد الله . كان يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفرائض ، قال التوحيدى : وكان إمام الأئمة فيها جميعاً مع الصلاح والأمانة . قضى ببغداد ولم يأخذ على الحكم أجراً . مات سنة ٣٦٨ وكان معاصراً للرمانى وأبى على الفارسى .



من خواطر الدكتور زكي مبارك

الطلبــة والجاموس

كنت نشرت مقالا فى المقطم موضوعه « التصوف فى الوطنية » سردت فيه بعض الأسباب التى أحب من أجلها وطنى ، ومن تلك الأسباب أن أرض مصر تصلح للزراعة أربع مرات فى العام الواحد ، فكتب إلى حضرة « م . ع . ف » خطاباً ينكر فيه أن تكون مصر كما وصفت . ويؤكد أن أهل مصر لا يعرفون غير سوء الحال ، وأن فى مصر آلافاً من الأعيان حكم عليهم بالسجن لعجزهم عن سداد المال (؟!) .

والظاهر من خطاب هذا السيد أنه يتعقب أعمال الحكومة ، فقد ذكر أشياء تشهد بأنه يساير خطوات الحكومة فى جميع الميادين ويتناولها بالثناء والملام على حسب الظروف !

وأقول بصراحة إن الأمة التى تنتظر من الحكومة كل شىء وتطالبها بكل شىء هى أمة فى دور الطفولة ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شىء قدير ! وأقول أيضاً إنه ليس من المعقول أن يكون فى مصر آلاف من الأعيان حكم عليهم بالسجن للعجز عن سداد الضرائب . وإذا صح ذلك فهو شاهد على أن الأعيان فى مصر لا يصلحون لتدبير ما يملكون من الأموال والأطيان .

وهذا السيد له منزلة فى الصعيد ، ولم أصرح باسمه إلا خوفاً عليه من النقد الذى سأسوقه إليه بلا ترفق . فهو يرى من الإسراف أن يكون فى الميزانية مال مرصود لجسر شبرا وجسر سمنود ، وهو ينكر أن يكون للأوبرا وحمام السباحة فى أسيوط نصيب من أموال الميزانية ، وهو فى النهاية يعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنهيات لتحسين نسل الجاموس مع أن فى طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس ؟
يا سلام ! يا سلام !
كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟!
ذلك منطق هذا السيد الذى يشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد !

وعذر هذا السيد أنه قرأ فى مجلة « آخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة ، فظن أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس ، وهو جاموس !

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صميم الثروة المصرية ، والاهتمام به لا يقل خطراً عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ .

فكيف يجوز لرجل أن يعد الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة ، إلا أن يكون هذا الرجل من الصالحين للسجن بسبب العجز عن تسديد الضرائب ؟

المقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس .

ويقول هذا السيد إن اشتغالى بالأدب صرفنى عن مواجهة الواقع . وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلت لقرأ فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال : لو كان لى ألف بعير فيها واحد أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لايغض من أقدار الرجال ، وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد .

أيها الغافلون من أهل هذه البلاد .
راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما تستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس .

اللهم ارزقنى جاموسة أو جاموستين لأنسى مرارة الإفطار على الشاى الأسود فى كل صباح .
وأنت أيها الجاموس .

هل تحفظ هذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء ؟
لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق . فهل تحفظه أنت يا جاموس ؟!

وكيف نطالبك بحفظ الجميل ، وما حفظنا لك الجميل ؟
كانت فطرة العربى فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أعظم القصائد ، أما المصرى فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها

بغير السخرية والاستهزاء .

فهل تكون للبداوة تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرف الناس بأصول المنافع فعدوا البقرة من المعبودات لأنهم رأوها من صور الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدر عنها من الخيرات .

والجاموسة أغزر نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تغلب فيه السخرية من المنافع ، وهو زمن مقلوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرسمت الجاموسة بجانب الفلاح على ورق « البنكنوت » .

لا تصدقوا الذين ينهونكم عن الابتسام

أنتم تسمعون أن الدنيا كلها فى حرب ، أليس كذلك ؟

بلى ! ولكن الحياة لها مطالب روحية وعقلية تنسى الناس أحياناً مخاطر الحرب ، والرجل الضعيف هو الذى تقهره الظروف على أن يكون ريشة فى مهب الخطوب . أما الرجل القوى فتصطدم به المصاعب كما تصطدم الموجة العالية بالصخرة العاتية .

لقد قذيت عين الزمان فاكحلوها بمرود الحياة .. كونوا أحياء فى كل وقت ، واحذروا أقوال المرجفين الذين يزعمون أن الدنيا لم يبق فيها مجال لطرب الأفئدة وجموع القلوب .

لا تصدقوا الأستاذ فكرى أباظة حين يحدثكم فى المذياع عن عجبه من أن تعجز أعوام الحرب عن قتل تغريدة « ياليل يا عين » فهذا الأستاذ نفسه لم ينقطع عن الغناء وإن كان صوته « أرخم » الأصوات !

هذه الحرب التى تعانون بلاءها من قرب أو من بعد هى أيضاً شهوة إنسانية أو حيوانية كسائر الشهوات ، والمحرومون عن حب الدنيا ومن الهيام بما فيها من نعيم لا يصلحون أبداً للتمرس بالمخاطر فى ميادين القتال .

يجب أن تبقى حواسكم كلها سليمة ، حتى حاسة الذوق وحاسة الجمال ، لأن هذه الحواس هى « الجوارح » التى تصولون بها فى ميدان الوجود . وهل يصلح إنسان للتفكير فى المنافع القومية حين يشل تفكيره فى المنافع الذاتية ؟

الجندى لا يصلح أبداً للاستماتة فى الدفاع عن الوطن إلا إذا كانت له فيه مآرب وأهواء ، أما الجندى الفارغ الرأس والقلب من المطالب الذاتية فهو أداة عاطلة لا نفع فيها ولا غناء .

زادكم الأول هو مطامعكم ، وزادكم الثانى هو مطامعكم ، وزادكم الثالث هو مطامعكم ، وأزوادكم الأصلية والفرعية هى مطامعكم ، فلا تعيشوا فى دنياكم بلا أطماع لئلا تنعدم قدرتكم على الجهاد .

لا تصدقوا الذين ينهونكم عن الابتسام للدنيا والوجود .

لا تصدقوا من يزعمون أن مرح النفوس فى أيام الحرب من نذر الفناء .

الدنيا لكم ولسائر المزودين بالحيوية والأريحية والجذل والابتهاج .

فما سكوت الشعراء وما سكوت المغنين عن التغريد فوق أفنان الجمال ؟ وما الموجب للدعوة الأثيمة التى تريد أن تحول دنيانا إلى ملاطم ومناحات ؟

عزائمكم وأرواحكم وقلوبكم هى الذخائر الباقية ، وهى أسلحتكم فى مقارعة الخطوب ، فلا تضعفوها باستماع الأراجيف ، ولا توهنوها بالخضوع لخداع الأباطيل .

ود أعداؤكم لو تنقلبون إلى أشباح بلا عواطف ولا أحاسيس .

فاحذروا الفتنة ، فتنة الدعوة إلى تسريح الأمانى والآمال .

واعلموا أن الرجل الحق هو الذى يعيش فى كل وقت بعواطف الأقطاب من الأحياء .

زكى مبارك

١٩٤٠



تعاليم الرجال

١ ـ لا تلم غيرك على إهمالك واحتمل بشجاعة نتائج أعمالك .

٢ ـ الإعتذار ضعف ، فلا تعتذر لكائن من كان ، ولا سبيل إلى تلافي الاعتذار إلا إذا آليت ألا ترتكب ما يستدعي الاعتذار عنه .

٣ ـ لا تيأس : إذا المرض أصابك ، وإذا الحزن دهمك وإذا الإخفاق صدمك ، وإذا الصديق خدعك وإذا العدو غلبك ، وإذا الحظ نكبك إذ مهما اضطربت الأمور وأظلم الجو فإنك بالصبر والعمل والشجاعة منتصر لامحالة .

٤ ـ لا ترج من اللئيم أن يصفح ، ولا من السفيه أن يحلم ، ولا من القوي أن يستكين . لأنك إن فعلت أرقت ماء وجهك وعدت بخيبة الأمل .

٥ ـ لاتكن متحيزاً لأقربائك ، ولا محابياً لأصدقائك ، ولا باغياً في خصومتك ، ولا طاغياً في رياستك . بل اجعل العدل قائدك ، والحزم رائدك ، والكرم ملطفاً لشهوتك ، والمصلحة العامة على الدوام قبلتك .

٦ ـ كن شجاعاً تكن صادقاً . فإذا اعتدت الصدق مشت الفضائل كلها في ركابك .

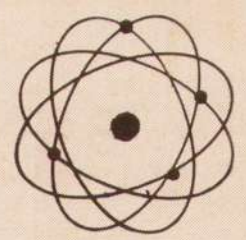
٧ ـ أفعل ماتراه حقاً وعدلا ، ولا تحاول أن ترضي الناس جميعاً ، لأنك إن حاولت ذلك أسأت إلى نفسك ولم ترض أحداً .

٨ ـ أذكر دائماً قيمة الأعمال بنتائجها ، فحذار أن تأتي عملا تعرف مقدماً أن نتيجته ضارة ، اللهم إذا أيقنت أن كفة الخير للمصلحة العامة أعلى وأرجح .

٩ ـ إذا كنت تحب الحرية حقاً فلا تحتكرها لنفسك وتنكرها على غيرك .

١٠ ـ حذار من لسانك وقلمك إذا كنت غاضباً أو ثائراً بعاطفة قوية فكلاهما يخونك ، واعتمادك عليه يجر عليك الندم أو الألم عندما تهدأ وتستقر .

محمد كامل سليم



العلم هو المستقبل



جهاز تشغيل الاسطوانات الجديدة

أصغر جهاز لتشغيل الاسطوانات

أنتجت إحدى شركات الألكترونيات اليابانية أصغر جهاز تشغيل اسطوانات فى العالم ، بحيث يمكن وضعه فى جيب السترة ليصاحب الانسان أينما ذهب . ويستخدم هذا الجهاز أكثر الأسطوانات تطورا ، وهى الاسطوانة الضوئية ، التى يتم قراءتها بواسطة أشعة الليزر .

ويزن الجهاز الجديد ٥٩٠ جراما فقط ، وقطر أسطوانته ١٢ سنتيمترا ويمكن تشغيله بواسطة بطاريات عادية أو على ولاعة السيارة . ويمكن الاستماع اليه بواسطة سماعات توضع على الأذن أو بتوصيله بأى نظام هاي فاي منزلى .

ولكن بالرغم من صغر حجمه فهو يتمتع بكل امكانات الأجهزة المنزلية الكبيرة مثل البحث الأتوماتيكى عن الجزء المراد سماعة من الأسطوانة . وساعد على تصغير حجم هذا الجهاز المتعدد الأجزاء أن دوائر تحويل الاشارات الصوتية الى إشارات رقمية وضعت على رقيقة الكترونية واحدة .

ويمثل هذا الجهاز ، الذى بدأ اليابانيون فى تسويقه فى الدول الأوربية والولايات المتحدة بمناسبة أعياد الميلاد ، حلقة من سلسلة أجهزة تشغيل اسطوانات غير تقليدية ، تقدمها الصناعة اليابانية .

فلقد عرفت مؤخرا جهازاً مماثلا يثبت فى لوحة السيارة ، وأكدت التجارب التى اجريت عليه أن نقاء صوتة لايتأثر مهما كان الطريق الذى تسلكه السيارة وعرا .

علاج الأسنان بدون ألم !


عيادة أسنان بدون ألم

تمكن الباحثون الامريكيون من التوصل الى محلول كيميائى لعلاج تسوس الأسنان دون ألم .. وهو حلم طالما راود من يترددون على عيادات أطباء الأسنان ويعانون من حقن التخدير المؤلمة ومن آلة الحفر المخيفة . فالمحلول يذيب الجزء المصاب من السن دون أن يؤثر على الجزء السليم منه .

وسوف يلغى هذا التكنيك الجديد استخدام حقنة التخدير ، ولكنه سيحتفظ لآلة الحفر بدور محدود ، فسيحتاج اليها الطبيب فى حفر الطبقة الخارجية من مينا السن ، وهى منطقة خالية من الأعصاب ، وذلك لكشف منطقة التسوس . وعندئذ يضع الطبيب المحلول الجديد على المنطقة . المصابة. من السن فيتحول التركيب العظمى لها الى تركيب لين يمكن التخلص منه بسهولة تاركا الأنسجة السليمة من السن دون أن يمسها .

ومن المتوقع أن تشجع هذه المعالجة الكيميائية لتسوس الأسنان العديد من المرضى على التردد على عيادات الاسنان خاصة من الاطفال والمسنين .

وبالنسبة لطبيب الاسنان فان هذا التكنيك سيتيح له حشو اكثر من سن فى الجلسة الواحدة لانه لن يحتاج الى تخدير فك المريض . ومن الناحية الفنية فان المحلول الكيميائى يوقف عملية إذابة السن بمجرد التخلص من منطقة التسوس ، ومن ثم فانه يحمى الجزء السليم من السن ، والذى قد يتعرض للحفر أثناء عملية التنظيف بالطرق التقليدية ، مما قد يعرى العصب . فلأول مرة يوجدماينبه الطبيب الى أنه تم التخلص من الجزء المصاب .

ولقد تمت تجربة هذا المحلول فى اليابان ، ومن المنتظر تصنيعة وتزويد أطباء الأسنان به ابتداء من فبراير القادم .

في الطريق إلى الكمبيوتر الذكي !


باحث يجهز أسرع وصلات الكترونية فى العالم

أحرز الباحثون فى معامل « بل » الأمريكية خطوة هامة فى سبيل انتاج الجيل الخامس من أجهزة الكمبيوتر ، وهو الجيل الذى يتميز بدوائر الذكاء الصناعى التى يمكنها محاكاة العمليات الذهنية للانسان .

فلقد تمكنوا من تصنيع أسرع وصلات إلكترونية فى العالم ، تنتقل النبضات الكهربية خلالها فى زمن قياسى لايتعدى ٩,٤ « بيكوثانية » (وهى وحدة قياس للزمن متناهية الصغر تساوى واحدا على تريليون من الثانية) . ومعنى ذلك أن هذه الدوائر يمكنها القيام بست بلايين عملية حسابية فى الثانية الواحدة فى درجة حرارة الغرفة ، وأكثر من عشرة بلايين عملية حسابية فى الثانية إذا انخفضت درجة الحرارة الى ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر .

وصنعت هذه الدوائر من مادة زرنخيد الجاليوم ، وهى أسرع بكثير من مادة السليكون التى تصنع منها عادة هذه الدوائر الالكترونية .

وكانت أسرع الدوائر التى استخدمت حتى الآن من هذا النوع لاتستطيع أجراء أكثر من ثلاثة بلايين عملية حسابية فى الثانية ، فى حين لاتتعدى سرعة الدوائر المصنوعة من السليكون ٥٠٠ مليون عملية فى الثانية .

كما تتميز هذه الدوائر السريعة بأنها تستهلك كمية من الطاقة ، مما يساعد على تصغير حجمها الى أقصى حد وذلك حتى لاتفقد النبضات الكهربية سرعتها اذا ما اضطرت الى قطع مسافات طويلة داخل الكمبيوتر .

بصمة العين !

قد لايعرف الكثيرون أن عيون الانسان لاتتماثل ، وأنه لاتوجد أبداً عين مثل الأخرى .. تماما كبصمة الانسان .

وعلى أساس هذه الحقيقة العلمية صمم جهاز للتعرف على الأشخاص وتحديد هويتهم بتحليل بصمات عيونهم . وسوف يستخدم هذا الجهاز الأمني فى المناطق المحظور دخولها الا لأشخاص معينين .

ويقوم الشخص المسموح له بدخول غرفة أو مبنى معين بتسجيل نفسه فى هذا الجهاز ، وذلك بالنظر خلال منظارين هما عبارة عن عينى كاميرا تقوم بالتقاط صورة لشبكة العين . ويتم تحويل هذه الصورة الى تمثيل رياضى ليختزن فى ذاكرة الجهاز وتتسع هذه الذاكرة لصور ١٢٠٠ شبكية

ويكفى بعد ذلك لدخول المناطق المحظورة أن ينظر الشخص خلال عين الكاميرا ويركز على نقطة مركزية معينة أمامه ، وبالضغط على الأزرار يقوم الجهاز بمسح لشبكية العين بواسطة أشعة تحت حمراء ذات طاقة ضعيفة جدا بحيث لاتسبب أى أذى للعين .

وبمقارنة هذه الصورة مع بصمة العين المسجلة فى ذاكرة الجهاز ، وهى عملية لاتستغرق سوى ثانية ونصف ، يسمح للشخص بالمرور إذا تطابقت الصورتان .

ويؤكد الخبراء أن احتمال الخطأ فى حالة بصمة العين لايزيد عن واحد فى المليون ، ويرون أن استخدام هذا التكنيك أدق من بصمة الأصابع ، فقد تتعرض بصمة الأصابع لتغيير مؤقت نتيجة لجرح أو حرق مما يزيد من احتمالات الخطأ .

ولقد بدأ بالفعل تسويق هذا النظام الذى يبلغ ثمنه عشرة آلاف دولار .


الجهاز الخاص بتسجيل تحليل بصمة العين

علاج جديد لسيولة الدم !

تعددت انتصارات تقنيات الهندسة الوراثية ؛ فبعد أن تمكن الباحثون فى هذا المجال من انتاج أنسولين آدمى وانترفيرون وهرمون النمو ، نجحوا مؤخرا فى انتاج بروتين آدمى يساعد على تجلط الدم .

ويعتبر هذا البروتين ، الذى يطلق عليه الأطباء اسم « العامل رقم ثمانية » ، حيويا جدا لحياة المرضى بسيولة الدم .

فلقد قام الباحثون بعزل الجينة الآدمية المسئولة عن تكوين هذا العامل ، وعملوا مزرعة لها ، ثم زرعوا هذه الجينات فى خلايا حيوانات ثديية . وبناء على الأوامر الوراثية الجديدة قامت هذه الخلايا بتكوين المادة الآدمية اللازمة لتجلط الدم .

وكان يتم تحضير هذا البروتين من قبل من دم المتبرعين ، وهى عملية مكلفة ولاتخلو من الأخطار بالنسبة لصحة المرضى بسيولة الدم لأن ذلك يجعلهم عرضة للاصابة بالأمراض الفيروسية التى تنتقل عن طريق الدم مثل الالتهاب الكبدى « والأيدز » الخ .. كما يتطلب تحضير ملليجرام واحد من « العامل رقم ثمانية » وجود ١٢٠٠ متبرع بالدم ، ومعنى ذلك توفر ٨٤٠٠ متبرع سنويا لعلاج مريض واحد .

فى حين تستطيع تقنيات الهندسة الوراثية انتاج كيلو جرام من البروتين النقي ، وهو مايكفى الاستهلاك العالمى لمدة عام كامل .



بقلم: رءوف توفيق

أوراق سينمائية
١٩٨٤ - ١٩٨٥

● زواج الموسيقى والسينما ●● هزيمة الأدب أمام المتفرج السريع ●●● الطريق مفتوح لأفلام الرعب





« جون هيرث » و « ريتشارد بيرتون » فى لقطة من فيلم ١٩٨٤ .. رواية « جورج أورويل » « جيرمى أيرونز » بطل فيلم « غرام سوان » عن ملحمة الأديب الفرنسى « مارسيل بروست » .

عام ١٩٨٤ يلملم أوراقه ويسافر للتاريخ .. ليترك مكانه لعام جديد ..
بعض الأوراق تتشابه .. والبعض الآخر مميز ، يتحدى التكرار والنسيان .
وكما فى الحياة .. كذلك فى الفن ..
وقد شهدت أوراق السينما العالمية .. بعض العلاقات الهامة التى قد يكون لها امتداد فى سينما عام ١٩٨٥ ..



المثلة الايطالية « أورنيلا موتى » بطلة فيلم « غرام سوان »

○ الورقة الأولى

زواج السينما بالموسيقى

لعل أهم ما يميز سينما ١٩٨٤ .. ذلك الحشد الهائل المتوالى من الأفلام الموسيقية .. وكأن هناك « اتفاقاً » على دفع البهجة إلى نفوس المتفرجين ، الذين أثقلتهم وطأة الأزمات العالمية وموجات العنف والإرهاب ..

وتراوحت الأفلام الموسيقية .. بين ترويج آخر صيحات الموسيقى الحديثة ، والتى يطلق عليها الموسيقى الاليكترونية .. وبين استعادة مجد وجمال الموسيقى الكلاسيكية بكل ما تحمله من أصالة وذكريات .. وأيضاً الموسيقى الشعبية التى ارتبطت فى الوجدان ، بقصص من التاريخ والنضال والحب ..

وهكذا شهد العالم على الشاشة .. أنواعاً مختلفة من الموسيقى .. ولكن بعض تلك الأفلام كانت أشبه بمخدر وقتى .. ينتهى مفعولها بمجرد الخروج من دار العرض .. أما البعض الآخر فقد مس أوتاراً حقيقية عند المتفرجين ، وأصبحت تمثل له نوعاً



المدافع الرشاشة والعنف .. لقطة من فيلم « شوارع من نار »

من النشوة والسعادة يسترجعها ويلوذ بها فى لحظات الضيق واليأس ..

من هذا النوع .. كان فيلم « أمادوس » للمخرج التشيكى الأصل « ميلوش فورمان » والذى استقر فى أمريكا ، وحصل على الجنسية الأمريكية .. وبهر العالم منذ سنوات بفيلم « شعر » أو « هير » .. وها هو يعود ليقدم مفاجأته الفنية الجديدة « أمادوس » محدثاً أكبر إجماع بين نقاد السينما فى أمريكا وأوربا على أن هذا الفيلم ، هو أجمل ما قدمته السينما على طول تاريخها ، بين الأفلام الموسيقية . !

ومن أبلغ التعبيرات التى أطلقت على هذا الفيلم ، ما قاله أحد كبار النقاد فى السينما الأمريكية : « إن فيلم أمادوس هو أنجح زواج حتى الآن بين السينما والموسيقى » ..

الصراع بالموسيقى !

و « أمادوس » هو الاسم الأول للموسيقار النمساوى العظيم « موزارت » .. والفيلم يقدم تلك الفترة من تاريخ الموسيقى والتى شهدت الصراع بين الموسيقار « ساليرى » وبداية عبقرية « موزارت » والمنافسة بينهما فى قصور الملوك .

كان « ساليرى » وقتها اسما معروفاً تفتح له الأبواب الملكية ليقدم مؤلفاته .. وكان « موزارت » مازال صغيراً مجهولا ، خجولا يحاول أن يشق طريقه ولكنه كان عبقرياً ، فى موسيقاه شىء يهز الوجدان ويخطف الانتباه ..

وشعر « ساليرى » أن عرشه يهتز .. فبدأ يعلن الحرب على « موزارت » .. أما « موزارت » فلم يشغل نفسه الا بالموسيقى .. كان يرد على خصمه بالموسيقى ..

ويسجل الفيلم هذا الصراع بالموسيقى .. بين المحترف الذى يخشى النهاية ، وبين هذا البازغ الذى لا يكف عن الموسيقى والإبداع ..

والفيلم الذى يستمر مدة عرضه « ساعتين وربع الساعة » .. لا يمكن تلخيصه .. فهو ليس فيلماً عن تاريخ « موزارت » أو العصر الذى يعيش فيه .. ولكنه فيلم عن مباراة بالموسيقى ..

وقد استمر المخرج « ميلوش فورمان » مع كاتب السيناريو « بيتر شافر » يعملان ١٢ ساعة يومياً لمدة أربعة شهور .. للتعبير عن مفردات الصورة التى يتضمنها الفيلم ..

مشاهد غنية بالتفاصيل بأقل الحوار ..

ولخص المخرج « فورمان » موقف « موزارت » من الصراع الدائر حوله .. بضحكة تتردد على طول الفيلم .. هى ضحكة « موزارت » الذى كان يداري عجزه عن التعبير بالكلام ، بقهقهة بدأت خجولة متقطعة .. ثم أصبحت واثقة وبليغة ..

وقد عاد المخرج « فورمان » إلى بلده الأصلى « براغ » ليصور فيلمه هناك .. بعد غياب استمر ١٢ عاماً .. ولاشك أن هذه العودة إلى الوطن والأهل والأصدقاء ، قد شحنته بالمزيد من القوة والحماس ليضع فيلماً متميزاً ..

وتحقق حلمه .. ولم يعد هناك حديث فى الأوساط السينمائية فى أمريكا الا عن هذا الفيلم الذى بدأ عرضه فى سبتمبر الماضى واكتسح ما قبله من الأفلام الموسيقية .. وأصبح يشكل نوعاً من التحدى لأية محاولة جديدة من بعده !

موسيقى المراهقين

وقد شهدت السينما الأمريكية فى عام ١٩٨٤ .. عدة محاولات للأفلام الموسيقية .. منها استثمار آخر ما تبقي من ظاهرة « جون ترافولتا » .. وفيلمه « البقاء حياً » .. وكأن عنوان الفيلم يحاول التأثير على المتفرجين بأن « ترافولتا » مازال قادراً على إثارتهم بالغناء والموسيقى الصاخبة كما فعل من قبل فى فيلم « حمى ليلة السبت » ..

وتهاوت ظاهرة « ترافولتا » .. لتصنع الدعاية الأمريكية ظاهرة جديدة وتطلق بالوناتها حول « مايكل جاكسون » الذى يعيد إلى الأذهان عصر النجم الأسطورة .. وتستعد شركات السينما الأمريكية في استثمار هذه الشهرة ، قبل أن تذوب فى الهواء (!!) .. وهناك العديد من الأفلام تصنع من أجله ، لتكون معدة للعرض مع بداية العام الجديد !

وبين « ترافولتا » و « جاكسون » .. لم تتوقف السينما الأمريكية عن ابتكار ما تغازل به هوس المراهقين والشباب من الغناء والموسيقى الصاخبة .. فقدمت لهم « فلاش دانس » .. ثم « فوت لوز » — أو القدم السائبة — ثم فيلم « شوارع من نار » الذى يمزج بين موسيقى الروك ، ومطاردات الموتوسيكلات ، والعنف الأحمق .. (كل التوابل التى تستهوى المراهقين) !

وبذكاء شديد .. التقطت السينما الأمريكية ، ملامح تلك الرقصة الآلية التى يلهو بها شباب الزنوج على نواصي الشوارع الأمريكية ..





حركات الرقص كما يجب أن تكون .. ولا تسأل بعد هذا عن سلامة رأسك أو عمودك الفقرى .. اللقطة من فيلم « بيت ستريت » .. ثم لقطة للغناء والموسيقى فى لقطة من فيلم « شوارع من نار »

وبدأت تزخرفها وتصنع لها الحواديت ، وتدججها بالموسيقى الهادرة .

وظهر فى عام ١٩٨٤ فيلمان من هذا النوع .. والبقية تأتى ..

الفيلمان هما « بريك دانس » و « بيت ستريت » .. ومن الصعب إيجاد ترجمة عربية لهذين العنوانين ، وإن كانت أقرب ترجمة هى « رقص الشوارع » !

الرقص الآلى

وقد عرفنا الرقص على مر العصور .. نوعاً من التعبير بالجسد عن حالات الفرح والحزن .. وعرفنا الرقص دائماً ، نوعاً من المشاركة يستطيع أن يقوم بها الشيوخ والأطفال والشباب فى المناسبات والاحتفالات ..

ولكن « رقص الشوارع » يجبرك على أن تكون بهلواناً لكى تؤديه .. مستعداً للتضحية بكسر عنقك ، أو التواء عمودك الفقرى .. وعلى أحسن الفروض تمزق عضلاتك ..

فالراقص هنا يقف على رأسه ويدور كالنحلة رافعاً يديه وساقيه فى الهواء ..

أو تحرك جسدك فيما يشبه حركات الانسان الآلى .. حركات ميكانيكية حادة فيها الخشونة والتحفز .. كأنك تدعو الآخرين إلى معركة .. مع موسيقى هادرة تستفز مشاعرك .

وكأن المقصود بكل هذا التشنج .. هو تفريغ الطاقة الجسدية وإهدار كل شحنة الحيوية فى الهواء .

لقد فقد الرقص كل شاعريته وجماله .. وتحول إلى استخدام العضلات .. ودخلت الآلات الاليكترونية فى الموسيقى لتتحول إلى سياط تلدغ وتمزق الأعصاب ..

هل هو تعبير عن ايقاع العصر ؟ أم أنه ترويج لسلعة جديدة لامتصاص طاقة الشباب .؟ أغلب الظن انه كذلك (!!) .. بدليل ان الشركات السينمائية حسبت أرباحها من هذه الأفلام .. وقررت أن تواصل انتاجها .. وطبعاً ستزداد الجرعة .. وتلتهب الموسيقى أكثر .. وربما شق الراقصون أجسادهم .. وعلينا أن نتوقع كل ما هو غريب فى هذه النوعية من الأفلام عام ١٩٨٥ .

موسيقى تهز القلوب

ولكن المثير حقاً .. أنه وسط هذا الجنون .. ينجح فيلم « أمادوس » عن موسيقى « موزارت » .. وفى نفس الوقت يغزو فيلم « ريمبتيكو » اليونانى ، أسواق العالم ، معيداً إلى الأذهان عذوبة وشجن الموسيقى اليونانية الشعبية .

وقد ألقى مهرجان برلين السينمائى ١٩٨٤ .. مزيداً من الأضواء على الفيلم اليونانى « ريمبتيكو » حينما منحه جائزته الفضية (الجائزة الثانية) .. ثم بعدها طاف الفيلم فى مهرجانات أوربا السينمائية يجمع حوله القلوب .. ليصبح أحد أهم الأفلام الموسيقية التى شهدها عام ١٩٨٤ .

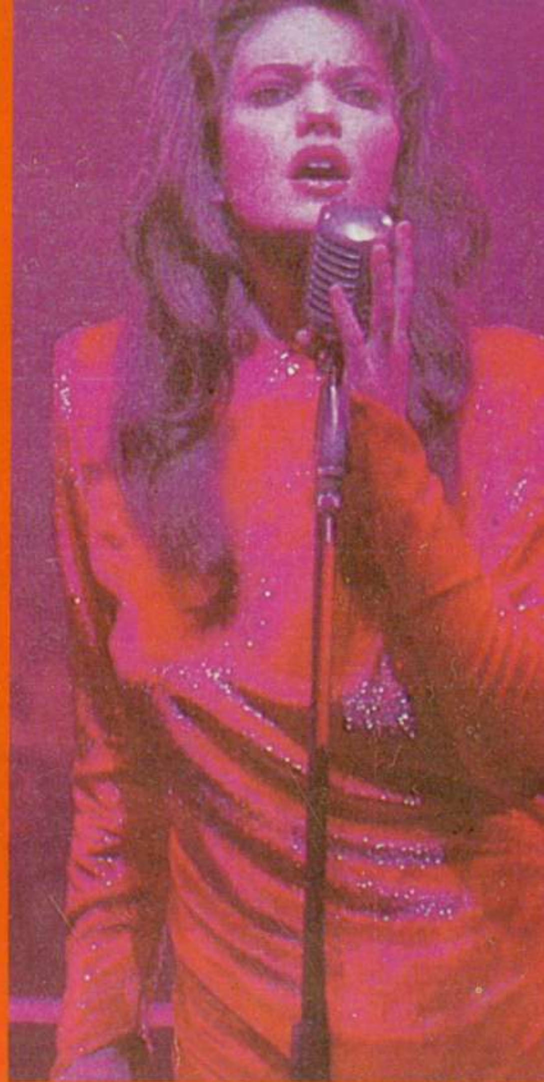
وكلمة « ريمبتيكو » تطلق على الموسيقى والغناء الشعبي اليونانى الذى كان يلحنه ويغنيه البسطاء ، تعبيرا عن همومهم وأفراحهم .. ولهذه الموسيقى ارتباط وثيق بتاريخ اليونان عبر أزماته .. حينما كان يلجأ إليها اليونانيون لتدعيم روح المقاومة أثناء الضغوط السياسية والعسكرية .. حتى أنه أثناء الحكم العسكرى الأخير لليونان .. صدرت التعليمات بمنع اغاني الريمبتيكو ومصادرة كل الأشرطة المسجل عليها !

ومن هذا الفهم .. صنع المخرج اليونانى « كوستا فيريس » فيلمه مستوحياً قصة مغنية شعبية معروفة .. ليحكي من خلال حياتها جزءاً من تاريخ اليونان .. من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٥٣ .. مروراً بالغزو التركى .. والاحتلال النازى .. وبدايات الهجرة اليونانية إلى أمريكا ..

والموسيقى والغناء .. هما عصب الفيلم .. وقد ابدع الموسيقار اليونانى « ستافروس اكساركاكوس » فى إعادة إحياء الموسيقى الشعبية وتخليصها من التكرار لتصبح أكثر تركيزاً وقوة .. تتسلل إلى الأعماق .. فتكاد تلمس الأرض اليونانية وتشم هواءها ..

والمخرج اليونانى « كوستا فيريس » ولد فى مصر .. وتعلم فيها .. وتدرب على السينما .. كممثل صغير (كومبارس) فى عشرات الأفلام المصرية .. ثم عاد إلى بلاده عام ١٩٥٧ ليستكمل رحلته فى السينما .. مساعداً للاخراج .. ثم مخرجاً .. وفاز بأول جائزة عن الاخراج عام ١٩٧٤ فى مهرجان « سالونيك » باليونان ..

وفى فيلم « ريمبتيكو » اشترك المخرج مع ممثلة الفيلم الأولى « سوتيرا ليوناردو » فى كتابة السيناريو .. وقدمت الممثلة اليونانية تنويعات رائعة من









المغنية التى اختطفوها فى فيلم « شوارع من نار »

جون هيرت : بطل فيلم ١٩٨٤ .. والصورة الأخرى للمخرج « ميلاش فورمان » مع الممثل الجديد

الأداء والغناء .. فى فيلم لا يمكن أن ينساه المتفرج بسهولة !

• الورقة الثانية
هزيمة الأدب فى السينما

وبعكس هذا الحشد من الأفلام الموسيقية .. وتنوع المحاولات بين الأصالة والاستسهال .. نجد أن نصيب الأدب فى سينما ١٩٨٤ أصابته خسارتان جسيمتان ..

الخسارة الأولى .. كانت فى محاولة تقديم احدى قصص ملحمة « البحث فى الزمن المفقود » للأديب الشهير « مارسيل بروست » .. تلك الملحمة التى تعتبر من عيون الأدب العالمى .

وفى هذه الملحمة جزء بعنوان « طريق سوان » .. أغرى الكثير من السينمائيين بمحاولة تقديمه فى فيلم .. ولكن استعصت المحاولة عليهم .. أولا لصعوبة تحويل القصة إلى مشاهد سينمائية متتابعة .. وثانياً لضخامة التكلفة التى يحتاجها تمويل الفيلم لتجسيد مظاهر ارستقراطية الطبقة الثرية فى باريس فى تلك الفترة التى كانت فيها صالونات القصور تشهد تجمع التحف النادرة وأفخر الثياب المطعمة بالمجوهرات .. وحينما كانت العربات المطلية بالذهب تجرها الخيول تجرى فى شوارع باريس .. وحينما كانت حفلات الأوبرا معرضاً متنقلا للمجوهرات والملابس على الأجساد ..

وظل « طريق سوان » حلماً مستحيلا امام مخرجى السينما .. حتى كبارهم .. فيسكونتى وجوزيف لوزى ..

ثم اقتحم أخيراً المخرج الألمانى الشهير « فولكر شلوندورف » ــ صاحب فيلم الطبلة ــ هذا الحلم المستحيل ، وقدم فيلماً بعنوان « غرام سوان » مأخوذا عن رواية « مارسيل بروست » .. وبلغت ميزانية الفيلم ثمانين مليون مارك المانى (الفيلم انتاج المانى فرنسى مشترك) .. واختار لبطولته ثلاثة من ألمع نجوم السينما الأوربية وأكثرهم جاذبية بالنسبة للمتفرجين !

آلان ديلون ــ جيرمى أيرونز ــ والممثلة الايطالية « أورنيلا موتى » .

ورغم كل هذه الاغراءات .. لم يحقق الفيلم نجاحاً تجارياً ملحوظاً بالاضافة الى سخط وخيبة أمل عشاق الروائى « مارسيل بروست » وفجيعتهم فى الفيلم ..

فالفيلم لم يقدم الا جزءاً بسيطاً من قصة « طريق سوان » .. وحتى هذا الجزء لم يقدم فكر « بروست » ولا تأملاته .. وانما كان هذا الجزء قصة عادية جداً عن علاقة هذا الشاب الثرى « سوان » بفتاة لعوب .. بكل الملامح التقليدية لهذه العلاقة .. من الغيرة والتضحية ثم الزواج الذى تستنكره هذه الطبقة ..

صحيح اعطى المخرج « شولندورف » كل ملامح تلك الفترة الباريسية .. بكل الثراء والفخفخة .. ولكن كانت الصورة خاوية من المعنى ..

رواية ١٩٨٤

ونفس السخط أعلنه عشاق رواية الكاتب





لقطة النهاية فى فيلم « ريمبتيكو » حيث خرج اليونانيون يغنون ويرقصون على أنغام الموسيقى الشعبية وكأنهم يعلنون استمرارها على مر الأجيال

ضحكة الموسيقار الغربي « موزارت » كما قدمها المخرج « ميلوش فورمان » فى فيلمه الجديد « أمادوس » .

الانجليزى « جورج أورويل » والتى تحمل عنوان (١٩٨٤) .. والتى شغلت المثقفين والرأى العام — خصوصاً هذا العام — لقدرة الكاتب على تحليل السطوة السياسية على الفرد العادى . متنبئاً بكل المأسى والمعاناة فى ظل البطش وتحكم الآلة .

حققت الرواية أعلى أرقام فى المبيعات .. وأفردت لها الصحف العالمية المقالات والتحليلات .. وانتهز المخرج الانجليزى « مايكل ردفورد » هذه الشهرة الواسعة .. وتخطى كل الصعاب والمعوقات لكى يقدم فيلمه فى نفس العام الذى يحمله عنوان الرواية ..

واختار لبطولته اثنين من عمالقة التمثيل « جون هيرت » و « ريتشارد بيرتون » — وكان هذا الفيلم آخر أعمال بيرتون قبل وفاته .

ورغم كل هذا .. لم يحقق الفيلم نجاحاً .. وظهرت المقارنات اللاذعة بين الأصل الأدبى والفيلم ..

فقد تحول الفيلم إلى جزئية صغيرة وخاصة .. وكأن المقصود به إدانة المعسكر الشرقى فقط .. مع أن الرواية أشمل وأعم .. وفيها تحذير لكل الشعوب مهما اختلفت معتقداتها .. فالأساس فى الرواية هو العلاقة بين الحاكم والمحكوم ..

وهكذا .. فقد الأدب عملين هامين .. ربما نتيجة البحث عن المتفرج السريع .. ومحاولة جذب انتباهه على حساب العمل الأدبى .

الورقة الثالثة

أفلام الرعب والفضاء

وسجلت ايرادات السينما العالمية .. أرقاماً خيالية لآخر أفلام المخرج الأمريكى « سبيلبرج » والذى عرض بعنوان « انديانا جونز » ليفرش الطريق بالآمال امام منتجى أفلام الرعب والإثارة ..

وليؤكد من جديد أنه العقل السينمائى الأمريكى الذى يعرف كيف يخاطب المراهقين — وهم أعلى نسبة من مشاهدى السينما الآن في مختلف عواصم العالم — ويلهب مشاعرهم دوماً باختراع قصص حروب الفضاء .. والمخلوقات البشعة .. ومعارك الخيال الوهمى ..

ولتصبح هذه السينما .. مادة لا تنضب .. يقدمها البعض بغباء .. ويقدمها البعض الآخر بذكاء فنى يخضع لها كل تكنولوجيا الآلات الحديثة فى صناعة السينما ..

فالبذرة التى أثمرت ذهباً .. تغرى الكثيرين .. وتدير رءوس المغامرين ..

• •

ومهما كانت مؤشرات الأفلام .. واتجاهات السينما لعام ١٩٨٥ .. الا أن الحقيقة المؤكدة أن السينما فى معركتها أمام التليفزيون .. تحقق انتصارات فنية رائعة .. تثبت للجميع أن هذا الفن الساحر لا يمكن أن يهزم .. أو يشيخ .. والدليل أنه مازال يبهرنا عاماً بعد عام .. والمؤمنون الحقيقيون برسالة هذا الفن ، فى جعبتهم الكثير لكى لا نفقد حماسنا من الذهاب الى السينما .

رءوف توفيق

• قصـــــــــة •

أوراق الخريف

بقلم : الدكتورة زهـرة المالـكي



وحيدة أنكمش فى سريرى تحت الملاءات البيضاء .. فى هذا المبنى الكبير الذى يحتضن بين ذراعيه مئات الآلام والجراح .. دقات الساعة تنغرز كالشوك فى أذني .. تهوى على رأسي كمطرقة نحاسية تفتت الإحساس بالسمع لتحوله إلى شيء بغيض مزعج .. وعيناي مشدودتان بقيود من حديد إلى عقارب تلك الساعة .. أنتظر متى تعلن العقارب عن وصول المحطة الرابعة من اليوم .. فبعد الرابعة يتوافد الزوار محملين بالورود والأزهار التى أحبها .. وأنظر من حولى لأرى غرفتى محتشدة بالورود .. لكنني أحس بها جافة ذابلة كعصافير بلا أجنحة وكسماء بلا غيوم مثقلة بالخير .. وتنتشلني من أفكارى بضع طرقات خفيفة على الباب .. ألتفت لأرى القادم فإذا بي أغرق فى ذهول عنيف .. هل أنا فى حلم أم فى حقيقة ينغلق فهمها على ؟ .. هل هذا خالد فعلا ؟ .. ومن هذه السيدة التى ترافقه مع طفلة جميلة ؟ .. لابد أنها زوجته .. ولكن ما بالي صامتة هكذا دون أن أدعوها إلى الدخول ؟ ..

وتتسرب الكلمات من شفتى بطريقة روتينية لأقول : أهلا بكم .. تفضلوا بالجلوس ..

وتحاول أفكارى أن تنطلق بي إلى عالمها لكننى أتجاهل نداءها القوى حتى لا أحرج ضيوفى ، وها أنذا أعلق ابتسامة ميتة على أطراف شفتى فى صمت كئيب .. لم تطل الزيارة لكنها أشعلت فى داخلى نيراناً لا يخمد أوارها .. وها هى الحيرة القاتلة تطرق بابي بإصرار غريب .. وأسأل نفسي : هل زيارة خالد بقصد السؤال عن مريضة والتخفيف عنها أم أنه أراد أن يثبت أنه سعيد بالرغم من ابتعادي ؟ ..

أحس بالإرهاق وعقلي تتناوشه دوامات التفكير المضني بحثاً عن جواب شاف .. ليتك لم تحضر يا خالد .. أو ليتك حضرت وأنا قوية شامخة ولست طريحة فراش المرض والألم حتى لا أشعر بهذا الانهزام والانسحاق أمامك ، فأنا بطبعي أعشق الانتصار وأحتقر الضعف ..

إن مجيئك اليوم جعل النوم يتسلل إلى بجرأة بعد أن كنت أخرس صوته كلما ارتفع صداه .. كنت دائماً أهرب من حقيقتي .. من نفسي .. من كونى امرأة خلقت من عاطفة تبحث عن عاطفة .. واحساس يهفو إلى إحساس ونبض يود احتضان نبض أليف .. كنت أبدو للعيون كتلة قوية صلبة مع أن داخلي هش ضعيف يرنو إلى الحنان .. وفى طيات كتبى وأوراقي وبحوثي كنت أحاول الهرب والنسيان .. فنشوة اكتشافى لشيء جديد كانت تخدرني وتسلبنى إدراكى لأصحو من هذه النشوة وألهث من جديد وراء نشوة أخرى .. لكنني أحس بحياتي الآن قمة جبل باردة .. لادفء فيها ولا شعور ..

ليتك لم تحضر يا خالد لتذكرني بقسوتي عليك فى ذاك اليوم البعيد حين رفضتك وحطمت قلبك ودست على مشاعرك بقدمين فولاذيتين لم تخلقا لامرأة .. ليتك لم تحضر لتعيد لي أشباح عنادي وكبريائى الزائف فى البحث عن النجاح ، والشهرة ، والنور ، وحياة العظماء التى كنت أتمنى أن تصبح لي .. وها هى الحياة العظيمة التى كنت أحلم بها طويلا .. إن مزاياها التى تغرينى أصبحت أمامى الآن لتكشف عن مساوىء وعيون بشعة ..

ولكن ليتك لم تحضر يا خالد .. فقد ارتعش فى

قلبي أمل يعشش فى صدر كل أنثى .. بأن تصبح يوماً أماً تسكب الحنان والأمان فى دنيا صغيرة تحفها وحدها .. تحس أنها سيدة بيت جميل تترعرع فيه الألفة وتنمو فى أرضه مشاعر الحب والعطاء .. لكن ارتعاشة هذا الأمل فى قلبى تزيدنى ألماً وحسرة .. فقد ضاع الزمن وتسربت لحظاته من بين أصابعى دون أن أشعر .. وها هى الشعيرات البيض تدب بخفة إلى شعرى لتذكرني بالشيخوخة المقبلة .. ليتني يا خالد أستطيع أن أخر عند قدميك وأبللهما بأمطار دموع لاتجف .. لكن ماذا تفيد الدموع الآن ؟ إنها لا تستطيع حتى أن تخفف عني ، فالشظايا فى داخلى كثيرة ومؤلمة .. تندس بين جوانحي ، لتجرحنى وتعذبنى ، وتكسو عمرى نزيفاً أبدياً لا يتجمد .. ويلوح لي طيفك مرة أخرى مظللا بابتسامة غامضة .. وتمتد يدي محترقة بالشوق تحاول أن تحتضن يدك لكننى عاجزة عن لمسها .. وتكبر ابتسامتك وتطغى حتى تصبح بعرض الفضاء .. وأنا لا أفهم .. لكننى أتألم فى صمت كالضجيج ينهشني ويمزق مشاعرى ..

ويعيدني إلى واقعي ذى الملامح القاسية الحزينة صوت طفل بجوارى .. يده البضة الصغيرة تمتد نحوي ويهمس فى خجل ليقول : هل تسمحين بكتابة بعض الكلمات لي مع إمضائك ؟ ..

ولأول مرة منذ زمن تولد ابتسامة حقيقية صادقة على ملامحى .. والتقط منه أوراقه لأكتب له بضع كلمات مع إمضائى كما طلب ، ويبتعد عني شاكراً فى هدوء محبب .. نظرات هذا الصغير وكلماته العذبة جعلت الندم يزهر فى نفسى من جديد .. لتتفتح براعم الأمل الذابل .

... وتموت ابتسامتى فى مهدها ..

موجات الندم تطاردني بسياط من نار .. تصرخ فى بقسوة : لماذ اخترت لنفسك هذه الحياة الجافة ؟ لماذا لم تقبلي حب خالد ومشاعره ؟ .. لو فعلت لكان لك مثل هذا الطفل الجميل ، ولا ستطعت أن تضميه بحنان إلى صدرك وتشبعيه من قبلاتك التى لا تنتهى .. ولما أصبحت الآن تختلسين قبلات سريعة من وجوه الأطفال المحملة بالبراءة والنقاء ..

وأحاول أن أغطى أذني بكفي .. لكن الصوت يصلنى ، أحاول أن أطبق عيني لأهرب وأبتعد لكننى أفشل .. أحاول أن أسكت الصراخ فى عقلى لكنه يعلو حتى يكاد يمزقنى .. وأمد أصابعى إلى عيني .. أتوسل إليهما أن تفيضا ببعض الدموع الحبيسة التى تخنق صدرى ولا تخرج .. لكن الصوت المفزع يقول لي ساخراً : لقد اخترت الخريف وأصبح قدرك الذى تعيشين به ويغتصب منك أحلى أفراحك .. ودموعك الآن لن تستطيع أن تبعث الحياة فى أوراق الخريف الذابلة ! ..

زهرة المالكي

ليتنا نعرف

شعر : محمد التهامي

الله يعلم أن في أعماقنـــا / جمراً يضج تململا وضرامــا
لكنها الأحداث غامت فوقنــا / وتساقطت فوق اللهيب ركامــا
ومشى بنا التاريخ نحو القهقرى / ومشى بكل العالمين أمامـــا
وتربصت أعداؤنا بطريقنــا / يتخطفون السائر المقدامـــا
ويفرغون الفجـــر من أنواره / ليصير موقوت الظلام دوامــا

••

ياليتنا ندري المهالك حولنــا / ونرى الشراك خفيــة تترامى
ونرى المعـارك بعضها مشبوبة / ملء الوجود تفزع النوّامـــا
والبعض فيها مُسْتَتِرٌ غامض / في العمق ينفث بيننا الأسقاما
وخَلاصنا أنا نفيق وان نرى / ونحسّ داءً في الضلوع أقاما

••

هم يعرفـــون وما عرفنا أمرنا / حتى غدونا للنسور طعامـــا
يتخطفون .. ونحن في أنيابهم / صيد تملكه الضـــلال فنامـــا
فاذا صحونا فارتعـاش ذاهل / مثل الذبيح يصـــارع الآلاما
نهتز في وهج العذاب كاننـا / ريش على كف الرياح أقامـــا
نشتد في طلب الخلاص وَفَاتَنا / ان الطريق مليئـــة الغامـــا
فاذا استوت أقدامنـا وتهيأت / شب الحريق فَعَوّق الاقدامــا
رحنا نلم حطامنـــا ونقيمـــه / ونسير نحمل في الحياة حطاما
فيؤودنا السير الكليل .. يردنا / كى لا نحقق للمسير مرامـــا
ونصيح .. أين أصولنا .. واصولنا / نلقاهمُ فينا دمـــاً وعظامــا
في عمق أعماق لنا قد حوصروا / ثم انحنوا ليلائموا الاحجـاما
سكن العمالقـة الكبار كياننـا / إنا عمالقـــة غدت أقزامـــا
حشروا يرغمهم بغير ثيـابهم / فتجاوزوا الأطواق والأكمـــاما
صور تضج مهانة .. ودوامهـا / قد أرهق النصـــاح واللوامـا
لكننـــا لن نستجيب ولن نرى / حتى نميط منِ الضـــلال لثاما
بئس اللثـــام تحجرت طياتـــه / واشتد في حُجُبِ الضياء وداما

•••



دوحة القراء

إشـــراف
سـنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم - المسابقة الذهنية)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة - ص . ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : قلعة عريقة بمدينة عربية تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وقد بنيت هذه القلعة فى القرن الخامس عشر على نظام قلاع العصور الوسطى .. ما اسم هذه القلعة .. وفى أية مدينة تقع ؟

● ● ●



الصورة الثانية : أحد علماء الفضاء العرب وهو أحد الجنود المجهولين وراء هبوط أول إنسان على سطح القمر من هو هذا العالم العربى الشهير ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٧



الصورة الأولى : مبنى الأكروبول ويطل على مدينة أثينا .

- الفائز : محمود حسن رباع ـ الأردن .
- الفائز : محمد سعيد أحمد ـ عبد الله ـ اليمن الديمقراطية .



الصورة الثانية : مايكل أنجلو .
الفائز : محمد زكى محمود ـ مصر .
الفائز : تاج السر حسين سليمان ـ السودان .

مسابقة مدن العالم

• حاول أن تعرف هذه المدينة العربية من خلال المعلومات التى سنعطيها لك والتى قد تجعلك تصل إلى الحل :

• تقع هذه المدينة فى جمهورية السودان الشقيقة .. ويسمونها بعروس أفريقيا العذراء .. أو جوهرة السودان .. وتشبه شكل المثلث الهندسى ..

• عمر هذه المدينة يقرب من ثلاثمائة عام .. وكانت عبارة عن مجرد مساحة شاسعة من الأرض الفضاء ..

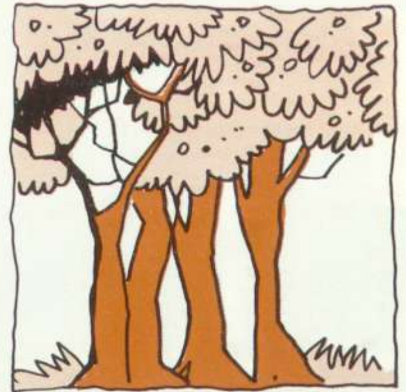
• يقولون إن هذه المدينة بموقعها الجغرافى تشبه خرطوم الفيل .. أحد حيوانات السودان ..

• تتميز هذه المدينة بأنها مركز النشاط الاجتماعى السياسى وبها دور الصحف اليومية والأسبوعية الصادرة فى السودان ..

• من أشهر معالم هذه المدينة .. متحف التاريخ ومتحف الأجناس ومتحف التاريخ الطبيعى ..

هذه المدينة مكونة من مقطع واحد ، وسبعة حروف :

٦ ، ٤ ، ٧ بمعنى انتفاخ .



حل المسابقة الثقافية للعدد ١٠٧

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر أحمد شوقى هى : حمامة .

٢ ــ عبارة شهيرة من قائلها : كريج .

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز يوجين يونسكو .

٤ ــ مسابقة مدن العالم : مدينة تونس العاصمة .

أسماء الفائزين

١ ــ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارىء : يس زايد عبد الله محمد ــ السودان .

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .

القارىء : فايز ابراهيم منصور ــ سوريا .

٣ ــ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري .

القارىء : محمد مجدى محمد ــ مصر .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ عبد الله سلطان المناعى ــ قطر
٢ ــ عبد المنعم أحمد حسن ــ السودان
٣ ــ الذكرى مصطفى الطيب ــ المغرب
٤ ــ جوزيف نجيب حنا ــ مصر
٥ ــ عماد فالح عثمان صالح ــ قطر
٦ ــ محمد صبحى الناطور ــ سوريا
٧ ــ موسى ابراهيم أبو رياش ــ الأردن
٨ ــ محمد القاضى ــ المغرب
٩ ــ مها ابراهيم حافظ ــ الكويت
١٠ ــ عبد الله سعيد مقبل ــ الجمهورية العربية اليمنية

حل استراحة الدوحة للعدد ١٠٧

١ ــ أصل وصورة : الحواجب ــ العينين ــ الجبهة ــ الذقن ــ الشعر ــ الأنف ــ الشفاه .
٢ ــ لوحة لم تتم : الكاتب الصحفى محمد التابعى .
٣ ــ لعبة الظلال : رقم (٢) .
٤ ــ دورى الكاريكاتير : رقم (٤) .
٥ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٤) .
٦ ــ المثل يقول : حط فى بطنك بطيخة صيفى !
٧ ــ لأقوياء الملاحظة فقط : قلم حبر ــ مقص ــ تفاحة ــ ريشة رسم ــ دبة ــ طائرة ورقية .

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ منير عفيف عزام ــ مصر
٢ ــ أنيسة محمد صالح ــ عدن
٣ ــ عصام المصلا ــ سوريا
٤ ــ سامية حسين رجب ــ السودان
٥ ــ حمداوى محمد ــ المغرب (اشتراك)
٦ ــ موسى مروان جرار ــ الإمارات العربية المتحدة
٧ ــ تامر يوسف أحمد حسن ــ مصر
٨ ــ صالح سليمان صلاح ــ الأردن
٩ ــ أمير جمال الدين النور ــ قطر
١٠ ــ بوسبينه سعيد ــ المغرب (اشتراك)
١١ ــ طارق الصادق الطيب ــ السودان
١٢ ــ عبد الوهاب حمود الحوامدة ــ سوريا
١٣ ــ عز الدين أحمد يوسف ــ مصر
١٤ ــ الفاتح شرف الدين محمدين ــ السودان

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....

العنوان : ....

....

اسم المسابقة : ....

رقم العدد : ....



استراحة الدوحة

مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رؤوف

أصل وصورة



هناك عدة اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) الذى كانت أفكاره تدعو إلى تدريب العقل على التفكير المنظم الحر .. إذا استطعت التعرف على تلك الاختلافات فلك جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى مشهور ، إذا تعرفت عليه فى انتظارك جائزة

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ، لتحصل على جائزة

هات أجمل تعليق



هذا الرسم الكاريكاتيرى يحتاج إلى تعليق خفيف الظل .. أرسل لنا تعليقك على هذا الكاريكاتير لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



احتار هذا اللاعب فى الحصول على ظله الحقيقى ، حاول أن تساعده فى مشكلته وتدله وتدلنا على ظله الحقيقى لنرسل لك جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات قريبة الشبه من الروائى المعروف نجيب محفوظ الذى كان من بين آخر أعماله « أمام العرش » .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً .. وفى البقية اختلافات بسيطة ، هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة



بقلم: عبـــد الله الجفـري

موت الحقيقة

قلت له : يخيل الي أنك تنشغل بمعالجة قرار تريد أن تتخذه من أعماق نفسك .. دون أن تجعل تأثيراً عليه من اضطرار معاشك . أو من تعودك على صيغة حياة عشتها ؟ !

ـ قال : أشعر أن خطواتي تسهر فوق درب مازلت ألهث وأنا أقطعه جيئه وذهاباً ، ولكن قدر الانسان هو أن يصنع كل يوم خطوة أخرى ليكبر عمره وتنقص أيامه ، واذا لم يفعل ذلك فلابد أنه سيموت !

ـ قلت : كأنك تبحث عن الراحة بتكثيف الألم والضنا ؟ !

ـ قال : لقد دخلت إلى عظمة الألم لكي أبقى إنساناً ، وغاندى قال من قديم : لن ترتفع الانسانية الا بالألم ، فأنا أمشى داخل ساحة تعودت عليها .. إسمها : حياتى ، وأقفل الباب خلفى .. حتى إذا فكرت أن أسلخ هذه الحياة من عمرى ، أو أمنع عمرى من هذه الحياة فشلت .. ذلك لأن شدة التعود أحياناً تصبح أقوى من جاذبية الحب ، ولأن « القيم » عندما تصبح فلسفة فإن الحياة لا تطيق الفلسفة ، ولكن الانسان هو الذى يلوذ إلى تلك الفلسفة ليتخلى عن أشياء أكبر منه ولا يقدر عليها ، وليتدجن فى أشياء أقل منه ويهبط إليها .. فالقيم فى هموم الانسان الحزين هى قاعدة ومناجاة ، ولكن الانسان بعلاقاته المتعددة يضطر أن يحيل القيم أحياناً إلى تذكرة دخول لمسرح الحياة !

ـ قلت : كيف تحرك هذه النظرة فى أمثلة تطرحها ؟ !

ـ قال : أنا أقول لك .. أنت ـ يا إنساناً ـ رهن ما ربيت عليه ونشأت فيه .. أى أن تكون رهن ما عودك عليه أهلك ، ثم مجتمعك ، وهذا التعود منك قد يستغرقك فيتحول فيك إلى طبيعة ، وإلى سلوك ، وإلى قيم أيضاً .. أو إلى سفاهة . فإذا تعودت على الخير ، فلن تستطيع أعتى قوة للشر أن تجذبك إليها ، ولن تقدر عواطفك أن تتسلخ الا فى حالة واحدة هى أن تيأس . أما لو نشأت فى بيئة قاسية .. مشرداً ، ومهانا ، وجاهلا ، فمن الصعب على الحب أن يكسيك مهما كانت نضارة الحب .

نحن نبنى الحياة دائماً بالعاطفة .. أما العقل فنجعله دروساً ومحاضرات فى المدارس والجامعات فقط . لا نحاول أن نمزج العاطفة بالعقل ، أولا نفكر أن نمد العقل بصبابة من الوجدان ، وتكون النتيجة : أن كثيراً من الناس يعجز عن الصمود أمام تجربة ، ويعجز عن رؤية خلفيات موقف صعب ، والسبب يكمن فى : أننا جعلنا العاطفة تعوداً .. لا شعوراً وتعاملا !

ـ قلت : ولكن .. الى أي حد يمكننا أن نلوذ بالعاطفة ؟ !

ـ قال : أريد أن لا يستغل الانسان عاطفته ضد عقله ، وأن لا يحول عقله إلى حاكم متفرد طاغية . أن ننظف العاطفة من التأثير الذاتى المحض الذى يضخم فيصبح أنانية وحباً أعمى للذات ، وأن نرتفع بالعقل إلى مستوى الوعي بمستوى لحظات ضعف الانسان أحياناً . إن حياتى ليست ملك زاوية فى مساحة عمرى ، ولكن عمرى كله هو الساحة التى لا تتجزأ ، فأصغر نقطة حب ربما تتحول إلى أكبر مساحة للكراهية ، وأصغر مساحة حب تستطيع أن تغسل كل الأحقاد والكراهية فى العالم !

ـ قلت : ان الحياه مقبولة بالحب فبماذا تقبل الحب ؟!

ـ قال : بمعانيه وليس بالتعود عليه . بتفوقه وليس بهزائمه . بعطائه الذى لا يطلب مقابلا وليس بأخذه الذى لا يعيد شيئاً ، فنحن لا نرتكب أسباب ندم الآخرين !

ـ قلت : مالذى نرتكبه اذن ؟ !

ـ قال : نحن نرتكب الأنانية فنجعلها الجانب الظاهر من القيم .. كأن نتصور أن الذى لا يعطينا المكسب هو ضد القيم ، والقيم أحياناً تجعلنا نخسر ، ولكننا لا نندم ، فالذى خسرناه بدون القيم .. هو لا أكثر من إفرازات عاطفية محدودة . أما العاطفة الحقيقة فهى باقية فى الوعى ، وفى الانتماء للأرض ، وفى الارتباط الروحى الذى يلزم صاحبه حتى الموت ، وهى باقية أيضاً فى الحنين الدائم .. فالذين يفقدون الحنين يسقطون بلا شك فى قسوة ادعاء الحياة ، وادعاء القيم !

ـ قلت : أسألك ـ اذن هل يمكن تجزئة أو « تقسيط » الحب ، كأن نقول : حب الماضى ، وحب الحاضر ، وحب المستقبل ؟ !

ـ قال : الحب لم يكن فى يوم ما « كمبيالة » .. لأن أكبر إنسان سيعجز عن تسديد « قيمة » هذه الكمبيالة .. لو جعل الحب تقسيطا ، والذى استطاع أن يحمى حبه من تفسخ الوقت لا يقبل أن يجزيء عاطفة العمر ، فيجعلها ماضياً ، وحاضراً ، وآتياً .. فالماضى هو الحقيقة ، والحقيقة لا تضيع أبداً .. ترتبط بالحاضر ، وتنهد إلى المستقبل !

ـ قلت : ولكن .. ألا يمكن أن تموت الحقيقة ؟ !

ـ قال : عندما نجعل الكراهية حقيقة .. فالبغضاء لا تتواصل ، والقيم تلفظ البغضاء !

ـ قلت : فما هو هذا الذى تجرنا إليه البغضاء ؟ !

ـ قال : ليس هو المستقبل ، لأنه ليس هو الحقيقة .. فالحقيقة عقل وعاطفة تسمو بالألم ، وما نعانى منه اليوم هو عاطفة تنحط بالألم وتدوسه بالتفسخ ! !

جـــدة

لقطات من الخليج

مسجد عمر بن الخطاب

هذا المسجد القديم الذى كانت له مئذنتان ، ينسب بناؤه إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو ضمن آثار واحة الجوف فى المنطقة الشمالية بالمملكة العربية السعودية ، وكانت الجوف تعرف قديما « بدومة الجندل » التى كان يعقد فيها سوق عربية شهيرة تبدأ فى أول يوم من شهر ربيع الأول وتنتهى فى منتصفه من كل عام .



"قبل الرحيل" للفنان القطري: حسن الملا

العـدد ١١٠ - جمـادى الاولى ١٤٠٥هـ - فبراير/ شـباط ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

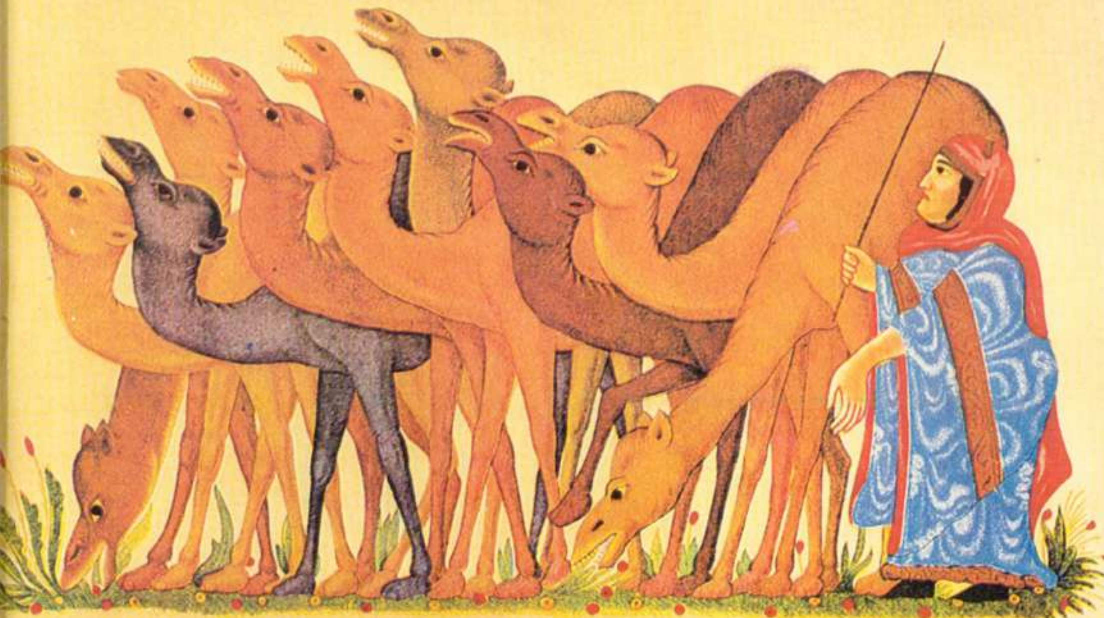
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

الاجتهاد الإسلامي الذي نريده : د. يوسف القرضاوي

المؤدّبون في الأرض : سعد مكاوي

زخرفة إسلامية في جامعة قطر الجديدة





مقامات الحريري

مشاهد من « مقامات الحريرى » التى كتبها القاسم بن علي الحريرى ، الأديب الذى ولد ومات بالبصرة (١٠٥٤ – ١١٢٢ م) .. ومقامات الحريرى عبارة عن خمسين مقامة ، حاول فيها تقليد بديع الزمان الهمذانى ، فلقيت شهرة ذائعة مازالت قائمة حتى يومنا هذا ، وترجمت لعدة لغات اوربية ، وقامت حولها عدة دراسات هامة لمجموعة كبيرة من المستشرقين .. والمشاهد التى تراها هنا للرسام الاسلامى العالمى يحيى محمود الواسطى ، من نسخة مخطوطة تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادى .

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازي ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازي .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد أبو ظبي ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١١٠ ـ جمادى الاولى ١٤٠٥هـ ـ فبراير/ شباط ١٩٨٥م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــذا العـــــــدد


التقدم بأساليب التخلف بقلم : د. عبد السلام العجيلي (ص ١٢)


الاجتهاد الاسلامي الذي نريده بقلم : د. يوسف القرضاوي (ص ٦)


حياة الانسان بين الفقه والطب بقلم : عبد القادر بن محمد العماري (ص ١٤)


أطلس قطر العلمي بقلم : درويش مصطفى الفار (ص٥٢)


نافذه على الثقافة العالمية بقلم : محمد العزب موسى (ص ١٠٦)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

• أبـواب •

● المـواد لا تعـاد إلى مرسليـها نشـرت أولم تـنشـر

كلمة

وحدة ثقافية عربيـة

يحتاج العرب وخاصة فى هذه الظروف التى تظهر فيها الخلافات السياسية على السطح فى كل مكان إلى نوع من الوحدة الثقافية يزداد قوة واتساعاً مع الأيام ، فالوحدة الثقافية هى الأساس ، وهى الأهم فى الظروف الراهنة وفى كل الظروف ، فالشعب الذى يتكلم لغة واحدة ، ويفكر بطريقة واحدة ، ويشعر شعوراً مشتركاً لا تؤثر فيه خلافات على السطح ولا تمزقات سياسية ظاهرية تنفجر بين وقت وآخر .. الباقى فوق كل الخلافات الظاهرية هو التقاليد والتراث المشترك ، والعقل الواحد والوجدان الذى ينبض بنفس الأفراح والهموم ، وهذه الوحدة الثقافية العربية هى النبع الأساسى الذى تستمد منه الدوحة روافدها المختلفة ، ففى هذا العدد من الدوحة ، على سبيل المثال ، تتمثل الوحدة الثقافية بصورة قوية فبالإضافة إلى الأقلام القطرية والفنانين القطريين الذين يشاركون بشكل أساسى فى تحرير المجلة ، يوجد عدد كبير من الأقلام التى يعمل أصحابها منذ سنوات طويلة فى المؤسسات الثقافية والاعلامية والتربوية القطرية المختلفة ، كما يوجد على صفحات المجلة أقلام عديدة من سائر أنحاء الوطن العربى فهناك قصة الكاتب الفنان محمد زفزاف من المغرب ، وهناك قلم الكاتب الكبير الأستاذ أكرم زعيتر ، أحد رواد الفكر العربى المعاصر ، وأحد ا علام الحركة الثقافية فى فلسطين ، وهناك الكاتب العربى السورى الكبير الدكتور عبد السلام العجيلى الذى يعتبر من رواد الكتابة القصصية والفكرية فى هذا العصر ، وهناك الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان ، فى مذكراتها المتعة اللامعة ، ومن الخليج تتألق أقلام كتاب كبار هم الدكتور محمد جابر الأنصارى وعبد الرزاق البصير وعبد الله الجفرى . ومن الشعراء نلتقى بالشاعر الفلسطيني الكبير يوسف الخطيب ، كما نلتقى فى القصة بالكاتب السورى المبدع زكريا تامر ، أما مصر والسودان فكثيراً ما تتألق أقلام أدبائها على صفحات الأعداد المختلفة للمجلة .. وهكذا تتحول الدوحة الى جامعة عربية ثقافية يلتقى فيها العرب من المحيط إلى الخليج بأفكارهم وآرائهم وانتاجهم الفنى الجديد .. وهذا ما يسعدنا ويشعرنا دائماً أن الدوحة نافذة قطرية مفتوحة لكل العرب فى كل مكان .

« الدوحـة »

● حدثت فى عصرنا تغيرات ضخمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وهذه التغيرات تفرض على الفقيه الاسلامى أن يعرض عن بعض الأقوال القديمة وأن يختار بعض الآراء المهجورة

الاجتهاد الإسلامي الذي نريده

بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

الاجتهاد فى عصرنا يمثل حاجة بل ضرورة للمجتمع المسلم ، الذى يريد أن يعيش بالاسلام ، وهنا قد يبدر سؤال :

هل يجوز لنا أن نجتهد ؟ فقد يدور هذا فى خلد بعض الناس ، نتيجة لما شاع فى بعض الأوقات من أن باب الاجتهاد قد أغلق وهى مقولة يكذبها المنقول والمعقول والتاريخ والواقع ، ومن ذا الذى يملك إغلاق باب فتحه الله ورسوله ؟

وجواب السؤال بالإيجاب يقيناً ، ولا يتصور فى منطق الاسلام أن يحتاج الناس الى شيء ثم يحرمه الله تعالى عليهم ، فإذا ثبتت الحاجة الى الاجتهاد فجوازه لابد ثابت .

وأكثر من ذلك أن الاجتهاد اليوم ليس جائزاً فحسب ، بل هو فرض كفاية على المسلمين ، مثل كل فروض الكفايات التى بها قوام أمر الدين والدنيا ، بحيث إذا توافر من يقوم بها ويسد ثغراتها بكفاية وجدارة ، سقط الاثم عن سائر الأمة ، والا أثمت الأمة كافة ، وأولو الأمر فيها خاصة ، لأنهم مسئولون عن تهيئة من يقوم بفروض الكفايات العامة .

ولقد ذهب الحنابلة ومن وافقهم إلى أنه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من مجتهد يرجع الناس إليه فيما يلم بهم من نوازل ، فيفتيهم بحكم الشرع الذى يستنبطه من الأدلة التفصيلية .

وقد كتب الحافظ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) رسالته القيمة التى يعبر عنوانها عن مضمونها « الرد على من أخلد الى الأرض ، جهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » .

ولهذا كان الأهم من السؤال عن جواز الاجتهاد لعصرنا هو السؤال عن نوع الاجتهاد الذى ننشده اليوم : أهو اجتهاد ترجيحى انتقائى أم هو اجتهاد إبداعى إنشائي ؟

والاجتهاد المطلوب لعصرنا نوعان :

– اجتهاد نسميه «الاجتهاد الانتقائى».
– واجتهاد نسميه «الاجتهاد الإنشائى».

الاجتهاد الانتقائى

ونعنى بالاجتهاد الانتقائى : اختيار أحد الآراء المنقولة فى تراثنا الفقهى العريض للفتوى أو القضاء به ، ترجيحاً له على غيره من الآراء والأقوال الأخرى .

ولست مع الذين يقولون : إن أى رأى فقهى نقل إلينا عن أحد المجتهدين نقلا صحيحاً يجوز لنا أن نأخذ به دون بحث عن دليله ، وخصوصاً إذا كان منسوباً الى أحد المذاهب المتنوعة .

فالواقع أن مثل هذا الأخذ تقليد محض ، وليس من الاجتهاد الذى ندعو إليه فى شىء ، لأنه مجرد أخذ قول غير المعصوم ، بلا حجة .

انما الذى ندعو إليه هنا : أن نوازن بين الأقوال بعضها وبعض ، ونراجع ما استندت إليه من أدلة نصية أو اجتهادية ، لنختار فى النهاية ما نراه أقوى حجة وأرجح دليلا ، وفق معايير الترجيح ، وهى كثيرة . ومنها : أن يكون القول أليق بأهل زماننا ، وأرفق بالناس ، وأقرب الى يسر الشريعة ، وأولى بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، ودرء المفاسد عنهم .

ومما لا يجهله دارس أن عندنا ثروة من الآراء والأقوال المختلفة فى أكثر مسائل الفقه ، فإن المجمع عليه قليل جداً بالنسبة للمختلف فيه ، بل كثير مما ادعى الاجماع عليه ، ثبت أن فيه خلافاً .

ولابد للفقيه المعاصر أن يختار من الآراء المذكورة رأياً يرجحه ، ولا يدع الناس فى حيرة بين الرأى وضده ، حتى إنها أحياناً لتغطى كل احتمالات القسمة العقلية .

وهذا واضح فى مثال قتل المكره ، أعنى من قتل انساناً تحت ضغط الاكراه الملجىء . فعلى من يكون القصاص ؟

قيل : القصاص على المكره (بفتح الراء) ، لأنه هو الذى باشر القتل .

وقيل : القصاص على من أكرهه ، لأن القاتل بمثابة آلة له .

وقيل : القصاص عليهما ، الأول بمباشرته ، والثانى باكراهه .

وقيل : لا قصاص على أى منهما ، لأن جناية كل واحد منهما لم تتكامل .

الخلاف الفقهى ليس شراً

ولا يحسبن القارىء أن هذا الخلاف الفقهى شر أو خطر ، كلا . فهو دليل على مرونة شريعتنا ، وخصوبة مصادرنا ، وثراء فقهنا ، وتسامح أئمتنا ، فقد تعايشت هذه الأقوال والآراء جنباً الى جنب ، فى عصور الاجتهاد ، برغم اختلاف نوازعها ، وتعدد مشاربها ، ولم يكن بينها إلا التعاون والاحترام المتبادل ، وأقص ما قاله مجتهد عن نفسه : رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

بل كان هناك من يرى أن رأي كل مجتهد صواب ، وأن حكم الله فى المسألة هو ما انتهى إليه المجتهد فى اجتهاده . وهؤلاء هم الذين يسمون «المصوبة» وما ذهب إليه عدد من كبار الفقهاء والأصوليين . بل رأينا فى داخل المذهب الواحد خلافاً ، يقل ويكثر ، ويضيق ويتسع ، بسبب تعدد الروايات عن امام المذهب ، وأقوال أصحابه ، واختيارات من بعدهم ، وحتى مذهب الامام أحمد الذى يظن انه يقوم على الأثر ، قد ملأ الخلاف المذهبى فيه صحائف اثنى عشر مجلداً ، وذلك فى كتاب «الانصاف فى الراجح من الخلاف ، على مذهب الامام المبجل ، أحمد بن حنبل» .

إنما الذى نريده هنا أن ننتقى من هذه التركة الغنية ما نراه أوفق بمجتمعاتنا وعصرنا ، بعد البحث والموازنة والتمحيص .

وقد رأينا صاحبى أبى حنيفة : أبا يوسف ومحمداً يخالفانه فى بعض القضايا لتغير زمانهما عن زمانه ، ويقول فى ذلك علماء المذهب : هذا اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان .

سعة دائرة الترجيح والانتقاء

وفى دائرة هذا الانتقاء يجوز لنا أن نرجح رأياً من داخل المذاهب الأربعة . ربما كان هو الرأى المفتى به فى المذهب ، وربما كان غير المفتى به . لأن المفتى به فى عصر معين ، وفى بيئة معينة ، وفى ظل ظروف معينة ، قد يصبح غير صالح للافتاء به إذا تغير العصر ، أو تغيرت البيئة ، أو تغيرت الظروف . وهو ما عبر عنه علماؤنا بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف .

ومن أجل هذا اختلفت التصحيحات والترجيحات داخل المذهب الواحد من عصر الى عصر ، فكم قول فى مذهب كان مهجوراً ، جاء من أبرزه وشهره ، وكم من قول كان مرجوحاً ، ثم جدت وقائع وأحوال ، جعلت بعض العلماء يرجحه ويقويه ، حتى أصبح هو المعتمد والمفتى به . والأمثلة على ذلك كثيرة داخل المذاهب الأربعة .

وقد تأخذ فى مسألة بمذهب مالك ، وفى أخرى بمذهب أبى حنيفة ، وفى ثالثة بمذهب الشافعى ، وفى رابعة بمذهب أحمد .

كما اذا أخذنا فى مصارف الزكاة مثلا بمذهب مالك فى بقاء سهم (المؤلفة قلوبهم) وبمذهب أبى حنيفة فى جواز نقل الزكاة لذى رحم محرم ، أو لمن هو أشد حاجة وبمذهب الشافعى فى اعطاء الفقير والمسكين ما يكفيه طول عمره ، ولا يحوجه الى الزكاة مرة أخرى .

وبمذهب احمد فى صرف الزكاة فى شراء السلاح والكراع ونحوها باعتبارها «فى سبيل الله» دون قصرها على الغزاة المتطوعين (١) .

وقد تأخذ فى جزء من المسألة بمذهب أحدهم ، وفى جزء آخر بمذهب غيره وليس هذا تلفيقاً كما ذهب إليه المتأخرون ، ومنعوه فى بعض الصور . لأن التلفيق المقصود يعنى ترقيع بعض الأقوال ببعض بغير دليل ، إلا التقليد المحض ، واتباع ما يشتهى لا ما يصح ويترجح .. بخلاف ما ندعو إليه هنا ، فإنه اتباع للدليل حيث كان ، سواء وافق هذا المذهب أم لم يوافق ، وانما تذكر الموافقة من باب الاستئناس والتقوية .

وهذا ما ترجح للعلماء الناظرين فى المعاملة التى تجريها (المصارف الاسلامية) والتى اطلق عليها «بيع المرابحة للآمر بالشراء» فقد رجحوا جوازها ، بناء على أن الأصل فى المعاملات الإذن والاباحة ، وان الأصل فى البيوع الحل «وأحل الله البيع» ووافقوا فى هذا مذهب الشافعى الذى نص عليه فى الأم بقوله : (واذا أرى الرجل الرجل السلعة ، فقال : اشتر هذه واربحك فيها كذا ، فاشتراها الرجل ، فالشراء جائز ، والذى قال أربحك فيها بالخيار ، ان شاء أحدث فيها بيعاً ، وان شاء تركه) .

ولكنهم خالفوا الشافعى هنا ، حيث رأى أن

الآمر بالشراء أو الواعد به ، مخير بعد شراء المأمور السلعة بالفعل : ان شاء أمضى البيع المتواعد عليه ، وان شاء ترك .

والذى رآه هؤلاء ـ ورأيته معهم ـ أن وعده بالشراء بعد طلب السلعة ملزم له ، بناء على وجوب الوفاء بالوعد ديانة ، كما تدل عليه ظواهر النصوص من القرآن والسنة ، وكما ذهب إليه عدد من علماء السلف والخلف ، وان كل ما هو واجب ديانة يجوز الالزام به قضاء .. وبعضهم كان قاضياً يلزم بالوعد ، وقد كتبت في ذلك دراسة ضافية (٢) .

وفى دائرة الانتقاء يجوز لنا الخروج على المذاهب الأربعة ، لاختيار رأى قال به أحد فقهاء الصحابة أو التابعين ، أو من بعدهم من أئمة السلف .

ومن الخطأ الظن بأن رأى أمثال عمر وعلى وعائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت ومعاذ وغيرهم من علماء الصحابة ، أو رأى مثل ابن المسيب والفقهاء السبعة وابن جبير ، وطاووس وعطاء والحسن وابن سيرين والزهرى والنخعى أو مثل الليث بن سعد والأوزاعى والثورى والطبرى وغيرهم دون رأى الأئمة المتبوعين .

ولهذا لم أجد حرجاً أن آخذ فى قضية الرضاع برأى الليث بن سعد وداود بن على ، وأصحابه من الظاهرية ومنهم ابن حزم ، وهو احدى الروايتين عن الامام أحمد : فى اعتبار الرضاع ما كان عن طريق التقام الثدى وامتصاص اللبن منه ، دون الوجور ـ الصب فى الحلق ـ أو السعوط ـ الصب فى الأذن ـ ونحوهما ، لأن هذا ما تدل عليه كلمة « الرضاع » و « الرضاعة » و « الارضاع » التى رتب عليها التحريم فى القرآن والسنة . وهو ما وقف عنده ابن حزم ووضحه بكل قوة ، وعلى أساسه أجزت « بنوك الحليب » اذا دعت إليها الحاجة ، واقتضتها المصلحة ، بالاضافة الى عنصر الشك فيمن أرضعت ، وكم أرضعت ، واختلاط لبنها بلبن غيرها .. مما يضعف فى النهاية القول بالتحريم . كما نصت عليه كتب المذهب الحنفى .

وقد ذهب العلامة الشيخ عبدالله بن زيد المحمود فى رسالته « يسر الاسلام » الى جواز الرمى قبل الزوال فى الحج ، موافقاً فى ذلك رأى فقيهين من فقهاء التابعين هما عطاء وطاووس ، ومستنداً الى عدد من الحجج والاعتبارات الشرعية القوية منها :

(١) الحاجة التى تبلغ مبلغ الضرورة فى بعض الأعوام حينما يشتد الزحام حتى يهلك الناس تحت الأقدام ، كما فى الموسم الفائت (١٤٠٣هـ) حيث بلغ عدد الحجاج نحو ثلاثة ملايين .

(٢) اليسر الذى قامت عليه الشريعة بصفة عامة ، وفى الحج بصفة خاصة ، حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم ، ما سئل عن أمر قدم ولا أخر من أفعال الحج إلا قال : أفعل ولا حرج .

(٣) أن الرمى من الأمور التى تحدث بعد التحلل النهائى من الاحرام بالحج .

(٤) أن أبا حنيفة أجاز الرمى قبل الزوال فى يوم النفر ، لحاجة المسافر الى التبكير .

(٥) أن الحنابلة أجازوا للحاج أن يؤخر الرمى كله الى اليوم الأخير .

(٦) أنهم أجازوا تأخير الرمى الى الليل .

(٧) أن القصد من الرمى هو الذكر ـ كما فى الحديث « انما جعل رمى الجمار ، والسعى بين الصفا والمروة ، لاقامة ذكر الله تعالى » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح . وقال تعالى : « واذكروا الله فى أيام معدودات » وأجمعوا على أنها أيام التشريق الثلاثة من الحادى عشر الى الثالث عشر من ذى الحجة .

وذكر الله فى هذه الأيام هو التكبير فى ادبار الصلوات ، والدعاء والتكبير عند رمى الجمار ، ولهذا كان النبى صلى الله وسلم يخص هذا المقام بتطويل الوقوف للذكر والدعاء والابتهال ، كما رواه عنه ابن عمر وهو فى صحيح البخارى .

قيل فى العصور القديمة إن المرأة تصلى فى بيتها ولا تخرج إلى المسجد فهل يصح هذا القول الآن ؟

ابن تيمية يقول :
التسعير واجب إذا تلاعب التجار بالأسعار واحتكروا السلع

(٨) أنه لم يأت نص بالنهى عن الرمى قبل الزوال ، وكل ما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم رمى بعد الزوال . ومجرد فعله عليه الصلاة والسلام لايدل على أكثر من المشروعية أو الاستحباب . أما الوجوب فلابد له من تدليل آخر . وقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » لا يدل على أن كل أفعال الحج المأخوذة عنه واجبة ، كما أن قوله « صلوا كما رأيتمونى أصلى » لايدل على أن أفعال الصلاة المروية عنه واجبة ، ففيها الركن والواجب والمستحب .

ومن العجائب ـ والعجائب جمة ـ أن الناس يلقون مصارعهم ، وتدوسهم أقدام المتزاحمين على الرمى بعد الزوال ـ ولا تبالى هذه الأمواج البشرية بما تزهق من أرواح مؤمنة ... ومع هذا لا يزال أكثر علمائنا متشبثين بفرضية الرمى بعد الزوال ، وليمت من يموت !

عوامل عصرية مؤثرة فى الانتقاء

ولاريب أن هناك عوامل جدت فى عصرنا ، ينبغى أن يكون لها تأثيرها القوى فى الانتقاء والترجيح بين الآراء المنقولة فى تراثنا .

من هذه العوامل المؤثرة :

١ ـ التغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية والعالمية :

فمما لا ينازع فيه أحد أن عصرنا قد حدثت فيه تغيرات ضخمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وهذه تفرض على الفقيه أن يعرض عن بعض الأقوال القديمة التى لم تعد تلائم الأوضاع الجديدة بحال ، وأن يختار بعض الآراء التى لم يكن لها الأرجحية من قبل ، بل لعلها كانت مرجوحة أو مهجورة .

ولا بأس أن نذكر لذلك بعض الأمثلة .

ذكر معظم الفقهاء فى العصور المتأخرة أن المرأة تصلى فى بيتها ولا تخرج الى المسجد ، وبخاصة الشابة ، وعلى أبيها أو زوجها أن يعلمها أمور دينها .

فهذا إن قيل به فى العصور الماضية يوم كانت المرأة حبيسة بيتها ، لا يجوز أن يقال به اليوم ، بعد أن خرجت المرأة الى المدرسة والجامعة والسوق والمنتزه والعمل وأصبح المكان الوحيد المحرم عليها هو المسجد ! وغدونا نرى كل نساء العالم يذهبن الى

معابدهن : النصرانية تذهب الى الكنيسة ، واليهودية الى البيعة ، والوثنية الى المعبد . والمسلمة هى الوحيدة المحرومة من المشاركة فى العبادة فى مساجد الاسلام .

على أن المسجد ليس داراً للعبادة فحسب ، بل هو جامع للعبادة ، وجامعة للعلم ومنتدى للتعارف ، ومركز للنشاط ، يلتقى فيه ابناء البلد أو الحي ، فيتفقهون ، ويتأدبون ويتعارفون ويتآلفون ويتعاونون ، وهذا يشمل المؤمنين والمؤمنات . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

وإذا كان الفقهاء السابقون قد وكلوا الى الأب أو الزوج تعليم المرأة وتفقيهها فى دينها ، فالواقع يقول : إن الآباء والأزواج لم يقوموا بمهمتهم ، لأنهم أنفسهم كانوا وما زالوا فى حاجة الى من يفقههم ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

هذا مع أن الحديث الصحيح يقول : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » . وكان النساء فى عصر النبوة يذهبن الى المسجد ، ويحضرن الجماعة ، ومازال (باب النساء) فى المسجد النبوى معروفاً الى اليوم .

ومن ذلك ما ذهب إليه الشافعية ، والمالكية ، ومعظم الحنابلة : أن من حق الأب أن يجبر ابنته البكر البالغة الرشيدة على الزواج بمن يريد ، وإن لم يستأذنها بل يزوجها وإن كانت كارهة رافضة ، بناء على أن الأب أعلم بمصلحتها ، وغير متهم فى أمرها . وربما يقبل هذا فى زمن لم تكن تعرف الفتاة ، عمن يتقدم لخطبتها شيئاً الا عن طريق وليها وأهلها .

ولكن الظروف الاجتماعية الحديثة التى هيأت للمرأة أن تتعلم وتثقف وتعمل ، وتطلع على الكثير من شئون الحياة والمجتمع والعالم ، تجعل الفقيه المعاصر يختار فى هذه القضية ، مذهب أبى حنيفة ، وأصحابه ومن وافقهم من الأئمة ، الذى جعل الأمر الى الفتاة ، واشترط رضاها واذنها . وهو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة : « إن البكر تستأذن واذنها صماتها » كما في الصحيحين . « والبكر يستأذنها أبوها » كما فى صحيح مسلم ، وفى سنن النسائى وغيره : « أن أبا زوج ابنته من ابن أخيه وهى له كارهة ، فشكت ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل الأمر إليها . فلما تقرر لها هذا الحق قالت : يا رسول الله قد اجزت ما صنع أبى ، ولكن اردت أن يعلم الآباء أن ليس لهم من الأمر شيء ! » .

حقيقة الشبهات التى أثيرت حول تحريم التصوير والرد عليها

هل يجوز نسبة الابن لأكثر من أب واحد ؟!

ومن التغيرات المعاصرة المهمة : التغير فى المجال الاقتصادى ، ولاسيما ماكان فى صالح الفئات الضعيفة والمسحوقة فى المجتمع .

وهذا ما يوجه الفقه الاقتصادى الى ترجيح الأقوال التى تشد أزر هؤلاء ، وتقلل الفوارق بين الطبقات ، فتحد من طغيان الأغنياء ، وترفع من مستوى الفقراء .

ومن هنا رجح الفقه المعاصر هذه الأقوال :

قول أبى يوسف : كل ما يضر بالناس حبسه فهو احتكار ، سواء أكان قوتا أم غيره .

قول الشافعي : إن الفقير يعطى من الزكاة ما يغنيه طول عمره ، ولا يحوجه الى أخذها مرة أخرى ، مادام فى حصيلة الزكاة متسع لذلك . وهو ما جاء عن عمر رضى الله عنه فى قوله : اذا أعطيتم فأغنوا .

قول ابن تيمية وغيره : إن التسعير جائز بل واجب اذا تلاعب التجار بالأسعار واحتكروا السلع ، لرفع الضرر عن الناس ، والزام التجار بالعدل الذى الزمهم الله به .

بل جواز تدخل الدولة حماية لأى طرف ضعيف — وبخاصة الجمهور — فى مقابلة الطرف القوى — سواء كان القوى المحتكر ، يتمثل فى المنتج أو التاجر أو العامل ، ويكون ذلك بتحديد ثمن المثل ، وأجر المثل . كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالة الحسبة .

قول ابن حزم :

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكوات بهم . ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يقيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .

وفى المجال السياسي عرف الناس فى عصرنا تنظيم حق الشعوب فى اختيار حكامها ومحاسبتهم وتقييد سلطتهم ، وعزلهم اذا خانوا ، دستور البلاد .

ومثل هذا المناخ الفكرى يجعل القول بأن الشورى معلمة لا ملزمة ، لم يعد قولا مقبولا فى هذا العصر . وغدا القول المتصور اليوم فى نظر الفقه العصرى : ان الشورى ملزمة . ولا يجوز للحاكم المسلم ان يستشير أهل الحل والعقد ثم يضرب بآرائهم — أو بآراء أغلبيتهم — عرض الحائط ، وينفذ ما يراه هو ! واى قيمة للشورى حينئذ اذا كان رأى الحاكم هو الذى يمضى ؟ وماذا يحل أو يعقد أهل الحل والعقد اذا كانوا يشاورون ويخالفون ؟

وفى المجال الدولى نرى العالم قد تقارب حتى غدا كأنه مدينة واحدة ، بل قال بعض فلاسفة العصر : العالم قريتنا الكبرى !

وقد ربطت جملة من المواثيق والمعاهدات الدولية السياسية والثقافية والاقتصادية بين دول العالم بعضها وبعض ، وأصبح الجميع أعضاء فى الأمم المتحدة ، وما يتفرع عنها من مؤسسات .

وهذا كله يوجب على الفقيه المعاصر أن ينظر فى الفقه الموروث حول العلاقات الدولية ، وعلاقة دار الاسلام بدار الكفر : هل الأصل هو السلم أو الحرب ؟ وهل يقاتل الكفار لكفرهم أم لعدوانهم ؟ وما وضع غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ؟ وما وضع المسلمين فى مجتمع غير اسلامى ؟ .

كل هذه وغيرها لا يكفى ان يلتزم فيها مذهب واحد ، بل لابد من النظر في جميع المذاهب والأقوال لنأخذ منها ما هو أرجح في نظرنا اليوم ، وأليق بتحقيق مصالح المسلمين ، ودرء الخطر عنهم ، ودفع الشبهات والمفتريات عن دينهم .

(٢) : معارف العصر وعلومه :

ومن العوامل المؤثرة فى ترجيح رأى على آخر فى

عصرنا ، ما توافر لدينا اليوم من علوم ومعارف لم تكن لدى اسلافنا من فقهاء الأمة ، وخصوصاً في مجال العلوم الطبيعية والكونية التي يعرف التلميذ في المرحلة الابتدائية منها مالم يكن يعرفه أكبر الفلاسفة في العصور الماضية .

فهذه المعارف الجديدة قد صححت للمعاصرين كثيراً من المعلومات القديمة في الطبيعة » أو الفلك والكيمياء والأحياء والطب والتشريح ووظائف الأعضاء وغيرها كما أنها أعطت الانسان أدوات للمعرفة الصحيحة ، ومقاييس لاختبارها ، لم تكن معروفة من قبل .

وهذه المعارف التى تتسع وتنمو يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، تمنح الفقيه المعاصر قدرة على أن يحكم على بعض الأقوال الفقهية الموروثة بالضعف وعلى أخرى بالصحة والرجحان .

لنأخذ مثلا لذلك مذهب من قال : ان الخمر هى ما اتخذ من العنب فقط خلافاً لمن قال : كل مسكر خمر .

فالعلم الحديث يثبت أن المادة الفعالة في الاسكار هى (الكحول) .

وهو موجود فيما يتخذ من العنب ، كما يوجد فيما يتخذ من البلح أو التفاح أو الشعير أو البصل أو غيرها .

وبهذا يتفق العلم اليوم مع الحديث الصحيح « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » .

ومثل آخر : هو ما ذكره الفقهاء في أقصى مدة يمكثها الحمل في بطن الأم ، من سنتين عند الحنفية ، بناء على ماروي في ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، وهو رأي عند الحنابلة ، الى أربع سنوات عند الشافعية والحنابلة ، الى خمس عند المالكية بل روى عندهم : سبع سنوات ! اعتماداً على أقوال مروية عن بعض النساء .

وعلم العصر القائم على الملاحظة والتجربة ، يرفض هذه الأقوال المبالغة التى لا تؤيدها المشاهدة والاستقراء . والحق أنها لم يقم عليها دليل من كتاب أو سنة حتى رفضها كلها رجل مثل ابن حزم الظاهرى ، واكتفى بالرجوع الى عادة الناس المتكررة فى ذلك ، ورأى أن مدة الحمل تسعة أشهر ، وذهب غيره (محمد بن عبد الله بن عبدالحكم) الى أن أقصى الحمل سنة قمرية ، وبه أخذ بعض قوانين الأحوال الشخصية المعاصرة .

ولو كان لهذه الأقوال المذكورة سند من الواقع المبنى على الاستقراء ما غاب ذلك عن أجهزة الرصد والاعلام ، التى تجرى وراء كل واقعة نادرة أو شاذة ولو كانت فى أقصى اطراف الأرض ، ولطيرت أخبارها الى أنحاء العالم ، كما رأينا ذلك فيمن تلد عدة توائم ، حيث تتناقل وكالات الأنباء أخبارها ، وتثبتها فى أرجاء المعمورة .

يقول العلامة الشيخ أبو زهرة فى كتابه عن (الأحوال الشخصية) :

« والحق فى هذه القضية أن هذه التقديرات لم تبن على النصوص ، بل على ادعاء الوقوع فى هذه المدد ، وان الاستقراء فى عصرنا الحاضر لا يجد من الوقائع ما يؤيد التقدير بخمس ، ولا أربع ، ولا سنتين ، وانما الوقائع تؤيد التقدير بتسعة أشهر ، وقد يوجب الاحتياط التقدير بسنة ، ورجح بعض الفقهاء المتقدمين ذلك فقد قال ابن رشد : « وهذه المسألة الرجوع فيها الى العادة والتجربة ، وقول ابن الحكم والظاهرية هو الأقرب الى المعتاد » .

ولقد كان العمل بمقتضى مذهب أبى حنيفة ، وهو اعتبار أقصى مدة الحمل سنتين ، ولكن جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فعد أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥) بالنسبة لسماع دعوى النسب كما تقرر ذلك بالنسبة لثبوت الارث للحمل وثبوت الوصية له .

وهذا قريب من مذهب الحَكَم ، وليس هو النص ، لأن السنة عند ذلك الفقيه المالكى هلالية ، ولأن الأساس عنده الا يثبت النسب ، ان جاء الولد بعدها لا الا تسمع الدعوى فقط .

ومن ذلك ما قاله جماعة من الفقهاء : إن الولد يمكن أن ينسب الى أبوين رجلين وبعضهم قال ينسب الى ثلاثة إذا ادعوا نسبه ، أو ألحقه بهم القافة (أى الخبراء الذين يحكمون بالشبه) خلافاً لمذهب الشافعى الذى قال : لا يلحق الولد بأبوين ، ولا يكون للانسان إلا أب واحد ، ومتى ألحقته القافة باثنين سقط قولهم .

وحجته أن الله قد أجرى عادته أن للولد أباً واحداً ، وأماً واحدة ، ولم يعهد قط فى الوجود نسبة ولد الى أبوين قط .

ومن ألحق باثنين قالوا : ان الولد قد ينعقد من ماء رجلين كما ينعقد من ماء الرجل والمرأة . !

وقال الآخرون : إذا جاز تخليقه من ماء رجلين جاز تخليقه من ماء ثلاثة وأربعة وخمسة (٣) .

وهذا كله مرفوض بمنطق العلم الحديث ومسلماته التى دلت عليها الملاحظة والتجربة وآلات الاختبار والتصوير وغيرها !

فقد أصبح من أوليات العلم اليوم : أن الجنين يتكون من حيوان منوى واحد من الرجل وبويضة من المرأة ، يلتقى بها فيلقحها ويغلق عليها الرحم ، ويتكون منهما كائن حي ينمو ويتطور يوماً بعد يوم ، وأمكن رصد نموه ، وتصويره منذ المرحلة الأولى .

ولهذا تكون هذه الافتراضات التى جوزت أن يتخلق الولد من ماء أثنين أو أكثر لا محل لها .

وهذا يرجح مذهب الشافعى ومن وافقه هنا ، وهو الموافق للشرع وللعادة فى نسبة الانسان الى أب واحد لا أكثر .

(٣) : ضرورات العصر وحاجاته :

وعامل آخر له أهمية فى مجال الاجتهاد الانتقائى ، وهو ضرورات العصر وحاجاته ، التى تفرض على الفقيه المعاصر الاتجاه إلى مراعاة الواقع والتيسير والتخفيف فى الأحكام الفرعية العملية ، سواء فى العبادات أم المعاملات ، ولا سيما من كان يجتهد لعموم الناس ، فإن المطلوب منه رعاية الضرورات والأعذار والحالات الاستثنائية عملا بالتوجيه القرآني « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة : ١٨٥) . والتوجيه النبوى « يسروا ولا تعسروا » متفق عليه .

هذه الضرورات العصرية هى التى جعلت الفقه المعاصر يتجه الى اجازة سفر المرأة فى الطائرات ونحوها ، بغير محرم — بموافقة زوجها أو أهلها — اذا توافر شرط الأمن والطمأنينة عليها ، كما هو قول ابن حزم الذى استدل لذلك بحديث (الظعينة) التي تسافر من الحيرة الى الكعبة لا تخاف الا الله !

وهذه الضرورات هى التى جعلت علماء العصر لا يرون حرجاً فى بيع المصحف ، لحاجة الناس إلى ذلك ، رغم نص كبير من الفقهاء على كراهة بيعه أو تحريمه .

وهى التى جعلت الكثيرين من أهل الفتوى يأخذون برأى ابن تيمية وابن القيم فى جواز طواف الحائض فى الحج طواف الافاضة — بعد تحفظها واحتياطها من نزول الدم — اذا كانت لا تستطيع التخلف عن رفقتها ، ومواعيد رجوعها فى الباخرة أو الطائرة ونحوها ، لا هذا هو المستطاع لها .

وهى التى جعلتهم يفتون أيضاً بجواز الرمى قبل الزوال فى منى ، نظراً لضرورات الزحام الهائل الذى جعل الناس يرمون من الصباح الى منتصف الليل ولا تنقطع الأمواج البشرية المتلاطمة .

الاجتهاد الانشائى

ونعنى بالاجتهاد الانشائى : استنباط حكم

جديد في مسألة من المسائل ، لم يقل به أحد من السابقين ، سواء كانت المسألة قديمة أو جديدة .

ومعنى هذا أن الاجتهاد الانشائي قد يشمل بعض المسائل القديمة بأن يبدو للمجتهد المعاصر فيها رأى جديد لم ينقل عن علماء السلف ولا حجر على فضل الله تعالى .

والقول الصحيح الذى نرجحه أن المسألة الاجتهادية التى اختلف فيها الفقهاء السابقون على قولين ، يجوز للمجتهد فيما بعد أن يحدث قولاً ثالثاً ، وإذا اختلفوا على ثلاثة أقوال ، يجوز أن يحدث رابعاً ، وهلم جراً .

وذلك لأن الخلاف فيها يدل على أنها قابلة لتعدد وجهات النظر ، واختلاف الآراء ، وآراء أهل النظر والاجتهاد لا يجوز تجميدها ولا إيقافها عند حد معين .

وهذا ما جعلنى اختار فى زكاة الأرض المستأجرة : ان يزكى المستأجر الزرع والثمر الذى يحصله من الأرض ــ اذا بلغ نصاباً ــ محسوماً منه مقدار الأجرة التى يدفعها لمالك الأرض ومؤجرها له ، باعتبارها ديناً عليه ، وبذلك يزكى ما خلص له من زرع الأرض .

وأما المالك المؤجر فهو يزكى ما يقبضه من أجرة الأرض ــ اذا بلغ نصاباً ــ محسوماً منه ما يدفعه من ضرائب عقارية مفروضة على رقبة الأرض . وبذلك يزكى كل منهما ما وصل إليه من مال عن طريق الأرض ، كما لو اشتركا فيها بطريق المزارعة ، فإن كلا منهما يزكى نصيبه .

وهذا القول بهذه الصورة لم يذهب إليه أحد ممن سبق . وانما قال أكثرهم : زكاة الزروع والثمار فى الأرض المستأجره على المستأجر ، وقال أبو حنيفة : على المالك المؤجر .

وسبب الخلاف كما قال العلامة ابن رشد فى (بداية المجتهد) : هل الزكاة ــ أو العشر ــ حق الزرع أو حق الأرض ، أو حق مجموعهما ؟ إلا أنه لم يقل أحد : انه حق لمجموعهما ، وهو فى الحقيقة حق مجموعهما (٤) .

ومثل ذلك اجتهادنا : أن يكون للزكاة فى النقود اليوم نصاب واحد لا نصابان وان الأولى أن يقدر النصاب بقيمة نصاب الذهب لا الفضة ، وان هذا

الشورى ملزمة فى نظر الفقه العصرى

ليس خروجاً على النص ولا الاجماع ، كما هو مبين فى موضعه .

على أن أكثر ما يكون الاجتهاد الانشائى فى المسائل الجديدة ، التى لم يعرفها السابقون ولم تكن فى أزمانهم ، أو عرفوها فى صورة مصغرة ، بحيث لا تكون مشكلة ولا تدفع الفقيه الى البحث عن حل لها باجتهاد جديد . فكما أن الحاجة هى التى تدفع الى الاختراع ، فإن معاناة المشكلة هى التى تدفع الى الاجتهاد .

من ذلك ماذهب إليه علامة زمانه مفتى الديار المصرية : الشيخ محمد بخيت المطيعى فى رسالته « القول الكافى فى اباحة التصوير الفوتوغرافى » ان هذا التصوير حلال ، لأن علة التحريم هى مضاهاة خلق الله ، وهذا التصوير ليس مضاهاة لخلق الله تعالى . وانما هو خلق الله نفسه انعكس على الورق ، كما تنعكس الصورة فى المرآة . واستطاع الانسان بالعلم أن يثبتها بوسائط معينة .. الخ .

وهذا فى نظرى اجتهاد انشائى صحيح ، يؤيده أن أهل قطر والخليج يسمون التصوير (عكساً) والصور (عكوساً) والمصور «عكاسا» ويقول أحدهم للمصور (اعكسنى) .

ولو أن الناس سموا هذا التصوير أول ما عرف فى بلادنا (العكس) ، ولم يطلقوا عليه لفظ (التصوير) ما ثارت الشبهة فى اذهان كثير من المتشددين الذين يحرمون كل (عكس) ولو كان (تليفزيونيا) مع أن الصورة التى نشاهدها فى التلفاز هى انعكاس خلق الله نفسه ، وليس صورة مضاهية له .

ومن ذلك ما ذهب إليه جماعة من علماء العصر من وجوب الزكاة فى ايراد العمارات السكنية المؤجرة وكذلك المصانع ونحوها . وهو رأى المشايخ محمد أبى زهرة وعبدالوهاب خلاف ، وعبدالرحمن حسن ، وهو ما رجحناه وأيدناه بالأدلة فى كتابنا« فقه الزكاة » .

ومن ذلك ما ذهب إليه الشيخ عبدالله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية فى دولة قطر من جواز الاحرام من جدة لركاب الطائرات .

فهذا اجتهاد انشائى جديد ، حيث لم يكن لدى السابقين طائرات ، وقد استند الشيخ حفظه الله الى أن الحكمة فى وضع المواقيت فى اماكنها الحالية كونها بطرق الناس ، وانها على مداخل مكة ، وكلها تقع بأطراف الحجاز ، وقد صارت جدة طريقاً لجميع ركاب الطائرات ، ويحتاجون بداعى الضرورة الى تعيين ميقات أرضى يحرمون منه لحجهم وعمرتهم ، فوجبت اجابتهم ، كما وقت عمر لأهل العراق ذات عرق . اذ لا يمكن جعل الميقات فى أجواء السماء ، أو فى لجة البحر ، الذى لا يمكن الناس فيه من فعل ما ينبغى لهم فعله ، من خلع الثياب ، والاغتسال للاحرام ، والصلاة ، وسائر ما يسن للاحرام ، اذ هو مما تقتضيه الضرورة ، وتوجبه المصلحة ، ويوافقه المعقول ولا يخالف نصوص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

وقد علق الشيخ على الحديث الشريف الذى ورد فى المواقيت المعروفة « هن لهن ، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن » فقال :

« ومن المعلوم أن مرور الطائرة فوق سماء الميقات ــ وهى محلقة فى السماء ــ لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم لا لغة ولا عرفاً ، لكون الاتيان هو الوصول الى الشيء فى محله .. .. فلا يأثم من جاوزها فى الطائرة ولا يتعلق به دم عن المخالفة » .

وهذا تيسير عظيم على الناس فى هذا الزمان ، بدل تكليفهم الاحرام فى الطائرة مع ما فيه من حرج ، أو الاحرام من بيوتهم فى بلادهم ، ولم يلزمهم الله بذلك .

وقد كنت قرأت لبعض علماء المالكية أقوالا لها اعتبارها ، فى جواز تأخير الاحرام فى البحر لركاب السفن ، حتى ينزلوا الى البر فى جدة ، مستدلين بمثل الاعتبارات التى ركن إليها فضيلة الشيخ ، ولا ريب أن راكب الجو المعلق بين السماء والارض ، أولى بالتيسير من راكب البحر .

يوسف القرضاوي

الهوامــش

(١) راجع في هذه الترجيحات كتابنا « فقه الزكاة »

(٢) نشرتها «دار القلم» بالكويت تحت عنوان «بيع المرابحة للآمر بالشراء» ، كما تجريه المصارف الاسلامية »

(٣) انظر ما ذكره ابن القيم في زاد المعاد جـ ٥ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت

(٤) بداية المجتهد جـ ١ ص ١٨٠ ط دار الفكر . وراجع فقه الزكاة جـ ١

حتى لا ندس رؤوسنا في الرمال

التقدم بأساليب التخلف

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

في آخر عام ١٩٨٠ أصدر الصحفي والسياسي الفرنسي جان جاك سيرفان شرايبر كتابه «التحدي العالمي» الذي لقي عند ظهوره اهتماماً منقطع النظير وترجم في آن واحد الى خمس عشرة لغة . في هذا الكتاب عقد سيرفان شرايبر فصلا عنوانه «انديرا تتساءل» ، تحدث فيه عن مشاكل الهند وعن طموحات انديرا غاندي ، وكانت قد عادت مجدداً الى الحكم ، في اخراج بلدها من وهدة تخلفها ، وعن احتمالات تحقق تلك الطموحات .

عند عودة انديرا غاندي الى الحكم في مطلع عام ١٩٨٠ كانت أحوال الهند على درجة من السوء كبيرة . كان فيها حقاً نخبة متميزة من العلماء والمفكرين ورجال الأعمال والصناعة ، ولكن هذه النخبة ليست الا ذرة في صحراء الجوع والجهل والمرض التي تمثلها القارة الهندية . متوسط الدخل للفرد الهندي سنوياً لا يتجاوز مائتي دولار ، بينما يبلغ هذا الدخل المتوسط في بلاد الغرب وفي اليابان عشرة آلاف دولار . عدد الأميين في الهند أربعمائة مليون ، والعاطلون فيها عن العمل عشرات الملايين . الكوارث والأوبئة والمجاعات ، الى جانب تزايد السكان المستمر ، تجعل الأفق حالك السواد في عيني رئيسة الوزراء الجديدة ، ابنة جواهر لال نهرو ، التي تطمح الى أن ترفع حياة الشعب الهندي الى المستوى اللائق بكرامة الانسان في هذا العصر .

لم يكن أحد يشك في الصفات الإيجابية لسيدة الهند الأولى ، من قوة شكيمة واخلاص لبلدها ، ومن مقدرة سياسية وذكاء . وفوق ذلك فهي متواضعة لا تتردد في الاقرار بأنها قاصرة المعرفة في بعض الأمور ، وبأنها مستعدة لأن تتعلم . كانت تقول عن نفسها إنها لا تدرك مثلا الفرق بين الصناعة والتكنولوجيا وتعتبرهما شيئاً واحداً . ولما عرفتها الدراسات الاقتصادية المعمقة بأن مستوى الدخل الفردي في الهند لن يرتفع من مائتي دولار سنوياً الى ثلاثمائة دولار ، ما دامت فعاليات الهند في مستواها الحالي ، الا في عام ٢٠٠٠ ، ادركت أن عليها أن تجد وسيلة تخرج بها بلادها من هذا القدر السيء . إن الغرب لم يبلغ ما بلغه في المجال الحضاري الا عن طريق التقدم التكنولوجي ، لذا قررت انديرا أن تلحق الهند بركب العصر الحاضر عن طريق التصنيع الذي هو والتكنولوجيا ، في نظرها ، شيء واحد .

بدا لرئيسة وزراء الهند ، كما بدا لكثير من قادة العالم الثالث الذين يتوقون مخلصين الى تحرير بلادهم من تخلفها ، أن التصنيع ، مجرداً ، هو الوسيلة المثالية لهذا التحرير . حتى لقد تحول التصنيع لشدة الالحاح عليه من وسيلة الى هدف مثالي في نظر كثير من أولئك القادة . أليس هو الذي يؤمن العمل للملايين العاطلة لاحتياجه الى ملايين السواعد ، فيقضي بذلك على البطالة وشرورها الكثيرة وأخطارها ؟ وهكذا بشرت انديرا غاندي بانفتاح الهند على عالم الصناعة وخططت لانشاء المعامل الكثيرة . معامل للصناعات الثقيلة وللصناعات الكيماوية وحتى لصناعات الفضاء . كما رحبت برؤوس الأموال الأجنبية وبالشركات المتعددة الجنسيات من كل لون ، مادامت تكفل للهند تحقيق خطتها التصنيعية الجبارة .

كل هذا أورده جان جاك سيرفان شرايبر في كتابه الذي صدر ، كما قلت ، في آخر عام ١٩٨٠ . وفي عام ١٩٨٤ ، أعني بعد أربعة أعوام من صدور ذلك الكتاب ، وقبل أن تنضج في الهند ثمرات التصنيع المرجوة ، سقطت انديرا غاندي صريعة برصاص حراسها السيخ . لم يكن للتصنيع يد في مصرعها بلاشك . الا أن يده ظاهرة في ما حدث في آخر هذه السنوات الأربع حين جنت الهند ثمرة بالغة المرارة لما خططت له رئيسة وزرائها . هذه الثمرة هي كارثة بهوبال التي تسببت بها واحدة من كبريات الشركات الصناعية المتعددة الجنسيات ، شركة يونيون كاربايد الأمريكية

الأصل . حصيلة هذه الكارثة الفان وخمسمائة قتيل فى الدفعة الأولى من الضحايا ، وعشرات الآلاف من العمي والمشوهين ، ومدينة سكانها ثمانمائة ألف نسمة يخيم فوقها شبح الموت والدمار الذى تسرب من فتحات صهاريج غاز ايزوسيانات الميثيل فى تلك المدينة المنكوبة .

• • •

هل تعتبر انديرا غاندى مسؤولة عن الخلل فى خطة التصنيع التى وضعتها للهند ، وكانت هذه الكارثة من عقابيلها ؟

ليس منصفاً من يفكر بأن يحمل رئيسة وزراء الهند الراحلة أية مسؤولية فيما حدث فى بهوبال . ولكن حدوثه فى الهند ، وهى واحدة من أبرز بلدان العالم الثالث ، يدعو كل ذى فكر الى التأمل فى مسبباته ، بغية استنتاج الدرس المفيد فى التوقي من أمثال هذه الفاجعة فى هذا العالم الثالث نفسه .

نحن نعرف أن كارثة بهوبال ليست الوحيدة بين كوارث التصنيع فى هذا العصر ، لا فى العالم الثالث ولا فى غيره . فقبل سنوات قليلة فجعت مدينة مكسيكو بكارثة مماثلة كان ضحاياها مئات من سكان تلك المدينة هلكوا تسمماً بالغاز المميت . وفى خلال ست سنوات ، بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٩ ، سجلت المراكز الدولية المتخصصة عدة حوادث خطيرة من هذا القبيل ، لعل أكثرها اثارة للذعر العالمي كان حادث تسرب المواد المشعة من المفاعل النووى فى مركز ثرى مايل آيلاند فى ولاية بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩ . الا أن الفارق بين ما يجرى فى البلدان المتقدمة وما يجرى فى البلدان النامية هو أن الضحايا البشرية فى كوارث التصنيع فى الغرب لا تتجاوز الآحاد ، بينما هى بالمئات وبالألوف فى العالم الثالث . هذا عدا ما يتكبده هذا العالم الأخير فى كوارثه من ضربات فاجعة لاقتصاده ولمسيرة التطور الاجتماعى فيه . فلماذا هذا الفارق المأساوى بين ما يجرى هنا وما يجرى هناك ؟

نستطيع أن نجيب على هذا السؤال بجواب بسيط ، نسكت به ضمائرنا أو نخدرها به ، بأن نقول انها جريمة الغرب ، الرأسمالي الاستعمارى ، الناهب لثروات العالم الثالث والمتآمر على أرواح شعوبها . انه جواب يقول جزءا من الحقيقة ويتناسى كثيراً منها ، وبه ندس رؤوسنا فى الرمال شأن النعامة أمام الخطر المداهم . وأنا أعلق على جواب مثل هذا بايراد احصائية آسف على أن مصدرها ليس بين يدى الآن لأذكر أرقامها بدقة . فقد ورد فى احصائيات عام ١٩٨٣ عن حوادث المرور فى العالم أن ضحايا الطرق العامة فى انكلترا ، التى تجرى فيها على تلك الطرق ثلاث عشرة مليون سيارة ، بلغ عددهم خمسة آلاف قتيل . وأن ضحايا تلك الطرق فى واحد من البلدان العربية لا تتجاوز سياراته المليونين فى العدد بلغوا فى الفترة نفسها سبعة آلاف قتيل ! ولنا أن نتساءل هنا عما إذا كان هذا الفارق من صنع الغرب الرأسمالى الاستعمارى أم أن علينا نصيباً من الوزر فيه ؟

عندما يقر السياسيون وواضعو الخطط الاقتصادية فى عالمنا المتخلف بأن جزءا ، صغيراً كان أو كبيراً ، من مسببات كوارث التصنيع يقع على عاتق أبناء هذا العالم نفسه ، فانهم سيدركون أن عليهم أن يحسبوا عند التخطيط حساب نقاط الضعف فى مواطنيهم . ما من شك فى أن شركة يونيون كاربايد الأمريكية ، بجشعها ولا مبالاتها بقيمة الأرواح البشرية للعاملين فى مصانعها فى الهند ، مسؤولة أكبر المسؤولية فيما جرى فى بهوبال . الا أنه ما من شك أيضاً فى أن العمال الذين كانوا ينظفون صهاريج ايزوسيانات الميثيل ، وهو الغاز المميت ، دون أن تكون لهم الدراية الكافية بذلك ، كانوا هنوداً . وكانوا هنوداً أيضاً المهندسون الذين عليهم الاشراف على التنظيف ثم تغيبوا عنه تهاوناً وانعدام احساس بالمسؤولية . وكان على انديرا غاندى ، ومثلها كل من يخطط لتصنيع يحمل خطراً من نوعية ما يحمله غاز ايزوسيانات الميثيل ، أن يعرف فى أى الأيدى يضع مثل هذا العامل الفتاك ، وبأية احتياطات يجب أن يتم تصنيعه ، وأية صفات نفسية وخلقية يجب أن تتوفر فى العاملين فى تصنيع عصرى معقد كي يمنح البلاد الحياة والرفاء لا أن يحمل اليها الموت والدمار .

• • •

كل هذا نتحدث عنه وعن مسؤوليات القادة فى العالم الثالث ، الذين يريدون خير بلادهم وهم مخلصون فى نواياهم ونزيهون فى تصرفاتهم . فماذا لو أننا تحدثنا عمن تفتقد فيهم النزاهة ويفتقد الاخلاص ؟

من أخبار الأسابيع الأخيرة فى أفريقيا أن الشرطة فى مالي كانت فى انتظار السيد محمد ديوارا عند هبوطه من طائرته ، فالقت القبض عليه ونقلته سجيناً الى احدى الثكنات العسكرية . ديوارا هذا كان وزيراً سابقاً للتخطيط فى جمهورية ساحل العاج ثم أصبح أحد كبار المسؤولين فى صندوق المجموعة الاقتصادية الافريقية الغربية . والتهمة التى اعتقل من أجلها وزير التخطيط السابق هذا هى اشتراكه مع طغمة من كبار المسؤولين أمثاله فى اختلاس ما يعادل ٣٢٠ مليون فرنك فرنسي من صندوق المجموعة ، وهو صندوق معد لتنمية عدد من دول أفريقيا الناطقة بالفرنسية . هذا المسؤول الكبير نموذج للذين توكل إليهم مقدرات بلاد متخلفة فيسيرون بها الى الوراء مراحل عديدة باسم التخطيط لتقدمها . ومثله كثيرون من المصممين لمشاريع وهمية لا تنفذ ، أو من المقيمين لمصانع تغلق ابوابها فور اكمالها ، بعد أن تكون أفرغت فى اقامتها جيوب الشعب . ذلك لأن تلك المشاريع لم تصمم وتلك المصانع لم تقم الا لملء جيوب ذووى النفوذ من المخصصات المرصدة لها . أما الشعب فليس له منها الا الانبهار بالواجهات البراقة أو الانخداع بالشعارات الطنانة .

حدث قبل الحرب العالمية الأولى ان زار امبراطور الصين مدينة نيويورك فبهرته أنوارها المتلألئة التى تحيل الليل نهاراً . وعند عودته الى بلاده استدعى رئيس وزرائه وأمره بأن يتولى انارة بكين العاصمة كما هى نيويورك منارة . قال رئيس الوزراء إن ذلك يكلف خزينة الدولة مليون تايل ، وهى عملة الصين فى ذلك الحين ، فأذن له الامبراطور بصرف ذلك المبلغ فى سبيل أن يغرق النور بكين كما يغرق نيويورك . دعا رئيس الوزراء آنذاك وزير الداخلية وكلفه بأن ينير بكين حتى تصبح مثل نيويورك ، واعطاه لذلك نصف مليون تايل . فما كان من وزير الداخلية الا أن استقدم محافظ بكين وسلمه ربع مليون تايل كي ينفقها على اضاءة بكين حتي تتوهج ليلا توهج نيويورك . وظلت مهمة الانارة تنتقل من مسؤول الى من هو أدنى منه ، وظل المبلغ المخصص لها يتضاءل شيئاً وراء شيء ، حتى انتهى أمرها الى مخاتير حارات العاصمة الصينية الذين لم تصل الى أيديهم الاتايلات عددها أقل من عدد أصابع اليدين . وهنا قام مخاتير الحارات بواجبهم على ما يرام ، فاطلقوا المنادين ينادون فى أزقة الأحياء بأن على كل مواطن أن يعلق على باب منزله مصباحاً ورقياً يضاء بالزيت ، وأن يشعله حالما تغيب شمس النهار ، كي تصبح بكين مضيئة كما هى نيويورك ! ..

وتقول الحكاية إن الامبراطور ، عندما صعد إلى سطح قصره فى ذات مساء ، فرأى عشرات الآلاف من المصابيح المشتعلة تنير أزقة بكين امتلأ صدره حبوراً واطمأن الى أن أوامره قد نفذت حرفياً ، والى أن عاصمة بلاده أمست تسبح فى النور مثل أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية ..

إنها حكاية مضحكة قد لا تتناسب والحديث عن مأساة بهوبال التى بدأت بها هذه السطور . الا أنها ، على كل حال ، تصلح مثالا بريئاً للتقدم اذا اتبعت فى الوصول إليه الأساليب المتخلفة . هذا فى زمن كان التقدم فيه بتلك الأساليب قليل الخطر . فهو لم يكن يعرض آلاف الأرواح البشرية للهلاك ولا يهدد مصائر بلاد برمتها أو وجودها بالفناء ، كما أصبح يعرضها التقدم بأساليب التخلف فى آخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين .

الرقة — سورية

من رحمة الله وحكمته أنه لم يحجر على العقول أن تفكر ، وجعل شريعته محققة لمصالح الناس ومستوعبة لحاجاتهم

حياة الإنسان.. بين الفقه والطب

بقلم : عبد القادر بن محمد العماري

تحدث القرآن عن خَلْق الإنسان (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) «١» (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين «٢»(انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) «٣» (يأأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) «٤» . (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مَنيٍّ يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) «٥» . (أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق) «٦» .

لاشك أن في هذه الآيات اعجازاً طبياً عظيماً ، وهي لاتتعارض أبداً مع كل الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً عن الإنسان (ألا يعلم من خلق؟) إلا أن هذه الآيات كما نرى مجملة غير مفصلة ، وذلك انسجام مع هدف القرآن ومهمته ، فهو ليس كتاباً في العلوم ولا في الطب ولكنه كتاب هداية وإرشاد ، وأتى بهذه الحقائق المجملة في الخلق ليلفت نظر المشركين إلى عظمة الله وتفرده في التصرف في الكون والخلق لاثبات ألوهيته واقامة الحجة عليهم بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد .

ونلاحظ في هذه الآيات ذكر الخلق ، ولكنها لم تتعرض لحياة الإنسان وكيفية بدايتها ونهايتها ، وذكرَت الحياة وذكر الموت في آيات عديدة ، ولكن لم تبين أيضاً كيفية بداية الحياة ونهايتها (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) «٧» (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة) «٨» (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) «٩» (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) «١٠» (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) «١١» (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) «١٢» (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) «١٣» (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) «١٤» (وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور) «١٥» .

هذه الآيات وآيات غيرها تذكر الحياة والموت ، ولكن لم تبين لنا متى يكون الإنسان ميتاً أو حياً ؟ ومع ذلك رتب الشارع أحكاماً على الموت والحياة فما السبب في عدم التبيين وعدم التوضيح في هذا



كان الأطباء يحكمون على الشخص أنه ميت إذا توقف القلب ، أما الآن فإن موت جذع الدماغ هو الموت الحقيقي

الشأن وكيف نحكم على الإنسان أنه ميت أو حي ؟

والجواب أن التشريع السماوي يريد من كل الناس في كل بيئة وفي كل عصر أن يعملوا لتطبيق أحكامه وتكاليفه حسب إمكانياتهم وفي حدود طاقاتهم وما تستسيغه عقولهم وتستوعبه مداركهم ، إذ لو حدد لهم أمراً معيناًمخالفاً لما يدركونه ويلمسونه قد يحدث عندهم ردة فعل فتثير تشككا وترددا يضر بالعقيدة ، ومن رحمة الله وحكمته أنه لم يحجر على العقول أن تفكر ، وجعل شريعته محققة لمصالح الناس ومستوعبة لحاجاتهم ، واجتهد الفقهاء رضي الله عنهم فيما عرض عليهم من أمور لم يرد فيها نص قطعي ، ولم ير أحد منهم أن رأيه ملزم لأحد ، ولا يدعي أحد منهم أن رأيه هو الحكم الشرعي الوحيد ، بل كانوا يقولون فإن كنا مصيبين فالحمد لله وان كنا مخطئين فنستغفر الله ، والمخطىء له أجر والمصيب له أجران . وأحيانا يكون للرأي أصل شرعي وأحياناً لايكون له أصل شرعي وإنما هو عادي أو حسي استند فيه الفقيه إلى الاستقراء والخبرة ، فهي مجرد ملاحظات من الواقع والممارسة ، وقول أهل الشأن كما في مسألة أقصى مدة للحمل قال مالك : خمس سنين وقال الشافعي : أربع وهو رأي عند المالكية ورأي الحنابلة ، وعن أحمد أن مدة الحمل سنتان وهو رأي الحنفية ، وقال محمد بن الحكم وهو فقيه مالكي : إن أقصى مدة الحمل سنة قمرية ، وقالت الظاهرية : تسعة أشهر ولا يزيد على ذلك ، قال الشيخ محمد أبو زهرة : والحق في هذه القضية إن هذه التقديرات لم تبن على النصوص بل على ادعاء الوقوع في هذه المدد ، وإن الاستقراء في عصرنا الحاضر لايؤيد من الوقائع مايؤيد التقدير بخمس ولا أربع ولا سنتين ، وإنما الوقائع تؤيد التقدير بتسعة أشهر ، وقد يوجب الاحتياط التقدير سنة ورجح بعض الفقهاء المتقدمين ذلك فقد قال ابن رشد : وهذه المسألة الرجوع فيها إلى العادة والتجربة ، وقول ابن الحكم والظاهرية هو الأقرب إلى المعتاد ، وقد كان العمل (في مصر) بمقتضى مذهب أبي حنيفة وهو اعتبار أقصى مدة الحمل سنتين ولكن جاء القانون رقم ٢٥ لسنة (١٩٢٩) فعد أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥) يوماً بالنسبة لسماع دعوى نفقة العدة وسماع دعوى النسب كما تقرر ذلك بالنسبة لثبوت الارث للحمل وثبوت الوصية (١٦) .

الفقهاء وحياة الجنين

وقد استند هذا القانون إلى قول الأطباء وهو موقف مهم للفقه المعاصر .

ورأي الفقهاء هنا غير ملزم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن رأي العالم من الصحابة والتابعين والأئمة ، إن كان لهذا الراي مأخذ شرعي فيعتبر رأياً شرعياً عند اختلاف الآراء ، أما إذا كان مأخذه عاديا أو حسياً أو نحو ذلك مما قد يكون أهل الخبرة به أعلم من الفقهاء الذين لم يباشروا ذلك فهذا في الحقيقة لايعتبر رأياً في ميزان الآراء الشرعية المختلف حولها ، وإنما هو أمر من أمور الدنيا لم يعلمه العالم فإن العلماء ورثة الأنبياء وقد قال صلى الله عليه وسلم (أنتم أعلم بشؤون دنياكم فأما ماكان من أمر دينكم فإلي) «١٧» .

وبعض الفقهاء قسم حياة الجنين إلى قسمين ، قسم قبل نفخ الروح وقسم بعد نفخ الروح ، وقالوا : إن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوماً ، وأجازوا الاجهاض قبل هذه المدة وحرموه بعدها ، وبنوا حكمهم هذا على فهمهم لحديث نبوي رواه ابن مسعود وهو في البخاري ومسلم (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم تكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح) وبعضهم كالإمام أبي حامد الغزالي عندما عرض لمسألة الإجهاض قال : إن الجنين حتى قبل نفخ الروح فيه حياة محترمة هي حياة النمو والاغتذاء ، فلا يجوز اسقاطه وفرق بين الإسقاط والعزل فقال : وليس هذا (العزل) كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وأول مراتب الحياة أن تقع المادة في الحمل وتختلط بماء المرأة (البويضة) وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت نطفة فعلقة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيها الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال . «١٨»

وفي هذا العصر الذي تقدم فيه علم الطب واخترعت الأجهزة التي ترصد حركة الجنين في الأسابيع الأولى وحتى دقات قلبه تسمع بواسطة هذه الأجهزة ، استقر علمياً أن الجنين منذ بدايته بيضة ملقحة تشرع في الانقسام والتكاثر حتى ينمو ويتطور دون أن يوجد خط فاصل بين حياتين ، بل إن الحياة متصلة بالحيوان المنوي حتى قبل قذفه وفي البويضة حتى قبل إباضتها ثم بعد التقائهما ، ولكن يمكننا أن نقول : إن بداية حياة الإنسان تكون من اتصال الحيوان المنوي بالبويضة ، أما حياة الحيوان المنوي ذاته قبل اتصاله بالبويضة فليست حياة إنسانية وإن كان في ذاته حيا ، لأنه لايكون مصيره انسانا إلا إذا اجتمع بالبويضة ، كما أن البويضة ليست إنسانا وإن كانت فيها الحياة ، ولا تكون إنسانا إلا إذا اجتمعت بالحيوان المنوي .

ويلاحظ أن الفقهاء يقولون إنه لاحياة حقيقية للجنين قبل أربعة أشهر أي قبل نفخ الروح عملا بظاهر حديث ابن مسعود ، لأنه لم يكن الطب في وقتهم متقدماً وليست هناك أجهزة كما هي اليوم

ترصد تحركات الجنين داخل البطن ، ولذلك يقول ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن : (وذلك التخليق يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر للحس ظهوراً لا خفاء به كله والروح لم تتعلق به بعد فإنها إنما تتعلق به في الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين يوماً كما جاء في الحديث وذلك مما لاسبيل إلى معرفته إلا بالوحي إذ ليس في الطبيعة مايقتضيه فلذلك حار فضلاء الأطباء وأذكياء الفلاسفة في ذلك وقالوا إن هذا مما لاسبيل إلى معرفته إلا بحسب الظن البعيد) .

والفقهاء الأقدمون معذورون في فهمهم إن نفخ الروح معناه دبيب الحياة في الجنين وأنه لاحياة في الجنين قبل نفخ الروح لعدم مشاهدتهم لذلك ، اذ أن الاكتشافات الحديثة وتقدم الطب هو الذي أبان حقيقة حياة الجنين ، وما جعلهم يفسرون نفخ الروح بدبيب الحياة هو أن المرأة الحامل لاتحس بحركة الجنين إلا بعد هذه المدة لأن الكيس المائي الذي يسبح فيه الطفل في البداية كبير وفسيح بالنسبة لحجمه الصغير ، وإذا كبر تستطيع ركلاته ولكماته أن تطال جدار الرحم فتشعر به الحامل بعد أربعة أشهر ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوماً الذي فهم من الحديث ؟ وكيف نوفق بين الحديث وبين الواقع المشاهد المحسوس ؟ والجواب : أنه لاتعارض بين الحديث النبوي وبين الواقع المكتشف حديثاً وانما التعارض بين الواقع المحسوس وبين تفسير بعض الفقهاء للحديث وفهمهم أن نفخ الروح هو الحياة بعينها ، وإذا تأملنا الحديث لانجده ينفي الحياة عن الجنين قبل هذه المدة ، ولم يخبر بصراحة عن بدء الحياة في الجنين ، وعدم نفخ الروح فيه لايعني كونه جسماً ميتاً بل إن إشارة الحديث إلى تطوره من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، واستمرار نمائه يدل على وجود نوع من الحياة فيه قبل نفخ الروح ، فالروح التي يعنيها الحديث هي الروح التي يرسلها الله في وقت معين ، وهي من الأمور الغيبية ، ألا ترى إنها ارتبطت بكتابة الأجل والرزق والسعادة والشقاوة ! كما أن الحياة التي في الجنين يشترك فيها الإنسان والحيوان ، وهذه الأمور لاتخص الحيوان ولا تشمله ، فالروح التي يعنيها الحديث إذاً لاتخص إلا النفس البشرية ، فالجنين حي قبل نفخ الروح فيه وبعد نفخ الروح فيه صار إنسانا وصار بشراً تكريماً له ، كما كرم آدم عندما نفخ فيه الروح بعد أن سواه وأمر الملائكة بالسجود له . قال تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) «١٩» ولا يشك أحد أن الروح من أمر الغيب (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) «٢٠» .

روايات متعددة

وهناك قاعدة : إن الحس والواقع يؤول لأجله ظواهر الأحاديث الصحيحة ولا ننكر مانراه ونشاهده بأعيننا ، ويقول ابن القيم (إن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويطابق الواقع في الوجود ولا يخالفه وانما يخبرنا بما لا يستقل الحس والعقل بإدراكه) «٢١» .

ثم يجب أن نلاحظ مع تسليمنا بصحة هذا الحديث سنداً ، أنه روي عن ابن مسعود بروايات مختلفة ، ولم تذكر تلك الروايات نفخ الروح ماعدا رواية واحدة هي رواية زيد بن وهب ، وكل الرواة الذين رووا عن ابن مسعود ماعدا زيد هذا ، ذكروا كتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة ولم يذكروا نفخ الروح ، وكل كتب السنة أو أكثرها بما فيها صحيح مسلم ذكرت مسألة إرسال الملك وكتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة فقط ولم تزد على ذلك ، بينما رواية زيد بن وهب فقط هي التي جاء فيها مسألة نفخ الروح ، وكذلك بالنسبة للأربعينات في التخليق فقد انفرد هذا الراوى بذكر أربعين يوماً نطفة وأربعين يوماً علقة وأربعين يوماً مضغة ، أما الرواة الآخرون من الصحابة فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : إذا مر بالنطفة أربعون ليلة ، وبعضهم قال اثنتان وأربعون ليلة ، وبعضهم قال خمسة وأربعون ، وبعضهم قال بضع وأربعون ، وكل هذه الروايات صحيحة (انظر صحيح مسلم جـ ٥ كتاب الشعب تحقيق أبو زينة من صفحة ٤٩٧ — إلى ٥٠١) .

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين هذه الأحاديث وحديث ابن مسعود فقال أولا (ان داخل الرحم خشن كالإسفنج وجعل فيه قبولا للمني كطلب الأرض العطشى للماء فجعله طالباً مشتاقاً اليه

• هل يجوز نزع أجهزة الانعاش عن مريض ميئوس من حياته ؟

• حقيقة معرفة نوع الجنين بين الدين والطب

بالطبع فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوماً وفي تلك الأربعين يجمع خلقه قالوا : إن المني إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتميز الأعضاء الثلاثة ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوماً ثم ينفصل الرأس عن المنكبين بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوماً فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلقه في أربعين يوماً وفيه تفصيل ما أجمل ولا ينافي ذلك قوله ثم تكون علقة مثل ذلك فإن العلقة تنتقل من صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهوراً خفياً على التدريج ثم يتصلب في الأربعين يوماً يتزايد ذلك التخليق شيئاً فشيئاً حتى يصير مضغة مخلقة ثم استطرد قائلا (وهنا تصويران أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لاسيما مثل هذه الصورة ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئاً بعد شيء لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة) «٢٢» .

وهذه الأحاديث عدا حديث ابن مسعود المشار اليه توافق مايقوله الطب الآن وما بينته الأجهزة الطبية الحديثة فالتخليق يبدأ في الأربعين منذ بداية دخول النطفة في الرحم ، فالكتل البدنية يبدأ ظهورها في الأسبوع الثالث على هيئة أزواج وتبدأ في الظهور على التوالي منذ الأسبوع الثالث حتى تكتمل إلى بضع وأربعين كتلة بدنية على كل جانب من جوانب الجنين في نهاية الأسبوع الرابع حيث تتكامل المضغة في هذا الأسبوع ، وفي الأسبوع الخامس والسادس تتحول إلى الفقرات التي هي عظام الظهر ، وفي الأسبوع السادس والسابع تظهر العضلات من هذه الكتل البدنية ثم تكسو العضلات العظام ، وهذه المراحل في التخليق تتفق تماماً مع الآية الكريمة (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) «٢٣» .

والمرجح أن الأربعين في حديث ابن مسعود هي واحدة لا أربع وأن كل مراحل التخليق تتم في الأربعين الأولى أو بزيادة يومين إلى خمسة وتكون (ثم) التي جاءت في الحديث بمعنى الواو أو أنها

للترتيب الذكرى وليست للترتيب الزماني فاننا نجد القرآن في بعض الآيات عبر بثم وفي بعضها عبر بالفاء فقال (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) وفي الآية الأخرى (ثم من علقة ثم من مضغة) مما يدل أن التراخي غير مقصود وقد عرف في أساليب العرب التعبير بثم ولا يقصدون به الترتيب الواقعي فمن ذلك قول الشاعر :

ان من ساد ثم ساد أبـــوه
ثم قد ساد قبل ذلك جده . «٢٤»

وقد اختلفت روايات الحديث في الكتابة والنفخ فبعضها يقدم الكتابة على النفخ وبعضها يقدم النفخ على الكتابة وقال الشراح في هذا اما أن يكون من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى واما أن يكون المراد ترتيب الأخبار فقط لا ترتيب ما أخبر به . فالترتيب الواقعي قد لايكون مقصوداً مثل ماجاء في قوله تعالى في سورة السجدة (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه) والمراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين .

هل يمكن معرفة الجنين ؟

وهنا أيضا ملاحظة أن الذكورة والأنوثة يحددها الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة بإرادة الله تعالى عندما يريد أن يهب الذكر أو الأنثى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى) .

والنطفة التي تمنى هي نطفة الرجل التي تحتوي على مئات الملايين من الحيوانات المنوية فيفوز أحدها فقط بالولوج في البويضة فيتم التلقيح فإذا كان على الحيوان المنوي اشارة الذكورة (Y) كان ذكراً وإذا كان يحمل اشارة الأنوثة (X) كان أنثى وعلى ذلك فإن المَلَكْ الذي يقول (ذكراً أو أنثى) إنما يقول ذلك في أول الأمر ، أى عندما يقترب الحيوان المنوي من البويضة وليس حسب الترتيب في الأحاديث فان الترتيب هنا غير مقصود والسؤال الذي يقفز إلى الذهن هنا هو هل يمكن التعرف على الجنين في بطن أمه ذكراً أو أنثى ؟ وهل ذلك يتعارض مع قوله تعالى (ويعلم ما في الأرحام) باعتبار أن معرفة الجنين ذكراً أو أنثى وهو في بطن أمه من أمور الغيب ؟

والجواب أنه من الممكن علمياً معرفة الجنين ذكراً أو أنثى وهو في بطن أمه حتى قبل تشكل الجهاز التناسلي للجنين وذلك بغرز ابرة تسحب نقطة من السائل الأمبوسي (الرهل) لفحص خلايا الجنين هل يحمل اشارة الأنوثة أو إشارة الذكورة وبالذات فحص أجسامها الملونة (الكروموسومات)

• ليس هناك مايمنع من اتمام عملية الحمل بين الزوجين بطريق صناعى لا يخرج عن نطاق الاتصال الشرعى بين الزوج وزوجته

فيمكن تحديد نوع الجنين ذكراً أو أنثى أما التكوين الجنسي فيبدأ في الأسبوع السادس أي بعد اثنين وأربعين يوماً وهذا يتفق مع ماجاء في الحديث الشريف (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب ذكراً أو أنثى فيقضي ربك ما يشاء) مع ملاحظة أن الترتيب هنا غير مقصود ويظهر تمييز الأعضاء التناسلية في بداية الشهر الرابع ومعرفة جنس الجنين بالطرق العلمية لا يتعارض أبداً مع عقيدة تفرد الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب فالله جل جلاله علمه أزلي لا يشاركه في علمه أحد فمعرفة الطبيب لجنس الجنين بالوسائل العلمية لايتعارض إطلاقاً مع الآية الكريمة التي تقول (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) «٢٥» وكذلك الآية التي تقول : الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) «٢٦» . فالله سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى أجهزة وفحص بواسطة وسائل حتى يعلم ما في الأرحام والله قد أعطى عباده علوماً محدودة فهم مثلا يعرفون نزول الغيث بامارات واشارات وعلامات وعلم الله غير علم البشر فإذا قال شخص مثلا لرجل سأعطيك غداً مبلغ كذا فقد علم الرجل أنه سيكسب غداً مبلغ كذا فهل معنى ذلك أن هذا الرجل يعلم كعلم الله ؟

حقيقة موت الإنسان

وإذا قال الأطباء مثلا لمريض جاء للعلاج في بلادهم ورأوا أن حالته ميئوس منها نصحوا أهله بأنه لافائدة من العلاج وعليه أن يذهب إلى بلاده ليموت هناك فهل معنى ذلك أن الأطباء والمريض وأهله علموا كعلم الله وأن المريض علم بالأرض التي سيموت فيها التي نفت الآية علمه بها ؟ فالله سبحانه علام الغيوب ولايحيط بعلمه أحد ويبقى قول الله سبحانه لاتدري نفس ماذا تكسب غداً ولا تدري نفس بأي أرض تموت حقيقة أزلية أبدية أما علم الناس فمحدود مثل علم التنبؤات الجوية التى تصدق حيناً ولا تصدق حينا آخر. والذين يتسرعون بانكار كل شيء ويتشبثون بفهمهم لظواهر الألفاظ يجب أن يعرفوا أنهم يجنون على الإسلام وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يزجرهم قائلا لهم : أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

أما بالنسبة لموت الإنسان ومتى نحكم عليه أنه ميت ؟ وكيف يتحدد الموت حتى يترتب على هذا التحديد ما يترتب من قضايا فقهية وقانونية فان الإجابة على هذا السؤال لازالت محل شد وجذب ولازال الفقهاء والأطباء في حوار مستمر حولها .

فكما يبحث أهل الفقه وأهل الطب اليوم في تحديد الموت فقد سبق أن جرى البحث بين علماء الكلام والفلسفة من أهل السنة والمعتزلة واختلفوا في تعريفه فقال أهل السنة : إنه صفة وجودية تضاد الحياة وتزول بزوال قوة الإحساس والنماء والتعقل فلا يعرى الجسم الحيواني عنها ولا يجتمعان فيه . وعرف المعتزلة أنه صفة عدمية أي عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً لأن الموت قطع مواد الحياة عن الحي . وقال البعض : إنه عرض من الأعراض يضاد الحياة وهناك خلاف كبير في علاقة الروح بالجسم ومفارقتها له وغير ذلك مما لانرى داعياً لبحثه الآن . غير أن الفقهاء قالوا : إن هناك علامات للموت فالذي يموت بعلة مثلا نعرف ذلك باسترخاء قدميه فلا تنتصبان ويميل أنفه أو ينخسف صدغاه أو تمتد جلدة وجهه أو ينخلع كتفاه عن ذراعيه وقال بعضهم إذا كان هناك شك واحتمل أن يكون به سكتة لعدم العلة أو ظهرت امارات فزع أو غيره آخر إلى اليقين بتغير الرائحة وغيرها .

وإذا كنا نتلمس معرفة حقيقة الموت بالعلامات التي ذكرها الفقهاء فإن الصورة قد تغيرت الآن بتطور المعرفة البشرية في مجال الطب وأصبح الأطباء يقولون الآن إن الموت الحقيقي هو موت جذع الدماغ وبدأت فكرة تحديد الموت بواسطة العلامات الدالة على موت الدماغ مع امكان استمرار التنفس بواسطة أجهزة صناعية وهذه الأجهزة تجعل التنفس يستمر حتى فيمن يصاب بإصابة قاتلة فإذا أصيب شخص في رأسه ودماغه أمكن استمرار التنفس الصناعي وفي هذه الحالة يستمر القلب في النبض أياماً بعد أن يكون الدماغ قد توقف بل بعد أن يكون قد بدأ في التحلل وكان الأطباء سابقاً يحكمون على الشخص أنه ميت إذا توقف القلب أما الآن فإن موت جذع الدماغ هو الموت

الحقيقي في نظرهم مع ملاحظة أن جذع الدماغ قد يكون حياً في مرضى مصابين بغيبوبة أو بمرض يمنع الكلام أو يمنع الحركة أو يمنع الإدراك وهم يجعلون لهذا اعتباره فلا يدرجونه تحت تعبير موت جذع الدماغ بشروطه المحددة والمبينة عند التشخيص وإذا شخص الطبيب الدماغ واطمأن إلى موته فهل له أن يتخذ قراراً بوقف أجهزة الانعاش الصناعية التي بسببها يكون الشخص مستمراً في التنفس حتى إذا مد الطبيب يده إلى هذه الأجهزة وأطفأها توقف القلب والتنفس وهو عندما يوقف الأجهزة لايوقف علاجاً وإنما يوقف عملية لاطائل من ورائها غير تعب المريض وأهله ومنع المرضى الآخرين من الاستفادة بالجهاز الذي قد يكون سبباً في إنقاذ حياة مريض مع العلم أن التكاليف التي يتطلبها استمرار عمل الجهاز باهظة لايتحملها أكثر الناس واستمرار هذه الأجهزة في العمل في هذه الحال لايزيد عن كونه استمراراً في المعاناة من غير أن يكون هناك أي أمل في انقاذ المريض واعادة الحياة اليه ماعدا استمرار التنفس وبنبض القلب مدة قد تمتد إلى شهرين أو أكثر ويستتبع هذا السؤال سؤال آخر وهو هل يجوز أخذ أعضاء من هؤلاء الموتى لزرعها في الأحياء ؟

بعيداً عن التصادم

ونرى أنه في الإمكان أن يسير الفقه والطب في اتجاه واحد من غير تصادم بينهما إذا سلم كل للآخر بما هو من اختصاصه وكان الهدف هو مصلحة الإنسان وكرامته وذلك هو غرض التشريع الإسلامي ومن هذا المنطلق نرى ألا نعتبر الحياة شرعاً قد انتهت ونحكم على الشخص أنه في عداد الموتى إلا إذا كانت هناك امارات واضحة ظاهرة كما قال الفقهاء فترتب على ذلك الإرث والعدة وغيرها من الأحكام الشرعية لأن ترتيب الأحكام على أمور واضحة يطلع عليها أكبر عدد من الناس العاديين أولى من ترتيبها على أشياء لايطلع عليها إلا المختصون فالتقيد بما قاله الفقهاء في مسألة إرث الجنين وغيره من الأحكام سيمنع كثيراً من المشاكل التي ستحدث لو أننا رتبنا هذه الأحكام على قول الطبيب ولانرى أننا نستطيع أن نحدد الحد الفاصل بين الحياة والموت وإذا كان الأطباء قد قالوا سابقاً إن توقف القلب عن العمل هو الحد الفاصل وقالوا الآن إن موت الدماغ هو الحد الفاصل وما يدرينا أن يكتشف العلم في المستقبل وسائل جديدة لإنعاش المريض وتنشيط الدماغ مثل ماحصل للقلب مع التسليم أن كثيراً من الأحكام الشرعية تبنى على قول الطبيب الماهر وشهادته ومن ذلك مثلا في تقرير المرض المخوف في مسائل الوصية ويعاقب في الشرع الإسلامي الطبيب الذي يدعي المهارة في الطب ويضمن ما يسببه من ضرر ولا يضمن الطبيب الماهر إذا أخطأ من غير تعمد ولا إهمال وما ذلك إلا للمكانة التي للطب في الفقه الإسلامي ، ولكننا الآن بصدد الاحتياط والأخذ بالأحوط في هذه المسائل .

أما مسألة نزع الجهاز إذا مات الدماغ فان هذا المريض ميئوس من حياته وليس هناك دليل شرعي يلزم الطبيب أن يبقي عليه هذه الأجهزة التي تطيل النزع والاحتضار بما لافائدة منه وقد قال الفقهاء إن حكم من هو في حال النزع حكم الميت ولا يعتبر الطبيب قاتلا له إذا هو مد يده إلى اطفاء الجهاز لينفع به المرضى الآخرين الذين هم في حاجة إليه لأن الحياة المتوقفة على جهاز غير طبيعي ليست حياة في الحقيقة ومسألة نقل الأعضاء من الميت وزرعها في مرضى آخرين هم في حاجة اليها أفتى بجواز ذلك علماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله سنة (١٣٦٨) «٢٧» وهناك أيضاً من المسائل التي يدور حولها الجدل مسألة التلقيح الصناعي وهذه قضية حديثة طبعاً ولكن الإسلام له قواعد ثابتة لاتتغير وفي إمكاننا أن نستخلص الحكم من هذه القواعد ؛ فلو فرضنا أن زوجة تعذر عليها أن تحمل من زوجها بالطريق المألوف وكانت هناك رغبة ملحة عند الزوجين للإنجاب فليس هناك مايمنع من اتمام عملية الحمل بين الزوجين بطريق صناعي لا يخرج عن نطاق الاتصال الشرعي بين الزوج وزوجته وتكون هذه حالة ضرورة تقتصر على نطاق الضرورة ، أما أن يتم التلقيح بين مادتين تناسليتين ليست للزوجين فهذا مالايقره دين الإسلام ولا تقبله النفوس الكريمة ، والنسل المتكون من هذا التلقيح يكون كالنسل المتكون من الزنا (٢٨) وعلى المسلمين ألا يسمحوا بهذه الفوضى والإباحية أن تستشري بينهم .

مجالات الاجتهاد

وقبل أن أضع القلم أحب أن أقول للمغرمين المولعين بكل جديد والمتعصبين والمتشبثين بكل قديم : إن هناك ثوابت وهناك متغيرات . فالثوابت لامجال للاجتهاد فيها ونقضها وأما المتغيرات فهي مجال اجتهاد البشر والنظريات العلمية تتغير من عصر إلى عصر والحقائق العلمية هي التي لاتتغير بحال ، كما أن الآراء الاجتهادية في الفقه يجب أن تتغير بحسب الظروف والبيئات والنصوص القطعية في الدلالة والورود هي التي لا تتغير ولا مجال فيها للاجتهاد فإذا فهمنا ذلك حقاً واستوعبناه وطبقناه أمكننا أن نحافظ على إسلامنا ونمشي مع المسيرة الحضارية بثبات أما إذا أسأنا فهم ذلك وشغلنا أنفسنا بالنظريات والمناقشات العقيمة وتشبثنا بكل قديم أو اندفعنا وراء كل جديد فقد أسأنا إلى أنفسنا وخذلنا الإسلام وبقينا في مؤخرة الصفوف وتخلفنا عن ركب الحضارة وقل على الإسلام والمسلمين العفاء ولكن الأمل في شباب الإسلام أن يتنبه لذلك ويسير في الطريق الصحيح (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) (٢٩)

عبد القادر بن محمد العماري
القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى

هــوامــش

(١) الزمر : ٥ ـ ٦ .
(٢) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ .
(٣) الإنسان : ١ ـ ٢ .
(٤) الحج : ٣ ـ ٤ . (٥) القيامة : ٣٦ ـ ٣٨ .
(٦) : العلق : ١ ـ ٢ .
(٧) : الملك : ١ ـ ٢ .
(٨) آل عمران١٨٥ (٩) الأنبياء : ٣٤ ـ ٣٥ .
(١٠) النساء : ٧٨.
(١١) آل عمران : ١٦٨ .
(١٢) آل عمران : ١٤٥ .
(١٣) الرحمن : ٢٥ ـ ٢٦ .
(١٤) آل عمران : ١٥٦ .
(١٥) الحج : ٦٦ .
(١٦) الأحوال الشخصية .
(١٧) مجموعة الفتاوي مجلد ٢٩ ج ٩ .
(١٨) الأحياء جـ ٢ ص/ ٥١ ط/ دار المعرفة .
(١٩) سورة الحجر : ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢٠) سورة الإسراء : ٨٤ ـ ٨٥ .
(٢١) التبيان في أقسام القرآن !
(٢٢) التبيان في أقسام القرآن وفي إمكان القارىء أن يرجع إلى شرح ابن القيم الطويل في هذا الكتاب .
(٢٣) سورة المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ انظر كتاب خلق وانسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد على البار .
(٢٤) الدكتور سالم مذكور في كتاب الجنين .
(٢٥) سورة لقمان : ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢٦) سورة الرعد : ٧ ـ ٨ .
(٢٧) مجلد مجلة الأزهر ـ العدد ٢٠ شعبان ١٣٦٨
(٢٨) يسألونك فى الدين والحياة : د . احمد الشرباصى
(٢٩) الآية ١١ سورة الحاقة

لحظة البوح في حياة المبدعين :

الإمساك بهم متلبسين بفعل الإبداع



بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

كان سر الابداع ــ لدى الأدباء والفنانين ــ ومايزال من الأسرار النفسية والكونية المحتجبة عن امكانية التحليل والتحديد والتعريف العلمى أو الفكرى الواضح ، الثابت ، المتفق عليه ، شأنه فى ذلك شأن سر الخلق ، وسر الالهام ، وسر الكشف ، وسر التواصل الحدسي المباشر عن بعد ، وسر الاستشعار ، وغير ذلك من أسرار النفس الانسانية وأسرار الظاهرة الكونية كلها .

وقد تقرأ لأديب أو لشاعر الكثير من أعماله فلا تهتدى من خلالها الى سره الابداعى ، ولا تجد فيها ما يضع يدك على تلك البؤرة الخفية الدالة الى ذلك الطريق السرى الموصل الى « النبع » الابداعى فى أعماقه النفسية .. الى أن تعثر على رسالة خاصة من رسائله أو سطر هنا وهناك فى مذكراته الشخصية ، أو عبارة اعتراف عابر فى حديث ، أو خاطرة سجلها فى مقال ، فينكشف أمامك فى لحظة سره الفنى الكبير ، ويقف أمامك عارياً كما يكون دائماً فى لحظات ابداعه أو فى لحظات صراعه العنيد من أجل الوصول الى ذلك الابداع . ذلك أن الأديب ، فى أعماله الفنية الكبيرة ، يختفى خلف أقنعة الفن وموضوعية التكنيك والشخصيات الروائية ، والمظاهر الطبيعية ، فتبعد أعماقه الداخلية عن النظر المباشر للقارىء أو المتذوق .

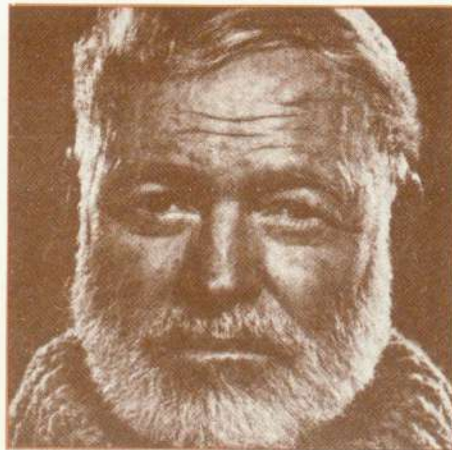
الاعتراف فى سطور

أما فى تلك الخطرات العفوية والرسائل والاعترافات فيكون أقرب الى سجيته ، وأكثر انطلاقاً فى التعبير عن مادته النفسية الخام ، فيبوح بالسر كله دفعة واحدة .. ويلقيه فى كلمة أو عبارة أو مقطع قصير ، يكون بمثابة هدية العمر للناقد أو الباحث الأدبى الذى أمضى سنوات وهو يحلل ويدرس آثار الأديب موضع البحث ، فلا يصل إلا الى افتراضات ، حول طبيعته الابداعية ، مستقاة من أعماله الفنية الكبيرة . وبلاشك فإن ايحاءات هذه الأعمال لها قيمتها ، لكنها تتأكد بصفة نهائية عندما تتم مقارنتها بالاعترافات المباشرة للأديب ، ويتم استيضاح فعاليتها وما كانت تومىء إليه من معان غير مستقرة وغير محدودة فى ثنايا تلك الأعمال الفنية من قصائد أو روايات أو مسرحيات .

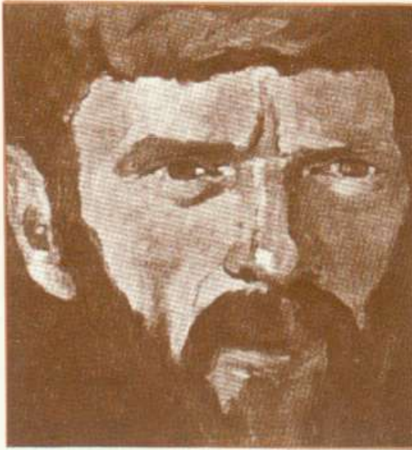
فعندما نصل الى الروائى ارنست همنغواى وهو يسر إلينا بالاعتراف التالى مباشرة :

« كان النفاذ الى الشىء الحقيقى (فى الحياة) بتتابع حركته وتفصيلاته الحية التى تهز

الإمساك بهم متلبسين بفعل الإبداع



أرنست همنجواي : هل يمكننا أن نفهم ونفسر مشاهد العنف والصراع والدم في رواياته ؟



د. هـ. لورنس : أين يكمن السر الابداعي في أعماله ذات النكهة المتميزة في الأدب الأوربي الحديث ؟

الشعور ، والقابلة للبقاء موحية على مر الزمن ، مهما تقادمت ، إن أحسن التعبير الدقيق عنها .. كان النفاذ الى ذلك الشيء الحقيقي يتخطى في أغلب الأوقات مقدرتي على اقتناصه ، وكنت أكثف الجهد في سبيل التوصل إليه ما استطعت الى ذلك سبيلا . وكان المكان الوحيد الذي تستطيع أن تشهد فيه تقابل الحياة والموت وجهاً لوجه ، أعني الموت الدموي العنيف ، في غير ساحة الحرب ، هو ساحة مصارعة الثيران . وكنت شديد الحرص على الذهاب الى أسبانيا لدراسة هذا المشهد ، فقد كنت أحاول تعويد نفسي على الكتابة عن أبسط الأشياء في الحياة وأعتقد أن من أبسط الأشياء وأكثرها أصالة ورسوخاً في صميم الحياة هو الموت عن طريق العنف الدموي . فهذا الموت لا تحيط به تعقيدات الموت عن طريق المرض ، أو ما يسمى بالموت الطبيعي ، كما لا يشبه موت صديق تحب ، أو موت شخص تكره . انه الموت هكذا ببساطة . وهو ما يستحق أن يكتب عنه الانسان . وقد حاولت أن أقرأ الكثير عن مثل هذا الموت ولكني وجدت ان الذين كتبوا عنه ، إما انهم لم يشهدوه عن كثب بوضوح ، أو انهم أغلقوا أعينهم لحظة وقوعه ، لفظاعة اللحظة ، كما تغلق عينيك عندما ترى قطاراً يندفع نحو طفل ، فلا تستطيع أن ترى الفاجعة لحظة وقوعها . ولا تستطيع ايقافها . لذلك فإن ما وصفه أولئك كان ما يسبق الموت ، وليس الموت في حد ذاته ، ليس ضربته القاضية بالتحديد . هذه الضربة القاضية في عملية الموت العنيف ، كما يحدث في ساحات الاعدام ، هي ما يجدر بالفنان تصويره ، دون إغماض العينين ، كما حاول « غويا » أن يفعل في كتابه كوارث الحرب (١) » .

عندما نكتشف هذا النص لارنست همنغواي وهو يعترف بولعه الفني بمشهد الموت الدموي العنيف ، في لحظة الضربة القاضية بالذات ، نستطيع أن نفهم ونفسر مشاهد العنف والصراع والدم في رواياته ، وندرك سبب اختياره لهذه الأجواء والموضوعات ، ولهذا أمضى حياته حول حلبات المصارعة الدموية في أسبانيا ، أو في غابات الصيد الوحشي في أمريكا وأفريقيا .

.. وسر النهاية

ثم عندما نقف أمام هذا النص في التحليل النهائي ، ونستعيد نهاية ارنست همنغواي نفسه ، برصاصة انطلقت من بندقية كان يمسك بها ، في ظروف غامضة ، هل نستطيع أن نقاوم صدق اللحظة .. لحظة الضربة القاضية التي يجب أن يعاينها ويعانيها الانسان الفنان ، في اعتقاد همنغواي ، فنستبعد ان همنغواي في تلك اللحظة قد قرر أن يتقدم الخطوة النهائية في ولعه بهذا المشهد ، فينتقل من المشاهدة بالحواس ، الى الاختبار المباشر بتذوق طعم الضربة القاضية بنفسه ، فيجتاز بذلك الخيط الدقيق الفاصل بين الحياة والموت عن طريق العنف الدموي الأثير لديه طوال حياته ، وتمسي المسألة لديه في النهاية تجربة حياة معمدة بالدم لا مجرد حافز ابداع فني . وتتحقق بذلك معايشة الفنان لفنه ، أو موته بأسلوبه الفني ذاته ، تأكيداً لتعانق الفن والحياة ، لدى الفنان ، في أصدق لحظات الحياة ، أو أبسطها وأكثرها أصالة ورسوخاً ، حسب تعبير همنغواي ، وهي لحظة الموت الفجائي الفاجع ؟

هل يمكن حقاً ان نستبعد هذا الاحتمال ، عندما نقرأ ذلك النص ــ الاعتراف لهمنغواي الذي كتبه في شبابه الفني ؟

هكذا فإن هذا النص يبقى العمود الفقري لتفسير سر الابداع لدى همنغواي ، وسر طبيعته الروائية ومشاهدها وأجوائها ، وسر مسلكه في حياته الخاصة ، ثم سر النهاية .. بتلك الرصاصة الغامضة التي قامت بدور الضربة القاضية ، التي أوصانا همنغواي بألا نغمض أعيننا عنها ، رغم فظاعتها .. لادراك حقيقة ذلك الخط الفاصل بين الحياة والموت !

سر لورنس ..

ولننتقل الآن الى المحراب السرى لفنان كبير آخر ، لنرى أين يكمن سره الابداعي ، ولنلحظ ان أسرار الابداع تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف الأرواح الفنية الكبيرة .

يقول الروائي الانجليزي د . هـ . لورنس :
« أروع شيء ، للانسان ، أن يكون حياً .
للانسان ، كما للزهرة والحيوان والطير ، الظفر الأكبر أن يكون ممتلئاً بالحياة ، مكتملا بها . أياً كانت خبرة الذين لم يولدوا بعد ، أو الراحلين عن الحياة ، فإنهم لا يشاركون الأحياء هذه التجربة المحددة المشخصة : الاحساس بجمال وروعة الحياة المتجسدة في اللحم والدم . يجب أن نرقص بابتهاج لاحد له لأننا احياء في الجسد ونشكل جزءاً من الكون المتجسد الحي ! .. فأنا جزء من الشمس ، كعيني التي هي جزء مني . وقدماى تعرفان تماماً بأنى جزء من الأرض ، كما ان دمي جزء من البحر . وتدرك روحى بأنى جزء من الجنس البشرى ، روحي التي هي جزء من الروح الانسانية الكبرى . كما أن نفسي جزء من أمتي ومن عائلتي . لا شيء هناك في كياني يقف منعزلا أو منفرداً بذاته ، حتى الوعى الذاتي سنجد أنه ليس سوى التماع ضوء الشمس على صفحة المياه . لذلك فإن فرديتي ليست سوى وهم . أنا جزء من الكل الأعظم وليس أمامى من مهرب أو مفر . طبعاً بامكاني قطع روابطى وصلاتي بالكل والتحول الى جزء مقطوع . لكني في هذه الحالة ، أكون قد حكمت على نفسي بالهلاك . ما نحتاجه حقاً هو أن ندمر روابطنا الزائفة غير العضوية ، خاصة ما تعلق منها بالمال ، وإعادة تلك الروابط والصلات العضوية الحية بالكون الكبير المحيط بنا ، بالشمس والأرض ، بالبشر والأمة والعائلة . لنبدأ بالشمس وسيأتي الباقى بالتدريج شيئاً فشيئاً .. ! (٢) » .

نجد هنا ، لدى د . هـ . لورنس ، أن التركيز ينصب على الحياة ذاتها ، وليس على المقابلة الدموية الفاجعة بين الموت والحياة ، كما لدى ارنست همنغواي .

وأي نوع من الحياة ؟ إنها الحياة الكلية التي تربط جميع الأجزاء الحية من انسان وحيوان وطير ، بالكل الأعظم ، بالأكوان والشموس والمحيطات ، وتهدف الى تجاوز حواجز الحس وجزئيات الوجود الى حقيقته الكلية الكبرى المتمثلة في الخالق الأعظم سبحانه . فهى نظرة صوفية في جوهرها . لكن التعبير عنها ، بلغة لورنس ، يتخذ لهجة التصوف الطبيعى السائدة في أوربا الحديثة المغرقة بالعقل والمادة ، أكثر مما يتخذ لهجة التصوف الروحى الذى نعرفه في الشرق .

لكنه في جوهره هو الموقف الصوفى الرافض لتجزيئية العقل المادى الحديث ، الذى يعتبر د . هـ . لورنس من أبرز الثائرين عليه والرافضين له في التراث الأوربي ، من أجل العودة الى أصالة الموقف الكلي الشمولي من الحياة والكون .

معاني التواصل

وفي ضوء هذا النص لـ د . هـ . لورنس ، يمكن أن ندرك معاني تلك الأنواع من « التواصل » التى حرص هذا الروائى على ابرازها في أعماله القصصية .

التواصل بين الرجل والمرأة ، التواصل بين الآباء والأبناء ، التواصل بين الأصدقاء ، والتواصل بين الأفراد والكون الأكبر المحيط بهم الذى هو بيت القصيد .

حتى التواصل الذى يتخذ مظهر الميل الجنسي في بعض قصصه ، قصد به لورنس تحدى التجزيئية المادية الأوربية التى قصرت معنى العلاقة بين الرجل والمرأة على مجرد الاحتكاك الجسدى ، وأراد تصعيده الى المعنى الروحى الأعمق ، كما يتضح مثلا في الشعر الصوفي الذى يتخذ مظهر الغزل لدى ابن الفارض أو ابن عربى أو غيرهما من متصوفة الشرق ، حيث لم يكن المظهر الغزلى في شعرهم غير تعبير عن أشواق أعمق وأطهر الى الحقيقة الكونية ، وإلى ما هو أبعد من تلاقى الأجزاء والأفراد في عالم المظاهر والمادة والحس .

هكذا فإن هذا النص الذى استشهدنا به يصلح مدخلا لكل عمل أدبى من أعمال د . هـ . لورنس لأن من يقرأ كتبه بمنطوقها الظاهرى ، سيبقى زمناً طويلا ، دون أن يمسك بكلمة « السر » في أعمال هذا الكاتب ذى النكهة المتميزة في الأدب الأوربى الحديث .. والذى يتصوره البعض من كتاب الجنس في أوربا ، كما تصوروا المتصوفة من شعراء الغزل !

لماذا .. هذه المقالة ؟!

إن مثل هذه الإضاءات الشمولية لأعمال الأدباء والفنانين الكبار ضرورية في تقديم أعمالهم الى جمهرة القراء ، والى الأجيال الجديدة ، لأنها تقي القارىء المتذوق من الضياع في الجزئيات والتفاصيل التى يحفل بها العمل الفنى ، وتساعده على ربطها بذلك السر الابداعى الكبير الموحد لأعمال الكاتب كلها ، بما يؤدى الى الخروج بفهم أفضل للنتاج الأدبى مرتبط بالقضايا الحياتية الأساسية في حياة المبدعين ، تلك القضايا التى كانت بمثابة النبع الأصلي لتدفق روافد ابداعهم في مختلف المجالات والأشكال الفنية . وحبذا لو اهتم الأدباء والفنانون العرب ، بشكل أفضل ، بتسجيل مثل هذه الخطرات والاعترافات الابداعية التى يمكن أن تضيء أعمالهم اضاءة موحدة شاملة ، وتساعد جمهورهم ومتذوقيهم ونقادهم على فهمهم بصورة أوفى وأعمق . والملاحظ في تقاليد الكتابة العربية غياب مثل هذه الاعترافات الصريحة الجريئة المباشرة عن النفس والحياة والكون ، لاعتبارات تتعلق بالخجل أو الرهبة ، وهى اعتبارات لم يتوقف عندها كتاب مبدعون في تراثنا القديم مثل ابى حامد الغزالى في « المنقذ من الضلال » ، أو أبى حيان التوحيدي في معظم آثاره .

وعودتنا في هذه المقالة الى مثل هذه الينابيع الحياتية الأصيلة ، ليست من باب الاهتمام الأكاديمى ، ولكنها محاولة للتذكير بماهية الأدب الأصيل ، المتصل بينابيع الحياة والكون والحقيقة ، على امتداد التراث الانسانى الرحب ، بما يتجاوز أدبيات وبكائيات ومعميات هذه المرحلة الخانقة من الكتابات العربية الراهنة ..

والى لقاء آخر مع مثل هذه اللحظات الكشفية المستوعبة لأبعاد الكون الرحب ، المتجاوزة لاختناقات المرحلة الآنية .. !

محمد جابر الأنصاري

هوامش

(١) هذه الفقرة والفقرات التالية من ترجمة كاتب المقال عن النص الأصلي :

ERNEST HEMINGWAY, Death in the After-noon, 1932.

(2) **D.H. LAWRENCE, Apocalypse, Viking Press, New York.**

القروي شاعر العروبة سيرته في ذكريات


الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم: أكرم زعيتر

شَغَلْتُ قلبي بحُبِّ المصطفى وَغَدَتْ عُروبتي مَثَلي الأعْلى وإسلامي

أنا مُوَلَّه .. أنا مُدَلَّه .. أنا عاشق..
أنا مُسْتَهَام باللغة العربية
القروي

قبل أن أواصل الحديث عن الشاعر القروي تلقيت من الأديب المتمكن الأستاذ وديع فلسطين رسالة يحمد فيها «للدوحة» عنايتها بذكرى الشاعر الكبير ويقول: «أنعم وأكرم بذكرياتك عن صديقنا القروي. أطال الله بقاءك وجعلك أمثولة لا تتكرر في يومنا هذا للوفاء والإنصاف والتقدير الحق للرجال» ثم يواصل القول: «وكان في استقبال القروي لدى عودته الى الوطن صديقنا الأديب الراحل الأستاذ فؤاد الشايب، ولما سمع القروي ينشد:

بنت العروبة هيئي كفني
أنا عائد لأموت في وطني

قال له: «كلا بل قل:

بنت العروبة هيئى سكني
أنا عائد لأعيش في وطني.»

وهاتفني الأديب الصديق الدكتور عيسى الناعوري لافتاً النظر إلى أن العصبة الأندلسية قد تألفت سنة ١٩٣٢ وليس سنة ١٩٣٥ كما ورد في مقالي.

• • •

وبعد، فقد كانت سنة ١٩٥٨ سنة الهزاهز والثورات والانقلابات في شرقنا العربي، وكان المرحوم الرئيس عبد الناصر يمتلك ناصية الدعاية العربية ويخلب الألباب بما يثير من حملات، وبما يطلق من شعارات، وكان الشاعر القروي يتزعم التيار الناصري في المهجر، ويرسل قصائده في تمجيد عبد الناصر وقد اشتهر قوله في الرد على فرعوني النزعة من المصريين:

من يبك عهد المومي(١) والدمى فأنا
والحمد لله قد حطمت أصنامي
شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت
عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي
«بناصري» وبأسواني فخرت إذا
باهى الدعي بفرعون وأهرام

وفي صيف تلك السنة (١٩٥٨) وصل شاعرنا إلى ميناء بيروت، فلقى من أنصار الرئيس اللبناني كميل شمعون تجهماً بسبب حملته على الرئيس في البرازيل، فواصل الابحار إلى اللاذقية ميناء «الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة» كما كانت تدعى في عهد الوحدة، فأحسن استقباله، ويمم شطر دمشق، عاصمة الإقليم، حيث قوبل بمزيد من الحفاوة وبالغ التكريم، قرير العين هانىء النفس.

وكنت في نابلس ـ رد الله غربتها وفرج كربتها ـ فأبرقت إليه مرحباً، وواعداً باعتمار دمشق للسلام عليه، وما لبثت حتى تلقيت رسالة



صورة تذكارية في مصيف بحمدون في لبنان . ويظهر من الشمال : الشاعر القروي ، اميل البستاني ، خليل تقي الدين ، اكرم زعيتر ، بدوي الجبل ، الياس فرحات (رافعا اصبعه) ، كامل مروة ، محمد قره علي

جوابية وجيزة وهي على مافيها من «ألف تحية» تخلو من الحرارة التي عرفتها في رسائله : هذا نصها : دمشق ١٩٥٨/٨/٢٩ ، الأستاذ أكرم زعيتر ــ الأردن ــ نابلس ، سيادة الأخ الكريم : شكراً لكم برقيتكم الناضحة بأصدق الود وألف تحية من صديقكم رشيد سليم خوري .

فعدلت عن الشخوص إلى دمشق ثم علمت بعد شهر أنه يمم بيروت وأن غبطة البطريرك الماروني بولس المعوشي ــ وكان على خلاف مع الرئيس شمعون ــ قد استضافه في الصرح البطريركي (بكركي) ، ومن يجرؤ حينئذ على التحرش بالشاعر ، ضيف البطريرك ؟ ؟

ويممت بيروت ، واصطحبت المفكر الأديب الدكتور منوال يونس ، إلى بكركي ، وبعد السلام على المعوشي ، أقبلنا نعانق القروي ، ونتباثث التحايا والأشواق ثم تجولنا في حديقة الصرح .. وفي التجوال شاهدنا طيوراً من الكناري تغرد في أقفاصها .. وقد أوحت إلى الشاعر أن يخاطب صاحب الصرح الذي أخذ البعض من مسلمي بيروت يلقبونه ببطريرك العرب قائلاً :

أيا بطريرك العرب من كل ملة ومن كل قطر ، لابرحت منـاراً
أسرت فؤادي ، وهو في آخر الدنا طلق وقبلي كم أسرت منـارا
فغرد في «صنبول» باسمك هاتفاً وصفق مشتاقاً اليك وطارا ..

• • •

ثم كان بعد ذلك «الإنفصال» بين سورية ومصر ، وانهيار الجمهورية العربية المتحدة ، الأمر الذي فجع القروي ، وأثار حنقه ، وأدى اختياري سفيراً للأردن في سورية فإيران إلى انقطاع المكاتبة بيننا ولكن حدث في أثناء زيارتي لبيروت أن دعا العلامة المرحوم جميل بيهم نخبة من أدباء لبنان لمأدبة عشاء تكريمية للقروي وكنت في المدعوين .. ولحظت أن تسليم القروي علي متسم بشيء من الفتور ، وأجلست على يمينه وحاولت أن استجليه سبب هذه الجفوة فبدل الموضوع وسألني : «هل نفدت طبعة كتاب ذكرى شقيقك المرحوم عادل ؟» فأجبته : «هذا كتاب لم نعرضه للبيع وإنما أهديناه إلى الأصدقاء الذين اشتركوا في تأبينه وعزوا فيه وأنت منهم .» ثم رأيتني أسأله : «ألم أكن أنا الذي أطلقت عليك لقب قديس الوطنية العربية واشتهر هذا اللقب ؟» فأجاب : «ولا أزال وسأظل كما عرفتني قديساً للوطنية العربية» .

أيا قلمي ويا لسان ضميري ويا شاهدي في احترام الوداد

أريدك وا أسفي أن تجود وأحيي بك مثلي عفيفاً جواد

علام ارتجفت ولقنت كفي أتخشى أسومك ردّ انتقاد ؟

وعهدكم بي ان سود النوايا أردّ عليها ببيض الأياد

وعندي من الحلم طود تغاضى عن اللؤم يزحف في بطن واد ،

كفاني رث شكوك نفث همي فما حاجتي بسيول المداد ؟

لبنيك اقتصد ، فلكل معين نفاد وما لليالي نفاد

نصحتك طال التناجي نعد في المضجعين أسترد الرقاد

هم شتت لك الجيب خارج الـ... وعش لا منافذ للظن في ...

جورج صيدح

عرنيشي ٢٠/٩/١٩٧١



صورة الجزء الأخير من قصيدة الشاعر الكبير جورج صيدح المسماة « مأساة القلم المداد » . وكان قد أهداها الى الشاعر القروي .. وهي موقعة باسمه وتحمل تاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٧١ م

قلت : « فما هذه الجفوة بيننا ؟ » فأومأ إلى ماطرق سمعه من مخالفتي إياه في المنحى العام !!

وفي اليوم التالي أقام الأديب محمد قره علي ، مأدبة غداء في بحمدون تكريماً للشاعرين القروي وفرحات حث عليها صديق الأدباء المهندس إميل البستاني ، وكان في عداد حضورها ــ عدا الشاعرين ــ بدوي الجبل ، وخليل تقي الدين ، وكامل مروة ، وأميل البستاني ، وكانت مناسبة لإزالة بعض اغبرار في نفس القروي مما بلغه خطأ عن مواقفنا من أحداث في مصر وسوريا ولبنان ..

وأقول استطراداً : في تلك الجلسة ، توثقت آصرة الصداقة بيني وبين الشاعر الياس فرحات ، وكانت الرسائل بيننا قبل ذلك موصولة .. وحدث أن أقيم في « كفر شيما » مسقط رأس الشاعر فرحات ، حفل تكريمي كبير ، *اضطررت إلى أن* أتغيب عنه فأبرقت إلى لجنة التكريم ببرقية تليت في الحفل وفيها أقول :

« تكريم الشاعر فرحات تكريم للشمائل الأنيقة والقومية الشماء ، والعربية الأنوف والشعر الأصيل ينسكب عطراً ، ويشرق فجراً . إن إلياس فرحات بكى آلام أمته سحراً وبياناً ، وهلل في أعياد أمته أنغاماً وأوزاناً ، وترك للدنيا القادمة ولأجيالها زهو التاريخ العربي سلاماً وعبيراً ، وعنفوان كفاحهم زئيراً وهديراً » .

وأبى نبل الشاعر فرحات إلا أن يزورني في الفندق صبيحة اليوم التالي شاكراً لي برقيتي .. ثم رافقته إلى الحفلة التي أقامها تكريماً له وزير الأنباء اللبناني الصديق علي بزي حيث علق على صدره وسام الأرز من رتبة فارس ، والحفلة الوداعية التي أقامها الأستاذ كامل مروة في دار « الحياة » لمناسبة عزم فرحات على السفر إلى البرازيل ، وأذكر أننا استنشدناه قصيدته في نفسه ، وقد وصف في أبياتها الثلاثة الأخيرة الشعور الذي يتجاذبه بين حنينه إلى أسرته في البرازيل وشوقه إلى البقاء في وطنه وهي :

فوالهفي عليها كيف صارت
نضارة عيشها الزاهي صراعا
وكيف تحرك الأقدار قسراً
أمانيها انخفاضاً وارتفاعا
إذا لبثت هنا ذابت حنيناً
وإن قضت النوى ، طارت شعاعا

• • •

وهتف بي ، بعد أيام ، الصديق الشاعر الرقيق الأستاذ جورج صيدح : « إن صديقنا القروي في المستشفى الألماني يعالج مما ألم به » فبادرنا إلى عيادته فسر بنا ، وكنا أول من عاده ، وسرنا أن يكون مليئاً بالأمل في الشفاء .. وفي طريق العودة قلت لصيدح : « وددت لو أدعو القروي بعد شفائه إلى نابلس وأن أقيم له فيها وفي عمان مهرجاناً تكريمياً .. ولكن .. » فقال صيدح : « ولكن ماذا ؟ وما يمنعك من ذلك ؟ » فقلت : هل تذكر تلك القصيدة التي أرسلها إليك من البرازيل سنة ١٩٥٦ ، وكتب أنها مهداة إلي أنا ، فبعثت بها إلي ؟

قلت : وقد اغتمز فيها بعض المسئولين العرب وكذلك فعل في قصيدته التي ألقاها في سان باولو في حفلة تأبين إيليا أبي ماضي والتي مطلعها :

من للذي أوحيت أن يتبسما
غمر البكاء العين واكتسح الفما

واعتقادي أنه تجنى على هؤلاء المسئولين الذين هاجمهم في قصيدته ، وليس معقولا أن يقام له مهرجان تكريمي الآن في نابلس أو غيرها وقصيدته المتجنية معروفة ومشهورة ، ولعل هذه الحملة المتجنية التى شنها القروى هي التى أغضبت منه صديقه الاديب الاردنى الاستاذ عيسى الناعوري فقاطعه مع أنه كان من أعز أصدقائه ، وقد أنصفه ومجده في كتابه « أدب المهجر » . ويبدو أن صيدحاً نقل إليه هذا على سبيل الاعتذار له عن تقصيري في تكريمه ، ثم حدث أن فوجئت وأنا وزير للخارجية الأردنية برسالة من القروي أذهلتني وفيها يعاتبني لأنني تمنيت لو خلت قصيدته في تأبين أبي ماضي من أبيات حالت دون مهرجانات كنت أنوي إحياءها له في العراق !! وفي آخر الرسالة عبارات شديدة القسوة متلبسة بلباس الثقة بي والنصيحة لي :

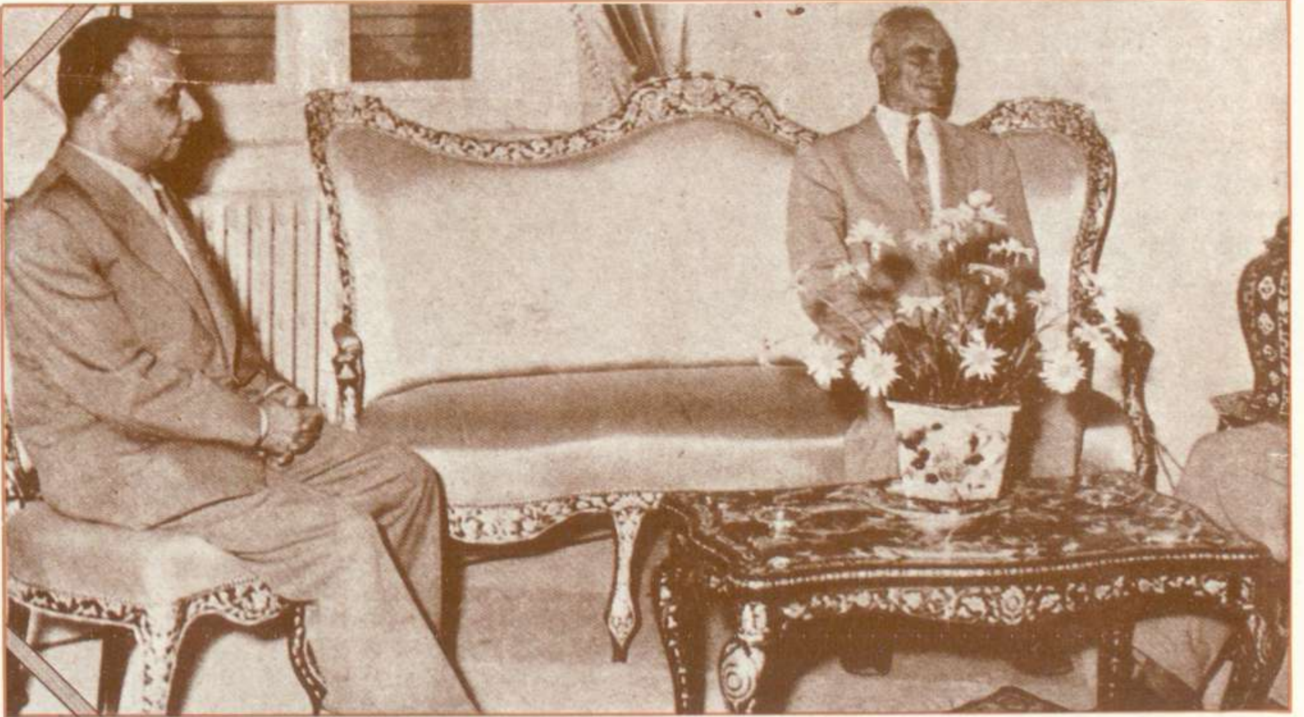
عين البربارة ــ منطقة جبيل ــ لبنان

سيادة الأديب الكبير . الخطيب الشهير . السفير الوزير الأستاذ

أكرم زعيتر . صان الله مهجته .

أخي وصديقي العزيز

أما بعد فقد طلعت علينا منذ ثمانية عشر عاماً شمساً من شموس الإيمان . باهرة الضياء . ثم حجبتك عنا بعد تسعة أعوام غيمة الشك . وأنت في كبد سمائك . وإبان لألائك . غداة أنزلتني منزلة الذين يغرهم بالدنيا الغرور . فتمنيت مع من تمنى لو خلت قصيدتي في أبي ماضي ، من أبيات حالت في زعمكم دون مهرجانات ــ كدت أقول مهارج ــ كنتم تنوون إحياءها لي في العراق . وها نحن اليوم يأخانا الأكرم ، بعد تسعة أخرى ، يهددنا



لقطة للشاعر القروي والى يمينه فؤاد الشايب

الاستعمار وعملاؤه ، بايلاج نهار آمالنا في ليل لاندري أتغرب فيه شمس إيمانك إلى غير شروق ، لا سمح الله ، أم يَمن الله علينا وعليك ، وهذه فلسطين في أشد ظلماتها افتقاداً لبدورها أمثالك ، فتعود يأكرم كسالف عهدنا بك ، كتلة ربانية ملتهبة من نار ونور ؟ انها لفرصة اختيار يسرها الله لك . واننا لنعيذك ، وأنت صحيح العقل والوجدان ، أن تبيع الانتحار بالشهادة .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من أخيك المحب المخلص

رشيد سليم الخوري

وبادرت إلى الإجابة على رسالته منكراً ، باديَ الرأي ، أنني فكرت في إقامة مهرجان تكريمي له في العراق ، لأنني لأملك القدرة على ذلك ، وأنا كنت في نابلس لا في بغداد ، وأعدت عليه صحيح ماكنت قلته للأستاذ صيدح ، ثم حدثته عن مدى الخدمة التي أؤديها لعروبتي وفلسطينيتي في عملي وشفعت رسالتي بخلاصة المحاضرة التي ألقيتها في الجامعة الأردنية عن سياسة وزارة الخارجية التي أخذت على نفسي الالتزام بها «فقضية فلسطين قضيتنا الأولى ، قضية الحياة والشرف ، قضية الوجود والكرامة ، ووزارة الخارجية مجندة للعمل من أجلها وفي سبيلها ، تدافع عنها ، تدعو اليها وتبشر بها ، وتحبط التآمر عليها» وفصلت في خطوط هذه السياسة عربياً واسلامياً ودولياً مؤكداً في ختام المحاضرة أن دبلوماسيتنا في المجال العربي رآبة للصدع مبددة للغيوم ، عاملة على وحدة الصف ، حريصة على جمع الكلمة مؤمنة بأن قوة العرب وفلاحهم في اتحادهم . » وقيل لي ان القروي تأثر بالرسالة .

• • •

وجئت بيروت ومكثت فيها إحدى عشرة سنة ، قضيت أربعاً منها سفيراً للأردن ولم ألق القروي في سني السفارة إلا مرة واحدة والتقينا فأحسن المقابلة ، وكان آتياً الجامعة الأمريكية تلبية لدعوة فريق من طلاب قسم الأدب العربي فيها إلى جلسة خاصة تدور حول مفهوم الشعر وعلاقته بالعلم والدين ، وقد هاجم في حديثه الشيوعية ودعا إلى الاستمساك بالعروبة ومما قاله : «إن الاشتراكية الإسلامية تغني عن الشيوعية» وتلا آيات قرآنية تدعم رأيه ، فأطرب إسلاميي النزعة ونقمت منه القلة الضئيلة من الشيوعيين ثم لم يجر نقاش بسبب وضعه الصحي ورعاية لسنه .

وفي خريف سنة ١٩٧١ تلقيت من صديقي جورج صيدح المقيم في فرنسا رسالة يقول فيها أن ماقرأه للقروي في مجلة «العرفان» أوحى اليه بنظم قصيدة «مأساة القلم المداد (٢)» وأهداها إلى القروي وطلب إلي أن أبعث بها إلى القروي ففعلت ، وهي في اجتهادي من أجمل مانظم جورج صيدح ولعلها إحدى حسنات هذه الذكريات أن ينشر جزء من القصيدة بخط صيدح ، وفيها يخاطب قلمه في سبعة وثلاثين بيتاً ومنها :

أيا قلمي ، يالسان ضميري
وياشاهدي في احترام الوداد
أردتك وأأسفي أن تجود
فأصبحت مثلي عقيماً جواد
علام ارتجفت ولطخت كفي
أتخشى أسومك رد انتقاد ؟
وعهدك بي أن سود النوايا
أرد عليها ببيض الأياد
وعندي من الحلم طود تغاضى
عن اللؤم يزحف في بطن واد ..
كفاني رَشاشكَ نفثَ همي
فما حاجتي بسيول المداد ؟
بني اقتصد . فلكل معين
نفاد وما لليالي نفاد
نصحتك طال التناجي فعد
بي إلى مضجعي استحث الرقاد
فرشت لك الجيب فارجع اليه
وعش كامناً كاللظى في الرماد

جورج صيدح

عن نبشي ١٩٧١/٩/٢٠

وتلاقينا ، نخبة من المعجبين بالقروي في نادي خريجي الجامعة الأمريكية ، وكان لقاء ماتعاً ، وفيه تغنى الشاعر باللغة العربية : «أنا موله . أنا مدله . أنا عاشق ، أنا مستهام باللغة العربية . أتمنى طول العمر لا استزادة من السنين ولكن استزادة من الاستمتاع بجمال اللغة ، هذه اللغة التي حرسها الله بكتابه الكريم» ، وتلا علينا قصيدة تتضمن آيات من سورة القمر جعل

شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي

مطلعها : «اقتربت الساعة وانشق القمر» وآسف أنني لم أطلبها منه ، وألا أجدها في ديوانه ، وراح يتلو علينا مربعات شعرية ، الشطر الأخير منها آية قرآنية ، وأذكر منها قوله :

آيات ربك ليس يعرف قدرها
من ليس يفرق في الحجى عن غيره
لاتقعدوا معهم إذا هزئوا بها
«حتى يخوضوا في حديث غيره»

وتطرقنا في الحديث إلى لقاء القروي سلطان الأطرش فحدثنا عن حفاوة سلطان به ، وكونه يذكر قصيدة القروي فيه على الرغم من كونه في المائة من عمره ، ومما رواه لسلطان أنه ، أي الشاعر ، رأى ذات ليلة في المنام في صنبول سلطاناً وأنه لم يخاطبه بالباشا كما يخاطبه الناس ، وكان يناديه : ياسلطان ، وأن أحدهم نبهه إلى ذلك فأنشد :

سلطان ياسيف الحمى المسلول والسهم المراشا
عش للجهاد ، وذكرك الميمون للتاريخ عاشا
حاشا لمثلي أن يصغر من مقامك ألف حاشا
إن كنت سلطانا فكيف يجوز أن أدعوك باشا

وقبل أن نغادر النادي قلت للقروي : «يسر المركز الثقافي الإسلامي الذي أترأسه أن يدعوك إلى حفل تكريمي تشدو فيه ماتشاء من روائعك» فأجاب : «إنني لأحسن الوقوف على المنبر وإذا أردتم تكريمي فليكن ذلك بعد موتي» فقلت : «طال عمرك . إذا أنت زهدت في تكريمنا إياك فما نحن بزاهدين في تكريمك إيانا بامتاعنا بروائعك ، إننا لن نكلفك الوقوف على المنبر .. ولكنك تسمعنا خطباء ثم تنشدنا بعض روائعك وأنت جالس» فاستمهلني مدة يرجع فيها إلى نفسه ..

ودعي القروي إلى العربية السعودية ، وبعد اصرار من وزير داخليتها الأمير نايف . يمم صاحبنا السعودية ، ليلقى من الحفاوة أعظمها .

وعلمنا أن الشاعر قد عاد من السعودية وأنه ينزل في بيت بنت خالته التي تعنى به في «الأشرفية» . فبادرنا إلى السلام عليه ورأيناه مستنير الوجه طافح البشر ، وشرع يحدثنا عن الرحلة : «وحين هممنا بالهبوط من الطائرة قلت في نفسي : سبحان الله ، إني أراني نازلا في نفس الجو العابق بطيب النبوة . الجو الذي نزل فيه الناموس الأكبر جبريل على نبينا العربي عليهما السلام» وكان الحديث شائقاً مفاضاً ، وتلا علينا ما نظمه في المضيفين الكرماء . وقد ارتجل أمام الملك خالد بن عبد العزيز :

بإذن الله رب العالمينا
ورأى الخالد بن الخالدينا
سنبني دولة للعلم تسمو
على دول الورى دنيا ودينا
تعم بها حضارتنا البرايا
كما فعل الجدود الأولونا
وإن زاد الصهاينة اغترارا
وظنوا أنهم لا يغلبونا
وخاضوا مثلما خاضوا قديما
بمنزل ربنا مستهزئينا
«يعذبهم وينصرنا عليهم
ويشفي صدر قوم مؤمنينا»

ولما أشرت إلى بعض الحملات التي تعرض لها قال : «أخي أكرم .. أنا تعودت على الحملات الظالمة وقد ألفتها وألفتني فقلت :

تحير بي عدوي إذ تجنى
علي فما سألت عن التجني
وقابل بين ما القاه منه
وما يلقى من الإحسان مني
أريد حياته ويريد موتي
وكم بين التمني والتمني
عدوي : ليس هذا الشهر شهري
ولا المن الذي استحليت مني
فلي أم حنون أرضعتني
لبان الحب من صدر أحن
على بسماتها فتحت عيني
ومن لثماتها رويت سني
كما كانت تناغيني أناغي
وما كانت تغنيني أغني
سقاني حبها فوق احتياجي
ففاض على الورى مافاض عني

وواصل : لا . لا أبغض أعدائي وأنا القائل :

أبغضت أعدائي فلم
أتعب ببغضي غير قلبي
وحببتهم فأرحته
وربحتهم وسررت ربي
حبي ، لنفسي عائد
لا فضل لي أبداً بحبي

• • •

وتبدل موضوع الحديث حين سألني : كيف حال الفدائيين ؟ وترحم على الشهيد «علي حسن سلامة» الذي اغتاله الآثمون .. وأبدى إعجابه بما ترامى اليه من وجود أطفال فدائيين ، وكرر القول : «لا ينقذ فلسطين إلا الفدائيون» ولما استشهدت ببعض أبيات لإبراهيم طوقان وأخرى لمحمد الشريقي في الفدائيين طرب لها ثم قال : «ألا تذكر قصيدتي في الفدائيين وقد نظمتها على إثر استشهاد حسن سلامة ؟» فقلت : «أذكر البيت الأخير منها» :

من يغث أم فدائي شهيد
عده الله فدائياً شهيدا

ويخطر على بالي قوله صلى الله عليه وسلم : «من جهز غازياً فقد غزا» أو كما قال ، وهنا أسمعنا القروي قصيدته وأعطانيها مكتوبة وفيها يقول :

الفدائيون هل من أمة
أنجبت أطيب أو أصلب عودا
في لغات الأرض يبقى ذكرهم
عربي اللفظ والمعنى جديدا
كلما طير عنهم نبأ
زلزلت صهيون زلزالا شديدا
أين عند «الفتح» أبطال الأساطير
يوناناً وفرساً وهنودا
من رأى الأطفال في العشر على
لهوات الموت تنقض اسودا
من رأى الصاروخ لحما ودما
والبراكين غصونا وورودا
يالمنبوذ شريد لاجيء
فضحت خيمته القصر المشيدا
غسل العار وأحيا شرفا
منذ أعوام بكيناه فقيداً
من يغث أم فدائي شهيد
عده الله فدائيا شهيدا

وواصل : «وقلت قبل خمسين سنة لمناسبة شنق الشهداء حجازي وجمجوم والزير مثل هذا ، إرجع إلى الديوان تجد القصيدة التي أنهيتها قائلا :

اشهداءٌ علقوا أم جرساً
رن فاهتز له قلب الوجود
كلما استشهد منا بطل
هتف الأجداد : أهلا بالحفيد»

وفي الحلقة القادمة استكمل الذكريات ولعلها تكون أحفلها بالشجون الشاجيات ..

أكرم زعيتر

هوامش

(١) الموامي : جمع مومياء
(٢) القلم المداد : قلم الحبر

شخصية هارون الرشيد لها جانبان ، الأول هو الجانب التاريخى المعروف للخليفة الذى ازدهرت فى عصره الدولة العباسية ازدهاراً لفت أنظار العالم كله في ذلك الحين ، والجانب الآخر هو الجانب الأسطورى الذى يبدو واضحاً في صفحات ألف ليلة . وفى هذه القصة التى كتبها الأديب العربى الكبير زكريا تامر معالجة خيالية بالغة الجمال والطرافة لجانب من الجوانب الأسطورية لشخصية الرشيد ، حيث يبتعد الكاتب عن الشخصية التاريخية ويطلق خياله مع الشخصية الأسطورية وما يدور حولها من وقائع وأحداث هى نوع من الخيال الفنى الجذاب .

حكايات ملفقة :

إعدام الموت

بقلم : زكريا تامر

كان لهارون الرشيد ابنان ، واحد اسمه الأمين ، والثاني اسمه المأمون ، وكان يحب الناس الذين يحكمهم كما يحب ابنه المأمون الذى كان عمره لا يتجاوز الأربع سنوات .

وكان المأمون عندما يقول : بابا ، يطغى على هارون الرشيد حنان يجعله غير قادر على النطق بكلمة .

وفى يوم من الأيام ، كان هارون الرشيد جالساً في حديقة قصره ، يتمتع بمشاهدة المأمون وهو يلعب ويلهو راكضاً من مكان الى مكان ، متواثباً ، مطلقاً الضحكات المرحة ، فتنبه بغتة الى أن ابنه قعد على الأرض ثم مال الى الوراء بحركة فجائية كأن يداً غير مرئية دفعته بقوة ، وأرغمته على الاستلقاء على ظهره بلا حركة .

ظل هارون الرشيد يراقب مبتهجاً ابنه الذى استمر راقداً على الأرض دونما أى حركة ، فناداه ، فلم يسمع جواباً ، فنهض وهو يبتسم مصمماً على مسايرة ابنه في لعبته الجديدة ، ودنا منه ، وأقعى قربه ، فوجده مغمض العينين ، شاحب الوجه ، فقلق لحظة خاطفة مالبثت أن زالت ليحل محلها الاقتناع بأن المأمون كعادته محب لابتكار الجديد من الألعاب ، فمد يده اليه وهزه ، فاذا المأمون كثوب بلا جسم ، فصرخ مرتاعاً ، طالباً الأطباء .

وجاء الأطباء ، وفحصوا المأمون مدة قصيرة ، ثم ابتعدوا عنه واجمين ، خافضي الرؤوس ، متجهمي الوجوه ، ولم يجرؤ واحد منهم على النظر الى هارون الرشيد .

حدق هارون الرشيد طويلا الى جثة المأمون الملقاة على الأرض ، ثم سار الى داخل قصره بخطى وئيدة ، وجلس على كرسيه ، فولول من ولول ، وبكى من بكى ، وتقدم كثيرون من هارون الرشيد متمتمين بكلمات العزاء ، ولكنه ظل صارم الوجه واجماً لا يتفوه بكلمة أو يذرف دمعة حتى غاب الجسد الصغير تحت التراب ، عندئذ تكلم ، وقال لوزيره جعفر البرمكي : « أين قائد جيوشي ؟ » .

قال قائد الجيوش «هأنذا يا مولاى» .

فحملق اليه طويلا كأنه يراه أول مرة ، ثم سأله : « من أنت وماذا تشتغل ؟ » .

— « أنا قائد جيوش مولاى وسيفه البتار » .

— « وما عملك ؟ » .

— « أن أحمى البلاد من الأعداء » .

— « أن تحمى البلاد أم الناس الذين يعيشون فى البلاد ؟ » .

قال قائد الجيوش بثقة : « البلاد والناس معا » .

فقال هارون الرشيد له متسائلا من غير أي انفعال : « إذا لماذا لم تحم ابنى المأمون ؟ » .

فاستولى رعب غامض على قائد الجيوش ، وساد الصمت لحظات مرت كأنها سنوات ، ثم قال هارون الرشيد بصوت قاس : « لابد من أنك خائن تنفذ مشيئة الأعداء » .

حاول قائد الجيوش التكلم ، فلم يستطع ، واكتفى بالتمتمة بكلام مبهم بينما قال هارون الرشيد : « أليس من مصلحة الأعداء أن يموت ابنى الذى كان سيصبح وريثا على البلاد من بعدي ؟ » .

فقال جعفر البرمكي : « الخير فى ابنك الأمين ، أطال الله عمره » .

فصاح هارون الرشيد بنزق : « أنا لا أتحدث عن الأمين بل أتحدث عن المأمون الميت » .

ونظر الى قائد جيوشه نظرات ، وقال له : « لن آمر باعدامك أو سجنك طول الحياة بل سأنفذ بك عقوبة أشد لأني أعرف طباعك . أنت منذ هذه اللحظة معزول من منصبك » .

وحدق هارون الرشيد الى من يحيط به من وزراء وحراس وجند وندمان وشعراء وأتباع ، فلمح رجلا واقفاً غير آبه لما يجرى حوله ، فصاح به : « اقترب منى يا أبا نواس » .

فدنا أبو نواس من هارون الرشيد مترنح الخطى ، فسأله هارون الرشيد : « أأنت سكران كعادتك ؟ » .

قال أبو نواس : « لا لا . أنا مصاب بزكام حاد سببه برد شديد ، وهو الذى يجعلنى لا أقوى على السير » .

فقال جعفر البرمكى مدهوشاً : « أبرد شديد فى عز الصيف ؟ » .

وقال هارون الرشيد لأبى نواس : « هل سبق لك أن اشتغلت فى مهنة غير نظم الشعر؟ » .

قال أبو نواس : « من المفروض أن تكون كتب التاريخ مملوءة بتمجيد المعارك التى انتصرت فيها الجيوش بفضل قيادتى لها ، ولكن المؤرخين تعمدوا اغفال ذكرى لأنى هجوتهم » .

قال هارون الرشيد : « ترى أتليق بك ثياب قائد الجيوش وهل ستبدو بها ذا مهابة .. المهابة الجديرة بقائد جيوشى ؟ » .

وأشار هارون الرشيد الى قائد جيوشه قائلا له : « اخلع ثيابك » .

فتردد قائد الجيوش ، فزعق هارون الرشيد

إعدام الموت

غاضباً ، فسارع قائد الجيوش الى خلع ثيابه محتفظاً بثيابه الداخلية فقط ، فقال هارون الرشيد لأبي نواس : « ارتد هذه الثياب » .

فقال أبو نواس بلهجة متذمرة : « يجب أن أكون قائداً للجيوش من الداخل والخارج » .

قال هارون الرشيد : « ماذا تقصد ؟ » .

فقال أبو نواس مشيراً الى الثياب الداخلية لقائد الجيوش المعزول : « هل من المعقول أن أرتدى الثياب الخارجية لقائد جيوش فوق ثياب داخلية لشاعر ؟ المسؤولية ليست مسؤوليتي إن بدا منظرى غير لائق » .

فأمر هارون الرشيد قائد جيوشه السابق بخلع ثيابه الداخلية ، وكان صوته صارماً صرامة كانت كافية لأن تجعل قائد الجيوش يبادر الى تنفيذ الأمر فوراً ، ثم يقف منكس الرأس ، فقال له هارون الرشيد : « هيا اذهب الى بيتك وابق فيه ولا تخرج منه الا في نعش » .

ارتدى أبو نواس ثياب قائد الجيوش ، ثم وقف أمام هارون الرشيد مشدود القامة ، وسأله مزهواً : « ما رأى مولاي ؟ » .

فتفحصه هارون الرشيد ملياً ، فرأى رجلا جديداً ذا جلال ، فهز رأسه راضياً مستحسناً ، وقال له : « لقد عينتك قائداً لجيوشى » .

فقال الوزير جعفر البرمكي : « ولكن المنظر وحده يا مولاى لا يكفي للانتصار في المعارك الحربية » .

قال هارون الرشيد : « ما تقوله صحيح ، ولذلك فانني يا أبا نواس أعطيك مهلة سبعة أيام لتضع فيها خطة لجعل جيوشى أقوى جيوش فى العالم ولا يمكن هزيمتها » .

قال أبو نواس : « لا أريد أى مهلة ، والخطة المطلوبة لدى الآن جاهزة لعرضها ولتحظى بموافقة مولاى » .

فابتسم جعفر البرمكى بهزء بينما قال هارون الرشيد لأبى نواس : « وما خطتك ؟ » .

قال أبو نواس : « خطتي تتضمن عدة اقتراحات . أول اقتراح هو تأليف فرقة من الراقصات الشابات الجميلات البارعات ، وضم تلك الفرقة الى الجيش » .

قال هارون الرشيد مستنكراً : « ماذا تقول ؟ راقصات فى الجيش ؟ » .

قال أبو نواس : « أنا أعترف بأن هذا الاقتراح قد يبدو أول وهلة غريباً ، ولكننا إذا درسناه كشفنا فوائده » .

قال جعفر البرمكي ساخراً : « وفوائده حتما كثيرة لا تحصى » .

قال أبو نواس : « من البديهى أن وجود راقصات بين الجنود سيشيع المرح ، ويرفع من معنوياتهم ، وإذا ارتفعت معنوياتهم قاتلوا بشجاعة وبسالة ، كما أن فرقة الراقصات ستكون عنصر مباغتة للعدو فى أى معركة . تخيل يامولاى معركة من المعارك : جيش العدو يتأهب لقتالنا ، فينفخ فى الأبواق ، وتقرع الطبول معلنة بدء المعركة ، فتتقدم أولا وفى الطليعة فرقة الراقصات وهى ترقص . ما الذى سيحدث فى تلك اللحظات ؟ لابد من أن جيش العدو سيرتبك ويباغت ويحملق الى الراقصات مبهوتاً غير مصدق ما يرى ، ولا يدرى كيف يتصرف ، فيستغل جيشنا هذا الوضع ، ويهجم هجمة رجل واحد على جيش العدو المضطرب الصفوف ، فيحرز النصر سهلا مؤكداً » .

قال هارون الرشيد : « اقتراحك غريب حقاً » .

قال أبو نواس متحمساً : « ولدى أيضاً من الاقتراحات الكثير الكثير » .

قال هارون الرشيد : « هيا احك عنها » .

قال أبو نواس : « سنؤلف فرقاً من الدجاج » .

فقال جعفر البرمكي : « وهل تريد من الدجاج أن يقاتل أيضاً فى صفوف الجيش ؟ » .

قال أبو نواس : « لا لا . ستكون مهمة الدجاج هى متابعة أداء مهمته التى اعتاد دائماً أداءها ، وهى أن يبيض البيض » .

قال هارون الرشيد : « وماذا سيستفيد الجيش من البيض ؟ هل سيستخدمه فى طعامه لتقوية أجسام جنوده ؟ » .

قال أبو نواس : « لا بل سيستخدم كسلاح . تخيل يا مولاى جندياً من جيش العدو وقد أصابته بيضة فى وجهه . ماذا سيفعل ؟ انه بالتأكيد سيركض مشمئزاً لغسل وجهه ، فينقص جيش العدو واحداً ، فإذا انهال على جنود العدو بيض لا يحصى عدده فالنتيجة معروفة ، وسيكون سلاحاً يباغت الأعداء ويثير فى صفوفهم الفوضى اذ لم يستعدوا لمواجهة مثله » .

قال هارون الرشيد : « وهل لديك اقتراحات أخرى ؟ » .

قال أبو نواس : « أهم اقتراح لدى هو تجنيد الموتى فى الجيش بدلا من أن يقيموا بقبورهم بلا عمل ينفع بلدهم ، إنهم سيكونون فرقة مقاتلة غير مرئية ، ودورها فى المعارك بالغ الخطورة ، فالعدو سيحارب خصماً لا يراه ولا يموت لأنه ميت . وهذه الفرقة لن تكلف خزائن مولاى نفقات كثيرة لأن أفرادها لا يأكلون ولا يرتدون ثياباً ، وسنكتفى باعطائهم أحياناً مكافآت رمزية ، وسأتولى بنفسي توزيعها عليهم تكريماً لهم » .


أبو نواس

قال هارون الرشيد : « عليك الشروع فوراً فى تنفيذ اقتراحك . ما أريده هو أن تصبح جيوشى قادرة على احتلال العالم كله » .

فقال أبو نواس : « وستصبح يا مولاى سيدا على العالم كله » . ففكر هارون الرشيد لحظات مغموماً ، ثم قال : « والموت الذى أهلك ابني ؟ هل سيظل بلا عقاب ؟ من ذا الذى سيعيد ابني الى الحياة ؟ » .

قال أبو نواس : « لكل مهمته ، ومهمتي كقائد لجيوش مولاى هى أن أطارد الموت فى كل مكان حتى أقبض عليه وينال جزاءه » .

قال هارون الرشيد : « أعطيك مهلة ستة أيام ليمثل الموت أمامى وأعاقبه العقاب الذى يستحقه » .

قال أبو نواس بصوت حزين : « فليأمر مولاى سيافه بقطع رأسى » .

— « لماذا ؟ » .

— « لأني لا أستطيع تلبية ما طلبت الا فى ستة أيام وساعتين » .

— « اني أمدد المهلة الى ستة أيام وثلاث ساعات » .

فصاح أبو نواس بصوت مفعم بالفرح : « هذا كرم لم أكن أحلم بنيل مثله ، فقد منحتنى ساعة أكثر مما أحتاج اليه وبرهنت حقاً على أنك خير من يقدر المهمات الجسام » .

قال هارون الرشيد : « ومن ذا الذى سيعيد ابنى الى الحياة ؟ » .

فأشار أبو نواس بسبابته الى جعفر البرمكى قائلا : « هذه المهمة مهمته ، وكان دائماً يسخر مني ويتهمنى بأنى أضيع وقتك وأبدده ، وقد جاء الآن الوقت ليبرهن على اخلاصه لمولاه بالعمل لا بالكلام » .

قال هارون الرشيد لجعفر البرمكى : « ألم تسمع ما قيل ؟ لماذا لا تجاوب ؟ » .

قال جعفر البرمكى : « يا مولاى . ما سمعته ليس الا كلام شاعر فاسق مهذار مهرج » .

فقاطعه هارون الرشيد قائلا بغيظ : « أنسيت انى عينته قائدا لجيوشي أم أنك لم تسمع أمري ؟ ما قيل ليس كلام مهرج بل كلام قائد جيوشى » .

قال جعفر البرمكى : « وما المطلوب منى ؟ » .

قال هارون الرشيد : « أنت تحاول تجاهل ما هو مطلوب منك ، ولكن هذا التجاهل لن يعفيك من مهمتك ، وهى اعادة ابني الى الحياة » .

قال جعفر البرمكى فزعاً متوسلا : « هل سمعت يا مولاى أن انساناً مات ثم عاد الى الحياة ؟ » .

قال هارون الرشيد بحنق : « يبدو أنك تنوي أن تجرى لي امتحاناً لمعرفة ما سمعت به وما لم أسمع به . أنسيت من أنا ؟ لست تلميذاً فى

مدرسة ، وأريد أن يعود ابنى حياً » .

— « هذا أمر لا يستطيع أى انسان القيام به » .

فقال أبو نواس : « أيأذن لي مولاى بالكلام ؟ » .

— « تكلم اذا كان كلامك يساعد فى عودة ابني الى الحياة » .

قال أبو نواس : « ما دام جعفر البرمكى يعترف بعجزه فهذا أمر عادي لأنه حي ، أما اذا مات فسيتاح له عندئذ مقابلة ابنك ومعرفة الأسلوب الذى يمكن عن طريقه أن يعود الى الحياة » .

قال هارون الرشيد : « ما تقوله هو الصواب ، ولكن لضمان نجاح هذه المهمة يجب أن نختار لها أفضل رجالى » .

وفكر قليلا ، ثم قال لوزرائه : « أنتم بلاشك خير رجالى ، وستؤلفون وفداً ، وتذهبون لمقابلة ابنى ومعرفة طريقة اعادته الى الحياة ، أما جعفر البرمكي فلن يرافقكم لأنه أثبت أنه غير مخلص لي وقد يرتكب ما يفسد مهمتكم ، ولن يموت كما ستموتون بل سيبقى للعناية بخيولى » .

فتبادل الوزراء نظرات الدهشة والرعب ، ولكن تبادلهم النظرات لم يستمر اذ أصدر هارون الرشيد أوامره الى سيافه ، فتدحرجت رؤوسهم على الأرض ، ثم التفت الى جعفر البرمكى ، وقال له : « هيا اذهب وباشر عملك الجديد ، وأطلب منك أن تعلم خيولى كيف تكف عن تحريك ذيولها حتى تصبح مختلفة عن الخيول الأخرى » .

فأحنى جعفر البرمكى رأسه معلناً خضوعه وطاعته ، وهرول خارجاً . ونام هارون الرشيد فى تلك الليلة نوماً عميقاً ، ورأى فى أثناء نومه ابنه الصغير فى سهل مغطى بالعشب الأخضر ، يضحك ويركض لاهياً ، ورأى وزراءه يقتربون منه بلا رؤوس ، ويحملونه ، ويسيرون بخطى متمهلة ، فصاح بهم بلهجة آمرة : أسرعوا ، فأنا مشتاق الى ابنى ، مشتاق الى ضحكته ، الى صوته ، الى يديه الصغيرتين لحظة تلمسان وجهى وتداعبان لحيتى ، ولكن الوزراء لم يبالوا بصياحه الآمر ، واستمروا فى سيرهم المتباطىء ، فغضب غضباً شديداً ، وأفاق من نومه ليجد نفسه فى سريره ، فاستدعى أبا نواس ، وروى له ما شاهده فى أثناء نومه ، فقال أبو نواس : « انهم لأنذال خانوا مولاهم ، ومن الأفضل لمولاى ألا ينتظر رجوعهم » .

قال هارون الرشيد بحيرة : « ماذا أفعل ؟ » .

قال أبو نواس : « حين سيمثل الموت بين يدى مولاى ويقتله فلابد من أنه سيحس ببعض الراحة لأنه ثأر من قاتل ابنه » .

— « اني لتواق الى تلك اللحظة » .

— « ليطمئن مولاى الى أن مقدم تلك اللحظة ليس بالبعيد ، فتحرياتى عن الموت تحرز نجاحاً أثر نجاح ، وسأعرف مكانه فى أيام قليلة ،



الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩)
الذى تميز عهده بالازدهار والرقى

وسأقتاده للمثول أمامك ذليلا مهاناً » .

قال هارون الرشيد محذراً : « لا تنس المهلة التى أعطيتك اياها ، فإذا انتهت فستندم ومصيرك معروف » .

فابتسم أبو نواس ابتسامة واثقة ، ثم انصرف ليعود فى اليوم التالى مبتهجاً ، يجر جنوده رجلا ممزق الثياب ، حافى القدمين ، يسيل الدم من وجهه .

— « هذا خصمك يا مولاى » .

— « من هذا ؟ » .

— « هذا هو الموت الذى قتل ابنك » .

فقال هارون الرشيد للرجل : « أنت الموت ؟ » .

فقال الرجل بصوت متهدج : « أنا رجل مسكين » ..

فقاطعه أبو نواس مهدداً : « قل لمولانا الحقيقة والا عدت الى التحقيق » .

قال الرجل بذعر : « لالا » .

— « قل إنك الموت » .

وقال هارون الرشيد : « إياك وأن تكذب » .

قال الرجل بصوت خافت : « أنا الموت » .

— « ولماذا قتلت ابنى ؟ ولماذا لم ترحم طفولته ؟ » .

اضطرب الرجل ، ولم يجاوب ، فقال له أبو نواس : « قل لمولانا ما قلته لنا في أثناء التحقيق معك » .

— « وماذا قلت ؟ » .

— « قلت انك متعاون مع أعداء مولاى ونفذت رغبتهم فى التخلص من المأمون » . قال الرجل : « هذا ما قمت به فعلا » .

فنظر أبو نواس الى هارون الرشيد نظرة انتصار ، وقال له : « أسمعت بأذنيك اعترافه يا مولاى ؟ » .

فتأمل هارون الرشيد الرجل بنظرات متفحصة بينما قال له أبو نواس : « ماذا ينتظر مولاى ؟ » .

— « انى أفكر فى الميتة التى تعذبه أشد عذاب » .

— « أحرقه حياً » .

فأمر هارون الرشيد باحراق الرجل حياً ، فنفذ الأمر فوراً ، وتحول الموت الى رماد .

وبعد أيام ، قال هارون الرشيد لأبى نواس بحزن : « مازلت أريد أن يعود ابنى الى الحياة » .

فقال أبو نواس : « لي ابنة هى أعقل من يحيا على سطح الأرض ، ولكنها تتصنع الجنون ، فاذا سألتها النصح فقد ترشدك الى ما يحقق لك غايتك » .

فأمر هارون باحضارها بسرعة ، ومثلت ابنة أبى نواس أمامه ، فطلب اليها العون ، ففكرت ثم قالت : « ابنك لن يعود الى الحياة كما كان ، ولكنه قد يعود فى صورة مختلفة ، فازرع فى تراب قبره شتى البذور ، وما سينمو يكون هو ابنك العائد الى الحياة » .

فعمل هارون الرشيد بنصحها ، فنمت فوق القبر شجرة برتقال خضراء الأوراق ، فزال حزن هارون الرشيد ، وبات يقضي معظم أوقاته جالساً بالقرب منها ، وحين يهب الهواء ويحرك أغصانها كان يسمع وحده صوتاً يقول بابا .

ونمى يوماً الى سمع هارون الرشيد أن الموت مازال يقضي يومياً على الناس الذين يحكمهم ، فدهش ، ولكن أبا نواس قال له : « نحن قضينا على الموت الجدّ فقط ، ولم نقض على أبنائه وأحفاده ، وهم كثيرون » .

— « آمرك ألا تترك واحداً منهم حياً » .

— « انهم منتشرون فى أرجاء الأرض كلها ، ولكن معلوماتى عنهم وافية دقيقة ، تكشفهم ، وتحدد الأماكن التى يختبئون فيها » .

— « سأبيدهم اينما كانوا » .

وسارت جيوشه تتقدمها الراقصات وفرق بعضها مسلح بالبيض وبعضها من الموتى ، فاحتلت الأرض كلها ، وأصبح يملكها ، يتعقب أبناء الموت وأحفاده وفقاً لارشادات أبى نواس ، ويشن عليهم حرب ابادة ، ولكن هذه الابادة توقفت لأن أبا نواس مات فجأة ، وبات هارون الرشيد بلا مرشد ، فعاوده الحزن ، ولكنه سر قليلا عندما علم أن جعفر البرمكى قد نجح فى تعليم خيوله ألا تهز ذيولها . وبعد سنوات توفى هارون الرشيد ، فنزعت شجرة البرتقال لحاءها وأوراقها ، وخرج منها المأمون وبادر الى القصر ، وفرحت الخيول ، وعادت الى ممارسة عادتها بهز ذيولها باستمرار .

زكريا تامر



بقلم: محمود السعدنى

وقائع بلا تعليق!

دخل الأستاذ «ع» قهوة عبد الله وخرج منها دون أن يترك أثراً يذكر لا بالسلب ولا بالايجاب. كان أنيقاً وسط شلة الأدباء، يرتدى «بدلا» من الصوف الانجليزى غالية الثمن، وينتقى أربطة العنق الثمينة، وحذاؤه الانجليزى الصنع كان يلمع دائماً. وكان سميناً تطفح الحمرة من وجنتيه، ومنظره عموماً كان يدل على البيئة التى عاشها فى طفولته، فهو ابن أسرة مستورة من أسر الريف. ولابد أنه كان ينحدر من صلب جراكسة أو صقالبة أو أروام، والذين حكموا مصر دهراً طويلا فى العصور الوسيطة، وكان الأستاذ «ع» نتاج اختلاط هذه الطبقة بالفلاحين المصريين عندما اضطروا إلى ذلك بعد تدحرجهم من قمة الهرم الاجتماعي بفعل غزاة آخرين. ولم يكن الأستاذ «ع» علماً على شيء أو نابها فى شيء. ولكنه كان يلم بأشياء كثيرة، وكان يشترك فى النقاش الذى يحتدم أحياناً بين شلة الأدباء، ولكنه كان يشترك بالايماءة وهزة الرأس وأحياناً بكلمات قليلة وعبارات قصيرة كان يتقن نطقها.. فى الواقع أنا مش موافق.. أو.. لعل وعسى.. أو.. يعنى.. المسألة مش كده بالضبط.. لكن..!! ولم تكن هذه العبارات التلغرافية الشفرية تنبىء عن الرأى الذى يتبناه أو الجانب الذى يؤيده. ولكنها كانت كافية لكى يثبت الأستاذ «ع» وجوده بين شلة الأدباء، وأيضاً كانت كفيلة بإدخال السرور إلى قلبه وإحساسه بأنه أدى ما عليه. وأحياناً كان يبدو شديد السعادة عندما يخلو ركن الأدباء إلا من بعض الشبان الذين يترددون أحياناً على المقهى،عندئذ كان الأستاذ «ع» ينتفش ويبدو كأنه شخص آخر.

وكان يعيد على أسماع هؤلاء الشبان المناقشات التى دارت ويشرح لهم رأيه فيما دار، وكيف أنه أفحم الجميع بطرحه الذى أسكت الجميع. ويظل يردد بشكل منتظم وبطريقة آلية السؤال الذى ألقاه وسط شلة الأدباء كالقنبلة، فنسف الجميع ولم يجرؤ أحد منهم على أن يرد على السؤال. فى تلك اللحظة كان الأستاذ «ع» يجلس منتفخاً على الكرسى يشفط من سيجارته أنفاساً متلاحقة، وقد وضع ساقاً على ساق، عارضاً على أنظار الأدباء الشبان الفقراء حذاءه الانجليزى اللامع.. ما هو أنا حطيت المسألة على بلاطة.. السؤال بتاعى كان بسيط للغاية.. هو الهدف إيه؟ وبمعنى أصح هى العبارة إيه؟..

وأحياناً.. وفى الليالى التى كان يغادر فيها أنور المعداوى القهوة مبكراً يجلس الأستاذ «ع» فى الصدارة مستعيناً بالشاى الذى «يرشه» على شباب الأدباء فى عقد ندوة ملاكى يتحدث فيها عن آرائه فى الحياة والناس. حدث فى العام ١٩٥٥ عندما عرض نعمان عاشور روايته «المغماطيس» أن أدار أنور المعداوى مناقشة مفتوحة حول المسرحية اشترك فيها الدكتور القط وزكريا الحجاوى ويوسف الحطاب.. وفجأة سأل أنور المعداوى الأستاذ «ع» عن رأيه فى المسرحية فأجاب فى اختصار شديد.. «ما هو يعنى نعمان عاشور هو كده»!! ولم يفهم أحد من الجالسين.. هو كده

إيه ؟ كما أن الأستاذ «ع» لم يهتم بأن يشرح ذلك، وبعد تلك المناقشة بأيام، اقترب منى الأستاذ «ع» وهمس فى أذنى بأنه يريد مشاهدة مسرحية نعمان عاشور وطلب منى أن أدبر له تذكرة من صديقى صلاح منصور. واكتشفت أنه لم يشاهد المسرحية، وإن كان أبدى فيها رأياً لا ينفع ولا يضر ! ولقد ظل الأستاذ «ع» حريصاً على حضور ندوة قهوة عبد الله حتى انهدت من أساسها، كما ظل مواظباً على الحضور فى مواعيد مبكرة والانصراف فى وقت متأخر والاشتراك فى المناقشات بطريقته وبأسلوبه التلغرافى الغامض ! ولكن أغرب ما فى قصة الأستاذ «ع» أننى لم ألتق به قط بعد زوال قهوة عبد الله. كأنما انشقت الأرض وابتلعت الأستاذ «ع». صحيح أن العلاقات بين أدباء الندوة اختلفت بعد زوال القهوة عنها قبلها. هناك علاقات استمرت كالعلاقة بين الثالوث الشهير: القط — المعداوى — شعبان، وعلاقات تقطعت بعض خيوطها وإن بقيت بعض خطوطها مشدودة، كالعلاقة بين عبد الحميد قطامش وزكريا الحجاوى من جهة وشلة الندوة من جهة أخرى. وبعض أدباء القهوة يترددون فى زيارات متباعدة وخاطفة على زملاء الندوة، ولكن الأستاذ «ع» هو الوحيد الذى اختفى تماماً وغاب فى زحام البشر. أين ؟ لا أدرى ولا أعتقد أن أحداً غيرى يدرى أين ذهب الأستاذ «ع» هو الوحيد الذى اختفى تماماً وغاب فى زحام البشر. أين ؟ لا أدرى ولا أعتقد أن أحداً غيرى يدرى أين ذهب الأستاذ «ع» بعد أن انفض مجلس قهوة محمد عبد الله ! ولكن زكريا الحجاوى قال بأنه عاد إلى قريته ليتولى منصب العمدة خلفاً لقريبه العمدة الذى مات. وأعتقد أن الخبر الذى أذاعه زكريا كان تشنيعة أكثر منه خبراً، وأن تشنيعة زكريا كانت تحمل رأيه فى أكثر المناصب لياقة لمواهب واستعداد الأستاذ «ع».

الفارس الآخر الذى اختفى فجاة من قهوة عبد الله كان الأستاذ «د» والأستاذ «د» كان ضابطاً فى الجيش، ولكنه حوكم أمام محكمة عسكرية خلال حرب فلسطين وطرد من صفوف الجيش لأسباب ليس هنا مجال ذكرها. واضطر الأستاذ «د» إلى افتتاح دكان لكى وغسيل الملابس فى حى العجوزة، وانتسب فى الوقت نفسه لكلية الآداب وراح يشق طريقه بالرغم من الظروف التعيسة حتى حصل على ليسانس الآداب، وهنا ترك دكان الغسيل وعاد ليمارس حياته الجديدة كأديب واتخذ من قهوة عبد الله مكاناً مختاراً ومحطة انتظار لاصطياد فرصة لابد أن تسنح مهما طال الزمان ! ولكن الفرصة لم تتح قط. وكانت غلطة الأستاذ «د» الكبرى أنه تصور أن الأدب شهادة تعطى للإنسان من كلية الآداب. وكان يرى أنه أحق الناس بالشهرة والذيوع لأنه فوق كونه يحمل شهادة ليسانس الآداب، فهو أيضاً من أقرباء واحد من أشهر وأعظم أدباء مصر كلها فى ذلك الحين. ولقد تصور الأستاذ «د» أن قرابته لهذا الأديب الكبير تمنحه الحق فى أن يصبح أديباً، غير أنه اكتشف بالتجربة أن الأسلحة التى يحملها كانت أسلحة فاسدة. ففى مجال الإبداع الأدبى والفنى لا الشهادة تجدى، ولا صلة القرابة بأديب عظيم تفيد. ولذلك تذوق مرارة الفشل فى كل التجارب التى خاضها، كتب قصصاً قصيرة لم يقبل أحد نشرها على الإطلاق. وكتب شعراً فشل حتى فى إقناع الأصدقاء بالإنصات إليه. ثم راح يشيع أنه يكتب رواية، ولكنه لم يبدأ فى كتابة سطر واحد من هذه الرواية حتى مات. ولكنه فجأة اكتشف أن أحد أبناء دفعته فى الكلية الحربية قد صار مسئولاً كبيراً. ولما كان هذا المسئول يشتغل أيضاً بالصحافة، فقد أسندت إليه القيادة العامة مهمة الإشراف على إحدى المجلات الأسبوعية. ولذلك أسرع الأستاذ «د» إلى صديقه الذى كان عند حسن الظن به، فعينه محرراً بالمجلة التى يشرف عليها، وأشاع الأستاذ «د» أنه قد عهد اليه بالإشراف على المجلة وأنه المسئول الوحيد عن توجيهها ورسم سياستها، وراح يشكو لكل معارفه من جسامة المسئولية وإرهاق العمل. واختفى الأستاذ «د» من قهوة محمد عبد الله، ولكنه كان لا يكف عن تكرار شكواه كلما التقى بزميل من زملاء الندوة فى الطريق العام. ولكن كل شيء انكشف فجأة عندما حضر صديقه المسئول ذات مساء إلى القهوة ليعرف من عبد الحميد قطامش سر تغيب الأستاذ «د» مدة أسبوعين كاملين دون أن يترك رسالة لأحد. ولكن قطامش الذى كان يجهل هو الآخر سر غياب الأستاذ «د» برر غيابه بثقل المسئولية الملقاة على عاتقه، وخطورة المهمة التى يضطلع بها الأستاذ «د» فى إدارة سياسة المجلة والإشراف على تحريرها. وأبدى ذلك المسئول اندهاشه الشديد لتصور قطامش الخاطىء. وراح يشرح لمن كانوا يحضرون الندوة تلك الليلة كيف فشل الأستاذ «د» فى كل عمل أسنده إليه. وكيف أنه لم ينجح فى كتابة موضوع واحد يصلح للنشر. لذلك عهدوا إليه بتلقى خطابات القراء وفرزها ثم توزيعها على أقسام المجلة، وأن هذا العمل فقط هو مهمة الأستاذ «د» فى المجلة التى يعمل بها. وعندما علم الأستاذ «د» أن صديقه المسئول حضر إلى قهوة عبد الله وأنه كشف سره، اختفى تماماً وظل حريصاً على أن يبقى بعيداً عن شلة أدباء قهوة عبدالله حتى مات !

• • •

ثالث الفرسان الذين اختفوا فجأة كما ظهروا فجأة، هو شاعر بقى موجوداً فى المجال الأدبى والفنى حتى مات، وهذا الأديب الشاعر هو من شلة الشباب الذين يمثلون الجيل الثالث فى ندوة قهوة عبد الله، والتى كان من بين أعضائها الشاعر صلاح عبد الصبور والناقد رجاء النقاش والشاعر أحمد عبد المعطى حجازى. هؤلاء حضروا إلى القهوة بعد عشر سنوات من حضور الجيل الثانى الذى كان من بين أفراده حسن فؤاد ويوسف إدريس وفتحى غانم والعبد لله. ولكن هذا الشاعر لم يكن فى شعره يفصح عن أى اتجاه أو يشير إلى أى موقف ولكنه كان يقول شعراً حديثاً عن حبيبته التى ذهبت أو حبيبته التى ستعود ! وكان أنور المعداوى قد تنبأ له بمستقبل طيب وسعى لنشر انتاجه فى بعض المجلات. وذات يوم من أيام شهر فبراير عام ١٩٥٩ حضر إلى القهوة مساء وأعلن أنه اختير ليسافر فى بعثة إلى الاتحاد السوفيتى. وتحمس بعض الجالسين فعبروا عن سرورهم بكلمات قصيرة فى تحية ذلك الشاعر، وللمستقبل الزاهر الذى يرجونه للشاعر الشاب. كان من بين الذين تكلموا فى هذه المناسبة أنور المعداوى وزكريا الحجاوى والدكتور القط ومحمود شعبان والعبدلله. وانفعلت أكثر فنشرت الكلمات التى قيلت والمناسبة التى قيلت فيها فى مجلة روز اليوسف وتمنيت له رحلة سعيدة وإقامة طيبة فى موسكو ونجاحاً باهراً فى تحقيق الهدف الذى يرجوه. وكم كان أسفى شديداً عندما علمت أن الشاعر طاف القاهرة كلها يحمل عدد روز اليوسف صائحاً بغضب شديد مؤكداً للجميع أننى ما قصدت بهذه السطور إلا الإبلاغ عنه ولفت نظر السلطات إليه ليمنعوه من السفر إلى موسكو ! فى تلك الفترة من حياة مصر كانت الحملة قد اشتدت على الاتحاد السوفيتى وضد الأفكار المتطرفة، وكان عبد الكريم قاسم قد شرع فى خوض معركة ضد القوميين فى العراق وعلى مستوى الوطن العربى.

ونشبت معركة ضارية بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم. وبعد وقوع مذبحة الموصل



من: أكرم زعيتر

استدراكات حول قصة الأمريكي الذي

قرأت في « الدوحة » العدد ١٠٩ مقال الدكتور السيد فهمي الشناوى عن « جمعية الرابطة الشرقية » فحمدت له نشر هذه الصفحة الجريئة من تاريخنا المعاصر وما فيها من تذكير بذوي السابقة من أركان « الرابطة الشرقية » وخدمتهم القضايا العربية . ولي ملحوظات واستدراكات أبديها مع تقديرى للكاتب المفضال وإعجابى بذاك المقال :

أولا : أن ميشيل لطف الله وحبيب لطف الله ، اللبنانيين ، المقيمين في مصر قد منحهما الشريف الحسين بن علي لقب الامارة ولم يعينهما سفيرين في لندن وباريس ، ولم يكونا مستشاريه السياسيين باستمرار وكان منحهما لقب الإمارة تقديراً لخدمتهما القضية العربية وتألفاً لقلوب النصارى العرب المشتغلين في الحركة العربية .

ثانياً : وفي المقال ان المستر كراين سفير أمريكا في الصين ، رئيس اللجنة الأمريكية الى الشرق الأوسط للاستطلاع قبل مؤتمر الصلح قد جاء مصر سنة ١٩٢٢ وان الموت عاجله ..

والواقع ان الرئيس الأمريكي ولسون اقترح ارسال لجنة تحقيق الى سورية كلها (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) مؤلفة من ممثلي الحلفاء للوقوف على رغبات السكان وتقديم تقرير الى مؤتمر الصلح ، واختار الرئيس ولسون للجنة الدكتور كنغ والمستر كرين .. ولكن الانكليز والفرنسيين والصهيونيين لم يلبثوا أن قاوموا فكرة ايفاد لجنة تحقيق ليقينهم بأن نتيجة الاستفتاء لن تكون في مصلحتهم الاستعمارية ، وامتنعت بريطانيا وفرنسا عن اختيار مندوبيهما ، ولكن الرئيس ويلسون أمر مندوبيه بالسفر ودعيت اللجنة باسم عضويها أي « لجنة كنغ ـ كرين » . King-Crane Commission وأجرت اللجنة الاستفتاء صيف سنة ١٩١٩ وعادت فقدمت تقريرها الى وفد الولايات المتحدة لدى مؤتمر الصلح وقد جاء فيه أن الرأى متفق في سورية كلها على المطالبة بالاستقلال ورفض الحماية في ثوب الانتداب .. وأعربت اللجنة عن اقتناعها بأن الصهيونية اعتداء شنيع على حقوق الشعب وشذوذ عن المبادىء التى اعلنها الحلفاء والرئيس ويلسون .. وطبيعي الا يروق هذا التقرير الحلفاء فاتفقوا على حفظه واهماله » .

ولم يمت المستر كرين سنة ١٩٢٢ كما توهم الكاتب المفضال ، فقد زار سورية بعد ذلك وسارت في دمشق مظاهرات ترحيب به ، وكانت تلك المظاهرات انطلاقة حركة وطنية أدت الى محاكمة بعض زعماء سورية وشبانها والحكم عليهم بالنفي الى جزيرة أرواد وبالسجن سنوات ..

نعم انه لم يتوف سنة ١٩٢٢ ، وقد اجتمعت به في القاهرة سنة ١٩٣٨ ، وفي « يوميات أكرم زعيتر » الذى تولت مؤسسة الدراسات الفلسطينية نشره قلت ما يلي اعيده تحية لذكرى هذا الرجل الذى أحب العرب وخدمهم .

« ١٩٣٨/١٠/٢٥ ـ ٢ رمضان ١٣٥٧ : تلفنت لي السيدة هدى شعراوى تقول : « سأجمعك الليلة بالمستر كرين Mr. Crane . تعال عند الإفطار نتناول الشوربا ، وما نفطر به . ثم يكون العشاء مع المستر كرين » .

وحان موعد الفطور فتناولنا شراباً من (قمر الدين) وبعض نقول . ثم جاء المستر كرين ومعه ولده جون والأستاذ جورج انطونيوس (مؤلف كتاب يقظة العرب) وعقيلته وعونى بك عبد الهادى وعقيلته وأجرت هدى هانم التعريف بيننا .. » الى ان قلت : « وحدثت كرين عما نعرفه

وقائع بلا تعليق!

قامت السلطة المصرية بإعتقال ثلاثة آلاف شخص ، وكان قرار الاعتقال يأمر بالقبض على « الشيوعيين والمتعاطفين معهم والذين يتواجدون معهم لحظة القبض عليهم .. » ، وألقت السلطة القبض على لويس عوض وكان مديراً عاماً لإدارة الثقافة بوزارة الثقافة ، وعلى الدكتور عبد الرزاق حسن وكان مستشاراً اقتصادياً برئاسة الجمهورية ، وكان بين المقبوض عليهم عشرات من الفنانين والصحفيين والكتاب ، وبلغ عدد المقبوض عليهم من مؤسسة روز اليوسف أحد عشر شخصاً من بينهم العبدالله ، وبالرغم من اتساع قرار الاعتقال إلى حد اعتقال أشخاص لم يكن لهم أدنى صلة بالحركات المتطرفة ولا بالسياسة أصلا ، إلا أن القائمة خلت من اسم ذلك الشاعر الذى أتحدث عنه ، ليس هذا فقط ، بل إنه بعد حركة الاعتقالات بثلاثة أشهر كاملة سافر الشاعر إلى موسكو ، في الوقت الذى كان مجرد ذكر لفظ موسكو على لسان إنسان كفيلا بنفيه إلى الواحات الخارجة .

والعبدالله هنا يذكر حقائق ويسرد وقائع دون أن أقصد من وراء ذلك الوصول إلى نتائج أو إصدار أحكام . ولكننى فقط أردت أن أكشف عن أوهام كثيرة سادت حياتنا الثقافية والأدبية في فترة من الفترات .

ولقد اختفى الشاعر في موسكو سنوات طوالا . وعندما عاد لم يكف عن توزيع الاتهامات هنا وهناك على كثيرين من الكتاب الشرفاء .. وباعتباره مندوب التقدمية الأوحد . ولذلك دهشت دهشة شديدة عندما مرض الشاعر مرضاً خطيراً وأشرف على الموت أثناء زيارة له إلى إحدى العواصم العربية . وتدخلت السلطات في تلك العاصمة لإيفاد الشاعر إلى موسكو للعلاج . غير أن الحكومة الروسية رفضت دخوله إلى اراضيها ، وبدون إبداء الأسباب ! ولم أربط بالطبع بين رفض الحكومة السوفيتية لعلاجه ، وسفره السابق المفاجىء إلى موسكو وسط حملة عاتية أطاحت بكل الأدباء والمثقفين وألقت بهم إلى المنافى والسجون .

المهم أن الشاعر اختفى فجأة من حياة قهوة عبد الله بسفره إلى موسكو ، وعندما عاد كانت قهوة عبد الله قد اختفت من الوجود .

محمود السعدنى

الرابطة الشرقية
أحبّ العرب وخدمهم


ولسن


هدى شعراوى

عنه وعن تقريره وكونه قد دخل اسمه متلألئاً فى تاريخ قضيتنا ، وارتسمت على وجه هذا الرجل ابتسامات ، ولكن مسحة حزن لم تكن تبارحه ، وظللت فى أثناء الطعام اسأله وأستدرجه الى الحديث من غير اثقال عليه ، فكان يأنس بالحديث ويستجيب بافاضة . ومما علمته منه حزنه الشديد لأن تقريره وزميله الدكتور كينغ لم يعمل به ،

وقال لي فى سياق الحديث عن النهضة العربية : انه كان قد زار استانبول وفتش عن قبر جمال الدين الأفغاني ورأى انه لا يليق بالموقظ الأعظم ، فشيد له ضريحاً لائقاً على نفقته من الرخام ، وقام بهذا نيابة عن جميع العرب والمسلمين ، وقد كلفه ستة آلاف دولار .. ورأيتنى أتأثر كثيراً وأكتم دمعى وهو يحدثنى كيف توفى ولده الأكبر وهو على أهبة السفر فلم يحل هذا دون السفر فور الانتهاء من دفن ولده . وبلغ التأثر مني ومنه مداه البعيد وهو يقول إنه أسرع بالحضور إلى الشرق خشية أن يلاقى منيته قبل وداع أحبائه فى البلاد العربية فهو يحس من الضعف والشيخوخة ما يجعله يعتقد أنه جاء يودع أصدقاءه الوداع الأخير لأنه لن يعود الى زيارة هذا القطر والبلاد العربية بعد الآن .. انه الوداع الأخير ، وقد ود لو يطول عمره ليرى فلسطين مستقلة ، فعدت وأشرت الى منزلته لدى العرب وعرفانهم جميله وقلت له : إننا نعرف مبرتك فى ارسال بعثة فى فتاة عربية وعربيين الى الجامعات الأمريكية للدرس على نفقتك ، ونعلم ما بذلت من جهود فى اليمن لاستخراج المعادن وحسبك ان يذكر اسمك فى تاريخ قضيتنا وفى سيرة جمال الدين الذى تفضلت فاهديت صورته موقعة بخط يده الى المؤتمر الاسلامى العالمى المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٠ » .

ولما نهضنا بعد العشاء وصافحته مودعاً أعرب عن سروره بمحادثتي ، وقد عددت هذا اللقاء يداً لهدى شعراوى علي .

ثالثاً : وفى مقال الدكتور الشناوى ان جمعية الرابطة الشرقية قامت بتوكيل محامين مصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين امام المحاكم الخاصة البريطانية فى فلسطين وكان من أبرز هؤلاء محمد علي علوبة باشا وتوفيق موسى باشا ومكرم عبيد باشا (والاسم الصحيح للمحامي الثاني هو توفيق دوس باشا) .. والأغلب أن الخطأ كان مطبعيا ولم يكن من الكاتب الفاضل .

والواقع ان لجنة دولية مؤلفة من سويدى وسويسرى وهولندى قد وصلت الى فلسطين فى مارس ١٩٣٠ موفدة من عصبة الأمم لدرس موضوع ملكية البراق أو حائط المبكى الذى كان السبب المباشر لثورة فلسطين سنة ١٩٢٩ فجاء من مصر للدفاع عن اسلامية البراق المرحومان محمد علي علوبة باشا وشيخ العروبة أحمد زكي باشا متعاونين مع المحامين الفلسطينيين الذين انتدبهم المجلس الاسلامى الأعلى وفى طليعتهم الأستاذ عوني عبدالهادى ، كما تقدم للشهادة امام اللجنة لمصلحة العرب والمسلمين من أعضاء الرابطة الشيخ الغنيمى التفتازاني ومهدى رفيع مشكي بك اللذان قدما من القاهرة لهذه الغاية .. وقد صدر تقرير اللجنة الدولية بعد ذلك مقراً ملكية المسلمين للحائط (البراق) لكونه جزءاً من الحرم الشريف وكذلك ملكية الرصيف أمامه ..

رابعاً : وفى المقال ان المرحوم فهمى المدرس من فلسطين مع أنه من أعلام العراق « ومن تونس عبدالحميد الثعالبي » واسمه هو عبدالعزيز الثعالبي الزعيم التونسي الكبير .. وورد اسم « بلى كوى » ضاحية فى استانبول ولعله خطأ مطبعى لأن الاسم هو يني كوى .

وللكاتب تحيتى وتقديرى

أكرم زعيتر

الشاعر الأُمِّيُّ

الذي بهر كبار الشعراء



بقلم: عبد الرزاق البصير

من المعروف أن نظم الشعر يحتاج من القائم به الى معرفة بقواعد اللغة العربية وإلى معرفة بقواعد العروض والى إطلاع على ما نظمه الشعراء ، لأن الموهبة وحدها لا تكفى صاحبها . ولكن تراثنا الثقافى العظيم يحتفظ بأمور تفوق أوسع الناس خيالا ، وهذا من بعض مآثر هذا التراث ومفاخره .

ولعل هذا الشاعر البصرى الذى نود أن نتعرف عليه فى هذا الحديث يرسم ما أشرنا إليه من عجائب تراثنا العظيم . فقد قال جميع مؤرخيه إنه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ وهو مع ذلك شاعر رقيق الشعر ينتزع إعجاب كل صاحب ذوق سليم لسهولة مأخذ شعره ، فهو لايكاد يذيع مقطوعاته حتى تسير على ألسنة الناس .

الخباز الشعبي

كان يمتهن مهنة الخبز فى مربد البصرة ، وكان يأخذ مادة خبزه من الأرز لرخص ثمنها مما جعله خبازاً شعبياً يقبل عليه الكثير من عامة الناس ، فكان لا يرى مخبزه إلا مزدحماً بالذين يشترون من خبزه والذين يستمعون إلى شعره ، وكان الناس فى أيامه يطربون للشعر أعظم الطرب ، ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن الذين كتبوا تاريخه ثقاة لايشك فى أخبارهم ، كالقاضى ابن خلكان وأبى منصور الثعالبى وياقوت الحموى والخطيب البغدادى وغيرهم من مؤرخى الأدب .. أجمع هؤلاء الأدباء والمؤرخون الثقاة على ما ذكرناه من أمية شاعرنا أبو القاسم « نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون » ، وقد اشتهر بمهنته التى يمتهنها فكان يدعى بالخبز أرزى ، وأنت حين تقف على أخباره لا تجد منها إلا كل طريف مستملح ، فمن ذلك أن جماعة من أدباء البصرة ، منهم محمد بن لنكك وأبى عبد الله الأكفانى الشاعر وأبى عبد الله المُفَجَّع وأبى الحسن السّماك التقوا فيما بينهم يوم العيد ، وأخذوا يتساقون كؤوس الأحاديث وينشدون الأشعار . قال ابن لنكك وكان من أشد الناس إعجاباً بشاعرنا الخباز حتى بلغ من تقديره له أنه كان يجلس عنده ويكتب ما يسمعه من أشعاره ، فلما اجتمع عنده نخبة من أشعاره ضم بعضها الى بعض وأذاعها بين الناس فكان ديوانه المعروف بين الأدباء والمؤرخين .

قال ابن لنكك لإخوانه الأدباء ، أظنكم توافقوننى على أن أفضل ما نفعله هذا اليوم هو أن نقضيه عند هذا الخباز الذى وهبه الله ما لم يهبه إلا لقليل من الناس فوافقوه على ذلك وذهبوا إليه

وجلسوا عنده وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود حتى اسودت ثيابهم الجدد من كثرة الدخان ، فنهضوا من عنده ساخطين عليه نادمين على جلوسهم حوله ، وقد أحس شاعرنا أبو القاسم أن إخوانه قد سخطوا عليه ، قال لأكبر اصدقائه منهم وهو ابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين ؟ فأجابه : إذا اتسخت ثيابي . وذهبوا جميعاً الى بيت أبي أحمد بن المثنى فلما استقر بهم الجلوس قال ابن لنكك ، إن نصراً لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، فاستدعى بدواة وكتب إليه :

لنصرٍ في فؤادي فرط حُبٍّ
أنيفَ به على كل الصحاب
أتيناه فبخّرنا بخورا
من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً
اراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حُسين
فقلت له إذا اتسخت ثيابي

فلما وصلت الرقعة إلى نصرٍ أملى على من كتب له بظهرها هذه الأبيات :

منحتُ أبا الحسين صميم وُدّي
فداعبني بألفاظٍ عذاب
أتي وثيابه كالشيب بيض
فعُدن كريعان الشباب
وبغضي للمشيب أعدَّ عندي
سواداً لونه لون الخضابِ
ظننتُ جلوسهُ عندي لعُرسٍ
فجُدت له بتمسيك الثياب
وقلت متى أراك أبا حسين
فجاوبني إذا اتسخت ثيابيَ
ولو كان التقزز فيه خيرٌ
لما كُني الوصيُّ أبا تراب

فلما وصلت تلك الأبيات الى أولئك الأدباء أخذوا يقرؤونها ويعيدون قراءتها لما اشتملت عليه من نكات أدبية لا يتنبه إليها إلا من يملك ثروة من الثقافة ، فقد أحال سواد الدخان الى سواد الشباب ، وقلب بياض الثياب النظيفة الى بياض الشيب ، والمعروف أن سواد الشباب عند الناس جميعاً أرجح من بياض الشيب ، وجعل سواد الدخان بمنزلة الخضاب . كما تضمنت تلك الأبيات اشارة الى كناية من كُنى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونعني بها أبا تراب .

ومن أخبار هذا الأديب الموهوب أنه خرج ذات أمسية يتمشى على شاطىء النهر ، يتملى مداعبة الموج الخفيف في شط العرب حينا ، وينظر الى السماء حيناً آخر واذا بعينيه تبصران الهلال يزين السماء فأنشأ يقول :

رأيت الهلالَ ووجه الحبيب
فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما
هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين
وما راعني من سواد الشَّعر
لكنت أظن الهلال الحبيب
وكنت أظن الحبيب القمر

ويبدو أن شاعرنا لم يكن مرتاح النفس لما كان يعانيه من ضيق في حياته الاقتصادية ، فلنسمع إليه وهو يعبر عن ذلك في قوله :

وكان الصديق يزور الصديق
لشرب المُدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق
لبث الهموم وشكوى الزمان



البصرة ومكانتها في تاريخ الأدب العربي

بقي أن نشير الى أن هذا الشاعر العربي الرقيق نشأ في المربد بالبصرة ، وهو موضع يعتبر نادياً أدبياً كبيراً يقصده الناس من كل مكان لأنه من أكبر اسواقها الاقتصادية والأدبية ، فيه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ومنه تفيض شهرة الشاعر والأديب الذي يلقي فيها آثاره وأشعاره ، وكم هو جميل ما تفعله الحكومة العراقية من إقامة مهرجان للأدب والشعر في هذا المكان الأثري ، ثم تجمع ما يلقى فيه في كتاب تنشره على الناس ، وهو أمر يثرى فكرنا الحديث . أما الحديث عن مدينة البصره التي تحتوي على المربد فإنه حديث واسع لا يحتمله هذا المجال ، ويكفي أن نقول بأنها مدرسة عظيمة لها علماؤها وأدباؤها ومفكروها كأبي عثمان الجاحظ والخليل بن أحمد وغيرهما من الأدباء الذين لا يحصون عدداً .. والحق أن جامعة البصرة قد نهجت نهجاً يتلاءم مع تاريخ هذه المدينة العظيمة . إذ أنها اصدرت بحوثاً مستفيضة في تاريخ الخليج ، وما تزال تصدر مجلة تحتوي على بحوث أدبية ثمينة ..

فرحم الله أديبنا المكافح الذي كانت وفاته في سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين على اختلاف في أقوال المؤرخين .

شمعون بيريس

لماذا يسمّيه خصومه باسم الثعلب الماكر وما هي أفكاره ومخاوفه ؟!

• اسرائيل قد تتحول إلى دولة ثنائية القومية اذا تم ضم الضفة الغربية وقطاع غزة

• خلفيات بيريس : نضوب الهجرة إلى اسرائيل ــ الخوف من انشطار طائفي ــ تحول أوربا الغربية إلى تأييد منظمة التحرير الفلسطينية

بقلم : عصام شريح

وجهان لعملة واحدة .. هذان هما شمعون بيريس واسحق شامير ، أو هذان هما حزبا العمل والليكود الصهيونيان ، ولكن .. هذا ليس كل شيء ، ولا نهاية القول ، ولا فصل الخطاب ، فقد تختلف الرؤية ، وتتعارض الاستراتيجيات ، وتفترق التكتيكات أو تتناقض ، وإن كان الهدف الأساسي هو ترسيخ الكيان الصهيوني فى أرض فلسطين العربية ، واغتصاب مزيد من الأرض ، ليصبح الكيان امبراطورية تمتد من الفرات الى النيل !

لذلك كان هذا الحديث عن شمعون بيريس ، رئيس حكومة العدو الصهيوني .. لأن بيريس يمثل فعلياً مدرسة الفكر السياسي الصهيوني البراجماتي والمكيافيلي ، وهو الفكر الأكثر خطورة من فكر المدرسة « التوراتية » التي يجسدها اسحق شامير زعيم حزب الليكود حالياً ، لأن هذه المدرسة أكثر قدرة على اجتياز المصاعب والعقبات التى قد تبرز امام الصهيونية بين مرحلة وأخرى .

طروحات بيريس

يتناول شمعون بيريس فى أفكاره ، المشاكل الآنية التى تعانى منها « اسرائيل » ، أو تلك التى قد تنشأ امامها على المدى البعيد نسبياً . وهذه الأفكار تتسم بالتبسيط والحذلقة السياسية أكثر من اتسامها بالعمق الفكرى .

يشير بيريس ، أولا الى الفوارق بين حزب العمل الذى يرأسه حالياً ، وبين حزب الليكود ، فيقول : « لقد سعى الليكود الى إحلال السيادة على ضفتي الأردن ، ثم سلم بفقدان ضفة واحدة ، وهو يحاول الآن أن يضم كل « يهودا والسامره » ــ الضفة الغربية المحتلة ــ وقطاع غزة ، الى « اسرائيل » ، دون أن يأخذ بعين الاعتبار ، أن هذه المناطق مأهولة بسكان عرب .. اما المعراخ



شمعون بيريس.. يصفه خصومه السياسيون بأنه رجل دولة بائس، يخلو من البريق.. بينما يتهمه آخرون بأنه مجرد ثعلب ماكر

(حزب العمل)، فيؤمن، انه من أجل أن تبقى اسرائيل يهودية وديمقراطية، عليه أن يمتنع عن ضم مليون وثلاثمائة ألف عربى الى «أراضى اسرائيل» ولمنع ذلك فهو على استعداد للتنازل عن مناطق، شرط ألا يمس ذلك بأمن اسرائيل». ويضيف بيريس أنه «على استعداد لتسليم اجزاء من الضفة الغربية المحتلة الى حكم عربى، شرط أن تكون هذه الأجزاء منزوعة السلاح».

وبالنسبة للقدس، يقول بيريس انه «سيكون باستطاعة «اسرائيل»، فعل شيء ما رمزي، للاستجابة الى توقعات العرب»، اما بالنسبة للمستوطنات والاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة، فيشير، الى انه فى حال تسلمه الحكم (وها هو قد تسلم منذ ايلول ــ سبتمبر الماضى)، فسيعمد الى وقف بناء مستوطنات جديدة «فى المناطق المكتظة بالسكان العرب!!»، «ولن نمس المستوطنات القائمة، لأنه ليس هناك سبب يدعو الى عدم وجودها تحت سيادة غير يهودية، فهناك الآن قوى عربية تحت سيادة غير عربية».

ويعترف بيريس، بوجود قضية فلسطينية!! ولكن .. ليدعو الى حلها خارج اطار منظمة التحرير، زاعماً أن حل هذه القضية يمر عبر الأردن فقط، ويقول فى زعمه هذا «إن الأردن يمر فى عملية صيرورة نحو دولة فلسطينية، واذا اشتملت المملكة الأردنية على معظم سكان الضفة الغربية وغزة، فستكون هناك دولة فيها مليونان ومائتا ألف فلسطيني، أى معظم الشعب الفلسطيني، ومعظم سكان الدولة الأردنية الفلسطينية!!»».

اما الطريق الى هذا الحل، كما يراه بيريس، فيمر عبر ثلاث خطوات هى:

١ ــ تطبيق الحكم الذاتي للفلسطينيين ــ كما ورد فى اتفاقية كامب ديفيد ــ فى قطاع غزة فى المرحلة الأولى: «فالوضع فى قطاع غزة، أقل تعقيداً مما هو عليه فى الضفة الغربية، ففي غزة لا توجد مشكلة كمشكلة القدس، ومساحة القطاع أصغر من مساحة الضفة، وليس هناك داع لكي تقدم «اسرائيل» تنازلات إقليمية كبيرة!».

٢ ــ إجراء انتخابات للمجالس البلدية فى «يهودا والسامره» ــ الضفة الغربية المحتلة، وباستطاعة المثلين المنتخبين ان يكونوا فى المستقبل جزءاً من فريق المفاوضات مع اسرائيل فى اطار الوفد الأردني.

٣ ــ دعوة الأردن للمشاركة فى «مفاوضات السلام».

ومع ذلك، فإن بيريس لا يخفى مخاوفه من ان يتطور مشروع الحكم الذاتي الى دولة فلسطينية فى المستقبل، ويقول بهذا الصدد: «إن «اسرائيل» لا تملك ما يكفى من الكوابح للتحكم فى التطورات، لا فى حالة تحقيق مشروع الحكم الذاتى، ولا فى حالة فشله، فإذا تم فعلا انتخاب سلطة الحكم الذاتى، فكيف يمكن كبح الاعتراف الدولى بسلطة الحكم الذاتى، بصفتها حكومة ذات سيادة لدولة فلسطينية؟؟ وإذا فشل المشروع، فإن كل أصابع الاتهام ستوجه نحو «اسرائيل» التى بادرت الى طرح مشروع الحكم الذاتي».

ومن هذا المنطلق، يدعو بيريس الى إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن مائدة المفاوضات، «إذ أن المنظمة تسعى لتحطيم هذه المائدة، وليس الجلوس حولها .. وسياستها هى تجنب القرارات السياسية، لأن هدفها هو المحافظة على وحدتها، حيث لا يمكنها الاتحاد حول سياسة واضحة .. اما الاعتدال فى مواقف المنظمة، فيقصد منه فى الحقيقة، كسب الوقت، وتجنب اتخاذ القرارات، فى حين أن المطلوب من المنظمة ليس الاعتدال، وانما اتخاذ قرارات، وهى غير مستعدة لذلك».

ويشدد بيريس على أهمية ان تظل «اسرائيل» حازمة فى موضوع منظمة التحرير الفلسطينية «التى تحاول خداع العالم بقصصها الخيالية عن الاعتدال»، لماذا؟؟ .. «لأن تراجع «اسرائيل» امام المنظمة، سوف يؤدى الى تراجع أمريكي أكبر، الأمر الذى سيضع فى يد الأردن مبرراً لرفضه الانضمام الى المفاوضات!».

مفهوم بيريس للسلام!

اما عن مفهوم بيريس «للسلام»، فهو مفهوم سياسي عسكرى، «ومعناه السياسي، انه يضع نهاية للحرب.. اما معناه العسكرى، فهو الانتصار فى الحروب، إن لم يكن هناك بديل عنها!!». ويضيف بيريس ان مفهوم «أمن اسرائيل»، سيقف على ساق واحدة، هى الساق العسكرية، إذا تم فصله عن المجهود السياسي»، اى أن بيريس يشدد على أهمية السياسة والعمل السياسي المستند الى فن المناورة والخداع، فى تحقيق الأهداف الصهيونية، للانتقال من مرحلة الى أخرى فى مخطط التوسع والاحتلال العسكرى. كما أنه لا يخفى تشاؤمه من امكانية تحول «اسرائيل» الى «دولة ثنائية القومية»، إذا تم ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين الى الكيان الصهيوني، ولذلك فهو يقول: «إن سياسة سد الطريق امام المفاوضات، لا تغلق درب السلام فحسب، ولكنها تدمر الفكرة الصهيونية، إذ أن ضم مليون وثلاثمائة ألف عربى (عرب الضفة والقطاع أكثر من مليون ونصف مليون مواطن)،

سيجعل من « اسرائيل » دولة ثنائية القومية ، حيث ستتنافس القومية العربية مع « القومية اليهودية ، فيصبح العرب هم الأكثرية دون منازع .. والأكثر من ذلك ، أننا لو قررنا اعطاء سكان المناطق المحتلة ، الحقوق السياسية ، فمن الممكن ، أن نفقد أكثريتنا البرلمانية ، حتى قبل أن يتمكن العرب من أن يصبحوا أغلبية السكان ، كما أن امتناعنا عن اعطائهم هذه الحقوق ، سيجعلنا في موقف مثل موقف جنوب أفريقيا ، في نظر أنفسنا ، ونظر يهود العالم ، ونظر العالم بأسره » .

برنامج «المعراخ» الانتخابي

وآراء شمعون بيريس ، بمجملها لا يمكن فصلها عن الآراء التي تصدر عن حزب العمل الذي يترأسه حالياً ، بل ان هذه الآراء هي صدى لآراء بيريس في الواقع ، ولالقاء مزيد من الأضواء على أفكار شمعون بيريس ، لابد من العودة الى طروحات حزب العمل ، كما وردت في برنامجه الانتجابي (الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة جرت في ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٨٤) ، ومن أهم الفقرات التي وردت في ذلك البرنامج ما يلي :

فيما يتعلق بالموضوع السياسي ، ورد في مقدمة البرنامج ، ان الأمن هو مقياس أي تسوية سياسية مع الأردن والفلسطينيين ، « وعلى « الحدود » الشرقية ، يستدعى الأمن سيطرة الجيش الاسرائيلي على نهر الأردن ، وعدم السماح لجيش « أجنبي » أي عربي ـ باجتيازه غرباً » .

وتحدد مقدمة برنامج حزب العمل « المعراخ » ، ثلاث « لاءات » وثلاث « نعمات » لحكومة المعراخ ، (لم يتمكن حزب العمل من الفوز بأكثرية مقاعد الكنيست ، فلجأ الى تشكيل حكومة ائتلافية مع حزب الليكود وغيره) ، وهذه « اللاءات » و « النعمات »هي : لا للعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ـ نعم لحدود قابلة للدفاع عنها ، لا لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ نعم لمفاوضات مع الأردن والفلسطينيين (وفد مشترك يضم فلسطينيين من الأراضي المحتلة فقط) ، لا لضم « المناطق » المحتلة بسكانها ـ نعم للمحافظة على الطابع اليهودي والديمقراطي « لدولة اسرائيل » . وفيما يتعلق بحل القضية الفلسطينية « في المناطق المحتلة ـ حسب تعبير برنامج المعراخ » ، بمختلف جوانبها ، ينبغي ، ويمكن أن تجد لها حلا في اطار « أردني ـ فلسطيني » ، « وستمتد هذه الدولة على مجالات الأراضي التابعة للأردن ، التي تسكنها أكثرية فلسطينية ، وعلى مناطق مزدحمة السكان في « يهودا والسامرة » وغزة ، التي ستخليها قوات الجيش الاسرائيلي ، مع إحلال السلام !! » .

ومع ذلك فإن البرنامج يؤكد على معارضة انشاء دولة فلسطينية بين « اسرائيل والأردن » . وهاجم برنامج المعراخ ، منهج حزب الليكود ، القائم على الشعار السياسي « ولاشبر » ، وقال إن سياسة « لن نعيد شبراً واحداً من المناطق المحتلة » ، تحبط كل امكانية « للسلام » في المستقبل ، ومن شأنها تحويل « اسرائيل » الى كيان ثنائي القومية ، بيد أن برنامج المعراخ كان واضحاً في اعتماد سياسة المناورة بدلاً من سياسة التصلب ، حيث قال : إن « اسرائيل » ، ستكون مستعدة للتباحث مع الأردن وممثلين فلسطينيين من « يهودا والسامرة » وغزة ، بشأن ترتيب لفترة انتقالية على الطريق ، للوصول الى « اتفاق سلام » ، يقوم على بلورة أسس وشروط للفترة الانتقالية ، في مفاوضات تستند الى « اتفاقية كامب ديفيد » ، أو مشروع آخر يتم الاتفاق عليه بين الطرفين .

وفي موضوع الاستيطان ، ورد في البرنامج أن « حكومة المعراخ » ، ستستأنف المجهود الاستيطاني في غور الأردن ، غوش عتسيون ، ضواحي القدس ، جنوب قطاع غزة وهضبة الجولان ، كما ورد فيه ان حكومة بقيادة المعراخ ، لن تنشيء مستوطنات في الأراضي المحتلة ، التي لا يزمع ان تكون تحت « السيادة الإسرائيلية » ، ولن تنشيء مستوطنات يهودية في المناطق المأهولة بالعرب ، بيد أنها ستصر على ضمان عدم ازالة مستوطنات يهودية ، في أية « تسوية سيادة » يتم الاتفاق عليها مع الأردن ، « وباستطاعة هذه المستوطنات ان تبقى في مكانها ، على أن تضمن سلامتها وأمنها ! » واما بالنسبة للمدينة المقدسة ، فإن برنامج المعراخ ، كان صريحاً في التمسك باحتلال المدينة ، فقد ورد فيه « أن القدس الموحدة هي عاصمة اسرائيل ، وانها مقر رئيس « الدولة » والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .. وسوف تمنح الأماكن المقدسة للاسلام والمسيحية في القدس ، مكانة خاصة ، وسوف تدار بصورة مستقلة !! » .

حذار سياسة الثعلب

إن سياسة المناورة ، واعتماد التكتيكات المخادعة ، واضحة في أفكار بيريس ، وإن كانت « البراجماتية » غير مستبعدة تماماً من هذه الأفكـــار ، لأنه عندما تنكشف سياسة المناورة ، ولا يعود التكتيك قادراً على امتصاص الأزمات ، أو تجاهلها ، فإن « البراجماتية » هي المنهج الوحيد الذي يبقى سيد الموقف .

وإذا كان لابد لنا من هذا التقديم ، لفهم ما يدور في فكر شمعون بيريس ، بل وجميع أقطاب حزب العمل ، فإنه يتوجب علينا أن نتلمس الخلفيات التي قادت بيريس وغيره من الصهاينة ، للخروج علينا بأفكار تبدو براقة ومفاجئة في مظهرها ، ولا تخلو من العنصر « البراجماتي » أحياناً .

ففي كتابه « قوة الانتصار » يقول بيريس : « إن الفرق كبير وشاسع بين الحلم والواقع ، ومثل جميع الأحلام ، فإن الحلم الصهيوني كان مزيجاً من السذاجة والبراءة ، فلم يكن هذا الحلم قد أخذ بعين الاعتبار بغض العرب وتهديداتهم .. وكان الصهيونيون يعتقدون « باخلاص » ، أن العرب سيستقبلون فكرة اقامة « دولة يهودية » « بروح أخوية » !! .. وكانوا يرون أن الصهيونية ستكون محركاً للتطور الاقتصادي العربي !!! .. ولقد ولد الحلم الصهيوني في نفوس يهودية ، لها رؤية محدودة عن طريقة عيش وحاجات سائر يهود العالم » .

ويضيف بيريس « إنه بعد ثلاثين سنة ـ الآن بعد سبعة وثلاثين سنة ـ من قيام « اسرائيل ، تغير المجتمع والاقتصاد والدولة ـ فقد نجحت « اسرائيل » في حقل الزراعة والحقل العسكري ، لكنها تجد نفسها اليوم أمام صعوبات جدية ، إنها تعاني من آفتين : آفة التضخم النقدي ، وآفة الانتاج الذي لما يزل دون مستوى حاجاتها ، حيث تنفق « اسرائيل » كل عام أربعة مليارات من الدولارات ، وهي انفاق يفوق قيمة انتاجها ، اضافة الى أن ميزانيتها العسكرية تبلغ ثلث الميزانية العامة ، كما أن مقتضيات « الدفاع » وحدها ،

تمتص ثلاثين بالمائة من مجموع قوتها العاملة ».

يضيف بيريس الى ذلك الانقسامات والنزاعات الحادة بين الإسرائيليين أنفسهم ، فيقول « إن الانقسامات تأخذ شكلا ناتئاً أو بارزاً في « اسرائيل » ، بسبب انتماء الاسرائيليين الى فئات متباينة ، ففيها الغني والفقير ، واليهودى الأفريقي واليهودى الأوروبى وفيها اليهودية المتعصبة أو المتشددة ، واليهودية المتحررة ، ولا تنس الخلافات السياسية العرقية ، ففي « اسرائيل » يهود من الشرق والغرب ، ولكل فريق خصائصه الذاتية ، الناشئة عن الأرض التى جاء منها ، ولليهود المتدينين رأى فى شكل « الدولة » ومؤسساتها ، يختلف عن رأى اليهود العصريين ، اضافة الى الفروق الكبيرة فى العقلية « والتطور الاجتماعى » بين ثلاثة ملايين ومائتي ألف يهودى ، وستمائة وخمسة وعشرين ألف عربى ».

وبالنسبة لتظاهر شمعون بيريس بالزهد في الحرب ، فاننا نلمس خلفية هذا الموقف في حديث ادلى به في عام ١٩٨٣ لصحفية « الجيروز اليم بوست » الاسرائيلية ، حيث قال : « ان الحروب في المستقبل قد تكون مختلفة بشكل كلي عن الحروب الحالية ، سواء بالنسبة للعرب ، او بالنسبة لنا (للاسرائيليين) ، وانا لا أقلل من اهمية وقيمة الاستعداد للحرب ، لكن يجب ألا نتجاهل حقيقة ، أنه إن لم تتغير حالة الحرب ، ووضع الاراضى المحتلة ، فان التكنولوجيا سوف تتغير ، والتحالفات مع القوى الخارجية يمكن ان تتغير كذلك .. إذ ليس من الصعب ادراك امكانية استخدام الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى ، في المواجهة القادمة ، وهذه الصواريخ مزودة بأجهزة الكترونية ، تمكنها من العمل ليل نهار ، ولا توقفها الجبال ولا الأنهار ولا تعوقها المسافات ... وعلى الذين يفضلون استراتيجية البدائل ، أن يستعدوا لما يحمله المستقبل في طياته ، وألا يفكروا بالمصطلحات الاقليمية فحسب ، بل وبالمصطلحات التكنولوجية .. وليس هناك اخطر من مشكلة استراتيجيي السنة الماضية (اشارة الى مناحم بيجن والليكود وغزوهم للبنان) ، الذين اعتبروا الحرب بديلاً عن السياسة ، فالواجب يقتضي عدم شن الحرب ، إلا اذا لم يكن هناك مفر من ذلك ».

وبالنسبة للاستطيان فى الأراضي العربية المحتلة ، « وتحفظات » شمعون بيريس على سياسة « الليكود » بهذا الشأن ، فإننا نجد خلفية هذا الموقف واضحة ، فى قول بيريس : « فنحن عندما نستوطن فى « جبل جرزيم » — فى الضفة الغربية المحتلة — فإننا لا نضيف ألف يهودى الى « اسرائيل » ، وإنما نثير ضدنا عدداً كبيراً من العرب ، فنخلق بذلك مشكلة أمنية متفاقمة ، تقع بثقلها على كاهل « الدولة » ، وبينما يمكننا صناعة العجة من البيض ، فإنه لا يمكننا صناعة البيض من العجة » ، « إن الشيء المهم لدى الليكود هو « أرض اسرائيل » ، ولكن المهم لدى المعراخ هو استمرار وجود « دولة يهودية فى « أرض اسرائيل » !! لكن أهم مسألتين فى الخلفيات التى تحكم أفكار شمعون بيريس الحالية ، هما فى

من أجل ٣ مليون يهودى فى روسيا ترفض اسرائيل الدخول فى أحلاف صريحة ضد السوفيت

لماذا يقول اسحق رابين عن بيريس : إنه مناور وكذوب ؟ !

اعتقادى ، مسألة نضوب الهجرة اليهودية من الخارج ، ثم مسألة تقلص الدعم الأوروبى للكيان الصهيوني ، واهتمام أوروبا الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية والتحاور معها .

وفى هذا الاطار ، نرى بيريس يقول : « إن مبادرات السلام الاسرائيلية ، يجب أن تعكس أيضاً المقاييس الحقيقية لأمن « اسرائيل » ، وفى رأيي — رأى بيريس — تشكل الهجرة اليهودية المقياس الأول ، لأنه لا مجال لتحسين أمن « اسرائيل » دون استمرار الهجرة إليها ، مثلما انه لا أمن « للشعب اليهودى » دون « دولة » اسرائيلية قوية .. ان ربع « شعبنا » يعيش في الاتحاد السوفييتي ، وقد تسجل أربعمائة ألف منهم للهجرة الى « اسرائيل » ، وان مصلحتنا العليا ، هى فى إبقاء أبواب الاتحاد السوفييتي مفتوحة امام الهجرة .. ومن الواضح انه عندما نناقش العلاقات السوفييتية — الأمريكية ، فمن مصلحتنا تجنيد الولايات المتحدة الى جانب انقاذ اليهود السوفييت و« تحرير أسرى صهيون » ، قبل أن تتجند « اسرائيل » الى جانب الولايات المتحدة فى صراعها العالمى مع الاتحاد السوفييتي .. وينبغي القول إن الأمريكيين قد تفهموا الأولويات الاسرائيلية ، وساعدوا فى ذلك .. وإن خروج مئات الألوف من اليهود من الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٦٧ ، ما كان ليحصل لولا استعداد الولايات المتحدة لمساعدتنا ، كذلك امتنعت الولايات المتحدة — لأسبابها الخاصة — عن مطالباتها بالانضمام الى حلف « معاد » للسوفييت !!! » .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن تركيز بيريس على وجوب استمرار هجرة اليهود السوفييت ، يعود فى بعض نواحيه ، الى المخاوف المتصاعدة لدى اليهود الغربيين (الاشكناز) ، من سيطرة اليهود الشرقيين (السفارديم) — ومعظمهم من يهود البلاد العربية — على مقدرات السلطة والحكم فى الكيان الصهيوني ، الأمر الذى يهدد بانشقاق « اسرائيل » الى كيانين طائفيين عرقيين .

اما بالنسبة لتقلص الدعم الأوروبى « لاسرائيل » ، فيقول بيريس بهذا الصدد : « اذا كانت مصلحة « اسرائيل » فى أوروبا الغربية ، قد تركزت خلال الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٧ على المجال التسليحي ، فإنها منذ « حرب الأيام

شمعون بيريس

الستة » فصاعداً ، اخذت بالتركيز على المجال الاقتصادى ـ السوق الأوروبية المشتركة .. إن مصير الزراعة الاسرائيلية مرهون بحصولنا على شروط تفضيلية ، أو على الأقل مساوية « لشروط » المنتجين الزراعيين فى أوروبا ، وذلك من أجل تسويق انتاجنا الزراعى .. كذلك فإن صناعتنا مرهونة الى حد كبير بعلاقتنا مع السوق الأوروبية المشتركة » .

ثم يضيف بيريس وبمرارة ظاهرة : « ..وها هى أوروبا عموماً ، تتحول أكثر فأكثر ، من تأييد اسرائيل ، الى تأييد منظمة التحرير الفلسطينية ! ويشكل هذا التأييد الأوروبى المتزايد للمنظمه ، ضغطاً على الموقف الأمريكى » . ثم يطرح شمعون بيريس السؤال التالي : « هل يمكن منع هذا التصور ؟ » ويجيب : « لست متأكداً من امكانية اعادة أوروبا الى المواقف التى تميزت بها فور انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ولكنني مقتنع بإمكانية تحريكها الى نقطة تكون فيها مريحة أكثر لاسرائيل ، وأقل تمسكاً بمنظمة التحرير الفلسطينية مما هى عليه حالياً » .

ثم يقول : « لا أرى مبرراً لرفض الدور الأوروبى رفضاً قاطعاً ، فى الوقت الذى نقرع فيه أبوابها الاقتصادية والسياسية .. وفى الواقع ينبغى أن نقترح على الأوروبيين اقامة مشاريع مشتركة ، سواء فى « اسرائيل » ، أو فى المنطقة (منطقة الشرق الأوسط) ، أو فى العالم الثالث ، وتجنيد الجهد الأوروبى الى الجانب البناء الكامن فى المستقبل ، وذلك بالطبع ، دون التوقف عن النضال ضد اقتراب مواقف أوروبا الغربية من مواقف منظمة التحرير الفلسطينية » .

وفى نطاق محاولتنا لتحديد الخلفيات التى تتحكم بأفكار شمعون بيريس الحالية ، فإننا نشير الى أن طرح ما يصفه « بالحل الأردني » للقضية الفلسطينية ، قد بات مناورة مكشوفة ، هدفها اثارة الخلافات بين العرب ، وخاصة بين الأردن والفلسطينيين ، علماً بأن الأردن أعلن أكثر من مرة ، انه لن يكون بديلا فى أى حال من الأحوال ، عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويرمي بيريس كذلك من طرحه للخيار الأردني ، ان تكون ردود الفعل العربية عليه ، بما فيها رد الفعل الأردنى ، سبباً كافياً للتنصل من أى تسوية ، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، واظهار « اسرائيل » فى مظهر الحمل الوديع الساعي الى السلام ، ولكن لا مجيب .

ويبقى ان نشير أخيراً الى أن موهبة شمعون بيريس وقوته الأسياسية ، كما تقول صحيفة « هآرتس » (٣٠ ــ ٩ ــ ١٩٨٤) انما تكمن فى براعته فى التعامل مع الآخرين ، وحرصه الشديد على مراعاة كرامة الأشخاص الذين يتعامل معهم ، ثم فى طول أناته الذى لا حدود له ــ على حد تعبير الصحيفة الاسرائيلية ــ بينما يصفه خصومه السياسيون بأنه رجل دولة بائس ، يخلو من البريق . فيما يتهمه آخرون بأنه مجرد ثعلب ماكر . وقد رد بيريس على هذا الاتهام الأخير بقوله : « انني سئمت من اتهامي باننى ثعلب » ، كما أن اسحق رابين ، يصفه فى مذكراته ، بأنه كذوب ومناور . وعلى أية حال .. فإن جميع أفكار شمعون بيريس ، تبقى فى اطار المناورة والتكتيك ، وفى أحسن حالاتها فى الإطار البراجماتي ، مادامت هذه الأفكار تنصب على تجاهل الشعب الفلسطيني وحقوقه فى وطنه ، ومادامت ترفض اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

عصام شريح

* مـــن هـــو؟ *

ولد شمعون بيريس فى روسيا فى عام ١٩٢٣ ، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٣٤ ، وتلقى تعليمه فى تل أبيب ، ثم أوفده حزب الماباي الذى كان عضواً فيه ، الى مدينة بال بسويسرا فى عام ١٩٤٦ ، ليمثله فى المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ، وانضم بيريس الى عصابة الهاغاناه فى تلك الفترة ، وفى عام ١٩٥٠ ، ترأس بعثة ارسلتها وزارة الحرب الصهيونية ، الى واشنطن ، حيث تابع دراسته فى جامعة هارفرد ، كما تولى فى الفترة من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٩ ، منصب المدير العام لوزارة الحرب ، حيث وجه جهوده ، لتدعيم الصناعة الحربية ، وفى عام ١٩٥٩ ، عمل نائباً لوزير الحرب ، وبقي فى هذا المنصب حتى عام ١٩٦٥ ، وفى عام ١٩٥٩ أيضاً ، انتخب للمرة الأولى عضواً فى الكنيست الصهيوني ، ومايزال نائباً فيه حتى اليوم . وفى عام ١٩٦٥ ، انفصل بيريس عن حزب الماباي ، لينضم الى بن غوريون وموشى دايان فى تشكيل حزب « رافي » ، لكن هذا الحزب لم يعمر طويلا ، فما لبث بيريس أن عاد ثانية الى صفوف حزب الماباي الذى أصبح اسمه حزب العمل . وفى عام ١٩٦٩ ، تولى بيريس منصب وزير دولة اضافة الى توليه مسؤولية إدارة الشؤون الاقتصادية فى الأراضي العربية المحتلة ، وفى عام ١٩٧٠ تولى منصب وزير النقل والمواصلات ، وعقب حرب عام ١٩٧٣ ، حاول بيريس الوصول الى السلطة ، فقام بترشيح نفسه للحصول على تزكية حزب العمل له كرئيس للوزراء ، إلا انه خسر امام اسحق رابين بفارق ضئيل ، ودخل الحكومة الجديدة برئاسة رابين وزيراً للحرب ، وحاول أن ينافس رابين فى روحه العدوانية ضد العرب ، فوجه سلسلة من الأعمال والهجمات العدوانية ضد المخيمات الفلسطينية فى لبنان . ومنذ انهيار حكومة حزب العمل فى أواسط عام ١٩٧٧ ، وصعود حزب الليكود الى الحكم ، بقي شمعون بيريس ، يسعى بشكل مثابر ، للوصول الى قمة السلطة فى الكيان الصهيوني ، الى أن واتته الفرصة فى ١٣ــ٩ــ١٩٨٤ ، حيث أصبح رئيساً للحكومة بالتناوب مع منافسه السياسي اسحق شامير ــ زعيم حزب الليكود ــ وذلك بسبب إخفاق حزب العمل ، أو حزب الليكود ، فى الحصول على أكثرية فى الكنيست فى انتخابات تموز (يوليو) الماضى ، تمكن أياً منهما من تشكيل حكومة بمفرده .

الطب الشعبي يعود من جديد

التداوي بالأعشاب حقيقة.. أم خيال؟

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

انتقل العالم الغربى اليوم الى رحلة ما بعد التصنيع . وبدأت هناك دعوة الى « العودة الى الطبيعة فى مجالات كثيرة ، حتى أن حزباً تألف فى المانيا أخيراً كل برنامجه هو اعادة الخضرة . ومن أوجه العودة الى الطبيعة أيضاً العودة الى الطب الشعبى أو الطب التقليدى .

وقد لاحظت هيئة الصحة العالمية هذا التطور منذ عام ١٩٧٧ ، فأصدرت قراراً ـ حثت فيه الحكومات على إعطاء قدر كاف من الأهمية للطب التقليدى أو الشعبى . وبعد اصدارها لهذا القرار باشرت جهداً للترويج للطب التقليدى على الصعيد العالمى . وعقدت عدة مؤتمرات لهذا الغرض ، وأصدرت عدداً خاصاً من مجلتها عن هذا الموضوع ، وقدمت فيلماً ١٦ مللى مدته ٢٧ دقيقة تبيعه فى مقرها بجنيف وفى اليونيسيف بنيويورك وعنوانه « التداوى بالأعشاب حقيقة أم خيال » . وعقد فى أواخر عام ١٩٨٤ مؤتمر للجنة الخبراء بالصحة العالمية عن « دور الطب الشعبى فى الرعاية الصحية الأولية » .

وتقول نشرة الصحة العالمية « إنه من خلال العمل وإثبات الوجود فقط تستطيع منظمة الصحة العالمية أن تبقى فى خضم الأحداث وفى خضم التطور المثير الذى يمثل إحياء الطب الماضى ويساعد على جعل طب الحاضر أكثر انسانية !

والواقع أن الطب الشعبى كان هو الطب المتداول بين البشر طوال آلاف السنوات ولم يظهر الطب العصرى الا فى القرن الأخير فقط . وقد تطورت صناعة الدواء الحديث بحيث أصبحت هى الصناعة الثانية والتجارة الثانية بعد صناعة وبيع السلاح الحربى فى العالم كله . وسيطرت شركات تصنيع الأدوية على جانب كبير جداً من اقتصاد الدول المتقدمة . وكانت أيضاً عبئاً شديداً جداً على الدول النامية أو ذات الاقتصاد المحدود . وأحست بعض هذه الدول الأخيرة بأنها تصدر أعشابها وخلاصات نباتاتها الى هذه المصانع لتستوردها من جديد بأضعاف أضعاف ثمنها ، حتى أن بعض هذه البلاد ـ كمدغشقر مثلا ـ سنت قانوناً بعدم استيراد أدوية من الخارج إلا فى حدود لا تزيد عن دولار واحد عن كل مواطن لديها فى العام الواحد !

على أن الطب الشعبى أو التقليدى لا يشمل العلاج بالأعشاب فقط ولكنه يشمل عمل القابلة أو المولدة الشعبية وعمل المجبر الذى يجبر العظام المكسورة والمفاصل المردودة وعمل الممارس الشعبى للأمراض العقلية والنفسية .

ولعل أهم ميزة يتميز بها الطب الشعبى على الطب العصرى الى جانب رخصه المتناهى وقلة تكلفته ، هو أنه ينظر الى الانسان من نواح أخرى روحية ونفسية واخلاقية واجتماعية الى جانب الناحية العضوية ، وينظر اليها جميعاً ككل متكامل وبطريقة انسانية خالية من الجشع المادى فى مظاهره المختلفة وأعبائه الباهظة ونتائجه المدمرة . ثم أنه يمارس فى أكثر مناطق العالم بعداً عن الحضارة والمدنية على ايدى جنود مجهولين . فإن الداية أو القابلة فى أعماق الريف الأفريقى أو الآسيوى تقوم بمهمة إنسانية قديمة يقوم بها اليوم طبيب الولادة فى مستشفى العاصمة الأفريقية أو الآسيوية أو الأوربية بثمن مادى باهظ جداً . إن كل أربعة من خمسة مواليد فى أفريقيا ولدوا على يد الداية أو القابلة ، ولولا هؤلاء الدايات اللائى يثق بهن أهل القرى تمام الثقة واللائى يراعين كل التقاليد والمفاهيم والعلاقات الانسانية والمحلية والأسرية لكانت الانسانية الآن معذبة غاية العذاب فى معظم قارات العالم !

ولا يظن أحد أن الطب الشعبى انما هو طب محصور فى أوساط فقيرة أو مناطق مهجورة من العالم . ففى أمريكا حالياً ٢٥٪ من الأدوية المصنعة الغالية الثمن هى أدوية من خلاصات أعشاب . وفى جامعة الينوى بشيكاغو بأمريكا استعداد لعصر ما بعد التصنيع وعصر العودة الى الطب الشعبى

وطب العلاج بالأعشاب . لقد اقامت هذه الجامعة « محطة » تنمو فيها الأعشاب الطبية فى ظروف متحكم فيها . وفى هذه المحطة يتم تشخيص العقاقير ثم بستلتها .

ويجب الا يغيب على الذهن أنه حتى فى أعظم المجتمعات غنى وتطوراً قد يلجأ بعض الناس إلى الاستشارة أو الاستعانة بالرأى فى حالة المرض من مساعدي الطبيب أو حتى العرافين أو المجلات الطبية الشعبية !

ولا عجب إذن أن تلجأ الصحة العالمية (W.H.O.) الى انشاء وحدة بحوث طبية حيوية معنية بشئون الطب الشعبى فى « مكسيكو » العاصمة لتقوم باجراء أبحاث دوائية وكيميائية ونباتية على نباتات معروفة لدى الحضارة الأزتيكية والمايانية وحضارات أخرى فى أمريكا الوسطى والجنوبية . وهذه الوحدة ـ من ضمن عدة وحدات تنوى مؤسسة الصحة العالمية نشرها ـ تستخدم أحدث طرق التحليل الكيميائى مثل الاستشراب (كرموتوجرافيا) السائل والغازى والرنين المغنطيسي والنظائر المشعة لفصل المواد ذات الفعالية فى الأعشاب العلاجية وتحديدها . ثم يتم تخزين هذه النتائج فى بنك للبيانات يعمل بالكمبيوتر ويمكن الحصول منه على الأسماء النباتية العلمية والأسماء الشعبية وطرق الاستعمال والأمراض التى يعالجها كل منها .

ويقول الدكتور « باترمان » كبير خبراء الصحة العالمية « ان الممارسين للطب الشعبى يعرفون الحياة بأنها وحدة تشمل الجسم والحواس والعقل والروح . ويصفون الصحة السليمة بأنها اكتمال الرفاهية الجسمانية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والروحية . وان التأكيد على الجوانب الأخلاقية والروحية هو الذى يعطى للحياة أبعاداً جديدة لنظام الرعاية الصحية . وهذا هو ماينقصنا الآن ونريد تحقيقه فى المستقبل » !

التداوى بالأعشاب

وفى أعظم المجتمعات تطوراً وغنى واعتماداً على أدوية أكبر الشركات الصناعية ، لازالت الأعشاب هى مصدر أهم منتجات هذه المصانع . فمادة الديجوتوكسين التى تعالج القلب استخرجت من زهر نبات الكشاتبين عام ١٨٦٩ ، وبعد ٦١ عاماً تم استخلاص مادة الديجوكسين عام ١٩٣٠ (أقراص لانوكسين !) .

وأما مادة المرادلفيا التى تعالج ضغط الدم والأرق وبعض الاضطرابات العقلية فقد استخرجت من

• صناعة الدواء أصبحت اكبر صناعة عالمية بعد صناعة السلاح

• فى مدغشقر : ممنوع استيراد الأدوية إلا فى حدود دولار واحد للمواطن الواحد فى العام الواحد

النبات الهندى المعروف باسم الرادلة الثعبانية . ثم استخلص منه مادة الرزربين . وهى مادة مخفضة للضغط ومهدئة للأعصاب .

ومن نبات مدغشقرى اسمه العناقية الوردية استخلصت مادة اسمها « فنكرستين » وهى أفضل علاج معروف حتى الآن لسرطان الدم عند الأطفال وهو ابشع أنواع سرطان الدم !

أما نبات اللحلاح الخريفى فهو مصدر مادة الكولشيش وهى أقوى علاج للنقرس . وهى أيضاً المادة التى استطاعت أن تضيء للباحثين تركيب الكرموسومات والصبغيات داخل نواة الخلية الحية .

وأما نبات « ست الحسن » أو الخشفاش (بلادونا) فهو يستخدم فى استخراج مادة الأتروبين لتوسيع حدقة العين ، وقد سمي النبات باسم ست الحسن لاستخدامه فى مواد التجميل حيث يحمر الخدود ويوسع حدقة العين ويمنع خروج العرق .

وهناك نبات الأفدرا المعروف فى جميع أنحاء العالم وهو الذى يعطى مادة الأفدرين المعروفة بتوسيع الشعب الهوائية والتى يعالج بها الربو الشعبى ، وكان أول استخدامه فى الصين .

ويعتبر البابونج من المسهلات الممتازة للامعاء علاوة على تخفيفه لحدة الالتهابات وتحقيقه توازناً هرمونياً عجيباً فى الجسم .

وأما الخلة فقد استحدثت فى مصر لتوسيع الحالب واسقاط الحصوات الحالبية والكلوية وكذلك استخدمت فى علاج الأمراض الجلدية كالبهاق !

وهناك نباتات أخرى معروفة محلياً لدى مجتمعات تسكن حولها وتسبب هذه النباتات تحكماً فى الطمث وتحكماً فى النسل .

وهناك العرقسوس وفيه مادة انتى كورتزينية تعالج قرحة المعدة بطريقة سليمة ورخيصة جدا .

وهناك الحلبة مخلوطة بالشيح كأحسن علاج للقولون العصبى . وهناك «حلف بر» السودانى كعلاج للحصو البولى . وهناك خشب الصندل ويتميز زيته بأنه أحسن مطهر ومسكن لآلام المجارى البولية .

ويوجد نحو خمسة آلاف نبات طبى لم تستخدم منها فى العلاج الا بضع مئات فقط . ولكن الآن بعد توفر وسائل التكنولوجيا الحديثة كالتحليل الكروتوجراف (الاستشراب) والقياس الطيفى والرنين المغناطيسى والنووى أصبح ممكناً تحديد نوع المواد الكيميائية وكمياتها فى كل تلك النباتات الطبية !

وهكذا فإن أشكال الطب الشعبي مثل فصليات الجذور المسهلة ومنقوعات الأوراق والزهور المخفضة للحرارة واللنجات الزيتية المصنوعة من أعشاب مسكنة أو منبهة والخلاصات الخام المنظمة للطمث والنباتات المخفضة لسكر الدم والتى يمكن أن تؤخذ بالفم وفى الطعام وتسيطر على داء السكر تماماً ، والكمادات ومستحضرات التدليك المحتوية على مضادات للنزلة الوافدة (انفلونزا) كل ذلك وغيره سوف يصبح من علوم القرن القادم .

واضافة الى المضادات الحيوية والهرمونات سوف يكون علاج ابنائنا وأحفادنا بطريقة أفضل مما حظينا به . وسوف يمكن لدول العالم الثالث بالمستوى التكنولوجى الذى وصلت إليه تصنيع تلك الأدوية من نباتات تنمو فى أحراشها وغاباتها وصحاريها ، وبيعها بأرخص الأسعار مقارنة بشراء الدواء الأوربى . وأهم من ذلك كله سوف تتلاشى تماماً الفجوة بين الطب الشعبى والطب العصرى .

موقف الدول من الطب الشعبى

وإذا نظرنا الى اهتمامات بعض الدول بالطب الشعبى لوجدنا أن الصين تمارس حتى اليوم العلاج بالابر الصينية وتعتبرها نوعا من الطب الشعبى الخاص بها . كما أنها تعالج بعض الأمراض بالأعشاب دون الخلاصات !

وفى فيتنام ٨٠٪ من العلاج يتم بواسطة الطب الشعبى !

أما فى باكستان فيوجد ٣٦ ألف ممارس

يعالجون بالطب الشعبى ، منهم ٢٠٠٠ سيدة ، وهؤلاء الأطباء الشعبيون تخرجوا فعلا من كليات طب عددها تسع كليات تسمى بكليات الطب الشرقى . وأنشأت الحكومة مجلساً قومياً للطب الشعبى مشابهاً للمجلس القومى للطب العصرى . يقوم هذا المجلس بوضع المعايير وعقد الامتحانات وتحديد المناهج الدراسية (فترتها ٤ سنوات) وهى تشمل تاريخ الطب وعلم العقاقير وعلم التشريح ووظائف الأعضاء وعلم النفس وطب المجتمع وعلم الأحياء الدقيقة ومبادىء الجراحة والأمراض (المعدية) والتوليد وطب الأطفال . وترسل الطالبات الى مستشفيات الولادة لتلقى تدريب على مدته ستة أسابيع ويدرس طالب الطب كيف أن الانسان ليس كتلة من اللحم ولكنه جسد وروح ، ويعطى اهتماماً خاصاً بالدين والايمان ويطلب منه أن يمارسه حتى يكون جديراً بالثقة أمام مرضاه .

وأما الهند فإن العطارة الهندية تصدر الى الجزيرة العربية خاصة فى موسم الحج .

وقد ذكرنا أن المكسيك انشأت فيها الهيئة الصحية العالمية مركزاً جامعياً لتطوير العلاج بالأعشاب .

الحكم التاريخى على الطب الشعبى

وحيث أن كل عقاقير الطب الشعبى مصدرها الطبيعة ، وحيث أنه قد تم اختبارها تقليدياً خلال عدة أجيال متتابعة ، وحيث أن أخبار كل دواء منها تنتشر بين أبناء قوم وعشيرة وقرية المريض ، فإنه من الواضح أن الأدوية الشعبية تكاد تكون دائماً خالية من الآثار الجانبية ، بينما أنابيب الأدوية العصرية تزخر كل واحدة منها بنشرة تحذيرية من مضار الاستعمال ومن الآثار الجانبية .

وهناك كثير من الأدوية سحبت من السوق بعد طرحها بعدة سنوات ، وكثير من الأدوية استعمل بشكل تجريبى ثم أوقف استعمالها . وهناك حالات تشوه أجنة . وهناك قضايا رفعت وتعويضات دفعت .

الطب النفسى الشعبى

وإذا كان العلاج بالأعشاب قد امتد أربعة آلاف عام فإن الطب النفسى ربما كان أعرق من هذا أيضاً . وأهم أسباب الاضطراب النفسى والعقلى هو السلوك العدائى للمجتمع مثل تخويف الأطفال وتشجيعهم على ضرب الآخرين والتشجيع على عدم التمسك بالمعتقدات والتقاليد الاجتماعية . العجز عن القيام بأى دور فى المجتمع لدرجة أن يحس المصاب بأنه عالة على الآخرين خصوصاً إن كان شيخاً أو امرأة ، اضافة إلى السلوك الغريب عن التقاليد مثل خلع الملابس أو المغالاة فى الظهور . وامراض التأتأة والأهلاس البصرية والسمعية والتركيز على شىء ما أو شخص ما والتعلق الزائد والصياح والاضطراب والأرق . وأهم الأسباب حالياً هو سرعة عملية التحديث ونمو المدن بخطى سريعة وما يتبع ذلك من ضوضاء وتغير سريع مادى واخلاقى وفكرى .

وقد ركزت الهيئة الصحية العالمية دراستها فى هذا المجال على مالى والسنغال كدولتين أفريقتين تتحولان الى مجتمع المدينة بسرعة . ومن الدراسة اتضح أن المرض العقلى (المعروف محلياً باسم كى‌كى) نسبته ١,٨٥ فى الألف وحالات الصرع ١,٢٤ حالة فى كل ألف . وان أعراض العصاب كلها مركزة داخل المدن .

واتضح أن دور العلاج الشعبى التقليدى موروث أباً عن جد ، ويستخدم معظمهم الرقى ، ويعتقدون أن الجنون سببه أرواح لابد من الاتصال بها لزوال المرض ، وهذا المذهب تسميه الصحة العالمية « الحيوية المادية » حيث يقول أصحابه إن النفس هي مبدأ الفكر والحياة العضوية فى وقت واحد .

وقد أقاموا فى مالى ١٤ مركزاً للعلاج بالطب النفسى الشعبى أو التقليدى ، وقد الحقوا بها أطباء نفسيين عصريين مؤهلين بالتعليم الطبى الغربى من أجل تشخيص الحالات التى تحتاج الى رعاية طبية صرفة ، مثل حالات الجنون الناشئة عن مرض عضوى مثل الجفاف وغيره من الأمراض .

• هناك ٥ آلاف نبات طبى فى العالم لم يستخدم منها الانسان سوى المئات فقط

• العلاج بالأعشاب يخلو من أى آثار جانبية

استخدام السموم

وتعتبر استخدامات السموم من أهم انجازات الطب الشعبى وانجحها وأوسعها مدى .

إن أهم السموم التى أنيط عنها اللثام حديثاً هى مادة الكوراري . وكان أول من اشتغل عليها هو مؤسس علم الفيزيولوجيا الفرنسى الشهير كلود برنار ثم تبعه لانجلى ثم هكسلى . وقد كتب بعد ذلك عن مادة الكوراري الكثير من الأساطير .

هذه المادة يعرفها أهل أمريكا الوسطى والجنوبية منذ آلاف السنين : يجمعون من الغابة حزماً صغيرة من نبات يغلونه فى قدور كبيرة عدة أيام حتى يصبح عجينة ملساء لزجة ثم يختبرون مدى مافيه من سموم باحداث شلل لضفدعة فى زمن معين . بل إن هذه المجتمعات البدائية تحصل على نوعين من الكوراري توصل إليهما الطب الحديث أخيراً واستعملهما كمواد مرخية للعضلات .

وهناك سموم بالآلاف تتداولها المجتمعات البدائية الى عصرنا الحاضر فى تسميم العدو أو غير ذلك مما لم يكشف عنه اللثام بعد .

وهناك أسماك وضفادع تختزن هذه السموم وتفرزها ويستأثر بها بعض الأطباء الشعبيين فى خزائن أسرارهم وسوف يبوحون بها لو أمكن الاعتراف بهم وبعلمهم البدائى وتطويره بالأساليب الحديثة ..

والخلاصة أنه سوف تكون أدوية الغد القريب مجموعة من الأعشاب أو البذور أو الزهور أو خلاصاتها وسوف تكون رخيصة وفى متناول العالم الثالث ، وسوف تصل الى أقصى مجاهل الغابات والصحارى ، وسوف تكون خالية من كل آثار جانبية ، وسوف تكون دقيقة محددة مركزة على مرض واحد ، وسوف يتم هذا بوضع وسائل التحاليل الحديثة من استشراب الى تحليل ضوئى الى تحليل نووى الى رنين صوتى فى مجال الأعشاب الطبيعية .. إن هذا هو ما تسعى اليه هيئة الصحة العالمية .

السيد فهمى الشناوى

عِناقاً لكَ الصُّبْحُ ..

شعر: يوسف الخطيب

أصعب ما في رسالة الشاعر العربي ، من بعد حزيران الأسود ، هو أن عليه ، من موقع الهزيمة ، أن يغني أنشودة النصر ، ومن خلف سجوف الظلام ، أن يعانق أشعة الصباح ..

عِناقاً لكَ الصبحُ ، رغمَ الظلامِ
ويا أملاً غائراً في الألمْ
عناقاً لكِ النارُ ، تحت الرمادِ
ويا ثورةً في بُطونِ الخِيَمْ
بَلىٰ ، قد نشرتُ قُلوعَ النجومِ
على هائجِ الليلِ آنَ ادْلَهَمْ
أقرِّبُ ، في الليل ، آني الصباحِ
وأشدو ، على الجرحِ ، آني النغمْ
وَعَلَّيتُ فوق المدى رايتي
على كل صرحٍ هوى أو عَلَمْ
بِسيناء مازال وهجُ الرمالِ
ويبقى بجَوْلانَ زَهْوُ القمم
وألمحُ في القدس شُمَّ القِبابِ
لها في السحابِ رفيعُ السَّنَمْ
ويُبحِرُ قلبي على موجِ غزةَ
يَهمي سلاماً ، ويَهمي دِيَمْ
ويلثمُ أنطاكيَ الربعِ ، والدار
والكرْمِ ، والغَارِ ، فمَّاً لِفَمْ

وما هيَ أخيلةٌ لا تُرامُ ..
وأخيلةٌ هيَ .. إن لم تُرَمْ
ولو كنتُ في الصعبِ رَخْوَ الجَنانِ
شَقِيَّ اللسانِ ، دَنيَّ القِيَمْ
لَأَحرى ، إذن ، أن أَشُقَّ الثيابَ
وأقصِفَ بالكعبِ هذا القَلَمْ
ولكنَّ لي غايةً في البعيدِ
وَهَمَّاً أُحاوِلُهُ ، أيَّ هَمّْ

° ° °

يقولونَ .. « إن لم يكن ماتُريدُ ،
أَرِدْ ما يكونُ » .. فهذا قَسَمْ
مُحالٌ على العربيِ المُحالُ ،
عديمٌ على العربيِّ العَدَمْ
وما أَخْصَبَتْ في حِمانا الشرورُ
فذاتَ غدٍ ستُجَزُّ اللِّمَمْ
غداً .. يا حَصادَ الربى والكروم
ويا مَوْسِماً عربيَّ الكَرَمْ

سَيّدري الدَّميُّ لنا ، أيَّ سيف
شحذْنا إليه ، وأيَّ وَضَمْ
دع الريحَ تعصفُ بنا ما تشاءُ
فإنَّا لها جَنَباتُ الخضَمْ
أَفِضْ يا زمانُ ، الردى والخطوبَ
أَفِضْ ، ننتفضْ .. أو نَنَمْ إن تَنَمْ
لأنّا ، وأنتَ ، هما التوأمانِ
رِهانا خلودٍ ، وصِنْوَا شَمَمْ

* * *

ويا باذراً شوكَهُ في الربوعِ
أتحصدُ كفاكَ إلا نَدَمْ
فمن أين تلقى سبيلَ النجاةِ
إذا حُمَّ بالعُنفوانِ الأَجَمْ
إذا الشعبُ أغلالُهُ مُزِّقت
وجرحُ الفجيعةِ فيه الْتأَمْ
هنا أُمَّةٌ وَعْرَةٌ صَهوةً
كَجَمْحِ الكُمَيْتِ إذا ما الْتَجَمْ
هنا أمةٌ فرعُها في السَماءِ
وفي كَبِدِ الأرض منها قَدَمْ
وتُمهلُ ، لا تُهمِلُ ، الفاتحينَ
وتهدأُ ، كي تَستَجِنَّ الحِمَمْ
هنا أمةٌ من لَبانِ الزمانِ
غذَتْ لحَمها ، من ثُدِيِّ الألَمْ
أُسارىٰ على أرضها الفاتحون
ومُنهزِمٌ دونها من هَزَمْ
ويمضي على دربها الصامدون
ويَرْتَدُّ عنها الرَّدِيُّ الكَهَمْ
وما اللّاتُ أولَ من حَطَّمتْ
ولا اللاتُ آخِرَ بَعْلٍ جَثَمْ
لظىٰ ثورةٍ يَستجدُّ اشتعالاً
متى حالَ شِبْهَ الرمادِ ، احْتَدَمْ
هو النَّشْرُ ، ما النشرُ إن لم يكن
لِيَحثُو القبورَ ، ويُحيي الرِّمَمْ

ولا تَخْدَعنْكَ الظنونُ العِجافُ
فثأرُ العروبة لَمَّا يُشَمْ
لَغا فيه ، حتى الجنونِ ، اللُّغاةُ
وما جُرِّدَ السيفُ حتى انْثَلَمْ
وكم ثائرٍ : ثائرٌ في الخلاء
حكيمٌ على الضَّيْمِ إمَّا حَكَمْ
ومِن عَجَبٍ أنَّ مَن في الوِهادِ
يخالونها شُرُفاتِ القِمَمْ
هنا القِمَّةُ البِكْرُ ، سَفْحُ الجليلِ
وظَهْرُ الخليلِ ، وصحنُ الحَرَمْ
هنا ما يرى الشعبُ ، لا ما تَرَوْنَ ،
طريقُ الملايينِ رَحْبُ أَمَمْ
وما هو إلا الدليلُ ، الكليلُ
على الدربِ ، وهو العَميُّ الأَصَمْ

* * *

أأبرهةٌ عادَ ، يا مرحباً
سِقاءُ الأبابيلِ نارٌ ، ودَمْ
سَتَزْخَرُ منها جُنوبُ السماءِ
تَصُبُّ عليه الردى والشَّجَمْ
هنا أُمَّةٌ ، لا هِرَقْلٌ تَأَبَّىٰ
عليها ، ولا عَزَّ كِسرىٰ عَجَمْ
وإن تَكُ قد طُويت صفحةٌ
فَسِفْرُ البطولةِ مازالَ جَمْ

* * *

عِناقاً لكَ الصبحُ ، رغمَ الظلامِ
ويا أَمَلاً غائراً في الألَمْ
عِناقاً لكِ النارُ ، تحت الرمادِ
ويا ثورةً في بُطونِ الخِيَمْ
أُقَرِّبُ ، في الليل ، آتي الصباحِ
وأشدو ، على الجرحِ ، آتي النَّغَمْ



فتحية عجلان
شاعرة اهتمت بالبحر والطبيعة وخفقات الانسان



حمده خميس
شاعرة جمعت بين الواقع والحلم

أصوات نسائية في أدب البحرين

في الشعر

بقلم: أحمد محمد عطية

تنتمى الأصوات النسائية فى الشعر البحرينى إلى الحركة الشعرية الجديدة فى ذلك البلد الخليجى الناهض ، تلك الحركة التى تبادلت التأثير والتأثر مع شخصية المرأة الاجتماعية ، « مما خلق حركة جدلية وتفاعلا حميماً بين المرأة والشعر على مستوى الواقع المعاش » كما يقول الشاعر والباحث البحرينى علوى الهاشمى فى كتابه « ما قالته النخلة للبحر ـ الشعر المعاصر فى البحرين » (ص ٢٠٢) . ولعل هذا هو سر وفرة الأصوات النسائية فى الشعر البحرينى ، حمده خميس ومنيرة فارس وفوزية السندى وإيمان أسيرى وفتحية عجلان وسواهن . وسأركز فى هذا المقال على أبرز هذه الأصوات فى شعر البحرين المعاصر ، اللاتى حققن ذواتهن فى دواوين شعرية مستقلة ، وهن : حمده خميس وديوانها « اعتذار للطفولة » ، إيمان أسيرى وديوانها « هذى أنا القبرة » ، وفتحية عجلان وديوانها « أشرعة العشق » .

● حمدة خميس :
من نقل الواقع إلى التعبير عنه وكشفه
● إيمان أسيري :
تنويعات على لحن الوطن
● فتحية عجلان :
شاعرة الحب

أما الحركة الشعرية الجديدة فى البحرين ، التى تنتمى إليها هذه الأصوات النسائية ، فهى حركة الشعر الحر التى بدأت مع أوائل الستينات وتواصلت إبداعاتها حتى احتلت مركز الصدارة فى أدب البحرين المعاصر . ويقول الناقد أحمد المناعى ، فى دراسته « التعريف بالحركة الأدبية فى البحرين » (المنشورة بعدد مجلة الأقلام العراقية الخاص بالأدب فى الخليج العربى — ابريل ١٩٧٥) ان هذه الحركة « هى الآن الوجه المضيء للحركة الأدبية فى البحرين . ولقد كان لظهور التيار الجديد ظروف اجتماعية وسياسية مر بها المجتمع البحرينى فى أواخر الخمسينات .. ونتيجة لاطلاع الشباب على تيارات التجديد فى الأدب وخاصة مدرسة الشعر الحر والثقافات الأجنبية الحديثة التى تأثروا بها كثيراً .. » .

ويضيف المناعى قائلا : « فى هذا المجال كشف الشاعر الشاب عن منابع جديدة لفنه ، فبدت قصيدته معاصرة تسير فى صعود مستمر ضمن آفاق رؤية واقعية ملتزمة ، متخطية بإصرار النظرة الرومانسية الضيقة ، نافذة بوعى إلى العالم والانسان . فالشاعر البحرينى الجديد أخذ يواجه الواقع مواجهة صريحة وخارقة ، ولم يعد صوته خافتاً تحت أنماط معينة من الغنائية والمباشرة الساذجة » .

ويلخص المناعى أهم مظاهر الحركة الشعرية الجديدة فى البحرين فى النقاط التالية :

• الاتجاه الواقعى الملتزم بالتعبير عن الانسان البحرينى وطموحاته ، والنفاذ منها إلى التعبير الانسانى الشامل من خلال رؤية واضحة وصريحة تجاه قضية الانسان والعالم .

• رفض النموذج التقليدى للقصيدة القديمة ، لعجزه عن التعبير عن نمط الحياة الجديدة التى تتطلب مناخاً فنياً يساير تطورها الفكرى .

• تعميق القصيدة وصورها بالبعد النفسى والتأملى ، وتكثيف الرمز .

• الاتجاه نحو الاغتراف من التراث الشعبى والحضارى لمنطقة الخليج ، والافادة من الجوانب المضيئة فى تاريخه السياسى .

حمده خميس

من هذه الحركة الشعرية الجديدة جاءت حمده خميس لتقدم اضافتها لهذه الحركة . وقد تحدثت إلىّ هذه الشاعرة البحرينية المتوهجة والمتقدة حماسة ووعياً قائلة : « تجربتى فى الكتابة خاصة ومريرة ، فقد كان على دائماً الخروج من جلد الأنثى الناعم والالتحام بخشونة الأحلام . ولقد كان هاجسى هو التعبير عن الهم الانسانى ، وليس هم المرأة الجزئى .. اننى امرأة لذا فأنا أحمل تراث قرون من الاضطهاد الخاص والمزدوج . وكان على التجربة أن تخرج من اسار الهموم الضيقة التى طرحها أدب المرأة التقليدى لتلتحم بهم الانسان وطموحاته فى الشمول ، كما كان عليها أن تكتشف الموقع وتكشفه » . (جريدة « أخبار الخليج » ١٢ نوفمبر ١٩٨٢) .

بهذا الوعى الفكرى خاضت حمده خميس تجربتها الشعرية الجديدة ، ابتداء من سنة ١٩٧٤ ، مازجة بين الواقع والرمز والحلم ، حريصة على الاضافة والتحديث فى الشكل والموضوع معاً ، جامعة بين الذاتى والموضوعى وبين الخاص والعام فى ديوانها الأول « اعتذار للطفولة » ، الصادر عن دار الغد فى البحرين ١٩٧٨ ، ثم مواصلة تطوير رؤاها وقصائدها الشعرية الجديدة فى سنوات الثمانينات المعاصرة بعد فترة انقطاع دامت بضع سنوات فى الستينات والسبعينات .

وفى شعر حمده خميس تبرز الرؤية السياسية ، ويمتزج الرمز الشفاف بالواقع المعاش بالتراث البحرينى ، وخاصة تراث البحر والزرع والنخيل . وقد تحدثت حمده عن مفهومها للسياسة قائلة ، فى حوار مع الناقد البحرينى أحمد المناعى (بمجلة الاقلام عدد خاص بالأدب العربى فى البحرين فبراير ١٩٨٠) : « السياسة من وجهة نظرى لا يمكن فصلها إطلاقاً عن حياتى ، عندما أعيش وأحس ، وأحب وأتألم .. وأفرح .. أكون انسانة متلاحمة بكل الأسباب والمبررات التى منحتنى هذه الأحاسيس ، عندما أحب مثلا ، وأشعر بأنه محظور على أن أفعل ذلك أو أن هناك من يمارس تشويها على فكرى ، هنا أحس بأنى مقهورة .. لذا أرفض التشويه ومبرراته ، وأكون فى هذه الحالة داخل السياسة .. لأن مبررات التشويه هى عادات أو نظم اجتماعية معينة .. وكذلك فالألم يعنى سياسة ، والفرح كذلك .. فعندما أرى هناك ما يحول بين الفرح وبين الانسان ويسبب له الألم فإنى أرفض هذا الحائل ، فالرفض هذا سياسى أيضاً ، اذن مادمت أرفض فإنى أمارس السياسة وأتدخل فيها » .

ولعل أفضل قصائد الديوان الأول تمثيلا لبدايات حمده خميس هما القصيدتان الأولى والثانية من الديوان ، ففيهما يتعانق الرمز والحلم والواقع ، وتحاول حمده بناء مفردات عالمها الشعرى وصوره .

القصيدة الأولى عنوانها « حوار عن الحب والمستحيل » وفيها تمتزج الذات بالموضوع ، وتغنى الشاعرة للحبيبة .. لبلادها .. للوطن .. وتغترف من تراث البحرين صور البحر والنخيل ، وتمزج صور الطبيعة الثرية الفوارة ، النجوم ، البراكين ، فى صور شعرية جديدة :

يحدثنى البحر عنك
تسر إلىّ النخيل
بلادى تنامين فوق السواعد
إنى حفرتك وشماً على صدر طفلى
كتبتك فى خاطرى لغة
وفى لغة البحر سرا
بلادى تنامين ؟ .. ان الشواطىء صحو
وان النجوم قبل
تنهضين ؟ .. ارتدى .. ثوبك .. العرس جاء
تجيئين ؟ .. أنت البراكين .. امنحينا الحمم
نكتب الحب باسمك
بالنار نمسح أوجاعك المستريبة (ص١٠و١١)

والقصيدة الثانية بعنوان « قصاصات من دفتر

امرأة عاشقة فى القرن الرابع عشر » ، وهى مقسمة إلى ثمانى قصاصات ، وفيها تتقدم حمده نحو التحديث واستخدام أساليب القطع السينمائى والتركيب الشعرى ، للتعبير عن رؤية الشاعرة السياسية من خلال تلك القصاصات أو المقاطع والصور المتنوعة ، فتقدم تنويعات على لحن الوطن ، وتوحد بين الذات والموضوع وبين الخاص والعام !

قطرة من مياه التدفق صرنا
إلى قطرة فى مياه الوريد
صرت أنت أنا
اتحدنا ..
نهضت من دمانا زنبقات المساء
كان صمتك فى داخلى بيرقاً للرجوع
وتلويحة للدموع
صرت دمعاً ..
أحبك !! (ص١٦و١٧)

غير أنه تقفز فى ديوانها الأول بعض الصياغات النثرية المباشرة والعبارات الخطابية والتقريرية النابعة من حماسة الشاعرة وثوريتها أيضاً ، مثل قصيدتها « لكم وقتى .. ولى زمنى » ، ومسرحيتها الشعرية القصيرة « فوق رصيف الرفض » ، وقصيدتها « اعتذار للطفولة » ، التى منحت الديوان عنوانها ، فتقول حمده خميس فى القصيدة الأخيرة :

يا أطفال العالم
يا أطفال بلادى
يا طفلى
ان يسقط صوت الحب على الدرب
فلا يدفنكم
ان يأكل شفتى سوط الجلاد
فلا تسمعكم
أغنية الأمطار إذا هطلت
ونشيد الشمس
معذرة ..
هل يكفى أمنحكم قلبى
وأشيد هذا الجسد الفانى
جسراً للوقت ؟!

فهذه خطب وليست شعراً ، والكلمات نثرية وليست شعرية أيضاً والرؤية مسطحة ، لاكشف ولا رؤية جديدة متفجرة توازى حماس الشاعرة .

كانت هذه مرحلة البدايات ، شعر حمده خميس وديوانها الأول « اعتذار للطفولة » ، غير انها لم تلبث أن تقدمت فى طريق التحديث والابداع الشعرى الجديد مطورة رؤاها السياسية فى تراكيب شعرية جديدة ، كما فعلت فى قصيدتها « بيروت يا قلبى المحاصر » ، (المنشورة بالعدد الثالث من مجلة « كلمات » سبتمبر ١٩٨٢) حيث تسقط همومها السياسية العامة على أزمة بيروت المحاصرة أيضاً . ولكن تخف المباشرة والتبسيط ، ويعم تركيب الصور الشعرية الجديدة الكاشفة والمثرية للواقع المعاش . لقد خلقت الشاعرة ، بصورها ومفرداتها وعباراتها الشعرية المركبة ، بيروت خلقا فنيا جديداً فى مركب شعرى جديد يجمع بين الرؤية والرؤيا . فبيروت تنهض فى هذا الحصار كالعشب من بين الصخور لابسة ثوبها الدموى المقاتل بدلا من ثوبها الصدف الناعم ، تتحدى القنابل وتلد الشعراء والأطفال المقاتلين من أجل عودة الجليل ، عودة فلسطين العربية . فكم تقدمت حمده خميس شعرياً وفكرياً فى هذه القصيدة الجميلة :

اننى اسأل العشب حين يجف
ويهزج فى الصيف
والعشب ينبت من صخرة
تتدحرج ما بين قلبى
وشاطىء بيروت
إنى أرى
موجة تستريب فأرتاب
إنى أرى
بيروت خالعة ثوبها الصدفى
ولابسة ثوبها الدموى
وأسأل
بيروت أنت السماء العفية
إذ تقبلين
وأنت المتاريس
إذ يرسمك القائمون على الأمر
هم يأمرون القنابل أن ترسم البحر
ويستأنفون الضجيج
ورسم الحدود
والبحر يصرخ من خجل
ويخجل الاهواك التضاريس
بيروت
بيت الهوى والحدود
والدم الخارطة
يولد الشعراء
وأنت
وطفل صغير
يؤسس بالبندقية
عرس الجليل

هكذا تتقدم حمده خميس ، من نقل الواقع إلى التعبير عنه وكشفه فى قصيدتها « بيروت .. » وفى أحدث قصائدها « الألق » ، المنشورة بالعدد الأول من مجلة « كلمات » البحرينية العدد الأول ١٩٨٣ ، التى تمثل أرقى قصائدها الشعرية الجديدة . فالكلمات مشحونة بالمعانى ، والعبارات مركبة ، والمفردات جديدة تبتعد عن النثرية والخطابية والمباشرة وعن الكليشيهية والعبارات المألوفة والمكررة .. إنها رؤية أليمة لشاعرة وحيدة تمزج الخاص بالعام ، لم تزل تقبض على الحجر فى تمسكها بالألم ، ولكن تعصرها الوحدة وتجارب السنين والواقع الميئس الكئيب ، لذا تجتمع فى كلماتها الشعرية الجديدة كل الصور المتناقضة ، كعذوبة الحزن ، والوحدة الأليفة ، واليأس الحميم .. ولكنها لم تزل تنثر بذور الأمل فى خلايا الدم ، رغم معاناتها وكل الشكوك فى اليقين الحميمى :

ساويت بين الجرح والجسد
بين الجوع والائتلاف
بين الحلم والخطورة
قلت :
قليلا أسرق من نار التربة
تأججها
وانثر البذار بين خلايا الدم
فيزهر
ويستولد الغصن وريقاته
والفراشة رعونتها
قلت .. ووقفت خارج الأسوار
والأسماء
انتشل الروح
واستلها من عجين الفجيعة

إيمان أسيرى

إيمان أسيرى صوت شعرى هامس ، ولكنه صوت مشحون بالغضب الذى يكاد أن يتفجر من خلال الصور الشعرية السريعة المتتابعة ، التى تركب الرؤى وتبعد عن المكرر والمألوف والخطابى والمباشر . ومن هنا تنساب الرؤى المشحونة بالتوتر والغضب والحزن والحماس من خلال مفرداتها وأبياتها الشعرية وقاموسها الشعرى الخاص ، دون خطابة أو صراخ .. كما فى قصيدتها « هذى أنا القبرة » التى حمل ديوانها عنوانها ، فهى تتقمص عصفورة « القبرة » لتنظر إلى الأرض ، فتتصاعد الصور الأليمة الغاضبة الداعية للرفض والتمرد دون مباشرة ، فترى الأرض سوراً نتناً ، وفى الليل « النوم يمرق بين الجفن وساعة الخلاص » فالنوم يمر خاطفاً ، والعاصفة تجوس فى داخلها لتحولها إلى نسر قوى :

ادخل داخلى عاصفة تعانق
ذرات تبعثنى نسرا حين
يكون المطر نعياً ، كان فوق
جبينى شرفاً







ثلاثة أغلفة لدواوين الشاعرات الثلاث : حمده خميس ، ايمان اسيرى ، فتحية عجلان

تظل القبرة ظلا للطفل شاهداً
يرى فعل العصور في الجذر ، الجذع
أرقص المرة تلو المرة ،
تلو المرة أرقص ..
اتجه ..
هذي أنا القبرة . (ص ١٠ و ١١)

ومولعة هى بالطيور والطبيعة والخضرة والمياه ، تغنى للوطن فى قصيدتها « طائر الوطن » عبر الصور البصرية الجميلة يتألق هذا الطائر صوب السهل يحط على الغصن ويقف عند الجدول ورغم الحزن والملح والخبز المنسى فإنه يغرد :

قال : اشتهى الوطن ..
تابع سيره
عاود التحليق فوق الجذر ،
وفى المنقار طعم الملح
والخبز المنسى ..
تألق ..
رفرف الجناحين
غرد ..

وتقدم إيمان أسيرى ، فى ديوانها « هذى أنا القبرة » ، تنويعات على لحن الوطن ، الوطن الذى يشحنها بالحزن والغضب ، ومع ذلك فإنها تغنى له ولجماله الطبيعى بالرغم من كل جسور الحزن والعذاب . وتغترف إيمان من تراث البحر صور المرفأ والمرساة وطائر البحر ، وتمزج بينها وبين معاناتها الذاتية والموضوعية ، بين همها الخاص والهم العام ، لتخلص إلى التأكيد على حبها الدائم للوطن ، بالرغم من كل هذه المعاناة المصورة فى قصيدتها « محبة الحصاد » :

فجأة حط طائرك طلقاً يرتوى من لحمى ،
قمت أتثاقل . يشدنى المرفأ ، والمرساة تشق ظهرى ..
عظاك دمى ، طعنت وفائى ، لكنى أحبك
وطنى قيودا تحز أوردتى
أنيابك تلسعنى ، تمنع صرختى ، لكن قدمى حين
تفقأ قروحك يلفنى الظمأ إليك ، أرتمي فى النار بين أحضانك (ص ٣٤) .

فتحية عجلان

إذا كانت القضايا العامة والأحداث والرؤى السياسية قد استأثرت باهتمام الشاعرتين حمده خميس وإيمان أسيرى مع اختلاف نهجهما الفنى والموضوعى ، فإن فتحية عجلان هى شاعرة الحب وقضايا الذات ، كما تقدمها قصائدها المجموعة فى ديوانها « أشرعة العشق » ، أحدث الدواوين الشعرية النسائية الصادرة فى البحرين . فإذا اعتبرنا ديواني حمده خميس وإيمان أسيرى بمثابة تنويعات على لحن الوطن ، فإن ديوان فتحية عجلان يمثل تنويعات على لحن الحب .

ففتحية عجلان لا تكف طوال قصائد ديوانها « أشرعة العشق » عن طرح صور الحب ومزجها بصور الطبيعة البحرينية الغنية بالبحر والطبيعة بالقوة والحيوية ، كما فى قصيدتها « بدور » ، حيث تناجى الشاعرة البدور والنجوم والطير والشراع والموجات والزهور وعيون الماء قائلة :

لم يبق غير الليل يحلم بالنجوم
وحديثنا عن وجدك الدامى أسى ، وبحور شوق
وقواقع الأحلام مرت بالشراع المسبى
المربوط بالموجات
كفي يا بدور عن الدموع
فعلى رموشك الف طير ضاع يبحث عن شموع
أيا بدور تعلمى نقش الزهور
على العيون الحالمة
وهاجرى ليلا .
بماء من عيون حبيبك المشتاق رشى الدرب
لم يبق من الأحلام غير الواحد مطعونا ،
يسيل الحب .
تزدهر الشوارع بالأغانى الحلم
سراً عانقي البحر الذى
يزداد عمقاً فى هواك .
وبدور تقتحم الظلام
تعانق الحلم المشبع بالهوى المجنون
تفتح للنهار قصائداً ونهار عيد
تزرع المشموم
للعشق يأتى
لا يخاف الموت
فى قلب عاشقها اختفت كل البذور
(ص ٢٧ ــ ٣٢) .

وتمضى الشاعرة فتحية عجلان فى قصيدتها الطويلة « بدور » لتعدد صور القوة فى العشق الذى يصهر القيود ويقتحم الحدود ولكنه يلاعب الأطفال ويرقص الطير الكسيح

ومن أجمل قصائد ديوان فتحية عجلان قصيدتها « حوار » ، وهى حوار بالصور الشعرية بين حبيبين تتصاعد فيه صور البحر والنخيل والأزهار ، فيقول الحبيب محاوراً حبيبته !

لا تعلمين
بأن مياهك صارت سرابا
وان اللقاء بعرقك موت بطىء
ترفضين الغرام الرخيص
تتطاير منك الحروف
تتطاير منك ..
فيضربك الحائط النتن العود خوفاً من الموت
ينزع شعرك
يغرس فيك الدبابيس
دموعك واد خصيب
يتم اللقاء بطينك والبحر
يرتفع الموج يطلب عفوك
جرحك ينزف رفضا
حروفك طارت بكل الطيور (ص ٤٢ ، ٤٣)

وبعد ، فإن مكتبة الشعر البحرينى غنية بالأصوات النسائية ، ومنها أسماء معروفة مثل منيرة فارس وفوزية السندى ، تبدع الشعر وتشارك فى الأمسيات الشعرية ، ولكنها لم تبلور تجربتها الشعرية وتجمع قصائدها فى دواوين شعرية بعد ، لذا اكتفيت بهذه الأصوات النسائية الشعرية : حمده خميس وإيمان أسيرى وفتحية عجلان كنماذج متميزة وأصوات بارزة فى الشعر البحرينى الحديث .

أحمد محمد عطية

لوحات على جدار الريح

شعر: محمد إبراهيم أبوسنّة

ريشة: علي الشريف

انتظار

واقف فى الظلال التى
لم تكن غير ذكرى النهار البعيد
واقف استعيد

بعض ما كنت اعرف نفسى به
فى الظلام الشديد
وسط هذا السراب الذى

كان يبدو مدينه
والربيع الذى قد تناثر
فوق الجليد
واقف فى انتظار البريد
علّ بحراً يريد

مراسلتى
او غيوماً تحاصرنى من جديد
واقف فى دموع النشيد
فى انتظار احتضار الزمان البليد

واقف كالجواد
وسط دغل القيود
والصهيل الطويل
يتخطى الحدود

امرأة

توقفت كأنها معجزة
وأقبلت كأنها النسيم
سألتها : من أنت يا سيدتى
فلم تجب
وأورقت على طريقها الغيوم
تصافحت عيوننا
وانهمرت أمطار في قلوبنا
واشتعل النعيم
قرأتها كأنها قصيدة
طالعتها كأنها النجوم
وافترقت خطوتنا
تهشمت ضحكتنا
تناثرت كواكب
وامتصها السديم
وماتت الفصول في أغنية
تبيعها للبرق والرعود
أصابع الهشيم

صورة جانبية للموت

تقاعدت على الأرائك النسور
تخط فى التراب قبرها
لكى تموت
تجاسر « البغاث » فالسماء
عنكبوت
يضج فى شباكه الذباب والغربان
وتفزع النجوم فى مسارها الرهيف
فتفقأ العيون

وترتمى
فالكون مقعد كفيف
ويسقط الرذاذ
على غصون الحزن فى الخريف
ويحصد الظلام

سنابل الأشعة التى يذلها العطش
وتبدأ الأشجار فى البكاء
وتنحنى الجبال في المساء
لتلقط القمم
تناثرت على السفوح

ـ الموت يستريح
فى لوحة على جدار الريح
يحيطها الغبار
« النسر فى التراب
والأفق للغراب »
لتزدهر يا أيها الخراب
لتزدهر يا أيها الخراب







شعار المشروع العلمى الرائد
« أطلس قطر العلمى »

أطلس قطر العلميّ

صورة فضائية لشبه جزيرة قطر مما يحويه الجزء الثانى من أطلس قطر العلمى

صدر منذ عام مضى ، الجزء الثانى ، فى مشروع أطلس قطر العلمى ..ولهذا المشروع الحضارى القطرى فلسفته وقصته ..

وقبل الخوض فى هذا نقتبس ما قدم به سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى الجزء الأول من هذا المشروع اذ يقول :

« تجاوباً مع سمعة العصر الذى أصبح اكعلم فيه مقياس المقارنة الصحيحة بين الأمم والشعوب ، وعلى ضوء توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى وسمو ولى عهده الأمين ، بالأخذ بالأسباب والأساليب التى تنشر المعرفة العلمية وتيسر فى البلاد سبلها ، وارتياد مظانها ، وجدنا من المفيد النافع وخاصة لابنائنا وبناتنا الذين يسلكون طريق العلم والدرس والتحصيل ، أن توضع علامات على الطريق فى صورة سميناها :

« أطلس قطر العلمى »

فى عدة مجلدات متتابعة ، يتناول كل منها باباً يتولى الكتابة فيه متخصصون على مستوى رفيع فى المجالات العلمية المختلفة التى تتعلق بالبيئة القطرية براً وبحراً ، بحيث تكون موضوعات هذا الأطلس منهلا يغترف منه ويستنير به كل من يتصدى للبحث العلمي فى أى من تلك الموضوعات .

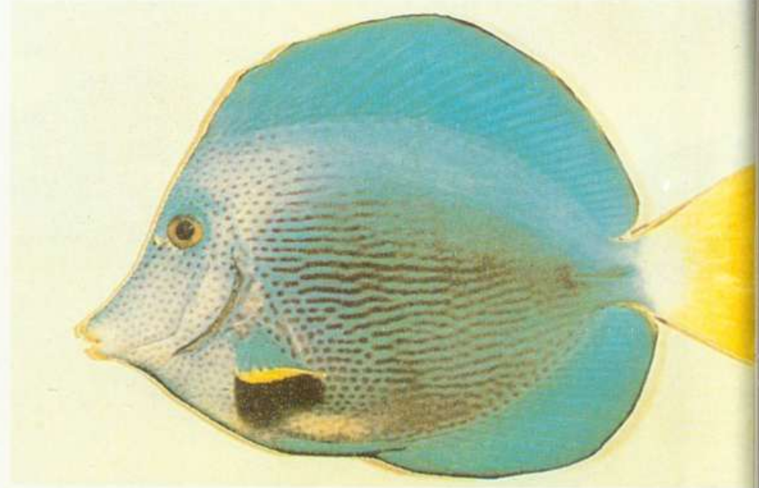
وهذا هو الكتاب الأول فى مجموعة « الأحياء البحرية فى المياه القطرية » عن الأسماك الشائعة ، وستتلوه بعون الله أسفار تستكمل المعلوم فى هذا الباب .

واننى اذ أقدم هذه الباكورة من ذلك المشروع لأتقدم بوافر الشكر إلى الأستاذين الجليلين الدكتور محمد امين ابراهيم والدكتور سيفا سبرامانيوم على كل ما بذلاه من جهد وما تجشماه من عناء فى سبيل إخراج هذا السفر الجيد ، الذى يتعلق بجانب هام من بيئة الحياة القطذية الا وهى البحر . فللإنسان القطرى بالبحر علاقة قديمة قدم التاريخ ذاته كما نعلم . وانى ليحدونى الأمل في أن يكون عميم النفع للباحثين والمثقفين والمهتمين بالمعرفة ، وان تكتمل سلسلة هذا الأطلس فى أقرب وقت مستطاع بعون الله » .

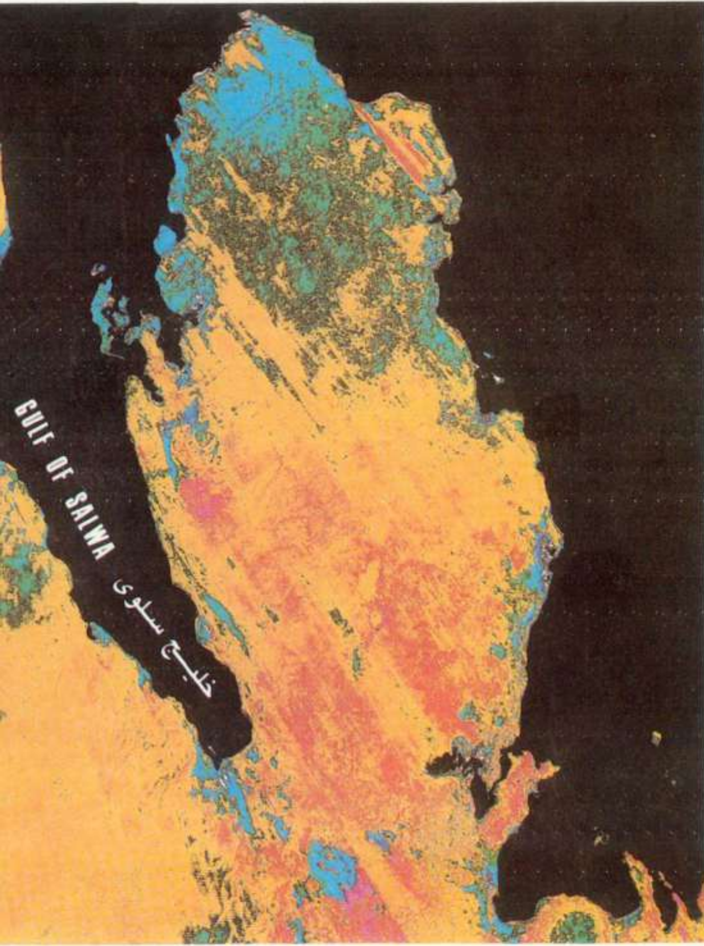
ثم لا نجد بأساً فى نقل نص تقديم سعادة الوزير للجزء الثانى أيضاً : « يطيب لى أن أقدم للباحثين المثقفين ، الجزء الثانى من سلسلة أطلس قطر العلمى ، التى أمر بإصدارها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، من منطلق إيمان سموه العميق بأهمية العلم فى مضمار رقي الشعوب والأمم . ولما كان التقدم العلمى فى أية أمة من الأمم لاينبثق من فراغ ، فإن فكرة إصدار هذا الأطلس العلمى الذى يغطى كافة جوانب المعرفة العلمية عن دولة قطر ، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربى والعالم الاسلامى ، تهدف أساساً إلى وضع العلامات على الطريق لكافة الباحثين فى كل ما يخص البيئة القطرية براً وبحراً .

وهذا الجزء الثانى من السلسلة ، والذى يتوافق إصداره مع الإعداد لانعقاد مؤتمر القمة الرابع لدول مجلس التعاون ، يتناول لحسن الحظ موضوعاً عن أحدث أبواب البحث العلمى وهو « قطر من الفضاء » والتفسير العلمى لصورات شبه جزيرة

بقلم: درويش مصطفى الفــار



لكل نوع من الأسماك فى الجزء الأول من أطلس قطر العلمى صفحة كهذه ..
وهذه واحدة من الأسماك الشائعة التى تربو على مائة وستين نوعا



صورة فضائية لشبه جزيرة قطر وجزء من دولة البحرين الشقيقة ، مما يحويه الجزء الثانى من أطلس قطر العلمى ، ولكل لون لدى المختصين معنى ومدلول علمى عميق

قطر ، ومياهنا الإقليمية المحيطة بما فيها من الجزر القطرية شرقاً وغرباً ، كما صورتها أقمار لاندسات لأبحاث الفضاء .

ومن دواعى سرورى أن أقدم الشكر والتقدير إلى السيد الدكتور محمد عادل يحيى الأستاذ المساعد بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة قطر ، لهذا الجهد الفائق الذى بذله فى إخراج هذا المرجع القيم ، كما أشيد بالتعاون العلمى الوثيق القائم بين جامعة قطر ممثلة فى مركز البحوث العلمية والتطبيقية ومتحف قطر الوطنى ، ذلك التعاون الذى كان من قمة ثمراته صدور الجزء الأول من هذا الأطلس منذ قرابة عام ، ثم تلاه هذا الجزء الذى بين أيدينا . واننى لشديد الأمل فى أن يكون هذا التعاون مثلا يحتذى بين كل الأجهزة والمؤسسات العلمية فى بلادنا حتى تتالى أجزاء هذا الأطلس تحقيقاً لتوجيهات حضرة صاحب السمو الأمير المفدى وسمو ولى عهده الأمين » .

ولا مراء فى أن وزارة الاعلام القطرية ، تكون بتبنى هذا المشروع الحضارى الرائد أول وزارة اعلام عربية تتبنى قضية علمية على المستوى العالمى .

ويرمى هذا المشروع ، الذى نأمل أن يكون مثالا يحتذى فى كل أقطارنا العربية إلى إصدار مجلدات على غرار الجزئين اللذين صدرا لتغطى جميع أبواب التاريخ الطبيعى لدولة قطر ، فى الصخور براً وتحت سطح الأرض من واقع الدراسات الجيولوجية السابقة وأعمال الحفر عن النفط ، وما تحمله تلك الصخور من المستحجرات الحيوانية والنباتية المجهرية والكبيرة ومختلف أنواع الثروة المعدنية والماء الباطنى والنفط والغاز والفحم ، وما تشكله من بنيان هندسى وما تلقيه من ضوء على تاريخ الأرض فى هذه البقعة من العالم التى تظللها راية دولة قطر ، وفى النباتات البرية والبحرية وفى الحشرات والعناكب والديدان والطيور المقيمة والمهاجرة والزواحف والثدييات ، وعن الأحوال الجوية من حرارة ورطوبة ورياح وتيارات بحرية ، وتحرك الكثبان الرملية وتآكل الشواطىء وتلوثها ، بالاضافة الى فهرست كامل عن كل ماكتب عن قطر قديماً وحديثاً بكل لغات الناس ، وتسجيل خرائط ومخططات كل الآثار التاريخية من لدن إنسان العصر الحجرى الذى عاش فى قطر منذ قرابة خمسين ألف عام إلى يومنا هذا ..

أى أن هذا المشروع فى طموحه لا يترك باباً من أبواب العلم ، فى عصر تتمايز فيه الشعوب والأمم بالعلم ..

وإذا حذت كل أقطارنا العربية حذو قطر فى إنشاء مشروع كهذا فسوف يكتمل لنا التعرف ، علمياً ، على أرضنا العربية ، بأسلوب جديد ، يفيد لاشك مستقبل العلاقات لأجزاء أمتنا كلها .. ولا جدال فى أن مشروع أطلس قطر العلمى فى بدايته ، ولكنه بكل المقاييس الحضارية ينم عن إيمان عميق بأهمية طريق العلم الى مستقبل أفضل ..

وعسى الله أن يوفق أولى الأمر لرسم الخطة الأمثل لدفع هذا المشروع نحو الاستكمال فى أقل وقت ممكن ، إذ أن الوقت فى عصرنا هذا من أهم عناصر الحياة للشعوب والأمم .



شكل (١) صورة لجزء من أشجار الغابة التى سقطت الى الأرض بفعل انفجار مجهول فى الغلاف الهوائى ، وقد التقطت بعد سنوات طويلة من الحادث ، هذا وتبلغ المساحة التى أصيبت بأكثر من نصف مليون فدان !

قَزْم يقترب
ومُذَنَّبَات تندفع
وحياة تنقرض

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح



شكل (٢) صورة جوية لحفرة أو شق عميق فى الأرض حدث فى أريزونا منذ أكثر من ٢٠ ألف سنة بسبب نيزك من الحديد اندفع الى الأرض بسرعة قدرت بحوالى ١٥ كيلومترا فى الثانية ، وكان قطر النيزك حوالى ٢٥ مترا ، وقطر الحفرة حوالى ١٢٠٠ متر ، ويقال ان الطاقة التى كونتها كانت أكبر من طاقة قنبلة نووية قوتها ٤ ميجا طن (أى أربعة ملايين طن من مادة «ت ن ت» شديدة الانفجار)..

قد لا تأتينا الكوارث الطبيعية فحسب من تحت أقدامنا في زلازل تدمر ، وبراكين تكتسح ، ولا من حولنا في أعاصير تعربد ، وفيضانات تغرق ، بل قد تتسلط علينا أيضاً من فوق رؤوسنا كبلاء منهمر ، وعندئذ قد لاتبقي ولاتذر .. لكن بعض هذه الكوارث السماوية لازالت مجهولة الأسباب ، ويحاول العلماء جاهدين البحث عن الخيوط التي أدت إلى هذه الكارثة أو تلك ، علهم يتوصلون إلى تفسير معقول يضع حداً لحيرتهم التي طالت .. لكن من أغرب هذه الكوارث وأعنفها ، تلك التي تكررت مراراً على كوكبنا ، وغرابتها ترجع إلى أن الأحداث فيها تجري على هيئة فصول متتابعة ، أو خيوط متشابكة .. فالمحرك لها نجم قزم ، والفاعل مذنب ، والضحية مخلوقات تسكن هذا الكوكب !

في الصباح الباكر من يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٠٨ ، تعرضت منطقة تنجوسكا بمجاهل سيبيريا لدمار شامل ، إثر انفجار هائل ، ولقد وصفه من رآه بأن السماء قد انشقت إلى نصفين فوق الغابة التي كانت تبعد عنه بحوالي ٦٥ كيلومترا ، وشاهد لساناً هائلاً من النيران وهو يندفع نحو الأرض من الفضاء ، ثم يستطرد في وصفه للظاهرة فيذكر «وفي اللحظة ذاتها شعرت كأنما لفحة قوية من الحرارة قد أصابت قميصي ، وبدافع لاإرادي أسرعت للتخلص منه ، ولكن لم أشعر إلا بدوي هائل يصم أذني ، وكأنما هناك قوة خفية قد حملتني وألقتني بعيداً عن باب كوخي ، وبعدها فقدت وعيي ، وعندما أفقت وجدت زوجتي تبكي بجواري ، وتظن أن القيامة قد قامت» !

وعلى لسان الزوجة تأتي بقية القصة فتقول : كنت بالداخل ، وعندما خرجت لأستطلع الأمر ، وجدت زوجي وقد أطاح به الهواء الساخن بعيداً عن الكوخ بعدة أمتار ، وفي الوقت الذي كنت أحمله فيه إلى الداخل ، سمعت ضوضاء شديدة تشبه سقوط أحجار من السماء ، أو كأنما هي طلقات سريعة من مدفع رشاش ، ولقد شعرت أن الأرض تهتز تحت قدمي .. ثم جاءت رياح ساخنة مندفعة ، فكادت أن تحطم الكوخ ، وانكفأت على زوجي ، خوفا من إصابات قد تأتيني في وجهي ! .

ويجيء شاهد آخر ، فيقول : عندما جلست بجوار محراثي لأتناول طعام إفطاري ، سمعت دوياً مفاجئاً كأنه طلقات المدافع ، وبعدها سقط حصاني على الأرض وفوق الغابة البعيدة من جهة الشمال رأيت ألسنة من النيران ، ولقد بدأت



شكل (٣) بقايا حياة قديمة مسجلة على صفحات الصخور التي يرجع عمرها الى ما يقرب من ٦٥ مليون عام ، والعظام لأحد أنواع الدينا صورات الضخمة التي اختفت مع مئات الألوف من الأنواع فجاة ، وقد يرجع ذلك الى غزو الأرض بالمذنبات !

الأشجار الكبيرة المجاورة تنحني بشدة ، مما أعطاني الانطباع بأن هناك اعصاراً مدمراً ، وهنا أسرعت للتشبث بمحراثي ، حتى لا أطير مع الإعصار ، ولقد شاهدت كتلا من الطمي وهي تنطلق وتتدحرج بسرعة على الأرض ، ورأيت الماء في نهر أنجارا وقد اندفع كحائط غريب .. لقد كانت رياحاً ساخنة عاتية لم أشهد مثلها من قبل !

ويصف أحد سكان الخيام التي كانت منصوبة على مسافة ٤٠ كيلومترا من مركز الانفجار ماحدث ، فيقول : في الصباح الباكر لم نشعر إلا والخيام تطير بمن فيها في الهواء ، وعندما سقط النائمون على الأرض ، فقد بعضهم الوعي ، وأصيب البعض الآخر برضوض وجروح ، ثم لم نشعر إلا بضوضاء عالية ، وبعدها شبت النيران في الغابة ، وأطاحت الصدمة بمساحات هائلة من الأشجار القائمة ، فسوتها جميعاً بالأرض (شكل ١) .

للكارثة أبعاد أخرى

هذه إذن عينة قليلة من روايات شهود العيان الذين كانوا يبعدون عن منطقة الكارثة بعشرات الأميال ، وقد يقول قائل : وأين كان العلماء؟ .. وهو تساؤل وجيه ، فالظروف وقتها كانت غير ظروف عصرنا هذا ، فلقد كانت لروسيا القيصرية مشاكلها السياسية والاجتماعية ، ثم أن الكارثة قد حلت بمجاهل سيبيريا ، وفي منطقة لم تكن مسكونة ، وحتى الذين كانوا يقطنون حولها كانوا من وجهة نظر المسيطرين على الحكم من الفقراء المتخلفين ، وظلت هذه المأساة في طي الكتمان حتى عام ١٩١٧ ، ومع ذلك لم تتحرك أي بعثة علمية لدراسة الظاهرة إلا بعد عشر سنوات من هذا التاريخ ، وكانت الأولى بقيادة العالم الروسي ل . كوليك ، وعندما ذهب إلى هناك ، لم يجد إلا مساحات هائلة من الأشجار التي تساوت بالأرض ، ثم بدأت الأشجار الصغيرة تحل محلها ، لكنه لم يستدل على أثر يقوده إلى تحديد أسباب هذا الانفجار ، كما أن الأقوال التي جمعها من شهود العيان ، توضح أن الكارثة آتية من الفضاء .. لكن ما هي طبيعة الجسم الذي أطاح بالغابة ؟ بالطبع لم يهتد إلى شيء ذى بال .

ولقد اتضح من التحريات التي أمكن جمعها بعد حدوث الكارثة أن المساحة التي أبيدت كانت في حدود ألفي كيلومتر مربع ، أو مايوازي ٥٢٠ ألف فدان ، أما الانفجار نفسه فقد سمعه الناس من مسافة الف كيلومتر ، وأحدث في الغلاف الهوائي صدمة عاتية دارت حول الأرض مرتين ، ويقال إن الغبار أو التراب الذي أثاره الانفجار قد بقي معلقاً في الطبقات العليا من الهواء لأسابيع طويلة ، وكانت أشعة الشمس تنعكس عليه لتضيء مناطق بعيدة وشاسعة من أوربا الغربية ، لدرجة أن بعض الناس في الخلاء استطاعوا أن يقرأوا عليها الصحف ، رغم أنه يفصلهم عن مكان الحادث حوالي عشرة آلاف كيلومتر ، ولقد أمكن رؤية النار التي اندفعت من الفضاء من مسافات تبعد عن المنطقة بأكثر من ٧٠٠ كيلومتر ، ويقال إن الناس الذين كانوا في محطة سكة حديد كانسك قد شعروا بصدمة عاتية من الهواء المندفع لدرجة أنها أطاحت ببعضهم أرضاً ، رغم أنهم يبعدون عن مكان الانفجار بحوالي ٦٠٠ كيلومترا ، ولقد تحول الليل القطبي في المنطقة إلى ما يشبه النهار ، وظل هكذا لمدة تزيد عن السبعين يوما .. إلى آخر هذه التفاصيل الكثيرة والمثيرة التي لازالت تتوارد في المراجع العلمية ، وهي بلا شك تضع أمامنا صورة مبدئية عن ضخامة الانفجار الذي يقدره البعض بأنه أقوى من قنبلة أيدروجينية كبيرة ، وحمداً لله أنها قد أصابت منطقة خالية من البشر ، إذ لو كان الانفجار قد وقع فوق مدينة يسكنها الملايين ، لدكتهم دكا شديدا !

تفسيرات شتى

وطبيعي أن يثير مثل هذا الحدث في العقول أرقاً

فكريا يدفعها دفعا إلى البحث عن سبب معقول لما حدث ، ولقد تضاربت بشأنه الأقاويل ، وتعددت التفسيرات ، فمن قائل إن الكارثة قد حدثت من نيزك هائل وقع من السماء ، والنيازك أجسام من صخر أو حجارة أو معادن ، أو خليط من هذا وذاك ، واندفاعه إلى الأرض بسرعة رهيبة يولد حرارة شديدة تؤدي إلى وهج براق ، ثم إن اصطدامه بالأرض بمثل هذه القوة التدميرية الهائلة كفيل بشق حفرة عميقة ، ومثل هذه الأحداث النيزكية قد حدثت قبل ذلك ، وتركت آثارها (شكل ٢) .. وفي هذه الحالة أمكن العثور على بقايا شظايا كثيرة متناثرة ، لكن حادثة سيبيريا لا تنطبق عليها تلك الشروط ، فلا حفرة شقت ، ولا شظايا قد وجدت ، وكأنما الذي ضرب الغابة قد فعل فعلته ثم تبخر ، ولم يترك أدنى أثر !

وقيل أيضاً إن الحادثة ربما تمت من جراء سقوط مادة نقيضة لمادة كوكبنا ، والمادة والمادة النقيضة قد عرفهما العلماء حديثاً في مفاعلاتهم الذرية ، إذ أن تجسيد الطاقة أو الموجات العاتية يؤدي دائماً إلى خلق جسم ونقيضه ، لكن النقيض لايمكن أن يعيش مع مادة عالمنا ، ولهذا يفني أحدهما الآخر ، ويتحولان إلى موجات أو طاقات ، أي يمكن تمويج المادة ، وتجسيد الموجة .. فإذا كانت كارثة سيبيريا قد حدثت باندفاع كتلة صغيرة من مادة نقيضة ، لتهلك كتلة مماثلة لها من مادة عالمنا ، فلابد أن يترك مثل هذا التفاعل الجبار طاقات هائلة ذات اشعاعات مدمرة ، فتؤثر في المنطقة ، وتؤدي إلى جعل ذرات مادتها مشعة ، ويبقى نشاطها الإشعاعي لأجيال وأجيال ، لكن العلماء لم يكتشفوا في المنطقة شيئا ذا بال .. ثم أن احتمال دخول هذا الجزء الصغير من المادة النقيضة إلى مجموعتنا الشمسية احتمال بعيد للغاية .

ثم ذهب أصحاب الخيال العلمي إلى أبعد من ذلك ، وتصوروا أن الحدث يرجع إلى طبق طائر يحمل روادا من الفضاء ، وأن الطبق كان مزوداً بأسلحة ذرية كانت ستستخدم في غزو الأرض ، ويزعم أصحاب هذا الرأي أن الطبق قد تعرض لمشاكل فنية أثناء دخوله الغلاف الهوائي ، فانفجر واحترق فوق الغابة . فكان ماكان ، لكن ذلك ليس وارداً على فكر العلماء على أية حال ، إذ لم يثبت وجود آثار تدل على ذلك ـ لا على هيئة إشعاع ، ولا حطام !

الظاهرة ـ بلاشك ـ محيرة ، خاصة وأنه لايوجد أثر واحد ينم عن طبيعة فاعلها ، ولم يبق أمام العلماء إلا افتراض واحد ، ومما هو معروف لديهم في السجلات العلمية .. فاتجهت الشكوك إلى المذنبات ، فربما انطلق مذنب ، واندفع نحو الغلاف الهوائي بسرعة هائلة ، فاحترق رأسه ، وتطايرت مادته الغازية ، وأحدثت في الهواء وهجاً عظيماً ، وضغطاً شديداً ، تمخض عن صدمة هائلة أصابت الغابة ، فسوت أشجارها بالأرض !

ورغم أن احتمال اصطدام مذنب أو جزء من



شكل (٤) ان عشرات من مثل هذا المذنب قد تصيب الحياة الأرضية بالشلل ، ويبدو أن ذلك قد حدث بالفعل على هيئة دورات وبسببها انقرضت مخلوقات كثيرة

مذنب بالأرض احتمال ضئيل للغاية ، إلا أن كارثة سيبيرياتتمشى مع تكوين المذنبات ، لأنها ليست من مادة صلبة كالنيازك ، بل من غازات حولتها البرودة الشديدة في أعماق الفضاء إلى بلورات ، ومن هذه الغازات البلورية ماهو قابل للاشتعال (غاز الميثان والأيدروجين مثلا) ، وما أيسر أن تتولد حرارة شديدة عند احتكاك مادة المذنب بالغلاف الهوائي ، إذ أن سرعة اندفاعه تصل إلى حوالي مائتي ألف كيلومتر في الساعة ، وعندئذ تتبخر البلورات وتحترق ، وتحدث صدمة عاتية كالمتولدة من قنبلة أيدروجينية ، ثم ينتهي كل شيء بعد ذلك ، دون أن يترك المذنب أثرا ماديا ملموساً أو غير ملموس (كالشظايا مثلا أو الاشعاعات) .

الذنب على المذنبات

والواقع أن أصابع الاتهام بدأت تشير إلى أن حادثة سيبيريا قد حدثت بجزء من مذنب ، إذ قد يحدث أن يتفتت المذنب إلى أجزاء ، وهذا ما صوره العلماء حديثاً بالأقمار الصناعية ، ويعني ذلك أن سقوط مذنب كامل يعني كارثة أشد هولا ،

وأوسع تدميرا .. لكن هذا الحديث الضئيل نسبيا لايكاد يذكر بالنسبة لأحداث أخرى أبادت فيها المذنبات معظم الكائنات الحية على كوكبنا خلال الحقب الجيولوجية القديمة ، ولم تكن إبادة واحدة ، بل تكررت أكثر من مرة .

هل يعني هذا أننا معرضون لحدث مشابه ؟ .. وهل هناك علاقة بين هذه الإبادة وبين المذنب القادم الينا من الفضاء في العام المقبل ؟ (انظر دراستنا عن ذلك المذنب في العدد السابق من هذه المجلة) .

ليس ذلك تماما .. فالقادم الينا ليس هو المذنب الوحيد ، بل هناك أكثر من عشر مذنبات جديدة تدخل إلى مجموعتنا الشمسية كل عام ، لكن احتمال دخول واحد منها إلى أرضنا احتمال نادر ، وحتى لو دخل ، فسوف يكون تدميره مقصوراً على المنطقة التي دخل اليها ، ولكي يحدث تدمير كبير على مستوى الكوكب ككل ، فلابد أن تصيبه المذنبات بغزو جماعي ، ولكي يحدث هذا الغزو

الجماعي ، فلا مناص من أن يكون موجهاً بقوة أخرى من خارج مجموعتنا الشمسية ، فإذا حدث التوجيه والغزو والاصابة ، حلت الكارثة بالمخلوقات ، وانقرضت منها أنواع كثيرة ، وأعداد كبيرة ، وهذا ما كشفت عنه الحفريات الحديثة .

خذ على سبيل المثال تلك الكائنات الضخمة المعروفة بالديناصورات ، فلقد عمرت الأرض ، أو عاشت في البحر لعشرات الملايين من السنين ، لكن أنواعها الكثيرة قد انقرضت فجأة ، ولقد ظل العلماء حائرين في أسباب هذا الانقراض المفاجىء لفترة طويلة ، وطبيعي أن تكون هناك كارثة ضخمة ، لكن ماهي طبيعتها .. فهذا هو السؤال المحير الذي يبحث له العلماء عن جواب .

ولقد بدات الأمور تتضح ، خاصة بعد أن تعاون علماء من تخصصات مختلفة لحل هذا اللغز العويص ، وظهر على مسرح الأحداث علماء فلك وحفريات وظواهر جوية وجيولوجيون وطبيعة كونية .. الخ ، وكان لكل فريق حصيلته من المعلومات التي يمكن أن تكون ذات فائدة للفريق الآخر .. فعلماء الحفريات والجيولوجيزم قد توصلوا إلى حقيقة مثيرة من خلال الدراسات الكثيرة التي تمت في البر والبحر ، إذ كان الظن السائد أن الانقراض قد حل ـ منذ ٦٥ مليون عام ـ بالكائنات الضخمة ممثلة في الديناصورات ، لكن هذا الانقراض لا يمثل إلا جزءا ضئيلا مما قد حل به الفناء ، إذ تبين أن حوالي ٩٠٪ من كائنات الأرض قد ماتت في هذه الكارثة ، وأن أنواعا وأجناساً تتبع ٥٠٠ عائلة حيوانية قد هلكت (شكل ٣) .

لكن الغريب أيضاً أن تلك الكارثة لم تكن الوحيدة ، إذ أعلن كل من العالمين دافيد روب ، وجون سبكوسكى من جامعة شيكاغو في اجتماع عقد خصيصاً في شهر أغسطس عام ١٩٨٣بولاية أريزونا ـ أعلنا أن المتتبعين لمسيرة الحياة على الأرض ، يعرفون أن الحياة قد كبت وقامت مرات عديدة ، بمعنى أنها قد أصابتها مصائب أدت إلى انقراض أنواع كثيرة بالجملة ، وقدما لذلك مجلداً كبيراً يحوي تاريخ ظهور النوع وتاريخ انقراضه ، حتى لقد قيل عنه إنه يشبه دليل تليفونات مدينة كبيرة ، أو سجلات المواليد والوفيات بها ، لكن أهم مايميز هذا العمل الكبير أن العالمين قد أوضحا أن الانقراض في الكائنات كان يأتي على هيئة

دورات .. ليس ذلك فحسب ، بل ـ وهذا هو الأهم ـ أن هذه الدورات كانت تحدث في فترات تفصلها حقب زمنية تقدر كل حقبة منها بحوالي ٢٦ مليون عام ، وأن آخر عملية إبادة تمت منذ ١١ مليون عام ، ويعني هذا أن التي قبلها قد حدثت منذ ٣٧ مليون عام . ثم منذ ٦٥ مليون عام ، وهو الزمن الذي انقرضت فيه الديناصورات مع أنواع أخرى كثيرة ـ كما سبق أن أشرنا ـ ثم تكرر

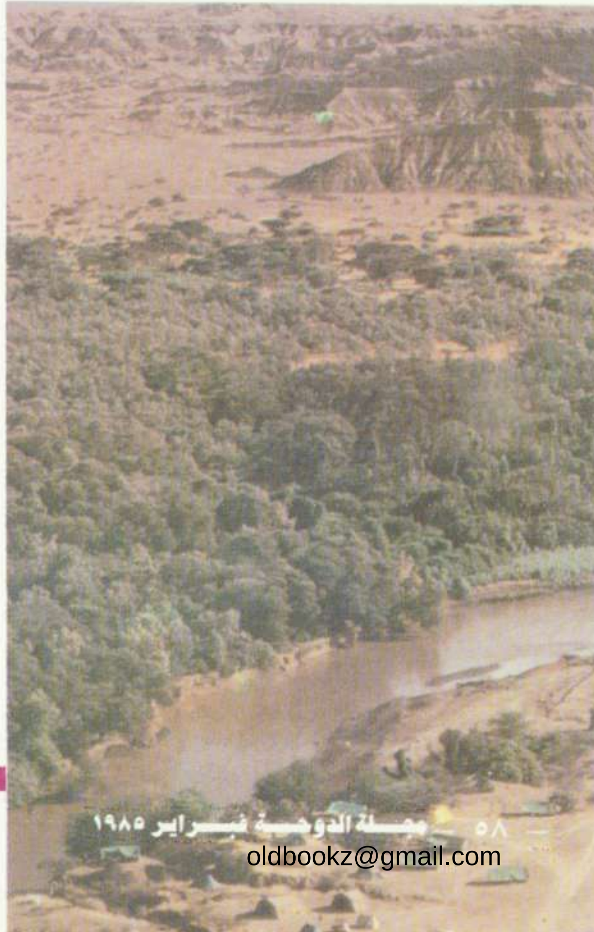
الحدث أيضاً منذ ٩١ مليون عام ، وهكذا أمكن تتبع أحداث الإبادة إلى حوالي ٥٠٠ مليون عام مضت (طبعاً هذه الأرقام قد تزيد أو تنقص مليون عام ، لكن ذلك ليس مهماً مع عشرات الملايين من السنين ، وهو خطأ مسموح به في مثل هذه التقديرات القديمة جداً من عمر الأرض والكائنات) .

المحرك الحقيقي هو القزم الأحمر

ولقد جذبت مثل هذه النتائج اهتمام العلماء ، واستنتجوا أن هذه الإبادات التي تأتي في دورات شبه منتظمة لايمكن أن تحدث هكذا اعتباطاً ، بل لابد أن يكون من وراء ذلك التوقيت محرك يحرك المذنبات ، ويوجهها نحو المجموعة الشمسية (ومنها الأرض بطبيعة الحال) في عملية غزو جماعي .. إذن ، كيف الخروج من هذا المأزق ؟

الخروج منه قد يكون باللجوء إلى علماء آخرين يعرفون أكثر عن الأجرام السماوية ، والفيزياء الكونية ، فربما كان المحرك للمذنبات شيء آخر في السماء .. وقد كان ، إذ أن علماء الفلك يعرفون أن كثيراً من نجوم السماء توجد على هيئة نظام ثنائي

أو مزدوج (Binary Star System) أي أن كل اثنين منها يدوران حول مركز جاذبية مشترك ، كما يدور راقصان على خشبة المسرح في ثنائية منتظمة ، لكن الجديد في الموضوع أن البروفيسور ريتشارد مولر ، ودكتور مارك ديفيز من جامعة كاليفورنيا ببيركلي قد أعلنا منذ سنوات أن شمسنا تتبع هذه النظم الثنائية ، أي أن لها رفيقاً شمسياً أو نجمياً يدور معها حول مركز مشترك ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : أين ـ إذن ـ هذه الشمس



شكل (٥) معسكر علمي من معسكرات التنقيب عن آثار الحياة المنقرضة والمسجلة على الطبقات الرسوبية ، وكأنما هي صفحات كتاب دونت عليه ما أصاب الكائنات والأرض من أحداث

الملازمة لشمسنا ؟

لقد هرمت وماتت ، أو هي في دور الاحتضار ، بمعنى أنها قد فقدت حيويتها وشبابها ، فما عادت تشع كميات هائلة من الضوء والحرارة كما تفعل شمسنا الشابة ، ومثل هذه الشموس الهرمة يصعب رؤيتها ، وتعرف باسم الشموس أو النجوم القزمية **Dwarf Stars** ، ومن صفاتها أنها صغيرة الحجم (ربما ١٠٪ فقط من حجم شمسنا) ، كالحة الوجه ، والتعرف على مثل هذه النجوم لايتم بالمشاهدة ، بل من حساب الحركة ، لكن لاعلينا من كل ذلك ، فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، ويكفي هنا أن نقول إن ذلك الثنائي المجهول ، هو السبب الحقيقي فيما تتعرض له الحياة الأرضية من نكبات .

هذا ويعتقد علماء الفلك أن النجم القزم يبعد عن شمسنا حوالي ٢,٤ سنة ضوئية (أي حوالي ١٤ مليون مليون ميل) ، وعندما يدور في مداره ، فإنه يقترب من مجموعتنا الشمسية مرة كل ٢٦ مليون عام ، وفي اقترابه منها يخترق سحابة ضخمة تحيط بالعائلة الشمسية ، وتسمى هذه السحابة باسم سحابة أورت ـ نسبة إلى عالم الفلك ج . هـ . أورت من جامعة ليدن ، والسحابة ليست كسحبنا ، بل مادة رقيقة تتكون من أيونات وعناصر ومركبات بسيطة وغبار كوني ، وكل هذا يجتمع في أجسام كروية في حالة متجمدة (نسبة للبرودة المطلقة في هذا الفضاء الكوني) وهذه الأجسام هي في حقيقة الأمر مذنبات هائمة على مسافات تتراوح مابين مليون مليون ميل ، ١٠ مليون مليون ميل من الشمس ، ويقدر أورت عدد المذنبات في سحابته بأكثر من مائة ألف مليون مذنب ، لكن عالم الفلك جاك هيلز ـ من معهد كاليفورنيا التكنولوجي ـ يضيف إلى ذلك أن أعداد المذنبات قد تزيد عن تقديرات أورت بحوالي مائة مرة ، وأنها أقرب إلى مجموعتنا الشمسية من المسافات التي قدرها أورت (أي تفصلنا عنها مسافات تصل إلى مليون مليون ميل على أكثر تقدير ـ حسب حسابات هيلز) .

ومن خلال الاستعانة بهذه المعلومات ، يعتقد معظم العلماء الآن أن الأحداث كانت تجري على النحو التالي : عندما يقترب النجم القزم من المنطقة التي تسبح فيها المذنبات ، يحدث فيها خللا أو اضطرابا ، فتندفع نحو العائلة الشمسية بأسراب هائلة قد تصل إلى حوالي بليون مذنب ، وطبيعي أن هذا الاضطراب في السحابة يستمر وقتاً طويلا ربما مابين مائة ألف ومليون عام ، وتستمر الآلاف من المذنبات تتوافد كل عام وتتجول بين كواكب المجموعة الشمسية ، وتزيد أعدادها باستمرار ، ويحتمل أن يدخل بعضها ويصطدم بالأرض ، ولهذا يقدر هيلز أن عدد المذنبات التي يمكن أن تصيب الأرض عندما يقترب النجم القزم ، يتراوح مابين ١٠ مذنبات على أقل تقدير ، ٢٠٠ مذنب على أقصى تقدير . (شكل ٤) .

وهكذا تتم فصول المسرحية

نحن الآن نمسك بآخر حلقة في سلسلة الأحداث التي تنتهي بكوارث تصيب أرضنا كل ٢٦ مليون عام .. فوقوع عشرات المذنبات على أرضنا ، واندفاعها اليها بسرعة تصل إلى حوالي ٣٣٠٠ كيلومتر في الدقيقة ، كفيل بانفجارها في الغلاف الهوائي ، وتشتيت مادتها في أنحائه ، ثم مايتبع ذلك من اضطرابات أرضية عاتية يهون بجوارها ماحدث في منطقة نهر تنجوسا بسيبيريا ، لأن ماحدث هناك كان من جراء جزء انفصل من مذنب ، وأصاب المنطقة بهذه الأضرار البالغة ، فما بالك بواحد كامل ، ثم مابالك بعشرات تتساقط من السماء في أماكن مختلفة ، وبقوى تدميرية من عشرات القنابل النووية ؟

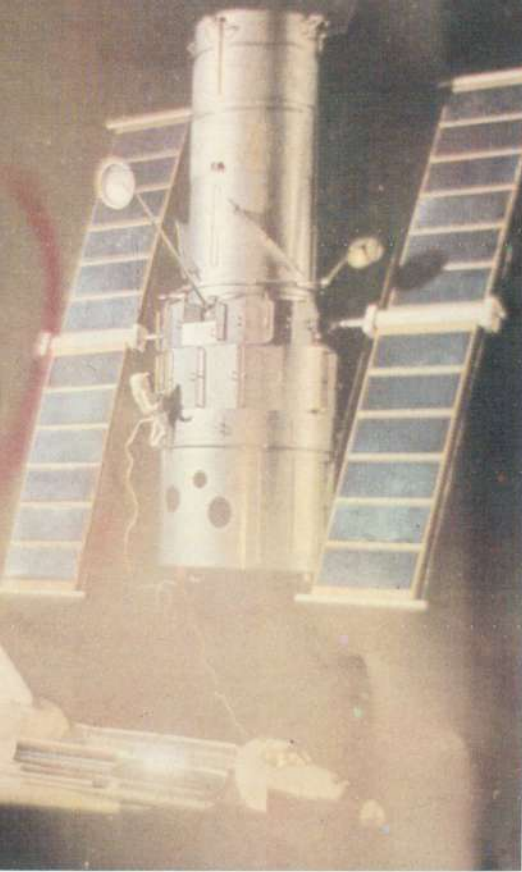
وطبيعي أن تحدث هذه المذنبات اضطرابات هائلة في الغلاف الهوائي ، وربما تغير في تكوينه الكيميائي ، إذ عندما يمرق المذنب في الهواء بسرعته الهائلة ، فإن مادته تسخن وتتوهج ، وتتحول البلورات الصلبة إلى غازات متطايرة ، أضف إلى ذلك أن المذنب المحترق يحدث في الغلاف الهوائي صدمة عاتية ، فيثير ملايين من أطنان الغبار والتراب التي تنتشر في الهواء ، وتدور فيه لأيام طويلة تالية ، لكن محصلة الاضطرابات التي تحدثها عشرات المذنبات ، كفيلة بتغيير جذري في الغلاف الهوائي ، وبحيث يصبح الغبار من الكثافة لدرجة أنه يحجب ضوء الشمس وحرارتها من الوصول إلى الماء أو اليابسة ، وتكون النتيجة أن تستمر الأرض مدثرة بالظلام ، ومغلفة بالبرودة ، وكأنما هي قد أصبحت ثلاجة هائلة تشل الحركة ، وتجمد الحياة ، وعندئذ تموت النباتات التي تعتمد على الشمس في عملية التمثيل الضوئي ، وتنقرض معظم الحيوانات التي تعتمد على النبات ، وخاصة الحيوانات الضخمة ذات الوجبات الغذائية الهائلة .

وكل خيوط هذه الكوارث معروفة ، فالمذنبات موجودة ، وفي العام القادم سيزورنا مذنب كبير اسمه مذنب هالي .. كذلك لا أحد ينكر أن هناك أنواعاً كثيرة من حيوانات منقرضة ، والعلماء يكشفون آثارها في طبقات الأرض ، وكأنما هذه الطبقات بمثابة صفحات في كتاب قديم جداً (شكل ٥) ، وعليها سجلت آثار الكوارث التي تتكرر كلما اقترب القزم ، واضطربت المذنبات .

الشيء الوحيد المجهول حتى الآن هو ذلك النجم القزمي ، فلم يستطع أحد رؤيته ، أو تحديد مكانه حتى الآن ، لكن آخر مرة اقترب فيها من المجموعة الشمسية كان منذ ١١ مليون عام ، كما تدل على ذلك آخر كارثة أطاحت بأعداد هائلة من أنواع الكائنات ، ويعني ذلك أنه الآن في أبعد نقطة من الشمس على وجه التقريب ، فهل يمكن أن تكتشف «عيون» العلم الحديث المتطورة مكانه ، خاصة بالمناظير الفلكية التي ستشيد على الأرصفة الفضائية ؟ (شكل ٦) .. أم أن أمره سيظل مجهولا لعدد من ملايين السنوات القادمة ، حتى إذا جاء يومه ، ضرب ضربته ، وأثار الخراب والدمار ؟ .

لا أحد يدري على وجه اليقين ، لكن السنوات المقبلة كفيلة بتوضيح الكثير من أسرار الكون وألغازه واكتشاف ماقد يحيط بنا من أخطار ، والعلم بالشيء أفضل من الجهل به على أية حال ـ على الأقل فيما يختص بالتمييز بين انفجار قنبلة نووية ، وانفجار مذنب ، إذ مايدرينا مثلا ماسيكون عليه الحال لو أن مذنب عام ١٩٠٨ قد وقع الآن على مدينة أو منطقة آهلة بالسكان ؟ .. الجواب : أن أحد المعسكرين الكبيرين قد يظن ذلك هجوما نوويا من المعسكر الآخر ، وما أسرع أن تشتعل الحرب الذرية نتيجة جهل أو سوء تقدير بما قد يحل بأرضنا من كوارث طبيعية غير منظورة ، وعندئذ لن تباد الحياة هذه المرة مما يأتينا من فوق ، بل مما صنعه البشر ، وعندئذ قد لا تبقي ولا تذر .. فمن يدري ؟

عبد المحسن صالح



شكل (٦) ربما ينكشف سر النجم القزم بهذا المنظار الفلكى الفضائى المتطور والذى يحمله مكوك الفضاء ليضعه فى مدار بعيدا عن الأرض ، وعندئذ تتم فصول المسرحية التى حيرت العلماء لفترة طويلة

تذكار من فلسطين

في رحاب الحرم القدسي الشريف

يتألف الحرم القدسي الشريف من التوأمين المقدسين : « المسجد الأقصى » الذى بارك الله حوله ، واتخذه المسلمون قبلة لصلاتهم قرابة سبعة عشر شهراً من مطلع البعثة النبوية .. و « قبة الصخرة المشرفة » التى عرج منها الرسول الأعظم إلى سدرة المنتهي فى ليلة الإسراء .. إضافة إلى ستة مساجد صغيرة أقيمت فى منطقة الحرم على تعاقب العصور ..

يقوم الحرم ، بجملته ، على رقعة فسيحة من الأرض تبلغ مئة وخمسين دونماً ، (أو ١٤٠,٩٠٠ متر مربع على وجه الدقة) ، أى ما يقرب من سدس مساحة القدس القديمة داخل السور ..

ونشاهد الآن ــ فى اللوحة المقابلة ــ ألوف المصلين الفلسطينيين وقد انتظمت صفوفهم سجداً قبالة محراب الأقصى (الذى لا تبرزه الصورة هنا) ، بينما تنهض قبة الصخرة من خلفهم بجلالها الأخاذ .. وغالباً ما يتكرر مثل هذا المشهد فى صلوات الأعياد بوجه خاص ..

يعتبر مسجد الصخرة هذا أبهى عمارة روحية قدر لنوعنا البشرى أن يبتنيها على سطح المعمور ، منذ أن فاضت بها قرائح المهندسين العرب فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فأنجزوا إشادتها ما بين سنتي ٦٦ و ٧٢ للهجرة ..

ولقد بني هذا الأثر الاسلامى الخالد بأموال شعبنا العربى المصرى ، من حيث رصد عبد الملك ابن مروان خراج مصر بأكمله لمدة سبع سنوات لتمام إنجازه .. ولقد فاض عن نفقات البناء مبلغ مئة ألف دينار ، أمر عبد الملك بمنحها مكافأة لكل من رجاء بن حيوة الكندي البيساني ، ويزيد بن سلام القدسي ، لإشرافهما الكامل على إنجاز العمارة ، فرفض الرجلان المكافأة بقولهما : « نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا ، فضلا عن أموالنا » ، فعندئذ أمر عبد الملك بأن يسبك الفائض ذهباً ، وأن تطلى به القبة والأبواب ..

يدعى اليعقوبي ، دون غيره من قاطبة المؤرخين العرب ــ ومن موقع انحيازه الصريح ضد الأمويين ــ أن عبد الملك قد استهدف من عنايته القصوى ببناء قبة الصخرة ، أن يستدرج بها الحجيج إلى بيت المقدس ، عوضاً عن مكة المكرمة التى كانت تشهد آنذاك ثورة عبد الله بن الزبير .. على أن الرأى الغالب ، والصائب أيضاً ، هو أن عبد الملك قد ألفى نفسه فى بلاد الشام مكتنفاً بعشرات الكنائس الفخمة الزاهية ، وعلى رأسها كنيسة القيامة فى القدس ذاتها ، فمن هنا ارتأى أن يكون للعمارة الروحية الاسلامية حضورها الرائع العملاق الذى لا نظير له من قبل ..

وعلى تعاقب العصور الاسلامية لحقت بالصخرة المشرفة عدة ترميمات موضعية .. على أن أطرف تلك الترميمات ، وأدعاها إلى الاستهجان فى آن ، هو ما حدث عند ترميم الخليفة المأمون لبعض أجزاء المسجد ــ بعد ما يزيد على قرن من إنجاز بنائه سنة ٧٢ هـ فحذف العمال إسم عبد الملك بن مروان ، واستبدلوا به إسم المأمون ، دون أن يفطنوا إلى تبديل تاريخ البناء الأساسي .. فجاءت الكتابة على النحز الساخر التالي : « بنى هذه القبة عبدالله الإمام المأمون ، فى سنة اثنتين وسبعين ، فليقبلها الله منه ويرضى عنه آمين » !! ..

• • •

واقتباساً عن العلامة الفلسطيني الراحل ، عارف العارف ، فى كتابه « تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى » :

قال ج فرغسون : « لقد زرت كثيراً من القصور الضخمة والعمائر الرائعة فى الهند ، وأوروبا ، وفى أكثر أنحاء العالم ، ولكنني لم أر ما هو أروع ولا أبدع من قبة الصخرة » ..

وقال ت . هايتر لويس : « إن مسجد الصخرة دون ريب هو أجمل الآثار التى خلدها تاريخ الإنسان » ..

وقال كروزويل : « لقد بهرت قبة الصخرة ببهائها ، ورونقها ، وفخامتها ، وسحرها ، وتناسقها ، ودقة نِسَبها ، كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين » ..

وأخيراً ، لغوستاف لوبون قوله : « قد يفكر المرء فى تلك القصور السحرية التى يبصرها بخياله أحياناً ، ولكن الخيال يأتي أقل من الحقيقة فى أمر جامع عمر » ..

يوسف الخطيب



في رحاب المسجد الأقصى



(١) الزفاف القطرى : للطالبة الفنانة خولة المناعى

نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي

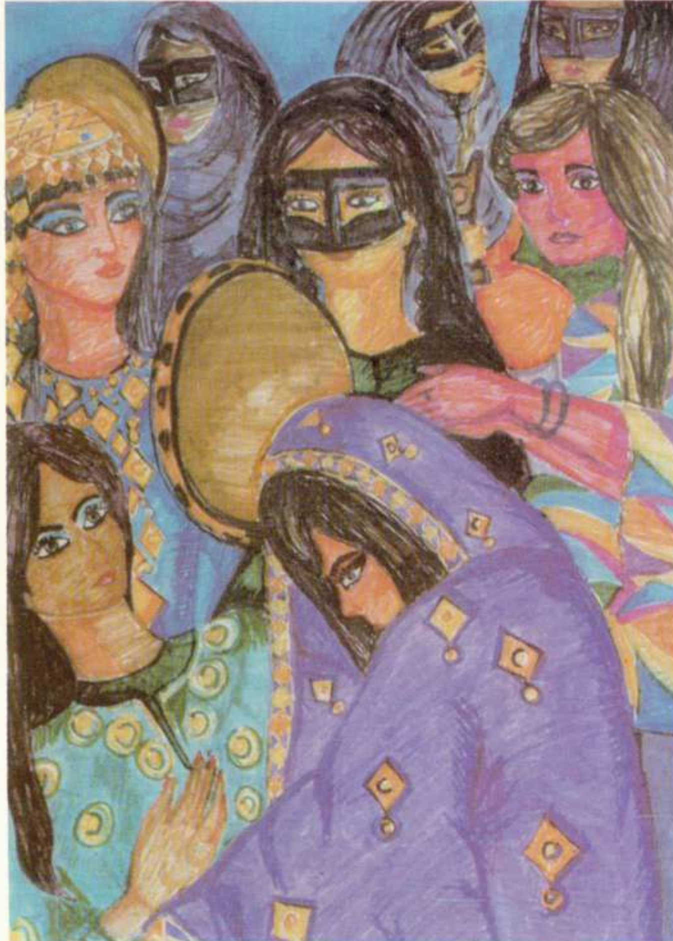
بقلم : الدكتور محمود البسيوني

- رسوم الطالبات القطريات بين مدرسة عصر النهضة والمدرسة الشرقية في التصوير .
- لوحات نابضة بالحياة و الحركة .. تتميز بالبساطة والصراحة والألوان الزاهية المتناسقة
- حسّ الفتاة القطرية أقرب إلى ما سجّله التراث الإسلامي الشرقي في المخطوطات
- الاتجاه نحو مدرسة قطرية في الفن ، بعيدة عن التعاليم الأكاديمية المستمدة من عصر النهضة الايطالي

(٢) الزفاف القطرى برؤية أخرى للطالبة الفنانة مريم الموسى

أسلوب آخر فى معالجة موضوع الزفاف القطرى فى لوحة الطالبة الفنانة عائشة الخليفى





(٤) مدخل مميز آخر لمسيرة الزفاف فى لوحة الطالبة الفنانة فاطمة عبد الرضا

نحو مدرسة قطرية فى الفن التشكيلى

يقصد بكلمة « مدرسة » فى هذا المضمون ، وحدة الفكر المشتركة بين إناس يعيشون فى اطار ثقافى واحد ، ويجمعهم تاريخ حضارى طويل ، فحينما يبدعون بأدوات الفن التشكيلى وخاماته ،نستشعر من خلال تعبيراتهم سمات متفردة ، وخصائص ظاهرة ، وتقاطيع مميزة ، حتى ولو لم نعرف أصلا اسماءهم ، لكن تعبيرهم له طابع يدل عليهم ، ويشير إلى أن اصحابه لهم مذاق خاص يتفردون به عن غيرهم من البشر الذين يعيشون فى بيئة أخرى ، لها عادات وتقاليد مغايرة عبر تاريخهم المختلف ، الذى ينبىء عن مذاق آخر. والسؤال الذى يبحث عن إجابة ، هل الحركة التشكيلية فى قطر تمهد لمدرسة قطرية ذات معالم خاصة يمكن بيسر التعرف عليها ؟ وماسمات تلك المدرسة ؟ وكيف تتكون ؟

لو رحلنا بتفكيرنا عبر عصر النهضة الإيطالى لوجدنا مقدمات ساعدت على تشكيل التعبير الذى اتخذ وجهة معينة ، فقد كان هم المفكرين الأوائل فى هذا العصر ، اعادة انعاش الفنين الإغريقى

(٦) القيم الزخرفية والحركة المتناغمة فى لوحة الرقص الشعبى القطرى للطالبة الفنانة خالدة الهيل



(٥) الرقص الشعبى القطرى كما عبرت عنه الطالبة الفنانة سعيدة سعدون

والرومانى ، وتقريب الصورة المرسومة من الطبيعة بإيجاد البعد الثالث ، وابراز المنظور ، والظل والثورة والتشريح ، حتى يفهم المشاهد ، وبخاصة الذى لا يعرف القراءة والكتابة ، الصور الغربية التى تحكى له قصة المسيح عليه السلام ومعجزاته ، كانت تصور له الأحداث واقعية ، لتنتقل إليه بيسر الرسالة الدينية . وسرعان ماتبارى الفنانون التشكيليون من جيوتو (١٢٦٦ ـ ١٣٣٧) وماسوليفو (١٣٨٣ ـ ١٤٣٢) وماساشيو (١٤٠١ ـ ١٤٢٨) فى بداية الرحلة وحتى ميكلانجلو بيوناروتى (١٤٧٥ ـ ٥٦٤) وليوناردو دافنشى (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) ورافاييل سانزيو (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) فى قمتهم ليحققوا هذا الهدف . فحينما نقتلع أى صورة من هذا العصر نجد أن لها تلك السمات التى انطلقت منها شرارة عصر النهضة بأكمله ، الذى عاش من القرن الثالث عشرحتى القرن السادس عشر تقريباً . وحينما تقع أبصارنا على بعض هذه الصور فى مواقعها فى الساحة الإيطالية ، أو فى متاحف العواصم الكبرى فى أوروبا وأمريكا نجد أننا أمام تعبيرات لها انتماؤها ، ويجمعها فلسفة مشتركة ، ومنهج مميز .

وبالمقارنة نتذكر المخطوطات الشرقية الإسلامية ، التى عاشت فى منطقة الشرق الأوسط لفترات موازية تقريباً لعصر النهضة ، ولكنها لم تأخذ من هذا العصر ، وإنما كان لها سماتها الشرقية . فهى لم تهتم بالبعد الثالث ، واقتصرت على البعد الثاني . وجمعت الصورة عدة لقطات فى وقت واحد ، واستخدمت الكتابة الإيضاحية كجزء متكامل مع التعبير ، أما التفاصيل فكانت تمتلؤ بها هذه التعبيرات . رأينا هذه المخطوطات ممثلة فى : كليلة ودمنة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتاب البيطرة ، ومقامات الحريرى ، والأغانى ، والقصائد الخمس وغيرها . فالصور الواردة فى هذه المخطوطات ذات نسق متقارب من ناحية التسطيح ، وتعدد الرؤى ، والاهتمام بالملامس ، ووهج الألوان ، والقيم الزخرفية المنتشرة . إن الصور فى هذه المخطوطات تختلف فى مجموعها عن صور عصر النهضة ، وهى تمثل مدرسة فكرية مميزة .

وحينما ننتقل إلى الرسوم التى تصورها طالبات قسم التربية الفنية بجامعة قطر بأناملهن الرقيقة ، نجد عدة ظواهر توضح أن هناك اتجاهاً موحداً لهذه الرسوم . فهل هو اتجاه مقصود ؟ أم تلقائى ؟ وهل يجمعه وحدة ؟ أم أنه يمثل شتاتاً ؟ هل له جذور غربية أم شرقية ؟ هل هو امتداد لمدرسة عصر النهضة أم للمدرسة الشرقية فى التصوير ؟ وما هى السمات الغالبة فى تلك الرسوم ؟

لو تأملنا الصورة رقم (١) على سبيل المثال ، للاحظنا أن مسرح الصورة عبارة عن تجمع من الجانب فوق حافتها السفلى ، وعملية التنظيم فى تتابع الأشخاص تمثل امتداداً لتعبيرات الطفولة ، والحس قطرى حيث أن العريس وحده الذى يظهر فى الصورة بزيه الوطنى ، ومعه العروس ، وتحف



مخطوط اسلامي من الشرق الذى تأثرت بـه الطالبات القطريات

نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي

بهما الدعوات . والموكب يمثل المراسم التى تحدث فى هذه المناسبة ، ببساطة ، وصراحة ، وألوان زاهية تجمع بين التباين والتناسق .

وفى الصورة رقم (٢) ترجمة أخرى للموضوع ، أما الاختلاف فى أن الرؤية من الأمام ، ويتمركز العروسان فى الوسط ، بألوان بيضاء مميزة عن سائر الأشخاص . لكن هذه الصورة وسابقتها تشتركان فى التسطيح ، أى أن كل واحدة منهما ذات بعدين ، ومليئة بالملامس ، وبالقيم الزخرفية للأقمشة ، وتقنية خامة الفلوماستر . كما أن الألوان زاهية وهى ألوان من النوع الأساسى غالباً الذى لا خلط فيه ، واستخدام اللون الأسود متمم لبقية الألوان ، ويحدث توزيعاً سليماً سواء في الأرضية . أو الشعر ، أو الأقنعة .

وفى الصورة رقم (٣) محاولة لطالبة أخرى لنفس الموضوع ، لكنها جاءت بتكوين أكثر تعقيداً وتداخلا . وهو تركيب من الأمام ، ملىء بالملامس ، والقيم الزخرفية ، والألوان الزاهية . والتكوين من النوع المسطح ذى البعدين ، وفيه حركات يكمل بعضها البعض الآخر . والصورة فى مجموعها ذات نمط هندسي .

أما الصورة رقم (٤) فتعطى مدخلا آخر مميزاً ، حيث أن مسيرة الزفاف مازالت فوق خط أرض واحد تقريباً ، إلا أن للصورة مركز اهتمام واضح وهو العروس ، التى تميز رداؤها وبخاصة فى الجزء العلوى الذى ظهر باللون الأبيض المميز عن سائر الألوان . وهناك محاولة لإيجاد منظور خلق للفراغ ، لكنه جاء مسطحاً . والصورة تشترك مع سابقاتها فى نفس القيم ، التى تعتبر امتداداً لفن الطفولة ، وشكلا من أشكال المدرسة التعبيرية البريئة أو الساذجة .

وإذا انتقلنا لموضوع آخر مثل الرقص الشعبى القطرى كما هو واضح فى الصورتين (٥) ، (٦) نشاهد استمراراً لهذه الروح التى سادت فى الصور السابقة ، مع عناية اضافية بعنصر الحركة . وهناك محاولة لتنغيم الأرضية بخطوط زرقاء لكنها تمثل فى عمومها خلفية مسطحة . أما فى الصورة (٦) فتلوح فيها القيم الزخرفية والملمسية والحركة فى تناغم وتآلف .

وتظهر ملامح الاتجاه نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي لو قارنا الصورة السابقة بالصورة التراثية الواردة فى رقم (٧) وهى من المخطوطات الاسلامية التى تنتمى لنهاية القرن السادس عشر والموجودة حالياً فى المتحف البريطاني بلندن . ما هى أوجه التشابه ؟ لأول وهلة تظهر فى نصاعة الألوان التى تخرج من «البالتة» مباشرة دون خلط، وفى ملامس السطوح ، وقيمها الزخرفية ، وفى تسطيح الأشخاص وربطها بخطوط أرض مختلفة . فكأن لتعبيرات الطالبات منبع حي فى التراث الشرقي فى التصوير ، الذى امتد فى منطقة الشرق الأوسط وعاش قروناً متلاحقة فى المخطوطات الموجودة حالياً فى مكتبات أوروبا وأمريكا ومتاحفهما .

لقد عشنا طويلا على موائد الغرب ، نأخذ منها الغث والثمين بلا تفرقة ، وقد انستنا هذه المعيشة شخصيتنا المميزة ، وماضينا الفنى الأصيل . لكن بصيص النور مازال يبدو فى البراعم الجديدة حيث أن الفتاة تحاط برعاية خاصة فى قطر ، وحسها الفنى أقرب إلى ما سجله التراث الإسلامى الشرقى فى المخطوطات ، ولم يشوه بعد بالتعاليم الأكاديمية المستمدة أصلا من عصر النهضة الإيطالى ، وما تبعه من مدارس . فكلما وعينا بجمال التعبير الوارد فى أعمال التصوير الابداعية التى تنتجها فتياتنا فى قطر ، ساعد ذلك فى بلورة واعية لمدرسة قطرية فى الفن التشكيلى ، تعتبر امتداداً معاصراً للمدرسة الإسلامية الشرقية فى التصوير ، التى ظهرت فى المخطوطات المختلفة . ولنا فى النتائج المعروضة خير سند لهذا الاتجاه .

محمود البسيوني

جامعة قطر



بقلم : الدكتور محمد البهي

علاج الخلاف بين الزوجين

علاج الخلاف بين الزوجين جاء فى سورة متأخرة فى الوحي المدنى ، عن الإشارة التى فى السورة الأولى منه اذ جاء ذلك فى سورة النساء ، اذ هى تأخذ فى ترتيب النزول فى التشريع لبناء المجتمع الاسلامى : وضع الصورة السادسة .

والسورة الأولى المدنية اذن كانت تتفرغ لقضية الطلاق ، فى العلاقة بين الزوجين . اذ الطلاق وان كان يمثل حلا لأزمة فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، الا أنه ينبيء عن خطورة هذه الأزمة ، اذا ترك وضع الزوجة فيه من غير تحديد دقيق ، يكفل لها سلامة الخروج من الأزمة كريمة .. غير مستذلة .. وغير مستغلة .

والوضع السابق على رسالة الرسول عليه السلام ــ وهو ما يسمى بالعهد الجاهلى .. أو العهد المادى الوثنى ، وهو يتكرر إن طغت المادية والأنانية ــ يشير فى وضوح : الى أن المرأة استضعفت واستغلت فيه استغلالا كبيراً ، وقاسياً ، رغم ان الطلاق كان اذ ذاك من وسائل الفرقة بين الرجل والمرأة . ولكن عدم تحديده .. وتحديد نتائجه والتزاماته تحديداً دقيقاً : أدى الى سوء استخدامه ، وكاد يصبح طريقاً لاذلال المرأة واكراهها على التنازل عن مالها أكثر مما هو طريق للتفرقة بينهما فى كرامة بشرية .

والتشريع القرآنى ينهى عن ذلك الطريق الجاهلى فى استخدام الطلاق . اذ تقول سورة النساء التى تتكفل اما بالنهى عن عادات جاهلية كانت قائمة بين الرجل والمرأة .. واما بتخطيط طريق العلاج لأزمة الزوجية ، قبل أن يتعين الطلاق خلالها .

فيقول الله تعالى ــ فيها ــ نهيا عن استغلال الزوجة فى صور مختلفة :

« يا أيها الذين آمنوا : لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً » .

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، الا أن يأتين بفاحشة مبينة » .

« وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج ، واتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » النساء ١٩ ، ٢٠ .

.. فهى هنا عن ثلاث صور من استغلال المرأة . وقد تميز بها العهد الجاهلى فى علاقة الرجل بالمرأة .

الصورة الأولى : أن تستغل المرأة على العموم ــ زوجة ، أو غير زوجة بأن يؤكل ميراثها ، بضمه الى ميراث انسان يشاركها فى الأرث .. أو بالمماطلة فى عدم تحديده حتى تيأس من أخذ نصيبها فتستسلم . وتلك عادة كانت من خصائص العهد الجاهلى ــ وهى من خصائص الجاهلية ، والمادية الوثنية الى يوم البعث ــ وجاء القرآن فى وصفها ، فى قول الله تعالى : « وتأكلون التراث أكلا لما » (أى فى غير تمييز بين الحلال والحرام .. وبين حق هذا ، وحق ذاك . والنهى عنه هو ما تعبر عنه الآية بقول الله تعالى :

« لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » .

والصورة الثانية : أن يضايق الزوج زوجته فى المعاشرة الزوجية ليحملها على أن تفدى نفسها بالتنازل عن مهرها كله ، أو بعضه ، وتخلع بذلك نفسها .

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » (أى من مهور) الا أن يأتين بفاحشة مبينة (أى الا إذا سلكت الزوجات فى الغلظة للزوج وأهله مسلك الفحش الواضح . عندئذ يجوز للأزواج أن يأخذوا من مهرها شيئاً مقابل خلعها منه .

والصورة الثالثة : أن يريد الزوج الزواج بامرأة جديدة ، على أن يطلق زوجته الحالية فتعلم بذلك ، وتضطر لأن تراضيه باعطائه ما دفع من مهر كله ، أو بعضه حتى لا يأتى بالجديدة ويطلقها هى :

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج (أى الزواج بامرأة أخرى غير التى هى موجودة على ان تطلق هذه) وآتيتم احداهن قنطاراً (أى أية واحدة من الموجودات ، اذا كن أكثر من واحدة معه) فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » (أى تأخذونه كذباً وعصياناً لما أمر به الله من حسن معاملة الزوجة . وليس من حسن معاملتها ابتزاز مالها عن طريق تهديدها . بالزواج بأخرى عليها . وما يأمر به الله هو على نحو ما جاء قبل الآية من قوله سبحانه : « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات (٣)

أحفل أيامي بالسعادة والرِّضا

فى هذه الحلقة الجديدة تواصل الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان سرد زكرياتها المضيئة التي تمتلىء بالصدق والدفء والعذوبة عن أيامها فى لندن

التحقت (بمدرسة سوان) القائمة في شارع بامبوري أحد الشوارع الرئيسية الكبيرة في اكسفورد . وكنت قد انتقلت إلى المنزل رقم (١٠) في «بينتون رود» لأقيم مع سيدة وقور في السبعينات من العمر اسمها «مسز فيتهام» .

في لقائنا الأول تم الاتفاق على أن أدفع اليها في نهاية كل أسبوع جنيهين ونصف الجنيه على أن أكون مسؤولة عن وجبات طعامي وتكاليف التدفئة . كانت صفقة رابحة بالنسبة لدخلي المتواضع ، وكان علي أن أعود نفسي على الاقتصاد في نفقات معيشتي ، فلم أكن أشتري من الملابس أكثر مما أحتاج إليه ، كما اهتديت إلى مطعم صيني صغير ، لطيف جداً ، ونظيف جداً ، كنت أتناول فيه وجبة ساخنة مقابل أربعة شلنات ونصف الشلن .

كانت مسز فيتهام قد سألتني في لقائنا الأول عما إذا كنت أحب مساعدة الآخرين ، وحين أجبتها بالإيجاب قالت : انني كما ترين امرأة مسنة ، وأنا لا أستطيع مغادرة سريري في الصباح قبل أن أحتسي فنجاناً من الشاي الساخن مع تناول الفطور ، وستكون مساعدة إنسانية منك لو جهزت لي كل صباح فنجان الشاي مع الفطور وأحضرته إلي .

رحبت بالطلب كما سعدت به ، ففنجان الشاي هذا سيوثق علاقتي بها ، وهذا ماحصل فعلا ، علمتني طريقة تجهيز اللحم ورحت أقوم كل صباح بأداء هذه الخدمة التطوعية . وأكثر من ذلك شرعت أقوم بشراء ما تحتاج إليه بين حين وآخر من خضار وفاكهة ولحوم ، كما كانت تسألني مرافقتها إلى الكنيسة في بعض صباحات أيام الأحد ، وذلك حين تكون في حالة ضعف ووهن ، فتتكىء على ذراعي طوال الطريق إلى الكنيسة التي لم تكن على مسافة بعيدة ، وحين أبديت لها ذات يوم ملاحظتي بصدد خلو الكنيسة إلا من عدد ضئيل من المصلين أكثرهم من كبار السن قالت وهي تهز رأسها بأسف : «هذه يابنيتي لعنة الحضارة المادية ، الدين هذه الأيام في أوربا قائم فقط في الكنيسة » .

كانت ذكية ولماحة بشكل مذهل ، وذهنها الحاد لم تلمسه أصابع الشيخوخة بعد بالرغم من تقدمها في السن ، كان الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية هواية ملازمة لها ، وكانت تعتبر الموسيقى الدينية أرقى أنواع الموسيقى ، تجلس إلى جهاز الراديو الذي ماتجاوز صوته الخفيض قط باب غرفة الجلوس ، وتصغي بخشوع وانخطاف إلى الأوركسترا السيمفونية وهي تعزف لباخ وهاندل وسواهما . ولا أنسى يوماً رافقتها فيه إلى كتدرائية كرايس تشيرش للاستماع إلى جوقة مرتلين مشهورة كانت قد قرأت اعلاناً عنها في جريدة اكسفورد اليومية . في الحقيقة ، لا يمكن وصف جمال ذلك الأداء وجمال تلك الأصوات . لم أكن

أصغي إلى إنشاد ينبعث من أصوات بشرية ، بل أحسستني أحلق مع موسيقى الأجواء الكونية وقد اختفى كل شيء حولي .

كان العام الذي أمضيته في (مدرسة سوان) باكسفورد من أحفل أيام حياتي بالسعادة والرضى ، فلقد نعمت ، بالإضافة إلى الفائدة التعليمية التي حصلت عليها هناك ، نعمت بصداقات جميلة لايزال بعضها قائماً راسخ الجذور رغم البعد الجغرافي . إن للصداقة طعماً حلواً ودفئاً يستكين له القلب ، والصداقة الحقيقية انتصار من انتصارات الحياة ومكسب من مكاسبها ، ولعلها تفوق الحب فهي أطول عمراً وإن كان الحب أشد تملكاً وتحكماً في عواطف المرء واحساسه . ولكن من البديهي أن الناس لايتشابهون في علاقاتهم البشرية . هناك الصديق الهين اللين الذي لايفرض عليك الأشياء فرضاً ولا يصر على شيء ، وهناك الصديق المتعب المتعنت والذي تتحول معه الصداقة إلى عبء ثقيل . ما نفع الصداقة وأين حلاوتها إن لم تكن تجري بين قلبين كجريان الماء ، أما المأساوي والمفجع فهو اكتشافنا أن هناك من الأصدقاء من تجردوا من أخلاقيات الصداقة ، ومن بلغت أنانيتهم مبلغها البعيد المفضي إلى إيذائنا والإساءة إلينا ونحن في غفلة من الأمر . ولعل هناك حقيقة نفسية وراء بيت الشعر القائل : «احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة» .

على أية حال ، إذا كانت إنكلترا قد أصبحت هوى لي منذ ذلك العهد البعيد فما ذلك إلا بسبب الأشخاص الذين عرفتهم وأحببتهم هناك . والإنسان إذا أحب بلداً فإنما يحبه من خلال الناس الذين عرفهم فيه . ولعل الصداقة التي نشأت بين عائلة سوان وبيني هي من أجمل ذكرياتي هناك ، ولا تزال روابط تلك الصداقة قائمة حتى كتابة هذه السطور . قبل فترة ليست ببعيدة تلقيت من مسز سوان رسالة تذكرني فيها بأن لي أهلا في اكسفورد ، ومن جانبي فلابد لي كلما زرت انكلترا من زيارة تلك العائلة الصديقة ، ولست أنسى رسالة تلقيتها منها بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة عام ١٩٦٧ تفيض بالمشاعر النبيلة وبالتعبير عن القلق من أجلي .

ومن أجمل الرسائل التي تلقيتها تلك التي بعثت بها الي عام ١٩٧٢ احدى أعضاء هيئة التدريس واسمها الآنسة مورغان . إنسانة حنون ، دافئة القلب ذات نزعة صوفية انسانية ، تؤمن بوجود الخير والحق في هذا الوجود وبشمول الأخوة الإنسانية في النهاية والوحدة الإنسانية رغم ما يبدو من تفكك الألفة بين الناس وعدم الترابط بين البشر . كانت تدعوني أحياناً إلى شرب الشاي في منزلها وتحيطني بجو من الألفة التي تبعث الغبطة في النفس وتمحو الشعور بالغربة .

● الصداقة الحقيقية انتصار من انتصارات الحياة وهي أطول عمرًا من الحب

● كلمة عرب في خيال الغربيين لا تعكس إلا صورة الخيمة والصحراء والجمل

تقول في رسالتها آنفة الذكر : «لعلك تتساءلين عن هذه التي تفاجئك بالكتابة اليك . لكني لا أزال أذكر مشوارنا معاً في شمال اكسفورد ذات مساء ربيعي نتحدث عن الحياة ومشاكلها . والآن قرأت ترجمة لبعض قصائدك ورأيت بعض صور نابلس في التلفزيون ، وهكذا ترين إلى أي حد أنت في تفكيري . وكان علي أن أكتب إليك وأخبرك بهذا . من الأشياء الأساسية تذكير النفس بأنه لا يزال هناك الحب والثقة والتفهم والتقدير المتبادل مهما بدا لنا أن العكس هو حقيقة قائمة .

ماذا يستطيع المرء أن يقول لك ولبني قومك وهو قابع في بيته الدافيء المريح ، أنتم الذين تبدون وكأنما تحملون الوطأة العظمى لألم العالم .

قد تبدو الكلمات مقيتة ، ولكنا نعرف بالتأكيد أن كل فكرة محبة ، وكل عمل من أعمال الرحمة ، وكل اعتبار متسامح لإنسان آخر ، انما هو الموت والنهاية لكذبة العراك والنزاع التي تصارع لتبقى كما لو أنها حمى . إن الإتحاد هو في طريقه إلى هذا العالم ولو كان من الصعب ملاحظته خلال معاناة آلام الوضع ، ولكن عملية الميلاد مستمرة ، وطفل توحد العالم سيولد من خلال الايمان والثقة والوحي لدى اناس كقومك» .

هذا يقودني إلى الحديث عن الانطباع الذي تركته في نفس إقامتي هناك بالنسبة لطبيعة الإنسان الانكليزي وما عرف عن قوة إحساسه بفرديته وحبه لعزلته ، فهو شديد التحفظ (والخصوصية) ، لا يتكلم عن نفسه ولا يستحضر في أحاديثه موضوعات شخصية تشعرك بالحميمية وبالألفة الإنسانية ، وتحفظه هذا ليس تجاه الأجنبي فقط بل تجاه الإنسان الإنكليزي نفسه . وعبارة (بيت الإنكليزي قلعته) من أقوالهم المأثورة ، فهو لايسمح لأحد بدخوله . ان الأسرة الإنكليزية مرتبطة بالبيت ، ولا تحب تبادل الزيارات مع الجيران ، حبها يستأثر به بيتها وكلبها وحديقتها . ترى الجار يحيي جاره من وراء سياج الحديقة ، ثم يعلقان بكلمتين على حالة الطقس ، ولا أكثر من ذلك . ولكن أهل الريف يظلون أكثر وداً وتلقائية .

من جهة أخرى يبقى الانكليزي متحفظاً إلى أن يثق بك ، فإذا حصل التعارف الحقيقي ونشأت الصداقة تصبح أنت جزءاً من الأسرة وتستمر العلاقة . إن القول بأن الانكليز غير عاطفيين وغير انفعاليين تدحضه فيما أعتقد حقيقة كونهم جنساً منضبطاً إلى أقصى حد ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب تاريخية واجتماعية ، أنهم يتعمدون إخفاء انفعالاتهم تحت قناع من البرود المصطنع .

• •

لا تنحصر عندي قيمة السفر في الاستمتاع بالتحرر والاستقلال ، ان الشعور بالنقص الإنساني هو الدافع الحقيقي الذي يدفعني إلى السفر ، فهو النبع الزاخر للمعرفة . في السفر يتعلم المرء الكثير ، تتسع آفاقه ، يلاحظ ويراقب إيقاع الحياة المختلف بين كل بلد وآخر . في كل مكان وجه جديد للإنسان الذي لايتغير في جوهره ، فهو كتلة مشاعر ومطامح ونوازع تتقلب بين الانتصارات والانكسارات .

كان أكثر ما أحببته ذلك الطابع الانكليزي المتجسد في الصوت الخفيض أثناء الحديث وفي الصمت المخيم في الأماكن العامة كالحافلات وصفوف الانتظار . لاريب في أن البيت هو المدرسة الحضارية العظمى من ناحية تأثيره على الانسان المتمدن . كل العائلات التي عرفتها أو عشت بينها تتحدث إلى أطفالها بهدوء ، بصوت خفيض ، حتى في حالات التعنيف أو التأنيب . في الأحياء السكنية لايكاد المرء يسمع غير أصوات الطيور الجميلة ، فاستعمال أبواق السيارات محظور حتى في الشوارع العامة المزدحمة بالعابرين إلا إذا اقتضت الحاجة القصوى استعمالها ، وللحظة فقط .

أما الحب فعلى قارعة الطريق ، في الحدائق ، في السينما ، في كل مكان . والقبلة بين الجنسين سهلة التناول ، بل قل رخيصة جداً ، وكأنها ظاهرة بيولوجية مألوفة كشرب الماء . قلت للسيد

أحفل أيامي بالسعادة والرضا

فيرنيش ذات يوم وقد لفت نظري فتى وفتاة في العشرينات من العمر يتعانقان على رصيف الشارع ويتبادلان القبل دون الاهتمام بالعابرين ودون اهتمام العابرين بهما ، قلت له إن للحب قدسيته وسريته وهو أمر خاص جداً فما بال هؤلاء اليافعين يجردونه من غموضه وسريته ؟ قال لندع هؤلاء يحيون حياتهم ويسعدون بها . الحرب علمتنا الكثير وغيرت بلاد التقاليد والبيوريتانزم . أن نصنع الحب أفضل من أن نصنع الحرب . ووجدتني أطرح على نفسي هذا السؤال : أي السلوكين أصح ، حرمان «وكبت» يكون نتاجهما اهتزاز في شخصية الفرد وانحرافات في سلوكه ، أم إطلاق الحرية بحيث لايعود الجنس مشكلة الفرد والمجتمع معاً ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه لشدة الفرق والاختلاف بين الفكر الغربي «والفكر الشرقي» . فلكل بلد تقاليده وأفكاره ومبادئه وظروفه ، والشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ولا يلتقيان ، كما قال الشاعر كبلنج .

هذا ولعل تقلص الإمبراطورية وانكماشها غير الانكليز . فالجيل الجديد يتهكم اليوم على تعبير (بريطانيا العظمى) وهو لايمارس العجرفة التي اتسم بها جيل ماقبل الحربين ، ذلك الجيل الذي خرجه نظام المدارس الخاصة ، وكان نظاماً يهمل تنمية العواطف وينحو نحو الغلظة والقسوة لكي يقدم إلى الإمبراطورية الاستعمارية مترامية الأطراف ساسة تكلست عواطفهم وتحجرت قلوبهم . لقد أذهلني أن واحداً من الأساتذة الشباب كان يلقي علينا محاضرة عن شعراء الحرب العالمية الأولى والذين عرفوا باسم «الشعراء الجنود» ، وحين مر بقصيدة يهتف فيها الشاعر : انكلترا ، انكلترا انكلترا - مضى الأستاذ يتهكم على هذه العاطفية الوطنية المبالغ فيها .

• •

قضيت عيد رأس السنة ١٩٦٣ مع عجوزي المحبوبة مسز فيتهام لدى ابنة أخيها في ضاحية رامسدين Ramsden من ضواحي اكسفورد ، واستمتعت بالضيافة وبالاشتراك في الاحتفال التقليدي البهيج في ظل شجرة عيد الميلاد المتوهجة بالمصابيح الملونة . بعد تناول وجبة الديك الرومي وحلوى البودينج أقبلت علي الابنة الطفلة (١٢ عاماً) وشقيقها (٩ سنوات) وبدءا يدردشان معي ، وكانت الدردشة أسئلة غريبة : هل لديكم كراسي في بلاد العرب . هل تنامون على أسرة ؟ هل تشربون الماء بكؤوس بللورية ؟ قلت : ماذا تظنان ؟ وتذكرت أطفال عائلة فيرنيش وأسئلتهم المشابهة .. ان كلمة عرب لا تعكس في خيال الغربيين إلا صورة الخيمة والصحراء والجمل .

فتحت حقيبة يدي وأخرجت منها بعض الصور الفوتوغرافية المأخوذة في دارنا القديمة وكان معي بعض صور لمدينة نابلس أخذت من قة البلدية بأشجارها السامقة وأزهارها المتنوعة ، فكانت الدهشة وكان الاستغراب فسألتني الطفلة أن أرسم لها شيئاً في دفترها ، أي شيء . رسمت بيتاً بدرج مع حديقة حول البيت . رأت الأم الرسم وسألتني إن كنا نعرف الدرج في بلادنا .. من الغريب أن تلتصق صورة الخيمة والصحراء بأذهان البريطانيين بهذا الشكل كأنهم لم يستعمروا بلادنا لعدة عقود .

يظل الانكليز بصورة عامة غير معنيين بما يجري خارج عالمهم البريطاني ، وباستثناء المتخصصين فالفقراء والعاديون هناك لايقرأون في صحفهم سوى الموضوعات المتعلقة بما يجري في بريطانيا . وهذه حقيقة سلم بها أحد الأساتذة في مدرسة سوان حين واجهه بها بعض الطلاب الأوروبيين في الصف .

كنت حريصة طوال إقامتي هناك على مطالعة الصحف الانكليزية ، فالصحافة إلى جانب الإذاعتين المسموعة والمرئية هي أفضل وسيلة نضع من خلالها اصبعنا على نبض الحياة الجارية على مختلف الأصعدة ، السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية .

كان في تصوري أن المرأة الانكليزية التي حاربت من أجل حق الانتخاب وانتصرت قد حازت على المساواة التامة بالرجل . وإذا بالصحافة تفيض بأخبار حرب الجنس الساخنة جداً ، فالمرأة لاتزال تطالب بمساواتها مع الرجل في الأجر ، إنها تقوم بنفس العمل والكفاءة كالرجل ولكنها تنال أجراً أقل لأنها بكل بساطة امرأة .. وكذلك فإن الوصايا التي تقول : «مكان المرأة بيتها» و «المرأة يجب ألا ترى ولا تسمع أو تفعل أي شيء يجرح غرور زوجها وخيلاءه» مثل هذه الوصايا كان هناك من ينادي بها . كما كان هناك من يحمل الفكرة التي تقول إن المرأة تابع يدور في فلك الرجل ، أو الفكرة التي تقول إن الوقت والنقود المبذولة على تعليم الفتاة هما وقت ونقود ضائعة ، فبالرغم من التعليم الحكومي المجاني كان لامفر لعديد من الآباء ، إذا أرادوا تعليما جيدا لأبنائهم ، من التضحية المالية ، ومن هنا فإن النقود المتوفرة تصرف على الولد بينما تترك البنت طليقة مع تعليمات لتبحث لها عن زوج ، هذا هو المفترض عموماً أن يحل مشاكلها في عالم لايزال يؤثر الجنس الآخر بالفرص الممنوحة كما لو بحق سماوي .

حقائق كهذه فوجئت بها هناك . وإلى جانب صراع الأجيال المتمثل في الهوة السحيقة التي تفصل مفاهيم جيل الأبناء عن مفاهيم جيل الآباء ، كان هناك المرأة الغاضبة . إن جيل الشباب الغاضب لم يقتصر على الرجال ، فالمرأة تقيم الدنيا وتقعدها معلنة أنها تحب هذا أو أنها ضد ذاك . قد يكون ما يغضبها هو عقوبة الإعدام أو التجارب النووية أو التعصب العنصري أو الرأسمالية أو الشيوعية . مثل هذه المرأة الواعية ترى من حقها أن تقول كلمتها ، فإن لها حصة في البلد الذي يقول فيه جواز سفرها إنها مواطنة . وكان في الحملة القائمة آنذاك من أجل نزع السلاح عدد من الأعضاء النساء . اللواتي سعين من أجل حركة جماهيرية تؤدي إلى العصيان المدني . فقد كان الخوف شديداً من خطر حرب نووية .

في تلك الفترة كانت إدارة المدرسة قد هيأت لمن يرغب من الطلاب والطالبات فرصة مشاهدة مسرحية (كما تهواه) التي كانت تعرض آنذاك على خشبة مسرح شكسبير في مدينة ستراتفورد . وصادف أن جرت في يوم موعدنا مع المسرحية مظاهرة عصيان مدني جماهيري في ساحة طرف الغار بلندن ضد الأسلحة النووية ، واشترك فيها رغم منع الحكومة لتلك المظاهرة آلاف من الرجال والنساء ، شيباً وشباناً . كان بينهم رجال دين ، طابعات على الآلة الكاتبة ، بناؤون ، تلاميذ ، أطباء ، أساتذة جامعات ، محاضرون . كانت ساحة طرف الغار مرصوصة رصاً بالناس رغم موجة البرد القارص ، والمتظاهرون محاطون بالشرطة والشرطة محاطة بالمشاهدين .

أما نحن فقد توجهنا في المساء إلى ستراتفورد واستمتعنا بمشاهدة الممثلة المشهورة (فانيسا ريد غريف) ، التي أصبحت بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ صديقة حقيقية للقضية الفلسطينية ،



صورة تذكارية لفدوى طوقان مع أساتذة وزملاء دورة اللغة الانجليزية في « كرايس تشيرش » في اكسفورد ــ انجلترا (عام ١٩٦٢)



فانيسا ريدجريف : تمثل على المسرح فى المساء ، وتشارك فى مظاهرات الصباح

استمتعنا بمشاهدتها تمرح وتمزح وهي في السترة الضيقة والبنطلون الضيق فى غابة آردن

فى صباح اليوم التالي طالعتنا الصحف بصور وأخبار المظاهرة فى لندن وكان من المثير لنا ، نحن الذين شاهدنا فانيسا فى مساء اليوم السابق ، أن نقرأ عن مشاركتها فى مظاهرة العصيان المدنى ومغامرتها بالتعرض للتوقيف والسجن والاصابة بنوبة برد فى حين كانت على موعد مع رواد مسرح شكسبير فى مساء نفس اليوم ، قالت فانيسا للصحافة حين سئلت عن مشاركتها ومغامرتها تلك : «كنت أدرك أنني أحمل مسؤولية تجاه المشاهدين ، ولكنني فى نفس الوقت كنت على يقين من أن هناك مسؤولية أكبر تجاه ما نجرب عمله فى هذه الحملة » .

ولقد كان من حسن حظنا وحظ رواد المسرح الآخرين أن السلطات اكتفت يومئذ بتوقيف المتظاهرين ومن ضمنهم فانيسا ، ثم اطلقت سراحهم بعد الحكم عليهم بدفع غرامة مالية .

• • • •

تملك الصحافة فى بريطانيا تراثاً ديمقراطياً يتمثل بأروع صورة فى الحرية المتاحة هناك للفكر والرأى . لاينجو من النقد أحد مهما كانت امكانيته فى المجتمع إذا اقتضى الأمر ذلك .

أما قضية الطاعنين فى السن فكثيراً ما أثيرت فى الصحف . أولئك المتوحدون ، المعزولون ، الذين لم يعودوا قادرين على العمل . رجال ونساء شب أبناؤهم وتركوهم . ولعل قوة الشعور بالبيت تظهر

● في كل مكان وجه جديد للإنسان الذي لايتغير في جوهره

● لماذا كان بيت الإنجليزي هو قلعته؟!

أكثر ما تكون مثيرة للحزن والشفقة على وجوه أولئك المسنين الذين يملؤون غرف القراءة فى المكتبات العامة ، حيث يتردد العديد منهم يومياً سعياً وراء الدفء والمقاعد ، بعضهم يقلب الأوراق بلا هدف ، بعضهم يحدق بنظرة فارغة فى صفحة كتاب بين يديه لعدة دقائق دون أن يقرأ سطراً واحداً . آخرون يجلسون وينظرون فى الفراغ ، فى اللا شيء ، يعيشون ويتنفسون على السطح الخارجى للحياة ، على قشرتها ، يرى بعضهم بعضاً كل يوم دون أى تواصل ، إنهم منفصلون انفصالا تاماً عن الحياة التى كانوا جزءاً منها .

أما بيوت المسنين فقد اتضح لي أنها لا تحل مشكلة الشيخوخة حلا جذرياً كما كنت أتصور ، ذلك أن تفكك الروابط العائلية فى البلاد المتحضرة يترك نزلاء بيت المسنين فى عزلة تامة عن العالم . ومتى شاخ الانسان هناك مل من وجوده الآخرون ولا يبقى من يهتم به . بعكس الحال فى الدول النامية حيث لا تزال الألفة ولا يزال الترابط الانساني يمنحان الدفء لمن دخلوا فى صقيع الشيخوخة ويخففان من شعورهم بالوحدة والاغتراب .

ليست قضية المسنين قضية مأوى وطعام وشراب فحسب . إن دولة الضمان الاجتماعى والرفاء الاجتماعى تتكفل بتقديم هذه الضروريات لأولئك المسنين . لكن الوجه المأساوى للمسألة هو انفصالهم وعزلتهم عن العالم ، هو شعورهم القاتل بالاغتراب والوحدة . لا تزال ذاكرتي تحمل تلك الصورة المثيرة للشفقة والألم منذ رافقت السيدة فيتهام لزيارة صديقة لها مقيمة فى بيت للمسنين كانت البرودة والوحدة تسودان المكان ورائحة الشيخوخة والموت تغمر جوه الكئيب . وقفت مسز فيتهام عند باب غرفة نصف مغلق ، رأيت من خلال النصف المفتوح جسماً نسائياً ضئيل الحجم فوق غطاء السرير . مع دخولنا الغرفة رفعت المرأة رأسها والتفتت مستطلعة ، فلم تكد ترى صديقتها حتى هبت إليها واحتضنتها ثم دفنت وجهها فى صدر مسز فيتهام مجهشة بالبكاء وراحت تغمغم وهى تنشج : وحيدة وحيدة .. تقتلني هذه الوحدة . بعدها صادف أن قرأت ريبورتاجاً صحفياً عن بيوت المسنين انتهى بالتأكيد على الحقيقة التي تقول إن عيش المسنين فى الأسرة أفضل من عيشهم فى الملجأ .

البقية فى العدد القادم

مخطوطات هامة تكشف مدى سماحة العرب مع اليهود

بقلم : الدكتور رشاد الشامي

عرف المؤرخون وباحثو المخطوطات القديمة كنوزاً عظيمة من المخطوطات ظهرت فى الأماكن المقدسة والمقابر والحفريات . وأكبر هذه الكنوز على الاطلاق ظهر فى « الجنيزا » (خزانة القاهرة) المشهورة التى اكتشفها البحاثة الانجليزى الكبير ش . ز . شختر سنة ١٨٩٦ . كانت هذه الخزانة فى الطابق العلوى من معبد عزرا فى حي الفسطاط بالقاهرة ، وهو معبد قديم بنى فى القرن التاسع الميلادى ، وقد كان هذا الطابق بدون نوافذ أو فتحات ولم تكن فيه سوى فتحة يمكن الولوج منها بالصعود فى سلم خاص . وقد اختزنت فى هذا الطابق مئات الآلاف من المخطوطات الأدبية والتاريخية التى أغنت التاريخ اليهودى والأدب العبرى عند ظهورها . ولازال مشروع فحص هذه الآثار ودرسها يشغل الكثيرين من البحاثة المتخصصين .

كان أول من تنبه الى وجود هذا الكنز من المخطوطات هو العالم جلدون فى عام ١٧٥٣ ، ثم العالم سبيير فى عام ١٨٦٤ م ، ولكنهما لم يحصلا على شىء ولم يسمح لهما بالدخول ، وذلك بسب اعتقادات تافهة وخوف مبهم من مس هذه المواد .

ولكن برغم هذا هربت بعض الأوراق وبيعت للسائحين . ومن بين هذه الأوراق المهربة وصلت ليد البحاثة شختر فى جامعة كمبردج أوراق عرف أنها مخطوط لكتاب أمثال ابن سيرة باللغة العبرية ، وكان هذا الكتاب معروفا فى ترجمته اليونانية فقط . فهرع شختر الى مصر وبعد مجهودات شتى سمح له بالدخول الى الخزانة فبقى ينقب لمدة سنة كاملة حتى استخلص مائة ألف ورقة مخطوطة وبعث بها الى جامعة كمبردج حيث خزنت بصناديق فى مخازن الجامعة وبقيت بانتظار اليد التى تبحثها وتكشف أسرارها . ولم يكن شختر وحيداً فى تنقيبه واقتنائه لهذه الكنوز الأدبية ، فقد قصد القاهرة فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كثير من الباحثين وجامعى الآثار فحصلوا على ما استطاعوا الحصول عليه منها . ومن أكبر المخازن التى حوت هذه المخطوطات بعد مكتبة جامعة كمبردج المكتبة القومية فى لييننجراد فى روسيا .

وعند وصول هذه المادة الى الجامعات رقمت الأوراق والمجموعات وصنفت فى كتالوجات ليسهل بحثها بعدئذ . وقد فحصت الموضوعات التى تضم هذه الأوراق فاذا بها تضم مواضيع واسعة من الآثار الفكرية لم يحلم باحث بأن يصل اليها فى يوم من الأيام . ومن هذه المواضيع :

(١) أغلب كتاب أمثال ابن سيرة (ابن سيراخ) .

(٢) قطع من ترجمة عقيلاس للكتاب المقدس الى اللغة اليونانية .

(٣) كتاب ميثاق دمشق .

(٤) أشعار قديمة كتبها شعراء عبريون فى الأندلس والعراق وفلسطين .

(٥) مواد تاريخية جمعت من يهود الأرض المقدسة ومصر .

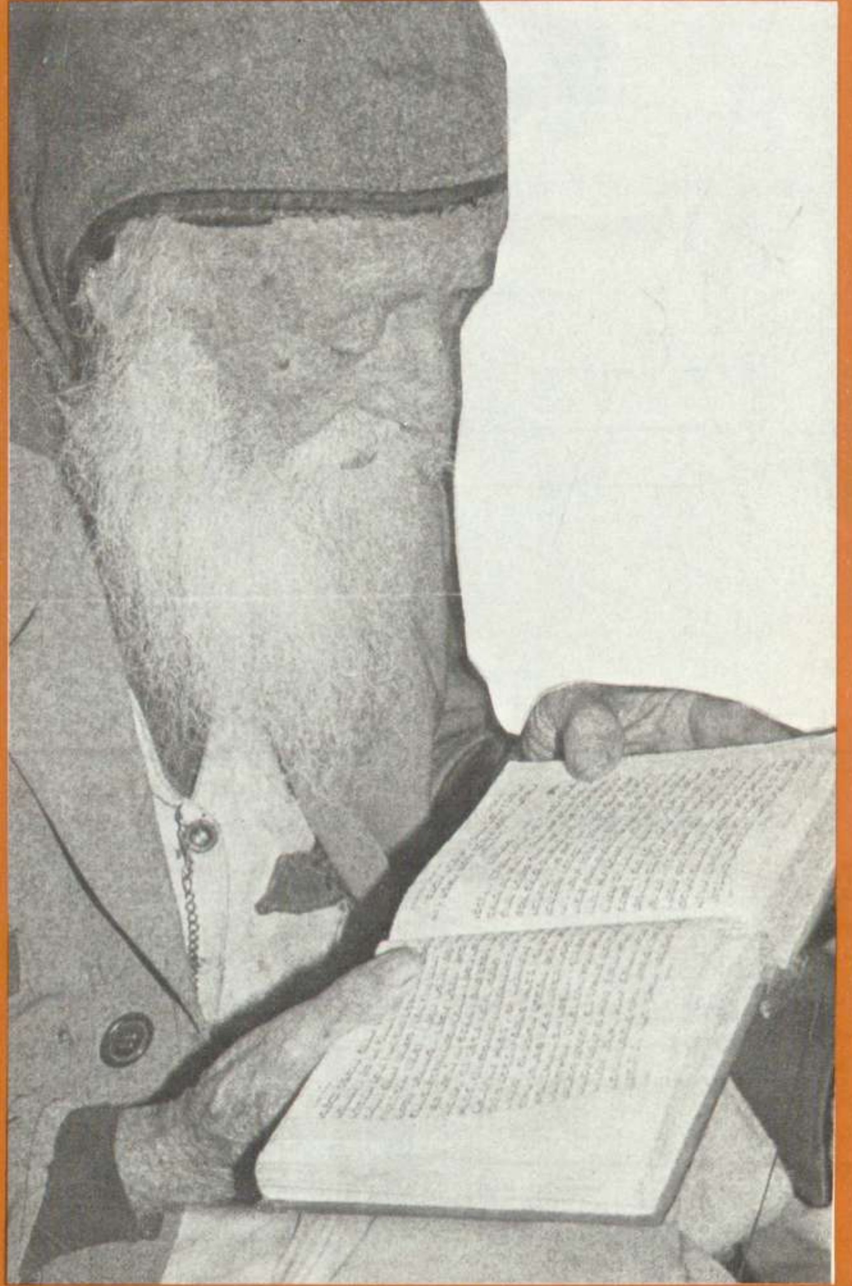
(٦) تاريخ جماعة القرائين .

(٧) وثائق لشخصيات مشهورة .

(٨) أشعار كتبها يهود من أوربا .

وبعد وصول هذه المخطوطات الى كمبردج وتصنيفها عرضت على طلاب العلم وبحاثه ، فنظمت فى مجموعة تايلور ــ شختر التى عرفت باسم « المجموعة الجديدة » Newserles ، ومنها استخلصت بعض الأشعار والقطع الأدبية فنشر أولها اسرائيل دافيدزون فى نيويورك عام ١٩٢٨ ، وثانيها ماركوس فى نيويورك أيضاً عام ١٩٣٠ ، أما مكتبة لييننجراد فلم تسمح ببحث مخزوناتها أو تصويرها . ولذلك لم يعرف العالم ما فيها حتى اليوم .

ومن أكبر بحاث هذه المخطوطات البروفيسور حاييم شيرمان المتخصص فى آداب القرون الوسطى فى الجامعة العبرية . فقد بدأ أول مابدأ فى استطلاعاته فى عام ١٩٣٠ فراعه مارآه من المواد التى تنتظر يد الباحثين . ولم يتح له عندئذ أن يعمل فى بحث هذه المخطوطات بسبب الظروف السياسية ، فلم يبدأ فى أبحاثه بنطاق واسع الا فى عام ١٩٥٧ حيث قصد جامعة كمبردج ثلاث مرات فى خلال ثلاث سنوات ، وفتح فى هذه الفترة ٢٦ صندوقاً وملأ من محتوياتها ١٣٣ علبة الحقت الى المجموعة الجديدة التى ذكرناها . وقد قصد كمبردج بعد ذاك علماء آخرون ولازال البحث مستمراً . وكان قصد البروفيسور حاييم شيرمان أن يكشف النقاب عن مؤلفات أدبية شتى لطبعها ونشرها بصورة واضحة ليستعين بها كل طالب علم فى هذا المجال ، فاختار لهذه الغاية مجموعة كبيرة من الأشعار والمؤلفات التى لم ينشر منها الا القليل ، فدرس هذه الآثار فى غضون خمس سنوات واستجلى معمياتها ، فشكل هذه المؤلفات ، وفسر مالم يكن مفهوماً من المعانى ومن الألفاظ . وكان ثمرة اجتهاده هذا كتاباً باسم « أشعار جديدة من الجنيزا » ، وهو كتاب ضخم ضم طائفة كبيرة من الأشعار والمقامات والموشحات العبرية التى



كان العرب فى أيام إزدهار الحضارة الاسلامية يمثلون قمة التسامح مع كل أصحاب الأديان الأخرى ومن بينهم اليهود

كتبت ابتداء من الفترة البيزنطية فى فلسطين فى أوائل القرن السابع وضمت ماكتبه شعراء يهود العراق وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا والأندلس. وقد كشف هذا النتاج الأدبى عن حقائق تاريخية قد يستفيد المؤرخ منها فى الاطلاع عما لم يعرف من قبل. وقد علمنا من هذه الحقائق أنه كانت فى شمال أفريقيا وشمالها الغربى طائفة يهودية فى القرون الوسطى فى الأندلس وحدها. وعلمنا بأن شعراء اليهود فى الأندلس كان لهم تأثير أدبى على مؤلفات سائر اليهود فى الشرق وذلك منذ القرن الثانى عشر. وعلمنا كذلك بأنه فى النصف الأول من القرن الرابع عشر كان يوجد شاعر عبرى فى بغداد يدعى «هارون حاخيمان». وكتاب حاييم شيرمان الذى ذكرناه .. وهو أهم كتاب من كتب خزانة القاهرة حتى الآن ـ ضم مؤلفات عبرية على النحو التالى :

(١) أشعار وموشحات لشعراء عبريين فى البلدان الشرقية وشمال أفريقيا، نذكر من هؤلاء الشعراء : حدوثا بار ابراهام، ونيس النهروانى وشلومو سليمان السنجارى وسهلان بن ابراهام، وشعراء من آل زبيدة، وراب سعديا جاؤون، وراب حاى جاؤون.

(٢) أشعار من المدرسة الأندلسية : شموئيل هناجيد، شلومو ابن جبيرول، يوسف ابن المهاجر، وموشى بن عزرا، ويهودا هليفى، ويهوذا الحريزى وغيرهم.

(٣) موشحات أندلسية فى موضوعات دنيوية لشعراء مجهولين.

(٤) مقامات للشعراء موسى ابن ليفى، واسحاق ابن سهولة وغيرهم.

(٥) مواضيع شتى لشعراء من ايطاليا ومن بيزنطة وأمثال مسجعة وأشعار لمواضيع تاريخية، ومدائح غزل وفخر، وجدل وهجاء.

إن هذه المجموعة الكبرى من الانتاج العبرى فى القرون الوسطى لم تكن متشابهة فى اتجاهاتها الأدبية لأنها ثمرة عصور شتى وبلدان مختلفة، الا أنها تتسم فى أغلبها بالأسلوب العبرى الغنى الذىاستقى من مناهل العهد القديم والتلمود وازدهى بأبهى المحسنات البلاغية العبرية وازدان كذلك بفنون البلاغة العربية ـ وعلى الأخص الأندلسية منها ـ فتفنن هؤلاء الشعراء بالقوافى وزينوا قصائدهم بما يسمى «الاكروستيخون»، وهى القوافى التى تبدأ بها الأبيات على نمط بعض أشعار العهد القديم (أمثال ٣٠، ١٠، مزامير ١١٩، مراثى أو غيرها).

وكانت الأشعار الأولى مكتوبة بأوزان أشعار الكتاب المقدس، والمتأخرة منها تأثرت بالبحور العربية المألوفة. وهنالك الأعمال النثرية من المقامات التى ضمت موضوعات دينية ودنيوية فى لباس عربى وعبرى مشترك. والموشحات الأندلسية التى كتبت بروح نشيد الانشاد. وقد ضمت هذه المؤلفات أكثر ماضمت تسابيح بهدف القراءة والانشاد فى الطقوس الدينية كما ضمت موضوعات مماثلة لماضى الأشعار العربية كالمديح والهجاء والعتاب والجدل والشكوى والغزل.

وأخيراً فان اكتشاف كنوز خزانة القاهرة ونشرها هو حدث علمى كبير، وذلك لأن هذه الانتاجات تكشف بجلاء ووضوح عن مدى السماحة التى عامل بها المسلمون اليهود خلال هذه العصور مما جعلهم يبدعون ويؤلفون، كما يكشف عن مدى تأثر التراث العبرى خلال هذه المرحلة بالتراث العربى الاسلامى فى شتى فنون الأدب والعلم والمعرفة سواء فى الشعر أو الفلسفة أو النحو أو غيرها من العلوم.

شوقي
بين خصومه وأنصاره

- كيف دافع أمير الشعراء عن نفسه ؟
- لماذا رفض الترشيح لجائزة نوبل ؟
- هل كان دفاعه عن نفسه سبباً في مرضه وموته ؟!

بقلم : كمال النجمي

لعل شوقي كان أنانياً في حبه لشعره ، جزوعاً هلوعاً عليه ، شديد السخاء بماله وطعامه في سبيله ، لكنه إنما كان يناضل في موقف تاريخى للشعر العربي كله ، كان شعره فيه محور هذا النضال ذي الأثر البعيد .

وقد أصابه التوتر الدائم الذي جلبه عليه هذا الصراع ، بداء القلب فقضى عليه !..

ولعلنا لانجد فى تاريخ الشعر العربى كله شاعراً بذل في سبيل شعره هذا الثمن الفادح ، حتى ارتخص حياته في سبيله ، وجعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. كيف يبقى ، وكيف يتطور ، وكيف يكون في عصرنا ديوان العرب .. كما كان !!

في حياة أمير الشعراء أحمد شوقي موقفان متناقضان كل التناقض .. أما أحدهما فحفاوته الشديدة بشعره ، ودعايته له بما يشبه إلحاح الدعاية التلفزيونية والصحفية الحديثة ، ومثابرته على جمع القراء والمستمعين والمعجبين حول شعره بكل الوسائل ، في الصحف والمجالس والأندية والسرادقات والمدارس والجامعات ..

وأما موقفه الآخر ، فإهماله إهمالا شديداً جمع شعره في ديوان كبير أو صغير ، بعد أن نشر الكثير منه في الصحف بدون توقيع حتى أوشك بعض الشعراء أو المتشاعرين أن ينتحلوا بعض هذا الشعر أو ينحلوه لمن شاءوا من الناس ! .

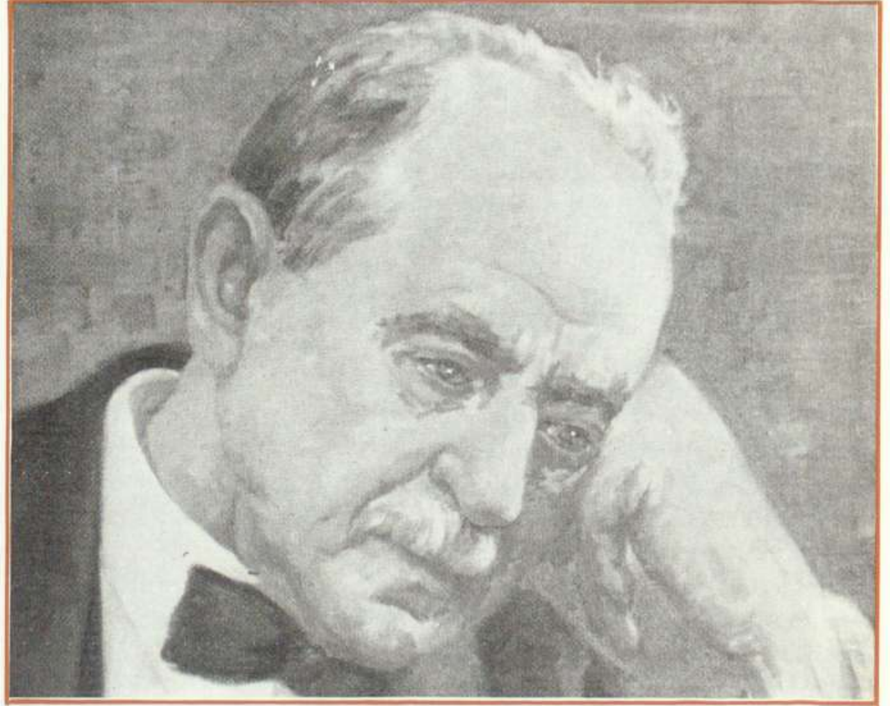
وبين موقفيه هذين يمتد ربع قرن من الزمان ، يفصل بينهما ، فينقض أحدهما الآخر ، حتى ليدهشنا أن يكون هذان الموقفان المتناقضان لشخصية واحدة ، في أمر واحد هو قوام حياتها ومجدها أولا وآخراً ! ..

في سنة ١٨٩٨ صدر الجزء الأول من ديوان «الشوقيات» ووعد شوقي قراءه باصدار الجزء الثاني بعد مدة يسيرة ، لكنه لم يصدر إلا الجزء الأول نفسه في طبعة جديدة ، بعد ثلاثة عشر عاماً من صدور الطبعة الأولى ، أما الجزء الثاني فبقي جذاذات مخطوطة أو قصاصات مبعثرة ، أو نصوصاً مطبوعة في صحف ودوريات تجثم في دار الكتب بالقاهرة .

وفي أواخر سنة ١٩٢١ ــ بعد عودة شوقي من منفاه في أسبانيا ــ أعلن الأديب «سركيس» صاحب المجلة التي كانت تحمل اسمه ، أنه سيقوم مع بعض أصدقائه الأدباء بجمع مختارات من شعر شوقي وترجمتها إلى الفرنسية وعرضها على اللجنة التي تمنح جائزة نوبل .

وعلم شوقي بهذا الاقتراح الجديد الذي كان مثيراً في وقته ، فلم يحرك ساكناً حتى يئس منه سركيس وأصحابه وعدلوا عن عزمهم وكتب سركيس معرباً عن ألمه وعتبه على أمير الشعراء : «إن شوقي لسوء حظ الأدب العربي لايهتم بشيء مما يهتم به سائر الناس ، فمنذ نحو عشرين سنة انتشر بيننا ديوان الشوقيات ، ولا أدري من جمعه وطبعه ، ولكني أعلم أن الإقبال عليه كان عظيماً .. ثم إن العشرات من أصحاب المكاتب والمطابع طالما توسلوا إليه وطلبوا منه بإلحاح أن يسمح لهم بطبع ديوانه الثاني ، وهو لايفعل ، معتذراً بأن هذا الأمر يحتاج إلى ذي عزيمة ونشاط يرتب الديوان ويقدمه للطبع ويعتني به» ! ..

ثم قال سركيس وكأنه يضرب كفاً بكف لفرط



الشاعر أحمد شوقي : جعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. وبذل في سبيل شعره ثمناً فادحاً !

دهشته :

«عرضت على شوقي أن أفعل ذلك كله إذا هو دفع إلي قصائده ، فأجعلها في أحسن نسق ، وأجمل طبع ، مع الشروح اللازمة فشكر ووعد ، وكان ذلك منذ عشر سنوات ــ أي سنة ١٩١١ ــ ولا أزال أنتظر ! .. فإذا كان شوقي لايهتم كل هذا الزمان بنشر ديوانه مع علمه بميل الناس واستعداد أصحاب المكتبات والمطابع ، فكيف ينتظر صاحب الاقتراح ــ أي اقتراح التقدم لجائزة نوبل ــ أن أكلف أنا نفسي كثيراً من وقتي ونشاطي والحاحي لأتوسل إلى شوقي أن يساعدني على قضاء هذه المهمة ؟! ..»

كان شوقي أول شاعر مصري أو عربي يفكر أدباء من مصر والشام في السعي إلى ترشيحه لجائزة نوبل ، فلم يبال بهذا الترشيح ، وأحجم حتى عن جمع وطبع شعره في ديوان كامل .. ولم يكن يغيب عنه بطبيعة الحال أن الكثير من قصائده الكبرى قد نشر في الصحف غفلا من توقيعه أيام كان يعمل في الديوان الخديوي قبل نفيه إلى أسبانيا سنة ١٩١٤ حتى أن رثاءه المشهور لمصطفى كامل : «المشرقان عليك ينتحبان» نشر في جريدة «اللواء» بلا توقيع ، وكذلك قصيدته الكبيرة : «ياأخت أندلس عليك سلام» نشرت في جريدة «المؤيد» بلا توقيع .. وقس على هاتين القصيدتين مئات من القصائد والمقطعات والأراجيز ، أوشكت أن تضيع لولا أن تدارك أكثرها الأديب العلامة المرحوم الدكتور محمد صبري «السربوني» في كتابه «الشوقيات المجهولة» ! .

ويذكر الدكتور السربوني دليلا على عزوف شوقي عن الانشغال بجمع شعره ونشره في ديوان ، أنه لقيه في باريس صيف ١٩٢٣ وكان شوقي يزمع الذهاب إلى الشاطىء الفرنسي للاصطياف ، فقال له السربوني ، والإعجاب بشعره ملء كلماته البسيطة الموجزة :

ــ أريد أن أنتهز هذه الفرصة لتأريخ حياتك وشعرك ! ..

فأطال شوقي النظر اليه ، ثم قال له باللهجة العامية كأنه يسأله عن «تكاليف» هذه المهمة :

ــ عايز كام ؟!

فطن السربوني إلى معنى هذه الصيغة العامية ، وأذهله ماذهب اليه شوقي من سوء الظن فقال له بنفس اللهجة العامية ومعناها المختصر الحاسم :

ــ مش عايز حاجة !..

والسربوني لبث طوال حياته يعظم شوقي ويرفعه فوق شعراء عصره ، ولكن شوقي اعتاد ــ بعد عودته من المنفى ــ أن يطرق بابه من يرتزقون بالثناء عليه في الصحف الصغيرة والكبيرة ، وفي المجالس والمنتديات ، فيعطيهم من ماله كما أعطوه من مقالهم ، وقد ظن أن السربوني واحد من هؤلاء ! .. ولاتقل : أين ذهبت عن شوقي فطنته وفراسته في هذا الموقف ؟!

ثم ألح أصدقاء شوقي عليه حتى أصدر في سنة ١٩٢٦ الجزء الأول من ديوانه مصدراً بمقدمة من قلم الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم استحثوه على اصدار الجزء الثاني فأصدره سنة ١٩٣٠ ، وبعد وفاته صدر الجزء الثالث ثم الرابع !..

وبقي بعد ذلك تلك القصائد التي جمعها الدكتور السربوني في كتابه «الشوقيات المجهولة» .. ولو لم يجمعها لضاعت أو نسبت إلى غير صاحبها ، وربما جاء من الشعراء أو الشعارير من يحلف بالأيمان المغلظة أنها له وحده دون غيره ، كما حلف سبعون شاعراً في قديم الزمن على القصيدة «اليتيمة» المجهولة النسب :

هَل بالطلول لسائل رَد
أم هَل لها بتكلم عَهد !

وفيها يقول صاحبها :

ضدان لما استُجْمِعا حَسُنَا
والضد يظهر حُسْنَهُ الضد .

والمضحك أن الأضداد الذين اجتمعوا على الحلف عليها ، خرجوا من تضادهم فيها بوجوه قبيحة خالية من كل أثر للحسن ، فقد ثبت أنهم جميعاً كاذبون ، وبقي صاحبها المجهول مجهولا ! ..

كان من غير المستطاع أن يصدر شوقي شعره كله في ديوان كامل متتابع الأجزاء ، إلا بعد تحرره من وظيفة القصر الخديوي ، ثم تحرره من المنفى عقب الحرب العالمية الأولى ، فقد حاول صاحب صحيفة «عكاظ» القاهرية الأدبية خلال تلك الحرب أن ينشر «الشوقيات» فحال دون نشرها قلم الرقيب التابع للسلطة البريطانية .. «فقد أعمل قلمه في الشوقيات شطباً وحذفاً وتشويهاً وإفساداً» .. على حد تعبير المرحوم فهيم قنديل صاحب عكاظ .

ولما عاد شوقي من المنفى ، عاد بنفسيته وعقليته ونظرته القديمة للأمور ، وكان حذراً خائفاً من الانجليز والسلطان أحمد فؤاد ، فلا يتكلم إلا بحساب ، ولايجالس أحداً إلا متوجساً مرتاباً .. ولبث كذلك سنتين أو ثلاثاً حتى اطمأن واندمج في الحركة الوطنية وتناسى الماضي ، فبدأ يعقد صلات جديدة مع أناس جدد ، ويمر على دور الصحف ، ويجالس أصحابها ورؤساء تحريرها ويسمر في مجالسهم ، ويستجلب مودتهم وتأييدهم له ، بعد أن شرع في الهجوم عليه نقاد جدد تنضح أقلامهم حدة عليه وكراهة له وزراية بشعره .. يحاولون هدم اسمه ، وخلعه من إمارة الشعر ! .

كان العقاد والمازني وطه حسين وغيرهم ينقدون شوقي نقداً شديداً ، وهو أعزل من سلطانه القديم غير قادر على اسكاتهم ، فنبهته ضربات هذه المعاول في صرح شعره ، إلى أن زمن اللامبالاة قد انقضى ، وأن من واجبه حيال شعره الذي هو مجده وحسبه ونسبه بين الناس ، أن يدفع عنه أعداءه ، ويحاربهم بسلاح كسلاحهم ، فأخذ يجمع حوله الأقلام المعجبة بشعره ، باسطاً عليها رعايته وسخاءه ومودته ، فنشبت بين هذه الأقلام والنقاد الجدد معركة هائلة دخلت تاريخ الأدب العربي المعاصر ، ولا خفاء بها على أحد ..

كان المدافعون عن شوقي هم أصدقاؤه ومريدوه ، إلا بعض كبار الأدباء ، أمثال مصطفى صادق الرافعي الذي ألفَ كتاب (على السفود) في نقد شعر العقاد ، فكان هذا الكتاب النقدي الفريد في شدته وسخريته وسعة اطلاع صاحبه ، أشبه برد

اعتبار لشوقي ، وإن لم يقصد الرافعي ذلك ، لأنه كان يضمر الموجدة لشوقي ، فلما أراد شوقي أن يلقاه ليشكره امتنع الرافعي من لقائه (سنة ١٩٢٩) لأن شوقي سبق له في عز جاهه ومجده (سنة ١٩١٠) أن رفض مقابلة الرافعي حين ذهب اليه يزوره في مكتبه بقصر عابدين ..

أما الأديب الكبير الآخر الذي انتصر لشوقي فكان الدكتور زكي مبارك ، فقد التقيا في بعض المحافل ، فبادر زكي مبارك يقدم نفسه اليه قائلا بظرفه المعهود :

ـ أنا الدكتور زكي مبارك ملك الشعراء .. وقد عينتك أميراً للشعراء ! ..

فضحك شوقي ، وسرته هذه الدعابة ، ونشأت بين الرجلين صداقة حرص عليها ، وحرص عليها زكي مبارك لأنه ماكان لينضم إلى فئة من رءوسها طه حسين عدوه الألد في ذلك الحين ! ..

بقي الكاتب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي الذي أغرق في الثناء على شوقي ، حتى أثار بعض الريبة في بواعث إغراقه في الثناء عليه ، وغمزه الرافعي بطريقته اللاذعة فقال إنه يمتدح شوقي «امتداحاً ذهبياً» ! .. غير أن شوقي استمسك بصاحبه المنفلوطي لشهرته وقدرته وحسن بلائه في محاربة عدوه ، وحفظ له هذه اليد ، فرثاه حين مات ١٩٢٤ رثاء بليغاً صادق الإحساس .

وتعاظم شعور شوقي ـ بعد لامبالاته القديمة ـ بالحاجة إلى الدفاع عن مكانته في الشعر ، وعلم أنه لايكفيه أن يكون شاعراً مجيداً ليسلم له الجميع راية الشعر ويبايعوه بالإمارة والإمامة على الشعراء ، بل الأمر يحتاج إلى حياطة ورعاية ودعاية واسعة مستمرة لشعره ، مقرونة بهجوم مضاد لكل هجوم يشنه عليه ناقدوه أو اسدوه .

وكان شوقي في قديم عهده ـ أيام الخديو ـ لايحتاج إلا لكلمة أو إشارة ، لتنحية منافسيه من الشعراء وتأديبهم عند الضرورة .. كما فعل مع حافظ ابراهيم الذي طمع أن يكون الشاعر الثاني في بلاط الخديو ، فأبعده شوقي بحزم وعنف ، على أن حافظاً لم يكن نداً لشوقي في الشعر ولكنه كان ماهراً في المديح ، وكانت شهرته في الشعر تضارع شهرة شوقي ! ..

وأشد من ذلك وأقسى مافعله بالشاعر عبد المحسن الكاظمي الذي نزل القاهرة سنة ١٩٠٠ وعاش بها نزيلا لارزق له من أي مورد ، إلا ماكان يقتطعه «المفتي» الشيخ محمد عبده من مرتبه ويرسله إليه في بيته كل شهر . فلما توفى المفتي سنة ١٩٠٥ تقطعت أسباب الرزق في يد الشاعر الكاظمي فذهب إلى قصر الخديو يطلب رزقاً ، ولعله ظن أن شوقي سيكون عوناً له في طلبه ، فإن شوقي هو القائل في صفة الكاظمي : «نظرته شعر ، ومنطقه شعر ، وجلسته شعر ، وضحكته شعر ، ومشيته شعر ، وهو في كل ذلك يحبب إلى النفس الشعر .. ليس بين الأدباء من يجهل الشيخ عبد المحسن الكاظمي فهو قمر بغداد الذي لم يكن يخفى في مصر» ..

ذهب الكاظمي إلى «عابدين» وهذه الكلمات ترن في سمعه فتبعث في نفسه الأمل ، وأوشك الخديو أن يأمر له براتب شهري لولا أن قال شوقي : «أنسيت يامولانا أن هذا الرجل كان شاعر المفتي ؟ !» ..

وضاع الراتب على الكاظمي لأن شوقي استطاع أن يثير في الخديو عداوته القديمة للشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ! ..

فشوقي إذن لم يكن من بداية أمره ونشأته في إمارة الشعر وشعر الإمارة ، غافلا عن منافسيه ومزاحميه ، ولا متسامحاً في معاملتهم ، إلا أنه كان مسيطراً فوقهم وفوق غيرهم مدة خدمته في الديوان الخديوي ، وكانت كلمته تمنح وتمنع ، فأقصر عن منافرته كل شاعر ، ولم يصرح له بالعداوة والبغضاء أحد من النقاد كما فعل فيما بعد نقاد العشرينات الذين فوجىء باجترائهم عليه ، واستهانتهم به ، وهو من هو ! ..

لقد وجد شوقي نفسه بعد عودته من المنفى ، بين ثلاثة أعداء : النقاد المتحاملين عليه .. والانجليز المتربصين به .. والسلطان فؤاد المرتاب في ولائه ، فهرع شوقي إلى الحركة الوطنية فاحتمى بها ، فلم تقصر في حمايته لأنها وجدت فيه أشعر شعرائها ..

ثم التفت شوقي إلى ناقديه وشانئيه ، فجمع حوله من حملة الأقلام جنداً كثيفاً يذود هؤلاء الأعداء عنه ، فإذا أنشد المنشد قصيدة شوقي في السرادق المقام لرثاء سعد زغلول سنة ١٩٢٧ .. ثم وقف عباس العقاد فأنشد قصيدته في رثائه ، ثم قام حافظ ابراهيم فأنشد .. خرجت الصحف في اليوم التالي وفيها تعليقات تهزأ بالعقاد وتقول : مَن هذا الغراب «أي العقاد» الذي قام في سرادق سعد ينعق بين بلبلين ؟! .

وأظن شوقي وإن كان قد سَره كثيراً هجوم جنده على العقاد وتشبيههم شعره بنعيق الغراب ، لم يسره أن يشبهوا حافظ ابراهيم بالبلبل ، لكن «البلاغة» في هذا المقام تقتضي محاصرة «الغراب» الناعق بين بلبلين صادحين ! ..

لقد عاش شوقي حتى بلغ الخمسين من عمره تقريباً ، لاينافسه شاعر سراً ولا علنا ، إلا ماكان من تطاول الشاعر عبد الحليم المصري عليه وزعمه أنه أشعر منه وأجدر بعطف الخديو والقرب من أعتابه .. وما كان من هجاء الكاظمي له بأبيات أرسلها اليه بشجاعة نادرة وبلا نظر إلى خطورة العواقب .. يقول :

تعال الله ما صَورَكَ الله «م»
وكم صَور ! ..
فلهفي لَكَ من هَاد
غواه الدهر فاستكبر

أما في السنوات العشر الأخيرة من حياة شوقي فقد وجد نفسه وقد ذهبت دولته الخديوية فلم يبق له من العز والجاه ـ مع المال الذي يملكه أو تملكه زوجته ـ إلا شعره الذي طبقت شهرته الآفاق ، وحصل به على منزلة اجتماعية رفيعة مع منزلته الأدبية العالية ولقب «أمير الشعراء» .. فعض على هذا اللقب بالنواجذ ، وبذل أقصى وسعه ليجعل من شعره حصناً حصيناً لاتثلم أسواره معاول النقاد ، وانقلب الشاعر الذي كان مدلا بجاهه وماله ونفوذه في عهد الخديو .. والذي لم يكن يبالي حتى بتذييل قصائده باسمه .. انقلب هذا الشاعر المطمئن إلى دوام الحال ، فإذا به نهب للوساوس والمخاوف .. يجزع من كل سهم يراش إلى قلعته ولو كان سهما طائشاً ضعيفاً ، وتتوزع حياته المساعي الدائبة لتوثيق علائقه بأصحاب الصحف والصحفيين والكتاب والنقاد ، ويتخذ من بعض عارفيه رواة له يروون شعره في المحافل والمجالس ويشيدون بها وبه في كل مكان ، ويردون عنها وعنه كل نقد صحيحاً كان أو زائفاً ! ..

ثم سعى الى كسر الحلف غير المكتوب بين المازني والعقاد وطه حسين وغيرهم .

فأما المازني فحضر مأدبة في دار شوقي ، خجل بعدها من الكتابة ضده ، وقال في بعض اعترافاته : كنا شباناً نحمل على شوقي لكي نشتهر .. وقد اشتهرنا ! .

وأما طه حسين فجمعته وشوقي مصايف أوروبا ولبنان ، فسكت بعد شجار ونقار وغمز طويل .

ولم يثبت على الرأي أو الضغينة إلا العقاد ، فقد اشتوى عوده حياً وميتاً ، وكتب عنه بعد وفاته أعنف مما كتب عنه في حياته ، ولم يعدل عن رأيه حتى وهو يحاول التظاهر بالعدول عنه ، أو عن بعضه بعد زمان طويل ! .

ولكن شوقي ظفر في معركته على كل حال ، وانكسرت بين يديه الجبهة التي توحدت ضده حيناً ، فعاش أخريات عمره في حلم جميل من أحلام السعادة والمجد والصيت البعيد ، لاينغصه إلا ماطرأ على صحته من تفاقم الأمراض ..

وكان شوقي يبتغي من زياراته المتكررة الطويلة إلى لبنان وسوريا ، لا مجرد الاصطياف ، بل ـ إلى ذلك ـ الدعاية شبه «الانتخابية» واصطناع الناس واكتساب الأصدقاء والمعجبين والمؤيدين ! .. وقد



أحمد فؤاد
كان يحارب شوقي ولا يثق فيه



عباس حلمى الثانى
كان يحب شوقي ويناصره على كل أعدائه

نجح في ذلك إلى مدى بعيد ، فكانت رحلاته السنوية إلى جبل لبنان وفي صحبته المطرب محمد عبد الوهاب ، عيداً للشعر ومهرجاناً للغناء والفن ، يمتد شهرين أو ثلاثة كل عام ..

وفطن شوقي إلى فائدة لقائه الشخصي بأدباء البلاد العربية حين سمع أشعاره تدور على ألسنتهم في بيروت ودمشق ، كأنهم رواته ، فقال يذكر هؤلاء الرواة في قصيدته الدمشقية الرائعة : «سلام من صبا بردى أرق» :

رواة قصائدي فاعجب لشعر
بكل محلة يرويه خلق

وساق الشكر العميق اليهم في رائعته التي مطلعها : «قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا» :

يافيتية الشام شكراً لا انقضاء له
لو أن إحسانكم يجزيه شكران

أما لبنان وشعراؤه فكما قال :

قالت تري نجم البيان فقلت بل
أفق البيان بأرضكم يممته
بلغ السها بشموسه وبدوره
لبنان وانتظم المشارق صيته
من كل عالي القدر من أعلامه
تتهلل الفصحى إذا سميته
حامي الحقيقة ، لا القديم يؤوده
حفظاً ، ولا طلب الجديد يفوته

وكان شوقي وراء رحلة المطرب محمد عبد الوهاب إلى بغداد للغناء بين يدي الملك فيصل الأول سنة ١٩٣٠ فاقترن شعره بصوت هذا المطرب المشهور في قصيدته الذائعة التي غناها :

ياشراعاً وراء دجلة يجري
في دموعي تجنبتك العوادي

وبهذا وأمثاله سحر شوقي الألباب واستولى على مسامع الشعراء والأدباء في كل بلد عربي في زمن لم يكن فيه من وسائل الاتصال والدعاية بين البلاد العربية إلا أوراق الصحف والكتب ، وماكان أقلها عدداً ، وأكثرها أثراً ومدداً ! ..

وصار شوقي شاعر العرب لاشاعر مصر وحدها ، وأجمع على تقديمه وتفضيله غالبية أهل الأدب والرأي في البلاد العربية ، وأثمر إجماعهم أشهى ثمراته لشوقي حين توافدوا على القاهرة سنة ١٩٢٧ من العراق وفلسطين ولبنان وسوريا والبحرين والهند ، وتوجوه أميراً للشعراء في كل البلاد العربية والإسلامية .

هل كان شوقي يبلغ هذه المنزلة من إجماع الأدباء والشعراء عليه ، لو كان ــ بعد عودته من المنفى ــ قد سلك نفس مسلكه القديم في عهد الخديو عباس حلمي : يقول الشعر ويرميه ولايبالي ، أو ينشره بلا توقيع ، ويتهرب من جمعه في ديوان ؟! .

نظن أن شوقي لم يكن لينجح أو يبلغ مابلغ إلا بمسلكه الجديد في التعامل مع الأدباء والنقاد ، وهو نقيض مسلكه القديم .. إلا أنه لم يكن لينجح في هذا السبيل الجديد لو لم يكن جديراً بإجماع الناس على تقديره وتأميره ، وبخاصة في زمنه الذي كان للشعر فيه مقاييس معروفة لايمكن فيها التدليس والتلبيس وتزوير الحقائق كما نرى الآن أحياناً ..

لقد وجد شوقي أن حق موهبته عليه يقتضيه أن يدافع عنها ، ويقدمها للناس أحسن تقديم ، ويعرفهم بها أشمل تعريف ، بلا تزيد ولا دعاوى باطلة ! ..

وكان على الأهبة في كل وقت لمقارعة خصمائه أو موادعتهم إن قبلوا الموادعة ، دائباً في تأليف القلوب حوله ، فلا يمر عليه يوم وليلة إلا طاف بالصحف كبيرها وصغيرها ، وكانت مائدته الكبيرة في قصره ــ كما يقول صديقه الشاعر أحمد محفوظ في كتابه «حياة شوقي» ــ : «لا ترفع أطباقها ولا يطوى غطاؤها ، فهي دائماً محفوفة بمن يخشى أقلامهم ويخاف نقدهم» ! ..

واستغل بعض المهازيل والزعانف هذه الثغرة في شوقي فأثقلوا عليه بمطالبهم ، ولم يكن له مناص من تلبيتها ، حتى أن أحد « النقاد » نشر مقالا مقذعاً ضده ، فأرسل إليه ــ كما يقول أحمد محفوظ ــ «في اليوم التالي لنشره النقد وأعطاه وخلع عليه» !

مع ذلك كان شوقي شديد الثقة بمناعة مكانه على رأس الشعراء .. قال مرة للدكتور هيكل : «ماذا يقصد طه حسين من توجيه النقد لي في جريدتك ؟! .. أيظن أنه قادر على هدمي ؟! .. قل له إنني مجد قد اكتمل تكوينه» ! ..

كان شوقي معتل الصحة منذ طفولته ، فلم يكد يتخطى الخمسين من عمره حتى بدأ كأنه في السبعين ، ولكنه عاش هذه الخفقة الأخيرة من عمره نجماً ساطعاً في المجتمع المصري والعربي ، بعد أن دفع الثمن من أعصابه فادحاً ليحتفظ بهذه «النجومية» غير المسبوقة في تاريخ الشعر العربي كله .. والتي لم تتكرر ..

وقد سعد شوقي أشد السعادة حين صدرت جريدة «الجهاد» لمحمد توفيق دياب ناطقة بلسان حزب الأغلبية حينذاك ، وتحت اسمها الضخم ، بيت شوقي :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا
إن الحياة عقيدة وجهاد

لقد نفذ شوقي هذا البيت من شعره تنفيذاً عملياً دقيقاً فوقف دون شعره مناضلا عنه حتى آخر يوم في حياته .. فهل كان على حق في الدفاع عن شعره هذا الدفاع المستميت ؟!

في رأينا أنه كان على حق ، فقد حفظ به للعربية تراثاً لاينبغي أن يضيع ، ولا يصح التسليم فيه بأقوال أعدائه أو حاسديه أو ناقديه ، لأن تمحيصها يظهر فضل شوقي ويرد عنه أكثر هذه الأقاويل ، وإن كان مجال النقد الصحيح في شعره واسعاً لمن أراد الإنصاف .

ولعل شوقي كان أنانياً في حبه لشعره ، جزوعاً هلوعاً عليه ، شديد السخاء بماله وطعامه في سبيله ، لكنه إنما كان يناضل في موقف تاريخي للشعر العربي كله ، كان شعره فيه محور هذا النضال ذي الأثر البعيد .

وقد أصابه التوتر الدائم الذي جلبه عليه هذا الصراع ، بداء القلب فقضى عليه ! ..

ولعلنا لانجد في تاريخ الشعر العربي كله شاعراً بذل في سبيل شعره هذا الثمن الفادح ، حتى ارتخص حياته في سبيله ، وجعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. كيف يبقى ، وكيف يتطور ، وكيف يكون في عصرنا ديوان العرب .. كما كان ! !

كمال النجمي

● بيته ملىء بالقطط الصغيرة التى تمرح فى أرجاء المنزل .
● زوجته هى قارئته الأولى وسلاحه الذى واجه به متاعب الحياة
● أول مدرسة تعلم فيها هى حكايات الشاطر حسن والسندباد وعلاء الدين وسائر أساطير ألف ليلة
● رواية الخيال العلمى فى الغرب .. جذورها عربية .
● القمر ملىء بمعادن أكثر نقاء وجودة من مثيلاتها على الأرض .
● صلاح الدين معطى كاتب جديد لامع فى مجال الخيال العلمى .. تذكروه وانتبهوا إليه .

نهاد شريف

رائد الخيال العلميّ في الأدب العربي

حوار أجرته : سارة

الخيال العلمى هو عنوان لعصرنا ، ربما اليوم أكثر من أى يوم مضى .. فهو ينطلق نحو الأمام مخترقاً طريقه غير عابىء بهؤلاء الذين ينظرون إليه من أعلى ، ويسخرون من معالمه وكُتّابه ، ويتصورون عمره القصير .. والخيال العلمى لا يهمه أن يتبعه أو لا يتبعه أحد .. فقد استطاع أن يحدد معالمه ويجذب إليه مريدين متعصبين متحمسين له . لن يتخلوا عنه أبداً .. ولن يتنازلوا قط عن الولاء له ، فقد فجر كُتّاب الخيال العلمي خيالاتهم بلا حدود دون أن توقفهم قيود السوق أو التجارة .

ولقد استطاع أدب الخيال العلمى أن يتحرر من ذلك الإطار الضيق الذى التصق به لسنوات طويلة ، خاصة منذ منتصف القرن الماضى فى ثلاثينات هذا القرن .. وبدأ يستولى على كل أشكال الأدب ، فاستطاع أن يفرض نفسه على هذه الأشكال باعتباره أدبا تجريبيا وليس هامشيا .

هذه هى السطور الأولى من كتاب « نهاد شريف وأدب الخيال العلمى » . ـ تحت الطبع ـ لمحمود قاسم .. ومن هذا المنطلق الذى ذكره الكاتب ، كان الحرص على لقاء رائد قصص الخيال العلمى نهاد شريف الذى استطيع أن أقرر مطمئنة ـ كما يقول يوسف الشارونى ـ إلى أن الرواية العلمية العربية ترسي دعائمها على يديه ، ولئن كان أدبنا العربى المعاصر قد عرف الرواية العلمية ، فإن ما عرفه منها يعتبر محاولات متواضعة للغاية إذا ما قيست بجهود نهاد شريف الجادة .. ويكفى أنه استطاع الإفلات من دفع التيار السائد الطاغى ليكتشف بنفسه ولنفسه أرضاً نادراً ما ارتادها غيره فى أدبنا العربى .



رائد الخيال العلمى نهاد شريف فى مكتبته التي تضم أهم الكتب والمراجع الثقافية

فى غرفة مكتبه بمنزله الصغير فى الدقى كان لقاؤنا .. غرفة مغطاة جدرانها بعشرات الكتب والمراجع .. تزينها لوحات متفائلة الألوان رسمها والده الفنان التشكيلي الراحل منير ابراهيم شريف أحد الرواد فى هذا المجال ، والذى كان ضمن أول هيئة قامت بالتدريس فى كلية الفنون الجميلة .

وقد أثار دهشتي حقاً تكاثر القطط الصغيرة ومرحها الصامت فى أرجاء المنزل ، وفسر لي نهاد شريف هذه الدهشة بقوله ضاحكاً : هذه القطط قدرنا أنها تأتي حيثما توجد ابنتى !

وقدم لي السيدة زوجته وكيلة معهد المعلمات بالزمالك بأنها مجدافه الذى عبر به مشاق الحياة .. قارئته الأولى .. وناقدته الأولى .. وأم لابنه الذى اتجه لعالم الأرقام والمحاسبة .. وابنته التى اتجهت لعالم السياحة الحي .

وحول البدايات البكر .. وإرهاصات الطفولة المتوهجة .. وتوثب الأحلام النزقة قال لي :

استطاعت جدتي أن تحتوى عقلي الطفل بحكايات الشاطر حسن والسندباد وعلاء الدين وعبد الله البري وقرينه البحري وسيل لا ينضب من أساطير ألف ليلة وليلة .. وكانت لديها مقدرة فذة وهى التى لا تحمل أى مؤهل دراسى على أن تروى لي القصة بأكثر من صورة حتى لا ينتابني السأم ، بل إنها كانت تضيف بعض التفاصيل الصغيرة الجديدة فى كل مرة تروى لي هذه الحكايات مما خلق لدى القدرة على تعدد الرؤى .. وقد ساعدها على ذلك أنها كانت قارئة ممتازة لأربع لغات .. ثم بدأت محاولة تقليد ما تحكيه لي كتابة متأثراً بإلقائها الجاد الرصين ، ومقلداً أسلوب أبي فى رسوماته وألوانه الحية التى انطبعت فى وجدانى عندما كان يأخذنى إلى مرسمه الخاص لأكون له عيناً محايدة وناقدة .. وبدأت أيضاً بالتسلل إلى مكتبة جدى لأصحب كامل كيلاني فى مؤلفاته العلمية المبسطة للأطفال .. ولأتطاول بعدها فى شغفي بالقراءة لابن خلدون والمعرى وابن طفيل وتشيكوف وديكنز وجول فيرن وويلز وهربرت جورج وكونان وغيرهم ..

وعندما كنت فى الرابعة عشرة كانت متعتي الكبرى تتركز فى اصطحاب قريب لي يعمل فى مرصد حلوان ، حيث كنت أتابع فى هدوء واهتمام مناقشات بعض علماء المرصد وخاصة الدكتور سماح الذى كان أحد كبار أساتذة علم الفلك فى مصر والذى كان لا يتردد فى الإجابة على أي سؤال كنت أطرحه .. وقد قيل عني آنذاك إن هذا الصغير قد أطل من مناظير المرصد أكثر من العلماء العاملين فيه .. وقد ظلت هذه التجربة الفريدة عالقة في نفسي حتى قمت بتسجيل آثارها فى روايتي الأولى « قاهر الزمن » والتى تدور أحداثها فى مرصد حلوان .. وهى الرواية التى ستتحول قريباً إلى فيلم سينمائى يقوم ببطولته نور الشريف وعادل أدهم ومحمود عبدالعزيز .

وسألته عن اسم هذا « المغامر » الذى سيقوم بإخراج رواية علمية إلى فيلم سينمائى ؟ فأجابني قائلا :

ــ أعتقد أنك على حق فى إطلاق صفة « المغامر » على المخرج كمال الشيخ ، لأنه ظن فى المرحلة الأولى

نهاد شريف
رائد الخيال العلمي في الأدب العربي

من التفكير أن تحويل «قاهر الزمن» إلى فيلم سينمائي يمثل مغامرة، وكنت أعضده في ذلك حتى استطعنا تجاوز المرحلة الصعبة وهي مرحلة إعداد السيناريو التي استغرقت عامين، ومازال حتى الآن بحاجة لبعض التعديلات الصغيرة، وقد كان أحمد عبدالوهاب كاتب السيناريو عند حسن ظننا جميعاً .. ولقد تحول معظم ما كتبت تقريباً إلى أعمال إذاعية ماعدا «قاهر الزمن» التي كانت «محجوزة» أساساً منذ صدورها عام ١٩٧٢ م لفكرة راودت كمال الشيخ في تحويلها لفيلم سينمائي.

الملامح الأدبية

• قلت لنهاد شريف ـ بينما زوجته تقدم لنا عصير المانجو البارد ـ كيف ومتى استطعت تحديد ملامح شخصيتك الأدبية؟

ـ إنك تذكرينني بأصعب مرحلة في حياتي .. مرحلة البحث عن الذات كما يحلو لي أن أسميها والتي بدأتها بكتابة قصص المراهقة الفكرية مثل الجارة الحسناء، ورسالة إلى طيفها .. وانضممت بعدها وكان ذلك عام ١٩٥٤ إلى القسم العلمي بمجلة آخر ساعة بتشجيع من صلاح جلال ـ نقيب الصحفيين حالياً ـ وكنت طالباً في كلية الآداب قسم تاريخ، إلا أنني لم أجد نفسي في العمل الصحفي .. وعينت بعد تخرجي مديراً للثقافة والارشاد بمديرية التحرير حيث قمت بإصدار مجلة محلية وأسهمت في خلق كوادر ثقافية وشاركت في إعداد البرامج للإذاعة المحلية، بل إنني عملت ممثلا مسرحياً مع فرقة الريحاني أثناء زياراتها المتكررة لمديرية التحرير .. ولقد وفقت في أداء الأدوار التي تتسم بالعصبية .. وعموماً فأنا لست إنساناً جماهيرياً .. إنني أنجح دائماً وأنا خلف مكتبي بعيداً عن الاحتكاك المباشر بالناس .. ومع ذلك فإن كل ما قمت به لم يستهوني ودفعني قلقي وعدم إحساسي بالرضا للانتقال من جديد إلى القاهرة لأعمل متحدثاً صحفياً لوزارة الزراعة ثم مديراً للعلاقات بهيئة تعمير الأراضي ..

وفي عام ١٩٦٣ بدأت مرحلة جادة في البحث عن ذاتي من خلال تعاوني مع الإذاعة والتليفزيون ومن خلال العديد من البرامج مثل دائرة المعارف وقصص وراء القصص، ودنيا ودين وأستطيع أن أقول أنني كنت ناجحاً في كل الأعمال التي قمت بها، إلا أنه كان نجاحاً يفتقد الحرارة .. ولقد صحبتني دوماً خلال رحلة عمري ملايين الرؤى والتصورات .. غامضة مبهمة .. متوجسة .. عنيفة الإيقاع .. وظلت أفكاري وأحلامي تؤرقني وتحرضني .. وتباعد بيني وبين أقراني وأفراد أسرتي حتى توصلت في النهاية إلى أن هناك أدباً عالمياً مميزاً .. أو عالماً سحرياً يسمى أدب الخيال العلمي .. فلما أعدت اكتشاف كتّاب هذا الأدب وألفت مجالات نشاطاتهم الذهنية وجدت الشجاعة أخيراً لأعبر عن أحلامي وخيالاتي .. فتناولت فكرة علمية ظلت تراودني ما يزيد عن أعوام عشرة لأعلن من خلالها عن اتجاهي الجديد .. وكانت روايتي العلمية الأولى «قاهر الزمن» التي تحمس لها الصديق يوسف الشاروني والذي فاجأني بتحديد موعد مع رئيس القسم الأدبي بدار التحرير المشرفة على جريدة الجمهورية .. وقد طلب مني ـ رئيس القسم ـ بعد الاطلاع على الرواية حذف أو تعديل العبارة التي أقول فيها «إنني سئمت واقعي وسئمت ما يكتب من الواقع ولابد لي أن ألجأ إلى أجواء أخرى تتناول رؤى خيالية» ليتمكن من نشرها مسلسلة .. إلا أنني رفضت أي حذف أو تعديل لأنني لم أتفق معه في أن هذه العبارة تسيء إلى كبار كتاب الواقعية في مصر .. وقد قدر لهذه الرواية أن ترى النور عام ١٩٧٢ بعد حصولها على الجائزة الأولى من نادى القصة عام ١٩٦٩ وميدالية يوسف السباعي الذهبية عام ١٩٧٠ .. وقد حصلت كذلك على ثلاث جوائز أولى عن ثلاث قصص قصيرة من نادى القصة عام ١٩٧٠ .. وقد صدر لي حتى الآن روايتان وأربع مجموعات قصصية.

الخيال العلمي والتراث

وطلبت من نهاد شريف أن يحدد الهدف من كتابة قصص الخيال العلمي .. فأجابني قائلا:

ـ الواقع أنني لم أطرح هذا السؤال على نفسي أبداً وإنما كنت أكتب فقط تعبيراً عن مايتفاعل في داخلي .. ولكني أستطيع أن أقول أن الهدف الأساسي كما حدده المؤتمر الذى عقد في فرنسا منذ عامين هو تناول وتوضيح الآثار السلبية والإيجابية لمنجزات التكنولوجيا وتأثيرها على حياتنا، والإعراب عن المخاوف من التقدم العلمي غير المتكامل وبيان ما وصلت إليه بعض النظم البشرية ـ بفضل العلم ـ من تهديد لإنسانيتنا .. كما أن الخيال العلمي قد استخدم للتعبير عن بعض القضايا المعاصرة مثل قضية هوية الإنسان والتعارض بين ظاهره وباطنه .. وكذلك في رأيي أن من أهداف أدب الخيال العلمي تبسيط العلوم وتقديمها بصورة جذابة لطبقات الناس التي تنفر من كل ما هو علمي وجاف، بالإضافة إلى ترغيب الشباب في التفكير العلمي الجاد!

• هل ينتسب أدب الخيال العلمي إلى التراث الشعبي والخرافي أم إلى تراث الأدب الجاد؟

ـ الأسطورة هي الجذور الرئيسية لأدب الخيال العلمي .. وهي التفكير العلمي الأول للإنسان في محاولاته الجادة لمعرفة ما يحيط به من ظواهر طبيعية، وهذا ما أشار إليه روبرت شول في كتابه « »!

وقد تجاهل الدارسون الأجانب لفترة طويلة الجذور العربية المؤكدة لأدب الخيال العلمي والتي سبقت الجذور الغربية .. مثل آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي في القرن العاشر، وهي نوع جاد من اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة سبقت يوتوبيا توماس مور في القرن السابع عشر..

وهناك أيضاً قصة «حي ابن يقظان» لابن طفيل في القرن الثاني عشر والتي سبقت بقرون قصة روبنسون كروزو، ومن بعدها قصة طرزان، وهما في نظر الدارسين من جذور الخيال العلمي .. وقد أشرت في العديد من المؤتمرات إلى هذه الجذور العربية، ويقوم أحد المستشرقين الألمان حالياً بإعداد دراسة كاملة عن قصة «حي ابن يقظان» معتمداً على المعلومات التي قمت بتزويده بها ـ وكذلك ـ على كتاب شيخ الأزهر الجليل محمد عبدالحليم محمود عن ابن طفيل!

• هل رواية الخيال العلمي رواية أفكار أو رواية حبكة جيدة وشخصيات مدروسة؟

ـ لا هذا ولا ذاك!. بل هي رواية تعتمد أساساً على مدى تمكن الكاتب وقدرته على فهم ومتابعة منجزات العلم ومبتكراته!! وليس شرطاً أن يكون الكاتب متمكناً من الكتابة كأديب، فهذا نوع من المراس يستطيع اكتسابه مستقبلا .. ولكن الأهم أن يكون قادراً على «تنفس» المعلومات العلمية وهذه مهمة شاقة وعسيرة تتطلب لإنجازها صبراً في عصر بلغت فيه إنجازات العلم وتفرعاته حداً رهيباً تستحيل معه القدرة على المتابعة والإلمام بكل جوانبه.

وتساءلت .. لماذا الطبيعة البشرية في هذا اللون من الروايات مبسطة تبسيطاً شديداً خاليا من النضج والعمق؟

ـ لأن الكاتب يحصر جهده وانتباهه عند الكتابة بالإتجاه العلمي للرواية وتكون شخصياتها عادة مجرد أدوات تنفيذ لأفكار ومخططات علمية!! ولكن هذه ليست قاعدة تطبق على الجميع فهناك بعض الكتاب الذين يكون اهتمامهم بالشخصيات مساو لإهتمامهم بالفكرة العلمية!! وأنا شخصياً أحاول التركيز على شخصية أو أكثر في كل عمل من أعمالي!

• لماذا ركزت اهتمامك بشخصية الصحفي في روايتك «قاهر الزمن» دون الآخرين؟

ـ لأني أردت أن أوضح كيف يمكن لسطوة العلم أن تفقد الإنسان إتزانه والتزامه وتنسيق مبادئه!



نهاد شريف مع زوجته التى تعتبر الناقدة الأولى لأعماله

حول البناء الفنى

• ما هى – فى رأيك – أسباب ضعف البناء الفنى – عموماً – لرواية الخيال العلمى ؟

– أعتقد أن ضعف البناء الذى يعود أساساً إلى عدم عقلانية سير الأحداث فيها ، وعدم قدرتنا على تصديق ما يحدث .. إذ كيف يمكن أن نصدق أن « كبلر » قادر على نقلنا على جناح الحلم .. وكيف يمكننا أن نقتنع بمرافقة جول فيرن مع جماعته داخل قوقعة تطلق من مدفع هائل .. إن القارىء يقبل على قراءة الخيال العلمى كنوع من المتعة الذهنية ولكنه لا يستطيع أن يقنع نفسه حتى بمجرد محاولة تصديق ما يقرأ .

• النبوءة العلمية هدف محورى من أهداف هذا اللون من الكتابة ، فما هى بعض النبوءات التى تحققت ؟

– لا يمكن حصر النبوءات الصادقة التى أشار إليها كتاب الخيال العلمى .. فهناك مثلا نبوءة الوصول إلى القمر قبل عشرات السنين من بزوغ فجر عصر الفضاء ، وكذلك اختراع الغواصة .. وهناك آرثر كلارك الذى تنبأ بمعظم ما تقوم به الأقمار الصناعية الآن قبل سنوات من ظهورها .

• لماذا يتصور أبطال القصص العلمى – عموماً – أن فى تقيدهم بكوكب واحد نوعاً من السجن والنفى ؟

– لأن الانسان قلق بطبيعته يجنح لرفض وتحطيم كل القيود .. فإذا اعتبرنا أن البيت قيد بالنسبة له فإنه حتماً سيتطلع إلى ما وراء جدرانه ليرضي فضوله ونوازعه القلقة المتوثبه لكل ما هو جديد .. وكلما منحناه مساحة أكبر يمارس فيها تطلعاته للحرية فإنه سيظل يترقب مساحة أكبر وهذا ينطبق على أبطال الخيال العلمى الذين تمثل لهم الكرة الأرضية البيت الذى يجب تجاوز جدرانه ، وهذه ميزة تحسب للإنسان وتقف إلى جانب علوم المستقبل التى تبحث عن كوكب بديل أو مكمل يمكن للإنسان أن يعيش فيه ، وهو الأمر المحتمل حدوثه خلال العشرة قرون القادمة على الكوكب المحيط بالمجموعة الشمسية .. وسوف ينجح الإنسان فى خلق الظروف الملائمة له على سطح المريخ – مثلا – الأكثر برودة وكوكب الزهرة الأكثر سخونة بما سيحمل معه من معدات علمية جديدة .

• يقول كافور بطل ويلز « لا الانسان ذو فائدة للقمر ولا القمر للانسان » فهل تعتقد أن هذه المقولة قد ثبتت صحتها حتى الآن ؟

– ربما .. ولكن يكفيه أنه مازال بعد اكتشاف حقيقة وجهه المضيء مصدر وحي للشعراء والكتاب والعشاق .. ولكنى أستطيع أن أؤكد أن سيتم الاستفادة منه بصورة عملية فى المستقبل القريب وخاصة أن الكشوفات الأولى قد دلت على وجود أنواع جديدة من المعادن ، بالاضافة إلى أن أنواع المعادن الأخرى أكثر نقاء وجودة من مثيلاتها الموجودة على الأرض .

• هل تعتقد أن رواية الخيال العلمى قد وصلت إلى الطريق المسدود عندما اصطدمت بالمأزق الانسانى بين وعد العلم بالسعادة المادية المطلقة وبين استلابه للحرية الفردية والذاتية الشخصية وخلخلته للقيم الانسانية ؟

– لا .. لا أعتقد أن رواية الخيال العلمى قد وصلت الى الطريق المسدود ولا نستطيع الجزم بذلك لأن قلة من البشر أساءت استغلال طريق العلم .. فما زلنا فى بداية الطريق .. ومازال فى استطاعة العلم أن يقدم لنا الكثير الكفيل بحفظ توازننا النفسى والمادى .

• هل أنصف النقاد أدب الخيال العلمى وكتابه ؟

– أستطيع أن أؤكد أن النقاد لم ينصفوا أدب الخيال العلمى وكتابه ، وأنا أقصد بالإنصاف المواكبة المستمرة لأعمال الكاتب وتقييمها .. فأدب الخيال العلمى أدب جديد ومعقد ويتناول رؤية الكاتب العلمية والسياسية والانسانية فى وقت واحد .. وهذا يشكل عبئاً كبيراً على الناقد .. ولهذا يندر ناقد هذا الأدب الصعب سواء فى العالم الغربى أو العربى .

• هل تعتقد أن كاتب القصص العلمية أقل شعبية وشهرة عن غيره من الكتاب ؟

نهاد شريف

رائد الخيال العلمي في الأدب العربي

ــ هذا صحيح بالنسبة لوطننا العربي إلى حد ما .. ولكن لكتاب الخيال العلمي في العالم الغربي مكانة خاصة ومميزة .. وهذا يتضح في اختيارهم للعمل كمستشارين في بعض المؤسسات العلمية الكبرى ، وذلك يعود في رأيي إلى إيمان عميق بهم وبأهميتهم وبتأثيرهم على الناس .

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الكاتب العربي لا يجد الشجاعة الكافية لخوض هذا المجال اعتقاداً منه بصعوبته ولافتقاده القارئ المتحمس والناقد المواظب والناشر الجريء .

كتاب الخيال العلمي

• من هم كتاب الخيال العلمي في العالم العربي ؟

ــ كتب توفيق الحكيم مسرحية اسمها « رحلة إلى الغد » وقصة طويلة اسمها « سنة مليون » ولم يعتبرها النقاد المصريون وبعض المستشرقين من أدب الخيال العلمي .. في حين اقتصر الدكتور يوسف عز الدين عيسى على تقديم إنتاجه من هذا اللون إلى الاذاعة .. وكتب الدكتور مصطفى محمود روايتين : « العنكبوت » و « رجل تحت الصفر » .. وإن لم يعتبر النقاد روايته الثانية من الخيال العلمي .. ثم جئت أنا بكتاباتي .. وما يميزني عن هؤلاء الكتاب هو أنني قصرت جهدي على هذا اللون من الأدب .

• وماذ عن أعمال الدكتور أحمد زكي ؟

ــ مجرد كتابات علمية ولا يمكن اعتبارها من أدب الخيال العلمي .

• هل كتب تاريخ هذا اللون الروائي في الأدب العربي الحديث ؟

ــ لم يكتب بعد .. ولكنني بدأت منذ عام ونصف عام كتابة أول دراسة باللغة العربية عن أدب الخيال العلمي .. حيث تعاني المكتبة العربية من فقر في هذا المجال عدا محاولات بسيطة على شكل مقالات كتبها الدكتور نعيم عطية ويوسف الشاروني والدكتور علي شلش .

• هل تواجه قضية العلم في أعمالك من منظور يتشابه أو يختلف عن منظور الكاتب الغربي ؟

ــ إنني أواجه قضية العلم في كتاباتي من خلال نظرة ذاتية شخصية ونظرة محلية تتناول واقع أمتي العربية وما هي عليه من تأخر وتخلف في مجال العلم بالذات .. ونظرة أكثر شمولا تتناول العالم بأسره .. وحين أكتب فإن النظرة الشمولية تسيطر على واقع كتاباتي وتتركز في التحذير من المخزون النووي وترسانات السلاح في الدول الكبرى والصغرى على حد سواء .

• هل واجهتك مشكلات في البناء الفني للرواية كمشكلة الانتقال ــ مثلا ــ في الزمان والمكان ؟

ــ هذه فعلا واحدة من المشكلات التي يواجهها بعض الكتاب في البناء الفني للرواية .. ولكنني شخصياً استطعت تجاوزها .. وتبقى المشكلة الرئيسية والأهم وهي كيفية الحصول على أوجه النظر المتعددة للحقيقة العلمية الواحدة فمصادرها غربية بعيدة عن متناول يدنا .

نهاد شريف في سطور :

• من مواليد حي محرم بك الاسكندرية في ٢٥ يونيو ١٩٣٢ .

• حفيد رئيس الوزراء ومؤسس الدستور المصري محمد شريف باشا .

• مع أول عام ١٩٧٤ عمل مراقباً للمعلومات بالمجلس الأعلى للثقافة ثم مراقباً عاماً للتحرير والنشر ثم مديراً عاماً .

• عضو مؤسس باتحاد كتاب مصر . وعضو مؤسس وعضو مجلس إدارة « الجمعية المصرية للمحررين والكتاب العلميين » .

• مؤسس ورئيس « جماعة كتاب ومحبي الخيال العلمي المصرية » .

• تدرس أعماله في أقسام الدراسات الأدبية بجامعات القاهرة ، عين شمس ، الاسكندرية . ومعهد الاذاعة والتليفزيون .

• ترجمت مؤلفات له إلى اللغات : التركية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الصينية .

• له تحت الطبع ثلاث روايات .. ومجموعة قصص « الشيء » .. ودراسة بعنوان « الخيال العلمي أكثر نماذج الأدب إثارة » بالاضافة الى ثلاثية « الرحلة المستحيلة » ومجموعة مقالات .

• عضو لجان التحكيم في مسابقات القصة والرواية التي ينظمها نادي القصة والمجلس الأعلى للثقافة .

• شارك في مؤلفين : يوسف السباعي في ذكراه الأولى (١٩٧٩) ــ ألوان من الأدب المصري الحديث (١٩٨٠) .

• وقد صدرت كتب تناولت أعماله منها : عالم نهاد شريف .. إلى أين ؟ وبه مجموعة دراسات بأقلام مجموعة من أساتذة الفنون الدرامية في مصر (١٩٨٣) ــ التفسير العلمي للأدب للدكتور نبيل راغب (١٩٨١) الرواية المصرية المعاصرة ليوسف الشاروني (١٩٧٧) . بانوراما الرواية العربية . د . سيد حامد النساج (١٩٨٠) .

• ما هي القضايا الفكرية التي أثرتها في أعمالك ؟

ــ قضيتي الأولى والحاسمة والمهمة جداً هي قضية بقاء الجنس البشري .

• لكنك أثرت في رواياتك « قاهر الزمن » عدداً من القضايا الفكرية المرتبطة بحركة العلم في الساحة الاجتماعية وبما تثيره هذه الحركة من قضايا دينية واجتماعية وسياسية وإنسانية ، وأول هذه القضايا وأكثرها حدة قضية استخدام البشر في التجارب العلمية ، والقضية الثانية هي ألا يعتبر تبريد الأجساد تدخلا سافراً في مشيئة الله ؟

ــ بالنسبة للقضية الأولى فأنا أقف وبشدة ضد استخدام البشر في التجارب العلمية .. وأما بالنسبة للقضية الثانية فأنا لا أعتقد أن محاولة تبريد الأجساد تدخلا سافراً في مشيئة الله .. لأن الله الذي خلقنا هو الذي منحنا البصيرة لنكتشف مانكتشفه يوماً بعد يوم .. فمهما بلغنا من منجزات علمية فلن يكون خرقاً لإرادة الله .

للحوار بقية ..

وماذا بقي من هذا الحوار ..

قال لي نهاد شريف وأنا وجهاز التسجيل نصغي :

• كان يوسف السباعي عالما يحب العلماء .

• وكانت بعض مقالات أنيس منصور العلمية أفكارا حية لعديد من قصصي القصيرة .

• كان الناشر ــ في محاولاتي الأولى للنشر ــ يرجونى حذف عبارة « من قصص الخيال العلمي » حتى لا يصاب الكتاب بالكساد .

وتذكروا هذا الاسم « صلاح الدين معاطي » القاص المبدع الجديد القادم لأدب الخيال العلمي .. تذكروه .

• وقرأت تقريراً عام ١٩٧٦ يقول إن الذين يعملون من أجل دمار البشرية نحو ٤٠٪ من علماء اليوم .. والذين يعملون من أجل سعادة الانسانية والكون تؤخذ أعمالهم مباشرة للدمار ٢٠٪ والذين يعملون أيضاً من أجل خدمة البشر ويمكن أن تؤخذ بعض أعمالهم للهلاك ٢٠٪ أما الذين يعملون لصالح البشرية ولا تؤخذ أعمالهم ضدها فهم ٦٪ فقط .

• هذا التقرير المفزع كان أساس روايتي « سكان العالم الثاني » التي تنتمي لأدب الخيال السياسي .. وسوف يتم تحويلها إلى مسلسل تليفزيوني من إخراج فؤاد عبد الجليل .

• ابنتي إيمان تحاول كتابة الشعر .. وابنة أختي نازلي لها ديوان مطبوع .

وبقي أن أسجل كلمة قالها يوسف الشاروني : « لقد نجح نهاد بأن جعل من المغامرة العلمية مغامرتنا .. ومن حلم بطله حلمنا جميعاً » .

سارة

قصائد

شعر

أحمد عنتر مصطفى

العناكب

شُرفَتَينِ على الحلمِ مفتُوحتَيْنِ ، تَظلاَّنِ عَيْناكِ ، تحتَها (حينَ يَعْبُرُ قَلبي)
يَمُورُ التلهفُ بينَهما ، لكنَّني حين أُطْلِقُ عُصفُورةَ الشوقِ
تَنْقُرُ فيكِ النوافذَ ، تَرْتَجفِينَ ، تَفِرِّينَ منِّي ،
وَعُصفُورةُ الشَّوْقِ تَرْجعُ لى ، بَيْنَ مِنْقَارِها
الخيبةُ الداميهْ ...

دَائِماً تَلْعَقُ الريحُ وَجْهِى ..
حَيْثُ تنحدرينَ مِنَ الذاكره ..
للنهرِ تَغْتَسِلينَ ، تَعُودِينَ ،
فِى كَهْفِكِ المُظلمِ السنواتِ ، تَغِيبينَ ،
تَتكِئينَ على صَخْرةِ النَارِ .. ، تَنْكَمِشِينَ .. ،
الْعَنَاكِبُ تَنْسجُ فَوْقَكِ كلَّ خُيُوطِ الهُمُومِ .... ؟
وَأَنْتِ تَمُوتينَ فِى زَاوِيَهْ ! !

أوتوجراف

أرسمُ وردهْ
في حَجْمِ الفَرَحِ الجَامحِ ، تَزهُو ،
تَتَحدى سكيناً تَشْحُذها الريحُ الداميةُ المسعورهْ
وَجِبالاً ـ أَرْسُمُ ـ وبراكينَ ،
وَعينيْن كطفليْن وَديعيْن ،
وَأُمَاً تَحملُ طفلاً حافيةً مَذْعُورهْ
أَرسُمُ شمساً مُلْقَاةً نِصفيْنِ على الأسْفَلْتِ ،
وَفَاتِنةً تستقبلُ عاشِقَها ،
وَدِماءً في الغاباتِ ،
وَخُوذة جُندِى ،
وَقَميصاً ثَقبتْهُ الطلقاتْ ..

. . . .

. . . .

. . . . أَرْسُمُ قَلْبِى . . . .

نبوءة

. . وَلغيْرِى قَدْ تكُونينَ غَداَ
وَأَنا الآنَ على صَدْرِكَ أَغْفو ..
لَسْتُ أحْلُمْ
إنما أَهْرَبُ من عَينيْنِ يَبْدُو فيهِما شَىْءٌ مُحطَّمْ
وَرِياحُ تتركُ العُمْرَ رَمَاداً أَسْوَدَا
. . . . . .
وَلِغَيْرِى قَدْ تَكُونَين غدَا ..

مقاومة

. . وَكَانَ يُغَنِّى
وَكَانَ يُلاَطِفُ كُلَّ الصِغَارْ
وَكَانَ إذا لَكزَتهُ كُعُوبُ البَنَادِقِ
يَرْسُمُ وَرْدَهْ ! !



صورة علوية من الجو للمبانى الأكاديمية فى الجامعة ، ويبدو مبنى المكتبة وهو يتوسط الكليات .

جامعة قطر الجديدة : تجسيد للفكر المعماري الإسلامي المعاصر

القصة الكاملة لأحدث جامعة عصرية في العالم العربي

بقلم : السيد حجازي



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني فى حفل تخريج الدفعة الاخيرة من جامعة قطر، وسوف يفتتح سموه مبنى الجامعة الجديدة فى الثالث والعشرين من هذا الشهر

الأعمال الكبيرة هى علامات مضيئة فى عمر الزمن ، وهى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم والشعوب ..

وانشاء جامعة عصرية جديدة هو فى حد ذاته عمل كبير : ثقافياً وعلمياً وتاريخياً ..

وأحدث جامعة تفتح أبوابها خلال هذا الشهر هى جامعة قطر الجديدة ، أو بمعنى أدق : المبانى الجديدة لجامعة قطر ..

انها عمل كبير بكل المقاييس ..

فهى مجهزة بآخر ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا ، وهى تضم بين قاعاتها ومعاملها أحدث الأجهزة والمعدات ..

وهى أيضاً تحفة معمارية جديدة ..

فقد صممت بطراز معمارى فريد ، يجمع بين الأصالة الإسلامية ، وفنون العمارة الحديثة ، والطابع المحلى ..

من هنا كان الاحتفاء بهذا العمل ، وتسجيل كل الجهود التى وقفت وراءه ، ودعمت جهوده ، وحولته من مجرد فكرة الى واقع حى ملموس ..

وهذه هى قصة هذا العمل الفريد ..

هذه هى قصة أحدث جامعة عصرية فى المنطقة .. وربما فى العالم كله ..



مبنى كلية العلوم على اليمين ومبنى كلية الانسانيات على اليسار (صورة من الجو)

● لا تتماثل مع نظيراتها من الأبنية الجامعية فى المنطقة العربية وفى العالم

● أبنية فريدة من نوعها وطابع معمارى اسلامى مواكب لتطورات العصر

والبداية قديمة ..

فمنذ أن بدأ التفكير فى إقامة جامعة قطر صاحب هذا التفكير موضوع اقامة مبان جامعية مناسبة ..

ومن هنا يتضح أن فكرة المبانى الجامعية الجديدة هى قديمة قدم الجامعة نفسها ، وتطورت مع مراحل التعليم الجامعى منذ عام ١٩٧٢ ..

وكان طبيعياً ، هكذا يقول الدكتور محمد ابراهيم كاظم مدير الجامعة ، أن يكون التفكير فى اقامة جامعة قطر تفكيراً غير تقليدى : فى مبانيها وتصميماتها ..

فجامعة قطر ليست مجرد مكان يتلقى فيه الطلاب والطالبات المحاضرات من الأساتذة .

ولكن المبانى هى الوعاء الذى يفترض فيه تحقيق أكبر الفرص للنشاطات الجامعية .

لذلك فإن أغراض جامعة قطر من الناحية المكانية ـ والحديث لايزال لمديرها ـ أن تكون مستقراً لمجتمع بشرى ينشط وينمو ويتفاعل . ويكون للفكر والحركة المادية والانتماء المحلى والعربى والعالمى بصماته الواضحة عليه..

فالمبانى الجامعية مكان توجد فيه المكتبة والمختبر وقاعة الدرس والملاعب والمطاعم وساحات النشاطات المختلفة للطلاب .

كما أنها المكان الذى يسمح بعقد الندوات المحلية والاقليمية والدولية ..

وحتى قاعة الدرس فإنها ليست قاعة محاضرات بالمعنى المتعارف عليه . فأسلوب المحاضرة ليس الأسلوب الوحيد للنمو المتكامل لطالب الجامعة . بل إن جامعة قطر تتطلع الى نظام تعليمى جامعى يؤكد على تعلم الطالب بنفسه دون الاعتماد فقط على دور الأستاذ فى تعليم الطلاب .

ويضيف الدكتور كاظم مدير الجامعة :

لاشك أن نجاح الجامعة فى نهاية الأمر بالنسبة لطلبتها ، هو تخريج نوعية من الشباب قادر على النمو المتكامل وليس الأكاديمى فقط. قادر على تعميق مشاعره بالانتماء المرتبط بإدراكه لهويته الحضارية كمسلم وعربى وكقطرى وكانسان معاصر ..

ويتضح من هذا أن حاجة هذا الانسان للعلم لابد أن تتكامل بحاجته للرياضة والتعامل مع الناس وتحمل المسئولية والتحلى بالخصال الحميدة والسلوكيات المناسبة ..

لذلك فإن قاعة الدراسة يكون دور الأستاذ فيها إدارة المناخ التعليمى الذى قد يكون محاضرة ، وقد يكون حواراً ، وقد يكون تقريراً يقدمه أحد الطلاب ويعرض للنقاش ، كما قد يكون عبارة عن تقسيم الطلبة الى عدد من المجموعات الصغيرة تعالج كل منها جزئية تتكامل فيما بعد ، بالقاء الأضواء على كل أكبر متكامل ..

وفى هذا قد تحتاج الدراسة للاستعانة بما يسمى التكنولوجى البسيط والمركب ، مثل السبورة وجهاز الفيديو ، أو آلة السينما ، أو معمل اللغويات ، أو غير ذلك ..

وتتمثل المهة الأولى لجامعة قطر فى تصور مديرها فى المساهمة فى اعداد قيادات يكون لها دورها الواضح فى توجيه حركة المجتمع للحاق بالعصر ..

وهذا ليس مجرد تقليد للغرب ..

انه التطور المنطلق من هويتنا الذاتية الاسلامية العربية ..

فمفهومنا عن العصر هو مفهوم أصيل حتى لو تطابق فى مساحات كثيرة مع مفهوم العصر عند المجتمعات الأخرى ..

مجموعة برامج

ويضيف الدكتور كاظم الى ذلك قائلا إن هذه المهام وهذه الأفكار مترجمة فعلا الى مجموعة من البرامج والمؤتمرات والنشاطات والاجراءات . مترجمة الى برامج تطرحها الكليات ومراكز بحثية تعالج قضايا المجتمع . ومترجمة أيضاً الى مجموعة من المجلات المتخصصة والصحافة الطلابية ، والى موسم ثقافى ونشاط رياضى وفنى ..

وطبيعى كذلك ألا يتم هذا دون وجود المطاعم والنوادى الطلابية ..

وأسأل الدكتور كاظم خلال حديثه عن تصميمات المبانى الجديدة ، ولماذا جاءت بهذا الشكل بالذات ..

وتجيء الاجابة بسيطة ومقنعة ..

فقد كانت مهمة المهندس المعمارى الأستاذ الدكتور كمال الكفراوى أن يصوغ فى تصميمات متكاملة هذه المفاهيم والمعانى ..

والدكتور الكفراوى هو عربى مسلم عمل كأستاذ فى قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بباريس ..

كانت قضيته من ناحية الشكل أن يكون التصميم منتمياً للبيئة الخليجية العربية الاسلامية ، من ناحية حلولها التقليدية لمعمارها ، ومن ناحية وجودها فى بيئة لها مميزاتها الخاصة من حيث سطوع الشمس ودرجة الحرارة وغير ذلك ..

النظرة الداخلية

ولذلك اتجه المهندس الكفراوى الى النظرة الداخلية التى تجلت فى مجموعات من الوحدات التى تتصل ببعضها البعض اتصالا داخلياً عن طريق الأحواش والممرات المزروعة ، فالهادئة ،

والمظللة ..

كما اهتم أن تكون قاعات الدراسة والوحدات مثمنة الشكل ، بحيث تتناسب مع استخدامات لا تقتصر على أسلوب المحاضرة التقليدى الذى ربما كانت الغرف ذات الأربعة جدران أفضل لها ..

واهتم المهندس أيضاً بأن تكون التصميمات الخاصة بالمكتبة مرتبطة ارتباطاً واضحاً بالمزاج العربى ..

وفى نفس الوقت فإن التكنولوجيا الحديثة أغنت عن الحاجة الى المساحات الضخمة والأرفف الطويلة التى يحتاج إليها للاحتفاظ بأعداد هائلة من المجلدات . وأصبح الاتجاه الآن الى مفهوم « الميكروفورم » أو ما يسمى بالمصغرات ..

واهتم الدكتور الكفراوى أيضاً بتكامل الوظائف داخل هذا الوعاء الحيوى ، من حيث التجاور ، وابتعاد الوحدات بعضها عن بعض ، وقد تجلى ذلك بوضوح فى محاور الجامعة ..

كما راعى كذلك متطلبات المجتمع القطرى فى الفصل الكامل بين الجنسين ..

ويعلق الدكتور كاظم على نتائج هذه المحاولات قائلا ان مبانى جامعة قطر هى عمل معمارى فريد ..

ولذلك فإن معايير الحكم عليه تتجلى فى جمال الشكل ووظيفية المضمون ..

وطبيعى أن المفروض فى العمارة الجديدة أن تستوفى الجانبين . وهذا يؤكد ما يقال باستمرار من أن المبنى الجيد لا يكفى فيه أن يؤدى وظيفته ، بل يجب أيضاً أن يتسم بالجمال ..

وبهذه المناسبة فإن الجمال قيمة عربية اسلامية انسانية أصيلة ..

ومن الناحية النفعية فإن الجمال من الممكن أن يؤدى الى زيادة الانتاج ، وهو عبارة عن تفاعل الأذواق المتطورة نحو مزيد من السمو ، وقدرة الموضوع على التلاؤم مع هذه الأذواق . واذن فإن للجمال عناصره الذاتية والحضارية . وطبيعى أن هذا لا يتعارض مع البعد الانسانى ..

جدل واختلاف

وسيظل هذا العمل لمدة طويلة مجالا للجدل والاختلاف بين الناس ..

هكذا يؤكد مدير جامعة قطر فى حديثه معى ..

فالأعمال الأصيلة لا تصنف بسرعة ولا بسهولة . وهى أعمال مرنة المعنى والدلالة ، متغيرة الأثر ..

وسوف تختلف أحكام الناس على مبانى الجامعة فى قطر من ناحية الشكل والتذوق الجمالى . كما سوف تختلف الأحكام من حيث نجاحها الوظيفى باختلاف النظرة الى مفهوم الجامعة ووظائفها وأهدافها وأدوارها ومراحلها الحضارية وعلاقتها بالمراحل الحضارية للمجتمع المحلى والمجتمعات الأوسع ..

وتبقى على أية حال كما يقول الدكتور كاظم أن



الدكتور محمد ابراهيم كاظم
مدير جامعة قطر



الدكتور عبد الله الكبيسى
مساعد مدير جامعة قطر



الدكتور عبد الرحمن الابراهيم
أمين عام جامعة قطر

● الجامعة الجديدة تتكلف ٧٠٠ مليون ريال وعشر سنوات من العمل المتواصل

● ٣٩٩ عضو هيئة تدريس و ٤٦٥٨ طالباً وطالبة وقبة سماوية لدراسة الفضاء

تكون مهمتنا فى الوقت الحاضر هى أن نقابل هذا التحدى الجديد : تحدى الانتقال من البيئة التقليدية المألوفة فى مبانيها المؤقتة الى هذه المبانى الأرحب مكانياً ومعنوياً ..

ويضيف ان مهمتنا أن نتطور بنظرتنا الى أنفسنا والى الأمور والى الامكانات الجديدة المتاحة والقيود الجديدة التى تمليها الظروف الجديدة وهماً كانت أو حقيقة . وهذه على أية حال مسيرة الحياة ، والعصمة من الصعاب ليست بالجهل بها ، ولكن بالتعامل معها وتكريس الجهود بالتغلب عليها وتحقيق التقدم الحثيث الدائم ..

ولا يمكن ونحن نسجل بعض الجهود التى وقفت وراء هذا العمل الضخم أن ننسى أنه خلال السنوات الماضية ومنذ انشاء مكتب التطوير الفنى فى الجامعة ، والكل يعمل على متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث ..

مائة ألف قطعة

وفى هذا يقول الدكتور كاظم إن لك أن تتصور أن الإعداد للانتقال يتضمن وضع مائة ألف قطعة فى أماكنها المصممة لها . ويضيف أنه ينتهز هذه الفرصة فى الواقع ليشيد باخوانه أعضاء مكتب التطوير على الجهد الذى قاموا به ومازالوا ، لتحقيق عملية انتقال سلسلة وميسرة ..

كما يوجه الشكر أيضاً للمكتب الفنى بالديوان الأميرى وعلى رأسه المهندس هشام قدومى، فهذا المكتب يحق له أن يعتز بتكليل جهوده عبر هذه السنوات فى متابعة التنفيذ . ويضيف قائلا إنه أولا وأخيراً فإن الشكر يوجه الى حضرة صاحب السمو الرئيس الأعلى للجامعة ، الذى لولا عنايته ورعايته لهذا المشروع ودفع خطواته وتذليل صعابه لما جاء بهذه الصورة التى حققت لقطر موضعها الأكيد على الخريطة الحضارية ..

وأترك الدكتور كاظم لكن بعد أن أعرف منه بعض الأخبار والمعلومات الهامة عن هذا الانجاز الكبير ..

فقد بلغت تكاليف المبانى الجديدة لجامعة قطر حوالى ٧٠٠ مليون ريال قطرى . وهذا المبلغ الكبير يبدو فى رأيه متواضعاً أمام الانجاز الذى تم ..

ويقوم حضرة صاحب السمو أمير قطر المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى بإفتتاح المبانى الجامعية الجديدة يوم السبت الثالث والعشرين من هذا الشهر (فبراير) . وسوف يكون ذلك فى إطار

أحد الأفنية فى كلية الهندسة بالجامعة الجديدة وقد تم استعمال نظام المشربيات فى انشائه

الاحتفالات بيوم ٢٢ فبراير الذى يعد مناسبة قومية كبيرة. وسوف يستمر الاحتفال بإفتتاح المبانى الجامعية لمدة ثلاثة أيام..

وقد وجهت الدعوة لحضور الاحتفال بالمبانى الجامعة الجديدة لرؤساء الجامعات العربية والعالمية، والعديد من الشخصيات الدولية المرموقة فى مجالات الحضارة والفكر والثقافة..

دور المكتب الفنى

وبعد هذا اللقاء مع مدير الجامعة أشاهد عن قرب البناء الضخم الشامخ، وأسأل بعد جولة فى أركانه عن الجهد الذى بذله المكتب الفنى للتطوير الجامعى فى هذا العمل الكبير..

وتجيئنى الاجابة من الدكتور عبد الله الكبيسى مساعد مدير الجامعة ورئيس المكتب الفنى للتطوير الجامعى..

فى البداية تحدث عن دور المكتب بالتفصيل..

قال ان قراراً صدر من مدير الجامعة بإنشائه فى أواخر عام ١٩٧٩، ليتولى مسئوليات التطوير الجامعى، ويتابع الدراسات والمقترحات والتصميمات الهندسية للحرم الجامعى، ويعمل على تنسيق الاتصال بالمسئولين عن أعمال الانشاءات الجديدة وضمان ملاءمتها لاحتياجات الجامعة..

ويعتبر المكتب الفنى للتطوير الجامعى كما يقول الدكتور عبد الله الكبيسى هيئة استشارية تتبع مدير الجامعة، ترفع إليه الاقتراحات والتوصيات ومحاضر الاجتماعات، للنظر فيها، واعتمادها قبل أن تجد طريقها الى التنفيذ..

وقد يكلف مجلس الجامعة المكتب الفنى للتطوير باجراء بعض الدراسات كما حدث فى عدد من الحالات..

ويضيف الدكتور الكبيسى: إن خطوط اتصال المكتب متعددة ومستمرة، سواء داخل الجامعة أو خارجها. كما أن هناك لجاناً فنية دائمة داخل


الدكتور كمال الكفراوى المهندس المسئول عن تصميم مبانى الجامعة الجديدة



الأفنية والحدائق الداخلية مصممة بنظام خاص مميز كما يبدو فى الصورة

المكتب تواصل دراسة ما يخصها من موضوعات وهى لجنة المبانى ولجنة التجهيزات ولجنة اللوائح والتنظيمات الادارية ، ولجنة الحاسب الآلى ..

وبالاضافة الى ذلك يوجد عدد من اللجان المؤقتة التى ينتهى عملها بانتهاء ما يناط بها من مهام مثل لجنة شئون الجدول الدراسى للبنات بالمبنى الدائم ..

ولقد قام المكتب بمناقشة التخطيط العام لمبانى الجامعة الجديدة ، والاتفاق على الوحدات المطلوبة ، ومتابعة اجراءات تنفيذ وتجهيز المبنى . وعقدت اجتماعات دورية سواء مع المسئولين عن تنفيذ تلك المبانى أو مع ممثلى الأقسام بالجامعة ، أو مع خبراء اليونسكو لتحديد احتياجات الكليات من الأجهزة والاثاث ..

خطوات المتابعة

لكن ما هى الخطوات التى قطعها المكتب فى متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث ؟ ..

طرحت السؤال على الدكتور عبد الله الكبيسى ..

وجاءتنى الاجابة التى تكشف عن دور المكتب فى هذا العمل الكبير ..

ان المكتب قطع شوطاً كبيراً فى متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث . فقد تم تجميع كل المعلومات المتعلقة بالنواحى الاكاديمية والتى يمكن تنفيذها لرفع كفاءة المبنى . وتحقق ذلك باستطلاع آراء أعضاء هيئة التدريس بالأقسام المختلفة بالجامعة ، ومتابعة وتنفيذ احتياجات الأقسام من التجهيزات العلمية والأثاث ، وادخال العديد من التعديلات فى المبنى أثناء التنفيذ ..

كما اقترح المكتب اضافة العديد من الاحتياجات الجديدة التى لم تكن ضمن المراحل الأولى مثل الأنشطة الطلابية والاجتماعية لكل من البنين والبنات ..

وهناك بطبيعة الحال صعوبات تعترض أى مشروع كبير ..

وبالنسبة لاقامة المبانى الجديدة كانت هناك كما يقول محدثى بعض الصعوبات ..

مثلا عدم تنفيذ كل المطلوب فى الموعد المحدد ، أو تأخر توريد بعض التجهيزات أو الأثاث ..

لكن المكتب تمكن من مواجهة هذه الصعوبات ، وايجاد حلول لها ، بالتعاون مع المكتب الفنى للديوان الأميرى ، ومع أعضاء اللجان المعنية بالمكتب ..

والحقيقة ، هكذا يضيف الدكتور عبدالله الكبيسى ، أن دور المكتب لم يقتصر منذ انشائه على ما يتعلق بالمبانى الجديدة ..

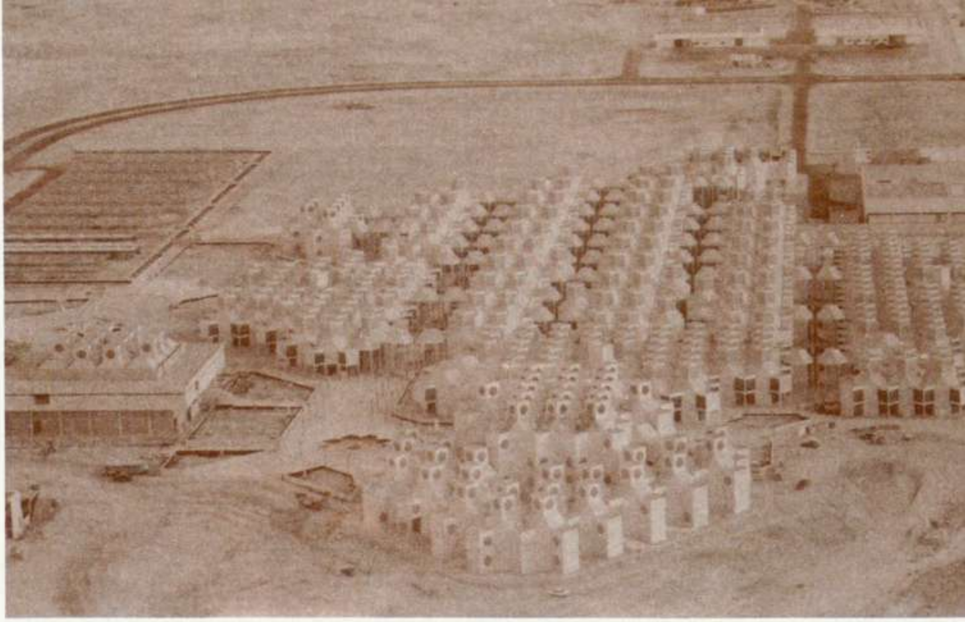
هناك مهام أخرى عديدة يتولاها بناء على قرار انشائه ..

منها استكمال واعداد الدراسات اللازمة لمشروعات الكليات أو المراكز أو البرامج الجديدة ، واعداد الدراسات والتنظيمات اللازمة لتطوير الأجهزة والنظم الادارية والمالية بالجامعة ، والاعداد لاستخدام مبانى الحرم الجامعى الجديد عند الانتهاء منه ..

بعض المشروعات

وقد قطع المكتب شوطاً فى انجاز بعض هذه المشروعات ..

على سبيل المثال-تم اضافة الى ماسبق-اعداد مشروع اللائحة التنفيذية لقانون الجامعة ودراسة



المباني الجديدة لجامعة قطر وتبدو معها مناطق التوسعات المستقبلية (صورة من الجو)

الهيكل التنظيمي المقترح ، ودراسة عدد من القضايا التعليمية الهامة ، مثل نظام الساعات المكتسبة ، واعداد دراسة مفصلة لتشكيل لجان جامعية تنبثق من مجلس الجامعة ، ودراسة احتياجات الجامعة لخدمات الحاسب الآلي ، ودراسة مشروع الضمان الاجتماعي لأسرة الجامعة ..

ويتابع المكتب انجاز مهامه الدائمة فى كافة المجالات ..

وهو يتعاون مع أجهزة عديدة سواء داخل الجامعة أو خارجها . ففى داخل الجامعة يتعاون مع الأقسام والمراكز والادارات المعنية ومع خبراء اليونسكو ومع جهاز الحاسب الآلى . وخارج الجامعة يتعاون مع المكتب الفنى للديوان الأميرى ، ومع مستشفى حمد العام وإدارة شئون الموظفين وغيرها من الأجهزة والهيئات الرسمية فى الدولة ..

وقد اقتضت طبيعة العمل فى المكتب تشكيل لجان فرعية عديدة من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والخبراء ، لدراسة القضايا المختلفة ، مع الاستفادة من كل الخبرات الجامعية السابقة ، سواء على المستوى الخليجي أو العربى أو العالمى ..

وبالنسبة لأعماله الجديدة فإن الدكتور عبدالله الكبيسى يشير فى نهاية حديثه مع الدوحة الى أن المكتب يقوم فى الوقت الراهن بوضع سياسة عامة لعملية التغذية للطلاب بالمبنى الدائم ، واعداد دراسة عن القدرة الاستيعابية للقاعات الدراسية والمعامل بالمبانى الدائمة ، ووضع الاقتراحات اللازمة لتنفيذ الجدول الدراسى ، واستكمال احتياجات التجهيزات الخاصة ببعض معامل الجامعة ، كما يقوم بدراسة عدد من القضايا التعليمية خاصة مايتعلق منها بالكفاءة التعليمية ..

ندوات ووفود

وبعد هذه الصورة عن دور المكتب الفنى فى بناء الجامعة الجديدة ، تأتى صورة أخرى حافلة بالتفاصيل عن أحدث جامعة عصرية ..

يقدم هذه الصورة الحافلة الدكتور عبد الرحمن الابراهيم أمين عام الجامعة ..

يقول مثلا إن الاحتفال بإفتتاحها سوف يضم عدداً من الندوات الثقافية التى تقيمها الجامعة بهذه المناسبة الهامة ، وسوف يشارك فيها وفود من مديرى الجامعات الخليجية والعربية وبعض الجامعات الاسلامية والأجنبية ، ونخبة من العلماء البارزين فى مختلف المجالات ..

كما تقام المعارض التى تتضمن أنشطة كليات الجامعة ومراكز البحوث بها ..

وأسأله عن عدد الأساتذة والطلبة الذين ستضمهم هذه المبانى الجديدة . ويضع أمامى احصاء كاملا ..

يقول هذا الاحصاء إن اجمالى أعضاء هيئة التدريس بكليات الجامعة هذا العام بلغ ٣٩٩ عضواً ..

من هؤلاء ١٨ عضو هيئة تدريس قطرى ، و ٢٠٠ عضو هيئة تدريس غير قطرى ، و ١٢٩ مدرس مساعد ومعيد قطرى موفد منهم ١١٢ فى بعثات للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ..

ويأتى بعد ذلك مدرسو اللغات ومشرفو التربية العلمية ..

أما اجمالى الطلاب والطالبات فى العام الجامعى الحالى فقد بلغ ٤٦٥٨ طالباً وطالبة ..

وعن الأجهزة الحديثة داخل المبانى الجديدة والملاعب والأماكن الترفيهية والمكتبة والمطاعم ، وهل هى كافية لمارسة الأنشطة المختلفة .. عن كل ذلك تحدث الدكتور عبدالرحمن الابراهيم أمين عام الجامعة ..

قال ان المبانى الجديدة مزودة بالأجهزة العلمية الحديثة ..

ان كلية العلوم مثلا تضم ما يقرب من ٥٤ معملا مجهزاً بأحدث التجهيزات التعليمية ، وبزيادة قدرها ثلاثة أمثال المعامل القائمة بالمبنى المؤقت الحالى ..

معامل وقبة سماوية

ويشتمل المبنى الخاص بالكلية على العديد من المعامل المتخصصة للمقررات المتقدمة ، والمعامل الخاصة بالبحوث كمعامل مركزية لخدمة الكلية مثل معمل الميكروسكوب الالكترونى ، ومعمل أجهزة الطب وغيرهما ..

كما تضم الكلية قبة سماوية تستخدم كوسيلة تعليمية لدراسة الفلك والفضاء الخارجي ..

أما كلية الهندسة فتضم ما يقرب من ٣٥ معملا تخصصياً وبحثياً ، وهى مزودة بأحدث التجهيزات العلمية للأغراض التعليمية والبحثية . واضافة الى ذلك توجد ورشة تعليمية كبرى على أحدث أساليب العصر . وهى تعتبر من أكبر الورش التعليمية فى منطقة الخليج العربى ..

وتشمل المبانى الجديدة ، والمعلومات مازالت تأتى على لسان الأمين العام ، على مبنى تكنولوجيا التعليم المزود بكل الوسائل التعليمية والبصرية والسمعية من استوديوهات للتليفزيون والاذاعة لأغراض التعليم والتدريب والتصوير العلمى ..

كما تضم المبانى الجديدة أيضاً مبنى للبنين ، ومبنى آخر للبنات . ويضم كل منهما معامل حديثة ومجهزة بأحدث الوسائل التعليمية كمعامل اللغات والجغرافيا والاقتصاد المنزلى والتربية الفنية ..

ويوجد فى كل مبنى مطعم كبير مكون من طابقين أحدهما للطلبة ، والآخر لأعضاء هيئة التدريس . كما توجد كافتيريا عامة كبيرة ، بخلاف كافتيريات صغيرة موزعة بمبانى الكليات تقدم فيها المرطبات والوجبات الخفيفة ..

وفى الوقت نفسه تضم المبانى الجديدة للجامعة مبنى المكتبة المركزية ..

وهو عبارة عن مكتبتين منفصلتين تماماً ، احداهما للطلاب ، والأخرى للطالبات ، وتشمل كل منهما أقسام الخدمة المكتبية والتزويد والفهرسة والتجليد ..

وقد زودت المكتبات بنظام اتصال دولى ببنوك المعلومات العالمية لخدمة البحوث العلمية ..

ويوجد كذلك مبنى للأنشطة الطلابية للبنين ، وآخر للبنات ، ويحتوى كل منهما على أماكن مناسبة لمارسة الأنشطة الثقافية والاجتماعية المختلفة ، من أماكن لسماع الموسيقى فيها وممارسة الهوايات من رسم وقراءة وتصوير ونحت ..

وبالاضافة الى ذلك هناك أقسام خاصة بالبنك وبالبريد ..

امكانيات رياضية

وللأنشطة الرياضية بالذات مبنيان .. أحدهما للبنين والآخر للبنات . ويضم كل

منهما جميع الامكانات الرياضية من ملاعب رياضية للتنس والاسكواش وغيرهما ، بما يفي باحتياجات قسم التربية الرياضية ..

وللعلم فإن أماكن الأنشطة الطلابية والرياضية كافية على المدى الطويل ، حيث روعى فيها التوسع بل التوسعات المستقبلية ..

وقد تم انتقال كلية الهندسة الى المبنى الجديد فى بدء الفصل الدراسى الحالى ، وانتظمت بها الدراسة منذ بداية العام الجامعى الحالى ..

هكذا قال الدكتور عبدالرحمن الابراهيم .

وأضاف أنه سيتم استكمال الانتقال بالنسبة للطالبات ، واستئناف دراستهن بجميع كليات الجامعة ، وكذلك تكنولوجيا التعليم وهيئة الادارة العليا وبعض الادارات اعتباراً من بداية الفصل الدراسى الجديد هذا الشهر ..

أما انتقال الطلاب فسوف يتم مع بداية العام الدراسى القادم ..

وتتسع المبانى الحالية بحيث تسمح باستيعاب أعداد جديدة من الطلبة ، علاوة على ما سيتم استكماله من مبان اضافية جديدة .. ويجرى العمل فى ذلك حسب الخطة الموضوعة على مراحل واحدة بعد الأخرى ..

هذا العقل الهندسى ؟!

وكان لابد من التعرف على العقل الهندسى الذى يقف وراء هذا العمل الكبير ..

صاحب هذا العقل هو الاستاذ الدكتور كمال الكفراوى ..

ماذا تقول بطاقته ، بل ماذا تقول قصة حياته العلمية والعملية ؟ ..

هو ببساطة شديدة مهندس معمارى عربى . من مواليد جمهورية مصر العربية . تعلم فى مدارسها القومية الابتدائية والثانوية . ثم التحق بقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وحصل على بكالوريوس العمارة بمرتبة الشرف عام ٥٧ ..

كان موضوع بحثه فى البكالوريوس مشروع انشاء جامعة بحرية فى منطقة قناة السويس ، ومتخصصة فى علوم البحار ..

وقد عين بعد ذلك معيداً فى نفس العام بالكلية . ثم سافر فى بعثة تدريبية عام ٥٨ الى جمهورية بولندا الشعبية ، للعمل فى مشروع اعادة تعمير مدينة وارسو التاريخية والتى سبق أن دمرت عن آخرها خلال الحرب العالمية الثانية ..

سافر الى باريس عام ٦٠ لاعداد دراسات عليا ..

وهناك حصل على دبلوم اللوفر فى الفنون الاسلامية ، ودبلوم تخطيط المدن من مرسم تونى جارنيه . كما حصل كذلك على دكتوراه الهندسة المعمارية من مدرسة البوزار للعمارة ..

كان موضوع بحثه هو تنمية وتخطيط مواقع المدن الأثرية والتاريخية فى وادى النيل ..

● مكتبة مزودة بنظام اتصال دولى ببنوك المعلومات، وملاعب ومطاعم وأماكن ترفيهية

● مبنى لتكنولوجيا التعليم مزود بوسائل علمية واستوديوهات ومعامل مجهزة للغات

● نظام الأبراج الهوائية لتهوية القاعات الدراسية ونظام الشربيات للنوافذ

وكانت الدراسة التفصيلية هى عن تنمية وتخطيط موقع معابد أبو سمبل فى مكانها الجديد بالنوبة ، وذلك نظراً لأن هذه المنطقة كانت مركزاً لحضارة النوبة ، ومركز اتصال مصر بالدول الأفريقية ..

وفى عام ١٩٦٥ عين أستاذاً مساعداً بالبوزار بباريس ..

وقد قام بتأسيس قسم المعمار الشرقى والذى تدرب فيه كثير من المعماريين العرب والآسيويين والأفارقة ، وعدد من المهندسين الأوربيين الذين لهم اهتمامات خاصة بهذا النوع من المعمار ..

واشترك الكفراوى مع الأستاذ المهندس الفرنسى لويس آرتش فى تخطيط وتصميم مجموعة من المشروعات الكبرى فى فرنسا ، وأهمها تخطيط جامعتى روان ورين فى منطقة بريتنى ، وكذلك التخطيط العام للحى المركزى لمدينة رين ، والمدينة الجديدة أورليان لاسورس ..

وقام أيضاً بتنفيذ بعض المشروعات السياحية فى فرنسا وأسبانيا ، ومشروع مدارس دار الفكر للبنين والبنات فى جدة بالمملكة العربية السعودية ..

ومنذ عام ١٩٧٣ وحتى الآن وهو منتدب لجهاز اليونسكو ، ومنه الى دولة قطر ، وذلك لتخطيط وتنفيذ مشروع جامعة قطر الجديدة ..

الفلسفة المعمارية

هذا هو اذن الرجل الذى رسم وخطط وتابع ونفذ ..

وقد كانت بداية حديثى معه سؤالا عن وجهة نظره فى شكل المبانى الجامعية المعمارى ، ولماذا جاءت المبانى بهذا النمط ، وما هى الفكرة الكامنة وراء هذه الفلسفة المعمارية ؟ ..

وبكل هدوء وثقة والابتسامة تسبق كلماته أجاب :

ـ إن شكل مبانى جامعة قطر هو تجسيد للفكر المعمارى الاسلامى الحديث المتطور ، الذى قامت عليه فكرة التصميم والانشاء .. وفى بداية الأمر وقبل الشروع فى اجراء الدراسات قمت باستعراض المذاهب الفكرية المعمارية والسائدة فى العالم الآن ..

وأخذ الدكتور الكفراوى يعدد هذه المذاهب ، وهى كما يلى :

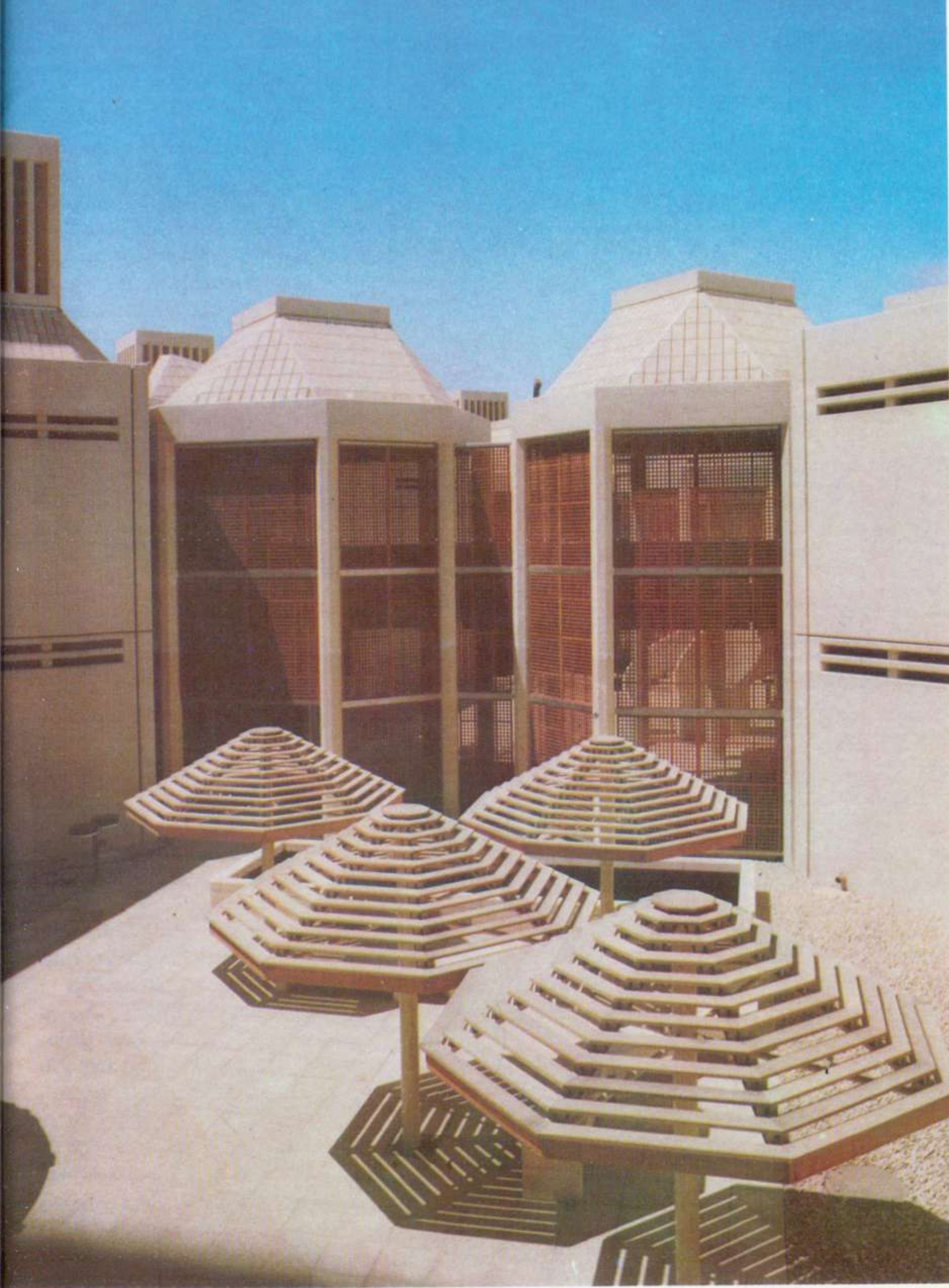
• الأول هو مبدأ الأخذ بالنمط المعمارى التقليدى كما هو بدون تطوير ، وهو يرفع شعار المحافظة على التراث . وهذا فى رأيه خطأ كبير ، حيث يحرم الانسان العربى المعاصر من ملكات الابداع لتجديد نفسه بما يتفق ومعطيات العصر الحديث العلمية والتكنولوجية ..

• الثانى هو مبدأ استيراد الفكر المعمارى الغربى وغرسه فى دولة قطر الاسلامية ، وتشييد مبان تطابق نظيراتها فى أوربا وأمريكا . ومخاطر هذا الفكر هى فى تشكيله لأجسام غربية وغريبة فى الواقع المحلى ، مما يؤثر على شخصية الانسان القطرى ، ويعمل على خلخلة القيم الثقافية التى تربطه بالبيئة الحضارية الخاصة به ..

• أما المبدأ الثالث فهو يعنى استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة الغربية وتطويعها فى تطوير وتحديث النمط المعمارى التقليدى . وهذا يؤكد ذات الانسان القطرى العربى المعاصر ، وعلاقته الوثيقة بالبيئة التاريخية والمعاصرة ، ونظرته التطلعية المستقبلية نحو بناء مجتمع حديث أسعد ، يستمد جذوره من ماضيه وحاضره .. الحضارى الاسلامى .. وهو يعنى أيضاً إتاحة الفرصة لميلاد فكر عربى معاصر متطور يكون عنواناً لقدرته وشكلا لشخصيته ..

ويستطرد الدكتور كمال الكفراوى قائلا إنه إتخذ من المبدأ الثالث والأخير هدفاً يعمل على تحقيقه ، وهو فى حد ذاته يشكل المنهج المهنى والفكرى الذى يقوم ببحثه ودراسته وتدريسه فى الحقل الاكاديمى والعملى ..

وفى وصفه للخصائص الأساسية والقيم المعمارية للفكر العربى الاسلامى يعطينا الكثير من التفاصيل



كلية العلوم فى شكلها النهائى وتبدو فيها الأفنية الداخلية المزروعة

الهامة والجديدة ..

ان شكل القاعات الداخلية يظهر بحيث تكون متعددة الأحجام والارتفاعات ، وذلك وفقاً لوظائفها الخاصة ، وكذلك أشكالها الهندسية البحتة والمتعددة ..

كما أن هناك توافقاً وتجانساً وتكاملا عضوياً بين العناصر المعمارية فى شكلها ومضمونها مع البيئة الطبيعية . وهو ما يعنى طوبوغرافية المكان : السماء ، والخضرة ، والمياه . وأن البيئة الطبيعية كانت أحد المكونات الأساسية فى النسيج التخطيطى المعمارى ، وجزءاً لا يتجزأ من مضمونه ..

الانسان والبيئة

ومن هنا كان تحقيق معادلة الانسجام الكامل بين الانسان وبيئته الطبيعية . وهذا ما أخذت به جامعة قطر ، حيث خططت القاعات الدراسية حول أفنية خضراء ، مغطاة ، وغير مغطاة ..

وفى الوقت نفسه فإن هناك تفاعلا بين الفكر المعمارى الاسلامى وقوانين القوى الطبيعية ، وهى الهواء ، والضوء الشمسى والقمرى ، والحرارى ، والرطوبة ، وذلك وفقاً لقواعد وخصائص العلوم الطبيعية ..

ولقد أفرز هذا التفاعل الصنائع المتخصصة



في مدخل الجامعة تبـدو الصورة المعمارية الفريدة بكل ملامحها المميزة

للسيطرة على هذه القوى الطبيعية ، واستخدامها بالقدر اللازم وفى المكان المناسب ، لتشكيل البيئة المعمارية التى يهدف لها الانسان ..

ولقد استخدم فى جامعة قطر نظام الأبراج الهوائية (فى منطقة الخليج) وهو ما يطلق عليه محلياً « البادجير » ، لتهوية بعض القاعات الدراسية ، بالاضافة الى استخدام التكييف الآلى ..

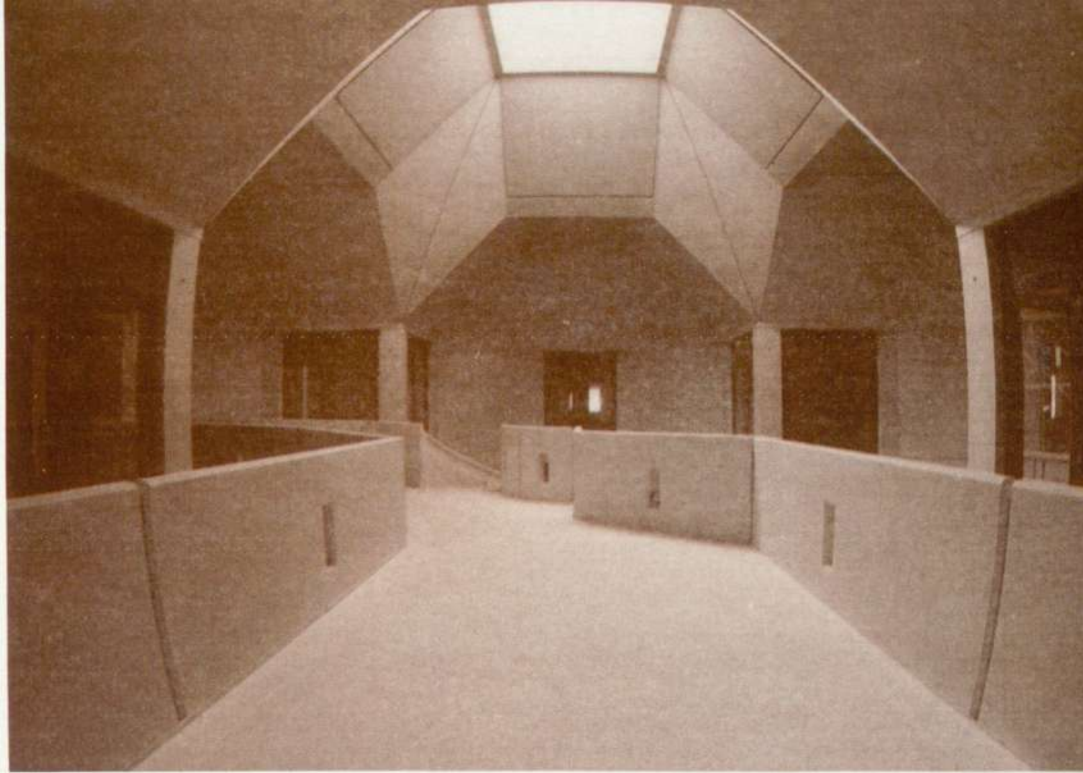
وطبق أيضاً نظام المشربيات (الستائر الخشبية) والجصية لتغليف النوافذ ، للحد من اللمعان فى الضوء الشديد ..

واستعملت أبراج الاضاءة العلوية وغير المباشرة ، للقاعات الدراسية والمكتبة ، بهدف الحصول على الكثافة الضوئية المريحة للنظر والنفس البشرية ..

ونسقت الأفنية الداخلية والخارجية بالخضرة ونوافير المياه ، وذلك لتلطيف الطبقات السفلى من سطح الأرض ، وبقدر ارتفاعات المبانى وهى عبارة عن طابقين فقط ..

ويواصل الدكتور الكفراوى حديثه عن العمارة الاسلامية الحديثة وتطبيقاتها فى جامعة قطر فيقول :

ان صناعة المعمار العربى والصنائع المكملة لها بلغت حد الكمال ، وكما قال العلامة العربى ابن خلدون فإن الصنائع وكمالها انما هو بكمال الحضارة ..



أبراج الاضاءة العلوية للقاعات الدراسية وللأفنية المغطاة

ولقد أتقن المعماريون والحرفيون القدماء وأبدعوا فى استخدام وتعلم تكنولوجيا البناء فى حضارات الشعوب السالفة ، بل وتطورت أساليب الإنشاء على أيديهم ، وأضافوا الى الفكر المعمارى والانسانى الكثير ..

الفكر الاسلامى

ومن أهم خصائص المعمار الاسلامى التقليدى تجانسه الطبيعى والمتكامل مع الفكر العام الاسلامى ومضمونه الدينى ، والثقافى ، والاجتماعى والاقتصادى والبشرى : فى الحضر ، والريف والبادية ، وفى بلاد دار الاسلام المختلفة ..

فلو تأملنا جامع قرطبة ، وقصر غرناطة بالأندلس ، وجامع السلطان حسن فى مصر ، وجامع قبة الصخرة فى القدس المقدسة ، وجامع دمشق العظيم فى الشام ، ومساجد أصفهان بفارس ، ومقبرة تاج محل فى الهند ، وغيرها الكثير ، فاننا نلاحظ أن كل هذه الأبنية اسلامية الطابع ..

وهذا يتضح رغم اختلاف أشكالها العامة ، والمواد التى بنيت منها ، واختلاف العوامل الجغرافية والمناخية ، والطبيعية ، والبشرية ، والوظائف المختلفة ..

وهكذا فإن الفكر المعمارى والتخطيطى والانشائى لمبانى جامعة قطر الاسلامية هو تطبيق حديث متطور ومتجدد لكل الخصائص والقيم المعمارية التقليدية ، وذلك باستخدام صنائع العصر الحديث والتى يطلق عليها تكنولوجيا الانشاء المعاصرة ..

والهدف من ذلك أن تتكامل رسالة الجامعة ، كمركز اشعاع حضارى إقليمى ، وكملتقى ثقافى اجتماعى ، مع عصرها الحديث ..

وهناك نقطة أخرى جديرة بالذكر ..

ان نمط معمار جامعة قطر بهذا الشكل يقدم مادة جديدة وحلولا عملية ، تتفق مع أهداف سياسة المحافظة على الطاقة ، والتى أصبحت علوماً حديثة فى ترشيد استهلاك الطاقة والتكنولوجيات المترتبة عليها فى دول الغرب الصناعية ..

فلاشك أن اللوائح المنظمة للمبانى وتخطيط المدن قد نالها الكثير من التعديلات لكى تشمل فصلا جديداً يتعلق بالادخار فى مجال الطاقة ..

لماذا هذا المكان ؟

وبعد هذا التفصيل العلمى الدقيق والمشوق عن العمارة الاسلامية الحديثة والمتطورة والتى طبقت فى جامعة قطر الجديدة أسأل الدكتور الكفراوى :

لكن لماذا اختيار هذا المكان بالذات (منطقة الدفنة) لاقامتها ، وهل هناك فلسفة وراء اختياره ، وما هى ؟ ..

ويجيبنى الدكتور الكفراوى بنفس الهدوء والثقة ..

ان موقع الجامعة الجديدة هو على بعد سبعة كيلو مترات من منطقة الدوحة الجديدة . وهى بحكم حجمها وطبيعتها الوظيفية كمؤسسة علمية ثقافية تشكل مركز جاذبية لنمو مدينة الدوحة ..

ولقد بدأ هذا بالفعل منذ بدأ تعمير مشروع الجامعة . وسوف يزداد فى المستقبل بعد اتمام شبكة المرافق العامة فى هذه المنطقة ..

أما عن أسباب اختيار هذا المكان فإنه يمكن تلخيصها فى سببين :

• الأول هو أن مساحة الأرض التى كانت مطلوبة للجامعة وتوسعاتها المستقبلية هى حوالى ٥٠٠ هيكتار مربع ، أى ما يعادل حوالى خمسة ملايين متر مربع . وكان من الصعب تواجد هذه المسطحات فى وسط العمران ..

• الثانى أن الجامعة كمؤسسة تعليمية ، ثقافية واجتماعية هى فى حد ذاتها مدينة صغيرة ، أو قرية تعليمية . وبالتالى فإنه يجب اعطاء تخطيطها وعمران مبانيها الشخصية الذاتية لها . وهى على هيئة واحة خضراء تضم الأبنية التعليمية والمرافق الرياضية والمدينة السكنية المستقبلية للعاملين بها ، والطلاب الغرباء ..

ولتحقيق ذلك فإنه كان من اللازم تواجد موقع كبير فى أطراف المدينة ، ويسهل ربطه بمدينة الدوحة بشبكة طرق ، يسهل التحكم فى حركة المرور منها واليها ..

شخصية ذاتية

لكن هل تتماثل هذه المبانى من حيث المحتوى مع مبان جامعية أخرى فى بعض البلاد ، وهل جرب هذا النمط فى أماكن أخرى ؟ ..

يقول الدكتور الكفراوى مؤكداً إن مبانى جامعة قطر لا تتماثل مع نظيراتها من الأبنية الجامعية التعليمية فى المنطقة العربية أو العالمية ..

انها أبنية فريدة من نوعها ولها شخصيتها الذاتية ..

وليس من المستحب والمطلوب تماثل المبانى الجامعية فى البلدان المختلفة . ولكل جامعة لحظة تاريخية لميلادها ، تفرض بالضرورة على هيكلها ومضمونها مقومات ومميزات شخصيتها المستقلة والمختلفة عن نظيراتها ..

وقد تم ويتم انشاء حوالى أربع عشرة جامعة فى مختلف دول مجلس التعاون الخليجى ، وكلها

نظام أبراج الهواء (البادجير)
الذى يوفر التهوية الطبيعية

منظر عام لمبانى الجامعة
بطرازها المعمارى المتميز

تختلف عن بعضها البعض فى النمط والشكل ، بل وفى مضمونها الاكاديمى والتربوى ..

وهذا النمط الخاص بجامعة قطر لم يطبق فى أماكن أخرى من قبل ..

ويضيف الدكتور الكفراوى بنص كلماته :

ــ ولو أتيحت لى فرصة تصميم وتخطيط جامعة أخرى فى المنطقة ، فانها سوف تكون مختلفة فى الشكل عما قمت بعمله فى جامعة قطر ، ولكنها ستكون فى اطار المبدأ الثقافى المعمارى نفسه ..

التوسعات المستقبلية

وأعود لأسأله من جديد عن التصميمات وهل وضعت حساباً للتوسعات المستقبلية التى يحتمل القيام بها فى الجامعة ..

وتجيء الاجابة بأسرع مما كنت أتصور ..

لقد تم وضع المخطط العام المبدئى للجامعة . وهو يشمل ما تم انجازه فى هذه المرحلة ، وكذلك ما يتم انجازه فى القريب العاجل ، وما يمكن أن تراه الجامعة من توسعات على مدى العشرين عاماً القادمة ..

أما مضمون التخطيط العام فيشتمل على عدة مناطق رئيسية ..

الجامعة الاكاديمية الحالية وامكانية توسعها فى المستقبل . المرافق الرياضية والاجتماعية والثقافية للبنين . المرافق الرياضية والاجتماعية والثقافية للبنات . المدينة السكنية للطلبة . المدينة السكنية للطالبات . المدينة السكنية للأساتذة والاداريين . منطقة الخدمات العامة للجامعة ..

ويعتقد الدكتور الكفراوى أنه بمقارنة مستوى الجودة العالى للمبانى وسعر تكلفتها فإن المحصلة النهائية تعتبر اقتصادية ومرضية تماماً . ويشير الى أن مساحة المبانى الاكاديمية والتى تم انجازها كمرحلة أولى تبلغ ٧٤ ألف متر مربع ، وهى تشمل كلية العلوم وكلية الهندسة وورشة كلية الهندسة ، وكلية الانسانيات للبنين ، وكلية الانسانيات للبنات ، ومبنى الوسائل التعليمية ، ومبنى المكتبة والمعارض ، ومبنى الإدارة ، وكانتين للبنين ، وكانتين للبنات ، ومبنى الخدمات المركزية والمخازن ..

أما المرحلة الثانية فتشمل مبنى الأنشطة الترفيهية والمطاعم للبنات ، ومبنى الأنشطة الترفيهية والمطاعم للبنين ، ومبنى الحاسب الآلى والمرافق الرياضية للبنات الداخلية والخارجية ، والمرافق الرياضية للبنين ، وكلاهما يشتمل على الملاعب الخاصة بجميع أنواع الرياضة وفقاً للمقاييس العلمية ..

أما المبانى التى سيشرع فى بنائها هذا العام فهى المسجد والمركز الاسلامى ، ومساحتها حوالى خمسة آلاف متر ، ودار الحضانة للتربية ، وبعض المختبرات الخاصة بالطاقة الشمسية ، الى جانب بوابة رئيسية للجامعة ..

وتمثل المكتبة بمساحتها الكبيرة مركز الصدارة عند مدخل الجامعة ، وهى تعتبر من أعلى المبانى الاكاديمية ، ويسهل الوصول اليها من طرف البنين والبنات على السواء . وتكفى سعتها المرحلة الحالية ، الا أنه يمكن توسيعها ، بضم مبنى المعارض لها ، على أن يتم اقامة المعارض الثقافية والفنية فى مبانى الأنشطة الطلابية للبنين والبنات عند انتهاء انشائها ..

انطباعات وردود أفعال

وفى نهاية حديثه معى قال المهندس المسئول عن هذا النمط المعمارى الفريد انه قد قيل فى هذا المشروع الكثير ، من المحليين والزوار العرب والأجانب ..

ولكن هذه الأقوال لا تخرج عن كونها انطباعات وردود أفعال ، وآراء مختلفة ، منها اللاذع والمادح ..

ولكن الشيء الذى لم يختلف عليه الجميع هو أنه عمل جديد فريد فى نوعه ..

وبحكم أنه جديد وفريد فإن ردود الأفعال بالطبع لابد أن تكون متفاوتة ، ومتضاربة ..

وعموماً فإن المبانى الجديدة لم تخضع بعد لعملية نقد فنى دقيق من النقاد الفنيين المتخصصين فى المعمار ..

وهذا لا يمكن اتمامه الا بعد تشغيل المبنى كله ..

بعد ذلك يمكن رصد التقييم النهائى والفنى للمشروع ، والاستفادة من ذلك فى المستقبل قطرياً وخليجياً ..

وهكذا تنتهى جولتنا مع قصة أحدث جامعة عصرية ، تفتح أبوابها هذا الشهر فى قطر ، وهى القصة التى رسمت صورة كاملة الأبعاد لهذه الجامعة ، والتى سيصبح يوم افتتاحها حدثاً تاريخياً .. على المستوى الثقافى والعلمى والوطنى ..

فهو يوم الأجيال الجديدة المشرقة بالأمل ، المتطلعة لغد سعيد ، ومتقدم ، وحافل بأكبر المنجزات ..

السيد حجازى

● قصـــــة ●

المؤدبون في الأرض

وحرك مطواته أمام عينى الخياط ، قريبة كل القرب من وجهه ، فقال الخياط بصوت مختنق :

ــ وحياة أولادى لن يخرج من يدى بعد اليوم بنطلون واحد من هذا الصنف الذى كدر خواطركم الشريفة .. كانت غلطة ولن تتكرر !

بقلم : سعد مكاوي

الصفعة على قفا المواطن عزت عبد الحق دوت في أتوبيس ٧٠١ المتجه من المعادي إلى العباسية وسمعها معظم ركابه المحشورين في فراغه كما لو كان زحامهم الكثيف نتيجة لعملية تعليب بارعة .

كان في طريقه لزيارة شقيقه الأكبر المقيم منذ سنوات في مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما شعر بيد الراكب الملتصق بظهره تحاول بكل وضوح اقتحام جيب بنطلونه الخلفي مد يده بحركة تلقائية فأزاح بها تلك اليد المتلصصة وهو يلتفت في غضب نحو النشال الجريء ، لكنه لم يكد يعتدل في وقفته حتى تلقى الصفعة القوية ، وسمع مع معظم الركاب صيحة اللص :

ــ العادة عند جميع خياطي العالم منذ اختراع البنطلون أن يكون جيبه الخلفي بزرار واحد ، وجيب حضرته بثلاثة زراير ، فما هذه اللعبة الجديدة يا أبناء اللئام ؟!

وبعد صمت مذهول من جرأة اللص تجاوز راكب قريب من مكان الواقعة عن الإهانة الشاملة للكل في نهاية خطاب اللص ، وخاطبه بنعومة وحذر : من المؤكد أنها ليست غلطة الأخ ، والمسئول عنها في رأيي هو الخياط الذي يفصل عنده ملابسه ، فسامحه في هذه المرة !

ارتفع من قرب مقعد السائق صوت امرأة ، مفعم بالازدراء والغضب :

ـ ماشاء الله !... تتفرجون منكمشين وتطلبون إلى السارق أن يسامح المسروق!

والسائق منكفىء على عجلة القيادة ومحتفظ بمظهر من يركز اهتمامه على الطريق أمامه ، وكأنه لاشأن له بما وقع في العربة ..

أتاها صوت النشال العملاق الذي ينم وجهه السوقي عن عدوانية شرسة :

ـ الزمي حدك ياامرأة !

كما ارتفع قرب باب الأتوبيس الخلفي صوت آخر مؤيد لوجهة نظر النشال ، صادر من شخص قميء مريب :

ـ عجيب والله أمر هؤلاء الناس الذين يريدون أن يتدخلوا في كل شيء ... مادخلك أنت أيتها البدينة الغبية في هذا الحوار ؟

قالت المرأة التي يدل مظهرها على أنها أم وموظفة في طريقها إلى عملها :

ـ بعد كل الذين يؤدبوننا في هذه الأيام لم يكن ينقصنا غير النشالين !

ـ اخرســي .

تطوع راكب آخر ، شاب طويل الشعر يبرز من جيب قميصه العلوى طرف علبة سجائر مستوردة :

ـ ياجماعة لعل يد الأخ لمست جيب الأخ عفواً وبدون قصد ، فلنعتبر المسألة من سيئات الزحام الذي صرنا نعيش فيه ، ومنتهية ، ونقول كلنا يافتاح ياعليم .

اتاهم صوت النشال واضحاً حاسماً :



ـ ليلزم كل واحد حده ، فلن يهدأ لي بال حتى أعرف اسم وعنوان الخياط صاحب فكرة الزراير الثلاثة .

سألت المرأة :

ـ وماذا يهمك من هذه المسألة ؟

ـ أحاسبه وأردعه قبل أن تشيع هذه البدعة !

نظرت المرأة إلى السائق نظرة من تريد الحصول منه على موقف ، لكنها وجدته مايزال محتفظاً بمظهر من لاشأن له بما يجري في العربة ، لا يريد أن يسمع أو يتكلم ، فقالت بصوت يرعشه الغضب :

ـ هل بلغت وقاحة اللصوص في هذا الزمن إلى هذا الحد ؟ ... ماهي صفتك التي تسمح لك بأن تستجوب وتفرض إرادتك وتلزم جميع هؤلاء حد الصمت المذعن المهين ؟

قال بلهجة من يذيع اعلاناً :

ـ بصفتي نشالا ، هل عند أحدكم اعتراض ؟

وأبرز في يده بهدوء مطواة طويلة النصل ، ولمس بطرفها عنق عزت عبد الحق :

ـ اسم الخياط وعنوانه ؟

أرهف الركاب أسماعهم عندما نطق المواطن المقهور بصوت ترهقه الذلة باسم خياطه وعنوانه ..

وبعد هذا الاستسلام المهين من ركاب السيارة رقم ٧٠١ أراد عزت عبد الحق أن يشق اللحم البشري نحو الباب الخلفي فمنعه النشال بلمسة أخرى من نصل المطواة اللامع :

ـ لا ... أنت لا تنزل .

ـ محطتي هنا .

ـ لا أهمية لهذا .

ـ عملي له مواعيد ومسئولية .

ـ لا أحد ينزل في المحطة القادمة غيري أنا وزميلي المرابط عند الباب الخلفي ، والمعترض يترحم على نفسه قبل أن يرفع صوته .

في هذه المرة لم يعد يملأ الصمت غير ضجيج الموتور العتيق ، إلى أن توقف السائق عند محطة فدخل الكل بعضهم في بعض مفسحين الطريق لبريق المطواة ، ونزل النشالان على مهل والعملاق يلقي اليهم بكلمة أخيرة :

ـ قريباً تسمعون عما جرى للخياط حمدي عوض صاحب البدعة السمجة !

• •

وبعد نزول النشال اكتشف عدد من الركاب فقد ماكان في جيوبهم من نقود ، عليه العوض ومنه العوض ، كان في الإمكان أن تكون المصيبة أكبر ، ويتعرض الأتوبيس لحادث ، أو يمزق النصل الحاد لحم البعض ، قدر ولطف ياجماعة ..

صرخت المرأة وهي تكاد تفقد عقلها :

- أيها المستخذون المقززون .. إن الصفعة التي دوت في أسماعنا لم تكن على هذا القفا وحده بل كانت على أقفيتكم جميعاً .. أتسمعونني ؟

قال صوت خافت من عمق الزحام :

- الصفعة خير من الذبح أيتها السيدة .. لنحمد الله على أن هذا المواطن لم يسل دمه أو يتيتم أولاده !

دعك عزت عبد الحق قفاه ... الصفعة فدية النقود التي جمعها بصعوبة لينهشها المرضون والإداريون في مستشفى الأمراض العقلية ، هكذا حدثته نفسه المستخذية في مناخ الاستخذاء العام ، لعل هذه الرشوة التي يدفعها في كل زيارة لهؤلاء الطغاة ترفع بعض جبروتهم الذي لايعرف الرحمة عن شقيقه المسكين الذي قادته طهارة ذمته إلى مؤامرة من زملائه في العمل كانت نتيجتها هذه الإقامة الجبرية في عالم الجنون والقسوة وراء الأسوار الصماء .

• •

- أهلا وسهلاً .

قالها حمدي عوض عندما دخل عليه شخصان من غير زبائن الدكان ، لكنه استشعر في الحال شيئاً من التوجس أمام الجهامة غير الطبيعية في سحنتيهما ، وزاد خوفه عندما رأى العملاق يحتل ركن طاولة التفصيل التي يقف وراءها وفي يده المقص الكبير ، بينما احتل الركن الآخر بحركة انسيابية زميله القمىء بشعره المكوي وقميصه المزركش وسيجارته المتدلية من ركن فمه ، ونظراته الثعبانية ...

- أي خدمة ؟

- دع المقص من يدك واسمعنا .

وضع المقص فوق قطعة القماش ، واعتدل وقلبه يدق منتفضاً في صدره ، وقال العملاق في هدوء :

- أنت حمدي عوض ؟

- نعم .

- وما هذا القماش

- وماذا يكون غير بدلة زبون !

- والبنطلون ؟!

قال الخياط في دهشة من غرابة الأسئلة :

- بدلة كاملة ... جاكتة وبنطلون طبعاً !

- وكم زراراً ستضع في جيب البنطلون الخلفي ؟

- نعـم ؟!

- شوف ياحمدي ياعوض .. توسع وتضيق وتطيل وتقصر في تفصيل بدل الزبائن كما تشاء فهذا شأنك ولا دخل لنا فيه .. أما بدعة الزراير الثلاثة في جيب البنطلون الخلفي فهذا منذ الساعة ممنوع ، أفاهم أنت ؟

- ممنوع ؟! ... من الذي يمنعه من فضلك ؟

- نحن المانعون .

- هل فرغت الحكومة من حل جميع مشاكل الناس وبدأت تشرع للزراير والجيوب وتفصيل البدل ؟!

لم تكد الكلمات تفلت منه حتى وجد عنقه في قبضة عاتية سحبته من وراء طاولة التفصيل حتى صار منبطحاً على بطنه فوقها ، وانحنى فوق وجهه المتقع ذلك الوجه الغليظ الواثق من نفسه :

- إن التي تمنع ذلك هي نقابة النشالين ، فما رأيك ؟

- نقابة النشالين ؟!

- وأنا وصاحبي مندوبان عنها لتحذيرك يا حمدي يا عوض .. عندك أولاد ؟

- أربعة .

- وتريد أن تعيش لهم وتربيهم ؟

- طبعاً .

- إذن قل إن عصر الزراير الثلاثة في الجيوب قد انتهى إلى غير رجعة .

- حاضر .

- قلها .

- عصر الزراير الثلاثة انتهى إلى غير رجعة .

- جدع ياحمدي .

وبدفعة قوية أعاده واقفاً وراء الطاولة ، وكلمه النشال القمىء لأول مرة بصوته الرقيع وهو يفعص عقب سيجارته في خشب طاولة التفصيل اللامع :

- على المواطنين جميعاً أن يتصرفوا بما لا يعرقل نشاطنا أو يعوقنا عن العمل المثمر ، وزرايرك الثلاثة حرمت زميلي صباح اليوم من مبلغ محترم كان يملأ جيب زبون لك في الأتوبيس ، فهمت ياحمدي ؟

- فهمت .

- إذن يمكننا أن نطمع في أنك بعد انصرافنا لن تجد في نفسك حقداً علينا ؟

- يكون ذلك إن شاء الله .

- كأن زيارتنا لك لم تكن ، فأمسك لسانك .

- حاضر .

قال العملاق وهو يتأهب للانصراف في تعاظم :

- من لايسمع كلامنا نؤدبه بأدواتنا .. انظر ياحمدي ...

وحرك مطواته أمام عيني الخياط ، قريبة كل القرب من وجهه ، فقال الخياط بصوت مختنق :

- وحياة أولادي لن يخرج من يدي بعد اليوم بنطلون واحد من هذا الصنف الذي كدر خواطركم الشريفة .. كانت غلطة ولن تتكرر .

قال النشال القمىء وهو يشعل سيجارة جديدة :

- هل هناك خياطون غيرك يزاولون هذه البدعة ؟

- كيف أعلم ؟

- وهل من المعقول أن تكون أنت الخياط الوحيد قليل الأدب في مصر كلها ؟

- ومن أين لي أن أعرف ؟

طوى النشال مطواته وأعادها إلى جيبه :

- نحن نصدقك لسبب واحد هو أنك رجل عاقل ولا تريد أن يعيش أولادك الأربعة أيتاماً ، لكننا لن نترك المسألة عند هذا الحد .. إن من واجب نقابة الخياطين أن تصدر قراراً في هذا الشأن !

- قرار من النقابة ؟!

- وبالإجماع .. كما أن هيئة النقل العام مطالبة هي الأخرى أمام نقابتنا بأن تعلق على جدران عرباتها وعلى جميع الخطوط منشوراً يحرم على الركاب أن يلبسوا بنطلونات من هذا النوع .. حرك أنت القضية في نقابة الخياطين واترك لنا تحريكها بوسائلنا الخاصة في هيئة النقل العام ..

قال الخياط المسكين وقد خايله وجه شقيق صديقه عزت لحظة اقتياده إلى مستشفى المجانين :

- يكون ذلك إن شاء الله !

وظل بعد خروج الرجلين من الدكان يرتعد وقد تحول كيانه كله إلى ارتعاشة مجردة من الفهم والأمان والكرامة .

• •

سنقيم الدنيا ونقعدها ، هكذا قال حمدي عوض ليونس زميله في المهنة وهما يبدآن طوافهما على دور الصحف والإذاعة والتلفزيون .

كانا يحملان في مظروف كبير بيان نقابة الخياطين الذي صاغ صورته النهائية أديب من زبائن حمدي حضر اجتماع النقابة الصاخب واستمع مع خياطي القاهرة الغاضبين إلى قصة الاعتداء المنكر على هذا الخياط الوديع صاحب فكرة الزراير الثلاثة في جيوب البنطلونات الخلفية .

لكنهما أدهشهما في دور الصحف القومية والحزبية أن يجدا على مكاتب المحررين منشوراً من نقابة النشالين سبق بيانهما إلى قيادات التحرير ، هذا نصه :

«إن الجمعية العمومية لنقابة النشالين في دور انعقادها غير العادي في المدة من ٣ إلى ٥ ديسمبر قد استقر رأيها بالإجماع على استنكار البدعة السمجة التي استحدثتها قلة منحرفة من الخياطين ، كما شجبت الضجة المفتعلة التي أثارتها زيارة اثنين من أعضاء النقابة لأحد أولئك الخياطين ، قاما خلالها

في مناقشة هادئة وموضوعية بلفت نظره إلى خطورة الخطوة التي أقدم عليها ، والتي اكتشفها بالصدفة أحد الزملاء ، وكان لها وقعها السيىء عند جميع أعضاء النقابة ... والنقابة تهيب بجميع الأطراف المعنية أن تعمل على احتواء الأزمة بما يحقق مصلحة الجميع ، كما تطالب هيئة النقل العام على جميع خطوطها الرئيسية والفرعية بوضع تحذير للركاب ينبههم إلى الامتناع عن ارتداء بنطلونات لها جيوب خلفية بأكثر من زرار واحد .. ولعل مما يسهم في رد الأمور إلى نصابها وفي تهدئة الخواطر الثائرة أن تبادر هيئة النقل العام في نفس الوقت وفي جميع عرباتها بالغاء لافتات «احترس من النشالين» ، فان إلغاء هذا الاستفزاز من شأنه أن يشكل موقفاً بناء ومثمراً .. والجمعية العمومية لنقابة النشالين على ثقة تامة من أن الصحافة والإذاعة والتلفزيون تستطيع هي الأخرى أن تقوم بدور فعال في احتواء هذه الأزمة المفتعلة على نحو يعود بالفائدة على جميع الأطراف المعنية .»

قرأ حمدي عوض هذا المنشور وسأل المحرر الذي عرضه عليه :

ـ هل هذا معقول ياأستاذ ؟ .. هل بلغت الوقاحة بلصوص هذا الزمن الأغبر أن يوزعوا بيانات ويتقدموا بمطالب ويفرضوا وجودهم كطرف معني في مشاكل الناس وفي نسيج الحياة ذاته ؟

طمأنه الصحفي إلى أن الصحافة ستقوم بدورها ، ثم سأله وهو يودعه إلى باب مكتبه ويده المتوددة على كتفه :

ـ وكم تأخذ الآن في تفصيل البدلة من أصدقائك أمثالي ؟

وعند هذا السؤال غير المتوقع حزقت الخياط نكتته الحاضرة :

ـ هذا يتوقف ياأستاذ على عدد الزراير التي تريدها في جيب البنطلون الخلفي !

* *

بينما كان عامل من عمال هيئة النقل العام يرفع لافتة «احترس من النشالين» من داخل الأتوبيس ليضع مكانها لافتة جديدة تنبه على الركاب بالامتناع عن ارتداء ملابس تحمل جيوبها أكثر من زرار واحد ، ظل السائق محتفظاً بمظهر من لايرى غير الطريق أمامه ، حرصاً على سلامة الركاب ، ولا شأن له بما يجري في داخل السيارة .



وفي نفس اللحظة كان الحوار يبلغ ذروته بين مندوبة التلفزيون وموظف كبير بهيئة النقل العام في مكتبه الأنيق المكيف .

ـ الحمد لله ، تَم احتواء الأزمة .

ـ بفضل جهودكم المكثفة ياسيادة المدير العام .

ـ بل الفضل يرجع أولاً وآخراً إلى وعي المواطنين وإدراكهم لضرورة هذا الاحتواء حتى تتفرغ جميع الأطراف المعنية لمزاولة نشاطها في خدمة الأهداف العليا .

ـ في الواقع ياسيادة المدير العام أن زيارة كاميرات التلفزيون لجميع الأطراف المعنية قد كشفت لنا بوضوح عن النوايا الحسنة عند الجميع وعن رغبة الكل في تعايش يسمح بأن تظل المسيرة ماضية في سبيل تحقيق الصالح العام .

ـ في تقديري أنها كانت أزمة عابرة ، ولولا ما عمد اليه بعض المغرضين من النفخ فيها لما أخذت هذا الحجم ولا كانت لها هذه الضجة ...

ـ هل عند سيادتكم تصريح أخير للتلفزيون ؟

ـ أنا متفائل دائماً .. وفي رايي أن كل الأطراف المعنية بهذه الأزمة التي اجتزناها تنظر إلى المستقبل بعين الرضا والطمأنينة ، وتشعر معي بهذا التفاؤل الكبير الذي يلقي بضوئه على المستقبل .

* *

قطعة القماش أمامه ، وفوقها المقص الكبير ، والزبون الجديد الذي يتهيأ للانصراف بعد الاتفاق على موعد البروفة الأولى قال فجأة :

ـ نسيت أن أقول لك أني أفضل أن يكون لجيب الجاكتة الداخلي وجيب البنطلون الخلفي أكثر من زرار واحد ، فهذا أدعى للطمأنينة !

وما إن قالها حتى راعه أن يرى حمدي عوض يتواثب في الدكان ويدق بقبضتيه المتشنجتين على طاولة التفصيل وعلى الجدران وهو يصرخ :

ـ زراير .. زراير ياعالم .. ياناس ارحموني .. ارحموني من زرايركم !

تساءل الزبون المذهول وهو يتراجع في خوف نحو باب الدكان :

ـ اهدأ ياأسطى حمدي .. ماذا أصابك ؟

ـ ارحموني إن كنتم لا تريدون أن ألحق بشقيق عزت عبد الحق عند مجانين العباسية .. ماالذي يضيركم لو خلت دنياكم من الزراير الكثيرة أو القليلة كما خلت من المعقولية ؟

سعد مكاوي

كيف نشأت منظمة الأوبك ؟ ــ اجتماع القاهرة واجتماع بغداد ــ ما هو النظام الاقتصادى العالمى الذى تسعى الأوبك لإقامته ؟ ــ قطر تنضم إلى المنظمة عام ١٩٦١ ــ البترول بين تخفيض الانتاج وتخفيض الأسعار ــ لماذا لجأت الأوبك خلال هذا العام إلى خفض سقف الانتاج للدول الأعضاء ؟

الأوبك

قصة المنظمة التي تتجه إليها أنظار العالم

بقلم : الدكتور محيى الدين علي عشماوي





























الدول الأعضاء فى منظمة الأوبك



الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول يرأس وفد دولة قطر فى المؤتمر العادى الثانى والسبعين لوزراء بترول الأوبك فى جنيف

كلمة « أوبك » هى النطق العربى للكلمة الانجليزية « "O.P.E.C." » والتى هى مختصر لاسم « منظمة الدول المصدرة للبترول » .
Organization of Petroleum Exporting Countries

هذه المنظمة التى تجمع فى عضويتها ١٣ دولة من الدول الغنية بالثروة النفطية والمنتجة لها والتى تتحكم فى سوق النفط العالمية بما تتبعه من سياسة موحدة فى الانتاج والأسعار تحقيقاً لمصالح أعضائها .

وحتى يمكن التعرف بصورة مبسطة على هذه المنظمة من حيث كيفية نشأتها ومبادئها وأهدافها والعضوية فيها وتنظيمها الداخلى وعلاقاتها بوكالات الأمم المتحدة وانجازاتها التى أدتها منذ نشأتها ووضعها الحالى نذكر ما يلى :

كيف نشأت الأوبك ؟

بدأت فكرة انشاء الأوبك منذ عام ١٩٤٩ ، حين قامت اتصالات بين فنزويلا وايران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية بهدف تبادل الآراء حول انتاج وتصدير النفط واقامة تنسيق دائم ومستمر بين هذه الدول فى هذا الشأن .

ثم حدث فى عام ١٩٥٩ أن قامت شركات النفط العالمية بتخفيض سعر شراء برميل النفط الخام الذى تبيعه فنزويلا وكذلك دول الشرق الأوسط النفطية ، مما دعا الدول العربية المنتجة للنفط إلى عقد اجتماع لها فى القاهرة طالبت فيه شركات النفط العالمية بأن تتشاور مع حكومات الدول المنتجة للنفط قبل اقدامها على احداث أى تغييرات فى أسعار النفط .

وعلى الرغم من ذلك ، فلقد قامت شركات النفط للمرة الثانية بخفض سعر البرميل من النفط الخام بمقدار يتراوح ما بين ٤٪ إلى ١٤٪ من الدولار للبرميل الواحد ، وعلى الفور جرت اتصالات ما بين فنزويلا وحكومات الدول النفطية فى الشرق الأوسط بهدف اتخاذ الاجراءات الحاسمة نحو هذه الشركات للمحافظة على أسعار النفط الخام ومنع أى محاولات جديدة لتخفيضه ، وبالفعل انعقد بتاريخ شهر سبتمبر ١٩٦٠ مؤتمر فى مدينة بغداد حضره ممثلو حكومات كل من ايران ، والعراق ، والكويت ، المملكة العربية السعودية وفنزويلا حيث تم فى هذا المؤتمر الاتفاق على انشاء منظمة الدول المصدرة للبترول (الأوبك) كمنظمة حكومية دائمة . وعقدت الاتفاقية التى وقعتها وصدقت عليها الحكومات المشار إليها والتى ولدت بموجبها الأوبك . وقد تم تسجيل هذه الاتفاقية بمنظمة الأمم المتحدة فى شهر نوفمبر ١٩٦٢ تحت رقم ٦٣٦٣ وثائق الأمم المتحدة .

وقد نصت اتفاقية انشاء الأوبك على فتح العضوية لأى دولة من الدول النفطية التى تنتج وتصدر كميات كبيرة من النفط الخام والتى لها مصالح حيوية مماثلة للدول الأعضاء فى المنظمة . ويمكن لأى دولة تنطبق عليها هذه الشروط أن تصبح عضواً كاملا فى المنظمة إذا رغبت فى ذلك وتقدمت بطلب الى المنظمة وتم قبولها بموافقة أغلبية ثلثى الدول الأعضاء ومن بينهم الدول الأعضاء المؤسسة للمنظمة .

وبالفعل فقد توالى انضمام دول أخرى إلى المنظمة بعد انشائها فى عام ١٩٦٠ وذلك حسب الترتيب الزمنى التالى :

• فى عام ١٩٦١ انضمت دولة قطر .
• فى عام ١٩٦٢ انضمت أندونسيا .
• فى عام ١٩٦٢ انضمت ليبيا .
• فى عام ١٩٦٧ انضمت امارة أبو ظبى (والتى اندمجت فى دولة الامارات العربية المتحدة فى عام ١٩٧٤) .
• فى عام ١٩٦٩ انضمت الجزائر .
• فى عام ١٩٧١ انضمت نيجيريا .
• فى عام ١٩٧٣ انضمت الاكوادور كعضو مشارك ثم أصبحت عضواً كاملاً فى نفس العام .
• فى عام ١٩٧٣ انضمت الجابون كعضو مشارك ثم أصبحت عضوا كاملا فى يونيه ١٩٧٥ .

وبذلك أصبح عدد الدول الأعضاء فى الأوبك ١٣ دولة كاملة العضوية منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن . ولم تنضم بعد ذلك أية دولة نفطية أخرى ، وإن كان بعضها يدعى لحضور جلسات المؤتمر الوزارى كمراقب للتنسيق مع دول الأوبك وذلك على النحو الذى حدث فى المؤتمر الوزارى الاستثنائى لدول الأوبك والذى عقد فى مدينة جنيف فى شهر أكتوبر ١٩٨٤ ودعيت إليه مصر كمراقب .

أهداف الأوبك

يمكن تلخيص أهداف الأوبك فيما يلى :

١ ــ التعاون والتنسيق وتوحيد سياسات الدول الأعضاء فى المنظمة فيما يتعلق بانتاج وتسويق وتصدير وتسعير النفط الخام .

٢ ــ اتباع أحسن الوسائل اللازمة لحماية مصالح الدول الأعضاء فردياً وجماعياً .

٣ ــ العمل على استقرار أسعار السوق النفطية العالمية بالشكل الذى لايحدث ضرراً بمصالح الدول المنتجة للنفط ويحافظ على دخلها الذى تحصل عليه من تصدير ثروتها النفطية ويؤدى فى ذات الوقت إلى استمرار تدفق النفط إلى الدول المستهلكة مع الحصول على عائد عادل لرؤوس الأموال التى تستخدم فى استثمارات الصناعة النفطية .

٤ ــ كما تسعى دول الأوبك ــ فى تشاورها وتعاونها ــ مع غيرها من دول العالم ، إلى انشاء نظام اقتصادى عالمى جديد مبنى على العدل والتفاهم المتبادل وتحقيق الصالح العام والرفاهية لجميع شعوب العالم .

التنظيم الداخلى للمنظمة وأجهزتها المختلفة

١ ــ المؤتمر الوزارى :

ويعتبر المؤتمر الوزارى هو السلطة العليا فى الأوبك ويتكون من وزراء النفط فى حكومات الدول الأعضاء ، ويجتمع هذا المؤتمر مرتين كل عام ، ويختص بالمسائل الرئيسية التالية :

• اعداد السياسة العامة للمنظمة وتقرير الوسائل والطرق المناسبة لتنفيذ هذه السياسة .
• النظر فى طلبات الانضمام لعضوية المنظمة .
• الموافقة على تعيين أعضاء مجلس محافظي المنظمة .
• توصية مجلس المحافظين لاعداد التقارير والتوصيات الخاصة بالموضوعات التى تتصل بمصلحة المنظمة .
• النظر فى تقارير وتوصيات مجلس المحافظين والموافقة عليها فيما يتعلق بكل شئون المنظمة .
• الموافقة على ميزانية المنظمة والتى تحال إليه من مجلس المحافظين .

٢ ــ مجلس المحافظين :

ويتكون مجلس المحافظين من المحافظين الذين يتم تعيينهم بواسطة حكومات الدول الأعضاء ويوافق عليهم المؤتمر الوزارى .

ويختص مجلس المحافظين بالمسائل التالية :

• توجيه الجهاز الادارى بالمنظمة وتنفيذ قرارات المؤتمر الوزارى .
• النظر والموافقة على التقارير التى تحال إليه من السكرتير العام للمنظمة .
• رفع التقارير والتوصيات التى تتعلق بموضوعات المنظمة إلى المؤتمر الوزارى .
• اعداد الميزانية السنوية للمنظمة ورفعها إلى المؤتمر الوزارى للموافقة عليها .

٣ ــ السكرتارية :

تتولى سكرتارية الأوبك ــ والتى تتخذ مقراً لها فى مدينة فينا بالنمسا ــ جميع الوظائف التنفيذية للمنظمة وذلك طبقاً لنصوص النظام الأساسى وفى ضوء توجيهات وتوصيات مجلس المحافظين وقرارات المؤتمر الوزارى .

وتتكون السكرتارية من السكرتير العام وعدد من الموظفين الرئيسيين المعاونين له فى تسيير أعمال المنظمة .

والادارات الرئيسية بالسكرتارية هى الادارة الاقتصادية ، إدارة المعلومات ، الادارة القانونية ، الادارة الفنية ، وحدة الاحصاء ومكتب السكرتير العام والشئون الادارية .

وتتولى كل ادارة تنفيذ الاختصاصات الموكلة لها واعداد التقارير والتوصيات اللازمة فى الشئون الادارية والقانونية والاقتصادية والفنية والاحصاءات اللازمة لشئون النفط العالمية وشئون النفط فى الدول الأعضاء .

وفى عام ١٩٦٤ وفى إطار الأوبك أنشئت اللجنة الاقتصادية كجهاز دائم متخصص فى الشئون الاقتصادية ويعمل ضمن السكرتارية العامة . وكان الهدف من انشاء هذه اللجنة هو العمل على المحافظة على استقرار أسعار النفط فى السوق العالمى عند مستويات متعادلة . وتتكون هذه اللجنة من مجلس ولجنة موظفين وممثلين للدول الأعضاء . وتجتمع اللجنة أربع مرات سنوياً .

علاقة الأوبك بوكالات الأمم المتحدة

ترتبط الأوبك مع الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة بعلاقات تعاون وثيقة أنشأتها الأوبك مع هذه الوكالات على فترات مختلفة منذ نشأتها .

ففى عام ١٩٦٥ وافق المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة على انشاء علاقات مع الأوبك وذلك بموجب قرار أصدره المجلس فى شهر يونيه من ذلك العام يعترف فيه بالأوبك كمنظمة حكومية دولية متخصصة فى شئون البترول للدول الأعضاء فيها .

ونتيجة لاعتراف الأمم المتحدة بالأوبك فقد دعيت هذه المنظمة بواسطة السكرتارية العامة بها إلى المشاركة فى اجتماعات وكالات الأمم المتحدة المتخصصة مثل مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المعروف باسم (انكتاد UNCTAD) وغير ذلك من اجتماعات المنظمات الدولية الهامة .

أهم انجازات الأوبك منذ نشأتها

يمكن تلخيص أهم انجازات الأوبك خلال الفترة منذ نشأتها عام ١٩٦٠ حتى تاريخه فيما يلى :

• القيام بدور هام نحو المحافظة على استقرار أسعار النفط ومواجهة محاولات شركات النفط العالمية لخفض الأسعار تحقيقاً لصالحها .
• عقد اتفاقيات هامة مع شركات النفط العالمية من أجل الحصول على أسعار مرتفعة للنفط الخام ودخل عال مع تعويضها عن الارتفاع الكبير فى الأسعار نتيجة التضخم .
• وضع المبادىء النموذجية بالنسبة للتشريعات البترولية للدول الأعضاء .
• المشاركة الجادة فى المؤتمرات الدولية والاقليمية التى تتصل بصناعة النفط .
• توحيد السياسات البترولية بين الدول الأعضاء لتحقيق مصالحها المشتركة فى مواجهة الشركات البترولية العالمية ..
• وضع لوائح ونظم المحافظة على الثروات البترولية فى الدول الأعضاء .
• مساعدة الشركات البترولية الوطنية على النهوض بصناعة البترول فى الدول الأعضاء ومنافسة الشركات العالمية الاحتكارية .
• تحقيق سياسية تملك الدول الأعضاء لشركات البترول الأجنبية التى تعمل فى أراضى الدول الأعضاء سواء فى المناطق البرية أو البحرية .

• أخذ زمام المبادرة فى تحديد أسعار النفط الخام الذى تصدره الدول الأعضاء إلى الأسواق العالمية .

• الاتفاق على حجم الانتاج لدول المنظمة من أجل مجابهة النقص على الطلب فى السوق العالمى ومنع تدهور الأسعار نتيجة لذلك .

• تقديم المساعدات للدول المتخلفة من أجل مساعدتها فى مشروعات التنمية .

• الدعوة إلى نظام اقتصادى عالمى جديد من خلال التعاون والتشاور الدولى مما نتج عنه ميلاد مؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى (CIEC) والذى عرف « بحوار الشمال والجنوب » North-South Dialogue بين ١٩ من الدول النامية تضم ٧ دول أعضاء فى الأوبك و ٨ دول من الدول الصناعية الكبرى وبهدف التوزيع العادل للثروة العالمية والموارد الوطنية .

• انشاء صندوق الأوبك OPEC Fund لتقديم الدعم والمساعدات والقروض طويلة الأجل وبدون فائدة لما يقرب من ٤٥ دولة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

• العمل على حل مشكلة الغذاء العالمى عن طريق تقديم معونة مقدارها ٤٠٠ مليون دولار مساهمة من صندوق الأوبك لمشروعات الصندوق الدولى للتنمية الزراعية (IFAD) .

وختاماً فإن الأوبك تتولى الآن سياسة الدفاع عن مصالح الدول الأعضاء فيها فى مواجهة محاولات شركات البترول العالمية لخفض أسعار النفط الخام بدرجة كبيرة عن طريق تقليل حجم الطلب على صادرات دول الأوبك استناداً الى قيامها بالسحب من مخزونها الاحتياطى لفترة من الزمن تجبر فيها دول الأوبك على خفض أسعار نفطها حتى تتمكن من تسويقه عالمياً والحصول على العائد من التصدير اللازم لتحقيق مشروعاتها للتنمية .

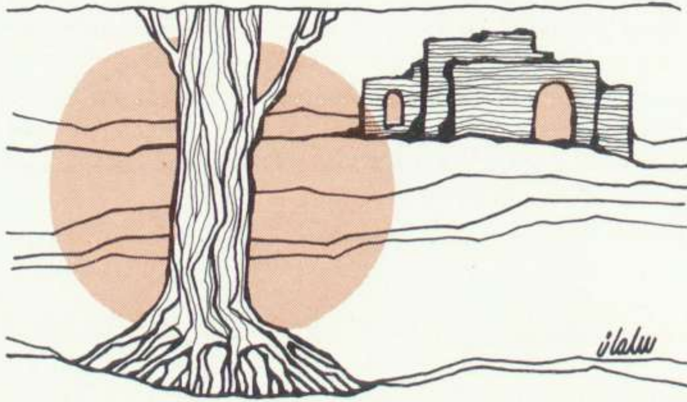
وقد لجأت الأوبك فى خلال هذا العام إلى طريقة خفض سقف الانتاج للدول الأعضاء فيها وذلك حتى يتم امتصاص السوق للفائض النفطى الموجود به ويعود حجم الطلب على النفط من دول الأوبك الى حجمه الطبيعى وبالتالى لا تضطر الأوبك إلى خفض الأسعار الذى تسعى إليه شركات النفط العالمية .

ويعد ذلك صورة من الصور الحية للدور الهام الذى تلعبه الأوبك فى تنسيق سياسات أعضائها البترولية من حيث الانتاج والأسعار من أجل المحافظة على مصالحها وبالتالى مصالح شعوبها فى المحافظة على ثرواتها البترولية والاستفادة من الدخل العائد من تصديرها لتحقيق الرفاهية والتقدم لشعوبها .

محيى الدين علي عشماوى

طفـولة

شعر : محمد آدم



حين كنتُ صغيراً
أطأطىء رأسي لشمسِ النهارِ الغريبِ
وأبني من الرملِ بيتاً
أُعرشهُ بالريـاحِ ،
ونخلِ الفـؤادِ ،
وأجرى على ضفةِ النهـرِ
تهـوى فراشـةٌ ،
لتحسو قليلاً من الماء
أو تتأملُ شمسَ النهارِ الكسولِ
فأضـحكُ ،
ثم تغـادرُ
ها هو عشبٌ من الأرضِ
يركضُ صوبَ الرياحِ المطيرةِ
ثم يغازلُ نخلَ السماءِ
ويبتلُ بالأرضِ
والشمسِ
آهِ
الفراشـةُ غابتْ

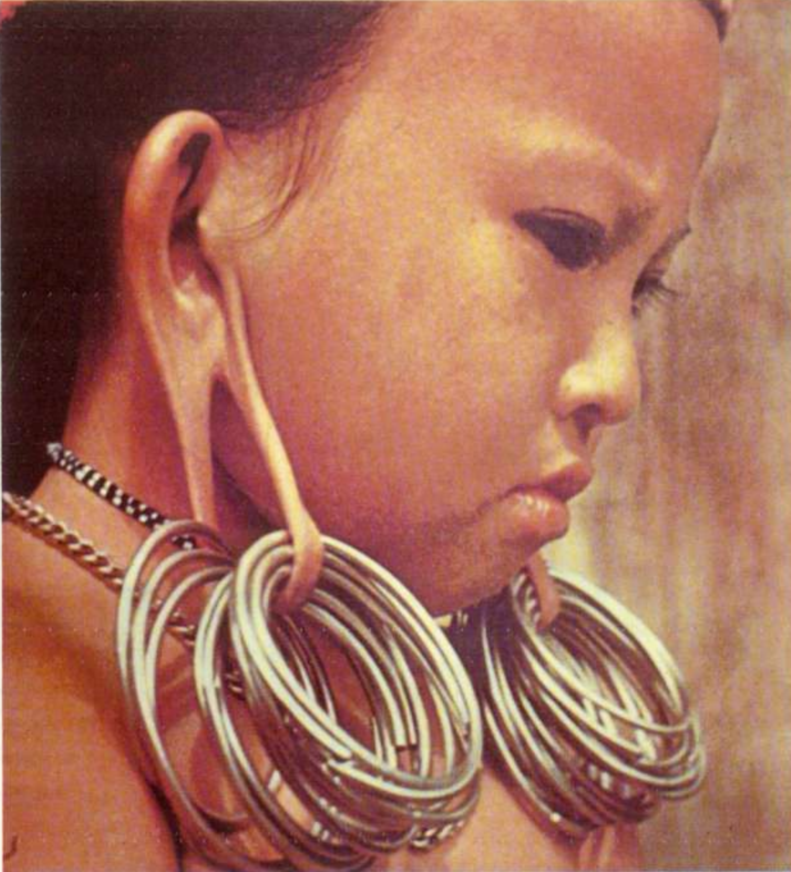
وغابَ النهارُ المضيءُ
وها هى بعضُ النجمات تهوى على فضةِ الماءِ
كى تتكسـرَ
أو تتـلألأَ
أو تتوارى خلالَ العشبياتِ والشجراتِ
التي تمايلُ من شدة الريحِ
والريحُ لا تتوقفُ عن ركضِها المتواترِ
فوقَ العشبياتِ

والنخـلاتِ
والظـلِ
أوغلَ ركبُ النهارِ
وعادتْ طيورُ القرى لمساكنها مثقلةْ
هل تعودُ الفراشـةُ
أو يعـودُ
الصغيرُ الذى كان يلهو على ضفةِ
النهـرِ
حتي يغيبَ النهـارُ ! !



الفك المفترس!

عندما قدمت السينما الأمريكية فيلمين خياليين عن الحوت ذات الفك المفترس ، كانت الحياة قد سبقتها بعشرات الملايين من السنين ، وقدمت بدورها فكاً حقيقياً مفترساً مدفوناً في التراب أو الرمال ، وهو الذى ترى منه جزءاً بارزاً بلونه الداكن ، وقد قبض على حشرة أكبر منه بعشرات المرات .. وطبيعي أن صاحب هذين الفكين يدفن نفسه حياً في الرمال ، حتى لا ينبيء ضحاياه عن وجوده ، وبهذه الفكرة المبتكرة يستطيع أن يحصل على رزقه .. أما صاحب الفكين فاسمه أسد النمل ، وهو ـ في الواقع ـ اسم على مسمى ، لأنه يعيش أساساً على اصطياد النمل ، لكن عملية الصيد نفسها تتم بطريقة ماكرة ، لأن « الأسد » يحفر في الرمال أو التراب حفراً ناعمة ، وكل حفرة قد جاءت مخروطية على هيئة الرقم ٧ ، وعند القاع يبرز فكيه ، فاذا اقترب الصيد من الحافة ، انهارت الرمال ، ووقع في الحفرة ، فيتلقفها الفكان لتصبح للأسد لقمة سائغة .. لكن الصيد هنا أكبر كثيراً من الصياد ، وقد أثبت أسد النمل جدارته ، ليصبح الفك الأصيل المفترس .. حقيقة لا خيالا !



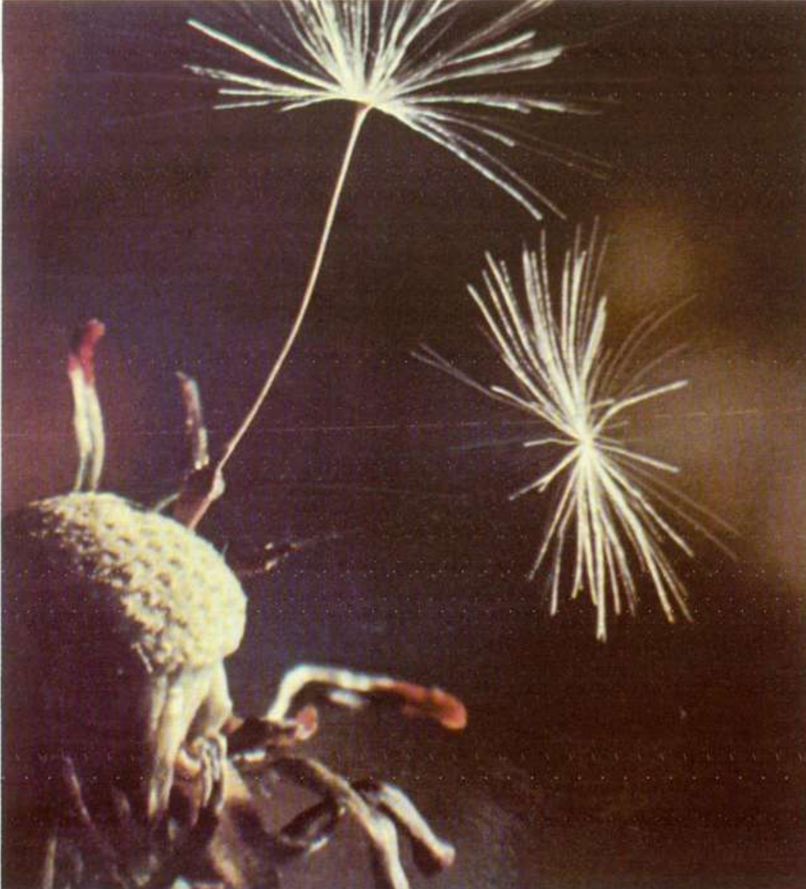
جميلة.. ولكن!

لقد ظنت هذه الصبية المليحة ، وكذلك ظن قومها أن من علامات الجاذبية والجمال ، أن يمطوا الآذان ، لتستوعب أثقالا من الحلقان .. ومع ذلك ، فما قد نراه نحن تشويها في الخلق ، قد يراه غيرنا فتنة وإثارة .. فمن القبائل البدائية ما ترى في مط الشفاه ، أو شد الرقاب ، أو تلطيخ الوجه والجسد بالوشم ، أو ثقب الأنوف والشفاه والآذان لتتدلى منها حلية يعتبرونها من علامات الجمال ، أو يسار الحال .. لكن ، إذا زاد الشيء عن حده ، انقلب إلى ضده ، وهو ما نراه مجسداً في أذني تلك الصبية ، إذ من عادة نساء قومها من قبائل « الكايان » التى تسكن بورنيو ، أن يشقوا آذان الأطفال ، ثم تحميلها بأثقال متزايدة من حلقان ذهبية أو فضية أو نحاسية .. يتوقف ذلك على المستوى الاجتماعي ، وكلما زاد الثقل ، زاد المط أو الشد ، وزادت الفتاة في عيون قومها جمالا ، أو ربما ثروة ، خاصة إذا كانت الحلقان من ذهب أو فضة .. وكل يغنى لليلاه !

من شابه أباه فما ظلم !



استسلموا لآلة التصوير ، لعل أحداً يجد حلا أو علاجاً لمأساتهم التى تنتقل من السلف الى الخلف ، انهم ينتمون الى إحدى القبائل التى تسكن جنوب القارة الافريقية ، وهى المعروفة باسم قبيلة « الناس النعام » ، والتسمية لها ما يبررها ، لأن أرجلهم تشبه أرجل النعام ، وإن كانت تبدو أكثر شبهاً « بالكلابات » أو فكوك السرطانات (الكابوريا) .. والواقع أن هذه التشوهات قد تمتد أيضاً إلى أيديهم ، فتأتي الأصابع بتقوسات منفردة ، وكل هذه الأخطاء التى تنتشر بين معظم أفراد تلك القبيلة هى فى الأساس أخطاء وراثية ، لأنها تورث للأجيال المتعاقبة ، ومن الصعب علاجها فى الوقت الحاضر .. وطبيعى أن هذا العجز فى الخلقة ، يؤدى أيضاً الى عجز فى الحركة ، وخير لأفراد هذه القبيلة أن يتزوجوا من أفراد قبائل أخرى سليمة ، فلعل وعسى أن تأتى نسبة من المواليد بدون عاهات ، ولكن هيهات ، فلا أحد يرضى أن يختار شريك حياته بمثل هذه التشوهات .



إنها تستخدم فكرة المظلات !

قد يظن الانسان نفسه أنه أول من توصل الى اختراع مظلات الهبوط أو « الباراشوت » .. لكن هذه اللقطة تدحض ذلك الزعم ، فلقد سبقنا هذا النبات المعروف باسم الهندباء البرية بالفكرة ذاتها ، وكأنما هو درس مبادىء الديناميكا الحرارية ، والتيارات الهوائية ، وأسس الجاذبية ، وبحيث جاء التطبيق بتكنولوجيا متقنة ، والدليل على ذلك أن الفكرة قد أثبتت أصالتها لملايين فوق ملايين من السنين ، وأدت إلى انتشار هذا النبات البرى بكفاءة فى كل القارات ، حيث تستطيع بذور هذا النبات ــ والتى ترى اثنين منها لازالا ملتصقين على النبات ــ أن تهاجر عبر تيارات الهواء ، ويساعدها على ذلك الزغب الخفيف الذى اتخذ شكل المظلة ، ولا يزال « الباراشوت » يهبط ويصعد ، أو يصعد ويهبط ، الى أن يجد أرضاً رطبة ، وهو المراد من رب العباد ، فيلتصق بها ، ويبدأ الانبات ، ليكرر نفس القصة الأزلية التى استمرت على هذا الكوكب عشرات الملايين من السنين ، وكأنما ينطبق عليها قول القرآن الكريم « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » !

● احذروا هذا المسلسل التليفزيوني الصهيوني
● نهرو: براءته وطيبة قلبه سبب متاعبه
● لا داعي للاعتذار: لقدمات السينما الإيطالية
● أخبار ثقافية عن الكتب والمتاحف والفنون

« التراث »
دعاية صهيونية سافرة في مسلسل تليفزيوني


لقطة من مسلسل «التراث»


أبا إيبان


شكسبير

يبدأ فى أوائل عام ١٩٨٥ عرض مسلسل تليفزيونى فى الغرب بعنوان « التراث » .. المسلسل أنتجته شركة WNET للانتاج التليفزيونى بنيويورك . ومن المقرر إذاعته فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وهناك مفاوضات لنقله على الهواء مباشرة بالأقمار الصناعية من التليفزيون البريطانى الى معظم دول أوربا الغربية واسرائيل حيث يتقارب التوقيت .

وتقول صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور » إن رسالة المسلسل يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة هى « أننا جميعاً الى حد ما .. يهود » !

يكفى أن تعرف ذلك لتدرك مدى دسامة الجرعة الدعائية الصهيونية فى هذا المسلسل .. العملاق .

وهو مسلسل عملاق بالفعل من حيث الامكانات والاخراج والتمثيل والتصوير الخارجى ، ويراد له أن يضرب أو يتفوق على المسلسلات التليفزيونية الشهيرة الأخرى مثل « الحضارة » لسير كنيث كلارك ، و « صعود الانسان » للبروفيسور جاكوبو برونوفسكى ، و « يوميات بيل مويرز » وهى مسلسلات تركت أثراً عميقاً فى حياة مشاهديها .

وقد استغرق العمل فى تخطيط مسلسل « التراث » وانتاجه حوالى ست سنوات ، وتم تصوير أجزاء منه فى ١٩ دولة مختلفة وتكلف أكثر من ١٠ ملايين دولار . ويقول عنه النقاد إنه ليس مجرد عرض تليفزيونى بقدر ما هو « جامعة الكترونية » تقوم بدور أداة فعالة فى التعليم والاكتشاف . وقد زكته ١٠٠ جامعة وكلية فى أمريكا وبريطانيا كوثيقة تعليمية اعتماداً على قائمته الطويلة من الخبراء والمستشارين .

والمنتجون التنفيذيون لهذا المسلسل الكبير هم مارك سيجال ، وأرنولد لا باتون ، وجون فوكس ، والأخير هو أيضاً مخرج المسلسل ، ويعملون تحت اشراف روبرت كوتلوفيتش مدير مؤسسة « ونيث » للانتاج التليفزيونى ، وجميعهم يهود ، بالاضافة الى عشرات الكتاب والمخرجين المساعدين والمصورين السينمائيين وعدد مهول من الممثلين والشخصيات الثانوية . ووضع موسيقاه جون ديق .

هذا المسلسل يقول بكل جرأة وجسارة إن الحضارة العالمية المعاصرة هى الى حد ما يهودية .. من نتاج عبقرية اليهود وآمالهم وآلامهم .. وإن كل انسان منا فيه شيء يهودى ، وكل نسيج حضارى فيه خيط يهودى ، وإن هذه المجموعة من البشر التى تضم ١٤ مليون شخص يمثلون مالا يزيد عن ٢٥ر٠٪ من التعداد العالمى قد قاموا خلال ٣٠٠٠ عام بدور مؤثر ومحورى فى الديانات والثقافات البشرية ، كما أنهم استوعبوا كل الحضارة العالمية واندمجوا فيها .. فهم ملح الأرض وزبدة التاريخ (!)

ومثل هذه المغالطة الكبرى لا يجرؤ عليها سوى صهيونى مثل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل سابقاً ومؤلف المسلسل ، وهو الذى يقوم بدور الراوى والمرشد والمعلم فى المسلسل ، ويظهر على الشاشة ٥٤ مرة فى أماكن مختلفة من العالم ، والمسلسل كله مأخوذ من كتاب وضعه ابا ايبان عن تاريخ اليهود عنوانه « شعبى » .

يقف ابا ايبان مراراً أمام الكاميرا ليشرح كيف أن شعب اسرائيل الذى وجد منذ الأزل قد هضم حضارة الامبراطوريات القديمة التى قامت على ضفاف النيل والفرات ، وأضاف إليها من عبقريته الذاتية وتفرده الفكرى حتى أصبحت اسرائيل القديمة منارة فى التاريخ ، ومنها انتقل النور الحضارى الى بلاد فارس واليونان وروما وأوربا المعاصرة وأمريكا ، وهذا هو « التراث » الذى يشارك فيه كل فرد فى العالم الآن ، يهودى أو غير يهودى ، ويجعل من الجميع يهوداً الى حدما !

وابا ايبان بالطبع ليس غبياً كى يقع فى فخ الدعاية المباشرة لليهود ، أو يفتح على نفسه الثغرات التى ينفذ منها النقاد وما أكثرها ، لذلك فهو يعالج موضوعه بدبلوماسية فائقة ، جاهداً أن لا يمس شعباً من الشعوب أو ديناً من الأديان ، حسبه أن يبرز « الأيادى البيضاء » لليهود على الحضارة العالمية ، ويخفى « الأظافر القذرة » التى نشبوها فى صدور غيرهم من الشعوب .

فمثلا ، فى الحلقة الرابعة من المسلسل التى تتحدث عن الحضارة العربية الاسلامية لا يحاول ايبان التقليل من شأن العرب ، وانما يشيد بتأثيرهم الثقافى فى المجتمع العالمى ، ويبرز بصفة خاصة ازدهار المجتمع اليهودى تحت حكم الأمراء المسلمين فى فترات كثيرة من التاريخ ، وحسبه أن يبالغ قليلا فى الدور الذى قام به المثقفون اليهود فى خدمة ونشر الثقافة العربية كما لو كانت هذه الثقافة غير مدينة لأحد قدر دينها لموسى بن ميمون !

وعندما يتحدث فى الحلقة الثالثة عن ظهور المسيحية يحاول أن يتجنب إثارة الخصومات الدينية ، أو كما يقول ايبان فى حديث لاحدى الصحف « إن معالجتى لا ينبغى أن تثير أية

بقلم : محمد العزب موسى

خصومة دينية ، لأنها تاريخية بحتة ، فالمسلسل يقول مثلا : كان هناك صبى يهودى يدعى عيسى ، ولد فى بيت لحم . ونشأ فى الجليل ، وراح يعظ ، وفى وعظه اختلف مع المعبد القائم .. فهذه حقائق تاريخية لا يمكن المنازعة فيها . أما ما يمكن أن يكون محل نزاع فهو ما إذا كان ينبغى قبول تعاليمه أم لا ، غير أننا لا ندخل هذه المنطقة بتاتاً » .

ويرى ايبان فى الشتات اليهودى « الدياسبورا » نعمة ونقمة فى نفس الوقت ، لأن اليهود كانوا إذا اضطهدوا فى مكان وجدوا مأمناً فى مكان آخر . وهكذا أنقذهم الشتات من الابادة الجماعية .

وتظهر اسرائيل فى الحلقة التاسعة من المسلسل لتلم عناصر الشعب اليهودى التى مزقها الانفجار ، وهى اللغة والأرض والعقيدة والسكان .. معجزة ليس لها مثيل فى التاريخ !

أما التاريخ الحقيقى لليهود ، وما قاموا به فى كل زمان ومكان من مؤامرات خفية ، وثورات دموية ، وخيانات وطنية ، وتعصبات ذميمة ، وما درجوا عليه من الاستغلال المالى ، والغش التجارى ، والغدر بالأغيار ، وما جبلوا عليه من قسوة ولؤم وخسة سجلها أدباء عظام محايدون من طراز شكسبير فى « تاجر البندقية » وتشارلس ديكنز فى « دافيد كوبرفيلد » .. كل ذلك لا يشير إليه المسلسل بشيء ، فهو من قبيل « معاداة السامية » وهدف المسلسل بالطبع إزالة هذه الوصمة من القلوب !

والواقع أن ايبان فى اتباعه هذا الخط لم يأت بجديد ، فقد جبل اليهود على نسبة الانجازات الكبرى فى تاريخ البشرية الى أنفسهم ، وهذا ادعاء كاذب تصدى له الكثيرون فى الشرق والغرب ومنهم الأستاذ العقاد فى كتاب كامل من كتبه ، وأثبت أن اليهود عاشوا متسلقين على الثقافات المختلفة ، ولم تكن لهم ثقافة خاصة بهم فى يوم من الأيام ، أى أنهم كانوا دائماً على هامش الثقافة البشرية ولم يكونوا محوراً لها .

ونذكر أنه عندما شاهد مناحم بيجن هرم الجيزة الأكبر قال إن أجداده هم الذين بنوه ! مع أن الهرم بنى قبل ظهور بنى اسرائيل فى التاريخ القديم بأكثر من ألف عام وكانت هذه فضيحة كبرى لرئيس وزراء اسرائيل كشفت جهله وادعاءه . وهناك فيلم أخرجته هوليود منذ عدة سنوات يسمى « أرض الفراعنة » يدعى أيضاً أن المهندس الأكبر للهرم كان يهودياً من بنى اسرائيل . أما الكتب التى وضعت خصيصاً للايهام بأن اليهود هم أصل الحضارة العالمية وصلبها فى كل العصور فكثيرة لا تكاد تحصى ، ومنها مجلد ضخم يحمل عنوان « تراث العالم القديم » من تأليف و . ج . دى بورج ، وللأسف فقد ترجمت بعض أجزاء هذا الكتاب الى العربية عام ١٩٦٥ فى مجموعة « الألف كتاب » باشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى بمصر ولم يتعرض مترجمه زكى سوس أو مراجعاه دكتور يحيى الخشاب ودكتور صقر خفاجة لتفنيد المزاعم والمغالطات الكثيرة التى جاءت فى ذلك الكتاب .

ولكن المسلسل التليفزيونى « التراث » هو أخطر هذه المحاولات جميعاً ، لأنه يخاطب ملايين الناس فى جميع أنحاء أوربا وأمريكا مع ما للتليفزيون من أثر عميق فى تشكيل الرأى العام . ومن المؤسف حقاً أن العالم العربى على ثرائه وثقافته يعجز عن التصدى لمثل هذه الدعايات الصهيونية أو إنتاج أعمال عالية جيدة تبرز الشخصية العربية والحق العربى .



نهرو

جواهر لال نهرو
١٩٥٦ — ١٩٦٤
بقلم : سارفيالى جوبال

صدر الجزء الثالث والأخير من أهم وأوثق وأكبر ترجمة ذاتية للزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو بقلم المؤرخ الهندى سارفيالى جوبال . الكتاب بأجزائه الثلاثة يحمل عنوان « جواهر لال نهرو » ، وهذا الجزء الثالث يغطى السنوات التسع الأخيرة من حياة نهرو (١٩٥٦ — ١٩٦٤) وهى أيضاً من أنشط سنوات خدمته كرئيس لوزراء الهند ، فقد شهدت هذه السنوات ظهور حركة عدم الانحياز التى لعب فيها نهرو دوراً رئيسياً مع تيتو وعبد الناصر ، كما شهدت حرب تحرير جزيرة جوا من الاستعمار البرتغالى ، وفى نهايتها حدث النزاع الدامى بين الهند والصين الذى حاول نهرو عبثاً أن يتجنبه .

وقد كان نهرو رئيساً لوزراء الهند ووزيراً لخارجيتها طوال الـ١٧ عاماً التى قضاها فى الحكم ، ويعد بحق منشئاً للهند الحديثة التى أقامها على أسس من الديمقراطية والوحدة ، وقد اشتهر نهرو بالشجاعة والانسانية والترفع عن الصغائر ، حتى أن أشد ناقديه لم يستطيعوا أن يتهموه بأى عمل خسيس أو مهين بالرغم من الخصومات الكثيرة التى تعرض لها والمعارك التى خاضها فى مختلف الجبهات .

ويبرز المؤلف جوبال كيف أن براءة نهرو وطيبة قلبه كانت أحياناً سبباً لمتاعبه ، فقد كان كثيراً ما يضع ثقته فى أشخاص غير جديرين بالثقة ، ان نهرو كان يتصور أن كل البشر على شاكلته طيبون مستقيمون دافئو القلوب ، وكان شديد الاخلاص بصفة خاصة لأصدقائه القدامى ، ولكن بعضهم لم يكن يستحق هذه الثقة ومنهم المدعو ماثاى الذى ظل مساعدا وثيقاً لنهرو طيلة ١٣ عاماً أحدث خلالها ضرراً كبيراً الى أن اضطر نهرو للتخلص منه بعد فوات الأوان .

وكذلك ينتقد المؤلف كريشنا مينون ويعتقد أنه لم يكن يستحق محبة نهرو واحترامه ، ويقول إن مينون كان فردياً وأنانياً وضاراً كما أن عصبيته وعدم قدرته على التحكم فى سلاطة لسانه أفقداه كثيراً من الأصدقاء .

وقد أثنى كثيرون من النقاد الغربيين على كتاب جوبال بأجزائه الثلاثة ، وامتدحوا أحكامه باعتبارها سليمة ومعقولة . وقال أحد النقاد فى صحيفة « فاينا نشيال تايمز » البريطانية إن الكتاب عبارة عن أثر خالد لرجل عظيم لم تضعف قبضته يوماً على القيم التى تصنع السلوك المتمدين .

مأزق فى الأوبرا

أقدم فرقة أوبرا فى العالم هى فرقة مترو بوليتان الأمريكية . وقد احتفلت الفرقة مؤخراً بدخولها القرن الثانى من حياتها بتقديم ثلاث أوبرات متتالية على مسرحها فى نيويورك ، هى « لوهنجرين » (أى المجرية) لفاجنر و « حكايات هوفمان » لأوفنباخ ، و « أيوجين أونيجين » لتشايكوفسكى .

وحدث أثناء تقديم الأوبرا الثانية « حكايات هوفمان » أن احتبس صوت البطل ويليام لويس (تينور) فى الفصل الثانى ، وكان هذا مأزقاً عسيراً ، ولكن بديله الاحتياطى كنيث ريجيل استدعى على عجل للغناء بدلا منه داخل الجوقة الموسيقية (الأوركسترا) ، بينما استمر ويليام لويس يمثل الدور ويحرك شفتيه بالكلمات !

ومضى الأمر على خير ما يرام دون أن يلحظ الجمهور ما حدث .

تدهور السينما الايطالية

صناعة السينما فى ايطاليا دخلت هذه الأيام مرحلة من التدهور الخطير ، وفقدت كبار فنانيها .. فمن المنتجين العظام : كارلو بونتى الذى يعتكف الآن فى سويسرا ، ودينو دى لورنتيس والبرتو جريمالدى ، ويعملان بصفة نهائية فى الولايات المتحدة ، ومن المخرجين العظام : فريدريكو فيلليني ومايكل انجلو انتونيونى ، ويقتصران على أفلام التليفزيون التجارية . كما فقدت السينما الايطالية معظم نجومها الكبار وظهر جيل آخر أقل موهبة وكفاءة .

والسبب الرئيسى فى أزمة السينما الايطالية هو التليفزيون . ففى العام الماضى أنتجت ايطاليا ١١٠ أفلام سينمائية فقط ، أى أقل من ثلث ما كانت تنتجه منذ ثلاث سنوات . وفى نفس العام أذاعت محطات التليفزيون الايطالية ١٤١٥ فيلماً مستورداً و١٢٫٨٨٧ حلقة تليفزيونية أجنبية . وتوجد فى ايطاليا ثلاث قنوات تليفزيونية حكومية ، وثلاث شبكات تليفزيونية خاصة ، ومئات من محطات التليفزيون الخاصة ، كلها مفتوحة الشهية لاستيراد الأفلام والمسلسلات من الخارج ، من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، بل والاتحاد السوفيتى .

وكثيرون من رواد السينما انقطعوا عن عادتهم القديمة ، وهم يفضلون البقاء فى منازلهم لمشاهدة التليفزيون ، كما تدهورت دور العرض نفسها . وخلال السنوات الثلاث الماضية أغلقت حوالى ١٤٠٠ دار سينما أبوابها . وفى اوائل السبعينيات كان عدد رواد السينما فى ايطاليا ٧٠٠ مليون متفرج فى العام أى أكثر من عدد رواد السينما فى المانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا مجتمعين ، أما الآن فلا تباع أكثر من ١٦٠ مليون تذكرة فى العام ولا تزال توجد فى ايطاليا ٧٧٢٦ دار سينما ، ولكن ثلثها فقط يعمل بانتظام .

والمعروف أن شهرة ايطاليا كدولة من الطراز الأول فى صناعة السينما بدأت فى السنوات التالية للحرب العالمية الثانية . فقد تركت الواقعية الايطالية الجديدة طابعها على صناعة السينما العالمية . واشتهر عالمياً مخرجون من أمثال روبرتو روسيليني وفيتوريو دى سيكا بأفلام من طراز « المدينة المفتوحة » و« سارق الدراجة » . ثم جاء عصر انتونيونى وفيللينى فى الخمسينيات والستينيات ، وتلاهما بترولتيشى فى الستينيات وأوائل السبعينيات ، وأخيراً الاخوان باولو وفيتوريو تافياتى .

ولكن المخرجين العظام فى إيطاليا كانوا دائماً الإستثناء ، ومعظم صانعى الأفلام اقتصروا على الكوميديا الهابطة والأفلام التاريخية المزيفة ، وهذه النوعية هى التى زادت من أزمة السينما الحالية ، أما الأفلام الراقية فقد أصبحت نادرة بدليل أنه لم يدخل مهرجان كان السينمائى هذا العام سوى فيلم ايطالى واحد . وفى مهرجان فينيسيا الدولى الذى أقيم مؤخراً بدت الأزمة أكثر وضوحاً . اذ من بين ١٠٧ أفلام عرضت فى المهرجان كانت هناك ستة أفلام فقط لمخرجين ايطاليين .

يقول المخرج كومنشينى (٦٨ سنة) إن الفنيين الايطاليين فى الكاميرا والاضاءة والديكور وغير ذلك من فنون صناعة السينما مازالوا أفضل من أمثالهم فى العالم ، ولكن قلة الحوافز خلال السنوات القليلة الماضية بدأت تبددهم . وعندما يموت الفنيون الكبار الذين هم من جيلى ستكون اعادة أيام المجد للسينما الايطالية مهمة أكثر صعوبة .

ويضيف كومنشيني : لا داعى للاعتذار عن أزمة السينما الايطالية .. لقد ماتت السينما الايطالية بالفعل !

أكبر متحف للفن الأفريقى يفتتح فى واشنطون

افتتح فى واشنطون فى شهر أكتوبر الماضى « متحف الفن الأفريقى » وهو أكبر متحف فى العالم مخصص فقط للفن الأفريقى . والمعروف أن الفن الأفريقى له تأثير عميق على تطور الفن الحديث ونزعاته التجديدية . يحوى المتحف أكبر مجموعة فى مكان واحد من الرسوم والتماثيل والأوانى والأقنعة الأفريقية ابتداء من القرن الثالث عشر الى القرن العشرين من مختلف أنحاء أفريقيا السوداء ، وخاصة من جمهورية أفريقيا الوسطى وجمهورية بينين والجابون ، وكانت معظم هذه التحف موزعة بين المتاحف المختلفة أو ضمن مجموعات خاصة يمثلها أفراد ، ولم يبخل المتحف على شرائها بأى ثمن ، ولكن المجموعة الأفريقية الشهيرة فى متحف المتروبوليتان بنيويورك لم تمس .

وأصدرت إدارة المتحف دليلا يضم صوراً ملونة لأشهر هذه التحف مصحوبة بدراسات جادة لبعض كبار النقاد التشكيليين . ويباع الدليل وحده بأربعين دولاراً .

أخبار ثقافية



الكاتبة الفرنسية كوليت

• صدرت في فرنسا مجموعة الأعمال الكاملة للكاتبة الفرنسية الشهيرة كوليت في ١٦ مجلداً . وصف النقاد كتابات كوليت بأنها من أجمل النصوص فى الأدب الفرنسى . خصصت عدة مجلدات من المجموعة لمراسلات الكاتبة مع كبار أدباء عصرها .

• تم تحويل منزل سيجموند فرويد (١٩ شارع برجاس بفينا) الى متحف . عاش فرويد فى هذا المنزل ٥٠ عاماً قبل أن يضطر أمام الخطر النازى للهرب الى لندن عام ١٩٣٩ . يحوى المتحف غرفتي الجلوس والنوم اللتين كانتا يستعملهما فرويد ، وكذلك أريكة التحليل النفسى التى تعتبر الأولى من نوعها فى العالم ، بالاضافة الى كثير من الكتب والمتعلقات الخاصة بالعالم الشهير . وقد ساهمت ابنته آنا قبل وفاتها مؤخراً ، وكذلك

أصدقاؤه ومحبوه باثراء المتحف بالهدايا والتحف .

● « وداعاً .. سارتر » آخر كتاب فى السوق عن الفيلسوف الكبير بقلم شريكته سيمون دى بوفوار . يركز الكتاب بصفة خاصة على السنوات العشر الأخيرة من حياة سارتر عندما سقط فريسة للمرض والحزن والملل ، فأصيب بالعمى والصمم والشلل ، ولم يعد يحيط به سوى الأطباء والمرضات . لقد كان « عبقرية تتحلل .. وقد كان من المحزن رؤية هذا الرجل الذى تعود أن يستمد البهجة العظيمة من الحياة وهو لم يعد قادراً على الاستمتاع بأى شيء حتى سماع الموسيقى » .

والنصف الثانى من الكتاب عبارة عن سلسلة من المحادثات المتنوعة فى الفكر والأدب والسياسة بين سارتر وسيمون دى بوفوار .

● طبعة جديدة من دائرة المعارف الشهيرة التى وضعها ديدرو ودالمبير منذ مائتى سنة صدرت أخيراً فى فرنسا فى ١٨ مجلداً باشراف فرانكو ماريا ريتشى . هذه هى أقدم دائرة معارف فى العالم الغربى وقد وضعت فى عصر التنوير ، واشترك فى تحريرها نخبة من أكبر مثقفى ذلك العصر ، ومنهم فولتير وروسو وبوفون وترجو ، وكانت من ارهاصات اندلاع الثورة الفرنسية التى مزقت العالم القديم ، والاسم الأصلى لهذا العمل الكلاسيكى الهام هو « القاموس العقلى للعلوم والفنون والآداب » ولكنه الآن يحمل اسم « انسيكلوبيديا ديدرو ودالمبير » .

كما صدرت فى فرنسا الطبعة الجديدة من المجلد الأول من دائرة المعارف العالمية « انسيكلوبيدى يونيفرسالى » وستليه بقية المجلدات تباعاً ومجموعها ٢٢ مجلداً ضخماً .

● بالرغم من المؤلفات القيمة الكثيرة التى صدرت عن الحضارات القديمة يعد « كتاب الحضارات » الذى أصدرته مؤخراً مجموعة لاروس الفرنسية من أروع ما كتب فى الموضوع ، وهو يركز بصفة خاصة على الاتصالات والتأثيرات المتبادلة بين الحضارات القديمة ، بما يثبت نظرية وحدة وانتشار الحضارة العالمية ، ويناقض النظرية القديمة التى كانت تتصور قيام الحضارات بمعزل عن بعضها البعض .

كما أصدرت نفس السلسلة « أطلس البشرية » الذى يتناول الجنس البشرى من جميع جوانبه : الأصول والتاريخ والثقافة والهجرات وتكوين المجتمعات والموارد الاقتصادية والمؤثرات السياسية والطقوس والعبادات والأديان .. كل هذه المعلومات مقدمة فى شكل صور وخرائط ورسوم بيانية .

محمد العزب موسى

وتدور الاسطوانة

شـعـر :
راضي صدوق

آهِ من أنتَ ؟
.. وغشَّاني السكونْ
صوْتُها يرحلُ بي عَبْرَ المتاهاتِ البعيدَهْ
قَمَري هاجَرَ والليلُ شُجونْ
صُوتُها كان قصيدَةْ !

* * *

آهِ لو تَسكبُ كلْمَةْ
وَتَرى أخرسُ واللحنُ حزينْ
وأَنا أَرحلُ في خَفْقةِ نَسْمَةْ
مثلما ترحلْ في الخَوْفِ الظّنونْ

.. وتدورُ الأُسطوانَةْ
كلُّ جرْحٍ في عيونِ الليلِ ميلادُ قَصيدَةْ .
وأَنا أكتبُ بالماءِ حكاياتي الجديدةْ .
آهِ لو تَضحكُ نَجْمَةْ
آهِ لو أَرحلُ في رؤْيا شَريدَةْ

* * *

.. وتَدورُ الأُسطوانَةْ
صوتَها هَمْسٌ .. وحُبٌّ .. وأَراجيحُ تُغنّي
صوتُها يَصرخُ في روحي : انْتظرْني
أنا ما زلت وحيدَةْ !
قلبيَ الراقدُ في كهْفِ الجراحاتِ القديمَةْ
صار عصفوراً يُغنّي
كلَّما قُلتِ : انتظرْني !

* * *

راحلٌ قلبي إليكْ
أيُّها الطفلُ الرَّبيعيُّ الحَنونْ
مُدَّ لي صَوْتَكَ دَرْبا
يَصْعدِ القلبُ على مُخْملِهِ عبْرَ السكونْ !



جمهوريات الجُزُر في المحيط الهندي
الاستيطان والاقتصاد والسياسة

- كيف استوطن العرب بعض جزر المحيط الهندى في عصور الإزدهار البحرى ؟
- مازالت اللغة العربية محدودة الانتشار في جزر القمر .. واللغة الدارجة في هذه الجزر هى السواحلية !
- كل سكان جزر المالديف مسلمون ، والمناطق القريبة من السواحل الافريقية والهندية تأثرت بالعروبة والاسلام
- لماذا أصبحت مداخل المحيط الهندى تجذب إليها مختلف القوى العالمية بأسلحتها واحتياجاتها الاقتصادية ؟

بقلم : الدكتور محمد رياض

تنتظم جزر المحيط الهندى فى مجموعات جزرية فى قسميه الغربى والشمالى ، بينما يكاد الشرق والوسط أن يكون كل منهما فارغاً من الجزر .. فيما عدا جزر شاجوس ، ومن بينها جزيرة دييجو جارسيا التى ستتضح أهميتها فيما بعد (انظر الخريطة) .

ومن حيث الحجم تنقسم جزر المحيط الهندى الى ثلاثة أنواع :

١ ــ جزيرتان كبيرتان هما مدغشقر وسيلان .

٢ ــ جزر متوسطة الحجم هى سقطره (اليمن) ومصيره (عمان) وزنجبار ــ بمبا (تنزانيا) وأندمان ــ نيكوبار (الهند) .

٣ ــ مجموعة من الجزر الصغيرة والمتناهية الصغر فى صورة تجمعات ارخبيلية تنتثر على مسطحات مائية واسعة ، وهى : لاكشادفيب (لكديف) التابعة للهند ، ومالديف (جمهورية) وسيشل (جمهورية) والقمر (جمهورية) وموريشس (جمهورية) وكوريا موريا (عمان) وريونيون ومايوت وجزر أخرى صغيرة (فرنسا) ، وأخيراً شاجوس (بريطانيا) . وحيث أن الخليج والبحر الأحمر هما ذراعان من المحيط الهندى فإنه يمكن أن نضم مجموعات من الجزر الصغيرة الى هذا التصنيف ، مثل جزر فرسان (السعودية) قمران (اليمن) دهلك (أثيوبيا) ومجموعات الجزر التابعة للامارات وقطر وايران ثم البحرين التى تمثل دولة الجزر الوحيدة من بين الدول العربية . وعلى صفحات المقال سنجد جدولا يلخص الوحدات السياسية الجزرية فى المحيط الهندى .

تاريخ الاستيطان فى جزر المحيط الهندى

يختلف تاريخ الاستيطان والديانات فى جزر المحيط الهندى حسب علاقات المكان . فمن الطبيعى أن الاستيطان قديم فى سريلانكا ومدغشقر لمساحتيهما الكبيرتين ، ومواجهة كل منهما لكتلة أرضية كبيرة آهلة بالسكان هى الهند وأفريقيا . بينما لم تغر الجزر الصغيرة المتناثرة الناس بالاستيطان الدائم الا بقدر يسير . أما الجزر الصغيرة القريبة من الكتل الأرضية الكبرى فقد عمرت بالسكان من قديم : المالديف وزنجبار وجزر القمر .

ومن الغريب أن أكثر من نصف سكان مدغشقر يستمدون أصولهم من جنوب آسيا فى صورة هجرة قديمة غير معروفة الأسباب والزمان على وجه الدقة . ويطلق على هؤلاء ماليزيين أو هندو ماليزيين .

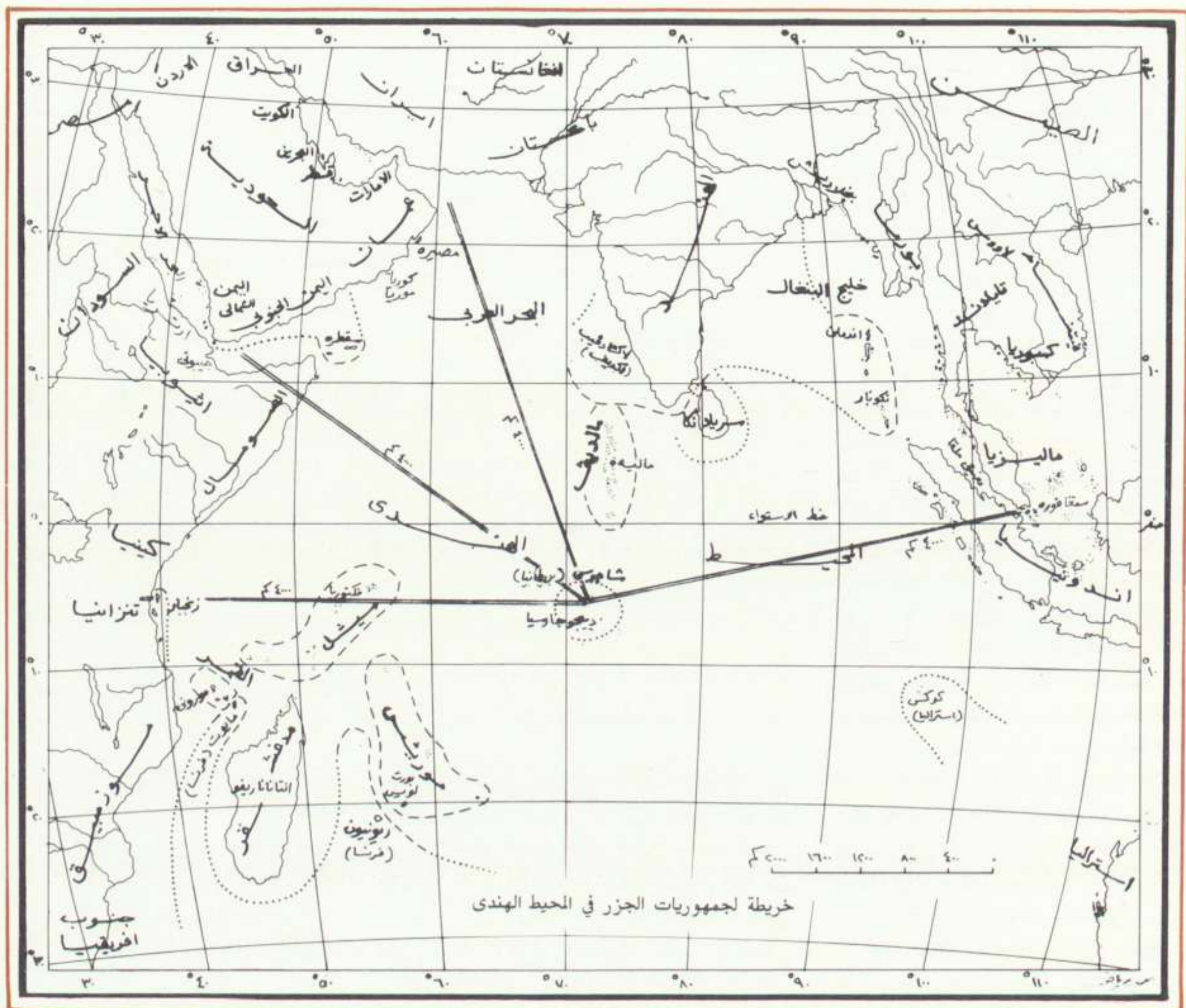
وفى المجموع فإن جزر المحيط الهندى فى قسمه الغربى هى من ناحية أصول السكان جزر أفرو ــ آسيوية . ففى عصور ازدهار الاحتكار البحرى العربى لتجارة المحيط الهندى استوطن العرب بعض هذه الجزر ، وأتوا معهم بمستوطنين أفارقة وهنود الى عدد من الجزر التى كانت محطات للسفن العربية خلال رحلتها مع الرياح الموسمية بين أفريقيا والهند ، من سفالة فى موزمبيق حالياً ، الى سرنديب والمليبار (سريلانكا والهند) والى جزر التوابل والبهار (ماليزيا ــ اندونيسيا) .

لكن الأوربيين ابتداء من البرتغاليين فى ق ١٦٠ م كان لهم دور أكثر فعالية بالنسبة لكل جزر المحيط الهندى بحكم أن رحلاتهم البحرية كانت تشمل كل المحيط من آسيا الى جنوب أفريقيا ومن ثم الى أوربا .. بينما كانت الرحلة العربية فى مجموعها تحتضن فى معظم مساراتها سواحل أفريقيا وآسيا .

ولم يؤثر البرتغاليون كثيراً فى التركيب السكانى فى الجزر ، لأن نشاطهم كان فى الواقع تقليداً لنهج النشاط العربى السالف ، فأقاموا مستعمرات وقلاعا على شواطىء أفريقيا والهند والخليج . ومع ذلك فإن مغامرات الملاحين البرتغال داخل المحيط جعل لهم الفضل فى « اكتشاف » الجزر الموغلة فى المحيط وتوقيع اماكنها على الخرائط ابتداء من منتصف ق ١٦ م . وبعض أسماء الجزر تعود الى ملاحين من هذا النوع .

وحاول الهولنديون اقامة مستوطنات دائمة فى بعض الجزر وخاصة موريشس لكن سرعان ما واجهتهم قلة الأيدى العاملة ، كما أن مستعمرتهم فى إقليم الكاب (جنوب أفريقيا) كانت أقوى جذباً بحكم مواردها ومساحتها .

أما الفرنسيون فلهم الدور الأكبر فى جلب أفارقة وهنود الى جزر المحيط (ريونيون ١٦٤٩ ، موريشس ١٧١٥ ، سيشل ١٧٥٦ ، القمر ١٨٨٦) وهكذا جاءت أصول أغلبية السكان الحاليين . وسواء بقيت هذه الجزر فرنسية أم ضمتها بريطانيا فيما بعد ، فإن الرقيق الأفريقي الذى جلبه



خريطة لجمهوريات الجزر في المحيط الهندى

الفرنسيون تحرر وبقي واختلط بالهنود (الذين زادوا فى عهد بريطانيا) وبالأوربيين . وفوق هذا بقى العرب كمجموعة غير مندمجة فى مدغشقر وموريشس وكمجموعة مندمجة فى جزر القمر حيث كونوا سلطنات محلية مشابهة لسلطنة زنجبار ومرتبطة ثقافياً بها .

والاضافة الأخيرة لسكان الجزر هى سلالة المستوطنين الأوربيين ، وأكثرهم من الفرنسيين حتى فى موريشس التى خضعت لحكم بريطانيا فترة أطول من حكم فرنسا .

وهذا الخليط السكانى لا يتضح فقط فى أشكال الناس وسحنهم ولون بشرتهم ، بل يتضح أيضاً فى اللغة ، والى حد ما فى الدين أيضاً .

مناطق ارتيادها العرب

واللغة العربية محدودة الانتشار بجزر القمر حيث تكون لغة التعليم الدينى والتقليدى . لكن اللغة الدارجة فى هذه الجزر هى السواحلية ــ وهى فى الأصل خليط عربى ــ بانتولى نشأ فى شرق أفريقيا . وحيث تنتشر العربية أو السواحلية ينتشر الاسلام ويكون له السيادة . ومع ذلك فلغة التعليم الحديث فى جزر القمر هى الفرنسية .

وسكان سيشل فى غالبهم زنوج مختلطون بالهنود والفرنسيون . واللغة الرسمية مزدوجة : الانجليزية والفرنسية ، بينما لغة الناس هى كريول فرنسى (كريول خليط) والدين الغالب هو المسيحية الكاثوليكية (٩١٪) .

وفى موريشس أكبر خليط من السكان : هنود وعرب وفرنسيون وخليط فرنسى أوربى ، وصينيون . اللغة الرسمية هى الانجليزية ، لكن الشائعة هى أيضاً كريول فرنسى (٣٢٪) جنباً الى جنب مع لغات هندية مختلفة (٦١٪) وفرنسية (٤٪) وصينية (٢ر٥٪) . والديانات منوعة وعديدة . الهندوس يكونون نحو نصف السكان والكاثوليك ٢٦٪ والمسلمون ١٧٪ والبوذيون أقل من ١٪ .

أما جزر المالديف فهم خليط عربى ماليزى سنهالى (سكان سريلانكا) واللغة الرسمية يطلق عليها « ديفى » وتمت بصلة الى السنهالية القديمة . والسكان جميعاً مسلمون . وهكذا يتضح أن المناطق التى طال ارتياد العرب لها القريبة من السواحل الأفريقية والهندية ــ من جزر القمر حتى المالديف ــ قد تأثرت بالاسلام والعروبة ، بينما الجزر الموغلة فى المحيط أقل تأثراً . أما مسلمو موريشس فهم أصلا من الهنود المسلمين الذين جلبهم الانجليز مع غيرهم من الهنود للعمل فى مزارع قصب السكر .

المراحل الاقتصادية

وقد مرت جزر المحيط الهندى بثلاث مراحل حكمت بصورة كبيرة الأنماط الاقتصادية التاريخية والحديثة .

المرحلة الأولى : تحتل فتره زمنية طويلة معظمها سيطر عليه الملاحون العرب ، مع دور غير معروف مداه بصورة واضحة للملاحين والمستوطنين من جنوب وشرق آسيا . ومعروف أن شعوب هذه المنطقة (الصين الجنوبية واندونيسيا وماليزيا) هم مثل العرب من جوابى البحار فى كل اتجاه ، فهم الذين عمروا كل جزر المحيط الهادى ، كما استوطنوا مدغشقر فى أقصى المحيط الهندى غرباً .

ويبدو أن اهتمامات الصين بالتجارة البحرية فى المحيط الهندى قديمة . ففيما قبل الألف الأولى الميلادية وصل البحارة الصينيون الى البحر الأحمر . ولكن ارتيادهم لساحل الهند الشرقى وسريلانكا كان أكثر حدوثاً من ارتيادهم غرب الهند والبحر العربى .

جدول يلخص الوحدات السياسية الجزرية فى المحيط الهندى :

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان	عدد المسلمين	تاريخ الاستقلال
سريلانكا	٦٥ر٦١٠	١٥ر١٩٠ر٠٠٠	١ر١٠٠ر٠٠٠	٤ — ٥ — ١٩٤٨
مدغشقر	٥٨٧ر٠٤١	٩ر١٩٠ر٠٠٠	١٥٠ر٠٠٠	٣٠ — ٧ — ١٩٦٠
مالديف	٢٩٨	١٦٠ر٠٠٠	١٦٠ر٠٠٠	٢٦ — ٧ — ١٩٦٥
موريشس	٢ر٠٤٥	٩٥٠ر٠٠٠	١٦٠ر٠٠٠	١٢ — ٣ — ١٩٦٨
القمر (كومورو)	١ر٧٩٧	٣٧٥ر٠٠٠	٣٧٠ر٠٠٠	٦ — ٧ — ١٩٧٥
سيشل	٤٠٤	٧٠ر٠٠٠	قليل	٢٨ — ٦ — ١٩٧٦
		٢٥ر٩٣٥ر٠٠٠	١ر٩٤٠ر٠٠٠	

ويبدو أن كثيراً من التبادل العربى الصينى القديم كان يتم فى منطقة سريلانكا . ومن الرحلات الصينية المدونة تاريخياً رحلة أمير البحر الصينى شنج ـ هو (١٤٠٤م) الى سيلان (سجلت بالصينية هسى ـ لان) وهرمز (وو ـ لو ـ مو ـ سو) وظفار (توـ فار ـ إن) وعدن (آ ـ تن) وجده (شيه ـ تا) وزيلع (سا ـ لا) ومقديشو (موـ كوتاشو) . والأغلب أنه كلما ازدهرت الصين تزداد اهتماماتها بالمحيط الهندى . وفى الوقت الحاضر للصين اهتمامات بالمنطقة تسعى لاختراق التأثيرات الغربية والشرقية ـ كما حدث على فترات زمنية مختلفة فى اليمن الشمالى ، وتنزانيا وزامبيا .

أما الهنود فى المراحل الأولى كانوا أقل تحركاً فى غرب المحيط الهندى ، وكان تركيزهم على جنوب شرق آسيا فى ماليزيا واندونيسيا حيث تأثير الحضارة الهندية بالغ الأثر .

وعلى العموم فى مرحلة السيادة البحرية العربية كانت الجزر الصغيرة مجرد محطات تتزود فيها السفن بالماء وبعض الأخشاب والوقود بينما النشاط التجارى مركز فيما بين أفريقيا والهند والجزيرة ومن ثم الى البحر المتوسط ، وفى بداية عصر السيادة الأوربية استمرت الأوضاع كما كانت فى العصر العربى . ويمكن تلخيص هذه المرحلة الطويلة بأنها كانت ارتياداً تدريجياً وتعرفاً على عالم المحيط الهندى ساهمت فيه شعوب مختلفة على رأسها العرب .

على أن نهاية هذه المرحلة قد اتسمت بصراع عربى برتغالى نجم عنه دمار كثير من المدن والمنشآت العربية التجارية فى سواحل أفريقيا والخليج والهند . ومن الناحية السياسية فإن هذا الدمار ربما ينظر إليه على أنه شيء طبيعى لأنه كان ايذاناً بتحول مسار التجارة العالمية من الشرق الأوسط الى طريق رأس الرجاء الصالح . لكنه من ناحية أخرى فإن هذا الصراع قد أوقف ، أو قضى على عملية التمازج الحضارى التجارى العربى الأفريقى الهندى . وهى العملية التى كانت سائرة لقرون طويلة . والبقية الباقية من هذه العملية التاريخية هو تكون لغة جديدة هى السواحلية التى لها انتشار كلغة تخاطب فى شرق أفريقيا من كينيا الى موزمبيق والى الكنغو ، اضافة الى عملية تأصل الاسلام عند غالب جماعات وشعوب سواحل أفريقية الشرقية وساحل ملبار الهندى .

المرحلة الثانية : بدأت فى نحو منتصف ق ١٨ م . واستمرت حتى منتصف هذا القرن ـ أى استغرقت قرنين من الزمان . وهذه هى مرحلة تحول الجزر من مجرد محطات تموين وتجارة الى مرحلة المساهمة الانتاجية فى المحاصيل التجارية . وربما كان المستوطنون العرب فى زنجبار وما حولها أسبق الجميع فى هذا الاتجاه العالمى الجديد ، وذلك لأسباب على رأسها استيطان عربى دائم ووفرة العمالة الأفريقية . وكان الفرنسيون أداة تحقيق هذا التحول الاقتصادى فى ريونيون وموريشس وسيشل وأخيراً جزر القمر . وقطفت بريطانيا ثمار الجهد الفرنسى فى موريشس وسيشل كما اسلفنا .

ومازالت محاصيل التصدير هذه قائمة للآن . توابل ، قصب السكر ، فانيليا ، قرنفل ، وحديثاً شاى وبن وتبغ ونباتات عطرية وزهور ، الى جانب جوز الهند الذى ينمو طبيعياً فى كل الجزر .

وقد كان هذا التحول مرتبطاً بالمرحلة الاقتصادية العالمية فى عصر الامبراطوريات الاستعمارية وبمدرسة المركنتالية (التجارية) العالمية فى ق ١٨ و ١٩ م . وبمقتضى هذه المرحلة فإن الاقاليم التى وقعت فى حوزة القوى الاستعمارية الغربية قدر لها أن تتخصص فى إنتاج الخامات النباتية وتصديرها الى أوربا للمعالجة الصناعية أو الاعداد ثم التسويق . وكان ميزان التبادل التجارى هو الحكم فى سلامة اقتصاد دولة أو مستعمرة ما . والميزان التجارى هو الذى يلعب الدور الأساسى فى تشكيل مكونات ميزان المدفوعات بين الدول التابعة والدولة المستعمرة . وفى أحيان كان الميزان التجارى لصالح الدول التابعة .

المرحلة الثالثة : بدأت هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية واتسمت عالمياً بالهيمنة الأمريكية التى حلت مالياً وسياسياً محل الأنظمة الاستعمارية السابقة . ومركز القوة فى هذه المرحلة هو أن ميزان العمليات الرأسمالية هو الذى يحرك ميزان التبادل التجارى وليس العكس كما كان فى المرحلة السابقة . ولهذا اتجهت العمليات الرأسمالية الأمريكية الى بسط نفوذها الاحتكارى على انتاج الموارد التعدينية ـ ومن بينها الطاقة ـ فى اجزاء مختلفة من العالم فى صورة احتكار عالمى عملاق يفوق الاحتكار الانجلو فرنسى الذى كان يعتمد على تشغيل الأيدى العاملة الوطنية فى المستعمرات لانتاج مقومات صناعة الغرب من نباتات الألياف والزيوت والدهون .

وإذا اضفنا الى ذلك المركز القوى والمتميز للاقتصاد الزراعى الأمريكى (عكس أوربا الغربية) فإننا نرى أن المرحلة تعتمد فى جذورها على سياسة إقراض الدول ، وخاصة العالم الثالث ، لربط النمو الاقتصادى والكفاية الغذائية بأمريكا . والريجانية الاقتصادية فى مجموعها هى تفاقم لهذه الممارسة وذلك بالمضاربة البحتة على النقود برفع أسعار الفائدة على الدولار ، وبالتالى العمل على استمرار خفض مكاسب الدول النامية من استثماراتها الوطنية ، واستمرار التجائها الى قروض الدولار ومعونات الغذاء لدعم ميزان المدفوعات .

صحيح أن هذا ينطبق على دول كبرى فى العالم الثالث بصورة واضحة مثل اندونيسيا والفلبين ومصر ، وبصورة أخص دول أمريكا اللاتينية وعلى رأسها البرازيل والمكسيك . ولكن هذه المرحلة كان لها أثر واضح ومثير على اقتصاديات ميكروسكوبية كتلك فى جزر المحيط الهندى . فإن النمو السكانى وثبات وازدهار الناتج الاقتصادى فى المحيط الهندى كان ناجماً عن استخدام الموارد البشرية والطبيعية الى حدودها العليا خلال النصف الأول فى القرن الحالى . ومع احتياجات الستينات والسبعينات لاستمرار نوعية الحياة هذه ، لم يعد ميزان المدفوعات فى هذه الجزر قادراً على مقابلة اثمان الواردات من مصنعات وطاقة . ولم تعد اقتصاديات السكر والشاى والبن والتوابل ـ وكلها على نطاق صغير ـ قادرة على الوفاء باحتياجات الناس ولا





لقطتان .. الأولى من جزيرة مدغشقر .. واللقطة الأخرى من جزيرة سيلان : بعض السكان يجمعون محصول الشاى

تلبية النمو الاقتصادى ، وقد تصادف ذلك مع مرحلة المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا أو فرنسا ، وما يتبع انتقال السلطة والادارة من فراغات وفجوات ونقص فى المعونة الخارجية وزيادة فى التزامات الأمن .

صحيح أن لهذه الدول الجديدة علاقات رعاية مع بريطانيا أو فرنسا ومع السوق الأوربية ، لكن هذا أيضاً فى حدود امكانات الموارد الطبيعية والاقتصادية لهذه الدول — وهى موارد محدودة .

وكانت السياحة هى الحل النمطى الذى لجأت اليه معظم هذه الدول ، لكى تدخل من خلاله عصر المال لتحسين ميزان المدفوعات . والسياحة استثمار من شقين أولهما استخدام مورد طبيعى تشكله عوامل الجمال والغرابة فى التركيب البيئى — وهو لحسن الحظ متوفر فى غالب جزر المحيط الهندى بصورة أخاذة . والثانى استثمار مالى كبير فى اقامة مقومات السياحة : فنادق مريحة ، غذاء طيب منوع ، أسعار منافسه برغم بعد المسافات ، حجز أماكن واسعة لاستخدام السياح فى البر والبحر للتنزه والرياضة والتمتع « بمسرحة » الحياة التقليدية .

وفى المجموع فإن السياحة هى أموال تستثمر لانتاج أموال أكثر ربحاً من العمليات البنكية . وهذا فضلاً عن أن قدراً من هذه الأرباح يوظف فى خلق عمالة كثيفة فى القطاع السياحى : موظفون وفنيون وخدم فى الفنادق والمطاعم والمشارب والمطارات وشركات النقل وأصحاب الزوارق السريعة الخ ..

وقد تم التوجه الاقتصادى الى السياحة فى كل جمهوريات جزر المحيط الهندى وبلغت اقصاها فى سيشل حيث يزيد عدد السياح سنوياً عن عدد سكان الجمهورية . ولكن حيث أن الاستثمار السياحى مكلف (استيراد أغذية وأشربة فاخرة اضافة الى كل مقومات الخدمة الجيدة) ، وحيث أن رأسماله أصلا نابع عن موارد خارجية فى جانب كبير منه ، فقد بلغ اقتصاد السياحة مداه . وهو وإن كان قد ساعد على دفع ميزان المدفوعات فترة من الزمن ، فإن فاعليته لم تعد فى ازدياد . ومن ثم فإن هذه الدول تواجه فى المستقبل القريب مأزقاً جديداً . فهل يمكنها تخطيه باكتشاف موارد جديدة ؟ أم بتوجه مشترك فيما بينها على أسس مقننه ؟

لقد كانت الصناعة أحد الحلول لمواجهة البطالة فى موريشس المكتظة بالسكان . وساهمت رؤوس أموال محلية وأوربية وصينية (هونج كونج) وهندية فى اقامة صناعات كثيفة العمالة (منسوجات وملابس) فى مناطق حرة للتصدير . لكن منافسة جنوب وشرق آسيا مع نظام الحصص فى السوق الأوربية كانت له آثار سلبية على امكانية أن يصبح هذا نمطاً اقتصادياً ناجحاً . كذلك فإن آمال اكتشاف البترول لم تعط نتيجة ايجابية فى سيشل برغم عمليات التنقب الدائرة منذ ١٩٧٧ .

وعلى أية حال فالصورة ليست قاتمة الآن ، فالقروض والمعونات قائمة ، وعدد السكان ليس كبيراً . وفى مدغشقر آفاق استيعابية كبيرة ، لكن العلاقات السياسية تلعب دوراً غير ايجابى فى كافة الاتجاهات .

السياسات الدولية

إن أهمية المحيط الهندى سياسياً وجيوبولتيكيا أمر لا يحتاج لبرهان . فى الماضى كانت الهند — درة التاج البريطانى — الجوهر الذى بنت حوله بريطانيا امبراطوريتها فى الشرق الأوسط وأفريقيا وجنوب شرق آسيا وجزر المحيط ، من أجل سلامة وأمن الامبراطورية .

وفى الحاضر يلعب البترول العربى دور الهند السابق . وكل الحجج التى قيلت عن تأمين الطريق الامبراطورى تقال عن تأمين امدادات العالم « الحر » من البترول . وكلها مبررات لتواجد القوى الكبرى فى المنطقة الهندية الشاملة .

ولمدة قرن (١٨٦٠ — ١٩٦٧) لعبت قناة السويس دوراً سلبياً على أهمية طريق الملاحة حول أفريقيا . ولكن نمو ناقلات البترول العملاقة (١٥٠٫٠٠٠ طن وأكثر) بالاضافة الى حروب الشرق الأوسط المتعددة وتعدد اقفال قناة السويس قد اعاد لطريق رأس الرجاء الصالح أهميته القديمة — اقتصاديا وجيوبولتيكيا . واليوم يحتاج العالم الى كل طرق النقل حول أفريقيا وعبر قناة السويس ومضيق ملقا (سنغافورة) ، ولهذا فإن مداخل المحيط الهندى الثلاثة (جنوب أفريقيا — السويس — ملقا) تجذب اليها مختلف القوى العالمية بأسلحتها (الشرق والغرب) أو أسلحتها واحتياجاتها الاقتصادية (الغرب) أو احتياجاتها الاقتصادية فقط (اليابان) . والجميع يتفاعل ويلعب دوره على خلفية من الأدوار السياسية التى تنبع من داخل المنطقة : سياسات الدول العربية والخليجية ، أو سياسات الهند وباكستان ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، ودول عدم الانحياز ، ومعظمها تدعو الى جعل منطقة المحيط الهندى منطقة خالية من الأسلحة النووية .

وليس ثمة شك فى أن هناك تواجدا للقوة السوفيتية . لكن ليس لهذا الوجود كيان ملموس وثابت على غرار ما هو قائم بالنسبة للوجود الغربى

فى المحيط الهندى . فهناك التسهيلات التى تمنح للأسطول السوفيتى كما هو الحال فى أثيوبيا وسقطره والأقوال غير المؤكدة عن ذلك فى سيشل . ولكن هذه مماثلة للتسهيلات الممنوحة للأساطيل الغربية فى دول أخرى على مشارف البحر العربى . وقصة التسهيلات للقوى الشرقية أو الغربية سوف تعرف نصوصها يوماً . ولهذا فهى للآن غير قابلة الا للدراسة الظنية .

أما التواجد المكانى للعالم الغربى فى المحيط الهندى فتمثله جمهورية جنوب أفريقيا وفرنسا وبريطانيا (ومعها الولايات المتحدة) .

وجنوب أفريقيا هى القوة الغربية المحلية فى المنطقة . ومنذ نحو ربع قرن ، حينما اجتاحت أفريقيا موجة الاستقلال من الاستعمار الانجليزى والفرنسى والبلجيكى ثم البرتغالى ، كان الفكر الجيوبولتيكي يرى ان جنوب افريقيا أصبحت آخر حصون السيادة البيضاء الغربية ، وأنها قابلة للسقوط فى عالم أفريقيا الجديدة .. خاصة إذا أخذ فى الحساب أهمية الشرق الأوسط المتعاظمة فى الستينات حيث المد القومى العربى (الناصرية) والانتاج البترولى المتزايد (الخليج) ثم انسحاب بريطانيا فيما عرف باسم « شرقى السويس » وقد أمكن للغرب احتواء المد العربى باستنفاده فى حروب متعددة مع اسرائيل ، مع اغلاق لقناة السويس . وسبق أن ذكرنا أن ذلك ارتبط ببناء ناقلات البترول العملاقة ، وهذا ما ساعد على عودة أهمية طريق الدوران حول أفريقيا ، ومن ثم احياء الاستراتيجية الغربية المعتمدة على دولة قوية فى جنوب أفريقيا ، ويلاحظ هنا التشابه فى الجيوبوليتيكا الغربية التى تربط بين القوة فى اسرائيل وفى جنوب أفريقيا على انهما اجزاء عاملة فى نهج اقليمى واسع . وقد تحولت جنوب أفريقيا تدريجياً من دولة محاصرة الى دولة مهاجمة ، بدعم غربى قوى . وآخر انجازاتها نجاحها فى « تحييد » مجموعة دول المواجهة : زمبابوى — موزمبيق — زامبيا — انجولا .

وتنظر جنوب أفريقيا الى دول الجزر فى المحيط الهندى على أنها جيوبوليتيكيا جزء متمم لسلامتها وأمنها وأمن الغرب . ومن ثم يمكن أن نفهم تورط جنوب أفريقيا فى محاولات المرتزقة إحداث انقلاب فى سيشل للتخلص من الحكومة التى تشوب سياستها شبهة اشتراكية .

ورغم عداء الدول الجديدة لنظام وحكومة جنوب أفريقيا ، فإن اعتمادها على جنوب أفريقيا فى وارداتها وصناعتها السياحية يجعل جنوب أفريقيا قوة ضاغطة على هذه الدول الصغيرة .

وفرنسا عضو عامل فى التكتل الغربى . لكن طبيعة ومزاج السياسة الفرنسية الخارجية منذ ق ١٩ م يجعلها تؤدى ادواراً خاصة بها من أجل « المجد » الفرنسى والمصالح الفرنسية . لهذا فرنسا دائماً آخر الدول الاستعمارية التى توافق على استقلال مستعمراتها ، وغالباً تفعل ذلك مكرهة . وما يجرى حالياً فى كاليدونيا الفرنسية (فى جنوب غرب الباسيفيك) خير دليل على ذلك . وفى منطقة المحيط الهندى كانت جيبوتى آخر الدول التى نالت استقلالها (١٩٧٧/٦/٢٧) بينما جارتها الصومال قد سبقتها الى الاستقلال بسبعة عشر عاماً .

وحينما أجرى استفتاء على الاستقلال فى جزر القمر صوت ٩٦٪ للاستقلال ما عدا جزيرة مايوت (٣٦٪) . وعلى الفور خلقت فرنسا ظروف بقائها فى مايوت حتى الآن ، وساعدت على احداث ارتباك فى اقتصاديات جمهورية القمر الجديدة بوقف المساعدات وطرد رعايا الجمهورية من جزيرة مايوت وغير ذلك من الاجراءات .

وعلى وجه العموم فإن لفرنسا وجودا فعليا فى جزيرة ريونيون القريبة من موريشس ، وجزيرة مايوت ، وجزر أخرى صغيرة شرق وغرب مدغشقر . والتواجد العسكرى الفرنسى هو أقل من الأمريكى ، لكنه كاف لاعطاء فرنسا صفة التواجد « الحر » البعيد عن الأهداف الانجلو أمريكية . وهو بدون شك يخدم المصالح الفرنسية فى المنطقة فى الميادين الثقافية والعلاقات الثنائية والسياسة الدولية . وفوق كل هذا يخدم مبيعات السلاح الفرنسى . وقد ينظر إليه على أنه تواجد مواز للتواجد الأنجلو أمريكى ، لكنه فى نهاية الأمر تواجد مرتبط ومساند للنفوذ الأنجلو أمريكى فى الأزمات الحقيقية .

وأخيراً فإن بريطانيا هى الدولة الغربية الأخرى التى لها « ممتلكات » فى المحيط الهندى تتمثل فى ارخبيل شاجوس الذى يقع فى وسط المحيط بين مالديف فى الشمال وسيشل فى الغرب وموريشس فى الجنوب الغربى . وفى عام ١٩٦٥ . فصلت بريطانيا جزر شاجوس ومجموعة جزر أخرى فى جنوب سيشل (الدبرا — فاركوهارو ديروش اعيدت الى سيشل عند استقلالها) ، واطلقت عليها الاسم الرسمى الحالى « أراضى المحيط الهندى البريطانية » . وقد كان هذا الاجراء مقدمة للأحداث السياسية التى انتهت باستقلال موريشس عام ١٩٦٨ .

وأرخبيل شاجوس عبارة عن عشرات الجزر المرجانية الصغيرة مجموع مساحتها ٥٢ كيلومتراً مربعاً على مسطح مائى مساحته ٥٥ ألف كيلومتر مربع . وكانت بريطانيا قد عقدت عام ١٩٦٦ اتفاقا مع الولايات المتحدة بمقتضاه أصبح الأرخبيل مخصصاً لأغراض الدفاع الأنجلو امريكية لمدة خمسين عاماً كفترة أولية . ولتنفيذ ذلك بدأت بريطانيا عملية ترحيل السكان المقيمين ، وكان عددهم يناهز الألفين ، مع تعويضات مغرية (يقال انها بلغت مليون وربع مليون جنيه) . وقد تم نقلهم الى موريشس فيما بين ١٩٦٩ و ١٩٧١ ، برغم اعتراض موريشس وغيرها من الدول الأخرى .

وفى جزيرة دييجو جارسيا — أكبر جزر شاجوس — أقيمت قاعدة كبرى للأسطول الأمريكى ومركز اتصالات ضخما ومطارا طول مدرجه ٣٦٥٠ متراً ومخازن وخدمات لقوة الانتشار السريع والى جانب القوات الأمريكية هناك عدد قليل من البحرية البريطانية للأعمال الادارية .

وما زالت موريشس — بتأييد من الهند ومدغشقر وسيشل ومنظمة الوحدة الأفريقية — تطالب باستعادة ارخبيل شاجوس الى حوزتها بوصفه قسماً ادارياً اقتطع منها قبل استقلالها مباشرة . ولكن يبدو أن هذا المطلب الوطنى قد دخل كعنصر للمزايدة بين أحزاب موريشس السياسية ، وتكتيكياً قد يجلب معه دعم بريطانيا وأمريكا لحزب أو حكومة ما .

وهكذا فإنه برغم أنه ليس لأمريكا أرض تدعيها فى عالم المحيط الهندى مثل بريطانيا وفرنسا ، الا أنها فعلا القوة الكبرى فى المحيط بفضل تسهيلات دييجو جارسيا ، وبفضل مالها من مصالح متعددة الاتجاهات والأقاليم .

وفى النهاية يمكن أن نرى — بالمقارنة السريعة — أن قاعدة دييجو جارسيا أفضل من سقطرة . فإذا كانت سقطرة هى قاعدة الأسطول السوفيتى فإنها تقع فى علاقات مكانية وسياسية متداخلة . فساحل الصومال لا يبعد بأكثر من ٢٠٠ كم عن سقطرة ، والدول التى تحف بسقطرة غير متعاطفة مع الكتلة الشرقية .

أما دييجو جارسيا فتقع فى بحار مفتوحة وسط المحيط ، وعلى بعد أربعة آلاف كيلومتر من كل من مسقط ، عدن ، دار السلام ، سنغافورة . فهى فى مكان مركزى حاكم .

وقد لا يكون هذا وحده هو شكل المقارنة فى ظل تكنولوجية الحرب الحديثة . ولكنه جزء مهم فى مقومات الحرب أو الصراع فى اقاليم محدودة .

محمد رياض — جامعة قطر

المراجـــع

(١) « الاهرام الاقتصادى » اعداد متفرقة لسنة ١٩٨٤ .

2. — Europa Publications: Africa, South of the Sahara, 1981-82.

3. — Der Fischer Weltalmanach 1977-1984.

4. — Middle East Review 1981-1983.

5. — The Times Atlas of World History.

انطباعات حول المسرحية القطرية "ياليل ياليل"

بقلم : يحيى يخلف



مشهد من المسرحية القطرية « ياليل ياليل » التى كانت من أهم المسرحيات التى قدمها المهرجان المسرحى فى دمشق

مسرحية (ياليل ياليل) التى قدمتها فرقة المسرح القطرى كانت واحدة من مفاجآت المهرجان المسرحى فى دمشق ، فقد خيل للبعض أن المسرح فى الخليج العربى متخلف ولا يمكن أن يرقى الى المستوى الذى وصل اليه المسرح فى بعض الأقطار العربية كمصر والعراق وسوريا والجزائر مثلا ، والذين ذهبوا لمشاهدة مسرحية (ياليل ياليل) فى اليوم الأول ، لم يكونوا بالتأكيد يتوقعون مشاهدة مثل هذا العمل المتقن ، وأعتقد أنهم شاهدوا عملا يفوق كل التوقعات .

إن هذه المسرحية ، المحلية ، البسيطة ، السهلة الممتنعة استطاعت أن تصل الى الجمهور العربى فى دمشق ، وأن تمد جسراً ما بينها وبينهم ، وتنقل إليهم هموم الانسان العربى وأفكاره فى أيام الغوص بحثاً عن اللؤلؤ ، وأن يتعاطفوا مع شخصيات المسرحية التى يمكن أن يراها أو يقابلها المرء بشكل أو بآخر ، بنسبة تتفاوت بين بلد وآخر ، فى معظم أقطار الوطن العربى ..

إن مالك السفن (ابو فلاح) موجود فى مجتمعاتنا العربية .

والمواطن العربى الموجوع والمتألم الذى يبحث عن فضاء أو يبحث عن بحر مثل شخصيات المسرحية التى تتمسك بالأصالة رغم محاولات (أبو فلاح) اللعب على تناقضاتها الثانوية .. هذه الشخصيات أيضاً موجودة فى الواقع العربى .. وجاءت اللغة العربية الفصحى لتكون أسمنت هذا الجسر الذى يربط المشاهد بالنص المسرحى ، ولتؤكد مجدداً قدرة اللغة على التوصيل ، وأهمية التمسك بها كأحد مقومات الوحدة القومية للأمة العربية .

ورغم هذه السمات العامة والمشتركة للشخصيات التى تنطق اللغة الفصحى ، الا أن الجو المحلى حافظ على وهجه وتألقه .. وظلت الخصائص المحلية ، تعلن عن حضورها منذ افتتاح الستارة الى النهاية ، بهذا الديكور الموحي ، وبحركة الممثلين ولباسهم ، وبالتركيز على الأغنية المحلية التى يرافقها ايقاع الطبل والأغنية الفردية والجماعية ، بصوت المغنى الضرير الذى يذيب فى الغناء حلاوة أو مرارة ما فى أعماقه من فرح أو قهر ، بالغناء الجماعى الذى يكسر رهبة الخوف والقلق ، ويتحول الى أغنية حب للحياة .

إن شخصية (فرحة) تلك الفتاة النقية لا يمكن أن ترمز الا لكل ما فى الوطن من نقاء وجمال وشرف ، لذلك فحين تصبح (فرحة) هى قضية الساعة ينفجر الصراع الدرامى ، ويتحول الى غضب وصيحة فى وجه ما يجرى أمامنا من أحداث .

هكذا قدمت المسرحية نفسها ، وتسللت الى أعماقنا ببساطة وعفوية ، ورغم بعض الملاحظات التى يمكن أن تقال على شخصية الراوى مثلا الذى يقوم بعملية الخطابة والارشاد ، ويكسر من تلقائية الأحداث وانسيابها ، رغم ذلك ، فإن أسرة مسرحية (ياليل ياليل) كانت تدير عملها بشكل ناجح ، فبذل كل ممثل جهده ، ونجحت التجربة بشكل ملفت للنظر .

ولعل الجمهور ، وأنا واحد منه ، قد أعجب كثيراً بشخصية الممثل الذى أدى دور (البهلول) والممثل الذى ادى دور (أبو فلاح) ، والمغنى الضرير الأسمر الذى نقل الينا كل ما فى أعماقه من وجع وضياع وقدم لنا بشكل جميل روحه النظيفة البيضاء .

ولا ننسى بالطبع جهود أولئك الذين كانوا يقفون وراء الكواليس ، المؤلف والمخرج ، ومهندس الديكور والمشرف على المكياج ، والاضاءة .. الخ . لقد تضافرت جهود الجميع من أجل تقديم عمل جميل ذي دلالات .

* * *

مسرحية (ياليل ياليل) قدمت بقوة مؤلفها ومخرجها عبدالرحمن المناعي ، الذى برز ، بشخصية متميزة ، وبلغة جديدة ، عصرية تستلهم التراث والموروثات الشعبية ، وحكمة الأجداد وأغانيهم وعقولهم الراجحة .

وعبد الرحمن المناعي نجح بجدارة فى مهرجان دمشق المسرحي ، ورفع عالياً سمعة الثقافة فى بلده ، وعليه الآن مسؤوليات كبيرة .. لذلك فإننا ننتظر منه المزيد من الابداع . وإذا كان لابد من كلمة أخيرة ، فإنني أعلن عن سعادتى لرؤيتى نصاً موضوعاً لا مترجماً ، فقد دأبت بعض الفرق المسرحية على تقديم نصوص أجنبية لا تمس واقعنا وهمومنا ، اننى أعلن عن حماسي الشديد للنص المسرحى العربى الذى يعالج قضايانا ، وينتمي بقوة الى هموم الوطن والمواطن .

دمشق

عن قصة شعبية عمانية

زيد وعبيد

بقلم: يوسف الشاروني ● ريشة: يوسف أحمد

كان هناك رجل فقير لكنه كريم اسمه عبيد ، وله أخت متزوجة من رجل غني بخيل اسمه زيد .

وذات يوم نزل بالفقير الكريم ضيوف وعلم زيد بذلك من جمالهم الكثيرة التي أناخوها أمام بيت شمجه (أخي زوجته) . ففرح لأن عبيداً لن يستطيع اكرام هذا العدد الكبير من ضيوفه ، غير أن زوجة زيد ـ وكانت تكره بخله ـ تراهنت معه على مائة ناقة تعطيها له إذا لم يكرم أخوها ضيوفه ، وتأخذ مثلها من زوجها إذا استطاع أخوها إكرامهم .

ولما لم يكن لدى عبيد في بيته شيء إلا نوى التمر ، طلب من زوجته أن تطحنه على الرحى بحيث أصبح دقيقاً كما البر ، ثم قصد جمال ضيوفه وأخذ منها واحداً وذبحه ، وخلط دقيق النوى بلحم الجمل وطهاه كما الهريسة ، ولكن كان ينقصه السمن .

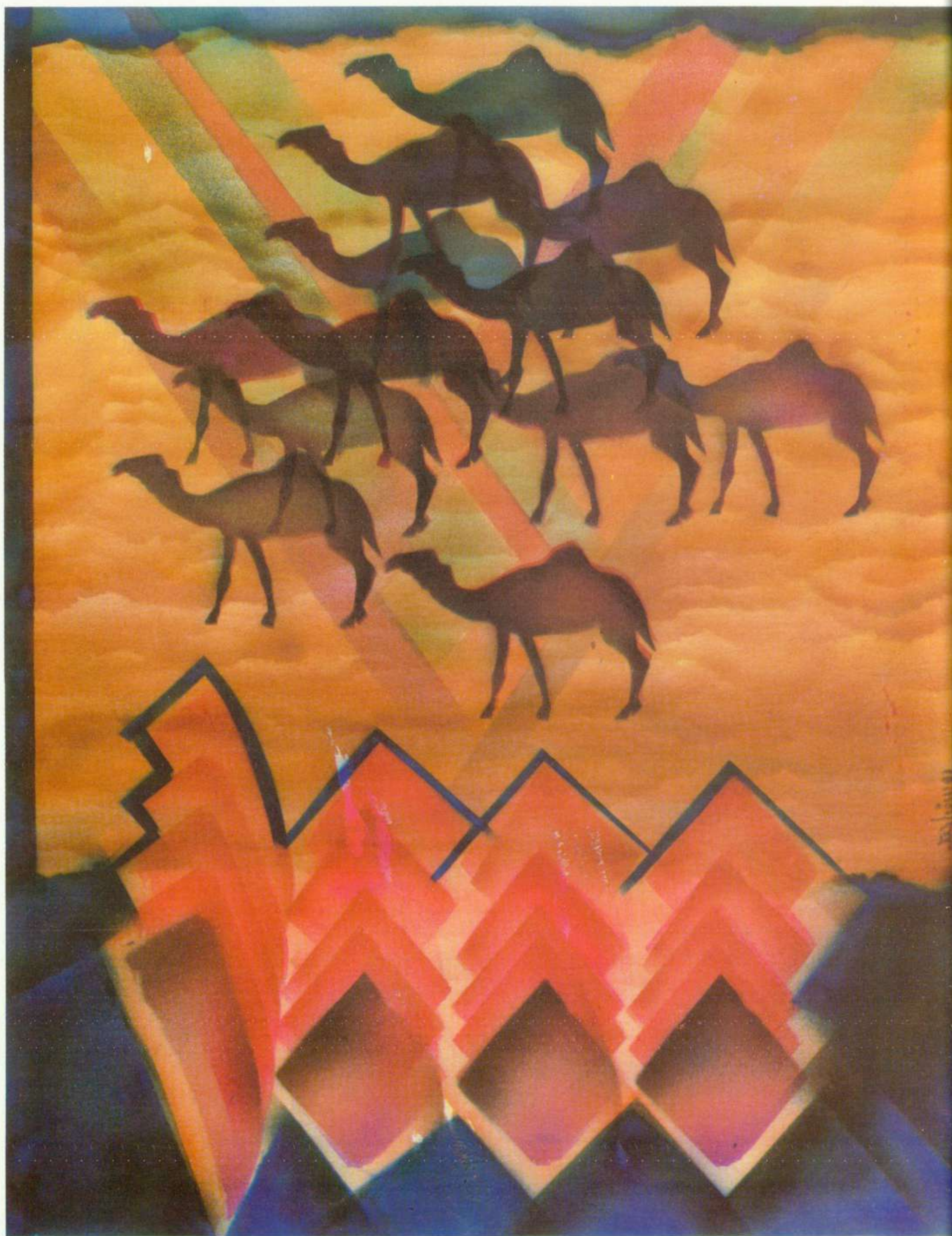
فخرج يحمل معه طنجرة ليملأها سمنا من بيت زيد ، لكن زيداً لبخله رفض إعطاءه السمن وإن كان قد برر ذلك أمام زوجته بأنه إنما فعل هذا حتى لايضيع منه الرهان ، فقد قال لزوجته سأكسب منك الرهان لأن أخاك ليس عنده سمن ولن يستطيع إكرام ضيوفه . وهكذا عاد عبيد بطنجرته فارغة .

وعندما دخل بطنجرته مطبخ بيته وضعها أمامه وغطى فوهتها بكمته (غطاء رأسه) وهو يردد هذه العبارة : يغني الله عن بقرات زيد ، ويأتي الله بالفرج القريب . وما رفع كمته عن الطنجرة حتى وجدها تفور سمنا ، فأخذ منها حاجته وأكملت زوجته طعام ضيوفها ، وأكرموهم خير إكرام .

وعندما بلغت الأخبار زيداً وزوجته . علم أنه خسر الرهان فأعطى زوجته ـ وهو شديد الحزن مكسور الخاطر ـ مائة من الابل ، فأخذت الزوجة هذه الابل المائة التي كسبتها من زوجها في الرهان وأضافت اليها مائة ناقة من عندها ـ هي التي كانت ستعطيها لزوجها لو أنها خسرت الرهان .. وأعطتها جميعاً لأخيها .

أما الضيوف فعندما تفقدوا جمالهم وجدوها تنقص واحداً وبحثوا عنه فلم يجدوه ، فلما استفسروا عنه من عبيد قال لهم : بدلا من أن تضيعوا وقتكم في البحث عن جملكم المفقود ، اختاروا جملا من هذه الجمال المائتين يكون أفضل منه ، واتركوني أتولى أنا البحث عن جملكم المفقود .

لهذا عندما شكر الضيوف عبيداً وهم ينصرفون كانوا يشعرون أنهم حصلوا على إكرامين منه بل على ثلاثة : الضيافة ، والحصول على جمل أفضل من جملهم المفقود ، وتوفير وقتهم .



الآثار المترتبة على كارثة المغول والصليبيين

بقلم: أحمد العناني

إن كل متتبع لتاريخ العلوم والأنشطة الثقافية الاسلامية جدير بألا يغفل ملاحظة الأوضاع الأليمة التى شهدها القرنان السادس والسابع الهجريان (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديان) ، وهى الأوضاع التى كان المتسبب الأول فيها بالطبع ضعف الدولة العباسية ، وحالة التشرذم السياسي والتفسخ الاقليمى فى سائر أطراف الدولة وما واكب ذلك بطبيعة الحال من ضعف النسيج الداخلى للأمة ، ذلك الضعف الناتج عن فقدان التوازن الداخلي الاجتماعى والاقتصادى ، وتراكم الغنى الفاحش فى ناحية والفقر المدقع عند الأكثرين من الناس فى الناحية الأخرى .

وحسب المرء أن يعرف حتى من قبل هذا العصر المتأخر أن سيدة واحدة كوالدة الخليفة المقتدر كانت تمتلك من النقد ما يعادل اليوم ثمانين مليون دينار ، ليدرك مدى الآثار المدمرة لذلك التوجه الخطير .. لقد انهار الفلاح الصغير فى سواد العراق والجزيرة الفراتية ، وحلت محله اقطاعيات ضخمة ، وانتشر اليائسون فى الأرض من الأقنان والمحتاجين ..

كل ذلك بات يمهد الطريق أمام الزحف المتصل على أطراف الدولة لبرابرة آسيا الوسطى من المغول والتتر والطورانيين واللار والصغد ، وما ان ابتدأ القرن السادس حتى أصبحت الدولة الاسلامية الكبرى نهب الناهبين من هذه القبائل الأعجمية المتوحشة .. ولاشك بأن الغزو الصليبي لم يكن الا من بعض نتائج تلك الأحوال ، كما أنه ساعد على زيادة تأزيمها الى ان انتهى الأمر بسقوط بغداد بأيدى التتار عام ٦٥٦ للهجرة كما هو معروف ..

الدور الخالد

وتشاء قدرة الله جل جلاله أن يؤدى ازدهار التجارة المصرية فى عصر المماليك الى تقدم ضخم فى العمران والعلم فى مصر ، وأن تصبح بمكان القلب فى عالم الاسلام وأن يكتب الله لها دورها البارز مع صلاح الدين فى نصر حطين الخالدة ٥٨٦ هـ ، ثم تالياً فى القضاء على التتار فى معركة عين جالوت ، وبعد بضعة عقود من السنين توجت مصر رسالتها بالطرد النهائى الحاسم للصليبيين من طرابلس الشام عام ١٢٩٦ ميلادية أى بعد أربعين سنة من إحراق بغداد بأيدى التتار .

انتقال المراكز الثقافية

ويمكن القول بأن الحركة الثقافية الاسلامية ، نتيجة ضغط البرابرة على الجانب الشرقي من دولة الاسلام راحت تتجه ناحية الغرب الى الشام ومصر ، واعتباراً من القرن السادس للهجرة نشأت تلك الثنائية اللغوية فى دنيا الثقافة الاسلامية ، فالفرس والأتراك عولوا على اللغة الفارسية ، لأن الأتراك فى زحفهم ناحية الشرق تأثروا بحركة إحياء اللغة الفارسية وهم فى أطراف فارس فنقلوها معهم الى آسيا الصغرى ، وأصبح لها مكانتها فى دواوين الدولة ومراكز المعرفة ذلك بأن اللغة التركية كانت قاصرة غاية القصور عن استيعاب أية ثقافة ذات بال .. وبطبيعة الحال كانت المفردات العربية هى الغالبة فى الفارسية كما فى التركية بالنسبة للمصطلح العلمى والثقافى والدينى والتنظيمى الحكومى فى الدواوين .

وفى الوقت نفسه نهضت مصر والشام بحركة احياء للثقافة الاسلامية العربية كان لها أثرها على علم التاريخ وطريقته .

آثار كارثة التتار والصليبيين

لقد أدت الحروب الصليبية والتترية الى خراب شاسع فى الحياة الاقتصادية لكنها أوقفت فى مصر والشام حركة الانهيار الفكرى ، والترهل الثقافى ، وأوجدت احساساً قوياً بذاتية الأمة وثقافتها ورسالتها ، ووجوب صيانتها حيال حركة الارتداد عن العربية فى الشرق .

وبالنسبة لعلم التاريخ فقد استجدت مذاهب التدوين الاسلامية على الأسس الانسانية الواسعة ، فصار المؤرخون إما أن يبدأوا تاريخهم ببداية

الخليقة رواية عن القرآن الكريم أو ابتداء من ظهور الاسلام ، وكان ذلك هو المنهج الاساسى الواسع فى علم التدوين التاريخى .. لكننا مع ذلك نلحظ فى أساليب كبار المؤرخين والجامعين روحاً واقعية تجعل أسلوب الكتابة أقل « أكاديمية » وتخشباً وأكثر حيوية وذلك واضح مثلا فى أسلوب ابن الأثير المتوفى عام ١٢٣٣ ميلادية (٦٣٠ هجرية) فإن كتابه « الكامل » ربما نال من الشعبية لدى طلبة العلم والمؤرخين وهواة القراءة ما لم ينله الا القليل جداً من كتب التراث الكبرى .. كذلك تظل روايات وأقاصيص وطرائف اسامه بن منقذ فى كتاب الاعتبار مادة دسمة فى غاية التشويق .. ان مايرويه من أحداث الحروب الصليبية وملابساتها ومفارقاتها ما يصور عصره تصويراً يكاد يكون مثالياً . والواقع أن هذين المؤلفين قد أثرا فى بضعة أجيال من المؤرخين الذين اولعوا بتقليدهما ولاسيما ابن الأثير بحيث يمكنك أن تشير الى عشرة مؤرخين من مصر وحدها فى مجال تلك المحاكاة التى ما كان لها أن تقدم شيئاً ملموساً الى روح الثقافة الحقيقية .

ومع ذلك فإنه أصبح للتاريخ وتدوينه مدرسة وطيدة الأركان كان لها اشعاعها وتأثيرها فى سائر بلاد الشام واليمن وبرقة ، وحينما نعرض للقرن العاشر الهجرى سنجد ان المؤرخين المصريين واليمانيين يشكلون المصدر الاسلامى الوحيد حول الغزو الأوروبى البرتغالى لشرقى أفريقيا وعمان والخليج فيما عدا استثناء واحد ألا وهو كتاب للعالم البحار ابن ماجد ، وسنعرض لتفصيل ذلك لاحقا ..

ابن خلدون والمقريزى

لقد كان كافياً جداً أن تفرد هذه الفقرة لتقديم ابن خلدون وحده ناهيك عن الحاجة الى مساحة ملموسة للكلام عن مقدمة تاريخه وعن ذلك التاريخ نفسه ، لولا أن المقريزى يشارك ابن خلدون فى أمرين هامين : فأما أولهما فهو ان كلا منهما استخدم المنهج الابداعى فى تفكير خلاق ، وأما الأمر الثانى فهو ان ابن خلدون فى مقدمته والمقريزى فى كشف الغمة وكثير من مؤلفاته لم يأبها للأساليب البلاغية السجعية المعوقة التى تورط فيها الكثيرون من معاصريهما ..

والحقيقة انه لا مراء فى تفوق ابن خلدون فى سعة آفاق فكره فى المقدمة سعة لا يرقى المقريزى لأبعادها الفسيحة ، ومع ذلك فإن المقريزى تفاعل مع أحداث حياته ، ولاسيما الآثار المدمرة للمجاعات الوافدة بالرزايا والطواعين نظير تفاعل ابن خلدون مع الحياة المضطربة القلقة التى كانت تنقله بين عشية وضحاها من مشارف القمم الى حضيض القيعان ..



ابن خلدون

إن مقدمته فى رأى توينبى هى أعظم ابتكار فكرى صدر عن عقل بشرى فى أى مكان وزمان

يرى البروفسور توينبي أن مقدمة ابن خلدون هى أعظم ابتكار فكرى صدر عن أى عقل بشرى فى أى زمان وفى أى مكان على مدى التاريخ (١) .

ويرى آلبان ويدجرى(٢) أن ابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) هو مؤسس علم التاريخ « لأنه ذهب الى أن التاريخ فرع من فروع المعرفة يهتم بكامل مجال الظاهرات الاجتماعية للتاريخ الفعلى ، ويكشف المؤثرات المختلفة التى تعمل فيه ، وباستمراريات الأسباب والنتائج ، وبالمكونات الفيزيائية والنفسية ، ولم يكن التاريخ له مجرد تسجيل للحوداث ،بل هو وصف للعلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية .

ذلك ما قيل عن ابن خلدون ، فانظر معي الى ماهية العقل المقريزى فى كتاب « اغاثة الأمة بكشف الغمة » .

يعلق تقى الدين المقريزى على تكرر المجاعة فى بعض البلدان الاسلامية « ان القائلين بأن المحن لا يمكن أبداً زوالها هم قوم لا يفقهون ، وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومن روح الله آيسون .. ان ما بالناس من كرب إنما هو تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد »

ثم يمضى ليحصر أسباب الكوارث فيقول ان بعض الأسباب رباني كقصور مياه النيل وقلة نزول المطر وغزوات الجراد ، ثم هناك أسباب تعود للناس وانحرافاتهم الذين يفسدون بالرشوة مسئوليات المناصب الكبرى والخطط السلطانية مما يؤدى لغلاء الأطيان ورواج الفلوس » .

لقد أدخل كل من ابن خلدون والمقريزى ظروف البيئة إضافة الى المجهود الايجابى أو السلبي للأفراد ، وكان فهمه للحتمية فهم المقدر لمختلف العوامل المحدثة للنتائج المنطقية . لقد أعار عبد الرحمن بن خلدون اهتماماً مدققاً سائر الأسباب التى استطاع البحث عنها فى ظروف البيئة وعلاقات الدم وغيرها مما يسبب المخالفة بين تاريخ مجتمع وآخر .. وفى الوقت الذى يعير فيه العوامل الحتمية هذه قدرها الكافى فإنه يشير بوضوح الى الرد على التحديات المندرجة فى تلك العوامل من قبل المجتمع فى دفاعه عن رخائه وأحياناً عن وجوده .

لقد أعار ابن خلدون الدين والقيم قدرهما الكبير كمؤثرات هامة فى تسيير التاريخ وهو فى مقدمته لم يتعرض بإقرار أو رفض لما يسميه الغربيون ولاسيما المستشرقون منهم « بوجهة النظر التأليهية الاسلامية » ، ولكن هؤلاء قليلا ما يسألون أنفسهم عن التقديس العظيم لارادة الله ، والتواضع بين يدى واهب العلم ومقدر السنن فى مبتدأ فصول المقدمة وفى ختامها .. وقليلا ما يرى هؤلاء ما يراه المفكر المسلم من صلة متينة بين فكر ابن خلدون والعديد من النصوص القرآنية لاسيما ما يشير منها الى سنن الله التى لا مبدل لها والى العواقب الحتمية للاختيار الانسانى الخاطىء كالانحلال والدمار المترتبين على النزف الذى هو اختيار بشرى لا ريب ..

لكن هؤلاء الغربيين من المستشرقين يتعامون عن دعوة القرآن الملحة لاستخدام العقل وتأكيد صفة التقوى كجائزة للأماثل الذين يستخدمون عقولهم فى مجالات الكون والانسان وليس ابن خلدون ، كما رأينا فى الكلام عن المقريزى بدعاً فى التعويل على العقل والبحث عن العلل الكامنة وراء النتائج فذلك منهج المسلمين المستقر فى صميم تقاليدهم العلمية .. لكن هذا الكلام لا ينفى اطلاقاً كون الاسلام يعول كثيراً على « الهداية » ، وهذه الهداية هى الجائزة الالهية للناس الأبرار الأطهار الذين يحيون حقيقة العلم فى سلوكهم النظيف فيكافئهم الحق جل جلاله بأن يهدى عقولهم فلا تزيغ .. لأن العقل قابل للزيغ .. ومن ذا ينكر هذا ؟ أليس المنهج العلمى يطرح افتراضات منطقية لتبرير ظاهرة من الظواهر ثم تلاحق تلك الفرضيات واحدة أثر أخرى لتجربتها ، فإن كانت فرضية خاطئة أو ناقصة من الأساس فإن جهد الباحث يضيع فيها عبثاً .. ان الاسلام يعترف بالكيان الباطنى للانسان ، واذا ما عرف المسلم كيف يحافظ على طهارة ذلك الكيان بالصدق فى القول والعمل كان له ذلك خير معين على درب الهداية والتوفيق ومعونة الحق جل جلاله ..

ومهما يكن من شيء فإن القراءة فى مقدمة ابن خلدون تظل آمرا لازماً لحسن تفهمه ، وتصور مناهج فكره ، والله الموفق وعليه تعالى قصد السبيل .

هوامش

(١) صدرت هذه العبارة عن توينبى فى مناسبات عديدة ويرويها عنه كاتب مقالة ابن خلدون فى الموسوعة البريطانية .

(٢) فى كتابه « التاريخ وكيف يفسرونه » ترجمة عبد العزيز جاويد — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

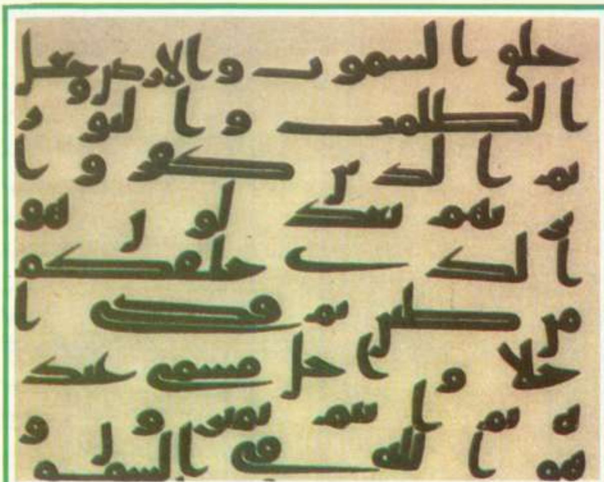


هكذا استطاع الفنان العربى أن يقدم لنا هذا التشكيل الجميل من البسملة

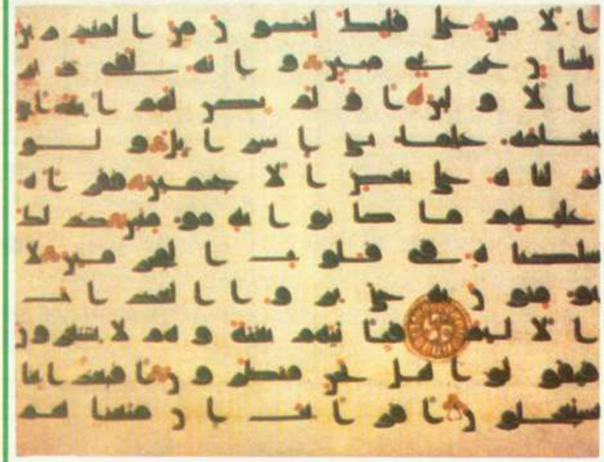
ثلاثة من رواد الخط العربي

- الأول قطعوا يده اليمنى فأبدع خطوطه باليسرى
- الثاني كتب بخطه ستين نسخة من القرآن الكريم
- الثالث كان "رقيقاً" عند الخليفة العباسي فصار إماماً للخطاطين

بقلم: حسني شحادة



* آيات من سورة الأنعام.



الآيات : ١٩٤ ـ ٢٠٥ من سورة الشعراء بالخط الكوفي

لوحة بديعة للخط العربى وهى من الكنوز الفنية الموجودة فى مدينة استانبول بتركيا

عندما اخترع الانسان صورة الحرف ، ولدت الكتابة ، ثم الحضارة . وعندما انطلق الخط العربى . الذى كتب به القرآن الكريم دستور الاسلام ، غازياً ومعلماً مع الجيوش ، تغلب على خطوط الأمم حيث حل (١) .

ولم ينل الخط العربى ــ عند أمة من الأمم ذوات الحضارة ــ ما ناله عند المسلمين من العناية به ، والاكبار له ، والتفنن فيه ، اتخذوه بادىء ذى بدء ، وسيلة للمعرفة ، ثم ألبسوه لباساً قدسياً من الدين (٢) ، ولما فتحت الفتوح ، وأمتدت دولة الاسلام ، وترامت أطرافها ، وازدهرت الحضارة الاسلامية ، أصبح الخط فناً غايته الجمال ، وأصبح الخطاط فناناً ، فوضعت للخط قواعد ، واخترعت طرائق ، وظهرت أساليب ، تهدف كلها الى بلوغ الجمال .



أحد أساليب الكتابة القديمة للخط العربى ، ويلاحظ عدم وجود نقاط فوق الحروف

رواد الخط العربي

لقد استطاع الفنان العربي أن يبلغ غايته ، إذ أدرك ما في الحروف العربية من خصائص فنية جمالية . في الاستقامة والرشاقة ، والتناسق والامتداد ، والتدوير والتناسب ، فساعده ذلك على إعطائها أشكالا مختلفة ، فخلع عليها جمال الحياة ، فلقد كانت الحروف اليابسة ، التى تطورت من النبطية فى الجاهلية المتأخرة ، تبدو وكأنها قطع من الحجارة الصم الميتة ، وانقلبت بعد حين الى قامات وأغصان وأزهار ، فبعد أن كان الخط وسيلة للعلم ، أصبح مظهراً من مظاهر الجمال ، تفور فيه الحياة . ويجرى معه السحر ، ومازال الخط ينمو ، حتى بلغت أساليبه وطرقه ، مبلغاً جمالياً رائعاً .

الخط العربى فى رأيهم

للفظة « الخط » معان كثيرة لا تخص الكتابة . ولكن المراد هنا الكتابة بالقلم ، فخط (٣) الشيء يخطه ، كتبه بقلم . قال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجاني
كخط الزبور فى عيسب يماني

أما الزمخشرى (٤) فقد عرف الخط بقوله : خط الكتاب يخطه ، وكتاب مخطوط ، والخطة من الخط كالنقطة من النقط .

وقال البستانى (٥) : خط بالقلم وغيره يخط خطاً ، كتب ، أى صور اللفظ بحروف هجائية .

وقد عرف الخط فى « الشافية وجمع الجوامع » بأنه تصوير اللفظ برسم حروف هجائه ، بتقدير الابتداء والوقف عليه ، وبأنه نقوش مخصوصة دالة على الكلام .

أما القلقشندى (٦) : « الخط ما تتعرف منه صوره الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها . وقيل إن وزن الخط مثل وزن القراءة ، فأجود الخط أبينه ، كما أن أجود القراءة أبينها .

وقال إقليدس . وهو من الفلاسفة الرياضيين : الخط هندسة روحانية ، وإن ظهر بآلة جسمانية .

وعرف محمد طاهر الكردي (٧) الخط بقوله : الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة .

وتقول سهيلة الحبورى (٨) : الخط هو الوسيلة التى تعبر عما فى النفس وتدل على الكلام ، وهو لغة التفاهم بواسطة القلم دون اللسان ، سواء فى ذلك الأرقام العددية ، والحروف الهجائية ، والكتابة المختزلة ، وحتى الكتابة الصورية ، والرمزية ، والمسمارية ، وغيرها مما استعملته الأمم والأقوام القديمة .

نشأة الخط العربى

تضاربت أقوال المؤرخين فى أصل الخط العربى والكتابة العربية ، وقد عزاه عدد كبير من الباحثين للحروف الآرامية التى انسلخ عنها الخط العربى بصورته المألوفة(٩) .

وقد وردت أقوال وروايات كثيرة فى هذا المجال ، فأورد القلقشندى فى موسوعته « صبح الأعشى » قوله :

« قيل إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام ، كتبها فى طين وطبخه ، وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة » .

وقال ابن خلدون فى مقدمته فى فصل الخط والكتابة ما نصه :

« ولقد كان الخط العربى بالغاً ما بلغه من الاحكام والاتقان والجودة ، فى دولة التتابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها الى الحيرة ، وكان بها دولة آل المنذر ، أنسباء التتابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق .. ومن الحيرة لقنه أهل الطائف ثم قريش ، ويقال من الذين تعلم من الحيرة ، سفيان بن أمية ، ويقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدرة .. وأقرب ممن ذهب الى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق ، لقول شاعرهم :

قوم لهم ساحة العراق إذا
ساروا جميعاً والخط والقلم . »

وجاء فى كتاب تاريخ الكتاب الاسلامى :

« ومن المحقق أن أقدم أشكال الخط العربى ، الخط النسخى ، والخط الكوفى ، فقد تعلم العرب الخط النسخى من الأنباط فى حوران أثناء رحلاتهم الى الشام . أما الخط الكوفى فقد تعلمه العرب من العراق ، وكان يعرف قبل الاسلام « بالحيرى » ، نسبة الى الحيرة ، وهى مدينة غرب العراق قبل الاسلام ، والتى بنى المسلمون الكوفة بجوارها . فهذان الخطان هما أصلا الخط العربى ، وهما الحلقة الأخيرة من سلسلته ، إذ أن الحلقة الأولى من سلسلة الخط العربى ، هى الخط المصرى القديم ، وثانى حلقة هى الخط الفنيقى ، وهو مشتق من الخط المصرى القديم ، وثالث حلقة هى الخط الآرامي المشتق من الفينيقى ، ومن الخط الآرامى هذا . اشتق الخطان النبطى والسطرنجيلى ، اللذان اشتق منهما الخط العربى (١٣) . »

محاسن الخط العربى

الحرف العربى الإملائى (١٤) ، على حظ وفير من الجمال ، فاذا أضفنا الى صورته الجمالية ، طبيعته الاختزالية ، كان حرياً بأن نضن به ولانرضى عنه بديلا .

أما الناحية الجمالية (١٥) ، فهناك اجماع على تفوق الخط العربى ، واحتلاله مركز الصدارة بين خطوط العالم ، ويروى لنا التاريخ أن سليمان بن وهب ، كتب كتاباً الى ملك الروم فى أيام الخليفة المعتمد ، فقال ملك الروم : « ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيء ، حسدى على جمال حروفهم » . وملك الروم لا يقرأ الخط العربى ، وانما راقه اعتداله وهندسته .

ويقول الخليفة المأمون :

« لو فاخرتنا الأعاجم بأمثالها ، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط ، يقرأ فى كل مكان ، ويترجم بكل لسان ، ويوجد فى كل زمان » .

أما الناحية الاختزالية ، فنورد قول المستشرق « ريتر » أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة « استانبول » ، وهو من الأساتذة الذين حضروا وحاضروا فى العهدين العثمانى (الخلافة) والكمالى (عهد كمال أتاتورك) :

« ان الطلبة قبل الانقلاب الكمالى (١٦) فى تركيا ، كانوا يكتبون ما أتلو عليهم من محاضرات بسرعة فائقة ، لأن الحرف العربى اختزالى بطبيعته .. أما اليوم فان الطلاب يكتبون بالحرف اللاتينى ، لذلك فهم لا يفتأون يطلبون اليّ أن أعيد عليهم العبارات مراراً ، انهم معذورون ، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها ، فلابد من كتابة الحروف بتمامها » .

ان الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها ، فمن العبث اجهاد النفس فى ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل اليسير ، وتوضيح الواضح الأبلج .

الخط العربى أينما ظهر بهر ، والمتفننون به على درجة عالية من الابداع ، أما متى يستحق الخط أن يوصف بالجودة ، فقد اورد النويرى (١٧) ذلك بقوله :

« يستحق الخط أن يوصف بالجودة ، اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده جذوره ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وتساوت أطنابه ، واستدارت أهدابه ، وصغرت نوافذه ، وانفتحت محاجره ، وقام لكاتبه مقام بالنسبة والحلية ، وخيل اليه أنه يتحرك وهو ساكن » .. فسبحان الذى علم بالقلم .

رواد الخط العربى

لقد استطاع نخبة من الرواد العرب المسلمين ، إدراك الخصائص الفنية والجمالية للحروف العربية ، فتجاوزوا استعماله فى الحاجات الثقافية الى الآفاق الفنية ، ليصبح فناً جمالياً متميزاً .

ومن هؤلاء العمالقة فى دنيا الخط العربى نورد ثلاثة رواد هم « ابن مقلة » و « ابن البواب » و « ياقوت المستعصمى » .

• ابن مقلة :

هو أبو على محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة ، كاتب ، أديب ، خطاط ، وزير ، ولد ببغداد سنة ٢٧٢ هـ ، وقد ساعده إلمامه بالهندسة على تطوير الخط العربى . فقد ظل العرب يستعملون الخط الكوفى فى كتابة المصاحف ، حتى سن لهم ابن مقلة الخط النسخى الفنى ، فاستحسنوه لجماله وسهولة كتابته ووضوحه ، فاعتمدوه فى

كتابة المصاحف ، ولم ير الناس فى ذلك الزمان أبدع من خطه ، فقال فيه الشاعر :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة
وحكمة لقمان وعفة مريم
إذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس
ونودي عليه لا يباع بدرهم

وقد ابتلى ابن مقلة ، فقد تولى الوزارة أيام الراضي ، ثم اعتقله فى حجرة فى دار الخلافة ، حيث قطع الوزير ابن رائق ، يده ، واحتفظ به فى محبسه ، فأخذ ينوح على يده ويقول :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً
فإن البعض من بعض قريب

وكان يشد القلم الى ساعده ويكتب به ، وأخذ يمرن يده اليسرى حتى أجاد ، وتوالت عليه المصائب ، فقطع لسانه ، ثم قتل سنة ٣٢٨ هـ ، عن ستة وخمسين عاماً ، ومن الصدف العجيبة فى حياته ، أنه تولى الوزارة ثلاث مرات ، ودفن ثلاث مرات ، الأولى فى دار الخلافة ، ونبش قبره ، بناء على طلب أهله ، وسلم إليهم ودفنوه ، ثم طلبته زوجته ، فنبشوه ، ودفن فى دارها ، وقيل فيه :

تسلل دمعى فوق خدى أسطراً
ولا عجب من ذاك وهو ابن مقلة

• ابن البواب : (١٩)

هو على بن هلال ، ولد ببغداد فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وكان أبوه بواباً يلازم ستر الباب عند آل بويه ، فسمي بابن السترى أو ابن البواب ، اشتغل فى صباه مزوقاً يصور الدور ، ويدهن السقوف ، ثم أخذ يصور الكتب ، ثم انتقل الى الكتابة ، فكان لديه الموهبة الفنية ، والذوق الجمالى ، فأبدع فى الخط العربى ، وكان له فيه طريقته .

أخذ الخط عن محمد بن أسد البغدادى الكاتب الكوفى ، ثم محمد المسمالى ، تلميذى الوزير ابن مقلة ، فهذب طريقه ابن مقلة ، ونقحها وكساها طلاوة وبهجة ، أى أنه دفع بالخط الى الجمال أكثر مما دفعه ابن مقلة ، بما أوتى من أسباب إتقان الخط ، فاستطاع أن يتفنن ، ويحكم ، ويحرر ، ويزين ، ويبرع ، ويبدع فيما كتب ، وهذا كله جعل طريقة ابن مقلة تنسى ، وجعل طريقته تتبع وتحتذى ، فكانت حروفه تموج بالحياة ، واللدونة والري ، وكأن فيها سراً خفياً ينيرها . ويقول فيه ابن خلكان (٢٠) :

« لم يوجد فى المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ، ولا قاربه » ، بعد أن يذكر ابن مقلة يقول : « ولكن ابن البواب هذب طريقته ، ونقحها وكساها طلاوة وبهجة » .

ويتحدث ابن كثير (٢١) عن خط ابن البواب فيقول :

أما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريباً من خط ابن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته يسير الناس اليوم (القرن الثامن) ، فى سائر الأقاليم الا قليل .

وكان يوقع خطوطه وكتاباته فى أحد شكلين : كتبه على بن هلال أو على بن هلال المعروف بابن البواب .

أنشأ مدرسة للخط ، وعملت الى عهد ياقوت المستعصمي ، واليه ينسب ابتداع الخط العربى المعروف « بالريحانى » ، وخط المحقق ، وسارت شهرته سير المثل ، فذكرها أبو العلاء المعرى فى أشعاره فقال :

ولاح هلال مثل نون أجادها
بماء النضار الكاتب ابن هلال

ويذكر أنه نسخ القرآن بيده أربعاً وستين مرة ، ومنها نسخة بالخط الريحانى ، أهداها السلطان سليم الأول العثمانى الى مسجد (لا له لى) ، ومن خطه ديوان « سلامة بن الجندل » ، فى مكتبة « أيا صوفيا » باستانبول ، ونسخة من القرآن الكريم محفوظة فى مكتبة « شستربينى » بمدينة دوبلن بايرلندا .

توفى ابن البواب سنة ٤١٣ هجرية (١٠٣٢) ميلادية ، فى خلافة القادر بالله ، ودفن بجوار الامام أحمد بن حنبل ، ورثاه الشريف الرضي رثاء رقيقاً قال فيه :

استشعر الكتاب فقدك سالفاً
وقضت بصحة ذلك الأيام
ولذاك سودت الدوي كآبة
أسفاً عليك وشقت الأقلام

• ياقوت المستعصمي :

ولد بأماسيا (٢٢) ، ببلاد الروم سنة ١٢٢١ ميلادية وتوفى ببغداد سنة ١٢٩٨ ميلادية ، ويظن أنه سرق فى صغره ، فاشتراه المستعصم آخر خلفاء بغداد العباسيين ، ورباه وعلمه ، فصار رأس مدرسة من الخطاطين ، كاتباً وشاعراً ، وجمع مختارات فى كتبه .

ولئن تدرج خط على بن هلال فى مدارج الكمال على مر الأيام ، فقد ارتقى كثيراً بعده . على يد المستعصمي ، ويأتى فى الشجرة ـ بعد ابن مقلة ـ ابن البواب على ابن هلال ثم قبله الكاتب الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي الطوشى البغدادى .

فياقوت المستعصمي هو أشهرهم (٢٣) ، وهو الذى فاق ابن مقلة وابن البواب ، والذى عرف « قبلة الخطاطين » .

وذكر ابن القوطى أنه كان خازناً بدار الكتب المستنصرية ، وكان المشرف عليه ابن القوطى ، وذكر المقريزى ، أن بمدرسة الأشراف شعبان بن حسين بن محمود بن قلاوون فى القاهرة ، عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار ، أحدهما بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبه .

ومن يريد أن يراجع طبقات الخطاطين فى الماضى والحاضر ، فليعد الى كتاب « تاريخ الخط العربى وآدابه » لمؤلفه محمد طاهر الكردى ، فهو مرجع هام فى ذلك الشأن .

كلمة أخيره :

هذه نبذة عن الخط العربى ، وجمالية وابداعية الخطاطين العرب . وحري بنا أن نضن به ولا نرتضى عنه بديلا .

حسنى شحادة

هوامش

(١) بدائع الخط العربى ـ ناجى زين الدين ص ١١ .

(٢) جامع محاسن الكتابة ـ محمد بن حسن الطيبى ص ٥ .

(٣) تاريخ الخط العربى وآدابه محمد طاهر الكردى ص ٧ .

(٤) تاج العروس ـ للزبيدى ح ٥ ص ١٢٧ .

(٥) أساس البلاغة ـ للزمخشرى ح ١ ص ٢٤٠ .

(٦) كتاب محيط العلوم ـ لبطرس البستانى ح ١ ص ٥٦٣ .

(٧) صبح الاعشى فى صناعة الانشا ـ للقلقشندى ح ٣ ص ٢١ .

(٨) تاريخ الخط العربى وادابه ـ محمد طاهر الكردى ص ٨ .

(٩) الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية ـ فى العراق ص ١ .

(١٠) الحروف العربية ـ للدكتور صفوان التل ص ٨ .

(١١) صبح الاعشى فى صناعة الانشا ـ للقلقشندى ح ٣ ص ٢٥ .

(١٢) المقدمة لابن خلدون .

(١٣) تاريخ الكتاب الاسلامى ـ للدكتور محمود عباس حمودة ص ٩٣ .

(١٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٨ .

(١٥) الاملائى هو المكتوب بخط اليد .

(١٦) علم القلم ـ كامل البابا ص ١٦ .

(١٧) عهد كمال أتاتورك .

(١٨) نهاية الارب فى فنون الأدب ـ للنويرى ح ٧ .

(١٩) علم القلم ـ كامل البابا ص ٨٢ .

(٢٠) جامع محاسن الكتابة ـ للطيبى ص ٥ .

(٢١) وفيات الأعيان ـ لابن حلكان ح ٣ ص ٢٨ .

(٢٢) البداية والنهاية ـ لابن كثير ح ١٥ ص ١٤ .

(٢٣) نشأة الخط العربى ـ محمد شكرى الجبورعي .



من روائع الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

النجمة...

من متابعتنا منذ سنوات لهذا الباب الذي يعني بالفن العالمي ، نجد أننا عند تناولنا لمدارس الفن التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، نرى أن فرنسا قد سيطرت على حركة الابداع وظهرت فيها التيارات التي قادت فناني العالم وراءها ، وفي القرن الثامن عشر ظهر مذهب (الروكوكو) في أواخر حكم الملك لويس الرابع عشر على أنقاض طراز (الباروك) الذي تحدثنا عنه في الشهور القليلة الماضية .. وظل الروكوكو مسيطراً على الفن الفرنسي حتى اختفى في أعقاب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .. وكان اهتمام المصورين في ذلك العصر ينصب أساساً على حياة الترف ومظاهر الارستقراطية والبلاط الفرنسي .. وتدور الموضوعات - غالباً - حول المرأة الباريسية الفاتنة .

وأعقب هذه الأساليب الغارقة في الترف ، مذهب جديد نقيض تماماً للروكوكو ، كأعنف رد فعل لما فعلته الحياة الناعمة في المجتمع الفرنسي استمدت مقوماتها من رصانة الأساليب الكلاسيكية الإغريقية القديمة ، كما تناولت في موضوعاتها المواقف الوطنية في تاريخ الرومان ..

وتوالت بعد ذلك المدارس الفنية التي تخضع لتأثير مستحدثات العلم والاكتشافات الحديثة ، وبخاصة مايتناول منها علوم الضوء وعلاقته بالعصب البصري وشبكة العين .. وظهرت المدرسة (التأثيرية) .. إلى أن وصلنا إلى فنون القرن العشرين التي تناولناها تفصيلا في لقاءات كثيرة سابقة ، وأهمها التكعيبية والتجريدية والسيريالية .

وفي تلك المراحل التاريخية من مدارس الفن النشطة التي تمركزت في باريس نرى أن الفن الإنجليزي - كعادة الإنجليز أنفسهم - يتحرك ببطء شديد ، ويحافظ على التقاليد المتوارثة بإصرار وثقة واحترام . وفي مطلع القرن التاسع عشر ، تبادل الفنانون الفرنسيون مع زملائهم الإنجليز الزيارات .. وشهدت تلك الفترة صلات فنية بين لندن وباريس ، كما تتلمذ الفنان الانجليزي (بوتنجبتون) على يد المصور الفرنسي (جرو) رسام معارك نابليون الشهير .. كما زار (جيريكو) و (ديلاكروا) لندن .. وأعجبوا أشد الإعجاب بالفنان توماس لورانس (١٧٦٩ - ١٨٣٠) الذي تألقت أعماله هو وزميله (كونستابل) رسام المناظر الطبيعية والريف البريطاني الجميل .

وبالرغم من هذه الزيارات المتبادلة .. لم يستطع الفن الإنجليزي أن يسير في ركاب الفن الفرنسي أو أن ينتهج أسلوب الرواد الفرنسيين .. وحتى معالجة المناظر الطبيعية ، كان لها أسلوبها الخاص الذي يميزها عن مدرسة (باربيزون) الفرنسية .. واهتم الفنانون الإنجليز في كل هذه المراحل والتطورات برسم الصور الشخصية في المقام الأول .. وبرز عمالقة كبار من أمثال (جوشوا رينولدز) خلف لنا روائع خالدة من فن الصور الشخصية .

وكان رينولدز أستاذ الأساتذة في الفن الإنجليزي ولاسيما تصوير أقطاب المجتمع البريطاني وفاتناته .. كما أن رأيه إذ ذاك يعتبر وثيقة لأي فنان بريطاني .. وكان من حظ فناننا سير توماس لورانس أن قال له رينولدز ذات يوم عندما رأى لوحة الفتاة المنشورة على الصفحة المقابلة وهي صورة إحدى شهيرات المجتمع الارستقراطي في لندن .

«إن لوحتك هذه تعتبر إحدى الروائع الفنية Masterpiece وبذلك فقد أصبحت فناناً كبيراً ، ولاشك أن العالم سينظر إلى أعمالك بكل التبجيل والاحترام ، ليبرهن لك على صحة رأيي فيك» !

واشتهر لورانس في الأوساط الراقية .. وصار فنان الفاتنات وحلم الفتيات وسيدات المجتمع البريطاني الذي يراودهن لرسم صورهن كأمل يداعب خيالهن الطموح !

أما صاحبة الصورة فهي كونتيسة ديربي : اليزابيث فارن - قبل أن تتزوج ديربي الشهير (وهو الذي أسس سباق الديربي في انجلترا) ، وكانت اليزابيث إحدى نجمات مسرح الهايماركت في لندن ، وقد بدأت العمل بالمسرح منذ أن كان عمرها خمسة عشر عاماً .. واعتزلته وهي في الخامسة والثلاثين لتتزوج من (إيرل أوف ديربي) بعد وفاة زوجته الأولى . وفي إحدى الحفلات الأرستقراطية تعرف الفنان توماس لورانس على هذه الفاتنة .. وكانت في الحادية والعشرين وقتها عندما رسم لها هذه اللوحة التي كانت سببا في شهرته المبكرة .. كما كانت - كذلك - عاملاً هاماً في شهرة اليزابيث .. بل وفي خلود اسمها في المتاحف ، وفي كتب الفن والتاريخ .

نجمة المجتمع في لندن (اليزابيث فارن) للرسام الانجليزى توماس لورانس (١٧٦٩ - ١٨٣٠) .. وقد أثارت هذه اللوحة اهتمام أقطاب الفن البريطانى آنذاك .



يد طويلة

قصة من المغرب : بقلم : محمد زفزاف

مهداة إلى : الجيلالى الفضيل



قالت والدتها بدون تردد :

ــ ماذا سنفعل يا ابنتى ؟ ما عليك إلا أن تتزوجيه . لا نملك شيئاً أنا وجَدَّتُك . ثم إنه ابن الجارى ، والجارى هو الذى يحكم . يدخل من يشاء إلى السجن .

لم يكن يهمها الزواج من هذا أو ذاك . ولكنها كانت تخاف الزواج من ابن الجارى . فهو رجل طلق أكثر من امرأة . ورأت بنفسها كيف كان يجرهن من شعرهن ، وسط القرية أو قرب النبع ، وكيف كان يرفسهن دون أن تستطيع احداهن مقاومته ، حتى ولو كان ذلك فى مقدورها . وإذا قبلت الزواج منه فلابد أن مصيرها سيكون مثل السابقات . زوجها مات منذ ثلاثة أشهر فقط ، تحت رصاص الجنود الأسبان ، عندما كان يقوم بعملية تهريب قرب عرباوة . الآن هى وحيدة مع أمها وجدتها وطفلها الصغير . لكنها لا تستطيع أن ترفض الزواج من ابن الجارى . تصورت أن بإمكانه أن يهدم سقف البيت من فوقهن ، قبل أن يأخذهن جميعاً إلى السجن .

ذهبت عند إحدى جاراتها التى كانت متزوجة بخماس ، وهذه الأخيرة قالت لها أيضاً :

ــ ليس بمستطاعك أن تفعلي شيئاً . أنا أعرف ابن الجارى . انه جن والعياذ بالله . لا يمكن أن تقولى بأنه بشر . من أجل طفلك تزوجيه واصبرى . اسحرى له . اطبخى له شدق الجمل واقتليه .

ــ أنا لا أستطيع أن أقتل حتى ذبابة . ثم ان الروح عزيزة عند الله .

ــ واذن تزوجيه قبل أن يزج بك فى السجن .

كلهن يخفنه . كلهم يخافونه . فى الواقع ، لم يكن مثل الجن ــ لأن لا أحد رأى جنياً فى حياته ــ ولكنه كان مثل الماعز . ينط مثلما ينط الماعز . خفيف الحركة ، عيناه يقظتان . يميل رزته فوق رأسه يميناً أو شمالا فى نخوة الأسياد ــ طبعاً إذا كانت للأسياد نخوة ــ أحياناً يحلو له أن يطوح ببلغته فى الفضاء ، لكى يتلقفها بيده كى يعيدها إلى قدمه التى تظل معلقة . تصرفاته غريبة . إنها تصرفات ابن الجارى ، هذا الذى لايكاد يرى فى المداشر . ويبدو أن الجارى متزوج فى كل مدشر . شيخ كبير السن ، لكنه يفتعل مهابة العملاء . ولقد شوهد إلى جانب المسؤولين الفرنسيين ذوى القبعات مراراً ، فى بعض الحفلات الرسمية .

عندما استمعت رقية الى زوجة الخماس أجهشت ببكاء صامت وضمت طفلها الصغير إليها ، ثم بكى الطفل نفسه ، هدهدته فسكت ، وان ظل يصدر أنيناً .

أضافت زوجة الخماس :

ــ ما عليك إلا أن تقبلى . ولو لم يكن فى عنقك والدتك وجدتك لكنت فررت بابنك الى مكان آخر . وأنت ــ تبارك الله ! ــ صغيرة وشابة . تستطيعين أن تشتغلى فى الحصاد أو جنى الزيتون ، أو صنع الأوانى من الطين وكل شيء . لا يمكنك أن تموتى جوعاً . فأنت امرأة حقيقية كما أعرفك .. والمرأة الحقيقية هى التى تشتغل بيديها ، لا التى تنتظر زوجها حتى يعود إليها بلقمة .

ــ أنت تعرفينني ، لقد كنت أفعل كل ما تقولين عندما كان المرحوم حياً . وما أزال قادرة على عمل كل شيء لولا ابن الجارى هذا .

كل النساء كن يتحدثن عن هذا الزواج . أما الرجال فلم يكن يهمهم الأمر ، لأن أي امرأة مات عنها زوجها لابد وأن تستر نفسها بزواج آخر ، حتى بأقرع أو أعور أو زحاف . ليس فى ذلك أي غضاضة . فالقرية مليئة بالنساء المتزوجات بالقرع والعمى والصم والبكم والزحافين . الرجل يبقى دائماً رجلا والمرأة تبقى دائماً امرأة . والمحظوظة إذن من تتزوج ابن الجارى . والفقيه يقول لهم عندما يرى أو يعلم أن زوجاً قد أشبع زوجته رفساً : « أولا ، النصيحة الحسنة ، ثم الهجر فى المضاجع ، وإذا لم ينفع كل ذلك ، فعليه أن يضربها ضرباً غير مبرح ، وإذا كان رأسها متحجراً ، فما عليه إلا أن يطلقها » واذن فإن كل الرجال لم يهتموا ككل النساء بهذا الزواج . ما كان يضربهن أو يطلقهن إلا لعيب فيهن . انه ابن الجارى ، وعليهن أن يحترمنه .

وقالت لها زوجة الخماس مرة أخرى :

ــ إذا كان مجنوناً فكوني أنت عاقلة .

ــ أخشى أن يقتلنى . وأنا أريد أن أعيش من أجل ولدى . لا أخاف الموت عندما أذهب عند الله . ولكنى أريد أن أعيش من أجل هذا الصبي . فهو من لحمى ودمى . إنه ابني . انظرى إليه . أريده أن يصبح من رجال المخزن عندما يكبر .

ــ إذا صبرت وتزوجت ابن الجارى ، فإن ابنك عندما يكبر يمكنه أن يصبح واحداً من أهل المخزن .

ثلاثة أيام فقط مرت على إعلان ابن الجارى عن رغبته فى الزواج برقية ، أعلن الرغبة كنزوة . وكان بإمكانه أن يعلن الرغبة فى الزواج بغيرها . لكن شيطانه هداه إليها . وطيلة الثلاثة أيام وهى لا تعرف ما تفعله بنفسها . تأكل وتشرب ولا تعرف أنها تأكل وتشرب . تتعثر . تجلس أحياناً على مجمر ، معتقدة أنه مصطبة أو عتبة . تتصوره أحياناً وهو يقفز فوق النار والأشجار مثل جني . تصورته أيضاً وهو يمسك بشعرها يجرجرها فى الوحل والصبي يبكي ويناديها . رأت كذلك الصبي حافياً ، غارقاً فى بركة من الماء والوحل وقد تلطخ وجهه . خيالات كثيرة كانت تراودها . وسمعت أصواتاً كثيرة فى كل مكان : « ما عليك إلا أن تصبرى ! » غير أنها لم تصبر .

استيقظت ذات صباح ندي . انسلت مع ولدها من البيت ، ومشت فى حقل الزرنيج الشائك على طرف القرية . كانت العصافير قد استيقظت ، وبعض الدواب تلوح لها فى الخلاء العارى . رأت رجلا راكباً حصاناً . وذهبت لتنتظره على الطريق الطيني . الحصان يسير بخبب بطيء . وعندما وصل الرجل إلى المكان الذى تقف فيه ، جثت على الأرض أمام الحصان . رفعت عينيها الى الرجل العجوز ذى اللحية البيضاء مثل العهن المنفوش . « ياسيدى ! أردف معك هذا الصبى . أنا قادرة على المشى حتى آخر الدنيا » .

لم يقل الرجل كلمة : وانما تناول الصبى من والدته ووضعه أمامه . أمسكت بذيل الحصان الذى استأنف الخبب . أخذت تهرول وراءه حافية . قدماها ترتطمان بالأحجار وهى لا تشعر بشيء . المهم هو الفرار . وكانت تتصور ابن الجارى يقفز خلفها ، ويفعل بها ما يمكن أن يفعل بامرأة غيرها . وكان ذلك التصور يزيد من قوتها فتتشبث أكثر بذيل الحصان . وعندما تتعثر تستعيد نفسها لتلتحق به . كان العجوز أحياناً يتوقف لكن دون أن يتكلم معها . ينتظرها حتى تكف عن اللهاث . ثم يستأنف الطريق . ومع ذلك فهى لم تكن تشعر بشيء . كلما ابتعدت عن القرية كلما أعتقدت أنها ما تزال قريبة منها .

عندما بلغ الرجل سوق العوامرة سلمها الطفل ، ومضى فى صمت كبير . فقط نظر فى عينيها بعمق . كانت عيناه خضراوين غائرتين تحت حاجبيه الأبيضين . جلست لتستريح فى مكان ظليل . أغفت ثم نامت . وعندما استيقظت ، وجدت الصبي بين أحضانها يغط فى نوم عميق . كان البشر أمامها يشترون ويأكلون ويبيعون ويتحدثون بأصوات مرتفعة . أحست أن قدميها لم تعودا تطاوعانها . ومع ذلك فقد تحاملت على نفسها . تأكدت من أن النقود الملفوفة فى صرة ما تزال مشدودة الى حزامها . فكرت فى أختها القاطنة فى مدينة س ... أختها الكبرى التى غادرت القرية منذ سنوات . تزوجت وأنجبت . عندما زارتهم فى الصيف الماضى اقترحت عليها وعلى زوجها الانتقال الى المدينة ، لكن المرحوم لم يكن يرغب فى ذلك . اخترقت حشود الناس والدواب والدجاج ، انه منتصف النهار والشمس حارقة . لكن بعض الرجال فى جلاليبهم الصوفية اعتادوا على مثل تلك الحرارة . وصلت الى محطة الحافلات التى هى عبارة عن ساحة مترية . لم تكن هناك أية حافلة . الناس متجمعون أو متفرقون فى الساحة . بعضهم تكوم فوق العربات التى تجرها الدواب . جلست فوق التراب وهى تحلم بمدينة س ... الطفل كأنه غير موجود . ينظر إلى العالم من حوله باندهاش . حلمت بالدار فى المدينة . بالزوج الذى سوف يحنو على الطفل . رأت نفسها شغالة عند الأجانب مثل أختها الكبرى . سوف ترسل لوالدتها ولجدتها بعض الأثواب من هناك مع المعطى الذى يعمل طبالا فى الأعراس . أختها كانت ترسل لهم معه حتى التحيات . استمر حلمها فى انتظار الحافلة . لكن يداً أمسكتها من الخلف . صعقت . إنها يد مخزني ووراءه ابن الجارى يبتسم فى استهزاء كبير . لم تصدق ما ترى . رفع الصبى عينيه الى الرجلين . أجهش بالبكاء ثم دس وجهه فى صدر أمه .

الدار البيضاء ــ المغرب

الأدب الخالد لا يعرف الشيخوخة

أديبة في السبعين تفوز بجائزة الشباب

مرجريت دورا: فات زمن الحكايات المسلية!

الكاتبة الفرنسية مرجريت دورا التى نالت فى شيخوختها جائزة «جونكور» التى لا تمنح عادة إلا للشباب



المرأة هى محور كل أعمال مرجريت دورا ذات السبعين عاماً ، والتى حصلت على جائزة جونكور عام ١٩٨٤ ، التى لا تمنح عادة الا للشباب . وهى روائية ومخرجة وكاتبة مسرح وسيناريست معروفة . ترى أنه قد فات زمن الحكايات المسلية ، وتبدو الأشخاص لديها بلا أسماء والأماكن بلا هوية ، ويتبادل الناس الاشارات والكلمات الخالية من المعانى والنغمات .. فماذا عن حياة مرجريت دورا ، وماذا عن أعمالها ، وماذا تقول من خلالها ؟ ..

بقلم: محمود قاسم

● المرأة محور كل أعمالها

لكنها تعيش داخل دائرة الملل !

● الأشخاص بلا أسماء

والأماكن بلا هوية

والناس تتفاهم بالاشارات !

بعد أن أصبحت جائزة نوبل لا تمنح الا لجنسيات معينة ولأنظمة سياسية دون غيرها بدأ المهتمون بهذه الجوائز العالمية فى البحث عن جوائز بديلة .. وفى فرنسا تمنح سنوياً مجموعة من الجوائز العالمية ذات السمعة الطيبة لعل أبرزها جائزة رينودو وجونكورد ميدتشى وفيمينا .. وفى شهر نوفمبر من كل عام يتطلع العالم الى الاكاديميات الفرنسية لمعرفة أسماء الفائزين بالجائزة ..

وجائزة جونكور التى تمنح فى الغالب للشباب منحت جائزتها عام ١٩٨٤ للروائية والمخرجة وكاتبة المسرح والسيناريو المعروفة مرجريت دورا التى بلغت هذا العام السبعين من عمرها ..

وقد منحت السيدة دورا جائزة جونكور وسط ظروف مالية صعبة تواجهها الاكاديمية ، حيث تقلص المبلغ الممنوح للفائز لأول مرة فى تاريخ الجائزة .. ولذا سارعت الحكومة الفرنسية بتقديم تسعة آلاف جنيه استرلينى كمساعدة . وقامت الاكاديمية بدورها فى تسديد قيمة الجائزة من ناحية . ودفع مرتبات أعضاء لجان التحكيم الاثنى عشر من ناحية أخرى .

فمن المعروف أن المحكمين يعدون من أبرز الأدباء الفرنسيين المعاصرين على رأسهم هيرفين بازان رئيس الاكاديمية وأرمان سالاكرو والجزائرى الأصل ايمانويل روبليس وارمان لانو وفرانسواز ماليه جوريس وروبير ساباتيه وميشيل تورنييه وفرانسوا نورسييه واندريه ستيل وجان كايرول ..

وتقدير هذه اللجنة لا يقبل المجادلة وبعيد تماماً عن الأهواء الشخصية والسياسية . ولذا يجيء قرارها مثيراً لارتياح الجميع .. وعلى الفور تقفز الرواية الفائزة الى قمة المبيعات لأشهر متتالية .. وهنا تكمن قيمة الجائزة الحقيقية ..

أشهر كاتبة فرنسية

فمن هى مرجريت دورا التى نالت الجائزة فى عامها الأخير ؟

هى أشهر كاتبة فى فرنسا على الاطلاق الآن .. فبعد أن اختبأت كل من فرانسواز ساجان وسيمون دى بوفوار استطاعت أن تغزو باريس بأدبها وأفلامها . وهى صاحبة ألوان عديدة من التجريب .. فهى تلميذة وفية فى مدرسة اللارواية . أخرجت أكثر من عشرة أفلام سينمائية . وكتبت السيناريو لنفس العدد من الأفلام أخرجها آخرون وكتبت المسرحية .. وفى العام الماضى أقبلت على تجربة جديدة من نوعها ، حيث أتت بكتب قديمة لها وسجلتها فى شرائط قرأتها النجمة المعروفة كاترين دونوف . وبذلك أصبحت أول من ينشر كتاباً مسموعاً .

ولدت مرجريت عام ١٩١٤ فى الهند الصينية حيث استقر بها المقام هناك لمدة ثمانية عشر عاماً . ودرست القانون . وبدأت علاقتها بالكتابة عام ١٩٤٢ حين نشرت روايتها الأولى « المتهورون » . اما علاقتها بالسينما فقد كتبت أول سيناريو لها عن رواية من تأليفها بعنوان « هيروشيما حبى » .. وأخرجت أول فيلم وهى فى الثانية والخمسين بعنوان « الموسيقى » .

من الصعب أن نرصد عالم مرجريت الرحيب فى مقال واحد . ولذا سنحاول قدر الامكان أن نتجول داخل هذا العالم ، حيث يصعب فصل أى جانب من جوانب الكاتبة عن الأخرى .. فرواياتها الأولى تتسم بأنها تضم عالماً محسوساً أقرب الى ما يسمى الآن بالرواية التقليدية . مثلما قدمت : « الحياة المطمئنة » حول حارسة باب فندق تتشاجر مع الرواد وعلاقتها الوطيدة بكانس الشارع . أما روايتها « سد على المحيط الهادىء » فتنقلنا الى الهند الصينية التى ولدت بها من خلال مدرسة تقدم بها العمر . تتسم بالعفوية وتواجه ظروفاً صعبة . فقد هرب أبناؤها بحثاً عن مكان أفضل . أما الباقون فهم يعملون فى الأرض كساقية الحقل . انها قصة أمها . امرأة تحاول أن تنقذ أسرتها من مأساة بعد أن غمرتها مياه البحر : « لم أرغب أبداً . أعلن أننى انفصلت عن أمى » .

أما « بحار جبل طارق » فهناك امرأة أخرى تجوب موانىء حوض البحر المتوسط باحثة عن البحار الذى أحبته . ولا تنجح فى العثور عليه ..

ومن أبرز روايات مرجريت فى تلك السنوات أيضاً « خيول تركينيا الصغيرة » التى نشرتها عام ١٩٥٣ والتى تنتمى الى الرواية الجديدة . فالأماكن غير محددة والموضوع لا أهمية له .. ومع هذا فإنها لم تنغمس ابان تلك السنوات فى التجريب الشديد .. ففى « هيروشيما حبى » تتكلم عن امرأة فرنسية أحبت رجلا يابانياً شهد فى طفولته فظائع انفجار القنبلة الذرية فوق مدينته هيروشيما ..

وكنموذج من أدبها فى تلك المرحلة تقدم روايتها « الساعة العاشرة والنصف من مساء ليلة صيف » التى قدمتها عام ١٩٦٠ . وهى مثل كل روايات الكاتبة حول امرأة تعيش داخل مشكلة شخصية تؤرقها

أشخاص بلا أسماء

وتشهد المرحلة الثانية من حياتها تجريدا واضحاً عند الكاتبة . يصبح أشخاصها بلا أسماء . والأماكن بلا هوية .. يتبادل البشر الاشارات والكلمات الخالية المعانى والنغمات . ولا يظهرون أفكارهم أو مشاعرهم . لعلهم يجهلون — أو يخفون — الأخطار التى تحدق بهم : الانفراد والاعياء والجنون وغير ذلك .

ورغم ذلك تبقى المرأة فى روايتها فى مكان الصدارة .. لكنها تعيش داخل دائرة من الملل . وتعى عزلتها وتقاسى من اتساع عالمها الرتيب الممل البارد . انها بلا هوية كالأماكن التى تعيش

أديبة في السبعين تفوز بجائزة الشباب

فيها وتسعى الى اكتشاف هذه الهوية .

ولاننا لا يمكن ان نفصل عالم مرجريت الروائى عن السينمائى والمسرحى فعلينا أن نتناول هذه الجوانب خاصة أن مرجريت قد قامت بطبع كل كلماتها التى أبدعتها ، سواء فى السيناريوهات أو المسرحيات والروايات . فى بعض الأحيان كانت تخرج الرواية التى كتبتها وفى أحيان أخرى تقوم بكتابة رواية عن فيلم قامت باخراجه . وقليلة هى الأعمال التى أخرجها آخرون عن رواياتها . وقد عمل فى هذه الأفلام كل من الان رينيه وجول داسان ورينيه كليمان وتونى ريتشاردسون . وكانت تقوم بكتابة سيناريوهات هذه الأفلام بنفسها . ثم قدمت أول أفلامها « الموسيقى » عام ١٩٦٦ . وهو نفس العام الذى كتبت فيه سيناريو فيلم « الساعة العاشرة والنصف .. » لجول داسان الذى قام بنفسه بتحويل أول افلامها . فدفع لها أكثر من مائة وعشرة ملايين فرنك فرنسى : « طلبت من بول سيلين أن يساعدنى . انه فيلم أحببته كثيراً . وبعده رغبت فى اخراج فيلم « اهدم » بنفس الأسلوب . تساءلت : لماذا أخاطر . طلبت مساعدة المركز القومى للسينما . ولم أكن لاخرج الفيلم لولا أن قدموا لى الأموال . ثم أعطونى عشرة ملايين أخرى كى أخرج ناتالى جرانجيه » .

والمرأة هى الشخصية الرئيسية فى هذه الأفلام . أما الرجل فدائماً على الهامش . وكلا الاثنين لا أسماء لهما ولا وجوه أو ملامح . اسماء مجهولة المنبع غير معروفة المصير . لا تتسم بأشياء مميزة . تعيش وجودها كل لحظة بلحظتها . ولعل بطلة رواياتها وفيلمها « انشودة هندية » هى ابرز مثال لهذا النوع .

فنحن أمام امرأتين تسيران فى خط متواز . الأولى ثرية . والثانية تعانى من فقر مستمر . الأولى محبوبة والثانية محبة . انهما صورتان لامرأة واحداة نقابلهما فى كل مكان . أو لعلها حواء الخالدة الغامضة .

داخل سيارة !

أما « الحافلة » فتدور أحداثها داخل مقصورة سيارة كبيرة . لا يجلس فيها سوى السائق والى جواره امرأة . تسير الحافلة فى طريق مظلم طويل لا ينتهى . المرأة تتكلم والرجل يستمع . وتتصاعد حدة الموقف بين الاثنين من خلال الحوار الذى يدور فيما بينهما . شخصيات تنساب داخل شخصيات أخرى . أو رواية داخل رواية .. ثم تدخل رواية ثالثة داخل هذه الروايات .. المرأة هى احدى نساء مرجريت اللائى يبرعن فى الحديث حول حكايات متناثرة .. شهرزاد دون هوية محددة . وتجادل المرأة السائق حول أشياء عديدة قد تكون خارجة عن دائرة اهتمامه . انها أقرب الى المجانين . تكلمه عن السياسة والعنصرية والثروة . يقود وهويستمع الى صوتها . لكن المرأة ليست موجودة فى السيارة . انها ليست سوى صوت يهفو إليه من الخارج . ربما من الماضى أو المستقبل . لعل صاحبته جالسة فعلا هناك . أو لعلها تصعد من حفرة عميقة قادمة من الماضى . انه صوت مرجريت دورا نفسها . كأنها تحاول أن تسرى عن السائق فى رحلته الطويلة بالحديث حول أشياء عديدة . بعضها لا يعرفها وأشياء أخرى أيضاً . لا يعرفها .

ومرجريت شغوفة بمثل هذا العالم « الجوانى » الذى يخصها وحدها . ليست هناك حدوتة بالمعنى التقليدى . ولكن مجموعة من الصور والكلمات المتلاحقة حول عوالم غير مترابطة . فى مسرحيتها ــ ثم فيلمها ــ « السفينة ليل » نرى عالماً يحده الحب والأمل من طرف والموت من طرف آخر . مجموعة من الناس تسير فى رحلة مع السفينة ليل . لا أسماء لهم أو عوالم محددة . تحدد هويتهم صور سريعة ، أو حوار عابر ، أو تعليق طويل . وفى هذه السفينة نرى ثلاثة أشخاص . هم صورة مكررة من أبطال مسرحية « الأبواب المغلقة » لسارتر . رجل وامرأتان . يدور بينهم حوار غير متتابع ولا منطق له . وقد أخرجت مرجريت هذه المسرحية بنفسها فى كل من المسرح والسينما . نقول : « أنا اخرج حتى اشغل وقتى . واذا وجدت ما يمكن ان يشغلنى كففت عن الاخراج » .. ويقول روبرت كانتر فى مجلة لوبوان ــ ٢ ابريل ١٩٧٩ ــ ان السفينة ليل يوجد فيها العابرون والقباطنة والغواصون الذين يمثلون جزءً من الوعى ، الذى ينبثق من أعماق الظلمات حيث نسلك طريقاً لبحرنا الخاص .

ويقول جال بيير آميتى فى لوبوان ــ ١٠ يناير ١٩٨٣ ــ : « نحن لا نقرأ مرجريت دورا . نحن نسمعها . فى عملها « مرض الموت » تضع لحناً شتوياً يقوم باخضاع القارىء لبناء بطىء ورائع وحساس وقياسى » .

وهذه الرواية تدور حول رجل وامرأة . وكلمات نادرة أشبه بما نراه فى أعمالها . صور متتابعة ومتخصرة . الليل والبحار والنعاس وأسئلة بلا أجوبة . يتأمل الرجل المرأة الشابة . حل الفجر . يعرف الرجل انه ينتظر المرض الذى سيصعد به الى الموت . ولكن لاشىء يجعله يشعر بأى يأس أكثر من هذه الفاتنة الشابة .

الكلمة والصورة

واذا كانت مرجريت تميل الى استخدام تعبيرات عشوائية متلاحقة وغير مترابطة التعبير عن مشاعر وأحداث رواياتها مثل كل كتاب الرواية الجديدة ، فانها مثل زميلها ألان روب جرييه ترى ان السينما تستخدم مفردات جديدة للابداع . وان العلاقة بين الكلمة والصورة التى تجسدها لا يمكن فصلها الآن . ففى فيلم « اوريليا شتاينر » الذى أخرجته عام ١٩٧٩ تستخدم الصورة كمفرد رائع للتعبير عن فنها . فهى تخرج من الديكور المغلق الصناعى والغرف ذات البعد الواحد كى تصور مدينة باريس ونهر السين . من خلال عين امرأة تعبر النهر . تصور المدينة من وجهة نظر هذه المرأة التى تسير فوق الكبارى وبجوار النهر . توجه الكاميرا الى أى مكان يمكنها منه تصوير مشاعر النهر وأحاسيسه . الأرض . السماء . الزوارق . فتصبح الصور أقرب الى كونسير متناسق حول ذكريات امرأة ترى باريس . ومن جديد تلجأ مرجريت للتعليق على ما يمكنها رؤيته ، وذلك بديلا عن صوت اوريليا شتاينر . الفتاة التى سافرت الى مدن عديدة . لكن من أين جاءت ؟ . لا أحد يعرف .. والى أين ؟ لا نعرف .

ومن باريس ترحل الى روما لتقدم فيلمها « حوار روما » الذى أخرجته عام ١٩٨٣ للتليفزيون الايطالى . هناك كاميرا نشطة تجوب المدينة النقية الغائبة كما ترى المخرجة . مدينة سكانها من الاشباح . زوارها وعشاقها ومؤرخوها ورساموها وأيام الآحاد وسياراتها وتماثيلها وظلالها .. كلها أشباح .

ورغم شهرة مرجريت دورا التى لاحقتها فى السنوات الأخيرة خاصة بعد أن نالت جائزة جونكور عن رواية « العاشقة » . الا انها تصبغ افلامها ورواياتها من أجل جمهور بعينه . وتقول انها تمارس نوعاً من القهر والضغط النفسى على مشاهدى أفلامها.وتقول أيضا : أعرف اننى أوجه أعمالى الى ثلاثين ألف شخص . وأنا أعمل من أجلهم . ولن يحرمنى هذا من امتاع الآخرين . وعلى كل حال فلا يوجد جمهور شعبى فى فرنسا مثلما يحدث فى العالم بأسره . فالكل سوف يفهم . من العمال حتى رجال الفكر . ولن توجد الطلائع . لكن فقط أناس يخلصون لتجاربهم ..

فمرجريت لم تقع تحت اغراء وجاذبية وسائل الاعلام . وترى انه قد فات زمن الحكايات المسلية وأصبحنا فى زمن الحواس المتقدة التى لا تحتاج الى تفسير قدر المعايشة . واذا كان النقاد قد وضعوها فى مصاف كبار المبدعين ، فانهم قد حاروا فى وصف عالمها الفنى . لأنه قد انتهى زمن التسميات الأدبية التى اعتاد النقاد تسمية الابداعات بها .. ومن هنا يتضح الى أى حد تصبغ مرجريت وزملاؤها عوالمهم الفنية بأحاسيسهم ورؤيتهم الخاصة بهم .

محمود قاسم

رســـالة إلى المحـــرر

حول طه حسين الإنسان والشاعر

عزيزى رئيس التحرير

تحية طيبة :

وبعد فقد قرأت فى عدد ديسمبر من الدوحة الغراء مقالا تحت عنوان « طه حسين الانسان والشاعر » بقلم الدكتور نبيل سليم ، وقد راعنى أن كاتب المقال نقل مقالا لي كنت قد نشرته فى صحيفة الأسبوع الثقافى التى كانت تصدر فى طرابلس بليبيا فى الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربي سنة ١٩٧٥ ، لقد نقل المقال حرفياً فى النصف الأول من المقال المنشور فى الدوحة ، وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة للمقال الذى سطا عليه الدكتور نبيل ونسبه إلى نفسه .

إنها مأساة فكرية أن ينقل كاتب يحمل درجة الدكتوراه مقالا بنصه وفصه دون أن يشير إلى المصدر الذى أخذ منه ، وقد خان التوفيق الدكتور نبيل ، لأنه ذكر أنه لقي العميد قبل وفاته بخمس سنوات ثم أورد فى ثنايا كلمته أن العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد أن قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئاً للعميد ، وكان منح هذا الوسام فى عام ١٩٦٥ ، أى قبل وفاة العميد بنحو ثماني سنوات ، وفى صدر مقال الدكتور نبيل أنه لقى طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

دكتور محمد الدسوقى

ذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربى

طه حسين كما عرفته

د . محمد الدسوقى

عرفت عميد الادب العربي المرحوم الدكتور طه حسين معرفة لقاء قبل وفاته بنحو عشر سنوات وان كنت قد عرفته قارئا منذ اكثر من عشرين عاما .

وفي اول لقاء مع العميد الراحل كانت تغمرني هيبة الاجلال لهذا العبقري الذي شق طريقه بين الصخور فى عزم لايعرف الوهن ، وارادة تزيدها الشدائد والعقبات قوة ومضاء وانتسبت الى العميد الجليل بما استحوذ على مشاعري وافكاري توطئة للاعتذار عما قد اخطىء فيه وانا اقرأ له . وقال العميد : لاعليك فالكل يخطىء فى القراءة ، ثم اخذ يسألني عن بعض الامور التى تخصني ، وامضينا فترة من الوقت لي حيث شعرت بعد مخاوفي وقلقي ، ومتحلي الجراة على سؤال العميد ومناقشته فى كثير من المسائل والقضايا بعد ذلك .

وكثر لقائي بالعميد وتوثقت صلتي به ، ومن ثم عرفت عنه الكثير، وفي هذه الكلمة الموجزة سجل بعض ما عرفت لمناسبة لقاء الذكرى وفاة هذا العبقري الانسان الذي اثر في تاريخ امته ابلغ تاثير .

لقد كان طه حسين انسانا رقيق الشعور ، ويتألم اشد الالم اذا قرأ خبرا عن كارثة او محنة ويتفوه ببعض العبارات مثل : اعوذ بالله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، وكانت اخبار الحروب تزعجه كل الازعاج ، وكذلك اخبار المجاعات والاوبئة

وطه حسين الانسان لم يكن ثريا ، وانما كان مستورا على حد قوله ، فلم يكن يملك عقارات ثابتة او منقولة ، وكان كل دخله يتمثل فى معاشه ومكافآت العضوية فى بعض الهيئات العلمية ، ثم ما تدره كتبه عليه من اموال كانت تقريبا نحو ثلاثة الاف جنيه فى كل عام .

هذا الانسان المستور الحال كان كريما معطاء ، ويجود بماله على ذوي الحاجة والفاقة شاملة اهله ورحمه ، وكم كانت ترد اليه الرسائل الكثيرة يطلب اصحابها منه ان يمدهم ببعض المال فكان يبعث اليهم بما يطلبون ، وكان يعهد الى احيانا بارسال مطلوب به عن

به ، واذكر بهذه المناسبة ان سائق سيارته احتاج الى مبلغ من المال لامر طارىء ، فلجأ الى زوجة العميد وطلب منها ان تعطيه هذا المبلغ وتخصمه راتبه على فترات ، ولكنها ابت فحدث العميد فى هذا فاعطاه المبلغ وامره الا يخبر زوجه ، فهو هدية اليه .

وطه حسين الكاتب الفذ كان يقدر قيمة الوقت كل التقدير ويحرص عليه اشد الحرص ، وقد عرفت انه فى ايام شبابه وصحته كان يمضي نحو خمس عشرة ساعة فى القراءة والكتابة كل يوم ، فلما كبرت سنه وضعفت قوته كان يقرأ كل يوم نحو ثماني ساعات ، ولما نصحه الاطباء فى السنوات الاخيرة من عمره بالراحة وعدم الاكثار من القراءة ، لم يستجب لهذا النصح وكان مما قاله لي : الموت خير لي من الحياة اذا لم اقرأ ، فلا معنى لحياتي بدون القراءة .

ومن دلائل حرصه على الوقت وشغفه بالقراءة انه اذا جاءه زائر واطال الجلوس فقد كان يضيق بهذا السلوك غاية الضيق ، ويقول فور خروج الزائر : ان فلانا هذا كثير الكلام لقد اضاع الوقت بلا طائل . ومع هذا كان العميد يحاول ان يخفي ضيقه بكل زائر يطيل الجلوس دون حاجة

صورة زنكوغرافية للصفحة الأولى من مقال الدكتور محمد الدسوقى عن د . طه حسين ، الذى نقله ونسبه الى نفسه الدكتور نبيل سليم !

* تــــعقيــــب *

كانت الدوحة قد نشرت مقال « طه حسين الانسان والشاعر » بقلم الدكتور نبيل سليم فى عددها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٨٤ ، ولم يخطر على بال الدوحة ، ولا أى فرد من هيئة تحريرها ، أن أستاذاً يحمل درجة الدكتوراه ، ويعمل فى ثانى أكبر جامعة فى الوطن العربى وهي جامعة الاسكندرية ، يمكن أن يقع فى هذا الخطأ الفادح ، فينقل مقالا بنصه لكاتب آخر وينسبه إلى نفسه ويرسله إلى مجلة « الدوحة » التى وثقت به ، وتبنت انتاجه ، وتصورت أنه يحترم المجلة التى يكتب فيها ، والجامعة التى ينتسب إليها ، والدرجة العلمية التى يحملها ، والقارىء العربى الذى لم يعد غافلا عما يقرأ ، ولكن الدكتور نبيل سليم علي ، المدرس بجامعة الاسكندرية كما يقول عن نفسه وقع فى كل هذه الخطايا مرة واحدة .

ولم يكن باستطاعتنا أن نكتشف هذا الحادث الأدبى الأليم ، لأننا لا نضع أمامنا كل المجلات والصحف التى تصدر فى العالم العربى منذ عشر سنوات أو عشرين سنة ، ولا نعين « مخبرين » ليتجسسوا على الكتاب ويعرفوا ماذا يخفون وراء ما يكتبون ولأننا لم نكن نتصور أن يتخلى أستاذ كبير فى جامعة محترمة عن مسئوليته بهذه الصورة المؤلمة . ولا نملك إلا أن نعتذر للدكتور محمد الدسوقى ، وهو أديب وعالم فاضل نثق به ونحترمه ، لأننا نعرف عن يقين أنه كان يعمل سكرتيراً للدكتور طه حسين خلال السنوات الأخيرة من حياته ، بعد أن تركه سكرتيره القديم الأستاذ فريد شحاته ، ولأن الدكتور الدسوقى له انتاج مطبوع ومنشور على الناس ، وهو انتاج لقى الترحيب والتقدير ، ولم يحط به شك أدبى من أى لون .

ونود أن نشير هنا إلى أنه قد وصلنا بحث مطول دقيق من الأديب الفاضل منذر الأسعد المحرر بمجلة اليمامة السعودية يكشف فيه أيضاً عن خطيئة الدكتور نبيل سليم علي ، ونعتذر عن نشر هذا البحث المطول اكتفاء بنشر رسالة الدكتور محمد الدسوقى التى كشفت المستور من أمر المقال الذى نسبه الدكتور نبيل إلى نفسه .

وأخيراً فإن الصحافة الأدبية لا تستطيع أن تقوم برسالتها الحقيقية ما لم يكن هناك كاتب صاحب ضمير ، وقارىء صاحب وعى ، ومجتمع ثقافى يرفض التزوير ويعاقب عليه بطرد الدخلاء من عالم الفكر وكشف الأقنعة عن الذين يعبثون بمسئولية القلم وأمانة التعبير .

رئيس التحرير .

لويس ماسينيون:

كان محباً للعرب والمسلمين ولم يكن جاسوساً

بقلم: الدكتور علي عبد المعطي محمد

طالعتنا مجلة الدوحة الغراء في عددها رقم ١٠٨ الصادر في ديسمبر ١٩٨٤ بمقال عن ذكرى المستشرق لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢). ولما كان محتوى المقال ينطوي على كثير من الآراء والتلميحات التي تخفي وراءها التشكيك في سيرة هذا المستشرق العظيم وآثاره التي لا تحصى على الحركة الفكرية في الإسلام بصفة عامة، لهذا رجعت إلى المعلومات التي أوردها هنا على لسان الدكتور محمد على أبو ريان رئيس قسم الفلسفة بجامعة الأسكندرية وعميد كلية الآداب بجامعة بيروت سابقاً، ومدير مركز التراث القومي والمخطوطات بالأسكندرية حاليا، وذلك لأن أستاذنا كان وثيق الصلة بماسينيون في الخمسينات وحصل تحت إشرافه على دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة ممتاز، ولعلكم تسلمون معي بأن أستاذنا وكان أقرب الناس في هذه الفترة إلى ماسينيون يستطيع أن يلقي ضوءا على حياة الرجل في أخريات أيامه، وهو - أي الأستاذ الدكتور أبو ريان - آخر تلامذته في الوطن العربي.

وقد أشار كاتب المقال إلى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور التفتازاني تابعا محاضرات ماسينيون في الجامعة الأهلية في مصر، فكيف يستقيم هذا مع تاريخ الجامعة المصرية الرسمية وبدايتها في العشرينات تقريباً. ومن المعروف أن الدكتور عبد الرحمن بدوي تخرج في الجامعة في أواخر الثلاثينات، وتخرج الدكتور التفتازاني حوالي سنة ٥٠، وفي هاتين الفترتين لم يكن ماسينيون يدرس في الجامعة المصرية بل كان يأتي إلى مصر لحضور اجتماعات مجمع اللغة العربية الذي كان هو عضواً فيه. وبالتالي لم يتتلمذ عليه أحد مباشرة من الأستاذين الجليلين مع علو منزلتهما في الدراسات الإسلامية، وهذا لايمنع من التقاء الدكتور عبد الرحمن بدوي بماسينيون في كل سنة يسافر فيها إلى باريس. والحقيقة أن كلا من الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور التفتازاني قد حصلا على رسالة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

أما عن علاقته ببول كراوسي واشتراكه معه في اصدار كتاب «أخبار الحلاج» فلم تكن هذه العلاقة علاقة الند للند، إذ كان بول كراوسي تلميذاً لماسينيون، وقد أطلع ماسينيون نفسه أستاذنا الدكتور أبو ريان على كتاب «اثولوجيا ارسطوطاليس» ومسطر على هامشه الأجزاء المقابلة للنص العربي من تاسوعات أفلوطين، ونأسف أن نقول إن أحد الباحثين العرب قد استعار منه هذه النسخة كما ذكر لي ماسينيون ونقل هذا البحث المقارن ونشره باسمه كما يحدث دائماً في نطاق الدراسات الإسلامية.

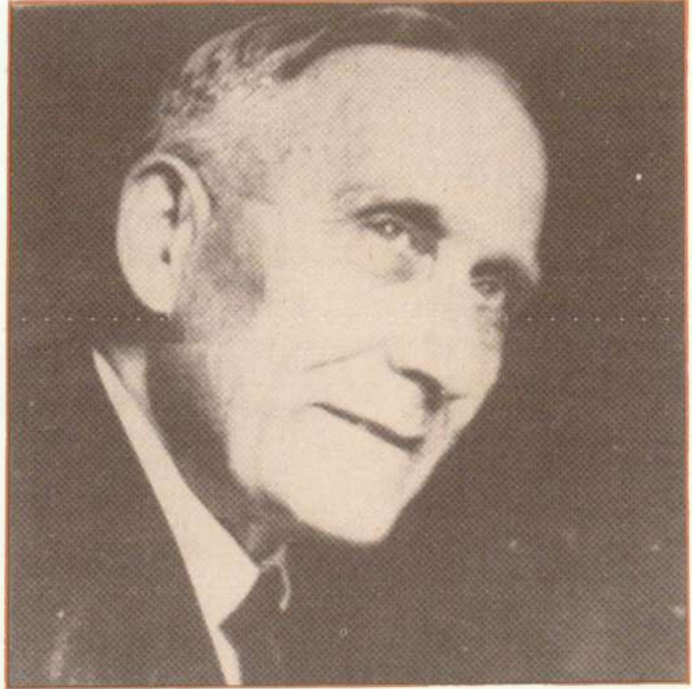
أما صلته بالعالم العربي وارتباطه بالعروبة والإسلام وتجرده للدفاع عن الحقيقة ومناداته بوحدة الأديان ومناقشته لفكرة الإسلام والصهيونية، فهذه مسائل نوجز الرد عليها فيما يلي:

يمكن تقسيم حياة ماسينيون (كما ذكر لي أستاذنا الجليل) إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة طلب العلم وقد ذكر لي أستاذنا الجليل أن ماسينيون قد تعلم العربية في بغداد على يد الزهاوي والرصافي وغيرهما من أساطين اللغة والأدب في بغداد وكان يحضر إلى المسجد الكبير لكي يتعلم الفقه والتفسير والحديث والأصول ثم جاء إلى مصر بعد ذلك وجاور الأزهر لتجويد هذه الدراسات.

هذه إذن هي مرحلة الطلب الأولى ولم يكن فيها مرسلا للتجسس أو لغيره في هذه البلاد العربية. وتأتي المرحلة التالية بعد ذلك وهي التي كان فيها ضابطاً في الجيش الفرنسي حينما انحدرت فرنسا على يد الألمان في الحرب العالمية الأولى وكان عليه أن يوظف معلوماته عن البلاد العربية لخدمة الحلفاء، وهذا أمر طبيعي لكل مواطن تشتبك بلاده في حرب مع الأعداء، وكان ماسينيون يشعر في هذه المرحلة كما قال لأستاذنا بميل شديد إلى حركات الاستقلال العربية والإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، ولهذا كان يرى أن هزيمة تركيا واندحارها سيعطي الفرصة لهذه البلاد لكي تتحرر من نير الخلافة العثمانية، وقد صدق قوله، إلا أن عتاة النزعة الاستعمارية في فرنسا وانجلترا تمسكوا باحتلال ميراث أو تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية.

وظل ماسينيون يدعو لنهضة العرب بعد


لويس ماسينيون

ذلك ، وقد شعر بضيق شديد كما يروي أستاذنا حينما قام الصراع في الجزائر وواجهت فرنسا الثوار الجزائريين بجيشها اللجب المدجج بكل أسلحة الدمار الجوية والبحرية والبرية ، وتعاطف ماسينيون مع الجزائريين ، وعبر عن رأيه في استقلال الجزائر في منشورات صريحة ، جعلت موقفه صعبا ومتهما أمام الحكومة الفرنسية حينذاك . ويلاحظ أن ماسينيون فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته كان متعاطفاً مع كل البلاد العربية فى حركاتها الاستقلالية .

وقد ذكر أستاذنا الدكتور أبوريان كيف أن ماسينيون اصطحبه إلى جمعية العلماء بباريس لالقاء محاضرة عن الثورة الجزائرية وضرورة استقلال الجزائر ومنح الشمال الأفريقي بعامة حقوقه في الحرية والاستقلال لكي يتماشى كفاح العرب في المغرب مع كفاحهم في المشرق ، وسرعان ماحاصرت المكان فرقة من البوليس الفرنسي كانت تدربها أمريكا لمكافحة المظاهرات وكان هذا العمل الوحشي يحدث لأول مرة في تاريخ فرنسا . إذ أن البوليس الفرنسي قد اقتحم القاعة وقبض على معظم الجزائريين ومن بينهم أستاذنا وكذلك زعيم الطلبة الجزائريين في باريس وزعيم الطلبة التونسيين في باريس حينذاك وهو رئيس وزراء تونس السابق (المصمودي) فبسط ماسينيون ذراعيه وقال لن تقربوا هؤلاء إلا على جثتي وتقدم معهم ليمر بين صفين من البوليس .

ويذكر أستاذنا أنه حينما ألقي القبض عليه في منزله بباريس بتهمة حيازة منشورات خاصة بجمع التبرعات للثورة الجزائرية تدخل ماسينيون لدى وكيل الوزارة الدائم للتعليم العالي في فرنسا حينذاك وكان يهودياً ، وأفهمه أنه يجب إطلاق سراح أستاذنا - وتلميذ ماسينيون في ذلك الوقت - وضمنه حتى انتهى من رسالته للدكتوراه .

وقد قبل ماسينيون أن يرأس جمعيات كثيرة للمدافعين عن حقوق الإنسان العربي والاسلامي ولاسيما في المغرب العربي الكبير .

أما عن محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٤٨ عن الإسلام والصهيونية فهي تدافع في مجملها عن حق العرب في فلسطين في مواجهة الدعاوى الصهيونية ، ولكنه يظهر فيها صبغته المسيحية فيشير إلى أن العرب منهم المسلمون ومنهم المسيحيون ، وتقف وراء العرب المسلمين دول عربية واسلامية كثيرة تتبنى عودة الفلسطينيين إلى أرض الوطن ، وتبقى مساندة الطرف المسيحي العالمي للطرف العربي المسيحي في هذه القضية لأن القدس بلد مقدس لدى المسيحيين جميعاً ، وبذلك يكون للمسيحيين العرب منهم وغير العرب حق الدخول كطرف من أطراف النزاع ، وهذا يعد في صالح العرب والمسلمين على السواء .

أما ماورد في حوليات ماسينيون عن العالم الإسلامي والعربي من معلومات دقيقة يجوز أنه أفاد بها بلاده ، لكنها تدل على أن الرجل كان يتميز بالدقة في أبحاثه وفي دراساته سواء ماكان منها جغرافياً أو سكانياً أو روحياً أو فلسفياً .

ومن أعماله البارزة أنه أول من وضع خريطة روحية لانتشار المسيحية في العالم واستخدم علم الجغرافيا في توزيع النحل المسيحية على المعمور من الأرض . وقد سار أستاذنا (الدكتور أبوريان) على هذا النهج فوضع خريطة روحية لانتشار الإسلام .

والأمر الذي يدل على عدم تعصب لويس ماسينيون أنه حينما جاء المستشرق اليهودي بينيس صاحب كتاب «الذرة عند المسلمين» وقابله في باريس عام ١٩٥٤ (وهذا الأستاذ هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة العبرية بالقدس) أراد مقابلة أستاذنا في باريس حينما علم أنه يدرس تحت اشراف ماسينيون ، ولكن أستاذنا رفض مقابلة هذا المستشرق اليهودي وواجه ماسينيون قائلا إن العرب جميعاً أمام ايديولوجية صهيونية تسترق شعوبهم وتحتل ديارهم بدون مبرر ، واليهود جميعا سواء من كان منهم مدافعا عن الصهيونية أو صامتا يتفقون في تحمل جريمة الغزو الغادر للوطن العربي ، فما كان من ماسينيون إلا أن احترم هذا الرأي وقال إنه لن يناقش الأستاذ القادم من اسرائيل في مسائل سياسية ولكنه سيتحادث معه في آخر انتاجه الفلسفي ، وكان عن أبي البركات البغداده الذي جعل منه بينيس فيلسوفا يهوديا يسخر من العرب والمسلمين .

وقد تصدى أستاذنا لهذا الرأي وعارضه بشدة ورسم صورة مشرقة جديدة لهذا المفكر الإسلامي الكبير صاحب أكبر عقلية نقدية في الإسلام تعلو على ابن سينا وابن رشد وغيرهما من فلاسفة الإسلام وأبان عن شدة تمسكه بالإسلام ولا غرو فهو تلميذ أبي المعالي الجويني إمام الحرمين والذي أشاد به الغزالي في كتاباته ، فكان هذا هو الرد على طلب المقابلة الذي وجهه بينيس إلى أستاذنا .

وأختم كلمتي بالإشارة إلى اعتذار أستاذنا الدكتور أبوريان عن عدم الإدلاء برايه أو الإسهام في ذكرى ماسينيون بالقاهرة - رغم أنه تلميذه الوحيد الموجود في مصر على قيد الحياة والذي يمكنه التحدث عنه - فقد كان أستاذنا غائبا عن مصر أثناء انعقاد هذا الاحتفال . فأرجو تصحيح ذكرى المستشرق الكبير ماسينيون حتى تتضح للعالم العربي والإسلامي مكانة وصورة هذا الرجل الذي أخلص في مرحلته الأخيرة من حياته على الأقل للعروبة وللعالم الإسلامي .

أضـــواء

« حلمى سالم » شاعر عربى شاب ، وهو أحد القلائل الذين استطاعوا أن يتميزوا بصوتهم الفنى بين جمهرة غفيرة من شعراء السبعينيات فى مصر ، وينتمى « حلمى » إلى مجموعة شعراء « إضاءة ٧٧ » ، تلك المجلة التى رفعت لواء التجديد فى الإبداع الشعرى العربى فى مصر ، ثم تلتها مجلات وجماعات أخرى مثل جماعة « أصوات » وجماعة « كتابات » وغيرهما من تجمعات شابة عبرت عن نفسها من خلال إصدارات خاصة .



شاهد على حصار بيروت

إيجابيات المقاومة الثقافية وسلبيّاتها في دراسة مثيرة

بقلم : حسن طلب

كتاب الشاعر حلمى سالم الذى نعرض له ، ليس ديوان شعر جديد ، وانما خلاصة تجربة الشاعر حول حركة المقاومة التى عاشها المثقفون الفلسطينيون واللبنانيون الوطنيون وغيرهم من المثقفين العرب خلال الحصار الاسرائيلي لبيروت في صيف ١٩٨٢ . وقد سجل الشاعر حلمى سالم هذه التجربة فى دراسة نشرتها دار (شهدى) بالقاهرة فى يناير ١٩٨٤ تحت عنوان : (الثقافة تحت الحصار) ، لتكون هي الدراسة الأولى التى ينشرها الشاعر حلمى ، بعد أن صدرت له من قبل خمسة دواوين ، أولها : (الغربة والانتظار) عام ١٩٧٢ ، وهو ديوان مشترك ، وثانيها : (حبيبتى مزروعة فى دماء الأرض) عام ١٩٧٣ ، وثالثها : (دهاليزى) عام ١٩٧٨ ، ورابعها : (سكندريا يكون الألم) عام ١٩٨١ ، وخامسها : (الأبيض المتوسط) عام ١٩٨٤ .

وحين يكتب الشاعر عن حركة المقاومة الثقافية الوطنية فى وجه العدو الاسرائيلي الغازى ، فنحن نتوقع أن يكتب ، لا من منطلق الرصد الخارجي والتحليل الموضوعي الدقيق ، بل من منطلق الخبرة الذاتية والتجربة الحميمة الحية ، فقد كان الشاعر واحداً من هؤلاء المثقفين المحاصرين ، وكان له دوره بين صفوف زملائه من المثقفين العرب المحاصرين ، فعانى ما عانوه وخبر ما خبروه وقاتل معهم بسلاح الكلمة ، ومن هنا كان البعد الذاتي بعداً أساسياً فى كتابته عن هذه التجربة ، ويعترف هو بذلك فيقول فى مقدمة كتابه (ص ٩) :

.. (هذه الصفحات القادمة ، لا تزعم لنفسها أنها تاريخاً ، ولا تزعم لنفسها أنها تقدم تحليلا ، ولا تزعم لنفسها أنها تقدم قصصاً من قصص البطولة والفداء ، إنها فحسب بعض صورة : فيها من التاريخ لمحة يسيرة ، وفيها من التحليل لمحة يسيرة ، وفيها من قصص البطولة والفداء لمحات يسيرة ، وفيها من ميل الرصد الذاتى لمحات ، فرضتها طبيعة المادة الماثلة من زاوية ، وفرضتها رغبة الابتعاد عن جفاف الرصد « المحض » من زاوية ثانية) .

• • •

ونحن فى كتاب هام بحكم موضوعه كهذا الكتاب ، لا يهمنا كثيراً أن نتوقف عند لمحات الرصد الذاتى التى لجأ إليها الشاعر مراراً فى ثنايا الحديث ، وإنما يهمنا أكثر أن نتوقف عند العناصر الموضوعية الأخرى التى عولجت من خلالها مادة الكتاب ، وهي تلك العناصر التى يسميها الشاعر : لمحات من التأريخ والتحليل ومن قصص البطولة والفداء .

وبطبيعة الحال ، فإن هناك صعوبة منهجية ستواجهنا عند محاولة تجريد هذه العناصر الموضوعية عما يشوبها من رصد ذاتى ، فليس هناك خط فاصل محدد بين ما هو موضوعى وما هو ذاتى فى هذا الكتاب ، ولكننا مع وجود مثل هذه الصعوبة ، نستطيع أن نستخلص نماذج من التأريخ ، ومن التحليل ، ومن قصص البطولة والفداء ، وكلها نماذج تشهد بما لهذه الدراسة من قيمة موضوعية حقيقية ، تضاف إلى قيمة الجدية وقيمة التجربة الحية ، اللتين تميزت بهما هذه الدراسة .

الجانب التاريخى

أشار الشاعر بتواضع إلى أن فى هذه الدراسة لمحات من التأريخ ، والحق أن ما فيها من التأريخ يربو على مجرد اللمحة تلو اللمحة ، فقد أقام الشاعر دراسته على وعى تاريخى جعله يبدأ كما يفعل المؤرخون باستعراض المقدمات الضرورية للموضوع ، والمقدمات الضرورية لموضوع (حركة المقاومة الثقافية فى بيروت المحاصرة) تكمن بلاشك ، فى الوضع الثقافى الذى كان سائداً فى بيروت قبل الغزو الاسرائيلى ، أى قبل الحصار . والشاعر يوجز لنا هذا الوضع بقوله :

(لقد شهدت الساحة الثقافية — الوطنية الديمقراطية — في بيروت قبل ٤ حزيران ، انقساماً كبيراً بين معسكرين ، كلاهما مثالى موغل فى مفارقته النظرية والواقعية . الأول لا يرى أى دور يمكن للكلمة أن تنهض به فى ساحة الصراع ، فالكلمة للبندقية وحسب ، ولا مجال هناك للسفسطة والتقعر والتنظير والأشعار . يكتبها منظرون وشعراء على مكاتبهم المريحة ، فلتصمت كل الكلمات . والثاني يرى أن الواقع الآن يحتاج قبل إعمال البندقية ، إلى إعمال الفكر والرؤية السياسية والاستراتيجية ، بما يوجب إعادة النظر فى الأصول ، أو ما سمى الأصول . فلتصمت البندقية ، حتى تحدد لها الكلمة مسارها

وهدفها ، وعدوها الرئيسى والثانوي) .
ويبين لنا الشاعر كيف أن ضجيج المتحاربين من كلا هذين المعسكرين المتطرفين ، علا على صوت العقلاء ممن كانوا يدركون مقدار ما ينطوى عليه موقف كل معسكر من تطرف جامح وعدمية مدمرة .
والجانب التاريخى فى هذه الدراسة لا يقتصر على مجرد استعراض مقدمات الحدث واستخلاص نتائجه ، وإنما يمضى إلى أعمق من ذلك ، حين يعى أن مثل هذا الحدث ليس مجرد لحظة زمانية منعزلة عن سياقها العام ، سواء كان هذا السياق عربياً ، فتصبح هذه اللحظة واحدة من المواجهات الحية بين الثقافة العربية والغزو الأمريكى الصهيوني . أو كان سياقاً إنسانياً ، فتصبح حركة المقاومة الثقافية فى بيروت العربية المحاصرة ، مناظرة لمثيلاتها من حركات فى التاريخ الإنساني ، وأقربها إلى الوعى المعاصر ، ما تم فى حصار باريس أيام النازية .
وفى نفس الوقت ، فإن الشاعر يعتمد فى تفسير صمود المثقفين الفلسطينيين والعرب المحاصرين فى بيروت ، على بعض الرؤى والنظريات التاريخية المشهورة ، خاصة نظرية (التحدى والاستجابة) التى طرحها المفكر التاريخى الكبير « ارنولد توينبى »وفسر على ضوئها قيام الحضارات البشرية الكبرى ، والشاعر حلمى سالم ، فى اعتماده على هذه النظرية ، ولو بشكل غير مباشر ، إنما يضع يده على التفسير التاريخى المقنع والمقبول ، لما حدث على الساحة الثقافية فى بيروت المحاصرة ، حيث اتحد الفرقاء فجأة ، وتجاوزوا ما بينهم من خلاف فى الرأى والرؤية ، وأصبحوا جميعاً يداً واحداً ، أو قل جسماً واحداً ، يمسك فى يد بالقلم ، وفى الأخرى بالبندقية ، ولم يكن الكثير من صور البطولة والفداء ، والكثير من الإبداعات الثقافية فى شتى المجالات ، سوى مجرد جانب من الاستجابة التلقائية للتحدى الصهيوني الأمريكى الذى تجسد فى الغزو العسكرى الاسرائيلي ، المدعوم بشتى الأسلحة الأمريكية .
وبعد .. فليس هذا هو كل ما يمثل الجانب التاريخى فى دراسة الشاعر « حلمى سالم » ، إذ ليس بوسعنا أن نغفل قيمة المعلومات التاريخية التوثيقية الهامة التى احتوتها الدراسة ، عن الجرائد والنشرات التى صدرت فى أثناء الحصار ، وأهمها جريدة (المعركة) ، التى صدر عددها الأول فى اليوم العشرين من الغزو الصهيوني وظلت تصدر يومياً طوال فترة الحصار حتى أكملت ستين عدداً ، وتستمد هذه الجريدة قيمتها الكبرى من كونها تجسيداً (لنموذج حي من نماذج صحافة الحرب التى تنبثق تلبية لاحتياج ميداني قتالى : احتياج سياسي ونفسى وثقافي وحربى ، فلعلها المرة الأولى ــ فيما اعلم ــ التى تنشأ فيها صحيفة يومية فى ظل معركة مع العدو الصهيوني على مدى سنوات الصراع العربي الاسرائيلي ، وتظل مستمرة على مدى ستين يوماً ، حتى لحظة خروج آخر فوج من أفواج المقاتلين الفلسطينيين) ، ص ٤٩ من الدراسة .
ومن المعلومات الوثائقية الهامة الأخرى ، ما يمدنا به الشاعر من حقائق حول مساهمات المثقفين الإبداعية خلال الحصار ، وحول من قاتل منهم بالبندقية ومن جمع بين الكلمة والبندقية ، وحول من أصر على البقاء ورفض فكرة الخروج من الحصار رفضاً قاطعاً على نحو ما فعل الشاعر العراقى الكبير « سعدى يوسف » ، الذى كان من أغزر المثقفين المحاصرين إنتاجاً خلال الحصار ، حيث تنوع إنتاجه بين (الكلمة النثرية : المقالة أو التعليق ، والقصيدة الشعرية الكاملة ، والمقطوعة الشعرية الصغيرة) ص ٨٨ ــ ، وكذلك حول من اخترق الحصار دخولا إلى بيروت كما فعل الشاعر الفلسطيني الراحل « معين بسيسو » والصحفية الفلسطينية « سلوى العمد » ، إلى غير ذلك من حقائق ومعلومات كان الشاعر شاهد عيان لها .

الجانب التحليلى

هذا عن أهم ملامح القيمة التاريخية لهذه الدراسة ، وعملية التأريخ ليست مجرد تسجيل حيادى للأحداث والوقائع ، بل هى عملية مركبة من حيث أنها تنطوى على عملية التحليل والتنظيم والتقييم ، وفى الدراسة كثير من هذه العناصر ، فقد حاول الشاعر أن ينظم مادته ، ويحللها ، ويقيمها ، فى الأحيان التى استطاع فيها أن يتخلص من إسار الرصد الذاتى .
فمن حيث تنظيم المادة ، نجد أنه يميز بين نشاط المثقفين حسب كل نوع أدبى أو فنى ، فيتحدث عن الشعراء (سعدى يوسف ــ معين بسيسو ــ محمود درويش ــ عز الدين المناصرة .. الخ) كما يتحدث عن الكتاب (د . حسين مروة ــ أحمد أبو سعد ــ عبد القادر ياسين ــ غالب هلسا .. الخ) ، والرسامين (عبد المنعم القصاص ــ ناجى العلى ــ حسيب الجاسم ــ حسنى رضوان ــ عبد الحى مسلم ــ عماد حليم) والصحفيين (عبد الرحمن بسيسو ــ عمر سعادة ــ سلوى العمد .. الخ) والمغنين (عدلى فخرى ــ جمال الحافى ــ حمد الحافى) والإذاعيين (نبيل عمرو ــ حسن عصفور ــ شوقى بزيع .. الخ) . وغيرهم وغيرهم ، وقد ساعد هذا التنظيم على سهولة حصر المادة وتصنيفها ، خاصة أنه نجح فى أن يتجنب صرامة التقسيم المدرسى وجفافه .
والشاعر لم يقتصر على مجرد تنظيم مادته وتصنيفها ، بل إنه كان يعمد بين الحين والحين إلى تحليلها ، فعندما اجتمع الأدباء والكتاب الفلسطينيون والعرب وأصدروا بياناً هاماً حول ما ينبغى عمله ، عكف الشاعر على هذا البيان مفسراً ومحللا ، وكاشفاً عن الدلالات الثقافية والسياسية والقومية التى انطوى عليها ، ويتكرر ذلك فى مناسبات غير قليلة بين صفحات الدراسة ، بل إن الشاعر أبى إلا أن يختتم دراسته بفقرة مطولة يحاول فيها أن يحلل نتائج الدراسة ويقيمها ، واضعاً يده على كل من سلبيات وإيجابيات حركة المقاومة الثقافية ضد الغزو الاسرائيلي ، كما تبدت له من خلال مشاركته فى هذه الحركة ورصده لوقائعها .
حقاً لقد كانت جملة الزعيم الفلسطيني « ياسر عرفات » القائلة : (سنجعل من بيروت ستالينجراد ثانية) ، بمثابة البوصلة الوجدانية والثقافية للمحاصرين فى بيروت على نحو ما يعبر صاحب الدراسة (ص ١٦٦) ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض السلبيات فى حركة المقاومة الثقافية ، منها على ما يرى الشاعر :

- الاسترسال فى الحماسة الوطنية إلى حد الانزلاق إلى الشطط الجامح فى التقييم السياسى .
- الانحراف فى الحنق والغيظ تجاه الحركة الجماهيرية العربية ، وما رافق ذلك من تحقير للحركة الثقافية العربية ، و (معايرة) للمثقفين العرب غير المحاصرين والتباهى عليهم .
- الانزلاق أحياناً ، إلى حالة من التنابذ بين بعض المثقفين وبعضهم الآخر ، وما رافق هذا التنابذ من إقامة مشانق ومحاكمات فى قلب الميدان .
- الوقوع أحياناً ، تحت تأثير دعوى تمجيد البندقية وتجميد الكلمة .

• • •

ومع ذلك ، ورغم كل تلك السلبيات ، فقد كان لحركة المقاومة الثقافية تحت الحصار إيجابيات عظمى ، يأتى على رأسها توحيد الفصائل الفلسطينية ، ووضع الشعار الفلسطيني التقليدى (بالدم نكتب فلسطين) تحت المحك الميدانى . وفى الكتاب قصص متنوعة من قصص البطولة الفلسطينية ، كان أبطالها من الشعراء والأدباء ، ولعل أبرز هذه القصص وأكثرها دلالة ، هى قصة الشاعر الفلسطيني الشاب الشهيد « علي فودة » ، الذى استشهد وهو يوزع جريدته اليومية (رصيف ٨١) على الجنود فى خنادقهم .
وبعد كل هذا التأريخ والتحليل والتقييم ، فإن ما يبقى من جوانب الرصد الذاتى فى الكتاب ، لا يشكل عبئاً على الإطلاق ، بل لعله يثرى الدراسة ويغنى جوانبها التحليلية الموضوعية حين يضيف إليها خبرة المشارك وتجربة شاهد العيان .

الصحافة القطرية والقضايا العربية

عرض وتقديم : الدكتور أحمد زكريا الشلق

يقع هذا الكتاب الذى أصدرته وحدة بحوث التاريخ والوثائق بمركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر ، عام ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م ، فى ١٥٨ صفحة تضم مقدمة وفصولا أربعة تحتوى دراسات أربع هى على التوالى : نشأة الصحافة القطرية للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القومية والوحدة العربية للدكتور عاصم الدسوقى ، أمن الخليج وقضاياه للدكتور عبد الخالق لاشين ، ثم القضية الفلسطينية للدكتور عادل غنيم ، وأخيراً يضم الكتاب قائمة بمصادر الدراسات .

والكتاب فى الواقع جزء من عمل علمى أكبر سيتتبع كافة القضايا العربية فى الصحافة العربية بالخليج ، تنوى وحدة التاريخ إصداره تباعاً . والصحافة القطرية ، على عكس ما قد يبدو ، تعتبر ، رغم حداثتها النسبية ، غنية بالمادة العلمية التى لا غنى عنها للمهتمين بمنطقة الخليج تاريخياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً . ويتوقف الكتاب زمنياً عند أوائل عام ١٩٨١ وهو عام انشاء مجلس التعاون بين دول الخليج العربية ، على اعتبار أن هذا التاريخ يمثل حقبة جديدة فى تاريخ المنطقة بشكل عام وقطر بشكل خاص .

نشأة الصحافة القطرية

أما البحث الأول « نشأة الصحافة القطرية » الذى كتبه الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، فيبدأ بمدخل موجز عام ١٩٢٩ ، ثم يتتبع الباحث هذا التطور فى دولة قطر ، بدءاً بالتعليم الأهلى ، حين انشئت المدرسة الأميرية عام ١٩١٣ ، ثم مدرسة الاصلاح الحميدية .. وحتى انشاء أول مدرسة نظامية فى قطر عام ١٩٥١ ، وانشاء أول مدرسة للبنات عام ١٩٥٤ ، وتتويج ذلك كله بإنشاء وزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٦ ، والتى كان أمير البلاد الحالى أول وزير لها . ويشير الباحث إلى أن هذه النهضة التعليمية قد مهدت بطبيعة الحال لظهور وعى صحفى ، دفع المهتمين به للحصول على امتياز بانشاء دور للطباعة والنشر ، كمؤسسة دار العلوم ومطبعة قطر الوطنية ودار العروبة .. الخ . وحتى ظهور أول مطبوعة صحفية عام ١٩٦١ تلك التى أصدرتها شركة نفط قطر ، وما تلاها خلال عقد الستينات من تزايد الاهتمام بايجاد صحافة قطرية ، اعلامية وثقافية ، وذلك بفضل جهود وزارة الاعلام .

ثم ينتقل الكاتب إلى الحديث عن مجلة « الدوحة » التى أصدرتها وزارة الاعلام القطرية عام ١٩٦٩ ويقرر أن هدفها فى البداية كان اعلامياً محضاً واستمر ذلك حتى عام ١٩٧٥ ، حيث بدأت المجلة ترتدى ثوباً ثقافياً ، عربياً وانسانياً ، حين خرجت « مجلة شهرية ثقافية جامعة ، ملتقى للابداع العربى والثقافة الانسانية » كما هو واضح بحق من خلال شعارها وصفحاتها .

ويستعرض المؤلف أهم المجالات التى اهتمت بها المجلة ، وتتمثل فى القضايا العربية المعاصرة ، والاهتمام الواسع بالثقافة الدينية بالاضافة إلى تبسيط المسائل العلمية ، إلى جانب مثابرتها على نشر نماذج من تيارات الابداع العربى ، مع عناية خاصة بالثقافة الخليجية ، ومتابعة حركة التجديد والنهضة فى المجتمع القطرى ، كما تبدى المجلة اهتماماً واضحاً بالقارىء المتوسط ، عن طريق نشر الأبواب الترفيهية والمبسطة والتنويع فى موضوعاتها وكتابها .

وينتقل الباحث بعد ذلك إلى التأريخ لظهور « دار العروبة » ونشأة الصحافة الأسبوعية ثم اليومية فى قطر ، وذلك بعد حصول الدار على امتياز اصدار مطبوعة يومية فى فبراير عام ١٩٧٠ . وان ظهرت بادىء ذى بدء فى شكل مجلة أسبوعية ،ثم صدور صحيفة « العرب » اليومية فى مارس ١٩٧٢ ، وان لم يكن بوسعها أن تنتظم يومية بالفعل إلا منذ فبراير ١٩٧٤ . وقد لعبت دار العروبة دوراً متميزاً فى ادخال الوعى الصحفى إلى قطر ، حيث أوقفت المواطن على مسار الأحداث العالمية ، إلى جانب إيقافه على مظاهر النهضة المحلية فى نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثم يتطرق البحث إلى الحديث عن ظهور

مؤسسة « العهد » واصدارها مجلتيها « العهد » و « الجوهرة » ، فكانت الأولى مجلة أسبوعية سياسية وقد صدرت فى يوليو ١٩٧٤ بفضل جهود منشئها (عبد الله يوسف الحسينى) وقامت بدورها فى توعية المواطن القطرى والخليجى بالشئون العربية والدولية . أما مجلة « الجوهرة » التى صدرت فى يناير ١٩٧٧ فتمثل أول مجلة نسائية قطرية ، ورغم أن امتياز صدورها كان أسبوعياً ، إلا أنها كانت شهرية فى البداية ، ويمثل ظهورها على كل حال خطوة رائدة فى مجالى الصحافة النسائية .

وقد انتقل الباحث بعد ذلك إلى الحديث عن مؤسسة الخليج للطباعة والنشر واصدارها صحيفة « الراية » ثم « الجلف تايمز » — بالانجليزية — وقد صدرت الأخيرة فى ديسمبر ١٩٧٨ ، بينما صدرت الراية فى مايو ١٩٧٩ . وقد اكتفى المؤلف بتناول نشأة « الراية » معتذراً بأنها هى التى تصدر باللغة العربية ومن ثم فهى التى تهم القارىء العربى فى المرتبة الأولى ، وقد صدرت الراية أسبوعية فى البداية ثم تحولت إلى صحيفة يومية ابتداء من يناير ١٩٨٠ ، وقد انصب اهتمامها الاساسى على الأحداث السياسية ، العربية والدولية ، إلى جانب التحقيقات الصحفية التى تناولت مختلف جوانب المجتمع القطرى بأسلوب نقدى وتنويري .

وقد صدرت كذلك مجلة « الفجر » عن مطبعة قطر الوطنية فى يناير ١٩٧٥ ، وان لم تلبث أن توقفت عن الصدور فى أواخر عام ١٩٧٦ .

ولم تتوقف النهضة الصحافية فى قطر عند حد اصدار الصحف والمجلات العامة وانما ظهرت صحف نوعية ، منذ أواسط السبعينات ، فظهرت صحف تربوية وأخرى دينية . ورياضية واقتصادية ونحو ذلك ، وقد قدم لنا الباحث حصراً لها وهى : مجلة التربية (ديسمبر ١٩٧٠) ، ديارنا والعالم (يناير ١٩٧٦) ، الخليج الجديد (مارس ١٩٧٦) ، الصقر (مارس ١٩٧٧) الدورى (إبريل ١٩٧٨) ، أسواق الخليج (يناير ١٩٨٠) ، الريان (فبراير ١٩٧٨) ، الجريدة الرسمية التى بدأت فى الظهور منذ يناير ١٩٦١ ، صوت الجامعة (مارس ١٩٨١) ، ومجلة « الأمة » اسلامية شهرية (نوفمبر ١٩٨٠) .

وقد خلص الباحث من تتبعه لنشأة الصحافة القطرية إلى أنها نشأة متواكبة مع الاستقلال الوطنى ، كما أنها ارتبطت بدور الطباعة والنشر ، وأنها ، على تنوعها ، يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية ، قد نجحت إلى حد كبير فى ربط البلاد بالقضايا المحلية والعربية والعالمية ، كما أنها تمثل فى النهاية ، رغم حداثة عمرها ، جزءاً من النهضة العربية فى بلدان الخليج العربية .

القومية والوحدة العربية

والدراسة الثانية وهى بعنوان « القومية والوحدة العربية » كتبها الدكتور عاصم الدسوقى . وتبدأ بمقدمة حول أزمة القومية والوحدة العربية فى مطلع السبعينات ، حيث بدأت الصحافة القطرية فى الصدور ، ثم يبلور الكاتب ثلاثة محاور رئيسية تدور حولها الدراسة ، المحور الأول : ويتعلق بمسألة التضامن والوحدة بين أقطار الخليج العربية ، ويرى فيه أن الصحافة القطرية قد دأبت على بيان أهمية الوحدة بين أقطار الخليج ، ورأت أنه يجب أن تقوم على أسس مدروسة ودون تعجل ، ذلك أن الوحدة تمثل أملا عظيماً تتطلع إليه البلاد ، وقد ذكرت مجلة « الدوحة » فى هذا المجال أن النظام الاساسى المؤقت لحكم البلاد ، الذى أعلن فى ابريل ١٩٧٠ قد حرص على تأكيد الهوية العربية للدولة الجديدة .. كما دعا أمير البلاد إلى إقامة نظام كونفدرالى ، تبقى معه السيادة الإقليمية كما هى ، ويولد من خلاله ما يشبه السوق الأوربية المشتركة للدول العربية الخليجية .

كذلك فقد أشارت مجلة « الفجر » إلى أن قطر تريد وحدة خليجية عربية ، وتتمثل أولى الخطوات نحو ذلك فى بناء قطر فى هدوء ، حتى تهدى لوحدة الخليج دولة عظيمة . كذلك فإن جريدة « العرب » ومجلة « العروبة » قد حملتا بحماسة لواء الدعوة للوحدة بين أقطار الخليج العربية ، أو على الأقل قيام قدر من التضامن والتنسيق بين سياساتها ، وقد أبرزتا تصورهما بالتركيز على ضرورة أن يسبق الاتحاد السياسى إيجاد سوق خليجية مشتركة للتوحد الاقتصادى كتمهيد ضرورى ومنطقى للوحدة ، ثم ايجاد حد أدنى من التنسيق العسكرى الأمنى ، حينئذ سوف تأتى الوحدة فى النهاية . وترى العرب والعروبه أن مجلس التعاون الخليجى الذى أعلن فى مطلع الثمانينات كان ترجمة عملية لذلك كله .

أما المحور الثانى من الدراسة : فيتعلق برؤية الصحافة لتجارب التقارب والوحدة بين الاقطار العربية وتقويمها ، وقد رأى الكاتب أنها أسهمت بنصيب وافر من استعراض هذه التجارب لاستخلاص الدروس المستفادة . فتناولت المحاولات التى ظهرت للتقارب بين دولتين أو أكثر من الدول العربية بقدر من الحذر ، فاعتبرت مثلا الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا فى ابريل ١٩٧١ خطوة تمثل صيغة متقدمة من صور الوحدة والتضامن العربى ، وفيما يتعلق ببلاد المغرب العربى فقد أشارت مجلة الدوحة فى دراساتها إلى صيغة تضم دول المغرب العربى فى دولة واحدة ، تمثل الوحدة بالنسبة لها ضرورة ثقافية وتاريخية وجغرافية واقتصادية « لكنها وحدة على أساس التعاون والتكامل ، وليس على أساس الدمج ، تبدأ بوحدة فى الموقف العالمى لتحرير التراب المغربى ، ثم وحدة اقتصادية تنظمها سوق مشتركة .. » وعندما أعلن اتفاق بنغازى بين مصر وليبيا فى أغسطس ١٩٧٢ تحمست « دار العروبة » لذلك وان كانت قد دعت إلى دراسة عميقة وشاملة قبل التنفيذ « لئلا تصاب الأمة العربية بنكسة جديدة .. » .

والمحور الثالث للدراسة : يتصل بالاسهام النظرى الذى شاركت به الصحافة القطرية فى مجال بناء فكرة العروبة والقومية العربية . ويشير المؤلف بداية إلى أنه عندما انطلقت الدعوة للعروبة من بلاد الشام فى ظروف تاريخية معينة ، لم تكن منطقة الخليج — وقطر من بينها — تمثل شكلا سياسياً مستقلا له بعد قومى محدد ، وعندما خرجت المنطقة من ربقة السيطرة الاستعمارية فى مطلع السبعينات ، كان لابد لها من تحديد هويتها القومية التى وجدتها فى العروبة والاسلام ، ويوضح الكاتب أن العروبة التى أطل عليها الخليج بعد استقلاله مباشرة ، كانت هى العروبة المنتكسة ، مهيضة الجناح ، ومن ثم تناولت الصحف القطرية بناء الفكرة العربية من واقع وضعيتها الجديدة . وقد مرت اسهاماتها بثلاث مراحل متميزة هى :

١ — مرحلة ما قبل اكتوبر ١٩٧٣ ، وفيها كان عمر الصحافة قصيراً ، ومن هنا لم يعثر المؤلف إلا على بضع مقالات هنا أو هناك حول الموضوع ، وان كانت تطالب بضرورة أن يدرك العرب خطر الغزو الفكرى والاقتصادى الذى يتعرضون له ، والقيام بتوعية شاملة للمواطنين العرب حتى يصبح خط الأمة وتفكيرها سليماً يسير فى خط واحد من المحيط إلى الخليج .

٢ — مرحلة مابعد اكتوبر ١٩٧٣ حيث كان تركيز صحيفتى دار العروبة على المطالبة بتحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول العربية لاستكمال التوحد السياسى ، بعد النجاح فى استخدام سلاح النفط فى المعركة ، وبعد انعزال مصر خلال فترة كامب ديفيد ، كان الحديث يتجدد حول أزمة القومية العربية ، والاشادة بعصرها الذهبى أيام الرئيس عبد الناصر . وقد مال هذا الموقف نحو الدفاع عن عبد الناصر ، عندما بدأت بعض صحف مصر فى النيل من سياسة الدول العربية .

الصحافة القطرية
والقضايا العربية


عبدالله حسين نعمة


يوسف الدرويش


ناصر العثمان

٣ ــ مرحلة ما بعد ذهاب الرئيس السادات إلى اسرائيل عام ١٩٧٧. واعتبار ذلك خروجا على الصف العربى، وماصحب ذلك من حملات للتشكيك فى عروبة مصر، عندئذ برز دور صحيفتي دار العروبة واضحاً فى الدفاع عن عروبة مصر. ثم ينتقل الكاتب إلى دراسة المؤثرات التى ألقت بظلالها على الصحافة القطرية فى الآونة الأخيرة، والمتعلقة بحرب العراق وايران والحرب اللبنانية الأهلية والهجوم الاسرائيلى على لبنان .. الخ. مما جعل «دار العروبة» تعيد النظر فى مفهوم القومية العربية على ضوء هذه المؤثرات، حيث راحت تبحث عن مفتاح ايدلوجى لفهم هذه المتغيرات، لتخلص فى النهاية إلى أنها مع القومية العربية دائماً وأبداً، ولكنها ترفض أن تكون هذه القومية حاجزاً بين الشعوب الاسلامية، على اعتبار أن الدين الاسلامى دين عالمى، وطالبت باعادة النظر فى علاقة العروبة بالاسلام على أساس أن العروبة بدون جوهر اسلامى، هى عروبة خالية من المعنى.

أمن الخليج وقضاياه

أما الدراسة الثالثة وعنوانها «أمن الخليج وقضاياه» فقد كتبها الدكتور عبدالخالق لاشين، وقد إنصبت حول ثلاثة موضوعات رئيسية هى: مفهوم أمن الخليج ومعناه، موقف القوى الكبرى من قضية أمن الخليج ودوله، ثم الدول الخليجية ذاتها وقضية أمنها.

ويرصد لنا الكاتب المتغيرات التى حملها عقد السبعينات وأهمها تحول النفط إلى سلاح سياسى وبروز القضية الفلسطينية بشكل مؤثر فى الساحة الدولية، ثم انتهاء خرافة اسرائيل التى لا تقهر خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ثم ينتقل المؤلف إلى معالجة أثر المتغيرات الجديدة على الدوريات القطرية، فيشير بايماءة تاريخية إلى نظرية ملء الفراغ التى برزت عقب الانسحاب البريطانى وقيام الدول الحديثة المستقلة فى الخليج، والتى رفضت مقولة الفراغ، ثم سعيها لاقامة كيان اتحادى. ويعالج الباحث موقف الدول الكبرى من قضية أمن الخليج ومن الحرب العراقية الايرانية وتأثير ذلك على الوضع فى الخليج.

ثم ينتقل المؤلف إلى معالجة مفهوم الأمن الخليجى، ولمن يكون وضد من؟ وما هى الترتيبات التى رؤى اتخاذها للمحافظة على أمن الخليج من خلال نظرة الدول الخليجية ذاتها..

ثم يتعرض الكاتب بعد ذلك إلى بحث مواقف الدول الخليجية من المسألة، من خلال الدوريات القطرية، فيسجل حديث سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى عهد قطر، الذى أدلى به لجريدة العرب، وقد ذكر فيه أن بلاده مع ايجاد سبل أو نظم أمنية فى الخليج، وأن ينشأ فعلا لاقولا، تعاون مطلق بين من يعنيهم الأمر ويتحدثون عن أمن الخليج .. وفى البحرين أعلن وزير خارجيتها أن أمن الخليج لا يتحقق دون وجود تنسيق عسكرى فعلى، يبدأ ثنائياً ثم يتسع تدريجياً ليصبح جماعياً .. أما دولة الامارات فقد أعلن رئيسها أن المنطقة ترفض التحالفات العسكرية وترغب فى أن تعيش فى سلام بعيداً عن المواجهة الدولية، وقد أكدت الكويت نفس الموقف، مع رفضها منح قواعد أو تسهيلات لأية دولة أجنبية.

ويختتم المؤلف دراسته الهامة ببلورة تلخص تتبع الخطوات والمراحل التى سارت فيها جهود الدول العربية الخليجية فى سبيل التوصل إلى صيغة مشتركة تحقق تنسيقاً أمنياً، بعد أن تأكدت معظمها من ضرورة الاعتماد على النفس فى الحفاظ على أمنها .. وقد تعددت مظاهر ذلك من تنسيق وتعاون بين دول الخليج، وانعقاد العديد من اللقاءات والمؤتمرات الخاصة بقادة ووزراء الدول الخليجية العربية، وأهم من ذلك قيام الكثير من المؤسسات والمشروعات الخليجية المشتركة، والتى كان فى مقدمتها بنك الخليج الدولى، وطيران الخليج، وشركة الملاحة العربية المتحدة، وجامعة الخليج، ووكالة أنباء الخليج .. الخ.

ويضيف أن أهم محاولة خليجية للعمل المشترك فى مجال الأمن كان ذلك الاجتماع الذى حضره وزراء خارجية سبع دول خليجية فى مسقط (نوفمبر ١٩٧٥)، واستمرار المحاولات التى توجت باعلان مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى

فبراير ١٩٨١ ، بعد أن تبنت دول الخليج العربية مشروعاً كويتياً يركز على إقامة أوسع دائرة للتعاون الاقتصادى والثقافى والعسكرى بما يؤدى فى النهاية إلى اتحاد اقليمى بين دول الخليج ، كما تكفل مشروع سعودى بطرح فكرة توقيع اتفاقيات أمن ثنائية مشتركة بين السعودية وكل دولة من دول الخليج العربية على حدة ، لتشكل هذه الاتفاقيات فى النهاية اتفاقية عربية مشتركة لأمن الخليج . والمسيرة مستمرة .

القضية الفلسطينية

والدراسة الرابعة والأخيرة عنوانها « القضية الفلسطينية » كتبها الدكتور عادل غنيم ، الذى بدأها باقتراح منهج يحدد من خلاله مواقف الصحافة القطرية من هذه القضية الهامة والخطيرة .. فتعالج الدراسة أولاً مدى اهتمام الصحافة القطرية بالقضية ونوعية هذا الاهتمام ، ثم تنتقل ثانياً إلى رصد وتحليل الملامح الايجابية وكذلك الملامح السلبية فى نظرة الصحافة القطرية إلى منهج « تحليل مضمون » كتابات الصحافة القطرية بهذا الشأن .. إلى جانب تصنيفه الدوريات القطرية إلى يومية ثم أسبوعية فشهرية والالتزام بهذا التصنيف خلال الدراسة .

وبالنسبة للصحافة العربية فقد عالج مدى اهتمام الصحيفتين اليوميتين القطريتين « العرب » و « الراية » وقد استنتج من خلال قراءته لهما أنهما تعطيان اهتماماً كبيراً للقضية الفلسطينية ، بنشرهما الكثير من أخبارها ، والتعليقات السياسية حول أحداثها ، سواء كان اهتماماً اخبارياً أو تحليلياً يتضمن آراء ووجهات نظر ، وخاصة من جانب صحيفة « العرب » ، إلى جانب القيام ببعض البحوث والدراسات وعقد الندوات من جانب « الراية » ، فقد ذكر الكاتب أن هذه الصحيفة الأخيرة تضم نخبة من الكتاب المتخصصين فى القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة .

ثم يستخلص عدداً من الملامح الايجابية فى مواقف « العرب » من حيث دأبها على التأكيد المستمر على ضرورة انتزاع العرب لحقوقهم فى فلسطين ، وتطوير تسليح المناضلين . بينما تدعو « الراية » إلى الابتعاد بالقضية عن دائرة الخلافات العربية ، أما الملامح السلبية التى أخذها الكاتب على الصحيفتين فتتمثل فى تأييد بعض الصحافيين لقيام نفر من الفدائيين بعمليات خطف الطائرات أو احتجاز أحد الفرق الرياضية الاسرائيلية ، كما أن منهم من انتقد قيام مركز الابحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية لأصداره كتاباً يضم مقالات لمفكرين صهاينة .. وقد رأى الباحث أن ذلك يضر بالقضية الفلسطينية . وهو لا يجعلنا نعى حقيقة الحركة الصهيونية .

ثم ينتقل الكاتب إلى المجلات الأسبوعية (العروبة — العهد — الفجر — ديارنا والعالم — الخليج الجديد — الجوهرة) فيذكر أن مجلة « العروبة » كانت أكثرها اهتماماً بالجوانب السياسية للقضية الفلسطينية ، ويضرب لذلك أمثلة تؤكد هذا الاهتمام الذى يبرز التأكيد على الصمود الفلسطيني وابراز التأييد العربى والعالمى للقضية ،


عبدالله الحسينى


خالد نعمة



تتميز الصحف والمجلات التى تصدر فى قطر بالتعدد والتنوع

الصحافة القطرية والقضايا العربية

إلى جانب كشف الممارسات الصهيونية والدور الامريكي فى المنطقة . ويبلور كذلك المفاهيم الاساسية لدى المجلة حول القضية وتتصل بالدعوة لوحدة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، وابراز دور مصر الرائد فى الدفاع عن القضية ، وبيان أن اسرائيل لا تريد السلام حقاً ..

وان كان الكاتب يأخذ على المجلة أن بعض كتابها ينقصهم الوعى بالابعاد التاريخية للقضية ، ثم يأخذ على عاتقه مراجعة ذلك وتصحيح بعض المفاهيم .

وفى مجلة « العهد » تبرز اهتماماتها بالقضية من زاوية أدبية وفنية ، وان كانت قد تناثرت على صفحاتها بعض المقالات التى تتعلق بالتحذير من الحوار المباشر مع الاسرائيليين ، وأن الولايات المتحدة هى العدو الأول للأمة العربية باصرارها على تدعيم وتأييد الوجود الصهيونى فى فلسطين ..

أما مجلة « الفجر » فهى تتابع نشاط وعمليات المقاومة الفلسطينية ، وتقدم عروضاً واعية للأفكار الاسرائيلية . كما تتابع السياسة الأمريكية فى المنطقة ، فضلا عن اهتمامها بالجوانب القانونية للقضية الفلسطينية .. وان كان الباحث يأخذ عليها عدم ادراكها لحقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل .. وينتقل إلى مجلة « ديارنا والعالم » فيذكر أنها أبدت اهتماماً بنشاط المقاطعة العربية لاسرائيل ، إلى جانب مطالبتها بتدعيم مالى أكبر لدول المواجهة العربية وكذلك للمقاومة الفلسطينية .

وفيما يتعلق بمجلة « الخليج الجديد » فقد تناولت بعض الموضوعات ذات الطابع الاجتماعى إلى جانب الموضوعات الثقافية والفنية المتصلة بالقضية الفلسطينية ، هذا بالإضافة إلى الاهتمامات السياسية ، وأوضاع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها ، وان كان الكاتب يرى أن مقالات المجلة تختلف حدة واعتدالا ومن ثم تتباين اتجاهاتها ، وأخيراً يصل إلى مجلة « الجوهرة » النسائية ، التى يذكر بشأنها أنها لم تخل من بعض الاشارات المتعلقة بالنواحى الفنية والانسانية

— دون السياسية — وهو أمر يراه طبيعيا بالنسبة لمجلة نسائية .

وينتقل الكاتب بعد ذلك لدراسة موقف المجلات الشهرية (الدوحة — أسواق الخليج — الأمة) أما بالنسبة لمجلة « الدوحة » فيذكر أنها اعطت اهتماماً كبيراً للجوانب الثقافية والفكرية المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، فتتبلور الكثير من مقالاتها ودراساتها حول القضايا الفكرية المتعلقة بالصهيونية ، ومفهوم السلام ، والوجود الاسرائيلى ، والاهتمام بالتراث اليهودى فى مجالات البحث العلمى ، والأدب لفهم الشخصية الاسرائيلية ، إلى جانب تغطيتها لأدب المقاومة فى الأرض المحتلة ، والدراسات التاريخية للمدن الفلسطينية .. كما أن « الدوحة » تضم نخبة من الاقلام العربية المثقفة . وان كان الباحث يرى أن المجلة بحكم مسئوليتها باعتبارها فى طليعة المجلات الثقافية فى العالم العربى ، ينبغى أن تعطى مزيداً من الاهتمام لعرض الرسائل والابحاث الجامعية حول القضية الفلسطينية ، والصراع العربى الاسرائيلى ، إلى جانب ضرورة تقديم عروض نقدية للمؤلفات التى تصدر بشأن القضية .

أما « أسواق الخليج » فقد اقتصرت على الكتابة فى موضوع المقاطعة العربية لاسرائيل ، إلى جانب فضحها لبعض الشخصيات العالمية التى انخدع العرب فيها ثم انكشف تحيزها ضد القضايا العربية . أما مجلة « الأمة » فقد ركزت اهتمامها حول النشاط الاسلامى فى فلسطين ، إلى جانب تسليطها الأضواء على نشأة الصهيونية ، وتطور الأوضاع فى الأرض المحتلة ، إلى جانب نشرها مقالات عن جغرافية فلسطين ، ودور اسرائيل فى افريقيا ، وتطويقها للمبعوثين العرب فى أوربا وامريكا ..

ويختلف الكاتب مع اتجاه المجلة حول عدم تفريقها بين اليهودية كدين ، والصهيونية كحركة استعمارية ، ويؤكد على ضرورة التفريق بينهما ، حتى تبنى المواقف العربية على حقائق موضوعية .

جهد قيم .. ولكن

بعد هذا العرض العام لمحتويات الكتاب ، لا يسعنا الا الاشادة بالجهد القيم الذى بذله مؤلفوه ، من الأساتذة المؤرخين ، سواء لبحثهم عن شتات المصادر ، من صحف ومجلات ، من هنا وهناك ، أو لارتيادهم ذلك المجال بالتأريخ للصحافة القطرية ، أو الاستعانة بالدوريات القطرية فى معالجة قضايا أمتنا العربية ، مما يسجل لهم فضل الريادة لمجال لم يكن مسبوقاً قبل

ذلك باستثناء الفصول التى كتبها الدكتور محمد جابر الأنصارى عن صحافة الخليج ، وهو جهد ، بالاضافة إلى النتائج التى توصلوا إليها ، يشير إلى أهمية الصحف والمجلات كمصدر من مصادر التاريخ الحديث والمعاصر .. بل إنها تعد مصدراً وثائقياً من الدرجة الأولى فى دراسة التطور السياسى والاجتماعى للبلاد .

وبهذه المناسبة نود أن نهيب بالمسئولين عن دور الوثائق ودور الكتب ومراكز الابحاث أن يسعوا جهدهم لتجميع هذه الدوريات وتصنيفها وتجليدها لتصبح فى متناول الباحثين والمؤرخين ، وتدارك ذلك منذ الآن بالنسبة لما يصدر أولا بأول .. وهذا ما تفعله الدول المتقدمة والساعية نحو التقدم ..

وإذا كان الكتاب بهذا القدر من الأهمية ، فإنه يثير من جانبنا بعض الاستفسارات والتعليقات حول بعض وجهات النظر بشكل عام .. منها اقتصار الكتاب وهو يعالج القضايا العربية فى الصحافة القطرية على قضايا العروبة والأمن ثم قضية فلسطين ، مما يجعلنا نتساءل : أليست هناك قضايا عربية أخرى اجتماعية واقتصادية وثقافية وفكرية ، وعلاقات سياسية ودبلوماسية ، تمثل مجالات أوسع للدراسة تدخل فى نطاق هموم واهتمامات الصحافة القطرية ؟

وهناك ملاحظة تتعلق باقتصار الدراسات على الصحافة القطرية الناطقة باللغة العربية ، مما يعرضها لشبهة التقصير عن الافادة من الصحيفة القطرية الوحيدة الناطقة باللغة الانجليزية ، وربما كان من الأفضل لو ذيل الكتاب بملحق يضم أسماء الدوريات القطرية وتواريخ صدورها ، أو توقفها ، ورئاسة وهيئات تحريرها — كلما أمكن ذلك — كببلوجرافيا احصائية تاريخية ، يرجع إليها عند الضرورة ، ويا حبذا لو ضم هذا الملحق صوراً فوتوغرافية لأغلفة ومانشتات الصفحات الأولى للمجلات والصحف .

أحمد زكريا الشلق

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● رأي قديم وطريف في فن عبد الوهاب ●● الإنسان والحيوان والحرب

نشر الأستاذ عزيز أحمد فهمي بأسلوبه الساخر هذا المقال الجريء والطريف سنة ١٩٣٩ تحت عنوان «آلو ... الدكتور عزام ؟!» ، وقد نشرته مجلة الرسالة مع تعليق منها تقول فيه : .. «لا نظن كثيراً من النقاد يشاطرون الأستاذ عزيز رأيه في الأستاذ عبد الوهاب» .. فما هو رأي النقاد الآن .. وبعد ٤٥ سنة من نشر هذا المقال لأول مرة ؟!

رأي قديم وطريف في فن عبد الوهاب

ـ ياللنهار ! مالك أنت والغناء ؟ لك ساعة وأنت تعوي وتنهق بأكره الصوت جاداً مجتهداً كأنما تجرب إذاعة لهذا المساء ؟ هل زيفت نفسك على ماركوني وألقيت في روعه أنك موسيقي مغن مطرب ملحن ؟ أما إذا كنت فعلتها فهي كبرى المصائب ، ونكبة النكبات .

ـ إني لم أفعلها إلى الآن . ولكني أعد نفسي لها ، وهي من غير شك أربح الأشغال في هذه الأيام . فقد وصل سعر اللحن عند ماركوني إلى مائة جنيه ، ينفق عليه منها عشرة على الأكثر يأخذها تخت كامل وفوق الكامل . ثقي أني سأبدأ العمل وثقي أني أعرف طريق النجاح فيه .

ـ قل شيئاً غير هذا ، وامح علامات الجد هذه من على وجهك فقد كدت أصدقك .. أمجنون ؟!

ـ سترين أني على يقين فمصطفى بك رضا بنفسه يقدمني للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول : «آنساتي سيداتي سادتي . أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقري البروفيسور عزيز فهمي في أغنيته الأولى «التختروان» وهي من تأليفه وتلحينه .. على تخت مكون من كبار رجال الفن»

ـ ما الذي يمنعك مادمت واثقاً أن هذا ممكن ؟

ـ لاشيء يمنعني . وإنما كانت الفكرة غائبة .

ـ وقد جاءت الفكرة وستنفذها . اليس كذلك ؟

رأي قديم وطريف في فن عبد الوهاب

قل لي الآن بم ستبدأ ؟

ـ بالشعر ... صحيح أني لست شاعراً ولكني أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام . ثم إني أعرف الكلام الذي يحبه الجمهور وليس علي أكثر من أن أرصه في النظم رصا وهو لايعدو «النوح والدوح ، والأغاني والأماني ، والدموع والخضوع ، والغزل والأمل» وسائر هذه الألفاظ التي يقولها القمر للأستاذ أحمد رامي وهو نائم تحت السرير في الغرفة الغربية المطلة على الحقول من منزله في حدائق القبة .. فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً بدأت في تلحينها ، وهذا شيء أيسر من الشعر ، وهو لايكلفني أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الشرقية والغربية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه ، وآخذ لكل شطر أو لكل بيت من أغنيتي لحناً من هذه الألحان ، فإذا لاحظت في هذا الترقيع أن يكون منسجماً يمشي بعضه مع بعضه من غير تنافر فإني قد جئت بما لم يجيء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه ، فنحن لا نزال نرى في مقطوعاته جميعاً التنافر ظاهراً بين أجزائها المجموعة من الشرق والغرب ... فماذا تريدين مني أكثر من التفوق على عبد الوهاب ؟

ـ وبعد ؟

ـ أتفق مع الأستاذ محمد القصبجي على أن يتعهد بمراجعة اللحن مع أفراد التخت بخمسة جنيهات يأخذها ربحاً حلالاً على هذا ، وعلى أن يعزف معي بعوده الممتاز في الإذاعة ... وهو لن يرفض خمسة جنيهات حلالاً .. وإذا أخذ الأستاذ إبراهيم العريان وهو سيد العازفين على القانون في مصر جنيهاً واحداً ليشترك معي في الإذاعة فإنه سيدعو لي ليلاً ونهاراً لأنه يقضي الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا زكريا أحمد الذي يعرف قدره وقدر فنه ولأن الباقين يتقونه خشية أستاذيته .. وتبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت ، ولا شيء أخيراً إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الملق والمداهنة وأنا زميل لهم وأظن أنهم يجاملونني .

ـ طيب والغناء ؟ أتغني بصوتك هذا نفسه ؟

ـ ولم لا ؟ أليس صوتي أرخم من صوت الأستاذين حسين المليجي وحامد مرسي ؟ ومادامت الصحافة ستقول هي وماركوني أني مغن ممتاز عبقري ، فلابد أن يصدق الناس أني كذلك .. والحق أني كذلك ..

ـ تريد أن يجوز هذا علي أنا أيضاً ؟

ـ الفنان الحق ياآنستي لابد أن يؤمن بفنه قبل أن يؤمن به الناس ..

ـ ياعينك ! ولكنك لم تقل لي كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهي إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ..

ـ هذه أهون الهينات .. وهي بيد الدكتور عبد الوهاب عزام الذي لايزال يذكر أني تلميذه ، والذي يعطف علي فيما يبدو لي ، والذي أعتقد أنه لا يتأخر عن مساعدة رشيقة كهذه ...

ـ وما للدكتور عزام الأستاذ في الجامعة والذي يكتب عن رحلاته في الشرق والغرب ، وهذه «الألعوبة» أو «الألعبانة» التي تريد أن ترتكبها ...

ـ الرجل رجل طيب ، فإذا التصقت به لم يجرؤ على طردي لأنه حيي خجول ، ولأني سأذكره بالحكمة التي تقول «من علمني حرفاً صرت له ضيفاً» وقد علمني هو اللغة الإيرانية كلها ... والدكتور عزام قريب صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف في وزارة الأوقاف فإذا رآني حول الوزير مرة أو مرتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً .. فإذا دعوته يوماً إلى سماعي ونبهته إلى أن الدكتور عزام سيسمعني معه خف إلي كالبرق الخاطف حباً في مجالسة الناس الطيبين ، فإذا لبى الدعوة هؤلاء الناس الطيبون الذين من عادتهم أن يجبروا خواطر الناس ، بدأ الإيمان بي وبفني يدخل نفس ماركوني ، فإذا جاملني أحد الناس الطيبين «بآه» أو «بأحسنت» كان هذا مستنداً لي على أني فنان مقتدر .. فإذا قلت عن نفسي بعد ذلك بأني عبقري وأني نابغة العصر والأوان زيادة على أني شاعر كبير ومثقف مطلع ومفكر عظيم فإني من غير شك واصل إلى الاتفاق الذي ارجوه ..

ـ ولكن هذا كله لايساعدك في شيء ... فمصطفى بك رضا نفسه موسيقي ، وهو نفسه حكم في الفن لايمكن التدليس عليه .

ـ قد يكون هذا حقاً ، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم بالفن وحده .. فهو بلا شك يقيم إلى جانب الفن اعتبارات أخرى يستعينها في الحكم على الفنانين الذين يعملون في الإذاعة .. وإلا فكيف يسمح بالغناء لمن تعرفينهم من المغنين الذين لو استمعوا إلى أنفسهم لما رضوا أن يغنوا .. ألا يذيع كثيرون من هؤلاء ؟

ـ ولماذا يفعل هذا ؟

ـ اسأليه .. واعلمي أنه محسوب على السيدة نفيسة فهو تقي جداً وورع جداً ولايمكن مطلقاً أن يقول غير الحق ولا أن يظهر غير ما يخفي .. زيدي على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية ، وأن له من الحسب والنسب ما يدرأ عنه كل شبهة .. وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب .. طيب جداً ، سبحته لا تفارقه ، وشفتاه لا تكفان عن التمتمة والتسبيح ، ولعل ماركوني لم يأخذه إلا لأنه بركة .

ـ إذن فقد انتهى الأمر ، وإني أوصيك بأن تبدأ ..

ـ اسألي لي عن الدكتور عزام بالتليفون ، فإذا وجدته فقولي له : إن هيئة كبار العلماء ستتغدى عندك اليوم .

ـ وما لهيئة كبار العلماء هذه أيضاً ؟

ـ هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على فرقتنا التي كانت مؤلفة من ثلاثة . قال الأستاذ أحمد أمين يوماً : إن كلية الآداب لم تر مثلهم ولن ترى مثلهم .

ـ في الجد والتحصيل ؟

ـ لا . في العنف والكفاح والرجاء والإيمان . دعينا من هذه الذكريات . هل وجدت الدكتور ؟

ـ لا . فلننتظر ساعة . والآن قل لي : لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك «التختروان» ؟

ـ أنا لم اختر هذا . وإنما هو الرد الطبيعي على أغنية «الجندول» التي غناها عبد الوهاب «فالجندول» هذا مركب أوربي يسير في شوارع البندقية ـ وهي مياه ـ ولا يعرف هذا «الجندول» إلا فئة خاصة من المصريين ، أما «التختروان» فيعرفه المصريون جميعاً والعرب جميعاً ، لأنه «الهودج» الذي يوضع على ظهر الجمل فإذا كان «الجندول» الذي لايعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب في أن يتغنوا «بالتختروان» !

ـ ليس الذنب في «الجندول» ذنب عبد الوهاب ، وإنما هو ذنب الشاعر علي محمود طه المهندس الذي زار البندقية وحدث له «الجندول» فيها فسجله شعراً ، ولحنه عبد الوهاب .

ـ قد يغتفر للأستاذ الشاعر هذا الجندول مادام قد حدث له ولكن لماذا يغنيه الأستاذ عبد الوهاب ؟ وقد خلق الله له موهبة التقليد التي يأبى أن يستغلها .

ـ لم اسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانتها بين الفنون إلا الآن .

ـ هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ، وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يغني كل ما يسمعه ويوفق في تأديته خير التوفيق ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يعرضه بين الفصول يغني للنظارة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت ،



محمد عبد الوهاب .. ماذا يقول الآن فى هذا الرأى القديم ؟ وماذا يقول النقاد ؟

فكان ينال إعجاب الناس ، وسمعه بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك فطرب له فاحتضنه وتبناه وقدمه لأصفيائه وللبيئة التي يعيش فيها وهي بيئة الأمراء والكبراء فكان عبد الوهاب يغنيهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستحسنوا غناءه ؛ فلما مات سيد درويش فوجىء الجمهور بعبد الوهاب الملحن الموسيقار ، وكانت المفاجأة بالطريقة التي أريد أنا أن أفجأ الجمهور بها ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يتعثر إذ عدل عن الموهبة التي خلقها الله له إلى مالم يسمح الله له به . على أنه كان غالباً ما ينجح إذا غنى المواليا ، ذلك أنها غناء مصري للقاهرة ، فيه أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد سلمت بعض قصائده من التنافر والتخبط لكثرة ما غني في ماضيه للمرحومين : الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ؛ أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب يعاني الأمرين في غير شك في صوغه . وقد كان المرحوم شوقي بك يغربل له موسيقاه فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأي .

- ياشيخ ؟ لاتكن ظالماً .

- لست أظلمه . ولو أنصف عبد الوهاب لظل كما كان مغنياً يغني لغيره ممن يستطيعون التلحين ، أو أن يكون مغنياً بلدياً كغيره من أولاد البلد الفنانين البارزين ، وليس هذا عيباً ، وليس فيه حطة ، فالناس كلهم أو أغلبهم مجمعون على استحسانه في المواليا ، وفي القصائد قبل أن يفرنجها .. أليست «ياجارة الوادي» خيراً من «الجندول» ! ولكنه أصيب بما في رأسه ، وهو لا يريد مطلقاً أن يذكر الجمالية ، ولا باب الشعرية ، ولا «حوانيت الترزية ..» مع أنه أنفق حياته الأولى في هذه .. وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل ماضيه ... وإن حياة الفنان الأولى التي قضاها وهو بعيد كل البعد عن التفكير في مشاغل الدنيا وأرباحها وخسائرها لهي المعين من الفن الذي لاينضب .. وإنها أصدق مايمكن أن يبرزه من الفن ، وأصفى ما يمكن أن يطالع به الناس من عواطفه وخلجات روحه . أليس كتاب «الأيام» هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين بك . وأي شيء في كتاب «الأيام» غير قسط ظاهر من الصدق .. إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام .. وهذا الإنسان الآخر له مجد وله مكانة وله شهرة ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل «طه حسين» بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك نفسه يعترف بهذا فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يكتبها وتخرج من بين يديه خير ما كتب ..

- إذن فعلى عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره ...

- من غير شك هذا هو خير مايستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى مافيه ، ولأنه كان هكذا في طفولته .. فهذا هو ماخلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه ...

- ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً ... فمن الذي يعطيه مائة جنيه في أغنية قديمة ؟

- الرزق هذا شيء لا حيلة للإنسان فيه ، وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يعطي بعد ذلك من غير حساب .. إن بتهوفن وسيد درويش ماتا معدمين ولم يجمعا في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أنصع منهما فناً ؟ .. إن كريستوف كولمبس الذي عثر على أمريكا لم يمت إلا بعد أن استجدى في شوارع نابولي على ما أظن ... فالرزق شيء والعمل شيء ... والفرقة القومية بدأت تفكر في تقديم الأوبرا والأوبريت ، وعبد الوهاب من غير شك هو المغني الأول الذي أرشحه لها .. فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا العرض ؟ ...

- يهديه الله ....

- سيهتدي عندما يراني أزاحمه ، وعندما يجد معي سر نجاحه ، وعندما يلحظ أني سأحسن استعمال هذا السر أكثر مما يحسنه .

- إذن . فأنت لا زلت مصراً .

- من غير شك .. اسألي عن الدكتور ...

عزيز أحمد فهمي

١٩٣٩

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب «العالمية الثانية» ، فبلغ عدد الكلاب العضوضة التي عالجتها مصحات الشرطة في لندن خلال شهر اكتوبر ١٩٣٩ أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز في الشهر الذي قبله مائة وثمانية وتسعين ! أكثر من الضعف في الشهر التالي لنشوب القتال ... فما تعليل ذلك ؟!

الإنسان والحيوان والحرب

بعض البلاد تصدر أوامر بتحريم خروج الكلاب من أراضيها الا أن يكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها غير صالحة للخدمة العسكرية



بقلم : عباس محمود العقاد

غير قليل ما يمكن أن يقال في الإنسان والحيوان والحرب ، فإن الحرب تفتح المسارب بين الإنسانية والحيوانية على المصراعين بل على شتى المصاريع . وقد تفتح مابين الإنسان وبين عالم البطولة والملأ الأعلى كذلك .

ففي وسعنا أن نزيد مقالاً آخر لأصدقائنا القراء الذين استزادونا من الكتابة في هذا الموضوع ، وما أحفله بالحقائق والمشاهدات ، وما أوسع منادح القول فيه .

* * *

الإنسان يتهم الحيوان بعدوى الحرب ، ويزعم الحربيون من الأناسي أنها آفة لا معدى عنها ولا دواء لها ، مذ كانت وراثة الطبع الحيواني حيث كان ، مبتدئاً من الجراثيم ومنتهياً إلى الحيوان .

وفريق من بني آدم يبرئون الحيوان من هذه التهمة ويحصرون آفة الحرب في أبناء آدم دون سائر الأحياء .

أمنصفون هم لذرية آدم ؟ أصادقون هم في تبرئة الحيوان ؟ بعض الإنصاف وبعض الصدق لامراء .

فهم يسألون : أين هو الحيوان الذي يحشد الأسراب والقطعان لقتال سرب أو قطيع من جنسه ؟ بل أين هو الوحش الذي يجمع أبناء جنسه لقتال جنس آخر من الوحش في الغاب أو في العراء ؟

والحق أنهم في هذا السؤال محرجون ، فالحرب كما نعلمها في ميادينها البشرية إنما هي خاصة من خواص أبناء آدم : هم دون غيرهم من الخلائق الحية يجمعون بعضهم لقتال بعض ، ويخرجون على نية القتال حيث لا يقاتل حيوان وهو يعلم أو ينوي أن يقدم على قتال .

فالحرب ولا جدال إنسانية مقصورة على أبناء آدم ، وإن كان العراك قسطاً مشتركاً بين جميع الأحياء .

* * *

وآخرون من الأناسي الحربيين يزعمون أن

الحرب لا تزول لأن الطبيعة لا تتبدل .. فما كان في النفس قبل آلاف السنين سيبقى في النفس بعد آلاف السنين ! !

أصحيح ما يزعمون ؟

صحيح بعض الصحة ، لأن رأياً من الآراء لن يكون صحيحاً كل الصحة في جميع الأحوال .

صحيح ، والشاهد من عالم الحيوان الذي يحتجون به في استدامة البغضاء والشكاسة والقتل والقتال .

فأين كلب اليوم من أجداده بين الذئاب وأبناء آوي ووحشي الكلاب ؟

كلب اليوم يحرس الحملان والأطفال ، ويموت في سبيل الود والولاء ...

وكلاب الأمس كانوا أخطر شيء على الحملان والأطفال ، وأجهل خلق بالمودة والولاء .

فإذا جاز أن ينتقل الكلب هذا الانتقال وليست له حضارة ولا علوم ولا فلسفة ولا حالة عليا يصير اليها من حالته السفلى ... ألا يجوز أن ينتقل الإنسان مثله أو مرحلة أوسع من مرحلته ، وهو يعبر المسافة بين جهل الهمج وثقافة المهذبين ؟

• • •

وللحيوان أنصار كثيرون من أبناء آدم ، أعجب ما في أمرهم أنهم أرفع الآدميين خلقاً وأبعدهم من الحيوانية شقة وأوفرهم من التقدم نصيباً ، فهم - من بعض الوجوه - أحق بالإنحاء على الحيوان من أولئك الذين يتعقبونه بالإنحاء والتنديد ، وهم أقرب الناس إليه !

أنصار الحيوان هؤلاء يكتبون العجب هذه الأيام في الذود عنه والرجعة بسيئاته إلى أصحابه من الآدميين . وقلما تخلو كتاباتهم من ظرف وفكاهة .. أما العلم والإدراك فهما ماثلان أبداً فيما يطرقون من هذه البحوث .

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب الحاضرة ، فبلغ عدد الكلاب العضوضة التي عالجتها مصحات الشرطة في لندن خلال شهر أكتوبر الماضي أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز في الشهر الذي قبله مائة وثمانية وتسعين !

أكثر من الضعف في الشهر التالي لنشوب القتال .. فما تعليل ذلك ؟

يقول مستر جونت خبير المصحات : إنها عدوى الإنسان ! !

فالكلاب ، كما يقول : «مرهفة الحس بما يخالج نفوس أصحابها ، تضيق صدراً إذا ملكت صاحبها الحالة التي نسميها بالعصبية الحربية . وأنت إذا غضبت يوماً من قراءة أخبار الغارات الجوية خرج كلبك متحفزاً للوثوب على أول كلب يراه ، لا يعلم في أي شيء يقاتل ، وليس لديه ما يسميه الساسة : أغراض حرب أو شروط سلام ، وحسبه أن صاحبه ثائر ، فهو مثله يثور !»

ثم يقول الأستاذ جونت : «ويجوز أن يرجع هذا المزاج الكدر في كلاب العاصمة إلى قلة الرياضة لكثرة الوقايات الهوائية وضرورة المكث في البيوت ، أو لسفر أصحاب الكلاب إلى الريف ، ولكن السر الأكبر ولا ريب ، إنما هو تلك النزعة القتالية التي تسري اليها من عشرائها الآدميين» .

أرأيتم إذن ؟

إنه الإنسان الذي يلقح الحيوان بلقاح الحرب والعدوان ، وليس الحيوان بالأستاذ السابق له في هذا الميدان .

والمسألة بعد واضحة من غير حاجة إلى هذه الدراسات الحديثة وإن كانت هذه الدراسات مضيفة في الغد بعض المعرفة الجديدة بالطبائع والأخلاق .

فواضح قبل هذه الدراسات أن الإنسان يستعين بالحيوان في حروبه ، ولم يحدث قط أن حيواناً استعان بإنسان في افتراس ضحاياه واغتيال أعدائه .

ومن قديم الزمن يستعين الإنسان بالحصان والكلب كلما وقع في نزاع بينه وبين أبناء جنسه ، وأقل من ذلك عذراً أنه يستعين بالحمامة وهي رمز السلام والسلامة في تبليغ أوامر الفتك والهجوم . فقد يعذر المستعين بالحصان والكلب على أغراض الحرب لأنهما كانا عصراً من العصور الغابرة معدودين في حساب الوحوش .. أما الحمامة فما عذر من يقحمها هذا المقحم المخيف ، وهي في غير ماقاله المعري عنها :

ظلم الحمامة في الدنيا وإن حسبت
في الصالحات كظلم الصقر والباز
لا تتعرض لاتهام !

• • •

ومضى الناس في الحرب الحاضرة على سنة آبائهم من قديم الزمن ، فلم يعتقوا الحصان بعد كل ما كشفوه من الآلات والمركبات ، ولايزال رجال من قادة الحرب يقولون إن له لدوراً لا يغني فيه غناءه شيء ولا يلحقه فيه اختراع .

ولم يعتقوا الكلب بعد اختراعهم من أدوات التجسس والاستنشاء ما يرغم أنوف الكلاب ، بل ضاعفوا الحرص عليها وصدرت أوامر الحكومة الروسية بتحريم خروجها من أرضها إلا أن تكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها «غير صالحة للخدمة العسكرية !»

والجديد فيما سمعنا به من مخترعات الحرب الحاضرة أنهم استخدموا الخنازير في بعض الجزر ببحر الشمال للتنبيه إلى الغارات الجوية ، فإذا هبطت الطائرة المغيرة إلى الأرض على غرة من الرقباء صرخت الخنازير صرخة معلومة فتنبه الحراس إلى مكان الغارة .

كان الخنزير متهماً بالخبث قبل اليوم في غير برهان .

أما اليوم فيحق لمن يقع في شراكه أن يقول مقال الغيظ أو مقال الاعتراف : ياله من خنزير !

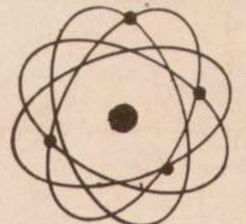
• • •

لكن في الحرب براً من الإنسان بالحيوان وليست كلها شراً في شر وعدواناً على عدوان .

فإذا قلب الناس غداً صفحات الحروب الناصعة فسيجدون بينها صفحة من أنصع صفحاتها في هذه الحرب الحاضرة : تلك هي المصلحة التي أنشئت خصيصاً بالجزر البريطانية لوقاية الحيوانات أثناء الغارات الجوية . فأعدت الحكومة مئات الألوف من الصفائح التي تنقش عليها مواطن تلك الحيوانات وأسماء أصحابها وعنواناتهم للدلالة عليها وردها إلى موطنها كلما شردت من الذعر إلى مكان بعيد عنها ، وندبت الحكومة ألوفاً من متطوعيها للطواف على البيوت والحقول ابتغاء تسجيل ما فيها من فصائل الحيوانات المختلفة وتزويدها بالعلامات الدالة عليها . وأقامت ملاجيء للأسعاف متفرقة هنا وهناك لإيواء مايحتاج إلى العلاج والإنقاذ من الحيوانات المصابة أثناء الغارات ، ودبرت الأمر للعناية بها كما دبرت الأمر للعناية بالآدميين .

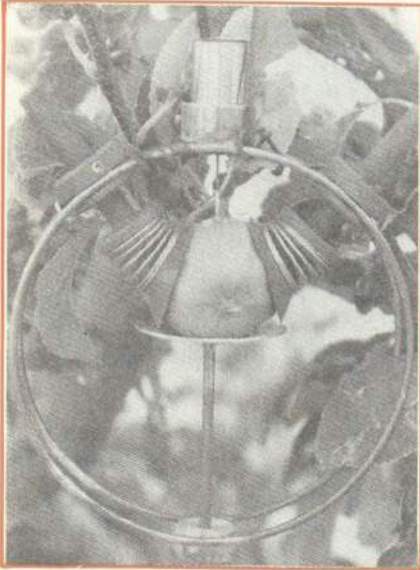
صفحة ناصعة من التاريخ الحديث ، وحيوان من يجهل أنها مكسب روحي للإنسان قبل أن تكون مكسباً جسدياً للحيوان المصاب ، حتى لو كان باعث التدبير فيها مقروناً بباعث العطف والإشفاق .

عباس محمود العقاد
١٩٤٠



العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي



المجسات التي ترصد عطش الثمار

* عندما تتكلم الأشجار! *

نجح باحث فرنسي في جعل الأشجار تعبر عن احتياجاتها الغذائية، وذلك بمساعدة الكمبيوتر.

وتتلخص التجربة المثيرة في تثبيت مجسات صغيرة على بعض ثمار أشجار الفاكهة لترصد أول صرخات الجوع أو العطش التي تطلقها الأشجار. فهذه المجسات المرتبطة بجهاز ميكروكمبيوتر تسجل تغيرات حجم الثمار بحيث يحتفظ الميكروكمبيوتر في ذاكرته بمنحنى نمو الثمار.

وتمكن الباحثون عن طريق هذه القياسات من تحديد احتياجات الشجرة من الماء، وذلك بناء على التغير في قطر الفرع الحامل للثمرة. فالفرع يتأثر أولاً بنقص الماء، ومن ثم ترصد علامات العطش قبل ظهور أي دلائل ذبول على الثمار بوقت كاف.

وبناء على دورات النمو التي تم تسجيلها وضع الفريق الفرنسي برنامجاً لمراقبة المحاصيل. فعندما تصل الشجرة إلى حد العطش المسجل في ذاكرة الكمبيوتر يقوم الأخير على الفور بتشغيل عملية ري أتوماتيكي.

وبعد نجاح التجربة على أشجار الفاكهة تم اختبارها على حقول الذرة وعباد الشمس. ويتيح هذا النظام المتطور للمزارع أن ينام مطمئناً، لأن ثلاثة أجهزة رصد موزعة على قطعة أرض تكفي لتأمين مراقبة نمو المحصول، وحصوله على مايحتاجه من ماء..

ويتوقع الخبراء أن يؤدي تعميم استخدام هذا النظام إلى إحداث ثورة خضراء جديدة.



الميكروكمبيوتر الذى يتحكم فى عملية الرى الاتوماتيكى

* مصارف عن بعد! *

يعتبر هذا الجهاز الصغير الذي يشبه الآلة الحاسبة أحدث وسيلة لإجراء العمليات المصرفية عن بعد.. إذ يكفي أن يثبته العميل على ميكروفون سماعة الهاتف للاتصال من أي مكان وفي أي وقت من الليل أو النهار بالكمبيوتر المركزي، للبنك الذي يتعامل معه، والحصول منه على كل المعلومات التي يحتاجها عن رصيده، وآخر عمليات الإيداع والسحب التي سجلت للرصيد.

كما يمكنه بواسطة هذا الجهاز الصغير والهاتف القيام بعمليات تحويل من جانب آخر داخل نفس المصرف، وتسجيل ملاحظاته وأوامره فيما يتعلق بمعاملاته المصرفية.

ونظراً لأن الجهاز غير مزود بشاشة، فإنه يعتمد على تكنيك أكثر تطوراً فالكمبيوتر يرد شفوياً على أسئلة العميل، وقد أتاح ذلك تصغير حجم الجهاز بحيث يسهل نقله من مكان إلى مكان، مما يوفر الكثير من الوقت والجهد لرجال الأعمال.

ويأمل الباحثون التوصل قريباً إلى نظام أكثر تطوراً يتيح للعميل اجراء تحويلات إلى أي بنك من البنوك الأخرى، وتسديد الفواتير أو المستحقات لدى الغير بواسطة مثل هذا الجهاز.

* التصوير المجسّم في خدمة الطب *

أصبح التصوير المجسم لمختلف أجزاء الجسم ممكنا بفضل عالم بريطاني تمكن من تطوير تكنيك جديد للتصوير ثلاثي الأبعاد.

وتعتمد الطريقة الجديدة على وضع المريض وسط مجموعة معينة من الكشافات وفي مواجهة الكاميرا. وتقوم الكشافات باسقاط شبكات مكونة من شرائط ضوئية متوازية على المريض. وللحصول على الصورة المجسمة يجب العمل على تطابق هذه الشبكات على الجزء المراد تصويره.

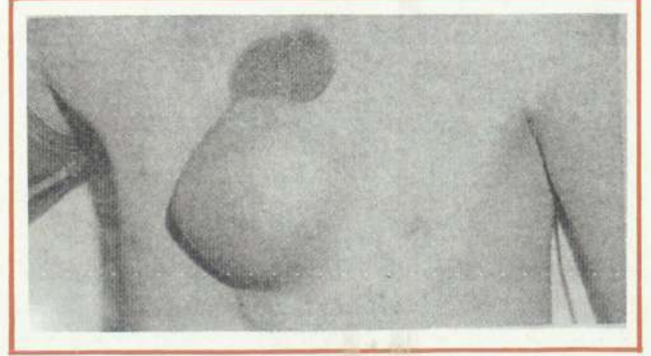
وتساعد هذه الصور المجسمة على اكتشاف وقياس أي خلل في الأنسجة يظهر على صورة زيادة في الحجم مثل الأورام أو الاستسقاء الموضعي، والارتشاح داخل الأنسجة وغير ذلك.

وتتعدد تطبيقات هذا التكنيك الجديد خاصة في مجال الجراحة التعويضية. فالصور المجسمة لصمامات القلب الثلاثية الشرفات مثلا (الصورة الأولى) يمكن استخدامها كنموذج لصنع صمام صناعي يماثل تماماً الصمام الطبيعي.

وفي مجال جراحة العظام توضح الصور المجسمة تشوهات القوام مثل (الصورة الثانية) التي تبين وجود تشوه خطير في العمود الفقري، وكذلك تكشف مدى التشوه في عظام الفك والأسنان (الصورة الثالثة). كما يتيح التكنيك الجديد للباحثين دراسة التغيرات العضلية التي تحدث أثناء التقلص والارتخاء.

فلأول مرة يملك الأطباء أداة دقيقة لقياسات الحجم التي كانت تقدر حتى الآن بشكل تقريبي.

ومن المتوقع استخدام هذا التكنيك في المستقبل لدراسة الأحجام الداخلية لأجهزة الجسم بمساعدة المناظير.



هذا ليس ورما ضخما ، وانما البالونة السحرية التي تجعل الجلد يتمدد



بعد الجراحة وقد اختفت البقعة السوداء

البالونات السحرية

استغل جراح يوغسلافي قدرة الجلد الآدمي على التمدد ، ليجعل جسم المصاب يكون بنفسه الجلد اللازم لعمليات التجميل التي يحتاجها .

انه يقوم بزرع بالونة صغيرة قابلة للانتفاخ على مقربة من المنطقة المصابة بحيث يسمح للجلد السليم بالتمدد . وتتم عملية الزرع تحت تأثير مخدر موضعي . وبعد عشرة أيام يبدأ حقن البالونة الفارغة بمصل فسيولوجي لتنتفخ تدريجيا .وفي غضون فترة تتراوح بين أربعة وثمانية أسابيع يحصل الطبيب على تمدد جلدي كاف .

ويمكن زرع هذه البالونات المصنوعة من السليكون في أي مكان من الجسم فهو يتقبلها بسهولة ولا يطردها .

وقد يبدو الجلد الجديد مشدوداً ولونه وردياً وكأن به التهاباً . ولكن سرعان مايزول هذا اللون . في المراحل الأولى يكون الجلد أقل سمكاً ثم يبدأ النسيج في النمو ويحدث بالفعل تكاثر قلوي . ومن ثم لا ينكمش هذا الفائض الجلدي ، لأنه ليس ناتجاً من مجرد عملية شد للجلد ، وانما نتيجة لنمو نسيج جلدي جديد .

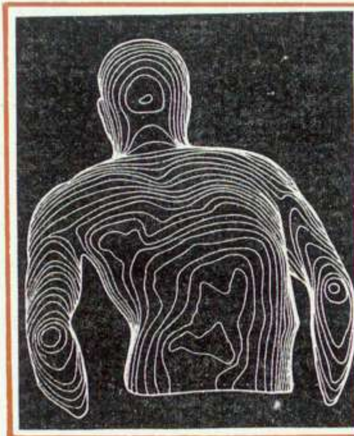
ويعتبر التكنيك الجديد سلاحاً فعالاً في مجال جراحة التجميل ، لإخفاء الندوب الكبيرة وعلاج الإصابات الجلدية . ولقد حققت هذه البالونات نتائج باهرة في علاج تساقط الشعر الذي يتركز في جزء معين من فروة الرأس . فيقوم الجراح بزرع البالونة السحرية تحت فروة الرأس في الجزء الخلفي منها . وبعد عدة أسابيع يكون الجزء النامي من فروة الرأس كافياً لإخفاء المنطقة التي تساقط منها الشعر .

ونظراً لأن كثافة الشعر على الجزء النامي تماثل كثافة باقي شعر الرأس ، فإن المنطقة الخالية تختفي تماما .

كما تستخدم هذه البالونات بعد عمليات استئصال الأورام من الثدي . فهي تسمح للجراح بالحصول في وقت قصير على كمية جلد كافية لإجراء الجراحة التجميلية اللازمة .



صورة مجسمة لصمام القلب الثلاثي الشرفات



التشوه الواضح فى العمود الفقرى



صورة توضح تشوهات الفك والاسنان



بقلم: رءوف توفيق

«عبد الودود» المواطن بلا وطن .. ينجح فى أن يجمع حرس الحدود بين البلدين .. ويرفع علم البلدين معا .. فى أثناء احتفاله معهم ببناء كوخه

فيلم «الحدود» حدث فني عربي أصيل

الفن الذي يجمع القلوب



« رغدة » فى دور المرأة الجبلية « صدفة » .. لعبت دورا سينمائيا متميزا .. أضاء الكثير من امكانياتها الفنية

استقبلت القاهرة بحفاوة بالغة .. الفيلم السورى « الحدود » وكان عرض هذا الفيلم بمثابة حدث فنى .. فجر الكثير من المشاعر العربية الأصيلة . انعكست فى حجم التعليقات وردود الأفعال التلقائية التى تجسدت فى هذه الأغانى والأهازيج العربية التى ظل جمهور دار العرض فى القاهرة يرددها بحماس وحب وشوق ..

وفيلم « الحدود » يعزف بإبتسامة ، ومرارة ، على وتر الوطن العربى الذى تمزقه التقسيمات .. وقد استقبل الفيلم استقبالا رائعاً فى مهرجان قرطاج السينمائى .. ثم توج هذا الاستقبال بعرضه فى مهرجان القاهرة السينمائى (ديسمبر الماضى) .. وكان هذا هو أول فيلم سورى يعرض فى القاهرة بعد سنوات طويلة من الغياب .. ولأول مرة بعد ثلاثة عشر عاماً يعود الفنان السورى « دريد لحام » الى القاهرة .. والى اصدقائه وعشاقه .. واحتفلت به الصحافة المصرية وكل أجهزة الاعلام ..

وكان بالتأكيد يستحق هذا الاحتفال ..



وفيلم « الحدود » هو أول تجربة اخراج سينمائى ، للفنان البارع « دريد لحام » .. وبالطبع يلعب هو نفسه بطولة الفيلم .. وقد شارك فى كتابة السيناريو والحوار مع الشاعر الكاتب السورى « محمد الماغوط » .

وفكرة الفيلم ــ كما وضعها دريد لحام ــ تناقش هذا الشعار الحلم ، الذى ينادى « وطن واحد .. بلا جواز سفر » ومن خلال أسلوب ساخر وممتع ، تتعرى الحقيقة عن زيف الشعارات .. وجمود السياسات .. وحيرة المواطن العربى مع الواقع التعس ، الذى يفرض التقسيمات ، والذى يؤمن بالأوراق والأختام أكثر مما يؤمن بالانسان ! .

ويحشد الفنان « دريد لحام » كل موهبته فى الاضحاك .. دون ابتذال أو تهريج .. ولكن بمنتهى الذكاء والحكمة والوعى ..

إنه يأخذ مادته من الواقع ، ويعيد تقديمها لنا من خلال مصفاة دقيقة تجسد اللامعقول فى حياتنا العربية .. لنضحك من الأعماق .. ولكنه الضحك الشبيه بالبكاء !

فكيف نضحك من مأساتنا ؟ . واذا ضحكنا فإلى متى ؟ ..

يبدأ الفيلم بهذا المواطن العربى « عبد الودود » الذى يقوم بسياحة فى الوطن العربى متنقلا بسيارته الصفراء القديمة التى رسم على هيكلها الخارجى ، خريطة الوطن وخط سير رحلته .. (بالطبع لجأ دريد لحام الى استخدام اسماء وهمية لبلاد عربية ، وحتى لا يقع فى ورطة الحساسيات .. فالمهم هو تمرير الفكرة .. وليس تحديد اسماء بلاد بالذات) .

وفى الدقائق الأولى من الفيلم نتعرف على تلك المرأة الجبلية التى تبدو حاملا فى شهورها الأخيرة (تلعب الدور الممثلة السورية رغدة) .. والتى تقف فى الطريق لتشير للسيارات أن تقف لها لتحملها عبر الحدود .. وتقف لها سيارة « عبد الودود » لتجلس فى المقعد الخلفى ، تتحسس بطنها .. لنكتشف ــ نحن المتفرجين ــ أنها تخفى تحت ثيابها المنتفخة أجهزة وسلعاً لتقوم بتهريبها من بلد لآخر .. ولا يلحظ « عبد الودود » هذه الخدعة ، لأنه يتعامل مع الأشياء ببساطة وبراءة .. ولكنه عندما يقع فى مأزق فقد جواز السفر الخاص به ، والجواز الخاص بتلك المرأة ــ أثناء استبداله لاطار السيارة المثقوب ــ تتخلى تلك المرأة عن كذبتها وتخلع اكوام الأجهزة التى ربطتها حول بطنها .. ولا تبدو على « عبد الودود » أى ملامح غضب لاكتشافه الخدعة .. ولكنه يتأمل ما حدث كأنه يتأمل احدى حقائق هذا المكان !

وهو عندما تتقاذفه بوابات الحدود بين البلدين شرقستان وغربستان (كما اسماهما الفيلم) يتناقش بكل ما أوتى من منطق .. وهو منطق بسيط ومذهل .. ولكن منذ متى يسود المنطق فى ظل الاجراءات الروتينية المكتبية ، التى لا تعترف الا بالأوراق الرسمية والأختام الحكومية . ؟!

يخضع لتحقيق طويل ومثير مع أحد ضباط الحدود .. ويتساءل « عبد الودود » فى النهاية هل هو برىء ؟ . يومىء له الضابط برأسه .. « نعم أنت برىء » .. فيقفز عبد الودود فرحاً وهو يهتف بإنتصار « لقد ثبت بالتحقيق اننى أول برىء فى هذا الوطن » ! .. وهى عبارة لاذعة ، شديدة المرارة .. ولكن حتى مع هذه النتيجة التى تثبت براءته .. الا أنها بلا قيمة .. لأنها لا يمكن أن تكتب فى ورقة رسمية .. ذلك لأن الاوراق الرسمية لابد أن تصدر لأشخاص لهم هوية .. وهو بلا هوية .. وبلا أى اثبات لشخصيته !

والحلقة مفرغة .. وبلا نهاية !

ويستسلم « عبد الودود » لهذا الوضع الغريب .. ويضطر أن يعيش على الخط الفاصل بين حدود البلدين .. مواجهاً كل التحذيرات التى تمنعه من الاقتراب أو الدخول .. فهناك الاسلاك الشائكة .. والكلاب البوليسية .. والخطوط المكهربة .. وأبراج الحراسة .. والجنود الذين يشهرون أسلحتهم .

محاولات الخلاص من المأزق

ويبدع « دريد لحام » فى استخراج الكوميديا من هذا المأزق ومن محاولاته للهروب ..

فهو يحاول الاختباء داخل صفوف رحلة مدرسة تستقل أتوبيساً خاصاً .. يعزف لهم ويغنى .. ويصفقون ويرددون وراءه (واحداً من أجمل مشاهد الفيلم) ولكن شرطى الحدود يكتشف وجوده فيطرده خارج الأتوبيس .

يحاول مرة أخرى ، بالاختباء داخل الحقيبة الخلفية لسيارة عابر .. ولكن كلاب الحراسة تكتشف وجوده .. وينال نصيبه من الضرب !

ويحاول مرة ثالثة .. بالانضمام الى صفوف المسجونين الذين ينفذون عقوبة الاشغال الشاقة باصلاح الطريق .. ويكتشف الحراس أمره فيلقون به على الأرض .

ويحاول أخيراً أن يكون خروفا ضمن قطيع الخراف .. ولكن راعى القطيع لا يتركه ! .

وفى كل هذه المحاولات .. لا يكرر « دريد لحام » أسلوبه .. ولكن يقدم تنويعات من الكوميديا المرئية ، السريعة الايقاع ، التى تذكرنا بأفلام شارلى شابلن الصامتة .. ودون أن ينزلق الى خطأ التقليد ! .



دريد لحام « عبد الودود » يصنع صندوق بريد على جذع شجرة .. فى انتظار أى خطاب يصله من أى إنسان .. وبعض أفراد حرس الحدود يلتفون حوله يشاركونه مشاعره

الاتفاق المستحيل !

ونصل الى أهم جزء بالفيلم .. عندما يضطر « عبد الودود » ــ هذا الانسان الذى فقد هويته ــ أن يقيم بيتاً ليأوى إليه .. فيبنى كوخاً من أخشاب الأشجار على الحدود الفاصلة بين البلدين .. وفى حوار شديد الذكاء والسخرية .. يبرر « عبد الودود » ما يفعله أمام تساؤلات دورية الحراسة التابعة لحدود أحد البلدين الذى يبنى نصف كوخه على أرضه ..

يسألونه لحساب من يقيم هذا « المخيم » .. فيرد بسخرية لاذعة « لحساب هيئة الأمم .. فمن غيرها يبنى المخيمات » ! !

يسألونه لماذ بنى هذا المخيم على الخط الفاصل بين البلدين ؟ .. يرد بأنه فعل هذا حتى يحمى نفسه .. فإذا ضايقه حرس الحدود فى أحد البلدين فإنه ينتقل بخطوة من قدمه الى النصف الثانى من بيته فى البلد الآخر . !

يسألونه : وماذا تفعل اذا اتفق حرس الحدود بين البلدين على مضايقتك ؟!

يرد بسرعة .. « عمركم ما اتفقتم » !

وتصفق قاعة العرض .. لهذه الجملة المركزة الحادة كنصل السيف والتى تلخص المأساة العربية ككل . !

إن أهم ما يميز هذا الجزء من الفيلم .. قوة الحوار ، وبساطته المذهلة .. والذى يرصع نسيج الأحداث ليعطى أبعاداً أعمق ، تخاطب وجدان المتفرج مهما كان موقعه على خريطة الوطن العربى ..

وعندما ينتهى « عبد الودود » من اقامة كوخه على الحدود .. مستخدماً كل مفردات المكان .. ومستغلا أجزاء سيارته فى عبقرية كوميدية متميزة .. يحين موعد الاحتفال حيث ينجح « عبد الودود » فى جمع حرس الحدود بين البلدين فى مكان واحد ..

لقد كان كل منهما يساعده على انفراد .. ولكن حان الوقت ليجمعهما معاً .. ويردد بحب وصفاء .. « كلنا أهل » .

وهى حقيقة بديهية .. ولكنها تغيب مع الحدود المصطنعة ..

اللغة واحدة .. والوجوه واحدة .. والطباع واحدة .. فلماذا كل منا فى جانب .. لماذا لا نلتقى معاً .. ونحتفل ونغنى معاً . ؟!

وتأتى ذروة الفيلم ــ مضموناً واخراجاً ــ بهذا المشهد الرائع الذى يلتقى فيه حرس الحدود من البلدين ليجلسوا معاً .. وتتوالى الاهازيج والأغانى .. ويردد أحدهم وقد وصل الى قمة النشوة « الأرض بتتكلم عربى » .

وتهتز قاعة العرض من التصفيق .. لقد وصل المعنى كاملا !



« عبد الودود » يعزف ويغنى فى احتفال بناء كوخه على الحدود

الحوار مع الخراف والدواجن

ويتحول كوخ « عبد الودود » الى « استراحة المسافر » ويساعده أصدقاؤه من حرس الحدود وعابرى الطريق فى امداده بالتموين اللازم لتقديم المشروبات الخفيفة والوجبات السريعة للمسافرين بين البلدين ..

لقد أصبح « عبد الودود » أسيراً للمكان .. ولكنه لم يستسلم .. بل صنع من المكان قيمة وأعطى له من روحه وحيويته ..

وبنفس الايقاع المركز من الكوميديا الراقية تتوالى مشاهد الفيلم .. و « عبد الودود » يحلب الماعز ليقدم اللبن الطازج لزبائنه .. ومن الدجاج الذى يربيه يأخذ البيض . !

وعرف الزوار المكان .. ولكن راحة البال لم تعرف طريقها الى « عبد الودود » .. فهو فى الصباح مشغول مع زبائنه ولكن عندما يهبط الظلام .. تثقل عليه الوحدة .. إنه يريد أن يحادث أحداً ويفرج عن همومه .. فلا يجد غير طيوره وماشيته !

وفى مشهد بليغ .. جمع خرافه ودواجنه داخل كوخه .. أنام بعضهم على سريره .. ووضع الدجاج فى مكتبته .. وأجلس بجانبه احدى الماعز .. واخد يتحدث معهم ..

« صدفة » تعود

وذات ليلة يسمع طرقا ملهوفا على باب كوخه .. ليجد امامه تلك المرأة الجبلية (رغدة) مصابة فى ذراعها والدماء تسيل منها .. ونفهم انها تعرضت هى وعشيرتها من المهربين ، لهجوم من حرس الحدود .. وأفلتت منهم لتحتمى بهذا الكوخ .

ويرحب بها .. بكل شهامته .. ويترك لها فراشه .. ويعاملها بمنطق يعبر عنه بقوله « أنت بلا أهل .. وأنا بلا وطن » !

كلاهما أطبقت عليه الظروف .. فلماذا لا يلتقيان ؟ ..

وعودة تلك المرأة الجبلية .. هى صدفة رسمها سيناريو الفيلم لكى يتصاعد بأزمة هذا المواطن غير المعترف به .. ويبدو ان دريد لحام ومحمد الماغوط قد شعرا بحرج الوقوع فى براثن المصادفات التى تنوء بها الأفلام العربية .. لذلك أطلق على هذه المرأة أسم « صدفة » لكى يبررا هذه التركيبة الفنية التقليدية .. ولكى يخرجا منها الى ما هو أهم ..

فوجود هذه المرأة فى هذا المكان .. ينبت فى قلب « عبد الودود » مشاعر الحب .. والاحتياج الى

دريد لحام « عبد الودود » فى لحظات الوحدة .. ولايجد من يحكى له سوى خرافه ودجاجة



ونيس وشريك .. وهى مشاعر انسانية خالصة .. يعبر عنها الفيلم بالتغيير الذى حدث فى شكل « عبد الودود » .. واهتمامه بمظهره .. انه يطيل النظر فى المرآة .. ويحلق شعر ذقنه المسترسل فى اهمال .. ويغنى لنفسه .. ويغار على الفتاة من عيون زوار المكان .. ويشعر بدبيب الحيوية والأمل ..

إنه يحبها .. ولكنه لا يستطيع ان يبوح بمشاعره .. فيحكى لها عن حالته ، كأنها حالة صديق لـه ..

وهى تدرك مشاعره .. ولكنها تلعب نفس لعبته .. تسأله . وقد طال به السهر .. « لماذا لا تنام » .. يجيب بعفوية وسخرية « انا نمت .. ولكن صديقى لا ينام » !

ويغذى الفيلم هذا الجزء ، ببعض المشاهد الرقيقة التى لا تخلو من الابتسامات .. ويتم الزواج بينهما بتدخل أحد اصدقائه من حرس الحدود .. لنصل الى مشهد سينمائى بارع .. مشهد حفل الزفاف الذى يشترك فيه جنود حرس الحدود بالرقص والغناء .. مشهد يفيض بالبهجة وينبض بإيقاع سريع مركز مستخدماً كل عناصر المكان .

مرض الخوف والتردد

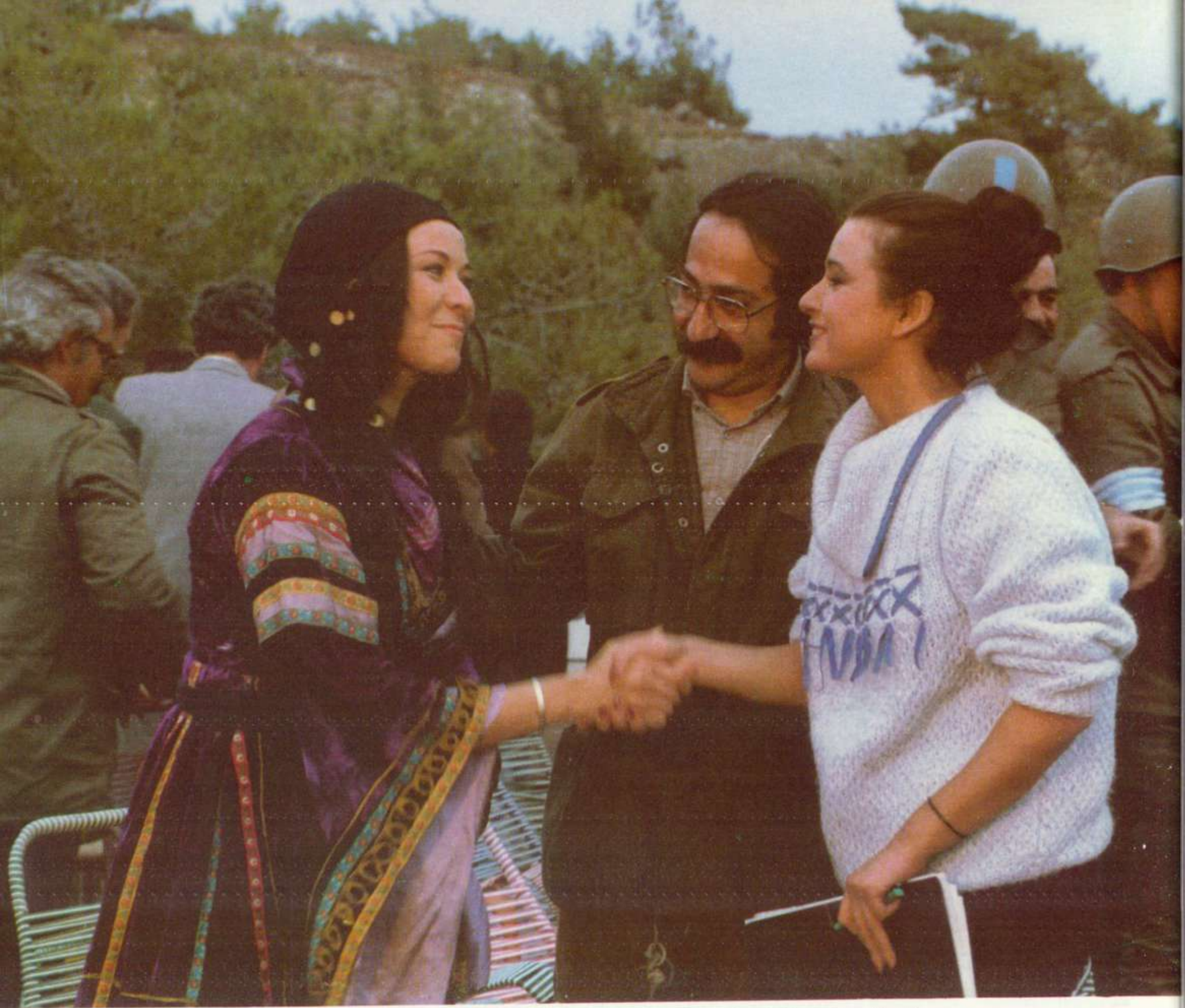
ولكن مشكلة المواطن « عبد الودود » لم تحل .. بل يشعر هو أن المسائل تتعقد أكثر .. وهو يقفز بينها حائراً متردداً .. فعندما أحب كان متردداً فى اعلان حبه .. وعندما تزوج كان قلقاً من أن زوجته لن تنجب .. وعندما حملت زوجته كان خائفاً مرعوباً أن يكون له طفل ..

المأزق الذى يعيشه .. أورثه الخوف والشك .. لا يشعر بالآمان أو الاستقرار .. انه بلا هوية .. بلا وطن .. فكيف ينجب للحياة انساناً آخر يعيش نفس المأساة ؟!

يصرخ فى زوجته .. كيف يتربى الطفل ؟ . وفى أى مدارس يتعلم بها ؟ .. وهل نسميه « طرزان ابن الغابات » ! !

وتلتقط احدى زائرات المكان هذه القصة .. لنعرف أنها صحفية مبتدئة اعجبها الموضوع فكتبت عنه (تلعب الدور الممثلة السورية الجديدة صباح السالم) .. وتدخل فى نقاش طويل مع رئيس تحرير المجلة التى تعمل بها ، حول نشر الموضوع .. فرئيس التحرير يبدى ريبته فى أن يكون « عبد الودود » هذا .. له انتماءات سياسية معينة .. وهو لا يحب أن يورط مجلته فى دروب شائكة ..

ويدخل الفيلم الى قضية الصحافة العربية ..



الصحفية « صباح » تصافح الزوجة « رغدة » ويقفز عبد الودود « دريد لحام » سعيدا متفائلا بقرب حل مشكلته مع الحدود

وهى تفريعات بالتأكيد صادقة ولكنها اخلت بإيقاع الفيلم .. فهذه التفريعات ادت الى تفريعات أخرى متعلقة بردود فعل الرأى العام وأحاديث وبرامج التليفزيون .. وبدا هذا الجزء من الفيلم دخيلا على النسيج العام .. ولكننا نعود مرة أخرى الى الذروة بمشهد ساخر من المؤتمرات التى تعقد .. ومكبرات الصوت التى تعتلى الأعمدة .. والخطب الجوفاء .. والشعارات التى استهلكت تماماً ..

إن كل المتحدثين فى هذا المؤتمر يصرخون بأعلى أصواتهم .. لا .. ولن .. واللافتات مكتوبه عليها « اشقاء .. اشقاء » .

ويظن « عبد الودود » وزوجته .. أن مشكلتهما قد حلت بهذه المظاهرة الصاخبة .. فيتقدم الى الحدود مع زوجته .. ويطلق امامه دواجنه وماشيته .. كأنه يطلق سراحهم .. ويتقدم ليركل الحاجز بين البلدين .. ولكن جنود الحراسة يشهرون أسلحتهم وهم يصيحون « قف » . وتثبت الصورة .. وينتهى الفيلم .. ليقول ان الواقع شىء .. والشعارات شىء آخر .. وان هذه المؤتمرات والخطب ما هى الا مجرد كلام فى الهواء .. ويظل « عبد الودود » بلا وطن .. أو هوية !

المنطق مع اللامنطق

والفيلم يقول كلمته .. بجرأة .. وبفن يهز المشاعر ..

انه يناقش بمنطق .. كل ما هو خارج عن المنطق ! فكيف نكون أمة عربية واحدة .. ونحن نتربص ببعضنا البعض .. ونسقط الانسان من حساباتنا .. وننشغل بالأوراق والاختام والشعارات .. !

إن هذا الفيلم بالتأكيد .. يثبت لنا ان الفن العربى من الممكن أن يتجاوز السياسة وخلافاتها المعقدة .. ليجمع بين الجمهور العربى الذى يرفض فى أعماقه الحدود والتقسيمات .. ويحلم بالحرية والقوة .

لقد اعطى الفنان « دريد لحام » فى هذا الفيلم .. كل خلاصه تجاربه الطويلة مع المسرح والتليفزيون والسينما .. البساطة والعمق .. وكان طبيعياً أن يستقبل الجمهور هذا الفيلم بالحفاوة والتقدير والحب .. لأن ما يصدر عن القلب لا يمكن أن يخطىء طريقه الى قلوب الآخرين ..

وهذا الفيلم يجعلنا نتساءل : إذا كانت السينما العربية قادرة على أن تصنع مثل هذه الأفلام الجيدة والمؤثرة .. فلماذا تفقد الوعى احياناً ؟

رءوف توفيق

النظرات الأخيـرة

بقلم : الدكتورة زهـرة المالكي

... وألجأ إلى الصمت فالكلمات لاتفيد فى هذه اللحظات ، وتتبدل كل ذرة فى كيانى إلى شفتين تبتهلان إلى الله ...



طوى الطبيب أوراقه واستعد للنهوض من مكانه فقد كان أحمد آخر مريض يكشف عليه هذا الصباح .. وقال لوالد أحمد وهو يهم بالوقوف : لابد من أن يبقى معنا بضعة أيام نجرى له فيها بعض الفحوصات الهامة لمعرفة السبب فى هذا النزيف الذى أنهك صحته ..

أومأ والد أحمد برأسه موافقاً ومضى فى طريقه لإتمام الإجراءات المعتادة لإدخال ابنه المستشفى .. وتتابعت في ذهنه فصول المرض منذ البداية .. حين غافله أحمد وشارك أطفال القرية فى النزول إلى الترعة ، حيث المياه الملوثة والبلهارسيا التي لا ترحم .. تتشبث بالجسد وتفتك به رويداً رويداً حتى يتم لها الانقضاض التام والانتصار على الحيوية والصحة ..

أحمد .. ياله من مسكين هذا الابن الطيب الوديع .. بالرغم من هزاله ومرضه الذى حوله إلى جسد واهن مرتعش مازالت البسمة تعرف طريقها إلى شفتيه .. ومازال يحاول إضفاء جو المرح على من حوله أينما ذهب .. وحين تفاجئه نوبات النزيف يبتعد وينزوى ويحاول أن يكتم آلامه ودماءه التى تتدفق حارة غزيرة لتسلبه قواه وتهلك البقية الباقية من صحته .. ينصحونني يا بني بعلاجك وهل تأخرت عليك يوماً ما بأى علاج ومهما غلا ثمنه ؟ .. يبدو أن هذا المرض اللعين سيظل قدرك الذى يستنزف شبابك حتى النهاية ..

انتهت الإجراءات وها أنت تتمدد على سريرك أخيراً والتعب يأخذ منك كل مأخذ .. واللون الأصفر يزرع آثاره بعنف على ملامحك .. وأصابع يديك ترتجف بوهن شديد كأنها أوراق جافة تسلل إليها الخريف قبل الآوان وهى تصارع السقوط بمجهود شديد .. أحس بك تقاوم النوم لتقنعني بأنك على ما يرام وأن الآلام قد انتهت وفارقتك إلى غير رجعة .. كم أتمنى هذا يا بني لكنني أعرف أنه صعب جداً ، خاصة في هذه المرحلة من المرض ..

حضر الأطباء وكشفوا عليك مراراً وتكراراً .. وذراعك النحيلة غرزت فيها عشرات الحقن المقوية والمغذية .. وها هم الآن يبحثون عن وريد آخر ليعوضوا دمك المسكوب .. نظراتي تتابع قطرات الدم وهى تنساب قطرة فقطرة وتمتصها خلاياك الظمأى ، ومع كل قطرة تنسكب داخل أوردتك يخفق قلبي لك بالدعاء والرجاء بأن يرحمك الله وينقذك من هذا العذاب المضني الذى بت أعانيه أكثر منك ، وليتني أستطيع أن أتحمل منك جزءاً منه ، لكن الأماني تتبخر وتتطاير أفكارها في الفضاء الواسع ليظل لي الواقع الملون بالألم والحسرة على شبابك الذى قضيت معظمه على أسرة المستشفيات ..

يمر اليوم ويزحف الليل بطيئاً ثقيلا .. وأنا إلى جوار سريرك لا يغمض لي جفن ولا يهدأ لي بال حتى أرى الطبيب المناوب لهذه الليلة وأعرف منه ماذا قرروا بشأنك .. وأخيراً يتناهى إلى سمعي صوت الطبيب وهو يخاطب الممرضة ويطلب منها أن ترسل المريض أحمد سيد إلى غرفة العمليات ؟! .. غرفة العمليات ؟؟ .. هل سيجرون لك عملية يا ولدي ؟ .. وهل يتحمل جسدك الضعيف عملية جراحية ؟ .. نهضت من جلستي مفزوعاً ومضيت نحو الطبيب أسأله بلهفة : لم العملية يا دكتور ؟ .. إن ابني بخير الآن ولا أظنه يحتاج إلى تدخل جراحي ..

رد علي الطبيب بهدوء محاولا إدخال الأمل والتفاؤل إلى نفسي القلقة المرتاعة : لابد من ذلك .. والآن فوراً وإلا عاودت أحمد نوبات النزيف من جديد ، أتراك تود أن ينزف مرة أخرى ؟! .. بالطبع لا يا دكتور .. أجبته على تساؤله وهويت على أول مقعد صادفني مستسلماً راضياً بقضاء الله .. أخذوك من أمامي يا ولدى ومازالت نظراتك المغلفة بالابتسام تبعث في الشجاعة كلما هاجمني القلق بجيوشه الزاحفة التى لا تخضع للمنطق أو العقل .. وبقيت في مكاني ساعات معدودة مرت كأنها

دهر طويل لا تتحرك فيه عقارب الساعات أبداً .. وأخيراً عدت إلى ، لكنك هذه المرة لم تكن تبتسم لي فقد كنت غائباً عن الوعي تحلق في دنيا لا أستطيع أن أشاركك فيها ..

وحضر الطبيب المناوب ليطمئنني من جديد لكن الشعور بالخوف والقلق لم يفارق جوانحي بالرغم من محاولاته . خاصة حين رأيته يقوم بالكشف على أحمد كل عشرة دقائق ويسجل ملاحظاته في الأوراق المخصصة لذلك .. وكلما بادرته بالسؤال عن حالة ابني يرد علي بأنها على أحسن ما يكون ، وينصحني بالخلود إلى الراحة والاستعداد للنوم .. النوم ؟! .. وهل سيعرف النوم إلى طريقاً قبل أن أرى ابتسامتك من جديد يا بني وأنت تتطلع إلي مشفقاً علي من القلق والألم والدموع التي أصبحت صديقتي منذ أصبح المرض صديق جسدك هو الآخر..

لكنك لم تستعد وعيك يا أحمد ومازال الطبيب يجيء ويروح فاحصاً ومسجلا لكل ما يطرأ على جسدك من تغيير .. وهذا الليل الطويل .. أليس له نهاية ؟ .. هل ستظل النجوم العليلة تطل علي من نافذة غرفتك كأنما تشاركني السهر وتدعو لك بالشفاء والمعاناة سريعاً ! ! .. ألن يبزغ نور الصباح لأرى الشمس مشرقة فرحة تنشر النشاط وتمحو عني أشباح الهموم المتراكمة كأكوام الرمل الجافة داخل نفسي الحزينة ؟ ..

ويحضر الطبيب مرة أخرى ليكشف عليك ، لن أسأله شيئاً فأنا أعرف الجواب مقدماً .. لكنه هو الذى يتجه إلى بالحديث هذه المرة ليقول : لن أخفي عليك حالة أحمد .. إنها تزداد سوءا بالرغم من كل ما فعلناه وسنبذل كل ما في وسعنا ، والشفاء بيد الله وحده ..

تنهال علي كلماته الأخيرة كحجارة تشتعل ناراً ، تحرق بقية الأمل اليائس داخلي ، وتتحول كل مشاعرى إلى غابة يختلط فيها العويل والصراخ مع الأشواك الحادة العملاقة التي تدق لها داخل الشرايين أعمدة ملتهبة لا تنطفىء .. وألجأ إلى الصمت فالكلمات لا تفيد في هذه اللحظات ، وتتبدل كل ذرة فى كياني الى شفتين تبتهلان بالدعاء الى الله بأن يرحم عجز ابني وضعفه ومرضه .. لكن اللون الأصفر يتغلب على الألوان .. ولا تجدي شيئاً قطرات الدم المتدفقة مع العقاقير المختلفة الى جسدك المنهك .. ترتعش شفتاك كأنما تود أن تهمس لي بشيء قبل الرحيل وأقترب منك حتي تكاد أذني تلتصق بوجهك ، لكنك لا تقول شيئاً .. فقط تمضي وحيداً لتتركني أجتر دوامة صاخبة من الألم واللوعة تضيء فيها قطرات الدموع .. وتمتد الأيدي لتغطيك ويبتعد وجهك الوديع عن عيني لكن تلك النظرات المغلفة بالابتسام مازال صداها يتردد في ذاكرتي وستظل تعزف لي أنغام طيفك إلى الأبد ..

هذا طائري

محمود صفـــــــر

وأفتح قلبى كتابا
بشوق يشدو
ورداً .. ونارا
أنا الذى قد توغلت
وسرت نحو صرير الباب
يضج دمى ...
من الأرض
حفرت دمى
حنيناً اليك
ينهض المجد
ـ المجد عبير الأرض ـ
من قلب شعرائنا البسطاء
أفتح قلبى كتابا
تدخلين فيه بعينين
حاملتين عبء الموت والصحوة
أيا وردة
سرحت شعرها
ليلها
أعادتنى لأمى
لتكن نهراً أو حجارة
عرش الحزن بقلبى
لم أكن قط يا وردتى ،
قاتلاً
بل أنا المذبوح
لا أبكى لذبحى

لكن دعينى
ا ذا كان اسمى يعرفه العشاق
هذا طائرى فى عنقى
كنت هناك ...
أو كنت هنا ...
فى منتصف الليل حادثَنى
وحيداً مضى
لن أمد يدى
لن أمد يدى
لم آت ليودع فىّ اليابسة
بل غيث البؤساء
تعاطينا وجهينا
كبرنا معاً
تعالى بالحزن كحلا
هذا الغيم اعتراف
خفقى الوطأ
ودقى الهديل وتدا
المجد عبير الأرض
ولتكونى أول الدنيا
ولتكونى آخر الدنيا
تعالى حدثينى
مرة فى شهقة الدهشة
وأخرى فى الكتابة
صرت طفلا
تحت فيض العشب
لم يبق سوانا

دوحة القراء

إشـــراف
سنان المسلماني



مـلاحظات هامـة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة ص . ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : لواحدة من أهم مدن العالم . بدأ تاريخ المدينة حوالى ١٦٢٥ م وكانت تسمى نيوأمستردام ، وفى سنة ١٦٦٤ م تم تغير إسمها الى اسمها الحالى ، وقد تغلبت على مشكلة النقل بإنشاء الأنفاق ، ومشكلة الاسكان بإنشاء ناطحات السحاب ، حتى أصبح يطلق عليها مدينة ناطحات السحاب ، وهى أيضاً أكبر ميناء فى العالم ومن أهم مدن المال والسياسة .

• • •



الصورة الثانية : أحد كبار علماء العرب فى الرياضيات والطبيعيات والطب ولد سنة ٩٦٥ م بالبصرة وتوفى عام ١٠٣٩ م ، ورحل الى مصر ليواصل أبحاثه العلمية ، وهو أول من شرح رؤية العين والابصار وتركيب العين ، وأثبت أن الرؤية تحصل من إنبعاث الأشعة من الجسم الى العين ، وذلك عكس النظرية اليونانية التى كانت سائدة قبله .. ترى من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٨



الصورة الأولى : مدينة دمشق استولى عليها العرب بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة الجراح عام ٦٣٥ م

- الفائز : زيادة بن نعيم حافظ ــ سورية
- الفائز فيصل حسن عباس ــ اليمن الديمقراطية



الصورة الثانية : الكاتب العالمى ليوتولستوى

- الفائزة : رفيدة عبد الوهاب مصطفى ــ قطر
- الفائز : أحمد محسن حسن ــ مصر

الزهد في الدنيا

أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من النقود إلى أبي ذر الغفارى . وقال له إن قبل هذا فأنت حر . فأتى الفلاح بالكيس إلى أبي ذر وألح عليه بقبوله . فرفض أبو ذر فقال له الغلام أرجوك أن تقبله ففيه عتقي . فقال أبو ذر ولكن فيه أيضاً رقي .

بله محمد عبد الرحمن
كورتي ــ السودان

مثالي حتي النهاية

سئل ممثل فرنسي أعزب . لماذا لم تتزوج ؟
فأجاب : حينما كنت في سن الشباب قررت ألا أتزوج حتى ألتقى بالمرأة المثالية . وبعد سنوات طويلة التقيت بها ، ولسوء الحظ لم أتزوجها ، حيث كانت هي أيضاً تبحث عن الرجل المثالي ، الذى لم تجده بعد !

على جابر عبد الرضا
البصرة ــ العراق

قــــرأت

الفرق بين الشلالات والجنادل :

قد يختلط في ذهنك حين تسمع كلمة شلالات إلى مايطلق عليه خطأ شلالات النيل النوبي بين أسوان والخرطوم بينما هي في الحقيقة جنادل (جمع جندل) التي هي ليست سوى سلسلة من جبال صخرية توجد في مجرى النهر لم يفلح بعد نحتها وإزالتها مثل جزيرة النباتات بمصر وجزيرة السردار في مدينة أسوان فهي مجرد عقبات في طريق النهر ويصح أنها تشكل بعض العقبات الملاحية ولكنها ليست بأى حال شلالات .

أما الشلالات (المساقط المائية) فهي مواضع في مجارى الأنهار يسقط منها الماء سقوطاً يصل إلى عشرات بل مئات الامتار . فترى الماء يرغى ويزبد وتسمع له هديراً وهو يهوى إلى حضيض المسقط أو الشلال .

وتوجد أسباب لنشأة الشلالات ألا وهى وجود هضبة ذات حافة شديدة الإنحدار كحافات الهضبة الأفريقية الوسطى والجنوبية مثل شلالات لفنجستون في نهر زائير (الكونغو سابقاً) مما يؤدى الى مساقط مائية في الأنهار عند هبوطها من هذه أو بفعل النهر الجليدى بما له من مقدرة على تعميق الأودية التى تحيلها بينما تكون روافده أقل عمقاً لقلة جليدها فإذا ذاب الجليد وأصبحت الأودية أنهاراً عادية هبطت هذه الروافد نحو الوادى الرئيسى وكونت مسقط مائى وقد يصل هذا الهبوط إلى مئات الأمتار . وأشهر هذه الشلالات التى تنشأ عن وجود طبقة صخرية صلبة في مجرى النهر مثل شلالات نياجرا في أحد روافد نهر سنت لورنس على الحدود بين كندا والولايات المتحدة وشلالات فيكتوريا على الزمبيزى .

عونى فوزى عبد النور
ج.م.ع - محافظة أسيوط
مديرية الطب البيطرى

لقطة الشهر



صداقة

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى مبارك محمد أحمد الأمين ــ جامعة أم درمان الاسلامية ــ السودان

من سخريات برناردشو

كتبت إيزادوروا دا نكان وكانت أجمل وأشهر فنانة في القرن العشرين رسالة إلى الكاتب الانجليزى الشهير برناردشو ، تعرض فيها رغبتها في الزواج منه لإنجاب طفل رائع يجمع بين جمالها وذكاء برناردشو ... فأجابها الكاتب الساخر برسالة قال فيها :
وأية مصيبة تحل بنا لو جاء الطفل يحمل عقلك أنت وشكلى أنا » .

المصطفى بن عبد الرحيم
نواكشوط ــ موريتانيا



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

المسابقة الشعرية

• الأبيات الشعرية التالية ، أرسلها شاعر شهير الى والده يطلب فيه أن يمده بشيء معين . فقمنا بحذف الكلمة التى تعبر عما يطلبه ووضعنا بدلا منها كلمة « المقصود » والمطلوب منك أن تعرف ما هو « المقصود » عند هذا الشاعر .. وتعرف من هو .. وما هى بلده ؟

حاول .. وها هى الأبيات :

أرسلت أرجو أن ترق لحالى
وتمدني يا والدى « بالمقصود »
فأنا صفر اليدين ، مفلس
خالى الوفاض .. مضعضع الأحوال
فمن على بدفعة حتى أفى
دين « القناف » ألست بالمفضال

• اسم الشاعر مكون من ثلاث مقاطع و ١١ حرفاً

٢ ، ٣ ، ٤ وحدة مسافات .

١١ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ بمعنى منطقة عالية .

• بلد الشاعر مكونة من خمس حروف .

٤ ، ١ ، ٢ ، ٥ يصنع منه مشروب ممنبه .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

فى مسرحية « مأساة كريولانس » .. أراد الشاعر الانجليزى والكاتب المسرحى وليم شكسبير أن يناقش الصلة بين السلطة والشعب .

وملخص هذه المسرحية هو أن هناك صراعاً بين البطل والقدر .. البطل يخرق القانون الاخلاقى .. فتتهدد المدينة بالدمار .. وعلى البطل أن يختار إما حياته أو المدينة .. فيختار الموت .. وروما هى المدينة .. وكريولانس هو البطل ..

وفى هذه المسرحية جاءت هذه العبارة .. « ليهدموا كل شيء على رأسى .. ليقدموا لى الموت على العجلة أو على أعقاب خيول هائجة .. ولكننى سأبقى إزاءهم هكذا ابداً » ..

فمن هو قائل هذه العبارة من شخصيات المسرحية ؟

اسم قائل هذه العبارة مكون من ٨ حروف :

٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ بمعنى شاحنة .

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ٤ فبراير ١٨٧٢ .

• مكان الميلاد : بلدة ديروط ــ محافظة أسيوط ــ مصر .

• الوظيفة : شاعر عربى .

• الشهادات التى حصل عليها : هجر المحاماة والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها .

• الألقاب التى حصل عليها : أرتبط اسمه بنيل مصر ..

• أشهر أقواله : « لا يطيب لى نظم الشعر إلا اذا كنت محزوناً »

• أشهر أعماله : عدة دواوين وترجمات لمسرحية « ماكبث » لشكسبير .. وررواية « البؤساء » لفيكتور هيجو وكتاب فى الاقتصاد السياسى اشترك فى ترجمته مع الشاعر خليل مطران .. وكتاب بعنوان « ليالى سطيح » .

• الشخصية التى تأثر بها : الشاعر محمود سامى البارودى .

• تاريخ رحيله : ٢١ يوليو ١٩٣٢ ..

هل عرفت من هو صاحب هذا الجواز ؟

اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ١١ حرف .

١٠ ، ١ ، ٥ ، ٧ ، ٦ بمعنى مقاتل

و ٤ ، ٢ ، ٣ ، ٧ بمعنى منتصر ...

مسابقة مدن العالم

« مدينة عربية ــ هل تعرفها؟! »

• حاول أن تعرف هذه المدينة العربية . من خلال المعلومات التى سنذكرها لك عنها :

• تقع هذه المدينة فى دولة عربية شقيقة .
• أسسها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هجرية !.
• غير أبو جعفر المنصور اسمها القديم الى مدينة السلام .

• مع مرور الزمن . اندثر اسم مدينة السلام ، وعاد للمدينة أسمها القديم يتردد على ألسنة الناس حتى الآن ..

• عندما بنى المنصور هذه المدينة جعل لها : أربعة أبواب .. كل بابين متقابلين ، الباب الشرقى سمى باب خراسان لأنه يؤدى الى طريق خراسان .. والباب الغربى سمى باب الكوفة .. لأنه فى اتجاه مدينة الكوفة . وفى الجنوب سمى باب البصرة .. والباب الرابع سمى الباب الشمالى أو باب الشام ..

• هاجم السفاح تيمورلنك هذه المدينة مرتين ، وهدم أبرز معالم حضارتها القديمة .

• أشتهرت المدينة بأنها مركز العلم والثقافة والترجمة والآداب والفنون..
اسم هذه المدينة مكون من خمسة حروف .
٥ ، ١ ، ٤ ، ٢ .. الرجل الذى يقوم بدبغ الجلود .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٠٨

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر أحمد رامى هى : شمس .

٢ ــ عبارة شهيرة من قائلها : الاستاذ فى مسرحية « الدرس » ليوجين يونسكو .

٣ ــ جواز سفر : إسم صاحب الجواز فيودور دستويفسكى .
٤ ــ مسابقة مدن العلم : بيروت .

أسماء الفائزين

ــ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : أحمد قدرى الريدى ــ المملكة العربية السعودية

ــ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : محمد ابراهيم زاهر ــ مصر

ــ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : محجوب سعيد الحسن ــ السودان

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ فجاج محمد ــ المغرب
٢ ــ محمد عبد اللطيف عبدالله ــ الجمهورية العربية اليمنية
٣ ــ عبد الكريم عبدان درويش ــ العراق
٤ ــ محمد قاسم سومرو ــ باكستان
٥ ــ عبد العزيز سعد الخراشى ــ السعودية
٦ ــ فارس عز الدين بشير ــ الجزائر
٧ ــ هيثم سعد الموسى ــ الأردن
٨ ــ خليفة مفتاح أبو القوادر ــ ليبيا
٩ ــ سامية عبد القادر الجارحى ــ مصر
١٠ ــ قديم محمد ــ المغرب

حل استراحة الدوحة للعدد ١٠٨

١ ــ أصل وصورة : الجبين ــ الحواجب ــ السوالف ــ العين اليمنى ــ خط جانب الفم ــ الذقن ــ خط بين الأذن والذقن
٢ ــ لوحة لم تتم : شاعر الهند طاغور
٣ ــ لأقوياء الملاحظة فقط : جرس ــ جمل ــ إبريق شاى ــ بطة ــ رأس أرنب ــ حمامة
٤ ــ دورى الكاريكاتير : رقم (٥)
٥ ــ لعبة الظلال رقم (٢)
٦ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (١)
٧ ــ المثل يقول : يا خبر النهاردة بفلوس بكره يبقى ببلاش

اسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ سفيان العرفاوى ــ تونس
٢ ــ فززى أحمد سلامة ــ الأردن
٣ ــ محمود محمد محمد ضيف الله ــ الكويت
٤ ــ محمد فضل بخيت ــ مصر
٥ ــ محمد صالح أحمد محمد ــ سلطنة عمان
٦ ــ سهام محمد ابراهيم عوض ــ الامارات العربية المتحدة
٧ ــ لطفى علي محمد المصور ــ الجمهورية العربية اليمنية
٨ ــ إيمان محمد النجار ــ البحرين
٩ ــ كمال الدين نصر اسماعيل ــ مصر
١٠ ــ عبد المنعم محمد الشيخ ــ السودان
١١ ــ أسامة عثمان ــ سوريا
١٢ ــ دينا عبد الحبيب سلام ــ اليمن الديمقراطية
١٣ ــ فاطمة محمد سعيد الأبيض ــ قطر
١٤ ــ رشيد الخيرى ــ المغرب (إشتراك)

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاســـم : ....

العنـــوان : ....

....

اسم المسابقــة : ....

رقم العـدد : ....

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف



أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنانة الكويتية سعاد عبدالله هناك سبعة اختلافات طفيفة إذا استطعت التعرف عليها ستحصل على جائزة

المثل يقول



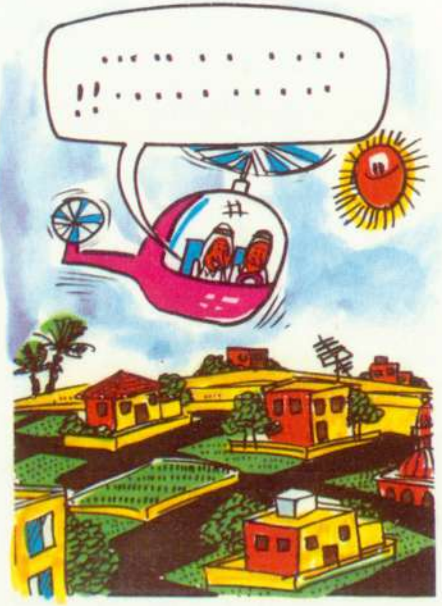
هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى متداول ، حاول أن تعرفه لتحصل على جائزة

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته .. وارسل الحل الينا لتفوز بالجائزة

هات أجمل تعليق



حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. قد يسعدك الحظ وتفوز بجائزة

لعبة الظلال



هذا اللاعب فشل تماما فى العثور على ظله الحقيقى .. ساعده فى حل مشكلته .. وإذا عرفت الحل ارسله إلينا لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



اللوحات الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بالكاتب الساخر جورج برناردشو .. ومن بين هذه اللوحات واحده تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. إذا استطعت العثور على اللوحة المطلوبة أرسل رقمها لتحصل على جائزة

الورقة الأخيرة



بقلم : عبد الله الجفري

العقاد والوجه الآخر

قالوا عن العقاد : أنه مغرور .. الكلمة التي يكتبها لايغيرها ، والرأي الذي يطرحه لايمكن أن يتنازل عنه أو يحوره ، فهو كاتب حر وعنيد ، وصاحب رسالة بلاشك .. مثلما كان صاحب إرادة استطاع بها أن يصبح عظيماً .. يدافع عن الحق ، ولا ينافق من أجل المال أو الجاه أو حتى من أجل السلامة ، فقد تعرض للسجن ، وحرم من الكتابة وهي غذاؤه وروحه ونبضه واحتمل ، وبقي حراً لم تستعبده السياسة أو المتغيرات السياسية حتى مات .

وقالوا عن العقاد أيضاً : انه «جامد» حتى انطبع هذا الجمود على أسلوبه . فليست له عبارة رقيقة ، وليست لكلماته شفاه ندية بالقبل .. طرية بالغزل ، لكنه كاتب الأسلوب العلمي .. يضع عبارات لها وزن في الرأي ، ولكن ليس فيها خفقة قلب .

واتهموه بعدوانيته للأنثى .. حتى أنهم (صوروا) لوحة زيتية كان يضعها فوق رأسه في غرفة نومه .. تمثل ذبابة واناء عسل ، وزعموا أن اللوحة تفسر رأي العقاد في الأنثى ، وكان دليلهم على كراهيته للأنثى أنه لم يكتب عنها كثيراً ، ولم يحاول أن يفسر خصائصها في الحياة ، وحتى القليل الذي كتبه عن الأنثى كان فيه كنقطة ماء تسقط على حجر .. حتى عندما كتب عن «سارة» وكانت عشقه وقدومه ورحيله معاً .. كان يكتب عنها بحذر .!

لكن حياة العقاد ــ في رأيي ــ غير هذا الزعم ، ومشاعره غير هذا الغمط .

لقد أحب العقاد بكل جوارحه ، وربما كان احترامه للأنثى وفلسفته لمعطياتها هو ما دفعه إلى الاقتصاد في الكلام عنها .

إنه بالفعل رفض أن يخاف الأنثى .. لكنه حاول أن يقترب منها ، وأن يفهمها ، وأن يرحمها .. فارتوى وتألم وبكى أيضاً . والكاتب لايبدع إلا حينما يمتلك تجارب الرؤية أبداً ، والكاتب لا يعطي إلا إذا تألم أكثر ورأى جراحه تنزف .. فالفرح شعور مؤقت !

والعقاد كان إنساناً وكان عاشقاً ، وقد عكس مشاعره ، وتمسكه بحنان الأنثى على الرجل في حكاية حدثت قبل وفاته بعامين ، وقد جلل الشيب رأسه ، وكانت الصحافة تلمح إلى كراهيته للأنثى ، وأرادت أن تعطي شاهدا ، فأوفدت إليه ممثلة مشهورة ، كانت ــ حينذاك ــ حلوة ومثيرة الأنوثة ، والتقطت عدسات التصوير عشرات اللقطات لهما معا ، وكان يضحك من قلبه ، ولكنه التفت إلى الممثلة الأنثى وقال لها : إن فيك شبها من سارة !

ربما لم يكن بين سارة وتلك الممثلة أدنى شبه . ولكن العقاد أراد أن يقول : إنني أرى سارة في كل أنثى ، أو أنها هي كل النساء .

وهذا شاهد أيضاً على شفافية العقاد كعاشق . وكإنسان ، وشاهد على التزامه حتى في العاطفة ، وعلى وفائه !

وفي الكتاب الذي أصدره عامر العقاد بعنزان : «لمحات في حياة العقاد المجهولة» .. نتوقف عند صفحة قارن في سطورها بين «سارة» ، ومى التى أسماها «هند» ، فقال عن الاثنتين هذا التصوير الشفاف الغَدق :

ــ (لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضتين . كلتاهما أنثى حقاً لاتخرج عن نطاق جنسها . غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لاتتمنى إحداهما أن تحل محل الثانية ، وتوشك أن تزدريها ، تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر مااستطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر مااستطاعت من قيود ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر . الحزن الرفيع ، والألم العزيز شفاعة عند هند مقبولة إذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة ، أما عند سارة فالشفاعة الأولى .. بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور ، تلك يومها جمعة الآلام ، وهذه يومها شم النسيم . تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون ، وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة في معرض الزينة والمباهاة . كلتاهما جميلة ، ولكن الجمال في هند كالحصن الذي يحيط به الخندق ، أما الجمال في سارة فكالبستان الذي يحيط به جدول من الماء النمير .. هو جزء من البستان لا حاجز دون البستان ، وهو للعبور أكثر مما يكون للصد والنفور) !

هذا هو العقاد ، ولست أدري كيف نقدر على الاقتناع بأن كاتباً فنانا ومفكراً وعالما أيضا يقضي حياته عبداً لعقله ، وعقله عبداً لخوفه .. ظالما لروحه !

ولم يكن العقاد بهذه الصفات .. بل كان عطاؤه كمفكر هو لتاريخه ، ولعقيدته ، ولانتمائه للأرض التي دافع عنها بقلمه ، وتعرض بسببها للعنت ، وكان عطاؤه كفنان حرفا وعبارة نابعين من روح ورحمة الإنسان في أعماقه .

لقد كانت «سارة» أجمل بسمة رافقت هذا الفنان وقبلهما معا .. كان العقاد عربيا ومسلماً قضى عمره وهو يفضح زيف الفكر المنحرف .

جـــدة



القلاع الحصينة

قلعة « بهلا » فى سلطنة عمان .. وهى تعطى فكرة كاملة عن العمارة ذات الطابع المتميز فى أراضى عمان والقلاع ـ كما نعرف ـ هى طراز من الحصون شاع استخدامه فى العصور الوسطى ، لتقوم بوظيفتى المسكن والحصن ، وكان يراعى فى اختيار موقع القلعة عدة شروط ، أهمها العلو للتحكم فى الأراضى المحيطة بها .. وقد عرفت طراز القلاع فى الشرق العربى أيام الأيوبيين ، وبلغ بناء القلاع فى العالم العربى أزهى عصوره فى القرن الثانى عشر الميلادى .



صيد الحبارى .. للفنان القطري : محمد الجيدة

العـــدد ١١١ - جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ - مـــارس/آذار ١٩٨٥ م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

قطر و ١٣ عاماً مضيئة

عدد خاص بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير

● الإسلام والعدل الاجتماعي

● القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

● الدوحة في بيت الروائي العالمي تشارلز ديكنز

أبو زيد الهلالي يشكو الإهمال والنسيان

أبو زيد الهلالى



لوحة وفنان

اللمسات الأخيرة

بعد إرتداء الزى الشرقى الذى كانت هذه الفتاة تحتفظ به فى صندوقها المطعم بالصدف ، وقفت تتأمل نفسها فى المرآة لوضع اللمسات الأخيرة لأناقتها قبل استقبال الضيوف ..

اللوحة من وحى رحلة الفنان النمساوى « رودلف إيرنست » إلى مدينة مراكش فى المغرب عام ١٨٧٤ .. وقد عاش هذا الفنان فى الفترة ما بين ١٨٥٤ إلى ١٩٣٢ م ، ودرس فى أكاديمية الفنون بالنمسا ، ثم رحل منها ليكمل دراسة الفن فى ايطاليا ، وعندما جذبته حكايات الشرق ، رحل إلى أسبانيا والمغرب وتركيا ، ليقضى أجمل حياته هناك ، وعندما عاد قرر ألا يذهب إلى موطنه ، ليقيم فى باريس ، ويحصل على الجنسية الفرنسية عام ١٨٧٦ ، وليعرض أعماله التى استقاها من وحى الشرق ، لتبهر الأنظار بموضوعاتها الجذابة وزخارفها الدقيقة وألوانها التى يفوح منها أريج الشرق وسحره .



DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازى ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١١١ ـ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ ـ مارس/آذار ١٩٨٥م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليماً
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هذا العدد


قطر : و١٣ عاما مضيئة
جزء خاص بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير (ص : ٨٣)


د. محمد جابر الانصارى :
تجربة عربية فى الابداع وحرية الفكر (ص : ٢٥)


فدوى طوقان وقصيدة جديدة :
حكاية أخرى أمام شباك التصاريح (ص : ١٢)


الدوحة فى بيت ديكنز بالعاصمة البريطانية (ص : ١١٦)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● أبــواب ●

● المـــــوادلاتعــــادإلى مرســـليـــها
نشـــــرت أولم تـــــنشـــر

كلمة

٢٢ فبــرايـــر

يظهر هذا العدد من « الدوحة » وقطر تحتفل بالذكرى الثالثة عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى مقاليد الحكم فى البلاد ، وتشارك الدوحة فى هذه المناسبة الوطنية بتقديم جزء خاص عن مظاهر النهضة المختلفة التى تحققت فى هذه السنوات فأثمرت فى الحياة والمجتمع خير الثمرات ، وظهرت خلالها كثير من الانجازات الحضارية الواضحة فى التعليم والثقافة والصحة والعمران ، مما كان يحتاج إلى أضعاف هذه الفترة الزمنية لكى يتحقق ويثمر ، والذين يزورون قطر وعاصمتها الدوحة يجدون أن مظاهر التغيير والتقدم والنهضة ، تسير كلها بخطى ثابتة وواسعة ، والذى يكرر الزيارة بعد عام واحد أو أعوام قليلة يدرك قيمة واتساع هذا التطور الكبير الشامل ويحس أن الحياة تتجدد بقوة على هذه الأرض العربية الكريمة الطيبة ، بحيث تختلف الصورة الحضارية من عام إلى عام وتحقق أفضل وأسرع الخطوات على طريق النهضة والتقدم .

ويكفى أن نشير فى هذه المناسبة الوطنية الكبيرة إلى انجاز من انجازات النهضة القطرية التى تمت فى عصر أمير البلاد وقائد النهضة فى قطر ، فمجلة « الدوحة » التى يتلقاها القارىء العربى كل شهر بالتقدير والترحيب ، بحيث ينفد كل المطبوع منها فى لحظات ، وتتلقفها الأيدى فى كل العواصم العربية بعد صدورها بساعات قليلة ... هذه المجلة ما هى إلا أحد الانجازات الحضارية التى تمت فى عهد هذا القائد العربى الكبير ، وبرعايته واهتمامه وحرصه على الرسالة التى تؤديها « الدوحة » فى خدمة الثقافة العربية المعاصرة بأوسع الامكانيات الحديثة دون أن تقف أمامها عوائق أو عقبات .

إن مجلة « الدوحة » تعتز بأنها من غرس يدى هذا القائد الأب الذى يسهر على خدمة بلاده وتطويرها وجعلها جزءاً حياً نابضاً من الأمة العربية والاسلامية ، يؤدى دوره وواجبه بين أشقائه العرب والمسلمين فى وعى وأمانة وصدق . ولا نملك ونحن نشارك فى الاحتفال بيوم ٢٢ فبراير فى قطر إلا أن نتطلع للمستقبل فى تفاؤل وثقة داعين الله أن يحقق لقطر العزيزة ولأبنائها والعاملين المخلصين فى خدمتها كل ما يطمحون إليه من آمال كبيرة فى ظل أمير البلاد المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

« الدوحـــة »

من مزالق الاجتهاد المعاصر

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

للاجتهاد المعاصر ـ سواء كان اجتهاداً حقيقياً أم دعوى اجتهاد ـ مزالق يتعرض فيها للخطأ اذا صدر من أهله فى محله بشرطه ، أو للانحراف اذا صدر من غير أهله ، أو غلب فيه الهوى ، أو لم يستفرغ الفقيه وسعه فى معرفة الحكم الشرعى .

وأول هذه المزالق : الغفلة عن النصوص التى يجب اتباعها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا مع أن أول ما يجب على المجتهد أن يرجع إليه هو النص من القرآن إن وجده ، ثم من السنة المبينة للقرآن ، فان لم يجد فيهما طلبته اجتهد رأيه لا يألو .

وهذا الترتيب هو الذى جاء فى حديث معاذ المشهور ، وهو ما جرت عليه سنة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وهو ما نبه عليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى كتابه الى شريح وغيره : إن اقض بكتاب الله ، فإن لم تجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تجد فاقض بما قضى به الصالحون والا فاجتهد رأيك .

أما الاجتهاد بالرأى قبل البحث عن النص فهو خطأ .

والخطأ الأكبر منه أن تدع النص المعصوم وتجري وراء الرأى الذى لا عصمة له .

ولهذا قالوا : لا اجتهاد مع النص ، يعنون النص الثابت الصريح الدلالة على الحكم .

وأسباب ترك النص الصحيح الصريح متعددة .

منها : الجهل بثبوت النص ، وهذا قلما يحدث مع القرآن الكريم لظهوره لكل مسلم يشتغل بطلب العلم . فكيف بمن يدعى الاجتهاد ؟ وانما يحدث هذا مع السنة المطهرة ، لقلة المعنيين بها ، وجراءة كثير ـ ممن ينسبون أنفسهم الى الفقه والاجتهاد ـ عليها . كما سيتبين ذلك بعد .

ومنها : الغفلة والذهول عن النص ـ مع ثبوته وظهوره والقطع به ـ نتيجة سوء فهم ، أو غلبة هوى ، أو تحكم عصبية أو دعوى مصلحة ، أو غير ذلك مما شاهدناه ولمسناه فى دعاوى الاجتهاد فى عصرنا .

جواز استلحاق اللقطاء

ولعل أقرب مثال يحضرنى الآن ما أفتت به المحكمة الشرعية العليا فى (البحرين) الشقيقة فى شأن (اللقطاء) حيث أجازت بصريح العبارة لكل أحد أن يستلحق اللقيط ويضمه الى نسبه ، ويصبح بذلك إبنا له ، تترتب له وعليه كل حقوق البنوة

وواجباتها .
ونذكر هنا نص الفتوى كما نشرته جريدة (أخبار الخليج) .
وقد جاءت هذه الفتوى فى صورة جواب على وزير العدل البحرينى بشأن اقتراح قدمته إحدى الصحفيات بعمل شهادة ميلاد للطفل اللقيط ـ عدا الشهادات الأصلية المعتمدة لدى الجهات الرسمية ـ يتعامل بها فى المجتمع على أنه ابن المحتضن وإن لم يكن له حق فى الميراث ... الخ .
فأرسلت المحكمة الى الوزير هذا الجواب :
جواباً على كتابكم رقم ١٠/ ١٦٩/ ٨٣ المؤرخ فى ٢٣ رمضان ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٣ يوليو ١٩٨٣ م المرفق بطيه صورة من الرسالة الواردة الى سعادتكم من السيدة / (س . ى . م) المتضمنة اقتراحها فيما يختص بالطفل اللقيط وطلبكم من دراسة الاقتراح المذكور وافادتكم برأينا حوله .
نفيد سعادتكم أننا درسنا الاقتراح المذكور ومع تقديرنا وشكرنا لصاحبة الاقتراح على غيرتها وحرصها على حفظ كرامة الطفل اللقيط ، نود أن نطمئنها الى أن الشرع الاسلامى الحنيف لم يترك أى أمر من الأمور إلا وأوجد له حكماً عادلا ومن ذلك الطفل اللقيط أو ولد السفاح أو مجهول النسب فقد حرص الشرع على حفظ كرامته وعمل على دمجه فى المجتمع الاسلامى ، وذهب فى هذا المضمار الى أبعد مما تتصوره صاحبة الاقتراح حيث لم يكتف بالضم وانما الاستلحاق وأعطى لكل أحد الحق فى أن يستلحق الطفل اللقيط أو ولد السفاح أو مجهول النسب ويعتبره ولدا له يحمل اسمه ولقبه ونسبه بالاستلحاق ويكون لكل منهما على الآخر جميع ما يترتب على ذلك من ولاية وحضانة ووراثة وهذا ما هو عليه العمل فعلا كما هو وارد من بعد بالتقارير المرفقة للاطفال وأما ما ذكرته صاحبة الاقتراح من أن يكون للطفل اللقيط اسمان اسم اصلى واسم رسمى فنعتقد أن ذلك مما يسيء الى الطفل ويشعره بالنقص وتصيبه المعرة من ذلك بعد ما يكبر ويعرف الحقيقة هذا ما وجب بيانه حول هذا الموضوع .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

قضاة محكمة الاستئناف العليا الشرعية

ولا يكتفى قضاة محكمة الاستئناف العليا بالرسالة وانما يرفقون بها ما يؤكد انهم سبق ان اجازوا لبعض الأشخاص استلحاق بعض مجهولى النسب بأنسابهم ..
حيث يذكر نص احدى القضايا أن أحد الأشخاص لديه فتاة مجهولة النسب وهى فى حضانته وكفالته وأنه يريد استلحاقها بنسبه ويكون له عليها جميع حقوق الأبوة كما يكون لها هى جميع حقوق البنوة وحيث انه يسوغ شرعاً استلحاق مجهول النسب واعتباره ولداً للمستلحق فقد أجاز له قضاة محكمة الاستئناف العليا ذلك .
والواقع ان رد قضاة محكمة الاستئناف واضح وهو يعنى حل المشكلة تماماً .. اهـ .
مقتضى هذه الفتوى : ان (التبنى) مباح ، وان سمى « الاستلحاق » فمدار الحكم على المسميات لا على الاسماء .
ويعجب المرء كيف تصدر الفتوى بهذه الصورة ، وبهذا التعميم ، وهى مخالفة لنصوص القرآن الحاسمةالقاطعة ، التى حرمت (التبنى) وأبطلته ، وأجمع على ذلك المسلمون من جميع المذاهب ، وفى جميع الأزمان ، اجماعاً مستقراً متصلا بعمل الأمة طوال أربعة عشر قرناً ؟ !
وحسبنا أن نقرأ اوائل سورة الأحزاب ، وفيها قول الله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل . ادعوهم لاباءهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا اباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » (سورة الأحزاب : ٤ : ٥) .
ويبدو أن أصحاب هذه الفتوى لم يقصدوا معارضة القرآن ، ولا السنة ، ولا الثابت باجماع الأمة ، ولكنهم اساءوا فهم ما جاء عن الفقهاء فى الاستلحاق أو الاقرار بالنسب وما ذكروا له من شروط معروفة فى الفقه .

فقد فهموا مما ذكره الفقهاء ان لكل أحد أن يستلحق أو يقر بنسب من يشاء والفقهاء انما ارادوا الاقرار بنسب حقيقى وبنوة حقيقية مبنى على نكاح سرى أو نكاح فيه خلاف ، أو وطء بشبهة ، أو غير ذلك ، بل اجاز جماعة من السلف استلحاق ولده من الزنى اذا لم يكن فراش ، ورجحه ابن تيمية .

أما اذا لم تكن هناك بنوة من حلال ولا من شبهة ولا من حرام ، وانما هو مجرد تَبَنٍ ، فهذا هو الحرام الصرف الذى لم يقل به فقيه قط .
ولهذا نصوا على أن الاستلحاق أو الاقرار بالبنوة أو النسب ـ اذا كان مبنياً على الكذب ـ حرام ، بل من الكبائر ، ويكاد يؤدى الى الكفر .

وتكثر مزالق الاجتهاد المعاصر فى الغفلة فى كثير من الأحوال عن السنة النبوية خاصة ، والاعتساف فى تأويلها ، بل الجرأة عليها فى بعض الأحيان ، وخصوصاً من غير المتخصصين فى الدراسات

• الاجتهاد بالرأى قبل البحث عن النص خطأ وانحراف

• الغفلة عن روح العصر وثقافته ودوافعه والعزلة عما يدور فيه ينتهى بالمجتهد إلى الخطأ والزلل

• تحريم المجزر الآلى لا أساس له فى الدين ، والتسمية عند الشافعى ليست شرطا لصحة الذبح

الاسلامية .

وسبب ذلك فيما أراه : أن الفقه المذهبى الذى غلب على الحياة الاسلامية قروناً طويلة ولاسيما القرون الأخيرة ، جعل أكبر همه أقوال مشايخ المذهب فى الدرجة الأولى وتصحيحات علمائه ، وترجيحاتهم ، دون توجيه مثل هذا الاهتمام الى المصدرين الأساسيين : القرآن والسنة ، ولكن القرآن قد يسر الله حفظه ، فلا يكاد يوجد عالم مسلم لا يحفظه عن ظهر قلب . بخلاف السنة ، فانها لسعتها وتنوعها ، لم تحظ بمثل ذلك . مما جعل كثيراً من الفقهاء يستدلون بأحاديث واهية أو منكرة ، بل موضوعة أحياناً لا أصل لها . واشتهر قولهم : هذا من أحاديث الفقهاء ! يعنون انه ليس له سند يعرف .

وهذا ما جعل بعض كبار العلماء المشتغلين بالحديث يتجهون الى تخريج الأحاديث التى توجد (معلقة) فى كتب الفقه . كما فعل ذلك الامام أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) فى كتابه « التحقيق فى تخريج التعاليق » وقد نقحه ابن عبد الهادى تلميذ ابن تيمية (ت ٧٤٤ هـ) فى كتابه « تنقيح التحقيق » وكلاهما حنبلى المذهب .

والحافظ جمال الدين الزيلعى الحنفى (ت ٧٦٢ هـ) خرج أحاديث أشهر كتاب عند الحنفية وهو « الهداية » للمرغينانى (ت ٥٩٣ هـ) وسماه « نصب الراية لأحاديث الهداية » وقد اختصره الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٤ هـ) واضاف اليه بعض الفوائد فى كتاب سماه « الدراية فى أحاديث الهداية » .

كما خرج ابن حجر نفسه أحاديث كتاب « فتح العزيز فى شرح الوجيز » للامام الرافعى (ت ٦٢٣ هـ) فى فقه الشافعية ، وسماه « تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير » .

والمقصود ان كتب الفقه المذهبى وحدها — وبخاصة كتب العصور الأخيرة — لا تصل الدارس بالسنة النبوية ، ولا ترده الى أصول الأدلة فيها ، وهذا ما جعلنى أنادى بوجوب الوصل بين الحديث والفقه ، حتى لا يبقى المحدثون فى واد ، والفقهاء فى واد ، وكل مستمسك بما عنده ، لا يبصر ما عند الآخر ، ولا يسمع لـه .

وهذا ما حدث لكثير ممن تعرض للفقه فتوى أو كتابة ، ممن لا يتقنون الحديث رواية ودراية فنفوا ما يجب أن يثبت . أو اثبتوا ما يجب أن ينفى ، وهو ما حذر منه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه اذ قال : « اياكم والرأى ، فان أصحاب الرأى أعداء السنن ، اعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلتت منهم ان يحفظوها ، فقالوا فى الدين برأيهم ، وفى بعض الروايات : فضلوا واضلوا(١) والمراد بالرأى هنا : مالا يعتمد على أصل شرعى معتبر ، أو ما يتبع فيه الهوى ويخالف النصوص .

من ذلك ما أفتى به بعض المفتين من اجازة « وصل الشعر » لغير ضرورة ولا حاجة معتبرة ، فيما سمى فى عصرنا « الباروكة » مع ما ورد من أحاديث صحيحة متفق عليها فى لعن (الواصلة ، والمستوصلة) وتسميته (زورا) والتشديد فيه ، كما هو واضح فى الصحيحين ، مع أن الوصل هناك لم يبلغ أن يكون شعراً كاملا ، كما هو الشأن اليوم .

ومن ذلك ما ذكروه فى اباحة التصوير كله ، حتى المجسم منه « التماثيل » استناداً الى أن التصوير انما حرم لقرب العهد بالوثنية ، وما كان فيها من صور تعبد من دون الله . أما اليوم ، فقد تحررت العقول ، ولم يعد ثم مجال لأن يعبد انسان القرن العشرين صورة أو تمثالا !

وهذا التأويل مردود كله . فالنصوص التى حرمت التصوير قد نصت على علته ، وهى مضاهاة



• الدكتور محمد حسين الذهبي

خلق الله ، وليس مشابهة الوثنية . وقد رد على مثل هؤلاء الامام ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) منذ سبعة قرون !

أما تحرر العقول فى القرن العشرين ، فليذهب صاحب هذا الكلام الى الهند وبلاد كثيرة فى آسيا وأفريقيا ليرى أن الوثنية لازالت معششة حتى فى رؤوس كبار المتعلمين !

ومن ذلك ما ذهب اليه الدكتور عبد الحميد متولى أستاذ القانون الدستورى من اشتراط انفرد به ، ولم يسبقه اليه أحد ، ولم يوافقه عليه أحد أيضاً فيما أعلم ، وهو أن يكون الحديث الذى يعمل به فى المجال الدستورى متواتراً أو مشهوراً .

ومن ذلك ما صرح به شيخنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى ندوة التشريع الاسلامى فى ليبيا من انكار الرجم فى زنى المحصن

سوء فهم النصوص او تحريفها عن موضعها

وقد لا يكون المزلق فى الاجتهاد من الجهل بالنصوص أو الغفلة عنها . وإنما يأتى من سوء فهمها ، وسوء تأويلها . كأن يخصصها وهى عامة ، أو يقيدها وهى مطلقة ، أو بالعكس ، بأن يحملها على العموم وهى مخصوصة ، أو على الإطلاق وهى مقيدة .

أو ينظر إليها معزولة عن سباقها وسياقها ، أو عما ورد فى موضوعها من نصوص أخرى تحدد مدلولها ، وتبين المراد منها . أو عما يؤيدها من اجماع يقينى لم يخرقه أحد على توالى العصور .

وربما دفع الى ذلك التسرع والتعجل والخطف للنصوص ، قبل الدراسة اللازمة والتأمل الكافى ، والموازنة المطلوبة ، واستفراغ الوسع فى البحث والطلب ، حتى يحس من نفسه بالعجز عن المزيد ، كما يعبر الأصوليون فى تعريف الاجتهاد .

وربما كان الدافع هو اتباع هوى النفس ، أو هوى الغير ، سواء كان هذا الغير يتمثل فى الحكام الذين ترجى منفعتهم أو تخشى سطوتهم ، أم فى الجماهير التى يلتمس بعض الناس رضاها وثناءها .

وقد قال الله تعالى لداود عليه السلام من قبل « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (سورة ، ص : ٢٦) .

وقال لخاتم رسله من بعد : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين

لا يعلمون « إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً » . (سورة الجاثية : ١٧ ، ١٨) .
وهو خطاب للأمة كلها الى يوم القيامة .
وقد يكون الدافع الى ذلك هو التأثر بالواقع القائم ، ومحاولة تبريره ، بوعى أو بغير وعى ، وخصوصاً لدى المفتونين بالحضارة الغربية وبكل ما يفد منها ، وهو أيضاً ضرب من اتباع الهوى المضل .

وقد لا يقف الأمر عند حد سوء الفهم ، بل يصل الى حد التحريف الجائر لكلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، واخراجه عن المراد به تماماً . وهو الذى أنكره القرآن الكريم على أهل الكتاب من قبل ، حين بدلوا كلام الله ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فليس المراد بتحريفهم المذموم التحريف اللفظى فقط بحذف عبارة أو تبديلها بأخرى ، بل يشمل التحريف المعنوى ، بلى الكلام عن مقصوده ، وتفسيره بما لا يراد منه بحال ، وقد يفسر بضد المراد منه .

وهذا اللون من التحريف لا يأتى من قبل من هو أهل للاجتهاد من أهل العلم ، وانما يأتى دائماً من الدخلاء على فقه الشريعة ، المتطفلين على علومها الأصلية ، الذين لم تتوافر فيهم أدنى شروط الاجتهاد ، ولا يعرف أحدهم ما يجوز الاجتهاد فيه وما لا يجوز . وربما لا يحسن أن يقيم لسانه بقراءة صفحة من كتاب الله تعالى ، أو من صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وادخال هذا الضرب من التحريف والتزييف فى الحديث عن الاجتهاد انما هو بقصد التحذير منه ، ولفت الانظار الى زيفه وبطلانه ، لأنهم قد يخدعون بعض البسطاء بانهم مجتهدون عصريون ، ليسوا جامدين ولا مقلدين ، كغيرهم ! يقصدون أهل الاختصاص من علماء الشريعة .

والحقيقة ان عملهم هذا ليس من الاجتهاد الشرعى فى شىء ، وأن سموه اجتهاداً بزعمهم .
واكتفى هنا بنموذج واحد ذكره الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله فى كتابه « التفسير والمفسرون » لأصحاب الاتجاه الالحادى فى التفسير ، لكاتب من هؤلاء ، ننقله فيما يلى(٢) :
قال هذا الكاتب تحت عنوان (التشريع المصرى وصلته بالفقه الاسلامى) :
« قرأت فى السياسة الاسبوعية الغراء مقالا بهذا العنوان(٣) . حوى أفكاراً أثارت فى نفسى من الرأى ما كنت أريد أن ارجئه إلى حين ، فإن



الشيخ محمد ابو زهرة

النفوس لم تتهيأ بعد لفتح باب الاجتهاد ، حتى اذا ظهر المجتهد فى هذا العصر برأى جديد ، كتلك الآراء التى كان يذهب إليها الأئمة المجتهدون فى عصور الاجتهاد ، قابلها الناس بمثل ما كانت تقابل به تلك الآراء من الهدوء والسكون ، وان بدا عليها ما بدا من الغرابة والشذوذ ، لأن الناس فى تلك العصور كانوا يألفون الاجتهاد ، وكانوا يألفون شذوذه وخطأه ، إلفهم لصوابه وتوفيقه ، أما فى هذا العصر ، فإن الناس قد بعد بهم العهد بالاجتهاد ، حتى صار كل جديد يظهر فيه شاذا فى نظرهم ، وان كان فى الواقع صواباً ، وما اسرعهم فى ذلك الى التشنيع والطعن فى الدين ، والمحاربة فى الرزق ، فلا يجد من يرى شيئاً من ذلك إلا أن يكتمه أو يظهره بين أخصائه ، ممن يأمن شرهم ولا يخاف كيدهم ، وتضيع بهذا على الأمة آراء نافعة فى دينها ودنياها ، ولكنى سأقدم على ما كنت أريد اخفاءه من ذلك الى حين ، وسأجتهد ، ما أمكننى فى أن لا أدع لأحد مجالا فى ذلك التشنيع الذى يقف عقبة فى سبيل كل جديد) ..

ثم أشاد بما كتبه صاحب المقال المشار إليه ، ثم قال : (ولكن يبقى بعد هذا فى تلك الحدود ذلك الأمر ، الذى سنثيره فيها ، ليبحث فى هدوء وسكون ، فقد نصل فيه الى تذليل تلك العقبة التى تقوم فى سبيل الأخذ بالتشريع الاسلامى من ناحية تلك الحدود بوجه آخر جديد .. وسيكون هذا باعادة النظر فى النصوص التى وردت فيها تلك الحدود ، لبحثها من جديد بعد هذه الأحداث الطارئة ، وسأقتصر فى ذلك ــ الآن ــ على ذكر ما ورد فى تلك الحدود من النصوص القرآنية ، وذلك قوله تعالى فى حد السرقة : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمة وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم »(٤) وقوله تعالى فى حد الزنى : «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(٥) .
فهل لنا أن نجتهد فى الأمر الوارد فى حد السرقة وهو قوله تعالى : « فاقطعوا » والأمر الوارد فى حد الزنى وهو قوله تعالى : « فاجلدوا » فنجعل كلا منهما للاباحة لا للوجوب ، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر فى قوله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (٦) . فلا يكون قطع يد السارق حداً مفروضاً ، لا يجوز العدول عنه فى جميع حالات السرقة ، بل يكون القطع فى السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه فى بعض الحالات الى عقوبات أخرى رادعة ، ويكون شأنه فى ذلك شأن كل المباحات التى تخضع لتصرفات ولى الأمر ، وتقبل التأثر بظروف كل زمان ومكان .
وهكذا الأمر فى حد الزنى .
وهل لنا أن نذلل بهذا عقبة من العقبات التى تقوم فى سبيل الأخذ بالتشريع الاسلامى ، مع انا فى هذه الحالة لا نكون قد أبطلنا نصاً ، ولا ألغينا حداً ، وانما وسعنا الأمر توسيعاً يليق بما امتازت به الشريعة الاسلامية من المرونة والصلاحية لكل زمان ومكان ، وبما عرف عنها من ايثار التيسير على التعسير ، والتخفيف على التشديد » (٧) .

وهذا الاجتهاد المزعوم مردود على صاحبه ، لأنه اجتهاد فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، لأنه أمر قطعى ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، ومعلوم من الدين بالضرورة .
وكيف يكون الأمر للاباحة ، وهو يقول : « جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » . وكيف رفض النبى صلى الله عليه وسلم أى شفاعة فى حدود الله من أحب الناس إليه ، وكيف قال قولته المعروفة : « وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ؟ ! !
وكيف يكون الأمر فى قوله تعالى فى حد الزنى « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » للاباحة لا للوجوب وهو يعقب على الأمر بقوله « ولاتأخذكم

من مزالق

الاجتهاد المعاصر

بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ؟ ايكون كل هذا التحريض والتحذير والتهييج فى شأن أمر مباح يجوز فعله ويجوز تركه ؟

ان أى انسان له معرفة باللسان العربى ، ولديه أدنى تذوق له لايرتاب أدنى ريبة فى أن الأوامر فى هذه الآية وفى آية السرقة للوجوب ، والوجوب المؤكد بلا جدال . « فليحذر الذين يخالفون من أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

الاعراض عن الاجماع المتيقن

ومن مزالق الاجتهاد المعاصر : تجاوز ما أجمعت عليه الأمة فى عصور الاجتهاد غفلة عن هذا الاجماع وجهلا به ، أو اعراضاً متعمداً عنه ، مع أن الأصوليين جميعاً جعلوا من شروط المجتهد المتفق عليها : العلم بمواضع الاجماع ، حتى لا يجهد المجتهد نفسه فى أمر فرغت منه الأمة ، وهى لا تجتمع على ضلالة .

ونؤكد هنا اننا لا نريد مجرد دعوى الاجماع ، فكم من مسائل ادعى فيها الاجماع وقد ثبت فيها الخلاف ، كما تدل على ذلك الوقائع الكثيرة .
وانما الذى نقصد إليه هنا : هو الاجماع المتيقن الذى استقر عليه الفقه والعمل جميعاً ، واتفقت عليه مذاهب فقهاء الأمة فى عصورها كلها ، وهذا لا يكون عادة الا فى اجماع له سند من النصوص . فالنص هو الحجة والمعتمد . ولكن الاجماع المستمر على العمل به أعطاه قوة أى قوة ، ونقله من الظنية الى القطعية .

وانما قيدت الاجماع بالمتيقن ، خشية من دعاوى الاجماع الكثيرة فيما ثبت الخلاف فيه ، كما يشهد بذلك كل من له اطلاع على المصادر الجامعة لمذاهب العلماء .

ومن ذلك ما قيل من جواز زواج المسلمة فى عصرنا بالكتابى ، كما جاز زواج المسلم بالكتابية ، هذا مع أن الفرق بينهما واضح جلى ، فالمسلم يعترف بأصل دين الكتابية فهو يحترمها ويرعى حقها ولا يصادر عقيدتها . أما الكتابى فهو لا يعترف بدين المسلمة ولا بكتابها ولا برسولها . فكيف تعيش فى ظل رجل لا يرى لها أى حق باعتبارها مسلمة ؟
والقول بأن القرآن إنما حرم (المشركات) والكتابيات غير المشركات ، ينقضه قول القرآن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن » . سورة الممتحنة : (آية ١٠) . فهنا رتب الحكم على الكفر لا على الشرك حيث قال : « فلا ترجعوهن الى الكفار » واذا كانت العبرة بعموم اللفظ فلفظ (الكفار) هنا يشمل الكتابى كما يشمل الوثنى .

القياس فى غير موضعه

ومن مزالق الاجتهاد المعاصر : القياس الفاسد ، كأن يقيس النص القطعى على الظنى فى جواز الاجتهاد فيه ، أو يقيس الأمور التعبدية المحضة على أمور العادات والمعاملات فى النظر الى حكمها ومقاصدها ، واستنباط علل لها بالعقل ترتب عليها الأحكام .
والخطأ فى القياس باب من أبواب الشر من قديم . حتى قيل : ان انحراف ابليس وعصيانه لله واستكباره عن امتثال الأمر ، كان بسبب قياس فاسد ، حين قال عن آدم : أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ! .
وأكلة الربا من اليهود واتباعهم أرادوا أن يستدلوا على اباحة الربا بقياسه على البيع كما حكى الله عنهم : « ذلك بانهم قالوا : انما البيع مثل الربا . واحل الله البيع وحرم الربا » . (سورة البقرة : ٢٧٥) .

ونحن لا ننكر القياس ، كما فعلت المدرسة الظاهرية ، بل نرى مع جمهور الأمة من السلف والخلف : أنه مصدر خصب من مصادر الأحكام ، ودليل على اثراء الشريعة وخلودها وقدرتها على مواجهة التطور فى كل زمان ومكان وحال .

المهم فى القياس ان يكون مستنداً الى نص ثابت فى قرآن أو سنة ، اتضحت علته ، ولم يوجد فارق بين الأصل المقيس عليه والفرع المقيس .
فلا اعتبار مثلا لقياس على غير أصل منصوص عليه .
أو على نص غير ثابت .
أو على نص ثابت ولكن لم تتضح علته .
أو اتضحت علته ، ولكن وجد فارق معتبر بين الأصل والفرع .

فالذين يقيسون على حديث ضعيف ، أو صحيح ولكن لم تتضح العلة فيه ، أو يقيسون مع وجود الفارق ، أو يقيسون على أقوال الفقهاء ... كل هؤلاء لا يقبل قياسهم .
وقد رأينا من يجيز للحكومة أن تستقرض من الشعب بالفوائد الربوية ، مستدلا بالقياس على أنه (لا ربا بين الوالد وولده) فكذلك لا ربا بين الحاكم والشعب !

والحق — كما قلنا فى موضع آخر — ان هذا الحكم : (لا ربا بين الوالد وولده) لم يثبت بنص ولا اجماع ، انما هو أمر قال به بعض الفقهاء وخالفه الأكثرون . فكيف نقيس على غير أصل ؟

على اننا لو سلمنا بثبوت هذا الحكم — وهو غير مسلم — لم يسلم لنا القياس أيضاً ، لوجود الفارق الواضح بين الوالد وولده من ناحية ، وبين الحكومة والرعية من ناحية أخرى ، وذلك لأن هناك نصاً نبويا فى شأن الوالد وولده يقول : « أنت ومالك لابيك » . ولا يوجد مثل هذا فى الجانب الآخر ، فلم يأت نص يقول : « أنت ومالك للحكومة » ! .

وفتح باب الاقيسة من هذا النوع انما هو فتح لباب الفوضى ، حتى رأينا حاكماً يريد أن يسوى بين الابن والبنت فى الميراث قياساً على اجتهاده فى منع تعدد الزوجات . أى أنه جعل اجتهاده — المرفوض — أصلا يقاس عليه ما لا يجوز ان يدخل دائرة القياس ولا دائرة الاجتهاد أصلا ، لأنه من باب المعلوم من الدين بالضرورة .

الغفلة عن واقع العصر

وكما أن من مزالق الاجتهاد فى عصرنا عند بعض الناس : انسياقهم وراء الواقع القائم ، واستسلامهم لتيارات العصر ، وان كانت دخيلة على المسلمين ومناقضة للاسلام ، ومحاولتهم تبرير هذا الواقع باعطائه سنداً من الشرع اعتسافاً وقسراً — فإن فى مقابلة هؤلاء قوماً يريدون أن يجتهدوا فى

• منع التدخين بين التحريم والإباحة

غفلة عن واقع هذا العصر ، وما يمور به من تيارات ، وثقافات ، وما تتمخض عنه أيامه ولياليه من مطالب ومشكلات .

أما لأنهم حبسوا أنفسهم فى سجن لمذهب معين لا يخرجون عن أقوال علمائه : فضيقوا على أنفسهم فيما وسع الله عليهم ، وألزموا أنفسهم بما لم يلزمهم به الله ورسوله ، وخالفوا أئمة المذاهب أنفسهم ، الذين نهوا عن تقليدهم .

وأما لأنهم عاشوا فى الماضى وحده ، دون معاناة للحاضر ، ولا استشفاف للمستقبل ، فهم داخل القفص الذهبى (قفص التراث) محبوسون طوعاً واختياراً ناسين ما قرأوه فى هذا التراث نفسه : أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والانسان .

أو لأنهم لم يلموا بثقافة العصر ومعارفه الأولية ، فهم يتكلمون بلغة غير لغته ، وهو يتكلم بلسان غير لسانهم ، فكيف يفهمون عنه ، ويفهم عنهم ؟ فهم فى واد ، وعصرهم فى واد آخر . وكيف يحكمون لهذا العصر أو عليه ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، كما يقول علماء المنطق ؟ !

أو لأنهم يعيشون فى دوائرهم الخاصة مع من يشبههم من أهل الدين والورع ، غافلين عما تحفل به الحياة من غرائب ، وما تلده الليالى من عجائب وما يفرضه التطور السريع من أوضاع ، تدخل الى حياة الناس جهرة ، أو تتسلل إليهم خفية ، منها المستقيم ومنها الأعوج ، وفيها الصواب والخطأ ، والخير والشر وكلها تتطلب اجتهاداً يبين حلالها من حرامها ، وحقها من باطلها .

وأياً كانت الأسباب فإن الغفلة عن روح العصر وثقافته وواقعه ، والعزلة عما يدور فيه ، ينتهى بالمجتهد فى وقائع هذا العصر الى الخطأ والزلل . وهو ينتهى غالباً بالتشديد والتعسير على عباد الله حيث يسر الله عليهم .

كالذين حرموا ذبح (المجزر الآلى) وأوجبوا أن يكون الذبح باليد والسكين المعتادة ولابد .

وقد يليق هذا بمجتمع بسيط قليل العدد ، قليل الاستهلاك للانتاج الحيوانى ، أما فى المجتمعات الكبيرة ، وحيثما يكون الانتاج الحيوانى بمئات ألوف الرؤوس ، ويراد ذبحها للاستهلاك المحلى أو التصدير الخارجى ، فالأمر يحتاج الى هذه المذابح الآلية ، التى تقوم فيها (الماكينة) مقام الانسان فتوفر جهده ووقته ..

وإذا كان المحذور هنا هو عدم التسمية عند كل ذبيحة ، فيمكن تسجيل شريط يعلن التسمية طوال مدة الذبح .

• حد السرقة لا مجال للاجتهاد فيه

• حكم الإسلام فى التبنى واضح وصريح

وقد يجوز الاكتفاء بالتسمية عند بدء كل مرة نشغل فيها الآلة ، كما نسمى عند ارسال الكلب أو الصقر أو السهم عند الصيد .

على أن مذهب الشافعى لا يجعل التسمية شرطاً لصحة الذبح .

ومثل آخر : الذين اجتهدوا فى قضية (أطفال الأنابيب) ومنعوها منعاً باتاً ، خشية اختلاط الأنساب ، وسداً للذرائع .

وأقول هنا ما سبق أن قلته فى مناسبة أخرى : إن المبالغة فى سد الذرائع ، قد تحرم الناس من خيرات كثيرة ، ومصالح كبيرة ، كما أن المبالغة فى فتحها قد تؤدى الى شر مستطير ، وفساد كبير .

والواجب على أهل الاجتهاد هنا : ألا يبيحوا باطلاق ، ولا يمنعوا باطلاق .

فالمنع باطلاق فيه تحريم ما لم يحرمه الله ورسوله ، وتضييق على المكلفين فى أمر لهم فيه سعة .

والاباحة باطلاق توقع فيما حرمه الله ورسوله ، وتجر إلى مفاسد جمة .

فلابد من التفصيل ، بإباحة بعض الأساليب والصور بقيود وشروط . ومنع البعض الآخر .

وهذا ما انتهت إليه ندوة (الانجاب فى ضوء الاسلام) التى انعقدت فى الكويت بين الفقهاء والأطباء ، وكان قرار الأغلبية فى هذا الأمر : أنه جائز شرعاً إذا تم بين الزوجين ، أى كان الحيوان المنوى من الزوج والبييضة من الزوجة ، أثناء قيام الزوجية فلا يجوز أن يتم ذلك بعد موت الزوج ، أو طلاق الزوجة ، وبشرط أن تراعى الضمانات الدقيقة الكافية لمنع اختلاط نطف الرجال أو بييضات النساء ، فتختلط بذلك الأنساب .

واتفق الجميع على أن ذلك يكون حراماً اذا كان فى الأمر طرف ثالث ، سواء كان منياً من غير الزوج ، أم بييضة من غير الزوجة ، أم جنيناً من غيرهما ، أم رحماً من امرأة أخرى تقوم بالحمل عن صاحبة البييضة .

ونحو هؤلاء الذين اجتهدوا فى تحريم التصوير الفوتوغرافى الذى اشتدت الحاجة إليه ، وعمت البلوى به ، وأصبح من الضرورات الاجتماعية فى بعض الأحوال ، كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، والشهادات الدراسية ، وملفات الخدمة ، كما أصبح أمراً لازماً للصحافة المعاصرة ، ولم تعد تقرأ صحيفة تقدم أخبارها واستطلاعاتها كلاما بلا صور تؤيده وتبعث فيه الحياة .

وأكثر من ذلك (التلفاز) الجهاز الخطير الذى بات أقوى المؤثرات فى حياة الناس ، وتوجيه أفكارهم وميولهم واذواقهم ، ونقل العالم إليهم وهم فى قعر بيوتهم .

هل يتصور أن نحرم المجتمع الاسلامى والدولة الاسلامية من هذه الاداة الجبارة لأنها تقوم على التصوير ، فى حين يستخدمه أعداؤنا بقوة وجدارة ، لما له من تأثير ساحر يجمع بين الصوت والصورة ؟

ومن هذا النوع من الاجتهادات التى اغفلت واقع العصر : ما لا يزال بعض العلماء يرددونه من اباحة التدخين ، بناء على قاعدة أن الأصل فى الأشياء الأباحة ، وما قاله بعض العلماء أول ظهور التدخين منذ قرون .

ولا ريب أن هؤلاء العلماء لم يتبين لهم ما تبين لنا فى هذا العصر من أضرار التدخين التى أجمعت عليها الهيئات العلمية والطبية فى العالم ، وألفت فيها كتب وعقدت لها ندوات ومؤتمرات ، حتى إن شركات تصنيع (الدخان) وتعبئته غدت ملزمة بأن تكتب على علب (السجاير) أنها ضارة بالصحة .

إن الاجتهاد الحقيقى هو الذى يجمع بين الأصالة والمعاصرة معا .

يوسف القرضاوى

الهوامش

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر حـ٢ ص ١٣٥ ، وذكر ابن القيم هذه الآثار فى (الاعلام) وقال : واسانيدها فى غاية الصحة (حـ١ ص ٥٦) كما بين المراد بالرأى المذموم والرأى المحمود . فليراجع .

(٢) التفسير والمفسرون حـ٣ ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٣) هذا المقال المشار اليه يوجد بالعدد الخامس من السنة السادسة (سنة ١٩٣٧ م) .

(٤) الآيتان (٣٨ ، ٣٩) من سورة المائدة .

(٥) الآية (٢) من سورة النور .

(٦) الآية (٣١) من سورة الاعراف .

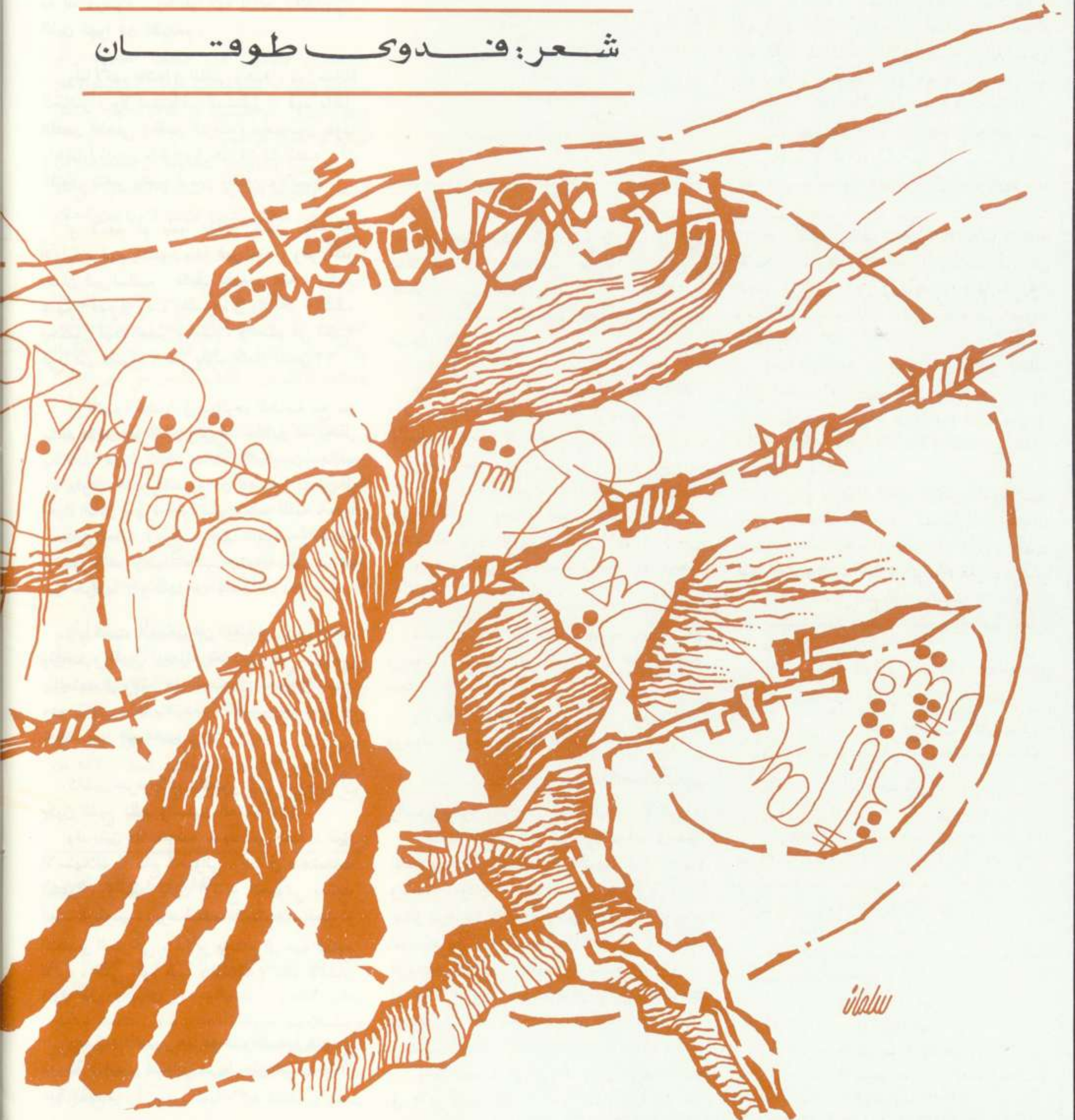
(٧) السياسة الاسبوعية ص ٦ من العدد السادس من السنة السادسة (٢٠ فبراير سنة ١٩٣٧ م) .

من صـــــــــور الاحـــــــــتلال الإسرائــــــــيلي:

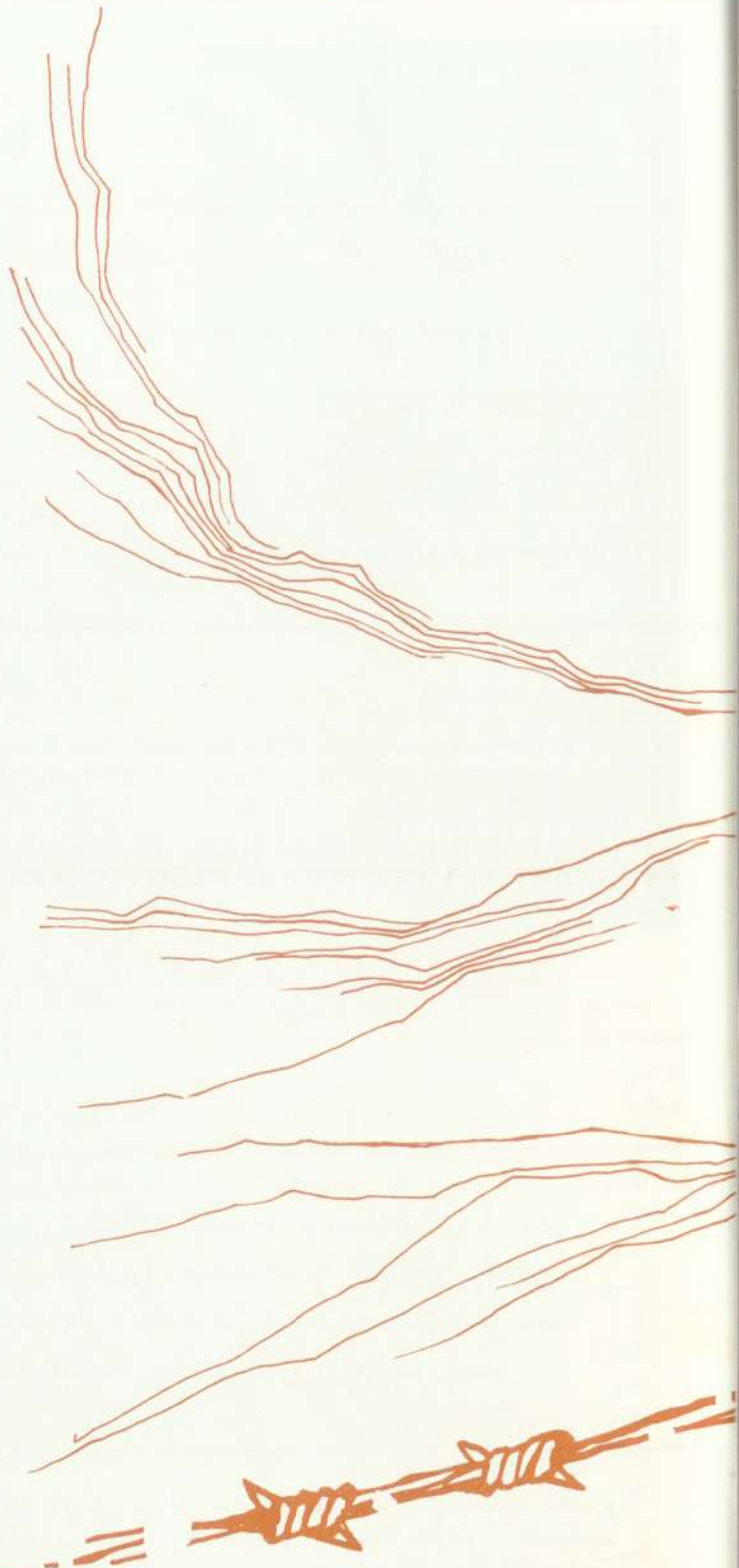
حكاية أخرى أمام شبّاك التصاريح

مهداة الى الطفلة «طروب» حفيدة شقيقتي في الضفة الشرقية

شعر: فـــدوى طوقــــان



آه يا غنوة حب عذبةً ، يا لحن مزْهَر
أنت ، يا أثمن من درّ وجوهر
اقرئيني في الغد الآتي واذ تضحين يا حلوة أكبر
اقرئيني في الغد الآتي فشعري
صورة من واقع جهمٍ مكدّر
أمس يا حبة عيني
فاض بي شوقٌ الى مرآك ، شوقٌ لا يُصَوَّر
فتجهزت بتصريح لكى يأذن ضباط وعسكر
بعبورى نهرنا الغافي على حلم التحرُّر
ولدى الشباك في الجسر انتظرت الدَّوْر في صمتٍ في صبر
ان دورى فتقدمتُ أحثُّ الخطوَ جذلىٰ
ولتعْسي
ردَّ لي الجنديُّ تصريحي وأقصاني بعيداً وتأمَّر :
« ارجعي من حيث أقبلتِ »
ـ : لماذا ؟ !
ـ : « ارجعي من حيث أقبلت » وزمجر
قلت : ما ذنبي ؟ أنا لم أعص أمراً ، لا ولا زَعْزعتُ أمناً ،
لا ولا حَرَّضْتُ أو شاغبتُ في دولة « قيصر » ..
خبَّروني
أين ألقي ضابط الجسر عسىٰ
يشرح الضابط لي ما لم يُفَسَّر
فأنا من فرط حرصي
وأنا من فرط حبي
لبلادي ولأرضي
ولبيتي ولبستاني وجيراني وللأشجار والأطفالِ والأحجارِ ـ
« والدوّار » والسوق وأصحاب الدكاكين ومن خوفي من ـ
الإبعاد والنفي الذى يقطع فينا مثل خنجر
لم أزل أحتمل الإذلال والقهر وأصبر
صاحَ في حدّته القصوى : « افهمي يا هذه ما قلت هيَّا وارجعى
من حيث أقبلت » وأقصاني وأقصاني بعيداً وتوتَّر
فتراجعتُ بخطو يتعثَّر
أى وربي لم أعد أفهم شيئاً غير كوني
في زمان اليتم والحكم اليهودى المقدَّر
ليس لي « معتصمٌ » يأتي فيثأر
لا ولا « خالدُ » في « اليرموك » يظهر
....
عدتُ أدراجي وجرح القلب يدمىٰ
وبعينيَّ دموعٌ تتحدر



فدوى طوقان

نابلس ـ الضفة الغربية



الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

القروي شاعر العروبة سيرته في ذكريات

بقلم : أكرم زعيتر

الشاعر الكبير بين همومه وهموم الوطن :

لَوْكانَ يَدْري حَسُودي مَا أُكَابِدُه في الحَقِّ .. ما أكَلَتْهُ جَمْرَةُ الحَسَدِ

في هذه الحلقة يختتم الكاتب الكبير « أكرم زعيتر » سلسلة مقالاته الرائعة عن القروى شاعر العروبة ، وهى المقالات التى اختص بها مجلة الدوحة ، وأعادت إلى الأذهان روح المؤلفات العربية الكبرى مثل « الأغانى » و « العقد الفريد » فكتابات أكرم زعيتر هى امتداد عصرى لهذه المؤلفات العربية المجيدة .. والدوحة على موعد آخر مع الكاتب الكبير فى سلسلة جديدة من مقالاته الممتعة عن الشاعر العربى الراحل بدوى الجبل :

نشرت صحيفة لبنانية أن قيصر الخورى ، الشاعر المدني ، قد توفى فى البرازيل ، وكنت أعلم أن الشاعر القروى جاء من « البربارة » ونزل بيت صهره فى الأشرفية ، فبادرت إلى زيارته للمواساة والتعزية على الرغم من اضطراب الأمن وخطر اجتياز الحدود بين بيروت الغربية والشرقية .

وبدا لي من حرارة ترحيبه ، وطلاقة وجهه أنه لما يعلم بوفاة شقيقه ، فلم أشأ أن أكون الناعى . وقد جرنى الحديث عن أصدقائه من شعراء المهجر الراحلين ، وتعمدت الإفاضة فى القول عن صديقه وصديقى الشاعر النابغ الذى بلغ إعجابى به الغاية ، الأستاذ شفيق معلوف ، وقد لذنى ثناؤه الجم عليه ، وتنويهه ببداعة شعره ، وجمال ديباجته ومتانة لغته « ولو ترجم شعره إلى أى لغة لأعجب وأطرب ... ومات شفيق وأنا على الطريق وقلت هذا فى رثائى له » وساعفته ذاكرته فتلا متأثراً :

قسماً بحبك يا شفيق
و « بعصبة » الأدب العريق
وبطبعك السَمح الكريم
وشعرك الفخم الرقيق
إنى كعهدك يا شقيق الروح
اقرب من شقيق
عفوا اذا أنا لم أسر
كفى بكفك يا رفيق
السبق دأبك والزمان
محملي مالا أطيق
اسعى ونورك رائدي
وأدب خلفك فى الطريق !







ثلاث لقطات للشاعر القروى فى السنوات الأخيرة من حياته .

وتذكرنا قصيدته في «كلب الصيد» وكنا سمعناها معاً من شفيق فى بيته فى سان باولو ، ولا أقوى وأنا أدون هذه الذكريات على حرمان الدوحة جمالها :

تشممَ كلب الصيد طيراً فأبرزت
نواجـــذه نصلاً وأظفاره مدى
وساف خبايا العشب شماً بمخطم
تنسم خلف العشب ريحاً بها اهتدى
كأن له عيناً على أنفه ترى
خلال مهب الريح صيداً تلبدا
نضى ذَنَباً صلبَ القناة مصوباً
وشال برجل عاقفاً بعدها يدا
وحملق لم يطرف بعينيه طارف
يلوك شجيً في حلقه متردداً
ومال باحدى مقلتيه يهيب بي
كعبـــد يمني بالغنيمة سيدا

والحديث عن شفيق يذكر بأخيه الشاعر النابغ فوزى معلوف ، الذى قضى شاباً ، واشتهر بقصيدته «شاعر فى طيارة» وفى رأى القروى أنه امتاز فى شعره برقة العاطفة امتياز شفيق بالحكمة والرصانة ..

وأقيم لفوزى فى بلده ، زحلة ، تمثال نصفي سنة ١٩٣٧ ودعي شفيق من البرازيل الى الاحتفال بإزاحة الستار عن وجه أخيه ، فلا أجمل ولا أروع من مطلع قصيدته :

فوزي ، ومالي في الخطوب يدان
مـا هـكـذا الأخـوان يلتقيان
قدمت صدري للعناق فلم يقع
إلا على حَجـــر من الصوان

وناهيك بمطلع قصيدته فى رثاء أخيه روعة :

أقبلت أبحث عنه في الترَب
تاج تدحـــرج عن جبين أبي

وبعد تردد ، واستشعار بالرهبة ، سألت القروى عن أخيه قيصر ، فقال : إنه لم يتلق منه منذ مدة أى رسالة .. وسألته عن أبيات لأخيه عن فلسطين فابتسم واستنجد بذاكرته قليلا ثم تلاها :

سقيناك يا غرب ماء الحياة
فكان وفاؤك نفث الحمم
تعلمت رعي النجوم وفاتك
أن تـتعلم رَعـيَ الـذمم
سننتَ النيوب كأن فلسطين
مرعى تسمن فيها الغنم
وإن فلسطين للعرب روحاً
وجلداً ولحماً وعظماً ودم

وعدت أدعوه الى تكريم يقام له فى المركز الثقافى الاسلامى وحسبنا محض حضوره فاعتذر بسبب هذه الظروف فى بيروت ثم قال . «إن اتحاد الكتاب اللبنانيين دعونى الى حضور مؤتمرهم ضيف شرف فذهبت إليه ، وأنا كما ترى ، وبيروت كما ترى وتسمع ، وأهديت اليهم قصيدة مستوحاة من هذه الحال ، فاستنشدته اياها وفيها يقول :

طيور الكتــاب حججن الحمى
عصائب من كل جَوب وصوب
يَسقنَ من الهَدي باقات فكر
ولوحـات فن وروضات كتب
ولما رنـــونَ مـــن البـيت
حَولنَ أبصارَهن وصحن برعب
آلهى ! آلهى ! لماذا؟ وماذا؟
أصـــابك ياخير أرض وشعب
أذا وجه بيروت أم الحضارة
مبدعة الحـــرف ؟ كلا وربى
أكل البلا د خـراب ونهب
أكل المطارح ساحات حرب ؟
وقد ذهب العقل من كل رأس



صورة تذكارية تضم من اليمين إلى اليسار : وديع ديب ، زهير عسيران ، الشاعر القروى ، أكرم زعيتر ، ميشال أبو جودة .

وقد نضب الحب من كل قلب .

وسألني : « هل ترى .. » ويبدو أنه نسي الاسم .. وراح يستذكره .. ثم ذكره باسمه ، وواصل « وقيل لي إنه فى مقال نقدي انتقصنى حقي » فقلت : « ما شاء الله ذاكرتك قوية تتلو القصائد الطوال بلا تلبث ، وتذكر دقائق المناسبات ، قال : ولكن الذاكرة تخونني أحياناً بالنسبة إلى الأسماء .. وقد حدث أن نسيت اسم آنسة ، فعاتبتني وفى هذا أقول :

قالت : نسيت اسمى فقلت لها اعذري
ذهب الشباب الغض وانقطع الرجا
ذهني تيبس طينةً حتى غدت
تتدحرج الأسماء عنه تدحرجا

وعاد إلى سؤالي عن الأديب الذى بلغه أنه تنقصه فوكدت له أنه يجله ويعجب به ويتوق الى لقائه ، قال : لعلي تجنيت عليه حين ظننت أنه ممن قلت فيهم :

اليس فى العمر يوم استريح به
من شر منتقم أو لؤم منتقد
من كان يطمع فيما نلت من شرف
فَلْيَشد وليعتقد شدوى ومعتقدى
لو كان يدرى حسودى ما أكابده
فى الحق ما اكلته جمرة الحسد
إنى صعدت إلى مجدي على جبل
مما تهدم من روحى ومن جسدي

وواصل : « على أن هناك أحباباً اضطر إلى مقارعتهم ، ونفسي لا تطاوعني أهجرهم ولكنني أحن إليهم وقد خاطبتهم :

أرمي بكعب السمهري صدوركم
وسنانه بيدي يقطع أنملي
أبكى وأضحك للعذاب كمرضع
شد الوليد بشعرها المسترسل

أى إنه كالأم التي تحنو على رضيعها وهو يوجعها بشد شعرها ..

قلت : ومع ذلك فإنه سيستغفرك متمثلا بقول بدوي الجبل :

أنا البرىء ، ولكن حرمةً وهوى
أقر بالذنب كى ترضى وأعترف

واستعادني هذا البيت وقال : أما أخوك القروى فقد قال :

كم صاحب حرصاً على وده
طلبت أن يغفر لي ذنبه

وأذكر أنني سألته : ما آخر مانَظمت ؟ فأجاب ضاحكاً : « أبياتاً فى ذات الثوب المطعج » وتلاها من ذاكرته ، وكأنه يرتلها منغمة ، وكنت اسمعها ، أشبه بالمذهول ، مدهوشاً من شاعر تجاوز التسعين ، وكنت أحمل ملفاً فيه قصاصات قدمتها إليه ، فقلت : ألا تكتب هذه الأبيات بخطك على ظهر هذا الملف تكون من أثمن ما احتفظ من ذكريات » ؟ فتناول القلم المداد وكتب أبياتاً بعنوان « ذات الثوب المطعج » :

أمخبآت كنوز حسنك
أم ثنيات الحرير
جنبا الى جنب ينمنَ
منامة الطفل الصغير
كشفاه وَرد الشام
مطبقة الثغور على الثغور
ماذا طويت وراء هذا
الثوب من نار ونور
آآراك بين يدي مس
ـبلة الغديرة كالغدير
من لى بأسعد ساعة
فى العمر للشيخ الوقور
فيها ربيع صباك
يغمرنى بفواح العبير
حلم يراود مقلتى
وأستفيق على غرورى

ولا أذكر أنني لقيت القروى إلا تذكرت صنوه الشاعر الياس فرحات ، وكان يستأنس بالحديث عنه ، وكثيراً ما استشهد ببيت أو بيتين له مثل قوله :

ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها
عن الذل تحلو للأبيّ وتعذب

وكنت أعلم أن جفوة رانت على العلاقات بينهما ، والقروي برهافة حسه سريع التأثر وتصديق ما يسمع ، مما يؤدى إلى جفاء بعض أصحابه جفاء لا يلبث حتى يزول ، وكان فرحات يرسل تحياته إلى القروي استرضاء له ، فلما قضى

فرحات التاع قلب القروي وبكاه ورثاه ناحباً بقصيدة منها قوله :

على قَدر سني لا شعورى خذ منى
قضى معك الشعر المعبر عن حزنى
تضاعف بعد الفرقة الحب بيننا
وفى القرب ماينئي وفى البعد ما يدني
حماقات أطفال صغار نسيتها
ولَم ينطبع غير الصداقة فى ذهني
لنا فى ميادين الجهاد ملاحم
سينقلها التاريخ قرناً الى قرن
وأقوى حبال الود حبل عروبة
ربطنا به بين العقيدة والفن
تحيتك المعطار بالأمس كم بكى
لها فرحاً قلبي ، وكم ضحكت سني

* * *

وعلمت بعد أيام أن القروى قد تلقى نعي أخيه قيصر وأنه متفجع عليه يحس وحشة الدنيا لغيابه ، فانتهزت هدنة بين المتقاتلين ، ويممت الأشرفية ، وأقبل وئيد الخطى ، رابط الجأش ، وأجملت القول فى التعزية كما أجمل الجواب .. وأحسسنا أننا فى مأتم .. ومالبثت حتى سألته : هل رثيت أخاك ؟ فاغرورقت عيناه ثم تناول ورقة ، وادناها منهما ، وراح يندب شقيقه :

أطيق العيشَ بعدك كي أنوحا
وأشفق أن أموتَ فأستريحا
أجدد ذَرف دَمعيَ كل يوم
ولو جاوزت في الأيام نوحا
أخي «المدني» يا أوفى وفي
فقدت بفقده الحب الصحيحا
وياعيني التي تعمى بكاءً
ويا قلبي الذى يحيا ذبيحا
مللتَ من الحياة فرحتَ قبلي
وكنت أود قبلَك أن أروحا
شكوتَ العيش في «طَلَل(١)» فقل هل
وجدتَ بديله البيت المريحا
أإن لم تشبع الخبز ابتساماً
لتشبع جائعاً تدعى شحيحا

وهنا استوقفت الشاعر وقلت : إنني لم أفهم المراد بهذا البيت .. فأجابني : إنني اشير فى هذا البيت الى قصيدة لشقيقى عنوانها «الجائع والرغيف» وفيها يقول :

جاءنى يسأل الطعام بصوت
خافت يستعين فى إيمانه
غائر العين لا تكاد تراه
وهى كادت ترى طوى أحشائه
حارت النفس فى بقية جسم
بات لا يستطيع حمل رجائه
جئت أحمل الرغيفين : خبزاً
وابتساماً لجوعه وشقائه

الى آخر القصيدة .. فأنت ترى أنه جعل الابتسام رغيفاً .. ثم واصل تلاوة مرثاته أخاه :

أبعد «مخازن الأظلال»(٢) ظل
تدير به غبوقك والصبوحا
أباريقاً من الأدب المصفى
شبيهي كنت سيماء وفنا
كأنك توأمي جسداً وروحا
أتطوى النسختان معاً ترى ام
تغلف كل خالدة ضريحا

وأحسست وهو يتحدث عن رفاقه من العصبة الأندلسية الذين سبقوه أننا نقيم الساعة حفلا تأبينياً لهم نمجد فيه ذكراهم .. فذكر صديقه الشاعر الراحل ميشيل المغربى وقد رثاه بقصيدة هى الروعة ، وذكرنى مطلعها :

ذهب الرفاق جميعهم من دونى
لم يبق منهم شاعر يرثيني

بمطلع قصيدة أحمد شوقى فى رثاء حافظ ابراهيم :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياء

وقال بعد المطلع :

وغدت عناوين الفحول قبورهم

تنويه

وقعت بعض الاخطاء المطبعية فى الحلقات الثلاث الماضية وقد بعث الينا الكاتب الكبير أكرم زعيتر بتصويب لها :

العدد	الحلقة	الخطأ	الصواب
١٠٧	الأولى	فى صبرا	فى صيدا
»	»	الزيني	الزين
»	»	كالشفاعة	كالشماعة
١٠٨	الثانية	صحبني	صبحني
»	»	تفوقك	ففوقك
١٠٩	الثالثة	فقرعتها	فقرعتهما
»	»	مدافع لة	أمة

فرسائلي قطَع من التأبين
الشعر يبكيهم بكل بحوره
وبما حوت من لؤلؤ مكنون

والقصيدة طويلة تغنى فيها بصداقة المغربى ومحبته :

كم ضحكة كنا نزقزقها معاً
كالطير بين حدائق وعيون
ولكم تساقينا القوافى الغُرّ لا
أرويه ما رُويتْ ولا يروينى

وذكر أخاه المدني آخر درة فى عقد العصبة .. وأنهى المرثية شادياً :

ماذا أؤمل بعد من عيشى وها
قدماى غارقتان فى التسعين
لولا البكاء لخلت أنى مَيت
حصرَت حياتي كلها بعيوني
بدموعي الحري أبل ترابهم
ليعيد ربي خلقهم من طين .

وتذكر صديقه الشاعر المهجرى الراحل «نعمة الحاج» وهو من أعضاء الرابطة الأدبية فى الولايات المتحدة ، وقد رثى فى رثائه إخوانه ونفسه وفيه يقول :

بكيتهم حتى بكَوا لبكائي
ولم يبق لي دمع لنظم رثائي
يغيبون عني كوكباً إثر كوكب
ويخبو أمامى من أطل ورائى
أتى يعزيني بنعمة صاحبى
وعاد يعزيني بفقد عزائي
اذا نعمتي ولت الى غير عالم
فهل بعد لي فى الأرض غير شتائي
حياتي صارت علةً مئوية
فيارب عجل بالممات شفائي

* * *

وغادرت بيروت الى عمان صيف سنة ١٩٨٢ بدعوة من جلالة الملك الحسين بعد أن تركت بيتى لاجئاً الى فندق الكومودور ، ضيفاً على صاحبه شهرين ، ولم أكد أجترح المعجزة فأصل الى عمان حتى صمخ اذنى نبأ الصاروخ الاسرائيلي الذى حرق مكتبتى كلها .. ولكن حقيبة وثائق وأوراق قد نجت لوجودها فى سرداب سري لم تستطع زبانية اسرائيل أن تهتدى إليه .

وتيسرت العودة إلى بيروت فى مطلع سنة ١٩٨٣ لتفقد الأوراق المخبوءة واصلاح البيت المخرق ، واستجابة لرغبة مجلس أمناء المركز

الثقاف الذين قدروا أسباب إقامتي فى عمان وكرمونى برئاسة المركز الشرقية .

وفى اليوم التالى لبلوغي بيروت رن جرس التليفون وكانت المفاجأة السارة أن يهاتفنى الشاعر القروى من الأشرفية : « حبيب القلب أكرم .. انتظرتك طويلا .. تعال إلى . أريد أن أراك وأخشى ان اقضى قبل ذلك .. » فأجبت متأثراً : « لبيك وسأكون عندك فى أقرب مما تظن من ميعاد » .

وعلى ما فى اقتحام الحواجز من مغامرة فقد هاتفت صديق القروى وصديقى الأديب وديع ديب واتفقنا على زيارة القروى ، وقد تعهد صهرى « حسن » بأن يضمن ايصالنا الى القروى بسيارته مقتحماً كل عقبة . وفى الطريق الى بيت شفيق الخورى ، صهر القروى ، كنت أهامس نفسى : « يبدو أنه اللقاء الأخير ! » وهانت كل مشقة حين بلغنا الدار ، وقالت لنا بنت أخته ، ربة الدار ، بعد الترحيب والتأهيل والتسهيل : « القروى ينتظركم بقلق » . وأقبل علينا بقامته السمهرية يعانقنا .. ثم بدا لي أنه يعلم خبر « نزوحى » الى الأردن ناجياً بنفسي وكان سؤاله غير المرتقب : « وكيف حال الملك حسين ؟ » فأجبت — : « إنه بخير وله فضل استدعائى الى عمان » وما رأيك فى أن توجه إليك دعوة من الجامعة الأردنية فتعتمر عمان ، ونحتفى بك ويستقبلك الحسين مرحباً .. » وهنا تطلق وجهه وقال : ليت صحتى تمكننى من السفر .. يا أخى ضعف بصرى وكل سمعى .. على اننى سألبى الدعوة حين استطيع .. » .

وأشار الأستاذ وديع الى احتراق مكتبتى بالصاروخ المجرم : فقلت « وعز على أن تلتهم النار الطبعات الأولى من ديوانك ، وتلتهم معها عبارات التقدمة بخط يدك ، وهى أسانيد وأوسمة أدبية » فقال . « مهلاً » ونهض الى غرفته وعاد بالديوان فى جزئين ، بطبعته الأنيقة الخامسة التى نشرتها « دار المسيرة » ببيروت وقال قبل أن يدلى بها الى : « الحمدلله ذهنى لم يتثلم وخطى لم يترجرج .. » وتناول القلم المداد وكتب كلمة الاهداء : وقد تأثرت بها أكثر مما ازدهيت .لأن خاطراً لم يبرح ذهنى أن هذا آخر لقاء . وهذه السطور آخر ماكتب : « إلى أخطب من سمعت فى سبيل فلسطين ، الأخ المناضل الأستاذ أكرم زعيتر هدية مضمخة بطيب المودة والاحترام وذكرى من قلب الى قلب . رشيد سليم الخورى » وجعل التاريخ بالأرقام الهندية ، ولما ارادالإمضاء « القروى » ارتجفت يده قليلا .

وبينما كنت اتصفح الديوان اذا بدوى القذائف وازيز الرصاص يصمخان الآذان ، ومع أننا ألفنا هذا فقد تمعر وجه القروى ، فقلت : « علمت أنك نظمت أبياتاً تصف هذه الحال أو تندد بالأشرار .

ذات الثوب المطعّج

— أمخبآت كنوز حسنك ام [illegible] الحرير

— جنباً الى جنب يمن [illegible] المغل الصغير

— [illegible] ورد الشام [illegible] الثغور على النحور

— [illegible] وراء هذا الثوب من نار ونور

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

— [illegible] مسبلة الغديرة كالعذير

— [illegible] في العمر للشيخ الوقور

— [illegible] ربيع صباك بخمرتي بفوّاح العبير

~~[illegible]~~

— حلم يراود مقلتيّ واستفيق على غروري ..

القروي

ذات الثوب المطعج : آخر ما نظم الشاعر القروى ، وقد كتبها بخط يده بناء على طلب كاتب المقال .

« قال ، والقلم المداد بيده : « لعلى تجاوزت كل قساوة على بلدى .. » . وتلا الأبيات الخمسة ، ورأيتنى أقدم له الجزء الثانى من ديوانه ليكتبها بيده على الصفحة الأولى البيضاء ، فكتب متمهلا :

لبسنا الصليبَ والهلالَ ورحنا
لسـفك الدماء نسوق الجيوشا
فباتت قرانا قبوراً وأمست
اسـرتنـا الحـالمـات نعوشـا
فكم ألف مليون عام ستمضى
لكي نرتقى ونصير وحوشاً ؟

كانون الثاني ١٩٨٣

وبعد أن وقع الأبيات أحس بتعب فى عينيه ، فعركهما وقال القروى لصهري حسن . « وعدتنى بالمكبرة ، فما عندى لا تحقق غرضي » فاجابه : غداً تكون عندك ان شاء الله » وواصل القروى : على أننى لا أخشى العمى وأنا القائل :

طلقت دنياى على حبها
كـأنى حي بهـا مَيت
ما عدت استصعب فيها العمى
لـطول ما عنها تعاميت

قلت : ولكن بصيرتك أنفذ بصيرة فقال : « لعل الله يعوضنى من البصر بالبصيرة » وأنشد :

ولولا أن حباني الله نوراً
غـريـبـاً يلمح الـوهم المريبا
لصدقت ابـتسـامة كل ذئب
يسـن لى الأظـافـر والنـيـوبا

وكان مما تحدثنا عنه فى ذاك اللقاء الأخير بطولة الفدائيين الفلسطينيين في مقاومة الغزو الصهيوني ، وما انتهى إليه الحصار من خروجهم من بيروت ، والحملات المتجنية عليهم ، واحتفالهم ، وهم مشردون هنا وهناك ، قبل أيام بالذكرى الثامنة عشرة لانطلاقتهم فسألنى : « هل اطلعت على ما قلت عند انطلاقة الثورة ؟ » قلت : « كلا وما أحوجنى إلى ما يبدو « إحباطاً » أحسه .. » .. فنهض الى غرفته وعاد يحمل « ملزمة » من ديوان أو كتاب قيد الطبع وأدناها فى عينيه ، وتلاها ثم ناولني اياها تذكاراً . وعندى أنها جديرة بأن تكون نشيد النازحين الفلسطينيين الثائرين الذين أخرجوا من ديارهم لاجئين فما لبثوا حتى غدوا مجاهدين :

بعث الشهيد ودحرج الحجرا
من قال : إنى لاجىء كفرا
مزقت أكفانـي وهـأنـذا
خلف الحدود أجابه الخطرا
وأثـور عـاصـفة مدمرة
هوجاء لن تبقى ولن تذرا
أنا من فلسطين ، وهل عجب
إن ثار مظلوم وإن ثأرا
أنا رب أقدس تربة اثرا
وسليل أعظم أمة خبرا
غدرت بنا الدنيا وشردنا
بغي تحدى البدو والحضرا
جعنا ولم نركع ، ولا أكلت
أختي بثدييها كمن غدرا
حملت معي شم الجبال وما
عثرت ، وحامل رأسه عثرا
يا نسل شيلوخ الألى عرفوا

بالشح مسخرة لمن سخرا
رووا مزارعكم بكوثرنا
عما قريب نقطف الثمرا
وندك دولتكم بكل فتى
ينقض كالصاروخ منفجرا
ونعيد تل أبيبكم خبرا
للناس لاعيناً ولا اثرا
قسماً بأمة يعرب قسماً
لنعود ، فاسمع يا زمان ورَ

وقبل أن أودعه قلت : « نثرك رائع روعة شعرك .. ألا نطمع فى ديوانك النثرى ؟ » فأجاب : جمعت ما أمكنني جمعه من منثوري وأرجو أن ينشر وقد قدمته بأبيات :

هذى السطور مساحب الشهب
بدمي أزيتهن لا بمدادي
آياتهن لدى الحجى شفافة
عن خير أخلاق وخير مبادي
فاقبل اذا طالعتهن تحيتي
واذكر جهادي فى سبيل بلادى

وقلت : قبل النهوض للوداع : « طال عمرك .. ستظل الأجيال تذكر جهادك وتشدو شعرك ما ظلت عروبة .. » . وتعانقنا وما ساورني شك أنه الوداع الأخير ..

وهاتفني فى اليوم التالى : « حبيب القلب . غداً أعود الى البربارة فاذا تيسرت المكبرة فاعطها الأخ وديع ديب وهو يتكفل بايصالها ، ولعلي لا ألقاك بعد الآن » . وبادر صهرى حسن الى ارسال المكبرة ..

• • •

وأراني فى ختام هذه الذكريات أقيم ، تحت ظلال « الدوحة » ، لشاعرنا الراحل حفلة تأبين أدع المنبر فيها لخمسة من أعلام الأدب وأئمة البيان :

قال صديقي الأثير الكاتب المهجري الكبير ، نظير زيتون : « إن القروى لم يولد فى البربارة ، بل ارتدى هناك قميصه الترابى فانتسب اليها ، ولكنه ولد مع الأعاصير فى الغابات ، ومع الزلازل فى الجبال ، ومع الصواعق فى البحار . ولد مع الندى فى الفجر ومع الأزاهير فى الربيع ، ومع البلابل فى الجنان ، ومع الجمال فى نشوة نيسان ، ولد الأسطورة فى عبقر ، ومع الرؤى فى ومضة الروح ومع السحر فى أهداب العذارى . ولد مع الدمع الأخرس اللاهب فى غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب . وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم . ولد الشاعر القروى مع أمته فى شروقها وغروبها ومدها وجزرها وخمرها وخلها » .

وقال الشاعر العظيم ايليا أبو ماضى :

واذا نظرت إلى الجبال لمحته
فالشاعر القروى طود إباء
من كان يحلم بالغدير فإنني
شاهدته فى كل قطرة ماء
صارت اليك تحيتي ولَو أنني
خيرت كنتَ تحيتي ورجائي

وقال شاعر العربية بدوى الجبل : « لقد رشفت عطور القومية العربية حين رشفت ديوانك ، وأدرت على سريرتي ألحاناً عذبة حين أدرت الحانك . وأبدعت ربيعاً فى كل نفس ، ودللت شعرك أن أقرأه سطوراً فنهلته نوراً ، وأشتففته عبيراً . وما اختصر حسن فى الدنيا بأحلى مما اختصرت به الروضة فى قارورة عطر ، ولا بأندى مما أوجزت القومية العربية فى هذا الشعر ، فكبرياؤها مجلوة فى كبريائك ، وحياؤها منور فى زهدك وحيائك ، وعنفوانها محتدم بتمردك وإبائك . وتجمع ارضها وسماءها جذوة من حنينك ، وتضم جراحها وأمجادها دمعة فى جفونك .. فأنت دنيا فى وجدان وأمة فى انسان » .

وقال صنوه وشقيق روحه الشاعر الياس فرحات : « إن المعامل والسحابيات والقصور المنيفة التى شادها المهاجرون العرب فى مهاجرهم ستتحول مع الزمن الى ركام وحطام ، وسيصبح ما بقي منها ملكاً للبلاد التى هى فيها ، أما ديوان القروى فإنه إرث للعرب ، ووالله يا رشيد لو اجتمعت طوائف الانس والجن فى مؤتمر تبحث فيه عن أثمن وأعظم هدية تقدمها لي فى هذه الأعياد لما وقع اختيارها على أفضل من هذه الهدية التى وصلت عصر أمس والتى كدت . لولا ثقلها المادي ، أطير بها فرحاً » .

وبعد فأحسب أنني وفيت صديقى القروى بعض حقه فى هذه « الدوحة » التى أرجو أن تتفيأ بها ذكريات أخرى مع أعلام فى البيان .

أكرم زعيتر

الى أخطب من سمعت فى سبيل
فلسطين الاخ المناضل الاستاذ أكرم
زعيتر هدية مضمخة بطيب المودة و
الاحترام وذكرى من قلب الى قلب
ديوان الشاعر القروي
رشيد سليم الخوري
بيروت 9+1-83
المجلد الأول



الكلمة التى كتبها عندما أهدانى ديوانه الشعرى .

هوامش

(١) و (٢) اشارة الى قصيدتي الشاعر المدني « الطلل المأهول » و « ومخازن الاظلال » .

الإسلام

والعدل الاجتماعي

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

هناك من يتهم الاسلام أنه لا يقدم حلولا لمشاكل الجماهير الاقتصادية والاجتماعية ، ويتهم دعاة الاسلام بالتهرب من معالجة ذلك ، وأنهم لا يقفون مع مصالح الطبقة العريضة من الفقراء ، ولكن الحق الذى لا مراء فيه أن الدين الاسلامى هو الذى بدأ بتقرير المساواة المطلقة بين بنى البشر قبل أن يقررها أى مذهب اجتماعى فى هذا الكون ، واذا كان المسلمون لم ينهجوا نهج دينهم فى هذا الأمر وتنكبوا الطريق وساد العسف والظلم فى بعض أدوار تاريخهم ، فإن ذلك كان بسبب تجاهل مبادىء الاسلام وطمسها وبروز التقاليد الجاهلية وطغيان الأنانية واتباع الهوى ، أما القرآن الذى حفظه الله من التبديل والتغيير وجعله نبراساً مضيئاً فى مختلف العصور والأزمان ، ولم تستطع يد أن تمتد اليه بالتحريف لطمس نوره وضيائه ، ولم يحرف كما حرفت الكتب السماوية الأخرى ، هذا القرآن بقى شاهداً يعلن الحقيقة وينطق بالحق ويدمغ الباطل ، ولازالت آياته تعلن العدالة والمساواة . (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) (١) .

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) (٢).

فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٣).

وحفظت لنا السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لافضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود الا بالتقوى وكلكم لآدم وآدم من تراب وان الله أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها) . كما أن للمرأة مكانتها اللائقة فى الاسلام ، واذا كان المسلمون قد فرضوا عليها الجهل فليس هذا من الاسلام فى شىء ، لأن الاسلام هو الذى أنقذها من الهوان الذى كانت تعيشه وجعل لها كياناً مستقلا فملكت نفسها ومالها وساوت الرجل فى الحقوق والواجبات (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) . وقد أسأنا نحن فهم هذه الدرجة كما أسأنا فهم القوامة التى للرجل على المرأة فتجاهلنا أن الحياة الزوجية شركة بين الرجل والمرأة ، والرجل هو المناسب ليتولى رئاسة هذه الشركة عقلا ومنطقاً ، فعلينا ألا نصغي للصوت الذى يأتى من الغرب فى هذا المجال فان الحياة الاسرية فى الغرب لا يرتضيها عاقل ، وليست من مصلحة المرأة فى شىء .

المال والثروة

أما فيما يختص بمسألة العدل الاجتماعى بالنسبة للمال والثروة ، فإن الأساس الذى تبنى عليه هذه القضية ، أن المال هو مال الله فى الأصل . (لله ملك السموات والأرض) (٤) . (ولله ما فى السموات والأرض) (٥) . (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (٦) . (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٧) .

والملكية فى الاسلام لا تعدو أن تكون وظيفة اجتماعية ، وشرط استمرارها أن تنفق فيما هو خير وفيما يسعد الفرد والمجتمع ليعيش الناس فى ظل التكافل الاجتماعى الذى جاء به الاسلام ، قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) (٨) . وفى الحديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) . ويرفض الاسلام أن تتكدس الأموال فى أيدى فئة قليلة ، بينما تعانى الأغلبية من الفقر والفاقة ، ومحاربة الإسراف ، إنما هو فى الحقيقة محاربة للفقر والفاقة عند المحرومين .

قال قائلون : إن تحقيق العدل الاجتماعى فى الاسلام لن يتأتى لأنه يعتمد على دعوة الأغنياء على سبيل الأرشاد والندب الى الصدقة احساناً منهم ، أما اذا امتنع الأغنياء عن سد حاجة الفقراء فلا قانون ولا نظام يلزمهم ، وستقف الدولة مكتوفة اليدين أمام مشكلة الفقر الذى يطحن أغلبية مواطنيها بينما لا تستطيع فى حكم الاسلام أن تمد يدها الى مال الأغنياء ، لأن الاسلام يحترم الملكية الفردية وستبقى مشكلة الفقر فى المجتمعات الاسلامية مشكلة معقدة على مر العصور والأزمان .

وللاجابة على ذلك نقول :

انطلاقاً من الآيات السابقة التى قررت أن المالك الحقيقى للمال هو الله ، والناس جميعهم غنيهم وفقيرهم عباده وعياله ، وأن الغني ما هو الا مستخلف على هذه المال ، يجب عليه أن يتقيد بأوامر من استخلفه وجعل الله لهذه الأوامر قوة تضمن تنفيذها قال تعالى (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٩) . قال المفسرون والحديد اشارة إلى أنهم لو تمردوا لوجب أن يحملوا عليها بالسيف ، والاسلام أول نظام أقر حقوق الفقراء فى أموال الأغنياء وقاتل فى سبيل ذلك .

ولا يخفى على أحد أن حرب الردة ، التى قادها الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، انما كانت لأقرار حق الفقراء ولازال قول أبى بكر وان شئت قل تصريحه عند إعلانه تلك الحرب على المرتدين صداه الى اليوم (والله لو منعونى عناقاً واحداً (أو عقالا) كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) .

والزكاه تمثل الحد الأدنى لما يفرض على الأغنياء للفقراء ، فإن فى المال حقاً غير الزكاة كما جاء فى الحديث . فمن حق كل فرد فى المجتمع المسلم أن يوفر له تمام الكفاية من مطالب الحياة الأساسية من الغذاء الكافى والملبس للصيف والشتاء والسكن اللائق ، ولهذا يقول الامام أبو محمد بن حزم فى المحلى (وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكاة بهم ولا فى سائر المسلمين فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة) . وقال سيدنا على إبن أبى طالب رضى الله عنه (إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم) .

لا مشكلة فقراء

فالمجتمع الاسلامى اذا اكتمل بناؤه على أساس الاسلام ، فإنه لن تكون هناك مشكلة فقراء فى المجتمع يطالبون بحقوق مهضومة ، ولن يكون هناك صراع بين الأقوياء والضعفاء لأنه سيكون مجتمعاً متضامناً متكافلا ، وقد مثل هذا المجتمع وصوره الحديث الشريف (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) فيجب ألا يكون فى المجتمع الاسلامى أغنياء وفيهم جائع (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله) .

ويجب الا يغيب عن البال أن حضارة الاسلام مبنية على قاعدتين روحية واقتصادية ، بينما حضارة الغرب لم تحفل بالناحية الروحية . ولذلك يقول اينشتين (ان الانسان تقدم فى ناحيته الحسية « أى المادية » ولم يتقدم فى ناحيته الروحية) فاذا نظرنا الى حقوق الفقراء فى الاسلام فيجب الا ننظر اليها من منظار غربى .

فالقاعدة الاقتصادية وهى تتمثل فى التنمية والعمل ، والقاعدة الروحية وهى تتمثل فى التكافل والتراحم واعطاء الحقوق لأربابها ، كفيلتان بإقامة المجتمع الاسلامى القوى ، فلن يكون هناك صراع بين الطبقات ، فالدولة الاسلامية تتدخل لاقامة ميزان العدل عندما يختل وهى ملزمة بتهيئة الفرص الكاملة أمام كل مواطنيها بالتساوى ، وحقوق الفقراء مرتبطة بحياة الانسان الروحية فقد قرنت الصلاة بالزكاة (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (١٠) وقرنت الصلاة أيضاً بالماعون الذى قال بعض المفسرين أنه يشمل المال وما يجرى الانتفاع به غالباً قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) (١١) وجاءت الآيات المحذرة فى القرآن من أهمال حق الفقراء (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) (١٢) وهناك حقوق الأقارب والكفارات على أن تلك هى حقوق العاجزين عن العمل ، أما القادرون على الكسب فملزمون شرعاً به ، وعلى الدولة الاسلامية أن تبذل قصارى جهدها فى توفيره ، وليس بخاف توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذلك فى مسألة الصحابى الفقير الذى منعه عن المسألة واشترى له قدوماً وأعطاه حبلا ، وقال له : اذهب فاحتطب . فالاسلام يحارب البطالة والكسل لذلك نص الفقهاء على أنه اذا تفرغ انسان قادر على الكسب لعبادة الله بالصلاة والصيام ونحوهما لا يعطى من الزكاة لأنه مأمور بالعمل ، بخلاف الذى يتفرغ للعلم فأنه يعطى من الزكاة واشترط بعض العلماء فى إعطاء طالب العلم من الزكاة أن يكون نجيباً يمكنه أن يتفوق فينفع المسلمين ، كما يعطى الفقير إذا أراد أن يتزوج لأنه من تمام الكفاية اذا لم يكن له زوجة وهذه اجتهادات للفقهاء تسند الى قواعد الشريعة العامة .

مذهبـــان

وقد تعرض الفقهاء للقدر الذى يعطاه الفقير من الزكاة وكان لهم فى ذلك مذهبان :

الأول : أن يعطى كفاية العمر بمعنى أن ترسم خطة لفقراء الحي أو القرية أو المدينة بأن يعطى قسماً منهم من الزكاة ما يغنى كل واحد منهم طيلة عمره بحيث لا يدفع له من الزكاة مرة أخرى ، فاذا كان حرفياً واحتاج الى ما يطور حرفته فيزداد دخله ويستغنى عن الناس أعطي حاجته . وإذا كان مزارعاً أعطي ما يشترى به أو يستأجر أرضاً زراعية وآلة حرث يستغنى بالغلة طيلة عمره ، وان كان تاجراً أعطي ما يسد حاجته ، والعاجز عن الكسب يعطى مثلاً ما يشترى به عقاراً يكريه لتوفر له الأجرة ما يحتاجه فى العمر الغالب .

أما المذهب الثانى فيعطى المستحق كفاية سنة ، ويقول الدكتور يوسف القرضاوى : بحق إن كلاً من المذهبين له مجاله ، ذلك أن الفقراء والمساكين نوعان : نوع يستطيع أن يعمل ويكتسب ويكفى نفسه بنفسه كالصانع والتاجر والزارع ولكن ينقصه أدوات الصنعة أو رأس مال التجارة أو الصنعة وآلات الحرث والسقي ، فالواجب لمثل هذا أن يعطى من الزكاة ما يمكنه من أكتساب كفاية العمر وعدم الاحتياج الى الزكاة مرة أخرى ، وفى عصرنا هذا يمكن تنفيذ ذلك عن طريق بناء مصانع ومنشآت من مال الزكاة تملك للفقراء القادرين على العمل ، والنوع الآخر عاجز عن الكسب كالزمن والأعمى والشيخ الهرم والأرملة والطفل ونحوهم ، فهؤلاء لا بأس أن يعطى الواحد منهم كفاية السنة أى يعطى راتباً دورياً يتقاضاه كل عام بل يصح أن يوزع على أشهر العام ان خيف من المستحق الاسراف وبعثرة المال فى غير حاجة ماسة ، وهذا الذى ينبغى اتباعه فى عصرنا كما هو الشأن فى (رواتب الموظفين)اهـ وما قاله الدكتور القرضاوى يتفق تماماً مع ما نص عليه بعض الفقهاء من الحنابلة فى كتبهم .

والزكاة فى نظر الاسلام حق للفقراء لا منة فيه ، وتقوم الدولة بجبايته وتصرفه على مستحقيه ممن لا دخل له أو له دخل لا يكفيه ، والعبرة بالكفاية لا الكفاف ولعل من نافلة القول أن نقرر أن الزكاة فى الاسلام هى أول ضمان اجتماعى فى العالم لا يعتمد على الصدقات الفردية ، ويخطىء من يدعى أن التكافل الاجتماعى بتدابير حكومية قد بدأ فى الغرب فى القرن السابع عشر وأخذ شكله الرسمى بعد الحرب العالمية الثانية عندما اتفقت بريطانيا وأمريكا على تحقيق التضامن الاجتماعى للأفراد خوفاً من انتشار الشيوعية وقيام الثورات ، فإن التضامن الاجتماعى فى الاسلام تميز بالسبق ولم يفرض لأسباب سياسية وتقوم الدولة فى الاسلام برعاية من هو فى كنفها من المسلمين وغيرهم وتكفل لكل ذى حاجة حاجته .

والعمل هو الأساس الأول والمهم فى مجتمع الاسلام قال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)(١٣) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)(١٤) . فلا مكان للكسالى والعاطلين فى مجتمع الاسلام .

روى أن عمر رضى الله عنه رأى بعد الصلاة قوماً قابعين فى المسجد بدعوى التوكل فعلاهم بدرته وقال لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وقرن القرآن السعي من أجل المعاش بالجهاد فى سبيل الله فقال (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله)(١٥) وقال عمر : (ما من حال يأتينى عليها الموت بعد الجهاد فى سبيل الله أحب الى أن يأتينى وأنا التمس من فضل الله) . وحث نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم على التجارة والزراعة والصناعة والحرفة فقال (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء) . وقال (ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة) وقال (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده) وقال (من بات كالا من طلب الحلال بات مغفوراً له) وقال (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . ولا غرابة أن يكون الأنبياء حرفيين أو رعاة ضاربين المثل لأتباعهم قال صلى الله عليه وسلم : (ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال نعم كنت ارعاها على قراريط لأهل مكة)(١٦) وروى ابن عباس ان داود كان زراداً وكان آدم حراثاً وكان نوح نجاراً وكان أدريس خياطاً وكان موسى راعياً)(١٧) .

ورأينا أكابر العلماء وفحولهم ممن لا تزال آثارهم ومؤلفاتهم بين أيدينا تدل أسماؤهم على مهنهم ، ولم يجدوا هم ولا المجتمع الذى هم فيه أى غضاضة فى ممارستهم للحرف ، رأينا الخراز والقفال والبزار والزجاج والصباغ والجصاص والصبان والخياط والخواص والقطان وغيرهم ممن برعوا فى شتى العلوم والثقافة والأدب .

العمل هو الأساس

فالعمل إذاً هو الأساس ، والاسلام شجع عليه بمختلف الوسائل والطرق ، فالكسالى والمتبطلون ليس لهم مجال فى المجتمع الاسلامى ، والاسلام لم يجعل لهم حقاً فى صدقات المسلمين وحذر من التسول ففى الحديث الشريف (لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى)(١٨) (ولاحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب)(١٩) وقال صلى الله عليه وسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى ولأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ليتصدق به ليستغنى عن الناس خير له من أن يسأل رجلا اعطاه أو منعه) والامام الغزالى قرن التسول باللصوصية لأن اللص والمتسول يأكلان من سعي غيرهما فهما حرفتان خسيستان وتتكون عصابات اللصوص وجيوش المتسولين من ترك التدريب على العمل فهما مهنتان تفرزهما البطالة وعدم التعود على العمل .

ولعل توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أشرنا إليه فيما سبق للرجل الذى جاء يسأل ابلغ مثل على حرص الاسلام على العمل وعلاجه للمشكلة بموقف عملى والحديث كما جاء فى السنن ان رجلا من الأنصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب منه الماء قال آتنى بها فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يشترى هذين ؟ قال رجل أنا أخذهما بدرهم ، قال من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا أخذهما بدرهمين . فأعطاهما أياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى وقال اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه الى أهلك واشترى بالآخر قدوماً فأتنى به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أراك خمسة عشر يوماً فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتةً فى وجهك يوم القيامة ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة لذى فقر مدقع أو لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع .

أليس فى هذه الحادثة على بساطتها يتمثل الحل العملى لمشاكل الجماهير واهتمام القيادة وحرصها على تهيئة الفرصة وفتح الطريق أمام كل عامل عنده الاستطاعة للعمل بدلاً من المواعظ والخطب المجردة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ولكنها مسئولية الحاكم فى الاسلام الذى يرى أنه مسئول عن كل من

• المال فى الاسلام هو مال الله والملكية لا تعدو أن تكون وظيفة اجتماعية مشروطة بالانفاق فى الخير .

• العمل هو الأساس الأول والمهم فلا مكان للكسالى والعاطلين فى مجتمع الاسلام

• الإسلام هو الذى أنقذ المرأة من الهوان الذى كانت تعيشه والامتلاك لا يعدو أن يكون وظيفة اجتماعية

فى ولايته ورعايته ولقد عبر عن هذه المسئولية الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه وأرضاه عندما قال (لو عثرت بغلة فى العراق لكنت مسئولا عنها لانى لم أمهد لها الطريق) .

ان قائد الأمة وهويرى أنه مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة فى أمته لا يرى لنفسه حقاً مميزاً عن أى فرد منهم ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول قائد للأمة الاسلامية لم يستأثر بشىء من أمور الدنيا كما أن كل معاونيه وقواده وأهل بيته لم يتميزوا عن الآخرين بأى حق وكان يقسم الغنائم بين المسلمين بالسوية كما أمره الله ولعل ما جرى فى أعقاب معركة حنين تلك الغزوة التى ضمت كثيراً من الذين لم يتمكن الاسلام بعد من قلوبهم وظنوا أن المسألة مجرد غنائم ومكاسب مادية تعطينا فكرة عن سلوك القائد الذى يهتدى بهدى الاسلام .

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (ان الناس اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين يقولون أقسم علينا فيأنا حتى ألجأوه الى شجرة فاختطفوا عنه رداءه فقال ردوا على ردائى ، أيها الناس والله لو كان لكم عدد شجر تهامة . نعماً لقسمته عليكم وما ألفيتمونى بخيلا ولا جباناً ولا كذوباً ثم أخذ وبرة من سنام بعيره فرفعها وقال : أيها الناس مالى ــ من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود فيكم فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عارا وشنارا يوم القيامة فجاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر فقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها بردعة بعير لى قد برد فقال اما نصيبى منها فلك . فقال : اما اذا بلغت هذه فلا حاجة لى فيها ثم طرحها بين يديه) وقد كان أهل الجاه والنفوذ فى الجاهلية يحمون الكلأ ويمنعون من الاقتراب من حماهم فجاء الاسلام وحرم الحمى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا حمى الا لله ولرسوله) فمنع أن يحمى الرجل لنفسه وأصبح الحمى للمصلحة العامة فقط وأبطل الاحتكار مثل ما كان يفعله كليب ابن وائل فانه كان يوافى بكلب على نشاز من الأرض ثم يستدعيه ويحمى ما انتهى اليه عواؤه من الجهات ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله وفيه يقول الشاعر :

كما كان يبغيها كليب بظلمه
من العز حتى طاح وهو قتيلها

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار وحمى للفقراء والمساكين وابل الصدقة وحمى أبو بكر وعمر كذلك وقال عمر لعامله على الحمى (ضم جناحك عن الناس واتقى دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة وأياك ونعم ابن عفان وابن عوف فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع وأن رب الصريمة ورب الغنيمة يأتنى بعياله فيقول يا أمير المؤمنين افتاركهم أنا لا ابالك ؟ قال الكلأ أهون على من الدينار والدرهم والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا) .

عدم اقطاع الأراضى

ولما أمتدت الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى خارج حدود الجزيرة العربية وأصبحت العراق والشام ومصر وهى بلاد زراعية ضمن حدود الدولة الاسلامية كانت سيرة الخلفاء وتعليماتهم تقضى بعدم اقطاع الاراضى للجند والقواد والأمراء ورفض عمى عمر رضى الله عنه تقسيم اراضى السواد على الفاتحين عندما طالب بعضهم بذلك .

وأستقر رأى عمر على عدم القسمة وأبقاءها بأيدى أهلها على أن يؤخذ منهم الخراج فقط عندما رأى أن المصلحة العامة تقتضى ذلك وأن آيات القرآن تدل عليه قال أبو عبيد فى كتاب الأموال (قدم عمر الجابيه فأراد قسم الاراضى بين المسلمين فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه والله اذا ليكونن ما تكره انك أن قسمتها صار الربع العظيم فى أيدى القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد أو المرأة ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الاسلام مسدا وهم لا يجدون شيئاً) .

فكان بعض الصحابة ومنهم بلال والزبير يرون قسمتها قياساً على قسمة الغنائم وكما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم واحتج عمر ومن أيده من الصحابة بآيات سورة الحشر التى نزلت فى أموال بنى النضير وهى قوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) (٢٠)

وكانت وجهة نظر عمر رضى الله عنه أن

الأرض اذا قسمت فلن يصيب من يأتى من المسلمين من الأجيال القادمة شيئاً فكان يقول فاذا قسمتها فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرمل ؟ وبعد أن جمع كبار الصحابة واستشارهم فأيدت الأغلبية رأى عمر وكان مما قاله : لو قسمتها لصارت دولة بين الاغنياء (يشير الى ما جاء بالآية : كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ولم يكن لمن جاء بعد من المسلمين شىء وقد جعل الله لهم فيها الحق بقوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) . الآية ثم قال استوعبت الآية الناس الى يوم القيامة .

وسيدنا علي بن أبى طالب رضى الله عنه حذر الاشتر النخعى واليه على مصر من مغبة تمييز الخاصة والبطانة والحاشية بشىء من الاقطاعات قائلا : (ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لأحد من حاميتك وحاشيتك قطعة) (٢١) .

تطبيق العدل الاجتماعى

ومن المعلوم انه عندما يكون الحاكم يهتدى بالكتاب والسنة تكون النتيجة تطبيق العدل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان عهد عمر بن عبد العزيز لا يوجد فيه جياع ولا معدمون فلم يوجد فى عهده من يقبل الصدقة لأنه قد أغنى الناس كما يشهد بذلك التاريخ الموثوق وأخذ فضول أموال أهل بيته وردها الى بيت مال المسلمين فاذا اتصف المسئول الأول بالعدل عمت العدالة كل المجالات فى المجتمع وفى المثل الناس على دين ملوكهم ومما يلفت النظر أن علاقة الحسن البصرى بعمر بن عبد العزيز كانت لها تأثير على توجهات عمر فى حكمه ولعلنا اذا قرأنا رسالة الحسن الى الخليفة عمر بن عبد العزيز التى يبين فيها صفات الحاكم العادل قدرنا مدى فعالية المفكر والكاتب وتأثيره على أسلوب الحكم فى المجتمع الذى ينتمى اليه ، يقول الحسن موجهاً خطابه الى عمر بن عبد العزيز ونحن نوردها هنا مع طولها لما فيها من نصح مفيد لكل حاكم فى أمتنا الاسلامسة (اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل حائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على أبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويذودها عن مواقع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحنى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه آخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ، والامام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر أهله وفرق ماله ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزخر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها ؟ وأن الله جعل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة اشياعك عنده وانصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، وأعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه وقادك ويفارقك أحباؤك يسلمونك فى قعره وحيداً فريداً فتزود له مايصحبك (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) (٢٢) واذكر يا أمير المؤمنين (اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور) (٢٣) فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى سهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباده بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون فى مؤمن الا ولاذمه فتبوأ بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن أنظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى جمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم ، انى يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بوعظى مابلغه أولو النهى من قبلى فلم آلك شفقة ونصحاً فأنزل كتابى عليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) (٢٤) .

وهذا هو تراثنا وهذه هى مبادئنا ولكن مع الأسف ان يتنكب المسلمون الطريق وقد كان عند الاوروبيين اقطاع وظلم أشد فظاعة مما عندنا كان الفلاحون عندهم يباعون مع الأرض كالعبيد والحيوانات فاصلحوا حالهم بعد ذلك وأعادوا للفلاح كرامته وانسانيته ولكنهم احتفظوا بثروة البلاد وتقدمت الزراعة عندهم وزادت غلة الأرض الزراعية وارتفع المستوى الاقتصادى لمواطنيهم بينما نحن عندما حاولنا أن نقلدهم فى التقدم والاصلاح أجدبنا الأرض وافقرنا الأغنياء وزدنا الفقراء فقراً وبعد أن كان العالم الاسلامي يصدر كل المنتوجات الزراعية أصبح يستورد أكله اليومى وصادرنا الحريات وأهدرنا كرامة الانسان وقلنا ان الأمر كله موكول الى الحاكم يفعل ما يشاء فألغينا الشورى وقد أمر بها رب العزه رسوله الذى لا ينطق عن الهوى فقال له (وشاورهم فى الأمر) (٢٥) ووصف عباده المؤمنين بقوله : (وأمرهم شورى بينهم) (٢٦) فأيدنا الاستبداد وأطلقنا العنان لأصحاب الأهوية يتحكمون فى رقاب الناس وران علينا التخلف فى كل المجالات أما آن لنا أن نصحح المسار ونتعاون على البر والتقوى ونقيم فى بلاد الاسلام مجتمعاً فاضلا يسود فيه التراحم والتكافل ؟

عبد القادر بن محمد العمارى

هـــوامش

(١) النساء : ١
(٢) الحجرات : ١٢ — ١٣
(٣) آل عمران : ١٩٤ — ١٩٥
(٤) الشورى : ٤٩
(٥) البقرة : ٢٨٤
(٦) النور : ٣٢ — ٣٣
(٧) الحديد : ٦ — ٧
(٨) الحجرات : ٩ — ١٠
(٩) الحديد : ٢٤ — ٢٥
(١٠) المزمل : ١٩ — ٢٠
(١١) الماعون : ٣ — ٧
(١٢) المدثر : ٤١ — ٤٤
(١٣) الملك : ١٤ — ١٥
(١٤) الجمعة : ٩ — ١٠
(١٥) المزمل : ١٩ — ٢٠
(١٦) رواه البخارى .
(١٧) الحاكم .
(١٨) رواه الخمسة .
(١٩) رواه أحمد .
(٢٠) الحشر ٥ — ١٠
(٢١) الاقطاع فى الشرق الأوسط .
(٢٢) سورة عبس : ٣٣ — ٣٦
(٢٣) سورة العاديات : ٨ — ١٠
(٢٤) العقد الفريد .
(٢٥) آل عمران : الآية ١٥٩
(٢٦) سورة الشورى : الآية ٣٨

تجربة عربيّة في الإبداع وحرِّيَّة الفكر

كيف يتحوّل النفط إلى وقود حضاري وعقلي للنهضة العربية؟

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

فى الكويت ، ظاهرة اسمها « المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب » .

وهذه الظاهرة لا تمثل ، فى نظرى ، مجرد مؤسسة أخرى من مؤسسات الثقافة ، أو الدعوة كذلك ، فى وطننا العربى .

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب فى الكويت يمثل فى نظرى ذروة اتجاه متميز رسخته الكويت ، لتحويل النفط الى وقود حضارى وعقلى لحركات النهضة العربية ، منذ أن قررت إصدار مجلة « العربى » عام ١٩٥٨ منبراً علمياً ثقافياً عربياً : « للوطن العربى ولكل قارىء للعربية فى العالم » .. واستنت التقليد الحميد فى استقطاب العقول العربية المتميزة لتطعيم تربة المنطقة النفطية العربية ، التى تعاني من محاذير الهجرات الأجنبية ، بالبذور العربية الصالحة من كل أرض عربية شقيقة ، فجاءت بذلك الرجل والانسان والعالم المصرى العربى الكبير ، المغفور له ، الدكتور أحمد زكي لتأسيس مجلة « العربى » ، فاستطاع أن يثبت ، باحتضان الكويت لموهبته العربية العالية ، ان طاقات العرب مجتمعة ــ من عقول ونفط ورجال شرفاء .. (أكرر : شرفاء ! !) ــ تستطيع أن تحول الظاهرة النفطية الى « شىء آخر » « مختلف تماماً ، بل ومتناقض تماماً مع مظاهرها المبتذلة الشائعة (من سماسرة يديرون مشروعاتهم من الريفييرا الفرنسية وجزر هاواى ، ومن سائحين يمثلون كل شىء إلا شيم العرب ، ومن نزعات استهلاكية مهلكة ، ومن فئات اجتماعية طفيلية متعطلة عن العمل والانتاج تعيش على رصيف الحركة الحضارية للجنس البشرى) .. شىء آخر مختلف تماماً عن هذه الفقاعات ، والذين يتذكرون تلك الاهتمامات العقلية الرائعة التى خلقتها كتابات الدكتور أحمد زكى العلمية ، رحمه الله ، لدى الملايين من أبناء الأمة العربية من خليجهم الى محيطهم ، سيعرفون مذاق وطعم ذلك الشىء الآخر المختلف الذى أنجبه ذلك التلاقح الخصب بين التوجه الكويتى الرفيع وبين العقل المصرى المبدع ، فى ساحة النهضة والثقافة العربية ، أواخر الخمسينات ، فى تلك الفترة ذاتها التى قامت خلال تمخضاتها الخصبة دولة الوحدة العربية بين مصر وسوريا ؛ فكانت مجلة « العربى » الكويتية ــ المصرية ــ العربية ، معادلا ثقافياً ــ فى مجال الوحدة ــ لذلك المشروع المصرى ــ السورى الوحدوى الرائد ، الذى سيبقى إلهاماً لعصر جديد مقبل من تاريخ العرب مهما طالت أيام الانفصال .

ولا اعتقد انها مصادفة بحتة صدور « العربى » بما تعنيه ، وقيام الوحدة ، بما توحيه ، فى سنة واحدة ، بل فى موعد متطابق « وهنا يجب التنويه بالتفاتة «العربى وهى تستعيد قوة اندفاعها الأولى بجهود ثيس تحريرها الدكتور محمد الرميحى ، لإعادة نشر كتابات الدكتور أحمد زكى وصحبه من كتاب « العربى » ، فى تلك الفترة الحية ، ضمن السلسلة الجديدة « كتاب العربى » .



عبد العزيز حسين

الرئيس الأعلى للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت

بداية موسم الحصاد

فمن صميم هذه المعاناة العربية الوحدوية الحضارية أتى توجه الكويت ، لتوظيف طاقتها

النفطية وأصالتها العربية معاً ، لاستنهاض حركة التحضر العربي ، والثقافة العربية ، والقضايا القومية : واذا كانت مجلة « العربي » هي الخطوة الأولى في ذلك التوجه فان « المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب » هو بداية موسم النضج والحصاد بحكم ما أخذ يتجمع في محصوله من ثمرات ، لا يمكن إلا أن يقدر مذاقها كل معني بالثقافة العربية ، وعامل من أجلها ، ومتألم لمآلها ، في هذا الزمن الصعب الذي خسرت فيه هذه الثقافة أكثر من موقع ومعقل مشرقاً ومغرباً ، فجاءت الكويت في أقصى هذا الامتداد الشرقي للوطن العربي ، تقيم لها معقلا جديداً تشير الدلائل الى أنه مرشح لأن يكون واحداً من أرصن وأخصب المعاقل الفكرية في تاريخها المعاصر .

فالمجلس الوطني للثقافة ، الذي احتفل مؤخراً بمرور عشر سنوات على تأسيسه ، يصدر السلسلة الثقافية الشهرية « عالم المعرفة » التي لا أشك في ان ملايين القراء والمثقفين العرب ، قد انتفعوا ، بكتاب واحد على الأقل من كتبها العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو المستقبلية ، التي انتظم صدورها شهرياً منذ عدة سنوات ، وصار المجلس نفسه يتحمل مسئولية توزيعها في الوطن العربي كله ، بأسعار تشجيعية ، في ظاهرة تنويرية تذكرنا بتلك المشروعات الثقافية الرائدة التي قدمتها للثقافة العربية كل من القاهرة وبيروت ، أيام خصوبتهما الثقافية ، ومنذ مطلع النهضة العربية الحديثة .. عندما كانت تمطران التربة العقلية العربية بعشرات الكتب القيمة كل شهر ، وبأقلام الكتاب والباحثين العرب مشرقاً ومغرباً ، بلا تمييز ، وبلا تحديدات اقليمية ضيقة ، تماماً كما تحرص عليه الآن سلسلة « عالم المعرفة » باستقطابها لكل عقل عربي يبدع ، أو يترجم عن الثقافات العالمية .

وبالاضافة لهذه السلسلة ، التي تمثل اليوم حبل الوصل الثقافي الوحيد ، تقريباً ، بين مشرق الوطن العربي ومغربه على صعيد النشر المنتظم لكتب الثقافة العامة ، يشرف المجلس على سلسلة أخرى من « منشورات التراث » التي تحقق وتنشر مخطوطات عربية ذات وزن من تراث العرب ، كان آخرها وأهمها كتاب « المناظر » لابن الهيثم الذي يعد من أبرز انجازات الحضارة العربية في علم البصريات وأحد المراجع التاريخية التي مازالت معتمدة لدراسة تطور هذا العلم .

كما تصدر عن المجلس مجلة « الثقافة العالمية » التي بدأ صدورها منذ نوفمبر ١٩٨١ ، مرة كل شهرين ، وتوزع على صعيد الوطن العربي ، وتهتم بترجمة الدراسات والمقالات الجديدة في المجلات الثقافية العالمية ، مواكبة للفكر الانساني .

هذا فضلا عن اقامة الأسابيع الثقافية الكويتية في الأقطار العربية واستقدام العروض المسرحية للكويت وتنظيم مهرجان الكتاب السنوي الذي يتحول الى مناسبة عربية لبحث مشكلات الكتاب العربي ، وظروف الطباعة والتوزيع والرقابة والنشر . ويدرس المجلس الآن تنفيذ قرار مشروع « سوق الكتب » الذي ينتظر أن يكون مجمعاً مركزياً ضخماً للكتاب ، الى جانب المكتبات العامة العاملة حالياً في الكويت .

ومن ضمن مكتبات المجلس المتميزة ، « مكتبة التراث الموسيقي العربي » التي تهتم بجمع التراث الموسيقي وخاصة ما تعلق بمنطقة الخليج والجزيرة العربية . كما أنشأ المجلس قسماً للعناية بثقافة الطفل ، في حقل الابداع الفني التشكيلي ومراسم الطفولة المبدعة ، على وجه الخصوص .

وقد بلغ من ثقة الدولة في الكويت ، بمجلسها الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أن أحالت اليه مسئولية الاشراف على إعداد اتفاقات التعاون والتبادل الثقافي والعلمي بين الكويت وسائر الدول العربية والأجنبية ، ووضع البرامج التنفيذية لتلك الاتفاقيات التي أصبحت سارية المفعول مع العديد من تلك الدول .

• • •

وهذا النشاط الثقافي .. الفكري .. العلمي .. الفني .. الأدبي ، المتنوع ، ليس مجرد نشاط « مهني » متخصص تقوم به إدارة بيروقراطية من الموظفين الثقافيين ، وانما هو ، في جوانب لا يستهان بها من وجوهه ، نشاط عقلي ابداعي مرتبط بقيم الحرية الفكرية الهادفة ، المسئولة والملتزمة والجريئة في آن معاً . وقيم الحرية الفكرية الهادفة هذه لا يمكن أن تنمو في فراغ ، ولا أن تأتي ، بأي حال ، كممارسة إدارية بيروقراطية ، ولكنها في صميمها تمثل الوجه الآخر لقيم الحوار الديمقراطي في المجتمع الكويتي من أعلى مستوياته الى أوسعها قاعدة .

في البدء كانت حرية الفكر

وظاهرة هذا الحوار المتحضر المنفتح في المجتمع الكويتي كله ، هي التي تفسر لنا ، لماذا استطاع ويستطيع المجلس الوطني للثقافة في الكويت أن يكون مؤسسة لممارسة حرية الفكر ، لا على صعيد الكويت وحدها وانما على صعيد الوطن العربي كله .

ثم ان هذه الحرية الفكرية التي وفرتها الكويت لمجلسها الوطني للثقافة ، كما وفرتها لمؤسساتها الثقافية ومنابرها الصحفية الأخرى ، هي التي جعلت هذا المجلس يتميز ويتفرد في المجال الثقافي العربي الحاضر ، بهذا الانتاج والعطاء الفكري المبدع ، لأن الابداع الفكري هو توأم حرية العقل ، ولا وجود لأحدهما دون وجود الآخر .

فليس سر هذا العطاء وهذا النشاط المتميز الملفت ، هو المال الذي توفر ، ولا الإدارات التي انشئت ، ولا الكوادر الوظيفية التي استخدمت ، على ما لهذه العناصر من أهمية لا تنكر ، ولكن العنصر الذي اكمل تضافر هذه العناصر وتوجها ، هو عنصر حرية العقل وحرية الفكر والروح المنفتحة الرحبة التي تتقبل تعدد الآراء والاجتهادات لصالح المجتمع ككل ، والأمة بأجمعها . وليس بالمال وحده تزدهر الثقافات ، لأن المال متوفر حتى في أكثر الدول الأفريقية تخلفاً من حيث الثقافة والحضارة لما تتمتع به من وفرة في انتاج الألماس واليورانيوم والذهب الخام ! ! ..

بين سوق «عالم المعرفة» و « ســوق المنــاخ »

ولا أشك ان سوق الكتاب المزدهر الذي أحياه المجلس الوطني للثقافة في الكويت ، سيكون ، بمقياس الحضارة والتاريخ ، هو السوق الذي سيبقى للأجيال عوضاً عن « سوق المناخ » واسهمه الكاسدة ، وسيكون هو وجه الكويت الحقيقي ، وستبقى كتبه الرصينة الهادئة طويلا .. طويلا .. بعد أن تفقد الاسهم المالية آخر فلس من قيمتها الزائلة .. نعم ! .. سيبقى سوق « عالم المعرفة » بعد اغلاق وافلاس « سوق المناخ » .. وجميع اسواق الأسهم الكاسدة ..

وهذه المقارنة ، بين أسهم المال وأسهم العقل ، لا تعني الكويت وحدها ، وانما تعني الأقطار العربية كلها من نفطية منشغلة بفوائض النفط ، ومن غير نفطية ساعية بكل طاقتها للحاق بركب الاستهلاك المادي المهلك ... كي تفيق وتستفيق وتستعيد الوعي قبل فوات الأوان .. خاصة في هذه المرحلة التي بدأت فيها الوفرة المالية تنحسر ، وأصبح ترشيد الانفاق ضرورة وطنية وقومية ،


أحمد مشارى العدوانى


د . أحمد زكى


د . محمد الرميحى

واتضح لكل من يعي ويفكر ان مظاهر الطفرة التى أحاطت بنا من أسهم ورقية ومقاولات خرافية واستثمارات وهمية ، وافراط فى الانشغال بهذا كله على حساب متطلبات التحضر الحقيقى والبقاء القومى والقيم الفكرية والروحية الكفيلة ــ وحدها ــ ببقاء الأمم ؛ نقول اتضح ان مظاهر هذه الطفرة لن تدوم لأحد ، ولن تحقق حتى المنافع المادية المنتظرة منها ، ولن تجلب غير الهم والحسرة للغارقين فيها ، ولن تضمن فى النهاية لا بقاء ولا عزة ..

وهذا ما يدعونا اليوم للإشادة بطريق آخر وبنهج آخر ، مختلف تماماً ، فى الحياة والتفكير والسلوك .. وهو النهج الذى تمثله مؤسسة استطاعت أن تقوم وتبقى وتنتج فى خليجنا ووطننا العربى . . هى مؤسسة المجلس الوطنى للثقافة والآداب والفنون بدولة الكويت ، وهى مؤسسة على تميزها ومستواها الرفيع ، بامكان أمتنا العربية ، ان وفرت لذاتها شروط الانتاج الحضارى الصحيح ، ان تؤسس على نهجها ومثالها عشرات منها ؛ وذلك ليس بالجديد على هذه الأمة إطلاقاً منذ عهود دار الحكمة ببغداد ولكن الجديد عليها ، للأسف ، هو هذه الطفرة القشورية التى حجبت وجهها الأصيل بالمساحيق الباهتة والمزورة .

وفى حياة الأمم ، لابد أن تركد أسواق المال والمتاجرة والاستثمار بين وقت وآخر ، وقد لا تعود الى ازدهارها أبداً ، مرة أخرى .. ومن يعول على عودة ازدهار هذه الأسواق فى طفرتها فانما يبنى قصوراً على الرمال ، ولكن الأمم الحية ، والأمم التى لها أمل فى مجابهة التحديات ، هى تلك التى لا تسمح لأسواقها الفكرية ومجالاتها الحضارية بالركود ، فان ركدت هذه ذهبت ريح الأمة الى الأبد ، حتى لو عاشت فى وفرة مالية بعض حين . بل ان الازدهار الاقتصادى المضمون هو الذى يقوم على ازدهار حضارى خصب ، قبل كل شىء ، كما هو الحال لدى الأمم الحية من شرق وغرب . ولمثل هذا ندعو تجارنا وأثرياءنا وكافة مواطنينا ، ان هم أرادوا الثراء الحقيقى ، والثراء المضمون ، وقرروا الخروج من سباق الطفرة المنتهية .

• • •

... وتحية للرجل

ثم يبقى خلف كل مشروع حضارى متميز ، إنسان متميز ورجل متميز .

وفى العيد العاشر لهذا المشروع الكبير ، يحتم واجب الوفاء وقيم العرفان ، باسم المثقفين فى هذا الخليج وهذا الوطن العربى كله ، أن نذكر بالتقدير الانسان والرجل الكبير ، عبد العزيز حسين ، الذى يقف كالجندى المجهول ، مع جنوده المجهولين ، فى خندق المعرفة ، دفاعاً عن قيم الفكر فى زمن عز فيه الدفاع عن هذه القيم وندر فيه المدافعون عنها .

وكالجندى المجهول ، يقف ، زاهداً فى الاعلان والظهور ، فى زمن تيسرت وتكاثرت فيه وسائل الاعلام والظهور للمغرمين بها ، وصار نجماً كل من ألف بيتاً من الشعر النبطى !

كالجندى المجهول ، يقف ، رغم انه ملء الضمير الفكرى والتربوى لأجيال من المثقفين العرب فى هذا الخليج وفى هذا الوطن الكبير ، منذ أن كان مسئولا تربوياً رائداً فى بلده ، الى أن تولى وزارة الدولة بها ، الى أن أضاف الى مسئولياته الكبيرة هذه المسئولية الحضارية الأكبر باعتباره الرئيس الأعلى للمجلس الوطني للثقافة ، الى أن صار من مسئولياته ، أيضاً وأيضاً ، قيادة لجنة فكرية عربية لوضع استراتيجية للثقافة العربية على صعيد الوطن الكبير .

كان تصورى ، دائماً ، ان رجل الدولة ، ليس من يصبح وزير دولة ، وانما من يستحق هذه الرتبة بالمفهوم الحضارى ، لا بالمرسوم الإدارى !

وعبد العزيز حسين واحد من القلائل ، فى المنطقة العربية ، الذين يتجسد فيهم المفهوم الحضارى لرجل الدولة كمعاناة فكرية وشعورية لشئونها وشجونها ، وابداع عملى مثمر فى صيرورتها الحضارية ، أولا وأخيراً .. وكون هذا الرجل وزيراً للدولة فى الكويت هو واحد من انجازاتها الحضارية المشهودة .. بلا جدال .

ومع ذلك ، كالجندى المجهول ، يقف ببدلته العصرية الثابتة التى يتمسك بلبسها فى أوقات العمل وفى كل المناسبات فى الكويت وخارجها مثبتاً لمواطنيه ان الانتماء يتحقق بالعمل والمعاناة الشريفة المنتجة ، وليس بلباس أو ثياب .

ويقف معه ، فى الخندق الفكرى ، متمسكاً ببدلة العمل المنتج أيضاً ، أحمد مشارى العدوانى ــ الأمين العام للمجلس ــ وشاعر الكويت المتميز ، وأحد روادها الثقافيين الأوائل من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فلم يغيروا أو يبدلوا فى موقف أو قيمة ؛ ومعهما يقف لفيف من شباب الكويت ورجال العرب كل فى موقعه المتميز .

فمن على صفحات « الدوحة » حيث تتنامى وتزدهر تجربة ثقافية مماثلة فى الطموح والغايات بدولة قطر العربية الفتية ، ومن البحرين حيث معاناة الكلمة والابداع أقدم وأعرق من الغوص على لآلىء الخليج ، نتقدم للشقيقة الكويت بتهنئة من القلب على هذا الانجاز الحضارى الذى هو الكويت ، وهو الخليج وهو العروبة فى الصميم .

البحرين : محمد جابر الأنصارى

مشاكل التغير الحضاري في منطقة الخليج



بقلم: عبد الرزاق البصير

شهدت منطقة الخليج العربى منذ اكتشاف النفط هجرات تشبه مد البحر وجزره . فالإحصائيات تقول بأن الهجرات البشرية فى هذه المنطقة لا تبقى على شكل واحد ، بل هى فى تغير مستمر ، فهى تنتقل من قطر الى آخر فى هذه المنطقة ، وهذه حالة لا تكاد تشهدها أى منطقة من مناطق الوطن العربى الكبير .

صحيح أن كثيراً من الأقطار العربية تشهد مداً هائلا من القرى الى المدن لكن تأثيره من النواحى النفسية والاجتماعية لا يشبه ما يحدث فى هذه المنطقة من تأثير وتأثر ، فالمهاجرون من القرى المصرية الى الاسكندرية والقاهرة مثلا ، والمهاجرون من القرى فى سوريا الى دمشق وحلب واللاذقية والمهاجرون فى العراق من القرى الى بغداد والبصرة لا ينظر اليهم كما هو الحال فى الامارات المتحدة والبحرين وقطر والكويت لأن تجانس الأفراد المهاجرين فى الشام والعراق ومصر واضح معروف . إذ أن كلا منهم يحمل هوية واحدة ، أما المهاجرون فى منطقة الخليج العربى فإنهم يحملون هويات مختلفة متنوعة وينطقون بلغات مختلفة ، والعرب أقربها الى سكان هذه المنطقة ، أما بقية الأجناس فإنها تختلف اختلافاً كبيراً عن السكان باللغة التى يتحدثون بها والعادات والتقاليد التى اعتادوا عليها ، لهذا أعتقد أن تقسيم العمل بين المهاجرين لا يكاد ينشىء إلا رابطة ضعيفة بين هذه الجماعات من جهة وبين السكان من جهة أخرى ، فكل فرد من السكان أو من الوافدين يرى أن القيام بأى عمل من الأعمال هو حالة مؤقتة قد تنتهى بانتهائه ، ولكن ما ذكرناه لا ينطبق على جميع الأعمال ، كما أنه لا يشمل العربى بطبيعة الحال ، إذ أن المجموعات التى تأتى لبناء مجموعة من البيوت مثلا لا تماثل المجموعة التى تؤدى عملا فى الطب والتعليم على سبيل المثال ، لأنك حين تصادف من قام ببناء منزلك لا تشعر نحوه بعاطفة مثلما تشعر حين تلقى من قام بتعليمك أو بشفائك من مرض من الأمراض ، وجملة القول أن العلاقات بين الجماعات الوافدة وبين السكان فى هذه المنطقة علاقات تختلف من جماعة إلى أخرى ، ومهما يكن من أمر فإن ما ذكرناه من اختلاف العلاقات لا ينفى مطلق التفاعل بين هذه الجماعات وبين السكان . حتى ولو كانت تلك الجماعات غير عربية ، ولكن هذا التفاعل قد يكون نافعاً لأن لكل أمة أخلاقاً وصفات لا يمكن أن تكون كلها أخلاقاً وصفات ذميمة ، كما أن بعض صفات هذه الجماعات وأخلاقها غير صالحة على الإطلاق ، فإن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية كثيراً ما تخلق فى بعض النفوس صفات وأخلاقاً غريبة تدفعهم إلى القيام بجرائم لم تكن معروفة فى هذه المنطقة . فقد حدثتنا الإحصاءات عن جرائم لم تكن معروفة فى هذه المنطقة . ولقد اهتم العلماء الاجتماعيون منذ الثلاثينات من هذا القرن بدراسة العلاقات المتبادلة بين جماعات الأغلبية والأقلية فى المجتمعات المختلفة وبخاصة فى المجتمعات غير المتجانسة من الناحية العنصرية أو الدينية أو الثقافية ، وعلى الرغم من أن الدراسات العلمية لهذا الموضوع بدأت فى مرحلة متأخرة نسبياً إلا أن المفكرين الاجتماعيين شغلوا أنفسهم بالتفكير فى كثير من المسائل المتصلة بالعلاقة بين الأجناس البشرية منذ العصور القديمة ، ومما يؤكد على أهمية هذه الدراسات هو أننا إذا سألنا الإحصائيات عن الأعداد الوافدة إلى هذه المنطقة وجدناها تقول بأنهم أصبحوا أكثرية وأن السكان أصبحوا أقلية ، الأمر الذى نتج عنه مشاكل نفسية واجتماعية ، لأن الوافدين لابد لهم من أن يحتاجوا الى رعاية صحية وتربوية ، ومعنى ذلك أن السكان لابد وأن يشعروا بمضايقات فى المدارس والمستشفيات مما يجعلهم يطالبون بإصدار قوانين تقضى بتفضيلهم على الجماعات المهاجرة ، وهذه القوانين تصبح غير عادلة بالنسبة الى تلك الجماعات لأن التعليم والصحة حقوق انسانية لا يمكن الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال ، فإذا أضفنا إلى ذلك ترفع الكثير من السكان عن ممارسة قسم من الأعمال وتطلعهم الى المناصب القيادية حتى ولو لم يكونوا مؤهلين علمياً لها لاعتقادهم أن ممارسة العمل تجعلهم أهلا للقيام بتلك الأعمال ، على أن هذه المطالب لا يمكن الاستجابة اليها فى كل مرافق الحياة . فنحن نعلم أن بعض المناصب القيادية فى الناحية الهندسية والطبية والتعليمية مثلا لا يمكن أن يقوم بها إلا من يحمل شهادة عالية بالإضافة الى

خبرة طويلة فى العمل ، وهكذا تتضح لنا صورة ما يجرى من مشكلات عديدة ، إذ أن التغير السريع لابد وأن يخلق مصاعب لم يحسب لها أى حساب . وليس شيء أدعى الى الاهتمام من بناء المجتمع بناء صحيحاً يرتكز على قواعد علمية ثابتة يؤدى الى عدم الصراع بين أفراد المجتمع ، غير أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى منطقة الخليج العربى لا تسير حسبما يتمناه المثقفون المخلصون ذلك أن منطقة الخليج العربى تسعى بصورة حثيثة الى استبدال الأوضاع القديمة كلها بأوضاع جديدة تلائم العصر لتلحق بركب التطور بكل جوانبه ، فلابد لسكان هذه المنطقة من أن يتحملوا ضريبة التغير السريع ، بمعنى أن لا يتصوروا بأن يبلغوا ما يصبون اليه من ترق وتقدم بدون نشوء مشاكل تواجههم فى حياتهم . ذلك أمر نتمناه ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

المجتمعات الخليجية قبل النفط

وأود أن نتذكر جميعاً أن المجتمعات فى منطقة الخليج العربى كانت قبل التغير الحضارى مجتمعات بسيطة متجانسة لأن أفرادها كانوا متقاربين فى النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . لولا بعض الفروق القليلة فى هذه النواحى ، ولكنها فروق لم تكن كبيرة ، ولما شاء الله أن يحدث هذا التطور السريع فى كل جوانب الحياة أخذ السكان فى هذه المنطقة يتحسسون هذا التغير مما جعلهم يشعرون بالقلق فى أول الأمر ثم ما لبثوا أن تكيفوا مع هذا التطور فأدركوا أن علاج ما يواجهونه من مشاكل يكمن فى دراسات المتخصصين فى شتى النواحى من اقتصاد واجتماع وتربية ، وهو أمر يدعو الى الاطمئنان ، لأن كل مجتمع يعتمد على العلم فى علاج مشاكله لابد وأن يسلك الطريق السليم فى معالجتها ، على أن ذلك لا يمكن أن يتم فى يوم وليلة ، كما أنه لا يمكن أن يتم بدون أخطاء وعثرات ، لأن ما نواجهه من مشاكل شديدة التعقيد يحتاج الى أناة وروية ، وليس من شك أن كل من سار على الدرب وصل .. أعنى أننا وصلنا الى حالة تدعو الى كثير من الاطمئنان لما ذكرناه من أننا اصبحنا نعتمد على معالجة مشاكلنا بالعلم والتخطيط. ولأن فئات كبيرة من أبنائنا وبناتنا قد نهلوا من مختلف العلوم والمعارف وبذلك صاروا قادرين على المساهمة فى صنع مسيرة حياتنا .

وبعد فإن هذه الكلمة ليست الا إشارة بسيطة لما نشأ من مشاكل بسبب التغير الحضارى السريع ، قصدت منها أن أدعو المتخصصين فى علوم الاجتماع والاقتصاد والتربية وكل الميادين ، أن يقوموا بدراسات مستفيضة لما أحدثه التغير الحضارى فى خليجنا العربى من مشاكل لنتوصل الى معالجتها بصورة صحيحة .

عبد الرزاق البصير — الكويت

الموعد

شعر : يعقوب السبيعي

هل في الخيال لدى الصبابة مقنع كلا ؟ ويشهد طيفها المتمنع
يا كوكب الصبح البعيد تحية ممن يحبك فوق ما تتوقع
ظمآن يأبي الحزن في عينيه ان يسقيه من عين الحبيبة مدمع

• • •

هل تذكرين لقاءنا في موعد كادت لنا الدنيا به تتجمع
بالأمس هيأت الدروب عطورها لك وارتقي بالزائرين الموضع
وتزينت لك في المحاجر أعين وتزاحمت في الصدر نحوك اضلع
وتفتحت لك في الصدور نوافذ والقلب في لقياك باب مشرع
وترشفتك عيوننا وقلوبنا شيئاً فشيئاً حين بثك مطلع
ودنوت منك ، ولا أصدق انني ـ من روعة اللقيا ـ أعي ما أصنع
فرأيت في عينيك صوتاً حالماً يدعو السميع ، وليس غيرى يسمع
فتراكفت عيني لتسرق منك ما تهوى ، ويمنعها الحياء المسرع
لك مثل مالي في التلاقي غاية فدعي التلاقي يا حبيبة ينفع
ماذا ترين اذا اعتنقنا إن هـذا الحسن يغري والتهيب يردع
خوفي عليك أضاعني فتوسدي صدرى فاني بعدها لا أجزع

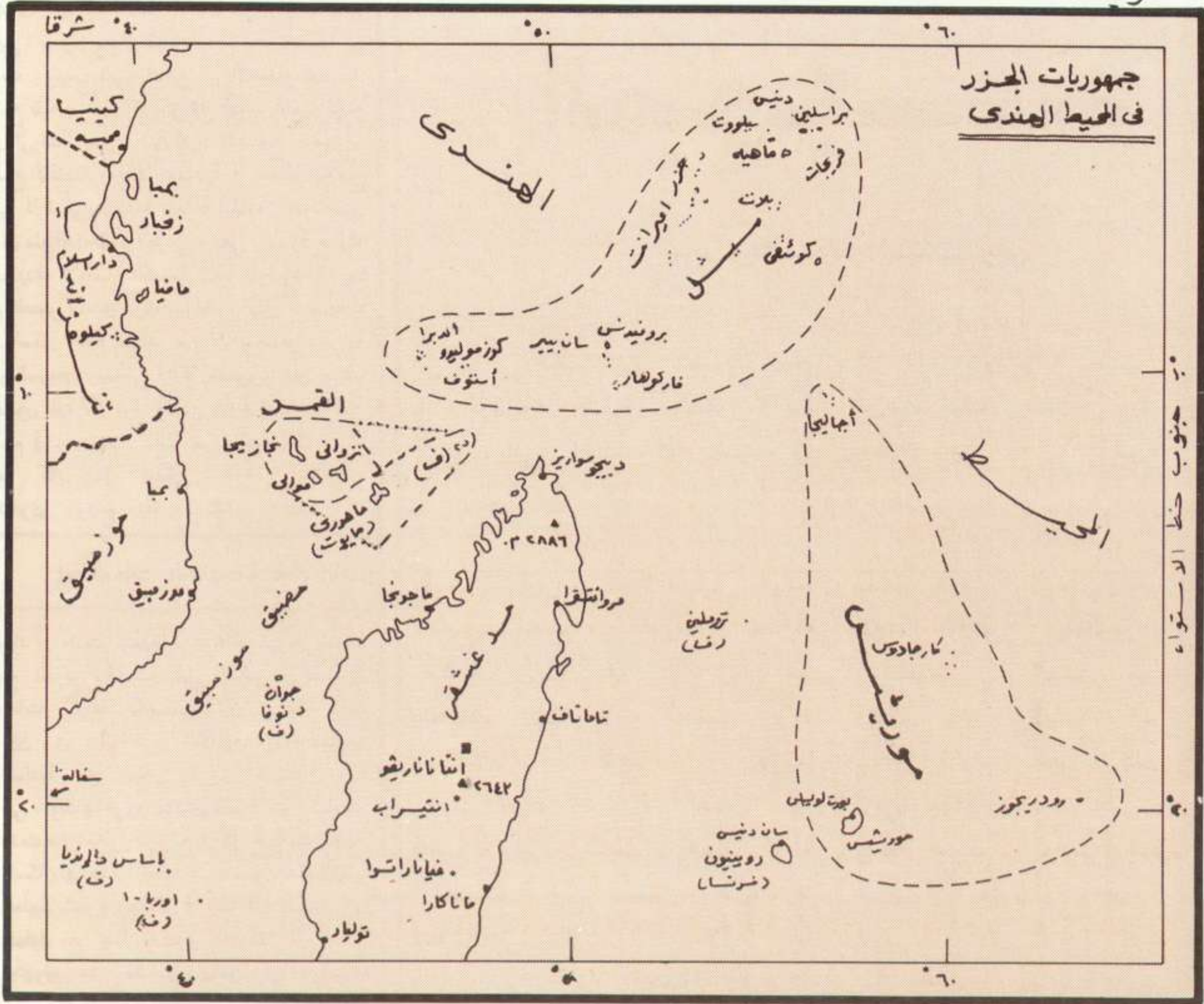
• • •

ويضيع في لغو الطيور تنهدى والروح في ارجاء حسنك أضيع
وكأنما قدري فراقك حينما الهاك عني للرقيب توقع
وتجاوزتني نظرة داست على وجهي الى صوت كنصل يلمع
وتركتني والخوف في عينيك لا يدرى باني في ذهابك أصرع
وتركتني عجلى وقلتِ سنلتقي لا بأس إني بانتظارك مولع

• • •

يا موعداً لازلت أنشق عطره ماذا يعيق الواعدين وَيمنع
الدرب ورد ، والنسائم غضة والصبح طفل والغمامة مرضع
لن ينتهى شوقي اليك حبيبتي الا اذا انتهت الجهات الأربع

الكويت



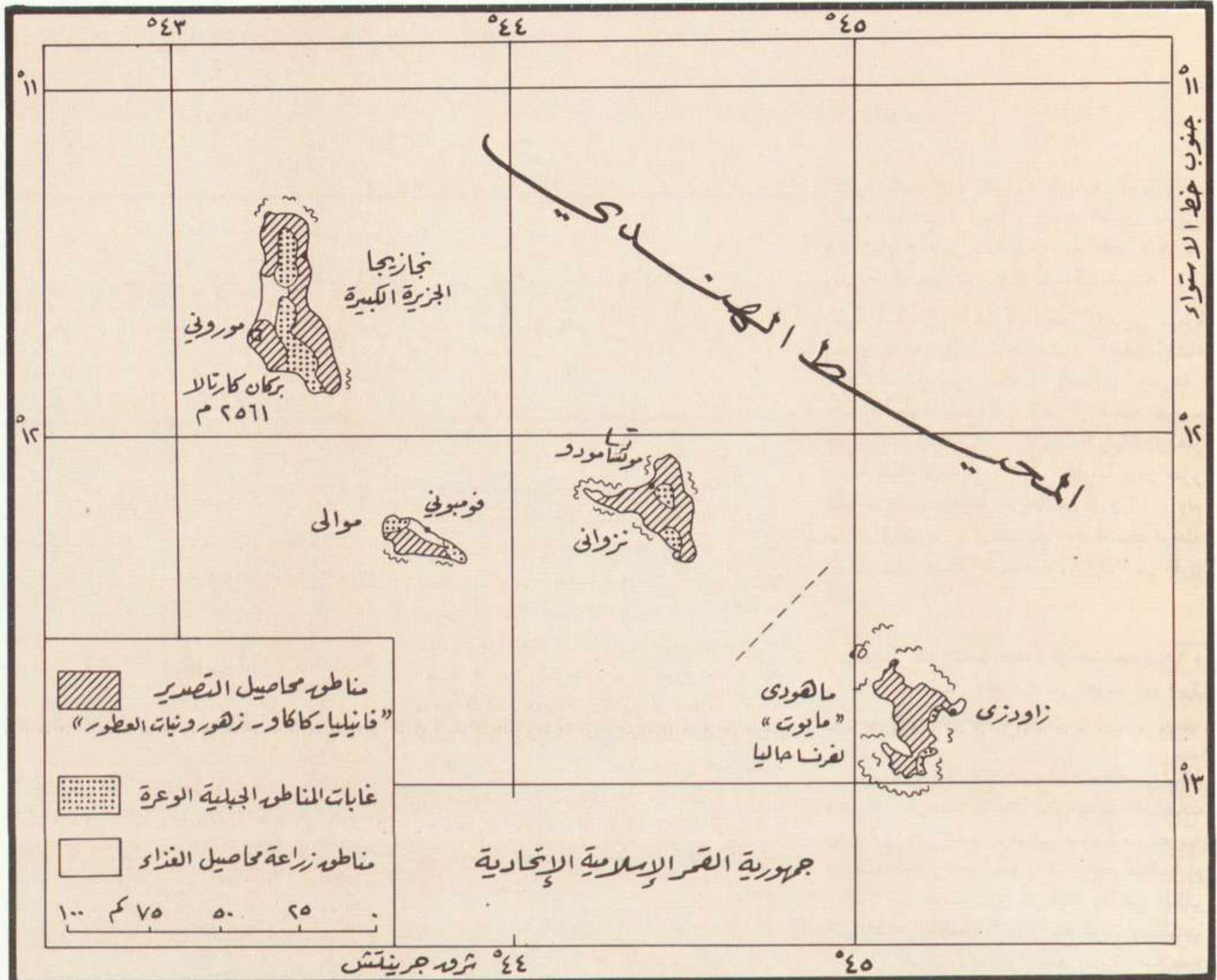
خريطة توضح موقع مجموعة جزر القمر بين دول الجزر فى المحيط الهندى

دولة صغيرة تتمسك بعروبتها وإسلامها

جمهورية القمر الإسلامية الاتحادية آخر بلاد الإسلام والعروبة جنوبا

بقلم: الدكتور محمد رياض

خريطة (٢)



نقلا بتصرف عن (Atlas Jeune Afrique)

جمهورية القمر الاسلامية الاتحادية التى تتكون من أربعة جزر كبيرة وعدد من الجزر الصغيرة

هذه الدولة الصغيرة تتمسك بعروبتها واسلامها تمسكاً عميقاً ، وخسارة أن تضيع فى خضم الثقافة الفرنسية أو تندمج فى تركيب إقليمى مجاور . ومن هنا فإن المطلوب من أجلها كثير ، يتمثل فى انشاء مدارس عربية حديثة وامدادها بالمعلمين . كما أنها فى حاجة الى مزيد من دعم التنمية من جانب الدول العربية بشروط سخية تمكن جمهورية القمر الاسلامية من مواجهة مشاكلها مع الحفاظ على شخصيتها ..

تتكون مجموعة جزر القمر . التى يطلق عليها « كومورو » فى اللغات الأوروبية — من أربع جزر كبيرة ، وعدد من الجزر الصغيرة تمتد فى شمالها الشرقى . وتشغل الجزر الأربع حيزاً يمتد على محور من الجنوب الشرقى الى الشمالى الغربى لمسافة ٣٠٠ كيلومتر وسط الجزء الشمالى من مضيق موزمبيق ، ويفصلها عن ساحل مدغشقر نحو ٣٠٠ كم ، ومثلها عن ساحل موزمبيق . وتبلغ المسافة بين جزر القمر وجزيرة زنجبار ٧٥٠ كم ، والمسافة الى مدينة « كيلوه » العربية القديمة على ساحل تنزانيا نحو ٥٥٠ كم ، والمسافة الى مدينة « سفالة » العربية القديمة والتى تقع فى منتصف ساحل موزمبيق نحو ١٥٠٠ كم . وبذلك فإن جزر القمر كانت تقع فى مركز هام بين مراكز الاستقرار والتجارة العربية القديمة مع أفريقيا . واستراتيجياً تقع هذه الجزر فى كل الأوقات فى مركز حاكم وسط مياه مضيق موزمبيق ، وهو مسار أهم الطرق الملاحية قديماً وحديثاً من جنوب آسيا الى رأس

• الأسر العربية فى هذه الجزر : هل جاءت من الجزيرة العربية مباشرة أم هي من عرب شرق أفريقيا ؟

الرجاء الصالح
والجزر الرئيسية الأربع هى :

الاسم قبل الاستقلال	الاسم بعد الاستقلال
جراند كومورو	نجازيجا (الجزيرة الكبرى)
انجوان	نزواني
موهيلي	موالى
مايوت	ماهورى

العرب واستيطان جزر القمر

فى مثل حالات جزر القمر حيث لا توجد وثائق قديمة ، فإن الحفريات الأثرية هى المنهج العلمى فى محاولة التعرف على التاريخ القديم . وتدل نتائج التنقيب التى أجراها الاركيولوجيون الفرنسيون فى جزيرة نزوانى على أن أقدم آثار الاستقرار السكنى فى الجزر تعود الى نحو القرن الخامس الميلادى . وتشير دراسة الهياكل البشرية والآثار المادية الى أوجه شبه بين هؤلاء المستوطنين وسكان مدغشقر القدماء الذين يسميهم علماء الآثار الفرنسيون باسم مجموعة « السابقين على الملاجاشى » .

وتمر فترة طويلة دون اشارة معروفة عن جزر القمر . وتقول دائرة معارف لاروس الكبيرة الفرنسية (١) إن تجاراً من شيراز (الخليج) قد غزوا جزر القمر فى القرن ١٦ م . وتلاهم العرب بعد ذلك .

وصحيح أننا لم نعثر للآن على اشارة عربية لجزر القمر ، لكن فى ضوء معلومات الجغرافيين العرب فى القرنين العاشر والثانى عشر الميلادى (٢) ، لابد أن نتوقع ــ استقراء ــ أن الملاحين العرب قد عرفوا جزر القمر ، وربما استفادوا منها فى رحلاتهم جنوباً الى ميناء « سفالة » المشهور فى تلك الفترات . فالمسعودى يذكر فى منتصف القرن العاشر الميلادى تجارة العرب الرائجة من الذهب فى ميناء « سفالة » القريب من معدن الذهب فى زمبابوي الحالية . كما يؤكد الجغرافى الإدريسى ذلك فى القرن ١٢ م ، وإن كان خام الحديد فى عصره قد أصبح مطلب التجار العرب بدلا من الذهب . وتنقل السفن العربية الحديد الى الهند حيث تصنع منه أنواعاً عالية من الصلب . ولاشك أن الملاحين العرب ــ سواء من الخليج أو من حضرموت ــ قد مروا بجزر القمر مئات المرات خلال رحلاتهم الى سفالة . وربما أقاموا محطة بحرية تجارية فى تلك الجزر ابتداء من القرن التاسع الميلادى . فالمسعودى حين يكتب عن تجارة رائجة مع سفالة فى منتصف ق ١٠ م ، فإن معنى ذلك أن هذه التجارة قد بدأت قبل عصره بفترة زمنية تسمح أن تصبح تجارة عظيمة رائجة فى القرن العاشر .

كذلك يخطىء المصدر الفرنسى سابق الذكر حين يذكر قدوم تجار شيراز والعرب فى القرن ١٦ الى جزر القمر . ففى ذلك الوقت كانت سيادة البرتغال البحرية بلا منازع طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر . ومن ثم فالبرتغال لا يمكن أن تسمح بغزو عربى فى جزر ذات أهمية استراتيجية فى طريق الملاحة الرئيسى الى أوربا . وفى تلك الفترة أيضاً كان العرب والتجارة البحرية التقليدية العربية فى حالة تراجع نسبى . وكانت مهمتهم الرئيسية التخلص من البرتغاليين فى حصون مسقط وهرمز ، وليس افتتاح مناطق استقرار بعيدة .

وحسب معلوماتنا الراهنة فإن أول ذكر لجزر القمر حديثاً كان خريطة العالم التى رسمها الجغرافى البرتغالى دييجو ديبيرو عام ١٥٢٧ م . وربما كان الملاح البريطانى جيمس لانكاستر هو أول أوربى يزور جزر القمر فى ١٥٩١ م وكانت الحضارة العربية هى السائدة آنذاك .

والخلاصة أن العرب قد أثروا ــ على الأغلب ــ فى حضارة وسكان جزر القمر فى فترة سابقة على الكشوف الجغرافية الكبرى ، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فى ق ١٦ م . وأن الطابع العربى الاسلامى قد صار سمة الجزر فى وقت لاحق ــ ربما بعد الصحوة العربية فى منتصف القرن ١٨ م ، التى اتسمت بالنشاط الاستيطانى العربى ــ مرة أخرى ــ على طول ساحل شرق أفريقيا وإنشاء سلطنات زنجبار وممبسة ومالندى وغيرها . وبعبارة أخرى يمكن أن ننظر الى عملية تعريب جزر القمر فى مرحلتين : الأولى بالارتباط بازدهار مدينة كيلوه كيغنجى « العربية القريبة » من جزر القمر ، والتى دحرها البرتغاليون فى ق ١٦ ، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ . وقد امتدت مرحلة ازدهار كيلوه وسفالة خمسة قرون ابتداء من القرن العاشر .

أما المرحلة الثانية فتعود الى منتصف ق ١٨ ، وانتشار العمانيين وغيرهم من العرب الى شرق أفريقيا حتى بدايات ق ٢٠ .

ولكننا مع ذلك لاندرك تماماً الاجابة على أسئلة محددة . من هذه الأسئلة متى بدأت السلطنات العربية فى جزر القمر ؟ وما هى أصول الأسر العربية فى هذه الجزر : من الجزيرة العربية مباشرة أم مستمرة من عرب شرق أفريقيا ؟ وما هى أشكال الارتباط أو التسلسل الأسرى مع عرب وسلطنات الساحل الشرقى لأفريقيا ؟ ومعروف أن سلاطين جزر القمر كثيراً ما استمدوا العون من سلطان زنجبار ضد التغلغل الفرنسى خلال ق ١٩ .

ومن الأسئلة الأخرى : الى أى مدى كان النفوذ المكانى لسلاطين جزر القمر؟ هل كان مرتبطاً بالجزر فقط أم كان ممتداً على ساحل موزمبيق المقابل ؟ علماً بأن غالبية سكان شمال موزمبيق الآن هم مسلمون ديناً وثقافة (نحو مليون نسمة) . وهل كان هناك سلطان كبير فى الجزيرة الكبرى وسلاطين تابعون فى الجزر الأخرى ، أم كان السلاطين على قدم المساواة ؟ مع العلم أن كل سلاطين الجزر كانوا ينحدرون من أسرة واحدة .

وهل كانت مصادر الثروة فى هذه السلطنات قائمة على أساس الموارد المحلية للجزر ؟ أم كانت نمطاً مماثلا لنمط سلطنة زنجبار .. أى أنها رأس جسر لتجميع الثروة من مدغشقر وموزمبيق والتعامل فيها تجارياً عبر البحار الى أسواق الخليج والشرق الأوسط؟

الجزيرة	المساحة كم ٢	السكان (١٩٨٠)	الكثافة السكانية شخص / كم٢	المدينة الرئيسية (٤)
نجازيجا	١١٤٨	١٦٤٠٠٠	١٤٢	مورونى (عاصمة الدولة)
نزوانى	٤٢٤	١٢٣٠٠٠	٢٩٠	متسامودو
موالى	٢٩٠	١٣٢٠٠	٤٧	فومبونى
مجموع جمهورية القمر	١٨٦٢	٣٠٠٢٠٠	١٦٤	
ماهورى (مايوت)	٣٧٤	٤٣٠٠٠	١١٤	زاودزى
مجموع جزر القمر	٢٢٣٦	٣٤٣٢٠٠	١٥٣	

جـدول يوضح مسـاحة وعدد السكان فى جزر القمر

التنـــافس الفــرنسى البريطانى على جزر القمر :

فى الفترة بين ١٧٨٥ و ١٨٢٠ وقعت جزر القمر تحت طائلة غارات مستمرة من جانب أبناء قبيلة « بتسيما ساركا » الملاجاشية ، وذلك من أجل الحصول على الرقيق الذى يبيعونه للفرنسيين والانجليز الذين كانوا بسبيل تعمير جزر المسكارين (ريونيون وموريشس) . وقد ادت هذه التجارة الأوربية المنشأ الى إحداث دمار وتخريب فى مكونات جزر القمر سكاناً وعمراناً . وزاد الأمر سوءاً أن عدداً من « القرصان الأوربى » (انجليزى وأمريكى بوجه خاص) ــ بعد طردهم من البحر الكاريبى ــ قد نقلوا نشاطهم الى المحيط الهندى ، وجعلوا من بعض جزر هذا المحيط قواعد لسفنهم ، وخاصة فى شمال مدغشقر ، وذلك لكى يتصيدوا السفن الأوربية سواء تلك التى تتخذ طريق رأس الرجاء الصالح أو طريق السويس . ولم يقض تماماً على قرصان هذه البحار الا بجهود مشتركة للأساطيل الانجليزية والفرنسية والهولندية .

وقد حارب سلاطين جزر القمر صيادى الرقيق الملاجاشيين . وكان القراصنة يلعبون أدواراً مختلفة بين السلاطين والملاجاشيين ، وخاصة فى جزيرتى نزوانى وموالى . وفى هذا الجو المضطرب غزا الفرنسيون جزيرة مايوت ١٨٤١ ، وضمت رسمياً لفرنسا بعد ذلك بعامين . وقرر الفرنسيون أن تصبح الجزيرة مصدراً لسكر القصب كما فعلوا من قبل فى ريونيون وموريشس .

ورد الانجليز على هذه الخطوة الفرنسية بانشاء قنصلية لهم لدى سلطان جزيرة نزوانى ــ وهى الجزيرة التى تلى مايوت غرباً ــ وحاول الفرنسيون تطويق الانجليز باجبار السلطانة « فاطمة » ، سلطانة جزيرة موالى ، أن تقبل الحماية الفرنسية . لكن السلطانة رفضت مراراً مساعى فرنسا ، ولجأت الى سلطان زنجبار لمساعدتها . وعندما فشلت المساعى الفرنسية السياسية ضربت سفن الأسطول الفرنسى الجزيرة الصغيرة مرتين فى عامى ١٨٦٧ و ١٨٧١م ، وكان ذلك بحجة حماية مصالح الفرنسى جوزيف لامبير الذى كان يمتلك مزارع القصب فى الجزيرة ، كذلك كان السلطان أحمد ، سلطان نجازيجا ، يقف ضد مساعى الحماية الفرنسية ويستعين بتأييد سلطان زنجبار .

والملاحظ أن التحرك الفرنسى العسكرى ضد جزر القمر قد بدأ بعد أن أنهت بريطانيا وجودها السياسى فى جزيرة نزوانى فى أعقاب افتتاح قناة السويس . ففى عام ١٨٦٧ أقفلت بريطانيا قنصليتها ، ووجهت كل اهتمامها الى الطريق البحرى الجديد عبر السويس . وبذلك خلت الساحة أمام فرنسا فضربت جزيرة موالى كما أسلفنا . وبحجة الخوف من النفوذ الالمانى فى الجزيرة الكبرى (بعد التواجد الالمانى فى تنجانيقا) أعلنت فرنسا الحماية على الجزر الثلاث ــ موالى ونزوانى ونجازيجا ــ عام ١٨٨٦ . وكانت آخر أحداث المقاومة صراع السلطان سعيد على ، سلطان نجازيجا ، مع الفرنسيين والذى انتهى بنفى السلطان خارج الجزر عام ١٨٩١ م .

جزر القمـــر فى ظل الحكم الفرنسى :

ظلت الجزر الثلاث محمية فرنسية بين ١٨٨٦ و ١٩١٢ ، بينما كانت مايوت محمية منذ عام ١٨٤٣ ، وفى عام ١٩١٢ ألغت فرنسا الحماية وألحقت الجزر الأربع بالإدارة الفرنسية فى مدغشقر . وفى عام ١٩٤٦ ، بعد الحرب العالمية الثانية ونتيجة لبداية التحرك الوطنى ، منحت الجزر الوضع القانونى « للأرض الفرنسية عبر البحار » . وفى عام ١٩٦١ اشتدت المطالب الوطنية فأعطيت الجزر أولى خطوات الحكم الذاتى ، واتسعت أشكال هذا الحكم الذاتى تدريجياً بعد عام ١٩٦٨ . وبمقتضى قانون الحكم الذاتى أصبح فى الجزر مجلس نيابى منتخب ، ومجلس وزراء وطنى جنباً إلى جنب مع المندوب السامى الفرنسى . وبرغم أن الفرنسيين قيدوا عدد الناخبين بمواصفات معينة ، الا أن وجود هذا الحق سرعان ما أدى الى تكوين أحزاب سياسية ذات اتجاهات متشابهة فى البداية ، متعارضة فى النهاية . وكان أهم حزبين فى تلك الفترة هما حزب الاتحاد الديمقراطى برئاسة أحمد عبدالله عبدالرحمن (الرئيس الحالى للدولة) وحزب تجمع الشعب الديمقراطى برئاسة الأمير سعيد محمد جعفر .

المطالبة بالاستقلال الكامل :

فى أول عام ١٩٧٢ تولى الأمير سعيد جعفر رئاسة الحكومة وطلب رسمياً من فرنسا منح جزر القمر الاستقلال الكامل ، وفى أواخر السنة انضم الحزب الآخر للوزارة فى المطالبة بالاستقلال . وكاجراء تكتيكى استقالت الحكومة من أجل إجراء انتخابات جديدة تمت فى شهر ديسمبر ١٩٧٢ وفازت فيها الأحزاب المطالبة بالاستقلال (٨٠٪) على حزب الأمة الذى كان يرأسه الأمير سعيد ابراهيم . ونتيجة للانتخابات تولى أحمد عبدالله رئاسة الحكومة الجديدة ، وأعطاه المجلس النيابى تفويضاً باجراء مفاوضات مع فرنسا لاتخاذ ترتيبات الاستقلال .

الاستقلال :

نتيجة للضغوط الشديدة بعد أحداث ١٩٧٢ السياسية وافقت فرنسا على إجراء استفتاء تم فى ١٩٧٤/١٢/٢٢ . وقد نال المنادون بالاستقلال ٩٤٪

من الأصوات فى كل الجزر عدا جزيرة مايوت التى قيل إن ٦٤٪ من أصواتها رفضت الاستقلال . وعلى الفور أعلنت فرنسا وضعاً خاصاً لجزيرة مايوت داخل النظام الفرنسى . ورداً على ذلك أعلن المجلس النيابى لجزر القمر الإستقلال الكامل فى ١٩٧٥/٧/٦ ، وانتخب أحمد عبدالله أول رئيس للدولة ، لكن الجبهة الوطنية المتحدة بزعامة الأمير سعيد جعفر لم توافق على هذا التطرف ، وفى الثالث من أغسطس قامت بانقلاب ناجح ضد أحمد عبدالله . وفى نوفمبر انضمت الدولة الى الأمم المتحدة على أنها ممثل لكل جزر القمر . ولم يغير ذلك من سياسة فرنسا فى البقاء فى مايوت .

وفى أول عام ١٩٧٦ انتخب علي صليح رئيساً للدولة خلفاً للأمير سعيد ، وأجرت فرنسا استفتاء صورياً فى مايوت أيد بقاء الوضع الخاص للجزيرة ضمن النظام الفرنسى (٩٩٪ لصالح فرنسا !) .

وقد حاول علي صليح إحداث تغيرات راديكالية فى الإدارة والاقتصاد والنظم الاجتماعية والدينية ، وكلها أثارت المخاوف والمعارضة فى الداخل والخارج . وفى عام ١٩٧٧ غير الدستور وتغير اسم الدولة الى جمهورية القمر الديمقراطية الاشتراكية . وقد أدى فشل محصول ١٩٧٧ وقطع فرنسا معونتها الى جانب اجراءات علي صليح المختلفة الى انتقال الكثيرين الى صفوف المعارضة . وفى مايو ١٩٧٨ عاد أحمد عبد الله من منفاه فى باريس على رأس مجموعة من المرتزقة الاوربيين وقتل علي صليح بعد قليل . وفى البداية رفضت منظمة الوحدة الأفريقية قبول ممثل الحكم الجديد معتمدة على استعانته بالمرتزقة .

وقد أقام أحمد عبدالله فور توليه الحكم علاقات قوية مع فرنسا ودول الأوبك العربية ودول الجامعة العربية . وعادت مساعدات فرنسا ، وإن بقيت مشكلة جزيرة مايوت قائمة .

وفى أكتوبر ١٩٧٨ أقيم استفتاء على دستور جديد نص على أن اسم الدولة أصبح جمهورية القمر الإسلامية الاتحادية ، وانتخاب مجلس نيابى من ٣٨ عضواً (١٨ نائباً عن جزيرة نجازيجا و ١٥ عن نزوانى وخمسة نواب عن موالى) . كما تم انتخاب مجلس نيابى وحكام لكل جزيرة ، مما يعطى شكلا من الحكم الاتحادى للدولة . وقد أشير فى الدستور الى أن جزيرة ماهورى (مايوت) هى جزء من الجمهورية « بسبيله إلى أن يعود الى مجتمع القمر » لكن لا هذه الاشارة ، ولا شكل الحكم الذاتى لكل جزيرة ، وجدا استجابة فى مايوت حتى الآن .

المقومات الجغرافية للسكن والزراعـــة :

يوضح الجدول المنشور على الصفحة السابقة مساحة وعدد السكان فى جزر القمر (٣) .

وحيث أنه لا توجد احصاءات حتى الآن ، فان تقديرات السكان تختلف من مصدر الى آخر . وحسب آخر تقدير سكانى (٥) فإن سكان الجمهورية يبلغون ٣٧٥ ألفاً بالإضافة الى ٥٠ ألفاً فى جزيرة ماهورى . وتبلغ الزيادة السكانية السنوية نحو ٢,٥٪ .

وتعود جزر القمر فى مجموع نشأتها الى النشاط البركانى ، ولكن هناك فارقاً كبيراً الآن بين الجزيرة الكبيرة نجازيجا وبقية الجزر . فالجزر الأخرى تتكون من تراكيب بازلتية قديمة عرتها عوامل التعرية وفتتها ، وبراكينها خامدة . بينما براكين جزيرة نجازيجا نشطة وفيها أعلى جبال الجزر ، وهو بركان كارتالا الذى يصل ارتفاعه الى ٢٥٦١ متراً ، ويعد من حيث التكوين من أجمل براكين العالم . وفى شمال الجزيرة براكين صغيرة عديدة من النوع الذى يشابه بركان استرمبولى فى البحر التيرانى (ايطاليا) .. أى له نشاط خفيف فى دورات محددة .

والمفترض أن التربة فى المناطق البركانية فى مجموعها هى تربة جيدة للزراعة . ولكننا نجد أن ظروف التكوين الصخرى ذى المسامية الشديدة فى نجازيجا يجعل مياه الامطار الوفيرة تغور فى باطن الأرض الى أعماق سحيقة ، مما يترتب عليه أن أكثر من نصف مساحة الجزيرة غير قابل للزراعة . وتتكون من سطوح عارية أو تغطيه فى المرتفعات غابات قليلة الاستخدام . وحتى فى التربات البازلتية القديمة فى الجزر الأخرى نجد سطوحاً غير قابلة للزراعة ، وخاصة فى ماهورى (مايوت) التى تبلغ فيها مساحة الأراضى غير القابلة للزراعة نحو ٤٠٪ من مجموع مساحة الجزيرة . ولعل أحسن التربات هى تلك فى جزيرة نزوانى ، ومن ثم العدد السكانى الكبير بالقياس الى مساحة الجزيرة . وتتصف جزيرة مايوت بأنها تكاد تكون محاطة بشطوط وحواجز مرجانية كبيرة تمنع استخدام سواحلها الاستخدام الأمثل . وتقع زاودزى ــ عاصمة مايوت ــ على جزيرة صغيرة أمام السواحل وخلف « الحاجز » المرجانى .

وحيث أن الجزر تقع بين درجتى العرض ١١ و ١٣ جنوب خط الاستواء فإن المناخ السائد هو الحار الرطب . فالحرارة تتراوح بين ٢٨ درجة مئوية فى شهر نوفمبر و ٢٢ درجة فى شهر يوليو ، وهو ألطف شهور السنة لانخفاض الحرارة وعدم سقوط الأمطار . وتنقسم السنة الى ستة أشهر من الجفاف من مايو الى أكتوبر وستة أشهر غزيرة المطر . وفى نصف السنة الجاف تسود رياح جنوبية شرقية جافة يسميها السكان « كوسى » (٦) ، وهى تسمية تذكرنا برياح « الكوس » الشرقية الجافة التى تهب على الخليج . أما نصف السنة المطر فيسمى « كاسكاسى » وهو يتسم بأعاصير عاتية وموجات عالية من المد تخرب السواحل ، وأقماع مائية قوية وخطرة وأمطار غزيرة تتراوح بين ١,١ امتار فى جزيرة مايوت و ٥,٥ أمتار فى نجازيجا .

وقد أدت هذه الظروف المناخية الى أن ١٦٪ من مساحة الجزر تغطيها غابات كثيفة فى المناطق المرتفعة من ٤٠٠ متر الى ١٧٠٠ متر . ومعظمها تتكون من أشجار خشب الورد والموهجنى . وتغطى أعشاب منوعة أعالى الجبال ، وخاصة بركان كارتالا . وعلى السواحل وفى البحيرات الساحلية بين الحواجز المرجانية والساحل تنمو غابات المنجروف بكثافة واضحة . ويترك هذا التركيب النباتى مناطق محدودة للزراعة فيما بين منسوب سطح البحر وارتفاع ٤٠٠ متر ، وخاصة فى الأودية والسهول الضيقة . وهنا يزاول السكان زراعة محاصيل شجرية كالمانجو وجوز الهند والموز ، ومحاصيل التصدير الأخرى وعلى رأسها الفانيليا ، ومحاصيل الغذاء التقليدية من أرز ودرنيات .

المشكلة السكانية الحادة :

يمثل سكان جزر القمر الآن خلاصة عمليات الاستيطان التاريخية . فالأصول ترجع الى سكان مشابهين لقبيلة الساكلافا الملاجاشية وغيرهم من أفارقة جلبوا من موزمبيق مختلطين بهجرات هندو ماليزية قديمة ، وفوق ذلك كله هناك المستوطنون العرب و٩٩٪ من سكان جزر القمر كلها مسلمون ينتمون للمذهب الشافعى ، ولغتهم الرئيسية هى العربية بينما السواحلية هى لغة التجارة ، وهى تكتب أيضاً بحروف عربية . ولغة التعليم التقليدى هى العربية بما فيها « كتاب » القرية ، بينما لغة التعليم الحديث هى الفرنسية .

وبالاشارة الى الجدول السابق نرى أن نحو نصف السكان يعيشون فى الجزيرة الكبيرة نجازيجا ، وأن نحو الثلث يسكنون جزيرة نزوانى التى ترتفع فيها كثافة السكان الى نسبة عالية . وفى المجموع فإن كثافة السكان عالية جداً بالقياس الى مدغشقر أو معظم أفريقيا الشرقية ، وأن نسبة النمو السكانى السنوية تتراوح بين ٢,٥٪ و ١٣٪ ومما يزيد المشكلة أن اقتصاديات جزر القمر زراعية فقط ، وحيث أن كل الأراضى القابلة للزراعة مستغلة ، فإن جمهورية القمر تعانى من مشكلة سكانية حادة .

• الجزيرة تعود فى نشأتها الى النشاط البركانى وسكانها يمثلون خلاصة عمليات الاستيطان التاريخية

• مازال الانتاج فى جزر القمر على المنسوب الذى كان سائداً عندما أعلنت فرنسا الحماية عليه عام ١٨٨٦ ! !

وقد كانت هناك هجرات عمل واستيطان كبيرة من جزر القمر الى مدغشقر (٤٠,٠٠٠) وزنجبار (٣٠,٠٠٠) . ولكن الأحداث السياسية فى مدغشقر أجبرت الكثيرين من سكان جزر القمر على العودة الى بلادهم . والاختلاف السياسى حول مايوت أجبر الكثيرين من مستوطنى مايوت الى العودة الى نزوانى ونجازيجا . وفوق كل هذا فإن ثورات بركان كارتالا تؤثر بشدة على الأحوال الاقتصادية وتزيد مشكلة الغذاء . وقد أدت آخر ثورة للبركان فى ابريل ١٩٧٧ الى تشريد عشرين ألفا من السكان (نحو ثمن ($\frac{1}{8}$) سكان الجزيرة) وضياع حقولهم ومحاصيلهم (٧) وهكذا تتجمع الظروف الطبيعية والسياسية والاقتصادية على زيادة حدة المشكلة السكانية والاقتصادية فى جمهورية القمر ، بحيث أصبحت معتمدة على كثير من المعونات من دول ومنظمات شتى لتتمكن من مواجهة مشاكل الجوع .

اقتصاديات جزر القمر :

حيث لا توجد معادن ولا صناعة فإن النشاط الاقتصادى المحلى فى جزر القمر يرتكز على الزراعة بصورة أساسية ، وعلى حرفة صيد السمك للاستهلاك المحلى . ولوعورة التضاريس فإن المراعى الطبيعية محدودة ، ومن ثم فإن الثروة الحيوانية قليلة . ففى الجزر لا يوجد من الحيوان سوى ٧٧ ألفا من الماشية و٨٦ ألفا من الماعز وثمانية الآف من الأغنام ، بينما تتراوح كمية الأسماك التى تم صيدها حوالى أربعة آلاف طن سنوياً (أرقام عام ١٩٧٩) .

ويمكن تقسيم الزراعة الى قسمين : زراعة الغذاء والاستهلاك المحلى وزراعة محاصيل التصدير . وأهم المحاصيل الغذائية هى الدرنيات (١٠٠ ألف طن سنوياً من الكاسافا والبطاطا) والأرز (١٦ ألف طن) وثمار جوز الهند (٦٠ ألف طن) وكميات قليلة من الموز والذرة . أما محاصيل التصدير فتتركز حول الفانيليا وزيوت النباتات العطرية والقليل من القرنفل والبخار والكاكاو .

وأهم المشكلات التى تعانى منها الزراعة هى :
١ ـ الضغط السكانى الشديد على الأرض .
٢ ـ طوال مدة الاستعمار الفرنسى لم تطور فرنسا محاصيل الغذاء التقليدية ولا طرق زراعتها ولا تحسين بذورها ، وانما كانت منصرفة الى تنمية مزارع المحاصيل التجارية للتصدير ، ومساحات كبيرة منها ملك لاحتكارات فرنسية .
٣ ـ نقص التعليم مع نظام ملكية الأراضى التقليدى ، وقد ساعدت روح عدم التجديد على سد الطرق أمام أية استحداثات فى مجال الزراعة ، فظلت على منسوب أداء الانتاج الذى كان سائداً عندما أعلنت فرنسا الحماية فى عام ١٨٨٦ .

والحقيقة أن اقتصاد الجزر كان فى حالة متدهورة قبل الاستقلال بسبب تدهور السوق العالمية لمحاصيل الفانيليا والقرنفل ، وانخفاض سعرها . وكانت المعونات الفرنسية تساعد على إبقاء الوضع مقبول نسبياً فضلا عن وجود مخارج للعمل خارج الجزر . وبعد الاستقلال ظهرت المشاكل بصورة متفاقمة نتيجة انقطاع العون الفرنسى والظروف السياسية فى المنطقة على نحو ما أسلفنا .

ويمكننا تلخيص كل ذلك فى أن قيمة صادرات الجزر قد تأرجح حول ٨ الى ٩ ملايين من الدولارات من ١٩٧٤ الى ١٩٧٧ ، بينما قيمة الواردات كانت نحو ١٦ مليون دولار (٨) وفى ١٩٧٩ ارتفعت قيمة الصادرات الى ١٧ مليون دولار يقابلها زيادة أخرى فى الواردات الى نحو ٣٠ مليوناً (٩) . وتشكل صادرات الفانيليا نصف قيمة الصادرات ككل ، بينما تبلغ واردات الغذاء (وعلى رأسها الأرز واللحوم والسكر) ربع قيمة كل الواردات ، أو ما يساوى نفس قيمة صادرات الفانيليا ! (واردات البترول فى ١٩٧٧ تساوى ـ قيمة كل الواردات) .

وازاء هذا الموقف المتدهور فإن الكثير من الدول العربية قامت بتقديم العون فى أشكال مختلفة . وقد ساهم فى ذلك البنك العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا ، والصندوق الكويتى للتنمية العربية وقدمت مساعدات مالية من السعودية والكويت وعمان والعراق فضلا عن معونة فرنسا ودول السوق الأوربية وجمهورية الصين الشعبية .

خلاصة وتوصية

هذه باختصار حالة دولة صغيرة تتشبث بعروبتها وإسلامها ، وتمثل آخر جهود العرب الاستيطانية فى المحيط الهندى . ولذلك نتقدم بالتوصيات التالية :

• ـ محاولة تمويل وانشاء مدارس عربية تدرس مناهج العلوم الحديثة ، وامدادها بالمعلمين . فخسارة أن تضيع جزر القمر فى خضم الثقافة الفرنسية .

• ـ خسرت جزر القمر دورها التجارى القديم ، مثلها مثل زنجبار . واذا كانت زنجبار قد وجدت فى انضمامها الى تنجانيقا مجالا أرضيا أوسع (برغم ماصحب ذلك من مآس وطرد للزنجباريين من أصول عربية) فإن جزر القمر تقف وحيدة صغيرة فقيرة مترعة بمشكلات السكان والتنمية . وخسارة أن تضيع شخصية القمر العربية ، اذا اندمجت فى تركيب إقليمى مجاور . فهل من مزيد من دعم التنمية من جانب الدول العربية بشروط سخية تمكن جمهورية القمر الاسلامية من مواجهة مشاكلها مع الحفاظ على شخصيتها ؟

محمد رياض ـ جامعة قطر

الهــوامش

(1) "La Grande Encyclopédie", Larousse, Vol. 5, Paris 1973.

(٢) د . كوثر عبد الرسول : « دراسات فى الهجرات الحديثة الى أفريقيا : العرب فى شرق أفريقيا » ـ حولية كلية الآداب ـ جامعة عين شمس مجلد ١٣ ـ القاهرة ١٩٧٠ .

(3) Europa Publications, "Africa, South of the Sahara", P. 314, London 1981- 82.
والكثافة السكانية لكل جزيرة من حساب المؤلف .

(٤) موروني ، عاصمة الدولة ، يبلغ عدد سكانها ٢٥ ألفاً (١٩٨٠) ومتسامودو نحو عشرة آلاف وفومبونى نحو خمسة آلاف وزاودزى نحو ثمانية آلاف . ويلاحظ أن عدد سكان المدن ليس كبيراً ، ويشير الى انتشار نمط السكن الريفى وقلة جذب المدن لقلة النمو فى الأنشطة الصناعية والخدمات .

(5) Der Fischer Weltalmanach, Frankfurt a/m, 1984.

(6) The Encyclopedia Britannica, Vol. 6, London 1973.

(7) Europa Publications, Ibid, P. 313.

(8) Europa Publications, Ibid, P. 316.
القيمة محولة عن فرنكات المجموعة الفرنسية الافريقية CFA
وكان الفرنك الفرنسى فى ذلك التاريخ يساوى ٥٠ فرنكاً أفريقياً ، والدولار ٢٤٨ فرنكاً أفريقياً .

(9) Der Fischer Weltalmanach.

ماهو المطلوب في مواجهة حرب الأسعار.. والإنتاج؟

بقلم: الدكتور محيى الدين علي عشماوي

الدول الكبرى وشركات البترول الضخمة تقف بالمرصاد للنفط والدول المنتجة للنفط ، وهى تدخل الآن حرباً على الانتاج وحرباً على الأسعار ، لتهديد الدول النفطية فى مصدر دخلها وشريان حياتها الدائم ، واضعاف قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وهذا الخطر يتطلب مواجهة حاسمة من دول البترول ، بوضع استراتيجية بترولية عربية واحدة .

يشهد العالم الآن ، تطورات خطيرة لحرب الأسعار وحرب الانتاج التى تقودها الدول الصناعية الكبرى وشركات النفط العالمية بأساليب مختلفة ، من أجل عودة سيطرتها على انتاج وتسويق البترول على مستوى العالم ، وذلك بعد أن كانت قد فقدت هذه السيطرة منذ بدء استقلال معظم الدول النامية المنتجة للبترول ، وإنهاء عصر الامتيازات البترولية التى كانت الدول الصناعية الكبرى وشركاتها تستنفد فيه موارد الدول المنتجة بحفنة من الدولارات تعود وتسترجعها أضعافاً مضاعفة على شكل سلع مصنعة تبيعها لهذه الدول بأسعار مرتفعة ، نظراً لاحتكارها انتاج وتسويق هذه السلع بما لديها من تكنولوجيا متقدمة ، وسبق فى فنون انتاج وتصنيع السلع التى تحتاجها الدول النامية .

هذه الأهداف

ولا يخفى على أحد أن الأهداف التى تريد الدول الكبرى أن تحققها من حرب الأسعار وحرب الانتاج ليست أهدافاً اقتصادية فقط ، بل هى أهداف سياسية وعسكرية واجتماعية واحتكارية ترغب من تحقيقها إضعاف قدرات وطاقات وإمكانيات الدول النامية المنتجة للبترول ، وزعزعة استقلالها وسيطرتها على مواردها الطبيعية التى هى مصدر قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، والضمان لتقدم ورفاهية شعوبها وأجيالها المتقدمة ، والدعم القوى لسياستها وتخطيطها فى الدفاع عن نفسها فى زمن السلم وزمن الحرب على حد سواء .

ولما كانت الدول العربية المنتجة للبترول تشكل نسبة كبيرة فى عدد الدول النامية المنتجة للبترول ، ولما كان الوطن العربى والأمة العربية مستهدفة بالدرجة الأولى فى حرب الأسعار وحرب الانتاج فإن ذلك يهدف لاضعاف القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لهذه الأمة وتجريدها من أغلى ثرواتها الطبيعية واهدار قيمتها التى ازدادت على مدى السنوات العشر السابقة ، على أثر حرب رمضان المجيدة ، حين أصدر وزراء البترول العرب قرارهم التاريخى فى السابع عشر من شهر تشرين الأول اكتوبر سنة ١٩٧٣ بحظر النفط عن الدول المساندة لاسرائيل ـ مما دعا الدول الكبرى التى تدعم اسرائيل إلى المسارعة فى التخطيط لما يجب أن تفعله ، منذ ذلك التاريخ ، للقضاء على هذا السلاح الاقتصادى الخطر الذى تمتلكه الأمة العربية ، وتستطيع به أن تهدد مصالحها الحيوية فى المنطقة العربية .

وبالرغم من أن البترول لم يعد هو السلاح الرئيسى القوى والفعال الذى يمكن أن تستخدمه الأمة العربية فى ظروف صراعها المستمر مع الصهيونية ومن يدعمونها ، إلا أنه مازال سلاحاً مهماً يمكن للدول العربية أن تستخدمه بجانب ما لديها من أسلحة أخرى سياسية كانت أو اقتصادية أو بشرية أو عسكرية . لذلك كان القضاء على هذا السلاح هدفاً من الأهداف الاستراتيجية للدول المساندة للصهيونية العالمية التى تحارب فى السر والعلن الأمة العربية ، وتريد أن تجردها من كل العوامل والموارد التى تمنحها القوة والصمود لرفع الأخطار التى تتهددها وتتربص بها .

صورة حديثة

وتعد حرب الأسعار وحرب الانتاج صورة من الصور الحديثة التى تهدف منها الدول الكبرى والشركات البترولية العالمية الى استغلال البترول العربى على وجه يحقق مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ويضعف من أهميته

وتأثيره لتحقيق مصالح وآمال الدول والشعوب العربية .

ولقد سبقت هذه الصورة صور وأشكال كثيرة كانت تتناسب مع ظروف البلاد العربية محط الاطماع الاستعمارية منذ فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حين تغلغلت الشركات البترولية الكبرى فى أراضى البلاد العربية معتمدة على التفكك والضعف الذى شهدته البلاد العربية فى تلك الحقبة من الزمان .

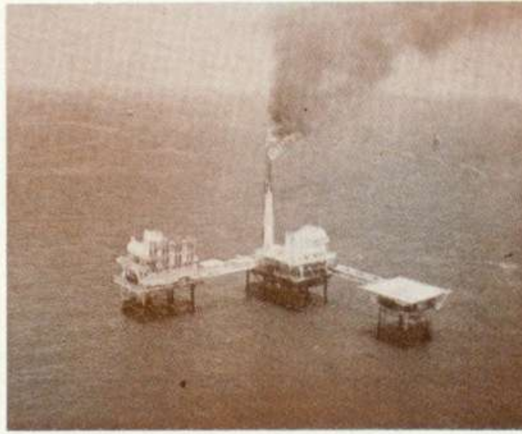
فلقد كانت البلاد العربية فريسة سهلة لمطامع الدول العظمى التى خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى ، وقامت بتقسيم ثروات هذه البلاد بما عقدته من معاهدات جماعية مثل عهد عصبة الأمم ، أو ثنائية مثل معاهدة سايكس ـ بيكو . وقامت على أثر ذلك الشركات البترولية العالمية ـ التى تنفذ استراتيجية الدول العظمى ـ بوضع نظام الامتيازات البترولية بغرض استغلال الثروات البترولية العربية فى امداد الدول الكبرى بالطاقة اللازمة لبناء صناعاتها ، وذلك بأرخص الأسعار ، وبأبخس الشروط التى تضمنتها اتفاقيات البترول التى كانت تعقدها هذه الشركات مع حكومات البلاد العربية تحت اسم اتفاقيات امتياز البحث والتنقيب عن البترول .

ولقد عرف نظام الامتياز آنذاك بأنه نظام احتكار وسيطرة الشركات الأجنبية على موارد النفط العربية وحرمان البلاد العربية والشعوب العربية من تحقيق الاستفادة المناسبة أو حتى المعقولة من ثرواتها النفطية . ولقد كانت الشركات الأجنبية تتملك الثروات البترولية لعقود كثيرة من الزمن ، وتبحث وتنقب وتستخرج البترول بشروطها المجحفة بحق أصحاب الثروات فى هذه البلاد . وحرمت هذه الشركات البلاد العربية من سيادتها الوطنية على أرضها وثرواتها ، وكانت الاتفاقيات تتضمن الاعفاءات الضرائبية والجمركية على أعمال ونشاطات الشركات الأجنبية مما كان يعنى تنازل البلاد العربية عن جزء من سيادتها لصالح هذه الشركات .

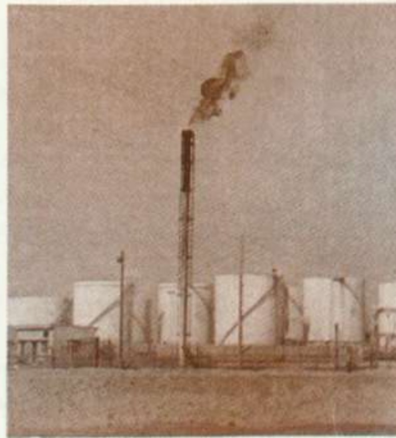
وبالرغم من أن احتياطى البلاد العربية من البترول كان يقدر بحوالى ٦٠ بالمائة من الاحتياطى العالمى ، وبالرغم من أن انتاج حقول البترول فى البلاد العربية كان يزيد عن ربع انتاج العالم من البترول ، وبالرغم من أن البلاد العربية كانت تمثل

• بعد إلغاء امتيازات الشركات الكبرى تحققت سيطرة الدول العربية على ثرواتها البترولية . .









ظلت سيطرة الشركات الكبرى على الثروات البترولية العربية ، إلى أن انتقلت البلاد العربية إلى مرحلة امتلاك ثرواتها البترولية والاستقلال عن التبعية الاقتصادية لشركات البترول العالمية .

المرتبة الأولى بين البلاد المنتجة والمصدرة للبترول ، إلا أن هذه البلاد وشعوبها ـ فى ظل سيطرة الشركات الأجنبية ـ لم تكن تتمتع بكامل ثرواتها التى تستطيع بها تحقيق خططها للتنمية لصالح أوطانها وشعوبها بصفة خاصة ولصالح الأمة العربية ونمائها وتقدمها بصفة عامة .

احتكار قديم

وقد ظلت السيطرة الاحتكارية على الثروات البترولية العربية فى يد ثمانى شركات كبرى عالمية كونت فيما بينها اتحاداً عرف بما يسمى « الكارتيل العالمى للبترول » يتولى التعاون والتنسيق بين هذه الشركات فى مجال احتكار البحث والتنقيب والانتاج والنقل والتكرير والتوزيع للثروات البترولية المنتجة من البلاد العربية وغيرها خلال الفترة من عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٥٨ م . وكانت اتفاقية « أكناكرى »

لعام ١٩٢٨ هى الأساس القانونى لتعاون هذه الشركات فى هذا الاتحاد .

ولقد حققت هذه الشركات فى ظل نظام الاحتكار الذى اتبعته ، السيطرة الكاملة على السوق العالمية للبترول ، وذلك من حيث التحكم فى الأسعار ، وفى الانتاج ، وفى التوزيع ، وفى التخزين ، وفى العرض والطلب العالميين ، مما حقق لها أرباحاً طائلة على حساب البلاد المنتجة للبترول التى كانت تعانى من الفقر والتخلف والتبعية الاقتصادية والاستعمار السياسى والاحتلال العسكرى .

وحتى الخمسينات كانت هذه الشركات الكبرى تتدخل فى شئون البلاد العربية عن طريق نظام الامتيازات البترولية ، وكانت تفرض عليها ارادتها ومخططاتها وتتحكم فى مصادر انتاجها وأسواق استهلاكها ، دون أن تقابل بأية استراتيجية عربية تتخذ لمواجهة ما يتم من سلب ثروات البلاد العربية بأبخس الأثمان وباحتكار مطلق وسيطرة استعمارية مقنعة .

ولما بدأت حركات التحرر السياسى والاقتصادى فى البلاد العربية ، وصحت الشعوب العربية على يقظة مما كانت فيه من نوم عميق ، سارعت البلاد العربية الى الوقوف فى وجه نظام الامتيازات والتحرر منه ، والانتقال الى مرحلة تملك ثرواتها البترولية والاستقلال عن التبعية الاقتصادية للشركات البترولية الاقتصادية ،

ماهو المطلوب في مواجهة

حرب الأسعار.. والإنتاج؟

وبدأت نظام المشاركة فى الانتاج ، والاقتسام فى الأرباح ، والاستثمار لثرواتها البترولية لصالح شعوبها واجيالها المقبلة ، ولصالح تنمية اقتصادها وبناء إمكاناتها الصناعية ، فتراجعت الشركات الاحتكارية عن الصور السابقة لاستغلال الثروات البترولية ، وبدأت فى التخطيط بأسلوب آخر وصور حديثة للسيطرة والاحتكار على السوق العالمية للانتاج والتوزيع والتخزين للبترول ، وكان ذلك فى صور حرب الأسعار وحرب الانتاج .

وان نظرة الى الأسعار التى كانت سائدة فى نظام الامتيازات البترولية تدلنا على مدى ما كانت تتمتع به الشركات البترولية العالمية والدول التى تتبعها من تحقيق أرباح طائلة من وراء جلب الثروات البترولية من مناطق انتاجها فى البلاد العربية . فلقد كانت هذه الشركات تدفع ثمناً ثابتاً لحكومة البلد العربى المنتج للبترول لا يتعدى ٤ شلنات للطن أى حوالى ٢٢ سنتاً للبرميل الواحد ، ولم تكن البلاد العربية قادرة على المطالبة برفع سعر البرميل أو محاولة التفاوض مع هذه الشركات من أجل زيادة حصتها من العائد المالى فى ظل اتفاقيات الامتياز .

ولقد تغير الوضع فى البلاد العربية المنتجة للبترول منذ الستينات حين تغير النظام القانونى لعقود البحث والتنقيب والانتاج للبترول . وبدأت الحكومات العربية تفرض شروطها فى هذه العقود من حيث نسبة الأرباح التى تحصل عليها والتى أصبحت تزيد عن ٥٠٪ فى معظم العقود ، كما أصبحت تشارك الشركات فى اقتسام كميات النفط المنتجة ، بالاضافة الى الزام الشركات بدفع الضرائب والرسوم عن أعمالها وأنشطتها وأرباحها من عمليات البحث والانتاج مما كان يعنى عودة السيادة العربية على ثرواتها ومناطق الانتاج البترولى ، وتم تملك معظم البلاد العربية لثرواتها البترولية ، وأصبحت تتحكم فى عمليات الانتاج والتسويق بصفة تدريجية ، ثم أقامت الحكومات العربية المؤسسات والشركات البترولية الوطنية والتى دخلت شريكة فى البحث والانتاج مع الشركات الأجنبية ، وساعدت على دخول البلاد العربية فى صناعة البترول وتحقيق استقلالها وسيطرتها على مواردها البترولية بدرجة كبيرة .

وتحققت السيطرة العربية

ثم جاءت حرب رمضان (اكتوبر ١٩٧٣) لتحقق سيطرة الدول العربية على ثرواتها البترولية حين فرضت الحظر البترولى ، ثم بدأت بعد ذلك السعى الى تصحيح أسعار البترول لتعويض انخفاض القوة الشرائية للدولار الأمريكى — وهو وحدة التعامل النقدية فى شراء البترول من الدول المنتجة — بسبب التضخم المستمر فى الاقتصاد العالمى . ولقد طالبت الدول العربية المنتجة للبترول الشركات البترولية العالمية برفع أسعار شرائها للبترول المنتج منها ، إلا أن هذه الشركات رفضت الاستجابة مما دعا الدول المنتجة للبترول فى منطقة الخليج العربى الى عقد اجتماع بالكويت فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، أعلنت فيه من جانبها رفع أسعار نفطها بنسبة ٧٠٪ من الأسعار السائدة انذاك .

وفى اجتماع عقد فى طهران بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٧٣ قررت الدول البترولية رفع سعر برميل النفط المنتج من الخليج الى سعر ٥ دولاراً أمريكياً . ثم توالت بعد ذلك خطوات رفع سعر البرميل فى مقابل الارتفاع الهائل لأسعار المنتجات الصناعية والتضخم الخطير في الاقتصاد العالمى ، وبذلك حققت الدول المنتجة للنفط سيطرتها على سوق النفط العالمى وبدأت تتخلص تدريجياً من سيطرة واحتكار الشركات البترولية العالمية .

إلا أن ذلك لم يكن فى تخطيط الدول الكبرى والشركات الكبرى ، التى لم تسكت عن هذه الطفرة فى الأسعار وعن استمرار سيطرة الدول المنتجة للبترول على السوق العالمية وما تبع ذلك من حصولها على مقابل مناسب لبيع ثرواتها البترولية ليصبح دخلا قومياً تستغله فى خططها للتنمية والتطوير وتحقيق مصالح شعوبها واستقلالها الاقتصادى والسياسى والعسكرى فبدأت هذه الدول وهذه الشركات فى وضع استراتيجية واحدة تستطيع بها العودة الى السيطرة على الانتاج والأسعار . وقد تضمنت هذه الاستراتيجية شراء كميات كبيرة من النفط ، ثم تخزينها ، حتى جاءت اللحظة المناسبة فبدأت بالسحب من المخزون وتقليل الطلب على النفط فى الوقت الذى زاد فيه العرض فظهرت الأزمة . ووجدت الدول المنتجة نفسها أمام تهديد خطير فى انتاج وتسويق نفطها ، مما دعاها الى تخفيض أسعار برميل النفط ثم تخفيض سقف إنتاجها ، وبذلك بدأت سلسلة العودة الى الوراء ومحاربةالدول النفطية فى مصدر دخلها الرئيسى وشريان حياتها الدائم ، بغرض تجريدها من عوامل قوتها ومصادر حياتها الاقتصادية ، وبالتالى إضعافها وإهدار قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

ومن هنا ظهر الخطر الذى يهدد الدول العربية المنتجة للبترول وظهرت آثار المخطط المعادى الذى وضع للأمة العربية لسلبها أهم ثرواتها وعوامل قوتها ومصادر حياتها .

ملامح الاستراتيجية المطلوبة

وعلى ذلك فلقد ظهرت الحاجة الى الدعوة الى تبنى استراتيجية بترولية عربية واحدة فى مواجهة هذه المخططات التى بدأت بحرب الأسعار وحرب الانتاج .

واذا كان لنا أن نبين ملامح هذه الاستراتيجية ، فإننا نرى أن تشمل هذه الملامح ما يلى :

- الاتفاق العربى على سقف انتاج محدد يراعى فيه تحقيق التوازن بين المحافظة على الثروات البترولية العربية من النضوب ، والحصول على دخل قومى مناسب لتلبية الاحتياجات الاقتصادية للدول العربية وشعوبها .
- الاتفاق العربى على سياسة تسعير موحدة وذلك على المدى القصير والمدى الطويل ، لمواجهة المخطط المعادى الذى يهدف الى خفض الأسعار والعودة بها الى أسعار حقبة الستينات .
- التنسيق العربى الموحد داخل منظمة الأوبك ومنظمة الأوابك ومع الدول العربية غير الأعضاء فى المنظمة والمنتجة للبترول .
- اتباع سياسة عربية موحدة فى مواجهة الدول الصناعية الكبرى المنتجة والمستهلكة للبترول مما يحقق المصلحة العربية فى انتاج وتصدير وتوزيع وتخزين المواد البترولية .
- الاتفاق على سياسة التكافل البترولى العربى بين الدول العربية المنتجة للبترول والدول العربية غير المنتجة للبترول ، وذلك من حيث توزيع الثروات البترولية ومنتجاتها وتحقيق الاكتفاء العربى الذاتى فى موارد الطاقة والاستغناء عن اللجوء الى الدول الصناعية الكبرى فى استيراد مصادر الطاقة قدر الامكان .
- تحقيق التنسيق والتعاون العربى فى مجال صناعة المواد البترولية والبتروكيماوية وصناعة التكرير . وغيرها من الصناعات المكملة لصناعات النفط والغاز ، وكذلك فى مجال التخزين والنقل والاحتياطى البترولى للدول العربية .
- تحقيق التنسيق والتعاون العربى فى مجالات انتاج مصادر الطاقة البديلة كالفحم والطاقة الشمسية والطاقة النووية وغيرها .
- الاتفاق العربى على سياسة بترولية عربية واحدة يتم اتخاذها فى حالات الأزمات الدولية ، وبالنسبة للدول المعادية للأمة العربية والمساندة للصهيونية العالمية .

وختاماً فان الوقت قد حان للعمل بسرعة وبجدية فى وضع الاستراتيجية البترولية العربية وتنفيذها من أجل المحافظة على ثرواتها البترولية واستغلالها لصالح شعوبها وأجيالها المقبلة ، ولضمان التصدى للمخططات المعادية التى تهدف الى تجريد الأمة العربية من عوامل قوتها ونهضتها ونموها واستقلالها .

محيى الدين علي عشماوى

إلى.. خليجيــة



بقلم : محمد الشـــدى



اليك ... اليك ... وحدك ـ ايتها المسافرة في دمي أبداً ... ايتها النبعة الباردة في بيداء الجدب والظمأ ، ايتها الوردة التى تلهمني الشفافية والصفاء ... وقصائد العشق ....

اليك .. وحدك .. ـ اكتب .. وارسم .. واغني وابوح باسراري ... وجراحاتي ... واشيائي الخاصة وهزائمى الدامية ....

أنت .. لا تعرفين حدود حبي ... ولا شواطىء بحارى ولهذا السبب احترق ... واتعذب .. وتظلين وشماً فى ذاكرتي .. واحلامي ....

يوم رأيتك ... صدفة .. بدأت أعد أيام عمري ..... ألمس وجودى .... وأنسى ضياعى .... مررت أمامي كسيف عربي ... فانتفضت واشتعلت .. ورحت أسأل بذهول عن هذه النجمة التي تتلألأ على الأرض ....

قالوا لي ... خليجية ... فارتعشت لأول مرة كغصن ياسمين حطت عليه العصافير وغرزت فى ازهاره مناقيرها الحمراء .

قالوا لي ... خليجية ... فعرفت كم هو رائع هذا الخليج ... الثري بالعشق .. والشمس .. واللؤلؤ .. والمحار ... والعيون السوداء .

مررت من أمامي ... كنسمة صيف محملة بالعطر والندى .. والأغاني البحرية ... كنت بين اصابعي ... مشروع قصيدة ... عذرية .. ثم مررت لحظات .. تلفت بعد ... لم اجدك .... تلاشى الحلم ... طار العصفور الى الجزر البعيدة ....

سنة مرت .... وأخرى .... وأنا أذهب الى الخليج أسرح بصرى الى اللانهاية .... أحمل الرمل الذهبى الرطب بين اصابعي .... اقبله ... اشمه ... لعلي أجد فيه رائحة منك .... اثراً ... أو ذكرى .... مجرد ذكرى ....

أين أنت الآن .... ايتها السارقة مني عمري وهدوئي .... وتفكيري . ؟ ! . أين أنت .... ايتها الساحرة الصغيرة .. ؟ ! . فى أي الجزر وفى أي الموانىء .... رست مراكبك الشرقية . ؟ ! .. وعلى أي الشواطىء تمشين .. فتسرع اليك الأمواج .... والنسمات .. وطيور البحر الجميلة .... لتقبل قدميك الحافيتين . ؟ !

خسرتك ... فخسرت ... كل شيء .. البسمة والعيون ... العاشقة .. وجدائل الضوء .. ولم يبق لي بعد رحلة الحب سوى الحيرة القاتلة ... والدهشة .. العنيفة .. وقصائد الشوق في دفاتري الملونة المحمومة الحروف ! ! ..

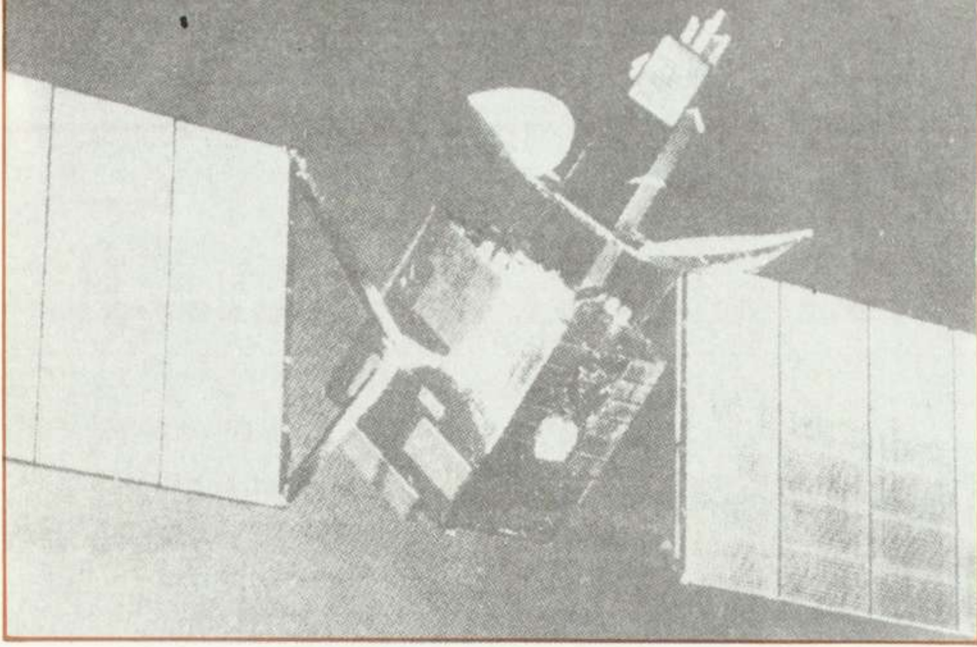
وها أنا في رحيل مستمر ... أسافر بلا زاد .... وبلا أمل لعلي اكرر الصدفة الأولى .. لعلي اعود وفى يدي العالم ، لقد أصبحت كل شيء جميل في الوجود .. صرت بالنسبة لي الحياة والغد ... والأماني العذراء ....

في الوردة ابحث عنك .... وفي خيوط الشمس ... وضوء القمر .... وفي اللوحة الأنيقة .. وفي الغابات .. وفي خفقات القلوب الراعشة كجناح مكسور ....

قالوا انني مجنون ... « صويب » متيم .. بحب فتاة خليجية فاتنة .... مرت من امامه كالزوبعة .. كالخيال .... ذات يوم ....

قلت .... أنا فعلا كذلك .... رضيت بالجنون وبالحزن .... من أجل عينيك ... يا خليجية وما .. يهمنى بعد ذلك أن أكون .. أي شيء .... يازرقة البحر .... وعطر الخزامى ...... وبوح الصحراء . ! ! ..

الرياض



«عربسات» القمر الصناعى العربى .

القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

بقلم: سعد لبيب

في الثامن من فبراير ١٩٨٥ انطلق أول قمر صناعى عربى ، ليقوم بدور هام فى الاتصالات الفضائية بين الدول العربية . فهو يقدم خدمات تكنولوجية جديدة بطريقة ميسرة ، ويضع البلاد العربية على مشارف العصر ، ويفيد فى عدة مجالات مهمة ثقافية وتربوية واعلامية .

ولقد بدأ الحديث عن استخدام قمر صناعى عربى بعد حرب حزيران (يونيه) عام ١٩٦٧ ، عندما انعقد مجلس وزراء الاعلام العرب فى تونس . فقد قرر المجلس ضرورة التمشى مع روح العصر ، وأن يكون للمنطقة العربية قمر صناعى يتولى عملية الاتصال بين أقطارها المختلفة ، لدعم العمل الاعلامى العربى ..

شبكة اتصالات لحظية

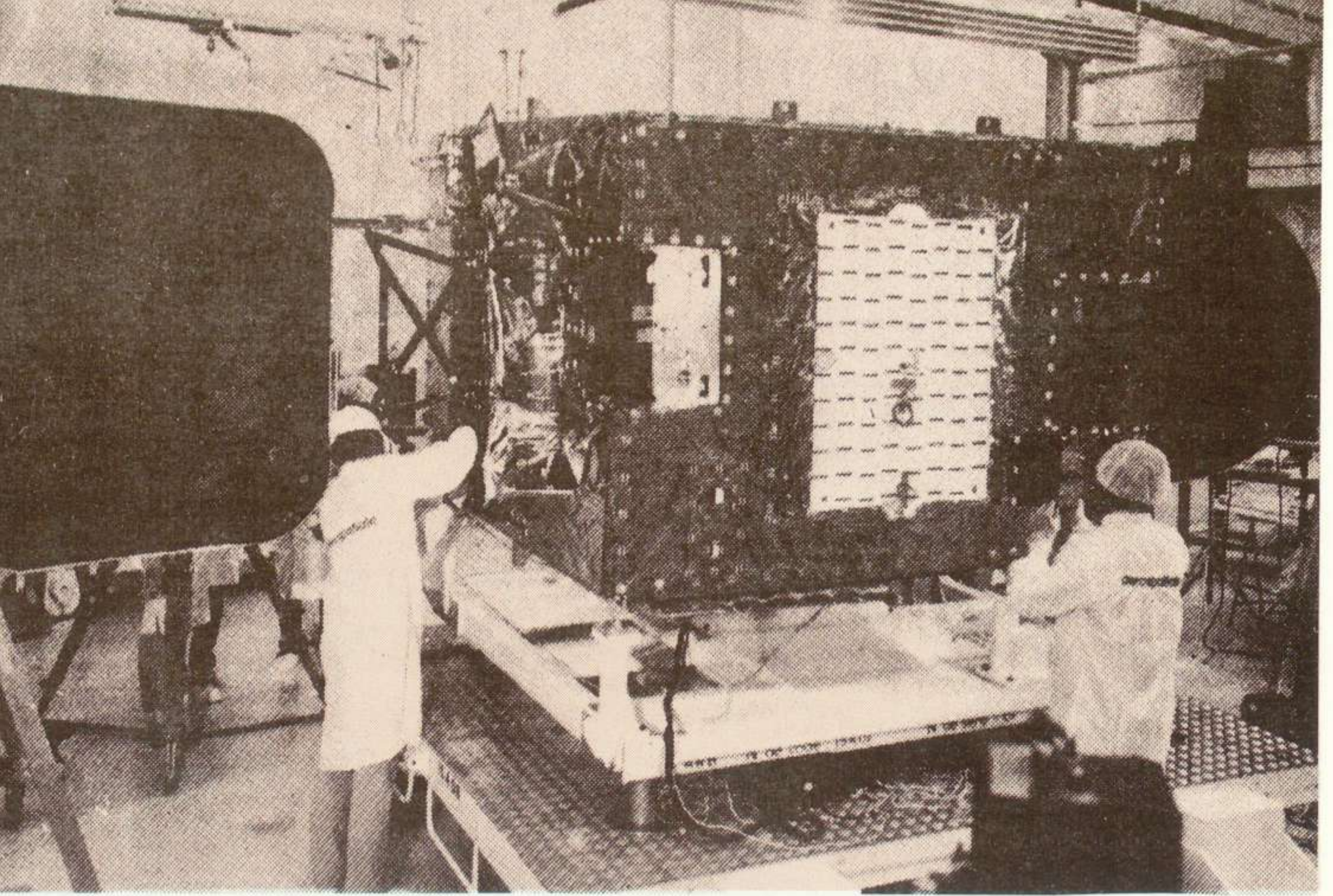
وفعلا بدأ العمل منذ ذلك التاريخ لتحويل الفكرة الى حقيقة واقعة ، وانطلق أول قمر صناعى عربى ، وتبدأ شبكة الاتصالات العربية عملها خلال هذا الشهر . وبذلك تكون المنطقة العربية قد حصلت لأول مرة فى تاريخها على شبكة اتصالية تربط بين أجزائها المختلفة من الغرب والشرق ومن الشمال والجنوب . وهى شبكة اتصالات آنية لحظية ، تتيح الفرصة للمحادثة التليفونية ، كما تتيح الفرصة للتبادل التليفزيونى الآنى ، ونقل الأحداث ساعة وقوعها فى أى منطقة من المناطق العربية الى محطات التليفزيون المختلفة فى الوطن العربى ..

وفى الوقت نفسه فإن هذه الشبكة تتيح فرصاً أخرى تتعلق بالاستخدامات فى مجال الاذاعة ، والمعلومات فى مجال وكالات الأنباء والصحافة وغيرها . وهذا كله يجعلنا نقف أمام مسئولية ضخمة ، هى مسئولية مسايرة هذا العصر ، عصر الفضاء . فهو يحمل تكنولوجية أكثر تقدماً ، وعلينا أن نسايرها ، ونكون على مستواها من جميع النواحى ..

والحقيقة أن الشبكة الفضائية العربية هى أول شبكة إقليمية فى العالم . اذ أن هناك مجموعة شبكات دولية تؤدى دورها بالنسبة للعديد من الدول . من هذه الشبكات الدولية شبكة «انتلفات» ومقرها الولايات المتحدة الأمريكية ، ويشترك فيها الكثير من دول العالم من الشرق والغرب على حد سواء . وهناك شبكة «انتلسبوتنك» القائمة فى الكتلة الشرقية ، وهى أيضاً تؤدى خدماتها للشرق والغرب ولأى مكان فى العالم ..

والى جانب هذه الشبكات توجد أقمار وطنية تخدم فقط فى اطار الدولة الموجودة بها . منها قمر لاندونسيا يربط بين أجزائها المختلفة ، فهى عبارة عن مجموعة من الجزر كثيرة العدد ، ولا سبيل للربط بينها الا عن طريق الأقمار الصناعية . ومثله أيضاً القمر الخاص باليابان لنفس الظروف الجغرافية . وهناك مشروعات مماثلة لاقامة أقمار كثيرة أخرى .. وهى تختلف عن أقمار الاتصالات ومنها القمر الصناعى العربى ..

هذه الأقمار الأخيرة تتيح الفرصة للتعامل والاتصال بين الناس بعضهم البعض . لكن الى جانبها توجد أقمار فضائية أخرى لا تستخدم



الفنيون الذين اشرفوا على صنع القمر الصناعى

لأغراض الاتصالات ، وانما للحصول على معلومات عسكرية كالاستشعار عن بعد ، ومعرفة ماذا فى باطن الأرض . وهناك كذلك أقمار للاتصالات البحرية ، وأخرى للاتصالات بين الطائرات وبعضها البعض وبينها وبين قواعدها الجوية . ولذلك فإنه يوجد فى الفضاء الآن عدد من الأقمار المختلفة يزيد على ثلاثة آلاف قمر صناعى ..

مجموعة خصائص

وفيما يتصل بأقمار الاتصالات والقمر الصناعى العربى بالتحديد فإن له مجموعة من الخصائص . فهو يملك شبكة فضائية تمتاز بأنها متطورة عن كل الشبكات الأخرى ، حتى الشبكات الدولية . اذ أن هذه الشبكة العربية استفادت من التطور التكنولوجى الذى حدث فى العالم أخيراً . وبالتالى فإن الاشارات التى أعطيت للقمر من القوة بحيث أن المحطات الأرضية التى تستقبل هذه الاشارات ليست كبيرة الحجم على النحو المستخدم فى الشبكات الدولية . فان القطر الهوائى فى هذه الشبكات الدولية يصل الى ثلاثة وثلاثين متراً . فى حين أن المحطات الأرضية وهى أرخص كثيراً لا يصل قطرها الهوائى الى أكثر من أحد عشر متراً . ويضاف الى ذلك أيضاً جودة الصوت والصورة ..

وتتميز الخدمة على القمر الصناعى العربى من الناحية التكنولوجية أيضاً . فقد استفادت من التجارب السابقة . وللعلم فان القمر العربى هو للتوزيع وليس للبث المباشر . ومن المهم التفرقة بين هذا وذاك . اذ أن البعض يخلط بين أقمار التوزيع وأقمار الاتصال المباشر . ومن هنا تصور الكثيرون أن القمر الصناعى العربى سيتيح الفرصة لأى مشاهد أن يضع إصبعه على مفتاح التليفزيون فيشاهد وهو فى أى جزء من الوطن العربى البرامج التى تبثها انجلترا أو فرنسا . بل ان الكثيرين تصوروا أيضاً أنه من الممكن للقمر الصناعى العربى أن ينقل أى حدث يريده من مكان الى آخر مباشرة دون المرور على محطة التليفزيون نفسها ..

• شبكة اتصالات تتيح نقل الأحداث ساعة وقوعها الى كل تليفزيونات المنطقة العربية

• الشبكة الفضائية العربية أول شبكة اقليمية فى العالم وهى تمتاز بتطورها العلمى

• القمر الصناعى العربى للتوزيع وليس للبث المباشر ويحتوى على ٨ آلاف دائرة تليفزيونية و٧ قنوات ..

ليس للبث المباشر

لكن الحقيقة غير ذلك تماماً . فالقمر الصناعى العربى ليس وسيلة للبث المباشر . انما هناك أقمار الآن تحت التصنيع ، وستبدأ عملها فى البث المباشر بعد فترة قصيرة . وكمثال لها القمر الصناعى الأوربى الذى يستعد للعمل خلال هذا العام . انه يبث برامجه بثاً مباشراً دون الرجوع الى المحطات الموجودة بأوربا الغربية كلها . كما أن

القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

هناك قناة تليفزيونية مضافة الى القنوات الموجودة فى أوربا الغربية ستبث مباشرة الى البيوت. وسيتم هذا باضافة معدات صغيرة جداً وبسيطة ورخيصة الى الأجهزة الموجودة فى البيوت. وهناك كذلك قمر ستطلقه بريطانيا سيعتمد أيضاً على البث المباشر، بالاضافة الى الخدمات التى سيقدمها قمر ايطالى سيطلق أيضاً عام ١٩٨٦. وسوف يغطى القمر الأوربى جزءاً من شمال أفريقيا، وسوف تلتقط كافة الدول العربية فى هذه المنطقة الاشارات الصادرة عنه بطريقة تتراوح فى الوضوح بين دولة وأخرى. كما ستلتقط هذه الدول أيضاً القمر الصناعى الايطالى..

ولسوف يقوم القمر الصناعى العربى بالتوزيع فقط بين محطات التليفزيون وبعضها البعض. وعندئذ فان الإشارة تنتقل من القمر الى المحطات الأرضية، ثم من المحطة الأرضية الى التليفزيون. وفى هذه الحالة فان التليفزيون حر فى أن يذيع أو لا يذيع ما يتلقاه. اذ أن هذه المسألة تخضع بطبيعة الحال لترتيبات مسبقة، بل وتخضع للصدفة المطلقة. وهكذا فان قمر الاتصالات العربى ليس فقط للتليفزيون، بل ان التليفزيون يقتطع فقط جانباً من نشاطه، هو جانب بسيط. اذ أن الأصل فى هذا القمر أنه يقدم الخدمات اللاسلكية المتمثلة فى التليفون والتلكس، وخدمات المعلومات وغيرها..

آلاف الدوائر

ان هناك فى القمر الصناعى العربى ثمانية آلاف دائرة تليفزيونية، تضاف اليها سبع قنوات تليفزيونية، وهناك كذلك قناة تسمى القناة الجماعية. وهى استثناء من القاعدة. بمعنى أنها هى التى توزع مباشرة من القمر الى الجمهور. ولكن ليس كل الجمهور المتجمع حول محطات أرضية صغيرة يبلغ طول الهوائى فيها حوالى متر ونصف المتر تقريباً. وبالتالى فإن هذه القناة تصلح للأماكن البعيدة المنعزلة. ولأنها تدار بالطاقة الشمسية فمن الممكن توزيع بثها فى هذه الأماكن البعيدة التى لاترتبط بالشبكات الأخرى..

ومن الضرورى التأكيد على أن القمر الصناعى العربى لا يتعارض مع الخدمات الدولية. فستظل الدول العربية مرتبطة بالشبكات الدولية، ولن يكون القمر العربى بديلا عنها. لأننا لكى نتصل بأى إنسان أو بأى محطة خارج المنطقة العربية، لابد أن نعتمد على هذه الشبكات الدولية. وهناك اتفاق وتعاون بين الشبكة العربية والشبكات الدولية فى هذا المضمار..

وبهذه المناسبة فإن الشبكة الفضائية العربية عبارة عن قطاعين أساسيين: الأول هو القطاع الفضائى، والثانى هو القطاع الأرضى. فأما القطاع الفضائى فهو عبارة عن ثلاثة أقمار صناعية وليست قمراً واحداً. ويعتبر القمر الأول هو الأصلى والذى أطلق خلال الشهر الماضى. والحكمة من وجود أقمار أخرى هو أنه لابد للقمر الأصلى من آخر احتياطى فى حالة فشل الاتصالات أو وجود عيوب فى القمر الأصلى كحدوث عطل مفاجىء فى أى جزء من أجزائه. أما القمر الثالث فهو موجود على الأرض فى حالة تعطل أى من القمرين الموجودين فى الفضاء..

محطة التحكم

كل هذه الأقمار الصناعية تم تصنيعها ويبقى اطلاق الثانى والثالث. وقد أطلق الأول الصاروخ الاوروبى المسمى «ايريان»، وهو الذى نجح فى عدة اطلاقات من قبل. أما القمر الثانى فسيطلقه مكوك الفضاء الأمريكى، لكن بعد فشل هذا المكوك مرتين فى الفترة الأخيرة، فإنه يعاد النظر فى استخدامه، ومن ثم استخدام صاروخ عادى من أمريكا أيضاً. أما القطاع الأرضى فيتشكل من محطة تحكم رئيسية موجودة فى مدينة الرياض، وهى تتحكم فى القمر وتوجهه، لكى لا يخرج عن مداره المفروض. اذ أن القمر موجود فى مدار معين فوق خط الاستواء ١٩ على خط طول ١٩ درجة شرقاً. والمفروض ألا يخرج عن هذا المدار على الاطلاق، وأن يظل متوازناً من الناحية التكنولوجية، لكى يعطى اشاراته للمحطات الأرضية الأخرى. ولكل قمر محطاته الأرضية الخاصة به..

وبالنسبة للمحطات الأرضية الخاصة بالقمر الصناعى العربى فهى مرتبطة بعدد من الشبكات الدولية، مرتبطة بقمر المحيط الهندى وقمر المحيط الأطلسى التابعين للشبكة الدولية. ولكن لا نستطيع استخدام هذه المحطات الأرضية فى القمر العربى. اذ لابد أن تقام له محطات خاصة تتحكم فى توجيهه. وهناك كما قلت محطة أصلية فى الرياض، لكن لابد لها من محطة مساندة فى حالة فشلها فى التوجيه. وهذه المحطة المساندة ستكون موجودة فى تونس، وسيبدأ تشغيلها فى شهر أكتوبر أو قبله بقليل..

كذلك لابد من وجود محطة سيطرة تتحكم فى تلبية الخدمات المطلوبة وتوزيعها وتنسق بينها، وستكون هذه المحطة أيضاً فى الرياض. وبهذه المناسبة فإن الرياض هى مقر المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية. ومن الضرورى التأكيد على أن أهم شيء فى القطاع الأرضى هى المحطات الأرضية التى ترسل الى القمر وتستقبل منه. هذه المحطات ستقام تباعاً فى الأقطار العربية المختلفة، ويتم التعاقد عليها. وقد بدأ تصنيع بعضها بالفعل. بل ان المفروض أنها انتهت قبل اطلاق القمر، والا يظل القمر معزولا عن الفضاء. وبالمناسبة فإن أى تعطيل فى انشاء المحطات الأرضية معناه تعطيل عن الاتصال بالقمر، ومن ثم يظل القمر بلا خدمة على وجه الاطلاق. ونرجو ألا يحدث ذلك.

استخدامات متعددة

ولقد بدأ بالفعل وبشكل تجريبى تشغيل الشبكة فى الشهر الماضى، ومن المؤكد أن الاستخدامات التى توفرها هذه الشبكة الفضائية متعددة. ويأتى فى مقدمتها الاتصالات الخاصة بالتليفون والتلكس وغيرها. ولابد من الإشارة هنا الى أن نقل المعلومات بين مراكز المعلومات المختلفة لا يتم عن طريق قناة تليفزيونية، وانما عن طريق مجموعة من خطوط التليفون. وهى تركب بطريقة معينة وتضاف اليها معدات خاصة. وبهذه الطريقة يمكن نقل المعلومات والصور أيضاً. وبعض الصحف الآن تطبع فى مكانين أو ثلاثة فى وقت واحد. بل ان صحيفة مثل الشرق الأوسط تطبع فى جدة وفى لندن فى نفس الوقت. اذ تصور الصفحة وتنقل الصورة بالأقمار الصناعية بواسطة عدد من الخطوط التليفونية وبعض الأجهزة الخاصة..

وفى هذا المجال يمكن الإشارة الى تجربة رائدة فى الجزائر. فقد كانت هى الدولة العربية الأولى التى استطاعت منذ مدة طويلة أن تستخدم تكنولوجيا الفضاء. اذ استأجرت قناة قمرية من شبكة الانتلسات الدولية، لنقل صور صفحات صحيفة المجاهد بين المدن الجزائرية وطبعها واصدارها فى نفس الوقت فى هذه المدن مجتمعة.

وكان هذا حلا مثالياً لتفادى متاعب النقل باللوريات والسكك الحديدية والطائرات. ولقد استأجرت المملكة العربية السعودية هى الأخرى قناة تليفزيونية، وكذلك فعلت سلطنة عمان، والسودان. وبطبيعة الحال فإن القمر الصناعى العربى سوف يوفر الخدمة المطلوبة لكافة الدول العربية بطريقة أكثر كفاءة من الطريقة التى توفرها الشبكات الدولية. وهذا يتضح على وجه الخصوص اذا ماعلمنا أن هذه الشبكات تؤدى معظم خدماتها لهذه الدول عن طريق الأقمار الاحتياطية لا الأصلية، وهى تكون معرضة باستمرار للتعطل أو

التوقف . أما خدمات القمر الصناعى العربى فلأنها محدودة بحدود المنطقة العربية ، فلن يكون هناك ضغط كبير عليه ، وبالتالى ستؤدى الخدمات عن طريق القمر الأرضى لا الاحتياطى ..

دراسات الاتحاد

ونود أن نشير فى هذا الحديث عن القمر الصناعى الى أن اتحاد الاذاعات العربية كان قد بنى قضية ضرورة الاعتماد العربى على الاتصالات الفضائية . وكان ذلك فى الجمعية الأولى للاتحاد بالخرطوم فى فبراير ١٩٦٩ . وكان هدف الاتحاد أن نتصل ببعضنا البعض ، ونتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، كما نتبادل الخبرة أيضاً ، بدلا من الاعتماد فى الاتصالات بيننا على مراكز فى الغرب أو أمريكا . ولقد بدأ الاتحاد منذ ذلك الوقت فى اجراء مجموعة من الدراسات حول الموضوع ، واستعان باليونسكو وبخبرات دولية معنية ، وعقد مجموعة من المؤتمرات التى خرجت بصورة محددة ..

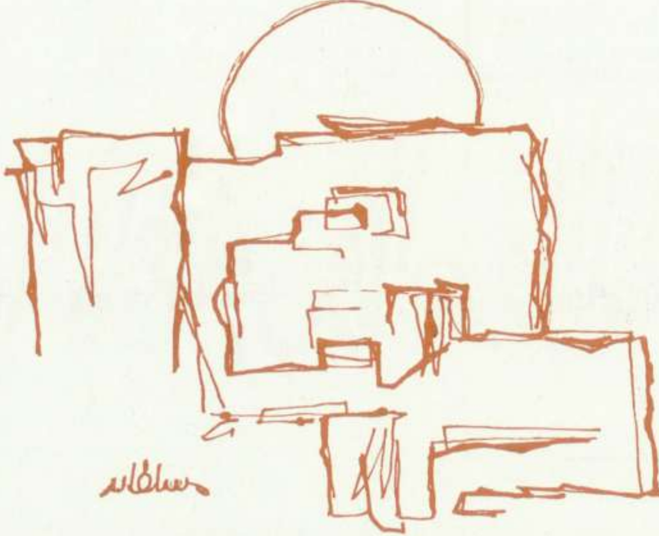
وفيما يتصل بالقمر الصناعى العربى فإن الاتحاد ومنذ أن وصل الى تحديد معين بالنسبة له ، كان يرى أنه لابد أن يكون وسيلة للتبادل التلفزيونى الاخبارى . اذ أننا يجب أن نعرف أخبار بعضنا الآخر أولا بأول . وأن يكون الهدف تعريف الأقطار العربية والشعوب العربية ببعضها البعض . وهذه قضية أساسية . وهنا ينبغى أن يتم التعريف المطلوب دون وسيط ، أى بشكل مباشر من المصدر الى المستقبل . والى جانب هذا فإن القمر الصناعى العربى يجب أن يستخدم فى دعم الخدمات التليفزيونية وطنياً ومحلياً . اذ أن الشبكة التليفزيونية يجب ألا تقتصر على المدن الكبيرة ، وانما ينبغى أن تمد خدماتها الى المناطق النائية . اذ أن هذه المناطق هى الأكثر احتياجاً للخدمة الاعلامية والثقافية ، من غيرها . والى جانب ذلك يجب أن توظف هذه الخدمة فى تبادل البرامج بين التليفزيونات العربية بعضها والبعض الآخر .

وأخيراً فلقد وجدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القمر الصناعى العربى وسيلة ثقافية مهمة ، لتوصيل الخدمات التربوية لمن يحتاجها فى الأماكن البعيدة ، وفى الأقطار العربية المختلفة ، وهذه خطوة هامة فى مجال توحيد الفكر التربوى بين هذه الأقطار ، تضاف الى المؤتمرات والكتب والمناهج والاستعانة بالمدرسين من هذا القطر أو ذاك ، بل ان هذه الخطوة سوف تكون أكثر تأثيراً وأعمق نفعاً من أية وسيلة أخرى فى هذا المضمار الهام ..

سعد لبيب

تأملات

شعر: محمد التهامي



قِفْ يا زَمانُ إلامَ أَنْتَ تَدورْ ؟ — فَتَمرُّ أَعْـوامٌ بِنَـا وَدُهُورُ ؟
حَتَّـامَ تَأْتِينَا بِكُلِّ جَدِيدَةٍ — كالسَّـابِقاتِ وَمَابها تَغْيِيرُ ؟
إِنَّا سَئِمنَا العَيشَ في كَنَفِ الأَذَى — دهراً وكَـدَّرَ عَيْشَـنا التأخيرُ
أَتدورُ بالدنيا فَتَرفَعُ أَهْلَهَـا — وتفـوتُ شَعْبًا بالعَلاءِ جَديرُ ؟
أَنسيتَ أَنَّكَ نَاشِئٌ في مَهْدِنـا — والمَجْدُ كَانَ لَنـا وأَنْتَ صَغِيرُ ؟

طَافَتْ بِنَا الأَيام تَحْكِي نَصْرَنا — الماضِي ، فَيَبكي يومُنَـا المقهورُ
ما أَيسَرَ الأَقوالَ : إِنَّا أُمـةٌ — نَامتْ ، وأَقْـوالُ العُـداةِ كَثيرُ
لَكِنِ أراد اللهُ ، أن نُرْمَى بِمَنْ — قَتَلوا الشُّموسَ ، فَغابَ عَنَّا النورُ
يَسْعَى إلينا الفَجْـرَ ، لَا نَحْظَى به — فالفَجرُ في البَلَد الشَّقيِّ ضَريرُ
مِنْ بعض أَهْلينا ، وكُلٌّ عُداتِنَا — قَيْدٌ عَلى خُطُواتِنَا مَقْدُورَ
مِنْ بَين أَيْدينا ، وخَلْف ظُهُورِنَـا — سدٌّ يُرَدُّ ، وخَنْدَقٌ مَحْفُـورُ
تشتدُّ ، نَرْتَادُ الطَّريقَ فيلْتَـوى — ويُعيدُنـا لِمكانِنَـا ويَـدُورُ
ونَسيرُ ـ سَيْرَ الواقفينَ ـ فَنَكْتَوى — تَعباً ، ونَحْسَبُ أَنَّ ذَاكَ مَسيرُ
نَهْتَزُّ في عَرْضِ الطَّرِيقِ .. يَرُدُّنَا — لمَّا نَهمُّ إلى التَّقَدُّمِ سُوُر
وكأَنَّنا أَسْرَى الكـواسِرِ أُرْغِمَتْ — فَتدورُ في أَقْفاصِهَـا وتَثُـورُ

فَرَضُوا عَلَينَا الحربَ وهْيَ خَديعةٌ — يجتاحنا مِنْهَا لَظَىً وسَـعِيرُ
نَحنُ الوَقودُ ، وَهُمْ جميعًا خَلْفَها — بَعْضٌ يَبينُ ، وبعضُهُمْ مَسْتُورُ
تَعْدُو عَلَينَا السَّافيـاتُ بنَارِها — ويَصُولُ فِينَا العَالَمُ المَسْعُورُ
والكُلُّ يَنْضَحُ بالعـداءِ ، فَشامِتٌ — أَوْ لَائِمٌ ، أَوْ مُعْتَدٍ ومُغيرُ

عبد الله خليفة .. روائي من البحرين

ثلاث روايات عن عالم الغوص والبحر واللؤلؤ


عبد الله خليفة

بقلم: أحمد محمد عطية

يعد عقد الثمانينات بمثابة عقد الرواية فى البحرين ، فقبل هذا العقد لم يعرف الأدب العربى فى البحرين سوى الشعر والقصة القصيرة والمقالة الأدبية ، وذلك بالإضافة الى فن المسرح .. وما إن أطل عقد الثمانينات حتى أخذت الرواية البحرينية فى الظهور . فصدرت رواية « الجذوة » فى عام ١٩٨١ لمحمد عبد الملك ، رائد القصة الواقعية القصيرة فى البحرين ، وفى السنوات التالية تتابع صدور الأعمال الروائية التالية للقاص البحرينى عبد الله خليفة : « اللآلىء » (١٩٨٢) ، « القرصان والمدينة » (١٩٨٢) ، و« الهيرات » (١٩٨٣) ، ورواية « أغنية ألف صاد » لأمين صالح ، ورواية « الحصار » للقاصة البحرينية فوزية رشيد .

لعلنا نلاحظ بروز إسم عبد الله خليفة فى الانتاج الروائى البحرينى لاصداره ثلاث روايات تمثل نصف النتاج الروائى الصادر حتى اليوم فى البحرين . كما أن جميع روائيى البحرين دلفوا الى الرواية من باب القصة القصيرة ، فكلهم بدأوا حياتهم الأدبية بها ، ومن ثم ظلت القصة القصيرة تطبع أعمالهم الروائية ببنيتها وقالبها ، وبعضهم لم يتجاوز برواياته بنية القصة القصيرة والأقصوصة .. فتطويل الصفحات لا يجعل من القصة القصيرة رواية ، ولكن للرواية قالبها وشكلها وشروطها . فهى أعمال تفتقد الزمن الروائى بقدر ما تفتقر الى رسم الشخصيات والترابط والتضافر بينها وبين الأحداث النامية والمتطورة . وهى من هنات البدايات المعتادة فى كل فن أدبى .

الواقعية والمعايشة

وعبد الله خليفة قصاص وروائى وكاتب صحفى عربى من البحرين . وهو كاتب غزير الانتاج ، أصدر مجموعتين قصصيتين : « لحن الشتاء » ، و« الرمل والياسمين » ، وثلاث روايات هى : « اللآلىء » ، « القرصان والمدينة » ، و« الهيرات » ، وتتميز أعماله بالواقعية ومعايشة تجارب الواقع وبعالمه التسجيلى ، عالم الغوص والبحر واللؤلؤ ..

ولقد حدثنى عبد الله خليفة عن تجربته القصصية والروائية قائلا فى رده على سؤال لى حول هذه التجربة : « لقد بدأت محاولات الكتابة القصصية منذ سنة ١٩٦٦ ، وقد نشرت عشرات القصص والمقالات الأدبية منذ تلك السنة . ومنذ البداية كانت تسكننى هموم وطنى وآماله ، وقد عبرت عنها حسب تجربتى الأدبية والفكرية ، حيث كنت أتوجه الى الفكرة والحدث بوضوح وبلا مواربة . وقد حاولت استيعاب فن القصة وبعد هذه الفترة رحت أتأمل التجربة بشكل أكثر عمقاً واستيعاباً ، كما أنى حصلت على تجارب كثيرة ومختلفة حياتيا ، استطعت من خلالها الاقتراب من الواقع بشكل أكثر حميمية . ولهذا صارت القصص حسب رأيى أكثر اتساعاً وإحاطة بالحياة ، كما أن هذا الاتساع والإحاطة مهدت لعملية الكتابة الروائية ، فمنذ أن بعدد الكاتب شخصياته ويقوم بتعميقها ويشكل فصولا فى قصته القصيرة ، حتى يبدأ فى طرق أبواب الرواية . وقد كتبت قبل روايتى الأولى « اللآلىء » ثلاث روايات قصيرة لم أقم بنشرها ، كنت أتجه فيها الى الغرابة ، واستحداث أجواء عجيبة ولكنى مع الاهتمام بموضوعات شعبية أخذت أقترب من الرواية ، وبدأت ملامح الأشخاص فى الظهور ، كما أخذ واقعهم الذى يعيشون فيه بالتبلور شيئاً فشيئا . وقد دفعنى هذا الى محاولة السيطرة على الصراع الروائى ووحدته وعملية تطويره » . (جريدة « أخبار الخليج » ، البحرين ، عدد ١٩٨٢/١٠/٢٩) .

اللآلىء .. وعالم الغوص

فى روايته الأولى «اللآلىء» يلجأ عبد الله خليفة الى عالم الغوص من أجل اللؤلؤ وعالم البحر الذى يمثل تراثاً حياً لم يزل ماثلا فى ذاكرة البحرين. فتستهل رواية «اللآلئ» بتصوير حادث موت الغواص «مطر» الذى أصر النواخذا (الربان صاحب السفينة) على نزوله الى البحر للغوص بحثا عن اللؤلؤ بالرغم من تفجر أذنه بالمرض. وخلال صفحات الرواية القصيرة (١٢٣ صفحة) يمضى عبد الله خليفة فى رصد الصور التسجيلية لعمليات الغوص وعلاقات الاستغلال بين صاحب السفينة والبحارة والغواصين. فيغوص عبد الله خليفة فى «باطن» الشخصيات ليغترف صور المعاناة من ماضيها وحاضرها، ويطلق العنان للمونولوج الداخلى وتيار الوعي للتنقل بين الشخصيات والأمكنة، ويمزج الواقع بالحلم فيأتى حديثه كخبير وفنان مبدع لعالم الغوص والبحر.

ويتجسد هذا فى شخصية «مطر» الغواص العجوز الذى أصيبت أذنه وتفجرت بالدم، وحاول زملاؤه مع النوخذا كي يعفيه من الغوص، ولكنه أصر على مواصلته الغوص، وعبثاً حاولوا إقناعه بكفاية اللؤلؤ المصطاد، ولكنه أصر على نزول الغواص «مطر» الى قاع البحر، فكانت النتيجة أن انفجرت أذناه بالدم وتوفى.

هكذا يصور عبد الله خليفة عمل الغواص بصورة تقربه من السخرة، فهو لا يملك الخلاص من قيود العمل ومن أسر النوخذا حتى يلقى حتفه فى البحر. وبالمقابل تعهد الأم بولدها للنوخذا، حتى يلج عالم الغوص والبحر، بدلا من الأب المريض العاجز عن العمل بالغوص سداداً لديون أبيه، فالدين هو القيد الذى يظل يشد أعناق الغواصين الى أصحاب السفن.

ويصور الروائى عبد الله خليفة بداية رحلة الصغير تصويراً مأساوياً قائلا: «نم أيها الصغير. ستنام قرب أبيك العاجز بعد أيام. وأنت أيها القمر لا توقظه، فهذه الوشوشات التى تسمعها غزل يوجهه البحارة الى نسائهم فى الأحلام، هذه السعلات بقايا أنصال النهار. لا توقظهم. لكن حتى لو اردت لن تستطيع. يخطو بينهم. جثث. جثث. ماتت الحكايات والكلمات، وأثر الدم هنا، لم يغسلوه جيداً، والمحار ينتظر هنا. تتسرب أشعة القمر فيه فتبيض. من منكن ستحمل أولا؟ جثث أخرى، أغلبها، كلها، فى مقبرة الماء». (ص ١٨).

ويخوض الصغير مع الرجال رحلة السفينة وصراعها مع الأمواج والرياح والأعاصير: «اندفعت موجة هائلة نحوهم. إرتفعت السفينة نحو السماء وهبطت بعنف نحو القاع. وقبل أن تتفوه بشيء لاحقتها موجة أخرى وركلتها ركلة عنيفة فى الخاصرة، وسمعوا الصارى يتقلقل، وترنح بحار فى جوف الوحش، وانهار لوح على رجل يتشبث فى المؤخرة» (ص ٢٦).

وهذه صورة أخرى لمعاناة الرجال فى الغوص والبحر: «أين الرجال؟ انهم قطع خشبية تطفو فى محيط صاخب ضار. فهل تستطيع إمساك جذوره؟ أين الرجال وهم ينهارون فى قبضة العملاق ويتفتتون كرمل يابس؟ تقدم اذا بغيت الهلاك. أين الرجال وهم يبحثون عن جحور يختبئون فيها؟ الدفة قطعة خشب كعصا معلم أعمى. الرجال والدفة والظلام واللآلئ، والموت بانفجار الرأس، والمراقبة طوال النهار، والركض حين تولد اللؤلؤة، والسياط على ظهور الرجال، والدم الذى يتسرب واهنا.. نقطة نقطة، وأكوام المحار وأين الرجال وأحلام الآلات والدخان والحرائق، تعال الآن ليخرس هذا الفم الى الأبد، تعال لتزرع عظامك فوق هذه الصخرة الشيطانية». (ص ٢٧ و ٢٨).

تتحطم السفينة ولكن النوخذا يحتفظ بحزام اللآلىء وينتظر على الشاطىء المهجور بينما أخذ الرجال فى التنقيب عن الماء والطعام والأسماك الصغيرة فى البحر. فالماء يأتى من نبع فى البحر. وهذه إحدى خصائص البحرين الفريدة. وأحصى النوخذا خسائر الرحلة فى الرجال فجاءت ثلاثة من بينهم الصبى. وقبعوا على رمال الشاطىء المهجور ينتظرون النجدة ويحتمون من البرد. وتجوس كلمات الكاتب لتغترف من باطن الشخصيات حكاياتهم وأشواقهم للأهل والزوجات. ثم يعارك الرجال الصحراء برمالها وشمسها عملا على الوصول الى ميناء ينقذهم من الهلاك جوعاً فى هذا الشاطىء المقفر بقيادة الربان أو النوخذا الجديد من زملائهم الذى يحمل اللآلئ والنقود. فى حين يتحدث الجميع عن اللؤلؤ الضائع وعن المياه الآخذة فى النضوب.

وفى رحلة الصحراء الطويلة يواجهون المتاعب أيضاً مع الرياح والعواصف الرملية والعطش، ويختفى أحد الرجال فى دوامة العاصفة الرملية. كما يفقد الرجال اللآلىء ويأخذون فى البحث عنها بالحفر فى الرمل والتراب حتى يعثروا عليها حيث وقعت. ويدور صراع حول امتلاك اللآلىء وانتزاعها من الربان، ويهدد الربان بالسجن لكل من يقدم على انتزاعها منه، ويهدأ الصراع حول اللآلىء بعد تدخل العقلاء من الرجال. ويجعل الرجال هدفهم الأول هو الوصول الى شاطىء الأهل والأحباب والبيت، وهكذا واصلوا رحلتهم الشاقة، وتثور بينهم المعارك الصغيرة حول الشرب من قربة الماء الوحيدة، بينما هم يمضون فى السير مع آلام الجوع والعطش.

وتستغرق الرواية صفحات طويلة متعددة فى الوصف الخارجى السطحى للرحلة والصحراء والرجال والجوع والعطش واقتسام قطرات الماء والأسماك الصغيرة القليلة والشوق للوصول الى الهدف فى الشاطىء الآخر حيث البيت والأهل والزوجات والأمان والطعام، ويفقد الرجال أحدهم موتا فيوارون جثته الرمال. ويطيل الكاتب فى وصف الموت والدفن، ويضيع رجل آخر وينفد الماء. غير أنهم يصلون الى أماكن حية ببعض الرحالة حيث يجدون التمر والخبز والماء. وبينما هم فرحون بالنجاة ويفكرون فى اقتسام اللآلىء، يفاجأون بالرحالة يطالبونهم باللآلىء ثمناً للنجاة والنجدة والإنقاذ. ويخوض الرحالة معركة تفتيش عنيفة مع البحارة بحثاً عن اللآلىء ويلجأون الى الضرب والجلد حتى يعثروا عليها. ومن ثم يبدأ الرجال رحلة العودة.

وتبدو فى هذه الرواية الأولى لعبد الله خليفة (اللآلىء) كل مآخذ البدايات، فهى تفتقر الى الشمولية فى الرؤية بقدر ما تفتقد الشخصيات المنفردة المتميزة، فشخصياتها مسطحة موصوفة من الخارج. وهى تعتمد على السرد المباشر والوصف الخارجى، وهى تضم فصولا جيدة فى بدايتها، تلك التى تصور عالم الغوص والبحر بخبرة وعمق، ولكنها مفككة غير مترابطة سواء فى الأحداث أو الشخصيات. وهى تستغرق صفحات طويلة من الوصف الخارجى للشخصيات والطبيعة والبحر والصحراء، وهى صفحات جميلة لغوياً كصفحات موضوعات الانشاء، غير أنها تشكل حشواً فى بناء رواية «اللآلىء» القصيرة. (١٢٣ صفحة قطع متوسط).

القرصان والمدينة
.. شخصيات مبهمة

ويبلغ التفكك أقصى مداه فى رواية عبد الله خليفة الثانية «القرصان والمدينة» (٨٨ صفحة)، فلا يوجد فيها قرصان ولا مدينة، كما لا توجد شخصيات حية من لحم ودم، ولكن ثمة حواريات ومونولوجات وأوصاف تترى وتتابع دون ربط أو ضبط، وشخصيات مبهمة تظهر وتختفى دون مبرر فنى أو موضوعى، تتذكر أعمالها ومعاناتها وماضيها، فى فوضى من تيار الوعى غير المنضبط، فهى ذكريات وأحاديث تختلط فى اضطراب لا يجمعها خيط واحد ولا تلتقى فى شيء. بل حتى الخبرة المتوهجة بعالم الغوص والبحر، التى طالعناها فى روايته الأولى «اللآلىء»، تتقلص وتختفى فى هذه الرواية،

ثلاث روايات عن

عالم الغوص والبحر واللؤلؤ



غلاف رواية « اللآلىء »



غلاف رواية « الهيرات »



غلاف رواية « القرصان والدينة »

ويحل محلها هذا الانشاء التجريدى الذى لا يوحى بشىء ولا يصرح بشىء ولا ينبىء عن شىء ، سوى صفحات ممتلئة بأوصاف عامة غير موظفة لخدمة شخصية أو فكرة أو بناء روائى أو حدث ، فلا شىء يحدث فى هذا الركام من الثرثرة الكلامية .

وفى آخر الرواية يلصق الكاتب بعض الصفحات ويكتب عنها أنها « فصل من رواية كامل مذكرات القرصان العجوز » ، وفيها حديث عن ضابط برتبة « ميجر » يتهم شخصاً آخر بأنه قرصان ، ولا نعرف أول الحكاية من آخرها ، انما هى مقصوصات أشبه بألعاب « القص واللصق » التى يمارسها التلاميذ فى كراساتهم . وخلال ذلك يدفع بفقرات وجمل عن السجن أو التعذيب أو الاضراب أو البحارة بلا ضابط ولا رابط ، بل فوضى فى الكتابة ، وخواطر تلصق بلا معمار فنى أو خيط واضح .

الهيرات .. والمواقف الواقعية

غير أن عبد الله خليفة يتقدم فى مسيرته الروائية بروايته الثالثة « الهيرات » ، والهيرات هى مغاصات اللؤلؤ . ويبدو عبد الله خليفة فى أفضل كتاباته وحالاته عندما يقترب من عالم الغوص والبحر ، الذى يمده بتجارب وحكايات وشخصيات ومواقف واقعية لا تنفذ . وهذا بدوره يتيح لعبد الله خليفة المجال الثرى لاستخدام أدواته الفنية فى تشييد المعمار الروائى ، وفى توظيف خبراته الواقعية بعالم الغوص والبحر وأهله ومعاناتهم فى غزل ونسج واقامة البناء الروائى من لحم ودم وطبيعة أهل البحر وعالمه العنيف الأخاذ .

والبحر وحشى فى روايات عبد الله خليفة لأنه مجال شقاء رجال الغوص حيث يمارسون أعمال الغوص الشاقة كالسخرة ، ويظلون أسرى لأصحاب السفن . وكثيراً ما تختطف أمواج البحر وعواصفه سفن الغوص فيقع أبناء الغواصين أسرى بدورهم فى خدمة أصحاب السفن وفاء لديون آبائهم . وهذا هو ما يصوره عبد الله خليفة فى روايته « الهيرات » ويجسده عن طريق تيار الوعى بالغوص فى ذاكرة الصبى « حمدان » الذى اختفى أبوه مع سفينة صيد اللؤلؤ فاضطر للعمل فى الخدمة بمنزل صاحب السفينة ، وعندما يذهب فى رحلة الغوص البحرية تودعه أمه وتستيقظ كل الذكريات فى وعى الأم والابن عن ذلك البحر الوحشى الذى يختطف السفن والرجال : « وقف على الشاطىء وتجمد . قد لا يرجع ثانية . وأمه هذه المتداعية فى الظلام والألم أين ستمضى ؟ رأى النساء مهجورات ، ضائعات بين الأكواخ والشطآن والبرارى ، فى أعينهن الرغبات الجامحة ، يطالعن البحر باستياء وحقد . العدو يتمرد قربهن ، واسعاً ، مترامياً ، هادئاً ، يغسل أقدامهن بنعومة . قد يثور فجأة فتتصدع قلوبهن . يلقى الزبد الأبيض المتطاير كالرغوة ويبدو كطفل » . (ص ٦) .

كما يصور عبد الله خليفة معاناة الرجال مع الطبيعة وفى أعمال الغوص قائلا : « استقرت الشمس فوق رؤوسهم ، تنور هائل يقذف نيرانه فى أعماقهم . تتباطأ حركة المجاديف ، ويزحف القارب بوهن . البحر اشتعل ، اندفعت تيارات ساخنة تلفح الوجوه ، وبدا كأن الماء يغلى . لا أثر لطير . لا أثر لشراع . سقط الشاطىء من الجهة الأخرى وانتشر اليم الساكن الى كل الآفاق ، انطبق مع السماء فى الأطراف وصار قفصاً . البحارة الثلاثة الآخرون اشتد عليهم القيظ . ثمة عرق كريه يملأ الجو برائحته . ألوانهم سوداء قاتمة . منذ زمن بعيد جاء أجدادهم بقيود حديدية من أفريقيا . نظرة السيد تجعلهم يواصلون التجديف بقوة أكبر . يهمس أحدهم : ألا نستريح قليلا ؟ يجيبه ياقوت : أنت تعرف الأمر . الراحة هى فى الليل فقط . يارب ، ألا تظهر سفينة هنا أو هناك ، يرد عليه الآخر : الهيرات بعيدة سنموت قبل أن نصل » . (ص ٧) .

ويسجل عبد الله خليفة تفاصيل ووقائع عملية صيد اللؤلؤ من الهيرات ، مغاصاته ، فالسيد أحمد النوخذا « يرفع منظاره ويوجهه نحو بقعة ما » فى حين يوجه أوامره للرجال : « لا تتوقفوا ، جدفوا ، نريد أن نصل ، اقتربت الطريدة والصياد يستعد . أدوات خزينة حديدية تتكدس فيها الأوراق المالية ، وطاسات اللؤلؤ ، والابتسامة الممتدة على طول الفم ، والكلمة الناعمة المتسللة الى القلب . جدفوا ولا تتوقفوا إلا عند الهير . يريد أن يسبق التجار الآخرين ،وجهه اكتسى بالقلق والترقب ، وعيناه تحدقان فى الشمال » . (ص ٩) فى حين يواصل الصبى « حمدان » خدمة السيد النوخذا بصيد سمكة وشيها وتقديمها له كأنه يواصل الخدمة فى بيت السيد الكبير ، ويفكر الصبى فى مخاوف أمه من هذه الرحلة البحرية .

ونتعرف الى المزيد من شخصيات عالم الغوص مثل « سيف بن ناصر » الذى مات أبوه قبل سنة « وترك له تجارة عامرة ، هذه السفينة ، هذه الجزيرة الصغيرة ، وعدة مصائد وقوارب وأراض وبيوت . ها هو يظهر ، حجلة كبيرة مملوءة شحماً . يهدد البحار المعلق الآن فوق الصارى ، تتضاعف ساعة السعد ، ستكون القهوة المليئة بالزعفران التى سنشربها معاً لذيذة جداً . يطالع الرجال الذين توانى تجديفهم : هيا اسرعوا ، لم تبق إلا مسافة قصيرة » (ص ١٢) .

كما يثور الصراع بين أصحاب السفن والقوارب حول السباق الى الهيرات ، رؤوسهم ، مغاصات اللؤلؤ فى أعماق البحر . ويبرع عبد الله خليفة فى تصوير الصراع بين سفن الغوص والربابنة يدفعون البحارة لبذل المزيد من الجهد فى التجديف نحو مغاصات اللؤلؤ ، واحراز أكبر عدد من اللآلئ ، وبتصوير العلاقات بين البحارة والنوخذا داخل السفينة وبين بحارة السفن المختلفة : « حين اقتربت من السفينة ، توقف الطواش عن محاولته ، وقعد فى استراحته أو مستشفاه ، ينتظر الثمار المرة لتأخره ، اندفعت السلامات من السفينة ، واقترب بعض البحارة ضاحكين . يتطلعون الى القادمين بفضول شديد ، حتى الرجل المعلق فوق الصارى التفت . وتوقف بعض الغاصة ، رؤوسهم كانت فوق الماء . أحدهم سأل عن أولاده ، وآخر عن أبيه . وضعوا لوحاً خشبياً بين السفينة والقارب » . (ص ١٣) .

فهذا هو العالم الذى يبرع عبد الله خليفة فى ابداعه وتصويره والتميز به . ومع أن حقبة الغوص على اللؤلؤ قد انتهت بعد ظهور مجتمع النفط ، الا أنها لم تزل جزءاً أساسياً من تراث البحرين ، وخيراً فعل عبد الله خليفة بتسجيلها فى روايته الثالثة « الهيرات » . ويتنقل عبد الله خليفة بمهارة ليقدم الصور التسجيلية لعملية الصيد .. فها هو النوخذا « ارتقى الى السفينة ، فاستقبله الأنين وصيحات البحارة ، وأبصر المحار الكثير المتكدس الذى ينتظر ساعة الفلق ، سمع التحيات الكثيرة الموجهة لشخصه فرد عليها بحرارة » . (ص ١٤) هذا جانب صاحب السفينة ، أما البحار على

الصارى فهو « فجأة أطلق البحار المربوط على الصارى صيحات حادة : أريد نقودى . نقودى ! أطلق عدة شتائم . شاهد آثار السياط على جلده . خطوط حمراء تتلوى فى جسم داكن . عيناه تتفجران بالألم والغضب والجنون ، ينتفض بجسمه محاولا الخروج من قبضة الحبال فيتقلقل الصارى قليلا لكن الحبال تحز جسمه وجروحه فيتلوى ويبكى بصوت امرأة وطفل وطريدة » . (ص ١٥) .

وتبدأ المساومة حول الأثمان والأسعار بين النوخذا والتاجر فى عرض البحر . فى حين تترى قصص معاناة البحارة : « أحد البحارة قال لى إن النوخذا لم يعطه نقوداً ولن يعطيه أيضاً لكثرة الديون عليه . لديه خمسة أبناء » . (ص ٢٦) وتواصل السفينة ، التى تضم الصبى حمدان والرجال ، إبحارها نحو مغاصات اللؤلؤ .

وتبدأ ملامح التغيير من مجتمع البحر واللؤلؤ الى مجتمع المدينة والمكاتب ، حين يبدأ ابن النوخذا المتعلم فى إقناع « حمدان » بتعلم القراءة والكتابة ، ويدور بينهما الحوار التالى :

ــ « البحر لا أفهمه ولا أحبه . العالم لم يعد لؤلؤاً وسفناً خشبية عتيقة نخرة .

ــ اقرأ يا حمدان ، تعلم هذا السر العظيم .. يجب أن تفك الحرف وتنطلق . ستتعلم وستجد مهنة كبيرة ، صدقنى !

ــ أشكرك .

ــ لا تشكرنى ، ستتعلم بجهدك أنت ..

ــ وما فائدة القلم والكتابة وأنت لا تجد لقمتك منهما ؟!

ــ سترى ، ستنتشر الكلمة كالشرارة فى كومة قطن ، سيتغير كل شىء ، ولن ترى البدلات الغريبة تجوب الشوارع ! » (ص ٣٨) .

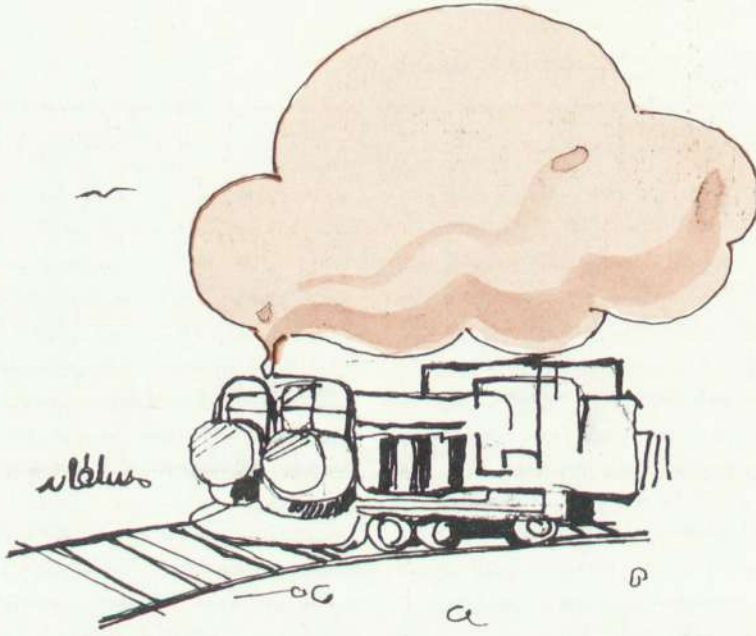
ولكن يظل حمدان يعمل « تبابا » صبياً مساعداً على ظهر السفينة .

ويرصد الروائى التحول من مجتمع الصيد والغوص الى مجتمع التجارة والوظيفة والمدينة فى هذه الصورة : « مال جديد يضاف وتتمكن من اقامة وكالتك . مبنى كبير وموظفون وتجارة رابحة .. الأرض حصلت عليها بفضل نشاط ابنك الدؤوب فى بيت الدولة . من كان يتصور أن يتحول من شاب بائس الى موظف كبير .. كلمته مسموعة دائماً ؟ الآن استتبت أشياء ، حين تنشأ الوكالة لن ترى البحر ثانية . أيتها اللآلئ الملونة بالدم والعرق والحقد اغربى عن وجهى ! أراض جديدة تضع يدك عليها . أيتها المصائد والسفن والقوارب احترقى الى الأبد ! » .

أحمد محمد عطية

قطــــــــار

شعر : محمد آدم



القطارُ يخلّف فوق المحطات
بعضَ تصاويره من دخانٍ
يلامسُ حدَّ الضياء
وحدَّ السماء
ويركضُ صوبَ المدائن
متخذاً
صهوةً من قضيب الحديدِ
الذى لا يلينُ له
في اجتيازِ السهول ،
السحابُ يتابعُ تجوَاله في السماءِ البعيدةِ
والنجمُ يرقد في موطن للنجوم ،
وها هى شمسُ الضحى تستطيرُ
على جبهةٍ للقطار الذى يتوقفُ
قرب النهيراتِ
يرقبُ كيفَ تفر الطيورُ الصغيرةُ
تفزع حين يمرُ على نخلةٍ في امتداد
الحقول ،
التي تترامى على فسحةِ الوقتِ
والصمت ،
القطارُ يغادرِ مرَساتهُ ساكناً
ثم يعبرُ صوبَ البلادِ التي هجرتها
العصافيرُ ،
تعوى بها الريحُ وقتَ الشتاء ،
يُسلمُ أبناءها للنعاسِ ،
وأطفالها للدخانِ ،
وها هى بعضُ الغيوم ،
تحوّمُ ،
فوق القطار الأخير من الليلِ
ثم تغادرُ أبراجهاَ
في انطفاءِ النجوم
القطارَ يواصلُ تكرارهُ في المدى .. ،
في المدى

.. واقترب من كل الموجودين .. وأخذ يتأمل الوجوه .. كانت شاحبة ذابلة .. وتساءل بينه وبين نفسه : أين أخوه ؟ .. وهل سيعرفه ؟ .. وهل يا ترى ذبل هو الآخر فأصبح مثل هؤلاء جميعاً جلداً على عظم ؟ !

غربة

قصة بقلم : صلاح عبد السيد

حين حط بقدمه على أرض المطار ، أحس بقشعريرة تتمشى فى جسده .. وبسحابة غائمة تكاد تمطر فى عينيه ..

منذ متى ترك هذه الأرض وسافر .. ؟!

منذ البعيد .. ربما منذ آلاف السنين .. هو لم يعد يحسب كم من السنين مر .. غامت الرؤية وبعدت السنين .. وانداحت فى جب سحيق .. يخاف حتى أن يتملى النظر فيه .. يخاف إن هو تملى أن يسقط فيه الآخر كما سقطت السنين .. منذ متى .. !!؟

يا آه .. منذ البعيد .. منذ البعيد البعيد .. منذ خرج من قريته شاباً .. يحمل الحلم ويدق بخطوه على أرض المطار .. يومها كان أخوه الكبير يلوح له بيده وهو يمضى متجها الى الطائرة .. ويومها كانت هناك عصافير تطير وتزقزق .. يا آه ..

وتلفت حوله .. فبدا الزحام لعينيه بحراً هادراً يكاد يأخذه فى تياره ..

قاوم بحر الزحام وخرج ..

أمام المطار أوقف عربة أجرة وركب فيها .. جلس منكمشاً فى المقعد الأخير ..

أخذ يتملى من خلف زجاج العربة .. الشوارع والبنايات ..

كان كأنه يخوض فى عالم غريب لا يعرف عنه شيئاً .. وخيل اليه أنه فى حلم .. ليس الواقع هذا .. !! ماله لا يبكى .. !!؟ ماله لا يرتمى على الأرض ويقبل التراب .. !!؟

ما الذى أصابه .. جزء منه يتمنى أن يبكى .. وجزء لا يطاوعه على البكاء .. !!؟

وفى الفندق ألقى بحقيبته وتمدد على السرير .. عيناه على السقف ..

لماذ لم يرسل الى أخيه الكبير ليحضر .. ؟

لماذا لم يخبر أحداً بقدومه .. ؟

ما الذى دفعه الى أن يفعل ذلك .. ؟

هل هو الخجل .. ؟ هل هو تأنيب الضمير .. ؟

لقد أخذته الحياة هناك فغرق فى بحارها .. ونسي كل شيء ..

وأحس أنه يكاد يختنق ..

انتفض واقفاً .. اقترب من الشباك .. ووقف يتأمل النيل من خلف الزجاج .. كان نهر النيل فى مواجهته .. وكان يبدو ساكناً .. تلتمع الأضواء عليه من بعيد .. هل يبدو ساكناً هكذا من البعيد .. أم أنه مازال هو . القديم الهادر والذى يموج .. ؟

نزل من حجرته .. اقترب من النهر .. وقف قبالته .. أخذ يتمسح بعينيه عليه .. يغمسهما فى مائه ..

وبدا النهر لعينيه هزيلا .. ساكناً .. لا حركة فيه .. أمسك بقطعة من الحجر وألقاها فى النهر .. فتحرك قليلا .. ثم سكن ..

أيها النهر .. أيها النهر الذى كنت .. لقد عدت .. عدت إليك أيها النهر .. فهل نسيتنى .. ؟ !

يا طالما استحممت فى مائك .. واصطدت من أسماكك .. وقاومت بيدى هاتين نزواتك .. حين كنت تهدر صاخباً محاولا الانفلات من قبضة السدود التى تحيطك ..

كنت أيامها شاباً هادراً بالعافية .. منتشياً بنشوة النزق .. وكنا نصارعك وتصارعنا .. نقيم السدود لنمنع نزقك وطيشك من أن يستبد بنا ..

تغرق الأرض بأسماكك وطميك .. فنمسك بالأسماك نشويها ونأكل .. ونزرع الأرض .. ونحصدها ونأكل ..

أيها النهر .. هل لا تعرفنى .. ؟!

أنا الصغير الذى كنت أستحم فيك ، وأتسابق مع العيال وأسبقهم .. أنا الذى أيها النهر تراهنت معهم على أن أعبرك وعبرتك .. وكدت أغرق يومها .. وكدت أنت تجرفنى الى بعيد .. لكننى حاولت وقاومت ونجوت ..

هل تذكرنى .. ؟!

أيها النهر .. ها أنذا قد عدت إليك بعد هذه السنين .. أنا لا أعرف أيها النهر كم عدد السنين .. تاهت منى .. راحت ..

ها أنذا عدت .. هل لا تعرفنى .. ؟ ! سأخلع قبعتى لتعرفنى .. أنا من هنا .. لست غريباً عن ى أيها النهر .. ؟ !

وأخذ يلقى فيه بالحصى .. أيها النهر .. هل أخلع ملابسى وأقف أمامك كما اعتدت وأنا صغير .. ؟ !

هل ألقى بنفسى فيك واحتضنك وأدخل اليك .. لتعرفنى .. ؟ !

أنا أيها النهر .. أنا المقرور الغريب .. الضائع فى هذه الدنيا .. قد عدت اليك .. عدت اليك فاحتضنى وأدخلنى الى مياهك ..

الليل بارد أيها النهر وأنا وحدى .. وأنت أبى وأمى .. وكل مالى ..

أيها النهر .. مالك تبدو ساكناً .. صامتاً .. كأنك لا تعرفنى .. ؟ !

هل شخت أيها النهر ؟

لا .. لا .. لم تشخ .. لم تشخ .. مازلت شاباً ..

وأخذ يدق على صدره .. مازلت شاباً .. تحرك .. تحرك .. وأخذ يلقى فيه بالحصى .. لا فائدة .. يرتد ساكناً كما كان ..

....

فى الصباح ذهب الى الجمعية التى استضافته ..

قال فى نفسه لا فائدة .. الغربة وراءك .. النهر لم يعرفك .. امض لمهمتك فأنجزها ثم سافر .. لا تذهب الى قريتك .. ماذا تقول لهم بعد هذه السنين .. أين كنت .. ولماذ لم ترسل حتى كلمتين للاطمئنان .. ؟

هل غرقت الى هذا الحد بحثاً عن مستقبلك .. ؟ !

ونحن .. هل نحن الا جزء منك .. ؟

ماذا يقول لهم .. ؟ وهل اذا عاد اليهم سيعرفونه .. ؟

وهز رأسه .. فليذهب الى الجمعية .. ولينه مهمته .. وليرجع حيث كان ..

وذهب الى الجمعية .. وهناك أخبروه أن المحاضرة التى سيلقيها قد تأجلت ليومين .. وأسقط



فى يده .. ماذا يفعل وهو لا يعرف أحداً فى هذه المدينة .. ؟

أين يذهب .. ! ! ؟ هل سينتظر ليومين داخل حجرته .. ؟

لا ..

وقرر أن يسافر الى قريته ..

مازال يحمل صورة غائمة للطريق ..

واستأجر عربة .. فليذهب الى قريته .. والى بيتهم القديم .. ليرى أخاه الكبير وأخواته البنات .. سيلتقى بهم .. وسيبكى هناك وسيعود وقد استرد عافيته ..

وطوال الطريق وهو يتذكر ..

كانت كل المعالم تفر من أمام عينيه الى الوراء .. تمر على شاشة عينيه وتغيب دون أن تسقط فى ذاكرته ..

أين هو الآن .. ؟ هل هو سائح يتفرج .. أم قطعة من هذه الأرض .. ؟ ما باله متبلد المشاعر وهو يرى .. ؟

واقترب من قريته .. ودق قلبه .. دق بعنف وارتجفت أطرافه .. حين توقفت العربة أمام القرية ..

شد قبضته على حقيبته .. ورفع ياقة معطفه .. وأحكم القبعة على رأسه ..أين بيتهم .. ؟

ووقف يتأمل ..

كان بيتهم قديماً يبدو لعينيه من هذا المكان .. فأين ذهب .. ؟

كانت البيوت العالية قد حجبت بيتهم تماماً ..

فكر أن يسأل أحداً .. أين بيتنا .. ؟ لكنه خجل ..

وقف يتلفت ..

دار حوله ولد .. ولد وولد .. ثم تشممه كلب .. فمضى والحقيبة فى يده ..

قال فلأدخل الى القرية وحتماً سأعرف البيت ..

حدد مكانه وسار فى الاتجاه ..

وجد البيت .. قطعاً هو البيت .. لكن ما باله يبدو قصيراً هكذا وسط البيوت .. وكأنه قد وقع فى حفرة ..

وأخذ يمسح بعينيه عليه ..

وأمامه رأى الحمارة نائمة .. هى .. لابد أنها هى الحمارة البيضاء التى كنت أركبها صغيراً ..

وقف يتأملها .. مد يده اليها فابتعدت .. هل لا تعرفيننى .. ؟ أدارت ظهرها .. لا يبدو أنها هى .. وهل ستعيش طوال هذه السنين .. ؟ ربما كانت ابنتها أو ..

ووقف فى مواجهة الباب ..

على الباب عنكبوت وسواد .. وزمن طويل يتسكع .. على الباب خدوش وخرق قديمة فى الشقوق وحفر ..

ولامسه بيده فاقشعر ..

دق عليه .. فأحس بالدقات تتردد فى رأسه .. دق ثانية .. دق بقوة .. فخرجت اليه امرأة . شاحبة اللون .. يتسلل الشيب من تحت عصابة رأسها ..

وقف يتأملها ..

قال : من .. ؟

قالت : من .. ؟

قال « هذه لابد زوجة أخى الكبير .. »

قالت : ماذا تريد ؟

قال : أنا .. ثم توقف ..

قالت : من ؟

خلع نظارته

من ؟

خلع قبعته

صاحت : الأستاذ .. ؟ !

قال : نعم ..

أخذت تتأمله ..

أخذ يتأملها ..

قالت : تفضل .. ودخلت أمامه ..

دخل وراءها .. وأخذ يتلفت .. هو البيت .. لكن ما باله أصبح صغيراً هكذا .. ؟

هل هذا هو البيت الذى احتوانا صغاراً .. ؟ هل هو الذى كنا نلعب فيه .. ؟ وكيف كان يتسع لنا .. ؟ !

ــ أهلا وسهلا

وفتحت باب حجرة الضيوف ..

كانت فى الحجرة دكة خشبية عارية ..

جلس عليها ..

ــ أهلا وسهلا

أخذ يتأمل الجدران تشققت .. والسقف « نخت » العروق فيه .. والأرض .. الأرض من الطين لا تزال ..

هى نفس الحجرة .. لم يطرأ عليها تغيير .. لكن أيامها كانت أكبر من ذلك .. ما بالها الآن تبدو باردة فقيرة .. لا حياة فيها .. ! ! ؟

ــ أهلا وسهلا

ودخل الى الحجرة أولاد كثيرون ..

أولاد أخيه بالطبع .. مالهم هكذا كثيرون .. وشعورهم منكوشة ووجوههم ذليلة .. ؟

ــ أين أخى .. ؟

ردت زوجة أخيه

ــ إنه فى المستشفى

ــ أى مستشفى ؟

ــ المستشفى الكبير فى العاصمة ..

ــ المستشفى الكبير .. ! ! منذ متى .. ؟

ــ منذ فترة طويلة ..

فكر أن يقول لها ولماذا لم تخبرونى .. ؟ لماذا لم تكتبوا لى .. ؟ لكنه تراجع .. كيف وهم لا يعرفون له عنواناً وهو لم يكتب لهم أبداً .. ! !

صمت ..

ألقى بعينيه على الأرض الطينية ..

ــ أهلا وسهلا

ظلت عيناه على الأرض الطينية راقدتين ..

ماذا يفعل .. ؟ هل يبكى .. ؟ هل يضرب نفسه .. ؟ هل يتمرغ على الأرض ؟ هل يمزق جسده بموسى .. ؟

هو لا يعرف ماذا يفعل ..

غربة

وقام واقفاً ..
ــ الى أين ؟
التقط عينيه من فوق الأرض الطينية ..
ــ سأسافر الى أخي ..
ــ بعد الغداء سافر ..
ــ لا .. الآن ..
ومشى ..
وضع قبعته على رأسه .. ونظارته على عينيه .. وركب أول عربة ..
لابد أن يذهب الى أخيه .. لابد أن يبكى بين يديه .. لابد أن يستغفره .. أن يعطيه النقود التى يحتاج اليها .. أن يدخله الى مستشفى خاص .. أن يجعله يعيش أيامه فى أحسن حال .. أن يبنى له بيتاً .. أن يفعل له كل ما يمكن .
هو الأكبر .. وهو الذى رباه وصرف عليه ..
ووصل الى المستشفى .. واتجه الى العنبر ..
أحس بقشعريرة تتمشى فى جسده .. وهو يدلف من باب العنبر ..
كان العنبر ممتلئاً حتى حافته بالرجال والنساء والأطفال .. وعلى بلاطه تتناثر بقع الميكركروم .. وبقايا القطن والشاش ..
ما هذا الزحام .. ؟ أين النظافة .. ؟ هل هذا مستشفى .. ؟
وفكر أن يذهب للمدير فيصرخ فى وجهه قائلا : هذا ليس مستشفى .. إن المستشفيات فى الخارج .. لكنه تراجع .. وعاد محاولا الاندماج من جديد ..
اقترب من الوجوه .. كانت شاحبة ذابلة .. أين أخوه ؟ هل سيعرفه وسط هذه الوجوه .. ؟ هل ذبل فأصبح مثلهم جلداً على عظم .. ؟
وأخذ يتلفت .. وأمام أحد الأسرة توقف .. يبدو أنه هو .. كان ــ هو ــ ممدداً على سريره .. وبطنه تحت الملاءة عالية .. أخذ يتأمله .. كان وجهه ممصوصاً .. وعيناه مصفرتين .. ورقبته تبدو كرقبة ديك بلا لحم ولا ريش .. هل هو .. ؟ وأسنانه قد تهاوت .. وشفته السفلى ترتعش .. هل هو .. ؟ وكان يزفر .. وصدره يرتفع وينخفض كأنه كان يجرى .. هل هو .. ؟ والذباب « يلتم » عليه .. وهو يهشه فى ضعف .. هل هو .. ؟
و ــ هو ــ ينظر اليه .. لا يعرف من هو .. ! !
خلع نظارته .. وقبعته .. ومعطفه .. فتمتم ــ هو ــ الأستاذ .. ! ! ــ وفتح ذراعيه له .. فارتمى ــ الأستاذ ــ بين ذراعيه .. وأخذ يجهش بالبكاء ..
وأحس بصدر أخيه يعتمل .. وبضلوعه تصكه فى ضلوعه .. وشم رائحة فمه .. ورأى الشعيرات المبللة تطل من أنفه .. فخلص جسده من بين ذراعية ..
ــ كيف حالك .. ؟
ــ كيف حالك أنت .. ؟

أخذ يتأمله .. أين ذهب أخوه القديم الذى رباه واخواته البنات بعد موت أبيه .. ؟ هذا القوى ما الذى أصابه .. ؟
ما الذى جعله يتدهور هكذا ويئن ويلهث .. ؟
هل تفعل به البلهارسيا هذا .. ؟
ــ أهلا وسهلا
وأشار بيده الى رجل يجاوره فأعد شاياً ..
ــ تفضل ..
حاول أن يشكر الرجل ولا يشرب .. لكن الرجل أقسم .. فأخذ الكوب مضطراً .. أمسك بالكوب .. كان متسخاً .. وعليه بقع ..
ــ أهلا وسهلا
ويبدو زجاجه من نوع ردىء .. وحافته مكسورة ..
ــ أهلا وسهلا
هو لا ينوى أن يشرب من هذا الكوب المتسخ
ــ تفضل .. اشرب ..
فكر أن يرد الكوب ويتعلل بأى سبب .. لكنه قال لا يصح .. هذا أخوك فلتتحمل .. قرب الكوب من أنفه فشم رائحة ضايقته .. قاوم ضيقه وشرب ..
الشاى ثقيل ومر .. ومرارته لا تحتمل ..
ــ أهلا وسهلا
فليحاول أن يشرب نصف الكوب فقط .. نصف الكوب وكفى .. لكنه أحس أنه سيتقيأ ..
هل هذا شاى .. ؟ هل هذا منظر كوب .. ؟
ربما كانت المياه غير صحية وبها جراثيم .. ؟
ووضع الكوب وأشار بيده علامة أنه اكتفى
ــ جئت متى .. ؟
ــ بالأمس
ــ وكيف عرفت ؟
ــ ذهبت الى القرية وعرفت
ــ ولماذا أتعبت نفسك .. ؟
ماذا يقول له .. ؟ هل يستكثر عليه أن يأتى اليه .. ؟ هل يقول ذلك لأنه يعرف أنه لا يهتم .. ؟ ماذا يعنى .. ! ! ؟
وأشار أخوه الى رجل يجاوره .. فجاء مسرعاً وأخذ بيده فأجلسه .. ثم وضع له الشبشب أمامه .. وأقامه واقفاً ..
ــ عن إذنك .. سأذهب لقضاء حاجتى
أخذ يرقبه والرجل يسنده ..
لماذا لم يطلب منه أخوه أن يفعل له ذلك .. ؟
لماذا لم يقم هو فيسنده .. ويقسم على ذلك ويذهب معه .. ؟
لماذ يتفرج ــ وهو جالس ــ عليه .. ؟
وعاد أخوه يتمايل والرجل يسنده .. بطنه تتدلى أمامه .. بفعل الاستسقاء .. يخطو فى أناة على أرض العنبر .. ويئن ويبتلع ريقه ..
وأجلسه الرجل على السرير .. ثم أنامه وغطاه ..

ــ أهلا وسهلا
ماذا يقول وقد انقطع الكلام .. ؟ وما الذى جاء به أصلا الى هنا .. ؟ أخذه الحماس فقال سأسافر الى أخي .. وجاء فلم يجده أخاه .. ! !
أين راح .. ؟
ــ أهلا وسهلا
ماذا يقول له .. هل يتمسح فيه .. ؟ هل يستغفره .. ؟ هل يطلب منه العفو .. ؟ لا .. ليس هذا أخاه .. ولا توجد صورة واحدة تطابقه .. فلمن يرجو .. ؟
ومد يده الى جيبه وأخرج نقوداً دسها تحت مخدته .. فأمسك أخوه يده .. لكنه صمم .. وقام واقفاً ..
ــ الى أين ؟
تمتم وهو يضع القبعة على رأسه
ــ عندى محاضرة .. وسأمر عليك فى الغد
ــ مع السلامة
حمل معطفه ومضى ..
ــ مع السلامة
وخرج من الباب ..
ذهب الى الفندق .. وهناك جلس فى حجرته .. أسند رأسه الى يده .. ثم هزه .. ودخل فأخذ حماماً .. ثم تغدى ..
وفى الصباح دعك أسنانه وابتسم فى المرآة .. ثم ذهب الى الجمعية ..
وقف يلقى محاضرته كأكبر خبير فى شئون تربية طيور الزينة ..
وصفق له الحاضرون كثيراً ..
وبعد المحاضرة قال : ــ ما الذى يبقينى ليوم آخر .. ؟ لقد أعطيته النقود .. هو لا يحتاجني .. هو يحتاج الى النقود أكثر منى .. وبين وقت وآخر سأرسل اليه مبلغاً من المال .. ثم إن ورائى محاضرات كثيرة فى دول كثيرة .. ولا وقت لدى لمثل هذه الأمور ..
واستقل عربة أجرة .. متجهاً الى المطار ..
جلس فى المقعد الأمامى .. وفى المقعد الخلفى كان هناك طفل يجلس مع رجل ريفى ..
خربشت يد الطفل على كتفه ..
التفت الى الطفل ..
كان الطفل يحدق فيه ..
التفت الى الرجل ..
كان الرجل « جلداً على عظم » .. وعيناه مصفرتان ..
حاول أن يضحك للطفل .. لكن الطفل كان متجهماً .. وكان كأنه سيبكى .. فاستدار مولياً له ظهره ..
قبل أن يهم بالنزول من العربة .. كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه .. وفرقعت عليه ..
و .. لم يلتفت للطفل .. لكنه اندس داخلا من بوابة المطار ! .

صلاح عبد السيد



بقلم : الدكتور محمد البهي

القضاء والقدر

• قضاء الله هو ما يقع فى كونه تنفيذا لارادته ، ولمصلحة عباده . وارادته سبحانه وتعالى إرادة نافذة لايحول دون تحقيقها أي حائل : وقالوا : اتخذ الله ولدا ، سبحانه بل له مافى السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون (أي خاضعون ومطيعون) . بديع السموات والأرض (أى خالقها على غير مثال ونموذج) وإذا قضى أمرا ، فإنما يقول له : كن .. فيكون (أى وإذا أراد أمرا فى كونه ، ولعباده .. تحقق ووقع فور مايريد) (البقرة : ١١٦ ، ١١٧) .. والتعبير بقوله : كن فيكون .. قصد به فقط : أن إرادته جل جلاله لا تعطل بحال ، وإذا كان هناك فى الوجود مالا يعطل إرادته سبحانه وتعالى فهو المتفرد فى صفات الخلق ، والقدرة والارادة .. هو المتفرد وحده فى الكمال . ولذا : لايكون هناك من يشبهه .. لايكون هناك ولد له . إذ شأن الولد أن يكون مشاركا لوالده فى الصفات .

• وارادة الله فى عالم الانسان يصورها : «قانون عام أو مبدأ عام» من تلك القوانين والمبادئ التى تحكم الحياة الانسانية للأفراد والمجتمعات .

فوحي الله فى كتابه يمثل إرادة الله وقضاءه . وهذه الارادة تتبلور فى مجموعة من القوانين والمبادئ التى تنظم سلوك الانسان ، وتحدد دائرة اعتقاده . يقول الله تعالى : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا : أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» (الأحزاب : ٣٦) .. وقضاء الله ورسوله الذى تجب على المؤمنين والمؤمنات طاعته وعدم مخالفته هنا ــ وليس لهم خيرة بالتالى فى قبوله أو فى رفضه ــ هو ما أوحى به الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى قرآنه الكريم . وما جاء فى هذا القرآن الكريم هو ضوابط أو قوانين ، أو أحكام عامة تحدد الروابط الإنسانية بين الفرد والفرد ، والأفراد بعضهم مع بعض فى الأمة ، فى شئون المعاملات المختلفة ، وشئون الأسرة ، وشئون الأمة كدولة فى سياستها الداخلية ، وفى علاقتها الخارجية مع أمم لاتسلك مسلكها فى الاعتقاد والايمان .. وفيما قبل هذا كله : تحدد صلة الفرد بالله فى عبادته ، وفى أداء فروض هذه العبادة .

والقرآن لا يتناول هذه الشئون كلها الا فى صيغ عامة . كصيغة المؤمن والمؤمنة هنا ، بغض النظر عن أشخاص المؤمنين والمؤمنات فى عهد أو عهود مختلفة .. كما لايتناولها الا داخل إطار عام كاطار وجوب الطاعة لأوامر الله ــ أى أوامر له ..

وربط الضلال بالعصيان والمخالفة لأى أمر منها . وإذا ذكر فى تفسير بعض ما جاء فى القرآن سبب خاص فان هذا السبب الخاص لايحول دون بقاء ماورد فيه على عموم لفظه ولذا يؤثر عن علماء أصول الفقه قولهم : العبرة بعموم اللفظ ، وليس بخصوص السبب .

وربط النتائج بمقدماتها فى ترقب وقوع النتائج وتحققها عندما توجد مقدماتها فى حياة الأفراد والمجتمعات كقوانين عامة ، بغض النظر عن تحديد الجزئيات .. يصور ذلك قانونا عاما اقتضته إرادة الله : كربط ضرورة تغير المجتمع بفساد بعض أفراده ، على نحو مايذكره قول الله تعالى . «واذا أردنا أن نهلك قرية (أي أن نطيح بمجتمع ونبيد نظامه وأسسه) أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وبذلك تتاح لهم الفرصة للخروج السافر عن القيم العليا فى سلوكهم ومواقفهم) فحق عليها القول (أي وعندئذ ينطبق على هذا المجتمع العابث : قضاء الله بتغيره) فدمرناها تدميرا (أى وليس بعد قضاء الله بالتغيير : إلا نفاذ قضائه وارادته فى الوقت المعلوم له : «وماأهلكنا من قرية (أي مجتمع) إلا ولها كتاب معلوم (أي أجل محدد) . ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون» (الحجر : ٤ ، ٥) .. فمثل هذا الربط بين المقدمات والنتائج فى تعاقب المجتمعات البشرية هو ربط عام لايتقيد بمجتمع معين . وانما كلما انتشر الفساد فى صوره المختلفة فى اى مجتمع ، وفى اى عهد او جيل كلما يتوقع له التغيير . ولكن متى يقع هذا التغيير فذلك أمره عنده الله : «وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم» . وهذا الربط العام ــ أو هذا التلازم بين المقدمات والنتائج فى حياة المجتمعات البشرية ــ يصور قضاء الله وإرادته التى لا تقبل التعطل عن النفاذ بأى حال .

وقد يكون لهذا القانون العام أمثلة جزئية وقعت بالفعل فى حياة هذه المجتمعات . كما يقص القرآن الكريم ، مخاطبا الرسول محمدا عليه السلام تطمينا ومؤكدا له : عدم تخلف هذا القانون ــ فى قول الله تعالى : «وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم : قوم نوح ، : وعاد ، وثمود . وقوم إبراهيم . وقوم لوط . وأصحاب مدين ، وكذب موسى ، فأمليت للكافرين ، (أى أمهلتهم) ثم أخذتهم (أى نفذت فيهم قضاء الله بالتغيير) فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة ، وقصر مشيد .» (الحج : ٤٢ ــ ٤٥) . وبعد أن أعطت هذه الآيات الأمثلة الجزئية لتطبيق قضاء الله وإرادته كقانون عام .. عقبت بذكر هذا القانون مرة أخرى فيما تقوله : «فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها» .. وبذلك أعادت الربط بين ضرورة تغيير المجتمع ووقوع الظلم فيه . وليس الظلم إلا فسادا ، وإلا كفرا برسالة الله .

المتحف الوطني الفلسطيني

ينهض المتحف الوطنى الفلسطيني على طنف جبلى هين ، قبالة الزاوية الشمالية الشرقية من سور القدس ، متوسطاً موقعه ، تقريباً ، بين باب الساهرة غرباً ، ووادى الجوز من جهة الشرق ..

كانت فلسطين ، فى عهد الانتداب البريطانى ، مكتظة بعشرات البعوث والجمعيات الآثارية الغربية التى اختصت هذا الجزء بذاته من رقعة المشرق العربى بجل حفرياتها وتنقيباتها ، فيما يتعدى كثيراً دافع الفضول العلمى الصرف ، إلى حاجة « المسيحية الأوروبية » قاطبة للبرهنة على « توراتية » التراب الفلسطيني ، ولكن دون أى طائل إطلاقاً ، لسوء حظ كل من المدارس التالية بوجه خاص :

• المدرسة البريطانية للبحث عن آثار فلسطين ..

• المدرسة الفرنسية للبحث عن آثار التوراة ..

• المعهد الإنجيلى الألمانى للبحث عن آثار الديار المقدسة ..

• المدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية ..

فبدافع من هذا التوجه التوراتى العام تكفل الملياردير الأمريكى ، جون روكفيلر ، بإشادة هذا المتحف ما بين سنتى ١٩٢٧ و١٩٣٨ ، على أمل أن تغص قاعاته الرحاب بآلاف اللقى الأثرية التى قد تتصل من قريب أو بعيد ببعض الحكايات المثيرة التى نسجتها أخيلة كتبة التوراة الذين تعاقبوا على كتابة أسفارها قرابة ألف عام ..

على أن حصاد البيدر الفلسطيني سرعان ما جاء مخيباً لجميع تلك التوقعات والآمال التوراتية العريضة التى انعقدت عليه ..

فها هو المتحف الوطنى الفلسطيني حتى يومنا الراهن ــ ورغم إلحاقه بما يوصف بمتحف « اسرائيل » اعتباراً من احتلالات حزيران ١٩٦٧ ــ مايزال يحتشد من بابه الى محرابه بكل ما يعزز الأصالة العربية الفلسطينية ، منذ موجة الهجرة العربية الكنعانية من قلب جزيرة العرب فى أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد ، حتى يوم الناس هذا ، مع كل ما اختص به التراث الفلسطيني الحافل من تفاعل لا نظير له مع جميع حضارات العالم القديم ، باعتبار أن الرقعة الفلسطينية كانت تشكل ــ بحكم موقعها الجغرافى ــ مركز المثلث الحضارى التأسيسي فى تاريخ نوعنا البشرى .. المثلث الذى تتوزعه الحضارة الفرعونية من زاويته الجنوبية الغربية ، وحضارات ما بين النهرين وفارس من زاويته الشمالية الشرقية ، والحضارة الإغريقية فالهيلينة ، من زاويته الشمالية الغربية ، حتى ليصح القول ، دون مجازفة ، بأن رقعة التراب الفلسطيني برمتها ما هى إلا متحف واحد متصل وفريد ، سواء للتصادمات العسكرية لهذه الحضارات ، أو لتفاعلاتها السلمية ، فوق أرض عربية خالصة ، يكاد لا يخالفها من التراث اليهودى الطارىء ما يزيد على أثنين فى المائة من مجمل حجمها الحضارى العام ، كماً ونوعاً على حد سواء ..

تدخل المتحف الوطنى الفلسطيني من بابه الرئيسي (فى صدر الصورة) ، فتستقبلك التثمينة الشرقية South Octagon بتمثال رمسيس الثالث ، ومنقوشة أسد كنعانى ، وعشرات اللقى الأثرية الكنعانية الأخرى من حفريات منطقة بيسان ..

تلى ذلك القاعة الشرقية محتشدة بموضوعات ما قبل التاريخ حتى أواخر العصر البرونزى ، بما فى ذلك جماجم للإنسان الفلسطينى الأول من حفريات كهف الكرمل ، ومئات المكتشفات الأخرى من تلك الأزمنة السحيقة ، سواء من حفريات أريحا التى تتصل بالاندفاعة « الغسولية » الأولى من قلب الجزيرة العربية ــ قبل الاندفاعة الكنعانية بحوالى ثلاثة آلاف سنة ــ أو من حفريات نابلس التى اشتملت على أقدم شكل فلسطيني للأبجدية ، أو من حفريات الحاضرة الكنعانية الرئيسية « لاخيش » الى الشرق من غزة ..

ثم تلى ذلك القاعة المركزية فى المتحف مشتملة على أغنى آثاره إطلاقاً من مكتشفات العصور الاسلامية ، تخالطها بعض آثار الصليبيين فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ..

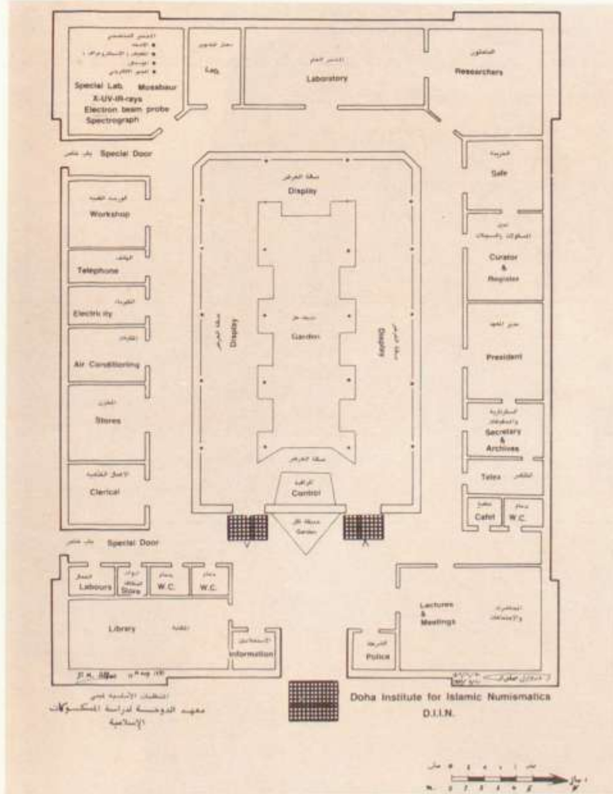
أما القاعة الشمالية فإنها تتدرج بزائر المتحف من مطالع العصر الحديدى فى فلسطين ، مروراً بالمداخلات الحضارية ، الاغريقية والرومانية والبيزنطية ، رغم تواضعها النسبي بالقياس لبصمات الملك الأنباطى ، العربى القح ، « هيرود » وسلالته الحاكمة من بعده على كامل التراب الفلسطيني وشطر من جنوب سورية ، وهى الأسرة التى فاضت آثارها وتماثيلها عن سعة المتحف الداخلية ، فاحتلت كامل باحته الخارجية أيضاً ..

وألف معذرة إن كدنا أن ننسى ! ! .. فإن التثمينة الشمالية ، فى نهاية المطاف ، تشتمل ــ بين موجوداتها الفلسطينية العديدة ــ على بضع قطع وشمعدانات يهودية سباعية الأذرع من عصور متأخرة ! ! ..

يوسف الخطيب



معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الإسلاميّة



مخطط مشروع معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، الذى يجرى تنفيذه على مسيرة الحضارة فى دولة قطر





وجها أول دينار اسلامى خالص ضربه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٧٧ هـ .. قد لا توجد منه سوى قطعتين أو ثلاثة فى العالم ، واحدة منها لدى « مشروع معهد الدوحة للمسكوكات الاسلامية

شغف الانسان ببريق الذهب منذ قرون لم يدركها الحصر ، بعد ، حتى أنك لتعرف من المؤرخين ، أن أدوات من الذهب مصنعة على هيئة الإبر والخرز ، وجدت فى مقابر ما قبل الأسرات ، فى حضارة البدارى وما قبلها بمصر القديمة ..

وتعرف الانسان بدقة الملاحظة على خصائص ذلك العنصر الفلزى العجيب ، ومن أبرزها أنه لا يصدأ ، ولا تعلوه مسحة تذهب ببريقه مهما طال تعرضه لعناصر الجو ، فلا يتأكسد سطحه شأن كل ما عداه من الفلزات ـ باستثناء البلاتين ـ ولا يتآكل ..

ومن هنا اتخذ الناس الذهب ، منفرداً أو مسبوكاً بالفضة عملة أو نقوداً ، أنهوا بها ، على طريق الحضارة ، أسلوب المقايضة ، تاريخيا ..

ولا يزال العلماء فى جدل أكاديمى رحب ، فيمن هم البشر الذين بدأوا باختراع النقود من الذهب ثم من الورق ، وهو الفضة ، صنو الذهب الذى لا يفارقه ، عادة ، فى معادنه ومظانه ..

ومن الباحثين من يقول بأن استخدام البرونز ، وهو خليط من النحاس والقصدير ، سبق استخدام الذهب والفضة كنقود ..

ومنهم من يجنح الى القول بأن أول من صنع نقوداً من سبيكة طبيعية يختلط فيها الذهب والفضة ، حيث تصل نسبة الفضة إلى ٢٠ او ٣٠٪ هم الليديون فى بلاد الأناضول ، تركيا المعاصرة ..

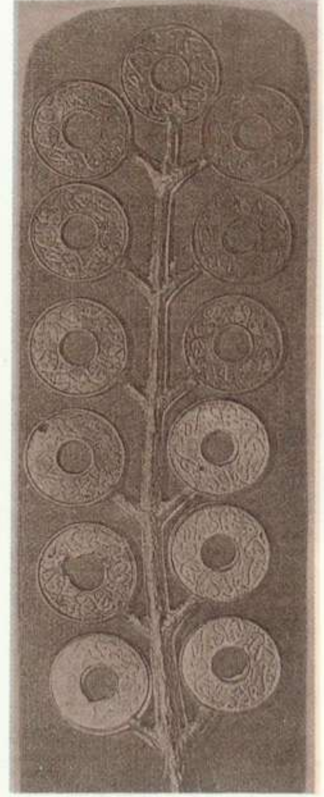
وخلال القرون تطورت صناعة العملات الفلزية تطوراً هائلا من حيث استخدام الفلزات وسبائكها ، وطرق صهرها ، وضربها حتى اعتبر العلماء المؤرخون دراسة العملات المسكوكة ، عبر التاريخ موضوعاً هاماً ، قائماً بذاته ، فى سبر اغوار التاريخ الانسانى ، وسموه باسم علم « المسكوكات » ومنهم من اطلق عليه علم « النميات » ، واضافوا للدراسة مع النقود كل شيء من معدن منقوش له دلالة تاريخية .. وأخرجت المطابع فى جميع انحاء العالم المتحضر ، سيلا زاخراً من الكتب والنشرات العلمية والمقالات ، والآراء البحثية ، بمختلف اللغات ، عن المسكوكات منذ فجر التاريخ ، وعرف الناس أصل لفظات الدينار والدرهم والفلس والمثقال والجنيه والريال والفرنك والبيزة والبرغش والروبية ، وما إليها ..

ولقد توصل دارسو المسكوكات الاسلامية من ذهب أو فضة أو نحاس الى إثبات انها سجلات تاريخية صادقة ، لا مجال فيها للتحريف ، فهى فى حالات شتى ، أصدق من القراطيس والكتب .. كما عرف العلماء كذلك أن المسكوكات خلال زمان وعبر أقطار الدولة الاسلامية ، كانت فى كثير من المناسبات تقوم بدور الاعلام والحرب النفسية ، فى زمان لم يك هنالك فيه صحف تنشر ولا أمواج أثير تحمل الاذاعات مرئية أو مسموعة .. فيروى ، على سبيل المثال ، ان المعز لدين الله الفاطمى ، عندما عزم على غزو مصر ، بدأ يعد العدة إعلامياً لذلك ، فضرب دنانير من الذهب تحمل اسمه ، على أنها مضروبة فى مصر ، وظل الناس يستخدمون فى مصر ذهب المعز زهاء سبعة عشر عاماً قبل أن يتحرك جيشه بقيادة جوهر الصقلى ، فاعتبروه جيشهم ولذا لم يبد « الشعب » أدنى مقاومة لذلك الجيش ! ! !

كذلك اتخذت المسكوكات وسائل للدعاية المضادة ، فكم من خوارج على نظام سكوا نقوداً تحمل صور من خرجوا عليه ، وهو يحتسى الخمر أو ينادم القيان والمحظيات ..

وعلى طريق النهضة فى قطر ، افتتح حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، متحف قطر الوطنى ، فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥/٦/٢٣) كمرفق حضاري ، يعبر عن البيئة القطرية تعبيراً علمياً وجمالياً ، فى ماضيها وحاضرها ، وفى برها وبحرها ، بانتماءاتها التي لا تنفصم ، خليجياً ،

بقلم: درويش مصطفى الفـــار



مسكوكات اسلامية مضروبة من فلز القصدير



دينار نادر من الذهب .. ضربه السلطان غياث الدين محمد بن سام من الدولة الغورية



مسكوكة اسلامية ذهبية نادرة من مقتنيات مشروع معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية،المسكوكة تزن ٤٤,٩٥٤ جراما ، وقطرها ٤٧ ملليمترا .

وعربياً ، واسلامياً وإنسانياً ، وأمر سموه بأن تعطى المسكوكات الاسلامية فى هذا المتحف أهميتها التى تستحقها ، باعتبارها وسائل علمية متقدمة لسبر اغوار تاريخ الأمة الاسلامية التى تنتمى دولة قطر اليها ماضياً وحاضراً ..

واقتنى متحف قطر الوطنى ما يزيد على عشرة آلاف مسكوكة اسلامية من الذهب والفضة والنحاس ، تمثل ، تقريباً ، كل أقطار الأمة الاسلامية على سعتها بين اندونيسيا وموريتانيا ، حاضراً وبين الاندلس وحدود الصين فى الماضى القريب ..

ومن هذه المجموعة النادرة من المسكوكات ، رأت الدولة على طريق النهضة ان تنشىء :

« معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية »

بأحدث الطرق العلمية المعاصرة فى ميادين التاريخ ، والكيمياء والفيزياء بحيث يصبح هذا المعهد ، الذى لا نظير لفكرته حتى الآن فى العالم كله ، هادفا لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية :

(١) إضافة مرفق ثقافى ترويحى الى العاصمة الدوحة .

(٢) نقل طرز وانماط البناء والمعمار الاسلامى الخالد ، فى الحمراء بالاندلس ، وقبة الصخرة بالقدس الشريف ، والتاج محل بالهند ، وغيرها فى مشارق الأرض ومغاربها ، بحيث يمثل بناء هذا المعهد تجسيداً حياً حديثاً لذلك التراث الخالد .

(٣) ارساء قواعد مختبرات علمية يقوم فيها الشباب من منطلق دراسة المسكوكات الاسلامية ، باستخدام أجهزة الفحص والتحليل الحديثة فى الكيمياء والميتاليرجى والخصائص الفزيائية ، للتوصل الى مصدر الذهب والفضة والنحاس لهذا الدينار أو ذاك الدرهم مما يحقق معرفة طرق واتجاهات التعدين والتجارة فى كل حقبة من تاريخ الدولة الاسلامية الغابر ، ويلقى الضوء العلمى الصادق ، على طرق التعدين والسبك واستخلاص الفلزات ، مما لا يزال الوسط العلمى يجهله لدى الدولة الاسلامية .. والى جانب المعامل والمختبرات ، تكون لهذا المعهد مكتبة شاملة تحوى كل ما كتب عن المسكوكات فى أى زمان أو مكان ..

ولسوف يكون هذا المعهد ، فريدا فى نوعه عالميا ،وملتقى للدارسين والندوات العلمية فى ميدان المسكوكات الاسلامية ، ومنطلقاً جديداً لاسلوب علمى مستحدث على أسلوب دراسة تلك المسكوكات دراسة علمية عميقة مضيفاً بذلك معلماً أصيلا على طريق النهضة الحديثة فى دولة قطر .

ولقد أتم الأستاذ الدكتور محمد أبو الفرج العش ، طيب الله ثراه ، دراسة جانب كبير من المسكوكات الأموية والعباسية التى تتضمنها مجموعة معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، وقامت وزارة الاعلام القطرية بنشر هذا السفر القيم على الملأ العلمى فى مختلف بلاد العالم ، كباكورة لذلك المشروع الحضارى ..

ويقوم تلاميذ المرحوم الدكتور العش ، بمواصلة الإعداد لإصدار الجزء الثانى من هذه الدراسة ، وعلى رأسهم السيد ابراهيم جابر الجابر ، رئيس وحدة المسكوكات بمتحف قطر الوطنى ..

إن إنشاء معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، سوف يكون حدثاً تاريخياً فى الأوساط العلمية ، لاشك ولا ارتياب .. وسوف لا يقتصر نفعه على مجرد دراسة المسكوكات فقط ، بل سيكون ميداناً رحباً ، لمختلف الدراسات ، تاريخية ، وكيمائية ، وفزيائية ، فى كل ما يتعلق بالمسكوكات ، نشأتها وتطورها وتأثيراتها السياسية والاقتصادية ، وفلسفة صناعتها وضربها وأوزانها ، مما له علاقة أساسية كبرى ، بمسيرة الحضارة الانسانية على هذه الأرض التى فطر الله الناس عليها وسخر لهم ما فى برها وبحرها وأعماق طبقاتها ، لغاية عنده سبحانه ، لا نعلمها ، فهو الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، واليه المصير وحده لا شريك له .

درويش مصطفى الفار



صنعاء الجميلة
تنادي العالم المتحضر!

بقلم: فاروق أباظة

صنعاء مدينة انجبها الزمن عبر الدهور السحيقة الممتدة لآلاف السنين ومازال عبق التاريخ القديم يغلف قبابها البيضاء ومآذنها الشامخة ونوافذها الأسطورية ذات العقود الزجاجية الملونة .. هنا مرت الأيام والقرون والحقب منحنية الهامة أمام الجمال المتفرد لواحدة من أقدم المدن الباقية فى الدنيا ، والتى قدت من الصخور الصامتة لجبلي نقم وعيبان فى واد ذى زرع مجلل بأزاهير الربا ومراعى القطعان وجنات الأعناب وأشجار الطلح والدوم .. اختار مكانها سام بن نوح وبنى فوق قمة الجبل قصره المسمى بغمدان والمؤلف من عشرين دوراً .. وصنعاء النبيلة العريقة المجد تدعو العالم المتحضر كى يستجيب لندائها من أجل الحفاظ على تراثها وآثارها ، بعد أن وافقت هيئة اليونسكو أن تتبنى حملتها الكبرى الهادفة الى تجميلها وتخليد تراثها ..

لقطة بانورامية لصنعاء الجميلة التى مازال عبق التاريخ القديم يغلف مبانيها .. وهى تدعو اليوم العالم المتحضر ليستجيب لندائها من أجل الحفاظ على تراثها وآثارها العريقة .


منزل يمنى على هيئة برج .


منزل جديد مبنى على الطراز المحلى .


صانع الجنابى الذى يتميز بمهارة بالغة

لقد كان من المؤكد أن اصلاح هذه المدينة اصلاحاً شاملا بما فى ذلك ترميم المساكن والآثار ، واحياء جميع الموارد الاقتصادية والثقافية يثير من المشكلات الفنية والمالية مالا تستطيع الحكومة اليمنية ايجاد الحلول لها ، ولذلك اعتمد المؤتمر العام لليونسكو قراراً سمح فيه للمدير العام بأن يجرى بالتعاون مع الحكومة اليمنية وفى حدود ما تسمح به ميزانية الدراسات الفنية اللازمة لاعداد خطة عمل تفصيلية لحماية وعون وترميم واحياء صنعاء ، ولتحديد أساليب القيام بحملة دولية لصالحها ووضع برنامج مقسم الى مراحل زمنية وفقاً لترتيب الأولويات ، وعلى أساس الامكانيات المالية والفنية المتاحة واحتمالات المساهمة الدولية .. وقد وجه الدكتور أحمد مختار إمبو المدير العام لمنظمة اليونسكو نداء الى العالم دعا فيه جميع الدول الأعضاء فى اليونسكو حكومات وشعوباً ومؤسسات عامة وخاصة ومنظمات دولية حكومية وغير حكومية وكذلك المؤسسات والهيئات المالية الى المشاركة عن طريق تقديم المساهمات التطوعية سواء كانت نقوداً أو معدات أو خدمات ، من أجل الحملة الدولية لصيانة مدينة صنعاء القديمة . ودعا مدير عام اليونسكو المتاحف وبيوت الفن والاكاديميات والمكتبات وكل المؤسسات المعنية بالصون والتقدم وبنشر الثقافة الى تنظيم معارض عن صنعاء ، وتقديم هبات لصونها وترميمها . كما دعا أيضاً الأطفال والشباب فى البلاد العربية والاسلامية للاسهام فى صون تراث أصبح جزءاً من التراث العالمى ، وكذلك جمع التبرعات لإنجاز العمل الدولى لصالح المدينة التاريخية العريقة . وقال مدير المنظمة التى وجهت العام الماضى عدة نداءات من أجل صون آثار جليلة فى العالم بأسره إنه يحق لها أن تفخر بنجاحها بفضل التضامن الدولى فى المشاركة من أجل إنقاذ آثار النوبة التى تعد أكبر عملية إنقاذ أثرى نفذت حتى الآن ، وترميم واحد من أكبر المعابد الروحية فى أندونيسيا . ومازالت اليونسكو تتابع جهودها للحفاظ على مدينة البندقية فى ايطاليا وفاس فى المغرب وسوختاى فى تايلاند وغيرها ، وقد لقيت هذه النداءات جميعاً آذاناً صاغية فى العالم ..

اسهام الحكومة اليمنية

أما تكلفة مشروع تجميل صنعاء فيصعب تقديرها ، حيث مازالت الدراسات الفنية تجرى وستسهم الحكومة اليمنية بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دولار وستبحث فى إمكانية الحصول على قروض من المؤسسات المالية على الصعيد الدولى والإقليمى . وقد أنشأت الحكومة اليمنية لجنة عليا للتنسيق بين الأنشطة المتعلقة بالحملة الدولية لصالح مدينة صنعاء القديمة وسيرأس هذه اللجنة عبد العزيز

عبد الغنى رئيس مجلس الوزراء اليمنى . وقد تم اعداد فيلم ملون عن صنعاء تعرض فيه المدينة القديمة فى اطارها التاريخى والثقافى والأثرى . كما يجرى الآن الاعداد لاصدار كتيب مصور بالألوان توضح فيه الأهمية التاريخية والمعمارية لهذه المدينة بالاضافة الى تنظيم معرض للصور بمقر اليونسكو . وتعتقد السلطات اليمنية وتوافقها على ذلك البعثات التى أوفدتها الى اليونسكو أن أى محاولة للقيام بمهمة الترميم من زاوية معمارية فقط لن يسفر الا عن اصلاح مؤقت وباهظ للمبانى ، وذلك نظراً للصعوبات الجسيمة التى تتسم بها الحالة فى صنعاء . وانما يجب أن يعتمد برنامج الترميم الى حد بعيد على ما لصنعاء من قدرات وموارد تقليدية . فالأمر لا يقتصر على صون صنعاء من حيث مظهرها الخارجى ، وانما يقتضى بث حياة جديدة فيها ، ووفق برنامج عمل يراعى ضرورة التخطيط لمشروعات الكهرباء ووسائل النقل والصناعات الحرفية ، والمرافق الاجتماعية والأنشطة الثقافية ومراكز المخطوطات والمكتبات والمتاحف ، كما سيوجه الجزء الأول من أشغال الترميم المعمارى الى المبانى التى تتطلب عناية عاجلة لأهميتها التاريخية والفنية والثقافية مع مراعاة وقف التدهور الذى يصيب المدينة القديمة فى نسيجها التاريخى نتيجة لإدخال تعديلات محدودة ولكن دون التفكير فى عواقبها البعيدة ، مثال ذلك تدمير سور المدينة القديمة تدريجياً وكذلك بيع وتقسيم البساتين القديمة لمشروعات الاسكان ..

وهذه هى الأبنية التاريخية داخل مدينة صنعاء والتى ستكون لها الأولوية على غيرها بالنسبة للاصلاح والترميم :

من المساجد : مسجد النهرين ، ابن الحسين ، الزمر ، الأبهر ، الطواشى ، عقيل ، طلحة ، الفليمى ، المهدى العباسى . ومن المدارس مدرسة الباكرية ، صلاح الدين ، التقوى ، قريش ، موسى ، القصر ، الشاهدين ، الجبرى ، الغزالى ، حنظل ، المتوكل . ومن الحامات حمام السلطان ، الشكر ، الميدان ، سبأ ، الحمدانى ، المتوكل ، العرضى ، الجلا ، بالاضافة الى مبان أخرى كبيت الإمام المنصور والقصر الجمهورى وقصر غمدان وبيت سيف الاسلام القاسم وبيت الحلالى ودار الخير وبيت القاضى ابراهيم وقصر السلاح ، والضريح التركى ودار الشكر ، وسمسرة ، ووزارة الداخلية ودار الضيافة ، ودار الحمد وبيت العباسى وغرفة بلقيس .

وقد طلبت الحكومة اليمنية بأن تحظى بتعاون دولى على شكل إخصائيين دوليين مؤهلين تأهيلا عاليا من مهندسى العمارة والترميم بالاضافة الى متخصصين فى تخطيط المدن وعلماء آثار وموجهين ثقافيين وأمناء مكتبة وفنيين فى مجال المخطوطات ، وأخصائى فى الاقتصاد الاجتماعى

وقد تم اختيار الدكتور أحمد قدرى رئيس مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية مستشاراً للمشروع من قبل هيئة اليونسكو .. وهو معروف بدوره الكبير فى إنقاذ وترميم آثار مصر الاسلامية والقبطية والفرعونية وفى مقدمتها قلعة صلاح الدين .

عطر التاريخ

ولكن لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بصنعاء ؟ . انها نموذج فريد وعظيم من الفن الخالد .. يقولون إن من يغادرها الى أرض الاغتراب لابد وأن يعود اليها ليلقاها فى شوق وحب وافتتان بمغانيها وأعنابها وجداولها البللورية . ويتجسم هذا الشوق والحب فى بيت شعر يردده كل يمنى داخل صنعاء أو فى أى أرض يحط فيها رحاله :

يوماً تغنى فى منافينا القدر
لابد من صنعا وإن طال السفر

يقول الدكتور عبد العزيز المقالح المفكر والكاتب اليمنى « .. ما الذى يصنع الدهشة فى عيون زائرى مدينة صنعاء القديمة ؟ هل هو عطر التاريخ أم شيخوخة الأحجار ؟ هل هو نظام البناء أم مادة البناء ؟ .. هل هو توهج الأيام الغابرة أم طريقة التخطيط والترتيب ؟ .. فى الخمسينات تناقل الناس فى صنعاء على نطاق واسع أخبار السيدة الأمريكية التى طلبت من الامام أحمد آخر من حكم اليمن من الأئمة أن يبيع لها صنعاء بأربعين مليون دولار بعد أن يقوم باخلائها من سكانها على أن يبنى لهم مدينة فى مكان آخر من الوادى الذى تنهض صنعاء القديمة على جانب صغير من جوانبه الواسعة . وقد تضمنت تلك الحكاية الطريفة ضرورة العناية بالمدينة العريقة ذات الطابع المميز والخصوصية الفريدة » ..

وصنعاء من حيث التقسيم الجغرافى كانت تنقسم الى ثلاثة أقسام يفصل بينها حاجز أو سور ،

ولكل قسم منها طابعه الخاص ونمطه المتغير . فالقسم الشرقى من المدينة هو القسم الأكبر والأهم ويضم الأحياء القديمة والأسواق والمساجد والمآذن ، وتمتاز مبانى هذا القسم بالفخامة والزخرفة وتعدد الطوابق ، وتتجلى فيها أهم خصائص المعمار اليمنى القديم ببساطته وجمالياته ، والقسم الأوسط من المدينة وهو ما كان يسمى بـ (بير الغرب) ويضم مجموعة من الحدائق يتوسطها بعض قصور الامام والأمراء والحاشية ، وبعض البيوت ذات الطابع العثمانى التى تحل الشبابيك الخشبية فيها محل النوافذ والعقود الزجاجية الملونة ، ولا يترك للحريم سوى خصاص المنافذ الصغيرة للشبابيك للنظر أو الفرجة . أما القسم الثالث فيضم « الجيتو » أو الحى اليهودى بأزقته الضيقة وسوقه الصغيرة التى تقسم الحى الى قسمين كبيرين أحدهما شمالى والآخر جنوبى — وكان يفصل بين حى اليهود وبير العزب أو القسم الأوسط من المدينة سور ترابى يتصل بالسور العام للمدينة ، وكان له منفذان أو بابان يغلقان مع الغروب . فيعزل اليهود عن بقية سكان المدينة طوال الليل ، ولايفتحان الا مع الفجر شأن أبواب المدينة الأخرى المؤدية الى خارجها .. أما نمط البناء فى الحى اليهودى فهو نمط مغاير لكل الأساليب العربية والاسلامية والعثمانية التى كانت شائعة فى المدينة . فهى لا تزيد فى الارتفاع عن طابقين الا نادراً ، وتبدو السطوح متلاحقة وكأنها سطح بيت واحد ، ويتوسط سطح كل بيت فتحة واسعة رصفت أراضيها بالأحجار كما يتوسط سطح أهم غرف البيت فتحة صغيرة خاصة بالطقوس الدينية وهى مغطاة ، ولا تفتح الا فى الأعياد والمناسبات . وظاهر بيوت اليهود يطلى بالطين ، ويترك الى أن يتساقط بعضه ليوحى للمشاهد بالبؤس وسوء الحال ، حتى لا يطمع الآخرون بما فى داخلها من متاع وأموال . وعادة ما تكون من الداخل أنيقة ومليئة بأندر المفروشات والمقتنيات .. وقبل أن يرحل اليهود من اليمن باعوا منازلهم وحوانيتهم لبعض أهالى المدينة ، فلم يحافظوا على طابعها القديم ، وهدموا هذه المنازل ثم بنوها بالطوب والحجر ، وأصبحت صنعاء مدينة إسلامية بطابعها العربى الفريد .

عاصمة اليمن السعيد

ويقول القاضى محمد بن علي الأكوع الحوالى من كتابه « اليمن الخضراء مهد الحضارة » إنها عاصمة اليمن السعيد كما أسماها مؤرخو اليونان وعروس الجزيرة العربية والجوهرة اليتيمة فى بلاد العرب ، وإحدى جنان الأرض بإجماع الناس كما قال لسان اليمن والمؤرخون القدامى ، ومملكة بنى حمير ومقر عز الملوك التبابيع ومحط كل سميدع ومليك ، وأطيب أرض الله هواء وارقها نسيماً وأعذبها ماء .. وقد نسبت الى صنعاء بن إزال بن يقطن بن العبير

• دعوة شاملة للحفاظ على واحدة من أقدم مدن الدنيا

• دخلها « ينبور » وهو يرتدى ثوباً يمنياً ووصفتها « كلودى » بـأرق كلمـات الحـب

بن عابر بن شالح ، ويقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان والبانى لها سام بن نوح عليه السلام . ولصنعاء أربعة أبواب هى باب اليمن وباب شعوب وباب السبحة وباب القصر ، وكانت حسنة العمارة ، بناؤها بالآجر والجص ، كثيرة الأشجار والفواكه والزروع ، معتدلة الهواء طيبة الماء واذا نزل عليها المطر غسل جميع أزقتها ، وكان فى صنعاء القديمة أربعة جداول بقي منها جدول « درداع » بالقرب من الجامع الكبير فى سكة الحدادين ، ولكنه انقطع اليوم ، هذا عدا الآبار التى كانت تنتشر فى كل بيوت صنعاء . أما أسواق صنعاء فهى كثيرة ، من بينها سوق الملح وسوق البقر وسوق الحمير وقد أهملت السوق الأخيرة لعدم الحاجة إليها بسبب انتشار استخدام السيارات ..

وتتميز منازل صنعاء بالزخارف الزجاجية فوق نوافذها كما يعتنى أهلها بزينة الأماكن وخاصة السياج الملاصقة للنوافذ ، حيث توضع فوقها المزاهر النحاسية وقنانى رش ماء الورد ومباخر العود . وتحرص المرأة اليمنية على أن تكون هذه المصنوعات « مجلوة » ولامعة . أما الحجرات فتفرش بالسجاجيد الجميلة الألوان تبعاً لثراء صاحب المنزل .

ومدينة صنعاء التاريخية كثيراً ما ألهبت خيال الرحالة والمؤرخين والشعراء فى العصر القديم والحديث من رواد رحالة أوروبا الذين قدموا اليمن الى الغرب فى مؤلفاتهم ، منهم العلامة الدانماركى ينبور حيث سافر اليها هو وبعثته المكونة من خمسة أفراد ، وكان ملك الدانمارك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر قد كلفهم بهذه المهمة وكانت هذه أهم بعثة ترسلها أوروبا فى ذلك الوقت الى مصر واليمن .. يقول الرحالة كارستن ينبور انه بعد أن طاف بأرض اليمن وقابل المتاعب والأهوال ، انتهى إلى أبواب صنعاء حيث استقبله كاتب الفقيه أحمد وزير الدولة الذى جاء من قبل الإمام عباس ابن الحسين لاستقبال البعثة .. جاء ومعه هدية الإمام وهى عبارة عن أغنام ، ومعها جمال محملة بوقود الطبخ ، ومجموعة من الشموع وأكياس الأرز وجميع أنواع الخضراوات . كما خلع عليه ثوباً يمنياً جميلا ارتداه ينبور ، وطلب الإمام أن يعفى لعدم استطاعته رؤية البعثة لفترة يومين لأنه كان مشغولا جداً بدفع رواتب جنوده .. وفى صنعاء استرجعت البعثة قواها ، وفى ضاحية رائعة من ضواحى المدينة كان ينبور يأكل العنب ، وقد ذهبت عنه كل ذكريات الرحلة المحزنة ويصف ينبور أحوالهم فيقول « لم نعش هذه الراحة منذ زمن طويل .. لقد كان للبيت الذى خصصه لنا وزير الإمام غرف جميلة وكان محاطاً بحديقة مليئة بجميع أنواع الفواكه التى يبدو أنها تنبت على الطبيعة بعناية ، بينما أنها تنبت على الطبيعة دون عناية . إنها حديقة على الطريقة العربية بها نافورات وبرك حيث يفضل المرء الجلوس فى الظل على أن يمشى » .

• ترميم وإصلاح الأسوار والأبواب والمساجد والمدارس والأسواق

• قصة الثرية الأمريكية التى طلبت شراء صنعاء بـ ٤٠ مليون دولار !

وبعد يومين استقبلهم الإمام فى مقابلة رسمية عامة .. ازدحم الميدان المشمس بالخيل والخدم والموظفين ، ولم يستطع أعضاء البعثة الوصول الى المدخل الا بعد أن أتى مدير الاسطبلات ، وأفسح لهم الطريق بهراوة ضخمة فى يده . ولأن ينبور كان هو الوحيد بين أفراد البعثة المتحدث باللغة العربية ، فقد اصبح رئيسهم ، وجرت المقابلة الرسمية فى قاعة مستطيلة تحت سقف له قناطر ، وفى الوسط كانت نافورة تقذف ماءها فى الهواء مسافة أربعة عشر قدماً ، وقد غطيت الأرضية كلها بالسجاد العجمى . أما منصة العرش فمغطاة بالحرير وعليها ثلاث مشايات كبيرة احداهما خلف الامام وإثنتان على جانبيه . وأخذونا مباشرة الى الامام لتقبيل يده وتقبيل ثوبه أيضاً المتدلى على ركبتيه .. وحينما عاد أعضاء البعثة الى منازلهم تسلم كل منهم كيساً هدية مليئة بالعملة الفضية ..

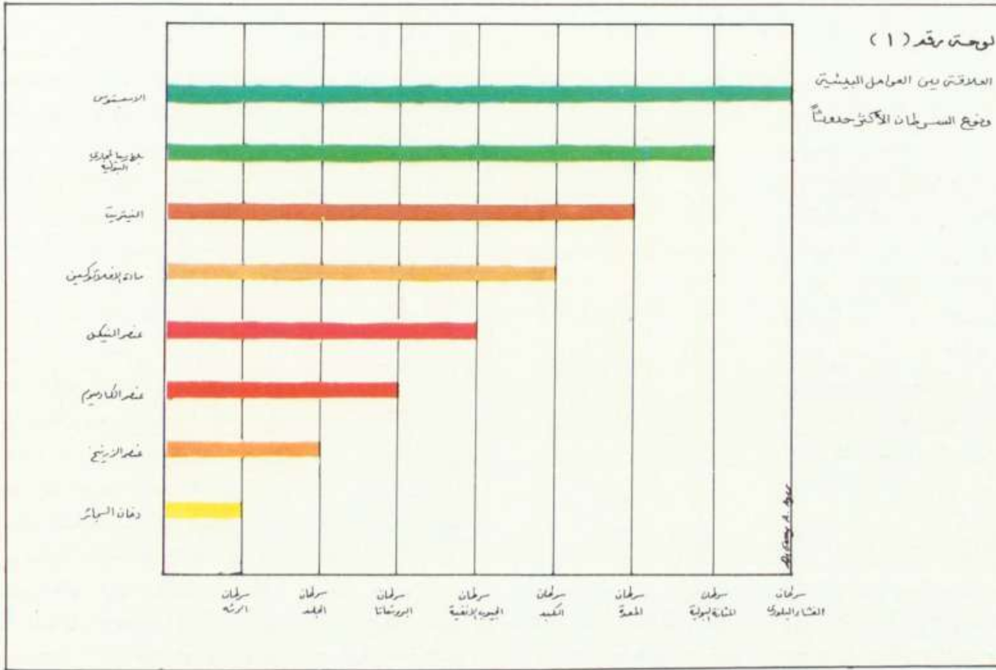
سحر الشرق الغامض

وفى أوائل الخمسينات من هذا القرن جاءت من باريس الى صنعاء الطبيبة الفرنسية كلودى فايان ، التى استهواها سحر الشرق الغامض الممثل فى الأرض اليمنية البكر فآثرت أن تتطوع للعمل كطبيبة ، هناك تقول الدكتورة كلودى فايان فى كتابها الرائع : « كنت طبيبة فى اليمن » عن مدينة صنعاء . لا يثير دهشة الأوروبى أكثر من مدينة عظيمة بلا نهر ، بلا ينابيع على سطح الأرض ، إن هذا نوع من التحدى للقوانين الاقتصادية . وتظل العين فى شوارع صنعاء مأخوذة بهذه العمارات الشاهقة وتشاهد أجمل المناظر من أعلى طابق يطل على المنازل المجاورة . والزخرفة الرئيسية فى بيوت صنعاء هى النوافذ الواسعة العالية ويستطيع الانسان هنا لحسن الحظ أن يتنزه وأنفه فى السماء ودون خطر . فالشوارع خالية من الدراجات والسيارات والأرض مفروشة بالرمال النظيفة كممرات قصر من القصور ، وتمر سيارتنا الجيب برجال يتنزهون وأيديهم متشابكة ، « وبهائم » تسير بخطوات قصيرة سريعة يسوقها رجال طاعنون فى السن ، هزيلون يضعون على أكتافهم جلد خروف ، وكأنهم خرجوا لتوهم من الأسفار القديمة .. أما الخيل الفاخرة فهادئة ساكنة تحيط رقابها عقود من الحرير ويمتطيها أسياد ذوو هيئة صارمة يحتزمون بالخناجر ، وكأنهم خرجوا مباشرة من احدى قصص ألف ليلة وليلة . وقد تأرجح خيالى بين العهد القديم وأقاصيص شهر زاد ، وسبب لى هذا دواراً غريباً ، قد يجد الانسان فى بقاع العالم غير صنعاء حياة غريبة وغير عادية الا أن هذه البقاع ستكون بلاشك بعيدة عن الحضارة الحديثة ولكن الانسان يجد فى كل بلد متمدين أثرا ما للحضارة الأوربية .. أما صنعاء فليس فيها شيء على الاطلاق ، ان شيئاً من الغرب لا يعكر هذه الفتنة وقد صعب على أن أهضم كل ما حولى وكان وقع الدهشة والاعجاب بكل هذا كشحنة كهربائية ، لقد ذهلت فى اللحظة الأولى ولكنى بعدئذ أحببت صنعاء من أعماقى .. لقد أعدوا لى منزلا كان خاصاً بالحريم جدرانه بيضاء وتبدو فى سقوفه نتوءات بارزه للأخشاب المصبوغة بالجص أما بيت الماء فواسع مفروش بالبلاط المربع وفيه حوض ماء وموقد للفحم فوقه غلاية لتسخين الماء للاستحمام وقاع الحجرات من الجص ومفروش بالحصير ، وفى صنعاء نحو أربعين مسجداً بينها خمسة عشر مسجداً مناراتها جميلة جدا .

شوارع بلا أرقام

وتضيف كلودى ان شوارع صنعاء بلا أرقام ، وقد يكتب المالك اسمه فى واجهة داره ويقطع صنعاء من الشمال الى الجنوب نهر يتحدثون عنه كثيراً لكن هذا النهر لا يجرى الا بضع ساعات فى السنة . وتنتظم الطوائف فى تجمعات وأهمها طائفة الجزارين الذين تقع عليهم تبعة اصلاح ما ينهار من أسوار المدينة التى تتعدد فيها الأسواق التجارية .. وعندما ودعت الدكتورة كلودى فايان صنعاء كتبت تقول إنى وأنا أودع أصدقائى اليمنيين لا أفكر فى أوجاعهم وآلامهم ولكنى أفكر فى صفاتهم وفى قلوبهم وأذهانهم وفى رغبتهم الصادقة العفوية فى الاصلاح ، تلك الرغبة التى ظلت قوية فيهم لأنهم أحرار لا يعلقون التقدم الحديث على وجود أجنبى يتحكم فى بلادهم ... هكذا أحبت كلودى فايان صنعاء وهكذا أحبها كل من سمعها اليوم وهى توجه نداءها الى العالم المتحضر من أجل أن لا يتسرب من أركانها عبق الزمن القديم ويبقى طابعها المتفرد المميز شاهداً على الأصالة والشموخ والجمال ، وقبل أن يزحف على واديها الأخضر المعطر بالأصالة والجلال مدنيّة الجدران الجاهزة والدشم الخرسانية وعمارة الأسمنت والحديد ! !

فاروق أباظة



الأبحاث الطبيّة تجيب على هذا السؤال :

الغذاء الذي نتناوله هل له علاقة بالسرطان ؟

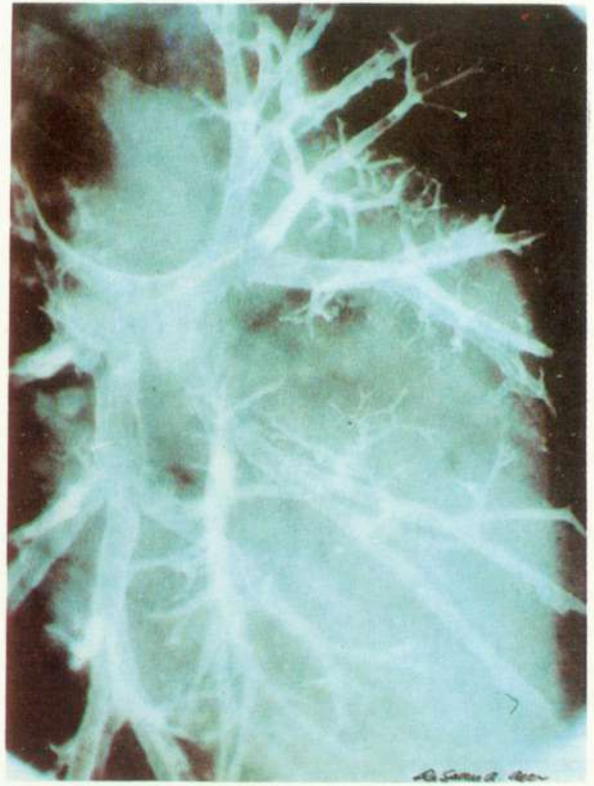
بقلم : الدكتور سامي عزيز

هذا الخطر على صحة الانسان مازال وسيظل يشغل مساحة كبيرة من اهتمام العلماء والاخصائيين . وهم يحاولون الوصول الى أسبابه الحقيقية ، حتى يمكن الوقوف فى وجهه ، وتفادى أضراره . وفى مجالات البحث العلمى الأخيرة والمستمرة يحاول العلم أن يجيب على سؤال هام ، هو : هل هناك علاقة بين الغذاء الذى يتناوله الانسان وبين الاصابة بهذا الخطر : السرطان ؟ .. وما توصل إليه العلماء يحمل الكثير والجديد من المعلومات ..

تؤكد التقارير الامريكية على أن واحداً من بين أربعة أمريكيين يموت بسبب السرطان . فى سنة ١٩٨٣ وحدها مات أكثر من ٤٢٠,٠٠٠ أمريكى بسبب السرطان . وللآن ــ رغم المراكز المتخصصة والمنتشرة فى مختلف دول العالم ــ لا يمكن تحديد السبب المباشر للتغير المفاجىء الذى يصيب الخلية البشرية ويجعلها تنقسم بهذه الطريقة الجنونية ، الا أن هناك بعض العوامل الهامة التى يمكن اعتبارها مسئولة :

• العامل الوراثى أو الجينى :

ان سرطان الثدى أكثر انتشاراً فى بعض العائلات عن غيرها ، فالسيدة التى تصاب بسرطان الثدى مثلا ترتفع احتمالات الاصابة بنفس المرض فى قريباتها (اخواتها وبناتها) بنسبة تصل الى خمسة أمثال احتمال ظهوره لدى أى سيدة أخرى لم تعرف عائلتها هذا المرض .



لوحة رقم (٢) سرطان الرئة : تشير الأبحاث إلى أن مركبات الكاروتين من النوع «ب» وليس فيتامين «أ» هى التى تقى الجسم من شر السرطان .

• الفيروسات المسببة للسرطان :

تشير التجارب الى أن الفيروسات تسبب العديد من السرطانات فى مختلف الحيوانات الثديية بالاضافة الى الأسماك والضفادع وغيرها . وأمكن حديثاً عزل الفيروس C. Type R. N. A. من الغدد الليمفاوية لمرضى الهودجكين وبعض السرطانات الليمفاوية ومرضى اللوكيميا (سرطان كريات الدم البيضاء) مما يؤكد الدور الذى تلعبه بعض الفيروسات فى الاصابة بالسرطان . كما ثبت حديثاً أن الفيروس ابشتين بار Epstein-Barr Virus مسئول عن بعض السرطانات مثل بركت ليمفوما المنتشرة فى وسط أفريقيا وسرطان الجزء العلوى من الحلق . أما الفيروس هربس الثانى H S V 2 فمسئول عن الاصابة بسرطان عنق الرحم .

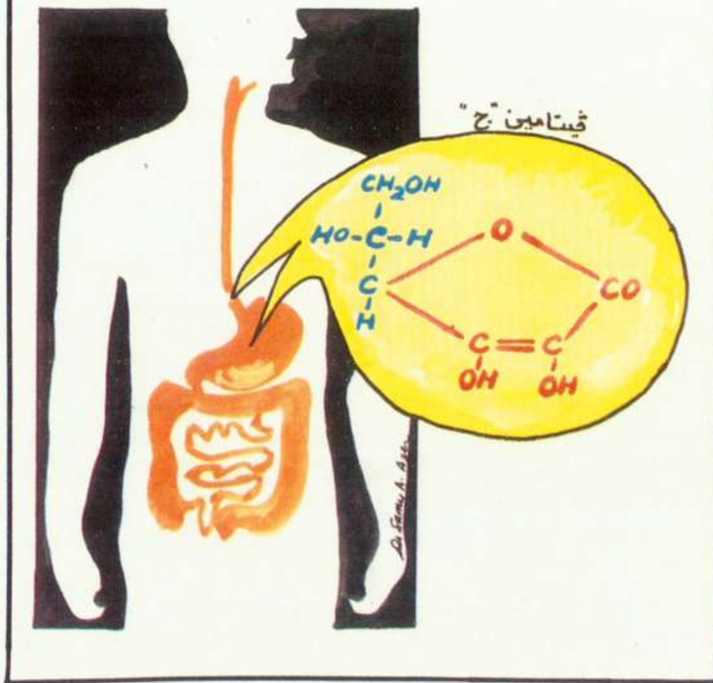
• العوامل البيئية :

تؤكد الأبحاث التى أجريت فى العديد من المراكز الطبية الامريكية على أن ٧٠ إلى ٨٠٪ من السرطانات المختلفة التى تحدث فى الآدميين ترجع الأولى الى أسباب بيئية وكيميائية . وأن ٤٠٪ من السرطانات المختلفة ترجع بطريق مباشر أو غير مباشر الى التعرض لدخان السجائر . وقد أمكن حديثا عزل أكثر من ١٥ مادة محدثة للسرطان (مشتقات كربونية وأمينية) من دخان السجائر . كما ثبت أن دخان السجائر يمكن أن يسبب العديد من السرطانات مثل :

سرطان الرئة ، سرطان المرىء ، سرطان المثانة البولية .

كما ثبت أن سرطان الرئة يمثل ٢٠٪من أسباب الوفاة عند عمال مصانع الاسبستوس .

ويوضح الجدول الآتى العلاقة بين العوامل البيئية ونوع السرطان الأكثر حدوثاً (لوحة رقم ١) .



اثبتت الابحاث العلاقة بين نقص فيتامين «ج» وزيادة معدلات سرطان المرىء وسرطان المعدة ، وربما يحدث ذلك عن طريق تنشيط الجهاز المناعى فى الجسم أوعن طريق تنشيط تفاعلات الأكسدة .

العامل البيئى	السرطان المحتمل حدوثه
دخان السجائر	سرطان الرئة والجزء العلوى من الجهاز التنفسى
الاسبستوس	سرطان الرئة وسرطان الغشاء البلورى
عنصر الزرنيخ	سرطان الجلد
عنصر الكادميوم	سرطان البروستاتا وسرطان الكلى
عنصر الكرميوم	سرطان الرئة
عنصر النيكل	سرطان الجيوب الأنفية
عنصر اليورانيوم	سرطان الرئة
مادة الافلاتوكسين	سرطان الكبد
النيتريت	سرطان المعدة
زيت الايزوبروبيل	سرطان الجيوب الأنفية
بلهارسيا المجارى البولية	سرطان المثانة البولية

• التعرض للاشعاع وبعض الكيماويات :

بالاضافة الى العوامل البيئية ثبت أن التعرض للاشعاع يمكن أن يؤدى على المدى الطويل الى حدوث تغيرات سرطانية . وأوضح مثال لذلك سكان هيروشيما وناجازاكى وحدوث سرطان لوكيميا الدم فى غالبية الذين نجوا من الموت منهم بعد أكثر من ٧ سنوات من تعرضهم للاشعاع . كما ثبت أن استخدام أشعة اكس وغيرها كوسيلة علاجية (كما هو الحال فى علاج بعض الأمراض الروماتزمية التى تصيب الفقرات والتهاب الغدة التيموزية) غالباً ما يعقبه العديد من التغيرات السرطانية بعد فترة قد تصل الى سبع سنوات .

ويوضح الجدول الآتى العلاقة بين الكيماويات المسببة للسرطان ونوع السرطان الأكثر حدوثا :

المادة الكيماوية	السرطان المحتمل حدوثه
الفوسفور المشع	لوكيميا الدم
الراديوم	سرطان العظام وسرطان الجيوب الأنفية
المواد المثبطة للجهاز المناعى	سرطانات الجهاز الليمفاوى وسرطان الجلد وسرطان القولون .
المواد القاتلة للخلايا مثل السيكلوفوسفاميد	سرطان المثانة البولية

ولكن هل الغذاء الذى نتناوله له علاقة بالسرطان ؟

وهل تناول فيتامين « أ » يقى بحق من سرطان الرئة وسرطان الثدى ؟ وما هو الدور الحقيقي الذى يلعبه هذا الفيتامين ؟

نشرت مؤخراً مجلة « نيوانجلند مديكال » أكثر من بحث يؤكد على ضرورة تناول كميات كبيرة من فيتامين « ج » خاصة فى الأشخاص المعرضين للإصابة بسرطان المعدة .

وتؤكد الأبحاث على أن هذا الاحتياط لن يضر فى شىء .

أما العلاقة بين سرطان القولون ونوع الغذاء فمعروفة من فترة ليست ببعيدة . فانخفاض سرطان القولون فى بعض المناطق الأفريقية يرجع بالدرجة الأولى الى كثرة تناول الأغذية ذات الألياف وقلة تناول الأغذية الغنية بمادة الكوليسترول .

كما أن العلاقة بين عنصر السلنيوم وسرطان الثدى وسرطان القولون أصبحت من الموضوعات المثيرة التى تتناولها المجلات الطبية المختلفة .

فيتامين « أ » والكاروتين :

من أهم الوظائف الفسيولوجية لفيتامين « أ » التحكم فى الانقسام الخلوى ، وحيث أن أبرز ما يميز مرض السرطان فقد السيطرة على الانقسام الخلوى ، لذلك يعتقد فى وجود علاقة بين نقص تناول فيتامين « أ » وحدوث السرطان . وفى دراسة أجريت فى النرويج وجد أن الرجال الذين تناولوا فيتامين « أ » أكثر من المعدل الطبيعى كانت نسبة إصابتهم بسرطان الرئة أقل من نسبتها فى الرجال الذين لم يكثروا من تناول هذا الفيتامين . وهناك نتائج مماثلة توصل اليها الباحثون فى كل من اليابان وسنغافورة والولايات المتحدة الأمريكية .

كما ثبت وجود علاقة بين نقص تناول فيتامين « أ » وحدوث سرطان المثانة البولية وسرطان الجزء العلوى من الجهاز الهضمى وسرطان الثدى . وعند تفسير نتائج هذه الأبحاث يجب الأخذ فى الاعتبار تنوع مصادر فيتامين « أ » . فهو بهيئته الكاملة كفيتامين يوجد فقط فى الأطعمة ذات المصدر الحيوانى . أما المصدر النباتي « الخضراوات » فتحتوى على مجموعة من مركبات الكاروتين وبعض هذه المركبات يمكنه التحول فى الجسم الى الراتينول (فيتامين أ) .. والمعروف أن مركبات الكاروتين من النوع « ب » هى وحدها التى تتحول بعد امتصاصها الى « جزيئين » من الراتينول . ولما كانت هذه الدراسات السابقة الذكر اهتمت بالسؤال عن المصادر النباتية أكثر من المصادر الحيوانية ، لذلك يجب أن نقول إن مركبات الكاروتين من النوع « ب » ، وليس فيتامين « أ » هى التى تقى الجسم من شر السرطان . ولقد ثبت حالياً وجود علاقة بين تناول مركبات الكاروتين من النوع « ب » وبين الوقاية من سرطان الرئة (لوحة رقم ٢) .

وفى دراسة أجريت حديثاً فى الولايات المتحدة وجد أن سرطان الرئة تزيد معدلاته مع انخفاض مستوى الراتينول فى الدم ، ورغم أنه بات من المؤكد أن ارتفاع مستوى الراتينول فى الدم يقى من سرطان الرئة الا أن العوامل التى تتحكم فى مستوى الراتينول مازالت مجهولة . فالثابت إلى الآن أن كثرة تناول فيتامين « أ » أو مركبات الكاروتين من النوع « ب » لا يعنى بالضرورة ارتفاع نسبة الراتينول فى الدم الا فى حالات النقص الشديد لفيتامين « أ » .

لذلك فالنتائج التى تشير الى أن سرطان الرئة يصاحبه انخفاض الراتينول بالدم لا يعنى بالتالى أن نقص تناول الأطعمة المحتوية على فيتامين « أ » ومركبات الكاروتين يرتبط بسرطان الرئة .

ولكن كيف وبأى وسيلة يستطيع فيتامين « أ » أو مركبات الكاروتين أن تقى الجسم من شر السرطان ؟

ربما عن طريق التحكم فى انقسام الخلية والمعروف دور فيتامين « أ » فى هذا التحكم .

وربما يؤثر فيتامين « أ » فى زيادة امكانيات الجهاز المناعى للجسم .

أما الكاروتين فربما يمنع التفاعلات المؤكدة فى الجسم ، وبالتالى يحد من اتلاف المادة دى . ان . ايه D. N. A. الموجودة فى نواة الخلية .

ورغم الدراسات التى تشير الى أن تناول الخضراوات نظراً لاحتوائها على الكاروتين يقى من خطر السرطان ، الا أن البعض يرى أن هناك مركبات أخرى غير الكاروتينات تقى من السرطان . لذلك يجب إجراء دراسات متعددة باستخدام مركبات الكاروتين (والتى لحسن الحظ ليس لها أى أخطار جانبية حتى وعند اعطائها بجرعات كبيرة) ولاشك أن هذه الدراسات فى المستقبل ستزيل الكثير من الغموض الذى لازلنا فيه .

فيتامين ج :

أشارت بعض الدراسات مؤخراً فى انجلترا الى وجود علاقة بين نقص فيتامين ج والسرطان .. وفى دراسات أخرى أجريت فى إيران وجد أن نقص فيتامين ج يصاحبه ارتفاع فى معدلات سرطان المرىء .. وفى ايسلندا وجدت علاقة بين نقص فيتامين ج وسرطان المعدة . (لوحة رقم ٣) .

وأخيراً وجد فى الولايات المتحدة أن تناول خضراوات معينة يحد من خطر سرطان المعدة .. كما وجد أن الموالح (والتي تعتبر بحق من أغنى المصادر لفيتامين ج) ليس لها نفس التأثير الواقى ضد السرطان .

ورغم تناقض النتائج التى توصل اليها العلماء حول فعالية فيتامين « ج » فى الوقاية من السرطان ، فان البعض بدأ يفترض بطريقة نظرية ميكانيكية تأثير فيتامين « ج » ضد السرطان ، وأهم هذه النظريات :

- أن فيتامين « ج » له دور حيوى فى تكوين المادة البين « خلوية » والتى تجعل الأنسجة مترابطة مع بعضها البعض .
- يعمل فيتامين « ج » على تنشيط الجهاز المناعي فى الجسم .
- يساعد فيتامين « ج » على الحد من انتشار السرطان بتكوين كبسولة حوله .
- ربما يتم التأثير عن طريق تثبيط تفاعلات الأكسدة .
- فيتامين « ج » يمنع تحويل مركبات النيترات والمركبات المحتوية على عنصر النيتروجين الى مركبات لها القدرة على إحداث سرطان المعدة . لذلك فالدليل على فعالية فيتامين « ج » فى الوقاية من السرطان وخاصة سرطان المعدة مازال دليلا ضعيفاً يحتاج الى المزيد من البحث والدراسة .. ولكن من المتفق عليه ضرورة إعطاء كميات إضافية من فيتامين « ج » (من ٦٠ الى ٢٠٠ ملليجرام يومياً) خاصة فى الأشخاص المعرضين للاصابة بسرطان المعدة .. اذ أن هذا الاحتياط لن يضر فى شىء .

فيتامين هـ :

هذا الفيتامين رغم كل ما كتب عنه الا أنه ليس لدينا للآن دليل قاطع على فعاليته فى الوقاية من السرطان . وربما يتم ذلك عن طريق تثبيط تفاعلات الأكسدة داخل الخلية ، وبالتالى لا يحدث أى اتلاف لمادة ال دى . ان . ايه الموجودة فى نواة الخلية .

والحقيقة أن هذا الفيتامين الهام يحتاج الى المزيد من الابحاث للتأكد من دوره فى الوقاية من خطر السرطان .

عنصر السلنيوم :

يعتبر عنصر السلنيوم من العناصر النادرة ، والتى تلعب دوراً هاماً فى تنشيط أنزيم الجلوتاثيون بيرادكسيداز Glutathione Peroxidase وهذا الأنزيم يحد من تفاعلات الأكسدة على مستوى الخلية .

وتشير الدراسات الى أن بعض المناطق فى الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم التى تفتقر تربتها الى عنصر السلنيوم ترتفع فيها معدلات السرطان أكثر من المناطق الغنية بهذا العنصر .

وتشير الدراسات الى وجود علاقة بين سرطان الثدى وسرطان القولون ونقص تناول عنصر السلنيوم .

والحقيقة أن عنصر السلنيوم يقل مستواه عن المعدل الطبيعى فى مرضى السرطان .. لذلك فمن الممكن أن يكون هذا النقص نتيجة حتمية للمرض وليس سبباً فيه .. ففقدان الشهية أو قلة تناول الطعام وما الى ذلك مما يصاحب مرض السرطان ربما يؤدى إلى النقص فى عنصر السلنيوم . وهذه المشكلة مازالت قائمة ومن الصعب التغلب عليها إلا عن طريق القياس المستمر لعنصر السلنيوم بطريقة منتظمة ، ولأكثر من ٢٠ سنة على مجموعة من المتطوعين الأصحاء ، ثم من يصاب فيهم على المدى الطويل بالسرطان يتم مقارنة مستوى عنصر السلنيوم لديه قبل وبعد ظهور المرض . ويستحسن عدم الاعتماد على مستوى عنصر السلنيوم فى الدم كدليل لنا .. فقياس مستواه فى « الشعر » وفى الأظافر يعكس لنا بطريقة أدق مقدار ما تناوله الفرد من هذا العنصر فى الطعام ولاشك أن الحصول على هذه العينات أيسر . كما أن الاحتفاظ بها لمدة طويلة لا يؤثر عليها . ولا يحتاج الى أى احتياطات . لذلك يستحسن فى الدراسات القادمة الاعتماد على هذه العينات بدلا من عينة الدم .

أما ميكانيكية عنصر السلنيوم فى الوقاية من السرطان ، فيمكن تفسيرها كالآتى :

- أن للسلنيوم تأثيراً مضاداً لتفاعلات الأكسدة .
- أن عنصر السلنيوم يزيد من كفاءة الجهاز المناعي للجسم .

سرطان القولون والأغذية ذات الألياف :

العلاقة بين سرطان القولون ونوع الغذاء معروفة منذ فترة ليست ببعيدة وأول من أشار إليها الدكتور « وانيس بركت » الذى أكد أن انخفاض نسبة سرطان القولون فى بعض المناطق فى أفريقيا يرجع الى كثرة تناول الأغذية ذات الألياف .

وتشير التقارير الى أن نسبة سرطان القولون فى الدول الغربية تصل الى ثمانية أمثال نسبتها فى العديد من الدول النامية .. كما أن المهاجرين من الغرب الى الدول النامية تصل نسبة سرطان القولون فيهم الى نسب مماثلة لمجتمعاتهم الجديدة . ورغم أن تناول الأغذية المحتوية على الألياف يكثر فى الدول النامية والتى تقل فيها نسبة سرطان القولون ، الا أن هناك العديد من أوجه الاختلاف فى نوعية الغذاء من حيث كمية اللحوم والدهون وغيرها .

وتشير الأبحاث التى أجراها « ليو » سنة ١٩٧٩ الى أن العلاقة بين قلة تناول الالياف وسرطان القولون ترجع أساساً الى كثرة تناول الأطعمة المحتوية على الكوليسترول فى الدول الغربية والتى يكثر فيها سرطان القولون .

وفى النرويج وفى مدينة نيويورك بالذات واليونان وجد أن تناول الخضراوات والفواكه بكثرة والتى تعتبر من أغنى المصادر للألياف وللفيتامينات يصاحبه قلة حدوث سرطان القولون .

والدور الذى تلعبه الألياف فى الوقاية من سرطان القولون غير معروف للآن ، ولكن قد تعمل الألياف على الحد من نشاط وفعالية المواد المحدثة للسرطان ، أو عن طريق تغيير نشاط البكتريا الموجودة فى تجويف القولون ، وبالتالى تحويل المواد المحدثة للسرطان الى مواد أخرى خاملة .

ورغم أن الأبحاث التى توصلنا اليها مازالت فى خطواتها الأولى . إلا أن الدور الذى تقوم به الألياف فى حماية القولون من السرطان بات من الأمور المقبولة من الناحية العلمية .

الدهون والكوليسترول وسرطان القولون

يعتبر البعض أن كثرة تناول الدهون يزيد من احتمال حدوث سرطان الامعاء الغليظة . ويضاعف هذا الاحتمال قلة تناول الألياف .. وفى دراسة أجريت حديثاً فى اليابان وجد أن كثرة تناول الدهون واللحوم تزيد من نسبة حدوث سرطان القولون .

وفى دراسة أخرى أجريت حديثاً فى اليابان وجد أن الأشخاص الذين يتناولون الأدوية المخفضة للكوليسترول فى الدم ، وذلك بطردها الى القولون ، تزيد فيهم نسبة حدوث سرطان القولون عن غيرهم . وهذا يؤكد أن زيادة إخراج مركبات الكوليسترول عن طريق القولون يزيد من حدوث سرطان القولون . وبذلك لا يرتبط سرطان القولون بمستوى الكوليسترول فى الدم ولا بكمية الكوليسترول فى الطعام بقدر ما يرتبط بكمية الكوليسترول التى تمر الى القولون من خلال العصارة الصفراوية . ويلاحظ أنه فى حالة إزالة الحويصلة الصفراوية يرتفع مستوى بعض المركبات الثانوية الصفراوية فى القولون ، مما يفسر لنا السبب فى زيادة حدوث سرطان القولون وخاصة على الجانب الأيمن بعد إزالة الحويصلة الصفراوية .

من هنا يتضح أن العلاقة بين كثرة تناول الدهون وسرطان القولون مازالت فى حاجة الى مزيد من الدراسة ، ولو أن التجارب التى أجريت على حيوانات المعامل تؤكد بشدة على وجود هذه العلاقة .

الدهون وسرطان الثدى :

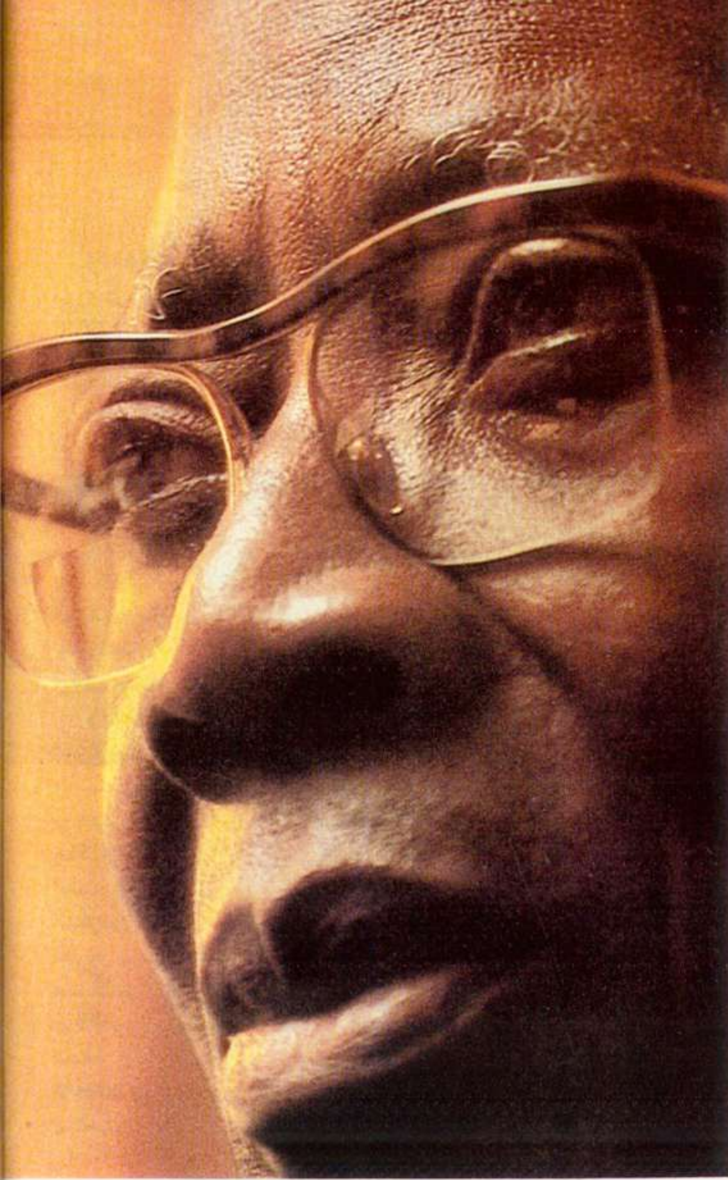
تنخفض نسبة سرطان الثدى فى اليابان وغيرها من دول الشرق الأقصى ومعظم دول العالم الثالث . إذ تبلغ نسبة حدوثه فى هذه الدول بالمقارنة الى الولايات المتحدة ودول أوروبا بمعدل ١ : ٥ . وتشير الدراسات الى أن ابنة المهاجر اليابانى مثلا الى الولايات المتحدة وليست زوجته أكثر عرضة لسرطان الثدى .. وتصل نسبة حدوثه فيها الى نسب مماثلة لسكان الولايات المتحدة الأصليين .

والعلاقة بين سرطان الثدى ونسبة الدهون فى الغذاء من بين الدراسات الهامة التى تهتم بها العديد من المراكز الطبية فى العالم . وميكانيكية تأثير الدهون فى حدوث سرطان الثدى مازالت مجهولة ، وتفسرها العديد من النظريات . وأحدث هذه النظريات تشير الى أن الدهون تؤثر على عمليات « الايض » الخاصة بمركبات الاستروجين . والمعروف أن هناك علاقة وثيقة بين هرمون الاستروجين ومستقبلات الاستروجين الموجودة فى خلايا الثدى وسرطان الثدى .. ومن هنا كانت العلاقة بين سرطان الثدى وزيادة تناول الدهون .

وبعد فلاشك أن العلاقة بين الغذاء الذى نتناوله والوقاية من خطر السرطان من الموضوعات القيمة الجديرة بالمزيد من البحث والدراسة ، للتأكد من حقيقة النتائج التى توصلت اليها المراكز الطبية ونشرتها مؤخراً المجلات الطبية ، كما أن التوسع فى البحث فى هذا المجال قد يكشف عن العديد من المواد الغذائية الأخرى ذات التأثير الواقي من خطر السرطان .

سامى عزيز

محمود قاسم



سنجور

من الشعر إلى رئاسة الجمهورية وبالعكس!

الشاعر والمفكر الافريقى ورئيس السنغال الأسبق : ليوبولد سيدار سنجور

في الأسبوع الأول من عام ١٩٨٥ زار المنطقة العربية الشاعر والمفكر الافريقى الكبير ورئيس السنغال الأسبق ليوبولد سيدار سنجور أحد أبرز رجال القارة السوداء فى السنوات الأخيرة ، والذى تربع على عرش الحكم أكثر من عشرين عاماً لم تشهد بلاده إبانها أية قلاقل .. وقد حظي سنجور باحترام كل الأطراف فى جميع أنحاء العالم . فكان رجل دولة وقلم . فهو الى جانب أنه رئيس دولة ، فهو عضو فى الاكاديمية الفرنسية ، وهى ظاهرة تلفت الأنظار . حيث أن الفرنسيين ينظرون اليه كفرنسى أسود .. خاصة أنه متزوج من فرنسية منذ سنوات طويلة .

وقد صدر حول الشاعر والفنان والسياسى كتاب بعنوان « مولد أفريقيا الحديثة » كتبه ارنست ميلسان ومونيك سورديه . وقد كتب مقدمته رئيس الجمهورية الفرنسى السابق جورج بومبيدو بصفته زميلا قديما لسنغور فى الجامعة ، ورئيس دولة أيضاً . وعنه يقول : « ارتبطنا معاً لسنوات طويلة . هل كنت ذا تأثير عليه ؟ لا أعرف . ولكننى ساعدته فى حياته الصعبة كزنجي فى وسط أقل عنصرية . ولكن أحياناً تحدث مواقف مختلفة . انه أكثر الأفارقة فرنسة ، وأكثر الفرنسيين أفرقة ..

ولأن كتاب « مولد أفريقيا الحديثة » أشبه بعرض لحياة سنجور فاننا سنرجع أيضاً الى كتاب آخر نشر حوله فى عام ١٩٨١ بعنوان « شعر الحركة » قدمه الصحفى التونسى محمد عزيزة وهو عبارة عن حوار طويل معه تناول فيه حياته ،





ماذا يقول سنجور فى حواره الطويل مع الصحفى التونسى ؟



الشاعر السنغالى سنجور مع زوجته الفرنسية .

وأفكاره السياسية وعلاقته بالشعر وارتباط بلاده ببلاد العالم ، ورأيه فى مستقبل دول العالم الثالث واقتصادياته .. وهى أحاديث متشعبة سوف نورد فيها ما يهم القارىء العربى .

ولد سنجور عام ١٩٠٦ فى مدينة جول الساحلية الصغيرة من أب كاثوليكى يعمل بالكنيسة . وكان رجلا ثرياً يتاجر فى الأرز الى جانب عمله الآخر . عاش سنوات حياته الأولى فى ظل هذا الثراء « أحس بأن بلادى هى أمى . أسرتى الحقيقية هى الأسرة « الأموية » . الأسرة التى تفهم كل السلالات التى تحيطها .. وقد هرب الطفل وهو صغير كى يعيش فى منزل خاله . قريبا من الغابات فلقد جذبته الطبيعة وحياة الحيوانات وغموض الكون . وعندما عاد الى أسرته مرة أخرى كان رأسه مليئاً بحكايات الأساطير وقد تكدست أمام عينيه حلكة الليالى الأفريقية .

الرغبة فى القراءة

فى عام ١٩١٣ ترك سيدار مدينته مرة أخرى كى يستقر فى « جلور » لمدة عام ويتلقى فيها تعليمه . وقد اصطحبه فى رحلة التعليم أخوه سيمون . فى المدرسة بدأ يحس بروح الأشياء وبرغبته فى القراءة . فكان يجلس الى جانب رجل يروى له القصص الشعبية يسمع منه حكايات أفريقيا وأساطيرها والتى منها استمد أشعاره .

التحق عام ١٩٢٢ بمدرسة ليبرمان فى داكار العاصمة . وقد أرسلته المدرسة الى فرنسا كى يستكمل تعليمه . فحصل عام ١٩٢٧ على البكالوريا فى الأدب . والتحق بعد ذلك بالجامعة . وحصل على شهادة الليسانس ثم عاد الى السنغال مرة أخرى حاملا معه صداقة عميقة ربطته بالشاب جورج بومبيدو . رحل سنغور فيما بعد الى العديد من البلاد منها تركيا واليونان ، وذلك قبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية فى عام ١٩٣٤ . وأثناء هذه الخدمة عين مدرساً فى ليسيه ديكارت بباريس .

ولذا فإنه سرعان ماسافر الى فرنسا كى يعمل مدرساً . ثم نشر مقاله السياسى الأول عام ١٩٣٩ بعنوان « ما يأتى به الرجل الأسود » قبل إعلان الحرب العالمية الثانية بأيام .

وقد بدأت الحياة الحقيقية لسنجور فى مارس ١٩٤٥ . حين تم انتخابه عضواً للجنة الاستشارية بباريس . وفى نفس الشهر نشر ديوانه الأول « أغنيات الظل » الذى يغلب عليه طابع الوحدة والميل الى الكآبة . فالموتى يهيمنون دائماً على الأحياء فى كل تصرفاتهم . يطاردونهم بأشباحهم .. يحتشدون فى ذاكرتهم .. ومن هنا تمتزج الرؤية .

أما ديوانه الثانى « الضحايا السود » فقد نشره بعد ثلاثة أعوام من ديوانه الأول . وهو يبدو أكثر فرنسة من ديوانه السابق ، حيث يتغنى بباريس ومعالمها وميادينها ونهارها وليلها بعد أن تغنى فى ديوانه الأول بقريته وبلاده .

فى عام ١٩٥٥ عين سنجور سكرتيراً لرئاسة

سنجور

من الشعر إلى رئاسة الجمهورية وبالعكس!

مجلس الدولة . وبعد عامين تزوج من الآنسة الفرنسية كوليت هوبر التى يعيش معها فى سعادة بالغة حتى الآن . عين فى مجلس الدولة عام ١٩٥٩ وتولى رئاسة السنغال فى الثالث من مارس عام ١٩٦٣ . وظل فى المنصب حتى عام ١٩٨٠ حيث قدم استقالته ، وهى ظاهرة غير مألوفة للنظم الحاكمة فى أفريقيا . ولم يبح سنجور حتى الآن بالسبب الحقيقى الذى دفعه الى الاستقالة فهو لم يعتزل العمل السياسى حتى الآن حيث يعمل رئيساً لمجموعة افريقية سوف تعقد جمعيتها العمومية فى مورشيوس فى مايو ١٩٨٥ لبحث المشاكل الاقتصادية فى أفريقيا .

وسنجور لم يكتب الشعر السياسى . فأشعاره انطباعات شخصية . أغلبها تتعلق بالأماكن التى زارها وعاش فيها خاصة مدينة باريس . ومدينته « جول » :

جول .. أذكر
أذكر الأعشاب النائمة
والمشاهد الجنائزية المليئة بالألم .
الدماء والجوع المختنق
والموت الأسود يغنى

الحياة العامة

ويقول عن شعره : « أشعر لو أننى بقيت مدرساً فان شعرى سيكون أقل ثراء وأكثر رخصاً . لأن مادته هنا هى الحياة العامة : حياة أبناء شعبى . ففى شعرى أحاول أن أعبر عن حياتى الخاصة لكننى بالتأكيد أعبر عن نفس الزنجى فى أفريقيا . وعندما أعيش فى الريف . وأرتبط بالفلاحين فقط فسوف تكون حياتى الجماهيرية أقل كمالا . لأنها لرجل أقل إحساساً . أما أولى فى السنغال هى التعليم والتكوين الثقافى ، حيث ترتفع نسبة الأمية فى بلادنا الى ٣٠٪ من شعبنا » .

« واذا كان هناك تضاد فهو يتعلق بالعمق . وأنا عامة يهمنى أن أرتب حياتى وأنسق بين واجبى كرئيس جمهورية ومهامى ككاتب ،لكن رئيس الجمهورية مضطر دائماً أن يصدر قرارات صارمة . وليس هذا راجعاً لمزاجه أو لأسلوب تفكيره . وسوف أذكر لك مثالا واضحاً . فى عام ١٩٦٦ كدت أن أموت حين حاول أحد المتعصبين اغتيالى . هذا الحادث أثر فى كثيراً . وقد وضعت نفسي مكانه محاولا أن أفهم سبب تعصبه . لماذا يخاطر بحياته من أجل فكرته . وددت أن أعفو عنه . لكن كل المسئولين الذين كنت أستشيرهم ــ وكل الناس حولى ــ قالوا انه يجب ألا أعفو عن هذا الرجل ، وإنه بمثل هذا التصرف لا يمكن أن نحكم السنغال ... وقد انتابتنى الكوابيس المرعبة طيلة أسابيع ثلاثة مما مس شغاف التضاد العميق فى داخلى . فلا يجب أن نحكم على الأشياء من مظهرها الخارجى . ولكن بالعمق . والسلوك الجماهيرى العام » .

« وهذه المشكلة ليست صعبة على التفسير فعلى الشاعر ورئيس الجمهورية أن يوفق بين واجباته كرئيس وإخلاصه للشعر ولمشاعره وأحاسيسه . ويكفى لرئيس الجمهورية أن يقع تحت طائلة مسائل الانتخابات وسياسة الساسة وأن يتقمص نفسية شعبه . وهكذا يجب أن يكون الرئيس فى العالم الثالث » .

وعن نفسه يتحدث قائلا : « اسمى ليوبولد سيدار . وفى حفل تعميدى لم اسم سوى ليوبولد وفى عيد ميلادى سميت سيدار . وقد سميت ليوبولد لأن أحد أصدقاء أبى كان له هذا الاسم . ولأنه أيضاً إسم الأمير الأكبر آنذاك ببلجيكا . الأمير ليوبولد الثالث ، وقت أن كانت الأسماء تقليعة . أما سيدار فهى تعنى بلغة قومنا « الذى لا يخجل » أو « الذى لا يمكن أن يستحى » . واطلاق مثل هذه الأسماء شىء مألوف فى بلادنا . فقد تكون سعيد الحظ اذا سميت « أيها القبيح » أو « لا أحد يفهم » .. وقد قالت لى أمى : عندما ولدتك كنت ضعيفة .. ولهذا أطلقوا « سيدار » عليك . أما سنجور فهو اسم ذو أصل برتغالى ..

وقد حدثنى أبى أن أسلافه قد جاءوا من الجامبو فى الشمال . وقد عشت حتى عام ١٩١٣ فى جو محموم . فقد انشغل خالى بتعليمى للدين وعلمنى أبى الجانب الاجتماعى فى الحياة العامة . وقد تأصلت حياتى فى هذه الفترة داخل أسرتى . فكثيراً ما صحبنى خالى الى المقابر . وعندما كنت أمرض كان يعتنى بى . لقد انغمست تماماً داخل هذا العالم الذهنى الذى أثر فى بعمق . ولهذا فاننى أتحدث فى أشعارى دائماً عن « مملكة الطفولة » . فليست هناك حدود بين الموتى والأحياء كأنهم موجودون معاً . وكنا نعتقد أحياناً أننا نرى نفس العالم حاضراً معنا وأصحابه فوق الأرض أمامنا . كان ذلك يحدث عندما كنت فى السابعة من عمرى » .

هذه القصيدة

ومن هذه القصائد التى نشرها حول طفولته نورد القصيدة التى ترجمها الدكتور على شلش فى كتاب : « سبعة أدباء من أفريقيا » الذى ألفه جيرالد مور :

أذكر الولائم الجنائزية وبخارا
من دم القطعان السمينة
يتصاعد فى أفقها
أذكر ضجيج الخناقات والتراتيل .
أذكر الأصوات
وهى تترنم بالأناشيد
أذكر المواكب والنخيل وأقواس النصر
أذكر رقص الفتيات
وفرقة المصارعين ــ ياللروعة !
وآخر رقصة يؤديها الشبان ،
وهم ماثلو الصدور
وصيحة الحب الجهيرة التى
تطلقها النساء (يحيا الحب) .

ورغم أن سنجور قد ترك منصب الرئاسة باختياره ، الا أنه كما أشرنا لم يترك الحياة السياسية تماماً . وقد نشرت مجلة الاكسبريس ملفاً حول سنغور فى ٣ يونيه ١٩٨٣ تحدث فيه عن المجاعات المرتقب حدوثها فى أفريقيا وعن ظروف القارة ومشكلة الجمهورية الصحراوية . كما أنه فى كتاب الصحفى التونسى محمد عزيزة قد تحدث عن العديد من المسائل السياسية نورد هنا منها رأيه فى عدم الانحياز حيث يقول :

« عدم الانحياز مبادرة للحد من الدور الأوربى الأمريكى . ولهذا يجب أن نبدأ بتكريم الآباء المؤسسين مثل تيتو وناصر ونهرو . انهم « ثلاثى العالم الثالث » . وفى عام ١٩٧٥ وبمناسبة زيارتى الرسمية ليوغسلافيا تحاورت مع الرئيس تيتو . فى حوار شمال ــ جنوبى حول المشكلة الاقتصادية الجديدة . نصحنى أن أناقش الأمور حتى نهايتها وألا أفسدها . هذه هى روح عدم الانحياز . الحوار مع كل الأطراف من أجل العثور على الحل الأمثل . ولكن دون أن نتنازل . ودون أن نفسد الأشياء مع من نعترض عليهم » .

« عدم الانحياز هو عبارة للإجابة على التحدى الأوربى ــ الأمريكى . أول مؤتمر فى باندونج قد حدد خطاً سياسياً لعدم الانحياز . فى القمة الرابعة عام ١٩٧٦ فى الجزائر وضعوا نظاماً عالمياً اقتصادياً جديداً . كانت النتيجة هى النصر الأول الذى حصل عليه فى نيروبى » .

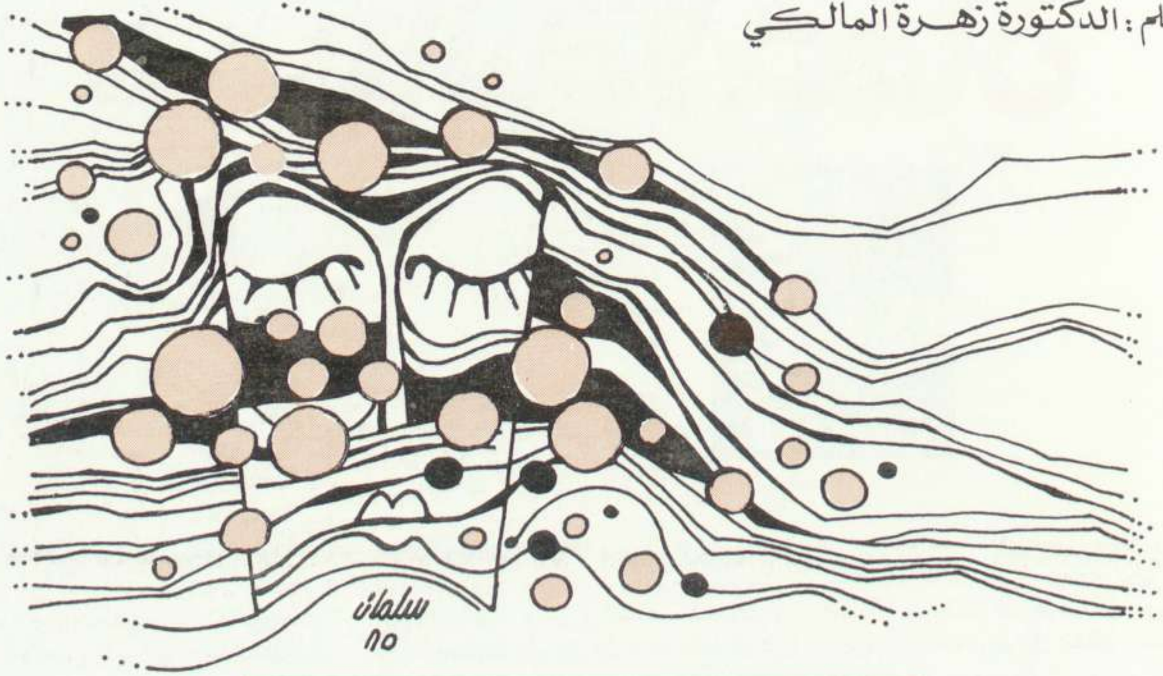
سنجور رجل شاهد على العصر .. ومرآة له .. وهو رجل أجدر بأن نعرف عنه الكثير فى عالمنا العربى . والطريف ان سنغور ليس وحده الذى عمل بالأدب . فقد ظهر فى عام ١٩٨٤ كتاب يضم مجموعة من القصص كتبها صديقه وزميله الرئيس الفرنسى السابق جورج بومبيدو .

محمود قاسم

نهاية حلم

قصـــــة قصـــــيرة

بقلم : الدكتورة زهـرة المالكي



ا نه يتمنى لى السعادة مع من أحب ... مسكين هو .. انه لايعلم أننى فقدت من أحب إلى الأبد

ما أقسى الصدمة على النفس حين تصدر من إنسان عزيز .. وهى تكون أكثر قسوة وأشد إيلاماً إذا صدرت بدون قصد ... فى هذا الصباح الذى بدا جميلا مشرقاً وقفت برهة فى الشرفة أطل على أشجار الحديقة التى تتعطر بالندى ... وأخذت أمتع ناظرى بمرأى شجرة الياسمين الممتدة الأغصان وقد ازدانت باللون الأبيض الناصع الذى يذكرنى بصفاء النفوس المحبة المخلصة ... وأطرب أذنى بالأغاريد العذبة التى تنشدها العصافير الصغيرة بكل براءة وعفوية ... فتنسكب فى النفس قطرة فقطرة كما تنسكب قطرات الماء فى جوف ظمآن نسي طعم الماء من طول الحرمان ... وحدثتني نفسي بأن أحاول البحث عن مزيد من السعادة ... وليتني لم أطاوعها ... فإن النفس الانسانية تقودنا بطمعها ورغبتها فى الكثير الى أن نفقد القليل الذى كان يسعدنا ويرضينا ..

واتجهت الى وسيلة تجمعنى بمن أحب ... وبعد حديث قصير لمحت الفرحة تقفز من عينيه ، وأحسست بأنه يخفى كلمات كثيرة فى صدره ... كأنما يود أن يقولها وفى نفس الوقت يود أن يخفيها ... حاولت أن أعرف فأنا لا أكتفى بما يظهر أمامى بل أعشق المعرفة وراء الظواهر الملموسة ... تلك المعرفة ذات الأعماق والأبعاد التى تجلب لطالبيها الكثير من الشقاء ..

ووجدتنى أسأله : هل تود أن تخبرنى بشيء معين ! ... اننى أرى كلاماً كثيراً فى عينيك ومع ذلك فترددك وحيرتك يحجبان هذا الكلام عنى ! ... فهلا تحدثت وأخبرتنى ؟ ..

رد على قائلا : اننى لم أعتد أن أخفى عنك شيئاً .. فأنا أعتبرك صدراً حنوناً أكشف له عن خبايا نفسى وكأنما أحدث نفسى بما يجول فى نفسى ... سأخبرك بشيء سار حدث بالأمس ولاشك أنك ستشاركيننى فرحتى وسرورى ... قلت وقد فشلت فى التكهن بما يود إخبارى به : ماذا وراءك ؟ .. لقد نفد صبرى وأنت لا تقول شيئاً ! ..

قال لى : حسناً .. حسناً .. لا تغضبى هكذا فأنا لا أطيق أن أراك غاضبة عابسة ... اننى يا عزيزتى قد خطبت إبنة خالتى بالأمس واتفقنا على موعد الزواج بعد شهر ... ألم أقل لك إنه خبر سار ؟ ... ما بالك صامتة يا عزيزتى ؟ ... ألن تهنئيني بهذه المناسبة السعيدة ؟ ! ..

أجبت فى ذهول : مناسبة سعيدة ؟! ... أجل ، أجل .. إنها كذلك ... تهانئ الصادقة لك وللعروس المنتظرة ! ..

رد والبسمة ترتسم على شفتيه : شكراً لك ... وإننى أتمنى لك حياة سعيدة مع من تحبين قريباً بإذن الله ..

ماذا يقول هذا الانسان ؟ .. إن كلماته أصبحت غريبة على مسمعي ... إنه يتمنى لي السعادة مع من أحب ... مسكين هو ... إنه لا يعلم أنني فقدت من أحب الى الأبد ! ..

هل تستطيع علوم الطب أن تمد فى حياة الإنسان حتى يعيش مائة عام ؟
وما هى قصة «الحق في الموت باحترام» ؟

للميدالية وجهان



بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

سؤال : دكتور بتلر ، هل تستطيع علوم الطب أن تمد في حياة الإنسان حتى يعيش مائة عام ؟
جواب : ليس من مانع ملزم يحول دون ذلك . كثير من اختصاصيي طب الشيخوخة يعتقدون أن العمر الطبيعي للإنسان ، كما تؤهله له مكوناته الموروثة ، هو مائة وعشرة أعوام أو ما يقارب هذا العدد من السنين .

هذا السؤال الذي بدأت به الصفحة موجه من محرر إحدى المجلات الطبية إلى الدكتور روبرت ن . بتلر مدير المعهد القومي للشيخوخة في الولايات المتحدة الأمريكية . وجواب الدكتور بتلر هو مقدمة لحديث مستفيض عن امكانية الجسد الإنساني القيام بوظائفه الحيوية قياماً كاملا مدة تنوف على القرن الكامل من الزمن ، وعما قدمته العلوم الطبية ولاتزال تقدمه لمساعدة الفرد البشري على العيش إلى هذه السن المتقدمة .

وما تحدث به الدكتور بتلر يدور حول واقع حياة الإنسان في عصرنا الحاضر في الولايات المتحدة وفي غيرها من البلدان المتقدمة صناعياً ، والمستفيدة من معطيات العلم الحديث في الوقاية من الأوبئة والأمراض قبل حدوثها وفي المعالجة منها بعد حدوثها . ربما كانت الأرقام التي أوردها هذا العالم في حديثه لاتنطبق كل الانطباق على واقع بلدان العالم الثالث ، أو علينا نحن أبناء الوطن العربي ، في الزمن الحاضر ، إلا أنه مامن شك في أننا سائرون في الطريق التي تقدمتنا بها الدول الصناعية في أمل أن نلحق بها وأن نوازيها في هذا المضمار .

لقد زاد في عصرنا الحاضر أمل الإنسان في العيش الطويل زيادة ظاهرة وكبيرة . ففي مطلع هذا القرن كان متوسط عمر الفرد في أمريكا سبعاً وأربعين سنة . أما اليوم ، ونحن في منتصف الثمانينات ، فإن الإحصاءات تشير إلى أن المولود هناك له كل الأمل في أن يعيش ثلاثة وسبعين عاماً . زادت إمكانية التقدم في السن وسطياً ما يفوق خمسة وعشرين عاماً ، وهي كما نرى زيادة ليست هينة . ومع ذلك فإن العلماء يرون أن الجسم البشري فيه القدرة على أن يعيش سبعة وثلاثين عاماً أخرى ، وأن على الباحثين أن يجدوا السبيل لتمكين الجسم من تدارك هذه الأعوام الثلاثين والسبعة التي توصله إلى مائة وعشر سنين من العمر ، فلا تضيع منه هباء ... وانهم لجادون في العمل لذلك .

والسبيل الى تدارك هذه السنين الضائعة الآن ، كما يراها العلماء ، معروفة في بعضها وبعضها لايزال قيد البحث والاستقصاء . والمعروف منها هو تجنب السموم التي يشحن بها الإنسان جسده طوعاً ، عن جهل أو تهاون ، من مثل التبغ والمشروبات الكحولية ، فتؤدي إلى الشيخوخة المبكرة المتظاهرة بتصلب الشرايين وارتفاع الضغط وتفضي إلى موت مستعجل بالآفات القلبية والوعائية . أما الشطر الذي لايزال قيد البحث والاستقصاء فهو تأثيرات الغدد الصم التي يؤدي قصور بعضها إلى تحولات تشيخ فيها خلايا الجهاز العصبي المركزي ويشيخ بها جسد الإنسان كله قبل الأوان . لقد تبين مثلا أن دماغ الشيخ يحتوي على كمية من معدن الألمنيوم تزداد بزيادته عوارض التردي والخرف ، واتهمت في هذه الزيادة الغدة نظيرة الدرق التي تقصر في عملها . كما تبين أن هورمونا معيناً ، هو المسمى ديهيدرو بياندرو ستيرون ، إذا ما زرق لحيوانات المخبر أدى إلى إبطاء الاستحالات الشيخوخية في أجساد تلك الحيوانات ، مما يشير إلى امكانية استخدامه في إقصاء أعراض الشيخوخة المبكرة عند الإنسان في مقبل الأيام .

هذان مثلان مما تحاول المختبرات العلمية في البلدان المتقدمة أن تصل فيه إلى إبلاغ الإنسان عمره الذي خلق له جسده ، وهو مائة وعشرة أعوام . إنه عمر إذا كان قد فاتنا أمل بلوغه ، نحن أبناء الجيل الحالي ، فقد لايفوت أبناءنا أو أحفادنا على الأقل . وكأن علينا أن نغبطهم ، أولئك الأبناء أو الأحفاد ، على طول العمر الذي سيبلغونه ولم يبلغه قبلهم آباؤهم وأجدادهم .

• • •

هل يجدر بنا حقاً أن نغبط الأجيال القادمة من بني البشر على هذا العمر الطويل الذي نتوقعه لأفرادها ؟

علينا قبل ذلك أن نفكر في أن علوم العصر الحديثة هي التي ستعين أولئك الأفراد على بلوغ هذا العمر الطويل .. مائة وعشرة أعوام . هذه العلوم هي حصيلة عصرنا الحاضر بمحاسنه ومساوئه ، بملذاته وهمومه . الملذات موجودة حقاً وكثيرة حقاً ، ولكن الهموم فيه تقصم الظهر وتحيل طول العيش أحياناً إلى جحيم يحاول المتمتعون به الخلاص منه . وهذا هو الوجه الآخر للميدالية . نعم ، إن الحياة الحاضرة ، ولاسيما في البلدان

الصناعية المتقدمة تغدق على إنسانها من نعم المادة مالم يكن يحلم به الآباء والأجداد . تغدق عليه النعم المادية في صباه وشبابه إلى أن تبلغ به أول الكهولة ، وهي تبدأ في الخمسين من العمر . بعد هذه السن يبدأ العمر الجديد ، كما يسميه المختصون . إنه عمر تتضاءل فيه الملذات وتكثر الهموم ، ولاسيما في عالمنا المتطور بسرعة ، الذي يصطنع في كل يوم أساليب جديدة في الإنتاج والاستهلاك متطلبا مرونة في التطابق لاتتوفر لمن قطع من مرحلة العمر نصفها . عالم يجدد شبابه باستمرار . فكأنه مصنوع للشباب ، أما من تجاوز مرحلة الشبيبة فإنه مقذوف به إلى الزوايا المظلمة المهملة .

بعد الخمسين من العمر ، إذا سلم إنسان العالم الصناعي المتقدم في أيامنا من أمراض الجسم فإن أمراض النفس لاتترك له راحة . إن تطور الصناعات المستمر ومكتشفات العلوم العصرية تجعل الآلة المعتبرة حديثة منذ ثلاثة أعوام آلة عتيقة قد امحي طرازها ، وتجعل مدير الآلة العتيقة إنساناً متخلفاً كثيراً ماتلجأ الشركة إلى استبداله بمن هو أصغر سناً وأحدث معلومات . كما أن هم البطالة والتعطل اللذين تخلقهما الأزمات الاقتصادية والتحولات السياسية أصبح سيفاً مسلطاً على الأعناق ، ربما استطاع الشباب أن يتخلصوا بخفتهم من تحت شفرته أما الذين تجاوزوا الخمسين ، ممن ثقلت خطاهم وتيبست مفاصلهم ، فيظلون في خوف دائم منه . ثم إن تهلهل الروابط العائلية وهجر الأبناء لمنازل الآباء منذ بلوغهم سن الرشد ، وأحياناً قبل تلك السن ، يسلبان من نفوس من تجاوز الخمسين إحساس الأمن في مجتمع الأسرة وغبطة الأبوة الهانئة ويشعرانهم بعزلة الشيخوخة وضعفها المرير . وحين تستجيب الدول لمطالب مواطنيها في إنقاص سن التقاعد إلى سن مبكرة فإن الراحة التي يكسبها المتقاعد في سن الخامسة والخمسين أو مادونها تتنغص بفقده لذة العمل المفيد ، وبشعوره بأن المجتمع استغنى عن خدماته واعتبره عالة لامشاركاً في الإنتاج ، فيحس بأسى الشيخوخة قبل الأوان وينصرف تفكيره إلى ملجأ العجزة الذي سيستقبله عما قريب .

هذه المشاغل النفسية مضافة إلى الارهاق الذي يخلقه الازدحام والتنافس والوقت المبرمج بالدقائق والثواني ، والمهيىء لأشهر وأعوام مقبلة ، هي للغربيين الذين تجاوزوا الخمسين من عمرهم هموم ماحقة لم نعرفها بعد في ربوعنا تمام المعرفة . إنها تتظاهر في أجسادهم وفي نفوسهم بعلل تتفاقم في أيام الأزمات المختلفة . وقد ذكر أحد الاختصاصيين الفرنسيين من أطباء الأعصاب أنه في عام ١٩٨١ ، عندما فاز الاشتراكيون بالحكم في فرنسا ، غصت عيادته بعشرات المرضى المتماثلين في وضعهم الاجتماعي والمتقاربين في أعمارهم . كانوا مدراء للشركات أو رجال أعمال كبار ، وكلهم في مرحلة الخمسينات من العمر ، وكلهم يشتكون من العنة والضعف الجنسي . لقد أثر تخوفهم من قدوم الاشتراكيين والتحول الكبير المتوقع في سير الأعمال الحرة في أعصابهم ، فأفقدهم رجولتهم وأفرغ عيشهم من لذته .

ومثل هذا ما أوردته الصحف الباريسية مؤخراً عن تأثير الشدات النفسية في أيامنا الحاضرة على أناس متميزين في المنزلة الاجتماعية والثقافية . ففي خلال أيام قليلة أعلنت وفاة أستاذين من أساتذة كلية الطب ، وهما في الخمسينات من العمر ، بصورة مفاجئة . كان موتهما في الحقيقة انتحاراً وليس وفاة طبيعية ، وفي نفس الوسط الذي ينتمي إليه ذانك الأستاذان طبقة اجتماعية وعمراً أحصيت في المدة الأخيرة أربع وفيات ، ثلاثة منها بالسكتة القلبية ورابعة بالنزيف الدماغي ، ووراء كل هذه الميتات المختلفة هموم العصر وشداته النفسية . إنها الهموم والشدات التي تجعل كثيراً من الناجحين والمحسودين على بلوغهم ذرى الشهرة والثروة والمكانة الاجتماعية يختصرون حياتهم بأيديهم في أول الكهولة تهرباً من العمر الطويل الذي يتوقعون بلوغه . نعد من هؤلاء الذين اختصروا حياتهم بأيديهم قبل أن تحين وفاتهم الطبيعية أرنست همنجواي منذ عشرين عاماً ، وآرثر كوستلر وزوجته في المدة الأخيرة .

لقد كان آرثر كوستلر ، الكاتب المشهور ومؤلف «الظلام في الظهيرة» ، وزوجته عضوين في الجمعية التي تطلق على نفسها «منظمة الحق في الموت باحترام» . إنها جمعية تسعى لتجعل من الانتحار في ظروف معينة عملا مشروعاً وتخول الأطباء أو الاهلين في تلك الظروف حق سلب حياة أعضائها أو القضاء عليهم قبل أن تحين وفاتهم الطبيعية .



الكاتب البريطاني آرثر كوستلر : كان أحد أعضاء جمعية اطلقت على نفسها « منظمة الحق في الموت باحترام » !

وتضم هذه الجمعية إلى جانب عدد من المفكرين والفنانين وذوي الشهرة العالمية الآلاف من الأفراد الذين كتبوا في حياتهم وصيات يتنازلون فيها عن حقهم في العيش إذا ما تعرض واحدهم لألم مبرح أو أصيب بداء مستعص على الشفاء ، طالبين فيها أن يقضي عليهم حينذاك بصورة أو أخرى . وفي فرنسا وحدها بلغ عدد أعضاء هذه الجمعية في آخر ١٩٨٣ أحد عشر ألفاً وسبعمائة من الأعضاء .

هذا هو وجه الميدالية الآخر لطول العمر الذي تسعى علوم عصرنا السعي الحثيث لتبلغ به غايته .

• • •

يروي أسامة بن منقذ ، ذلك الأمير الفارس الشاعر ، في كتابه «الاعتبار» حكايات كثيرة عن صيد الأسود في الغابات حول شيزر ، قلعة آل منقذ ، وفي أدغال شواطىء نهر العاصي ، ويذكر تصديه هو أحيانا بمفرده لأسد يقطع على السابلة الطريق ، وكيف كان يقضي على ذلك الأسد بضربة سيف أو طعنة رمح واحدة في مقتله . عاش أسامة ابن منقذ حتى بلغ من عمره السادسة والتسعين . وحين بلغ الثمانين كانت الشيخوخة قد أنحلت قده وأوهنت عزمه حتى لترتجف يده بالقلم بين أصابعه حينما كان يتصدى للكتابة ، فقال في ذلك :

فأعجب لضعف يدي عن حملها قلما ... من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقب طول العمر والمدد

لقد أدرك أسامة بن منقذ منذ ذلك الحين أن لطول العمر الذي تطمح اليه نفس كل إنسان ، والذي يسعى في زمننا روبرت ن . بتلر وأعوانه إلى ابلاغه إلى مائة وعشرة أعوام ، مساوئه .. وأن لهذه الميدالية في عصرنا ، مثلها في عصر أسامة بن منقذ وفي كل العصور ، وجهان .

- اشترك في التخطيط للتدخل البريطاني فى مصر . بحجة القضاء على الثورة العرابية
- حاول إقناع بريطانيا بمد مياه النيل للعريش ومنها لصحراء النقب !
- صدر وعد بلفور بجهد من روتشيلد بالذات وقبل اضطهاد هتلر لليهود
- اشترى من أرض فلسطين مائة ألف فدان حتى عام ١٩١٤



روتشيلد
والسياسة الخفية في الشرق الأوسط

قصة مليونير يهودي غامض

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

مازال كثير من الغموض يحيط بحياة هذا المليونير اليهودى روتشيلد ، وبالأمور التى لعبها على المسرح السياسى فى منطقة الشرق الأوسط لعدة سنوات طويلة . فقد كانت له مواقف أخطر بكثير من مجرد اقراض الخديوى اسماعيل قروضاً ضخمة بفوائد خيالية . وتكشف هذه الصفحات الأدوار الخفية التى لعبها روتشيلد فى التمهيد لاحتلال بريطانيا لمصر ، ومحاولته مد مياه النيل للعريش ، وعلاقته بوعد بلفور، ودوره فى تهويد الأرض فى فلسطين ..

هل كانت عائلة روتشيلد عائلة سياسية تلهث خلف المال وأعمال البنوك ؟ لقد لعب روتشيلد وعائلته أدواراً بالغة الخطورة فى مصير دول الشرق الأوسط ، وخاصة مصر وفلسطين مما يستحق الكثير من البحث والدراسة .

لم يكن روتشيلد يقف بأمواله وبنوكه وراء الجيوش ، ولكنه لعب دوراً أخطر مما لعبته هذه الجيوش . ومع ذلك ظل متستراً متخفياً . ولن تجد فى كتب التاريخ ذكراً له فى المؤلفات العربية . ولاحتى فى المؤلفات المنهجية بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

ولكنك سوف تجد فى المراجع اليهودية تفصيلا وافياً واعترافا بدور هذه العائلة ، ذكره الباحث المعروف فريدمان فى المرجع المشهور «المسألة الفلسطينية من ١٩١٤ — ١٩١٨» فى عشرات المواضع . وذكره جولدمان وموشى ديان وجولدا مائير فى مذكراتهم ، وان اقتصروا على ذكر دور العائلة فى السنوات الأخيرة التى عاصروها فقط ،

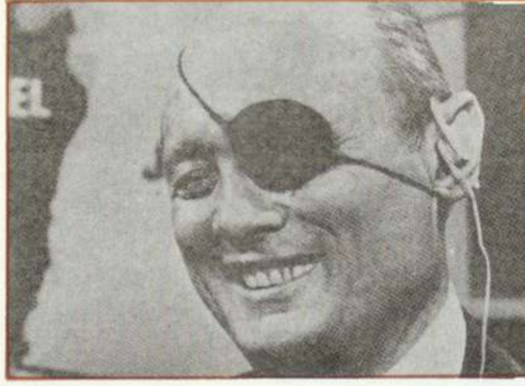
ولم يتطرقوا إلى الدور السياسى الذى لعبته تلك العائلة الثرية فى مصر وفلسطين وتركيا منذ منتصف القرن ١٩ ، ان لم يكن قبل ذلك أيضاً .

روتشيلد يمهد لاحتلال بريطانيا لمصر

قام روتشيلد باقراض الخديوى اسماعيل قروضاً ضخمة بفوائد خيالية ، وكان متأكداً منذ البداية أن الخديوى سوف يعجز عن سدادها . ولم يقتصر الاقراض على الخديوى فقط ولكن امتد إلى كل أعيان مصر وأصحاب الأراضى إذ انزلقت أقدامهم إلى هذه الهاوية أيضاً . واستمرت هذه



جيمس روتشيلد : استطاع بالمال أن يلعب دوراً أهم من دور السلاح والسياسة



موشى ديان



جولدا مائير



تيودور هرتزل



الخديوى اسماعيل

الديون وفوائدها تنخر فى هيكل المجتمع ، حتى تملك المرابون الأجانب وأصحاب الخمارات ثلث الأرض الزراعية ورهنت معظم الأرض الباقية أيضاً !

ولم يقتصر الضرر على المديونية المالية فحسب ، ولكنه جر وراءه الامتيازات الأجنبية والمحاكم القنصلية والمدارس الأجنبية واللغة الغريبة على أهل البلد والتقاليد الخارجة ، وغير مصر تغييراً كاملا ، حتى أصبحت فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين مقصد كل مغامر أوربى ، وكل من تلفظه أوربا من أفاقين ونصابين ومستغلين .

ولقد استرد روتشيلد أمواله أضعافاً مضاعفة من الفوائد ذاتها ، فضلا عن أصل مبلغ القرض . وكان واثقاً من أن أمواله لن تتكاثر فقط ، فهو يهدف إلى تحطيم مصر ، كأهم جزء من الامبراطورية العثمانية . ولقد أطلق على هذه الخطوة « خراب مصر » . وألف روزنبرج كتاباً بهذا العنوان فيما بعد . وكان روتشيلد يهدف من وراء هذا كله إلى إقامة وطن صهيونى فى فلسطين كما سنرى . ولقد استعاد أمواله التى أنفقها فى فلسطين بصورة مضاعفه .

والواقع أن الربا يجمع أموال العالم كلها فى النهاية فى قبضة المرابين لسببين أولهما أن فائدة الربا تفوق أى مكسب من تجارة ، وثانيهما أن أى تجارة إذا كسبت اليوم سوف تكسد غداً ، ثم تخسر بعد غد . بينما الربا يتضاعف غداً وبعد غد تضاعفاً مركباً .

وهذا كله يجمع الأموال في النهاية في يد روتشلد وأمثاله . وهم عندنا يقومون بما قد نظنه نحن مغامرة بالمال ، انما يدركون تماماً أنها مغامرة محسوبة ومضمونة وأكيدة . وماتراه أنت مغامرة بالمال يراه هو مكسباً ، ويرى أن المقامرة الحقيقية هى مغامرة صاحب الرأى أو صاحب الكلمة أو صاحب السيف .

وربما كان سبب الثورات الحقيقى هو اجتماع أهل الرأى وأهل الكلمة وأهل السيف لمواجهة المرابى بالمال ضيقاً به وحنقا عليه .

روتشيلد وأسهم قناة السويس

لا يوجد دستور بريطانى مكتوب . انما هى تقاليد وتراث محترم إلى درجة التقديس . مرة واحدة فقط انتهكت هذه القدسية . وليست هناك سابقة أخرى وليست بعدها لاحقة أخرى . مرة واحدة فقط . عندما قرر دزرائيلى أن يشترى نصيب مصر فى أسهم القناة . لم يطلع البرلمان على ما انتواه . ولاطلب ثمن الأسهم من الخزانة البريطانية . تكتم الموضوع تماماً . قام به فى سرية تامة . استدان من روتشيلدواشترى الأسهم ثم أطلع البرلمان بعد ذلك على الأمر الواقع .

فى هذه الحقبة التاريخية كان هناك ثلاثة صهاينة يخططون لأمر ما : دزرائيلى فى بريطانيا . روتشلد . جامبتا وزير خارجية فرنسا .

وخططوا فعلا وحدث التدخل البريطانى بحجة الثورة العرابية . ودخل ولزلى سراى عابدين وفصلت مصر عن الدولة العثمانية وأصبحت نهاية الدولة العثمانية قاب قوسين أو أدنى . وبعد قليل عندما دخل اللنبى القدس عام ١٩١٨ قال : اليوم انتهت الحروب الصليبية . وإن من يغفل عن أن

قصة مليونير

يهودي غامض

روتشلد ودزرائيلي وجامبتا كانوا صهاينة يخططون لشيء ما ــ سوف يتضح لنا ذلك حالا ــ انما هو يغمض عينيه ويحلم .

روتشيلد ومد مياه النيل إلى العريش :

حاول هرتزل وأتباعه اقناع بريطانيا وممثلها كرومر بمد مياه النيل إلى العريش . ومنها الى صحراء النقب .

وكان روتشيلد هو صاحب هذه الفكرة وتعهد بتمويلها ، على أن يسترد قرضه من الأرض أضعافاً مضاعفة ، فهي مشروع زراعي واستثماري بالغ الضخامة ، وقد عارض كرومر ــ كل المعارضة ــ هذا المشروع ، بل ودعا اليهود إلى الاستزراع والاستثمار في أوغندا البريطانية .

ويقول كامل زهيري مؤلف الكتاب الهام . « النيل في خطر » إن رفض كرومر قد يكون عائداً إلى أنه من عائلة بارنج التي تعمل في البنوك والاقراض ، ومن ثم تنافس عائلة روتشيلد وتحقد عليها .

ولكن التفسير الحقيقي لهذا الموقف لكرومر ربما كان أن وجود صحراء فاصلة بين مصر وفلسطين يشكل مانعاً طبيعياً جباراً ضد كل غزوة من ناحية فلسطين ضد مصر . وهذا المانع الحربي قد زال تماماً بعد ظهور سلاح الطيران والصواريخ .

وربما كان هناك تفسير آخر هو أن أي وجود قوي في فلسطين انما يهدد مصر . وربما كان كرومر وهو في أوج نفوذه يتصور أن الوجود البريطاني في مصر سيظل وجوداً دائماً ، ومن ثم لا يجوز وجود دولة قوية على حدود مصر الشرقية . والذي يرجح لدينا هذا التعليل هو أنه نفس التعليل الذي أحتج به النحاس باشا عام ١٩٣٤ لدى السفير مايلز لامبسون ضد قيام دولة اسرائيل .. هذا القيام الذي تم بعد ١٤ عاماً ، أي عام ١٩٤٨ .

أيا ما يكون السبب فإن فشل روتشلد في توصيل المياه إلى العريش هو الفشل الوحيد الذي أصابه في جميع معاركه الخفية خلال زحفه السري في الشرق الأوسط بطريقة التسلل بالمال .

روتشيلد ووعد بلفور :

سيجد القارىء فيما أزعم من علاقة بين روتشيلد ووعد بلفور أمراً جديداً بحيث يطالبني بذكر مصدر معلوماتي . وأكتفي بمرجع واحد يعتبر أكمل دراسة حالياً عن الموضوع هو كتاب « مسألة فلسطين » لفريدمان . وهو خريج الجامعة العبرية بالقدس ثم مدرسة لندن للعلوم السياسية ثم « معهد اليهودية المعاصرة » بالجامعة العبرية أيضاً ، وهو



السلطان عبد الحميد الثاني



كرومر

حالياً أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة درمبسي بفيلادلفيا بأمريكا .

وقد ذكر هذا المؤلف حقائق جديدة تماماً :

• أن بريطانيا كانت تخشى الانفراد دون فرنسا باصدار أي وعد لليهود خوفاً من أن تتبنى فرنسا وجهة نظر الدفاع عن العرب ، وتخلق بذلك مبرراً لتدخلها في الشرق الأوسط . وأن ادموند روتشيلد بالذات ذلل هذه العقبة تماما ، وضمن عدم اعتراض فرنسا .

• اوفد ادمون روتشيلد بعثة من طرفه وعلى نفقته إلى روسيا في عهد رئاسة كرنسكي حتى لا تعارض روسيا أي تصريح تصدره بريطانيا لصالح اليهود .

• كان المدخل إلى وعد بلفور هو ما طلبه روتشيلد عندما أدعى أن اليهود يطلبون إنشاء دولة يهودية تكون تحت الحماية البريطانية حتى إذا وافقت الخارجية البريطانية على الدخول معه في مفاوضات على هذا الأساس حول الطلب إلى شيء آخر هو مجرد إنشاء وكالة يهودية لتهجير وتوطين اليهود في فلسطين .

• ثم تزعم روتشيلد حركة تهجير يهود روسيا ولازال هو الذي يتحمل عبئها المالي ، وان كان ذلك يتم على صورة قرض بالربا . واعتبر هو أن عملية التهجير لليهود الروس عملية نزف للدم الروسي ، حيث يعتقد أن اليهود يكونون ٦٠٪ من التقدم والإنتاج الروسي !

بعد تفاهم كامل مع وايزمان ــ الذي سيصبح فيما بعد أول رئيس لاسرائيل ــ اتفق روتشلد ووايزمان على أن الخطوة المطلوبة هو تعهد بريطاني بوطن قومي لليهود صادر على هيئة وعد رسمي من الخارجية البريطانية .

وبناء على ذلك كتب روتشيلد شخصياً وبمفرده خطاباً إلى بريطانيا يطالبها بإصدار نص يتعهد بأمرين ، أولهما أن فلسطين هي وطن اليهود ، وثانيهما الإعتراف الرسمي بالمنظمة الصهيونية . وتاريخ هذا الطلب هو ١٩١٧/٧/١٨ .

وقد رد عليه بلفور بخطاب مؤرخ بتاريخ ١٩١٧/٨/١٧ بأن حكومة جلالة الملك تقبل فكرة أن فلسطين « تصاغ » على أنها وطن قومي لليهود ثم أصدر تصريح بلفور المشهور في ، نوفمبر ١٩١٧ ، وهو خطاب يقول « في ١٩١٧/٨/٢ باسم حكومة جلالة الملك أبلغكم بغاية السرور أن مجلس الوزراء قد وافق على اعلان التعاطف مع آمال الشعب اليهودي الصهيوني وأكون شاكراً لو أبلغت ذلك للرابطة الصهيونية وأعطيتها القدر الكافي من الاعلان » .

ولاحظ أنه لا يقول وطناً قوميا لليهود فقط ولكنه يقول وطناً قومياً لليهود الصهاينة ! ويطلب تبليغ ذلك للرابطة الصهيونية . فهو ليس مجرد تعاطف مع يهود مساكين لم يكن هتلر قد ظهر بعد ولا طردهم . ولكنه اعتراف وتأييد ومساندة للصهيونية .

ولقد صدر هذا الوعد أو التعهد قبل أن تقوم حركة هتلر باضطهاد اليهود المزعوم بربع قرن وقبل أن يدرك أى سياسى عربى ما هو معنى كلمة « صهيونية » .

وقد تم هذا كله بجهد من روتشيلد بالذات ، وتم على مراحل بدأت بالتظاهر بالدعوة إلى انشاء مستعمرة تخضع لبريطانيا يقيمها اليهود ثم تطورت إلى اخضاع بريطانيا ذاتها لا لليهود فقط ولكن للصهيونية . وعند التطبيق انتهت بطرد بريطانيا من المنطقة بعد جلد ضباطها عراة مصلوبين على الأشجار ونسف قيادتهم فى فندق الملك داود ! !

بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ظل روتشيلد يخطط لجعل هذا التصريح حجراً أساسياً فى السياسة البريطانية بحيث لا يتحول عنه العمال ولا المحافظون . فى ١٩٣١/٢/١٣ كتب ماكدونالد رئيس الوزراء البريطانى إلى وايزمان رئيس الرابطة الصهيونية يقول إن وعد بلفور ليس وعداً خاصاً بيهود فلسطين فقط ، ولكنه ارتباط مع كل يهود العالم ! وفى ١٩٣٢/٦/٢٧ قال دوق دوفنشير وهو فى نفس الوقت وكيل وزارة المستعمرات فى مجلس اللوردات « إن وعد بلفور هو الأساس الذى قبلت به بريطانيا انتدابها على فلسطين من جبهة الحلفاء » ! ! وظل ونستون تشرشل يحارب بشراسة أى تفاهم مع العرب كما حدث فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ محتجاً بالتعهد الذى ذكره دوق دوفنشير وماكدونالد .

وكانت عملية النفخ الدائم والدورى لوعد بلفور انما تتم بتخطيط من روتشيلد !

أما دور بيت روتشيلد بعد حرب ١٩٦٧ عندما جمع ألف مليونير يهودى فى القدس غداة حرب يونيو ، وبحثوا فيه مواضيع مختلفة من أول البترول إلى الانفتاح الاقتصادى إلى المفاعلات النووية فى المنطقة إلى دور القوى العظمى ، فسنفرد له بحثاً آخر فى القريب .

روتشيلد وتهويد الأرض فى فلسطين :

تقوم النظرية الصهيونية على أساس أن الأرض نفسها يجب أن تتهود . وهكذا أدخلت إلى الفكر اليهودى اهتماماً جديداً بحرفة الزراعة وتملك الأرض الزراعية وعدم الاكتفاء بالمال السائل أو الذهب أو السندات ..


رامزى ماكدونالد


ونستون تشرشل

وبيت روتشيلد رغم اتساع أعماله البنكية فى أوربا وبريطانيا لم يمارس تملك الأرض وشراءها الا فى فلسطين . وفى فلسطين انفرد هو وحده بها ، فروتشيلد صهيونى من أوائل الصهاينة بعد هرتزل ومن طبقة وايزمان .

واذا عرفت مبلغ بخل روتشيلد وشحه بالمال أدركت أهمية الأرض الزراعية وتملكها لدى الصهاينة . عن بخله الشديد يحكي جولدمان رئيس الرابطة اليهودية السابق فى مذكراته أنه عندما فكر فى إصدار « الموسوعة اليهودية » لكى يحيى بها اهتمام اليهود بذاتهم وتاريخهم وتقاليدهم احتار من أين يجمع المال اللازم لطباعتها . وقص مشكلته هذه على العالم اينشتين فقال اينشتين إنه صديق حميم جداً لادموند روتشيلد واعطاه خطاباً مؤكداً له استجابة فوريه من روتشيلد فلما قرأ روتشيلد التوصية طلب اعطاءه مهلة للتشاور مع أخيه فى الحجرة المجاورة . ثم خرج الاثنان من الحجرة ليفاجئا جولدمان بالرفض وبنصحه بالابتعاد عن طبع الكتب .

هذا الرجل نفسه اشترى من أرض فلسطين مائة ألف فدان حتى عام ١٩١٤ (نقلا عن المؤرخ البريطانى باركر) وعلى هذه الأرض ارتفع عدد اليهود فى فلسطين عام ١٩٣٦ حتى أصبحوا أربعمائة ألف يهودى أى حوالى ثلث سكان فلسطين عام ١٩٣٦ مما أشعل الثورة العربية من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٣٩ . وفى مطلع القرن الحالى لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يتجاوز ستة آلاف وكان هناك أمر أصدره السلطان عبد الحميد بعدم تملك اليهودى للأرض الزراعية . لا بل عدم بقائه فى قرية محددة أكثر من ستة شهور ينزح بعدها إلى قرية أخرى ضمانا لعدم تملك الأرض الزراعية !

فهذا التغيير اذن فى عقلية اليهودى نحو تملك الأرض أحدث أثراً كبيرا فى مسار القضية الفلسطينية بحيث أمكن توطين عدد من اليهود أصبح ثلث سكان البلاد قبل الحرب العالمية الثانية مما يعد فى حد ذاته انتصاراً صهيونيا أبعد مدى من الانتصارات الحربية أو السياسية ، سواء تلك التى تحققت بالحروب والسلاح أو بالمعاهدات والضغط الدولى . ولا ينقص من هذه الحقيقة أنها تمت فى هدوء وخلسة كاملة .

الخلاصة :

إن أى مشروع لقيام دولة أو مجتمع جديد يمر بمرحلة سرية قبل أن يظهر للعيان فى مرحلته العلنية ، وخلال المرحلة السرية يمكن للمال أن يلعب دوراً أهم من دور السلاح أو السياسة . وأن الجوع للأرض هو أكبر محرك للجماعات وللأفراد وللسياسيين وللجيوش ، وهو سبب كثير من الحروب ومن الأسباب الرئيسية فى نشأة الأمم أو زوالها . وان تاريخ الجماعات البشرية وتاريخ كثير من الحروب هو نتيجة تصارع على الأرض ، وأن هذا أوضح ما يكون فى فلسطين . فوعد بلفور صدر قبل اضطهاد هتلر لليهود . وتملك روتشيلد للأرض صدر قبل اضطهاد هتلر لليهود .

ابحثوا فى التاريخ عن الحقيقة ولاترددوا مزاعم تقال لكم !

السيد فهمى الشناوى

من التـــراث البحـــري

جزيرة النساء

كــل ســبع نســـاء في الجـزيرة يقابلهـــن رجـــل واحـــد

بقلم: الدكتور أنـور عبد العـليم

يضم كتاب « عجائب الهند » الذى تحدثنا عنه فى مقال سابق (عدد يناير ١٩٨٥) قصصاً كثيرة مثيرة عن البحار الاستوائية وأهوال الملاحة فيها وغرائب الحياة على جزرها . وتعتبر قصة جزيرة النساء من أمتع القصص التى وردت فى هذا الكتاب وأكثرها إثارة . وغالباً ما يعثر الملاحون على هذه الجزيرة بعد مغامرة مثيرة فى البحر تنقلب فيها مراكبهم فيتعلقون بالقوارب الخفيفة التى تحملهم الى « جزيرة الاحلام » وكأنما هى مكافأة لهم على الكرب العظيم الذى عاشوه فى البحر .

تاريخ أحداث الكتاب :

دونت مسودة كتاب « عجائب الهند : بره وبحره وجزائره » منذ ألف سنة (عام ٤٠٤ هـ) وإن كانت أحداثه قد جرت بين سنوات ٢٨٨ ـــ ٣٤٢ هـ وهى التواريخ الذى ذكرت فيها أسماء أعلام معروفة عاصرت هذه الأحداث . فقد وردت فى الكتاب أسماء مثل الخليفة المقتدر ووزيره أبو الحسن وقد توفى الأول سنة ٣٢٠ هـ والثانى سنة ٣١٢ هـ كما ورد فى « وفيات الأعيان » لابن خلكان . كما يرد ذكر « أحمد بن هلال » حاكم عمان وقد عاصر هذا الرجل المؤرخ المسعودى كما ورد ذكره فى كتابه « مروج الذهب » الذى يرجع زمن تأليفه لعام ٣٣٢ هـ . ومن ذلك قول الناخداه الذى دون قصص عجائب الهند :

« وحدثنى أبو الحسن محمد بن احمد بن عمر السيرافى أنه رأى بعمان فى سنة ثلاثمائة ـــ سمكة وقعت ببعض سواحل عمان وجزر الماء عنها فصيدت فسحبت الى البلد ، فركب أحمد بن هلال الأمير والعسكر معه وحضر الناس للنظر إليها وكان الفارس يدخل فى فكها ويخرج من الجانب الآخر وهو راكب لعظمها » (يقصد حوت البالين العظيم) .

قصة جزيرة النساء

يمكننا تلخيص أحداث هذه القصة فى أربعة عناصر رئيسية تبدأ بسفر السفينة بريح طيبة وعليها خليط من التجار وأمتعتهم وبضائعهم ووجهتها موانىء الصين ، وفجأة تهب عليها عاصفة هوجاء وهى فى بحر الصين الجنوبى فتحيدها عن مسارها وتبعدها كثيراً الى الجنوب فتضل طريقها ويضطر ركابها الى إلقاء حمولتها فى البحر وتوشك على الغرق .

ثم تحدث مفاجأة أخرى إذ يكتشف الربان على ظهرها شيخاً مسناً من أهل الأندلس كان قد تسلل الى السفينة فى غفلة من ملاحيها ، ثم يقدر لهذا الشيخ أن يلعب دوراً فى أحداث القصة فهو يتنبأ بسكون الريح وزوال الغمة وأخيراً ترسو السفينة على جزيرة سكانها كلهم من النساء . ويتمادى الملاحون فى اللهو حتى تساقطوا أمواتاً من الاعياء فيما عدا العجوز الاندلسى الذى ينجو ليقص القصة . ولا تنتهى القصة قبل أن يتحرى العجوز عن سبب كثرة النساء على الجزيرة . وسنورد فيما يلى مقتطفات من القصة حسب تسلسل أحداثها توضح أسلوب الكتابة والوصف الحي لحياة الملاحين فى بحار مجهولة منذ ألف سنة مضت . أما مغزى القصة فهو أن الانسان قد يسلم من أهوال البحر أما الخطر الأكبر عليه فيكمن فى الانهماك فى اللهو والملذات .

١ ـــ العاصفة :

يقول الراوى « وحدثنى أبو الزهر البرختى الناخده وكان من عظماء أهل سيراف ، وكان مجوسياً على دين الهند ـــ وكان عندهم أميناً يقبلون قوله ويستودعونه أموالهم وأولادهم ـــ فأسلم وحسن إسلامه وحج ، بمخاطبته امرأة من جزيرة النساء وذلك أنه سافر رجل فى مركب عظيم (١) ، ومعه خلق من أخلاط التجار من كل بلد وهم يسيرون فى بحر ملاتو (٢) وقد قربوا من أطراف الصين وأبصروا بعض جبالها فلم يشعروا الا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التى كانوا يقصدونها ، فلم يسعهم إلا الانصراف معها حيث توجهت ، وركبهم من هول البحر مالا طاقة لهم به ، ومرت



هذة اللوحة الرائعة من القرن الثالث عشر الميلادى ، توضح احدى السفن العربية التى كانت تنقل التجارة الى الهند والصين من موانىء الخليج. وكانت ألواح هذه السفن تخاط بحبال من ألياف القنب أو النارجيل (شجر جوز الهند) ...

بهم الريح إلى سمت سهيل (٣) ومن أضطر فى ذلك البحر الى أن يصير سهيل على قمة رأسه فقد دخل بحراً لارجعة له منه ، وتنكس فى لجة هابطة الى الجنوب مصوبة الى تلك الجهة فلا يستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره ، وهوى فى لجج البحار المحيطة (٤) .. ثم دخل عليهم الليل وأظلم وادلهم وحال بخار البحر ودجنته ونداه وزخره بينهم وبين النجاة ، فلم يروا ما يهتدون به ،

وهول البحر وأمواجه ترفعهم الى السحاب وتخفضهم الى التراب .. فلما طال الليل عليهم وهم يجرون فى قبضة الهلكة تودعوا وصلى كل منهم الى جهة على قدر معبوده لأنهم كانوا شيعاً من أهل الصين والهند والعجم والجزاير ، واستسلموا للموت .. وجروا كذلك يومين وليلتين لايفرقون فيهن بين الليل والنهار . فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل رأوا بين أيديهم ناراً عظيمة (٥) قد أضاء أفقها فخافوا خوفاً شديداً وفزعوا الى ربانهم (طالبين منه أن يغرق السفينة ليريحهم من العذاب ولكنه يأبى) . فلما أيسوا منه ضجوا بالبكاء والعويل وندم كل منهم شجوه وصار الربان إذا أمر مناديه أن ينادى رجاله بجذب حبل أو إرخائه ليصلح شأن المركب فلا يسمع الرجال ذلك من دوى البحر وحس تلاطم الأمواج وهدير الرياح فى القلوع والشرع والحبال وضجيج الخلائق فأشرف المركب على الهلاك ..

٢ — ظهور العجوز الأندلسى :

ويستطرد الراوى فيقول « وكان فى المركب شيخ عجوز مسلم من أهل قادس من الأندلس قد طلع الى المركب فى ازدحام الناس عند طلوعهم ليلة السفر ولم يشعر به ربان المركب وكان فى زاوية من المركب مهجورة وهو مختف فيها خوفاً من أن يعلم به أحد فيؤنب ويوبخ . فلما رأى القوم وما نزل بهم وما هم عليه من الإخطار بأنفسهم ومركبهم خرج إليهم وقال لهم ما شأنكم هل انفتح المركب ؟ قالوا لا .. قال فانكسر السكان ؟ قالوا لا .. فركبكم البحر ؟ قالوا لا ، قال فما شأنكم ؟ قالوا له كأنك لست معنا فى المركب . أما تنظر هول هذا البحر وأمواجه وظلمة الهواء الذى لم نر معه نهاراً ولا شمساً ولا قمراً ولا نجوماً نهتدى بها ، وقد دخلنا تحت سهيل وحكمت البحار والريح علينا .. وهذه النار التى نجرى إليها وقد ملأت الأفق ، والفرق أهون علينا من الحريق ، وقد سألنا الربان أن يقلب المركب بنا فى البحر فنموت غرقاً ولا نموت حرقاً . فقال (الشيخ) أوصلونى الى الربان فأطلعوه إليه (وهنا تجرى المحادثة الآتية بين الربان والشيخ العجوز) :

— الربان : من أنت ؟ من التجار أم من اتباعهم فلا نعرفك فى رجال المركب .

— الشيخ : ما أنا من التجار ولا من أتباعهم .

— الربان : فمن أطلعك إذن وما بضاعتك ؟

— الشيخ : إنى طلعت فى جمهور الناس ليلة الاسراء وأويت الى مكان فى المركب .

— الربان : من أين تأكل ومن أين تشرب وما بضاعتك ؟

— الشيخ : كان بانيان (ملاح) المركب يضع كل يوم قريباً منى صفحة أرز بسمن لملائكة المركب فكنت أتقوت بذلك وأما بضاعتى فقربة عجوة .

فتعجب الربان منه واشتغل الناس بسماع حديثه عما كانوا فيه من الضجيج وأصلح الرجال أدوات المركب ومشى فيهم مناد بتدبير الاقلاع واهتدى المركب .. وطمأنهم الشيخ وقال لهم : نجوتم بقدرة الله ، هذه جزيرة يحيط بها وتكتنفها جبال تكسر عليها الأمواج بالبحار المحيطة بالأرض .. فتباشر الناس وسكنوا الى قول الشيخ وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغم والخوف ، وتناقص الريح وصار البحر رهوا والريح رخوا .. » .

٣ — جزيرة الأحلام :

« وقدموا على الجزيرة مع شروق الشمس وتخيروا مرسى كنينا وأخذوا يطرحون أرواحهم على الرمال ويتمرغون على الأرض شوقاً إليها ولم يبق منهم فى المركب أحد وبينما هم كذلك إذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، فوقع على كل رجل منهم ألف امرأة

جزيرة النساء

أو أكثر فلم يلبثوا ان حملوهم الى الجبال . قال فلم يزالوا كذلك وكل من قويت على صاحباتها أخذت الرجل منهم . فلم يبق منهم سوى العجوز الاندلسى . فإنه جاءته واحدة أكنته فى موضع قريب من البحر وجاءت له بشىء تقويه به فلم يزل كذلك الى أن انقلب الريح من تلك الجزيرة الى الجهة التى خرج المركب منها من الهند فأخذ الشيخ قارب المركب الذى يسمى « الفلوكة » ورفع فيه فى الليل ماء وزادا فلما فطنت به المرأة أخذت بيده وجاءت به الى موضع فنبشت التراب بيديها عن معدن تبر فنقلت هى وهو منه ماصبر(٦) به القارب وأخذها معه الى البلد التى خرج المركب منها فأخبرهم الخبر وأقامت المرأة معه الى أن تفصحت وأسلمت ورزق منها الأولاد .

٤ ــ سبب كثرة النساء على الجزيرة :

ثم ان العجوز سأل المرأة عن كثرة النساء على الجزيرة فقالت له « نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة ومسافة ما بين كل بلد من بلادنا وهذه الجزيرة ثلاثة أيام بلياليها . والشمس تشرق من طرفها الشرقى وتغرب فى جانبها الغربى فيظنون أنها تبيت فى هذه الجزيرة . ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل المرأة فى بلدنا تلد أول بطن ذكراً وثانى بطن أنثيين وكذلك باقى عمرها ، فما أقل الرجال فى بلادنا وأكثر النسوان ! التى تغلب ! وما سمعنا ولا مر بنا أحد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا أحد على مر الأزمنة وان بلادنا فى البحر الأعظم تحت سهيل ولا يقدر أحد يجىء إلينا فيرجع ولا يجسر أحد يفارق الساحل والبر خوفاً من أن تشربه البحار وذلك تقدير العزيز العليم » .

جزر النساء فى التراث البحرى :

يرد ذكر جزر النساء فى كتاب « مختصر العجائب » على الوجه التالى :

« ومن ذلك أمة بجزيرة على شبه النساء يقال لها بنات الماء فى صور النساء الحسان ، ذوات الشعور السبط .. لهن كلام لا يفهم وقهقهة وضحك ، وحكى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم الى جزيرة فيها شجر وأنهار عذبة وأنهم كانوا يسمعون جلبة وضوضاء وضحكاً ، فكمنوا لهن وأخذوا منهم امرأتين فأوثقوهما وأقامتا مع اللذين أخذاهما أياماً .. وأن أحدهما وثق بصاحبته فأرسلها من وثاقها فهربت الى البحر ولم يرها بعد ذلك ، وبقيت الأخرى مع صاحبها مستوثقاً منها فحملت منه وولدت ولداً ذكراً وأنهم ركبوا البحر فلما حصلت فى المركب حل وثاقها ، فتغفلته ووثبت الى البحر ، فلما كان بعد ذلك بيوم ظهرت له وألقت إليه صدفاً فيها درّ » .

وهذه القصة محرفة عن قصة مشابهة وردت فى « عجائب الهند » رواها الربان البرختى نفسه نقلا عن خال له يقول فيها : ان التيارات البحرية توهت مركبهم فى بحر الصين فدخلوا بين جزائر ورسوا على واحدة منها فرأوا على ساحلها نسوة « يعمن ويسبحن ويلعبن » فآنسوا بهن ثم جاءهم من الجزيرة رجال ونساء تفاهموا معهم بالاشارة وتبادلوا معهم السلع بالرقيق من نساء الجزيرة ثم أقلعوا فرحين بريح طيبة وبعد يوم تغافلتهم النساء وقفزن الى الماء واختفين .

ويرد ذكر جزر النساء مرة أخرى فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى (٦٠٠ ــ ٦٨٢هـ) فى معرض الحديث عن عجائب بحر الصين فيقول : « وفى بحر الصين جزر كثيرة تتصل بجزائر الزابج (٧) والمسير إليها بالنجوم . قالوا إنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة . قال موسى بن المبارك السيرافى : دخلت عليها فرأيتها على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلآف وصيفة أبكاراً » !

وإذا تغاضينا عن التهويل الوارد فى رواية القزوينى من مضاعفة العدد وتضخيم الواقع ، فإننا نجد فى رحلة ابن بطوطة (القرن ١٤ م) وصفاً ينم عن كثرة النساء على جزر المالديف على عهده وقد عبر هذا الرحالة من ساحل المليبار الى تلك الجزر ويصفها بقوله : إنها نحو ألفى جزيرة ويكون منها مائة فمادونها مستديرة كالحلقة(٨) ، ولابد للداخل إليها من دليل . ويستطرد فيقول إن أهلها كلهم مسلمون وليس بها زرع سوى أشجار النرجيل فأهلها أكلهم السمك وهم يعلقونه للدخان حتى ييبس(٩) فيأكلونه أو يصدرونه الى الهند واليمن ، وتكثر النساء بهذه الجزر وتملكهم امرأة وقد تزوج هو نفسه منهن أربعة ومن بين زوجاته أخت الوزير . ثم إنه تولى القضاء فى هذه الجزيرة ويقول إنه لم يفلح فى حمل نسائها على ستر أجسامهن ، ولكن من كانت تدخل منهن فى خصومة وتمثل أمامه كانت تتحجب . وقد علمهن كثيراً من الأمور الشرعية وأبطلهن كثيراً من العادات السيئة ومنها « ان تمكث المطلقة فى بيت زوجها حتى تتزوج غيره » .

وفى الأساطير اليونانية القديمة كلام كثير عن نساء الأمازون وكن يشكلن قبيلة من النساء المحاربات يعشن بمعزل عن الرجال ..

جزر النساء بين الحقيقة والخيال :

إن غلبة عنصر النساء فى العدد كثيراً على الرجال فى بعض الجزر المنعزلة فى المحيط حقيقة لا مراء فيها وليست أسطورة من وحى الخيال . بل لا تزال هذه الظاهرة معروفة فى وقتنا الحاضر ، وتأكدنا من صحتها خلال عملنا فى البعثة الدولية للكشف العلمى للمحيط الهندى وعلى الأخص على جزر سيشيل المنعزلة فى وسط المحيط على خط عرض ٤ درجات جنوبى خط الاستواء بعيدة بآلاف الكيلومترات عن شواطىء القارات . وتمتاز هذه الجزر بمناظرها الساحرة الخلابة : ففيها الشواطىء الذهبية والجبال الخضراء والمروج الممتعة والغدران الصافية الرقراقة والأشجار الباسقة التى تصدح فوقها الطيور الملونة الجميلة . ناهيك بثروات الجزر الطبيعية من جوز الهند والموز والاناناس والقرفه والفانيليا وباقى الحاصلات الاستوائية .

● حقيقة وليست أسطورة : غلبة عدد النساء على عدد الرجال فى بعض الجزر

إن نسبة عدد النساء الى الرجال على تلك الجزر وقت زيارتنا لها فى عام ١٩٦٤ كانت ٧ : ١ أى بمعدل سبع نساء لكل رجل واحد ؟ هكذا تقول أيضاً النشرة الرسمية للحكومة ، ولم يكن ملاحونا القدماء والحال كذلك بعيدين عن الحقيقة حين وصفوا مثل هذه الجزر بجزر النساء .

ونساء سيشيل خليط من السود والصفر والبيض والملونين تجمعت فيهن كل صفات الجنس البشرى . ولا غرو فسكان الجزر خليط من الزنوج

والصينيين والانجليز والفرنسيين والهنود وهي الأجناس التى تعاقبت عليها فى المائتى سنة الأخيرة ، كل ذلك بالاضافة إلى بحارة السفن من جنسيات أخرى ممن تركوا حياة البحر وآثروا الحياة السهلة الناعمة على تلك الجزر . ومن ثم فإنك لتجد بين نساء الجزر السوداء ذات الشعر الأشقر والعيون الزرقاء أو البيضاء ذات الشعر المجعد والأنف الأفطس أو السمراء ذات العيون الضيقة والشعر الأحمر . ولا تأنف المرأة هناك من القيام بالأعمال الشاقة من قطع الغابات الى تعبيد الطرق الى صيد الأسماك فضلا عن ممارسة التجارة والعمل فى الحقل والبيت معاً بينما أغلب الرجال يخلدون الى الراحة والكسل .

وظاهرة غلبة النساء فى جزر سيشيل هى تجربة حديثة فى علم السكان . فحتى عام ١٧٥٦ م لم تكن الجزر مأهولة حين قدم اليها رجل فرنسى يدعى الأب روشون من جزر موريس المجاورة ورفع العلم الفرنسى على كبرى جزر سيشيل وهى جزيرة « ماهى » فصارت أرضاً فرنسية . وبمثل هذه السهولة كانت تستعمر الجزر فى الماضى .

وفى عام ١٧٧٧ م استوطنت الجزيرة تسع عائلات فرنسية أخرى من جزر موريس أيضاً وتملكت ضيعات عليها ثم صارت الحاجة ملحة لمزيد من الأيدى العاملة للزراعة فجلب الفرنسيون الرقيق السود من سواحل أفريقيا . ويروى من زار جزر سيشيل فى مطلع القرن التاسع عشر أنها كانت تزرع الذرة والأناناس والموز والبطاطا والليمون والتوابل وأنواعاً من القطن عالية الجودة ، وبها كثير من الدواجن والماشية والأغنام التى كانت تمون بها السفن العابرة .

وفى عام ١٨١٤ م تمكن اللورد ماكولى الانجليزى من ضم الجزر المذكورة الى التاج البريطانى وقدر عدد السكان فى ذلك الوقت بنحو ٢٥٠٠ نسمة أغلبهم من الزنوج . أما مساحة الأرض المنزرعة فكانت ٤٥٠٠ فدان . أما إحصائية عام ١٨٥٣ م فتقدر عدد البيض على هذه الجزر بنحو ٦٨٠ فرداً بينما بلغ عدد الزنوج نحو عشرة أمثال هذا العدد ، كما ألغى الرق فى نفس العام وصارت بريطانيا توطن الزنوج الذين تصادرهم أساطيلها فى المحيط الهندى على هذه الجزر فزاد عددهم كثيراً على عدد البيض . وبظهور أعداد كبيرة من الملونين ألغيت التفرقة العنصرية بين البيض والسود .

● نساء سيشيل خليط من السود والصفر والبيض والملونين !

● نوعية الغذاء وقوة مقاومة الأنثى للأمراض والجو : سبب تفوقها العددى !

والواقع أنه لا يوجد تعليل مقبول اليوم لتبرير هذه الزيادة الكبرى فى عدد النساء على الرجال فى جزر سيشيل والتى بلغت نسبتها كما ذكرنا آنفاً ٧ : ١ بينما النسبة الطبيعية هى ١ : ١ مع زيادة طفيفة فى عدد الأناث على الذكور .ولربما كان السبب يكمن فى نوعية الغذاء السائد على الجزر أو فى تلك القدرة التى وهبها الله للأنثى لتقاوم بها الأمراض وتقلبات الجو وتعينها على تحمل آلام الحمل والوضع والحضانة الى جانب سعيها على الرزق . وأيا كان السبب فالقول بأن النساء هن الجنس الضعيف هو الأسطورة بعينها .

انور عبد العليم

هـــوامـــش

(١) كانت مراكب العرب القديمة التى تسافر فى المحيط الهندى من الكبر بحيث تتسع لنحو ٣٠٠ — ٤٠٠ راكب بخلاف حمولتها من البضائع والأمتعة . وفى « عجائب الهند » أيضاً أن ثلاثة مراكب يقودها النواخيذ : عبد الله الجنيد وسبأ وأحمد خرجت من الخليج وعليها « ألف ومائتا رجل من التجار والنواخذة والبانانية وغيرهم من صنوف الناس وفيها من الأموال والأمتعة مالا يعرف مقداره لكثرته » قاصدة ميناء صيمور (جنوب بومباى بنحو ٢٥ ميلا) . ومن المدهش أن مثل هذه المراكب لا تدخل المسامير فى صناعتها بل كانت ألواحها تخاط بخيوط القنب أو خيوط النرجيل وتسد ثقوبها بعجينة تسمى « النورة » . ويلاحظ أن مقدمة هذه المراكب تشبه الى حد كبير مقدمة المراكب التى تصنع اليوم فى الخليج من حيث استقامتها وزاوية ميلها مع خط الماء .

(٢) بحر ملاتو هوبحر الصين الجنوبى وكان يسمى أيضاً بحر صنجى وبحر الصنف .

(٣) سهيل هو النجم الدال على القطب الجنوبى فى بوصلة الملاحة ويقابله « الجاه » فى نصف الكرة الشمالى .

(٤) كان العرب يعتقدون فى نظرية الاقيانوس أو البحر المحيط باليابسة من جميع أرجائها « إحاطة السوار بالمعصم » وهى نظرية يونانية قديمة .

(٥) النار المشار إليها تنبعث من البراكين الحية على بعض جزر المحيط وهى أوضح ما تكون أثناء الملاحة ليلا .

(٦) يصير القارب أى يوضع فيه ثقل من الحجارة أو الرصاص ليحكم اتزانه فى الماء . ويطلق الملاحون والصيادون على سواحل الأسكندرية اسم « الصابورة » أو « الصبورة » على مثل هذا الثقل . وكنت أحسب الكلمة دارجة قاصرة الاستعمال على سواحل الاسكندرية الى أن عثرت عليها فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده . وشبيه بذلك كلمة « قلفط » السفينة وهى من المصطلحات الملاحية الشائعة الاستعمال بثغور مصر وتعنى إزالة الطحالب والأصداف التى تعلق بجسم السفينة المعرض للماء ، ثم دهانها بالقار وغيره من الدهانات التى تحمى السفينة من هذه العوالق .

(٧) الزابج هى جزر جاوة وسومطرة .

(٨) وصف ابن بطوطة لجزر المالديف بقوله « ويكون منها مائة فما دونها مستديرة كالحلقة ولابد للداخل إليها من دليل » هو وصف جيولوجى رائع بمقاييسنا العلمية الحديثة ينم عن قوة ملاحظة وذاكرة قوية . ويعبر علماء الجيولوجيا البحرية عن مثل هذه التكاوين « بالأتول » وهى الجزر الحلقية المرجانية المحيطة ببحيرة ضحلة تسمى « اللاجون » وتنشأ فى وسط المحيط على رأس بركان خامد .

(٩) صناعة تدخين الأسماك لحفظها من التلف صناعة قديمة عرفها المصريون القدماء منذ آلاف السنين . وإشارة ابن بطوطة لهذه الصناعة على جزر المالديف فى القرن الرابع عشر الميلادى هى الأولى من نوعها على قدر علمنا . كما أن هذا الرحالة المغربى قد أشار الى ملاحظة أخرى طريفة وهى أن الجمال تأكل السردين على ساحل عمان وقد شاهدنا نفس الظاهرة على سواحل عدن وكل ذلك يؤيد الامكانات المهولة للثروة السمكية فى بحر العرب كما هو معروف اليوم .



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات (٤)

شيء لا يُصَدَّق:

ثلاثة أيام متواصلة من الدّموع

تواصل الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان رواية مذكراتها الرائعة فى هذه الحلقة الجديدة ، فتروى تجاربها مع الفرح والألم والإنسان والطبيعة وكيف كانت تمضى بها الحياة فى الغربة .. فى لندن .. وكيف كانت تلتقى بالوطن وهمومه وأحلامه من بعيد ..

أيامى فى انكلترا لا تنسى .

فى انكلترا عرفت الفرح الصافى ، وفيها ضربنى الموت بالصاعقة .

كان منبع الفرح تجربة رائعة ، حلوة ، تقطر عسلا ، تجربة غنية كأنما انفلتت من حدود الزمان وحواجزه ، لتصبح دقات القلب فيها هى المقياس الحقيقى للزمن . الحب يحرك الحياة ، وإن ساعة واحدة يعب فيها القلب من ينابيع السعادة يمكن أن تشمل دهراً من الغبطة والتفتح والفوحان . من الصعب توضيح هذا لمن يقيسون الوقت بالساعة فى كل الحالات والمواقف ، ولا يستطيعون قياسه بالشعور والاحساس ودقات القلب . إن الحياة لا تحتسب الا بالاحساس والشعور ، كم هى جميلة انفعالات الحياة ، وهل نرجو أكثر من أن تكون لدينا القدرة دائماً على أن نحياها بشكل غير حيادى ؟

كنت واثقة من الفراق ، من حتميته المؤلمة . كم قلت لنفسي : سأحمل حقيبتى غداً ، وأقول وداعاً أيتها البلاد الدائمة الخضرة ، ويا صيف انكلترا ما كان أغنى أماسيك المضيئة بالحب ، أماسيك ذات الأصيل الطويل ، ولياليك المتشبث بستارة الغروب ، فلا يتركها تفلت قبل العاشرة . سأترك فيك جزءاً من حياتى . سوف يؤلمنى الحنين ، ولكنى سعدت وأسعدت ، لقد حييت وجودى ولو لفترة محدودة ، وهل حياتنا الا هذه اللحظات المعاشة بعمق ؟

كانت تجربة باهرة ستظل ذكراها تبعث بالدفء الى القلب طول الحياة ، والى أن ينطفىء هذا القلب فى رماد الموت .

كان شقيق الروح A. G. جنة لقيت فى ظلها

الهدوء والسلام ، والراحة والسكينة . انسان مؤنس ، وديع ، بجانبه كان يغيب شعورى الدائم بأني قد ألقي بي في عالم أقوى مني .

على أن شجناً ناعماً ظل يمازج سعادتي وأنا في ذلك الفردوس الأرضي ، هكذا أنا دائماً ، لا تكتمل السعادة في نفسي وشعوري ، ففي أوج غبطتي يتسلل خيط رفيع من اللوعة ليسحب نفسه على مدى وجداني كله : أين أنا غداً من هذه الجنة ؟ لو يقف الزمن ، لو انني أملك الامساك باللحظات الهاربة ، اللحظات التي تتساقط قطرة قطرة في محيط الزمن لتتلاشى فيه وتندثر ثم لا تعود ، لا تعود أبداً .

لن أنسى ذلك اليوم من صيف ١٩٦٢ .

ها نحن معاً ، نمارس رياضة المشي على طرف الغابة . السكينة تغمر العالم الأخضر حولنا .. الهواء شفاف كالبللور .. الطيور تنقض من شجرة الى شجرة وغناء طائر غير مرئي يحشد المدى بمذاق الشجن .. يرهف تغريد الطائر حسي .. يتسلل النغم الى حبة قلبي مشبعاً بالهدوء والعزلة .. تحتويني فتنة غامضة .

فجأة يأتيني صوت « A » هامساً خفيضاً : هذا الطائر نادراً ما يبدو للعيان ، إنه يؤثر الاختفاء بين كثافة الأغصان ، نسمعه ولا نراه ، قلت له : تدهشني كثرة الطيور في انكلترا ، كثيرة هي بمقدار كثرة الغابات فيها . قال : هل سمعت برسام الطيور الانكليزي جون اودوبون ؟ كان هذا الرسام شديد الولع بالطيور وهو القائل إن الطائر والغابة مثل الرجل وزوجته .

الآن ، وأنا أكتب هذه السطور ، تعود بي الذاكرة الى خريف عام ١٩٦٥ عام انتقالي من بيت العائلة القديم في السوق القديم بنابلس لأستقر بما تبقى لي من سنوات العمر في بيت صغير مستقل قام لي بتصميمه جعفر ابن شقيقي ابراهيم ، كانت المنطقة المحيطة بالبيت في ذلك الحين أرضاً بوراً ، خالية الا من الصخور والتراب والأحجار ، معزولة عن حركة الحياة في المدينة لوقوعها في مكان ناء غير مأهول على الطرف الغربي من حضن جبل جرزيم .

في ساعة تأمل لفت انتباهي خلو المكان ، بل خلو المنطقة كلها من الطيور ، فلا رفة جناح ، ولا زقزقة طائر ، وكانت طفولتي قد تفتحت وشبابي قد أكتمل بين ثرثرة العصافير الصاخبة في الغدو والآصال ، حيث كانت أشجار الدار مأوى لها وملاذا على مدار العام .

في تلك الساعة استحضرت ذاكرتي ذلك اليوم مع « A » على طرف الغابة . وتذكرت قول رسام الطيور جون اودوبون عن الطائر والغابة وكونهما مثل الرجل وزوجته ، هنا أدركت سبب هجران الطيور للمنطقة القاحلة ، فحيث هناك شجر هناك طيور . ومع إطلالة يوم عيد الشجرة مضيت أغرس حول الدار شتلات السرو والصنوبر ، العامل يحفر وأنا أزرع ، ورحت أراقب نموها يوماً فيوماً ، ارعاها وأسقيها وأقيس مدى أطوالها كل بضعة



كمال ناصر



ابراهيم طوقان

أسابيع ، وكنت سعيدة فرحة بسرعة نموها ، وفي خلال عامين بدأت فرق صغيرة من الطيور تعرف طريقها الى شجيرات البستان الذى أصبح الآن يضحك ضحكاته النضرة الخضراء ، ناهيك عن ضحكات الزهور المختلفة الأنواع والألوان .

هذه الملاحظة ، ملاحظة اقتران الطائر بالشجرة إتخذت فيما بعد بعداً وطنياً في قصيدتي « الطوفان والشجرة » التى كتبتها بعد حزيران ١٩٦٧ ، فقد حملت كلمتي الطير والشجرة فيها دلالات تشير من بعيد الى الأمل والتطلع الى الحرية والانطلاق من الحصار الصهيوني لوطني :

ستقوم الشجرة والأغصان ستنمو في الشمس وتخضر
وستورق ضحكات الشجرة
في وجه الشمس
وسيأتي الطير . لابد سيأتي الطير ، سيأتي الطير



علي محمود طه

خلال عطلة أسبوعية رافقت الصديق « A » في رحلة قصيرة الى لندن وكانت قد أصبحت هوى لي منذ الزيارة التى رتبتها « مدرسة سوان » في أوكسفورد لطلابها وطالباتها . وقد قيل لنا إن لندن العظمى ابتلعت الضواحي المحيطة بها ، فالعمران قد ابتلع الأرياف ، ومع ذلك لم تبد لندن لعيني مجرد عمائر ضخمة وشوارع مكتظة بالمخازن التجارية ، فقد رأيت الحدائق التى تبلغ مساحتها مئات الدونمات تنتشر في قلبها ، والأشجار السامقة تظلل الأحياء والدروب ، ناهيك عن حدائق المنازل والحدائق الصغيرة هنا وهناك .

في معرض تيت « Tate » وقف بي « A » طويلا عند الركن الخاص بعرض أعمال الرسام المعاصر غراهام سذرلاند **Sutherland** ، رسامه المفضل . « A » نفسه يمارس هواية الرسم ، وكان أول لقاء لنا على غير معرفة ولا ميعاد في معرض للرسوم في اكسفورد ساهم فيه بعرض لوحتين من أعماله . انه هو ، « A. G. » الذى أهديت إليه ذلك العام قصيدتي (أردنية فلسطينية في انكلترا) .

لدى ميل فطري نحو فن الرسم ، وقد ظل اللعب برسم الوجوه والدور والأشجار على ورق مسودات القصيدة من العادات الملازمة لي أثناء عملية نظم الشعر . لم أحاول تنمية قدرتي على الرسم ، باستثناء بعض المحاولات التى قمت بها أيام دراستي في مدرسة راهبات مار يوسف بنابلس حيث أنجزت بضع لوحات زيتية بإشراف الراهبة « الأخت زفرين » . وظل الشعر هو البداية والنهاية ، والهدف الأول والأخير في حياتي . غير

ثلاثة أيام متواصلة من الدموع

أننى ظللت أملك القدرة على الاستمتاع والانتشاء بالفنون التشكيلية على مختلف أنواعها ومدارسها ، تماماً كاستمتاعى بالموسيقى ، فالموسيقى ، هذه اللغة التجريدية التى تخلو من المدلولات المحددة نستطيع أن ننفعل بها شعورياً ، ونحلق فى عالم معانيها ، دون أن ندرك هذه المعانى إدراكاً عقلياً .

كانت صور سذرلاند غريبة ، تم فيها تشكيل المناظر الطبيعية بطريقة تثير الوحشة فى نفس المشاهد . كان أغرب تلك الصور لوحة كبيرة أطلق عليها الرسام اسم « أصول الأرض »
The Origins of the lands
لا أزال كلما زرت لندن أعرج بمعرض « تيت » وأقف أمام تلك الصورة الغريبة التى تقبع الآن هناك معلقة على أحد جدران قاعة النحت ، وأحس بروائح الجنة تنتشر فى الأعماق من جديد ..

وقد صادف تلك الفترة افتتاح الكتدرائية الجديدة فى مدينة كوفنترى ، تلك المدينة التى دمرتها قنابل الحرب العالمية الثانية أواخر عام ١٩٤٠ . ذهبت مع « A » لمشاهدة البناية الجديدة ، وهى كما عرفت منه ، من أهم الانجازات الفنية فى انكلترا منذ الحرب العالمية الثانية .

دخلنا الكتدرائية الجديدة مع الزائرين ، وهى قائمة بجانب برج الكنيسة الذى سلم وحده من الدمار . كان هناك تمثال للقديس « مايكل » وهو يحارب الشيطان ، وقد علمت من « A » ان ذلك التمثال كان آخر أعمال سيرجاكوب ابستين Eppistien أما شباك المعمودية فقد راح يغرق صحن الكتدرائية بفيض متوهج من الألوان ، وللألوان سحرها فى نفسي منذ الطفولة ، إنها تبعث فى أعماقى بهجةكبيرة وانجذاباً غريباً ، وقد حدثت « A » يومها كيف كنت فى طفولتى أحمد الله دائماً على أنه خلق لنا الألوان ، فكم كانت الدنيا تبدو قبيحة لو تجردت الا من اللونين الأبيض والأسود ، فلا سماء زرقاء ولا أشجار خضراء ، ولا فراشات ملونة ، ولا غلالات وردية يتدثر بها الأفق عند الشروق وعند الغروب ، ولا الخ .. وضحك « A » معجباً (بالتفكير الغريب لتلك الطفلة) كما قال ..

كانت أفواج الزائرين تقف مبهورة أمام طنفسة هائلة الحجم قال لى « A » إنها من رسم سذرلاند ، صور فيها السيد المسيح على خلفية خضراء وقد طفح وجهه بالوداعة والسكينة ، وذلك بعكس صور سذرلاند الموحشة التى شهدناها فى معرض « تيت » .

هذه المشاهدات وسواها كنت أسجلها فى رسائلى الى شقيقتى « أديبة » ، ومن خلال تلك الرسائل أستحضر الآن تلك المشاهد وأحياها من جديد ، وأنا أعيد تسجيلها فى هذه المذكرات .

يالتلك الأيام مع ذلك الصديق الرائع ماكان أغناها بالغبطة واكتساب المعرفة ، لقد كان لكل شيء مذاق خاص فى احساسي ووجداني .

وكان هناك ، الى جانب هذا كله ، ذلك الشعور الملازم بتسرب الزمن والأشياء من بين أصابعى ، حيث تفلت منا المعطيات الجميلة فلا يبقى لنا الا الذكرى والحنين .

وابك على طائر رماه فتى
لاه فأوهى بسهمه الكتفا
أو صادفته حبالة نصبت
فظل فيها كأنما كتفا
بكر يبغي المعاش مجتهداً
فقُص عند الشروق أو نُتفا
كأنه فى الحياة ما فرع الـ
غصن وغنى عليه أو هتفا

« أبو العلاء المعرى »

● وتدفق دمع منهمر لا يتوقف لحظة واحدة .. من أين كانت تأتى كل تلك الدموع ؟

● عندى ميل فطرى نحو فن الرسم ، ولكن الشعر ظل هو البداية والنهاية ، والهدف الأول والأخير فى حياتى ..

فى الوطن كان سوء الحظ القدرى غيباً رهيباً مريعاً ، كان الموت متربصاً ، منتظراً لحظة وصولى أوج تجليات السعادة ليضربني بالصاعقة .

قبل وقوع الفجيعة بأيام قليلة رأيت شقيقى نمر فى حلم غريب . رأيته يخرج من بيته فى بيروت متجهاً نحو سيارة يجلس خلف مقودها شقيقي ابراهيم . وكانت أطراف سترة نمر تخفق مرتدة الى الوراء بفعل الرياح الشديدة .

جلس نمر بجانب شقيقه وانطلقت بهما السيارة دون أن ينبس أحدهما بحرف . صرخت فى حلمى بلوعة حارقة : مات نمر : هذا ما أحسسته فى الحلم ، موت نمر . ولعل عقلى الباطن كان يختزن تلك المعلومة المألوفة فى تفسير الأحلام وهى التنبؤ بموت الانسان الحي إذا رأيناه فى الحلم يذهب مع أحد الأموات . واستيقظت فوراً على أنة عميقة مشبعة بحزن عميق .

من الغريب ان ذلك الحلم لم يتسم بأية مظاهر متناقضة كما هى الأحلام فى العادة ، ولولا ظهور ابراهيم فيه وكان قد مر على وفاته أكثر من عشرين عاماً لما خرج الحلم عن المنطق فى شيء ، اذ كانت صوره كلها منظمة ، معقولة ، فكأنه لم يكن خاضعاً لقانون تلك القوة الداخلية ، قانون اللاوعي الذى تخضع له كل أحلامنا .

بقيت أتململ فى الفراش بين أنين لا إرادى وبين غفوات متقطعة قصيرة ، والقلب مثقل بغم مثل كتلة من الرصاص . حاولت اقناع نفسى بأن الأمر لا يعدو كونه أضغاث أحلام ، وأن من السخف الوقوع تحت تأثيره بهذا الشكل غير المعقول ، ولكن عبثاً ، وبقيت على خوف وتوجس طيلة الأيام القليلة التى سبقت وقوع الفجيعة .

فى الساعة الخامسة من مساء نهار الجمعة ١٩٦٣/٣/٥ م عدت الى البيت لأجد برقية فى انتظارى استلمتها من يد مسز فيتهام بقلب واجف . ارتقيت السلم الخشبى ، دخلت غرفتى مبهوتة مرعوبة ، جلست أنظر الى البرقية لبضع دقائق دون أن أجْرُأ على فتحها ، كان الرعب يشل أصابعى .

فجأة عن لي خاطر مشجع : لم لا يكون المضمون بشارة بقدوم أحد الأهل إلى انكلترا ؟ وفتحت البرقية .

العالم الخارجى يتلاشى ، ذهول ، خدر ، كل احساس لدى يصاب بالتوقف . لأول مرة فى حياتى يستعصى على البكاء ، فراغ فى الرأس ، فراغ فى النفس ، كل شيء يترك مكانه لفراغ أخرس ، غياب ، والخبر لا معنى له ، كأنه لا يدل على شيء .

هبطت السلم على غير وعى منى كالسائر فى نومه ، لم أكد أفعل حتى عدت أدراجى ، فتحت

شباك الغرفة ، موجة هواء ثلجية لطمت وجهي ، كان الليل قد هبط مثل ستارة من صقيع أسود .

قبل منتصف الليل راح جسدي يرتجف بقشعريرة عنيفة .. ها هو الفراغ يمتلىء بحزن عظيم . تهاوى جانبي الأيمن وسحبني ، فالتويت معه لا إرادياً ، التويت جهة اليمين ، وبدأت ألوب دون أن استطيع بحال من الأحوال الاستقامة في جلستي ، نفس الحالة التي عرتني ساعة تلقيت نعي ابراهيم ، وهكذا عرفت لم قرن الشعراء آلامهم وأحزانهم بالكبد : واكبدا قد تقطعت كبدي .

زحفت متحاملة وانطرحت على سريري ، هنا بدأ الينبوع الساخن المتفجر يتدفق ، حمداً لك أيها الينبوع ، لو استمر انحباسك لفجعت نفسي . دمع منهمر لا يتوقف للحظة واحدة ، شيء لا يصدق ، من أين كانت تأتي كل تلك الدموع ؟ ثلاثة أيام متواصلة ، في بكاء متواصل ، شيء لا يصدق .

في الصباح طرقت مسز فيتهام بابي ودخلت مستغربة عدم اطلالتي عليها بفنجان الشاي : هل أنت بخير ؟

كانت تحمل في يدها جريدة الديلي تلغراف . لمحت صورة أميل البستاني على صدر الصفحة الأولى مع كلمات بالخط العريض تعلن نبأ مصرعه في حادث سقوط طائرته الخاصة في البحر ببيروت مع د . طوقان .

حدقت في وجهي وقد رأت ما رأت من سوء حالي : بنيتي العزيزة ، ماذا هناك ؟ وربطت بسرعة بين برقية أمس وبين ما أنا فيه ، وانحنت تضمني بحنان ، ثم ألقت نظرة على النبأ المنشور في الجريدة . قالت : هل د . طوقان .. وألقيت برأسي على صدرها قبل أن تكمل السؤال ، فأدركت هي كل شيء .

• • •

كان نمر شقيقي وصديقي وحبيبي ، يحس بما أعانيه في حياتي ، يتعاطف معي ويهتم باهتماماتي . كان مولعاً بالشعر بالرغم من تخصصه في علم الأمراض « باثولوجي » وتكريس حياته العملية لكتابة البحوث في موضوع تخصصه والمحاضرات التي كان يلقيها على طلابه في الجامعة الأمريكية ببيروت .

كان يحثني دائماً على الاهتمام بالأدب العالمي ، وكان أول معلم تلقيت على يديه بداياتي الأولى في دراسة اللغة الانكليزية .

هنا ، وخلال الحديث عن نمر ، لابد من ذكر صلة أدبية قامت لبضعة شهور بين الشاعر علي محمود طه وبيني .

أثناء اقامتي في بيت أخي ابراهيم في القدس عام ١٩٤٠ قرأت في جريدة الأهرام قصيدة لذلك الشاعر الذي ملأت قصيدته « الجندول » آنذاك آفاق الغناء العربي ، رثى فيها ربان السفينة « كوريجس » التي غرقت في البحر أثناء الحرب العالمية الثانية والتي غرق معها ربانها بصورة درامية مؤثرة .

أحببت القصيدة ، وحفظتها عن ظهر قلب ، ووجدتني أسيرة رغبة لا تقاوم في الكتابة الى الشاعر للتعبير عن شدة اعجابي بتلك القصيدة الانسانية المؤثرة .

لم أطلع ابراهيم على الرسالة ، وذلك لسبب واحد ، هو تجنب الشعور بالحرج والاحباط أمامه في حالة إهمال الشاعر الرد على رسالتي .

ثم فوجئت بما لم أتوقعه ، كانت حفاوة الشاعر برسالتي كبيرة ، وقد أتبع رده بنسخة من ديوانه « ليالي الملاح التائه » ، وغمر فرحي بكلمات الاهداء ليالي وأيامي .

سر ابراهيم بكل هذا ، وطلب مني كتابة مراجعة لديوان « ليالي الملاح التائه » لاذيعها من الاذاعة الفلسطينية بالقدس . كتبت المراجعة بحماس لا حدود له ، وأرسلت نسخة منها الى الشاعر مع الاشارة الى تاريخ اذاعتها .

بعد اذاعة الحديث تلقيت رسالة منه يقول فيها ان نخبة من أدباء مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد حسن الزيات ، قد استمعوا الى وو .. الخ .. من كلمات الثناء ، وكانت رسالته مشفوعة بقصاصات من بعض الجرائد المصرية « كالاهرام والمصري » وسواهما تشتمل على تعليقات مشجعة . وأسعدني جداً أن أفاجأ برؤية المراجعة منشورة في أحد أعداد مجلة « الرسالة » في مايو — أو يونيو ١٩٤٠ .

بعد عودتي الى نابلس إثر هجرة ابراهيم الى بغداد ، تلقيت أمراً من بعض أرباب العائلة بقطع أواصر تلك المراسلات الأدبية مع الشاعر المصري رغماً عن خلوصها من كل شائبة .

بعد سنوات حدثني الصديق الشاعر كمال ناصر عن لقائه بعلي طه في مصر ، قال إن الشاعر المصري سأله عني وأبدى استغرابه لانقطاعي عنه دون معرفة السبب . التزمت الصمت ، ولم أحدث كمال بالسبب . كان الحديث في تلك الأيام عن حقيقة أوضاعي التعيسة في البيت يملؤني ذلا وهواناً ، لذلك كنت أوثر كتمان تلك الأمور ، وهكذا مضى المرحوم علي طه الى العالم الآخر دون أن يعرف شيئاً عن الحقيقة المؤلمة .

بالنسبة لنمر كانت تلك الصلة الأدبية مصدر سرور واعتزاز . كان يحب شعر علي محمود طه . وحين عاد الينا لقضاء العطلة الصيفية اتخذ من « ليالي الملاح » رفيقاً . وقد تركه ذات يوم في غرفة المكتب في مصبنة العائلة ومضى لبعض شأنه ، ثم

للألوان سحرها في نفسي منذ الطفولة ، إنها تبعث في أعماقي بهجة كبيرة وانجذاباً غريباً

أمر عائلي بقطع مراسلاتي مع الشاعر المصري علي محمود طه

ليس هناك ما ينقذنا من ملاحقة أحزاننا ويخرجنا من ذواتنا كالأطفال وعالمهم الخاص

ثلاثة أيام متواصلة من الدموع

عاد ليجد الصفحة التى كتبت عليها كلمات الاهداء قد اقتطعت من الديوان ، حيث اختفى أثرها الى الأبد ..

جاءنى نمر معتذراً وفى عينيه ألم مكتوم . قال : ليس لك الا الصبر والاحتمال ، فالوالد لا يحب إثارة المشاكل معهم ، وما فى اليد حيلة .

على أثر مصرع نمر أصابنى توقف نفسى وتملكتنى وحشة غريبة لا تقبل الامتزاج بشيء أو بأحد ، لقد توقفت بوصلة حياتى عن العمل . أرسلت بضعة سطور الى الصديق (A) أدعيت فيها مجيء أحد أقاربى وعدم إمكانية اللقاء لفترة . لم أشأ أن أحدثه بما جرى . كان حزنى أكبر وأقدس من أن أبوح به حتى للصديق الوحيد هناك . من يستطيع أن يتعمق حزنى ومدى فجيعتى ؟ لا أحد . كل إنسان يظل فى حقيقة الأمر وحيداً : كل إنسان إنما هو إنسان وحيد فى شقائه وفى حزنه وفى موته .

وكما تلتف جذور الشجرة وتغور فى التراب ، هكذا غار الحزن العظيم فى الأعماق ، والتف بالصمت .

مضيت ألجلج فى الشوارع الثلجية ، مسكونة بالحزن والموت ، فيما الحياة تسير كعادتها ، والناس يتدفقون من أعلى ساحة سانت جايلز وأسفلها ورواد المقهى سعداء منشرحو الصدور ، كما لو كانوا فى صالة رقص . كم كنت أستغرب من قدرتهم على تبادل الحديث وعلى الضحك ، وكأنى ما ملكت هذه القدرة قط .

كانت هناك صورة واحدة متخيلة هى التى تلازمنى ، صورة الطائرة الصغيرة وهى تحاول الخروج من دائرة الموت ، خمس عشرة دقيقة فى محاولة ميئوس منها ، بينما عناصر الطبيعة التى جن جنونها فى ذلك الصباح تلعب بالطائر الحديدى كما لو كان طائراً من ورق .. لا أحد يستطيع الوصول الى الأيدى الممدودة المستغيثة ،

لا راحم لتضرع مذعور ، لا منقذ من المصير المحتوم .. هل وعى لحظة هويه فى البحر ؟ هل كانت وحدته قاسية لحظة المواجهة مع الموت ؟ كيف بترت ساقه ؟ هل أحس بألم البتر ؟ لماذا يموت هذه الميتة العشوائية ؟ هل يخضع الموت للصدفة ؟ ما معنى أن يموت الانسان وهو فى عز عطائه وخصوبته الفكرية ؟

هو ، نمر ، الذى كان تجسيداً حياً لتيار الحياة المتدفق ، مدفوعاً فى مسالكها بما سماه برغسون بالقوة الحيوية ، هو ، الذى كان يبارك الحياة ، ويقذف بنفسه فيها ، لا يكتفى بمحاذاة الأشياء بل يدخل فى قلبها ، يحياها بكل الذكاء والعمق اللذين تميزت بهما شخصيته المتفردة ، لماذا ؟ لماذا يموت قبل الأوان ، ولماذ يموت بهذا الشكل الفاجع ؟

وبدت لي الحياة اعتباطية ، وبدا لي العالم خالياً من العزاء ، خالياً من الهدف .

* * *

ظل الخوف عليه من الموت مسيطراً على وجداني منذ وفاة ابراهيم ، فقد كان هو البديل الوحيد . كان هناك احساس خفى يفعل فى لاوعيي ولا يرحمنى . لماذا ؟ ألأنى بطبيعتى دائمة الشعور بالخوف على أحبتى من أحداث الحياة ؟ ألأنى بطبيعتى دائمة التفكير بمأساة الوجود الانسانى ، مفرطة فى احساسى بمشكلة الوجود والموت ؟

قبل وقوع الحادث بحوالى شهرين ، كنت قد قرأت فى ملحق جريدة « التايمز » الأدبى مقالا نقدياً تناول فيه كاتبه رواية اسمها « تحت البركان » Under the Valcano للروائى الانكليزى مالكولم لاورى M. Lowry أثار النقد فضولى فاشتريت الرواية ومضيت فى قراءتها . كان المدخل اليها نشيد الجوقة فى تراجيديا « انتجونى » لسوفوكليس يقول النشيد :

(كثيرة هى العجائب ، وليس هناك أعجب من الانسان . إنه القوة التى تعبر البحر فى الريح العاصفة ، يشق طريقه تحت أمواج تهدد بابتلاعه . إنه ينهك الأرض ، تلك الخالدة التى لا تعرف التعب ، ينهكها مستعيناً بالخيول على تقليب ترابها ، حيث تمضى المحاريث جيئة وذهاباً من عام لعام . يوقع فى شبكة حبكها بيديه أنواع الطيور الجذلى ومجموعات الحيوانات المتوحشة ومخلوقات الأعماق البحرية . وانسان ممتاز الذكاء ، يسود بحيلته وحش البرارى المتجول فى التلال ، يروض الحصان الجامح ، يضع النير فى رقبته ، يروض ثور الجبل الذى لا يدركه التعب .

علم نفسه الكلام والتفكير السريع والسيطرة على الظروف ، علمها كيف تتجنب سهام الجليد والمطر العنيف حيث تصعب الاقامة فى العراء ، استنبط طرقاً للافلات من الأمراض . نعم ، إنه لعلى دهاء عظيم ، به يواجه كل هذا ، وبدون هذا الدهاء لا يواجه شيئاً مجيئه محتم ، الا الموت : سيظل يطلب العون ضد الموت دون جدوى) .

عشت الشهور التى بقيت لى فى انكلترا بأوتوماتيكية خالصة بالرغم من مشاركتى فى النشاطات المدرسية المختلفة . كان فى نيتى الاقامة فى لندن بضعة أسابيع قبل العودة الى الوطن ،

وكنت قد ادخرت من أجل ذلك بضع مئات من الدولارات جاءتنى هدية من ابن شقيقتى وصديقى وائل طوقان وكان حينئذ عضواً فى الوفد الأردنى لدى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك . غير أن ما أصابنى من هبوط نفسى وفتور تجاه الحياة تركنى

أستقبل الأشياء بقلب بردت دماؤه وانطفأت شعلته . وهكذا عدت الى الوطن لأتركه بعد أيام قليلة الى مدينة الدوحة فى قطر مع شقيقتى حنان وطفليها ، إذ كان زوجها عبد الرحمن عبد الهادى يشغل هناك وظيفة مساعد مدير فى أحد البنوك .

هناك وجدت بعض العزاء فى رعايتى للطفلين كرمة وعمر ، فقد كنت شديدة التعلق بهما . ليس هناك ما ينقذنا من ملاحقة أحزاننا ويخرجنا من ذواتنا كالأطفال وعالمهم الخاص . إنه عالم البراءة والصدق والحرية ، العالم الذى لم يصبغ بصباغ التمويه والزيف ولم تنقسم فيه الحياة بعد . كم أحب النظر فى عيون الأطفال ، كلما نظرت فى عينى طفل أحسست بمزيج من البهجة والاشفاق ، الاشفاق من أجل البراءة التى سيسرقها عالم الكبار بكل ما فيه من تشوش وبشاعات .

فدوى طوقان

الحلقة الأخيرة من المذكرات
في العدد القـادم

قطــر .. و ١٣ عاماً مضيئة

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير







فى سجل التاريخ القطرى العربى صفحات لا تنسى ..
هذه الصفحات تعكس التطور الذى عاشته قطر على كل المستويات ، والازدهار الذى شمل كل نواحى الحياة فيها ..
وقد بدأت العلامات المضيئة منذ عدة سنوات ، وبالتحديد فى ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢ ..
فى هذا اليوم منذ ثلاثة عشر عاماً تولى الأب القائد مقاليد الحكم فى البلاد ..
وبدأت البلاد تعرف طريقها ومرساها ..
وانطلقت قطر ..
انطلقت قطر بتوجيهات قائدها أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، وتعددت الصفحات التى تسجل الانتصارات والمكاسب ..
ودخلت هذه الصفحات التاريخ من أوسع أبوابه ..
وفى هذه المناسبة القومية الكبيرة ، فى هذا اليوم العزيز على نفس كل قطرى وعربى ، نقلب بعض الصفحات المجيدة ، للذكرى ، اعتزازا بقائد المسيرة ، واعترافاً بالمكاسب التى تحققت ، وتطلعاً الى المستقبل الزاهر ، السعيد ، الحافل ..
فى ظل قيادة أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين ..

الــدوحـــة



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

ثلاثة عشر عاماً من العمل التربوي المتصل



في الثاني والعشرين من شهر فبراير ١٩٨٥ م ، احتفل بلدنا الحبيب ، بالذكرى الثالثة عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، مقاليد الحكم بدولة قطر ، وعبر ثلاثة عشر عاماً مضت حتى الآن من حكمه الميمون ، أخذت دولة قطر ترقى في مدارج الحضارة والعمران بخطى حثيثة وعزيمة ثابتة ، حتى آلت الى ما هي عليه الآن من نهضة وتقدم في شتى مظاهر الحياة ، ومختلف مجالاتها .

ولئن بدت معالم هذه النهضة المباركة ، واضحة جلية في شتى الميادين ، فانها لأشد ما تكون وضوحاً ، وأنصع ما تكون جلاء ، في ميدان التربية والتعليم على وجه الخصوص .

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

وليس من شك في أنه اذا كان الانسان هو الأساس الحقيقي لأية نهضة يراد لها أن تقام على قاعدة راسخة ، واذا كان العمل التربوي يتعلق في جوهره بالانسان نفسه ، فان النتيجة المنطقية الأكيدة لذلك ، ستجيء شاهدة على أن النهضة الحقيقية لا يمكن أن تقوم لها قائمة الا على أساس من العمل التربوي الناجح ، فالانسان هو الذي يبني الحضارة ويصنع النمو ويجعل من التقدم حقيقة واقعة ، ومن ثم وجب أن يكون هذا الانسان بادىء ذي بدء ، معداً عقلياً ونفسياً ووجدانياً واجتماعياً ، لكى يضطلع بدوره الحضاري ازاء مجتمعه وبني جنسه ، وليس من شك في أن تبعة هذا الاعداد الجسيم ، انما تقع أساساً على كاهل العمل التربوي منظوراً اليه في الاطار الشامل ، الذي لا يضم عملية التعليم بمفهومه الضيق فحسب ، ولا عملية الاعداد الوجداني والتربية الثقافية والاجتماعية فقط ، وانما يضم هذه جميعاً في وحدة كاملة متكاملة لا سبيل الى تجزئتها أو تفتيتها .

وبقدر نجاح العمل التربوي في أن يحافظ على الوحدة ، تكون قيمته وفعاليته وقدرته على تحقيق النهضة المرجوة والتقدم المنشود ، ومن هنا لم يكن من الغريب أن نجد كثيراً من فلاسفة الحضارة والمفكرين المعاصرين ، يجعلون معيار تقدم الأمم ماثلا في العمل التربوي الشامل ، منظوراً اليه من جهة الكم والكيف معاً .

دلالة الأرقام

من هنا فان الجانب الكمي في تطوير العمل التربوي في قطر ، خلال ثلاثة عشر عاماً ، أمر يمكن قياسه بمقابلة الأرقام ، فعن طريق هذه المقابلة ، نستطيع الحصول على قراءة مضبوطة لمدى صعود الخط البياني في هذا الجانب الكمي ، وهذه بضع نماذج من تلك المقابلات :

• كان مجمل عدد المدارس عام ١٩٧٢/١٩٧١ م تسعاً وثمانين مدرسة ، ثماني وأربعون مدرسة منها للبنين ، واحدى وأربعون للبنات ، فأصبح مجمل عدد المدارس بعد ثلاثة عشر عاماً مائة واثنتين وستين مدرسة موزعة كالآتي :

المرحلة الابتدائية :
٩٢ مدرسة ، منها ٤٨ مدرسة للبنين و ٤٤ للبنات .

المرحلة الاعدادية :
٤٣ مدرسة ، منها ٢٠ مدرسة للبنين و ٢٣ للبنات .

المرحلة الثانوية :
٢٧ مدرسة ، منها ١٢ مدرسة للبنين و ١٥ للبنات .

• كان مجمل عدد الطلاب عام ١٩٧٢/١٩٧١ في جميع مراحل التعليم العام ٢٠٢٩١ طالباً وطالبة ، موزعين كالاتي :

المرحلة الابتدائية : ١٥٩٩٦ بينهم ٨٥٩٤ من البنين و ٧٤٠٢ من البنات .

المرحلة الاعدادية : ٣١٦٣ بينهم ١٩٧٨ من البنين و ١١٨٥ من البنات .

المرحلة الثانوية : ١١٣٢ بينهم ٧٧٣ من البنين و ٣٥٩ من البنات .

وقد تضاعف هذا العدد مرة ونصف المرة تقريباً خلال فترة قصيرة نسبياً هي ثلاثة عشر عاماً ، فأصبح مجمل عدد الطلاب هذا العام الدراسي ١٩٨٥/١٩٨٤ ، في جميع مراحل التعليم العام ٤٩٣٣٨ طالباً وطالبة ، موزعين كالاتي :

المرحلة الابتدائية : ٣٠٦٧٨ بينهم ١٦١١٢ من البنين و ١٤٥٦٦ من البنات .

المرحلة الاعدادية : ١١٥٧٨ بينهم ٥٧٥٨ من البنين و ٥٨٢٠ من البنات .

المرحلة الثانوية : ٧٠٨٢ بينهم ٣١٧٩ من البنين و ٣٩٠٣ من البنات .

• وإزاء هذه الزيادة المطردة ذات المعدل العالي في عدد الطلاب والطالبات بجميع المراحل ، كان لابد أن تكون هناك زيادة مماثلة في أعضاء الهيئة التدريسية تواكب هذا المعدل العالي في زيادة أعداد الطلاب والطالبات ، ولم تدخر الوزارة وسعاً في سبيل تحقيق هذه المواكبة على النحو الأمثل ، فبينما كان مجمل عدد أعضاء الهيئة التدريسية ١١٦٥ عضواً عام ١٩٧٢/١٩٧١ ، بينهم ٦٥٥ من

المدرسين و ٥١٠ من المدرسات ، تضاعف هذا العدد أربع مرات تقريباً ، ليصبح ٤٥٢٤ مدرساً ومدرسة بعد ثلاثة عشر عاماً فقط ، أى فى هذا العام الدراسى ١٩٨٤/١٩٨٥ م ، وهم موزعون كالآتى :

المرحلة الابتدائية : ٢٤٦٢ منهم ٩٣٢ مدرساً و ١٥٣٠ مدرسة .

المرحلة الاعدادية : ١٢٣٣ منهم ٥٥٥ مدرساً و٦٧٨ مدرسة .

المرحلة الثانوية : ٨٢٩ منهم ٣٥٤ مدرسا و ٤٧٥ مدرسة .

ميادين أخــــرى

واذا كان معدل الزيادة فى هذه النماذج خلال ثلاثة عشر عاماً ، كفيلا بأن يوقف المطلع على مدى الشوط الذى قطعته النهضة التعليمية والتربوية فى دولة قطر خلال أعوام قليلة ، فان نفس هذا المعدل تقريباً ، يصدق على سائر جوانب العمل التربوى الأخرى مثل أعداد الموظفين والاداريين وحجم الميزانية المرصودة لتسيير العملية التربوية وغير ذلك من الجوانب .

ويصدق ذلك أيضاً على حجم البعثات الدراسية وعدد القطريين المتخرجين من تلك البعثات ، فبينما كان عدد خريجى البعثات من الجامعيين والجامعيات تسعة وعشرين خريجاً وخريجة عام ١٩٧١ / ١٩٧٢ م ، وصل هذا العدد عام ١٩٨٣ / ١٩٨٤ م الى ١٤٢ خريجاً وخريجة ، أى أن العدد تضاعف خمس مرات تقريباً خلال هذه الأعوام القليلة .

جامعة قطر

ولم يكن التوسع فى العمل التربوى مقتصراً على تنمية وتطوير المؤسسات التعليمية والتربوية القائمة بالفعل ، بل تم إنشاء مؤسسات أخرى تكمل العملية التربوية وتبلغها تماما على المستويين الأفقى والرأسى ، فليس بالامكان أن تبلغ العملية التربوية نتائجها كاملة بدون وجود مؤسسات التعليم الجامعى والمهنى ، وبدون الاهتمام بمحو الأمية وتعليم الكبار ، وكثير من هذه المؤسسات تم إنشاؤه فى عهد حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ، وعلى رأس هذه المؤسسات جامعة قطر .

إن جامعة قطر ، التى بدأت نواة لجامعة ، أصبحت اليوم وقد وقفت على قدميها وجاوزت طور التكوين ، جامعة فتية يتخرج منها المئات كل عام ، بكلياتها الخمس : كلية التربية وكلية العلوم وكلية الانسانيات وكلية الشريعة وكلية الهندسة ، وأصبحت تستوفد الطلاب غير القطريين ، وتمنح البعثات للدول الصديقة عربية كانت أو اسلامية ، وها هى ذى تدخل فى طور جديد ، اذ تجرى الآن عملية انتقالها الى مقرها الجديد الفخم ، المزود بأحدث القاعات والمعامل والمكتبات .



ينهض خريجو جامعة قطر الآن بالعمل فى كافة المجالات الحيوية

التثقيف والتدريب

ولم يقف العمل التربوى خلال السنوات السابقة ، عند حدود التطوير الكمى والتنمية العددية فحسب ، فالعمل التربوى الناجح ما كان ولن يكون ماثلا فى مجرد تخريج أكبر عدد ممكن من الطلاب والطالبات ، بل هو قبل ذلك ماثل فى التربية الوجدانية والتوعية العقلية ، والإعداد الدقيق لمواجهة الحياة العملية ، وفيما يختص بالتربية الوجدانية والتوعية العقلية فان ما تقوم به إدارة المكتبات المدرسية من تزويد منظم لمكتبات المدارس بأحدث وأهم الكتب الثقافية التى تشبع كافة الهوايات والميول وتغرى بالاطلاع ، فضلا عما تقوم به دار الكتب القطرية بفروعها الستة التى خصص أحدها للنساء ، وكذلك ما تقوم به إدارة إحياء التراث الاسلامى من نشر للثقافة الدينية والوعى الاسلامى ، لهو فى النهاية مما يسد حاجة ملحة من حاجات العمل التربوى الناجح .

أما فيما يختص بالإعداد الدقيق لمواجهة الحياة ، فان ادارة التدريب والتطوير المهنى بأقسامها المختلفة ، تحرص على النهوض بهذه المهمة على خير وجه ممكن ، عن طريق الإعداد لدورات تدريبية خاصة ، والتدريب أثناء الخدمة والتدريب الكتابى ، وكذلك عن طريق الأقسام المهنية المختلفة التابعة لهذه الادارة ، كقسم النجارة واللحام والميكانيكا وتقطير المياه وتوليد الطاقة والديكور وغيرها من أقسام ، أو الأقسام الفنية كقسم الراديو والتليفزيون وقسم الرسم المعمارى وقسم مسح الاراضى وقسم الآلات الدقيقة . ويدخل فى هذا الباب أيضاً ، ما تقوم به مدرسة الأمل للبنين ومدرسة الأمل للبنات ، اللتين تم إنشاؤهما بغرض مساعدة المعوقين والمعوقات على مجابهة الحياة والتكيف مع المجتمع .

إنها ثلاثة عشر عاماً عامرة بالانجازات الكبيرة على مستوى العمل التربوى ، كما أنها عامرة أيضاً بالانجازات الكبيرة على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى ، والفضل فى ذلك انما يعود الى سياسة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، اللذين يبذلان من وقتهما وعنايتهما كل ما تحتاج اليه النهضة التعليمية والتربوية ، ويضعان نصب أعينهما الوصول بالانسان القطرى الى ما نتمناه له جميعاً من رقي وازدهار .

نسأل الله أن يسدد خطانا لما فيه خير بلدنا الحبيب ، وخير أمتنا العربية والاسلامية جمعاء .

محمد بن حمد آل ثانى

ملامح السياسة الخارجية لدولة قطر



بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

تتمثل الترجمة الصادقة لسياسة قطر الخارجية فيما أكده حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى فى العديد من المناسبات من أنها سياسة تستهدف توثيق أواصر الصداقة مع سائر الدول والشعوب المحبة للسلام ـ وخاصة الدول الاسلامية والعربية ـ مع بذل اهتمام خاص لتوثيق الروابط مع دول الخليج الشقيقة ، وإقامة العلاقات على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة بما يحقق الخير والسلام لجميع الدول .

وقد سارت دولة قطر منذ البداية فى طريق توثيق علاقات وروابط التعاون مع بقية دول الخليج العربية ، وساهمت الى جانب الدول الشقيقة فى بلورة هذا التعاون من خلال مجلس التعاون الذى قال عنه سمو الأمير المفدى «إنه الصيغة التى نحقق بها ما نبتغيه من استكمال مسيرتنا نحو توثيق عرى التعاون والترابط بيننا وصولا الى تكاملنا فى مختلف المجالات الحيوية .

مؤتمرات القمة الخليجية

وقد شارك سمو الأمير ، تحقيقاً لهذه الغاية ، فى كافة مؤتمرات القمة الخليجية ، وساهم مع اخوانه ملوك وأمراء دول المجلس فى دفع عجلة هذا التعاون الى الأمام ، وإبعاد المنطقة عن كل تدخل خارجى والحفاظ على سيادتها وأمنها وتحقيق المبدأ الخليجى فى أن أمن المنطقة من مسؤولية أبنائها .

وعلى المستوى العربى ، قامت دولة قطر ببذل ما فى وسعها من أجل تمتين الأخوة العربية وترسيخ التعاون مع جميع الدول العربية الشقيقة مستندة الى الايمان بأن قوة العرب تكمن فى تضامنهم ، وأن هذا التضامن هو سبيلهم الى تحقيق أهدافهم وأمانيهم .

وفى هذا السبيل لم تدخر قطر أى جهد يحقق للعرب تكاملهم ويعلى كلمتهم ، ولم تتوان عن أى لقاء يستهدف صالحهم العام وأمنهم وسلامهم .

وقد ساندت دولة قطر ولا تزال قضية العرب الأولى ـ قضية فلسطين ـ وطالبت بتحرير الأراضى العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس الشريف واسترجاع الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني فى أرضه وفى تقرير مصيره على تراب وطنه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد له . كما شاركت قطر فى كافة مؤتمرات القمة العربية وساندت كل اتجاه يرمي الى وحدة الكلمة والصف العربى ويحقق التضامن بوصفه أمضى أسلحة العرب فى مواجهة كافة التحديات والمخاطر التى تهدد الحق والمصير العربى .

وفى العالم الاسلامى تتمسك قطر بانتمائها الاسلامى وتسعى فى كل صلاتها الى تحقيق وحدة العمل الاسلامى ودعم التآزر والتكاتف بين أمم الاسلام وشعوبه فى اطار منظمة المؤتمر الاسلامى التى تشترك فى عضويتها وتساهم فى أنشطتها مستهدفة مصلحة الدول الاسلامية ورفع شأنها .

وتؤمن قطر ايماناً راسخاً بأن تحقيق التضامن الاسلامى سيكون له شأن بارز فى اعطاء الدول الاسلامية وزناً مؤثراً ومكانة لائقة بين أمم العالم

وفى مجال السياسة الدولية ، الأمر الذى يخدم قضية نشر الاسلام ومبادئه وأخلاقياته السامية ، ويساهم فى نصرة القضايا الاسلامية وأبرزها قضية المقدسات فى القدس الشريف وقضية الشعب الأفغانى وكلاهما يرزح تحت ظلم واستبداد الغزاة .

ولقاءات القمة الاسلامية

ومن هذا المنطلق شاركت دولة قطر فى لقاءات القمة الاسلامية وساهمت فى وضع القرارات الايجابية البناءة التى تدعم وحدة الدول الاسلامية ، وتدعو الى رأب الصدع فى الصف الاسلامى خاصة وقف الحرب الدائرة بين الجارتين المسلمتين العراق وايران . وكما قال سمو الأمير المفدى فإن السعي المخلص لترجمة قرارات القمة الاسلامية الى واقع عملى ووضعها موضع التنفيذ الفعلى سوف يكون أفضل تعبير عن حرصنا على اعادة بناء تضامننا الاسلامى حفاظاً على وحدة أمتنا الاسلامية وصونا لمقدساتها وحقوقها وكرامتها .

ومن هذه المجالات الخليجية والعربية والاسلامية تنطلق قطر الى آفاق أوسع على المستوى الدولى حيث تلتزم بمبادىء ميثاق الامم المتحدة



أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون فى لقائهم التاريخى بالدوحة عام ١٩٨٣



وأهدافها ، وتساهم فى أنشطتها التى تستهدف إقرار الأمن والسلام الدوليين وتحقيق الرخاء والرفاهية لكافة شعوب العالم .

كما تساند قطر كافة الجهود التى تدعم هذه المنظمة وتحافظ على كيانها وهيبتها واحترام القرارات التى تصدر عنها ، حتى تتمكن هذه المنظمة من القيام بواجباتها النبيلة تجاه تنمية التعاون الدولى ، وإقامة العلاقات بين الدول على أسس من التعاون والاحترام والعدالة التى تحقق خير الشعوب والانسانية جمعاء . وعلى هذا الاساس ساندت قطر حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها وسيادتها واستقلالها وحقها فى استغلال ثرواتها الطبيعية بالطريقة المثلى لها ، واستثمار مواردها لصالح شعوبها ورقيها .. كما ساندت قطر كفاح الشعوب ضد الاستعمار والتفرقة العنصرية وآزرت كافة الجهود الرامية الى إقرار نظام اقتصادى دولى جديد يخفف من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعاني منها العديد من الدول الفقيرة والنامية ، ويؤدى الى تقليص الفجوة الواسعة بين الدول الغنية والفقيرة .

وحركة عدم الانحياز

والى جانب ذلك فان قطر تساهم فى تحقيق الأهداف الخيرة للعديد من المنظمات والهيئات الدولية والاقتصادية ، وهذا ما يمليه عليها دورها كعضو فى هذه المنظمات وبينها منظمة أوبك وحركة عدم الانحياز .

إن سياسة قطر الخارجية فى مجملها سياسة تسعى الى تحقيق أهداف أساسية فى مقدمتها الدفاع عن الحقوق الخليجية والعربية والاسلامية ، وتوثيق أواصر الصداقة مع جميع الدول والشعوب المحبة للسلام ، واقامة العلاقات على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى شؤون الغير ورفض الظلم وهى الأسس التى أكسبت قطر الاحترام والتقدير على المستوى الدولى .

أحمد بن سيف آل ثانى

مشروعات التصنيع في قطر الركيزة الأساسية للانطلاق

النظرة المستقبلية هى التى تسود دائما بالنسبة لمشروعات التصنيع فى قطر ، باعتبارها الركيزة الأساسية للانطلاق ، والأمل المنشود من أجل مجتمع مستقر وسعيد . وبالتخطيط السليم توجه الامكانيات التى تملكها قطر لمواجهة هذا المستقبل بالشكل العلمى المناسب ، ووفق أعلى معدلات الأداء ..



مجمع البتروكيماويات : جزء أساسى من القاعدة الصناعية القطرية الراسخة

فقد سئل معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول عن تطور مشروع استثمار حقل غاز الشمال فى قطر ، فأوضح أن عملية التنفيذ الخاصة بهذا المشروع قطعت شوطاً لا بأس به . فقد تم توقيع اتفاقيات المشاركة والخدمة مع شركة البترول البريطانية « بى . بى » ، والفرنسية « سى . أف . بى » ، وذلك فى الخامس والعشرين من يونيو ١٩٨٤ . كما تجرى مفاوضات مع جهات أخرى لتوسيع هذه المشاركة ..

وأضاف الشيخ عبد العزيز أنه تم أيضاً تأسيس شركة قطر للغاز المسال وتشكيل لجنة تسيير المشروع التى تتابع أعماله ونشاطه . كما تقوم الأجهزة المختصة بدراسة أمور أخرى منها موضوع شبكة الغاز التى ستربط قطر ببعض دول مجلس التعاون الأخرى . وقال انه يتوقع أن يبدأ انتاج الغاز المسال فى غضون ست أو سبع سنوات . وسيكون هناك جزء من الانتاج لسد حاجة الاستهلاك المحلى من الغاز . ويمكن أن يبدأ هذا فى غضون سنتين أو ثلاث سنوات من الآن ، مشيراً الى أنه سينتج عن عمليات انتاج الغاز كمية لا بأس بها من المكثفات البترولية .

صورة متفائلة

والحقيقة أن ما أشار اليه معالى الشيخ عبد العزيز يعكس صورة تدعو للتفاؤل لأحد

المسيل فى أم سعيد . ويستخدم بعد ذلك فى معامل البتروكيماويات والأسمدة وتوليد الكهرباء . وفى الوقت نفسه يتم انتاج غاز البروبان والبوتان والمكثفات للتصدير . وينتج حقل الخف فى منطقة دخان الغاز الذى تتم معالجته فى معملين ، تبلغ طاقتهما الانتاجية ١٥٠ مليون قدم مكعبة فى اليوم .

والى جانب هذه الصورة تقف البتروكيماويات لتشكل جزءاً أساسياً ومهما من القاعدة الصناعية القطرية الراسخة . وتدير العمليات الأساسية فى هذا القطاع الهام شركة البتروكيماويات القطرية التى تملك المؤسسة العامة القطرية للبترول ٨٤٪ من حصصها ، بينما تملك شركة شيمى الفرنسية حصة الـ ١٦ الباقية . ومن ناحية أخرى فان انتاج الأسرة يتم فى معملين فى أم سعيد طاقة كل منهما ٩٠٠ طن يومياً من الامونيا وألف طن يومياً من اليوريا . وهذان المعملان تملكهما شركة الأسمدة القطرية التى أنشئت عام ١٩٦٩ والتى تملك المؤسسة القطرية سبعين فى المائة من حصتها الاجمالية ..

أرقام قياسية

ولو حاولنا تتبع مجالات عمل شركة أخرى هى شركة قطر للحديد والصلب لاكتملت الفكرة عن قطر الحاضر والمستقبل ، فقد حققت هذه الشركة أرقاماً قياسية فى انتاجها خلال العام الماضى بالمقارنة بالشركات والمصانع المماثلة لها فى كل أنحاء العالم . وهى بقيامها تمثل مشروعا ضخماً متكاملا رائداً فى مجال صناعة الحديد والصلب بأحدث الأساليب ، وهى طريقة الاختزال المباشر « ميدركس » . ويتميز انتاج شركة قطر للحديد والصلب بالنوعية الجيدة ، التى مكنته من منافسة المنتجات المستوردة من الخارج .

ولقد قامت شركة قطر للحديد والصلب بانتاج نصف مليون طن من الحديد الاسفنجي و٤٨٨ ألف طن من الصلب المنصهر و ٤٧٥ ألف طن من حديد التسليح خلال العام الماضى . وقد بيعت الكمية المنتجة من حديد التسليح فى دول مجلس التعاون بما قيمته ٤٧٠ مليون ريال قطرى . وكانت المملكة العربية السعودية فى مقدمة الدول المستوردة لهذا النوع من الانتاج ، تليها الكويت ، والامارات ، وسلطنة عمان ، والبحرين .

وكل هذه الانجازات وغيرها هى التى تحدد مسار الصناعة القطرية ، وهو مسار طموح ، وواقعى ، ويعمل حساباً لكل الاحتمالات ، ويقف فى مواجهة المستقبل بكل المقومات العلمية المناسبة لروح العصر ، والمؤدية بالاستخدام الأمثل الى مجتمع الرفاهية المنشود ، الذى يحقق لكل من يعيش فيه الأمن والاستقرار والخير الوفير .



معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول

مشروعات المستقبل فى دولة قطر . فالذى لاشك فيه أن قطر تملك احتياطيات ضخمة من موارد الغاز الطبيعى . وهذا هو ما يمكن أن يشكل عماد اقتصادها الوطنى عندما يكتمل العمل فى مشروع

حقل غاز الشمال . وهو مشروع عملاق بكل المقاييس . اذ أن قطر بمواردها الهائلة من الغاز الطبيعى والتى لم تستغل تماماً بعد ، سوف تعمل على تأمين استمرار ازدهارها لسنوات عديدة ..

ومن المتوقع أن يبدأ انتاج الغاز الطبيعى بحلول عام ١٩٨٧ ، على أن يبدأ ما ينتج منه للتصدير فى التسعينات . ويقع حقل الشمال على بعد حوالى ثلاثين ميلا من ساحل قطر الشمالى الشرقى ،

ويقدر الاحتياطى الموجود به ، والقابل للاستخلاص بحوالى ٤٠٠ تريليون قدم مكعبة . وبالاضافة الى هذا الحقل تنتج حقول قطر النفطية الأربعة غازاً تتم معالجته فى معامل الغاز الطبيعى

الإصلاح الاجتماعي ركيزة التطوّر الحضاري



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

منذ بدأت دولتنا الفتية مسيرتها المباركة المشرقة تحت رعاية قائد نهضتها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وهى تركز على أهمية تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوجيه الطاقات البشرية والمادية لتحقيق قوتها الذاتية ، وقد انتهجت فى مسيرتها الطموحة سياسة واعية تعتمد فى الداخل على خطة طموحة ترتكز على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانيات الصناعية وسن القوانين والتشريعات المشجعة على الاستثمار وبناء الانسان القطرى الذى هو عماد ودعامة كل نمو وتطور وتقدم .

فقد كان الانطلاق من خلال السياسة الرامية الى وضع كل امكانات الثروة النفطية فى خدمة التنمية الشاملة فى البلاد . فنجد قائد المسيرة المباركة يعبر عن أهدافه الطموحة فى أكثر من مناسبة ، دافعاً حركة الحياة نحو التحديث مع الحفاظ على قيم وتراث الاجداد ، متيحاً فرص العلم والعمل والنجاح للانسان القطرى حتى تظل حضارته أصيلة وعظيمة ، ودعوته للمشاركة فى تنمية هذا المجتمع على نحو يؤمن له أفضل سبل العيش الكريم وزيادة الرفاه والتقدم الاجتماعى فى مجتمع عصرى متطور .

أما على الصعيد الخارجى فتتجه قطر الناهضة الى تبنى مواقف واعية تتميز بالوضوح وعمق الرؤيا نحو مختلف القضايا العربية والاسلامية والدولية .

وقد أولت سياسة حكومتنا الرشيدة التنمية الاجتماعية قدراً اكبرا من الاهتمام . حيث نجد أن الاصلاح الاجتماعى يأتى فى طليعة الأهداف التى تبنتها حكومة قطر بقيادة رائد نهضتها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى .

وكان لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية شرف المساهمة المباشرة فى عملية التنمية والتطوير التى تشهدها البلاد ، اذ تخطو الوزارة كل عام خطوات هامة جديدة لتوفير شتى الخدمات الاجتماعية للمجتمع القطرى الكريم .

ويتضمن هذا التقرير السنوى للوزارة والذى يسعدنى أن أقدمه عرضاً سريعاً لما قدمته الوزارة خلال العام المنصرم فى مجالات التطور الادارى والعمل والشؤون الاجتماعية والاسكان الشعبى والتعاونيات والعلاقات الدولية . فهذا خير شاهد على ضخامة الجهود التى بذلت واتساع نطاق الانجازات التى تمت خلال العام الماضى على النحو التالى :

الاصلاح الادارى :

نتيجة للاهتمام المتزايد بعمليات الاصلاح الادارى والتنمية الادارية ، رأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن بقاء تنظيمها الادارى على ما هو عليه لا ينسجم ومرحلة التطور التى تجتازها البلاد والدور الذى ينتظرها فى المساهمة بتعجيل هذا التطور ، وأن الوقت قد حان لتطوير خدماتها عن طريق اعادة النظر فى تنظيم الوزارة . فقد عملت على تطوير إدارتها وتعزيز الأقسام التابعة لها ، ووضع الضوابط الكفيلة بتنظيم سير العمل فيها . فأعدت مشروع قانون باعادة تنظيمها تضمن انشاء ادارات جديدة بالوزارة للتعاون والعلاقات الدولية والشؤون الفنية والشؤون الادارية والمالية ، وقد صدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ م بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وتحديد أهدافها وصلاحياتها ونظامها الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق العمل الادارى بالوزارة .

فى مجال العمل :

من أجل تأمين حياة أفضل للمواطن القطرى فقد أولت الحكومة اهتماماً خاصاً بشؤون العمل والعمال منذ نهاية الخمسينات ، فقد وضعت العديد من القوانين والتشريعات التى تهدف الى خدمة المواطنين على اختلاف مستوياتهم وتضمن لهم العيش الكريم . وفى عام ١٩٥٥ م أنشئت دائرة للعمل عندما ظهرت الحاجة الى مؤسسة حكومية تعنى بتوفير القوى العاملة فى البلاد ، وإرساء العلاقة الطيبة بين العمال وأصحاب الأعمال . وكان من أولى مهامها إعداد مشروع قانون للعمل ينظم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال وكذلك الاشراف على شركات البترول العاملة فى البلاد . وفى ١٩٦٢/٤/٢ م صدر أول قانون للعمل فى قطر وهو القانون رقم (٣) لسنة ١٩٦٢ م ، ثم صدر القانون رقم (٤) لسنة ١٩٦٢ بانشاء محكمة للعمل تختص بالفصل فى جميع المعاملات الناشئة فيما بين العمال وأصحاب الأعمال عن تنفيذ أى حكم من أحكام قانون العمل .

وقد أولت الوزارة اهتماماً عظيماً بتنظيم سوق العمل فى الدولة وخاصة تنظيم استقدام العمالة العربية والاجنبية . وحرصاً على توثيق أواصر

الأخوة بين دولة قطر والدول العربية الشقيقة فقد تم التوقيع على خمس اتفاقيات مع كل من مصر وتونس والمغرب والسودان والصومال . ويقوم قسم الاستخدام بالوزارة بالتعاون مع الأجهزة الأخرى بالوزارة ، وكذلك الجهات المختصة بوزارة الداخلية بضبط عملية استقدام العاملين من الخارج ، والنظر فى طلبات الباحثين عن العمل أو العمال فى داخل البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة .

فى مجال الشؤون الاجتماعية :

وقد أولت الوزارة اهتماماً كبيراً بالجانب الاجتماعى ، حيث أنشأت ادارة للشؤون الاجتماعية ودعمتها بالكوادر المتخصصة ، وعملت على نشر الوعى وتشجيع المساهمة والمشاركة الشعبية وحصر الحالات المحتاجة الى مساعدة اجتماعية ، والعمل على خلق مراكز وجمعيات محلية للتنمية والرعاية الاجتماعية . حيث قامت الوزارة بالتعاون مع المخلصين من أبناء هذا البلد بانشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، والتى حققت المزيد من المساهمات الأهلية والطوعية فى العمل الاجتماعى والانسانى . وايماناً منها بأن تدخل الخدمات الاجتماعية فى كل مدن وقرى الدولة فقد أنشأت الوزارة مكاتب فرعية فى مدينتى الخور والشمال ، وسوف تعمم هذه المكاتب على المناطق الأخرى كلما دعت الحاجة من أجل تقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى أماكن اقامتهم . ويتم هذا بالاضافة الى إنشاء مراكز التدريب للتأهيل الاجتماعى للسيدات والفتيات القطريات بهدف تحسين الوضع الاجتماعى للأسرة وتدريبهن على بعض الحرف والمهارات التى تتوافق وقدراتهن الفطرية لتساعدهن على الاعتماد على أنفسهن لكسب رزقهن والمساهمة فى نهضة البلاد . ناهيك عن المبالغ الجمة التى تقدمها الدولة كمساعدات اجتماعية .

فى مجال الاسكان الشعبى :

وفرت الدولة للمواطن القطرى المسكن الصحى المناسب الذى يحقق له الاستقرار ويتناسب مع حجم أسرته وتقاليدها وعاداتها الاجتماعية .

وقد أنشأت الوزارة لهذا الغرض ادارة للاسكان الشعبى يقوم المسؤولون فيها بتطبيق قانون الانتفاع بنظام المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود ، بالاضافة الى دراسة الحالة الاجتماعية للمنتفع واجراء التحقيقات اللازمة للتأكد من انطباق القانون على حالته الاجتماعية . ونظام المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود من المواطنين نظام فريد فى نوعه كما يتضح من التسهيلات والمزايا التى تقدمها الدولة للمواطنين والتى تتمثل فى منح المنتفع قطعة أرض دون مقابل ، وكذلك فرض بدون فوائد يسدد المنتفع ٦٠ / من قيمته على أقساط تتراوح مدتها ما بين ٢٠ ــ ٢٥ سنة حسب دخل المنتفع ، بالاضافة الى اعداد الخرائط والاشراف والتنفيذ وتوصيل خدمات الكهرباء والماء والمجارى والهاتف دون مقابل أيضاً ، بالاضافة الى منحة قدرها عشرون ألف ريال للتأثيث . وقد استمرت الوزارة بالاشتراك مع وزارة الأشغال العامة فى تنفيذ سياسة الدولة الهادفة الى إنشاء المزيد من المساكن الشعبية العصرية للمواطنين .



وفرت الدولة للمواطن القطرى المسكن الصحى المناسب

فى مجال التعاونيات :

تولى الدولة اهتماماً كبيراً بالحركة التعاونية فى البلاد ، حيث تقوم الوزارة بتشجيع الجمعيات التعاونية وتقديم المساعدات الممكنة لها ، كما تقوم بالدعوة الى إنشاء وتأسيس جمعيات تعاونية جديدة فى المناطق التى تفتقر إليها ، وتتولى إدارة التعاون بالوزارة عملية الاشراف والرقابة على الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

وقد بلغ عدد الجمعيات التى باشرت عملها حتى الآن (٨) جمعيات . وهناك جمعيات تعاونية استهلاكية أخرى جارى العمل على إعدادها وتجهيزها لتقديم الخدمات للمواطنين فى مناطق أخرى يقترح انشاء جمعيات تعاونية جديدة فيها .

فى مجال العلاقات الدولية والشؤون الفنية :

بانضمام دولة قطر الى العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية والوزارة حريصة على سماع صوت قطر للعالم الخارجى من خلال مشاركتها فى المؤتمرات والندوات والدراسات التى تقع ضمن اختصاصاتها فى المجالات المتعددة ، مما يتيح للمسؤولين فيها فرصة الاطلاع على تجارب الدول الأخرى فى المجالات الاجتماعية والعمالية وغيرها ، وحرصاً منها على مواكبة التطور الحضارى . فقد أنشأت الوزارة إدارة تعنى بالعلاقات الدولية والشؤون الفنية من خلال التنسيق مع أجهزة الوزارة وأجهزة الدولة ذات العلاقة بنشاط الوزارة . كما تقوم بدراسة الاتفاقيات والتوصيات الصادرة عن المنظمات العربية الدولية واعداد البحوث والاحصاءات ودراسة وتحليل المعلومات والبيانات والتقارير المتعلقة بنشاط الوزارة ووضع التوصيات المناسبة بشأنها ، وتوفير البيانات الاحصائية المتعلقة بالقوى العاملة والشؤون الاجتماعية والاسكان الشعبى والتعاون ودراسة هذه المعلومات ونشرها للاستفادة منها على المستوى المحلى والعربى والدولى .

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة هذا البلد الغالى فى ظل قائد مسيرته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين جعلهما الله عوناً وسنداً لهذا البلد المعطاء ولأمتهم العربية والاسلامية جمعاء .

وليوفق الله على النور خطانا .

علي بن أحمد الأنصارى

آفاق التعاون الإعلامي الخليجي

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

كان الاعلام ولايزال فى مقدمة الميادين التى حظيت باهتمام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى . وقد تجلى ذلك فى صور التعاون الاعلامى مع الدول الخليجية الشقيقة ..

منذ ظهرت الدعوة الى نظام اعلامى دولى جديد لأول مرة فى ندوة اليونسكو التى عقدت فى نيروبى (كينيا) عام ١٩٧٦ والبحث فى ارساء أسس ذلك النظام يتصدر كل الاجتماعات والندوات والمؤتمرات التى يعقدها المسؤولون عن الاعلام والثقافة فى الدول الحديثة العهد بالاستقلال . وأساس البحث هو ضمان تضييق الفجوة الاعلامية بين الدول النامية والدول المتقدمة ، وتحقيق تبادل حر ومتوازن للمعلومات فيما بينها ، تلك الفجوة التى تعكس الفجوة الحضارية بين المجموعتين . فالبلدان المتقدمة بما تملك من وسائل تكنولوجية غاية فى التقدم تؤثر إعلامياً على البلدان السائرة فى طريق النمو اقتصادياً ونفسياً واجتماعياً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لتحقيق أهداف وغايات غير مصرح بها فى غالب الأحيان ، وهى فى سبيل ذلك تروج أنماطاً من القيم والمفاهيم المنسجمة مع نسق نموها فى أرجاء العالم الأخرى ، فتخل بكل توازن اجتماعى أو ثقافى فى تلك البلاد ، الأمر الذى حدا بالدول النامية أن تتنبه الى خطورة ظاهرة التدفق الاعلامى من جانب واحد . وبدأت لذلك تسعى لتكوين اتحادات اقليمية لتبادل المعلومات والبرامج والأخبار فيما بينها .

ومنذ بدأت نهضة قطر الحديثة بتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم فى البلاد يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢ سادت جميع مؤسسات الدولة رغبة قوية فى تفهم ما يسود عالم اليوم من مفاهيم ، والتعامل مع ذلك العالم بالمنطق الذى يفهمه ، والتعاون مع الأشقاء فى الخليج وهم الذين يجمع بينهم وحدة الدين والأرض والبيئة والثقافة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة للحفاظ على هوية المنطقة والدفاع عن ذلك بكل وسائل الدفاع .

مؤسسة الانتاج البرامجى

وقد كان الاعلام فى مقدمة الميادين التى حظيت باهتمام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، وتجلى ذلك فى صور التعاون الاعلامى مع الدول الخليجية الشقيقة ، ومنها :

• انشاء مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربى التى تأسست عام ١٩٧٦ بناء على قرار مؤتمر وزراء إعلام دول الخليج العربى والتى وضع ضمن أهدافها :

ـ احياء التراث الخليجى وبخاصة الفنون الشعبية وتسجيلها تسجيلا وثائقياً على أفلام سينمائية والتعريف بمناطق الخليج العربى من جوانبها كافة .

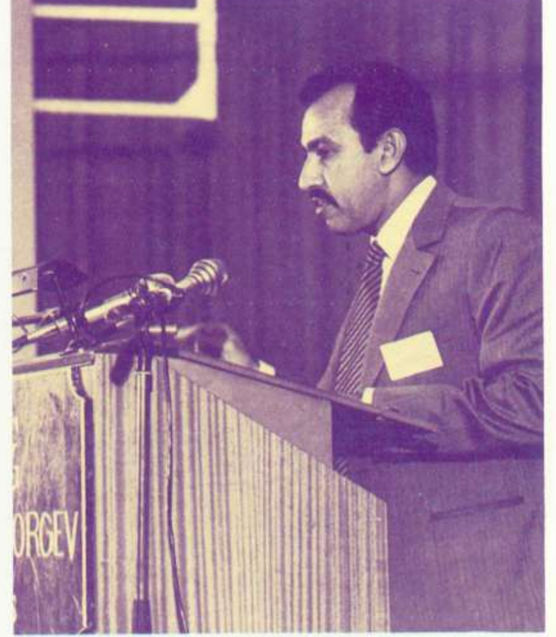
ـ إحياء التاريخ العربى الاسلامى وابراز المثل العليا لدين الاسلام الحنيف والتعريف بأمجاد الاسلام وسير قادته وأبطاله .

ـ الارتفاع بمستوى الانتاج الفنى للبرامج ، وإلقاء الضوء على الكفايات الفنية والأدبية وتدريب الموهوبين وتشجيعهم على الابداع .

ولقد أنتجت المؤسسة منذ انشائها العديد من الأعمال الدرامية والأفلام التسجيلية والبرامج التربوية وبرامج الارشاد الصحى والأفلام المدبلجة والبرامج الثقافية وهى أمور يشعر بها ويحس قيمتها كل مقيم على أرض الخليج .

• كذلك كان انشاء وكالة أنباء الخليج التى تم التوقيع على اتفاقية انشائها فى ٧ يونيو ١٩٧٦ فى البحرين بعد اجتماعات لخبراء إعلام دول المنطقة استمرت منذ أعلن وزراء الاعلام لدول الخليج فى مؤتمرهم الأول الذى عقد فى أبوظبى فى يناير ١٩٧٦ عن رغبتهم فى أن تكون لدول المنطقة وكالة أنباء لتعريف الرأى العام العالمى بأسرع الطرق وأيسرها بأحداث ومثل ومفاهيم وانجازات وقضايا منطقة الخليج . وقرر المؤتمر أن تكون مدينة المنامة المركز الرئيسى لهذه الوكالة . وقد أتمت الوكالة سبع سنوات من عمرها تواصل الاهتمام بأخبار الخليج اعتماداً على شبكة مراسليها المنتشرين فى أنحاء العالم ، وجهود وكالات الأنباء الوطنية الشقيقة .

• وأنشىء المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتليفزيونى ومقره الدوحة ، والذى يقوم باعداد الدراسات المتخصصة فى مجالات الاذاعة والتليفزيون وتنسيق أعمال التدريب فى المنطقة ، ويقترح خطط التدريب السنوية ويعممها على الدول العربية الخليجية بغية التوصل الى أحسن النتائج فى مجالى الاذاعة والتليفزيون العربيين الخليجيين ، خدمة للمواطن العربى والأخذ بيده نحو ثقافة واعلام أفضل .



الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى يلقى كلمة الافتتاح فى ندوة الصحافة الدولية (باريس فى أكتوبر ٨٤)



المستشار النمساوى السابق كرايسكى والى جانبه فى الندوة وكيل وزارة الاعلام القطرى محمد عبد الرحمن الخليق ، وعبد الرحمن حمد العطية السفير القطرى فى باريس .

• وكان انشاء مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى الذى تتمثل أهم أهدافه فى تزويد المخططين والباحثين والعاملين فى مجالات الاعلام والصحافة بالمعلومات والبيانات المقننة ، وجمع وتنظيم الانتاج الفكرى الذى يصدر من المنطقة أو عنها ، فضلا عما يهدف اليه المركز من الاستفادة من كافة أنواع التقنيات الحديثة فى التعامل مع المعلومات وتدريب وتأهيل الكوادر المتخصصة المطلوبة .

جهاز تليفزيون الخليج

• وتم انشاء جهاز تليفزيون الخليج الذى قام بناء على الاتفاقية التى تمخضت عن المؤتمر الثانى لوزراء الاعلام لدول الخليج فى الرياض عام ١٩٧٧ ، والذى خطا منذ انشائه خطوات كبيرة فى خضم التحدى التكنولوجى فى عالم الاتصال للحفاظ للمنطقة على طابعها ، وفى وقت أصبح فيه التليفزيون يحتل مكانة مميزة بين وسائل الاتصال الجماهيرية ، لما يؤديه من دور مؤثر فى حياة الناس الثقافية والاجتماعية . وقد كان من انجازات جهاز تليفزيون الخليج ارساء ميثاق العمل الاعلامى التليفزيونى الذى تسير على خطاه محطات التليفزيون فى المنطقة ، فضلا عن معاونته فى عملية التبادل البرامجى والانتاج التليفزيونى بينها ، الى جانب نشاطاته الأخرى فى المجالين العربى والعالمى .

• وأقيم مركز الاعلام البترولى ومقره الكويت ليكون منبراً متخصصاً فى شئون اعلام الطاقة وليتصدى بالمنطق المفهوم للحملات التى تشنها بعض الجهات على الدول المنتجة للبترول .

• وهناك لجنة العلاقات الاعلامية الدولية التى أنشئت بناء على قرار من مؤتمر وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية فى اجتماعه السادس عام ١٩٨١ ، والذى قضى بأن يكون مقرها الدوحة ومن بين اختصاصاتها :

ـ وضع الخطط والمشاريع الاعلامية التى تهدف الى شرح وجهات النظر العربية عن مختلف القضايا المطروحة دولياً .

ـ وضع البرامج وتنفيذ النشاطات الاعلامية المقترحة من الدول الأعضاء والتى تتبناها اللجنة وتهدف الى دعم القضايا العربية على الساحة الدولية .

ـ توزيع المشاريع الاعلامية المجازة على الدول الأعضاء لتنفيذها سواء بصورة منفردة أو مشتركة .

ـ التنسيق بين الدول الأعضاء فى التخطيط والتنفيذ للبرامج الاعلامية المشتركة فى الخارج .

ندوة الصحافة العالمية

ولقد كان من أهم أعمال اللجنة اقامتها لندوة الصحافة العالمية فى باريس فى أكتوبر من العام الفائت ، تلك الندوة التى جمعت نخبة من كبار السياسيين والاعلاميين فى العالمين العربى والغربى تداولوا خلالها البحث فى أنجح السبل وأنسب الأساليب لاحداث تفاهم عربى أوروبى عن طريق اتاحة المعلومات الصحيحة للرأى العام حتى يستطيع استجلاء الأمور على حقيقتها .

ولقد كان لهذه الندوة أصداء واسعة وحظيت باهتمام الرأى العام الأوروبى والعربى والأمريكى ، والمأمول أن تكون انطلاقة جديدة فى سبيل عمل اعلامى مدروس ومبرمج على مستوى العالم .

وليس من شك أن انطلاق القمر الصناعى العربى (عربسات) أخيرا سوف يدعم مسيرة العمل الاعلامى الخليجى والعربى ورسالته ، كما سوف يساعد فى معالجة قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وسوف يعمق الشعور بالترابط والانتماء بين أبناء الوطن العربى من أجل تجسيد شخصية الأمة العربية وحمايتها من الغزو الثقافى وتحقيق تطلعاتها نحو التقدم والازدهار .

ان صور التعاون التى أشرنا اليها باللمحة السريعة وغيرها مما لم نشر اليه انما هى تجسيد للفهم المشترك لدول الخليج لابعاد الاعلام فى عالم اليوم ، وهى وسائل مشروعة للدفاع عن نفسها أمام سيل التدفق الاعلامى الذى يغمر العالم من جانب واحد ، وما كان ذلك ليتيسر لولا تفهم قادة دول المنطقة لدور الاعلام وأهميته فى التنوير والتثقيف وخطورته فى نفس الوقت اذا ما أسيء استخدامه .

عبد الله محمد صادق

دار الكتب القطرية .. الثقافة للجميع

دار الكتب القطرية احدى المؤسسات الثقافية التى تسهم فى إثراء الحركة الفكرية والثقافية والعلمية فى البلاد ، بما تقدمه من خدمات لجمهور المثقفين على اختلاف مستوياتهم .

وهى ثمرة من ثمار النهضة التعليمية ، فكلما تقدم التعليم فى أمة كانت الحاجة ماسة إلى المكتبات ومراكز المعلومات لتوفير الخدمات المكتبية والتوثيقية للمثقفين والدارسين والباحثين والعلماء .

ولقد شهدت قطر نمواً سريعاً فى التعليم كما يقول محمد حمد النصر مدير دار الكتب القطرية وكان لذلك آثاره المباشرة على تطور الخدمات المكتبية . فقد بدأ التعليم النظامى فى سنة ١٩٥٢ . وبعد عامين أى خلال ١٩٥٤ أنشئت مكتبة المعارف لتقديم الخدمات المكتبية لموظفى المعارف فى ذلك الوقت . كما أنشئت المكتبة العامة بعد ذلك بعامين أى خلال عام ١٩٥٦ لتقديم الخدمات المكتبية لجمهور المثقفين . ومع نهاية عام ١٩٥٨ تخرج أول فوج رسمى من حملة الشهادة الابتدائية ، توالى بعده افتتاح المراحل الاعدادية والثانوية ، ثم الجامعة بكلياتها فيما بعد ..

كل هذا التطور السريع فى التعليم كان يتطلب مكتبة كبيرة تستوعب جيل المثقفين والخريجين . وهذا ما ساعد على انشاء دار الكتب القطرية فى عام ١٩٦٢ من ادماج المكتبتين القائمتين فى ذلك الوقت وهما : مكتبة المعارف والمكتبة العامة ..

وهكذا فان التعليم كان له الفضل الأكبر فى إنشاء دار الكتب القطرية . وبعبارة أخرى كانت دار الكتب القطرية وليدة التعليم ، وثمرة من ثماره نمت وازدهرت مع نموة وانتشاره .

كانت دار الكتب فى ذلك الوقت تقوم بوظائف ثلاث أساسية :

تقديم الخدمات المكتبية لجمهور المثقفين ولموظفى وزارة التربية والتعليم ، حفظ التراث المخطوط والحصول على مصوراته من المكتبات العالمية ، والاشراف على المكتبات المدرسية .

أى أنها كانت تقوم بوظيفة المكتبة العامة ، والاشراف على المكتبات المدرسية التى تبعت ادارة الشئون الثقافية فيما بعد .

ثم بدأت تطور خدماتها لتصبح المكتبة الوطنية أو مكتبة الدولة ، كنتيجة طبيعية لانتشار التعليم وافتتاح جامعة قطر وازدهار الحركة الثقافية والفكرية والعلمية ، واستجابة لتوصيات العديد من المؤتمرات والحلقات الدراسية التى شاركت فيها .

وعبر هذه المسيرة كانت دار الكتب تلقى دائماً عناية ورعاية المسئولين بوزارة التربية والتعليم وعلى رأسهم سعادة الوزير ..

ويضيف مدير دار الكتب القطرية قائلا : لم يكن التطوير والتحديث بدار الكتب هدفاً لذاته ، بل كان تطوير الخدمات وتحديث النظم لتقديم خدمة مكتبية أفضل وأسرع وأشمل لتلبى احتياجات القراء والباحثين . فماذا قدمت دار الكتب خلال هذه الفترة من حياتها ؟ وماذا نتوقع لها أن تقدم من خدمات فى المستقبل .. ؟ هذا ما سنحاول القاء الضوء عليه .

ويستطرد محمد حمد النصر فيقدم هذه التفاصيل :

تنمية وتحديث المجموعات

ونقصد بها الكتب والمراجع والدوريات والمخطوطات والمصورات والخرائط والميكروفيلم .. فلقد كان من متطلبات التطوير تحديث المجموعات وتنميتها لتغطى كافة فروع المعرفة ، ولتشمل جميع المستويات القرائية . من هنا كان لابد من وضع تخطيط شامل ودقيق لعمليات التزويد وتعدد مصادره ليساعد على تنمية وبناء مجموعات تواجه المستقبل العلمى والثقافى للمجتمع ، خاصة بعد افتتاح الجامعة وإيفاد البعثات . وقد تفضل سعادة الوزير فأصدر القرار الوزارى رقم ٥ لسنة ١٤٠٣ بتكوين لجنة اختيار الكتب والمطبوعات لدار الكتب وفروعها ، وتقوم اللجنة منذ ذلك الوقت برصد الانتاج الفكرى العالمى واختيار ما يناسبنا .. وقد بلغ عدد الكتب بدار الكتب وفروعها حتى نهاية ١٩٨٤ بالمجلد حوالى ٢٣٧٩٧٨ ..

ايداع المصنفات

ورغبة فى حصر الإنتاج الفكرى القطرى وتسجيله والتعريف به من خلال قائمة الإنتاج الفكرى القطرى التى تصدرها دار الكتب سنوياً ، فقد أعدت الدراسات حول نظم الإيداع فى المكتبات الكبيرة وفى الدول العربية . ومن حصيلة هذه الدراسة تكونت الأفكار الرئيسية لمشروع قانون للإيداع فى قطر . وقد صدر المرسوم بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢ بشأن إيداع المصنفات فى دار الكتب القطرية ، كما صدر القرار الوزارى رقم ٤ بتنظيم اجراءات الإيداع .. ومن أهم ملامح المرسوم إلزام كل من المؤلف والطابع والناشر متضامنين بإيداع خمس نسخ من كل مطبوع .. كما حدد المصنفات التى ينطبق عليها الإيداع بما فيها المطبوعات الحكومية ، كما حرص على تجميع الانتاج الفكرى القطرى المطبوع بالخارج .

الببلوجرافيا القطرية

وقد أصدرت الدار أول عمل ببليوجرافى عام ١٩٧١ وكان هذا العمل محاولة لحصر الانتاج الفكرى القطرى الذى صدر خلال عام ١٩٧٠ . وكان



احدى القاعات الجديدة بدار الكتب القطرية وهى مجهزة بأحدث الوسائل العلمية والمكتبية

● فهارس حديثة تيسر الوصول الى المعلومات وتوفر على القارىء الوقت والجهد

● القاعة الرئيسية بالطابق الثانى تضم أربعين ألف مجلد بالعربية وعشرين ألفـا بالانجليزية

الهدف منه محاولة التعريف بالكتاب القطرى فى الداخل والخارج عن طريق توزيع قائمة الانتاج الفكرى على الادارات والمؤسسات الثقافية والعلمية المحلية والخارجية . وتوالى بعد ذلك صدور الاعداد سنوياً . ولاشك أن صدور المرسوم بقانون ٢٤ الخاص بالايداع سيجعل من قائمة الانتاج الفكرى أكثر شمولا ..

القاعات الجديدة

ولعل أبرز الانجازات التى تحققت أخيراً بناء الطابق الثانى بدار الكتب القطرية والذى تفضل سعادة وزير التربية والتعليم بافتتاحه يوم السبت الثامن عشر من فبراير فى العام الماضى . وكان هذا إيذاناً بتقديم خدمات مكتبية أفضل اذ بدأت دار الكتب الأخذ بنظام الرفوف المفتوحة التى تتيح للقراء اللقاء المباشر بالكتب والمراجع واختيار مايناسبهم منها ..

الفهارس الحديثة

ولايزال الحديث لمحمد النصر مدير دار الكتب ، وهو يضيف قائلا : صاحب تطوير الخدمات الحاجة الى فهارس حديثة تيسر سرعة الوصول الى المعلومات وتوفر على القارىء والباحث الكثير من الوقت والجهد للتعرف على ما يريد من كتب أو مراجع ولهذا أعدت الفهارس البطاقية التالية :

فهرس المؤلفين ، فهرس العناوين ، الفهرس المصنف ، الفهرس الموحد لدار الكتب وفروعها ، وقائمة الرفوف .

ورغبة فى التيسير على القراء والباحثين وأيضاً للتعريف بمجموعات الدار فقد صدرت من الفهارس المطبوعة التالية :

فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الأول « المعارف العامة » ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الثانى « الفلسفة » ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الثالث ــ الدين القسم الأول ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الرابع ــ الدين القسم الثانى ، فهرس المخطوطات المصورة على ميكروفيلم ــ المجلد الأول .

كما صدر المجلد الأول من فهرس دار الكتب للمجموعات الأوربية . ويستمر الاصدار لبقية المجلدات تباعاً .

ولاشك أن وجود الفهارس المطبوعة وتبادلها مع المكتبات والجامعات يساعد على تنمية القراءة والتعريف بالمجموعات .



نسخة نادرة من كتاب الله الكريم بخط اليد : من مجموعات دار الكتب القطرية

صيانة المجموعات

وحفاظاً على مجموعات الدار من المخطوطات والكتب النادرة أنشىء معمل الترميم عام ١٩٧٦ ، وزود بأجهزة الترميم والمواد الكيمائية اللازمة في عمليات التطهير والتبخير ومراحل الترميم الأخرى ، ويقوم المعمل بترميم وصيانة المجموعات النادرة .

والى جانب معمل الترميم يقوم معمل التجليد بصيانة مجموعات الدار والمكتبات الفرعية من الكتب والدوريات وتجليدها .

التوثيق والميكروفيلم

وحفاظاً على التراث القطرى فقد أنشىء قسم للتوثيق والميكروفيلم للقيام بتصوير الصحف والدوريات القطرية على الميكروفيلم وكذلك المخطوطات وتيسير تداولها وتبادلها مع المكتبات والمؤسسات العلمية والثقافية .

ونظراً لما لمعارض الكتب من مردود ثقافى فقد اهتمت الدار باقامة معارض الكتب المحلية كما شاركت فى المعارض الدولية . ولاشك أن هذه المعارض فرصة لتعريف القراء بالجديد فى عالم المطبوعات ، كم أنها فرصة لتبادل الرأى بين المؤلفين والناشرين والمكتبيين لتطوير صناعة الكتاب .



محمد حمد النصر

المكتبات الفرعية

وأخيراً يتحدث مدير دار الكتب القطرية عن المكتبات الفرعية فيقول :

كثر عدد المدارس فى المدن والقرى وزاد عدد الطلاب والتحق كثير منهم بجامعة قطر . وكان على دار الكتب أن تدرس أفضل السبل لربط هؤلاء الشباب بالكتاب وتنمية عادة القراءة لديهم ، وإيجاد أفضل الوسائل المناسبة لتمضية الفراغ بشكل نافع . فقامت بعدة دراسات لاختيار أفضل السبل لتحقيق هذه الغاية . وكان أمامها عدة خيارات منها :

استخدام المكتبات المتنقلة أو مايطلق عليه « سيارة الكتب » ،أو استخدام إحدى مكتبات المدارس لتكون بمثابة مكتبة عامة ، أو افتتاح مكتبات فرعية .

ثم كان عليها أن تضع خطة لهذا التوسع .. وبعد الدراسة استقر الرأي على البدء بالمكتبات الفرعية فى المدن الكبيرة أولا ثم تعقبها مكتبات الأحياء والمناطق كخطوة تالية ، ذلك لأن وسائل المواصلات متوفرة لدى الجميع ودار الكتب فى مكان يسهل الوصول اليه من جميع القراء . ومن هذا المنطلق بدأت الجهود تتضافر لافتتاح المكتبات التالية :

مكتبة الخور العامة ، مكتبة الشمال العامة ، مكتبة الخنساء العامة وهى أول فرع نسائى ، ومكتبة الريان العامة ، مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثانى ، مكتبة الوكرة العامة . ولاشك أن هذه المكتبات ساعدت وتساعد على إثراء الحركة الثقافية وتنمية عادة القراءة بين جمهور المثقفين ..

وتمضى المسيرة بخطى ثابتة ملؤها الأمل فى تحقيق مشروعات أكبر ، منها على سبيل المثال : انشاء مبنى عصرى حديث لدار الكتب القطرية ، وإنشاء مبان حديثة للمكتبات الفرعية ، واستكمال التوسعات فى دار الكتب القطرية وإدخال الكمبيوتر فى الخدمات المكتبية من أجل تقديم خدمات أفضل لجمهور المثقفين .

أغنية حب

شعر : محمد القيسي

يومٌ غامضْ
يومَ يَبدأُ منْ عَينيكِ غزيرَ الأشجارْ
يَتدحرجُ من أُغنيةِ سريركِ ،
موشوماً بالفضَّةِ ،
وَبسيطاً كالأزهارْ
يومٌ غامضْ
يومٌ لحديثكِ ، وغيابي فيكِ ،
وَتَجوالي تحتَ الأسوارْ
يومٌ للجُمعةِ ،
يَسَّاقطُ منْ غيمِ الحبِّ ،
على برِّيةِ روحي ،
وُيثيرُ الأسرارْ
يَتناثرُ كرزاً منْ أُفقِ يديكِ ،
وَيُمعنُ في الإبحارْ
يومٌ للسفَرِ ،
ويومٌ للعزفِ بلا أوتارْ

يومٌ للشارعْ
يومٌ للأمطارِ تَهلُّ على كَرمي الواسعْ
كَرمي المُمتدِّ إلى خَفْقَةِ أضلاعكِ ،
حتى حُرقَةِ أيامي
حيثُ أرى في عَينيكِ بداية عامي
في هَذا المنفى
عَسَلٌ كالدمعِ مُصفًّى
وَيدانِ كأغصانِ الوَردِ ،
وَصَدْرٌ يخفقُ نَشْوانَ ،
وَيخطفُ سَاعاتى خَطْفا
هُنَّ ثلاثُ ليالٍ منْ حُمَّى الخُوخِ الجَبَليِّ ،
على طَرَفِ الأرضِ ،
تَوهَّجَ وَعَلَّ الوجدِ ، وأينعْ كَشْفا
رَقَّ وذابَ ،
وأنَّ وغابَ ،
وَما استكفي
في هَذا المنفى
ما أخفيتُ مزاميرَ الليلِ ،
ولا قَلْبُكِ أخفَى
يا للشجَرِ المُتوزِّعِ فوق أَصابعِكِ اللهفى
يا للزعتر يُشرقُ فيكِ نَديًّا فَوَّاحْ
يا للتفَّاحْ
يُعطي بالرجفَةِ أحيانا
يُعطي بالرَّاحْ
يا للأزهارِ المَنثورةِ في شَفَتيكِ ،
على مَدِّ ملابسكِ المُزدانَةِ بالليلكْ
وَأنا أسكنُ ليلَكْ
يا لِدَمي إذْ ينهضُ فيَّ ،
وَيأخذُ جَولتَه الآنْ
وَيُغنّي النَيزكْ
يا للمقهى إذْ يَجْمَعُنا في هَذي الزَاويةِ ،
غريبينِ ، لنهلَكْ
يُغْدِقُنا بالفرحِ المَكسورِ ،
وَيفتحُ بينَ يدَينا ،
قاموسَ الفُقدانْ
وَبعيدَ قليلٍ ينفضُنا عنه ،
بلا حُسبانْ
وَيضيقُ المَسْلَكْ
والأرضُ تُحوِّطُها النيرانْ
يا للمُوسيقى النَابعةِ هُنا
منْ صمتكِ وَضجيجِ الأشياءْ
يا للصَحْراءْ
يا للنبتِ الطَالعِ والَماءْ
كيفَ أُطرِّزُ وجهَكِ ،
في هَذا الفَرحِ العَاصِفْ

وبأيِّ مديحٍ أتوجَّهُ للأعشابِ ،
وَأحضنُ هَذا الأُفقَ الرَاجفْ
أيُّ نشيدٍ أبعثُ وأُحيطُ العَالمْ
وأُحيطُ الخصرَ بأُغنيةٍ ،
وأُحيطُ الأغنيةَ بروحي
وَأُحيطُ بكِ الروحْ
كيفَ أُعالجُ هذا اليومَ الغَامضَ ،
في يُسرٍ ،
وَأبوحْ !

عمان



شكل (١) فى هذه الصورة والصور الثلاثة التالية المنشورة على صفحات المقال ، يتضح جانب من بحوث التلوث عامة ، والصناعى خاصة ، لقسم صحة البيئة الذى يرأس مجلسه كاتب هذه الدراسة ، وفى تلك المعامل تجرى التجارب ، وتستخلص النتائج ، وعلى ضوئها يتقرر ما أصاب البيئة من تدهور ، ثم تقدم الحلول ، وتعالج المشاكل .

عندما يصبح الهواء مصدر موت

كَوْكَبٌ كانَ طَهورًا

بقلم : د. عبد المحسن صالح

فى كل عام تجرى آلاف البحوث ، ثم تقام الندوات ، وتعقد المؤتمرات ، وتحتدم المناقشات ، وترتفع الأصوات ، وكأنما هى بصوت واحد جماعى ، تستغيث وتنادي : كفوا أيديكم عن تدمير هذا الكوكب ، وحافظوا على أرضه ومائه وهوائه من « الآثام » التى يتلقاها ليل نهار ، والا فلا تنتظروا الا الهلاك والدمار !

وما الآثام أو الموبقات هنا الا مركبات كيميائية غريبة على بيئة كوكبنا ، ولا خوف من أن تكون غريبة ، لكن الخوف أن هذه المركبات ذاتها قد تأخذ طريقها الينا فى الهواء الذى نستنشقه ، والماء



شكل (٢) فى هذه المعامل أيضاً يتم تقدير وتعريف الميكروبات التى تلوث الشواطىء ، أو مصادر المياه الطبيعية ، بالاضافة إلى تحليل مياه الشرب لمعرفة درجة نقائها من الميكروبات المرضة

للإنسان وآلاف الطيور والحيوانات

فتدنَّس وتلوَّث

الذى نشربه ، والطعام الذى نأكله ، وهنا تكمن الخطورة على الكائنات الحية عامة ، وعلى الانسان خاصة ، لأن الحياة ذاتها تفاعلات كيميائية معقدة أشد تعقيد ، لكنها منظمة أعظم تنظيم ، وقد يتداخل في هذا التنظيم ما ليس منه ، فيصبح دنساً لا حيلة لأحد فيه ، اللهم الا إذا قطعنا دابر هذا الدنس من جذوره ، رغم أنه أمر بالغ الصعوبة ، اذ هو نتيجة حتمية لأنشطة التقدم الصناعى والزراعى والعمرانى ، والنتيجة مدفوعة الثمن من صحتنا ! .. صحيح أننا قد لا نحس بذلك الآن ولا نشعر ، لكن هناك مؤشرات كثيرة تشير الى حدوث تغيرات فى بيئة كوكبنا ، ولهذا إذا استمرت الأمور بمعدلاتها الحاضرة ، فالويل منها للأجيال القادمة !



(٣) جانب آخر من البحوث الكيميائية التي تحدد درجات التلوث في البيئة من جراء انسياب عناصر ومركبات ضارة إليها، وهو مالا يخلو منه أي معمل من معامل العالم التي تهتم بمشاكل التلوث

لكن أمور التلوث ليست متروكة هكذا على علاتها ، بل هناك معامل ومعاهد للبحوث ، ومحطات رصد تنتشر في كل مكان ، وهي دائمة التسجيل لكل التغيرات التي تطرأ على بيئة هذا الكوكب .. فبحكم وظيفتي كأستاذ للبيولوجيا الصحية ورئيس لقسم صحة البيئة بجامعة الاسكندرية ، لا تخلو معاملنا من بحث مشاكل التلوث التى بدأت تظهر بشكل واضح نتيجة للتقدم الصناعى والحضارى والعمرانى ، وكأنما البيئة ذاتها بمثابة كائن حي له صحته وأمراضه ، ولهذا فقد يحلو لبعض الزملاء المقربين أن يمزحوا معى متسائلين عن صحتى ، وصحة البيئة ، فأجيب بصدق : كلانا ليس على ما يرام ، فأنا وهى مصابان : أحدنا مصاب بعدة أزمات قلبية ، والأخرى مصابة بالتلوث .. ويقال أن الأزمات القلبية واحدة من أمراض العصر الذى يتسم بالضوضاء والزحام والقلق والتوتر والتلوث ، والانسان ابن بيئته ، ثم ان حال البيئة كذلك لا يبشر بخير ، ليس على المستوى المحلى ، بل أيضاً على المستوى العالمى .

وفى معاملنا المجهزة بكل ما يخص صحة البيئة ، نبحث معظم مشاكلنا .. فمن بحوث تتناول تلوث مصادر المياه ، الى تلوث الشواطىء ، الى التلوث الصناعى ، الى تلوث الهواء (شكل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الى تأثير كل ذلك على الكائنات الحية ، ومدى تغيير صفاتها الوراثية ، أو اصابتها بالتسمم على المدى القصير أو الطويل ، وطبيعى أن الانسان ليس بحيوان تجارب ، لكن هذه الحيوانات تشاركنا بيئة الهواء والماء والطعام ، وما يحدث لها ، كفيل ــ فى معظم الأحيان ــ بأن يحدث لنا ، وذلك لأسباب يطول شرحها .

لكن مما لاشك فيه أن الدارسين للبيئة يعلمون قبل غيرهم أنها محكومة بعدة عوامل مضبوطة ، والتآلف المنسق بين هذه العوامل ، يؤدى الى التوازن ، لكن التلاعب بعامل واحد من هذه العوامل ، أو ربما أكثر ، سوف يؤدى الى خلل ، وقد يعبر الخلل عن نفسه فى زمن قصير ، وفى بيئة محدودة ، وبآثار محدودة كذلك ، لكن الخلل الأكبر والأعظم لا يتأتى الا من محصلة عدد كبير من اخلالات تحدث هنا وهناك ، ولن يظهر أثره الا بعد سنوات أو أجيال ، وقد يكون عاماً على مستوى الكوكب .

والواقع أن اتساع أبعاد الخلل قد ظهرت آثاره واضحة فى ذاك الجيل ، وليس بعد جيلين أو ثلاثة ، كما ظن البعض ، وهذا ــ فى حد ذاته ــ مؤشر مخيف ، أو هو بمثابة صفارات الانذار التى تبصرنا بكارثة قد تكون قريبة ، هذا اذا لم نأخذ حذرنا ، على المستوى المحلى أولا ، حيث تظهر بشائر الخلل أو الضرر ، ثم على المستوى العالمى من خلال هيئاته التى تنسق بين الدول ، لأننا نسكن بيتاً واحداً ، نعنى كوكباً واحداً نشترك فى هوائه ومائه وترابه وثرواته .

وكل الدول العربية ــ على قدر علمى ــ تمتلك مراكز ومعاهد ومعامل لبحوث التلوث ، فما من دولة منها الا ولها نشاط صناعى وبترولى وعمرانى ، ومن هذا أو ذاك تبدأ مشاكل التلوث .. صحيح أنها قد تكون محدودة الآن فى بعض الدول ، لكن التطور فى كل المجالات ، سوف يدخلها فى هذه المعمعة ، فلا تطور بدون تلوث أو نفايات .

الهواء .. القاسم المشترك الأعظم

لكن من المفارقات الغريبة أن يكون أغلى شيء بالنسبة للحياة ، هو أرخص شيء فى الوجود ، ذلك هو الهواء ، فلا أحد يستطيع أن يدعى ملكيته ، ولا أن يبيعه كما يبيع الأرض أو الطعام أو الماء ، فالهواء مباح للجميع ، ولا مكان له ولا وطن ، لأنه دائم الحركة من منطقة الى منطقة ، أو من قارة الى أخرى ، والحفاظ عليه من الدنس أو التلوث هى مسئوليتنا جميعاً ، فمن ذا الذى يستطيع أن يستغنى عن الهواء لدقائق معدودات ، والا اختنق ومات ؟

ان الانسان قد يقاوم الامتناع عن الطعام أسبوعين أو ثلاثة ، أو قد يتحمل العطش ليومين أو ثلاثة ، لكنه لا يستطيع أن يمتنع عن التنفس دقيقتين أو ثلاثة ، فهناك أمر اجبارى من جهازه العصبى بضرورة استنشاق الهواء ، حتى ولو كان يحوى غازات سامة ، فالجسم يفضل الموت مسموماً على الموت مخنوقاً .. ففى الهواء تكمن « شعلة » الحياة ، وبدونها تنطفىء وتختنق !

وكثيراً ما يتحدث الناس عن تلوث الماء والطعام ، لكنهم نادراً ما يذكرون الهواء ، رغم أن التلوث حادث فيه ليل نهار ، وقد يرجع ذلك الى عدم حساسية الأنف البشرية لاكتشاف التلوث ، أو ما اندس فى الهواء من غازات ضارة ، وما علق به من أجسام دقيقة فيها أذى للناس .. صحيح أن التلوث قد يكون طفيفاً وغير محسوس ، لكن ذلك لا يعنى أن أثره الضار غير ملموس ، اذا عرفنا أننا نستهلك من الهواء أكثر مما نستهلك من الماء والطعام فى حياتنا .

ان بضع أرقام قليلة سوف توضح لنا أبعاد المشكلة .. فالانسان البالغ يأكل يومياً ــ فى المتوسط ــ حوالى كيلو ونصف كيلوجرام من الطعام ، ويشرب حوالى كيلوجرامين من السوائل (بما فى ذلك الماء) ، لكنه يستنشق حوالى عشرة كيلوجرامات من الهواء ، أى حوالى عشرة آلاف لتر ، ولك بعد ذلك أن تحسبها ، فى عام ، ثم فى عدد الأعوام التى يعيشها الانسان ، تخرج بأرقام هائلة .

خذ بعد ذلك متوسط ما يستنشقه الانسان فى يوم واحد إذا كان من ساكنى المدن ذات الحركة والزحام والنشاط فى مجال الصناعة وسبل المواصلات ، ففى كل لتر من هواء هذه البيئة يكمن عدة ملايين من جسيمات السناج والهباب والتراب والميكروبات وحبوب اللقاح وما شابه ذلك ، ويعنى هذا ــ على حسب ما يذكر كل من دكتور س . سنجر ، هـ . هيلجارد فى كتابهما الشيق « بيولوجية البشر » ــ أن ساكن المدينة قد يستنشق يومياً أكثر من ٢٠ ألف مليون جسيم من هذه الأدران المعلقة فى الهواء (شكل ٥) ، ودعك من نوعية الغازات الضارة ، فهذه لا تدخل الآن فى الحسبان !

وطبيعى أن معظم هذه الأدران لا تدخل الى رئاتنا ، ولو حدث ، لما تحمل الانسان الحياة لبضع سنوات قليلة ، اذ ستتكدس رئتاه بما لا يمكن أن تستقيم معه الحياة ، ولابد ــ والحال

كذلك ــ أن تكون لنا فى أنفسنا استحكامات تحفظ علينا حياتنا ، ولقد جاءت بالفعل على هيئة شعيرات وأهداب ومواد مخاطية وممرات متعرجة فى داخل أنوفنا ، ثم أهداب متموجة تغطى أسطح القصبات والقصيبات الهوائية ، حتى إذا نفذ شيء من أنوفنا ، اصطادته تلك الأهداب ، وقامت « بكنسه » الى الخارج حتى تلقيه فى حلوقنا ، حيث ينساب الى المرىء ومنه الى الجهاز الهضمى ، ولاشك أن هذه المرشحات الهوائية ذات كفاءة عالية ، لكنها ــ مع ذلك ــ لم تتعامل من قبل مع الأدران الحديثة التى تنطلق الى الهواء ، اذ قد تكون هذه الأدران بدرجة من الدقة والضآلة بحيث تستطيع الافلات الى داخل رئاتنا دون أن تحتجزها تلك المرشحات البيولوجية ، وفى هذه الحالة تتسبب فى التهابات رئوية ، وأدران تختلف باختلاف أنواع هذه الموبقات ، أو قد تنفذ من رئاتنا الى دمائنا ، وقد يحتجز الكبد الكثير منها ، ليحوله من صورته الضارة الى صورة أقل ضرراً ، أو قد تتداخل بعض هذه المركبات فى المخزون الوراثى لخلايانا ، فتغير ما به ، وهنا تطفر الخلايا ــ أى تتغير ، وقد تكون احدى هذه الطفرات بؤرة لنشأة السرطان !

ماذا يستقبل غلافنا الهوائى ؟

لكن أبعاد مشاكل التلوث التى تحدث فى الهواء وحده (ودعك الآن من مشاكل تلوث الماء والطعام) لن تتضح الا إذا تعرضنا للكميات الضخمة من الملوثات الغازية التى تنساب الى غلافنا الهوائى فى كل عام ، والواقع أن الاحصائيات العالمية تشير الآن الى أرقام مخيفة ، ومعظمها ناتج من استهلاك البشر لتوليد الطاقة ، وادارة الآلات ، بما فى ذلك كل وسائل المواصلات ، واستخلاص المعادن من الخامات (شكل ٦) ، فإن الغلاف الهوائى يستقبل سنوياً من هذه الأنشطة مجتمعة :

• أكثر من ١٨٠ مليون طن من غاز ثانى أوكسيد الكبريت ، منها ٣٥ مليون طن تطلقها الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، وكندا حوالى سبعة ملايين طن ، ونفس هذه الكمية لبريطانيا ، أما الصين فحوالى ٢٠ مليون طن .

• أكثر من ١٢٠ مليون طن من أكاسيد غاز النيتروجين على المستوى العالمى سنوياً ، تشارك الولايات المتحدة فيها بحوالى ٢٥ مليون طن .

• أكثر من ٢٨٠ مليون طن من غاز أول أوكسيد الكربون السام على المستوى العالمى ، ومعظم هذه الكمية ناتج من عادم عشرات أو مئات الملايين من السيارات التى تنطلق فى العالم ليل نهار ، وطبيعى أن أكثر المناطق تلوثاً بهذا الغاز هى أكثرها ازدحاماً بالسيارات ، ولاشك أن كل المدن الكبيرة فى العالم لها فى غلافها الهوائى من أول أوكسيد الكربون النصيب الأكبر .

• عشرات الملايين من أطنان السناج أو الهباب والمواد القطرانية المتطايرة ، والهيدروكربونات ومركبات الرصاص والكادميوم والزئبق والكلور والفلور .. الخ .

• ملايين الأطنان من مواد غريبة على جو هذا الكوكب قام الانسان بتخليقها ليقتل بها الآفات ، وتعرف فى مجموعها باسم المبيدات .. فمن مبيدات حشرية ، الى مبيدات حشائش ، الى مبيدات قواقع ، الى مبيدات فطرية .. الخ ، كل هذا وغيره قد تجمع فى بيئة الأرض ، ثم بدأ يتركز فى أنسجة النبات ، وانتقل منها الى الانسان والحيوان ، وسوف نعود الى هذه المبيدات ، لنرى ماذا أصاب الكائنات من جرائها ، ثم ماذا كانت نتيجة الاسراف فى استخدامها .

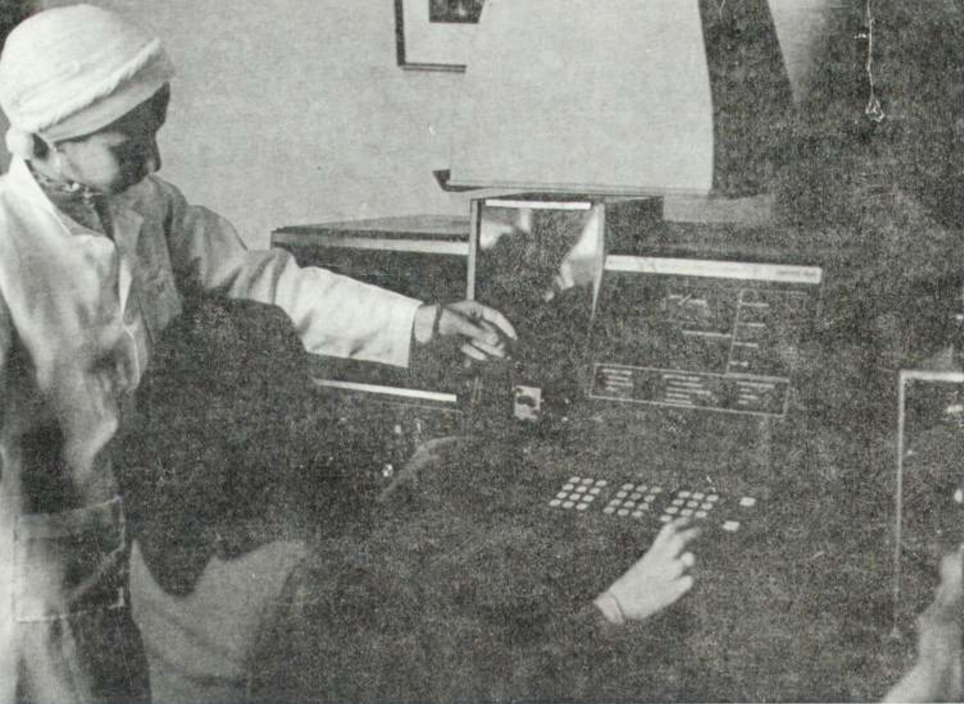
• يستقبل الغلاف الهوائى سنوياً أكثر من ١٨ ألف مليون طن من غاز ثانى أوكسيد الكربون نتيجة للزيادة فى استهلاك الوقود الحفرى ممثلا فى الفحم والبترول والغاز الطبيعى ، وطبيعى أن هذه الكمية قابلة للزيادة بزيادة الاستهلاك فى أنواع الوقود .. صحيح أن هذا الغاز لا ضرر منه على الكائنات الحية ، لكنه لو زاد عن معدلاته الموزونة التى جاء بها من قديم الزمن ، فإن ذلك كفيل « بكتم » حرارة الكوكب ، وعندئذ قد ترتفع درجة الحرارة بالتدريج ، مما يؤدى الى تغييرات كبيرة ، منها ــ على سبيل المثال ــ ارتفاع مياه البحار والمحيطات الى ما بين ١٠٠ ــ ٢٠٠ متر ، نتيجة لذوبان جبال الثلوج الضخمة عند القطبين ، بفعل ارتفاع الحرارة ، الناتج من زيادة غاز ثانى أوكسيد الكربون فى الغلاف الهوائى ، بسبب الزيادة المضطردة فى استهلاك الوقود .. وهى كما ترى حلقات فى سلسلة تؤثر كل منها فى الأخرى وتوجهها الى وجهات فى غير صالح الحياة عامة ، والانسان خاصة ، اذ سيؤدى ذلك الى غرق كل المدن الساحلية ، ومساحات هائلة من اليابسة .

وطبيعى أن جو الأرض يستقبل بين الحين والحين بعض الغازات الضارة والرماد والحبيبات الناتجة من ثورة البراكين ، أو قد تنتج من حرائق الغابات (شكل ٧) لكن ذلك لا يمثل الا نسبة صغيرة لا تتعدى ٣٪ مما تنفثه الأنشطة الصناعية والآلية للانسان ، ثم أن الطبيعة كفيلة بمعالجة مشاكلها ، لكنها غير قادرة على استيعاب هذه الكميات الهائلة المتزايدة من الدنس الذى كان نتيجة حتمية للنهضة الصناعية والتكنولوجية والعمرانية .. ذلك أن لكل شيء حدوداً ، فإذا زاد الشيء عن حده ، انقلب الى ضده ، وهو ما حدث ويحدث الآن على المستوى المحدود .. أى فى الأماكن التى حل بها التلوث ، أو قد يتعداه الى مناطق شاسعة تشمل دولا أو قارات بأكملها .

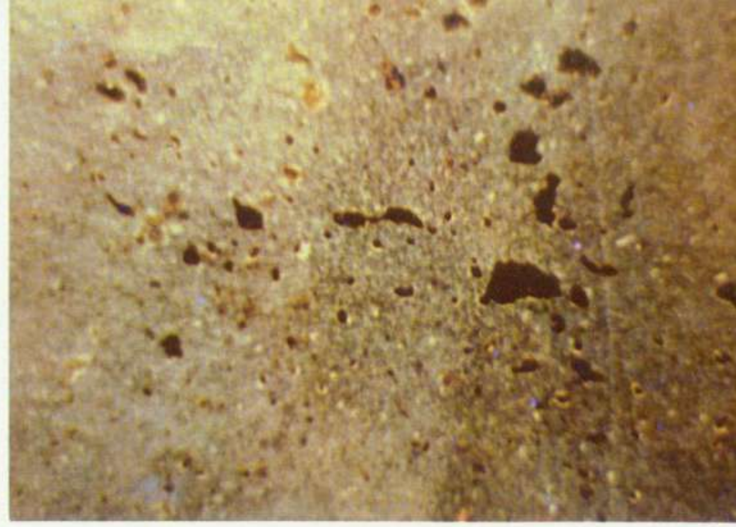
مآس قد تتكرر فى أى زمان ومكان

وقد يقول قائل : إن هناك ضجة هائلة عن تلوث البيئة وأخطارها ، لكننا ــ رغم ذلك ــ لم نلحظ أثراً مباشراً لهذا التلوث ، أفلا يدل ذلك على مبالغات لا أساس لها ولا جذور ؟

الواقع أن الأثر موجود فى الهواء الذى نستنشقه ، والماء الذى نتجرعه ، والطعام الذى نتناوله ، ويعنى هذا أن أجسامنا ــ وأجسام الكائنات الحية الأخرى التى تشاركنا بيئتنا ــ تحتوى على نسب متفاوتة من كل هذه الأدران أو بعضها ، وقد ترتفع هذه النسب أو تنخفض ، فذلك يتوقف على مدى تلوث المصدر الذى يحصل منه الكائن الحي على مقومات حياته من هواء وطعام وماء ، وقد لا تشكل الملوثات خطورة على الصحة العامة فى دولة من الدول الآن ، خاصة فى الدول النامية ، لكن من المؤكد أن الزمن كفيل بادخالها فى



(٤) فى جهاز التحليل الطيفى للعناصر ، تقوم هاتان الباحثتان بالكشف عن مدى تركيز المعادن التى تخرج مع نفايات الصناعات ، وتنساب فى البيئة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الزئبق والرصاص والنحاس والكادميوم وغير ذلك من عناصر ضارة بالكائنات ، ومنها الإنسان بطبيعة الحال



شكل (٥) صورة بالميكروسكوب الاليكترونى توضح مدى تنوع الأجسام الدقيقة المعلقة فى هواء المدن المزدحمة ، ومن هذه الأدران قد يستنشق الإنسان الكائن فى وسط المدينة يومياً حوالى ٢٠ ألف مليون غبارة وهبابة وجراثيم لقاح هائمة .. الخ .



شكل (٦) تطلق المصانع فى الهواء كميات ضخمة من الدخان المختلط بغازات خانقة ومهيجة ، مثل ثانى أوكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين والكلور والفلور والهباب ... الخ ، فهل تختفى هذه الظاهرة المؤذية من كوكبنا ، أو تقل حدتها على الأقل ؟

معمعة التقدم الصناعى والحضارى ، اذ يكفيها الآن مثلا حركة السيارات التى تنطلق فى شوارع مدنها الكبيرة ، وتنفث فيها عوادمها ونفاياتها ، فتنتشر فى هوائها ، ويستنشق سكانها منه مرغمين ، ولهذا فإن سكان المدن المزدحمة بحركة المواصلات ، أو بوجود عدد من المصانع الكبيرة يحملون فى أنسجتهم نسباً من أدران الاحتراق أكثر بكثير مما يحمله سكان الريف فى أجسامهم .

وليس ذلك من قبيل التكهنات أو المبالغات ، لأن بعض الكوارث قد حدثت بالفعل من جراء زيادة نسبة ملوثات الهواء عن حدودها ، وتكفى هنا بضع أمثلة قليلة ، لتوضيح الحقيقة .

فى كتابه القيم « الانسان وبيئته » يذكر دون آرثر شيئاً عن المأساة التى حلت ببعض سكان لندن فى عام ١٩٥٢ فيقول « ان النفايات الصناعية المنطلقة فى الهواء لاشك تسبب اضطرابات ومضايقات فى الجهاز التنفسى ، ولهذا فان ظهور الالتهابات الرئوية بين سكان المدن أكثر بحوالى خمس مرات من سكان الريف .. إن الضبخان (أى الضباب المختلط بالدخان) الذى حل بلندن عام ١٩٥٢ كان بمثابة تجسيد حي لما يمكن أن يؤدى إليه تلوث الهواء الذى تسبب فى موت أربعة آلاف نسمة .. ان الأثر التهيجى فى الجهاز التنفسى من جراء استنشاق الناس لغاز ثاني أوكسيد الكبريت أو حامض الكبريتيك (وهو الذى يطلق عليه العامة ماء النار) المعلق فى القطرات المائية الدقيقة جداً ، ربما قد لعب الدور الأعظم فى اصابة هؤلاء الضحايا بالالتهابات الشعبية الرئوية والربو من جراء وجودهم فى هذه المناطق المكتظة بالصناعات ، ويبدو كذلك أن ملوثات أخرى قد شاركت فى احداث هذه المأساة ، اذ أمكن عزل حوالى خمسين مركباً مختلفاً من الضبخان ، وتبين أن بعضها من المواد المسببة للسرطان ، مثل مادة ٣ ــ ٤ ــ بنزبيرين Benzpyrene ، فلقد وجدت فى جو المدن بتركيزات تتراوح ما بين ٨ ــ ١٢ مرة قدر تركيزها فى الخلاء » !

والواقع أن هذه الكارثة المحدودة بزمانها ومكانها من الكوارث العديدة التى تتناولها معظم المراجع العلمية بطريقة أو بأخرى ، هذا ومما يذكر فى هذا المجال أن التلوث لم يكن السبب المباشر فى موت هذا العدد الكبير من الناس ، بل كان بمثابة عامل مساعد وهام فى التعجيل بوفاتهم ، ذلك أن الأصحاء قد سعلوا وتضايقوا ، لكن ذلك مر بسلام ، فى حين أن ٩٠٪ من الذين راحوا ضحايا التلوث كانت أعمارهم أكثر من ٥٠ عاماً ، وأن ٧٠٪ من هؤلاء بلغت أعمارهم أكثر من ٦٥ عاماً .

ليست الكارثة الوحيدة

ومن جهة أخرى يذكر دكتور كلايد أور فى كتابه « بين الأرض والفضاء » مأساة أخرى حدثت فى عام ١٩٣٠ بوادى نهر ميوز ببلجيكا ، فيصفها بقوله « فى خلال ثلاثة أيام من حدوث شابورة مصحوبة بدخان متصاعد من مداخن عدة مصانع فى لييج ، صحا الناس وهم يسعلون ، وشعروا بالكارثة عندما وجدوا ماشيتهم وكلابهم وطيورهم راقدة على الأرض وهى ترتعش وتلهث ، ومر يومان بليلهما ككابوس يجثم على صدر المنطقة ، وراح بعض الأهالى يحولون بين أنفسهم وبين هذا الهواء الخانق بأن اصطحبوا معهم ما تبقى من حيواناتهم الى داخل بيوتهم ، وأغلقوا عليها وعليهم النوافذ والأبواب ، وسدوا كل منفذ أو ثقب بقطع من القطن أو القماش ، لكن بعضهم ــ مثل سكان مدينة انجس الصغيرة البالغ عددها ثلاثة آلاف نسمة ــ قد هجروا مدينتهم وفروا بجلدهم ، ومع ذلك فقد مات فى هذه المنطقة ٦٣ شخصاً ، غير عدد كبير من الحيوانات ، لكن بقيت المئات من البشر وهم يلهثون ، وكأنما النيران قد اشتعلت فى حلوقهم وصدورهم » !

وتعليل ذلك لا يخفى على لبيب ، ذلك أن أدخنة المصانع المجاورة كانت تلقى كل يوم فى الهواء بأطنان من غازات خانقة ، أهمها غاز ثانى أوكسيد الكبريت ، وغاز الفلور من مصانع الفوسفات فى نفس المنطقة ، وعندما يركد الهواء ، وتختفى فيه التيارات الصاعدة الهابطة ، ثم يأتى الضباب ليكمل المأساة ، يصبح الهواء مصدر موت لا حياة .

ونسى الناس ما حدث فى ذلك الوادى لسنين طويلة ، لكن مجلة « كولبير » كتبت فى عددها الصادر فى ٢٣ أكتوبر عام ١٩٤٨ تحذر من زيادة تلوث الهواء في الولايات المتحدة ، وتتنبأ بأن ما حدث في بلجيكا ، قد يحدث فى أية ولاية أمريكية ، ولقد تحققت النبوءة بالفعل بعد أسبوع واحد فى مدينة « دونورا » ببنسلفانيا ، اذ خيم عليها الضبخان يومى ٢٧ ، ٢٨ من الشهر نفسه ، وبدأ نصف سكان المنطقة البالغ عددهم ١٤ ألف نسمة يسعل ، وانهالت المكالمات التليفونية على المسئولين تطلب النجدة ، وتحركت الى المدينة ادارة المطافىء والصليب الأحمر وفرق الانقاذ ، ومع ذلك فقد مات منهم عشرون فرداً ، هذا بالاضافة الى مئات الحيوانات وآلاف الطيور ، وحل المرض والاعياء بنصف السكان ، وكان من بينهم ٤٤٠ فرداً قرر الأطباء أن حالتهم الصحية سيئة ، وتستلزم الرعاية الطبية ، ولقد ظل بعضهم عاماً كاملا وهم في حالة من الاعياء » .

وما حدث فى لندن ووادى نهر ميوز ودونورا ، حدث ويحدث فى أماكن متفرقة مثل لوس انجلوس وبرمنجهام وطوكيو .. الخ ، وسوف يحدث طالما كان هناك ضباب ودخان وركود هواء !

الرصاص .. من الهواء الى دمائنا فعظامنا !

ومع أن هذه الكوارث قد تبدو محدودة بظروفها ، الا أنها ليست كذلك حقاً ، فواقع الأمر أنها أصبحت جزءاً من الغلاف الهوائى المحيط بالكرة الأرضية ، لكنها تنتشر فيه بنسب متفاوتة .. عالية لدرجة الخطر فى المناطق التى تنطلق فيها تلك الغازات الضارة ، ثم تقل بالتدريج كلما ابتعدت عن مصادرها .

ولكى نوضح ذلك أكثر ، دعنا نتعرض للتلوث الناتج من نفايات أو عوادم السيارات ، وفى هذه النفايات تشترك كل المدن الكبيرة ، ففى شوارعها

تنطلق عشرات أو مئات الألوف من السيارات ، وطبيعى أنه كلما زاد العدد ، زاد التلوث ، ومن هذه النفايات عنصر الرصاص السام الذى يستنشقه أهل المدن ليل نهار .

صحيح أن الرصاص أو مركباته توجد بنسب جد ضئيلة فى الغلاف الهوائى نتيجة للحمم التى يلقيها هذا البركان أو ذاك ، أو لحريق فى غابة ، أو من غبار تذروه الرياح ، الا أن ذلك كله فى حدود المسموح به صحياً ، لكن نسبة هذا المركب قد أخذت فى الزيادة تدريجياً فى وقتنا الحاضر ، وهى الآن أكثر بكثير عما كانت عليه منذ خمسمائة عام قبل الميلاد مثلا .

كيف اذن أمكن تقدير هذا العنصر فى الهواء ، رغم مرور ما يقرب من ٢٥٠٠ عام ؟

من الدراسة التى قام بها دكتور س . باترسون من معهد كاليفورنيا التكنولوجى على ثلوج القطب الشمالى بالقرب من جرينلاند ، وعلى أعماق أثبتت التحاليل أن ثلوجها قد ترسبت منذ ذلك الوقت الطويل ، اتضح أن نسبة الرصاص فيها وصلت الى حوالى ثمانية جرامات لكل طن من الثلج عند عمق معين ، لكن الرصاص فى الثلوج التى تكونت عام ١٩٥٠ قد وصلت نسبتها الى حوالى ٩٠ جراماً ، أى تضاعفت أكثر من أحد عشر مرة ، ثم الى ٢١٠ جراماً فى الطن فى الثلوج التى تكونت عام ١٩٦٥ !

وفى دراسة أخرى قام بها دكتور هنرى شرويدر وزملاؤه لتقدير نسبة الرصاص فى الحلقات السنوية لشجر الدردار الذى ينمو على مسافة ٥٠ متراً من طريق يتميز بحركة خفيفة لمرور السيارات ، فتبين أن هذه النسبة لا تتجاوز ٠,١٦ جزءا فى كل مليون جزء من خشب الحلقات التى تكونت فى منتصف القرن التاسع عشر ، لكنها ارتفعت الى ٣,٩ جزءا فى المليون فى الحلقات التى تكونت فى الستينات من هذا القرن .. أى أنها تضاعفت حوالى ٢٤ مرة !



شكل (٧) من مصادر تلوث الهواء انفجار البراكين ، أو حرائق الغابات ، ومع هذه الحرائق تزيدنسبة غاز ثانى أوكسيد الكربون والرصاص فى الهواء ، لكنها — مع ذلك — لا تمثل إلا نزراً يسيراً ، ويصبح الإنسان هو الملوث الأول

ولقد أمكن ارجاع هذه الزيادة الى الرصاص الموجود فى عوادم السيارات ، ولاشك أن هذه النسب أعلى من ذلك فى هواء المدن ، وعلى الأخص فى شوارعها المزدحمة ، حيث يستنشق الناس منها هذه المركبات الضارة دون علم منهم (أو حتى بعلم منهم ، لأنهم لن يضربوا عن استنشاق الهواء على أية حال) .. ففى بعض الدراسات التى أجريت على شوارع المدن المزدحمة تبين أن تركيز الرصاص الموجود فى الهواء من عوادم السيارات أعلى بحوالى ٢٠ مرة من تركيزه فى المناطق الأقل ازدحاماً ، وأعلى بحوالى ألفى مرة من عينات الهواء الموجودة بعيداً عن القارات بمسافات شاسعة (من وسط المحيط الباسيفيكى أو الأطلنطى مثلا) .

وفى الدراسات الطبية التى أجريت على سكان المدن المزدحمة بسبل المواصلات تبين أن ٤٥٪ من كمية الرصاص الذى يستنشقه الناس يدخل الى الدم عن طريق الرئتين ، وأن كل سنتيمتر مكعب واحد من الدم يحتوى على ما بين ٤٠ — ٦٠ جزء فى المليون من الرصاص ، وهذه تساوى نصف الكمية اللازمة لحدوث التسمم ، ويقال أن الأطفال أكثر استجابة للتسمم من الكبار .. أضف الى ذلك أن وجود الرصاص — ولو بكميات طفيفة — يؤدى الى عرقلة تخليق انزيم أو خميرة هامة فى تكوين مادة الهيموجلوبين الحاملة لأوكسيجين الهواء ، كما أن هذا العنصر السام يتركز فى العظام بمرور الأعوام ، لكن أحداً لا يستطيع أن يتكهن الآن بما ستأتى به الأيام ، فنحن لازلنا حديثى عهد بهذا الدنس الذى حل بكوكبنا ، ومع ذلك فهناك دراسة تشير الى أن كثيراً من حالات تخلف الذكاء عند الأطفال ثبت أن لها علاقة بتركيز الرصاص فى دمائهم ، وكلما زاد التركيز ، زاد التخلف !

هذه — اذن — لمحات سريعة عن نصيب سكان الأرض من هوائهم ، فماذا عن مائهم وطعامهم وأرضهم ؟ .. لهذا دراسة قادمة نوضح بها ما خفى ، وما خفى كان أعظم .

عبد المحسن صالح



شكل (٨) صورة من الجو التقطت ليلا لمجموعة من المداخن المقامة بجوار أحد حقول البترول البعيدة عن العمران بالكويت ، وهى — كما ترى — تنفث فى الجو نصيبها من التلوث .. ! إنها واحدة من آلاف تنتشر فى دول البترول ، وتشارك مع نفايات السيارات والمصانع بنصيب الأسد فى تلوث الهواء !

عبـــاس خضـــر

من الأدب الشعبي :

أبو زيد الهلالى يشكو الإهمال والنسيان

كان صديق الطفولة أبو زيد يحفظ قصص أبى زيد الهلالى وأشعاره ، وكنت أصغى اليه وهو يأخذنى الى عالم سحرى عجيب . لقد كان هو الفنان الأول فى حياتى . كان الشاعر ، والمطرب ، والقصاص .. والحديث عنه يأخذنى الى القصص الشعبية فى أدبنا العربى .. والحال الذى وصلت إليه !

أهمل دارسو القومية العربية الأدب الشعبى العربى .. فلم يلتفتوا إليه مع أنه مقوم من مقوماتها ، مشترك (بفتح الراء) بين شعوبها ، فمن من هذه الشعوب لا يعرف أبا زيد الهلالى ودياب بن غانم والزناتى خليفة ؟ اللهم إلا هذا الجيل الذى تعلم فى المدارس والجامعات .. وهنا إهمال آخر .. إهمال من جانب المشرفين على المدارس والجامعات .

ما عدا رسالات أو أطروحات جامعية قليلة ، هى ــ فيما أعلم ــ ثلاث بالتحديد ، رسالة لسهير القلماوى عن « ألف ليلة وليلة » نالت بها درجة الدكتوراة ، ورسالتان للدكتور عبد الحميد يونس عن الهلالية نال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه .

على أن هذا ليس هو فقط المقصود من الاهتمام بالأدب الشعبى ، بل الأدب الشعبى نفسه ، لماذا يندثر ــ كما نرى ــ ويبتلعه النسيان ؟ وفيه قيم عظيمة الأثر فى حياة قومنا وأخلاقهم وعاداتهم ، كانوا يستشهدون فى المواقف المختلفة بما قال أبو زيد وما أثر عن القاضى بدير بن فايد . ويكون ذلك قولا فصلاً فيما قد يكون من خلافات ونزاعات .

حقاً إن هذه القصص تشوبها شوائب كثيرة فى الشكل والمضمون ، ولكن يمكن تنقيتها من هذه الشوائب ، أو استيحاء المادة فى تكوين يحدث إسقاطاً على الأحوال الحاضرة ، وقد فعل ذلك الأستاذ فاروق خورشيد برواية « سيف بن ذى يزن » ونال بها جائزة الدولة التشجيعية . وأذكر ــ متردداً خجلا ــ أنى فعلت ذلك أيضاً فى بضع روايات قررت إحداها على طلبة الشهادة الاعدادية فى مصر من نحو عشرين سنة . واقتصر الأمر على هذا الجهد المحدود ، كما اقتصر ــ من حيث الدراسة ــ على تلك الرسائل الجامعية .. عذراً .. فاتنى أن أذكر دراسة مطولة جيدة لألف ليلة وليلة قام بها الأستاذ أحمد حسن الزيات ونشرها فى كتاب من كتبه ، وهو كتاب « فى أصول الأدب » .

أول ما قرأت

وأحمد الله على أن نشأت فى زمن كان فيه لا يزال للقصص الشعبية شأن من حيث الاهتمام بها ونشرها وقراءتها .

أول ما قرأت ــ بعد المصحف الشريف ــ كان فى قصة من قصص الهلالية وجدتها عند رجل قعيد اسمه « عبد الجواد العاجز » رجل كسيح يحمل من بيته الذى يشبه المخزن الى ناصية بجوار الجامع ، وما أكثر أهل الخير الذين يحملونه الى « المخزن » فى المساء والى الناصية فى الصباح ، ويدقون له الأوتاد والعصى التى يثبت فوقها « خيش » يقيه شمس الصيف ومطر الشتاء ، والذين يجودون عليه بما يفيض عن حاجتهم من الطعام ، ثم الذين يشترون له من الأسواق « كتب الشعر » ذات الورق الأصفر والأغلفة المحلاة بصورة أبى زيد الهلالى أو صورة الناعسة أو عزيزة ويونس ... الخ .

والرجل أمى لا يقرأ ولا يكتب ، إنه يشير بيد مرتعشة وهو يضحك لى متودداً ، أو يحاول الضحك فتستعصى عليه عضلات وجهه .. يشير الى طاقة فى الحائط فوق رأسه ، فأمد يدى بداخلها وأخرج تلك الكتب ، وأنفض عنها الغبار ، وأجلس الى جواره وأقرأ ، ويستغرق كلانا أى استغراق ، فلا نشعر بالزمن الا عندما يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ، ربما لا ننتبه لأذان الظهر أو العصر ، ولكن أذان المغرب ينذرنا بانطفاء المصباح الذى أقرأ على ضوئه : غروب الشمس !

لو كنت اذ ذاك أعرف قولة « أرشميدس » عندما خطر له حل المسألة التى كانت تشغل فكره : « وجدتها » لرددت تلك الكلمة وأنا فى سرور لا يقل إن لم يزد على سرور أرشميدس .


د . سهير القلماوى


د . عبد الحميد يونس


كامل كيلانى


أحمد حسن الزيات

أبو زيد يحكى عن أبى زيد

وذلك لأنى وجدت شيئاً أقرأه ، شيئاً غير ما نتعلمه فى الكتاب ..

وكان لى فى تلك المرحلة الباكرة صديق يكبرنى قليلا : غلام يعمل عندنا راعياً للجاموسة اسمه أبو زيد . كنا نقضي شطراً من الليل فى سمر .. وأى سمر ذلك الذى كنّا نتسامر به .. ؟ كان أبو زيد يحفظ قصص أبى زيد الهلالى وأشعاره ، ربما كان يحفظها لأنه أمى لا يقرأ ، كنت أصغى إليه وهو يأخذنى الى عالم سحرى عجيب .. تشتجر فيه السيوف وتصهل فيه الخيول ويتناحر الأبطال ، ويشدنا بعضهم اليه والى ما يحبه من إنسانية وقيم .. موقعاً ذلك كله على نغم من كلمات آسرة وصوت كان أوقع على سمعى من أى صوت .. مرة يسترسل فى الحكى ، ومرة ينشد لا ينقصه إلا « الربابة » .

وكان النشيد يسترعى انتباهى بما فيه من عبارات البدء بالصلاة على النبى « العربى » الذى هو من ولد « عدنان » .

وطالما ترنمنا بهذا المطلع :

أول ما نبدى نصلى على النبى
نبى عـربى من ولد عدنان

والهلالية كانوا فى بلاد عربية ، وسماتهم وأخلاقهم عربية ، ورجالهم كانوا فرساناً عرباً يتشبه بهم بعض الرجال فى القرية ، ويصيحون بتلك الأشعار وهم على ظهور الخيل يتسابقون ..

شاعر الربابة

قلت لصديقى :

ــ ممن عرفت كل هذا يا أبو زيد ؟

ــ من « الشاعر » .

ــ هل أستطيع أن أرى هذا الشاعر ؟

ــ ممكن ، عندما يجيء الى « عرس » فى البلد .

وكان عرس ، وجاء الشاعر ، وكانت ليلة ..

تمثل لى الشاعر نفسه أبا زيد الهلالى .. بيده الربابة كأنها سيف .. يجلس على كرسى وضع على « طبلية » خشبية كبيرة تعلو به الى مستوى أنظار الجمهور ، كأنه يمتطى ظهر حصان ، وعند المناسبة الحماسية يدق بحذائه الطبلية كأنه يلكز جنب الحصان ، فيعلو صوت كأنه صهيل .. ونحن معه أو مع من يحكى عنهم ويمثلهم لا نعى شيئاً مما حولنا .. حتى إذا أخذته الحماسة فى موقف بلغ الذروة ضرب بقدمه الطبلية ضربة شطرتها شطرين !

وكانت تلك الضربة حديث اليوم التالى فى مجالس الرجال وملاعب الصبيان ، وما كان أشد اعتزاز من رأى وهو يحكى لمن يسمع ..

مررت يوماً ــ بعد عشرات السنين ــ بدكان فى القرية ، فخرج صاحب الدكان يسلم على ، وما كان أسعدنى به .. انه أبو زيد ، صديق الطفولة ..

ــ كيف أنت يا أبو زيد ياهلالى سلامة ؟

ــ الحمد الله ، تفضل ، لازم تشرب الشاى .

ــ والله زمان يا أبو زيد ..

وقلت له : سأعود بعد « المشوار » الذى نحن ذاهبون إليه .

وتقدم بنا الليل ، فسألت من معى :

ــ يا ترى أيكون أبو زيد فى الدكان الى الآن ؟

ــ انه يبيت فيه وان كان قليل النوم ، أصل ابنه مات .. مات شهيداً فى الحرب .

قبل أن أدق باب الدكان سمعت صوتاً وأزيزاً ، أو قل صوتاً يوقع على أزيز .. الصوت يعود بى الى أغوار ماض سحيق .. أيام أن كان يقول أبوزيد الهلالى سلامة :

« والنار فى القلب زايدات اللهايب »

ولما دخلت رأيت مصدر الأزيز براد شاى يغلى فوق وابور الجاز ..

لم أذكر ابنه الشهيد خشية أن أثير شجونه ، ولكنه كان يدير الحديث منساقاً الى جهة السياسة وأخبار العرب وما أعدوه لحرب اسرائيل . فوجدتنى منساقاً الى سرد أخبار سارة وتعليقات متفائلة ، فلاحت على أساريره انفراجة عن ملامح عهدتها منذ ذلك العهد البعيد ..

كان أبوزيد هو الفنان الأول فى حياتى ، كان الشاعر ، وكان المطرب ، وكان القصاص .

ندوة الدوحة

قرأت ما نشرته « الدوحة » (العدد ١٠٨) عن ندوة التراث الشعبى الخليجى فى الدوحة التى شهدتها دولة قطر أخيراً عن الأدب الشعبى الخليجى والتى نظمها مركز التراث لدول المنطقة ، وافتتحها الأستاذ عيسى غانم الكوارى بكلمة قال فيها « إن الحرص على رعاية التراث الشعبى لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكلور العربى » .

والاهتمام الشامل بالثقافة العربية ككل « شنشنة نعرفها من أخزم » و « أخزم » هنا هو دولة قطر التى تعد هذه المجلة من ذلك الاهتمام المحمود . وحتى الاهتمام بالتراث الخليجى يعد عملا صالحاً ، ليس فقط للمنطقة الخليجية ، بل هو كذلك للهدف العربى العام المرجو فى تنشيط الأدب الشعبى العربى الذى هو من سمات الأمة العربية فى كل مكان .

وقال الأستاذ الكوارى وزير الاعلام القطرى وهو يبين أهمية مركز التراث الشعبى وجهوده العلمية فى هذا المجال : « والعبرة هنا ليست فى أن يحقق المركز أهدافه العلمية المحددة فقط ، وانما أن ينطلق ليؤثر فى حركة الثقافة والفكر بالمنطقة ، وأن يضيف الى الثقافة العربية شيئاً مما كان مطوراً من تراث هذه الأمة » .

وجاء فى توصيات الندوة أن من أهدافها التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى . ويهمنى أن أنبه على شيء هو الناتج من هذا ، ذلك هو أن يقدم الأدب الشعبى للناس كباراً وصغاراً فى أسلوب حديث منقى مما لا يتفق مع عصرنا الحاضر شكلا ومضموناً ، ولكل طريقته فى التناول ، وقد حدث فعلا أن استمد بعض الرواد الأوائل فى الكتابة للأطفال قصصاً من « ألف ليلة وليلة » وقدموها للأطفال فى أسلوب عربى سهل جميل ، على رأس هؤلاء المرحوم كامل كيلانى ، والتفت هذا الرائد الكبير إلى الأولاد الذين جاوزوا سن الطفولة ، فأخرج لهم كتاب « أساطير ألف يوم » .

القراءة بعد الطفولة

والواقع أنها فجوة كبيرة تلك التى تقع بين الطفولة والشباب ، فإذا قرأ الطفل قصص الأطفال ثم كبر شيئاً وتطلع الى مستوى أكبر من القراءة لايكاد يجد شيئاً يناسبه ، وكان كتاب « أساطير ألف يوم » الذى لم يتكرر مثله كثيراً يلبى تلك الحاجة . ومما يذكر أن كامل كيلانى كان يتتبع ولده « مصطفى » من صغره حتى شب عن الطوق ، فكان يقدم من القصص ما يناسب المرحلة التى بلغها ، فلما قارب الشباب كتب « أساطير ألف يوم » وكثيراً ما نرى فى مقومات قصصه عبارة « ولدى مصطفى » وكان مصطفى هو كل ولد عربى يقرأ ويستمتع بالأسلوب العربى الفصيح السهل القويم الجذاب .

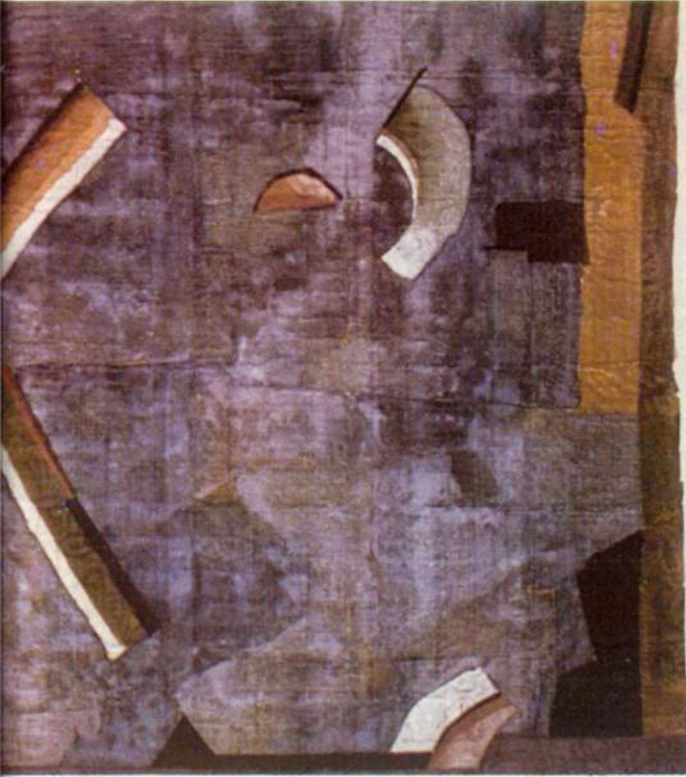
ونعود إلى الندوة التى أجتمعت أخيراً فى الدوحة ، ونقول : حقاً إن الجمع والتصنيف والدراسة مهمة فى التراث الشعبى ، ولكن ثمرتها الناضجة وخاصة فى مجال الأدب هى الثمرة المرجوة .

تحية واحتراماً لكل جهد عربى يبذل فى لم شعث التراث الشعبى واستثمار أدبه .

بقلم: صبحي الشاروني

آدم حنين

فنان عربي في مدرسة باريس!



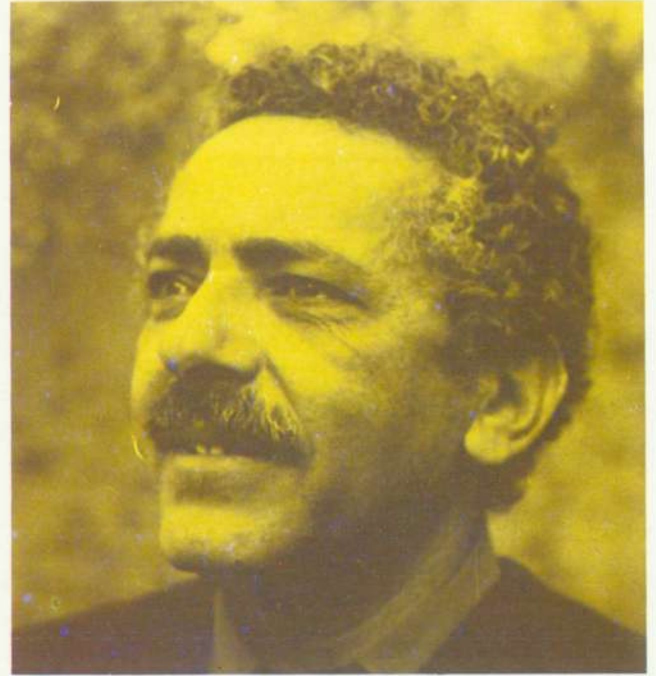
انعكاسات على صفحة نهر : لوحة من مجموعة الفنان الخاصة فى باريس .. وخاماتها ألوان مائية على ورق بردى (١٩٨٢)

• ليس هناك مذهب فنى أفضل ولكن جميع المذاهب تفيدنى

• فى سنوات العزلة فى أرض النوبة اصر على تغيير اسمه الأصلى إلى إسم جديد هو آدم حنين

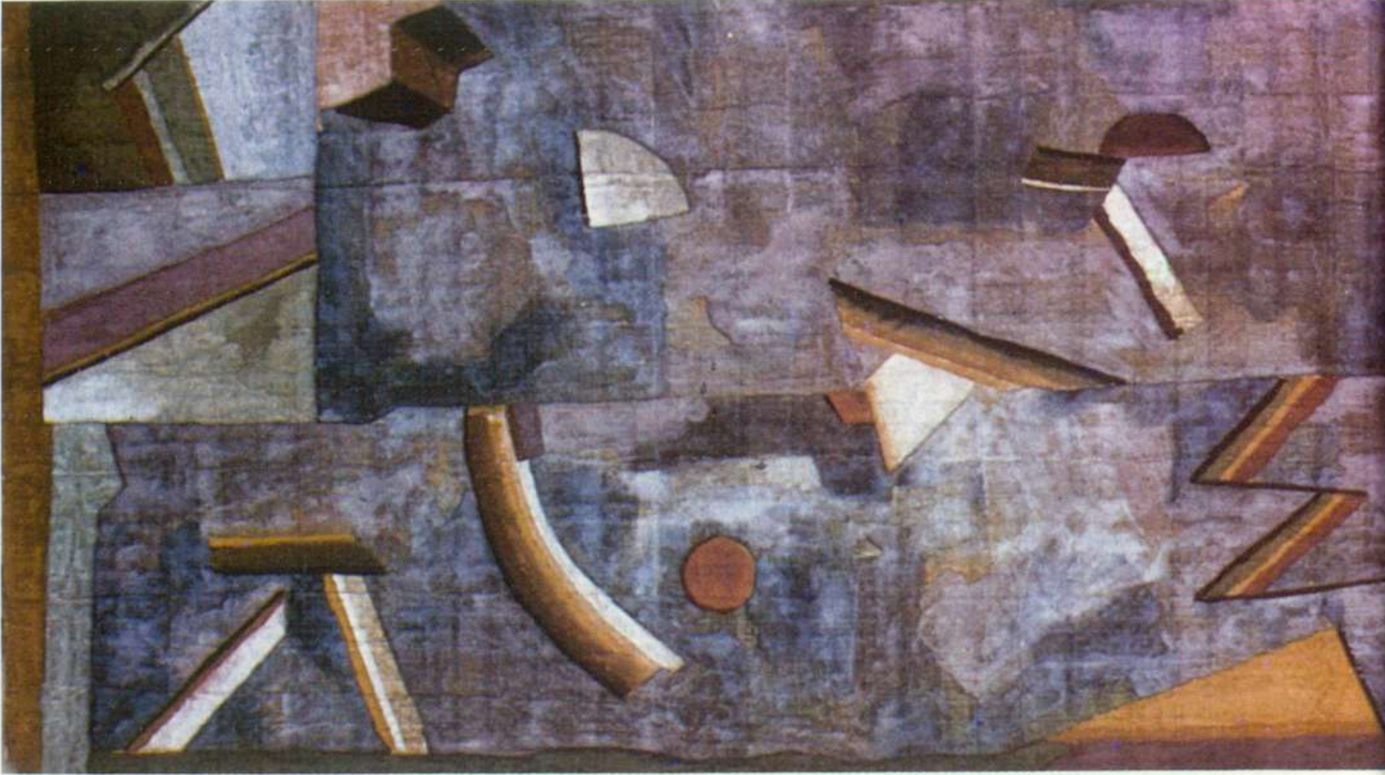
• باريس تحتضن الفنان العربى وتتيح له الفرصة ليقدم فنه إلى العالـــم

• رفض جميع الوظائف والمناصب اللامعة ليتفرغ لفنه .



الفنان آدم حنين أو الفنان العربى الذى اعترفت به رسمياً وزارة الثقافة فى فرنسا

آدم حنين هو الفنان العربى الذى اعترفت به رسمياً وزارة الثقافة فى فرنسا ، والفرنسيون ينفقون ميزانية ضخمة للمحافظة على المكانة العالمية للفن الفرنسى ، وهم يعملون جاهدين للمحافظة على تقاليد « مدرسة باريس الفنية » التى كان من أقطابها المعروفين « بيكاسو » الأسبانى و « جياكوميتى » السويسرى و « شاجال » الروسى .. ثم الشاعر « بول ايلوار » الفرنسى ... فمدرسة باريس تضم الفنانين الذين يعيشون فى باريس سواء كانوا فرنسيين أو أجانب .





البندول الثابت : لوحة بالألوان المائية وأكاسيد على ورق بردى ، وهى ضمن مجموعة خاصة للفنان فى أمستردام بهولندا

وقد حصل آدم حنين على محترف (ورشة) مجهز للنحت قدمته إليه وزارة الثقافة فى فرنسا ، بعد أن بدأت أعماله تشق طريقها متميزة فى سياق الحركة الفنية بباريس .

المحترف الذى يعمل به لا يبعد سوى خطوات قليلة عن مسكنه على أطراف باريس .. انه واحد من مجموعة محترفات متجاورة اقامتها بلدية باريس للفنانين الذين تم الاعتراف بهم خلال السنوات العشر الماضية .. وهذه المجموعة أعدت خصيصاً للنحاتين ، جزء منه فى الهواء الطلق ، وجزء منه داخل واجهة زجاجية تسمح لنور النهار أن يغمر المكان ، وهو مزود برافعة (ونش) لتحريك الأدوات والأحجار الثقيلة .. أما مدخل المحترف ، فيضم ردهة استقبال وحجرة جانبية ليستريح فيها الفنان ، ثم شرفة ترتفع بضع درجات عن المحترف ، وهى تتيح للفنان رؤية أعماله من عدة زوايا .

طريق الفن

وآدم حنين الذى حقق هذا النجاح هو الفنان الذى عرفته مصر أولا .. ورسخت أقدامه فيها ، وحقق مكانة متميزة بين نحاتيها قبل أن يسافر إلى باريس عام ١٩٧١ .. لقد كان فناناً رائداً فى اتجاه « التعبيرية الاجتماعية » الذى ابتدعه خلال حقبة الخمسينات .

ولد الفنان بالقاهرة عام ١٩٢٩ .. وكان اسمه « صمويل هنرى حنين » ، وقد تعرف على عالم التشكيل منذ طفولته ، فكانت أول وأهم حادثة فى

حياته هى زيارة المتحف المصرى (الانتكخانة) مع مدرس التاريخ « زكى أفندى » خلال دراسته بالسنة الثانية الابتدائية بمدرسة التوفيق .. لقد بهرته هذه الزيارة ، وجذبته آثار المصريين القدماء ، ومخلفات الفراعنة ، وبالنسبة للفنان فهى زيارة لا تنسى .

ثم شاهد مدرس الأشغال « وهيب أفندى الياس » ، وهو يصنع تمثالا من « البلاستسين » فراح يرقبه بشغف ودهشة ليتعلم منه .

بعدها عمل تمثالا لرأس اخناتون من طين الصلصال ولونه عندما جف .. ولما رآه أبوه : أبدى اعجابه عملياً فعرضه فى « فاترينة » المحل الذى يملكه في حي الصاغة وسط المعروضات الأخرى من الفضيات ، ليشاهده المارة والزبائن .

وهكذا اختار « صموئيل » طريق الفن من وقت مبكر .

والتحق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٤٩ ليتخصص فى دراسة فن النحت ، وتخرج عام ١٩٥٣ بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف .. وقد اتاحت له سنوات الدراسة ان يتلقى التعاليم الاكاديمية على ايدى أساتذته من المثالين التقليديين ، وفى نفس الوقت لمس ثورة الفنان « جمال السجينى » على تلك التعاليم من أجل ادخال المذاهب الحديثة فى فن النحت ، حيث درس على يديه أيضاً .

بعد تخرجه التحق بمرسم الفنون الجميلة بالأقصر فى أقصى الصعيد لمدة عامين (١٩٥٤ — ١٩٥٦) وهو عبارة عن بعثة داخلية تقتصر عضويتها على المتفوقين عند التخرج ، وكان هذا هو أول شكل من أشكال التفرغ عرف فى مصر .

هناك عاش الفنان بين آثار الفراعنة وأهالى « البر الغربى » بالقرب من الدير البحرى ووادى الملوك حيث حافظ الأهالى — بدرجة ما — على نفس نمط الحياة التى عاشها المصريون القدماء .. فى هذه البيئة الأصلية اكتملت شخصيته الفنية ، وأنتج مجموعة رائعة من التماثيل التى لا تنسى : « السر » — « انتظار الماء » — « الكيف » ... وغيرها .

من هذه البيئة استمد الفنان مقومات المرحلة الأولى في فنه فكانت أعماله هى امتداد واع ومتطور لقيم النحت الفرعونى ، ومعبرة بصدق رائع عن المرحلة التى عاشتها مصر فيما بين عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥٦ .

وبعد أن انتهت اقامته فى مرسم الأقصر أصر على أن يتفرغ لفنه فى مواجهة اغراء الوظيفة الحكومية فيما عدا تدريس النحت بكلية الفنون الجميلة وهى المهنة الوحيدة التى كان يحلم بها ، حيث يستطيع أن يواصل الانتاج الفنى فى قلب معمل تفريخ الفنانين وفى بؤرة الحركة الفنية ، لكن العراقيل وقفت امامه تمنعه من تحقيق هذا الحلم ، فذهب الى سفح الهرم وأقام مرسمه هناك بالاشتراك مع زميله الرسام « ممدوح عمار » .. وهناك واصل المسيرة الشاقة فى دأب ، بينما شبح الحاجة يهدده فكان يقول « اننى استغل فرصتى فى الانتاج الفنى قبل أن تهزمنى الحاجة ولا أجد الفرصة لتناول أدوات النحت » وفى عام ١٩٥٥ انجز تمثاله الرائع « الحرية » وهو موضوع حالياً فى متحف التعليم بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة .. وقد اشترك بهذا التمثال فى مسابقة الانتاج الفنى ففاز بالجائزة الأولى على كبار الفنانين الذين خاضوا المسابقة وتناولوا نفس الموضوع . هذا التمثال هو المثال الناضج للمرحلة الأولى من فنه التى تستمد من الفن الفرعونى أروع قيمه التشكيلية والذى عبر به الفنان عن الأحداث فى ثورية واضحة ، وكان آخر تماثيل تلك الفترة هو تمثال « أم الشهيد » الذى عبر به عن أحداث ١٩٥٦ وهو لأم تحمل ابنها الشهيد على ركبتيها واضعة احدى يديها عليه وقابضة بالأخرى على بندقية ، وقد نفذ الفنان هذا التمثال بأسلوب بسيط معبر خال من الهتاف والميلودرامية التى كانت تنتشر فى الأعمال الفنية التي انجزت فى تلك الفترة .

مميزات المرحلة الأولى

لقد تميزت هذه المرحلة الأولى بميزتين واضحتين .. الأولى هى التطور بفن النحت من التعبير الدارج والساذج عن الأحداث .. ومن المواقف المسرحية الميلودرامية .. ومن بقايا القيود الأكاديمية والمدرسية فى التشكيل ، تلك القيود التى كان « السجينى » قد وجه إليها أولى الضربات .. الى التعبير المستتر الذكى عن الأحداث .. الى الديناميكية والحيوية الداخلية بعيداً عن الصخب والضجيج الشكلى المعقد .. فكان أول من استخدم غير المباشر للتعبير عن المباشر.. وأول من تناول الأحداث الجارية منفعلا بها ومعبرا عنها فى عمق وصفاء .. واوضح مثال لهذه المميزات نراه فى تمثاله الخالد « أم الشهيد » الذى عبر به عن انفعالاته تجاه العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .



تمثال وادى الملوك (١٩٧٤) وهو فخار زلطى ارتفاعه ٢٧ سنتيمتراً ، وأنتجه فى بلدة تيزيه بفرنسا

أما الميزة الثانية فهى اضافته الجديدة لخامة النحت .. فقد استخدم خامة الفخار لأول مرة فى مصر لتشكيل التماثيل .. وقد كانت هذه الخامة تتفق تماماً مع أسلوبه الفنى فاضاف بذلك استخداماً جديداً لهذه الخامة كما أثرى عالم النحت بميدان جديد للتشكيل .. فقد وجد فى الفخار مخرجاً من خامة الجبس البيضاء الميتة والتى لا تستطيع الألوان أن تتغلب على همودها .. وكانت هذه الخامة تمثل مزيداً من الالتصاق ببيئتنا المحلية التى تناولها فى موضوعات هذه المرحلة الأولى من فنه .

وعندما أقام معرضه الشامل فى أوائل عام ١٩٥٦ بالقاهرة ، قال النقاد رأيهم وقدمه كبار الفنانين بإعجاب كبير ، وأثار هذا المعرض الكثير من المناقشات .

قدمه المثال الراحل أحمد عثمان قال : « المثال صموئيل هنرى هو ركن هام من مجموعة الفنانين الشبان الذين آمنوا برسالة الفن وعبروا عن مشاعرهم أصدق تعبير فاخرجوا لوناً جديداً من الانتاج الفنى الرائع الذى يتسم بطابعه المصرى .. الإفريقى .. الانسانى . ان أعماله تربط الحاضر بالماضى وتتميز بطابعها المحلى الذاتى .. بالبحث والاستنباط ، لقد اختط الفنان طريقه السليم نحو فن مصرى حديث بلغ فيه مرتبة كبيرة من التفاعل مع البيئة » .

كما كتب الناقد ارتين ماريل « ان صموئيل هنرى يعطى أعظم برهان على صدق موهبته ، وهو يعترف بأنه قد نظر وعانى سحر النحت المصرى القديم ولكن لم يستمر فى الخضوع لتأثيره ، فإن علاقته بالحياة الشعبية المصرية هى التى اتاحت له أن يعكس ما يدور حوله .. وهو يحقق ذلك بسيطرة وعيه على الاحتياجات العميقة التى يحملها داخله .. ان هذه الأعمال ليست « بدايات » تبشر بالخير ، ولكنها أعمال متكاملة تماماً » .

المرحلة الثانية

واستمر الفنان فى هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٧ ، عندما سافر الى مدينة ميونيخ بالمانيا الاتحادية فى منحة دراسية لمدة عامين ، عاد منها عام ١٩٥٩ بعد أن درس فن النحت على يدى البروفيسور « انتونى هيلر » .

لقد تطلع الفنان بعد أن نضجت شخصيته واكتملت معالمها ، الى الانطلاق لرحاب الفن العالمى ، وفى هذه المنحة أقام عدة معارض لأعماله وراح يتابع التيارات الحديثة التى كانت تندفع فى مجرى الحياة الفنية بعنف .

وقع الفنان فى صراع مع نفسه وبدأ يلتقط بعض



لقطة تذكارية مع أصدقاء الفنان : من اليمين الفنان العراقى ضياء العزاوى ، يليه الفنان المغربى محمد المليجى ، ثم صاحب قاعة معرض (فيك ٨٠) وضاح فارس .. ويبدو الفنان آدم حنين (على يسار الصورة)

القيم التجريدية ويهضمها ليمزجها بفنه ، وهكذا أكتسب خبرات جديدة وبدأ يتطور بفنه حتى لا يتجمد عند حدود معينة مسترشداً فى كل هذا بالصدق فى التعبير والرغبة فى تجنب التحرك فى دائرة مفرغة يدور فيها حول نفسه .

وهكذا بدأ يتحول شيئاً فشيئاً الى اعلاء القيمة الشكلية فى عمله على القيمة الموضوعية معتمدا على الامكانيات الصناعية التى اتيحت له هناك فى ميونيخ مقر منحته الدراسية ، وهكذا اتجه الفنان الى تجريب أساليب جديدة فى التشكيل حتى يقترب بأعماله من الاتجاه التجريدى الذى شاهده طاغياً هناك وراح يجرب خامات لم يطرقها من قبل كالبرونز والخشب وغيرهما .. كل هذا فى محاولة لتحقيق العالمية فى فنه .

وفعلا انتقل تمثاله « الفارس الصغير » الى متحف الفن الحديث بلندن وهو من أعماله فى مرحلة الانتقال التى مر بها الفنان . انه تمثال صغير لصبى فلاح يركب جاموسة .

ولكن هذه المرحلة من الانتقال لم تتمخض عن شىء سوى انها اكسبته خبرات جديدة اضافت الى فنه اضافات لم يصل بها الفنان الى نهايتها ، فقط طعمت اتجاهه الخاص بهذه الخبرات .. وهكذا لم يتبلور ذلك الخط الذى بدأه الفنان وذلك بسبب عودته الى مصر .

وبعد عودته تحقق حلم حياته وعين مدرساً مساعداً بقسم النحت الذى تخرج فيه قبل ذلك بسنوات ، ولكنه لم يلبث سوى شهرين ثم انطلق هارباً بعد أن قدم استقالته ، ذلك أن الحلم تحقق بعد فوات الأوان وبعد أن اتسعت أحلام الفنان وراح يصبو الى التفرغ الكامل لفنه ، ولم يطق جو كلية الفنون الجميلة الذى أصبح غريباً عليها بعد أن تشوهت الصورة الذهنية التى كانت مرتسمة عنده عنها .

واشتغل عام ١٩٦١ كرسام صحفى فى مجلة صباح الخير لمدة عشرة أشهر ، محتفظاً بشخصيته المتميزة ، لكنه لم يطق هذا العمل ولا أى عمل يقطع استغراقه فى النحت .. فى ذلك الوقت عرض عليه وزير الزراعة وقتها الدكتور عبد الرزاق صدقى أن يعينه بالمتحف الزراعى حيث يستطيع التفرغ بدرجة من الدرجات لفنه ، ولكنه رفض ذلك أيضاً ، وبعد محاولات عديدة حصل الفنان على منحة التفرغ للانتاج الفنى على نفقة الدولة .

محاولة للهروب

هاجر صمويل هنرى الى النوبة .. ترك أضواء القاهرة وزحامها وصراعاتها ليعيش بين سكان النوبة القديمة نفس حياتهم .. واشترى منزلا وراح ينحت « عصافيره » ويرسم لوحاته هناك .

ولم تكن هذه أول مرة يتجه فيها الفنان الى منطقة بكر بعيداً عن الأضواء وجو الريبة الذى يحيط دوماً بالمثقفين .. فقد سبقه « جوجان » الذى هجر باريس وسافر الى جزر « تاهيتى » ليعيش بين أهلها نفس حياتهم ويسجل فى لوحاته حياة الفطرة والبداوة .. وكذلك فعل فان جوخ عندما عاش بين الفلاحين وعمال المناجم ، وهناك أمثلة أخرى لفنانين هجروا بيئاتهم ليعايشوا بيئات أكثر أصالة ، ولكن فى كل حالة تختلف الدوافع .

أعلن الفنان : « ان صموئيل هنرى قد مات ! ولم يتبق منه سوى برعم صغير بالكاد يتنفس ويعيش .. ان هذا البرعم الضعيف الهش من الممكن أن ينمو ويترعرع .. » .

وفى النوبة اختار الفنان اسمه الجديد « آدم حنين » .. فى تلك الفترة تعرف على شريكة حياته التى ارتبطت بهذا البرعم وايقنت انه سيكون دوحة شامخة .. فكرست حياتها من أجله ورافقته فى أعصب مراحل حياته مخففة عنه ومشجعة اياه .

ولم يكف آدم عن النحت ، ولكن فى محاولة للهروب من كل ما سبق ليعيش فى سكينة بين أحضان الفطرة ، مستغرقاً فى صياغة تماثيله التى اعتبرها بداية جديدة لمرحلة فنية قطعت كل علاقة لها بالمراحل السابقة .

لقد حصل الفنان على منحة التفرغ للانتاج الفنى لمدة عام سنة ١٩٦٠ .. ثم تجددت عام ١٩٦٣ وظلت تتجدد كل عام حتى ١٩٦٩ .

وفى عام ١٩٦٥ غادر النوبة مع أهلها عند تهجيرهم قبل أن تغطى المنطقة مياه بحيرة ناصر . وانتقل الى الاقامة فى جزيرة « الفنتين » بأسوان متابعاً خطته فى الابتعاد بأقصى ما يستطيع عن ضوضاء القاهرة وقسوتها .

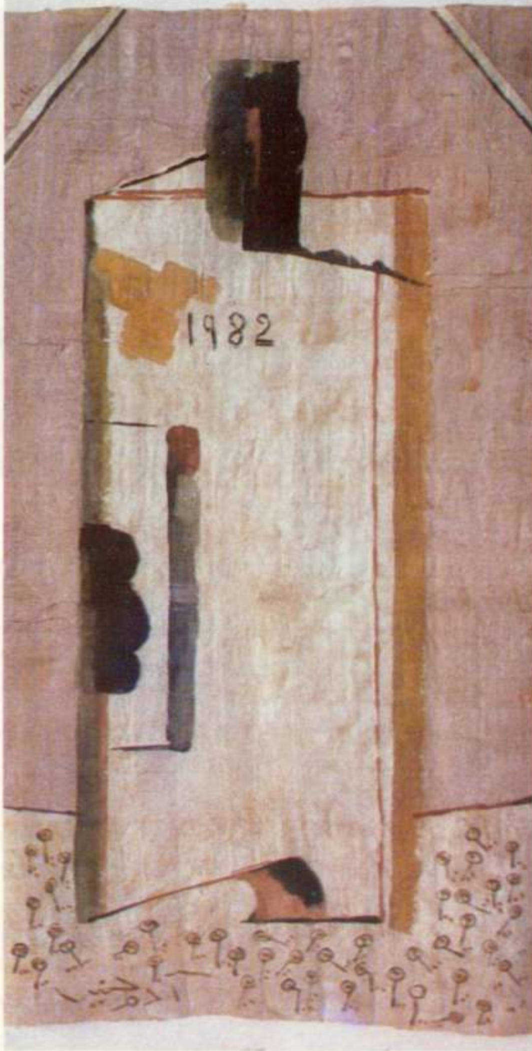
لكنه عاد الى القاهرة حيث عين مستشاراً فنياً بدار التحرير للطبع والنشر (دار جريدة الجمهورية) لمدة عشرة أشهر عام ١٩٧١ .. ثم سافر الى باريس مع معرض مصرى أقيم هناك وكان مشاركا فيه .. وقد باع أحد تماثيله التى شارك بها فى هذا المعرض فقرر الاقامة الدائمة فى باريس كفنان محترف .

وللفنان أربعة تماثيل برونزية وخامس من الجبس اقتنتها وزارة الثقافة فى مصر ، وله ثلاث قطع أخرى من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة أهمها تمثال « البومه » الذى نفذه عام ١٩٦٥ وهناك تمثال « حامل القدور » من البرونز ١٩٦٠ فى حديقة النحت الدولية بمدينة دالاس فى تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا بخلاف تمثال الحمار الذى ثبته الفنان الراحل رمسيس ويصا واصف فى قرية الفن بالحرانية بالجيزة .

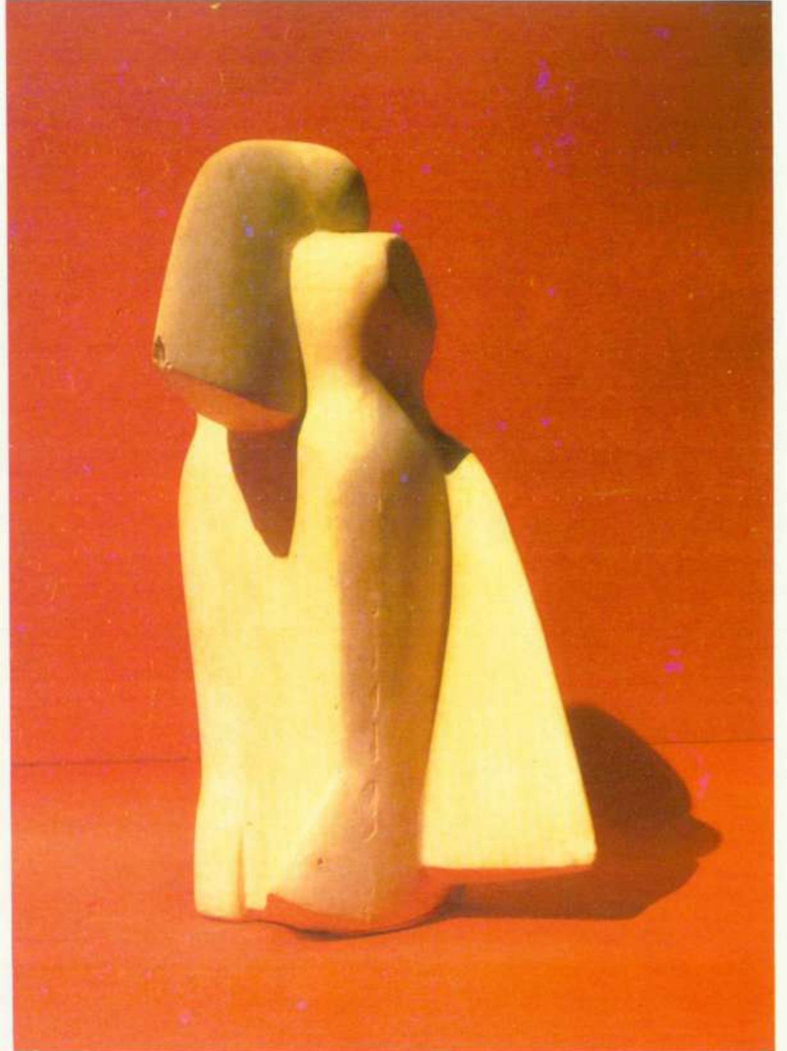
ومن أعماله المعمارية نحت من الخزف الملون عن الموسيقى على واجهة مدينة الفنون بالهرم قام بتنفيذه عام ١٩٦١ .. كما ينتصب أمام مبنى مؤسسة الأهرام بالقاهرة أحد طيوره مفرود الجناحين وقد نفذه من معدن البرونز .

جرانيت من الفخار

وخلال اقامته فى باريس تحول فنه من



زجاجة ماء الزهر .. لوحة للفنان بالألوان المائية والأكاسيد المعالجة على ورق البردى


من الأعمال الهامة للفنان آدم حنين

الأسلوب التعبيرى الاجتماعى الى مرحلة تجريدية حيث أقام مجموعة من التماثيل بخامة الفخار الزلطى ، وقد عاونه فى تنفيذ هذه الخامة السيد « دانييل » ببلدة « تيزيه » بفرنسا .

لقد اجريا ابحاثاً على الفخار واقاما أفراناً لحرقه فى بلدة تيزيه .. كان آدم حنين يفتقد خامات النحت المصرى .. فأراد أن يحقق ما يعوضها .. كان هدفه هنا مختلفاً عن هدفه عندما أقام تماثيله فى الأقصر من خامة الفخار .. الأولى كانت اقترابا من الخامة الشعبية النبيلة الحية ، ولكنه فى المرة الثانية كان يريد أن يحصل على بديل للجرانيت والبازلت والشيست والديوريت ... وامثالها من أحجار التماثيل الفرعونية ..

وقد عرض نتائج هذه الأبحاث فى « جالارى الجامعة » خلال شهر مايو عام ١٩٧٥ ، كانت تماثيله من الفخار الزلطى الذى تعرض لدرجات حرارة تصل الى ١٣٠٠ درجة مئوية .. وكأنه يعيد تأثير العوامل الطبيعية التى أوجدت الأحجار النارية فى صحراء مصر الشرقية .. كانت تماثيله خشنة الملمس سوداء يشع من مسامها بريق معدنى ، ذات أشكال تجريدية واسماء مصرية : « وادى الملوك » ــ « الماسة » ــ « جزيرة الحمام » ..

وقد احتفل الفرنسيون بهذه التجربة وكتب الناقد ايرى ماريل دراسة عن أعماله يقول فيها :

« التصوير مثل النحت ، كلاهما وسيلتان لنقل الأفكار والمشاعر ، وتكمن قوة هذه الوسائل فى أنها تستخدم اللغة الدولية الوحيدة ، لأن أى انسان فى العالم عندما يرى اللوحة أو التمثال يستوعب دلالته .

رغم ذلك فهناك بعض الصعوبات لأن أى فنان يتأثر بعادات وأساطير بلده ، ويبذل جهداً كبيراً ليخرج من المحلية الى العالمية ، وباستمرار عمله ينجح فى النهاية فى توصيل أفكاره عن طريق هذه اللغة المشتركة ، وهو ما تعجز عنه اللغات العادية .

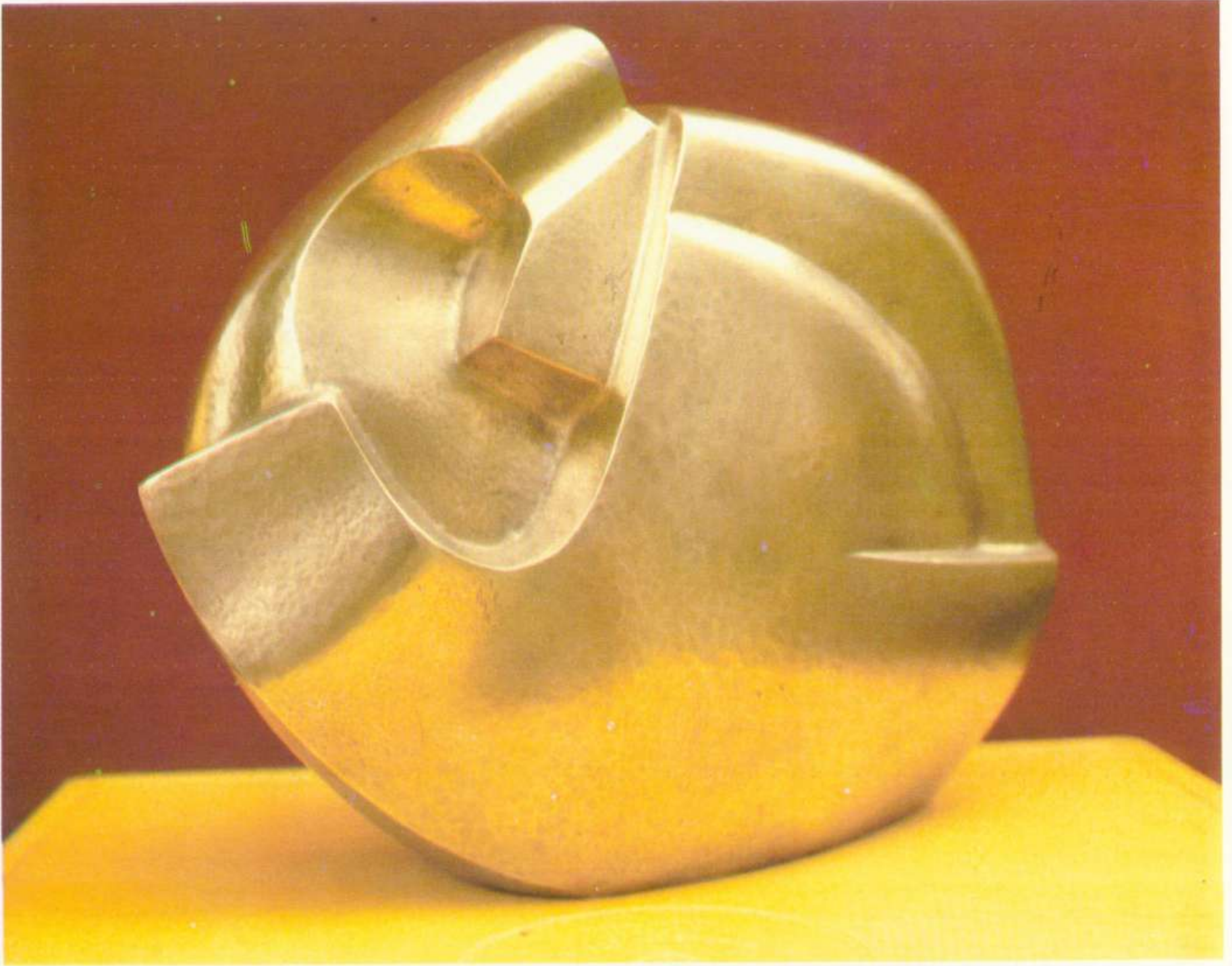
ان آدم حنين يجسد تجسيداً كاملا هذا الفنان الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بماضيه وفى نفس الوقت يفهم بعمق العصر الحاضر ، انه فنان يرغمك على أن تتأمل أعماله طويلا ..

كان ذلك فى متحف « جاليرا » فى أكتوبر عام ١٩٧١ ، عندما رأينا نماذج من نحت هذا الفنان للمرة الأولى فى اطار معرض « ملامح من الفن المصرى المعاصر » ، وقد كشف عن مقدرته الكامنة فى احساسه بالحاضر وارتكازه بعمق على أصالة الماضى ..

بمناسبة هذا المعرض جاء الفنان الى باريس .. ومن ذلك التاريخ قرر الاقامة بها .. وقد تابعنا عمله باهتمام كبير ، ليس فقط لأنه استطاع أن يحفظ نفس نزعة الحداثة « المودرنزم » الزائفة ، بل أيضاً لأنه يصنع أعماله الفنية ويجمل حديقته بهدوء فى صمت ومثابرة ..

كنا قد رأينا فى متحف جاليرا تماثيله النحتية المسماه « الرجل والسمكة » و « العصفور » و « الصقر » و « البومة » .. وكانت كلها تشهد على موهبته وخبراته السابقة . انها تكثف المشاعر ، وهى عملية لا يمكن بدونها أن يكون للفن حضور انفعالى حقيقى .

ومع ذلك نكتشف فى بناء منحوتاته شكلا من أشكال المنطق الداخلى الذى يعمل على انتزاع قشرة الأسلوب أو النزعة الشكلية الزائفة ، أو الاقتصار على الشكل والأسلوب فقط .. اننا عندما ننظر الى



الليل والنهار .. كما عبر عنه النحات بأسلوبه المتميز

منحوتات آدم حنين تقفز على الفور فى اذهاننا صورة النحت الفرعونى كما نراه فى اللوفر ، تمثال الكاتب المصرى الجالس القرفصاء مثلا ... اننا إذا أردنا أن نحدد آدم حنين فهو فنان معاصر ، استطاع أن يعيد الصلة المفقودة مع الماضى ، وان يعمل على محو الزمن بتحويل ذلك الماضى الى حاضر أبدى ، وخلال أعماله كلها استطاع — بشكل مبهر — أن يحصل على روح أرض خصبة على الدوام .

على هذا النحو تطور فنه وتطور أسلوبه ، ولن تستطيع أن تقتنع بذلك الا عندما ترى تمثاله « وادى الملوك » المفرط فى أسلوبه السهل الممتع ، المسرف فى غموضه وشاعريته ، انه أيضاً يسيطر عليه احساس معمارى سام وخالص .. مطبوع بقوة رفيعة ، انها نفس القوة التى تكتشفها متألقة فى فنون المصريين القدماء » .

• • •

هذا وقد أقام الفنان عام ١٩٨٠ تمثالا ضخماً اسمه « الطائر » فى حديقة الاكاديمية المصرية للفنون الجميلة فى روما ، ويزن أربعة أطنان وهو من رخام منطقة « كرارا » النقى .

وقد أقام الفنان ١٦ معرضاً خاصاً لأعماله منذ عام ١٩٥٦ حتى الآن فى القاهرة والاسكندرية وموناكو وعدة مدن فرنسية أخرى وفى يوغوسلافيا وامستردام والرباط وروما .. كما شارك فى عدد كبير من المعارض العالمية ، بينما تنتشر أعماله فى المجموعات الخاصة بالولايات المتحدة وكندا والمانيا الاتحادية وفرنسا ومصر والمغرب .

الرسوم والبرديات

فى باريس لا يستطيع أى فنان أن يبدع أعماله الفنية ويعرضها ويقوم بالدعاية لها ثم يبيعها ... بمفرده ... عليه أن يعتمد على المتخصصين فى إقامة المعارض والدعاية والبيع والا لن يجد الوقت الكافى لينتج أعماله .

وفى باريس رجل أعمال مصرى يستثمر جانباً من أمواله فى تجارة التحف والأعمال الفنية .. يتصل به سماسرة الفنون ويخبرونه أن لديهم لوحة لفان جوخ أو عملا لجوجان أو سيزان أو رينوار أو أمثالهم من أساتذة الفن المشهورين ويحددون الثمن المطلوب فى هذا العمل .. فيشتريها الرجل .. وبعد فترة يتصل به أحدهم ويخبره أن لديه مشتريا لتلك اللوحة مستعدا ان يدفع فيها ثمناً مناسباً فيقبل أو يرفض طالبا ثمناً أفضل .. وهكذا يستثمر الرجل جانباً من أمواله فى هذه التجارة التى دخلتها البنوك الكبرى .

هذا الرجل أحب أعمال آدم حنين من بين أعمال جميع الفنانين المصريين الذين يعرضون أعمالهم فى باريس على مدى السنوات العشرين الماضية .. ولفت أنظار سماسرة الفن إليها .. واشترى من آدم حنين بعضها .. فبدأوا يعرضونها فى « الجالاريهات » أى محلات بيع اللوحات والتماثيل الفنية .. وهكذا دخلت أعماله دائرة الضوء .

ولقد ظل الفنان أكثر من سبع سنوات مقيماً فى باريس قبل أن يحصل على محترفه المجهز للنحت ، وكان عليه أن يلبى طلبات الجالاريهات

آدم حنين

فنان عربي في مدرسة باريس!

ويعد معارضه بينما هو يعيش فى مسكن ضيق .. وفيما عدا الفترة التى قام خلالها بتجاربه على الفخار الزلطى مع الفرنسى « دانييل » فى بلدة « تيزيه » بفرنسا ، كان انتاج أعمال النحت مسألة متعذرة للغاية .. ولهذا اتجه الى الرسم مبتدئا بفن الجرافيك وطباعة الرسوم بالشاشة الحريرية .. ثم اكتشف الحرير اليابانى الذى يشبه فى كثير من خصائصه أوراق البردى المصرية .. ورسم عليه مجموعة كبيرة من اللوحات .. ثم راح يزور مصر مرة أو مرتين كل عام ويحصل على أوراق البردى من الدكتور حسن رجب صاحب معهد البردى على نيل الجيزة ..

واحتفل الفرنسيون احتفالا كبيراً ببرديات آدم حنين حتى شغلته الى حد كبير عن انتاج تماثيله المنحوته وعُرف الفنان العربى ونال شهرته من خلال بردياته .

ولم يكن هذا هو أول عهده بالرسم .. ففى معرضه ببيت السنارى بالقاهرة عام ١٩٦٦ تحت اسم « حصاد ٤ سنوات تفرغ » عرض ثمانى لوحات مرسومة بأسلوب « الرسم الحائطى » (الفرسك) .

وفى باريس اقام « وضاح فارس » العراقى قاعة لعرض أعمال الفنانين العرب فى شارع الجامعة حيث تعاقد على تسويق أعمال خمسة فنانين عرب اثنين من لبنان وعراقى ومغربى ومصرى هو آدم حنين .. وفارس يهتم برسوم الفنان المصرى على البردى أكثر من اهتمامه بتماثيله .. ان أصالة الخامة وخصوصيتها المرتبطة بمصر دون بقية بلاد العالم تدفع الناس الى البحث عن جالارى فارس لمشاهدة « البرديات المعاصرة » بعد مشاهدة برديات مصر الفرعونية فى متحف اللوفر .

ويقول ناقد جريدة الهيرالد تريبيون عن هذه الرسوم :

« .... علينا ان نتذكر دائماً ان آدم حنين نحات حتى عندما نتحدث عن رسومه ، لأن تعامله مع العالم يبدأ بالاحساس باللمس والوعي بالكتلة .. ان رسومه تعبر عن نفس الاهتمام باللمس المادى الذى يظهر فى لوحاته .. وهو أمر يثير الدهشة ، فعندما نتأمل لوحاته لا نجد فيها التعبير عن العمق أى المنظور ولكننا نجد بدلا من ذلك توازنا صامتا كالذى تتميز به تماثيله ، حتى يمكننا القول انه يحول مجسماته الى تشكيلات ملونة على ورق البردى .

لهذا يمكن القول أن لوحات آدم حنين تنبثق من الصمت وبسبب الدفء المشع من لوحاته فإن هناك تشابها بينها وبين الموسيقى ..

يرسم آدم حنين على أوراق البردى بألوان طبيعية (أكاسيد) .. الألوان دافئة مع ملمس محسوس وشكل ذى كثافة مقبولة . بدلا من الشفافية ، وهذا يرتبط بأساليب الفنون القديمة عند قدماء المصريين وفى الايقونات المصرية . لكن النتيجة معاصرة .. ومع هذا تبدو وكأنها قادمة من عالم آخر ، وهى تنجح فى نقل وهج سرور الانسان الرقيق والحميم بالحياة ... » .

بينما يكتب ناقد آخر عن رسومه على الحرير اليابانى فيقول :

« ... ان لوحاته المرسومة بالألوان المائية تظهر الوجه الآخر لحساسيته الفنية ، فهو يستخدم بتوفيق نادر الحرير اليابانى ، وبذلك استطاع آدم حنين أن يخلق جواً مليئاً بالنقاوة ، ومفهومه للملمس والرقة والشعر ، تخلقه نغمات رقيقة بالألوان : الوردى والأزرق والأخضر والأصفر (أربعة ألوان) وهى تشكل فى مجموعها العلامات الرمزية بمصر القديمة حيث : الرسم معنى . انها أدوات عمله التى تنطلق كالحروف الهيروغليفية مكونة شخصيات فى مجموعها ، أو ملامح وجوه نفذت وفق منهج جماليات المصريين القدماء ، وغالباً ما يستعير شكل الزورق أو العصافير .. مع خليط من المواكب السابحة فى النهر المتعددة المجاديف ذات الشراع الطويل الذى ينطلق فى الفضاء كى يعود الى أهل النيل .. وخليط من مراكب الشمس .. وصور أسماك أسطورية تحددت فى خطوط هندسية ، ونباتات تخترق الفضاء وكأنها آتية من أساطير بعيدة ..

ان الطابع العام فى الخطوط هو الرقة والنعومة ، والاحلام تفتح أبواب عالمها الذى يصبح عالماً سيريالياً خيالياً (فانتازيا) وهو انعكاس لخيال الفنان ولا شعوره ، حيث يختلط الماضى بالحاضر ويجعلنا نتعرف على شخصية آدم حنين كفنان أصيل جاء من بلاد النيل ومع ذلك يتجاوز كل الحدود ليبدو واحداً من الفنانين المعاصرين » .



لوحة القط والحية .. مرسومة بألوان «الفرسك» وهذا النوع يرسمه الفنان على الحائط مباشرة

حوار مع آدم

أحياناً ما تلقى كلمات الفنان ضوءاً أفضل على أعماله من كل كلمات النقاد .. ورغم ان آدم حنين من الفنانين المقلين جداً فى الكلام ، الا أنه تحدث باقتضاب عن حياته وفنه قال :

ــ بعد فترة الطفولة والصبا تأثرت بكل ما شاهدته ، بما فى ذلك أعمال التراث والأوانى والأدوات .. وهناك تجربة رمسيس ويصا واصف فى قرية الحرانية التى اطلعتنى على قدرات الانسان بالنسبة للفن وامكانيات خروجها بشكل رائع .

ــ أحب عمل الى قلبى من التراث القديم هو تمثال الملك خفرع فى دار الآثار بالقاهرة المصنوع من حجر الديوريت .. أما الفن الأوربى فتعجبنى أعمال هنرى مور ثم مارينو مارينى ثم مايول .. وكل منهم يخاطب جانباً منى .

اما من الفنانين المصريين فإننى أحب تمثال « الخماسين » لمحمود مختار وتمثال « البطة » لعبد البديع عبد الحى وهو من الجرانيت .

ــ ليس هناك مذهب فنى أفضله ، وأنا لا اتبع مذهباً فنياً كما لا أحب الارتباط بأحد المذاهب الفنية ... وفى نفس الوقت ارى أن جميع هذه المذاهب تفيدنى .

ــ أهم العلامات فى تاريخ فن النحت المصرى هى العلامة التى وضعها محمود مختار وترجع قيمتها الى أنها جاءت فى وقت كان هناك أساتذة أوربيون مسيطرون ، وقدرة مختار على ملاحظة الفن الفرعونى ربما تكون أهم ما فى أعمال محمود مختار .. اما العلامة الثانية فهى الأساليب التى استوردها جمال السجينى ومنها الرمزية .. لقد طرحت مجموعة من التساؤلات على جيلنا .. وفعلا خرجنا بسببها من عباءة محمود مختار .

ــ الجماعة الفنية ضرورية لحماية فكر الفنان .. وهى تنتشر فى الفترات التى يكون فيها ازدهار فنى ، أى انتاج فنى ومعارض متتالية .. وأنا أقصد بالأزدهار الازدهار الثقافى .

صبحى الشارونى

في انتظار اللقاء

شعر: حسن توفيق



في انتظار اللقاءِ احيا حياتى
كلُّ ليلٍ مؤرِّقٍ الامنياتِ
أرهفُ السمعَ ظامئاً في ظلامٍ
مُشرَعِ النصلِ غادرِ الخطواتِ
واراني فدىً لعينيكِ اخطو
في متاهاتِ حيرةٍ يا حياتى
ربما تاتينَ انبثاقاً لحلمٍ
مقمرٍ كالحنانِ حلوِ الصفاتِ
فتعودُ الطيورُ منْ كلِّ منفى
منشداتٍ على الربى اغنياتى
وتمسُّ القلوبَ نايات حبٍّ
ويذيبُ الغناءُ ثلجَ الشتاتِ

★ ★ ★

ربما الشهدُ يستعادُ بوصلِكْ
بعد انْ ذقتُ اللسعَ من سربِ نحلِكْ
ربما يشرقُ الصباحُ .. وفيه
يتلاقى اهلُ الشتاتِ باهلِكْ
ربما تاتى موجةُ تحتوينى
ثم تلقيننى ضاحكاً فوق رملِكْ
نافضاً همىَّ المستبدُّ بروحى
موقظاً بالحنينِ اشجارَ فُلِّكْ
باحثاً عن وجوهِ صحبى القدامى
في مدى الزيتونِ السخىِّ بظلِّكْ
في مدى عينيكِ اللتينِ تقودا
نِ حياتى إلى اهازيجِ سهلِكْ

★ ★ ★

آهِ من ربما .. وحلمٍ تعلَّقْ
بينَ اهدابى خاشياً ان يُمزَّقْ
فانتظارُ اللقاءِ باتَ ثقيلاً
والرؤى غامتْ في فراغٍ مُطوَّقْ
اوقدَ القلبُ نارَه فتلظَّتْ
في كياني وها هو البابُ مُغْلَقْ
والغيومُ التى استقرتْ بروحى
اَسلمتنىَ لوحشةٍ تتعمَّقْ
فاكشفي - يا اميرتي - عن زمانٍ
يحضنُ الحلمَ ... عَلَّه .. يتحقَّقْ
واحمل قلبى للديارِ التى لَمْ
تَنْسَ وجهى ولم تزلْ تتشوَّقْ


غرفة المعيشة فى « داوتى » حيث كان ديكنز يقرأ أمام الدفأة


صورة لبيت ـ متحف ديكنز « ٤٨ شارع داوتى »

رسالة لندن من : مجدي نصيف

"الدوحة" في بيت ديكنز بالعاصمة الإنجليزية

قصة المنزل التاريخي الذي بدأت فيه الشهرة وانتهت السعادة!

أنصار ديكنز يقاومون هدم المنزل ويفرضون تحويله إلى متحف عالمي

فى عام ١٩٢٢ ، أصبح منزل تشارلز ديكنز ، فى شارع داوتى ، مهدداً بالإزالة ، غير أن أعضاء « رابطة أصدقاء تشارلز ديكنز » أصروا على شراء المنزل والحفاظ عليه كمتحف وكمكتبة يؤمها كل محبيه ودارسى أدبه . وبالفعل افتتح المنزل الذى أصبح متحفا للزيارة فى عام ١٩٢٥ ، وعهد بإدارته الى « لجنة أمناء » تضم بعض أعضاء الرابطة ، بالإضافة الى « مجلس مدينة لندن الكبرى » . ومنذ الاعلان عن إنشاء هذا المتحف التاريخى ، وهو يتلقى هدايا قيمة أهمها مجموعة الكونت والكونتيسة دى سوزانيت التى تضم مخطوطات ولوحات عظيمة القيمة لديكنز . أما مكتبة المتحف فقد تكونت أساساً من مجموعة الكتب التى أهداها بعض محبى ديكنز للمتحف .



تشارلز ديكنز الشاب



فى هذه الغرفة كان ديكنز يكتب أعماله الأولى

ورابطة أصدقاء ديكنز هى نموذج للجماعات التى تنشأ للمحافظة على تراث أحد الأدباء أو الفنانين ، وهى نموذج يحتذى . ولا أعرف لماذا لا تنشأ مثل هذه الجماعات من محبى أدبائنا وفنانينا ؟ أعلم أن هناك جماعات رسمية مسجلة ، لكن لا أحد يعرف ماذا تفعل . فرابطة أصدقاء تشارلز ديكنز هى التى كافحت حتى أقامت هذا المتحف الذى اتخذه ديكنز من قبل منزلا له . وهى تصدر مجلة ربع سنوية ، تعيد نشر أعماله كما تنشر لكتبه وأدبه ، ويقتنيها كل من يهوى أدب تشارلز ديكنز أو يدرسه . والرابطة تقوم الى جانب ذلك بضم كل محبى الأديب الانجليزى وعقد ندوات وجلسات ، وتجمع كل أعماله وآثاره للحفاظ عليها .

البداية فى داوتى

كانت مشكلة تشارلز ديكنز أكبر أديب كتب بالانجليزية ــ بعد شكسبير ــ أنه لا يستطيع أن يرد أحداً ، فلم يقل « كلا » أبداً . لذا فعندما توقعت عائلته وعائلة زوجته « كيث » ، وصول طفله الأول ، قررت العائلتان « الانقضاض الجماعى » على منزله الصغير الذى كان فى « فرينيفال » آنذاك . وضاق المنزل بمن فيه .

آنذاك قرر ديكنز الانتقال الى معشوقته ، مدينة لندن العاصمة . بعد ولادة الطفل الأول ، ذهب وزوجته الى بيتهما الصغير فى « كنت » ، وهى من أجمل مناطق بريطانيا حتى يومنا هذا ، وكانا قد قضيا هناك شهر العسل ، حتى تسترد « كيث » صحتها بعد الولادة . كانت تصحبهما « مارى » أخت « كيث » التى كانت تقيم معهما ، آنذاك ، وبينما هم يقيمون هناك ، كان السماسرة قد بدأوا فى البحث عن بيت فى لندن .ليقيم فيه ديكنز بصورة دائمة .

ووقتها كان تشارلز ديكنز فى الخامسة والعشرين من عمره ، وكان قد بدأ فى نشر حلقات كتابه الأول « مذكرات السيد بيكويك » .

٤٨ شارع داوتى

كان هذا هو عنوان المنزل الذى وقع تشارلز ديكنز فى غرامه والذى بدأ فيه صعود سلم الشهرة ،

ونشر أثناء اقامته به باكورة أعماله العظيمة : « مذكرات السيد بيكويك » وسرعان ما تلاه رواية « أوليفر تويست » فنال تلك الشهرة فى فترة قصيرة ، هى الفترة التى قضاها فى شارع داوتى فلقد انتقل إليه فى الأسبوع الأول من ابريل عام ١٨٢٧ .

والبيت الذى أصبح « متحف ديكنز » بعد ذلك ، هو بيت كبير يتكون من ١٢ حجرة ومن ثلاثة طوابق ، وهو مبنى بالطوب الوردى ، وله حديقة صغيرة وبوابة بيضاء . أما شارع داوتى نفسه فقد كان آنذاك من أرقى شوارع لندن ، واسع ممهد ، طلق الهواء ، له بوابتان ، واحدة فى أوله والثانية فى آخره ، يغلقهما كل ليلة حارس أنيق الملبس . قالوا عن هذا الشارع « إنه ليس شارعاً عاماً تمر به العربات التى تهز الأرض ، لكنه شارع هادىء جداً عائلى جداً ، وخاص جداً » شارع يليق بالكاتب الذى أصاب شهرة كبيرة ، ويتميز بالهدوء الذى يمكنه من العمل المتواصل . ولقد كان ايجار هذا المنزل الكبير ثمانين جنيهاً استرلينياً فى السنة .

وبدأ الزوجان الشابان فى تأثيثه كأول منزل عائلى يملكانه ، إذ لم تكن غرف « فرينيفال » مؤثثة كما يجب ، حتى أن الناقد الأمريكى نات ويليس قال عندما زاره هناك « تعجبت جداً لرؤيتى غرفة معيشة الكاتب الانجليزى الذى يعد بمستقبل مشرق ، فهى لا تزيد عن مقعدين ومنضدة يكتب عليها وبعض الكتب » .

ولكن من أين كان له بالمال الذى أعد به البيت ؟

من الناشر بنتلى بطبيعة الحال ، الذى كان قد بدأ فى نشر كتابيه الأولين على حلقات ، فقد طلب منه مائة جنيه مقدماً ، من حساب « أوليفر تويست » كتابه الثانى ، والذى كان « بنتلى » قد بدأ بالفعل نشره على حلقات .

وسرعان ما امتلأت غرف البيت الكبير ، بالأثاث ، والأقارب معاً ، فقد أتى أخوه « فريد » ليقيم معه فى نفس المنزل . وكثيراً ما كانت أخته ليتيا ، وخطيبها الكاتب هنرى أوستن ، صديق ديكنز الحميم ، يزورانه فى بعض الأمسيات طامعين فى أن يقرأ لهما ما انتهى من كتابته ، قبل أن تلتهمه المطبعة .

ولقد عاش ديكنز أسعد أيام حياته فى « ٤٨ شارع داوتى » ، عاش عامين وكأنهما قصة ألفها هو نفسه . ولم يكن يريد من الحياة أكثر من ذلك : المال والشهرة ومحبة الأقارب والأصدقاء .

نهاية الاقامة بالبيت

ولقد كان العشاء الفاخر الذى أقامه ديكنز فى إحدى أمسيات نهاية العام التالى ، هو واحد من آخر مشاهد ذلك المنزل الكبير . دعا إليه « بنتلى » الناشر وجون ديكنز والد تشارلز ، وجورج هوجارت الكاتب ووالد « كيث » زوجته ، وبالطبع كانت هناك مارى الصغيرة أخت كيث ، وكذلك كاثرين أخت زوجته الكبرى . كانت ليلة سعيدة ، وانتهز تشارلز الفرصة ليثبت إجادته للغناء الكوميدى ، قدر إجادته الكتابة ، ثم ليؤكد لهم موهبته فى التمثيل ، وتقليد الممثلين . وتصاعدت الضحكات والتعليقات . كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما إستاذن « بنتلى » فى الرحيل .

كان وراء هذه السعادة الجمة النجاح الباهر الذى حققه ديكنز ، بعد صدور حلقات « السيد بيكويك » و « أوليفر تويست » ، وليتحول من مجرد « صحفى مبتدىء واعد » الى أكثر الكتـــاب إثارة وشهرة ، فهو مبدع شخصيتى « بيكويك » و « تويست » ، ويعيش فى بيت جميل مع زوجته وأختها الصغيرة ، وطفله الأول .

ولكن بعد أسبوع واحد من تلك الليلة التاريخية فى حياته تأتى نهاية القصة السعيدة فى « ٤٨ شارع داوتى » . فى الأسبوع التالى اصطحب تشارلز ديكنز زوجته وأختها الصغرى « مارى » وأخاه « فريد » الى المسرح ، وعاد الجميع وهم يطلقون التعليقات والضحكات . وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أطفئت الأنوار ، وذهب الجميع الى غرف نومهم . ولم تمر دقائق حتى سمعت صرخة مدوية من غرفة « مارى » .

كانت « مارى » ، أخت كيث الصغرى قد انتقلت للإقامة معهما منذ كانا فى « فرينيفال » . وكانت مارى هذه فتاة جميلة ، وكان الجميع يحبونها ، وعلى الأخص تشارلز ديكنز .

وعندئذ أسرع تشارلز ديكنز وخلفه « كيث » يستطلعان الأمر ، بينما ذهب « فريد » لإحضار الطبيب ، لكن عندما حضر الطبيب كانت مارى قد فارقت الحياة وهى بين ذراعى ديكنز .

ولقد كتب ديكنز عن هذا الحادث يقول :

« لم تظهر عليها أية أعراض للمرض ، حتى اللحظات الأخيرة من حياتها . وماتت فى هدوء شديد ، ولم يشعر أحد بذلك ، حتى أنا الذى كنت ألف ذراعى حول جسدها الرقيق ، وظلت هكذا حتى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالى . وقيل لنا إنها نوبة قلبية ، ولكن ماذا يفيد ذلك الآن ؟ لقد ذهبت وتركت فراغاً لا يستطيع أحد أن يشغله »

كان أكثر المشاهد تأثيراً ، عندما أخذ ديكنز خاتماً من أصبع يد الفتاة الراحلة ليضعه فى أصبعه هو ، وليظل معه حتى وفاته .

ولقد حزن تشارلز ديكنز على الفتاة ، ولازمه هذا الحزن طوال حياته . وفى إحدى رواياته وجد متنفساً للتعبير عن مشاعره وحزنه .

ولم يطق تشارلز وكيث الحياة فى هذا البيت بعد وفاة مارى ، لحظة أخرى ، فقد كان كل ركن من أركانه يذكرهما بها ، فقررا الرحيل الى مزرعتهما الصغيرة فى هامستد . وهناك لم يستطع ديكنز أن يكتب كلمة واحدة . انقطع الكاتب الكبير ــ بسبب الحزن ــ عن الكتابة ، لأول وآخر مرة فى حياته .

ولكن ديكنز لم يمكث كثيراً فى هامستد ، وانتقل الى منزل جديد فى « ١٠ شارع ديفو نشاير » ، وترك منزل « شارع داوتى » الى غير رجعة . وكان البيت الجديد أكبر وأفخم ، عاش فيه ديكنز معظم أيام حياته مع زوجته كيث وأولاده التسعة ، وكتب فيه أعظم أعماله الأدبية . واذا كان « منزل فرينيفال » هو بداية الطريق ، ومنزل « داوتى ستريت » هو بداية المجد والشهرة ، فإن منزل « ديفو نشاير » هو بقية حياته الأدبية الغنية .

البيت ــ المتحف

وعندما فكر أصدقاء ديكنز فى « الرابطة » فى تخليد ذكراه لم يجدوا أمامهم غير « بيت شارع داوتى » ذلك أن « بيت فرينيفال » و « بيت ديفو نشاير » هدما لتحل محلهما مبان شاهقة حديثة لكن « بيت شارع داوتى » لم يبق كما كان أيام ديكنز ، فقد أزيلت البوابتان فى طرفى الشارع ، وذهب الحارس الأنيق ، ولم تعد الحياة فيه « هادئة عائلية » كما كانت ، كما أن الثمانين جنيهاً التى كان يدفعها كإيجار لكل البيت ، لم تعد كافية لدفع ايجار سنة ، بل ولا حتى ايجار يوم واحد فى « شارع داوتى » ، لكنه كان لاشك أنسب مكان لإقامة متحف ، فهو أول بيت عائلى يسكنه ديكنز مع كيث ، ومازال ــ تقريباً ــ كما كان عليه على أيامه ، لم تتغير من معالمه الكثير ، والأهم من ذلك كله أنه مازال يحتفظ بملامح هامة جداً فى حياة ديكنز ، واذا تجولت خلاله ، يمكنك أن تعرف الكثير عن حياة الكاتب الكبير ، فهذا البيت ظهرت فيه عبقريته ، وفيه بدأ ديكنز أكبر الكتاب والأدباء الانجليز حياته الأدبية ، والعائلية ، وهنا ذاعت شهرته .

مجدى نصيف



فكرة ذكية!

مغزى هذه اللقطة لا يخفى على لبيب ، وإن كان الطير فيها يبدو كاللبيب ، فلقد أخطأ من ظن أن الانسان هو أول من استخدم الأدوات للتغلب على ما يقابله من صعاب ومشكلات ، لكن هذا الطائر المعروف باسم النسر المصرى يثبت لنا بالدليل القاطع كيف يتغلب على مشكلة بيضة النعام ، إذ لم يسعفه منقاره فى تهشيم غلافها الصلب ، ليحصل على ما تحتويه من غذاء يحبه حباً جماً ، ولقد تصادف أن رأى أحد العلماء هذا المنظر ، وظل يرقب النسرين وهما يحاولان كسر البيضة بمنقاريهما لمدة ٩٠ دقيقة ، ولما أعيتهما الحيلة ، فوجىء بأحد النسرين يتجول هنا وهناك ، الى أن وجد قطعة من صخر قدر العالم وزنها بحوالى نصف كيلوجرام ، وعاد بها ليسقطها على البيضة ، ويبدو أن الفكرة قد أعجبت النسر الآخر ، فقلد صاحبه ، وأحضر صخرة أخرى ، وظلا يحاولان تهشيم الهدف .. فمرات تخيب المحاولات ، ومرات أخرى تصيب ، والعبرة بالخواتم ، وكان ختام هذه المسرحية أن تهشمت البيضة بالأحجار .. وأنعم بها من أفكار !

مخلوق غريب!



لايكاد الناظر إليه ، والمتأمل فيه ، يعرف أوله من آخره ، ولا مقدمته من مؤخرته ، ومع ذلك فهو أحد الكائنات الرخوة التى تنتمى الى رتبة القواقع أو المحاريات ، لكنه جاء الى الحياة عرياناً ، فلا صدفة تحميه ، ولا قوقعاً يؤويه ، وهذا بلاشك مأزق قد وقع فيه ، لأن الكائنات الأخرى الأكبر قد تجد فيه صيداً سهلا ، لكن لا تحمل له هماً ، فلقد حمته الحياة من أعدائه عندما أكسبته طعماً مقرفا مقبضاً ، ولوناً مميزاً يعلن به عن رداءة لحمه ، هذا بالإضافة الى امتلاكه لسلاح دفاعى ممثلا فى خلايا لاسعة يطلقها على أعدائه كلما اقتربوا منه ، لكن الغريب أنه يحصل على هذه الذخيرة الدفاعية من طعامه ، إذ أنه يعيش على التهام كائنات مائية صغيرة من أشباه حيوان الهيدرا ، وهذه بدورها تحمل الخلايا اللاسعة ، لكنها لا تؤثر فى ذلك القوقع العريان ، وهو أيضاً لا يهضمها ، بل تمر من قناته الهضمية الى جيوب صغيرة ، حيث تنتشر منها على الزوائد الكثيرة التى تراها محيطة بجسمه ، ومنها الى المهاجمين .. فكأنما وجبة الطعام فيها الغذاء ، وفيها السلاح .. بقي أن تعرف أن هذه الزوائد تؤدى مهمتين : مهمة الحركة ، ومهمة التنفس ، أى كأنما هى رئات فى أقدام ، أو أقدام فى رئات .. « ويخلق مالا تعلمون » !

إنه يرضع وهو جنين!



لقطة نادرة لجنين عمره أربعة شهور ونصف الشهر ، وطوله لا يتجاوز ١٥ سنتيمتراً ، ومع ذلك فقد تحددت كل معالم جسمه .. لكن الغريب أنه فى مثل هذه المرحلة المبكرة قد اهتدى الى معنى الرضاعة ، أو ربما معنى الجوع أيضاً ، رغم أن كل عناصر الطعام الميسرة تأتيه من دماء أمه عن طريق الحبل السرى ، وطبيعى أن الأجنة فى بطون أمهاتها لا تفعل مثلما يفعل هذا الجنين ، فهذه حالة نادرة ضبطت متلبسة وهى ترضع أحد أصابعها ، لكن لا أحد يعرف على وجه اليقين تعليلا مقنعاً لذلك ، وربما كانت صدفة استحسنها الجنين ، ولقد لاحظ الأطباء وجود تصلب واضح فى إصبع نسبة ضئيلة من المواليد ، ويرجع ذلك الى كثرة ما ضغط عليه ورضع بشفتيه ، ثم إن هذه العادة تلازمه بعد ولادته بعدة سنين .. هذا وقد يصاب الجنين « بالزغطة » أو الفواق أو الحازوقة ، تعددت الأسماء ، والمعنى واحد ، وهذا من شأنه أن يشعر الحامل باهتزازات ايقاعية فى بطنها ، ولهذا لزم التنويه !

أنوار في الظلمات

بقلم: أحمد العناني

لكى يكون القارىء مرافقاً حسناً لهذه المسيرة العاجلة عبر تاريخنا أود التذكير بأن نهاية القرن الثالث عشر الميلادى شهدت نجاة مصر والشام من عدوان الصليبيين والتتار ، وعاد البلدان يفيدان كثيراً من عطايا التجارة وأصبحا الموئل الناشط للحضارة الاسلامية ، لكن الأمر لم يدم سوى قرنين من الزمان ، حيث حدث حادثان خطيران للغاية أحدهما استيلاء الأتراك العثمانيين على سوريا ومصر والعراق والحجاز واليمن وامتداد ذراعهم البحرية أيضاً الى بلدان الشمال الأفريقى التى كانت تعانى من الزحوف الصليبية وغارات رجال الشمال الهمج من النورمانيين .

ولم تكن الكارثة الوحيدة هي ضياع الأندلس كما يتصور البعض ، ولكن شيئاً أكبر من ذلك كان يتم . فلقد سقطت صقلية وضاعت حضارة الإسلام فيها وسقط الساحل الايطالى الغربى ، وغاب الوجود الاسلامى عن سائر جزر الجانب الغربى من البحر المتوسط فيما ضاع العديد من مدن المغرب ، ولولا نجدات المتطوعين البحريين المستبسلين ، والنصر العظيم الذى أحرزه مسلمو شمال أفريقيا فى معركة وادى المخازن لمضت فتوح الصليبيين تتغلغل الى عمق الوجود الاسلامى فى شمال أفريقيا ..

ولما عجز الأوروبيون عن كسر ذلك الطوق التركى المصرى السورى المغربى تحولوا بأنشطتهم البحرية الى المحيط الاطلسى ، وذلك هو الحادث الجلل الثانى . فقد وصل البرتغاليون الى قوم آمنين سذج من مسلمى شرقى أفريقيا وعمان . فلم يكتفوا بفشلهم فى إدراك الخطر الذى يداهمهم ، ولكنهم أعانوا أولئك الواغلين بحسن نية ودلوهم على الوسائل الملاحية والمعلومات الجغرافية والفنية وجداول الرياح الموسمية ووصف الطرق البحرية حتى الهند ، وما لبث البرتغاليون ومن تبعهم من ألوف القراصنة والمغامرين الأوروبيين أن استولوا على سائر المواقع التجارية الإسلامية بين بحر العرب والهند ، وبين عمان والهند ، وبين شرقى أفريقيا والخليج وبين هذه جميعاً وجزر الهند الشرقية والملايو .. ولم تتمكن القوى البحرية المصرية ومعها بعض القادة المتحمسين من الأتراك أن تؤمن شيئاً أكثر من إغلاق البحر الأحمر فى وجوه المعتدين الأوروبيين . أما تجارة المسلمين الدولية فقد ضاعت وضاع معها الثراء الذى كان يرفد معاهد العلم وجهود العلماء وبلغ حال المسلمين الدرك الأسفل من الفقر والجهل والتأخر ، وتوقفت حركة الفكر المبدع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، وانهار مع السياسة المنخذلة البناء الثقافى للأمة ، وأصبح اشتغال الناس فى أكثره بالسير الشعبية الأسطورية المبالغة ، وبالكلام المسجوع المحشو بالمحسنات البديعية والخارج عن موضوعية التعبير والأداء .. وبالتالى انحطت الثقافة وانحط كل شيء ..

هؤلاء المؤرخون

ومن العجيب أنه حتى فى حلكة تلك الظلمات

المتراكبة كان هناك مؤرخون لهم فضل كبير ، ففي الوقت الذى كان يطوى فيه علم الإسلام عن الأندلس وجزر البحر المتوسط كان هناك مؤرخون من طراز أبى المحاسن ابن تغرى بردى ، وعلي بن داود الجوهرى ، وشمس الدين السخاوى وجلال الدين السيوطى وسائر هؤلاء ظهروا بمصر قبيل دخول الأتراك العثمانيين إليها .

ولابد من الاشارة الى ما يمكن تسميته بالمدرسة اليمانية فى تدوين التاريخ ، ومن أشهر روادها الخزرجي ، وابن الدنبع (١٥٣٣ م) ، ويصعب التمييز بين هذه المدرسة ومدرسة المؤرخين المصريين الذين عاصروهم .. ولاشك بأن الاهتمام بتاريخ الخليج على ضوء نهضة هذه المنطقة سوف يميط اللثام عن الذين ساهموا فى التأريخ للفترة السوداء الحرجة للغزو البرتغالى خلال القرن السادس عشر كالنهروالي وحتى ابن ماجد العالم البحار الذى ضمن أحد مؤلفاته وصفاً لغدر البرتغاليين ووحشيتهم فى صحار وخور فكان ومسقط .. وفيما عدا ابن ماجد لا نجد مع الأسف أحداً من أبناء المنطقة كتب شيئاً عن أحداث تلك الفترة لأسباب لا مجال للخوض فيها الآن ..

ولعل القارىء قد لاحظ أننى كنت وما أزال أتحاشى التفصيل فى شئون ما يمكن تسميته بالتأليف « المعجمى » أو سمه « الموسوعى » اذا شئت ، وكذلك فى التواريخ الخاصة بالمدن كتاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، وتاريخ حلب للقاضى كمال الدين ومعاجم التراجم كابن خلكان ومؤلفاته فى هذا الباب ، وابن شاكر الكتبي وخليل بن أيبك الصفدى .. بل إن مجرد الاشارة الى هؤلاء فى الحقيقة رجوع من الزمن الذى انتهينا إليه وهو القرن السادس عشر للميلاد الموافق للقرن العاشر الهجرى ، وما ذلك إلا لأن التاريخ المعجمى أو الموسوعى يشكل دنيا متكاملة فى تاريخ الجهد الاسلامى لتنظيم المعرفة وحفظها وتيسير الوصول إليها .

كل ذلك كما أسلفت القول كان سابقاً للهيمنة التركية على بلدان الشرق الأدنى والجزيرة العربية ، وسابقاً أيضاً لحالة الفقر التى بدأت تلقى ظلالها الكثيفة السواد على العالم الاسلامى نتيجة سقوط طرقه التجارية ، وأشهر موانئه ومنافذه البحرية للصليبيين . ومهما يكن من شيء فإن تأليف المعاجم والموسوعات إنما هو دليل الإدراك العميق لقيمة القراءة والمعرفة وتيسير الحصول عليها ، وليس ذلك بدليل على الحيوية الذهنية المتطورة بأصالتها نحو الابداع .. لقد أصبح العالم الإسلامى الكبير



عبد الرحمن الجبرتي

وكأنما هو جسد ضخم يضخ الدم فيه قلب مجهد ، ففيه حياة ولكنها حياة واهنة مكدودة .

ومن حيث كاد ينتهى الكاتبون بالعربية من مهمتهم بدأ نشاط كبير فى المناطق المرتدة عن العربية الى لغات الشعوب كالمغولية والفارسية والتركية . وقد احتلت سير الأولياء والدراويش مساحة كبيرة من اهتمام كتاب المغول والأتراك بخاصة .

اللغة والعلم

وليس من شك فى أن انتحال الأتراك صفة الخلافة الإسلامية ، وتوليهم الحكم فى سائر البلاد العربية فيما هم يستخدمون فى دواوينهم لغتهم التركية ، قد أدى الى ضعف العربية لمزاحمة التركية لها ، واللغة تتبع العلم كما هو معروف .

ويقتضينا الحق أن نقرر أن هناك فرقاً كبيراً بين المرحلة الأولى من السيادة التركية والمراحل التى تلتها ، فالفاتحون الأولون من الأتراك كانوا يعتبرون اتقان العربية عملا مقدسا ، وكان كتابهم يستنكفون عن الكتابة بسواها ، وذلك واضح تماماً فى مؤلفات البركوى المتوفى عام (٩٨٠هـ) ومؤلفات أبى السعود والدارى وملاخسرو والخيالى وخوجه زاده وحاجى خليفة وغيرهم ، وفى كتابات هؤلاء ومعاجمهم ثراء للمكتبة العربية والمراجع التاريخية ، لكن ذلك التوجه الاسلامى كان عرضة لعوامل ضعف الدولة فكان لذلك يضمر فيها بمرور الأيام الى أن أصبحت التركية هى لغة الدولة والثقافة فى الدولة العثمانية ، فتراجعت العربية

وهزلت ووصلت أدنى دركات التعبير الصناعى ، وصار هم المتأدبين بالعربية نظم الشعر الحسابى ونظم الأحاجى وحديث المجالس التافهة وما إلى ذلك من أغراض اللغو والتبطل واللهو ..

لكن الرياض التى تصل حالة الازدهار والروعة ، مهما تجدب لاحقاً ويذبل زهرها فإنها لا تخلو من زهرة هنا وأخرى هناك .. وقد تكون هذه زهرات ضخمة ، فكأنما هى بالنجاة بالمعاناة كالبشر تزكو على الآلام والشدائد .

الجبرتي والمقرى

من هذه الزهرات الباقية المؤرخ المصرى المشهور عبد الرحمن الجبرتي المتوفى عام ١٨٢٢ للميلاد (١٢٢٧ هـ) ، والمؤرخ المغربى المقري التلمسانى المتوفى عام ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) الذى يعتبر تاريخه عن الأندلس من أهم مصادرنا حالياً عن الفترة الأخيرة من الوجود الإسلامى فى شبه جزيرة ايبريا . وبالرغم من التفاوت الزمنى الواضح بين المؤرخين المصرى والمغربى لكنهما يمثلان مدرسة واحدة . فمن حيث الشكل نجد التعبير واهناً متراخياً ركيكاً فكأنه يمثل آخر مراحل انحدار الفصحى الى العامية ، أما السجع والمحسنات البديعية فذلك شىء كثير .. ولاشك أن أسلوب الجبرتي أوضح فى هذه النواحى من أسلوب المقرى الذى سبقه بمئتى سنة لكنه ظهر فى وضع متضعضع فى المغرب كما كانت مصر مضعضعة أيضاً من بعد ..

والواقع أن أهمية المقرى والجبرتي تنحصر فى أنهما كتبا فى فترتين يصعب أن تجد كثيرين يدونون خلالهما من جراء الظروف الضاغطة ، ويمتاز الجبرتي بملاحظة أمور تبدو فى ظاهرها بسيطة ، لكنها فى الواقع عميقة الدلالة . إن الجبرتي يعكس الأحوال البائسة لتدهور الحركة العلمية فى مصر وبالتالى فى كل ما حولها .. ويصف الصراع الدامى بين طلبة المذاهب الأربعة على خلافات يسيرة من فقه السنة ، كما يصف أحوال البؤس فى كثير من مظاهر الحياة الشعبية المصرية .

ويلاحظ أن هبوط المستوى اللغوى يؤثر تأثيراً كبيراً فى السرد التاريخى ، فالمؤرخ سواء أكان ممن يعتبرون التاريخ علماً محضاً أم علماً فى محتواه وأدباً فى تعبيره ، يحتاج الى الاقتدار اللغوى .

وعلى الرغم من النهضة العظيمة التى أصابتها الحياة الأدبية العربية فى نهضتها الراهنة ، والتى بدأت اشعاعاتها فى الاتضاح منذ بداية هذا القرن ، إلا أن هذه النهضة لم تجد لها أى تعبير قوى فى مجال التأليف التاريخى العربى ..

علي حسن

التراث الفلسطيني في لوحات الفنان عبد الرحمن المزيّن



المقاومة من أجل السلام



الفنان الفلسطيني عبد الرحمن المزين

- من قطر خرجت رسوماتي إلى العالم العربي
- ارساء دعائم الفن التشكيلي الفلسطيني تم على يد : اسماعيل شموط وزوجته تمام الأكحل
- الخط العربي ليس تراثنا الوحيد

ذكريات البداية دائماً في القلب ، طالما أننا لم نحد عن الطريق ، وعبد الرحمن المزين مازال في الطريق يبحث عن الوطن المحاصر ، يسعى إليه ، وهو يعرف جيداً أن المستحيل ربما يتلاشى أمام استمرار الارادة ، واستمرار العطاء واستمرار البحث .

والفنان التشكيلي عبد الرحمن المزين معروف على صعيد الوطن العربي ، وفي قطر بشكل خاص ، ومع ذلك كان لابد من سؤاله عن البدايات ، فلقد أردنا الحوار شاملا .. والخطوة الأولى غالباً ما تكون هي القياس الحقيقي لتقييم التجربة بموضوعية وانصاف .

البداية ــ يقول عبد الرحمن المزين ــ لم تكن بدخولي كلية الفنون الجميلة وحصولي على شهادات أكاديمية ، بل كانت في ذلك اللقاء الأول مع الجمهور في دولة قطر .

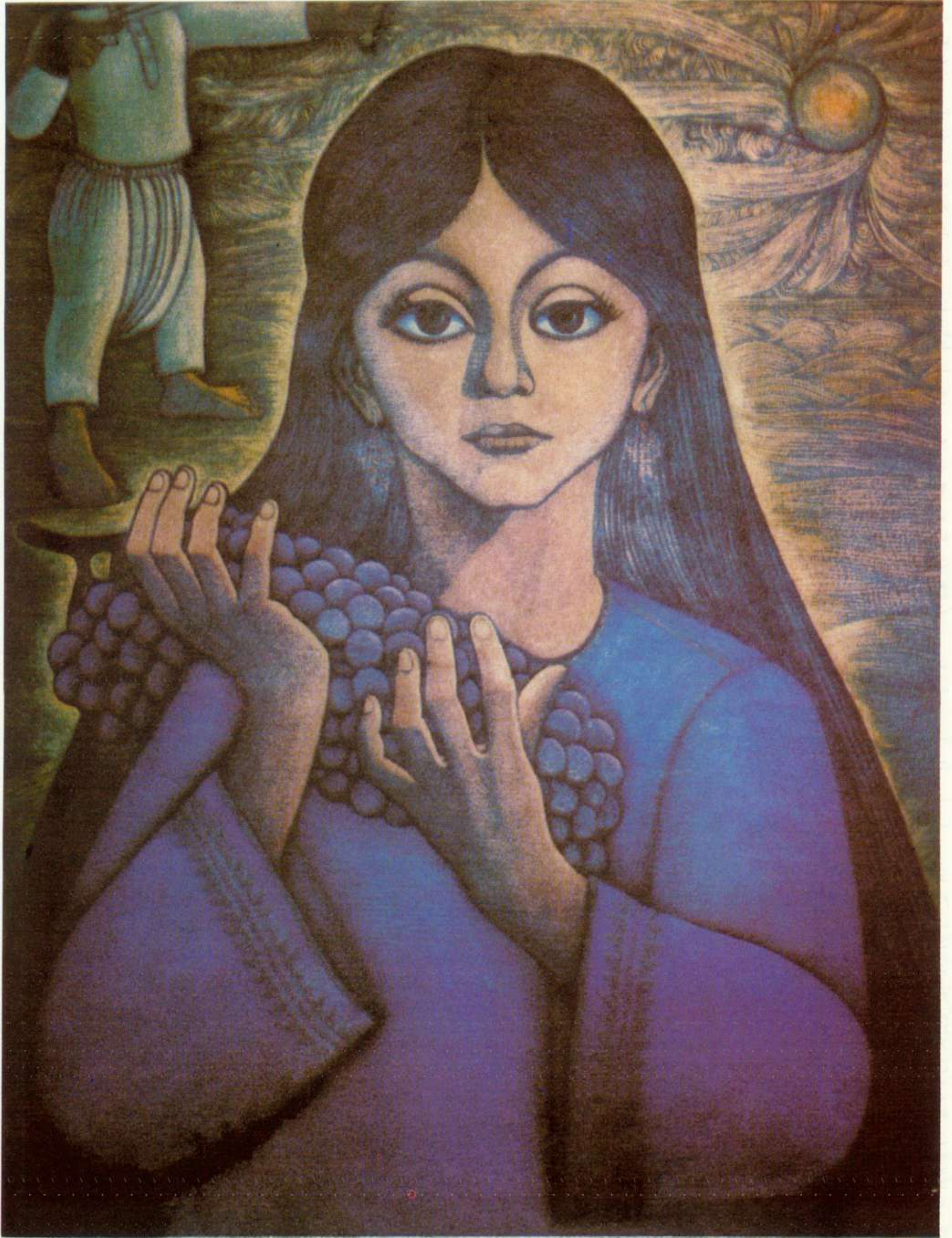
في قطر كان أول معارضي ، ومنها خرجت رسوماتي الى الوطن العربي .

الحنين إلى الوطن

تجربتي الفنية تبدأ مع الحركة التشكيلية الفلسطينية في مرحلتها الثانية ، فهذه الحركة يمكن تقسيمها الى مراحل ثلاث ، تمتد الأولى في الفترة ما بين ١٩٤٨ حتى ١٩٦٥ ، وقد أطلقت عليها مرحلة « فن النكبة » .

• هل يمكن أن تستعرض لنا ملامح هذه الفترة أو المرحلة ؟

ــ تتميز هذه المرحلة بأن موضوعاتها مستمدة من مخيمات التشرد والضياع ، فيها موضوعات الحنين إلى الوطن والبيت ، وهي مرحلة اقتصرت الأعمال فيها على فن التصوير الزيتي وبعض فنون الرسم الأخرى ويبدو فن التصوير الزيتي بوضوح في أعمال الفنان اسماعيل شموط وتمام الأكحل ، ولابد



وجه من الأرض المحتلة

من الاشارة الى أن الأعمال فى تلك الفترة كانت قوية مما ساعد على تكوين بدايات الحركة التشكيلية الفلسطينية ، فهذه المرحلة جاءت قوية بحيث ساعدت على تكوين مدرسة للأجيال التى جاءت فيما بعد ، ويعتبر اسماعيل شموط وزوجته تمام الأكحل أصحاب الفضل الكبير فى إرساء دعائم الحركة التشكيلية الفلسطينية بشكل عام وفن التصوير الزيتي بشكل خاص .

• لابد أن لكل بداية نقاط ضعف أو بعض السلبيات التى ترافقها ، كيف ترى تلك السلبيات لمرحلة البداية ؟

ــ من سلبيات تلك المرحلة إهمال فن النحت والحفر ، وإن كان قد ظهر فى نهاياتها بعض البدايات القوية للفنان مصطفى الحلاج ، إلا أنه يعتبر من فناني المرحلة الثانية .

الشخصية المعاصرة

• هذا يقودنا للحديث عن المرحلة الثانية ؟

ــ المرحلة الثانية تبدأ من عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٨٢ ، وهى من أغنى مراحل الفن التشكيلي الفلسطينى المعاصر ، وقد اطلقت عليها اسم ، « فن الثورة » ، لأنها المرحلة التى تبلورت فيها شخصية الفن التشكيلي الفلسطينى المعاصر ، وذلك يعود لعدة عوامل أهمها كثرة عدد الدارسين والخريجيين من الأكاديميات والمعاهد الفنية ووجود المؤسسات الوطنية الواعية التى احتضنت هؤلاء الفنانين ومدتهم بالخامات وكافة الوسائل التى يحتاجونها وولادة الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين .

وقد اتسمت هذه المرحلة بملامح أساسية أعطت لها الهوية المميزة ، من أهم هذه الملامح موضوع واحد وهو القضية الفلسطينية مهما كان تعدد الموضوعات التى أصبحت تصب فى قالب واحد ، سواء كان رسم الشهيد أو المعارك البطولية أو العمليات الفدائية الجريئة أو عمليات القمع داخل الأرض المحتلة .

الرمز كان واضحاً فى هذه المرحلة وكان فى اتجاهين هما : الرمز التراثي ، والرمز السياسي ــ والواقع أن الرمز التراثي هو أخطر الرموز لأنه يمثل الهوية ، ومن يريد تناوله فإن عليه معالجته بوعي تام أساسه المعرفة بهذا التراث تجنباً للخطأ ، وبعبارة أوضح فإن من يتناول هذا الرمز يتوجب عليه أن يقدم رموزاً تراثية ميثولوجية تاريخية لربط الماضى بالحاضر وتحقيق الهدف من توظيف الرمز .

أما الرمز السياسى فيتعلق بأعمال المناسبات (معركة الكرامة) مثلا وفيه كثير من الصعوبة ولابد من فهم طبيعته وخط الثورة ومستقبلها وطموحاتها ، وهناك العديد من الفنانين الذين استخدموا هذه الرسوم فى أعمالهم .

من ملامح المرحلة الثانية أيضاً الالتزام ، وقد كان الالتزام سمة جميع الفنانين الفلسطينيين والالتزام هنا لا يعنى ظهور « الدبابة » و « الرشاش » فى اللوحات لنقول ان صاحبها ملتزم ، بل يعنى التعبير عن مطالب الجماهير ومطالب المجتمع الذى يعيش الفنان فيه بشكل عام .

كما تميزت مرحلة « فن الثورة » بأن الفنان الفلسطينى انتشر خلالها عبر « المطبوع » سواء اللوحة التي يطلقون عليها اسم « الملصق » أو « البطاقة » أو « الرزنامة السنوية » .

وفى حين نمت الحركات التشكيلية العربية داخل حدود كل قطر فإن الحركة التشكيلية الفلسطينية نمت فى أماكن تجمعات الفلسطينيين ، وهى مرحلة امتازت بأعمال الفنانين فى جميع المجالات (التصوير ، النحت ، السراميك ، الحفر) .

فن ما بعد الحصار

المرحلة الثالثة هى « مرحلة فن ما بعد الحصار » أو « مرحلة فن الجداريات » وهى مرحلة هامة جداً وأحداثها كبيرة جداً لأن الثورة تعرضت فيها لمؤامرات ومذابح خصوصاً فى صبرا وشاتيلا وحصار بيروت . هذه الأحداث لم تكن عادية ، ومن الصعب على الانسان أن يعبر عنها فى مساحة صغيرة ، فالشحنة كانت كبيرة وتحتاج لنوع من الأعمال الدرامية التى لا تقتصر على فن التمثيل فقط ، إنما هى موجودة فى الفن التشكيلي أيضاً وهى تحتاج إلى مساحات كبيرة وان كان هناك صعوبة فى هذا النوع من الأعمال الذى مازال مقصوراً على عدد قليل جداً لأن من شروطه توافر ملكة الابداع الفنى والتمكن من الخطوط والألوان ومن السيطرة أيضاً على الفراغ الكبير وعدم جعل اللوحة « كبانوه » تزيينى .

• هذا يعنى أن هذه المرحلة لن تشمل سوى رسامى الجداريات ؟ .

ــ نعم ، وقد أكون مخطئاً فى ذلك ، لكننى أقول أنه من لم يكن من رسامى الجداريات فإنه لن يكون من فنانى هذه المرحلة .

تجربة الفنان

• إذن بعد استعراض مراحل الحركة التشكيلية الفلسطينية .. أين هو عبد الرحمن المزين منها وما هى معالم تجربته الخاصة ؟

ــ تجربتى تدخل فى المرحلة الثانية والثالثة ، اذ أعتبر نفسي من مؤسسي مرحلة « فن الثورة » وهناك فنانون برزوا فى هذه المرحلة وكانوا رواداً لها أذكر منهم « مصطفى الحلاج ومحمد المزين وشفيق رضوان » . أما فى الداخل فهناك ، سليمان منصور ونجيل عنانى وكامل المغني وبشير صنوار وعصام بدر وعبد العابدين ، وقد ظهروا خلال فترة السبعينات .

وتجربتى مع هذه المرحلة بدأت خلال وجودى فى قطر حين كلفت من الثورة بأن أعد أعمالا تعبر عن انطلاقة الثورة الفلسطينية ، وفيها قدمت أهم أعمالي كالجزء الأول من أعمال العمليات الفدائية وأول ملصق عن الكرامة وكانت هذه الملصقات تعلق على الجدران فى قطر كما كانت « بطاقات المعايدة » لدى الشباب فى المدارس بطاقات من الثورة الفلسطينية .

التجربة مع المسرح

• هل كانت لك تجارب مع المسرح الفلسطيني؟

ــ نعم .. وهى الأخرى كانت فى قطر ومن ثم انطلقت الى الخليج العربى ، ومعظم المطبوعات التى نفذتها عددها لا يقل عن ١٨ ملصقاً و ٢٤ مطبوعة فى الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧١ كانت فى قطر . عام ١٩٧١ تابعت دراساتي العليا ، وهنا أختلف مسارى الفنى حيث بدأت أبحث عن التراث الفلسطيني وأبحث فى الميثولوجيا والتاريخ الفلسطينى حتى أستطيع أكون أرضية فكرية ذات مدلول فى العمل التشكيلي الثورى .

وكانت رسالتي هى « الفن التشكيلي الفلسطينى القديم » حتى ألم بأساسيات الفن التشكيلى الفلسطينى ومن ثم انطلق لما هو معاصر .

توظيف التراث

• كيف تلخص تجربتك فى عملية توظيف التراث فى العمل الفنى؟

ــ بدأت عملية توظيف التراث فى العمل الفنى منذ سنة ١٩٧١ ، وتجلت أعمالى أكثر وضوحاً عام ١٩٧٤ ، وفى هذه الفترة سيطر على أعمالى العامل الميثولوجى أو الوحدات الأسطورية والوحدات الأثرية بشكل عام وبدأت أربط بين الوحدات التاريخية أو التراثية وبين الوحدات الثورية أو الموضوع الثورى سنة ١٩٧٦ ، وفى السنة التى تلتها تبلورت بعض الأعمال وأصبحت أكثر وضوحاً ، وقد كان اقبال الجماهير عليها خير دليل على صحة هذه التجربة ، اضافة للجوائز التى حصلت عليها على هذا الأسلوب ومنها جائزة الشراع الذهبى فى بينالي الكويت للفنانين التشكيليين العرب عام ١٩٧٩ ثم الجائزة التقديرية فى بينالي الكويت ايضاً سنة ١٩٨١ وشهادة جائزة النقاد والصحفيين التشكيليين أيضاً .

• خضت تجربة رسم الجداريات ، إلى أى مدى استطعت التقدم فيها وما هى رؤيتك الخاصة لهذه التجربة ؟



الأمل والمستقبل

ــ بدأت هذه التجربة سنة ١٩٨٢ وهى تجربة ليست جديدة بالنسبة لي لكن الموضوع وشكله والحدث جاء فى فترة كنت أعمل خلالها على توظيف التراث فى العمل الفنى ، فاضطررت أيضاً إلى توظيف التراث فى المذبحة وفى عملية الحصار وفى الخروج ، وحتى فى المقاومة داخل الأراضى المحتلة ، وأنا الآن أعد لجدارية اسمها « حرب الحجارة » أعبر فيها عن الداخل والخارج .

لقد حاولت خلال مسيرتى الفنية أن أقدم تجربة من نوع أن يكون هناك لوحة فلسطينية تصلح للصالة المغلقة كأصل تعرضها ، وتصلح أيضاً خارج الصالة المغلقة بعد أن تطبع ولا تفقد قيمتها الفنية ، فهناك نوعان من الفن ، نوع اسمه ملصق ونوع اسمه لوحة تعرض فى الصالة المغلقة ، وهناك ملصق يصمم لعرضه خارج الصالة لحاجات الشركات والمصالح الاقتصادية ويخدم مصالح الشركة أو الشركات العالمية فى أوروبا ، والأساتذة الأوائل فى أكاديميات الفنون بالوطن العربى الذين تعلمنا على أيديهم تعلموا فى أوروبا وجاءوا بهذا القانون ، وهو أن اللوحة تتكون من البضاعة المعلن عنها ، كشكل وعبارة مكتوبة تتضمن اسم الشركة أو البضاعة المعلن عنهاءأى أن الملصق يتكون من شكل مرسوم وكتابة أو حروف تدل على الشكل ، والاثنين لا نستطيع أن نفصلهما عن بعضهما ولذا فان تطبيق هذا القانون يعبر عن آمال وطموحات الشعب العربى ، وبالتالى بدأوا يضعون الجندى أو الفدائى مكان البضاعة المعلنة واسم الشركة استبدلوه بشعار وطنى أو بيان سياسى .

وقد حاولت أن أقدم شيئاً ، لخلق عمل تشكيلى يعيش داخل الصالة المغلقة كعمل أصل وآخر مطبوع يعيش خارج الصالة المغلقة بالأسلوب أو القانون الذى وضع فى أوروبا الغربية .

هذه التجربة امتدت من سنة ١٩٧٧ وحتى الآن ، وأنا أركز حالياً على عمل لوحة ثورية ملتزمة تعيش داخل الصالة المغلقة وخارجها .

• تحدثنا عن تجربتك مع المسرح ثم انتقلنا لموضوعات أخرى ، هل لنا أن نكمل الحديث عن تلك التجربة ؟

ــ كما ذكرت تجربتى مع المسرح « مسرح الثورة الفلسطينية » كان أرض قطر وأذكر من المسرحيات التى صممت ديكوراتها « شعب لن يموت » و « الطريق » و « مشاهد فلسطينية » المسؤولون فى قطر قدموا لنا مساعدات كبيرة وهذا ليس جديداً عليهم ، منحونا أجازات لمدة شهر وأرسلونا الى دولة الامارات وقدموا لنا عدداً من موظفى الدولة لمساعدتنا ، وهنا أسجل أن بدايات المسرح الفلسطينى ولدت فى قطر .

• وبالنسبة للصحافة ؟

ــ أيضاً تجربتى مع الصحافة ولدت فى قطر حيث رسمت أول غلاف لمجلة العروبة ورسمت ثانى غلاف لمجلة الدوحة وأمتد عملى معها لأكثر من سنة ، وكان أول مقال فنى أكاديمى لي فى أول عدد من مجلة العروبة .

• مارأيك فى عملية توظيف واستغلال طاقات الحرف العربى فى اللوحات التشكيلية ؟

ــ الحرف العربى لا يشكل الهوية للفن التشكيلى العربى ، بعض الفنانين العرب كان لهم اجتهاداتهم وكان لهم تطلعاتهم باتجاه الثقافة التشكيلية العالمية ، نحن لسنا ضد الثقافة العالمية التشكيلية ، لكننا ضد أن نكون جزءاً من هذه الثقافة ، ونحن مع أن يكون لنا دور فى هذه الثقافة ، وهذا الدور لن يتأتى إلا اذا عبرنا عما يحيط بنا وعن تطلعات جماهيرنا .

لاشك اننا نستطيع أخذ « التكنيك » المتقدم للثقافة العالمية ، ولكن لا نستطيع أن نأخذ الأسلوب ، فلابد أن يكون لنا أسلوبنا الذى نضيفه للثقافة العالمية .

المطلوب من التشكيليين العرب أن يضيفوا ، البعض أخذ من التراث ، ولكن أغلبهم التزم فى تجربة واحدة وهى الخط ، لماذا هذا الاتجاه للخط ؟ وهل التراث هو الخط فقط ؟!

أنا أرى فى الخط عبارة عن يافطة وتحريكا للحروف بحيث تأخذ توازنا لونيا ، لا أعتقد أننى أتجنى ، لكن لدى طموح ، فلقد بدأت أنحى نحو هذه التجربة وأعتبر نفسي فى بدايتها ، وفى أعمالى الجديدة الآن أوظف الخط ضمنا مفرداً تشكيلياً ، والخط يمكن أن أضيفه إلى جانب مفردات أخرى ميثولوجية مثلا وأطرحه ضمن التراث الفلسطينى مكان وحدة هندسية أو زخرفية بحيث لا يغير فى الشكل النهائى .

علي حسن



من روائع الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

فتاة من الجزائر

فى قاعات العرض الشهيرة المنتشرة فى ربوع العواصم الغربية ، نرى عالماً مثيراً من روائع الفن الشرقى : تحفاً نادرة من التراث العربى الاسلامى لا ندرى كيف حصلوا عليها ، ولوحات يتفاوت تقييمها حسب مكانة الفنان وعراقة المكان وبعد الزمان ، كما نجد لوحات أخرى مقلدة لا تخطئها العين الخبيرة المدربة ، بالرغم من أنها تتسم بالمهارة الحرفية مما يضعها فى عداد الفنون المبهرة والبصريات المثالية .. وبين هذا وذاك نرى بعض المعروضات الغثة التى لا تصل الى مرتبة الأعمال ذات القيمة الفنية ، وهكذا تعددت الأساليب واختلفت القدرات ، ولكنها توحدت فى مضامينها وموضوعاتها عن حياة الشرق بمظاهره الآسرة التى تلهب خيال الفنان وتثير وجدانه بإيحاءاتها الملهمة .

وفى مواسم السياحة الصيفية ، تتألق هذه المعارض ، حيث تقام فيها المزادات وتنصب لها المواكب والمهرجانات وسط مظاهر الدعاية الذكية التى تروج لهذه المعروضات الشرقية .. وغالباً ما يكون الرواد والمشترون منا ــ نحن الشرقيين ــ لما لهذا الطابع الشرقى من وقع تراثى وروحى فى نفوسنا !

وفى السنوات الأخيرة وصلت الأثمان الى أرقام خيالية .. وبقدر ما يغالى أصحاب المعروضات فى تقييمها ، بقدر ما يزداد الإقبال عليها من الموسرين والهواة وتجار التحف .. لأنها تجارة رائجة تتضاعف أرباحها عاماً بعد عام ، وبذلك ظهر نوع جديد من الاستثمار بتداول التحف الفنية فى الأسواق العالمية ..

وتربعت العاصمة البريطانية على عرش اللوحات الشرقية متمركزة فى كثير من المحلات الشهيرة مثل (المتحف جالارى) ، (سوذبى) و (كريستى) و (ميجور أوكشان هاوس) ... وغيرها . وجميعها تهتم فى المقام الأول بالأعمال الفنية الشرقية التى رسمها فنانون غربيون أو مستشرقون أو مستعربون فى القرنين الماضيين .

وقد أطلق على هذا النوع من الفن الاسم العالمى الشهير Orientalism ، وتزخر المكتبات العالمية بالعديد من الكتب التى تتناول الأعمال الشرقية بالدراسة والتحليل والتقييم .. ويجمع معظم المؤرخين على أن الطابع الشرقى قد بدأ جلياً فى أعمال الفنانين الغربيين منذ الفنان العالمى الفرنسى (ديلاكروا) .. وحتى (ماتيس) ، أى أنهم يركزون على القرن التاسع عشر بصفة خاصة ، ولكن الاهتمام بالطابع الشرقى قد بدأ فى الحقيقية قبل ذلك بكثير ، فبعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ وانتقال الامبراطورية الرومانية الى ايطاليا ، بلغ هذا التأثير فى أوروبا حداً كبيراً فى فنون عصر النهضة .. كما رأيناه فى أعمال فنانى بلاد الشمال وبخاصة هولندا .. ويذكر التاريخ أن (رمبرانت) ــ وهو أعظم فنانى هولندا ، كان له فضل الريادة فى هذا الاتجاه الذى يستوحى سحر الشرق وفتنته وزخارفه المميزة فى أعماله . وكان لنشر (ألف ليلة وليلة) و (رباعيات الخيام) وغيرهما من كتب التراث ، مفعوله السحرى الذى ألهب مشاعر الفنانين العالميين وأطلق جموح خيالاتهم ، فألبسوا واقعنا الشرقى أثواباً من الخيال السابح فى أطياف الجمال والشاعرية ، وتوافدوا تباعاً على بلادنا حيث عكفوا على تسجيل حياتنا وتقاليدنا وآثارنا وتراثنا .. وكونت رحلاتهم الى بلاد الشرق ظاهرة استشراقية ، مما أضفى على فنونهم طابعها المميز واسمها العالمى الشهير . وما إن حل القرن التاسع عشر ، حتى أصبح الفنانون فى شتى أنحاء الأرض يتوقون الى زيارة بلادنا العربية والاسلامية عامة .. وإن حظيت القاهرة ــ بالذات ــ بالنصيب الأوفر من إبداعات هؤلاء الفنانين ، وذلك لأسباب كثيرة ، كان من أهمها : الحملة الفرنسية وإنجازاتها العلمية والفنية وبخاصة موسوعة (وصف مصر) وملاحقها المصورة المثيرة .

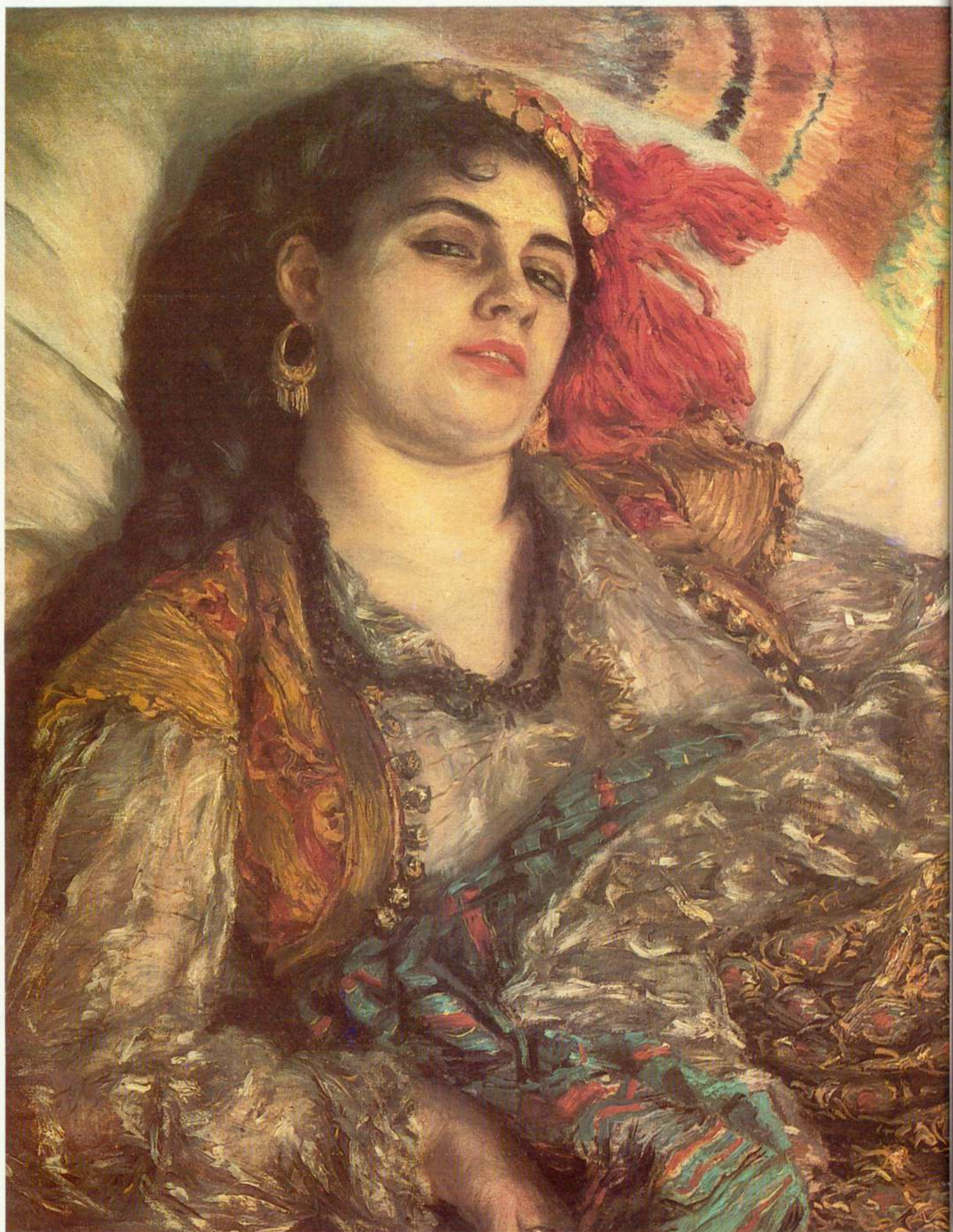
ومن ناحية أخرى ، فقد وجد الفنانون فى مصر بغيتهم فى شتى الحضارات والآثار التى خلفتها تراكمات الحقبات التاريخية المتتابعة ، بجانب طابعها العربى الاسلامى الأصيل الذى أكسب الحياة المصرية آنذاك سمات مميزة .

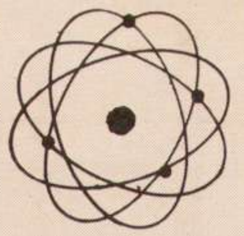
ومن هؤلاء الفنانين ، برزت أسماء كبيرة من أمثال (لويس) الذى برع فى رسم السيدات ، و (كيلى) وقد تخصص فى رسم الصحارى والقوافل وحياة البدو ، و (جيروم) وقد أثارت خيالاته قصص الجوارى والأساطير وفاتنات التاريخ الفرعونى . و (أوسبورن) حيث تألق فى رسم مناظر النيل وأشرعة السفن على صفحة الماء وانعكاسات الشفق وألوان الغروب . و (لودفيج) الذى اشتهر بتسجيل المهرجانات الشعبية والعادات والتقاليد المتوارثة ورسم المساجد والعمائر ذات الطابع الاسلامى بزخارفه المعجزة . و (هولمان هانت) ويكاد أن يكون متخصصاً فى رسم المناظر الريفية ذات الطابع الرومانسى الجميل .

أما الأساطين الكبار من أمثال (ديلاكروا) (رينوار) و (مانيه) .. بجانب العديد من الفنانين الفرنسيين الآخرين ، فقد استهوتهم بلاد المغرب العربى ولاسيما الجزائر .. وكانت بطبيعة الحال تحت النفوذ الفرنسى ويعتبرونها امتداداً لفرنسا نفسها .. ويحدثنا التاريخ عن تلك الرحلات الفنية لهؤلاء الفنانين بين ربوع الجزائر .. وتزخر المتاحف العالمية بإبداعاتهم الشرقية التى استلهموها من الحياة الجزائرية والمظاهر التراثية الرائعة فى الشمال الأفريقى .

وهذه احدى لوحات رينوار رسمها بين عامى ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠ وأسماها (امرأة من الجزائر) وهى من مقتنيات المتحف الوطنى بواشنطن حالياً .. كما أنها واحدة من عدة لوحات عالمية شهيرة ، كانت محصلة رحلة الفنان للجزائر ، تلك الرحلة التى ظلت إيحاءاتها تسبغ على لوحات الفنان طابعاً شرقياً محبباً الى نفوسنا .

إحدى روائع الفنان رينوار التى استلهمها من رحلاته إلى الجزائر .. ويبدو فيها الطابع الشرقى .. واسماها : فتاة من الجزائر





العلم هو المستقبل





هكذا تعمل الآلة الذكية

الآلة الكاتبة الذكية!

هذه الآلة الكاتبة الذكية لمن لايتمتعون بموهبة الخط الجميل وفي الوقت نفسه لا يفضلون استخدام الآلة الكاتبة التقليدية . وتستحق هذه الآلة اليابانية الصنع وصفها بالذكية لأنها تستطيع فهم الخط اليدوي وترجمته الى كتابة مطبوعة . فلقد زودت بشاشة حساسة للمس مقسمة الى مربعات تضم خلايا للتعرف على ما يكتب عليها ، بحيث يستطيع صاحبها أن يكتب عليها ما يشاء بواسطة قلم الكتروني خاص . وعلى الفور تتعرف الآلة الذكية على ما تم كتابته ، ويظهر على شاشة أخرى

المرآة السحرية

بدأت الابتكارات الألكترونية تغزو النشاط التجاري فمحلات الملابس الأتوماتيكية التي تعمل ليلا ونهاراً طوال أيام الأسبوع أصبحت حقيقة واقعة ، وذلك بفضل غرفة القياس الألكترونية التي تضم مرآة سحرية . ففي هذه المحال لا يوجد بائعون أو بضائع ، وانما ينتقي المشترى البدلة أو الثوب الذي يريده بواسطة شاشة الفيديو ، ويقوم بتجربته دون أن يضطر الى استبدال ملابسه . ويعتمد هذا الابتكار على فكرة بسيطة ولكنها عبقرية . فالزبون يقف أمام مرآة بدون طبقة قصدير ــ وهي طبقة يطلى بها ظهر المرآة ــ وبواسطة لوحة مفاتيح يتم اسقاط صورة ظلية على هذه المرآة بحيث تنعكس على الزبون داخل هذه الصورة ، ويمكن للجهاز تحديد مقاسات جسم هذا الزبون .

ويوجد خلف المرآة السحرية جهاز أتوماتيكي متحرك يقوم باسقاط الموديلات التي تم اختيارها على المرآة ، وعندئذ يرى الشخص نفسه مرتدياً البدلة التي اختارها دون أن يغادر مكانه ، أو حتى يلمسها . ويمكن تجربة أي عدد من الأزياء في زمن قياسي . فالفرق بين تجربة زي وآخر لا يزيد عن ثانيتين فقط .

فكل زي من الأزياء قد تم تصويره مسبقاً على عارض أو عارضة أزياء متوسطة الحجم ، ولكن الجهاز يستطيع توسيع أو تضييق الصورة لتغيير مقاسات الثوب أو البدلة تبعاً لمقاس الزبون ، بحيث يستطيع الجهاز الانتقال من مقاس ٣٦ الى مقاس ٤٦ في ثوان معدودات .

ولقد بدأ بالفعل اقامة غرف قياس الكترونية في بعض المدن الفرنسية وتم تصديرها الى الولايات المتحدة واليابان .



المرآة السحرية تحدد مقاسات الزبون



المرآة السحرية وتجربة الثوب الذى تم اختياره

صنعت من البللورات السائلة . ومن ثم يمكن كتابة النص ومراجعته قبل طبعه اتوماتيكياً بواسطة الطباعة الحرارية للآلة الكاتبة المبتكرة .

كما استبدلت لوحة المفاتيح بورقة حساسة للمس أيضاً طبعت عليها الحروف والأرقام والإشارات لمن لا يريد الكتابة بخط يده ، فيمكنه الاستمتاع بطباعة هادئة ، اذ يكفى لمس الحرف أو الرقم ليتم طبعه على الفور .

وتستطيع ذاكرة الآلة الكاتبة التعرف على ٣٤٤٨ حرفاً ورمزاً : حروف الأبجدية اللاتينية بشكل عام وإشارات ورموز الكتابة اليابانية . كما تتسع هذه الذاكرة لاختزان عشرة آلاف معلومة أى ما يوازى سبع صفحات من القطع المتوسط .

ومهما كانت رداءة الخط فإن الآلة الكاتبة الذكية تنجح فى قراءته ، فهى لاتخطىء إلا نادراً فنسبة الخطأ لا تزيد فى المتوسط عن ٥ ٪ وبالرغم من هذه المميزات فهى ليست أكبر حجماً من الآلة الكاتبة التقليدية فطولها ٣٨ سم وعرضها ٤١ سم وارتفاعها ١٠سم ، وهى تزن ٤,٨ كيلوجرامات .

آلة "الهدم" الصامتة !



الآلة الصامتة لا تزعج أحدا !

تستطيع هذه الآلة السويسرية الصنع هدم وتفتيت الجدران الأسمنتية دون أن تحدث ضوضاء أو تولد أى اهتزازات ، ولكنها بالرغم من ذلك يمكنها هدم جدار من الأسمنت المسلح سمكه ٩٠ سم . فهى مزودة بأسنان قوية مدفوعة بروافع هيدروليكية تعمل بضغط يساوى ٤٥٠ « بار » بحيث تستطيع هذه الاسنان اختراق أصلب أنواع الاسمنت حتى الشديد التسليح .

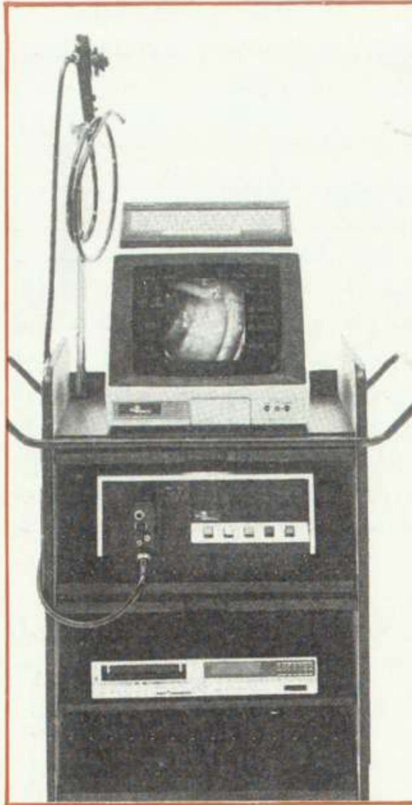
وتتميز هذه الآلة الى جانب هدوئها بمعدلات انجاز عالية ، فضلا عن أن تشغيلها لا يحتاج الى أيد عاملة كثيرة ، فلا يستغرق مثلا هدم حوالى ثلاثين متراً مكعباً من الأسمنت المسلح سوى ثمانى ساعات ، ولا يتطلب هذا العمل الا عاملين فقط .

ولذلك فإن هذه الآلة تصلح لعمليات الهدم الجزئية أو الكلية ، ويجرى حالياً استخدامها فى هدم عشرة طوابق فى وسط مبنى احد المستشفيات بينما تظل الواجهات سليمة . وخلال فترة العمل والهدم تستمر الأجهزة الطبية الدقيقة مثل أجهزة الاشعة فى عملها فى الجزء المجاور من المبنى ولا يشعر المرضى بأى ازعاج !

الفيديو الطبي !

ابتكرت شركة أمريكية نظاماً جديداً لتصوير أجهزة الجسم وعرضها مباشرة على شاشة فيديو .

ويعتبر هذا النظام تطويراً للمنظار الطبى المستخدم حالياً ، والمتكون بشكل عام من أنبوب مرن مزود بمجموعة من العدسات ومصدر ضوئى وألياف ضوئية . الا أن الطبيب فى حالة استخدام الجهاز الجديد لا يضطر الى النظر خلال العدسات الى داخل أجهزة الجسم ، فإن الصورة تظهر ملونة وواضحة على الشاشة أمامه . ويتركب هذا الجهاز المتطور من مصدر ضوئى يرسل الضوء الى داخل تجويف المعدة مثلا خلال ألياف ضوئية تمر داخل



الفيديو الطبى : تطوير للمنظار المستخدم حاليا

أنبوب مرن رفيع قطره ١٤ مم وطوله متر ونصف المتر . أما الضوء المنعكس داخل تجويف المعدة أو العضو المراد فحصه فيمر خلال عدة عدسات تقوم بتركيز الأشعة على دائرة الكترونية لرصد وتحليل الضوء ، تعمل على تحويل الاختلافات فى شدة الضوء الساقط عليها الى تيار كهربى متغير الشدة ينتقل بواسطة كابل الى الأنبوب الخاص بشاشة الفيديو .

ومن ثم يرتكز عمل هذا الجهاز على دائرة التحليل والرصد الميكروسكوبية التى تتميز بصغر حجمها وقدرتها العالية على التحليل . وهى عبارة عن رقيقة من السليكون مساحتها واحد سنتيمتر مربع مثبت عليها ٤٠ ألف ترنزستور حساس للضوء تقوم بتحويل الطاقة الضوئية الساقطة عليها الى تيار الكترونى ، وبالتالى يمكن نقل الصور الداخلية لأجهزة الجسم الى الكابل الكهربى ومنه الى الشاشة .

وأثبت الجهاز الجديد سهولة استخدامه كما أنه يتيح للطبيب فحصاً أكثر دقة ومناقشة الحالة مع زملائه أثناء الفحص ، بالاضافة الى الاستفادة بمميزات الفيديو مثل تكبير الصور وتسجيلها للاحتفاظ بها . وهى صور تتميز بدقة ونقاء كبيرين ، فهى توضح أدق التفاصيل الداخلية لأجهزة الجسم .

هـامش على الشعر والموسيقى

علي محمود طه وجدان يتغنّى

بقلم : كمال النجمي

علي محمود طه ، نجم شاعر ، يسبح فى مداره فيصدح بالغناء والموسيقى والإيقاعات الراقصة ، تنبعث من وجدانه ، لا من تفعيلاته وأوزانه .. فالغناء جوهر شاعريته ، وما أبياته إلا شعاع هذا الجوهر الشعرى ، وذبذباته الصوتية ترتسم على الورق كما ترتسم ذبذبات الصوت الجميل على الأسطوانة أو شريط التسجيل ! ..

وقديماً كان « إخوان الصفاء » يتخيلون فى بعض شطحاتهم ذات اللفتات الفنية ، أنهم يسمعون موسيقى كونية هائلة تنبعث من النجوم والكواكب ، ولكن أسماع الناس لا تلتقط شيئاً من هذه الموسيقى الكونية فالستار مسدل بينهم وبين أسرار الكون ! ..

وسواء صدقوا فى قولهم أو كذبوا ، فإن لكل نجم فى سماء الشعر موسيقاه الكونية الخاصة ، يسمعها من يتلقون شعره ، وقد يعجز بعضهم عن سماعها كما يعجزون عن سماع الموسيقى المنبعثة من الكون فيما زعم إخوان الصفاء أو تخيلوا ..

ومن حسن الطالع أن موسيقى الشعر أقل ضخامة وتعقيداً من موسيقى الكواكب والنجوم والمجرات ، وإن كانت مثلها تتعلق بعظمة الكون الحافل بالأسرار ! .. فيتاح لمن رزقوا الوجدان الصافى ، والذوق الثاقب ، والسمع العميق ، أن ينعموا بموسيقى الشعر التى هى من جوهره لا من مظهره .. فاستمتاعهم بها ، استمتاع بالشعر كله باطناً وظاهراً ، فى تجلياته وراء المدركات الحسية ..

وتبدو موسيقية بعض الشعر أحياناً كأنها من ظواهر الأسلوب أو اللغة ، ولكن هذا لا يكون إلا فى منظومات الضعفاء والمتكلفين الشعر بلا وجدان ، فتجيء موسيقاهم السطحية من سطح جوهرهم ..

وإنما تعلو طبقة الشعر من تلاحم موسيقاه وجوهره فى طبيعة الشاعر المطبوع المحلق فى كونه الشعرى الرفيع .

تكوينه الوجدانى

وطبيعة علي محمود طه فى موسيقى الشعر ، مثل طبيعة أستاذه أحمد شوقى ، لا تدل عليها كثرة الحديث فى شعره عن الغناء ، وإن كان لهذا الحديث دلالة وجدانية واضحة .. وإنما أساس الموسيقى عنده ، تكوينه الوجدانى الذى يعزف الموسيقى ويترنم بالغناء فى نبض مشاعره ، وفى ومض أشعاره ، وليس له فى ذلك فضل ، فهذه كينونته هو وأمثاله من شعراء الوجدان الموسيقى ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً كما ولدتهم والغناء فى جوهر وجدانهم ! ..

هذا المعنى الدقيق ، مسه أحمد شوقى مساً رفيقاً طلياً فى قصيدته التى ألقاها تحية لضيوفه فى مهرجان تتويجه أميراً للشعراء سنة ١٩٢٧ فقال يمدح الشعراء المحتفلين به ويذكر ألا فضل له عليهم فى موهبته :

ما الرحيق الذى يذوقون من كر مى ، وإن عشت طائفاً بدنانه
وهبونى الحمام لذة سجع .. أين فضل الحمام فى تحنانه ؟!
وتر فى اللهاة ما للمغنى من يد فى صفائه وليانه !

نعم ! . هب يا صديقى أن شاعرنا أحمد شوقى كالورقاء المغردة ، فأين فضله فى ذلك ؟! .. إنما الفضل للوتر الذى فى حلقه ، أوجده الله صافياً ليناً ، فتغنى به فأطرب الناس ! ..

ولكن هذا الوتر الصافى اللين لا يترنم فيهز مشاعر مستمعيه إلا إذا اتصل بوجدان صاحبه ، ثم قام له صاحبه بحقه عليه فى الدربة والمرانة واستيعاب أرقى طبقات الشعر ، واتقان أسرار صناعته ، وتخرج نفسه بعد ذلك فى مدرسته الشعرية الخاصة ، مستقلا عن الأساتذة ، غير مقلد ولا تابع ولا عاجز عن إضافة الجديد إلى القديم ، أو إحلال الجديد محل القديم على مقتضى الحال ، بلا افتعال ولا اعتمال ! ..

ينابيع شاعرين !

وكذلك كان على محمود طه ..

استوعب أجمل وأعذب وأجزل الشعر عند القدماء من البحترى إلى ابن زيدون ، ثم ارتوى من ينابيع شاعرين معاصرين هما أحمد شوقى وأحمد

محرم .. وهما — فيما نرى — أعظم شاعرين في عصرنا حباهما الله بالوجدان الموسيقى ! ..

وقد عرف الكافة أحمد شوقى ولم يعرفوا أحمد محرم ، على أن كثيراً من شعره يضج بالموسيقى ضجة الكواكب والنجوم بموسيقاها في أسماع إخوان الصفاء ! ..

ولايشك من يطالع شعر علي طه مطالعة الخبير البصير ، أنه أدمن شعر أحمد محرم ، حتى جرى في دمه مذهبه في النظم بالأنغام على نسق نعرف به أحمد محرم منذ عرفناه ، متفرداً به بين شعراء عصره .. وقد جرى على آثاره فيه علي محمود طه ، برغم ما بينهما من تباين وتناقض في اتجاهات كثيرة ..

ولو لم يكن الغناء في التكوين الوجدانى للشاعر علي طه ، لما أجداه شيئاً إدمانه التحصيل من شعر شوقى ومحرم وأشعار الأقدمين من ذوى التكوين الوجدانى الموسيقى ..

لم يقتصر علي محمود طه ، على الثقافة العربية كما فعل شوقى — على معرفته التامة بالفرنسية — وكما اضطر أن يفعل أحمد محرم الذى استطاع بجهده الخاص أن يكون حجة في الأدب والدين والتاريخ ، وعلماً في الشعر العربى ! ..

قرأ علي طه بالفرنسية كثيراً ، وبالانجليزية دون الكثير ، واقتدى في القراءة باللغات الأوربية بمدرسة الديوان التى اشتهرت بمصر منذ ستين عاماً .. ولكنه لم يتأثر بهذه « المدرسة » إلا في توسيع نظرته إلى أغراض الشعر واتجاهاته ، أما أداته الشعرية فقد نضجت على النار الهادئة لمختاراته من الشعر العربى المعاصر والقديم .

فلما ورد بعدها ينابيع الشعر الأوربى ، لم يكن مفتقراً الى توجيهات مدرسة الديوان التى كانت تخلط في النقد والنظم ، عملا صالحاً بآخر سيىء ، وارتطم شعراؤها بالنظم العقلانى ، وتقليد النماذج الأوربية ، وبخاصة الانجليزية ، تقليداً لا يرجح في ميزان النقد على كل تقليد آخر ، وقد كان أساس دعوتهم محاربة التقليد ! ..

اغراق في العاطفة

هكذا لم يقف علي طه عند تجارب هذه المدرسة إلا للتأمل في مصيرها ودراسة أخطائها ومزاعمها ، وانطلق يأخذ من الكلاسيكية الحديثة في الشعر المصرى أجمل موسيقاها ، فالتقت فيه أبهة هذه الكلاسيكية المتجددة ، وتهاويل الرومانسية المصرية البازغة ، وصعد شعره إلى العلالى الكونية ، وأغرق في العاطفة ، وأوغل في الأخيلة والتصورات والأحلام ، وتاه عن دنيا الناس ، فهو « الملاح التائه » .. وأحلامه هى « أحلام الملاح التائه » .. والكثير من شعره « أرواح وأشباح » أو « زهر وخمر » .. أو نفثات من « الشوق العائد » أو سبح طويل بين « شرق وغرب » .. وتلك هى أسماء دواوينه الستة ، تنم أسماؤها عن مكنونها ، وتكشف خافية



سريرته ! ..

كان مثقفاً جديد الاهتمامات ، وكان غناؤه الشعرى جديداً ، غير أنه لم يضرب بمعوله عمود الشعر العربى ، ولم يحتقر الأساليب الفصيحة كما احتقرها بعض الرومانسيين في بداية أمرهم حينذاك فكانوا مثلا في الركاكة والعجز عن التعبير ، وسقطوا في الرموز العشوائية ، والعلاقات الملفقة بين الألفاظ ، واختنقوا في ركام المجاز والاستعارة والصور المشوهة المتناقضة ، الى غير ذلك مما لا يتسع المجال لبيانه ! ..

فطلع علي محمود طه بين هؤلاء كأنه يعلن ثورة شعرية رومانسية بيضاء في ساحة الكلاسيكية الحديثة ، فلم يثر على أسلافه ثورة ازدراء وتحطيم ، بل ثورة اتساع وتحرير ، فيها تكريم للقديم ، بتجديده والإضافة إليه ! ..

كان علي طه وجداناً حساساً جياشاً ، يتغنى سراً وجهراً ، كأنه وردة أو ريحانة سعيدة بمكانها فوق ربوتها من حديقة الحياة ، أو كقول شوقى :

وشدت في الربى الرياحين «همساً»
كتغنى الطــروب في وجدانه

ولكن « الهمس » كان صوتاً واحداً من الأصوات الكثيرة عند علي طه ، فهو لا يقتصر في الغناء على الهمس ، فهذا وتر واحد في وجدان هذا الشاعر المتغنى ، وما أكثر ما تتشعب أوتار التغنى وتتكاثر وتتلون عنده ، في لحونها وشجونها ..

الشعر العربى والأوربى

علي طه — إن صح التعبير — شاعر يتغنى بمقامات الشعر العربي والشعر الأوربي في وقت معاً ، فتسمع منه حيناً ما يشبه أناشيد الشيخ علي محمود ، وقصائد أم كلثوم وعبد الوهاب ، وأغاريد أسمهان ، وتسمع حيناً ما يشبه الموسيقى الاوربية السيمفونية والراقصة وصدحات كاروزو في الأوبرات الايطالية بصوته المستعار الجبار ، ودندنة مطربات أوربا ومطربيها حين يتغنون بأصواتهم الطبيعية ! ..

وهو لا يكتفى — كشوقى — بالتغنى ، بل يزيد عليه الرقص ، لأن له وجدان مطرب يرقص لنفسه طرباً ، ولغيره ..

كان شوقى يعيش في طبقة الباشوات العثمانيين بمصر ، فلا يخالف عنهم في السمت وطرائق الحياة والآداب الاجتماعية ، ولم يعرف عنه أنه كان مشغوفاً بممارسة الرقص ، وبخاصة ذلك النوع من الرقص الافرنجى المختلط الذى يضع فيه الرجل راحته على خصر صاحبته ..

وقصارى ما يعرفه الناس عنه ، أنه وصف هذا الرقص وغيره من ألوان الرقص التى كانت تقام لها الحفلات في قصر الخديو عباس حلمى في بداية القرن العشرين ، ومن هذه الحفلات خرج شوقى بقصيدته الذائعة :

حف كأسها الحبب
فهـــى فضة ذهب

وقصيدته الأخرى :

مــال واحتجب وادعى الغضب

أما علي محمود طه فكان يجيد الرقص المختلط ويقبل عليه في أوربا ومصر ، منهمكاً فيه ، سعيداً به ، يمارسه في الفنادق والملاهى والحفلات في ربيع القاهرة ، وصيف أوربا ، وشتاء الأقصر وأسوان ..

الليل مسرحه !

وقد فتنت حياة المرح الليلى هذا الشاعر من بداية أمره ، فلم يكد يستقر في القاهرة حتى صار الليل مسرحه الذى يمثل عليه حياته ، سهراً ونشوة وطرباً ، قائلا :

أيـهـا الشاعر اعتمد قيثارك
واعزف الآن منشداً أشعارك
واجعل الحب والجمال شعارك
وادع ربا دعا الوجود وبارك

وفى فينيسيا — المدينة الايطالية الشهيرة — لا يقنع بالنزهة في « الجندول » على صفحة الماء ، بل يخال نفسه عاشقاً يشدو على معزفه تحت نافذة حبيبته :

دنا الليل فهيا الآن ياربة أحلامى
تعالى فالدجى وحى أناشيد وأنغام
يلف الصمت روحينا ويشدو بلبل الحب

علي محمود طه
وجدان يتغنى

ثم يتذكر أن الفتاة الايطالية لا تفهم شعره العربى ، فيصرف قصيدته إلى فتاة مصرية مجهولة ، ويسمى القصيدة « سيرانادا مصرية » وهى نفسها السيرانادا الايطالية ، فليس فى مصر هذا اللون من الغناء والوقوف تحت نوافذ الحبائب .

وقد كنت فى عهد الشباب أعرف عازفاً إيطالى الأصل ، إذا ذكر السيرانادا قال : « سيريناتا » .. فهى عند الطليان بالتاء لا بالدال كما ينطقها الفرنسيون الذين أخذها عنهم علي طه ..

وقد اختار فى هذه السيرانادا المصرية ، وزناً متوسط السرعة ، ثلاثى الأبيات ، رمزاً لشكل من أشكال السيرانادا ، متوسط السرعة ، ثلاثى الزمن أو الايقاع .. حتى إن هذه السيرانادا المصرية يمكن تركيبها ــ بشيء من التسامح الفنى ــ على القوالب الأوربية المتداولة للسيرانادا .

هو وسيدة الشعر !

وأظن أن سافو أميرة الشعر الغنائى فى الأساطير القديمة هى التى حركت شاعريته لنظم قصيدته « الأحلام » .. وكانت سافو تتغنى بالحب والجمال والانطلاق كشاعرنا علي طه ، فإذا قرأت قصيدته فكأنما هى قصيدة من نظم سافو ، وكأنما هى فتاة عصرية يراقصها الشاعر العاشق كجميلات الأساطير القديمة ! ..

ولم يختلف مصير الملكة « كليوباترا » بين يدى هذا الشاعر ، عن مصير « سافو » الاغريقية ، فقد أنطقها وجدانه المضطرم بغنائه الخاص :

كليوباترا .. أى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئان

اصدحى أيتها الأرواح باللحن البديع
امرحى ياراقصات الضوء بالموج الخليع

ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا
كلما غرد كأس شربوا الخمرة لحنا

القصيدة كلها غناء وجدان يعبر تعبيراً مباشراً بكلمة « الغناء » أو غير مباشر بكلمات أخرى .. غير أن كل شيء فى هذا الموقف الشعرى يتحول عند الشاعر فى تحليله النهائى الى غناء أو لحن .. فالشاطئان يتغنيان .. والرياح أو الأرواح تصدح ..

وفى قصيدته « أغنية الحب » :

يارفاقى هذه الساعة من حلم الزمان
إن هذا زمن الحب فضجوا بالأغانى

كل شعر عند هذا الشاعر ينبثق نغمات من وجدانه ، حتى تجاربه المتخيلة غير الواقعية التى ادعى فيها لنفسه دور كازانوفا أو دون جوان ــ ولم يكن كذلك وبخاصة فى أخريات حياته ــ تتحول تلقائيا الى غناء ! ..

فى منزل فاجنر

وفى إحدى رحلاته الأوربية ، زار المنزل الأثرى للموسيقار فاجنر فى مدينة ليبزج ، وكانت الدعاية النازية حينذاك تحيط هذا المنزل بدعاية طنانة وتصف فاجنر بأنه « موسيقار القومية الألمانية » و « الموسيقار الحبيب إلى قلب هتلر » .. وصاحب كتاب « اليهودية فى الموسيقى » .. وكان علي محمود طه معادياً للنازية ، لكنه بوحى وجدانه الموسيقى زار المنزل الذى كانت تدوى حوله طبول الدعاية الجوفاء .. وتغنى بالبيت وصاحبه ..

وفى سنة ١٩٤٦ ــ بعد سقوط النازية وزوالها ــ زار علي طه منزل فاجنر مرة أخرى ، مسوقاً بوجدان الشاعر المتغنى ، إلى بيت الموسيقار الذى كتب أوبرا « فحول الشعر الموسيقى » ..

وفى رحلته هذه ، عرج الشاعر على سويسرا فأقام أياماً واستمع ــ لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية ــ إلى فرقة موسيقية تصحبها إحدى المغنيات .. وأثار ذكرياته ما سمع من هذه الفرقة ، مثل لحن الفالس الكبير ولحن الدانوب الأزرق ..

ولم ينس فى شعره عن هذه السهرة الموسيقية ، أن يجعل تفعيلاته صالحة للغناء فى نغمة « الفالس » وهى نغمة عربية الأصل :

فى اهتزاز العصب الثائر والروح المعنى
طالعته بالهناء الليلة الأولى فغنى
ورأى من حوله الأرض سلاماً فتمنى

فهذه كلمات تدخل فى نغمة الفالس بغير عناء لو وجدت ملحناً مثل زكريا أحمد يجعل الفالس عربى اللسان ! ..

ويشاهد الشاعر راقصته فيقول :

تمــد يديـهـا وتثنـيـهـمـا
وترتد فى عــوج واعتدال
محيرة الطيف فى مــائج
من النور يغمرها حيث جال
تخيل للعين فيما تــرى
فراشة روض جفتها الظلال
على إصبَعَي قــدم ألهمت
هبوب الصبا ووثوب الغزال

فهذه راقصة باليه ترقص بخفة الغزال على إصبعى قدمها ، ورقصها موسيقى وجدانية شاعرية ، تهز شاعرنا فيقول :

اسمعى ايتها الروح .. أفى الكون غناء ؟!
وانظرى هل فى نواحى الأرض بالليل ضياء ؟!

ومن عجب أن راقصة الباليه التى هام برقصها الشاعر ، قد دخلت ديوانه تحت عنوان « راقصة الحانة » .. ومهما تكن هذه الحانة فى أوربا أو فى مصر ، فإن الرقص والموسيقى فيها قد اختلطا على الشاعر فجعلا راقصته هذه فنانة باليه مرة ، ومرة أخرى راقصة حانة ! ..

أبو نواس العصرى !

وتمور فى الشاعر أخيلته التى لا تفارقه ، فهو عند نفسه أبو نواس العصرى المستمتع بالحياة . وهو فاتك كثير من الحبائب فى كل مكان من مصر وأوربا .. وهن مغنيات راقصات ممثلات فنانات ، من كل الألوان ، وهو يحبهن ، فهو إذن موجود ، وسواء عنده أن يرى فى نشوته رقصة باليه ، أو رقصة تانجو أو مازوركا ، أو هزة خصر فى ملهى مصرى ! ..

هكذا كان علي طه يرى كل شيء ، ويعبر عن كل شيء .. يحيل الصور والأخيلة والمشاعر والرموز والأحلام والنزوات إلى غناء فى الوجدان قد لا يطرب إلا صاحبه وقد يطربك معه ! ..

وكان علي طه مثلا حياً للشاعر اللامنتمى فى مجتمعه وعصره ، وانتماؤه يقتصر على « شلة الأنس » التى يأوى إليها فى المجتمع القاهرى القديم ، والقاهرة أيامئذ مدينة رومانتيكية حالمة مغسولة الشوارع ليلا ، هادئة مبتهجة نهاراً ..

وكانت قضيته فى مجتمعه هى قضية الاستمتاع بحياة الوجدان ، وحماية جوارحه من الحرمان ، وهى قضية جميع الشعراء الرومانسيين الذين عاشوا فى القاهرة تلك الحقبة الثلاثينية البارزة فى تاريخ القاهرة الحديث ، أمثال ابراهيم ناجى وصالح جودت ومحمد عبدالمعطى الهمشرى وأحمد فتحى وأحمد رامى وغيرهم ..

إلا أن علي طه فاقهم بتعبيره الموسيقى عن قضيته ، فرسم لحياته ومجتمعه وعصره صورة ناطقة متغنية .. ونظر فى الحياة والمجتمع والكون نظرة وجودية قبل أن تصبح الوجودية مذهباً معروفاً فى مصر ، وكان فى تعبيره عن جميع أحواله يغنى من وجدانه ، ويرقص إذا اقتضى الحال ! ..

وقد أطلنا ــ فيما أظن ــ مع أننا تركنا أوراقا كثيرة أعددناها لهذا المقال حافلة بموسيقى وجدان هذا الشاعر ..

ولسنا نقول إن شعره الذى كان غناء وجدانه ، قد خلا من الهنات والعيوب الفنية ، وشيء هنا وهناك من السطحية والتخيل المستعار أو « الكاذب » .. ولسنا نقول إن هذا الشاعر قد خلا ميدان الشعر فى عصره إلا منه ، أو أن كل كلمة نظمها قد انبعثت من وجدانه دون أن تلعب بها خفة يده فتدخل عليها شيئاً من الزيف أو الطلاء الخادع أو زواق الكلام ! ..

ليست هذه سبيلنا فى التحدث عنه .. ولكنا اخترنا جوهر الغناء فى شاعريته فتحدثنا عنه فى أضيق حدود الوجازة ، وفى أقل مادل من الكلام ! ..

كمال النجمى

معركة أدبية

حول الإسلام والشعر

إشارات لا بدّ منها

بقلم: الدكتور يحيى الجبوري

أثيرت منذ شهور قضية من قضايا السرقة الأدبية حيث اتهم الدكتور يحيي الجبورى أستاذ الأدب العربى بجامعة قطر الدكتور سامى العانى بسرقة كتابه « الاسلام والشعر » الذى نشره الدكتور الجبورى فى بغداد سنة ١٩٦٤ ، وقد كتب الدكتور سامى العانى فى مجلة « ألف باء » العراقية يدافع عن نفسه وينفى أنه سرق كتاب الدكتور الجبورى ونشره باسمه ، وفى هذا المقال يطرح الدكتور يحيى الجبورى القضية من جديد ، ويرد على الدكتور سامى العانى ، ويدافع عن حقه فى كتابه « الاسلام والشعر » الصادر قبل كتاب الدكتور العانى الذى يحمل نفس الاسم بعشرين عاماً.

قرأت فى مجلة (ألف باء) الغراء العدد ٨٤٩ الصادر فى ٢ كانون الثانى ١٩٨٥ رداً للزميل سامى العانى وإن خجل أن يذكر اسمه ، ولا أظن أن اسمه صار عورة تستر ، فما زال الأخ العانى عزيزاً علينا ولو لم يكن كذلك لأخذنا حقنا بالقانون وبتعويض باهظ ، وإن كان قد أباح لنفسه أن يغرف من أفكارنا ويدعى ما شاء من كتبنا خلافاً للحق والأصول ، ويستسيغ كل ذلك ، فاذا عارضنا سبنا وهجانا ، وأظن أن من تأدب بآداب البحث والجدل كما ورثناه عن أسلافنا العرب فى كتبهم ومجالسهم ، ومن تعلم المنطق ، لا يرضى لنفسه أن يسب ويهجو ويكذب الناس دون بيان ، وانى لأجل قلمى ولسانى أن ينزلق فيما انزلق إليه ، وقد أسفت أنه استعمل بعض الألفاظ النابية ، قال : « إن إدعاءه بأنى سرقت كتابه الاسلام والشعر المنشور سنة ١٩٦٤ ... » . انى يا أخى لست مدعياً بل أثبت ذلك بالأرقام الواضحة وأثبتها غيرى بالدليل القاطع سواء فى السعوديه حين أنيط الأمر بخبير عالم عدل ، وأثبت خبير عالم عدل آخر فى بغداد حين حول اليه الكتابان ، وأثبته ثالث فى الكويت خبير من عالم المعرفة التى تورطت بنشر الكتاب على مسؤولية مؤلفه ، فأثبتوا أنك أخذت من كتابى الاسلام والشعر وحده سبعين صفحة دون أية اشارة له ، وهو كما تقول أنت كتاب صغير عملته وأنا معيد فى كلية الشريعة قبل عشرين عاماً. أما اساءتك الثانية فى ردك فقولك : « ولكنه أضاف كذباً جديداً فادعى أن الجامعة عاقبتنى بعد التحقيق » ، وأقول اننى لم أدع ولم أكذب فالتحقيق حصل باعترافك والعقوبة وقعت كما سيأتى ، وأسفت ثانية أن تهبط الى مستوى التهاتر فأنت أستاذ كما تقول وتعلن ، والاستاذية علم وسلوك وكفاءة وليست ورقة توت ، وانى مع كل ذلك ألتمس لك العذر فانك فى حالة لا تحسد عليها وأنت بين محنتين أو ثلاث ، الأولى لما تندمل جراحها بعد ، وهى سرقة اطروحة الدكتوراه (دمية القصر) دراسة وتحقيقاً عام ١٩٧١ ، والثانية التورط فى سرقة مكشوفة ومثبتة بأرقام الصفحات والنصوص ، وليس فى الأرقام عواطف أو عصبيات ، والثالثة التورط فى رد متهافت فيه اعتراف أكثر مما فيه من دفاع ، وذنبك فى أعناق من دفعوك الى الرد ، فقد كان السكوت أبلغ وأعذر.

أما أنا أيها الأخ الزميل فانى لا أجاريك فى أسلوب ردك وأنت وغيرك يعلم اذا جد الجد فلسانى مبرد وقلمى سيف ، ولكنى أدعو الله أن يهديك ويشفيك ويعيدك الى الحق ، فالرجوع الى الحق فضيلة والله سبحانه يتقبل التوبة اذا كانت نصوحاً ، وعجبت لك وأنت الأخ المسلم والمتخصص بأدب الاسلام كيف لم تفد من الأحاديث النبوية بأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فقد لدغت عام ٧١ وتعهد وسطاؤك لى

بأنك تبت وستكف أذاك عنى وعن الناس وهكذا توقفنا عن مواصلة النقد والكشف ، ثم عدت بعد اثنتى عشرة سنة لتستحوذ على كتابى الاسلام والشعر وعلى فصول من كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه الذى أغفلت ذكره فى ردك الكريم ، وهكذا أبيت الا أن تلدغ من الجحر نفسه مرتين ، وأنت تعلم أن جناية الكبير كبيرة ، فاذا كنت قد عملت ما عملت وأنت معيد ، فانك الآن أستاذ ورئيس الدراسات العليا فى الجامعة المستنصرية ، وذو مسؤوليات كبيرة وخطيرة أخرى ، وأنت فى مراكزك قدوة والقدوة لابد ان يكون أميناً ، فأين الأمانة أيها الأخ المؤمن .

انى أعلم أن مساحة المجلة لا تسمح بالافاضة فى الحديث ، والحديث ذو شجون وفى جعبتى لك أحاديث كثيرة تشجيك ولا ترضيك ، ولذلك سأوجز وأضمن كلامى بعضاً من أرقام الصفحات المسروقة ففيها دلالة وبيان ، واسمح لى أيها الأستاذ المختص أن استوضح بعض النقاط التى لم استطع فهمها فى ردك الجليل ، وأنت تعلم أن الناس تتفاوت فى الفهم والفطنة ، تقول : « إنى أستاذ فى الجامعة أكثر من عشرين سنة ومختص بالأدب الاسلامى الذى كتبت فيه عشرات الأبحاث ... فلماذا ألجأ الى سرقة كتاب صغير نشره مؤلفه عندما كان معيداً فى كلية الشريعة » .

١ ــ كونك أستاذاً فى الجامعة أكثر من عشرين سنة هذا غير صحيح ، الا اذا كنت تعنى ان كل من حمل حقيبة كتب فيها أسفارا ولا يعلم هو ما فى الأسفار ، عد أستاذا ، اذن أين السنوات الطوال العجاف التى كنت فيها معيداً فمدرساً فمساعداً ، على كل حال فما الذى يضطر أستاذاً كبيراً مثلك أن يغير على كتاب معيد ، الا اذا كان تأليف المعيد قبل عشرين عاماً خيراً من تأليف الأستاذ بعد عشرين عاماً .

٢ ــ أما قولك : ما الذى ألجأك الى سرقة كتاب صغير ، فهذا هو السؤال الذى لم تجب عنه ، وهو مسؤوليتك وحدك ، وان كنت وغيرى يعلم الجواب ، وما دمت لم تجب عن سؤالك فانى سأتبرع باعانتك على الجواب ، هناك يا عزيزى أكثر من احتمال ، منها : ان بعض الناس لا يستطيعون اختيار موضوع أو عنوان أو رسم خطة لبحث أو لم يسمعوا بعد بمناهج البحث العلمى وأصوله ، وانما يهجمون على ما يعجبهم من الكتب الجاهزة ، وقد كان هناك من يتابعنى حين أصدرت بعض الكتب فى السبعينات فكلما صدر كتاب لى أعلن بعضهم انه يعمل فيه ويوشك أن ينشره ، وأعرف بعض الأساتذة لهم ثلاثة كتب كلها مأخوذ من كتب الآخرين اسماً ومادة وكثيراً من المضامين ، هذا احتمال ، والاحتمال الآخر أن السرقة مرض لدى بعض الناس ، وهم يسرقون لأجل السرقة لا لحاجة ، وانما هو داء اعاذنا الله واياك منه واسمه العلمى فى كتب علم النفس Kleptomania وهؤلاء يجدون لذة فى السرقة والسرقة لديهم هواية مفضلة ، ولا ضير على هؤلاء أن يراجعوا عيادة الصحة النفسية التابعة لجامعة بغداد ففيها أساتذة أفاضل علماء متخصصون .. ويكتمون أسرار مرضاهم أيضاً .

٣ ــ ولا أدرى ماذا تقصد بقولك « كان معيداً بكلية الشريعة » ، هل المعيد فى كلية الشريعة عيب ، فاذا كان ذلك عيباً ــ ولست أراه كذلك بل انى أعتز به وأشرف ــ فقد كنت مثلى ، وجئت بعدى معيداً بكلية الشريعة ام انك تتنكر لذلك ان الأفعى وحدها هى التى تنسلخ من جلدها وتنزع كل عام ثوبها ، ونزع الثياب عيب أيها الأخ أم انك تقصد أن المعيد قبل اثنين وعشرين عاماً لا يستطيع كتابة بحث جيد يستحق أن يسرق لعلك تعلم أن الكثيرين ممن نالوا جائزة نوبل فى العلوم كانوا معيدين ، واننى نلت شهادة الماجستير بتقدير ممتاز والدكتوراه بتقدير شرف أولى وأنا معيد ، وهل نلت أنت شهادتيك اذا أقررنا جدلا أن شهادة الدكتوراه بظروفها المعلومة ومستواها المعروف مقبولة ، الا وأنت معيد ، فأين العجب فى هذا ، أفى كلية الشريعة التى كنت بها ، أم فى المعيدية التى مر بها أكثر الباحثين أتريد أن أعدد لك أسماء المعيدين الممتازين فى الجامعات العراقية وحدها وهم أكفأ وأرصن وأعلم من كثير من الأساتذة الذين لم تفدهم السنون ولم يطورهم طول العمر .

٤ ــ وتقول : « والمؤلفات لكبار الأساتذة فى هذا الموضوع كثيرة » ولا أظنك مصيباً فى هذا ، فعندما أصدرت كتابى الاسلام والشعر » عام ١٩٦٤ لم يؤلف أحد كتاباً كاملا فى هذا الموضوع وأنا أول من ألف فيه ووضع له هذا الاسم ، وكل الذين ألفوا بعدى وأشرت إليهم كانوا قد تناولوا الموضوع أو جانباً منه بصفحات أو سطور ، وكثير ممن كتب أشار الى كتابى وأفاد منه وأثنى عليه ولم يغفله أحد ــ مع سبق الاصرار ــ غيرك .

٥ ــ وتزعم أن الكتاب صغير ، فهل يقوم هذا عذراً لسرقته أو لاغفاله ، والأمانة العلمية تقضى أن تذكر كل المؤلفات التى سبقتك وأفدت منها ، أليس هناك اسم تختاره غير اسم كتابى ، واذا تشابه الاسم فهل تتشابه الخطة والتسميات والافكار والشواهد والاستنتاجات والعنوانات ، ومع كل ذلك تغفل كتابى وتذكر من كتب سطوراً فى الموضوع معتمداً على كتابى ، أليس وراء الأكمة ما وراءها . أما ان الكتاب صغير ، فلا أظن أن كتاباً يقع فى ١٧٦ صفحة يعد صغيراً وكتابك ٣٠٠ صفحة من القطع الصغير مع كل الحشو والانشاء والتكرار ، فاذا قسم على اثنين تكون المساحة هى هى ، ألا تعلم أن الابحاث الرصينة بجملتها صغيرة ، فرب بحث بخمس عشرة صفحة أفضل من كتاب بخمسمائة صفحة مما يثرثرون ، ثم ان العلم يوزن بقيمته وأفكاره ومادته وأصالته ولا يوزن بعدد الصفحات ، فالهراء والانشاء المدرسى والاجترار فى هذه الأيام كثير ، وليس العلم جوزاً يعد ، ولا بطيخا يوزن ، ولا حشفاً يكال .

٦ ــ وذهبت تعدد عدد مصادرك ومصادرى ــ وأرجو أن لا تخلط بين المصدر والمرجع ــ وما أضفت من صفحات ومصادر وأبواب ، وذكرت مشكوراً الموضوعات التى عندى وعندك فظهرت انها هى هى أو هى إياها ، إذا شئت ، وانى أسألك سؤالا أخوياً ، وأرجو ان تجيب عليه دون عصبية أو غضب ، خوف أن يرتفع ضغط أو ينقطع عرق ، ولا بأس أن تجيب عليه مع نفسك فى الأقل ، والسؤال هو : اذا سرق أحدهم سيارة موديل ٦٤ ثم أعاد طلاءها وبدل فراشها وغير فى (رفارفها) وأضاف إليها ما لا حاجة فيه من اضافات ، ثم ادعى بعد ذلك انها له وانها موديل آخر سنة ٨٣ فهل يصدق عاقل انها كذلك ، قد يصدق بعض الناس من قليلى الخبرة ولفترة تقصر أو تطول ولكنها عند خبراء المرور ، وهناك خبراء فى كل ميدان ، لاتخدعهم المظاهر والترهات ، سيارة قديمة مسروقة يعاقب عليها القانون ، والعبرة ليس فيما أضاف سارقها ، ولكن العبرة فى قوة بنائها وجودة صنعها ومهارة مهندسها ، ان المظهر لايغنى بأى حال عن المخبر .

لقد كتب المرحوم طه أحمد ابراهيم قبل ما يقرب من خمسين سنة (سنة ١٩٣٧) ــ ولم يكن دكتورا ولا استاذا متبجحا ــ كتابه تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، وهو صغير فى حجمه رائد فى بابه ، وكتب الناس فى تاريخ النقد بعده فلم يبلغوا ما بلغ ولم يغمط حقه أحد ، ولم ينهد له جاحد يغير على كتابه فيدعيه بدعوى انه قديم أو صغير انه كان حين ألفه معيداً .

٧ ــ وتقول ــ ايها الأخ الحبيب ــ انك كتبت عن الصراع الشعرى بين مكة والمدينة فى المجلات وفى كتابك السابق (دراسات فى الأدب الاسلامى) . فهل كتبت ما كتبت فى المجلات قبل ظهور كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ١٩٦٤ ، وهل خلا كتابى المذكور من هذا الموضوع الذى ذكرته بتفصيل فى الصفحات ٥٧ ــ ٢٠٩ ، وقد أفدت منه ونقلت عنه ، وأغفلت ــ كالعادة ــ ذكره ، هذه واحدة . والثانية ، لقد ذكرت بنفسك ، ولم أثر أنا هذا الموضوع وهو كتابك (دراسات فى الأدب الاسلامى) ، من أين لك هذا الكتاب ، اسمه ، وموضوعاته ، وما يخص الشعر

الاسلامي فيه ، وشعر حسان خاصة ، أليس هو مسلوخاً من كتاب (دراسات فى الأدب الاسلامي) لأستاذنا المرحوم محمد خلف الله أحمد ، أم أن الناس لا تقرأ ، واذا قرأت لا تفطن ، واذا فطنت لا تتحدث ، أرجو ألا تسيء الظن بالناس ، أم انها سيارة أخرى مع تغيير الديكورات وإضافة الاكسسوارات .

٧ ــ وتذكر أن موضوع (الرسول والشعر) وان اتفق عنوانه فموضوعاته مختلفة ثم تذهب فى تعداد الموضوعات التى عالجتها ، وأنا ذاكر لك موضوعاتك التى عددتها مع ما يقابلها من صفحات كتابى الذى أغرت عليه وغرفت منه :

أ ــ الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء . وهى فى كتابى ص ٤٥ ــ ٤٦ .

ب ــ انشاد الرسول الشعر . وهذا كلام عامى مخطىء ، قل : انشاد الشعراء الرسول الشعر ، أو : استنشاد الرسول الشعر ، وهذا مأخوذ من كتابى الصفحات ٤٣ ــ ٦٥ ومن شعر المخضرمين الصفحات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ . ودعك من عمليات التضليل فى التقديم والتأخير وفى أخذ النصوص مرة من الاسلام والشعر ومرة من شعر المخضرمين ، قفزا بين الصفحات .

ج ــ الاستشفاع بالشعر بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهو فى كتابى ص ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١ .

د ــ الشعر من أسلحة المعركة . هو عندى بعنوان : الشعر من أسلحة الدعوة ص ٦٢ ــ ٧١ .

هــ ــ الأشعار التى نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن روايتها . هو فى كتابى ص ٥٠ .

ز ــ من أهدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دمه من الشعراء . هو فى شعر المخضرمين الصفحات : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ــ ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٩٥ ــ ١٩٦ ، ٢٢٠ ــ ٢٢٦ .

وتقول : فهل يتفق هذا الباب مع ما ذكر . وأجيب : الأرقام التى أمامك تقول نعم مع شيء من عندك هو الاستكثار من الشواهد المتشابهة قصد التضليل والتضخيم .

٨ ــ وتذكر يا صديقى الوفى أن بعض المصادر المشتركة مصادر عامة . نعم أنت محق هى عامة وفى كل قضية عشرات الشواهد ، ولكن لماذا ينصب اختيارك على الشواهد نفسها التى اخترتها أنا دون غيرها ، هل تعنى ان ذوقينا متشابهان ، لا أظن ، بل هذا محال .

وتقول إن الأغراض الشعرية والخصائص الفنية ليسا فى كتابى ، ولهما اتصال بالشعر الأموى وتكرر الشعر الأموى ، نعم أخى المكرر هما ليسا فى كتابى ، لأنهما خارج موضوع الاسلام والشعر ، ولكن هل تريد أن أدلك من أين أخذتهما من كتب عباد الله غيرى دون ذكر لهم ، أم أن هذا فتق جديد



غلاف كتاب الدكتور يحيى الجبورى (١٩٦٤) وغلاف كتاب الدكتور سامى مكى العانى (١٩٨٣)

لم يأن أوانه . ثم هل اضافة موضوعين ــ غير مسروقين جدلا ــ يبرر سرقة بقية الكتاب ، ثم انى أسألك سؤالا بسيطاً فى حدود العلم بالشىء ، لماذا لم تذكر كتابى « الاسلام والشعر » و« شعر المخضرمين » على فرض انك لم تسرق منهما وانما أخذت بحسن نية ، هل أغفلتهما جهلا ــ وحاشاك ــ أم تضليلا ــ وبياك ــ أم منهجاً جديداً من مناهج السطو الحديث ، ولعل هذا هو منهجك الحر الجديد كما جدد الشعراء فى الشعر الحر الجديد ، ومن حقك على الباحثين أن يقيموا لك تمثالا فى مدخل الجامعة التى رفعت رأسها ، كما عملوا للسياب تمثالا على ثغر الخليج .

٩ ــ لقد نقلت ــ ايها الباحث الجهبذ ــ كلاما جميلا وأفكاراً ناضجة عن ضعف الشعر فى العصر الاسلامى وخلوه من الفحول عن كتاب « الشعر الاسلامى والأموى » ص ١٣ للاستاذ الدكتور عبد القادر القط ، والأستاذ القط كان أميناً دقيقاً حين قال ص ١٤ : « أما الدكتور يحيى الجبورى فيقرنه (أى الحطيئة) بالأعشى ويقول متحدثاً عن طائفة من الشعراء عند ظهور الاسلام : ولم يكن فى هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين غير الحطيئة والأعشى ... (شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ص ٢٤٢) » ، ان أستاذك القط يذكر الفضل لأهله حين نقل عنى ، فلماذا تجحد حق الناس وأنت تنقل عن أفكارى (أم على قلوب أقفالها) .

١٠ ــ وتقول أيها الصادق الثقة ــ عن دمية القصر : (فقصته معروفة لكل المطلعين) وهذا حق وصدق ، فالكل يعرف الفضيحة التى لم ينسها أحد لا من الباحثين ولا من وفودك الذين حفيت أقدامهم بين أروقة الجامعة فى بغداد والقاهرة فى سبيل لم القضية وجمع شظايا القارورة التى تهشمت ، وأنت تعلم بأن الزجاجة كسرها لا يشعب ، واذا كنت قد اكتفيت بفضح الدراسة بالنصوص الناطقة والحجة البينة التى لا تقبل المراء ، وقد كنت عازماً على الاستمرار بفضح سرقة التحقيق ، والكتاب محقق مرات ، وكنت قد اعتمدت على جهد عبد الفتاح الحلو ومصصت عصارة ذهنه ، وأنا مطلع على الاتفاقات التى عقدتها معه ، ومنها عدم طبع كتابك ، ثم نكثت العهد وورطت الرجل حين طبعت الجزء الأول ، وان أساتذتك فى جامعة القاهرة على علم ــ فيما بعد ــ بكل ذلك ، واذا سألت : لماذا توقفت أنا عن التعرية الكاملة ، فأقول انك تعلم وأنت الصديق الثقة بأن قلبى رقيق لا أستطيع رؤية الدموع من عين صديق ولا النزيف الداخلى من جوف حبيب ، هذا غير الوفود التى كانت تصلنى فى البيت وفى كلية الآداب ، كل ذلك أثار عطفى وبخاصة حين جاءنى بعض من أجل من أساتذتى وقبل أحدهم رأسى وهم بتقبيل يدى ، فأكبرت فعلته وتأثرت وعفوت ونزلت عند رغبته بعد أن وعد بأنك تعهدت بكل مقدساتك أن تمسك عن ايذائى وايذاء الناس وأنك ندمت وأعلنت التوبة واستقمت وليس فى الحياة أثمن من الاستقامة ، ولكن مع الأسف بعد عشر سنوات نسيت ريمة وعادت لعادتها القديمة .

١١ ــ أما قولك ــ يا صاحب الود القديم ــ ان الجامعة لم تعاقبك على فعلتك فى الدمية ، فنعم ، اذا كنت تقصد أن الجامعة لم تخرجك من رحابها ، ولم تقم عليك حد السارق ، فنعم أيضاً لأن الجامعة ليست محكمة شرعية تقيم الحدود ، ولكن خبرنى بحقك لماذا تأخر ترفيعك سنوات ، ولماذ رفضت ترقيتك من مدرس الى أستاذ مساعد سنوات أيضاً ، ان نظرة من عين طالب متميز فى عينى أستاذه وهى نظرة شك بأمانته هى أشد وأقسى من مائة جلدة ، وكانت الجامعة حريصة على سمعتها فتصرفت تصرفاً حكيماً بعد أن ثبتت الادانة فرأت أن الرحمة فوق العدل وان ربنا أمر بالستر ، وما كل ما يعرف يقال .

وبعد يا عزيزى أرجو أن لا تنسى حين تطبع كتابى ــ كتابك مرة ثانية أن تذكر عليه اسمى ثم تذكر بعده اسمك مقروناً بـ(زاد فيه وأضاف اليه) ، ولا تستكثر ذلك على وتأخذك العزة بالاثم ، وأرجو أن يتصل الود بيننا ولا تقطع رسائلك عنا فلدينا الكثير الكثير مما نقوله لك معززا بالوثائق والبينات .

يحيى الجبورى ــ جامعة قطر

رأي للمناقشة

إينشتاين لم يكن صهيونيًّا.. وإسرائيل زيّفت صورته وأفكاره

بقلم: عصام شريح

هناك فكرة لا ينفرد قطاع كبير فى العالم العربى فى اعتناقها ، خلاصتها أن « كل يهودى هو صهيوني بالضرورة » ، بل إن بعض المفكرين من اليهود أنفسهم ، مثل اسحق دويتشر ، يقولون صراحة « إن اليهودى يظل يهودياً ، وإن ارتكب خطيئة » ، ويقصد بذلك ، أن الفيلسوف اليهودى ، يظل يهودياً فى تفكيره ، وإن لم يكتب فى اليهودية ، وحتى لو كتب عن « الأممية » ، فان جوهر اليهودية لا يفارق خياله ابداً ، ومن علماء الغرب الذين نحوا هذا المنحى ، على سبيل المثال ، اريك فروم ، الذى إتهم « سيغموند فرويد » اليهودى النمساوى ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، بأنه إنما جاء بنظرية دينية قوامها السيكولوجيا ، مستكملة بعلاج نفسي ، وهذه النظرية هى فى جوهرها الدين اليهودى لا غيره ، ناهيك عن أن اليهودية ، كما جاءت فى التوراة التى بين أيدينا « المحرفة » ، هى مصدر الفكر الصهيونى الحديث .

ومن الاسماء اليهودية اللامعة ، التى تصادفنا فى هذا المجال ، « ألبرت آينشتاين » ، ذلك العالم الرياضى الكبير ، صاحب نظرية النسبية الشهيرة .

والسؤال الذي يطرح نفسه فى هذا الموقف هو : الى أى مدى يمكن الأخذ بفكرة « أن كل يهودى هو صهيونى بالضرورة » ؟؟! من خلال عرضنا ومحاكمتنا لموقف آينشتاين ، سنحاول أن نصل الى جواب .

اتهام آينشتاين بالصهيونية

فى الواقع جاء اتهام ألبرت آينشتاين بالصهيونية ، على لسان الصهاينة أنفسهم ، وذلك فى مجال استغلال شهرة هذا العالم اليهودى الكبير لصالح الحركة الصهيونية ، فعندما توفى آينشتاين فى ١٨ نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٥ ، وصفته صحيفة « ويرلد تلغرام » النيويوركية ، بأنه كان « صهيونياً متحمساً » ، كما قالت صحيفة « نيويورك تايمز » إن الدكتور آينشتاين ، « كان نصيراً لفكرة إنشاء اسرائيل » .

وبالاضافة الى ما روجته الصحف الصهيونية عن كون هذا العالم صهيونياً ، فإن قادة العدو الصهيونى ، لم يوفروا فرصة وفاة الرجل ، دون استغلال هذه المناسبة ، لشد الانتباه والتأييد للصهيونية وإسرائيل ، عن طريق ربط اسمه بهما ، فقد نشرت صحيفة « النيويورك تايمز » تأبيناً لآينشتاين من كل من رئيس حكومة العدو آنذاك « موشي شاريت » ، والسفير الاسرائيلى لدى الأمم المتحدة « أبا إيبن » ، ورئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى الدكتور اسرائيل غولدشتاين ، واذا جميع كلمات هؤلاء ، تشد العالم الرياضى الكبير الى الصهيونية . وكانت أكثر الكلمات تضليلا للرأى العام ، تلك التى كتبها رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى ،ناحوم غولدمان عندما قال : « إن آينشتاين ، ترك أعماله العلمية منذ عام ١٩٢١ ، لكي ينضم الى الدكتور ناحوم وايزمان ــ أول رئيس للكيان الصهيوني ــ فى العمل من أجل الصهيونية ، حيث قصد الرجلان الولايات المتحدة لهذا الهدف » ، وكانت عبارة غولدمان « لمثل هذا العمل أعد الشعب اليهودى آينشتاين وغذاه » ، كافية لتصوير هذا الرجل ، بأنه أحد زعماء الصهيونية ، وليس نصيراً للحركة فقط .

ويشير الكاتب اليهودى الامريكى (المعارض للصهيونية) « ألفرد ليلنثال » ، فى كتابه « هكذا يضيع الشرق الأوسط » ، الى خطاب مزعوم لآينشتاين ، نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » على مدى صفحة كاملة ، يؤيد فيه « اسرائيل » ونهجها

العدوانى التوسعى فى الأرض العربية ، وقالت الصحيفة إن آينشتاين وضع هذا الخطاب بنفسه ، وإن لم يلقه قط ، وإن القنصل الاسرائيلى ، أفرغ كلمات آينشتاين فى قالب أدبى ، باستثناء صفحة واحدة مفقودة ، وأضافت أن العالم الرياضي ، كان يعتزم إلقاء الخطاب المزعوم عبر شاشة التليفزيون الأمريكى ، من برنستون . ونسب الى القنصل الاسرائيلى « روفن دافني » ، قوله إنه يملك الأصول الأولية للخطاب ، الذى يستعرض ما حققته « اسرائيل » من انجازات !!

لكن ليلنثال يتهم الصحيفة والقنصل ، والصهاينة الأمريكيين والإسرائيليين ، بالوقوف وراء حكاية هذا الخطاب ، التى إنما هى من نسج الخيال ، ليس إلا ، وقد كانت أكثر الشبهات وضوحاً فى تزييف عباراته وفقراته ، أنها صيغت فى لغة غريبة كل الغرابة عن أسلوب آينشتاين ، بما فى ذلك تكرار عبارات مثل « العداء العربى » ، أو قول آينشتاين فى وصفه للكيان الصهيونى ب « جمهوريتنا » و « اسرائيلنا » .. الخ ، ولعل أكثر ما يؤيد فكرة تزييف الخطاب المنسوب لآينشتاين ، أن جميع الجهود الرامية الى الاطلاع على أصول الخطاب ، قد ذهبت أدراج الرياح ، وقد رفض القنصل الاسرائيلى « رفين دافني » التعاون لجلاء حقيقة هذه المسألة ، علماً بأن آينشتاين كان قد وفد الى الولايات المتحدة ليجمع المال للجامعة العبرية فى القدس .

بيد أن الدكتور عبد المنعم الحفني ، يورد فى مقدمة كتابه « الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية » ، أن لآينشتاين كتاباً « عن الصهيونية » أصدره فى عام ١٩٣٠ ، ويقول الدكتور الحفنى إن آينشتاين وظف نظرية النسبية بطريقة ما لخدمة الصهيونية « وإن هذه النظرية كانت أحد العوامل التى أدت بالولايات المتحدة الامريكية الى الاعتراف « باسرائيل » حال قيامها » .

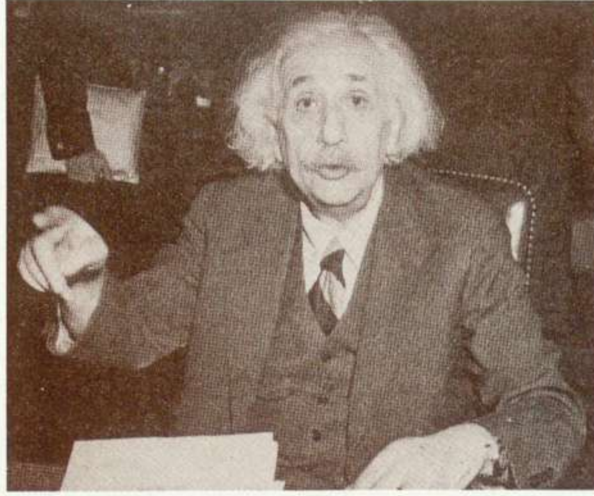
لكنني ــ وعلى الرغم من فشلى فى العثور على هذا الكتاب ــ أعتقد أن الصهاينة استغلوا اسم الرجل فى الدعاية وتزييف الحقائق ، نظراً لشهرة آينشتاين ، وما استقرت اليه آراؤه العلمية من تأثير واسع النطاق على الصعيد العالمى .

هل كان آينشتاين مناهضاً للصهيونية ؟

على العكس من الاتهامات التى وجهت الى آينشتاين حول التزامه وحماسه للصهيونية ، فإن هناك الكثير من البراهين والقرائن المكتوبة أو المنسوبة الى الرجل ، والتى تشير صراحة الى معارضته للفكرة الصهيونية .

فصاحب كتاب « هكذا يضيع الشرق الأوسط » ــ ألفرد ليلنثال ــ يورد فى كتابه ، أن ألبرت آينشتاين ، رفض جهاراً منصب رئيس الكيان الصهيونى ، لكنه علل ذلك بمزاجه المعتدل ، وبكونه غير مؤهل فى حقل العلاقات العالمية والبشرية ، ويذكر « بارنت ليتفنوف » فى كتابه « بن غوريون : اسرائيل » ، « أن الإسرائيليين شيعوا فى التاسع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢ جنازة أول رئيس للكيان الصهيونى حاييم وايزمن ، وأن سبرينزاك رئيس الكنيست ، كان يأمل آنذاك أن يصبح رئيساً للكيان خلفاً لوايزمن ، وكان باستطاعة بن غوريون أن يضعه فى هذا المنصب ، ولكنه تغاضى عنه ، وطلب من العالم المشهور ألبرت آينشتاين ، أن يأتى الى « اسرائيل » ، ويتولى منصب « رئيس الدولة » ، ولكن آينشتاين رفض العرض ، مما جعل بن غوريون يشعر بالاحراج والغضب . »

كما أن آينشتاين ، قال أمام اللجنة الانكليزية ــ الامريكية ، فى كانون الثانى (يناير) من عام ١٩٤٦ ... قال جواباً على سؤال وجه إليه ، حول ما إذا كان توطين « اللاجئين اليهود ! » فى فلسطين ، يستدعى إقامة دولة يهودية : « إن فكرة إقامة دولة يهودية ، لا يستسيغها فؤادى ، وأنا لا أستطيع أن أفهم ، لماذا نحتاج الى هذه الدولة .. إن فكرة الدولة اليهودية ، مرتبطة بضيق الأفق العقل ، وبالعقبات الاقتصادية ، وأنا أعتقد أن فكرة الدولة ، هى فكرة سيئة ، ولقد كنت دائماً أقف ضدها » .



البرت اينشتاين : العالم الرياضى الشهير .. هل كان صهيونيا ؟ !

وبعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، أعلن آينشتاين بحماسة ، تأييده لآراء الدكتور « يهودا ليون ماغنيس » ، الذى شغل لفترة منصب رئيس الجامعة العبرية بالقدس ، والذى بدأ صهيونياً ، وانتهى بالابتعاد عن الصهيونية السياسية ، ومستقراً عند « الصيغة الثقافية » للصهيونية ، وقد كان « ماغنيس » من القلة النادرة من قادة الحركة الصهيونية ، التى تنبهت الى المخاطر التى تنطوى عليها فكرة إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، حيث أدرك أن هناك شعباً فلسطينياً وعربياً سيقاوم هذه الفكرة ، وأن الكيان الصهيونى الذى أنشىء بالقوة « ودون التعاون مع العرب » ، سوف يعيش حالة حرب دائمة . وكانت من العبارات التشاؤمية للحاخام ماغنيس قوله : « سينزل بنا عقاب من الرب .. إننا نعبد الذهب ، إذ نحن ننشر الدعايات المأجورة ، ونعبد الدم .. إذ نحن نبث الرعب بين الناس ، وهذا لدى الرب حرام ، وشعائرنا شاهدة على أننا كنا نلقى العقاب فى كل مرة فعلنا مثل ذلك » ..

لقد أعلن آينشتاين مساندته « للصهيونية الثقافية » ــ اذا جاز التعبير ــ كما نادى بها الدكتور الحاخام ماغنيس ، ففى رسالة الى صحيفة « نيويورك تايمز » مؤرخة فى نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ ، أعرب آينشتاين هو والحاخام الالمانى « ليوبابيك » ، عن تضامنه مع موقف ماغنيس ، الذى ينادى بقيام دولة ثنائية القومية !! فى فلسطين .

وبعد ذلك ــ فى عام ١٩٥٢ ــ تحدث الدكتور آينشتاين فى رسالة موجهة الى ما يسمى « بمنظمة الأطفال فى فلسطين » ــ وهى منظمة صهيونية فى جوهرها ، برغم إدعائها بأنها غير سياسية ، وأنها تقتصر فى نشاطها على رعاية الطفولة ، تحدث عن ضرورة وضع حد « لضرب من القومية ظهر فى

اسرائيل ، اذا كنا نطمع فى التعايش الودى المثمر مع العرب » ، ولكن ــ وبالرغم من أن آينشتاين لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية فى هذه العبارة ــ فان سكرتيرة المنظمة « أوليفيا تيريل » ، حذفت هذه الفقرة من رسالة آينشتاين لدى توزيعها على الصحف لنشرها ، مبررة ذلك بقولها إن المنظمة « تعنى برعاية الأطفال فقط .. لا بأية مظاهر سياسية » . ! !

ويقول ليلنثال ، إن آينشتاين أخبره ، بأنه لم يكن صهيونياً فى أى وقت من الأوقات ، ولم يناصر يوماً إنشاء « دولة اسرائيل » ، ويضيف أنه روى على مسامعه كذلك ، حديثاً ذا مغزى ، جرى بينه وبين حاييم وايزمن ، فلقد سأل آينشتاين وايزمن قائلا : « .. وما الذى سيحل بالعرب اذا ما أعطيت فلسطين لليهود ؟؟ » ، فأجابه وايزمن : « أى عرب هؤلاء ؟! .. إنهم لا يكادون أن يكونوا ذوى أهمية على الاطلاق ! ! » .

ويشير ليلنثال الى أن آينشتاين حوله الى كتاب له منشور فى عام ١٩٥٠ ، شرح فيه موقفه ورؤياه كما يلى : « أنا أفضل أن نصل الى اتفاقية معقولة مع العرب ، قوامها العيش معاً ، على خلق دولة يهودية .. ففيما عدا الاعتبارات العملية ، يبدو لي أن طبيعة اليهودية الأساسية ، تتعارض مع فكرة دولة يهودية ذات حدود ، وجيش ، وقوة زمنية ، مهما تكن متواضعة .. وأنا أخاف الأذى الباطنى ، الذى سوف يحل باليهودية من جراء ذلك » .

عود على بدء

ونعود الآن الى طرح السؤال التالى : هل كان آينشتاين صهيونياً .. ونبادر الى الاجابة ، بأن كلمات العالم الرياضى الشهير نفسه ، التى أوردناها فى سياق هذا البحث ، كافية لرد التهمة عن الرجل ، خاصة واننا لم نعثر له على تصريحات حقيقية أو مؤلفات منشورة ، تؤيد الصهيونية و « اسرائيل » ، بل إن قوله ، « إن فكرة الدولة اليهودية مرتبطة بضيق الأفق العقلي » كافية للحكم على آينشتاين ، وتبرئة ساحته من تهمة الصهيونية ، التى هى فى الواقع القانوني والتاريخى تهمة بالعنصرية ، وتجريم بالإرهاب والفاشية والتعصب ، ولو كان آينشتاين رأنا لقادة الصهيونية ومفكريها من تيودور هرتسل الى يهودا القلعي ، وموسى مونتفيور ، وبنسكر ونوردو ، وجابوتنسكى ووايزمن وبيغن وبن غوريون ..

وغيرهم ، فهؤلاء جميعاً ، كتبوا بوضوح ، ووضعوا مؤلفات صريحة فى العنصرية الصهيونية ، وما كان يمنع آينشتاين شيء من أن يضع أفكاره حول الصهيونية والدعوة اليها ، فى كتابات أو كتاب بشكل علنى وواضح ، لو كان فعلا من معتنقي الصهيونية .. لكن وعلى الرغم من أننا لم نعثر على دليل مكتوب أو وثيقة حقيقية تدين آينشتاين بالصهيونية ، فإننا لا نفهم بالفعل ، كيف يمكن لهذا الرجل العالم ، أن يكون حتى يهودياً تقليدياً ، حيث مقولات التوراة تتحدث بعنصرية ساحقة عن « الشعب المختار » و « الوعد الآلهى » المزعوم ، و « أرض الميعاد » ، فمثل هذه المقولات ، بل الأساطير المتحجرة ، لا تليق بالعلماء .. على أقل تقدير ..

ولذلك نعود ، ونطرح سؤالا آخر : « هل كل يهودى صهيونى بالضرورة ؟ » .

من الصعب فى الواقع تعميم تهمة الصهيونية على كل يهودى ، ناهيك عن كون عديد من الشخصيات اليهودية يقفون ضد الحركة الصهيونية ، من أمثال الحاخام إلمر بيرغر ، والحاخام ألفرد ليلنثال والدكتور اسرائيل ساحاق .. وغيرهم .. وناهيك أيضاً عن الخطأ التكتيكى الذى يرتكبه القائلون بصهيونية كل يهودى مهما كان وأينما كان . بحق النضال العربى ضد الحركة الصهيونية ، وبالنسبة لحديثنا عن ألبرت آينشتاين ، فإنه يبدو لنا من الضرورة بمكان ، العودة الى أفكار هذا العالم العالمى الكبير ، المناهضة للصهيونية و « اسرائيل » ، لإثارتها مجدداً على كل صعيد ، خاصة أمام اليهود أنفسهم قبل غيرهم ، وعبر أجهزة الإعلام العربى ، لأن هذه الأفكار ، كما ألمحنا اليها فى سياق هذا البحث ، كافية بحد ذاتها لدحض النظرية الصهيونية ، وتسفيه مبادئها وقواعدها ، وابراز خطرها ، ليس على العرب فحسب ، وإنما على اليهود أنفسهم قبل غيرهم ، وعلى الإنسانية برمتها .. وهل هناك شهادة أفضل من « شهادة شاهد من أهله » ؟!

عصام شريح

مــــن هـــو؟

ولد ألبرت آينشتاين فى عام ١٨٧٩ من أبوين يهوديين فى مدينة « أولم » ــ ورتمبرغ بالنمسا ، وتلقى دراسته فى جامعتى زيوريخ وميونيخ ، وعمل بعد تخرجه ، فى مكتب براءات الاختراع بمدينة « بيرن » السويسرية . وفى عام ١٩٠٥ ، تفتقت عبقريته عن نظريته فى الدينامية الكهربية وعلم البصريات ، ثم أتبعها بنظريته فى النسبية ،

التى نال بسببها منصب الأستاذية بجامعة زيوريخ ، ثم بجامعة برلين ، وفى عام ١٩١٥ ، نشر آينشتاين نظريته فى الجاذبية ، فاستطارت شهرته فى الآفاق ، وبذل جهوداً مضنية بأبحاثه فى نظرية الكم Quantum فى النشاط

الذرى ، فأفاد كثيراً (الكم هو أصغر مقدار من الطاقة يمكن أن يوجد مستقلا ، أو هو هذا المقدار من الطاقة باعتباره وحدة) ، ولم يلبث آينشتاين أن نال جائزة « نوبل » فى الفيزياء فى عام ١٩٢١ ، ووسام « كوبلي » فى عام ١٩٢٥ .

وخلال الفترة النازية فى المانيا ، والموقف من اليهود ، نزح آينشتاين الى أكسفورد فى بريطانيا ، متخلياً عن منصبه وجنسيته الالمانية معاً ، ومنها ارتحل الى العديد من البلدان ومنها فلسطين واسبانيا وأمريكا اللاتينية والهند والصين بيد أنه استقر أخيراً فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عين أستاذاً فى جامعة « برنستون » الشهيرة ، وتابع فيها أبحاثه ونشاطه العلمى ، وفى عام ١٩٥٠ ، بسط نظريته فى الكهرطيسية والجاذبية فى معادلة واحدة ، وبقى يعمل محاضراً حيناً وباحثاً حينا آخر بجامعة برنستون ، حتى وفاه الأجل المحتوم فى نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٥ ، تاركاً من بعده تراثاً من الدراسات والأبحاث والاكتشافات فى عالم الرياضيات ، ندر مثيله .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● الزواج ●● تأملات ●●● اسكندر يقتل صديقه

الزواج



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

لا أدرى ماذا دها الناس ، فإنه يندر أن أسمع فى هذه الأيام بزواج موفق ؛ فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب فى الناس لا فى النظام ولا فى الزمن ؟ ولا شبهة فى أن للزواج عيوبه . فما يخلو شىء فى دنيانا هذه من عيب ؛ وإن له لمتاعب ؛ وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة فى الحياة ؛ وإنه ليظن حمقا من يتوهم أنه يستطيع أن يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء أتزوج أم آثر الوحدة والاستفراد . وأحسب أن كثيرين من الرجال والنساء أيضاً يقدمون على الزواج وهم يعتقدون أنه صفو لا كدرة فيه ، ومتعة لا تنقص ولا ينغصها أو يفسدها شىء ، وحلاوة لا تشوبها مرارة ، فتخيب آمالهم كما لابد أن يحدث ، ويضجرون ويتأففون ويشكون وتتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم ألا يكون . وهذا شأن كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغى من التهيؤ للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت أتكلم فى هذا وما إليه مع صديق فقال : « الحقيقة أن الزواج نظام ثبت إخفاقه وقلة صلاحه فى هذا الزمن » فعذرته لأنه ممن جر عليهم الزواج نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنى لم أر رأيه ، فقلت له :

الزواج

لا تغلط يا صاحبى فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئاً من حياة الناس وفطرهم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية ، وما خلا زمن قط ممن يسعدهم الزواج وممن يشقون به ، ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من أحوال الحياة ، ومازال الرجل كما كان ، والمرأة كما عهدها آباؤنا وأجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم ، ومع ذلك قل لى ماذا تطلب من الزواج وأنا أقول لك ماذا ينبغى أن تبلغ به ، أو ما لابد أن يصيبك من خيره أو شره » .

قال : « أطلب الراحة والاستقرار ... ماذا أطلب غير ذلك ؟ » .

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه فى الحياة ، وهى لا تكون إلا بالموت . على أن هذه لا تعد راحة مادام المرء لا يحسها ولا يدرك أنه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ؛ والاستقرار كذلك عسير لأن حياتك كلها قوامها التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وآمالك وشهواتك وكل ما فيك أو لك يتغير ، فكيف بالله يكون هذا الاستقرار ؟ وأين السبيل إليه ؟ » .

قال : « إنما أعنى الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحدة » .

قلت : « ولا هذه أيضاً . إن الزواج ليس أداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار أو غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فاذا كان يوافقك أن تحيا فى ظل هذا النظام فتفضل وأهلا بك وسهلا ؛ ولكن يجب حينئذ أن تعرف أن له مقتضيات ، وأن توطن نفسك على الاذعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكرى ، ولم يقل أحد إن الجندية سبيل لراحة أو استقرار أو لذة ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وإنما هى نظام تقتضيه حياة الجماعة . وكل جندى يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الوطأة ، ولكنه لازم ولابد منه . والفرق بين الزواج والجندية أن الجندى يعلم أنه داخل فى نظام لالذة فيه ولا متعة له منه ، وأنه سيلقى عناء ويكابد متاعب ، وأنه معرض للجلد والسجن ، بل للموت حتى من غير حرب . ولكن طالب الزواج يمنى نفسه الأمانى المستحيلة فيلقى خلاف ما كان يقدر ، ولو أنه وطن نفسه ــ كما يفعل الجندى ــ على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولفاز منه بلذات كثيرة ونعم جزيلة ومتع يضن بها على النسيان . وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لأن الزواج غايته تنظيم أمور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافى من الأفراد للقيام بأعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وأنا أستعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الأشمل ، وأعنى كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك ــ لا أعنى هؤلاء وحدهم ، فان كل فرد جندى للجماعة وإن لم يحمل سيفاً ولم يتقلد رمحاً ، إذا كان قد بقى فى عصرنا هذا من يتقلد رماحاً . والواجب على كل حال أن يدرك المرء أنه بالزواج يكون كالذى يعمل فى شركة ؛ وللعمل نظامه . والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ؛ والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ؛ ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدى ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز باجازة ، ولكن هذا ميسور فى نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت أنك تعبت ، وامنح زوجتك مثل ذلك كلما بدا لك أن أعصابها كلت » .

فعجب وسألنى : « كيف ذلك .. ؟ إن هذا مزاح » .

فأكدت له أنى جاد ، وقلت : « إنى أعيش مع زوجتى كأنا صديقان ؛ وليس يسعنى أن أفعل غير ذلك ، لأنها إنسان مثلى ولها حياتها المستقلة عن حياتى وإن كنا متعايشين تحت سقف واحد . وأنا أحرص فى حياتى معها على الاعتراف بهذا الوجود المستقل فلا أحاول أن أفنى وجودها هذا وأجعله يغيب فى وجودى ؛ ولو تيسر لى هذا لما كان لى فيه أى لذة لأنى خليق أن أشعر حينئذ أنى أعايش آلة لا إنساناً محساً مدركاً يبادلنى ما يسرنى أن أراه يبادلنى إياه من العواطف والاحساسات والخوالج . ولو أفنيت شخصيتها فى شخصيتى لانحطت فى نظرى إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتنقدهم أجرهم على أن يفعلوا ما تريد ولا يجاوزوا مشيئتك . وليست زوجتى خادماً ولا آلة ، وإنما هى رفيق حياة ، أى صديق معين .

ولست أقول هذا تملقاً أو نفاقاً بل أقوله لأنى لا أفهم معنى للزواج غير ذلك . كلا . لست أحاول أن أغلب إرادتى على إرادتها لأنى لا أحس حاجة إلى ذلك ؛ وسبيلى التفاهم لا الاكراه ، وأرانى أبلغ بهذا ما لا أبلغ بالقوة والضغط . ومطلبى ما هو أوفق لكلينا ، لا ما هو أوفق لى وحدى ، فان الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار ، والزواج شركة على التحقيق ، ولا يحسب أحد أن الرجل يضع فى هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة ، وأنه لهذا مغبون فيها ، فان هذا خطأ ، فليس السعى للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة ، وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لإنجاح الشركة ؛ وحسبها الحمل والوضع . ولو أمكن أن يحمل الرجل لأمكن أن يدرك هول ما تتحمل المرأة فى سبيل هذه الشركة ، ولكنه لا يحمل مع الأسف ، فهو فى الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له ، ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلى ومثله ممن لا يستحقون هذه التضحية » .

فترك هذا وقال : « ولكن ألا يجب أن يكون للبيت سيد ... إن المركب يغرق إذا كان له رئيسان » .

فقلت : « آه .. حكاية التركى الذى جرد سيفه ليلة الزفاف وأطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المسكينة .. لا يا سيدى .. ليس الأمر أمر سيد أو سيدة ، فما ثم محل لذلك . وأين محل هذا ولكل من الرجل والمرأة عمل ؟ وأصدقك فأقول إنى لا أدرى كيف يمكن أن تجور المرأة على الرجل أو يجور الرجل على المرأة . أخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة وأخل لها ذهنها أيضاً .. تفاهما معاً .. هى لها عملها وواجباتها التى لا تستطيع ــ حتى إذا أرادت ــ أن تشاركها فيها ؛ وأنت لك عملك وواجباتك التى يعييها أن تشاركك فيها ؛ وكل منكما يمضى بعد ذلك فى طريقه لينهض بأعبائه الموكولة إليه . فأين يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف ؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى .. » .

قال : « والغيرة .. أليست بلاء ؟ » .

قلت : « طبعاً .. والرجل أيضاً يغار .. أليس هذا بلاء ؟ .. فلماذا لا تضع نفسك فى موضع المرأة وتنظر إلى الأمور من ناحيتها هى أيضاً .. صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل وأن غيرتها أحمى ، فبلاؤها لهذا أعظم ، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها فى ذلك ، لأن الغريزة الجنسية فى المرأة أقوى منها

في الرجل إذ كانت هى مدار حياتها . ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته ـ وما أكثر ما تتباين ـ ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاءه ، فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين .. ؟ لماذا لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين .. ؟ المسألة يا أخى أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغى أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هى ما تشير به « المودة » الحديثة من أن الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل ـ لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألنى : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسى على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبي بالعمل فى الصحافة وبالاشتغال بالأدب ـ واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله ، وإذا فاتنى ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا فى رأس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم ، وقد كان على أن أفهمها هذا فى أول الأمر لأنى أردت من البداية أن أتجنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : أنا ... أعوذ بالله يا شيخ ! » .

فقلت : « أرانى لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد ، ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إنى لم أزد على إبداء رأى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧

تأملات

بقلم : جان جيتون
عضو الأكاديمية الفرنسية

ترجمة : محمد طنطاوي

كان بيير بريسون يقول لى فيما مضى : اننى أحتفظ لك بمذكرات الموتى . ان ذلك عمل يكاد يكون مستحيلا . كيف نجد الطريق لنفرق بين الأشياء العادية وذلك الشىء الذى يحتفظ

بغموضه . ذلك السر الوحيد الذى يجب أن نصل إليه . السر الوحيد الذى سيجهله العلم دائماً رغم ادعائه بأنه سيعرف كل شىء ذات يوم . إن الموت مفارقة تضفى على كل ما تحمله لنا غموضاً أكثر .

ولكننى سأمر بتجربة جديدة فى اللحظة التى سأبتعد منها عن الشاطىء للأبد . اننى ابحث عما يدور قبل الدفن عند أولئك الذين يكونون قد ماتوا تقريباً ، أولئك الذين مسهم الموت .

ان كتاباً جميلا صدر فى هذه الأيام يضىء لى الطريق . ان مؤلفه واحد من المقاتلين وهو خبير فى فن الوصف والاحساس كانسان . لقد كان قائداً بطلا وعمره خمسة وعشرون عاماً ، إنه يحكى كيف رأى الموت ثلاث مرات .. رآه عن قرب ؟

ان موريس جنيفوا يؤكد أن الموت قد ظهر له فى تلك الحالة كشىء غير مألوف . ان الانسان لا يرى جيداً عندما يمسه الموت فى حادث أو مرض أو معركة . إنه يجهل أكثر ما يوجد خلف الستار ليس هناك تجربة للموت فى الحياة . إنها فى الحقيقة الأنفاس التى تصعد وتهبط ، لأننا لا نفقد الأمل أبداً .

لقد سمعت فى الواقع موريس جنيفوا عدة مرات وهو يحكى فى كلمات انسانية مليئة بالدفء الحنون وبالشفقة على نفسه تلك اللحظة الفريدة (قبل الأخيرة) حيث رأى استعراض حياته كلها فى رؤيا هادئة وبانورامية . انها تجربة تكاد لا توصف . تلك التجربة التى يلمس الانسان فيها ما يسمى بالموت : عناق عجيب للرهبة والسعادة ، والحسرة والفرح ...

اننى اكرر ما سمعته وما علق بذاكرتى ، يقول الجندى الجريح : لقد كان مشهداً لسلام وحنان لا يمكن وصفهما ، صور فى غاية البساطة تتغير ولكن برقة عظيمة . لقد كان نهراً هادئاً ناعماً أشقر ممدداً تحت شمس النهار . إنه دون شك نهر « اللوار » ـ هل هذه هى صورة الوجود اليومى العائلى الهادىء العذب ؟ إننى كنت أسمع حفيف أوراق الصفصاف وحتى هدير المياه . اننى كنت أعى كل ما حولى ، القنابل وهى تتفجر ، وكنت أرى مستنقعات المياه المخضرة من الغازات السامة . اننى كنت أموت ، ولو كنت قد مت بالفعل فاننى كنت مع ذلك سأموت وأنا أشعر بالامتلاء ، كنت سأموت وأنا أسبح فى نهر من السعادة !

اسكندر يقتل صديقه



بقلم : الدكتور عبد الوهاب عزام

اسكندر العظيم يثبت عرشه وسلطانه وهيبته وكبرياءه فى مقدونية واليونان . ثم يتوجه تلقاء آسيا .

الفريقان من اليونان والفرس يلتقيان على نهر (كرانيكوس) الصغير عام أربع وثلاثين وثلاثمائة . فيتاح لأسكندر أول فتح فى آسيا ، وتخضع له المدائن حتى سرديس . فقد دانت له آسيا الصغرى كلها .

ثم يتقدم صوب الجنوب ، فيجتاز طوروس ويسير تلقاء الشام . واذا جيش دارا ، الجيش اللهام الذى لا يغلب من قلة رابض فى طريقه . وفى سهل إسوس الضيق بين الجبال والبحر تزدحم مئات الألوف فى المعترك ، ويسقط فى البحار مائة ألف من الفرس ، ويفر دارا وينهب معسكره ، وتؤسر أمه وزوجه وابنتاه . فانظر اسكندر قد قهر « الملك الأعظم » ملك الفرس الذين طالما فخر اليونان بأنهم احتملوا صدمتهم ، وردوهم عن بلادهم ! !

يتقدم الفاتح العظيم فيقهر مدن الشام ، وتقاومه صور وتتحدى جبروته وسلطانة . ثم تخر امامه بعد حصار سبعة أشهر . فيقتل منهم ثمانية آلاف ، ويؤسر ثلاثون ألفاً فيباعون عبيداً ، ويصلب على القلاع ألفان عبرة ونكالا ! ذلكم اسكندر الفاتح العظيم ، وذلكم جزاء من يقف فى سبيله !

ويفتح اسكندر مصر عام اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . ويرفع نسبه الى أمون . ثم يجمع جنده ويسير الى العدو الأكبر الملك الأعظم . يجتاز الفرات ودجلة الى حيث يعسكر داراً . وهنالك على مقربة من أطلال نينوى العظيمة التى تندب مجد آشور الغابر ، وعلى سبعين ميلا الى الشمال والغرب من مدينة أربيل ، ليس بعيداً من ملتقى عبد الله بن على العباسى . ومروان بن محمد خاتمة الخلفاء الأمويين ، حيث سقطت دولة وقامت دولة ! هنالكم تراءى الجمعان ، وعسكر اسكندر تجاه دارا . ويشير (برمينيو) على الفاتح المقدونى أن يهاجم عدوه ليلا . فيأبى مجد اسكندر وكبرياؤه . فيقول له : أنا لا أسرق النصر » . ثم يلتقى الجمعان . وتدور الدائرة على دارا . وجنوده فيفر صوب المشرق . ارأيت بابل العظيمة مدينة السحر والعلم؟ ها هى تفتح أبوابها لاسكندر ويباركه كهنتها . ويطوى الملك الشاب المراحل الى سوس واصطخر حاضرتى الفرس ، لا يصمد لمدينة الا فتحها ، ولا يعمد لجيش الا مزقه .

تمتد الفتوح والآمال والنشوة والكبرياء باسكندر الى ما وراء النهر فى طريقه شطر الهند ، بعد أن طارد دارا حتى عثر به فى الطريق قتيلا .

اسكندر العظيم فى مدينة سمرقند عام سبع وعشرين وثلاثمائة . قد طوى المراحل والممالك ما بين مقدونية ونهر سيحون . ينعم هنالك بالشباب والظفر والملك الفسيح ، والكنوز التى لا تحصى ، والجند الذى لا يعد . اسكندر الآن أعظم ملك فى العالم كله !

• • •

ويدعو أصحابه وقواده الى مأدبة فى سمرقد ، فيأكلون ، ثم تترع للملك المظفر كؤوس من الاطراء والاعجاب والاجلال والاكبار ، ويغلو المتملقون المعجبون فيرفعونه فوق الأبطال جميعاً . ويشارك الملك الشاب فى اعظام مآثره والاعجاب بها . ثم لا يقنع بما فعل ، فيجعل لنفسه ما نال أبوه من ظفر فى آخر عهده ، ويغض من فيليب وان كان أباه !

يسخط المقدونيون من الزراية ببطلهم القديم ، ولكنهم لا ينبسون . و (كليتوس) رابض ينظر الى اسكندر ومادحيه ساخطاً محملقاً . كليتوس أحد قائدى الفرسان ، كليتوس الصديق القديم أخو (لانيس) حاضنة اسكندر التى قتل اثنان من أبنائها تحت رايته ، كليتوس الذى نجى اسكندر فى معركة كرانيكوس حين أبصر أحد الفرس يهوى بسيفه الى الملك من خلفه . فسارع كالبرق فضرب السيف فقده دون رأس الملك . كليتوس هذا لم يسطع صبرا على الغض من فيليب ! قال كليتوس : ما لهؤلاء المادحين يضعون أقدار الغابرين ليرفعوا عليها مجد الحاضرين ؟ ان فيليب كان عظيماً ! — ثم تأخذه الحدة فيقول : « ليست مآثره دون مآثر ابنه ! لا ، ان مآثره لأعظم . فقد خلق الرجل لنفسه ملكاً وجيشاً . وانما صلت أيها الملك بما أورثك فيليب من ملك ممهد وجند مدرب . انما ظفرت بفضل هؤلاء المقدونيين الذين تحقرهم اليوم وتقدم الفرس عليهم الم تقتل برمنيوم العظيم ؟

هاج الحاضرون وقذفوا كليتوس بالجدل والتوبيخ . وثار ثائر اسكندر الفتى الفاتح الذى سخر ملك مصر وبابل وأشور وفارس ، اذ قرعت أذنه لأول مره نبأة ناقد يعترض كلامه ويرد عليه دعواه . غضب اسكندر وصاح بكليتوس يزجره ويجادله ، وانحاز الحاضرون للملك المعجب بنفسه ، وكليتوس كالأسد يزمجر ويرد الكلمة بمثلها ، ثم ينتفض قائماً ويصيح مادا يده الى الملك : « اذكر أن حياتك دين لهذه اليد التى نجتك يوم كرانيكوس ! وأصغ لصوت الحق الصراح ، أو تجنب دعوة الأحرار الى مأدبتك ، واختص العبيد بصحبتك !

اهتاج اسكندر لموقف كليتوس ولذكرى كرانيكوس وبرمنيون ، فنهض يتحسس خنجره ، فاذا الخنجر بعيد قد نحاه أحد الحاضرين . فينادى الحرس مغضباً هائجاً ويأمر أن ينفخ فى الصور ايذاناً للجند ، فما اطاع أحد أمر الملك الهائج النشوان ، وتقدم نحوه بطليموس (وبردكاس) الكبيران فأحاطا به وأمسكا يده برفق يسكنان ثورته ، ويكسران حدته ، ويحيط آخرون بكليتوس يخرجونه من البهو ، فيأبى أن يخرج فيعترف بأنه أساء واعتدى . ويقول اسكندر : « واأسفاه ! إن قوادى قد غلونى كما فعل بسوس بدارا . وانما لى من الملك اسمه . ويتقدم اسكندر تلقاء كليتوس ، ولا يجرؤ القواد أن يقفوه قسراً ، ثم ينقض كالصاعقة فينتزع حربة أحد الجند فيغمدها فى صدر كليتوس الصديق القديم !

يرتاع الحاضرون . ويفيق اسكندر من نشوته وثورته وعنجهيته ، فيفتح عينيه فاذا كليتوس طريح يضطرب فى دمه .

خرج اسكندر من البهو يعدو الى فراشه ، فارتمى عليه ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، يبكى بدموع عزت على الخطوب الشداد ، وغلت فى الحوادث السود . ويتمادى به البكاء ، وكلما كفكف دمعه تمثل له صديقه طعينا بيده . ويلعن نفسه نادماً ، ويهتف باسم كليتوس وأخته لانيس ، ثم يقول : ويلى ! أنا الغادر الكنود . لقد جزيت كليتوس ولانيس شرا بما أحسنا الى . لست بعد اليوم جديراً بالحياة .

ويجتمع اليه صحبه يعزونه . ويسوغون ما عمل ، فلا يزداد الا حزناً واكتئاباً وندماً وأسفاً ، ويجتمع الجند المقدونيون فيجمعون على أن كليتوس قتل بحقه ، وأنه ينبغى ألا يدفن ، فيغضب اسكندر ويقول : كلا ! انه سيدفن بأمرى . ويأتى الكهنة فيقولون : ان الملك لم يقتل صديقه بيده ، ولكنها نقمة الاله (ديونسوس) أجراها على يد الملك انتقاماً لنفسه بما حرم القربان فى هذه المأدبة . ثم يأتى الفيلسوف (أنكشر خوس) فيقول : ايها الملك ان الذى أنت فيه لعجز . وانك أيها الملك العظيم والفاتح القاهر لجدير بأن تحل وتحرم وتحق وتبطل بارادتك لا أن تخضع للقوانين التى سنها الناس . ثم يأتى كلستنوس الفيلسوف فيجهد أن يهون على الاسكندر ما فعل .

فارق اسكندر مضجعه بقلب كليم اجابة لنصائحه وإجابة لواجبه فى هذه البلاد النائية . ولكنى أحسب الجرح قد ذهب مع اسكندر الى قبره !

اسكندر العظيم لم يعظم عليه مطلب ، ولا بعدت على همته غاية ، ولا ثبتت فى طريقه دولة ، ولا وهن قلبه فى سلم ولا حرب ، ولكن اسكندر الفاتح القاهر ، والملك المسلط ، لم يحتمل وخزة واحدة من وخزات الضمير ، فخر كالطفل يبكى ويتململ ، وكاد يبخع نفسه فرارا من الندم !

ان عذاب الضمير هو العذاب الأكبر ، ولكن لا يعرفه الا ذوو الضمائر ، وقليل ما هم !

لله در كليتوس ! لقد ذهب مثلا فى الوفاء ، واين فى الدنيا الأوفياء ؟

ولله در كليتوس ! لقد ذهب مثلا فى الوفاء ، واين فى الدنيا الأوفياء ؟

ولله در كليتوس صريع الوفاء ! ولله در اسكندر صريع الوجدان ! .

عبد الوهاب عزام

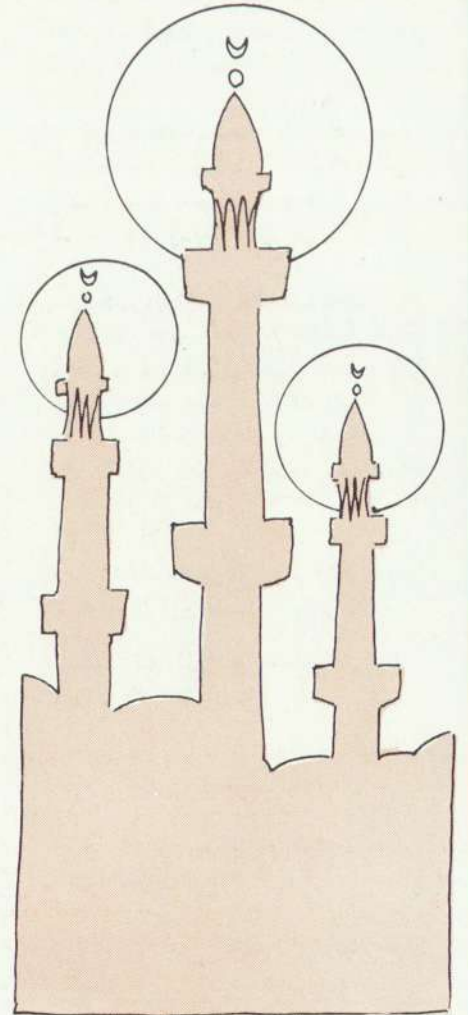
١٩٣٣



محمد

شعر:
خالد سعود الزيد

ما لمعناه في الحقيقِ حَدُّ
كلُّ شيء من نورِه مُسْتَمدُّ
هو هذى العصوُر ترى تباعاً
هو هذى الجموعُ حين تُعَدّ
هو ما بينَ ظاهرٍ يتوارى
وهو ما بين باطنٍ يستجد
قد مشى عَبْرَهُ الوجودُ سباقاً
نحو غاياتِهِ التي لا تُحَد
صُلِبَتْ في مكانها عادياتٌ
ضَبَحَتْ والطريقُ قَتْلٌ وَحَدُّ
عقَرَ الدربُ حُلْمَها وبعيدٌ
ما رماها إليه وَجْدٌ وَوَجْدُ
ما أرى الشمسَ غيَر جذوةِ شَوْقٍ
ساقها في مسيرةِ الحبِّ عبد
والنجوُم المسخراتُ لأمر
قَتَلتْ ليلَها ولم تَجْرِ بعد
غرِقَتْ في فضائه تائهاتٍ
مثلَ قَطْرٍ لو كان في البحر يَبْدو
سَلْ حراءَ عن ليلةِ القدرِ ما من
شاهدٍ غيرِه هناك يُعَد
شَهِدَ اللحظةَ اليتيمةَ لمَّا
وَقفَ الكونُ خاشعاً لا يَرُد



وصفوفٌ من الملائكِ رَتْلٌ خلف رتلٍ من خير ما صَفَّ جُند
وتوالى على البسيطةِ جبريلُ وحيداً يروح فيها ويغدو
ثم نادى في الكونِ ثَمَّ منادٍ أيها الظامئون قد حانَ وِرْدُ
قد تَلاقى ركبُ السماءِ بركبِ الـ أرضِ في أحمدِ الهدى وهو فردُ



بقلم: رءوف توفيق

المفاجأة الجديدة.. لمخرج فيلم "سوّاق الأتوبيس":
الأحلام البسيطة.. المستحيلة!

لقطة تجمع بين آثار الحكيم .. وأحمد زكى .. فى لحظة مواجهة حول مشاكل الاستمرار فى إجراءات الزواج !

بعد مفاجأة فيلم « سواق الاتوبيس » .. يعود المخرج الشاب « عاطف الطيب » ليحقق اضافة فنية جديدة ، بفيلم « الحب فوق هضبة الأهرام » ، محافظاً على خطه الفكرى فى البحث عن هموم الشباب بين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية .

وهذة المتغيرات التى هزت المجتمع .. وقلبت الموازين .. أوحت بالضرورة للادب والفن ، أن يتأمل ويناقش ويحلل التأثيرات التى حدثت فى الأفكار والطموحات وفى أسلوب الإنسان فى العمل والحياة .



الشاب « أحمد زكى » يواجه الكاتب المشهور « صلاح نظمى » بحقيقة مقالاته التى يكتبها ليتاجر بمشاكل الشباب .

قدمت السينما المصرية ، فى السنوات الخمس الأخيرة ، أفضل أفلامها حول هذا الموضوع .. بدءا من فيلم « انتبهوا ايها السادة » للمخرج محمد عبد العزيز .. الى « أهل القمة » للمخرج علي بدرخان .. الى « أمهات فى المنفى » لمحمد راضى .. الى « الحب وحده لا يكفى » و « العار » و « السادة المرتشون » لعلي عبد الخالق .. الى « قهوة المواردى » لهشام أبو النصر .. الى « حب فى الزنزانة » لمحمد فاضل .. الى « الغول » لسمير سيف .. الى « بيت القاضى » لأحمد السبعاوى .

ولكن يبقى فيلم « سواق الاتوبيس » كجوهرة صافية ، تبرق وتخطف الانتباه ، وتثير الشجن والتأمل .. حتى ان نقاد السينما المصرية اختاروا ذلك الفيلم واحداً من أفضل عشرة أفلام انتجتها السينما المصرية خلال ثلاثين عاماً (استفتاء مجلة الفنون ١٩٨٤) .

واذا كان فيلم « سواق الاتوبيس » ـ عام ١٩٨٣ ـ هو ثمرة أفكار وحماس مجموعة من الشباب (قصة محمد خان ـ سيناريو بشير الديك ـ تصوير سعيد شيمى ـ اخراج عاطف الطيب) ..

فإن فيلم « الحب فوق هضبة الأهرام » هو تزاوج رائع بين فكر الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وخبرة كاتب السيناريو مصطفى محرم .. مع رؤية المخرج عاطف الطيب ، وكاميرا نفس المصور المبدع سعيد شيمى .

فى مهرجان « كان » هـــذا العـــام

وقد اختير فيلم « الحب فوق هضبة الأهرام »

الأحلام البسيطة.. المستحيلة!

ليمثل السينما المصرية ، فى برنامج نصف شهر المخرجين بمهرجان « كان » السينمائى القادم (مايو ١٩٨٥) .

وهذا الاختيار لا يضيف ــ فقط ــ أهمية للفيلم .. بل يؤكد أيضاً قيمته الفنية المتميزة .

والمعروف ان المسئول عن اختيار الأفلام فى برنامج « نصف شهر المخرجين » بمهرجان كان .. يجوب مختلف انحاء العالم بحثاً عن الجديد فى السينما .. ليختار عشرين فيلماً فقط من بين الانتاج العالمى ، ليتم عرضها فى ذلك البرنامج الموازى للمسابقة الرسمية للمهرجان .. وليضع تحت الأضواء وأمام الاهتمام العالمى ، من النقاد والمتتبعين لتطور السينما .. نماذج من الأفلام المعبرة عن القضايا الإنسانية .

• الاحلام البسيطة .. المستحيلة

ورواية « الحب فوق هضبة الأهرام » كما كتبها نجيب محفوظ .. أغرت الكثير من السينمائيين بتحويلها الى فيلم .. وخضعت الرواية لثلاثة محاولات من ثلاثة كتاب سيناريو .. ورؤى مختلفة من ثلاثة مخرجين .. ولكن تعثرت هذه المحاولات جميعها .. حتى تحقق الفيلم أخيراً باصرار المنتج الذى أنتج من قبل فيلم « أهل القمة » .. وبتعاون كاتب السيناريو مصطفى محرم مع المخرج عاطف الطيب .

والفيلم يقدم صورة واقعية عن حيرة شاب من الطبقة المتوسطة .. يواجه الحياة العملية ، ويحلم بتحقيق أحلامه فى العمل والحب والزواج ..

انه لا يطالب بالمستحيل .. ولكنه يبحث عن المنطقى والمعقول .. أن تتحقق احلامه البسيطة وان يحصل على حقه الطبيعى فى الحياة ..

ولكن هل الأمر بهذه البساطة ؟

الاجابة .. لا ..

والفيلم لا يدعى أنه يقدم جديداً فى هذه الاجابة .. فالمسألة معروفة ومكتوبة كل يوم فى سطور صفحات الجرائد .. وعلى وجوه الشباب الباحثين عن فرص فى العمل والحياة ..

كل المشاكل معروفة مسبقاً ..

لكن الجديد الذى يقدمه الفيلم .. هذا الاقتراب الحميم والمخلص لحالة من هؤلاء الشباب .. ومحاولة النفاذ الى الأعماق .. لتفاجأبأنك تكتشف المعنى الحقيقى لكلمات نرددها كثيراً ، وكدنا ننسى معانيها من فرط التعود والتكرار ..

كلمات مثل .. الاستسلام للأمر الواقع .. والحيرة والضياع بين ما يردده المثقفون والكتاب ، وبين الحقيقة المعاشة يومياً .. الكذب والصدق .. العقل والجنون .. الحكمة والتهور .. الرفض والانصياع !

وفوق كل هذا .. الثمن المدفوع فى الدم والأعصاب .. والسحب المستمر من رصيد الأحلام !

يفاجئنا الفيلم بأنه لا يقدم جديداً .. ولكنه يدفعنا للتساؤل فيما نعرفه ونلمسه .. وكأنه يوقظ فى داخلنا تلك الدهشة المفقودة .. وكيف تعودنا كل هذه الأخطاء ؟!

• صورة من العمل

بطل الفيلم ، شاب يتفجر بالحيوية .. (يلعب الدور أحمد زكى) يعمل فى احدى المصالح الحكومية بقسم العلاقات العامة .. له مكتب .. وعلاقته حسنة بزملائه ورؤسائه .. وليس عنده مشكلة سوى انه لا يعمل ، بالمعنى الحقيقى لكلمة العمل .. ولا أحد من زملائه فى المكتب يعمل .. انهم يأتون كل صباح ، فى المواعيد المحددة ، ليقفوا فى طابور طويل للتوقيع على كشوف الحضور .. ثم يدخلون مكاتبهم .. ليبدأوا فى شرب الشاى والقهوة ويقرأوا الجرائد .. !

هذا هو كل عملهم .. ان يقرأوا الجرائد ليلتقطوا ــ اذا وجدوا ــ خبراً هنا أو هناك منشوراً .. فيقصونه ويلصقونه على ورقة .. ثم يضعون الورقة داخل دوسيه .. ليقدم للسيد مدير العلاقات العامة ..

أربعة موظفين .. هو واحد منهم .. لهذا العمل .. أو بمعنى أدق .. اللا عمل .. ! !

ولهذا وجد أفضل طريقة للتغلب على الملل والرتابة .. ان يوقع كل صباح بالحضور .. ثم يشرب الشاى .. ثم يخرج الى الشارع « يتسكع » حتى يحين موعد الانصراف .. فيعود ليوقع بالانصراف وتنتهى دورة يوم مثل كل الأيام .. بلا معنى أو هدف .

ويقدم لنا الفيلم هذا الشاب .. بشكل حيادى .. فهو شاب مثل كل الشباب الذين يتخرجون من الجامعة .. وينتظرون توزيع القوى العاملة .. لتلقى بهم فى ادارات حكومية لديها فائض من الموظفين جاءوا من تخصصات مختلفة .. لينسوا كل مادرسوه طوال سنوات الجامعة .. وليدفنوا احلامهم مع الفراغ اليومى .. والثرثرة التثائبة التى لا يكسر رتابتها سوى صوت فراش المكتب الذى يظهر بين الحين والآخر مهللاً بوصول بعض السلع الاستهلاكية فى مجمع السلع التابع للمصلحة .. فيهب الموظفون ، تدب فيهم اللهفة والحيوية للحصول على احتياجاتهم !

ويضع كاتب السيناريو تفسيراً ساخراً وذكياً على لسان هذا الشاب الذى يصف هذه الظاهرة .. بأنها وسيلة لتسلية الموظفين ، ووضعهم دائماً فى حالة انتظار ! !

اذن .. نحن امام شاب عادى .. وشريحة مبسطة من حالة البطالة المقنعة .. والتى تفيض على شوارع المدينة .. فتزدحم بهم فى كل ساعات النهار .. وهى الساعات المفروض انها مخصصة للعمل . ! !

• وصورة من البيت

ويقترب الفيلم من عائلة هذا الشاب .. الأب موظف على المعاش يشغل وقته بقراءة الجرائد ومشاهدة التليفزيون .. الأم سيدة بيت مصرية عادية .. وهناك ابنتان فى مقتبل العمر .. يواصلان دراستهما الجامعية ..

عائلة متماسكة .. تعرف فروض الدين .. أفرادها يتبادلون الحب والاحترام .. يعيشون فى منزل صغير فى حارة شعبية .. يدبرون حالتهم بالقدر المتاح من الدخل .. فى تعود وصبر وبأقل قدر من التذمر .. واذا احتاجت احدى البنات الى حذاء جديد ــ مثلا ــ فإنه من الممكن ان تستعيره من شقيقتها أو من أمها .. والحال يمضى فى هدوء .

ذلك الهدوء الذى ينم على قناعة تامة بالأمر الواقع .

حتى الاحلام .. فهى كلها أحلام مشروعة وفى إطار الأمر الواقع ..

وتبدو براعة المخرج عاطف الطيب فى تقديمه لهذه العائلة .. انه يقترب من كل التفاصيل وبأقل قدر من الثرثرة .. فنشعر أن هذه العائلة ليست غريبة عنا .. انها موجودة فى كل مكان .. ربما كانت مثل أغلب العائلات التى ننتمى اليها .. ليس فى حياتها شيء شاذ أو مثير ..

ومن هذه « العادية » يصنع المخرج عاطف الطيب مادته .. ويجسد شخصياته .. ويخلق من المكان هذا النوع من الألفة والتواصل .. فكل ما نراه على الشاشة مأخوذ من الواقع الحى الملموس .. بلا مبالغة أو حذف .. وانما بعين صافية ، فيها كل الحب والاحترام .. وأيضاً فيها كل الدهشة والحزن .!

• الزواج .. غير المرفوض !

حتى عندما يطرق باب هذه العائلة .. شاب غير متعلم ، يعمل سباكا .. ويطلب يد احدى البنات .. فإن الأمر قد يبدو منذ الوهلة الأولى انه سيفجر الخلافات داخل هذه العائلة الصغيرة .. ما بين الرغبة فى استكمال الفتاة لتعليمها الجامعى وانتظار العريس المناسب .. وما بين الرغبة فى ضمان الفرصة السانحة والموافقة على الزواج من هذا العريس الجاهز مادياً .. والذى يعلن استعداده لتحمل كل نفقات الزفاف وتأثيث الشقة علاوة على



المخرج : عاطف الطيب



كاتب السيناريو : مصطفى محرم

« وجود » الشقة أصلا التى اشتراها « تمليك » من حر ماله . !

وبإيجاز بليغ يلخص سيناريو الفيلم .. هذا الموقف .. فى مشاهد سريعة وموحية .. متنقلا بين حزن الأم التى كانت تتمنى لابنتها الزوج المتعلم صاحب الشهادة والمركز الاجتماعى اللائق ..

واستسلام الأب الذى يخشى الجهر به ، فيترك القرار لابنته لتحدد مصيرها .. وحسم الأخ المدرك للأمر الواقع فيعلنها بوضوح « ان هذا السباك وامثاله من أصحاب تلك الحرف .. هم الآن الذين يملكون النقود ويعرفون كيف يعيشون حياتهم .. اما أصحاب الشهادات الجامعية فهم مثله لا يضمنون المستقبل » .

وتوافق الفتاة على هذا الزواج .. بنفس منطق « الأمر الواقع » .

ويلعب المخرج عاطف الطيب بذكاء شديد على الفروق والتناقضات بين شخصية السباك وشخصية الفتاة الجامعية .. فى طريقة الكلام وارتفاع درجة الصوت .. وعدم التناسق فى الملابس ..

ويجسد شخصية السباك .. الممثل نجاح الموجى بتلقائية شديدة .. ودون الوقوع فى مطب المبالغة ..

ويختار كاتب السيناريو مصطفى محرم أن يعبر عن هذه الشخصية .. بالرغبة فى الانفاق والمظاهر .. ولكن أيضاً بأخلاق وشهامة ابن البلد المستعد دائماً للتعاون وتأكيد الصداقة والترحيب المستمر المقرون دائماً بالطعام ..

• مشكلته .. أنه يفكر !

وهذا الخط الذى يلجأ اليه الفيلم للتعبير عن هذه الشخصية .. يخدم على الجانب الآخر الخط الرئيسى للموضوع والذى يمثله هذا الشاب « أحمد زكى » المحاصر بإحباطات العمل والرغبة فى تفريغ الطاقة الشحونة بداخله ..

إنه يفكر .. ويتأمل .. ويسخر .. ولكنه كشاب يريد ان يعيش حياته .. وهو كلما يتعمق فى أفكاره .. كلما وقع فى الحيرة أكثر ..

مشكلته أنه يفكر ! !

يهرب من الواقع أحياناً الى احلام اليقظة .. والى التلصص من وراء نافذة حجرته على ابنة الجيران .. انها تدعى الاخلاق والشرف ، وهى غير كذلك .. مجرد اكذوبة دنيئة تتستر بالزحام وغفلة الأهل ..

اكذوبة أخرى يلمسها فى قرار صديقه الشاب « احمد راتب » الذى أراد الحياة السهلة .. فباع شبابه لامرأة عجوز ثرية .

وصديق آخر .. اختار ان ينجو بنفسه بالعمل فى الخارج عن طريق الارتباط بامرأة لا يعرفها .
إنه بين كل هذه التيارات يخاف الغرق ..

فيبحث عن أى دليل يرشده الى الطريق السليم .. فيلجأ الى مشورة الكاتب المشهور الذى يكتب دائماً عن مشاكل الشباب .. فلا يجد عنده غير الشعارات السريعة ..

وتزداد حيرته .. وفى وسط الظلمة .. تضىء حياته هذه الموظفة الجديدة « آثار الحكيم » التى القت بها القوى العاملة فى نفس المصلحة التى يعمل بها .. وفى نفس الغرفة .. مكتبها امام مكتبه .

وينمو فى داخله هذا الشىء الجميل .. الحب .. واللهفة على اللقاء .. والحوار ..

وينسج الفيلم مشاهد بالغة العذوبة والجمال .. لبداية هذا الحب .. ولكنه حب مخنوق بنظرات زملاء المكتب .. وزحام الشوارع .. والخوف من الأهل ..

ويسرع هو لاعلان رغبته فى الزواج منها .. هذا هو الحل الطبيعى الوحيد .. ولكن كيف ؟ ومن اين له أن يدبر نفقات الزواج .. والعثور على شقة .؟ إن المسائل كلها معقدة وتبدو كأنها حلقة جهنمية تبتلع بلا هوادة .. أى محاولة للحلم !

ويقرر أن يلغى تفكيره .. ويتصرف بجنون .. وتفاجأ هى بمنطقه .. فيبرر نفسه بأن التفكير لن يحل لهما المشكلة .. فكلما فكرا فى الأمر ، كلما ازداد تعقيداً .. ولابد من حل .. ولا حل غير أن يتقدم للزواج منها .. وان يواجها اعتراضات عائلتيهما ، بتماسكهما معاً .. وليحدث بعد ذلك ما يحدث ..

ويبدأ كلا منهما فى اعلان عائلته بقرارهما .. وفى مشاهد مكثفة ومحكومة ببراعة .. نتابع ردود الأفعال .

• الطرق المسدودة

فوالد الفتاة يعمل كوكيل وزارة .. ويعيش فى شقة أنيقة .. أما والده فموظف سابق على المعاش .. ولكن الشاب يلغى هذه الفروق مقنعاً والده بأن وكيل الوزارة ما هو الا موظف .. ولا داعى للحرج .. فجميع الموظفون غلابة ..

وبين الرفض والاحتجاج .. تصمم الفتاة على موقفها وتعلن رغبتها فى الارتباط بهذا الشاب .. وتنجح أخيراً .

وتعلن الخطبة .. وينتصر الحب ولو لبضعة أسابيع .. حتى تبدأ أم الفتاة فى مطاردته للبحث عن شقة وشراء الأثاث المطلوب .. وتصل المواجهة الى حد التجريح .

ويشعر الشاب انه من العبث الاستمرار فى هذا الحب .. فالحب يحتاج الى نفقات .. هو غير قادر عليها .. ويضطر الى فسخ الخطبة .. ويعيش مأساة الحب الضائع ..
يلجأ مرة أخرى الى الكاتب المشهور يسأله



لقطة من مشاهد النهاية لفيلم « الحب فوق هضبة الأهرام »



هل يستطيع اقناع صاحب الفندق بتخفيض سعر الحجرة التى قرر أن يستبدلها بعش الزوجية ؟

النصيحة .. فيسمع نفس الشعارات .. فلا يحتمل المزيد ويفقد أعصابه ويصرخ فى وجهه ويتهمه بالكذب والخداع والمتاجرة بمشاكل الشباب . !

ويفقد حماسه .. ويتحول الى شخص مهزوم ، ضائع تماماً .. يحاول الهرب والاختفاء من طريق الفتاة التى أحبها .. حتى تسعى إليه .. وقد ذبلت تماماً .. انها مثله لا تعرف الخلاص من هذا المأزق ..

ويتفقان مرة أخرى على الغاء التفكير .. والعودة الى الجنون .. ويقرران الزواج .. فكلا منهما يملك ارادة نفسه .. ومن حقهما ان يقررا مصيرهما بعيداً عن تدخلات المجتمع ..

ويتم فعلا الزواج .. دون علم الأهل ..

• الزواج .. فى الشارع

ولا تنتهى القصة .. ولكن تبدأ المشاكل ..

انهما زوجان .. ولكن بلا بيت يحميهما من نظرات الآخرين وتطاردهما الاشاعات المشبوهة فى العمل .. ويخنقهما الزحام .. وترهقهما الطرقات المسدودة ..

ويقترح هو .. أن يأخذها بعيداً عن كل العيون .. هناك على سفح الأهرام ..

وفى هذا المكان يلتقط أنفاسه .. محاولاً أن يبعث الطمأنينة فى قلبها .. يقول لها .. عليك أن تتخيلى هذا بيتنا .. هذا الحجر هو حجرة الطعام . وهذا الحجر حجرة النوم .. وهنا حجرة الاستقبال ..

فإذا كان الواقع لا يحتملهما .. فلابد من الخيال ..

ولكن الأضواء الكاشفة لسيارات الشرطة تحاصرهما .. والأيدى الخشنة تمسك بهما لتلقى بأحلامهما داخل سيارة الشرطة المغلقة تماماً .. الا



العائلة فى منزل الابنة التى تزوجت من « السباك » .. ولم تنتظر ابن الحلال الجامعى !

من نافذة مزروعة بالقضبان .. ينظران من خلالها الى المدينة التى لم تعترف بهما..

ولكنهما كان يبتسمان .. وكأنهما انتصرا على الأمر الواقع !!

الرغبة فى إعادة الاكتشاف

فيلم جريء وممتع .. ومثير للشجن ..

يقول كلمته فى هدوء وقوة .. يواصل فيه المخرج « عاطف الطيب » نفس القضية التى أثارها فى فيلم « سواق الاتوبيس » .. بنفس الروح .. وبنفس نبرة الحزن النبيل .. وبنفس الرغبة فى إعادة اكتشاف أنفسنا ..

مصطفى محرم ككاتب سيناريو يعود الى مستواه الجاد المتمكن الذى افتقدناه أخيراً فى سلسلة من الأفلام التجارية الهابطة ..

سعيد شيمى كمصور .. أعطى خلاصة خبرته الطويلة فى التعبير بالاضاءة والظلال .. خصوصاً فى مشاهد الحب على سفح الأهرام ..

نادية شكرى .. مونتاج ممتاز احتفظ بإيقاع الفيلم دون لحظة هبوط أو ملل ..

هانى مهنى .. اعطى مذاقا خاصاً للموسيقى التصويرية .. وكأنها غلالة شفافة من العذوبة والشجن ..

أحمد زكى فى دور يؤكد به موهبته كفنان من الطراز الأول ..

آثار الحكيم بسيطة ، معبرة ، قريبة من العين .

عدوى غيث فى دور الأب .. اكتشاف جديد لممثل قديم ثرى بمشاعره ..

انه فيلم .. يؤكد الثقة بجيل الشباب الذى يصنع الآن السينما المصرية .

رءوف توفيق




أسرة تشاهد اللوحات المشتركة من دولة قطر فى قاعة المعارض فى كوبنهاجن بالدنمارك .. ثم لوحة من أعمال الفنان الاسترالى (مايكل مارس)

٤٠٠ لوحة

في أضخم مهرجان فني في الدنمارك

بقلم : يوسف أحمد

إحتفلت الدنمارك منذ فترة قصيرة بيوم الأمم المتحدة ، احتفالا مختلفاً ، فبعيداً عن السياسة ومتاهاتها المعقدة وجهت الدعوة من قبل وزارة الخارجية الدنماركية لمائة وتسع وخمسين بلدا من مختلف قارات العالم ، ايماناً منها بأن رسالة الفن هى الوحيدة التى تنصهر فيها آمال شعوب هذا الكوكب كما ذكر رئيس مجلس مدينة كوبنهاجن فى كلمته التى ألقاها فى حفل الافتتاح الرسمى فى قاعة المعارض التابعة للمبنى الرئيسى لبلدية مدينة كوبنهاجن .

وتأتى هذه المناسبات النادرة على ساحة أوروبا وبخاصة الشمالية منها والوجود العربى يكاد يكون معدوماً اللهم إلا من بعض الغيورين على سمعة بلادهم والذين يسعون إلى تقديمها تقديماً حسناً فى مثل هذه المناسبات والاحتفالات .

وفى المعارض التى أقيمت غابت معظم الدول العربية عن المشاركة ، بالرغم من أن هناك عدة سفارات عربية بالدنمارك كان فى استطاعتها أن تشارك ولو بالشىء البسيط لإعطاء فكرة عن دولها ، فقد شاركت جمهورية مصر العربية بثلاثة أعمال للفنان المصرى مجدى صبحى ، والتى جاءت أعماله متضمنة للقيم اللونية فى البيئة المصرية ومتمثلة فى اللون البني والموضوعات المصرية القديمة والاسلامية منها والشعبية ، ولقد جاءت الأعمال الثلاثة فى تقنية واحدة لتؤكد مدى ما توصل إليه الفنان من تجربة وبخاصة فى طواعية اللون وادخاله فى مفهوم السيراميك .

أما دولة قطر فكان حضورها مشرقاً ، فلقد تقدمت بأثنى عشر عملا فنياً ، ولم يعرض سوى ثلاثة أعمال منها وذلك بعد تقديم الاعتذار من مدير القاعة لضيق القاعة والمشاركات العالمية الكثيرة غير المتوقعة . وكانت برفقة هذه المعروضات الكتب التعريفية عن دولة قطر والتى وزعت على الجمهور ، وكذلك صاحبت هذه الكتب نشرات توضيحية عن دول مجلس التعاون الخليجى .

وقد انتقت إدارة المعرض ثلاثة أعمال تنوعت بها الموضوعات البيئية والاسلامية والمعاصرة ، فبالنسبة للموضوع البيئي جاء الاختيار على عمل الفنان جاسم زيني الذى يحمل اسم ملامح من البيئة القطرية ، وهو يمثل فتاة تثبت زرار أخيها بالابرة والخيط ، وقد أراد بهذه اللوحة أن يوضح مدى ما كان يسود المجتمع القطرى القديم من تعاون وألفة ومحبة بين أفراد الأسرة الواحدة .

أما العمل الثانى فكان من أعمال الفنان سلمان ابراهيم ، ولقد وضحت فيه صورة مسجد الأصمخ الذى يعتبر من النماذج النادرة للعمارة القطرية فى أوائل الخمسينات ، ولقد أصبغ الفنان حيوية على هذه اللوحة بلمساته السريعة الواضحة وبخاصة فى خلفية اللوحة .

وكانت المشاركة الثالثة لكاتب المقال الذى استمر فى تجاربه السابقة فى الحرف العربي واعتمد على مدى إمكانات الحرف العربى فى ملء فراغ اللوحة بحس شرقى معتمد على البعد الواحد .

وقد عرضت باقى دول العالم أكثر من أربعمائة لوحة وتمثال جاءت متنوعة ، وتطرقت لمعظم ميادين الفن التشكيلي سواء تصوير زيتى ومائى أو فن اللصق « الكولاج » أو التخطيطات بالأقلام الملونة ، اقلام الرصاص ،كما كان لفن الكرافيك النصيب الكبير فى معروضات بعض الدول مثل اليابان وبولندا .

ومن بين الأعمال التى شدت الانتباه :

• أعمال الكرافيك للفنان البولندى (مارك جاروسكي) التى تميزت بأداء عالى المستوى ، فهو يستخدم اللون الأسود ولكن بتقنيات عالية ، مستفيداً من سمك وتأثيرات الورق الخاص الذى يستخدمه ، وعند مناقشتى معه ، اتضح أنه يقوم بصنع هذا النوع من الورق بنفسه ، وهذا يدل على صدق العملية الفنية فى وجدان الفنان منذ فترة الولادة حتى فترة النضج .

• أعمال الفنان البرتغالى (خوزيه كراميز) التى تقترب من أعمال فنون الأطفال ، ولكن الفنان هنا عندما يضع لزمات فنون الأطفال مثل الشفافية ، وخط الأرض انما يضعها عن قصد وذلك لاستفادة العناصر الباقية فى لوحته ، ولكن الفنان خوزيه مازال يدور فى دائرة خوان ميرو الفنان الاسبانى وبخاصة فى معالجاته لأرجل شخصياته ولعلها تذكرنا بأحد أشهر لوحات ميرو وهى كلب يعوي للقمر .



شخصيات غير معروفة الملامح .. من أعمال الفنان البلجيكى (جاى بولير)

• وتأتى أعمال الفنان القادم من رومانيا (لازار لاكوب) لتذكرنا لوحاته بالخريف فى بلاده ، ولكن معالجات الفنان تدور فى محيط المدرسة التأثيرية ، ويتضح ذلك من لمسات . الألوان العريضة والكثيفة على سطح اللوحة .

• وقد عرضت بلجيكا للفنان (جاي بولير) عدة لوحات بتقنية فريدة من نوعها بالمعرض ، بل أنه يتميز فى بلجيكا بهذه التقنية فهو يستخدم لون الخشب الأصفر بطبيعته ويضيف عليه شخصياته غير المعروفة ملامحها ، وأحياناً يجمع أكثر من شخصية فى اللوحة ليتحاوروا مع بعضهم البعض ، وتأتى هذه التساؤلات بين الشخوص تحت القناع المزيف لانسان القرن العشرين وعدم كشف كل مالديه من صدق ! !

• أما مشاركة استراليا فتأتى فى عملين للفنان (مايكل مارس) . الأول عبارة عن منظر لعله من البيئة الاسترالية ولكن قوة اداء الفنان تتضح فى تعامله مع اللون الأخضر والبني وتوزيع الاضاءة بينهما ، أما عمله الثانى فهو عبارة عن قطعة سيراميكية اتضحت فيها لمسات ألوانه بنفس طريقة تعامله مع الألوان الزيتية .

• وفى جناح الولايات المتحدة الأمريكية والذى خصصت له إدارة المعرض أكبر مساحة فى الصالة جاءت كلها لفنان واحد وهو (جيم دين) وهى عبارة عن أعمال بالليثوغرافيك أو فن الطباعة الحجرية ، ولكن اضيفت عليها لمسات الفنان بألوان (الكواشر) فى صورة وحشية تذكرنا بأعمال الفنان الأمريكى المعروف جاكسون لولوك ، أما أسماء لوحاته فهى السماء ـ الأرض وأزياء تذهب الى المدينة فلقد اقتنت أعمال هذا الفنان عدة متاحف منها قاعة التيت فى لندن ، ومعهد الفنون الجميلة فى شيكاغو .

• وجاءت أعمال تركيا متواضعة نوعاً ما بالقياس مع مستويات الدول المشاركة اللهم الا أعمال السراميك والذى تميزت بالخطوط العربية والزخارف الاسلامية أما أعمال التصوير فهى متواضعة كما ذكرت سواء من ناحية اللون أو الموضوع .

• وتتصدر أعمال تشيلي لوحتان بهما التقنية العالية فى معالجات الألوان الزيتية فهما للفنان (بول مايكل) موضوعهما بسيط وهما عبارة عن مناظر تمثل الفجر والغروب ولكن معالجاته الدقيقة الحديثة فى الألوان الزيتية جعلت منه استاذاً فريداً فى هاتين اللوحتين عن باقي اللوحات المعروضة فى الصالة .

• أما الدولة المضيفة الدنمارك فلقد شاركت بخمسين عملا جاءت للفنانين المحترفين بالدنمارك ولطلبة وطالبات كلية الفنون بالدنمارك ، ومن الفنانين المحترفين الفنان (توم كروجر) الذى جاءت ألوانه مباشرة وبمساحات عريضة ساعدت على اعطاء قوة أكثر للون.أما أعمال الطلبة المعروضة ضمن هذا الجناح فلقد تراوحت الموضوعات بين المؤثرات مثل الموديلات والطبيعة الصامتة وبين بيئة الدنمارك وعولجت معظمها بقلم الرصاص والألوان المائية .

• وكانت معروضات الأرجنتين عبارة عن عمل كبير فى حجمه ولقد سماه الفنان (هير منكلرو) وحدة وتمثل عائلة ممزقة الملامح وخلفها جو ضبابى وبرغم المآسي التى تبدو على وجوه شخصياته الا انها تحدوها الأمل فى الوحدة والعودة الى الوئام والاستقرار النفسى .

• وقد عرضت يوغسلافيا عملين للفنان (بوم غولى كلارفادريس) اتضحت فيهما القيمة اللونية والبساطة فى التعامل مع الموضوع ، وموضوعهما عبارة عن مرتفع يفصل الأرض عن السماء ويعزز هذه البساطة طريقة معالجة اللون الهادىء .

• وتميزت لوحات اندونيسيا بالقوة اللونية ، ولعل هذه القوة جاءت أصلا من الموضوع نفسه الذى عالجه الفنان وهو عبارة عن موضوع النخيل ومدى تعلق الفنان بهذا النبت ، وبخاصة وأن تركيبة سعف النخيل وما تتميز به من علاقات خطية غنية نتيجة عن ترديد اجزاء سعف النخيل وبخاصة عندما تتمايل مع الزرع مكونة بذلك التوافق اللوني بين امامية اللوحة وخلفيتها .

• ولعل القيمة التصميمية طغت على مناظر الفنانين الايرلنديين أمثال (ثيوميكناب) فهو بتحويلة السماء الى مساحات هندسية ، وكذلك الأرض وتوزيع درجات اللون عليهما بحيث تبدوان كأنهما دراسة تقييمية للون الواحد .

• وفى أعمال الفنانين اليابانيين أصحاب التاريخ العريق فى الطباعة ، فقد عرض الفنان اليابانى (أكيراكوروساكي) ثلاثة أعمال تعتبر فائقة فى التقنية العالية فى استخدام الحفر على الزنك وبخاصة الدرجات اللونية التى أحدثها الفنان على لوحاته ، وتأتي صعوبة التحكم فى هذه الدرجات للحجم الكبير فى لوحاته وللتفاصيل الدقيقة التى تتميز بها تلك اللوحات .

وهناك دول كثيرة شاركت بنخبة ممتازة من فنانيها ، قد لا يتسع الحديث عنهم فى هذه الصفحات ، ولكن الشيء المؤكد بأن دولة قطر ممثلة فى وزارة الاعلام وفنانيها الشباب لا تفوتها مثل هذه الفرص النادرة وبخاصة فى دول الغرب البعيدة التى لا تفهم الحضارة الانسانية لهذا العصر إلا بلغة الفن .



دوحة القراء

إشـــراف
سـنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة

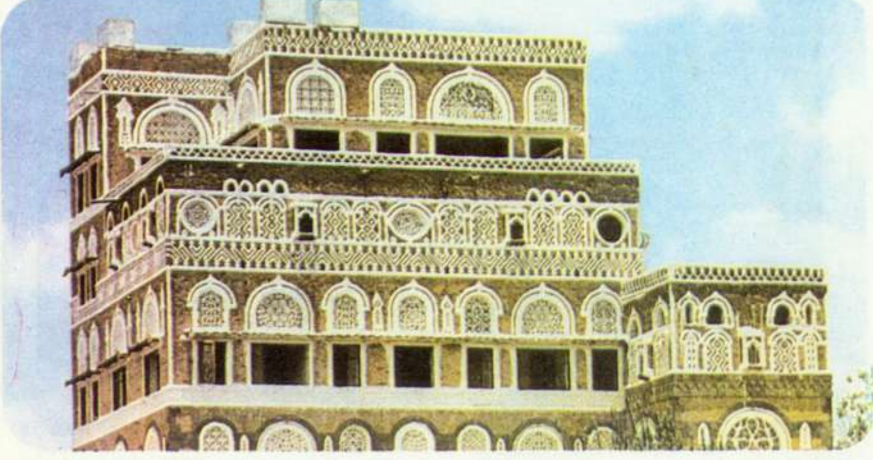
(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

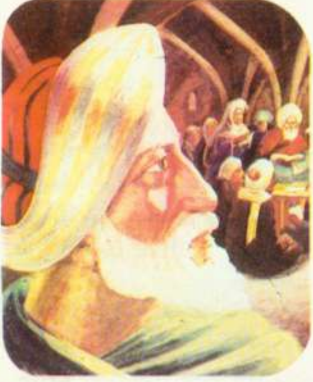
(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة - ص . ب ٣٢٤ - الدوحة - قطر .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : لأحد القصور ، وقد تحول إلى فندق عام ١٩٧٢ ، وهو مقام بإحدى العواصم العربية ، التى اشتهرت فى العصور الوسطى بأسلحتها وثيابها ، واشتهرت فى عصور ما قبل الإسلام بقصورها وأشهرها قصر غمدان ، ما هو اسم هذه العاصمة العربية العريقة ؟

● ● ●



الصورة الثانية : مؤرخ وفيلسوف واجتماعى مسلم ، ولد عام ١٣٣٢ م وتوفى عام سنة ١٤٠٦ م ، انقطع للتدريس والتأليف ، وتعد مقدمة كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» من أهم مؤلفاته لاشتمالها على فصول فى أصول العمران والنظريات الاجتماعية والسياسية وتصنيف العلوم ، ومن أفكاره التربوية . الرحمة بالأطفال .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٩



الصورة الأولى : قلعة قايتباى بمدينة الاسكندرية .

● الفائز : محمود الزين حامد آدم ــ السودان

● الفائز : عز الدين أحمد بهجت ــ الكويت



الصورة الثانية : العالم العربى الدكتور فاروق الباز

● الفائز : محمد صالح أحمد محمد ــ سلطنة عمان

● الفائز : مرتضى محمد علي المتوكل ــ الجمهورية العربية اليمنية

قالوا عن المرأة

• المرأة ظل الرجل .. عليها أن تتبعه لا أن تقوده .

« برنارد شو »

• لو صيغت الحقيقة امرأة لأحبها كل الناس .

« أفلاطون »

• لا شيء يرفع قدر المرأة كالعفة .

« اديسون »

• أمتع الحصون .. المرأة الصالحة .

« نابليون بونابرت »

• الرجل ألعوبة المرأة .. والمرأة ألعوبة الشيطان .

« فيكتور هوجو »

• المرأة حيوان طويل الشعر قصير الفكر .

« شوبنهاور »

• تتزوج المرأة لتدخل المجتمع ، ويتزوج الرجل ليخرج منه !

« شوبان »

محمود حلمى عباس لطفى
بنها ـ مصر



لقطة الشهر



شكل جمالي على ساحل مدينة جدّة

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : أبو بكر محفوظ سالم ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية

أسوأ الناس

هذه الأبيات تجعلنا نتوقف عندها لنستخلص منها منهجاً فى حياتنا ، وقد أعجبتنى عندما قرأتها منذ أول وهلة ، ولذلك قررت أن اشارك قراء مجلتكم فيما تحويه من دروس وعبر :

عَجبت للمَرء فى دنياه تَطمَعه
فى العَيش وَالأَجَل المحتوم يَقطَعه
يمسي ويصبح فى عَشوَاءَ يَخبطهَا
أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبَته
وَقَد تَيقَنَ أن الدَهر يصرعه
ويجمع المالَ حرصاً لا يفَارقه
وَقد دَرَى أنه للغَير يجمَعه
تراه يشفق من تَضييع درهَمه
وَلَيس يشفق من دين يضيعه
وَأَسوأ الناس تَدبيراً لعاقبة
من أنفَقَ العمر فيما لَيسَ يَنفَعه

حسين محمد عقبة ـ اليمن الديمقراطية

أوائل في كأس العالم

• أول بطولة لكأس العالم أقيمت فى أوروجواى عام ١٩٣٠ ، وفازت بها أوروجواى .
• أول هدف فى تاريخ كأس العالم سجله لويس لورانت ساعد هجوم منتخب فرنسا .
• أول مصاب فى كأس العالم هو الفرنسى الكسندر تيبو حارس المرمى عام ١٩٣٠ .
• أول مطرود فى الكأس هو دى لاس كاسياس رئيس فريق بيرو عام ١٩٣٠ م .
• أول لاعب يحرز ثلاثة أهداف فى مباراة واحدة هو الأرجنتينى ستابيل فى مباراة الأرجنتين والمكسيك والتى انتهت ٣/٦ لصالح الأرجنتين فى كأس العالم عام ١٩٣٠ م .
• أول شقيقين يلعبان معاً فى كأس العالم هما المكسيكيان ما نويل وفرناندو روساس عام ١٩٣٠ م .
• أول هداف لأول بطولة لكأس العالم هو الأرجنتينى ستابيل حيث أحرز ثمانية أهداف .
• أول ضربة جزاء مهدرة ، أهدرها البرازيلى دى بويتو فى مباراة أسبانيا والبرازيل عام ١٩٣٤ م .
• أول هدف ذاتى أحرزه السويسرى لورتشر فى مرمى فريقه فى كأس العالم عام ١٩٣٨ م .
• أول دولة عربية وأفريقية تشترك فى كأس العالم هى مصر وذلك فى كأس عام ١٩٣٤ م .
• أول حكم عربى يشترك فى تحكيم كأس العالم هو الحكم المصرى يوسف محمد فى كأس العالم ١٩٣٤ م .
• أول دولة تفوز بالكأس ثلاث مرات هى البرازيل أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٠ م .
• أول وأغرب التماس من نوعه هو ذلك الذى قدمه رئيس البرازيل للفيفا ، يطلب فيه العفو عن جارينيشا ليتمكن من الاشتراك فى نهائى كأس العالم عام ١٩٦٢ م ، وقد قبل هذا الالتماس !
• أول ضحية لكأس العالم هو مشاهد من أوروجواي ، وذلك عندما أحرزت البرازيل هدفها فى مرمى أوروجواى فى المباراة التى انتهت بفوز أوروجواى على البرازيل ١/٢ وفوزها بكأس عام ١٩٥٠ ، فلم يتحمل قلب هذا المشاهد ، فكان أول ضحية للكأس !

محمد مصطفى السمرى ـ كلية الطب جامعة الاسكندرية



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

• الأبيات الشعرية التالية للشاعر العربى حاتم الطائى ، الذى اشتهر بالكرم ، وفيها يتحدث عن شىء لا نعيش بدونه ، وقد حذفنا من الأبيات هذا الشيء ووضعنا بدلا منه كلمة « المقصود » . وعليك أن تعرف ما هو المقصود فى أبيات الشاعر :

فحسبك داء أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تمن إلى القد

اذا ما صنعت « المقصود » فالتمس له

أكيلا فإنى لست آكله وحدى

المقصود عند حاتم الطائى مكون من خمسة حروف .

٣ ، ١ ، ٥ عكس نقص .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

• « إننى مدين لأمى بكل ما حزته من الفخار وما فزت به من العظمة ، لأن نجاحى كان ثمرة مبادئها القويمة وآدابها السامية » .

جاءت هذه العبارة على لسان قائد عسكرى فرنسى شهير ذى عبقرية فذة .. وكان يحلم بتكوين امبراطورية فرنسية تنافس الامبراطورية البريطانية .. واستعمر مصر ثلاث سنوات، ورحل عنها وتم نفيه فى جزيرة مشهورة ، فهل تعرفه ؟ .

اسم قائل هذه العبارة مكون من مقطعيين و ١٤ حرفاً .

٣ ، ٤ ، ٢ ، ٦ ، ٥ بمعنى مصائب .

١٢ ، ٩ ، ١١ ، ٨ يقف أمام العمارة

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ١٣٠٤ ميلادية .

• مكان الميلاد : بلدة لواته بمدينة طنجة .

• الجنسية : مغربى عربى .

• مهنته : رحالة شهير .. قام بثلاث رحلات رئيسية استغرقت ٢٩ عاماً من عمره .

• مؤلفاته : « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » .

• من أصدقائه : ابن خلدون الذى كتب عنه فى مقدمته الشهيرة .

• مكانته : يعتبر من أرفع الجغرافيين العرب والمؤرخين والرحالة .

• لقبه : شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى .

• تاريخ وفاته : ١٣٧٧ ميلادية

• اسم الشهرة الذى عرف به صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين وثمانية حروف .

٤ ، ١ ، ٢ ندخل ونخرج منه .

٧ ، ٣ وحدة وزن .

مسابقة مدن العالم

• مدينة أوربية .. وهى من العواصم التى أصبحت تجذب العرب فى السنوات الأخيرة .

• من أشهر معالم هذه المدينة متحف مدام توسو .. واذا دخلت هذا المتحف ستجد فيه أشهر شخصيات العالم فى السياسة والفن والأدب والسينما .. وجميعها مصنوعة من الشمع ..

• أمام مبنى البرلمان ستجد تمثال أوليفر كرومول .. وتمثال ريتشارد قلب الأسد

• من المعالم القديمة فى هذه المدينة .. ستجد القلعة التى كانت حصناً عسكرياً وترسانة سلاح ، ومقراً ملكياً وسجناً شهيراً ، والتى أعدم فيها الأديب المعروف السير توماس مور .

• من المعالم الشهيرة فى هذه المدينة ساعة البرج البرلمانى .

• فى هذه المدينة ستشاهد حديقة ريتشاموند وبحيرة السير بنتاين وقصر هامبتون وميدان لستر .. ومغارة المدينة والبيكاديللى وركن الخطباء .

هل عرفت هذه العاصمة الأوربية ؟

إن اسمها مكون من مقطع واحد وأربعة حروف .

١ ، ٣ . ٢ بمعنى رخو

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٠٩

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر أبو القاسم الشابي هى كالليلة

٢ ــ عبارة من قائلها : ليوكاديا

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز الشاعر العربى بشارة الخورى .

٤ ــ مسابقة مدن العالم : مدينة الخرطوم عاصمة السودان .

٥ ــ المسابقة الذهنية : الرجلان والابنان هما ثلاثة أشخاص فقط وليسوا أربعة ، حيث أنهم رجل وابنه وحفيده ، ويعتبر الرجل الثانى ابن وأب فى وقت واحد وبذلك يأخذ كل واحد منهم خروفاً من الخرفات الثلاثة .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : أحمد سامى محمد مصطفى ــ مصر .

ــ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : ذاكر أحمد علي ــ السودان .

ــ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : مختار غيث الزنتانى ــ ليبيا

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ مأمون بابكر سليمان ــ السعودية

٢ ــ محمد نبيل بندريس ــ المغرب

٣ ــ محمد حسن العقيد ــ السودان

٤ ــ علي محمد صوفى ــ العراق

٥ ــ ملوان عبد الجبار ــ المغرب

٦ ــ حسن محمد حسن العمايده ــ الأردن

٧ ــ فيصل ميلى ــ الجزائر

٨ ــ أحمد يوسف حبيب ــ مصر

٩ ــ مبشر مختار بشر ــ تشاد

١٠ ــ حسين علي منصور ــ البحرين



حل استراحة الدوحة للعدد ١٠٩

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ الحاجب ــ العين اليمنى ــ الأنف ــ الشارب ــ الفم ــ الذقن .

٢ ــ لعبة الظلال رقم (٢)

٣ ــ دورى الكاريكاتير رقم (٥)

٤ ــ يخلق من الشبه أربعين رقم (٥)

٥ ــ لأقوياء الملاحظة فقط : بقرة ــ حمامة ــ وردة ــ سمكة ــ شوكة زراعية ــ طائر .

٦ ــ المثل يقول : موت وخراب ديار ــ مصائب قوم عند قوم فوائد .

٧ ــ هات أجمل تعليق :

ــ تصور الصحيفة عمالة تهاجم قراءة الصحف فى المكاتب وتعطيل المعاملات .

ــ أهم حاجة تقرأها فى الصحف حظك اليوم . وتحل الكلمات المتقاطعة .

اسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ اسماعيل السيد الجراوانى ــ مصر

٢ ــ عبد القادر أحمد التيجانى ــ السودان

٣ ــ عبد العزيز علي الساعى ــ قطر

٤ ــ علاء عبد العزيز عبد على ــ البحرين

٥ ــ بوكيل محمد ــ المغرب (اشتراك)

٦ ــ ماجد جمعه محمود ــ مصر

٧ ــ محمد فضل ناصر ــ قطر

٨ ــ سليمان محمد أحمد ــ السودان

٩ ــ حسام الدين محمد الودانى ــ ليبيا

١٠ ــ محمد الذاكر الماذرى ــ تونس

١١ ــ محمد أبو زيد سليمان ــ السعودية

١٢ ــ محمد علي أبو غنيم ــ الأردن

١٣ ــ عبد المجيد آزر علي ــ الإمارات العربية المتحدة

١٤ ــ فاروق عبده محمد نجم ــ مصر

« تحــــذيــــر »

التدخـــــين يضر بصحـــــتك

وننصحـــــك بالامتــــناع عنــه

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روؤف



أصل وصورة





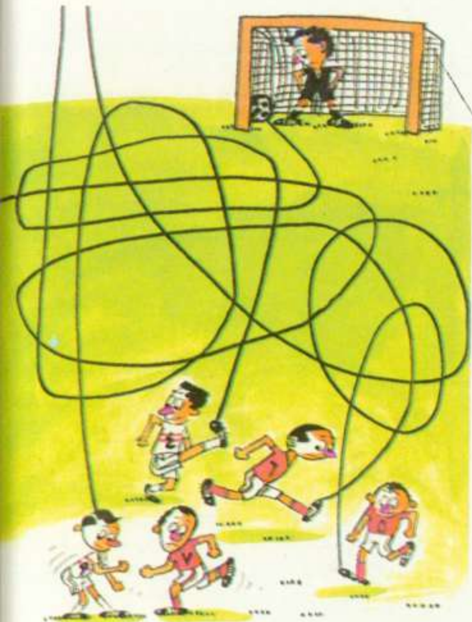
• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للاديبة السورية غادة السمان التى من أهم أعمالها رواية « كوابيس بيروت » .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. إذا استطعت التعرف عليها فلك جائزة

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى إذا استطعت التعرف عليه قد تفوز بجائزة .

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



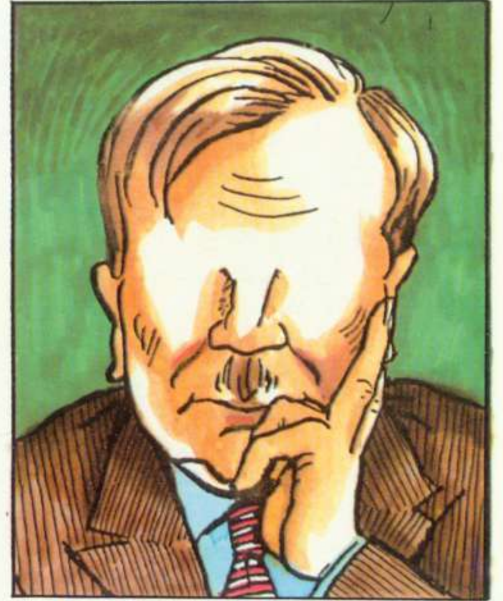
• هل تستطيع أن تجد تعليقا مناسبا خفيف الظل لهذا الرسم الكاريكاتيرى .. أرسل التعليق لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. اذا نجحت فى ذلك فقل لنا كيف ، لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة لم تتم لشاعر شعبى مشهور ، ستظل كلمته الشريفة الصادقة حية فى ضمائرنا طوال كل العصور .. أكمل اللوحة وتعرف على صاحبها لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين















• الصور الست المنشورة لست شخصيات تشبه شخصية الاديب العربى الفريد فرج الذى اشتهر بمسرحيات سليمان الحلبى ، الزير سالم ، وحلاق بغداد .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة ..
هل يمكنك التعرف عليها .. ؟

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

الانتصار

ترى .. هل يبدو أن هناك فرقاً بين « ذكاء ! » مجنون ، وبين « متهم » بالعقل ؟ !

إن الأضداد أصبحت تتحكم ــ بحالات كثيرة ــ في رسم الشخصية الآدمية ، وربما الشخصية الانسانية أيضاً .. ليحق لها « الاقتدار » عند خوض مشاكل الحياة ، وعند ظهور ما هو أفظع : وهي انفلاشات النفس .. خاصة اذا كان « النفس » ــ بفتح الفاء ــ ممارسة أكثر مما هو دليل على الحياة !

اننا في خلخلات الحيرة ، والألم ، والقلق ، والضنى .. « نمارس » أنفسنا ، ونحاول في ذلك أن نتخطى التجربة المرهقة .. لننتقل الى تجربة جديدة برغبتنا الكاملة !

إن هدف الانسان في حياته هو الانتصار الحاسم والكامل دائماً .

وهو عند بحثه عن سبل الانتصار قد يتخلى عن بعض معانيه .. لا يهمه سوى تفتيت كل المعترضات ، ويتهم ذلك بالأضداد التي يقتاتها الانسان بالاغراء ، أو بالتخلي ، أو بالمتعة ، أو بمجرد الايحاء فقط !

وليس شرطاً أن يكون الانتصار مادياً وانما يخضع الانتصار ــ كرغبة ــ لكل أفكار واحساسات ورغائب الانسان المعنوية أو المادية .. السامية أو السفلى !

وقد أعجبتني عبارة قالها حكيم : ــ « السعادة ليست في المتعة ، وانما في الظفر » ! !

وربما قيل أيضاً : إن ذلك الحكيم مادي النظرة والفكرة .. لأن المتعة أيضاً هي اللحن المميز للانتصار ، والمتعة هي التوأم لعمق النظرة .. لكن « الظفر » هو دوافع السعي في الحياة كلها .. بلا جدال !

ان الاضداد هي فلسفة « المتعة » التي عناها ذلك الحكيم .

فلكي تستمتع جرب أن تضحك ودموعك منسابة .

وجرب أن تشعر الآخرين بفرحك وأنت في قمة الحزن والمعاناة .

وجرب أن ترى وأنت مغمض العينين .

وجرب أن تتسامح وأنت تتألم .

وجرب أن تصمت وأنت في حاجة الى الكلام فربما كان صمتك أبلغ !

اننا نضحك بقهقهة عندما تكون الدموع تغسل حدقات عيوننا ..

انه الضحك الذي يعبر عن صدق الدموع أكثر مما يعطي معاني الفرح .

وربما وصف علماء النفس هذه الصورة بأنها « الهستيريا » أو اضطراب النفس .. ولكن الراحة مؤكدة دائماً في قناعة الانسان بأنه قد ضحك من أجل من أبكاه .. فالذين يبكوننا هم الفرح الحقيقي في نفوسنا !

ولكنها الأضداد في حياة البشر .. شعرة نحيلة لامعة .. هي الفاصل ما بين الدمعة والابتسامة !

وأحياناً نعطي تفسيراً آخر لهذه الأضداد .. والتفسير يخضع بالضرورة لتعاطفنا مع الذي نحب وحزننا فيه .

ومرة بكت فلورندا الاسبانية عندما كان مطلوباً منها أن تضحك ، وقالت بعد أن جفت دموعها :

ــ ان الدموع التي تلدها ضحكاتنا المطلوبة من الناس .. هي أبرع وأعمق مفاهيمنا عن متناقضات الحياة !

ومرة أخرى .. كان نابليون القائد العظيم المنتصر يكبح الدموع لئلا تسقط من عينيه ، ولكنها طفرت بغزارة وهو صامت ، فانتبه لما عجز أن يتحكم فيه ، فعالجه بضده .. بأن أطلق ضحكة مجلجلة ولما تجف الدموع من عينيه بعد ، وقال :

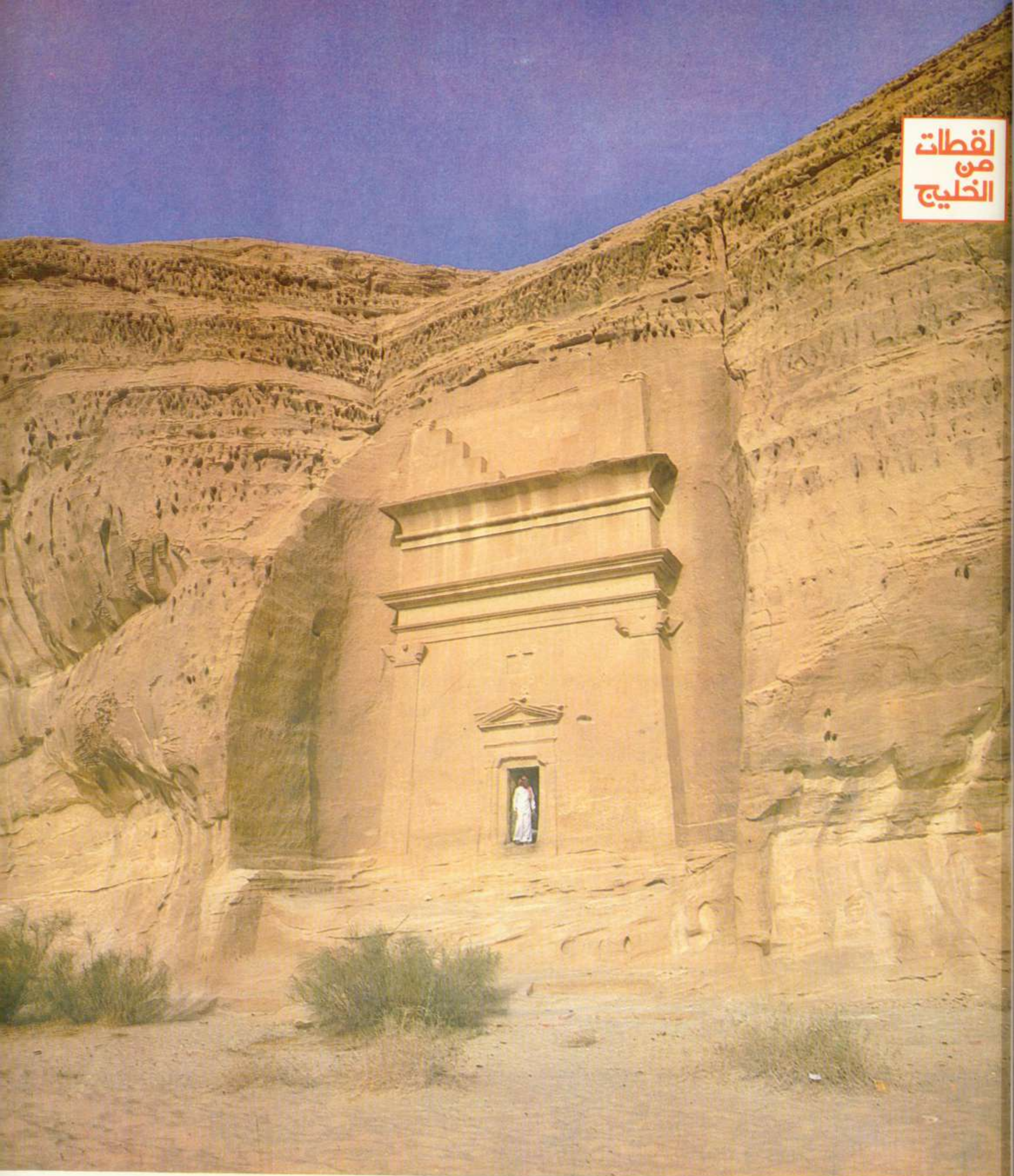
ــ ليس ضرورياً أن أستمر في البكاء .. حتى لا أنسى أن في الحياة ابتسامة !

فالحياة ترغم الانسان على الأضداد ، ويرضخ الانسان لهذا الإرغام لأنه يبحث عن الفرح ، ويتوق الى السعادة ، أو لعله يرضى ــ فقط ــ بالدعة والهدوء والصمت !

ان الانسان يرضى بتزاوج دموعه مع الابتسامة ، ولايهمه في ذلك إن كان حقا يمارس أنفاسه ، أو يتمرس من أجل البقاء !

وأهم مايشغلنا هو أن تكون الدموع صافية نقية .. تغسل شوائب النفس ، وتمنع ردة الفكر ، وتسمو بالروح بعيداً عن الكآبة ، وعن اليأس ! !

جدة



مدائن صالح

من المناطق الأثرية فى المملكة العربية السعودية ، وتقع على مسافة ١٥ كيلومتراً شمال واحة « العلا » فى المنطقة الشمالية الغربية .. وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم باسم (الحِجْرِ) كحاضرة ثمود قوم نبى الله صالح .. ومعظم آثارها منحوتة فى الجبال .. وهى تشبه آثار البتراء عاصمة الأنباط التاريخية التى تقع الآن فى الأردن .. وبها آثار مستوطنات ربما كانت مساكن لسكان مدائن صالح فى عصورها المختلفة .. وقد اشتهرت عند المؤرخين اليونان والرومان « بهجرا » وكان لها ميناء يسمى باسمها ويطلق عليه الآن اسم « الوجه » وكان يعتبر شرياناً تجارياً هاماً للبلاد فى الأزمنة الغابرة .



ذات الجدايل "الضفيرة" - لوحة من لوحات المعرض الأول للفنان القطري سلمان المالكي

العدد ١١٢ - رجب ١٤٠٥هـ - أبريل/نيسان ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- **الفنان عربجي .. ومسرحه الدنيا**
  الفريد فرج

- **جزائر "واق الواق" وأسرارها الغريبة**
  د. أنور عبد العليم

- **مهرجان عالمي في افتتاح جامعة قطر الجديدة**
  السيد حجازي



لوحة وفنان

زهـــور الربيـــع

كانت هذه اللوحة المعبرة من أبرز أعمال الفنان الانجليزى «جون فريدريك لويس» أثناء رحلته إلى الشرق، وقد سماها «جامعات الزهور»، وجعلنا نرى فيها أدق تفاصيل الزى الشرقى مع جاذبية الزهور بأشكالها البديعة وروائحها الزكية وألوانها المبهجة.

وقد عاش هذا الفنان فى الفترة ما بين (١٨٠٥ – ١٨٧٦) وفاق فى أسلوبه كل من رسموا الشرق وحياته النابضة.

وكان لقاؤه الأول بفن الشرق عندما زار اسبانيا (الأندلس) ثم طنجة بالمغرب (١٨٣٢ – ١٨٣٤)، ثم تعددت اللقاءات الأخرى برحلته إلى أزمير واستانبول فى تركيا، ورحلته إلى القاهرة التى مكث بها عشر سنوات، عاش أثناءها فى حي الأزبكية، وارتدى الزى الشرقى، ورسم كل أوجه الحياة بداية من المشاهير وعلى رأسهم محمد علي والى مصر فى ذلك الوقت، إلى المساجد والأسواق المسقوفة والأفنية والأزقة الضيقة.

وقبل رحلته إلى الشرق نصحه الكاتب والمفكر الانجليزى «جون رسكن» بأن يستخدم الألوان المائية فى رسم كل لوحاته حتى لايضيع بريقها بفعل الزمن.

ونفذ نصيحة الكاتب الانجليزى، لتظل لوحاته محتفظة بكل عناصر جاذبية اللون والتكوين.

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١١٢ - رجب ١٤٠٥هـ - أبريل/نيسان ١٩٨٥م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطرياً
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطرياً
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطرياً
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطرياً
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطرياً
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطرياً

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر ٦ ريالات
البحرين ٤٠٠ فلس
الامارات العربية ٦ دراهم
عمان ٣٥٠ بيسه
الكويت ٥٠٠ فلس
السعودية ٦ ريال
الجمهورية اليمنية ٤ ريال
اليمن الديمقراطية ٣٥٠ فلساً
العراق ٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٣٥٠ فلساً
سوريا ٣٥٠ قرشا
لبنان ٣٥٠ قرشا
مصر ٢٥٠ مليماً
ليبيا ٥٠٠ درهم
السودان ٣٠ قرشا
تونس ٥٠٠ مليم
الجزائر ٥ دينار
المغرب ٥ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازى ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي *Ali Bin Ali Printing Press - Doha*

في هـــــــــذا العـــــــــــدد


مأزق الاجتهاد المعاصر بين نصوص الدين ومصالح الدنيا (د. يوسف القرضاوى ص : ٦)


قبل الحديث عن إفلاس الشعر (د. محمد جابر الأنصارى ص : ١٢)


من الذى يحكم العالم ؟ (فتحى رضوان ص : ١٦)


على طريق النهضة فى قطر : بين اللؤلؤوالنفط (درويش مصطفى الفار ص : ٣٨)


لوحة الغلاف : للفنان محمد صبرى .. سيد ألوان الباستيل (المقال ص : ١٢٤)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

• أبــواب •

• المــــواد لا تعــــاد إلى مرســـليــــها نشـــرت أو لم تـــنشـــر

كلمة

جامعــة قطــر الجــديــدة

تنشر « الدوحة » فى هذا العدد تحقيقاً شاملا عن افتتاح جامعة قطر الجديدة والمهرجان العلمى العالمى الذى أقيم فى هذه المناسبة التاريخية الهامة التى تضيف إلى الصروح العديدة فى دولة قطر ، صرحاً حضارياً جديداً ، ومركزاً للاشعاع العلمى والثقافى فى الوطن العربى الكبير .. فالصرح الجديد الذى صمم بطراز معمارى فريد يجمع بين الأصالة الاسلامية وفنون العمارة الحديثة والطابع المحلى ، قد جهز بأحدث ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا لأنه يضم بين قاعاته ومعامله أحدث الأجهزة والمعدات التى لا تتوفر الا فى أهم الجامعات وأرقاها فى العالم .

وقد احتشد أثناء هذا الحدث الحضارى الكبير العديد من وزراء التربية ومديرى الجامعات العربية والأجنبية وممثلى المنظمات الدولية وأعضاء السلك الدبلوماسى وأعضاء مجلس الشورى وكبار رجال الدولة وأعضاء هيئة التدريس وطلاب الجامعة .. جاءوا جميعاً ليشاركوا دولة قطر فرحتها واحتفالها بافتتاح المبانى الدائمة الجديدة لجامعتها الفتية ، على يدى قائد المسيرة المباركة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، وفى ذكرى غالية على كل النفوس ، هى الذكرى الثالثة عشرة لتولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد .

إن هذا الصرح العلمى الشامخ فى بنائه الأكاديمى الجديد ، سيعطى ــ حتما ــ دفعة جديدة لإدارة الجامعة وهيئتها العلمية ، لتقديم مزيد من البذل والعطاء ، ومزيد من الاجتهاد والعمل الدؤوب ، فالجامعات اليوم لم تعد رسالتها مجرد توفير التعليم فحسب ، ولكنها أصبحت مركزاً مضيئاً لكل زاد ثقافى نحرص على غرسه فى ضمير الأمة وروحها الأصيلة ، ولهذا فإن الأمل معقود على الجامعة الجديدة فى تهيئة ظروف أفضل لنشر الثقافة الرفيعة بين الطلاب والطالبات ، بحيث يتشكل وجدانهم بألوان شتى من الفكر والعلم والأدب ، وبحيث يصبح هذا الصرح الكبير مركزاً متقدماً للحضارة ، يستشرف آفاق المستقبل ، ويعبر عن نبضات قلب الأمة فى حركتها نحو آفاق جديدة ، لبناء الوطن والارتقاء به ، والمحافظة على مكتسباته ورسالته النبيلة السامية .

« الدوحــة »

مأزق الاجتهاد المعاصر
بين نصوص الدين ومصالح الدنيا

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

أفضل عنوان لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنها رحمة للعالمين كما وصفها القرآن ، وما وصف صاحبها به نفسه بقوله « انما أنا رحمة مهداة » .

وخير ما يعبر عن سمات هذه الرسالة ما وصف الله به صاحبها المبعوث بها فى كتب أهل الكتاب أنه : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم » (سورة الأعراف : ١٥٧) .

وخير ما يوصف به كتابها : أنه « يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين » .. « وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » ، « تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

ومن هنا اشتملت هذه الشريعة على كل ما فيه خير الناس ، ومصلحتهم فى دنياهم وآخرتهم ، وعلى كل ما يدرأ الشر والفساد عنهم أفراداً وجماعات ، فى معاشهم ومعادهم .

واذا تعارضت المصالح والمفاسد كما هو الشأن فى جل أمور الحياة ، فإن الشريعة ترجح أعلى المصلحتين ، وترتكب أخف الضررين ، وتقدم درء المفسدة على جلب المصلحة ، ولا تبالى بمنفعة صغيرة وراءها مضرة كبيرة ، كما رأينا ذلك فى تحريم الخمر ، لما وراءها من ضرر كبير على العقول والأجسام والأعراض والأخلاق والأموال ، برغم ما فيها من منافع اقتصادية لبعض الناس . وهو ما أشار إليه القرآن بقوله : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » (سورة البقرة : ٢١٩) .

الذى لا ريب فيه أن ما نصت عليه الشريعة من أحكام ، أحل الله بها الحلال وحرم الحرام ، وفرض الفرائض ، وحد الحدود ، هو المصلحة التى لا ينازع فيها مسلم ، وان خفى عليه وجهها ، ولكنها ليست مصلحة فرد أو طبقة أو جنس ، ولا المصلحة المادية الدنيوية العاجلة فقط ، انها مصلحة نوع الانسان فى مادياته ومعنوياته ، فى أفراده وجماعاته ، فى دنياه وآخرته .

وقد شرع له ذلك من هو أعلم بمصلحته منه ، ومن هو أرحم به من والديه وأبر به من نفسه : الله جل شأنه . « والله يعلم المفسد من المصلح » (سورة البقرة : ٢٢٠) « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (سورة الملك : ١٤) « ان الله بالناس لرءوف رحيم » (سورة البقرة : ١٤٣)

ولهذا لا يتصور أن يكون فى الشريعة المقطوع بها حكم يضاد مصالح الخلق ، أو يكون مجلبة للاضرار بهم ، كيف وقد نصت على أن « لا ضرر ولا ضرار » وأصبح ذلك من قواعدها القطعية ، التى تبنى عليها الأحكام ، وتتفرع الفروع .

وفى هذا يقول الامام ابن القيم :

« الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم اتم دلالة وأصدقها » (١) .

حيث يوجد شرع الله فثم المصلحـــــة :

ومن هنا نقول مطمئنين اطمئناناً مبعثه اليقين بربانية هذه الشريعة أولا : واستقراء أحكامها الثابتة ثانياً : حيثما وجد شرع الله فثم المصلحة .

أما العبارة التى تتردد على كثير من الألسنة والأقلام اليوم ، والتى تقول : (حيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله) فلا تؤخذ على اطلاقها ، وإنما تقبل فيما لم يحكم فيه نص صحيح صريح .

وهذا هو مجال المصلحة التى عرفت لدى الأصوليين بـ (المصلحة المرسلة) وهى التى لم يرد نص شرعى خاص باعتبارها ولا بإلغائها .

وقد دل استقراء علل الأحكام المنصوص عليها والمستنبطة كما دل عمل الخلفاء الراشدين والصحابة رضى الله عنهم على صحة مذهب الذين احتجوا بهذه المصلحة واستندوا اليها .

يقول العلامة القرافى :

« ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة : ان الصحابة رضوان الله عليهم ــ عملوا أموراً لمطلق المصلحة ، لا لتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير .

وكذلك ترك الخـلافة شـورى ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة (النقود) للمسلمين ، واتخاذ السجن ، فعل ذلك عمر رضى الله عنه .

وهذه الأوقاف التى بازاء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها فى المسجد عند ضيقه ، فعله عثمان رضى الله عنه .

وتجديد الأذان فى الجمعة بالسوق ، وهو الأذان الأول فعله عثمان رضى الله عنه ، وذلك كثير جداً لمطلق المصلحة » (٢) .

وقد اشترط للعمل بهذه المصلحة شروطاً ، أولها وأهمها : ألا تعارض نصاً محكماً ، ولا قاعدة قطعية ، وإلا كانت مهدرة ملغاة .

ومن هنا تكون المصلحة المصادمة للنصوص القرآنية ، أو النبوية ، مصلحة ملغاة ومهدرة ، لأن النص هو الواجب الاتباع ، وهو المتعبد به ، كما قال تعالى : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ، (وان تطيعوه تهتدوا) (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

والواقع ان المصلحة المصادمة للنصوص ، لا تكون ــ عند التأمل العميق ، والتحليل الدقيق ــ مصلحة حقيقية ، بل هى مصلحة موهومة ، زينها لصاحبها القصور ، أو الغفلة أو الهوى ، أو التقليد للآخرين .

وقد ذكر الأصوليون مثالا للمصلحة التى ألغاها النص : ما أفتى به القاضى يحيى بن يحيى الليثى لأحد رجال الأندلس حين جامع أهله فى نهار رمضان ، وكان المعروف أن يقول له : كفارتك تحرير رقبة ، كما صح بذلك الحديث . ولكنه ألزمه بصيام شهرين متتابعين ولم يجز له العتق ، بناء على أنه يستطيع أن يجامع كل يوم ويعتق عنه رقبة ، فكان الصوم ردعاً له فى نظره ، لا يغنى عنه عتق ولا اطعام .

وهنا نقول : ان الفقيه نظر الى مصلحة الردع لهذا الرجل ، وغفل عن مصلحة أخرى أهم وأكبر ، وهى مصلحة الرقاب التى تحرر وتعتق ، وتخرج من الرق ــ الذى اعتبره الشرع بمثابة الموت ــ الى الحرية التى هى بمثابة الحياة ، ولهذا اعتبر القرآن والسنة (فك الرقبة) من أعظم القربات عند الله .

وهكذا كل المصالح المصادمة للنصوص لاتكون مصالح إلا فى وهم دعاتها « قل أأنتم أعلم أم الله ؟ » . « والله يعلم وأنتم لاتعلمون » .

الغلو فى اعتبار المصلحة ولو على حساب النص :

ومن ثم كان من مزالق الاجتهاد المعاصر : الغلو فى اعتبار المصلحة ، الى حد تقديمها على محكمات النصوص أحياناً ، وهذا ما جعل هؤلاء يحيون ذكر نجم الدين الطوفى الذى بالغ فى تقدير المصلحة حتى قدمها على النص والاجماع ، وخالف فى هذا كل من أخذ بالمصلحة من قبله ممن اعتبرها أصلا ودليلا ، من المالكية ومن وافقهم ، فهم لم يعتبروها إلا بشرط عدم معارضتها للنصوص والقواعد كما أشرنا ، ومن ثم سموها « المصلحة المرسلة » أى المرسلة عن اعتبار الشارع لها أو الغائه اياها .

وان الدارس الذى يتأمل فى المصالح التى اعتبرتها بعض الاجتهادات المعاصرة المتعجلة ، وتركت من أجلها النصوص ، يجدها عند التحقيق مصالح وهمية لا حقيقية .

مصلحة اباحة الربا :

ومن ذلك المصلحة التى أراد بعضهم يوما أن يحللوا بها الربا ، وهو من الموبقات السبع ، والذى اذن القرآن مرتكبه بحرب من الله ورسوله .

فقد زعموا أن الاقتصاد عصب الحياة ، والبنوك عصب الاقتصاد ، والفوائد الربوية عصب البنوك ، وهذا يوجب علينا أن نجتهد فى الفوائد بطريقة أو بأخرى . وهذا ما سقط فيه بعض الناس على اختلاف طرائقهم .

فمنهم من لجأ الى النصوص يقسرها قسراً على ما يريد من تفسير ، متعسفاً فى الفهم والتأويل بغير حجة ولا بينة ، كالذين استبدلوا بقوله تعالى : (لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة) بأن الربا القليل الذى لا يبلغ أن يكون أضعافاً مضاعفة لا يدخل دائرة التحريم .

وقد رد على هؤلاء شيخنا العلامة المرحوم/ محمد عبدالله دراز فى بحثه عن « الربا » الذى قدمه لمؤتمر باريس سنة ١٩٥١ .

ومنهم من قال : إن الربا الذى حرمه القرآن الكريم ، وتوعد عليه بأشد الوعيد إنما هو ربا الجاهلية ، وهو مخالف لربا هذا العصر .

والصواب هنا ما قاله العلامة الشيخ أبو زهرة رحمه الله : إن ربا القرآن هو كل زيادة فى الدين فى نظير الأجل . وهذا هو الربا الذى لايشك فيه ، كما قال الامام أحمد ، لأنه حرام بصريح نص القرآن « فإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتَظلمونَ ولا تُظلمونَ » ــ البقرة : ٢٧٩ .

ومنهم من فرق بين ربا الاستهلاك وربا الانتاج ، فالمحرم في نظرهم هو الفائدة التى تؤخذ على دين كان للاستهلاك فى الحاجات الشخصية كالمأكل والملبس ، وليس ما أخذ للاستغلال والانتاج ونحو ذلك .

والحق أن النصوص المحرمة عامة تشمل النوعين جميعاً ، ولم تفرق بينهما ، وربا الجاهلية الذى عرفه أهل مكة كان أكثره للاستغلال ، كربا العباس وغيره ، على أن يشتركا فى الربح والخسارة .

والحكمة أيضاً واضحة ، كما ذكر المرحوم الشيخ أبو زهرة ، وهى : ان تحريم الربا تنظيم اقتصادى لرأس المال المنتفع به ليعمل الناس جميعاً ، ومن لم يستطع العمل قدم المال لمن يعمل .

ومنهم من لجأ إلى «الضرورة» بدعوى أن الحياة المعاصرة لاتستغنى عن الفوائد . فقد غدت ضرورة اقتصادية . والضرورات تبيح المحظورات ..

وهذا ما اتجه إليه شيخنا شلتوت رحمه الله حيث ذكر فى « الفتاوى » : أن ضرورة الأفراد وضرورة الأمة كثيراً ما تدعو الى الاقتراض بالربح . وان الاثم مرفوع فى هذه الحالة عن المقترض .

ومن فضل الله ان هذه التبريرات المختلفة التى ظهرت فى وقت أصيب المسلمون فيه بالهزيمة النفسية أمام طغيان النظام الرأسمالى الغربى ، وسيطرته على معظم العالم ، لم تلبث أن ظهر عوارها ، وانكشف وهنها وتهافتها فى مواجهة النقد العلمى الموضوعى ، الذى قام به رجال مسلمون منصفون ، كثير منهم من رجال الاقتصاد الوضعى ذاته .

من هؤلاء أبو الأعلى المودودى فى كتابه عن « الربا » والدكتور محمد عبدالله العربى والشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز ، والدكتور محمود أبو السعود . والدكتور عيسى عبده ابراهيم . والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور أحمد النجار والدكتور محمد نجاة الله الصديقى ، وغيرهم .

وقد أظهرت الدراسات الاقتصادية المحض أن الربا لا يحمل فى طيه أية مصلحة للبشر مادية أو معنوية ، بل وراءه الفساد والشر على مختلف الأصعدة : اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .

وفوق ذلك كله أثبتت الدراسات الجادة أن فى الامكان إقامة بنوك بلا فوائد ثم شهد الواقع بجهود المخلصين قيام بنوك اسلامية وشركات استثمار اسلامية ، تعمل على تطهير حياة المسلمين من الربا .

ولا ريب أن البشر اذا تركوا لتقدير مصالحهم وحدهم ، دون اهتداء بوحى الله فلا غرو أن يضلوا الطريق ، ويضخموا بعض المصالح على حساب أخرى أعظم منها وأبقى . أو يقدروا بعض المصالح غافلين عما تعقبه من مفاسد تفوقها ، وتعفى على أثرها . بل كثيراً ما اعتبروا بعض المفاسد الكبيرة مصالح ، لأن فيها تحقيق شهوة عارضة لهم أو اشباع لذة عاجلة فى حياتهم .

وقد رأينا فى عصرنا من أباحوا الزنى ، وحمته قوانينهم وتقاليدهم ، ورأينا من أباحوا الشذوذ الجنسى ، وأجازوا للرجل أن يتزوج الرجل ، وللمرأة أن تتزوج المرأة وبارك ذلك بعض آباء الكنائس من الغربيين ! !

ورأينا من أباحوا الخمر والمسكرات ، وحموا صناعاتها وتجاراتها ، برغم ما يعلمون من أضرارها المادية والمعنوية على الفرد والأسرة والمجتمع .

نقل صلاة الجمعة الى يوم الأحد للمصلحة المزعومة :

ومن أعجب ما رأيته فى هذا المقام هو تقدير المصالح الدينية بمحض الرأى القاصر وان عارضت النصوص الصريحة المحكمة .

وأوضح مثال لذلك ماكتبه أحد المشتركين فى « ملتقى الفكر الاسلامى » السابع عشر بالجزائر ، حيث اقترح نقل صلاة الجمعة للمقيمين فى أمريكا الى يوم الأحد ! ليجتمع على الصلاة عدد أكبر .

وها أنذا أنقل كلامه بنصه :

(وقعت لى حادثة غريبة أرى من الواجب أن أرويها : ذلك بأنه قد زارنى فى بيروت منذ بضع سنين ، وفد من اخوانى مسلمى أمريكا الشمالية ، وهم من أصل عربى ، وذكروا أن أكثريةالمدينة التى يسكنونها أصبحت اسلامية ولذلك لم يعد من معنى لبقاء الكنيسة الموجودة فيها فطرحها أهلها بالمزاد العلنى لبيعها ، فاشتراها رجل من المسلمين وزوجته ، وجعلو الكنيسة مسجداً جامعاً . وهم غير محتاجين الى أحد ، وانما هم محتاجون للرأى الشرعى . قالوا : لقد جهزنا المسجد الجامع بكل حاجاته ، وعينا اماماً وخطيباً للجمعة والعيدين غير أن صلاة الجمعة لايكاد يحضرها أحد ، لانشغال الناس بأعمالهم ، ولو جعلناها يوم الأحد لغص الجامع ، على رحبه ، بالمصلين .

أليس هذا الوضع الغريب جديراً بأن يرجع فيه إلى رأى الامام نجم الدين الطوفى ، الذى عالج موضوعاً هاماً هو « رعاية المصلحة » ؟

وان لم نعتمد رأى الطوفى ، أليس مهما أن نجتهد فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ؟) اهـ .

ويبدو أن الكاتب لا يعرف أن الطوفى – على ما فى رأيه من شطط جعله موضع استنكار كل العلماء – قد استثنى العبادات والمقدرات ، فلم يجعل لاعتبار المصلحة سبيلا إليهما وجعل المعتمد فيهما على النص .

أما صاحبنا فلم يستثن شيئاً ، وقد ناقشناه فى (الملتقى) وقلنا له : ماذا تسمي هذه الصلاة المقترحة صلاة الجمعة أم صلاة الأحد ؟ وماذا تصنع بالسورة التى سماها القرآن (سورة الجمعة) أتغير اسمها ، وتجعله (سورة الأحد) ؟ وماذا تصنع مع الآية الكريمة فى تلك السورة : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » اتضع بدل (يوم الجمعة) فى الآية (يوم الأحد) أم تعتبر هذه الآية منسوخة أم ماذا ترى ؟ ! !

الواقع أن الاجتهاد لو ترك بهذه الصورة ، سيمضى بلا خطام ولا زمام وسيخبط منتحلوه خبط العشواء ، تارة الى اليمين ، وتارة الى اليسار .

وكثيراً ما ينتهون – وهم ينتحلون دعوى المصلحة – الى آراء ليس فيها أية مصلحة دينية ولا دنيوية وليس فيها الا الضرر والضرار ..

إلغاء الرخص المشروعة لعدم الحاجة إليها فيما زعموا :

وأنقل هنا أيضاً ما ذكره الكاتب السابق حول بعض الرخص الشرعية التى خفف الله بها عن المسافر ، مثل قصر الصلاة الرباعية ، ومثل الجمع بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء . يقول فى البحث ذاته ، وفى الموضع نفسه :

(كذلك نرى أن السفر فى هذه الأيام ، هو غير السفر قبل أربعة عشر قرناً ، وربما قيل إن الأسباب التى أدت الى وضع أحكام لصلاة المسافر لم يعد لها من وجود . فإذا طبقنا الأحكام الأصولية التى وضعها الأئمة السابقون ، ومنها : « ان الأحكام الشرعية تدور مع أسبابها وجوداً وعدماً » وجدنا أن القصر والجمع فى الصلاة ، لم يعد لهما من سبب عند المسافر .

هذه وغيرها ، أمور تحتاج الى الاجتهاد على نحو يدعو الى الالتزام الذاتى) .

والعجيب أن الكاتب استشهد هنا بما ينقض دعواه ، ويهدم فكرته ، فقد ذكر أن الأحكام الأصولية التى وضعها الأئمة السابقون أداروها على السبب أو العلة فهى تدور مع أسبابها وجوداً وعدماً .

وهذا صحيح ، فالحكم يدور على السبب أو العلة وليس على الحكمة . والعلة وصف ظاهر منضبط ، يمكن تحديده وتعريفه لكل مكلف . أما الحكمة فهى لا تنضبط .

واذا نظرنا الى أمر كالسفر ، وجدنا الحكمة فى شرعية الرخص فيه هى المشقة وهذه لو رتبت عليها الأحكام لوجدنا فى الناس من يحتمل أعظم

• لماذا نرى من يقول أن الربا الذى حرمه القرآن الكريم هو ربا الجاهلية ، وهو مخالف لربا هذا العصر ؟!

• لايجوز مطلقا المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث ، حتى ولو كانت الحجة ، مايقتضيه تطور المجتمع

المشقات ويجهد نفسه غاية الجهد ، ولا يستعمل الرخصة ، على حين نجد آخرين لأدنى جهد يدعى أنه وجد المشقة .

لهذا نظر الأئمة الى النصوص الواردة فوجدوها تدير الأحكام على العلل والأسباب الظاهرة .

فالسبب أو العلة فى رخص السفر هوالسفر ذاته ، وليس ما يترتب عليه من مشقة هى الحكمة الباعثة على شرع الرخصة .

ونظير هذا فى عصرنا وضع نهاية صغرى للنجاح فى امتحان الطلاب ، فهى علة أو سبب للنجاح ، والحكمة هى استيعاب الحد الأدنى من المقرر الدراسى فهماً وهضماً ، ولكنا لا نستطيع الوصول الى هذه الحكمة ، لأنها لا تنضبط ، فقام مقامها السبب أو العلة وهو الدرجات . ولهذا يرسب من لم يحصلها وان كان فى الواقع فاهماً مستوعباً .

ومثل ذلك اشارة المرور حين تعطى الضوء الأحمر ، فهذه علة أو سبب لتوقف السيارات عن السير فى اتجاه الاشارة ، والحكمة هى منع التصادم . ولكن لا يعمل بهذه الحكمة ، بحيث يجوز السير — والاشارة حمراء — اذا لم تكن هناك سيارات ، بل يجب عليه التوقف ، حتى تعطيه الاشارة الضوء الأخضر ، فهذا اتباع للسبب والعلة لا الحكمة .

وبهذا نجد توافق الأحكام الشرعية مع الأحكام الوضعية فى رعاية العلل الظاهرة المنضبطة ، حتى لا تضطرب الأحكام .

التسوية بين البنت والابن فى الميراث للمصلحة :

واصرح من كل ما ذكرناه فى معارضة النصوص القطعية فى ثبوتها ، القطعية فى دلالتها ، بدعوى المصلحة ! ما طرحه البعض ، داعياً الى اجتهاد يجيز مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، مناقضاً صريح قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » وما أجمع عليه المسلمون من عهد النبوة الى اليوم ، وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة .

فقد أشير يوماً الى موضوع المساواة بين الرجل والمراة على أنها مساواة متوفرة فى المدرسة والعمل والنشاط الفلاحى ، وحتى فى الشرطة ولكنها لم تتوفر فى الارث ، حيث بقى للذكر مثل حظ الأنثيين ، وأن هذا المبدأ يجد ما يبرره عندما يكون الرجل قواماً على المرأة ، وقد كانت المرأة بالفعل فى مستوى اجتماعى لا يسمح باقرار المساواة بينها وبين الرجل . ولكنها اليوم تقتحم ميدان العمل ، وقد تضطلع بشئون أشقائها الأصغر منها سناً . فهلا يكون من المنطق أن نتوخى طريق الاجتهاد فى تحليلنا لهذه المسألة ، وأن ننظر فى إمكان تطوير الأحكام الشرعية بحسب ما يقتضيه تطور المجتمع ؟

كلام مرفوض من ألفه إلى يائه :

وهذا الكلام — ان سميناه اجتهاداً تجوزا — باطل مرفوض من ألفه الى يائه . لاعتبارات ثلاثة :

(١) : مرفوض ، لأنه صادر من غير أهله .

(٢) : ومرفوض : لأنه اجتهاد فى غير محله .

(٣) : ومرفوض ، لأنه مبنى على أسس من الاستدلال باطلة ، وما بنى على الباطل فهو باطل .

أما الاعتبار الأول ، فلأن الاجتهاد المشروع ، وهو استفراغ الوسع من الفقيه فى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية .

لابد إذن للمجتهد أن يكون فقيها ، أو على الأقل متهيئاً للفقه ممارساً له لأن لكل علم أهله ، ولكل فن رجاله ، وخبراءه

ولابد أن يتوافر له الحد الأدنى من الشروط الواجبة للمجتهد ، وهى العلم بالكتاب والسنة ومواضع الاجماع ، واللغة العربية ، ومقاصد الشريعة وأصول الفقه ، وغيرها ، حتى يكون اجتهاده على بينة ، فلا يجتهد رأيه فى أمر حكم فيه النص الصريح ، أو الاجماع اليقينى .. الى جانب الورع والتقوى حتى يخشى الله فى كل ما يقوله ، وحتى يكون أهلا لأن يوفق الى الصواب وحتى يقبل قوله عند الناس .

وأما الاعتبار الثانى ، فلأن محل الاجتهاد هو المسائل الظنية الدليل أو المسائل المسكوت عنها بالكلية ، أما المسائل التى عرف حكمها بنصوص قطعية الثبوت ، قطعية الدلالة ، فلا مجال للاجتهاد فيها . وانما تؤخذ بالتسليم والانقياد لحكم الله ورسوله ، بمقتضى عقد الايمان . « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (سورة الأحزاب : ٣٦) .

وميراث البنت من تركة أبيها على النصف من ميراث أخيها ، أمر حكم به القرآن حكماً بيناً قاطعاً ، « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (سورة النساء : ١١) .

وما كان الله تعالى ليحابى الرجال على حساب النساء ، فهو رب الجميع ولكنه فاوت بينهما ، لتفاوت أعبائهما المالية ، فالبنت نفقتها على وليها قبل الزواج ، وعلى زوجها بعد الزواج ، مهما تكن موسرة ، وهى حين تتزوج تأخذ صداقاً ، والرجل حين يتزوج يعطى صداقاً ، فمالها فى ازدياد ، ومال أخيها فى نقصان . فالمساواة بينهما فى الميراث تكون حيفا على الذكور ، فما شرعه الله هو العدل الذى لا ريب فيه .

وأما الاعتبار الثالث ، فإنه قد استدل لما يريده من الغاء الحكم القرآنى فى الميراث بالغاء حكم قرآنى آخر فى العلاقات الزوجية ، فهو يفترض أن التفاوت فى نصيب كل من الرجل والمرأة فى الميراث كان نتيجة لقوامية الرجال على النساء ، وهذه قد زالت فيجب أن يزول ما ترتب عليها .

ولو سلمنا أن تفاوت الميراث أثر من آثار قوامة الرجل على المرأة ، فلا نسلم أبداً أن هذا الحكم موقوت ، وانه زال أو يمكن أن يزول ، لأنه حكم قطعى فى شريعة الاسلام ، نطق به القرآن والسنة ، وحسبنا قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » (سورة النساء : ٣٤) وقوله « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »

وهى درجة القوامة والمسئولية عن الأسرة وقال صلى الله عليه وسلم : « الرجل راع فى أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته » متفق عليه .

وهذا الحكم ليس تعسفاً ولا اعتباطاً ، وانما هو العدل الذى اقتضته فطرة الله التى فطر الرجال والنساء عليها ، فالمرأة بفطرتها تحب أن تكون فى حماية رجل ، يرعاها ويصونها وينفق عليها .

وهذا الحكم باق ما بقى القرآن والاسلام ، وبرغم تعلم المرأة المعاصرة وعملها ، فإنها لا تزال تتزوج فتقبض مهراً ، ولازال الزوج هو المطالب بالانفاق عليها ، ولو امتنع لألزمه القضاء الشرعى بالانفاق حتماً .

أما اطلاق القول بتطوير الأحكام الشرعية بتطور المجتمع ، وتطور مفهوم العدل ونمط الحياة ، فلا يقول بهذا الاطلاق مسلم ، لأن المهم هو تطبيق الأحكام الشرعية ، لا تغييرها وتطويرها !

والأحكام الشرعية ــ كما ذكر العلامة ابن القيم ــ نوعان :

نوع ثابت دائم لا يقبل التغيير ولا التطوير ولا يدخل دائرة الاجتهاد وهو ما ثبت بدليل قطعى لا شبهة فيه ، كمعظم أحكام المواريث التى نص عليها القرآن .

ونوع آخر يقبل الاجتهاد والتجديد ، وهو ما روعى فى شرعيته الزمان والمكان والعرف والحال كبعض أنواع العقوبات التعزيرية ، وبعض الأحكام المبنية على العرف والعادة وأحوال الناس فى ذلك العصر ، فاذا تغيرت تغير الحكم المؤسس عليها ، لأن المعلول يدور مع علته وجوداً وعدماً .

ومن الخطأ والخطر أن نخلط أحد النوعين بالآخر ، فنطور مالا يقبل التطوير ، كالأحكام القطعية فى ثبوتها ودلالتها ، أو نجمد ما من شأنه أن يتطور ويتجدد .

ولو كانت كل أحكام الشرع قابلة للتطوير كما يريد عبيد التطور ، لأصبح الشرع عجينة لينة يشكلها من يشاء كما يشاء ، ولم يعد الشرع هو الحاكم الذى يرجع الناس إليه ، ويقولون عند الاختلاف على حكمه ، بل يصبح هو تابعاً لأهواء الناس وتصوراتهم ، يستقيم إذا استقامت ، ويعوج إذا أعوجت وبهذا يصبح الدين تابعاً لا متبوعاً ، ومحكوماً لا حاكماً ، « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » (سورة المؤمنون : ٧١) .

وقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم محذراً من اتباع أهواء الناس ولو فى بعض جزئيات الأحكام ، آمراً له بالحكم بما انزل الله إليه ، غير مبال بجهالات الجاهلين ، وانحرافات الفاسقين ، فقال سبحانه : « وان احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ! » (سورة المائدة : ٤٩ ، ٥٠) .

تحـريم الزواج بأكثر من واحدة :

وإذا كان فى الاجتهادات المعاصرة ــ التى اجترأت على النصوص ــ ما حاول أن يحل الحرام ، ويبدل الشعائر ، فإن منها ما حاول أن يحرم الحلال المشروع ، الذى استقر عليه الاجماع الفقهى والعملى جميعاً .

وأقرب مثال يذكر فى هذا المقام : ما دعا إليه بعضهم من منع الزواج بأكثر من واحدة ، لما يترتب على التعدد ــ فى زعمه ــ من مفاسد أسرية ومضار اجتماعية ، وأخذ بذلك بعض البلاد الاسلامية المقلدة للغرب .

واحتج هؤلاء بأن من حق ولى الأمر أن يمنع بعض المباحات جلباً لمصلحة أو درءاً لمفسدة .

بل إن بعضهم حاول فى جرأة وقحة أن يحتج بالقرآن على دعواه هذه ، فقالوا : ان القرآن اشترط لمن يتزوج بأكثر من واحدة أن يثق من نفسه بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات ، فمن خاف الا يعدل وجب أن يقتصر على واحدة . وذلك قوله تعالى : ــ « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة » (سورة النساء : ٣) .

هذا هو شرط القرآن للتعدد : العدل . ولكن القرآن ــ فى زعمهم ــ جاء فى نفس السورة بآية بينت ان العدل المشروط غير ممكن وغير مستطاع . وهى قوله سبحانه : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » (النساء : ١٢٩) .

وبهذا نفت هذه الآية اللاحقة ما اثبتته الآية السابقة :

والحق ان هذه الاستدلالات كلها باطلة ولا تقف امام النقد العلمى السليم ، وسنعرض لها واحداً واحداً .

١ ــ اما القول بأن التعدد قد جر وراءه مفاسد ومضار أسرية واجتماعية فهو قول يتضمن مغالطة مكشوفة .

ونقول ابتداء لهؤلاء المغالطين :

ان شريعة الاسلام لا يمكن أن تحل للناس شيئاً يضرهم ، كما لا تحرم عليهم شيئاً ينفعهم . بل الثابت بالنص والاستقراء انها لا تحل الا الطيب النافع ، ولا تحرم الا الخبيث الضار . وهذا ما عبر عنه القرآن بأبلغ العبارات وأجمعها فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم كما بشرت به كتب أهل الكتاب ، فهو « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » (الأعراف : ١٥٧) .

فكل ما أباحته الشريعة فلابد أن تكون منفعته خالصة أو راجحة وكل ما حرمته الشريعة فلابد أن تكون مضرته خالصة أو راجحة ، وهذا واضح فيما ذكره القرآن عن الخمر والميسر : « قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » (البقرة : ٢١٩) .

وهذا هو ما راعته الشريعة فى تعدد الزوجات . فقد وازنت بين المصالح والمفاسد ، والمنافع والمضار ، ثم أذنت لمن يحتاج اليه ، ويقدر عليه ، بشرط أن يكون واثقاً من نفسه برعاية العدل ، غير خائف عليها من الجور والميل « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (سورة النساء : ٣) .

فاذا كان من مصلحة الزوجة الأولى أن تبقى وحدها متربعة على عرش الزوجية لا ينازعها أحد ، ورأت أنها ستتضرر بمزاحمة زوجة أخرى لها ، فإن من مصلحة الزوج أن يتزوج بأخرى تحصنه من الحرام ، أو تنجب له ذرية يتطلع إليها ، أو غير ذلك . وأن من مصلحة الزوجة الثانية كذلك أن يكون لها نصف زوج تحيا فى ظله ، وتعيش فى كنفه وكفالته ، بدل أن تعيش عانساً أو أرملة أو مطلقة محرومة طوال الحياة .

وان من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله ، ويستر على بناته ، بزواج حلال يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة مسئوليته فيه ، عن نفسه وصاحبه وما قد يرزقهما الله من ذرية ، بدل ذلك التعدد الذى عرفه الغرب الذى انكر على المسلمين تعدد الحليلات ، واباح هو تعدد الخليلات ، وهو تعدد غير اخلاقى وغير انسانى ، يستمتع فيه كلاهما بصاحبه دون أن يتحمل أية تبعة ، ولو جاء من هذه الصلة الخبيثة ولد ، فهو نبات شيطانى لا أب له يضمه إليه ، ولا أسرة تحنو عليه ، ولا نسب يعتز به .

فأى المضار أولى أن تجتنب ؟

على أن الزوجة الأولى قد حفظت لها الشريعة حقها فى المساواة بينها وبين الأخرى ، فى النفقة والسكنى والكسوة والمبيت . وهذا هو العدل الذى الذى شرط للتعدد .

واما ما ادعاه هؤلاء من أن من حق ولى الأمر منع المباحات فنقول لهم :

● شريعة الاسلام لايمكن أن تحل للناس شيئا يضرهم، كما لاتحرم عليهم شيئا ينفعهم

● الأحكام الشرعية ـ كما ذكر العلامة ابن القيم ـ نوعان : نوع ثابت لايقبل التغيير ، ونوع آخر يقبل الاجتهاد والتجديد

● حكاية عن اجتهاد أعوج ، سمعتها من شيخنا الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله ..

ان الذى اعطاه الشرع لولى الأمر هو حق تقييد بعض المباحات لمصلحة راجحة فى بعض الأوقات ، أو بعض الأحوال ، أو لبعض الناس ، لا أن يمنعها منعاً عاماً مطلقاً مؤيداً . لأن المنع المطلق المؤيد أشبه بالتحريم الذى هو من حق الله تعالى ، وهو الذى انكره القرآن على أهل الكتاب . الذين « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .(التوبة : ٣١) .

وقد جاء الحديث مفسراً للآية . انهم احلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم .

ان تقييد المباح كمثل منع ذبح اللحم فى بعض الأيام تقليلا للاستهلاك منه ، كما حدث فى عصر عمر رضى الله عنه ، ومثل منع زراعة محصول معين بأكثر من مقدار محدد كالقطن فى مصر ، حتى لا يجوز التوسع فى زراعته على الحبوب والمحاصيل الغذائية التى يقوم عليها الناس .

ومثل منع كبار ضباط الجيش أو رجال السلك الدبلوماسى من الزواج بأجنبيات ، خشية تسرب أسرار الدولة ، عن طريق النساء الى جهات معادية .

ومثل ذلك منع زواج الكتابيات إذا خيف أن يحيف ذلك على البنات المسلمات ، وذلك فى مجتمعات الاقليات الاسلامية الصغيرة والجاليات الاسلامية المحدودة العدد .

اما أن نجىء الى شىء احله الله تعالى واذن فيه بصريح كتابه وسنة نبيه ، واستقر عليه عمل الأمة مثل الطلاق أو تعدد الزوجات ، فنمنعه منعاً عاماً مطلقاً مؤيداً ، فهذا شىء غير مجرد تقييد المباح الذى ضربنا أمثلته .

واما الاستدلال بالقرآن الكريم فهو استدلال مرفوض ، وتحريف للكلم عن موضعه . وهو يحمل فى طيه اتهاماً للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضى الله عنهم بأنهم لم يفهموا القرآن ، أو فهموه وخالفوه متعمدين .

والآية التى استدلوا بها هى نفسها ترد عليهم ، لو تدبروها . فالله تعالى أذن فى تعدد الزوجات بشرط الثقة بالعدل ، ثم بين العدل المطلوب فى نفس السورة حين قال : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » (النساء : ١٢٩) .

فهذه الآية تبين أن العدل المطلق الكامل بين النساء غير مستطاع بمقتضى طبيعة البشر ، لأن العدل الكامل يقتضى المساواة بينهن فى كل شىء حتى فى ميل القلب ، وشهوة الجنس ، وهذا ليس فى يد الانسان ، فهو يحب واحدة أكثر من أخرى ، ويميل الى هذه أكثر من تلك ، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

ومن ثم كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد أن يقسم بين نسائه فى الأمور الظاهرة من النفقة والكسوة والمبيت : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك » « يعنى أمر القلب » .

فأمر القلب هذا هو الذى لا يستطاع العدل فيه ، وهو فى موقع العفو من الله تعالى ، فإن الله جل شأنه لا يؤاخذ الانسان فيما لا قدرة له عليه ، ولا طاقة له به .

ولهذا قالت الآية الكريمة ، بعد قوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » (النساء : ١٢٩) ومفهوم الآية أن بعض الميل مغتفر ، وهو الميل العاطفى .

والعجيب العاجب أن تأخذ بعض البلاد العربية الإسلامية بتحريم تعدد الزوجات فى حين أن تشريعاتها لا تحرم الزنى ، الذى قال الله فيه « إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (الإسراء : ٣٢) إلا فى حالات معينة مثل الاكراه ، أو الخيانة الزوجية إذا لم يتنازل الزوج .

وقد سمعت من شيخنا الامام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله : أن رجلا مسلماً فى بلد عربى أفريقى يمنع التعدد ، تزوج سراً بامرأة ثانية على زوجته الأولى وعقد عليها عقداً عرفياً مستوفى الشروط ، ولكنه غير موثق ، لأن قانون البلد الوضعى يرفض توثيقه ولا يعترف به ، بل يعتبره جريمة .. وكان الرجل يتردد على المرأة من حين لآخر .. فراقبته شرطة المباحث ، وعرفت أنها زوجته ، وأنه بذلك ارتكب مخالفة القانون .

وفى ليلة ما ، ترصدت له وقبضت عليه عند المرأة ، وساقته الى التحقيق بتهمة الزواج بامرأة ثانية !

وكان الرجل ذكياً ، فقال للذين يحققون معه : من قال لكم انها زوجتى ؟ انها ليست زوجة ، ولكنها عشيقة ، اتخذتها خدنا لى ، واتردد عليها ما بين فترة وأخرى !

وهنا دهش المحققون وقالوا للرجل بكل أدب : نأسف غاية الأسف لسوء الفهم الذى حدث . كنا نحسبها زوجة ، ولم نكن نعلم أنها رفيقة !

وخلوا سبيل الرجل ،لأن مرافقة امرأة فى الحرام ، واتخاذها خدنا يزانيها يدخل فى إطار الحرية الشخصية التى يحميها القانون !

فانظروا الى هذا الاجتهاد الأعوج الذى يحرم ما أحل الله على حين يقف مكتوف اليدين أمام قانون فى بلده يحل ما حرم الله .

ان إحياء الاجتهاد فريضة وضرورة ، ولكن تركه بهذه الصورة يؤدى الى البلبلة والفوضى . فلابد من معالم وضوابط تحدد له المسار ، وتجنبه العثار .

يوسف القرضاوى

هوامـــش

١ ـ أعلام الموقعين جـ ٣ ص ١
٢ ـ شرح تنقيح الفصول للقرافى ص ١٩٩ ـ المطبعة الخيرية بمصر ـ ١٣٠٦ هـ

نظــــرة جديــــدة في صـــلة الشـــعر بالنـــثر

قبـــل الحديث عن إفـــلاس الشـــعر

مطلوب تأسيس نثر عربي جديد!

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

بعد أن انتهت حركة الشعر الجديد الى طريق مسدود الآن ، بعد بداياتها الرائعة فى الخمسينات على يد نازك الملائكة ، وصلاح عبد الصبور وخليل حاوى ، وعبد الوهاب البياتى ، وبدر شاكر السياب ، وغيرهم من ذلك الجيل الرائد ..

بعد أن انتهت حركة الشعر الجديد الى ما انتهت إليه ، ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يجادل فى أن ما يكتب اليوم من معميات نثرية ، خالية من الروح والذوق والموسيقى ، يمكن أن يسمى شعراً بأى مقياس ، ولا حتى شعراً منثوراً ، أو نثراً شعرياً ، أو أى شيء له علاقة بالشعر من قريب أو بعيد ..

ودعونا من مقولات (الغموض انعكاس للواقع) و(القصيدة النثرية لغة جديدة) ، وما الى ذلك من خزعبلات مدعي الريادة الشعرية الذين انطلت ألاعيبهم الكلامية على جيل لم يعرف من الأدب والفكر غير تخرصات أولئك الأدعياء .. ولم يكلف نفسه بالاطلاع على أى شيء آخر.

أقول ، بعد أن انتهت حركة الشعر العربى الجديد الى هذه النهاية ، دون أن تلوح بوادر أية حركة تصحيحية تعيد لهذا التيار اندفاعته الأولى وزخمه المبدئى .. أصبح يخامرنى شعور قوى بأن مشكلة الثقافة العربية المعاصرة فى أنها سارعت الى تأسيس شعرها الجديد فى الأربعينات والخمسينات ، دون أن تؤسس أولا نثرها الجديد ، بخلاف وبعكس القانون السائد فى الثقافات العالمية الحديثة التى اتجهت الى تأسيس نثرها الجديد العصرى المتأقلم مع روح الحداثة أولا ، ثم انطلقت منه الى تأسيس شعرها الجديد ، بعدئذ ..

وقد يجد المتأمل فى تاريخ العلاقة الشائعة بين الشعر والنثر ، ان الشعر فى تاريخ الأمة ، بحكم ارتباطه بالعاطفة والشعور والكوامن الأولية فى النفس ، ينشأ قبل النثر فى حياة الأمة .. ثم يبدأ النثر فى التكون والتطور مع نمو الأمة العقلى والحضارى ..

وهذه الفرضية ، تبدو منطقية فى الظاهر ، لكنها لا تصمد أمام الاسترجاع الواقعى لحياة البشر فى الماضى ، أو فى الحاضر ، فنحن لو تأملنا فى حياة



نازك الملائكة



عبد الوهاب البياتى



بدر شاكر السياب

الناس نجد أن تعاملهم الحياتى الواقعى يتم بواسطة النثر أولا من خلال الحوار العادى ، والدروس التى يعطيها الكبار للصغار فى المنزل والمدرسة ، والتعليمات والأوامر التى يصدرها الرؤساء للمرؤوسين ، والخطب والوصايا والعقود ورواية الأحداث التى يتعاطها الناس فى مختلف مواقفهم من عملية وترفيهية ..

فاذا تبلور النثر فى حياة الأمة ، وتأسست لغته ، وتحددت أنساقه وأنماطه ، عمدت الأرواح الشاعرة فى تلك الأمة الى تصفيته وتصعيده ، وموسقته وتشذيبه ، حتى يتولد من المادة النثرية الخام شعر مصفى عذب يتسامى فوق مستوى النثر ويبدو شيئاً مغايراً ، بل مناقضاً له ..

وهكذا دائماً تتولد الأضداد من الأضداد والنقائض من النقائض ، ضمن العملية الجدلية الكونية الشاملة كما يتولد النهار من الليل ، والحى من الميت حسبما ترشدنا وتنبهنا إليه الآية القرآنية العظيمة .

• الشعر لا يسبق النثر :

هكذا — أيضاً — يتولد الشعر من النثر ..

واذا كان التاريخ قد حفظ لنا من شعر العرب فى جاهليتهم ما لم يحفظه لنا من نثرهم السابق لذلك الشعر ..

واذا كان التاريخ قد حفظ لنا أيضاً من شعر اليونان وملاحمهم ما لم يحفظه لنا من نثر سابق لذلك الشعر وتلك الملاحم ، فذلك لأن الشعر أبقى فى ذاكرة الأجيال وأثبت على ألسنة الرواة فى تلك العصور الغابرة التى لم تعرف شيئاً يذكر من وسائل التسجيل والتوثيق والحفظ . ولو ان العلم الحديث استطاع التوصل الى اختراع (استرجاع الأصوات)

من الماضى السحيق ، كما توصل الى معرفة الطبقات الزمنية المتراكمة فوق أى مادة ملموسة من ورق أو جلود أو عظام ، بواسطة نوعية الاشعاع ، فانى على ثقة من أننا سنتمكن من سماع نثر قديم ، موغل فى القدم وسابق على أى شعر ، لسبب بسيط جداً وهو أن الناس فى مجتمعاتهم الأولى لا يمكن أن يكونوا قد بدأوا بالتفاهم فيما بينهم بالشعر والأوزان والقريض والقوافى — مع ما يتطلبه كل ذلك من فن وصنعة — قبل أن يؤسسوا ويبلوروا نثرهم ، أى لغتهم المتداولة التى لابد أن تتحدد ، أولا ، قبل أن تتحول ، بعد تصفيتها وموسقتها ، الى شعر .. فالشعر لا يمكن أن يولد من فراغ ، ولابد له من لغة يتصفى منها وتكون له بمثابة مادته الخام .. كما لابد له من نثر سابق عليه يخرج كنقيض جدلى له .. ليمثل تسامياً ، فى الشعور والنغم ، فوق كثافة ذلك النثر وواقعيته وتعقله ..

هذا بالنسبة لمطلق العلاقة بين الشعر والنثر فى حياة الأمم ، قديماً وحديثاً ..

ولكن هنالك سبب آخر ، مهم جداً ، يجعل من النثر ضرورة سابقة للشعر فى عصرنا الحديث بالذات .. حتى لو لم يثبت ما ذهبنا إليه من أولوية النثر الزمنية وأسبقيته على الشعر فى طفولة الأمم فى الأعصر القديمة ، وما أخاله فى الأرجح إلا ثابتاً ..

فلقد رأى الفيلسوف الألمانى (هيجل) ان العصر الحديث هو عصر عقلانى لغته النثر بالدرجة الأولى ، وأن أية أمة تستوعب نهضة العقل الحديث لابد أن تؤسس لها نثراً جديداً يتناسب مع العقلانية الجديدة ويثبت أنه قادر على التعبير عن أنساقها ومنطقها وعلاقاتها وتراكيبها الخاصة بها .

ويمكننا أن نضيف الى نظرية هيجل ، بهذا الصدد ، انه بعد أن يتبلور هذا النثر العصرى العقلانى الجديد ، ينشأ كنقيض وكوجه جدلى له ، شعر جديد ، يكون فى الوقت ذاته ، كأى مولود جدلى ، امتداداً وتطوراً له ، ويكون ثورة عليه ، ونقضاً له ، وتسامياً فوقه .

الشعر الجديد العظيم ، إذن ، يحتاج الى نثر جديد عظيم يتولد منه .. ويثور عليه !

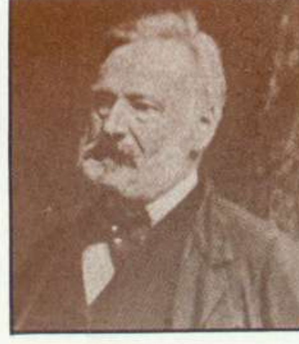
وليس صحيحاً ، أو دقيقاً فى رأيى ، ما يردده أغلب مؤرخى الأدب ونقاده من أن الشعر الرومانسى هو ثورة على الشعر الكلاسيكى ..

مطلوب تأسيس نثر عربي جديد!

• الإجهاض الحضارى والعقلى والقومى الذى اصاب الأمة العربية بوجهيها النثرى والشعرى

• فى العصر الحديث كانت شاعرية أحمد شوقى وجها جدليا لأسلوب الشيخ محمد عبده فى النثر


هيجل : رأى أن لغة العصر الحديث هى النثر بالدرجة الأولى


فيكتور هوجو : كان صوته الجدلى ضد صوته الإبداعى


الجاحظ : ظهر النثر الجديد على يديه فى العصر العباسى


أبو العلاء المعرى : كان من أعلام النثر العباسى المتأنق المتفلسف

فالشعر الكلاسيكى كان موجوداً منذ أيام اليونان الى أيام لويس الرابع عشر الى مطلع الثورة الفرنسية ..

واذا كان الشعر الرومانسى الجديد قد جاء مجرد ثورة ضد كلاسيكية الشعر ، فلماذا لم يظهر قبل ذلك ، أو فى أى وقت آخر ، غير الوقت الذى ظهر فيه ، فى فرنسا وأوربا عامة ؟

• هل الرومانسية نقيض الكلاسيكية ؟

الشعر الرومانسى الأوربى الجديد ، فيما أرى ، كان فى حقيقة الأمر ثورة ونقضاً وتمخضاً جدلياً ضد نثر عصر التنوير الذى امتلأ بالكتابات النثرية الجديدة لفولتير وروسو ومونتسكييه وغيرهم من رواد النثر النهضوى العقلانى الجديد .. بمنطقه الصلب وروحه العلمية الواقعية .

هذا المولود النثرى أحدث هزة جديدة فى جسم الثقافة الأوربية الحديثة ، فولد وجهه الآخر ، وصوته الآخر ، ولد الشعر الرومانسي .. ولماذا (الرومانسى) بالذات ؟ .. لأن عقلانية النثر الجديد استدعت واستفزت ثورة شعورية عاطفية أى رومانسية ضدها .. فكان التيار الرومانسى الجديد فى شعر فرنسا وأوربا ..

وجاء فيكتور هيجو نقيضاً لفولتير (ولم يكن نقيضاً لراسين) .

جاء وجهه الآخر .. صوته الجدلى .. ضده الابداعى .. وهذا هو قانون الثقافات الحية دائماً .. تولد أصواتها النقيضة من داخلها .. تحاور ذاتها بذاتها ، بنقائض ابداعية ، بين عقلانية ورومانسية ، بين علم وايمان ، بين أصولية وتحديث ..

والشعر السريالى بعد الحرب العالمية الأولى .. لم يكن مجرد ثورة آلية ضد المدرسة الشعرية الواقعية وكفى ..

الشعر السريالي كان أيضاً ، فى حقيقة الأمر ، ثورة ونقضاً لنثرية القرن التاسع عشر .. نثريته العلمية النقدية الجارحة بماديتها ومختبريتها ودقتها المتناهية فى التقسيم والتبويب والتصنيف .

كان رامبو ، رائد السريالية أو الفوق ــ واقعية ، ذلك الصبى الشاعر الذى ثار ضد جدية وتجهم كل من دارون وماركس وفرويد فى نثرهم العلمى والفلسفى والتاريخى .. وكان من الطبيعى أن يولد ذلك النثر العلمى الصارم شعراً سريالياً لا عقلانياً كنقيض جدلى وسيكولوجى فى عملية التولد الذاتى والتحاور الداخلى فى كيان الثقافة الأوربية (وان كان لا يبدو منطقياً على الاطلاق أن يكون لدينا فى الثقافة العربية اليوم شعر سريالى مبتذل كثير ، ونحن لم يتبلور لدينا نثر علمى منهجى .. بعد ! !) .

• تطبيق هذه الرؤية على شعرنا :

وفى تاريخ الشعر العربى ، لا أرى ازدهار الشعر العباسي إلا الوجه الجدلى الآخر لتبلور النثر العباسى الجديد ..

الشعر العباسى ليس مجرد امتداد للشعر الأموى . لأن الشعر الأموى بمستواه الموضوعى والفنى لا يمثل المنصة الكافية للقفز الى مستوى الشعر المزدهر فى العصر العباسى .

العامل المولد لازدهار الشعر العباسى هو ذلك النثر الجديد الذى ظهر على يد الجاحظ والمعتزلة والفيلسوف الكندى .. فجاء البحتري وأبو تمام والمتنبى والمعرى ليمثلوا الجانب الشعرى من

• نثرنا الحالى لم يحرك فى حياتنا الثقافية غير الشعر العامى والسريالى !

• من متطلبات النثر الجديد : التحليل الاجتماعى والاستيعاب العميق لروح العصر والتراث



البحترى : كان يمثل الجانب الشعرى من الجدلية الحضارية لنثر الجاحظ



جورجى زيدان : كان من أعلام النهضة الحديثة فى النثر



ميخائيل نعيمة : كانت رومانسيته ثورة شعرية بإزاء النثر العصرى الجديد

الجدلية الحضارية لنثر الجاحظ وسواه من أعلام النثر العباسى المتأنق ، المتفلسف ، المشبع بثقافات الأمم .

وفى العصر الحديث أرى شاعرية أحمد شوقى وجهاً جدلياً لأسلوب الشيخ محمد عبده فى النثر ، كما أرى رومانسية جبران ونعيمه وأبى ماضى ثورة شعرية بإزاء النثر العصرى العقلى الجديد لدى اعلام النهضة الحديثة فى النثر كاليازجى وبطرس البستانى وفرح أنطون وجورجى زيدان وشبلى شميل . فالرومانسيون المهجريون اللبنانيون كانوا يثورون شعرياً وجدلياً بازاء عقلية الحضارة الوافدة التى كان الدكتور شبلى شميل ــ على سبيل المثال ــ من أكبر مبشريها فى نطاق ما عرف بفلسفة النشوء والارتقاء .

• لأن النثر أجهض ..

ويبدو أن المدرسة الشعرية الحديثة ، مدرسة السياب ونازك والبياتى وجيلهم ، كانت الوجه الجدلى لنثر جيل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وسواهم من أعلام النثر الحديث .

ولكن الاجهاض الحضارى والعقلى والقومى الذى أصاب الأمة العربية ، وأصاب أجيالها الحاضرة ، أوقف نمو الثقافة العربية بوجهيها النثرى والشعرى .

غير أن النثر أصيب أولا .. لأن النثر هو اللغة المباشرة التى تتعاطى بواقعية وصراحة مع واقع الأمة . النثر أصيب أولا ، لأن التفكير العقلى والعلمى أصبح فى حكم المحظورات ، ولأن حرية العقل وحرية البحث صارت من المغامرات غير المأمونة . وصار التواصل مع التراث مقنناً بضوابط أضيق من عظمة ذلك التراث ، ومن المأمول والمطلوب لبناء الثقافة الجديدة . كما صار التواصل مع العصر وثقافاته ، صعباً أو شبه مستحيل . وتبلبلت لغة النثر العربى الواحد ، بالعامية ، وبالركاكة ، وبالعجمة ، والأخطر من ذلك غاب من ورائها العقل ، وغاب المنهج ، وغابت الروح المفعمة بحب الكشف ، وصار الكلام مكرورا معاداً ، حسب تعبير عنترة ، وأفسد القول حتى أحمد الصمم كما قال المتنبى . ولم يعد نثرنا يحمل أى جديد أو مفاجئ أو محرك أو مدهش أو مفيد ..

ومن يسمع الخطاب العربى اليوم .. خطاب النثر .. هل يتوقع منه أن يولد شعراً عظيماً يتسامى فوقه ، ويكون صوته الجدلى الآخر .. ومحاوره الحضارى ؟

الابداع يولد الابداع . والعقم يولد العقم ، والتفاهة تولد التفاهة .. ونثرنا الحالى لم يحرك غير الشعر العامى والنبطى و .. السريالى !

والذين يقرؤون اليوم تلك المعميات السريالية الثقيلة المسماة (شعراً) ويشيحون بوجوههم عنها ، ويوبخون أصحابها ، سيحسنون صنعاً لو وبخوا هذا الخطاب العربى النثرى العام ، فى الصحف والاذاعات والتلفزة ومسلسلات البادية وأفلام الاستهلاك الرخيص .. فذاك الطين من هذا العجين !

والمطلوب تأسيس نثر حضارى جديد ، قبل الحديث عن أزمة الشعر ، وإلا كنا كمن يضع العربة أمام الحصان .

ومن متطلبات النثر الجديد تطعيم ثقافتنا بنزعة التحليل الاجتماعى كما أشرنا فى مقالة سابقة ، والاستيعاب العميق لروح العصر والتراث معاً ثم أن تكون هناك نهضة حقيقية فى حياة الأمة ، وهذا يتعدى مسئولية أهل النثر والشعر .. لأنه مسئولية الأمة كلها .

محمد جابر الأنصارى

من الذي يحكم العالم :

الدول الكبرى أم الشركات العالميّة؟

بقلم : فتحي رضوان

لقد درجنا على إطلاق لفظ الدولتين الأعظم أو القوتين العظميين على الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، باعتبار أنهما أعظم قوتين فى العالم ، فى حين أن هناك قوة أعظم منهما منفردتين ، أو ربما مجتمعتين . فماذا تكون تلك القوة التى تفوق هاتين الدولتين اللتين اجتمع لهما من المال والسلاح والنفوذ ومساحة الأرض وعدد السكان ما لم يجتمع لغيرهما لا فى الحاضر الذى نعيشه ولا فى الماضى منذ كانت الانسانية ، وكانت الدول ؟

إن هذه القوة ليست وحدة واحدة ذات هيمنة ونفوذ وثروة وقدرات فنية ، إنما هى عشرة آلاف وحدة ، أو هيئة ، لها أكبر ثلاثين ألف فرع موزعة على كل بلاد العالم . وهذا العدد ليس ثابتاً ونهائياً ، بل إنه قابل للنمو ، فالعشرة آلاف هيئة أو شركة أو وحدة ــ كما يحلو لك ــ لم يكد العقد السابق المنتهى فى سنة ١٩٨٠ يصل الى غايته حتى أصبحت ١١ ألفاً ، والثلاثون ألف فرع ، بلغت فى نفس التاريخ ثمانين ألفاً .

هذه الحقيقة

ولكى نأخذ فكرة عامة عن قوة هذه الوحدات وفروعها نسوق هذه الحقيقة التالية ، فعشر من الشركات الامريكية التى على رأس هذه الوحدات التى قلنا إنها لا تقل عن عشرة آلاف شركة باعت وحدها فى سنة ١٩٨١ من منتجاتها فى أنحاء هذه الدنيا الواسعة ما قيمته ٥٠٠ مليار دولار ، أى ٥٠٠ ألف مليون دولار ، ويمكنك أن تتصور بسهولة أن هذا الرقم الضخم لا يحققه عدد كبير من الدول التي تتراوح مراكزها من الدرجتين الثانية والثالثة ، أو الثانية وحدها . وهذه الشركات العشر كلها ذائعة الصيت واسمها تتداوله الألسن : ألسن الذين يعيشون على القروش وألسن الذين تعد ثرواتهم بالملايين أو البلايين .

وقد كان استثمار تلك الشركات المتراكم فى خارج دولها سنة ١٩٧٥ ، ٢٥٩ ألف مليون ، فوصل سنة ١٩٨٠ الى ٤٥٠ ألف مليون .. وقد كان توسع الشركات اليابانية بمعدل أسرع من معدل نمو الشركات الأخرى ، الأمريكية والانجليزية والألمانية ، فقد زاد استثمارها فى الخارج من ٤ مليارات و ٤٠٠ مليون فى عام ١٩٧١ الى ٣١ ألف مليون فى عام ١٩٧٩ ، أى نمو سنوى قدره ٢٨ فى المائة ، وهى قيمة لم يسمع بها أحد عن أى مشروع مهما بلغت ضخامته .

ولاشك أن القارىء قد أدرك أننا نتكلم عن الشركات المتعددة الجنسية أو الشركات التي تتجاوز الحدود القومية .

وحينما نقول إنها أقوى من أى من الدولتين العظميين كل على انفراد ، أو هما معاً ، فإنما نعنى تأثير تلك الشركات وسيطرتها غير العادية على أشياء كثيرة ، لعل أولها التجارة الدولية للمنتجات الأولية الرئيسية للدول النامية .

هذه الشركات سواء أردنا أو لم نرد هى حقيقة كبرى من حقائق حياتنا الدولية الاقتصادية والمالية والتجارية والنقدية ، ولا سبيل الى إنكارها ، إنما الذى يجب علينا دون أن ننسى أن نحاول ما استطعنا أن ننتفع بقواها الهائلة ، وطاقاتها غير المحدودة ، ووصول تأثيرها الى كل مكان فى العالم ،

والى كل ركن من أركان حياة البشر بما يعين على نمو الدول الفقيرة أولا ، وحفظ مدخراتها عندها ثانياً ، وعدم إقامة حيلولة لرفع سعر العمل فيها ثالثاً ، وزيادة معرفة أهل تلك الدول بالتكنولوجيا الغربية ، وحسن استعمالها فى خدمة التنمية ، دون فرض مزيد من تبعية الدول الفقيرة للدول التى تقوم فيها الشركات ذات الجنسيات المتعددة ، وبعبارة أخرى وضع قانون اقتصادى جديد للعالم تتعاون فى وضعه الدول التى تقوم على أرضها الشركات التى تتجاوز الحدود القومية ، والدول التى تتعامل مع تلك الشركات بشراء منتجاتها ولاسيما (التكنولوجيا) أعظم وأخطر ما يصدره هذا النوع من الشركات .

أمل العالم الثالث

إن هذا الذى نقوله هو أمل عظيم من آمال العالم الثالث ، ولم يثبت حتى الآن استحالة تنفيذه ، وإن كانت العقبات قد قامت فى سبيله ، ولعل أكبر تلك العقبات أن الأمم المستوردة لمنتجات هذه القوة الهائلة ، لم تحسن الى الساعة تنظيم صفوفها ، والاتفاق على مسودة قانون جديد يحكم اقتصاد العالم . ولكن بعض كتاب الاقتصاد والسياسة يقولون إن صدور قانون جديد ينظم اقتصاد العالم وشؤونه المالية ويوجد تعاوناً وثيقاً وصميماً بين الأغنياء والفقراء ، وبين المنتجين والمستهلكين ، وبين أصحاب الثروات ، وبين الذين يشرفون على تطويرها وتوزيعها أى تسويقها ، وحركة دوران الأرباح وقسمة هذه الأرباح على المستحقين بنظام عادل ، لا يجحف بحق صاحب الثروة أى صاحب الأرض أو المياه التى تحوى تلك الثروة ، وحق من يخرجها ثم يطورها ، ويجعلها قابلة للانتاج ، وسد الحاجيات وامتاع الناس . ويبررون سبب هذه الاستحالة الى القوة الهائلة التى تتمتع بها جبهة الشركات المتعددة الجنسيات ،والضعف الهائل الذى يرسف فيه الذين يستقبلون إنتاج تلك الشركات ، ويدفعون فيها الثمن .

ولكى ندرك مدى هذه الفجوة بين الجهتين لابد من أن نورد المزيد من المعلومات والحقائق عن جبهة الشركات المتعددة الجنسيات التى تتجاوز حدود القوميات .

ومن هذه الحقائق المذهلة أن قيمة الانتاج المالى الذى يمكن أن نقيسه بقيمة مبيعات الفروع الأجنبية للشركات المتعددة الجنسية وصل الى ٨٣٠ مليار دولار فى عام ١٩٧٦ ، فاذا أجرينا مقارنة بسيطة عن هذا الرقم مع رقم قيمة مبيعات الدول الغربية فى نفس العالم ، نجدأن الأخير نحو ٩١١ مليار ، أى أنهما رقمان متقاربان ، فى حين أن أحدهما يمثل مبيعات عدد من الشركات الكبيرة ، والثانى يمثل مبيعات عدد من الدول الكبيرة ، وكان المفروض أن الفارق بين الشركة والدولة يكون كبيراً ، ولكن هذا ليس سوى تصور قديم يجب أن نعدل عنه .

احتكار التكنولوجيا

ونحن نتحدث هذه الأيام كثيراً عن التكنولوجيا ، والشركات المتعددة الجنسيات تكاد تحتكر هذه التكنولوجيا ، وهى التى تقوم بتحويلها الى دول العالم الثالث ، وهذا الاحتكار من شأنه أن يجعل تلك الدول الصغيرة والفقيرة خاضعة خضوعاً كلياً لهذه الشركات .

ويعين على تأكيد هذا الخضوع الدور الذى تلعبه مجموعة البنوك التى هى شركات متعددة الجنسيات ، التى تملك فروعاً منتشرة فى العالم بأسره والتى بلغت أصولها سنة ١٩٧٥ ما يساوى الاحتياطات العالمية ، الأمر الذى يبطل مفعول أى إجراء حماية تقوم به الدول المتوسطة أو الفقيرة ، يضاف الى هذا الوضع الحرج الاستدانة المتزايدة للدول المتخلفة .

ومن حقائق النظام الاقتصادى العالمي الحالى ، أن مشاركة الدول المختلفة فى اجمالى الاستثمار المتراكم فى العالم هى فى انخفاض مطرد ، فضلا عن أنه بقدر زيادة التدفق لاستثمارات الشركات المتعددة الجنسيات على الدول النامية تزيد قيمة الفوائد المحولة فى العالم الثالث الى الدول المستثمرة . والثابت أن الشركات المستثمرة أرسلت ما قيمته ٢,١٢ دولار الى دولها مقابل كل دولار يستثمر فى الدول الفقيرة ، وقد أثبت جدول معين أن عدداً من الشركات المتعددة الجنسيات أرسلت الى بلادها فى المدة من ١٩٧٠ ـــ ١٩٧٩ ما قيمته ١١ مليار دولار .

وقد بلغ مجموع أرباح الشركات موضوع الحديث فى المدة من سنة ١٩٧٠ ـــ ١٩٨٠ من استثماراتها فى الدول النامية حوالى ٥٦ ألف مليون (دولار) مع ملاحظة أن تلك الشركات سحبت الكثير من استثماراتها من الدول النفطية ، وقد بلغ مقدار المبلغ المسحوب من تلك الاستثمارات الى ٣٤٥٤ مليون دولار أى ما يساوى ثلاثة مليارات ونصف المليار ، وعلى الرغم من أن تلك الدول النامية استقبلت من استثمارات الشركات موضوع البحث ما يساوى ١٨ فى المائة فقط من هذه الاستثمارات مقابل ٨٠ فى المائة منها خصصت للدول الرأسمالية المتطورة والغنية ، ومع الدول الفقيرة ، فى حين حصلت من الدول الغنية على ٤٦ فى المائة ، الأمر الذى يدل على أن الشركات القوية الغنية تستطيع أن تحصل من الدول الفقيرة على أرباح مضاعفة . أى أنها تأخذ من المشترى الفقير ضعفَى ما تحصل عليه من المشترى الغنى ، ولم تر الشركات القوية غضاضة فى أن تعلن صراحة أن نسبة أرباحها عن الأموال المستثمرة فى الدول الفقيرة هى ٢٤ فى المائة ، وهى نسبة عالية لا يحصل عليها أى مستثمر مهما كان استثماره .

الحل : النظام الاقتصادى الجديد

ويقول معلق وطنى على هذه الحقائق كلها : إن الدول المتخلفة تمثل ـــ بسبب ما تدره على الدول الغنية من أرباح هائلة ـــ الدول الأكثر قبولا للاستغلال ، وبذلك يمكن أن تزداد الدول الغنية عن طريق شركاتها فى استقرار مشروعاتها وتوسعها فى الدول الفقيرة ، أى التحويل الصافى للموارد نحو الدول الغنية ، وبعبارة أدق هو التهريب المستمر لرؤوس الأموال من الدول المتخلفة .

وقد ساعد على تأكيد هذه الحقائق كلها وتأصيلها هبوط الأرباح فى دول التصدير الأوربية والأمريكية ، ونقص الانتاج والتجارة الدولية كنتيجة مباشرة للأزمة العميقة التى تواجه العالم .

وقد يتساءل القارىء عن الغرض من هذه الدراسة ، وأبادر بالقول بأننى لا أقصد مهاجمة الشركات متعددة الجنسيات ، فهى الثمرة الطبيعية لاختلال التوازن بين قوة الدول المنتجة المصدرة ، والدول المستوردة المستهلكة ، فهى أشبه ما تكون بالظاهرة الطبيعية التى لا ينفع فيها مدح ولا قدح .

وظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات لن يحد من هيمنتها وتأثيرها المادى والأدبى على حياة المجتمعات النامية الا جهد مشترك من تلك الدول الأخيرة حتى يتيسر وضع نظام اقتصادى عالمى جديد ، وهنا يجب أن أنقل ما قاله باحث من صدد بيان تفكك وحدة الدول النامية الفقيرة وعجزها عن تنسيق جهودها ، وتدعيم صفوفها لتضع صيغة قانون جديد ، يضبط نشاط ذلك النوع من الشركات قال :

لقد فرغ فريق العمل الحكومى الدولى المعنى بصياغة الوثيقة والذى أنشأته لجنة الشركات المتعددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة من ممثلين من ٤٨ دولة ، فرغ من صياغة مشروع الوثيقة التى تتضمن القواعد سنة١٩٨٢ ، وبالرغم من ذلك فقد أنجز هذا العمل فى ظروف سيئة حقاً ، كما اعترض نفس فريق العمل الملقاة على عاتقه صياغة المشروع ، بسبب عدم التوصل الى اتفاق حول صياغة جميع الأحكام ، وفى بعض الأحيان قدمت صياغات مختلفة لحكم واحد محدد ، وفى حالات أخرى ظهرت صياغات اختيارية لنفس الأحكام .

وقد تبدو الوحدة بين الدول الفقيرة والنامية والمستوردة ، هدفاً بعيداً ، ولكن بدون هذا الهدف فلا أمل فى اصلاح حال العالم بما يفيد الفقير والغنى على حد سواء .

فتحى رضوان

تـنبـؤات صحيـحة .. وأخـرى خاطـئـة :

لماذا نهرب من التفكير في مجتمع الغد ؟

● أكبر المفكرين وقعوا في أخطاء جسيمة أصابتنا بالفزع واليأس والقنوط ●● ماذا أعددنا من خطط وبرامج ، حتى لا نفاجأ بصدمات لا نستطيع احتمالها في المستقبل القريب ؟●● التفكير المبدع هو طريقنا في عصر الكمبيوتر ، الذي أصبح يقوم بكثير من أعمال المتخصصين !

بقلم : حافظ أمين

انظر إلى المجتمع من حولك ، وقارن بينه وبين ما كان عليه منذ عشرين أو ثلاثين سنة ، ستعجب من مقدار التغيرات ومعدلاتها .

ولما كان الأرجح أن تستمر التغيرات وتزداد سرعتها خلال السنوات القادمة ، فإن علينا أن نتنبأ بنوع المجتمع الذى نقبل عليه ، إن أردنا ألا نتخلف عن هؤلاء السائرين نحو مجتمع الغد . التفكير إذن فى المستقبل ظاهرة صحية ، لأنه يجنبنا المفاجآت ، ويضيء لنا طريق الغد فنستعد له . فلماذا يهرب معظمنا من هذا اللون من التفكير ، ويفضل عليه الانغماس فى الحاضر ، أو الرجوع إلى الماضى ؟.

سبب هذا — فى رأيى — كثرة الأخطاء التى نقع فيها ونحن نقوم بعملية التنبؤ ، وأخطاء التنبؤ يمكن جمعها فى نوعين رئيسيين :

النوع الأول : التنبوء بالقياس ، أو التنبوء عن طريق مد الظاهرة ، أو الافتراض بأن مقدار وسرعة التغير الذى حدث فى السنوات الماضية هما نفسهما مقدار وسرعة التغير الذى سيحدث فى السنوات القادمة . كأن تقول — مثلا — إن عدد سكان هذا البلد العربى سيصل إلى ثمانين مليون نسمة عام ٢٠٠٠ لأنه يتضاعف كل أربعين سنة ، أو أن القوة الشرائية للجنيه ستظل تتناقص حتى يصل سعر الجنيه — مثلا — إلى خمسمائة جنيه عام ٢٠٠٠ .. وهكذا .

ومن الطبيعى أن الكثير جداً من نتائج هذا اللون من التنبؤ ، ممكن أن يصيبنا بأشد درجات الحزن والإحباط ، خاصة ونحن نعيش الآن عصر سقوط الحضارة الغربية ، ونفترض أننا سنتبعها فى طريق السقوط كما حاولنا أن نتبعها فى طريق الصعود ، فاذا اعتقدنا أن معدل الزيادة فى ازدحام المدن سيستمر كما كان فى الخمسين سنة الماضية ، ونفس الأمر فى اشتداد الحروب فى العالم الثالث ، وانتشار الأسلحة النووية .. الخ فلابد أن يصيبنا هذا الاعتقاد بالجزع والفزع ، أو باليأس والقنوط .

والعجيب فى الأمر أن الكثيرين من العلماء — ناهيك عن العامة — يقعون فى هذا الخطأ ، ويقفون أمام ما يسمونه «لغة الأرقام» موقف التبجيل والاحترام ، مع أن أى دارس مبتدىء لطبيعة الرسومات البيانية ، يعلم أن لغة الأرقام لا تعنى شيئاً إلا بالنسبة للماضى أو الحاضر ، أو بالنسبة لمستقبل المجتمعات الساكنة ، وهو ما لا ينطبق على مجتمعنا المعاصر ، شديد التغيير ، ذى التقلبات السريعة .

والحقائق كل يوم من حولنا ، تؤكد خطأ هذا اللون من التنبؤ ، حتى من أكبر المفكرين والفلاسفة : فهناك من تنبأ بأن الدول الرأسمالية ستدمر بعضها بحروب قريبة (قبل هذا الكلام فى منتصف القرن التاسع عشر) ، وجورج أورويل تنبأ (عام ١٩٤٨) بأن الحكم الشمولى سيزداد عنفاً وقسوة ليصبح عام ١٩٨٤ مأساة رهيبة . وبعد الحرب العالمية تنبأ برتراند راسل — بعد أن نقصت ساعات العمل إلى حوالى ٤٢ ساعة أسبوعياً — بأنه لن يأتى عام ١٩٧٥ حتى تصبح ساعات العمل الأسبوعى أقل من ١٥ ساعة . وفى عام ١٩٧٣ تنبأنا بأن سعر النفط سيتضاعف عشرات المرات قبل عام ٢٠٠٠ .. وهكذا مئات التنبؤات المؤسسة على فكرة استمرار معدلات التزايد أو التناقص ، يثبت مخالفتها لكل توقع أو ترقب .

والنوع الثانى من التنبؤات الخاطئة هو الذى


جورج أورويل


برتراند راسل

يتصور وجود دورات دائمة ، تتذبذب بين حدين معلومين ، وتعيد نفسها كل فترة زمنية محددة ، حتى قالوا ان التاريخ يعيد نفسه ، ومن الأمثلة على ذلك ما قالوه عن الدورة الاقتصادية التى تتذبذب بين الانتعاش والانكماش كل ٢٥ سنة ، وتنبأوا على أساسها بقيام حرب عالمية ثالثة عام ١٩٦٤ (لاحظ الفرق بين ١٩١٤ و١٩٣٩ و١٩٦٤) ، وما قالوه عن الدورات التى تتذبذب بين الديمقراطية والدكتاتورية ، وتنبأوا على أساسها بكثير من الأمور التى لم تحدث ولا ينتظر أن تحدث ، لأن الرسومات البيانية التى تصور العلاقات بين الأشياء فى زماننا أصبحت أعقد من أن يصورها خط مستقيم ، أو حتى منحنى منتظم يكرر نفسه .

ولما زاد الخلاف بين العلماء حول تصور مستقبل الإنتاج والقيم والعلاقات والبيئة .. الخ ، آثر معظم الناس عدم الخوض فى هذه المعارك ــ رغم أهميتها ــ واقتصر البعض عن الانغماس فى مشكلات الحاضر ، وكأنها مشكلات ثابتة دائمة ، وابتعد آخرون عن كل هذا إلى التاريخ القديم ، يلصقون به الكثير من أوهامهم وخيالاتهم ، ويظهرون نحوه الحنين والإعجاب الشديدين ، والفريقان يتفقان على عدم رغبتهما ــ أو عدم قدرتهما ــ على النظر إلى الغد ، ولكنهما يختلفان فى أن الفريق الأول يدعو للمعاصرة ، والثانى يدعو للتراث ، ويفتعلان صراعاً بينهما ، يخفيان به فشلهما فى التوصل إلى تنبؤ صحيح ، يحدد اتجاه السير نحو بناء المستقبل .

• • •

ولعل أولى خطوات التنبؤ الصحيح ، إدراك حتميات تناقص عدد العاملين فى مجال الزراعة (بسبب ميكنتها) ثم تناقص عدد العاملين فى الصناعة (بسبب استخدام الإنسان الآلى والعقول الإلكترونية) ، ثم تنوع المهن غير الزراعية أو الصناعية (كالتعليم والتدريب والبحث العلمى والإعلام والمعلومات والاتصالات والسياحة والنقل والتجارة والدعاية والفنون والترفيه والرياضة والإدارة والرقابة . الخ) وتزايد عدد العاملين فيها .

كنا فى الماضى نصف المجتمعات بأنها مجتمعات صيد أو رعى ، أو مجتمعات زراعية أو صناعية ، حسب المهنة الغالبة التى يعمل فيها معظم أفراد المجتمع ، وكانت القيم والعقائد والتقاليد الغالبة ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة ، تتفق تماماً مع متطلبات هذه المهنة الغالبة ، وتتمشى مع طبيعة العمل فيها . أما الآن فيندر أن نجد مجتمعاً يعمل أكثر من نصف أهله فى مهنة واحدة ، وهو أمر له تأثيره الكبير فى القيم والعادات ، وفى تزايد الاختلاف بين طبائع السكان وطرق تفكيرهم ، حتى أننا أصبحنا نلاحظ الاختلاف الكبير بين أفراد الأسرة الواحدة ، بل وداخل النفس الواحدة ، لما يحمله كل فرد ــ أو لما تحمله النفس ــ من ثقافات وقيم شديدة التباين والتناقض .

ونستطيع أن نلخص تاريخ الإنسان فى جملة قصيرة هى (الانتقال من مجتمع الرعي والصيد إلى مجتمع الزراعة إلى مجتمع الصناعة إلى مجتمع ما بعد الصناعة) ، وهذا يعنى انتقال الانسان من قيم وثقافة الرعي والصيد إلى قيم الزراعة إلى قيم الصناعة إلى قيم ما بعد الصناعة ، وهذا الانتقال لا يعنى إغفال مزايا المواقع التى نتركها ، فالانتقال ــ مثلا ــ من المجتمع الزراعى إلى المجتمع الصناعى لا يعنى إهمال كفاءة الإنتاج الزراعى أو ترك قيمه المفيدة الخالدة ، وكذلك الانتقال من المجتمع الصناعى إلى مجتمع مابعد الصناعة لا يعنى إهمال كفاءة الإنتاج الصناعى أو ترك قيمه المفيدة الخالدة أما الدول التى أهملت الإنتاج الزراعى وهى تنتقل إلى مجتمع الصناعة ــ بسبب عدم استخدامها للميكنة الزراعية ــ أو أهملت الإنتاج الصناعى وهى تنتقل إلى مجتمع ما بعد الصناعة ــ بسبب عدم استخدامها للخدمات الحديثة فى إدارة الصناعة ــ أو تركت القيم الخالدة للمجتمعات السابقة ، فهى دول تتصور أنها فى طريق التقدم ، ولكنها ــ فى الحقيقة ــ لا تحصل إلا على قشوره .

وتوجد فى كل مرحلة من هذه المراحل التاريخية مقاييس ، يقاس بها فضل الانسان وتميزه عن الآخرين ، فالشجاعة والإقدام وسرعة الحركة ، أهم صفات يمكن أن يتميز بها انسان الصيد ، والصبر والتعاون والكرم صفات انسان الرعي والزراعة ، والنظام والدقة والعلمانية صفات انسان الصناعة ، فما هى أهم صفات يمكن أن يتحلى بها الانسان فى عصرنا حتى نضعه فى مقدمة المتميزين ؟

لعل اتساع الأفق وعدم التعصب والقدرة على التعايش مع مختلف الثقافات ، من أهم ما يتحلى به الانسان المعاصر من صفات ، ذلك لأننا نعيش زماناً تتقارب فيه مختلف الجماعات ، وتتراوح القيم والثقافات ، وتتداخل التقاليد والعادات ، فإن كان التعصب لأهلك أو بلدتك من الصفات الحميدة فى المجتمعات الزراعية ، وكان التعصب لحزبك أو وطنك مطلوباً فى المجتمعات الصناعية ، فأنت انسان متميز فى عصرنا إن كنت خالياً من كل ألوان التعصب والتحزب والتحيز .

ومن مزايا اتساع الأفق أيضاً قدرة الانسان على التمييز بين ما هو خالد وما هو وقتى أو مرحلى ، فالشجاعة والكرم والدقة فضائل خالدة ، وان اختلفت الأولويات فيها باختلاف الزمان والمكان ، أما سرعة الحركة والصبر الطويل وشدة التخصص فى العلوم فقد تكون فضائل هامة بالنسبة لمجتمع معين وقد لا تكون كذلك بالنسبة لمجتمع آخر ، ولا ندرك هذا الا باتساع الأفق .

ولا تظهر قيمة (سعة الأفق) فقط فى القدرة على معايشة أصحاب المهن والقيم والثقافات المختلفة ، ولكنها تظهر أيضاً فى القدرة على الانتقال من مهنة إلى أخرى ، فى زمن تتعرض كثير من المهن إلى الاختفاء أو الاضمحلال ، اذ تظهر قيمة (سعة الأفق) فى القدرة على اكتساب المرونة اللازمة للحصول على المهارات المتجددة اللازمة لمواجهة التغيرات الكبيرة التى تظهر كل يوم ، وفى زيادة الانتفاع بالابتكارات والاختراعات الجديدة المتعددة .

وقد تتعارض ــ أحيانا ــ صفة (سعة الأفق) مع صفة (التخصص الشديد) ، هذه الصفة التى كانت من أهم الصفات المحمودة فى المجتمع الصناعى ، فلم تعد كذلك فى مجتمع ما بعد الصناعة ، بعد أن قام الكمبيوتر بالكثير جداً من أعمال المتخصصين .

كذلك أصبحت صفة (سعة الأفق) من أهم الصفات التى نحتاج إليها فى مجتمعنا المعاصر ، لتزيد من قدرتنا على التفكير المبدع ، وذلك لمواجهة ظاهرة نتعرض لها الآن جميعاً ، هى ظاهرة تزايد أوقات الفراغ ، وتداخل أوقات الفراغ مع أوقات العمل .

ان التنبؤ بأن صفة (سعة الأفق) ستكون من أهم الصفات المطلوبة فى انسان الغد ــ وهو تنبؤ أجمع عليه معظم المفكرين الكبار ، وتؤكده جميع الأحداث والظواهر الأخيرة ــ يضطرنا إلى أن نعمل بقوة وحماس إلى سرعة البدء بتعديل الكثير جداً من خططنا فى الإنتاج والتنظيم ، ومن مناهجنا فى التربية والتعليم ، ومن برامج الإعلام والتوجيه ، ومن أهدافنا السياسية والاجتماعية ، وذلك حتى لا نفاجأ بصدمات وانهيارات لا نستطيع احتمالها فى المستقبل القريب .

إن التنبؤ الصحيح لا يكون بمد الظاهرة القديمة أو توقع تكرارها ، وإنما يكون بالتفكير المبدع الخلاق ، وهذا ما سينقذنا من الانغماس فى الحاضر أو الهرب إلى الماضى ، كما سيعدنا لمواجهة غد أكثر اشراقاً وسعادة .

الجنرال رفائيل إيتان

صهيوني على طريقة جنوب إفريقيا!

● إنه أحد الذين يتسابقون على منصب رئيس الوزراء في الكيان الصهيوني!
● أفكاره تنادي بالحلم الصهيوني وخلق قوة جذب للمهاجرين اليهود!

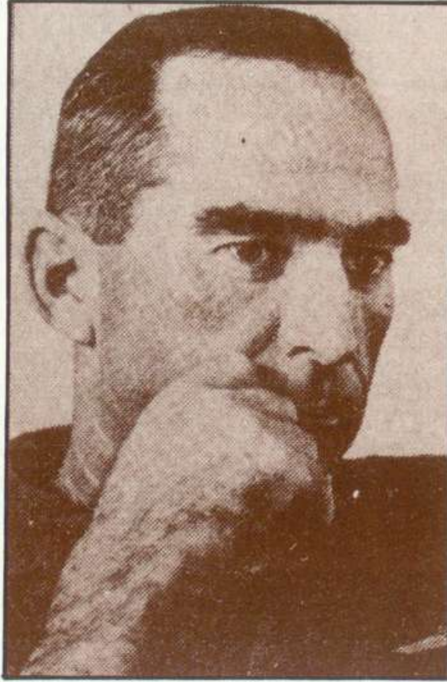
بقلم: عصام شريح

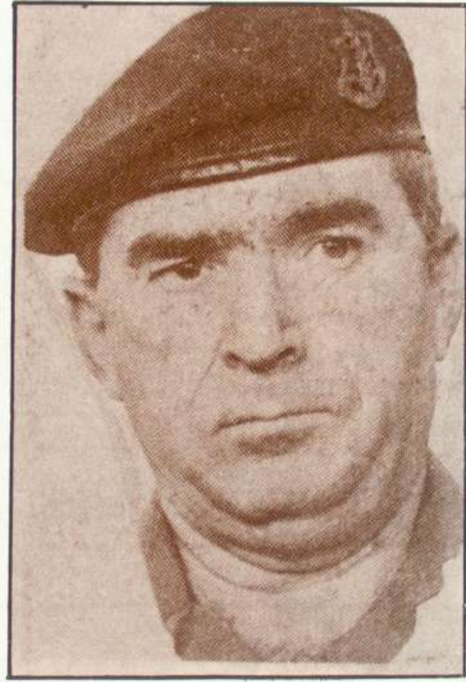
الجنرال رفائيل إيتان ، انتقل من حلبة الجيش فى الكيان الصهيونى ، الى حلبة السياسة ، حيث خاض الانتخابات الأخيرة التى جرت فى تموز (يوليو) من العام الماضى ١٩٨٤ ، وفاز بمقعد فى الكنيست ، مما عزز موقف ما يوصف عادة باليمين ، أو بالأحرى أقصى اليمين الصهيونى .. والأمر بالنسبة للجنرال السابق إيتان ، لا يتوقف عند هذا الحد ــ أى دخول الكنيست ــ وانما تبدو هذه الخطوة ، ضرورية فى السباق على منصب رئيس الوزراء فى الكيان الصهيونى ، ذلك المنصب الذى يعتبر قمة السلطة الفعلية فى « اسرائيل » ، والذى يستهوى بالضرورة ، جميع جنرالات العدو السابقين ، الذين أحيلوا على التقاعد ، ثم دخلوا الحياة السياسية من بوابة الكنيست .

وازاء طموح رفائيل إيتان وشهوته للسلطة ، لاشباع غرائزه العنصرية ، التى لم ترتو عبر آلة الجيش الصهيونى كما يبدو ، لا بأس اذا عرضنا لافكار إيتان وطروحاته ــ رغم التبسيط الذى تبدو فيه للقارىء ــ ثم تقييم هذه الأفكار ، من ضمن رؤيتنا للصراع العربى ــ الصهيونى ، ومسيرته فى المرحلة الراهنة .

الصهيونية اليوم فى نظر إيتان ، ما تزال هى عينها الصهيونية كما وضعها مؤسسها تيودور هرتسل ، أو كما أقرتها واضافت اليها المؤتمرات الصهيونية المتلاحقة منذ المؤتمر الأول فى عام ١٨٩٧ ، والذريعة التى يقدمها إيتان بهذا الصدد ، هى أن مفعول الصهيونية « التى بنيت على أساسها اسرائيل ، وأقيمت المدن والمستوطنات اليهودية ، لم ينته بعد ، لماذا ؟؟ لأن الحلم الصهيونى لم يتجسد كله حتى الآن ! » لكن ما هى صهيونية إيتان هذه ؟؟ ..

انها ــ كما يقول ــ الايديولوجية التى تسعى الى اعادة ما يسميه « بشعب اسرائيل الى أرض اسرائيل .. » ، وهذه الصهيونية تقوم على خمس ركائز هى : الفكر ، والحلم ، والاستيطان ، والهجرة ، والعمل النضالى ... وبالطبع فهذه هى الاستراتيجية الصهيونية فى نظر إيتان ، أما الأهداف التكتيكية المرحلية ــ فى المرحلة الراهنة ــ فهى عنده ، إزالة ما يصفه بـ« التهديد بالتدمير والافناء لاسرائيل » ، ثم انهاء عملية الجدل والنقاش المحتدم بين الاسرائيليين حول تعريف « أرض اسرائيل » وبعد ذلك تقليص الارتباط مع





الجنرال رفائيل إيتان الذى تفصح أفكاره بجلاء عن تعطشه للدماء العربية

الدول المساندة لاسرائيل ، كالولايات المتحدة ودول الغرب ، وخلق قوة جذب للمهاجرين اليهود الذين أخذت اعدادهم بالتقلص « الى درجة أن اسرائيل تجد نفسها اليوم بلا هجرة ولا مهاجرين » ، يضاف الى ذلك تقليص عدد النازحين من « اسرائيل الى أمريكا وأوروبا الغربية ، وأخيراً الحفاظ على الهوة بين « اسرائيل » والدول العربية ، على أساس الاحتفاظ بالتفوق العسكرى النوعى « لاسرائيل » .

أهداف أصابها الخلل

لا يخفى إيتان قلقه ــ على الرغم من تزمته وتعصبه للنظرية الصهيونية ــ من الخلل الذى دخل على الأهداف الصهيونية مؤخراً ، وخاصة تراجع نسبة الهجرة اليهودية الى « اسرائيل » ، حيث تضاءلت أعداد المهاجرين اليهود الى درجة تكاد لا تذكر ، وبالمقابل تصاعد عدد النازحين عن « اسرائيل » الى الخارج ، أى أن هناك هجرة معاكسة ، ويقول إيتان عن النازحين : انهم لا يريدون العيش فى « اسرائيل » لانعدام قوة الجذب فيها ، ويعترف إيتان بأن قوة الجذب المادية فى الخارج (الولايات المتحدة وأوروبا الغربية) أكبر من قوة الجذب فى الكيان الصهيونى ، ويطالب بوقف عملية النزوح أو الهجرة المعاكسة عن طريق العودة الى ما يسميه بقوة الجذب الأخلاقية التقليدية فى الصهيونية ، لكن ما يدعو للسخرية هنا حقاً ، أن إيتان يحاول اخفاء المرارة التى يحس بها ازاء انقطاع سيل الهجرة من «الدياسبورا » ، واندفاع الاسرائيليين للهجرة مما يسمونه بـ« أرض إسرائيل » الى الولايات المتحدة وأوروبا ، بحثاً عن مستويات حياة أعلى وأكثر رفاهية مما هى عليه فى الكيان الصهيونى ، وبمعنى آخر فإن « قوة الجذب الأخلاقية » ، كما يحلو لإيتان أن يسميها ، قد تبخرت فجأة لدى الاسرائيليين ، أمام فرص الكسب المادى المتوفرة فى الولايات المتحدة وأوروبا .

ومن الأمور التى تقض مضجع الجنرال إيتان أيضاً ، انصراف الاسرائيليين عن العمل ، ويقول فى هذا الصدد : « إن البلاد لا ينقصها العمل لمن أراد ، لولا أن بعض الناس لا يريدون العمل فى الأعمال المتاحة لهم .. واننا مازلنا نذكر كيف أن المستوطنين اليهود كانوا قد وضعوا العمل فى المقام الأعلى بالنسبة اليهم ، حيث يتوجب على كل فرد أن يعيش من كده وعرق جبينه .. لذا فإنى وضعت العمل فى المقام الأول كأساس وركيزة للصهيونية ، وكواحد من الأسس الخمسة التى نعتمد عليها » ويروى إيتان حادثة تعبر عن احتقار اليهود الاسرائيليين للأعمال اليدوية مما يسجل تراجعاً فى الأهداف الصهيونية الأساسية ، فيقول : إن معلمة فى المدرسة الثانوية بمدينة إسدود الساحلية ، عرضت أمام تلاميذها أعمالا يدوية ، وقالت لهم : « إن مثل هذه الأعمال من اختصاص العرب ، أما أنتم اليهود ، فسأعلمكم لتكونوا مدراء ! » .

ويثير إيتان نقطة أخرى على صلة بالعمل والنزوح ، هى مسألة الاستيطان ، فقبل قيام الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ ، كان الاستيطان « التعبير التجسيدى للصهيونية » أما اليوم ، فإن الاسرائيليين منقسمون على أنفسهم حول هذا الموضوع ، يقول إيتان : « لقد ضعفت قوة تماسك الاسرائيليين باسرائيل ، وهذا وضع خطير ، وإذا حدث أن تجزأ الشعب داخلياً (أى انقسم على نفسه) ، فلن نستطيع العيش هنا فى المستقبل » .

ويشكو إيتان من تضعضع قاعدة التمسك والانتماء الى الأرض ، مشيراً إلى التشكيك فى حق اليهود بأرض فلسطين ، حيث يقول : « .. وحتى فى بعض المدارس نسمع أصواتاً تقول : ما هو حقنا على هذه الأرض ؟ » . وازاء هذا التشكيك ، يطالب إيتان ببناء شبكة متراصة من المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لأنه بدون ذلك وبدون الاحتفاظ بهذه الأراضى العربية المحتلة ، يستحيل حماية ما يصفه بأمن اسرائيل .

أما بالنسبة للسياسة الناجعة التى يطالب بها إيتان لمواجهة المقاومة الفلسطينية فى هذه الأراضى ، فهى سياسة العصا والقبضة الحديدية .

لا عرب بعد اليوم

يقول الصحفى الاسرائيلى « أهرون جيبع » فى

صهيوني
على طريقة جنوب إفريقيا!

صحيفة «دافار»، إن إيتان أزال من الايديولوجية الصهيونية كلمة عرب، ودون مكانها كلمة يهود، وهذا يعنى ــ كما يقول جبيع ــ تصرفاً على غرار النازية، حيث وصف بعض قادة النازية اليهود يوماً، بأنهم أشبه بجرذان متنقلة، تنشر الأمراض خلال تنقلها من بلد الى آخر، أما إيتان فقد وصف العرب بأنهم «صراصير مخدرة داخل زجاجة!».

يقول إيتان: «اذا سألتمونى عن العلاقة بيننا وبين العرب؟ أو هل هذه البلاد ملك لنا؟ فتذكروا أن آباءنا كانوا أقلية بالنسبة للسكان العرب فى فلسطين!!، ولم يخافوا منهم.. لكن.. ليس هذا هو السؤال.. فالسؤال هو ما هو الحل عندما يكون هناك هدفان متناقضان؟؟.. اننا نريد العيش هنا، ولكن العرب يريدون ابادتنا، ولكى لا يكون هناك سوء فهم، فإنهم سيفعلون ذلك فى الفرصة الأولى التى تلوح لهم»..

ويطرح إيتان حلاً عنصرياً لما يسميه «بمشكلة العرب فى اسرائيل» أو فيما يزعم أنه «أرض اسرائيل»، وهذا الحل يقوم إما على طرد العرب وتهجيرهم الى الدول العربية: «وإذا كانت عندكم أية مشكلة، فأمامكم ٢٢ دولة عربية»، وإما بتطبيق نظام الفصل العنصرى على التجمعات العربية، على غرار ما هو حاصل فى جنوب أفريقيا العنصرية، ويقول: «ان أربعة ملايين أبيض يعيشون فى وضع جيد (وسط سبعة وعشرين مليوناً من الأفارقة والملونين)، ودون حاجة لمساعدة خارجية!»، ويلمح إيتان الى حل آخر، هو التبادل السكانى بين العرب ويهود البلاد العربية.

أما إذا أراد العرب العيش داخل «اسرائيل»، فإنه يتوجب عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية، وإلا فإنه لن تكون لهم أية حقوق. ويحذر إيتان الدول العربية بقوله «انه يتوجب على اسرائيل أن تبلغ العرب، بأنه إذا وقعت حرب بسببكم، فإن ما تخسرونه لن يعاد إليكم!»، كما يحذر من قيام دولة فلسطينية، لأنه «سوف يضاف جيش عربى آخر على مقربة من تل ابيب»، ثم «إن الفلسطينيين لا يريدون السلام، لأنهم لا يرغبون فى رؤية «اسرائيل» على أجزاء من أرض اسرائيل!! وهذا ما ينص عليه الميثاق الوطنى الفلسطيني، وحتى انهم لا يتحدثون عن حدود التقسيم لعام ١٩٤٩»، «وجميع العرب يريدون

من هو؟

ولد الجنرال رفائيل إيتان فى مستوطنة «تل عدشيم» (فلسطين) فى عام ١٩٢٩، وتجند فى قوات البالماخ (الصاعقة) فى عام ١٩٤٦، وخاض حرب عام ١٩٤٨ ضمن لواء هرئيل، وجرح فى معركة القطمون، ثم ترك الجيش بعد انتهاء الحرب، لكنه عاد اليه واشترك فى دورة مظليين، وتركه ثانية فى عام ١٩٥٤، ومالبث أن عاد ثانية الى الجيش فى عام ١٩٥٥، وعين قائداً لسرية مظليين. اشترك إيتان فى العمليات العدوانية ضد سوريا ومصر، وجرح فى معركة طبريا فى عام ١٩٥٥، ونال تنويها من رئيس الأركان لدوره فى عملية الكونتيلا فى السنة ذاتها، ثم عين قائداً لكتيبة مظليين فى عام ١٩٥٦، وفى الحرب التى نشبت فى تلك السنة، شارك مع كتيبته فى معركة ممر المتلا بصحراء سيناء، وفى عام ١٩٥٨ تخرج إيتان من مدرسة القيادة والأركان، وعين نائباً لقائد لواء مظلى، ثم سافر فى وقت لاحق الى الولايات المتحدة، وعين لدى عودته فى عام ١٩٦٢ رئيساً لفرع عمليات فى هيئة الأركان العامة، وفى سنة ١٩٦٤ عين قائداً للواء مظلى، وشارك فى عمليات عدوانية ضد الدول العربية فى تلك الفترة، ثم شارك على رأس لوائه فى معارك سيناء خلال حرب عام ١٩٦٧، واشترك فى معارك رفح وغزة، ومن ثم وصل الى قناة السويس، حيث جرح فى القنطرة بتاريخ ٨ــ٦ــ ١٩٦٧، وفى حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٨، عين رفائيل إيتان قائداً لسلاح المظليين، وعندما أنشئت قيادة سلاح المشاة والمظليين فى كانون الثانى (يناير) من عام ١٩٦٩، عين إيتان قائداً لها، ورفع الى رتبة عميد، وقد اشترك عندما كان قائداً لسلاح المظليين، ومن ثم لسلاح المشاة والمظليين، فى العمليات التى أعقبت حرب عام ١٩٦٧، ومن بينها العملية العدوانية ضد مطار بيروت فى كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٦٨. وفى آب (أغسطس) من عام ١٩٧٢، عين قائداً «لأوغدا» فى المنطقة الشمالية، (الأوغدا هى وحدة عسكرية تضم بضعة ألوية، وهى تشكيل هادف، لتنفيذ مهمة محددة، بيد أنها لم تكن نكن تشكيلا محدداً دائماً)، وقد قاد إيتان أوغداه فى حرب عام ١٩٧٣، فى معارك ضد الجيش السورى، ثم فى اختراق الجبهة السورية، وقد رفع فى أواخر تشرين الأول (اكتوبر) من تلك السنة، الى رتبة لواء، وعين قائداً للمنطقة الشمالية فى ١٥ــ٤ــ١٩٧٤، ثم عين رئيساً لشعبة الأركان العامة اعتباراً من ٢٥ــ٨ــ١٩٧٧. واعتباراً من ١٥ــ٤ــ ١٩٧٨، عين اللواء رفائيل إيتان رئيساً لشعبة الأركان العامة فى الجيش الاسرائيلى، وكان قد درس التاريخ العسكرى فى جامعة تل ابيب، والعلوم السياسية فى جامعة حيفا لكنه لا يكاد يعرف من اللغة الانكليزية شيئاً، وهو متزوج وله أربعة أولاد، وقد أحيل إيتان على التقاعد بعد خمس سنوات، أى فى ١٥ــ٤ــ ١٩٨٣، بعد أن وجهت اليه «لجنة كاهان»، التهمة فى التورط مع وزير الحرب آنذاك اريئيل شارون، فى مذابح مخيمى صبرا وشاتيلا الفلسطينيين فى بيروت، خلال عملية غزو لبنان.

وفى تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٨٤، أعلن رفائيل إيتان قراره بشأن الانتقال من حلبة الجيش والعسكرتاريا الى حلبة السياسة، حيث قرر تشكيل حركة «تسوميت ــ التجدد الصهيونى» ومنذ ذلك الوقت، وهو يدعو الى اعتناق مبادئ حركته هذه التى يصفها بأنها «حركة عقائدية، وليست حزباً سياسياً»، وخلال الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة للكنيست الحادى عشر، اعل عن دمج تسوميت هذه مع حزب «هتحيا ــ النهضة» الذى يتزعمه يوفال نعمان، وقد فاز إيتان بعضوية الكنيست فى الانتخابات التى جرت فى ٢٣ــ٧ــ ١٩٨٤، ودخل بذلك حلبة السياسة فى الكيان الصهيونى.

● أمن إسرائيل - في نظره - هو سياسة العصا والقبضة الحديدية!

● من أهدافه السياسية: الدعوة للاستيطان اليهودي بكثافة في الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧!

سحق اسرائيل عاجلا أم آجلا».

أما بالنسبة للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، فإنه يتوجب على «اسرائيل» كما يطرح الجنرال إيتان ، المحافظة على الهوة الراهنة فى القوة بين العرب واسرائيل ، «على اعتبار أن التفوق النوعي الاسرائيلى ، هو الذى يكفل لاسرائيل تفوقها على العدو العربي ، خاصة وأن هذه الهوة تتجلى فى جودة العنصر البشرى والمجتمع والتنظيم والحافزية ، وباستطاعة اسرائيل الحفاظ على هذه الهوة ، بل وحتى تعميقها مستقبلاً».

ويشدد إيتان على دور الجيش الاسرائيلى فى كل ذلك ، لأن الجيش كما يقول : يساهم فى رفع التهديد بالدمار والفناء عن «اسرائيل» ، وفوق ذلك يساهم فى «سائر المجالات الأخرى التى تهم مصلحة «الدولة» فى التربية والتعليم والاستيطان واستيعاب الهجرة وحل المشكلات الاجتماعية».

الحل الذى يطرحه إيتان

وعلى أية حال ، فإن الجنرال إيتان ، يطرح حلاً تقليدياً ، لمعالجة الخلل الذى أصاب أهداف الحركة الصهيونية وخاصة الهجرة والاستيطان وحب العمل ، وهذا الحل يقوم على تجديد التربية والثقافة الصهيونية منذ الصغر «كما كان ذلك قبل قيام «اسرائيل» ، والسنوات الأولى لقيامها»، «وأعتقد أنه فى عمر دولة «كدولتنا» ، لم يكن بالامكان انجاز كل شىء بمنتهى الفعالية والنظام والأصول ، بما فى ذلك التربية والتعليم ، وهما أهم شيء فى هذه الحياة ، والدليل على ذلك اضطرارنا فى الجيش اليوم ، لتعليم بعض الجنود حتى القراءة والكتابة .. ونحن نعرف المشكلات الاجتماعية القائمة فى «الدولة» ، اذ على الرغم من كوننا مستقلين ، لم ننجح بعد فى التغلب على الصعاب كلها ، واحدى هذه الصعاب تتمثل فى معالجة الشباب بالتربية والتعليم منذ عهد الطفولة ، وحتى فى حدائق الأطفال !».

حركة تسوميت

والهدف الحقيقى من إنشاء حركة تسوميت التى أعلن إيتان عن تأسيسها فى تشرين الأول (أكتوبر) من العام الماضى ، وتعنى الصهيونية الجديدة ، أو التجدد الصهيونى ، انما هو تبنى أفكار الجنرال إيتان ، والعمل من أجل تحقيقها ، وان كان الهدف الظاهرى لها هو الدعوة الى الاستيطان اليهودى بكثافة فى الأراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وقد صرح إيتان مرة بأنه «يتوجب على اسرائيل أن تغرق الضفة الغربية المحتلة بالمستوطنين اليهود بكثافة ، يصبح معها العرب مثل : صراصير مخدرة داخل قنينة !» ويقوم إيتان بنشر أفكاره هذه ، فى محاضرات يلقيها فى المستوطنات اليهودية ، يحلل فيها التحديات المباشرة التى تواجه الكيان الصهيونى ، مركزاً على شؤون الدفاع ، ويقول : «إن هدف حركة تسوميت هو إبعاد شبح الإبادة عن «اسرائيل» ، وإذا كان الدفاع عن الحدود الشمالية أفضل فى لبنان ، فعلينا أن نكون فى لبنان» ، ويضيف : «إن سيطرة اسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان المحتلة ، هو الحد الأدنى المطلق لضمان أمن اسرائيل».

التهديد الدائم والحرب المستمرة!!

ومع هذا العجيج غير المترابط أحياناً من أفكار وطروحات الجنرال إيتان ، فإنه يطرح مقولة الحرب المستمرة ، والتهديد الدائم الذى يواجهه اليهود ، للحفاظ على تماسك «مجتمع الحرب» الذى أنشأته الصهيونية على أرض فلسطين العربية ، فقد صرح مرة «أن «اسرائيل» ستضطر الى العيش تحت ظل التهديد المستمر بالحرب ، ليس فقط لأن هذا الجيل من الاسرائيليين هو المحارب فحسب ، بل ولأن أبناءنا وأحفادنا سيحاربون من بعدنا».

ثم قال : «إننى لا أعرف بالضبط كيف يمكن أن تكون الأمور لو لم نتعرض للتهديد الدائم ؟.. كما أننا لم نكن لنستطيع دون هذا التهديد المستمر لنا ، إنجاز بعض الأعمال المعينة ، لعدم توفر الحافزية اللازمة».

صهيونى متزمت

إن طروحات الجنرال إيتان ، وأفكاره المنثورة هنا وهناك ، وإن كانت لا تجسد نظرة واضحة تماماً ، إلا انها تفصح بجلاء عن خط متزمت فى الصهيونية ، يلتقى مع أقصى اليمين الصهيونى ، ومع أن التمييز بين الخطوط الصهيونية ، انما يندرج فى اطار الاستراتيجية والتكنيك ليس إلا ، فإن هذا الرجل الذى يكشر عن أنيابه بشراسة ، ولايخفى تعطشه للدماء العربية ، يمثل فى الواقع صورة ، للصهيونى وللصهيونية ، بأجلى مظاهرهما.

عصام شريح

مازالوا يُغَنّون أناشيد طاغور الوطنية

بقلم : نصري عطا الله

إذا سألت الهنود عن الأغانى التى يتغنى بها الناس فى الهند ، قالوا لك إنها من تأليف : طاغور .. شاعر الهند الكبير ، الذى كان غزير الانتاج فى كل مجالات الفكر ، لأنه عاش حياته بعقلية مستقلة وقلب متفتح للتجارب الانسانية ، فإلى جانب ألوان انتاجه المتعددة فى المسرحية والقصة والدراسات والبحوث ، فقد كتب ـ أيضا ـ فى الشعر الوطنى ، لتصبح كلماته أناشيد على أفواه كل الناس !

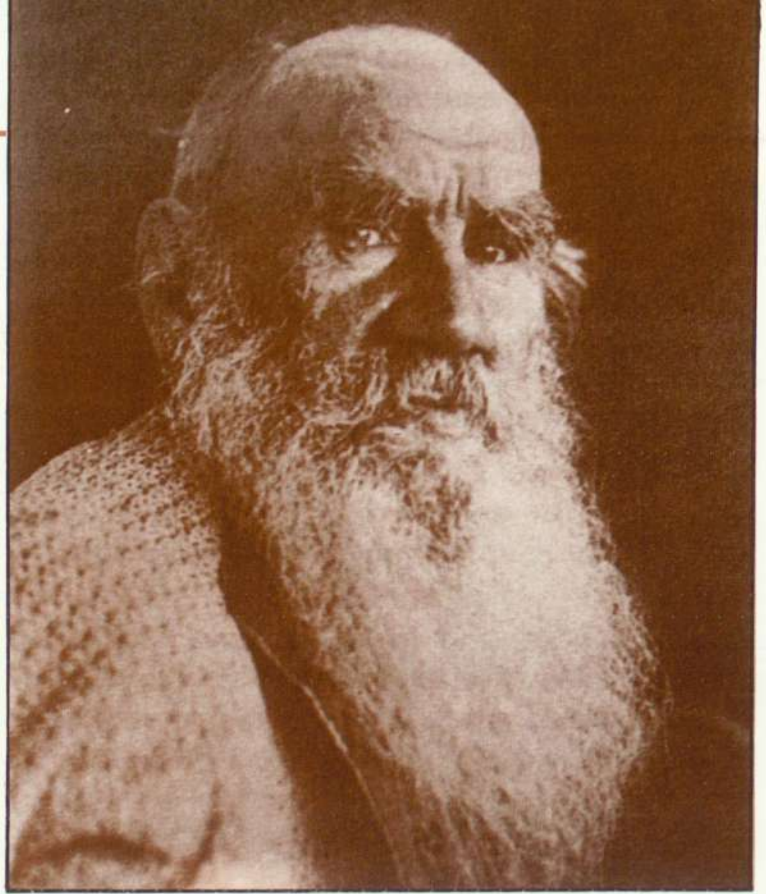
لقد كان شاعرا لايعرف اليأس من مستقبل الانسان ، وكان يقول دائما وهو يواجه المستعمر : إن مولد كل طفل جديد معناه أن الأمل متجدد وسوف يتحقق يوما .

نشأ طاغور شاعر الهند الأكبر ١٨٦١ ـ ١٩٤١ فى بيئة مترفة تتيح له كل ما يتمناه المرء فى حياته : الثروة والجاه والمعيشة الناعمة الميسرة والتعليم الجاد والتنقل فى كل أرجاء الأرض . ولكن كل ذلك لم يصرفه عما اختارته له الطبيعة ، وما وهب نفسه له مستعيناً بكل ما تيسر له من إمكانات ، وتفتحت مواهبه وهو غلام ، ولم يسلك طريق سابقيه أو ينحو نحوهم ويردد ما قالوه ، بل عاش حياته بعقلية مستقلة ، وقلب متفتح للتجارب الروحية والنفسية والعاطفية . ومن هنا كانت غزارة إنتاجه فى كل مجالات الفكر : فكتب الشعر الصوفى الذى اشتهر به ، والذى من أجله منح جائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٣ ، وهو أول شرقي ينالها ، كما كتب الشعر العاطفى والمسرحية والقصة الطويلة والقصيرة ، وشارك فى الاصلاح الاجتماعى بدراساته وبحوثه النثرية ومحاضراته ، واشترك فى الحركة الوطنية ، وكان له مع المهاتما غاندى جولات جادة فى مناهج الاصلاح والتعليم وغيرها .

وكتب أيضاً الشعر الوطنى وشارك الناس كلهم فى نواحى نشاطهم وأهدافهم . وإذا سألت الهنود عن الأغانى التى يتغنى بها الناس فى الهند حتى الآن لقالوا لك إنها من تأليف طاغور ، كما أنه لم يغفل أبداً عن الأهداف الوطنية السامية التى كانت تشغل أبناء وطنه إبان شبابه ، التى تزامنت مع السعي الحثيث والجهاد الباسل ضد الاستعمار ، وتحمل كل الآلام بل والموت فى سبيل الوطن .

وجاءت إحدى ليالى رأس السنة (وفى الهند تأتى فى شهر ابريل بالنسبة للتقويم الميلادى) وهو أكثر فصول السنة حرارة هناك ، وكتب طاغور القصيدة التالية مستحثاً شعبه على الجهاد ، مناديا بالآلام فى سبيل الحرية :

متعبة رحلت توا الليلة الأخيرة من العام ،
تتردد فى طريقك يا عابر السبيل
صيحة الشمس المحرقة
ويتجاوب صدى نشيد السيد
يا عابر السبيل
ليكن تراب الطريق المفتوح هو حضن أمك
دع دوامة الحركة تستحوذ عليك
وتحررك من قيود الأرض
وتتقدم بك إلى نهايات الدنيا
ليست لك تهاليل الولائم
وليست لك مصابيح العشيات
ولا دموع حبيبة
تنتظرك إلى جانب الطريق
بل نسمات « ابريل » اللافحة
وبروق « يوليو » المطير
وفى كل ركن تكمن لذعة الثعبان النار
وتحيات الأشواك
وسوف يكون سباب الألسنة الشريرة
أغنية انتصارك
تلك هى هدية السيد
وعندما تخسر كل شيء
سوف تنال الهبة التى لا تقدر بثمن
والتى لا تراها العيون
إنك تطلب الخلود
وهو ليس متعة ولا رفاهية
وليس سلاماً ولا دعة
سوف تطرد من باب إلى باب
وسوف يصيبك الموت بجرح مميت
تلك هى بركة العام الجديد
تلك هى هدية السيد
كن جسوراً يا عابر السبيل
ان سيدة المشقات .. تلك الشريدة
سوف تكون مانحة خيراتك
يا عابر السبيل
الليلة الأخيرة من العام مضت معقبة هذه اللحظة
وسيدة الحسم تراءت أمام بابك
فليزال كل رتاج
ولتتحطم كؤوس اللهو نثارا
دع رسالتها المضنية يتردد صداها
فى نبضات قلبك



طاغور : شاعر الهند الكبير الذى مازال شعب الهند يتغنى بأناشيده ، الوطنية

يا عابر السبيل
انقضى الليل
دعه ينقضى
الليل الأخير من العام الراحل

* * *

وتلحق بتلك القصيدة الرائعة قصيدة أخرى عبر فيها طاغور عن الاخاء البشرى وآماله فى أن يعم السلام كل أنحاء العالم ويتعايش البشر كأخوة تجمعهم المحبة :

على شواطىء الهند
حيث يلتقى الناس من كل الشعوب
تيقظ يا عقلى .
هنا أقف بذراعين ممدودتين
أرسل تحياتى لرب الانسانية
وفى غناء مهيب أنشد تسابيحى له .
لدى دعوته تفد روافد فى الناس
لتلتقى فى بحر الهند :
الآريون وغير الآريين
والبهتانيون (١) والمغول وغيرهم
لقد التقوا كلهم هنا
وصاروا كياناً واحداً
واليوم فتح الغرب أبوابه
ومن هناك وافتنا المواهب
على شواطىء الهند أهلا بالجميع
أخذاً وعطاء
الجميع سوف يجدون الحفاوة على شاطىء الهند
حيث يلتقى الناس من جميع الأجناس
وفى فرحة غامرة سوف ينشدون أغانى النصر
لقد أتوا مجتازين الصحراوات والجبال
انهم يقيمون جميعاً فى سويدائى
وفى دمائى تتردد أناشيدهم المتعددة الألوان .
حتى أولئك الذين نبذناهم فى احتقار
سوف يجتمعون فى رحابك أيتها الهند
حيث يتقابل الناس من كل الأجناس

* * *

هنا فى قلوب الناس
تتردد رسالة « الواحد »
وفى غمرة التأمل العميق تنسى كل الفروق
ويصهر المتعدد متحولا إلى شيء واحد ،
حول نيران التضحية
علينا جميعاً أن نلتقى .. رؤوسنا محنية ونتحد
على شواطىء الهند
حيث يلتقى الناس من كل الأجناس
وفى النيران
تتوهج لهب الألم المشعشعة بالدماء .
أيها العقل .. لتتحمل تلك الآلام
وتنصت إلى نداء الواحد
اقهر التردد كله والخوف كله
ولتتخلص من كل صور الاذلال ..
أى حياة جليلة سوف تنهض
عند نهايات يوم الآلام ..
ينقضى الليل
وتستيقظ أمنا الكبرى
على شواطىء الهند
حيث يلتقى الناس من كل الأجناس .

* * *

تعالى أيها الآرى وغير الآرى
الهندوسى والمسلم
تعالى أيها الانجليزى .. تعالى أيها المسيحى
تعالى أيها البرهمى
طهر عقلك وصافح أيادى الجميع
تعالوا أيها المسحوقون
لتنمحى كل أعباء هوانكم
لا تتمهلوا .. ولكن تعالوا جميعاً
لتمسحوا جبين الأم الكبرى بالزيت
على شواطىء الهند
حيث يلتقى الناس من جميع الأجناس ..

وإذا كان الواقع يجافى هذه الأمنيات ، فهل كانت مجرد أحلام فى الهواء ؟ لا .. بل كانت أمالا كباراً مستوحاة من تعلقه بالانسان ، لم تكن أحلاماً يطلقها وهو ناعم فى بيته ، بل لقد أنشأ مدرسة فى بلدة سانتينكتان طارت شهرتها واستفاضت ، وكان يؤمها الدارسون من كل أقطار الأرض . ان طاغور لا ييأس من مستقبل الانسان بل يقول إن مولد كل طفل جديد معناه أن الأمل متجدد وسوف يتحقق يوماً ما .

* * *

ولعل خير ختام هو هذه القصيدة ، بل هذه النجوى ، التى كتبها طاغور والتى ضمنها الزعيم نهرو إحدى رسائله إلى ابنته الشهيرة « انديرا » بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٣٣ :

حيث يعيش العقل بلا مخاوف وحيث يرتفع الرأس عالياً
وحيث تكون المعرفة طليقة محررة
وحيث لا تتقطع أوصال الدنيا ويحيلها التعصب الضيق كسراً صغيرة
وحيث تنبع الكلمات من أعماق الحقيقة
وحيثما يمد النضال الذى لا يكل ذراعيه نحو الكمال .
وحيث لا يضل نبع العقل الصافى طريقه فى رمال الصحراوات الموحشة ، صحراوات التقاليد الرثة
وحيث يتقدم العقل مهتدياً بك يا ربى إلى مجالات أوسع من الفكر والعمل ..
إلى سماء الحرية تلك ــ يا أبتاه ــ دع وطنى ينهض .

هـامــش

١ ــ الأفغان المقيمون فى الهند

الزهاوي في معاركه الأدبية

بقلم : عيسى الناعوري

المعارك الأدبية المشهورة التي يعرفها المثقفون العرب هي المعارك التي كانت تدور في الصحف والمجلات المصرية ، لأنها هي وحدها التي كانت منتشرة في العالم العربي كله ، وكان المثقفون يتتبعونها ويتفاعلون معها باهتمام كبير ، ولعل من أهمها ، ومن بواكيرها معركة كتاب « الشعر الجاهلي » لطه حسين ، وكانت من أوسع تلك المعارك وأشرسها وأبعدها أثراً . ثم تجيء معارك جماعة (الديوان) : العقاد والمازني . وتتلاحق المعارك بعدئذ ، ومن أهمها ما كان يدور في مجلة (الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، ومجلة (الثقافة) لأحمد أمين ، والمعارك التي كان يثيرها قلم الدكتور زكي مبارك هنا وهناك .

أما المعارك التي كانت تدور خارج مصر فقل أن يسمع بها المثقفون العرب في غير البلد الذي كانت تدور فيه . وكانت المعارك كثيراً ما تدور في لبنان ، والعراق ، وسوريا ، وغيرها ، ولكنها كانت تدور في أجواء محدودة ضيقة .

لهذا كان سروري كبيراً في أن أتلقى كتاباً عنوانه « الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية » ، للأستاذ عبد الرزاق الهلالي . فأقبلت عليه أكاد ألتهمه التهاماً ، وأود لو آتي على صفحاته الأربعمئة والتسعين في لحظة واحدة .

كان الزهاوي أديباً وشاعراً عراقياً شهيراً ، وكان حريصاً على أن يعرفه الناس (عالماً وفيلسوفاً ، وشاعراً) ، وكان يسوؤه أن يخرج كاتب أو ناقد عن النظر إليه بغير الثلاثة معاً .

لقد جمع عبد الرزاق الهلالي معارك الزهاوي الأدبية والفكرية كلها في هذا الكتاب ليقدم للقراء صورة عن المعارك الأدبية في تلك الفترة من عمر النهضة الأدبية في العراق ، وهي فترة كان النقد الأدبي فيها يتميز بالعنف ، والشراسة ، والاهانات المتبادلة ، فلا تناقش الفكرة بالفكرة — وهو غاية النقد — بل يتعارك الكاتب والكاتب ، ويتشاتم القلم والقلم ، وينتفي دور الضمير في هذه المعارك ، وكأنها لا تصدر إلا عن أحقاد متوارثة بين الأدباء والكتاب ، لا عن خلافات في الرأي فقط .

كذلك كان النقد الذي عرفناه لدى العقاد ، والمازني ، والرافعي ، وزكي مبارك ، — في مصر — وكذلك كان النقد الذي نجده على صفحات كتاب عبدالرزاق الهلالي : بين الزهاوي والرصافي ، ورفائيل بطي ، ومحمد بهجت الأثري ، وآخرين من العراقيين ، وبين الزهاوي والعقاد ، ونقد الزهاوي لأحمد شوقي .

لقد كان من أمانة الهلالي في عرض هذه المعارك أن جاء بها بكل تفاصيلها ووقائعها وردودها ، من أي طرف كانت . وبهذا عرض المتعاركين على الحلبة أمام المتفرجين ، بأشداقهم المنتفخة المزبدة ، وقبضاتهم المشرعة في وجوه بعضهم البعض ، وتركهم يتصارعون بكل ما في الصراع من شراسة وعنف وتجرد من تقاليد النقد والنقاش


صورة نادرة لجميل صدقى الزهاوى فى أواخر أيامه ، وقد كانت معاركه الأدبية مع خصومه بالغة العنف !

الفكري .

في البداية تأتي مقالات محمود أحمد السيد ، ورفائيل بطي ، في نقد رباعيات الزهاوي ، تليها ردود الزهاوي متتابعة في كيل الصفعات لمنتقديه ، وفي تفنيد آرائهم في شعره .

وأقدم للقراء هنا نماذج قليلة جداً مما قيل في هذه المساجلات البعيدة عن روح النقد وروح الأدب :

يقول محمود السيد : « نحن لم نقرأ الرباعيات ، ولكن يعلم الراسخون في العلم أن ما نشر منها لم يكن جديراً بهذا الادعاء الفارغ ، ولم يكن فيها شيء جديد من هذا النوع الذي يدعى بالتفلسف ـ أضف الى ذلك تفاهتها ... »

ثم يروح يتهم الزهاوي بسرقات شعرية كثيرة ، لمجرد تشابه أبيات من شعر الزهاوي مع أبيات لشعراء آخرين . وهي طريقة عقيمة في النقد ، تدل على الفراغ أكثر مما تدل على فهم النقد . وهي إن كانت صالحة في عصور سابقة ، فليست من مفاهيم النقد اليوم .

ويقول رفائيل بطي بعده مدافعاً عن شعر الرصافي ، ومهاجماً شعر الزهاوي « إن الزهاوي لا يصلح لكثير من أنواع الشعر ، ولا سيما « شعر الأطفال » ، فيجيء نظمه غثاًثقيلاً وتافهاً لا معنى له » .

ثم يروح بطي يبحث عن « سرقات » شعرية للزهاوي ، كما فعل محمود أحمد السيد .

فتجيء ردود الزهاوي عنيفة قاسية . وفي الرد الأول يقول الزهاوي عن رفائيل بطي : « لا أريد في كتابتي هذه افهام الملأ في بغداد أن الرجل دعي في الأدب ، لان الناس يعرفونه ، وانما لئلا تغرهم جعجعة رحاه فيظنون أن لها طحنا . أريد أن أفهمهم أنه خلو من الأدب ، تهجم على صنعته الجميلة قبل أن يستعد لها » .

يلي ذلك مقال لأحمد حامد الصراف دفاعاً عن الزهاوي ، بعنوان « الزهاوي ـ أنصاره وخصومه » .

بعد ذلك يثير الزهاوي نفسه معركة حول « الشعر المرسل » يهاجم فيه القافية في الشعر العربي ، ويعتبرها « قيداً ثقيلاً في أرجل الشعر العربي » ويقول : « كم شاعر خسر المعنى لانصرافه الى القافية ، وأخذ يستخرج المعاني منها كأنها الحجر الأساسي لبناء أبياته ، فهو لم يتحر القافية للمعنى ، بل تحرى المعنى للقافية » . ويقول كذلك : والقافية هي سبب فقدان الشعر القصصي عند العرب ، وسبب قلة الابتكار ، وتفاهة المعاني والموضوعات عند العرب ، وباختصار هي آفة الشعر العربي ، وعقبة الشاعر العربي الكأداء » .

نشر الزهاوي مقاله هذا في جريدة (السياسة) عام ١٩٢٥ ، فأيده شكري الفضلي بمقال عنوانه « الشعر المرسل » ، كما أيده سلمان الشيخ داود ، وعبد الرزاق الناصري . ولكن عبدالرزاق الهلالي لم يورد مقالي الأخيرين ، واكتفى بايراد مقال شكري الفضلي . وقد هاجمه الشيخ محمد بهجت الأثري هجوماً عنيفاً ، دافع فيه عن القافية في الشعر العربي ، وهاجم الشعر المرسل ، كما هاجم الزهاوي صاحب الدعوة الى الشعر المرسل ، فقال :

« فلا بدع اذا ما ثار بركان غضب (المفحم الألكن) ، وصب جام لعناته على العربية وآدابها ، وأصدر حكمه الصارم على عجز اللغة ، وضيق عطن الآداب ، ثم تناسى عجزه وجهله ، ليبني حججه على مقدمات هي أفسد من أضغاث الأحلام ... »

ثم يجيء « رأي الرصافي في الشعر المرسل » ، في لقاء صحفي بين رفائيل بطي والرصافي ، وهو لا يهاجم الزهاوي ، ويبدي في الموضوع رأياً هادئاً .

فيثور الزهاوي ويرد على ناقديه ، ويحمل من جديد على القافية ، ويدعو الى تخليص الشعر

العربي منها ، لينطلق من قيوده العسيرة ، وأكد في رده أن « القافية سوف تزول من الشعر ، كما زال السجع من النثر . » .

وما أظن الا أن دعوة الزهاوي هذه ، التي جاءت في عام ١٩٢٥ ، انما كانت تهيئة لمدرسة (الشعر الحر) التي ظهرت في العراق عام ١٩٤٧ ، على يد نازك الملائكة ، وان تكن جاءت على غير ما دعا اليه الزهاوي ، الى حد ما .

المعركة التالية كانت معركة بين الصديقين القديمين : الزهاوي والرصافي . والذي أوقع بينهما هو أحمد حامد الصراف ، فقد أهدى الزهاوي الى الرصافي نسخة من رباعياته ، فقرأها الرصافي وعلق على حواشيها تعليقات لا ترضي الزهاوي . وزاره الصراف يوماً ، واطلع على هذه التعليقات ، فطلب استعارتها ، فلم يمنعها الرصافي عنه . فأخذها الصراف الى الزهاوي ليطلعه على تعليقات الرصافي . فغضب الزهاوي ، وراح يهاجم الرصافي ، ويطعن في شعره وفي ذوقه ، فكانت القطيعة بين الصديقين الشاعرين ، وكانت حملات متبادلة بينهما على صفحات الصحف . ومات الزهاوي عام ١٩٣٦ والخصومة ما تزال على أشدها بين الرجلين .

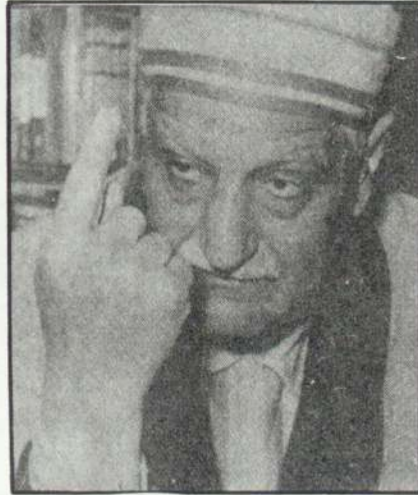
هذا التناقد والمساجلات بين الزهاوي ومواطنيه من أدباء العراق وشعرائه لا أرى فيه كبير غناء ، ولذلك سأقفز عنه الى نقد الزهاوي لشوقي ، ثم المعارك الحامية التي دارت بينه وبين العقاد ، في صحف مصر ، لا في صحف العراق ، لأن هذه المعارك خرجت من دورها الاقليمي الضيق ، ليقرأها العرب خارج العراق أيضاً . ولكنني قبل ذلك أحب أن أذكر أن أكثر المعارك التي أثارها الزهاوي وأثيرت عليه في العراق ، كانت تعتمد على إبراز ما يتوهم أنه سرقات ، وأنه أخطاء لغوية ، ولذلك كان مثل هذا النقد يبعث على الملل ، ويدل على عقم فكري وسوء فهم للنقد الأدبي .

والمؤسف أن الزهاوي نقل هذه الطريقة العقيمة نفسها الى مصر في معركته مع العقاد ، واضطر العقاد — المصارع الفكري — الى أن يرد بمثلها ، الى جانب ردوده العنيفة القاسية .

• • •

يقول عبدالرزاق الهلالي في الصفحة ٢١٨ من الكتاب :

« لم يكن الزهاوي يعترف بشاعرية غيره ، فكيف اذا كان هذا الشاعر قد أصبح « أميراً للشعراء » ... ان الزهاوي قد أغضبه هذا التنصيب ، فهو أحق به من أحمد شوقي ، كما يعتقد . أعرب الزهاوي عن رأيه هذا مراراً ، الا أنه تنازل شيئاً ما ، فقبل أن يكون شوقي (أميراً لشعراء مصر) ... وقد سر الزهاوي كثيراً عندما بدأت (جماعة الديوان) تهاجم شعر أحمد شوقي وتحط من شاعريته ... وأخذ يتحين الفرص لنقد شعر شوقي » ..



عباس العقاد : جرد الزهاوي من الشعر والفلسفة ، ووضعه بين العلماء فقط !

وتجيئه الفرصة حين نشرت إحدى صحف بغداد مرثية شوقي لاسماعيل صبري ، فراح الزهاوي ينتقد هذه القصيدة نقداً جارحاً .

يقول الهلالي إن هذا الأمر « أثار ضده عدداً من الكتاب الذين يخالفونه الرأي وفي طليعتهم الأستاذ محمد بهجت الأثري ، فقد كتب خمس عشرة حلقة ... بينما رد الهاشمي على الأثري بتسع حلقات » .

ويصدر ديوان شوقي (الشوقيات) فيتناول الزهاوي بالنقد ثلاث قصائد منه ، تماماً كما كان يفعل العقاد في اختيار بعض القصائد الهزيلات من شعر شوقي ، ويروح يوسعها ويوسع شوقي تهكما وسخرية . غير أن الزهاوي يتناولها من الجانب اللغوي — وليته كان ضليعاً في اللغة ! — والغريب أن هذه المقالات نشرها الزهاوي — دون توقيع — في مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها في بغداد العلامة الأب أنستاس الكرملي . ولذلك ظل المعروف أن المتطوع لنقد القصائد الشوقية هو الكرملي نفسه ، صاحب المجلة ، وليس سواه .

وطبعاً لم يتنازل شوقي الى الاكتراث بنقد الزهاوي ، كما لم يتنازل قط من قبل الى الاكتراث بنقد العقاد .

وأخيراً تقع الواقعة بين الزهاوي والعقاد . وهي واقعة حقاً ، لأن العقاد لم يكن من نوع الناقدين العراقيين ، بل كان يتميز بأعنف العنف ، وأشرس الشراسة ، فيوسع خصمه تمزيقاً ونهشاً ، بالسخرية حيناً ، وبالاهانة حيناً .

بدأت المعركة برأي قاله العقاد في الزهاوي رداً على سائل تونسي كتب الى العقاد يسأله عن رأيه في الزهاوي . وهذا الرأي جاء في ختام مقال العقاد ، وهو : « أن خير مكان للزهاوي هو بين رجال العلوم ورادة القضايا المنطقية ، فهو لا يبلغ بين الفلاسفة والشعراء مثل ذلك المكان » .

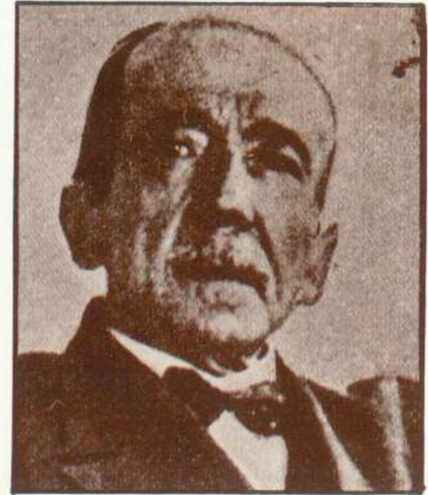
نشر العقاد مقاله هذا في جريدة (البلاغ) المصرية عام ١٩٢٧ واطلع عليه الزهاوي ، فلم يعجبه هذا الرأي الذي يجرده من الشعر والفلسفة ، ويضعه بين العلماء فقط ، فرد عليه في جريدة (السياسة الأسبوعية) القاهرية .

لم يكن الزهاوي عنيفاً في رده ، فهو يعرف مع من وقع . ولكنه راح يناقش مقال العقاد كله ، متذرعاً بأن العقل هو أساس كل تقدم وكل حضارة . ورد عليه العقاد في (البلاغ) يفند آراءه ، ويؤكد أن الخيال والعاطفة — قبل العقل — هما اللذان صنعا كل الحضارات . وكان العقاد قوياً في نقاشه ، وفي رد الرأي العلمي بالرأي المنطقي .

الغريب في رد الزهاوي أنه لا يؤمن بغير العقل والمنطق ، ويريد من الشعر أن يعتمد على العقل والمنطق . ولست أدري كيف يمكن أن يكون الشعر شعراً إن كان عقلاً كله ومنطقاً ، ولم يعتمد على العاطفة والخيال . وأرى أن الزهاوي بهذا يجرد نفسه من الشاعرية وهو لا يدري .

وكعادة العقاد ، لم يرحم الزهاوي من السخرية ، والتهكم في رده عليه .

وهنا انحرف الزهاوي عن النقاش في العقل والخيال والعاطفة ، وأخذ ديواناً للعقاد صدر حديثاً اذ ذاك ، وراح ينتقده في مجلة (لغة العرب) في مقالات متلاحقة ، دون توقيع أيضاً ، كما فعل في نقده لشوقي .



أحمد شوقي تعرض لهجوم ــ بدون توقيع ــ من الزهاوي في مجلة (لغة العرب)



معروف الرصافي : أغضب : الزهاوي ، فراح يهاجمه ويطعن في شعره وذوقه !

● كانت تعليقات الرّصافي على رباعيّات الزهاوي سبباً في قطيعة أبديّة بين الصديقين

● حقيقة المقالات المتلاحقة التي هاجم بها الزهاوي ديوان العقّاد في مجلة "لغة العرب"

وليس من عادة العقاد أن يسكت على نقد ، وما كان يمكن أن يخرج هذه المرة على القاعدة التي اختطها لنفسه . وفي هذه المرة لم يعرف من كان صاحب النقد في (لغةالعرب) وظنه الكرملي نفسه ، فراح يهاجمه بكل عنف وقسوة ، ويسخر من معرفته اللغوية ، وهو لا يعرف أن الكرملي لا ذنب له في ما يرميه به من سخرية ونقد لاذع ، وأنه من أسرة عربية عريقة تنتمي الى بني مراد .

وعلى الرغم من أن المعركة طالت بين الزهاوي والعقاد ، فان الزهاوي لم يكشف عن اسمه ، وصمت الكرملي عن البوح ، وظل يتلقى الأذى من العقاد صابراً .

ومرت الأيام ، ومات الزهاوي ، ثم مات الكرملي ، ثم مات العقاد ، ولم يكتشف أن الذي كان ينتقد شعره في (لغة العرب) هو الزهاوي وليس الكرملي . ولم يكن لدى الزهاوي ما يسمح له بأن يفصح عن نفسه ، ويدفع الأذى عن رجل بريء أهين دون جريرة .

والذي كشف هذه الحقيقة ــ بعد فوات الأوان بكثير ــ هو عبدالرزاق الهلالي في كتابه هذا ، ولم يكتف بالشهادة فحسب ، بل نشر صوراً من مقالات الزهاوي بخطه . وقد مات الكرملي مظلوماً ، ولم يشأ أن يدفع عن نفسه التهمة ، ومات العقاد ظالماً ولا يعرف أنه ظالم ، ومات الزهاوي قبلهما ، ولم يجعل الظالم يشعر بظلمه ، ولا دفع التهمة عن المظلوم .

وأورد فيما يلي نموذجاً صغيراً من نقد العقاد للكرملي ، وهو يحسبه المهاجم الذي يستحق العقاب :

« وفي ردنا على نقد هذه المجلة ــ أي لغة العرب ــ لديواننا فائدة قيمة ، غير فائدة التصحيح واظهار الأخطاء التي وقع فيها الناقد المغرور ،

وهي الكشف عن حقيقة الشهرة التي تنال أحياناً في بلادنا الشرقية ، فقد تذاع عن بعض سمعة العلم بالعربية وهم يجهلون من أولياتها وأصولها ما يفترض علمه في صغار الشداة المبتدئين ! وترى هؤلاء المشهورين يبيحون لأنفسهم مقام الافتاء

والتحليل والتحريم في ألسنة العرب ، وهم لا يفقهون منها جائزا ولا ممنوعاً ، ولا يقيمون فهم عبارات منها قلما تخفى على سواد الناس ! وفي طليعة هؤلاء صاحب مجلة (لغة العرب) ...

فالكشف عن حقيقة هذه الشهرة الزائفة باب من أبواب العبرة خليق أن يقصد لذاته ، ويتخذ مثالا لغيره من ضروب السمعة التي لا تقوم على أســاس ! (ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤) .

العقاد يقول هذا عن الكرملي ، في حين كان الكرملي من أبرز أعضاء المجمعين اللغويين في القاهرة ودمشق ، ومن أكبر علماء اللغة العربية وأصولها وقواعد صرفها ونحوها ، وما يجوز فيها وما لا يجوز .

ومع ذلك تحمل الكرملي الأذى الى آخر مداه ، ولم يقل شيئاً ، لأن الزهاوي لم يشأ أن يقول الحقيقة ، ولم يسعفه قلمه بشيء يدفع به التهمة عن المتهم .

هذه كانت نماذج من صنوف النقد الأدبي في ذلك الحين ، فهل تغير النقاد اليوم ؟ وهل أصبح النقد أكثر عفة وترفعاً عن الولوغ في المهاترات بدل مقارعة الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة ، والرأي بالرأي ؟

عيسى الناعوري

نوادر المخطوطات العربية في أسبانيا

● إحراق الكتب العربية كان يتم في احتفال شعبي كبير!

● في قرطبة وحدها كان النسّاخون ينسخون ثمانين ألف نسخة من الكتب سنويًا، وهو رقم يعادل كل ما كانت أوروبا - بكل دولها - تنسخه في عام واحد

بقلم: وجيه الشربجي

تنفرد مكتبة الاسكوريال دون غيرها من المكتبات المنتشرة فى أسبانيا. باحتوائها لمجموعة ضخمة من أنفس كتب التراث العربى. التى تبحث فى شتى فروع المعرفة.

والحقيقة أن لهذه المكتبة الشهيرة قصة مثيرة مع المخطوطات الاسلامية القابعة فى خزائنها.

ففى القرن السابع عشر للميلاد (١) طلب حكام مراكش من الحكام الاسبان. اعادة جميع المخطوطات العربية التى كانت محفوظة فى (الاسكوريال) وبخاصة الكتب العربية التى استولى عليها البحارة الاسبان عندما أسروا سفينة كانت تحمل مكتبة مولاى زيدان. ولكن الاسبان رفضوا فى بادىء الأمر رد المصاحف وكتب الفقه والتشريع والحديث، بحجة انها تساعد على التعريف بالدين الاسلامى والدعوة إليه. ووافقوا على اعادة الكتب التى تتعلق بالهندسة والطب واللغة فقط. الا أن مجلس الدولة الاسبانى تراجع عن هذا القرار، وأمر باحراق جميع المخطوطات العربية والاسلامية الموجودة فى (الاسكوريال) فوراً.

وفى اللحظات الأخيرة قام الملك باستشارة المركيز (بيلادا) فى هذا الأمر. فأوصاه بعدم حرقها، وألا يردها الى مراكش. بل يحفظها فى مكان أمين بعيداً عن الأعين والتداول. وقد وافق الملك على هذا الرأى. وبذلك بقيت الى يومنا هذا. ولو لم تتدخل الأقدار فى هذه الحادثة، لكانت النار أتت على هذه المخطوطات التى نعتز بها الآن ويفخر بها الاسبان.

ان الاسكوريال التى بنيت على نحو ستين كيلومتراً من شمال مدريد لتكون ديراً تحتوي على ذخائر ثمينة من مؤلفات أدباء وأطباء وفلاسفة المغرب والاندلس، حتى أن قسماً كبيراً من هذه المخطوطات لا توجد منها نسخة واحدة فى مكتبات البلاد العربية والاسلامية فى وقتنا الحاضر.

حرق واختلاس

ومن المعروف أن التاريخ قد سجل حوادث عديدة تدل على دمار مئات الألوف من المخطوطات العربية والاسلامية فى اسبانيا، سواء كان بواسطة الحرائق أو التسرب والضياع.

فقد أحرق الكردينال (تيستروس) فى ساحة الرملة بغرناطة خمسة آلاف مخطوطة عربية نادرة مكتوبة بخط أندلسي مشرق. وجلها محلاة بالذهب والفضة. وقد دفع أحد المتفرجين قبل البدء بحرقها ثمناً باهظاً لشرائها. ولكن الكردينال رفض أن يبيعها.

أما الكردينال (اسكولا) فقد سرق مكتبة الزبيدى الخاصة بكاملها والتى كانت تشتمل على مخطوطات علمية ثمينة كتبها الزبيدى العلامة المشهور بخط يده عن أساتذته.

هذا علاوة على الحرائق المشهورة التى حصلت فى عام ١٥١١ وقد التهمت النيران الألوف من كتب التراث العربى.

ومن المدهش ... أن اليوم الذى كانت تحرق فيه المؤلفات العربية التى ساهمت فى تقدم الحضارة الانسانية كان يعتبر عيداً واحتفالا شعبياً عظيماً فى أسبانيا، كما اعترف بذلك اسكولانو.

التأليف والنسخ

ولعل من المفيد .. لكى يطلع القارىء العربى على حركة التأليف والنسخ التى كانت منتشرة فى أسبانيا الاسلامية .. أن نستشهد بما جاء فى البحث الشامل الذى أعده. خوليان مبيريا وقام بترجمته الباحث العربى الدكتور جمال محرز. فقد ذكر (ان عدد الكتب التى كانت تنسخ فى قرطبة من الأمور التى تدعو الى الدهشة .. وان كان مما يسهل تقديره، اذا أدخلنا فى حسابنا أن عدد الطلبة بها كان يقترب من خمسة آلاف طالب — كان يجتمع فى فصل واحد على مدرس واحد ألف طالب — وان هؤلاء كانوا ينسخون كل ما يلقيه عليهم أساتذتهم من علوم. وأن مئات من النسوة كن يحترفن نسخ القرآن وكتب العبادة. وأن بعضهن كن ينسخن القرآن فى أسبوعين. واذا علمنا فضلا عن ذلك أن عدداً من الوراقين كان لهم نساخ خصوصيون يدفع لهم أجورهم، وأن المكتبات الخاصة كان لها جماعات من الرجال المختصين لهذا العمل، لاستطعنا أن نقدر عدد الكتب التى كانت تنسخ سنوياً فى قرطبة بين سبعين وثمانين ألف نسخة تقريباً دون مغالاة فى العدد .. وأن أوربا مجتمعة فى ذلك الوقت كانت لا تعطينا مثل هذا الرقم من المخطوطات. لقد وصلت شهرة مسلمى أسبانيا ومقدرتهم على النسخ والتجليد الى المشرق. وقد أشاد المقدسى بذلك فى كتابه).

واذا كانت قرطبة قد ضمت أهم المؤسسات الجامعية بفرعيها الأدبى والعلمى، فان طليطلة أشتهرت كمركز لتعليم العلوم العربية. فقد كان يؤمها علماء أوروبا لدراسة اللغة العربية وآدابها ليتمكنوا من الترجمة والتأليف.

أما اشبيلية فتحتل المكان الأول فى العلوم الفنية والموسيقية. فكان عندما يموت موسيقى فى قرطبة تنقل أدواته الى اشبيلية لتباع فيها. أما اذا مات عالم فى اشبيلية فتنقل مكتبته الى قرطبة لتباع فى أسواق الوراقين.



مخطوط عربى من المخطوطات النادرة التى تزخر بها مكتبة « الاسكوريال » فى أسبانيا .. ويتحدث عن تركيب الأدوية التى تعالج الأمراض المختلفة .. ويعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادى



نهاية مخطوط (برنامج ابن ابى ربيع) .. وهو من المخطوطات الهامة التى يحتفظ المتحف البريطانى بالنسخة الأولى منه ، بينما النسخة الثانية محفوظة فى مكتبة « الاسكوريال » باسبانيا

(مخطوطات مكتبة الاسكوريال)

وفى اطار البحث الجاد عن كنوز المعرفة العربية ، والمخطوطات الاسلامية المشردة فى المؤسسات الثقافية الشرقية والغربية ، طموحاً الى الاحاطة بها وتوثيقها ، وتقديمها مدروسة ومنظمة ، الى الأجيال المتعاقبة من مختلف الامم ، أرسل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بعثة علمية الى أسبانيا فى عام ١٩٧١ ، قامت بتصنيف وتصوير عدد كبير من المخطوطات العربية النادرة ، المحفوظة فى مكتبة الاسكوريال ، والمكتبة الوطنية بمدريد ، ومدرسة الابحاث العربية فى غرناطة .

وأصدر المعهد المذكور قوائم ضمت أسماء تلك المخطوطات التى حصلت البعثة على صورها من مكتبة الاسكوريال ، اخترنا منها هذه المجموعة وذلك على سبيل المثال ، ليطلع المثقف العربى على الأبحاث العلمية المتنوعة التى تحفل بها خزائن تراثه وما ينبثق عنها من فعاليات وطاقات مبدعة :

ــ ترجمة كتاب النفس لأرسطو . لمجهول . خط مغربى من القرن الحادي عشى عدد أوراق المخطوطة (٢٢) من الحجم الكبير .

ــ كتاب فى تركيب الأدوية بحسب أجناسها (لجالينوس) نقل حنين بن اسحاق . قلم اندلسي من القرن السادس . عدد الأوراق ٩٨ .

ــ المرشد فى طب العين . للغافقى . قلم أندلسي سنة ٧٧١هـ عدد الأوراق (٢٩٢) .

ــ تفسير كتاب الأربعة لبطليموس . لعلى ابن رضوان الطيب المصرى . قلم أندلسي سنة ٧٤٥هـ عدد الأوراق ١٢٦ .

ــ اختصار الجبر والمقابلة . لأبن بدر . قلم أندلسي سنة ٧٤٤هـ عدد الأوراق ٤٦ .

ــ التعريب والتيسير فى صناعة السطوح . لابن الجياب خط أندلسي سنة ٧٦٧هـ عدد الأوراق ٧٠ .

ــ كتاب فى صفة الأشكال التى تحدث بممر ظل المقياس فى سطح الأفق لثابت بن قره . قلم أندلسي سنة ٧٤٢هـ .

ــ منافع الأعضاء لجالينوس . ترجمة حنين ابن اسحاق . قلم أندلسي . سنة ٥٣٩هـ عدد الأوراق ١٤٠ .

ــ مقالة فى الحواس لعبد اللطيف البغدادى . قلم أندلسي من القرن السابع .

ــ المقالة الفاضلية فى علاج السموم وذكر الأدوية النافعة منها . خط نسخي سنة ٧١٢هـ .

ــ كتاب في المواليد . لزرادشت . قلم مغربي . من القرن العاشر .

ــ كتاب (أسئلة وأجوبة فى الطب) لحنين ابن اسحق . قلم أندلسي . سنة ٥٨٠هـ عدد الأوراق ٧٨ .

ــ شرح فصول أبقراط . لابن أبى صادق النيابوري . قلم معتاد من القرن الحادي عشر عدد الأوراق ١٢٤ .

ــ تلخيص كتاب جالينوس فى القوى الطبيعية . لأبى الوليد بن رشد خط أندلسي سنة ٦٣٧هـ .

والجدير بالذكر ... ان المعارف الدقيقة والهامة التى كانت تشتمل عليها كتب التراث العربى ، أصبحت أكثر الكتب تداولا بين الدارسين الأوربيين فى القرون الوسطى وبخاصة من قبل الرياضيين والفيزيائيين والفلكيين .

وقد أدى الاعتراف الانسانى أخيراً بعمق ما قدمه العلماء العرب عبر مسيرتهم الحضارية الى بروز القيمة العلمية للمخطوطات العربية الاسلامية ، واعتبارها جزءاً هاماً من الثروة الثقافية العالمية ، تستحق كل عناية وتمحيص . ولا ريب أن نشر التراث العربى ، قد بات ضرورة ملحة لاثارة الهمم لبناء المستقبل الحضارى اللائق بأمتنا المجيدة .

وجيه الشربجي

المراجــع

ــ الموسوعة الطبية الفرنسية **La Rousse** الجزء الرابع .

ــ نشرة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(١) بحث حول (المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الاسلامية) . للأستاذ خوليان مبيريا ترجمة الدكتور جمال محرز .

(٢) انظر ... التعريف فى المخطوطات لمحمد الفاسي عميد جامعة الرباط .

الفكر العربي والغرب

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

عندما احتل الفرنسيون مصر فى نهاية القرن الثامن عشر أحضروا معهم بعثة علمية مكونة من ثمانية وأربعين عضواً من كافة التخصصات ، وكانوا يقومون بتجارب كيماوية أمام علماء المسلمين لابهارهم بالتقدم العلمى الذى أحرزته الحضارة الحديثة والثورة الصناعية . البعض منهم مثل عبد الرحمن الجبرتى أ شاد بهذه المنجزات ودعا الى الأخذ بها ، والبعض الآخر مثل الشيخ خليل البكرى سأل العالم « برتوليه » عما إذا كان يستطيع أن يكون فى مراكش والقاهرة فى وقت واحد ، فصمت برتوليه لا يعرف كيف وبماذا يجيب . وما بين رد فعل الجبرتى وسؤال البكرى كانت قصة العقل العربي والغرب .

وبدأت اشكالية « نحن والغرب » التى مازالت من القضايا الخلافية التى اثارت عقول أجيال متعاقبة من المفكرين العرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولم تقتصر على الحوار الفكرى بل أصبحت جزءاً من الجدل السياسى والمواقف الاجتماعية والسياسية . وأثيرت تحت أكثر من اسم،مرة تحت اسم الأصالة والمعاصرة ، ومرة ثانية باسم التقليدية والحداثة ، ومرة ثالثة باسم الوافد والموروث ، ومرة رابعة باسم العرب والعصر الحديث .

الثقافة بين العالمية والخصوصية

ومن الناحية المنهجية فإن بحث هذا الموضوع يثير مسألة العالمية والخصوصية فى الفكر الانسانى وفى التاريخ البشرى . بعبارة أخرى هل تشهد مراحل التطور العالمي حضارات وثقافات سائدة على بقية الثقافات أن تقتدى بها وأن تتمثل أنماطها ؟ أم أن هناك تمايزات وخصوصيات ثقافية ينبغى احترامها والحفاظ عليها ؟

أما أصحاب النظرة الأولى فينطلقون من «مفهوم « الثقافة العالمية » التى تمثل الحضارة السائدة أو المسيطرة فى مرحلة زمنية ما ، وأنه على المجتمعات والشعوب الراغبة فى النهضة أن تتشبه بهذه الثقافة

والحضارة المتقدمة . هذا الرأى لا يقف كثيراً أمام مفاهيم مثل التراث والأصالة والخصوصية الحضارية والذاتية الثقافية ، ويرى أصحابه أن المعيار الأساسى الذى ينبغى الاستناد إليه هو درجة التطور الاقتصادى والتنظيم الاجتماعى ، وأن كل نظام اقتصادى أو تكوين اجتماعى يفرض قيمه ومعاييره ، وأن قيم الماضى لا يمكن أن تعيش وتستمر إلا بالقدر الذى تتمشى فيه وتتوافق مع الظروف الجديدة التى تفرضها الحياة الحديثة .

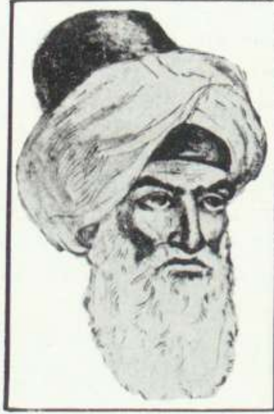
الرأى الآخر يقبل مفهوم الخصوصية التاريخية والثقافية ، ويرى أن الحديث عن ثقافة عالمية عادة ما يكون تبريراً لسيطرة احدى الثقافات على الأخرى كأحد جوانب الهيمنة الاستعمارية للدول المتقدمة على الدول النامية أو المتخلفة . وأن أى مجتمع يستند فى استمراره الى منظومة من القيم والمعايير التى ارتبطت بتطوره التاريخى والتى تكسب المنتمين اليه ذاتيتهم الثقافية ، وأن هذه القيم هى التى تعطى لكل مجتمع تميزه واختلافه عن المجتمعات الأخرى ، وهى التى توفر لأبنائه عنصر التوازن النفسى ، وتنظم علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وتحدد معايير السلوك الانسانى .

وهذه القيم فى التحليل الأخير هى ضمان استمرار المجتمع كوحدة نفسية وكاطار معنوى . ومن الأمثلة الهامة فى هذا الصدد حالة الفلسطينيين الذين اضطروا للحياة فى خيام فى لبنان مثلا ، أو أوضاع اللاجئين الأفغان فى باكستان . وكيف أنه فى الحالتين ومع اقتلاع المقومات المادية للمجتمع تماماً ، فقد لعبت منظومة القيم دورها فى الحفاظ على وحدة المجتمع واستمراره .

يزيد من أهمية هذا الرأى أن ما يسمى بالثقافة العالمية هو فى حقيقة الأمر ثقافة وفكر المجتمعات الغربية كما طورت فى القرنين الأخيرين ، وليست عالمية أو انسانية حقاً بمعنى أنها نتاج التقاليد الثقافية والفكرية المختلفة فى العالم المعاصر . وأن هذا الفكر يتضمن أكبر الاحتقار لتقاليد البلاد الأخرى ، ويكشف عن تمحور عميق حول الذات Ethno-Centrism وهو مادرسه ادوارد سعيد فى دراسته عن الاستشراق .

فمونتسكيو أحد آباء التطور الدستورى والفصل بين السلطات يكتب فى « رسائل فارسية » عن تعود


جان جاك روسو


الجبرتى


جمال محمد أحمد

الشرقيين على الاستبداد وأنه بمثابة طبيعة ثانية لهم . والفكر السياسى السائد فى أوربا الغربية والولايات المتحدة يرى فى الديمقراطية الليبرالية غاية كل تطور سياسى ، وأن التنمية السياسية الحقة لابد أن تقود الى هذا الشكل من أشكال التنظيم السياسى .

وفى دراسة صدرت فى أوربا فى العشرينات وترجمت الى اللغة العربية تحت عنوان « الفكر الاجتماعى والسياسى الحديث فى لبنان وسوريا ومصر » نجد أنها تتحدث عن تهيؤ « العرب للدخول فى صفوف المناضلين من أجل المثل التى صاغها الغرب قبلهم » والاصرار على أن « أوربة » الوعى الاجتماعى العربى مسألة حتمية وأن الضرورة التاريخية تتطلب تحويل أشكال العمل الآسيوية الى أشكال أوربية ، وتقول نفس الدراسة ان نمط الأفكار والمشاعر الأوربية ليس أقل ضرورة بالنسبة للاستخدام الناجح لآلات البخار والفحم والتقنية » ويضيف المؤلف ليفيز أن « استيعاب المثل الأوربية والتراث الأوربى قد ساعد القوى العربية على ادراك مهمتها التاريخية » .

بين الانغلاق والانفلات

إن هذا التحليل لابد أن يقودنا لرفض موقفين برزا فى مسار الفكر العربى الحديث . أولهما موقف انغلاقى يرفض الثقافة والفكر الغربيين باسم الأصالة والتراث . وثانيهما موقف انفلاتى يقبل هذا الفكر فى كلياته دون تمحيص أو نقد ودون ادراك للانحيازات القيمية التى ينطلق منها .

أما الموقف الأول فقد نبع فى أغلب الأحيان من الرغبة فى الدفاع عن الذات ، وحماية المجتمع والتراث ، والخوف من خطر الاستيعاب فى اطار الحضارة المهيمنة الأكثر قوة . وأكد أنصار هذا الاتجاه على أهمية الذاتية الثقافية ، وضرورة التمسك بالخصوصية القومية والحضارية ، ونجحوا فى خلق الاهتمام بهذه الأفكار بين التيارات الفكرية الأخرى وبالذات التيار القومى العربى .

والمشكلة الأساسية لهذا الموقف أن يصنع سوراً عتيداً حول العقل العربى ، ويرفع باستمرار شعار التحذير من الأفكار المستوردة دون أن يميز بينها ، ويوجد حاجزاً نفسياً بين الإنسان العربى والحياة الحديثة ، ويحد من قدرته على التعامل مع عناصر هذه الحياة والتفاعل معها بشكل صحى وخلاق .

والموقف الثانى نبع من الرغبة فى إحداث تقدم سريع على النمط الذى تحقق فى أوربا الغربية وأمريكا ، ونظر أنصار هذا الرأى الى الحضارة الغربية بشقيها المادى والثقافى ككل واحد متكامل ، واعتبروا أن التقدم العلمى الصناعى الذى أحرزته أوربا لا يمكن فصله عن القيم الثقافية والفكرية التى كانت بمثابة قاعدته وأساسه . واذا كان الأمر كذلك فمن غير الممكن اقتباس الانجازات المادية دون أن نأخذ معها الأسس الفكرية والثقافية التى تصاحبها ، والقيم التى تقوم عليها ، وتنطلق منها

والمشكلة الأساسية لهذا الموقف أن ما يدعو اليه

الفكر العربي والغرب

غير ممكن عوضاً عن أنه غير مرغوب فيه . هو غير ممكن لأنه لا يوجد مجتمع يستطيع أن ينفصل عن ماضيه وتراثه ، وهو غير مرغوب فيه لأنه من غير الصحيح ، اعتبار الماضى شراً خالصاً ، واعتبار عناصر الحضارة الحديثة خيراً مطلقاً .

وما بين هذا وذاك ظل موقف ثالث يسعى الى التوفيق والربط بين القديم والجديد ، والى الجمع بين التراث والحياة الحديثة ويحاول اقامة الجسور بينهما والوصول الى تركيبة بين الاثنين . تركيبة تحترم الأساس المعنوى والروحى للمجتمع العربى ، وفى نفس الوقت تستفيد من الانجازات الصناعية والتكنولوجية والتنظيمية للمجتمع الحديث .

اعتبارات منهجية

وفهم علاقة الفكر العربى بالغرب والمواقف المختلفة التى اتخذها المفكرون العرب ازاء الأفكار الغربية لا يمكن أن يتم فى فراغ ، ولا نستطيع أن نفهم التحول فى حجم القبول لكل موقف فى المراحل التاريخية المختلفة وحجم التأييد لكل منها باعتبارات فكرية محضة . وانما ينبغى وضع هذه العلاقة والمواقف ازاءها فى اطارها التاريخى وفى سياقها السياسى والاجتماعى ، وبتطبيق مقومات علم اجتماع المعرفة التى تؤكد على ضرورة ربط النتاج الفكرى لمؤلف أو لحقبة تاريخية بالظروف والخبرات الواقعية التى اعتركها هذا المؤلف أو شهدتها تلك الحقبة .

وتحليل موقف العقل العربى من الغرب ، ومدى قبول أو رفض هذا العقل للأفكار الغربية ، وشكل هذا الموقف ــ قبولا ورفضاً ــ ، وعما إذا كان يستند الى نظرة نقدية فاحصة أم الى موقف شمولى ، ومدى قبول وجهة نظر ما وانتشارها فى المجتمع .. كل هذا ينبغى تحليله فى اطار الخبرة التاريخية التى تم فيها ، وهنا تثار الاعتبارات المنهجية التالية :

أولا : عن أى عقل عربى نتحدث . من أى قطر عربى . وفى أى مرحلة تاريخية من مراحل تطور المجتمع العربى تم الاحتكاك بالفكر الأوربى ؟

فأى مفكر يعكس فى نظرته الى الثقافات الأخرى خلاصة خبرته وتجربة مجتمعه ، وهو ينجذب بطبيعة الأمور الى موضوعات وقضايا معينة فى الثقافة الأجنبية دون أخرى ، بل إن توجهه العام ازاء الخارج تحكمه خبرته الشخصية والاجتماعية .

ويمكن أن نطرح فى هذا المجال مثالين أحدهما شخصى والآخر اجتماعى . فعلى المستوى الشخصى فإن المفكر الذى يشعر بالانتماء الى التيار الرئيسى للمجتمع ــ لغة وثقافة وتراثاً ــ عادة ما يكون أكثر حذراً وتحرزاً فى تقبل الآراء الجديدة ، وهو يتساءل باستمرار عن مدى تقبل مجتمعه لهذه الأفكار ، وعندما يطرحها نجده يسعى الى إبراز انسجامها واتفاقها مع التقاليد الأساسية للمجتمع ومع قيمه .

وعلى المستوى الاجتماعى يثور السؤال عما اذا كان المجتمع يمر بمرحلة نهوض وانطلاق أم تعتريه حالة تعثر وتردى ؟ وبصفة عامة فان المجتمعات التى تشهد حالة نهضة عادة ما تكون أكثر شعوراً بالثقة فى الذات وبالأحساس بالندية والتكافؤ مع الثقافات الأخرى ، وهذه الحالة تمكنها من الانفتاح العقلى على الخارج ومن تقبل الآراء الجديدة ومن هضمها واستيعابها فى اطار العملية النهضوية .

وبالعكس فى حالات الانتكاسة والتردى تكون الآلية الرئيسية فى العقل الجمعى هى الدفاع عن النفس وحماية الوجود وهو ما يتمثل عادة فى سلوك يدعو الى الانغلاق الفكرى .

ثانياً : عن أى أوربا أو غرب نتحدث ؟ وعن أية تيارات فكرية أو سياسية فى الغرب تم احتكاك العقل العربى بها ؟ وفى مؤلف لى صدر فى عام ١٩٧٥ ذكرت أن الدراسات الرئيسية باللغة الانجليزية عن تطور الفكر السياسى العربى وتأثير الأفكار الغربية عليه مثل دراسة المفكر السودانى الرصين جمال محمد أحمد بعنوان « الأصول الثقافية للقومية المصرية » الذى صدر عام ١٩٦٠ ، وكتاب المؤلف الانجليزى اللبنانى الأصل البرت حورانى بعنوان « الفكر العربى فى عصر النهضة » الذى صدر عام ١٩٦٢ ــ من بين كتب أخرى ــ تركز أساساً على تأثير الفكر الليبرالى والقومى دون أن تتعرض للتأثيرات الثقافية الأخرى كالنازية والفاشية .

ويعكس هذا افتراضاً بأن التأثير الفكرى الغربى كان فى جملته تطوراً إيجابياً ، وأن أفكار الثورة الفرنسية ومفاهيم الديمقراطية والدستورية والحريات السياسية قد تم انتقالها وانتشارها بين المثقفين العرب من خلال عملية الاحتكاك الثقافى والفكرى .

والحقيقة أنه لا يمكن حصر آثار الاحتكاك الفكرى مع أوربا على مفاهيم الديمقراطية والقومية والدستورية وعلى أفكار لوك وروسو ومونتسكيو ، وأنه لابد أيضاً من دراسة تأثير الأفكار المتعددة الأخرى على الفكر العربى .

وهكذا فعندما نسعى لتحليل عملية الاحتكاك الفكرى بين المفكرين العرب وأوربا (أو الغرب) لابد من أخذ مرحلة التطور الأوربى ذاتها فى الحسبان ، وفى أى حقبة من التطور الاجتماعى والسياسى لفرنسا أو لانجلترا أو لألمانيا تم اتصال المفكر العربى الذى ندرسه باحدى الدول الأوربية ، وما هى التيارات الثقافية التى كانت سائدة وبارزة وقتذاك والتى تركت تأثيراتها على مفكرنا العربى ؟ وشتان بين أن يحتك مفكر عربى بفرنسا مثلا وقت الثورة الفرنسية ، وبين أن يتأثر بالمانيا خلال العهد النازى .

ثالثاً : ما هو السياق التاريخى الذى تم فيه الاحتكاك الثقافى ؟ ومدى حرية الفكر العربى فى التعامل والتفاعل مع الأفكار المختلفة ؟ ودلالة هذا الاعتبار هو أنه بمجيء الثلث الأخير فى القرن التاسع عشر ، وسقوط أغلب البلاد العربية تحت الاستعمار الأجنبى فإن التفاعل الفكرى بين العرب وأوربا لم يعد تلقائياً ولم يعد أمراً ثقافياً وحسب ، وانما صار موجهاً وتابعاً وجزءاً من العلاقة الاستعمارية التى تحققت وتمثلت فى الاحتلال العسكرى والهيمنة السياسية .

وقد أثر ذلك على موقف المفكر العربى ومدى انفتاحه على الغرب ، ولعل ذلك يفسر لنا مثلا الفارق بين مفكرى النصف الأول من القرن التاسع عشر الذين لم تكن لديهم حساسية سياسية إزاء الغرب ، وبين نظائرهم فى فترة الاستعمار الغربى للمنطقة العربية .

ففى ظل الاستعمار يصبح أحد شواغل الحركة الوطنية التمايز الفكرى والثقافى عن المستعمر لا الانفتاح على ثقافته والترويج لأفكارها بغض النظر عن مضمونهما .

ويدخل فى هذا المجال شكل التفاعل الثقافى ومدى شعور المفكر العربى بأن هناك أفكاراً مفروضة عليه لا يملك إلا التسليم بها وأن هذه الأفكار جزء من عملية السيطرة الاستعمارية على مجتمعه .

الخارطة التاريخية

ومع التأكيد على أنه لا توجد مراحل قاطعة أو فواصل زمنية يمكن تحديدها بدقة فى تطور الفكر السياسى والاجتماعى فإنه يمكن التمييز عموماً بين مراحل أربع فى هذا التطور .

المرحلة الأولى : استمرت منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصفه واتسمت بعدم تبلور الظاهرة الاستعمارية الأوربية بشكلها العسكرى والسياسى ، وعدم الشعور فى أغلب البلاد العربية بوطأة النفوذ الأجنبى ، وبدء التعرف على منجزات

• عن أى عقل عربى نتحدث ؟ ومتى تم الاحتكاك بالفكر الأوربى ؟

• المجتمعات التى تشهد حالة نهضة ، عادة ما تكون أكثر شعورا بالثقة فى الذات

• مدى حرية المفكر العربى فى التعامل والتفاعل مع الأفكار المختلفة

• الصحوة الاسلامية فى السبعينات فرضت على جدول اعمال العقل العربى مرة أخرى: قضية نحن والغرب

التقدم الغربى من خلال السفر والترحال ، وقيام محاولات للنهضة على يد محمد علي فى مصر ، وخير الدين فى تونس ، وداود باشا فى العراق ، علاوة على محاولات الاصلاح فى الدولة العثمانية .

فى هذه المرحلة لم يشعر المفكرون العرب بالحرج أو الحساسية من اقتباس المفاهيم والأفكار الغربية ، وتم ترجمة أو تعريب عديد من الألفاظ الى اللغة العربية أو اعادة تعريف بعض الكلمات التى كانت معروفة من قبل .

المرحلة الثانية : التى تمتد الى ما يقرب من قرن من منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية والتى يمكن وصفها بالمرحلة الاستعمارية فى التاريخ العربى ، يعتبرها البعض مرحلة النهضة فى تاريخ الفكر العربى .

خلال هذه المرحلة كانت الغالبية العظمى من البلاد العربية إما فى ظل حكم استعمارى مباشر ، أو أعطيت استقلالا ناقصاً كما كان الحال فى مصر منذ عام ١٩٢٣ .

وفى الوقت الذى اضطهدت فيه الادارة الاستعمارية الحركة الوطنية وضربت بيد من حديد على المحاولات الرامية لاقامة تنظيمات سياسية وطنية ، فإنها سمحت للمثقفين بمساحة من الحرية الفكرية وبالذات عندما يكون تأثيرهم محدوداً وعندما يكون الحوار حول موضوعات لا تتصل مباشرة بقضيتى الاستعمار والاستقلال . ومن هنا شهدت مصر مثلا فى نهاية القرن التاسع عشر مناخاً مواتياً لعرض الأفكار والجدل بينها ، وهاجر المفكرون والصحفيون من الشام الى مصر لإصدار الجرائد وترجمة الكتب ودراسة قضايا مثل الاصلاح الاجتماعى ، ونشر التعليم الى غير ذلك من موضوعات .

والأرجح أن الادارة الاستعمارية سعت من وراء هذه السياسة الى تحقيق هدف شغل قطاعاً من المثقفين عن قضية الاستقلال ، وعن البحث فى موضوعات الاصلاح الاجتماعى . وفى هذه المرحلة برز الخلاف بين وجهتى نظر ، الأولى مثلها الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وقالت بالنضال السياسى المباشر وبالمواجهة مع الاستعمار وبضرورة تنظيم الحركة الوطنية من أجل الجلاء والاستقلال . والثانية مثلها أحمد لطفى السيد وجوهرها إعداد الأمة للاستقلال وهو ما يستلزم العمل فى مجال الاصلاح الاجتماعى ورفع مستوى التعليم ومحو الأمية . وقال أنصار هذا الرأى بأن الاحتلال ليس سبباً لضعف المصريين بل هو نتيجة وانعكاس لهذا الضعف ، ومن ثم فإن رفع مستوى الوعى القومى وتدريب الكفاءات اللازمة ونشر التعليم هى شروط ضرورية للحصول على الاستقلال .

المرحلة الثالثة : التى امتدت من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى حرب ١٩٦٧ شهدت الاستقلال السياسى لأغلب البلاد العربية ، ومحاولات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لبناء الدولة الوطنية . وفى الدول العربية التى لعبت الأدوار الرئيسية فى هذه المرحلة كانت نظمها تتسم بوجود خط فكرى رسمى للدولة والعداء السياسى للغرب وهو ما انعكس على أدوات الاعلام .

وقد ظل عدد من التيارات الفكرية المخالفة قابعاً وكامناً يحيا وينمو داخل المجتمع دون أن تكون له فرصة التعبير عن وجهة نظره بطريقة شرعية ، كذلك فإنه نتيجة لارتباط التوجهات الفكرية بالمواقف السياسية فقد تذبذب مضمون الموقف من الغرب حسب تبدل الظروف السياسية .

المرحلة الرابعة : التى تمثلت فى السبعينات ومازالت مستمرة حتى الآن ، أحد ملامحها الأساسية هى الصحوة الاسلامية التى طرحت إشكالية العلاقة مع المفاهيم الغربية ، وقدمت اسهامات هامة فى هذا الصدد لا تنحصر آثارها على الملتزمين بها بشكل مباشر وانما على مجمل التيارات الفكرية فى المجتمع العربى وفرضت على جدول أعمال العقل العربى مرة أخرى قضية نحن والغرب .

إن انتشار أفكار الصحوة الاسلامية قد أثر فى المناخ الفكرى الذى نعيش فيه ، وطرح قضايا تستدعى الحوار بين أصحاب الرؤى السياسية والاجتماعية المختلفة ، أبرزها أن قضية التراث لم تعد أمراً يمكن إغفاله أو المرور عليه بكلمة أو إشارة عابرة ، وإن قضية دور التراث فى النهضة هو قضية سياسية وفكرية حقيقية .

وإذا استمر الحوار السياسى ومناخ احترام الرأى الآخر ، وإذا انتقل هذا الحوار من مجال العموميات والأصوليات الى مجال الحلول التى يقدمها كل تيار للمشاكل التى يواجهها المجتمع العربى اليوم فقد تصنع حقبة الثمانينات الأساس لحل المشكلة التى عاشت معنا أكثر من قرن ، مشكلة نحن والغرب أو التراث والعصر والتى بدون الوصول الى اتفاق بخصوصها فمن الصعب أن ننطلق على طريق النهضة .

علي الدين هلال



بقلم : محمود السعدنى

بداية ونهاية

قهوة محمد عبد الله كانت تتوسط ميدان الجيزة فى عصره الذهبى الذى كان . كان الميدان وقتئذ فسيحاً تتناثر على جانبيه مساحات من الأرض الفضاء قامت عليها ناطحات السحاب وأطبقت على الميدان وخنقت أنفاسه ، وكانت القهوة تحتل ناصية هامة للغاية ، ويتفرع على جانبيها شارعان من أهم شوارع الجيزة وأقدمها ، شارع سعد وشارع عباس ، وكان للقهوة ثلاثة أبواب فسيحة مفتوحة على الميدان ، وباب جانبى مفتوح على شارع عباس ، وكانت كراسى القهوة تتناثر على رصيف الميدان وتطل عليه ، وتصبح الجلسة على رصيف المقهى جزءاً من جغرافية الميدان ، وكان المعلم محمد عبد الله يتخذ لنفسه محلا مختاراً داخل المقهى وإلى جوار « النصبة » حيث يتم إعداد الشاى والقهوة وغيرهما من الطلبات ، وكان اختياره للمكان نتيجة دراسة جدوى ، لأنه كان من مجلسه يراقب عامل المقهى ، كما أن المارة فى الميدان كان باستطاعتهم أن يشاهدوا المعلم محمد عبد الله ومن أى زاوية من زوايا الميدان . كان المعلم محمد عبد الله رجلا سميناً ممتلئاً ، ليس بالقصير ولا بالطويل . ولكن أكتافه كانت عريضة ، وصدره بارزا ، وشاربه يغطى مساحة كبيرة من وجهه ، وكان متجهماً على الدوام ، لم أضبطه مرة واحدة فى حالة ابتسام ، وكان فى حالة استنفار على الدوام ، إذا تسلل إلى المقهى مواطن عطشان يريد أن يشرب ماء مثلجاً نهره المعلم بالحسنى أولا ثم بطريقة أخرى إذا لزم الأمر . أما إذا تهجم بائع سريح أو صباغ أحذية ودخل المقهى فليس أمام المعلم إلا طريقة واحدة للتعامل مع هؤلاء ، فقد كان يقذفهم بما يتيسر من أدوات تحت يده : كوب شاى ساخن أو فردة حذاء ! ولذلك كانت قهوة عبد الله آمنة تماماً ، وحدودها محترمة . ولم يشاهد أحد من غير زبائنها يشرب من مياهها ، ولم يسمح لأحد من صباغى الأحذية باختراق حدودها إلا الولد « بحبح » فهو الوحيد الذى كان مسموحاً له بهذا الشرف الرفيع !

وكان « بحبح » شهيراً فى الجيزة ، فقد كان فى مواجهة قهوة عبد الله استديو للتصوير السينمائى هو ستديو « توجو مزراحى » وهو يهودى مصرى اشتغل بالاخراج السينمائى وأخرج خمسين فيلماً مصرياً على الأقل ثم هرب من مصر بعد حرب فلسطين ولم يسمع عنه أحد شيئاً بعد ذلك . وكان « بحبح » يقوم أحياناً بأدوار ثانوية صغيرة فى الأفلام ، وفى فيلم « على بابا والأربعين حرامى » قام بدور حرامى ، واستغرق ظهوره على الشاشة دقيقة كاملة ومن يومها اعتبر « بحبح » نفسه نجماً سينمائياً ، وكان يتعامل مع الجميع على هذا الأساس !

وكان للمعلم محمد عبد الله أبناء كثيرون كلهم لهم نفس الهيئة ونفس السحنة ونفس التكشيرة التى تخيف الطير السارح فى فضاء الله . ولكن حسن كان أضخم من والده وأقوى . وكان محترف خناقات ولكن فى غيبة أبيه ! وكان أحمد هو الابن الأكبر للمعلم محمد عبد الله ، وكان أقصر من أبيه وإن كان يتمتع بكل صفاته الأخرى : النظرة الميتة ، والقبضة الحديدية وعدم الاهتمام بأى شىء فى الحياة إلا القهوة والزبائن والطلبات .

الرجل الوحيد الذى خرج عن القاعدة العامة المعمول بها فى القهوة هو الجرسون . فقد عمل فى شبابه مع خواجات من بلاد اليونان ، وشرب منهم أسرار الصنعة وقلدهم حتى فى النداء على الطلبات ! فقد كان يطلب الشاى والقهوة بأسمائها الأفرنجية وبشكل مختلف عما اعتاده الناس فى

قهاوى حي الجيزة الشعبى العريق . وكانت ملابسه دائماً نظيفة ، وشعره دائماً لامعاً ، حتى بعد أن تآكل من الوسط ظل حريصاً على تصفيفه ، وتلميعه لكى يبدو فى الهيئة اللائقة على الدوام ! وكان يتمتع بكياسة وذوق ومشاعر رقيقة وكأنه أحد شعراء العصر الفيكتورى الزاهر . وكان يعرف قدر الأدباء ويكن لهم احتراماً شديداً ، ولذلك كان يلبى طلباتهم دون أن يصر على تقاضى الأجر ، وأحياناً كان يقرضهم بعض النقود إذا كانوا فى حاجة إليها ، وبعضهم مات دون أن يسدد ديوانه ! وكان هذا الجرسون الطيب رغم فقره وضنكه حريصاً أشد الحرص على تعليم ابنه الأكبر ، وقد حصل الولد على شهادته الجامعية وحقق حلم أبيه ، وحقق الولد لنفسه وضعاً اجتماعياً جديداً ، ولكنه لم يمد يد المساعدة إلى والده الذى حرم على نفسه كل متع الحياة من أجل تعليمه ، ومات الجرسون الطيب حزيناً وعانى شظف العيش والحاجة فى نهاية حياته ، بينما كان ولده ينعم بحياة ميسورة فى شقته بحي الدقى دون أن يكلف نفسه عناء السؤال عن أحوال الوالد المريض !

ولعل هذا السلوك من جانب الولد كان أحد الأسباب التى قصمت ظهر الجرسون الطيب وعجلت بوفاته ، ولقد أسعدنى الحظ بالاشتراك فى جنازته ، وابتهجت كثيراً عندما لمحت بين الأعداد القليلة التى حضرت الجنازة « بحبح » والمعلم أحمد الابن الأكبر للمعلم محمد عبد الله .

كانت هذه هى شخصيات القهوة : المعلم عبد الله وولداه والجرسون الطيب وبحبح صباغ الأحذية وعبارة المجنون ، وقد أفردنا له فصلا خاصاً به فى بداية هذه الحلقات .

وقصة محمد عبد الله قصة تتكرر كثيراً فى حياة أبناء الصعيد ، يهاجر الواحد منهم إلى القاهرة وليس معه إلا ثمن تذكرة القطار ، وبعضهم كان يحضر إلى القاهرة فى مركب شراعى ، ثم يدخل السوق ليتاجر فى أى شيء ، وبعد دورة زمن يستقر فى مكان ، ويبدأ حياة جديدة وطوراً جديداً يختلف كل الاختلاف عن المرحلة التى سبقتها . كثيرون من هؤلاء حققوا الكثير ، ووصلوا إلى قمة السلم الاجتماعى وأصبح بعضهم من أصحاب الملايين ومن أصحاب النفوذ أيضاً . ولكن محمد عبد الله لم يكن طموحاً إلى الحد الذى يرفعه إلى هذه المكانة ، فقد كان يطمع فى الستر . ولابد أنه حقق كل أهدافه عندما صار صاحب قهوة وفى أبرز مكان فى الجيزة . ولم يحاول مرة واحدة تطوير القهوة أو حتى تجديدها ، إن الكراسى بقيت كما هى ، فلما تكسرت وتحطمت كان يكتفى بركنها داخل المقهى ، حتى الجدران التى تشققت واتسخت وتداعت بعض أجزائها لم يفكر مرة واحدة فى ترميمها أو طلائها ، ولكنه ترك كل شيء يسير فى طريقه حسب ما هو مقدر ، ووفق ما هو مكتوب له فى اللوح المحفوظ ، ولم يكن يعرف قدر هؤلاء الذين اختاروا قهوة عبد الله ندوة أدبية لهم . ولكنه كان يخشى نفوذهم ، فهو يرى صورهم فى الجرائد ويستمع إلى أصواتهم فى الراديو ، وكان أغلب الظن يتصور أنهم فى مناصب كبرى : ضباط مباحث ربما أو مفتشين فى الرى أو من رجال التموين !

وذات مرة سألنى : هوه أنور أفندى المعداوىبيشتغل إيه بالضبط؟ فلما أجبته بأنه أديب ، عاد يسألنى : يعنى بيعمل إيه ؟ وقلت له : بيعمل أدب ، فعاد يسأل وإيه هو الأدب ؟ وبعد فترة صمت قصيرة قلت له : .. الأدب هو كل كلام لا تفهمه ... ! وهز عم محمد عبد الله رأسه .. ولكنى أعتقد أنه لم يفهم ، فلم يكن لديه الاستعداد ولم يكن راغباً فى ذلك !

وإذا كانت كل نظريات علم الاجتماع تؤكد أن الإنسان مدنى بالطبع ، إلا أن عم محمد عبد الله أثبت فساد هذه النظرية وعدم صحتها ، فلم أشاهده مرة واحدة يتحدث مع أحد ، ولم أسمع صوته إلا فى مشاجرة ، ولم أشاهد له حركة إلا فى خناقة حامية الوطيس تسيل فيها الدماء . لم يكن يكلم حتى أبناءه ، وكان إذا اقترب من القهوة فى الصباح ، وقف أولاده وقفة عسكرية وقد ارتسم الذعر الشديد على وجوههم ، وكانوا يؤدون أعمالا شاقة فى القهوة وبأقل أجر . فإذا أكل جلس على المائدة وحده بينما أولاده يختلسون إليه النظرات من بعيد ، فإذا انتهى من طعامه ترك لهم بقاياه ، وكانوا لا يستطيعون الاقتراب من المائدة إلا بعد أن يغسل المعلم يديه ويجلس فى مكانه المعتاد لشرب الشاى . ولم يكن له مزاج خاص فى المأكل أو فى المشرب ، فكان يشرب من نفس الشاى الذى يشرب منه الزبائن وكان يأكل أى شيء يقدم إليه ، وأغلب طعامه كان جبنة قديمة وخياراً أخضر وبعض المخللات وكان يأكل اللحم بين الحين والحين ، وعندئذ كان يختفى داخل « النصبة » حتى لا يراه أحد . ولم أشاهده فى حياتى يشترى شيئاً لنفسه ، ولكنه كان أحياناً يذهب لشراء لوازم القهوة من تاجر جملة فى « بين الصورين » وكان رأسه كبيراً وصلباً ، وكان إذا ضرب أحد الناس برأسه ألقاه على الأرض بلا حراك .

وكان أبناؤه ينظرون إليه على أنه بطل تاريخى ولذلك ظلوا يدورون فى فلكه ولم يتمكن أحد منهم أن يغير مساره ويتخذ لنفسه مداراً خاصاً به . ولقد مات ابنه حسن قتيلا فى معركة مع بعض الصعايدة الذين اتخذوا من رصيف القهوة مقراً لبيع الفواكه ، ولأن حسن كان قوياً وكان مفتوناً بعضلاته ، فقد خاض المعركة وحيداً ضد مجموعة من أبناء « الكوامل » وهى قبيلة عربية اشتهرت بالشجاعة والعنف وأقامت منذ الفتح الإسلامى فى أقاصى الصعيد . وبالرغم من أنه صمد فى المعركة إلا أنه تلقى فى النهاية عصا غليظة على أم رأسه أفقدته النطق وأصابته بالشلل وكانت السبب المباشر فى وفاته بعد ذلك بأسابيع ! ومع ذلك لم يظهر عم محمد عبد الله حزنه ولم يجعل أحداً يشعر بأنه فقد شيئاً يمكن أن يأسف عليه . وظل وجهه يحمل نفس المعالم ونفس التعبيرات ، وربما شعر فى قرارة نفسه ببعض الارتياح لأن حسن كان قد تعود فى السنوات الأخيرة أن يختلس شيئاً لنفسه من إيراد القهوة !

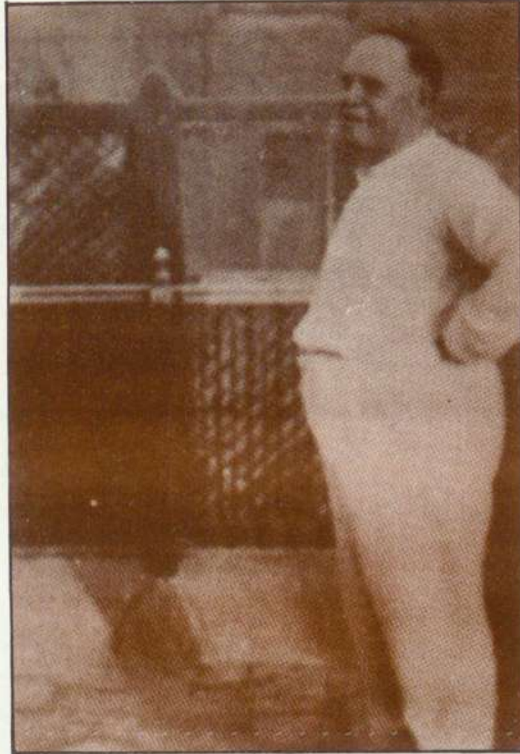
وأخيراً قدر للقهوة أن تموت عندما هدموا العمارة ، ولكنها كانت قد ماتت قبل ذلك ، ماتت بالبلاجرا وسوء التأثيث وسوء الصيانة وسوء الرعاية ، ولذلك لم تكن وفاتها مفاجأة إلا للمعلم محمد عبد الله نفسه الذى انزوى بعد ذلك فى بيته . ولكن فترة الانزواء لم تدم . فسرعان ما فقد شهيته للطعام ، وفقد رغبته فى الحياة ثم أسلم الروح فى هدوء .. ومات ! وعبثاً حاول الابن الأكبر أن يلعب دور والده دون جدوى . استأجر قهوة قريبة من الميدان واتصل ببعض الأدباء ليعيد مسيرة قهوة عبد الله ، ولكن القهوة ماتت بعد أشهر من افتتاحها . وعاود الكرة من جديد ولكنه من جديد فشل . وتكرر فشله بعد ذلك عدة مرات ، ثم ضاع فى الحياة ، ومات ولم يبلغ الخمسين .

رحم الله المعلم عبد الله . كان فى جلسته المعتادة خلف مكتبه الحقير داخل المقهى ، أشبه بأسد هارب من حديقة الحيوان . ولم أصادف فى حياتى رجلا استغنى عن الحياة وعن الأحياء كما محمد عبد الله ، وأثبت أن الإنسان يمكن أن يكون مدنياً أحياناً ووحشياً إذا لزم الأمر !

بين اللؤلؤ والنفط

دانه	مثقال	وتي	انه	چو	دوكره	مزوور
٨٢		٢٢∠	٢	٠٣∠	٠٧∠	١٤–
٨٣		٢٢∠	٢	٠٣∠	٠٣–	٠٨≤
٨٤		٢٢∠	٢	٠٣–	٢٤	١٣
٨٥		٢٢∠	٢	٠٣–	٢٠	٠٢–
٨٦		٢٢∠	٢	٠٣–	١٦	٠١
٨٧		٢٢∠	٢	٠٣–	١٢	٠٩–
٨٨		٢٢∠	٢	٠٣–	٠٨–	٠١
٨٩		٢٢∠	٢	٠٣–	٠٤∠	٠١≤
٩٠		٢٢∠	٢	٠٣–	٠٠≤	١٠–
٩١		٢٢∠	٢	٠٣	٢٢–	٠٢∠
٩٢		٢٢∠	٢	٠٣	١٨≤	٠١≤
١		٢٢∠	٣	٢٩٤≤	١٤–	٠٦–
٢		٢٢∠	٣	١٤٧–	١٩∠	١٥∠
٣		٢٢∠	٣	٩٨–	٠٤≤	٠٢
٤		٢٢∠	٣	٧٣∠	٢٢–	٠٧≤
٥		٢٢∠	٣	٥٨≤	٢٢≤	١١
٦		٢٢∠	٣	٤٩	١٤≤	١٣∠
٧		٢٢∠	٣	٤٢	١٢≤	٠١
٨		٢٢∠	٣	٣٦≤	١١	١٦–
٩		٢٢∠	٣	٣٢≤	٠١∠	٠٨≤
١٠		٢٢∠	٣	٢٩–	٢٣≤	١٨
١١		٢٢∠	٣	٢٦≤	٠٥≤	١٠
١٢		٢٢∠	٣	٢٤∠	٠٧–	١٩–
١٣		٢٢∠	٣	٢٢∠	١٨–	١٥≤
١٤		٢٢∠	٣	٢١	٠٦–	١٢≤
١٥		٢٢∠	٣	١٩∠	١٥≤	٢٠∠
١٦		٢٢∠	٣	١٨–	١٨	٠٨
١٧		٢٢∠	٣	١٧–	٠٩∠	١٦∠
١٨		٢٢∠	٣	١٦–	١٣–	٠٤–
١٩		٢٢∠	٣	١٥∠	٠٢	٠٦≤
٢٠		٢٢∠	٣	١٤∠	٢٤–	٢١∠
٢١		٢٢∠	٣	١٤	٠٤–	٠٠–

صفحة من دفتر حسابات اللؤلؤ ، فقد كانت من اللؤلؤ أصناف لها مسميات ، البطن والرأس والخافقية وغيرها .. ولكل مسمى سعر وميزة ، ويختلف ثمن وحدة الوزن من لؤلؤة عن الأخرى اختلافا شاسعا ..



الميجر فرانك هولمز النيوزيلندى : مهندس التعدين الذى كافح ، رغم التقارير العلمية المثبطة ، وأصر على البحث عن النفط فى المشرق العربى بين الكويت وعمان (١٨٧٤ ـ ١٩٤٧)

فى منصرم القرن الثالث عشر ، سنة ١٢٩٨ م ، توجه الرحالة الإيطالى المغامر (ماركو بولو) الى مدينة (باكو) على الساحل الجنوبى الغربى لبحر قزوين (الخزر) قبل أن تصبح عاصمة لجمهورية اذربيجان السوفياتية ، تواقا لمشاهدة مواطن (النيران المقدسة) التى كان المجوس يعبدونها من دون الله ، قبل ماركو بولو بآلاف الأعوام ، فقال فى وصف ما رأى :

« لقد رأيت عجبا عجابا ، عينا يتدفق منها سائل ثخين أسود غريب الرائحة يتخذ منه الناس هنالك دواء للعُرّ (الجرب) الذى يصيب الإبل والماشية والبراذين ، ويوقدون به النار وهو من الكثرة بحيث يمكن شحن عدة قوارب كبيرة منه فى نهار واحد ... »

بقلم: درويش مصطفى الفار



صورة نادرة للمرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى أثناء المفاوضات مع الأجانب للبحث عن النفط فى قطر ، ويرى واقفا بين ولديه المرحوم الشيخ على إلى يساره والمرحوم الشيخ حمد إلى يمينه .

ولكن ماركو بولو فيما يبدو لم يؤت سعة من الوقت فى رحلته لكى يضطلع على الأساليب التقنية فى ذلك الزمان والمكان التى كان يعالج بها الناس ذلك السائل الأسود الثخين ، للحصول على مشتقاته المختلفة الألوان والكثافات .

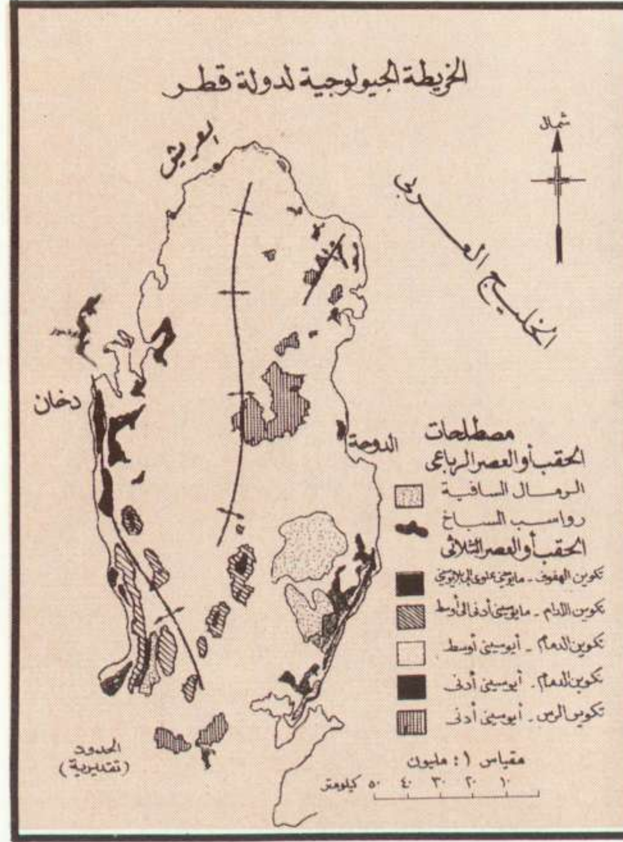
وبعيدا عن ماركو بولو فى رحلته تلك ، ولكن فى نفس القرن من الزمان ، توصل مغامر من بلاد الصين ، الى استزراع اللؤلؤ بنجاح ، فى أنواع من المحار تعيش هنالك فى الأنهار ...

• ولا أعتقد أنها صدفة محضة ، بل إنه قدر مكتوب محسوب ...

• وليس من الواضح فيما بين يدى من مراجع ، متى عرف الناس اللؤلؤ ، حليةً يلبسونها وزينةً يتخذونها ، ولكننا نعرف أن ملكة مصر ، الحسناء الفاتنة (كليوباترة) كانت تأمر وصيفاتها بطحن حبات من اللؤلؤ ، درَرا ، أو خرائد ، أو حصات ، أو حتى يتيمة فريدة ، وتستف ذلك المسحوق الثمين حفاظا على رشاقة بدنها ونضارة وجهها وحسن محياها (٦٩ — ٣٠ — ق . م) ...

وكان المؤرخ الرومانى پلنى الكبير قد كتب فى القرن الميلادى الأول ما معناه :

« إن تجارة اللؤلؤ هى أشرف تجارة يتعاطاها النبلاء والأشراف » ولا جدال فى أن قطر ، لم تك بعيدة عن فكر پلنى إذ كتب ذلك .. ولقد عرف الناس النفط ، بمشتقاته المختلفة من القار والزفت والشمع والجاز والغاز ، تتفجر ينابيع من شقوق



على ضوء الخريطة الجيولوجية أمكن تحديد مظان النفط فى الأرض القطرية ومياهها الاقليمية ، وكذلك مواطن الغاز الطبيعى التى جعلت قطر ثانى دولة فى العالم بالنسبة لاحتياطى الغاز ، بعد أن كانت مياهها الاقليمية تمنح العالم أجود أنواع اللآلىء منذ فجر التاريخ

وصدوع ، منذ زمان سحيق ، ومنهم من عبده وقدس له ، كما فعل المجوس ، إذ رأوه يشتعل نارا لا قدرة لبشر على إطفائها ، بعد أن تتقد من برق أو نحوه ، ومنهم من استخدمه فى الدواء والبناء والاضاءة وبخور المعابد والبيَع والكنُس وتحنيط الموتى وسد الفجوات والشقوق فى صناعة السفن والقوارب ...

ولولا تلك العيون النفطية والينابيع ، كتلك التى شاهدها ماركو بولو ، وتلك التى ذكرها غيره فى أرجاء الأرض ، فيما بين باكو فى بلاد الخزر ، وبين جبل الزيت بالصحراء الشرقية المصرية ، وفى اندونيسيا والصين وفنزويلا وكاليفورنيا وجزيرة ترينيداد ، لما تسنى للإنسان أن يعرف أن فى باطن الأرض طاقة مدفونة على هيئة سائل عجيب ، يختلف لونه وتتعدد صفاته الفزيائية والكيمائية ، ثم يخترع أدوات للحفر ويطورها ، تطويرا يفوق آلاف المرات تلك الحفارات التى كات يتخذها أهل الصين فى القرن الثانى قبل الميلاد ليحفروا بحثا عن ذلك السائل العجيب الى اعماق وصلت الى مايزيد على ثلاثة آلاف قدم مستخدمين أنابيب من البوص وسكاكين من الصّفرْ أو النحاس ...

وما كان يتأتى للإنسان أن يتوصل الى تلك القواعد العلمية التى تحكم تواجد النفط فى طبقات الأرض طبقا لنواميس علم الجيولوجيا الحديثة ...

ولقد كان للأطباء والتقنيين فى دولة الاسلام الكبرى ، شأن مع النفط .. فنقرأ أن كلا من النبراوى والقزوينى (حوالى ١٢٠٠ م) يميزان بين النفط الأبيض والنفط الأسود ويصفان كيفية استخراج الأبيض من الأسود بالتقطير !!! وذكر النفط كل من ابن البيطار وابن العوام والدمشقى ، وقد وصف هذا الأخير معامل تقطير النفط ى دمشق وصفا علميا دقيقا ...

وجاء ذكر النفط فى معاجمنا ، فيقول الفيروزبادى (٨١٤ هـ) فى قاموسه المحيط : « والنِفط بالكسر ، وقد يفتح ، وأحسنه الأبيض ، مُحَلِّلٌ ، مذيب ، مفَتح للسدود والمغص ، قَتال للديدان ، والنَفاطة مشددة ، موضع ليستخرج منه وضرب من السُّرُج يستصبح به ، واداة من النحاس يرمى فيها بالنفط (انار الاغريقية ــ جدة قنابل النابالم الحديثة) ونفط ينفط ، غضب ، أو احترق غبا ، كتنفط ، والقدر تنافط ، رمى بالزَّبَد ... »

ويقول إبن منظور فى لسان العرب : « النفط والنفط ، حُلاَبة جبل فى قعر بئر توقد به النار والكسر أفصح » وأميل فى ظنى الى أن الناس فى قطر ، كانوا يعرفون ذلك النفط ، إذ أن قطر ، كما أسلفنا فى مقالة سابقة ، اشتهرت بتربية الإبل منذ قرون عديدة ، فربما كان يستورد من شرق الخليج للدواء ، دواء الإبل ... ويمكن تقسيم علاقة الإنسان بالنفط الى مراحل ، لعل أولاها تلك التى أسلفنا عن الاقدمين من أهل بابل ومصر والإغريق والرومان والمسلمين ، وبعدها مرحلة البحث عن النفط ، لاستخراج الملح من الماء الأجاج المصاحب له عادة فى مكامنهومصايدة ، ولاستخدام بعض مشتقات تقطيره فى (التشحيم) والاستصباح ، وأخرها تلك المرحلة التى نعيشها من التاريخ منذ ابتدع الانسان الآلات التى تدور بالاحتراق الداخلى اى (الاحتدام) من سيارات وجرارات ودبابات وقطارات وطائرات ...

ولقد بدأت هذه المرحلة فى أواخر القرن التاسع عشر ...

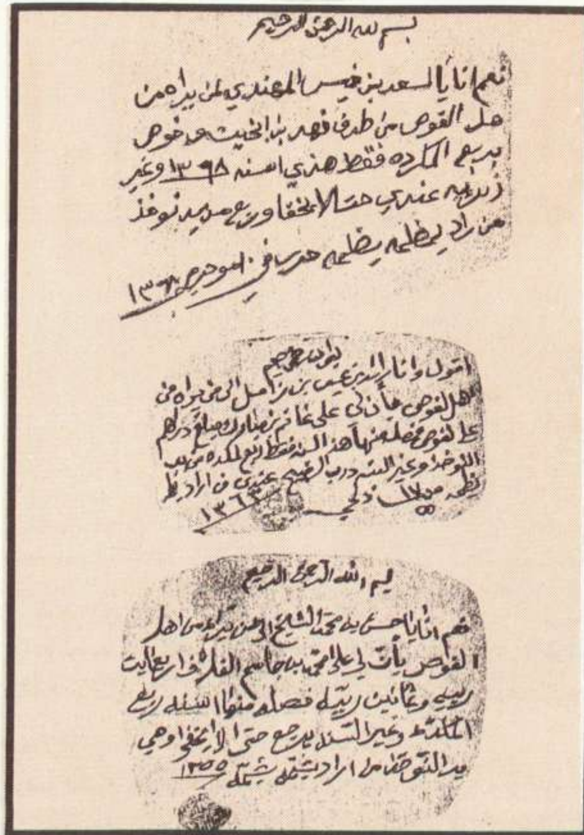
وهى المرحلة التى نجح فيا العالم اليابانى (ميكيموتو كوكيشيو) سنة ١٨٩٠ فى استزراع اللؤلؤ فى المحارات البحرية ، وبدأت السوق العالمية تستعد فيها لاستقبال (اللؤلؤ الصناعى الذي كان له أثره البالغ في كساد مناطق اللؤلؤ الطبيعى ، وفى مقدمتها قطر ..

فقد كان اللؤلؤ ، إطار الحياة فى قطر ، وما جاورها عبر قرون عديدة ، ومحور صياغة حياة الإنسان وطظلعاته وعرفه وعلاقاته زمانا طويلا ...

وكانت الرحلة فى موسم الغوص طلبا للؤلؤ ، بعيدا عن الدار والأهل والولد لعدة أشهر متصلة من العناء فوق سطح البحر الذى لا يرحم ولا يرأف ، لاطعام إلا السمك والتمر والقهوة ، هى مصدر الدخل القومى والفردى طوال العام ، ورب رحلة لا تسفر عن مغنم ، فيعود الرجال بالهم والدين والصبر الجميل .

وكان الغوص بحثا عن اللؤلؤ ، مقياس رجولة الرجال ، وعنوان نضوج الفرد كعضو عامل نافع فى المجتمع القطرى ...

ولم يك فى وسع أى شاعر مغرق فى الخيال والتأملات ، أن يحلم بأن مغاصات اللؤلؤ القطرية فيما بين جزيرة حالول وجزيرة شراعوه وحولهما فى العد الشرقى ، وميدان محزم ، وبولحنين ، والبندق ، سوف تصبح بعد كساد سوق اللؤلؤ الطبيعى ، مصدرا للثروة النفطية الدفينة فى طبقات العصر الجوروى (١٨٠ مليون سنة) لتدر من


بسم الله الرحمن الرحيم

صور من أوراق (ربع المكدة) وهى الرباط الذى أوجده العرف عبر القرون بين صاحب المال والغواصين الباحثين عن اللؤلؤ فى مياه قطر الإقليمية، وبمقتضاها يستطيع الغواص المحترف أن ينتقل من العمل مع شخص إلى العمل مع غيره. وهذه أوراق تبين للمؤرخ جانبا من أنواع العلاقات فى المجتمع أيام اللؤلؤ قبل عصر النفط.

النعمة أضعاف ماكان يدره (الدر) أو صيد الأسماك فى خليج سلوى الى الغرب من حقل دخان النفطى الكبير ...

ولقد كان لاكتشاف النفط فى الاتحاد السوفياتى، حول باكو وباطوم، حيث أثرى (الفريد نوبل) مخترع الديناميت السويدى، وفى ايران (١٩٠٨) وفى مصر (١٩١١) والعراق (١٩٢٧)، الأثر البالغ فى لفت انظار الباحثين عن النفط فى أرجاء العالم، الى هذه المنطقة من الدنيا، حول قطر..

ولعل أول من استهواه البحث عن زيت الصخر فى دول الخليج العربية واستحق لقب (أبو النفط العربى) هو ذلك النيوزيلندى العنيد مهندس التعدين فرانك هولز...

ولد فرانك هولز سنة ١٨٧٤ فى مزرعة أبيه بنيوزيلندة، وذهب للعمل فى أحد مناجم الذهب بجنوب افريقيا سنة ١٨٩٤، ورحل عنها للعمل مديرا لبعض مناجم الذهب فى استراليا فيما بين سنة ١٨٩٦، سنة ١٩٠١، حيث سافر الى لندن وظل يعمل مساعدا لمدير مجموعة المناجم البريطانية فى الملايو، ثم عاد الى استراليا سنة ١٩٠٥ ليفتح مكتبا للاستشارات التعدينية، ولكنه عدل عن ذلك ليعمل فى مناجم مختلفة فى روسيا واوروجواى ونيجيريا، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فالتحق بالجيش البريطانى برتبة رائد (ميجور) وعمل فى مصر والدردنيل وتولى أمر تموين القوات المحاربة باللحوم من الحبشة عبر عدن الى البصرة. وفى البصرة سمع قصة شركة الزيت الانجلو ايرانية، واغرم بالنفط وبالخليج شرقا وغربا، مما حدا به بعد الحرب لأن يدعو الى تأليف شركة للبحث عن النفط فى المشرق العربى وكان له السبق فى إقناع السعودية والكويت والبحرين بالبحث عن النفط منذ أواسط العشرينات، على الرغم من تقرير جيولوجى كان قد قدمه الخبير الجيولوجى الدكتور أرنولد هايم استاذ الجيولوجيا بجامعة زيوريخ السويسرية سنة ١٩٢٤ يقول فى نهايته :

وعلى الرغم من ان جذور الصراع الخفى بين الامريكيين والبريطانيين فى مضمار البحث عن النفط وامتيازاته، قد حالت دون فرانك هولز والعمل فى قطر فإليه يرجع الفضل فى التعجيل بتقدم الشركات الى المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى للحصول على امتيازات البحث عن النفط فى قطر، مما أدى الى تلك الكشوف الهائلة، برا وبحرا، من إحتياطى عظيم من النفط والغاز، فرج الله به الكرب، واذهب عن الناس هموم كساد سوق اللؤلؤ، فأصبحت الأرض مخضرة عامرة بالحياة والحركة والمؤسسات الحضارية المختلفة ...

وحيث أنه لا توجد دلائل سطحية على وجود النفط فى أعماق الأرض القطرية، فقد كان لزاما على الباحثين، اجراء الدراسات الجيولوجية وعمل الخرائط التى تستتبعها لتحديد مظان الحفر.

وقد بدأ الحفر فى منطقة دخان فى اكتوبر سنة ١٩٣٨، ورغم صعوبات جمة واجهت الفنيين، إلا أن مشيئة الله امكنتهم فى أواخر سنة ١٩٣٩ من اختراق طبقات للعصر الجوروى الأوسط على عمق (٥٥٠٠قدم) تفجر منها زيت الصخر الجيد بمعدل (٥٠٠٠) برميل فى اليوم ...

وتواصل الحفر، وزادت المعرفة عن الاحتياطى المخزون، ودخلت قطر، بعد صبر ومعاناة، ميدان النفط العالمى من أوسع أبوابه وذلك بفضل من الله ...

وقد قامت الحرب العالمية الثانية قبيل التثبت من وجود احتياطى اقتصادى من النفط فى أعماق الأرض القطرية، وبذلك أرجئت كل أعمال التطوير، ولم يتسن تصدير النفط من ميناء (ام سعيد) القطرية الا فى أواخر ١٩٤٩، وكان ما صدر آنذاك عشرة آلاف طن !!!

إن فى قصة العثور على النفط فى المشرق العربى عامة وقطر خاصة فى الوقت الذى أصبح مورد الرزق الأزلى الوحيد سوقا كاسدة لا أمل فى إحيائها، وذلك بغزو اللؤلؤ اليابانى المستزرع الرخيص للأسواق العالمية واضمحلال اسعار اللؤلؤ الطبيعى، لآيات لأولي الألباب الذين يجب أن يتفكروا بإمعان ودقة فى كيفية الاستعداد لما بعد النفط، وأن يضعوا ما أفاء الله به من نعمة فى الموضع الذى يستوجب رضاء الله فى السر والعلن، وأن يذكر كل من ناله من خيرات النفط نيل قول الحق تبارك وتعالى :

« وما بكم من نعمة فمن الله »

وقوله تعالى : « وسنجزى الشاكرين »، وزمام الشكر أن نحسن العمل، ونبذل الجهد فى سبيل مستقبل هذه الأمة التى تكالبت عليها الأمم فى هذا الزمان العجيب.

درويش مصطفى الفار

أضواء جديدة على جانب خفي في السياسة الغربية

ألمانيا والمشكلة الفلسطينية

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

يقول بورمان ، (نائب هتلر بعد نزول الحلفاء الى أوربا) إن هتلر اعترف برؤية سياسية كانت غائبة عن بصره ــ خلاصتها أنه لو كان اهتم بالمشكلة الفلسطينية لما انهزم بهذا الشكل ! ولما هزمت ألمانيا أمام الحلفاء ولا فلسطين أمام الصهيونية .

وهذه المقولة قريبة الشبه جداً بما قاله نابليون فى منفاه لحارسه « لو أنى لم أخرج من مصر لما نفونى هنا » ، فقد أدرك نابليون اذن أهمية مصر فى اللعبة الدولية كما أدرك هتلر أهمية فلسطين فى نفس اللعبة .

ومن قبل هؤلاء فقد أدرك تشرشل أهمية هذه المنطقة عندما كدس السلاح فيها أكثر مما كدسه فى الجزيرة البريطانية التى كانت مهددة بالغزو ، وعندما قال حليفه ايزنهاور إن مصر هى رقبة العالم ، من يمسك بها يمسك بالعالم ، وعندما قال إرنست بيفين وزير الخارجية البريطانية لجولدمان : « انكم تطلبون مفاتيح أخطر منطقة فى العالم ، فدعونى أفكر قبل تسليم المفاتيح ! »

فهذه المنطقة من العالم حول قناة السويس شرقها وغربها كانت دائماً منطقة يقرر فيها التاريخ مصيره ومسيرته منذ ظهور الرسالات السماوية حتى الآن .

ويبدو الأمر طبيعياً ــ إذن ــ أن تحاول ألمانيا منذ أن توحدت كدولة واحدة وسعت لتكون من الدول الكبرى فى عهد القيصرية أن ترنو ببصرها الى هذه المنطقة .

وصول الألمان الى فلسطين :

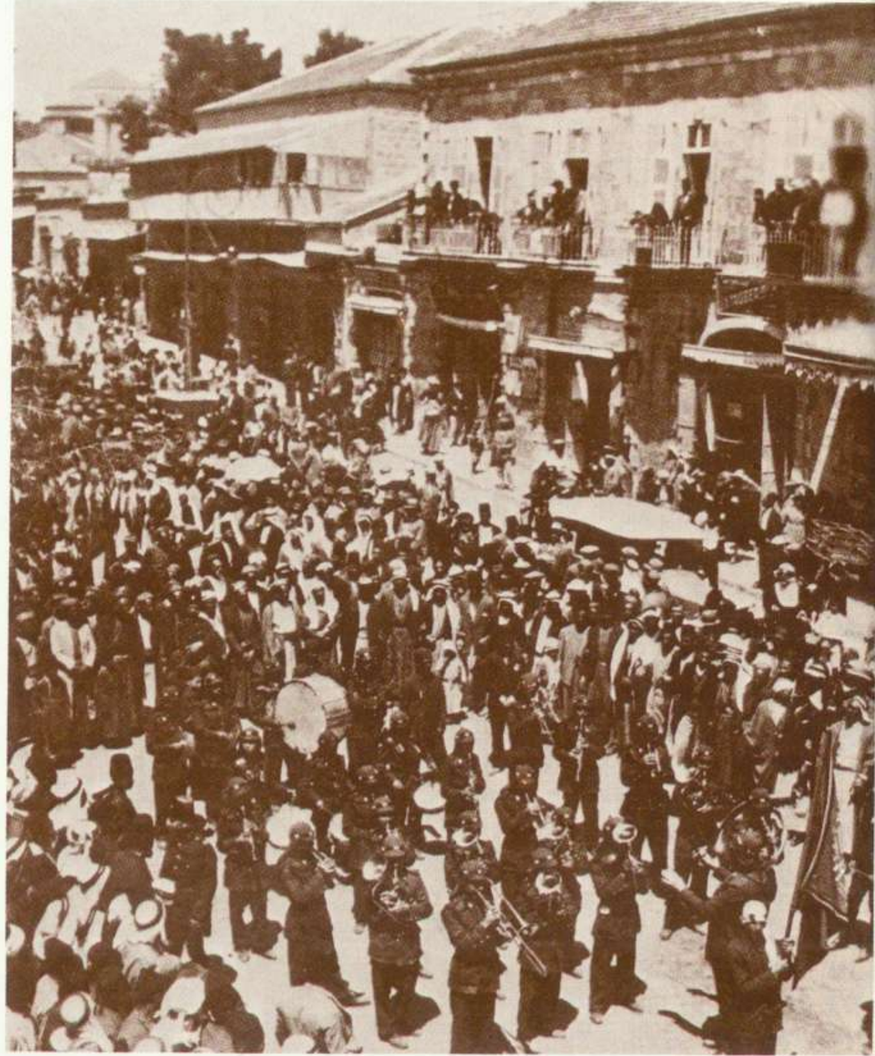
اذا كانت فرنسا قد فجرت بثورتها الفرنسية سلسلة من الحركات السياسية والنشاط السياسى فإن ألمانيا وبريطانيا فى إثر هذه الثورة قد فجرتا حركة بعث دينى استخدم الدين والتبشيرية فى خدمة السياسة . وظهر فى ألمانيا مركزان للتبشير الدينى للغرض السياسى هما برلين وبازل .

وكان استيطان فلسطين وإستعمارها يهيمن على فكر هذين القطبين فى المانيا منذ هزيمة محمد علي عام ١٨٤٠ . فى نفس الوقت الذى كانت فيه الصهيونية أيضاً تفكر نفس التفكير خاصة وأن نابليون كان قد أعطاها وعداً صريحاً بوطن قومى فى فلسطين .

بدأ التبشير الألمانى فى فلسطين بمبادرة من الدولة : بروسيا ثم ألمانيا القيصرية . وظلت الدولة تشرف وتتدخل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لدى حليفتها تركيا . لدرجة أنها كانت تحمى حتى اليهود الألمان المهاجرين الى فلسطين لأنهم ألمان يطلبون حماية الحكومة الألمانية . وقد كان هذا مثار قلق وضيق للباب العالى خاصة أيام السلطان عبد الحميد الذى رفض وساطة القيصر لهرتزل .

ويعيب هذا التبشير التدخلى الذى قامت به الدولة فى المانيا أمران : أولهما : أنه اثار الخلافات الطائفية فى بلاد الشام أو ساعد عليها : وثانيهما : أنه استحث الدول الأخرى الى نفس ميدان التبشير هذا فكان لفرنسا فى بلاد الشام نحو ٦٠٠ مدرسة ولبريطانيا وأمريكا ٥٠٠ مدرسة ولايطاليا ٢٠٠ مدرسة ولروسيا ٦٠ مدرسة بينما ظلت المانيا لا تتجاوز مدارسها ٢٢ مدرسة فقط ! !

ولكن الوجود الألمانى استهدف مالم يستهدفه الوجود الأوربى الآخر : استهدف اقامة كيان مستقل تحت حكم ألمانى أو تدويل الأماكن المقدسة تحت ستار من حرية الوصول اليها لأتباع الأديان



المظاهرات التى نظمها الفلسطينيون فى القدس عام ١٩٣٠ ، احتجاجا على هجرة اليهود إلى فلسطين بأعداد متزايدة

هتلر : كان التعالى على العرب من أخطائه التاريخية



الثلاثة

وقد ظهرت أيضاً دعوى ألمانية الى اقامة مملكة الرب ، تنفيذاً لنبوة العهد القديم وتجميع يهود العالم فى فلسطين من أجل تنصيرهم ! وربما كانت هذه هى احدى الاسرائيليات الحديثة فى الفكر الأوربى ! ولقد وجدت الدول الأوربية كلها سواء ألمانيا أو بريطانيا أو فرنسا فى ذلك هوى فى نفسها التقوا جميعاً حوله وهو تقطيع أوصال الدولة العثمانية .

ولقد قاومت الدولة العثمانية ، وحددت الهجرة الأوربية ، ووضعت ما قدرت عليه من عراقيل وقيود . وفى نفس الوقت ظهر عامل أهم من هذا ، وهو الموقف العدائى للسكان العرب نحو المستعمرين الجدد رغم نقلهم للتكنولوجيا الأوربية ونقلهم للثقافة الحديثة والتعليم الأوربى وتعليم الفتاة .

فرغم بناء هؤلاء الأوربيين للمنازل على الطراز الأوربى الحديث وانشاء المكتبات والمستشفيات الا أن تأثيرهم فى المحيط العربى كان ضعيفاً بسبب الشك والريبة ونظرة العنصرية المتباهية ، ولكن هؤلاء المستعمرين الألمان حققوا شيئاً انفردوا به ونقله عنهم فيما بعد الصهاينة ، حققوا انشاء مستوطنات أوربية وسط الريف العربى ، وفيما بعد جاء المهاجرون الصهاينة فأقبلوا على هذه المستعمرات يدرسونها ويحللونها ويفيدون من انجازاتها وأخطائها وأقاموا علاقات طيبة مع المستعمرين الألمان بهدف الاستفادة من هذه المستوطنات التى أصبحت فيما بعد سلاحا لغزو الأرض وتوسع الدولة وزرع الصهيونية .

ألمانيا القيصرية والحركة الصهيونية :

نشأت الصهيونية بزعم الرد على الاضطهاد الأوربى للأقليات اليهودية داخلها ، وما إن جاء النصف الثانى من القرن ١٩ حتى استمد اليهود من الأفكار السياسية الشائعة فى أوربا عندئذ عن القومية ما صاغوا به نظريتهم . فجعلوا اليهودية ــ رغم أنها دين ــ أساساً للقومية الصهيونية . تقوم هذه القومية على وحدة الدين والمصير المشترك . ثم بعثوا فيها اللغة العبرية ودعوا الى جمع يهود العالم فى فلسطين عن طريق الهجرة والحماية الدولية معاً .

واتجهت الصهيونية الى الدولة الألمانية حيث توجد أكبر الأقليات اليهودية فى ألمانيا الغربية طالبة حماية ألمانيا للدولة المطلوب قيامها ، ومرت العلاقة بألمانيا القيصرية بثلاث مراحل :

١ ــ مرحلة هرتزل ، واتصاله بالمسئولين الألمان لمساعدة تكوين الدولة الصهيونية على أساس حكم ذاتى تحت حماية ألمانيا : وذلك بانشاء شركة تتولى شراء الأراضى وتهجير اليهود إليها . على أن تكون الشركة ألمانية وتلعب نفس الدور الذى لعبته شركة رودس فى انشاء روديسيا الأفريقية !

وقد اقتنع القيصر بهذه الدعوى لعلها تخلص ألمانيا من حشود اليهود البولنديين الجاثمين على

ألمانيا والمشكلة الفلسطينية

الدولة ولعلهم ينشرون التجارة والثقافة الألمانية في الشام .

انتهت هذه الفترة بموت هرتزل عام ١٩٠٤ ولم تحقق شيئاً بسبب نفور تركيا .

٢ ـ المرحلة فيما بعد هرتزل : وقد تميزت بانشغال خلفاء هرتزل بالتنظيم الداخلي .

٣ ـ المرحلة الثالثة : حيث اقنعت الحركة الصهيونية الحكومة الألمانية بحماية يهود فلسطين ! وتدخلت الحكومة الألمانية لالغاء تدابير جمال باشا حرصاً على عدم اغضاب اليهود خصوصاً يهود أمريكا (ما أشبه الليلة بالبارحة) . لدرجة أن الحكومة الألمانية وضعت الحقيبة الدبلوماسية تحت تصرف المكتب الصهيوني في اسطنبول لتأمين سرية الاتصال بين اليهود الألمان من خلف ظهر تركيا . بل ان الحكومة الألمانية اعطت جوازات دبلوماسية لزعماء الصهيونية لتأمين حركتهم وحمايتهم . والأدهى من ذلك أن الصهيونية شكلت مع القيادة الألمانية « لجنة لتحرير يهود روسيا » ! ! وأرسلت المانيا لجنة من اليهود الألمان الى يهود أمريكا لكسب تأييدهم !

ومن الأمانة التاريخية أيضاً أن نقرر أمراً خطيراً يطويه الرواة طي النسيان ، وهو أن الصهيونية عام ١٩١٦ حثت الحكومة الألمانية على اصدار تصريح « بلفور ألماني » يتضمن العطف على « الأماني الصهيونية في فلسطين » . ولم يوقف هذا التصريح عن الصدور الا اقتناع سفير المانيا في اسطنبول (فون كليمان) بأن هذا التصريح سوف يؤدى حتما الى صلح منفرد من تركيا مع الحلفاء !

ولم يكف الصهاينة عن السعي . فحتى بعد صدور وعد بلفور الانجليزي اتجهوا الى برلين مرة أخرى لاصدار وعد مشابه من المانيا وانتهزوا فرصة زيارة طلعت باشا لبرلين في يناير ١٩١٨ لطلب الغاء القيود العثمانية على الهجرة اليهودية بعد أن نجحوا في إلغاء التدابير العسكرية التي فرضها جمال باشا على اليهود عام ١٩١٧ فوعدهم طلعت باشا بتنفيذ ذلك حالما تعود القدس الى السيادة العثمانية . وعند عودة طلعت باشا الى اسطنبول كلف النائب اليهودى «قره صو» بدراسة انشاء شركة ذات امتياز تتولى العمل في مناطق اليهود بفلسطين لاقامة حكم ذاتي بعد انتهاء الحرب . واستمر الضغط الصهيوني على طلعت باشا للحصول على « وعد بلفور عثماني » ! ! . وقد ساعدهم على تحقيق ذلك تدهور الوضع العسكرى وثورة العرب ضد جمال باشا الذى اسموه جمال باشا السفاح رغم أنه كان الديدبان الوحيد الذى يوجه بندقيته ضد الصهيونية ، وساعدهم أيضاً ضياع معظم فلسطين عام ١٩١٨ ، واعتقاد الدولة العثمانية حينما أوشكت على الهزيمة أن بعض المهادنة مع اليهود يحسن وضعها في مؤتمر الصلح المقبل .

ألمانيا وفلسطين فيما بين الحربين

قامت جمهورية فايمار في المانيا بعد الحرب الأولى . واتسمت العلاقات السياسية بين المانيا وفلسطين بلا مبالاة كاملة في الناحية السياسية وان كانت احتلت موقعاً ممتازاً في التصدير والاستيراد مع فلسطين . وحرصت على اعادة الألمان الذين طردهم الحلفاء من فلسطين . واستعادت الممتلكات الألمانية المصادرة . وبالجملة استعادت الوجود الألماني القيصرى بعد ٦ سنوات من الهزيمة .

ثم جاء الرايخ الألماني فحرص على التخلص من اليهود الألمان بأى ثمن ، تخلص من ٥٢٣٠٠ شخص يهودى ألماني استقروا في فلسطين ، وبدأوا في وضع مخطط يبلور الكيان الصهيوني .

ولم يعر الرايخ الألماني بالا للمصالح العربية فوضع في أيدى الصهاينة صادرات المانيا الى البلاد العربية سواء فلسطين أو الهلال الخصيب أو مصر مغلبا الاعتبارات الداخلية على أى اعتبار آخر .

ألمانيا والمشكلة الفلسطينية

مرت العلاقات بين الحركة الوطنية العربية الفلسطينية والرايخ الألماني بثلاث مراحل أيضاً :

المرحلة الأولى : وهى ما بين وصول النازى الى الحكم عام ٣٣ الى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ٣٩ ، وتتميز هذه المرحلة باعجاب الحركة الوطنية الفلسطينية بألمانيا كجزء من الاعجاب العام الذى كانت تبديه الحركة الوطنية سواء في مصر أو العراق أو الشام بها بمقولة عدو عدوى هو صديقي من ناحية . ومن ناحية أخرى بالانجاز السريع الذى حققته ألمانيا في تحطيم معاهدة فرساى التى أضير فيها سابقاً العرب والألمان معاً .

ولكن يبقى هناك عامل آخر لابد من الاقرار به وهو عدم وضوح الرؤيا أمام بعض السياسيين العرب ، وعدم معرفتهم ببعض خفايا السياسة الدولية . ففى حالة قادة فلسطين مثلا كانوا لا يعرفون تماما وجود اتفاقية « هنغارا » التى أبرمتها السلطات الألمانية سراً مع الوكالة اليهودية في فلسطين ذاتها . ولكن أيضاً يجب أن نعترف بأن ألمانيا كانت تجهل جهلا مماثلا حقائق القضية الفلسطينية وتبدى عدم اكتراث بما يجرى في فلسطين . بل أظن أن هتلر وقادة النازى كانوا يجهلون الف باء السياسة الدولية عن الشرق الأوسط التى أتقنها الانجليز من خلال اقتناعهم بأن مصير معركة السياسة الدولية انما يتقرر على ضفتي قناة السويس منذ حفرت القناة .

كان الالمان يركزون فكرهم السياسي على التوسع والسيطرة على أوربا الشرقية والبلقان ! مع محاولة كسب ود بريطانيا وأسبانيا من خلف ظهر فرنسا . ويبدو اهمال المانيا للفرصة المواتية لها من أن اقصى ما أبدته نحو فلسطين كان مجرد رفض مقرارات لجنة بيل عام ٣٧ انطلاقاً من اعتبارات ايدولوجية بحتة لا عطفاً على قضية العرب انفسهم . فلقد امتنعت المانيا عن تقديم أي عون مادي أو حتى معنوي للثورة العربية في فلسطين من عام ٣٦ الى ٣٩ رغم المحاولات العربية المتكررة وهو تصرف غير عقلاني . كان هذه التصرف ممالأة منها لبريطانيا ، وقد قبله تشمبرلين ولكن تشرشل رفضه !

المرحلة الثانية : من ١٩٣٩ الى ١٩٤١ وهي فترة النصر المبين الذي حققته ألمانيا على أوربا الشرقية والوسطى والذى كانت فيه القيادة الفلسطينية تقيم بالعراق بعيدا عن قبضة بريطانيا ، لقد كانت بريطانيا وفرنسا حتى نشوب الحرب تخضعان الشرق الأوسط لسياسة استعمارية غاشمة ألهبت الحقد والثورة عليها، سواء كان ذلك في فلسطين أو وادي النيل أو الهلال الخصيب . والى جانب ذلك بل وفوق ذلك فإن بريطانيا وفرنسا هما اللتان قدمتا فلسطين هبة شخصية لليهود . وتمت الهجرة اليهودية تحت الحراب البريطانية . وتدفق اليهود ليحلوا محل العرب الشرعيين في بيوتهم وأملاكهم !وتبدى العالم أمام العين العربية كمعسكرين واضحين : معسكر أعداء ومستعمرين وصهاينة . ومعسكر المحور، ولم يكن لألمانيا بالذات أى وجود استعمارى في أى بلد عربى . فكان طبيعياً بل محتماً أن تكون عواطف العرب مع الألمان . ولم يكن عجيبياً أبداً أن تتصل كل العناصر المكونة للطيف السياسى من أول أمين الحسيني الى فاروق بالألمان . ثم انه لم يكن أبداً من الممكن إبعاد المنطقة بما فيها فلسطين عن الصراع الدولى القائم .

واذا كنا نظن أن هتلر قد أخطأ خطأً قاتلا باهماله أهمية الشرق الأوسط فاننا نظن أيضاً أن البعض قد أخطأ بالمقامرة الكاملة على هتلر الذى

● أنصار هتلر يقولون إنه لو اهتم بالمشكلة الفلسطينية لما انهزم فى الحرب .

● تشرشل يكدس السلاح فى الشرق أكثر من تكديسه فى الجزر البريطانية .

● نابليون فى منفاه : « لو أننى لم أخرج من مصر لما نفونى إلى هنا ».

يجهل أهمية الشرق الأوسط والذى لم يقدم معونة للكفاح الفلسطينى ما بين ٣٦ الى ٣٩ .

إن أبسط ما نقول إن ألمانيا كانت ترى طوال هذه المرحلة أن المشرق العربى انما يقع فى المجال الحيوى لحليفتها ايطاليا ، وان لهذه الحليفة الأولوية فى معالجة القضية . ولذلك تلكأت المانيا فى اصدار التصريح الذى أصر عليه المفتى وزعماء عراقيون حول مستقبل البلاد العربية ، من جهة أخرى كانت ألمانيا تخشى رد فعل حكومة فيشى تجاه أى وعد نحو سوريا ولبنان وكانت المانيا قد قطعت الوعود فى اتفاقية الهدنة مع حكومة فيشى بعدم المساس بالديمقراطية الفرنسية ! وهو تصرف عجيب يدل على عاطفية هتلر التى لا حظها عليه أطباؤه الخصوصيون : عاطفية هذاالرجل هى التى منعته من اجتياح أسبانيا اكراماً لصديقه فرانكو فأعطى الفرصة للحلفاء بالنزول فى الشمال الأفريقى الذى تحرسه أسبانيا ! وهذه العاطفية هى التى جعلته يرسل أكبر طياريه لانقاذ موسولينى من معتقله . وهى التى جعلته يعقد زواجه على ايفا براون قبل موته انتحاراً بيوم . وهذه العاطفية هى التى جعلته ينتحر . وهى ــ فيما يهمنا ــ هى التى جعلته يتعالى على العرب . وان كان هذا التعالى فى الواقع قد مارسه الألمان مع العرب من أيام القيصر .

المرحلة الثالثة من ١٩٤١ الى نهاية الحرب عام ١٩٤٥

لقد كانت الفلسفة النازية وراء العلاقات العربية الألمانية خصوصا فى موضوع فلسطين ، تقول الفلسفة النازية إن العرب عاجزون عن بناء دولة حديثة . ومن ناحية أخرى تظهر مذكرات قادة المانيا ووزير الخارجية ريبتروب شكا كبيرا فى ولاء العرب السياسى .

وكان تصور النازية فى اقتسام العالم هو وقوع العرب تحت النفوذ الايطالى والفرنسى والفيشى ، وجهلت هذه السياسة اهمية المنطقة استراتيجيا على مر التاريخ قديماوحديثا . وجهلت جهلا شائناً ما احتوته المنطقة من رصيد البترول الذى كان الغرب يعلم كل الحقيقة عنه قبلهم بعشرين عاما .

ولقد حصدت المانيا حصاد جهلها بهذه الحقائق .

وقد قابل هتلر أمين الحسينى ، وحضر هذا اللقاء كما صوره جون أبلر (حسين جعفر سابقا) وهو المترجم الذى حضر المقابلتين الوحيدتين بينهما . فقد رفض هتلر أن يمد يده بالسلام على أمين الحسينى فتركه أمين الحسينى وجلس على المقعد بينما هتلر واقف واعتذر هتلر له عن حماقته . وفى مقابلته الثانية قال له هتلر إنه يخشى الاسلام ولا يخشى الشيوعية ولا بريطانيا : قال له هذا التصريح والحلفاء يدكون الحصون عليه !

لقد كان التعالى على العرب من الأخطاء السياسية القاتلة للسياسة الألمانية عموما وليس من العهد النازى وحده . وحتى منذ قدوم المبشرين الألمان الى فلسطين ، أى منذ قبل عهد القيصر غليوم أيضا كان الألمان يتعالون تمام التعالى ويبدون نفورهم من العرب الفلسطينين . ورغم ان الألمان هم الذين أسسوا المستوطنات الا انهم لم يمكثوا فى الأرض وانتفع اليهود بفكرة المستوطنات وطوروها . ورغم أنهم هم أول من أنشأوا المدارس التبشيرية فى المنطقة الا أنهم فقدوا كل تأثير لهم وتركوا هذا الميدان أيضا للانجليز والأمريكان والفرنسيين واستفاد الآخرون من ذلك كل الفائدة .

وهكذا رأينا جهل المانيا بأهمية المنطقة وأهمية الشعب العربى ، وعدم معرفة العرب بمعاهدة هنغار السرية بين الألمان والوكالة اليهودية ، فهزمت المانيا فى الحرب ، وقسموها الى المانيا الشرقية والغربية ولازالت الجيوش المعادية تحتل أرضها الى يومنا هذا . واغتصب اليهود أرض فلسطين .

لقد نشر مارتن بورمان نائب هتلر مذكراته الخطيرة بالفرنسية عام ١٩٥٩ : قال هتلر لبورمان فى الأشهر الأخيرة عندما أطلت الهزيمة على الزعيم الذى اكتسح أوروبا بجيوشه فى أيام معدودة والذىحلم يوما بحكم العالم كله . قال هتلر إنه آسف وحزين حزنا كبيرا لأنه لم يستغل حركات التحرر العربى الوطنية التى مدت اليه يدها . وضرب أبسط الأمثلة بالمستعمرات الفرنسية ، فبعد ركوع فرنسا على ركبتيها كان فى امكانه أن يجعل منها نقط ارتكاز يقفز منها إلى بقية العالم العربى . كان فى إمكانه التعاون مع سورية وتونس ، وكانتا كافيتين جدا لأن يضع ساقا فى أفريقيا وساقا فى آسيا ــ كما يقول نائبه ــ ولكنه التعالى القاتل !

السيد فهمى الشناوى

الظواهر الصحية للحياة الفكرية في قطر

بقلم: أحمد عبد الملك

حفلت الأشهر القليلة الماضية بظواهر صحية ثلاث ، أثارت عدة أسئلة حول اهم قضايا المجتمع ، ولقد تمثلت هذه الظواهر فى ندوة الصحافة القطرية .. وندوة تأثير وتأثر الجامعة ، اللتين عقدهما نادى الجسرة الثقافى .. وكذلك الندوة التى اقيمت حول إدارة المدرسة الثانوية والتى عقدت فى جامعة قطر .

• ندوة الصحافة القطرية :

شارك فى هذه الندوة رؤساء تحرير الصحف والمجلات القطرية : يوسف الدرويش رئيس تحرير صحيفة جلف تايمز التى تصدر باللغة الانجليزية ، وناصر العثمان رئيس تحرير جريدة الراية القطرية ، وعبدالله الحسينى رئيس تحرير مجلة العهد القطرية ، وخالد نعمة رئيس التحرير المسئول بجريدة العرب القطرية .

وأهم ما اتسمت به هذه الندوة هو حرية طرح السؤال ، والصراحة فى الجواب .. ورغم أن معظم الأسئلة التى طرحت دارت حول حرية الصحافة ، الا أن هنالك موضوعات على درجة كبيرة من الأهمية ، منها القاء الضوء على الظروف التى تعيشها الصحافة ، وكان رئيس تحرير جريدة الراية ناصر العثمان واقعياً لدرجة كبيرة عندما قرن حرية الصحافة بالعقلية التى تتعامل مع الصحافة .. ونظرة المجتمع ، (أو بعض أفراد المجتمع) لدور الصحافة .

إن المفهوم الأساسي لحرية الصحافة لا ينبع حتماً من المعارضة ..أو التشهير لغرض التشهير .. كما أن المجتمع الذى لا يعرف كيفية استخدام الحرية سوف يسيء لمفاهيم الحرية .

فنحن مازلنا نشعر بالحساسية فى مجال النقد الفنى أو الأدبى فما بالك لو بدأنا فى طرح نقد



يوسف جاسم الدرويش



ناصر العثمان

لأسلوب العمل فى بعض الإدارات .. ونحن فى ذات الوقت لا نستطيع التخلص من ذواتنا — الأنا — لنحلل قضية بعينها ، التحليل العلمى الواقعى .

نتيجة أخرى لمستها خلال الندوة وهى غياب الأقلام القطرية عن الصحافة القطرية .. وهذه مشكلة ان لم تكن مأساة ! ! فالقلم الذى يخرج من صخر الأرض يكون صلباً وقوياً أمام أية قضية .. والفكرة التى تخرج من البيت القطرى ، والمعاناة القطرية ، تكون أكثر فعالية وتأثيراً .. ورغم أن المجتمعين فى الندوة دافعوا عن هذه القضية برمي الكرة (اللائمة) فى ملعب المجتمع وشبابه .. الا أننى أرجع القضية أساساً الى نظرة المجتمع للصحافة ودورها .. ومن ثم الوعي الفكرى ..

لكن المهم هنا .. أن احجام القلم القطرى عن الخوض فى قضاياه يبهت صورة الصحافة ..

وقضية « الكادر » الصحفى للجرائد والمجلات قضية على درجة كبيرة من الأهمية .. والاخراج الفني ، والتوزيع ، ودعم الدولة ، والهدف من إنشاء المؤسسة الصحفية .. كل ذلك كان من الموضوعات الرئيسية فى الندوة .

ولكن بقيت كلمة ..
أن نتحرك نصف خطوة الى الامام خير من أن نتفرج على أنفسنا ، وأن نؤمن بقضايا مجتمعنا ، ونساهم في بناء بلادنا بكل الوسائل .

• ندوة الجامعة بين التـأثير والتأثر :

شارك في هذه الندوة الدكتور عبد الرحمن حسن الابراهيم ، أمين عام جامعة قطر ، والدكتور محمد كافود ، والدكتور عبد العزيز المغيصيب ، والدكتور عبد العزيز كمال .

في البداية كانت هنالك إضاءات معينة حول قضايا هامة رأت إدارة نادى الجسرة ضرورة ابرازها للحضور .. ثم بدأت المناقشة .
كان المجتمع حاضراً في هذه الندوة : الشاب .. الفتاة .. الأب .. والأم .. والمستقبل .. وكان السؤال الملح دائماً .. هل قامت الجامعة بدورها المطلوب ؟

جاء ضمن الندوة :
• أن مستوى طالب جامعة قطر يجب أن يكون بمستوى خريج الجامعات الأخرى .
• أن الادارات المختلفة تفضل الطالب من الجامعات الأخرى ..
• أن التفاعل بين الطالب والمدرس غير موجود ..
• أن عدد الساعات المطلوبة مرهق .
• أن تطبيق المنحنى ظالم ..
• أن البحوث التي يصرف عليها الكثير لا يستفاد من بعضها بالشكل المناسب
• أن نجاح وتفاعل الطالبة أكبر من الطالب .
• أن بعض المنتدين عارضوا شكل التدريس ..
• أن الطالب ذا المستوى الجيد بعد الثانوية يرسل الى الخارج ..

هذه الأمور وغيرها كانت ضمن أسئلة الحضور واجابات الأساتذة المنتدين ..
لكن السؤال الذى بقي دون إجابة هو : هل المطلوب من الجامعة أن تخرج طالباً متعلما .. أم طالباً مثقفاً ، وعلى هذه السؤال ترتكز العديد من القضايا التى طرحت .

وقد أرجع «الدكتور عبد الرحمن حسن الابراهيم ، أمين عام الجامعة ، بعض القضايا الملحة الى نشأة الجامعة ، والحاجة الماسة ، لتخريج دفعات يحتاجها المجتمع » .. وخلال هذه العملية قد يحيد النظام عن التطبيق الأمثل ، وذلك يحدث في دول العالم الثالث . ولكن اليوم .. جاء الوقت للتقييم الأمثل .. لأن خريج الجامعة كما قال بعض الاخوة الحضور سيكون موظفاً مسئولا عن أمور الناس .. فيجب قبل أن يكون



عبدالله يوسف الحسينى



خالد نعمة

كاتباً .. أن يكون واعياً . فالوعى هو المطلوب أولا .. لأن الانسان الواعى قد يتعلم .. والعكس غير صحيح .!! اذن فطالب الجامعة يجب أن لا يدرس المنهج الدراسي فقط والا اعتبرت الدراسة تكملة للثانوية التقليدية .
فات على الندوة ــ خلال استعراض مراحل نمو الجامعة ــ التطرق ولو بإشارة الى مبانى الجامعة الجديدة .. والتى تمثل احدى المفاخر الإنشائية في قطر ..

• نـــدوة إدارة المدرسة الثانوية :

نظم هذه الندوة الدكتور عبد العزيز المغيصيب المدرس بجامعة قطر ، وشارك فيها مديرو ثلاث مدارس ثانوية .
ودارت الندوة حول الادارة في المدرسة الثانوية .. وسلطت الأضواء على :
ــ مركزية الادارة في التعليم ..
ــ انتفاء دور المدرس ..
ــ نوعية الكتب ..
ــ طرق التدريس ..
ــ غياب التفاعل بين المدرسة وولى أمر الطالب ..
ــ رفاهية الطالب .. وعدم حاجته للتعليم ..
ــ دور وسائل الاعلام في العملية التعليمية ..
ــ التليفزيون التربوي .. ودوره ..
ــ الترهيب في التعليم غير ايجابى ..
ــ عدوانية الطالب للمنشآت والأدوات ..
ــ عدم مشاركة المدرس في المنهج ..
ومن الملفت للنظر نجاح تجربة تشغيل الحاسب الآلى بمدرسة ابن تيمية الثانوية والذى أشرف عليه وقدمه للندوة السيد / غلوم عبد الله محسن ، مدير المدرسة .

ولقد نظمت هذه الندوة خصيصاً لطلاب من جامعة قطر ليتعرفوا على نظم ومشاكل وظروف المدرسة الثانوية .. ولابد من الاشارة هنا الى جدية الندوة وحماس الأساتذة المشاركين وإخلاصهم .. وتأكيدهم على أهمية الخروج من النطاق التقليدى للتعليم ــ وهذا وإن تطلب تعديل العديد من النظم المعمول بها ــ الا أنه ضه ضرورة هامة تستلزمها الظروف .. والتيارات التى يتعرض لها الشاب الطالب .. خصوصاً في هذا الوقت (المنافس .. المتحدى) الذى يتعرض فيه الشاب للهجمات الشرسة من الفيديو .. والموضة .. والتوجهات الهدامة . ووصلت الندوة الى نتيجة أخرى وهى ضرورة إيجاد التلاحم بين المدرسة والمنزل لتكتمل عملية التربية والتعليم ، وتنجح في خططها وزارة التربية والتعليم .

وبعد .. هذه ثلاث ظواهر صحية عاشها جمهور من المهتمين بالفكر والثقافة .. وظهر فيها الرأى .. والرأى الآخر ، جاءت في وقت أصبحنا نرى فيه إضاءات جديدة في سماء هذا المجتمع .

إن الطفل يكبر .. والشاب ينضج .. والفكر يتبلور .. واللسان ينطلق .. فإلى المزيد من هذه الاضاءات .. وفي كل مؤسسة .. وعلى أى نطاق .. فالتاريخ لا يقف .. والعقل الانسانى لا تحده الحدود .. وليكن الاخلاص أهم الغايات ! !

أوابك

منظمة الأقطار العربيّة المصدِّرة للبترول

ودورها في تحقيق التعاون البترولي العربي

بقلم: الدكتور محيي الدين علي عشماوي

لعل من أهم الصور المشرقة للتعاون العربى الايجابى، والتى توكد الايمان العربى بضرورة الجهد العربى المشترك فى سبيل تقدم الأمة العربية وتحقيق آمال شعوبها والعمل على توفير أكبر قدر ممكن من الخير لأبنائها وأجيالها القادمة، ما تم من مراحل انشاء منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك) وما أنجزته من أعمال على صعيد التعاون البترولى العربى.

لقد كان الباعث على قيام الأقطار العربية المصدرة للبترول بانشاء هذه المنظمة العربية هو ادراك هذه الأقطار لدور البترول كمصدر رئيسى وأساسي لدخلها وبالتالى فإن عليها أن تنميه وتحافظ عليه بالشكل الذى يعود عليها بأكبر المنافع المشروعة، ولاسيما أن البترول ثروة آيلة للنضوب مما يلقى على الأقطار العربية تبعة الحفاظ عليه ومسئولية استثماره فى مشاريع انتاجية وانمائية لصالح الأجيال المقبلة.

كما أدركت الأقطار العربية المصدرة للبترول أن الافادة الرشيدة من ثرواتها البترولية ترتبط بالدور الذى يقوم به البترول فى خدمة اقتصاديات البلدان المستهلكة له وبالتالى بمراعاة المصالح المشروعة لتلك البلدان فى تزويد أسواقها بالبترول بشروط عادلة تعود بالنفع والخير على الإنسانية.

وتطلعاً من هذه الدول إلى تحقيق التعاون العربى الوثيق المثمر فيما بينها فى كافة مجالات استكشاف وانتاج وتسويق وصناعة النفط، والمحافظة على مصالحها فى هذا الشأن فى مواجهة التحديات التى تشهدها أسواق النفط العالمية من حيث الاحتكار والاستغلال والمنافسة وحرب الانتاج والأسعار المختفية والمعلنة على مدى سنوات عصر اكتشاف النفط واستغلاله كمصدر للطاقة، كان اتفاق الأقطار العربية المصدرة للبترول على انشاء منظمة (أوابك) كمنظمة بترولية حكومية عربية تضم، فى عضويتها البلدان العربية المنتجة للبترول والمصدرة له.

وبالفعل تم بتاريخ ٩ يناير ١٩٦٨ الموافق ٩ شوال ١٣٨٧ وفى مدينة بيروت إبرام اتفاقية انشاء «منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول» بين حكومة المملكة العربية السعودية وكان يمثلها معالى الشيخ أحمد زكى يمانى وزير البترول والثروة المعدنية، وحكومة دولة الكويت وكان يمثلها معالى السيد عبد الرحمن سالم العتيقى وزير المالية والنفط، والحكومة الليبية وكان يمثلها معالى السيد



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى دولة قطر يترأس وفد بلاده فى أحد اجتماعات منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول

خليفة موسى وزير شؤون البترول .

ثم انضمت الى المنظمة الأقطار العربية الأخرى المصدرة للبترول وهى الجزائر وأبوظبى وقطر والبحرين والتى انضمت فى شهر مايو ١٩٧٠ ثم انضمت العراق وسوريا فى عام ١٩٧٢ وتلاها انضمام مصر الى المنظمة فى عام ١٩٧٣ . وقد اتخذت المنظمة مقراً دائماً لها فى مدينة الكويت فى دولة الكويت .

أهداف المنظمة وصلاحياتها

حددت اتفاقية انشاء المنظمة الهدف الرئيسى من انشائها ، ألا وهو تعاون الدول الأعضاء فى مختلف أوجه النشاط الاقتصادى فى صناعة البترول ، وتحقيق أوثق العلاقات فيما بينها فى هذا المجال ، وتقرير الوسائل والسبل للمحافظة على مصالح أعضائها المشروعة فى هذه الصناعة ، هذا بالاضافة الى توحيد الجهود لتأمين وصول البترول الى أسواق استهلاكه بشروط عادلة ومعقولة وتوفير الظروف الملائمة لرأس المال والخبرة المستثمرين فى صناعة البترول فى أقطار الأعضاء .

وتحقيقاً لهذا الهدف ، اتفق الأعضاء ، على أن تتوخى المنظمة فى أنشطتها على وجه الخصوص ما يلى :

١ ــ اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنسيق السياسات الاقتصادية البترولية لأعضائها .

٢ ــ اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالتوفيق بين الأنظمة القانونية المعمول بها فى الأقطار الأعضاء الى الحد الذى يمكن المنظمة من ممارسة نشاطها .

٣ ــ مساعدة الأعضاء على تبادل المعلومات والخبرات ، واتاحة فرص التدريب والعمل لمواطنى الدول الأعضاء فى أقطار الدول الأعضاء التى تتوفر فيها امكانات ذلك .

٤ ــ تعاون الأعضاء فى حل ما يعترضهم من مشكلات فى صناعة البترول .

٥ ــ الافادة من موارد الأعضاء وامكاناتهم المشتركة فى إنشاء مشروعات مشتركة فى مختلف أوجه النشاط فى صناعة البترول يقوم بها جميع الأعضاء أو من يرغب منهم فى ذلك .

وقد منحت الاتفاقية للمنظمة الشخصية الاعتبارية والأهلية الحقوقية التى تخولها القيام فى إقليم كل عضو بكافة صلاحيات الأشخاص الاعتباريين ، كما اجازت للمنظمة أن تحوز الأموال المنقولة والثابتة وأن تتملكها وأن تأتى كافة التصرفات القانونية ، كما لها أن تقاضى باسمها الخاص ، وأيضاً تتمتع المنظمة فى اقاليم الأعضاء بالحصانات والامتيازات اللازمة لتحقيق أهدافها وممارسة نشاطها .

ومن صلاحيات المنظمة ــ بموجب المادة الخامسة من الاتفاقية ــ جواز قيامها بعقد اتفاقيات مع الأعضاء أو مع بلدان أخرى أو مع اتحاد من الدول أو مع منظمة دولية ، وعلى الخصوص اتفاقيات انشاء مشاريع مشتركة فى مختلف أوجه النشاط الاقتصادى فى صناعة البترول .

وعن علاقة منظمة (أوابك) مع منظمة (أوبك) وحتى لا يحدث تعارض بينهما ولاسيما أن هناك أعضاء من الأقطار العربية المصدرة للبترول يتمتعون بعضوية (أوبك) بجانب عضويتهم فى (أوابك) جاءت المادة الثالثة من اتفاقية انشاء «منظمة الأوابك» لتنص على أن أحكام هذه الاتفاقية لا تؤثر على أحكام الاتفاقية الخاصة بمنظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) وعلى الخصوص ما يتعلق بحقوق والتزامات أعضاء منظمة (أوبك) تجاهها ، كما يلتزم أطراف اتفاقية «منظمة الأوابك» بقرارات منظمة (الأوبك) المصادق عليها ، وعليهم التمشى بموجبها حتى ولو لم يكونوا أعضاء فى منظمة (أوبك) .

فتح عضوية المنظمة للأقطار العربية البترولية

وحتى يتسع نطاق العضوية فى المنظمة فقد نصت المادة السابعة من اتفاقية انشائها على أنه يجوز أن ينضم الى عضوية المنظمة أى قطر عربى مصدر للبترول شريطة أن يتوفر فيه الشروط التالية :

• أن يكون البترول مصدراً هاماً لدخله القومى .

• أن يقبل الالتزام بأحكام هذه الاتفاقية وما يطرأ عليها من تعديلات .

• أن يوافق مجلس وزراء المنظمة على انضمامه بأغلبية ثلاثة أرباع الأصوات على أن يكون من بينها أصوات جميع الأعضاء المؤسسين وهم (المملكة العربية السعودية ــ دولة الكويت ــ ليبيا) .

أجهزة «منظمة الأوابك»

تمارس منظمة «الأوابك» اختصاصاتها ومسئولياتها عن طريق الأجهزة التالية :

• أولا : مجلس وزراء :



وفد المملكة العربية السعودية برئاسة معالى الشيخ أحمد زكى يمانى فى الاجتماعات الأخيرة لمنظمة أوابك .

• قصة المؤتمر الذى كان حافزا للأقطار العربية ، لزيادة اهتمامها بالتعاون العربى فى مجال الطاقة .

يتكون من ممثل واحد عن كل قطر من الأقطار الأعضاء هو وزير البترول أو من يقابله مستوى فى المسئولية عن شؤون البترول .

ومجلس الوزراء هو السلطة العليا فى المنظمة وهو الذى يرسم سياستها العامة ويوجه نشاطها ويضع القواعد التى تسير عليها . كما يقوم المجلس بالبت فى طلبات الانضمام للمنظمة والموافقة على دعوة أقطار مصدرة للبترول لحضور اجتماعاته . وأيضاً يختص المجلس باتخاذ القرارات والتوصيات وابداء المشورة فيما يتعلق بالسياسة العامة للمنظمة أو بموقف المنظمة أو موقف عضو معين فيها حيال قضية معينة . وللمجلس سلطة اقرار الاتفاقيات التى تعقدها المنظمة واقرار مشروع الميزانية السنوية والمصادقة على الحساب الختامى وتعيين الأمين العام والامناء المساعدين ومراقبة وتوجيه أعمال المنظمة وأجهزتها المختلفة .

• ثانياً : مكتب تنفيذى :

ويتكون من ممثل واحد عن كل قطر من الأقطار الأعضاء يعينه القطر المعنى ويتولى المثلون رئاسة المكتب بالتناوب ، وفقاً للترتيب الأبجدى للأقطار الأعضاء ، وذلك لفترات كل منها لمدة سنة واحدة . ويختص المكتب بالنظر فى الشئون المتعلقة بتطبيق الاتفاقية الخاصة بإنشاء المنظمة وممارسة المنظمة لنشاطها واختصاصاتها ورفع ما يراه من توصيات واقتراحات الى المجلس الوزارى .

• ثالثاً : الأمانة :

وتتكون الأمانة من الادارات واللجان التى تحددها اللوائح ، وتضطلع بالجوانب التخطيطية والادارية والتنفيذية لنشاط المنظمة وفقاً للوائح وتوجيهات المجلس الوزارى .

• رابعاً : الهيئة القضائية :

ترتبط بالمنظمة هيئة قضائية تختص بالنظر فى المنازعات التالية :

١ ـ المنازعات التى تتعلق بتفسير وتطبيق اتفاقية انشاء المنظمة وتنفيذ الالتزامات الناشئة عنها .

٢ ـ المنازعات التى تنشأ بين عضوين أو أكثر من أعضاء المنظمة فى مجال النشاط البترولى .

٣ ـ المنازعات التى يقرر المجلس الوزارى اختصاص الهيئة بنظرها .

٤ ـ المنازعات التى تنشأ ما بين عضو وبين شركات البترول التى تعمل فى اقليم ذلك العضو أو تكون تابعة لأى عضو آخر .

وتعتبر الأحكام التى تصدرها الهيئة القضائية نهائية وملزمة وذات حجية على طرفى النزاع ، وتكون لها بذاتها قوة تنفيذية فى أقاليم الأعضاء .

ويتمتع قضاة الهيئة بكافة الحصانات والامتيازات الدبلوماسية فى أقاليم أعضاء المنظمة .

وبالاضافة الى ما حققته منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك) منذ انشائها حتى الآن ، من انجازات على صعيد التعاون العربى البترولى وتنسيق سياسات الدول الأعضاء وتحقيق مصالحها وتبادل الخبرات والمعلومات وتطوير الصناعة النفطية العربية وتحقيق بعض أوجه التكامل النفطى بين أعضائها ، فلقد ساهمت المنظمة فى تحقيق التعاون العربى فى مجال الطاقة حيث دعت فى عام ١٩٧٩ الى عقد مؤتمر الطاقة العربى الأول بالاشتراك مع الصندوق العربى للانماء الاقتصادى ولاجتماعى . وتم فى هذا المؤتمر ابراز وجهة النظر العربية حيال الطاقة ، وكان ذلك المؤتمر حافزاً للأقطار العربية لزيادة اهتمامها بهذا المجال الحيوى وتعزيز القدرات العربية على ادراك مشاكل الطاقة فى الوطن العربى وفى العالم أجمع والمساهمة فى تقديم الحلول لها .

وبالمثل دعت المنظمة الى مؤتمر الطاقة العربى الثانى الذى عقد فى مدينة الدوحة بدولة قطر فى الفترة من ٦ ـ ١١ آذار/مارس ١٩٨٢ وتحت شعار « الطاقة فى خدمة التنمية والتكامل الاقتصادى العربى » . وكان من سمات هذا المؤتمر أنه أكد وضع الطاقة فى الاطار التنموى الشامل والضرورى لكافة الأقطار العربية وجعلها جزءاً هاماً من العمل العربى الاقتصادى المشترك .

ومما هو جدير بالذكر أن الدول العربية المصدرة للبترول والأعضاء فى « منظمة الأوابك » قد أدت واجباً كبيراً نحو الدول النامية مساهمة منها فى توطيد أركان التعاون الاقتصادى الدولى والأخذ بيد هذه الدول لتحقيق مشروعاتها التنموية ، فلقد بلغت مساعدات الدول العربية المصدرة للبترول للدول النامية ما يزيد عن ثمانية مليار دولار أمريكى وهو ما يشمل حوالى ٢٢ بالمائة من اجمالى مساعدات التنمية الرسمية التى قدمها العالم بأسره الى الدول النامية .

وتبقى كلمة أخيرة نود أن نذكرها ، ألا وهى الدعوة الى أن تضاعف منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك) من جهودها ونشاطاتها فى مجال تبنى استراتيجية عربية للطاقة تخدم المصالح العربية العليا ومصالح الأمة العربية التى أصبحت تواجه التحديات الدوبية فى كافة المجالات الاقتصادية والتنموية .

محيى الدين على عشماوى

بسم الله الرحمن الرحيم

إعـــــلان

دعـــــــوة إلى الترشـــــيح
للجائـــزة التـــقديريـــة للثـــقافة العربيّـــة

تحقيقاً لأهداف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى تنمية الثقافة العربية الإسلامية وتكريم المبدعين فيها ، والمسهمين فى إغنائها وتطويرها تعلن المنظمة عن الترشيح لنيل :

الجائزة التقديرية للثقافة العربيـــة

التى ستمنح خلال سنة ١٩٨٥ وفق الأسس التاليـــة :

١) خصصت المنظمة هذه الجائزة تقديراً لأحد المفكرين العرب المعاصرين على مجموع ما ألف وكتب وأسهم به فى ميدان

(الفكر القومي ومرتكزاته الثقافية والروحية) .

٢) تتألف الجائزة من :

* مكافأة نقدية قدرها ١٥,٠٠٠ خمسة عشر ألف دولار أمريكى
* مسكوكة (ميدالية) تحمل شعار المنظمة وسنة منح الجائزة
* وثيقة من المنظمة باسم صاحب الجائزة

٣) يجوز لأي مفكر عربي أن يتقدم بترشيح نفسه لنيل الجائزة ، أو أن تتقدم احدى الجهات التالية في البلاد العربية بترشيح من تراه مستحقا لهـا :

ـ المجامع العلمية واللغوية .
ـ الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات
ـ المؤسسات والمنظمات الثقافية والعلمية ، مثل الاتحادات والجمعيات والهيئات .

٤) يراعى في أعمال المرشح للجائزة :

ـ أن تتسم بالجدة والأصالة والاسهام الفعلى فى إغناء الفكر القومى ومرتكزاته الثقافية والروحية .
ـ أن تكون فى مجموعها محققة للقيم القومية والانسانية
ـ أن تكون متوافقة مع رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وما تهدف اليه .
ـ ألا يكون المرشح قد حصل على جائزة عن الأعمال المقدمة نفسها .

٥) ترسل الترشيحات الى العنوان التالى :

ـ الأمانة العامة للجائزة التقديرية للثقافة العربية (إدارة الثقافة) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
ص ـ ب ١١٢٠ القباضة الأصلية ـ تونس

٦) يرسل المرشح مع طلبه :

ـ خلاصة عن سيرة حياته ونشاطه ونتاجه
ـ أربع نسخ من كل عمل من أعماله المرشحة بشرط أن تكون مطبوعة ومنشورة باللغة العربية .

٧) تقبل الترشيحات حتى يوم ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٨٥ ، ولا تقبل الترشيحات المرسلة بعد هذا التاريخ .

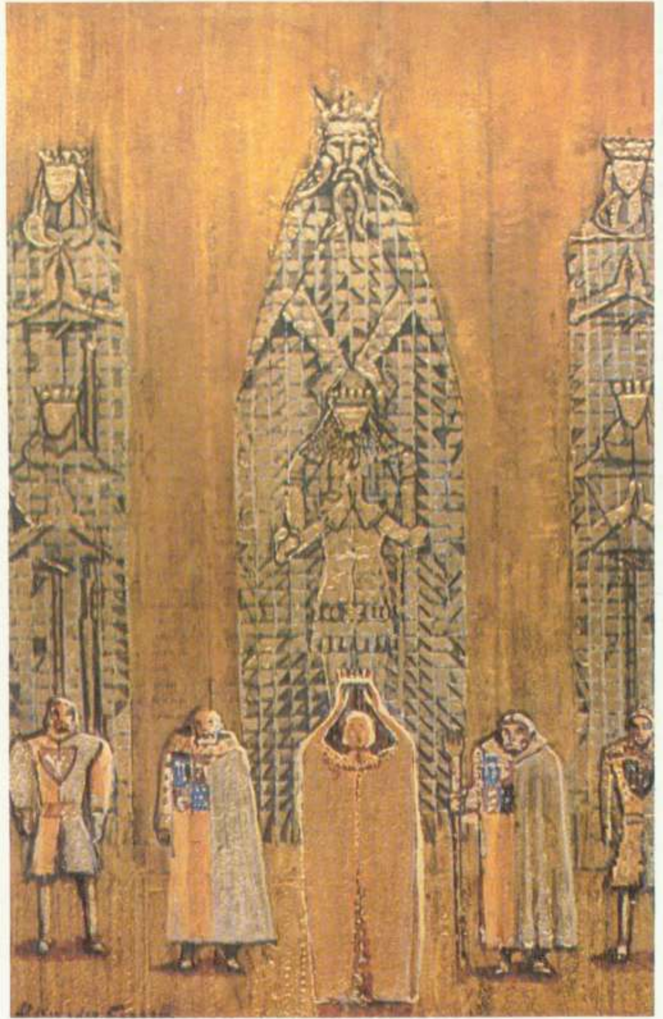
٨) لا تعاد أعمال المرشح الى صاحبها .

٩) تدعو المنظمة العربية جميع من يستحقون الترشيح لنيل هذه الجائزة أن يتقدموا اليها بطلباتهم ضمن المهلة المحددة .

الفنان عربي ومسرحه الدنيا

بقلم: الفريد فرج

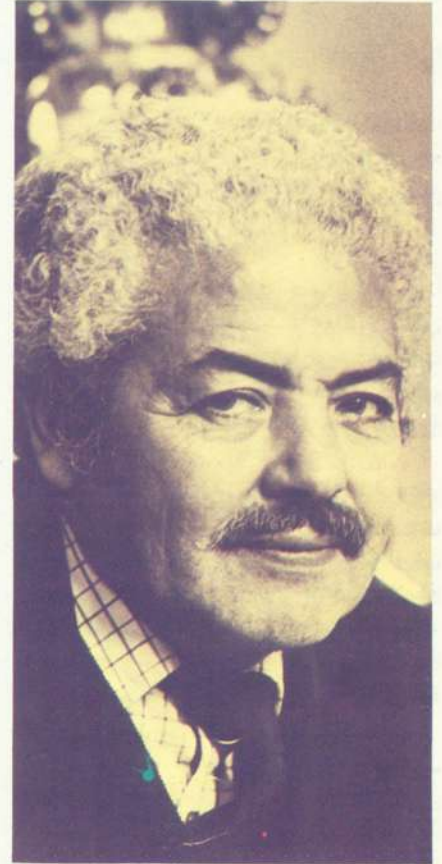
تمنيت كثيراً أن أحدث قراء العربية ومحبى الفنون المسرحية فى وطننا العربى عن الفنان الجزائرى المسرحى الكبير عبد القادر فراح .. إنه مصمم الديكور والملابس لواحدة من أشهر الفرق المسرحية فى العالم .. وهى « فرقة شكسبير الملكية » .



تصميمات ديكور وملابس مسرحية «ريتشارد الثانى» لعبد القادر فراح



هنرى الخامس .. فرقة شكسبير الملكية .. ملابس وديكور فراح



عبد القادر فراح

تصميمات الملابس لفراح تباع بالمكتبات كلوحات فنية (مطبوعات فرقة شكسبير)

وهو المصمم أيضاً لبعض من أشهر العروض المسرحية فى العالم ، وقد اضاف سحر لمساته الفنية على أشهر المسارح الأوروبية والأمريكية فى النمسا وهولندا وكندا وفرنسا وسويسرا والمكسيك .. فضلا عن انجلترا .

ونال عبد القادر فراح بعضاً من أكبر الجوائز فى دنيا المسرح .

فى عام ١٩٧٢ نال جائزة أفضل فنان مسرحى للعام التى تنظمها مجلة « المسرح والممثلون » البريطانية .. وذلك عن تصميمه الديكور لمسرحية « جان جينيه » « البلكون » ، وقد أدهش فراح الموسم الفنى باستخدام المرايا على المسرح لأول مره بحيث أعطى تأثيراً سحرياً للمساحة وتكراراً مثيراً ومحسوباً للأشياء .

وفى عام ١٩٧٦ نال فراح جائزة « رابطة المسارح للوست إند » لأفضل فنان .. وذلك عن تصميمه الديكور لمسرحية شكسبير « هنرى الخامس » .

وكانت مفاجأة الديكور للمسرحية طريقة فراح فى استخدام خيمة السيرك مطروحة على الأرض تمثل ميدان القتال الموحل فى الحرب الانجليزية الفرنسية .. ثم رفع الخيمة فجأة بانتقال المشهد الى قصر ملك فرنسا ، وقد ازدان باطنها الذى أصبح هو السقف بزخارف القصر الملكى الباذخة .. على نحو يؤكد التناقض بين مشقة القتال وبين حياة الترف ، كما يؤكد وحدة التناقض ووحدة أدوات الديكور وسهولة النقلة المسرحية .

وفى عام ١٩٨٠ نال فراح جائزة أفضل تصميم مسرحى التى تنظمها المكسيك عن ديكور وملابس مسرحية شكسبير « ريتشارد الثالث » ..

ويعد فراح فى الغرب من أشهر أسماء الفنانين المسرحيين المعاصرين .

كما أنه قام بتدريس الفن فى معهد شتراسبورج

القومى الفنى بفرنسا وفى المدرسة القومية للمسرح فى مونتريال بكندا .

التصفيق للديكور

ومع أنى من المهتمين بفن المسرح مشاهدة وقراءة ، فى بلادنا وفى العالم ، فلابد أن اعترف أنى كغيرى من المهتمين بهذا الفن فى بلادنا ، لم أكن اعطى اهتماماً كبيراً لفن التصميم المسرحى للديكور والملابس .

وكانت أول مرة انتبه فيها الى ذلك الفن بمسرح الأوديون بباريس حيث كانت فرقة شكسبير الملكية تعرض مسرحيتها « هنرى الخامس » فى زيارة فنية لفرنسا .

والمسرحية تروى قصة الحرب بين انجلترا وفرنسا ، وتنتقل شأن مسرحيات شكسبير من مشهد الى مشهد بسرعة خاطفة .

وكان المشهد هو معسكر هنرى الخامس .. والملك وجنوده اضناهم القتال واغبرت ملابسهم وحالت ألوانها ..

وفى هذا الجو الفقير المغبر كانت أرض المعركة مفروشة بقماش موحل وكالح .. تجرى عليه حركة الجند .

وتغير المشهد فجأة ، وانتقلت المسرحية الى قصر ملك فرنسا .. ففى لمح البصر ، شدت خيوط خفية القماش إلى أعلى ليكشف باطنه الذى أصبح سقف القصر عن زخارف تشى عن فرط البذخ الفنى الذى يعيش فيه ملك فرنسا وحاشيته .. الذين اندفعوا إلى منصة المسرح بملابسهم الرائعة وزينتهم المفرطة .. مما يخطف الأبصار .

وكان انتقال المشهد من النقيض الى النقيض فى لمح البصر ، بما يؤكد موضوع المسرحية ، وفلسفة شكسبير فى اظهار التناقض بين عزيمة الفقر وبين دعة الترف ..

كان انتقال المشهد شرارة ألهبت أكف الجمهور بالتصفيق للفنان المصمم ، وللبلاغة الكامنة فى أدواته الفنية ..

وقد حفزتنى هذه التحية الطويلة الى مراجعة أوراق البرنامج فى يدى للبحث عن اسم مصمم الديكور والملابس .. فوجدت الاسم : حرف الألف وفراح .

عجبت من الاسم !

أيمكن أن يكون عربياً ؟

راجعت الاسم كاملا فى مقالات النقاد بعد أيام .. فاذا هو عبد القادر فراح .

وفى أول زيارة قادتنى الى انجلترا سعيت اليه ، وتعرفت عليه وعلى انتاجه ، واستمتعت بوده الشرقى اللطيف ولهجته الجزائرية المتميزة .

الديكور فن مسرحى

لا يزال فن التصميم المسرحى للديكور والملابس بحاجة الى تعريف فى بلادنا . فما يزال فنان الديكور والملابس عندنا يعمل فى أغلب الأحوال على هامش الحركة الفنية المسرحية ، وما يزال المخرج المسرحى يزاحم المصمم فى عمله ويسيطر على حريته فى التعبير ويقيد تصوراته .

ولكن تصميم الديكور والملابس فى المسرح الغربى قد اكتسب خلال القرن العشرين مكانة خاصة كفن مستقل عن فن الاخراج ومتعاون معه وكفء له ، وأصبح الابداع فيه جانباً أساساً من جوانب التصور والتصوير للعمل الفنى المسرحى .

المخرج والمصمم والممثل فنانون مبدعون ، وكل منهم حر فى تصور أوفق أساليب التعبير عن الموضوع الواحد للمسرحية الذى اتفق على أساسه سلفاً ، وكل منهم حر فى أساس تصوره للتعبير عن ذلك الموضوع المتفق عليه ، ولكل منهم أدواته الفنية ومجال ابداعه .

المصمم هو الفنان الذى يضع الإطار البصرى للمسرحية ، ويضع لهذا الإطار سياقاً مسترسلا يحتضن سياق الأحداث المسرحية المسترسلة .

فعمل المصمم ليس مجرد وضع إطار فنى مثبت ، وإنما ابتداع إطار فنى متحرك ومتطور .. وله ايقاع للثبات وللحركة ، وايقاع لونى وايقاع للفراغ ولملء الفراغ المسرحى .

ويبدع المصمم هذا الإطار وهذا السياق بأسلوب يضع فى الحسبان تحقيق التعبير عن الموضوع فى الظروف المعطاة من درجة الاضاءة ونوعها ، ومن ايقاع الحركة المسرحية والحوار .. بما يوافق الخطة الموضوعة بين المخرج والمصمم والممثل ، وبما يحقق سيطرة الفكرة على المشهد بأدوات الممثل أو بأدوات كتلة الممثلين .

أشياء تساهم فى التمثيل

وقد عمد المسرح الحديث الى توظيف الأشياء فوق المنصة .. توظيف الاكسسوار والملابس ، بحيث أصبح لهذه الأشياء روح وحضور كحضور الممثلين ، ولم تعد مهمتها تصويرية وإنما أصبحت وظيفتها تعبيرية .. لم تعد عناصر للبيئة أو لمجرد الزخرف ، وإنما أصبحت هذه الأشياء قادرة على التعبير والتأثير كما يعبر الممثل أو يؤثر فى الجمهور .

فحركة المدفع عبر المنصة ، أو حركة الاعلام المرفوعة فى ميدان القتال ، أو الاعلام المنكسة فى أرض الهزيمة ، أو اقتحام قاطرة للمنصة ، أو سقوط زهرة تحت الأقدام .. يحدث أى منها وقعاً على المسرح ، مثلما يكون لصيحة الممثل وقعها .

من قصر البخارى إلى باربيكان

ولد عبد القادر فراح فى قرية قصر البخارى بالجزائر ، وهو الآن أحد أشهر الفنانين المتعاونين مع فرقة شكسبير الملكية ومقرها مسرح « باربيكان » .

وهو أحد الثقاة فى فن المسرح عامة وفى فن التصميم المسرحى بخاصة ..

وفى رأيه أن التصميم المسرحى يتغير ككل شيء فى الدنيا .. فيقول :

« فاليوم مثلا قد اتاحت التكنولوجيا مواد لبناء الديكور وصناعة الملابس لم تكن معروفة أو مطروقة منذ ٤٠ عاماً . كما أن « المودة » خارج المسرح تتغير بسرعة بما يؤثر على الفن ذاته » .

« واليك مثل آخر » ..

« قبل برتولد برخت كان نجاح المسرح مرهوناً بنجاح الممثل العظيم أو المخرج العظيم .. ولكن الثورة المسرحية التى أحدثها برخت دفعت بالمؤلف الى المقدمة ، حيث ثبت أن المؤلف يستطيع أن يسمو بالممثل وبالمخرج على أجنحة الشعر » .

« وكان اندفاع المؤلف الى هذه المكانة ارتقاء بعنصر الفلسفة والفكر فى المسرح ، وهذا أدى لدخول فن المسرح عهد التقشف والاستغناء عن الزينة والزخرف الزائد ، شأن تقشف الفلاسفة وزهدهم فى الزينة واستغنائهم عن المحسنات وأدوات اللطف وأساليب الرقة » ..

« إننا فى عهد المسرح الفقير ، الغنى فى قوة التعبير ، العارى من الكماليات الجمالية والزينة .. إننا فى « عصر المسلخ » ، والتجرد والنسك .. والبلاغة الاقتصادية » .

أردية فراح الجلدية

فى أواسط الستينات استخدم فراح الأردية الجلدية لكل الممثلين فى مسرحية ريتشارد الثانى . وكانت مفاجأة مسرحية اشتهر بها وأثارت العجب والاعجاب .. وأثارت حتى الفكاهة والتندر فى مسارح الفكاهة الاستعراضية ، وفى كاريكاتير الصحف حول « أردية فراح الجلدية » .

يقول فراح : « إن سبب تقديم الملابس الجلدية على المسرح عملى وبسيط . فانك لن تجد أبداً مادة للملابس لها تأثير الدروع الحديدية .. وهذه عقبة ومشكلة يعرفها كل المصممين المسرحيين . وأخطر شيء لتجاوز هذه المشكلة أن تصنع درعاً مزيفاً من البلاستيك كما يصنعون فى السينما ، فهو على المسرح يلغى التأثير المطلوب

وينفيه . لذلك فكرت فى محاولة توظيف الجسد البشرى نفسه لاحداث الأثر المطلوب . وأكدت هذا التأثير برداء الجلد الأسود العريض ، فأحدث الأثر المطلوب للمقاتلين الحديديين » .

وقد انتشر هذا الأسلوب للأردية الجلدية من بعد ريتشارد الثانى فى المسرح ، واستخدمه المصممون بعد فراح .

خيمة السيرك

أما ديكور هنرى الخامس الذى أشرت إليه منذ قليل ، فقد شرحه فراح بقوله :

« إننى استوحيته من خيمة السيرك .. قبتها فى غاية البهاء حين ترتفع وتجرى ألوان وألعاب ودنيا حاشدة بالجمال تحتها .. فإذا انتهى العرض وأرخيت الخيمة على الأرض قبل طيها وحملها فى العربات سترى أنها تعطى تأثير الطين والأرض القاحلة .. »

« وكانت الحرب بين الانجليز والفرنسيين فى مسرحية هنرى الخامس توحى بهذا التناقض بين أبهة الارستقراطية الفرنسية وأناقة الفرسان الفرنسيين ، وبين هنرى وجنوده المشعثين كفئران الصحراء » .

« لقد كانت ملابس الفرنسيين وقصر الملك مزينة بكل أناقة القصور الوسطى ، ولكن لعلك لم تلاحظ أن أسمال الجنود الانجليز وملابس الملك ليست لها أى علاقة بالعصور الوسطى ، إنها خرق لا تنم عن عصر بعينه » .

« إننى أؤمن بحرية الابداع ولا أثق بالقيود الفنية التقليدية .. لأنى لا أعتقد أن ثمة مسرحاً نهائياً ... »

« عندما وصلت الى انجلترا عام ١٩٦٠ كانت مسرحيات شكسبير تقدم باحدى طرق ثلاث : بالعظمة النابليونية — أو بطريقة تاريخية تتحرى المطابقة التاريخية للملابس والديكور — أو بطريقة حديثة لا تحدد زماناً معيناً أو بيئة معينة » .

« كل هذا تغير الآن ، وأصبح التصميم المسرحى لمسرحيات شكسبير يمليه التعبير عن فكرة المسرحية ومضمونها .. تعبيراً حراً » .

يوليوس قيصر

تكرم فراح بدعوتى لمشاهدة آخر انتاج له وهو مسرحية شكسبير « يوليوس قيصر » .

وكنت قد قرأت لناقد صحيفة التايمز قوله : « إن التصميم الفنى لعبد القادر فراح هو أنجح ما فى هذه المسرحية الناجحة .. وأن معركة فيليبى كانت مؤثرة جداً » .

كما ذكر محرر صحيفة الجارديان : « أن استخدام شاشات التليفزيون على المسرح ساعة قتل



يوليوس قيصر .. شعار المقاتلين .. ديكور وملابس عبد القادر فراح

قيصر وفى خطاب انطونيو بساحة الكابيتول كان أنجح ما شاهدناه على المسرح لتصوير الفزع والاضطراب فى مشهد القتل ولتصوير التأثير الجماهيرى العميق للخطاب » .

والواقع أن المعركة لم تستغرق على المسرح غير دقائق معدودة .. ولعل صعوبتها تكمن فى ذلك ، لأنها ذروة المسرحية ، وكانت معركة ضارية انتصر فيها أول الأمر بروتس ورفاقه من قتلة قيصر ، ثم دارت عليهم الدائرة فسحقهم جنود انطونيوس .

وقد درج المسرح على تصوير المعركة بعنف المبارزة بين الجنود الخصوم ، ولكن المبارزة دائماً نقطة ضعف على المسرح ، لانه يصعب اكتساب الممثلين للمهارات الفائقة للصراع بالسيوف أو الأسلحة القديمة ، ولتعذر استخدام المسرح للحيل السينمائية الخاصة بهذه المشاهد .

وقد كان اجتهاد فراح لإحداث التأثير المطلوب للمعركة فى استخدامه الاعلام والرايات الكثيرة الملونة بلونى الخصمين .. تموج على المسرح منتصرة مرفوعة أو منهزمة منكسة ..

وقد أحدثت حركة الأعلام التأثير القوى للنصر والهزيمة ، كما أحدثت حركتها القوية التأثير المطلوب لتصوير عنف المعركة .

كما أحدث فراح تأثير العمق لميدان المعركة واتساع رقعتها بتدرج الألوان فى مستويات المسرح بين الألوان الفاقعة فى المقدمة والألوان الباهتة فى المؤخرة ، للأعلام والملابس أيضاً .. مما يوحى بعمق ميدان القتال .

أما حادث مقتل قيصر داخل الكابيتول وخطاب انطونيو خارج الكابيتول فقد عمد فراح إلى تجسيدهما بأن استخدم لأول مرة فوق منصة المسرح دائرة تليفزيونية مغلقة كررت الهرج والفزع داخل الكابيتول ساعة الهجوم على قيصر ، بصورة خلفية مكبرة على شاشة خفية فى قاع المسرح بدا فيها ذعر أعضاء الكابيتول وهرجهم وتقاطيع حركتهم فى ذات الوقت الذى يجرى فيه الحدث فوق المنصة ، مما ضاعف تأثيره أضعافاً .

كما أن انطونيو ومستمعوه كانوا مصورين على الشاشة الخفية فى خلفية المسرح أثناء الخطاب بحجم كبير .. مما ضاعف تأثير الخطاب وتأثير هياج الجماهير .. وقرب الصورة عموماً إلى يومنا وعصرنا ، وخلط السينما بالمسرح ، والواقع بالتهويل الاعلامى له ، وعصر الامبراطورية الرومانية بعصرنا هذا .. تقريباً سحرياً أدهش الجمهور .

« المصمم المسرحى يتأرجح دائماً بين الحقيقة الظاهرية للشىء وبين الجوهر الديناميكى لهذا الشىء » .. يقول فراح .

وقد كتبت مجلة « التصميم المسرحى والتكنولوجيا » الأمريكية بعددها ٧٣ مقالا ضافياً عن الفنان العربى ، ذكرت فيه : « ان تصميمات فراح تتميز بمعماريتها وبمسرحيتها النقية فى تشكيل الفراغ المسرحى ، وتتميز بالجرأة الفنية فى تصميم الألوان للملابس والاكسسوار » .

إن هذا هو الموقع الذى يحتله فراح الآن فى دنيا المسرح وفى مسرح الدنيا ، وهو موقع لاشك يثير الفضول والتساؤل حول الموقع والبيئة التى جاء منها الفنان العربى الجزائرى ونشأته فى الصبا والشباب ، ورحلته من الشرق إلى الغرب ، ورحلته الدائمة إلى الشرق من موقعه الغربى..

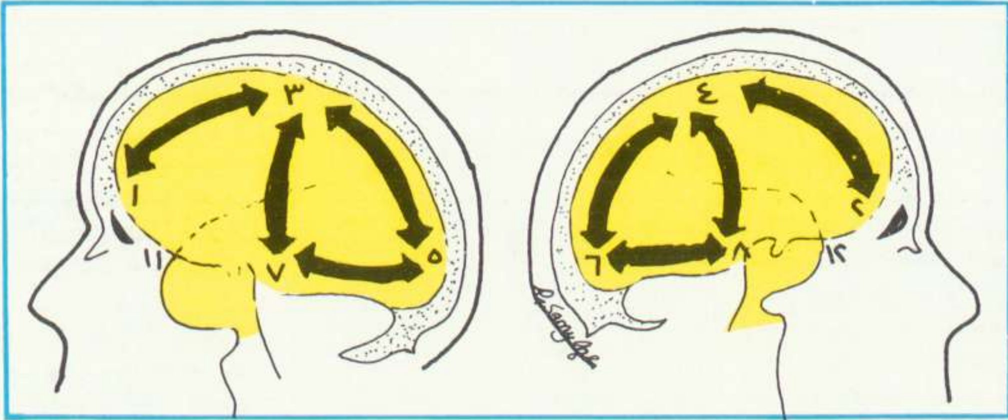
عن هذه الرحلة يتحدث الينا فراح ، ونتحدث إليه فى العدد القادم .

الفريد فرج

من أجل تشخيص أمراض الجهاز العصبي :

رسَّام الدِّماغ الكهربائي

بقلم : الدكتور سامي عزيز



رسم توضيحى لمناطق وضع «الأقطاب» على فروة الرأس ، والأقطاب هنا موزعة بطريقة ثنائية التمثيل .

في سنة ١٨٧٥ نشر عالم الفسيولوجيا الانجليزي «ريتشارد كاتون» بحثا عن موجات الدماغ . وتوصل «كاتون» لهذه التسجيلات مستخدما حيوانات المعمل (القطط والقرود والارانب) بعد وضع أقطاب خاصة على المخ مباشرة .. ونظراً لبساطة الأجهزة التي استخدمها فإن التسجيلات التي توصل اليها لم تكن واضحة بصورة يمكن تحليلها ودراستها .

والعجيب أنه في نفس الوقت تمكن «بيك» في معمله ببولندة وأيضا «دانيالفسكي» في روسيا من تسجيل موجات مماثلة . الا أن هذه الابحاث للاسف لم تنشر .. وبذلك يكون «لكاتون» السبق في تسجيل موجات الدماغ .

وفي سنة ١٩١٤ توصل «سيبلسكي» إلى تسجيل نوبة صرعية من مخ كلب بعد اثارة منطقة معينة من قشرة المخ .. كما توصل «كوفمان» إلى نتائج مماثلة في نفس العام .

أما تسجيل موجات الدماغ من آدميين فيرجع الفضل فيه الى العالم النمساوي «هانز برجر» استاذ الطب النفسي ، الذي تمكن من نشر أكثر من ٢٠ بحثاً في الفترة من ١٩٢٩ حتى ١٩٣٨ . ومنذ ذلك التاريخ نشر العديد من التجارب والأبحاث لعدد كبير من العلماء من مختلف بلاد العالم ، وأهم هذه الدراسات مانشره «ادريان» «وماتيوز» عام ١٩٣٤ .

ورسام الدماغ الكهربائي ماهو إلا تسجيل للنشاط الكهربائي لخلايا قشرة المخ وليس للمخ بأكمله ، وهو في الواقع تسجيل للجهد أو الطاقة الكهربائية التي تصدر من هذه الخلايا . وهنا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن التسجيل المباشر بوضع الأقطاب مباشرة على قشرة المخ سيعطينا كمية كبيرة من الجهد تفوق تلك التي نسجل بها دائما من فوق فروة الرأس .

ويمكن تقسيم ذبذبات رسم الدماغ الكهربائي بحسب عدد دوراتها في الثانية الى :

- أقل من أربع دورات في الثانية ــ الذبذبة دلتا
- من أربع الى أقل من ٨ دورات في الثانية ــ الذبذبة ثيتا
- من ٨ الى ١٣ دورة في الثانية ــ الذبذبة الفا
- أكثر من ١٣ دورة في الثانية ــ الذبذبة بيتا

والذبذبة بالاضافة الى عدد دوراتها في الثانية لها أيضا بعض الصفات الأخرى التي تميزها . فالذبذبة الفا مثلا يميزها الآتي :

١ ــ عدد دوراتها من ٨ - ١٣ دورة في الثانية .
٢ ــ تظهر بوضوح أمام الأقطاب الخلفية للدماغ .
٣ ــ تظهر مع غلق العينين وتختفي مع فتح العينين .
٤ ــ تختفي مع زيادة الانتباه والتركيز .
٥ ــ يختلف شكل الذبذبة الفا من حيوان لآخر ولكنها قريبة الشبه في الثدييات بعامة .

ويسجل الرسم بوضع عدة أقطاب على فروة الرأس في الأماكن المختلفة على الفص الجبهي والجداري والصدغي والمؤخري . ويتوقف عدد الأقطاب المستخدمة وطريقة توصيلها على نوع الجهاز المستخدم ، ولكن عموما هناك طريقتان اساسيتان في التوصيل هما :

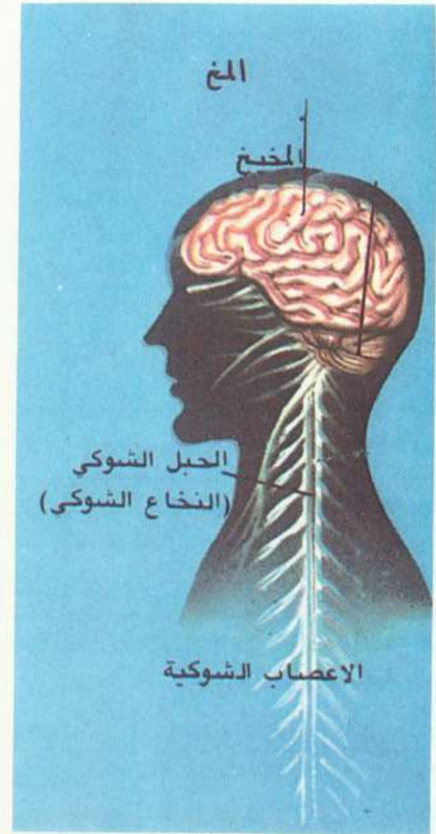
١ ــ الطريقة آحادية القطب .
٢ ــ الطريقة ثنائية القطب .

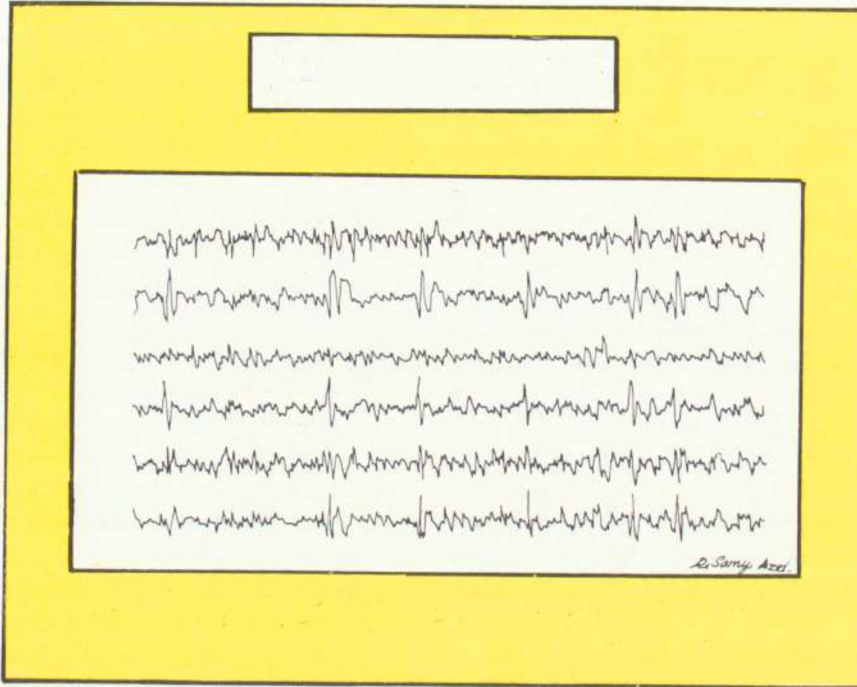
وعند الرسم توزع الأقطاب توزيعا معينا حتى يمكن التقاط الجهد الكهربائي من كل جزء من قشرة المخ .

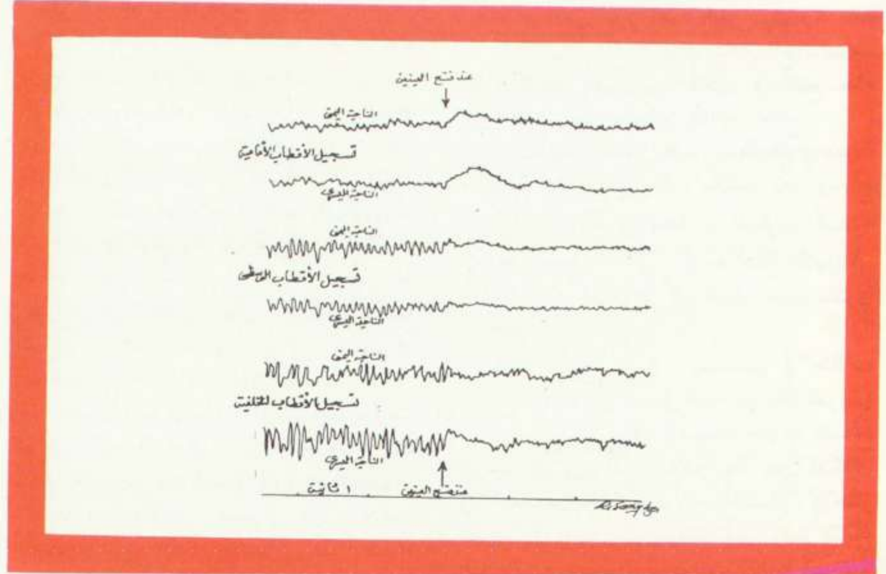
رسم الدماغ الكهربائى الطبيعي

١ ــ الذبذبة الفا : تمثل الإيقاع الاساسي لرسم الدماغ الطبيعي ، وتبدو أكثر انتشارا في الجزء الخلفي من الدماغ وتقل كلما اتجهنا للأمام . ولا تظهر ذبذبات الفا الا في حالات الاسترخاء والبعد عن المنبهات الخارجية والداخلية . لذلك تختفي فور فتح العينين وتعود ثانية بعد غلقهما . ونستطيع أن نوقف ذبذبات الفا إذا بدأ الفرد وهو تحت التسجيل في حل مسألة حسابية معقدة .

الجهاز المركزى العصبى (الى اليمين) ورسم توضيحى (تحت) للنوبة الصرعية الكبرى على جهاز رسم الدماغ ، والملاحظ أن المريض يظل تحت العلاج لمدة ثلاث سنوات ، ولكن بعض الذبذبات المميزة للمرض تعود للظهور بين وقت وآخر .







رسم الدماغ الكهربائى الطبيعى وتمثل الذبذبة « ألفا » (من ٨ ــ ١٣ دورة فى الثانية) وتبدو أكثر انتشارا فى الجزء الخلفى من الدماغ وتقل كلما اتجهنا للأمام .

فهنا تزيد درجة الانتباه وتختفي بالتالي الذبذبة الفا .

٢ ــ الذبذبة بيتا : تزيد في الأقطاب الجبهية ويندر وجودها أمام الأقطاب الخلفية ، (أي أنها عكس الذبذبة الفا) . وقد تظهر الذبذبة بيتا بصورة شاملة خصوصا في حالات التوتر والقلق النفسي الشديد .

٣ ــ الذبذبة ثيتا : تظهر أمام الأقطاب الجبهية والصدغية ، ويعتبر ظهورها طبيعيا قبل سن خمسة وعشرين عاما . أما ظهورها بعد هذه السن فيدل على اختلال في الشخصية . في دراسة أجريت حديثا في أحد السجون بامريكا وجد أن ثلثي القتلة والمجرمين تظهر فيهم عند رسم الدماغ الكهربائي لهم ــ ذبذبات ثيتا بوضوح ، بينما تظهر في ١٥٪ فقط من المواطنين العاديين .

٤ ــ الذبذبة دلتا : تظهر في حالات النوم العميق .

وتجدر الاشارة هنا الى اختلاف رسم الدماغ الكهربائي باختلاف الأفراد ، كما يختلف في نفس الفرد باختلاف السن والحالة الصحية والنفسية لذلك فالتغيرات البسيطة في الذبذبات لاتأخذ في الاعتبار الا بعد ثباتها في الرسم لمدة طويلة .

استخدامات رسام الدماغ الكهربائي :

يستعمل رسام الدماغ الكهربائي في تشخيص الكثير من امراض الجهاز العصبي وكذلك الامراض العضوية . وأهم هذه الاستخدامات :

١ ــ الصرع : الصرع هو اضطراب دوري في الايقاع الأساسي للمخ نتيجة نشاط غير طبيعي لبعض خلاياه ، ويحدد نوع الصرع عدد الخلايا النشطة ومكانها في المخ . وأهم أنواع الصرع :

أولا : النوبة الصرعية الكبرى :

سميت هكذا نظرا لحدوث تشنج وانقباض عضلي عام اثناء النوبة مع فقدان الوعي . وأسبابها كثيرة ومختلفة ويمكن أن تحدث في أي سن . وغالبا ما تبدأ ببعض البوادر التي تشير وتنبه المريض الى قرب حدوث النوبة . وهذه البوادر قد تكون شعور المريض بالقلق أو الاكتئاب أو الشعور بالخوف أو ألم في أعلى البطن ، وربما بعض

رسّام الدّماغ الكهربائي

الهلوسة البصرية أو السمعية وربما يشعر المريض بتنميل وتخدير في أحد الأطراف أو فقدان القدرة على النطق وتقلص في أحد الأطراف أو حتى الأطراف الأربعة .. ثم يعقب ذلك صرخة عالية مع فقدان للوعي وسقوط على الأرض ويكون الجسم في حالة من التشنج والتيبس نتيجة الانقباض العضلي الشامل . وتتوقف حركات التنفس وتظهر على الوجه زرقة شديدة ثم يبدأ في التنفس العميق مع خروج رغاوي من الفم والأنف . ومن المحتمل هنا أن يقطع لسانه أو يصاب بكسر في أحد عظامه أو يتعرض لتهتك بالعضلات أو خلع في المفاصل وغالبا مايفقد سيطرته على نفسه فيتبول أو يتبرز . ويستمر المريض في الغيبوبة لمدة تختلف طولها وربما تعتري المريض نوبات متكررة دون أن يعود إلى وعيه (الحالة الصرعية المستمرة) وهذه الحالات تحتاج الى عناية خاصة وسريعة .

وعندما يفيق المريض يشكو من الإنهاك والصداع مع الشعور بالرغبة في النوم وفقدان للذاكرة تماما لما حدث . ويبقى المريض خاليا من أي أعراض الى أن تحدث نوبة جديدة . ويختلف تردد النوبة من شخص لآخر . فأحيانا تحدث عدة مرات في اليوم الواحد ، وأحيانا يصاب بالنوبة على فترات متباعدة . وعموما ينصح المريض بالبعد عن قيادة السيارات وعدم السباحة بمفرده والبعد عن الالعاب الخطرة كالملاكمة أو المصارعة .

ويتميز رسم الدماغ الكهربائي في أكثر من ٩٠٪ من هذه الحالات باضطراب شامل ، حيث تظهر الموجات ثيتا ودلتا في الأقطاب الأمامية ، وتقل ذبذبة الموجة الفا . وفي حوالى ٥٠٪ من الحالات تظهر - أثناء النوبة - الموجات المميزة للصرع في الاقطاب الجبهية والصدغية . وهذه الموجات المميزة اما موجات شوكية أو موجات كالإبرة سريعة وعالية حوالي ١٦ دورة في الثانية .

ثانيا : النوبة الصرعية الصغرى :

تتميز النوبة الصرعية الصغرى (الخفيفة) بفقدان مفاجيء للوعي لمدة لاتزيد عن ٣٠ ثانية (غالبا ما تكون من ٥ إلى ١٠ ثوان) والنوبة الصرعية الصغرى أكثر حدوثا في الأطفال سن ٣ — ١٠ سنوات ، ويقل حدوث مثل هذه النوبات بعد سن البلوغ ، ونادرا ما تستمر بعد سن الثلاثين . ومن الناحية الاكلينكية نجد الطفل المريض يتوقف بطريقة مفاجئة عن الحركة والنشاط ..وقد يظهر بعض الشحوب في لون الوجه مع حركات سريعة في العينين (يغمض عينه ويفتحها بطريقة غير ارادية بسرعة تصل الى ٣ مرات في الثانية الواحدة) . وربما تظهر بعض الحركات في اليدين وحول الفم ويعود المريض بعدها لوعيه ثانيا . ولا تحدث اثناء هذا النوع من الصرع أي انقباضات أو تيبسات ، وتختلف نسبة تردد هذه النوبات الصرعية الخفيفة من مريض لآخر ، ففي بعض المرضى تحدث مرة واحدة كل عدة أيام ، وفي البعض الآخر تحدث بمعدل ١٠٠ نوبة وربما أكثر في اليوم الواحد ، مما يؤثر على متابعة الطفل المريض للدرس والتحصيل ، ويتهم هؤلاء الاطفال بأنهم كسالى غير منتبهين ويفشلون في دراستهم ويتكرر رسوبهم مما يؤثر عليهم نفسيا . لذلك يجب الاهتمام باجراء كشف دوري على أطفال المدارس حتى يمكن تشخيص المصابين منهم بهذا المرض .

أما رسم الدماغ الكهربائي في هذه الحالات فيتميز بظهور ذبذبات في هيئة شوكة مع موجات عالية الفولت أمام الأقطاب الجبهية والجدارية ثم تختفي فجأة ، وتكون متناسقة في الناحيتين اليسرى واليمنى .

ثالثا : النوبة الصرعية النفسية الحركية :

ينتج هذا النوع من الصرع نتيجة نشاط غير عادي في الفص الصدغي وخاصة الجهاز النطاقي **Limbic System** (حصان البحر ،اللوزة ، الحاجز) . والنوبة الصرعية النفسية الحركية ليس لها سن معين . وفي أكثر من نصف المرضى يمكن التوصل إلى سبب النوبة الذي غالبا ما يكون نتيجة اصابة قديمة في الرأس .. التهاب أو ورم بالمخ . ومن الناحية الاكلينكية تبدأ النوبة ببعض البوادر كالشعور بالقلق أو اضطراب في الجهاز الهضمي مع تغير في درجة الوعي وقد يصاب المريض بحالة من الشرود يجول اثناءها في الشوارع وقد يقوم بالصراخ ، أو البكاء أو بعض الحركات كالمضغ والبلع ، وربما بعض الهلاوس البصرية والسمعية ، ويفقد المريض الذاكرة تماما لما حدث . وهنا يجب أن نفرق هذه الحالات الصرعية من الأمراض النفسية والعقلية . وكثيرا ما يكون رسم الدماغ الكهربائي هو الوسيلة الوحيدة لتشخيص مثل هذه الحالات وتمييزها من الأمراض الهستيرية والعقلية . ويتميز رسم الدماغ الكهربائي - أثناء النوبة - بظهور موجات بطيئة من النوع دلتا ذات حافة مسننة منشارية في الأقطاب الصدغية . ولكن يلاحظ انه في بعض الأحيان يبدو رسم الدماغ الكهربائي قريبا جدا من التسجيل الطبيعي .

٢ — التخلف العقلي في الأطفال : هذه الحالات لا يمكن البدء في علاجها بدون عمل رسم الدماغ الكهربائي ، فقد يكون سبب التخلف نوعا من أنواع الصرع بصورة غير ظاهرة اكلينكيا وتتضح الأمور عند رسم الدماغ . والأبحاث تشير الى أن هذه الحالات تتحسن عند علاجها بالعقاقير المضادة للصرع وتزيد قدرة الطفل على التعلم والتركيز ويبدأ سلوكه في التحسن .

٣ - بعض الأطفال حديثي الولادة : مثل الأطفال المولودين لأمهات مصابات بمرض البول السكري ، مثل هؤلاء الأطفال عرضة للتشنجات وبعض الاضطرابات العصبية العضلية أكثر من غيرهم . وقد يكون السبب هنا نقص مستوى السكر في الدم أو نقص نسبة الكالسيوم أو الماغنسيوم في الدم وغيرها من الأسباب . وقد تحتاج هذه الحالات رسم الدماغ الكهربائي خاصة إذا ماتكررت نوبات التشنج .

٤ — اضطرابات الدورة الدموية الدماغية : مثل

- تصلب شرايين المخ والاحتشاء المخى .
- عدم كفاية الدورة الدموية الدماغية .
- التمدد الحوصلي لشرايين المخ .

٥ — بعض الاضطرابات العضوية والايضية مثل :

- الفشل الكبدي والفشل الكلوي .
- نقص السكر في الدم .
- اضطرابات الغدة فوق الكلوية .
- نقص افراز الغدة الجار درقية .

٦ — التهاب المخ والتهاب سحايا المخ : يساعد رسام الدماغ الكهربائي المتكرر في تتبع هذه الحالات المرضية والحكم بفعالية العلاج .

٧ — ارتجاج المخ : يفيد رسم الدماغ في معرفة سبب الأعراض التي كثيرا ماتظهر بعد ارتجاج المخ مثل الصداع والدوخة أو اضطراب الذاكرة وسرعة التهيج العصبي . فرسم الدماغ الكهربائي يكشف سببها ويبين هل هي نتيجة سبب عضوي أم نفسي .

٨ — الصداع المزمن : يستحسن في حالات الصداع المزمن وقبل البدء في اعطاء أي عقار للمريض عمل رسم للدماغ وذلك لاستبعاد حالات الصداع الناتجة عن أورام المخ وخلافه . وقد تكون الشكوى في الأطفال من نوبات متكررة من الصداع ، ويحتار الطبيب في تشخيصها وعند عمل رسم الدماغ الكهربائي قد تظهر الموجات المميزة للنوبة الصرعية الصغرى مصاحبة لنوبة الصداع . وهنا تنكشف الأمور ويمكن وصف العقار المناسب لهذا الطفل .

٩ — الغيبوبة : يساعد رسم الدماغ الكهربائي في تشخيص سبب الغيبوبة وذلك باستبعاد وتأكيد بعض أنواع الغيبوبة ، ولكن غالبا مانحتاج إلى عدد كبير من الفحوص والتحاليل .

١٠ — الحالات المصحوبة بارتفاع ضغط الدماغ الداخلي : مثل :

- أورام المخ المختلفة .

• التجمع الدموي ونزيف المخ .

• خراج المخ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رسام الدماغ الكهربائي لم يعد يستخدم في هذه الحالات نظراً لتوافر اجهزة التصوير المحورية بالكومبيوتر التي مكنت من تحديد مكان المرض بدقة فائقة .

١١ ـ تشخيص الوفاة : أصدق مقياس لتحديد لحظة الوفاة هو رسام الدماغ الكهربائي ، فظهوره بشكل سطحي لمدة أكثر من ثلاث دقائق بدون أي موجات يؤكد الوفاة . اذن ليس المعيار هو توقف انقباض القلب وانعدام النبض كما هو منتشر بين عامة الناس . وتفيد هذه الحقيقة العلمية في نقل الأعضاء ، فبمجرد تحديد لحظة الوفاة بجهاز رسام الدماغ الكهربائي يمكن بالتالي البدء في نقل الأعضاء . لذلك فجهاز رسم الدماغ الكهربائي من الأجهزة الهامة في قاعات العمليات الحديثة .

الجديد في رسم الدماغ الكهربائي :

١ ـ وجد حديثا أن الموجات دلتا وثيتا تكثر في الأطفال المصابين بالتبول الليلي اللاارادي وكذلك المصابين بالصداع النصفي .

٢ ـ اكتشفت بعض الاضطرابات المميزة في رسم الدماغ في حالات الوسواس القهري .

٣ ـ بعض الدراسات تشير إلى أن مرض الفصام مرتبط بالفص الأيسر للمخ وأن الاكتئاب مرتبط بالفص الأيمن .

٤ ـ أمكن تقسيم المراحل التي يمر بها الانسان أثناء النوم من خلال التغيرات الحادثة في موجات الدماغ إلى خمسة أقسام هي :

- مرحلة النعاس .
- مرحلة البدء في النوم .
- مرحلة النوم الخفيف .
- مرحلة النوم العميق .
- مرحلة النوم الشديد العمق .

٥ ـ قد يستخدم رسم الدماغ الكهربائي ـ مع وسائل أخرى كثيرة ـ في كشف الكذب أو حمل المتهم على الاعتراف ، فيلاحظ الطبيب رسم الدماغ والتغيرات التي تحدث في الموجات المختلفة عندما توجه اليه الأسئلة أثناء التحقيق . وغالبا ماتستخدم هذه الطريقة مع الأسرى ـ أثناء الحروب ـ لحملهم على الاعتراف ببعض الأشياء الهامةوللتأكد من مدى صحة اجابتهم وكشف كذبهم .

سامي عزيز

وردة الأمل

شعر : حسن توفيق

لو كنتِ يا وردةَ الإشراقِ والرغَدِ
تستيقظينَ ... هُنَا
تستثمرينَ صفاءَ الحلمِ في خَلَدِي
تُبقينَ في زمني طَعْمَ انتظارِ غَدِي
وتُسمعينَ ضفافَ القلبِ اغنيةً ياوى لها سكنَا
ما كنتُ ـ في وحدتي ـ ألتفُ بالماضي
اسائلُ الريحَ عن عينيكِ .. والشوقَ والامواجَ والزمنَا
مُجمِّعاً سفني ـ من خشيةِ البحرِ ـ في اسوارِ مرفئها
مُجمِّداً قدمي في نفسِ موطئها
وواقفاً حيرةً في قلبِ انقاضي !!

★ ★ ★

يا ريحُ ... يا ريحُ ...
توهَّجتْ في صدركِ العارى مصابيحُ
لو أُطفئتْ .. فَصِحتُ في وجه المدى وثرتُ
مهما اكنْ سَكتُّ ...

★ ★ ★

يا وردتى .. يا امل
مِنْ عطركِ الناصعِ الإشراقِ .. قلبى ثمل
لكنَّ وجهَكِ اخفَى النورَ لـمَّا اكتمل
يا تَوْقَ روحى إلى عينيكِ طولَ الأجلْ

★ ★ ★

بعيدةٌ انتِ ... والأسوارُ ما بيننا عبر امتدادِ البصرْ
والبحرُ يفصلنَا ... والخوفُ يسكنني
والصمتُ يُغمدُ في قلبى سكاكينَه الظمأى ويُخفى الاثر
بعيدةٌ انتِ ... لكنْ وجهُكِ المنتَظرْ
ياتى إليَّ برغمِ البحرِ يغسلنى
ويُبرىءُ الجرحَا
ويُطلعُ الصبحَا
وفى غدٍ ضاحكِ الفاكِ مبتسماً .. والنورُ يصحبنى

★ ★ ★

يا ريحُ ... يا ريحُ ...
توهَّجتْ في صدركِ العارى مصابيحُ
لن تطفئيها ابدًا
او تجعليها زَبَدًا ...

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى يتحدث فى الاحتفال الكبير بافتتاح جامعة قطر الجديدة .



سمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى وسعادة الشيخ خالد بن حمد آل ثانى وزير الداخلية مع بعض ضيوف الحفل الكبير .

مهرجان عالمي في افتتاح جامعة قطر الجديدة

بقلم : السيد حجازي

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أثناء الاحتفال بافتتاح الجامعة والذى حضره عدد كبير من الشخصيات العربية والأجنبية .



بعض ضيوف الاحتفال بافتتاح جامعة قطر الجديدة ومن بينهم بعض وزراء التربية فى دول الخليج العربية وعدد من رؤساء الجامعات العربية والاسلامية والعالمية

رسالة الجامعة ــ أية جامعة ــ هى التى تحدد مسارها ، واتجاهها ، وقدرتها على العطاء والتأثير ..

ولقد حدد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى رسالة جامعة قطر ، إثر افتتاح مبانيها الجديدة ، فى عبارات واضحة محددة ، ومعبرة أيضاً ..

فرسالة الجامعة فى تقدير سموه هى الاسهام فى تكوين العقول المبدعة وتزويدها بالعلم الوفير ، وبناء الانسان على نحو ينمى فيه فضائل الخلق الكريم والضمير القويم ..

ولذلك يضيف سمو أمير البلاد المفدى الى ذلك قوله :

ونحن نعنى أشد العناية بمساندة ما تبذله الجامعة فى هذا السبيل من جهود قيمة مثابرة تستلهم فى بذلها مبادىء ديننا الاسلامى الحنيف السامية وتقاليدنا العربية الأصيلة ، وتقوم على أساس من التخطيط العلمى الرصين الكفيل بأن تؤتى هذه الجهود أطيب ما يمكن من الثمار المرجوة ..

ولقد كان هذا التحديد من جانب سموه إشارة الى أن المبانى وان كانت عملا مطلوباً وضرورياً ، الا أن الهدف يبقى هو الانسان والمحصلة والنتيجة ..

مهرجان عالمي
في افتتاح جامعة قطر الجديدة


د . علي فخرو


يحيي محفوظ المنذرى


د . محيي الدين صابر


د . محمد السعدى فرهود

ولذلك جاء الاحتفال بافتتاح مباني هذه الجامعة العصرية جامعاً بين الشكل والمضمون ..

فلم يكن انبهاراً بالعمل المعمارى الجديد الذى تم فقط ، وانما كان أيضاً تأصيلا لقيم راسخة في ضمير الأمة ووعيها ..

وكان يوماً مشهوداً حقاً ..

فقد التقى فيه عدد كبير من المفكرين والمثقفين ومديرى الجامعات العربية ، في حشد ثقافي وعلمي سيظل شاهداً على قيمة هذا العمل وأثره الكبير ..

وهكذا سيظل اليوم الثالث والعشرون من فبراير عام ١٩٨٥ من الأيام التى لا تنسى ..

فقد أضاف صفحة جديدة الى صفحات المكاسب والانجازات ..

كما جاء في مناسبة قومية غالية هي مرور ثلاثة عشر عاماً على تولى حضرة صاحب السمو مقاليد الحكم في البلاد ..

لذلك فهو يوم يجمع بين الفرحة والأمل ، بين الحاضر والمستقبل ، بين العمل والطموح ..

ولنتأمل معاً صورة هذا اليوم المشرقة ..

لنتأمل معاً الاحتفال الكبير بافتتاح أحدث جامعة عصرية في العالم العربي ..

معالم على الطريق

لقد أضاف سمو الأمير الى تحديده لرسالة الجامعة في خطاب الافتتاح ، معالم أخرى عديدة ، يجب تأملها ، والوقوف أمامها باستمرار ..

فقد أشار الى أن المنشود من تحصيل العلم هو أن ينتفع به من يطلبه ، وينفع به المجتمع الذى يعيش فيه والانسانية جمعاء ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

وأكد على أن العلم طريق يسلك وليس غاية تستهدف في حد ذاته . لأنه إذا كان له أول فليس له آخر ..

وقال سموه لقد حرصنا ونحن نرسى أسس نهضتنا الشاملة على أن يكون تزويد أبنائنا بكل المستطاع من العلم في مقدمة المقومات الأساسية لتلك النهضة . وكان سبيلنا الطبيعى الى ذلك هو بذل أقصى الجهود لتوطيد أركان التعليم العام ونشره في أوسع نطاق ممكن وتطوير مناهجه ووسائله على أحسن وجه ، وتتويج تلك الجهود بانشاء جامعة قطر ..

وقال سموه أيضاً إن سبيل أمتنا العربية والاسلامية لادراك ما تستهدفه من استعادة مكانتها التاريخية بين الأمم هو اللحاق بركب تقدم العلم في عالمنا المعاصر . وأشار الى أن هذه المكانة انما ترجع الى أن أمتنا كانت أول أمة حملت أشرف رسالة : رسالة الدعوة للتزود بالعلم وتكريم العلماء واعتناق أسمى القيم الانسانية وأرفع المبادىء الفكرية والاجتماعية والأخلاقية ..

وكانت هذه الكلمات وغيرها في خطاب سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى هي علامات على طريق النهضة العلمية والحضارية الحقيقية ..

وهي جديرة بأن تكون كذلك ، وأن تعمل على تأصيل الكثير من المفاهيم العميقة والحية في حياتنا الثقافية والعلمية ..

المفاهيم البناءة

ولقد جاءت الكلمات الأخرى التى ألقيت في الاحتفال التاريخي مؤكدة على كثير من المعانى والمفاهيم البناءة ..

ظهر ذلك في حديث مدير الجامعة الدكتور محمد ابراهيم كاظم ..

فقد أشار الى أن جامعة قطر هى جزء من المجتمع القطرى ومن الشعب العربى ومن أمة الاسلام ..

وقال اننا لا نحتفل بمبان من ديار وجدران ولكن نحتفل بمعان وأفكار ومبادىء ..

وقال أيضاً إن مجتمعنا الجامعى سيكون في مبناه الجديد أكثر سكنا وانتماء وتفرغاً للعمل الجاد ..

وكانت كل هذه اشارات الى أن الهدف كان وسيبقى هو تخريج المزيد من القيادات الشابة القادرة التى تتسلح كما قال الدكتور كاظم برسالة الاسلام ..

في الوقت نفسه أكد أحمد مختار أمبو المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في كلمته التى ألقاها في هذه المناسبة على معنى آخر لا يقل أهمية ..

فقد قال : ان الانجاز الذى تم هو وليد جهود استوحت تعاليم الاسلام السمحاء التى تغنى المعرفة منذ قرون عديدة في كل مجال ، والتى تحث كل مسلم على أن يبنى حياته بنور العلم ويستزيد من خبراته ، حتى يفيد بما استقاه ، الأمة جمعاء ..

وكان رائعاً أن يشير الطالب محمد علي الكبيسى بكلية الهندسة الذى ألقى كلمة الطلاب في الاحتفال الى معنى هام في هذه المناسبة الكبيرة ..

فقد ألمح الى أن التاريخ سيقف اعجاباً وتقديراً أمام هذا المبنى الدائم لجامعة قطر ، الذى كان


د . طه النعيمى


د . حسن حمدى


د . عمر بليل


د . حنا ناصر

التفكير فيه وتشييده واعداده لكى يتم فى رحابه بناء الانسان القطرى ، من أهم المنجزات العلمية والحضارية فى هذا العصر الذهبى فى تاريخ قطر ..

الشكل والمضمون

والحقيقة أن الكلمات التى احتفت بهذا الانجاز كانت معبرة خير تعبير عن المعانى الكبيرة التى تقف وراءه ..

وهى المعانى التى تركز على المضمون والهدف والنتيجة قبل أن تنظر الى الشكل برغم ضرورته التى لا غنى عنها ، وبرغم أنه جاء محققاً لعدة أهداف جمالية وفنية وحياتية أيضاً ..

فقد جاءت المبانى بشهادة الجميع تحفة معمارية فريدة .. متكاملة ..

جمعت بين الفن المعمارى الاسلامى المعاصر ، وراعت ظروف البيئة والواقع المحلى ، والقيم العربية ..

ومن هنا جاءت بهذا الشكل المميز الذى لفت الأنظار واستحق الاعجاب ..

ومن الجدير بالذكر أن وراء هذا العمل الكبير يقف عقل هندسى عربى أصيل ..

صاحب هذا العقل الهندسى هو الدكتور كمال الكفراوى الذى خطط وأشرف على التنفيذ ، تسانده عدة هيئات وجهات داخل الجامعة وخارجها ..

وهكذا اكتمل الشكل والمضمون ..

وبقيت جامعة قطر الجديدة وستبقى تؤدى رسالتها الكبيرة من أجل العلم والانسان ..

ماذا قالوا ؟

ولقد عبر الكثيرون من حضور الاحتفال بهذه المناسبة عن اعجابهم بالانجاز الضخم ، والمعانى التى يرمز إليها ..

قال الدكتور علي فخرو وزير التربية والتعليم بدولة البحرين : ان جامعة قطر الجديدة وهى تحمل بلاشك تطوراً جديداً ، ما هى الا جزء من تطور كبير وتقدم شامل شهدتهما دولة قطر ، منذ أن تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد مقاليد الحكم ..

وأضاف الدكتور فخرو انه يتمنى أن يكون انتقال الجامعة القطرية لمبانيها الجديدة بادرة خير وتقدم لهذه المؤسسة العلمية التى يعتز بها أبناء الخليج ، وأن تقوى روابط الأخوة بين هذه الجامعة وغيرها من جامعات المنطقة ..

وقال الدكتور محمد الأحمد الرشيد المدير العام لمكتب التربية العربى لدول الخليج : ان انتقال جامعة قطر الى مبناها الجديد يعد حدثاً تربوياً وتعليمياً وجامعياً ، على المستوى الخليجى والعربى ، لا على المستوى القطرى فقط . وأشار الى الى أن هذا المبنى الجديد يعبر عن الفن المعمارى المتطور ، ويتيح الفرصة كاملة للتعليم أمام أبناء قطر وغيرهم من أبناء دول الخليج والدول العربية والاسلامية ..

وكانت الانطباعات الطيبة كثيرة ومتعددة ..

فقد أشاد عبد الهادى بوطالب المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالانجاز الذى تم ، وأشار فى هذه المناسبة الى موقف دولة قطر الدائم والمؤيد للمنظمة الاسلامية وبالعلاقات القائمة بينهما . وقال : ان دولة قطر تأتى فى مقدمة الدول المؤسسة للمنظمة ، وتشارك فى كافة أنشطتها بما يكفل لها أداء رسالتها على الوجه الأكمل ..

إثراء الفن المعمارى

وأبدى معالى يحيى محفوظ المنذرى وزير التربية والتعليم والشباب العمانى اعجابه بالنظام المعمارى المطبق فى جامعة قطر ، وقال : ان المهندس المصمم نجح فى اثراء الفن المعمارى الاسلامى العربى بهذا النمط الذى توصل إليه . وأشار الى أن مبانى جامعة السلطان قابوس تتميز هى الأخرى بالطابع الاسلامى العربى العمانى ..

أما الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فقد عبر عن اعجابه بالمبانى الجامعية الجديدة . وقال : ان جامعة قطر أضافت الى هذا التميز المعمارى قدرة عالية فى الأداء ، وكفاءة فى العطاء من جانب القائمين عليها ، وذلك فى وقت قصير . وهذا فى رأيه يتيح لها وضعاً متفرداً ، وسيمكنها من تلبية نشاطات واسعة فى المستقبل ، الأمر الذى سيجعل منها من وجهة نظره جامعة القرن الحادى والعشرين ..

وبرزت أيضاً كلمات الاعجاب والتمنى بمستقبل مشرق للجامعة فى قطر من خلال الأحاديث السريعة للدكتور بكر عبد الله بكر مدير جامعة الظهران ، والدكتور طه النعيمى مدير جامعة بغداد ، والدكتور عبد السلام المجالى رئيس الجامعة الأردنية ، والدكتور محمد زياد الشويكى رئيس جامعة دمشق والدكتور عمر بليل مدير جامعة الخرطوم والدكتور حنا ناصر رئيس جامعة بيرزيت بفلسطين المحتلة ..

وتحدث الدكتور محمد السعدى فرهود مدير جامعة الأزهر الذى حضر الاحتفال التاريخى الكبير ..

قاعة تكنولوجيا التعليم بجامعة قطر الجديدة

قال ان جامعة قطر بتوجهاتها الاسلامية شكلا ومضمونا هى إضافة حقيقية الى الثقافة التى ننشدها للأجيال الجديدة ..

فلاشك أن المعول الأساسى لهذه الأجيال أن تكون حافظة لدين الله ، الى جانب تمسكها بالعلم النافع ، والخلق القويم ..

وأضاف أن هذا هو مايتمناه لكل جامعاتنا الاسلامية حتى تؤدى رسالتها الكاملة على خير وجه وظكون بحق المنارات التى تهدى ، والاشعاع الذى ينير ..

وقال الدكتور فرهود أيضا إن العلاقة عميقة وممتدة ومستمرة بين جامعة الأزهر ، وجامعة قطر ، وسائر الجامعات الاسلامية فى البلاد العربية .. وان هذا يعمل على خلق الجو العلمى المستنير ، ويعمق الاستفادة منه ، ويثرى التجربة ، ويؤلف بين القلوب والعقول ..

وكان اللقاء الأخير مع الدكتور حسن حمدى مدير جامعة القاهرة الذى حضر الاحتفال بهذه المناسبة الكبيرة ..

قال : انه يسعده أن يكون من بين حضور افتتاح المبانى الجديدة لجامعة قطر ، فهى بالجهد الذى قامت به والجهد الذى ينتظرها ، تضيف الى الثقل الثقافى العربى بعداً جديداً ..



طالب داخل المعمل بكلية الهندسة .

التعاون العربى

وهى فى رأيه ترمز بما تقدمه وبما تحتويه من أساتذة وخبرات الى تحقيق التعاون العربى البناء ، وإثراء الحياة العلمية العربية وتعميقها أيضاً ..

فلاشك أن التعاون العربى فى مجال العلم قائم ومستمر ومتجدد ، وسيظل كذلك دائماً ..

وأضاف الدكتور حسن حمدى أن ما رآه أسعده كثيراً ، وهو يسعد كل عربى من المحيط الى الخليج ، وأن ما يمكن أن تقدمه الجامعات العربية ومن بينها جامعة قطر التى نهضت نهضة ملحوظة ، كبير وكثير ومؤثر ، من أجل الأجيال المقبلة التى ستتحمل المسئولية ، وتقوم على أكتافها

جانب من المبانى الجديدة لجامعة قطر ذات الطراز المعمارى المميز

الحضارة العربية ..

وقال أيضاً : إن مستقبل الوطن العربى مرهون بما تقدمه الجامعات من خدمات للفكر والثقافة والعلم والتقدم ، وإن جامعاتنا العربية جميعها قادرة على أن تقوم بهذا الدور ، بفضل الاخلاص ، والتعاون ، والتخطيط والمثابرة والعمل المتواصل والامكانات المتاحة ..

• • •

ولم يكن كل هذا هو كل ما دار فى يوم الاحتفال بافتتاح مبانى جامعة قطر الجديدة ، ولا الأيام التى تلته ..

فالصورة كانت حافلة وثرية بكل المقاييس ..

فقد أقيمت فى هذه المناسبة ندوات ثقافية وأمسيات شعرية ، وكانت هناك لقاءات دائمة بين الحضور تعكس قمة التعاون والمحبة والفكر المشترك بين علماء أفاضل وأساتذة أجلاء ومثقفين عرب ، لا يجمعهم سوى هدف العلم وتربية الأجيال ، وتكوين المستقبل العربى المأمول ..

ولعل هذا اللقاء بينهم هو من بين مظاهر الاحتفال بافتتاح جامعة قطر ، التى لفتت الأنظار ، واستولت على الاعجاب ..

فما أروع أن تلتقى هذه الصفوة فى مناسبة هامة كهذه المناسبة ..

وما أروع أن تلتقى الأهداف وتتوحد التوجهات فى هذا الملتقى الحاشد ..

.. ولقد كان حقاً يوماً مشهوداً دخل التاريخ من أوسع أبوابه ..

فتحية لكل من شارك فى التمهيد له والتهيئة من أجله واحيائه ..

تحية لكل من حول الحلم الى حقيقة لتكون جامعة قطر وتظل منارة العلم والتقدم : شكلا ومضموناً ..



فى احدى الكافتيريات الصغيرة بالجامعة الجديدة

السيد حجازى

في وجه الاستعمار

صفحات خليجية باهرة

بقلم: أحمد العناني

يمضى الآن أربعمئة وسبع وثمانون سنة على دخول أول قوة عدوانية أوروبية الى مياه الخليج . ولو جعلنا هذا الرقم بالحساب الهجرى كما تقتضينا كرامة الموضوع الذى سنتحدث فيه فإنه يتخطى الخمسمئة سنة ربما بسنة واحدة . ففى عام ١٥٠٧ للميلاد وصل الطاغية البرتغالى ألفونسو البوكيرك على رأس قوة حربية بحرية من بلاده تميزت بضخامة مدفعيتها البحرية وفعالية مقذوفاتها المخلوطة بالبترول فى سرعة إحراق المبانى والأحياء ، وبالنهم الرهيب فى نفوس المعتدين ليضعوا أيديهم على أحسن ما يمكن أن يجدوا بأسرع ما يكون من الوقت ، والتعصب الأعمى الذى جاءوا به من بلادهم تتنزى به نفوسهم حقداً على المسلمين . ومنذ العام المشئوم الذى وصل فيه أولئك البرابرة المتعصبون النهابون الى العام الذى بارح فيه الانجليز آخر المتشبثين بالخليج من الأوروبيين ، وكل من فى الخليج يعانى من أفعال أولئك الواغلين .

ولقد كان طبيعياً والحال على ما كانت عليه أن تحصل ألوف من المواجهات والخلاف والثورات ، وكان طبيعياً أن تفرز الأحداث والتناقضات الحضارية بطولات شتى .. ولقد كانت تلك البطولات أكثر بكثير مما قد يتبادر الى أذهان الناس العاديين لأول وهلة .. كان هناك ملوك ورجالات قاتلوا واستشهدوا ، وآخرون وقفوا يتحدون ارادة المستعمرين الواغلين ، فمنهم من كتبت له الشهادة ومنهم من عاش عمراً بالغ الطول من الغمرات المتوالية ولكنه مات فى نهاية المطاف كما شاءت له إرادة الله على فراشه ، وبين أهله واخوانه فى حال لم يكن يتوقعها لهم أكثر الناس تفاؤلا ..

من الناس من يتسامح مع المؤرخين فيسلم بأن البرتغاليين كانوا فعلا متعصبين مولعين بسفك الدم وإحراز أكبر ما يستطاع من الغنائم ، فكان طبيعياً أن يصادفوا مقاومة يسقط فيها الشهداء بالضرورة .. ولكن ما شأن الآخرين كالانجليز مثلا ممن كان لهم بضعة رجال فى مكتب بأحد موانىء الخليج ، وبضع سفن يقال لها حربية ، ولكنها قديمة أكل الصدأ أفضل ما فيها .. أيعقل أن يكون لهم مع الناس معارك وضحايا ؟

لكن الحقائق التاريخية لا تترك مجالا للتخمين ، فلقد حارب الانجليز فى الخليج مراراً .. حاربوا القواسم حرباً بحرية مريرة لم تتوقف بعض ذيولها حتى بعد هزيمة القواسم واملاء معاهدة السلام البريطانية على مشايخ الساحل العماني عام ١٨٢٠ .

وكان للانجليز دور عسكرى خفى فى العديد من الحركات الاستعمارية المريبة فى الخليج أحيانا بتيسير ايصال السلاح الى الطرفين المتحاربين أو الى كليهما ، وأحياناً بانتداب ضباط بريطانيين وكأنما الأمر تم بمجرد رغبة فردية من أولئك الضباط .

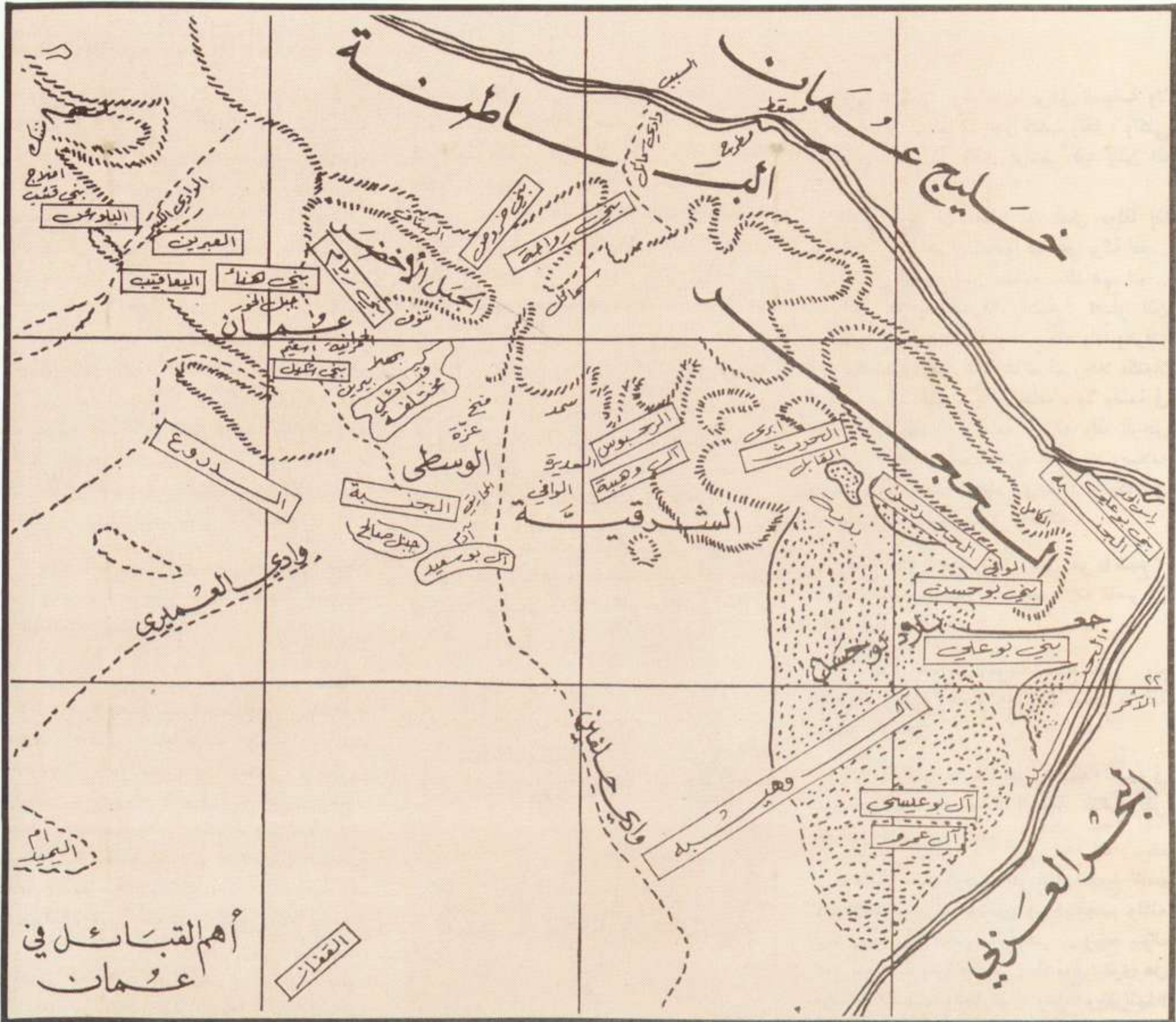
كذلك إعتدى الانجليز اعتداءات عديدة مباشرة على قطر منها عدوان ١٨٢٠ و ١٨٤٠ و ١٨٩٥ ، واعتدوا على البحرين خلال الستينيات من القرن الماضى اعتداءات غاية فى الظلم والفظاظة حتى حز ذلك فى قلوب كل العرب فى الخليج ، واعتدى الأسطول الانجليزى على ميناء الدمام فى النصف الثانى من القرن الماضى ، وكان للانجليز تحركات وتوجهات أشد خطراً وأبعد أثراً من الحرب المعلنة مما سيرد فى ثنايا سلسلة المقالات التى ننشرها تباعاً .

اذا كان هناك استعمار فظ سواء أكان مستعلناً فى عدوانيته المكشوفة كالبرتغالى ، أم مخططا هادئا بعيد الأثر فى تخريب الديار وتدمير دروب المستقبل أمام شعوب المنطقة ، كالاستعمار الانجليزى الذى قلما استعلن بعدوانيته .

الصحائف المطروحة

على أى مستوى من التشريف والبهاء هى ؟ وماذا كان وجه التضحية ؟ ومن هم هؤلاء الأبطال ؟ .. الواقع أن هذه الأسئلة التى بدأت مبرراتها تختفى بعد الدراسات الكثيرة التى ابتديء فيها فى مختلف مناطق الخليج اعتباراً من بداية عقد السبعينيات ما تزال بالنسبة للكثيرين أسئلة تطرح لتكشف لهم عن صور من البطولة ، وصحائف من الشرف العظيم ..

وفى سلسلة مقالاتنا سوف نشرع باستعراض تلك الصحائف البيض ابتداء من أقصى جنوب



خريطة توضح توزيع القبائل فى مناطق عمان فى السهل والجبل .

الخليج فى عمان وساحلها الذى كان فى العصر الاسلامى جزءاً لا يتجزأ منها ، الى أن جاء المستعمرون الانجليز ، ففصلوه وقسموه أجزاء وتفاريع وسموه الساحل المتهادن أو ساحل الصلح أو المتصالح وهو اليوم يستعيد وحدته الداخلية فى دولة الامارات العربية المتحدة .

ولكن لماذا بدأنا من أقصى الجنوب بدلا من أقصى الشمال ؟

الحقيقة إن هذا الاختيار لم يكن اعتباطاً وانما له أسباب تبرره فعمان هى بوابة الخليج وهى التى تلقت الصدمة الأولى للغل" الصليبى وحركة الاستعمار البرتغالى النهاب ، واحتملت فوق ما احتمله الآخرون ، وعمان بحكم موقعها الاستراتيجى بين قارتى .. آسيا وأفريقية ، وبحكم تكوينها الجغرافى وأراضيها الجبلية الصالحة للزراعة والأمطار الموسمية التى تهطل على قسم منها ، ولكونها كانت بالتالى دولة قوية قبل مجيء المستعمرين ، كما أتيح لها بعد طردها البرتغاليين وتوحيد كلمة الناس فيها ، ليس فقط استعادة كيان دولة قوية ناشطة وحسب ، ولكن تأسيس أسطول تجارى وآخر حربى فى مستوى أفضل الأساطيل فى القرن الثامن عشر .. نقول إن عمان بفضل تلك الأسباب قدمت من التضحيات وأبرزت من البطولات ما يؤهل لها صفحة متقدمة فى سفر الشرف الخليجى .

ولاشك فى أن الصورة المؤسفة التى راحت تطمس معالم صورة عمان المضيئة فى القرن الثامن عشر ، بسبب أعمال الامبراطورية البريطانية فى كل مكان خلال القرن الماضى وما كان لدسائس بريطانيا وتعدياتها من آثار مدمرة على عمان وغيرها ، نقول إن الصورة المتأخرة الكئيبة قد أساءت الى عمان اساءات بالغة ، ولاشك أيضاً فى أن عمان ستكون فى طليعة المنتفعين بانحسار ذلك الاستعمار البغيض ، وأن الذى يرتجى من مستقبل عمان الواعد بمبررات التاريخ لهو شيء كثير حقاً ..

اليعاربة : قصة الشرف الخالد

ذات يوم من عام ١٦٢٤ للميلاد إلتقى عدد غير قليل من العلماء والوجوه من أهل الحل والعقد فى الرستاق ، قيل لاحقاً إنهم كانوا أربعين رجلا ، فتداولوا فى أحوال البلاد العمانية الممزقة وما حل بها طوال مئة وعشرين سنة من احتلال البرتغاليين لأهم قصباتها ، وتنازع الناس فى سائر مناطقها الأخرى ، وما أدى إليه ذلك من الفقر والتأخر ، وفقدان الأمن ، وتعاسة الحياة بعامة ..

في وجه الاستعمار
صفحات خليجية باهرة

والواقع إن حواجز ذلك اللقاء وأمثاله كانت تتلخص في الأمل الكبير الذى ولده طرد البرتغاليين من هرمز أعظم قلاعهم فى الخليج ، والبقرة الحلوب التى كانت تعطيهم ميناؤها من الجمارك مالا يحصلون على نظيره من مكان آخر فى الدنيا .. والواقع أن البرتغاليين لم يخرجوا بسهولة من هناك ، ولكن الحصار الذى فرض على قلعتهم بالجزيرة ، ومداومة الضرب عليها من السفن الحربية الانجليزية والهولندية ، علاوة على الجيش الذى أنزله الشاه الصفوى فيها ، وفيه كثيرون من العرب .. كل ذلك أدى الى قبول البرتغاليين آخر الأمر منطق الواقع وخروجهم من القلعة بين جريح وأسير ، ونهب سائر محتويات قلعتهم ومواقعهم فى الجزيرة التى كانت أغنى منطقة بمواردها التجارية فى العالم كله ..

وكان العمانيون بلا ريب على حق من التسخط من واقعهم الأليم على سائر الأصعدة السياسية والاقتصادية والإجتماعية .

فعلى الصعيد السياسى مثلا كان البلد مقسماً الى ثلاث عشرة وحدة سياسية متنافرة ، مختلفة فى طريقة حكمها وشخصيات ونوازع ومذاهب حاكميها ، وهى تتشكل من الرستاق ، والنخل ، وسمايل ، وسمد ، وعبرى ، وإزكى ، ومنح ، وبهلى بلادست وحصن الجابي ، وبان ومقنيات ، وجلفار ثم منطقة احتلال البرتغاليين الساحلية وأهم مدنها صحار ومسقط وصور والقريات . ولم يكن هناك أدنى شك فى أن التفتت كان فى نطاق النظرة المادية الضيقة شيئاً ترضى عنه بعض النفوس الأنانية القصيرة النظر ، لكن الأمة كانت قد ذاقت من أهوال البطش البرتغالى ، ومن مصائب النهب والسلب والرعب ، ومن سفك الدماء وتعطل المصالح ، وتهافت النفوس الرخيصة على الأمة الصريع كتهافت الذباب الأزرق على الجيف النافقة .. نقول كان ذلك كله قد جعل النفوس مهيأة لإعطاء ثقتها زعيماً تتوسم فيه الصدق ..

وكأنما كان التاريخ يقف حائر الظن راعش الخطو ينتظر مولد الرجل الطلائعى المرتقب الرجل الذى يتكلم بلغة جديدة ، ويسلك بالصدق ودرب الحق .. فقد كان الصدق قد عز وندر بل كاد يصبح مستحيلا ..

ناصر بن مرشد

عندما إلتقى أعيان الرستاق وعلماؤها تطلع الحاضرون الى رجل شيخ من رستاق عرف بانقطاعه العجيب للعلم ، فكأنما كان يلتمس الفرار من الواقع المظلم فى رحاب المعرفة وكأنما حبر المطابع كان دواءه من ظلمة النفوس وانحسار الخير فقال الشيخ « أيها الناس هذه ساعة صدق ، ولن ينفع فيها الكذب أبداً ، فإن كنتم جئتم بالصدق فإنكم سترضون به ، وبذلك تنكشف الدروب ، فأما إن كان الأمر هو البضاعة القديمة نفسها ، بضاعة المجاملة والزخرفة وتبادل المودة المجلوبة الزائفة فالسهم طائش ، والحال بائرة ، قال قائلهم : يا شيخ خميس بن سعيد ، أعاهد الله على أن أنزل عند رأيك ، وأن أقبل حكمك .

وكأنما كان ذلك دفعاً للآخرين لينطلقوا من كل صوب : أى والله يا شيخ سعيد ، والله ما بقي شيء لا نرتاب فيه إلا فضلك وحقيقة شرفك وزهدك ، فأشر علينا فقد ضاقت بنا الحال .. واقتحم بنا البحر ، أو اصعد بنا أعلى الجبال فنحن معك .

وارتفع صوت الشيخ الشقصى الرستاقى « على رسلك يا هذا ، أنت وهو ، ضاع والله حالكم وحالى ان كنت إنما أسعى معكم لصلاح البلاد من أجل أن تؤمرونى عليكم .. والله ما أنا برجل السياسة ولا برجل الدولة .. انما أنا رجل كتاب وفقه ، ولكنى أدلكم إن أردتم على الذى فراستى فيه بإذن الله لا تخيب ..

ولكنى أريد أن تعطوا الله تعالى موثقاً إذا ما أعلنت رأيى لكم أن تمضوا فيه على بركة الله ..

وتنادى الجميع دون استثناء .. لك عهد الله .. لك عهد الله وميثاقه قال الشيخ : اهدأوا اذن واستمعوا لي جيداً .. لقد والله عرفته ولداً وعرفته فتي يافعاً ، وعرفته شاباً عازماً ثم رجلا مكتملا فوالله ما عرفت عليه دنية فى خلقه ، ولا وصمة فى أمانته ، ولا كسلا فى علمه .. إنه والله للرجل المستقيم الألمعي ، العف النزيه لله حياته وصلاته ونسكه ، ولا أحسبه يخشي أو يتردد أن يكون فى الله سعيه كله واستشهاده أو مماته ..

وصاح أحد الحاضرين : ومن هو يا شيخ ؟

قال الشيخ خميس بن سعيد : إنه ناصر بن مرشد اليعربي .

وسرت فى الحاضرين موجة ارتياح عظيم .. ولم يبد أن أحداً منهم وجم أو تغاضى الا بسبب من قلة معرفته بالرجل..

ونهض الناس بعد ذلك على وعد بلقاء الشيخ فى المسجد الكبير بعد صلاة الجمعة التالية لكى يجمعهم بناصر بن مرشد .

لم ينتظر خيال الرجل التقى الوفى خروج الناس الذين كانوا يحيونه مودعين فى خروجهم ولكنه سرح بعيداً بين الماضى والحاضر .. وراح سؤال واحد يلح عليه وعيناه تطفران بالدموع : ترى هل تعود لعمان سفنها وتجارتها ، وعزها وخيراتها ؟ هل ترفرف أعلام الخير على ساحاتها ؟ .

تذكر ما يجمعه البرتغاليون من الضرائب من أهل صحار والقريات ومسقط ، وتذكر ما يظهرونه من احتقار وكراهية للناس .. تذكر خور فكان وما تتداوله الأساطير عما كان بها من المرابع الحسان ، ومزارع الذرة والقمح والبرتقال ، تذكر فيها غابات النخيل ، والسفن التى تنقل ما تصدره من الماشية والخيول ، تذكر كيف آل ذلك كله الى خراب يباب !

وأحس وكأنما يسمع قعقعة السلاح ، وهدير المدافع وارتفاع غبار المعارك ، وقد بزغ من كل تلك الظلمات وجه الفتى الحكيم العالم الشجاع ناصر بن مرشد ، فإذا نهار بعد ليل ورجاء بعد يأس .. والى مقالنا المقبل عن الامام المجاهد بطل الفتوح الامام اليعربي ناصر بن مرشد قاهر البرتغاليين ، ومسترجع كرامة الأمة والدين ..

أحمد العنانى



سلطنة عُمان
وزارة التراث القومى والثقافة

كشف الأسرار المخفية
فى
علم الأجرام السماوية
والرقوم الحرفية

تأليف
العلامة عمر بن مسعود بن مساعد المنذرى

الجزء الأول

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

صفحة من مخطوط عمانى نشر مؤخرا

خاطرة صباحية

بقلم: الدكتورة زهرة المالكي



• أشرق صباح جديد .. تفتحت أوراق جديدة والعصافير الصغيرة بدأت تنتقل من غصن الى غصن كأنها حين ترفرف بأجنحتها يرفرف الأمل فى النفوس من جديد .. وأنا أقف مبهورة الأنفاس أحدق بلهفة فى كل مظاهر الجمال من حولى هذا الصباح .. كأنني أخشى أن تمر لحظة ما دون أن تعانق عيناى هذه الوريقات الخضر ، أو تلك الزهرة الندية ، أو ذلك العصفور الذى يدخل الحبور الى القلوب وهو يطرز أغانيه الجميلة على أجنحة النسيم الهادىء ..

ومن بحر الصمت فى أعماقى تتدفق الأسئلة .. تشق طريقها فى زحام مشاعرى وصخب أحاسيسى وسى تحاول أن تصل الى عيني وشفتي لأبحث لها عن جواب .. علامات الاستفهام تدق فى ذهنى عموداً طويلا ينتصب شامخاً بين بقية الأفكار والخواطر .. سؤال يقول : ما سر هذه الحياة ؟ .. ما سبب هذا التغيير الدائم فى أحوالها ؟ .. إشراق وغروب ، دمعة وابتسامة .. اخضرار وذبول .. وتضيع بقية الحروف والكلمات وهى تجدف فى داخلى تبحث عن شاطىء ترسو إليه أو صخرة عملاقة تتكسر على جوانبها هذه الحيرة اللامتناهية ..

ويقفز سؤال آخر : هذه اللحظات والساعات التى نعيشها الآن قد نحس بها أو لانحس ولا يذكرنا بوجودها سوى عقارب الساعة التى تدور وتدور وتطوى مع خطواتها ساعة أو يوماً من أعمارنا الزاهية .. وحين تتركنا هذه اللحظات وتلك الساعات تتحول الى الماضى .. الى الأمس .. ونبقى نحن سائرين على هذا الدرب .. اليوم الذى نحياه الآن سوف يتحول الى أمس .. والغد المجهول الذى ننتظره بلهفة وشوق سوف يتحول الى اليوم ثم الى الأمس .. وقد لا تختلف معالم الغد عن معالم اليوم والأمس كثيراً .. كلهم أشقاء يعيشون فى بيت الزمن .. وتحكمهم قوانين الدهر .. ملامحهم تتقارب أحياناً أو تتباعد أحياناً أخرى . ولكنهم مع هذا يبقون أشقاء ، جسدهم تنبض فيه الساعات والدقائق ونافذتهم تشرق منها شمس واحدة وتغيب عنها شمس واحدة ..

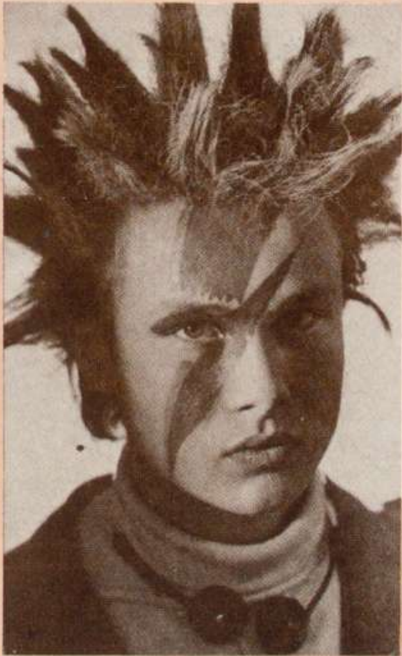
تتكاثر الأسئلة وتتزايد علامات الاستفهام فى داخلى حتى يصبح بحر الصمت فى أعماقى بحراً هائجاً متلاطماً تتدافع فيه المراكب المحملة بالأفكار ذات الأشرعة الملونة بالحيرة التى لا تنتهى .. وأنقل عيني من داخلى .. أشد أحداقهما المتطلعة نحو الأعماق التى يلفها الغموض وأعلق نظراتى بالموجودات من حولى .. مازال كل شيء فى مكانه لم يتغير .. الأوراق كما هى خضراء تلهو بها يد الريح العابثة .. والعصافير تنتقل بين الأغصان .. والشمس تسكب أنوارها فى عيون الطبيعة الظمأى للحنان الممتزج بأنفاس الضياء..

لم يتغير شيء .. وهكذا الحياة دوماً .. هذه هى سنة الكون .. نحن نتحرك .. نذهب ونجيء ، نضحك ، نبكى .. نكبر ، نضعف ، ثم نموت وكل شيء يسير وفق نظامه دون اختلال .. الآن فقط أحس بسحب الحيرة تتلاشى شيئاً فشيئاً عن نبضاتي وخفقاتي .. الراحة تغمر نفسى بألوانها الهادئة الحالمة .. فنحن البشر كذرات التراب .. تنقلنا يد الريح من مكان الى مكان قد نستقر هنا لحظة أو زمناً طال أو قصر ، ثم لا تلبث الريح أن تنقلنا الى مكان آخر أو حتى تلقي بنا نحو عالم آخر تتلاشى فيه خلايانا وأجسادنا وتبقى أرواحنا هائمة حتى النهاية التى لا نعلم متى هى .. ومتى زمانها .. وأين تحدث ..

كل شيء من حولنا يسير بنظام .. وهذا ربما يخفف عنا الشعور بالحيرة والتشتت والضياع .. ربما يجعلنا نكف عن الترديد كل لحظة : لم خلقنا ؟ .. لم نعيش ؟ .. لم نتعذب ؟ .. لم نضحك ؟ ولم نموت ؟ .. فكل قطرة ماء تسكبها السماء لا تضيع .. قد تتوجه الى أعماق البحر أو النهر وتسكن هناك وتستقر .. أو الى باطن الأرض ، تتغلغل فى جسد التراب وبين شرايينه وخلاياه وتسكن هناك وتستقر .. ولكنها لا تبقى هكذا دونما فائدة .. يأتيها الانسان ويلتقطها ويروى بها ظمأه ، أو ظمأ الأرض والنبات ، أو يشيد بها ويعمر ، أو يفعل بها ما يشاء .. لكنها لا تضيع وهكذا نحن لا تضيع أعمارنا ولا تندثر لحظاتنا وتطوى فى صفحات كتاب الزمن دون عودة .. كل فكرة وكل كلمة وكل هاجس ، وكل عمل نؤديه بأى جارحة من جوارحنا لا يضيع ولا يتبدد فى الفراغ .. وان ابتعد عن أنظارنا واختفى عن ذاكرتنا ، فإنه سيبقى هناك حتى نعود إليه أو يعود إلينا فى نهاية المطاف ..








سينما العالم الثالث

تسيطر على مهرجان لندن السابع والعشرين

قصة أطول فيلم في تاريخ السينما مدّته ١٦ ساعة ويتمّ عرضه في خمس حفلات






رسالة لندن من : مجدي نصيف

« مهرجان لندن السينمائى » ، حدث سنوى « خاص » ، ليس مثل المهرجانات السينمائية الأخرى . فمهرجانات السينما الآن ، احتفالات كبيرة تعقد فى مدن جميلة ذات جو ساحر ، مثل « كان » و « فينيسيا » ، يشارك فيها فنانون وفنانات مشهورون ، ونقاد وكتاب ، ومنتجون وشركات سينمائية كبرى . وهى مجال لترويج صناعة السينما فى أنحاء العالم ، حيث تكون سوقاً لبيع وشراء الأفلام ، هذا الى جانب أناس من شتى أنحاء العالم يتفرجون على كل هذا ، وصحفيين يتابعون النجوم وأخبارهم وما يأكلونه وما يشربونه وما يرتدونه ..





لأول مرة تعرض أفلام أطفال فى المهرجان .. ثم لقطة من فيلم الخيال العلمى « جريملينز » الذى افتتح به المهرجان وهو من اخراج جودانتى

أما « مهرجان لندن السينمائى » فهو حدث سنوى خاص بأعضاء « نادى السينما » البريطانى وحدهم ، وإن اتسع فى السنوات الأخيرة . وهو يعقد فى عاصمة بلاد الضباب ، فى وقت ليس فيه شمس على الاطلاق ، بل أمطار مستمرة . وبسبب خصوصيته فهو فقير الموارد ، ولا تدعمه الدولة ولا الشركات المنتجة ، حتى لقد قدر أن ما صرف على مهرجان « كان » السينمائى الدولى قدر ما صرف على مهرجان لندن هذا العام ، مائة مرة ، رغم أن مهرجان لندن تلقى دعماً هذا العام ، وخرج من الخصوصية الى حد ما . فقد دعمه « مجلس مدينة لندن الكبرى » ضد الخسائر المتوقعة بمبلغ ٢٧ ألف جنيه ، وكانت هذه هى كل ميزانية المهرجان تقريباً ، باستثناء دخله من التذاكر المباعة .

بداية الخروج

وكانت محاولة « نادى السينما » للخروج من دائرة « خصوصية » أعضائه الى عالم مهرجانات السينما قد تمت بعد مناقشات داخل النادى ، إذ لقيت الفكرة معارضة شديدة ، لأن هذا يعنى عرض أفلام ناجحة جماهيرياً لكنها قد لا تعنى شيئاً من الناحية الفنية . فالمهرجان لا يعنى إلا بفن السينما وحده ، ولا يقدم للأفلام الفائزة غير « شهادات » ورقية فقط ، صحيح أنها قيمة وعظيمة المعنى من الناحية الفنية وتعنى الكثير من الناحية الثقافية والعلمية ، ولكنه لا يقدم أى جوائز مادية فى أى مجال من مجالات الفن السينمائى .

وحتى ينفذ النادى مسألة الخروج الى عالم مهرجانات السينما العالمية الرحب كلف « ديريك مالكولم » الناقد السينمائى لصحيفة الجارديان اليومية البريطانية بإدارة مهرجان هذا العام . وديريك مالكولم شخصية فريدة . فقد عمل ممثلا بعد تخرجه من جامعة اكسفورد البريطانية ، لكنه انتقل بعد ذلك الى مجال الصحافة ولم يتركها على مدى عشرين عاماً حتى الآن . لقد ظل طوال هذه الفترة يكتب بشكل منتظم فى النقد السينمائى والمسرحى ، وينشر مقابلاته مع الفنانين . وهو أيضاً الناقد السينمائى لمجلة « كوزموبوليتان » ، ونائب مدير « دائرة النقد » . وهو مؤلف كتاب « الممثل روبرت ميتشوم » الذى ظهر فى شهر سبتمبر الماضى قبيل بداية مهرجان لندن الثامن والعشرين . وديريك مالكولم يهوى رياضة الكريكيت ، اللعبة البريطانية التقليدية ، وهو رئيس « فريق الجارديان » للكريكيت .

هذه الشخصية المتعددة المواهب للصحفى والناقد الفنى « ديريك مالكولم » أعطت المهرجان هذا العام أبعاداً جديدة ، فقد تم اختيار أفلام ناجحة من مهرجان « كان » ومهرجان « فينيسيا » ، وحرص على تقديم ألوان متنوعة من الانتاج السينمائى من الأفلام التجريبية ــ التى كان النادى يحرص على تقديمها فى مهرجاناته دائماً ــ الى الأفلام التجارية التى لاقت نجاحاً كبيراً من الجمهور . بل وخصص جزءاً من المهرجان هذا العام لعرض خمسة أفلام للأطفال ، أطلق عليها « مهرجان لندن السينمائى للأطفال » . ورغم كل هذا ما زال « التحول » المطلوب بعيداً ، إذا يتطلب إمكانيات هائلة ، لكن ديريك مالكولم قدم برنامجاً جديداً للمهرجان هذا العام بالفعل .

فلأول مرة يبدأ المهرجان بفيلم أمريكى ويختم



الأب والابن فى لقطة من فيلم «كل صورة ولها حكاية» للمخرج الانجليزى جيمس سكوت .

بفيلم أمريكى . فقد افتتح المهرجان بالفيلم الأمريكى جريمليز Gremlins (انتاج ١٩٨٤) وهو من إخراج جو دانتى عن كتاب بنفس العنوان تأليف كريس والاس . وهو من أفلام الخيال العلمى ، وكان الفيلم ــ كما قالت مجلة «سيتى ليمتس» البريطانية . قد نجح نجاحاً منقطع النظير فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد اختتم المهرجان كذلك بفيلم أمريكى قديم وشهير هذه المرة ، هو فيلم «لص بغداد» (انتاج عام ١٩٢٤) وهو واحد من أنجح أفلام هوليود ، ومن تمثيل المثل الأمريكى العالمى القديم دوجلاس فيربانكس . وفى نهاية المهرجان تم لقاء مع دوجلاس فيربانكس الابن والذى كان فى الثالثة عشرة عندما أنتج هذا الفيلم . والى جانب هذين الفيلمين الأمريكيين تم عرض ثلاثين فيلماً أمريكياً خلال فترة المهرجان ، كلها من الأفلام «المستقلة» أى التى لا تنتجها الشركات الكبرى الأمريكية التى تروج لأسلوب «الحياة الامريكية» .

ويقول ديريك مالكولم تعليقاً على هذا الاختيار للفيلمين الأمريكيين فى الافتتاح وفى الختام :

«لم يكن ذلك مخططاً ، ولكننى سعيد فى النهاية لأن البرنامج جاء كذلك ، لأنه يعكس الواقع ، ويؤكد نقطة هامة للغاية عن «مهرجان لندن السينمائى» ، ألا وهى انه احتفال بالسينما ، لا يحتقر الذوق الشعبى ، ولكنه فى نفس الوقت ليس حكراً على عدد من صفوة المثقفين ، أعضاء نادى السينما وحدهم . ويظل لأعضاء النادى حق الأسبقية فى الحجز . إن هدفى يتلخص فى أن أدفع الغالبية الكبرى من رواد السينما فى لندن الى الحضور ، هؤلاء الذين يهوون السينما والأفلام ، لكنهم ليسوا أعضاء فى نادى السينما» .

توسيع الدائرة

ولأن ديريك مالكولم أراد توسيع دائرة رواد المهرجان ، واستطاع أن يجذب بعض الأفلام التى يطلق عليها الأفلام التجارية أو الجماهيرية ، فقد جعل من دار عرض «نادى السينما» مركز المهرجان ومركز الاهتمام الفنى ، ولكن عرضت الأفلام فى سبع من دور السينما اللندنية ، أربع منها تعرض بعض أفلام المهرجان لأول مرة هذا العام ، وفى تاريخ المهرجان .

ولقد قام المهرجان بعرض ١٦٠ فيلماً روائياً ، أحدها وصل طوله الى ١٦ ساعة وهى مشكلة مقلقة بالنسبة لأى منظم مهرجان ، الفيلم اسمه «وطن» من إخراج المخرج الألمانى الغربى ادجار رايتز . وقد قال عنه النقاد «انه واحد من أعظم الأفلام فى تاريخ السينما الألمانية والعالمية على السواء» . لكن المؤكد أنه أطول فيلم فى تاريخها وحل ديريك مالكولم المشكلة بأن تم عرض الفيلم على خمس حفلات ، حجز لها تذكرة واحدة (ثمنها خمسة عشر جنيها استرلينياً) على أسبوعين .

ولعل الملفت للأنظار فى مهرجان هذا العام ، هو أنه تم عرض أكبر عدد من أفلام العالم الثالث منذ أن بدأ هذا المهرجان ، وعلى وجه الخصوص أفلام أمريكا اللاتينية . ومعظمها أفلام ذات مستوى رفيع وجيد ، مما جعل النقاد يجمعون على أن «هذا يثبت أن العالم الثالث يتقدم فى مجال التكنيك السينمائى بدرجة ملفتة للنظر ، وأن اللغة السينمائية أصبحت احدى اللغات التى يعبر بها فنانو العالم الثالث عن مشاكل بلادهم ومجتمعاتهم .

ولقد تحدثت المقالات النقدية كثيراً عن أفلام كوريا الجنوبية : «قرية فى الضباب» و «العجلة» وغيرهما . واستخدم بعض مخرجيها شكل السينما سكوب ، وهو فن يكاد أن يكون قد انتهى فى السينما الأمريكية والأوربية .

وكان فيلم «بونيراه» الأندونيسى أحد الأفلام التى أدهشت النقاد . أما فيلم نيلسون بيريرا دوس سانتوس «ذكريات» (البرازيل) فقد كان واحداً من أجمل أفلام المهرجان (وكان قد عرض فى مهرجان «كان» ونال إعجاب النقاد هناك) .

أما أفلام الارجنتين ، فقد كانت حدثاً فى حد ذاته ، إذ لم يعرض لها أفلام فى المهرجان منذ فترة ، ربما بسبب «حرب الفولكلاند» وربما قبلها ، وذكر النقاد أنها ذات مستوى رفيع ، ومن أفضل أفلام المهرجان . هناك أربعة أفلام ارجنتينية : فيلم «أطفال الحرب» وهو أول فيلم ارجنتينى عن حرب «مالفيناس» المعروفة فى بريطانيا باسم «حرب الفولكلاند» وقد لاقى الفيلم نجاحاً منقطع النظير فى الأرجنتين ، وهو يدين «العصبة العسكرية» التى سقطت ويندد بحكمها ، و «إرچى» من اخراج جورج بلانكو ، و «كاميلا» من اخراج ماريا لويزا بمبرج ، ويعتمد هذا الفيلم على قصة حقيقية حدثت عام ١٨٤٧ ، تحت حكم الدكتاتور روساس .

وقد عرضت أفلام أخرى كثيرة من دول العالم كان واحداً من أروعها هو فيلم انتاركيتكا للمخرج اليابانى كوريوشى كوراهارا ويحكى قصة حقيقية حدثت عام ١٩٥٨ لبعثة علماء ذهبت لانقاذ بعثة علمية أخرى ، واصطحبت معها خمسة عشر كلباً لجر الزحافات الجليدية ، واضطرت لتركها . والسؤال الآن :

ماذا سيفعل «نادى السينما» بعد تجربة المهرجان السينمائى الثامن والعشرين ؟

هل نجح ديريك مالكوم ؟ وهل يستمر النادى فى هذا الطريق الجديد باحثاً عن عناصر نجاح أخرى لتحويل المهرجان اللندنى الى حدث عالمى ، أم ينكفىء على نفسه مرة أخرى ، ليعود «مهرجان الصفوة» كما كان ؟ !

مجدى نصيف

نيلية مزدوجة

شعر : حسن طلب



هاتانِ مَهاتَانِ ..
وليلكتَانِ على الصَّفَّةِ تَانِ ..
وَتِلِكَ :
امْرَأَةٌ تسبحُ في مَائَيْنْ
فإذا بَدتِ الأشياءُ مذكرةً
فالمخطئَةُ العينْ

° ° °

هاتانِ مهاتانِ تَهيمَانِ ..
تظنُّهمَا العينُ تتُوهانِ ..
ولكنَّهما تتجهانِ إلى النِّيلِ
.. وتَنْتبهانِ ..
وعندَ الشطِّ تَعُودانِ فتلْفتانِ ..
فَمِثْلُها بالحُسْنِ القاتِلِ تُتَّهانِ !
وهاتانِ مهاتانِ
كأنَّهما ـ
حينَ تَتيهَانِ على الشطِّ ـ
فتاتانِ مُهَفْهَفَتَانِ :

فتاةٌ قفزَتْ ـ كالأَرْنبةِ البرِّيَّةِ ـ في النِّيلِ ،
وقالتْ :
كادَ يُداهِمُنى الغُرَبَاءُ ،
وينهشُ لَحمِي الأعداءُ ..
فَأَدْرِكْنى يا نيلُ :
احْمِلْني في سَيْرورةِ مَائِكَ ..
أو ـ إن شئتَ ـ فأغْرِقْني
في لُجَّةِ دَأْمَائِكَ ..
أَطْعِمْني لشَوارِدِ أسْمَاكِكَ
حتى أُصْبحَ من جُملةِ أعضَائِكَ ..
ثُمَّ انثُرْنى زَبَداً فوقَ الشَّطَّيْن

° ° °

وفتاةٌ قفزَتْ ـ كالُمهْرَةِ ـ نحوي ..
قالتْ :
مثْلُك في قلبِي
هل مثلى في قلبكَ ؟

قلتُ : أقلَّ قليلاً
قالتْ : في لُبِّكَ ؟
قلتُ : أقلَّ قليلاً
قالتْ : بيِّنْ لى في أيِّ الاثْنيْن
في قلبِكَ .. أمْ في لبِّكِ .. أمْ أينْ ؟
قلتُ :
ففى منزلةٍ بينَ المنزلَتَيْن !

° ° °

ذانِ يَهُوذَانِ ..
ومِصْريَّانِ على قارِعَةِ الخطرِ الدَّاهِمِ
هَذَانِ ..
وَذَا :
شجرٌ ذَكَرٌ يصعَدُ بينَ الوقْتَيْن
فإذا بَدَتِ الأشياءُ مؤنثةً ..
فالمخطِئةُ العينْ !

علي عبد الله خليفة :

شاعر الغوص والبحر

بقلم : أحمد محمد عطية


الشاعر على عبد الله خليفة

على عبد الله خليفة شاعر عربى من البحرين ، يبدع نوعاً متميزاً من أدب البحر ، هو شعر الغوص على اللؤلؤ ، ويقدم بذلك اضافة ثرية لأدب البحر .

وأقصد بأدب البحر ذلك الأدب الذى يستهدف التعبير عن عالم البحر ، والذى يكون البحر موضوعه الرئيسي المؤثر فى الأحداث والشخصيات ، وفى الرؤية الكلية للعمل الأدبى . وهو أدب هام يشكل جزءاً أساسياً من تراث البشرية وحضارتها . فيضم أدب البحر الأسطورة والملحمة والشعر والحكاية الشعبية وأدب الرحلات البحرية والقصة والرواية ، ويجمع فى نماذجه بين الشخصيات الأسطورية والشخصيات الواقعية ، بين الرؤية الرومانسية للطبيعة كمجال للهروب والاستسلام كما نجدها عند جان جاك روسو ، وبين الشخصيات البطولية ، التى هى جماع لكل عناصر القوة والذكاء والمغامرة فى صراعها مع قوى البحر ، كما نجدها فى شخصية « ايخاب » بطل رواية هرمان ملفل « موبى ديك » ، وفى شخصية « الطروسى » بطل رواية حنا مينه « الشراع والعاصفة » .

وعلي عبد الله خليفة ، شاعر الغوص والبحر ، من أبرز شعراء الحركة الأدبية الجديدة فى البحرين ، تلك الحركة التى انبثقت فى الستينات وصاحبت التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى البحرين ، وامتزجت بها وتخلقت فى أتونها الواقعية . وهو شاعر ورائد فى الحياة الثقافية بالبحرين . فهو شاعر فصيح وشاعر عامى أيضاً . وهو ناشر ورئيس تحرير مجلة « كتابات » الأدبية البحرينية ، وهو راعى الحركة الأدبية الجديدة فى البحرين ، كما أنه باحث ودارس ومبدع للموال وللتراث الشعبى الخليجى ، فهو المشرف على مركز التراث الشعبى بالخليج ، كما تتدفق أغانيه عبر حناجر مطربى الخليج . وسنقتصر فى هذه الدراسة على شعره الفصيح كما يتمثل فى ديوانيه : « أنين الصوارى » و « اضاءة لذاكرة الوطن » ، أما ديواناه العاميان « عطش النخيل » و « عصافير المساء » فنرجئهما لدراسة أخرى ، ونركز على تجربته الشعرية فى التعبير عن عالم الغوص والبحر . فهو يستند إلى تراث البحر العربى العظيم بدءاً من معلقة طرفة بن العبد ، ابن البحرين وشاعر البحر فى العصر الجاهلى ، وانتهاء بأدب البحر العربى القديم والحديث فى صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ بالبحرين . أضف الى ذلك نشأته فى بيت بحارة وغواصين على اللؤلؤ ، مما أكسبه خبرات ومعاناة هؤلاء الكادحين فى البحر .

تعبير صادق

فهو « أول من عبر تعبيراً واقعياً صادقاً عن

تجربة الغوص .. » كما كتب الشاعر البحريني علوى الهاشمي في كتابه « ما قالته النخلة للبحر » (ص ٥٦٧ ــ ٥٧٦) . وهو « الغواص القديم الذى استخرج أدباً جديداً .. » ، كما وصفه الدكتور محمد جابر الأنصارى . وقد عبر « تعبيراً أميناً عن حياة صيادى اللؤلؤ وما يعانونه من مخاطر البحر ، وشظف العيش ، ومرارة التجربة .. موثقاً هذه التجربة الحياتية لهذه الفئة من الكادحين بكثير من المصطلحات الخاصة بالصيد وحياة صيادى اللؤلؤ » . كما كتب عنه الناقد العراقى طراد الكبيسى في دراسته عن « الحركة الشعرية الجديدة في البحرين » (مجلة الاقلام ، عدد خاص عن الأدب العربى في البحرين ، مايو ١٩٨٠) .

من السطور الأولى في ديوانه الأول « أنين الصوارى » تبرز الرؤية الاجتماعية والفكرية للشاعر علي عبد الله خليفة ، وتمتزج بهموم عالم البحر والغوص ، وتتداخل مع قضايا العرب والعالم التحررية . فيستهل ديوانه بقصيدته « الى أمى » للتعريف بموقفه وموقعه ورؤاه ، فهو مع الفقراء والبؤساء والمرضى مثلما هو مع المكافحين والمناضلين :

أنا الانسان يا أمى ،
أنا الانسان في شتى بقاع الأرض ..
في الإصرار .. في الزحف
أنا في اليتم .. في التشريد ..
في التنكيل والعسف
أنا جمع من الفقراء والبؤساء والمرضى
وتاريخ من التشتيت والكبت (ص ٢٨ و ٢٩)

« فقد ركز علي خليفة في أشعاره في بادىء الأمر على إبراز صراع الانسان في الخليج مع البحر عبر قناع تاريخي وهو تراث البحر ، فجاءت صوره تجسيماً مؤثراً لأجواء البؤس والعذاب وتصويراً حياً للتمزق الذى يعانيه الانسان في ظل هذه الأجواء » . كما كتبت (مجلة الأقلام ، عدد خاص بالأدب في الخليج العربى ، ابرايل ١٩٧٥) .

أما حياة البحار والغواص فيصورها علي عبد الله خليفة في صور قصصية شعرية في قصيدته « على أبواب الرحلة الأولى » ، وهو تصوير واقعى اجتماعى يرتفع فيه صوت الاحتجاج والغضب في التعبير عن مأساة الغواص الاجتماعية والانسانية .

• تصوير مأساة الغواص الاجتماعية والانسانية تصويراً واقعياً يعبر عن تجربة مريرة

فلا مجال للرومانسية لدى شاعر الغوص والبحر البحريني ، لأنه اكتوى بمرارات التجربة في عالم البحر والغوص وعذابات العيش ومكابدات الديون والاستغلال ومعاناة الرحلة البحرية .

أدب البحر

ولقد كان البحر مجالا خصباً للتفسيرات الأدبية الأسطورية في أدب البحر ، من ملحمة الأوديسة لهوميروس والانيادة لفرجيل ؟ وما حفلت به الملحمة الأولى من تصوير الصراع بين بطلها أوديسيوس وبين رمز البحر نبتيون والمناظر الأسطورية للبحر ، وما قدمته الثانية من ملحمة بحرية عن العاصفة التى تعرض لها أسطول اينياس في البحر حتى سقوط بالينيورس في البحر فداء للأسطول الطروادى ــ الى حكايات السندباد البحرية وقصص ألف ليلة وليلة البحرية الشعبية ، وما تضمنته من حكايات عرائس البحر وجنيات البحر ، ومن تصوير أسطورى لعالم البحر .. الى غير ذلك من الأنواع المختلفة التى أثرت أدب البحر على مر التاريخ ، وجمعت بين الأسطورية والواقعية والرومانسية ، واستهدفت اكتشاف الطبيعة البحرية وتفسيرها واستغلالها لصالح البشرية وفتح آفاق جديدة أمامها .

هكذا قاد الأدب والفن صراع الانسان مع قوى الطبيعة ، من أجل ترويضها والسيطرة عليها واستخدامها لصالح البشرية . فكانا « سلاحاً إضافياً عظيماً في الكفاح ضد قوى الطبيعة الغامضة » ، كما يقول « ارنست فيشر » في كتابه « ضرورة الفن » . ويذكر فيشر أيضا أن ظهور رجال البحر أسهم في تطوير الشخصية الانسانية وتفردها بالبطولة والمغامرة والحرية وعدم التبعية . لأن الحياة الخطرة فوق بحر شاسع ، مضطرب الأمواج والعواصف ، جعلت رجل البحر سيد مصيره . « فهو مغامر اعتاد تعريض حياته للخطر المرة بعد المرة ، ليس في نفسه ولاء للأرض والمحافظة على نظمها التى تتغير في البذر والحصاد . وانما ولاؤه للبحر المتغير المتقلب الذى لا يكف عن الحركة ، والذى يستطيع أن يهبط به الى القاع أو يرفعه على قمة أمواجه الى الذروة . كل شيء هنا يتوقف على البراعة الفردية وعلى العزيمة والقدرة وعلى الحركة والذكاء .. وعلى الحظ .. » (ارنست فيشر ، ضرورة الفن ، الترجمة العربية لأسعد حليم ، ص ٥٦ و٥٧) .

ويقول « ول ديوارنت » في كتابه العظيم « قصة الحضارة » (جـ١) : « لم يكن الصيد والسماكة مرحلتين من مراحل التطور الاقتصادى ، بل كانا وجهين من أوجه النشاط التى كتب لها أن تظل باقية في أعلى صور المجتمع المتحضر . لقد كانا ذات يوم مركز الحياة ، وهما الآن بمثابة أساسيها الخبيثين ، اذ يكمن وراء أولئك الصيادين الاشداء كل مالنا من أدب وفلسفة وفن وشعائر عبادة .. » (الترجمة العربية للدكتور زكى نجيب محمود ص ١٤) .

ومن هنا تأتى الاضافة التى يقدمها علي عبد الله خليفة الى لوحة أدب البحر العالمى ، إنه يقدم شخصيات جديدة من عالم الغوص على اللؤلؤ ، تجلب الثروات لغيرها ولكنها تعانى الفقر والبؤس ، ومن المزج بين الرؤية الاجتماعية والصور الواقعية لحياة البحار والغواص وبين معاناة الديون لأصحاب سفن الصيد وتجار اللؤلؤ . ويصف الدكتور محمد الرميحى ، في كتابه « قضايا التغيير الاجتماعى والسياسى في البحرين » (ص ٢٦) ، حياة الغواص ومعاناته من الاستغلال قائلا :

« يعرف الغواص كعبد فيما تبقى من حياته ، إنه من الممكن لعبد أسود في الساحل المتصالح أن يهرب من عبوديته ، ولكن الغواص في البحرين لا يمكن له استعادة حريته ما دام على دينه فهو لا يمكن أن يترك المدينة حتى تؤخذ عليه المواثيق بالرجوع اليها قبل بداية موسم الغوص ، ولا يمكنه

شاعر الغوص والبحر

الفكاك من دينه ، إنه لا يقرأ ولا يكتب ، وليس هناك شهود على ما يقترضه من ربان السفينة » .

وهذا هو ما يصوره علي عبد الله خليفة في قصيدته الطويلة « على أبواب الرحلة الأولى » مخاطباً الغواص الجديد في رحلته مصوراً معاناته :

جل ما يصفى لنا للدين ، والباقي زهيد
لا يفي قوت العيال
ياله ديانا الفظ الصفيق ! !
كجموع الدود في أمعاء غواص فقير
قرحة شوهاء في جسم صغير .
أربعون العمر في الكد انقضت
ورفات الجسم للحيتان في قاع الخليج
والذى باق من الدين كثير
يرحم الله أباك ..
كان لي نعم الصديق

• • •

يا صغيري ،
واقع الحال .. كذا كيف الخلاص ؟
لا فكاك .. لا مناص
من سداد الدين في دين جديد
ولكي تأتي بقوت .. كي تعيش
الزم الابحار في ركب المغاص (ص ٣٥ و ٣٦)

ويوجه الشاعر حديثه للغواص الجديد كي يشتد في مواجهة البحر الجبار ، ويصور رحلة الغوص الشاقة ومعاناتها المزدوجة في عالم البحر العنيف ومأساة الفقر والجوع والوداع . وتتركب الصور من مفردات عالم البحر والغوص والمعاناة الانسانية الأليمة :

كن جلودا .. لا تخف ، كن كالحديد
فالذى تقصد جبار عنيف
عندما تهوى المجاذيف على الأمواج
في عنف طليق
يعتلى شم صوارينا شراع ..
يا شراعاً من خيوط الصبر
في صدرى العليل
ينتشى الكل كمن تاه عن الدنيا وضاع
يتغنون بألحان الوداع
فيقيء الهم ما في الجوف حتى يستريح
في مواويل الأسى
وانتكاسات الصراع في بحار صمتها الداجى
يخيف
آه لكن الرغيف
زادنا ، والكل من جوع يصيح

التبغ والنار

وينصح الشاعر الغواص في رحلته الأولى أن يكون « تباباً » ظريفاً ، أى صبى البحر الخادم للجميع ، يلف لفافات التبغ للغائصين ويحمل النار الى « نارجيلة الربان حتى تستفيد من عطاياه الصغيرة » . وأهم نصيحة يوجهها الشاعر للغواص هى كبت مشاعر الفرح عند اصطياد اللؤلؤ ، فهى ليست له والغواصون شرفاء لا يحتفظون بها لأنفسهم بل يسلمونها لمستغليهم :

وإذا جئت الى محارة عذراء
في يوم سعيد
ورأيت الحظ فيها
درة براقة تزهو المزيد
فاحمد الله ، وبارك
يومك المعطى الجديد
جمد الإحساس بالفرح ،
وخذها في رزانة
للذى تطوى الأيادى مقلتاه (ص٤٢)

أما المعاناة الأليمة فهى محفورة في جلده من أثر حبال السفينة وحبال الغوص ، لذا يذكره بها لأن نصائحه تنطلق من هذه الآلام والخبرات الواقعية بعالم البحر والغوص :

هذه كفى فسلها
سل جفاف الجلد آثار حبال مزقتها
كم رعت في الغوص دانه
حفظتها — للذى يقتات من رزقى — أمانه

النصائح كثيرة ، تلك التى يوجهها الشاعر للغواص للتعلم من خبرات الغواصين ، ومن خلال تلك النصائح يرصد الشاعر صور معاناة الغواص

• اضافة شخصيات جديدة من عالم الغوص على اللؤلؤ الى لوحة أدب البحر العالمى

• إثراء القصيدة بالصور المأخوذة من عالم البحر والمستمدة من المخزون البحرى

والبحار على سفن صيد اللؤلؤ ، ابتداء من دوار البحر وعواصفه مروراً بمياه الشرب الفاسدة وانتهاء بزاد من التمر المدود الذى عافه الدود :

واحذر البحر ، ففي البدء الدوار
عاصف يأتيك .. محموم الأوار
ومياه الشرب في فنطاسنا الهش العميق
كبقايا القىء في جوف السقيم
زادنا تمر نخيلات عجاف
عاث فيه الدود وطرا ... ثم عاف
بعد أرز قدره قدر الكفاف (ص ٤٥ و ٤٦)

وعلى الجانب الآخر من البحر ، تنتظر الزوجات على الشاطىء عودة أزواجهن من الغائصين الغائبين في رحلات الغوص البحرية الطويلة ، وفي قصيدة من أجمل قصائده ، عنوانها « صدى الأشواق » ، يصور علي عبد الله خليفة مشاعر الزوجة عندما تهل بشرى عودة زوجها ومظاهر فرحتها ، ولكنه لاينسى تصوير المعاناة الأليمة في هذه الرحلات :

طافت البشرى بأهل الحى .. قومى
واتركى عنك تهلات الهموم
قد سمعت الكل في الأسياف يحكى
عن شراع في المدى اجتاز اختبارات المحك
لا يبالى الموج أو لفح السموم .
ساعدينى ، رتبى عنى المساند
وانثرى المشموم في كل الجوانب
وأصيخى السمع للهولو (١)
على الشطان عائد
أشهر الغواص تمطت .. فتبدت
في حساب العمر قرناً وهو غائب
بالفرحى .. ساعة اللقيا دنت ! ! (٤٨)

أين السندباد

ومن مفردات عالم الغوص والبحر ينسج علي خليفة أبيات قصيدته عن آهات « النهام » . مغنى البحر ، ومواجهة الحيتان وقوة ابن السندباد في مواجهة البحر وحيواناته ، فهو صلب عنيد يستند الى تراث البحر في حكايات السندباد البحرى في « ألف ليلة وليلة » .

إنهم أقوياء يتصدون للمحال في أعماق البحار :
كيف كنتم واللآلىء
خبر الدنيا وخبرنى وارفع
آهة النهام في الأجواء باللحن الموقع
روع الحيتان في الأعماق يا ابن السندباد
روع الظلم وأنصاف الرجال ..
في عناد

قل لهم كيف يكون العيش فى دنيا حقيره
يركب الكل المحال
ينبرون الوحل فى قلب الهلاك
باصطبار .. فى اعتلال
يفلقون الصدف الموحل فى عز الظهيرة (ص ٥٢ و ٥٣)

ثم تعلو نبرة الرفض والاحتجاج على واقع معاناة صيادى اللؤلؤ وآلامهم ، فيقول الشاعر :

أيها المحروم يا ابن السندباد
زلزل الدنيا وأسمعنى ، وصعد
للسما صرخة حق لا تحيد
اذ متى أنصف ياليل الجوارى والعبيد
ومتى أرفع رأسى للصوارى
شامخاً ، مثل شراعى فى فضا كل البحار ؟
ومتى يعلو على البتيل (٢) فى النور إزارى
كالبنود ؟
ها هنا الانسان فى ذاتى يردد :
عاد حقى .. عاد حقى
ويزغرد (ص ٥٤ و ٥٥)

خبرات الشاعر

وتصور قصيدته الرئيسية « أنين الصوارى » التى منحت الديوان عنوانها رحلة الحياة فى عمل الغواص منذ البداية مع قوة الشباب وخوض صعاب الغوص وجبروت البحر ، وحتى يستهلك فى النهاية فلا يقوى على الاستمرار فى مواجهة عنف البحر ومعاناة الغوص على اللؤلؤ . وتعكس هذه القصيدة خبرات الشاعر على عبد الله خليفة بحياة الغواصين وتجار اللؤلؤ ، كما يظهر فيها تطور القصيدة فى شعره من المباشرة والتقريرية الى الصور المركبة من مفردات عالم البحر ، لعل أبرزها المزج بين صوارى السفن وأنين المعذبين الظاهر فى عنوان القصيدة « أنين الصوارى » :

ها هم قد أبحروا .. كل الرفاق
شرعوا بالشوق فى بدء انطلاق
والمجاذيف مضت فى البحر
عنفاً واتساق
بينما تلك الصوارى فى أنين ..
هى والنهام فى لحن حزين ..
لا يطاق . (ص ٧٠)

تلك كانت بداية رحلات الغوص ، أما الغواص العجوز فيلخص عطاء الرحلة من موقعه على الشاطىء معبراً عما آل إليه حاله بعد رحلات العذاب وآلام المعاناة قائلا :



غلاف ديوان « اضاءة لذاكرة الوطن »



غلاف ديوان « أنين الصوارى »

بعض انسان على الشاطىء ملقى كالرفاة
عافه البحر وأردته قوانين الطغاة
بعد أن عاش سني العمر مصلوب الحياة
بين أفواه تنادى ،
ومناد : هات من دينك هات .

• • •

وحظى قوت أفواه فقيره
فى نهار الغوص أحيا فى الزحام
أرقب البحر وأحشو
تبغ غواص همام
يسبر الأغوار قهراً واصطدام
وأرى أيدى الرجال ..
خرشتها كثرة الملح وأدمتها الحبال

عشق البحر

غير أن البحار الغواص لا يلبث أن يعتاد حياة البحر حتى يعشق البحر ويألفه ، ويكاد ينسى الشاطىء ومن عليه من أبناء وأهل وزوجة ، حتى ينال منه الكبر فلا يقوى على مواجهة البحر العنيف :

شرعة البحر تريد الأقوياء
وأنا جسمى عياء
أنف المجذاف عن كفى اباء
أبدا يا بحر مالى من عزاء

فى ديوانه الأول « أنين الصوارى » كان البحر مجالا لاسقاط الهموم الاجتماعية من خلال تصوير حياة الغواصين على اللؤلؤ فى الخليج ، فظفت مفردات عالم الغوص لتشكل اضافة جديدة لأدب البحر . غير أنها كانت إضافة مباشرة بما فيها من تقريرية وحماسة مباشرة بلغت أحياناً درجة الخطابية . أما فى ديوانه الثانى « إضاءة لذاكرة الوطن » فإن على عبد الله خليفة يقترب بعالمه الشعرى صوب المزيد من الخصوصية فى تركيب الصور المستمدة من تراث البحر دون مباشرة أو خطابية ..» وبدلا من الهموم الاجتماعية قفزت الهموم الوطنية عن انتفاضات البحرين الوطنية وشهداء أحداثها ، وخلال كل ذلك أخذ على عبد الله خليفة يغترف من مخزونه البحرى ليثرى القصيدة المأخوذة من عالم البحر ومفردات قاموسه اللغوى والشعرى والبحرى .. فمطالع كلمات الأصداف والمد ورمل الشاطىء وملح البحار والموج وعودة الغواص العجوز خالى الوفاض ، فهو كل الشهداء كما يقول فى قصيدته الجميلة الموحية « لغة الظمأ الأرجوانى » وهو يخاطب البحر والمد ، كى يتجدد فى موجة جديدة من النضال والفداء :

فاعتنقنى ، أيها المد ، تواريخ جديدة
وتجسد عطش الأرض التى لم ترو .. منى
كنت بالأمس على الشاطىء رمله
يغسل الطل على أذيالها ملح البحار
استراحت فى الثنايا قطرة الدم ـ الدموع

.. بعض شيء من فتات الصبر فى حزن القلوع
حين يرمى الموج أوصال الرجال
فوق أسياف الخليج
زفرة الموال شيخ عاد من إبحاره صفر اليدين
وأنا خوصة نخل فى حصير
نثر الموسم أولادى عليه
همسهم جاء صراخاً ، وصراخي جاء
فى الحقل طعين

أحمد محمد عطية

هوامش

١ ــ الهولو : لحن الغواص
٢ ــ البتيل : مركب كبير للغوص .



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات : الحلقة الأخيرة

صفحـــات من مفـــكرة ١٩٦٦-١٩٦٧

أين تذهب قدرتنا على الحب.. وماذا يفعل بنا الزمن؟

— ١ —

أحس بعبث الحياة وانعدام غايتها وأنا أقف هكذا ، حائرة ، ضائعة ، ضعيفة أمام تيار الموت القاهر .

كم يغير منا الزمن . هذا القلب الذى عاش الجنون سنين ، والذى كانت ديناميته العاطفية ترفض مبدأ الهدنة وتجرى فى سباق مع الأيام لتجميع أكبر عدد من التجارب ، هذا القلب أين ذهبت دماؤه ، وأين دفئه وفرحه . أين ما كان يملكه من قدرة عظيمة على الحب .

آه ، القدرة على الحب ، أى حشد من أمجاد الانسانية تلخصه هذه العبارة .

كم يغير منا الزمن .

لم أعد تلك المخلوقة القديمة ، لم أعد تلك الانسانة التى كنتها قبل سنوات قريبة . ويخيل الى أنه لم يعد فى شيء من ماضى حياتى الا لمحات من الشبه تومض فى نفسى على فترات متباعدة . هل شاخت روحى ، هكذا أحسها . الضحكة التى تنطلق منى أحياناً أعرف أنها مزيفة بغيضة ، ليست لي . الجرح المفتوح فى قلبى لا تزال تعاودنى لسعته ، أحاول أن أتغلب على حزنى ، ولكنه حزن شرس فاتك لا يغلب ، حزن الفجيعة والموت .

التوقف يرهقنى ، وأيامى تسرب بلا حس ، إننى أضيع فى زحمة السنين ، فمن يرد لي اي إحساسى بالأيام ، يا إلهى ، إعطنى القوة لأعلن على هذه الحال بعض العصيان .

فقدت قدرتى على التعامل مع الانفعالات ، والقلب الذى غنى الحياة وكان قصيدة حب طويلة تستمر باستمرار الدواعى والاثارات يلقى سلاحه ويموت ، لا كما يموت الشاعر وعلى فمه أغنية ، بل يموت بصمت ، بحزن الفجيعة والموت .

— ٢ —

فتحت عينى على يوم العيد . مددت يدى الى مفتاح الراديو أديره فحمل إلى صلاة العيد . غلبنى التأثر فبكيت ، وكان البكاء صلاتى .

حين يصاب بعض الناس بكوارث خاصة أو عامة تتزعزع فى نفوسهم أحياناً وتنهار أركان اليقين الذى رضعوه مع حليب أمهاتهم ، لكن يالهول الوجود حين ينحسر مد الايمان عن النفس ، ويالرعب الحياة حين نفقد اليقين .

الشك والارتياب فى حكمة ما يحدث لنا ، حقائق الحياة وحوادثها التى تدحض القول بوجود العدالة ، ثم ، ثم هذا الحنين الأبدى فى النفس الى الاستسلام المطلق ، كل هذا يبعث فينا احساساً دراميا داخلياً ، ويثير فينا صراعاً لا ينتهى بين الشك القلق الحائر وبين النزوع الى اليقين الضائع بالايمان الضائع .

حين وضعتنى صلاة العيد فى تلك الحالة الروحية تذكرت ما قاله العالم النفسانى « يونج » عن الاحساس الدينى حين أكد أن هذا الاحساس لن يزول فى الانسان على مر العصور واختلاف الأجيال . يقول « يونج » : ان هناك احساساً دينياً يظل موجوداً فى داخل الناس مهما تغيرت أفكارهم وآراؤهم الدينية .

بعد الظهر زارنى أحد الأصدقاء . حدثته عن تأثرى بصلاة العيد فى صباح ذلك اليوم . صديقى مؤمن ومتدين ، يمارس الطقوس الدينية على أتم

وجه ، قال لي معقباً على حديثي :
يا صديقتي ، لا تسمحي لعقلك بأن يصطرع مع قلبك . ما أبدع تلك الفكرة التي جاء بها الهنود ، الفكرة التي تقول أن الانسان يظل كائناً ناقصاً بدون المعرفة الروحية .

— ٣ —

يعتقد بعض مفكرينا أنه ينبغي لنا نحن العرب أن نعقد هدنة مع الشعر والتاريخ والقصص ، وأن ننصرف بكل طاقاتنا الى العلم والصناعة ، يعني الى الحضارة المادية .

كم تثير استغرابي هذه الفكرة . لست أنكر قيمة العلم والصناعة وكونهما من أهم المقومات في حياة الأمم في العصر الحديث . ولكني لا أفهم لماذا ينبغي لنا أن نجعل من الفرد العربي (آلة) لا روح فيها ، أو « شيئاً » نسكت منه جزءاً لنحرك الجزء الآخر . إن العلم والفن حركتان تمثل كل منهما جانباً من أعظم جوانب النشاط الانساني الذي عرفته الحضارات المختلفة . والفن عموماً ، بجميع فروعه ، مظهر حي من مظاهر الحياة وتعبير صادق عنها ، ومن العبث أن ندعو الى وأد الفن ، لأنه شيء لا يموت الا إذا ماتت الحياة على الأرض .

من الخطأ أن ندعو — نحن العرب — الى عقد هدنة مع الأدب ، جاهلين أو متجاهلين أن مشاريع المستقبل في أمة من الأمم لا يخططها ويرسمها الا أدبها . إن الانتفاضات الواعية ، والصراع من أجل الحياة الكريمة الحرة لا يمهد لها الا الأدب ، فبالأدب والفن عموماً تتيقظ الكبرياء وتعلو الهمم ويشمخ البناء النفسي من أبناء الأمة .

لقد كان لقصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم أعظم الأثر في نفس جمال عبد الناصر كما قال . فقد كانت من الكتب التي ساعدت على إيقاظ روحه وتفجير قواه النفسية في مطلع صباه الأول .

لا يمكن لأمة يصاب أدبها بالعقم والجفاف ، أن تفرز شيئاً من الخير الانساني لنفسها أو للبشرية مهما بلغت من الرقي العلمي .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، من منا يجحد ما تضفيه الفنون على الحياة من جمال وزينة ، الا اذا كان يعوزنا الكثير من تفتح القلب والروح .

— ٤ —

عدت أمس الى مدينتي بعد رحلة الى القاهرة استغرقت شهراً .

حين أعود من سفر طويل وأفتح باب منزلي تستقبلني رائحة غريبة موحشة ، إنها رائحة الغياب ، رائحة الأماكن المهجورة غير المأهولة .

قبل ساعات انصرفت المرأة التي استدعيها بين أسبوع وآخر لتنظيف البيت . لا أحب وجود عاملة في منزلي فوجودها يعكر على صفو أوقاتي . منذ عشت بمفردي وجدت عمل البيت بسيطاً وان كان


فيروز


نزار قباني


محمود درويش

غير ممتع اطلاقاً . أحياناً أعيش في الفوضى ، وذلك حين يضطرب في ذهني وقلبي مشروع أدبي جديد .

كم أحب السفر ، كانت السويد أول بلد أوروبي عرفته في أول فرصة تتاح لي لتلبية دعوة لحضور مؤتمر السلام العالمي المنعقد في استوكهولم في ربيع ١٩٥٦ . إن أجمل ما يحدث في مؤتمرات السلام العالمي هو هذا التفتح في النفس لكل ما هو انساني على الصعيد العام . في نفس الرحلة تنقلنا بعد انتهاء المؤتمر بين موسكو وبكين لحضور احتفالات عيد العمال في بكين . في كل مكان وجه جديد للانسان الذي لا يتغير في جوهره ، فهو كتلة مشاعر ونوازع ومطامح تتقلب بين الانتصارات والانكسارات ، بين اليأس والأمل ، ويبقى الانسان هو الانسان ذاته المكون من نفس المادة والطبيعة ، المنتمي الى تلك الشجرة الواحدة ، شجرة الانسانية .

عودة الى القاهرة . ما أغرب قلب الانسان ! على غير ميعاد أو توقع وجدتني التقي فجأة بانسان كنت قد أحببته قبل أكثر من عشرين عاماً لم نلتق خلالها أبداً . كنت قد أحببته الى حد الرغبة في الموت ، كان أول حب واقعي وحقيقي ، وقف في نهر حياتي كحاجز هائل اعترض مسيره وأوقف جريانه حتى راحت مياه النهر تعلو وتعلو مع كل يوم جديد لتستحيل الى دوامة مخيفة تدور بي وتلفني وتفصلني عن العالم الخارجي من حولي . كنت أخرج في الليل الى السماء أرفع وجهي مستنجدة بها لتخلصني من تلك الدوامة الرهيبة .

التقينا ، ولدهشتي وجدتني اسلم عليه بنفس الحيادية الشعورية التي أصافح بها أي شخص لم تربطني به يوماً أية عاطفة .

نظر الى مصدوما ، ورجعت ببصري ألقي نظرة على أعماقي .. قالت لي الأعماق : هذه هي الحياة ، في كل لحظة من لحظات عمره يولد الانسان جديداً ويترك وراءه شخصية غير شخصيته في لحظته الحاضرة ..

أليس هذا ما تقول به الفلسفة الحديثة ؟

لا أريد أن أتفلسف . ببساطة أقول : إن نهر حياتي يسير ، ولن أسمح لأي حاجز باعتراض مسيره وايقافه عن الجريان بعد تلك التجربة المهلكة .

وما أغرب قلب الانسان . وقفت في القاهرة

أين تذهب قدرتنا على الحب ..وماذا يفعل بنا الزمن؟

بواحدة من تلك المكتبات التى تعرض كتبها على أرصفة الشوارع . رحت أدور ببصرى فى عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها باحثة عن جديد . عثر نظرى ببعض كتبي .

أستغرب دائماً من الحيادية الشعورية التى أحسها تجاه كتبى كلما رأيتها معروضة فى المكتبات . فبعد أن يخرج الى الأسواق آخر انتاج لي ، يصبح ذلك الانتاج شيئاً ، لا بل جزءاً من حياتى لم يعد يعنينى أمره ، وكأننى لم أكتبه بطموح عظيم .

— ٥ —

وقفنا معاً ، هى وأنا ، فى حضن الجبل ، وثالثنا الصمت . كانت الطبيعة ترتجل قصائدها وتبثها فى كل مكان حولنا . تبارك مبدع الجمال .

قالت وفى صوتها رائحة حزن خفيفة : مشاعرى اليوم يحركها الجمال . هل أستطعت يوماً أن تحددى بالضبط شعورك تجاه الجمال . أما أنا فلا أستطيع ، لا أملك أمامه الا أن أغمض عينى لأمنع الشجن من أن يطفر منها .

قلت : انك تذكرينني بذلك الفنان الذى عاش عمره متعبداً فى محراب الجمال الى حد تدمير الذات ، تذكرينني بأوسكار وايلد حين قال : « ان الجمال يبكيني » .

وعدنا للصمت ، وللصمت عبقريته الجمالية التى تنطق بألف فكرة وعاطفة ، ولكن من أين لامرأتين صديقتين تلتقيان بعد طول زمن أن تصبرا على الصمت الجميل أكثر من خمس دقائق . لقد عانت هى وحركت سكون الصمت بقولها : أشعر بالشجن العميق امام الجمال ، شجن تمازجه اختلاطات من ذكريات قريبة وبعيدة ، أدفع بها الى أغوار نفسى ، واخالها انسربت ، راحت ، ماتت ، وفجأة أجدها تتجمع إزاء منظر جميل لتندفع الى سطح احساسي من جديد ، لتؤلمنى وتفرحنى فى آن واحد ، وتمتزج فى أعماقى درامية الدمعة بنعمة المعاناة كأننى أغبط نفسى على أنها كانت ممن سخت عليهم الحياة بالتجارب ، وكان هذا كله اغناء مباشراً للألم فى نفسى ، ولكأننى بعد هذا أحب آلامى وأقدر شاعريتها ، فهى لا تنتصب أمامى الا اذا كانت هناك صورة ناطقة للجمال .

قلت لها إننى أشاركها هذا الأحساس ، فالفرح ابن ساعته ، يستهلك لحظاته ويمضى معها ، أما الألم الذى تعتقه الأيام فانه يكف عن أن يكون لذع جمر ، وانما يصبح شجناً عريضاً عميقاً تنام فيه تجاربنا حتى تستدعيها ذكرى أو ينير حسها النائم منظر جميل .

كانت الشمس ربيعية دافئة ، وكانت معاناة الشجن تطفو ظلالها على عينيها ، وهناك على سطح بيت قريب ، كانت تقف امرأة ضخمة هائلة الحجم ، تحتضن تحت ابطها خسة تمضغ أوراقها ورقة ورقة ، فيما هى تتصيد ضوء الشمس ببلادة مضحكة .

قلت لها وأنا أوارى ابتسامة ماكرة : انظرى هناك ، بين معاناتك وبين خسة تلك المرأة تكمن المفارقة العجيبة بين الناس .

كم أرتاح الى هذه الصديقة المريحة والتى أتنفس معها بطلاقة ، أكثر مايشدنى اليها هو الاطمئنان الى وفائها الحقيقى . انها ليست صديقة مراوغة فى حال من الأحوال ، والذى عرف الفجيعة فى الصداقات والذى عانى من مراوغة الأصدقاء يقدر نعمة الصداقة التى تنبت على أرض من الثقة والصدق والاطمئنان ، إذ لا صداقة حقيقية مع التحفظ والتوجس والحذر .

— ٦ —

التقيت بصديقتى (س) بعد غياب طويل ، وكان وفاض كل منا مليئاً بما استجد لها ولي بعد آخر لقاء .

عبر أحاديثنا المختلفة ذكرت لي كم يعذبها عمق الفجوة الشعورية والفكرية التى تفصل بينها وبين زوجها ، رجل الأعمال . قلت : منذ البداية ما كان لك أن تقبلى بمثل هذا الزواج غير المتكافىء ، فقد كنت على معرفة بعدم وجود أية وحدة فكرية أو شعورية توحد بينكما ، أو تربط أحدكما بالآخر برباط إنسانى حقيقى . قالت : كان زواجى هروباً من عقدة العزوبة التى يخلقها مجتمعنا الشرقى فى نفس الفتاة العازبة فى بلادنا .

أثار قولها دهشتى ، قلت لها أن مثل تلك العقدة لا تتكون عادة فى نفس فتاة حققت ذاتها وأكدت وجودها فى المجتمع ككاتبة ناجحة ومثقفة ممتازة عميقة مثلها ، وأبديت استهجانى لمثل هذا التفكير الذى تحمله . قالت : ولكن بهذه العين ينظر الآخرون فى بلادنا الى الفتاة العازبة ، إنهم

• لا يمكن لأمة يصاب أدبها بالعقم والجفاف أن تفرز شيئا من الخير الانسانى لنفسها أو للبشرية .

• كنت أخرج فى الليل وأرفع وجهى إلى السماء مستنجدة بها لتخلصنى من دوامة الحب الـرهيـبـة !

ينظرون إليها كمخلوق محبط ، فاشل ، معقد .. قلت : لست أقرك فيما تذهبين إليه بهذا الشأن . ان عقدة العزوبة لا تتكون الا لدى العاديات من الفتيات ، أما ما يتحدث به الناس العاديون عن عقدة العزوبة فانه لا ينطبق على ذات الشخصية المتماسكة التى استقلت اجتماعياً واقتصادياً ، وتحررت من الاحساس بالتبعية والضعف والخضوع . فهناك ، بالاضافة الى ذلك ، الكثير من النساء المتزوجات اللواتى يعانين من عقد نفسية لم يحلها . فالعقدة اذا وجدت أصلا تظل تتحكم بالمرأة سواء أكانت عزباء أم متزوجة ، وهذا ما يؤكده لنا الأطباء النفسانيون . وهناك حقيقة أخرى ، وهى أن العقد النفسية ليست وقفاً على المرأة ، فهى تصيب الرجل اذا ما نشأ فى ظروف غير طبيعية أو رافقت طفولته أحوال قاسية ، وتظل تتحكم بسلوكه وتصرفاته طوال حياته ، مثله فى ذلك مثل المرأة سواء بسواء .

— ٧ —

التقينا أمس على غير ميعاد . انسان غريب الديار ألتقى به لأول مرة . قلما ألبى الدعوات الى حفلات عامة ، فالناس فى مثل هذه اللقاءات لا يبهجوننى ولا يسلوننى . ما الذى جعلنى ألبى هذه المرة ؟

بقي معي معظم الوقت . تحدثنا كثيراً فى السياسة . فى هذه الأيام يستيقظ حسي السياسى من غفوته بشكل عجيب .. اختلفت مع « الرجل الغريب » فى الرأى اختلافاً جذرياً . فتح أشواقى فى آخر السهرة وبعث فيها حرارة جديدة .. أحلى ما فى الحياة تلك اللحظات التى تتجاوز المواعيد لتفرض نفسها بكل دفعة الحياة التى فيها ..

اجتاحتني يقظة عاطفية عرفت أنها آنية .. ماذا يهم . حسبى هذا الانفعال الجميل ، أليس يعطينى المزاج لأعيش قصيدة جديدة .

لا أستطيع أن أفسد حلاوة اللحظة بأى مسلك تمثيلى ، فحين أكون كتلة انفعال أستجيب لحلاوة اللحظة بكل كيانى الروحى والجسدى .

لن أؤمن يوماً بأن حياة المرء العاطفية تنتهى بانتهاء عاطفة معينة ، ويظل الحب فى اعتقادى هو محرك الحياة ، وهو الكفيل بأن يدخل على روحى تجدداً وتغييراً أقله التوازن الداخلى .

اتصل بى اليوم وتواعدنا على اللقاء فى القدس .

— ٨ —

عدت الى القصيدة التى كتبتها قبل أيام . من عادتي أن أترك القصيدة بعد نظمها ، ثم أعود اليها بعد أن تكون قد اكتسبت منظوراً زمنياً ، فأعدل وأحور فيها قليلا أو كثيراً .

• بهذه العين ينظر الآخرون فى بلادنا إلى الفتاة العازبة .. انهم ينظرون إليها كمخلوق محبط فاشل ، معقد .

• الذى عرف الفجيعة فى الصداقات والذى عانى مراوغة الأصدقاء يقدر نعمة الصداقة التى تنبت على أرض من الثقة والصدق والاطمئنان .

• ما أجمل بلادى . كيف يمكن أن أموت على غير أرضها

أحس فى نفسي تفتحاً للكتابة هذه الأيام ، وأشعر بحنين الى تحطيم حياتى ، الى انعاشها ، الى شحنها بضوء الشمس .. أحس برغبة طاغية فى معانقة الحياة .

هذا الربيع الذى ينفث شباباً يوقظ سطوة الحياة فى كيانى كله . الآن عدت من مشوار . كان القمر مكتملا والهواء محملا بخليط غريب من عطور الياسمين والورد الجورى وزهرة « النسيم » مما تتنفسه حدائق المنازل المحيطة .

خلال مشوارى كنت أقف لأتملى من الأرض ، ألتهمها بحسى ، أعب من هوائها حتى الارتواء ، أتطلع الى الجبال وأتمنى أن ينتهى عمرى عند احدى قمم عيبال أو جرزيم .

إن الموت شهي فى مكان تبعث الأجساد فى تربته زهوراً وزعتراً برياً .. ويا ما أجمل بلادى . كيف يمكن أن أموت على غير أرضها .

آه أيها اللاجئون الأحباب ، ما أقسى أن يموت المرء غريباً فى غير أرضه ، ففى أرض الأجداد فقط يحس الانسان بنمو فى انسانيته وتوافق بينه وبين الحياة من حوله مهما قست هذه الحياة .

خلال مشوارى حمل إلى الهواء صوت فيروز ينساب ناعماً حنوناً ، محمولا على هودج أثيرى : سنرجع يوماً الى حينا ..

يشعرنى صوت فيروز فى أغانيها التى عبت من الينابيع الفلسطينية أن لحياتنا ثباتها وأنه مهما توزعتنا الظروف فسنظل مشدودين الى هذا الوطن الغالى المسروق . حين أصغى الى غنائها عن بلادى يتوهج الجانب العاطفى من ذاتى ، فأرى بلادى أحلى مما هى ، وأحبها أكثر مما كنت أحبها ، وأحس بفجيعة فقدها كما لم أحس من قبل ، وأحب كل الوجوه التى تعرض لى فى شوارعها وأسواقها القديمة وحوانيتها ومدارسها ومصانعها وحقولها ، وأتذوق طعم الانتماء الى شيء ولو كان مفقوداً .

حين أصغى الى صوت فيروز فى فلسطينياتها أجد الشمس فى قلبى وأعرف أن الليل موجود فقط فى الخارج .

— ٩ —

تلقيت رسالة من الصديق نزار قبانى ، تنقل الى عزمه نهائياً على ترك الحياة الدبلوماسية والانصراف الى العمل الأدبى الذى سيظل قدرنا الأوحد والأجمل . ولهذا قرر تأسيس دار نشر فى بيروت تتولى نشر آثار هؤلاء الذين كانوا سفراء جمال وخصب وخير فى الدنيا العربية . وطلب إلي تزويده بآخر مجموعة شعرية لى لم يسبق نشرها .

كتبت اليه أشكره على وجوده الفنى الجميل فى هذا العالم ، واعتذرت لتعاقدى السابق مع الدكتور سهيل ادريس .

— ١٠ —

عدت من القدس فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل . استيقظت اليوم حوالى الرابعة صباحاً ، نشيطة ومرتوية نوماً . تناولت القهوة فى البستان . رحت أنظر الى الأشياء حولى بعينى مريض يمر بدور النقاهة .. كل منظر أمامى جديد ومدهش . كيف كنت أعيش مع هذا الجمال كل يوم دون أن أراه .

— ١١ —

نشورة فى « الآداب » للشاعر محمود درويش . استعصى علينا فهم بعض الرموز الفنية . قلت للصديق إننا لا نستطيع أن نأخذ رموز محمود درويش معزولة عن مشكلاته الشخصية فى واقع حياته وتجارب هذه الحياة وصراعها مع البيئة التى تحيط بالشاعر ، ونحن لا نعرف الا القليل عن حياة محمود وظروفه وتكوينه النفسي .

قال الصديق : ولكن العمل الفنى يبعد عن شخصية صاحبه وبيئته .

قلت : كيف نستطيع أن نفهم هذا البعد اذا لم نبدأ بفهم شخصية الشاعر وظروفه وبيئته ، وبعد ذلك نستطيع أن ندرك الى أى حد استطاع الشاعر فى فنه أن يبعد عنها . ولعلك متأثر بآراء ت . س . إليوت فى قوله إن الفنان لا يستعمل فنه للتعبير عن ذاته ، بل لمحو هذه الذات . ولكن إليوت عاد بعد سنوات فعدل هذا الرأى وصححه واعترف بخطأه .

إن معرفة التجارب « الخام » ضرورية لكى نرى الى أى مدى نجح الشاعر فى إحالة هذه التجارب واستغلالها فى عمله الفنى ، وبالنسبة لمحمود فان حياته وظروفه وثيقة الصلة بشعره ، والمعانى الانسانية عنده تنبع صورها من صميم تجاربه الحياتية .

— ١٢ —

هجوم عنيف تشنه قوات الجيش الاسرائيلى على قرية « السموع » ، المستشفى فيها والبيوت تدمر بالديناميت . القتلى بالعشرات ، والجرحى والخسائر كثيرة . سكان « السموع » كلهم لاجئون منذ ١٩٤٨ .

المظاهرات العاصفة تعم مدن الضفة الغربية . المتظاهرون يطالبون بالتسليح والتدريب على القتال . تعلن حالة الطوارىء ويتدخل الجيش دون جدوى . وقوع قتلى وجرحى بسبب اشتباك الجيش مع المتظاهرين .

— ١٣ —

عالم من الضجيج ... أبحث فيه عن بريق فلا أسمع الا أصوات المذياع من كل الجهات ، أشبه بكابوس ..

— ١٤ —

آه من هذه الاذاعات العربية . متى ينتهى كل هذا الصراخ . فى العصر الحديث تقاس درجة تحضر الانسان بضبط النفس ، وانسان العصر يخفي مشاعر الألم والغبطة التى يحس بها ، يكبت ألمه اذا تألم ويضحك ضحكة خافتة اذا ما ضحك .

نحن لانزال نصرخ اذا ما تحدثنا ، أو بكينا ، أو ضحكنا ..

— ١٥ —

دعانى « الصديق الغريب » للعشاء فى منزله مع بعض الأصدقاء . فى آخر السهرة اتخذنا لنا مقعداً

أين تذهب قدرتنا على الحب ..وماذا يفعل بنا الزمن؟

في زاوية منفردة من الصالون . تطرق بنا الحديث الى موضوع « السموع » والسياسة بصورة عامة . قال لي : كنت أظنك غارقة في لا مبالاة رواقية فيما يتعلق بالأوضاع الراهنة في البلاد العربية .

قلت له إن نفوري وعدم مشاركتي في خوض المعمعة السياسية لا يعني أنني لا أحسها أو أحيا لعنتها التي تحوم فوق رؤوسنا .

ان حصيلة الواقع المعاش حصيلة مؤلمة وتعيسة ونحن نعيش هذا الواقع البائس في كل لحظة من لحظاتنا .

— ١٦ —

وقع اليوم في يدي كتاب يضم بعض أعمال الفنان الأسباني « جويا » استوقفتني من بينها صورة مرعبة . قبر خطه الرسام باللون الأسود ، تمتد يد من تحت غطائه لم يبق منها الا العظم ، حتى تصل الى لوحة سوداء وعلى هذه اللوحة راحت الابهام تخط الكلمة الأسبانية (ندا) « لاشيء » .

— ١٧ —

حقاً ان الفناء جزء من كياننا ، ولكن الفن خالد . وفي احساس الفنان بطغيان الفناء وبالمصير الزائل ما يحدوه دائماً الى ابتداع شيء أكثر دواماً منه .

كان « جويا » دائماً يقسم البشرية الى فئتين ، احداهما جديرة بالرحمة والشفقة ، والثانية جديرة بالمقت والغضب ، إذ كان يعتقد أن مأساة إنسان ما هي من صنع انسان ما آخر .

يبدو أن الحرب والضغط والإفلاس الخلقي وكل هذه الأشياء القبيحة التي أوحت الى جويا بأكثر أعماله ، هي التي وجهته نحو الأخلاقية في الفن ، فقد كان الفن عنده وسيلة لنقل أفكاره وخيالاته أكثر مما هو غاية في ذاته .

— ١٨ —

أمضيت النهار كله مع (الصديق الغريب) في القدس . قاد السيارة في دروب لم أعرفها من قبل . تحدثنا كثيراً . وصمتنا كثيراً . سألني عن حياتي وأيام صباي الأول ، حدثته عن تعاسة ذلك الصبى الأول ، ثم عن خروجي الى الحياة وعن أيامي التي لا تنسى في انكلترا ، تلك الأيام المغموسة بالفرح والدموع .

شدني إليه بحنان وحب ، واستكنت إليه كطائر أعزل من كل حماية .

— ١٩ —

الجو العام في البلاد العربية ينذر بالشر . لا أشعر بأي استقرار أو بأي طمأنينة الى المستقبل . هناك شيء منخذل ومندحر سلفاً . هذا هو احساسي الباطني .

— ٢٠ —

الأنباء تتحدث عن حشود اسرائيلية على الحدود السورية ، وعبد الناصر يعقد معاهدة دفاع مشترك مع سوريا . التوتر يزداد يوماً بعد يوم . عبد الناصر طلب من يوثانت سحب القوات الدولية من خط الهدنة . عبد الناصر يعلن اغلاق مضائق تيران .

لن تقف اسرائيل مكتوفة الأيدي . في الجو رائحة غريبة .

— ٢١ —

عبد الناصر يعقد مؤتمراً صحفياً يقول فيه : « اذا أرادت اسرائيل الحرب فنحن نقول لها أهلا وسهلا ونحن مستعدون » .

مفاجأة غير متوقعة ، الملك حسين يطير الى القاهرة على حين بغتة ، كل واحد منا معلق قلبه بشعره .

— ٢٢ —

امتلىء بيأس خفي وخوف من انكسار جديد يسحب عصب القوة من الشعب العربي . كان عصب الشعب مسحوباً حين وقعت مأساة ١٩٤٨ .

— ٢٣ —

تلقيت رسالة تليفونية تدعوني الى لقاء عاجل وضروري مع « الصديق الغريب » . ذهبت الى القدس فوراً . نصحني بترك نابلس الى عمان أو بيروت فالحرب واقعة لا محالة وبأسرع مما أتصور .

قلت : أموت على عتبة بيتي ولا ألجأ الى بلد آخر ، محال .. قال : أخاف عليك ، إنني أحترم موقفك هذا ولكن تذكري أنك لست ملكاً لنفسك .. أنت للآخرين ، وهذا قدرك ، يجب أن تظلي للآخرين .

— ٢٤ —

قلت له : هذا بالنسبة لي يعني الهروب من المعركة ولن أهرب .

كان في تقديره أن المجزرة ستكون مخيفة بين رجال المقاومة في نابلس وبين الجيش الاسرائيلي . فكرت في نفسي : هل سيكون هناك مقاومة . في بلد جرد أهله من السلاح منذ تسعة عشر عاماً !

عدت الى نابلس بقلب مثقل بالغم . وبالخوف على أطفال شقيقتي من ضراوة الحرب ، حاولت اقناعها بالذهاب الى عمان مع أطفالها ولكنها رفضت وقالت « أموت معكم أو أحيا معكم » .

— ٢٥ —

هبطت الفضيحة على الأرض العربية .. وانهزمنا .. خسرنا الحرب . أحزاننا لا تطاق .. الأعلام البيضاء تلعب بها الرياح على سطوح المنازل . أصبحنا محتلين من قبل الجيش الاسرائيلي .. أخرجتني الصدمة عن حدود الواقع ..

حزينة أنا حتى الموت !

— ٢٦ —

فوجئت بصديقي الغريب يزورني على غير توقع بعد مرور سبعة أيام على احتلال المدينة وكنت مريضة محمومة .

جاء يطمئن علي ويسألني إن كنت بحاجة لأي شيء .. شكرته والدمع في عيني . كان حزنه هو الآخر عميقاً وصادقاً .

— ٢٧ —

شهر مضى على الاحتلال . لا أستطيع أن أكتب بيت شعر واحداً .

— ٢٨ —

شهر آخر مضى ولا أكتب شيئاً .. صمت .. وصمت مستمر ، ولكنه صمت واع ، منتبه وليس غياباً أو فراغاً .

— ٢٩ —

انكسر طوق الصمت . كتبت خمس قصائد ، أشعر ببعض الراحة .

سأكتب ، سأكتب كثيراً . أحس أنني أعيش كل دقيقة من زمان المسرحية ، ويهزني كل فصل من فصولها ، فاذا بي أنا نفسي قصيدة ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الأفق ! !

فدوى طوقان

« انتهى القسم الثاني من المذكرات »



بقلم : الدكتور محمد البهي

الطَّلاق

القرآن الكريم أقر مبدأ الطلاق اذ هو الحل الأخير للضرر الذى يصيب أحد الزوجين أو هما معاً . وبذلك لا يعرف الاسلام الأبدية فى عقد الزواج ، وهو عقد مشاركة فى حياة . أريد لها أن تكون مطمئنة ، وقائمة على المودة والرحمة .

وجعله ثلاث مرات : مرة ، بعد أخرى . فيقول تعالى :

« الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان » البقرة : ٢٢٩ أى بعد المرة الأولى ، فالثانية : يكون الأمر : إما إمساك فى انسانية وتهذيب . وإما مفارقة وتسريح فى إنسانية وتهذيب كذلك . أى لا يكون هناك ضرر على الأقل فى استمرار المعاشرة الزوجية .. كما لا تكون هناك سوء معاملة عند المفارقة .

.. وأباح عند سوء المعاشرة وخروج الحياة الزوجية عن المألوف والمعروف وتضرر الزوجة بها : أن يسترد الزوج مهر زوجته : كلا أو بعضاً منه : فيقول :

« ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » (أى كقاعدة عامة لا يجوز للزوج أن يستعيد لنفسه من مهر زوجته شيئاً ما) .

« الا أن يخافا : ألا يقيما حدود الله » (أى فى الحياة الزوجية بكونها لم تعد للسكنى والاطمئنان .. والمودة والرحمة) « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » (وفى هذه الحالة ــ وهى حالة الخشية من خروج الحياة الزوجية عن السكنى ، والمودة ، والرحمة ــ لا حرج على الزوجة فى أن تعطى لزوجها فدية لا تتجاوز ما أعطى لها من مهر .. ولا حرج على زوجها فى قبول الفدية منها ، مقابل إنهاء الحياة الزوجية بينهما) « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » البقرة : ٢٢٩ .

.. وفى حالة ما تفدى الزوجة من مهرها ، وينتهى ما بينها وبين زوجها من حياة زوجية : تسمى هذه الحالة خلعاً . لأن المرأة سعت بفديتها الى أن تخلع نفسها من زوجها . وعدتها عندئذ حيضة واحدة . لما يروى عن ابن عباس : أن امرأة ثابت ابن قيس اختلعت منه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة واحدة .

.. وهل الخلع عندئذ طلاق .. أى يتوقف أمره على طلاق الزوج ؟

يرى بعض الفقهاء : أن الخلع رغم أن فيه مراضاة من المرأة للزوج هو طلاق ، وليس فسخاً .

أى أنه يتوقف على مشيئة الزوج فى الطلاق .

ويستند هذا البعض من الفقهاء الى ما يروى عن ابن عباس فى رواية البخارى « أن امرأة ثابت بن قيس ــ وهى جميلة بنت أبى سلول ــ أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله . ما أعتب عليه فى خلق ، ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتردين عليه حديقته (وهى التى أعطاها زوجها اياها مهراً) ؟ قالت : نعم ، قال (أى الرسول عليه السلام لزوجها) : اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة واحدة (والطلقة الواحدة فى الخلع تبين بها الزوجة بينونة صغرى أى لا تحل بعدها الزوجة لزوجها الا بعقد جديد) .

« بينما يرى بعض آخر من الفقهاء : أن الخلع فسخ (بحكم القاضى) أى لا يتوقف على طلاق الزوج وانما للقاضى أن يفرق بينهما . ويستند هذا البعض الى حديث آخر ، وهو : أنه كان لثابت بن قيس هذا امرأة ثانية تسمى : حبيبة بنت سهل .

فجاءت تشكوه للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه ضربها حتى كسر بعض جسمها . وقالت مرة :

انه دميم ، وطلبت فراقه فأخذ (أى الرسول) منها : ما كان قد أعطى لها من مهر وجلست فى أهلها . ويرى فيه : أنه دليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق . لأنه لو كان طلاقاً لاقتضى شروط الطلاق من وقوعه : فى طهر لم تمس فيه .. ومن كونه من قبل الزوج وحده من غير مراضاة المرأة . ولأن العدة منه حيضة واحدة .

وابن القيم من أصحاب هذا الرأى . ويقول :

الدليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق : أنه رتب على الطلاق بعد الدخول : ثلاثة أحكام ، كلها منفية عن الخلع : أولها أن الزوج أحق بالرجعة ، والخلع لا رجعة فيه . والثانى محسوب من الثلاث طلقات ، والخلع زائد عليها . والثالث أن عدة المطلقة ثلاثة « قروء » ، بينما عدة المختلعة « قرء » واحد .

بقلم : يوســف الخطيب

في تسمية عكا

منذ مطلع الهجرة الكنعانية السحيقة من قلب الجزيرة العربية — ربما في أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد وفق أرجح التقديرات — حمل التراب الفلسطيني أول أسمائه التاريخية إطلاقاً ، وهو « أرض كنعان » — أي قبل أن تنزل اليهودية على النبي موسى في تيه سيناء بأكثر من ألفي سنة ..

ثم في عصر لاحق لم يلبث أسلافنا الكنعانيون — بعد أن استقر بهم المقام في البلاد — أن أنشأوا هنا وهناك عديداً من الحواضر والموانيء في شتى أرجاء أرض كنعان ، منها مثلا ، حاضرة « يبوس » ، وهي القدس الأولى تماماً كما ابتناها بطن يبوس الكنعاني فيما يقارب الألف الثالثة قبل الميلاد .. ومنها أيضاً حاضرة « لاخيش » في سهل غزة .. وميناء « يافى » التى عرفت فيما بعد باسم يافا .. وكذلك « عكو » التى أصبحت من بعد عكا ، وقد نقرأها أيضاً « عكة » فى معظم مصنفات التراث العربى ..

تعني كلمة « عكو » بالكنعانية الغائرة فى القدم : الأرض الرملية الحارة ، أو ما يقرب من معنى الرمضاء .. وفى الوقت نفسه تعني كلمة « عكة » بمدلولها الجاهلى فما بعد : حالة الطقس الحار ، الخانق ، المحتبس الهواء .. فهكذا ، لعل تفرع المفردتين من أرومة لغوية واحدة ، من أيسر الأمثلة — إن يكن ثمة داع لمثل هذه الأمثلة — على أن الكنعانية هى ذاتها العربية ، إنما فى زمن غائر فى القدم ، لم ينقشع عنه ضباب التاريخ بعد ..

كذلك ، يمكن لاسم عكا أن يتصل بسبب قوى بفعل « عكَا » ، بمعنى أن الدابة عقفت ذيلها ، فقد يكون اسم المدينة هكذا مجرد تشبيه مادى لموقعها الجغرافى ، من حيث تلتف حول خليجها بشكل معقوف نصف دائرى .. فهى إذن ، بصيغة المبالغة ، عكاء ..

نلاحظ أيضاً أن اسم عكا ربما كان يقترن بقبيلة « عَك » العربية السحيقة المزامنة كما يبدو للكنعانيين ، أو لعلها إحدى قبائلهم ، بالاستدلال على ذلك من بيت للشاعر الجاهلى عامر بن الطفيل يتباهى فيه بموروث هذه القبيلة التليد الغائر فى القدم ، كأنما هى تسبق عصره الجاهلى بعصر جاهلى آخر :

وبعنا شاكراً بتلاد عَك
ولاقى منسر منا جذاما

فلعل موروث قبيلة « عَك » هذا ، يتزامن مع العصر الذى تقاطرت فيه أفواج الاندفاعة الكنعانية من قلب الجزيرة العربية بإتجاه فلسطين ، حاملة معها ذكرياتها الصحراوية القريبة منها آنذاك ، وخالعة أسماء أرهاطها وقبائلها — كاسم عَك مثلا — على ما استجد لها من ديار فى أرض كنعان ..

وحتى فى ميثولوجيا الأنساب العربية الملفعة بالضباب ، فإن اسم « عَك » يَرد على أنه ابن عدنان ، بن اسماعيل ، بن ابراهيم الخليل جد الأنبياء ..

• • •

من جهة أخرى مختلفة تماماً ، تتحدث أسطورة إغريقية عن أصل تسمية المدينة على النحو التالى :

يحـكى أن البطل اليونانى الشهير « هيركوليس » صارع وحشاً ضارياً مقربة المدينة ، فأصيب منه بجراح مسمومة ، لكنه مضى من فوره إلى ضفاف نهر « النعامين » الذى يصب جنوبى المدينة ، باحثاً هناك عن عشبة برية تدعى « عكي » ، ويستخرج منها ترياق يطفيء السموم .. فلما أن استخرج الترياق وعوفي من جراحه ، أمر بتسمية المدينة باسم تلك العشبة الشافية .. عكي ..

لكن الأسطورة تظل أسطورة على أية حال ..

• • •

تذكارنا الفلسطيني هذه المرة للرسام الرحالة الأسكتلندى « ديفيد روبرتس » يمثل انطباعه عن ميناء عكا سنة ١٨٣٩ ، فى نطاق رحلة فنية تسجيلية قام بها لأقطار المشرق العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وعاد من رحلته بذخيرة فنية حافلة ، سنحرص أن نقدم بعضاً من ملامحها العربية الفلسطينية البارزة .





فصول أبي البهاء بين بخيل وثقيل!

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

قلت للأستاذ عبد الفتاح :

ــ لم أكن أظن أبا البهاء من الشجاعة بهذه الدرجة .

قال : ليست شجاعة . وانما هو حب للتحدى وللسخرية ، من البخلاء والثقلاء بصورة خاصة ، مع خفة روح ولطف حيلة . كثيراً ما أوقعنا ، نحن أصحابه ، فى مآزق حين نكون معه ويروح يسخر بواحد من هؤلاء .

قلت : كيف ؟

أجاب بقوله : أذكر ليلة خرجنا أنا وهو فيها عقب آخر حفلات المساء من احدى دور السينما . بلغنا فى مسيرتنا الى حارتنا شارعاً هادئاً كان يعكر سكون الليل فيه صراخ رجل يتحدث الى رفاق له بصوت مجلجل يقطعه بضحكات عالية منفرة أزعجت فيما يبدو أبا البهاء . كان الرجل يسير على بعد خطوات أمامنا ، ويميزه عن أصحابه طربوش طويل ، مائل بشدة الى أحد جانبى رأسه ، تهتز طرته بعنف كلما قهقه فى احدى ضحكاته المزعجة . لم أشعر الا وصوت أبى البهاء يعلو صائحاً : « أنت ... أنت يا صاحب الطربوش ... أزعجتنا ! » . فالتفت أنا الى صاحبى مستغرباً تعرضه للرجل ، متخوفاً من أن نصطدم به وبرفاقه الذين توقفوا عن المسير والتفتوا بجمعهم الينا . الا أن ما رأوا من أبى البهاء أوقعهم بحيرة ، كما دفعنى أنا الى ضحكة لم أستطع كتمها فى حنجرتى الا بصعوبة . فى اللحظة التى استداروا فيها الينا توجه هو نحوى ووضع يده على كتفى مستوقفاً اياى ، وراح يخاطبنى بنفس الصوت العالى كأنه يكمل رواية حكاية لي ، قائلا : « نعم يا صاحبى ، وصاح به : يا صاحب الطربوش يا صاحب الطربوش ، انزع طربوشك فقد حجبت به الشاشة عن أعيننا ... نعم هكذا قال له ... وتلاسن الرجلان ، ولولا أن تدخلنا بينهما لتماسكا بالأيدى . كل ذلك لأن طربوش أحدهما منع الآخر من رؤية الفيلم أمامه » .

ضحكت أنا متخيلا طريقة تخلص أبى البهاء من ردة صاحب الطربوش ورفاقه اليه ، وقلت للأستاذ عبد الفتاح :

ــ من حظكما أن حيلته انطلت على الرجل وأصحابه .

قال : وهل تظنه اكتفى بهذا ؟ حين تابع الرجل سيره مع رفاقه وعاد الى حديثه المجلجل وضحكاته الصاخبة صاح به أبو البهاء مثل صيحته الأولى ، منادياً صاحب الطربوش وناعتا اياه فى هذه المرة بقلة الفهم وفساد الذوق ، جعل الرجال أمامنا يتوقفون ويعودون الى التطلع الينا كالمترقبين وصولنا اليهم . الا أنهم وجدوا أبا البهاء ، كهيئته فى المرة الأولى ، منصرفاً كل الانصراف بحديثه الى ، متمماً بصوت عال روايته عن رجلين كانا فى صالة السينما ، وكان أحدهما يحجب بطربوشه المزعج مناظر الفيلم عن الآخر ، مما أدى الى تصايحهما وتخاصمهما ..

قلت ما أظن الأمر انتهى بسلام فى هذه المرة .

قال : الصحيح انى توقعت الشر آنذاك . فقد لزم الرجال مكانهم ينتظرون وصولنا اليهم . ولكن أبا البهاء استمر فى سرد حكايته الملفقة دون أن يعيرهم التفاتاً الى أن حاذيناهم ثم تجاوزناهم . كان يسردها بصورة هادئة ، عفوية ، لا تترك مجالا للشك فى أمره فيها . وأحسست بالرجال وراءنا ، دون أن أدير رأسي اليهم ، وقد عادوا الى السير والى الحديث ولكن ، ولدهشتى ، بصوت خافت فى هذه المرة . لم أصدق أن ليلتنا مرت بسلام الا حين بلغنا أول منعطف ، فاستدرنا فيه مبتعدين عن صاحب الطربوش ورفاق صاحب الطربوش ..

قلت أنا : جرأة لامبرر لها ، وليست محمودة العاقبة فى كل الأحوال .

قال الأستاذ عبد الفتاح : ومرة كنا فى سهرة فى ملهى الباريزيانا نستمع الى مغنية جميلة الصوت . كان الجو رائقاً والحضور منصرفين الى الاستماع الى الغناء فى هدوء . وفتح الباب فجأة عن رجل طويل عريض ، مبروم الشاربين ، راح يتجول بين موائد الساهرين وهو يهمهم ويدمدم . كان واحداً من القبضايات الذين يفرضون بالعنف والسطوة وجودهم على الناس فيتقى هؤلاء شرهم بالمداراة أو بالتباعد عن طريقهم . أفسد دخول هذا الواغل على الملهى هدوء السهرة ونغص متعتها على الحضور ، ونحن منهم . وانتهى الأمر به بأن جلس على احدى الموائد دون دعوة من أصحابها ، حاشراً نفسه فى الحديث ، رافعاً كوبه محيياً بها المغنية بصوت غليظ وكلام منفر . قال لي أبو البهاء وهو يتهيأ للقيام من كرسيه : هيىء نفسك للخروج حال ما أشير لك .. أمثاله لا يخلو جيب واحدهم من موسى قاطعة قادرة على أن تمزق صدر من يقترب منه . قال : لا تخف ، لاتفارقنى ببصرك ..

قاطعت الأستاذ عبد الفتاح بقولى : لعله كان يعرفه قبلا .

قال : لم يكن لأى منا به معرفة . لم يستمع أبو البهاء لاشارتى عليه ورأيته يترك مجلسنا مقترباً من المائدة التى عليها القبضاى فيصرخ به بصوت عال : « أنت يا عديم الذوق والتهذيب .. قم عن الكرسى وقف أمامى ! » . وكأن مفاجأة الرجل بهذا الصوت الحاد الآمر قد صعقته ، اذ رأيته ينهض مستقيماً بسرعة كأنما أطلقه من مقعده زنبرك نابض . ولما أصبح رأسه فى مستوى رأس أبى البهاء رفع هذا يده وأهوى بكفها على خد القبضاى بصفعة رنت فى أرجاء الملهى وأدارت العيون فيه عن المسرح الى الزاوية التى كان يقف فيها صاحبى وغريمه المفتول الشاربين . ولدهشتى رأيت القبضاى يضع يده على خده مدارياً ألم الصفعة وقد انكسرت ملامح الحدة عن محياه ، وسمعته يقول : على عينى يا بيك .. حقك على ! ودهشت أكثر عندما وجدت أبا البهاء يكرر فعلته فيهوى على خد الرجل بلطمة ثانية صائحاً به : أجلس اذن ، ولا تزعج الناس ! ورأيت القبضاى ينصاع الى الأمر ، فيجلس متخاذلا على كرسيه وقد تدلت ذراعاه الى جنبيه ، وهو يهمهم مردداً : كما تأمر يا بيك .. حقك على !

قلت أنا : بعض هؤلاء القبضايات ليس لهم من

الشجاعة الا مظهرها . ويبدو أن لأبى البهاء فراسة يميز بها من بينهم من يخاف ممن يخيف .

قال الأستاذ عبد الفتاح : ربما كان الأمر كذلك . المهم انى كدت لا أصدق عينى فيما شاهدته . عاد أبو البهاء الى المائدة التى كنا عليها وقال لي بصوت خفيض : اسبقني واخرج ، سألحق بك فى الحال . قلت : ولماذا ؟ دعنا نتم السهرة ، فقد أعدت اليها الهدوء ببطولتك غير المرتقبة هذه الليلة . قال ، وبنفس الصوت الخفيض : يا مجنون ، ألا تراه يتململ فى مكانه ويتطلع الينا ؟ لقد احمرت عيناه ! ولم يسعني غير أن أمتثل لإشارته ، اذ لاح لى أن القبضاى بدأ يتحرر من تخاذله ويستقيم فى جلسته بعد أن فارقه إحساس المفاجأة التى أخذه بها أبو البهاء . وعندما لحق بى صاحبى الى الشارع أمسك بيدى وقال : اسرع ، بل اركض ، فالرجل وراءنا ! وركضنا . وحسنا فعلنا . فقد رحت أسمع ، بعد أن أبعدنا عن الملهى ، صراخ غريمنا وهو يحاول اللحاق بنا ، شاتما البيك الذى هو أبو البهاء أقذع الشتيمة ، مازجاً شتائمه بشخطات موساه الكباس على الأبواب المعدنية للدكاكين التى يمر بحذائها . ولكن أين يلحقنا ؟ لقد فتناه ركضاً .

لم أملك نفسى عن الضحك وأنا أتصور الحادثة كما رواها الأستاذ عبد الفتاح ، وقلت له :

ـ لا أدرى أهو من سوء حظى أو من حسنه أنى ، على معرفتى الوثيقة بأبى البهاء ، لم أرافقه فى الأيام الخالية مرافقتكم له . متعتكم بصحبته كبيرة ، ولكنها لا تخلو من الخطر . هذا عن تحديه للثقلاء ، فماذا عن البخلاء ؟

فسكت محدثى فترة ، كأنه يبحث فى ذكرياته عن جواب سؤالى ، ثم قال :

ـ هل تذكر « ادوار » ، أحد أصحابنا فى تلك الأيام ؟

قلت : أذكره جيداً ، لأني كنت أراه فى صحبتكم . ولا أعتقد انى توجهت اليه بكلمة فى يوم ما .

قال : كان رفيقاً طريفاً على عيوبه . ما سأحدثك به لا يتعلق بادوار نفسه ، بل لقريب له اسمه ، اذا لم تخنى ذاكرتى ، نسيم.نسيم هذا ، وهو شاب فى عمرنا آنذاك ، كان يتوق الى أن ينضم الى مجموعتنا ليفتخر أمام معارفه بأنه رافقنا ورأى بأم عينه أساليب أبى البهاء فى التصرف الجرىء وفى السخرية ممن يستحق السخرية . كان يطلب من ادوار بأن يعرفه بأبى البهاء بصورة خاصة ، فكان يتملص من إجابته الى ذلك لعلمه بأن نسيماً ليس من طرازنا ، وبأن الحرص الذى يبلغ حد البخل هو أبرز خصاله . وفى ذات يوم حدثنا ادوار بالحاح نسيم عليه فى هذا الأمر فقال له أبـو البهاء : لماذا لم تخبرنى قبل الآن بابن عمك الفاضل هذا ؟ وأنا أداويه لك ؟

قلت : كأن عند أبى البهاء دواء لمرض البخل ..

قال الأستاذ عبد الفتاح : دواء للبخل أم للالحاح ، لست أدرى ماذا كان يقصد صاحبنا . كل ما أذكره أن ادوار استصحب قريبه الى احدى جلساتنا فلاطفه أبو البهاء واختصه بعناية فى الحديث والممازحة ملأت صدر الوافد الجديد غبطة ، ولاسيما حين دعاه الى أن يرافقه غداً الى حفلة من حفلات ملهى اللونا بارك ، يملك لها بطاقتين مجانيتين سيعطيه واحدة منهما . أنت تذكر بلاشك ملهى اللونابارك ، الذى كان يقوم مكان بناء مؤسسة البريد حالياً ..

قلت : وكيف لا ؟ كان الوقوف عند ذلك الملهى وقراءة أسماء نجوم الحفلات على اعلانات مدخله احدى تسلياتى وأنا فى طريقى الى مدرستى الثانوية أو فى عودتى منها . أما حضور تلك الحفلات فكان أمنية لا مجال لتحقيقها .

قال : اذن أنت تذكر ذلك المدخل أيضاً . مدخل ضيق يفضي الى ممر طويل ، والممر ينتهي الى الباب الرئيسى الذى ينفتح على الصالة المسقوفة فى الشتاء ، أو على الساحة المكشوفة فى الصيف . كان الوقت شتاء حين رافق نسيم أبا البهاء الى تلك الحفلة . ذهبا اليها وحدهما ، دون أن يصحبهما واحد منا ، وذهبنا متأخرين بعد دخول كل المتفرجين . كان الممر الطويل مقفراً الا من الحارس الليلى الذى كان يجلس على كرسى واطىء وراء الباب ، يتدفأ على اصيص من الفخار فيه بعض الجمرات . انه حارس الحي ، ومن عادته أن يلجأ الى مدخل الملهي بين جولة له وأخرى فى الشوارع المجاورة ، هرباً من برد الليل . قال أبو البهاء لنسيم حينما اقتربا منه : لي على هذا الحارس ثأر قديم ، وسأدبر له فصلا نضحك منه فيه .. سألهيه بأن ابتعد به الى آخر الممر ، فاحمل أنت اصيص الجمر والقه مع جمراته بعيداً فى الشارع المجاور .. اسرع بذلك قبل أن يلتفت اليك ويراك ..

قاطعت أنا الأستاذ عبد الفتاح وسألته : ماذا كان يقصد أبو البهاء بهذا ؟

قال : سيأتيك الجواب . امتلأ صدر نسيم سروراً بأن أتيحت له مشاركة أبى البهاء فى فصل سيتحدث به الى القريب والبعيد من معارفه . فما أخذ أبو البهاء بيد الحارس وقاده فى الممر مبتعداً به بعض خطوات ، ومسراً اليه بكلام الله وحده يعلم مافحواه ، حتى حمل نسيم اصيص الجمر وأسرع به الى الطريق . الا أن الحارس التفت فجأة فرآه قبل أن ينعطف فى الشارع ويختفى عن النظر ، مما دعاه الى أن يفلت اليد الممسكة به ويعدو وراء اصيصه المخطوف صائحاً : حرامى .. حرامى ! وكان ذلك من سوء حظ نسيم المسكين .

قلت ، وقد تصورت الواقعة كما جرت : أتراه سوء حظه أم هى لعبة أبى البهاء ؟

قال : لست فى حاجة الى التوضيح . دعنى أتم الحكاية . أمسك الحارس بنسيم ، ولكن ليس قبل أن يلقى هذا بأصيص الفخار الى أرض الشارع فيتحطم ويتبعثر جمره ورماده . كان حريصاً على تنفيذ ما طلبه منه أبو البهاء بدقة . وما جرى بعد ذلك أن الحارس نفخ فى صفارته فهرع اليه زملاء له كانوا فى الشوارع المجاورة وأحاطوا كلهم بنسيم الذى لم يعرف كيف يبرر فعلته وقد أمسك فيها بالجرم المشهود ، بينما كان الحارس يكيل له السباب ويتوعده بعقاب أليم لاعتدائه على موظف للدولة وتحطيمه أداة من أدوات حماية الأمن فيها ، الا وهى اصيص التدفئة لحراسها الليليين ! وتطلع نسيم الى أبى البهاء مستنجداً ، فراعه أن وجده يقلب كفيه معبراً عن عجزه عن معونته ، ناصحاً له أن يطاوع الحراس الذين يريدون سوقه الى قسم الشرطة ريثما يسعى هو لانقاذه من هذه الورطة . وهكذا سيق نسيم الى القسم ، يتبعه أبو البهاء عن بعد ، فى منتصف الليل . بل انه قضى ليلته فى محبس القسم ، بين زبائن هذا المحبس من سكارى ومشردين وجناة ، قبل أن يعود اليه أبو البهاء فى ضحى اليوم التالى حاملا ورقة الإفراج عنه . والحصول على هذه الورقة ، كما أكد أبو البهاء لنسيم ، لم يكن سهلا ولا هو بالرخيص . عليه ، اعني على نسيم ، أن يدفع ثمنها مائة ليرة كاملة كي تصبح نافذة المفعول . ودفعها . وما من شك أن دفع هذه الليرات المائة كان أشق على نفس نسيم ، فى بخله المعروف ، من قضائه ليلة فى المحبس بين الأشرار والمجرمين ..

ضحكت هذه المرة فى اشفاق على نسيم المسكين وقلت للأستاذ عبد الفتاح :

ـ هذا فصل قاس . كان أبو البهاء قادراً على أخف من هذه المعالجة لبخل الفتى المسكين .

قال : كنا كلنا ، فى مجموعة الرفاق ، من رأيك هذا . بل اننا شعرنا بنوع من عذاب الضمير أنه راح ضحية سمعة مجموعتنا فى فصولها الهازلة التى صانعها الأول أبو البهاء . الا أن عذاب الضمير هذا فارقنا فى اليوم التالى حين جاءنا ادوار يضحك وهو يقول لأبى البهاء أن نسيماً عاتب عليه . قلنا نحن : عاتب فقط؟ من حقه أن ينفجر غضباً .

قال ادوار : انه عاتب ليس لما تظنون .. ليس لأنه قضى ليلة فى الحبس بمطاوعته لأبى البهاء ، بل لأن أبا البهاء تناسى وعده اياه بأن يعطيه البطاقة المجانية لحفلة اللونابارك .. انه يلح على بأن آخذ البطاقة من أبى البهاء ليحضر بها حفلة الغد حين فاتته حفلة أول أمس !

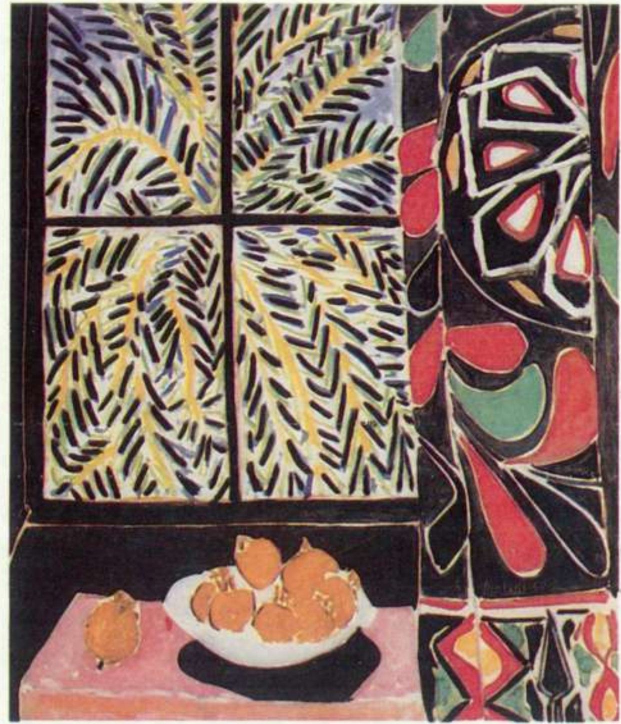
وهنا سألت أنا الأستاذ عبد الفتاح : ورغم كل ما قاساه لا يزال حريصاً على حضور تلك الحفلة ؟

قال : حرص نسيم لم يكن على حضور الحفلة ، بل على مجانية الحضور . حين سمعنا هذا من ادوار اعطينا أبا البهاء الحق فى أسلوبه فى التعامل مع نسيم وأمثاله من البخلاء ..

قلت : وفى التعامل مع الثقلاء أيضاً . انه فى تعامله هذا يبرد غليل من ليس له سعة حيلته ومهارته فى التصرف من كل ثقيل وبخيل .

قال الأستاذ عبد الفتاح ، مؤمنا على قولى ، وهو يتهيأ لمفارقتي : هذا صحيح . ولذا كنا نغفر له زجنا فى المآزق التى تجرها علينا فصوله . مآزق تنتهي بالسلامة دوماً ، ويحسن منها الخروج مثلما كان يحسن اليها الدخول .

الرقة ـــ سورية



إحدى لوحات هنرى ماتيس (١٨٦٩ – ١٩٥٤) وفيها أخضع اللون الأسود كعنصر فى بناء تشكيلاته (شكل ١)



القضاة الثلاثة : لوحه للفنان جورج رووه (١٨٧١ – ١٩٥٨) الذى استخدم اللون الأسود بأوضاع مختلفة فى صوره (شكل ٢)

عندما يستخدم الفنان ألوانه بجرأة

اللون الأسود بين التضليل والإبداع

بقلم : الدكتور محمود البسيوني

يحار المرء حينما تقع عيناه على أعمال فنية يهتز لها فى بادىء الأمر ، ثم ما يلبث بعد ترو قليل أن يتبين اوجه النقص التى تعتريها فتحرمها قوة التأثير الكامل . والكمال أصلا صفة الخالق الأعظم ، ويفتقده الإنسان الفرد مهما حاول الاقتراب منه ، فإن ضعفه البشرى لا يمكنه إلا من محاولة التقرب ، أما الوصول فأمر شاق ، ومتعذر ، ويكاد يكون مستحيلا . ولذلك لابد أن تظهر الأعمال الفنية التى ينتجها بشر ولها مثالب الضعف البشرى . ووظيفة النقد الفنى أن يظهر العلل التى يسعى الفنان جاهداً للتغلب عليها ، فيقترب بسعيه خطوات نحو التكامل .



مصارع الثيران (١٩٦٩) : لوحة للفنان جوان ميرو (١٨٩٣ — ١٩٨٣) وهى ضمن مقتنيات متحف التيت (شكل ٣)



رأس إمـرأة (١٩٥٣) : لوحة للفنـان فرنان ليجيه (١٨٨١ — ١٩٥٥) (شكـل ٤)

زار الكاتب معرضاً معاصراً ، ووقف أمام لوحاته متأملا ، فاحصاً ، مدققاً ، وعلى قدر لحظة المتعة والاستجابة الوجدانية التى أثارتها المعروضات إلا أنه سرعان ما استوقف النظر الحيل اللاإبداعية التى لجأ إليها الفنان ليحقق تعبيره الفنى ، فقد حدد العناصر بخط خارجى قاتم أسود ليبرزها من الأرضية ، وهذا الخط عمل كإضافة خارجية ، لا تنتمى لطبيعة العناصر ، أو تكسبها قوة ، ولذلك سرعان ما اهتز التعبير ، وبدأ يظهر مفككاً ، وضاعت معه المتعة الجمالية ، وقل التذوق . وقد أثار هذا المعرض تساؤلاً : هل هناك ثمة خصائص للتقنية تساعد على الابداع ولا تعوقه ؟ وما الذى كان يجب أن يراعيه الفنان عند استخدامه الأسود فى الحدود الخارجية دون أن يفسد التعبير ؟

لا ريب أن لكل تعبير تكامله الذاتى ، وهذا التكامل يستند إلى تقنية معينة لتحقيقه ، والتقنية التى تصلح لتعبير معين قد لا تصلح لآخر ، وإقحام تقنية محفوظة على سائر التعبيرات يحيلها الى تدريبات ميكانيكية تخلو من الفعالية ، ولا تحرك ساكناً .

كنا نلقن فى الصغر أن استخدام اللون الأسود فى الصور مكروه ، لأنه يجعل البقع التى يحتلها كالخروق مفسدة لتكامل الصورة . ومع ذلك ظهر فى القرن العشرين فنانون ممن ثاروا على هذه النصيحة الفجة ، واستخدموا اللون الأسود بجرأة ، فتكامل هذا اللون مع تعبيراتهم ، واعطاها حساً مميزاً ، وجاء عطاؤهم على غير ما نظن ونعتقد . نذكر هنرى ماتيس (١٨٦٩ — ١٩٥٤) الذى عرض فى فجر حياته بعض أعماله على أوجست رنوار (١٨٤١ — ١٩١٩) وانتقده الأخير نقداً مريراً ، ونعته بأنه ليس فناناً باستخدامه لهذا الأسود ، لكنه فى نفس الوقت اعترف له بأن ثمة

اللون الأسود

بين التضليل والإبداع

شيئا ينبع من صوره يجذب نظره . يقول رنوار : « أود أن أقول إنك لست مصوراً جيداً ، أو حتى مصوراً رديئاً جداً ، لكن هناك شيئاً يمنعنى من أن أقول لك ذلك : حين تضع بعض الأسود فإنه يمكث هناك تماماً فوق اللوحة . طوال حياتى كنت أقول دائماً لا يستطيع أحد أن يستخدم اللون الأسود دون أن يحدث فجوة فى الصورة . الأسود ليس لوناً . الآن أنت تتحدث بلغة اللون ، لكنك تضع الأسود وتجعله مستقراً ، لذلك على الرغم من أننى لا أحب كلية ما تفعله ، وأميل أن أقول لك إنك مصور ردىء ، إلا أننى أظن أنك مصور على أي حال » (١) .

ووجهة نظر رنوار تحمل فى الحقيقة جانبين : الأول ارتباطه بالمنهج الذى كان شائعاً فى وقته والذى يحذر من استخدام الأسود على اعتبار أنه مفسد للصورة ، أما الجانب الثانى فيتعلق بحساسية الفنان رنوار المبدع الذى وجد احتمالا للإبداع فيما ذهب إليه ماتيس ولم يستطع أن يكتم رأيه رغم معارضته استناداً لسنن الماضى .

ولم تمض السنون حتى كان لماتيس شأن فى الحركة الوحشية عام ١٩٠٥ ، واشتهر بتركيباته التى جمع فيها بين الأحمر والأسود فى تقابلات مثيرة ، ومرتبطة ، وتحمل ابداعات فريدة . وما انتهجه ماتيس لم يكن يستند الى محفوظات ، وانما الى علاقات ابداعية كشفها الفنان بحسه المباشر منبثقة من تجاربه ، وعاكسة لشخصيته ، التى أخضعت الأسود كعنصر بناء فى تشكيلاته ، شكل (١) .

واستخدم جورج رووه (١٨٧١ ــ ١٩٥٨) الأسود بأوضاع مختلفة فى صوره ، وظفه كحدود لأشكاله متأثراً بالزجاج المعشق بالرصاص . لم يضع رووه الأسود بخطوط رفيعة أو مساحات مسطحة كما فعل هنرى ماتيس ، وإنما استخدمه كلون دسم له ملمس ، ومذاق خاص ، حتى أن الرائى لو مر باصبعه فوق عجينة التصوير بعد جفافها لوجدها خشنة فيها مرتفعات ومنخفضات ، ومليئة بآثار الفرجون أو السكين التى تبين مدى اندماج الفنان مع تقنيته فى أثناء عملية الابداع الفنى التى خاضها . فاللون الأسود الذى استخدمه رووه جزء من شخصيته الفنية المميزة ، وأعطى له ملامح تختلف تماماً عما نهج إليه هنرى ماتيس . فجورج رووه فى صورة القضاة الثلاثة التى انتجها ١٩٣٨/٣٧ (متحف آلتيت بلندن) ، يلعب اللون الأسود دوراً تركيبياً فى إيقاع الصورة ، فالأسود يحدد خصائص الوجوه ، والأذرع ، والأيدى ، بكميات تتلاءم مع كل وضع ، فى : الاتجاه ، والاتساع ، والضيق ، وتمثل ملحمة متسعة من أسفل تضيق تدريجياً ، وهى تلتقى فى تمركز الوجه الأوسط ، والوجهين المجاورين . فاللون الأسود هنا يحمل اتجاهات أفقية ، ورأسية مائلة ، ودورانات تردد أنغاماً تجعل البصر منحصراً فى بؤرة الصورة ، ومراكز اهتمامها . فالأسود هنا أداة تعبير ، خضعت لحس الفنان وفكره ، شكل (٢) .

لقد استخدم جوان ميرو (١٨٩٣ ــ ١٩٨٣) الأسود فى العديد من صوره بطريقة مخالفة لطريقة كل من هنرى ماتيس ، وجورج رووه ، ان صوره لها مذاق خاص ، وحس رمزى سيريالى ، الخيال فيه أكثر من الواقع ، ففى صورته مصارع الثيران التى انتجها عام ١٩٦٩ (متحف التيت ــ لندن) شكل (٣) ينساب اللون الأسود كأنه سائل يأخذ طريقه فى مجرى ، ويتشكل تبعاً لضفاف هذا المجرى ، محدداً مساحات غير منتظمة ، لكنها تحدث ايقاعات متجانسة فى اتجاهاتها ، وفى الفراغات التى تشغلها ، واللون الأسود هنا لا يخلو من معالم ، لكنها من نوع خاص تختلف فيه عما اتجه إليه كل من ماتيس أو رووه .

ولم يستخدم الفنان الأمريكى المعاصر : فرانزكلين (١٩١٠ ــ ١٩٦٤) سوى الأسود كأداة تعبير . ما هى دلالات اللون الأسود عنده ؟ إنه يستخدمه فى اتجاه تجريدى خالص مؤسس على قوة الحيز الذى يشغله ، والفراغ الذى يتركه حوله ، وفرشته المتلئة بالأسود استخدمها بقوة فوق لوحاته العريضة ، ومع ذلك اقتنع النقاد أنه باللون الأسود وحده وبلا استناد إلى دلالات بصرية ، أمكنه أن يقنع الجمهور المتذوق أنه يستطيع أن ينقل رسالة ، ويقول شيئاً له بلاغته ، ويحمل ايقاعات ونظماً تستوجب التأمل .

وها هو فرنان ليجيه (١٨٨١ ــ ١٩٥٥) وهو من زعماء التكعيبيين يستخدم الأسود بمنهج مميز باعتباره لوناً بنائياً كما فى لوحته المسماة رأس امرأة التى صورها عام ١٩٥٣ شكل (٤) انه استخدام له طعم خاص ويحمل دلالات بصرية ، ويسيطر به ليجيه على الفراغ ، ويكسبه منطقاً يجمع به شمل الصورة .

وهذا التفكير المتحرر مع الفنانين الذين ذكروا آنفاً ما كان له أن ينبثق إلا فى القرن العشرين ، حيث ظهر جلياً أن الحقيقة فى الفن نسبية ، ومفهوم المطلقات قد ولى ، ولذلك تقبل العقل اللون الأسود ، وحطم القاعدة القديمة التى تحذر من استخدامه ، وحل عقدة الذنب التى كانت تصاحب هذا الاستخدام ، وتحطيم القاعدة القديمة فتح المجال لمداخل متنوعة فى الابداع ، إذ ليس هناك حل واحد . هناك أكثر من حل ، بل حلول ترتبط بشخصية كل فنان ، وبعالمه الخاص ، وقاموسه الفنى الذى يستخدمه ، والرسالة التى ينقلها عبر خطوطه ، ومساحاته ، وألوانه .

والمشكلة لم تعد فى السماح أو عدم السماح فى استخدام اللون الأسود ، وإنما فى الطريقة التكاملية التى يستخدم بها ، فيثرى التعبير ، ويكون أحد أركان بنائه ، أما فى الحالة التى قدمنا لها فى مستهل الحديث باستخدامه فقط كخط خارجى ، يفصل بين الشكل والأرضية ، بصرف النظر عن علاقته بالتشكيل والبناء ــ فهو يلعب فى هذه الحالة دوراً نابياً ، يبين عجز الفنان ، وعدم قدرته على ادماج عناصره فى وحدة الصورة ، فيظهر الأسود بشكل مفسد . فهو اضافة غير متفاعلة ، جسم غريب يلفظه الجسم الأصلى ، هو تقنية محفوظة تعطل انبثاق الابداع على فطرته ، وطبيعته الأصلية ، وبالتقنية الملائمة .

واستخدم الفنان الهولندى موريس كورنيليس أشر (١٨٩٨ ــ ١٩٧٢) الأسود فى لوحته الأسماك والقشور ، شكل(٥) ، منهجاً لم يحتج فيه الى استخدام الألوان ، فقد حول الأسود بدرجاته ، وملامسه ، ومسلماته المتنوعة بين الأشكال وأرضياتها ، التى تتبادل الوظائف ، فتارة تظهر الأسماك السوداء أشكالاً ، فتتوارى البيضاء كأرضيات ، وما تلبث العين أن ترى البيضاء أشكالا ، فتتحول السوداء الى أرضيات . ولم يفعل ذلك من باب الزخرفة الآلية ، التى تتكرر على وتيرة واحدة ، ولكنه دثرها فى ثياب المنظور ،

فلعب بالأحجام حيث برزت بعض الأسماك كبيرة ، وتدرجت فى الصغر حتى تلاشت فى الفراغ ، فى إيقاعات مسترسلة مرتبطة بكيان السمكة ، حتى الأعين الدائرية التى كبرت

أسماك وقشور : للفنان موريس اشر .. والملاحظ أن الصورة بنيت باستخدام اللون الأسود وباحكام تبادل الشكل مع الأرضية ، كما أن الفنان لعب بالأحجام فأعطى الاحساس بالمنظور ، فى تنوعات بين القريب والبعيد . (شكل ٥)

وصغرت ، أعطت الحس بالبعد والقرب ، بل والسير فى انتظام ، بل والتكاثر الكمى الذى لا تحده حدود . أما القشور فهي أنظمة بيضاء أو سوداء ، يكمل بعضها البعض الآخر ، ويقويه . إن الأسود عند أشر مكمل للأبيض ، وهو يحمل تنظيماً عقلانياً ، حسابياً ، يحركه حس ، وتدفعه بصيرة متأملة ، متأنية ، مدققة ، حتى جاءت بهذا الإبداع المميز ، الذى له ركائز فى الفن الاسلامى ، لكنه مطور بما يتفق مع عقلية القرن العشرين .

إننا نقع فى الخطيئة حينما نفرض وصفة معينة لاستخدام الأسود ، ونفصلها عن شخصية الفنان ، ومذاقه ، وتجاربه الأصلية ، ويزداد الخطأ حينما نلقى بهذا الوزر على التلميذ الناشىء ، أو الفنان الشاب الذى لم يتبين طريقه بعد ، وما أسهل أن يحفظ المرء مواصفات غير مختبرة ، ويكررها على أنها ملاذه ، لإيجاد التكامل فى ابداعه ، وهو لا يدرى أنه اخطأ الطريق ، ووضع حاجزاً حجب رؤيته ، وعطله عن كشف ذاته ، وعن العطاء المثمر . إن التقنية المحفوظة كثيراً ما تعوق الابداع ، وتحرم الانسان الفنان من فرص النمو والتقدم .

محمود البسيونى ــ جامعة قطر

هــوامــش

(١) أنظر للكاتب : « الفن في القرن العشرين » القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣ ص ٥٩ .



الصقر .. أو الجارح الذى اشتهر العرب بتدريبه على الصيد

صفحـــــــات من التـــــــراث العـــــــربي

شعراء وصيّادون وطيور جارحة

بقلم : حســـني شحـــادة

منذ آلاف السنين ، كان الرجل المسلح بعصى أو بحجر ، يتابع الحيوان حين يشاهده ، ويتربص الطير فى عشه ، ويجتهد فى إمساكه ، وكان معنى ذلك بالنسبة اليه ، الغذاء والبقاء ، ومن هذا نشأ الصيد فى العصور الأولى من تاريخ البشرية .

ولما كان الانسان فى ذلك الوقت ، لايزال يفتقر الى الأدوات ، أعمل عقله وفكره ، ثم أخذ يدرك أن الصيد يهيىء له متعة الصراع والمخاطرة ، فكان له أول أنواع التسلية والرياضة ، وقد احيت لنا الصور التى اكتشفها المنقبون عن الآثار فى أطلال مدن آشور وبابل القديمة مناظر للصيد بالعربات ، وفوق ظهور الجياد ، وعلى الأقدام(١) .





ثلاث لقطات : الأولى لصقر من نوع الحر ، تم تدريبه ، ووقف على وكره فى قوة واعتداد .. واللقطة الأخرى لصقر يقف فى اعتداد فوق ربوة يراقب كل ما حوله فى الغابة .. واللقطة الثالثة لصغار الصقر وهى تلتهم يرقات النحل من خلايا قرص العسل الذى أحضره الأب إلى العش

وفى العصور اللاحقة ، أصبح الصيد هو الوسيلة التى يتبعها الأشراف ، لقضاء الوقت ، فكانت تلاقى قسطاً وافراً من الاعتبار ، وكلما كانت الصعوبة كبيرة فى مطاردة الحيوانات السريعة ، كانت المتعة أعظم .

وعند العرب (٢) ، كان الصيد من أهم ضروب الرياضة ، فكانوا بادىء ذي بدء ، يعتمدون فى عيشهم على صيد الطير والحيوان ، فيقتاتون بلحمه اذا عضهم الجوع ، ويصطلون بعظمه اذا مسهم البرد ، ويستنيرون بدهنه اذا جن عليهم الليل ، ويتخذون من وبره غطاء وكساء ، ويجعلون من جلوده بساطاً وكساءً ، ثم هدتهم الفطرة ، أن يؤنسوا وحشه ، ويروضوا نافره ، وأن يسخروه لمنفعتهم ، فسلطوا بعضه على بعض ، وضربوا ضعيفه بقويه ، وقنصوا غبيه بذكيه ، وجنوا ثمرات ذلك كله متاعاً لهم وإمتاعاً ، حتى غدا متعة من متع النفس ، وضرباً من ضروب الحرب أيام السلم .

لحم الصيد

وقد كانت العرب تعلى من شأن القنص ، لفضل لحم القنيصة وطيب مضغها ، حتي كانت أجمل هدية بين عظماء القوم . ويقول أحدهم : (٣) . « لا لحم أسرع هضماً ، وأخص بالشهوة من لحم الصيد ، وإن الحكماء إذا أعوزهم لحم الصيد ، امروا باتعاب الحيوان الغليظ بالعدو ، حتى يكون ذلك أسرع لنضجه ، وأرطب للحمه ، فيقوم فى النفس من العشق له ، والتهالك عليه ، والتشوق اليه ، ما لم يقم فيها لغيره من المطاعم » .

ويقول الشاعر :

وخير اللحم ما أقلقه الصقر إقلاقا
وذو العادة للصيد إذا أبصره تاقا

شعراء وصيادون وطيور جارحة

فيغذوه بما كان إليه الدهر مشتاقا

مكائد الصيد

والصيد على ضروب كثيرة من الحيل والآلات المختلفة ، فمنها الشباك الظاهرة ، ومنها الأشراك المستورة ، ومنها ما تدس فى أماكن متفرقة تحت التراب ، وخاصة للبقر الوحشي ، وهى الظباء والمها ، فإذا تخطت عليه ، دخلت أرجلها فيه وأمسك بها . ويقول الشاعر :

فإن كنت لا أدري الظباء فانني
أدس لها تحت التراب الدواهيا

ومن ضروبه ، الصيد بالأصوات والصفير ، ومنها الصيد بالحفائر — وهى الحفرة الكبيرة التى تحفر لصيد الأسد — ولا تحفر إلا فى مكان عال لئلا يتبعها السيل فتدفن ، ومنها الصيد بالفخاخ ، ومنها الصيد بالطرد بالفهود والكلاب وجوارح الطير .

الصيد بالجوارح

أما جوارح الطير فهى أربعة : الصقر ، والبازي ، والشاهين ، والعقاب .

والصقر هو الجارح الذى اختصت به العرب ، وزهت بحسن تدريبه على غيرها من الأمم ، فقد روى أن « كسرى بهرام » ملك فارس ، لما بلغه حسن تدريب العرب للصقور على صيد الظباء والأرانب ، أرسل الى « نصر بن حزيمه » صاحب الجريره ، يلتمس منه صقوراً (٤) .

وقد أفرد « كشاجم الرملي » فى كتابه الشهير « المصائد والمطارد » باباً طويلا عن الصقور ، ويذكر فيه ، أن أول من صاد بالصقر وأحسن تدريبه « الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة » ، ثم اتخذته العرب من بعده (٥) ، فصادت به فى الجاهلية والاسلام ، وهى لا تزال تصيد به حتى اليوم ، ولا تكاد تعرف غيره ، مما جعل علماء الحيوان يقولون : « إن الصقر عربى » .

ويقال بأن العرب تسمى كل طائر يصيد صقراً ، ما خلا النسر والعقاب ، فيطلقون على البزاة والشواهين والبؤبؤ والياشق وغيرها صقوراً ، وقد ورد ذلك عند صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب (٦) ، ومخصص ابن سيده (٧) .

وللصقر عند العرب اسماء ذكنى ، فمن أسمائه « الحر » ، وهو الصقر القصير الذنب ، العظيم المنكبين ، كبير الرأس . أغبر اللون ، اصفر الرجلين والمنقار ، وهو شبيه بالبازى ، ويضرب الى الخضره . كما يسمونه « الأجدل » لشدته ، و « المفرحيّ » لطول جناحيه ، و « القطامي » لعظمه اللحم بمنسره .

ومن كناه ، أبو شجاع ، أبو الاصبع ، وأبو الحمراء ، وأبو عمران ، وأبو عوان .

والصقور على أنواع ثلاثة أفضلها وأجلها الصقر ، ثم الكنج ، ثم البؤبؤ .

أما صفات الصقر المحمودة ، أن يكون أحمر اللون ، عظيم الهامة ، دافع العينين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ، ممتلىء الزور ، عريض الوسط ، جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفار ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ الاصابع ، أسود اللسان ، وقد وصفه الشاعر عبد الله بن المعتز بقوله (٨) .

بأجدل يلقن نطق الناطق
طب يخطف يخطف السائحات جاذق
ململم الهامة فخم العاتق
ذى مخلب أقنى كنون الماشق
وجؤجؤ لابس وشي رائق
كمبتدا اللامات فى المهارق
أو كامتداد الكحل فى الحمالق

أما ألوان الصقور فمنها الأشهب كثير البياض وموطنه الجبال والبرارى ، والأحمر وموطنه السهول ، وأما الأسود فيعيش على شواطىء البحار .

الصقر من أثبت الجوارح جناناً ، وأقواها طيراناً وأحرصها على اتباع الطريدة والظفر بها ، والصقور إذا دربت وأحسن تدريبها على صيد الظباء امكنها ذلك (٩) .

وللصقر أسلوبه الخاص بين جوارح الطير فى انقضاضه على الطريدة ، فنرى الحسن بن هانى (أبو نواس) يصور كيفية انقضاض الصقر على الحبارى والكركي :

فانقض مثل الحجر المندوب
متلفتاً تلفت المريب
فعاد قبل ساعة التأديب
سبعين من حسابه المحسوب
والقوم من مقتدر مطيب
ومعجل النشل عن التطهيب

• لماذا قال علماء الحيوان : إن الصقر عربى ؟ !

• فى استطاعة الصقور أن تصيد الظباء لو أحسن تدريبها !

الشاهين الحر

والشاهين من جنس الصقر ، ينقض على فريسته من غير تحويم ، ويسمى بالشاهين الحر ، وهو أسرع الجوارح كلها ، وأشجعها ، وأحسنها تقلباً فى الجو ، وأجودها إقبالا وادباراً وراء الطريدة ، وقد وصف كشاجم الرملي شاهيناً يصيد الكراكي فقال :

يارب أسراب من الكراكي
مطعمة السكون والحراك
بعيد المنال والادراك
كدر وبيض الريش كالافناك
تعجز أن تصاد بالاشباك
وحلقت تسمو الى الافلاك
دعوت قبل لفظ المكاكى
وقبل تغريد الحمام الباكى
بفاتك يربو على الفتاك
مؤدب الإطلاق والامساك
غادرها تهوى على الدكداك
أسرى بكفيه بلا فكاك
يا غدوات الصيد ما أحلاك
دمنة الشاهين ما أقواك
إياك أعنى مادحاً إياك (١٠)

وقد قالوا إن أول من اتخذ الشواهين وتصيد بها هو قسطنطين ملك عمورية ، فكان من زينة ملك الروم اذا ركب ، سارت الشواهين حائمة على رأسه حتى ينزل ، فتقع حوله ، الى أن ركب يوماً ملك منهم ، فثار طائر ، فانقض عليه بعض تلك الشواهين ، فاعجب ذلك الملك ، فعلمها وضراها على الصيد .

وأجود الشواهين ، الاحمر عظيم الهامة ، واسع العينين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ، ممتلىء الزور ، عريض الوسط ، جليل الفخذين ، قصير الساقين ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، تام الخوافى ، يفتل ذيله فتلا شديداً (١١) .

وقد يكون الشاهين أشهب اللون ، وهو ما يغلب عليه البياض ، ويكثر فى الجبال ، وقد يكون أحمر اللون ويكثر فى السهول والأرياف ، أو أسود اللون وهو بحري .

والشواهين على أنواع ثلاثة ، الشاهين وقد مر ذكره ، والانيقى والقطامى .
والأنيقى دون الشاهين فى القوة ولكنه سريع ، وتسميه أهل العراق (الكرك) ، وهو يصيد العصافير .

أما النوع الثالث من الشواهين فهو القطامي ، وتقول العرب إنه فى الصيد فى درجة الشاهين ، بل هو من أعظم الطيور التى يقنص بها ، ولكنه عزيز الوجود (١٢) .

أفضل الجوارح

أما البازي فهو أفضل الجوارح صيداً ، وأغلاها ثمناً ، وبه يضرب المثل فى الشرف ، ويقال إن أول من اهتدى للصيد بالبازي ، حكيم من حكماء ملوك الروم ، نظر إليه ، فإذا به إذا علا صف ، وإذا أسفل خفق ، وإذا سما ذرق ، فتبعه ، حتى اقتحم شجرة ملفتة كثيرة الشوك ، فتأمله ، فأعجبته صورته ، وراقه حسن لباسه ، وتفويفه ، وصغر عينيه ، وكمال خلقه ، فقال :
« هذا طائر حسن ، له سلاح تتزين بمثله الملوك » ، فأمر بجمع عدد من البزاة ، فجمعت فى مجلسه ، فعرض لها أيم كبير — والايم ذكر الأفعى — فوثب عليه باز فقتله . فقال الحكيم : « هذا ملك يغضبه ما يغضب الملوك » . ثم نصب بين يديه على كندر — والكندر مجثم البازى — وكان هناك ثعلب داجن ، فمر مختالا أمام البازى ، فوثب عليه ، فما أفلت منه إلا جريحاً . فقال الحكيم : « هذا ملك جبار ، لا يحمل ضيماً » ، ثم مر به طائر ، فكسره ونهش منه ، فقال الحكيم : هذا ملك نوعه ، شريف فى تركيبه ، فلما جاع ، أخذ طعامه بسلطان وقدره ، ومزاجه لطيف ، يؤثر فيه الشيء اليسير .
وصف الملوك البازى . وأطنبوا فى مدحه ، يقول ملك الترك « خاقان » : البازى شجاع مريد . ويقول « كسرى أنوشروان » « البازى رفيق يحس بالاشارة ، ولا يفوت الفرص اذا امكنت . ويقول قيصر : البازى ملك كريم ، إذا احتاج أخذ ، واذا استغنى ترك .
أما الشعراء العرب ، فقد تفننوا فى وصفه ، وفتنوا بقنصه ، فقد وصفه لبيد بن ربيعة فقال :

لفتت لنا بوازى صائدات
وطيرك فى مكامنهـا ليود

ويقول أبو نواس الحسن بن هانى : (١٣)

أطريك يا بازينا وأطرى
مرتجلاً ، وفى حبير الشعر
يصقل حملاقاً شديد الطحر

كـأنه مكتمل بتبر بتبير
فى هامه لمت كلم الفهر
وجـؤجـؤ كـالحجـر القـهـقر
من منخر رحب كعقد العشر
ومنسر أقنى رجاب الشجر
شثن سلامى الكف واقى الشبر

أما صفات البازى المحمودة ، فقد أوردها كشاجم الرملى يقوله : (١٤) « يحمد فى البازى أن يكون صغير الرأس ، غليظ العنق ، واسع العينين ، دائرى الاذنين والحوصلة ، قصير الخوافى والذنب . عريض ما بين المنكبين والزور ، واسع الشدقين ، مكتنز الفخذين ، ضامر الساقين ، سبط الكفين ، رزين المحمل ، كثير الأكل ، متتابع النهش ، سريع الهضم ، شديد الانقضاض .
ويقول النويرى (١٥) :

« صفة » البازى المحمودة ، أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادهما ، ظاهرة عروق كفيه ، متفرقة أصابعه ، أسود المخلب ، طويل المنسر . وللبازى خصائص يتفرد بها عن سواه من جوارح الطير ، ومن ذلك : سرعة كسره وانقضاضه . حتى قال النويرى : إنه أسرع من السهم ، وقد ضرب المثل بسرعة خطفته ، فيقول أحد الشعراء :

ما للملوك والبراز وإنمـا
حظ المبارز خطفة من باز

أما القنص ، فهو طبيعة فى البازى ، لأنه فطر على الصيد ، ولذلك كان تعليمه أيسر من تعليم الجوارح الأخرى ، ويحسن أن يضرى البازى على الطائر الأكبر والحيوان الأكبر ، حتى إذا أرسل بعد ذلك على الصغير اجترأ عليه . ومن شأن البازى المعلم أن يزج بنفسه صاعداً هابطاً ، وأن ينقلب على بطنه ، حتى يتلقف قنيصته ، أما إذا أخطأ صيده وفاتته ، وكان فى فلاة لا شجر فيها ، يولى ممعناً ، حتى يجد كهفاً يأوى إليه ، ولهذا فقد اعتاد القناص من تعليق جرس ليدل على مكانه إذا اختفى من العيون .
أما أنواع البازى فقد ذكرها كشاجم بخمسه ، وهى البازى ، والباشق ، والقيمي ، والزرق ، والبيدق .

• أفضل الجوارح صيداً وأغلاها ثمناً : البازى !

• ترويض « العقاب » من أصعب الأمور ،ولهذا سماه العرب : الكاسر !

• كان لحم القنص هو أجمل هدية بين عظماء القوم عند العرب !

الطائر الكاسر

ثم نأتى الى أعظم الجوارح صيداً ، واكبرها بعد النسر جسماً ، والعرب تسميه الكاسر ، وهو عسر الإلفه صعب الترويض ، والأصل فى ترويضها ، أن تراض على الظباء لأنها تهوى صيدها .

وأخيراً فإن تلك نبذة عن جوارح الطير ، والقنص بها ، ومدى الامتاع والاسماع بتلك الرياضة ، التى تنشط الأجسام الذابلة ، وتوقظ الطاقات المعطلة ، وإن الاطلاع على كتب الصيد والطرد ، متعة لا تعادل .

حسني شحادة

الهوامش

(١) كتاب المعرفة — رياضة وهوايات .
(٢) الصيد عند العرب للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .
(٣) المصائد والمطارد لكشاجم الرملى ص ١٠ .
(٤) شعر الطرد ص ١٩٨ .
(٥) المصائد والمعارد ص ٨٤ .
(٦) الصيد والطرد عنه العربى ص ٣٤ .
(٧) المخصص لابن سيده حـ٨ ص ١٤٨ .
(٨) شعر الطرد ص ٢٥٢ .
(٩) كتاب المصائد والمطارد ص ٨٤ .
(١٠) المصائد والمطارد .
(١١) الصيد عند العرب ص ١٢٠ .
(١٢) الصيد والطرد عند العرب ص ٥٥ (تحقيق ممدوح حقى) .
(١٣) شعر الطرد ص ١٨٠ .
(١٤) المصائد والمطارد ص ٦٧ .
(١٥) المصائد والمطارد ص ٥٤ .

امرأة محترمة في قسم الشرطة

« الحياة حكاية يقصها أحمق »
ماكبث

قصة قصيرة
بقلم: سارة
ريشة: يوسف أحمد

النطق بالحكم :

خرجت من قسم الشرطة .. عدت إلى البيت .. كان الوقت منتصف الليل .. والمطر ينهمر على النافذة .. و .. مضيت أكتب ما يلي :

لم يكن الوقت منتصف الليل .. ولم يكن المطر ينهمر .. أنا المواطنة م . ف البالغة من العمر الثلاثين .. متوسطة الجمال .. زوجة .. وأم لطفلين أكبرهما في العاشرة .. معلمة في إحدى مدارس اللغات .. وحاصلة على ماجستير في اتجاهات السلوك العدواني عند الأطفال .. أعشق الشعر .. وأبكي مع السياب عندما يصيح في منفاه « يا .. عراق » .. ازدرى فرويد .. ولم أعتقد يوماً أن العقاد كان عظيماً .. و .. مازلت حزينة على مصرع « لوركا » .

أنا المواطنة الصالحة م . ف قررت أن لا أكون مواطنة صالحة بعد اليوم ! !

حيثيات الحكم:

كان اليوم عادياً ..

و .. كنت مستمتعة بالدفء في بيتي الصغير ..

كان المطر ينهمر .. خفيفاً .. رقيقاً .. ناعماً .. ولوقع أنفاسه على النافذة الزجاجية صدى كلهثات متحدة .. حارة .. متلاحقة ..

أغرتني قطراته المتلألئة التي تنزلق في حياء على زجاج نافذتي بالخروج لرؤية وجه صديقتي .. والشوارع المغسولة .. والأشجار التي التهبت نشوة بلقاء المطر .

و .. ارتفع في نفسي ضحك منعش وأنا في الطريق .. المطر .. والوجوه الأليفة .. أطفال يثيرون الضجيج .. صوت فيروز « حبيتك بالصيف حبيتك بالشتي » .. تنهد العشب بعد جفاف .. و ..إنسان تحبه ويحبك .. كل هذه الأشياء الصغيرة لم تكن إجابات شافية على تساؤل سارتر « كيف يكون في وسعنا أن نقرر ما هو الذي يستحق الاهتمام » .

أما أنا فكل هذه الأشياء الصغيرة الرتيبة في تكرارها تثير اهتمامي وتلون مساحات كبيرة في حياتي بالرضى والبهجة .

كان منزل صديقتي الذي يقع في مبنى يطوقه رجال الأمن لوجود إحدى الشخصيات الهامة يقترب .. تمهلت في قيادة عربتي الصغيرة عند الحاجز الذي أقيم في بداية الشارع .. إلا أنهم سمحوا بمروري دون تفتيش ــ كالعادة ــ لأن وجهي كان مألوفاً لكثرة ترددي على هذا المنزل .. تحرك أحدهم وطلب مني الوقوف للتفتيش .. و .. دهشت لذلك وإن لم أحتج « فأنا مواطنة صالحة » فوجهه كان مألوفاً بالنسبة لي وكذلك وجهي .. وبادرني قائلا « إزيك يا ست هانم » .. فرددت التحية بأحسن منها .. وفي أثناء ذلك .. « ويدخل هنا عنصر المفاجأة القدرية الذي ظننت أنه انتهى باندثار المسرحيات الإغريقية » ترجل زوج صديقتي من عربته مسرعاً ومستنكراً إيقافه لي وتفتيشي ، لأنه لم يألف التدقيق في سكان المبنى أو أصدقائهم المعروفين .. واعتبر ذلك تحرشاً من رجل « رجل الأمن » بامرأة « أنا المعلمة المحترمة » .. وفي دقائق « لا تعد » تطور الأمر .. و .. وجدتني جالسة أمام محقق في قسم الشرطة كشاهدة في اعتداء أحد المواطنين على رجل أمن أثناء تأديته لواجبه .

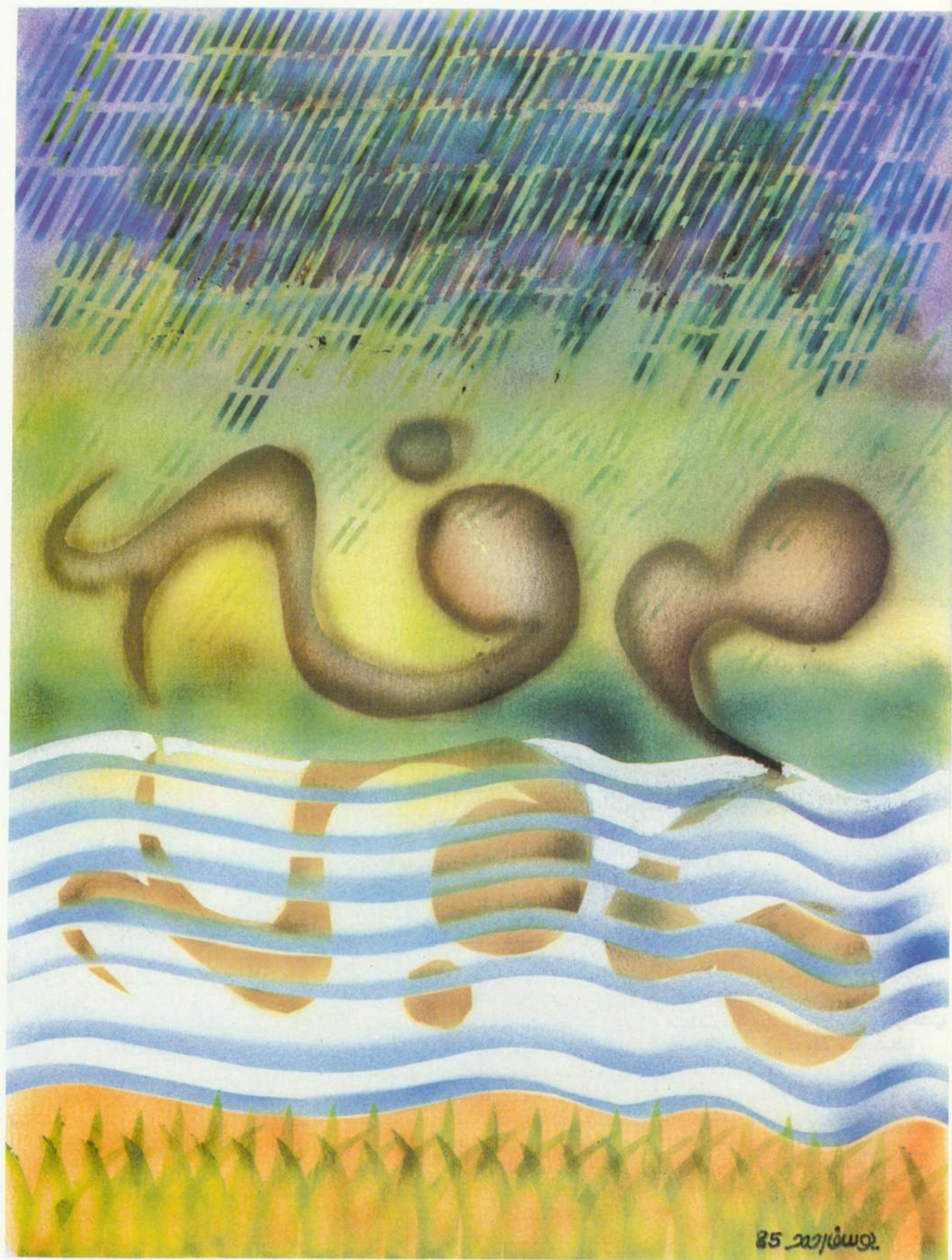
كنت في حالة من التبلد مدهشة .. وكنت أحاول التشبث بأشيائي الصغيرة التي أحبها .. ضجيج الصغار .. قصة تشيكوف « ألم القلب » .. تنهد المطر .. فيلم النمور لا تبكي أبداً لأنتوني كوين .. صوت من أحب .. وموال عراقي عتيق .. ولكن عبثاً .. لا شيء ينقذني من حالة التبلد هذه .. وتذكرت قولا لـ . هـ . ب لا فكرافت كاتب قصص الرعب والفزع « ان أشد الأمور رحمة بعقل الانسان عجزه عن الربط بين الأشياء الموجودة فيه » . و .. قال عنه كولن ولسون إنه مثال كامل على هذا الخيال الانهزامي .. و .. تمنيت على الله أن أكون أنا الآن مثالا كاملا على هذا الخيال الانهزامي .

و .. استيقظت من هذا التمني اليائس على صوت المحقق يسألني :

• هل أحسست بأن في إيقاف رجل الأمن وهو يعرفك تعمد صريح ومقصود ؟

ــ لم أفكر في ذلك .

• ماذا تعنين أنك لم تفكري في ذلك ؟



امـرأة محتـرمة في قسـم الشرطـة



ــ رجل الأمن إنسان عابر . لا يهمنى إطلاقاً أن أفهم البعد الثالث أو الرابع لكلماته وتصرفاته .. إنني أبحلق فقط فى كلمات من أحب .

• ماذا تقصدين ؟

ــ لقد أوضحت ما أقصد .

• هل قال لك كلمة أحسست منها مغزىً خاصاً ؟

ــ قال لي « إزيك ياست هانم » .

• عظيم .. هل قالها بطريقة خاصة ؟

ــ خاصة ؟ ! !

• نعم خاصة .. هل أحسست أنه لا يقصد مجرد سؤال تقليدى ؟

ــ .... ! ؟

• هل لاحظت أنه يتلكأ أثناء تفتيشه لك ؟

ــ لم يستوقفني شيء من هذا .

• لماذا لم تتعرضى للتفتيش عند الحاجز ؟

ــ لأن وجهي مألوف لهم ؟

• هل وجهك غير مألوف لرجل الأمن الواقف أمام المبنى ؟

ــ كلانا وجهه مألوف للآخر .

• إذن لماذا أصر هو على تفتيشك دون الآخرين ؟

ــ أداء واجب .

• هل هذا يعني اتهام منك لرجال الأمن الآخرين بعدم قيامهم بأداء واجبهم ؟

ــ لا .. لا أقصد !

« ووجدتني أتساءل مع « روكانتان » البائس بطل الغثيان « لماذا أنا هنا ؟ » .

• إذا ماذا تقصدين ؟

ــ ليس من شأني اتهام أحد بالتقصير فى أداء واجبه .

• هل لمس رجل الأمن يدك عفواً أثناء التفتيش ؟

ــ لم يلمسها عفواً .

• عظيم .. إذن لمسها متعمداً !

ــ لم يلمسها عفواً أو متعمداً .. وإذا كان ذلك قد حدث منه حقاً فثق أنني كنت سأجلس أمامك هنا كمتهمه لا كشاهدة .

• هل هذا يعني أنك تؤيدين الاعتداء على رجل أمن أثناء تأديته واجبه ؟

ــ ولم لا إذا كان قد تجاوز حدود واجبه ؟

• عظيم .. إذا هذا اعتراف منك بأنه تجاوز فعلا حدود واجبه .

ــ لا .. بالتأكيد .. لقد قلت فى بداية كلامي لو كان هذا قد حدث منه فعلا .

• ألا تعتقدين معي أن خروج سيدة « بالجينز » وفى مثل عمرك ومركزك غير لائق ؟

ــ .... ! ! ؟

« الحياة طقوس لا معنى لها .. قالها « روكانتان » البائس أيضاً » .

• أقصد أنه قد يلفت إليك العيون المريضة ويدفعهم للتحرش بك ؟ « إذن أنا المعلمة المحترمة متهمة بمحاولة إغواء العيون المريضة .. كانت بي رغبة جنونية لإشعال سيجارة .. ولكني قاومت .. من يدري ربما أعطت ــ السيجارة ــ السيد المحقق دليلا آخر على أنني امرأة غير محترمة » .

ــ سيدى المحقق .. إن دولاب ملابسي كله .. وتاريخى العلمى .. وبيتى الصغير .. وجيلاً من الصغار مسئولة أنا عن تعليمهم وتربيتهم .. وعشقي للشعر .. وزوجاً لي وطفلين .. كل هذا يدل على أننى محترمة فعلا ! ! « أقاوم دموعاً حارقة تتجمع فى قلبى » .

• دعينى أسألك بصراحة .. ما الذى دفع زوج صديقتك الى الاعتداء على رجل أمن وهو من العقل بحيث يعي خطورة التهمة إلا إذا كان قد شاهد تصرفاً مشيناً ؟ !

ــ .... ! ؟

« كان بإمكانى أن أريح نفسى من هذا التحقيق الجهنمى بإدانة رجل الأمن .. ولكننى كنت مصرة حتى هذه اللحظة على أن أكون مواطنة صالحة » .

• يجب أن تتذكري بأنك شاهدة ولست متهمة .. وأنا أظن أنك محرجة من الاعتراف بما صدر من رجل الأمن .

ــ ولماذا أحرج هل أنا المتهمة بمعاكسته أم هو المتهم ؟

• إذن ما هو تفسيرك للموقف وأنت المصرة على أن رجل الأمن لم يأت بتصرف يستوجب الإعتداء ؟

ــ لا أدري !

« كان رأسي ثقيلا .. ثقيلا .. ثقيلا » .

• ألا تظنين أن تصرف زوج صديقتك يدل على غيرة جنونية ؟

ــ غيرة جنونية ! ؟

• نعم يغار عليك بجنون !

ــ ولماذا يغار ؟ هل أنا زوجته ! ؟

• إنني أسألك !

ــ وأنا أسألك !

« كان هناك حقل من البهجة يجف فى قلبى » .

• ما مدى علاقتك بزوج صديقتك ؟

ــ زوجته صديقتى ؟

• وهو ؟

ــ وماذا عنه هو ؟!

• ما مدى علاقتك به ؟

ــ زوج صديقتي أيضاً !

• أعرف .. كم مرة التقيت به . ما نوع الحوار الذى كان يدور بينكما ؟

ــ التقيته مرتين .. إحداهما عندما دخل البيت عائداً من عمله وقال « السلام عليكم » والمرة الثانية عندما خرج من البيت وقال « مع السلامة » .

• .... !

ــ .... ! ؟

• تفضلى بالإمضاء .

ــ إمضاء ! ؟

• نعم .. الإمضاء على أقوالك .

« كنت حزينة .. حزينة .. حزينة » ..

ســاره ــ القاهرة



عن القدس الجريح

بقلم: راضي صدوق

ما الذى أيقظ قريرة النفس الهاجعة فى أحضان الذكرى ؟..

ما الذى رحل بى على جناح من الشوق اللاهف، الى آفاق القدس ؟

لكأنى عدت أدرج على بلاط شوارعها وأزقتها العتيقة، تظللنى الأقواس الحانية التى ظلت تحمل لنا تذكارات من التاريخ، عبر الأجيال.

لكأنى أستحضر أمسى القريب، يوم كنت أجمع أوراقى وأغمد قلمى لأسرع الى ساحة الأقصى المبارك، فى شهر رمضان، أظل أروح وأجيء، تارة أقف أمام التكايا والقباب الصغيرة المتناثرة هنا وهناك، فى أنحاء الأفنية الرحيبة تحيط بالقبة الذهبية الكبيرة التى تغتسل فى صفحتها الطاهرة، أشعة الشمس الغاربة فى أعماق السكينة والليل.

الذى يعرف القدس، معرفة القلب والروح، يعرف كم هو عميق جرحنا فى القدس..

أنا أستطيع البوح، الآن، بعد أن شطّ المزار، وأصبحت فى حل من ميثاق الصوفى الذى يتكتم الحب ويذهل عنه فى لحظة الكشف العظيم.. الآن، أحس بأن محبة القدس تكبر فى كيانى كله، وتطغى على كيانى كله، فاذا هى أنا، واذا أنا هى، واذا نحن الاثنين فى واحد.. هو الجرح الذى لما يلتئم بعد. بعضه أسير الحراب العادية الباغية، وبعض منه شريد طريد!

أمس، سألته عن القدس.

كان عائداً من أرض الطهارة المجروحة، فنظر الى فى استنكار لم يعلن عنه، ولكنى قرأته فى كل أسرار من سرائر وجهه:

ـ وماذا عن القدس ؟.. الناس يروحون ويجيئون فى شوارعها، كما نعهدهم جميعاً. لكنهم اليوم لا يرون ولا يسمعون. لقد ذهلوا عن العالم كله، وهربوا من أنفسهم الى طمأنينة لا نهاية لها..

قلت: إنها طمأنينة أقرب ما تكون الى سكينة الموت، لأنها الطمأنينة التى صنعها اليأس القاتم الذى لا نجوة منه ولا خلاص. ومع هذا، أنا لا أسألك عن أولئك الذين يروحون ويجيئون.. أولئك الذين لا يرون ولا يسمعون.. هؤلاء ينتهى بهم الزمن، سنة الذين من قبلهم. أنا أسألك عن القدس. عن طفلة التاريخ التى تكبر فى القلوب ولا تكبر فى الزمان.. أسأل عن الأسوار الصامدة التى تروى أحداث المجد القديم فى صمت الفيلسوف ورصانة الحكيم.. أسأل عن المنائر والقباب التى عهدتها شامخة تضيء أنوارها فى سواد الليل الدامس.

لكنه لم يجب ؟!

الذين يعرفون القدس حجارة وعمائر، وزحاماً بشرياً صاخباً لا يرون فيها أكثر مما يرون فى أية مدينة أخرى لم يترك فيها التاريخ عبقاً من أمجاده، وضفيرة من نوره الذى لا يخبو مع القرون.

كنت أقرأ فصلا من كتاب «رحلة الى الشرق» الذى وضعه الرحالة الانكليزى «أيليوت واربرتن» عن رحلاته الى مصر والسودان وسوريا ولبنان وفلسطين، عام ١٨٤٣، لم يستوقفني حديثه عن طرائف الحياة الشرقية العربية الماضية، رغم ما سجله من غرائب ومعلومات. شيء واحد شدنى إليه بقوة.. ذلكم هو حديثه عن القدس..

يقول واربرتن: «غادرنا يافا الى الرملة، فوجدنا مدينة صغيرة لا حصون فيها، ولكنها محاطة بأشجار الزيتون الكثيرة. وفى الصباح الباكر شاهدنا كثيرين ممن يعتزمون السفر الى القدس، يتجمعون خارج المدينة، كى يسيروا جماعة واحدة، ليأمنوا غوائل الطريق.. وعندما اكتمل الركب، سرنا على أفضل صورة حربية ممكنة.. الرجال المسلحون يؤلفون المقدمة والمؤخرة، والنساء والأطفال والمتاع يؤلفون القلب.

سرنا فى السهل، ثم تسلقنا الجبال الوعرة، وأخيراً برزت لأنظارنا معالم المدينة (القدس) فانطلقت الصرخات الحماسية من حناجر أفراد الركب المغامر، وركع الحجاج على ركبهم، وصاح كل واحد من أفراد الجماعة العرب والطليان واليونان والانكليز بلغاتهم المختلفة: القدس.. جيروساليما.. هاجيو بوليس.. جيروسلم..

توقف الركب كله عندما بدأت القدس، وركع الأكثرون على ركبهم ومالوا برؤوسهم على التراب، وساد صمت رهيب أشد دلالة من أعلى الهتافات.. وكذلك وقف المسلمون باحترام أمام أسوار القدس، ثم سرنا فى طريق حفرتها الأقدام بين الصخور.. طريق سار فيها من قبلنا اليبوسيون والكنعانيون والآشوريون والفراعنة والرومان والعرب المسلمون والصليبيون من جميع بلدان العالم».

ثم تشاء المقادير أن يأتي دور الصهاينة، ليعبروا على أديم المدينة المقدسة، وهم يتمنطقون بأسلحتهم، يخبطون بلاط شوارعها وأزقتها ومعابرها بأحذيتهم المدنسة.. كأنهم يلطمون وجه التاريخ.. كأنهم يصفعون جباه المجد المضيئة الساكنة أعالى الجبال والتلال المحيطة بالقدس.

لقد كان اليهود هم السبب فى تدمير القدس وتخريبها فى كل مرة نكبت فيها المدينة المقدسة بالدماء.. والتاريخ ما يزال يروى لنا أن القائد الرومانى «تيطس» لم يجد بداً من تدمير القدس حتى يتخلص من اليهود وشرورهم. فوقف على جبل «سكوبس» (الذى أصبح اسمه فيما بعد «جبل المكبر») ليلقى نظرة وداع على المدينة المقدسة، قبل أن يأمر بتهديمها، والدموع تمطر من عينيه!

ترى.. هل عاد شرارُ التاريخ ونفايات الشعوب والأجيال ليغتالوا طهارة القدس من جديد ؟!

ونحن أبناء القدس وسدنة محاريبها وربائب طهرها وقداستها هل كتب علينا أن نشد رحالنا خافضى الجباه. باحثين عن «بابل» جديدة ؟!

كانت لديه رغبة ملحة لحياة الخطر ، شأنه فى ذلك شأن الرحالة العظام أمثال ابن ماجد العربى وماجلان وكولومبوس . لكنه ما إن يقع فى الخطر حتى يتوق إلى حياة الدعة والاستقرار .

نظرة على قصص السّندباد

بقلم : يوسف الشاروني

ريشة : سلمان المالكي

من أهم الشخصيات المؤثرة فى الليالى — الى جانب شهرزاد — شخصية السندباد . ويبدو أن البحار الغريق موضوع متكرر وأثير فى الأدب العالمى . فمنذ الأدب الفرعونى ، مروراً بهوميروس ، حتى العصر الحديث ونحن نلتقى بهذا الموضوع . ولاشك أن العرب سمعوا من رحالتهم قصصاً بحرية هى التى أوحت لقاص أو قصاص الليالى بالقصص البحرية المبثوثة فى الكتاب ، مثل قصة بنت الملك السندل ، وقصة عبد الله البحرى وعبد الله البرى . بل وجدت فى بعض السير الشعبية قصص تمت بصلة الى القصص البحرية ، مثلما جاء فى سيرة سيف بن ذى يزن حينما ألقى البطل بنفسه فى البحر ، وحمله الماء الى كهف فى بطن الجبل ، ودفعه التيار أياماً وليالى كما حدث للسندباد فى رحلته السادسة . وحينما إبتلعت الهايشة زورق ابن ذى يزن ، وهرب من فمها قبل أن تبتلعه . ويرى د . حسين فوزى أن أمثال هذه الحوادث ليست غير صدى مباشر لما جاء بكتاب ألف ليلة وليلة .

ونحن نجد القصة التى تجعل الرحلة موضوعاً لها فى القصة الإطار ، حيث نجد شهريار وأخاه شاه زمان يقومان برحلة بحثاً عن الحقيقة أو فى الواقع تخفيفاً لمصيبتهما ، عندما يريان مصيبة غيرهما .

وفى قصة السندباد نجد أنفسنا أمام قصة من قصص الإطار تروى من داخلها رحلات السندباد السبع ، تلك هى قصة لقاء السندباد البحرى . وتقدم قصة الإطار السندباد البحرى كما يراه السندباد البرى ، فهى مكتوبة بضمير الغائب فيما عدا الجمل الحوارية طبعا . من هنا نجد العلاقة الشكلية بين القصة الأم : قصة شهرزاد مع شهريار ، وقصة السندباد . ومن أوجه هذا التشابه أيضاً تلك الثنائية فى الأسماء : السندباد البرى فى مقابل السندباد البحرى . وكأن كلا منهما يبرز شخصية الآخر من خلال اختلافه معه .

وفى كل رحلة من رحلات السندباد نلتقى بخط سير على النحو التالى : الرحيل فالأزمة فالعودة . والرحلة تبدأ دائماً من بغداد وطن السندباد وكذلك العودة إليها عن طريق ميناء البصرة . وفى كل رحلة من هذه الرحلات لم يكن لدى السندباد هدف محدد ، فقد قام بالرحلة الأولى لأنه بدد ثروته ويحاول أن يعوض ما فقده . أما الرحلات الست التالية فقد كان الدافع إليها هو الشوق إلى المجهول . فسندباد بطل غريب ، لا تدفعه الحاجة الى الرحلة ، بل — على حد قوله — نفسه الأمارة بالسوء . معنى هذا أن لديه مقاومة داخلية للشعور بالطمأنينة ، ورغبة ملحة لحياة الخطر ، شأنه فى ذلك شأن الرحالة العظام أمثال ابن ماجد العربى وماجلان وكولومبوس ، لكنه ما أن يقع فى الخطر حتى يتوق الى حياة الدعة والاستقرار .

إنه يشتاق الى الرحلة ذاتها . يقول السندباد فى سفرته السادسة إنه كان قد نسى ماسبق أن عاناه فى رحلاته السابقة بسبب اللهو والبسط والانشراح « بينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجار وردوا على وعليهم آثار السفر ، فعند ذلك تذكرت أيام قدومى من السفر ، وفرحى بدخولى بلقاء أهلى وأحبابى ، وفرحى ببلادى . فاشتاقت نفسى الى السفر



والتجارة » . انه يريد أن يسافر وأن يخاطر وأن يتغيب ليحس فرحة العودة ولقاء الأحبة ، لكنه عندما يقع فى مصيبة يعلن قائلا « وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع فى مصيبة أقوى منها ، والله إن هذا الموت موت مشئوم . ياليتنى غرقت فى البحر أو مت فى الجبال . كان أحسن لى من هذا الموت الردىء . ولم أزل على هذه الحالة ألوم نفسى ، ونمت على عظام الموتى ، واستعنت بالله تعالى ، وصرت اتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه » . وتصل به المرارة إلى حد أنه يبكى على نفسه ، فيتوق الى حياة الدعة والاستقرار . « وصرت ألوم نفسى على قلة عقلى وخروجى من بلادى ومدينتى وسفرى الى البلاد بعد الذى قاسيته أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ، ولا سفرة من الأسفار إلا وأقاسى فيها أهوالا وشدائد أشق وأصعب من الأهوال ، وما أصدق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر فى البحر وعن عودى إليه ، ولست محتاجاً لمال ، عندى شيء كثير ، والذى عندى لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه باقى عمرى ، وعندى ما يكفينى وزيادة » . وحين غرق فى السفرة السابعة آخر سفراته يقول ، « وصرت ألوم نفسى على ما فعلته ، وقد تعبت بعد الراحة ، وقلت لروحى يا سندباد يا بحرى أنت لم تتب وكل مرة تقاسى فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر ، وان تبت تكذب فى التوبة ، فقاس كل ما تلقاه ، فإنك تستحق جميع ما يحصل لك . كل هذا مقدر على من الله تعالى ، حتى أرجع عما أنا فيه من الطمع ، وهذا الذى أقاسيه من طمعى ، فإن عندى مالًا كثيراً ، وقد رجعت لعقلى ، وقلت إنى فى هذه السفرة قد تبت الى الله توبة نصوحا عن السفر وما بقيت عمرى أذكره على لسانى ولا على بالى ، ولم أزل أتضرع الى الله تعالى وأبكى . ثم إنى تذكرت فى نفسى ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح « وهكذا تاب بعد هذه السفرة التى كانت هى غاية السفرات وقاطعة الأطماع » .

ولابد أن هذا كان إيذاناً بأن روح الشباب المتوثب فى السندباد قد خبا . ولقد حدثنا بأن رحلته السابعة استغرقت وحدها سبعة وعشرين عاماً . ويرجح الدكتور حسين فوزى أن مجموع غيابه فى كل أسفاره كان ذلك القدر . وكانت غيبة عبد الله بن بطوطة عن طنجة أربعة وعشرين عاماً . فإذا حسبنا للسندباد فترات إقامته فى بغداد ما بين عام وعامين ، وقدرنا أنه بدأ رحلاته من سن العشرين ، يكون انصرافه عن السفر فى العقد السادس من عمره ، وقد وصفه السندباد البرى بأنه « رجل عظيم محترم وكزه الشيب فى عارضيه » .

والسندباد ـ شأنه فى ذلك شأن أبطال السير الشعبية ـ لا يتطور كأنما لا ذاكرة له ، فهو لا يحتاط فى الرحلة التالية فى ضوء خبرته فى الرحلة السابقة ، وكل رد الفعل لديه هو الدهشة والتعجب . ولهذا فإننا يمكن أن نقارنه بحى بن يقظان لابن طفيل الذى يتطور فى المعرفة والادراك ويستفيد من كل خبرة سابقة فيما يجد عليه من ظروف .



شكل (١) بوار الأرض والزرع أرجعوه فى هذه المنطقة الى سقوط الأمطار الحمضية ــ بلاء القرن العشرين الذى جلبه الانسان على نفسه .

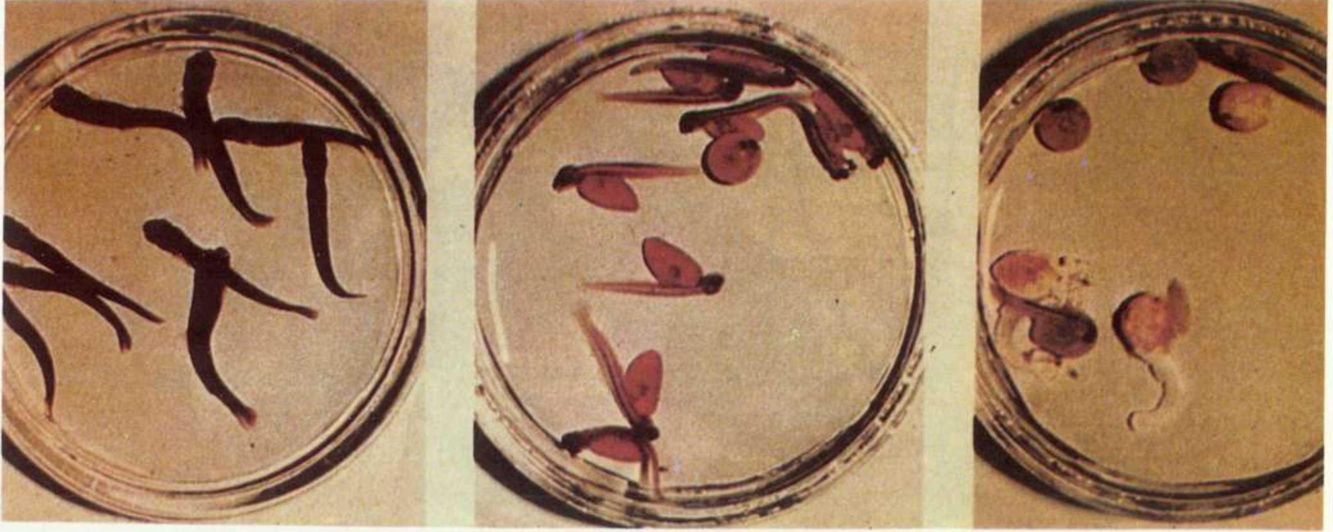


شكل (٢) تآكل واضح فى أحد التماثيل التى تساقطت عليها الأمطار الحامضية ، هذا ويقال أن التآكل فى مثل هذه المنشئات فى المائة عام الأخيرة كان أقسى من كل ماحدث فى الألفى عام الماضية !

تلك اللعنة الطارئة المُسمَّاة بالأمطار الحامضة!

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

عندما زار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية رونالد ريجان كندا فى عام ١٩٨١ ، قام الكنديون بأغرب مظاهرة حملوا فيها اللافتات ، وعلت الهتافات ، مرددة أغرب نداءات : أوقفوا الأمطار الحمضية .. الأمطار الحمضية قاتلة .. الكابوس جائم على بيئتنا .. الأمطار الأمريكية مدمرة .. إلى آخر هذه النداءات التى لم يسمع بها أحد من قبل ، وإلا فماذا يعنى القول بوجود أمطار أمريكية ، رغم أن السحاب والأمطار لا وطن لهما ؟ .. ثم ماهى قصة هذه الأمطار التى وصفوها بالحامضة ، ونحن نعرف أن الأمطار ظلت دائما المصدر الأساسى للأنهار ، وفى مياه الأنهار عذوبة ، ولنا فيها ولغيرنا حياة ؟



شكل (٣) يحاول العلماء فهم ما يجرى على « زريعة » الأسماك فى معاملهم من جراء الأمطار الحامضية ، فالتى الى اليمين عادية ، لأنها عاشت فى مياه عذبة ، وفى الوسط حدث بعض التشوه ، لأن المياه كانت قليلة الحموضة ، ثم زاد الأمر سوءا ، بزيادة الحامضية.

الواقع أن أمطار الآن ليست كأمطار زمان ، فحيث كانت في الأيام الخوالى تحيي الأرض ، وتروى الزرع والضرع ، أصبحت الآن ، احدى مبيدات الحياة التى كان للانسان فيها اليد الطولى ، ولم يراع بيئته ، أو يحافظ على شرائعها وموازينها ، فكان أن أعلنت عليه حرب الأمطار الحامضة ، وصفعة بصفعة ، والبادىء أظلم !

تقارير مفزعة

ويبدو أن مسألة الأمطار الحمضية ليست مسألة عابرة ، ولا هى كذلك مشكلة دولة دون دولة ، أو قارة دون أخرى ، فكما ذكرنا وقلنا إن المطر لا وطن له ، ولا كذلك السحاب ، لأنه يسرى حيث تسرى الرياح ، فإن ذلك يعنى أن المشكلة هى مشكلة هذا الكوكب ، فحيث تجرى الأمثال وتقول : هذا يعكر ، وغيره يصطاد ، فإن الصيد ليس خيرا فى كل الأحوال ، بل انقلب إلى مصدر من مصادر الدمار والتآكل والخراب .. صحيح أن المشكلة فى منطقتنا التى نعيش فيها لم تعبر عن نفسها بعد ، لكن ما نحسبه اليوم غير ذى أهمية ، قد يصبح فى المستقبل القريب أو البعيد بلاءً لا يدرى أحد أبعاده ، خاصة وأن الانسان لا يزال حديث عهد بما يجرى فى الطبيعة من أمور قدرت تقديرا متقنا ، وتسيطر على بيئتها موازين دقيقة قد يخل بها الانسان دون أن يدرى ، أو يدرى ، فيدفع ثمن هذا الخلل باهظا .

« ان آلاف الأميال المربعة من التربة الزراعية الخصبة فى شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تفقد عناصرها الهامة التى تكونت بمرور عشرات الآلاف من السنين .. وفى دولة كالسويد بدأت تركيزات من المعادن السامة تتجمع وتزيد فى المياه الجوفية ، وفى ولاية نيويورك وما حولها طفت أسراب ضخمة من الأسماك الميتة فى مئات البحيرات .. إن ذلك هو بعض حصيلة الأمطار





شكل (٤) نفس الورقة النباتية ، لكن أثر الأمطار الحمضية واضح على الورقة التى تراها أعلى الصورة، فى حين بقيت الورقة فى أسفل الصورة سليمة ، وذات لون أخضر زاه .

الحمضية التى بدأت تتفاقم » ــ على حد وصف ك . جريفز فى دراسته فى مجلة العلم ــ ٨٠ الأمريكية بعنوان : أمطار المشاكل !

وفى دراسة أخرى بعنوان « من الذى يستطيع منع المطر الحامض ؟ » والتى كتبتها جامى جيمس فى المجلة العلمية الأمريكية « الكشف » بعدد أكتوبر عام ١٩٨٣ يجيىء ما نصه : « فى مياه بحيرة «بيج موس» الصافية ، والتى تقع فى غرب جبال آديروندالك بولاية نيويورك ، حيث تبدو ذات لون أزرق رائق ، وحيث تحاط بأشجار طويلة تمتد على شواطئها ، فتكسبها جمالا هادئا ، لكنه هدوء قاتل .. فلا سمكة من أسماك السالمون المرقط تعلن الآن عن نفسها ، حيث كانت منذ سنوات قليلة غنية بهذه الأسماك ، ولا ضفدع ينقنق على شواطئها كما كان فى الماضى ، ولقد هجرها البط الغواص ، والطائر القناص الذى يغوص فيها بحثا عن الأسماك .. كل هذا قد صمت واختفى بنفس الأسباب التى قتلت الأسماك .. ان البحيرة ــ مثلها الآن مثل مئات البحيرات الواقعة فى شرق أمريكا الشمالية ــ كانت ضحية الأمطار الحمضية .. انها جميعا بحيرات فى طريقها إلى الموت » !

وفى المجلد السنوى لسلسلة « العلم والمستقبل » الصادر فى عام ١٩٨٢ يكتب دكتور جين ليكنز أستاذ علم البيئة فى جامعة كورنيل بنيويورك دراسة مستفيضة عن الأمطار الحمضية التى أصبحت أمطارا غير لطيفة أو غير طيبة ــ على حد تعبيره ، ويشير فى المقدمة إلى آثارها ، فيذكر « ان مئات البحيرات فى أمريكا الشمالية وأوربا قد أصبحت الآن بحيرات « ميتة » ــ بحيرات خالية من الأسماك وصور الحياة المائية الأخرى ، ذلك أن الأمطار الحمضية قد غيرتها كيميائيا بما حملته اليها من ملوثات منطلقة فى الهواء » !

ولقد تعرضت مجلة « تايم » الشهيرة لهذا الموضوع ، واتخذت من غلافها اعلانا أساسيا نظرا لأهميته ، وعلى الغلاف كتبت بحروف كبيرة « المطر الحمضى ــ ذلك الوباء الصامت » ، ثم أفردت له سبع صفحات كاملة ، وكتبت فى الاستهلال : ان الدمار الذى سببته الأمطار هذه الأيام يبدو صامتا وخافيا ومضللا لدرجة أن عالما من علماء البيئة له مكانة هيمنجواى الأدبية والقصصية لا يستطيع ان يتخيله (وبالتالى لا يستطيع أن يعبر عنه بصدق).. ان السفاح هنا يتمثل فى المطر الحمضى.. انه ــ على وجه الخصوص ــ نمط من أنماط التخريب الحديث المنبثق عن عصر التصنيع .. انه لآفة واسعة الانتشار ، ولا تهتم كثيرا بضحاياها ، بالاضافة إلى كونها لا حدود لها ، تماما كالرياح التى تسرى بها ، لدرجة ان عالما من علماء البيئة ــ وقد صدمه تدميرها التدريجى الذى يتعذر مقاومته ــ قد عبر عنها بقوله « انها كارثة تسير ببطء ، وتخلق المتاعب التى تدمر بإصرار » !

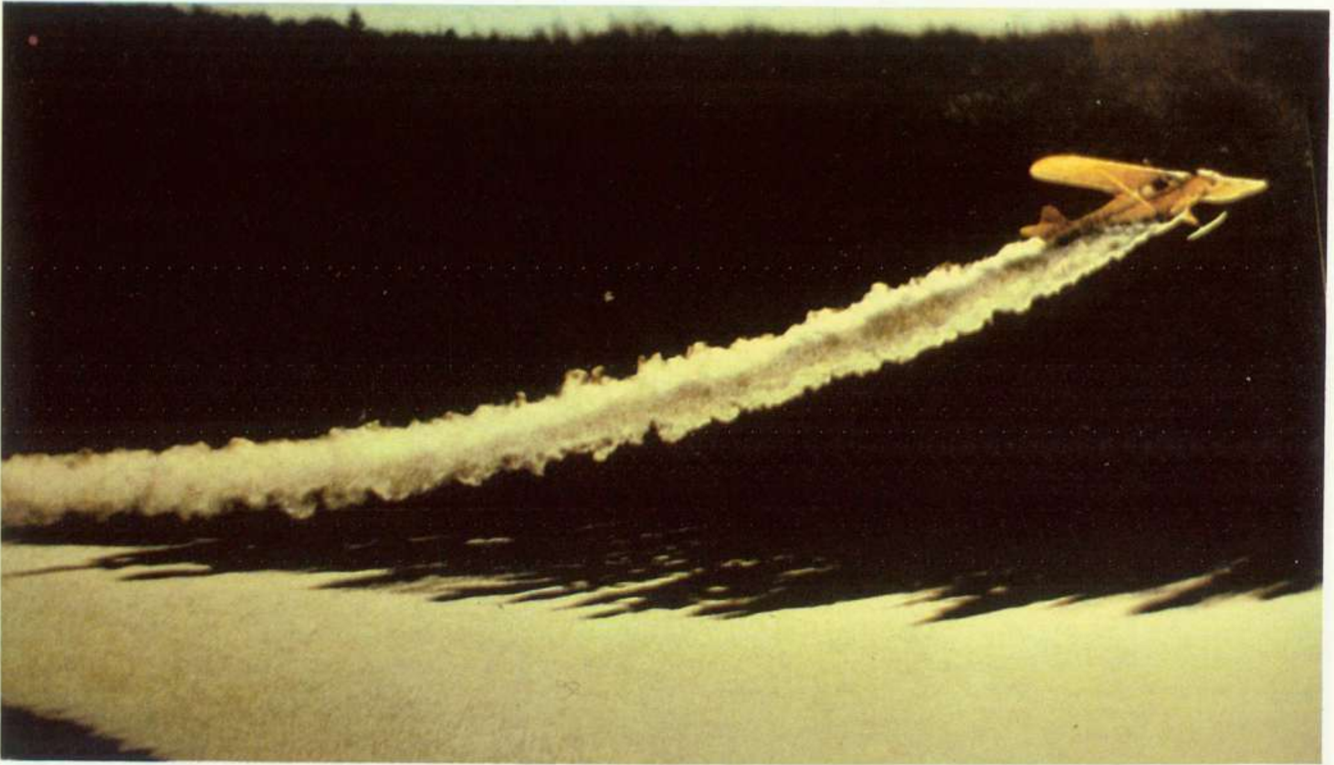
وفى المجلة العلمية الأسبوعية البريطانية « نيوسايئتست » (أى رجل العلم الحديث) ظهرت عشرات التقارير فى السنوات الثلاث الأخيرة عن الأمطار الحمضية وتدميرها فى الأرض والنباتات والبحيرات وما تحتويه من خيرات ، وكذلك فى عمليات التآكل الحادثة فى التماثيل والمنشئات الحجرية والمعدنية (شكل ١ ، ٢) هذا بالاضافة إلى عشرات البحوث العلمية المنشورة فى المجلات المتخصصة ، مما يضيق المجال هنا لسرده ، ولكن فيما قدمنا من مقتطفات يكفى لاعطائنا صورة شبه واضحة عن هذه الظاهرة الغريبة التى بدأت تتفاقم مع مرور الأعوام ، وأوقعت علماء البيئة خاصة ، والحكومات والشعوب عامة فى مآزق لم تكن لتطرأ لأحد على بال ، وكأنما الانسان هنا يلعب بالنار ، ولا غرو أن يحيق السوء بأهله ، ثم قد يمتد هذا السوء إلى مقاطعات ودول لا ناقة لها فيه ولا بعير !

من أين جاءت الأمطار بالأحماض ؟

ولاشك أن العلماء يعرفون سر المشكلة ومصدرها ، ولقد بدأوا دق نواقيس الخطر ، حتى قبل أن تظهر الأمطار المحملة بالأحماض ، فهى تنشأ من الأرض كغازات ملوثة للغلاف الهوائى من جراء اطلاق كميات هائلة من نفايات عمليات الاحتراق (خاصة الفحم) التى تتم فى أفران صهر



شكل (٥) فى هذه « الصوبات » النباتية تنمو بعض النباتات تحت ظروف مختلفة من الحامضية ، وذلك للتأكد مما يحدث لها وللتربة الزراعية من آثار ضارة تحدثها التركيزات المختلفة من الأحماض المصاحبة للأمطار.



شكل (٦) ليست الطائرة هنا لرش المبيدات الحشرية ، لكنها ترش مواد قلوية على سطح الماء ، لتعادل حامضيته التى سببتها الأمطار الحمضية ، وبهذا تنقذ ما يمكن انقاذه .

المعادن ، وفى محطات توليد الطاقة ، ومن عوادم السيارات والآلات وما شابه ذلك ، وهى عمليات مستمرة وآخذة فى الزيادة بزيادة الأنشطة البشرية ، لدرجة أن غلافنا الهوائى يتقبل من هذه الغازات سنويا مئات الملايين من الأطنان .. لكن أخطرها على الاطلاق أكاسيد الكبريت والنيتروجين ، فهذه تتفاعل فى الغلاف الهوائى مع بخار الماء الذى قد يتجمع على هيئة سحاب ، وعندما تتساقط الأمطار ، كان لابد أن تعود ومعها أحماض الكبريتيك والكبريتوز ، والنيتريك والنيتروز ، وهى التى يطلق عليها العامة اسم ــ ماء النار ــ والرجل العادى يعرف ماذا يعني ماء النار وما قد يحدثه فى الأنسجة الحية من حروق ودمار .. صحيح أن الأمطار العائدة بهذه الأحماض ليست مركزة بالدرجة التى يمكن أن تؤدى إلى تدمير مباشر ، لكنها ــ مع ذلك ــ تقوم بعملها التدميرى فى البيئة ببطء قد لا يلحظة أحد ، ولا العلماء أنفسهم . لكن أعط هذه العملية عمرا ، تعطيك أثرا واضحا . فمحصلة القليل مع القليل كثير ، وفى ذلك لا يختلف إثنان !

والواقع أن الكائنات الحية لها بيئتها المتوازنة التى نشأت فيها، وتكيفت بها ، وتأقلمت عليها ، وأى خلل فى ذلك ، يخل بحياتها ، ولا حياة سوية مع خلل لو كنتم تعلمون ، وطبيعى أن تكون هناك حدود خاصة ودقيقة تتأرجح فيها موازين الحياة ، ومن هذه الموازين ما يسمى بالتعادلية والحامضية والقلوية .. فمعظم الكائنات المائية تعيش فى بيئة أقرب الى التعادلية ، فالماء المقطر الخالى من الشوائب متعادل بطبيعته ، ويرمز العلماء بالرقم ٧ (اى الأس الأيدروجينى ٧ ــ لكننا لن نخوض فى تفاصيل ذلك ، فليس هذا مجاله) .. وهذا يعنى أنه لا حامضى ولا قلوى ، لكن إذا انخفض الرقم عن ٧ ، كانت الحامضية وإذا زاد ، كانت القلوية .

وبمثل هذه المعايير يحدد العلماء (أو حتى طلبة المدارس) حامضية الشىء أو قلويته أو تعادله .. فالمياه العذبة ضعيفة الحامضية ، ولا يستطيع اللسان اكتشافها ، وهى عادة تقع فى حدود أقل من ٧ حتى ٥،٥ درجة (ولها جهاز خاص يقيسها مباشرة ، وبحساسية بالغة) .. وطبيعى أن الكائنات المائية قد تأقلمت على ذلك من ملايين السنين ، لكن أن تتساقط الأمطار وتعود إلى الأرض بماحملت من احماض ، لتتجمع فى البحيرات العذبة ، فهذا يعنى زيادة الحامضية فيها إلى الدرجة التى لا تساعد على حياة الكائنات المائية ، ويتأسس على ذلك موت الكائنات البرية التى تعيش على صيد الأسماك ، مالم تجد لها موردا آخر للرزق .

صور من الدمار

ولقد أوضحت البحوث العلمية أن الأمطار الحمضية بدأت تزيد فى الأربعين أو الخمسين عاما الماضية ، حتى وصلت إلى أعلى معدلاتها فى السنوات القليلة الأخيرة ، لدرجة أن بعض الأمطار التى جمعت من المناطق الموبوءة بها كان لها طعم الخل ، ويعنى ذلك أن رقمها الايدروجينى قد وصل إلى ثلاث درجات ، وفى أحيان قليلة إلى درجتين ، وربما أقل قليلا ، ويعنى ذلك أن لها حامضية مثل الليمون ، ونوع الليمون متروك لتقديرك ، وأيا كانت الأمور ، فالأمطار فى مثل هذه الحالات لابد وأن تكون حامضية جدا ، وعندما تنساب فى الأنهار ، أو تتجمع فى البحيرات ، أو تتخلل التربة الزراعية ، فلا شك أنها ستخفف ، وتتوقف درجة التخفيف على عوامل كثيرة ، منها مثلا حجم مياه البحيرة ، وكمية الأمطار المتساقطة ، ودرجة الحامضية فيها ، والتكوين الكيميائى للتربة التى تساقطت عليها الأمطار قبل أن تصب فى الأنهار والبحيرات ، أو التكوين الكيميائى لهذه المياه السطحية ذاتها .. الخ .

والغريب أن بعض العلماء قد حددوا زمن بداية المشكلة ، وكأنما لديهم كتاب مسجل عن أحداثها وليس الكتاب من ورق على أية حال ، لكن السجلات التى استقى العلماء منها معلوماتهم تدين الانسان ، وتشير اليه بأصابع الاتهام ــ ولقد اتخذ العلماء تراكمات الثلوج المتعاقبة قرب القطب الشمالى بمثابة سجل ذى طبقات أو صفحات .. الطبقات السطحية تمثل ما تساقط حديثا من السحاب على هيئة مطر وثلج وبرد ليتجمد ،وكلما توغل الانسان فى أعماق هذه الجبال الثلجية ، وأخذ عينات من طبقاتها التحتية ، وقاس حموضتها ، وسجل أرقامها ، فلاشك ان مثله كمثل من يقلب صفحات كتاب ، ليستوعب ما سطر فيه ، أو مثله كمثل علماء الجيولوجيا الذين



شكل (٧) انهم هنا يحاولون معادلة الأحماض فى هذا المجرى المائى بحقنه بمواد قلوية محسوبة عله يسترد « خصوبته » الحيوية .

ينقبون عن أحداث الحياة الغابرة فى طبقات الأرض الرسوبية ، وكل سعيد ومستوعب لما يقرأ .. سواء أكان ذلك كتابا مرقوما ، أو ثلجا مكنونا ، أو جبلاً قائما تختفى فى طياته آثار كائنات تدلنا على فصول حياة غابرة !

ولقد استطاع العلماء بالفعل ان يسجلوا درجة حامضية الثلوج ، اذ كلما توغلوا إلى الطبقات السفلية ، انخفضت الحموضة تدريجيا ، حتى وصلت إلى معدلاتها الطبيعية .. أى إلى الأمطار العادية منذ حوالي خمسين عاما ، وهذا دليل واضح على أن الأزمة طارئة ، أو هى من صنع الانسان ذاته !

التجارب التى قام بها العلماء فى معاملهم على الكائنات الحية ، وأثر الأمطار الحمضية عليها ، والمشاهدات التى سجلوها على الطبيعة ، سواء فيما يختص بالكائنات الحيوانية ، أو فيما تتعرض له الأنواع النباتية ، توضح ان تأثير هذا التلوث الحمضى قد ترك بصماته عليها ، خاصة فى ذرية الأسماك الصغيرة (شكل ٣) أو على أوراق النباتات وثمارها وبادراتها الغضة (شكل ٤) .. ولا غرو — والحال كذلك — أن تصبح معظم البحيرات التى تتجمع فيها الأمطار الحمضية عقيمة من الحياة ، خاصة فيما يتعلق بالأسماك .

أعداد البحيرات الكائنة فى الدول المتقدمة ، والتى حلت بها « لعنة » التقدم الصناعى ، فانقرضت منها حياة الأسماك ، أو تكاد ، أعداد مخيفة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، توجد فى منطقة بجنوب النرويج أكثر من ١٦٠٠ بحيرة تحولت إلى بحيرات حمضية (درجتها ٥ أو أقل) ، ولهذا خلت من الأسماك أو كادت ، ويقال أيضا إن البحيرات والأنهار المنتشرة هناك على مساحة ٣٣ ألف كيلو متر مربع تأثرت بالأمطار الحمضية ، وفى السويد حدث الشيء نفسه فى ١٥ ألف بحيرة ، وكذلك الحال فى آلاف البحيرات المنتشرة فى الدانمارك وفنلندا وبريطانيا والمانيا وغير ذلك من دول أوربية .

اتهامات متبادلة

وعلى صعيد آخر بدأت حرب الاتهامات المتبادلة بين الولايات المتحدة وكندا ، فالكنديون يرجعون الأمطار الحمضية إلى الكميات الضخمة من الغازات التى تطلقها الصناعات الأمريكية ، فتختلط بالسحاب الذى تحمله الرياح ، وتتوجه به إلى كندا ، ليتساقط عليها كأمطار تحمل الوباء .. ففى مقاطعة أونتاريو وحدها أصيبت مابين ٢٠٠٠ — ٤٠٠٠ بحيرة عذبة بالأمطار الحمضية ، وفى مقاطعة كويبيك بدأ العقم البيولوجى فى اصابة اكثر من ١٣٠٠ بحيرة أخرى ، هذا ويقدر علماء البيئة الكنديون أنه بحلول عام ٢٠٠٠ ، سوف يصيب البوار حوالى ٤٨ ألف بحيرة كندية إذا استمر التلوث بالأمطار الحمضية بتركيزاته الحالية .

وطبيعى أن تتنصل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الاتهامات التى بدأت تشكل حساسيات على المستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فهى لا تصدر الرياح والأمطار إلى كندا ، كما أن للكنديين نشاطهم الصناعى كذلك ، وجزء من العقاب الطبيعى الذى أصاب بيئتهم مرجعه اليهم ، كما أن كثيرا من الولايات الأمريكية الشرقية مصابة أيضا بهذا البلاء ، ثم ان بعض الولايات فيها تتهم ولايات أخرى مجاورة بافساد البيئة ، ولا أحد يستطيع أن يحدد من الذى يضر من ، لأن الهواء والسحاب والأمطار مشاعة بين الجميع ، ولا حكم لأحد عليها .

كذلك تظهر بوادر الاحتجاج من مجموعة الدول الاسكندنافية بحجة أن الأمطار الحمضية تأتيها من ألمانيا الغربية وهولندا وبلجيكا ، وتحول بحيراتها إلى مياه تبيد الثروة السمكية ، لكن ألمانيا الغربية ترد على ذلك بادعائها أن خسارتها فى الغابات من جراء الأمطار الحمضية قد وصلت إلى ما يزيد عن ٨٠٠ مليون دولار سنويا ، وأدعت رابطة المزارعين الألمان ان قيمة التدمير فى زراعاتهم

قد أربت على ٦٠٠ مليون دولار سنويا ، مما استلزم اجراء بحوث مكثفة في هذا المجال (شكل ٥) .. ويقال ان الأمطار الحمضية تغير من طبيعة الأرض الزراعية ، حيث تذيب عددا من العناصر والمركبات التي تسري إلى جوف الأرض ، وقد تظهر في المياه الجوفية التي تستخدم في الشرب ، وقد تحوى هذه المياه عناصر سامة ذائبة مثل الرصاص والنحاس والزئبق والألمونيوم ، وفي هذا المجال تذكر مجلة تايم أن سيدة من قرية « ليلا ايدت » الواقعة على الساحل الغربي للسويد قد تحول شعرها إلى « اللون الأخضر الذى يضاهي خضرة شجرة البتولا في الربيع » ، بسبب المياه الحمضية التي اذابت أنابيب النحاس ، وتسرب المعدن كملح إلى مياه الشرب ، لكن ذلك — في رأينا — يحتاج إلى بحث وتدقيق ، إذ لا يجب ان يؤسس على حالة واحدة استنتاج عام قد يكون مضللا ، مع تسليمنا — بطبيعة الحال — بصحة إذابة المعادن بالأحماض خاصة وأن حموضة الأمطار قد ارتفعت هذه الأيام مابين اربعين ومائة ضعف عما كانت عليه منذ سبعين عاما !

والواقع أن الكل في الهم سواء ، ومن العسير أن يحدد الانسان على من تقع المسئولية ، لدرجة أن الأمريكان مثلا ألقوا اللوم على الصين واليابان ، بحجة أن المصانع هناك تلقى بعشرات الملايين من أطنان الغازات التي تنفثها مداخن عالية ، حتى لا يحدث تلوث الهواء في مجال هاتين الدولتين ، بل ينتقل مئات وآلاف الكيلو مترات ، ثم تسقط — مع الأمطار — على دول أخرى بعيدة ، حتى لقد أدعى الأمريكان أن نسبة مما يسقط على كندا قد يرجع أصلها إلى الصين واليابان ، وهو ادعاء بعيد الاحتمال ، وقد لا يكون ذلك إلا من قبل توريط هاتين الدولتين ، لتشاركا دول الغرب بميزانية تدعم البحوث الجارية في هذا المجال .

هل من مخرج من ذلك المأزق ؟

ويبدو أن الأمور لو سارت على هذا المنوال ، فان التخريب في مقومات البيئة لن يكون محليا ولا دوليا ولا قاريا فحسب ، بل قد يكون عالميا ، خاصة وأن الغلاف الهوائي بسحبه وأمطاره مشترك بين كل سكان هذا الكوكب .. صحيح ان حامضية الأمطار ستتضاءل كلما ابتعدت السحب عن مصادر النفايات الغازية لكن أحدا لا يدرى ما سوف تتمخض عنه السنوات المقبلة ، خاصة وأن دولا كثيرة نامية دخلت ، أو سوف تدخل عصر التصنيع الثقيل ، مما يترتب عليه تقبل الغلاف الهوائي لأعباء زائدة من الملوثات ، وقد يؤثر ذلك على جو الكوكب ككل ، ثم ان أحدا لا يستطيع أن يتنبأ على وجه الدقة بما يمكن أن يحل بالبيئة من جراء ذلك ، أو ما تخبئة لنا في جعبتها من ضربات مضادة بطيئة في مفعولها ، لكنها على المدى الطويل سوف تتمخض عن نتائج لا تحمد عقباها ، فالاساءة لا تمحوها الا اساءة ، أو هكذا تثبت لنا الأيام أننا لازلنا حديثى عهد باللعب بالنار ، أو أننا لا ندرك من أسرار تلك الموازين الطبيعية الا نزرا يسيرا .

وقد يقول قائل : إذا كانت الأمطار الحمضية تحمل في طياتها مثل هذا الخطر القاتل ، فلماذا لانصحح أخطاءنا ، خاصة وأننا قد عرفنا سبب الداء ، وعلينا أن نصف له الدواء ؟

والواقع ان هناك علاجين ، أحدهما مؤقت ، وهو معادلة الأنهار والبحيرات الحمضية والتربة الزراعية ، بمواد قلوية (شكل ٦ ، ٧) .. وهو بلا شك علاج مكلف ومتكرر ، لأن الأمطار الحمضية متكررة كذلك ، أما العلاج المستديم الناجع ، فيعرفه العالم وغير العالم ، اذ ما عليك إلا تنقية هذه الملوثات قبل ان تنتشر في الغلاف الهوائي ، وهنا تكون قطعت دابر المشكلة من أساسها .

لكن العلاج ليس ميسرا بمثل هذا الكلام ، لأن عمليات تنقية النفايات الغازية مكلفة — بداية من السيارة التي تركبها ، والطائرة التي تحلق بها ، ومئات الألوف من المداخن الضخمة التي تراها أينما توجهت (شكل ٨) .. وكل هذا وغيره يعني زيادة باهظة في التكلفة ، وارتفاعا في أسعار السلعة ، وعبئا ضريبيا جديدا على الممول !

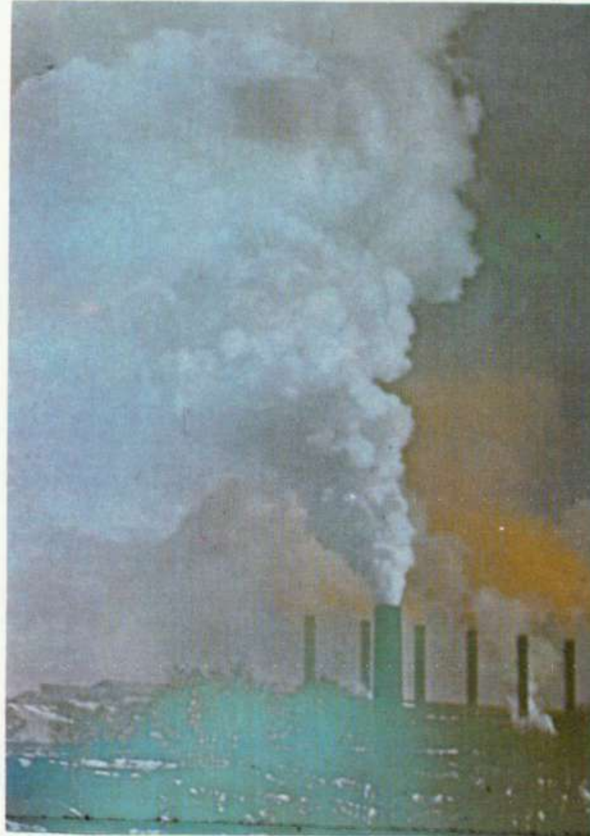
وطبيعي أن مثل هذه الأمور محكومة باقتصاديات الدول ، والقرار فيها ليس للعلماء ، بل للسياسيين ، فالعلماء يقدمون النصيحة والتقارير والحلول ، ورجال الحكم والسياسة هم الذين يعتمدون ميزانيات البحوث ، أو فرض الضرائب أو ما شابه ذلك ، وقد يوازنون بين أمرين : فإذا كانت الخسارة الناتجة من هذه الأمطار الحمضية ، اقل من تكلفة مكافحة التلوث ، فلا بأس من تلك الأمطار ، وإذا كان العكس ، فمن الممكن النظر في تطبيق الوسائل التي تحد من هذا التلوث . ويعني ذلك ترحيل المشكلة ، والهروب من الأعباء ، ولتذهب البيئة إلى الجحيم !

لكن مما لاشك فية أن رجال الصناعة في الدول المتقدمة لهم وزنهم ، وكثيرا ما يتدخلون في صنع القرار لصالحهم ، هربا من تكلفة اقتصادية سوف تتحملها أنشطتهم ، وكأنهم لا يدركون مغزى ما يحدث في البيئة من تخريب ، أو كأنما هم يرفعون شعار « ليس في الامكان أحسن مما كان » .

لقد سمعنا عن الجفاف الذى حل بدول افريقية كثيرة بسبب نقص الأمطار ، لكن جفافا آخر قد بدأ يحل بالدول المتقدمة — من جراء حموضة الأمطار — انه « جفاف » الأرض من العناصر ، و « جفاف » البحيرات من الحياة ، رغم كثرة المياه ، أو ربما « جفاف » بعض العقول من الحكمة التي تتعامل بها مع البيئة ، وكأنما حالها ينطبق عليه قول الشاعر :

كالعيس بالبيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

عبد المحسن صالح



شكل (٨) لقطة بغيضة لمداخن تنفث أكاسيد الكبريت والنيتروجين (اللون البرتقالي) الى الهواء الجوى ، وهي التي تسبب حموضة الأمطار فيما بعد .. ترى ، متى يختفي هذا الوباء الذى يؤذى كل الأحياء ؟

لقطات من الكون المثير



قُبْلة إنسانية جداً!

رغم أن القرود ـ كما هو مسجل ومعروف ـ قد ظهرت قبل أن يظهر البشر على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين .. فإن علماء السلوك الحيواني يدرسون حركاتها ، بغرض جمع معلومات ، يكون القصد منها استخلاص الشواهد التي أدت الى تطور المخ ، وما يحوى من مراكز الأحاسيس والعواطف والانفعالات والذاكرة والاستيعاب والتقليد والتعلم وما شابه ذلك .. ورغم أن عادة التقبيل مقصورة على البشر ، الا أن هذه اللقطة تشير الى أن بعض افراد القردة العليا مثل الشمبانزى الموجود فى هذه الصورة ، قد عرفت معنى التعبير عن العاطفة والحنان بين أخت أكبر وهى تقبل أخاها الأصغر ، ممسكة أيضاً ذراعه بذراعيها برقة ومودة ، ثم تأتى الأم لتحتضن كليهما بحنان زائد ، وكأنما لسان حال هذه العائلة الصغيرة يقول : لا تظلموا القرود ، فلها من العواطف والروابط العائلية ما لأصحاب العقول !

من وحي الطبيعة الحية



فكرة هذه المظلة الغريبة التى تنتشر على شاطىء من شواطىء الاستحمام مستوحاة من فكرة القواقع الحلزونية التى تنتشر أيضاً على ذات الشاطىء .. فجاء البناء على نفس النمط ، ومقلداً لفكرة سابقة ، مع الاختلاف طبعاً بين أصول الفكرتين ، فحيث بنى الانسان هذه المظلة الحلزونية من خامات موجودة بقرب الشاطىء ، لتكون « ديكورا » مبتكراً يجذب الأنظار ، ويعطى لمسة من الجمال ، الا أنه جد بدائى اذا ما قورن بصدفة القوقع التى تبنى حسب خطط وراثية ، وبرامج كيميائية يتشعب فيها الحديث ويطول ، وبحيث يأتى الخلف بصفات السلف ـ كماً ونوعاً ولوناً ، ودون أن يشذ على القاعدة مهما تعاقبت الأجيال ، وأحياناً ما يأتى القوقع كقطعة فنية رائعة ذات جمال أخاذ .. ولهذا لا وجه للمقارنة بين ما نقل الانسان وقلد ، وبين ما قدر الخالق فأبدع .

بوّابة في العراء !



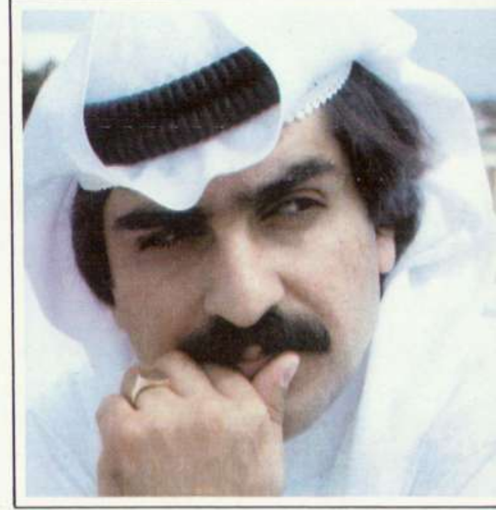
قالوا عنها أنها بوابة الشيطان ، رغم أنها ليست من عمل أنس ولا جان ، بل ظهر هذا التشكيل المثير بفعل عوامل طبيعية استمرت ملايين الأعوام ، ولا تزال ، وهى التى نطلق عليها عوامل التعرية الطبيعية ، وقد تكون هذه العوامل بفعل الرياح أو الأمطار أو حبات الرمال أو الأمواج أو اختلاف درجات الحرارة بين ليل ونهار ، وكذلك طبيعة التكوينات التى قامت عليها صخور هذا الكوكب أو أحجاره ، فالهش منها ينحت بطيئاً ويتلاشى ، ويصبح رمالا أو فتاتاً ، والصلب يقاوم ويبقى لأطول فترة ممكنة .. ولقد تشكل هذا القوس أو البوابة بفعل عوامل مختلفة ، أهمها على الاطلاق عامل الرياح بمساعدة الحرارة والبرودة اللتين تؤثران فى المادة الصلبة بين تمدد وتقلص ، فتضعف من تماسك الطبقات السطحية ، وتجعلها تتهاوى أمام لفحات الرياح التى تنحت فيها لملايين فوق ملايين من الأعوام ، وتؤدى الى تشكيلات كثيرة ، ومنها هذا التشكيل الغريب الموجود فى ولاية أوتا بالولايات المتحدة . وعندما لم يستطع الانسان العادى أن يجد تعليلا مريحاً لما رأى ، أعاد هذا التشكيل الى قوى خفية ، فكانت بوابة الشيطان ــ كما اعتقد ، والناس فيما يعتقدون مذاهب !

مسكين هذا الحمل!



أحياناً ما تهتم أجهزة الاعلام بالحديث عن غرائب المواليد ، خاصة فى عالم البشر ، ومنها المواليد الشواذ بطبيعة الحال .. وما يحدث فى الانسان ، يحدث مثله فى الحيوان ، وهذه اللقطة تعبر عن ذلك أوضح تعبير ، فلقد جاء هذا الحمل الصغير الى الحياة بخمسة أطراف ، فهناك رجل زائدة بين الرجلين الخلفيتين (المشار اليها بسهم) ، وهى نتيجة لخطأ عابر أثناء تكوين الجنين ، وطبيعى أن مثل هذه المواليد لا تعمر طويلا ، فلو أنها عاشت فى الخلاء ، ودون رعاية من الانسان ، ثم حدث هجوم على القطيع من حيوان مفترس ، لكان مثل هذا الحمل أول الضحايا ، لأنه لا يستطيع أن يهرب كغيره .. فكأنما الحياة تسقط من حسابها ذوى العاهات أو الشواذ ، وعلى شرط أن يترك لها الحبل على الغارب ، أى دون تدخل من الانسان .. وهو ما يطلق العلماء عليه اسم الانتقاء الطبيعى ، أو البقاء للأصلح .. انساناً كان ذلك أو حملا أو قرداً .. الخ ، فالحياة لا تفرق بين أحد وأحد ، ولا تجامل أحداً ، وفى هذا خير للأنواع ، ليبقى الصالح ، ويزول الطالح .

كان يقضي الساعات الطوال كل يوم بين أوراقه وألوانه وأقلامه فى تأمل وجداني صامت .. ثم يندفع فجأة إلى مرسمه .. وينسى ما حوله ومن حوله .. ويخرج بعد هذه الخلوة الممتعة بلوحته التي تتحدث عن نفسها وتخاطب الناس بلغة يفهمونها ..



الفنان محمد الجيدة

محمد الجيدة

فنان يعرف لغة البيئة والأهل والتراث

ألوانه هي ألوان البحر والصحراء والماء والسّماء

بقلم : جمال قطب

لوحة للفنان من وحى الصحراء بعنوان : رحالة



شقاوة أطفال

إن الخميلة القطرية تزهر دوماً ..

وفناننا اليوم أحد أركان الحركة التشكيلية الناهضة فى قطر انه الفنان محمد الجيدة .. نشأ فى أحضان الطبيعة الخليجية الوادعة .. وبصمات التراث ترتسم فى مخيلته فى كل مرافق الحياة .. فالبحر وما يحمل من أسرار كانت بالأمس القريب هى الشغل الشاغل ومصدر العيش للآباء والأجداد . والسفر والصيد والغوص وبريق اللآئى التى كابد الأولون فى سبيلها الصعاب والغربة والأهوال الجسام .. والصحراء المنبسطة الشاسعة بما تزخر به من حياة البدو والبساطة والأمور على سجيتها تسير فى سلاسة ويسر لا تحد البصر ولا تكد العقول ولا تزعزع القلوب العامرة بالايمان .. والعادات والتقاليد المتوارثة بكل ما تنطوى عليه من أصالة فى غير زيف وصدق فى غير تكلف أو افتعال .. كانت هذه هى روافد الإلهام ، ومناهل الابداع للغالبية العظمى من فنانى دول الخليج عامة .. ودولة قطر بخاصة ..

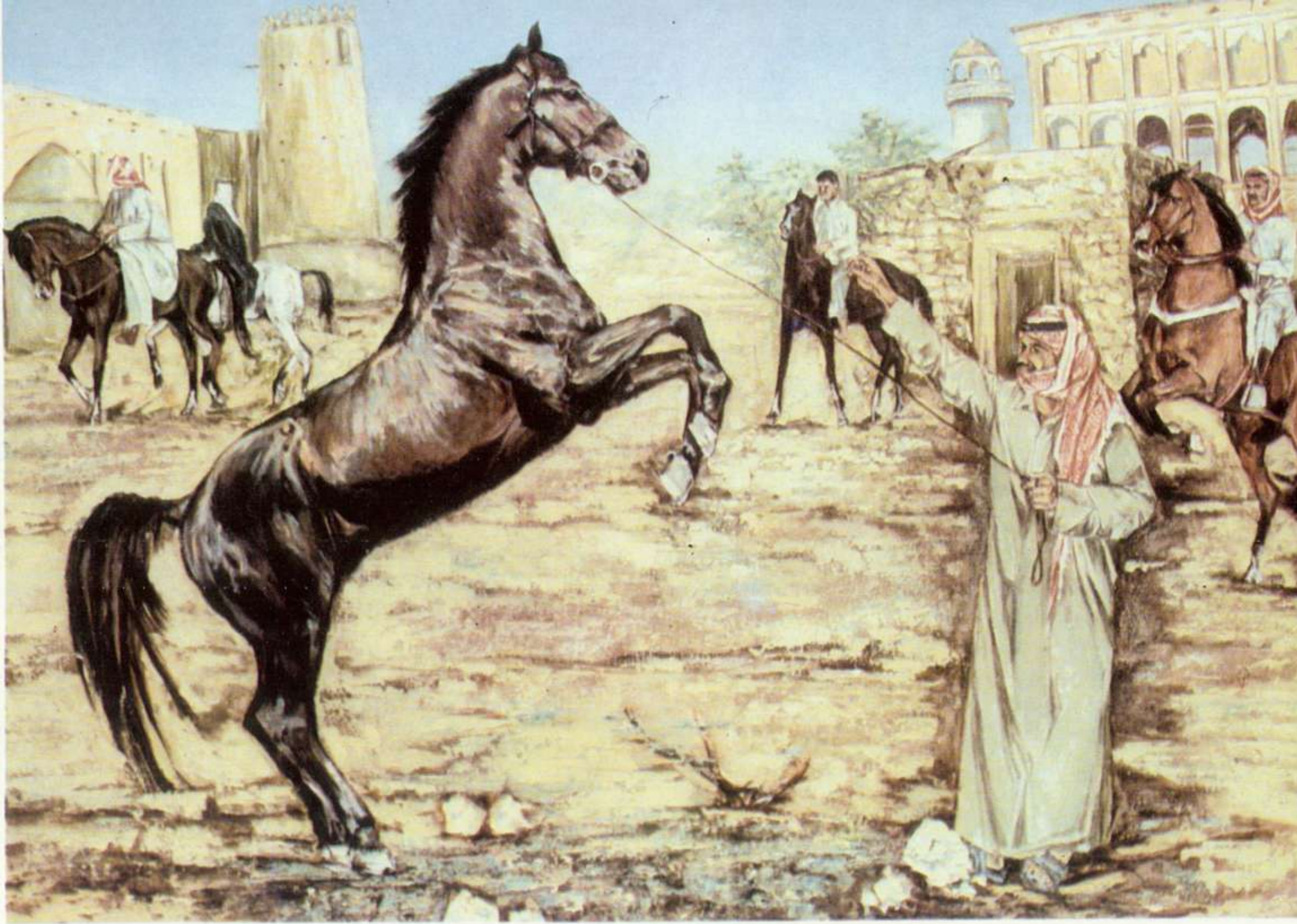
فلا غرو أن تصافح أعيننا أعمال فناننا الشاب ، معبرة عن كل هذه المؤثرات التراثية التى نشأ بين ايحاءاتها الرائعة الخيرة .. وهى فى نفس الوقت ظاهرة أصيلة ، لأن يعود الفنان الى بيئته يستلهمها ويستنطقها .. لا ينسلخ عنها ولا يتعالى عليها .. بل يخاطب الناس بلغتهم ، يعبر عن صورتهم الحقيقية ليجد كل منهم فى أعمال فنانيه صدى لما يجول فى خاطره من ذكريات الماضى وأمل الحاضر والمستقبل ..

فى المرسم الحر

ومنذ عدة سنوات .. كان أول عهدى بمحمد الجيدة .. تردد على المرسم الحر فى بداية نشأته عام ١٩٨٠ .. ولم يكن طالباً يبدأ الطريق من أوله كعشرات غيره من رواد المرسم .. ولكنه فنان ذو وعى وإدراك .. يناقش ويجادل ، ويضع لمساته حارة قوية على لوحاته .. فأعجبت به لأمرين :

أولهما كان حبه الشديد لفن الرسم الزيتى بشكل أثار اهتمامى ، واستولى على عنايتى الشخصية به ، وثانيهما هو خلاله الرفيعة . تبينت فيه فنانا سيكون له شأن فى المستقبل القريب .. وليس غريباً أن يظل انكبابه على لوحته حتى وقت متأخر من الليل .. لم تنقطع فيه مناقشاتنا الفنية الهادفة .. وقد وصلت طموحاته الى أن يسلك أصعب طرق الأداء (التكنيك) فى معالجة موضوعاته بلمسات جريئة فورية بسكين الألوان مباشرة ، كما يفعل فنانو التأثيرية المتحررة وما بعدها .. فى خطوطه رشاقة وفهم عميق ، وإن كانت تكويناته فى طريقها الى فهم التفاوت بين قوة الإظهار فى أساسيات الوحدات وخلفياتها .. والمران الداثب الذى حرص عليه فى العامين الماضيين كفيل بتدارك مثل هذه الهفوات ..

وقد تفتحت فى الآونة الأخيرة بين الفنانين القطريين ملكة التطلع الى الثقافة والاطلاع على إبداعات غيرهم من الفنانين الغربيين والشرقيين على السواء .. وكان من حظ الجيدة أنه دائم الترحال والسياحة الى العواصم العربية والأوروبية .. ينهل من متاحفها ومعارضها



مروض الخيل

ومكتباتها .. ويعود وفى جعبته الكثير من مقتنياته ومشاهداته .. فيضيف هذه المحصلة الى خبرته ومعلوماته .. لذلك فإننا نلمس تقدماً كبيراً فى تفهمه المضمونى التراثى ومعالجته التى تتطور يوماً بعد يوم .. نجد أن فناننا متشعب الاهتمامات والاتجاهات الفكرية .. وربما يحظى بعدة مواهب فنية متآزرة .. نراه يهوى التصوير الفوتغرافى ، وكتابة الشعر ، وله محاولات أدبية موفقة فى كتابة المقال الصحفى .. وهكذا يقضى الساعات الطوال كل يوم بين أوراقه وألوانه وأقلامه فى تأمل وتحليق وجدانى صامت .. ثم يندفع فجأة الى مرسمه .. وينسى ما حوله ومن حوله .. ويخرج بعد هذه الخلوة الممتعة بلوحته التى تتحدث عن نفسها وتخاطب الناس بلغة يفهمونها .. فأسلوبه واقعى — وإن عولج بتأثيرية ولمسات جريئة — وموضوعه مألوف ينطق بأحاديث بيئته وأهله وتراثه ، وألوانه فى توافقها لا تشذ عن ألوان البحر والصحراء والماء والسماء وما بينها ..

عوائق المسيرة

إننا ونحن بصدد العرض والتقييم لمحمد الجيدة لا يسعنا إلا أن ننظر بعين التفهم لنقطة البداية ، وعوائق المسيرة والانطلاق وملاءمة المناخ والمؤثرات من حوله .. ولكى نكون منصفين يجب أن تحكمنا النسبية فى آرائنا وأحكامنا .. أما إذا كنا نتصرف كأكاديميين ، أو نصدر أحكامنا الفنية مجردة كتقييمنا لكبار الفنانين المحترفين ، فأعتقد أن هذا ليس هو المجال المناسب للحديث عن هذه الكفاءات التى شقت طريقها الفنى بمجهود ذاتى لا يستحق منا إلا كل تقدير وإعجاب ..

يقول محمد الجيدة وهو يستعرض خطواته الأولى لمسيرته الفنية :

بدأت هوايتى لفن الرسم بميول تلقائية لا أستطيع أن أحدد متى بدأت تملأ على اهتماماتى فى هذه السن المبكرة .. ولكنى كنت شغوفاً بحب الاستطلاع والتأمل فى جماليات الطبيعة .. أحطم اللعب فى ولع شديد لأعرف ما بداخلها .. ثم أرصها أمامى وأحاول أن أرسمها بألوانها المبهرة ..

معارض اشترك فيها الفنان محمد الجيدة

— معرض نادى الجسرة الدائم منذ عام ٧٣ — ١٩٧٨ م

— معرض الفن التشكيلى القطرى بتونس ١٩٧٩ م

— معرض ثنائى مع الفنان حسن الملا بنادى الجسرة ١٩٧٩ م

— معرض الخليج للفنون التشكيلية الأول (الدوحة) ١٢ فبراير ١٩٨٠ م

— معظم المعارض المحلية من سنة ٧٥ — ١٩٨٤ م

— معرض برلين / المانيا الغربية ١٩٨١ م

— معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب ١٩٨٣ م

من وحى البحر

الى أن التحقت بالمدرسة الابتدائية .. لأرى أن هناك مدرساً للرسم يوجه ويناقش ويفتش عن المواهب الكامنة .. فأحببت الرسم أكثر وأكثر واعتبرت أن مدرس التربية الفنية هو مثلى الأعلى ، أحاول أن أقلد رسمه وأتقمص شخصيته .. وعندما انتقلت الى المرحلة الاعدادية تفتحت موهبتى أكثر عن ذى قبل ، وأصبحت من رواد المرسم المدرسى مع زملائى محبى الفنون ..

وابتدأت مرحلة جديدة : هناك معارض



راعى الغنم

مدرسية .. ولوحاتنا تعلق ليراها الناس .. بل ونحصل على كلمات الثناء .. وعلى جوائز تشجيعية كذلك . وانعكس هذا الاهتمام على المنزل .. فشجعنى الأهل والأصدقاء .. كل يود أن أرسم صورته أو أهدى له (لوحة) من أعمالى المتواضعة .. وكانت محاولاتى ــ بطبيعة الحال ــ تعتمد أساساً على الخامات البسيطة كالأقلام الملونة . وهنا بدأت هوايتى للتصوير الضوئى .. أسجل المناظر من حولى .. الصحراء والبحر والسفن وحياة البدو .. وأقوم بطبعها بنفسى فى الحجرة المظلمة التى أعددتها فى البيت وزودتها بكافة الأدوات والأحماض .

رحلة الوعى .. وبداية المسيرة

ويستطرد فناننا الشاب المتحمس فى حديثه فيقول :

ــ وفى دوامة الحياة ومتاهاتها النفسية انقطعت عن ممارساتى الفنية سبع سنوات .. ولكنى أحسست بأن روح الفن الجميل مازالت تشدنى برباط وثيق لا فكاك منه .. ولاسيما وأن دراستى الجامعية كانت فى تخصص آخر وهو التاريخ والتربية بجامعة قطر .. ولكن الثقافة الفنية والممارسة العملية يمكن أن تكون ذاتية بالعمل الدائب والاطلاع .. وبدأت مرحلة جديدة أهلتنى لأن أكون قاسماً مشتركاً فى الحركة الفنية القطرية ونشاطاتها ومعارضها حتى اليوم ..

• • وهنا سكت فناننا على استحياء وابتسم فى أدب وتواضع عرف عنه .. ولكنى اتذكر مساهماته الجادة التى شارك فيها اخوانه الفنانين القطريين منذ عام ١٩٧٩ .. تلك المساهمات التى حظيت باعجاب المواطنين والمسئولين على كافة المستويات فى الدوحة ..

حيوية فى حركة التشكيل القطرى الذى تطور بسرعة فائقة فى السنوات التالية .

• أما الحديث عن انشاء المرسم الحر ودوره الفعال فى تفتح البراعم واحتضان الكفاءات القطرية .. فيحدثنا محمد الجيدة عنه بقوله :

ـ منذ نحو خمس سنوات افتتح المرسم الحر أبوابه .. كمشروع رائد فى منطقة الخليج ولاشك أنه أحدث تحولا فى المفاهيم الفنية عند الشباب .. وتسابق الموهوبون للانضمام إليه ، حتى بلغ عددهم أكثر من مائة .. هم الآن دعامة النشاطات الفنية والمعارض التى تمثل الدوحة فى كل المحافل والمجالات .. وأصبحت مع زملائى الفنانين نحيط علماً بآفاق جديدة لم نعهدها من قبل .. واستفدت أكبر الاستفادة فى مجال أسرار اللون والتكوين واللمسات والتقنية والمعالجات الفنية الرفيعة .. واكتسبت خبرات ما كنا نتوقع أن تتاح لنا فى يوم من الأيام ، حتى أننا كنا ننسى أنفسنا فى العمل والمناقشة .

واستمر المرسم يوالى نجاحاته واستقطاب المواهب .. حتى وصل إلى ما هو عليه الآن .. مستقلا بمعارضه السنوية العامة ووضعه بين دول الخليج ..

مرحلة النضوج

• إن محمد الجيدة قد سلح نفسه واستغل إمكاناته لخوض التجربة الفنية التصويرية وهو راسخ القدم واثق من خلفيته الثقافية والعملية ..

بدأ يقدم على الاطلاع بشغف غريب .. ودعم مكتبته الشخصية بالمئات من كتب الفن فى شتى الفروع والتخصصات .. وأصبحت أعماله تتسم بطابعها الخاص المميز .. لا تخطئها عين بين أعمال إخوانه من الفنانين القطريين .. يشارك فى كل المناسبات الوطنية والقومية والدولية .. بأسلوبه الواقعى الذى يحظى بمواصفات بصرية رائقة تسهل قراءتها واستيعابها ..

كتبت عنه الصحافة الكثير .. وتقبل الناس أعماله بالإعجاب .. وله مساهمات صحفية وأدبية تدعم مفاهيمه الفكرية وتعمق انتماءه لبيئته وتراثه .. وهو لا يكف عن التطلعات الطموحة والأحلام التى لاتحدها حدود .

ولابد للفنان من أن يطلق عنان أحلامه .. ليرى العالم من حوله باتساع أكثر وفهم أعمق ورؤية أشمل وأوضح .. وهذا باختصار فناننا الصاعد محمد الجيدة .

جمال قطب


شارب القدو

فى عام ١٩٧٩ كانت تجربته الرائدة فى إقدامه على اقامة معرض ثنائى مع زميله الفنان حسن الملا بنادى الجسرة ، حيث رحب به النادى منذ ذلك الحين .. وكون مع الفنانين جاسم زينى ويوسف أحمد وحسن الملا ومحمد علي مجموعة عمل تقيم المعارض المتتالية ضمن نشاطات نادى الجسرة الثقافى الاجتماعى ، والذى يعود إليه الفضل فى دفع هؤلاء الفنانين الشبان وتهيئة الظروف أمامهم لعرض فنهم والدعاية لهم فى أنحاء البلاد .. وتشعبت اهتماماتهم البيئية فكونوا شبه (متحف) صغير لمبنى النادى يضم الأزياء الشعبية والأسلحة القديمة ، وأدوات الغوص والحرف التقليدية وغيرها من معالم التراث القطرى الخليجى ، بجانب مرسم خاص للرسم والنحت والتشكيل بكل خاماته وأنواعه ..

وبدأ اهتمام المسئولين بالدوحة بهذه الحركة الابداعية الوليدة .. وتولى الفنان يوسف أحمد رئاسة قسم الفنون التشكيلية بإدارة الثقافة والفنون ضمن نشاطات وزارة الاعلام الثقافية والفكرية .. وأصبح هذا القسم الذى يعنى بالفن ورواده ركيزة

طريق الفجر طويل

شعر: محمد حمد الصويغ

ـ ١ ـ

فى خاصرة التاريخ كتبنا شيئاً
قلنا شيئاً ..
وانهمر الحزن على أطفال القرية
لا أحد يقول بأن الحزن ..
له عنوان آخر ..
غير عيون الأطفال
اذا كبر الحرمان
وشب مع العمر ..

ـ ٢ ـ

تباعدت الأفكار عن الأفكار
تدلت من سقف البيت حصاة
أخذ السكان يصيحون ..
وهذا ـ الطفل الأحمق ـ مازال يغني
ويراقص أعصاب أهالى القرية ..
و ـ الجد الثالث ـ مازال يداعبه

ـ ٣ ـ

وتولد فى نفس الطفل الأرعن
شيء من كره مدفون ..
للصمت القابع فى القرية
للأطفال ..
وللأشجار ..
وللجد الثالث
فانساق إلى الصوت الآتي
من معمعة ـ التاريخ ـ الماضي
والحاضر ..
تلون مثل الأشجار
كحبات الرمل ..
وأشهر قدام الناس حكايته

سخروا منه .. ومنها ..
فتلفت صوب الحدائين
فلم يبصر أحداً ..
حينئذ صرخ بأعلى صوت
سمعته الجدران :
ـ .. بأن الحب قريب
.. فلتقرع كل الأجراس ..

ـ ٤ ـ

وكان حيياً ..
يخجل من همس الريح
وجرح الصمت القاتل ..
حين يعالج بالصبر المقوت

ـ ٥ ـ

توارى عن عين القوم
وراح يغني للطير ..
كعادته في كل مساء
أبصره الجد ..
فقال له : لا تحزن
فالعمر قصير ..
حين يداوى بالحزن

ـ ٦ ـ

تقاطرت الأشجان على رأس الطفل
وأبصر كيف يموت النمل ..
وكيف تعملقت الأقزام ..
وكيف السحب تمر بلا مطر
.. أخذ يسائل مثل جميع الأطفال :
ـ .. الى أين يولي ماء النهر ..
وتلك الأغصان علام تجف .. ؟

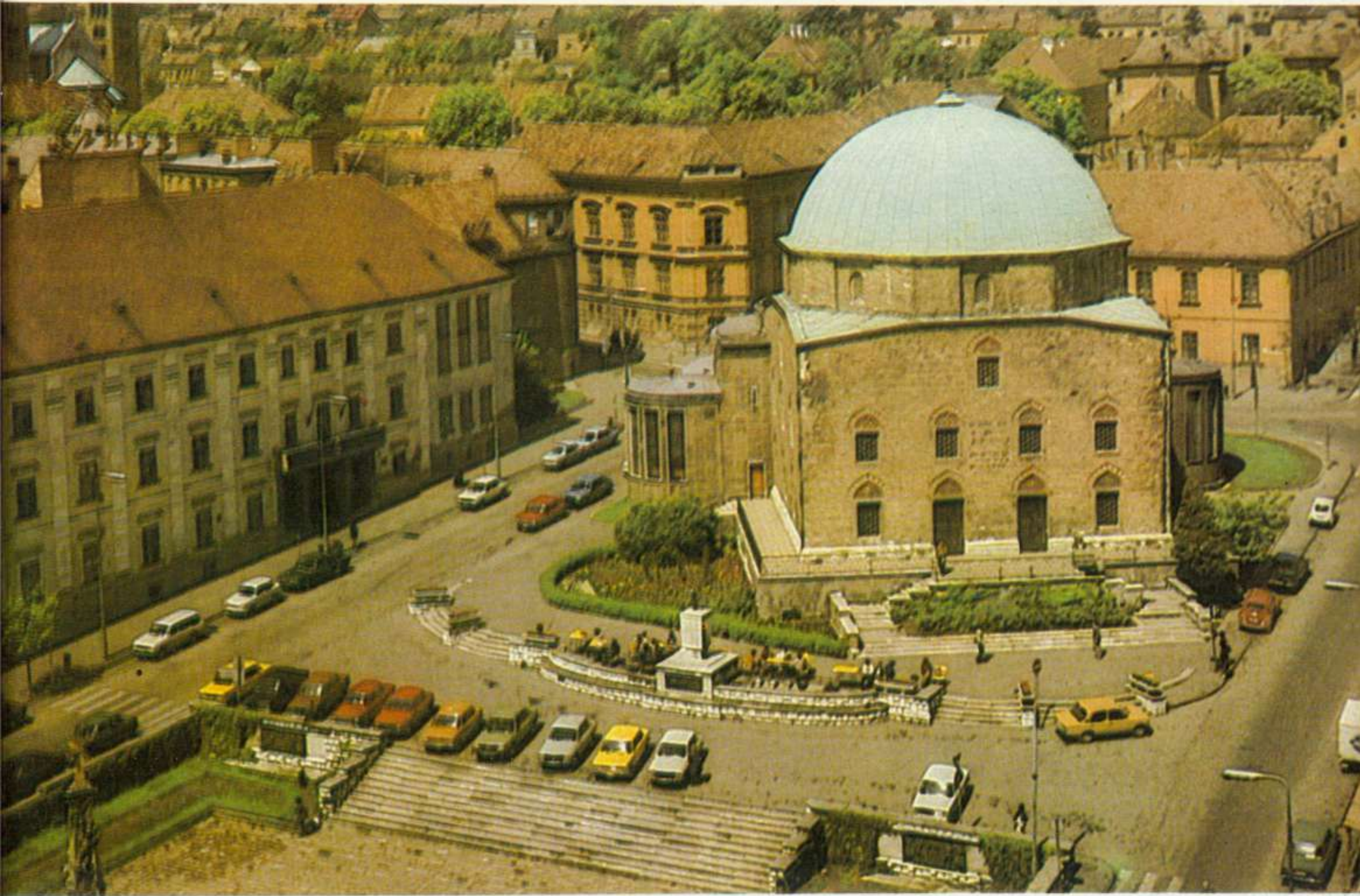
ـ ٧ ـ

حينئذ غرس ـ الجد ـ أصابعه
في عنق الطفل ..

فمات المسكين ولما يعرف بعد
بأن طريق الفجر طويل ..
والموت طويل ..

الإسلام والمسلمون في المجر

بقلم: محمد سعيد



المسجد الكبير فى ميدان «ساتشيني» فى قلب مدينة «بيتش» جنوب غرب المجر..

• عندما وصلت ــ مؤخراً ــ الى مدينة بودابست عاصمة المجر (هنغاريا) قال لى صديق عربى يحضر لدرجة الدكتوراه فى العلوم الزراعية بجامعة العاصمة المجرية أن هناك أسبوعاً للثقافة الاسلامية يقام فى كلية الدراسات الإنسانية بجامعة بودابست وأنه يشغل الكثير من إهتمام المثقف المجرى، وأن هذا الأسبوع يضم الى جانب المحاضرات والندوات والمناقشات ومعارض الكتب ونماذج التعريف بالحضارة الإسلامية مفاجأة جديدة، فقد صرحت الحكومة للمسلمين بتكوين جمعية اسلامية تتيح لهم حرية العبادة ونشر الكتب الاسلامية وتنظيم اللقاءات الفكرية، الى جانب الاهتمام بإحياء علوم الدين وقيام دراسات حول الفكر الاسلامى ونشاطات المسلمين المختلفة.

كانت هذه المعلومات جديدة ومفرحة بالنسبة لى ولكل من قرأ كتابات المفكر المجرى المسلم الدكتور عبد الكريم جرمانوس، أو أتيح له اللقاء به مثلما تحقق لى هذا فى عام ١٩٧٤. هذا المفكر الكبير الذى تستعد الأوساط الثقافية الاحتفال بعيد ميلاده المئوى فى عام ١٩٨٥ وبعد ثمانية أعوام من رحيله عن الحياة التى كان يتفرغ فيها للبحوث الاسلامية، وكان يتميز حتى آخر العمر الذى إمتد به حتى جاوز التسعين بذاكرة قوية وعقلية مرتبة منظمة وارادة حديدية حفظت له أسباب ايمانه

* لا توجد احصائيات دقيقة عن تعدادهم ، وإن كانت بعض المصادر تؤكد : ١٥٠ ألف مسلم !

* أشهر علمائهم : الدكتور عبد الكريم جرمانوس الذى قام بترجمة معانى القرآن إلى المجرية .

* المسلمون هنا .. هم بقايا الأعداد الهائلة التى تعرضت للاضطهاد والمطاردة فى أوربا بعد سقوط الدولة العثمانية .

* كيف تحول مسجد « قاسم غازى » الى كاتدرائية قبل ثلاثة قرون ؟



فى المساحات الزراعية المحيطة بمدينة بيتش يبدو مدى تأثير الطابع الاسلامى على سلوكيات الناس وحتى على ما يرتدونه من أزياء محتشمة .

وتدينه حتى آخر العمر .

وفى نوفمبر الماضى أصدرت دور النشر كتاباً ضخماً عن الدكتور عبد الكريم جرمانوس الذى ولد فى ١١ نوفمبر ١٨٨٥ م فى مدينة بودابست ، والكتاب يحمل اسم Muslem of East أى « مسلم الشرق » ويتحدث الكتاب عن العالم المسلم الذى كان يحمل اسم يانوش جرمانوس قبل اعتناقه الإسلام ، وعندما تخصص فى الدراسات واللغات الشرقية وسافر الى الهند فى الثلاثينات من القرن الحالى ، اعتنق الإسلام بعد صحبة طويلة لعلماء المسلمين فى الهند التى عاد منها الى بلاده وهو يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة ، بعد أن أجاد فى رحلته الى الهند الانجليزية والفارسية والأردية ، كما أجاد أيضاً اللغة التركية فى رحلته الى استانبول ، الى جانب ما اكتسبه بنفسه من تعرف على اللغات الالمانية والفرنسية واليونانية ، وهى بالطبع غير لسانه القومى من خلال اللغة المجرية التى تنتمى لعائلة لغوية فريدة لا تنتمى الى العائلات الأوربية السلافية أو اللاتينية .

كان الدكتور عبد الكريم جرمانوس يعرف أيضاً أسرار اللغات القديمة اللاتينية والاغريقية والفارسية والهيروغليفية ، وقد أمدته هذه المعارف اللغوية بقدرة على البحث والتحليل والتنقيب جعلته يؤمن بالإسلام عن بحث وتمحيص ودراسة

الإسلام والمسلمون في المجر

متأنية بجانب نزعة الايمان القوية ، التى جعلت كل من قرأ كتاب الدكتور محمد حسين هيسكل « فى منزل الوحى » يبدى اعجابه بالمفكر المستشرق المسلم عبد الكريم جرمانوس الذى كان موضوع مقدمة كتاب الدكتور هيكل بعد زيارته لبيت الله الحرام وأداء فريضة الحج .

مسلم الشرق ومسلم الدانوب

ترجمت لى السيدة مرجيت شاندور فقرات مقال نشرته واحدة من أكبر الصحف اليومية التى تصدر فى بودابست باللغة المجرية ، والتى تناولت فى المقال المفاهيم الإسلامية وحضارة الإسلام ، وقالت لى معقبة عما نشر فى المقال حول السماح بإنشاء جمعية للمسلمين فى المجر ، وما صاحب ذلك من أسبوع إسلامي في كلية الدراسات الانسانية ، وما صحبه أيضاً من تكريم للمفكر عبد الكريم جرمانوس الذى رحل عن الحياة فى ١١ نوفمبر ١٩٧٩ ، فى نفس يوم مولده ، أن هذه الأنباء لها دلالات كثيرة فقد كان النشاط الإسلامى قبل القرارات الأخيرة غير معترف به فى المجر التى تعتنق بموجب دستورها الفكر العلمانى الذى لا تشغله معتقدات الناس الدينية ويفصل بينها وبين نظام الدولة وفلسفتها السياسية !!

ولكن الدولة كانت تسمح بوجود نشاطات دينية لغير المسلمين ، والأغلبية التى تقترب من مجموع عدد سكان المجر (التعداد الأخير عشرة ملايين نسمة) تدين بالمسيحية الكاثوليكية ، مع وجود بعض الديانات الأخرى مثل الديانة اليهودية ولها معبد ضخم يتردد عليه يهود المجر فى مدينة بودابست ومعابد أخرى عديدة فى عدد آخر من مدن المجر وذلك على الرغم من أن غالبية يهود المجر هجروا بلادهم الى اسرائيل قبل قيام الدولة الصهيونية ، وأيضاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة الفاشية المجرية المتعاونة مع المانيا النازية وتكوين جمهورية المجر فى ابريل ١٩٤٥ .

وغير الغالبية الكاثوليكية والأقلية اليهودية هناك أقليات أخرى منها أتباع المذاهب المسيحية غير الكاثوليكية مثل البروتستانت والأرثوذكس والادفنتست والانجيليين وغيرهم .

أما المسلمون فلم تكن الحقبة الماضية أمينة فى معاملتهم وفى إفصاح كل منهم عن عقيدته خشية البطش أو الاضطهاد ، ومن هنا فلا يوجد إحصاء دقيق عن المسلمين فى المجر ، وإن كانت بعض المصادر تقول ان عدد المسلمين في المجر لا يتجاوز ثلاثين ألفاً ، بينما تقول مصادر أخرى أن عدد المسلمين فى المجر يزيد عن ١٥٠ ألف مسلم وهو رقم كبير فى ضوء التعتيم على الوجود الاسلامى فى المجر منذ تراجع العثمانيون وانسحبوا من حوض الدانوب قبل ثلاثة قرون ، فمنذ انكماش المد الاسلامى فى ظل الخلافة العثمانية من وسط أوربا والمسلمون فى هذه الانحاء يعانون من الاضطهاد الذى جعلهم لا يعلنون عن هويتهم الدينية فى مواجهة قيام الثوار المجريين بالانتقام من اتباع العهد التركى تحت شعار القومية المجرية ، وحيث أمكنهم بالتهديد إجبار الكثير من مسلمى المجر فى القرن السابع عشر الميلادى على التخلى عن ديانتهم الإسلامية التى كانت مصدر إزعاج لبعض الهيئات السياسية والدينية المتعصبة فى أوربا ، التى جعلت الديانة الإسلامية هى البؤرة التى يرتكزون فى محاربتها على تحريك المشاعر القومية التى نجحت من خلال المطاردة والتسلط فى خلق هواجس مرتبطة بنمو الفكر القومى فى وسط أوربا ، ذلك الفكر الذى يرتكز على التصدى للإسلام فى ظل موجات الصراع السياسى فى العهود التى صاحبت مد وجزر الامبراطورية العثمانية فى وسط أوربا .

ورغم بقاء الطباع والتقاليد والسلوكيات الإسلامية وأيضاً بعض ألقاب العائلات ذات الأصول المسلمة ، لم يستطع المسلمون فى المجر حماية كيانهم الاجتماعى والفكرى مثلما حدث لمسلمى يوغوسلافيا التى يتعايش فيها عدد من القوميات والأديان ، فقد كان هذا الأمر أكثر صعوبة فى جارة يوغوسلافيا وشريكتها فى نهر الدانوب ــ أى المجر ــ وعلى نحو يبدو شبيهاً فى النمسا التى ربطتها بالمجر امبراطورية واحدة حتى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، ولكن حال المسلمين فى النمسا أيضاً كان أكثر مرونة من الحال فى حوض الدانوب المجرى .

ومن هنا فان اعتراف السلطات المجرية فى هذا الوقت المتأخر من القرن العشرين للمسلمين فى المجر بحقهم القانونى فى ممارسة شعائرهم الدينية وتكوين جميعة اسلامية تظلل نشاطاتهم العقائدية والفكرية والثقافية والاجتماعية ما هو إلا بمثابة تحقيق لأمل كبير جاهد من أجله المفكر الدكتور عبد الكريم جرمانوس الذى كان فى حماية أنهم ينظرون الى نشاطاته الإسلامية الفكرية من منظور البحث العلمى فى العلوم الإنسانية .

لقد كان من أحلام الدكتور عبد الكريم جرمانوس وزوجته الراحلة السيدة عائشة جرمانوس أن يريا فى بلادهما جماعة إسلامية تهتم بشئون المسلمين ، وان تنتهى تلك الفترة السوداء التى عاش فيها المسلمون فى ظل فكر الدولة العلمانى وفى ظل مواريث تاريخية جعلت الاسلام وأتباعه فى ظل حصار ومطاردة من المتعصبين الأوربيين المتسترين وراء الدعاوى القومية خلال الحقبة التى تلت انحسار القوة عن الامبراطورية العثمانية .

ولقد صاحب التطورات الخاصة بتكوين جمعية للمسلمين فى المجر وقيام نشاطات فكرية إسلامية فى المحافل الثقافية عودة دماء المشاعر الإسلامية الى وريد الحياة فى عدد كبير من مساجد المجر التى ظلت لسنوات طويلة مزارات اسلامية أثرية لا تمارس فيها العبادة ، بل تحول بعضها من مساجد الى كنائس وكاتدرائيات ترى فى داخلها النقوش التجريدية الإسلامية مع الرسوم التشخيصية المسيحية على جدران مبنى واحد وعلى نحو يلاحظه الزائر للمسجد الذى تحول الى كنيسة فى المنطقة الموجودة أعلى الربوة العالية المطلة على نهر الدانوب والمعروفة باسم كاتدرائية ماتياس ، ولاتزال كذلك الكاتدرائية الرئيسية فى مدينة بيتش تحمل اسم مؤسس المبنى ، فقد كان مسجداً كبيراً لمؤسسة غازى قاسم باشا ، إلا أنهم فى السنوات الماضية أضافوا لبنائه الأساسي بعض المرافق المعروفة فى الكنائس والتى لم تكن موجودة فى المسجد !

على أن هناك مساجد كبيرة صمدت بفعل دعاة التحرر من التعصب ، وبقيت كما هى مزارات حضارية ، ولم تكن تمارس فيها العبادات والشعائر الإسلامية ، ومن أهم هذه المساجد وأكثرها شهرة المسجد الكبير فى العاصمة بودابست والمسجد ذو المنارة العالية فى مدينة « أجار » ومسجد مدينة « سيجار » وكذلك مساجد مدينة « بيتش » التى ظلت آخر قلاع المسلمين فى المجر عند انحسار مد الدولة الإسلامية فى القرن السابع عشر الميلادى .

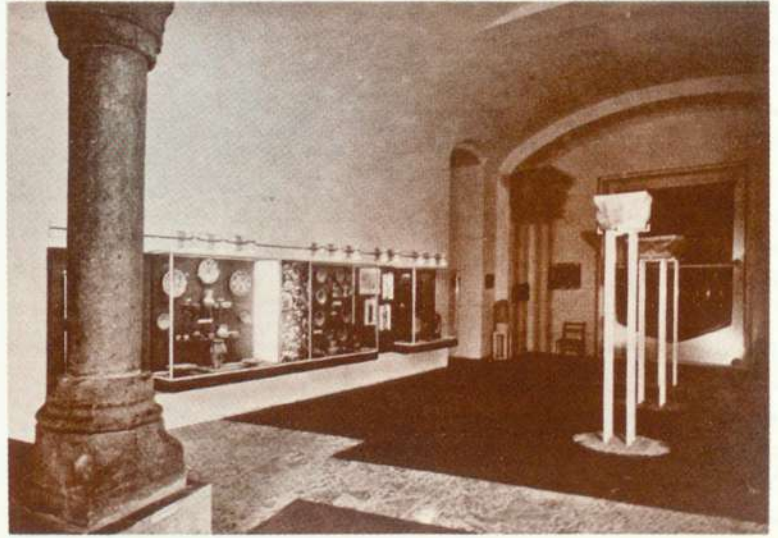
• لأول مرة ندوة عن القيم الإسلامية .. وصحيفة مجرية تنشر سلسلة من المقالات عن العدالة فى الاسلام .

• قصة السيرة النبوية العطرة بالخط العربى الجميل فى أهم مساجد مدينة بيتش .

عودة الروح لمسجد

يعقوب علي حسن

ومدينة « بيتش » تقع على بعد ٢١٠ كيلومتراً جنوب غرب العاصمة بودابست ، يقطع القطار



جزء من المتحف (المعرض) الملحق بالمسجد ، وهو يضم
مقتنيات للحقبة العثمانية فى تاريخ وسط أوربا والمجر .

السريع المسافة إليها فى نحو ثلاث ساعات في حال الوصول إليها عن طريق السكك الحديدية .

وقد حرصت على زيارة مدينة « بيتش » لأرى مظاهر التجديد التى حلت بمسجدها الشهير المسمى باسم منشأة العارف بالله يعقوب علي حسن باشا ، وفى القطار الذاهب الى بيتش تعرفت على أسرة مجرية ، قال لى رب الأسرة البروفيسور « جردانى بيلا » أستاذ الاقتصاد السياسى لعلك سعيد بإمكانك أداء الصلاة فى مسجد يعقوب علي فى مدينة بيتش .. ولم أعقب على عبارته الودودة انتظاراً للوصول الى المدينة الناعمة الهادئة القريبة من الحدود اليوغوسلافية بالقرب من جمهورية البوسنة والهرسك حيث أكبر كثافة سكانية للمسلمين فى يوغوسلافيا .

وعندما وصلت الى مسجد يعقوب علي باشا لاحظت بعض من التغيير يحيط بالمكان .. ليس فقط تغييراً شكلياً ، لكنه أيضاً تغيير فى الجو العام ، فقد زرت نفس المسجد قبل عدة سنوات وكانت الكآبة بادية عليه ، فهناك من يحرم بيتا من بيوت الله من أن يرتاده المؤمنون للصلاة وإقامة الشعائر الدينية ، وعندما عدت لزيارة المسجد مؤخراً لاحظت أن لمحة الحزن ومسحة الألم تكاد تنسحب من على ملامح المكان .

كيف ؟ !

لقد تحقق حلم المفكر الإسلامى المجرى عبد الكريم جرمانوس وأعيد تجديد المسجد بل وسمحوا للمسلمين بإرتياده للصلاة .

ومسجد يعقوب علي حسن باشا أشهر وأقدم مساجد أوربا بإستثناء مسجد خسرو غازى باشا فى مدينة سيراييفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك اليوغوسلافية والمسجد المجرى الذى يعد أحد أهم معالم مدينة بيتش يتكون من جزئين أساسيين ، أولهما ذلك البناء التاريخى للمسجد الذى يعطى فى داخله الاحساس بالطراز المعمارى الإسلامى الذى ازدهر فى عهد الدولة العثمانية . والجزء الآخر الذى أقيم فيه متحف المسجد يمتد من المبنى المجاور الذى يشغله مستشفى تم بناؤه على الأرض التى كانت تحيط بالمسجد فى الماضى ، وحيث ألحق جزء من هذا المستشفى بالمسجد ليصبح متحفاً للمقتنيات والمخطوطات الاسلامية النادرة التى وجدت فى مسجد يعقوب علي ياشا أو خلال الفترة التى حكم فيها المنطقة أحد الولاة العثمانيين مثل حاكم المنطقة مولاى درويش .

ويضم المتحف الملحق بالمسجد حائطاً ضخماً للمعروضات بطول المر ، ويتضمن أعمالا وقطعاً تنتمى للفن الإسلامى ، وتوضح التراث الثقافى المجرى والتركى فى تلك الفترة من حكم الأتراك للمجر وبلدان البلقان ، والتى تعود الى القرن السادس عشر الميلادى ، وبجانب القطع والمقتنيات الأثرية هناك رسوم بالجرافيك تمثل المنطقة فى تلك الحقبة .

والمخطوطات المحفوظة بالمسجد تروى قصته من خلال رواية السيدة إيفليا شلبى التى أمضت بجوار المسجد فترة من عام ١٦٦٠ م وحتى عام ١٦٦٤ م ، والتى تقول أن المسجد يسمى باسم يعقوب على حسن ، وكان يضم بجانب مكان العبادة مدرسة وفصول لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم المتقدم .

واسم يعقوب علي ليس اسما لجد صاحب هذا المسجد ، لكنه النطق العربى لتسمية Yakavali التى تعطى نفس المعنى ولكنها اسم لمدينة تسمى Yakava كانت تتبع امبراطورية المجر (هنغاريا) فى الماضى لكنها الآن تقع داخل النطاق الادارى لجمهورية يوغوسلافيا وقد تعود تسميتها الى أحد دعاة المسلمين الأتراك ممن استقروا فى هذه المنطقة خلال المد التركى الإسلامى فى وسط أوربا وحتى الحدود الايطالية غرباً ومشارف فيينا شمالا .

والتاريخ الدقيق لإنشاء المسجد والمبانى المجاورة له مثل الحائط والساتر الذى يحيط بالمسجد والمدرسة والمستشفى غير معروف بدقة ، ولكن الباحث الذى ألف كتاباً باللغات المجرية والتركية والانجليزية وهو الدكتور « جيرو جيوزد » الذى وضع كتاباً يحمل اسم « مسجد بيتش العريق » يرى أن المسجد وملحقاته قد تم بناؤه فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى .

ومسجد يعقوب على حسن قام بعد ذلك على الطراز المعمارى للمساجد التى تقام فى الميادين والساحات الكبيرة ، والشكل العام للمسجد يشبه الدائرة التى تعلوها منارة فى الجزء الشمالى الغربى من مبنى المسجد ، على أن هذا المسجد يتميز عن كل المساجد الإسلامية التى بقيت فى المجر بعد انحسار المد العثمانى قبل ثلاثة قرون ومن أبرزها مسجد مدينة « أجار » والمسجد الكبير بمدينة « بودابست » ومسجد « قاسم غازى » فى ميدان « ستشاين » قلب مدينة « بيتش » وحيث يبدو شكل المسجد المتميز من خلال أركانه الأربعة العليا التى تتجه نحو القبلة وحيث تبدو فتحات النوافذ مقطوعة من نفس البنية الأساسية للمسجد والمكونة من طبقتين ، وكل نافذة مغطاة بما يسمى زخارف الأرابيسك التى تسمح بتسلل ضوء الشمس ، وهذه النوافذ مقامة من الحديد المجوف بالزجاج ، وبالمسجد مبنى تقودك اليه عدة درجات رخامية ، ويتجه المبنى نحو مكة المكرمة ، وعلى مقربة من صحن المسجد هناك جزء علوى مخصص لصلاة النساء ، وكان بجوار المسجد ماكينة لإستخراج المياه من بئر مجاورة تستخدم فى الوضوء ، ويزين جدران المسجد من الداخل آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالخط العربى ، ومن خلال تنويعات استخدم الخط العربي فى أرقى صور التعبير الجمالى ، وبجانب الآيات الكريمة هناك بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ولاتزال هذه اللوحات الخطية بارزة يمكن قراءتها بوضوح رغم مرور أربعة قرون على تزيين جدران المسجد بها .

وقد تجدد بناء المسجد بعد إجراء بعض الترميمات فى عام ١٦٨٦ عندما تعرض لبعض الهزات الأرضية .

وفى عام ١٧٠٢ م وبعد انحسار المد العثمانى عن المنطقة استولى أسقف « نسلرود » على مبنى

للتشهير بالدولة العثمانية الإسلامية .

وتوضح الخرائط الزمنية الموجودة فى بهو مسجد يعقوب علي حسن هذا المد الإسلامى منذ إنشاء دولة تركية صغيرة فى « أناضوليا » حيث هزمت جيرانها ثم امتدت مساحتها منذ أصبحت « بورصا » عاصمة للامبراطورية العثمانية الأولى فى عام ١٣٢٦ فى آسيا الصغرى وحتى حدث التقدم الطارىء الذى مكن العثمانيين من التقدم الى أوربا بعد سقوط « أدير » أيضاً ، وفى عام ١٣٥٣ أصبحت « القسطنطينية » فى حوزة العثمانيين ، وتغير اسم المدينة ليصبح « الأستانة » أو استانبول اليوم ، وأعطى هذا الوضع المتميز للعثمانيين القدرة على السيطرة على كل البلقان فى عهد السلطان سليمان الأول عام ١٥٢١ ، عندما تقدمت القوات العثمانية فسيطرت على « بلجراد » بعد أن استولت على « ساباكاس » ثم وصلت الى المجر ، وفى الأراضى الهنغارية بدأت الاشتباكات بين القوات العثمانية والقوات المجرية عقب سقوط مدينة « بودا » (الجزء الأعلى والأكثر قدماً من العاصمة الحالية « بودابست ») فى عام ١٥٤١ م وحيث استمر الحكم العثمانى للمجر قرابة مائة وخمسين عاماً ، واستمر المجريون فى حرب العثمانيين حتى سقطت آخر معاقلهم فى « كانزيا » على حدود المجر اليوم ، وكان ذلك فى ابريل من عام ١٦٩٠ م ، وبعد فشل الحصار العثمانى لمدينة فيينا فى عام ١٦٨٣ م .

ويعرض المتحف الملحق بمسجد يعقوب علي حسن باشا الأسلحة المستخدمة فى الحرب بين القوات العثمانية التركية والقوات المجرية والنمساوية ، وكذلك معلومات تاريخية واقتصادية واجتماعية من الحقبة العثمانية من تاريخ المنطقة وأساليبها فى الإدارة والإجتماع والاقتصاد والحياة الدينية .

ويروى الكاتب المجرى الدكتور « بورتزكى لاتزلو » أن الأتراك المسلمين ممن استقروا فى المجر ونجحوا فى اقناع بعض السكان المقيمين باعتناق الإسلام اقاموا العديد من المساجد الجديدة ، ومن اشهر هذه المساجد ما سمى على أسماء بعض الباشوات من القادة السناجق والباكوات ، كما أقاموا المعاهد والمدارس والحمامات الخاصة بالنظافة والتطهر ، بجانب المقابر المقامة على الطريقة الإسلامية فى دفن الموتى ، وهذا بخلاف ما أقيم من أسواق مغطاة وغيرها من المعالم التى بنيت على الطراز العثمانى الذى مزج تراث الشرق المسلم بفنون العمارة والبناء الأناضولية ، وأغلب تلك المنشآت أقيم فى منتصف القرن السادس عشر ، وبقى الكثير منها يقاوم عاديات الزمان والطبيعة وسوء القصد البشرى ومحاولات الافتراء والتشويه والانتقام من بعض المعالم الإسلامية مثل مسجد غازى قاسم ومسجد يعقوب علي حسن ومسجد فرهاد باشا وهى كلها فى مدينة « بيتش » (Pécs) ، وفى نفس الفترة جرى بناء



ميدان « ساتشينى » فى مدينة « بيتش » حيث يبدو المسجد الكبير من بعيد

المسجد ، وخلال تلك الفترة غير من بعض معالمه وأصبحت الأرض المملوكة لأوقاف المسجد تحت تصرف اسقف المنطقة طوال الفترة التالية ، الى أن اقتطعت قطعة من أرض المسجد (الفناء الخارجى) وأقيم عليها مستشفى حديث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولكن فى الفترة من عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦٠ تجددت الدعوة الى ترك ملامح المسجد الحضارية كما هى دون تغيير ، وبمعاونة الجهات المشتغلة بالتراث العثمانى فى تركيا أمكن إعادة المسجد الى ملامحه القديمة ، وكان ذلك بداية من عام ١٩٦١ ، على أن إقامة المتحف الملحق بالمسجد لم يستكمل إلا فى منتصف السبعينات وحيث أعيدت الى المتحف المقتنيات الإسلامية التى خرجت منه الى متحف « يانوش بانونيوش » .

وعندما تدخل الى صحن المسجد العريق من المدخل الرئيسى تلحظ وجود عمود ضخم فى ركن القاعة ، هذا العمود كان ضمن بناء المسجد الكبير (غازى باشا) الذى لا يبتعد أكثر من ٥٠٠ متر عن مسجد يعقوب علي حسن باشا ، وهو المسجد الموجود فى الميدان المسمى اليوم ميدان « ساتشينى » . .

اللوحات المعلقة على الجدران تظهر عصر التقدم العثمانى التركى فى الممالك والامبراطوريات الأوربية فى اليونان والجزر اليونانية وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وألبانيا والمجر وقبرص وحتى مشارف مدينة ڤينا وحدود ايطاليا الشرقية ، الأمر الذى استقطب التكتلات الأوربية بزعامة بابا روما لمواجهة الفتح الإسلامى ، ومن ثم ما ترتب على استخدام الشعارات القومية كوسيلة

مسجد طويجون باشا فى بودابست ومساجد السلطان سليمان وعلي باشا فى منطقة « زيجتفار » التى أقيمت فيها قلاع بنيت فى العهد العثمانى .

وبجانب متحف مسجد يعقوب علي حسن نجد فى المكان « جاليرى » يضم بعض المقتنيات النادرة مثل بعض المنسوجات والزخارف والسجاد والأوانى المستخدمة فى الاغتسال والوضوء والمصابيح وسجاد الصلاة (المصلية) وكلها تعود لعهد الفاتح محمد الثانى (١٤٤٤ ـ ١٤٨١) وحتى عثمان الثانى (١٦١٨ ـ ١٦٢٢) وبعضها من التحف والمقتنيات التى وجدت فى المسجد وبعضها من المقتنيات المهداه للمسجد بعد اعادة الحياة اليه من متحف الباب العالى (توب كابى سراى) . فى تركيا .

• • •



منارة (مئذنة) يعقوب على باشا فى جنوب غرب المجر .

•وعندما تهم بمغادرة المسجد نلحظ فى الممر المؤدى الى الخارج وعلى الحائط الأيسر منه تناول بالمخطوطات للسيرة النبوية العطرة ، مصادرها كتابات تركية (مخطوطات) تعود الى القرن السادس عشر الميلادى ، كتبها بخط يدوى من خلال حروف عربية للغة التركية خطاط يدعى سيار فابى بك وأسماها « سيرة النبى عليه الصلاة والسلام » ، وبجانب هذه المخطوطات التى تحكى قصة الرسالة المحمدية التى بعثها الله ــ جل جلاله ــ على يد النبى محمد صلوات الله عليه ، نجد ملابس وأزياء تعود الى تلك الفترة وتخص بعض الولاة والقادة مثل البكتاش باشا ومولاى درويش وعدد آخر من المشايخ ورجال الدين والأئمة ، وقد قام برسم هذه الملابس والاعتناء بها والمحافظة عليها فنان فرنسى من القرن الثامن عشر .

وفى الاتجاه المعاكس لمدخل المسجد ، وعلى إمتداد الجدار الجنوبى الشرقى ، طبقة عالية من الأرض تعود الى مساحة داخلية الى اليمين منها نجد المحراب والمنبر الذى يخطب من فوقه إمام المسجد ، وهو مصنوع من الخشب ومرتفع عن سطح الأرض بحيث يصعد الامام عدة درجات حتى يكون فى مستوى يسمح للمصلين بمتابعته وهو يخطب فيهم يوم الجمعة وفى الأعياد .. وساحة المسجد مغطاةبالسجاد ، وبجوار المحراب مصحف شريف فوق حامل خشبى وبجواره القبلة حيث يتجه المصلون عبرها نحو مكة المكرمة ، ثم نجد عدداً من المسابح (جمع مسبحة) للتسبيح بحمد الله ، ونلحظ أن جدران المسجد محلاة بلوحات من الفن الإسلامى التى تستخدم جماليات الخطوط المعبرة عن تكوينات وتشكيلات الخطوط والظلال المعبرة عن جمال الحروف العربية فى الكتابة خاصة الكتابة اليدوية المحسنة ، وقد استخدم الخط لتجميل الجدران بكتابة أسماء الله الحسنى واسم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وأسماء الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبى طالب وأسماء أحفاد النبى صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة .

وعلى كل من الجانبين فى المدخل من الشمال ومن اليمين عند بوابة المسجد يطل المكان المخصص للنساء المترددات على المسجد للصلاة . ومن المعروف أن المسجد كان محاطاً بسياج حول الأرض التى أقيم عليها ولكن هذا السور أزيل فى القرن الثامن عشر وبقيت بعض أجزاء منه تفصل المكان عن أكبر فنادق المدينة ذات النجوم الخمسة .

وقد عرفت من أمينة متحف المسجد أنهم جمعوا مقتنياته من المتحف الوطنى المجرى ومن مقتنيات متحف بانانيوس يانوش ومتحف بودابست التذكارى ومتحف تاريخ الفن ، وكذلك هناك بعض القطع والتحف التى أهداها لمتحف المسجد متحف « توب كابى سراى » فى استانبول وقد أشرف على هذا الدكتور رفقى دانسمان الذى تولى مسئولية الثقافة فى تركيا قبل عشر سنوات مضت والدكتور حكمت جورساى مدير المتحف الوطنى التركى والسفير السابق لتركيا فى بودابست فؤاد كبنيك .

.... وأرحل عن المكان وتظل فى وجدانى ملامح الحياة التى عادت الى المسجد العريق بعد أن زالت عن محياه مسحة الحزن التى ظللت ملامحه طيلة سنوات مضت غاب فيها عن المسجد دوره الحضارى المتميز الذى يرتبط بدور المسجد فى الاسلام والذى عاد اليه مؤخراً مع السماح بالتردد والعبادة وأداء الشعائر الدينية فى المساجد .

محمد سعيد

نحو قراءة جديدة للدراما التليفزيونية

مطلوب وضع قواعد جديدة للنقد التليفزيوني!

بقلم: سعد لبيب

التليفزيون ظاهرة اقتحمت علينا حياتنا المعاصرة اقتحاماً عنيفاً قاسياً ، فقد أصبح شريكاً بالقوة فى حياتنا العائلية ، بل وفى كل جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية ، يتدخل فى كل شيء ، ويترك بصماته الواضحة على قيمنا وسلوكنا وعاداتنا واتجاهاتنا وأفكارنا ، بل إنه يكاد يجردنا من هذه الأفكار . فقد أصبح هو الذى يفكر لنا ويوجهنا الى السبيل الذى نختاره لحل مشاكل الحياة على اختلافها . وأسلمنا نحن له القياد فى سهولة ويسر ودون أية مقاومة .

بل لقد تجرأ على المدرسة ، وكانت تقوم بيننا مقام المعلم والمربى والمرشد ، فزاحمها فى وظيفتها ، وأصبح يستحوذ على عدد من ساعات العمر يفوق ما تستحوذ عليه المدرسة ، ناهيك عن مدى التأثير .

ومن لا يصدق فعليه أن يلاحظ سلوك أى طفل قريب أو بعيد عن أسرته ، بدءاً من الألفاظ والعبارات التى يستخدمها ، ومروراً بطريقته فى اختيار ملابسه وهواياته وطموحاته فى الحياة ، والله وحده يعلم كيف ستكون النهاية .

ولذلك فالتليفزيون ليس مجرد وسيلة اتصال تضاف الى سابقاتها من الوسائل ، بل إنه — وبكل المقاييس — يمثل ثورة فى مجال الاتصال تماثل الثورة التى أحدثتها المطبعة فى مسيرة الإنسانية .

إننا نعيش الآن سواء رضينا أو كرهنا ، فى « عصر التليفزيون » . ومن هنا كانت أهمية إخضاع هذه الظاهرة أو الثورة الاتصالية ، فى جوانبها المختلفة وعلى الأخص فى علاقتها مع المواطن العربى ، لما تستحقه من دراسة وتحليل .

عصر التليفزيون

ثبت من البحوث الميدانية القليلة التى أجريت فى عدد من الأقطار العربية أن عدد ساعات مشاهدة الفرد لبرامج التليفزيون — فى الظروف العادية — يتراوح بين ٣ و ٤ ساعات يومياً . ولا أحد يعلم على وجه الدقة عدد أجهزة الاستقبال التليفزيونى فى الأقطار العربية المختلفة . ولكن يمكن القول بصفة عامة ، واستناداً الى ما تنشره اليونسكو من بيانات — وهى تستند بدورها الى مصادر غير موثوق بها تماماً — أن الأقطار العربية تختلف كثيراً فيما بينها فى نسبة عدد ما تمتلكه من أجهزة تليفزيون بالنسبة لعدد المواطنين المقيمين إقامة ثابتة ، فتصل الى أكثر من مائة فى المائة فى كثير من دول الخليج بينما تنخفض بمعدلات كبيرة فى قطر عربى متسع المساحة كالسودان ، وتتراوح فى الأقطار العربية الأخرى بين هذين النقيضين .

وإذا أخذنا حالة محددة تتوافر فيها البيانات الإحصائية ، فإننا نقف عند مصر ، وهى دولة لا هى بالغنية ولا هى بالفقيرة ، فهى تمثل الموقف الوسط فى هذا المجال بين الدول العربية . وقد ثبت من إحصاء فبراير عام ١٩٨٣ أن عدد سكانها يصل الى ٤٥ مليوناً وأن عدد أجهزة التليفزيون فيها يصل الى أكثر من مليون وربع مليون جهاز (بالتحديد ٤,٣٥٢,٩٤٢ جهازاً) وقدر عدد الذى يشاهدون كل جهاز فى المتوسط بـ ٦,٤ أشخاص . وبعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد الذين يشاهدون التليفزيون فى مصر ، سواء بطريقة منتظمة أو غير منتظمة يصل الى أكثر من ٢٧ مليون شخص يشاهدونه يومياً — كما ذكرنا — لمدة تتراوح بين ثلاث و أربع ساعات ، وهو رقم مخيف من شأنه أن يصيب أى إعلامى يقدر مسئوليته الاجتماعية بشيء يشبه الدوار .

فاذا انتقلنا الى ما تحرص هذه الملايين من المشاهدين على مشاهدته من برامج التليفزيون لوجدنا الفيلم العربى يتصدر القائمةتليه المسلسلات التليفزيونية . ويستوى فى هذا المشاهدون من الأقطار العربية المختلفة .

فقد ثبت من بحث ميدانى أجرته مؤسسة بحثية غير حكومية هى « المجموعة الاستشارية للشرق الأوسط — ميج » لحساب التلفزيون المصرى فى يونيه ١٩٨٢ أن ٩٠,١٢٪ من المشاهدين فى مصر يشاهدون المسلسلات التليفزيونية بانتظام . ووصل الى نتيجة مماثلة بحث أجراه المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين فى بغداد والتابع لاتحاد إذاعات الدول العربية ، خلال الفترة من فبراير الى ديسمبر ١٩٨٢ ، وجرى فى خمس دول عربية ممثلة للمناطق المختلفة هى العراق والسودان والمغرب والأردن والكويت وتبين أن متوسط نسبة الذين يشاهدون المسلسلات التليفزيونية تصل الى

٨٠،٧٨٪ من بين مشاهدى التليفزيون (وهى تصل فى الكويت الى ٩٦،٤٤٪) وفى قطر أجرت وحدة البحوث التابعة لوزارة الاعلام فى العام الماضى بحثاً ميدانياً حول مشاهدى التليفزيون تبين منه أن جميع المقيمين لديهم أجهزة تليفزيون وأن ٩٨٪ من الذين يملكون التليفزيون يشاهدونه إما بانتظام (ثلاث مرات فى الأسبوع على الأقل ، أو بغير انتظام وأن ٨٥٪ يشاهدونه بانتظام ومن بين هؤلاء من يتابع المسلسلات العربية اليومية ٩٥٪ .

أفلا يكفى كل هذا لكى يحظى موضوع الدراما التليفزيونية بشكل عام بقدر أوفى من العناية والدرس .. ؟

هل التليفزيون وسيلة درامية ؟

يذكرنا هذا بمقولة لأحد أساتذة الاعلام والإذاعة البريطانيين (مارتن ايسلن) فى كتاب له صدر منذ سنتين بعنوان « عصر التليفزيون » حيث يقول : « إن التليفزيون فى جوهره وسيلة درامية » . فبالإضافة إلى البرامج الدرامية التقليدية التى يبثها التليفزيون فإنه يقدم برامجه فى اطار شاشة التليفزيون . وهى تشبه تماما خشبة المسرح ، كما تعتمد نغمة هذه البرامج حتى الواقعية منها ، على قدر من التمثيل ، وتستعين بالإضاءة والديكورات والحركة المحسوبة والملابس المختارة والتدريبات كما هو الحال فى الدراما وهو ما ينطبق على نشرة الاخبار والندوات والأحاديث وغيرها ، الأمر الذى يجعلها من وجهة نظر المشاهدين نوعا من العرض المسرحى ، ويجعلهم ينظرون إلى التليفزيون كأداة للترويج تقدم أشياء غير واقعية ..

وبصرف النظر عما فى هذا الرأى من تطرف — ولو أنه جدير بالنظر والتمحيص — فالثابت كما سبق القول ، أن المسلسلات التليفزيونية وغيرها من المواد الدرامية كتمثيليات السهرة أو المسرحيات التليفزيونية أو الحلقات الأجنبية تحظى بأوفر نصيب من المشاهدة فى الأقطار العربية شأنها فى ذلك شأن الغالبية العظمى من أقطار العالم ، وهو ما يجعلنا نقف وقفة قصيرة عند هذه القضية .. قضية الدراما التليفزيونية .

هناك من يقول إن الدراما هى المسرح ، وإن ما يقدم فى التليفزيون ليس إلا « تمثيليات » تليفزيونية سواء مسلسلة أو غير مسلسلة ، وهى عملية ليست لها علاقة بالدراما . وهنا يتحتم علينا أن نرجع إلى « أرسطو » أبى الفلسفة ، وأحد الرواد الأوائل فى نقد وتحليل الدراما إذ يقول : إن المحاكاة غريزة فى الإنسان منذ طفولته ، يتميز بها عن الحيوانات الأخرى ، ويتلقى بها معارفه الأولى . وأن المأساة والملهاة أنواع من المحاكاة . وإن أعمال الناس هى موضوعات تلك المحاكاة . وهكذا فإن أرسطو فى تعريفه للدراما لم يربطها بخشبة المسرح أو أى وسيط آخر تظهر من خلاله .

وسواء كان أرسطو يقصد المحاكاة بمعناها الضيق أو بمعناها الواسع ، فمما لاشك فيه أن البوادر للدراما لم تكن أكثر من محاولات لنقل صورة منظمة للأحداث الجارية والأساطير المعروفة .

وسواء أخذنا برأى أرسطو أو عارضناه ، فالمهم لدينا أن جذور الدراما كانت تمتد بشكل أو بآخر إلى أعماق الحياة نفسها ، إما لتحاكيها كما يقول أرسطو ، وإما لتحللها وتقيمها كما يقول بعض المحدثين . فالدراما تستقى مادتها من الحياة ، بل إن مداها يتسع ليشمل الحياة بأسرها . فهى من هذه الوجهة فن إنسانى يرتبط بمشاكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

كما أنها تعتمد على نوع من التفسير للحياة . وقد يكون هذا التفسير غير قاطع أو واضح ، ولكن يتحتم أن يكون تفسيرا شاملا والفنان ينتقى من مادة الحياة الوفيرة تلك الأشياء التى تبرز موضوعه ، ويعمل على معالجة مادته التى اختارها بنوع من التركيز . فالفن اختيار وتركيز مع مراعاة أن جوهر الدراما هو الصراع ، سواء كان محور الصراع هو الأفكار أو الأفراد .

والرأى الذى يتبناه غالبية الكتاب والنقاد هو أن الدراما ، وبهذا التعريف الذى قدمناه ، ليست هى المسرح ، بل إن المسرح بشكله الذى نعرفه الآن لم يكن هو الشكل الموجود أيام الحضارة اليونانية القديمة ، وقد مر بعدد كبير من الأطوار حتى أخذ شكله الحالى . وحتى هذا الشكل فإنه ليس مستقرا أو معترفا به من الجميع حتى الآن . فالمسرح ليس إلا الوسيط الذى تظهر فيه الدراما — وهى الفعل — وفى عصرنا الحاضر أصبح هناك أكثر من وسيط تظهر الدراما من خلاله ، فهناك المسرح والسينما والراديو والتليفزيون . ولذلك فإن التمثيلية التليفزيونية ليست إلا عملا دراميا ، إذا توافرت فيها الشروط التى يلزم توافرها فى أى عمل درامى .

ذاتية الدراما التليفزيونية

على أن هناك من الأسباب ما أدى إلى الاختلاف بين العمل الدرامى الذى يكتب للمسرح ، وذلك الذى يكتب للتليفزيون أو لغيره من الوسائل .

فالخلاف فى تقنيات الوسيلة ، وفى نوع الجمهور ، وفى كيفية تلقى العمل ، وغير ذلك من الأسباب ، جعل الدراما التليفزيونية تختلف عن الدراما المسرحية ، أو فلنقل « المسرح » فقط ، إذ أن الكلمة أصبحت تعنى مختلف العناصر التى تدخل فى عملية عرض العمل واستقباله على خشبة المسرح .

وقد استقلت « التمثيلية التليفزيونية » — وهذه هى التسمية التى شاعت للدراما التليفزيونية — عن المسرح ، كما استقلت عن التمثيلية الإذاعية ، وعن الفيلم الروائى السينمائى ، وعن الأعمال الروائية الأدبية أيضا ، وأصبحت لها خصائصها وذاتيتها المميزة . وبقى علينا أن نتعامل معها على هذا الأساس .

ولكن .. هل نحن فعلا نتعامل مع التمثيلية التليفزيونية باعتبارها كيانا مستقلا له ذاتيته الخاصة ..؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا يمكن أن تكون بالإيجاب بشكل مطلق ..

أبجديات لغة التليفزيون

الأدلة كثيرة على أننا لازلنا نتعامل مع التمثيلية التليفزيونية بنفس المقاييس التى نتعامل بها مع الأعمال الأدبية والمسرحية ، ومازال نقادنا فى معظم الأحيان يكونون أحكامهم على التمثيلية التليفزيونية فى ضوء المبادىء والقيم الفنية والمدارس النقدية التى تعلموا عليها ، وكلها نابعة من نقد الدراما المسرحية أو الرواية الأدبية ، فى حين أن « اللغة التليفزيونية » شأنها فى ذلك شأن اللغة السينمائية ، شىء يختلف فى جملته وتفصيله عن اللغة الأدبية واللغة المسرحية .. والمقصود باللغة هنا بطبيعة الحال ليس المفردات والجمل ، وإنما طريقة التعبير والوسائل والرموز والاشارات المستخدمة فيها .

ولا وجه للغرابة هنا . فلقد عاشت الإنسانية سنوات طويلة من عمرها منذ بداية الحضارة الإنسانية وهى تتذوق فنون الشعر والرواية ، ثم المسرح قبيل الميلاد ، وأصبحت هناك معايير نقدية للأعمال الأدبية والمسرحية ، وتطورت هذه المعايير والمقاييس ورسخت مع الزمن وعندما جاء التليفزيون وهو وليد عصر الإليكترونيات ، بدأنا نطبق عليه ما اعتدناه من هذه المعايير والمقاييس التى بدأت مع عصور البداوة والزراعة .

ولقد مرت السينما عند ظهورها بنفس التجربة ، فقد كانت أدوات التذوق والنقد التى استخدمت معها فى البداية هى الأدوات المستخدمة من قبل بالنسبة للرواية الأدبية والمسرح . ومرت سنوات طويلة قبل أن يثبت فى الادراك الجماعى أن اللغة السينمائية تختلف اختلافا جذريا عن اللغة الأدبية والمسرحية وأنه يلزم لتذوقها ونقدها أدوات أخرى مختلفة . وبدأ النقد السينمائى يشق طريقه ويضع له قواعده ونظمه الخاصة .

أما التليفزيون ، ذلك الوليد الجديد ، فإن تذوق أعماله ونقدها مازال يتأرجح بين المقاييس الأدبية والمسرحية والسينمائية ، ولم يظهر بعد « النقد التليفزيونى » بقواعده ونظمه الخاصة .

وأعود فأكرر إن « الدراما » التليفزيونية ، لكى تحمل أساسا هذه التسمية ، لابد أن تتوافر لها أساسيات العمل الدرامى بصفة مبدئية ، ثم يأتى الحديث عن « اللغة التليفزيونية » أو كيفية المعالجة .. فهذة اللغة ليست بديلا عن القواعد الأساسية للفعل ذاته ، وهى القواعد التى تفتقدها كثير من الاعمال التى تظهر على شاشة التليفزيون وتسمى بالدراما التليفزيونية ، وليس لها من الدراما نصيب .

ولعل الدعوة إلى النظر فى وضع قواعد جديدة وخاصة « للنقد التلفزيونى » ، أن تجد صداها لدى المفكرين والكتاب الذين يرتفعون إلى تحديات هذا العصر .. عصر التليفزيون ..

فنان عربي يلفت أنظار الدنيا

محمّد صبري سيِّد ألوان "الباستيل"

بقلم : صبحي الشاروني

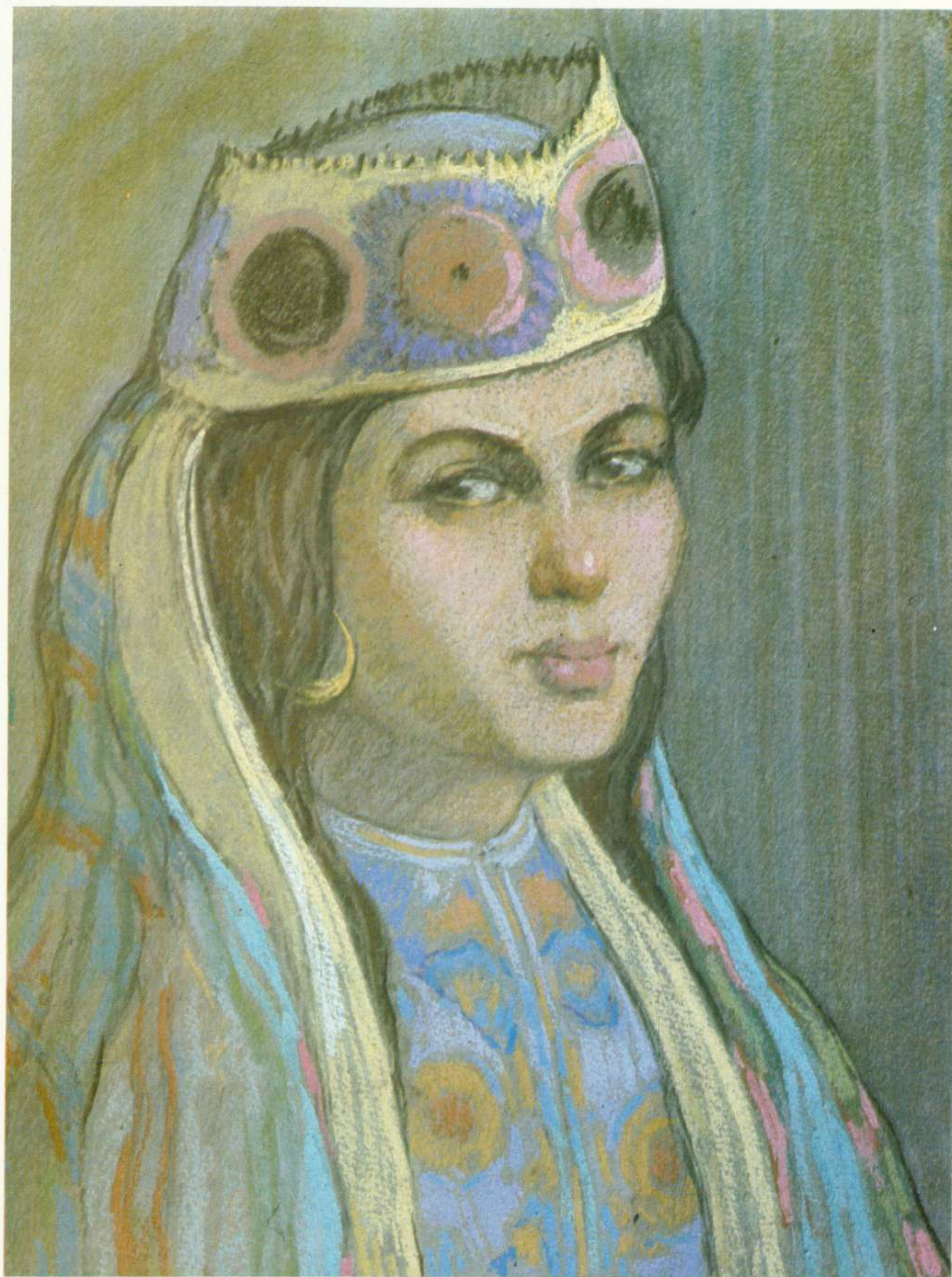
من وحى مدينة فاس بالمغرب : لوحة من أعمال الفنان (١٩٥٤)
وقد رسمها بألوان الباستيل التى تميزت بها معظم لوحاته .

فى تاريخ الفنون الجميلة بمصر هناك اثنان من الفنانين يحملان اسماً يكاد يكون واحداً .. ومن الغريب أن كلاهما نال شهرته عن التخصص فى استخدام إحدى الخامات الصعبة فى الفن ، وهي الرسم بأقلام « الباستيل » الملونة .

الأول هو الرسام الرائد « أحمد صبرى » (١٨٨٩ ــ ١٩٥٥) ، وهو من الجيل الأول الذى مهد الطريق للأجيال التالية (راجع مجلة الدوحة ، العدد ٨٩ صفحة ٧٦) .

والثانى هو الفنان « محمد صبرى » المولود يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩١٧ . انه من الجيل الثالث الذى عاصر تمرد « السيرياليين » وجماعات « الفن الحر » على الاتجاهات الأكاديمية والتأثيرية لدى الجيل الثانى من الفنانين المصريين ، لكنه لم يشارك فى هذا التمرد أو ينضم الى احدى تلك الجماعات الفنية التى ذاع صيتها خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التالية لها .

لقد واصل الرسم بأسلوبه الرصين رغم دعوة الفنانين المجددين له بالحاح أن يشارك فى تمردهم ، وحرص على تنمية كفاءته ورعاية موهبته فى الطريق الذى رسمه لنفسه بصبر وهدوء حتى احتل مكانة عالمية فى التخصص الدقيق الذى اختاره لنفسه وهو تطويع خامة « ألوان الباستيل » ليرسم بها موضوعات لم يتصد لها قبله أحد من المتخصصين فى الرسم بهذه الخامة .



مغربية بالزى الوطنى

سيرألوان الباستيل

دعوة من السيرياليين

ولد بأحد أحياء القاهرة القديمة قرب نهاية الحرب العالمية الأولى وقبيل اشتعال الثورة الوطنية ضد الاستعمار الانجليزى لمصر .. وعشق الرسم منذ صباه ، ورغم رغبته فى الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، الا أن الظروف أجبرته على الالتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣١ م بقسم الزخرفة ، ثم تخصص فى التصوير الفوتوغرافى .. وواصل الرسم والتلوين مبهوراً بأعمال الفنان الرائد « محمود سعيد بك » . ومنجذباً الى أسلوبه فى اضاءة الأشكال اضاءة ذاتية لا تخضع للقواعد الأكاديمية من ناحية ، وقدرته على تحقيق اللون النحاسى فى البشرة الانسانية وهو اللون الذى تكتسبه بشرة سكان السواحل الذين لوحتهم الشمس فأضفت على وجوههم سمرة دافئة ، من ناحية أخرى .

ورغم انهماكه فى الرسم خلال سنوات الدراسة ، ونجاحه فى عرض لوحاته الزيتية لأول مرة فى « صالون القاهرة » السادس عشر عام ١٩٣٦ وهو لا يزال طالباً .. الا أنه نجح بتفوق فى دراسته » ، وكان ترتيبه الأول على زملائه عندما تقدم للحصول على دبلوم « التصوير الضوئى » من مدرسة الفنون التطبيقية العليا عام ١٩٣٧ .. مع أنه لم يمتلك آلة تصوير فوتوغرافى ، واقتصر تدريبه ودراسته على استخدام آلات التصوير ومعداتها الموجودة بالمدرسة .

عقب تخرجه عمل بقسم التصوير بمتحف التعليم ، وكان هذا المتحف مقاماً « بالجزيرة » بجوار أرض المعارض حيث يرتفع الآن مبنى نقابة المعلمين ، وهذا المكان يطل على حديقة الاندلس على شاطىء النيل وتحيط به الحدائق والأشجار من كل ناحية .

هنا تعلم صبرى كيف يحب المناظر الخلوية ويرسمها بحب وحنان ، لكنها لم تحتل بؤرة اهتمامه الا فى مرحلة تالية . واستأجر مرسماً بحي روض الفرج مع زميله النحات « عبد السلام أحمد » عام ١٩٤٢ .. وفى العام التالى أقام معرضه الخاص الأول بقاعة « جولدنبرج » ، وكانت موضوعاته تدور حول الحياة الاجتماعية والبيئة الشعبية ، وكان يستخدم الألوان الزيتية فى هذه الفترة بمهارة وتفوق جعلت السيرياليين يحاولون ضمه اليهم ويسجلون دعوتهم له فى دفتر الزيارات الذى يحتفظ به الفنان حيث كتب أحدهم :

« فن جميل لا بأس به ، ولكن لماذا لا توجه مجهودك الفنى نحو غرض اسمى من ذلك ، ان فن السيريالزم فى مصر (الفن الحر) منتشر وناجح باعتباره الفن الذى يعبر عن المجتمع فهو فن يخرج لنا الأزمات النفسية المكبوتة التى نحتاج الى ظهورها . أؤكد لك انك ستصبح عظيماً باعتبارك فنان « سيريالست » .

والتوقيع : أنور كامل

لكن فى الجانب الآخر قام الفنانان أحمد صبرى وحسين بيكار بزيارة المعرض ومقابلة الفنان لتهنئته ، ووجها اليه الدعوة ليستكمل أدواته الفنية بالالتحاق بقسم الدراسات الحرة الذى كان يرأسه « أحمد صبرى » . وكان هذا القسم قد افتتح حديثاً ليرعى الموهوبين ويعلمهم القواعد الكلاسيكية فى الفن ، وهم الذين لا تسمح لهم مؤهلاتهم الدراسية أو أعمارهم بالالتحاق بالدراسة النظامية .

ولبى الفنان الشاب « صبرى » دعوة الفنان الرائد « صبرى » حيث تتلمذ على يديه خمس سنوات : من عام ١٩٤٣ حتى ١٩٤٨ ، وكان زملاؤه فى هذه الدراسات الحرة هم الفنانون سيد عبد الرسول وسعد كامل ومحمود عبد الرشيد وجمال محمود ، ومن النحاتين عبد البديع عبد الحى وسعد المنصورى .

وانتقل من عمله بمتحف التعليم ليعمل أميناً لمكتبه كلية الفنون التطبيقية والتى تخرج فيها ، وهناك أقام للطلاب جمعية للرسم ، وواصل الانتاج الفنى فى مرسمه بروض الفرج حتى أقام معرضه الثانى عام ١٩٤٦ مواصلا معالجة الموضوعات الاجتماعية .. وفى هذا المعرض أيضاً أعادت الجماعات الفنية الجديدة دعوتها له حيث كتب الفنان صلاح عبد الكريم هذه الدعوة فى سجل الزيارات : « باسم جمعية صوت الفنان اهنئك يا أستاذ صبرى على هذا المجهود الجبار وعلى هذه الناحية الجديدة فى التصوير وهى المواضيع الاجتماعية التى سهى على أكثر الفنانين طرقها ، وان الجمعية لتتشرف اذا كنت عضواً بها والى الامام وأتمنى لك كل الخير » .

ومعروف أن جمعية صوت الفنان التى أسسها جمال السجينى وصلاح عبد الكريم كانت تضم معظم الفنانين الشباب فى ذلك الوقت ، وهى وإن لم تستمر طويلا الا انها أخرجت من عباءتها جماعة الفن المصرى الحديث التى كان من أقطابها الفنان محمد عويس والفنانة جاذبية سرى وغيرهما من الذين اتبعوامذهب « الواقعية الاجتماعية » فى فنهم .

سنوات التفوق

وفى عام ١٩٤٨ فاز بالجائزة الأولى فى الرسم بألوان الباستيل ، والميدالية الذهبية فى فن الرسم بالألوان الزيتية من « المهرجان الأدبى والفنى » بالقاهرة . ثم خاض « مسابقة المرسم » وكانت تقتصر على الذين درسوا خمس سنوات بقسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة ، وجائزتها هى الالتحاق ببعثة الكلية الداخلية فى « مرسم الأقصر » بين آثار مصر الفرعونية شتاء ، وبحى « الغورية » فى قلب القاهرة القديمة صيفاً ، ولمدة عامين .. وكان يشرف على الرسم فى هذه الفترة الفنان « صلاح طاهر » .

كان موضوع مسابقة الرسم الذى حددته الكلية يدور حول « النحاسين » أى الذين يشكلون الأوانى النحاسية بالحى المسمى باسمهم فى القاهرة ، وكان أسلوبه فى رسم هذه اللوحة الزيتية الضخمة والدراسات الملحقة بها يشبه الى حد بعيد أسلوب الفنان « رامبرنت » الذى يظهر الوجوه والأشكال الهامة باضاءتها وسط الظلمة المسيطرة على بقية انحاء اللوحة . وقد فاز بالجائزة الأولى فى هذه المسابقة ، فواصل نشاطه الفنى وحصل على الميدالية الذهبية فى فن الرسم من المعرض الزراعى الصناعى السادس عشر عام ١٩٤٩ بالقاهرة ، وشارك فى نفس العام بلوحاته فى معرض اليونسكو للفنون الجميلة فى بيروت .

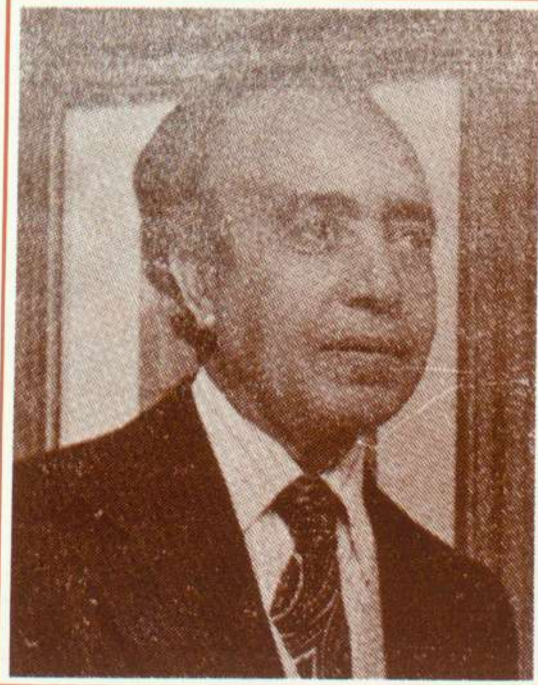
ورسم آثار طيبة فى الأقصر وأسوان خلال هذه الفترة وبدأ يعرف كفنان متمكن من مادة ألوان الباستيل ، وعندما انتهت فترة البعثة الداخلية عاد الى عمله أميناً لمكتبة كلية الفنون التطبيقية ولجمعية الرسم التى انشأها هناك حتى عام ١٩٥٠ ، عندما تولى الدكتور طه حسين « وزارة المعارف العمومية » — وزارة التعليم حالياً — وكانت تتبعها كليات الفنون فى ذلك الوقت .

البعثة الفجائية

كان محمد صبرى غاضباً لأن الإداريين تخطوه عند الترشيح للسفر فى بعثة دراسية الى أوربا فى الفن الذى تخصص فى دراسته وهو التصوير الفوتوغرافى ، باعتباره كان الأول على زملائه فى الدبلوم .. وارضاء له وضعوا اسمه ضمن قائمة المتفوقين التى طلبها وزير المعارف العمومية الجديد « الدكتور طه حسين » .. وبعد أيام طلب الالتقاء بهم فى مكتبه بالوزارة .

لقد كانوا ١٦٦ أديباً وفناناً من المتفوقين ، حظوا بمقابلة « معالى الوزير » الذى فاجأهم بقراره أن يسافروا معه خلال أسبوع من اللقاء الى مدريد لحضور احتفالات افتتاح المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بالعاصمة الأسبانية ، ثم يلتحقون بعد ذلك بدراساتهم كمبعوثين للاستزادة والتخصص فى فروع الفنون الجميلة والآداب .

وهكذا سافر محمد صبرى الى اسبانيا حيث التحق بأكاديمية الفنون الجميلة « سان فرناندو »



الفنان محمد صبرى ، الذى عشق فن الرسم بألوان الباستيل وجذب أنظار العالم إلى ألوانه المبهرة .

ليحصل على درجة الأستاذية فى فن الرسم الملون عام ١٩٥٢ بعد أن أقام أول معرض خاص للوحاته بالخارج فى المتحف القومى للفن الحديث بمدريد عام ١٩٥١ .

وعاد الى القاهرة عام ١٩٥٣ ليعمل بتدريس مادة « الطبيعة الحية » فى كلية الفنون التطبيقية ، ويشارك فى معرض صالون فاعه « جولدنبرج » وبدأت شهرته فى مصر كفنان متخصص فى الرسم بأقلام « الباستيل » الملونة .

وقد اختيرت بعض لوحاته ضمن المعرض المصرى الذى أقيم فى موسكو عام ١٩٥٤ . ثم سافر الى مدريد للمرة الثانية عام ١٩٥٥ لمدة عامين ليتخصص فى ترميم اللوحات وليحصل على دبلوم الدراسات الاسبانية من كلية الآداب بجامعة مدريد عام ١٩٥٦ . وهناك شارك فى صالون جمعية الفنون الجميلة الذى أقيم فى العاصمة الاسبانية عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ .. كما بدأ نشاطه ينتقل الى المغرب حيث شارك فى صالون الفنون بمدينة « تطوان » عام ١٩٥٦ .

وعاد الى عمله بالقاهرة ، ثم سافر للمرة الثالثة عام ١٩٥٨ ، لكنه عضو بالبعثة الدبلوماسية المصرية هذه المرة ، فقد عين « فنياً » بمعهد الدراسات الاسلامية فى مدريد .. وواصل مشاركته فى المعارض الجماعية فى اسبانيا والمغرب حيث عرضت أعماله فى الرباط وبرشلونة وفلنسيه وقرطبه ومدريد ..

وفى عام ١٩٦١ نظم له « المعهد المصرى للدراسات الاسلامية » رحلة فى مناطق الآثار العربية بالاندلس ، ليسجل معالمها بألوانه المبهرة ، فرسم مجموعة كبيرة من اللوحات (٤٢ لوحة) عرضها فى معرض خاص سنة ١٩٦٢ فى قاعة « جويا » أكبر قاعات العرض فى مدريد وقتها .. ثم انتقل هذا المعرض ليقام فى لندن ، ثم روما وفرانكفورت وغرناطة ثم قرطبة .. واحتفلت صحف هذه البلاد بأعماله واشاد كبار النقاد بكفاءته فأصبح معروفاً على مستوى هذه الدول ، وتوج هذا النجاح بفوزه عام ١٩٦٤ بجائزة فن الرسم الأولى بصالون الخريف فى مدريد ..

وخلال هذه الإقامة الطويلة فى اسبانيا عاد الى القاهرة ليقيم معرضاً للوحاته عام ١٩٦١ بقاعة الفن للجميع ثم عاد الى مقر عمله فى مدريد متابعاً نشاطه .. ولم يعد من مقر عمله إلا فى عام ١٩٦٤ حيث اقام معرضاً شاملا لأعماله فى فن الرسم بألوان الباستيل بقاعة اتيليه القاهرة ، جعل الصحافة المصرية تتوجه كأستاذ متمكن فى هذا المجال الصعب بعد أن ندر الفنانون الذين يخوضونه .

لقد عاد ليعمل هذه المرة فى وزارة الثقافة حيث تولى منصب مدير المعارض الخارجية بالعلاقات الثقافية ، ثم أصبح مديراً لادارة المعارض .. وفى عام ١٩٧٠ رسم لوحة كبيرة عن السد العالى ، وقد تلقى الفنان شهادة تقدير من مجلس الأمة عن هذه اللوحة ..

الرحلة الرابعة

وفى عام ١٩٧١ حصل على منحة التفرغ للانتاج الفنى لمدة عام ، لكنه لم يستمر فى التفرغ إذ سافر للمرة الرابعة الى مدريد ليتولى هذه المرة منصب وكيل المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ثم أصبح خبيراً بنفس المعهد حتى احالته الى التقاعد عام ١٩٨٠ حيث عاد الى القاهرة ليعمل أستاذا غير متفرغ بكلية الفنون التطبيقية وليواصل الرسم حتى أقام معرضاً شاملا يمثل معظم مراحله الفنية فى قاعة المعارض الملحقة « بمتحف محمد خليل وحرمه » بالزمالك عام ١٩٨٤ .

وقد حظى الفنان بعضوية الاكاديمية الملكية « سان فرناندو » للفنون الجميلة بمدريد منذ عام ١٩٦٧ ، كما اختير عضواً بالاكاديمية الملكية « سان كارلوس » فى مدينة فلنسيه بأسبانيا منذ عام ١٩٧٣ .. وفى مصر حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى باعتباره رائداً لفن الباستيل عام ١٩٧٤ فى حين منحته الحكومة الاسبانية وسام الاستحقاق من درجة « فارس » عام ١٩٦١ ..

وقد تجلى تقدير الحركة الفنية فى اسبانيا له فى اختياره عضواً فى لجان تحكيم « صالون الخريف العام » السنوى الذى يقام فى مدريد . كما تلقى فى مصر من رئيس الجمهورية شهادة تقدير عن لوحته « عبور ٦ أكتوبر » التى رسمها الفنان لتثبت فى قصر عابدين .

هذا وتنتشر أعماله فى متاحف الفن بمصر والعديد من متاحف اسبانيا والمغرب وفى موسكو وروما ، بالاضافة الى المجموعات الخاصة فى مصر وأوربا وأمريكا والهند .

وقد بلغ عدد المعارض التى اقامها وشارك فيها ٣٢ معرضاً بالاضافة الى المعارض الدورية السنوية فى مصر ، فضلا عن عشرة معارض جماعية دولية دعى للاشتراك فيها .

وقد أقامت وزارة الثقافة الاسبانية معرضاً شاملا للوحات « الباستيل » للفنان محمد صبرى تجول فى متاحف ومراكز ٩ محافظات اسبانية وذلك فى المدة من اكتوبر ١٩٧٩ حتى يونيو ١٩٨٠ ، كما طبعت كتالوجاً خاصاً عن حياته وفنه وملصقات ملونة تدعو إلى زيارة المعرض ، على نفقة الوزارة الخاصة وتحت مسئوليتها .. وذلك تكريماً للفنان المصرى وتقديراً واعترافاً بمكانته الفنية بين كبار الفنانين العالميين .

كما أقام معرضاً خاصاً للوحاته فى صالة الشرف بقصر « فلاسكوس » بمدريد بدعوة من صالون الخريف وافتتحه السفير المصرى عام ١٩٦٧ .

كما اختير ضيف شرف فى المعرض العام للفنون الجميلة الذى أقيم فى قصر البلور بمدريد عام ١٩٧٦ .

هذا وقد خصصت دائرة المعارف الاسبانية « أسباسا » صفحة كاملة نشرت بها نبذة عن حياته وفنه فضلا عن نماذج من أعماله بالألوان فى الجزء الحادى عشر صفحة ٦٢ .. كما نشرت صور لوحاته فى العديد من مطبوعات وزارتى الثقافة المصرية والاسبانية وعلى التقاويم السنوية (النتائج) وبطاقات التهنئة بالأعياد وللبطاقات البريدية وعلى أغلفة العديد من المجلات والجرائد المصرية والاسبانية وبعض دول أوربا .. كما نشر عن فنه وأعماله أكثر من ١٧٠ مقالا بقلم نقاد ومؤرخى الفن فى مصر وأوربا كأحد رواد فن الباستيل وذلك باللغات العربية والاسبانية والانجليزية والفرنسية والايطالية والبرتغالية والالمانية .

ألوان الباستيل

تشبه أقلام الباستيل الى حد كبير الأقلام الطباشيرية .. حتى أن الكثيرين يخلطون بينهما ويستخدمون أسم احدهما بدلا من الآخر .. لكنهما مختلفان فى مكوناتهما الأساسية . فالألوان الطباشيرية تتكون من أحد مركبات الكالسيوم أى الجير ، وهى أقل ثباتاً من ألوان الباستيل التى تتركب أساساً من أحد مركبات الرصاص (الاسبداج) الذى تضاف اليه المواد الملونة .

الألوان الطباشيرية تنفصل مع الزمن عن الورقة المرسومة عليها وذلك لتغير تركيبها الكيماوى لتأثر مركبات الكالسيوم بالهواء الجوى مما يجعلها تنفصل عن الورقة المرسومة عليها عند أى اهتزاز وتتساقط . أما ألوان الباستيل فتتركب من مادة أكثر ثباتاً لأنها لا تتأثر بمكونات الهواء الجوى ، لكنها تحتاج الى خبرة عالية ودراية وتمكن حتى لا تتعرض للتساقط عند الاهتزاز . وتتلخص هذه الخبرة فى الحرص على عدم وضع لمسة فوق لمسة أو مضاعفة طبقة اللون فى أى حالة من الحالات .. انها لا تزيد عن لمسة خفيفة واثقة وراسخة ، لأن أى طبقة مضافة أو كثافة زائدة فى كمية اللون تعرض هذه الزيادة للتساقط عند الاهتزاز .

هذه القدرة والحساسية على تحديد كمية أو طبقة اللون اللازمة لتغطية لون الورقة المرسوم عليها دون زيادة أو نقصان ، هى التى تجعل ألوان الباستيل ثابتة لا تتغير مهما طال بها الزمن ..

بعض الفنانين يرشون لوحاتهم بعد رسمها بطبقة كيوتينية (مثل الجملكة أو القلفونية) لتثبيت ألوان الباستيل على الورق ، لكن هذه الطبقة تطفىء حيوية وطزاجة اللون وتغير درجته وهو ما لا يقبله محمد صبرى .

ان المجموعة اللونية التى يرسم بها تتكون من عشرات أصابع الباستيل الملونة والتى تتضمن كل الدرجات اللونية حتى لا يلجأ الفنان الى مزج لونين على اللوحة أو خارجها ، انه يختار درجة اللون قبل أن يضع اللمسة بحنان وثقة وقلب حار ، على الورقة ذات السطح الخشن والمخصصة لهذا النوع من الرسم .. هذه اللمسات المضبوطة هى التى تجعل فى لوحاته حيوية متدفقة وبهجة آسره . حتى أن الشاعر حسن كامل الصيرفى كتب يحييه عام ١٩٥٣ ويقول :

« رفقاً بالطبيعة يا صبرى ، لا تسلبها ألوانها التى تزهو بها ... » .

لقد عمل الفنان فى اسبانيا مع مجموعة من أساتذة الفن الاسبانى أمثال « فاسكيز دياز » — و « خوليو موزيس » — و « انريك بيريز كوموندادور » .. الذين تتلمذ على ايديهم فشهدوا بتفوق موهبته التى قام بصقلها بالاستزادة من المعارف والتعمق فى اكتساب الخبرات السابقة والمعاصرة فى الميدان الذى تخصص فيه .

وفن الرسم بألوان الباستيل له تاريخ يمتد الى ثلاثة قرون ، انه فن ارستقراطى كان يستخدم عادة فى رسم الوجوه الشخصية ، وقد تخصص فيه بعض المشاهير أمثال « لاتور — وليونارد — وروزاليا » .. ونحن لا نبالغ عندما نضع محمد صبرى مع هؤلاء ، فمعارض الفن فى العالم لم تشاهد لسنوات طويلة مثل هذه النوعية المتفوقة فى الرسم بهذه الخامة من حيث أصالتها وحيويتها والمهارة فى تنفيذها مع السيطرة التامة على هذا المجال الصعب .

بل لقد انتقل محمد صبرى بلوحاته الباستيل من الرسم فى الأماكن المغلقة لوجوه الأثرياء الى الخروج الدائم للهواء الطلق والطبيعة تحت الأضواء الطبيعية . فهو يرسم لوحاته مباشرة عن الطبيعة ولا يضيف إليها شيئاً بعد عودته الى مرسمه ، وهذا



جامع قرطبة بالأندلس



منازل جزيرة أسوان

يمنح تكويناته وألوانه الفورية عفوية نادرة، انها حيوية «الأسكتش» أو التخطيط السريع. ونستطيع أن نلحظ ذلك سواء عندما رسم فى البلاد العربية ـ مصر والمغرب ـ حيث الضوء الذهبى المبهر للظهيرة .. أو عندما عمل فى الجو الملبد بالغيوم والضباب فى لندن ، أو عندما رسم تحت الأضواء الوردية به للشروق ، أو الضياء المنسحبة للغروب .. وحتى تحت الأضواء الباردة ـ الزرقاء المخضرة أو الزرقاء الرمادية ـ المنعكسة عن القمر ..

إن لوحات محمد صبرى قادرة على أن تحمل المشاهد الى الموقع الذى قام بتصويره .. انه ينقلنا الى ذاك الفناء المحاط بالسور فى الآثار الاسلامية القديمة ، كما انه يصحبنا الى الشوارع الضيقة ويصعد بنا السلالم الحجرية والممرات حيث الناس فى أزيائهم المحلية يسرعون الى أعمالهم ..

سيد الباستيل

على مدى تاريخه الفنى كانت الموضوعات الرئيسية التى عالجها فى أعماله هى الحياة الاجتماعية والعادات المتوارثة فى مصر حيث عبر عن البيئة الشعبية بتفوق واضح وذلك فى معارضه الأولى التى اقامها فى القاهرة خلال الأربعينات .

ثم اتجه الى القاهرة القديمة يسجل مشاهد من عمارتها وأحيائها بالاضافة الى مجموعة لوحاته عن الآثار المصرية القديمة فى الأقصر ومعالم منطقة أسوان .. وفى أسبانيا سجل آثار الأندلس بتفوق وأستاذية فى مجموعة كبيرة من اللوحات . هذا فضلا عن لوحات متفرقة رسمها أثناء مرافقته لمعارضه فى مختلف العواصم الأوربية منها لوحاته عن روما ولندن .

ومن أعماله الضخمة لوحة «الأزهر» المرسومة بالألوان الزيتية والتى يقتنيها المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد .

إن محمد صبرى من الفنانين الجوالين الذين يعشقون الخلاء والشمس والطبيعة وكل ما يستقر تحت القبة الزرقاء . ان له قدرة خاصة على تصوير العناصر المعمارية والمبانى بنفس الكفاءة التى يصور بها الأشجار والمروج والأنهار والجبال والسحب والعناصر الآدمية .

وعندما يرسم المبانى يبرز حسه المعمارى بكل رسوخه واستقراره ليتعادل مع الاطار الطبيعى الذى يحيط به ، وهو بذلك يثير حواراً بين ما يصممه الانسان وما تقدمه الطبيعة .

ان لمسات الفنان تتجاور على مسطح اللوحة الخشن كما تتجاور خيوط السجادة الملونة وتتألق ألوانها فوق السطح ليشع منها ملمس صوفى دافىء . وتتعدى نظرة الفنان حدود التأثر اللحظى المباشر بالمشهد ، لتزداد تعمقاً فى المفردات المعمارية التى لا يهملها ، بحيث يقف فى منطقة وسط بين الدقة التسجيلية المفرطة والأمانة فى النقل عن الطبيعة من ناحية ، وبين الانطباع والتأثر العابر بما أمامه من مشاهد من ناحية أخرى .

ان محمد صبرى الذى استبدل الألوان الزيتية بألوان الباستيل قد حقق أعمالا لا تقل فى جمالها وقوتها عن اللوحات الزيتية بل وتقف الى جانبها كتفاً لكتف ، كما أن دراسته الأكاديمية وتمكنه من أسرار استخدام هذه الخامة قد حققت له مكانة خاصة محلية وعالمية حتى اطلق عليه النقاد فى اسبانيا وانجلترا لقب «سيد الباستيل» وذلك عندما عرض لوحاته فى لندن وهو البلد الذى يوجد به أكبر تجميع لرسامى الباستيل فى العالم .

صبحى الشارونى

جزائــــر واق الـــــواق

أرض غريـــبة فيــها أشجـــار مثـل رؤوس النســاء المعَلَّقـات من شعورهن

بقلم : الدكتور أنـور عبد العـــليم

من منا لم يسمع وهو صغير عن جزائر واق الواق ، تلك الجزر السحرية الواقعة فى أطراف المحيط والتى يذكرنا اسمها بصيحة الطير أو كما تحكى الأسطورة بثمار أشجار غريبة تنمو على هذه الجزر تشبه رءوس النساء المعلقات من شعورهن ، فإذا نضجت تلك الثمار صاحت واق .. واق وسقطت على الأرض !

وأيا ماكان السبب فقد زار الربابنة العرب هذه الجزر منذ أكثر من ألف سنة وحدثونا عن أخبارها العجيبة ، ولكن اختلف الجغرافيون والمحققون فى تحديد موقعها .. أحقيقة هى أم أسطورة ؟

أما محمد بن زكريا القزوينى (٦٠٠ ــ ٦٨٢ هجرية) مصنف كتاب « عجائب المخلوقات » فيضفى وصفاً رومانسياً على التسمية ويقول ان جزائر الوقواق سميت بهذا الاسم لأن بها شجرة ثمارها تشبه النساء المعلقات من شعورهن فإذا نضجت تلك الثمار صاحت النساء واق واق .. وأهل هذه الجزائر يفهمون من هذا الصوت شيئاً فيتطيرون منه . ثم يضيف قوله « وهى جزيرة كثيرة الذهب حتى ان أهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب الخالص وبها شجر الأبنوس »

وهذه الجملة الأخيرة المتعلقة بسلاسل الكلاب وأطواق القرود الذهبية ترجع فى الأصل لأبى القاسم عبد الله الشهير بابن خرداذبه الذى سبق القزوينى بأكثر من ثلاثة قرون وقد ذكرها فى مؤلفه الجغرافى القيم المعروف باسم « المسالك والممالك » والذى ترجع مسودته لعام (٢٣٥ هـ) فى معرض الكلام عن جزائر الوقواق ، وقد اقتبسها أيضاً المسعودى فى « مروج الذهب » وابن بطوطة فى رحلته المعروفة باسم « تحفة النظار » (١) . وأما مصنف كتاب « عجائب الهند » (٤٠٤ هـ) فيروى قصة الشجرة العجيبة بصورة أكثر موضوعية فنراه يقول :

« وحدثنى (الناخداه) محمد بن بابشاد عمن حدثه ممن دخل الوقواق أن هناك شجراً كباراً له ورق مدور ومنه ما هو الى الطول (أقرب) يحمل حملا على مثال القرع إلا أنه أكبر منه وصورته صورة الناس ، تحركه الرياح فيخرج منه صوت ، وأن داخله منفوخ مثل حمل العُشر (٢) . فإذا قطع عن الشجر خرج الريح منه من ساعته وصار مثل الجلد ، وأن بعض البانانية رأى الحمل فتعشق صورة من الصور فقطعها ليحملها معه فلما قطعها خرج الريح منها فبقيت كالغراب الميت » .

وأما شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الدمشقى (٦٥٤ ــ ٧٢٧ هـ) صاحب كتاب « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » وكان إماماً لمسجد الربوة قرب دمشق فيقول إن جزائر الوقواق سميت على اسم شجرة بالصين تسمى « قواق » ثمارها تشبه القرع على شكل رءوس الآدميين فإذا نضجت هذه الثمار صاحت قواق قواق عدة مرات ثم سقطت على الأرض ، ولا يخرج كلامه فى جملته على ما تقدم ذكره من روايات .

ونستخلص مما تقدم بأن هناك شجرة غريبة بالفعل تنمو على جزر نائية وطئتها أقدام الملاحين العرب ولكنهم لم يروا مثلها فى بلادهم ولا تنمو على شواطىء الجزيرة العربية ، أوراقها كبيرة مستديرة أو بيضاوية وثمارها تبدو معلقة من أعناقها ، وهى مستديرة كالكرة ولذلك فقد شبهوها برءوس الآدميين ، أو بعض الثمار المعروفة ببلادهم مثل ثمرة نبات العُشَر الصحراوى أو ثمرة القرع الحلو المذاق وهى الأخرى مستديرة .

وقد بحث المستشرقون الذين حققوا كتب التراث آنفة الذكر أمر هذه الشجرة ولا يخرج كلامهم عما ذكرناه آنفاً .

أما نحن فنعتقد أن الشجرة المشار إليها هى شجرة الخبز التى تنمو بالفعل فى المحيط الهندى وعلى سواحل الهند وأفريقيا الشرقية وفى جنوب شرقي آسيا وتمتد حتى سواحل الصين واليابان وقد رأيناها بالفعل على ساحل أفريقيا الشرقية فى كينيا وتنزانيا وعلى ساحل الهند جنوبى بومباى وعلى بعض جزر المحيط الهندى،وتعرف هذه الشجرة باللاتينية تحت اسم الجنس « أتروكاربس » Atrocarpus وموطنها الأصلى



هكذا تصور الفنان القديم منذ سبعة قرون جزيرة من جزر الوقواق

أرخبيل الملايو ومنه امتدت إلى جزر المحيط الهادى وتضيف دائرة المعارف البريطانية بأن هناك نوعين منها وأنها تشكل الغذاء الأساسى لسكان بعض جزر المحيط الهادى .

وقد سميت الشجرة بشجرة الخبز لأن ثمارها تحتوى على مادة نشوية كالدقيق الأبيض . وهذه الثمار مستديرة أو بيضاوية يصل قطرها لنحو عشرين سنتيمترا أى فى مثل حجم رأس الانسان تماماً وتبدو معلقة من الأغصان بأعناق طويلة ولونها بنى مخضر (انظر الرسم المرفق) وبها برقشة ثم إنك لو نظرت إليها وهى بهذا اللون والبرقشة لأمكنك أن تتخيل وجه آدمى بسهولة وبخاصة لو كنت قد قضيت أياماً وحيداً فى جزيرة موحشة ،

ثم ان الثمرة إذا جفت يخرج منها الهواء وتتطاير بذورها وأليافها ، والأوراق كبيرة مفصصة لونها أخضر داكن ذات ألياف طويلة إذا تنسلت اختلطت بالثمار فبدت على صوت النساء المعلقات من شعورهن ! وهى نفس الصورة التى انطبعت فى ذهن ملاحينا القدامى . ثم إنك لو كشطت لحاء الشجرة بالسكين لخرج منها سائل أبيض كاللبن يشبه لبن الرضيع ! وهذا هو الوصف العلمى لهذه الشجرة .

ولرأينا هذا دلالة أخرى سنتكلم عنها عند الحديث على تحديد الموقع الجغرافى لجزر الوقواق ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم ذكره أن بعض المؤلفين القدامى (٣) ذكر بأن ثمرة شجرة الوقواق ذات نفع كبير للأهالى ، وليس أنفع من شجرة الخبز التى تكلمنا عنها لإنسان الجزر .

أما الأساطير التى حيكت حول شجرة الوقواق — أو شجرة الخبز كما نسميها نحن — فكثيرة ومنها ما ورد فى كتاب ألف ليلة وليلة خاصاً برحلة قام بها حسن البصرى إلى جزائر الوقواق بحثاً عن أهله وشاهد جبلا يسمى واق واق تنمو عليه شجرة طلعها يشبه رأس الانسان « تصيح واق واق سبحان الخلاق » اذا طلع النهار ، فكان يعرف طلوع النهار اذا سمع هذا الصوت ، ثم إنها تصيح صيحة مماثلة اذا غربت الشمس فيعرف أن الشمس قد غربت ! وهكذا سبق الشاطر حسن أهل زمانه بقرون فى اختراع المنبه !

عجائب أخرى نسبت لجزر الوقواق

طائر السمندل : يقول مصنف عجائب الهند : « وحدثنى الربان العمانى محمد أن بجزيرة الوقواق طائراً ملوناً بحمرة وبياض وخضرة وزرقة على لون الشقراق وفى قد الحمام الكبار يسمونه السمندل (٤) يدخل النار فلا يحترق ويمكث الأيام لا يطعم إلا التراب فاذا احتضن بيضه لم يشرب الماء حتى يفقس » .

الحيوانات التى تغير جنسها : ويضيف نفس الربان « بأن بجزيرة من جزر الوقواق دابة تشبه الأرنب تصير الذكور منها مرة أنثى ومرة ذكراً والأنثى كذلك والذى حكى لى ذكر أن بعض الهنود قال ان أهل سرنديب تحدثوا بهذا ولا أدرى ما أقول فى هذه الحكاية وقالوا ان الأرانب على هذه الصورة وهو عندى يستحيل والله أعلم » .

والواقع أن ظاهرة تغير الجنس فى بعض الحيوانات ظاهرة علمية معروفة والحكاية السابقة على هذا الأساس صحيحة .

العقارب الطائرة : وورد فى نفس الكتاب حكاية أخرى رواها محمد بن بابشاد من أن بناحية الوقواق « عقارب تطير كالعصافير اذا ضربت الانسان ورم جسمه واعتل وانقشر جلده ومات » .

والمعروف أن بعض الأفاعى كالحية ذات الجلاجل تقفز لمسافات طويلة وضربتها مميتة .

حذق أهل الوقواق بالصنائع : وورد أيضاً عن قوم « رأوا من دخل الوقواق واتجر فوصف سعة البلاد والجزائر — ولست أعنى بسعة البلاد أن البلدان كبار ولكن أهل الوقواق كثير — وفيهم مشابهة من الترك وهم أحذق خلق الله بالصنائع ثم إنهم أهل مكر وحيل وخديعة وخبث وشدة بأس فى كل شيء » .

وقد أوحت هذه الرواية للمستشرق الهولندى الألمعى دى جويه بتحديد جزر الوقواق باليابان ضمن أسباب أخرى كما سنرى عما قليل .

جزائر الوقواق عند الجغرافيين العـرب

ان استقرار التجار والربابنة العرب والفرس بموانىء الصين قبل نهاية القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) أمر أكدته كذلك المصادر الصينية نفسها . ثم ازدهرت التجارة بعد ذلك مع الصين ازدهاراً كبيراً خلال القرنين التاليين على عهد أسرة تانج . ويتضح ذلك أيضاً مما ورد فى مخطوط عربى قديم يعرف باسم رحلة التاجر سليمان يرجع زمن تأليفه الى سنة ٢٣٧ هـ (٨٥١ م) وفيه وردت أول اشارة لجزر تقع شرقى

جزائر
واق الــواق

بلاد الصين تعرف بجزائر السيلا يسكنها قوم بيض يشبهون الترك وربما كانت هي المعنية بجزر الوقواق .

أما ابن خرداذبة الذى تقدم ذكر كتابه « المسالك والممالك » (حوالى ٢٣٠ هـ) فيتحدث هو الآخر عن جزائر تقع شرقي بلاد الصين إلى الشمال غنية بالذهب وتصدر خشب الأبنوس الى الصين والهند .

وأما ابن الفقيه الذى ألف كتاب البلدان بعد كتاب ابن خرداذبة بنحو نصف قرن فيتكلم عن مجموعتين من الجزر إحداهما تقع فى أقصى الشمال وهى وقواق الصين والأخرى فى المحيط الهندى وفى ذلك يقول « إن وقواق الصين غير وقواق اليمن » (٥) . ويضيف بأن « وراء الصين من الأمم مالا يعلمه الا الله » .

ويشترك المؤرخ والجغرافى العربى أبو الحسن علي بن الحسين الشهير بالمسعودى فى الرأى مع ابن الفقيه فى تحديد جزر الوقواق فى بحر الزنج الى الجنوب من زنجبار وسفالة ، ربما لأن معدن الذهب الذى اشتهرت به هذه الجزر كان يرد إليها من جنوب أفريقيا الغنية بمناجم الذهب ، ويذكر هذا المؤرخ فى كتابه المعروف باسم مروج الذهب ومعادن الجوهر الذى ترجع مسودته الأولى لسنة ٣٣٢ هـ بأن جزائر الوقواق تقع فى بحر الزنج الى الجنوب من زنجبار وسفالة أما البلاد الأخرى التى تقع وراء الصين من جهة البحر فيذكرها تحت اسم بلاد السيلاه أو السلاهى هو الآخر .

وقد ورد ذكر جزائر الوقواق أيضاً فى جغرافية الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى فيما يتعلق ببحر الصين . ويرى عماد الدين اسماعيل أبو الفدا فى تقويم البلدان (١٣٢١ م) أن جزر الوقواق هى بلاد السلاهى . ويضع ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » جزائر الوقواق خلف بلاد الصين ويضيف بأن ذكرها ورد فى الحكايات .

ومن هذه الحكايات ما ورد فى كتابه عجائب الهند من أن قوماً من أهل الوقواق قدموا فى عام ٣٣٤ هـ فى نحو ألف قارب لغزو بلاد الزنج وحاربوهم حرباً شديداً فلم يقدروا عليهم « لأن حول قنبلة (٦) حصن وثيق وحول الحصن خور فيه من ماء البحر » ولما سألهم قوم من الزنج لم اتيتم إلينا دون سائر البلاد ؟ أجابوا بأنهم يريدون « الأمتعة التي تصلح لبلادهم وللصين مثل العاج والذبل (٧) والنمور والعنبر وأنهم يريدون الزنج لصبرهم على الخدمة وجلدهم ، وأنهم جاءوهم من مسيرة سنة » ، ويضيف مصنف عجائب الهند تعليقه على هذه الحكاية التى رواها له الربان ابن لاكيس قوله « فإذا كان قول هؤلاء وحكايتهم صحيحة أنهم جاءوا من مسيرة سنة فهذا يدل على صحة ما ذكره ابن لاكيس من أمر جزائر الوقواق وأنها قبالة الصين والله أعلم » .

واذ اعتمدنا على الرأى القائل بأن أصل تسمية جزائر الوقواق بهذا الاسم إنما يعزى الى الشجرة التى تنمو عليها وطلعها يشبه رءوس الآدميين وعندما تجف هذه الثمار يندفع منها الهواء المحبوس بقوة محدثا صوتاً يمكن أن يحاكى صوت قواق قواق أو كوال كوال واذا سلمنا بأنها شجرة الخبز كما نعتقد وهى تنمو على جزر المحيط الهندى أمام سواحل الزنج كما تنمو على السواحل والجزر المتاخمة للصين فمن قال من الملاحين بأن هذه الجزائر تقع على ساحل الزنج فهو صادق ومن قال إنها تقع قبالة الصين فهو صادق أيضاً ، وهذا يزيل اللبس حول موقعها والله أعلم .

ويتفق النويرى مع ابن الفقيه والمسعودى فى وضع جزائر الوقواق على ساحل الزنج وذلك بقوله « وأما بحر الهند وجزائره فمبدؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء ويجرى الى جهة الغرب فيجتاز الى بلاد الواق وبلاد سفالة الزنج حتى يصل الى بحر بربرا » . وأما عن السيلا أو السلاه فيقول إنها ست جزر تقع شرقي بلاد الصين وغير بعيد عنها ويذهب الى حد القول بأن جماعة من العلويين فروا اليها خشية اضطهاد الأمويين .

جزائر الوقواق فى المصادر الأوربية :

يتفق العالم الفرنسى رينو Renaud الذى حقق كتاب تقويم البلدان لأبى الفدا وكتب له مقدمة جغرافية قيمة ــ مع ابن الفقيه والمسعودى فى وضع جزائر الوقواق فى المحيط الهندى أمام ساحل الزنج الى الجنوب بالقرب من جزيرة مدغشقر . وفيما يتعلق ببلاد السلاه فيرى أنها جزر اليابان معتمداً على قول أبى الفدا بأن هذه البلاد تقع فى أعالى الصين من ناحية الشمال وقلما يراها ركاب البحر ، وعلى آراء المسعودى والنويرى .

ولكن المستشرق الهولندى دى جويه يعارض هذا الرأى على أساس أن السلاه هو الاسم القديم لإحدى مقاطعات كوريا الجنوبية المعروفة باسم « سيول » ورغم أنها شبه جزيرة وليست جزيرة فإن العرب لا يفرقون فى التسمية بين الاثنين وجزيرة العرب كما هو معروف لا يحيط بها الماء من كل جانب . أما المستشرق الفرنسى الآخر جابرييل فران G. Ferrand فيتفق مع كل من المسعودى وابن الفقيه ورينو فى وضع جزائر الوقواق بالقرب من مدغشقر . وأما البارون دى سلان فيرى أنها جزر سيشيل التى تحدثنا عنها فى مقال سابق . وأما دفيك مترجم عجائب الهند الى الفرنسية فيرى أن الموقع الصحيح للجزر يصعب تحديده وهو يرى أنها ربما كانت بالقرب من الملايو . واختلاف الآراء هذا يؤيد وجهة نظرنا سالفة الذكر فيما يتعلق باتساع نطاق التوزيع الجغرافى لشجرة الخبز آنفة الذكر على الجزائر والسواحل .

هل عرف العرب جزائر اليابان قبل ألف سنة ؟

ويخرج علينا المستشرق الهولندى والعالم الجغرافى دى جويه الذى يرجع اليه الفضل فى نشر وتحقيق الكثير من كتب التراث الجغرافى العربى تحت عنوان « المكتبة الجغرافية العربية » بنظرية فحواها أن جزر الوقواق هى جزر اليابان نفسها . وأن العرب قد عرفوها قبل ألف سنة من اليوم . ويقدم دى جويه لنظريته بقوله إن العرب ــ تجاراً وربابنة ــ كانوا خبراء ببحر الصين وجزائره لأكثر من قرنين من الزمان وكانوا يتبادلون المعلومات مع قرنائهم من الربابنة الصينيين . ولم تكن جزر اليابان فى فترة ازدهار التجارة العربية مع الصين ــ أى خلال الفترة من القرن السابع الى التاسع الميلادى ــ مجهولة للصينيين ومن ثم فلا يعقل أن يخفى أمرها على الربابنة العرب مع ما كانوا عليه من الحذق والمهارة . ومن ثم فقد عرف العرب جزر اليابان باسمها الحقيقى القديم وهو : وا ــ كوكو Wa-koku ولكنهم كانوا ينطقونه حسب لهجة سكان ميناء كانتون : ووكوك Wo-kwok أى « واق واق » ولا ننسى أن جالية عربية كبيرة كانت قد استوطنت هذاالميناء الصينى منذ القرنين السابع والثامن الميلاديين . ويستشهد دى جويه على نظريته بآراء العلماء واجتهاد فقهاء اللغة من اليابانيين والأوربيين .

ويضيف هذا العالم أن أغلب الجغرافيين العرب القدامى ممن تقدم ذكرهم قد وضعوا جزر الوقواق فى مكان ما الى الشرق والشمال من سواحل الصين وأنها كانت تصدر خشب الأبنوس القيم الى الخارج . وهذا الخشب تتوفر شجرته فى اليابان . كما أيد تصدير هذا الخشب من جزر الوقواق جغرافيون عرب ومسلمون لهم مكانتهم من أمثال البيرونى والادريسى والقزوينى ثم ان دى جويه قد اعتمد فى تدعيم نظريته أيضاً على ماورد فى كتاب عجائب الهند من فقرات سبق أن أشرنا اليها فى هذه الدراسة تدل على حذق ومهارة أهل الوقواق وإجادتهم الكثير من الصناعات ، وأنهم قوم ذوو بأس ومكر ، ويؤيد ذلك ما ورد فى كتابات ابن خرداذبة وابن الوردى وابن إياس من أنهم كانوا يصنعون الثياب الموشاة بالذهب وبيوتاً من الخشب تطفو فوق الماء وصناعات دقيقة أخرى .

ويستطرد صاحب النظرية بقوله إن بحثه

أوصله الى أن الاسم الذى تعرف به اليابان اليوم وهو « جيبين Jipen » أو « نيبون » ومعناها بلاد الشمس المشرقة هو اسم حديث العهد نسبياً يرجع الى نهاية القرن السابع الميلادى وليس قبل ذلك .

أما لماذا لم يتاجر العرب مباشرة مع اليابان فى ذلك الوقت دون الحاجة لوسيط من الصينيين فيعلله دى جويه بحرص الصينيين على أن تكون هذه التجارة فى أيديهم كما أن بضاعة الغرب التى ينقلها العرب الى الصين كانت تجبى عليها الضرائب فى الصين ، وفى ذلك منفعة لهم يحرصون على بقائها .

هذا وقد سبق أن شرح دى جويه وضع بلاد السلاهى التى تكلم عنها العرب وردها الى « سيول » فى الجنوب من كوريا . ولكنه لم يستطع أن يعلل كلام المسعودى وابن الفقيه بوضع الوقواق بالقرب من مدغشقر على ساحل الزنج .

أنور عبد العليم

هوامش

(١) نلاحظ أن موضوع نقل فقرات برمتها أو آراء كاملة لمؤلف بواسطة مؤلف آخر دون الاشارة لمصدرها كان أمراً شائعاً بين مؤلفى القرون الوسطى فيما عدا بين العلماء المدققين من أمثال المقدسى والبيرونى . وقد تصدى الأول لهذا الموضوع بالنقد الشديد فى فقرات وردت فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » بقوله « ومن مفاخر كتابنا هذا الإعراض عما ذكره غيرنا . ألا ترى أنك اذا نظرت الى كتاب الجيهانى (فى الجغرافيا) وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبة وبناه عليه . واذا نظرت فى كتاب ابن الفقيه (كتاب البلدان) فإنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ والزيج الأعظم . واذا نظرت فى كتابنا هذا وجدته نسيج وحده يتيماً فى نظمه » وقد أتم المقدسى كتابه فى عام (٩٨٥ م) أى أن هذا الكلام كتب منذ ألف سنة فى وقت لم يعرف العالم فيه أصول النقد العلمى . ومازالت الحاجة إليه قائمة فما أشبه الليلة بالبارحة ؟

(٢) نبات العشَر : هو شجيرة صحراوية أوراقها تختزن الماء وتنمو أيضاً فى الأماكن الخربة ، ثمارها فى حجم البرتقال أو أكبر قليلا تنكمش عندما تجف وتفقد ماءها .

(٣) ذكر ذلك ابن إياس فى قوله بأن هذه الثمرة ذات نفع للأهالى .

(٤) طائر خرافى كالرخ يقال انه أكبر بكثير مما ورد ذكره فى هذه الفقرة .

(٥) لفظ اليمن عند الجغرافيين العرب القدامى تعنى أيضاً جهة الجنوب كما أن الصين تدل على الشمال .

(٦) قنبلة هى ميناء كمبالا على ساحل الزنج وموقعها فى كينيا .

(٧) الذبل هو ذرق الطيور والمعروف أنه يكثر فى جزر المحيطات التى تستوطنها الطيور البحرية التى تتغذى على الأسماك وتتراكم هذه الفضلات بمرور الزمن فتكون تلالا من السماد العضوى الجيد يحتوى على نسبة عالية من النتروجين ويسمى عند الغربيين « جوانو » وهو ثروة اقتصادية هامة فى بلاد بحرية مثل بيرو والأرجنتين .

ومن هذه الفقرة التى وردت فى عجائب الهند نعلم أن هذا السماد كان سلعة قديمة تجارية هامة تصدر للخارج كما هو الحال اليوم .

شجاعة

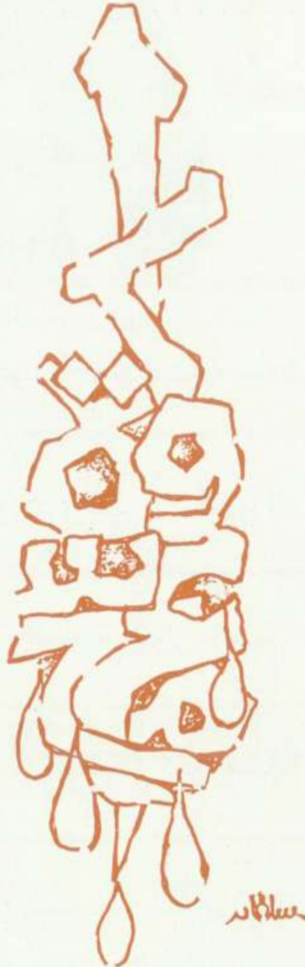
شعر : الدكتور أحمد عامر

« بكائية الى الشاعر خليل حاوى .. »

كانت يدك الرمز لكل الأيدى العربية
كنت شجاعاً حين سحبت زناد النار
كى تطفىء هذا النور
كى يبصر هذا العالم

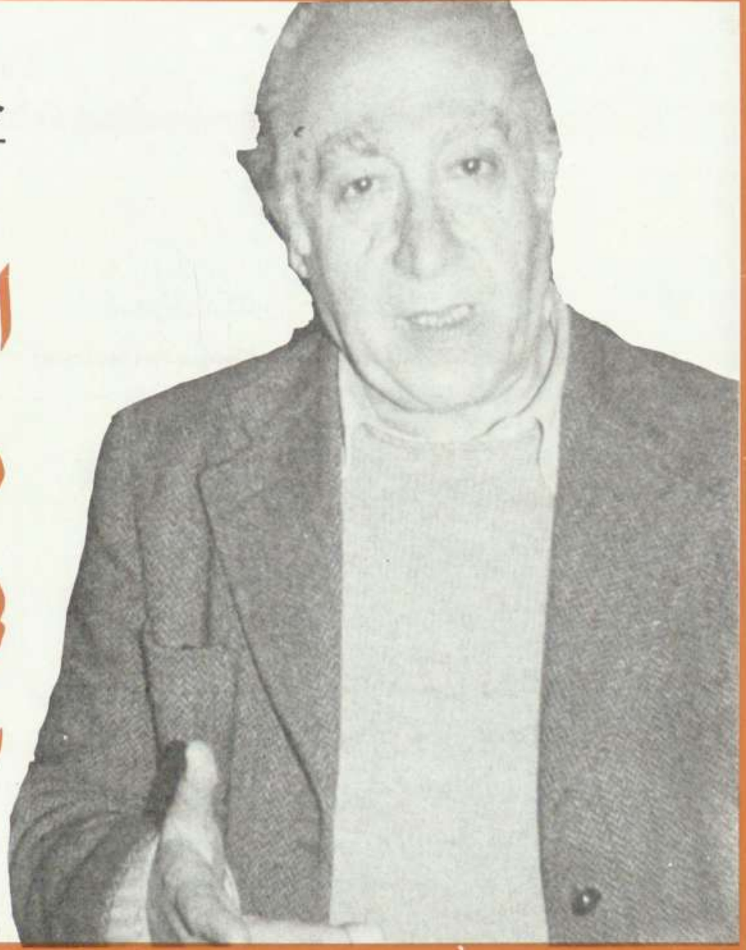
* * *

حين يكون الموت علاجاً إذ يستعصى الداء
فضلت الموت بتلك الأيدى العربية
وكرهت حياة بين الأعداء
عشت غريباً .. لا
بل مت غريباً فوق الأرض
عشت قتيلاً بين الأضلاع
كنت خليلاً فى عصر فقد الخلان
يا اسماً يسمو فوق الألقاب
تبكيك الأرض العربية
قد راح زمان الشعراء
رحت شهيداً هل يصحو النوام ؟ ؟
رحت فداءً فليرحمك الرحمن ..



جبــــرا إبراهيـم جبــــرا

الناقد العربي الكبير مترجم شكسبير في حـــوار شامل ومثير



أجرى الحوار: أحمد عنتر مصطفى

- لماذا توقف العرب عن الإبداع بعد أن خلقوا ألف سنة من الازدهار؟

- شعر العصور العربية المظلمة تكرار وعبث لفظى وكلمات فارغة

- عندما وصلنا إلى العصر الحديث كنا جميعاً أميين أو شبه أميين

- يجب أن نقسو على أنفسنا لنستعيد قدرتنا على المشاركة فى حضارة الانسان

ابتهل الطالب الفتى الى الله أن يغفر له . وبتردد مذعور وأنامل مرتعشة امتدت يده الى رفوف المكتبة العامرة . كان يعرف مكان الكتاب جيداً فكثيراً ما استعاره وقرأه حتى كاد يحفظه . وفى غفلة من أمين المكتبة دس الطالب الكتاب فى جريدة حملها لهذا الغرض . وفى منزله بدأ يستمتع بقراءة (الرحلة الثامنة) .

بعد عشرين عاماً كان الطالب يجلس الى المؤلف جبرا ابراهيم جبرا فى زيارته الأولى للقاهرة ويقص عليه ما حدث وبيده النسخة الموشومة بخاتم المدرسة الثانوية . وأهدى المؤلف الى الطالب ــ الذى أصبح شاعراً ــ نسخة أخرى من الكتاب فى طبعته الأخيرة وعليها تحذير لسارقى الكتب ..

هكذا بدأت علاقتي بالأستاذ جبرا ابراهيم جبرا من وقت مبكر وبحادث مميز ، ثم تعمقت الصلة ثقافياً بمتابعة أعماله وما أكثرها .. كان مقاله : (القدس : الزمن المجسد) فى هذا الكتاب يستوقفنى طويلا . فيما بعد عرفت أنه من مواليد بيت لحم عام ١٩٢٠ وانتقل مع عائلته الى القدس فى سن الثانية عشرة والتحق بالكلية العربية (دار المعلمين) بها وحصل على دبلوم التربية عام ١٩٣٨ . لقد تفتح وجدانه على هذه المدينة ــ الوطن ــ المأساة . وكأنه كان يحس أنها (فردوس مفقود) فأختزنها فى وجدانه . واختزنها معه الوجدان العربى كله ..

سافر الى انجلترا ودرس فى اكسترفورد وكمبردج وعاد مرة أخرى الى القدس ليودع فيها عام ١٩٤٦ جزءاً منه حيث دفن والده . ومنذ عام ١٩٤٨ حضر الى بغداد وبقي فيها إلى اليوم حيث جعل منها وطناً دائماً .. ومنها توالت ابداعاته المتنوعة الغزيرة ..

إجابات جبرا ابراهيم جبرا فى هذا الحديث تثير حيوية فكرية وجدلا خصباً وهى نتاج تجربة فكرية وممارسات ثقافية تجاوزت ٤٥ عاماً فى مجال الابداع والنقد والترجمة .. وقد حاولنا أن نلم بجوانب شخصيته الثقافية المتعددة المتنوعة ..

ــ ليس هناك من ينكر دور العملية النقدية فى تطوير الابداع . ولكن يؤخذ على النقد فى هذه المرحلة الجنوح الى التنظير ، والمنهج الأكاديمى ، واللهاث خلف المصطلح الأجنبى ، والصراعات النقدية المستحدثة ، والولع بمفردات الحداثة ، والاغتراب عن الواقع الابداعى العربى المعاصر ..

• الأدباء سواء كانوا مبدعين أو نقاداً يعون دور العملية النقدية . ولكن الابداع العربى نفسه بدأ فى الخمسين سنة الأخيرة يتخذ أشكالا ربما لم تكن معروفة بهذا التنوع وهذا التعدد فيما مضى . وبدأنا نشعر أن النقد لكى يواكب هذا النوع من الابداع يجب أن يكون على نفس المقدار من الغزارة والعمق وأيضاً من الذكاء فى طرق المعالجة .

النقد والابداع

ــ تقصد أن الأنواع الأدبية الجديدة استحدثت بالضرورة مناهج نقدية جديدة ؟.

• هذا فى جانب ، من جانب آخر نحن أمام بحر زاخر وعلينا أن نتأمل أولا ما يحدث بالنسبة لنا وبالنسبة للغة العربية . أعتقد أن المحاولات التى بدأت تتبلور من الأربعينات ثم أخذت مسارات مختلفة من ذلك الحين ليست محاولات ناضجة مائة بالمائة . ولكن لم تدرس على الشكل الذى يثير عندنا قضية النقد إزاء الابداع . لكن نحن بحكم اطلاعنا على الآداب الغربية نعرف أن الانتاج الفكرى والأدبى الذى هو موضوع دراسة الناقد فى الغرب يمتد عمقاً فى التاريخ بالنسبة للأدب الحديث الى ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة . وقد يمتد الى عصر النهضة فيكون عمره أكثر من ٥٠٠ سنة . وقد يشمل الآداب الكلاسيكية التى بنيت عليها آداب الغرب فهو حينئذ يتمتع بعمق زمنى خاص وغزارة تيسر سبلا مختلفة لمعالجة هذه الموضوعات وبالتالى نظريات مختلفة نراها ، ونحسد الغرب عليها ، ونريد أن ننقلها دفعة واحدة إلى أدبنا لنعالج بها ما أنتجناه نحن من ابداع فى الخمسين أو المائة سنة الأخيرة ..

ــ نتيجة لذلك ألا يحدث تعسف عند تطبيق المنهج (القالب) على المادة الإبداعية ــ عربياً ــ بحكم تباين اللغة وأسرارها واختلاف الفكر والعقلية ، وتفاوت الأذواق ، والنسبة الزمنية التى أشرت إليها ..

• تفاوت الكم والكيف والزمن . هذا التعسف من قبيل تحصيل الحاصل . ويخيل الينا أننا أصبنا بعقدة إزاء هذا الموضوع فصرنا نشكو بصفة مستمرة من تخلف النقد عن الإبداع . وتخلف النقاد عن المواكبة . وعن المصطلح النقدى . الآن لماذا لا نشكو من قلة الابداع نفسه .. أصلا ؟؟

ــ قلة الإبداع ــ تقصد ــ أم نوعيته ودرجة نضجه الفني ؟

• لماذا لا نشكو من قلة التنوع فى هذا الإبداع ؟ لماذا لا نشكو من أن إبداعنا لم يواكب حياتنا ؟ نحن نزعم أن النقد لم يواكب الإبداع .. حسناً .. وهل واكب الإبداع الحياة ؟؟ هل واكب تجربتنا نحن كأمة ناضلت وكافحت حتى تعيش .. دع عنك قضايا السياسة والاستقلال ..

ــ تعني القضايا اليومية والحياتية البسيطة للإنسان العربى كيف عبر عنها المبدع حتى يطالب بالتفات النقد اليه .. ؟

• نعم .. فنحن فى النظر الى القضايا النقدية ننسى أن المادة الميسرة للناقد فقيرة ولا تعطيه المجال الكافى لتطبيق أساليب النقد التى قد يكون عرفها عن الغرب . ولسوء الحظ نحن نشعر أن التقدم التكنولوجى فى الغرب يستوجب تقدماً إبداعياً . والعكس صحيح . نحن نشعر بتخلف تكنولوجى فلابد من تخلف إبداعي . وطبعاً هذا خطأ يجب أن ننقذ أنفسنا منه بالتأمل فى أساليبنا وفكرنا ومحاولاتنا لتحديد وتجديد تجربتنا العربية نفسها . فالغرب له تجربته الخاصة . هو فى ابتكار مستمر لأساليب النقد وهذا نراه فى التنظير المتواصل الذى بدأ فى القرن الثامن عشر . التنظير النقدى فى الواقع بدأ من عصر النهضة عندما عادوا الى آراء أرسطو وأفلاطون . كانوا يتصورون فى العصور الوسطى أن ليس زيادة لمستزيد . ولكن أدركوا فيما بعد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر أن ثمة مجالا للإضافة بسبب التجربة الدرامية التى عرفها الغرب ، وأنواع الشعر التى بدأت تستجد وتكسر الإسار الكلاسيكى المفروض عليها منذ قرون وأخذت التنظيرات النقدية تتوالى . ربما كانت معظمها ذات جذور فى التنظيرات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية . ولكنها أخذت أشكالا كثيرة .. ثم اتصلت بالتفكير الفلسفى ، ومناهج علم النفس الحديثة والأنثروبولوجيا .. دخلت فروع المعرفة الانسانية وأدى ذلك كله الى تكوين نظريات نقدية مبنية على تلك الانجازات المعرفية وتبدو هذه النظريات متماسكة وان بدت فى شكل لا نهائى .. نعم لا تتبلور ولا تتشكل شكلا نهائياً لأنها فى استمرار تتبدل بالاضافة . وهذا ما أصابنا بنوع من الدوار . لأننا نريد أن نلاحق هذا التغير الدائم ونحاول أن نطبق هذه النظريات التى حتى الآن لم تثبت على حال . فخلال الثلاثين سنة الماضية لم تثبت نظرية نقدية واحدة ! ! الآن البنيويون يشغلون الساحة .. لقد قاموا على النقاد الجدد الذين سبقوهم .. وما ان

• شوقى أراد أن يكون شكسبير الدراما العربيـة

• العرب محظوظون لأن لديهم كاتباً كبيراً كنجيب محفوظ

• عبد الرحمن منيف من النوع الذى يحاسب نفسه بشدة على ما يكتب



أحمد شوقى



نجيب محفوظ



د . عبد الرحمن منيف

بدأ العالم يلتفت إلى صوتهم حتى انسل منهم (التفكيكيون » لوجازت التسمية .. وسيتلو هؤلاء آخرون .. ونحن نلهث وراء هؤلاء .. وهؤلاء .. إذن علينا أن نفكر تفكيراً واضحاً عندما نقترب من قضية النقد ونفهم بالضبط ما الذى حدث فى العملية الإبداعية والنقدية معاً فى الأدب العربى .

الذهن العربى

ــ يبدو أنك دفعت بالكرة الملتهبة من صدرك الى أحضان المبدعين ــ وكما يبدو فى حديثك ــ إن العلة كامنة فى فقر الابداع .. الى أى شيء يمكننا أن نغزو أسباب هذا الفقر..؟ والى أين تسير بنا هذه العلة؟ أعرف أن الإجابة تحتاج الى تحليل دقيق .. ولكن هناك مثلا من يعزو هذا الفقر الإبداعى الى محدودية الذهن العربى .. الى أنه ليس ذهناً تحليلياً .. و..

• القول بمحدودية الذهن العربى واتهامه أحياناً باتهامات رديئة : إنه ذهن صوتى وذهن تقليدى ، فى الواقع أن الأصل فى هذا النوع من التفكير حول الذهن العربى ربما يعود الى أناس مثل نيتشه أو شبنجلر وفى مواقفهم التى كانت فى الواقع أعمق مما تناولناها نحن بتسطيحها .. مثلا شبنجلر يتحدث عن ثلاثة أنواع من (الروح) ، أولا : الروح الابولونية التى هى الروح اليونانية الكلاسيكية ، ثانياً : الروح الفاوستية وهى الروح الأوروبية ، وثالثاً : الروح السحرية التى يقول إنها الروح العربية ويرى فوارق بين مواقف هذه الروحيات الثلاث . ويستنتج منها استنتاجات مفيدة . ولكن لا يفضل الواحدة بالضرورة على الأخرى ولا ينسب الفقر الى روح دون روح . فلكل ميزاتها ولكل غناها ولكل اسهامها فى التعبير عن التجربة الحضارية . لكن جماعة من الناس أمسكوا بهذه التصنيفات والاستنتاجات وقالوا إن الذهن العربى لا يستطيع أن يركب وليس ذهناً تحليلياً ، ولذلك فهو ليس تركيبياً أيضاً . بالعكس الذهن العربى فى الواقع ذهن رياضى . والذهن الرياضى الذى خلق الحضارة العربية والذى أوجد حوالى ألف سنة من الازدهار العمرانى والفكرى والحضارى فى جزء كبير من العالم .. حسناً .. أين ذهب العقل الرياضى المبدع هذا..؟؟!!.. لا يموت العقل أبداً.. إنما التحولات التاريخية التى مرت بالعالم العربى زعزعته وعزلته ومنعت عنه القدرة على اللحاق والمتابعة ، منعت عنه القدرة العضوية على ملاحقة الأفكار . فى الواقع أن التخلف الذى أصاب العالم العربى من سنة ١٠٠٠ أو من القرن الثالث عشر اذا اعتبرنا سقوط بغداد بداية الأفول الى أواخر القرن التاسع عشر أصابنا بضمور عضوى جعلنا غير قادرين على متابعة القضايا الفكرية . ولكن العقل العربى لم يفقد القدرة نهائياً أو أنه قاصر عن أداء دوره الفكرى والانسانى .. لقد كانت هناك الأمية التى نخرت فى الجسم العربى سبعة أو ثمانية قرون .. لم يكن من السهل التغلب عليها .. فى غياب العقل الذى يعمل عن طريق المعرفة ماذا يبقى من الأمة؟؟!! .. عندما وصلنا الى العصر الحديث كان معظمنا أميين .. أو أميين موقفاً .. كيف اذن نتعامل مع الآلة .. حاولنا عند اكتشاف ذلك أن نأخذ بتقدم الغرب التكنولوجى قبل أن نستعيد قدرتنا على استعمال الكلمة على النحو الصحيح .. لقد فقدنا تلك الصلة بالكلمة الحقيقية وحلت الكلمة الخاوية مكان الكلمة المفعمة المشحونة .. تستطيع أن تجمع مجلدات من شعر العصور المظلمة .. تكرار وعبث لفظى وكلمات فارغة بعيدة عن تجربة الانسان . اذن يجب من ناحية أن نقسو على أنفسنا . ومن ناحية أخرى يجب أن نفهمها . أن نستعيد الصلة بين العقل والرياضيات بين العقل والكلمة المشحونة . وأنا أزعم أننا آنذاك سنجد الإبداع الذى نريد . وتبعاً لذلك سنرى النقد الذى يواكب هذا الإبداع .

ــ على هذا الأساس هل يمكن القول : إن هذا الواقع الإبداعى الفقير ربما دفع أو ساعد على الاهتمام بالتنظير النقدى؟ . إن العطاء الذى يفتقر الى الحيوية جعل النقاد يجنحون الى التنظير هرباً من الواقع واغتراباً عنه .

• فعلا ، واقع من هذا النوع ، ابداعه فى قسم كبير منه لا يستحق التسمية فضلا عن اتساع

• صلاح عبد الصبور تحول من شاعر الى حكيم !

• فتحى غانم كاتب مهم وأعماله تقف مع أعمال محفوظ

• الطيب صالح حساس وذكى ولكنه كسول فنيا ومتساهل فى قيمته ككاتب



صلاح عبد الصبور



فتحى غانم



الطيب صالح

البرامج الجامعية الكثيرة أدى إلى الاهتمام بالتنظير .. الذى سيكون ركيزة للمبدعين الآتين فيما بعد ، كما حدث فى أوروبا . ولكن ما أخشاه هو أن تنظيرنا يظل فى الفراغ ويعتمد على نظريات مجلوبة ليست متصلة بما ننتجه من فكر وأدب . بعض هذا التنظير أعتقد أنه فى مكانه . وعن اغتراب الناقد عن الواقع ــ كما أشرت ــ أنا لا أنسى فى أواخر الأربعينات عندما فتنت باللغة الانجليزية فكتبت كثيراً بها ، كنت قد بدأت الكتابة بالعربية ولكنى خيبت أو أصابنى ما يسمى (انكسار خيال) فتحولت الى الانجليزية ، ولكنى سرعان ما أدركت أن هذا (كلام فارغ) وأنى إذا لم أكتب بلغتى فلن أترك شيئاً ذا بال .. وكثيراً ما كنت أقول يجب أن نصل ابداعنا بتنظيرنا .. ما فائدة التنظير ؟ إنه يجب أن يفضي الى ابداع جيد .. إذا كان سليماً ..

هل تراجع الشعر ؟ !

ــ بعض الآراء النقدية . وبعض الأصوات ارتفعت لتؤكد تراجع الشعر .. بل هناك مقولة سائدة .. إننا نعيش عصر القصة القصيرة ..

• أعتقد أن هذا الرأى خاطىء . لقد كتبت فى احدى مقالات (الرحلة الثامنة) أننا تحولنا من القصيدة الى القصة القصيرة وكان التحول سهلا نسبياً . لأن القصة القصيرة مشحونة مركزة وهى بذلك تشبه القصيدة . ولأن للعرب ولعاً بالشعر ويمكن للقصة القصيرة أن تقوم مقام القصيدة على أساس التكثيف وقدرتها على استيعاب اللقطة واحتفاظها بالانفعال . ولكن القصة تبقى قصة والقصيدة قصيدة . كل جنس أدبى مستقل قد يفيد من الآخر . ولكن فى الـ ٢٥ سنة الأخيرة استسهلنا القصة القصيرة وكتبها شبابنا بتكرارية بحيث أصبحت لا تقرأ . كما الحال فى القصيدة الآن . نحن الآن فى عصر الرواية . كما أن الغرب فى عصر الرواية . القصة القصيرة لم تكن فى يوم من الأيام هى النموذج الأول فى الابداع النثرى . الرواية فن إذا كان الشعر فن الفطرة . ومن الطبيعى أن تزدهر مع ازدهار المدينة فى العالم العربى . المدن أوجدت فناً نثرياً يضمر معه دور الشعر ويتقدم فيه دور النثر : التوازى بين التركيب المكانى والتركيب الروائى . ومن هنا كان المكان أحياناً بطلا للرواية . وانعكاس أثر المكان على الشخوص الروائية بتعدد أنماطها وسلوكياتها لا يستوعبه الا العمل الروائى .

اننا نعيش زمن الرواية . ويجب أن نفخر أن العرب هم أول مبدعيه . شاهداً على ذلك ألف ليلة وليلة والسير الشعبية فلم يكن فى الأدب الغربى ما يوازيها بل إنها أثرت فيه . كثير من روائيينا يعرفون ذلك وينهلون من هذا التراث الثر . على أننا نعترف أننا جئنا هذا الفن متأخرين . لقد جئنا فى زمن السينما والتليفزيون والفيديو هذه كلها تشتت التركيز المطلوب على الكلمة بالنسبة للمبدع والمتلقى معاً . هذا الزمن الذى تغتصب فيه (الصورة) مكانة (الكلمة) بإيحاءاتها التى تدعو الانسان الى التفكير والتأمل .. وتصرفه الى الصورة المحددة التى تحشو الانسان بالرؤية العابرة التى لا تفجر الا السهل الممكن ، وقد يتلاشى تأثيرها بانتهاء عرضها . حدث هذا فى الوقت الذى كنا نريد أن نقضى على الأمية والخرافة اللتين نخرتا فى الكيان العربى باستعادة أهمية الكلمة وقدرتها على التأثير فى الحياة . واذا بوسائل التسلية الغربية تشغل الساحة ليبقى دور الكلمة لا باهتاً فحسب بل ومناضلا مغلوباً على أمره . فى الغرب ــ وهو مبتكر تلك الوسائل ــ لم يشغلهم التليفزيون ولا غيره عن الاطلاع والقراءة . انهم يقرأون .. ويقرأون فى محطات القطارات وفى المركبات فضلا عن المكتبات فى المنازل .. وظل التليفزيون ملهاة يلجأ اليها الأوربى عندما يكل ذهنه عن التركيز أو عندما يريد أن يتابع حدثاً طازجاً .

ــ كتبت القصة القصيرة (مجموعة : عرق وقصص أخرى ١٩٥٦) والرواية (السفينة ، البحث عن وليد مسعود .. الخ) وهناك كتاب عرب مارسوا الكتابة فى الفنين .. وقد تتمكن خصائص فن منهما دون الآخر لدى الفنان فيجيد فيه ولكنه يستمر فى كتابة الفن الآخر أيضاً .. أليس هناك حد فاصل بينهما إبداعياً ؟ .. وما خصائص كل منهما ؟ . لا أريد إجابة تعليمية .. أريد تجربتك فيهما ..

• هذا أيضاً نجده فى الغرب ، هيمنجواى كتب رواية أو روايتين جيدتين ولكنه فى الواقع قصاص ، أهميته كانت فى القصة القصيرة ، وربما كان من أسباب انتحاره أنه أدرك أنه لن يستطيع أن يكون روائياً جيداً . بعدما انتحر وجدت له رواية رديئة نشرت بعد موته ، تؤكد أنه شعر بهذا اليأس . وأنا لا أستطيع أن أحدد لماذا يبدع الكاتب فى جنس معين من الكتابة ولا يبدع بالضرورة وبنفس المستوى فى جنس آخر ، وإن كانت هناك أساليب أخرى تدخل فى العملية الابداعية .

أنا كتبت القصة القصيرة لمدة عشر سنوات ثم انصرفت عنها . وبعد نشر مجموعتى (عرق . وقصص أخرى) عام ١٩٥٦ بعدها باحدى وعشرين سنة كتبت قصة قصيرة واحدة هى (بدايات من حرف الياء) نشرتها مع (عرق ..) فى الطبعة الجديدة . القصة القصيرة بها مجال للتلاعب بالأسلوب والتركيب ولكن ليس بالقدر الذى تيسره الرواية . الرواية لها معمار فنى معين إذا لم تكن حاذقاً فيه فأنت بالرغم من قدرتك على أن تروى مفارقات الحياة وسخف وعبقرية الانسان .. الخ .. فى أمثلة صغيرة جميلة قد لا تستطيع لسبب ما أن تركب هذا كله فى معمار معين . أنا أعتقد أن الروائى دائماً يفكر على نطاق أوسع . المكان والشخوص وتعدد الحيوات وتداخلها وتباين المواقف والأفكار كلها تمنح الروائى غنى هائلا عندما يستطيع السيطرة عليها . بعكس القصة القصيرة المحددة المكان والشخصية والجو .. يخيل اليك أنك تتكلم بلغة غير لغتك .. ولكن كل هذا لا يفسر لنا بالضبط امكانية إجادة فنان فى جنس أدبى واحد دون الآخر . وان كان هناك من أبدعوا فى أكثر من مجالين مثل جان بول سارتر الذى كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال .. وأجاد ..

ـ الجانب التخطيطى والتدخل الذهنى بالنسبة للأحداث وبناء الشخوص والمواقف بارز فى الرواية بروز الوقفة الشعرية فى القصة القصيرة .. الى أى مدى تخطط لعملك الروائى ؟ والى أى مدى تفرض الشخوص وجودها ـ داخل العمل ـ على تخطيطك المسبق ؟ هل تكتب الرواية نفسها ـ أحياناً ـ من خلال الشخوص المتمردة على البناء السابق رسمه لديك ؟

• لقد سألت سؤالا محرجاً ، أنا أكتب الرواية كما أكتب الشعر ، أنا أحتاج الدفقة الشعرية التى تمنح الشخصيات حيويتها . أحتاج الى تلك الحمى . ويجب أن أكتب كذلك وإلا فإننى لا أشعر أنى أكتب رواية . وفى الوقت نفسه الذى أطلق فيه العنان لقوى معينة فى ذهنى أسيطر على تلك القوى بشكل آخر . أحاول أن أراها بشكل موضوعى بارز منفصل . فأرى هل هذه الدفقة التى سمحت لنفسى بها الى أى مدى أستطيع أن أعيد تشكيلها واخضاعها لسياق آخر من الدفق وفق تركيبة معينة خاضعة لمقدرتى المعمارية . وأعتبر هذه العملية الثانية هى العملية الروائية . لابد من الشعر فى الرواية . بمعنى أننا نلاحظ أن الروائيين العظام كان معظمهم شعراء فى البداية . أو كانت لهم تجربة ـ ولو فاشلة ـ مع الشعر . الطاقة الشعرية يجب أن تكون موجودة دائماً . ولا تتوافر الا لدى الروائيين الكبار . أنا بقدر ما أكتسبت من الطاقتين الشعرية والمعمارية . من خلال دراستى للشعر والنقد الانجليزيين ، كتبت الشعر والنقد والرواية . وربما بسبب هذا النمط من التربية عندما أكتب رواية آتيها بوعى نقدى صارم . أحياناً أقسو على نفسى . أحذف وأعيد وأحترس . لذلك لا أنشر رواية الا بعد أن تستغرقنى كتابتها أربع أو خمس سنوات . مما يجعل الفارق الزمنى بين ابداع رواية وأخرى عندى طويلا كما يلاحظ المتتبع . وبالتالى فأنا مقل ولا أكتب كل سنة أو ستة شهور كما يفعل البعض ..

الشعر والدراما

ـ الشعر العربى فى مفترق الطرق .. والقصيدة العربية الحديثة وصلت إلى كلاسيكيتها مرة ثانية بعد أقل من أربعين سنة من محاولات الرواد السياب وعبد الصبور وغيرهما . وقد كتبت القصيدة الغنائية . وترجمت لاريك بنتلى (الحياة فى الدراما) .. عن علاقة الشعر بالدراما نتوقف قليلا ..

• للدراما الشعرية تاريخ معين . الدراما الأغريقية كانت شعراً . وفى العصور الوسطى وعصر النهضة كتبت المأساة شعراً وكتبت الكوميديا نثراً . عندما أراد المسرح أن يكون جاداً ويتناول قضايا انسانية هامة كتب شعراً . فى القرن التاسع عشر وبعد شكسبير بفترة طويلة كتب هنريك ابسن دراما شعرية رائعة (بيرجنت) مثلا ، ولكنه أحس أنه لا يستطيع أن يتناول قضايا المدينة البورجوازية كما تعقدت وتبلورت وتشكلت فى أوربا بالشعر فكان لابد له أن ينقض البناء الشعرى فعالج موضوعات غالباً ما كانت تكتب شعراً بالأسلوب النثرى . وبذلك تحول المسرح بضربة هائلة من الشعر الى النثر . نحن جئنا فى هذا العصر الذى هو فى الغرب عصر الدراما النثرية ، ت . س اليوت كان شاعراً كبيراً ، وعندما تقدمت به السن وأدرك أنه لا يستطيع أن يكتب الشعر الذى بدأ به تحول الى الدراما الشعرية مدفوعاً بنظريات معينة أراد أن يحول فيها لغة الشعر الى اللغة المحكية . لذلك ما عدا (مقتلة فى الكاتدرائية) نجده تناول موضوعات يومية ترتكز أحياناً على التحليل النفسى وما شابه ذلك لكى يستطيع أن يأتى بأفكار الحياة اليومية فى قالب شعرى . (أودن) أيضاً حاول أن يكتب بعض الموضوعات فنجحت شعرياً ولكنها درامياً لم تكن على المستوى المطلوب . (كريستوفر فراى) وآخرون كتبوا أيضاً الدراما الشعرية خاصة فى فترة ما بعد الحرب العالمية حيث الظرف التاريخى يستجيب بتوتره لتلك المحاولات . نحن فى عصر طغى فيه المسرح النثرى على الشعرى . ولكن كمحاولة لتأكيد أننا نستطيع أن نفعل ما فعل الآخرون ولسنا أقل منهم قدرة على العطاء كتبنا مسرحاً شعرياً . لماذا كتب شوقى الدراما الشعرية تقليداً لشكسبير .. أراد أن يكون شكسبير الدراما العربية .. بدليل تناوله على سبيل المثال موضوع (كليوباترا) .. وقد جاء عزيز أباظة بعده بمحاولات قاصرة .. وتناول أيضاً موضوعاً تناوله شكسبير (قيصر) !!

صلاح عبد الصبور أيضاً أعتقد أنه أراد أن يقلد إليوت . حيث تحول صلاح بطاقته الشعرية التى بدأت فى الضمور والدخول فى مرحلة الحكمة والمسرح الشعرى يعطيه الفرصة الذهنية والتاريخية لأن يقول ما يقول .. وصلاح عبد الصبور تحول فيما بعد من شاعر الى حكيم ، تحول الى رجل (صاحب أفكار) وكان مأزوماً .. فوجد خلاصه فى أن يطرح أفكاره من خلال الدراما .. هذا ما أراه ..

ـ عفواً ، أختلف معك فصلاح عبد الصبور أدرك أن جوهر الشعر فى الدراما فى وقت مبكر ، نص على ذلك فى كتابه (حياتى فى الشعر) الصادر فى أواخر الستينات . كما أن مسرحيته الأولى (مأساة الحلاج) نشرت بعد ديوانيه الأولين (الناس فى بلادى ،



عزيز أباظة



وليم شكسبير



الطاهر وطار

أقول لكم) وكان عمره لم يتجاوز الخامسة والثلاثين . وكتب بعد ذلك أربع مسرحيات وأربع مجموعات شعرية فى عمره الذى تجاوز الخمسين بشهور حتى وفاته .. نفهم من ذلك أنه كتب المسرحية الشعرية مبكراً وليس حينما نضب معين شعره .. كما أسلفت .. وكما قرنته بحالة إليوت .

• هذا صحيح .. ربما لم أكن واضحاً .. فى الحقيقة صلاح عبد الصبور تأثر بالأدب الانجليزى تأثراً عميقاً ، والنموذج عند صلاح عبد الصبور هو الأدب الانجليزى شعراً ودراما .. وعندما بدأ صلاح يكتب كان اليوت فى أواخر عمره وكان قد بدأ يكتب الدراما . وما اردت أن أقوله أن (حكمة) صلاح عبد الصبور كان يريد أن يعبر عنها فلم يتسع لها الا الشكل الدرامى . وأنا لا أرى فى دراما صلاح عبد الصبور ذروة الشعر إنما العكس أرى فيها محاولة صلاح للتخلص من مأزق عدم القدرة على التعبير فى ظل طاقة القصيدة الشعرية .

لا أحب الترجمة !

ــ أسهمت اسهاماً مميزاً فى الترجمة ما بين أعمال إبداعية لشيكسبير وغيره وأعمال نقدية وتنظيرية . من أى الزوايا نتطرق الى تجربتك فى الترجمة ؟

• قد تدهش عندما أقول أنا فى الواقع لا أحب الترجمة . لا أعشقها كطريقة للتعبير عن نفسى . هناك أناس اشتهروا كمترجمين كبار . أنا لم أطمح الى هذا الدور لأنى طمحت أن أكون كاتباً مبدعاً . لكننى منذ بدأت الكتابة ترجمت أيضاً . فى فترة معينة الترجمة تكون ضرورية . الترجمة الجيدة تيسر لنا فهم انجازات الآخرين وبذلك نستطيع الافادة من تجربتهم أولا . ونضع تجربتنا نحن ازاء تجربتهم ثانياً . كنت أعى أيضاً أن الترجمة السيئة قد تأتى بالأفكار مشوهة وبذلك قد نبنى أفكاراً خاطئة نقلا عن خطأ منقول . وهذا أمر يقلقنى . إذ أننى أهتم بترجمة الفكر كفكر فضلا عن اهتماماتى بترجمة الإبداع . وقد كنت أترجم أحياناً لكى أثبت أن الترجمة يمكنها أيضاً أن تكون قريبة من الابداع فى أشكالها وخدمتها للفكر وللأشكال الأدبية التى يمكن أن تستفيد منها . أحياناً كنت أشعر أن الأعمال الإبداعية فى اللغات الأخرى تتمتع بشحنة ما يغفل الذين يترجمونها عن نقلها اهتماماً بالفكر فقط . يعطون العرض دون الجوهر . وهذا مادفعنى الى ترجمة شيكسبير ــ على كثرة ما ترجم ــ لكى أنقل هذا الزخم الموجود فى الأصل إلى لغة قادرة وباحكام حيث لا يقل العمل المترجم ولا يختلف عن الأصل إلا بقدر ما فى اللغتين من خلاف فى أسرار كل لغة .

ــ قد يوجد المترجم فى العمل المترجم من خلال اختياره وانتقائه . وقد يوجد بنسبة أو بأخرى بمقدار تدخله فى النص . إلى أى نسبة أنت موجود ــ كمبدع ــ فيما ترجمت .. ؟

• أنا موجود جداً فيما أترجم .. لماذا ؟ لأنى لا أترجم كوظيفة . بل أترجم ما أحب . لذلك تجد الكتب التى ترجمتها من النوع الذى يتناغم مع تفكيرى وموقفى من الحياة . والمترجم ليس آلة ولا كمبيوتر . المترجم انسان . خاصة اذا كانت له مواقف فكرية وابداعية فلابد أن يتفاعل مع المنقول عنه ويتداخل فى محاولاته لنقل الشحنة الأصلية فيضع كثيراً من نفسه . أنا من ناحيتى أزعم أن (هاملت) مثلا فيها أخلص ما يمكن أن يصاغ باللغة العربية لشخصيات شيكسبير وصوره الشعرية وأساليبه الكلامية التى هى من ميزات (هاملت) . ولكن بقدر ما أتصور أن ترجمتى لشيكسبير مائة بالمائة فهى أيضاً ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . وكذلك الأمر بالنسبة لـ (الملك لير) و (ماكبث) و (عطيل) .. هل هذه أمانة أسأت التصرف بها .. ؟؟ أنا أعتقد أن الترجمة الجيدة يجب أن تكون كذلك . أن تضع بنفسك مع المؤلف وبقدر ما تعبر الألفاظ التى تستعملها عن شخصيتك . أنا أستعمل اللغة العربية . وهى ملكى وليست ملكاً لشيكسبير . لذا أنا أنقله الى لغتى . ولكنى أستعمل اللغة العربية بالصيغة التى دربت نفسى عليها سنين طوالا . وبذلك أصبحت اللغة أسلوباً معيناً أنا أتميز به شئت أم لم أشأ . فإذا نقلت شيكسبير الى لغتى فأنا بالضرورة نقلت فكرته الى أسلوبى . وجعلت قسماً منى قائماً فيه . لقد سمعت أن أحد الممثلين فى مصر مثل (هاملت) فدمج بين ترجمتى وترجمة الدكتور القط وربما خليل مطران وصنع منها نصاً مزيجاً . وقلت عندئذ إنه لم يدرك ــ على حسن نيته ــ أن المترجم يضع رؤيته فى النص . وما كان على الممثل إلا أن يختار (هاملت) جبرا . أو (هاملت) القط .. طبعاً لا تجد فى الغرب مثل هذا التخبط أو الاعتباط .

دائماً فى ذهنى

ــ الى أى مدى خدمت دراستك الأجنبية اتجاهك الفكرى .. وهل نجحت فى التخلص مما يسمى (عقدة الخواجة) التى تسيطر على كثير من الدارسين فى الخارج ؟ .

• أنا درست الأدب الانجليزى فى كمبردج وفى ذهنى دائماً الأدب العربى . ولم أفصم العرى أبداً .. عندما عدت الى وطنى بهذه العدة شعرت بالخيبة لما هو سائد ثقافياً . وكان على أن أقوم بدورى وأعود الى الأعماق حتى أحقق المستوى المنشود ابداعاً أو نقداً أو ترجمة سواء فيما أكتب أو يكتبه غيرى . لم يكن الوعى بهذا الوضوح آنذاك . ولكن التنكر للغتى أو تراثى ، فهذا ما لم أفكر فيه وأظنني لا أقره ولا أرضاه .

ــ كانت هناك محاولات مشتركة للابداع نذكر منها تجربة (القصر المسحور) بين توفيق الحكيم وطه حسين . وكانت لك تجربة الرواية المشتركة (عالم بلا خرائط) مع الأستاذ عبدالرحمن منيف .. حدثنا كيف بدأت الفكرة وما إشكالات العمل المشتركة ؟

• هى لعبة فكرية جميلة بدأت صدفة . كتبت فصلا وطلبت من الأستاذ منيف كتابة فصل آخر ، على سبيل المزاح أكمل . ثم على سبيل المزاح كتبت أيضاً . وهكذا . ثم توقفنا قلنا لقد أصبحت المسألة جداً . وقلنا فلنفكر فى الموضوع كقضية فكرية حقيقية . من هم هؤلاء الشخوص الذين تحدثنا عنهم فى البدايات ؟ ما هى العلاقات بينهم لماذا يتحدثون هكذا ؟ ما هو مأزقهم ؟ هل هناك ما هو مشترك ؟ حينئذ أحسسنا أننا خلقنا مصغراً للتجربة العربية المعاصرة . قد تبدو هذه الكلمات كبيرة . ولكن فى الواقع نحن حين أوجدنا مدينة كمدينة (عمورية) أردنا أن نوجد العاصمة العربية اليوم والقضايا التى تشغل هذه المدينة هى التى تشغل العرب على اختلاف مدنهم . وبذلك نكون أخذنا على عواتقنا القضية بأكبر أشكالها . لم تكن هناك مشكلات إبداعية . إنما كانت هناك مناقشات ومساجلات . وعندها كان يعود كل الى إبداعه . ولم نوزع العمل بيننا أبداً كما توهم بعض النقاد بأن هذا فصل منيف وهذا فصل جبرا .. وباستثناء ما أوضحناه نحن كان التداخل بين أسلوبنا تداخلا مقصوداً . والتقارب الفكرى والرؤيوى ساعد على ذلك . وللحقيقة ربما كتبنا معاً الفصل الواحد .. فأين يضع النقد الحد الفاصل ؟

ــ هل هى نزوة أو تجربة وانتهت أم يمكن تكرارها ؟؟

• د . عبد الرحمن منيف فى باريس الآن وحين كتبنا (عالم بلا خرائط) كانت هناك لقاءات مباشرة مستمرة .. وهناك عمل آخر خططنا له .. ولكن بسبب التشتت المكاني لأظن أنه سيتبلور أو يظهر ..

هؤلاء فى رأيى

ــ من موقع الناقد ماذا عن هذه الأسماء الروائية :
نجيب محفوظ ــ فتحى غانم ــ عبد الرحمن منيف ــ الطيب صالح ؟

• نجيب محفوظ : العرب محظوظون لأن لديهم كاتباً كبيراً كنجيب محفوظ بهذه الغزارة وهذا الخيال وهذا الدأب والاصرار . محاولاته الأخيرة لم أقرأها وان أثارت لغطاً . ولكني قرأت له أشياء رائعة وأشياء أخرى كنت أتمنى لو لم يكتبها . وهو كأى كاتب كبير له كثير من الجيد . وله أخطاؤه أيضا .

• فتحى غانم : كاتب وأعماله الروائية تقف مع أعمال نجيب محفوظ . له موقفه الانسانى وتجربته المقتدرة فى العالم الروائى .

• عبد الرحمن منيف : من النوع الذى يحاسب نفسه على ما يكتب . كتب (الأشجار واغتيال مرزوق) كتفجر أول هائل وعمره أربعون عاماً وهى أول تجربة له فى الكتابة . حين اراد نشرها لم يجد ناشراً . بعد ذلك فرض نفسه على الناشرين . وهو على عمره الإبداعي القصير استطاع أن يضيف الى الرواية العربية المعاصرة .

• الطيب صالح : هو يعرف مقدرته ولا يبالغ فيها وأنا أحترم تواضعه ازاء تعظيم الناس له . كان يكتب القصة القصيرة بشكل رائع مثل (حفنة تمر) ونشرها فى (أصوات) وهو حساس وذكى ولكنه كسول إبداعاً ومتساهل فى قيمته ككاتب . وقد روى لى (جون جيى ديفيز) أنه كان يحبسه فى غرفة مطلة على النهر حتى يكتب (موسم الهجرة الى الشمال) فيكتب مكرهاً . هو موهوب ولكن (موسم الهجرة) أعطته الشهرة ولكنها لم تتكرر .. الروائى يجب أن يتسم بالنفس الطويل والدأب وهذا سر من أسرار عظمة نجيب محفوظ .

ــ فى المغرب العربى تتفجر الحركة الثقافية . الرواية تنجب (الطاهر وطار) والنقد (عبد السلام المسدى) والشعر (محمد بنيس) .. حركة زاخرة .. كذلك فى الخليج العربى تنفجر الأصوات المبدعة .. ما تقييمكم لذلك كله .. ؟؟

• هذه اللغة الجميلة التى تجمعنا تتكامل آدابها وفنونها ، وهذا التواصل العميق بالرغم من كل الفواصل السياسية والإقليمية المقامة لسوء الحظ يتخطاها الفن والأدب وتذيبها الثقافة والإبداع . وأنا مع هذه الأصوات التى تحاول أن تصلنا إبداعاً ونقداً ، وتكابد فى سبيل التواصل ولكن الكتاب العربى مظلوم أو منبوذ . إذا صدر فى المغرب لا يصل الى العراق الا بجهود فردية ومصادفة ونحن لذلك لا نعرف هذه المحاولات كما تستحق أن تعرف وتدرس . وأصحابها على جديتهم لا تصلنا أعمالهم وهذا أمر مؤسف . رغم أن المغاربة يعرفون كتاب المشرق ويتابعونهم بدأب . وأنا أعرف أن هناك حركة نقدية فى المغرب العربى متأثرة بالبنوية والمذاهب الفرنسية المعاصرة وهنا أسجل ملاحظة أنها ظهرت كتنظير ولم تترك أثراً على الابداع لأنها تغلف بمصطلح غريب . وأقول ليس بالضرورة أن كل ما ترجموه عن (رولان بارت) أو غيره معنى عند كتابنا وشعرائنا هم أحياناً يبالغون فيما ينقلون . وهذا يزيد الأمر ابهاماً وغموضاً وليس صدقاً .

احمد عنتر مصطفى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● نابليون الأديب ●● صنع في إنجلترة ●●● لا قيمة لوطن ليس فيه أدباء

نابليون الأديب

بقلم: صلاح الدين المنجد

حدثوا أن نابليون كان يرنو ذات يوم إلى البحر الساجى فى «سنت هيلين»، يفكر فى أمره: كيف صفق له النصر، وابتسمت له الدنيا، وكيف خانه الزمن فأودى به الى هذه الجزيرة الغرقى وسط البحار .. فابتسم وصاح: إن حياتى لرواية رائعة، ما كان ضرنى لو كتبتها.

على أن نابليون إن لم يسجل هذه الرواية بنفسه، فقد سجلها التاريخ، وحفظها الناس فأكبروا منه ذلك الجبروت الطاغى وتلك العزة الرفيعة. وكأن نابليون أراد أن يجمع إلى خلود البطولة والعظمة، خلود الأدب والفن، فود لو يكتب ويؤلف.

ولقد ذهب «سانت بوف» شيخ النقد فى فرنسة، الى أن نابليون كان أكبر أديب عرفه عصره. واحتج لذلك بروائع خطبه التى كانت تنعش الأمل الذاوى، وتحى القلب اليائس. ألم يغر جنوده العراة بكنوز إيطاليا ومحاسنها؟ ألم يكلم الهرم ويجعل القرون تنظر الى أشبال فرنسة الفاتحين .. ألم يسكب الحياة فى نفوس فرسانه، هناك فى سهول أوسترليتز ...؟ فلقد كانت فصاحة لسانه وبلاغة بيانه تؤثران فى كل قلب، وتنفذان الى كل روح؛ والفصاحة والبلاغة بنتا الأدب البكر الجميل.

ولقد ذهب «جاك بانفيل» الكاتب الفرنسى الكبير إلى ما ذهب إليه «سانت بوف» من قبل. ورجع ذلك إلى أن آل بونابرت كانوا ذوى بلاغة تخلب ومنطق يغرى، وأن قلوبهم كانت ترف إلى الفنون والآداب. ولعل ذلك آت عن أصلهم الفلورنسى القديم – وفلورنسة كانت مهد الآداب فى حقبة من الزمن –، ومن أبيهم شارل بونابرت الشاعر الأديب. فلما تسنموا العروش كانوا من حماة الآداب ومشجعى الأدباء. فلقد شجع جوزيف بونابرت ولويس بونابرت ولوسيان بونابرت حملة الأقلام، وإن كانوا وجهوها وجهة خاصة وسخروها لتوطيد سلطانهم. على أن نابليون وحده كان ذا موهبة قصصية رائعة. فقد كانت أفكاره تتدفق ويومض كالبرق، ملء بالصور الأخاذة والتعابير الراقصة والألوان البارعة.

ولقد كان ميل نابليون إلى الأدب يحبب إلى نفسه كل رقيق لطيف. فقد كانت تؤثر فيه الموسيقى الناعمة، وتهزه أشعار «أوسيان» الحالمة، وتعجبه مآسى «كورنيل» المترعة بالفخار المفعمة بالبطولة، ويطرب «لهيلويز الجديدة»، ويقول عنها: «إن هذا الكتاب سيبقى إلى الأبد كتاب الشباب. ولقد قرأته وعمرى تسع سنوات فأطار لبى وأذهلنى ..».

وكانوا يقولون: إن لنابليون خيالا جباراً، وانه كان يختلق الأقاصيص المرعبة، أقاصيص الجان والشياطين، والمغامرات والبطولات؛ يسمعها رفقاءه فى الليل، أو زوجه وأولاده فى ليالى الشتاء.

وقد عثر فى ثنايا الأوراق التى كتبها فى صباه، والتى أودعها بعد واترلو للكاردينال فيش Fesch على أقاصيص ثلاث نشرت فى عام

نابليون الأديب

١٨٩٥ فى لورنسة تحت عنوان « نابليون المجهول » ، وقد كتبها فى عام ١٧٨٩ عندما كان ضابطاً فى « أوكسون » . أما القصتان الأولى والثانية ، فقد قبسهما من التاريخين العربى والإنكليزى . أما الثالثة ، فهى من تأليفه ، وفيها يصور كورسيكسياً شيخاً فر مع ابنة له إلى جزيرة مصخرة تناطحها الأمواج هرباً من ظلم (قوم) ذبحوا أبناءه وذويه .

وتصرمت أعوام .. وإذا بالعالم البولونى سيزيمون اسكينارى يخرج للناس قصة كتبها نابليون فى عام ١٧٩٥ عنوانها « كليسون وأوجينى » : لها صفات القصة الوصفية التحليلية ، وفيها حقيقة يشوبها خيال ، وهى أشبه بما يكتبه الأدباء أول عهدهم بالكتابة .

كتب نابليون هذه القصة وهو يتخطى الخامسة والعشرين من عمره ، أوحاها إليه حبه لفتاة اسمها Desirée Clay وهى الفتاة التى عرف بها الحب الأول . وكان قد رآها فى مارسيليا ، إذ أتى إليها بعد أن ذاع اسمه فى حصار « طولونى » فأحبها . وكان دقيق العود جميلا ، فألهب خيال هذه الفتاة بعينيه الزرقاوين وشعره الأشقر ، وكلامه المتدفق كالماء ، اللاهب كالنار ؛ وأسكرها بأقاصيصه الحلوة ، وأطربها بأشعار أوسيان الذائعة . وتحابا ..

ولم يطل بقاء نابليون فى مارسيليا ، فاضطر إلى السفر إلى باريس ، تاركاً حبيبته الصغيرة وحدها . وما وطأت قدماه باريس حتى أرسل إليها رسالة فيها الشوق والحب والحنين ، ولكن أهلها منعوها من الكتابة إليه . فاضطرب نابليون لصمت الحبيبة الصغيرة ، فكتب إليها كتاباً يصور لها فيه باريس الفاتنة ليثير شوقها إليه . ولكنها صمتت أيضاً فكتب يقول :

« إن الحياة حلم رقيق لا يلبث أن يذوب كالضباب . إننى أشعر وأنا أكتب الآن بهياج فى عواطفى ما شعرت بمثله قبل هذا اليوم . ولئن طال هجرها لأقتلن نفسى ، ولأرمين بهذا الجسم تحت عجلات العربات .. » .

ثم عاوده الحنين . فكتب إليها مرة أخرى ، ولكنها لم تحفل به وأعرضت عنه . عندئذ ضاق ذرعاً .. فكتب لنا قصته هذه ، وقص على الناس فيها نبأه ونبأ « أوجينى » الغادرة ، وكيف نشأ وترعرع ، وكيف أحب وكيف خان الحبيب ، وسمى نفسه « كليسون » وحول قليلا وحور .

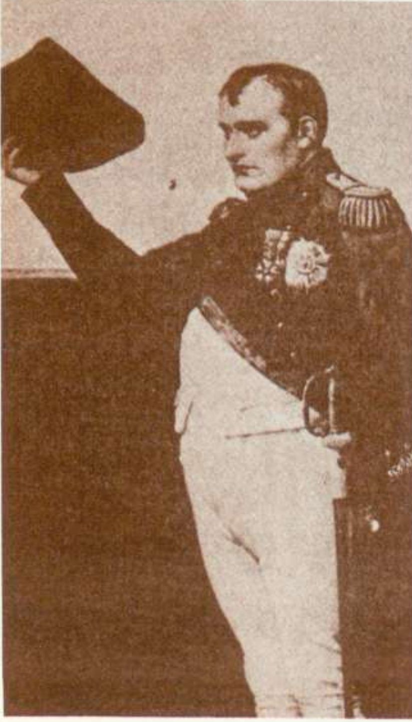
لقد كتب فى قصته : « ولد كليسون للحرب والنزال ، وكان يعلم سير القواد وهو مايزال صبياً ، وكان يحب أن يتفقه فى فن القتال مذ كان فى المدرسة يافعاً ، على حين كان رفقاؤه يفتشون عن الفتيات يلهون بهن . فلما قارب السن التى تؤهله للقتال ، أقبل على الجندية مسرعاً . فبرع فى أمورها ، وناداه النصر ، فذاع فى الشعب اسمه ، ونظر إليه الوطن كبطل من أعز أبطاله ، ولكن روحه كانت ما تزال ظمآى للنصر والخلود ، ولقد كانوا يسمون طموحه كبرياء ، وقوة إرادته شدة ، وكان ينظر إلى نفسه البكر فيتأمل فيها ، فيرى أنه أبعد الناس عن الحب . فلقد كان له خيال مشبوب ، وقلب ملتهب ، وعقل راجح ، ولكن فكره كان « بارداً » لا يسعفه بالخاطرة البارعة والنادرة الفريدة فدفعه ذلك إلى الملل من دلال الفتيات والابتعاد عن التلطف والتظرف ، وعن تزوير الجمل واللعب بالكلمات لينال رضاهن وعطفهن .

« وكان يحب أن يشرد فى الغابات الخضراء ، لا يحفل بالتعب ولا يخشى العناء ، ليبتعد عن جنون البشرية وانحطاط أهلها .

« وكان يستسلم إلى أمانيه ، ويصغى إلى همس فؤاده ، فيخلد إلى العزلة ، وينظر إلى الليل الحزين الهادىء المزدان بأشعة القمر ، ويستمع إلى صوت الطبيعة الخفى ، حتى إذا تنفس الصبح ، عاد حزيناً سادراً لينال قسطاً من الراحة التى ظمىء لها .

« وكان يعجب باختلاف ألوان الطبيعة ، يهتز لميلاد النهار ، ويطرب لغروب الشمس ، ويصفق لأغاريد العصافير ، وخرير المياه ورفيف السهول . وكان ينفق الساعات فى تأملاته هذه فى أعماق الغاب ..

« على أن ميوله هذه أفهمته أنه بعيد عن الحرب وفنها ، وعن الدمار وأصوله . وكان يخيل إليه أن تهذيب الشعوب وإسعادها خير من قتالها وقتلها .. ولكنه كان يسعى إلى التخلص من هذه



نابليون بونابرت

الفكرة التى لم تطرب نفسه لها .

« وفى هذه الفترة يلقى كليسون أوجينى مع ترب لها اسمها إميليا فعرفهما . وكانت اميليا كقطعة من الموسيقى الفرنسية ينصت الناس اليها بشوق ، أما أوجينى فكانت كأغرودة العندليب أو كقطعة من موسيقى « بازيللو » الإيطالى لا تعجب بها إلا النفوس الرقيقة الحساسة ....

« ولقد كانت إميليا توحى الحب بجمالها ، أما أوجينى فكانت تعجب الرجل القوى الذى لا يحب تحت سلطان الدلال والذوق ، ولكنه يحب لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الحب ..

« ومسح فؤاد كليسون ــ الذى اعتاد النصر والمغامرات ــ هواه مسحة جميلة ، وأكسبه قوة وصلابة ... فعلمت أوجينى أن عليها أن تتصل بهذا الرجل العظيم ، ليذيقها السعادة الخالدة . فيكتب لها الخلود .

« وتزف أوجينى إلى كليسون ، ويرزقان أولاداً ، وبنتاً اسمها « صوفيا » ، وكانت أوجينى زوجة غيوراً ، تخشى شر الفتيات أن يغرين زوجها ... ولقد غضبت عليه يوماً ، وانفجرت

باكية تقول : إذا كنت تريد أن تصدف عن حبى فخذ بهذه اليد التى كانت تداعب حبيبتك ــ حياتى ــ ولكن كليسون يهدىء روعها ، ويقسم لها ليبقين على العهد ، وليحفظن الود .

« ... ويضطر إلى الرحيل ليقود كتيبة إلى المعركة ... فيترك أوجينى تنتحب وتذرف الدمع ، ويحرز نصراً بعد نصر ، وينال شهرة بعد شهرة ، وكانت زوجه ترسل الرسائل إليه كل يوم ، ولكنه كان لا يعبأ برسائلها ، ويحاول أن ينساها ، فيرسل إليها « بييرفيل » الضابط الجميل الذى كان فى فجر حياته ، يفتش عن فتاة يودعها قلبه ، فأحبته ، وكان الحب « باسم الصداقة » ، ثم ما لبثت أن نسيت حبيبها الأول كليسون ، وانقطعت عن الكتابة إليه .

ويذكر كليسون حبه وهواه يوماً ... فيحن ... ويشتد به الحنين ... ويرى أن فتوره قد جنى عليه ، فيداخل اليأس قلبه ، ويقرر الانتحار ، ولكنه يرسل إليها رسالة يودعها بها ويقول :

« وداعاً أيتها الحبيبة التى قضيت معها أجمل أيامى ... لقد ذقت بين ذراعيك السعادة المسكرة ، وارتشفت لذات الحياة وأطايبها ترى ماذا بقى لأيامى المقبلة غير الملل والضجر ؟ ... لقد ذقت وأنا فى السادسة والعشرين من عمرى اللذات الفانية ... ولكنك أذقتنى بحبك الشعور العذب بالحياة ... إن هذه الذكرى لتمزق قلبى ... أتستطيعين العيش سعيدة دون أن تفكرى أبداً فى أمر كليسون البائس ؟ ... قبلى أولادى يا أوجينى .. قبليهم ... ولا تجعلى إليهم روح أبيهم الملتهبة المتأججة ، لئلا يكونوا مثله ضحايا الرجال وضحايا النصر والحب ..

ويرسل الكتاب إليها ... ويقود الكتيبة بعزم ، وإذا به يسقط إلى الأرض « مثخناً بالجراح ... ويموت » .

تلك هى القصة الرائعة التى كتبها نابليون وهو فى نعومة صباه . وفيها نجد بلاغة نخلب ، وصوراً تغرى ، وقسوة ترعب ، وحناناً يهز ولو أن هذا البطل لم يسلك طريق الحرب ، لكان له فى الأدب روائع وفرائد ... ولكان أدبه كالربيع الضاحك ، فيه زهور وعطور ، وفيه جمال وصفاء ، وفيه نغمات وقبلات .

صلاح الدين المنجد

(دمشق) ١٩٤٠

صُنع في إنجلترة !

بقلم : محــــمود الخفـيـف

جلسنا نتحدث فمال بنا الحديث فيما مال إلى مبلغ شعورنا بقوميتنا ومبلغ حرصنا على مظهرها ، ورحنا نتساءل هل نحن كرماء لضيوفنا حقاً ، أم أن فى الأمر شيئاً غير الكرم ؟ واحتدم الجدال كالمعتاد وعلت الأصوات ، وتشعب الكلام واضطرب نظامه ، وضاعت الحجج جميعاً سليمها وسقيمها فى ذلك الضجيج المتصل . وكانت أشد الدعاوى إيلاماً لنفوسنا أننا قوم نتلاشى فى غيرنا ويسهل على أى قوة أن تسوقنا حسبما تريد .

وقطع هذا الضجيج دخول صديق لنا فى رفقته شاب أخذ يقدمه إلينا ، فحيا وحيينا ، ثم جلسنا برهة صامتين ، ومالت أنظارنا إلى هذا الشاب الذى بدأت معرفتنا به . وما هى إلا برهة حتى فطنت إلى أن منظارى قد وقع منه على شخصية أضيفها إلى ما عرفت من أشباهها من الشخصيات التى لا تكاد تفترق إحداها عن بقيتها فى شيء .

وفى نفسى عن هذه الشخصيات التى عرفت معان استيقنتها فما أشك فيها أبداً ، بيد أنى أميل إلى تبينها فى كل شخصية منها ، فقد جرى الأمر فى ذلك عندى مجرى التسلية ، إن جاز أن فيما يؤلم ما يسلى كما جاز أن فى المصائب ما يضحك !

ونظرت فإذا صاحبنا يضطجع فى مقعده ويشمخ بأنفه ، ورأيته يضع إحدى رجليه على الأخرى أولا ، ثم يمدهما معاً إلى حيث يستقر قدماه على مقعد خال ونعلاه قبالة الجالسين فى غير تحرج ولا استحياء ..

وأدخل يده فى جيبه فأخرج بيبته فحشاها وأشعلها ، وراح ينفخ فى الجو من دخانه ، دون أن يشاطرنا ما أخذنا فيه من الأحاديث . وشعرت وشعر أصحابى جميعاً بهذا التكبر السخيف ، كأننا لم نكن أهلا لمحادثته . وكيف نكون عنده أهلا لذلك ، وليس فينا من خرج من مصر ، كما تبين له من كلامنا ؟

وكانت تختلج على شفتيه ابتسامة ليس فيها إلا معانى السخرية من عقولنا أو قل من جهلنا ، وفى نفسه أننا لازلنا على عقليتنا الشرقية جامدين ضيقى المعرفة ، وتمنيت أن يتكلم لأرى شيئاً من عقليته الغربية التى عاد بها من انجلترة ..

ولم يطل تطلعى فلقد أخذ يجيب على سؤال وجه إليه ، فسمعت وأنا أجهد فى كتمان ضحكى عبارة بين العربية والإنجليزية ، فهى عربية الحروف انجليزية النطق ، الأمر الذى جعلها فى جملتها قردية اللهجة والجرس ... وكانت لا تسعفه ذاكرته أو كان يتكلف أن ذاكرته لا تسعفه ببعض الألفاظ العربية ، فكان ينطق بها انجليزية ثم يشرحها لنا كأنما يثق أننا لا نفهم تلك اللغة فهمه ؛ وكان يكرر قوله : « لما كنت فى انجلترة ... » كأنما يخشى أن ننسى أنه كان هناك ، وهو يقدم تلك الحقيقة بين يدى حججه ليجعلها بذلك قاطعة صادعة .

وليته ظل ساكتاً فلقد حمدت الله بعد كلامه الطويل على عقليتى الشرقية ... وحيا الشاب تحية نصفها شرقى ونصفها غربى ، وانطلق هو وصاحبه ، والتفت إلى أحد أقرانى وقال : أرأيت الدليل المادى على صحة ما أقول ؟ وقال آخر : ما لهؤلاء لا يتكبرون ولا يزهون وقد افترضت الدولة فيهم الكفاية لمجرد ذهابهم إلى أوربا وإن بدا لها من أكثرهم تقصيرهم فى أعمالهم ، وافترضت فى كثير غيرهم ممن لم ينالوا شرف الاغتراب الجهل وإن بدا لها فطنتهم فيما يناط بهم ؟

وقلت فى نفسى متى يفهم هؤلاء أن ليس بين التكلف والصعلكة كبير فرق ؟ وأن فى المصريين من سافروا مثلهم فتلقوا العلم فى أوربا ، ثم عادوا إلى وطنهم محتفظين بمظاهر قوميتهم فإن قلدوا غيرهم فى العظائم ، وأخذوا عنهم ما يشرفهم أخذه ، ونبذوا ما يشينهم من سخيف المحاكاة ..

وساورنى خيال غريب عن أولئك المتكلفين ، وذلك أنهم يضعون أنفسهم موضع السلعة فى السوق ، والسلع الإنجليزية يكتب عليها عادة « صنع فى انجلترة » لتزحم غيرها فى الأسواق ، وهؤلاء يباهى الواحد منهم بأنه ــ على حد تعبيره ــ (England Man)

١٩٤٠

لا قيمة لوطن ليس فيه أدباء



بقلم: الدكتور زكي مبارك

اقترح أحد النواب المحترمين إحياء ذكرى « شوقى » بإقامة تمثال له فى أحد شوارع القاهرة ، وتلك التفاتة لطيفة تدل على قيمة الشعر فى أنفس بعض النواب .

ولكن أديباً فاضلا تعقب هذا الاقتراح فى جريدة (الدستور) قال : يجب أولا إقامة تمثال لمحمد فريد ، وتمثال لمحمد عبده ، وتمثال لقاسم أمين ، قبل أن يقام تمثال لأحمد شوقى أو حافظ ابراهيم .

ولا بأس بهذا الكلام ، ولكن الأديب الفاضل علله فقال : نحن فى عصر السيادة فيه للشجاعة والبأس ، والعبادة لشعبه للبطولة والأبطال ، لا للفن والجمال ، وكل مقتحم ميداناً ، وداك سوراً ، ومنتزع نصراً ، مقدم على من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية .

ومعنى هذا التعليل أن أمثال محمد عبده ومحمد فريد كانوا جماعة من المجاهدين ، وأن أمثال أحمد شوقى وحافظ ابراهيم كانوا جماعة من المغنين ! !

ومن يعش فى مصر ير العجب ، وإلا فكيف يجوز القول بأن صورة الشاعر هى صورة « من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية » ؟ وكيف يجوز القول بأن الشعراء ليسوا إلا جماعة يسبحون للفن والجمال ، ولا صلة لهم بالبطولة والأبطال ؟

إن هذا الناقد لا يعرف كيف يحيا الشعراء ، ولا يفهم من الشعر إلا أنه غناء ، والأدب عنده متعة ذوقية يلهو بها الفارغون من أهل العبث والمجون .

فمتى يعرف أهل مصر أن حامل القلم هو الوطنى الأول ، والمجاهد الأول ، وأن معانى البطولة تعتلج فى صدره قبل أن تعتلج فى صدور القادة والزعماء ؟

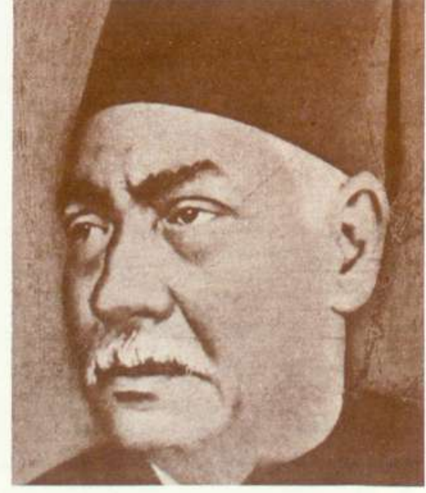
وما أساس البطولة الحقيقة عند أمثال : محمد فريد ومحمد عبده وقاسم أمين ؟

أساسها الفكر والبيان ، ويجب حتماً أن نضيف هؤلاء الى الأدباء قبل أن نعدهم زعماء ، فما ارتفعوا إلا بالفكر المشرق والبيان الجميل .

وحكاية دك الأسوار واقتحام الميادين وانتزاع النصر تحتاج الى شرح :

فهل من الحق أن الأديب لا يدك أسواراً ولا يقتحم ميادين ؟

إن الأديب يقضى عمره فى جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ، ومع الأوهام والأباطيل


حافظ ابراهيم


محمد فريد


محمد عبده

والأضاليل ، وما شرق مشرق أو غرب مغرب فى دعوة وطنية أو اجتماعية إلا على هدى من وحى الأديب ؛ ولا استبسل جبان ، أو استقتل شجاع ، إلا بتحريض من عبارة فاه بها شاعر أو كاتب أو خطيب .

فى أعقاب الحرب الماضية ظهر كتاب فرنسى اسمه : La Barbarle ALL وهو كتاب أقيم على أساس القول بأن الوحشية الألمانية ترجع إلى إيحاء من شعراء الألمان ومفكريهم فى القرن التاسع عشر ، وأن السيوف تتلقى الوحى عن الأقلام فى تلك البلاد .

وقبل هذه القولة الفرنسية فى تعليل الوحشية الألمانية ، قال أسلافنا منذ أزمان طوال : إن أبياتاً من شعر عمر بن أبى ربيعة نقلت قلب هرون الرشيد من مكان إلى مكان ، فصنع بالبرامكة ما دونه التاريخ بإسهاب .

والى الأدب العربى يرجع الفضل فى تأريث البطولة العربية ، وكذلك حظ جميع الآداب فى جميع الشعوب .

حين تزاور الرؤساء من الإنجليز والأمريكان بعد انتصار الحلفاء فى الحرب الماضية لم يجدوا عبارة تفصح عن الألفة بين الأمتين أفضل من العبارة التى تقول بأن لغة شكسبير هى الرباط الوثيق بين الإنجليز والأمريكان .

فهل سمعتم أن شكسبير دك أسواراً واقتحم ميادين ؟

ومنذ أسبوع نقلت البرقيات أن المسيو هريو رد وسام « اللجيون دونير » الى المشير ببتان — وكان تلقاه من كليمنصو العظيم — لأن حكومة فيشى منحت هذا الوسام لضابطين يحاربان فى صفوف الألمان ، فعمن تلقى هريو هذا الوحي الرائع ، الوحي الذى يأبى على الضمير الفرنسى أن يستبقى وساماً يهدى الى من يحارب فى صفوف الأعداء ، ولو أصبحوا بحكم الضرورة حلفاء ؟

هذه التفاتة أدبية لا سياسية ، والأدب يوحى معانى تنفر منها السياسة ، بحيث يجوز الحكم بأن الأدباء أشجع من السياسيين ، وما مدح سعد زغلول بأفضل من النص على أنه كان خطيباً وطنياً لا سياسياً ، كما قال الأستاذ كامل بك سليم .

التفاتة المسيو هريو التفاتة أديب ، وكان هريو فى مطلع حياته أستاذ الأدب الفرنسى بجامعة ليون ، وكان يعاب عليه الإسراف فى شرح أصول الغزل والتشبيب ، فلم يكن يرتاد محاضراته بجامعة ليون غير عرائس ليون .

ثم تحولت العواطف الوجدانية عند المسيو هريو إلى عواطف وطنية ، وهل كانت خطبه فى مجلس النواب الفرنسى إلا روائع من الأدب المضمخ بعبير الروح ؟

ولم يقف الأدب بالمسيو هريو عند الوطنية المحلية ، بل سما به الى رعاية اللغة الفرنسية فى البلاد الأجنبية ، فرأس جمعية المسيو لاييك رياسة حقيقية لا صورية ، وأمدها بما استطاع من الوقت والمال .

عتب عليه المسيو بينار فى المؤتمر الذى عقد فى يوليه سنة ١٩٣٣ خلف الوعد بحضور افتتاح الليسيه فرانسيه فى حلب ، فاعتذر بأسلوب لن أنسى وقعه فى نفسى ، اعتذر بأنه يبيت فى القطار ثلاث ليال من كل أسبوع ، ثم أعلن استعداده لدفع النفقات التى توجبها الدعوة لنشر اللغة الفرنسية فى البلاد الأجنبية .

فهل تصدر هذه الأريحية إلا عن أديب ؟

وفى ذلك اليوم دعوته لزيارة القاهرة فقال فى حماسة : سنلتقى هنالك يا صديقى .

وقد بر بالوعد فحضر لافتتاح الليسيه فرانسيه بمصر الجديدة فى سنة ١٩٣٨ ، ولكنى ما رأيته ولا رآنى ، فقد كنت فى بغداد ، عليها أطيب التحيات .

وخلاصة القول أن الأدب عماد الوطنية ، ولا قيمة لوطن ليس فيه أدباء .

وإذا تحذلق متحذلق فادعى أن الأدباء لا يحسنون غير التغريد فوق أفنان الجمال ، أجبناه قائلين بعزة وخيلاء :

إن الجمال هو أعظم نعم الله فى هذا الوجود ، ولا يعيب التغنى بالجمال غير مرضى الأذواق والقلوب .. الأمم العظيمة هى التى تتغنى بالجمال ، كما يصنع الإنجليز والألمان ، وكما صنع العرب فى شباب الزمان .. فمن بدا له أن يغض من شعرائنا لأنهم يتحدثون عن الجمال فليبادر باستشارة أحد الأطباء .

زكى مبارك — ١٩٤٠

الطَّاقة .. وآفاق برَّاقة !

بقلم : عبد التواب عبد الحي

إنتبهوا من فضلكم ! ..

إذا كان النفط سوف يصبح طاقة من الدرجة الثانية .. بينما يصبح الغاز الطبيعي طاقة المستقبل النظيفة الرخيصة ، والمادة الخام للصناعات البتروكيماوية جميعاً ، فضلا عن صناعة البتروبروتين .. غذاء المستقبل ! .. إذن لماذا لا نتجه إليه ؟!

لماذا لا نحتشد من الآن لتصدير الغاز الطبيعي إلى أسواق غرب أوربا المتعطشة إليه .. والتي سيتفاقم احتياجها الشديد إليه بدءاً من التسعينات .. حتى يصل إلى ٢٣٠ مليار متر مكعب في السنة ، مع مشارف القرن القادم ؟!

مرة ثانية : انتبهوا .. فقد أوشك عصر برميل النفط أن ينقضي .. ليبدأ عصر متر الغاز الطبيعي المكعب ! .. عصر جديد للطاقة ، له آفاق براقة !

ملاحظة بديهية يلاحظها المتتبع لأسعار النفط في السبعينات .. ذلك أنها قفزت بمتوالية هندسية سريعة الإيقاع ، بسبب حرب رمضان — أكتوبر ١٩٧٣ ، بالاضافة الى جملة عوامل اقتصادية أخرى يجيء تالياً ذكرها وتفسيرها !

لم يكن سعر البرميل سنة ١٩٧٠ يتجاوز ١,٨ دولاراً . وصل قبل حرب أكتوبر ٧٣ مباشرة إلى ٣,٣ دولارات . وفي أعقاب تلك الحرب قفز سعر البرميل مرة واحدة الى ١١,٦ دولاراً . على أن موجات التضخم العالمي ، وانخفاض أسعار العملات الدولية ومعدلات التبادل التجاري الدولي ، لم تلبث أن التهمت هذه الزيادة ، وأثرت بالانخفاض في دخول الدول المنتجة للنفط ، مما اضطرها الى زيادة أسعار نفطها في سلسلة متصاعدة متلاحقة .. في مارس ٧٤ ، زاد سعر البرميل الى ١٤,٥٥ دولاراً . وفي يونيو من نفس السنة قفز دفعة واحدة الى ٢٣,٥ دولاراً . وقد بررت الدول المنتجة للنفط هذه الزيادة المتوالية الإيقاع بأنها رد فعل للزيادة التي فرضتها الدول الصناعية على منتجاتها المصنعة ، وأن دول النفط بذلك إنما تحافظ على دخلها ومصالحها القومية !

وتوالى ارتفاع سعر برميل النفط حتى السقف : ٤٢ دولاراً ، سنة ٧٨ . وكلما ارتفع السعر ، ارتفعت بالتالي تكاليف إنتاجه ، وارتفعت أسعار السلع المنتجة في الدول الصناعية المتقدمة . اتصلت الدائرة الشريرة لإرتفاع الأسعار ، عالمياً ، وتفاعلت كالحامض مع القلوى ! اضطربت أسعار الصرف . وتدهورت أسعار العديد من العملات الدولية . وانكمش معدل النمو الإقتصادي في الدول الصناعية . وزاد معدل البطالة !

وانطلقت ردود الفعل الدولية في محاولة مستميتة للسيطرة على أسعار النفط .

في يونيو ١٩٧٩ ، قررت دول السوق الأوربية المشتركة ان تجمد وارداتها البترولية عند مستواها سنة ٧٨ ، وأن تستمر في تجميدها عند هذا الحجم حتى سنة ٨٥ ! بينما راحت ، في نفس الوقت ، تكثف جهودها العلمية والعملية لتنمية مصادر جديدة بديلة للطاقة !

وفي الشهر نفسه ، يونيو ٧٩ ، عقدت اليابان مؤتمراً موسعاً ضم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ، لبحث سياسات لتقليص التنافس الدولي على النفط في الأسواق ، وتكوين جبهة موحدة قوية تضم الدول المستهلكة للنفط وترعى مصالحها !

وعلى الجانب الآخر من المحيط ، حاولت الدول المنتجة للنفط أن تربط سعره في السوق الحرة بسعر الذهب ، ضماناً لاستقراره ، وأماناً من تقلبات أسعار العملات الدولية . واستحدثت معادلة للوفاء بأثمان النفط بالعملات الحرة ، على أساس سعر الذهب في السوق العالمية !

ولعل مثل هذه الإجراءات ، من جانب الدول المنتجة للنفط ، قد أغفلت الأصول والعوامل الاقتصادية التي تحكم الطلب على أية سلعة محلية أو دولية . « وأهم هذه العوامل : سعر السلعة ذاتها . وأسعار السلع البديلة . وإمكانيات الإحلال بينهما ..

... وقد نجم عن ذلك أن اتجه الطلب العالمي الى الغاز الطبيعي ، كبديل للنفط . حتى أصبح الغاز الطبيعي يحتل الآن المكانة الدولية الأولى ، من حيث حجم الطلب والاستهلاك !

نظرية جديدة !

في الدول النفطية ، جرت العادة ولاتزال ، على التخلص من الغاز الطبيعي الذي يخرج من الآبار مقترناً بالزيت أو ذائباً فيه .. وذلك بحرقه ، بعد فصله ، في شعلة لا تنطفيء .. باعتباره مصدراً من مصادر التلوث المميت !

لكنه مع ازدياد الطلب العالمي على المنتجات البترولية ، وارتفاع أسعارها ، واستحداث وسائل تكنولوجية اقتصادية لنقل الغاز الطبيعي إلى حيث ترتفع قيمته ويشتد الطلب عليه .. اقتحم الغاز الطبيعي ، عبر خطوط الأنابيب والناقلات ، أسواق الطاقة كبديل اقتصادي رخيص للنفط !



كل الخبراء يؤكدون أن الغاز الطبيعى ستتضاعف أهميته فى العقدين القادمين

وازدهرت صناعة الغاز الطبيعى فى دول العالم . فى الولايات المتحدة ، كادت تنفصل عن صناعة البترول بوجه عام ، لتصبح صناعة مستقلة بذاتها ! بل إنهم ، فى صناعة البترول الأمريكية ، بدأوا يميزون بين حقول النفط وحقول الغاز الطبيعى ، ويتجهون بحركة الاستكشاف والإنتاج إلى حقول الغاز وحدها ، تطبيقاً لنظرية جديدة عنوانها : « تخصيص البحث عن حقول الغاز » !

وبهذا أصبح الغاز الطبيعى يمثل مصدراً رخيصاً من مصادر الطاقة فى الولايات المتحدة ، ويشكل ثلث إجمالى الطاقة المستهلكة . ثلث هذا الثلث يجيء من آبار الزيت ، والباقى من آبار غاز طبيعى بحت !

وكان طبيعياً أن يسود مثل هذا الاتجاه دول العالم المستهلكة للطاقة ، ومنها الاتحاد السوفيتى . كما تزايدت ، فى السنوات العشر الأخيرة ، صناعة إسالة الغاز الطبيعى ، ونقله عبر البحار باستعمال ناقلات خاصة التجهيز !

الغاز .. غذاء المستقبل !

ولكى نقف على أهمية الغاز الطبيعى كوقود مثالى ، ومادة خام لصناعة البتروكيماويات ، وصناعة البتروبروتين ـــ غذاء المستقبل .. لابد من الاقتراب خطوة للتعرف على مكوناته الطبيعية ..

يحتوى الغاز الطبيعى على مكون أساسى ، هو غاز الميثان . لكنه ليس المكون الوحيد . هناك مكونات أخرى يطلق عليها اسم « سوائل الغاز الطبيعى » .. ومنها : الايثيلين ، ويستخلص لأغراض الصناعات الكيماوية . والجازولين الطبيعى ، ويتم استخلاصه بالضغط أو بالامتصاص ، ويمكن أن يظل فى صورته السائلة تحت ظروف عادية من الضغط والحرارة . أما غازات البترول السائلة ، فتتكون أساساً من غاز البروبين ، وغاز البيوتين ، منفصلين أو مختلطين . ويكونان عادة فى صورة غازية ، وإن كان يسهل إسالتها بالضغط أو بالتبريد .

وللغاز الطبيعى مميزات خاصة كطاقة نظيفة خالية من الملوثات ، فضلا عن أنها سريعة الإشتعال ، ولهذا يعتبر وقوداً مثالياً للاستعمالات المنزلية !

بالاضافة الى ذلك ، يستخدم الغاز الطبيعى للحصول على الهيدروجين اللازم لصناعة الأمونيا وأسمدة النترات . كما يعتبر المادة الخام للصناعات الكيماوية ، وصناعات البلاستيك والألياف الصناعية .

وأحدث استخدام للغاز الطبيعى هو إمكانية تحويله بطريقة مباشرة ، وتخليق « خلية البروتين المنفردة » منه ، باستخدام البكتيريا . كما أمكن تخليق خلية البروتين المنفردة منه ، بطريقة غير مباشرة ، باستعمال الميثانول . علماً بأن الميثانول يمكن تصنيعه مباشرة من الغاز الطبيعى !

من كل ما سبق ، تتضح أهمية الغاز الطبيعى .. ليس كوقود مثالى فقط ، وإنما باعتباره مادة خاماً ذات أهمية استراتيجية ملحوظة فى صناعة البتروكيماويات ، والبتروبروتين .. غذاء المستقبل !

ولسوف تتضاعف أهمية الغاز الطبيعى دولياً فى العقدين القادمين .. خاصة بعد أن أعلن الاتحاد السوفيتى أنه سيوقف تصدير غاز سيبيريا الطبيعى الى دول غرب أوربا عبر خط الأنابيب الشهير الممتد حتى إيطاليا .. وذلك بدءاً من العام الحالى .. نظراً لاحتياجات الاتحاد السوفيتى المتزايدة إليه للاستهلاك المحلى ! وقد بدأت كل من فرنسا وهولندا فى الاتجاه الى الجزائر لبحث إمكانية إنشاء خطوط من الغاز الطبيعى الجزائرى الى البلدين . لكن الفجوة سوف تزداد . ويتفاقم جوع أوربا الغربية الى الغاز الطبيعى حتى يصل احتياجها منه الى ٢٣٠ مليار متر مكعباً سنوياً ، مع مشارف القرن القادم !

ويتميز الغاز الطبيعى ، كصناعة دولية وتجارة ، باحتياجه الى مصانع وتجهيزات متخصصة . من مصانع إسالة الغاز تمهيداً لنقله .. الى ناقلات ذات تجهيزات خاصة ، تختلف عن ناقلات البترول .. الى تجهيزات متميزة فى الموانى لأداء عمليات الشحن والتفريغ والتخزين والنقل . وهذه التجهيزات المكلفة تستهلك رءوس أموال طائلة ، يعجز عن تغطيتها المصدر وحده ، والمستورد وحده . لهذا كان لابد من مشاركة المصدر والمستورد معاً فى تمويل رءوس الأموال الهائلة المطلوبة لصناعة الغاز الطبيعى وتجارته . ويتطلب ذلك تنظيم العلاقات القانونية بين المصدرين والمستوردين ، فى صورة عقود طويلة الأمد ـــ من ١٥ الى ٢٠ سنة ! ـــ ينبغى أن تكون بنودها على قدر وافر من المرونة ودقة الصياغة ، بحيث تستوعب كل المشاكل والمتغيرات التى تطرأ خلال مدة العقد الطويلة !

....

والآن .. بعد أن هبط سعر برميل النفط بصورة ملحوظة .. قابلة لمزيد من الهبوط !

وإذا كان النفط سوف يصبح طاقة من الدرجة الثانية ، بينما يصبح الغاز الطبيعى طاقة المستقبل النظيفة الرخيصة ، والمادة الخام للصناعات البتروكيماوية ، وصناعة البتروبروتين .. غذاء المستقبل ! .. إذن لماذ لانتجه جميعاً اليه ؟ لماذ لا ننمى إنتاج حقول الغاز الطبيعى الى أقصى حد ممكن .. ونكثف التنقيب عن مزيد من حقول الغاز المنفرد ، للحفاظ على مخزون احتياطى متزايد ، أو ثابت على الأقل !

لماذا لا نحتشد من الآن فى نطاق دول الأوبك .. وخارجه ـــ لتصدير الغاز الطبيعى الى أسواق غرب أوربا .. والتى سيتفاقم احتياجها الشديد اليه بدءاً من التسعينات ؟

... لقد أوشك عصر برميل النفط أن ينقضى .. ليبدأ عصر متر الغاز الطبيعى المكعب !

لقد انتبه عدد من الدول العربية الى هذه الحقيقة وهى أن الغاز هو طاقة المستقبل القريب وثروة هذا المستقبل ، وتقف قطر فى مقدمة هذه الدول التى تتمتع بثروة ضخمة من الغاز « أربعمائة تلريون قدم مكعب فى حقل غاز الشمال » .. وقد بدأت قطر فى الاتجاه الى استغلال هذه الثروة ، وأخذت تعمل على استثمارها بصورة سليمة .

وقطر بذلك تمشى فى الطريق الصحيح لمواجهة المستقبل .



صـــورة ظالمة للعــرب في "أفــلامهــم":

موقف السينما العالمية من الشخصية العربية والإفريقية

بقلم: أحمد رأفت بهجت



إلى اليمين لقطة من فيلم استوحى احداثه من ألف ليلة وليلة ، شحنته السينما العالمية بالخرافات والعادات الغريبة التى لاعلاقة لها بالانسان العربى ، ثم لقطة أخرى للممثل مارك هرمون فى فيلم الطوارق الذى يقدم قبيلة الطوارق العربية بصورة لاتمت للحقيقة بصلة سواء فى عاداتها وتقاليدها ، فهذا الفيلم مثل غيره يظهر القبائل فى شمال افريقيا وقد تمزقت أوصالها القبلية !

مازالت السينما العالمية تتجاهل الحقائق عندما تتعرض للعلاقة التاريخية بين الشخصية العربية والإفريقية ، فهى تتعمد ترديد الدعاوى الكاذبة التى تحاول العزف على نغمة ظالمة ، هى أن الأفريقيين كانوا دائما ضحايا للتجار العرب ، فى حين أن الرجل الأبيض كان منقذهم الوحيد من مخالب هؤلاء التجار (! !) ونسى صناع السينما العالمية أن الأوربيين هم الذين قاموا بكل أنواع الاستغلال فى افريقيا ، بما فى ذلك تجارة الرقيق ، بداية من القرن السادس عشر ، وأنهم كانوا يقومون بهذا الاستغلال ، فى وقت كانت فيه الحضارة العربية تشع بنورها على كل ميادين الفكر والعلوم فى اوربا !

وفى هذا البحث يقدم الكاتب استعراضا كاملا لهذه الصورة الظالمة للشخصية العربية والافريقية فى السينما العالمية .



لقد عالجت السينما الغربية هذا الموضوع بصورة متحيزة وظالمة ، وعندما طرقت ــ مثلا ــ السينما الانجليزية موضوع الرق الأسود كانت العلاقة بين البيض والسود تتحدد من خلال مدرستين .. الأولى هى المدرسة العنصرية البريطانية وتعارض الزواج والتساوى الاجتماعى بين الأوربيين والزنوج ، والثانية هى مدرسة العنصرية الخاصة برودس والماريشال سمسطس وقد رأت أن من مصلحة السلالات والأجناس عدم الاختلاط حتى يتساوى الزنوج بالأوربيين حضارياً

وانطلاقاً من هاتين المدرستين المتخلفتين تحددت ملامح فكرة التمييز العنصرى على نحو ما هو معروف فى الأعمال الأدبية التى كتبها كبلنج وريدر هاجارد وروبرت هيتشنز وغيرهم .. فالأحداث كانت تدور فى نهاية القرن التاسع عشر حين كان الصراع حول أفريقية قد وصل الى ذروته .. وفى الأفلام المأخوذة عن هذه المؤلفات سنلاحظ المدى العنصرى واضح بل ويتعدى السود ليشمل الهنود أيضاً ، ولعل موقف هيتشنز من المصريين والنوبيين فى روايته .. « بيللادونا » التى قدمت فى السينما عام ١٩٢٣ ، من أهم الأمثلة على هذا التعصب ..

ولكن فى الوقت الذى كانت فيه السينما الانجليزية تتبنى الفكر العنصرى فى تقديم الشخصيات السوداء ، كانت ترفع راية محاربة الرقيق الأسود ، ولصق تهمة تجارة الرقيق بالعرب . وقد وصل هذا الاتهام الى ذروته فى المؤلفات والأفلام التى صورت الثورة المهدية .. وفى العديد من الأفلام الأخرى مثل « الغروب » و « غرب زنجبار » .

لقد علمتنا السينما الانجليزية كيف تتحول كل القضايا باختلاف معالجتها السينمائية بما يحقق أهدافها أولا وأخيراً ، ولعل شخصية الجنرال جوردون كانت نموذجاً فريداً لنشر فكرة ظالمة مفادها أن العرب كانوا دائماً هم العنصر الرئيسى وراء تجارة الرقيق فى أفريقيا .. وتتردد هذه الفكرة فى كل الأفلام التى ظهرت عن الثورة المهدية منذ العشرينات .. وحتى الأفلام التى صورت هروب الانجليز من السودان بعد مقتل الجنرال جوردون فى الخرطوم حاولت استغلال نفس الموضوع بشكل أو بآخر .

وليس اعجاب الانجليز بشخصية جوردون مقصوراً على كونه نموذجاً للبطل الاستعمارى بل أيضاً لأنه قاوم الرق .. وفى فيلم « الخرطوم » ١٩٦٢ نجد جوردون لا ينجح فى الوصول الى المقر السرى للمهدى الا بمساعدة صديقه خليل (جون سيكا) العملاق الزنجى الذى ساعده جوردون فى التخلص من الرق وأكسبه بعض الأفكار والتعاليم . ونشر هذه الأفكار يجعلنا نتساءل : هل الانجليز الذين تاجروا فى الرق منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين بل وفى النصف الثانى من القرن العشرين كانوا غير هذا البطل الاستعمارى وهل فقدت انجلترا القادة بحيث لم تستطع خلق جوردون آخر للتخلص من الرق الأوروبى البشع فى أفريقيا ؟ ! .

وفى فيلم « الغروب » (١٩٤١) ، الذى أخرجه الامريكى هنرى هاثاواى نجد الجنود الانجليز قد تجردوا من كل صفات الجنود النظاميين وأصبحوا أشبه ما يكونون برؤساء العصابات لا يعرفون لهم قانوناً الا الشجاعة الخارقة التى يجب أن تذوب أمامها كل عقبة تحول بينهم وبين ما يرغبون لصالح امبراطوريتهم الانجليزية .. ورغم ذلك كان البطل فى فيلم « غروب » (جورج ساندورز) يواجه التخلف العربى والأفريقى فى ظل فلسفته الخاصة .. أما بطلة الفيلم (جين تيرنى) فهى فتاة عربية جميلة تدعى « زيا » تتصف تصرفاتها بالغموض والشجاعة النادرة .. وعندما تذهب الى نيروبى لتتعقب الجواسيس الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ، وتقاوم تجارة الرقيق التى يقوم بها العرب .. تكتشف أنها ليست عربية ، وانما هى ابنة قائد انجليزى شهير لم تجد وسيلة الى التحرر فى الحركة بين العرب والأفريقيين الا بانكار شخصيتها الحقيقية .

ولاشك أن السينما التى تدعى أنها تقدم فكراً انسانياً لابد وأن تسمو عن كل مؤثر ذاتى ، وهذا هو ما يجعلنا نتشكك فى أفلام أخرى مثل « غرب زنجبار » ١٩٥٤ ، الذى كتبه وأخرجه هارى وات . وكان بطله الانجليزى « انطونى ستيل » فى حالة بحث متواصل فى سبيل مقاومة تجارة الرقيق فى شرق أفريقيا التى كانت تقوم به ــ كما إدعى الفيلم ــ العناصر العربية فى « زنجبار » المركز الرئيسى لهذه التجارة منذ مطلع القرن التاسع عشر .. ومرة أخرى نجد هذه الشخصية تخالف تماماً فى تفكيرها ونزعتها ما نراه فى الواقع التاريخى ، حيث كان الانجليز الذين ينتمى اليهم بطل الفيلم يمارسون هذه التجارة فى غرب أفريقيا بشكل لم يشهد له العالم مثيلا .. ولا يسعنا الا الاستشهاد بالباحث الانجليزى بازل دافيد سون حينما يكتب عن تجارة الرقيق التى قام بها الأوربيون فيقول « اتخذت تجارة الرقيق معنى خطيراً حين شرعت السفن الأوروبية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل وتدمى الحياة فى القارة ، لقد أصبحت النخاسة على يد الأوروبيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود الذى اجتاح أوروبا » .

التشوية فى الأفلام الفرنسية

وفى السينما الفرنسية ظهرت اتجاهات متباينة فى مجال تصوير العلاقة بين الفرنسيين والزنوج والعرب والسود ، وكانت جميعها ترتبط بما يسمى المدرسة العنصرية اللاتينية التى تسمح بالزواج بين البيض والسود وببعض نواحى التقدم الاجتماعى ، وتعمد فى جوهرها الى امتصاص أثر الوجود الفرنسى فى عشرات المستعمرات الأفريقية .

ومع ذلك فالشخصيات السوداء فى الأفلام الفرنسية التى صورت فى شمال أفريقيا تظهر وقد تمزقت أوصالها القبلية وامتصتها حياة القبائل العربية ، بحيث أصبحت تحيا حياة على الهامش . وأدوارها التقليدية هى الأدوار التى تعارف عليها فى قصص ألف ليلة وليلة .

وفى اعتقادى أن أدوار الممثل الأسود ــ حبيب بنجليا الذى يعتبره النقاد الفرنسيون أهم ممثل أسود ظهر فى السينما الفرنسية ــ تبدو كأنها نموذجاً لطبيعة الأدوار التى قدمتها السينما الفرنسية عن الشخصيات السوداء .

ومن السهل أن نرى كيف رسمت شخصيات حبيب بنجليا بمكر شديد ، وأن نرى من خلالها ذلك الشعاع الخبيث الذى يستمد قوته من احساس ساخر بدوام ظهور الرجل الأسود فى القبائل والمجتمعات العربية حيث لا يقبله العرب فيها الا تابعا ! !

رؤية غير عادلة

وداخل الرؤية اللاتينية للتمييز العنصرى برزت ــ أيضاً ــ بعض المؤلفات الفرنسية الشهيرة التى شوهت بصورة أو بأخرى الانسان الأسود .. وهذا التشويه نجده فى ــ كانديد ــ لفولتير ، « الأب جوريو » لفوتران ، و « تمبكتو » لموباسان و « باريس المجهولة » لبريفات وانجيلمون ، حتى الكسندر دوماس الذى تجرى فى عروقه دماء زنجية يتهكم فى روايته الطويلة ــ جورج ــ على الزنوج الذين نسوا ثورتهم .

وحين تناول الكسندر دوماس « الأب » شخصية الشاب على النوبى الأسمر وشخصية الفتاة العربية هايدى فى روايته الشهيرة « الكونت دى مونت كريستو » ، تعرض لنقطة دقيقة ــ توضح طريقة التفكير الأوربى تجاه قضية الرقيق والسود . فالرواية التى قدمت فى السينما أكثر من عشرين مرة لا تقتصر على تصوير العدل ضد الظلم من خلال شخصية الفرنسى أدموند دانتى الذى عرف بالكونت دى مونت كريستو المدافع عن فكرة اقرار العدل ضد الظلم والانتقام من المتآمرين عليه مهما كلفه ذلك من جهد وتضحية ، ولكنها فى



المواجهة في المشهد الأخير من فيلم الخرطوم .. والفيلم يحاول أن يقلب الحقائق التاريخية ضد العرب بهدف تشويه صورتهم أمام العالم !

الوقت نفسه تكشف النقاب عن رؤية دوماس تجاه الرق فى أعماق بطله النبيل تقبع رؤية غير عادلة تجاه « الرق والعبودية » .

ولقد انعكست صورة « علي » و« هايدى » بشكل متفاوت فى الأفلام العديدة التى قدمت فى السينما الفرنسية والأمريكية عن رواية الكونت دى مونت كريستو .. وكان التركيز عليهما فى أول الأفلام الضخمة التى قدمت عن هذه الرواية وهو الفيلم الأمريكى « الكونت دى مونت كريستو » ١٩٣٤ الذى أخرجه دولاند ف لى ولعب فيه الممثل الزنجى كلارينس موسى دور علي والممثلة البيضاء اليانو فيليبس دور هايدى .

شخصية الفتاة السوداء

وكانت شخصية الفتاة السوداء تانيت — ذرجا من الشخصيات التى قدمتها السينما الفرنسية والعالمية فى العديد من الأفلام المأخوذة من رواية الكاتب الفرنسى بيير بنوا « الاطلنطيد » ورغم أن هذه الرواية تدور أساساً حول المرأة البربرية ذات — الأصل العربى « أنتينيا » .. الا أن شخصية «تانيت ذرجا » كاتمة أسرارها كانت لها آفاق جديدة تجلت فيها رؤيتهم تجاه محاولة التشويه بتضخيم دور العرب فى تجارة الرقيق

فعندما تقابل الفتاة السوداء تانيت ذرجا الكابتن الفرنسى دى سانت أفيت أحد ضحايا أنتينيا تفتح شيئاً فشيئاً مغاليق نفسها وتستجيب لرغبته فى معرفة قصتها التى تعكس مأساة الافريقيين ضحايا قبائل الطوارق (١١) فى شمال أفريقيا .. فهى من مواليد بلدة جاو على نهر النيجر .. وتربع أهلها على عرش الامبراطورية المندنجية ..وعاشت طفولتها فى سعادة حتى هاجمتهم قبائل الطوارق .. ثم اختارها المغاربة ليقدموها هدية لانتينيا التى أعجبت بها وجعلتها وصيفتها ! !

وعندما تنجح تانيت فى مساعدة أفيت والهرب معه من مملكة أنتينيا تمر بها أشد اللحظات قسوة .. فالظمأ وحرارة الشمس القاتلة والسير فوق الصخر كلها عناصر ساعدت على انهيارها واستسلامها للموت .. ولكن قبل أن تموت تبعث بأناتها الشاكية وهى تردد كلمات حالمة : « جاو .. ها هى ذى جاو .. كنت أعرف ذلك جيداً .. ها هى ذى الأشجار والينابيع والقباب والأبراج والنخيل والزهور الكبيرة الحمراء .. وحينئذ تكون ساعة الخلاص .. ساعة الخلاص والسيادة » ..

الدور الاسرائيلى

ولقد كان هنالك دائماً فى كل الأفلام المناهضة للشخصية العربية شخصية معينة يحرص عليها السينمائيون الغربيون حرصاً واضحاً .. وكانت هذه الشخصية هى شخصية العربى « تاجر العبيد » .. إن سلوك هذه الشخصية وتصرفاتها كلها أمور تجسدها لنا الأفلام الغربية وتوضح معالمها بشكل ظهر من خلال ممثلين لهم قدرتهم على تجسيد الشخصيات الكاريكاتورية ، ومن هؤلاء الانجليزى هارى أندروز فى فيلم « ليزا » ١٩٦١ ، أو الألمانى بيتر لورى فى « ٥ أسابيع فى بالون » ١٩٦٢ ، أو الممثل الروسى الأصل بيتر أوستينوف الذى لعب شخصية تاجر العبيد سليمان فى فيلم « آشانتى » ١٩٧٩ للمخرج ريتشارد فلينشر .

كان هارى أندروز فى فيلم — ليزا — هو تاجر العبيد أيوب الذى يعمل مع نازى سابق فى تجارة الرقيق ، وكانت شخصية بيتر لورى تحمل فى جوهرها طابع السخرية من دور تاجر العبيد من خلال أحداث ذات طابع خيالى كوميدى اعتمدت على رواية لجول فيرن .. تدور أحداثها عام ١٨٦٢ حول عالم أوروبى يهبط بواسطة بالون فى وسط أفريقيا . وظهور لورى فى شخصية تاجر العبيد الذى تمتلىء جعبته بالحيل والألاعيب . انه الشرير الذى يضطر الانسان الى انتظار شروره وحيله فى كل لحظة .. تظهر فى سياق الجو الخيالى الذى قدمه فيرن فى روايته مما قلل من تأثيرها على المتفرج العالمى ، بعكس ما حدث مع شخصية سليمان التى قام بها أوستينوف فى « آشانتى » وحاولت أن تشوه صورة العرب وتدعى أنهم أصابوا الأفارقة السود بأشد الأضرار التى تفوق ما قدموه لهم من مساعدات ! !

والواضح أن هدف هذا الفيلم هو أن يفقد المتفرج حياده بمجرد أن يشاهد شخصية سليمان الاسرائيلى الذى يحاول تشويه العرب أمام العالم والدول الأفريقية .

ولقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ١٩٧٨ فى كينيا .. ثم استكمل فى اسرائيل وكان المشرف على التصوير من الجانب الاسرائيلى اسرائيل رينجل وتم تصوير الفيلم ما بين ايلات ، حيفا ، القدس .

والفيلم لا يكتفى باختلاق الأحداث . . ولكنه يجعل العرب فى مواجهة مع هيئة الأمم المتحدة نفسها التى يمثلها فى المناطق الأفريقية دافيد وزوجته السوداء من أجل انقاذ الأفريقى الأسود من الأمراض والأوبئة فى الوقت الذى يتسبب العرب فى كل المآسى التى تصيب الأفريقى ! !

وهذه الأفكار تنشر من خلال انتاج تساهم فيه بلدان غربية مثل سويسرا وأمريكا وانجلترا واسرائيل .. ويشارك فى بطولته نخبة من النجوم العالميين من أمثال ريكس هاريسون — وليام هولدن — مايكل كين ، وغيرهم .

النموذج الأمثل

ويدهش من يستعرض تاريخ السينما الفرنسية

وشخصية القائد مصطفى أحد قواد سليم الثانى أثناء غزو قبرص عام ١٥٧١ . ويعتقد أن معلومات هذا الغزو كانت ميسورة لشكسبير حيث كان فى رحلة الرحالة الانجليزى هاكليون المشهورة التى طبعت فى عام ١٥٩٩ ، ووصفت سقوط جزيرة رودس فى أيدى الاتراك (١٥٢٢) وسقوط قبرص فى أيديهم عام ١٥٧٢ . فى حين يجد الدكتور نسيب نشاوى تشابهاً فى الأحداث والشخصيات بين حياة الشاعر العربى ديك الجن الحمصى وقصة غرامه مع النصرانية ورد التى رسمها الأدب العربى وبين مسرحية عطيل لشكسبير حتى ذهب به الظن الى أن شكسبير اطلع على حياة ديك الجن من خلال المصادر اللاتينية التى نقلت الآداب العربية الى أوروبا .

والمشكلة التى تثار عند مشاهدة مسرحية أو فيلم عن شخصية عطيل أننا نهمل جنسيته العربية ونكتفى بتحليلها من الناحية السيكولوجية وأعتقد أن الوقت قد حان للنظر الى هذه الشخصية كشخصية عربية فى المقام الأول .

ظهرت شخصية « عطيل » للمرة الأولى فى السينما عام ١٩٠٢ فى فيلم بنفس الاسم أخرجه الأمريكى « ستيوارت بلاكتون » ـ وكان هذا الفيلم ضمن مجموعة من الأفلام القصيرة التى كانت مأخوذة من مؤلفات شكسبير ..

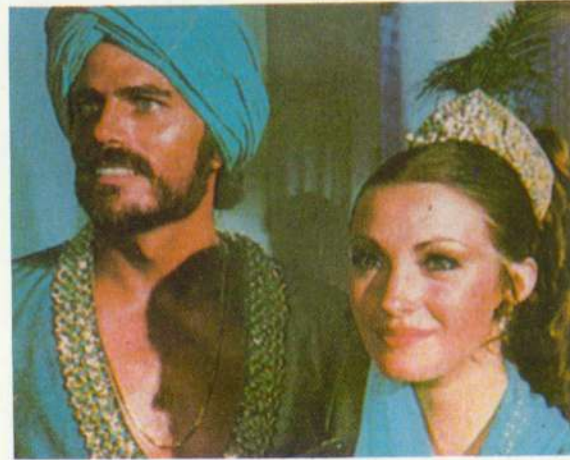
ثم ظهرت شخصية « عطيل » للمرة الثانية عام ١٩٢٢ عندما قدمتها السينما الألمانية فى فيلم صامت أخرجه ديمترى بوتشوفسكى ولعب فيه دور عطيل الممثل الألمانى الشهير اميل يانينجر . وعلى الرغم من حبكة هذا الفيلم وما يمتاز به من حرفية حاولت أن تقدم نص شكسبير من خلال لغة الصمت ، فان المشاهد الذى يتعمق فيها ليشعر فوراً بالنهج العنصرى فى تجسيد شخصية عطيل سواء كعربى أو زنجى . ثم استغلت شخصية عطيل فى فيلم بعنوان « كارنيفال » الذى قدم فى السينما الصامتة عام ١٩٢٢ ثم فى الناطقة عام ١٩٣١ بطولة ايفور دوفيللا وجوزيف تشيلد كروت .. وفى عام ١٩٤٦ أخرجها دافيد ماكسانى فى فيلم متوسط الطول ويعتمد على الرؤية المسرحية للنص الشكسبيرى .

ومع بداية الخمسينات بدأ الممثل والمخرج الشهير أورسون ويلز فى اخراج المسرحيات الشكسبيرية بعد أن حظيت أفلامه مثل « المواطن كين » ـ « أسرة أمبرسون العظيمة » باهتمام السينمائيين فى جميع أنحاء العالم . وكانت نفسية ويلز الطموح واضحة كل الوضوح فى أفلامه الشكسبيرية .. انها تعبير صادق عن طموحه ولكنها تعبير صادق أيضاً عن تردده بين مفهومه للنص الشكسبيرى ونزعة المغامرة فى سبيل ابتكار حلول سينمائية جديدة وفى تجسيد شخصية « عطيل » التى قدمها ويلز سينمائياً عام ١٩٥٢ .

ومن الناحية الدرامية وجد ويلز فى عطيل مجرد قائد عسكرى أعتقد لغبائه خيانة زوجته بسبب تقرير قدم اليه من ياوره .. وكان ما يعتمل فى



لقطة من الفيلم الفرنسى « أنجليك صعبة الترويض » الذى يظهر الرجل الافريقى كجلاد !



السندباد ورحلاته الشهيرة التى ألهبت خيالنا ، قدموها فى أفلامهم بصورة مشوهة



عندما يكتشف أن حكاية « عنترة » قدمت فى هذه السينما مرتين فى عصرها الصامت .. المرة الأولى عام ١٩١٠ عندما صور شارل بوليه فى مراكش فيلماً بعنوان « عنترة » لعب فيه الممثل الفرنسى « جوبى » دور عنترة ، ومدام فينتورا دور عبلة ، والمرة ، الثانية عندما صور المخرج « جان ليونى » فيلما آخر عن عنترة فى جنوب مراكش ، وأسند دور عنترة فيه الى الممثل الفرنسى « أندريه فيراموس » ودور عبلة إلى « لوسيتى كارون » .. وأشرك فيه مجموعة كبيرة من الممثلين المراكشيين .

وفى الفيلمين نرى عنترة الفارس الأسود الذى عاش قصة حبه مع عبلة من خلال صراعه الداخلى ضد قومه .. وكيف ساعد الذين حال سواد لونه دون الاعتراف الاجتماعى به ، رغم أنه وقف إلى جوارهم فى حربهم ضد القبائل .

والمؤكد أن اختيار السينما الفرنسية لموضوع « عنترة » يعكس العديد من المؤثرات الاجتماعية والسياسية والأدبية الخاصة بالمجتمع الفرنسى دون غيره .. فهو من ناحية يؤكد على ملامح المدرسة العنصرية اللاتينية .. ومن ناحية أخرى يعكس التعاطف الفرنسى المعلن على « الزنوجة الافريقية » وفى النهاية يساير الاعجاب الأوروبى لسيرة عنترة الذى وجد الأدباء والمستشرقون فيها مئات الحوادث والمواقف التى تعكس مفاهيم مشابهة لما ورد فى أوروبا العصر الوسيط .. فهو المدافع عن حقوق قومه ، وحامى عشيرته حين يتواتر عليها الأعداء ، وباختصار هو النموذج الأمثل للفارس الأوروبى رغم اختلاف لونه !

عطيل المغربى

ولا جدال أن شخصية « عطيل » المغربى الأسود تعتبر من أهم الشخصيات التى اكتسبت خلودها من خلال مسرحية شكسبير المعروفة بنفس الاسم .. ولقد اختلف النقاد حول المصادر الرئيسية لشخصية عطيل فى نص شكسبير فنجد الدكتور لويس عوض يقارب بين هذه الشخصية

دخيلة عطيل من رد فعل هو ما يعتمل ـ كما يقول جورج سادول ـ فى دخيلة انسان بدائى يقتل الزوجة التى خانته عملا بشريعة الغاب أو سدة القبيلة .

أما فيلم « عطيل » الذى قدمه أهم ممثلى الشكسبيريات لورد لورنس أوليفييه عام ١٩٦٦ ، فقد كان مصوراً من العرض المسرحى الذى أخرجه على المسرح جون دكستنر فى الموسم المسرحى (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) وأعده للتصوير السينمائى لورنس أوليفيه بالاشتراك مع ستيوارت بورج .

وقد حاول أوليفييه بأدائه لشخصية عطيل أن يبين الصراع بين الأبيض والأسود وعلى الأخص المواقف التى كانت بين عطيل والنبلاء البيض .. وكان واضحاً أنه يجسم فيها احساسه بأنه الأضعف .. أى يصور ـ على حد تعبير الناقد هارولد هويسون ـ سيكلوجية الأقلية أمام الأغلبية .. ومن هنا كان اتهام أوليفييه بالتعصب فى تجسيد شخصية عطيل العربى الأسود له ما يبرره .. وهو الاتهام الذى تستكمل أبعاده بعد أداء أوليفييه لدور المهدى السودانى فى فيلم « الخرطوم » ـ فى نفس العام ـ بشكل يعكس موقفه الحاد والصريح تجاه العرب والسود على حد سواء .

تلفيق وخيال

والمؤكد أن الفترة التى سبقت حرب ٦٧ بالذات قد شهدت جواً سينمائياً مناهضاً للعرب بشكل لم نشهد له مثيلا من قبل .. فقد ظهرت أفلام « الخرطوم » و « أرابيسك » و « ظل العملاق » و « موديستى بليز » و « أجازة فى الحريم » و « حفلة تنكرية » و « السفن الطويلة » وغيرها من الأفلام التى كانت تتطلب جهداً مضنياً من التلفيق والخيال حتى تعطى أكبر جرعة اعلامية ضد العرب .

وفى مقدمة هذه الأفلام يأتى فيلم « السفن الطويلة » ١٩٦٤ الذى لعب فيه الممثل الزنجى الشهير سيدنى بواتييه دور قائد مغربى أسود ، وأخرجه جاك كارديف عن رواية كتبها فرانسيس بينجتسون عن سيناريو لبريكلى ماثير وبيفرلى كروس .

كانت قصة فيلم « السفن الطويلة » بسيطة التركيب ، سلسلة البناء عمادها الأحداث التى تجرى حول البحر ، وبخاصة المناطق التى تغلغلت فيها سفن قبائل الفايكنج بحثاً عن الغنائم .. وهؤلاء الفايكنج رغم قوتهم يخضعون غالباً لروح شريرة مستبدة أو لحظ متقلب غادر .. يتعرضون للأسر أو للخطف أو يعانون من أنواء البحر وتحطيم السفن وغرقها .. يكبلون بالأغلال ويزج بهم فى السجون من غير ذنب اقترفوه ، أو يباعون فى أسواق العبيد .. وهكذا يمرون بلحظات مثيرة ويتعرضون لأحداث جسيمة يصورها الفيلم تصويراً دقيقاً ، ليطبع قصته بطابع درامى عنيف ويخلق من خلاله وجهة نظر تجاه البطل المغربى الأسود



عطيل : العربى الأسمر الذى كان من أهم الشخصيات التى عرفناها من خلال مسرحية شكسبير المعروفة ، ولكن سرعان ماشوهوا المسرحية الشهيرة ، وحولوها إلى أفلام تقدم الانسان العربى والافريقى بصورة ظالمة

الذى يصبح بالنسبة لهؤلاء الفايكنج هو الروح الشريرة المستبدة التى تذلهم . ولكن عندما يقاومونها يبتسم الحظ لهم ، ويستردون قوتهم ، ويستردون الأمل فى الحياة والنجاة .. ثم ينتهى الفيلم باستردادهم الكنز الذهبى وقتل العربى الأسود ..

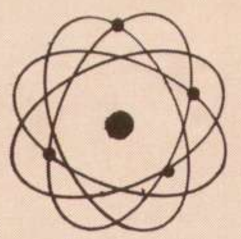
كانت شخصيات « السفن الطويلة » على نمط واحد لأنها كانت من نسج خيال كاتب مغرض لا من واقع الحياة .. كان يستمدهم من أفكاره حول الفايكنج المقاتل الشجاع والعربى القاسى القلب ولذا نرى هذه الشخصيات كأشباح خافتة تقوم بأدوار بعينها ..

إن الفيلم يحاول من خلال مشاهد التعذيب التى يتعرض لها كلا من رولف وجيردا أن يبرز قدرة الإثنين على الاحتمال ويعتبرها محكاً لبطولتهما ومقياساً لنجاحهما . لا يخافان أى تهديد . ويتحملان أى تعذيب أو اهانة . ويصبران على أى مكروه ..

وعندما يقتاد رجال المانسو رولف الى آلة التعذيب الجهنمية التى اخترعها المانسو بنفسه لتشطر الجسد البشرى الى نصفين طوليين يفضل رولف الموت على ارشاد العربى الى مكان الكنز ، حتى يفاجأ وهو على وشك الموت بشقيقيه أورم وسيفن وقد حررتهما أمينه زوجة المانسو ليخبرا زوجها بمكان الكنز ليحرر رولف من أسره .

ولقد كان فيلم « السفن الطويلة » الذى أنتج عام ١٩٦٣ تعبيراً أيضاً عن موقف متصل اتخذه كارديف تجاه الانسان العربى سواء عندما كان مصوراً أو عندما تحول الى الاخراج . فمنذ بداية عمله كمدير تصوير سينمائى وقبل أن يتحول الى الاخراج وهو يسبح فى اتجاه التيارات السينمائية المضادة للعرب ، وكانت أفلامه التى شارك فى تصويرها أو إخراجها مثل « الريشات الأربع » ١٩٣٩ ، « اسطورة المفقود » ١٩٥٧ ، « الرحلة » ١٩٥٩ . « السفن الطويلة » ١٩٦٣ ، « موت على النيل » ١٩٧٨ ، كلها تؤكد موقفه المناهض للانسان العربى والافريقى الذى حاولوا تشويهه بكل الوسائل فى أفلامهم !

أحمد رأفت بهجت



العلم هو المستقبل

جهاز جديد للتصوير بالموجات فوق الصوتية

تحل تقنيات الموجات فوق الصوتية بسرعة كبيرة محل الوسائل التقليدية فى فحص أعضاء وأنسجة الجسم البشرى . فهذه الموجات تتميز بأنها مأمونة الاستخدام ، فضلا عن أنها أقل تكلفة .

ومن ثم أصبح لا غنى للطب عن أجهزة التصوير بالموجات فوق الصوتية سواء للفحص والتشخيص أو لمساعدة يد الجراح أثناء اجراء العمليات الجراحية .

ومن أحدث الأجهزة فى هذا المجال جهاز يابانى يعد نظاماً متكاملا للتصوير بالموجات فوق الصوتية . فهو يجمع فى جهاز واحد بين أربع طرق للفحص الالكترونى : فحص خطى وقطاعى وشبه منحرف ومقعر ، وهو ما يتيح فحص جميع الأعضاء الداخلية للجسم فى شكلها الكلى .

وبالتالى يمكن استخدام هذا الجهاز المتعدد الامكانات فى جميع المجالات الطبية ، ابتداء من الجهاز الهضمى والبولى الى فحص العضلات والأوعية الدموية والغدد الصماء مروراً بأمراض النساء .

ويعتمد عمل الجهاز اليابانى على تقنية جديدة تتيح الحصول على نوعية ممتازة من الصور أيا كان الجزء المفحوص ، وترتكز هذه التقنية على استخدام مجموعة مرشحات شديدة الحساسية ونظام متغير لتعديل البؤرة .

ويتميز الجهاز الجديد بمرونة استخدامه ، فبفضل تمتع دوائر الرصد المتعددة الترددات الموجية بعدد مضاعف من عناصر الارسال والاستقبال فإن قدرته على النَفَاذ أكبر ، ويعطى صوراً درجة نقائها ووضوحها أعلى من الصور التى يتم الحصول عليها بأجهزة الموجات فوق الصوتية الأخرى .

ومن ناحية أخرى يستطيع بواسطة الميكروكمبيوتر الذى يضمه ، اختزان ومتابعة عدد من البرامج المسبق اعدادها لكل مريض يجرى فحصه وتبعاً لاحتياجات الفحص الخاصة به .



جهاز جديد للتصوير بالموجات فوق الصوتية

عمليات جراحية إليكترونية



صورة مفترضة لإصابة فى عظام الجمجمة كما تظهر على شاشة الكمبيوتر

يستخدم المهندسون منذ عدة سنوات الكمبيوتر فى تصميم وتنفيذ العديد من الأجهزة بما فى ذلك السيارات والطائرات . ولكن هذه التقنية بدأت تنتقل مؤخراً الى مجال الطب والجراحة .

وكانت أجهزة التصوير الالكترونية التى يتحكم فيها الكمبيوتر قد ساعدت الاطباء كثيراً فى عمل مسح دقيق لما يحدث داخل الجسم ، الا أن الصور التى كانت تظهر على شاشة الكمبيوتر تأخذ شكل شرائح فى حين أن النظام الجديد يقوم بعملية تجميع لهذه الشرائح بحيث تعطى صورة مجسمة وملونة للجزء المفحوص .

ومن ثم يستطيع الجراح تصور وبرمجة خطوات الجراحة على شاشة الكمبيوتر قبل إجرائها فى الواقع . فعند تصوير حالة كسر فى الجمجمة يقوم الجهاز بتجميع ٥٠ قطاعاً للحصول على صورة مجسمة وكاملة للجمجمة المصابة ، وهى عملية لا تستغرق دقائق بحيث يستطيع الجراح فحص الاصابة من جميع الزوايا ، وبالضغط على أحد الأزرار يجعل صورة الجمجمة تدور بأى زاوية يريد .

وبمعرفة درجة الكسر ونوعه يحاول الجراح اجراء الجراحة على شاشة الكمبيوتر واعادة الأجزاء العظمية الى مكانها قبل دخول غرفة العمليات ، مما يساعد الجراح على توفير وقت ثمين أثناء الجراحة الفعلية ، كما يجعله يتفادى أى أخطاء محتملة .

كما يستخدم جراحو العظام هذا النظام فى تصميم وتصنيع العظام الاصطناعية .

وقام أحد الجراحين الأمريكيين بتصميم وتنفيذ تشكيل عظمة من عظام الجمجمة مساحتها من ٣ ــ ٥ بوصات لسيدة شابه أصيبت فى حادث وتهشم جزء من عظام جمجمتها .

فبعد أن قام الكمبيوتر بتسجيل تصميم العظمة المطلوبة على شريط مغناطيس ، تم ادخال هذا الشريط فى جهاز يقوم بعملية التشكيل . وفى غضون يوم واحد حصل الجراح على عظمة من السليكون قام بزرعها بنجاح فى جمجمة السيدة المصابة .

كاميرات فيديو ورادار لسيارة المستقبل



سيارة المستقبل، مزودة بميكروكمبيوتر وكاميرا فيديو ورادار

بدأت الدوائر الالكترونية تغزو وظائف التحكم فى السيارة الحديثة، فمن المتوقع أن تجهز جميع السيارات فى التسعينات بدوائر الكترونية متطورة وميكروكمبيوتر وشاشة تليفزيونية، بحيث يقوم الميكروكمبيوتر بالتحكم فى جميع وظائف السيارة، وعند حدوث أى خلل يظهر على الشاشه تحذير مكتوب أو تذكير مثلا بضرورة تغيير الزيت.

كما سوف تزود النافذة الخلفية لسيارة المستقبل بكاميرا فيديو متصلة بشاشة تليفزيونية على اللوحة أمام السائق بحيث يرى أمامه كل المنظر المتحرك وراء السيارة.

ومن ناحية أخرى يعمل مصممو السيارات من أجل تزويدها بشاشة فيديو تستطيع استقبال ارسال محطة تليفزيونية خاصة تنبه السائق الى مناطق اختناق المرور، كما تزوده بعناوين الفنادق التى بها غرف خالية محددة له أثمانها، فضلا عن أنها تخبره بتوقعات الطقس.

وتحاول الانجازات الالكترونية المساهمة فى توفير أكبر قدر من الأمان والحماية للسائق، فسوف تجهز سيارة المستقبل بفرامل رادارية، تقوم بإيقاف السيارة قبل اصطدامها بأى جسم، والمشكلة الوحيدة التي يواجهها مصممو هذا النظام، هى عدم قدرته على التمييز بين الاصطدام بسيارة قادمة فى الاتجاه المعاكس مثلا أو بشخص وبين الاصطدام بلفافة قذف بها أحدهم فى عرض الطريق.

ولتسهيل عملية الصيانة سوف تزود المحطات المتخصصة فى ذلك بجهاز يتم توصيله بالنظام الالكترونى للسيارة بحيث يتم تحديد موضع الخلل.

كابينة القيادة التقديرية

غيرت الأجهزة الالكترونية والميكروكمبيوتر عملية قيادة الطائرات تغييراً جذرياً، حيث تم استبدال العديد من الوظائف الميكانيكية بوظائف الكترونية واتوماتيكية.

وأحدث ابتكار فى هذا المجال هو ما يمكن تسميته بكابينة القيادة «التقديرية»، فبدلا من الخوذة التقليدية التى يضعها الطيار سيستخدم خوذة الكترونية مثل تلك التى تظهر فى الصورة، حيث تم استبدال زجاج النظارة بشاشتين يعرض عليهما كل ما هو خارج الطائرة: الأرض أو أى طائرات أو صواريخ معادية.

ويتم التقاط هذه الصور بواسطة أجهزة رصد دقيقة. ويستطيع الطيار التحكم فى حجم الصور المعروفة أمام عينيه بالتكبير أو ايضاح تفاصيل معينة فيها بإعطاء أوامر شفوية عن طريق ميكروفون الى أجهزة الرصد.

وفى نماذج أكثر تطوراً تم التحكم فى هذه الأجهزة بواسطة هزات الرأس أو حركات العين التى يتولى تتبعها جهاز صغير يعمل بالأشعة تحت الحمراء.

وتعتبر هذه الكابينة «التقديرية» غرفة قيادة مصغرة وغاية فى التطور، اذ يستطيع الطيار من خلالها أن يتحكم فى جميع أجزاء الطائرة بما فى ذلك فتح النار على العدو.

ويجرى حالياً تجربة هذه الخوذة الالكترونية فى القوات الجوية الأمريكية ومن المتوقع استخدامها فى الحروب التقليدية فى غضون فترة لا تزيد عن عشر سنوات.



كابينة القيادة التقديرية



دوحة القراء

إشراف
سنان المسلماني

حاول أن تعرف



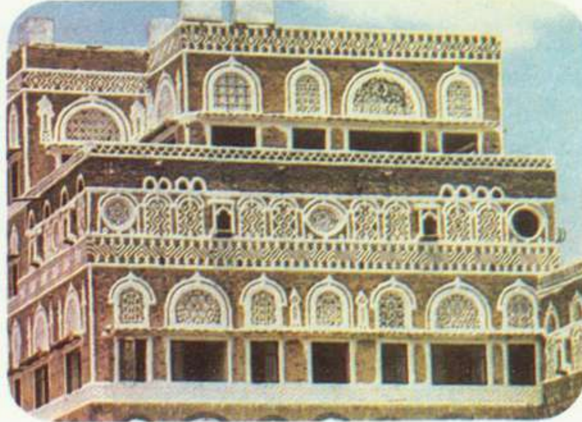
الصورة الأولى : مبنى عريق فى إحدى المدن الأوربية ، اسم هذا المبنى ١٠ داو ننج ستريت ، وكان هذا البناء مسرحاً لأهم الأحداث السياسية العالمية .
فى أى مدينة يقع هذا المبنى ؟ ومن يشغله ؟

• • •

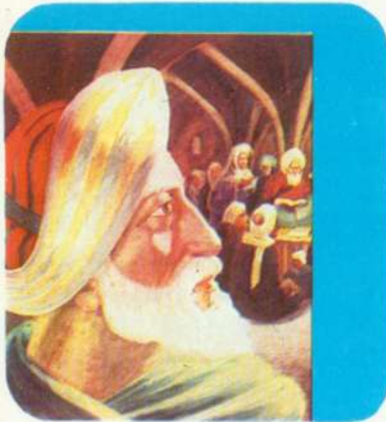


الصورة الثانية : فيلسوف وعالم ورياضى فرنسى ، ولد سنة ١٥٩٦ م وتوفى : ١٦٥٠ م .. أشتهر باستخدامه للأسلوب الهندسى ، وحاول تطبيق المنهج الرياضى
وضع عدة قواعد تهدف إلى تدريب العقل على التفكير المنظم والحر تضمنها كتابه : (قواعد لتوجيه العقل) الذى نشر بعد وفاته بخمسين عاماً ..
.. ترى من هو هذا الفيلسوف الفرنسى ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٠



الصورة الأولى : مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية .
• الفائزة : مروة نايف النوايسة ــ الأردن .
الفائز : نور الدين الهادى محمد ــ ليبيا .



الصورة الثانية : الحسن بن الهيثم .
• الفائز : جميل نعمان العريقى ــ الجمهورية العربية اليمنية .
• الفائز : جهاد سامى القشاوي ــ قطر .

العجائب في عـالم الحشرات

لو تأمل الانسان وتمعن فى ذلك العالم المسمى بعالم الحشرات لعجب أشد العجب لتلك القدرات التى وهبها الله لتلك الكائنات رغم ضآلة حجمها وضعف قوتها . تعالوا نتعرف على بعض من هذه القدرات من خلال أرقام تعطينا دلالة على هذه القدرات من خلال بعض ما قرأت :

• هناك بعض أنواع الخنافس تستطيع أن تسحب ثقلاً يعادل ١٢٠ مرة قدر وزنها . فإذا قورن الانسان فى ذلك بالخنفساء لكان عليه أن يسحب حوالى ٩ أطنان إذا ما كان وزن جسمه ٧٥ كجم وهذا ضرب من المستحيل .

• وجد أن طول رجل حشرة البرغوت حوالى ١,٣ مليمت ويستطيع أن يقفز ٢١ سم لأعلى ومسافة ٣٤ سم افقيا فإذا ما قورن الانسان (طول رجله ٧٥سم) فى ذلك بالبرغوت ، لكان عليه أن يقفز مرتفعاً لأعلى ٤٥٠ قدما ولمسافة ٧٠٠ قدم أفقياً تقريباً وهذا يقرب من الخيال .

• لكى تنتج حشرة نحل العسل كيلوجراما واحداً من العسل فإن عليها أن تقوم بحوالى ٤٠ ـ ٨٠ ألف رحلة للأزهار لكى تجمع رحيقها . والرحلة الواحدة قد تبلغ مسافتها ١ ـ ١,٥ ميل . ولك أن تتخيل بعد ذلك ما هى المسافة التى تقطعها من أجل ذلك .

وهناك العديد والكثير من الأمثلة على تلك القدرات الهائلة التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى تلك الكائنات الصغيرة الحجم الهائلة العدد ، العدوة والصديقة أيضاً للانسان .

دكتور ابراهيم لبيب ابراهيم
كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر

لقطة الشهر



عـــــــروس من الســـودان

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : صلاح محمد إدريس ـ الخرطوم / السودان .

الحضّ على مكارم الأخلاق

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه بنى تميم وكان زعيمهم : « انما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ولكن أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالى وأقضي حقوقكم وأحفظ حرمتكم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن زاد علي فهو خير منى ومن زدت عليه فأنا خير منه » . قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام ؟ .. قال : « أحضهم على مكارم الأخلاق » .

خليل عبد الكريم
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

كـــلمات عاشـــت

• أطلب الخير من بطون شبعت ثم جاعت لأن الخير فيها باق ، ولا تطلب الخير من بطون جاعت ثم شبعت لأن الشح فيها باق .
«علي بن أبى طالب»

●●●

• وال الزمان إذا والاك ، وخذ منه ماأعطاك ، فهو ملول يألف الصد ، وبخيل لا يأنف الرد ، وانتهز فرص الحوادث ، فالعمر وإن طال أقصر من أن يسع المطال .
« أديب إسحق »

●●●

• الرجال ثلاثة أنواع : رجل يدعى أنه على حق وهو العنيد ، ورجل يعترف بانه اخطأ وهو العاقل ، ورجل يؤكد أنه على خطأ حين يكون على صواب وهذا هو المتزوج .
« فولتير »

رفعت إسماعيل عفانه
الامارات العربية المتحدة



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

• في قصيدة لشاعر القطرين خليل مطران . يصف فيها شيئا نستخدمه كثيراً .. حذفنا اسم هذا الشيء ووضعنا بدلا منه كلمة « المقصودة » .. وعليك أن تعرف الكلمة الأصلية من بين معنى الأبيات الشعرية عند خليل مطران .

وها هي الأبيات الشعرية :

كسروا « المقصوده » هل تكسيرها
يمنع الأيدى أن تنقش صخراً
أطفئوا الأعين هل أطفاؤها
يمنع الأنفاس أن تصعد زفراً
أخمدوا النفاس هذا جهدكم
وبه منجاتنا منكم .. فشكراً

المقصودة عند الشاعر خليل مطران مكونه من ٧ حروف .

٤ ، ١ ، ٥ بمعنى تكلم .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

• « إن الشيء الذى يصر إبسن عليه اصراراً ويؤكده تأكيداً هو أنه ليس هناك قاعدة ذهبية ، وأن السلوك ــ كل السلوك ــ يجب أن يبرز نفسه بالأثر الذى يتركه على صفحة الحياة ، لا بانسجامه مع أية قاعدة .. ومادامت الحياة ، هى تحقيق إرادة ، والإرادة هى شيء نام متطور على الدوام ، وأنها لا يمكن أن تتحقق اليوم فى الظروف التى تحققت بالأمس ، فإن إبسن يطالب من جديد بحق المرء فى أن يحتكم إلى نفسه وأن يحصن هذا الحق بكل الوسائل » ..

هذه العبارة الشهيرة من نقد نشره كاتب ساخر معروف يدافع فيه عن مغزى مسرحيات إبسن ..

الكاتب الساخر بلغت مؤلفاته نحو ٣٤ مجلداً منها ١٥ مسرحية ، وهو كاتب موسوعى لأنه أحاط بمعظم معارف عصره ، وقد ترجم إلى العربية من مسرحياته ومؤلفاته عدد كبير ، وقد اشتهر بسخريته ودعاباته التى جعلت الابتسامة تغمر وجوه كل من يقرأها فى كل أنحاء الدنيا .

واسم هذا الكاتب الساخر مكون من ثمانية حروف .

٢ ، ٣ من جرس .

٧ ، ٢ ، ١ عكس عطش

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ٢٢ فبراير ١٨٧٣ .

• مكان الميلاد : بلدة سيالكوت ــ أرض البنجاب .

• الجنسية : باكستانى .

• الوظيفة : شاعر وسياسى وفيلسوف وعالم اسلامى .

• مؤلفاته : « حيادية تامة ــ رسالة الشرق .

• تحمل كتبه : اسم جناح جبريل ..

• من أقواله : كن طائراً قوى الجناح ــ تحلق فى الأفق .. وتطير وتطير .. ولكن لا تضل الطريق إلى عشك وموطنك ..

• غنت له سيدة الغناء العربى أم كلثوم قصيدة دينية لحنها رياض السنباطى .

• هل تعرف من هو صاحب هذا الجواز ؟

• اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ٩ حروف .

٦ ، ٩ ، ٧ يدق .

٢ ، ١ ، ٨ ، ٣ طائر يرمز للسلام .

مسابقة مدن العالم

إنها ضمن المدن الأربع الشهيرة فى ايطاليا ، ومن أهم ملامحها تلك الحقائق :

• من معالم هذه المدينة ميدان فينسيا .. وبه مقر شهير من معالمه شباك كان يقف فيه الحاكم الفاشستى موسولينى ويلقى منه خطبه الشهيرة .

• فى ميدان فينسيا ستجد تمثالا كبيرا لأشهر الشخصيات المحبوبة فى ايطاليا هو تمثال فيكتور عمانويل الثانى .

• من معالم هذه المدينة أيضاً .. متحف الكابيتولين الذى يضم أشهر مجموعة أثريه فى العالم وينافس متحف اللوفر .

• فى هذه المدينة توجد نافورة تريفى الشهيرة .. يقولون أنك اذا ألقيت فيها عملة فضية وتمنيت أية أمنية فإنها قد تتحقق .

• فى هذه المدينة أيضاً ستجد عدة مسلات فرعونية .. سرقها الايطاليون من مصر .. وزعموا أنها خاصة بهم .

• فى حى تيفولى . أحد أحياء هذه المدينة ستجد ١٢٠٠ نافورة يسمونها جنة الينابيع والنافورات ..

هل عرفت اسم هذه المدينة ؟ .
إن اسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد و ٤ حروف .
٢ ، ١ ، ٣ بمعنى انتفاخ .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٠

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة هى : المال .
اسم الشاعر : اميل أبو جوهر .
الدولة : لبنان .

٢ ــ عبارة شهيرة من قائلها : كريولانس فى مسرحية مأساة كريولانس لوليم شكسبير .

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز : الشاعر حافظ ابراهيم .

٤ ــ مسابقة مدن العالم : بغداد .

أسماء الفائزين

ــ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : محمد دفع الله محمد ــ دولة الامارات العربية المتحدة .

ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارئة : عفاف محمد الشاعر ــ الكويت .

ــ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : محمود محمد حامد ــ سوريا .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ هشماوى محمد ــ الجزائر
٢ ــ البشير بالحاج ــ تونس
٣ ــ يحيى ابراهيم يحيى يوسف ــ السودان
٤ ــ صموئيل توفيق فرج ــ مصر
٥ ــ نزار خلف خليل ــ قطر
٦ ــ نهى جورج طلاماس ــ الأردن
٧ ــ نواف أحمد ابراهيم ــ سلطنة عمان
٨ ــ خالد عبد الله الحفيرى ــ السعودية
٩ ــ حميد ناصر المطرى ــ اليمن
١٠ ــ أبو بكر محمد التركى ــ ليبيا

●●●

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٠

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ الحاجبان ــ العينان ــ الأنف ــ الذقن ــ الرقبة ــ الأذن .
٣ ــ دورى الكاريكاتير : اللاعب رقم (١٠) .
٣ ــ لعبة الظلال : رقم (٣) .
٤ ــ لأقوياء الملاحظة : سمكة ــ وردة ــ حقيبة ــ دبوس ــ مشبك ــ قوقعة أو صدفة ــ قفل أو كالون .
٥ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٤) .
٦ ــ هات أجمل تعليق :
ــ ياناس ياللى تحت ما تبصوا على اللى فوق .
ــ شوف لنا قهوة نهبط عليها نشرب فنجان شاى يعدل الدماغ .
٧ ــ المثل يقول :
ــ أصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب .
ــ الغالى ثمنه فيه .
ــ بصلة المحب خروف .

اسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ باهر خور سند ــ قطر
٢ ــ كويدرى عبد القادر ــ الجزائر (إشتراك)
٣ ــ محمد عامر رفعت ــ سوريا
٤ ــ محمد عبد الله الكلبانى ــ سلطنة عمان
٥ ــ عبد العظيم عبد الحليم عبد الله ــ السودان
٦ ــ ريم جاسم حسن الجابر ــ قطر
٧ ــ منصف أحمد حموده ــ مصر
٨ ــ خالد صالح طه ــ السعودية
٩ ــ أزهرى حسين الصديق ــ السودان
١٠ ــ سالم عبد الكريم جويلي ــ مصر
١١ ــ أسامة محمد نور الدين شعبان ــ ليبيا
١٢ ــ حسام السيد الدميرى ــ مصر
١٣ ــ عبد الرسول علي يوسف ــ البحرين
١٤ ــ صبرى أحمد العدل علي ــ مصر



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة





هذا الرسم الكاريكاتيرى لأصل وصورة الشاعر السودانى الكبير محمد المهدى المجذوب ، وبين الأصل والصورة ، هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة

المثل يقول



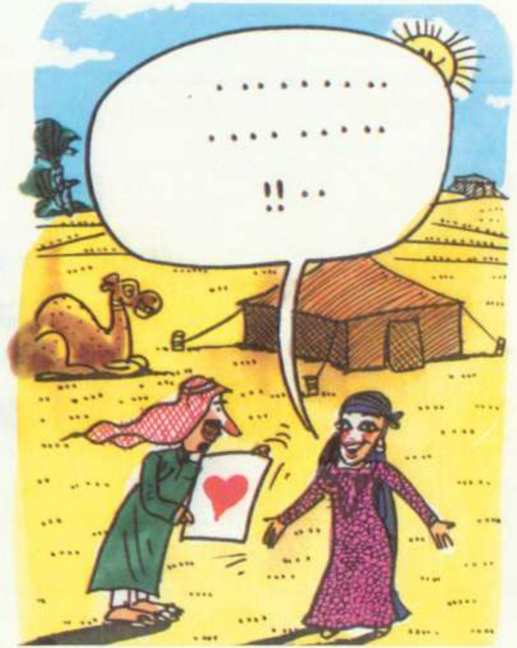
هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف ، إذا استطعت التعرف على هذا المثل الشعبى ، أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



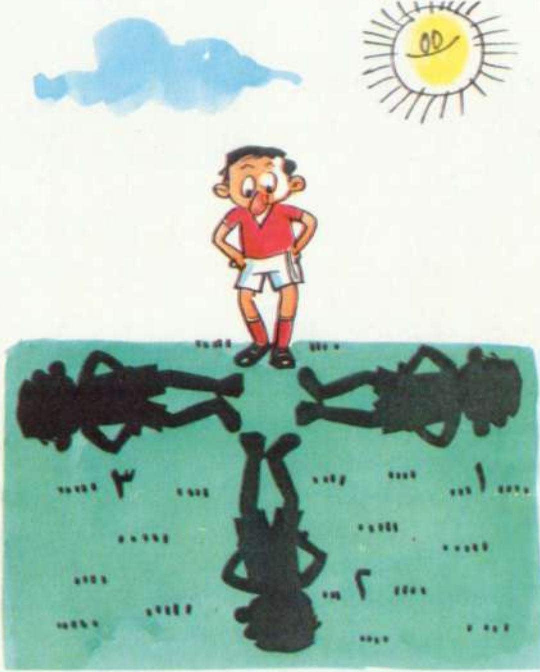
مازالت ملاعب الكرة لاتعترف إلا بتسديد الأهداف فى مرمى الخصم للفوز بالمباراة ، ولكن أحد اللاعبين سدد هدفا قويا فى مرمى الفريق المنافس ، وأصبح الأمر متروكا لك ، لتحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

هات أجمل تعليق :



الجائزة التى تنتظرك تتطلب منك أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .

لعبة الظلال



كانت مشكلة هذا اللاعب هو حيرته فى العثور على ظله الحقيقى ، حاول أن تساعده لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها ، لعلك تفوز بجائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشيخ محمد عبده ، الذى يعتبر من كبار الدعاة إلى التجديد والاصلاح فى العالم الاسلامى .. وبين هذه اللوحات المنشورة واحدة تشبهه ، وفى البقية اختلافات بسيطة .

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

السَّفر.. خلف نجمة الصُّبح

• كانت الكلمات التي تفيض على حفافي نفسه كلما تضاعفت الشجون. كلمات تخرجه من دائرة الانحباس النفسي المجوفة وتسرقه من فراغ التفاهات في الكلمات الهشة المفرغة من التعبير..

الليل يخرم نظراته .. يخترق تصوراته .. يوسعه ألما وضنى .. يغرقه نواحاً وأنيناً على ما كان الى الضياع .. يجسد له ارتفاع الألم في انسانية الانسان ، ويعكس فلسفة الانسان للألم ، في لحظة تناسى هذا الانسان لما قال ، ولما فلسف ، ولما أحس .. حتى يعتقد أن التباعد بين الانسان والانسان هو مقدار مسافة الضوء والظلمة في الأعماق .. هو الحنين عندما يفقد لواعجه !

وفي هذا الانسياب النفسي .. لاحت على وجهه ابتسامة ساخرة .. لا تشنج وانما تسقط لكثير من القشور.

وسألته في حدود الهمس :

ــ هل أنت تمارس السخرية هذه اللحظة ، أم تعاني من الشجن ، أم تتلفت الى مشوار المسافة الذى ضاع من العمر؟!

ــ قال : احاول أن أطرح الشجن بعض الوقت حينما اتلفت الى ما ضاع على مسافة العمر لئلا اتقلص ! !

قلت : وهل تحصل بعد ذلك على هذه السخرية الأليمة التي تشيع في قسمات وجهك !

قال : لست ادرى بحق .. وكل ما يتكشف في صدرى من ذاكرتي الآن أنني انسقت وراء خاطرة تعبر في ذهني عن بعض الذين تفارقوا عن مخطط حياتهم العملي الذى رسموه ، أو كأنها المفارقات الساخرة فيما يجرى على امتداد مسافة العمر .. مثل ذاك الطبيب الذى لاذ الى الشعر ، ونسى الرياضيات ، والفيزياء ، والمعادلات الحسابية ، وأسماء الأدوية .. ليركن الى الشعر كأنه علاج ساحر لنفسية الانسان ، والانسان اليوم فيما ظهر من أدواء يعاني من الأمراض النفسية أكثر من الجسدية ، أو أن الأمراض النفسية باتت هي السبب في توالد الأمراض .. ومثل ذاك الأديب الذى اندس في غمار الأعمال التجارية ، فطغى في ذاته رنين المادة على اصداء الخفق والروح ، وأعرف أنها طبيعة العصر .. ومن طبائع عصرنا هذا أنه يطمر الروح فينا تحت أنقاض الآلام النفسية ، ومثل ذاك « الكمسارى » الذى امتهن قيادة السيارات وهو يجهل اصلاح أبسط عطل في سيارته ، ومثل ذاك الرسام الكاريكاتورى الذى تحول الى مدير بنك مع كراهيته للأرقام وفشله في الحساب !

ــ قلت له : ان هذه الصور التي عبرت في ذهنك بعيدة عن الاضحاك .. لصيقة بالسخرية أكثر ، ولكنك تذكرني الآن بالشاعر الجريح « ابراهيم ناجى » الذى طلق الطب وارتمى في أحضان الشعر والتأملات النفسية الوجدانية ، وتذكرني بالشاعر المبحر دائماً حتى مات « علي محمود طه » الذى طلب من أصدقائه أن ينسوا أنه المهندس .. لأن بطاقته الانسانية كانت حروفها من الشعر والوجدان .

كان « ناجى » يعترف بفشله في الطب ، ويروى عنه أن صديقاً له ذهب اليه ليعالجه ، ووضعه على السرير ، وطلب منه أن « يكح » عدة مرات ، واصغى الى ضربات قلبه ، ثم ربت على كتفه مبتسماً ، وأخرج يده من جيبه ومدها اليه قائلا : خذ هذا المبلغ ، واذهب الى طبيب محترف ليعالجك ! !

ــ وذهل صديقه ، وسأله : وأنت .. الست طبيباً ؟ !

ــ قال ناجى : : أنا تعديت حدود هذه المهنة .. تجاوزتها لأكون مجرد انسان اعالج المستقبل بمثل هذا البيت من الشعر الذى قلته :

أى سر فيك ؟ .. انى لست ادرى
كل ما فيك من الأسرار يغرى

لقد تحول الى شاعر يحب الحياة ويتألم فيها رغم الحب ، ويسألها : أى سر فيك ؟!

انه يقذف بالمشرط بعيداً ، ويتناول قلماً ، وأوراق بيضاء .. يلونها بما ينعكس عليها من فيضان النفس الانسانية .

وعن عاطفة « ناجى » وتأملاته ، ورؤاه .. كتبت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد هذه العبارة :

• « لقد راق لناجى تعريف تيوفيل جوتيه للحب .. حتى أنه ليعده أحسن ما قيل على الاطلاق في التعاريف الأدبية .. فالحب فيه : ان يسلم شخص نفسه تماماً للآخر ، وأن يتنازل له عن ما يملك وما يعتقد .. فلا يرى الا بعينيه ، ولا يسمع الا بأذنيه .. أى أن تصير واحداً في اثنين .. بحيث لا تعرف هل أنت .. أم أنت الآخر ، والمعجزة أن تتضاعف وأنت تبذل الحب » !

قال عنه ناجى هذه المعانى ، وجسده في هذه الصورة المكتملة .. الشعرية الشاعرية :

قربى عينك مني .. قربي
ظلليني واغمريني بصفاها
وأريني هذه البحر اذا أنـ
ـبسط البحر جلالا وتنامى
وأريني لجة السحر التى
ضل في أعماقها الفكر .. وتاها
المح اللؤلؤ في أغواهـا
وأرى الطيبة تطفو في سناها
وأراها تخبىء الخلد لمن
باع دنياه .. وبالروح اشتراها

وهكذا كان « ناجى » وما أعطى .. يرسم الكلمات البيضاء على سواد الليل الداكن .

قال صاحبي مبتسماً : كأنك قد أردت أن تريحني نفسياً بعض الوقت بما استعرضته لي من حياة شاعر مرهق مرهف حزين في عالمه ، فربما قدرت أن تنقلني من الشجن الى الشجو ، ومن السخرية الى التأمل والسفر خلف نجمة الصبح ، ومن التلفت الى مشوار المسافة الذى ضاع من العمر الثمين الى القناعة بمساحة قليلة الزمن .. عظيمة الحياة .

ــ قلت : لأنني أخاف عليك أن تنساق وراء الضوضاء من حولك ، فتكتشف أن الضوضاء تسللت الى نفسك وسكنتها . وبذلك .. لابد أن تخسر نقاء الانسان في أعماقك .

ــ قال : ولكنني لا أقدر الا أن أعيش عصرى ! !

ــ قلت : ليست كل جوانب العصر سيئة .. فلو أننا أحسنا الرؤية لاستطعنا أن نرى الجوانب المضيئة والباقية على جوهر الانسان .

ــ قال : انها مهمة صعبة يا صديقي .. اذ كيف يمكنني أن اتحول من كمسارى الى قائد سيارة ؟ !

ــ قلت : انها مشكلتك .. ولكنها بالتأكيد ليست مشكلة الحياة أو العصر ! !

جــدة



الحقيقة الباقية

قرية من القرى العمانية ، يشق دروبها تلك القناة المائية المسماة « فلج » والتى شاع استخدامها منذ القدم فى مناطق متعددة من دول الخليج ، وعرفها من قبلهم الرومان عندما استخدموها فى مناطق متفرقة للاستفادة من المياه الجوفية ، وكانوا يطلقون عليها اسم « فوجارة » .

وقد أثيرت حول الأفلاج القديمة فى المنطقة حكايات وأساطير ، من بينها أن الذى شقها هو سليمان بن داود وجنوده الذين بنوا تلك الأفلاج ذات الأحجار الضخمة !

وسواء كانت تلك الرواية صادقة أو من محض الخيال ، فإن الحقيقة الباقية تقول أنه على مر الزمان والعصور ظلت تلك القنوات تمثل حياة السكان ، ومستقبلهم ، فهى التى تجمع شملهم ، وتكسى أرضهم بالرقعة الخضراء ، فـمياه الفلج واستمرار سريانه يعنى بالنسبة لهم : النخيل والتين والليمون والعنب وكافة خيرات الأرض التى وهبها لنا الله .



العـودة من الغـوص.. للفنان القطري: علـي الشريف

العدد ١١٣ - شعبان ١٤٠٥هـ - مايو/آيار ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- وقفة جديدة أمام فنان عربي مسرحه الدنيا
ألفريد فرج
- قصة حياة عادية
بقلم: د. يحيى الجمل
- أطفال الأنابيب من وجهة نظر إسلامية
عبد القادر العماري



فتاتان وغزال من المغرب

لوحة تمثل فتاتين من المغرب مع ظبى من نوع « جازيلا » الذى يعيش فى الصحراء الأفريقية ، وهو رشيق الحركة ، سريع الجرى ، تغنى به الشعراء العرب فى قصائدهم ، وجعلوا عينى أنثاه ـ بما فيهما من إتساع وجاذبية ـ رمزاً للحسن والجمال !

اللوحة للفنان الفرنسى ثيودور شاسيرو (١٨١٩ ـ ١٨٦٥) وهو فنان أحب الشرق وخلده فى لوحاته ، عندما زار الجزائر والمغرب وغيرهما من الدول العربية ، ليسجل حياة الفروسية والتقاليد الشعبية وكبار الشخصيات العربية .

وقد قال النقاد عن هذه اللوحة المنشورة للفنان الفرنسى ، إنها تعتمد على التمثيل عن طريق الرسم أو التصوير الزيتى ، فقد أعد الفنان موضوع اللوحة بنفسه وكأنه يقدم مشهداً تمثيلياً ، وأضاف بفرشاته تلك اللمسة الرومانسية التى نراها عند كثير من [illegible]

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازي ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازي .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١١٣ - شعبان ١٤٠٥هـ - مايو/آيار ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطرية
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطرية
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هــــذا العــــــدد


أكرم زعيتر : وإخاء أربعين عاما مع بدوى الجبل (ص : ١٢)


الفريد فرج : يكتب عن فنان عربى فى مسرح شكسبير (ص : ١١٦)


يوسف الخطيب : أقسم أن أقول الحقيقة (ص : ٤٤)


د . أنور عبد العليم : قصة الملاحة العربية منذ آلاف السنين (ص : ٧٠)


فى الذكرى الخمسين لوفاة «الشابى» : (ياعاشق الزهر) شعر : شجاع محمد الأسدد (ص : ١٣٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميــع المراســلات ترسـل باسـم رئيس التحريـر

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

● أبـواب ●

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

كلمة

من المحيط إلى الخليج

وصلتنا هذه الكلمة من الأديب المغربى المعروف محمد زفزاف ، وقد اخترناها فى « الدوحة » لتكون افتتاحية هذا العدد ، فالفكرة التى يعرضها الكاتب المغربى تستحق الاهتمام والمناقشة .. وهذه هى كلمة محمد زفزاف :

هذا العنوان / المقولة ، طالما تردد على أسماعنا . انه حلم حقيقى : الوحدة العربية . وإذا كان يتردد هناك فى الشرق الأوسط والخليج ، على لسان السياسيين والكتاب ، فإن جيران « المحيط الهادر » — على حد تعبير المرحوم جمال عبد الناصر — لا يفتأون يطالبون بهذا الحلم ، سواء فى كتاباتهم أو مواقفهم السياسية . بمعنى أن المطالبة بالوحدة العربية والتطلع إليها ، هما من الشعارات التى ترفعها أغلب الأحزاب المغربية (حوالى أربعة عشر حزباً) على اختلاف اتجاهاتها .

فى حديث سابق لى لأحد ملاحق صحيفة خليجية ، سألنى مبعوث الصحيفة ، عن كيفية تحطيم الحواجز التى تفصل بيننا ، على المستوى الأدبى والفكرى — إذ أننا نكاد نجهل كل شيء تقريباً عن الحركة الثقافية والفكرية فى الخليج — كان جوابى هو أن يزورنا كتاب تلك الأقطار حتى يُعرفوا بأنفسهم وبأدبهم وفكرهم .

فأغلب الكتاب المغاربة ، رغم غيرتهم وتطلعهم إلى الوحدة العربية ، ينظرون دائماً جهة الغرب . واذا لم يتمكن أولئك الكتاب الخليجيون من زيارة المغرب ، فما عليهم إلا أن يعقدوا ندوات ، ويوجهوا الدعوة إلى أشقائهم المغاربة . فلماذا يستدعى كتاب المغرب العربى الى كل الأقطار العربية ولا يستدعون الى الخليج العربى ؟!

انه من أجل تواصل حقيقى ، ومن أجل وحدة عربية حقيقية لابد من اتخاذ مبادرات عملية ، تمكن فعلا من تحقيق ذلك الحلم الذى طالما راود أجيالا سابقة ولا يزال يراود هذا الجيل .
المجد للأمة العربية . وليكن مجدها فى وحدتها .

« الدوحــة »

مَعَالِمُ وضوابطُ لاجتهادٍ مُعَاصرٍ قويمْ

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

لا يكاد يختلف إثنان من أهل العلم والفكر اليوم في ضرورة الاجتهاد وأهميته لحياتنا الاسلامية المعاصرة وتجديد فقهنا بما يجعله قادراً على علاج مشكلاتنا المتجددة من طب الشريعة الرحبة .

ولكن بعض أهل العلم يخافون أن يدخل من هذا الباب ــ اذا فتح ــ الأدعياء والطفيليون الذين يلبسون لبوس العلماء ويحملون ألقابهم الفخمة وليسوا من العلم في قليل ولا كثير ..

ومثلهم الخطافون المتعجلون الجرآء الذين يسارعون الى الفتوى في أعوص المسائل ، وأعمق القضايا ، دون أن يجهدوا أنفسهم في البحث والتنقيب ، والمراجعة والمشاورة مع أهل الذكر ، فجوابهم حاضر لكل سؤال ، وفتواهم (جاهزة) لكل قضية ، لو عرضتها على عمر لجمع لها المهاجرين والأنصار !

وأخطر منهم أدعياء التطور الذين يريدون أن يدخلوا على الحياة الاسلامية ما هو غريب عن فطرتها وقيمها وشريعتها بدعوى الاجتهاد في الشرع ، وهي أبعد ما تكون عن شرع الله نصاً وروحاً .

وشر منهم الذين وظفوا علمهم للسلطان ، وباعوا دينهم بدنيا غيرهم ممن أغفل الله قلبه عن ذكره ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا .

والعلم اذا غدا تابعاً للهوى لم يعد علماً ، بل ينقلب جهلاً وضلالاً « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ » « سورة الجاثية »الآية (٢٣)

ولعل مثل هذه التخوفات هي التي جعلت جماعة من العلماء في العصور المتأخرة ينادون بسد باب الاجتهاد ليقطعوا الطريق على هؤلاء وأمثالهم ، على اعتبار أن هذا من باب (سد الذرائع) المقرر شرعاً .

ولكن المبالغة في سد الذرائع كالمبالغة في فتحها يترتب عليها ضرر كبير ، وشر مستطير .

والواجب هو الوقوف عند خط الاعتدال الذي أوقفنا الله تعالى عنده « تلك حدود الله فلا تعتدوها » سورة البقرة (٢٢٩) .

والحق أننا لو حاولنا سد باب الاجتهاد — خوفاً من الأدعياء المتطفلين ، أو من المتعجلين المغرورين ، أو مفتي السلاطين أو المهزومين فكرياً ونفسياً أمام الغازين — لم نعالج المشكلة من جذورها ، لأن هذا إن سد الباب على أدعياء الاجتهاد المتطفلين عليه ، وغير المتأهلين له ، فهو في الوقت ذاته يحرم أهله القادرين عليه من ممارسة حقهم الشرعي في الاجتهاد ، كما أمر الله ورسوله ، وهذا ينتهي بغلبة المقلدين الجامدين ، واختفاء المجتهدين المتنورين ، وباختفاء هؤلاء وظهور أولئك تجمد الحياة ، ويتوقف الفكر ، ويتخلف المسلمون ، وتتعثر حركة الاسلام .

على أن عصرنا لم يعد قابلاً لدعوى إغلاق باب الاجتهاد ، ولا عاد هذا ممكناً لو أردناه ، فان حرية القول باللسان والقلم ، وحرية الاذاعة والنشر — وخصوصاً فيما لا علاقة له بالسياسة — متاحة وميسورة ،ولاسيما من كان له نفوذ مادي أو أدبي .

ومن هنا كثر الذين يدعون الاجتهاد ، كلياً أو جزئياً ، وسيكثرون بعد شئنا أم أبينا ، اعترفنا بهم أم لم نعترف ، بل ربما كان صوت الأدعياء أعلى من صوت المؤهلين بحق للاجتهاد .

لهذا كان الأولى أن نحدد الاتجاه الصحيح الذي نؤيده ، ونرحب به من بين اتجاهات الاجتهاد المعاصر ، ومدارسه ، ونضع له المنهج القويم الذي يحكمه ، ونوضح المعالم والضوابط التي تنظم سيره ، وتحدد غايته وتضبط طريقه ، فلا يغلو مع الغالين ، ولايقصر مع المقصرين . بل يحرص على المنهج الوسط للأمة الوسط .

ومن ثم يحسن بنا أن نلقي شعاعا من الضوء على اتجاهات الاجتهاد المعاصرة لنتبين من عرضها الاتجاه الذي نقبله وندعو اليه ، ونرفض ما سواه .

اتجاهات الاجتهاد المعاصر ومدارسه

واذا نظرنا الى اتجاهات الاجتهاد ، يمكننا أن نقول :

ان هناك ثلاثة اتجاهات أساسية بهذا الاعتبار .

اتجاه التضييق والتشديد

١ — اتجاه التضييق والتشديد ، وهذا يمثله مدرستان :

المدرسة المذهبية

الأولى : المدرسة المذهبية التي لاتزال تؤمن بوجوب اتباع مذهب معين لايجوز الخروج عنه ، ويجب الاجتهاد للمسائل الجديدة في إطاره ، وتخريجاً على أقوال علمائه ، وبخاصة المتأخرون منهم ،

مثل شراح الهداية ، والكنز والتنوير من الحنفية ، وشراح خليل والرسالة من المالكية ، وشراح المنهاج ، وأبي شجاع من الشافعية ، وشراح الاقناع والمنتهى من الحنابلة .

وهؤلاء اذا سئلوا عن معاملة جديدة لابد أن يبحثوا لها عن نظير في كتب المذهب ، أو المذاهب المتبوعة ، فاذا لم يجدوا لها نظيراً أفتوا بمنعها ، كأن الأصل في المعاملات الحظر ، إلا ما أفتى السابقون باباحته !

الظاهرية الحديثة

والثانية : المدرسة النصية الحرفية ، وهم الذين أسميهم (الظاهريةالجدد) . وجلهم ممن اشتغلوا بالحديث ، ولم يتمرسوا بالفقه وأصوله ، ولم يطلعوا على اختلاف الفقهاء ومداركهم في الاستنباط ، ولا يكادون يهتمون بمقاصد الشريعة وتعليل الأحكام ، ورعاية المصالح ، وتغير الفتوى بتغير الزمان ، والمكان ، والحال .

ولهذا نجد هؤلاء يحرمون كل أنواع (التصوير) مثلا ، حتى الفوتوغرافي والسينمائي والتليفزيوني ، أخذا بظاهر الأحداث التي وردت في لعن المصورين ، وتكليفهم يوم القيامة أن ينفخوا فيها الروح ، وان لم يكن في هذا التصوير مضاهاة لخلق الله — الذي علل به التحريم في بعض الأحاديث — إذ هو خلق الله نفسه !

ونجدهم أو نجد منهم من يحرمون (الذهب المحلق (١) على النساء أخذاً بظاهر أحاديث وردت ، لم تسلم من طعن ، ولو سلمت لكانت مؤولة أو منسوخة بالاجماع الذي نقله غير واحد من العلماء ، على اباحة الذهب للنساء ، والذي يؤيده حديث « هذان (يعني الذهب والحرير) حرام على ذكور أمتي ، حل لإناثها . »

ونجد منهم من لا يرون زكاة في عروض التجارة ، وان بلغت قيمتها الملايين لأنهم لم يصح عندهم حديث خاص في وجوب زكاتها غافلين عن النصوص العامة التي أوجبت في كل مال حقاً أو زكاة ، دون أن تفصل بين مال ومال ، وغافلين عن حكمة تشريع الزكاة ، وهي تزكية أنفس الأغنياء وتطهير أموالهم ، ورعاية ذوي الحاجات ، والاسهام في تحقيق مصلحة الدين والأمة .

بل نجد من هؤلاء من يرى أن النقود الشرعية هي الذهب والفضة ، التي وردت فيها الأحاديث ، فأما النقود الورقية فلا تعتبر نقوداً شرعا . وعلى هذا لا يجري فيها الربا ، ولا تجب فيها الزكاة !

اتجاه الغلو في التوسيع

٢ — الاتجاه المبالغ في التوسيع ، ولو على حساب النصوص المحكمة والأحكام الثابتة .

ويمثل هذا الاتجاه مدرستان أيضاً :

المدرسة الطوفية

الأولى : مدرسة إعلاء (المصلحة) على (النص) وهي التي يمكن أن نسميها المدرسة (الطوفية) نسبة الى نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦ هـ) صاحب الرأي المشهور في تقديم المصلحة على النص اذا تعارضا .

ولهذه المدرسة شبهات تستند اليها ، يظهرونها في مظهر الحجج ، ولكنها لا تقف على

معالم وضوابط لاجتهاد معاصر قويم

قدمين ، ولا تثبت أمام النقد العلمي الصحيح .

ومن أبرز ذلك : استنادهم الى بعض اجتهادات عمر رضي الله عنه في مثل سهم (المؤلفة قلوبهم) وقسمة سواد العراق . وغيرها .

والتحقيق أن هذه الاجتهادات لا تخالف النصوص أبداً ، كما هو مبين في موضعه ، ولا يتسع له المقام هنا .

وكثيراً ما يكون هؤلاء (المصلحيون) من غير ذوي الاختصاص في الدراسات الشرعية من رجال القانون أو التاريخ أو الأدب أو الفلسفة أو نحوهم .

مدرسة تبرير الواقع

الثانية : مدرسة (التبرير) للواقع ، سواء كان الواقع الذي يريده العامة أم الواقع الذي يريده السلطان .

وهذا الواقع لم يصنعه الاسلام ، وإنما صنع في غيبة الإسلام عن قيادة الحياة تشريعاً وتوجيهاً ، تحت تأثير الغزو الأجنبي بكل ألوانه المادية والأدبية .

ومهمة أصحاب هذه المدرسة إضفاء الشرعية على هذا الواقع ، بالتماس تخريجات وتأويلات شرعية ، تعطيه سنداً للبقاء .

وقد يكون مهمتهم تبرير ، أو تمرير ما يراد إخراجه للناس من قوانين أو قرارات أو اجراءات تريدها السلطة .

ومن هؤلاء من يفعل ذلك مخلصاً مقتنعاً ، لا يبتغي زلفى الى أحد ، ولا مكافأة من ذي سلطان ، ولكنه واقع تحت تأثير الهزيمة النفسية أمام حضارة الغرب ، وفلسفاته ، ومسلماته .

ومنهم من يفعل ذلك ، رغبة في دنيا يملكها أصحاب السلطة أو من وراءهم من الذين يحركون الأزرار من وراء ستار ، أو حباً للظهور والشهرة ، على طريقة : خالف تعرف .

إلى غير ذلك من عوامل الرغب والرهب أو الخوف والطمع ، التي تحرك كثيراً من البشر ، وإن حملوا ألقاب أهل العلم ، أو لبسوا لبوس أهل الدين .

الاتجاه المتوازن أو مدرسة الوسط

٣ ــ والاتجاه الثالث هو اتجاه مدرسة (الوسط) أو الاتجاه المتوازن أو المعتدل ، الذي يجمع بين اتباع النصوص ورعاية مقاصد الشريعة ، فلا يعارض الكلي بالجزئي ، ولا القطعي بالظني ، ويراعي مصالح البشر ، بشرط ألا تعارض نصاً صحيح الثبوت ، صريح الدلالة ، ولا قاعدة شرعية مجمعاً عليها ، فهو يجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر .

وهذا الاتجاه هو الاتجاه السليم الذي تحتاج اليه أمتنا . وهو الذي يمثل بحق وسطية الاسلام بين الأديان ، ووسطية أمته بين الأمم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ووسطية أهل السنة والفرقة الناجية بين الفرق المختلفة التي مال بها الغلو أو التفريط عن « الصراط المستقيم » .

وهذا هو اتجاه أهل العلم والورع والاعتدال ، وهي الصفات اللازمة لمن يتعرض للفتوى والتحدث ، باسم الشرع ، وخصوصاً في هذا العصر .

فالعلم هو العاصم من الحكم بالجهل .

والورع هو العاصم من الحكم بالهوى .

والاعتدال هو العاصم من الغلو والتفريط .

وهذا الاتجاه هو الذي يجب أن يسود ، وهو الاجتهاد الشرعي الصحيح وهو الذي دعا ويدعو اليه المصلحون الغيورون .

معالم وضوابط لابد منها

ومن هنا يجب أن ندعو الى الاجتهاد غير متهيبين ولا وجلين ، على أن يمضي مستقيماً ولا يرتد القهقرى ، ولا ينحرف الى اليمين أو الشمال . وهذه بعض المعالم والضوابط الأساسية للاجتهاد المعاصر :

لا اجتهاد بغير استفراغ الوسع

١ ــ يجب أن نذكر أن الاجتهاد ــ كما عرفه الاصوليون ــ هو استفراغ الفقيه وسعه في نيل الأحكام الشرعية بطريق الاستنباط .

فلا اجتهاد الا بعد (استفراغ الوسع) ومعناه : بذل أقصى الجهد في تتبع الأدلة ، والبحث عنها في مظانها ، وبيان منزلتها والموازنة بينها اذا تعارضت ، بالاستفادة مما وضعه أهل الأصول من قواعد التعادل والترجيح . حتى اشترط بعض الأصوليين في تعريف الاجتهاد أن يحس بالعجز عن مزيد طلب ، أي بلغ الغاية في البحث ، ولم يعد عنده أي احتمال للزيادة .

واذن ، لا يكون من الاجتهاد المعتبر شرعاً : ما يفتي به المتسرعون الذين اجترءوا على اقتحام حمى الفتوى لجرّاءتهم على النار ! حتى انهم ليفتون بما ينفيه صريح القرآن ، أو يكذبه صحيح الحديث ، أو يخالفه اجماع المسلمين .

لا محل للاجتهاد في المسائل القطعية

٢ ــ يجب أن نذكر أن مجال الاجتهاد هو الأحكام الظنية الدليل ، أما ما كان دليله قطعياً فلا سبيل الى الاجتهاد فيه ، وانما تأتي ظنية الدليل من جهةثبوته أو من جهة دلالته أو من جهتهما معاً .

فلا يجوز إذن فتح باب الاجتهاد في حكم ثبت بدلالة القرآن القاطعة مثل فريضة الصيام على الأمة ، أو تحريم الخمر ، أو لحم الخنزير ، أو أكل الربا ، أو ايجاب قطع يد السارق ، اذا انتفت الشبهات واستوفيت الشروط ، ومثل توزيع تركة الأب الميت بين أولاده ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، ونحو ذلك من أحكام القرآن والسنة اليقينية ، التي أجمعت عليها الأمة ، وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة ، وصارت هي عماد الوحدة الفكرية والسلوكية للأمة .

ومقتضى هذا ألا ننساق وراء المتلاعبين الذين يريدون تحويل محكمات النصوص الى متشابهات ، وقطعيات الأحكام الى ظنيات ، قابلة للأخذ والرد والارخاء والشد ، فان الأصل في هذه المحكمات أن ترد اليها المتشابهات ، وفي القطعيات أن ترجع اليها المحتملات ، فتكون هي الحكم عند التنازع والمقياس عند الاختلاف ، فاذا أصبحت هي الأخرى ، موضع خلاف ومحل تنازع ، لم يعد ثمة مرجع يعول عليه ، ولا معيار يتحكم اليه .

لا يجوز أن نجعل الظنيات قطعيات

٣ ــ يجب أن تظل مراتب الأحكام كما جاءتنا ، القطعي يجب أن يظل قطعياً ، والظني يجب أن يستمر ظنياً ، فكما لم نجز تحويل القطعي الى ظني ، لا نجيز أيضاً تحويل الظني الى قطعي ، وندعي الاجماع فيما ثبت فيه الخلاف ،

• لابد لنا أن نتوقع الخطأ من المجتهد وأن نفسح له صدورنا ولا نشدد النكير على من أخطأ

• يجب أن نميز بين الأصول والفروع وفى الأولى نكون فى صلابة الحديد وفى الثانية نكون فى ليونة الحرير كما قال إقبال

• ليس كل من اشتغل بالفقه أو ألف فيه أو حفظ مجموعة من الأحاديث يعد مجتهدا

مع أن حجية الاجماع ذاته ليست موضع إجماع !

فلا يجوز أن نشهر هذا السيف ـــ سيف الاجماع المزعوم ـــ في وجه كل مجتهد في قضية ، ملوحين به ومهددين ، مع ما ورد عن الإمام أحمد أنه قال : من ادعى الاجماع فقد كذب ، وما يدريه ! لعل الناس اختلفوا وهو لا يعلم !

واذا كان في مخالفة الاجماع ذاته كلام ، فكيف بمخالفة المذاهب الأربعة ، التي يشنع بها كثيرون اليوم ، كما شنعوا بها على شيخ الاسلام ابن تيمية من قبل ؟مع أن أحداًمن علماء المذاهب الأربعة لم يقل : إن اتفاقها حجة شرعية ، ولو قالوه لم يعتبر قولهم ، لأنهم خالفوا فيه أئمتهم من ناحية ، ولأنهم مقلدون من ناحية أخرى ، والمقلد لا يقلد ، أما أئمة المذاهب أنفسهم فقد حذروا من تقليدهم ، ولم يدعوا لأنفسهم العصمة .

وقد عاب علي بعض الكاتبين المتعجلين يوماً ما ذكرته في بعض كتبي من خلاف بعض فقهاء السلف في بعض القضايا المهمة ، كالخلاف في نكاح المتعة ، أو في وقوع الطلاق البدعي ـــ الطلاق في الحيض وفى طهر جامعها فيه ـــ واللعب بالنرد من غير قمار ونحوها ، يريدون مني أن ألغي هذا الخلاف ولا أعتبره ولا أذكره ، وان لم أرجحه ، وهذا ليس من الأمانة العلمية ، ولا من المصلحة العلمية في شيء .

الوصل بين الفقه والحديث

٤ ـــ يجب أن نمد جسراً واصلا بين الفقه والحديث ، وأن تزول الفجوة القائمة بين المدرستين : المدرسة الفقهية والمدرسة الحديثية .

فالمشاهد أن أغلب المشتغلين بالحديث لا يهتمون كثيراً بالدراسات الفقهية والأصولية ، ولا يوجهون همتهم الى العلل الأحكام ، وقواعد الشريعة ومقاصدها . وهي التربة اللازمة لنمو بذرة الاجتهاد ، وبلوغها غايتها ، وخصوصاً ما يتعلق باختلاف الفقهاء وتنوع مشاربهم ، وتعدد منازعهم في الاستنباط والاستدلال ، وأهميتها في تكوين ملكة الاجتهاد ، حتى جاء عن أكثر من واحد من علماء السلف : من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم يشم رائحة الفقه ! وفي مقابل هؤلاء نجد لدى أغلب المشتغلين بالفقه وأصوله ودراساته ضعفاً ظاهراً في الحديث وعلومه ورجاله ، حتى انهم ليستدلون أحياناً بالأحاديث الواهية أو التي لا أصل لها ، وقد يردون بعض الأحاديث وهي صحيحة متفق عليها .

والشكوى من الانفصال بين الفقه والحديث شكوى قديمة ، والشعور بالحاجة الى الجمع بينهما له جذور أصيلة قديمة في تراثنا .

قالوا :

كان سفيان الثوري ، وابن عيينة وعبدالله بن سنان يقولون : لو كان أحدنا قاضياً لضربنا بالجريد فقيهاً لا يتعلم الحديث ، ومحدثاً لا يتعلم الفقه (٢) .

الحــذر من الوقوع تحت ضغط الواقع

٥ ـــ ينبغي أن نحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع القائم في مجتمعاتنا المعاصرة وهو واقع لم يصنعه الاسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه ، ولم يصنعه المسلمون بارادتهم وعقولهم وأيديهم ، إنما هو واقع صنع لهم ، وفرض عليهم ، في زمن غفلة وضعف وتفكك منهم ، وزمن قوة ويقظة وتمكن من عدوهم المستعمر ، فلم يملكوا أيامها أن يغيروه أو يتخلصوا منه ، ثم ورثه الأبناء من الآباء والأحفاد من الأجداد ، وبقي الأمر كما كان .

فليس معنى الاجتهاد أن نحاول تبرير هذا الواقع على ما به ، وجر النصوص من تلابيبها لتأييده ، وافتعال الفتاوي لاضفاء الشرعية على وجوده ، والاعتراف بنسبه مع أنه دعي زنيم .

إن الله جعلنا أمة وسطا لنكون شهداء على الناس ، ولم يرض لنا أن نكون ذيلاً لغيرنا من الأمم ، فلا يسوغ لنا أن نلغي تميزنا ، ونتبع سنن من قبلنا شبرا بشبر وذراعاً بذراع . وأدهى من ذلك أن نحاول تبرير هذا وتجويزه بأسانيد شرعية ، أي أننا نحاول الخروج على الشرع بمستندات من الشرع ! وهذا غير مقبول .

الترحيب بالجديد النافع

٦ ـــ لا ينبغي أن نجعل أكبر همنا مقاومة كل

معالم وضوابط لاجتهاد معاصر قويم

جديد ، وان كان نافعا ، ولا مطاردة كل غريب وان كان صالحاً ، وانما يجب أن نفرق بين ما يحسن اقتباسه وما لا يحسن ، وما يجب مقاومته وما لا يجب ، وأن نميز بين ما يلزم فيه الثبات والتشدد ، وما تقبل فيه المرونة والتطور .

ومعنى هذا أن نميز بين الأصول والفروع ، بين الكليات والجزئيات ، بين الغايات والوسائل ، ففي الأولى نكون في صلابة الحديد ، وفي الثانية نكون في ليونة الحرير ، كما قال اقبال رحمه الله ، مرحبين بكل جديد نافع ومحتفظين بكل قديم صالح .

ومن هنا يجوز لنا أن نقتبس من أنظمة الشرق أو الغرب ، ما لا يخالف عقيدتنا وشريعتنا ، مما يحقق المصلحة لمجتمعاتنا ، على أن نصبغه بصبغتنا ، ونضفي عليه من روحنا ، حتى يغدو جزءاً من نظامنا ، ويفقد جنسيته الأولى ، كما رأينا ذلك فيما اقتبسه المسلمون في العصور الذهبية من الأمم الأخرى .

ألا نغفل روح العصر وحاجاته

٧ — ألا ننسى أننا في القرن الخامس عشر الهجري ، لا في القرن العاشر ، ولا ما قبله ، وأن لنا حاجاتنا ومشكلاتنا التي لم تعرض لمن قبلنا من سلف الأمة وخلفها ، وأننا مطالبون بأن نجتهد لأنفسنا ، لا أن يجتهد لنا قوم ماتوا قبلنا بعدة قرون ، ولو أنهم عاشوا عصرنا اليوم ، وعانوا ما عانينا ، لرجعوا عن كثير من أقوالهم ،وغيروا كثيراً من اجتهاداتهم ، لأنها قيلت لزمانهم ، وليس لزماننا .

وقد رأينا أصحاب الأئمة وتلاميذهم يخالفونهم بعد موتهم — وهم متبعون لأصولهم — لتغير العصر اللاحق عن العصر السابق ، رغم قرب المدة ، وقصر الزمان .

بل رأينا إماماً كالشافعي يغير اجتهاده في عصرين قريبين ، قبل أن يستقر في مصر ، وبعد أن استقر في مصر ، وعرف تاريخ الفقه مذهبه القديم ، ومذهبه الجديد ، وأصبح معروفاً في كتب المذهب : قال الشافعي في القديم وقال الشافعي في الجديد .

فكيف بعصرنا ، وقد تغير فيه كل شيء ، بعد عصر الانقلاب الصناعي ، ثم عصر التقدم التكنولوجي ، عصر غزو الكواكب و (الكمبيوتر) وثورة البيولوجيا التي تكاد تغير مستقبل الانسان ؟ ! !

فعلينا ونحن نجتهد أن نعترف بما طرأ على حياتنا من تغيرات في الأفكار والاعراف والعلاقات والسلوك ، وأن نقدر ظروف العصر وضروراته ، وما عمت به البلوى ، وأن نطبق على الواقع ما قدره علماؤنا من تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال .

ورحم الله ابن أبي زيد القيرواني صاحب (الرسالة) المشهورة في الفقه المالكي ، حيث كان يسكن في أطراف المدينة ، فاتخذ كلباً للحراسة فقيل له : كيف تفعل ذلك ومالك يكرهه ؟ فقال : لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسداً ضارياً !

الانتقال الى الاجتهاد الجماعي

٨ — ينبغي في القضايا الحديثة أن ننتقل من الاجتهاد الفردي الى الاجتهاد الجماعي ، الذي يتشاور فيه أهل العلم في القضايا المطروحة ، وخصوصاً فيما يكون له طابع العموم ، ويهم جمهور الناس .

فرأي الجماعة أقرب الى الصواب من رأي الفرد ، مهما علا كعبه في العلم ، فقد يلمح شخص جانباً في الموضوع لا ينتبه له آخر ، وقد يحفظ شخص ما يغيب عن غيره . وقد تبرز المناقشة نقاطاً كانت خافية ، أو تجلي أموراً كانت غامضة ، أو تذكر بأشياء كانت منسية . وهذه من بركات الشورى ، ومن ثمار العمل الجماعي دائماً : عمل الفريق ، أو عمل المؤسسة ، بدل عمل الأفراد .

وقد روى الطبراني في الأوسط عن علي بن أبي طالب قال : قلت : يا رسول الله « إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ، ولا سنة ، كيف تأمرني ؟ قال : تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ، ولا تقض فيه برأيك خاصة » (٣) وهذا هو الاجتهاد الجماعي .

وكانت هذه هي طريقة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، كما روى ذلك الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران فكان أبو بكر اذا لم يجد في القضية كتاباً ولا سنة ، دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به . وكان عمر اذا لم يجد في القضية كتاباً ولا سنة ، ولا قضاء من أبي بكر ، دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به (٤) .

وروى الدارمي عن المسيب بن رافع قال : كانوا اذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أمر ، اجتمعوا لها وأجمعوا ، فالحق فيما رأوا (٥) .

وكثير من الاجماعات المحكية في الفقه مصدرها هذا الاجتهاد الجماعي الشوري في عهد الشيخين رضي الله عنهما .

وهذا الاجتهاد الجماعي المنشود يتمثل في صورة مجمع علمي اسلامي عالمي يضم الكفايات العليا من فقهاء المسلمين في العالم ، دون نظر الى إقليمية أو مذهبية ، أو جنسية . فانما يرشح الشخص لعضوية هذا المجمع فقهه وورعه ، لا ولاؤه لهذه الحكومة أو ذلك النظام ، أو قرابته أو قربه من الحاكم أو الزعيم .

يجب أن يتوافر لهذا المجمع كل أسباب الحرية ، حتى يبدي رأيه بصراحة ، ويصدر قراره بشجاعة ، بلا ضغط ولا ارهاب من الحكومات أو من قوى الضغط في المجتمع . يجب أن يتحرر من الضغوط السياسية والاجتماعية معاً .

والحق انه لا حرية لمجمع تعين أعضاءه حكومة اقليمية ، على أرضها يقوم المجمع ، ومن مالها ينفق عليه ، أو على الأقل لا ضمان لهذه الحرية .

فالحكومة عادة لا تختار إلا من يواليها ، ولا تنفق على مؤسسة لا تدور في فلكها .

ولهذا يكون من الخير أن يجتمع علماء المسلمين ، أو صفوتهم من كل أقطار العالم في صورة مؤتمر كبير ، يحدد زمانه ومكانه ، ليختاروا هم من بينهم من يرونه أحسن فقهاً ، وأقوم خلقاً ، ليتكون منهم المجمع العلمي الذي ننشده .

واذا اتفق علماء هذا المجمع على رأي في مسألة من المسائل الاجتهادية أعتبر هذا (اجماعا) من مجتهدي العصر ، له حجته والزامه في الفتوى والتشريع .

واذا اختلفوا كان رأي الأكثرية هو الأرجح ، ما لم يوجد مرجح آخر له اعتباره شرعاً .

على أن هذا الاجتهاد الجماعي لا يقضي على اجتهاد الأفراد ولا يغني عنه . ذلك أن الذي ينير الطريق للاجتهاد الجماعي هو البحوث الأصيلة المخدومة التي يقدمها أفراد المجتهدين ، لتناقش مناقشة جماعية ويصدر فيها بعد البحث والحوار قرار المجمع المذكور بالاجماع أو الأغلبية .

واذا لم يوجد هذا النوع من البحوث الاجتهادية الفردية ، فان القرارات الجماعية كثيراً

• يجب رفض أدعياء الاجتهاد الذين لا يملكون إلا الجراءة على النصوص والاستهانة بالأصول

• لابد من قيام مجمع علمى اسلامى عالمى يضم الكفايات العليا من فقهاء المسلمين فى العالم بعيدا عن تأثير الحكومات الاقليمية المختلفة

• الاجتهاد الجماعى لا يقضى على اجتهاد الأفراد ولا يغنى عنه

ما توجد فيها ثغرات تجعلها عرضة للنقد والتشكيك.

وسيظل حق الأفراد في الاجتهاد قائماً على كل حال، بل أن عملية الاجتهاد في ذاتها عملية فردية في الاساس، وانما الاجتهاد الجماعي هو التشاور فيما وصل اليه أفراد المجتهدين، كما رأينا.

لنفسح صدورنا لخطأ المجتهد

٩ ــ ولابد لنا ــ لكي ينجح الاجتهاد ــ أن نتوقع الخطأ من المجتهد، اذ لا عصمة لغير نبي، وأن نفسح له صدورنا، والا نشدد النكير على من أخطأ في اجتهاده ونتهمه بالزيغ والمروق وما الى ذلك من النعوت. فان شيوع هذا الاسلوب يقتل روح الاجتهاد، ويخيف كل ذي اجتهاد حر من اعلان رأيه، خشية أن تصب عليه سياط التشنيع، وتصوب إلى صدره سهام الاتهام وبذلك تختنق الآراء الاجتهادية الحرة في صدور أصحابها، ويسود جو الخوف من التجديد، والرهبة من مخالفة المألوف. وفي هذا خسارة كبيرة على الفقه وعلى الفكر، وعلى الأمة جميعا.

لابد أن تتسع صدورنا لأخطاء المجتهدين، كما اتسعت صدور الأولين. فالمجتهد بشر يفكر ويستنبط ويخطيء ويصيب، ولن يكون مجتهدو اليوم أفضل من مجتهدي الأمس، وقد وسع بعضهم بعضا فيما رأوا أنه أخطأ فيه. وهكذا ينبغي أن يكون موقفنا من المجتهد اذا افترضنا أنه أخطأ، وتبين لنا خطؤه بيقين. وذلك منوط بشرطين:

ا ــ أن يملك أدوات الاجتهاد ــ وهي معروفة مذكورة في أصول الفقه ــ فليس كل من اشتغل بالفقه أو ألف فيه أو حفظ مجموعة من الأحاديث يعد مجتهداً.

ب ــ أن يكون عدلا مرضي السيرة. وهو ما يطلب في قبول الشاهد في معاملات الناس، فكيف بقبول من يفتي باجتهاده في شريعة الله؟

فهذا إن أخطأ فهو معذور، بل مأجور أجراً واحداً على اجتهاده وتحريه، ومن يدري لعل الرأي الذي يظنه الأكثرون اليوم خطأ هو الصواب بعينه كما يدل على ذلك تاريخ الاجتهاد وتغير الفتوى.

أما أدعياء الاجتهاد، الذين لا يملكون إلا الجراءة على النصوص والاستهانة بالأصول، واتيان البيوت من غير أبوابها، فهؤلاء يجب أن يرفضوا، حفاظاً على قداسة الدين، وحرمة الشريعة، أن تتخذ سلماً للشهرة، أو مطية للوصول الى دنيا ظاهرة، أو اشباع شهوة خفية، أو أداة لتأييد سلطان جائر، أو لتبرير سلوك منحرف، أو فكر مستورد.

تلك هي المعالم والضوابط الضرورية في نظرنا، التي ينبغي أن يراعيها الاجتهاد في عصرنا الحافل بشتى التيارات والمؤثرات سواء كان اجتهاد ترجيح وانتقاء، أم اجتهاد ابداع وانشاء.

وفي ضوء هذه المعالم، وفي اطار تلك الضوابط تستطيع مسيرة الاجتهاد المعاصر ــ وهو فريضة وضرورة ــ أن تمضي الى الأمام قدماً مسددة الخطأ، موثقة العرا، مأمونة العثرات، مرجوة الثمرات، دون أغلال تعوقها عن الحركة، ولا ضغوط أو جواذب تميل بها الى اليمين أو تنحرف بها الى اليسار، فقد اتضحت الغاية، واستبان النهج «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم».

يوسف القرضاوي

هوامش

(١) يقصدون بالحلق: ما كان على صورة حلقة كالخاتم والاسورة والقلادة والقرط ونحوها.

(٢) نقله الكتاني في مقدمة كتابه: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر ــ ص ٣. ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٣) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٩٦ ط ثالثة.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سند الدارمي جـ ١ ص ٤٦.

ابتداء مم هذا العدد يلتقى قراء الدوحة بالكاتب العربى الكبير أكرم زعيتر ، فى مجموعة جديدة من ذكرياته ، فبعد أن عشنا مع الكاتب الكبير فى الشهور السابقة فى سلسلة ذكرياته المتعة عن الشاعر القروى ، نعيش اليوم مع صفحة جديدة ومجيدة من الذكريات حول شاعر كبير آخر هو « بدوى الجبل » الذى رحل عن الدنيا سنة ١٩٨١ بعد أن ترك وراءه حياة حافلة بالعمل والنشاط وتراثا صافيا من الشعر العربى الرفيع ، ولاشك أن ذكريات أكرم زعيتر سوف تفتح الكثير من الآفاق المجهولة أمام الأجيال الجديدة التى قد لا تعرف الكثير عن بدوى الجبل ، رغم أنه كان وسيظل واحدا من أكبر الشعراء فى تاريخ الأدب العربى كله :

بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة



بدوي الجبل

بقلم : أكرم زعيتر

تمهيد :

منذ قضى شاعر العربية محمد سليمان الأحمد ، بدوى الجبل ، بعد إخاء امتد أربعاً وأربعين سنة ، وهاتف جواني يهتف بى : لم لا تضع كتاباً تجعل عنوانه : « بدوى الجبل وإخاء أربعين سنة » ولك أسوة بالأمير شكيب أرسلان ، أمير البيان فى كتابه « رشيد رضا واخاء أربعين سنة » وظل يحضنى على الكتابة ما توافر لي من الروافد : ذكريات لا تبرح الخاطر ، ورسائل هى منجم « اخوانيات » ونفحات من « الوجدانيات » .

وكنت أهامس الهاتف : مهلا حتى يصفو الحال ، ويروق البال ، وأدخل حرم الذكريات بنفس مطمئنة . ولكن « الدوحة » : بعد أن نشرت الحلقات الخمس من ذكرياتى والشاعر القروى ، أفضلت على مشكورة بالحث على الكتابة عن صديقى الأثير ، وشاعرى الكبير بدوى الجبل ، ولم أكد استمهلها رويداً حتى كدت أسمع من وراء الغيب : ان الوفاء لأخيك الشاعر بنشر الذكريات الغاليات ، هو وفاء للأدب ، ووفاء للشعر ـ والشعر ديوان العرب ـ والى هذا فقد لا يبدد كآبة الروح مثل جمال الذكريات ، ولعلها تكون فى ظلال « دوحتنا » الوارفة أنساً للنفوس وجلاءً للأذهان .



الشاعر الكبير بدوى الجبل مع كاتب المقال

هذه الذكريات

وهذه الذكريات ليست تحليلاً علمياً ، وليست بحثاً نقدياً ، وإن كانت روافد لذلك كله . ولما كانت تتصل بعلاقات شخصية وأواصر ودية وتباثث نجاوى ، فهى تحفل بألوان من الثناء والحديث عن النفس والتقارظ ، فلا مندوحة لي عن التمهيد لهذه الذكريات من استغفار المستظلين بهذه الدوحة أو الاستعذار من ثناء الشاعر الكبير على صديقه الأثير ، وفى اجتهادى ان حجب بعض الثناء باصطناع التواضع أو إغفاله دفعاً لشبهة التمدح هو أدنى إلى الجحود . وإن فى اثباته تحدثاً بنعمة الإخاء وعرفاناً للجميل ، وإن من حق الروعة – وإن جاءت مدحاً عبقرياً – أن تكون مشاعاً بين كل صديق ذواقة . ومن أصَر من المستظلين بالدوحة على حسبانها من جانبى تمدحاً ، ومن جانبه غلواً ، فإننى استغفر الله لي وله ولهم .

سيرة الشاعر

ولابد قبل أن اطالع بالذكريات الملأ من الأدباء والمتأدبين من لمحة الى سيرة الشاعر :

ولد محمد سليمان الأحمد فى قرية ديغة فى جبل اللكام فى الجبل العلوى من محافظة اللاذقية سنة ١٩٠٣ ، وعلى أن العبقرية الشاعرة من صنع الله ونفحة العلي الأعلى فإن منجمها البيت الذى فيه نبتت ، وصيقلها البيئة التى فيها ترعرعت ، فالشيخ سليمان الأحمد ، والد الشاعر ، المتسلسل نسباً من الأمير الشاعر الصوفي المكزونى السنجارى ، كان من اعلام زمانه فقهاً ولغة وأدباً ، وهو فى الجبل العلوى مبجل فى قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يرتل فيه القرآن ، ويجود الشعر ، وينظم شيخنا المتصوف فى الحكمة وبعض مرامى الشعر الشريفة تساعفه قريحة ثرة ، وقد شرح لزوميات شيخ المعرة شرحاً لا أوفى منه ولا أتقن . ويتتلمذ الولد محمد لأبيه فى ديوانه الذى تعبق فيه طيوب الشاعرية حتى ليجيء أولاده الثلاثة : محمد وأحمد وفاطمة شعراء .

وكان محمد وقدة ذكاء يتلقف فى الديوان كل سري من نظيم ونثير ويختزنه فى مستودع اللاوعي لترفد مفرداته بعد ذلك ذهنه السخى وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل ، ومع أن ديوان أبيه هو مدرسته الحقيقية فقد درس الابتدائية فى الجبل والاعدادية فى اللاذقية .

الى دمشق

وفى سني الحرب الأولى العجاف ، كان الفتى لا يرى فى وطنه إلا ما ينم على القهر ، وما يضرب مثلا فى الاعتساف والفقر ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع دبيب الأمانى القومية فى ثورة الشريف الحسين بن على أمير مكة ، ويترقب إشراقة المجد فى الموكب الفيصلى يهل على دمشق ، والعربية تبعث من مرقدها .

وحين احتل الفرنسيون اللاذقية كان الرجل العربى الكبير رشيد طليع متصرفها فتوثقت بينه وبين الشيخ سليمان آصرة صداقة ، وشام فى الفتى محمد مخايل النجابة فحث أباه على تعليمه فبعث به الى دمشق ، كما أن رشيدا نفسه انضم الى فيصل بدمشق متصرفاً لحماة فوزيراً للداخلية .

وراح فتانا محمد بعقاله المقصب وعباءته البدوية ينشد أندية دمشق بواكير شعره ، وقد شغفه حبها ، وثبت عليه . وفضلها على بلاد العالمين . وأرانى هنا أسبق الزمن فأورد قوله فى دمشق بعد أربعين سنة يوم قال مشيعاً صديقه حبيب كحالة صاحب المضحك المبكى : « والشام لا تقنع أن تكون مدينة دور وقصور ، وبساتين ورياحين ، ووسامة تاريخ وجلوة حضارة . انها ذلك كله . ثم هى فوق ذلك كله صبابة وحنان ، ونغم ووله ، إنها حورية من لحم ودم ، وسحر وعطر ، وأناقة ورشاقة ، تطفر فى القلوب حيناً وتغفو فيها حيناً ، وهى فى حالتيها ترش القلوب بالطيوب . إنها المدينة الحورية ، المدينة التاريخ . المدينة المجد . المدينة الأم والأخت والحبيبة . عطرها مزيج من كل ذلك . وحنين النفوس إليها حنين إلى كل ذلك .. وقبلنا دلهت الشام جبلة بن الأيهم فما ارخت « فروق » لبانات روحه ، لا بأفانين الحضارة ، ولا بعز الامارة ، ولا بحسن فروق الحائر بين مائها وسمائها ، وآرامها وانغامها ، بل بقيت الشام غاية هواه ، وحلم مناه ، فياجبلة بن الأيهم هكذا والله يوضع الجمر على البخور ، فتتضوع العطور ، وهكذا والله يكون الحنين الى الشام واللوعة عليها ، وهكذا تشرى الغفوة فيها تحت ملتف الشجر ، على ضفة النهر ، فى ناعم من ضوء القمر ، وباسم من نور الزهر ، بالسمع والبصر ، وبالأسر فى ربيعة أو مضر ! » .

مع الثوار

وكان العهد الفيصلى يشجع الحركات الثورية الوطنية فى المناطق المحتلة ، فلما ثار على الفرنسيين الزعيم العلوى الشيخ صالح العلى اتفق الرأى ابتغاء التوثيق والتنسيق على الاتصال بالشيخ الثائر فى مقره الجبلى وعهد الى وزير الدفاع يوسف العظمة بترؤس الوفد لهذه الغاية واشار رشيد طليع باصطحاب الفتى محمد لنجابته ولمنزلة أبيه فى القوم ، وكانت الرحلة الى مركز الثورة شاقة ، وفى الطريق الوعر فوجىء الوفد بطلقات رصاص تنذره بالوقوف .

بدوي الجبل
وإخاء أربعين سنة

ورأى رئيس العصابة بينهم حدثاً لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره فانتهره : من أنت ؟ فاجابه : « أنا محمد ابن الشيخ سليمان الأحمد » فانحنى الرجل على الغلام يريد أن يقبل يده ، وصاح بالعصابة : انه ابن شيخنا .. واستؤنفت الرحلة وحققت اغراضها وقد ود الشيخ صالح لو استبقى فتانا معه ، ولما عاد الوفد الى دمشق موفقاً قدم وزير الدفاع الفتى إلى الملك فيصل منوهاً له فشكر له الملك جهده ، وقدر له عمله ، ولعل هذا ما جعل الفرنسيين يحتقدون عليه ويتربصون به .

اضطهاد وتنكيل

واقتحم الفرنسيون الغزاة العتاة دمشق بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع البطل يوسف العظمة دفاعاً عنها وكان فتانا معجباً به . وقد أهدى بواكير شعره فى ديوانه (الشفق) « إلى تلك الروح الكبيرة التى تمردت على العبودية وعلى الحياة » .

وعلم الفتى الشاعر ماتبيته له الاحنة الفرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربى ، الشامخ الوطنية غريغوريوس حداد الذى ظل وفياً لبيعته لفيصل .. ثم يمم الشاعر مدينة حماة ماشياً ، عله يتسلل منها إلى معتصم الثوار فى الجبل .. ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلوه فى احد « خانات » حماة الرطبة وأدموا قدميه ضرباً ، ومعصميه تكبيلا وتشغيلا ، ورأى فى السجن كيف تستباح أرواح وكيف تنفذ أحكام الصلب على المجاهدين ارتجالا وبالقرعة ، ثم سيق الى حمص فبيروت فمكث فى سجنها اشهراً ثم اقتيد الى سجن جزيرة ارواد فلبث حيناً ، ولما اطلق سراحه لصغر سنه وبوساطة زعماء الجبل ، كان التنكيل قد احتفر فى خواطره أخاديد من الذكريات الراعبة ولعله وقد أوهى الاضطهاد جلده ، وأعيته مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حيناً ، ولكن ما اسرع ما استغفر الله وهناً ألم به واستجاب للصارخة القومية ، يوم نفخ فى صور الوحدة السورية ، لم يفزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب . كلا ، بل إنه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمراً فى حياة تنذر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفاً :

ويارب درب فى الحياة سلكته
وما حدت عنه لو عرفت المغيبا
ولي وطن اكبرته عن ملامة
وأغليه أن يدعى على الذنب مذنبا
ومن حقه أن أحمل الجرح راضياً
ومن حقه ألا الوم واعتبـا

وأصبح مرشح الوطنيين للنيابة وعرفته البرلمانات الوطنية نائباً يمثل عروبة جبل العلويين من انسال غسان وتنوخ ..

الى العراق

وحين خاس الفرنسيون بالوعد ونقضوا المعاهدة سنة ١٩٣٩ ، وتقوض الحكم الوطني وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفراتية بالانفصال ، ظل البدوى يذود عن الوحدة وينافح عن الحرية ثم نشبت الحرب العالمية الثانية ، وشعر ما يبيته المحتلون للوطنيين فقطع البيداء لائذاً بالعراق حيث لقى كل حفاوة ، وعمل فى التدريس . وحين انتهت ثورة الجيش العراقى الموسومة بالكيلانية ، وكانت له فيها مشاركة إعلامية ، عاد إلى سورية ، فاعتقله الفرنسيون وزجوه فى قلعة (كسب) على الحدود السورية



بدوى الجبل فى ربوع سويسرا

التركية ، ويالوعة قلبه حين قضى أبوه الشيخ الجليل وهو فى المعتقل ، وقد ألهم الشاعر المحبوس من الروائع ما يزرى بكثير من قصائد السجون :

اذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة
ففى نفسه دنيا هى العز والكبر
وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكاً
أضاء له كون بعيد هو الفكر
أنزه آلامي عن الدمع والأسى
فتؤنسها مني الطلاقـة والبشر
وأضحك سخـراً بالطغاة ورحمة
وفى كبدي جرح وفى اضلعي جمر
أطل على الدنيا عزيزاً أضمني
اليه ظلام السجن أم ضمنى القصر؟
ومـا حـاجتى للكائنات بأسرها
وفى نفسى الدنيا وفى نفسى الدهر

وزير وشريد

ثم اطلق سراحه وتسلم الوطنيون الحكم وانتخب بالتزكية الجماعية نائباً للاذقية . ومنيت سورية بعد سنوات باحداث داخلية وانقلابات قضت بتنحيته واخوانه عن النيابة وفى عهد الشيشكلى صدر أمر بالقبض عليه فلجأ الى لبنان ثم عاد الى دمشق بعد أن تقشعت الغيمة وغدا وزيراً ممثلا للحزب الوطنى ، ثلاث مرات ولكن احداثاً طارئة على نظام الحكم سنة ١٩٥٦ شردته سنوات .. قضى فى بيروت بعضها ثم اسرع الى استانبول وفيها نظم قصيدته وفاء القبور ثم قضى فى فيينا وجنيف وروما وتونس مدة طويلة ، وفى مغتربه ، فى هذه العواصم ، وهو يتنزى المـاً ـ والألم من أهم ملهماته ـ اثرى ديوان الشعر العربى بخوالد من روائعه مثل (ابتهالات) و(البلبل الغريب) وجرت بينه وبين شاعر الشام شفيق جبرى مطارحات تجاوزت الغاية فى الروعة وأرجو ان اتحدث عنها فى الذكريات.ثم عاد الى وطنه ، واستفزته هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ فأطلق عاصفته الشعرية من وحي الهزيمة ، وقد نيفت على مائة وستين بيتاً جاء فيها بالعجب العاجب من براكين وصواريخ وغارات ودموع وآهات وتنديد بحاملى الهزيمة ومحتقبى أوزارها ..

وقضى الشاعر

وذات صبح كان البدوى يمشي على عادته فى الرياضة اليومية واذا بشرير يهوى على رأس الشاعر بطعن دراك أفقده وعيه ، ونقل محطماً الى مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهود موصولة للعثور عليه حياً أو ميتاً ولكن انذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السورى يومئذ اللواء حافظ الأسد للآثمين باعادته فوراً أدى إلى طرحه خفية فى أحد المستشفيات وهو يحتضر ، وتمّت ساعة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستنفر لذلك أطباء من



لقطة نادرة لبدوى الجبل ضاحكا فى إحدى جلسات البرلمان السورى ، وعن يمينه نائب حلب ليون زمريا ونائب دمشق سهيل فارس الخورى

سورية ولبنان حتى افاق بعد أربعين يوماً من غيبوبته وتماثل وئيداً وئيداً من علته فدفعت عن تاريخ العربية معرة قتل شاعرها ، ويااليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال فى مصرع أبى الطيب المتنبى ، وقيل أن مدبر اغتيال الشاعر قد انتحر بعد حين ، فتذكرت أن آخر بيت فى « وحى الهزيمة » هو :

لم أهادن ظلماً وتدرى الليالى
فى غـد أينا هـو المدحـور

وقد ترجح أن قصيدته « وحي الهزيمة » وقد طبعت فى كراس مرات وتداولها الناس واستشهدوا بأبياتها هى التى أوشكت ان تودى بالشاعر ومطلعها :

رمل سيناء قبرنا المحفور
وعلى القبـر منكر ونكير
كبرياء الصحراء مرغها الـذل
فغـاب الضحى وغار الـزئير

وقد أثر الحادث فى بنية الشاعر .. وترافدت عليه الأمراض يبل منها حيناً ويعاوده السقم حيناً ، يعتمر بيروت يوماً ، ويصطاف فى بلودان أياماً ... ثم بدا مرضه عياء فلزم بيته بدمشق ولم ينقطع اخوانه عن عيادته حتى قضى يوم الثلاثاء فى الثامن عشر من آب سنة ١٩٨١ .

• • •

اللقب

وبعد ، فقد كان الشاعر فى صدر يفاعته يرسل قصائده الى جريدة (الف باء) الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث سنة ١٩٢١ ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندى ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذى جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها فى كنائسهم .

ثم قضى صائماً ، واطلع الشاعر على فحواها فنظمها بالعربية ، وبعث بها الى (الف باء) مع تحية شعرية لروح المناضل منشورة فى الديوان واما الصلاة فقد عثرت عليها اخيراً وهذه هى :

أتَنَوَّل الأمم الضعيفة حقها
ومديلها القهار من ظلامها
اسمح لنصرك ان يرفرف فوقها
ويطاول الجـوزاء فى أعلامها
ان لم ترَو الفوز قبل حمامها
فاسمح به يارب بعد حمامها
فتراه بعد الموت فى أرواحها
ان لم تكن شهدته فى اجسامها

وفى اليوم التالى رأى الشاعر قصيدته والصلاة مذيلة بتوقيع (بدوى الجبل). فسعى الى صاحبها الأستاذ يوسف العيسى مدهوشاً يسأله عن السبب فأجابه « ان الناس يقرأون للشعراء المعروفين ، ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على أن يقرأوا الشعر للشعر ، وأن يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت فى ديباجتك بداوة .

وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب وأنت ابن الجبل » وتوالت قصائد البدوى ونقلتها صحف فى بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو خير الدين الزركلى أم هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء وأعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوى الجبل ، محمد سليمان الأحمد » وراح البدوى يشدو وهم فى نشوة مما يسمعون .

وغلب اللقب على الاسم ثم حل محله فى البيت وخارجه به تناديه زوجته وأولاده والناس كلهم ، وكذلك كان شأن المتنبى الذى ندر أن يعرف الناس اسمه .. ولا أزال اذكر انه حين يمم القاهرة سنة ١٩٣٨ لحضور المؤتمر البرلماني لنصرة فلسطين وكنت فيها انه كان يتلقى لكل اجتماع أو احتفال بطاقتين احداهما معنونة باسم « سعادة بدوى بك الجبل » والأخرى باسم « سعادة النائب محمد سليمان الأحمد » .

البقية فى العدد القادم

أطفال الأنابيب.. وبنوك الحليب

من وجهة نظر الفقه الإسلامي

بقلم : عبد القادر بن محمد العماري

إن التقدم العلمي يجب ألا ينسينا أخلاقياتنا ومبادئنا الرفيعة المتمثلة فى أوامر ديننا الاسلامى وضوابطه ، ويجب أن ننطلق بحذر فى المجالات الحضارية التى قد يستهوينا فيها بريق الجديد وتجرنا إليها جاذبية التحرر ، فهناك من الناس من لا تهمه أن تسقط الانسانية فى الحضيض وتعم الفوضى العلاقات الاجتماعية والأسرية ، فيعيش الناس كالحيوانات السائمة بلا رابط ولا ضابط.

واذا كان فى الغرب اليوم من قام ينادى برفع الحواجز والفواصل بعد الاكتشافات العلمية الأخيرة فى مجال تكنولوجيا الاخصاب ، فأراد أن يعيش الناس بلا آباء ولا أمهات معروفين ، ويعتاض عنهم بصحون المختبرات داخل الأنابيب ، فان هؤلاء لا يريدون للانسانية خيراً ، وكيف يقال انهم إنما يسعون من أجل قطاعات من الناس حرموا من الأولاد بسبب العقم ؟!

إن الأشرار كثيراً ما ينحرفون بالأهداف النبيلة مثل أولئك الذين سخروا أبحاث الذرة لتدمير الانسانية ، وإننا لا نشك أن من بدأ هذه الأبحاث من العلماء ما كانوا يريدون لأبحاثهم أن تنحرف عن القصد الحسن وخدمة الانسانية ، لذلك فإنه يجب وضع ضوابط وحدود لكل انجازات العلم ، ولن نجد مثل الاسلام حافظاً وموجهاً للعقل البشرى للوصول الى الأهداف السامية ، فهو يمنع فتح باب الانجاب بلا أزواج لأن ذلك يؤدى الى الفوضى وهدم المثل والأخلاق والتسبب فى كوارث مرضية فى أولئك المتشابهين وراثياً الذين ستجتمع فيهم كل الأمراض لأن التغاير والتشاكل فى الوراثة من أسباب حماية الجنس البشرى وارتقائه ، لذا يجدر بنا أن نبين وجهة نظر الفقه الاسلامى فى أطفال الأنابيب وكذلك فى بنوك الحليب لارتباطها بهذا الموضوع من بعض النواحى.

وقبل أن ندخل فى الموضوع نحب أن نؤكد أن الفقه الاسلامى لا يقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق أى مصلحة أو حاجة ملحة لأى انسان ولكنه يضع الضوابط ليحمى هذه المصلحة والحاجة من أن تتحول الى مضار تحيق بالانسانية وتفوت على الانسان نفسه مصالح كثيرة أهم وأعظم وأنفع من تلك المصلحة المحدودة التى سعى إليها فى وقت من الأوقات . قال الامام أبو حامد الغزالى « إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول



لقطة داخل معامل أطفال الأنابيب فى الغرب

الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة » .(١)

والاسلام يكره التزوير والتزييف بأن ينسب للانسان ابناً ليس ابنه ولذلك قال تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) (٢) .

إن التقدم العلمى فى مجال الطب حقق أمنيات لكثير من النساء والرجال الذين حرموا من الأطفال بسبب العقم فى الحصول على الأطفال عن طريق أطفال الأنابيب ، حيث تتبع الأساليب الآتية فى معامل التلقيح الصناعى :

• إذا كان فى الزوج قصور عن ايصال مائه الى الموضع المناسب تؤخذ النطفة الذكرية من الرجل وتحقن داخل مهبل زوجته حتى تلتقى النطفة التقاء طبيعياً بالبويضة التى يفرزها مبيض الزوجة فيقع التلقيح بينهما ثم يقع العلوق فى جدار الرحم .

• اذا كان الزوج عقيماً لا بذرة فى مائه تؤخذ النطفة الذكرية من غيره وتحقن فى الموقع المناسب فى المرأة زوجة الرجل العقيم .

وهذان الأسلوبان يسميان التلقيح الصناعى الداخلى ، وواضح أن الصورة الأولى لا غبار عليها فهى جائزة فى الشرع ، وأما الثانية فلا تجوز شرعاً لأن المنى ليس من الزوج .

أما التلقيح الخارجى فيكون بالأساليب الآتية :

١ ـ عندما تكون الزوجة عقيماً بسبب انسداد القناة التى تصل بين مبيضها ورحمها (قناة فالوب) تؤخذ نطفة من الرجل وبويضة من مبيض زوجته فتوضعان فى أنبوب اختبار طبى حتى تلقح نطفة الزوج ببويضة زوجته فى وعاء الاختبار ، ثم اذا أخذت فى الانقسام والتكاثر تنقل من أنبوب الاختبار الى رحم الزوجة نفسها صاحبة البويضة فتنمو وتتخلق ككل جنين ، ثم فى نهاية مدة الحمل الطبيعية تلد الزوجة طفلا أو طفلة ، وهذه الصورة جائزة من الناحية الشرعية لأن المنى والبويضة للزوجين ، لكن يجب الاحتياط من اختلاطها بنطف الآخرين ، كما يجب ألا يكون ذلك الا للضرورة .

٢ ـ عندما يكون مبيض الزوجة مستأصلا أو معطلا ورحمها قابلا للعلوق يكون التلقيح فى أنبوب الاختبار بين نطفه مأخوذة من زوجها وبويضة مأخوذة من مبيض امرأة ليست زوجته ثم تزرع فى رحم زوجته وهذه الصورة لا تجوز شرعاً لأن البويضة ليست من زوجة الرجل .

٣ ـ عندما يكون الرجل عقيما ومبيض زوجته معطلا ولكن رحمها سليم فيجرى التلقيح فى أنبوب الاختبار بين نطفة رجل ونطفة امرأة ليسا زوجين ، ثم تزرع النطفة الملقحة فى رحم المرأة المتزوجة ، وهذه الصورة أيضاً محرمة لأن الماء والبويضة ليسا للزوجين .

٤ ـ عندما تكون المرأة غير قادرة على الحمل لسبب فى رحمها ولكن مبيضها سليم منتج أو غير راغبة فى الحمل فتتطوع لها امرأة أخرى بالحمل عنها ، فيجرى تلقيح خارجى فى وعاء الاختبار بين بذرتى الزوجين ثم تزرع اللقيحة فى رحم المرأة المتطوعة .. وهذه الحالة جرى فيها خلاف بين العلماء المعاصرين ، فأباحها أكثرهم إذ كانت المرأة المتبرعة بالحمل ضرة أخرى لصاحبة البويضة أى أنها زوجة للرجل صاحب البذرة ، ولكن تكون المشكلة فى نسبه من جهة الأم فقال البعض إنه ينسب الى صاحبة البويضة وقال البعض الآخر إنه ينسب الى المتبرعة بالحمل لأنها هى التى ولدته وفى القرآن الكريم (إن أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) (٣) وصاحبة البويضة لم تلده غير أنها تكون كالأم الرضاعية للمولود ، لأنه اكتسب البويضة من جسمها وعضويتها أكثر مما يكتسب الرضيع من مرضعته فى نصاب الرضاع ، وكان الشيخ يوسف القرضاوى ممن أجازوا أن تكون المرأة نائبة فى الحمل عن صاحبة البويضة حتى لو لم تكن ضرة لها وأن ينسب الولد الى الزوج صاحب البذرة والزوجة صاحبة البويضة وقد ذكر ذلك فى مقال له بمجلة العربى بعدد مارس ١٩٧٨ م . غير أن الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قد رد عليه فى رسالة يرى فيها عدم جواز هذه الصورة ، وقال إن حديث الولد للفراش وللعاهر الحجر نص فى الحكم فى هذه القضية فمتى حملت المرأة ذات زوج فإن حملها يكون للزوج ولزوجته ولا علاقة للمأخوذ منه المنى بالحمل .

وقد جاء فى قرار مجلس المجمع الفقهى الاسلامى المنعقد بمكة فى دورته السابعة والذى

أطفال الأنابيب.. وبنوك الحليب

من وجهة نظر الفقه الإسلامي

نشر بجريدة السياسة الكويتية بتاريخ ١٥ مارس ١٩٨٤ أن المجلس نظر فيما نشر وأذيع على أنه يتم فعلا تطبيقه فى أوروبا وأمريكا من استخدام هذه الانجازات لأغراض مختلفة منها تجارب ومنها ما يجرى تحت عنوان تحسين النوع البشرى ومنها ما يتم لتلبية الرغبة فى الأمومة لدى نساء غير متزوجات أو نساء متزوجات ولا يحملن لسبب منهن أو فى أزواجهن ، وما أنشيء لتلك الأغراض المختلفة من مصارف النطف الانسانية التى تحفظ فيها نطف الرجال بصورة تقنية تجعلها قابلة للتلقيح بها الى مدة طويلة ، وتؤخذ من رجال معينين أو غير معينين تبرعا ولقاء عوض الى آخر ما يقال إنه واقع اليوم فى بعض بلاد العالم المتمدن .

ثم قرر المجلس ما يلى :

١ ــ إن حاجة المرأة المتزوجة والتى تحمل وحاجة زوجها الى الولد تعتبر غرضاً مشروعا يبيح معالجته بالطريقة المباحة من طرق التلقيح الاصطناعى .

٢ ــ إن الأسلوب الذى تؤخذ فيه النطفة الذكرية من متزوج ثم تحقن فى رحم زوجته نفسها فى طريقة التلقيح الداخلى هو أسلوب جائز شرعا بعد أن ثبت حاجة المرأة الى هذه العملية لأجل الحمل .

٣ ــ إن الأسلوب الذى تؤخذ فيه البذرتان الذكرية والأنثوية من رجل وامرأة زوجين أحدهما للآخر ويتم تلقيحهما خارجيا فى أنبوب اختبار ثم تزرع اللقيحة فى رحم الزوجة نفسها صاحبة البويضة هو أسلوب مقبول مبدئياً فى ذاته بالنظر الشرعى ، لكنه غير سليم تماماً من موجبات الشك فيما يستلزمه ويحيط به من ملابسات ، فينبغى الا يلجأ إليه الا فى حالة الضرورة القصوى .

٤ ــ إن الأسلوب الذى توخذ فيه النطفة والبويضة من زوجين وبعد تلقيحهما فى وعاء الاختبار تزرع اللقيحة فى رحم الزوجة الأخرى للزوج نفسه ، حيث تتطوع بمحض اختيارها بهذا الحمل عن ضرتها المنزوعة الرحم ، يظهر لمجلس المجمع أنه جائز عند الحاجة وفى حالات الجواز الثلاث يقرر المجلس أن نسب المولود يثبت من الزوجين مصدر البذرتين ويتبع الميراث والحقوق الأخرى ثبوت النسب ، فحين يثبت نسب المولود من الرجل والمرأة يثبت الارث وغيره من الأحكام بين الولد ومن التحق نسبه .

أما الزوجة المتطوعة بالحمل عن ضرتها فتكون فى حكم الأم الرضاعية للمولود .

٥ ــ أما الأساليب الأخرى من أساليب التلقيح الاصطناعى فى الطريقين الداخلى والخارجى فجميعها محرمة بالنظر الاسلامى ، لا مجال لاباحة شيء منها لأن البذرتين الذكرية والأنثوية ليستا من زوجين أو لأن المتطوعة بالحمل هى اجنبية عن الزوجين مصدر البذرتين .

واختتم المجمع قراره بقوله (ونظراً لما فى التلقيح الاصطناعى بوجه عام من ملابسات حتى فى الصور الجائزة شرعاً ، ومن احتمال اختلاط النطف أو اللقائح فى أوعية الاختبار ، ولاسيما اذا كثرت ممارسته وشاعت فإن مجلس المجمع ينصح الحريصين على دينهم ألا يلجأوا الى ممارسته الا فى حالة الضرورة القصوى ، وبمنتهى الاحتياط والحذر من اختلاط النطف أو اللقائح) .

أما دار الافتاء المصرية فقد أصدرت فتوى موقعة من فضيلة المفتى السابق وشيخ الأزهر حاليا الشيخ جاد الحق على جاد الحق بتاريخ ٦ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ . الموافق ٢٣ مارس ١٩٨٠ م . وتنص على ما يلى :

١ ــ تلقيح الزوجة بذات منى زوجها دون شك فى استبداله واختلاطه بمنى غيره جائز شرعاً ويثبت النسب فإن كان منى رجل آخر غير زوجها فهو محرم شرعا ويكون فى معنى الزنا ونتائجه .

٢ ــ تلقيح بويضة امرأة بمنى رجل ليس زوجها ثم نقل هذه البويضة الملقحة الى رحم زوجة الرجل صاحب هذا المنى حرام ويدخل فى معنى الزنا .

٣ ــ أخذ بويضة الزوجة التى لا تحمل وتلقيحها بمنى زوجها خارج رحمها (أنابيب) واعادتها بعد اخصابها الى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى انسان آخر أو حيوان لداع طبى وبعد نصح طبيب حاذق مجرب باتباع هذا الطريق هذه الصورة جائزة شرعاً .

٤ ــ التلقيح بين بويضة الزوجة ونطفة زوجها يجمع بينهما فى رحم أنثى غير الانسان من الحيوانات لفترة معينة يعاد بعدها الجنين الى ذات رحم الزوجة فيه افساد لخليقة الله فى أرضه ويحرم فعله .

٥ ــ الزوج الذى يتبنى أى طفل انفصل وكان الحمل به باحدى الطرق المحرمة لا يكون ابناً شرعياً والزوج الذى يقبل أن تحمل زوجته نطفة غيره بالزنا الفعلى أو بما فى معناه سماه الاسلام ديوثاً .

٦ ــ كل طفل ناشيء بالطرق المحرمة قطعاً من التلقيح الصناعى لا ينسب الى أب جبرا وإنما ينسب لمن حملت به ووضعته باعتباره حالة ولادة طبيعية كولد الزنا الفعلى تماماً .

٧ ــ الطبيب هو الخبير الفنى فى إجراء التلقيح الصناعى أيا كانت صورته فإن كان عمله فى صورة غير مشروعة كان آثما وكسبه حرام وعليه أن يقف عند الحد المباح .

٨ ــ انتشار مستودع تستحلب منه نطف رجال لهم صفات معينة لتلقح بها نساء لهن صفات معينة شر مستطير على نظام الأسرة ونذير بانتهاء الحياة الأسرية كما أرادها الله .

وتقول الفتوى ومن هنا لا يجوز فى نطاق الاسلام الانطلاق فى عمل التلقيح الصناعى ، بمعنى نقل منى الرجل ، أى رجل ، وتلقيحه ببويضة امرأة أى امرأة ، لأن تلك تجارب تصلح لتحسن السلالات ومحلها بين أنواع مختلفة من الحيوان لا تعرف لها أباً ومن النبات تسمق سيقانه حامله وفير الثمرات ــ وذلك أمر مشروع ــ ومن هنا كان القول الحكيم (اليتيم من ابن آدم من مات أبوه ومن الحيوان من ماتت أمه) فإذا نحن انطلقنا فى مجال التلقيح الصناعى فى الانسان وأنشأنا مستودعاً (بنكا) تستحلب فيه نطف الرجال الأذكياء أو ذوى الأجسام الأقوياء لتلقح بها أنثى رشيقة القوام سريعة الفهم لاثراء الصفات فى الجنس البشرى ، كان هذا شراً مستطيراً على نظام الأسرة ونذير انتهاء الحياة الأسرية كما أرادها الله فمن باب سد الذرائع وحفظا لروابط الأسرة وصوناً للأنساب يحرم الاسلام الانطلاق فى التلقيح الصناعى لتوالد الانسان ولا يجيزه كما سبق الا بين الزوجين وبالشروط المبينة وبديلا لهذه البنوك وجه الاسلام الانسان الى المحافظة على قوة نسله وسلامة نفسه وجسده ، وذلك باحسان اختيار كل من الزوجين للآخر ، والى الاغتراب فى الزواج بمعنى ترك الزواج بين ذوى القربى لقريبه حتى لا يضوى النسل ويضعف كما قال عمر بن الخطاب ناصحاً احدى القبائل (قد أضويتم فانكحوا الغرائب) وقيل قديماً (بنات العم أصبر والغرائب أنجب) هذه هى المعايير المشروعة التى يقررها الاسلام للحفاظ على النسل ، نسل الانسان سليماً قوياً لا تلك التى يتنادى بها بعض الناس مقلدين أقواماً أغوتهم المادية وانغمسوا فيها وتحللو من كل قيم الدين فحسبوا الانسان ونسله مزرعة تجارب كأى مزرعة للنبات أو الحيوان ، مع ان الله قد كرم الانسان وأعلى قدره وسخر له ما فى السموات والأرض (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) الانفعال ٢٤ ــ ٢٥ .

• بعض علماء المسلمين أجازوا تأسيس بنوك الحليب .

• علمـاء النفس والاجتمـاع أعلنـوا تخـوفهـم من قيـام مثل هــذه البنــوك فى العالـــم الثــالث .

وأما بنوك الحليب فهى مؤسسات أقيمت فى الغرب من أجل تجميع حليب من النساء الوالدات لحفظه ويغذى به الأطفال المبتسرون الذين يحتاجون الى الرضاعة الطبيعية باعتبار أن لبن الأم هو أعلى قيمه غذائية يمكن أن تعطى للطفل ، فلاشك أن الهدف الذى أنشئت من أجله هذه البنوك سام ونبيل ، وقد عرف الاسلام استئجار المرضعة ، ونص على ذلك القرآن ولكن المشكلة التى تعترض تأسيس هذه البنوك فى عالمنا الاسلامى أن هذه الألبان ستكون من نساء متعددات فتختلط الألبان ، وهناك فى الشرع الاسلامى النساء المحرمات بالرضاع ، فعندما يكبر هذا الرضيع ويريد أن يتزوج فربما تكون الفتاة التى يريد الزواج بها قد شربت من نفس اللبن الذى شرب منه فتكون أخته من الرضاعة فيحرم زواجه بها شرعا ، وقد وجد بعض الفقهاء المعاصرين أنه فى الامكان التغلب على هذه المشكلة باعتماد القول الذى يشترط المص من الثدى للتحريم فى الرضاع وأن التحريم لا يكون فى حالة الوجور وصب اللبن فى الحلق باعتبار أن أساس التحريم هو الارضاع من المرأة عن طريق الثدى من الأم المرضعة لأن الآية القرآنية تقول : (وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)(٤) .

فالأمومة لا تكون من مجرد أخذ اللبن بل من الامتصاص والالتصاق الذى فيه حنان الأمومة ويتفرع عن هذه الأمومة الأخوة ، وقد تبنى هذا الرأى الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى تبعا للامام ابن حزم الذى قال فى كتابه المحلى (واما صفة الرضاع المحرم فانما هو ما امتصه الراضع من ثدى المرضعة بفمه فقط فأما من سقى لبن امرأة فشربه من اناء أو حلب فى فمه فبلعه أو أطعمه بخبز أو طعام أو صب فى فمه أو فى أنفه أو أذنه أو حقن به فكل ذلك لا يحرم شيئا ولو كان ذلك غذاؤه دهره كله برهان ذلك قول الله عز وجل (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وقال صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) فلم يحرم الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى نكاحا الا بالارضاع والرضاعة والرضاع فقط . ولا يسمى ارضاعا الا ما وضعته المرأة المرضعة من ثديها فى فم الرضيع ، يقال أرضعته ترضعه ارضاعا ولا يسمى رضاعة ولا ارضاعا الا أخذ المرضع أو الرضيع بفيه الثدى وامتصاصه اياه ، تقول رضع يرضع ارضاعا ورضاعة . وأما كل ما عدا ذلك مما ذكرناه فلا يسمى شىء منه ارضاعا ولا رضاعة ولا رضاعا انما هو حلب وطعام واسقاء وشرب وأكل وبلع وحقنه وسعوط وتقطير ولم يحرم الله عز وجل بهذا شيئا . قال أبو محمد وقد اختلف الناس فى هذا فقال الليث ابن سعد لا يحرم السعوط بلبن المرأة ولا يحرم ان يسقى الصبى لبن المرأة فى الدواء لأنه ليس برضاع)(٥) .

كما أن الشيخ عبد اللطيف حمزه مفتى الديار المصرية قد قال إن هذه البنوك حلال شرعا استنادا الى مذهب ابى حنيفه الذى يشترط أن يكون اللبن الذى تناوله الرضيع لبن امرأة وأن يصل الى الجوف عن طريق الفم أو الأنف ، والا يكون مخلوطا بغيره كالماء والدواء أو بلبن امرأة أخرى بالاضافة الى أنه يتوافر فيه عنصر الجهالة بالنسبة للأمهات اللاتى اعطين لبنهن ، واللبن بعد تجفيفه اذا تناوله الرضيع لابد من اضافة الماء اليه على أن يكون الماء غالبا على اللبن)(٦) .

واذا كنا قد استطعنا أن نجد الحل الفقهى فى قول الظاهرية والأحناف بجواز تأسيس بنوك الحليب ، فإن علماء النفس والاجتماع يتخوفون من قيام مثل هذه البنوك فى العالم الثالث ، فيقول الدكتور على فهمى من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة (انه لو دخل المشروع نطاق التنفيذ فسيكون فاشلا وسيخلق جيلا فاشلا اجتماعيا لا يمكن أن يتكيف مع المجتمع والبيئة التى يعيش فيها ، وبالتالى سيخلق جيلا ضعيفا مليئا بالأمراض والأوبئة ، لأنه سيحرم كثيرا من الأطفال الأصليين ابناء هذه الأمهات اللائى يتعاملن مع هذا البنك مما يترتب عليه حرمان هؤلاء الأطفال من حقهم الطبيعى فى الغذاء مقابل بيع هذا اللبن ، كما سينتج عنه تشجيع كثير من الأمهات على امتهان هذه المهنة (مثل الاتجار بالدم) وستكون هذه الأمهات من الطبقات الدنيا التى لا شك أن لديهن كثيرا من الأمراض . ولا أتصور أن هذه العملية انسانية لأنها تعمل على تشجيع الأمهات على الامتناع عن ارضاع أطفالهن رضاعة طبيعية ، هذا الى جانب الناحية النفسية للطفل ، فقد أكدت كل البحوث والدراسات أن تربية الطفل الرضيع ليست عملية تغذية فقط الا أنه الى جانب ذلك تعطى للطفل جرعة من الاشباع فى الحنان والحب والدفء والعطف من الأم وما يثبت على ذلك أن النظرية الفرويدية تقول انه بمجرد اعطاء الطفل ثدى الأم يحدث عنده اشباع فى المرحلة الأولى التى هى مرحلة لابد أن يمر بها كل طفل طبيعى وحرمان الطفل من هذه المرحلة سيؤدى الى بعض الأمراض النفسية ويصبح الطفل كائنا غير اجتماعى محروما جزئيا من الحنان فيصبح كائنا ضد المجتمع) .

وأقول مع احترامنا لوجهة النظر هذه فان المسألة يجب أن ينظر اليها من خلال الحاجة والضرورة ، لأنها تتعلق بحاجة الطفل الخديج فقط فهى اذن ضرورة والقاعدة تقول (عند الضرورات تباح المحظورات) .

عبد القادر بن محمد العمارى

هوامش

(١) المستصفى جـ١
(٢) الآيتان ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب
(٣) المجادلة (٢)
(٤) النساء (٢٣)
(٥) المحلى لابن حزم جـ/ ١٠
(٦) الأهرام ٢٣ / ٨ / ١٩٨٣ م

لمــاذا هــذا الصــراع بـين القـديم والجديــد ؟!

التراث

بين الأصالة والمعاصرة

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

من أهم القضايا المثارة فى حياتنا الثقافية خلال القرن العشرين هى قضية الأصالة والتجديد ، والتى يتعرض لها الكتاب والمفكرون تحت أكثر من مسمى « التراث والمعاصرة ، التقليدية والحداثة ، الموروث والوافد ، القديم والجديد » ومع أن هذه المسميات ليست مترادفة تماماً فى معانيها فإنها تشير فى جوهرها الى نفس الموضوع .

وبادىء ذى بدء ينبغى الاشارة إلى أن هذه المشكلة ليست قاصرة على المجتمع العربى الاسلامى أو خاصة به ، بل واجهتها كل المجتمعات ذات التاريخ الثقافى المتميز ، ونجد فى هذه البلاد نفس الحوارات ونفس التيارات الثقافية التى حاولت مواجهة هذه القضية ، فعلى سبيل المثال برز فى روسيا القيصرية خلال القرنين الثالث عشر والتاسع عشر ثلاثة تيارات فكرية عريضة . أولها انطلق من أن الطريق الأمثل لروسيا يكمن فى تبنى التكنولوجيا والأفكار والمؤسسات الغربية وسمى أنصار هذا التيار بالتغريبيين Westernizers وثانيهما اكد على التقاليد التاريخية والثقافية المتميزة لروسيا وأكد على تفوق قيمها على تلك القادمة من أوربا الغربية ، وأن التحرر الحقيقى لروسيا ليس فى التشبه بالآخرين ولكن تأكيد روحها الحقيقية والعودة الى جذورها الثقافية التى خبت جذوتها بفعل تأثير الأفكار القادمة من الخارج . وبين التيارين ظهر تيار ثالث يسعى إلى التوفيق بينهما والجمع بين مزايا كل منهما . نفس هذه التيارات ، مع اختلاف فى المسميات ، نجدها فى الفكر الصينى فى القرن التاسع عشر ، ونجدها فى فكرنا العربى فى القرن العشرين .

ولا يهدف هذا المقال إلى تقديم وجهة نظر جديدة فى الموضوع الى جانب ما يوجد فى الساحة ، وما أكثره . ولكنه يسعى الى اقتراح بعض الأصول والقواعد المنهجية سواء من حيث ضبط الألفاظ ، أو تحديد المفاهيم المتداولة بما يساعدنا على فهم أكثر وضوحاً للموضوع .

الأصالة والتجديد

فإذا بدأنا من الناحية اللغوية نقول أن الأصالة لفظة مشتقة من كلمة أصل ، وأصل الشيء مبتدؤه وأوله أو قاعدته الأساسية . ونجد المعنى الأول والثانى فى قوله تعالى « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » (ابراهيم : ٢٤) : أما المعنى الثالث فيشير إليه قول الفقهاء إن « الأصل فى الأشياء الإباحة » أى أن القاعدة الأساسية فى الأشياء أنها مباحة ، أما التحريم فهو الاستثناء من هذه القاعدة . وفى كل الأحوال فإن الأصالة تعنى الرجوع الى الأصول وعدم التنكر للمنشأ أو المبتدأ .

أما التجديد فلفظة مشتقة من كلمة جديد ، وهى عكس القديم ، وتجديد الشيء أى اعادته لسيرته الأولى بإزالة ما علق به من غبار واصلاح ما أصابه من أضرار ، وتعديله بما يتناسب مع جوهره ووظيفته .

ومن غير الصحيح أن نربط فى أذهاننا الأصالة بالقديم أو الموروث والحداثة بالجديد أو الوافد . فليس كل ما حدث فى « الماضى » أصيل أو نابع من واقعنا . والحكمة الاسلامية فى هذا الأمر بالغة الدلالة فيقول القرآن الكريم « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى : ١٣) .

ولم يرفض الاسلام كل العادات والمناسك التى كانت موجودة قبل ظهوره مثل الحج والأشهر الحرام ، وان كان قد عدل فى بعض جوانب ممارساتها مثل طواف الكعبة بدون ملابس ، كما



حرم القرآن الكريم النسىء وهو تبديل الأشهر الحُرم .

واتبع الخلفاء الراشدون سنة الرسول فى منهجه فأمر ابو بكر بجمع القرآن وهو أمر جديد لم يقله النبى لكنه وجده أمرا ضروريا ، واقتبس عمر نظام الدواوين من الفرس وقام بمنع الجند الفاتحين من امتلاك الأراضى الزراعية فى مصر والشام والعراق وقرر جعلها مملوكة لبيت المال ، ومنع كبار الصحابة من التفرق فى الأمصار المفتوحة حتى يمنع افتتان الناس بهم وأمور أخرى عديدة .

وكان المنهج الاسلامى فى هذا الشأن قوامه الأخذ من أفكار وممارسات السابقين والمعاصرين ما يفيد المسلمين وبما لا يتعارض مع مبادىء الاسلام ، وتعديل وملائمة هذه الأفكار والممارسات بما يتلاءم مع واقع المجتمع الاسلامى . وهكذا فإن ما نعتبره جزءا من تراثنا ــ اليوم ــ هو فى حقيقة الأمر اجتهادات قام بها أجدادنا لمواجهة المشاكل التى طرحها واقعهم عليهم ، أو اقتبسوا حلولها من المجتمعات التى كانت قائمة وقتذاك ولم يجدوا فيها ما يخالف معتقداتهم .

وإذا كان من المؤكد أنه ليس كل ما هو قديم « أصيل » بالمعنى الذى أشرت إليه ، فمن المؤكد أيضاً أنه ليس كل ما هو جديد أمرا متقدما أو يستحق الأخذ أو الاقتداء به .

التراث والمعــاصرة : مفهــومان تركيبيــان

ولا تستقيم المناقشة إلا إذا حددنا مفهوم التراث والمعاصرة .

تتعدد الاجابات على هذا السؤال فمن قائل بأن « التراث هو عناصر الثقافة التى تتناقل من جيل الى جيل » ويشير الى أن المضمون الأصلى للمفهوم هو فكرة انتقال ما عبر الزمن وهو بذلك يقترب اقتراباً وثيقاً من مفهوم الثقافة ، بل ويرى البعض أن التراث مرادف للثقافة (١) .

والحقيقة أن التراث هو أكثر من النصوص والكتابات . هو جماع خبرة المجتمع فى تطوره المادى والمعنوى ، وهو يتضمن النصوص والأفكار والقيم من ناحية ، والمؤسسات والأبنية من ناحية أخرى ، والعلاقات والممارسات من ناحية ثالثة . بعبارة أخرى التراث هو خلاصة خبرة المجتمع فى تفاعله مع بيئته الداخلية والخارجية ، وهو استخلاص كيفية تعامله مع التحديات التى واجهته فى مسيرته التاريخية .

وتراث أى أمة لا يشكل كياناً متجانساً موحداً فهو ينتمى عادة الى أكثر من حقبة تاريخية وبالذات فى المجتمعات التى لها ماض موغل فى القدم مازالت آثاره قائمة وشاهدة عليه ، فعلى سبيل المثال فإن تراث مصر يجد جذوره الأولى فى المراحل السابقة على الفتح الاسلامى وتنطبق نفس الملاحظة على لبنان وتونس .

وهو من ناحية ثانية ليس على وتيرة واحدة أو فى اتجاه واحد بل يوجد فى كل تراث الشيء ونقيضه ، والفكرة وعكسها ، ونجد النظم والممارسات المختلفة د وفى التراث العربى الاسلامى نجد الفرق والتيارات المختلفة.وفى تاريخ الفلسفة الاسلامية نجد التيارات العقلانية ، ونجد نقيضهاأيضاً ، ونجد مدارس الخوارج والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة ، ونجد جدلا نظرياً طويلا حول الجبر والاختيار ، وهل الانسان مجبر أو مخير فى آرائه . ونجد الغزالى الذى حمل على التفكير الفلسفى حملة شعواء مثلها كتابه « تهافت الفلاسفة » ونجد من ناحية أخرى ابن رشد الذى رد عليه بمؤلف « تهافت التهافت » .

وإذا كان التراث مفهوماً تركيبياً متعدد الجوانب ، متنوع القسمات فإن الحداثة أو المعاصرة ينطبق عليها نفس الملاحظة فالحداثة (Modernism) وعملية التحديث (Modernization) ليست نموذجاً واحداً أو متجانساً . وما نسميه بالحداثة أو العصرية هو تركيب فكرى قام ببنائه عدد من المفكرين والباحثين الغربيين بأثر رجعى ، وبعد أن كانت عمليات التصنيع والتغير الاجتماعى وبناء مؤسسات الدولة الحديثة قد تمت فى أوربا . أى أن نظرية التحديث الموجودة أمامنا اليوم هى فى حقيقة الأمر رؤية بعض المفكرين لخلاصة الخبرة الأوربية بعد أن تمت ، وتصورهم للعلاقة بين مكونات هذه الخبرة ، ولكننا لا نجد فى تاريخ الفكر الأوربى فى القرنين السابع عشر أو الثامن عشر تصوراً متكاملا لعملية التغير الشامل فى أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

فعملية النهضة الأوربية تمت على عدة قرون ، وتضمنت فى ثناياها عددا من العمليات التاريخية منها عملية النهضة (الرينسانس) والتنوير على المستوى الفكرى ، ومنها الاصلاح الدينى وظهور البروتستانتية على المستوى الدينى ، ومنها الثورة

الصناعية وظهور الطبقة العاملة والنقابات على المستوى الاقتصادى ، ومنها قيام الأحزاب والصراع السياسى من أجل حق التصويت والمشاركة على المستوى السياسى .

والتركيبة الايدولوجية التى نقرأها فى بعض المؤلفات والتى تعطى الانطباع بوجود « وصفة » جاهزة للتحديث أو للتغير ، وان هذه العملية تمت فى أوربا بشكل منسجم ومتناغم ليس لها أساس من الناحية التاريخية . فالعمليات التاريخية التى أشرت إليها لم تتم كلها فى نفس الوقت ، ولا فى نفس المجتمع ، بل تمت فى أماكن مختلفة من أوربا وأتت من روافد متعددة . فحركة الاصلاح الدينى كانت فى هولندا ، وبداية الثورة الصناعية فى انجلترا ، والثورة السياسية كانت فى فرنسا ، والدولة القومية لم يتم قيامها فى ايطاليا إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وقد تمت هذه العمليات أيضا باشكال ونماذج مختلفة .

أضف إلى ذلك أن الحداثة ليست خيراً محضاً والتاريخ الغربى الحديث الذى أفرز أفكار وممارسات تعدد الأحزاب والمشاركة السياسية ، وحق التصويت لجميع المواطنين ، هو أيضاً الأب الشرعى لأفكار وممارسات الاستعمار والعنصرية والنظم الناشئة والشمولية .

ويرتبط بمفهوم الحداثة قضية أخرى مازالت تتطلب منا قدرا كبيرا من التنقيب والتحليل . وهى ماهية شروط ومتطلبات المجتمع الحديث ،وهل السمات التى ارتبطت بالتجربة الأوربية ذات طابع عالمي وحتمى ، وهى شروط ضرورية للحداثة ، أم أنها سمات نبعت من ظروف الخبرة الأوربية وارتبطت بظروفها الخاصة ؟

بعبارة أخرى هل اقامة مجتمع صناعى حديث ومجتمع يتسم بالكفاءة والإنجاز يتعارض بالضرورة مع الايمان أو مع اعتبار الأسرة الوحدة الرئيسية للمجتمع البشرى ؟

الأمر المؤكد أنه لابد من تفتيت التركيبة الايدولوجية التى يقدمها الغرب وأن يتم التمييز فيها بين تلك الشروط الضرورية واللازمة لاقامة مجتمع حديث ، وبين تلك السمات التى ارتبطت بالتاريخ الأوربى المتميز والتى تعكس هذا التاريخ .

ضوابط منهجية

الى ماذا يوصلنا هذا التحليل ؟

يوصلنا الى عدد من النتائج الهامة التى أعتقد أنه من المهم تبنيها كضوابط منهجية عند الحديث عن الأصالة والتجديد ، أو عن التراث والمعاصرة :

أولها : أن كلا من التراث والمعاصرة لا يمثلان كياناً متجانساً موحداً ، كما أنهما لايعبران عن نموذج تطبيقى أو تاريخى واحد ، فهناك تعدد للتيارات الفكرية والفلسفية ، وتنوع للتجارب وللنماذج التاريخية فى اطار كل من التراث والمعاصرة .

وثانيها : أنه لا ينبغى الخلط بين التراث والدين . فليس كل ما حدث فى التاريخ ولا كل النظم والممارسات التى تمت ولا كل الأفكار التى نشأت فى سياق هذا التاريخ تتفق مع جوهر الدين الحنيف ، كما أن هناك تراثاً سابقا مغرقا فى القدم عمره آلاف السنين مازال له تأثيره فى بعض البلاد العربية .

وثالثها : أن العلاقة بين الأصالة والتجديد ليست علاقة تنافر وتضاد وتناقض . بل يمكن القول أنه لا أصالة بدون تجديد ولا تجديد بدون أصالة . الأصالة الحقة هى التى تواجه مشاكل الواقع المعاش وتقتحمها . والحداثة الحقة هى التى تستند إلى تراث الأمة والا لن يكون لها تأثير على جموع الناس وستظل محصورة فى عقول الأقلية .

يترتب على ذلك أن المفاضلة بين الأصالة والمعاصرة أو بين التراث والتجديد هو أمر تجاوزته الأحداث والظروف ولم تعد تستهوى إلا البسطاء ، فلا توجد أمة تستطيع أن تمسخ ذاتها بالانفصال عن ماضيها وتراثها ، ولا توجد تلك التى ترضى أيضاً بالانتحار الذاتى برفضها الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة . ولا توجد نهضة حديثة لم يكن أحياء التراث جزءا منها .

واذا كان منهج المفاضلة والاختيار بين « إما ... واما » لم يعد واردا فإن المطلوب هو نظرة نقدية لكل من مفهومى التراث والحداثة ، وأن نمارس التفكير والتحليل فى تاريخنا وفى تاريخ الآخرين أيضاً ، لا نقبل كل ما هو ماض بإسم الأصالة ، ولا ننقاد إلى كل وافد بإسم التجديد أو الحداثة .

إن النظرة النقدية التى ندعو إليها ينبغى أن تسأل : أى تراث ؟ وأى معاصرة ؟

وكل من التراث والمعاصرة لهما امتداداتهما الثقافية والفكرية فى واقعنا العربى المعاصر ، ولهما أيضاً نماذجهما السياسية الراهنة . وفى تاريخنا الحديث استخدم كل منهما لتبرير أمور جد متناقضة ، وكم من المواقف وعكسها تم شرحها وتبريرها للانسان العربى باسمهما .

وهذه النظرة النقدية تتضمن أيضاً أنه لا توجد « وصفة » جاهزة أو « تركيبة » مضمونة ، ما علينا سوى تطبيقها فى بلادنا ، فلا التفتيش فى بطون الكتب ولا النقل عن تجارب هذه الدولة أو تلك سوف يوصلنا إلى هذه الوصفة الجاهزة أو التركيبة المضمونة ، وأى مجتمع يجد حلوله من خلال التجربة التاريخية ذاتها انطلاقاً من تصور عام للتطور ولمسار التغيير ومن مشروع سياسى نهضوى يحدد التوجهات العامة لهذا التقدم المنشود .

كما تتضمن هذه النظرة النقدية الابتعاد عن الأشكال والرموز والنفاذ الى جوهر الأشياء وأصولها ، والحقيقة أن بعدنا اليوم ــ كعرب ــ عن التراث يماثله بعدنا عن الحداثة . فمع أننا من أكثر الناس ترداداً وحديثاً عن تاريخنا وتقاليدنا فإننا لا نتمثلها حقاً فى سلوكنا ومشاريعنا السياسية وإلا فأين الجهاد ومعانى البذل والتضحية والعطاء ؟ ، ونحن أيضاً أخذنا من الحضارة مظاهرها الاستهلاكية المادية من مبان شاهقة ، وسيارات فارهة ، وسلع ومصنوعات جاهزة دون أن نأخذ منطقها وأسلوب تفكيرها .

ورابعها وأخيرها أن قضايا التراث والمعاصرة أو الأصالة والتجديد لا ينبغى النظر لها على أنها قضايا ثقافية فكرية يتم حسمها بالتفكير ومقارعة الحجة بالحجة فما هكذا يتحرك التاريخ ، وهى على هذا المستوى النظرى لا تهم سوى عدد ضئيل من ابناء المجتمع العربى .

وانما النظرة الصحيحة لها ستكون فى اطار التحديات التى تواجه بلادنا وعلاقة هذه القضايا واسهامها فى مواجهة هذه التحديات وفى قدرتنا على التصدي لها وفى الاقتراب بنا من النهضة . فنحن فى هذه المرحلة نواجه تحديات عدة . هناك تحدى الاستقلال الوطنى فى مواجهة التبعية الأجنبية ، وهناك تحدى الحرية والمشاركة واحترام حقوق الانسان فى مواجهة الاستبداد السياسى ، وهناك تحدى التنمية والعدل الاجتماعى فى مواجهة التخلف والاستغلال ، وهناك تحدى التحرر الثقافى وتأكيد الذات القومية والحضارية فى مواجهة التغريب والاستلاب الحضارى ، وهناك التحدى الاسرائيلى ــ الصهيوني ، وهناك تحدى التجزئة والوحدة .

وقضايا التراث والمعاصرة هى جزء من هذا السياق التاريخى وسيتم فرز الآراء المختلفة بخصوص هذه القضايا بقدر ما تسهم وتساعد المجتمع فى مواجهة هذه التحديات .

علي الدين هلال

هامش :

(١) د . محمد الجوهرى : دراسات فى التنمية الاجتماعية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣ م ص ٢٣٦ .

دعوها فالجنوب لها يغني

« رسالة مفتوحة إلى الشهيدة العربية سناء التي فجرت نفسها في قافلة اسرائيلية في الشهر الماضي ... » .

شعر: عبد السلام جاد الله



تُعانِدني القوافي يا سناءُ
ويحرقني رحيلُكِ في زمانٍ
يضيقُ الشِعْرُ بالمعنى فأغدو
فأهجرُ أحرفي .. وأسُدُ بابي
بكيتُكِ هامةً بالعِزِّ تعلو
رغيفُ الخبزِ يُدنيها فتدنو
رحلتِ وقد عرفتِ بأن فينا
عرفتِ بأننا أصفارُ عَدٍّ
أثائرةَ الجنوب فدتْكِ نفسي
لِأنهي عند قبركِ في سكونٍ
وأشربُ من رحيق الأرض كأساً
أنامُ وأستفيقُ على هوان :
تُحاصرني الفجيعةُ في سكوني
أأرثي زهرةً بالأمس ماتتْ
حَرِيٌّ بالرثاء أنا وشِعْري
فبئسَ الشعر إذ يرثي شَهيداً
سناءُ هناك ترقبنا جميعاً
تريد يداً تَشُدُّ على يديها
فصمتّاً يا أعزائي لتغفو
فلا شعراً تُريد ولا دموعاً
دعوها بجمع الفيروز ليلاً
فإن الروح من أجلي وإني
دعوها ، فالجنوب لها يغني

ويستعصي على قلَمي الرثاءُ
تُخالِفُهُ الرجولةُ والحياءُ
كَمحمومٍ يضيقُ به الرداءُ
لأبكي حيث يُسعفني البكاءُ
وهاماتُ الرجالِ بها إنحناءُ
وتترك ما تشاءُ لما يشاءُ
عيوباً لا يعالجها الدواءُ
وراء الرقْمِ يُلْغيها الوراءُ
عزائي أن يقدمني العزاءُ
حياةً لا تُضيءُ ولا تُضاءُ
فكأس الموت آخرها صفاءُ
أليسَ لما يعذبني انتهاءُ ؟
ويسكتني بحيرتهِ النداءُ
ليولَدَ من تمزقها الرجاءُ
ومن في شعرهِ ألفٌ وباءُ
ويمدح من لأمتهم أساؤا
ضفائرها تخضبها الدماءُ
وتبذلُ ما يُحتمهُ الوفاءُ
ويغفو فوق معصمها المساءُ
كي قد ضاق بالماءِ الإناءُ
وتروي كيف يُختتمُ العَطاءُ
لما يحيا به وطني فِداءُ
غناءَ الأُمِّ تسمعُهُ السماءُ

رجل ملأ الدنيا وشغل الناس
منذ تسعمائة سنة إلى اليوم

الغزالي
ورحلة الحياة إلى اليقين

خواطر وتأملات في ذكرى مرور تسعة قرون على وفاته

بقلم: الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

عبر تسعة قرون مضت الآن على وفاة الإمام (الغزالى) لم تكف الألسنة والأقلام عن الحديث عنه حديثاً مسموعاً أو مقروءاً فى منتدى أو قاعة درس أو بحث أو كتاب ، وجلها تجد منه المادة الخصبة التى شغلت ومازالت تشغل الفكر الإسلامي بخاصة ، والإنسانى بعامة .

وهى فى كثرتها وخصوبتها وتزاحمها تتباين فى الحكم عليه ، أو له تبايناً لا يكاد يوجد فى شخصية من مثله ومثل مجالات حياته .

لقد أحبه أقوام حتى بوأوه مكاناً سامياً لا ترقى إليه نقيصة ، بل وسموا به سموا كادوا يصلون به إلى العصمة ، ونادوا به حجة الإسلام ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنقول منها والمعقول حتى أخمل من القرناء كل خصم ، وأخمد من نيران البدع كل مالا تستطيع أيدى المجالدين مسها ، ولم يزل يناضل عن الدين الحنيف ويحمى حوزته بحلاوة مقاله حتى انكشفت شبهات الغالين عنه والمتربصين ، فهو إمام الفقهاء على الإطلاق ، وربانى الأمة بالاتفاق ، سارت مصنفاته فى الدنيا مسير الشمس فى البهجة والجمال ، ثم هو مع الاختلاف فى فهم آرائه وتأويل نزعته مجمع على اعتباره أعظم المفكرين الدينيين فى الإسلام وأظهرهم أصالة وأقواهم أثراً .

وقد خاصم الغزالى أقوام على اختلاف ثقافاتهم ونحلهم ومذاهبهم من فلاسفة إلى متكلمين إلى فقهاء بل ومتصوفين حتى بلغوا به من الاتهام حداً أنه أجهل الناس بقواعد الدين وفلسفة الحكماء ، وأنه احتطب بليل أموراً خالف بها المعقول والمنقول وملأ كتبه بجمل تردد بها بين مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة لا يعدوها . فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعانى وتسهيلا للهجوم على الحقائق فجمع فى علومه هذه مالا يسوغ أن يودع فى كتاب وحتى ترامت الأخبار بإحراق كتبه فى بعض البلاد .

ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ، ودخل فى غمار العمال ثم تصوف ، فهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموزها وجعل يطعن الفقهاء والمتكلمين ، وابتعد كل البعد عن الإقناع العلمى ، والبرهان الفلسفى حتى كاد ينسلخ من الدين .

هذا التباين مادلالته ؟

هكذا ذهبت الآراء فى الغزالى متباينة .

وإن دل هذا التباين على شيء فإنما يدل على تعدد جوانب هذه الشخصية الخصبة ، فإن أشد الناس ورعا وأتقاهم وأعلمهم من لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا ، وبعضهم بعيون السخط .

والغزالى : أولا وقبل كل شيء بشر غير معصوم يخطىء ويصيب ، والشخصية الإنسانية المتكاملة هى التى تخطىء وتصيب ، ومع ذلك فإن أنصاره



الغزالى كما رسمته ريشة فنان

أسرفوا فى تقديره وغالوا فى الإسراف ، كما أن خصومه قد أسرفوا فى الانتقاص منه وغالوا فى الإسراف ، ولا يرتضى من محبيه أن يرتفعوا به إلى مقام العصمة ، ولا من خصومه أن يسلبوه العلم بل والإيمان أو يجردوه من المنطق والصواب .

ملامح من عصره

ولعل السر وراء هذا التباين يكمن فى الصراع الفكرى الدائر والدائم فى العالم الإسلامى بين مدارس التفكير المختلفة فى المنهج والهدف والتعليم والتفكير مما ترتب عليه الاختلاف فى قيم التقدير والنقد ، وما أصدق قول ابن السبكى فى طبقاته وهو يترجم للغزالى : « إن الطرق شتى مختلفة ، ما رأيت سالك طريق إلا ويستقبح الطريق التى لم يسلكها ، ولم يفتح عليه من قبلها ، ويضع عند ذلك من غيره ، لا ينجو من ذلك إلا القليل من أهل المعرفة والتمكين ، ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى فى مشايخ الطريقة ... واختلاف الطريقين يوجب تباين المزاجين وبُعْد ما بين القلبين لاسيما إذا انضم إليه المخالفة فى المذهب » ..

والناظر إلى حال المجتمع الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى ــ الذى ولد فيه الغزالى ــ لا يعزب عنه أن يرى مظاهر هذا الصراع الفكرى . . فضلا عن الصراع السياسى والاجتماعى ــ محتدما أواره مما أدى إلى انقسام المسلمين فى ذاك القرن إلى أكثر من اتجاه ومعسكر يبرز منها اثنان :

- معسكر أهل السنة فى الدولة العباسية .
- ومعسكر الشيعة فى الدولة الفاطمية .

وكل منهما يتربص الدوائر بالآخر ، ولا يهمه ما يصيبه من الكوارث ، ولم يخفف من حدة هذا الخلاف بينهما ما أصاب المسلمين من نكسات .

وخلال هذه الأحداث ــ وهى كثيرة ــ كان التصوف يشتد عوده ويمضى فى طريقه يستهوى قلوب العامة والخاصة ، مع ما شاب بعض تياراته ، وبعض رجاله من انحراف رفضوا به الشريعة جهراً وتستروا بمسمى الحقيقة ، وصاروا يقولون : هذا شريعة وهذا حقيقة ، وتمادى بعضهم حتى صار يقول : (حدثنى قلبى عن ربى) وفى ذلك ما فيه من خطر التصريح بالاستغناء عن بعثة الرسل ، فضلا عن إباحتهم التعطل عن العمل فى الدنيا باسم الدين فزادوا أتباعهم نفورا عن العمل وميلا إلى الكسل فى وقت اشتدت فيه حاجة الأمة إلى مواجهة التحديات العسكرية والحضارية من المتربصين بهم من الصليبيين وغيرهم .

وناهيك بما كان للفلسفة من دور آنذاك وما كان لها من سيادة وجلال حتى لقد كادت تحل مكان الدين ، فاستحوذت على الذهن والتفكير ، واتسعت التصورات وانتشرت التأملات الفلسفية وجرى الناس وراء النظريات والجدل جرياً أتعبهم وأتعب معتقداتهم وأتعب الحياة معهم ، وامتدت آثارها إلى (علم الكلام) وأدلة (الفقه) وطرق بحثه ، وبذل الفلاسفة المسلمون كثيراً من الجهد فى سبيل التوفيق بين الفلسفة والدين فابتدعوا مذهبا وسطا فى علوم (ما وراء الطبيعة) وابتكروا نظريات هنا وهناك للمصلحة والتوفيق بين فلسفة الإغريق وما فيها من وثنيات وبين وحي الإسلام وما فيه من هدى ونور ، وشتان ما بينهما .

هكذا ماجت التيارات الفكرية من كلامية وفلسفية وصوفية وفقهية حتى اتسم عصر الغزالى بألوان قوس قزح فكان من أكبر عصور الشك والتلون والتباين فى التاريخ .

• • •

رحلة الحيـــاة

فى صخب هذا الطوفان ولجحه العارمة ولد الغزالى : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ــ بتخفيف الزاى وتشديدها ــ ولد بمدينة (طوس) ، ومات ، وقبر بها ، وهى مدينة كبيرة تضم كثيراً من القرى ، وهي من أعمال (خراسان) شمالى شرقى إيران ، وقد أتت عليها صروف الزمان فدمرت نهائياً عام ٦١٧ هـ بأيدى المغول ، وظلت أطلالا دارسة حتى القرن الثامن الهجرى فأعيد بناؤها باسم (مشهد) وهى تضم بين رفاتها رفات الإمام علي بن موسى الرضا ورفات الخليفة العباسى هرون الرشيد ورفات الغزالى ، كما أخرجت (طوس) عدداً كبيراً من أئمة العلم والسياسة أشهرهم الغزالى والوزير الكبير (نظام الملك) . . . وغيرهما .

الغزالي
ورحلة الحياة إلى اليقين

وقد ولد الغزالي من أصل فارسي في مطلع عام (٤٥٠ هـ ــ ١٠٥٩ م) لأب فقير اليد، غني النفس، يكسب قوته من عمل يده فيغزل الصوف ويبيعه، ويكن في نفسه التقدير الكريم للعلم وأهله، فكان إذا سمع واعظاً، أو فقيها تضرع إلى ربه أن يرزقه ابناً خطيباً واعظاً، أو عالماً، أو متعبداً.

ومات هذا الوالد وقد ترك ولدين في مدارج الطفولة موصياً بهما رجلا صالحاً من أهل التصوف من أصدقائه تاركاً لهما صبابة من مال لا تقوم بأودهما طويلا وكان من قوله: إن لي لتأسفاً عظيماً على ما فاتني من التعلم وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما، ولا عليك أن ينفد في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما.

فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك النَزْرُ اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: اعلما أنني أنفقت عليكما ما كان لكما، وأما أنا فرجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح حالكما، فما لكما إلا أن تلجآ إلى مدرسة فإنكما طالبان للفقه عساه يحصل لكما مقدار قوتكما، ففعلا ذلك، وأحسن الرجل بذلك صنعاً إلى اليتيمين وكان أبوهما صالحاً وكان هذا من أسباب سعادتهما وعلو درجتهما.

وكان الغزالي كلما ذكر هذا الصنيع فيه وفي أخيه يقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، أي: أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش يجري عليهما بسببه ما يجري على طلبة العلم، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقية من طلب العلم وهي معرفة الله تعالى حق المعرفة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشيد بما كانت عليه مجانية التعليم وتكافؤ الفرص فيه ــ للقادر عليه وغير القادر من الفقراء واليتامى ــ وإطعام طلبته بالمجان والتي سبق بها المسلمون العالم أجمع مما يقتضينا تسجيل التقدير والإعجاب بها هنا.

ولقد بدأ تحصيل العلم ببلده (طوس) فقرأ بها ــ في صباه ــ دروسه الأولى وطرفاً من الفقه على (أحمد بن محمد الراذكاني) الطوسي وكان من الفقهاء الصالحين، ثم انتقل إلى مركز علمي أكبر في (جرجان) ــ وهو لما يبلغ العشرين ــ إلى الإمام (أبي نصر الإسماعيلي) وكان من الأمثلة النادرة في الورع والتقوى فعلق عنه التعليقة، ومكث بها ثلاث سنين يحفظ ويستذكر.

ثم رجع إلى (طوس) وأثناء عودته إليها حدثت له تلك الحادثة التي يحكيها بقوله:

قُطعت علينا الطريق، وأخذ العيارون (اللصوص) جميع ما معي ومضوا، فتبعتهم فالتفت إلي مُقدمهم وقال: ارجع ويحك وإلا هلكت، فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد عليّ تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ فقلت: كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها، فضحك وقال: كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليّ المخلاة.

يقول الغزالي: هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيت (طوس) أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمي.

ولعل هذه الحادثة كانت ذات أثر بين في حياة الغزالي الفكرية، فقد عودته ــ كما يقول المؤرخون ــ أن يستظهر كل ما يقع تحت يده حتى لا تصبح له حاجة إليه إذا ما تناولته أيدي العفاء.

ثم انتقل إلى (نيسابور) وهي عاصمة (السلجوقيين) ومدينة العلم بعد (بغداد) فانتظم في دروس (أبي المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب الجويني) إمام الحرمين ــ وكان من أتقى وأعلم أهل زمانه، ورئيس المدرسة النظامية الزاخرة بشتى المعارف فأخذ عنه، ونهل منها وأعلّ، وأكبّ على دروس الفقه، والأصول والمنطق والكلام، وكانت أبرز علوم عصره، وأعانه على ذلك ما كانت تزخر به هذه المدرسة من العلوم فضلا عن أستاذه وشيخها الكفء الإمام الجويني، وفيها كذلك بدأ حياته في الكتابة والتأليف مما زاد من خصوبة حياته العلمية، بل إن هذه الفترة بالذات لتعد من أخصب أيام حياته العلمية إذ برع فيها في المنطق والمحاورة وعرف مناهج الفلاسفة وطرق الرد عليهم، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، ولكنه لم يزل ملازماً له إلى أن مات، فخرج من (نيسابور) إلى (المعسكر) وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره وقد ظهر فضله وذاع صيته، ولقي هناك (نظام الملك) الوزير الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي وكان من أخطر الشخصيات التي لها أثر بعيد في التاريخ الإسلامي، فقد وزر لكل من السلطان (ألب أرسلان وولده ملكشاه) وقد بسط المؤرخون الحديث عن سجاياه من تقوى وعدل وحب للعلم والعلماء، وكان له جهد لا ينسى في ابتناء المدارس وتأسيس الربط والعناية بها حتى ليقال إن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة كبرى على نمط الجامعات اليوم يقيم فيها الطلاب للدراسة مكفولا لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام واللباس، وكان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم، فوجد عنده الغزالي كل تبجيل وتعظيم وبخاصة بعدما ظهر علمه وفضله في المناظرات التي كانت تجرى في مجلسه، وفوض إليه التدريس بمدرسته (النظامية) ببغداد عام ٤٨٤ هـ ــ ١٠٩١ م فقدمها ــ وسنه لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره ــ وقلما تقلد عالم هذا المنصب في مثل هذه السن ــ فأعجب به أهل العراق وارتفعت منزلته بينهم حتى صار عظيم الجاه مسموع الاسم وذاع صيته حتى ليقال: إن مجلس الغزالي كان يحضره أكثر من ثلثمائة عمامة من أكبر العلماء، وأصبح مضرب المثل في التدريس والافادة، تشد إليه رحال طالبي العلم وأهل الورع، وفي تلك الأثناء اشتغل بتحصيل الفلسفة مدة سنتين، ثم عاود الدراسة فيها متفكرا ومتفقداً غوائلها قريباً من سنة.

• حاربه بعض العلماء في عصره، وترامت الأخبار بأنهم أحرقوا كتبه في بعض البلاد!

• كان عصر الغزالي من اكبر عصور الشك والتلون والتباين في التاريخ

منهجه في البحث والدراسة

عاش الغزالي في القرن الخامس الهجري وفيه كانت العقول قد نضجت واستوت أودية التفكير على سوقها وتعددت روافدها بين أصيل ودخيل، واختلفت أساليب المعرفة ومناهج البحث عن الحقيقة التي ينشدها كل مفكر في العقائد والفروع وفي الطبيعة وما وراءها وفي المذاهب والديانات، وكثر الخلاف في كل مسألة حتى ليكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة والمذاهب المتباعدة ضرباً من المستحيل، ووسط هذا المناخ قطع الغزالي مراحل حياته العلمية يقول: «ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذاالبحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور

لا خوض الجبان الحذور ، أتوغل فى كل مُظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلماً إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولازنديقاً معطلا إلا وأتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول أمري وريعان شبابى غريزة وفطرة من الله وضعت فى جبلتي لا باختيارى وحيلتى » .

فظل بهذا المنهج يدأب فى إرواء غليله حتى انحلت عنه رابطة التقليد وانكسرت عليه العقائد الموروثة وهو لم يزل على قرب عهد بسن الصبا ، فتحرك باطنه إلى حقيقة الفطرة السليمة وحقيقة العقائد العارضة عليها بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات ، فحدد لنفسه أولا : أن مطلوبه : هو العلم بحقائق الأمور ، وأنه لابد من طلب حقيقة العلم ما هى ؟ ..

الرحلة الى اليقين

لقد ظهر له أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا بخوارق العادات لم يورثه ذلك شكا ولا إنكاراً فيما علمه وأيقنه ، وأن كل ما يعلمه ويتيقنه وليس على هذا الوجه فهو علم لاثقة به ، ولا أمان معه ، وليس بعلم يقينى .

ثم بدأ مرحلة كشف وتطبيق لعلومه التى حصلها وبلغ فيها أقصى ما يصل إليه عالم فى عصره حتى انتهت إليه الرئاسة فيها ، فوجد نفسه إزاءها عاطلة من (علم يقينى) موصوف بهذه الصفة إلا فى (الحسيات والضروريات) .

ثم تأمل فى هذه الحسيات وتلك الضروريات وتشكك ، حتى بطلت الثقة بها عنده وازداد تشككه حتى أعضل به الداء ودام معه مدة ظل فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم المنطق والمقال حتى شفاه الله تعالى من ذلك المرض وعادت نفسه إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى فى صدره .

وبيان ذلك : أن الغزالى نظر حوله فى أصناف الطالبين فوجدهم ينحصرون فى أربع فرق هم : المتكلمون ، والفلاسفة ، والباطنية ، والصوفية ، وكان لهم من السيطرة ما فتن بهم الخاص والعام وصاروا معلمة العصر وبضاعتهم محك الأقران .

وبدأ عملية سبر وامتحان لها وعلى طريقها لعله يجد ضالته فيها ، فماذا وجد ؟

• كان أبوه فقير اليد ، غنى النفس ، يكسب قوته من غزل الصوف وبيعه

• كان مجلس الغزالى يضم اكثر من ٣٠٠ عمامة من أكبر العلماء فى بغداد

الغزالى وعلم الكلام

بدأ الغزالى بعلم الكلام فحصله وعَقَله وأحكمه بعد أن طالع كتب المحققين منهم ، ثم صنف فيه بعد أن صادفه علماً وافياً فى بابه ، إذ كان الهدف منه حفظ عقيدة أهل السنة عليهم وحراستها عن المبتدعين ، وأن علماء الكلام لتحقيق مقصودهم منه اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم ، وكان أكثر خوضهم فى استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم ، ومع هذا لم يجده مشبعاً ولا وافيا بمقصوده هو ، فهو قليل النفع فى حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلا .. « فلم يكن (الكلام) فى حقى كافياً ، ولا لدائى الذى كنت أشكوه شافيا » .

الغزالى والفلسفة

« ثم إنى ابتدأت ــ بعد الفراغ من (علم الكلام) بعلم الفلسفة » ..

هكذا أقبل الغزالى على الفلسفة اليونانية جرياً وراء دعوى أنها الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة الحق واليقين إذ هى العلم المبنى على العقل والمنطق والاستدلال .

ورأى ــ أولا ــ أن يحيط بمقاصدها وكلياتها بجهده ويتعرف عليها بنفسه لا بما عرفها به أنصارها أو خصومها ، فأقبل عليها دارساً فى نهم حتى وصل منها إلى أقصى ما يصل إليه عالم متوفر على دراستها ، بل وفاق كل أقرانه فى دراستها « ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف همته إلى ذلك ، ولم يكن فى كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم إلا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد .. فشَمرتُ عن ساعد الجد فى تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ وأقبلت على ذلك فى أوقات فراغى من التصنيف والتدريس فى العلوم الشرعية .. فأطلعنى الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة فى هذه الأوقات المختلسة على منتهى علومهم فى أقل من سنتين .. ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره .. »

وبهذه الحيدة والإنصاف والتعمق أخذ الغزالى يقسم علوم الفلسفة إلى ستة أقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وسياسية ، وخلقية ، ثم إلهية ، فأما (الرياضية) فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ، وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفياً وإثباتاً ، بل هى أمور برهانية لا سبيل إلى مجاهدتها بعد فهمها ومعرفتها ، وأما (المنطقية) فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا وإثباتاً ، بل هو النظر فى طرق الأداة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه وأن العلم إما « تصور » وسبيل معرفته الحد ، وإما « تصديق » وسبيل معرفته البرهان ، وليس فى هذا ما ينبغى أن ينكر ، بل هو جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر فى الأدلة ، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ، وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات .

وهكذا يقول عن علم (الطبيعيات) ، وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضاً إنكار ذلك العلم ، إلا فى مسائل معينة ذكرها فى (تهافت الفلاسفة) .

وأما (السياسات) فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية والإيالة السلطانية وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء .

وأما (الخُلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع إلى

الغـــزالي
ورحلة الحيـاة إلى اليقـين

حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وإنما أخذوها من كلام الصوفية ، ولقد كان فى عصرهم ، بل كان فى كل عصر جماعة من المتألهين .

ثم انتقل إلى علم (الإلّهيات) وهو العلم الذى تركز فيه الصراع بين الاسلام والفلسفة ، إذ فيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها .

وبعد النظر فى جميع فروع الفلسفة والاعتراف بصحة بعضها وفائدته انتهى إلى أن أكثر أغاليطهم إنما هو فى (الآلهيات) وناقشهم فى شرائعهم ومقدماتهم للبحوث الآلهية . ثم أخذ فى بيان مسائل الفلاسفة التى تكفل الرد عليها ونقدها وتشريحها وهى عشرون مسألة أكثرها فى الآلهيات فكفرهم فى ثلاث منها هى :

١ ــ مسألة قدم العالم وقولهم به .

٢ ــ مسألة قولهم إن الله ــ تعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص .

٣ ــ مسألة قولهم بإنكار بعث الأجساد وحشرها .

فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الاسلام بوجه ، ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ ثم توقف فى تكفيرهم فى المسائل الأخرى .

الغزالى والباطنية

ثم انتقل بالدراسة إلى (الباطنية) التى كان قد عظم شأنها واستهوت الكثيرين ، وكانوا قد زعموا أنهم يأخذون علمهم من الامام المعصوم القائم بالحق وهو مصدر العلم الذى يصح الاعتماد عليه والثقة به .

فكان طبيعياً أن يلجأ إليهم الغزالى ــ وقد يئس من رحلته مع العقل فى صحبة الفلاسفة ــ فبدأ بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وبعض كلماتهم ..

ثم قرر شبهتهم إلى أقصى الامكان ثم أظهر فسادها بغاية البرهان .

وبين ــ عن اقتناع ــ أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة ــ مع ضعفها ــ إلى هذه الدرجة . فهم مع عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام لم يفهموا الإشكالات التى استشكل عليهم بها ، فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الامام الغائب فإذا ما قيل لهم : هاتوا علمه وأفيدونا من تعليمه وقفوا قائلين : الآن إذا سلمتم لنا هذا فاطلبوا ، فإنما غرضنا هذا القدر فقط ، فهذه حقيقة حالهم فلما خبرهم نفض اليد منهم .

الغزالى والتصوف

ثم لما فرغ من هذه العلوم أقبل بهمته على طريق الصوفية علما وعملا فوجد أن حاصل عملهم : قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة وحتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله تعالى .

وكان العلم بها أيسر عليه من العمل فبدأ بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم حتى اطلع على كنه مقاصدهم العلمية فظهر له أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات .

• استطاع أن يتعرف على مقاصد الفلسفة اليونانية عندما أقبل على دراستها..

• المسلمون أول من حققوا مجانية التعليم قبل أن يعرفها العالم كله بمراحل طويلة

• لم ينكر علم « الطبيعيات » الا فى مسائل معينة ذكـــرها فى « تهافت الفلاسفة » ..

وعلم يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصله ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك .

« وكان قد ظهر عندى أنه لا مطمع لى فى سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق ..

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وفى هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ أقفل الله على لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحداً تطييبا للقلوب المختلفة إلي فكان لا ينطق لسانى بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب فكان لا ينساغ لى ثريد ولا تنهضم لى لقمة وتعدى إلىّ ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج والا أن يتروح السر عن الهم الملم .

ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذى لا حيلة له فأجابني الذى يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبى الأعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب ففارقت بغداد .. ثم دخلت الشام وأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لى إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب بذكر الله تعالى » .

وهكذا مضى الغزالى فى طريقه ، فقضى بقية حياته فى الاشتغال بالدين والعلم وأقبل على استكمال مجالاته العلمية بدراسة السنة النبوية وكانت خاتمة أمره ، فجمع بين صفاء القلب ونقاء العقل حتى حط الرحال وهو على اليقين .

يقول أخوه أحمد ــ كما يحكى ابن الجوزى ــ « لما كان يوم الاثنين ، وقت الصبح ، الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (٥٠٥ هـ) ، توضأ أخى وصلى وقال علىّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه ، وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه واستقبل ، وانتقل إلى رضوان الله تعالى » .

حسن عيسى عبد الظاهر



على الصفحات التالية فى هذا العدد يبدأ الدكتور يحيى الجمل تقديم لوحات حية من مذكراته فى الحياة والثقافة ، وهى لوحات جميلة مليئة بالحرارة والصدق والعذوبة والتصوير الدقيق لكفاح جيل عربى كامل من أجل النهضة والتقدم العلمى والثقافى والاجتماعى والجهاد الشاق ضد التخلف ، والدكتور يحيى الجمل كاتب عربى لامع ، وأستاذ جامعى كبير ، وكان أحد الوزراء البارزين فى وزارة الدكتور عبد العزيز حجازى التى تولت السلطة فى مصر بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

قصة حياة عاديّة

بقلم: الدكتور يحيى الجمل

كان البكاء قد أرهقه وتحول إلى نشيج وزفرات وهو يلقى برأسه على صدر جده الى أن أخذته سنة من النوم لم يفق منها الا وذلك المركب الشراعى يعبر به النيل من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وجدّه يحنو عليه ويحاول أن يسرى عنه ببعض ما اشتراه له من حلوى ، ولكن الصبى الصغير كان فى شغل عن ذلك كله ، وكان منظر جدته وهى مسجاة على فراش الموت لا يكاد يبرح خاطره . لقد كان يسمع من الناس أنها جدته ، ولكنه لم يكن يعرف له أما غيرها فقد احتضنته وهو لم يجاوز العام الا بشهور قليلة ، وعاش معها فى تلك القرية من قرى « البحيرة » يعب من حبها وحنانها عبا ويتمتع بما أفاء الله به عليها من بعض الثراء لا يشاركه فى ذلك أحد ، ذلك أن جدته تلك التى اعتصرها الموت منذ الأمس الحزين ، لم تكن قد انجبت إلا أمه فلما رزق الله أمه بغلامين رأت هى تخفيفاً عن ابنتها وملاءً لحياتها أن تأخذ ثانى الغلامين لتقوم على تربيته ، وظل فى كنفها حتى جاء ذلك اليوم الأخير وجاء معه من عرف فيما بعد أنهم أمه وأهل أبيه ، وبقيت أمه الى جوار جثمان أمها وبقى معها أبوه وأدرك الجميع أن الطفل الصغير لن يقوى على كل مشاهد الحزن التى أحاطت بذلك البيت الذى كان لايرى فيه الا الحنان ، فاقترحوا أن يأخذه جده لأبيه معه بعد أن أدى واجب العزاء لكى يعود به الى تلك القرية الصغيرة من قرى « المنوفية » على الضفة الشرقية من النيل لكى يبدأ حياة جديدة مختلفة كل الاختلاف عن حياته الناعمة المدللة طوال تلك السنوات الأربع التى قضاها مع أمه الجدة لا يشاركه فى حبها شريك .

ويوشك الصبى أن لا يذكر شيئاً ولا حدثاً فى طفولته الباكرة مثل ذكره لذلك اليوم الذي أخذه فيه جده وعبر به النيل من قريته على الضفة الغربية الى قرية أخرى على الضفة الشرقية للنيل ، ورأس الصبى على صدر ذلك الجد والدموع ما تزال تنسكب من عينيه وصدره يفور زفرات من آن لآن .

ويعرف الصبى بعد ذلك أن له أمّاً غير تلك التى كان يعيش معها والتى لم يعرف له أمّاً غيرها ، أمّاً كان يراها فى زيارات خاطفة فينكر على « أمه » ان تشركها معه فيما كان خالصاً له من حبها وحنانها وبرها ، ويعرف أكثر من ذلك أن له أخاً يكبره بأربع سنوات وأن له أختاً تصغره بثلاث سنوات وأن له أبا وأن عليه منذ اليوم أن يعيش مع تلك الأسرة الجديدة وأن يعايشها وأن يرضى بهذا الواقع الجديد الغريب .

وكأنه قد سقط من حالق . بعد أن كان متربعاً وحده على عرش الحب كله اذ به يجد نفسه مضطراً الى مشاركة أخوين فى قلب أم محزونة الحزن كله والضنى كله لفراق أمها التى لم يكن لها غيرها فى الوجود وكان تعلقها وارتباطها بها يوشك أن يكون تعلقاً مرضياً . ومازالت أمه هذه لاتفتأ رغم مرور السنين الطوال ــ وحتى وفاتها ــ تذكر أمها بعين باكية وقلب مكلوم .

هكذا بدأ حياته الجديدة ضائعاً أو كالضائع ..

وأدرك بعد فترة أنه قد حيل بينه وبين الضفة الغربية من النيل ، وحيل بينه وبين تلك القرية من قراها التى نعم فيها بدفء الحنان وغمرة الحب على نحو لم يجد له عوضاً قط .. ووقر فى قلبه الصغير ــ على غير وعى منه ــ أن جوعه الى ذلك الحب سيظل جوعاً أبديا بغير ارتواء .

وأدخل الصبى بعد ذلك ــ فيما يذكر ــ كتاب القرية ليحفظ بعض سور القرآن الكريم وليتعلم القراءة والكتابة مع بعض لداته ، وكان شيخ الكتاب واحداً من عائلة أبيه وهو فى ذات الوقت إمام مسجد القرية مما كان يحيطه بهالة تجعله مرهوب الجانب مسموع الكلمة لا يجرؤ أحد على مراجعته فى رأى يبديه .

وانهمك الصبى فيما أريد له وأظهر تفوقاً سريعاً على كل لداته حتى انه ليحفظ بعض أجزاء القرآن ويحسن القراءة والكتابة فى بضعة شهور ، ويوشك أن لا يذكر ذلك اليوم الذى بدأ فيه قراءة « الأهرام » وجلوسه بين بعض أقربائه ممن لا يقرأون ولا يكتبون وهو يقرأ لهم ما جاء فى « الجرائد » من أخبار السياسة وأخبار « الوفيات » جميعاً ، وما أقل ما كان يعى مما يقرأ وما أكثر ما كان يحس بنوع من العوض يسعده بعض السعادة اذ يحس بشيء من الأهمية لأنه يستطيع ما لا يستطيعه الكثيرون من لداته فى القرية .

وكان أبوه قد آثر ــ تلبية لرغبة أمه فيما يبدو ــ أن يبتنى بيتاً مستقلا عن بيت العائلة الكبيرة . ولم يكن ذلك البيت يفصله عن البيت الكبير الا بضع خطوات مما جعل الصبى وأخاه الأكبر أيضاً يترددان دائماً على جدهما وجدتهما حيث كانا يجدان لديهما من التدليل مالا يجدانه عند أبويهما .

ومازال الصبى يذكر كيف كان جده فارع الطول جهورى الصوت محباً للأكل ولكل متع الحياة ،

قصة حياة عادية

وكيف كانت جدته ضعيفة البنية خفيضة الصوت قانعة راضية النفس الى أبعد حدود الرضا كريمة الى حد يشبه السفه .

وكان « دوار » جده هو أهم مبانى القرية وأفخمها جميعاً ، وكانت تتقدمه عواميد أربعة ضخمة تظلها « شكمة » أو ما يمكن أن يقال له الآن « فراندة » وفى هذه الشكمة تمتد « دكك » خشبية على جانبى باب الدوار حيث كان يجلس جده منفرداً حيناً ومعه بعض أعيان القرية وكبار رجالها حيناً ، وكان الصبى يحس برضا عميق وهو يرى أهل القرية يمرون أمام جده راجلين لا يجرؤ أحدهم أن يمر أمامه مهما كبر سنه أو علا مقامه وهو راكب حماره أو دابته .

وما أكثر ما كان ذلك الجد يلقى الألفاظ الغليظة على هذا الشخص أو ذاك فلا يقابل بأكثر من عبارة « ليه بس ياعم الحج » وحتى الذين كانوا يستطيعون مواجهته بتلك العبارة من أهل القرية كانوا قليلين .

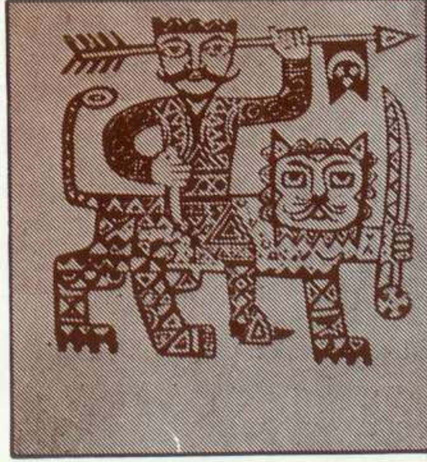
حتى أولاده وبنو عمومته كانوا يخشونه . وكان عمدة القرية هو أحد بنى عمومته وزوج أخته فى آن واحد ، ومع ذلك فقد كان لا يستطيع مع هذا الجد الغاضب دائماً الصاخب باستمرار إلا أن يسترضيه حيناً وأن يتجنب احتمالات هياجه فى كثير من الأحيان .

وكانت جدته هى ملاذ الأقربين والأغراب من أهل القرية اذا كان لهم عند ذلك الجد حاجة أو إذا أرادوا أن يطمئنوا من ثورته حين يثور وما أكثر ما كان يثور .

وكان الصبى الصغير معجباً بذلك الجد أيما اعجاب وكان محباً لجدته أيما حب وكان لا يلقى من أيهما الا كل الاعزاز والحنان والعطاء .

ومازال يذكر تلك الليلة التى اتفق فيها مع كثير من لداته وأقاربه على الذهاب الى مولد « سيدى شبل » فى مدينة الشهداء على مبعدة بضعة كيلومترات من قريتهم ، وذهب الى جده يستأذنه فى أن يذهب مع رفاقه هؤلاء ويطلب منه « مصروفه » وأذن له جده ــ ولم يكن به حاجة بعد هذا الاذن الى أن يستأذن أحداً من والديه ــ ومنحه خمسة قروش كاملة ، وما كان مصروف أحد من لداته يزيد على قرشين اثنين .

ورغم أن ذكريات تلك الليلة غير العادية ليست واضحة فى ذاكرته الا أنه مازال يذكر ذلك الزحام الشديد الذى كانت تغص به تلك المدينة الصغيرة



الزير سالم

وأنوار « الكلوبات » التى كانت تملأها وما اشتراه وأكله فى تلك الليلة من حلوى ، وكان الصباح قد اقترب عندما ذهب هو وبعض من معه ليناموا عند رجل جعل نصف بيته منزلا لزوار المولد ونصفه الآخر لمن أرهقه التعب .

ــ ٢ ــ

وذهب الفتى الى طنطا مع أخيه ليكمل حفظ القرآن فى « كتاب » الشيخ عبدالحميد قشطة ذى الشهرة الواسعة فى الصرامة والقسوة ، واختار والده له ولأخيه أن يسكنا فى حجرة عند شرطى ترتد أصوله الى قريتهم ، وإن كانت قد انقطعت بينه وبين القرية الصلات منذ أن عمل فى البوليس واستقر فى تلك المدينة . ويذكر الفتى أن ذلك الرجل كان ثقيل الظل وكانت له ابنة صغيرة تفوقه فى تلك الخاصية البغيضة . وكان عليه أن يجامل تلك الطفلة وأن يشترى لها أحياناً « بمليم نعناع أو أرواح » ولم يكن ذلك عن طيب خاطر منه قط ولكن الذى يذكره أن والدها كان يضطره الى ذلك اضطراراً بطريق مباشر أو غير مباشر ، وكان لابد له من مرضاة ذلك الوالد حتى لا يخبر أخاه الأكبر كذباً بما قد يثيره عليه ، وكان أخوه ــ على حبه له ــ يريد أن يمارس عليه من أنواع السيطرة والتسلط ما كان يضجر الفتى ويرهبه فى كثير من الأحايين .

وانخرط فى كتاب الشيخ عبدالحميد قشطة وتزايد قدر ما يحفظه من القرآن الكريم يوماً بعد يوم . وعرف عنه بين لداته سرعة الحفظ وحسن الإلقاء . وكان الشيخ فخوراً به دون أن يظهر ذلك الا لوالده ، عندما يلم بمدينة طنطا بين الحين والحين ، وكان والده هو الذى يشعره برضا الشيخ عنه وكان مظهر ذلك أن يعطيه ــ دون أن يعلم أخوه الكبير ــ عشرة قروش كاملة لا دخل لها بمصروفهما الذى كان يتصرف فيه الأخ الأكبر بطبيعة الحال .

ولا يذكر الفتى تلك المناسبة السعيدة أو التعسة التى جعلت والده يعطيه ذات مرة « ريالا » صحيحاً من الفضة ، وكان العهد أن لا يعطيه كلما زاره هو وأخاه فى مدينة طنطا الا عشرة قروش فقط . وظل الريال فى جيبه أياما لا تمتد اليه يده الا لكى تطمئن عليه ، ذلك أن الريال فى تلك الأيام الخوالى كان ثروة حقيقية تزيد قيمته قطعاً عن قيمة عشرة جنيهات فى هذه الأيام الحاضرة ، وفى يوم من الأيام والفتى فى « الكتاب » يستظهر بعض آيات القرآن اذ به يضع يده فى جيبه ليجد أن « رياله » قد ضاع ، ويبحث مرة ومرة دون جدوى ويحاول أن يخفى ما ألم به من اضطراب شديد ولكنه لا يستطيع الى ذلك من سبيل . ويلاحظ الشيخ أن تلميذه ذلك النجيب تصدر عنه حركات غير عادية وأنه قد انصرف عن مصحفه ، وأن رأسه قد توقف عن الاهتزاز الذى يصاحب عملية القراءة ، وأنه يضع يده فى جيبه ثم يخرجها ليضعها مرة ثانية ، وأنه يدير رأسه تحت « التخته » ، وأن أمره كله ينبئ عن أن شيئاً غير طبيعى قد حدث ، ويقترب منه الشيخ بطوله الفارع المخيف ورائحة « النشوق » تفوح منه ليسأله عما به ، وينكر الفتى أن شيئا قد حدث ، ويحاول جاهداً أن يسترد ما فقد من هدوء ، ولكن الشيخ لا يجوز عليه شيء من ذلك ويعنف الفتى ويشده من يده شدة كاد زراعه الصغير أن ينخلع لها ، ولا يملك التلميذ الا أن يعترف لشيخه بالكارثة التى وقعت وبأن « الريال » الذى أعطاه له والده قد ضاع وأنه قد ضاع فى « الكتاب » لأنه تحسسه أكثر من مرة منذ الصباح وهو فى طريقه اليه وبعد أن استقر مقامه فيه .

ويأخذه الشيخ من يده والفتى يرتعد ولا يعرف ماذا ينتظره الى أن ذهب به الشيخ الى المكان الذى توجد به « الفلكة » حيث أمر به فوضعت رجلاه فيها وضربه الشيخ ضرباً موجعاً . ورغم أن الفتى يذكر أن الشيخ لم يضربه بذات القسوة التى كان يضرب بها غيره من الصبية لما يرتكبون من أخطاء سواء فى الحفظ أو فى السلوك إلا أنه لم يستطع أن يدرك حتى يومه هذا لماذا ضربه الشيخ وما الذى جناه ليستحق عليه العقاب ، لقد كان به من ألم ضياع « الريال » ما يكفيه ولكن ذلك لم يكف الشيخ فمده فى « الفلكة » لأول مرة فى حياته ولكنها على أى حال لم تكن آخر مرة .

• • •

كان الفتى يسمع أخاه وابناء عمومته يتحدثون عن مقالات الرسالة والرواية وعن المعركة الأدبية التى تدور رحاها بين الرافعى والعقاد وكان أخوه من المتحمسين للرافعى وابن عم له ــ مات يرحمه

الله – من المتحمسين للعقاد وابن عم ثالث يجامل هذا تارة وذلك تارة أخرى ويرى أن كلا من الأديبين الكبيرين لا يخلو من ميزة ، وكان الصبى يسمع ذلك كله لا يكاد يعي منه شيئاً ، الا أن ذهنه تفتح الى شيء جديد .

وعرف أن ثمة داراً للكتب وأخرى للعاديات فى مدينة طنطا – وكانتا آنذاك فى مبنى واحد قريب من ميدان الساعة على قدر ما يذكر – فكان يتردد عليهما كل يوم جمعه ليقرأ ما يستطيع من قصص مترجمة أو غير مترجمة مما لا يذكر شيئاً منه الآن ، ولكن الكتاب الذى مازال عالقاً فى ذاكرته كان من تأليف الاستاذ حسن الشريف وكان عنوانه « المآسى التاريخية الكبرى » وكان يدور حول أحداث الثورة الفرنسية بطريقة روائية بالغة التشويق . ولعل حبه للتاريخ وشغفه بقراءته فيما بعد يرجع الى تجربته الأولى مع ذلك الكتاب الذى جعله يعيش أحداث الثورة الفرنسية الدامية ومحاكماتها الشهيرة على نحو لم يغادر مخيلته قط ، بل ولعل هذا الكتاب أيضاً كان وراء رغبته بعد ذلك فى دراسة القانون وحبه لمهنة المحاماة .

وأغرم الفتى بالقراءة وأولع بها ولعاً شديداً . وكان ذلك كله والصبى لم يبلغ العاشرة من عمره بعد . ولا يذكر ذلك اليوم الذى اشترى فيه قصة « الزير سالم أبو ليلة المهلهل » من عيون الأدب الشعبى التى كانت رائجة آنذاك وكانت تباع بالقرب من مسجد السيد البدوى نفسه .

وذات يوم لم يكن قد أكمل فصلا من فصول الرواية فساورته نفسه أن يأخذها معه الى « الكتاب » والنفس أمارة بالسوء . وأخذها فعلا وأخفاها فى ثنايا جلبابه وعندما جلس على مقعده أخذ يقرأ فى قصة « الزير سالم » وتأخذه القراءة فى القصة وتستولى عليه حتى لينسى نفسه ومَن حوله وينسى أنه فى كتاب الشيخ عبد الحميد قشطة ، ويبدو أن صوته قد ارتفع قليلا وهو يدندن بشعر تلك الملحمة الشعبية ، ولم يشعر إلا بيد غليظة تمتد لتمسكه من رقبته ويد أخرى تمتد لتمسك الرواية مفتوحة .. ودارت به الدنيا وأسقط فى يده وأظلم « الكتاب » كله من حوله وأحس كأن نهاية العالم ونهايته معاً قد دنت .

وهاج الشيخ هياجاً عظيماً وأرغى وأزبد ولطمه على وجهه واقتاده معه ثانية الى ذلك المكان الرهيب حيث توجد « الفلكة » ، ولعن الفتى « الزير سالم » وقصته وكتاب المآسى التاريخية الكبرى وكل كتب الأدب ، وتصور الفلكة وكأنها ذلك « الجيلوتين » الذى تهاوت عليه رؤوس قادة الثورة الفرنسية ورؤوس أعدائها على حد سواء .

وكان ذلك اليوم فراقا بينه وبين كتاب الشيخ عبدالحميد قشطة ذلك أنه أعلن عصياناً لا عدول



مصطفى صادق الرافعى

عنه وأعلن أنه لن يستمر عند ذلك الشيخ ، بل أعلن أنه لن يكمل تعليمه الا إذا ادخله أهله المدارس الابتدائية .

ولم يستطع أخوه أن يحسم ذلك وحده فأرسل الى والده لكى يحضر ، وقد شجع الفتى على عصيانه واصراره على ذلك العصيان انه أحس احساسا مبهما أن والده وأخاه جميعاً كانا مستاءين من القسوة البالغة التى عامله بها الشيخ والتى مازالت آثارها واضحة على رجلى الفتى واجزاء من جسمه ، الى أن حضر أبوه وشجعه ذلك الإحساس على أن يمعن فى موقفه لا يحيد عنه .

وكان العام الدراسى قد بدأ منذ شهور .

وجلس والده يتداول الرأى مع شيخ أزهرى – كان جليلا جداً فى نظره آنذاك ، وكان الشيخ بالغ الضخامة ، وكان يسكن فى شقة كاملة بها صالون للجلوس – ومع غيره من أهل الرأى والحكمة واستقر رأيهم بعد طول الدارسة على أن يذهب به والده الى مدرسة ابتدائية أهلية لعلها تقبله رغم أن العام الدراسى كان قد أوشك أن ينتصف .

واشترط ناظر المدرسة لكى يقبله أن يعقد له امتحانا فى الاملاء والحساب .

ويبدو أن الفتى قد اجتاز ذلك الامتحان بنجاح ملحوظ مما جعل الناظر يعدل عن كل تردد ويقبله على الفور .

وكان لابد وأن يشترى له والده بدلة جاهزة ، ومازال يذكر كيف ذهب مع ذلك الوالد الطيب الى محل كبير فى مدينة طنطا وكيف لبس لأول مرة فى حياته تلك البدلة التى دفع والده ثمنا لها ثمانين قرشا عدا ونقداً .

واصبح منذ ذلك اليوم تلميذا فى السنة الأولى الابتدائية .



طه حسين

— ٣ —

ولا يذكر الصبى شيئا كثيرا عن تلك الشهور التى قضاها فى مدرسة « ولى العهد » الابتدائية الأهلية ولا عن تلاميذها الا زميلا له من تلاميذ الفصل كان اسمه « سعفان » اذا كانت ذاكرته قد أسعفته بالاسم الصحيح بعد كل تلك السنين الطوال التى جاوزت الأربعين . وغير هذا الزميل الذى يذكر أنه كان هادىء الطبع أبيض الوجه أقرب الى أن يكون طويل القامة مجدا فى دراسته حسن الالقاء فى درس المطالعة – غير هذا الزميل الذى جاء ترتيبه الثانى فى امتحان نهاية العام – وكان فتانا هو الأول .. لا يكاد صاحبنا يذكر شيئا عن تلك المدرسة ولا مدرسيها ولا حتى موقعها فى مدينة طنطا .

وعلى قدر احتفال الفتى واهتمامه كلما ذهب الى تلك المدينة بأن يذهب الى حيث كانت توجد – ومازال – مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية التى انتقل اليها منذ السنة الثانية الابتدائية فانه لا يذكر شيئا ذا قيمة عن تلك المدرسة الأهلية التى قضى فيها تلك الشهور من سنته الأولى فى التعليم العام .

ولم تكن مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية مدرسة أهلية بالمعنى الذى كان يعرف عن تلك المدارس فى تلك الحقبة من نهاية العقد الثالث وبداية العقد الرابع من القرن العشرين ، حيث كانت تلك المدارس تعتبر أقرب الى المشروعات التجارية منها الى مدارس العلم . ولكن مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية لم تكن مع ذلك من المدارس الأميرية أى من مدارس الحكومة . وكان فى طنطا مدرسة ابتدائية اميرية واحدة وكانت مصروفات التلاميذ فيها فى العام تزيد على عشرة جنيهات ، ذلك على حين أن مصاريف التلاميذ فى

الجمعية الخيرية الاسلامية كانت ستة جنيهات فقط. كذلك فإن المدرسة الاميرية كانت تمتاز بملعبها الكبير الذى تتبارى فيه المدارس الابتدائية فى كرة القدم. ولم يكن فى مدرسة الجمعية الخيرية مثل هذا الملعب وإن كان فيها ملعب لكرة السلة. كذلك فإن تلاميذ المدارس الابتدائية الأميرية الذين كانوا يدفعون عشرة جنيهات رسوما كانوا يتناولون وجبة الغذاء فى المدرسة الأمر الذى لم يكن متاحا فى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية.

وكأن القدر كان لا يريد أن يرهق والد الفتى فوق إرهاقه فأراد أن ينجح من السنة الثانية الى السنة الثالثة الابتدائية بحيث كان ترتيبه الأول على كل فصول المدرسة. وكان النظام المتبع فى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية أن يتمتع الطالب الأول بمجانية التفوق. وسعد الفتى أيما سعادة عندما علم أنه أول مدرسته وأن مكافأته على ذلك ستكون اعفاء والده من مصاريف المدرسة. ولم تكن شيئا هينا بمقاييس تلك الأيام: ستة جنيهات نقدا وعدا. وضاعف من سعادة الفتى أنه عندما منح مجانية التفوق سمع عن نوع آخر من المجانية فى الجمعية الخيرية الاسلامية كان يطلق عليه مجانية الفقر. وكان للحصول على هذه المجانية عدة شروط منها شدة الفقر مع الانتقال من سنة الى سنة أعلى. وكان يحصل على هذه المجانية عدد من الطلاب فى كل سنة، ذلك على حين أن مجانية التفوق تمنح لطالب واحد، وكان لا يطلب من مستحقها أن يثبت عجزه عن دفع الرسوم كما هو الحال بالنسبة لطالب مجانية الفقر. ذلك فضلا عن الفارق الرهيب بين الاسمين: مجانية التفوق ومجانية الفقر.

ويذكر الفتى أنه ظل سنين طويلة يقول لوالده فى معرض المزاح الذى لا يخلو من جد أنه لم يثقل عليه قط فى رسوم المدارس كما فعل إخوته الآخرون، وأنه منذ السنة الثانية الابتدائية والى أن أتم تعليمه فى الجامعة كان يتمتع دائما بمجانية التفوق، وكان والده ـ رحمه الله ـ يقول له مسرورا فرحا وعاتبا فى نفس الوقت: وهل مصاريف المدرسة شىء الى جوار المصاريف الأخرى وتكاليف الحياة؟!

* * *

وكان أخوه الأكبر يريده أن يكون أديبا، ولعله لمس فى الفتى استعدادا لشىء من ذلك وهو يتابع تلك المحاورات المستمرة بين أخيه وبنى عمومته وأبناء القرية من طلبة الأزهر حول الرافعى والعقاد وطه حسين واحمد حسن الزيات واحمد أمين، تلك الأسماء التى سمع الفتى عنها كلها وهو لم يجاوز العاشرة من عمره الا قليلا، بل ولعل أخاه ايضا لمس ذلك الاستعداد فى فتانا حيث كان يريد



أحمد حسن الزيات

أحيانا أن يقرأ فى الرسالة وحيث كان يقرأ فعلا فى الرواية.. كان أخوه الأكبر يريده على أن يكون أديبا مرموقا يوما من الأيام ولذلك شجعه على أن يكمل القرآن حيث لم يكن قد بقي له على اتمام حفظه عندما ترك كتاب «الشيخ عبد الحميد قشطة» الى المدرسة الابتدائية غير أربعة اجزاء فقط من القرآن الكريم كله والذى يجزأ إلى ثلاثين جزءا.

والأكثر من ذلك أن الأخ الأكبر كان قد سمع أو عرف أن الاستاذ دريني خشبة كان له ابن أخت من الأدباء النابهين الشباب وأنه ـ أى دريني خشبة ـ قد جعله يحفظ كليلة ودمنة لابن المقفع عن آخرها، ورغب أخوه فى أن يفعل الفتى نفس الشيء، وامعانا فى تشجيعه فقد نذر أن يعطيه خمس مليمات (قرش تعريفة) ـ وماأدراك ما خمس مليمات آنذاك ـ عن كل صفحة من «كليلة ودمنة» يحفظها عن ظهر قلب. ويذكر الفتى أنه حفظ جزءا ضخماً من كتاب كليلة ودمنة وأن ذلك الجزء ظل عالقا بذهنه ردحا طويلا من الزمان. ولكن الفتى لم يستطع أن يكمل حفظ كليلة ودمنة فقد كان يجد فى حفظها مشقة كبيرة، ويذكر أنه اشتكى الى والده من ذلك الأمر فى مرة من المرات التى كان والدهما يلم بهما فى تلك المدينة «طنطا» ليطمئن على أحوالهما وليعطيهما ما يلزمهما من نفقة وليمنح الفتى الصغير ـ دون علم من أخيه ـ عشرة قروش كاملة غير منقوصة فى كل مرة من تلك المرات.

واستاء الأخ الأكبر من شكوى الفتى لأبيه عن أمر ليس فيه الا مصلحته، ولم يدرك مدى المشقة التى كان يعانيها ذلك الصبى الصغير فى تحصيل دروسه وفى حفظ بقية اجزاء القرآن وكذلك تلك الصفحة من كليلة ودمنة، وتركه على حريته لكى يقرأ «كليلة ودمنة» قراءة بغير استظهار. وكان الفتى على شغف بالقراءة وحب شديد لها. ويبدو أن تلك العادة ـ عادة القراءة ـ قد تكونت لديه منذ ذلك الوقت المبكر ومازالت تلازمه الى يومنا هذا. ومازال يؤرقه أن شواغل الحياة تحول بينه وبين متعة القراءة وقتا يقصر أحيانا ويطول أحيانا وفقا لظروف الحياة ودواعى العمل.

ويوشك أن يتصل ما يذكره الفتى عن تلك الفترة من حياته فى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بذلك التكوين اللغوى والأدبى الذى اتيح للكثير من لداته. يذكر أنه اختير لالقاء «خطبة» عن شخصية من الشخصيات الاسلامية وكان الفتى ـ ومازال حتى يومنا هذا ـ معجبا إعجابا شديدا بشخصية عمر بن الخطاب فاختار «عمر» موضوعا لتلك الخطبة. ويذكر الفتى أنه كان محل استحسان غير قليل من اساتذته الذين استمعوا إليه بغير ضجر.

ويذكر الفتى أن مفتشا للغة العربية جاء زائرا للمدرسة وهو فى السنة الثالثة وكان استاذ اللغة العربية من الأساتذة الأكفاء، وكان الفصل من الفصول المعروفة بقوة التلاميذ وتفوقهم. وشاءت ظروف لم يدرك الفتى كنهها أن لا يستطيع أغلب الطلاب الاجابة على ما كان يثيره المفتش من أسئلة وأنه وحده الذى كان يظل رافعا اصبعه طالبا الاجابة، وكان يجيب الإجابة الصحيحة، وأدى ذلك إلى اعجاب المفتش به الى حد أنه كان عندما يلقى سؤالا ولا يستطيع التلاميذ الاجابة عنه كان يتجه الى فتانا قائلا: «أجب يالى عليك الأمل ياجمل» ويذكر الفتى أنه رغم سروره الا أنه كان فى ضيق شديد لأنه أحس أن استاذه ذلك الذى لم يدخر جهدا معه ومع زملائه كان فى حرج شديد وضيق أشد نتيجة عجز الطلاب عن إجابة الأغلب الأعم مما اثاره المفتش من أسئلة يبدو أنه كان يقصد من ورائها اثبات عجز المدرس عن توصيل العلم الى التلاميذ. الا أنه أيا كان الأمر فقد ظلت تلك العبارة «ياللى عليك الأمل ياجمل» عالقة فى ذهنه الى وقت بعيد. ويذكر الفتى ايضا أنها لم تكن عالقة فى ذهنه على نحو يخلص للسرور وإنما كان سروره يختلط بشىء من المرارة يرجع بعضه الى ما أصاب استاذه من هم ويرجع بعضه الى كثير من تصاريف الحياة الأخرى التى لم تحقق آماله فى كثير من جوانب الحياة.

ـ ٤ ـ

كان يوم الخميس الأخير من العام الدراسى لا ينتهى الا وهو عائد الى القرية ليقضى بها أجازة الصيف كاملة غير منقوصة. ولم تكن الفترة التى يقضيها فى القرية مجرد أجازة صيف، لقد كانت حياة كاملة، كان يعيشها حتى بأكثر مما كان

يعيش أيام المدرسة .. ذلك أنها لم تكن مجرد لهو وراحة ولعب ولكنها كانت من أكثر الفترات امتلاء فى حياته ، وقد تكون من أبعدها تأثيرا على تكوينه النفسى والثقافى . وكانت تلك هى الفترة التى يجمع فيها شمل الأسرة الصغيرة أو الكبيرة . كانت هى الفترة التى يرى فيها أمه وأباه وبقية إخوته . هذا عن الأسرة الصغيرة ، والتى كان يرى فيها عمومته وأبناء عمومته ومن اليهم وتلك هى الأسرة الكبيرة .

وكان أبوهم قد اختار ــ بناء على رغبة الأم ــ أن يبتنى بيتا خاصا مستقلا عن البيت الكبير ، ولكن ذلك البيت المستقل الذى لم يكن يخلو من بعض مظاهر الحداثة لم يكن بعيدا عن حيث يوجد جده وجدته وبقية أعمامه ولداته من بنى الأعمام .

وكان مركز « العمودية » فى عائلتهم منذ كان ذلك المنصب فى القرية المصرية . ولكن العمدة لم يكن هو جده المباشر ولا عمه المباشر وانما كان من فرع آخر من فروع العائلة . وكانت تلك الفروع ترتبط ببعضها بأكثر من رباط . كان العمدة ابن عم لأبيه وابن عمته فى نفس الوقت ذلك أن والدى العمدة كانا بنى عمومة . ومن ثم فقد كان جده عما للعمدة وخالا له فى آن واحد وكانت البيوت كلها متشابكة متلاصقة . وكان العهد بقسمة الأرض والدور مازال قريبا . وكان جيله من الصغار ينظرون إلى الجيل السابق عليهم ــ جيل الآباء والأعمام ــ على أنهم اخوة لا يكادون يميزون بين الأخ وابن العم الا قليلا .

وانه مازال يذكر جده وكيف كان فارع الطول يكاد الدم ينفر من وجهه من شدة احمراره ، وكيف كان حاد المزاج لا يكاد يتكلم بهدوء فى أمر من الأمور . وكيف أن جده الآخر ــ العمدة ــ كان قصير القامة هادىء الطبع يتحاشى أن يدخل فى صدام مع قريبه ذلك الحاد الطبع العالى الصوت العصبى المزاج ، وقد انتقل ذلك الجيل من الجدود الى الدار الآخرة ولم يبق فى ذاكرة الفتى عنهم الا أقل القليل .

أما جيل الأعمام وأبناء الأعمام فأولئك الذين كانت تتكون منهم لحمة الحياة وسداها طوال شهور الصيف الأربعة .

وكان « سعد » أكثر ابناء عمومته التصاقاً به وقربا منه . وكان كلاهما « رومانسيا » حالما ، وكان كلاهما يحب القراءة ويشغف بها شغفا شديدا . وكان وصول الفتى الى القرية يعنى أن يتوقف « سعد » عن كل عمل منتج .

وقد ذهب « سعد » الى طنطا فى البداية كى يلتحق بالأزهر ثم آثر السلامة وعاد الى القرية بعد وقت غير طويل . ولكنه لم يستطع عندما عاد الى القرية أن يعيش كما يعيش لداته .



ابن المقفع



سيد قطب

كان قد عرف أشياء وتعلم أشياء ، وكان قد كره الدراسة التقليدية ولكنه أحب القراءة الحرة ، ولم يكن كرهه « للفلاحة » بأقل من كرهه للدراسة التقليدية .

وكان يضيق بالقرية ضيقا شديدا أيام الشتاء القاسية ــ رغم قصرها ــ وكان ينتظر الصيف بفارغ الصبر حتى اذا جاء صاحبنا أوشكا ان لا يفترقا طوال تلك الشهور الأربعة كانا يقرآن معا ويتبادلان ويتحاوران فيما يقرآن . وكانا ينصتان الى من هم أكبر منهما سنا وأكبر اطلاعا وثقافة وهم يتناقشون ، ويحاولان قدر جهدهما أن يتابعا تلك المناقشات ، وقد يعن لصاحبنا أن يتدخل فى المناقشة ايضا . وقد يستمع له الكبار من بنى عمومته وقد يردون عليه أو قد يكتفون بالاستماع ثم يواصلون مناقشاتهم ، وما كان أروع تلك المناقشات وما كان أشد تأثيرها على نفس صاحبنا وقلبه وعقله جميعا . كانوا يتحدثون عن العقاد والرافعى وعن طه حسين وكان لكل واحد من هؤلاء الأدباء الكبار شيعة تتشيع له وترى فيه كل الفضائل ولا ترى فى غيره شيئا قط من فضل . ولم يكن الأزهريون كلهم من شيعة الرافعى كما يتوقع ولم يكن غير الأزهريين كلهم من المتشيعين لطه حسين أو للعقاد . بل كان التشيع يجمع من هؤلاء ومن هؤلاء . وكان الحوار يجرى هادئا أحيانا وصاخبا احيانا وينتهى المتحاورون على ما كان بينهم من ود عند بدء حديثهم وحوارهم بعض الأحيان الى ما يشبه المشادة الكلامية التى تؤذن بقطع أحبال النقاش والود جميعا .

وكان أخوه الأكبر ــ وكان طالبا فى نهاية المرحلة الثانوية آنذاك ــ متشيعا لمصطفى صادق الرافعى أشد التشيع وكان يوشك أن يتغنى بمقالاته فى « وحى القلم » وأن يحفظ بعض عباراتها ويرددها ترديدا . ومازال الفتى يذكر كيف كان أخوه معجبا أشد الاعجاب مفتونا أقوى الفتنة بمقالات « الانتحار » التى كتبها الرافعى فى الرسالة ثم جمعها بعد ذلك فى أحد أجزاء « وحى القلم » ومقالة « الله اكبر » وغيرها من المقالات . وكان ابن عمه « امين » رحمه الله ــ الطالب الأزهرى الذى يوشك أن ينهى المرحلة الثانوية الأزهرية ويبدأ المرحلة النهائية من التعليم الازهرى ــ كان أكبر من أخيه بعدد من السنين وكان من شيعة العقاد الذين يقرأون كل ما يكتب العقاد أو كل مايكتب عن العقاد . ويذكر الفتى فى تلك المرحلة من العمر أنه كانت هناك معركة ادبية واسعة بين أحد تلاميذ الرافعى هو محمد سعيد العريان وأحد تلاميذ العقاد هو سيد قطب ــ رحم الله الجميع ــ وكان أخوه من المتحمسين للعريان ، وابن عمه من المتحمسين لسيد قطب فرعا عن تحمس كل منهما للأصل ــ الرافعى من ناحية والعقاد من ناحية أخرى ــ وكان كثيرون من الأزهريين فى القرية يشاركون بعض المشاركة فى هذه المناقشات ولكن كثرتهم لم تكن تستغرقها تلك المناقشات استغراقا كاملا وانما كانوا ينصرفون الى معاونة اهلهم وذويهم فيما يقومون به من عمل فى الحقل أو مايشبه ذلك . ويبدو أن أخاه وابن عمه امين وابن عم ثالث بعيد ــ محمود ــ كانت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية تتيح لهم شيئا من اليسر لا يلجئهم الى مساعدة أهلهم ــ الا لماما ــ فى عطلة الصيف .

يحيى الجمل

البقية العدد القادم

جامعات الأرض المحتلة
قلاع تؤرق "إسرائيل"

الفلسطينيون يحتلون المرتبة الثالثة في التعليم الجامعي في العالم بعد أمريكا والاتحاد السوفيتي ويتفوقون في هذا المجال على الإنجليز والفرنسيين

بقلم : عصام شريح

إضطهاد مؤسسات التعليم العالى فى الأراضى العربية المحتلة ، أصبح سياسة منهجية لسلطات الاحتلال الصهيوني ، وكان آخر الممارسات الاسرائيلية ــ وليس الأخيرة ــ فى هذا النطاق ، اغلاق جامعة بيرزيت لمدة شهرين ، واعتقال خمسة عشر طالباً من طلابها ، والزج بهم فى معتقل « الفارعة » الشهير بعمليات التعذيب المنظمة التى تجرى فيه .. وكانت الذريعة التى استندت إليها سلطات الاحتلال فى ذلك ، هى اقامة معرض للتراث الفلسطيني احتوى على ملصقات وشعارات وطنية ..

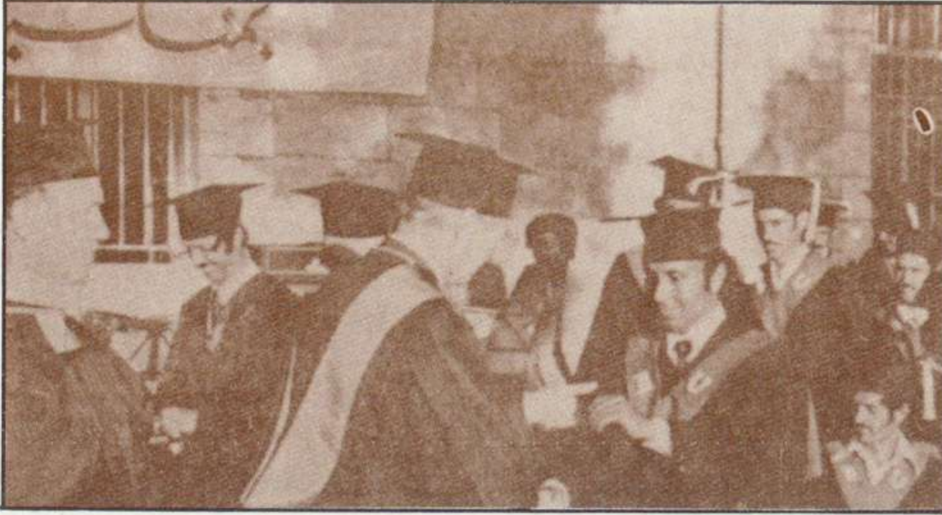
وليس من شك فى ان الجامعة أو الجامعات ومعاهد التعليم العالى هى أحد مقاييس التقدم الثقافي والابداع الحضارى للأمم والشعوب ، فى أي زمان ومكان ، فهذه المؤسسات تعكس فى الواقع روح المجتمع وتجسد هويته الحضارية ، وتعبر عن مستواه العقلاني ، وأبعاد هذا المستوى ، ولقد كانت الجامعات وبيوت العلم والثقافة المختلفة لدى العرب أيام سطوع حضارتهم بل وأيام أفولها ، الانجاز الأكثر أهمية الذى تنهل منه الأجيال الصاعدة ، والذى حفظ لهم دورهم الثقافي فى مسيرة الحضارة العالمية .

النضال على جبهة العلم

ومن هذا المنطلق نستطيع القول ، ان المستوى العلمي والثقافي للشعب العربى الفلسطيني ــ وهو أحد شعوب الأمة العربية ــ والذى ساهمت فيه جامعات الأرض المحتلة إلى حد كبير ، كان أحد الأسلحة الفعالة ، وما يزال ، فى الصراع العربى ــ الصهيوني ، إذ ليس فى المستطاع عقلانياً ، الفصل بين النضال العسكرى والسياسي لأي شعب من الشعوب ، ونضاله العلمي ــ الثقافي .

ولقد أدركت الحركة الصهيونية فى وقت مبكر دور العلم والثقافة ، فى تشكيل هوية معينة لأشتات اليهود المهاجرين إلى فلسطين المحتلة ، وفى المواجهة الحاسمة والمصيرية مع الأمة العربية ، ذات التراث العلمى والثقافى الحضارى الثرى ، فجاء تفكيرها فى انشاء الجامعة العبرية مبكراً منذ عام ١٩١٨ ، وخرجت الفكرة إلى حيز التنفيذ فعلا فى عام ١٩٢٥ ، أي قبل الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني بحوالى ربع قرن .

ولقد جاء رد الفعل الفلسطيني على انشاء الجامعة العبرية ، بعد ست سنوات فقط ، أى فى عام ١٩٣١ ، عندما طرح الحاج أمين الحسيني انشاء جامعة فلسطينية فى القدس ، تحت اسم « جامعة المسجد الأقصى » ، لكن الفكرة بقيت حبراً على ورق ، ولم تنشأ الجامعة الفلسطينية الأولى حتى مطلع السبعينيات . لكن .. وعلى الرغم من هذا الفاصل الزمني الكبير ــ نصف قرن تقريباً ــ بين انشاء الجامعة العبرية ، وأول جامعة فلسطينية فى ظل الاحتلال الصهيوني ، فإن الجامعات ومعاهد الدراسة العليا فى الأرض المحتلة ، قد ساهمت مساهمة جُلّى فى تشكيل ثقافة





لقطتان : الأولى أثناء الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من الطلبة الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة .. واللقطة الثانية لمبنى جامعة النجاح الوطنية التى تضم حاليا أربع كليات .

وطنية كان لها شأن أساسى فى صمود المواطنين العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين فى وجه سياسة الاقتلاع والنفى التى تنتهجها سلطات الاحتلال .

جامعات الأرض المحتلة :

يبلغ عدد الجامعات فى الأرض المحتلة اليوم ست جامعات ، تقوم بدور مباشر فى المواجهة الحضارية الشاملة بين العرب والحركة الصهيونية ، وهذه الجامعات هى :

١ ـ جامعة النجاح الوطنية :

أسست جامعة النجاح ، كمدرسة ابتدائية فى عام ١٩١٨ ، على يد مجموعة من شباب مدينة نابلس ، وأطلق عليها آنذاك اسم « مدرسة النجاح الوطنية النابلسية » ، وفى عام ١٩٤١ ، أصبح اسمها « كلية النجاح الوطنية » ، وفى عام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ، افتتح فى الكلية معهد لاعداد المعلمين ، وما يزال هذا المعهد يقدم برامج دراسة مدتها سنتان ، وتشمل على دراسات تربوية ومسلكية مع تخصصات فى تدريس العلوم العامة والرياضيات والتربية الرياضية واللغة الانكليزية واللغة العربية والاجتماعات والدين والفن . وفى عام ١٩٧٦ ، قررت هيئة عمادة الكلية تطوير الكلية الى « جامعة النجاح الوطنية » ، وبالتالى تغير اسم الهيئة الى « مجلس أمناء الجامعة » . ثم بدأ العمل فى تطوير الكلية لتصبح جامعة ، وتم ذلك فى عام ١٩٧٦ ، حيث أصبح اسمها « جامعة النجاح الوطنية » ، وكان الهدف المعلن هو إعداد مدرسين مؤهلين بالشهادات العالية ، لمرحلة الدراسة الثانوية ، بيد أن افتتاح الجامعة ، تأخر حتى أواخر عام ١٩٧٧ ، بسبب إصرار سلطات الاحتلال الصهيوني على ضرورة حصول الجامعة على ترخيص بذلك منها . وقد تم فى عام ١٩٧٩ ، شراء أرض لبناء حرم جديد للجامعة عليها ، وفى عام ١٩٨٠ تم بناء كلية الآداب ، وتم تغطية الجزء الأكبر من كلفة البناء من تبرعات قدمها الفلسطينيون وعرب آخرون فى الخارج . وتضم « جامعة النجاح الوطنية » حالياً أربع كليات أو دوائر هى :

• دائرة العلوم : ويدرس فيها الطلاب برنامجاً

فى مستوى البكالوريوس ، فى تخصصات الرياضيات والكيمياء والاحياء والفيزياء .

• دائرة كلية الاقتصاد والتجارة والعلوم الادارية : وتضم التخصصات التالية : الاقتصاد ، المحاسبة ، وإدارة الأعمال .

• دائرة الآداب : وتقدم برنامجاً فى مستوى البكالوريوس ، يشتمل على تخصصات فى اللغة العربية ، واللغة الانكليزية ، والتاريخ والآثار ، والجغرافيا ، وعلم الإجتماع .

• دائرة التربية : وتقدم برنامجاً للدراسات العليا فى التربية ، يمنح الناجحون فيه شهادة الدبلوم العالى فى التربية ، وبإمكان المتفوقين متابعة الدراسة لنيل شهادة الماجستير فى التربية ، كما تقدم هذه الدائرة (الكلية) برنامجاً لشهادة البكالوريوس فى التربية وعلم النفس ، مع تخصص فرعى فى موضوع أكاديمي فى العلوم أو الآداب ، وبرنامجاً آخر لشهادة دبلوم متوسط فى التربية ، يؤهل حامله للتدريس فى المرحلة الالزامية ، ويقدم هذا البرنامج من خلال « معهد النجاح للمعلمين » بدائرة التربية ، الذى أصبح أحد أقسام الجامعة .

وتضم جامعة النجاح الوطنية بمدينة نابلس ، مختبرات للفيزياء والكيمياء والأحياء كما تحتوى على مكتبة فيها ١٢ ألف كتاب ، ويبلغ عدد طلابها ٣٥٠٠ ، نصفهم تقريباً من الإناث ، وأعلى سلطة فى الجامعة ، مجلس أمنائها ، كما يوجد فيها مجلس طلبة ، وقد انضمت جامعة النجاح الى اتحاد الجامعات العربية فى كانون الأول من عام ١٩٧٧ .

٢ — جامعة بيرزيت :

تأسست جامعة بيرزيت كمدرسة صغيره فى عام ١٩٢٤ على يد الآنسة نبيهة ناصر ، ثم تطورت بعد ذلك ، وأصبحت فى عام ١٩٥١ ، تقدم مواد دراسية تتخطى المرحلة الثانوية ، وفى عام ١٩٥٣ اكتمل الصف الجامعى الأول بفرعيه العلمى والأدبي ، وتبعه الصف الجامعى الثانى فى عام ١٩٦١ ، وألغيت الصفوف الابتدائية والاعدادية والثانوية بصورة تدريجية ، الى أن تم إلغاء آخر صف (فصل) ثانوى فى نهاية العام الدراسى ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، واقتصر التعليم آنذاك على الصفين (الفصلين) الجامعيين الأول والثانى ، أى ما يعرف بالمرحلة الجامعية المتوسطة ، وبعد حرب لكلية لتصبح جامعة ، نظراً للحاجة الملحة للجامعة فى ظل ظروف الاحتلال الاسرائيلى المستجدة ، وما تفرضه هذه الظروف من تحديات وأعباء ، وقد أقرت الادارة فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٧٢ ، برنامجاً دراسياً لأربع سنوات جامعية ، بحيث يضاف الصف الجامعى الثالث فى عام ١٩٧٤ — ١٩٧٥ ، والصف الجامعى الرابع ، فى العام الدراسى التالى ، وفى عام ١٩٧٢ ، شكل مجلس أمناء لجامعة بيرزيت من ١٤ عضواً من الفلسطينيين من ذوى الخبرة والاختصاص أو الاهتمام بالأمور التربوية والتعليمية بالضفة الغربية المحتلة ، وأخذ مجلس الأمناء على نفسه مهمة تطوير الجامعة . وتشتمل جامعة بيرزيت على كليتين هما :

• كلية العلوم : ومدة الدراسة فيها أربع سنوات ، وهى تمنح فى نهايتها شهادة البكالوريوس فى اتية (علم الحياة والكيمياء الحياتية) .

• كلية الآداب : ومدة الدراسة فيها أربع سنوات ، وتمنح شهادة البكالوريوس فى اللغة العربية ، وإدارة الأعمال ، واللغة الانكليزية والآداب الانكليزى ، ودراسات الشرق الأوسط ، وعلم الإجتماع ، وتخصصاً مزدوجاً فى علم الآثار ، وأى موضوع آخر فى نطاق العلوم الإجتماعية ، (كما أن بامكان الطلاب الحصول على شهادة بكالوريوس بتخصص مزدوج فى أى موضوعين من مواضيع كلية العلوم ، أو مواضيع كلية الآداب) .

وقد بلغ عدد طلاب جامعة بيرزيت مؤخراً ٣٠٠٠ طالب وطالبة ، والطلبة الملتحقون بها يفدون من مختلف أنحاء فلسطين ، بما فيها الأراضى المحتلة فى عام ١٩٤٨ ، وفى الجامعة مكتبة تحتوى على حوالى سبعين ألف كتاب ، وفيها مختبر للفيزياء يتسع لخمسين طالباً ، ومختبر آخر للكيمياء يستوعب حوالى خمسة وخمسين طالباً ومختبر للأحياء يتسع لخمسة وثلاثين طالباً ، ومختبر للغات يستوعب أربعة وعشرين طالباً ، كذلك يوجد فى جامعة بيرزيت قسم لمكافحة الأمية وتعليم الكبار ، ويعمل هذا القسم على فتح صفوف (فصول) لهذه الغاية فى كافة أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . ولجامعة بيرزيت علاقة توأمة مع جامعة باريس ، وعلاقة أبحاث أكاديمية مع جامعات إيست وبريمن وايرلنمن بألمانيا الغربية ، وعلاقات لتحسين الجوانب الادارية مع جامعة « بات » البريطانية ، ولمجلس طلبة بيرزيت علاقة توأمة مع مجلس طلبة جامعة « جلاسكو » فى اسكتلندا . ونشير أخيراً الى أن لجامعة بيرزيت خطة طموحة لزيادة الكليات والتخصصات فيها .

٣ — جامعة بيت لحم :

بدأت جامعة بيت لحم التدريس فى مبنى مدرسة الفرير فى مدينة بيت لحم فى تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ ، وكانت قد اتخذت توصية بتأسيس الجامعة ، فى إجتماع دعا إليه ممثل البابا « الاسقف بيو » فى عام ١٩٧٢ وضم مدراء بعض المدارس فى الضفة الغربية المحتلة ، وقد شكل مجلس استشارى للجامعة من أعضاء فلسطينيين ، أما مجلس أمنائها فمقره الفاتيكان ، وهو يتولى مسؤولية الاشراف على عمل الجامعة ، ووضع خطط لتطويرها ، ويربو عدد طلابها على ألفين وخمسمئة طالب وطالبة .

وتضم جامعة بيت لحم الكليات والمعاهد التالية :

• كلية الآداب والعلوم ؛ وهى تمنح شهادة البكالوريوس فى اللغة العربية وآدابها ، واللغة الانكليزية وآدابها ، وعلم النفس ، والخدمة الاجتماعية ، وعلم الاجتماع ، والرياضيات والكيمياء ، والفيزياء ، والأحياء .

• كلية إدارة الأعمال والاقتصاد : وهى تمنح شهادة البكالوريوس فى الاقتصاد والمحاسبة وإدارة الأعمال .

• كلية المعلمين : وتمنح درجة البكالوريوس للمعلمين الذين يلتحقون بها فى فروع تخصصهم (المقدمة من كلية الآداب والعلوم) ، وشهادة التربية لحاملى الشهادات الجامعية ، ونظام الدراسة فيها مسائى ، وهو عبارة عن برنامج تأهيل للمعلمين أثناء الخدمة .

• كلية التمريض : ومدة الدراسة فيها أربع سنوات ، وهى تمنح شهادة البكالوريوس فى التمريض .

• معهد إدارة الفنادق (الفندقة) : ومدة الدراسة فى هذا المعهد ثلاث سنوات ، وهو يمنح شهادة الدبلوم فى الفندقة .

وفى جامعة بيت لحم مكتبة تضم مئتى ألف كتاب على الأقل ، وفيها كذلك ثلاث مختبرات للكيمياء والفيزياء والأحياء ، وتضم كذلك خمسة نواد ثقافية وتراثية وإجتماعية ورياضية وفنية .

٤ — جامعة الخليل :

كلية الآداب والشريعة الاسلامية :

تأسست فى عام ١٩٧١ ، وهى تضم كلية للآداب ، تمنح شهادة البكالوريوس فى اللغتين العربية والانكليزية وآدابهما ، اضافة الى شهادة الليسانس فى الشريعة الاسلامية ، وقد بلغ عدد طلابها حوالى خمسمئة طالب وطالبة ، ويؤمل مجلس امنائها أن يتمكن من تطويرها لتضم كليات أخرى فى المستقبل .

٥ — جامعة غزة الاسلامية :

وقد أنشئت فى ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٨ على أن تضم كلية الشريعة والقانون ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الدراسات الاسلامية والعربية ، وكلية التجارة وإدارة الأعمال ، وكليات العلوم والطب والهندسة

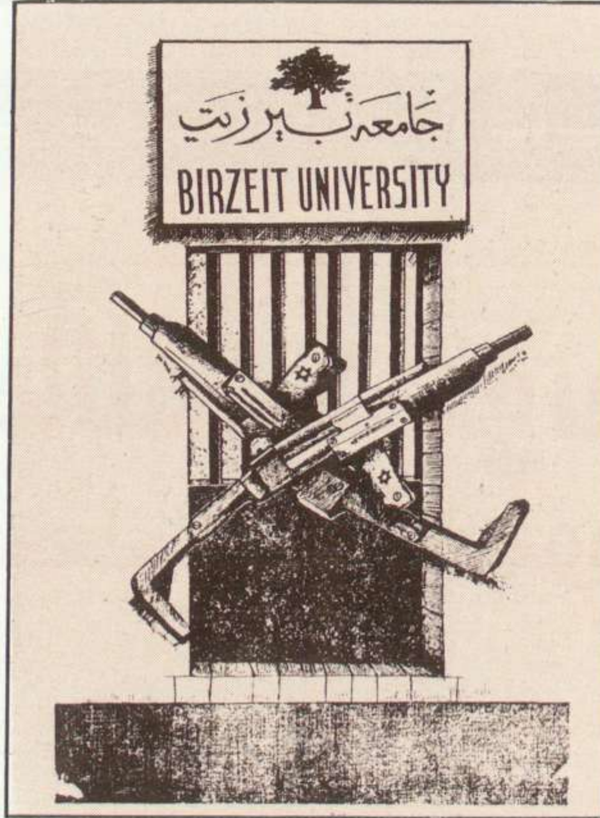
العربية المحتلة ، فقد نجحت الجامعات والمعاهد العليا ، فى تخريج أكثر من اثنى عشر ألف طالب وطالبة حتى الآن ، وفى تقليص هجرة المثقفين الفلسطينيين من أرضهم إلى أدنى الحدود ، ناهيك عن أن هذه المؤسسات قد تحولت الى بؤر لغرس الروح الوطنية والتعلق بالأرض والتمسك بالتراث والتباهى بتاريخ الآباء والأجداد ، وذلك على الرغم من سياسة « القبضة الحديدية » التى تمارسها سلطات الاحتلال الصهيونى ضد الجامعات والمدرسين والطلاب والمناهج ، وخاصة كتب التاريخ والجغرافيا والدين ، حيث تتدخل هذه السلطات لشطب كل كلمة تشير إلى فلسطين أو التاريخ العربى فى فلسطين ، أو الكلمات والعبارات التى تدعو الى الجهاد والنضال ضد العدو ، وهذه حالة تنفرد بها الجامعات الفلسطينية ومعاهد التعليم العالى فى الأراضى المحتلة ، عن أى بلاد أخرى تقع تحت الاحتلال والغزو والعدوان .

ولعل مما يعزز عظمة الدور الذى لعبته جامعات ومعاهد التعليم العالى فى الضفة والقطاع المحتلين ، أن سلطات الاحتلال ، تخوض مواجهات يومية مع هذه الجامعات والمعاهد ، فهى تعتقل الطلاب تارة وتزج بهم فى السجون ، وتارة أخرى تبعد المدرسين الى الأردن أو غيره ، وتارة ثالثة تقدم على اغلاق الجامعات والمعاهد لأسباب واهية أو مصطنعة غالباً ، وهذه المواجهات هى الدليل الناصع على أن الجامعات والمعاهد فى أرضنا المحتلة ، قد تحولت الى قلاع حقيقية ، تخوض كافة أشكال النضال ضد الاحتلال والغزو ، وتحول مشاريع العدو لتجهيل الشعب الفلسطيني وتحويله إلى عمالة رخيصة فى المصانع والمزارع الاسرائيلية ، الى أضغاث أحلام .

ولعل المأزق الراهن الذى تواجهه الحركة الصهيونية حالياً يكمن فى أحد أبعاده ، فى نسبة التعليم المرتفعة بين صفوف الفلسطينيين ، والتى تفوق مثيلتها لدى الاسرائيليين ، حيث تشير الاحصاءات الى أن لدى الفلسطينيين ١٥ طالباً من كل ألف يدرسون فى مؤسسة أو جامعة للتعليم العالى ، وهذه النسبة تفوق نسبة البريطانيين والفرنسيين فى هذا الميدان ، ويحتل الفلسطينيون المرتبة الثالثة فى التعليم الجامعى والعالى فى العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وباختصار فلقد نجح الفلسطينيون فى مواجهة الصهاينة ومنازلتهم على جبهة التعلم والتثقف ، حيث أخفقوا مرحليا على جبهات أخرى .

عصام شريح



رسم كاريكاتيرى عن جامعة بيرزيت التى يؤدى دورها الهام فى مكافحة سلطات الاحتلال إلى اعتقال طلابها أو إبعاد مدرسيها أو إغلاقها .

والزراعة ، لكن الكليات العاملة حالياً هى : كلية الشريعة والقانون ، وكلية أصول الدين واللغة العربية ومعهد للتمريض .

معاهد التعليم

إلى جانب الجامعات الفلسطينية الست ، يوجد فى الأراضى العربية المحتلة عشرة معاهد أو كليات ، تتراوح الدراسة فيها ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات ، وسنشير إلى هذه المعاهد بشكل عام :

• أهم المعاهد التى تقوم بمهمة التعليم والتثقيف فى الأراضى المحتلة هى : المعهد الزراعى (خضورى) ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات فى قسم الزراعة ، وسنتان لتدريس المعلمين فى العلوم والرياضيات واللغتين العربية والانكليزية ، والدين ، والاجتماعيات والتربية الرياضية ، ويقع المعهد الزراعى فى مدينة طولكرم .

• معهد البوليتكنيك ــ الخليل : وهو يدرس الصناعة وفنونها لمدة سنتين .

• معهد المعلمات الحكومى ــ رام الله : والمتخرجات منه يمنحن شهادة التربية العامة فى اللغتين العربية أو الانكليزية ، والاجتماعيات والدين والعلوم والرياضيات وعلم المنزل ، والتربية الرياضية .

• معهد تدريب المعلمين ــ العرّوب : وهو حالياً معهد زراعى للمعلمين ، مهمته تخريج معلمين زراعيين فنيين .

• مركز تدريب الفتيات والمعلمات التابع لوكالة الاغاثة الدولية بمدينة رام الله .

• معهد النجاح الوطنى لتدريب المعلمين فى نابلس .

• كلية الروضة الوطنية بنابلس : وكانت هذه الكلية حتى عام ١٩٧٣ متخصصة بالتعليم العالى للمعلمين ، الا أنها تحولت بعد ذلك الى الاهتمام بتخريج مساعدى صيادلة ، ومدة الدراسة فيها سنتان .

• كلية العلوم الجامعية بالقدس ، وقد أغلقتها سلطات الاحتلال بعد وقت قصير من افتتاحها فى عام ١٩٧٩ .

• كلية التمريض العربية ببلدة البيرة ، وقد تحول اسمها حالياً الى كلية العلوم الطبية .

الجامعات : قلاعنا الصامدة

على الرغم من جميع الممارسات الاسرائيلية التعسفية ضد المؤسسات التعليمية فى الأراضى

نحـــو مســـرح عربيّ الوجـــه والهويـــة

سعدالله ونــوس
بين "حنــظــلة" و"حرفــوش"

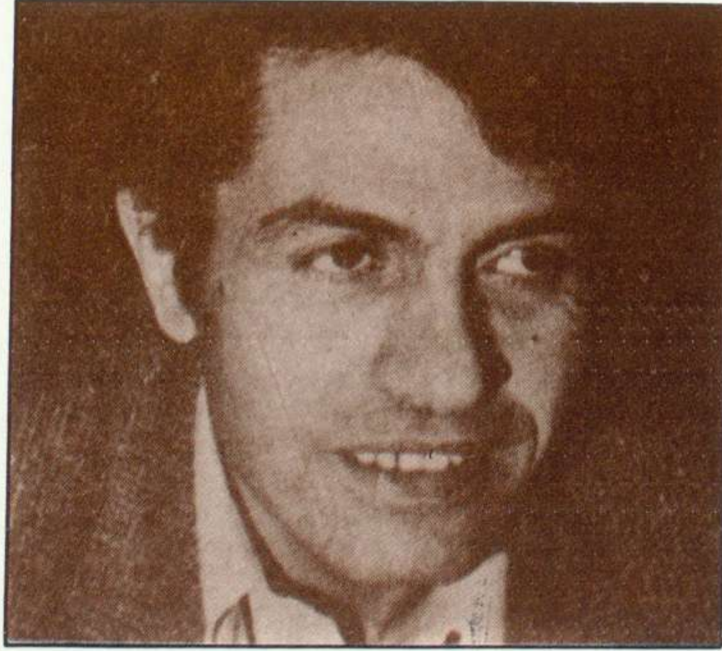
بقلم: الدكتور أمين العيوطي

لعل « رحلة حنظلة » تمثل خطوة جديدة في رحلة سعد الله ونوس الفنية ، بدءا من التجريب في مسرحياته القصيرة الأولى ، ومرورا بمسرحياته التسجيلية والملحمية ، الى شكل يتحقق فيه مسرح شعبى له ملامح فنية عربية بدأه فى « الملك هو الملك » وأكده فى هذه الرحلة .

من حيث انتهت رحلة خضور بائع الدبس الفقير تبدأ رحلة حنظلة من القهر الذى لا يدرك له سبب حين يلقى به فى السجن ، تماما مثلما يحدث ليوسف ك فى محاكمة كافكا ، ليذوق العذاب عن جريمة لم يرتكبها إلا إذا كانت جريمته ، كما يقدمه لنا حرفوش فى استهلال المسرحية ، هى غفلته وسلامة طويته وسد الطاقة التى يأتي منها الريح ليستريح . والمغزى السياسى ، رغم التناقض فى الموقف ، بل بفضل هذا التناقض ، لا يغيب عن مشهد السجن . فهو ، وهو الرجل الذى لا يعرف له فى الحياة مبدأ أو موقفا ، يجد نفسه متهما بأنه « مشاغب لا يبالى بالنظام أو السلامة العامة » وغفلته السياسية لا يواتيها إلا اخلاصه غير المجدى لبيته أو لعمله . ففى البيت الخيانة ، وفى العمل الطرد . إن رأسه يدور حين تنزل به المحنة تلو المحنة فى رحلة السؤال والجواب . هو لا يدرى لماذا يحدث له ما يحدث وهو الذى يريد العيش فى أمان ولا يتدخل فى أى شىء كان . كل شىء يبدو له سرا ، بل لغزا يفوق ادراكه . « لماذا يحدث لى ما يحدث ؟ » هو السؤال الذى يحير عقله ، ويتردد صيحة فى جنبات رحلة السؤال . وهو يبحث عمن يعينه . « ألا يمكن أن أجد العون من أحد ؟ » لكن العون لا يأتى من الآخرين ، ولا من حرفوش . فحرفوش لا يجد أمثاله من « القمل المفروك » يستحقون الشفقة ، فهو لا يستطيع أن يفهم كيف تكون للمرء عينان ولا يبصر . وهو لا يؤمن بالعطف والحنان ، فلن تسعف حنظلة المسكنات ، بل يسعفه أن يشخص بنفسه داءه ، وأن يفكر بنفسه ليعرف أكثر ويدرك أكثر . إنه يريده أن يصل إلى الاجابة عن سؤاله بنفسه ، وأن يصل إلى الادراك عن طريق تشغيل عقله .

رحلة البحث عن الاجابة

وهكذا تبدأ رحلة البحث عن الاجابة عند الطبيب النفسى الاعلامى ، أو عند الدرويش . لكنه لا يجد الرضا بعد عملية غسيل المخ ، ولا مع الزار والحرز . فهو لا يفهم كيف يمكن أن يضحك بعد كل ما نزل به من محن ، ولا أن يفهم أى شياطين يريد الدرويش أن يطهره منها . وتطول رحلة الجواب بين المثقفين وجمعيات التآخى



سعد الله ونوس : أسهم فى بلورة مسرح له وجه عربى وهوية عربية متميزة .

الاجتماعى ، وأقسام الرقابة الشعبية فى الصحف ، ورجال الحكومة قبل أن يتحرك عقله ويضىء وعيه بادراك أن الجميع متفقون كأفراد العصابة الواحدة ، وأنهم « يسخرون من المساكين أمثالى ويعملون جميعا كى نبقى فى الجهل والظلام » . إنه يدرك أن حياته كانت كلها خدعة ينبغى أن تتوقف . إنه يصل ، بعبارة أخرى ، إلى الادراك الذى يحقق فيه تحولا . وهكذا تأتى نهاية الرحلة بداية لرحلة جديدة . لقد قطع حنظلة شوطا أبعد بكثير من الشوط الذى قطعه خضور.

ولعلنا نستطيع أن نلتمس فى عنوان المسرحية ذاته ، وفى شكل الرحلة الذى تتخذه الأحداث النسق الذى يحمل دلالات المسرحية والفكرة التى تقوم عليها . فبين بداية رحلة السؤال ونهاية رحلة الوصول إلى الجواب ، تتألف رحلة البحث من مشاهد متتالية لا يربط بينها إلا وجود شخص حنظلة وما يمر به من محن وتجارب . نحن لسنا هنا أمام فصول درامية تقليدية يرتبط كل واحد منها بالآخر ويكمله . اننا أمام تركيب مثلما يحدث فى السينما التى هى أقرب فى طبيعتها إلى الرواية ، أو إلى الملحمة . أو لنقل اننا أمام مشاهد متتالية فى رواية « بيكارية » من روايات الأفاقين المتشردين الصعاليك التى تأخذ شكل رحلة يشتبك أثناءها الصعلوك فى مغامرة إثر مغامرة . فهو يرتحل بحثا عن مغامرات فى سبيل المال . وان كان المال فى حد ذاته لا يعني له شيئا ، إنما هو رمز لتغلب ذكائه على ذكاء الآخرين الذين يأخذهم بالحيلة والمكر . ومالنا نذهب بعيدا الى شكل الملحمة أو شكل الرواية البيكارية ولا نذهب مباشرة إلى شكل حكايات الشطار والعيارين التى كانت الأصل الذى أخذت عنه أسبانيا ومنها أوروبا . فليس الشكل الملحمى ، أو شكل الرواية البيكارية فى الحقيقة إلا أحد الأشكال الشرقية والأشكال العربية على وجه التحديد كما فى ألف ليلة وليلة أو حكايات الشطار وقصص الشعراء الصعاليك .

غير أن شخصية حنظلة والهدف من الرحلة يختلفان قطعا عن شخصية الشاطر والهدف الاجتماعى والسياسى من حكايته . فحنظلة ليس على الزيبق . وعلى الرغم من اتهام زوجته له بأنه زعرور ، إلا أنه ليس ذلك الزعرور الذى يعيش بلا عمل لصا أو خاطفا أو يخلى نفسه على هواها . وهو ليس العيار الذى يعيش جوالا طوافا منفلت العيار . وهو ليس الشاطر الداهية أو اللص الذكى الذى يستخدم الحيلة أو يلجأ إلى القوة . هو ليس ذلك البطل المتمرد الخارج على القانون . وحرفوش يبدو واعيا بهذا الاختلاف فى تقديمه لحنظلة بقوله : « هذا البطل الضامر سيكون بطل السهرة . لا تشعروا بالخيبة ، فقد ولى عهد الأبطال العمالقة . لكل مرحلة شخصيتها ، وهذا الرجل الضامر (تزداد لهجته اعلانية) هو شخصية هذه المرحلة » كذلك يختلف الهدف من الرحلة هنا عنه فى حكايات الشطار فحنظلة لا يعرف عن القوانين الأخلاقية ولا الأهداف الاجتماعية والسياسية التى كانت تحكم مغامرات الشطار شيئا . بل هو انسان مسحوق لا يمتلك درجة وعى الشاطر الاجتماعى والسياسى ، يبحث عن ذاته واجابة لتساؤلاته حتى يسترد نفسه من خلال اصطدامه بأجهزة الدولة ومؤسساتها .

الوجه الآخر لحنظلة

ولعل أحد أسباب التحول فى حنظلة ونضج وعيه فى النهاية هو وجود شخصية حرفوش . وربما كان حرفوش هو الآخر أحد شخصيات حكايات الشطار والزعر والعيارين . لكنه هو الآخر يكتسب بعداً آخر هنا . فهو ليس المقاتل والمصارع واللص . بل هو انسان ساخر يدرك سر مصائب حنظلة ، ويدرك عجزه عن ادراك سر محنته ، وأن عليه أن يتحمل العذاب فوق العذاب ، وأن يقطع درب الآلام حتى وسخريته تعنى انفصاله عن حنظلة حتى ليبدو كما لو كان التواصل بينهما قد انعدم . هذا الانفصال الآخر يأخذ شكل الحوار الذى لا يتصل بين الاثنين فى لحظات ، فيبدو حرفوش وكأنه لا يفعل شيئا إلا أن يقوم بترقيم ما يقوله حنظلة ، ساخرا من معاناته ، كما يحدث عندما يخرج حنظلة من السجن .

حنظلة : (وهو ينقل بصره بين حرفوش والحزام) تصور أيها السيد . (يستدرك) اسمى حنظلة . هذا الحزام اشتريته يوم زواجى . إنه جلد أصلى . لكن حارس السجن قطعه وهو يسوطنى به .

حرفوش : من لا يملك حزاما ، لا يستطيع أن يستر « ظهره » .

حنظلة : كنت أعتز به . أحس أنه يجمعنى



ويحزم وسطى .

حرفوش : والآن إما أن تزحف على مؤخرتك أو تعرضها للمارة .

حنظلة : آه لو تعلم ماذا جرى لى أيها السيد .

حرفوش : تعطلت دواليب عقلك ، وانحلت براغيه .

غير ان هذا الانفصال الساخر لا يعنى بالفعل انعدام التواصل بينهما . فحرفوش يريد فى أعماقه أن يرى حنظلة طريقه . لكنه لا يملك له ألا الاستخفاف الذى يمتزج بالاحتقار طالما ظل على سذاجته وغفلته ، طالما لم يصل إلى فهم . بل إنه هو الذى يقود خطاه فى رحلة البحث عن جواب .

والواقع أنهما شخصيتان تكمل إحداهما الأخرى . فإذا كان حنظلة هو السؤال الدائم الذى يترددق جنبات المسرحية من لوحة لأخرى ، فإن حرفوش هو الوعى المستتر الذى لا يبين ، والذى يقود خطى حنظلة نحو الوعى الكامل . حنظلة هو الحيرة ، وحرفوش هو الادراك والوعى . بل لعله الوعى الذى يكمن داخل حنظلة فهو ليس المقدم الذى يقدم لنا شخصية حنظلة ويحللها ويكشف جوانب ضعفها فحسب .وهو ليس مجرد الراوى الشعبى الذى يبدأ القصة من أولها ، ويواصل الحكاية ، ويربط بين المشاهد التمثيليةفى مسرحية يتناوب فيها السرد والعرض . هو فى حقيقة الأمر هذا الوعى الشعبى الذى يكمن بداخل أبسط البسطاء ، ويتحرك مع حركتهم من لحظة البداية السلبية التى تتمثل فى طلب الستر ، والبعد عن المشاكل ، واقامة جدار بين أحدهم الآخر ، ليضىء لهم فى النهاية طريق الوعى واعتناق موقف إيجابى فى مواجهة ما يتهددهم من طحن وانسحاق . وهو فى هذا كله يرتبط بشخصية الراوية الشعبى .

واذا كانت المسرحية تأخذ من الحكاية الشعبية شكل المشاهد المتتالية أو اللوحات ، فإنها أيضا تكتفى من البيئة المنظرية والمهمات المسرحية بأقل القليل ، شأن الراوية الشعبى الذى كان يعتمد على أقل القليل من المهمات المسرحية . يكفيها فى المشهد الأول حلقة معدنية يتأرجح عليها حرفوش ، ودكة خشبية يرقد عليها حنظلة ، وسلسلة مثبتة بالأرض ، وحاجز متحرك من قضبان ، ويكفى فى المناظر التالية مقعد فى حديقة فى الهواء الطلق ، أو منصة عمليات جراحية ، أو مصطبة ، أو طاولة عريضة يجلس إليها ممثلو أجهزة السلطة الأربعة . ومن الأشكال الشعبية تستعير المسرحية أسلوب تركيب الديكور أثناء رواية حرفوش وهو يتأرجح على الحلقة ، أو النبرة الاعلانية المحايدة التى ينطق بها وهو يحدد مناظر المشاهد ، بل فى هذا الحوار الاعلانى بين الطبيب والمرضة الذى يستفز بسخريته أذهان المتفرجين .

الطبيب : من يساعد الفرد على التكيف مع واقعه والتلاؤم مع مجتمعه ؟

المرضة : انه الطب البسيكو ــ اعلامى .

الطبيب : كيف يصبح الفرد هادئا راضيا مسالما ؟

المرضة : أسأل الطب البسيكو ــ اعلامى .

الطبيب : من يحول المواطن وديعا كالحمل صبورا كالجمل ؟

المرضة : أنه الطب البسيكو ــ اعلامى .

الطبيب : من يجعل المواطن يتحمل الغلاء والفساد دون أن يغضب أو يبالى ؟

المرضة : انه الطب الاعلامى .

أو يتخذ الحوار شكل السرد المتبادل بين حرفوش وحنظلة وهما يعددان الأبواب التى طرقاها بحثا عن حل للمشكلة :

حرفوش : بعد المثقف الحكيم طرقنا باب جمعية التآخى الاجتماعى .

حنظلة : استقبلتنا سيدة موقرة .

حرفوش : كان وقتها ضيقا لا يسمح لها أن تصغى إلى القصة كلها . قاطعت حنظلة وألقت محاضرة مسهبة عن ضرورة التسامح الاجتماعى .

حنظلة : وفى النهاية حملتنى رزمة ثقيلة من النشرات والمطبوعات ..

ويستمر السرد فى استعراض الجهات التى طرقا أبوابها . انهما ينسلخان هنا عن دوريهما ، ويوديان ما يرويه حرفوش وكأنهما يحكيان قصة قديمة » .

الابتعاد عن الانغماس العاطفى

وإذا كان تناوب السرد والعرض يحقق نوعا من التباعد الذى لا يسمح بالانغماس العاطفى كلية فيما نراه ، حتى يبقى العقل يقظا لاستقبال الرسالة السياسية التى تتضمنها المسرحية ، فإن هذا الأسلوب يرتبط من ناحية أخرى بانفصال حرفوش الساخر عن حنظلة ، كما يرتبط بالتناول الساخر لموضوع المسرحية وللشخصية الرئيسية فيها ، لهذا كانت النبرة الكوميدية التي تسود المسرحية . وفى تناوله الكوميدى لموضوعه يستعير سعد الله ونوس بعض أساليب السيرك والحرفوش يتأرجح على الحلقة المعدنية كأنه مهرج فى سيرك ، أو فى المشهد الايمائى البهلوانى الذى يستهل به اللوحة الثالثة بين ممثلين يتعاركان ، أو أكثر من ممثلين ، حول معنى السلبية والايجابية . بل إن أداء حنظلة نفسه لايخلو من ألعاب المهرج الهزلية بحذائه الضخم الذى يحمله تحت إبطه وحركات إنزلاق سرواله ومحاولته رفعه ليسقط الحذاء ، ويتبادل الحذاء والسروال سقوطهما كلما ترك واحدا منهما . ويصل هذا الهزل السيركى مداه فى مشهد الزوج والزوجة والعشيق ، حين يلحظ حنظلة قدمي العشيق وهما تبرزان من تحت الغطاء ، أو حين يعطس فتعطس الزوجة للتغطية على الموقف ، أو حين تظهر رأس العشيق فيشيح حنظلة عنه بوجهه ويدير له ظهره حتى ينسل الرجل من تحت الغطاء ليختفى خلف الخزانة فتجرى لعبة الدوران حول الخزانة بينهما فى مطاردة هزلية . مثل هذه التأثيرات الهزلية لا تنتهى من المسرحية حين يسحب المقعد من تحت حنظلة فيسقط ، أو حين تسود النبرة الساخرة فى تشخيص الطبيب النفسى الاعلامى للأمراض وعلاجها فيهوى بالمطرقة على ركبة حنظلة التى تندفع فى الهواء لتصيب قدمه الطبيب الذى يتكىء على المرضة ويحتضنها ليسقط الاثنان معا على الأرض . وهى نبرة نلمحها أيضا فى ملامح ممثلى السلطة المضخمة بشكل كاريكاتيرى . لقد تجاوزنا هنا الجو الكابوسى الذى يشيع فى « بائع الدبس » إلى جو كوميدى ساخر يضحك من غفلتنا حتى نفيق مع حنظلة على الدرس الذى استوعبه ووعاه .

غير أن الكوميديا ليست هنا من أجل ذاتها ، ولا النهاية السعيدة نهاية مسرحية كوميدية بحتة . إنها أيضا النهاية التحريضية التى تدعو إلى التغير من أجل إحداث التغيير . وهى الرسالة التى تحملها رحلة حنظلة . وهى الرسالة التى يصر الحكواتى هنا على ترقيمها وتأكيد مراحلها حتى لا يفوت المغزى السياسى عن المشاهدين .

إن المسرحية خطوة جديدة فى رحلة سعد الله ونوس الفنية من الأشكال الذهنية التجريدية الوجودية والعبثية ، مرورا بالمسرح التسجيلى والملحمى ، إلى المسرح الشعبى العربى الذي يستغل الشخصيات والحكايات الشعبية ، ويتوسل بكل أساليب الحكواتى الشعبى التى تجمع بين الرواية والتمثيل ، والتى تضم الراوى والشخصيات والجمهور فى اطار واحد ، والتى تسهم فى بلورة الوعى الشعبى وتوجيهه . وبهذه المسرحية يبلور سعد الله ونوس ملامح لم تغب عن مسرحه ، لكنه يضيف بها بعدا آخر يسهم فى بلورة مسرح له وجه عربى وهوية عربية متميزة .

أمين العيوطى

أخطاء لغوية معاصرة

بقلم: الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

بناء على :

يقول البعض « بناء على الأوامر الصادرة من السيد السيد فلان .. فإنه يمنع كذا وكذا » أو يقولون « بناء على القانون رقم (...) فانه يحق له كذا وكذا .. » فيضمون الباء في أوله ، وهذا هو من الخطأ في اللفظ والصواب « بناء » بكسر الباء ، لأن كلمة « بناء » مصدر من بنى يبنى ، وهو موضوع في الأصل لبناء الدور التى تبنى من اللبن والطين ، والآجر ، حيث إن البناء يدل على الثبوت واللزوم لمكان واحد ، وذلك يدل على القوة والمتانة والقاعدة الراسخة ، ثم أستعيرت هذه الكلمة إلى شيء آخر يشبه البنيان في الثبوت واللزوم والقوة ، وعدم التغيير ، فقالوا : بناء على كذا .. فإنه كذا .. وأصله « أبنى بناء على كذا ، فبناء مفعول مطلق لفعل مطلق محذوف ».

والمفعول المطلق كما هو معلوم منصوب دائما ، وأكثر ما يكون مصدراً كما في المثال السابق ، كما استعيرت هذه الكلمة للكلمات المبنية في النحو ، وهي ضد المعربة ، فالبناء هو لزوم آخر الكلمة ضربا واحداً لا تتغير الكلمة تشبيهها لها بالبيان الذى لزم مكانه ، وثبت ، فلم يتحرك .

كما قالوا : بنى على أهله إذا دخل بها ليلة العرس ، وأصله أن الرجل كان إذا تزوج بنى للعرس خباء جديدا ، أو بنى له تكريما له ، ثم كثر استعمال ذلك فكنى به عن الجماع ليلة العرس ، أما قولهم بنى بأهله بالباء ، فليس فصيحا وإنما هو قول العوام . هكذا قال بعض أهل اللغة .

وقد أستعيرت الكلمة كذلك للشرف ، والمجد ، قال لبيد :

فبنى لنا بيتا رفيقا سمكه
فسما اليه كهلها وغلامها

وقد جاءت الباء مضمومة في قولك « البُنْية » (بضم الباء) (وبكسرها) قال الشاعر :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا سدوا

يروى بضم الباء وبكسرها ، وجاءت كذلك مضمومة في قولك « البُنيان » قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوف) الصف آية ٤ وفي الحديث « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

فخلاصة القول إن « بناء » مصدر والمصدر في هذا الفعل (بنى) لم يسمع الا بكسر الباء . وقد قال تعالى (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) البقرة آية ٢٢ .

وقال (الله الذى جعل لكم الأَرض قرارا والسماء بناء) غافر آية ٦٤ .

كلا وكلتا :

ويقولون « كلا الفدائيين قد نفذا الخطة بنجاح » « وكلتا الفدائيتين جرحتا » .

والمختار أن يقال « كلا الفدائيين قد نفذ خطته بنجاح » «وكلتا الفدائيتين جرحت » وهو الكثير . ذلك ان لفظ « كلا » و« كلتا » مفردان في ذاتهما ، وقد وضعا لتأكيد المثنى اثنين واثنتين ، لا أنهما مثنى ، والدليل على ذلك قوله تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها) الكهف آية ٣٧ .

وقال الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا أشد تفانيا

فقال « غنى » ولم يقل « غنيان » .

فإذا ورد غير ذلك ، فإنه يحمل على المعنى ، أو لضرورة الشعر ، وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جد الجرى بينهما
قد اقطعا وكلا انفيهما رابى

فقال في الاولى « قد اقلعا » نظرا للمعنى ، وقال في الثانية « أنفيهما رابى » نظرا للفظ .

وقد سئل ابن هشام الانصارى : ما رأيك في قول القائل :

زيد وعمرو كلاهما قائم ، أو كلاهما قائمان أيهما الصواب ؟

فقال : ان قدر « كلاهما » توكيداً قيل « قائمان » (أى نظرا للمعنى) لأنه خبر لزيد وعمرو (فالخبر لابد أن يطابق المبتدأ في التثنية) وأن قدر كلاهما مبتدأ وقائم خبر جاز الوجهان ، والمختار الافراد انتهى .

فنظرا للمعنى نقول « كلاهما قائمان » ونظرا للفظ نقول « كلاهما قائم » وحينئذ الجملة من المبتدأ والخبر الثانية في محل رفع خبر للمبتدأ الاول ، ومثل ذلك « ان عليا ومحمداً كليهما نجحا » لأن كليهما توكيد لعلى ومحمد ، فالمقصود هنا المعنى وليس اللفظ ، فإذا قيل « ان عليا ومحمداً كلاهما .. » جاز الوجهان في نجح ، فتقول نجحا اعتبارا للمعنى ، وتقول نجح اعتباراً للفظ . ولكن يتعين مراعاة اللفظ في قولك « كلاهما محب لصاحبه » لأن المعنى كل منهما محب لصاحبه ، ومثل ذلك قول القائل :

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا أشد تفانيا

اى الكل منا غنى عن أخيه .

ومن الخطأ كذلك أن يقال « تصافح الرجلان كلاهما » « وتعانقت المرأتان كلتاهما » ذلك أن « كلا » و« كلتا » وضعا لتوكيد المثنى ، واثبات الحكم للاثنين معا ، ومعلوم أن المصافحة ، وكذلك المعانقة لا تكون إلا بين اثنين فإذا قلت تصافح الرجلان ، وتعانقت المرأتان فلا حاجة بنا بعد ذلك إلى توكيد ،لأن السامع لا يغيب عن ذهنه أن المصافحة ، والمعانقة لا تأتى من شخص واحد وإنما تأتى من اثنين معا ، فاثبات المصافحة للرجلين ، واثبات المعانقة للمرأتين حاصل دون توكيد .



أضـــواء على قضيـــة عصريـــة :

الإنســـان الآلي ومستقبل البشرية

بقلم : محـــمود محـــمود

ما فتىء الانسان منذ فجر التاريخ يحاول أن يخترع الآلات التى تقوم له بالعمل الذى تتطلبه حياته ، فتوفر له جهده العضلى الذى يبذله فى نشاط آخر أحب الى نفسه ، ويؤدى له العمل الشاق الذى يعجز عن أدائه بيديه ، كالفأس يفلح بها الأرض والمغزل يفتل به خيوط الثوب الذى يرتديه . ولبث الأمر كذلك حتى جاءت الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر الميلادى ، فكاد الانسان أن يعتمد على الآلة فى كل ما يصنع .

وبقى الفكر وظيفته وحده لا تستطيع آلة من الآلات أن تقوم به ، ولكن الانسان لم يفتر ولم يقف عند هذا الحد ، وظل يقدح الذهن ليصنع الآلة التى تفكر له ، فاخترع الحاسبات الالكترونية التى أغنته عن كثير من العمليات الحسابية بالعقل البشرى ، وقد تطورت هذه الحاسبات حتى أمست عقولا آلية تفكر فى شتى مجالات المعرفة . ولكنها مابرحت تعمل بتوجيه من الانسان .

وأخيرا استطاع الباحثون والعلماء أن يصمموا إنسانا آليا يفكر ويعمل فى آن واحد ، وأطلقوا عليه اسم (الروبوت) . وقد أخذ هذا الروبوت يحتل مكانة ملحوظة فى البيئة الاجتماعية وفى مختلف مجالات الصناعة وبخاصة فى اليابان ، ونستطيع أن نقول إننا اليوم فى مستهل عصر جديد من التاريخ يعرف بعصر الانسان الآلى ، ولئن كانت هذه الاشخاص الآلية تعد الآن بالآلاف الا أننا نتوقع سرعة انتشارها حتى يصبح إحصاؤها بالملايين يستخدمها الانسان فى كل قطر من أقطار الأرض ، ولابد لنا منذ هذه اللحظة أن نفكر فيما يترتب على ذلك من آثار .

المرحلة الحالية

إن هذا الانسان الآلى ــ فى مرحلته الحالية ــ لا يعدو أن يكون رافعة يتحكم فيها الكمبيوتر وتقوم بعمل معين محدد تكرره بغير قدرة على التصرف ، فهو انسان لا يبصر ولا ينطق بالكلام ولا يفكر كما يفكر الناس بالأذهان . والظاهر أن أمام المشتغلين بتطويره عدة سنوات قبل أن يستطيعوا أن يجعلوا منه آلة يمكن أن تحل محل الانسان بكل قدراته .

وتنحصر أهمية الروبوت فى الوقت الحاضر فى أن بوسعه أن يقوم بالاعمال الخطرة على حياة الانسان التى يؤثر أن يتحاشاها ، ويكلها إلى غيره ، كالعمل فى الفضاء وفى المناجم وفى المتفجرات وأعماق المحيطات وأمام المشعات وفى المواد الكيماوية السامة ودرجات الحرارة العالية ، وتحت الضغوط الجوية التى لا يحتملها الانسان ، وغير ذلك من مكامن الخطر على الحياة .

كما أنه ــ فوق ذلك ــ يستطيع أن يؤدى أعمالا قد لا تكون فيها خطورة مادية ولكنها تبعث بتكرارها على السأم مما لا يطيقه الانسان بطبيعته . ذلك أن الانسان الآلى لا يتطرق اليه الملل ، بل ويتقن أمثال هذه الاعمال بدرجة لا يرقى اليها الانسان العادى .

وإذا ما أمكن للانسان البشرى أن يلقى عن كاهله عبء هذه الاعمال إستطاع أن يوجه نشاطه الذهنى الى الابتكار والابداع .

غير أن « إسحق ازيموف » العالم الامريكى الباحث فى هذه الامور ينبهنا الى أننا اذ نستبشر بهذه النتيجة التى تنجم عن استخدام الانسان الآلى فى مثل هذه الامور ينبغى لنا ألا ننسى أن ذلك قد يؤدى الى البطالة بين الناس وازدياد الايدى البشرية التى لا تجد لها عملا تؤديه . إن العمل قد يكون كريها فى حد ذاته الا أنه ــ مهما يكن من أمر ــ وسيلة لكسب العيش فى كثير من الاحيان ومدعاة لاحترام صاحبه .

وعلينا أن نذكر أن التقدم التكنولوجى قد سار شوطا بعيدا قبل ابتداع هذا الانسان الآلى ، واستطاع الانسان دائما أن يخلق مجالات جديدة للعمل يشغل بها الأيدى التى أبطلت عملها التكنولوجيا المتقدمة .

فلئن كانت السيارة ــ مثلا ــ قد عطلت الأعمال التى تتعلق بالعربات التى يجرها الخيل ، كصنع العلف والسياط والجلود وما اليها فقد أوجدت أعمالا ميكانيكية وكهربائية لم تكن معروفة من قبل ، وأدت الى تطوير صناعة المطاط لاستخدامه فى العجلات ، والى العناية برصف الطرق لسهولة إنزلاق السيارات فوقها .

ثم إن صنع الروبوت سوف يستدعى استخدام مختصين فى تصميمه ووضع برامج العمل له ، وصيانته ، وتحوير المصانع الحالية بحيث تصلح لقيام هذا الانسان الآلى الجديد بالعمل فيها .

هذه المهنة الجديدة

ولسنا ننكر أنه قد تمر فترة طويلة بين إختفاء مهنة من المهن وظهور غيرها . وربما نشأت هذه

المهنة الجديدة فى أرض غير الأرض التى اختفت فيها مهنة أخرى فيختل ميزان العمالة . كما أن هذه المهنة الجديدة تتطلب وقتا طويلا قبل أن يتدرب عليها الصانع ، ويصل بها الى حد الاتقان ، وربما كان ذلك سببا فى تعطله عن العمل المنتج لفترة طويلة من الزمان .

والواقع أن العمال الذين يحل محلهم الاشخاص الآليون لن يصلحوا للوظائف الجديدة التى سوف تنشأ ، ذلك لأن الاعمال التى يتولاها الانسان الآلى هى الاعمال المتكررة الرتيبة التى لا تتطلب فكرا ولا إبداعا فى حين أن الاعمال الجديدة التى سوف نكلها الى الانسان تتطلب قدرا من المعرفة المتخصصة وشيئا من التفكير (وربما كان ذلك لزمن محدود حتى نستطيع أن نخلق الانسان الآلى الذى يستطيع أن يفكر) .

ولقد مر الانسان بوضع كهذا عندما اندلعت الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر ، ولكن الاضطراب كان محدودا اذا قيس إلى مانتوقع حدوثه مع انتشار الثورة الروبوتية نظرا للتقدم التكنولوجى بدرجة مذهلة خلال القرن العشرين ، وسرعة الاتصال بين أجزاء العالم . ومن ثم وجبت علينا المبادرة السريعة بالنظر فيما نتخذ من تدابير عند ذيوع استخدام الانسان الآلى ، حفاظا على استقرار المجتمع فى فترة انتقاله من الاعتماد على الانسان الطبيعى الى الاعتماد على الانسان الآلى .

وقد قلنا إن أعمالا ابتكارية جديدة لابد أن تنشأ ، فعلينا أن نبحث فى طبيعتها وصنوفها فندخلها فى برامج الدراسة فى المعاهد ومناهج إعادة تدريب العمال ، وعلى الحكومات والمؤسسات أن تتضافر فى هذا السبيل حتى لا تكون المفاجأة وإصابة الكيان الاجتماعى بالخلل .

يجب أن نهيىء الطالب والعامل للتجاوب مع عالم الكمبيوتر والروبوت . وأن نشجع بين صفوف الدارسين والعاملين القدرة على الابتكار بحيث نجعل منهم أفرادا مبدعين لا مجرد أشخاص مقلدين .

وقد يبدو هذا أمرا عسيرا لأن أكثر الناس آليون مقلدون بطبيعتهم ، والمبدعون منهم قلائل ، غير أننى أرى أن هذه هى نظرة المتشائم ، فلقد مرت حقبة من التاريخ ندر فيها من كان يعرف القراءة والكتابة ، وساد فيها الظن بأن هذه القلة فقط هى التى لديها الموهبة لكى تتعلم ، أما الكثرة الكاثرة من الناس فتفتقر الى القدرة على التعلم ، ولم تخلق الا لكى تؤدى العمل العضلى الذى يستطيعه الحيوان . فلما استدعت حركة التصنيع فى القرن التاسع عشر معرفة القراءة والكتابة أنشئت المدارس المجانية لمحو الامية ، وتبين أن القدرة على التعلم هى من فطرة الانسان .

مكمن الخطورة

وبهذا المؤشر التاريخى نستطيع أن نجزم دون أن نجاوز الصواب أننا عندما نبلغ المرحلة التى نكل فيها الى الكمبيوتر والروبوت الأعمال الآلية المملة ، فسوف نجد أن أكثر الناس لديها القدرة الخلاقة وموهبة الابداع .

ليست البطالة اذن من الأمور التى يستعصى على الانسان التغلب عليها . انما مكمن الخطر فى الروبوت ــ كما يرى بعض الباحثين ــ ينحصر فى أننا قد نشتط فى استخدامه ، فنجعل منه انسانا محاربا ، وعندئذ يسهل الاقتتال بين الناس ويقضى الانسان على أخيه الانسان ، وذلك بالاضافة الى أن أسلحة الحرب تمسى قطعا أشد فتكا بنا ، اذا نحن وجهناها وأدرناها بالكمبيوتر . وقد أثبت التاريخ قول الشاعر العربى :

كلما أنبت الزمان قناة ... ركب المرء فى القناة سنانا

لأن الانسان يميل بطبعه الى الشر ، والنفس أمارة بالسوء ، وما أكثر المخترعات التى يستخدمها الانسان فى الدمار ، وكان من المكن أن يجعل منها طاقة إنتاجية كبرى ، فهذه الذرة يمكن أن نستخدمها فى علاج المرضى ويمكن أن نصنع منها قنبلة نقذفها على المدن الآهلة بسكانها فندمرها تدميرا .

وبنظرة المتفائل الى الروبوت نقول إننا بالذرة ودون استخدام الانسان الآلى نستطيع أن نحطم الحضارة بين يوم وليلة ، ولن يعصمنا من خطر الدمار بأية وسيلة من الوسائل الفتاكة التى يصنعها بيديه الانسان الا إعادة النظر فى تربية الأجيال الجديدة بحيث ننشئها على الميل الى التعمير والفزع من التدمير .

وأما الخطر الحق من الروبوت والكمبيوتر على حد سواء فهو التطور المستمر الذى يلحق بهما ، فيجعلهما أقدر وأدق من الانسان ، وسوف تكون للروبوت أيد ماهرة وحواس مرهفة ومتنوعة ، وقد يصبح أنفذ بصرا وبصيرة من الانسان ، فنعهد اليه بأداء الأعمال التى تتطلب قدرة على الابتكار ، فلا يتبقى للانسان بعدئذ ما يعمل ، ويضطر اضطراراً الى التقاعد والضجر بحياته ، لا يجد مايتحداه حتى يجعل لحياته مغزى . أفلا يجوز بعد هذا أن يتحول الانسان الى مخلوق لا رجاء فيه والأجدر به أن يبيد ويفنى ؟

ولكنى أرى هذه الصورة من الخيال المتشائم ، فالانسان كان وسوف يبقى أنبل مخلوقات الله فوق الأرض بما وضع الله فيه من مزايا جعلته على صورته و « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » كما جاء فى الذكر الحكيم ، وسوف يبقى دائما سيد الكائنات يستخدمها لمنفعته ، ولن يشذ الروبوت أو الكمبيوتر عما أراده الله للانسان . ولن يعلو الروبوت شأنا على صانعه الانسان الذى خصه الله بذهن شديد التعقيد لم نستطع حتى اليوم أن نفسر كيف يعمل ، وبهذا الذهن العجيب يفكر الانسان ويتصور ويتخيل ولا يفتر عن الابداع والتجديد .

ما الذى حدا بالانسان الى اختراع الكمبيوتر ؟ إن العقل البشرى ضعيف بطبيعته فى الحساب بغير معينات من خارجه . وقد استعان الانسان منذ البداية بالعد على أصابع اليدين ، ثم أخذ يعد بالحصى والنوى ، وبعد ذلك استعان بالقلم والقرطاس ، ثم اخترع الأرقام بأوضاعها المختلفة واللوغاريتمات والمساطر الحاسبة ، والكمبيوتر (أو الحاسب الالكترونى) فى آخر الأمر ، ولا تدهشنا هذه الآلة المستحدثة بقدرتها على حل المسائل التى تستعصى على ذهن الانسان بمقدار ما تدهشنا بسرعتها الفائقة وتنزهها عن الاخطاء .

وعلينا أن ندرك أن مهمة العقل البشرى ليست معالجة الأرقام بمجرد الاذهان ، انما مهمته الابداع والادراك الدينى والفكر الفلسفى ، ونفاذ البصيرة ، والخيال وتصور المستقبل ، والاحساس بالجمال والاستمتاع بالنعم ومختلف الفنون : من تصوير وشعر وموسيقا وما اليها ، والاستنباط والاستدلال بالمنطق والحكم السديد .

ويتساءل المتشككون : وهلا يمكن أن نضع فى المستقبل للروبوت البرامج التى تمكنه من كل ذلك ؟ لسنا نرى الأمر هنا هينا لاننا لا نعلم بداية كيف يؤديها عقل الانسان فنستطيع بالتالى أن ننقل للروبوت القدرة على أدائها أو تذوقها .

قدرة الانسان

تدبر معى قدرة الانسان على أن يقرأ الكلمة مطبوعة بأشكال مختلفة أو مكتوبة بخطوط يدوية متنوعة بتنوع الأفراد واختلاف فنون الخط من رقعة الى نسخ أو ثلث أو فارسى ، وهو ما لا يستطيعه الكمبيوتر حتى الآن لأنه لا يتعامل الا بصورة خطية واحدة .

تدبر معى أيها القارىء قدرة الانسان على تمييز الصوت مهما تعددت نغماته ، أو اختلف قليلا بتسجيله أو انتقل على أسلاك التلفون .

فكر معى فى قدرة الانسان على الكتابة الأدبية نثرا وشعرا .

انها عبقرية الانسان التى لا يعرف من أين مأتاها حتى يعلمها آلة صماء !

شاهد لاعب الكرة وهو يسددها بقدمه فى المرمى فيصيب الهدف ، وهو بطريقة لاشعورية يقدر الابعاد ومقاومة الهواء واتجاه الريح فى لحظة ، ويستحيل عليه هو نفسه أن يعرف كيف تسنى له ذلك . ولكنها عبقرية الانسان التى يعجز عنها الكمبيوتر أو الروبوت فى أى شكل كان .

وقد نستطيع أن نرفع من كفاءة الروبوت وقدراته ، ولكنا كذلك نستطيع بتقنيات جديدة للهندسة الوراثية أن نضاعف من قدرات العقل البشرى وامكاناته الخلاقة .

إن ما نتوقعه أن يواصل كل من الانسان الطبيعى والانسان الآلى تقدمه فيسيران فى خطين متوازيين يسبق فيهما الخالق مخلوقه فى كل حين ، وينعقد بينهما حلف تعاونى لا خصومة فيه ولا منافسة .

أقسم أن أقول الحقيقة

الإفـــــــادة الأولى:

في الفكرة الفلسطينيَّة الثابتة

بقلم: يوسـف الخطيب

(١)

سأعترف أولاً أمام جميع القضاة والجلادين معاً ، بتهمة اعتقادي الراسخ بأنه ليست هناك قضية عربية قائمة في العصر الذي نعيش فيه ، أحق بالاهتمام القومي كله ، وبالتكريس القومى كله ، من قضية تحرير فلسطين !!..

وإني لموقن سلفاً بأن مثل هذا الاعتقاد ـ الذي لا أختص به وحدي في حيز الخندق الفلسطيني الضيق المعزول ، وإنما ينزل من غالبية شعبنا العربي الساحقة بمنزلة اليقين ـ ستقابله تلك الطائفة المازوكية ذاتها من بعض الكتاب والمفكرين العرب بالاستنكار ، والأسف ، والإعراض ، لأن ثمة قضايا أخرى ، كثيرة ، وصغيرة ، قد اختلستهم حتى من تحت جلودهم ، وضيعتهم في متاهات القلق والتمزق والغيبوبة ، من أجل أن يكتسبوا من خلالها هوية الكاتب العالمى ، أو الأديب الإنساني الذي يتعدى نطاق الجاذبية القومية إلى مدارات الشهرة العالمية ، رغم كل ما قد تمخض عن ذلك ، عملياً ، من وحامات عربية مستعصية ـ على جائزة نوبل مثلاً ـ ولكن دون ما أي حَبَل أو إنجاب ..

أما وأن لي شخصيا هويتى الخاصة ، التنبيهية ، التحذيرية ، الصادرة عن مؤسسة اللاجئين كما تعلمون ، فليس ثمة ما يغريني بأن أحمل هوية غيرها ، لأننى لا أظن أن هناك ما هو اكثر إنسانية من أن تظل أنت ، أنت ، الإنسان الذي يحاول الحرية ،ويحلم بالانعتاق ، رغم أنك موثوق بأصفاد الفولاذ إلى جلاميد الجبال ، تنهش الجوارح من صدرك ، وتنقر في حبتي عينيك !!..

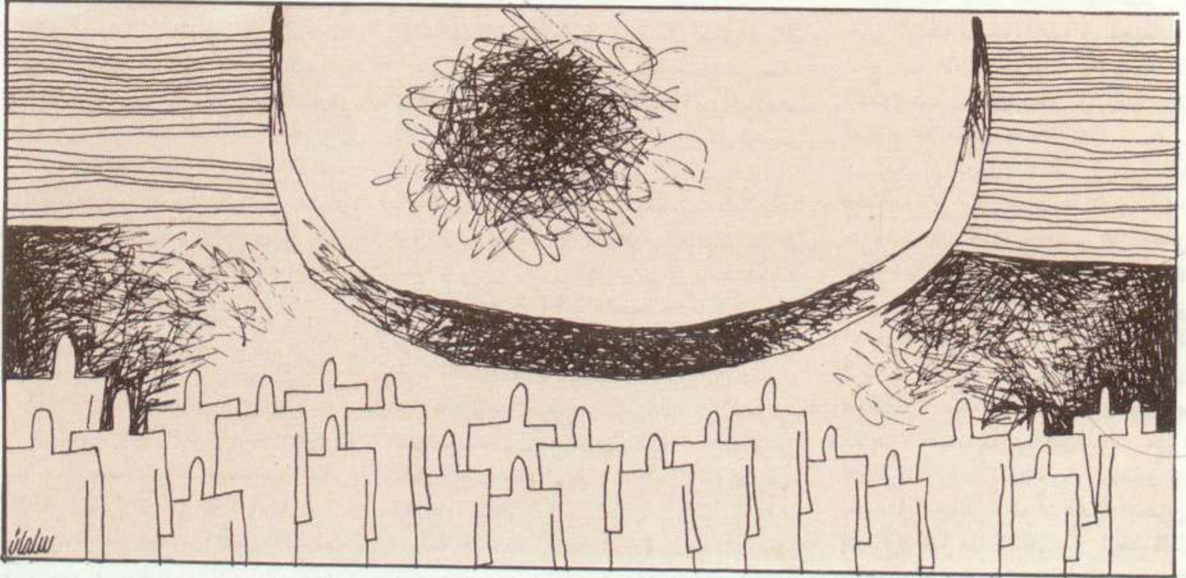
أسجل أيضاً ، أيها السادة ، أنني أتحمل عاقبة القول : بأن القضية الفلسطينية هى التسمية الأخرى ، الأعمق دلالة ، والأشد إيجازا ، للقضية العربية برمتها من جميع وجوهها القومية والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، بقدر ما أعتقد أيضاً بأن الوحدة ، والتحرر ، والعدالة الاجتماعية بجوهرها العربى الاسلامي الأرقى على الإطلاق ، ما هي إلا المردة الثلاثة المخمورة منذ مئات السنين في أدخنة عصور الانحطاط المتعاقبة ، ثم المحبوسة مؤخراً في قمقم القضية الفلسطينية منذ قرابة قرن من الزمان ، وأنه دون أن نفك الطلسم العصي ، أولاً ، عن فوهة هذا القمقم ، فإن كل سعينا وراء أمانينا العظيمة أقرب إلى نشدان الماء في مخاتلة سراب الصحراء !!..

إن هذا هو اعتقادى الحر الذى وعيته بالتجربة الحية ، ولم أتلقنه ، لا عن عالم ، ولا عن كتاب ..

ولأننى أصر دائماً على أن الكاتب العربى المنسلخ عن القضية الفلسطينية ، إنما هو منسلخ عن كونه إنساناً قبل كل شيء .. ولأننى أود ، لو استطعت ، أن أطوف بأوراق هذه القضية ، ومستنداتها ، وثبوتيات حقى الضائع فيها ، من بيت إلى بيت على متسع وطننا الكبير .. فلكل ذلك أجدنى الآن مسوقاً أمام قوس عدالتكم بتهمة الإصابة بمرض « الفكرة الفلسطينية الثابتة » ، ومدَّعىً عليَّ بأنني قد أصبحت محموماً بهذه الفكرة إلى حد الهذيان والاخلال برصانة النظام العام !!..

حتى لقد رجمنى بعض فرسان الكلمة الوهميين ، من على متون جيادهم الخشبية ، بأنه ليس من حق أحد أن يفرض ظل هذه القضية الثقيل على الكاتب العربي !! .. وبأن قضية الكاتب العربي في صيغتها « العصرية والحضارية معا » يجب ألا تنحدر إلى ذلك المستوى المشين من العاطفية والتبسيط ، بحيث تنقلب إلى قضية وطن مضاع ، ويجب أن يستعاد !! .. وبأن على هذا الكاتب ، قبل أن يقترب من الهم الفلسطيني « الخاص بأصحابه ، وفي حدود ترابه » ، أن يضع في المحل الأول من اهتمامه ، شؤون المحافظة ، أو المديرية ، أو ربما الضيعة التي شهدت مسقط رأسه !! .. وبأن المفهوم القومى لشؤون الوطن العربي ـ بمعنى أن يتحمل القطر منه أعباء الأقطار الأخرى ـ هو مفهوم خاطيء ، ونَيِيء ، وخيالي ، وينتمى بأصحابه إلى عقلية ما قبل الخامس من حزيران !!..

فلهذا ، أيها السادة ، جئت أتلو الشهادة عليكم من أولها .. إما لأننى مريض حقاً بعضال « الفكرة الفلسطينية الثابتة » ، فلا أجد ما أتحدث فيه غيرها .. واما لأنكم لم تستمعوا إلى من قبل ، أو لعلكم لا وجود لكم أساساً في دنيا الحقيقة ، وإنما



أصوركم هكذا في خيالي المحموم ، قضاة ، وكهنة ، وجلادين ، من أجل أن أسوق أمامكم هذه الشهادة اليتيمة التي ظللت أسوقها ، عبثاً في عبث ، على امتداد ما يقرب من أربعة عقود !! ..

فعلى أي من الحالين ، لن أمل أبداً من تكرار هذه الشهادة ذاتها ، سواء وقعت منكم في الآذان ، أو في فراغ الجدران ، فإنها قدري ، وقسمتي ودين الوطن في عنقى .. ومادام في الوسع أن ألفظ آخر كلمتين في العمر ـ آن ألفظ النفس الأخير ـ فإنهما .. عروبة فلسطين .. عروبة فلسطين .. عروبة فلسطين ..

وإلى هنا ننتهى .. لكي نبدأ من جديد ..

(٢)

يوم أن خرج إنساننا العربى الفلسطيني من وطنه الصغير عام ١٩٤٨ ، فقد استقبلتم ، أيها السادة ، جماعاته وأفراده كطوائف غجرية ضالة على الآفاق ، قيل عنها يومئذ إنها ضيعت وطنها ، أو باعته ، أو على الأقل لم تحسن الدفاع عنه في مواجهة غزاته الصهيونيين ، مع أن الأمانة مع الموضوع تستلزم أن نسجل منذ البدء أن قطاعاً لا يستهان به في الوسط الثقافي العربى الذي كان يملك آنذاك أن يصنع الرأى إلعام الشعبي في صدد القضية الفلسطينية ، لم يكن على جهل مخجل بعموميات القضية وحسب ، وإنما كان أيضاً لا يستدل إلا بمشقة بالغة على موقع ديرياسين ، أو قبية ، أو كفر قاسم ، من خارطة فلسطين .. بل اسمحوا لى هنا أن أستشهد بين أيدي حضراتكم بما قد خاطبني به ، مرة ، كبير كهنة الفكر اليساري ـ في متاهة عقلنا العربي المعاصر ـ الدكتور الذائع الصيت ل . ع . (من حيث لن أذكر الأعلام من مثل هذا الوزن الجهنمي بأسمائهم الصريحة ، التزاماً بضوابط أصول المحاكمات المرعية الإجراء حتى يوم الناس هذا) وهو الذي سعيت إليه في مكتبه ذات يوم من عام ١٩٦٩ ، أستنصر رأس قلمه بكلمة حق في ملف هذه القضية الشائكة بعد استنكافه الطويل عنها ، (أي بعد إحدى وعشرين سنة من تاريخ وقوع الجريمة ، وبعد سنتين بثقل القرنين من كارثة حزيران الأسود) ، فما كان منه إلا أن ألبسني ثوب الإدانة الكاملة بجريرة أننى أنا الذي هربت من « إسرائيل !! » عام ١٩٤٨ ..

بكلمة أخرى ، أيها السادة فإن كل ماقد سعى إليه ذلكم اللاجئ الفلسطيني هو أن يصحح بعض معلوماتكم العامة عنه ، وعن قضيته ، منذ يوم خروجه الأول ، وأن يقول لكم بملء الصدق ، والصراحة ، ومسؤولية الأخ إزاء أخيه : إننا لم نبع بلادنا للعدو على حد ما تتهمنا بذلك عيونكم المتقدة بشرار الرثاء والازدراء ، وإن كل ما قد بيع منها لم يزد عن ثلاثة في المئة من أصل مساحتها العامة ، وإن ثلاثة أرباع هذا الذي بيع فعلاً قد بيع عن غير أيدينا نحن ، وضمن صفقات مرزولة أبرمت مع « الوكالة اليهودية » من هذه العاصمة العربية ، أو تلك خارج حدود فلسطين .. وهنا أيضاً أستأذن حضراتكم ـ في إفادة الجلسة القادمة ـ أن أتحدث اليكم في هذا المقام ، بلغة الحقائق والأرقام !! ..

ثم إننا لم نهرب من بلادنا هلعاً وجبناً عند أول رصاصة أطلقتها آلة الحرب الصليبية المعاصرة الموظفة في أيدي الصهيونيين ، وإنما نتيجة لافظع ما يمكن أن تعيه ذاكرة الإنسان من صنوف الإبادة والتنكيل .. فلئن كان مبرراً للجيش النظامي ، سادتي ، بكل ما يمتلكه من أعتدة وفيرة ، وسلاح ثقيل ، أن يتقهقر أمام العدو إلى خط دفاعي ثان ، أو ثالث ، (ولنقل كما حدث في « دنكرك » مثلاً ، لأننا لا نود أن نضع أصابعنا على بعض جراحنا العربية الطرية بعد) ، فإن ما هو أقرب إلى التفسير ، أو حتى التبرير أيضاً ، أن يفعل مثل ذلك المدنيون العزل من بعد أن غسلت دماؤهم ربوع فلسطين ، خاصة أنهم كانوا قد طرقوا طويلا على أبواب أشقائهم في طلب السلاح ، لا في طلب الرجال ، فكانوا ، في بعض الأمثلة الصارخة ، يُدعَوْنَ دَعّ الأيتام عن مآدب اللئام !! ..

لقد سبق أن قلنا لكم ذلك في تبرير خروجنا الأول ـ أو على الأقل في تفسيره ـ منذ أربعة عقود ، وطيلة أربعة عقود !! .. ورغم ذلك يبدو أن من واجبنا الآن أن نعيد على أسماعكم كل الذي سبق أن قلناه ، من بدئه حتى ختامه ، لأنه قد

أقسم أن أقول الحقيقة

ظهرت أخيراً على مسرح الفكر والأدب العربيين هيئة القضاة الجدد التي ترغب في أن تحاكم الأمور من جديد .. إن هذه الهيئة الفاضلة ، الكئيبة ، المتقطبة الجبين ، تعتقد أن ثمة أخطاء فادحة في الأصول والإجراءات التي اتبعت في نظر هذه القضية سالفاً ، وهي الأخطاء التي لا تود أن تصححها أبداً ، ولكنها تود أن تدينها فقط ، بدعوى أنها هى التى أدت إلى فاجعة حزيران الأسود .. إذ لو كان الفلسطينيون قد مدوا أعناقهم بصورة مرضية لسكين التقسيم عام ١٩٤٧ ، لما كان قد تردى الوضع القومي العام إلى حضيض ما هو عليه الآن !! .. أو ليست هذه القناعة الهازلة هي آخر ما استجد على مسرح عرائس المأساة ؟! ..

(٣)

منذ أربعة عقود إذن ، وطيلة أربعة عقود ، أراد ذلكم الإنسان الفلسطيني الشريد ـــ الذي اضطر أن يخلي المخفر العربى الأمامي عنوة ورغماً ـــ أن ينبهكم إلى أن موجة الطاعون التي اكتسحت الساحل الفلسطيني في اندفاعتها الأولى ، لن تقتصر عليه وحده ، وإنما ستنداح وتنتشر ، عاجلاً أو آجلا ، عبر سماء الوطن كله ، حتى لتتسرب إليكم من خلال نوافذكم المغلقة ، وتطالكم داخل بروجكم الدفاعية المشيدة ، يوم لا ينفع نصح ، ولا يجدي إنذار !! ..

لقد أراد ذلكم الإنسان أن يُشَبِّهَ إليكم الوجود الصهيوني / الصليبى فوق تراب فلسطين بمستعمرة السرطان الصغيرة التى تتوضع فى هذا العضو أو ذلك من الجسد البشرى ، لتأتى عليه كله من بعد .. وإنما يلجأ المرء عادة إلى مثل هذه التشبيهات الساذجة عندما يخالجه الريب فى أن بعض الآخرين قد يستهزئون من حساباته وتحسباته ، فيريد بالتشبيه ، أن يكون اكثر وضوحاً ، وأن يضع الأمور في صورة مادية ميسرة على الحواس الخمس .. ما دامت الحاسة السادسة هاجعة تغط فى سباتها العميق !! ..

لذلك أيها الأخوة ـــ عفواً ـــ السادة ـــ خرج إنسانكم الفلسطيني من أوتاد خيامه أربعة عقود في العراء ، وإنما لينذر قبائل العروبة كلها بأن تلك المستعمرة السرطانية ، الموضعية ، سرعان ما ستتمدد في رقعة « الوعد التوراتي » من النيل إلى الفرات ، وهي عندما تفعل ذلك في قلب الوطن ، فإنها ستكون ، عملياً قد بسطت جناح هيمنتها على مصير الوطن كله من المحيط إلى الخليج .. وإذا ما عقدت الأمة عزمها على إرادة الوجود ، حقاً ، فإن أول ما يتحتم عليها أن تنهض به ـــ قبل أي عبء قطري آخر ـــ هو أن تستعد على وجه أجل استفزاز كل خلية مترنحة في جسد الأمة ، في السرعة ، والدقة ، لإنجاز خطوتها الأولى على طريق الألف ميل ، باتجاه استئصال ذلك الورم الخبيث بعملية جراحية ناجعة ، ناجحة ، خاصة أن الداء كان مايزال في أضعف حالته في ذلك الزمن المبكر من عام ١٩٤٨ ، وكان يمكن استئصاله في كل يوم انقضى ، بأسهل ألف مرة من أن يتحقق ذلك في أي يوم « سوف » يجيء .. وفى كل قواميس العربية أن « سوف » هى جذر « التسويف » !! فالخطر ليس موضعياً ، والتغاضى عنه بدفن الرؤوس في الرمال لن يستأنيه ، ناهيك عن أن يلغيه ، وليس يجدي قطر عربي أن يضع شؤونه المحلية وحدها في دائرة اهتمامه ، لأنه شأن غيره من سائر أقطار العروبة الأخرى ، يقع وإياها فى دائرة اهتمام معادية واحدة .. ولعل من أعجب أمور هذا الزمن العربي أن يكون التحدي العدواني الذي يستهدف الأمة العربية كلها ، ذا بعد قومي شامل ، بينما تظل استجابات الأمة إزاءه قطرية ، مبعثرة ، متنافرة !! ..

قمة الفاجعة ، أيها السادة ، هي أن ذلكم النذير الفلسطيني الذي ظن أنه سيجمع شمل القبائل العربية كلها حول ذي قار فلسطين ، قد فوجيء في الحقيقة بحالة إحباط في الأمة .. لا هي من « البداوة » إلى درجة النخوة العمياء دون برهان ..ولا هي من « الحضارة » إلى درجة الوعي ، والادراك ، واستطلاع صورة المستقبل فى مرآة الحاضر الماثلة للعيان .. وإنما هي حالة من يبحث عن نفسه ، خارج نفسه ، في ملامح الآخرين ، من أقصى نقيض اليسار ، إلى أقصى اليمين !! .

لذلك ، فإن انذار النكبة الأولى لم يستتبع أية استجابة عربية من مستواه .. ولئن لم تخنا الذاكرة بعد ، فقد استقبلتم ذلك النذير ، منذ أول أيام اندحاره القسري ، بعزله عنكم ، وبالحجر السياسي عليه فى مخيمات اللاجئين ..

وبدلاً من أن تعضدوا سعيه في طلب الحرية ، فقد استنفدتم طاقته في اللهاث وراء الرغيف !! .. ومع انصرافه المرحلي هذا عن نشدان الحرية ، إلى تأمين رغيف العيال ، انصرفتم أنتم خلف تعزيز انقسامكم ، وتحديد حدودكم ، أثناء ما كانت تلكم الذئبة المتربصة بكم جميعاً على الساحل الفلسطيني تعد لكم ، بحساب اليوم والساعة ، والدقيقة ، كل التفاصيل المريعة التي سرعان ما ستقع على مسرح حزيران ..

(٤)

ثم من بعد واقعة الخامس من حزيران ، ومن بعد أن تمدد ذلك الجسم السرطاني الخبيث إلى أربعة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٤٨ ، فلقد بدا لقطاع كبير من رأينا العام العربى أنه ليس كذباً ، ولا خداعاً ، ولا تهويلاً ، كل ما سبق أن نقله قبل عشرين سنة ذلكم الشريد الفلسطينى الذي ظل حتى تاريخه محجوراً عليه فى المخيمات ، والذي أفرج عنه الآن ، جزئياً ، وأجيز له على بعض المستويات ، وضمن بعض الشروط ، أن يحمل السلاح علانية في وجه الأعداء ..

ومع أن بعض تفاصيل الصورة القديمة قد اختلفت الآن ، فإن عناصرها الأساسية لم تزل على حالها .. كل الذي اختلف على سطح القشرة الخارجية فقط ، هو أن « جهاز الأمن » العربي الذي كان يعتقل ، أو ينفى ، أو حتى يشنق اللاجىء الفلسطيني إن ضبط فى حوزته قطعة ولو أثرية من السلاح ، قد أصبح الآن لا يمتعض ، أو في الحقيقة لا يمتعض كثيرا ، إن هو أبصر ذلك اللاجىء نفسه يتدرب فوق أرضه على استعمال أشكال متطورة من السلاح .. ولكن الذى لم يختلف بعد ، في الجوهر ، هو أن قضية التحرير الوطنى التى أراد لها هذا اللاجىء أن تأخذ كامل بعدها القومي ما برحت محسوبة عليه وحده باعتبارها قضيته الذاتية التى لا ينبغى لهاأن تتعداه !! .. إن أقصى ما أمكن الوصول إليه ، رغم تكاليف درس حزيران الباهظة ،هو ما قد يقوله لك الكاتب ، أو الحاجب ، أو ذو الشأن : « دونك وطنك المحتل أيها الشقيق الفلسطينى العزيز ، فلا تأل جهداً فى سبيل تحريره ، ونحن نؤيدك ، والله معك » !! ..

لكن هذا « الشقيق العزيز » ، أيها السادة ، كان مرسوماً له أصلا ضمن الحساب الدقيق الذي صممت بموجبه جريمة « إسرائيل » ، ألا يملك أية قطعة من السلاح ، إلا إذا فقد آخر شبر من التراب :

فإما « أرض بدون سلاح » ، كما كان الحال عليه قبل الخامس من حزيران ..

وإما « سلاح بدون أرض » ، كما أصبح الحال عليه فيما بعد ..

وعلى الحالين كليهما ، أيها السادة ، لم يكن ممكنا ليد وحدها أن تصفق ، أو لجناح وحده أن يطير ..

ولذلك فإن شيئا في جوهر القضية لم يتغير بعد ، وإن تكن قد تبدلت بعض الملامح على السطح .. ومن هنا فإن إفادة الشاهد الفلسطينى ما تزال قابلة لأن تسمع من أولها ، حتى للمرة الألف ، لأن ما قد ناضل من أجله طويلا ليس مجرد الترخيص له ، رسمياً ، بأن يحمل السلاح ويتجه إلى فلسطين ، وليس مجرد الغناء له في الإذاعات بأنه قد اكتشف أخيرا هويته الضائعة ، فى ماسورة بندقية ، وإنما ناضل ، ويناضل ، من أجل استفزاز كل خلية مترنحة فى جسد الأمة ، فى

مواجهة التحدي المصيري الذي لا يستهدفه وحده ، ولكنه يستهدف قومه ، وتاريخه ، وحضارته العربية الإسلامية من الجذور .

(٥)

ألتمس أن أضيف ختاماً ، أيها السادة ، أنه عبر قتام الهزيمة الثقيل ــ كما هو الحال أيضاً تحت أضواء النصر الصارخة ــ تتخذ الأمور في العادة غير أشكالها الحقيقية ، وغير أحجامها الطبيعية .. وليس ثمة كالكاتب ، الذي يفترض فيه أنه عقل الأمة وضميرها ، من يستشف الحقيقة على الحالين ، ولا ينخدع بظواهر الأمور عن بواطنها الكامنة .. وأما حين تلتبس الأشياء وتتعذر الرؤية الصحيحة حتى عن الكاتب نفسه ، فإن ما يكتبه عندئذ لابد أن يضاعف من سوء الحال ، كدليل أعمى يقود من خلفه إلى هاوية الحجيم .. وعلى هذا ، فإنه ليس صحيحاً أبداً ما قد انتهى إليه بعض كتابنا المازوكيين المتلذذين فى أعماقهم بهوان الهزيمة وقسوتها ، من أن هزيمة حزيران قد جاءت بمثابة التعبير الصارخ عن « فضائل حضارية وتقدمية يختص بها المجتمع اليهودي !! » ، بقدر ما جاءت بالمقابل تعبيراً صارخاً أيضاً عن « رذائل وسلبيات متأصلة في أعماق المجتمع العربى » !! ..

فإذا كان لابد لنا من أن نناقش موضوع التحضر فى مجتمع ، والتخلف فى مجتمع آخر ، فإن انتصارات أرض « العمليات العسكرية » لم تكن في أى زمان ، أو أي مكان ، بالمقياس الحضارى الذي يمكن اعتماده فى أى تقويم مسؤول لحركة التاريخ ، لاننا عندئذ سنضطر أن نعلق أرفع الأوسمة الحضارية إطلاقا على صدر جنكيز خان ، على سبيل المثال ، وسيبقى أمامنا جدل طويل ، ومثير ، حول ذلك الزعم الانفعالي الآخر الذي يرجع الهزيمة العسكرية ، عموماً ، إلى عوامل تخلفية في أوساط الطرف المهزوم ، لأننا هنا أيضاً سنفقد اتزاننا المنطقى مرة أخرى حيال هزيمة فرنسا المريعة أمام الألمان فى الحرب الكونية الثانية !! ..

نلاحظ ، للأسف العميق ، أن مفهوم « التفوق الحضارى » ينحدر إلى بعض أقلامنا العربية من خلال التقنية العسكرية العالية التى يمتاز بها العدو علينا ، وهي التقنية التى مهما أحرزت من انتصارات مرحلية ، فإنها لم تضمن النصر النهائي لأية قوة تمتلكها ، حتى لو كانت قوة ألمانيا الهتلرية ، أو قوة الولايات المتحدة العملاقة في حرب فيتنام الطويلة المدى ، لأنه كي تتسم القوة العسكرية بأية صبغة حضارية ، فلابد أن تنطلق من دوافع إنسانية ، نحو غايات إنسانية على حد سواء ..

ثم في صميم هذه النقطة ، وختامها ، أيها السادة ، ألتمس من حضراتكم أن تقرأوا معي ــ وأن تتفحصوا أيضاً ــ هذه الدرة اليتيمة التي فاه بها عملاق روايتكم العربية المعاصرة ، الأستاذ ن . م . لمجلة « المستقبل » الباريسية (في عددها ٣٨٦ ، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٨٤) ، وهي الوثيقة الصارخة التي أطالبكم بأن تربطوها فى ملف هذه القضية ، لتكون شاهداً لأجيالنا العربية اللاحقة على مبلغ دمامة هذا الزمان الذي نعيش ... وهو القائل حرفياً :

« العرب أصحاب هدف .. وقضية .. الهدف هو (الحضارة) ، والقضية هي (فلسطين) .. ولكن الذي حدث طوال السنوات الثلاثين الماضية ، أي منذ قيام إسرائيل وحتى الآن ، أن القضية ــ أي فلسطين ــ غلبت على الهدف ــ أي الحضارة ــ .. سأكون صريحا اكثر وأقول : إن (القضية) ضيعت (الهدف) ...!! » .

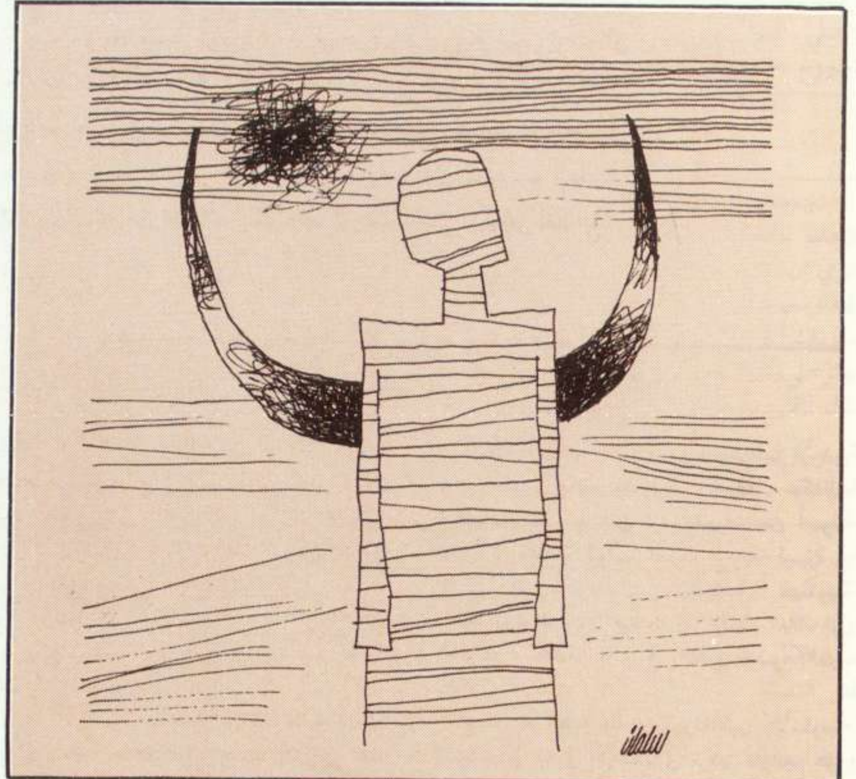
فلئن ارتأيتم فعلاً ، أيها الحشد الحافل من القضاة والمحلفين والنظارة والمتفرجين ، أن العقبة الكأداء أمام تطلعاتكم وطموحاتكم الحضارية ، منذ ثلاثين سنة بطولها ، هي هذه القضية الفلسطينية ، المتأزمة ، المتجهمة ، فما الذي يمنعكم حتى الآن من أن تضعوا رأسها في أنشوطة الإعدام ، مرة واحدة وإلى الأبد ، حتى لا تظل هكذا ، في سوق العرض والطلب ، متأرجحة بين الموت والحياة دون قرار ؟! ..

أما وقد أقسمت منذ البدء على أن أقول الحقيقة بين أيديكم ، فاسمحوا لي بأن أقسم فى الختام أيضاً على أنه لن يتأتى لكم يوماً أن تلجوا دنيا الحضارة من بابها الصحيح ، إلا عبر بوابة الحرم القدسي الشريف .. ولابد لكم ، لأجل ذلك ، من أن تشرخوا بحد السيف ، صرح الطغيان الصهيوني الذي ما قام أساساً إلا على حد السيف .. ففلسطين هي حضارة المستقبل العربي .. وحضارة المستقبل العربى هي فلسطين .. بمثابة اللحمة والسدى .. لا بمثابة العربة والحصان !! ..

* * *

وأخيراً ، فإن هذه ليست إلا مقدمة إلى الحقيقة وحسب .. وأما الحقيقة نفسها فإن لى وطيدالثقة فى سعة صدوركم وعقولكم ، وقلوبكم ، بأن تأذنوا لي بالافضاء بها في إفادات لاحقة ، من على منبر « دوحتنا » الظليلة الحانية ، رغم أنها إفادات مجردة من أية مؤانسة أو أي إمتاع .. لأنها جميعها ستدور فى فلك « الفكرة الفلسطينية الثابتة » التي ربما سئمتها بعض الأسماع .

يوسف الخطيب



الإمــام ناصر بن مرشد اليعربي

بطل كبير وإنسان كريم متواضع جمع أهل عُمان على كلمة واحدة وطرد البرتغاليين المعتدين نهائياً من البلاد

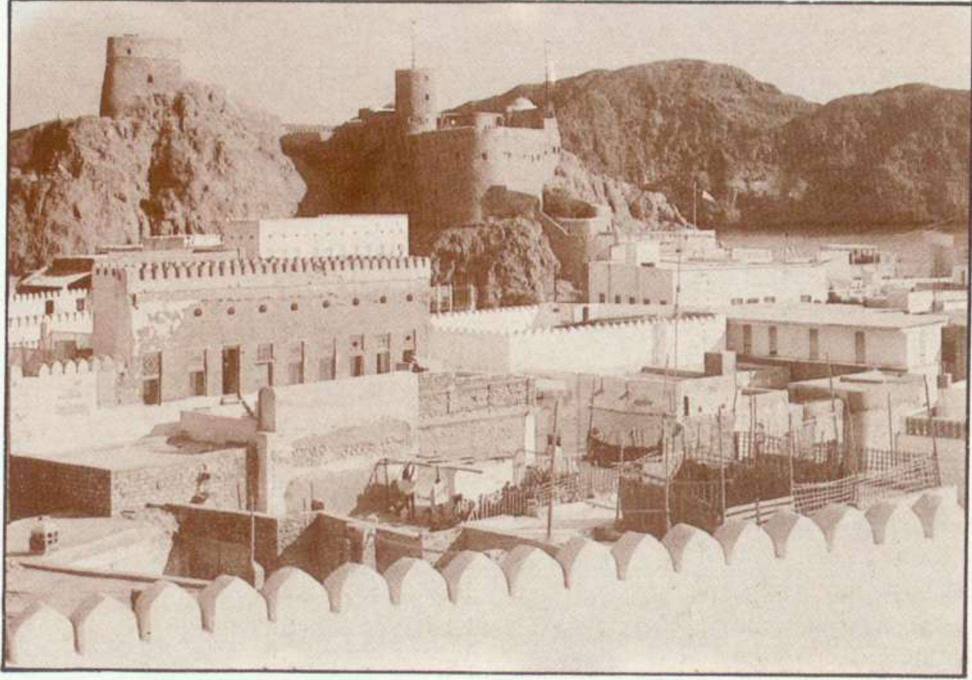
بقلم: أحمد العناني

لم أجد في السالمي صاحب «تحفة الأعيان بسيرة آل عمان» ولا في عديد من المصادر الأخرى ككتاب حميد بن محمد بن رزيق «الشعاع الشائع اللمعان» ولا في كتاب كشف الغمة، او البحث الممتع عن دولة اليعاربة للسيدة عائشة السيار، او اي مصدر آخر إشارة من قريب او بعيد تشير إلى مولد الامام ناصر بن مرشد بن مالك بن ابي العرب اليعربي الذي اختير إماماً عام ١٠٣٤ للهجرة الموافق ١٦٢٤ م، ووافته المنية عام ١٠٥٩ للهجرة (١٠ ربيع الثاني) الموافق لعام ١٦٤٩ م (٢٣ ابريل) بعد حكم ناف على ربع قرن من الزمان مضى معظمه في قتال متصل اولا على الجبهة الداخلية لتوحيد الكلمة وتالياً في قتال البرتغاليين وتصفية حصونهم واحداً في اثر الآخر، وتخليص البلاد منهم بعد اكتمال قرن ونصف تقريباً على دخولهم العدواني الاجرامي الى عمان الذي اقترن بسلسلة من الفظائع المكشوفة الوحشية التي لانظير لها ابداً.

لم يكن الإمام ناصر من عرض الناس البسطاء ولكن قبيلته من اليعاربة هم يمانيون من بطون بني نبهان الذين طال حكمهم في عمان، وكان الاماميون يلقبونهم بالملوك باعتبار أن ملكهم كان وراثياً دنيوياً، ولاشك في أن وجود اليعاربة في الرستاق كان في حد ذاته دليلا على تفوق واضح لهم، وفوق ذلك فإن تفوق الإمام ناصر العلمي لم يأت من فراغ، وإن كان لابد من الاعتراف بأنه لابد وأن تكون حياته مع والدته وزوجها القاضي المهيب خميس بن سعيد الشقصي كان له أثره في انكبابه على الدرس والتحصيل فلم تكن الكتب وحدها هي المتاحة له في ذلك البيت الكبير، ولكن منزل القاضي كان ملتقى طائفة من فضلاء العلماء وأهل الفكر ونفر من رجالات البلاد، وكان الموضوع المهيمن على معظم أحاديثهم الشكوى المرة مما أصاب البلاد من إفساد مرير وتجهيل ونزاع وفقر منذ وصول البرتغاليين إليها وتشجيعهم انقسام الناس على أنفسهم..

وكان من سوء حظ عمان في تلك الأيام أن كلا من تركيبتها الجغرافية حيث تتكاثر فيها الوحدات الإقليمية الناتجة عن طبوغرافية الأرض ذات القمم العالية والأودية العميقة، وكذلك تركيبتها السكانية بين أزد وغيرهم من أصول يمانية، وقبائل ذوات أصول نزارية قيسية، إضافة إلى التوجهات المتناقضة للهناوية والظاهرية، قد أدى جميعه إلى انقسام البلاد إلى وحدات سياسية غاية في التفرق وسوء الظن المتبادل.

ومما زاد الطين بلة أن البرتغاليين بالأسلوب الذي جاءوا به في الاعتماد في تركيز نفوذهم على



قلعة «ميراني» البرتغالية بمسقط، التي شيدت في القرن السادس عشر لإحكام قبضة البرتغاليين على عمان.

قلاع حصينة ينشئونها على أعلى القمم ويشحنونها بالمؤن والسلاح وخيرة الجنود وقد أغروا صغار المتنفذين في كل منطقة بتأسيس قلاع لهم تؤكد استمرار الفرقة بين أبناء الشعب الواحد..

ومنذ فقد العمانيون أحسن مواردهم التجارية بسبب هيمنة البرتغاليين في البحر واستيلائهم على سائر موانىء عمان الرئيسية راحت الأحوال الاقتصادية توالي تدهورها وبات واضحاً أن الأمر يقتضي العمانيين جهدا في مستوى المعجزة للخروج من ورطتهم.

خصائص حياته

تجمعت في الإمام ناصر بن مرشد صفات الزعامة المقتدرة، فهو أولاً تجرع ألم اليتم، ولا أدري إن كان ذلك اليتم كان وراء تشدد الرجل في اقتفاء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسبك من ذلك أن تعرف أنه مات لايملك شيئاً وأنه كان يؤثر على نفسه وأهله وإن به لخصاصة، وان ببيت المال لمالاً ووفرا، وأنه كان لايقتل أصحابه فحين كان بنزوى في المرحلة الأولى من حكمه، ووصله خبر مؤكد عن تآمر رؤساء قبيلة «العقر» عليه اكتفى بنفيهم، وحذر تحذيراً شديداً من أن يتطوع أحد لقتل أي واحد منهم.. وكان ذلك منه في عهد هانت فيه حياة الناس واستشرى القتل حتى بات أمراً معتاداً، وكان رجلاً شريفاً مترفعاً عن الغيبة وسوء القول حتى لقد ذهب البعض إلى القول إن القدر انتصف له من جماعة كانوا عند أحدهم لاحديث لهم غير الوقيعة في الإمام ناصر.. وكانت زوجة الرجل تسمع غير مرتاحة حتى إذا استبد بها الغضب من سفاهة زوجها وضيوفه خرجت غاضبة تستنكر فعل القوم فما كادت تبتعد حتى انهار البيت على سائر من فيه فقتلهم.. وسواء أصحت هذه القصة أم لم تصح فإنها قصة تعبر عن حقيقة وضيئة من الإمام ناصر. ويروى الكثير أيضاً عن عوز الرجل وترفعه مع ذلك عن الاقتراب من بيت المال، وعن بركة القليل من طعامه إذا ماقدمه لضيوفه وليس عنده سواه، وهي قصص تشير بتواترها إلى المزايا الرفيعة للزعيم المسلم الحق، فعلى ذلك أو مثله جرت حياة الخلفاء الراشدين ولاسيما الفقراء منهم أصلاً كعمر وعلي رضي الله عنهما وكذلك عمر بن عبد العزيز حين أفقر نفسه برد أموال أبيه وضياعه ومال زوجه وحليها إلى بيت مال المسلمين.. وكذلك كان شأن صلاح الدين الأيوبي، والمنصور بن أبي عامر المجاهد الأندلسي وغيرهم ممن جعلوا رضوان الله غاية غاياتهم، ولم يتعاملوا مع المال إلا كوسيلة لا تشغل الذهن للارتفاق بها للحصول على أيسر العيش الذي يحفظ الحياة.

وبذلك كان الرجل عالما بهيا، وكان رجلا زاهدا خلوقا، وكان قد عرف المعاناة وتعامل معها طويلا، فلما حمل حملا على الاضطلاع بمسئولية الناس لم يغره ذلك ولم يبدل من جوهره شيئاً... وانما هو قضى الحياة مجاهدا إلى أن جمع عمان على كلمة واحدة، ومات كما عاش فقيراً.

كيف حُمِلَ على الإمامة؟

يروي السالمي أن الوجهاء والعلماء الذين تراسلوا فيما بينهم مدة طويلة يتشاكون من سوء الأحوال ويتداعون للتشاور وعمل شيء ما التقوا ولم يكن بينهم العالم الشاب ناصر بن مرشد، وقد سئل الشيخ القاضي خميس بن سعيد عن رأيه في ناصر لما يتمتع به من سمعة طيبة، فشهد بالحق وبما يعلم فقرر الجماعة أن يضموا لهم طائفة أخرى من العلماء وطلبة العلم وأن يمضوا إلى قصرى حيث مقر ناصر فيلتقوا به للاستئناس برأيه وعرض الأمر عليه إذا ظل على ذلك عزمهم، ولكنهم فوجئوا بإصراره بإخلاص على أنه لايستأهل مايرون فيه، ولايرى لنفسه مايرونه، لكنهم أقسموا له جميعاً أن يتخلوا عن مطامح النفوس الأنانية وأن ينصروه إذا هو توكل على الله وقبل فلما رأى ذلك الإجماع والإصرار منهم قبل عرضهم على تثاقل وتهيب كأنما أعاد سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

تماثل الروايات عن سيرته ودلالة ذلك

وإذا ما حاول المرء أن يحقق أية نقطة من حياة هذا الإمام بين مصدر وآخر من عدة المصادر الأساسية التي ذكرنا بعضاً من أهمها في صدر هذا المقال فإنه يدهش فعلا لتشابه محتوى تلك المصادر في الكبيرة والصغيرة حتى لتكاد تكون متماثلة.. فهل كان سبب ذلك أنه انتصر انتصاراً معجباً على سائر خصومه واحداً بعد الآخر وآخرهم البرتغاليون فلم تكن هناك غير رواية المنتصرين وكلهم على نفس منزع سيدهم الإمام.. أم أن العمانيين كانوا يتابعون تحركات ناصر بمشاعر متناهية في الود والإعجاب أو بالكراهية والرعب فكانت النتيجة أن كل تفاصيل حركاته انطبعت في أذهانهم.. إن السؤال يبقى مطروحاً لتحقيق أوسع في الأمر، وأيما كانت

الإمام
ناصر بن مرشد اليعربي

الحال فهو في صالح الرجل الزعيم البطل الذي وفق إلى مالم يوفق إليه أحد في زمانه ألا وهو جمع كلمة العمانيين ، ومن ثم وهو الأهم طرد البرتغاليين المعتدين نهائياً من عمان .. وانه لفخر عظيم أنه بينما كان للهولنديين والانجليز دور مع الصفويين والهرامزة في طرد البرتغاليين من هرمز .. إلا أن إخراجهم من كل عمان وموانئها مسقط وصير ومقنات وبوشر وقريات وصحار وجلفار ومطرح قد تم في عهده فيما عدا المرحلة الأخيرة من الوجود البرتغالي في حصن مسقط التي تمت بعد وفاته .

خطة عمله

لقد وضح من خطة العمل التي التزم بها الإمام أنه حرص على تنقية القاعدة الأساسية التي ينطلق منها ، ويتخذها عصبيته الأساسية وحاملة مبادئه والمؤمنة بإيمانه ، ثم على توسيع تلك القاعدة شيئاً فشيئاً ثم مواجهة خصوم الحركة وهم :

أ ــ بعض بني عمومته وأهله الذين نفسوا عليه مسئوليته الكبيرة .

ب ــ زعماء القبائل المختلفة أصلا مع الإمام وجماعته كالهنائيين .

ج ــ حلفاء بني جبر الاحسائيين في عمان فقد كان حكم الجبوريين أو نفوذهم قد وصل إلى داخل عمان كما اشتمل في وقت من القرن السادس عشر على البحرين وقطر وحتى هرمز ، وكان هناك عرب من الهلاليين ، كما كانت جلفار تحت حكم ناصر الدين الفارسي فيما الساحل كله تقريباً بأيدي البرتغاليين وإن كانت وطأة ذلك الحكم قد خفت وأساليبه تطورت كثيراً لاسيما منذ استيلاء الانجليز والصفويين على هرمز ..

كان عصب الدولة التى أنشأها الإمام هم بنو يحمد الذين بدأ بنصرتهم في استيلائه على حصن الرستاق وفي الاستيلاء على نخل من سلطان بن أبي العرب .. وعندما ثارت نخل من ورائه بعد خروجه منها رفض الإمام أن يتحرك لأية فرصة متاحة أخرى قبل أن تنضبط الأمور انضباطاً تاماً في قاعدة انطلاقه فعاد إلى النخل ووطد فيها الأمور جيداً .

وأدرك الناس ولاسيما زعماء المناطق المجزأة أنهم أمام رجل جديد بكل معنى الكلمة فأحس كل واحد منهم أن عليه أن يتخذ له منه موقفاً محدداً .. على أنهم لم يكونوا يدركون أن الرجل كان رجل مبادىء ... من أجل ذلك فإن الذين حسبوا أن الأمر ينتهي بشيء من المجاملة والنفاق كمانع بن سنان العميري الذي سهل دخول الإمام إلى حصن سمايل وجدوا أنفسهم لاحقاً في حرب مريرة مع الإمام لأن الأمر كان أمر وجود عمان موحدة قوية خالصة من المعتدين البرتغاليين أو لاشيء .

وبعد أن استولى الإمام على ازكى معقل الجبوريين الأساسي تآمر على حياته جماعة من رؤساء «العقر» فعلم الإمام بهم ولكنه رفض أن يبطش بهم فتفرقوا بكل أرض ومنهم من تبع مانع ابن سنان ومنهم من التحق بناصر بن قطن الهلالي الجبوري وكان مانع وناصر أشد أعداء الإمام بأساً وهما اللذان قاتلاه قتالاً مريراً قبل أن ينهزما وبقي على ناصر قبل أن تصبح عمان الشرقية وجعلان كلها في دولته أن يحارب الجبوريين في إبرا ، والهلاليين في سمد الشان ثم يحارب البرتغاليين المستولين على مسقط ومطرح محضتين بالقلاع تحصيناً عظيماً ..

ولأن الامام كان يتبع طريقة المرحلية فقد استولى على مناطق المسلمين ولم يتعرض بادىء الأمر للبرتغاليين بأي شيء كأن أمرهم لايعنيه وكان من النكسات التي تعرض لها الامام في هذه المرحلة انقضاض محمد بن جفير الجفري الجبوري على النخل ، ووقعت أحداث دموية في مقنات بين الإمام من جهة وتحالف من الجبوريين والهلاليين ، كذلك وقعت في الصخيري معارك مريرة تعرض فيها جيش الإمام لخطر عظيم نتيجة استنجاد سعيد الخيالي وجماعته بالجبوريين .

كذلك ، وكما أشرنا من قبل نكث مانع بن سنان عهده وشجعه تحالف سيف بن محمد الهنائي معه مما جعلهما يستوليان على نزوى من أزكي وبهلا .

وكانت آخر المعارك العنيفة التي وقعت بين جنود الإمام والجبوريين في لوى ، وكان الإمام هو المهاجم وقد قصد قطع الطريق البري على الجبور ، ومع بالغ الأسف فإن بعض أعداء الإمام لما انقطعت بهم السبل فضلوا التحالف مع البرتغاليين ومنهم مانع بن سنان ، وبعد سقوط حصن لوى المنيع بفترة وجيزة أمكن التخلص من مانع بن سنان بحيلة متقنة .

تحطيم الوجود البرتغالي

وهكذا بعد التخلص من أعداء الوحدة الداخلية ، وبعد إكراه الجبوريين والاحسائيين على الخروج من عمان لم تبق إلا المواجهة مع المستعمرين البرتغاليين . ويبدو أن الامام أتيحت له فرصة كافية للنظر في أفضل الطرق للخلاص من البرتغاليين .. ولما وجد أن نقطة ارتكازهم الأساسية هي حصونهم المنيعة قرر أن يبني إلى جانب كل حصن يمتنع عليه حصناً موازياً له يفرض الحصار المستديم على الحصن البرتغالي ..

ولما كانت حصون السواحل البرتغالية تعتمد في كثير من تموينها على داخل عمان فإن صيرورة ذلك الداخل كله تحت قيادة واحدة وكلمة واحدة أوقعت البرتغاليين في موقف حرج للغاية .

وسرت صيحة الجهاد في عمان فرددت صداها قنن الجبال وسائر الوهاد والقيعان ، وكأنما صحا الناس من حلم ، وكان من بين أعنف المعارك التي دارت بين المجاهدين والمشركين معركة صحار عام ١٠٤٣ للهجرة (نهاية محرم) وفيها استبسل المسلمون في وجه المدافع البرتغالية من كل نوع ثم راحوا يفتحون جبهات أخرى للبرتغاليين في بوشر ومسقط وحصلت هدنة مؤقتة ، ولكن الصدور كانت تتفجر بأساها القديم فما لبثت الحرب أن اسعرت في صور وقريات . ومن أسف بالغ أن ناصر ابن قطن الجبوري في ذلك الظرف الدقيق قام بغارة على عمان مستعيناً بقوات من البدو من الداخل والخارج لكن حركته تلك كانت تنهار أمام الوعي الإسلامي الجديد في عمان فباءت كل محاولاته بالفشل ، وبعد ذلك عاود الإمام مهاجمة أسوار مسقط آخر معاقل البرتغاليين في عمان لكن الله تعالى توفاه في أثناء ذلك الحصار الذي انتهى لاحقاً بالنجاح التام فما أن حلت سنة ١٦٥٠ للميلاد حتى طوى آخر علم للبرتغال في سماء عمان بعد مئة وثلاث وأربعين سنة من الاستبداد ..

كان لوفاة الامام ناصر بن مرشد اليعربي رنة أسى عظيم في سائر الأوساط الاسلامية المعنية بتخليص المسلمين من استعباد الأجانب الواغلين ومما قيل في رثائه :

حكى الصديق والفاروق عدلا
فأنضى النفس للعدل اطلابا
له سير حسان كل شرح
تباعده إذا شاء اقترابا
بهن الله ثم الرسل، يرضي
ومن صارت له عدن مآبا

ومما قيل أيضاً فيه :

بكى النصر لما مات ناصر والهدى
وأضحى تباكي الغمدَ كل مهند

أحمد العناني



بقلم : الدكتور محمد البهي

التهذيب في المعاملة

حددت ثلاث آيات مدنية في سورة مكية ــ وهي سورة الأنعام ــ إطار هذه المعاملة : بعبادة الله وحده ... وبالإحسان للوالدين ... وبعدم قتل الأولاد خشية الفقر .. وبعدم الاقتراب من الفواحش والجرائم الظاهرة والخفية على السواء ... وبعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق .. وبالوفاء في الكيل فيما يكال ، وفي الوزن فيما يوزن .. وبالعدل في القول ، والشهادة ، وفي الحكم بين اثنين ، ولو كان أحدهما قريباً لمن يقول ، أو يشهد أو يحكم .. وبالوفاء بعهد الله . يقول الله تعالى :

« قل تعالوا : أتل ماحرم ربكم عليكم :

« ألا تشركوا به شيئاً (إذ الشرك بالله أساس العبث والفساد في السلوك فالاتجاه في العبادة لغير الله هو اتجاه للمنفعة الشخصية . والمنفعة الشخصية يمليها الهوى ، والمشرك بالله لايلتزم طريقاً واحداً في الحياة . وانما يسلك طرقاً عديدة ، وملتوية لاقتناص منفعته الشخصية) .

« وبالوالدين إحسانا » (والاحسان للوالدين أمارة على وفاء الأولاد . إذ أصبحوا في وضع ليست لهم حاجة إلى والديهم . فوفاؤهم عندئذ دليل على مستواهم الإنساني الرفيع) .

« ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم » (وعدم قتل الأولاد خشية الفقر دليل على تحمل مسئولية الآباء نحو أولادهم ، وتحمل المسئولية شعور إنساني كريم يدفع بالإنسان إلى درجة المستوى الفاضل في الإنسانية) .

« ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن » (وهي المنكرات والجرائم الاجتماعية من : زنا .. وقتل .. وسرقة . والنهي عن اقترافها هو نهي عن ذلك ، سواء في السر أو العلن .. في الظاهر والباطن . وعدم مباشرة هذه الجرائم مظهر ينم حقيقة عن التحول عن طريق الإيمان . من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإنساني) .

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » (وعدم قتل النفس في غير رد اعتداء ، أو في غير قصاص دليل كذلك على تعاطف الإنسان نحو الإنسان . والتعاطف درجة رفيعة في الإنسانية) .

« ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده » (وكذلك مباشرة مال اليتيم ــ وهو الضعيف الذي لايقوى على إدراك مايصنع بماله ، وإن أدرك لايقوى على مقاومة العبث فيه ، بالطريق الأمثل في إنمائه ، والحرص عليه أمارة التحول من الماضي البغيض .. إلى المجتمع المؤمن وهو الانساني .

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لانكلف نفساً إلا وسعها » (وكذلك وفاء الكيل والميزان بالعدل إن دل على بعد عن الأنانية في المعاملة .. وبالتالي على الروح الإنسانية فيها : فإنه من جانب آخر دليل على يقظة الوعي الإنساني في الإنسان الذي يفي بما يلتزمه على أساس من العدل نحو الآخرين . يقظة الوعي في الإنسان هي ترجمة لمستوى رفيع من انسانيته) .

« وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » (وعلى نحو ممارسة العدل فيما يلتزمه الانسان نحو الآخرين من وفاء فيما يكال أو يوزن ، ومن دلالة ذلك على انسانيته : مايدلي به الإنسان من قول لصالح بعض الأطراف في النزاع بينهم . فإن الحياد فيه ــ أو العدل فيه ــ له نفس الدلالة على انسانية القائل) .

« وبعهد الله أوفوا » (وكذلك الشأن في الوفاء بالعهد . إذ هو التزام على تحقيق هدف خير . وأداء الخير للآخرين هو عطاء من إنسانية المؤدي ، وتعبير عن مستواه الرفيع فيها) « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكَّرون » « وأن هذا » (أي كل ما ذكره من الوصايا هنا) « صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » (أي الأخرى التي عداه ، وهي سبل ملتوية) ، « فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الأنعام (١٥١ ــ ١٥٣) .

وإذا كانت هذه الوصايا تمثل مجمل الإطار العام للتهذيب في المعاملة .. فإن الآيات الأخرى التي جاءت في الوحي المدني تزيد في توضيح ماأجمل فيها :

ــ فجاء في أدب التحية قوله تعالى :

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شيء حسيبا » النساء : ٨٦ .

ــ وجاء في أدب المساكن :

« يأأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، وتسلموا على أهلها » (فربط جواز دخول مساكن الآخرين بأمرين : الأمر الأول باستئناس القبول من الساكنين : عند القادم . وهذا أمر أخص من الإذن بالدخول . إذ يجوز أن يأذن الساكنون بالدخول لقادم وليست لديهم رغبة أكيدة في لقائه . والاستئناس إذن هو التحسس بهذه الرغبة بعد الإذن بالدخول . والأمر الثاني أن يلقوا على الساكنين : السلام ، تطمينا لنفوسهم « ذلكم خير لكم لعلكم تذكَّرون .

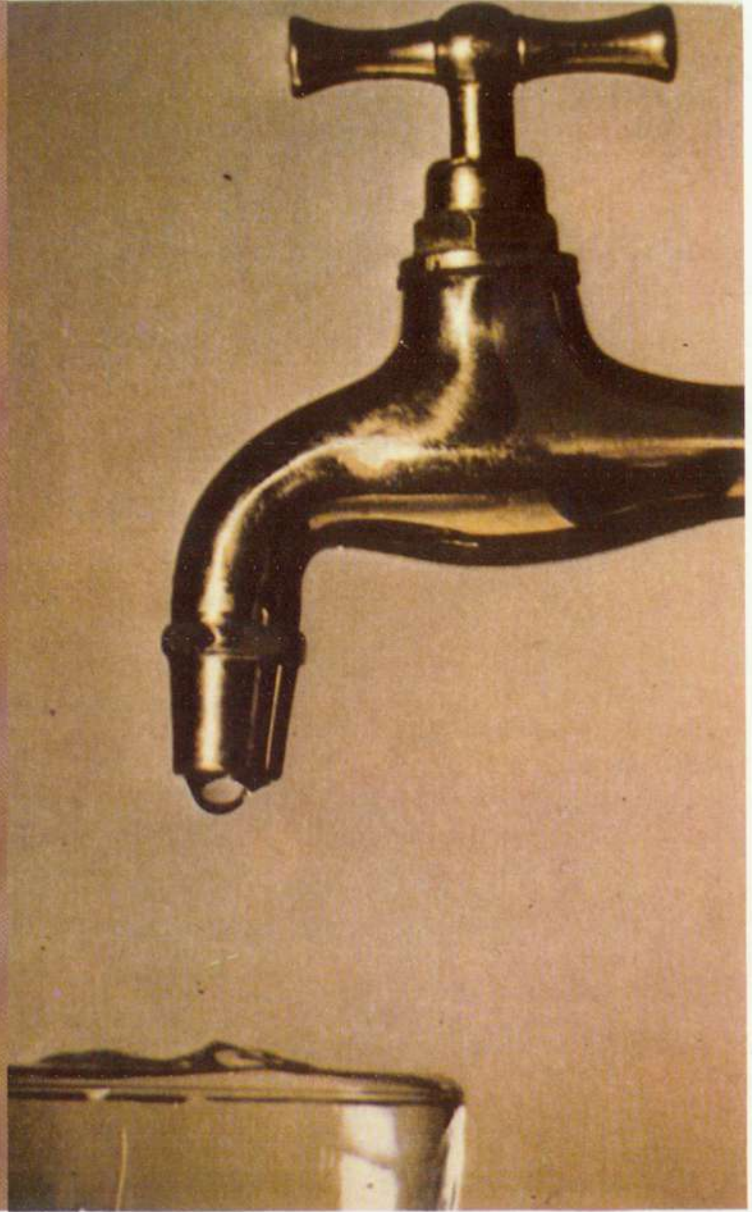
فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم .

« وإن قيل لكم : ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم » .

« ليس عليكم جناح : أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ماتبدون وما تكتمون » النور : ٢٧ ــ ٢٩ .

كوب الماء الصافي

هل هو حقاً كذلك؟



قطرة الماء التى تنساب الى الكوب فى حالة نقية .. هل هى فى حالة نقية حقا؟..

بقلم : د . عبد المحسن صالح

اندفع إلى معملي ثلاثة من المشرفين على المحطة الرئيسية لتنقية المياه ، وقد ارتسمت على وجوههم علامات القلق والاضطراب الواضح ، ولقد كنت أعرف منهم واحداً ، فوجهت اليه الكلام قائلاً : خيراً إن شاء الله .. ماذا وراءكم ؟ .. قال : ليس خيراً ، فنحن في مأزق خطير ، اذ حل بأحواض الترشيح عندنا شيء غريب لم نعرف له من قبل مثيلا ، واذا استمر الحال على ذلك ، فلا مناص من احد خيارين : إما أن تحرم المدينة من المياه النقية ، أو أن نمدها بمياه ملوثة ، ولهذا أتينا اليك نطلب العون بعد ان أعيتنا الحيلة ، فلا شك أن العلم حلال المشاكل !

وقد تبدو هذه المشكلة محلية ، وما كان لنا أن نعرضها هنا ، خاصة وأنها لا تهم إلا أصحابها ، أو هكذا يظن البعض ، وهو ظن غير صحيح ، إذ أن مشكلة تلوث مصادر المياه ، هي مشكلة عالمية بالدرجة الأولى ، ذلك أن الشواطىء البحرية أصبحت ملوثة ، وكذلك الخلجان والبحيرات والأنهار ، ثم امتد التلوث إلى الأمطار ، المصدر الرئيسي للمياه العذبة على كوكبنا (انظر دراستنا عن الأمطار الحمضية في العدد السابق) .

والواقع أن حالتنا التي عرضناها كمقدمة لهذه الدراسة ، ليست إلا واحدة من آلاف الحالات التي تذكرها المراجع العلمية كل عام ، لكنها من أخطر الحالات ، خاصة وأنها تختص بمياه الشرب لمدينة كبيرة يسكنها حوالي ثلاثة ملايين نسمة ، وأي تلوث طارىء في هذه المياه كفيل بجعلها أخطر على الحياة من قنبلة ذرية ، فالتلوث يعني المرض والموت ، وانتشاره مع مياه الشرب التي يستفيد منها الملايين ، يعني انتشار المرض بينهم ، ولنتصور بعد ذلك ما سيصير عليه حالهم !

ثم إن البشر جميعاً غير معصومين من هذا التلوث ، ولكل منا جرعته التي تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها ، وهي تأتيه عن طريق الماء الذي يشربه ، أو الطعام الذي يحصل عليه من مصادر المياه المالحة والعذبة ، ومن أجل الحصول على مياه نقية نسبياً من الميكروبات المسببة للأمراض ، انتشرت محطات التنقية في كل مدن هذا الكوكب ، لكن ذلك لا يمنع من تسرب بعض المركبات الكيميائية الضارة التي تنساب الى مصادر المياه نتيجة للأنشطة الصناعية المختلفة ، وهو ما سوف نتعرض له في هذه الدراسة المختصرة ، وبقدر ما يسمح المجال .

عود على بدء

والآن نعود الى التعرض للمشكلة الخطيرة التي أشرنا اليها في بداية هذا المقال ، لنوضح من خلالها كيف يمكن تطويع أسلوب البحث العلمي في حل المشاكل التي تنشأ دون سابق انذار أو معرفة بما يمكن أن تتمخض عنه الملوثات التي تنساب إلى مصادر مياه الشرب من أخطار ، ولقد كانت المشكلة التي نحن بصددها تحديا حقيقياً لحل الغموض الذي ران عليها ، وبسببها جاءني الثلاثة ـ منذ سنوات بعيدة ـ وهم يستغيثون من خطر داهم يهدد مدينة بأكملها .



شكل (١) خيوط الكائن البكتيرى مكبرة مئات المرات ، وهى السبب الأساسى فى انسداد المرشحات وهى أيضا دليل على تلوث مصادر المياه العذبة .



شكل (٢) عندما تزرع الميكروبات فى أطباق زجاجية على غذاء خاص (يشبه الجيلى) ، فان كل خلية ميكروبية غير مرئية ، تتكاثر بسرعة ، وتصبح فى غضون يوم واحد مستعمرة مرئية تحوى مئات الملايين من الخلايا ، ومن هذه المستعمرات ، يمكن عزل الأنواع المختلفة ، والتعرف عليها .

كوب الماء الصافي

ولقد زاد الطين بلة أنهم عرضوا على كتلة غريبة من مواد هلامية تتخللها ألياف دقيقة ، وأحاطوني علماً بأنها معزولة من سطوح المرشحات الرملية التي تنقي المياه ، وأنها تتجمع عليها كالوباء الذي لم يروا له من قبل مثيلا ، وفي خلال ساعة أو ساعتين تتغطى المرشحات بطبقات كثيفة من هذه المواد اللزجة ، فيتوقف الترشيح تبعاً لذلك ، مما يهدد بانقطاع إمداد هذه المدينة الكبيرة بالمياه النقية .

وهي ــ بلا شك ــ كارثة ، ولابد أن من ورائها سبباً ، أو أن هناك جريمة قد ارتكبت في حق مصدر المياه الذي يمد مدينة الاسكندرية بالماء العذب عن طريق ترعة ملاحية تحصل على مياهها من النيل ، وتمتد لحوالي مائة كيلومتر .. وكان لابد ــ والحال كذلك ــ من تشكيل مجموعة بحث على وجه السرعة ، وفيها يتعاون التخصص الكيميائي مع البيولوجي مع الهندسي بعمل مسح علمي عن مصدر هذا التلوث الغريب والمفاجيء ، وفي غضون نصف ساعة كان الفريق البحثي ينطلق بأجهزته ومعداته لجمع عينات من الماء ــ بداية من نهر النيل ، ومروراً بطول الترعة ، ونهاية بمحطة التنقية ــ ولقد أوضح المسح على الطبيعة أن مشكلة التلوث خاصة بمدينة الاسكندرية وحدها ، بدليل أنه لم تحدث أية مشكلة مع محطات التنقية ــ في المدن التي تقع الى الشرق قبلها !

وكرجال القانون والشرطة الذين يبحثون عن أدلة جريمة وقعت ، كان الحال كذلك معنا ، مع اختلاف بين طبيعة عمل وعمل ، اذ انصب اهتمامنا على أجراء تحليلات فيزيائية وكيميائية وبيولوجية وما شابه ذلك ، علنا نعرف سر هذا الوباء الذي أصاب محطات التنقية ، ولم تسفر التحليلات الكيميائية والفيزيائية على دليل يمكن أن يرشدنا الى سر المشكلة التي أخذت تزيد وتتفاقم .

ولقد وقع معظم العبء على كاتب هذه الدراسة ، اذ أوضحت التحليلات الميكروبيولوجية أن المياه مصابة بنوع من البكتيريا الخيطية ، وهي التي نمت وازدهرت فجأة ، ودون أن يراها أحد بالعين المجردة ، لكن الميكروسكوب قد رصدها ، وأوضح دورها في انسداد المرشحات بطريقة لم يسجلها هنا أحد من قبل (شكل ١) .

وانكشف سر الجريمة

لكن ذلك لم يحل المشكلة ، اذ لا يكفي أن تحدد طبيعة الميكروب ونوعه ، فهو معروف وموجود في المياه الطبيعية التي تتعرض تعرضاً ولو طفيفاً للتلوث بالمواد العضوية ، وهو ــ في هذه الحالة ــ لا يخلق مشكلة ، ولا يسبب وباء كالذي حدث بضراوة بالغة .. اذن ، ما سبب المشكلة ؟ .. ولماذا تفاقمت الى هذه الدرجة ؟

لقد بدأت الأمور تتضح بعد يومين اثنين عصيبين ، وفيهما لم يكف جرس التليفون في معملي عن الرنين استعجالا لمعرفة سبب المشكلة ، خاصة وأنها بدأت تسير من سيء إلى أسوأ ، مما يهدد بكارثة .. وتشاء الصدف السعيدة أن تسوقني الى التقاط مستعمرة من المستعمرات البكتيرية الكثيرة المختلفة التي تنمو في الأطباق على غذاء خاص نجهزه لها في المعامل (شكل ٢) ، وتحت عدسات الميكروسكوب ظهرت أفراد المستعمرة كخلايا لكائن دقيق آخر غير الذي تسبب في المشكلة ، لكنه كان بمثابة الخيط الذي قادنا الى تحديد موقع التلوث ، ونوعه ، وسر حدوث الوباء ، وكيفية معالجته بطريقة أبسط مما نتصور .

ان الكائن الدقيق الذي كشفناه لم يكن من أنواع البكتيريا ، رغم أنه يشبهها في الأطباق ، بل كان أحد أنواع الخميرة (شكل ٣) .. والخميرة من الفطريات (وهي التي يطلق عليها العامة اسم العفن) .. لكن الخميرة لا توجد عادة في الماء ، لأنها لا تتكاثر ولا تعيش إلا في محلول سكري ، أو على فاكهة غنية بالسكريات (مثل العنب) .. اذن فوجودها في الماء طارئ ، ولقد بدأت تظهر فيه قبيل محطة التنقية بحوالي نصف كيلومتر لاغير ، ومن ثم أمسكت بالهاتف ، وطلبت المسئولين في المحطة ، واستفسرت إن كان هناك مصنع للخميرة قبيل المحطة بنصف كيلومتر ، وجاء الجواب .. نعم ، وأردفت : إنه السبب ، وقال محدثي : لكن المصنع موجود هناك من زمن ، وليس هو سر المشكلة ، أجبت : أعتقد أنه سر المشكلة ، لأن المياه تحتوي على خميرة ، والمصنع مصدرها ، ولابد من عملية مسح على الطبيعة ، فربما كان المصنع يصب بعض مخلفاته خلسة في الترعة لأسباب لا ندريها .

ويبدو أن محدثي لم يكن مقتنعاً تماماً باستنتاجاتي ، وانتهت المكالمة بتبرم واضح : على أية حال سوف ندرس الأمر .. وفي اليوم التالي اختفت المشكلة ببساطة شديدة ، اذ ثبت أن جزءاً من مخلفات مصنع الخميرة كان يجد طريقه الى الترعة خلال مصب صغير يختفي بين الأعشاب المائية الكثيفة النامية على الشاطئ ، وعندما اكتشفوه أغلقوه ، وما تم بعد ذلك بين هيئتي المصنع ومرفق المياه من مسائل قانونية لا يهمنا في موضوعنا ، اذ أن هناك قوانين تحرم صرف المخلفات في مصادر المياه العذبة ، حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه .

وطبيعي أن البكتيريا الخيطية التي سببت الوباء كانت تنمو قبل ذلك على بعض المواد العضوية المتحللة نمواً ضعيفاً ، وبقدر ما يتاح لها من مواد غذائية محدودة ، فكان نموها محدوداً كذلك ، وبحيث لا يسبب ذلك مشاكل تذكر ، وعندما انسابت اليها مخلفات مصنع الخميرة في بيئتها المائية ، وأمدتها بفيض من العناصر الغذائية ، بدأت تتكاثر وتنمو وتترعرع بسرعة فائقة ، وهي هنا كالمشرد المحروم من الغذاء ، ثم وجد أمامه فجأة طعاماً وفيراً ، فأخذ ينهل منه ما يشاء ، وكذلك تكون البيكتريا ، مع فرق جوهري ، ذلك أنها كلما أكلت ، تكاثرت بسرعة رهيبة لدرجة أنها تتحول الى وباء حقيقي يتداخل في كفاءة الترشيح بالمرشحات الى درجة الانسداد شبه التام !

ظواهر أمراض مميتة

لقد سقنا هذه الحادثة كبداية حقيقية لحوادث مختلفة تتم بصورة أو بأخرى في أماكن متفرقة من العالم ، وحمداً لله أن المخلفات عندنا كانت ذات ضرر محدود ، ولقد تم اكتشافها وعلاجها في أضيق الحدود ، ودون أن يعرف الرأي العام عن أبعادها شيئاً ، لكنها ــ مع ذلك ــ قد طرحت في أحد المؤتمرات العلمية ، ثم نشرت في إحدى المجلات العلمية كمؤشر لسوء استغلال مصادر مياه الشرب في صرف المخلفات ، وما قد يؤدي اليه من كوارث لها ضحايا ، ومثال واحد قد يوضح معنى ذلك بجلاء .

في قرية ميناماتا المشهورة بالصيد ، والواقعة على خليج ميناماتا باليابان ، حدثت ظواهر غريبة ذكرتها المراجع العلمية أحياناً باسهاب ، وأحياناً أخرى باقتضاب ، إذ لاحظ أهل القرية أن القطط كانت تندفع نحو البحر وهي تموء بشدة ، ثم تختفي فيه ، وأخذت الغربان تتساقط على الأرض أثناء تحليقها في الهواء ، ثم تبع ذلك شكوى بين أهل القرية من آلام في العضلات ، واضطراب في البصر ، وبحيث يبدو للواحد منهم وكأنما هو لا يرى عاله إلا من خلال أنبوبة ضيقة ، وكل ما حولها مظلم ، وتبع ذلك ظهور نوبات من الجنون على أب وابنه ، ثم ما لبثا أن لفظا أنفاسهما ، وفي السنوات التسع التي تلت ذلك ، ظهرت الأعراض ذاتها على حوالي ١١٠ نسمة ، توفي منهم ٣٦ شخصا ، ثم حصل الصمم والعمى بمعظم الذين عاشوا ، ولقد جاءت المواليد في هذه القرية بمرض غريب أطلق عليه اسم « مرض ميناماتا » ، وعليهم ظهرت تشوهات خلقية مختلفة ، ثم ظهر المرض في مدينة أخرى مجاورة اسمها نيجاتا ، وأصاب خمسين من سكانها ، فمات منهم ١٦ فرداً ، في حين أن كثيراً من الأطفال بدأت فيهم الأعراض بدرجات متفاوتة .

ولقد بدأت التحريات العلمية والطبية تأخذ مجراها للكشف عن سر هذا المرض الغريب ، انه

يشبه أعراض التسمم بأحد مركبات الزئبق ، لكن ما هو مصدره ، وكيف انتقل إلى الناس ؟ .. هذا هو السؤال الذي يبحث عن جواب .

ولم تدم الحيرة طويلاً ، اذ تبين أن أحد المصانع القريبة من القرية كان يصب مخلفاته في مياه خليج ميناماتا ، وكذلك فعل مصنع آخر بالقرب من مدينة نيجاتا .. وطبيعي أن الناس هناك لم يكونوا يستخدمون الماء الملوث للشرب ، لأنه غير صالح للاستعمال الآدمي ، لكن المركب السام قد انتقل اليهم عن طريق الأسماك التي عاشت في الخليج الملوث ، ولقد كان طعامهم الأساسي يتكون من منتجات البحر ـ أي من الأصداف والطحالب والأسماك ـ والذين أكلوا منه أكثر ، ظهرت عليهم الأعراض أعظم ، ولقد انساب السم الى الأطفال الرضع من خلال لبن أمهاتهم ، كما أنه قد تداخل في الأجنة أثناء تكوينها ، وأحدث بها تشوهات تختلف شدتها باختلاف تركيزاتها في الحوامل !

ولقد وجد العلماء أن تركيز هذا المركب السام في دماء الضحايا قد وصل الى أكثر من مائة مرة من التركيز المسموح به في أية معايير دولية ، والغريب أن عنصر الزئبق قد تحول الى مركب أكثر سمية (ميثيل الزئبق) بواسطة كائن بكتيري يعيش على الرسوبيات الكائنة في قاع الخليج ، فزاد ذلك الطين بلة !

ولم تكن هذه هي الحالة الوحيدة التي انتقل فيها السم من مياه البحار عن طريق الكائنات المائية التي يستخدمها الانسان كطعام ، بل ظهرت حالات أخرى في أماكن متفرقة من العالم ، منها على سبيل المثال لا الحصر ما ظهر في شحنات الأسماك التي اصطيدت من بحيرة سانت كلير بالقرب من ديترويت بكندا ، اذ احتوت على نسب من ميثيل الزئبق السام تقارب ما تم اكتشافه في اليابان ، وثبت أن البحيرة ملوثة بنفايات صناعية تحمل أملاح الزئبق ، ومن ثم حرمت الحكومة الكندية الصيد من البحيرة ، وحذرت السكان القاطنين على شواطئها بعدم تناول أية أطعمة مصدرها البحيرة .

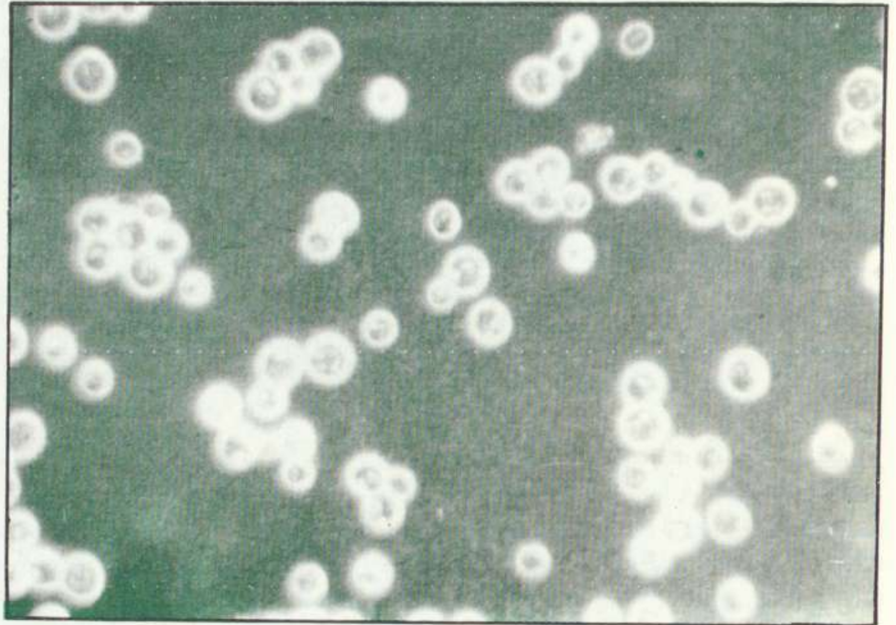
ولم تكن بحيرة سانت كلير هي البحيرة الوحيدة الملوثة ، بل لقد ثبت أن التلوث بهذا المركب أو غيره ، قد شمل بحيرات كثيرة في كل من كندا وأمريكا الشمالية .. وأن ٣٣ بحيرة من الخمسين المنشورة هناك قد حظر فيها الصيد ـ على حسب ما يذكر الكاتب العلمي جون هيناهان في دراسته المنتشرة بالكتاب السنوي للعلم والمستقبل ـ ويضيف أن كثيراً من الأنهار التي تصب في بعض هذه البحيرات تحمل اليها تلك السموم من صناعات مختلفة ، ولقد حذرت الولايات التي ظهرت فيها السموم الأهالي من تناول أية أسماك أو محاريات تعيش في هذه الأنهار .

وطبيعي أن تتجه الشكوك الى الأسماك المعلبة والمطروحة في الأسواق ، اذ عندما بدأت التحاليل الكيميائية تأخذ مجراها ، اكتشف العلماء وجود مركبات زئبقية في كثير من المعلبات ، وبتركيزات تفوق المسموح به بأضعاف مضاعفة ، ومن ثم سحبت من الأسواق ، لكن بعد أن ظهرت بعض الأعراض التي تشير الى حدوث تسمم زئبقي راجع الى استهلاك بعض هذه المعلبات ، بالإضافة إلى الأسماك الطازجة ، خاصة عند الذين يتخذونها بمثابة الغذاء المفضل لانقاص أوزانهم .

مصادر التلوث المائي كثيرة

والواقع أن هذه الأمثلة لا تمثل إلا قليلاً جداً من كثير ، فطبيعة التلوث تعتمد أساساً على مصدر التلوث ، وحيثما وجد الانسان ، وجد التلوث ، وكلما زادت أنشطته المدنية والصناعية والكيميائية ، زاد التلوث تبعاً لذلك .. والتلوث أنواع ، فقد يكون حرارياً أو اشعاعياً أو كيميائياً أو بيولوجياً ، فالتخلص من مياه التبريد الساخنة في مصادر المياه ، هو من أنواع التلوث الحراري الذي قد يبيد فيها الحياة ، والتلوث الإشعاعي قد ينتج من المواد الاشعاعية التي تجد طريقها الى البيئة ، وقد تلوث هواءها وماءها وأحياءها ، والتلوث الكيميائي ناشيء من نفايات الصناعات الكيميائية الكثيرة والمتنوعة والتي تزيد زيادة مطردة كل عام ، ويكفينا مثلاً حادثة الهند الأخيرة التي راح ضحيتها الآلاف ، وغني عن القول إن هذه النفايات الصناعية هي مشكلة المشاكل ، لأن التخلص من موادها الضارة على البيئة ، والسامة بالنسبة للحياة ، يحتاج الى تكاليف كثيرة ، مما يشكل عبئاً على الانتاج ، ولهذا فكثيراً ما تتخلص المصانع من نفاياتها السائلة في مصادر المياه (شكل ٤ ، ٥) سواء في القنوات أو الترع أو الأنهار أو البحار والمحيطات ، ولقد تسبب ذلك في كوارث كثيرة لا يتسع لذكرها المجال ، لكنها ـ في النهاية ـ تنتهي غالباً في جسم الانسان عندما يتناول منها تركيزات جد ضئيلة في الماء والطعام ،وبمرور الأيام والأعوام ، يتجمع الضئيل مع الضئيل ، وقد يعبر عن نفسه بكوارث جسام .

خذ على سبيل المثال المواد البترولية التي تلوث البحار ، ثم تلفظها الشواطىء ، فنراها على هيئة تلوث واضح لا يختلف عليه اثنان ، ذلك أن ما تتقبله البحار من البترول الخام ، يربو على عشرة ملايين من الأطنان كل عام .. بعضها يأتي من حوادث تحطيم ناقلات البترول ، أو من ملء خزاناتها بالماء ، ثم تفريغها فيه بما حملت من بقايا بترولها ، أو مما يتسرب ما بين ضخ وتفريغ ، أو من آبار البترول البحرية نتيجة خلل طارىء(شكل ٦) .. الى آخر هذه الأحداث التي نسمع عنها كل آن وحين ، وترصدها الطائرات على هيئة بقع من الزيت قد تغطي مساحات هائلة من سطح البحار ، وتعلن لها حالات الطوارىء ، كلما



شكل (٣) من واحدة من المستعمرات التى تنمو فى الأطباق (انظر شكل ٢) ، يمكن التعرف على أفرادها تحت عدسات الميكروسكوب ، والصورة لكائن الخميرة الذى عزل من الماء ، وكان دليلنا لنوع التلوث الذى حدث .

كوب الماء الصافي

شكل (٤) نفايات مصنع للأصباغ ، وتراها هنا تخرج بألوانها المخففة ، لتصب في احدى مصادر المياه دون معالجة ، ومثل هذه النفايات من أخطر السموم التى تؤثر في الكائنات المائية ، وقد ينتقل أثرها الى الكائنات البرية .. ومنها الانسان .



شكل (٥) الصورة لا تحتاج إلى تعليق ، فهى معبرة أوضح تعبير ، وشاهدة على مدى استهتار الانسان ببيئته التى كانت نظيفة ، فلوثها ودنسها بهذه النفاية الصناعية القذرة .

تحركت واقتربت من الشواطئ .

وقد يمكن أن يمر كل هذا مرور الكرام ، لكن الواقع غير ذلك ، اذ أن بعض مكونات البترول ذات خواص سامة على الأحياء البحرية ، وأحياناً ما تمتصها الطحالب وتركزها في أنسجتها ، وعندما تعيش عليها الأسماك ، فلا مناص من امتصاصها في أجسامها ، لتنتقل بعد ذلك الى الانسان عندما يتناولها كطعام ، ولا زالت البحوث قائمة ، لتحلل وتسجل وتستنتج ، لكن مما لا شك فيه أن النتائج في غير صالحنا ، طالما كان الانسان يسيئ الى بيئته ، ولا يراعي التوازن المضبوط الذي جاء عليه كوكبنا من قديم الزمن ، وقد يزيد الخلل في الموازين ، فتقلب عليه الموائد بما حملت !

والغريب أن أعظم الدول تقدماً ، هي أكثرها تلوثاً .. فما من بحيرة أو نهر أو شاطيء بحري قريب من أنشطة الانسان المدنية والصناعية الا وله نصيب من التلوث بالفضلات الآدمية ، أو النفايات الصناعية ، مما يشكل عبئاً على البيئة المائية ، وقد يتضاعف هذا العبء الى الدرجة التي تصبح فيها بعض الأنهار أو البحيرات عقيمة من الحياة ، اللهم إلا من ميكروبات ترتع فيها وتتكاثر ، فلا يفوح منها الا كل كريه وفاسد .. هذا رغم القوانين والتشريعات التي تحرم صب المخلفات في مصادر المياه العذبة والمالحة .

المياه مصدر من مصادر الأمراض

وكما كان الماء مصدراً أساسياً للحياة ، إلا أنه قد يحمل في ثناياه بذور الموت ، فالمعروف منذ زمن طويل أن كثيراً من الأمراض المعوية الخطرة مثل التيفود والباراتيفود والكوليرا والدوزنطاريا والتهاب الكبد الفيروسي وما شابه ذلك ، قد تنتقل عن طريق المياه الملوثة بميكروبات هذه الأمراض ، ولولا عمليات التنقية التي تتم في محطات المياه ، لانتشرت الأوبئة ، وعمت المصائب .. ذلك أن معظم مصادر المياه العذبة لا تخلو الآن من تلوث بفضلات الانسان (شكل ٧) وقد تحمل بعض هذه الفضلات ميكروبات الأمراض المعوية من مرضى مصابين بها ، فتنتشر بين الأصحاء ، فيمرضون ، ويزيد العبء على المياه ، فتزيد الأمراض .. وهكذا يمكن أن تسير مثل هذه الأمور في حلقة مفرغة ، لكن حمداً لله أن وضع الانسان لذلك حدوداً وقائية بينه وبين البلاء الذي جلبته عليه المدنية بالنفايات الكثيرة المختلفة التي تنساب كسيل دافق .

والواقع أن هناك بحوثاً كثيرة تجري في معامل العلماء المنتشرة على هذا الكوكب ، وفيها تتحدد الأضرار التي يمكن أن تأتي من آلاف المركبات التي تنطلق من حولنا ، حتى يتسنى وضع المعايير والحدود لتلوث البيئة بمثل هذه المركبات الغريبة التي لم تعرفها أرضنا في عمرها الطويل .. اذ أنها في أحيان كثيرة تنساب الى أجسام الكائنات الحية ــ بما في ذلك الانسان ــ خاصة وأنه قد ثبت أن بعض هذه المركبات تأتيه عن طريق الماء الذي يشربه ، أو الذي يدخل في تجهيز طعامه ، ثم تتجسد خطورة ذلك في تداخل هذه المركبات في العناصر الوراثية ، أو التفاعلات الحيوية ، التي تتم في الكائنات الحية ، فتحدث فيها طفرات سيئة ، وأمراض معروفة أو مجهولة ، خاصة في المراحل الأولى لتكوين الأجنة .

ومعروف أن الماء يأتي في المرتبة الثانية بعد الهواء في أهميته للكائنات الحية ، ذلك أن الماء يدخل كوسيط هام في كل العمليات الحيوية ، والحفاظ عليه من التلوث ، هو حفاظ على الحياة ذاتها ، لكن يبدو أن الحصول على كوب من الماء النقي الخالي من أي تلوث طفيف أصبح حلما بعيد المنال ، ولا مبالغة في ذلك .. صحيح أن ماء الشرب المنقى يبدو للعين وكأنما هو ماء صاف زلال ، لكن ذلك لا يمثل الواقع ، إذ تكمن فيه غالباً بعض الملوثات الكيميائية بنسب ضئيلة ، ولا تكتشفها الا التحليلات الكيميائية الدقيقة ، وقد لا تشكل هذه النسب خطورة على الحياة الآن ، لكن كل شيء آخذ في الزيادة بمرور الأعوام .. فالأنشطة الصناعية ، والمواد الكيميائية ، والتكدسات السكانية ، والنفايات بكل أنواعها تزيد باستمرار ، ولقد بدأت الدول النامية ــ ومنها الوطن العربي ــ في إقامة عدد من الصناعات الثقيلة ، وما لم تؤخذ الاحتياطات الكفيلة بالحد من تلوث البيئة ، فإن ذلك كفيل بحدوث خلل في محيطها الحيوي ، طال الزمان أو قصر ، ولن يحيق الخلل الا بمن بدأه ، ولابد أن يدفع ثمنه ، وقد يكون باهظاً ، خاصة اذا أصاب الناس في أغلى ما يطلبون .. نعني الصحة والحياة ، فمعظم النار من مستصغر الشرر ــ كما يقولون ــ وفي ذلك الكفاية لقوم يفقهون .



شكل (٦) حتى البحار لا تخلو الآن من تلوث بترولى له أثره الضار على حياة الكائنات فيها ، وترى فى الصورة « نافورة » البترول الخام تندفع من بئر بحرى نتيجة خلل طارىء ، أو اهمال وارد كثيرا ما يتكرر فى أية صورة من الصور .



شكل (٧) فى كل يوم ، بل وفى كل ساعة ، تجمع عشرات ومئات الألوف من عينات المياه فى العالم ، حيث ترسل الى المعامل المختلفة ، لاجراء التحليلات عليها ، ولمعرفة ما أصاب مياه هذا الكوكب من كوارث ظاهرة وخافية .

عبد المحسن صالح

حول مؤتمر اللغة العربيّة



بقلم: عبد الرزاق البصير

ليتنى أملك قدرة تمكننى من رسم صورة متكاملة أو قريبة من التكامل لما قام به مؤتمر المجمع اللغوى فى هذا العام من نشاط خصب يملأ نفس كل مؤمن بقوة الأمة العربية وما تملكه من قدرة تمكنها من مقاومة هذه التحديات الخطيره التى تكتنفها من كل الجهات . فلقد كان تعريب التعليم هو القضية التى دارت حولها بحوث المؤتمر ــ وهى قضية خطيرة لأن الفرد اذا لم يعتقد بأن لغته قادرة على مواكبة الحياة فان ارتباطه بأمته وايمانه باستحقاقها للحياة لابد وأن يعتريهما الوهن ــ وبهذا يصبح انتماؤه لأمته واهيا يمكن أعداء هذه الأمة من زعزعته الأمر الذى يزيد فى تمزيق وحدتها .

ويحق للفرد العربى أن يتساءل عن سبب تأخر انتهاء علمائنا من علاج هذه المشكلة فى حين أنها أصبحت من المسلمات عند جميع الأمم الحية فالمثقفون من الهنود والفيتناميين وغيرهم مما يسمى بالعالم الثالث لاينشغلون كما ننشغل نحن بهذه القضية لأن التعليم باللغة القومية أمر مفروغ منه عندهم .

مقــاومة الاستعمــار لتعزيز اللغة العربية

ومن المحقق أن سبب تأخرنا فى علاج هذه المشكلة يعود الى ما غرسه أعداؤنا المستعمرون فى نفوس الكثيرين من أن لغة القرآن لغة غير قادرة على الملائمة للحياة المعاصرة ، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، وانى اكتفى هنا بما رواه الدكتور رمسيس جرجس الأستاذ فى كلية الطب فى القاهرة أنه « عندما قامت الثوره المصرية على الاستعمار الانجليزى قبل أكثر من نصف قرن كان من ضمن مافكرنا فيه اصدار مجلة طبية عربية تسجل مايقوم به المصريون فى مختلف فروع الطب من ابحاث واختبارات ، وكان أستاذ الجراحة اذ ذاك انجليزيا ، فهاج لهذا الخاطر وأخذ يحاجنى فى ذلك مؤكدا أنه مشروع فاشل ، وسيقضى على الطب فى مصر قضاء مبرما ، فقلت له ولكن العرب سبقوا فدرسوا هذا العلم بالعربية وعنهم نقل الأوربيون فأسف لما وصلت اليه عقليتى من تدهور ، ودعا لى بالتوفيق .

ولم يقتصر هذا الايحاء من الانجليز فى مصر وانما امتد فى كل بلد عربى رسخت فيه أقدامهم حتى وقر فى بعض النفوس أن هذا القول الى جانب الصواب ، أما فرنسا فانها مضت الى أبعد من ذلك حيث جعلت لغتها هى اللغة الأولى واللغة العربية هى اللغة الثانية فى المغرب العربى الى حد أصبح التعليم بلغة القرآن مشكلة كبيره احتاجت الى بذل جهود مضنية لنصبح كسائر الأمم مؤمنين بقدرة لغتنا معتزين بها . ويقال مثل ذلك فى ايطاليا التى رسخت أقدامها فى ليبيا ، ولا يفوتنا أن نشير هنا الى أن رواسب ثقيله كانت تملأ بعض النفوس من الأجيال الماضية التى عاشت تحت ظل الحكم التركى لكن اللغة العربية كذبت هذا القول وأثبتت أنها بعكس مايصفه أعداؤها من أنها ضعيفه . فهى لغه حيه ولود مؤهلة للنهوض بأثقل الأعباء وللاضطلاع بأعظم التكاليف ، لاتنوء بحمل ولا تشكو اعياء على كرّ الجديدين .

بدأت آمالنا تتحقق

وان مما يملأ النفس سرورا وغبطة أن قرارات حاسمه قد صدرت بتعريب التعليم فى كل مراحله فى جميع البلاد العربية على وجه التقريب .

ولقد كانت البحوث التى ألقيت فى مؤتمر المجمع اللغوى تؤكد بالأدلة التى لاتقبل الشك ان اللغة العربية أمانة فى أعناقنا وأن من الخيانة لها بأن يكون التدريس بغيرها من اللغات فى العلوم التطبيقية ــ فإن اللغة اليابانية والصينية والفارسية والعبرية لاتملك من القوة والقدرة مثلما تملك لغة القرآن حيث أن النحت والاشتقاق قاعدتان أساسيتان من قواعدها وهما قاعدتان تيسران وضع المصطلحات العلمية وتعريبها بكل سهوله اذا صدق الايمان بها . ولعل ماوضعته مجامع اللغة العربية من ألوف المصطلحات فى الجيولوجيا والفيزيقا والطب والهندسة وغيرها من العلوم التطبيقيه دليل صادق يعزز غيره من الأدله على حيوية لغتنا المجيده . ثم أنها كانت لغة العالم المتمدن كله أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية . من هذا تتضح أهمية مؤتمر المجمع اللغوى فى هذا العام ، أما أننى عاجز عن رسم صورة متكاملة لأعمال المؤتمر فلأن القلم مهما بلغت قدرته لايستطيع أن يصور مايحدثه حسن الالقاء من تأثير فى النفوس التى تتذوق الأحاديث التى يخرج أصحابها الحروف من مخارجها الصحيحة ، بطريقة هادئة .

ولقد كنت أردد فى نفسى وأنا أستمع الى تلك الأحاديث الطلية من أولئك العلماء الأعلام حول تعريب التعليم قول ابن الرومى :

وحديثها السحر الحلال لو أنها
لم تجن قتل المسلم المتحرز
شرك النفوس وفتنه ما مثلها
للمطمئن وعقلة المستوفز
ان طال لم يملل وان هى أوجزت
ود المحدث أنها لم توجز

فأنت ترى أن ابن الرومى قد أقر بعجزه بطريقة غير مباشره عن رسم صورة صادقة لتأثير حلاوة الحديث فى النفوس على الرغم من أنه من أقوى وأقدر الشعراء على التصوير.

أهمية هذا المؤتمر

بقى أن أشير الىَ أن ما ذكرته ليس الا لمحة بسيطة لما دار فى مؤتمر المجمع من أحاديث علمية رفيعة تضم أجل الفوائد وأعظمها ، ألقاها علماء تضم جوانحهم عقولا مستنيرة ـ معاصرة ترفض الجمود كل الرفض ، فالذين يصفون أعضاء المجمع بأنهم يقصرون نشاطهم الذهنى على تأخير الخبر او تقديمه أو تقديم الفاعل على الفعل الى ما هنالك من جمود بعض علماء النحو أو أنهم يضيعون وقتهم فى الجناس والطباق والالتفات وغيره من الفنون البديعية والصنعة الكلامية ، يظلمون علماءنا كل الظلم ، فإن فيهم المتفوقون فى الطب والهندسة والصيدله والفيزياء والكيمياء ، على أن ذلك كله لم يضعف قدرتهم اللغوية ، وقد يكون من حقهم أن أذكر نقاشا دار حول مصطلح علمى فى علم التقنية حيث أقترح ـ بعضهم أن يسمى تلقائيا ، فكان أن قال الخبير أن التلقائية أمر غير موجود فى العلوم التطبيقية اذ أن كل نشاط لابد وأن يعود الى سبب من الأسباب العلمية ، فالعلاقة السببية أصل من أصول العلم لايصح أبدا اغفاله ، وهذا تنبيه الى نقطة ليتها ترسخ فى النفوس لأننا اذا آمنا بذلك فلا بد لنا من أن لانقبل أى خرافة من الخرافات وبذلك تزول كثير من الأوهام التى يروج لها بعض الناس تحت أقنعة من التظاهر بنصره الدين الحنيف ، في حين أن الاسلام جاء ليطهر النفوس من خبائث الخرافات والأوهام ، وبالجملة فإن هذا المؤتمر قد حفل نشاطه بأمور مهمه جدا منها مايمس لغة القرآن من حيث تعزيزها وتقويتها بالمصطلحات العلمية العديدة ، ومنها ما يمس تعريب التعليم الذى كان هو موضوع المؤتمر فى هذا العام كما أشرنا الى ذلك قبل قليل.

أليس من المستغرب أن لاتهتم وسائل الاعلام المرئية بصورة خاصة والمسموعة والمقروءة بصورة عامة بوقائع هذا المؤتمر ليكون الناس على صلة قوية به ... لا فى جمهورية مصر وحدها وانما فى جميع أقطار الوطن العربى ، لأن المواضيع التى دارت حولها الأحاديث لاتقل أهمية عن أى موضوع من المواضيع التى تنشرها وسائل الاعلام ، إن لم تفوقها أهمية ومكانة.

عبد الرزاق البصير ـ الكويت

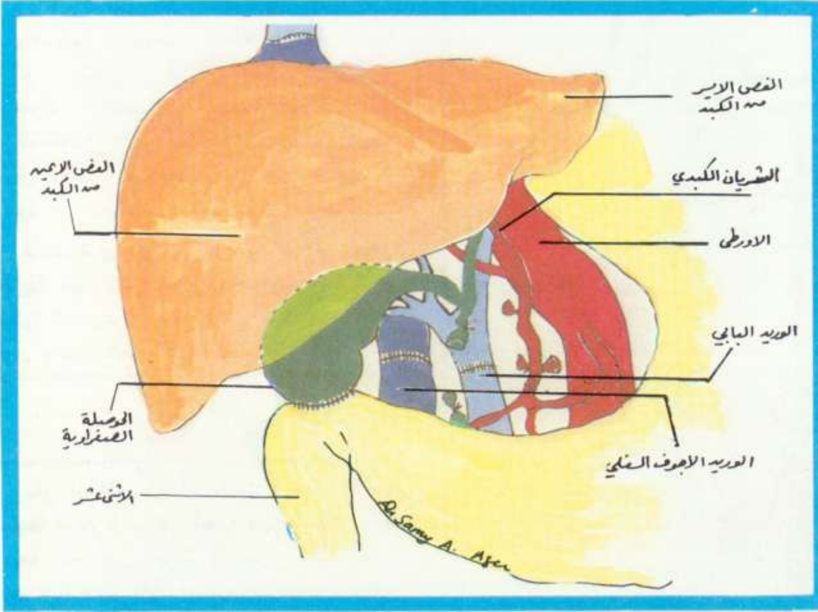
لا بديل ليومي «١»

شعر: محمد القيسي



أكتفي بالكلامْ ،
فآخذُ منكِ الكلامْ
أكتفي بالصدى
فيجيءُ الحَمامْ
أكتفي بيديكِ اللتينْ
تزهرانْ
وسطَ هذا الحطامْ
أكتفي بالغناء فيشرقُ فيكِ المكانْ
أكتفي بالقوامْ
أكتفي بالأصابعْ
أكتفي بالشوارعْ
أكتفي بالزحامْ
أكتفي أيها الدمُ والأرجوانْ
أكتفي بالبريقْ
أكتفي بحجار الطريقْ
أكتفي بارتعاشة روحي وأسعى
أكتفي بالذي يكتفيه الغريقْ
أكتفي بالذي أكتفيه ،
فيفزعُ هذا الصنوبر مني
ويفزعُ حتى الكلامْ
يفزعُ الصدرُ ، كيفَ أنامْ
يفزعُ الأقحوانْ
يفزعُ العابرونَ إلى يومهم
في صباح الطعامْ
يفزعُ البَابُ والنافذةْ
تفزعُ الطاولةْ
يفزعُ المقعدُ الخشبيُّ
يفزعُ الطيرُ والريحُ ، تفزع فيَّ العظامْ
تفزعُ اليابسةْ
فاستقري إذن واهدئي
لا بديل ليومي
لا بديلَ لتفاحتي الناضجةْ
لا بديلْ
وإلى أَبدِ الأبدينَ ، إلى أَبدِ الآبدينَ ،
تظلينَ لي
وتظلينَ أنتِ اليمامْ.

هامش: (١) مقطع من قصيدة طويلة بعنوان «الوقوف في جرش»



تفاصيل عملية زرع الكبد

من أجل آلاف المرضى

زَرْع الكبد .. أمل جديد يفتح الطريق المسدود!

بقلم : الدكتور سامي عزيز

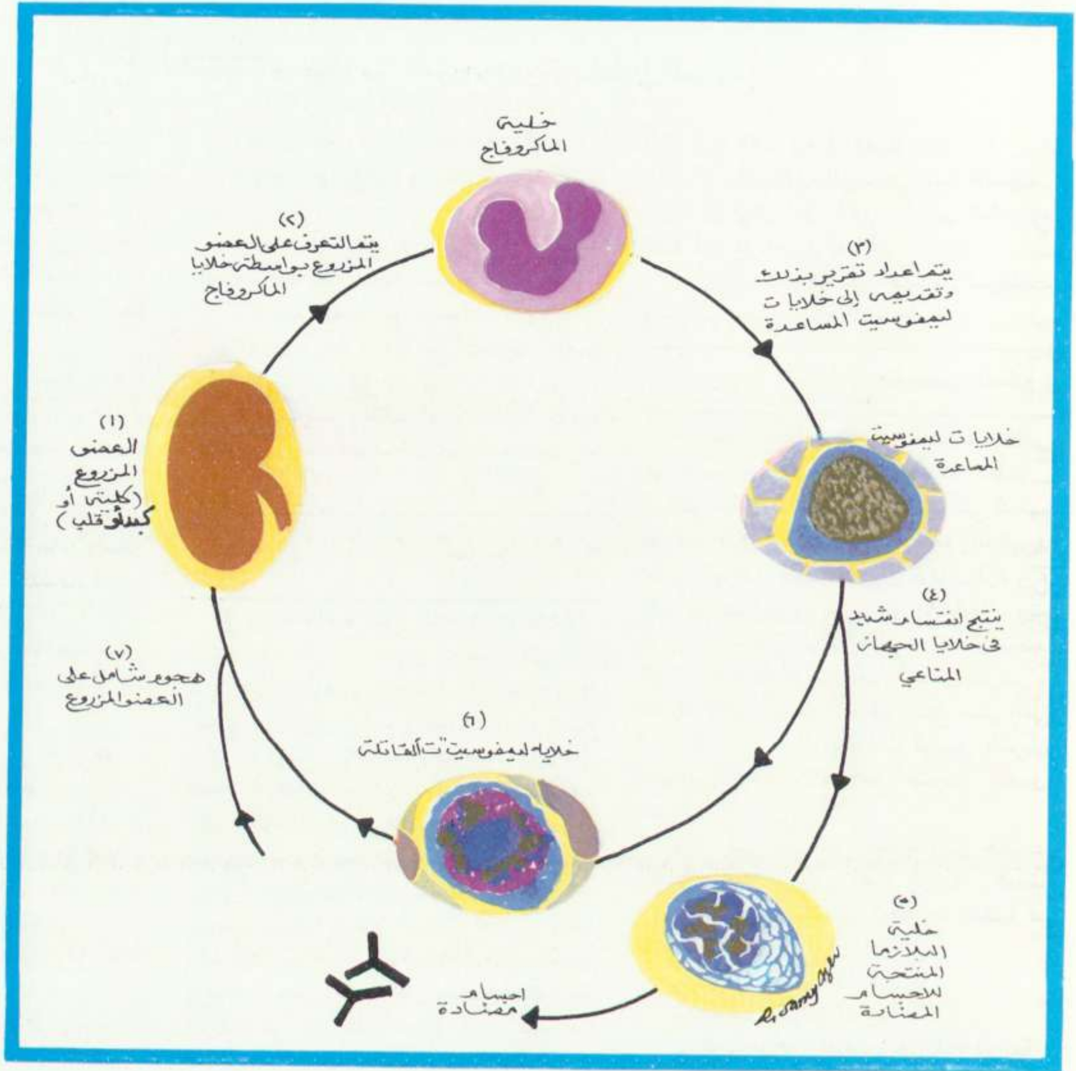
تعنى حالات الفشل الكبدي وأمراض الكبد المزمنة بالنسبة للطبيب والمريض ، الدخول في طريق مسدود .

فالعلاج الحالي رغم كل التقدم الطبي الذى توصل اليه في ميادين الطب المختلفة لا يعنى الشفاء .. إنه مجرد محاولة لتخفيف آلام المريض . والحقيقة أنه منذ سنوات مضت كان علاج حالات الفشل الكلوى لا يختلف كثيرا ، إلا أنه فى خلال السنوات العشر الأخيرة تم انجاز الكثير لمرضى الفشل الكلوى . وأهم هذه الانجازات :

- الكلية الصناعية بأحجامها المختلفة .
- الغسيل البريتوني الذى يمتاز بقلة تكاليفه .
- نجاح عمليات زرع الكلى .

وهذه الآمال العلاجية الواسعة التى تفتحت بالفعل أمام مرضى الفشل الكلوى تجعلنا نفكر بجدية فى طرق مماثلة لعلاج مرضى حالات الفشل الكبدى .

ويعتبر زرع الكبد من أهم هذه الأهداف التى تسعى اليها مراكز طبية متخصصة في جهات مختلفة من العالم . إن نجاح مثل هذه العمليات يعنى ببساطة ايجاد وسيلة علاجية فعالة تفتح أبوابا واسعة من الأمل أمام كل مريض .



تقوم خلايا الماكروفاج (نوع خاص من كريات الدم البيضاء) بالتعرف على العضو المزروع واعداد تقرير بذلك . ويرسل التقرير إلى خلايا « ليمفوسيت ت المساعدة » . وينتج عن ذلك انقسام شديد في خلايا الجهاز المناعي منتجا نوعان من الخلايا : (١) خلايا ليمفوسيت « ت » القاتلة . (٢) خلايا ليمفوسيت ب التي تتحول إلى خلايا البلازما المنتجة للاجسام المضادة . ويتعرض بذلك العضو المزروع لعدوان شامل من الأجسام المضادة وخلايا الليمفوسيت « ت » القاتلة وخلايا الماكروفاج

ويعتبر « ب والش » أول من فكر في عمليات زرع الكبد .. ففي سنة ١٩٥٥ أجرى عدداً من عمليات زرع الكبد على الكلاب ، ولكن النتائج التي توصل اليها لم تكن مرضية بالمرة .

ومع أواخر سنة ١٩٦٤ أجرى « والش » وعدد من مساعديه أول عملية زرع كبد في انسان . وعاش بعدها المريض لمدة ١٦ يوما . وفي سنة ١٩٧٤ وحدها تم إجراء ٢٢٧ عملية زرع كبدي في مراكز مختلفة من العالم (معظمها في امريكا) والنتائج تشير إلى نجاح ١٥ عملية ، وبلغت أطول مدة عاشها المريض بعد عملية زرع الكبد خمس سنوات .

وتشير التقارير التي أجريت مع بداية الثمانينات إلى أن نسبة النجاح في عمليات زرع الكبد أصبحت بمعدل نجاح ٩ عمليات من بين ١٨ عملية زرع كبدي .

وبلغ متوسط الفترة التي عاشها المريض بعد العملية من ١٤ شهراً إلى خمس سنوات،وبمقارنة هذه النتائج بعمليات زرع الكلى نجد أن من بين ١٩٠٠٠ عملية زرع كلوى نجحت ٧٨٠٠ عملية ، ووصلت أطول مدة عاشها المريض بعد عملية زرع الكلية له الى ١٨ سنة . وهذه النتائج لم يتوصل اليها الأطباء الا بعد كفاح طويل . لذلك فالأمل معقود على تحقيق نتائج مماثلة في عمليات زرع الكبد في المستقبل القريب .

زرع الكبد .. لمن ؟

وهناك شروط عامة يجب توفرها في المريض قبل ترشيحة لمثل هذه العمليات، وأهم هذه الشروط :

• مراعاة ألا تزيد سن المريض عن ٤٠ سنة .

• أن يكون خاليا من الالتهابات البكتيرية والفيروسية والفطرية المختلفة وقت العملية .

• أن تكون حالته النفسية في وضع طيب خاصة وأن المريض بعد العملية يحتاج الى فترات من العلاج بالعقاقير المثبطة للجهاز المناعي .

• استبعاد حالات مدمني الكحوليات التي أدى الادمان فيها بالاضافة إلى الفشل الكبدى الى اضطرابات نفسية وعصبية .

• استبعاد الحالات غير المتقدمة والتي يمكن أن تعيش فترة اطول بدون اجراء زرع كبدي .

أما أهم أمراض الكبد التي يفضل فيها إجراء مثل هذه العمليات فهي :

• السرطان الكبدى الأولي : وينتشر هذا النوع من السرطانات في آسيا ووسط أفريقيا . إذ يمثل حوالى ٣٠٪ من السرطانات المعروفة لديهم . أما في الولايات المتحدة وأوروبا فالصورة مختلفة (يمثل سرطان الكبد الأولى أقل من ٢٠٪ من مختلف السرطانات المنتشرة هناك) . ويرجع سرطان الكبد إلى العديد من الأسباب أهمها :

• التهابات الكبد المزمنة الناتجة عن كثرة تناول المشروبات الكحولية وبعض الأمراض المتعلقة بالايض .

• التهاب الكبد الناتج عن الفيروس « ب » .

• بعض المواد مثل « الافلاتوكسين » الموجودة بكثرة في طعام القبائل الأفريقية والآسيوية .

• بعض الهرمونات وخاصة هرمون الذكورة مما يفسر لنا السبب في انتشاره بين الرجال عن النساء بنسبة ٤ إلى ١ .

• ثاني أوكسيد الثوريم الذى أستخدم في

زرع الكبد.. أمل جديد يفتح الطريق المسدود!

التصوير الراديولوجى حتى منتصف الخمسينات وتسبب في حدوث سرطان الكبد الأولى فى معظم الحالات التى تعرضت له بعد أكثر من ١٥ سنة .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن بعض المراكز تنصح بعدم اجراء عمليات زرع للكبد نظرا لسرعة حدوث الانتشار السرطاني بعد تناول العقاقير المثبطة للجهاز المناعي بعد العملية .

— سرطان القنوات المرارية : يتميز سرطان القنوات المرارية ببطء شديد في النمو وتأخر حدوث الانتشار السرطاني . لذلك فالمريض يمكنه أن يعيش فترة أطول بدون الحاجة إلى إجراء زرع كبدى . ولكن في المستقبل القريب ومع تحقيق نتائج أفضل فى عمليات زرع الكبد ، ستتغير الأحوال ويفضل إجراء عملية زرع كبدي بمجرد اكتشاف المرض وقبل حدوث أى انتشار سرطاني .

— انسداد القنوات المرارية : يفضل هنا إجراء عملية زرع الكبد خاصة وأن نتائج العملية أفضل بكثير من ترك المريض .

— الالتهاب الكبدى النشط : يرجع الالتهاب الكبدى النشط إلى عدة أسباب أهمها :

• الاصابة بالفيروس ب أو الفيروس الذى تم عزله حديثا وهو لا يحمل صفات «أ» ولا صفات «ب» ، ويسميه البعض بالفيروس «جـ» وغالبا ما تتم العدوى به عن طريق نقل الدم .

• بعض المسهلات التى تحتوى على مادة الاوكسى فينستين .

• كما ثبت حاليا أن بعض العقاقير ربما تكون مسئولة عن ظهور هذا المرض عند استخدامها لفترات طويلة مثل : المثيل دوبا (المستخدم في علاج ارتفاع ضغط الدم) وعقار ايزونازيد (المستخدم في علاج الدرن) وعقار نيتروفيرانتين (المستخدم في علاج التهابات المسالك البولية) .

— الاضطرابات الايضية لعنصر النحاس (مرض ولسن) : حيث تتراكم كميات كبيرة من عنصر النحاس فى نسيج الكبد يؤدى إلى حدوث تليف وفشل كبدي . وقد يصاحب ذلك بعض الاضطرابات العصبية نتيجة تراكم عنصر النحاس فى الجهاز العصبي .

— الفشل الكلوى المتلازم مع الفشل الكبدى .

— بعض حالات الفشل الكبدى .

— الامراض الايضية المرتبطة بالكبد .

اعداد المريض للعملية

قبل إجراء العملية يجب إجراء العديد من الفحوص التى بلا شك تفيد في تقييم حالة المريض العامة والاختيار الافضل للكبد الذى يناسبه من الناحية المناعية حتى لا يتم طرده وفشله فى تأدية وظيفته ، وأخيرا مساعدة الجراح عند إجراء العملية وأهم هذه الاختبارات :

• تحديد حجم الكبد بالموجات فوق الصوتية .

• تحديد توزيع الدم فى الكبد باستخدام المواد المشعة .

• استخدام الأشعة لتصوير الاوعية الدموية المغذية للكبد بعد حقنها بمادة ملونة .

• تحديد فصيلة دم المريض .

• عمل مزرعة لخلايا الدم الليمفاوية الخاصة بالمريض .

• اختبارات وظائف الكبد المختلفة ونسبة هيموجلوبين الدم وسرعة النزيف والتجلط وسرعة ترسيب الدم .

كبد من .. لمن ؟

لا يوجد بالطبع شىء اسمه التبرع بالكبد .. لذلك ليس هناك من سبيل للحصول على الكبد سوى حالات الوفاة ومنذ سنة ١٩٦٨ اعتبرت (فى العديد من المراكز الطبية) تغيرات رسام الدماغ الكهربائى وليس توقف ضربات القلب دليلا على تحديد لحظة الوفاة . فليس المهم توقف ضربات القلب كما كان يظن فى الماضي بل المهم هو تغير تسجيل رسام الدماغ الكهربائى إلى خط مستقيم بدون أى ذبذبات كدليل على حدوث الوفاة .. فالموت إذن يبدأ فى المخ وليس فى القلب .. وأخذ الكبد مبكرا من الجثة يتيح فرصة أكبر لنجاح عملية زرعه فى شخص آخر .. ولكن يجب أخذ اقرار من أقاربه حتى تتم هذه العملية فى شرعية تامة وبموافقة أهله . ومدى شرعية زرع الاعضاء وطرق تحديد لحظة الوفاة من الموضوعات التى كثر الحديث عنها وتعددت الآراء فيها ولا يتسع المجال هنا بالطبع للتحدث فيها ، وسنلقى عليها الضوء من خلال مقال آخر قريب بإذن الله .

وعادة يتم نقل المتوفى فورا إلى المستشفى التى يحتجز فيها المريض المحتاج إلى زرع الكبد ويفضل الابقاء على الكبد فى مكانه حتى يتم الانتهاء من رفع الكبد المريض غير المرغوب فيه مما يتيح فرصة أكبر لنجاح عملية الزرع . أما في حالة الاحتفاظ بكبد المتوفى لحين زرعه بعد فترة فإنه يتعين أولا إجراء تصوير بالاشعة للشريان المغذى للكبد بعد حقنه بمادة ملونة حتى يتضح مساره . وبعد فصل الكبد عن الجثة تبدأ تغذيته بسوائل الدكستران (١٢ لترا تقريبا للكبد الواحد) من خلال الشريان الكبدى والوريد البابي المتصلين به (يجب الابقاء على هذه الأوعية متصلة بالكبد حتى يسهل زرعه فى المريض) . كما يحتاج الكبد إلى غرف خاصة مجهزة بالاوكسجين للمحافظة على أنسجته فى حالة صالحة .

ويجب أن تتوافر الشروط الآتية قبل الاقدام على عملية الزرع :

— أن يتفق المتوفى (صاحب الكبد) والمريض المراد زرع الكبد فيه فى فصيله الدم .

— أن يتفق المتوفى والمريض في فصيلة الانسجة .

— أن يوافق أهل المتوفى والمريض المراد زرع الكبد فيه على إجراء العملية .

— أن يكون صاحب الكبد خاليا من السرطانات والامراض المعدية والتقيحات وغيرها .

تفاصيل العملية :

التفاصيل الدقيقة لمثل هذه العمليات تختص بها كتب الجراحة المتخصصة فى هذا المجال .. وسنكتفى هنا بالاشارة إلى بعض الامور التى قد تهم القارىء (شكل رقم ١) . فى البداية يتم ربط الوريد البابي والوريد الاجوف السفلى فى المريض المراد زرع الكبد فيه لفترة تتراوح من ٥٠ إلى ٩٠ دقيقة ، ويتم أثناء ذلك توصيل الوريد البابي (المتصل بالكبد المراد زرعه) مع الوريد البابى الخاص بالمريض ، كما يتم توصيل الوريد الأجوف السفلى أسفل وأعلى الكبد المراد زرعه ، ويلى ذلك توصيل الشريان الكبدى المتصل بالكبد مع الشريان الكبدى للمريض .

وهنا يأتى الدور على أصعب وأدق خطوات العملية ، وهى توصيل القناة المرارية : فمعظم المضاعفات التى قد تسبب الوفاة بعد العملية قد يكون سببها :

— ضيق وانسداد القناة المرارية .

— التهاب القنوات المرارية .

— تكوين خراج وتقيحات فى القناة المرارية .

ويمكن الاستغناء عن توصيل القناة المرارية نظرا لصعوبته وصعوبة توصيل الشريان الخاص بهذه القناة ، وذلك باستخدام الطريقة التى ابتكرها الجراح « ستارذل » ، إذ قام بتوصيل الحويصلة المرارية نفسها بالاثنى عشر (انظر الشكل) بدلا من توصيل القناة المرارية التى تنتهى هى الاخرى بالاثنى عشر . ويعتبرهذا الحل فى حد ذاته وسيلة جراحية نافعة توصى بها بعض المراكز الطبية المتخصصة ولو أنها غير محببه ولها عيوبها . وتجدر الإشارة إلى أن هناك طرقاً جراحية أخرى حديثة تم ابتكارها واستخدامها فى العديد من المراكز المتخصصة ولا يسمح المجال هنا بمناقشتها .

ولكن هل يمكن زرع كبد جديد وترك الكبد المريض فى مكانه ؟

في البداية ، تم تجريب هذه الطريقة على حيوانات المعمل . وفى سنة ١٩٧٠ قام « فورتنر » وعدد من مساعديه بتجريبها على الانسان . وتمتاز هذه الطريقة على الطريقة التقليدية بعدة مزايا أهمها :

— يمكن بهذه الطريقة مساعدة كبد المريض للقيام بوظيفته بدلا من الاستغناء التام عنه . لذلك يستحسن استخدام هذه الطريقة فى حالات الفشل

الكبدى غير التام .

ــ لا تعرض هذه الطريقة المريض لمضاعفات واخطار عملية الزرع التقليدية . لذلك يفضل استخدامها فى حالة تدهور صحة المريض العامة .

ــ فى حالة طرد الجسم للكبد المزروع تستمر حياة المريض معتمدة على كبده الاساسي . لذلك يفضل استخدام هذه الطريقة فى حالة احتمال حدوث طرد للكبد المزروع .

ــ إجراء الزرع بهذه الطريقة أيسر من الطريقة التقليدية ، ولا يحتاج إلى مهارة وخبرة .

تثبيط الجهاز المناعي للجسم :

عادة ما توصف هذه العقاقير قبل القيام بالعملية بثلاثة أيام . ويستمر تناولها بعد العملية وتعدل الجرعة بحسب استجابة جسم المريض لها ، ووضع الكبد المزروع وأهم هذه العقاقير :

ــ ازاثيوبرين .

ــ سيكلوفوسفاميد .

ــ بردنيزون .

وتشير الأبحاث إلى أن عقار «الازاثيوبرين» لايستطيع أن يثبط الجهاز المناعي للجسم عند اختلال وظائف الكبد . لذلك في حالة طرد الجسم للكبد المزروع يفضل عدم استخدام عقار (الازاثيوبرين) ويستبدل بجرعات كبيرة من عقار (البردنيزون) .

ولكن لماذا يجب تثبيط الجهاز المناعي للجسم ؟

قد يحدث طرد مبكر للكبد المزروع حيث يرتفع مستوى البليروبين في الدم مع ارتفاع مستوى بعض الانزيمات الدالة على وظائف الكبد . وتشخيص ذلك قد يحتاج إلى أخذ عينة من الكبد بابرة رفيعة وفحصها تحت الميكروسكوب حيث يمكن دراسة خلايا الكبد والتغيرات الحادثة فيها (شكل رقم ٢) .

ــ الطرد المزمن (المتأخر) للكبد المزروع ويمكن تشخيصه بدراسة التغيرات الحادثة في جدران الشرايين . وقد وجد أن هذه التغيرات ترجع إلى وجود أجسام مضادة ضد أنسجة الكبد المزروع قام بتكوينها الجهاز المناعي للجسم وترسبت على جدران الشرايين ، مما يؤكد دور الأجسام المضادة في طرد الكبد (تحدث الأجسام المضادة تليفاً كبدياً ينتهي بفشله في تأدية وظائفه) .

ــ ثلث الحالات التي تعيش بعد العملية عرضة لحدوث انسداد في القناة المرارية أو التهابها وربما تكوين حصوات مرارية بها .

ــ تثبيط الجهاز المناعي للجسم يجعل المريض أكثر عرضة للاصابة بالميكروبات والفيروسات والفطريات المختلفة ، وقد يحدث عن ذلك تسمم دموي ينتهي بالوفاة .

ــ جلطة الشريان الكبدي الأيمن ، مما ينتهي بغرغرينا ، وموت أنسجة الكبد التي تعتمد في تغذيتها على فروعه .

ــ يكثر حدوث سرطان الأنسجة الليمفاوية فى الكبد المزروع .

> • مع بداية الثمانينات أصبحت نسبة النجاح فى عمليات زرع الكبد : نجاح ٩ عمليات من بين ١٨ عملية .

> • زرع الكبد .. لمن ؟ وعلى أى أساس يتم نقل الكبد من انسان إلى آخر ؟

زرع الكبد .. ماذا حققنا فيه ؟

تصل نسبة الوفاة بعد العملية مباشرة إلى ٣٠٪ وترجع الوفاة هنا إلى أحد الأسباب الآتية :

ــ حدوث نزيف شديد .

ــ انسداد الشريان الكبدي .

ــ انسداد الوريد البابي .

ــ توقف القلب .

ومن أهم المشاكل التي تواجهنا بعد زرع الأعضاء (الكلى أو القلب أو الكبد أو الرئة) فشل هذه الأعضاء ، وتوقفها عن العمل بعد زرعها (طرد الجسم لها) .

ويلعب الجهاز المناعي وخاصة الخلايا الليمفاوية «ليمفوسيت ت» دوراً هاما في هذا الفشل . لذلك قد نلجأ إلى اضعاف الجهاز المناعي وتثبيطه حتى لايقوم بعملية الطرد للجسم المزروع . وفي البداية لجأ العلماء إلى تعريض جسم المريض المراد نقل عضو إليه إلى أشعة إكس . ولكن تعرض الجسم كله لأشعة اكس له مضاعفاته الخطيرة ، إذ تقل مقاومة الجسم ويصبح عرضة للاصابة بالأمراض البكتيرية أو الفيروسية أو الفطرية المختلفة مما قد يؤدي إلى الوفاة . وتم التوصل بعد ذلك إلى العقاقير المثبطة للجهاز المناعى ، وأول هذه العقاقير عقار «ازاثيوبرين» الذي استخدم لأول مرة سنة ١٩٦٢ مع مركبات الكورتيزون . وحديثاً تم التوصل إلى العديد من هذه العقاقير المثبطة للجهاز المناعي مثل السيكلوفوسفاميد وغيرها . وأحدث هذه العقاقير وأقلها مضاعفات عقار «السيكلوسبورن ايه» الذي تم استخدامه أخيراً بنجاح .

زرع الكبد .. هل له مضاعفات ؟

هناك عدد من المضاعفات التي قد تحدث فور الانتهاء من العملية . وأهم هذه المضاعفات :

• نقص مستوى السكر في الدم .

• توقف تجلط الدم .

• اختلال مستوى عناصر الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والماغنسيوم وغيرها .

ويجب الإسراع في مواجهة هذه المشاكل وذلك بالوسائل الآتية :

ــ ضبط مستوى العناصر المختلفة وذلك بحقن الكميات المطلوبة منها في الوريد وتكرار قياسها من حين لآخر ، ضبط مستوى السكر في الدم ، حقن محاليل الزلال في الوريد في الأيام الأولى بعد العملية ، وصف بعض المضادات الحيوية .

وتشير التقارير التي أجريت مع بداية الثمانينات إلى أن نسبة النجاح في عمليات زرع الكبد أصبحت بمعدل ٩ عمليات من بين ١٨ عملية زرع كبدي ، ويبلغ متوسط الفترة التي عاشها المريض بعد العملية من ١٤ شهرا إلى خمس سنوات .

ولاشك أن أمراض الكبد المزمنة وحالات الفشل الكبدي ــ كما سبق وذكرنا ــ تعني بالنسبة للطبيب وللمريض الدخول في طريق مسدود .

وليس هناك من وسيلة علاجية فعالة سوى زرع كبد جديد . وأمراض الكبد المزمنة معروفة في بلداننا العربية . وأهم هذه الأمراض :

• الفشل الكبدي الناتج عن بعض الطفيليات مثل البلهارسيا المعوية في مصر والسعودية وغيرهما من البلدان العربية .

• الالتهاب الكبدي النشط الناتج عن الإصابة بالفيروس «ب» .

• سرطان الكبد الأولي .

• الفشل الكبدي المتلازم مع الفشل الكلوي .

لذلك ما أحوجنا إلى انشاء بنك عربي مشترك رأس ماله الكبد الذي هو بدون شك أغلى من الذهب لكل مريض مصاب بداء الكبد . وما أحوجنا إلى المشاركة بأبحاثنا العربية في هذا المجال .

سامي عزيز



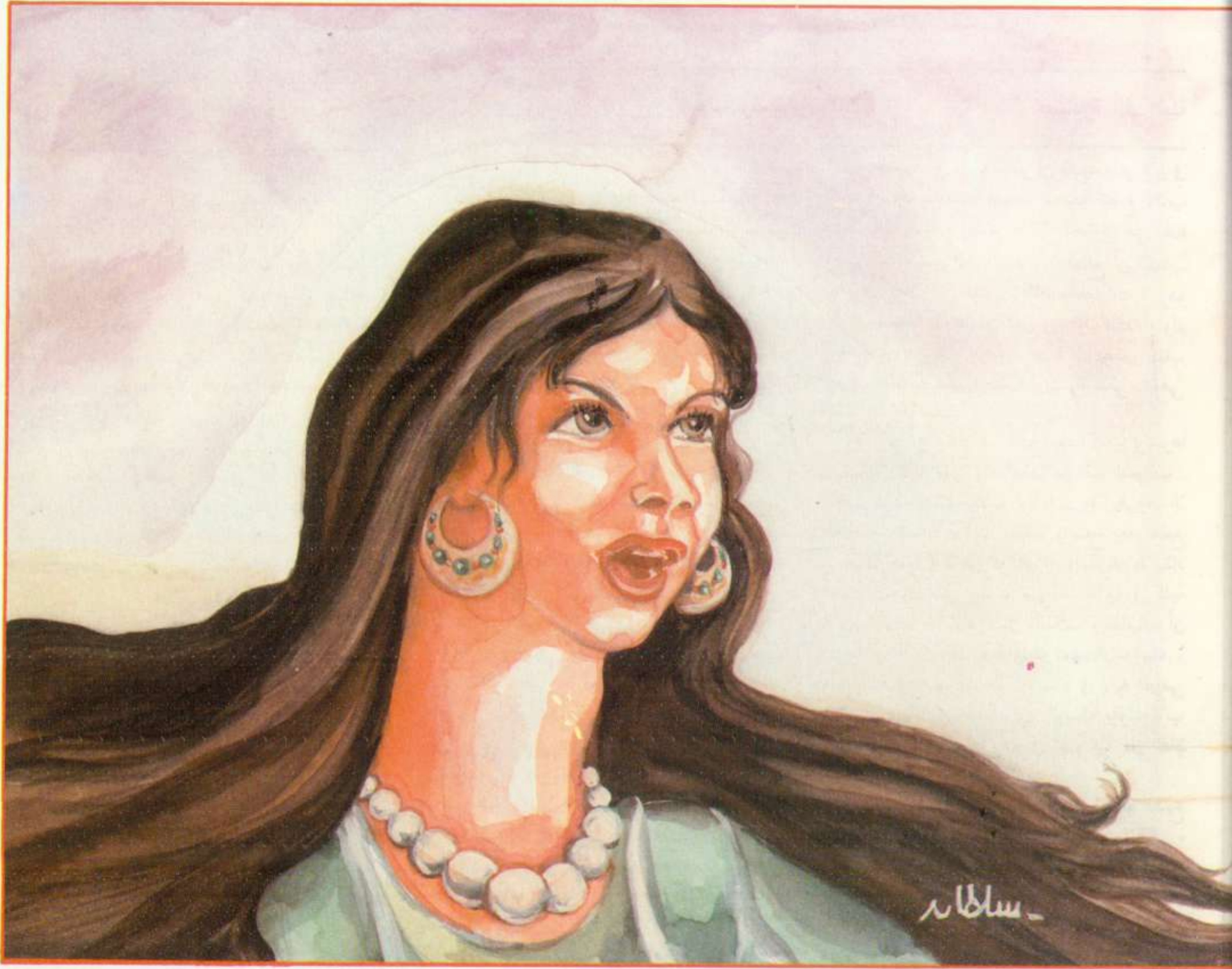
يحدث كثيرا فى القصص الشعبية أن يقع البطل فى مأزق حرج لا تجدى فيه الشجاعة وحدها ، وعندئذ لابد من الحيلة . وكان أبو زيد الهلالى يجمع بين الأمرين : الحيلة والشجاعة .

وفى « سيرة الأميرة ذات الهمة وابنها عبد الوهاب » نرى صاحب الحيلة شخصا آخر غير البطل الشجاع ، وهو يحتال للبطل وينقذه بالحيلة من المهالك ، وأحيانا لا يستمع اليه البطل ويهزأ برأيه فيقع فى المحظور ..

« أبو محمد البطال » هو صاحب الحيلة الايجابية ، وأقول « الايجابية » لأن ثمة صاحب حيلة آخر يستخدم حيله للإيقاع بقومه لصالح الأعداء .. هو « عقبة » المنافق الذى يضمر الكفر ويتظاهر بالإسلام . يتقرب الى ملك الروم عدو المسلمين ويدبر له الحيل للتغلب على الجيش الاسلامى الذى يقوده البطل الشجاع « عبد الوهاب » ابن الأميرة ذات الهمة ، فهو يماثل من يطلق عليهم فى العصر الحديث « طابور خامس » وهو ـ كما تقول القصة « يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير » .

القناصة

« القناصة » امرأة من أحسن النساء وجها وأعدلهن قامة ، وأشد بأسا من الأبطال الرجال .. تقيم فى حصن أقيم على جبل شامخ ، وتحت يدها خمسة آلاف فارس ، تقطع الطريق على القوافل وتأخذ الأموال وتأسر الرجال ، فاذا لاح لها من بينهم شاب مليح تتزوج به ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع تقتله . ولما كانت غاراتها تمتد الى مكة والعراق عزم عبد الوهاب أن يسير اليها بألف فارس



من رجاله .

التقى عبد الوهاب بالقناصة فى الميدان . حملت عليه وغافلته وسددت اليه طعنة كادت تقضى عليه ، ثم ضربت حصانه فقفز من تحته ووقع هو على الأرض ، ثم أخذته أسيرا ، ونازلت من برز إليها من فرسان عبد الوهاب ، فتغلبت عليهم وأخذت بعضهم أسرى ، وكان فى جملتهم « أبو محمد البطال » .

قالت القناصة لعبد الوهاب :

ــ من أى العرب أنت ياغلام ؟

ــ من بنى كلاب الكرام .

ــ سمعت عنك أنك أسمح الناس كفا وأنك موصوف بالشجاعة وما رأيت منها شيئا فى هذه الساعة ..

ــ إنك طعنتنى غدرا ولم تأسرينى مثل ما تؤسر الأبطال .

ــ لولا هذا الجرح لدعوتك الى القتال وأفسحت لك المجال .

ــ ابعثى الى بعض أصحابى الذين فى أسرك كى يخيط لى الجرح .

التفتت الى رجالها وقالت :

ــ إئتوه بصاحبه الذى عندكم فى الاعتقال

حيلة البطال

أحضروا أبا محمد البطال فلما دنا من عبد الوهاب همس له :

ــ اعلم أن هذه المرأة جبارة ، وأخشى عليك منها وأنت بهذه الحالة .

ــ إذا ملكت سيفى ودرعى فسترى العجب ، خيط لى هذا الجرح قبل أى كلام .

خاط البطال جرح عبد الوهاب ووضع عليه الأدوية النافعة ، فوجد فى نفسه راحة ، وكان ذلك فى آخر النهار . فلما أصبح اليوم التالى استعد للمبارزة .

تقدم البطال من القناصة بعيدا عن عبد الوهاب وقال لها :

ــ أيتها السيدة . لقد تعبت مع هذا الجاهل ، إذ قلت له : ان هذه المرأة لو اجتمع عليها كل من فى الأرض يريدون بها سوءا لما وصلوا اليها ولا قدروا عليها ، ولكنه لم يسمع كلامى .. وأمعن فى حيلته فقال يمدحها :

ألا إننى قد طفت جمع العوالم
وقد نظرت عيناى جمع المعالم
فلم أر يوما مثل بنت مزاحم
ولا فى السخى أسخى ولا فى المكارم
لقد شرفت قناصة الأسد فى الوغى
وقرت بذا أهل الندى والمكارم

فسرت بهذا المديح وقالت له :

ــ لافض الله فاك ولا كان من يشناك ، لقد أخطأنا فى حقك أيها الشاعر الأديب ، إذ أسرناك ، إن شئت تقيم عندنا وان شئت تعود الى قومك .

ــ شكرا لك أيتها السيدة العظيمة .

واستمر البطال يمثل على القناصة أنه معها ، وفى الوقت نفسه جعل يدبر الأمر لصالح قومه ، حتى انتصر القوم على القناصة وجيشها ، واقتحموا حصنها وأخذوا الأموال والأسلاب ، انتصرت

الشجاعة والحيلة معا على جبابرة كانوا مفسدين فى الأرض .

يخدع هارون الرشيد

أما « عقبة » فقد عرف بخيانته ولؤم نفسه ، وكان يجيد النفاق حتى ليرى كأنه النفاق عينه .. استطاع أن يخدع « هارون الرشيد » ويجعله يؤمن ببركته ويوقن بسداد رأيه ، وكذلك السيدة زبيدة زوجته التى تقر به وتتبرك به .. والأمر هنا ليس تاريخا تحقق أحداثه ، وإنما هو قصص فنى يركب الخيال إلى حيث يريد ، وهو يقول لنا : بما أن هارون الرشيد يجاهد فى سبيل الله ويحرص على سلامة الأمة الاسلامية ويحمى حدود هامن إغارات الروم ، وبما أن هذا هو كذلك هدف بنى كلاب القادمين من البادية وعلى رأسهم ذات الهمة وابنها عبد الوهاب ، فالجميع متعاونون متجهون إلى غاية واحدة هى الجهاد وحماية الثغور الاسلامية . وبنو كلاب ينزلون فى ضيافة الرشيد ، ويعسكرون فى بغداد ، وتأتى جيوش خراسان فتنضم اليهم وتتوحد الصفوف .

ويصاحب بنى كلاب بنو سليم المتاخمون لهم فى بادية الحجاز ، وعقبة من بنى سليم ، وطالما كان أداة شقاق بين القبيلتين ، هو يستطيع أن يأكل على مائدتين : مائدة خليفة المسلمين ومائدة ملك الروم .

حيلة خيانة

كانت هناك مدينة اسمها « ملطية » تقع على الحدود بين بلاد الاسلام وبلاد الروم ، وكانت مثار نزاع بين الفريقين .

أراد عقبة أن يكيد للمسلمين ويقدم خدمة لملك الروم فجعل يخطط كي يستولي الروم على ملطية وينتزعوها من أيدى المسلمين : ارسل ابنه إلى ملك الروم ينبئه بخلوها من المقاتلين العرب ويحرضه على غزوها ، فاستعد جيش الروم للتحرك إليها ، وفى نفس الوقت أذاع بين المسلمين فى بغداد ــ بواسطة أتباعه الذين يستأجرهم بالمال ــ أن عبد الوهاب أسرته القناصة وقتلت معظم الأبطال الذين كانوا معه . فأمر الرشيد بتحرك القوة المرابطة فى ملطية واتجاهها إلى حصن القناصة لإنقاذ عبد الوهاب ومن معه .

وعلى هذا خلت ملطية من الرجال المدافعين ، وصارت سائغة للروم وقد استردها العرب بعد ذلك وبعد أن هزموا الروم وأخرجوهم منها ، وانكشفت حيلة عقبة الزنيم .

أسلوب ركيك

وبعد

نلاحظ أن سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب غنية المضمون ولكنها ركيكة الأسلوب كغيرها من القصص الشعبية ، وتجد أسلوبها يخلط العامية بالفصحى ، وهذا مثال منها :

« وكتب (عقبة) فى عاجل الحال كتابا الى منويل ملك الروم يأمره بالخروج الى ملطية وقد ذكر له فى الكتاب يقول يامنويل اعلم انى دبرت واحسنت التدبير حتى اخليت لك الأرض ولا بقى قدامك من يمانع ولا من يقاتل واعلم أن هذه الركبة آخر الركبات وانك لا تقصر فى ذلك » .

وقد كان هذا الاسلوب يناسب القراء والسامعين من أفراد الشعوب العربية فى زمن مضى كانت فيه هذه الشعوب محرومة من التعليم ، أما الآن وقد تغيرت الأحوال وانتشر التعليم ــ وسينتشر أكثر ــ فقد صارت هذه اللغة الركيكة غير صالحة لقراءة الأجيال الجديدة ، ولا تستسيغها أذواقها . وهذا يهدد تلك القصص بالانقراض ، ولا ينفع فى إحيائها دراسات ولا ندوات ، بل هى تكاد تنقرض لولا أعمال أدبية مستمدة منها اشرت إليها فى مقال سابق بالدوحة (عدد مارس ١٩٨٥) وقد قرأت أخيرا كتابا لنجيب محفوظ عنوانه « ليالى ألف ليلة » وهو قصة طويلة مستمدة من جو ألف ليلة وليلة ، وهى من أحسن ما كتب روائينا المقتدر ، غاص فيها على معان إنسانية عميقة بأسلوب وتعبيرات أدبية رائعة ، وهدف إلى مضمون كبير ، وسار إلى أن جعل « معروف الأسكافى » يتولى حكم المدينة ويتخذ أعوانه من أمثاله الفقراء المخلصين . واستعان نجيب فى ذلك باضافة خيال جديد فيه الجن أخيارا وأشرارا يتصارعون إلى جانب أبطال واقعيين ، يسدد العفاريت الصالحون خطى المخلصين ، ويحاول أشرار الجن إفساد المجتمع الانسانى عن طريق استغلال النزوات فى الناس ، متخذين فى ذلك وسائل منها « طاقية الإخفاء » .



مصادرة ألف ليلة

وبمناسبة ألف ليلة نذكر أن قضية تثار الآن فى القاهرة ، إذ ضبطت السلطة مطبعة تطبع كتاب « ألف ليلة وليلة » وصادرته لأنه يحتوي على ألفاظ وعبارات تخدش الحياء العام . والواقع أن الكتاب يحتوى فعلا على تلك الألفاظ والعبارات ، وهو يطبع مشتملا عليها من قبل ويتداول هكذا ، ولم يصادر قبل ذلك ، ومثله فى ذلك بعض كتب التراث الأدبية مثل العقد الفريد والأغانى . وهى كتب متداولة كذلك .

لا أريد أن أدافع عن طبع هذه الكتب ونشرها « بعبثها » فأنا أميل الى تنقيتها من تلك الشوائب . كانت هذه الكتب تكتب بالأيدى ولا يقرؤها الا الخاصة ، أما الآن فهى تنتشر وتصبح بعد الطبع فى يد كل قارىء صغيرا أو كبيرا . وأذكر ان الأستاذ احمد بهجت تلقى رسالة من والد طالبة فى كلية الآداب كلفها الأستاذ ضمن الطلاب والطالبات أن يقرأوا جزءا من ألف ليلة وليلة تمهيدا لدراسته ، ونشر الأستاذ بهجت هذه الرسالة فى بابه اليومى بالأهرام « صندوق الدنيا » وفى الرسالة يقول الأب إن ابنته انزعجت مما رأته فى ألف ليلة من ألفاظ وعبارات تخدش الحياء ..

وأذكر أن أستاذا من الرواد الأوائل ، هو الشيخ الخضرى ، أخرج كتابا اسمه « مهذب الأغانى » استخرجة من كتاب « الأغانى » للأصفهانى وطهره من تلك الألفاظ والعبارات وأراح القارىء من « العنعنات » الطويلة التى تقول « عن فلان عن فلان .. الخ » .

فماذا علينا لو فعلنا مثل ذلك فى ألف ليلة وليلة وغيره من أدب الجماهير وأدب الخاصة ؟ وأرى أن تصاغ القصص الشعبية صياغة جديدة تحقق أمرين : أحدهما تنقيتها من الألفاظ والعبارات التى تصدم الذوق العصرى ، والآخر صياغة عربية فصيحة سليمة بأقلام مقتدرة ، وبهذا تنقذ مما كادت تصير إليه من الانقراض ، فليس من المعقول أن يتقبلها قارىء اليوم بتلك الركاكة التى تبدو فى الفقرة التى نقلتها فيما سبق .

وينبغى أن تقرر ــ بعد تلك الصياغة ــ فى المدارس كى يستفيد منها الطلاب مضمونا وشكلا ، مضمونا من حيث ما تشتمل عليه من قيم عربية الجذور ، وشكلا من حيث اللغة العربية التى نشكو الآن من اضمحلالها حتى على أقلام الأدباء ..

ولاشك أن هذه القصص الشعبية من تراثنا الأدبى الذى يجب أن تهتم به المؤسسات الثقافية فى البلاد العربية الى جانب اهتمامها بالتراث الأدبى الفصيح . وبعض التراث الشعبى خير من أشعار أبى نواس وأضرابه ، إن كنتم تنصفون .

عباس خضر

شخصية عربية

محمد علي الطاهر

كاتب وطني ومناضل حر لا يهدأ

بقلم: فتحي رضوان



محمد علي الطاهر يقف أمام مقر جريدة الشورى التى أسسها فى مصر

كانت للقاهرة فى الفترة ما بين الحربين العالميتين التى انتهت أولاهما فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وانتهت الثانية فى ابريل سنة ١٩٤٥ ، مزايا وخصائص ، لا تتمثل فقط فى الشوارع والميادين ، والعمائر الحديثة ، والمساجد والأسبلة والتكايا القديمة فحسب ، بل كان لها الى جانب هذه المعالم المادية ، معالم بشرية ، تتمثل فى عدد من الشخصيات يعرفها أهل القاهرة بأسمائها أو بصفاتها وأسلوبها فى الملبس ، وطريقتها فى الكلام .

وكان فى القاهرة عدد من هذه الشخصيات الفذة ، أكثرها من أهل مشرق الوطن العربى ، أعنى الشام بأجزائه الثلاثة : سوريا ولبنان وفلسطين ، والعراق ، وباقيها من المغرب ، أعنى ليبيا التى كانت تسمى فى تلك الفترة طرابلس الغرب نسبة لمدينة طرابلس عاصمة الشقيقة ليبيا الآن ، ثم تونس والجزائر ، والمغرب ، وكنا نعرفه باسم مراكش ، وقد كان من بين هذه الشخصيات التى لعبت أدواراً فى موطنها الأصيل فتعقبها الظالمون بجورهم وعسفهم ، فرحلوا الى مصر ، فاستقبلتهم حكوماتها بالترحاب والحفاوة لا حباً فيهم ، ولا عطفاً على قضيتهم ، بل لأن الحكم كان فى تلك البلاد : فى المشرق والمغرب معاً ، إما حكماً عثمانياً (تركيا) وإما حكماً فرنسياً . والحكم فى مصر بريطانى وان كان رأس الاستعمار الأوربى ، الا أنه كان منافساً للاستعمار الفرنسى ، يكرهه ، ويود أن يقتلعه من الوجود ..

كان من بين هؤلاء الأبطال اللاجئين الى القاهرة ، شاب فلسطيني اشتغل بالسياسة منذ فجر صباه ، فنقم عليه الحكم العثماني كما نقم على المصلح الكبير عبد الرحمن الكواكبى ، فجاء الى القاهرة ناجياً بحياته وبعقيدته السياسية ، وعاش فى العاصمة المصرية ، حتى قامت الثورة الكبرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فاختلف معها ، فترك مصر وذهب الى لبنان ، حتى توفاه الله . ذلك هو محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى ، والذى أقض مضاجع البعض ، بقلمه ، وأزعج خاطرهم ، وتشدد فى نقدهم ، كلما لم يعجبه شيء من قراراتهم أو مواقفهم بالنسبة لقضية بلاده التى وقف عليها نفسه وقلمه ولسانه . وأولئك جميعاً أقصى الغاية فى الحدة والشدة والاندفاع والعنف .



محمد علي الطاهر
كاتب وطني ومناضل حر لا يهدأ

مخلص لمبادئه

لم أعرف محمد علي الطاهر إلا في الفترة الأخيرة من الأربعينات ، فعرفت انساناً قصير القامة ، نحيفاً غاية النحافة ، كثير الحركة ، ذرب اللسان ، قلقاً لا يستقر في جلسته ولا في وقفته ، يكاد يكون صورة من عصاه التي لا تفارقه فهو في مثل طولها ، وفي مثل نحفها وهي تستقر في يده ، كما أنه لايستقر في يد الأيام ، له عينان واسعتان ولكن الحول أضعف أثرهما ، ولو كانتا في موضعهما الطبيعي ، لكانتا عينين نفاذتين تصدران الشرر الى نفس السامع له والواقف أمامه ، دمه خفيف ، كان جديراً بأن يجعله في موضع السخرية من عارفيه ، لولا أنه كان انساناً جاداً مخلصاً لمبادئه ، شديد الوفاء لمن يصادقهم ، شديد العداء لمن يخاصمهم .

وقد وفد الى مصر خلال الحرب العالمية الأولى أو بعدها ، وهي الحرب التي اندلعت نارها سنة ١٩١٤ (أغسطس من تلك السنة) واستمرت حتى أبرمت معاهدة الهدنة بين المتحاربين في الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر سنة ١٩١٨ ، وقد بقي محمد علي الطاهر في مصر ، حتى خرج أو أخرج منها عقب الثورة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، يعني أنه بقي في مصر نحو ٣٨ عاماً ، وقد علمت أن الكثير من أبناء عائلته وفدوا مثله الى مصر ، وأقاموا كأهلها ، وكان منهم ابن عمه الدكتور حسني الطاهر الذي مارس الطب في مدينة المنصورة .

وقد أسس في مصر جريدة (الشورى) واتخذ لها مقراً في شارع عبدالعزيز أمام إحدى أشهر دور السينما في مصر ، وهي سينما (أوليمبيا) ، وهي لا تزال تعرض أفلامها التي يحبها الشعب المصري ، والتي كانت في يوم من الأيام أفلام رعاة البقر ، التي كان أبطالها على ألسنة كل شباب الحارات والأزقة منذ وضعت الحرب أوزارها أمثال (توم ميكى) ، (آرت اكورد) و (ادى بولو) .

ولم تكن جريدة (الشورى) جريدة فحسب ، وانما كانت فوق ذلك نادياً سياسياً ، يتردد عليه أول ما يتردد كبار رجالات عرب المشرق وعرب المغرب الذين يأتون لزيارة القاهرة لأيام قليلة ، والذين يقيمون فيها كلاجئين سياسيين ، ويتردد على نفس الدار عدد غير قليل من الزعماء المصريين الذين تجمعهم الشؤون العربيه وكان في مقدمة هؤلاء محمد صلاح الدين (باشا) الذى كان وزير خارجية مصر في آخر وزارة وفدية قبيل اندلاع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأحمد حسين زعيم مصر الفتاة وصحفيون أمثال أبو الخير نجيب وأحمد قاسم جوده الذى كان كاتباً وفدياً من جناح نجيب الهلالي ، ثم انتقل الى جناح مكرم عبيد باشا ثم عمل مع الثورة واختير نقيباً ثم توفاه الله في مقتبل العمر بعد أن وظف في الأمم المتحدة .

في معتقل الجيزة

وقد اعتقل محمد علي الطاهر في كل حرب تقوم ، اعتقل ابان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، وأودع لفترة طويلة في معتقل بالجيزة قريب من كوبرى عباس ، ثم اعتقل في الحرب العالمية الثانية ، وأخيراً أعتقل في ٢٤ يوليو ١٩٤٩ في عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى زعيم السعديين وأودع في معتقل بصحراء مصر الجديدة كان أصلا معسكراً أمريكياً اسمه (الهايكستب) وكان اعتقاله في ٢٤ يوليو ١٩٤٩ ، واستمر حتى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ أى نحو نصف شهر ، ولكن هذه الأيام القليلة ، التي لم تصل الى ثلاثة أسابيع أثمرت أثراً أدبياً جميلا ، هو كتابه المعنون (معتقل هايكستب) وهو كتاب عدد صفحاته بالفهرست ٦٨٠ صفحة ، وصف فيها ما جرى له منذ زاره مندوبو الشرطة المصرية بعد ظهر يوم ١٢ يوليو ، ليحملوه وهو مريض يشعر بالضعف ، ولا يكاد يستطيع أن يقف على قدميه الى قسم من أقسام شرطة القاهرة ، يحمل إسماً جميلا ، يدعو الى انشراح الصدر ، وراحة الخاطر ، لأنه (روض الفرج) ولكن هذا الاسم كان عند اعتقال محمد علي الطاهر من أسماء الأضداد ، فقد أودع في قاعة ضيقة لا يجدد هواءها سوى كوة في أعلى جدارها عجز الهواء الضعيف الخارج منها عن أن يبدد رائحة متصلة بهذه القاعة ، فكاد يختنق ، ولم ينقذه الا أنه حمل في اليوم التالي في سيارة من طراز (البوكسفورد) الى الصحراء ليودع في معتقل الهايكستب مع الاخوان المسلمين ، فترامت الى سمعه قصص التعذيب الحقيقية والمتخيلة ، رأى بعيني رأسه نماذج من التعذيب اليومي للمعتقلين منهم أستاذ الجامعة والمحامي والطبيب وعالم الأزهر والصحفي والشاب الطالب ، فقد كانوا جميعا محرومين من زيارة الأهل ، ومن قراءة الصحف ، ومن تناول طعام المنازل ، ومن نعمة التحقيق معهم ليعرفوا ماذا نسب إليهم ، والى متى سيبقون هكذا مهملين ، ولكن هذه الفترة القصيرة من هذا الاعتقال الذى لم تصب محمد علي الطاهر خلالها ، لا كلمة ولا ركلة ، ولا حتى قرصة ولا دفعة ، ألهمته هذا الكتاب الحار بل المتقد ، والذى حركت وقائعه في نفس محمد علي الطاهر المستقلة ، والتي لا تهدأ الا إذا هاجمت أحداً أو جماعة ، أو أعداء بالجملة . وأغلب الظن أن السلطتين المصرية والانجليزية قد اتفقنا على الزج به في المعتقل لمقالات شديدة كتبها دفاعاً عن وطنه فلسطين ، وهجوماً على من اتهمهم بأنهم تسببوا في فاجعة وطنه ، وهم زعماء معروفون وساسة ذوو مكانة ، فضلا عن شواظ من نار صوبها الى ضابط شرطة من ضباط ما كان يعرف في مصر بالقلم السياسي .

وكاتب ساخر

والحق أن محمد علي الطاهر ، استطاع أن يثبت لتاريخ الأدب العربي انه كاتب هجاء ، ولكنه أيضا كاتب وصاف ، وأخيرا هو كاتب ساخر يضحكك حتى تدمع عيناك ، وأنا أنقل إليك قصة بطيخة الشيخ عبد المنعم النمر . قال محمد علي الطاهر في كتابه الطريف بعنوان سرقوا البطيخ يا محمد :

« في أحد الأيام طاف البشير بنبأ هو أن بطيخة قد ظهرت في مزرعة الأستاذ النمر ، فهرول الرفاق إليها يتفرجون ، وصرنا كل يوم نطوف حول البطيخة العزيزة ونمتع النظر برؤيتها الى أن كبرت وأصبحت في حجم البيضة ثم نعود اليها فنجدها بعد مدة في حجم البرتقالة ، وكنا نتواصى بها خيراً ، وقد بلغ من عناية الأستاذ النمر ببطيخته العصماء أنه خاف عليها من اللمس فأقام بجوارها عموداً من الخشب ، وثبت عليها ورقة مكتوباً عليها « اللمس ممنوع » .

وكبرت البطيخة وكان الأستاذ النمر يحرسها في الليل حتى الفجر ، وفي النهار يتردد عليها متفقداً الى أن باتت في حجم البرتقالة الكبيرة . وفي أحد الأيام أصبحنا ، فاذا الأخبار تتواتر وهي تنعى البطيخة فتقاطرت الوفود الى عزبة الشيخ عبد المنعم ، فوجدناه واقفاً أمام شجيرة البطيخ وهو محزون يضرب كفاً بكف ، فأخذ الزملاء يعزونه ويهونون مصابه ويأخذون بخاطره » .

واذا كانت هذه الصورة الضاحكة ، نموذجاً من أدب الطاهر الساخر ، فاني ناقل إليك سطوراً من مقال نشر لمحمد علي الطاهر في جريدة النداء في ٢٦ يوليو ١٩٤٥ ، وكان الأستاذ الطاهر في المعتقل يوم نشر المقال عن فلسطين وأهلها في هذا اليوم الذى صادف عيد الفطر ، ليكون نموذجاً لأدب الطاهر السياسي : سيفرح في هذا العيد أربعمائة مليون من

المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلا أهل فلسطين ، فانهم فى حداد دائم وفى حزن ويتم .

يرتدى المسلمون الجديد من الملابس الزاهية ومنها المزركش بالأحمر والأخضر والأبيض وما الى ذلك من كل لون بهيج الا أهل فلسطين فانهم لا يجدون ما يستر أجسادهم ولو وجدوه ، لما رضوا بالسواد بديلا . جميع الكائنات من انسان ووحش وطير تجد مأوى تسكن اليه ، وتطمئن فيه الا أهل فلسطين ، فهم طائرون مفزعون ، ويخذلهم الأولياء ، ويتفرج عليهم الأصدقاء .

واذا فروا فليس لهم مفر
وان عادوا فليس لهم مقر

يطلبون الرحمة فلا يرحمون ويطلبون الموت فلا يلبون .

واذا كان الوطن العربى يظن أو يتصور أن اليهود يقبلون برجوع عربى واحد من المشردين ، الى فلسطين فهو فى ضلال ، لأن اليهود ينظفون الآن فلسطين من كل عربى بقى فيها ، وكلما تسلل عربى عائداً إليها من إحدى الضواحى أمسكوه وضربوه ، وسلبوا ملابسه ، ثم طردوه الى أقرب دولة عربية .

الاختلاف مع الحسينى

وقد هاجم الطاهر الدول العربية كلها ، متهما اياها بالتقصير والتقاعس ، وأصلى الجامعة العربية بنار حامية ، واختلف مع زعيم فلسطين ورئيس المجلس الاسلامى فيها المرحوم السيد محمد أمين الحسينى ، فلم يترفق فى نقده إياه ، مع حبه له ، واعجابه بمزاياه ، مما أحنق عليه أكثر الناس ، وأبعدهم عنه ، وقد قال لى أحد سفراء لبنان انه قال للمرحوم محمد علي الطاهر : أنت تتعب العدو والصديق ، ولكنك تتعب الصديق أكثر فأقره الطاهر على ذلك وقال : أنا لى فى الصديق عشم وانا اطلب من الصديق الكثير لأنى أحسن الظن به . وقد وصف أحد خصومه ، فكان وصفاً بليغاً يدل على قدرة الطاهر البيانية وحسن تحليله للنفوس وتصويره للأشخاص ، ولو شاب حكمه شيء من القسوة ... قال « الطاهر » فى وصفه لخصمه :

« ان صداقتى له ــ ولا أقول صداقته لأنه يعاشر ويصاحب فقط ولا يصادق ــ بدأت منذ كان يسمى الشاب الأديب ، فهى صداقة قديمة بدأت له منى قبل ثلاثين عاماً ، ولكن صديقى لا يحب أن يقوم بواجبات الصداقة ولا الزمالة ، ولا بتكاليف المودة ، فهو يريد أن يكون ذلك كله من جانب واحد ، وان الواجب على الخلق أن يحبوه ، ودون أن يحبهم ، وأن يحيطوه بالوداد دون أن يمنحهم شيئاً من الوداد ، كما أنه لايبالى بشعور اخوانه ويطلب أن يراعوا شعوره ، ولو كلمت انساناً عنه ، وعلم بذلك أو قال له أحد شيئا أحس به ، فانه يسخط ويحفظ عليك تلك الجريمة . والأغرب من ذلك انه لايعاتبك ولا يصارحك ولا يظهر عليه أنه يحمل لك موجدة على تلك الزلة » .

وفى الكتاب الذى نقلت لك منه هذه السطور الضاحكة والزاعقة ، مصوراً للأستاذ محمد علي الطاهر متخفياً فى زى بدوى وفى ملابس أزهرى ، وفى صورة رجل فقد احدى عينيه ، وذلك أثناء هربه من وجه الانجليز وهو فى مصر بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ، وقد عجز الانجليز عن وضع أيديهم عليه ، حتى استطاع أن يصل الى مكتب رئيس الوزراء مصطفى النحاس فأطلق سراحه .

أمر هام

ومن فضائل الأستاذ محمد علي الطاهر ــ رحمه الله ــ انه كان يعلم بأنباء العالم الاسلامى والوطن العربى ، وكان يسخر معلوماته لخير بلاده ، من ذلك أنه اتصل بي ذات يوم فى منزلى فى الصباح المبكر وطلب منى أن يوافينى الى مكتبى فى القاهرة لأمر هام لا يحتمل تأجيلا ، وأطعت أمره وذهبت الى مكتبى ، فأفضى الى بنبأ هام حقاً خلاصته أن الأمير محمد بن عبد الكريم قائد وزعيم منطقة الريف فى شمال المغرب ، الذى اعتقله الفرنسيون ،

فى احدى جزر المحيط الهندى المملوكة لهم نحو عشرين عاماً . ابتداء من سنة ١٩٢٦ التى أسر فيها الزعيم ، وهيأت مقراً له فى باريس ، وأن وصوله الى باريس واستقراره ، يجعله رهينة فى يد الاستعمار الفرنسى ، وقد تضرب به الحركة التحررية المغربية فلابد من استيطانه فى مصر وهو فى طريقه الى أوروبا مروراً بقناة السويس من جنوبها فى السويس الى شمالها فى بورسعيد ، وأن مرور الزعيم فى مياه مصرية لمدة أكثر من ست ساعات يمكن الحكومة المصرية من إقناعه بالنزول الى البر المصرى ، ومن ثم يبقى فى مصر وبين اخوانه المصريين الى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا ، قال لى الأستاذ محمد علي الطاهر هذا الكلام وكل جارحة فيه تتحرك ، وهو نفسه يكاد يقفز فى الهواء من الفرح بأنه الواسطة فى هذه الخطة العظيمة ،

وانتقلت الى حماسته ومضيت فى الحال أخاطب رئيس الديوان الملكى وكنت أعرفه جيداً وكان آنذاك ابراهيم عبد الهادى باشا وجاءنى الرد مخيباً للآمال (اتصلوا بالحكومة) وأسرعت الى رئاسة مجلس الوزراء وطرقت باب المرحوم عبد الرحمن الجديلى وكيل الوزارة للشئون الدينية وكان مقرباً لرئيس الوزراء محمود النقراشي ، فافضى إليه تليفونياً بما أخبرته به ، فطلب مذكرة بالموضوع ، فكتبتها على الفور وأرسلت الى النقراشى رئيس الوزراء فاتصل بلا تمهل بمحافظة السويس وبورسعيد ــ وفى السويس رفض الأمير عبد الكريم العرض وكان فى أسوأ حالاته الصحية : بدنياً ونفسياً ، ولكن فى المسافة بين السويس وبورسعيد ــ هدأت نفس الزعيم ، واستطاع عدد غير قليل من زعماء المغرب المقيمين فى مصر ، أن يقنعوه وأن يبصروه بخطر الذهاب الى باريس ليكون فى قبضة أعدائه ، وفى بورسعيد نزل الزعيم ، ومضى فى الحال الى القاهرة ، وقبطان الباخرة الفرنسية ينذر ويهدد ولا أحد يسأل عنه ، وبقى معنا الزعيم المغربى حتى توفاه الله بين أهله وصحبه وفى كل مرة أذكر هذا الذى فعلناه ، أترحم علي محمد علي الطاهر ، وأقرأ على روحه الفاتحة فاقرأوها معى ، فقد كان عمله مجرد نموذج لوطنية تلقائية وسرعة حركة .

رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا بمآثره وبما خلف من التقاليد والسوابق الرائعة .

فتحى رضوان



صورة تذكارية لمحمد على الطاهر أثناء حديثه مع مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى

• • لم يذكر لنا التاريخ حالة واحدة من حالات تمرد البحارة على سفينة عربية قبل ألف سنة بينما كان التمرد على سفن الأسبان والبرتغال أمرا شائعا فى عصر الكشوف الجغرافية الكبرى • •

قصة الملاحة العربية منذ آلاف السنين

بقلم: الدكتور أنور عبد العليم

عرف العرب منذ أكثر من ألف سنة الطريق الملاحى من موانىء الخليج إلى سواحل الهند والصين عبر المحيط الهندى شرقا وإلى الساحل الافريقى غربا مستعينين بالتيارات الموسمية المنعكسة التى عرفوا سرها بالخبرة والتجربة الذاتية . وفى ذلك يقول ابن خرداذبة (٢١١ ــ ٣٠٠ هـ) فى كتاب « المسالك والممالك » الذى يرجع زمن تأليفه لعام ٨٤٦ م :

« وسئل اشتيامو [1] البحر عن المد والجزر فذكروا أنه إنما يكون فى بحر فارس على مطالع القمر وأنه لا يكون فى البحر الأعظم إلا مرتين فى السنة : مرة يمد البحر فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طما الماء فى مشارق البحر بالصين وانحسر عن مغارب البحر ، ومرة يمد فى شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طما الماء فى مغارب البحر وانحسر بالصين » كما اتقنوا فن الملاحة الفلكية بالنجوم واهتدوا بها فى « أودية البحر » .

وفى كتاب « عجائب الهند » أوصاف وحكايات طريفة تتعلق بمعالم هذا الطريق الذى كان يبدأ من البصرة أو الأبلة ويمر بالبحرين فعمان ثم ساحل الدكن والسند ثم تحط المراكب بميناء صغير جنوب بومباي هو ميناء صيمور ومنها إلى ساحل الملبار وبعده تخترق المراكب المضيق بين جزيرة سيلان وجنوب الهند ثم تقف للتموين عند رأس كومرين ثم تسير بحذاء ساحل الشول (كروماندل) شرقى الهند وبعده تخترق بحر هرقند (خليج البنغال) وتحط على جزر لنجبالوس (وهى جزر نيكوبار) ثم تتجه جنوبا إلى مضيق ملقا بين الملايو وسومطرة (وهي إحدى جزر الزابج وتسمى جزيرة الذهب أيضا) ثم تتجه السفن بعدها شمالا نحو سواحل الهند الصينية وكمبوديا مارة بجزيرة شيومه ، ثم تحاذى السواحل الشمالية إلى موانى خانفو (كانتون) وخانجو (تشوان تشو ــ فو) والمرجح كذلك أن المراكب العربية وصلت إلى جزر اليابان وهى بلاد « السيلاهى » السالف الحديث عنها فيما يتعلق بجزر الوقواق وعلى سواحلها شاهدوا السرطانات العملاقة التى تعيش فى بحر اليابان وشمال المحيط الهادى .

أما عن الطريق الملاحى إلى الساحل الافريقى فيرد فيه ذكر بلاد الزنج وبلاد البجة (السودان) وقنبلة (كمبالا) وسفالة (على خط عرض ٢٠ جنوب خط الاستواء) . وفى بحر القلزم (البحر الأحمر) يرد ذكر كمران (جزر بجنوب البحر الأحمر) واليمن وجدة وأيلة (بقرب العقبة) وغلافقة (ميناء اليمن) . هذا وقد تحدث مؤلف الكتاب عن الجزر فى بحر الهند باستفاضة وطرافة ومنها جزيرة سيلان وجزر اندمان وجزر الديبجات (الملاديف واللكاديف) ويسميها المؤلف أيضا جزر الكستج وكان عدد سكانها على وقته نحو ٣٠,٠٠٠ نسمة . وعن جزيرة سيلان أو سرنديب يقول مؤلف كتاب العجائب :

« ومن الجزائر الموصوفة التى ليس مثلها فى البحر جزيرة سرنديب وتسمى السهيلان وطولها نحو مائة فرسخ ودورها (أى استدارتها) ثلاثمائة فرسخ وفيها مغاص اللؤلؤ النقى ، إلا أنه صغار ومهما كان منه كبار فهو ردىء ، وجبلها حصين وهو جبل الياقوت والألماس ويقال ان هذا الجبل هو الذى هبط عليه آدم عليه السلام . وبها السنباذج (الفيروز) الذى يخرط به البلور والزجاج ، وقشور أشجارها القرفة المرتفعة وهى القرفة السهيلانية الموصوفة ، وحشيش هذه الجزيرة أحمر يصبغ به الثياب والغزل وهو صباغ يفوق البقم



كانت الخبرة والتجربة الذاتية هى العامل الهام فى رحلات العرب إلى الهند والصين منذ اكثر من الف عام

والزعفران ويتعجب منه . وقيل إن بسرنديب نحو مائة ألف قرية »

والحق أن هذا وصف جغرافى مركز يحمد عليه مؤلف هذا الكتاب وقد أوضح فيه أهم معالم الجزيرة ومنه نعلم كذلك أن البلور والزجاج كان يقطع بنوع من الأحجار الكريمة الصلبة تشتهر بها سيلان كما تشتهر بتوابل القرفة التى هى لحاء أشجار معلومة . أما الحشيش الذى يشير إليه المؤلف وتستخرج منه صبغة للثياب وخيوط الغزل فربما كان نباتات القبذل وجذور هذه النباتات وخشبها يحتوى على مادة التنين Tanic Acid الذى يستخدم فى صباغة الملابس والخيوط إلى اليوم ويسمى هذا النبات باسم « ريزوفورا Rhizophore » وينمو على شكل غابات فى التربة الطينية على سواحل البحار الاستوائية حيث تكثر الأمطار .

وعن استخدام المواد المحلية فى صناعة القوارب وعن وجود نوع من الطمى يشبه الغراء على احدى الجزر يقول المؤلف :

« وأخذنا طينا من طين الجزيرة مثل الغراء وأصلحنا فيه دقلا [٢] من الشجر وسوينا حبالا من خوص النارجيل (جوز الهند) وشراعا ليفا (من الليف) وملأنا بطن القارب من النارجيل والفاكهة وملأنا معنا ماء وسرنا نحو خمسة عشرة يوما حتى وقعنا بقرية من قرى الصنف » .

أهوال الملاحة

ويحدثنا المؤلف عن أهوال الملاحة فى عرض البحار حين تشتد الريح وتتلاطم الأمواج ويكفهر الجو حديثا ينم عن تجربة ومعاناة حقيقية ، وأحيانا يذكر أسماء من هلك من الربابنة في البحر . ولا تكاد تخلو قصة من قصص عجائب الهند من مغامرة بحرية . تأمل هذه المغامرة لمركب خرج من الخليج قاصدا ميناء صيمور بالهند ونكتفي بسرد أسطر قليلة منها :

« ومن مصائب البحر المشهورة التى أثرت الى يومنا هذا ما حدثنى به بعض التجار قال : خرجت فى مركب من سيراف فى سنة ست وثلاثمائة نريد صيمور وكان معنا مركب عبد الله بن الحنيد ومركب سبأ .. وهذة الثلاثة مراكب فى نهاية الكبر ، ومن المراكب الموصوفة فى البحر ونواخذتها مشهورون ، لهم . فلما سرنا أحد عشر يوما رأينا آثار الجبال ولوائح أرض سنداق وتانه وصيمور وأخذنا في الاستعداد لأنا قدرنا أنا نصبح من غد الأرض .. ثم جاءتنا الريح من الجبال فلم تضبط الشرع وأخذنا الخب والمطر والرعد والبرق ونزل الرجال ينزفون الجمة [٣] ، ولم يزل الأمر يتزايد إلى أن مضت ستة أيام وكاد المركب أن يغوص فى البحر .. »

وفى موضع آخر يقول : « ومما أجمع عليه البحريون ولم أجدهم ينكرون شيئا منه وهو أن بعض المراكب الخارجة إلى الصين أصيب فى اللج وسلم منه ستة أنفس أو سبعة على الشراع ومكثوا أياما فى البحر ثم وقفوا على جزيرة وأقاموا بها شهورا حتى كادت نفوسهم تتلف من ضيق الصدر »

وعن بحر سرنديب يقول : « ومن البحار الخبيثة الصعبة الشديدة التى تقل السلامة فيها بحر غباب سرنديب وهو ثلاثمائة فرسخ وفيه من التماسيح أمر عظيم . وفى ساحل هذا البحر النمور والبوارج الذين يقطعون فى هذا البحر (يقصد قراصنة الهنود) إذا ظفروا بمركب أكلوا أهله » .

وعن بحر بربرة يقول المؤلف : « وأجمع البحريون على أن بحر بربرا وهو سبعمائة فرسخ وهو فى الطريق إلى بلاد الزنج من أعظم البحار خطرا ، وللزنج فى هذا البحر جزائر عظيمة والماء فيه على ما يقال يجري جريانا شديداً (أي به تيار خطر) والمراكب تقطعه فى سبعة أيام » .

ويضيف المسعودى قوله عن بحر بربرة بأن الملاحين العمانيين يصفون موج هذا البحر بالجنون ولهم فى ذلك أرجوزة مشهورة فيها هذان البيتان :

بربره وحفونى ومـوجك المجنـون
حفونـى [٤] وبربرة وموجها كما تره

ويستطرد المسعودى بقوله : « وآخر مرة ركبت فيها (هذا البحر) من قنبلو إلى عمان سنة ٣٠٤ هـ على مركب أحمد وعبد الرحمن أخوى عبد الرحيم

جعفر الصيرفي بميكان وهي محلة من سيراف وفيه غرقا بمركبهما ومن كان معهما . وقد ركبت عدة مرات في عدد من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم وأصابتني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة فلم اشاهد أهول من بحر الزنج » .

وحتى البحر الأحمر نفسه الذى قد يبدو بحرا ساكنا لا تؤمن عواقبه [٥] . وفي ذلك يقول مؤلف العجائب : « وحدثني بعض الربابنة ويقال له عمران الأعرج أنه خرج من عمان في مركب مع عدة مراكب إلى جدة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فوقع علينا في بعض الأيام ريح عظيم فرمينا بعض الحمولة وتخلف بعض المراكب وأصيب البعض وسرنا فلما صرنا بين كمران و ... (ناقص في الأصل) وقع بنا خب عظيم وريح عظيم هايل مختلف فقطعت الأناجر ولم تضبط المراسى ، وحملتنا الرياح وكان معنا عدة مراكب من عدن وغلافقة وعثر [٦] ومنها جلبة جديدة وحسنة من غلافقة فرأيتها وقد طرحتها الريح والأمواج على جبل البحر ونزلت الأمواج عنها فانقلبت ، فعهدى بالأمتعة والناس يتساقطون إلى البحر من فوق الجبل وغرقت فما سلم منها أحد »

الملاحــون العرب ومــرض الاسقربوط

من المعلوم أن مرض الاسقربوط أو « مرض البحارة » كان واسع الانتشار بين ملاحى القرون الوسطى الذين يقضون شهورا طويلة بالبحر لا يتناولون فيها الطعام الطازج وبخاصة من الخضروات والليمون والموالح الأخرى يسبب نقص فيتامين « جـ » الموجود بهذه الخضروات ولم يكن هذا السبب معروفا في ذلك الوقت بطبيعة الحال .

ولما كانت رحلات الملاحين العرب الطويلة إلى الهند والصين تستغرق شهورا طويلة من السفر في البحر وقد تمكث المركب في الماء في رحلة الذهاب والعودة إلى الصين لأكثر من سنتين فمن غير المستغرب أن يبحث الانسان عن احتمال الاصابة بهذا المرض اللعين بين الملاحين العرب ، وهو الذى طالما أودى بحياة الملاحين الاسبان والبرتغال على سفن بأكملها ، فترى هذه السفن هائمة في المحيط بدون ركاب حتى اطلقوا عليها بحق « سفن الأشباح » .

بيد أننا من تحليلنا لقصص وأخبار الرحلات البحرية في « عجائب الهند » على كثرتها لم نعثر سوى على حالتين مرضيتين : إحداهما حالة تسمم واضحة نتيجة أكل البحارة في إحدى الرحلات لسمكة من الأسماك السامة [٧] ، ومثل هذه الأسماك معروفة في البحر الأحمر وفي البحار الاستوائية الأخرى ، وغالبا ما تكمن سميتها في غددها الجنسية أو في الكبد وأحيانا في العضلات وفي الجلد . وبعض هذه الأسماك سمها مميت وهو يقاوم الحرارة فلا يفسد بالطهى أو الشوى .

أما الحالة الأخرى فغير مؤكدة بالنسبة لمرض الاسقربوط وإن عزاها البحارة أنفسهم لأكلهم لحم طير مسموم . وتتلخص القصة في أن جماعة من البحارة تحطمت مركبهم وسبحوا على شراع لستة أيام في البحر حتى وصلوا إلى جزيرة وأقاموا بها شهوراً (ولم يذكروا في الحكاية شيئا عن الطعام الذى كانوا يأكلونه على الجزيرة ومن المعلوم أن بعض جزر المحيط الهندى قد تخلو من الفواكه كلية وقد تكون جزرا مرجانية ليس عليها نبات) وفي أحد الايام تمكنوا من اصطياد طائر كبير ثم اوقدوا عليه نارا وأكلوا منه حتى شبعوا وفي اليوم الثالث خرجوا للوضوء في البحر « فجعلوا لا يمسون شيئا من أبدانهم إلا تساقط الشعر عنه » فظنوا أن هذه الحالة نتجت عن تسمم لحم الطير غير أن المرض زال بعد أيام ونبت شعر أجسامهم مرة أخرى » .

كما لم يؤثر عن الملاحين العرب في ذلك الزمن وصفهم لأعراض مرضية تنبيء عن إصابات بمرض الاسقربوط ، مما يجعلنا نجزم بأن هذا المرض لم يكن معروفا عندهم . وربما كان مرد ذلك لاعتمادهم على التمر والعجوة اعتمادا أساسيا في سفرياتهم البحرية وهذه الفاكهة المجففة غنية بالفيتامينات ولم تكن معروفة على مائدة طعام الملاحين الأوربيين في العصور الوسطى .

مواثيق الشرف والأمانة

تعكس القصص الملاحية في عجائب الهند مواثيق الشرف والأمانة ومراعاة العهود التى كان يقطعها الربابنة العرب على أنفسهم متعهدين فيها ــ أمام الله وضمائرهم قبل كل شيء ــ بالمحافظة على أرواح الركاب وبضائع التجار وأموالهم وايصالها الى مقصدها سالمة . وفي سبيل ذلك كان الربان يضحى بوقته وصحته ونومه لإسعاد الركاب ، وكان آخر من يغادر السفينة إذا حم القضاء ، وأوشكت على الغرق .

تأمل قول ذلك الربان الذى أوشكت سفينته على الغرق وأصاب ركابها هلع شديد فطلبوا إليه أن يغرق السفينة ليريحهم من دوار البحر والموت البطيء الذى يرونه محدقا بهم . ترى بماذا أجابهم هذا الربان الشجاع في هذه الرحلة ؟ اجابهم بالكلمات الاتية :

« اعلموا أنه قد يجرى على المسافرين والتجار أهوال هذه أسهلها وأرحمها . ونحن معشر الربابنة علينا العهود والمواثيق ألا نعرض سفينة إلى العطب وهي باقية لم يجر عليها قدر . ونحن معشر ربابنة السفن لا نطلعها إلا وآجالنا وأعمارنا معنا فيها فنعيش ونموت قليلا منها .. فاصبروا .. » وقد نجت السفينة بالفعل في النهاية .

هذا ولم يذكر لنا التاريخ ــ فيما نعلم ــ حالة واحدة من حالات تمرد البحارة على سفينة عربية قبل ألف سنة ، بينما كان التمرد على سفن الاسبان والبرتغال أمرا شائعا في عصر الكشوف الجغرافية الكبرى . وحتى بحارة كولمبس تمردوا عليه وكادوا يفتكون به بعد أن وضح كذبه وسوء تقديره للمسافة التى كان قد قدرها للوصول إلى الهند .

تأمل قول استاذ أمريكى [٨] منصف متخصص في هذا الموضوع :

« إن الربابنة الاسبان والبرتغال كان أغلبهم شرذمة من المغامرين الجهلاء يسعون وراء الثراء والشهرة وكانوا يلجأون لوسائل غير مشروعة لايهام الملاحين بقرب الأرض التى كانوا لا يعلمون عنها شيئا . ومن تلك الوسائل تزويرهم للخرائط الملاحية غير الدقيقة التى كانت في حوزتهم ، ومحو الجزر من عليها لوضع البحارة أمام الأمر الواقع . ومع هذا فقد تكررت حالات العصيان على تلك السفن وبخاصة بالنسبة لرحلات كولمبس وماجلان » .

أما عن أهداف تلك الرحلات الحقيقية وعن مستوى البحارة فيضيف الاستاذ الامريكى قوله « إن أهداف هذه المغامرات البحرية الكبرى التى كان يشجعها الملوك والأمراء سواء الحقيقية منها وهي الحصول على الذهب والثراء ــ أو الظاهرية وهي التعلل بنشر المسيحية،فلم يكن أى منها يهم بحارة تلك السفن في كثير أو قليل ، فقد كان هؤلاء البحارة أميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعرفون حتى فنون البحر » .

أما الاسباب الحقيقية التى دفعتهم إلى العمل على تلك السفن مجهولة القصد فلم يكن سوى الأجر

• عن طريق التمر استطاع الملاحون العرب تجنب الأمراض البحرية الخطيرة

المرتفع من ناحية ثم الهرب من الظلم الاجتماعى الذى كان سائدا فى أوربا وقتئذ وغالبا ما كان هؤلاء البحارة ينتهزون فرصة رسو السفينة على جزيرة فيهربون منها .

ونحن نعتقد بأن عاملى الصدفة والحظ قد لعبا دورا كبيرا فى عصر الكشوف الملاحية المذكورة بالإضافة إلى الدعم المادى الكبير الذى جازف ملوك اسبانيا والبرتغال بدفعه للملاحين واستردوا مقابله أضعافا مضاعفة .

ظاهرة الأعاصير الحلزونية

وصف العرب الأعاصير الحلزونية التى طالما صادفتهم فى رحلاتهم فى المحيط الهندى وصفا طريفا وهم يطلقون عليها اسم التنين لما تحدثه من رعب وتدمير ويشبهونها أيضا بالحيات . ومادمنا بصدد المقارنة بين القديم والحديث فسنعرض هنا نصين يتعلقان بهذه الظاهرة يفصل بينهما أكثر من ألف سنة : أما النص الأول فمستخرج من كتاب عجائب الهند موضع دراستنا الحالية ويجرى على لسان الربان هكذا :

« وحدثت أن فى البحر حيات يقال لها التنين عظيمة هائلة إذا مرت السحاب فى كبد السماء على وجه الماء خرج هذا التنين من الماء ودخل فيه ، لما يجد فى البحر من حرارة الماء لأن ماء البحر فى الشتاء يسخن كالمرجل فيسجن هذا التنين ببرودة السحاب فيها وتهب الرياح على وجه الماء فترفع السحاب عن الماء ويستقل التنين فى السحاب وتتراكم (السحب) وتسير من أفق إلى أفق فإذا استفرغت مما فيها من الماء خفت وصارت كالهباء وتفرقت فقطعتها الرياح فلا يجد التنين ما يتحامل علية فيسقط إما فى بحر وإما فى بر . فإذا أراد الله بقوم شرا أسقطه فى أرضهم فيبتلع جمالهم وخيلهم وأبقارهم ومواشيهم ويهلكهم .. وقد حدثنى أهل البحر والسفارة — تجار وربابنة — أنهم ابصروه يعبر على رءوسهم اسود ممدودا فى السحاب فلما تراخى هبط إلى أسفل ورسب .. فتبارك الله أحسن الخالقين » .

والغريب فى هذه الأعاصير الدوارة أن وسطها أو ما يعبر عنه علماء الارصاد الجوية اليوم بعين الأعصار تكون مفرغة الهواء فيمكنها بذلك أن تمتص ماء البحر وما فيه من اسماك وغيرها ثم تسقطه على البر أو فى البحر مرة أخرى . وقد عبر عن ذلك ملاحو رحلة التاجر سليمان بقولهم : « وينشرع من السحاب لسان طويل يلعق ماء البحر فيغلى له ماء البحر مثل الزوبعة ، فإذا ادركت الزوبعة المركب ابتلعته . ثم يرفع ذلك السحاب فيمطر مطرا فيه قذى البحر ، فلا أدرى أيستقى السحاب من البحر أم كيف هذا » .

أما الصورة المقابلة لهذا الوصف القديم فوصف لاعصار حلزونى شوهد فوق بحر العرب فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٤ خلال البعثة الدولية للمحيط الهندي كما رآه الدكتور كولين راماج C. Ramage استاذ الارصاد الجوية فى جامعة هاواى ، يقول الاستاذ :

« فى هذا الشهر شاهدنا اضطرابا فى الجو فوق بحر العرب بريح بلغت سرعتها نحو ١٢٠ كم / ساعة ما لبثت حدتها أن زادت بعد يومين ، فخرجنا على طائرة من طراز دي — سى — ٦ متجهين صوب الاعصار من مطار بومباى . وعندما اقتربنا منه خيل إلى أن الطائرة ستتحطم فقد سقطنا فجأة فى الجو نحو مائة متر فى ثانية واحدة .

وعندما تجاوزنا عين الاعصار تحركت الرياح من جهة الجنوب جنوب غرب بسرعة ٢٠٠ كم / ساعة منعكسة فى الاتجاه المضاد أى من الشمال شمال شرق . وكان القمر الصناعى تيروس — ٦ المخصص للأرصاد الجوية قد صور الاعصار قبل أن نطير نحوه بثلاث ساعات ، ولما قارنا الصور التى حصلنا عليها من الطائرة للاعصار بصور القمر الصناعى رأينا منظرا مجسما لاعصار حلزونى استوائى لأول مرة . وفى عين الاعصار مساحة صافية قطرها نحو ٢٠ كيلو مترا تغلفها جدران من السحب ترتفع لنحو ١٥ كم فى الجو . وقد وصلت سرعة الاعصار نحو ٥٠٠ كيلو متر / الساعة ! » .

وعلى الرغم من التقدم التكنولوجى المذهل الذى درس بواسطته هذا الاعصار الأخير فإن سبب حدوث هذه الأعاصير قد فطن إليه القدماء وهو نفس السبب المعروف اليوم ألا وهو تقابل ريحين من اتجاهين متضادين .

• ألوان رائعة من الشجاعة والأمانة والمحافظة على العهود فى تاريخ الملاحة العربية

وفى هذا الصدد يقول القزوينى فى عجائب المخلوقات « إنه التنين (الاعصار) ريح تدور حول نفسها كالمنارة فأكثر تولدها من تقابل ريحين مختلفى الهبوب » .

المصطلحات اللغوية والملاحية

ويزخر الكتاب بالمصطلحات اللغوية والملاحية التى يستطيع القارىء الفطن أن يهتدى إليها بين السطور أثناء قراءته لقصص عجائب الهند ومنها ما هو معروف ومستخدم إلى اليوم ومنها مايتوق رجال العلم واللغويون إلى معرفته . واليك جانبا من هذه المصطلحات والمفردات على سبيل المثال :

يقال جنح المركب جنوحا أى لمس اليابسة أو قاع البحر وسطحة فى الهواء

حِسُّ الموج : صوت الموج

خطف الربان يخطف خطوفا : أى نشر الشراع للابحار ومثلها شرع أى نشر الشراع أيضا

رأس الماء : هو ما نعبر عنه اليوم باسم سطح الماء

صَبى الموج بالمركب : أى لعب بها .

طرح الانجر : أى قذف المرساة (والانجر من أصل لاتينى Ancre)

عطب المركب : أى أصابها العطب

عدة المركب : أدواتها

علقت مراسيه بالمكان : أى اشتبكت مثلما تشتبك فى الشعب المرجانى مثلا

غب أو غبة وجمعها أغباب : خليج

صبر المركب : أثقله بالحجارة ليحكم اتزانه فى الماء

نجل المركب : نظفها مما علق بها من أوساخ وأعدها للسفر ومنها الصفة نجلاء

الجلبة مركب كبير من مراكب البحر الأحمر والمحيط الهندي تخاط ألواحها بالحبال وجمعها جلاب

بطن : يستعمل فى الملاحة ليدل على خليج صغير يشبه البطن يخرج من البحر إلى البر

مرسى : ميناء صغير تحميه الشعب المرجانية من ناحية البحر .

كما يحتوى الكتاب أيضا على كلمات أعجمية دخلت العربية وكانت شائعة الاستعمال بين الملاحين منذ ألف سنة وأكثر ، ومنها ما هو مشتق من الفارسية مثل :

ناخداه أو ناخودا : وهو سيد المركب أو صاحبها وتطلق مجازا على الربان أيضا .

اشتيام : وهو رئيس الملاحين أو الربان ويسمى أيضا المعلم وتطلق الأخيرة على المهرة من أرباب الصنائع .

نارجيل : شجر جوز الهند

ومن المصطلحات ما هو مشتق من الهندية مثل :

قرينة السفينة أو سيفها: وهى العمود الفقرى للسفينة الذى تثبت الألواح عليه وتبقى كالسيف فى قاع المركب وتكتب أيضا بالكاف « كرينة » وهى من كرانا الهندية .

زام : وجمعها أزوام وهى وحدة للمسافة تساوى مسيرة ثلاث ساعات بالشراع أى ما يقرب من ١٢ ميلا

بارجة : سفينة هندية وأصلها بيرجة أو بيرة

دونيج : وجمعها دوانيج وهى القوارب الصغيرة

باناني : بحار صغير القدر على السفينة .

بلنج أوبلنك : وهى قمرة السفينة ويظن أن أصلها يرجع للغة الملايو

ثلاج : كلمة هندية تعنى البركة أو المستنقع .

اللغــــة العــــربيــة والمصطلحـات العلمية

بقيت كلمة لابد منها قبل أن نختم هذا المقال تتعلق بلغة تدريس العلوم الحديثة والتقنية فى الجامعات . والحق أن واقعنا أمر مؤسف مخز حين نرى أغلب الجامعات العربية تقوم بتدريس الطب والهندسة وما اليها باللغات الأجنبية : بالفرنسية فى جناح الأمة العربية فى المغرب وبالانجليزية فى جناحها فى المشرق بما فيها أغلب دول الخليج .

ولقد نسينا أو تناسينا أن اللغة العربية لغة حية دقيقة متطورة استوعبت المصطلحات العلمية والتراكيب الفنية الأجنبية فى علوم اليونان والسريان والهنود والفرس واللاتين منذ أكثر من الف سنة وأغلب هذه المصطلحات والتراكيب لم يكن معروفا لدى العرب من قبل . وصارت اللغة فى نحو قرن من الزمان فى صدر الاسلام لغة عالمية تؤلف بها علوم الدين والسياسة والفلسفة والتجارة والادارة والطب والفلك والرياضيات ، واستطاعت أن تفرض نفسها على اللغات المحلية فى الأمصار بل وقضت تماما على لغات كالسريانية . وما لم يجد له العرب من المصطلحات العلمية أو الفنية مثيلا فى لغتهم اشتقوا له بديلا أو نحتوا له اسما على صورته أو حتى اخذوه كما هو مثلما فى كلمات فيزيقا واسطاطيقا وموسيقى وهيولى وغيرها ، حتى فى المصطلحات الملاحية لم يجد الملاحون العرب حرجا من استخدام كلمات هندية وفارسية فى لغتهم كما رأينا آنفا .

وفى عصر النهضة العلمية المصرية التى اعقبت خروج الحملة الفرنسية من مصر كان محمد على يعين المترجمين للأساتذة الأجانب لترجمة محاضراتهم فى الطب والهندسة على الطلاب ثم أرسل البعثات العلمية لأوربا وعاد أعضاؤها وفى حقيبتهم الكثير من الكتب المترجمة للعربية أو مشروعاتها فى شتى العلوم والفنون وذلك فى الثلث الأول من القرن الماضى الذى واكب صحوة بلد نام آخر هو اليابان ـ فأين نحن الآن من اليابان وعلومهم كلها ومدارسهم وجامعاتهم تدرس باليابانية وهى لغة لا يفهمها من سكان الأرض قاطبة سواهم وحدهم ولكن ذلك لم يمنعهم من غزو العالم ببضائعهم .

ومما يبعث على الأسى والخجل أننا نسينا أو تناسينا أمر استخدام اللغة العربية للتدريس فى الجامعات والمعاهد العليا فأصبحنا نغط فى سبات عميق منذ أكثر من خمسين سنة واذا استيقظنا من سباتنا لفترة فإننا لنجادل بعضنا فى نفس الموضوع : أيهما أفضل هل نعرب الطب والهندسة أم ندرسها باللغات الأجنبية ؟ وكل فريق يدلى بنفس الحجج وهكذا دواليك يأخذنا الحماس لفترة ثم يخبو ونحن فى مكاننا « محلك سر » واذا بحثنا فى لب المشكلة لوجدنا أن أغلب المعارضين لفكرة التدريس فى المعاهد العليا والكليات العلمية بالعربية هم أولئك الأساتذة الذين لا يعرفون لغتهم ولا يجيدون حتى تلك اللغات الأجنبية التى يتشدقون بها ويتعللون بنقص المراجع باللغة العربية أو يلقون بالمشكلة على عاتق مجامع اللغة العربية والواقع أن الصلة مقطوعة بين هذه المجامع وبين الأساتذة الممارسين للتدريس بالفعل لا ندرى عن عملهم شيئا ولا يدرون عن عملنا شيئا مما فتح باب الاجتهاد الشخصى فى التعريب فأصبح للكلمة الواحدة أو المصطلح الواحد معنى فى بلاد الشام وآخر فى مصر وثالث مختلف فى بلاد المغرب وكأنما آلى العرب على أنفسهم الا يتفقوا حتى على لغتهم . ولابد من الاشارة كذلك إلى فريق ثالث من المعارضين لتدريس العلوم الحديثة بالعربية وهم أولئك النفر الذين قضوا سنوات قليلة فى معاهد الغرب ففتنوا بالحضارة الغربية وتنكروا للغتهم وأصالتهم ولووا ألسنتهم .

والأدهى والامر أن لغة الجدل قد امتدت أيضا إلى الأدب والفن فصرنا نسمع عن دعاة كتابة المسرحيات باللغة العامية وعن انصار مسرح اللامعقول والمسرح الصامت والممثل الفرد وعن أنصار فلسفات بائدة منهارة كانت نتيجة القهر الذى عانته أوربا عقب الحرب العالمية الثانية ثم صحت أوربا من غفوتها ونحن لازلنا نتشدق بهذه الفلسفات وبمعايير وأساليب فى الأدب والنقد عفا عليها الزمن .

أنور عبد العليم

الهوامش

(١) اشتيامو جمع اشتيام وهى كلمة فارسية معربة تعنى الربان الخبير بالملاحة أو المعلم وفى هذا النص نرى أن العرب قد استعملوا اصطلاح المد والجزر بمعنيين الأول هو ظاهرة ارتفاع سطح البحر وانخفاضه كل يوم وليلة مرتين تبعا لقوة جذب القمر والمعنى الثانى يفيد التيارات البحرية الناشئة بفعل الرياح الموسمية والتى تتجة نحو القارة الهندية أى الى الشمال الشرقى فى المحيط الهندي صيفا وتعكس اتجاهها فى فصل الشتاء أى تتجه نحو الساحل الافريقى أى الى الجنوب الغربى .

(٢) الدقل هو صارى السفينة فى المحيط الهندى

(٣) الجمة : قاع المركب الذى يتجمع فيه الماء الناشع من البحر ، ويتولى الملاحون نزحه كلما تجمع .

(٤) حفونى أو حافونى هى رأس جردفون على القرن الافريقى .

(٥) صادف الرحالة الاندلسى ابن جبير بحرا مضطربا أثناء عبوره من عيذاب إلى جدة فى شهر يولية سنة ١١٨٣ م (انظر رحلة ابن جبير) وقد أعجبه حذق الملاحين العرب وهم يعبرون إلى المرسى بين الشعاب المرجانية الخطرة وفى ذلك يقول « وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء (الربابنة) والنواتية فى التصرف بالجلبة أمرا ضخما ، يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد ويأتون فى ذلك بعجب يضيق الوصف عنه » وهذه شهادة طيبة لملاحى الجزيرة .

(٦) عثر (بفتح العين وسكون الثاء) ميناء صغير باليمن على ساحل البحر الاحمر .

(٧) يقول الملاح الذى أكل السمكة السامة فى هذه القصة يصف أعراض المرض « فلما حصل لحمها فى جوفى التهب فى ظهري مثل النار ثم صار بطول ظهرى كعمود من نار وانتشر فى بدنى واتعبنى ، فأنا من ذلك الوقت والى يومنا هذا على هذه الصورة » ويضيف الراوى قوله « وكان له منذ أكل السمكة سنين طويلة » ويبدو الصدق واضحا فى وصف أعراض التسمم .

(٨) هو الأستاذ جون هيل الامريكى فى كتابه المنشور بالانجليزية بعنوان « عصر الكشوف الملاحية الكبرى » المنشور فى سلسلة كتب لايف بنيويورك عام ١٩٦٦ .



دعوات في ملتقى الفجر

شعر: يعقوب السبيعي

قفي تقف الأرض والأزمنه
قفي تزهر الدُّرْبُ في لحظة
قفي تمنح الشمس أكتافها
قفي تهتك النفس أشعارها
قفي يهدم القلب أضلاعه
لقد كان أنسك يجتاز من
وتبدي قلوب هواها الذي
أرى كل أزمنة النور في
فأهرب منها الى حالة
اليك فأنت يقين مضى
وأسعى لمرآك من منتهى
تدل عليك المنى مثلما
ويخضع لي الدهر في رحلتي
أنادي ولا صوت لي خارجي
قفي واسفري أن لي نظرة
وقوفك وصل كريم لمن
وان حياة هوى شطرها
فويل لها ان بي غير ما
اذا امتنعت في المنى رغبة
ستقنع مني برجع الصدى
قفي ، يبلغ الكون غاياته

وتسعى لموقفك الأمكنه
وتغرق في عطرها سوسنه
لأدنى أمانينا الموهنه
وبهجر كامنها مكمنه
ليبني على موقف مسكنه
بعيد مسافاتنا المحزنه
يصح بأعماقها المثخنه
غيابك سوداء مستهجنه
من الوجد ترحل بي مذعنه
ليصنع مجد الرؤى المؤمنه
وجودي ، ومن آخر الأزمنه
تدل على نارها الأدخنه
لأقطع في كل يوم سنه
شموخ فمي يعجز الألسنه
ترى الله ميسرة ميمنه
يرى البعد مبخلة مجبنه
ولم تقفي ، لم تكن محسنه
تراه من الخيبة المعلنه
فعندي لها ثورة ممكنه
اذا هتفت نزعة الهيمنه
ويغفو على كفك اللينه

الكويت

أحمد محمّد عطيّة

أمين صالح
صوت منفرد في أدب البحرين



• أمين صالح

أمين صالح أديب عربى مجدد ، وصوت خاص منفرد فى أدب البحرين القصصى . له حتى الآن أربع مجموعات قصصية : « هنا الوردة .. هنا نرقص » (١٩٧٢) ، « الفراشات » (١٩٧٧) ، « الصيد الملكى » (١٩٨٢) « الطرائد » (١٩٨٣) ، ورواية « أغنية ألف . صاد الأولى » (١٩٨٢) . اتهمه نقاده بالغموض والتغريب والتعالى على الواقع المحلى وعدم استيعاب قضاياه الاجتماعية . أما هو فقد دافع عن نفسه قائلا : « الكثيرون لم يستوعبوا قصصى لأنها ـ حسب وجهة نظرهم ـ غامضة .. ما أريد أن أوضحه هنا ، هو أننى لم أكن أصوغ عالما مألوفا بمعالمه ومنشآته وشخوصه الواقعية المعروفة ، وانما كنت أصوغ واقعا آخر ، واقعا قصصيا ، غير منفصل حتما عن الواقع الذى نعيشه . فالجذور واحدة ، والقوانين والعلاقات كذلك ، الاختلاف هو فى طريقة العرض والتناول ، ولم أكن أسجل الأحداث اليومية التى يشاهدها أو يقرأ عنها الناس ، بقدر ما كنت أقوم بعرض لصراع الإنسان ضد واقع يمارس ضده شتى أنواع القهر ، وذلك فى شكل قصصى ، مهتما بخلق الصور القصصية التى تعبر عن ذلك » (مجلة الاقلام مايو ١٩٨٠) .

فقد تسبب اتجاه أمين صالح للتجديد والبعد عن النقل الفوتوغرافي التقليدي للواقع في اتهامه بالتغريب والتعالي على الواقع والبعد عنه ، كما كتب الكاتب البحريني عبد الله خليفة قائلا : « قاد تجريد الشخصيات والأحداث من واقعها المحلي والعربي الكاتب إلى سيطرة أجواء قراءاته ومشاهداته لنتاج الثقافة الغربية . كان التصور السابق أن القاص يقطع الجذور الاجتماعية والوطنية لكائناته الفنية أنه يجعلها مطلقة ، مجردة ، غير محددة الجهات ، ولكن اتضح أن ثمة واقعا آخر يجذبها ، ويجعلها تدور في فلكه ،فغدت هذه الكائنات تعيش في أجواء غريبة ، فانقطعت عن واقعها الذي تستمد منه الماء والضوء » . (مجلة الكاتب العربي العدد الرابع ١٩٨٢) .

في حين قال الناقد السوري عبد الله أبو هيف : « ليس التجريب كله نافعا ، وليس التجديد كله مناسبا ، ولابد للقاص أن يحتضن شواغل جماعته الانسانية داخل عملية السرد مما يوفر لإبداعه صيرورة شاملة للوضع الاجتماعي والسياسي بعد ذلك ، وهو ما تجاهله أمين صالح أثناء تجربة الكتابة » (المرجع السابق) .

والناقد الوحيد الذي أنصف أمين صالح هو الناقد البحريني ابراهيم عبد الله غلوم الذي تحمس لتجربته القصصية الجديدة قائلا : « إنها تجربة تنحو نحو ازاحة كثير من تراكمات التراث الواقعي التقليدي ، وتتخطى المعوقات التي تفرضها المقولات الواقعية الجامدة لانها بما تتفتح عليه من قيم ووسائل ، وبما تمنحه من حرية سنجدها تحرر العمل القصصي من تفاصيل الواقع اليومي التي أبعدته عن اكتساب الوعي الشعري بالحياة ، وتعيد خلق الواقع ، لا من خلال تفاصيله ومظاهره الخارجية ، ولكن من خلال منطقه الداخلي الذي يكشف عن حقائق جوهرية كامنة لا يمكن استبصارها بالرصد الظاهري ، بل لابد لها من وسائل تعبيرية جديدة . » (القصة القصيرة في الخليج العربي ص ٦٤٦) .

وهنا نحاول اكتشاف حقيقة التجديد في تجربة أمين صالح الأدبية المنفردة والمتميزة . ان الجديد في تجربة أمين صالح القصصية هو استبعاد الحكاية أو « الحدوته » المسلسلة زمنيا ، واستخدام مفردات الواقع ومعطياته استخداما غير واقعي في نسج علاقات جديدة متداخلة توحي ولا تصرح ، من خلال لغة غنية بالإيحاءات أقرب إلى لغة الشعر ، لغة تومئ وتعطي الانطباعات . لذا يكتنف قصصه الغموض ، ويلفها جو خاص أقرب إلى التجريد ، وفي سبيل ذلك يعمل القاص على عدة مستويات ، الوعي واللاوعي ، المونولوج الداخلي والصور المتدفقة المتتابعة المأخوذة من الواقع لتشكل لوحات غير واقعية ، ولكنها تحتج على الظلم والقبح في ذلك الواقع .

الفــــراشــات

ففي قصة « الفراشات » ، التي منحت مجموعته القصصية الثانية عنوانها ، نجد مكونات الواقع البحريني في مشاهدات امرأة لعودة البحارة إلى الشاطئ ، في حين تجوس الذاكرة في ذكريات عالم البحر وعذابات البحارة وأشواقهم . غير أن القصة تفتقد الترابط والتناغم بين مستوياتها الواعية واللاواعية ، إذ تسودها فوضى غير منظمة ، وليس تيار الوعي هو فوضى اللاوعي ، ولكنه تنظيم دقيق لما يدور في اللاوعي ، وتوظيف له .

صياغة الواقع بتفاصيل غير واقعية للاحتجاج ضده وادانته ، هذه أيضا من سمات تجربة أمين صالح المتفردة ، والتي أخذها عن التعبيريين ، كما في قصته « انفعالات طفل غير محاصر » التي تتشكل من عدة مقاطع يتنقل فيها بين الواقع المعاش والتراث العربي القديم وينتقي فيها إحدى شخصياته المضيئة أبي ذر الغفاري ، في حين تتابع صور عذابات الإنسان العربي وتعبر هذه الأقصوصة عن الواقع المؤلم في حياة إنسان قائلة : « في وطن ما ، اضطر شخص ما .. أن يبيع ذراعه الوحيدة بعشرة قروش ، وذلك بعد مساومة فاشلة (أما ذراعه الأخرى فقد نسيها يوما في أمعاء رجل سمين أثناء مشاجرة بينهما ، ويقال ان الرجل السمين يملك نصف المدينة ، ويصر على أن يمتلك نصفها الآخر) لم يكن في وسع هذا الشخص أن يفعل شيئا آخر سوى أن يبيع ذراعه ، فهناك تنتظر أفواه جائعة وحلوق جافة تقتات البرسيم وقصاصات الورق ، خلسة ، في الحظائر ، وهو يدرك جيدا أن القانون يعاقب من يعتدي على الملكية الخاصة . وفي أثناء رجوعه ، فكر الشخص في أن يشتري ـ بالقروش العشرة ـ خمسة أرغفة وطبقا من الفول ، ثم انتبه إلى أنه بدون ذراعين ، فاكتأب وجلس على الرصيف وهو يفكر في طريقة يستطيع بها أن يحمل الفول والأرغفة إلى زوجته وأطفاله » . (الفراشات ص ١٦ ، ١٧) .

ويسيطر جو الرعب وصيغة الحلم على قصص أمين صالح ، كما هو الحال في قصص التعبيريين ، احتجاجا على الواقع المخيف ، كما في قصة « اللافتة » وبطلها كهل يحمل لافتة مدونا عليها كلمات لبريخت في مسرحيته « جاليليو » ، الكلمات تقول : « لتكن الأشياء كما هي .. ولكن ليس هذا سببا من أجله تظل كما هي . ان كل شيء في حركة . » وعندما يسأله الشرطي : « هل تعتقد أنك وحدك ستغير العالم ؟ يجيبه الكهل « لا ولكن لا أريد أن يغيرني العالم » ويحدثنا مونولوجه الداخلي عن رفض ما يجري حوله ويلتقطه شخص الراوي في القصة من الطريق لينام في بيته في صمت داخلا خارجا حاملا لافتته الاحتجاجية . أما الراوي فإنه رافض للبلادة في واقع حياته كموظف في احدى المؤسسات المرفوضة من قبل الكهل ، إنه يحلم بتنظيم هذا العالم البليد : « « أذهب إلى العمل متأخرا كالعادة وأتبادل مع الموظفين أحاديث أليفة وأشرب الشاي وأفتح السجلات والملفات وينتابني الضيق والملل وأسأل نفسي : ماذا يحدث لو تحولت إلى مسخ يقرض المقاعد والسجلات بشراهة ؟ » (الفراشات ص ٢١) بينما يمضي الكهل حاملا لافتته الاحتجاجية ويلقى مصرعه بحربة ضارية في ظهره « وعلى مقربة منه ترقد اللافتة ملطخة بالدم ، فاغرة الفم في تساؤل مرعب » (الفراشات ص ٢٢ ، ٢٣) .

وأمين صالح لا ينقل الواقع ولكنه يعيد صياغته بانتقاء الصور الواقعية وغير الواقعية ، الممكنة والمستحيلة ، كما يفعل التعبيريون مغنيا عمله بالتصوير وليس بالسرد ، ويتميز احتجاجه بالوعي والعمل ضد صور القهر والاستغلال والكبت والظلم . وتمثل قصته «ارتجافات عناقيد الماء في الهواء » هذا النهم القصصي في اعادة صياغة الواقع والحلم بواقع جديد ، كما تحلم « أسماء » بطلة القصة التي سجن ابنها .

ويلعب الاطفال دورا هاما في قصص أمين صالح ، انهم البراءة والامل والرؤية الثاقبة ، كما في قصة « الأشجار تزهر في الحي الهادئ » حيث ترسم الطفلة الوردة وتسلمها للحارس كي يرسلها لأبيها ، غير أن الحارس المعادي للجمال والطفولة والبراءة يمزق الورقة المرسومة ويلقي بها تحت عجلات القطار الحديدية الحادة . « وفي داخل القطار مسافرون فقدوا ذاكرتهم .. وداعا . » وهنا يتشكل الواقع في صور جديدة « فطائر البحر يجهش بالبكاء معظم الوقت » ، « وفقد اللعب براءته » ، و« شاخت الطرقات » . ورسمت الطفلة وردة مرة أخرى في جوفها شمس تضحك . « ثم جاء أبوها وداعب صدغيها فنزعت خصلة من شعرها ووضعتها في راحة يده التي صارت واحة فسيحة على حوافها تنمو أشجار ، والأشجار تزهو في الحي الهادئ الذي لم يعد هادئا منذ أن خرج الأهالي من بيوتهم ثم التفوا حول سارية ايار ، وأعلنوا موت الصبر والخوف وقالوا : نريد قمحا . فاستعان أصحاب الأراضي بالجنود ، والجنود جاءوا بعد أن أمروهم باستعمال القوة عند الضرورة ، واستعملوا القوة ، وسقط رجل ثم نهض ، وسقطت امرأة ثم نهضت ، وسقطت الطفلة ثم نهضت ورسمت على سارية ايار شمسا تضحك داخل وردة ، وأخبرت أمها أنها رسمت وردة أخرى » (الفراشات ص ٣٥) وهكذا فالأمل في مستقبل أفضل وفي امكانية صنعه وارد دائما في قصص أمين صالح التعبيرية . فهو لا يبتعد عن

الواقع ولكنه ينطلق من صميم الواقع ليعيد خلقه وابداعه ويتمثل فى نهجه الانتقاء والابتكار والخلق الجديد . ولعل غرابة الصور غير الواقعية واعادة تركيب الواقع بشكل تعبيرى هو الذى صدم نقاده الواقعيين الذين ألفوا السير على الواقعية التقليدية .

التعبيرية

تتميز قصص أمين صالح بالتعبيرية ، بتطويرها للواقعية واطلاقها العنان للخيال . فهى تقدم الواقع بتصوير واقعى لا يعنى بوصف تفاصيله المعروفة ، بل تتمثل الواقع وتعبر عنه من خلال رؤية القاص وتعيد خلق الواقع وصياغته بغية سبرغوره والكشف عن جوهره وعن بذور المستقبل الكامنة فى طياته .

والتعبيرية ظاهرة فنية وأدبية ظهرت فى ألمانيا فى أوائل القرن العشرين كاحتجاج على افتقاد الانسانية وضياع الإنسان فى المجتمع الاوروبى ، ورفضا للمصير الذى يساق إليه الإنسان فى اتون اشعال نيران الحروب الاستعمارية وسيطرة المال والآلية والنفعية وضياع الإنسان فى المدن الكبرى وسطوة أجهزة القمع والتعذيب . وتطلعت التعبيرية إلى انسانية جديدة يتحقق معها كبرياء الإنسان وكرامته وأمنه وأفراحه . وقد أبدعت التعبيرية أعمالها فى الرسم والنحت والشعر والقصة والرواية . وتميز انتاجها القصصى بالإنجاز والتكثيف والدفقة الشعرية والعناية بالخيال . ويذكر الدكتور ناصر الحانى ، فى كتابه « المصطلح فى الأدب الغربى » ، « أن الاسلوب التعبيرى عنيف ولا يعرف الانسجام والتنسيق » ويضيف : « ويعنى التعبيريون عناية فائقة بالخيال الذى يصير الجماد ذا حياة ويصف الإنسان وقد صيرته المكائن والآلات جمادا لا حياة فيه . » (ص ٣٦ و ٣٧) .

وتميزت التعبيرية أيضا بالعناية بالأطفال ورسومهم وأدبهم ، وبالشعر والاحتجاج على نوعية الحياة المدنية البورجوازية وبالتعلق بفكرة اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة . ويوضح الدكتور عبد الغفار مكاوى ، فى كتابه « التعبيرية فى الشعر والقصة والمسرح » ، أن التعبيريين عملوا على « التغلغل إلى الأعماق الدفينة فى الإنسان ، بكل ما يختلج فيها من ظلال وأسرار وإحساسات مبهمة . وفضلوا التدفق المحموم على الوضوح الصارم ، والنشوة والعنف على التعقل والنظام . » (ص ١٢ و ١٨) .

وقد اهتم التعبيريون بتيار الوعى والمونولوج الداخلى وتناول المحال كما لو كان حقيقيا . كما قال الكاتب الالمانى التعبيرى « كارل انيشتين » : « يجب أن نتناول المحال (أو العبث) كما لو كان واقعة حقيقية . » ولعل أشهر الكتاب وأقربهم إلى التعبيرية هو القاص والروائى « فرانز كافكا » . وقد اشتهرت قصص كافكا ورواياته برواية « تفاصيل دقيقة عن حادثة غير واقعية » كتحول القومسيونجى فى قصته « التحولات » إلى خنفساء وآثار هذا التحول على العالم الخارجى المحيط به فى العمل ومع الأسرة والأصدقاء . وهذا هو ما يفعله أمين صالح فى قصصه التعبيرية .



الصيد الملكى

ويجنح أمين صالح فى قصص مجموعته الثانية نحو التركيب والتعقد ، ويزداد عالمه المنفرد تميزا بتراكيبه الواقعية والمستحيلة ، مطلقا العنان للخيال ، منطلقا من الواقع المدان لديه ، كما فى مجموعة حكاياته « مواكب لساكنات التلال » ، فى هذه الحكايات يكشف القصاص شخصياته ونوازعها المكبوتة ، مستعينا بتراكيبه اللامعقولة على إدانة الواقع . الشخصيات بلا أسماء ، ومع وجود القص والحكى الا أن الصور غير المعقولة تفتقد الحكاية المسلسلة والزمن المحدود .

ففى الحكاية الاولى « فى مكان ما ، فى بيت مهجور وفسيح » ، يهتم حارس ليلى بامرأة ويتابعها من ثقب الباب فى غياب زوجها ، ذلك الزوج الطيب الذى يتبرع من راتبه المحدود لأهل زميله المعتقل سرا ، وبينما الزوج فى عمله الشاق المرهق ، يحاول الحارس الاعتداء على الزوجة فتطعنه الزوجة بسكين حادة دفاعا عن نفسها . وفى حكاية « الفارس يعبر .. ويدخل من النافذة خلسة » ثمة فارس للسيرك ، يمارس عمله بنجاح ليحضر عشاء كل ليلة إلى زوجته فى نهاية كل عرض ، حتى يدعوه صاحب السيرك لتقديم عروضه لجمهور خاص مكون من ثلاث شخصيات ، الجنرال والمأذون والمقاول ، وذلك مقابل أجر سخى ، فوافق فارس السيرك ، فى حين أصيب الأطفال فى السيرك بخيبة الامل لغيابه : « لو أتيح له أن يشهد عيون الاطفال المأهولة بالخيبة وقت غيابه ؟ لو تريث قليلا وسأل ..؟ » (الصيد الملكى ص ١٧) وعندما يقدم الفارس عروضه يفاجأ بأنه وقع فى مصيدة وأنه معتقل ومجبر على تقديم عروضه فى سجنه لتسلية الجنرال والمأذون والمقاول ، وتتفرع ثلاث حكايات فرعية تكشف بشاعة تصرفات هذه الشخصيات ولا معقوليتها ولا انسانيتها ، حتى تنهيهم الزوجة بقتلهم .

وفى قصة « بابا نويل لا يحب الدمى » يعبر أمين صالح عن كراهية صبى لأبيه لانه طرد أمه وأوهمه بوفاتها فى هذه الصورة : « هناك رجل ممدد على ظهره فى الحظيرة ، أشبه بالميت ، أو ربما هو ميت . انه ساكن تماما . وفوق صدره يجثم ديك وينقر عينيه على مهل . يرتفع المنقار فيتقطر الدم قطرات قطرات على وجه الرجل . وبين الفينة والفينة يحرك الديك رأسه يمينا ويسارا متباهيا بانتصاره وسطوته . غير أنه لا ينتبه لوجود صبى فى العاشرة من عمره يقف خلف السياج واضعا يديه فى جيبى بنطلونه ، وينظر دونما اكتراث . يستمر الديك فى التهام المقلتين والجفنين ويبدأ فى محو الأهداب ، ولا يكف الا بعد أن يصير موضع العينين مجرد حفرتين صغيرتين عميقتين يفور الدم منهما بغزارة عندئذ يشعر بحضور شخص ما ، فيلتفت نحو الصبى الذى لا يبدو عليه أى انفعال . يرمقان بعضهما لفترة ثم يغمز الديك فيبتسم الصبى ويغمز له بدوره ، بعد ذلك يستدير متجها صوب البيت وهو يصفر مغتبطا ومنتشيا . صرخ الاب بقسوة ! لماذا لا تأكل ؟ رفع الصبى بصره عن الأطباق الموضوعة أمامه على المائدة وهمس بصوت مرتعش : لقد شبعت ياأبى . هم بأن يقول له بثبات ودون وجل (لقد رأيتك يا أبى ميتا والديك يأكل عينيك) ، ولكنه آثر أن يصمت خوفا من أن ينال صفعة أو يتلقى شيئا حادا فى مكان ما من جسمه . (الصيد الملكى ص ٤٦ و٤٧) وتمضى القصة برفض الصبى لهدايا بابا نويل لأخته ثم استيلائه على مسدس أبيه واطلاقه الرصاص فى الهواء على كل هذا العالم .

هكذا يفرز الواقع قصصا مرعبة فى مخيلة القصاص أمين صالح . ويستمر هذا المناخ الكابوسى فى قصصه ، كما فى قصته « للشهادة أيضا مداران » التى تعبر عن صدمة الصيادين بواقع جثة رجل مشوه الوجه بالطعنات فى شباكهم بعد أن صورت القصة خروجهم للصيد جماعات فى البحر والحلم بيوم وفير الصيد بأسماك البحر . ويفر الصيادون رعبا من الجثة ، فى حين يظل « يونس » مع الجثة التى تخاطبه وتطلب منه اللعب معها ، ونرى الجثة تنهض وتجرى ثم تهبط ليحتويها الحوت .

وفى قصة أمين صالح يتجاهل الجميع الجثة ويحتويها الحوت . وفى هذه القصة « للشهادة أيضا مداران » يتحدث الحوت عن الحقيقة كاملة قائلا : « جاءنى يخبىء جراحه تحت سترته ،









أغلفة المجموعات القصصية الثلاث التى صدرت لأمين صالح .. وغلاف رواية « أغنية الف صاد »

والعرق ينضح بغزارة من جلده وهمس : (أغثنى ، دعهم يكفون عن ملاحقتى .) ربطت جبينه بقماش مبلل ومسحت على أنفاسه لئلا تجهده الحمى ، بعد قليل غاب عن الوعى واستسلم لعربدة الهذيان ، تراءى لى أنه بلا بيت ولا أصدقاء ، الا أنه ليس كذلك ، فقد أخذ لسانه يدون أسماء وتواريخ وطرقات سمعت عنها . خلته سيموت فى حضرتى : غريقا ، نائيا عن كل شىء ، محروما من صلاة يتيمة أو دمعتين حبيبتين . من يكون مثلى لا يخذل لاجئا ، أنا الرابض خارج التناقض والصراع ، أتفرج دائما وأتدخل أحيانا ، وبالذات فى مثل هذه الظروف ، أجزم : هذا رجل لم يضل طريقه ولكن ضله النصر . سأحمله إلى الجانب الآخر كى يحتفل به معارفه ويشاطروه لحظاته الأخيرة . » (الصيد الملكى ص ٧٦) بهذا تحدث الحوت فى قصة أمين صالح .

الطـرائـد

وفى أحدث مجموعاته « الطرائد » تميل قصصه إلى القصر والتكثيف والشاعرية وتقل مظاهر الغموض والابهام ، ومن ثم يظهر السرد القصصى بدلا من المونولوج الداخلى ، ولكن تظل للقصة ايقاعاتها الموسيقية والشعرية ، كما يتمكن القاص من محدودية الزمن والموقف . فتصور قصة « موعد للقاء ، موعد للفراق » لقاء بين حبيبين لفهما الصمت والذكريات والحلم ، وتصور القصة من خلال صمت الحبيبين ذكريات الحب الجميلة عبر صور متدفقة ، ثم يطول الصمت بينهما إلى حد يحتم الافتراق فيفترقان بدون كلمة واحدة متبادلة . « أخيرا ، قامت ، وبوقوفها شطرت كل الأشكال التى رسماها سويا . عندئذ تعرت الأماكن ، طمست الطرقات رفيف رجل وامرأة اعتادا السير معا ، رذاذا سقطت المرآة فتناثرت الانعكاسات وذابت الصور . راقبها وهى تغيب ، تغيب ، تغيب .. ثم نهض بدوره وغاب . فى هذا المكان ، جاء الرجل ، وبعده جاءت المرأة . مكثا جالسين دقائق ثم مضيا كل فى طريقه دون أن ينطقا بكلمة » (الطرائد ص ٩) .

وتعبر قصته « المطهر » عن رجل سئم حياته اليومية ومدينته ، وتعدد القصة مظاهر السأم والاحباط من التكرار اليومى لعاداته حتى خرج على عاداته ومواعيده فتأخر فى الاستيقاظ من النوم ومزق وجهه بشفرات الحلاقة فأغرق قميصه بالدم ، وخرج بدمه غير مبال بملاحظات الناس ودهشتهم لمظهره الدموى ، « انه يعبر عن ازدرائه لكل من يصادفه ، من بشر وحيوانات وأشياء ، بنظراته الباردة والتواء شفتيه ، بوسعه أن يركل قطة بلا خوف من راصد يرصده ، بوسعه أن يهجم على شرطى المرور ، بوسعه أن يلجم الاسفلت ويحوله معجونا يكوره ويقذف به على سطح عمارة يفجرها . ولكنه لم يفعل شيئا من هذا القبيل ، وانما ظل سائرا » (ص ١٢) وتختتم القصة بانتحار بطلها تحت عجلات الباص ، و« الذين شاهدوا الحادث أقسموا انهم سمعوا الرجل ينشج ، وأن دموعه فضحت المظهر الذى كان يتقنع به ، وبدا كطفل ضائع فقد أمه فى محطة ما » (ص ١٣) هكذا تحتج القصة على ضياع الانسان ووحدته وقهره فى عالم المدينة الحديثة ، بالصور والموقف وأقل الكلمات والزمن المحدود واللحظة المكثفة والمعبرة .

فشخصيات أمين صالح شخصيات معذبة ، وهى فى كشفها لعذابها ومعاناتها انما تعرى الواقع الذى تعيشه مرغمة . وهى شخصيات بلا أسماء ، ايماء لعموميتها وتمثيلها لأزمة الانسان فى احباطاته وتمزقه وحصاره ، كما ظل الشاب المجهول ينزف فى قصة « امرأة خلف النافذة » ، الدماء تنزف من جسده بعد طعنه ، وعدم جدوى الاستغاثة فلا أحد يبالى به : « إنه يدرك جيدا استحالة وصول الاستغاثة ، فلا أحد يصغى ، والنزف أرهق جسده وعطل عضلاته . لقد أطلق الصرخات فور تلقيه الطعنات ولكن لا أحد استجاب » (ص ١٦) لم يشعر به أحد رغم أن دماءه النازفة أخذت تغمر الأرض والجدران ، حتى أطلت امرأة جميلة من نافذة قريبة تشير إليه غير شاعرة بأنه يموت .

أغنية أ . ص

وفى روايته « أغنية ألف صاد . الأولى » يواصل أمين صالح تركيب عالمه التعبيرى المنفرد مجسدا محنة الانسان المعاصر وانسحاقه فى دوامة الحياة اللانسانية وطموحه لعالم جديد مغاير . وفى هذه الرواية يضرب أمين صالح عرض الحائط بكل أسس الرواية المتعارف عليها فى العالم ، فلا شخصيات محددة المعالم ، ولا زمن ، فالامكنة والازمنة متداخلة ، والواقع المصور مضطرب مختلط ، الممكن والمستحيل جنبا إلى جنب مع المعقول واللامعقول .

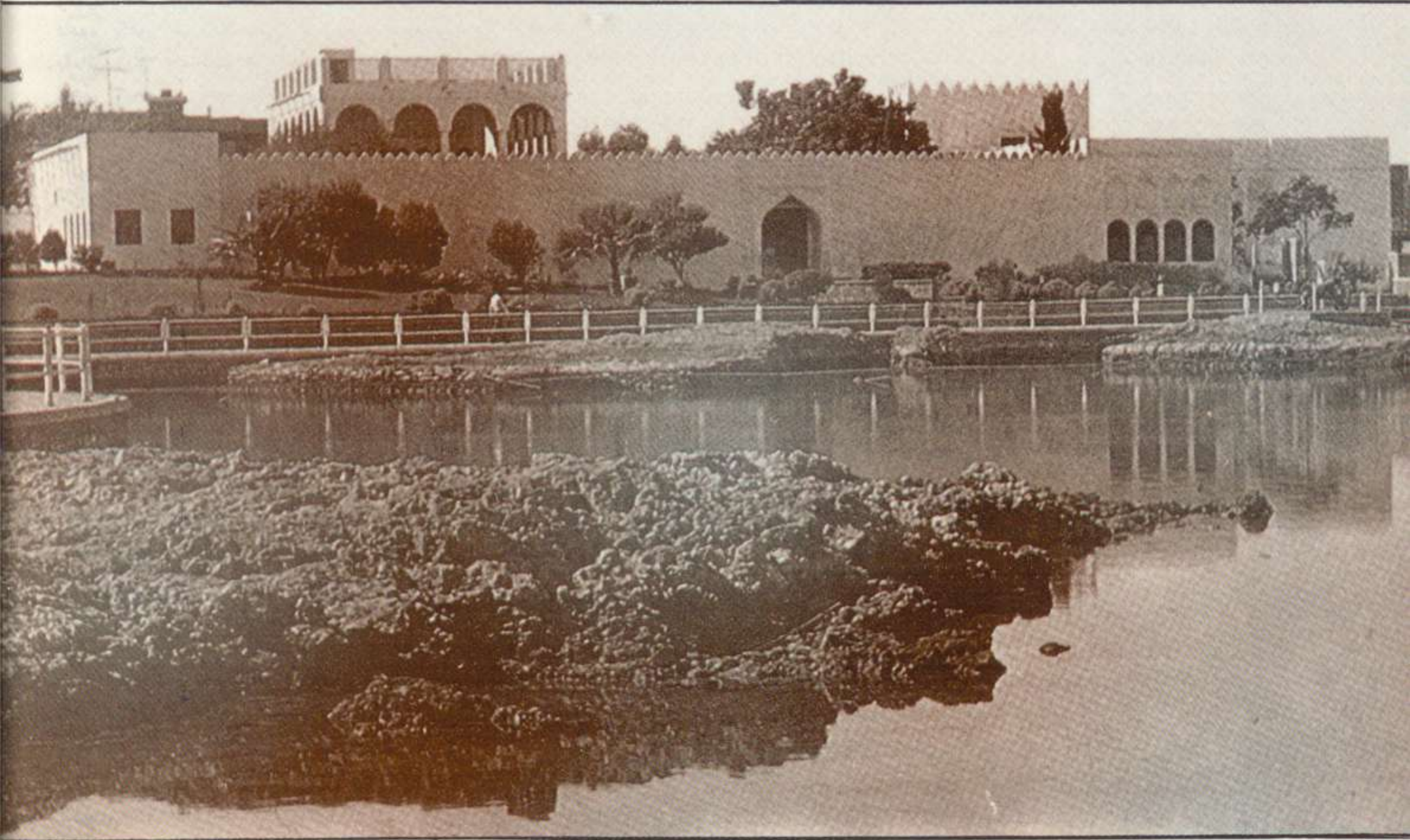
وقد تحدث أمين صالح عن شخصياته قائلا : « أنا اختزل كل الأسماء ، وكل الأوصاف فى كائن بشرى معين ، هذا الكائن أو هذا الانسان ــ سواء كان رجلا أو امرأة أو طفلا ، يعبر التخوم والاسوار . انه يعاشر الشجر والبحر والأرض والفضاء والصحراء ، ينام فى الغابة وفى المجارى ، يرافق الوقت ، يسامر النجوم ، إنه ليس شخصا ولكنه كل شخص يحتوى هذه الصفات وهذه الخصائص . وإذا كان لابد من وضع اسم لهذا الرجل أو هذه المرأة أو هذا الطفل فليكن أ . ص ولكن دون جواز سفر أو بطاقة شخصية . أمام الخوف واليأس والإحباط والاغتراب ، لا تهم الاسماء » (الاقلام مايو ١٩٨٠) ومن هنا جاء اسم « أ . ص » ، إنه تجميع لشخصية الانسان المعاصر المغترب المحبط المسحوق تحت وطأة الآلية والوحدة واللاإنسانية .

تعتمد الرواية على بناء من الصور غير المعقولة ، التى يقصد بها الاحتجاج ورفض الواقع العربى المعاصر ، وفى بعض الفقرات يستخدم الكاتب بعض المعلومات الوثائقية والاحصائيات ويلعب الخيال الدور الأكبر فى صياغة هذه الصور .

فنحن نتابع كل أزمان الانسان المعاصر ، من خلال شخصية « أ . ص » بطل الرواية العام وسرده المصور وصوره المتداخلة مع الامكنة والازمنة المتغيرة ، والتى تفتقر إلى التضافر والتمازج ، بحيث تعدو هذه الرواية القصيرة (٩٦ صفحة) مفككة البناء ، مسطحة الشخصيات ، طموحه لاستيعاب هموم الانسان المعاصر . فهذا هو عالم أمين صالح وصوته المنفرد فى أدب البحرين القصصى .

أحمد محمد عطية

المتحف والبحث العلمي



واجهة متحف قطر الوطني الشرقية ، حيث يبدو جانب من بحيرة المتحف التى يستخدمها البيولوجيون لإجراء بحوث علمية فى استزراع الأسماك والقشريات

يرجع ثقاة المؤرخين ، أن أول متحف علمى عرفه الناس ، هو ذاك الذى أنشأه بطليموس سوتر الأول (٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق.م) بمدينة الاسكندرية ، على ساحل البحر المتوسط ، بحر الروم ، قرب الركن الشمالى الغربى لدلتا النيل ، بمصر .. وجعله بمثابة (جامعة مفتوحة) لدراسة الفنون والآداب والعلوم ، وأودع فيه كذلك معرضاً لكل ماكان قد جمعه الاسكندر المقدونى فى مختلف حروبه من المخطوطات ، وبدائع المصنوعات ، وغرائب المخلوقات ، ونوادر المقتنيات من الجواهر والعطور والدروع والسيوف والحراب والمجانيق والسروج ، واللجم ..

بقلم: درويش مصطفى الفار

سمى بطليموس ذلك المتحف باسم ، لم يسبقه إليه أحد ، اتخذه تيمناً بالميوزات التسع ، الأصنام التى كان الأغريق يتخذونها ، فى وثنيتهم ، آلهة من دون الله ، ويرمزون بها ، للموسيقى ، وقصص الأبطال ، والحب ، والشعر ، والخطابة ، والتاريخ ، والمسرح ، والرقص ، والفلك ، منذ كان تنجيما ورجماً بالغيب .. فسماه (الميوزيون) ، ثم حرف الرومان تلك التسمية فأصبحت (ميوزيوم) بمعنى مكتبة أو معهد دراسي يعمل فيه البرزون من العلماء والباحثين ..

ولقد اشتهر من بين علماء (متحف الاسكندرية) ذاك ، جماعة لا ينساهم تاريخ العلوم ، فيهم أرشميدس (٢٨٧ ــ ٢١٢ ق.م.) ، واقليدس (٣٠٠ ق . م .) ، وأبو للينوس (٢٦٠ ــ ١٩٠ ق . م .) واراتو سثينوس ، وهذا الأخير ، هو أول من حاول قياس محيط الأرض بتجربة مشهورة باسمه فى تاريخ العلوم ، قام بها بين الاسكندرية وأسوان (٢٧٦ ــ ١٨٤ ق .م) ..

واختفت كلمة (ميوزيوم) بعد خراب متحف الاسكندرية ذاك ، من جراء القلاقل والفتن والاضطرابات والحروب والثورات التى ضج بها القرن الثالث الميلادى ..

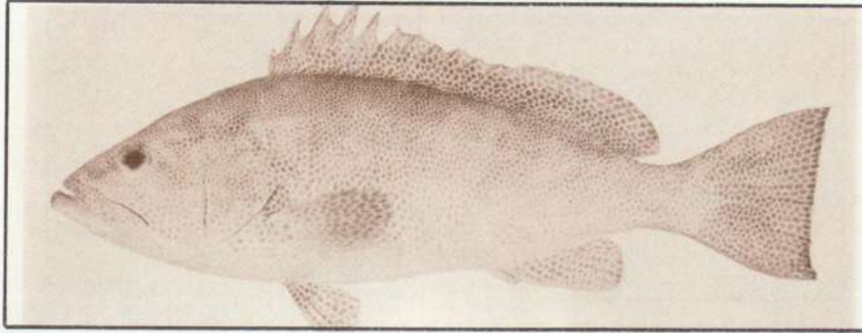
ثم عادت الكلمة الى الظهور فى القرن السابع عشر ، فى أوروبا وأمريكا ، ولا أدرى متى استخدمت كلمة (متحف) فى لغتنا ؟!!

وتنتشر المتاحف اليوم فى أنحاء الدنيا ، لا يحصيها عد ، ويكفى أن نتبين ذلك مما كتبه (ادوارد الكساندر) سنة ١٩٧٨ فى كتابه (مسيرة المتاحف) حيث قال : « يبلغ عدد المتاحف بمختلف أجحامها وتنوع تخصصاتها أكثر من خمسة آلاف متحف فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وئة (مليون) زائر !!

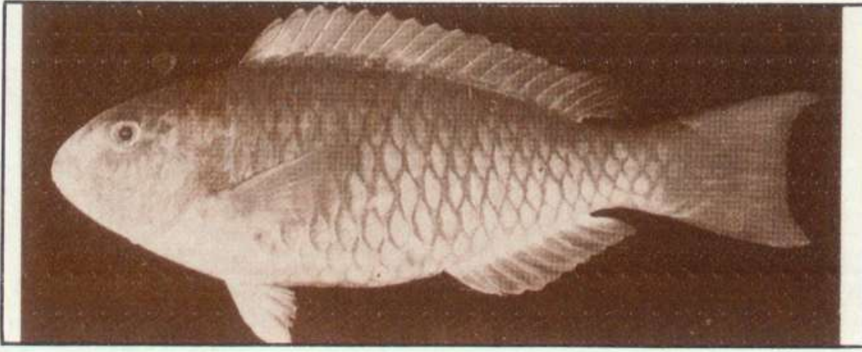
ولا يزال علماء المتاحف ، فيما بينهم ، يختلفون ، فى تعريف ماهية المتحف ، وطبيعة وأهداف رسالته فى المجتمع ، ولهم فى ذلك مجالات وطرف وملح لا تخلو أحياناً من التلاحى والصخب ..

ولقد اختط « متحف قطر الوطنى » خطته من بين تلك النظريات العديدة المتباينة ، وبلور شخصيته محلياً وعالمياً ، كمنشأة حضارية ، تحاول التعبير عن (البيئة القطرية) بأبعادها العربية والاسلامية والإنسانية ، براً وبحراً فى الماضى والحاضر ، لتخدم أهدافاً ثلاثة أساسية هي :

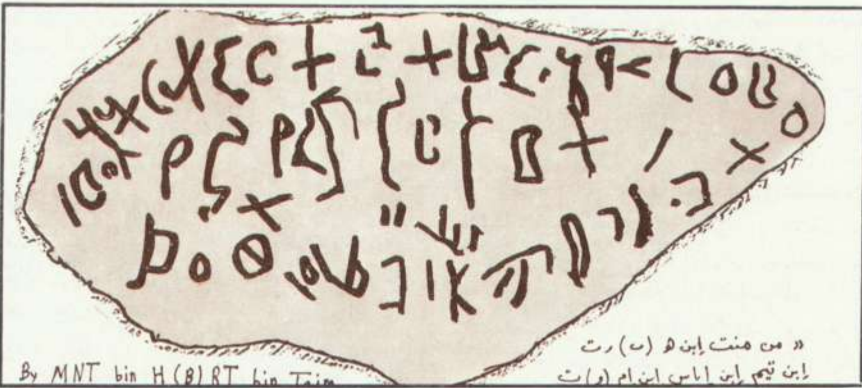
١ ــ الترويح والسياحة ..
٢ ــ التعليم والثقافة ..
٣ ــ البحث العلمى المتقدم ..



الهامور المنقط



سمكة الجين



حجر منقوش بلغة الأنباط، كان يظن أنه اكتشف فى جنوب غرب شبه جزيرة قطر، ولكن النظرة العلمية الفاحصة لهذا الحجر أكدت أنه غريب عن الطبقات القطرية، وأدى ذلك إلى معرفة أنه ليس حجرا تاريخيا قطريا بعد حوالى سبع سنوات طوال

• وذلك يعنى خدمة ، العامة ، والخاصة ، وخاصة الخاصة ، بالمقياس العلمى ..

ولقد قطع المتحف ، منذ أن افتتحه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥/٦/٢٣) شوطاً محموداً فى مضمار الترويح والتعليم ، وطرق باب البحث العلمى المتقدم ، حسب ما لديه من إمكانات متاحة فى الأفراد والأجهزة ، طرقاً هيناً ليناً ، بإصرار يصبو الى تحقيق الغرض الثالث ، ايماناً بحاجة كل المجتمعات النامية ، ومنها دولة قطر ، بادية وحاضرة ، الى انتشار روح البحث العلمى ، فى التفكير والأداء ، وعلاج المشاكل والتأمل فى بديع صنع الله فى هذا الكون الرحب ، الذى تنطق كل دقائقه وتفصيلاته بوحدانية خالقة وتفرده سبحانه ..

• فأصدر المتحف صحيفته العلمية (الريان) خدمة لنشر الأبحاث العلمية المتقدمة (باللغة

على طريق النهضة في قطر



سطح قشرة سمكة الهامور ، كما تبدو تحت المجهر الالكتروني ، مكبرة « عشرين » الف مرة !



سطح قشرة سمكة « الجين » كما تبدو تحت المجهر الالكترونى ، مكبرة (٣٠٠٠) مرة

العربية) فى كل أبواب العلم التى تمس البيئة براً وبحراً ، انساناً ونباتاً وحيواناً وجماداً ..

• ووضع مشروع (اطلس قطر العلمى) الذى تحدثت عنه مجلة الدوحة فى عدد سابق ..

• وصاغ التصور العلمى لمشروع « معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية » بحيث يصبح مركز بحث علمى يستخدم فيه الباحثون جميع أنواع الأجهزة العلمية التى يمكن أن تمت بصلة الى آفاق دراسة المسكوكات (أنظر الدوحة عدد مارس سنة ١٩٨٥) ..

• ولقد وطد المتحف ، ما وسعه الجهد ، رغم تشعب وتقليدية الأوضاع الادارية ، علاقته مع الكثير من الهيئات العلمية المحلية والعالمية ، للتعاون فى مجالات البحث والتفكير العلمى ، فكان من بعض نتائج تلك الاتصالات على سبيل المثال :

١ ـ التوصل ، ولأول مرة فى تاريخ البحث العلمى ، بالتعاون مع (كامبريدج إنسترومنت المحدودة) الى أن (قشور الأسماك) قد تصبح أداة علمية مفيدة فى مضمار تصنيف الأنواع والتمييز بينها ، إذ أسفرت دراسة قشور بعض الأنواع عن أن استقصاء أسطح قشور السمك تحت المجهر الالكترونى ، يظهر أشكالاً من التضاريس على تلك السطوح تختلف من نوع الى آخر ، وتحتاج تلك البادرة الى زيادة فى الدراسة والبحث ، للتثبت من حقيقة جدواها العلمية الاكاديمية ..

٢ ـ التثبت من احتمالات نجاح استزراع الأسماك والقشريات فى البيئة البحرية القطرية ، اذا توفر اتخاذ الأساليب والوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك الهدف الإنتاجى العظيم ، إدارياً وبشرياً وتنظيمياً ..

٣ ـ النجاح فى زراعة وتنمية الطحالب (الزرقاء الخضراء) التى تصلح غذاء للأسماك وذلك فى القسم البحرى من المتحف ..

كما وان المتحف يبذل جهداً ، قدر استطاعته وإمكاناته المتاحة ، لتجريب زراعة نباتات جديدة فى حديقته ، بحيث تصبح هذه الحديقة فى خدمة غرضين متكاملين ، الغرض الجمالى والغرض العلمى ..

ومن طريف ما صادفه المتحف ، فى أثناء تناوله لقضية البحث العلمى بين جدرانه ، الكشف عن حقيقة حجر منقوش بلغة الأنباط ، حصلت عليه لجنة المتحف أثناء اضطلاعها بتجميع المعروضات فيما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ ، ووضع فى ركن خاص من المتحف باعتبار أنه نقش نبطى وجد فى تلال جنوب قطر ..

ومن منطلق ضرورة النظرة العلمية المجردة عن العواطف ، خضع ذلك الحجر للفحص العلمى ، فثبت أنه لا يشبه أى نوع من الحجارة الظاهرة على سطح الأرض تحت علم قطر ، لا فى شبه الجزيرة على سعتها ، ولا فى الجزر القطرية الواقعة فى المياه الإقليمية ، حوار ، وحالول ، وشرعوه ، والاسماط ، والعالية والسافلية وغيرها ، فتسرب الشك فى كونه نقشاً قطرياً ، واستلزم ذلك بالضرورة ، إجراء التحريات التى تشبه أعمال (سكوتلاند يارد) حتى ثبت يقينا ، أن ذلك الحجر ، لم يعثر عليه أحد فى الأرض القطرية ، ولكنه كان قد نقله ناقل ، أثناء رحلة صيد فى البيداء بين سوريا والعراق !!!

ولعل الكثيرين من الناس ، وخاصة فى مختلف أنحاء الوطن العربى ، لم يدركوا بعد مدى الفرق بين (المتحف) و (المعرض) من حيث أن المتحف كائن حى مستمر التطور والنمو ، وهذا لا يتأتى له إلا إذا تحقق فيه السير على طريق البحث العلمى ، بتوفير الأفراد والأجهزة والمكان ..

• وإن متحف قطر الوطنى ، لكى يبلغ استكمال رسالته ، التى ترتكز كما اسلفنا فى صدر هذا المقال ، على أثاف ثلاث ، هى الترويح والتعليم والبحث العلمى ، لكى يخدم العامة والخاصة وخاصة الخاصة ، ويشيع روح التفكير العلمى الجاد فى الحياة والتخطيط وفهم حقائق الكون ، بدل إضاعة الوقت فى الأمور التى تشغل المجتمعات المستهلكة (بفتح اللام أو كسرها ، سواء)عادة .

• ليتطلع الى إرساء قاعدة بحث علمى بين جدراته على أساس عام غير فردى يتصدى فيه الشباب المتعلم الغيور ، لمختلف أبواب البحث العلمى فى جميع الفروع التى يعبر بها متحف قطر الوطنى عن بيئته ، كما أسلفنا وصفها ، فى تنسيق وتنظيم ، يعيدان الى البحث العلمى فى الوطن العربى هيبته وفعاليته التى تنقلنا الى مرحلة الاستغناء عن التبعية والتسول والاستجداء ، والخضوع ..

• وليس المقصود من إضافة مرفق للبحث العلمى المتقدم فى متحف قطر الوطنى هو تحويل هذه المؤسسة الحضارية إلى (مستودع) لتفريخ (الشهادات)والألقاب العلمية ، ولكن المقصود هو إيجاد مجال يثبت فيه الإنسان العربى ، قدراته ، واصالته فى الفكر العلمى ، مما يساعد على تحطيم كل حواجز (الشعور بالنقص) التي تغمر أقطار الوطن العربى ، على سعته ، من جراء الهزائم المتتالية المتشابكة ، الناجمة دون أدنى شك عن إهمالنا لروح البحث العلمى الصحيحة ، فى كل ميادين الحياة المعاصرة ، منذ أن دالت دولتنا فى الأندلس (١٤٩٢ م) وانقلبنا إلى فرق وطوائف ، حيث تفرقت بنا السبل عن سبيل الله ..

إن الأمل معقود ، بعد أن بلغ متحف قطر الوطنى عامه الهجرى العاشر ، فى أن يتحقق بناء ثالثة الأثافى التى ترتفع بها المتاحف كما اسلفنا ، بانشاء مختبرات ومعامل لأغراض البحث العلمى ، فى كل المجالات التى يعبر عنها هذا الصرح الحضارى الفريد ، الذى يحق لدولة قطر أن تعتز به محلياً وإقليمياً وعالمياً .

درويش مصطفى الفار

قصائد

شعر: عزت الطيرى



(١)
مجنونٌ شبَّاكى
بعصافيرِ الصبحِ
لكنَّ عصافيرَ الصبحِ تجنُ
بشبابيكٍ أخرى

(٢)
دق الهاتف في منتصف الليلِ ،
فقلتُ
من يطلبني في منتصفِ الحزنِ
أصحابي رحلوا
وحبيبي ضاع بمنتصف الدربِ
لكنَّ الهاتف ظل يدقُ ويعوى
حتي أيقظ نصفَ دجاجات البيتِ
فسحبت غطائي وغفوتُ

(٣)
أيها المطر الموسميُّ
تفاجئُنا موسماً
وتغادرنا موسماً
ثم تتركنا دمعةً في العيونْ
أيها المطر الموسميُّ
أنتَ لا موسميٌّ .. ولا يحزنونْ

(٤)
سيدتي الشمسْ
أنا زهرة عباد الشمسْ
إن غبتِ أموت ! !

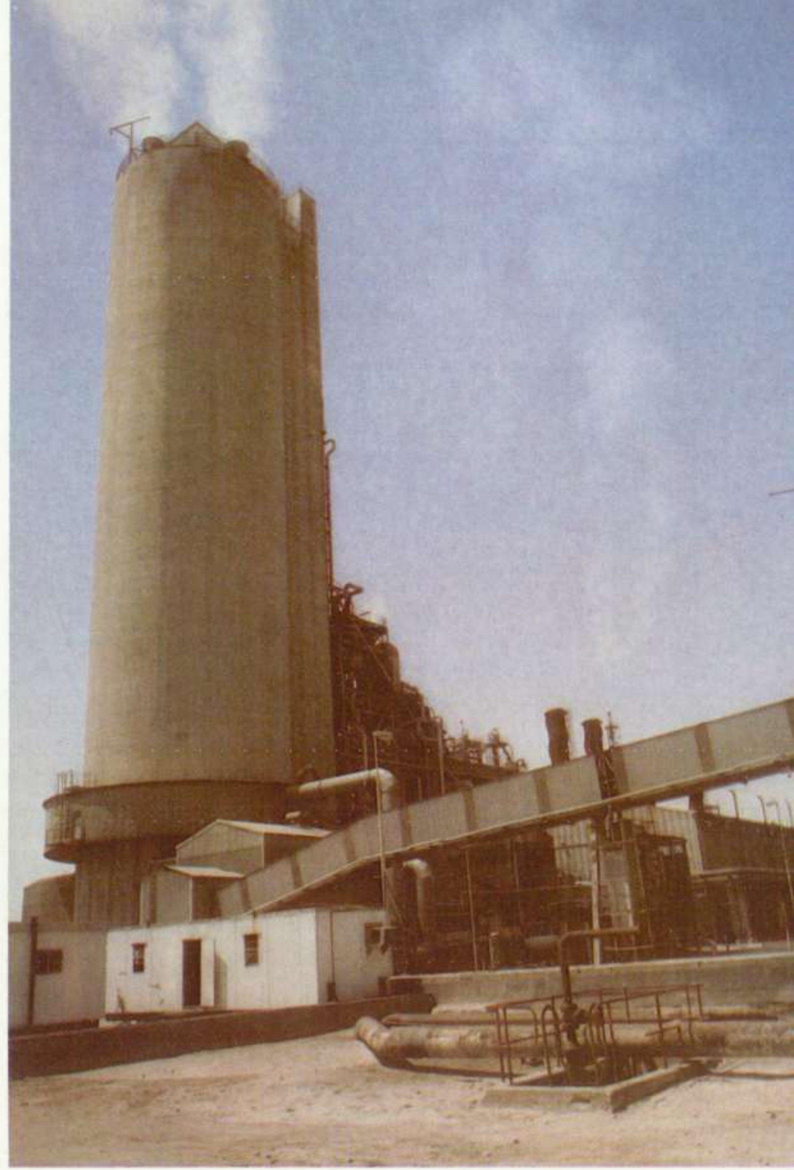
(٥)
قالت أمى
تشبه لأبيك كثيراً
لكنْ لم تفصح في أيّ الأشياءْ
وبكتْ
فتساقط من عينيَّ
محضُ سؤال ! !

(٦)
قال الطفلُ
حين أُطالب أبتى
بشطيرة حلوى
يُحضر أوراقاً
يرسمها لى
ويزخرفُها
ويعود فيأكلها ! !

(٧)
قالت زوجى
مسكينٌ زوجى
يسهر طول الليل يناطح ثور الشِعرِ
ويعود ليوقظني
يُسمعني أحلى أغنيةٍ في لون عيوني الزرقاءْ
وضفيرة شعرى الشقراءْ
مسكين زوجى
لا يدرى أن عيوني سوداء ! !
وضفيرة شعرى سوداء ! !
لا يدرى ! !
مسكين زوجى
مسكينٌ
زوجى ! !



جانب من جوانب المصنع الكبير الذى يستمر تشغيله بطاقة انتاجية عالية



فى أول مصنع قطرى ترتفع المداخن معلنة استمرار الانتاج والعطاء

من هنا بدأت الصناعة في قطر

قلعة للنهضة والتقدم على شواطئ الخليج

بقلم: السيد حجازي • تصوير: أمين بدوي



من ميناء خاص للتصدير يتبع المصنع يصل الانتاج القطرى إلى كل أنحاء العالم

الصناعة هى دليل التقدم وعنوان النهضة ، وهى أيضا برهان على تحدى الصعاب وعلى قوة ارادة الدول وفرض هيبتها واحترامها ..

هذه هى الحقيقة التى أصبحت واضحة ومؤكدة ولاسبيل الى نكرانها ..

فمهما كانت موارد الدولة ، أية دولة ، ومهما كانت قوتها فى كافة الميادين ، يبقى الأصل فى اظهار التفوق كامنا فى مشروعات التصنيع ، والوصول بها الى الجودة المطلوبة ، وانتشار انتاجها خارج الحدود ..

ولقد كانت هذه الحقيقة هى التى وضعتها قطر أمامها ، حتى تصبح دولة صناعية بكل مافى الكلمة من معان ..

وكان الطريق الى ذلك صعب المراس ، ولكنه كان ضروريا وحتميا ، من أجل تحقيق الهدف ..

وبدأت مسيرة التصنيع فى دولة قطر على أسس سليمة ، وقوية ..

وكان هذا المصنع الذى زرناه هو أول مصنع قطرى .. وأول مشروع يرى النور منذ سنوات طويلة ، لتبدأ به مسيرة التصنيع القوية ، والمزدهرة ..

هذا المصنع يعرف باسم « قافكو » وهو يعنى الشركة القطرية للأسمدة الكيماوية ..

وقد كانت جولتنا فيه بين أقسامه ، ووسط عماله ومهندسيه وفنييه ، شاملة ، وحافلة ، وممتعة ..

فكيف وجدنا أول مصنع فى قطر ؟

ان الصورة ترسم واقعا حيا ، يسعد النفس ، ويطمئنها على مستقبل هذا البلد الطيب ..

وهذه هى الصورة التى خرجنا بها ، بعد جولة يوم كامل داخل قافكو .

كانت بداية الجولة فى أول مصنع قطرى مع الرجل الذى عاصر نشأته ، وخطط له ، وأشرف على التنفيذ ..

هذا الرجل هو المهندس محمد المسحال المدير العام لمركز التنمية الصناعية ، وهو المركز الذى يأخذ على عاتقه الاشراف على كافة مشروعات التصنيع فى قطر ، والتخطيط لها على أسس علمية سليمة ..

الانجاز الكبير

ان المهندس محمد المسحال يتحدث باعتزاز عن بداية التجربة بكل ما فيها من تفاصيل تعكس الارادة والتصميم على إقامة هذه القلعة الصناعية فى أم سعيد ..

يقول وهويسترجع ذكريات ستة عشر عاماً : ان ما حدث بكل المقاييس يعتبر إنجازاً كبيراً مشرفاً من كل النواحي ..

فالواقع أن الانطلاقة نحو التصنيع كانت ضرورة ملحة ، لكن كان السؤال هو كيف تكون البداية ..

ظل هذا السؤال يلح على الجميع وهم يفكرون فى إقامة المصنع الأول الذى يكون مناسباً للظروف المحلية ، ويخدم كافة الأهداف الاقتصادية ، ويقدم النموذج الذى يمكن أن تحتذيه المصانع الأخرى التى تأتى من بعده ..

وبالفعل خرجت الصورة كما خطط لها ..

هكذا يؤكد المهندس محمد المسحال ويضيف ان اختيار المكان الذى يقام عليه المصنع كان أمراً غاية فى الأهمية ، فلابد أن يكون قريباً من ميناء للتصدير ، وفى نفس الوقت يكون قريباً من أماكن الغاز الطبيعى (المادة الخام) فى منطقتى دخان وحلول ..

وهكذا أختير هذا المكان الذى يقام عليه المصنع الآن ، بحيث يحقق هذين الهدفين ، ويعمل حساباً للتوسعات المستقبلية بداخله ، ومن حوله أيضاً ..

ويسرح الرجل بخواطره عبر الأفق ويتذكر .. ان هذه المنطقة التى كانت مجرد رمال فى الصحراء ، تحولت بفعل الارادة والتصميم الى منطقة صناعية ، تستشرف آفاق المستقبل ، وتصنع الركيزة الأساسية للتقدم والنهوض ..

التحدى الحقيقى

ويضيف الرجل قائلا ان هذا هو التحدى الحقيقى .. فالتفوق الصناعى هو الذى يحدد مسيرة الدولة ، أية دولة ..

ولقد كان اصرار سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى على بداية هذه المسيرة القوية ، تأكيداً على أن قطر تعرف طريقها الصحيح والسليم ..

وهكذا أعطى سموه اشارة البدء فى الطريق ، وتابع الصورة خطوة بخطوة ، حتى أصبحت بالشكل الذى وصلت إليه : مزدهرة ، مشرقة ، مطمئنة ..

وكان هذا كما يقول المهندس المسحال يعنى أن التقدم الحقيقى يكمن فى الصناعة ، وأن العقل العربى قادر على التفوق فى هذا المضمار ، وليس كما يتصوره البعض عقل فرض عليه ألا يدخل العصر الحديث ..

وكان هذا يعني أيضاً أن دولة قطر تختار طريق التقدم بما يتلاءم مع ظروفها ، وأنها تعرف كيف تحصل على التكنولوجيا وتعمل على التكيف معها ، وتسلك في ادارة المصانع الأسلوب العلمي السليم ، وتحافظ على هذه المصانع وتعمل على تطويرها ، وتسوق المنتجات بالطرق الاقتصادية السليمة ..

فالتصنيع هو عملية متكاملة تحتاج الى كل هذا وأكثر منه ، وقد وعت دولة قطر هذه الحقيقة ، وعملت على تحقيقها ، ولاتزال ، انطلاقاً من أن التصنيع وإن كان طريقاً صعباً إلا أن الإنطلاق العربي من خلاله ضرورة تحتمها ظروف البقاء ، والتطور ، والاستمرار ..

وهكذا تأسست في البداية شركة قطر للأسمدة الكيماوية ، بناء على موافقة وتوجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ..

عصر التصنيع الثقيل

والحقيقة أن هذه الشركة كما يقول المهندس المسحال تشكل جزءاً هاماً من التنمية الصناعية المعتمدة على استغلال وتطوير الثروات الطبيعية في البلاد . وبتأسيسها بدأ عصر التصنيع الثقيل ..

وكانت هذه الشركة التى تأسست فى منتصف عام ١٩٦٩ أول من استخدم الاحتياطى الضخم من الغاز الطبيعى لتصنيعه وتحويله الى مادة تجارية يمكن الإستفادة منها .. وكان لابد من استخدام أحدث الطرق التكنولوجية والعلمية ..

لذلك قامت قطر باختيار أفضل ما توصلت اليه التكنولوجيا الحديثة والمهارات البشرية من أجل انشاء قافكو . وبدأت التجربة تحقق نجاحاً إثر نجاح ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه من تقدم ملحوظ ..

- تكاليف اجمالية وصلت الى أكثر من ألف مليون ريال قطرى وانتاج عالى المستوى

- أرقام قياسية خلال عام ١٩٨٤ : أكثر من ٦ آلاف طن من الأمونيا وأكثر من ٧ آلاف طن اليوريا

- التصدير مباشرة الى ثلاث عشرة دولة والهند المستورد الأول تليها الصين وماليزيا

- أكثر من ألف عامل ومهندس وفنى من بينهم مائة وثمانون قطريا فى أقسام الانتاج والكمبيوتر والتعبئة ..

- مساكن خاصة ورعاية صحية وناد حديث ووحدة اسعاف كاملة .. وروح الأسرة تسود بين كافة الجنسيات


حمد خطاب


صالح الطويل


ناصر بخيت


حامد أحمد


غازي حسن

ولقد قامت عدة شركات ذات شهرة عالمية في التصميم والبناء باخراج المشروع الى حيز الوجود. وتم بناء مصنعي الأسمدة في المنطقة الصناعية في مدينة أم سعيد على بعد ثلاثين ميلاً من جنوب العاصمة الدوحة..

أنشيء المصنع الأول بالتعاون بين قطر وشركة نورسك هايدرو النرويجية، وشركة ديڤي باور جاز البريطانية، وبنك هامبروز البريطاني الذي ساعد في تمويل المشروع الذي بلغت تكاليفه الاجمالية ٣١٠ مليون ريال قطري..

وبدأ هذا المصنع الأول في الانتاج عام ١٩٧٤ بطاقة انتاجية مقدارها ٩٠٠ طن من الأمونيا و ١٠٠٠ طن من اليوريا يومياً..

وكخطوة أخرى في مجال استغلال ورفع قيمة الثروات الطبيعية المتوفرة في البلاد، ونظراً للطلب المتزايد على منتجات الشركة في الأسواق العالمية، تقرر القيام بتوسيع المشروع وزيادة الطاقة الانتاجية..

ومن هنا تم بناء مصنعين جديدين للأمونيا واليوريا، مما ضاعف الطاقة الانتاجية للشركة الى ١٨٠٠ طن أمونيا، و ٢٠٠٠ طن يوريا يومياً..

التكاليف الاجمالية

وقد بلغت التكاليف الاجمالية المستثمرة في مشروع التوسع حوالي بليون ريال قطري، وبذلك تصبح كافة التكاليف الاجمالية المستثمرة للمصنعين الأول والثاني حوالي ١٣١٠ مليون ريال قطري..

ولقد باشر المصنع الثاني الانتاج في أبريل عام ١٩٧٩، واستطاع خلال شهور وجيزة تخطي الطاقات الانتاجية المتوقعة..

الى جانب هذا كانت الحكومة قد قدمت كافة التسهيلات اللازمة من تعبيد الطرق وانشاء مرفأ حديث لرسو السفن، مما يسهل عملية تصدير الانتاج الى الخارج، وكذلك مد خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي اللازم للمصنع من حقول النفط في دخان..

وبلغ رأس المال المساهم للشركة ــ والكلام للمهندس محمد المسحال ــ ٥٧ مليون ريال قطري، تم زيادته أخيراً الى حوالي ٩٢ مليون ريال موزعة على المؤسسة العامة القطرية للبترول بنسبة ٧٠٪، وشركة نورسك هايدرو النرويجية بنسبة ٢٥٪، وشركة ديڤي باورجاز البريطانية، بنسبة ٣٪، وبنك هامبروز ليمتد البريطاني بنسبة ٢٪..

ولقد قامت شركة قطر للأسمدة الكيماوية بتوقيع اتفاقية مع شركة نورسك هايدرو لتزويد المصنع بالخبرات الادارية والفنية اللازمة لتشغيل المصانع، ريثما يتم اعداد وتدريب الكوادر الادارية والفنية الوطنية. كما وقعت مع نفس الشركة اتفاقية ثانية للقيام بتسويق الانتاج عالمياً..

خط أنابيب

ويأتي الغاز الطبيعي الذي يشكل المادة الخام ومصدر الطاقة لتشغيل المصانع من حقول النفط في دخان بواسطة خط أنابيب يبلغ طوله حوالي ٨٠ كيلومتراً وقطره ٢٤ بوصة. ويحتوي الغاز على نسبة عالية من الميثان (حوالي ٧٠٪) الذي يتم تحويله الى أمونيا، ومن ثم الى سماد اليوريا. وتزيد كمية الغاز الطبيعي التي يزود بها المصنع عن ١٠٠ مليون قدم مكعب يومياً..

وتعتبر اليوريا المنتجة من مصانع الشركة من أفضل الأسمدة، حيث تصل نسبة النتروجين فيها إلى حوالى ٤٦,٣٪ بالاضافة إلى أنها سهلة الاستعمال والنقل..

ويختتم المهندس محمد المسحال حديثه معي بقوله: وأترك لكم الوقوف على كل شيء هناك بأنفسكم، وعلى الطبيعة.. فان الصورة من خلال الرؤية الواقعية تعطي الانطباع الحقيقي..

ولقد كانت هذه الكلمات خير تعبير عن الواقع الذي لمسته.. فطوال الطريق الى أم سعيد، والى قافكو أول مصنع قطري يرى الوجود منذ سنوات طويلة، كانت مشاعر الاعجاب تستولي على النفس، والاحساس بالزهو يطغى على أي احساس آخر..

ان مداخن المصانع تعلن عن حركة لا تهدأ، وأصوات الماكينات تخترق الصمت وترحب بالزائرين، والآلات الضخمة، والمباني المقامة والتجهيزات في كل مكان، كل هذا يعني أن التصنيع القطري أصبح حقيقة واقعة، تثلج الصدر، وتملأ النفس بالاعتزاز..

الحقيقة المبهجة

وهكذا دخلنا المصنع الأول في قطر وكلنا رغبة في أن نقترب من الحقيقة المبهجة أكثر وأكثر..

ولقد كانت الحقيقة فوق كل التصورات والتخيلات..

فما رأيناه هو عمل كبير وعميق ومستقبلي بكل الأبعاد والمقاييس..

وها نحن الآن في وحدات انتاج الأمونيا، أولى الوحدات التي زرناها في المصنع، بصحبة الاستاذ علي فخرو مدير العلاقات العامة..

ان طاقة انتاج هذه الوحدات هي ٢ في ٩٠٠ طن يومياً.

ويدخل الغاز الطبيعي اليها قادماً بالأنابيب من دخان بكمية ٧٢٨,١٦٦ قدم مكعب في الساعة لكل وحدة. ويتم ضغطه الى ٦٥٠ رطلاً في ضاغط الغاز الطبيعي..

والعمليات الفنية التي تجري هنا كثيرة تنتهي باستخلاص الأمونيا السائلة من الغازات المبردة بواسطة الامتصاص بالماء وبالتقطير بعد ذلك..

وهذه الأمونيا المنتجة تستعمل لتصنيع سماد اليوريا، حيث يستخدم ٦٠٠ طن أمونيا من أصل ٩٠٠ طن (الطاقة الانتاجية اليومية) لتصنيع ١٠٠٠ طن من اليوريا. ويخزن الجزء المتبقي في خزان الأمونيا المبرد الى ٣٤ درجة مئوية تحت الصفر، تمهيداً لتصديرها للخارج في ناقلات خاصة..

وندخل بعد ذلك وحدات انتاج اليوريا..

ويتولى الأستاذ علي فخرو الشرح والتفصيل..

إن الطاقة الانتاجية لهذه الوحدات هي ٢ في ١٠٠٠ طن يومياً..

فيها يخزن سائل الأمونيا في خزانات خاصة سعتها الاجمالية ٤٧,٠٠٠ طن . ولكل خزان نظام خاص به للتبريد يعمل تحت كل الظروف ، للمحافظة على درجة حرارةمنخفضة تصل الى ٣٤ درجة مئوية تحت الصفر . ولكل خزان مضخاته الخاصة لتصدير الأمونيا السائلة الى الناقلات مباشرة ..

وهناك مستودعان لتخزين اليوريا ، الأول لتخزين اليوريا السائلة وتبلغ سعته التخزينية ١٣٥,٠٠٠ طن ، والثاني لتخزين اليوريا المعبأة في أكياس وتبلغ سعته ٥٠٠٠ طن وملحق به وحدة أوتوماتيكية لتعبئة اليوريا في الأكياس ..

وتشحن اليوريا الى المستهلكين إما سائبة أو معبأة في أكياس ، حيث توجد معدات خاصة لهذا الغرض على رصيف الميناء تصل طاقة التعبئة فيه الى ٥٨٠ طناً في الساعة من اليوريا السائبة ..

وأسأل خلال الجولة داخل قافكو عن الانتاج والدول التي تتصدر قائمة التصدير ، ويجيء الجواب من مدير المشاريع عبدالرضا عبدالرحمن ، وهو أول قطري يصل الى هذا المنصب داخل المصنع ..

إن الانتاج وصل في عام ١٩٧٨ الى أعلى نسبة انتاجية في تاريخ قافكو ، حيث تم انتاج ٢٥٦,٠٠٠ طن من سماد اليوريا ، و ٢٠,٠٠٠ طن من الأمونيا ..

وقد تم وضع مخطط للإنتاج لعام ١٩٧٩ ، بحيث تصل كمية الانتاج الى ٤٢٠,٠٠٠ طن من اليوريا ، و ٣٢٠,٠٠٠ طن من الأمونيا ..

وقد أمكن فعلا تجاوز هذه الأرقام قبل انتهاء ذلك العام ..

فقد بلغت كمية الانتاج لغاية أواخر شهر نوفمبر عام ١٩٧٩ حوالي ٤٣٠,٠٠٠ طن من اليوريا ، محققة بذلك نسبة استغلال للطاقة مقدارها ٩٢٪ . كما بلغت كمية الانتاج لأول ١١ شهراً ولغاية أواخر شهر نوفمبر ١٩٧٩ بالنسبة للأمونيا ٣١٥,٠٠٠ طن ، محققة بذلك نسبة استغلال للطاقة مقدارها ٧٩٪» .

وهنا تجدر الاشارة الى أن الوصول الى هذه النسبة من استغلال الطاقة بالنسبة لمصانع الأمونيا واليوريا يعتبر انجازاً كبيراً ، ويبعث على الارتياح والاطمئنان على نجاح هذه الصناعة المتسمة بالعمليات التكنولوجية الرفيعة المستوى ..

زيادة كبيرة

لكن ماذا عن المبيعات والارباح ؟

هكذا أسأل وتجيئني الاجابة من الأستاذ علي فخرو ..

لقد بلغت قيمة المبيعات من الأمونيا واليوريا ٥٤٢ مليون ريال قطري في عام ١٩٨٤ . وكان هذا بزيادة قدرها ٤٢٪ عن العام الذي قبله ..

وتعود أسباب هذه الزيادة الكبيرة الى زيادة في الأسعار ..



المهندس محمد سعيد السحال



على فخرو



فى قسم الكمبيوتر يؤدى الشباب القطرى دوره باقتدار

وفي الوحدة الأولى تتم عدة عمليات فنية دقيقة تنتهي بتجميع حبيبات اليوريا ، ونقلها الى مستودعات التخزين ..

أما في الوحدة الثانية فتتم عدة عمليات فنية أخرى ، بحيث تتحول اليوريا الى حبيبات مباشرة بعد عملية التبخير ..

وهناك أيضاً وحدات المصنع المساعدة ..

ومنها محطة توليد الكهرباء ، ومحطات ضخ مياه البحر ، ومحطات تقطير المياه ، ومصانع انتاج النتروجين وتشمل مصنعين بقدرة انتاجيه كلية ٢٠٠٠ متر مكعب في الساعة . كما توجد ثلاثة مجزءات لمركب الأمونيا لتزويد المصنع بغاز الهيدروجين اللازم أثناء بداية التشغيل ..

هذه المستودعات

وهناك كذلك المستودعات وأماكن التخزين والشحن ..

فى قسم انتاج اليوريا يقف الشباب أمام أحدث الأُجهزة الدقيقة



داخل المطعم الحديث يتناول الجميع طعامهم الصحى النظيف



وتمضى مسيرة العطاء داخل المصنع الذى بدأت به مسيرة التصنيع الثقيل فى قطر

فقد بلغ متوسط هذه الزيادة في السعر ٣٥ دولاراً أمريكياً للطن الواحد ..

كما أن الطاقة الانتاجية للمصنع زادت بنسبة ٧,٥٪ في ذلك العام ..

وهكذا وصلت أرباح التشغيل الى ٢٦٠ مليون ريال قطري . وكان الربح الصافي ١٧٠ مليون ريال قطري بعد خصم الاستهلاكات ..

ولقد كانت أرقام الانتاج في الحقيقة خلال عام ١٩٨٤ أرقاماً قياسية في المصانع الأربعة التي تضمها قافكو ..

فقد فاقت كمية الانتاج الطاقة التصميمية لها ..

وكان الانتاج في ذلك العام ٦٣٢,٠٠٠ طن من الأمونيا و ٧٣٤,٠٠٠ طن من اليوريا ..

وهذا يشير الى زيادة قدرها ٤٦,٠٠٠ طن من الأمونيا و ٤٩,٠٠٠ من اليوريا عن عام ١٩٨٣ ..

وكانت أرقام التصدير في عام ١٩٨٤ أيضاً تشير الى تقدم ملموس ..

فقد بلغت ٧١٦,٠٠٠ طن من اليوريا و ٢٠٢,٠٠٠ من الأمونيا ..

وكان هذا التصدير موجهاً الى ثلاث عشرة دولة ..

وقد جاءت الهند في مقدمتها باعتبارها المستورد الأول من الأمونيا بنسبة ٦٠٪ ، واليوريا بنسبة ٤٠٪ ..

ثم تبعتها الصين وماليزيا ..

وتأتي بعد ذلك سنغافورة وهونج كونج والولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك واستراليا ..

قلعة للنهضة والتقدم على شواطئ الخليج

وهكذا يفرض الانتاج الجيد نفسه ، ويحمل اسم قطر الى جميع أنحاء العالم ..

العنصر البشري

لكن ماذا عن العاملين من مهندسين وفنيين وعمال الذين يقفون وراء هذا الانجاز الضخم العملاق ؟ ..

إن هناك كما عرفت ١١٠٠ ما بين عامل ومهندس وفني ومدير ورئيس قسم ..

والعنصر القطري يضم مائة وثمانين ، موزعين على كافة الأقسام ، وقد تلقى أغلبهم تدريبات في الخارج في انجلترا وأمريكا وفي النرويج ..

والتقى ببعض هؤلاء القطريين الذين يعدون طليعة القوى العاملة الفنية ..

أولهم محمد خطاب ..

انه يعمل في المصنع منذ إنشائه ، وعاصر خطواته خطوة خطوة . وهو الآن مشرف وردية ، وقد حصل على دورة تدريبية باللغة الانجليزية في انجلترا لمدة سنة ..

وهو لا يجد بأساً من القول بأنه بدأ عاملاً بسيطاً في المصنع ، وتدرب على عدة أعمال فنية ، وهو يمارس عمله الآن بقسم التعبئة ، ويسكن في سكن مؤثث خاص كبقية الفنيين والمهندسين وكبار الموظفين ..

لكن هكذا يقول محمد إن العنصر القطري وبالذات الذي يثبت وجوده في حاجة الى مزيد من التشجيع ، والى أخذ فرصته الكاملة في الترقي ، والى تولي المناصب القيادية ..

إن هذا في رأيه هو الذي يتيح للجميع تحمل المسئولية بالكامل ، والعطاء السخي بلا حدود ..

ويؤمن على كلامه غازي محمد حسن الذي درس في بريطانيا الهندسة الكيمائية ، وهو يعمل منذ عشر سنوات في قسم انتاج اليوريا ..

إن غازي يعمل بهمة ونشاط ويؤدي واجباته بكل ما تتطلبه من جهد ومسئولية ، ولكن مايركز عليه هو أن يأخذ فرصته في تحمل المسئولية بالكامل ، وأن يحصل على موقع قيادي بعد هذه الخبرة المعقولة في رأيه ..

أما حامد أحمد ملا حامد فقد درس العلوم في أمريكا ، وهو الآن يعمل في قسم الكمبيوتر ، ويؤدي واجبه في عمله الحساس بكل همة ونشاط ..

لكنه هو الآخر يركز على ضرورة أخذ فرصته في العمل القيادي ..

ويقول إنه لا فرق اطلاقاً بين الخبير الأجنبي والعنصر القطري ، بل أن الأخير يتفوق اذا ما أتيحت له الفرصة ، وأخذ موقعه الذي يستحقه ..

وفي قسم المشتريات التقيت مع صالح الطويل الذي درس في أمريكا لعدة سنوات ، وهو يرى أن مجال عمله لا يتناسب مع دراسته ، وهو لذلك يطالب بالاستفادة به في موقع مناسب ..

أما ناصر فرج بخيت في قسم الصيانة المدنية فقد تدرب في أمريكا وانجلترا ، ويعمل في هذا القسم منذ ثلاث عشرة سنة ، وهو يتطلع الى الحصول على مركز متقدم ، وفي رأيه أن الأجور لا بأس بها ، وأن الطموحات نحو الأفضل موجودة وقائمة ..

أما محمد عبدالرحمن الصايغ في قسم المشتريات فهو يركز على أن عمله يتلخص في شراء الماكينات وقطع الغيار من الخارج ، وأنه يكتسب خبرات متطورة ، تؤهله لتولي موقع مسئول في السنوات المقبلة ..

ويرى هؤلاء الأخوة أن هناك بعض الملاحظات الأخرى التي يطرحونها كنوع من النقد الذاتي .. أهمها أن المساكن الخاصة بالقطريين لا تتناسب مع العادات القطرية ..

وهم لذلك يطالبون بمراعاة هذه المسألة ..

كما أن هناك ملاحظات أخرى على نوعية الأثاث الخاص بهذه المساكن ، وعدم إفساح المجال أمام العنصر القطري للإلمام بالمشاكل الفنية ، والاشتراك في حلها ، وتعيين بعض الأجانب في وظائف غير فنية .. في شئون الموظفين مثلاً ..

روح الأسرة

وكل هذه الملاحظات في رأيهم لا يمكن أن تنال من جمال الصورة ، أو تغطي على المكاسب والانجازات وهي كثيرة وعميقة ، وشاملة ..

كما أنهم لا ينكرون روح الأسرة التي تسود بين النرويجيين والعرب من مصريين وفلسطينيين وغيرهم والهنود والقطريين داخل المصنع ..

إن هذه الروح هي التي تجمع بين الكل برباط لا ينفصم عراه ..

وهم يقضون أوقات فراغهم في النادي الذي أقيم على أحدث طراز ، ويقدم خدماته على مدار الأربع والعشرين ساعة ..

كما أن المطاعم التي تقدم لهم الوجبات الثلاث داخل المصنع صممت على أحدث مستوى ، وتراعي كل وسائل النظافة والصحة والتغذية التامة ..

وفي هذا الصدد فان العيادة الطبية داخل المصنع تضم كفاءات طبية ، واستعدادات صحية كتلك التي يضمها مستشفى كبير شامل ..

هذه العيادة يتولى العمل فيهـا فريق طبي يرأسه الدكتور النرويجي تيريه ايلنجسن رئيس القسم الطبي ، وتعاونه مجموعة من الفنيين والمرضين على رأسهم أسعد أبو عجينة ..

وتقدم للمرضى كل الخدمات والأدوية اللازمة ، كما يتم فحصهم دورياً ، والاطمئنان على صحتهم باستمرار ..

اضافة الى ذلك فان وحدة الاسعاف تقوم بواجبها على خير وجه ، وكذلك وحدة الاطفاء الكاملة ..

وهناك الكثير من الخدمات التي يوفرها المصنع لكل العاملين فيه بلا استثناء ..

وهؤلاء أيضاً

وهناك أيضاً الكثير من الأخوة الذين التقينا بهم ، وهم يؤدون دورهم بكفاءة واقتدار واخلاص ..

نذكر منهم :

المهندس مصطفى عمر كبير المشرفين بقسم التعبئة ، وابراهيم جاسم المالكي بقسم المختبر ، وحمد النعيمي وعفيفي عبدالرب ، وحسام جوهر رئيس وردية اليوريا ، ومحد بدوي مدير النادي ، ومحمد عبدالغني المهندس الميكانيكي ..

إن هؤلاء وغيرهم يستحقون كل تحية وتقدير وهم يشاركون في وضع لمسات حية وقوية في مسيرة قطر الواثقة في مجال التصنيع الثقيل ، داخل أول مصنع قطري ..

وماذا بعد هذه الجولة التي استمرت يوماً كاملا داخل قافكو ؟

ونحن في طريق العودة وفي نفس الطريق الذي قطعناه في الصباح في طريق الذهاب ، كان نفس الاحساس بالزهو قد ازداد وتضاعف وأضيف اليه احساس بالثقة والاطمئنان والقدرة على مواجهة تحديات المستقبل وصعابه أيضاً ..

فالأساس موجود ..

الأساس يكمن هنا في تلك القلعة الصناعية في أم سعيد ..

انها طريق التقدم الحقيقي المملوء بالهناء والسعادة ، الحافل بكل ما يطمئن النفس على مصير الأجيال القادمة ..

السيد حجــازى





غلاف كتاب العلوم فى الاسلام

كتاب الشهر

عرض وتقديم: حسني شحادة

العلوم في الإسلام

- في عهد المأمون رُسِمَت أول وأدق خريطة للعالم!
- التراث الضخم الذي تركه ابن سينا عن عملية تولّد الفلزات والمعادن
- عرف الغرب لأول مرة علم الحساب من الخوارزمي

ظهرت قبل الاسلام حضارات كثيرة ، سادت فترة ثم بادت ، بعد أن أنتجت علوماً فى مختلف مجالات المعرفة ، وبلغت درجات متباينة من الكمال ، وقد نظر المسلمون إلى تلك الحضارات بعقلية ايجابية من خلال ايمانهم المطلق بضرورة العلم والتعلم ، فنقلوا ما أنجزته تلك الحضارات من أعمال جليلة ، وترجموا معظم أمهات الكتب العلمية القديمة إلى العربية طيلة مائة وخمسين عاماً ، امتدت من القرن الثاني للهجرة الى القرن الرابع للهجرة ، وبذلك نشأ التزاوج بين الروح التى برزت من وحى القرآن الكريم ، وما ورثه المسلمون من علوم الحضارة ..



خزان مياه قرب القيروان فى تونس بنى فى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادى)



الفلكيون فى اسطنبول فى القرن العاشر للهجرة (١٦ م)

وكتاب العلوم فى الاسلام الذى ألفه سيد حسين نصر باللغة الانجليزية ، ونقله إلى العربية مختار الجوهرى ، وحقق نصوصه وضبط ألفاظه العلمية والفنية ، الدكتور محمد السويسى ، الأستاذ بالجامعة التونسية ، ونشرته دار الجنوب للنشر بتونس ، قد أصبح سفراً جليلا لكل من يريد أن ينهل من تاريخ العلوم فى الاسلام .

ويقع الكتاب فى مائتين وخمسين صفحة من الحجم الكبير ، ويتضمن خمسة أبواب ، ومعجماً للمصطلحات ، ومجموعة فريدة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، ولوحات تصويرية نادرة .

العلوم الاسلامية

لقد أرسى الاسلام قواعد ، ومبادىء للتربية ، صالحة على مر الأيام ، وتداول السنين ، تربية تهدف الى تحرير العقل من الوهم ، وتحرير النفس من الخوف ، وتحرير الجسم من الخضوع ، وتحرير الانسانية من العبودية ، حيث أصبحت المعرفة أساس التفاضل بين الناس . « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . صدق الله العظيم .

لقد تربى المسلمون على نهجين رئيسيين ، يستطيع المسلم من خلالهما تحصيل المعرفة ، أولهما : الحقيقة الموحي بها ، والتي تنتقل بعد الوحي من جيل الى جيل ، وهى العلوم النقلية ، والثاني : هو العلوم التى يحصل المسلم عليها بواسطة العقل الذى وهبه الله اياه ، على مستوى الادراك والعقل . وقد اصطلح المسلمون على تسميتها « العلوم العقلية » .

وعندما واجه المسلمون هذا الكم الهائل من العلوم التى وجدت قبل الاسلام والتي وصلت عن طريق الترجمة ، الى جانب هذا البحر الزاخر من العلوم النابعة من معين الوحى الآلهى الذى لا ينضب ، أقبل العلماء المسلمون يصنفونها ليساهموا فى التوفيق بين العلم والدين ، وكان الكندي أول من تصدى لذلك فى كتابه « أقسام العلوم » ، ولكن الفضل يرجع الى « أبي نصر الفارابي » الذى وضع كتابه « إحصاء العلوم » ، ثم تبعهم « ابن سينا » ، وإخوان الصفا ، وابن رشد ، وإمام المؤرخين « ابن خلدون » ، الذى أورد فى مقدمته بحثاً علمياً عن تصنيف العلوم .

وعندما اتسعت دولة الاسلام ، واندمجت فيها شعوب مختلفة النفسيات والملكات والذهنيات ، قامت حضارة الاسلام ، واهتم العلماء المسلمون بدراسة الكونيات .. وقد قام علم الكونيات ، وعلم الهيئة الاسلاميان ، فى جميع أشكالهما ، كأرضية ، ومنبت ، وأساس لعلوم الاسلام المتنوعة .

الخرائط والموسوعات والرحلات العربية

وقد جاءت دراسة الجغرافيا الإسلامية ، طبقاً لرؤيا الاسلام للعالم ، وتتركز قبل كل شيء على أرجاء الاسلام الفسيحة ، لأن الاسلام حين صبغ العالم الطبيعي من حوله ، بالصبغة الإسلامية ، ضم فى الواقع كل ما عرفته الحضارات السابقة ، فأقدم الكتب الجغرافية الاسلامية ، ترجع الى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ، فى خلافة « المأمون » ، وفى عهده رسمت أول خريطة للعالم ، سميت الصورة المأمونية ، وقد شاهدها الحسن المسعودي ، واعتبرها أكثر دقة من خريطة « بطليموس » ، وظهرت أيضاً ، عدة مؤلفات علمية فى الجغرافيا كتب بعضها فلاسفة كالكندي والسرحشي ، وأخرى فلكية ووصفية على شكل رحلات ككتاب ابن خرداذبة « المسالك والممالك » وصورة الأرض لمحمد بن موسى الخوارزمي ، والأعلاق الخطيرة لابن رسته ، وتقدم علم الجغرافيا خلال القرنين الرابع والخامس ، تقدماً كبيراً ، حيث ساهم المؤرخون مثل أحمد اليعقوبي فى الكتابة فى الجغرافيا ، وكذلك علماء الطبيعة . أمثال أبي الحسن المسعودى ، الذى ألف دائرة معارف تجمع علوم الكونيات والتاريخ والجغرافيا ، وعنوانه : « مروج الذهب » ، ثم فتح باباً جديداً فى الجغرافيا الاسلامية ، هو جغرافية البحار ، حيث أقبل البحارة المسلمون ، يمخرون البحر بسفنهم الى البلاد البعيدة ، حتى وصلوا الى جزيرة جاوة ، وسومطرة ، والهند ، والصين . فنشأت قصص شعبية ، وأوصاف علمية ، لهذه



لوحة تمثل صقر الصيد فى متحف تبكابى باسطنبول .. وقد اهتم المسلمون بدراسة كل ما يتعلق بالطيور الجارحة .

الرحلات البحرية مثل أخبار الصيد ، وأخبار الهند ، لسليمان التاجر ، وعجائب البحار ، وبلغت دراسة الجغرافيا الاسلامية أوجها فى مؤلفات أبي الريحان البيروني ، فى كتابه « تحديد نهايات الأماكن » ، وكتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ، وكتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، و « القانون المسعودى » .

ومنذ القرن السادس الهجرى ، الثاني عشر الميلادى ، تقدم علم الجغرافيا الاسلامي وتنظم على يد العلماء المسلمين ، فظهرت الموسوعات مثل « نخبة الدهر » للدمشقي ، و « عجائب البلدان » للقزويني ، و « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسي ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، و « تحفة النظار » لابن بطوطه .. وغيرها .

ولعل أروع ما ظهر فى تلك الفترة من المؤلفات الجغرافية ، عمل الخرائط ، فكانت خريطة العالم للادريسي تمثل قمة علم رسم الخرائط فى الاسلام ، وقد أسهم العلماء المسلمون فى علم « الجيوديسيا » اى علم قياس الأرض ، وقياس قطر الكرة الأرضية على يد فريق كان يرأسه « موسى بن شاكر » .

العلوم الطبيعية

وقد لعبت العلوم الطبيعية دوراً رئيسياً كمصدر تتكامل فيه علوم معينة للطبيعة الوصفية ، كعلم المعادن ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وقد عملت على دمج صور خاصة من المعرفة التابعة للنظام الطبيعي فى المبادىء العالمية للماورائيات ولطبيعة الكون . فعالجت هذه الوضعيات على أنها إشارات ، وآيات من آيات الله ، من الواجب أن يعتبرها الباحث أكثر من أن يحللها فحسب .

وكانت كتابات المسلمين تتراوح بين الموسوعات مثل « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، والملخصات فى وصف الكون كامثال القزويني والدمشقى ، والكتب الجامعة بين التاريخ ووصف الكون للمسعودى ، والكتب الأدبية ، كمؤلفات الجاحظ ، والى الدراسات والفلسفة كالشفاء لابن سينا ، ولكنها جميعها تتحد فى اهتمامها بالربط بين المظاهر الكونية والفلسفة ، ودراسة الطبيعة ، والقوى الروحية الداخلية التى تسيطر على كل ميدان .

وتدل مؤلفات المسلمين على وضوح فهمهم لمظاهر التدرج فى التغييرات الجيولوجية ، وللانقلابات العظمى ، التى حدثت على سطح الأرض ، كتحول الأراضي الى بحار ، أو تحول البحار الى أرض ، وتدل أيضاً على فهم الكوارث كالزلازل ، وعلى أهمية الصخور كوثيقة للتاريخ الجيولوجى للأرض .

وكان أبرز ما اكتشف فى تلك الفترة ، اكتشاف البيروني أن سهل وادي الكنهج فى الهند ، يتكون من طبقات رسوبية .

ولا سبيل الى تناول الجيولوجيا عند المسلمين بالبحث دون ذكر اهتمامهم بالمياه الجوفية ، وقنوات المياه ، مثل أبحاث الكرخي فى كتابه حضارة المياه الجوفية ، حيث نرى المزج بين المعارف النظرية والعملية ، وبين الاختصاصات التى تتراوح بين الرياضيات والجيولوجيا .

وإضافة لذلك فقد ورث المسلمون تراثاً ضخماً من المؤلفات فى علم المعادن ، فقد تناول ابن سينا بالتفصيل عملية تولد الفلزات والمعادن ، ووصفها فى كتابه « الشفاء » ، وفى الجزء الثاني من كتاب القانون وكذلك البيروني فى كتابه الجماهر فى علم الجواهر .

وتبدأ مؤلفات العلماء المسلمين فى علم النبات متقدمة منذ القرن الثانى للهجرة ، الثامن للميلاد ، برسائل جابر بن حيان ، فى علم النبات والفلاحة ، فجمعوا المعلومات عن شكلها وخواصها وأسمائها ، ولعل أهم مؤلفاتهم فى القرن الثالث للهجرة ، كتاب النبات ، لأبى حنيفة الدينورى .

أما علم الحيوان عند المسلمين ، بمعناه الواسع ، فيشمل جميع نواحي الحضارة الاسلامية ، من الفقه الى الأدب ، ومن الفن الى الطب ، فظهر علم الحيوان فى صورته الحقيقية ، بالتوحيد بين مصادره المتعددة التى ورثها الاسلام

عن الحضارات السابقة ، فكتب عن الحيوان علماء اللغة في كل من البصرة والكوفة ، أمثال النضر بن سهل ، والأصمعي ، وابن الاعرابي ، وأبي عبيد بن سلام ، وأبي حاتم السجستاني ، على أن أبرز الذين كتبوا في علم الحيوان الأديب الجاحظ في مؤلفه الموسوعى كتاب الحيوان . كما اهتم الفيلسوف الكندى ، والفارابي ، وابن قتيبة بهذا العلم ، وكان أهم مؤلف اسلامي في الفترة المتأخرة هو « حياة الحيوان الكبرى » لكمال الدين الدميري ، الذى كتب في القرن الثامن للهجرة ، فلخص كل الدراسات السابقة عن الحيوان .

وإن كل من ألقى نظرة أولى الى الحضارة الاسلامية ، وعلى علوم الاسلام ، يدرك المكانة الممتازة التى تحتلها الرياضيات في تقاليد العلوم الاسلامية ، فالفنون ، والعمارة تتخللها الأشكال البلورية والهندسية ، ويظهر الولع بالحساب والرموز العددية في كل الفنون التشكيلية والسماعية ، وخاصة الشعر والموسيقى .

إن هذا الولع والحب للرياضيات ، وخاصة الهندسة والعدد ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوهر الرسالة الاسلامية ، أى مبدأ التوحيد .

وكان للعلماء المسلمين فضل السبق في نقل الارقام ، فهذا الخوارزمي ، يضع كتابه « الجمع والتفريق بحساب الهند » ، وهو الكتاب الذى انتقل الى بلاد الغرب ، فعرفوا منه الحساب لأول مرة . « فاللوغرتم » في اللغة الانجليزية ، و « جوارزمو » في اللغة الأسبانية ، هو تحريف لاسم الخوارزمي . وفي القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، ألف أبو الحسن الاقليدسي ، كتابه « الفصول في الحساب الهندي » ، وكتب أبو الحسن النسوي ، كتاب « المقنع في الحساب الهندى » .

أما الهندسة ، فقد بدأت دراستها عند المسلمين منذ أوائل العصر العباسي ، فقد أثار اهتمام المسلمين بالهندسة ، أعمال بني موسي في بغداد ، وخاصة كتاب « معرفة مساحة الاشكال » ، كما كتب ثابت بن قرة في القرن الثالث للهجرة ، التاسع للميلاد ، عن التكعيب والتربيع ، وطور حساب التكامل ، وحساب التكافؤ .

وكذلك كان نبوغهم في حساب المثلثات المستوية والكروية ، فكانوا أول من عبر عن التوابع المثلثية تعبيراً واضحاً ، فكان « حبش بن الحاسب » أول من استخدم الظل ، كما كان يعرف توابع الجيب وجيب التمام . وكان أبرع تقدم ظهر على يد « أبى الوفاء البوزجاني » الذى ألف كتاب « المجسطى » حيث برهن نظرية الجيب ، في المثلث الكروي ، وكذلك البيروني ، ونصر الدين .

أما الجبر فيعتبر المسلمون أو من ابتكر هذا العلم ، على يد العالم الاسلامى ، محمد بن موسى الخوارزمي ، في كتابه « المختصر في حساب الجبر والمقابلة » في القرن الثالث الهجرى . ثم تبعه في القرن الرابع « أبو كامل شجاع » فابتكر معادلات



مازال هناك كيميائيون فى عدة دول اسلامية ، يزاولون أعمالهم بنفس ماكان متبعا فى عصور ازدهار العالم الاسلامى

تشتمل على خمسة مجاهيل ، وقسم الكرة « أبوعبد الله الماهاني » و « الخوجندي » وبلغ تطور الجبر أوجه بظهور جبر الشاعر « عمر الخيام » ، فقد صنف المعادلات الجبرية حتى الدرجة الثالثة ، وحل هذه المعادلات ، حلولا هندسية .

ولم تكن الرياضيات محدودة بعالم المادة ، كما هي الحال في الرياضيات المعاصرة ، بل كانت في الواقع ، أشد ارتباطاً بعالم صور الحياة ، ثم تتجاوزها الى النماذج العليا .

ويطلق المسلمون على علم الفلك اسم « علم الهيئة » ، أو « علم النجوم » ويختص برصد النجوم الثابتة ، والكواكب السيارة ، وصنع آلات الرصد واستعمالها . وعلم الفلك قديم عند العرب ، فقد كان لعرب الجاهلية تقاليد في مراقبة السماء ، فيعرفون النجوم والأبراج ، وأنشأوا علماً يتصل بمنازل القمر ، وأطلقوا عليه « علم الأنواء » وبقي ذلك حتى ظهور فجر الاسلام ، فهذب العلماء المسلمون هذا العلم ، فهذا ابن قتيبة الدينورى يضع « كتاب الأنواء » ، واتخذ المسلمون التقويم القمرى في تسيير حياتهم الدينية الى يومنا هذا .

وهناك مؤلفات عربية كثيرة في علم الفلك ، من

أهمها ، « التذكرة فى الفلك » لنصر الدين الطوسي ، و« القانون المسعودى » للبيروني ، و« نهاية الادراك » للشيرازي ، وفى عصر المأمون ، أقام الفلكيون كثيراً من الارصاد المبتكرة ، ومن أبرزها ، قياس دائرة خط الزوال قرب الموصل ، وقدم أبو معشر الفلكي البلخي ، دراسة فى علمي الفلك والتنجيم فى مؤلفه الشهير ، «كتاب الألوف » ، وأسهم محمد بن موسى الخوارزمي فى علم الفلك ، وفى القرن الرابع الهجري ، استمر النشاط العلمي فى دراسة الفلك ، من قبل علماء مثل « أبى سهل الكوجى » فى كتابه « علم الفلك » .

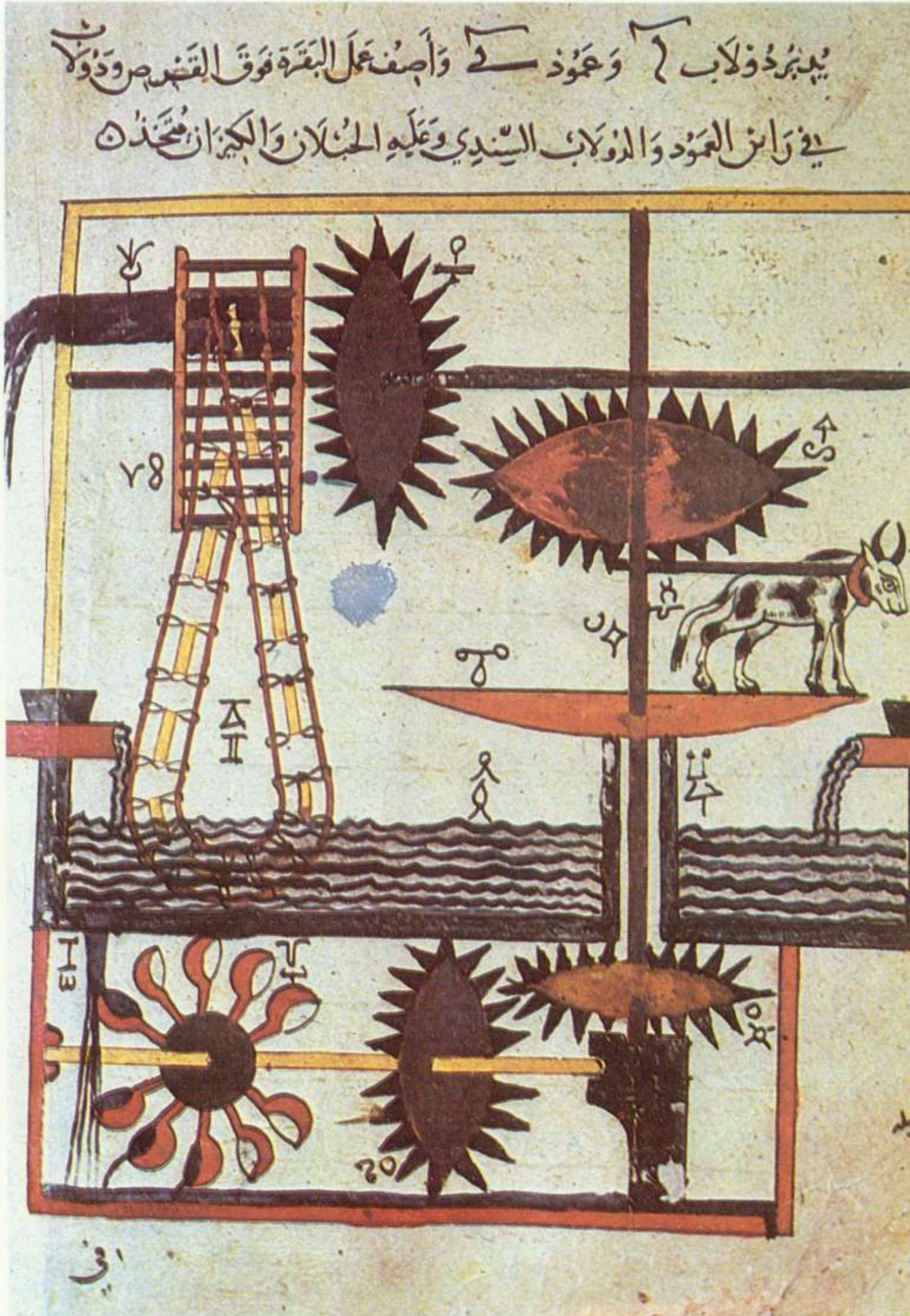
ويعود أول سجل للأرصاد الفلكيه فى العالم الاسلامي الى سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م حين رصد « أحمد النهوندي » حركة الشمس ، ومضت قرون قبل ظهور المرصد كمؤسسة علمية مستقلة ، فمع إنشاء مرصد المراغة سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م . دخل تاريخ المراصد مرحلة جديدة ، وتبعه مرصد استانبول ، ومن أهم الآلات الفلكية الاسلامية « الإصطرلاب » ، ويرجع أصله الى أيام عرب الجاهلية . وأقدم كتاب عربى عن الإصطرلاب ، كان فى القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد ، وقد اخترع جابر بن افلح آلة شاملة تستخدم فى الفلك كما فى الرياضيات والفيزياء ، ثم تبعهم مظفر شرف الدين الطوسي ، باختراع الإصطرلاب الخطى « العصا » لتبسيط الآلة .

وقد تناول عدد كبير من علماء المسلمين وفلاسفتهم الفيزياء ، وانتجوا ثروة فكرية حوت أعمق فلسفة ، فبرع ابن سينا فى مؤلفاته « فن السماع الطبيعى » ، و« الشفاء » ونتيجة لذلك نشأت عدة مدارس فكرية حول مبادىء الفيزياء ، وكانت المدرسة الأكثر شيوعاً ، المدرسة المثالية ، المنسوبة الى أرسطو ، وقد تناولها ابن سينا ، بالدراسة المستفيضة ، فى كتابه الشفا ، وتناولها نصر الدين الطوسي فى شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا . المدرسة الثانية ، هى مدرسة المناوئين للمثالية ، ومنهم محمد بن زكريا الرازي ، والبيروني ، وأبى البركات البغدادي ، أما الثالثة فهى مدرسة المتكلمين ، وهى تهتم مباشرة بمبادىء الفلسفة الطبيعية ، كالنظام الأشعرى ، والباقلاني ، ثم كانت مدرسة رابعة ، أنشأت فيزياء متميزة خاصة بها ، وهى مدرسة الإشراقيين ، وقد وضع السهروردى ــ مؤسسها ــ أساس فيزياء الضوء ، فى كتابه حكمة الاشراق ، وتبعه قطب الدين الشيرازي ، وقد رفضت هذه المدرسة نظرية أرسطو فى تشكيل المادة .

ونظراً لتطور الفيزياء ، نجد أن إسهام المسلمين فى موضع القوة والحركة ، أى الميكانيكا والديناميكا ، يمثل مكانة رئيسية فى اهتمام مؤرخى العلوم ، وكذلك أسهم العلماء المسلمون ، بقدر وافر وهام فى فرع « البصريات » ، فكتب الكندى ، بحثاً فى البصريات ، وتبعه آخرون كالتبريزي ، وابن سينا ، والبيروني ، فناقشوا سرعة الضوء ، بينما درس غيرهم مثل حنين بن اسحاق ، والرازي ، تشريح وظائفية العين ، كما كتب ابن الهيثم كتابه المناظر ، فى تشريح وفسيولوجيا العين ، وكتبوا أيضاً فى انعكاس الضوء ، وانكساره .

علوم الحياة

وقد استمد مفهوم الطب والصيدلة والجراحة ، قوته الروحية من رسالة الاسلام ، من خلال الأوامر التي جاء بها القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكان معظم الفلاسفة المسلمين ، أطباء مهرة ، مثل الكندي ، ابن سينا ، وابن رشد ، ويذكر أن الخليفة الوليد الاول ، هو أول من أقام مستشفى في الاسلام ، في القرن الاول للهجرة/



أجهزة آلية مختلفة من صنع العالم الاسلامى « الجزرى » وهى موثقة فى كتابه « معرفة الحيل الهندسية »

السابع للميلاد ، ولكن هارون الرشيد ، هو أول من أسس مستشفى حقيقيا ، مجهزاً بكل المستلزمات ، في بغداد في القرن الثاني للهجرة ، ثم انشئت المستشفيات في سائر البلاد الاسلامية .

وكان للطب الاسلامي فروع مختلفة تتصل به ، كعلم التشريح ووظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، والطب الباطني ، والكحالة أو طب العيون ، والجراحة .

ثم تطرق المؤلف الى تاريخ الطب الاسلامي ، وتطوره ومصادره ، والطب النبوي من نشأته الى ابن سينا ، ثم الطب الإسلامي بعد ابن سينا ، ثم بحث في الصيدلة ، والأدوية المفردة ، والأدوية المركبة ، والطب الاسلامي العام .

إلى جانب العلوم التي ذكرت سابقاً والتى كانت تسمى العلوم « المفتوحة » أو « المدركة » ، تشتمل العلوم الاسلامية نوعاً من العلوم ، أطلقوا عليه اسم العلوم « الخفية » ، أو « الغريبة » ، وظلت هذه العلوم سراً محجوباً ، لا يعرفه إلا علماؤها . وذلك للحفاظ على المجتمع من استعمالها . لأنها قد تكون وسائل خطرة ، تنشر الفوضى ، في العالم الخارجي الطبيعي ، ومنه البشرى .

هذه العلوم هي تطبيقات لعلوم الكونيات ، ولا يمكن فهمها إلا على ضوء باطني ، ينطوى على النظريات الميتافيزيقية ، اللازمة لتوضيح الرموز التى تحتويها تلك العلوم ، وتحتوى على الكيمياء وسائر العلوم المشابهة .

والحديث عن الكيمياء ، يعنى الحديث عن تحويل الأشياء ، لوجود عامل رمز اليه القدماء باسم « حجر الفلاسفة » ، فكانت الكيمياء منهجاً كاملا في النظرة الى الأشياء ، فهي في ذات الوقت علم الكون ، وعلم النفس ، وترتبط بالصناعة والتعدين من ناحية ، والطب الروحاني من ناحية أخرى ، وتقوم على مبدأ يتلخص في أن كل شيء في كل شيء ، وأن كل شيء يتداخل مع كل شيء .

وقد بلغت الكيمياء الاسلامية ذروتها في أوائل القرن الثانى للهجرة/ الثامن للميلاد ، في عهد جابر بن حيان ، فوضع نظرياته فى « المجموعة الجابرية » ، التى تعتبر انجازا هاما في تاريخ الاسلام . وقد فتح محمد بن زكريا الرازي ، طوراً جديداً في تاريخ الكيمياء الاسلامية ، فهو الرائد الذي حول الكيمياء القديمة ، إلى الكيمياء الحديثة ، وظلت كتبه ، مثل كتاب « الأسرار » و « سر الأسرار » و « المدخل التعليمي » ، تدرسها الأجيال ، ومن أبرز مساهمات الرازي فى الكيمياء ، تصنيفه للجواهر .

وأبرز الرسائل الاسلامية في الأجهزة الكيميائية ، رسالة عن الصنعة وعون الصنعاء ، لأبى الحكيم الكاثي في القرن الخامس للهجرة ، وأهم كتاب في الكيمياء في تلك الفترة ، كتاب « العلم المكتسب فى صناعة الذهب » لأبى القاسم العراقي .



خريطة ابن حوقل التى تمثل غرب آسيا وشرق البحر الأبيض المتوسط



طبيب أسنان يزاول عمله

وتمثل الزراعة الأساس الاقتصادى الذي قامت عليه الحياة في العالم الاسلامي ، وقد ورث المسلمون خبرة آلاف السنين التي عرفتها حضارات غرب آسيا وحوض البحر المتوسط ، وبلاد الرافدين ، وبلاد نهر النيل وغيرها .

ولعل أول من ألف في الزراعة باللغة العربية هو الطبيب الشهير « يوحنا بن ماسيويه » ، الذي تناول موضوع الزراعة في كتابه « الأزمنة » ، ثم تلاه تلميذه « حنين بن اسحاق » .

وفي وقت مبكر من القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، ظهر مؤلف هام لأحمد بن أبى وحشية « بعنوان » الفلاحة « وجمعه تلميذه » أحمد الزيات « سنة ٣١٨ هـ ٩٨٠ م ، وفي القرن الخامس الهجري الحادى عشر الميلادى ، كتب أبو عمر بن الحجاج الأشبيلي عدة رسائل فى الزراعة ، أشهرها « المقنع » ثم صدرت كتب كثيرة فى القرون اللاحقة .

وسوف تظل هذه العلوم تحمل في طياتها أهم رسالة بعثت الى الجنس البشرى ، الذى هو فى أشد الحاجة الى تعميق الايمان برسالة التوحيد ، والى الحياة والمعرفة ، حسب النور الذى بعثته هذه العقيدة دوماً على الوجود الانساني .

حسنى شحادة

تذكار من فلسطين

جامع بئر السبع

فى الأصحاح السادس ، من سفر التثنية ، من توراة اليهود الوضعية ، وعد الرب اليهودى الخاص « يهوه » أبناء شعبه المختار بأن يشق الطريق أمامهم باتجاه فلسطين .. « ناراً آكلة ، يبيد الشعوب ويذلها تثنية-٩ : ٣ » وبأن يجيء بهم فى بلاد الأعداء هذه .. « إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنوها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأوها ، وآبار محفورة لم تحفروها ، وكروم وزيتون لم تغرسوها » .. وقياساً على هذه الروح العدوانية الصارخة منذ نيف وألفي سنة ، فلا ريب أن أحبار اليهود المعاصرين قد أضافوا الى هذه القائمة من الغنائم الفلسطينية الباردة أصنافاً جديدة لم تكن قائمة فى ذلك الزمن السحيق ، من مثل قولهم — بمقتضى واقع الحال — : « ومساجد لم تعمروها ، ومآذن لم ترفعوها ، وزخارف إسلامية لم تنقشوها » !! ..

إن هذا فى حقيقة الأمر هو ما تشهد به الصورة المقابلة لجامع مدينة « بئر السبع » الذى تكاد حجارته الصماء أن تنطق بعمرها العربى الفلسطيني المديد منذ مئات السنين .. وبرغم ذلك فإن سائحاً أجنبياً — أو فلنقل حتى عربياً ومسلماً أيضاً ، من حيث أصبح ذلك ممكناً فى هذا الزمن العربى — لو أدركته صلاة الظهر أو العصر مثلا فى بئر السبع ، وساقته قدماه الى مدخل هذا المسجد المظلل بالأشجار الباسقة ليؤدي ما عليه من فرض ، فإنه سيفاجأ على الفور بلافتة بالعبرية والانكليزية تقول له إن هذا هو « متحف النقب الاسرائيلي » ، ولسوف يلتقطه الدليل الإشكنازى الوافد لتوه من أحياء « الغيتو » اليهودية فى وارسو ، أو براغ ، أو بوخارست ، أو فى جهنم نفسها ، ليشرح له بالتفصيل كيف أن بلدية المدينة قد أسست هذا المتحف عام ١٩٥٣ ، أى بعد خمس سنوات مما سيصفه بـ « حرب استقلال اسرائيل عام ١٩٤٨ » ، ولربما استدرجه أيضاً الى داخل « المسجد — المتحف » ليريه فيه آثار « بنى اسرائيل » ، ليس من مجرد العصور العربية الخالصة التى تعاقبت خمسة آلاف سنة على تراب فلسطين ، وإنما كذلك على بعض العُبيِّ ، والحصر ، والسيوف ، وأسرجة الخيول ، وأرحال الجمال ، المصادرة جميعها منذ أول البارحة فقط من قبائل الطائية ، والقضاعية ، وبنى عدى ، والحناجرة ، والجبارات ، والترابين ، والتياهة ، والعزازمة ، من عرب النقب فى أقصى جنوب فلسطين !! ..

ليس السؤال الآن : كم هى عشرات المساجد الفلسطينية التى تحولت إلى متاحف أو مرابع يهودية ، فى جملة ما قد تحول من ملامح الوطن الرئيسية بهذا الشكل الدميم الذميم ، بقدر ما يختزل السؤال الجدي نفسه فى مجرد كلمتين اثنتين :

— وماذا بعد ؟! ..

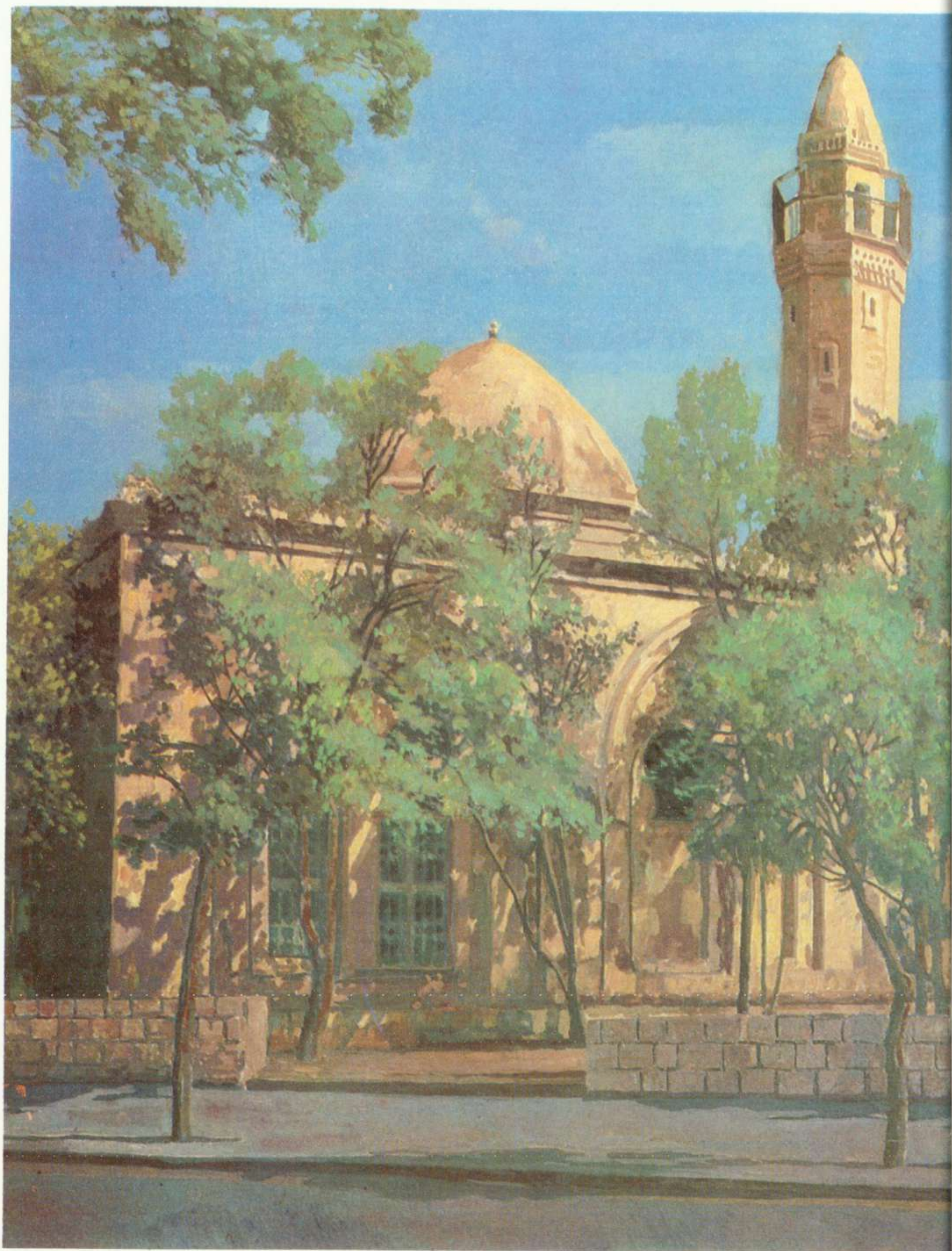
يجيب على هذا السؤال الجاد — بشكل ساخر — ميثاق لاهاى الذى تعتمده منظمة اليونسكو فيما يتعلق « بحماية الآثار والممتلكات الثقافية والحضارية فى حالات النزاع المسلح » .. وبقدر ما أسعفنى الجهد فقد أحصيت أربعة عشر قراراً لمنظمة اليونسكو عن فترة السنوات الأربع ما بين عامى ١٩٦٨ و ١٩٧١ ، فيما يتصل بدوس « اسرائيل » بأقدامها على ميثاق لاهاى « العتيد !! » فوق أرض فلسطين ، ألا وهى القرارات التى تنطوي جميعها على هذا المقطع ذاته من أغنية الشيطان : « إن اليونسكو تعيد تأكيد قلقها بشأن عدم تنفيذ قراراتها السابقة فى هذا الخصوص » !! .. وياهول غضب الولايات المتحدة الأمريكية إن تعدى علماء اليونسكو الأفاضل هذه العبارة المعلبة ، إلى أية صيغة أخرى تناقش الأساس الأخلاقى الباطل الذى تقوم عليه عضوية « اسرائيل » فى المنظمة ، فعندئذ سيرغى السيد الأمريكى ويزبد ، ويهدد المنظمة بالويل والثبور ، وعظائم الأمور !! ..

على أن السؤال المؤرق ما يزال قائماً على حاله :

— وماذا بعد ؟! ..

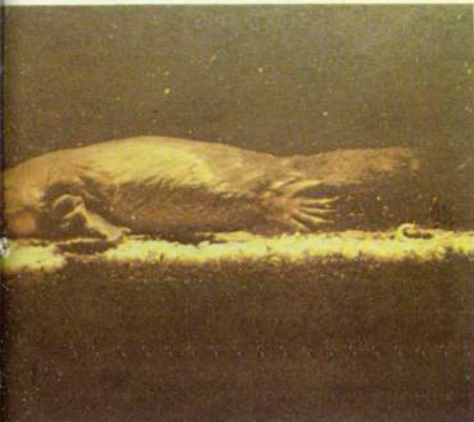
أم ترى يجمل بسجايانا العربية الحميدة المتسامحة أن نستأني قليلاً — أو ربما قليلا جداً — ريثما يتحول المسجد الأقصى — أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى الرسول الأعظم ، ومعراجه الى السماء — الى كنيس يهودى حاشد بالحاخامات ، وتتلى فيه ، عن آي الذكر الحكيم ، أسفار التوراة !! ..

يوسف الخطيب



المخلوق اللغز

هو في الواقع لغز وضع العلماء في حيرة كبيرة والا فما رأيك إذا سرد لك أحدهم أوصاف هذ المخلوق ، وطلب منك — ان كنت تستطيع — أ ترجعه إلى عالم الطيور أو إلى عالم الحيوانات الثديية ، وعندئذ قد تقول : الحل بسيط ، فلا أحد يجهل الفرق بين طير وحيوان ... وأياً كانت الأمور ، فما عليك إلا أن تتمعن في الصورة ، ثم اقرأ هذا الوصف ، فلعلك توفق في الحل ، ولنبدأ بتساؤل «ماهو المخلوق الذي جاء بفراء كالثعلب وذنب كالسمور أو القندس ، ومنقار كالبط وأرجل يعوم بها مثل الأوز ، ثم أنه يبيض ، لكنه يرضع أطفاله بلبنه ؟» .. إن هذا الحيوان النادر لايزال يعيش في استراليا وتسمانيا ، وعندما اكتشفه العلماء ، وجدوه وكأنما هو متحف حي يضم في تكوينه أجزاء من حيوانات مختلفة ، فلا أحد يستطيع أن يقول إنه طائر ، ولا هو كذلك حيوان ثديي ، لأنه يبيض كالطيور ، ويرضع أطفاله بغدد لبنية .. هذا الحيوان الغريب اسمه «منقار البط» أو «البلاتياس» ..





طفرات غريبة

كل خلق متناسق ، ففي خلق الإنسان تناسق ، وكذلك في الزهور والفراشات والبلورات ، وأضف إلى ذلك ماتشاء من كل أنواع المخلوقات ، ولاشك أننا نهوى التناسق ، لأن الكون ذاته قد قام على تناسق ، وتحكمه كذلك قوانين متناسقة ، ومع ذلك ، فلكل قاعدة شواذ .. فأحيانا ما يأتي القط مثلا بعينين ذات لونين مختلفين ، كأن تكون إحداهما زرقاء ، والأخرى بنية أو خضراء ، وقد يحدث ذلك في حالات نادرة مع الإنسان ، لكن هذه اللقطة خير دليل على عدم تناسق الألوان في الفراشات ، بمعنى أن ألوان الأجنحة اليمنى غير اليسرى ، لكن الغريب أن ذلك الاختلاف ليس على مستوى اللون فقط ، بل على الجنس أيضاً ، أي أن جانباً منها قد جاء بأجنحة ذكرية ، والآخر بأجنحة أنثوية ، ويعني أن هذه الفراشات إناث في ذكور ، أو ذكور في إناث ، لكن مثل هذه الطفرات الشاذة غير مرغوب فيها لشذوذها ، ومن أجل ذلك فلا ذرية لها ، منعاً لمزيد من الشذوذ أو عدم التناسق .. لأن التناسق شريعة الحياة وكما قدره الله .

خـدعـة الأوراق التـي تطـيـر !

من بعيد قد تحسبها شجرة خضراء مورقة ، فاذا اقتربت منها ، هيء اليك أن أوراقها تطير ، ثم تحلق فى الهواء بزقزقة العصافير ، وعندئذ ستقع على مواطن الخدعة ، وتعرف أن الشجرة كانت مغطاة من بدايتها حتى نهايتها بحشد من عصافير خضراء ، فتوحى بأن الشجرة مورقة ، رغم أنها كانت جرداء .. وهذه اللقطة الفريدة من استراليا ، حيث تعيش تلك العصافير الصغيرة من عائلة الببغاوات ، ويسميها أهالى استراليا البدائيون « بتشيريجاه » — وتعنى فى لغتهم « الطعام الطيب » ، لأنهم يعيشون على صيدها وأكلها . ورغم ذلك لم تنقص أعدادها . بل تحلق فى أسراب قد تصل الى الملايين ، فتبدو من بعيد كأنما هى غمام يرتفع وينخفض ، وعندما تلجأ الى الأشجار الجافة ، تكسبها خضرة زاهية ، وكما تراها فى هذه الصورة المعبرة .





حـــاذر.. فالموت في العشب كامن

نعم .. أعشاب جافة ، وأوراق متساقطة ، ولا ضرر منها البتة ، لكن الظاهر خادع ، ومن هذه الخدعة التي لا تتنبه لها العيون ، اتخذت الحية الكامنة بين الأعشاب (والمشار إليها بسهم في الصورة) عملية تمويه متقنة ، ويساعدها على ذلك لون جلدها المبرقش بألوان قريبة من ألوان الأعشاب المتساقطة على أرضية الغابة ، ويصعب اكتشافها بعيني ضفدع أو طير أو فأر أو أي حيوان آخر مناسب لطعامها ، وعندئذ تحصل على طعام ميسر ، بأقل جهد ممكن ، وفي الوقت ذاته تحمي نفسها من الطيور الجارحة التي تطمع في لحمها ، فكأنما هي تضرب عصفورين بحجر واحد .. ولاشك أن عملية التمويه والاختفاء والخداع ليست مقصورة على هذه الحية وحدها ، بل قد تأتي أنواع أخرى بألوان قريبة من لون البيئة ، فإذا كانت خضراء أو صفراء أو بنية ، جاء جلدها بذات اللون أو ذاك .. وهي نفس عمليات التمويه التي عرفها الإنسان حديثاً في الحروب ، وإن كانت الحيوانات قد سبقتنا إليها بعشرات الملايين من السنين .

● باريس تقيم أكبر معرض لأعمال الفنان رينوار ●● صراع البصّاصين في القرن العاشر الهجري ●●● أفضل كتاب في تاريخ الأدب الياباني يضعه مؤلف أمريكي
● المرأة التي تطير في الليل .. رواية هندية أمريكية

عام ١٩٨٥م
عام رينوار


لوحة للفنان رينوار بريشته

يقام فى باريس فى الفترة من يونيو الى أغسطس من العام الحالى معرض لأعمال الفنان رينوار. سيقام المعرض فى القصر الكبير «لوجران باليه» ويضم أروع مختارات لرينوار تبلغ ١٠٠ لوحة زيتية و٥٠٠ من الرسوم والاسكتشات. وهذا الحدث يثير اهتماماً كبيراً فى الأوساط الفنية فى فرنسا والعالم وينعكس هذا الاهتمام فى الصحف والمجلات الفرنسية التى أطلقت على عام ١٩٨٥ «عام رينوار».

واستعداداً لهذا المعرض الكبير تصل تباعاً هذه الأيام على باريس لوحات ورسوم رينوار الموزعة فى

كان رينوار يعشق تصوير الحياة والعلاقات الأسرية فى لوحاته .. اللوحة بعنوان : شقيقتان (١٨٩٧)

بقلم: محمد العزب موسى



فتيات البيانو : من اللوحات الهامة للفنان العالمى رينوار ، وقد رسمها عام ١٨٩٢

مختلف العواصم والمتاحف والمجموعات الخاصة ، من ستوكهلم وسان باولو وبرلين وسان فرنسسكو وبوستن ونيويورك ومينابولس وشيكاغو ولندن بالاضافة الى المجموعة الكبيرة الموجودة فى متحف « دورساى » و « لورنجرى » بباريس .

وينتظر أن يجتذب معرض رينوار ملايين الزوار من عشاق الفن من فرنسا وخارجها باعتباره أول معرض ضخم متكامل يضم أعمال هذا الفنان العظيم الذى استطاع أن يجسد البهجة والجمال فى لوحات خالدة تنتزع اعجاب المشاهدين حتى لو لم يكونوا من نقاد الفن وعشاقه . وتستعد باريس من الآن لاستقبال هذا الحشد الهائل من الزوار المنتظرين مما يجعل من عام ١٩٨٥ بحق « عام رينوار » على حد تعبير الصحف الفرنسية .

• • •

ينتمى رينوار الى المدرسة التعبيرية Impressionism التى سيطرت على فن التصوير خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر . ولكنه اختط لنفسه خطاً مستقلا فى الأسلوب والموضوع مما جعله متميزاً عن باقى الفنانين ، أو صاحب نزعة مستقلة داخل هذه المدرسة ، فمن حيث الأسلوب لم يكن رينوار يلجأ الى توزيع الألوان بضربات قصيرة من الفرشاة كما يفعل معظم الفنانين التعبيريين بحيث تبدو لوحاتهم مبرقشة بعشرات البقع اللونية والضوئية الصغيرة ، وانما كان يعتمد على الخط الانسيابى المحدد الملامح . ومن حيث الموضوع كان يركز أساساً على البشر رجالا ونساء وأطفالا وليس المناظر الطبيعية كما يفعل زملاؤه . ومع ذلك ظل رينوار واحداً من ألمع أعضاء المدرسة التعبيرية وأكثرهم استقلالاً .

ولد بيير ــ أوجست رينوار فى مدينة « ليموج »



حفلة موسيقية : لوحة تظهر فيها براعة الفنان فى تصوير جو الحياة الاجتماعية فى عصره

الصغيرة يوم ٢٥ فبراير ١٨٤١ فى أسرة من صغار الحرفيين ، كان أبوه خياطاً له سبعة أبناء ، وانتقلت الأسرة إلى باريس فى ١٨٤٥ ، وكشف رينوار موهبته فى الرسم فى سن مبكرة ، مما جعل والداه يلحقانه وهو فى سن الثالثة عشرة بمصنع للخزف حيث تعلم أن يزين الصحون الخزفية بباقات الزهر ، وبعد ذلك بدأ يرسم ويلون مراوح السيدات والستائر ذات الصور الدينية التى تعلق فى الكنائس .

وبمبادرة شخصية من نفسه قرر رينوار أن يتعلم أصول الرسم ، وكان قد تمكن من ادخار مبلغ قليل من المال استطاع به الالتحاق فى عام ١٨٦٢ بالدروس الليلية لمدرسة الفنون الجميلة حيث درس الرسم والتشريح ، كما أخذ دروساً فى ستوديو شارل جلير وهو رسام سويسرى كان تلميذاً للفنان إنجرز وهو من أعظم فنانى الكلاسيكية الجديدة فى القرن التاسع عشر .

ولم يكن رينوار راضياً عن الأسلوب الأكاديمى لاستاذه السويسرى ، ولكنه تقبل الدراسة للحصول على مبادىء المعرفة الأولية اللازمة لأى فنان . وفى ستوديو شارل جلير تعرف رينوار بمجموعة من شباب الفنانين الذين كانوا يشاركونه الرغبة فى انشاء فن جديد أكثر التصاقاً بالحياة ومتحرر من التقاليد القديمة ، ومن هؤلاء الشبان كلود مونيه ، وبول سيزان ، وكاميل بيسارو ، ونشأت بينهم صداقة قوية .

كانت تقاليد الرسم فى ذلك الوقت تقضى بأن تتم كل لوحة داخل الاستديو ، حتى إذا كانت صورة طبيعية ، ولكن رينوار واصدقاءه الشبان قرروا الثورة على هذا الأسلوب ، وخرجوا فى ربيع ١٨٦٤ الى غابة فونتنبلو حيث كرسوا أنفسهم للرسم مباشرة عن الطبيعة .

وقبل هؤلاء الشبان كانت غابة فونتنبلو قد اجتذبت فناناً آخر هو ادوارد مانيه الذى رسم فى عام ١٨٦٣ لوحته الشهيرة « الغداء على العشب » المحفوظة الآن بمتحف اللوفر فى باريس . ولكن مانيه آثار فى ذلك الحين لغطا شديداً لأن موضوعه وأسلوبه كانا يختلفان بشدة عن المألوف وصمد مانيه للثورة العاتية التى هبت حوله مؤكداً الحاجة الى أسلوب جديد يجعل فن التصوير أكثر التصاقاً بالحقيقة ، وهذه الشجاعة جعلته زعيماً لحركة جديدة فى أعين هؤلاء الشبان الصغار ، ومن هنا بدأت روافد التعبيرية تتجمع ، حتى تمكن هؤلاء الفنانون التعبيريون الشبان من اقامة أول معرض لهم بعد عشر سنوات فى عام ١٨٧٤ ولكنه كان مستقلا عن صالون العرض الرسمى . وأثار هذا المعرض الأول للحركة التعبيرية ضجة هائلة وصلت الى حد الفضيحة . ولكن الحركة كانت قد ولدت .

وفى البداية لم يتحمس النقاد الفنيون للوحات التعبيرية وكان من الصعب أن تجد لوحة تعبيرية مشتريا يدفع فيها ثمناً طيباً مما جعل هؤلاء الفنانين وأمثالهم يعيشون فى ضنك مادى ، ولكن رينوار وجد خطا مختلفاً ، فقد أدى ميله الى رسم الأشخاص ، وخاصة أسلوبه فى اظهار نعومة البشرة إلى الاستقلال عن زملائه الذين الزموا أنفسهم برسم المناظر الطبيعية ، ولذلك تلقى رينوار عدة طلبات لرسم الوجوه ، وبفضل الناشر جورج شاربنتييه دخل رينوار مجتمع الطبقة المتوسطة العليا حيث رسم لوحات كثيرة لسيدات وأطفال هذه الطبقة . ثم أقام له شاربنتييه معرضاً خاصاً فى « جاليرى الحياة الجديدة » عام ١٨٧٩ ، وأصبح رينوار أستاذاً فى فنه ، ومعترفاً به من النقاد .

• • •

غير أن رينوار لم يلبث أن انقلب على التعبيريين . ففيما بين عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢ قام الفنان بعدة رحلات الى الجزائر وايطاليا واقليم بروفانس الفرنسى كان لها تأثير كبير على فنه وحياته . فقد اقتنع بأن الاقتصار على استخدام التكنيك التعبيرى لم يعد كافياً بالنسبة له ، فإن الضربات الصغيرة بالفرشاة مع الألوان المتناقضة جنباً إلى جنب لا تساعده على ابراز جمال البشرة ونعومتها . كما اكتشف أيضاً ان اللون الأسود لا يستحق هذا الازدراء الذى ينظر به إليه زملاؤه التعبيريون ، ففى بعض الأحيان يكون له تأثير قوى ويبرز جمال الألوان الأخرى . وأثناء رحلته فى ايطاليا اكتشف رينوار فن رفائيل والكلاسيكيين العظام ، وما فيه من جمال الرسم ونقاء اللون ووضوح الخط مما يبرز جمال الجسم البشرى . وفى نفس الوقت أخذ يقرأ للنقاد الفنيين القدامى من عصر النهضة من أمثال شنتيننتو شينينى ووجد نفسه يتجاوب مع أفكارهم ، وكان لكل ذلك تأثير قوى عليه بلغ حد الأزمة النفسية ، وأحس أنه حتى الآن يسير فى الطريق الخطأ ، وعليه أن ينفصل عن التأثيريين الذين أصبحوا فى نظره محل شك كبير .

وكل الأعمال التي نفذها رينوار بين عامى ١٨٨٣ ـ ٨٤ أصبحت تتميز بأسلوب جديد أطلق عليه نقاد الفن عنوان « فترة انجرز » لبيان تشابهها مع أسلوب انجرز الذى سبق أن درسه رينوار فى ستوديو شارل جلير وثار عليه ، فها هو يعود الآن مرة أخرى الى الكلاسيكية الجديدة ، ولكن تجربته مع التعبيرية لم تذهب سدى ، اذ ظل محتفظاً بالألوان الكثيرة الزاهية

واستمر رفضه القوى للتأثيرية حتى حوالى عام ١٨٩٠ وخلال هذه السنوات قام بعدة زيارات الى جنوب فرنسا حيث اعطته طبيعة هذه المنطقة ذات الشمس المشرقة تشجيعاً أكبر للانفصال عن التأثيريين الذين ارتبطوا فى وجهة نظره باجواء الضباب والبرودة . لقد أعطته منطقة جنوب فرنسا مناظر تتفجر بالألوان والمشاعر ، وفى نفس الوقت جعلته يبتعد عن الوقوع فى براثن القواعد المتزمتة للكلاسيكية . وأثناء وجوده فى جنوب فرنسا رسم صبايا يانعات كباقات الزهور جامعاً بذلك كل خبراته وتجاربه الفنية معاً ابتداء من رسم الزهور على الأطباق ومروراً بالتعبيرية والكلاسيكية الجديدة مع الثورة على كل ذلك فى نفس الوقت .. لقد اكتشف نفسه .. أصبح رينوار .

وتحسن مركزه المالى تحسناً كبيراً ، وتزوج فى عام ١٨٩٠ من اليس شاريجو ، وأقام معرضا فنياً فى عام ١٨٩٢ نجح نجاحاً ساحقاً ، لقد ضمن الآن مستقبله ، وتعكس أعماله فى تلك الفترة احساسه بالأمن والتفاؤل والثقة فى المستقبل .

• • •

بعد ذلك بعامين أصيب رينوار بأول نوبة روماتيزم ، وتكررت عليه نوبات المرض ، وأصبح يقضى مزيداً من الوقت فى جنوب فرنسا حيث يلائم الجو صحته ثم قرر فى عام ١٨٩٩ ان يستقر نهائياً فى قرية « كان » الصغيرة واشترى مزرعة أسرة « كوليت » حيث أمضى بقية حياته . وفى عام ١٩١٠ لم يعد قادراً على المشى وأخذت صحته تتدهور ، ولكنه لم يتوقف عن الرسم ، وعندما تيبست أصابعه ولم يعد قادراً على الامساك بالفرشاة ، كان يربط الفرشاة فى يده ، ويرسم !

وبالرغم من مأساته الصحية استمرت رسومه تعكس موقف المرح المتفائل ازاء الحياة ، ولكنه لم يعد راضياً عن اختيار موضوعاته من الباريسيات البرجوازيات اللاتى لا تفارقهن الابتسامة ، واقتصر فى سنواته الأخيرة على رسم زوجته وابنائه وخادمته جابرييلا وأزهار وثمار حديقته . وفى عام ١٩١٥ توفيت زوجته بعد أن عادت من « جيرارد مير » حيث ذهبت لرؤية ابنهما جان الذى أصيب بجراح خطيرة فى الحرب ، وعاش رينوار بعدها أربع سنوات أخرى حتى مات فى « كان » يوم ٣ ديسمبر ١٩١٩ ، وله من العمر ٧٨ عاماً ، ولكن قبل وفاته بعدة أشهر ، فى أغسطس ومن نفس العام ، استطاع الذهاب الى باريس لحضور الاحتفال بإحدى لوحاته الشهيرة التى اشترتها الدولة ، وفى هذه المناسبة أخذه بعض الأصدقاء على كرسى متحرك وتجولوا به لآخر مرة فى أروقة اللوفر حيث القى نظرة أخيرة على الروائع التى ألهمته وظل مولعا بها طيلة حياته .

ترجمة فرنسية لرواية "الزيني بركات"





المؤلف : جمال الغيطاني .. وغلاف روايته « الزينى بركات » بعد أن ترجمت إلى الفرنسية فى باريس

صدرت فى باريس مؤخراً رواية (الزينى بركات) للكاتب المصرى جمال الغيطاني . الرواية صدرت عن دار « لوسوى » احدى دور النشر الكبرى فى فرنسا ، وتعتبر أول رواية عربية تنشرها « لوسوى » التى قدمت من قبل أعمالا لكبار الأدباء غير الفرنسيين من أمثال جارثيا ماركيز وسولجنستين وجونتر جراس والايطالى ايتالو كالفينو .

بدأت ترجمة الرواية منذ عام ١٩٨٠ عندما قدم الدكتور جمال الدين بن شيخ أستاذ الأدب العربى بجامعة السوربون مشروعا بترجمتها الى « لوسوى » ، وجرت مفاوضات بينه وبين الدار استغرقت ستة شهور تم فى نهايتها الاتفاق على ترجمة الرواية . واختار الدكتور جمال الدين ابن شيخ أحد تلامذته الفرنسيين لترجمتها ، وأنجز جان فرانسوا فوركاد ترجمة « الزينى بركات » فى أربع سنوات وذلك نظراً لصعوبة النص الذى استخدم فيه المؤلف تعبيرات قديمة ترجع الى العصر العثماني .

الرواية صدرت فى يناير الماضى ، ومنذ صدورها لم تنقطع أجهزة الاعلام الفرنسية وكذلك الأوساط الأدبية الفرنسية عن الترحيب بها . وقد زار المؤلف باريس بمناسبة صدور الرواية وأجرى عدداً من اللقاءات الصحفية مع الصحف والمجلات الفرنسية ، كما ألقى محاضرة فى جامعة السوربون (ايكول سوبيريير نورمال) على طلبة شهادة الاجرجاسيون والدكتوراه الذين يدرسون العربية .

تدور أحداث الرواية فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) . بالتحديد فى السنوات العشر التى سبقت الغزو العثماني لمصر . وتبدأ أحداث الرواية بعزل على بن أبى الجود متولى حسبة القاهرة بعد تزايد ظلمه فى الخلق . ثم يلى ذلك قرار بتعيين الزينى بركات بن موسى متولياً للحسبة ، ويفاجأ الناس بأن الزينى بركات يرفض المنصب الجديد الذى يجعله متحكماً فى رقاب العباد والبلاد ، ويبكى بين يدى السلطان لأنه يخشى أن يظلم أحداً من الخلق .

ويأتى هذا الموقف مفاجأة حادة لزكريا بن راضى كبير البصاصين فى السلطنة خاصة وأن التقارير المتوفرة لديه تؤكد أن الزينى بركات دفع برطيلا كبيراً للسلطان لكى يعينه فى هذا المنصب ، ويدرك كبير البصاصين انه أمام داهية جبار لم يتعامل مع مثله من قبل .

يتمسك الناس بالزينى بركات ، فلأول مرة يرون من يرفض منصباً ، ويلجأون الى الشيخ أبو السعود الجارحى ضمير العصر ليضغط على الزينى كى يقبل المنصب . ويقوم سعيد الجهينى الطالب الأزهرى المثالى وتلميذ الشيخ أبو السعود بالتوسط

حتى يقبل الزينى بركات .

وتحت ضغط الشيخ أبو السعود والحاج الناس يقبل الزينى بركات تولى حسبة القاهرة ، ويرتعد زكريا بن راضى خوفاً من الرجل الجديد الذى يختلف عن كل من عرفهم ، خاصة عندما يعلن الزينى بركات ان مصالح الناس قد تهددت بالتجسس . وأنه سوف ينشىء جهازاً يتبعه خاصاً بالبصاصين ليقيم العدالة بين الناس . ويبدأ صراع مرير بين الزينى بركات وزكريا بن راضى .

وشيئاً فشيئاً ينكشف أن الزينى بركات ما هو إلا داهية جبار يبغى تكريس كل الأوضاع القائمة واستغلالها لصالحه ولكن من خلال عملية خداع واسعة وذكية جداً ، بحيث يبدو الظلم عدلا ، والفساد صلاحاً ، ويستخدم كافة الأساليب حتى أن عدوه اللدود زكريا بن راضى يضطر الى الاعجاب به فى بعض المواقف .

ولم يلبث أن يتضخم نفوذ الزينى بركات ويتدخل لتطوير عمل البصاصين ، ومن ذلك انه يعقد مؤتمراً سرياً لكبار البصاصين فى العالم حتى يمكنه أن يتجسس عليهم وهم فى دياره ويستفيد من أساليبهم وحيلهم الجهنمية .

وشيئاً فشيئاً تتوحد مصالح زكريا والزينى حتى أن الشيخ أبو السعود عندما يأمر بالقبض على الزينى بركات بعد أن اكتشف حقيقته يكون الساعى الأول لانقاذه هو زكريا بن راضى .

فى نفس الوقت يتم تدمير سعيد الجهينى بوسائل جهنمية شتى بحيث يتحول الشاب المثالى الحالم بعالم أفضل الى بصاص تابع لزكريا .

يصبح الزينى بركات هو الرجل الأول فى السلطنة المملوكية ، ويقع الغزو العثمانى لمصر ، وتزول السلطنة المملوكية ، وتتحول مصر الى مجرد ولاية تابعة للآستانة ، والعجيب ان الزينى بركات يستمر فى نفس مناصبه وكأن شيئاً لم يتغير ، يستمر ولكن فى عالم خرب مدمر ، فبعد أن تم تدمير الانسان وحريته دمرت حرية الوطن ، وفقد استقلاله .

استخدم المؤلف فى النص العربى لغة تراثية مستوحاة من كتابات المؤرخين فى القرون الوسطى ، كما استوحى من حوليات التاريخ تكنيكاً جديداً على الرواية العربية حيث استبدل بالفصول السرادقات والتقارير البوليسية . ولكن المؤلف اخترع أساليب بوليسية لم تكن مستخدمة فى القرون الوسطى بل إن بعضها مستوحى من المستقبل ، وهذا يجعل الرواية خارج اطار التاريخ بالرغم من ثوبها التاريخى ، ويجعلها صرخة ضد القهر الانسانى فى كل زمان ومكان .

كاتبة أمريكية تفخر بأصلها الهندي



الكاتبة الأمريكية « ايجناسيا بروكر » التى تحاول أن تصحح بعض المفاهيم الخاطئة عن الهنود الحمر

ايجناسيا بروكر كاتبة أمريكية من أصل هندى أحمر تحاول أن تشعل نار الكبرياء فى نفوس بنى جلدتها . انها فخورة بكونها هندية وارثة للتراث الحضارى العظيم لشعوب الانكا والمايا والازتك . ورسالتها الى شباب الهنود الحمر الذين تحاضرهم باستمرار فى مدارس مينا بوليس : افخروا بكونكم هنوداً .. ان العالم المتحضر يعكف الآن على دراسة تاريخنا وحضارتنا وفنوننا ويرى أننا استطعنا أن ننجز أشياء كثيرة وان طرقنا كانت صحيحة .

وأهم قيمة هندية تصر على أن تبثها بين الشباب هى « الاحترام » : تمسكوا بأن تحترموا كل شيء .. احترموا الغابة ، والأرض ، والنباتات ، والحياة الحيوانية . واحترموا آباءكم وكل انسان ..

وايجناسيا بروكر مدرسة ، ومؤلفة ، وعاملة محترفة فى ميدان الحقوق الانسانية والمدنية . وقد حصلت فى شهر فبراير الماضى على جائزة تقديرية من الاتحاد النسائى فى نيويورك لنشاطها الجم فى ميدان الخدمة العامة .

وهى أرشيف حى للحكايات والأساطير التى ترامت إليها من ماضيها القبلى السحيق . وتذكر انها عندما كانت طفلة فى قبيلة « أوجيبواى » التى تحيا فى معزل « الأرض البيضاء » بولاية مينيسوتا أثناء العشرينات كانت شغوفة بالاستماع الى الحكايات والأساطير التى تقصها أمها وجدتها وعجائز المنزل . وعندما كبرت واصلت طيلة حياتها هواية جمع القصاصات من الصحف والمجلات عن الهنود الحمر وتسجيل كل ما تحصل عليه من معلومات وملاحقات « انتظاراً لليوم الذى تجلس فيه وتضع كتاباً عن تراث شعبها » ، وهو هدف كان يثير سخرية من حولها ، ولكنها عاشت كي تحول هذا الحلم إلى حقيقة ، فأصدرت فى عام ١٩٨٣ رواية طويلة بعنوان « المرأة التى تطير فى الليل » وهى قصة حياة جدتها منذ مولدها فى منتصف القرن التاسع عشر حتى وفاتها فى أوائل الثلاثينيات . وقد أدركتها ايجناسيا وهى طفلة وصبية صغيرة .

والرواية تدور بأسلوب « حكايات جدتى » أى الحكاية التى تقصها الجدة على أحفادها الصغار وهي تصف آلام عصر الانتقال الذى عاناه الهنود الحمر عندما ارغموا على تغيير حياتهم التقليدية فى الغابة كى يأخذوا « بالأساليب الجديدة » للرجل الأبيض ، وما صحب ذلك من انتزاع عنيف للجذور وصدمات وخيبات أمل دون أن يفقد هذا الشعب تفاؤله وشعوره بقوة واستمرارية تقاليده ومثله العليا .

وتعكف ايجناسيا بروكر فى الوقت الحاضر على كتابة عمل جديد يصور فترة الانتقال الثانية من المعازل الى الحياة فى مدن القرن العشرين ، وهى الفترة التى شهدتها هى نفسها ، وتأمل أن تساعد بهذا العمل القراء الهنود والبيض على السواء على تصحيح بعض المقولات الخاطئة المؤسسة على سوء الفهم أو تشويه المعلومات حيث أن البيض ، كما تقول ايجناسيا ، مازالوا متمسكين بكثير من الخرافات عن الهنود الحمر .

«الفجر الغربي» أفضل كتاب عن الأدب الياباني


الناقد والباحث الأمريكي دونالد كين

هذا الرجل يستحق أن يكون نموذجاً للصبر فى ميدان الدراسات الأدبية. لقد أمضى ٤٣ عاماً فى دراسة الأدب اليابانى قبل أن يصدر كتابه الكبير «الفجر الغربى» الذى عده الملحق الأدبى لصحيفة نيويورك تايمز واحداً من أحسن ١٥ كتاباً صدر فى العالم خلال عام ١٩٨٤.

انه الناقد والباحث الأمريكى دونالد كين الذى استطاع بكتابه «الفجر الغربى» (٢٠٠٠ صفحة فى جزءين) أن يقدم أفضل وأكمل دراسة للأدب اليابانى فى أية لغة بما فى ذلك اللغة اليابانية نفسها.

واللغة اليابانية من أكثر لغات العالم صعوبة، ومن النادر أن يجيدها غير يابانى قراءة وكتابة ونطقاً. ولكن صعوبتها ذابت أمام اصرار رونالد كين الذى درسها بهواية وشغف.

ولد دونالد كين فى نيويورك ويبلغ الآن الثانية والستين من العمر، ويعمل استاذا للادب اليابانى فى جامعة كولومبيا الأمريكية، وقد كرس حياته لدراسة الثقافة اليابانية، إذ بدأ فى دراسة اللغة اليابانية فى صيف ١٩٤١، بعد حادثة بيرل هاربر الشهيرة، بدافع من الفضول وحب الاستطلاع، وكان ذلك مع صديقين آخرين وتحت اشراف معلم يابانى فى جبال نورث كارولينا، وبعد أن أنهى دراسته الجامعية فى عام ١٩٤٢ التحق بالبحرية الأمريكية حيث أمضى «شهراً فى دراسة مكثفة للغة اليابانية فى مدرسة اللغات الأجنبية التابعة للأسطول، ثم أرسل الى بيرل هاربر عام ١٩٤٣ ليتولى ترجمة الوثائق اليابانية التى يستولى عليها الجيش الأمريكى واستجواب الأسرى اليابانيين».

وبعد الحرب عكف كين على اصدار بعض ترجمات للأدب اليابانى للقراء الغربيين».

يقول دونالد كين فى حديث أدلى به الى صحيفة «هيرالد تربيون» (١٥ فبراير ١٩٨٥) ان الناس يسألوننى دائماً: ماذا بربك جعلك تهتم بهذا الشيء؟! لماذا لم تكرس نفسك لعمل من الأعمال التى يقوم بها الرجال؟ ثم يضحك ويضيف: ولكن على أية حال أصبحت الآن حياة الباحث فى الثقافة اليابانية أسهل مما كانت عليه منذ ٢٠ عاماً ربما بفضل المعجزة الاقتصادية اليابانية.

ويتحدث كين عن احترافه للأدب اليابانى فيقول: عندما تخرجت فى جامعة كولومبيا التقطت بالصدفة كتاباً يابانياً لأجرب نفسى فى قراءته، كان كتاباً للفيلسوف اليابانى هيراتا أتسوتانى الذى عاش فى القرن الماضى، ولحسن حظى كان سهلا جداً ووجدت متعة فى قراءته. لو كان قد وقع فى يدى كتاب آخر صعب لربما لم اكن قد واصلت اهتمامى بالثقافة اليابانية.

وواصل كين دراساته العليا فى اللغة اليابانية حتى حصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩٤٨ وعين مساعد محاضر للغة اليابانية بجامعة كامبردج، بانجلترا، حيث بقى هناك خمس سنوات، ثم سافر إلى اليابان ودرس فى جامعة كيوتو لمدة عامين (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥) وعاد بعد ذلك الى كولومبيا حيث يقوم بالتدريس خلال فصل الربيع بين شهرى يناير ويونيو من كل عام، أما بقية العام فيقضيه فى شقته بطوكيو المطلة على حدائق «فوروكاوا» الشهيرة.

وفى عام ١٩٦٩ تفرغ كين لوضع كتابه الموسوعى عن تاريخ الأدب اليابانى «الفجر الغربى» وقد صدر منه جزءان حتى الآن يتناولان القرن الأخير من الأدب اليابانى، ويقول كين فى مقدمته «ان ما كتبه فى الأدب اليابانى منذ عام ١٨٦٨ حتى الآن يتجاوز فى كميته كل ما عاش من الأدب اليابانى خلال الألف سنة السابقة على ذلك التاريخ، وليس هناك من يستطيع قراءة كل هذا الأدب أو حتى يرغب فى ذلك».

ويضيف كين: قبل منتصف القرن التاسع عشر كان الأدب اليابانى فى حالة كئيبة، ولكن فيما بعد نفذت المؤثرات الأدبية الأوربية مثل المدرسة الطبيعية والنزعة الرومانسية الى الكتاب اليابانيين وأثرت فيهم بشدة الى درجة أن هذه الحركات استوعبت تماماً خلال جيل واحد.

وما أن حل العقد الثانى من القرن العشرين حتى كان الكتاب اليابانيون قد تجاوزوا الواقعية الأوربية للقرن التاسع عشر، وأصبحوا فى مقدمة المجددين الأدبيين فى العالم.

ومن هنا جاء اسم الكتاب «الفجر الغربى» أو «الفجر يطلع من الغرب» ليحكى فى جزئيه قصة هذا التحول الكبير فى الأدب اليابانى بعد انفتاحه على الغرب. وهذان الجزءان هما فى الواقع الجزءان الثالث والرابع من الدراسة المطولة التى يعكف عليها كين. أما الجزء الثانى فقد صدر فى عام ١٩٧٦ ويغطى الأدب اليابانى قبل العصر الحديث من عام ١٦٠٠ الى عام ١٨٦٧، ويعمل كين حالياً فى كتابة الجزء الأول الذى يغطى الفترة من القرن الثامن الميلادى الى عام ١٦٠٠، ويتوقع أن يستغرق تأليفه إذا امتد به الأجل خمس سنوات.

وحصل كين على عدة جوائز عن هذا الكتاب من جهات يابانية عديدة، فقد حصل على وشاح الشمس المشرقة من الطبقة الثالثة، وجائزة ياماجاتا بانتو التى يقدمها حاكم أوزاكا، وجائزة من المؤسسة اليابانية بطوكيو. ولكن ربما يكون أكبر اعتراف بقيمة عمله أن بدأت ترجمته الى اللغة اليابانية حيث لا يوجد له نظير فى تاريخ الأدب اليابانى.. وهذا يذكرنا كذلك بفضل بعض المستشرقين الغربيين على الأدب العربى.

محمد العزب موسى

فنان عربي مسرحه الدنيا

عبد القادر فراح يروي رحلته الفنية

بقلم: الفريد فرج



بيئة الفنان .. الجزائر حول بداية القرن العشرين .. جمال الملابس القديمة





مسرحية ريتشارد الثالث لشكسبير (تصميمات فراح)

عبد القادر فراح فنان عربى جزائرى يعتبر واحداً من أكبر المصممين المسرحيين للديكور والملابس المسرحية فى أوروبا.

وقد نال من الشهرة والنجاح مالم يكن يخطر له على بال وهو يتعلم الرسم فى صباه بالجزائر.

وحصل على جوائز أحسن تصميم مسرحى على التوالى فى سنوات ١٩٥٩ - ١٩٧١ - ١٩٧٢ - ١٩٧٦ - ١٩٧٧ - ١٩٧٩ - ١٩٨٢ .. فى فرنسا وانجلترا والنمسا.

ورفض قبول جائزة وزارة الثقافة الفرنسية عام ١٩٥٩ احتجاجاً على الحرب الاستعمارية الفرنسية فى الجزائر..

وقد صمم الديكور والملابس لعشرات المسرحيات فى أشهر الفرق المسرحية فى العالم من بينها المسرح القومى الفرنسى بستراسبورج وفرقة شكسبير الملكية والمسرح القومى للمكسيك وبورجتياتر بفيينا..

وأحدث فراح من الأساليب المجددة فى التصميم ما أثر عنه واتبع من بعده فى مختلف المسارح مما نوهت إليه بالعدد الماضى.

هذا هو حجم العمل ونوعيته .. فمن هو الرجل؟

يستقبلنى عبد القادر فراح فى بيته بشمال لندن .. بغرفة العمل أو الاستديو..

حوائط الغرفة مغطاة بأرفف تحمل آلاف الكتب، وتزاحم الكتب عشرات الأقنعة المسرحية والأقنعة الفولكلورية الأفريقية.

- يجب أن يقرأ الفنان كثيراً .. ثم يجب عليه بعد ذلك أن ينسى ما قرأه، وأن يحرر مخيلته مما هو تقليدى..

ويعد فراح لى القهوة بالطريقة الجزائرية، ويزيح أوراقاً متراكمة على المنضدة الصغيرة أمامى ليفسح مكاناً لكاسات القهوة، ويرحب بى بطريقة الجزائريين الودودة المتحفظة..

- من أنت؟

فيضحك من مفارقة تخيلها ويقول:

- يسألنى الأوروربيون هذا السؤال بمعنى: «كيف يمكن لعربى أن يكون فناناً فى بلادنا»؟.. وهم من أدبهم لا يفصحون عما بنفوسهم من عجب. ولكنك أنت قد تعرف من أنا بلا عجب.. اننى واحد من هؤلاء الشباب المحبين للفن والذين قد تكون صادفتهم فى القاهرة أو الجزائر أو بغداد أو دمشق فى الأربعينات أو الخمسينات متمردين على الوضع الثقافى والسياسى الذى كرسه الاستعمار فى بلادنا.

أنا أحد هؤلاء الشباب .. ولعلك تعرفنى وتعرف الظروف التى نشأت فيها.

ولدت فى قرية قصر البخارى بالجزائر عام ١٩٢٦ .. إبان الحكم الاستعمارى الفرنسى، ولم يكن أى جزائرى فى ذلك الوقت يملك الوسيلة ليتلقى العلم كما يريد. وكانت سياسة فرنسا ساعية الى محاربة وتدمير التقاليد الاسلامية أو العربية الثقافية .. والى تجريد الشخصية الجزائرية من مقوماتها الوطنية، مما أدى إلى اشتعال حرب التحرير.

لم يكن فى نواحينا مدارس عربية .. اللهم الا مدرسة أطفال لتحفيظ القرآن .. ينتقل الطفل بعدها الى المدرسة الفرنسية.

وعندما نزلت جيوش الحلفاء الى الجزائر عام ١٩٤٢ .. أغلقت المدارس وتحولت الى ثكنات عسكرية، وهام التلاميذ على وجوههم.

فى هذه الفترة من صباى اشتريت بعض الأدوات وقررت دراسة الرسم..

وبانتهاء الحرب خيرنى أبى بين السفر الى القاهرة لدراسة اللغة العربية أو السفر الى أوروبا لدراسة «هوايتى الفنية التافهة»..

عبد القادر فراح يروي رحلته الفنية

ولكن أبي مات عام ١٩٤٦ ولم يترك للاولاد الا القليل من المال مما لا يكفي للدراسة بأوروبا ..

وقد وقعت حادثة بيني وبين أمين متحف الفن الحديث بالجزائر آلمتني بعمق . كان ذلك الأمين أستاذاً فرنسياً متخصصاً في تاريخ الفن الايطالي . وكان بعض الزوار الدنماركيين قد اشتروا بعض لوحات لي من معرض أقمته على نفقتي وأنا لم ابلغ سن العشرين بعد ، واطلعوا أمين المتحف على اللوحات التي اشتروها واستطلعوا رأيه فيها .. فقال لهم : لماذا تشترون من فنان عربي ؟ يجب ألا تشجعوا فناناً عربياً ، لأن العرب كسالى ومواهبهم كالصواريخ تضيء لحظة ثم تنطفيء بسرعة .

وكنت احترم هذا الرجل جداً وأقرأ دراساته باعجاب ، فتأثرت مما قال ، وقررت في أعماقي أن أثبت له خطأه فعزمت على السفر الى باريس لدراسة الفن .

تربيتي

تسألني عن تربيتي في بلادي قبل السفر الى باريس .

قصر البخاري قرية جزائرية صغيرة تقع بين البحر والصحراء في الهضبة الجزائرية . وهي ترتفع فوق الجبل وتشرف على جرف .

جدى انشأ بها زاوية يعلم بها الأطفال .

والفرنسيون أقاموا بها مركزاً لتجنيد وتدريب « البصاصين » وعملاء الإفساد .. في بيئة كانت في الأصل بيئة للاسلام السمح .

ويلي القرية واد يجري فيه نهر صغير أقام عليه الفرنسيون مستوطنة أوروبية انتهكت جمال الطبيعة وسياق الأفق .

وكان الجبل القريب من قريتنا يسمى جبل « بورار » .. وقد كان مرمح الأمير عبدالقادر وفرسانه في القرن التاسع عشر .

المنطقة تحيط بها الغابات .. وكانت أمي تحكي لي القصص عن « روبين هود » جزائري اسمه « بن سهل » روض الأسد ويسرق الأغنياء ليعطي للفقراء .

إنني انتمي الى جيل لم يدرك هويته مبكراً في الطفولة .. وكانوا في المدرسة الفرنسية يلقنوننا ونحن أطفال أن « أسلافنا الغاليين شقر الشعور زرق العيون ولحاهم طويلة ويعيشون من الصيد وقراهم تقام على أعمدة في الماء » ! .. ولم يكن من بيننا أحد أزرق العينين ولم يكن حولنا ماء أو بيوت مقامة على أعمدة !

الجيل الذي جاء بعدنا من الأطفال الجزائريين تلاميذ المدارس الفرنسية صحح الدرس ، فكانوا اذا وجه اليهم المدرس السؤال أجابوا : « أسلافهم غاليون شقر .. الخ » .

كان الفرنسيون مدققين جداً في عدم تعليم الجزائريين ، وكنا ننتزع المعرفة بصعوبة ولا حيلة لنا الا بذلك . وكانت تسيطر علينا في المدرسة الفرنسية روح المنافسة للتلاميذ الفرنسيين ، وكنا نريد دائماً أن نثبت تكافؤنا معهم أو امتيازنا عليهم .. وكنا ندرك في ذلك السن المبكر أن شيئاً ما غير مستقيم في حياتنا .

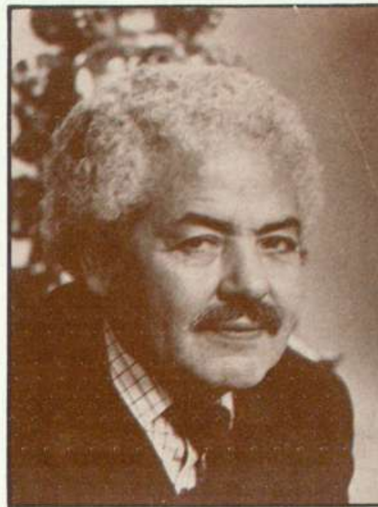
كان لي أخوة كثيرون .. خمس بنات وخمسة أولاد ، وكنا في قلق كأننا نبحث عن مهرب . كان المذياع مهربنا ونافذتنا على العالم البعيد . والقاهرة كانت هي الثمرة المحرمة علينا .. ومنذ استطعنا التقاط اذاعة القاهرة بأجهزة الراديو .. كانت تلك الاذاعة توقظ وعينا وتملأنا بالشعور بالعزة بأننا عرب ، حتى وان كان الفرنسيون يحكموننا .

وكان العمل السياسي السرى قد بدأ .. قبل سنوات من اشتعال حرب التحرير ، وقد بدأ كل شخص في هذا الجو يحدد اختياره ويستطلع نفسه ويقرر اتجاهه ، وكنا متحمسين لاقتناص الأنباء والمعلومات من الخارج .

كانت بعض الأفلام المصرية تصل الى دور السينما بالجزائر من وقت الى آخر . وان كنا قد نحكم على بعضها الآن بأنها كانت أفلاماً رديئة .. فانك لا تتصور حماسنا لها في ذلك الوقت من الأربعينات . فقد كانت بالنسبة لنا ذريعة للدفاع عن الهوية ، وكانت بشرى للاستقلال وللقدرة على التعبير عن النفس باللغة القومية .

هذه تجربة شخصية ..

وأنا لا أنسى أبداً تجربتي ، فهي النبع الكبير لأفكاري الآن ..



الفنان العربي عبد القادر فراح

الف ليلة وليلة ..

وتجربتي ترجع الى زمن مبكر عن هذه السنوات أيضاً . وتربيتي بدأت في البيت .. ومع الف ليلة وليلة والأدب العربي ..

ففي طفولتي المبكرة ، وبعد أن كنا نأوى الى غرفة الأولاد ، وأبي وأمي يظنان أن الأطفال قد غرقوا في النوم .. كنا نلتف حول بعضنا ونحن في غاية اليقظة ، واختي الكبرى حليمة تحكي لنا الف ليلة وليلة .. ليلة بعد ليلة ، بأجزائها الأربعة واشعارها المثيرة .. وكانت تنتقل بنا بعد شهور مع الف ليلة .. الى ابي زيد الهلالي تروى لنا قصته ليلة إثر ليلة ، وتنشد الأشعار .. ونحن مسحورون ..

وقد قرأت لنا حليمة أيضاً اشعار الجاهليين من الكتب ، وانشدت لنا بعضها من الذاكرة .

كنا ونحن اخوتها نعاملها كملكة في النهار .

وكانت حليمة قوية الحافظة ، نهمة للقراءة ، وكانت تملك فيضاً لا ينتهي من كتب اجدادي المطبوعة والمخطوطة ، والتي كانت قد آلت الى أبي ويحفظها بعناية في مكتبة كبيرة .

أمي أيضاً كانت تقرأ ، فأثناء النهار كنا نقعد حولها ومعنا حليمة ونصغي لها وهي تقرأ لنا .

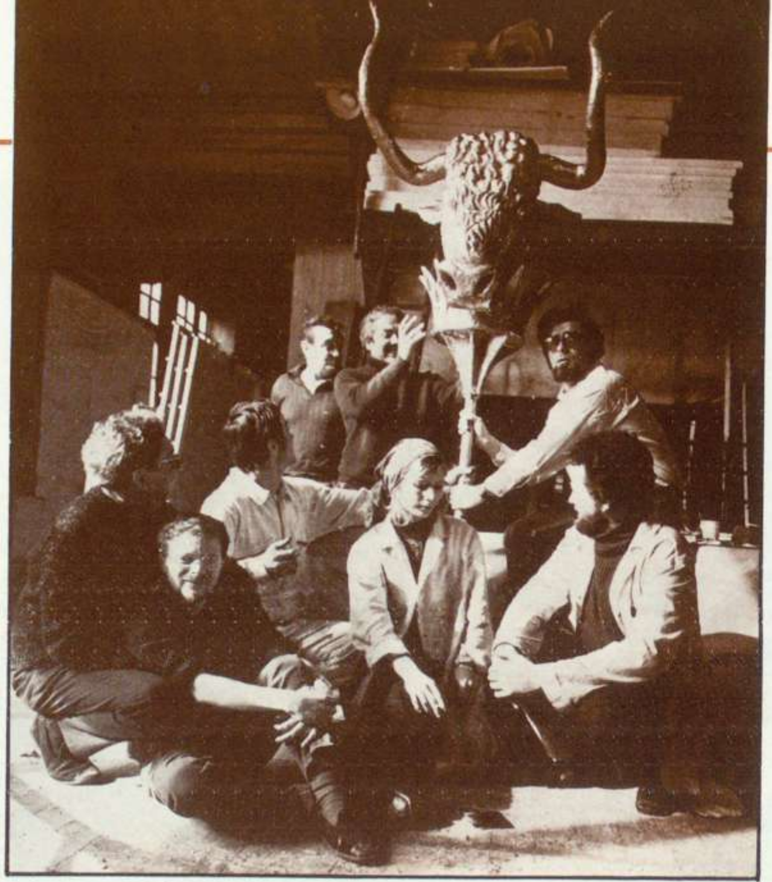
كان أبي فقيها يحتكم إليه الناس في القرية .. كان قاضياً ليست له صفة رسمية ، يتقدم إليه الناس بقضاياهم ويرضون بأحكامه طواعية ، وينفذونها بلا سلطة تلزمهم بذلك . والفرنسيون لم يعجبهم ذلك فانذروا أبي عدة مرات بعدم الفصل في قضايا الناس .

كان أبي يقرأ كتب الفقه والأدب العربي القديم . وكانت أمي تحب قراءة الأدب والقصص ، بينما كانت حليمة تهوى الحكايات الخيالية . أما نحن الأطفال بين سن الخامسة والعاشرة فقد كنا نهوى الحديث عما سمعناه من حكايات ، واعادة تمثيلها في الخلاء .. ونتخيل الجن والأشباح ونخاطبها ونتخيل اننا قاعدون في القصور أو نمتطي الجياد الى ميدان القتال .

الماضي والحاضر

يحدث الآن وانا مستغرق في عملي أن أتذكر شيئاً مما حفظته الذاكرة منذ أيام الطفولة ، فيشحذ مخيلتي ويهديني لحل مشكلة في التصميم الذي أنا عاكف عليه .

أعتقد أن المرء في الشباب وفي الصبا لا يدرك ما في محيطه من عناصر ايجابية ، وربما ضاق الشاب بحياته بحيث يريد الفرار .. وهو لا يدرك قيمة الأشياء التي تحيط به الا بعد تخلصه منها وتحولها عنده الى مجرد ذكريات . انني ادرك الآن أن أشياء كنت أرفضها في صباي وشبابي لأنها غير عصرية أو لا تمت للحضارة والتقدم والثقافة العالية ـ هذه الأشياء ـ قد أعطتني في الواقع الكثير مما أملكه من قدرات .



فراح مع تلاميذه فى المركز القومى للمسرح بتراسبورج بفرنسا .. تصميم الأقنعة

وبعد إقامتى وعملى بأوروبا كل هذه السنين أشعر فجأة بالحاح المقارنة بين الجديد والقديم ، وأكتشف أن آرائى فى الشباب كانت أحياناً متحيزة ومبتسرة ، وازداد مع الأيام تسامحاً ووعياً بالجوانب الطيبة التى كان يتميز بها الناس فى الشرق من حولنا فى الماضى .

لقد عرفت فى الجزائر أثناء طفولتى بستانياً عجوزاً قبيح الهيئة ، وكان قد عثر فى احدى الواحات الجنوبية على مخطوط أندلسى مهلهل موضوعه زراعة الزهور ، وكان يعتز بهذا المخطوط ولا يطلع عليه أحداً . وكنا نسخر منه لذلك ونسخر من هوايته زراعة الزهور . واذكر أن جماعة من الهولنديين مروا ذات مرة بقريتنا واجتذبهم منظر زهوره فأخذوا يفحصونها باهتمام ودهشة ، وتحدثوا إليه طويلا عن طريقته فى زراعتها . ولكن حتى ذلك لم يجعلنا نكف عن السخرية منه ومن زهوره !

دائر أبراج الفلك

سافرت الى باريس لأتعلم الرسم .

كان أبى قد مات ولم يترك لنا غير مال قليل ..

اضطررت فى باريس أن أقوم بأكثر الأعمال مشقة بالأجر الزهيد لأقيم أودى وأتمكن من التجول بين المتاحف والمعارض وأواصل الرسم فى غرفتى الصغيرة .

وبعد سنة من العناء والمشقة كلفتنى احدى المدارس فى بلدة فونتنبلو برسم السقف لقاعة الاحتفالات بالمدرسة .

وقد تركت لى المدرسة حرية اختيار الموضوع ، فاخترت أن ارسم دائر أبراج الفلك .. وهو موضوع من مواضيع الرسم للعصور الوسطى .

قضيت عامين فى انجاز هذه اللوحة الكبيرة ، وكنت أرقد على السقالات بظهرى وأرسم رافعاً ذراعى لفوق .

وقد زينت اللوحة بزخارف اسلامية الطابع ، وان كنت حررت التصميم من تقاليد العصور الوسطى وطبعتها بأسلوبى .

وقد اثارت هذه اللوحة ، واثارت طريقة عملى بها فضول الناس ، فكان الزوار يفدون الى المدرسة للفرجة على أثناء العمل . وقد هيأ لى ذلك فرصة التعرف على الكثيرين من محبى الفنون أو الفنانين . وكان من بين زوارى بالمدرسة بعض الفنانين من رجال المسرح الذين دعونى للعمل بالمسرح .

فى ذلك الوقت لم أكن قد شاهدت الا القليل من المسرحيات أو أفلام السينما .. ولم أكن أعرف عن هذا الفن الا أقل القليل .

حياتى فى المسرح

وأول من اجتذبنى للعمل فى المسرح مخرج هولندى كلفنى بعمل تصميمات الديكور والملابس عام ١٩٥٢ لأوبرا « شمشون ودليلة » بمسرح أوبرا امستردام .

ولم أكن على معرفة حقيقية لتقنيات المسرح . وقد ساعدنى العمال والفنيون كثيراً على فهم أسرار الصنعة وكيفية هدم المعبد وسقوط اجزائه على المنصة ، فضلا عن تقنية تغيير المنظر .

وصرح لى المخرج فيما بعد أنه اختارنى لأنه كان يبحث عن فنان للتصميم يملك الخبرة بالصحراء وحياة البدو والتقاليد الشرقية ، وله أسلوب جديد غير مألوف فى أوروبا .

وصممت لهذه الأوبرا أربعة مناظر وحوالى ٣٠٠ قطعة ملابس .

ومنذ ذلك التاريخ وجدت نفسى أكثر انغماساً فى العمل بالمسرح وأقل انتاجاً فى مجال الرسم ..

فى الواقع لم تنقطع صلتى بالمسرح منذ ذلك الحين . فقد نجحت فى تصميم المسرحية وتلقيت بعدها كثيراً من العروض .

فى سنوات ١٩٥٥ الى ١٩٦١ عينت أستاذاً ورئيسا لقسم التصميم بالمركز القومى الفرنسى للمسرح بستراسبورج . وكنت اتنقل كثيراً بين فرنسا وانجلترا وأقوم أحياناً بالتصميم لفرقة شكسبير الملكية .

ولكن السفر من فرنسا وإليها أصبح أكثر صعوبة مع احتدام الحرب الجزائرية ، وكان لكل جزائرى فى فرنسا نشاط وطنى طبعاً ، والشرطة تلاحق الجزائريين ، وعانيت الضيق والمضايقات من تعنت الشرطة الفرنسية .

فى تلك الظروف دعانى الفنان الانجليزى بيتر هول للالتحاق بفرقة شكسبير الملكية ومغادرة فرنسا نهائياً . وكنت وقتها أصمم الملابس والديكور لمسرحية تشيكوف « بستان الكرز » للفرقة .. فقبلت العرض وانتقلت الى انجلترا .

صممت للمسرح فى بلاد كثيرة ، واشتغلت أستاذاً للتصميمات المسرحية بكندا وفرنسا بعد ذلك ، ولكنى لم أترك فرقة شكسبير أبداً .

إننى أفيق الآن فأجد نفسى قد قضيت أكثر من ثلاثين عاماً فى المسرح بين فرنسا وانجلترا وهولندا والمانيا والنمسا وايطاليا والمكسيك والولايات المتحدة وكندا .. ومرة واحدة بتونس حيث صممت مسرحية عطيل لافتتاح مسرح المركز الدولى بالحمامات .. فأعجب من نفسى وأنا اتقصى رحلة عمرى من قصر البخارى إلى « باربيكان » فرقة شكسبير بلندن .

أعجب أيضاً من خيالى وتصوراتى التى امتزجت فيها أحلام الف ليلة وليلة بأحلام المسرح الأوروبى الحديث .

واتساءل دائماً .. واتطلع دائماً ، واشتاق دائماً ، واتذكر دائماً ، وأعمل كثيراً ..

الأقنعة المسرحية

انتهى حديث عبدالقادر فراح ..

وشملنا بعض الصمت .. كانت تتطلع الينا فيه من فوق جدران الكتب أقنعة مسرحية من صنعه وأقنعة قديمة من مقتنياته ، وأقنعة فولكلورية زنجية وصينية .. تطل علينا وتحيطنا .. ضاحكة باكية غاضبة طيبة .. ملونة وملساء ، سوداء وبيضاء .. كلها تتطلع نحونا بألف تعبير ، ولكن بعيون مجوفة ..

الفريد فرج



متحف النباتات ، حيث مئات الأنواع من الأزهار الملونة

رسالة جنيف من : فاروق اباظة

قصة أجمل وأعظم مدينة صغيرة في العالم

مدينة وَرْدِيَّة يلتقى فيها السياسيون والحالمون والباحثون عن الصفاء!

- إنها عريقة فى حيادها ، لم تلوث أرضها ـ بعد ـ أدخنة القنابل طوال الحروب البشرية الطاحنة !
- اقتحمها يوليوس قيصر ، واستمرت تحت الاحتلال الرومانى حوالى خمسة قرون !
- في المدينة اشتغل « جان جاك روسو » صبياً عند صانع للساعات !
- تحفة معمارية إسلامية يمثلها مسجد جنيف ، وفى المؤسسة الإسلامية مدرسة لتعليم اللغة العربية !
- لماذا يعتبرها العرب مدينة مفضلة لعقد المؤتمرات التى تناقش أهم القضايا العربية ؟

جنيف عروس إلتحفت بوشاح طرز بأزاهير الروابي وورود الوديان يحتضنها الجبل الأبيض بقمته ذات الجلال تغطيها نتف الثلوج البيضاء وتنحدر سفوحه مع ينابيع البللور الذائبة في مياه بحيرة « ليمان » ... إلى جنيف يأتي السياح قادمين من كل أطراف الدنيا ليغسلوا في رباها وخضرتها هموم ما مضى من العمر وينفضوا عن كاهلهم شوائب مدنية الحديد والدخان والرصاص ، فهنا هدوء حالم مغلف بالصفاء ، منشط للتأمل ، داخل « بانوراما » صيغت بنمنمات من الجمال الخالص والألوان الرائعة ، فقد كانت الطبيعة زائدة في كرمها عندما ألبست جنيف ازارها الوردى الذى تفردت به بين مدن الدنيا ..

ومن هنا .. من جنيف ارتفعت أجراس السلام والحرية معلنة انتهاء سنوات النار بعد أول حرب كونية عرفها العالم ، وبعدها ولدت عصبة الأمم فى ٢٥ نوفمبر عام ١٩٢٠ .. إن الجرس الأثرى الصغير الذى ارتفعت دقاته فى ذلك اليوم وصيغ من حطام مدفع قديم مازال يعرض ضمن مقتنيات متحف المدينة التى قالوا عنها إنها أجمل وأعظم المدن الصغيرة فى العالم ، فهى مازالت تتمتع بنقاء الهواء غير الملوث ، كما أن شوارعها وميادينها خالية من هوس الحركة الصاخبة والزحام الخانق .

وجنيف اشتهرت أيضا بأنها المدينة التى تكرم الإنسان مهما اختلف لونه وجنسه ودينه ، ففيها ينطلق فكره حرا من كل قيود ويتعمق إحساسه بالسلام والأمان ، فهى البعيدة عن التعصب والصراعات والاغتيالات ، عريقة فى حيادها الذى احترمته كافة الدول ، فلم تلوث أرضها بعد أدخنة القنابل طوال الحروب البشرية الطاحنة ، وحرصت على أن تحتضن المؤسسة التى تسهم بنشاطها المتنوع فى صياغة حياة جديدة للبشر مفعمة بالحلم والأمل فوق هذه الأرض التى ضاقت ببؤر العنف والصراعات ..

والمدينة العريقة لها مذاقها الخاص عند السياح العرب ، وقد سجل مطارها خلال هذا العام استضافتها لثلاثين ألف سائح عربى أغلبهم من دول الخليج ، ولذلك اختلطت اللافتات المكتوبة بالحروف اللاتينية مع اللافتات المكتوبة باللغة العربية فوق واجهات الفنادق والمطاعم والحوانيت ومراكز بيع التذكارات ومراسى الزوارق واليخوت على شاطىء البحيرة وكتيبات الدعاية السياحية والتجارية ، وذلك بعد أن أصبح السائح العربى هو المفضل فى سوق السياحة السويسرية .



كرنفالات الأعياد .. دائما تجدها فى المناسبات الهامة فى المدينة التى تنعقد فيها أهم المؤتمرات وتوجد بها أهم المنظمات العالمية

قيصر يقطع الجسر

وتاريخ المدينة العريق تمتد جذوره إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .. كانت وقتها مدينة صغيرة قابعة على ضفاف بحيرة ليمان .. ترتكز على أعمدة مغروسة فى مياه المستنقعات التى تحيط بها وينتشر سكانها على ضفتى البحيرة ونهر الرون .

وكانوا يعيشون على صيد السمك والحيوانات قبل أن يمارسوا الزراعة ..

ويتحدث عنها التاريخ لأول مرة عام ١٩٥٨ قبل الميلاد حيث كانت قبائل الهلفاس والتى تشكل سكان سويسرا الأصليين تتراجع أمام هجمات القبائل الجرمانية نحو الجنوب . كما أن يوليوس قيصر قاد هجومه مقتحما المدينة ومحطما لجسرها الوحيد الذى كان يربط بين شطريها ، ولأهمية هذا الجسر أصبح رمزا لها ومحور علاقتها بالعالم باعتباره وسيلة الاتصال بين شمال أوروبا وجنوبها .

وخضعت جنيف للاحتلال الرومانى الذى استمر من القرن الأول قبل الميلاد إلى نصف القرن الخامس الميلادى ، وتميزت هذه الحقبة بالازدهار الواضح فى بناء القصور وتخطيط الشوارع والأسواق ومصادر المياه ، غير أن هجمات البربر المتعاقبة التى بدأت فى القرن الثالث أدت إلى سقوط جنيف وتحولت إلى عاصمة للبورجانديين ، ولكن ملكها رودلف الثالث الذى لم يعقب وريثا للعرش سلمها إلى الامبراطورية الرومانية عام ١٠٢٤ ، وولى عليها الإمبراطور الرومانى أسقفاً ليحكمها ، وتميزت هذه الحقبة بالازدهار الاقتصادى ، وتحول سوق جنيف إلى محطة للتجارة الأوروبية إلى أن أقدم الملك لويس الحادى عشر على نقل النشاط الاقتصادى إلى مدينة ليون الفرنسية .

وظلت جنيف محط أطماع السافوى القريبة منها ، وانقسم أهلها إلى ملكيين فضلوا الانضمام إلى السافوى ، واتحاديين يتنازعهم الأمل فى توحيد سويسرا .. وفى عام ١٧٩٨ ضمت فرنسا اليها جنيف وجعلت منها عاصمة للمنطقة ولكن جنيف فضلت الانضمام إلى الاتحاد السويسرى وكانت ضمن آخر ثلاث مقاطعات ضمت إلى الاتحاد ومنحت استقلالها عام ١٨٤٨ .

مرفأ الحرية

ولم تكتسب جنيف شهرتها من كونها مهبطا لجمال وسحر الطبيعة فقط ، ولكنها تمثل أيضا واحة ظليلة لعشاق الحرية والهاربين من هراوات القهر والتسلط ونيران الحروب ، فدورها الثقافى والاقتصادى والسياسى جعلها عاصمة للعالم كله .

وهى أيضا مهبط الأمل للمنكوبين ، فلم تحدث كارثة فى أركان الأرض إلا وكانت جنيف سباقة إلى مساعدة ضحاياها ، وجمعية الصليب الأحمر الدولية ولدت على أرضها وتضم فى عضويتها ١٢٠



المقاهى المنتشرة فى كل شارع من شوارع جنيف

جمعية وطنية للهلال والصليب وما يقرب من ٢٢٠ مليون عضو ، وصاحب الفكرة هو « هنرى دونان » الذى شاهد فى إحدى رحلاته معركة حربية بين النمساويين والفرنسيين وأحس بمأساة القتل الجماعى والدماء والأشلاء والجرحى الذين يصرخون من آلام جراحهم ، وعاد ليؤلف كتابا اختار له عنوان « تذكار من سلفرينو » وبمشاركة أربعة من مواطنيه تأسست جمعية الصليب الأحمر عام ١٨٦٣ ، وتلى ذلك توقيع اتفاقية جنيف عام ١٨٦٤ التى نظمت نصوصها القوانين المتعلقة بمعاملة أسرى الحروب .. وظلت جنيف حتى اليوم المقر الرئيسى للمؤسسة الدولية ، وكان أول هذه المؤسسات التى اختارت جنيف مقرا لها مكتب العمل الدولى عام ١٩١٩ . ويوجد بها الآن ٩٧ بعثة دولية ، وقد قال « ولسن » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إبان الحرب العالمية الأولى بمناسبة اختيار جنيف مقرا لعصبة الأمم عام ١٩١٩ ليس هناك بلد فى العالم كسويسرا المحايدة ولهذا أختيرت لتكون مكان اللقاء للشعوب الساعية إلى السلام ..

وبالاضافة إلى المنظمات الدولية الحكومية هناك العديد من الجمعيات الأهلية الخاصة التى اتخذت من جنيف مقرا لها ، ولذلك دلالة من أن هذه المدينة العريقة تسعى إلى أن يعيش العالم فى وفاق ورفاهية وحرية ، وتؤكد أيضا بأن الدولة التى تحترم حيادها قادرة أكثر على العطاء .

وعلاوة على مكتب العمل الدولى يوجد ضمن مكاتب الأمم المتحدة بجنيف منظمة حقوق الانسان ومنظمة الأغذية والزراعة ومكتب تنسيق الإغاثة عند الكوارث وصندوق الأمم المتحدة للطفل ومركز مراقبة المخدرات ومفوضية اللاجئين ، بالاضافة إلى المنظمات الدولية مثل المنظمة الدولية للحماية المدنيـة والاتحاد الدولى للاتصالات اللاسلكيةوالمنظمة العالمية للملكية الفكرية والمنظمة الأوربية لنشر الثقافة . ومنظمة الصحة العالمية ، ومكتب التربية الدولى . وأغلب هذه المنظمات والوكالات يضمها قصر الأمم الذى يزوره ١٥٠ ألف سائح سنويا ، وشارك فى تصميم عمارته أكثر من مهندس عالمى ، فجاء خليطا يجمع بين النمط الأوروبى والأمريكى والآسيوي ، حتى خامات البناء تم جلبها من دول عديدة ، وتزين جدرانه لوحات رائعة لمشاهير الفنانين العالميين ، ومن بينها لوحة للفنان الأسبانى « خوزيه ماريا » سجل فيها بشاعة الحروب ونتائجها المدمرة ، والمبنى يتحول فى ساعات العمل إلى خلية نحل فهو يضم كافة الأجناس وممثلين لكل شعوب الأرض .

متاحف وقصور أثرية

ومزارات جنيف متعددة فهناك عبق الزمن القديم الذى يغلف الجزء العتيق من المدينة حيث مبنى البرلمان وشارع الرول والقصور الأثرية القديمة بأعمدتها المرمرية والرخامية والجسر القائم على نهر الرون والجامعة القديمة وساحة بورج دى فور أقدم ساحات المدينة والشارع الأكبر ببناياته العديدة القديمة التى ترجع إلى القرن الخامس عشر والثامن عشر ، وساعة الأزهار بالاضافة إلى العديد من المتاحف والمسارح وصالات العرض والموسيقى ، وأهمها متحف الفن والتاريخ ويضم مقتنيات ماقبل التاريخ فى حوض البحر الأبيض المتوسط (اليونان ، روما ، مصر ، العراق) ، ومتحف الساعات ونماذجها التى صنعت من القرن السادس عشر إلى الآن ، ومتحف القصر الصغير ويضم أعمالا لبيكاسو ورنوار وشاجال ، والمسرح الكبير وقاعة فيكتوريا للموسيقى الكلاسيكية ، ومتحف آلات الموسيقى القديمة ومتحف النباتات .

جزيرة لمفكر عالمى

ومن خصائص جنيف الهامة نافورتها الشهيرة التى تطبع وترسم صورتها على أغلب تذكاراتها السياحية ، وهى التى تطالع المسافر من شباك الطائرة عندما تهبط مقتربة من سطح البحيرة فى طريقها الى المطار ، والنافورة يبلغ طولها ١٤٠ مترا وكثافة دفعها للمياه ٥٠٠ لتر فى الثانية وسرعة تدفق الماء ٢٠٠ كم فى الساعة ..

وللمفكر الفرنسى جان جاك روسو وهو من أثر بفكره ومؤلفاته فى نشوب الثورة الفرنسية أكثر من أثر فى مدينة جنيف التى ولد فيها فى منزل صغير يقع فى شارع « كوتانسى » رقم ١٥ ، وعندما بلغ روسو السادسة عشرة من عمره عمل صبيا عند صانع الساعات « دوكو مون » بشارع إيتوف رقم ١٣ .. وقد خلدته جنيف باطلاق اسمه على جزيرة تتوسط بحيرتها وانتصب بها تمثال المفكر الكبير الذى صنعه يدعى براديبه . والجزيرة كان لها اسم قديم وهو جزيرة « المراكب » وتأوى إليها الآن أسراب الأوز والبجع وطيور النورس .

ومن معالم الجزيرة الشهيره ساحة « بل أير » التى كانت تسمى حتى عام ١٦٧٠ ساحة الملوك الثلاثة وتمركز فيها صناع السكاكين والخراطون والدباغون ، وينتصب أمام برج جزيرة روسو تمثال لفيلبير بيرتيليه الذى قطعت رأسه عام ١٥١٩ لأنه دافع عن حريات وطنه وحقوق الشعب ..

أما ساحة سان جيرفى فقد كانت فى الماضى مخصصة لحوانيت صناع الساعات وبائعى الحلى والنقاشين وصانعى المجوهرات ..

وعندما تبدأ رحلتك على شاطىء البحيرة مشيا على الأقدام ستصادف مبنى فريدا فى نقوشه الرائعة وقبته التى ازدانت بالرسوم الزخرفية البارزة ، والمبنى يحيط به حديقة غنية بأحواض الورود والأزهار التى نسقت فى أشكال هندسية فريدة .. والمبنى هو قبر دوق « بروتسويك » الذى أوقف كل ثروته لصالح مدينة جنيف .

وعلى بعد أمتار فى نفس الشارع يقع قصر « ولسن » وكان مقرا لعصبة الأمم حتى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، أما على الشاطىء الأيمن لبحيرة ليمان فستحس بمتعة وأنت تقطع « الكورنيش » الذى انتشرت فيه المقاعد بجوار أحواض الأزهار ، بينما طيور النورس تغسل أجنحتها فى زبد الأمواج وأسراب البجع والاوز الأبيض تتبختر على المياه فى دعة وسلام وأطفال صغار يلقون بحبات الحنطة وقطع الخبز إلى طيور الماء .

وينتهى بك المطاف إلى بستان وافر الخضرة غنى بأشجار السنديان والصنوبر وأنواع الأزهار ونباتات الزينة المتنوعة ويطلقون عليه « لؤلؤة البحيرة » ، وبالقرب منه العديد من القصور الرائعة يضم أحدها متحف النباتات حيث مئات الأنواع من الأزهار الملونة .

والزائر العربى لاينسى زيارة المسجد والمؤسسة الإسلامية فى جنيف مايقرب من ستة آلاف مسلم ، والمؤسسة الإسلامية التى أقامها المغفور له الملك فيصل تتولى تلبية متطلباتهم الدينية والاجتماعية والثقافية وتربط بين جموع المسلمين هناك وتحقق التقارب والتفاهم والصداقة بينهم وبين الطوائف الدينية الأخرى ، وتضم المؤسسة مكتبة ومتحفاً ومختبر لغات ومدرسة لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم .

ومسجد جنيف مثمن الأضلاع على جدرانه نقوش عربية إسلامية قام بتنفيذها ثلاثون صانعا مغربيا ، والمحراب مكسو بخشب الأرز ، والثريا تضم خمسمائة شمعة أعدها ثلاثون صانعا مغربيا ، وصنعت من بللور البندقية ، أما المكتبة فواجهتها من فسيفساء الزجاج الفينيسى ورخام أعمدة المسجد وكذلك الأرض والجدران جلبت من منجم « كارارا » الشهير بايطاليا ..

أما إذا أردت الانتقال لزيارة الشاطىء الأيمن للبحيرة فالأفضل أن تقوم بهذه الجولة داخل زورق أو يخت سياحى .. لقد دفعت سبعة عشر فرنكا فقط نظير المشاركة فى جولة بالبحيرة استغرقت أكثر من ساعتين على ظهر يخت أنيق ، وشاركنى فى الرحلة مجموعة من سياح الولايات المتحدة ..

لقد جاب بنا اليخت طول البحيرة حتى المياه الفرنسية داخلها حيث يفصل خليج صغير بين مايخص جنيف وما يخص فرنسا من مسطح البحيرة .. وسترى تمثالاً رائعاً لعروس البحر حارسة بحيرة جنيف بجسدها نصف الآدمى المتربع على قاعدة تغمرها المياه ، وصخرة سيد البحر فى الثولوجيا اليونانية « نبتون » والتى يعود تاريخها إلى يوم أن كانت جنيف مغطاة بالجليد ، وعلى المرفأ وقف آخر مركب شراعى أستخدم فى نقل السلع ويرجع تاريخه إلى عام ١٩٠٤ وحمولته ١٢٠ طنا ، وهناك أيضا المرفأ الأسود والذى يعد تذكارا لنزول أول سويسريين إلى جنيف بعد دخولها فى الاتحاد .

بيت الشاعر الغريق

ولأن جنيف وبحيرتها كانتا دائما مهبطاً لوحي الشعراء والفلاسفة والمفكرين وفى مقدمتهم فولتير وجان جاك روسو ، فستتاح لك فرصة كى تشاهد المنزل الصغير الذى عاش فيه شاعر بريطانيا الكبير « لورد بيرون » الذى مات وهو فى ربيع الشباب ، ومجموعة من القلاع والقصور القديمة ، ومنزلا أنيقاً تحيط به حديقة صغيرة كانت تسكنه مدام « دى ستال » صاحبة الصالون الأدبى الباريسى الذى التقى فيه نابليون بونابرت بجوزفين يوهارنبه قبل أن يتزوجها وينصبها امبراطورة لفرنسا .

وبين المدينة القديمة والميناء يقع الحي التجارى وتعرض واجهة حوانيته عراقة جنيف ممثلة فى الساعات والمجوهرات وأنواع التذكارات .. هناك أيضا السوق اليومى للأزهار ويقع فى ساحة « مولارد » قلب المدينة النابض منذ العصور الوسطى ، أما نهر الرون الذى يشق قلب جنيف فطوله ٨١٢كم منها ٢٩٠ كم فقط فى سويسرا ، وينبع من منطقة الفاليه على ارتفاع ١٧٥٠ م فوق جبال الألب ، ويصب فى البحر الأبيض المتوسط وتتميز ضفتاه بالتلال الخضراء والصخور الشاهقة .

ولعل جنيف تنفرد بين مدن العالم بعدم وجودالشوارع الخلفية أو الأحياء الفقيرة التى لاتخلو منها عاصمة عالمية ، فريفها الملاصق لها يعد من الجنان الرائعة ، وأهم الأحياء الريفية المجاورة « منطقة كاروج » التى أصبحت ضمن أحياء جنيف ، وكانت قد بنيت فى القرن الثامن عشر ، وبناها ملك سيردينيا مستخدما مجموعة من مهندسى مدينة تورينو الإيطالية ، وذلك قبل أن تضم إلى مقاطعة جنيف عام ١٨١٥ ، ولكنها كانت مأوى للصوص عندما كانت مدينتهم متشددة فى تطهرها فى العصور الوسطى !

الحضور العربى

وفى جنيف الكثير مما يجذب السائح العربى أكثر من بقية عواصم أوروبا ، وربما تحقق ذلك بسبب أنها البلد الوحيد فى أوروبا الذى أطلق كافة القيود على الدخول والخروج .

وجنيف أيضا هى المفضلة لعقد المؤتمرات التى تطرح على مائدتها أهم القضايا العربية ، وكان آخرها مؤتمر المصالحة اللبنانى بين القوى الأهلية المتحاربة (١٩٨٤) . وكان قد سبقه مؤتمر السلام فى الشرق الأوسط عام (١٩٧٣) .

ويعيش داخل جنيف العديد من التجار ورجال الأعمال العرب والذين اختاروها مقرا لنشاطهم التجارى والاقتصادى ، وقد أغرتهم بذلك التسهيلات الضريبية المتاحة هناك .

وتعتبر جنيف المصدر الرئيسى لتصدير المجوهرات إلى دول الخليج ،وكذلك الساعات ، حيث يراعى المصممون الذوق العربى والاسلامى .

ونظرا لإقبال العرب على زيارة جنيف إنتشرت الكتيبات السياحية المطبوعة باللغة العربية ، وكذلك المطبوعات الخاصة بتسويق السلع ، ولم يعد غريبا عندما تتجول فى أهم شوارع جنيف مثل شارع الجبل الأبيض أو شارع لوزان أو دى كارو لتجد محلات التذكارات والمطاعم ومتاجر الملابس والسوبر ماركت وقد حرصت على وضع لافتات فى واجهاتها الزجاجية تقول فيها (نحن نتحدث العربية) .

وفى الفنادق الكبرى مثل الهيلتون وانتر كونتننتال « وبوريفاج » « وريشموند » « وبريزيدنت » تحرص إدارتها على أن يكون من بين العاملين فيها من يتحدث العربية ، كذلك المطبوعات الخاصة بالرحلات والتى تقوم بتوزيعها مكاتب حجز رحلات اليخوت والزوارق بمرسى البحيرة .

وداخل حجرات الفنادق بطاقات الترحيب بالعربية وقوائم بأسماء الأفلام العربية لمن يرغب بمشاهدتها مستخدما جهاز الفيديو .. وقد أصبحت صورة من الصور المألوفة فى شوارع المدينة وداخل فنادقها أن ترى أسراً عربية بأكملها الزوجة والزوج والأبناء فضلوا قضاء عطلاتهم فى جنيف .

واذا تصفحنا الكتيبات السياحية التى طبعت باللغة العربية سنجدها تعلن عن العديد من المطاعم الشرقية التى تقدم الكباب واللحم المشوى والأرز ، بالإضافة إلى الإعلان عن مراكز العلاج الطبيعى والاستشفاء باستخدام النباتات العشبية لعلاج أمراض الوجه والجسم وكذلك العلاج بواسطة التدليك وحمامات البخار ، وضيف هذه المصحات عليه أن يشرب يوميا لترا أو لترين من خلاصة النباتات الطبية الواردة من المزارع مباشرة وهى أنجع الطرق لعلاج السمنة والنرفزة والأرق ، وارتفاع الضغط وزيادة الكولسترول والسكر وأضطراب الدورة الدموية . أما قائمة الطعام فى هذه المصحات فتضم السلطة والدجاج وفخذ الضأن المحمر والكباب والخبز البلدى المعد على الطريقة الشرقية ..

ومن أنماط الإعلانات المكتوبة بالعربية أيضا إعلان عن سائق يتحدث العربية والفرنسية والانجليزية ، وهو فى الخدمة طيلة فترة اقامتكم فى جنيف أو خارجها .. ومطعم اتخذ اسما شرقيا يقول إنه يرحب بزبائنه الكرام من الظهر حتى منتصف الليل فى جو عائلى فاخر ، حيث يقوم بتقديم أشهر المأكولات اللبنانية والخليجية مع توصيل الطلبات إلى المنازل ، وإعلان بالعربية عن مخبر خاص يقوم بالتحقيق والتحريات والمراقبة والحماية المسلحة والملاحقات (كذا) وبيع السترات الواقية من الرصاص وأجهزة الكشف الدقيقة .

واتساقا مع الحركة السويسرية السياحية النشطة الهادفة لجذب المزيد من السياح العرب نشرت عدة بحوث فى مجلات متخصصة تؤكد أن هناك علاقات تاريخية قديمة بين سويسرا والعرب ترجع إلى فترة الاضطهاد الرومانى داخل مصر والشام ، وفرار المضطهدين من وجه الطغيان الرومانى إلى جنيف .. كما تكثف مكاتب السياحة السويسرية فى الخليج على إغراء السياح العرب بزيارة سويسرا وخاصة بعد أن نجحت فى تحقيق ٤٠ مليون ليلة سياحية داخل فنادقها المتميزة عالميا ..

أما الحركة الثقافية والفنية داخل جنيف فإنها تحرص على تقديم التراث الثقافى والأدبى باللغة العربية داخل المكتبة المتخصصة وما تحتويه من كتب الأدب والشعر والاقتصاد وكتب الأطفال بالاضافة إلى الأغانى والأفلام العربية المسجلة على الأشرطة ..

والرواج الاقتصادى فى جنيف كان السبب وراء اختفاء البطالة التى تعانى منها أوروبا كلها ، والغريب أن الشعب السويسرى رفض اقتراحا تقدمت به النقابة العامة للعمال من أجل تخفيض ساعات العمل ، ذلك لأن العمل له مكانة خاصة فى سويسرا ، ولعل هذا هو السبب الأول فى سحر مدينة جنيف وروعة جمالها ونظامها ، والذى تجده دائما فى كل مدينة سويسرية !

فاروق أباظة



الهدوء الحالم المغلف بالصفاء فى مدينة جنيف ذات المذاق الخاص

عن قصّة شعبيّة عُمَانيّة

موزة ولوزة

أو "سندريلّا العُمَانية"

بقلم: يوسف الشاروني
ريشة: يوسف أحمد

يحكى أن رجلا كان عنده ابنتان: موزه من زوجة توفيت ولوزه من زوجته الحالية. وكانت زوجة الأب تعامل ابنة زوجها موزه معاملة الخدم، فتجعلها تكنس البيت وتنظف أثاثه وتحضر الماء والحطب وتطبخ وتغسل الأطباق والملابس، بينما تثرثر هى وابنتها لوزه أو تستقبلان الجارات والقريبات أو تقومان بزيارتهن.

وذات يوم أمرت زوجة الأب موزه قائلة:

ـ عليك اليوم أن تذهبى لكى تحضرى حطباً لا من الظل ولا الشمس، ولا من الأخضر ولا اليابس، ولا من الكثير ولا القليل، ولا من القصير ولا الطويل.

فذهبت البنت مع زميلاتها لاحضار الحطب. وبينما صديقاتها كن يجمعن الحطب، كانت موزه قد جلست على صخرة تفكر من أين تحضر الحطب بالشروط التى اشترطتها زوجة أبيها. وانتهت صديقاتها من جمع حطبهن وتركنها وحدها حائرة تفكر. وعندما خلا المكان طلع عليها رجل من الجن يسألها:

ـ لماذا تجلسين وحيدة مطرقة الرأس فى هذا المكان القفر؟

ـ لأن زوجة أبى تريدني أن أحضر لها حطباً لا من الظل ولا الشمس، ولا من الأخضر ولا اليابس، ولا من الكثير ولا القليل، ولا من القصير ولا الطويل.

ـ سأحضره لك بشرط.

ـ ....

ـ أن أتزوجك.

ـ وتخلصنى من مرارة العيش مع زوجة أبى، ولكن كيف؟

ـ سأنقلب غولا (أى أفعوان) وأدخل الحطب، وعندما تلقينه أمام البيت أخرج منه وأدخل غرفتك الخاصة بك وتطلبين الزواج منى.

ومالبث أن أحضر لها الحطب، فحملته وعادت به الى قريتها. وعندما رأته زميلاتها استغربن من شكله لأنه كان يختلف عن أى حطب سبق أن أحضرنه.

وعند وصولها إلى المنزل القت بالحطب من فوق رأسها على الأرض فتسلل منه الغول وزحف إلى حجرتها، وعندئذ طلبت من عمتها أن تتزوج الغول دون أن تصرح لها أنه رجل من الجن. وعندما سمع أبوها هذا الطلب رفض أن تتزوج ابنته غولا، لكن زوجته ألحت عليه فى الموافقة لكى تتخلص منها.

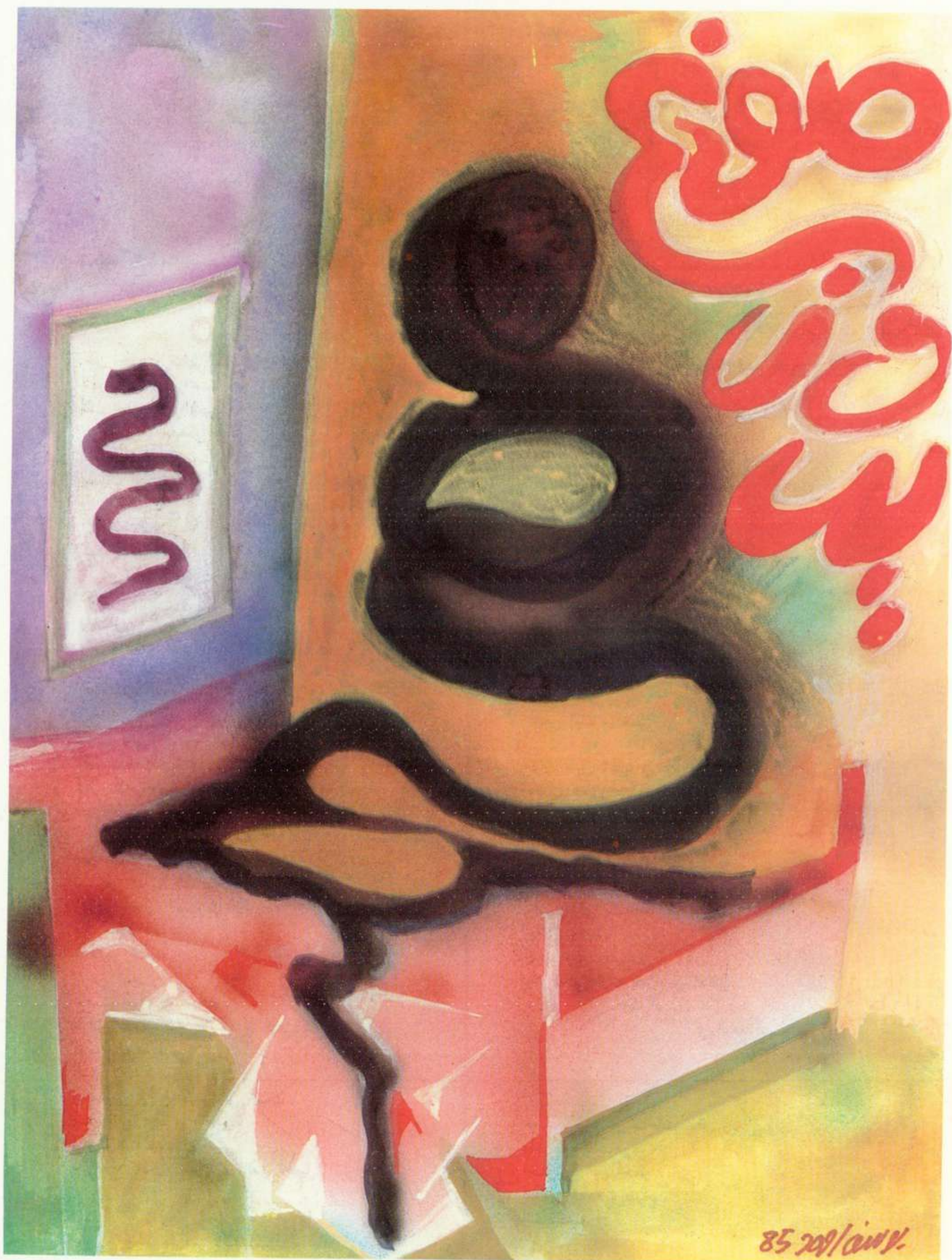
وهكذا زفت موزه إلى الغول فى غرفتها.. وعندما أغلقوا عليهما الباب سمعوا صراخ موزه، ذلك لأن الجن كان يثقب أذنيها ليضع فى كل منهما حلقاً ذهبياً. ولما سمعت زوجة أبيها صراخها نادت على الغول تقول: صوغ وزيد (وصوغ بتشديد الواو فى اللهجة العمانية لها معنيان: من الصياغة أى صناعة الحلى، أى أعطها مزيداً من الذهب، أما المعنى الآخر فهو اللدغ) وكانت كلما صرخت موزه صرخت عمتها بدورها على الغول مكررة قولها: صوغ وزيد.

ثم صرخت موزه تقول: حلقى حلقى. بينما كان الجن يضع المجوهرات حول رقبتها. وكانت عمتها تظن أنه يلتف الآن حول رقبتها ليخنقها فتشجعه من خارج الغرفة صائحة: صوغ وزيد.

فلما كان الصباح خرجت موزه مثقلة بالذهب الذى غمرها به الجن. فذهلت زوجة الأب وامتلأت حقداً وغيرة، فقررت أن تبحث عن غول آخر لابنتها لوزه بين الشقوق والأوساخ، حتى حصلت على أحد الأفاعى وكان أكبر من الغول الذى تزوج ابنة زوجها. فقامت بإحضاره وإدخاله غرفة ابنتها وأقيم حفل زفافهما.

وعندما أغلقوا الحجرة على الثعبان وابنتها، صرخت لوزه صرخة واحدة. فصاحت أمها بفرحة: صوغ وزيد. ولكن لم ينبعث أي صوت آخر.

وانتظرت الأم فى الصباح أن تخرج ابنتها من الغرفة مثقلة بالذهب، ولكن طال انتظارها دون أن يخرج أحد. فلما اشتد بها القلق طرقت الباب ثلاث طرقات فلما لم يجبها أحد دفعت الباب دفعة قوية لترى الأفعى يتسلل زاحفا على الأرض وهو ينساب مختفيا خارج الغرفة، فخارج البيت عائدا الى الشقوق والأوساخ. أما لوزه فقد كانت ميتة بلا حراك!



الدخول في تفاصيل العشق والموت

شعر: محمود حامد

حين احتويتُ بقبضتي هذا الصّهيلَ ،
شعرتُ كم هي رائعـــة
تلك العذوبة في الصّهيلْ
حين احتويتُ بقبضتي جسد الرّياحِ ،
ملكتُ مفتاح الفصولْ
ونسيتُ طَعْمَ الفاجعة
وأنا فلسطينُ التي ،
في قبضة الجلّادِ ،
كم روَّعتُ جلّادي ،
بهذي القبضةِ المتواضِعَةْ
لكنّني ،
وأنا التي ،
ما زلت أملك هذه الدّنيا ،
أظلُّ أمام عصفور المنافي ذلك القمر الخجول
وأظلّ أحني هامتي في ساح مجدي لابتسامة فارسٍ ،
شَقَّ الدُّجى بيمنيه السّمراء والجسد النّحيل
يا أيّها الجسدُ المُعَطَّرُ بالشّذى ،
وأنا المتَيَّمةُ القتيلة في هَواكَ ،
تُرى أتأذن للحبيبة بالدُّخول
حين انتظرتُكَ ،
كانت الظُّلماتُ تطغى
حين جئتَ ، رأيتُهـا ،
تستنهض الجُثثَ المُناضِلةَ الأبيّةَ أُمّي
وتلملمُ الغضب المُبعثر في الوُحول
وأنا أمامَكَ أنحني
يا فارسَ الشّهداء ......
يذبحني الذُّهول
غاصت عُيوني في عيونِكَ ،
طوّقني شهقة الضّوْء الأسيرة في الفتيل
كيف الشّهيدُ يعودُ ،
أُقْسِمُ أنَّ هذا الوَجْهَ وَجْهُكَ ،
والشّموس هي الشّموس على جبينكَ ،
والعذوبة ما تزالُ هي العذوبة ،
لم أجد شيئاً تَبَدَّلَ في حبيبي
غير جرح كالنّجوم يضيء في العُنُقِ الجميل

• • •

كيف امتطى هذا التّرابُ عذوبَةَ الجسدِ القتيل ؟
كيف استفزَّ دمي ليقرأ ما كتبتُ ،
وكيف يطلب من شهيدٍ أن يُعيد قَصيدةً
هَرَّبْتها سِرّاً لِسِفْرِ المُستَحيلْ
فإذا بها كالنّار لاذعةَ السُّخونة ،
كلّما قَرَّبْتها من رعشة الشّفةِ القتيلةِ ،
أشعلتني بالسؤالِ المُرّ :
خُذني للجليل .

• • •

يا أ يّها الحُلُمُ المُسافِرُ في دمي
يطغى جنونُ هواكَ ،
تشتعلُ الخلايـا ،
كلّما لامستني
أسعى إليكَ ، تضمّني ،
وأنا القويّةُ :
كيف تنثرني شظايا في دماكَ
وكيف تجعلني أمامَكَ طفلةً
وأنا المليكةُ في الصَّبايا ؟
كيف تنهمر العذوبةُ في فمي
يبدو شبابك في عيوني كالنّخيلْ
ما ذلّني أحدٌ سِواكَ ،
وأنت تتركني بساحات النّوى وحدي ،
يُباغتني رحيلُكَ ... ،
كيف أُومِنُ بالصَّدى
وهو الذي مازال يصرخ في الطلول :
آت أنا ...
في الوعد آت .

• • •

جسدي توزّع بين ساحاتِ المنافي والوطن
وأنا المليئة بالشّجن
أختار موتي بين أحبابي ،
يُداهمني الطّغاة ويصرخون :
أنتِ القتيلةُ !.

والتفاصيلُ الصّغيرةُ عنكِ نعرفها ،
ونعرف من عشقتِ :
ومن يكونْ
هذا الفدائيّ المؤرّخ في الضّمير ،
وعبر ذاكرة الزمن
كيف استطعتِ له الوصولْ .. ؟
كيف انتفضت على السّلاسلِ ... ؟
كيف هرّبتِ العواطِف في الكَفن ... ؟
كيف اجتمعتِ ،
ونحن شتّتناكِ مِلْءَ الأرضِ .. ! ،
ضيَّعْنا خُطاكِ ،
وعبر نهر الليل وَزَّعْنا الرُّفاةْ ... !
والريحُ : حين الريح تحمل أعين القتلى ،
وتمضي ....
كيف تلتحم البقايا .. ؟ ،
كيف يعبر من تناثر كالغبار
هذي المرايا .. ؟
كيف مرَّ الرَّتْلُ فوق السكة السوداء في الجوّ المُكَهْرَبِ ... ؟ ،
كيف هرّبتِ القصائدَ في الحقائِبِ ... ؟ ،
كيف هرّبتِ الحقائبَ في القطارْ ... ؟
هذا أنا
من أجلِ نعلٍ في حذائكَ يا حبيبي ،
أيهُّا الشعْبُ المُشَرَّدُ .....
أيهُّا الوَلَهُ المُؤَبَّدُ في جذوري ،
أمتطي كُلَّ الجسورِ لكي أراكَ ،
مَضَيْتَ أنْتَ ،
وها أنا وحدي بَقيتُ على شبابيكِ البِحارْ
أترَصَّدُ الوَلَهَ المُسافِرَ ،
كلّما غنّيتُ باسْمِكَ يجهشُ الشَّجَرُ المُتَيَّمُ بالبُكاءْ
ويجيئني صوتٌ من الأنهار يحتضنُ الصَّدى
يبكي معي
تتحرّكُ الأحجارُ ، يبتدِئُ الغِناءْ
نَبكي ، نُغنّي ،
حين نصمتُ مُثقلينَ بوجدنا
يتململُ الجرحُ المُكابِرُ في المدى
ويظلُّ ينزف ما يشاء
فإذا بوجه الصّبح يُشرق في المساء

. . .

وأنا قريب منكِ ،
يبتدئُ الهواءُ بسرقة اللحظات منّا ،
إن جعبتَهُ المليئة بالتقارير الخَطيرةِ ،
سوف تمنعنا مُتابعة اللقاء
وسنلتقي
فالوعد تكتبه الدّماء على الدّماء
وغداةَ ينفجر النّزيف ،
نَكُونُ وَحّدْنا مواعيدَ الشّروق مدى الحياة .

. . .

خذني لمن
غيري بجرحِكَ يَسْتَحِمُّ ؟
ومن سوايَ يُراقِصُ الشَّجَرَ المُتَيَّمَ مِنْ عُذوبَةِ ما كَتَبْتَ ؟
وَأيُّ عُصفورٍ يُغامر أن يلاحق ظلكَ المنثورَ في كُلِّ الجهات ؟
خذني لمن
غيري بقبضتِها تَضُمُّ النّيلَ دوماً والفُراتْ
وأنا فلسطين التي
ستظلّ تنزفُ مُعْجزاتْ ؟

. . .

هذا هو البحر العجوز يمرُّ عبر دمي وذاكرتي ،
ويرسمني شهيداً فوق باب الذّكرياتْ
حيناً تُؤرّخني أبيًّا ،
ثُمَّ تَحْضُنُ صورتي
وتشدّني منْ جثّتي لعيونها
وتظلُّ تصرخُ : كَيْفَ ماتْ ؟
وهو الذى يأتي إليَّ مع السماء ،
قصيدةً ، أو سُنبله .. ؟

يأتي إليَ فلا يؤخرهُ الرَّصاصُ دقيقةً عن موعدي
أبداً ولا تغتال فرحة شوقه النّاري هذي القنبلة
كَفّي يَلُوحُ ،
حين يبتسمُ النّهارُ على شِفاهِ حبيبتي
آتي لها جسداً ونبضاً ،
إن رأسي لم يزل في المقصلة
ويُحاورون دمي ليترك عادةَ الشّوقِ العَنيفِ ،
ويركعون على الجَسَدْ
ليقولَ : أخْرُجُ مِنْكَ يا وطني ،
وأرحل للأبَدْ
ويُجرجرون الثّغر مرّاتٍ لِيَنطِقَ ،
إنْ نطقتُ بها على شفتي ،
فقلبي لن يساومهُ
أحَدْ .

. . .

عبر الغزاة على نزيف الجُرْح
فانفجر النّزيفُ
سيفاً يُقاتِلُ ،
صاح فيهم :
من لديهِ رُجولة
فَلْيَخُطَّ من هذا الرّصيفْ

. . .

الرياض



جماعة : للفنان اللبنانى بول جيراجوسيان



سقوط غرناطة : للفنان السعودى خليل حسن خليل

في معرض الكويت التاسع

بصراحة.. الفنان الخليجي أكثر ارتباطًا بالبيئة

وكثير من الفنانين العرب "مُسْتَوْرِدُون" للمدارس الغربية

بقلم: سلمان المالكي

إذا نظرنا إلى معرض الكويت التاسع للفنانين التشكيليين العرب ، كفكرة ، فإننا لابد أن نشيد بتبنى دولة الكويت لانتاج الفنانين العرب ، وذلك تحت رعاية الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ، فالفكرة فى حد ذاتها تحمل مضموناً نبيلا ومشاعر غالية تجاه الوطن الواحد وفنونه ذات التاريخ الحضارى العريق .

إلا أن السؤال الذى يراودنى دائماً ، كلما رأيت أى تجمع للفنانين العرب هو : هل استطاع الفنان العربى أن يجد هويته ، بحيث يمكننا أن نقول بكل وضوح إن الفن فى بلادنا يقف فوق أرض صلبة ، تعبر عن موروثاتنا وتاريخنا العربى ومسيرته الحالية ، أم أنه مازال غارقاً حتى أذنيه فى محاكاة المدارس الأوربية الحديثة بكل ما حملته لنا من ألوان التجريدية والتكعيبية والسريالية وغيرها ؟

بصراحة ، أعتقد ــ بدون حساسيات ــ أن الفنان الخليجى فى معرض الكويت التاسع ، كان أكثر تعبيراً عن ناسه وأرضه ، بينما أسهب معظم المشاركين ــ باستثناء فلسطين ــ فى الاعتماد على أساليب وافدة ، تنطلق فى البداية والنهاية من موروثات غربية !

ولكن ، كلمة الحق التى تقال أن الأعمال فى مجموعها ــ وخاصة جناح لبنان ــ كانت من الناحية الفنية أكثر من رائعة ومثيرة لكافة أذواق المترددين على المعرض !

وفى جناح العراق ، كنا نتوقع أن نرى أعمالا لكبار الفنانين العراقيين أمثال ضياء العزاوى ، وعامر العبيدى واسماعيل الشخلى وسعد الطائى وغيرهم ، ولكننا فوجئنا بأسماء جديدة وبتجارب جديدة ، ربما الغرض منها إفساح المجال أمام المواهب الجديدة للانتشار .

وقد توقف كثير من النقاد أمام لوحة الفنان الأردنى عزيز كامل عمورة التى استقى موضوعها من مأساة صبرا وشاتيلا ، وذلك لدقتها الفنية والمعالجة التى تدل على تمكن هذا الفنان الشاب ، الذى استطاع أن يفرض اسمه وسط هذا الكم الهائل من الأعمال ، رغم أن مساحة لوحته لا تتعدى عشرين سنتيمتر فى ١٥ سنتيمتر .

وقد حصل بهذه اللوحة على جائزة من جوائز المهرجان ، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن العمل الفنى لا يقاس بحجم اللوحة ، ولكن بمدى ما تتركه من أثر فى النفوس !

ورغم اشتراك تسعة فنانين من دولة الامارات العربية المتحدة وهم : عبد الرحيم سالم خميس ، حسين شريف ، حسن محمد شريف ، عبيد سرور الماس ، صالح أحمد الأستاذ ، منى الخاجة ، محمد يوسف ، محمد ابراهيم القصاب ، هشام المظلوم .. رغم إشتراك هذا العدد الذى تعودنا أن نراه فى معظم المعارض العامة ، إلا أن الأعمال فى هذا العام لم تكن بنفس مستوى متابعتنا للحركة التشكيلية فى دولة الامارات ، وقد يكون السبب هو الاستعجال فى الاختيار !

أما جناح سلطنة عمان فى المعرض ، فقد دل على أن الحركة التشكيلية الوليدة تسير بخطوات متقدمة ، وإن كان الفنان أنور بن خميس بن سونيا قد تألق كعادته ، وخاصة فى لوحاته المرتبطة بالبيئة مثل : صياد ، وبائعة الثياب الجوالة .

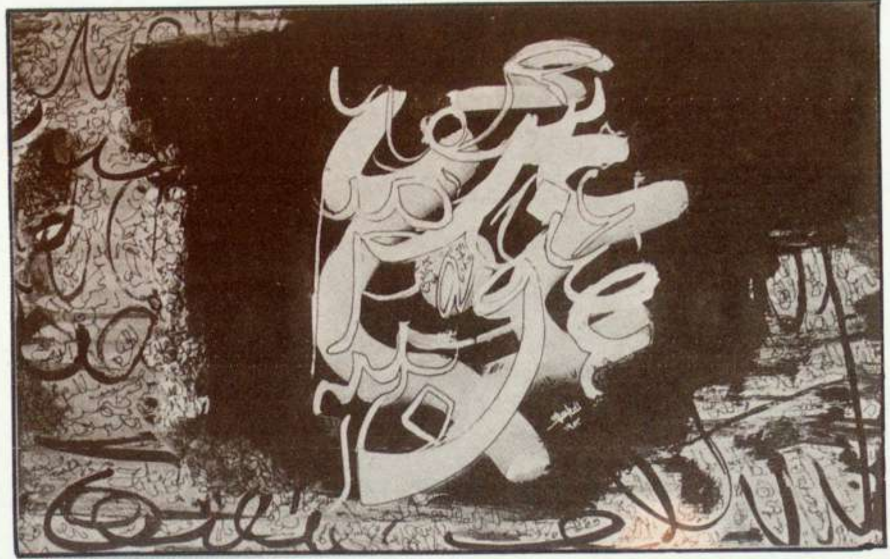
وكلنا نعرف أن الحركة التشكيلية فى البحرين قد سبقت كل الحركات التشكيلية فى منطقة



بيروت الحزينة : للفنان القطرى سلمان المالكى



حلم : للفنان الكويتى على نعمان توفيق



الأطلال : للفنان القطرى على حسن



صورة عمرها عشر سنوات لكاتب المقال مع نخبة من الفنانين العرب
خلال المعرض الرابع للفنانين التشكيليين العرب فى الكويت عام ١٩٧٥

الخليج ، ورغم ذلك فاننا تعودنا هذه الأيام أن نرى تذبذباً فى المستوى ، فأحياناً نرى من الفنانين أعمالا متألقة ومبهرة ، وأحياناً نلاحظ التكرار لموضوعات سبق أن عولجت فى لوحات أهم من الناحية الفنية والموضوعية..

وإذا ما رجعنا إلى الحركة التشكيلية فى المملكة العربية السعودية ، لوجدنا انها قفزت فى السنوات الأخيرة قفزات ملفتة للنظر سواء من ناحية إنتاج الفنانين أو من خلال المعارض المحلية والخارجية .. وفى هذا المعرض ــ بالذات ــ اشترك من المملكة خيرة فنانيها وهم : خليل حسن خليل ، محمد موسى السليم ، سليمان أحمد باجبع ، حسن عبد الله عبد المجيد ، فهد ناصر الربيق ، عبد الله علي الشلتى ، يوسف أحمد جاها ، عبد الرحمن ابراهيم السليمان ، أحمد مبارك منشى ، وناصر عبد الله الموسى .. وقد قدموا جميعاً أعمالا تستحق الثناء ، وإن كان الفنان خليل حسن خليل بلوحته سقوط غرناطة ، وما تحمله من رؤيا فكرية وتقنية فنية ، قد جذبت إليه الأنظار وطرحت الكثير من التساؤل حول مضمون هذا العمل الفنى !

وقد جاءت تونس الخضراء إلى معرض الكويت التاسع لتشارك بأعمال ثلاثة من فنانيها : الصادق قمش ، ومحمود التونسى ، ورفيق الكامل .. وكانت معظم أعمالهم تدل على مستوى متقدم ورؤية فنية يغلب فيها الشكل على المضمون .. ورغم أن صادق قمش قد حصل على شهادة تقديرية ، إلا أن اللوحة الفائزة فى مجملها زخرفية مبسطة ، لا تحمل مضموناً أو شكلا جديداً !

وما ينطبق على جناح العراق ينطبق على جناح مصر ، فالمشاركون الأربعة وهم زكريا أحمد الزينى ، وصبرى محمد منصور ، وفتحى أحمد محمود ، ومحمود حسين شكرى .. رغم أنهم قدموا لوحات فى مستوى لا بأس به ، إلا أنهم لا يمثلون الحركة التشكيلية فى مصر في مجملها ، فقد كنا نتوقع من البلد التى أنجبت عز الدين حموده وبيكار والسجينى وحامد ندا ومحمد صبرى وصبرى راغب وغيرهم ، أن تقدم لنا فناً يتجاوز هؤلاء الرواد وغيرهم إلى آفاق جديدة نابعة من جذور الأرض .

ومن اليمن اشترك فنانان هما فؤاد طه الفتيح ، وعبد الجبار أحمد نعمان ، وفى لوحة الأخير شعرت بأننى ــ فعلا ــ أمام حلم مغرق فى الألوان الزاهية التى تدل على فهمه لكوامن النفس والقدرة على استكشاف الصراعات الداخلية التى تؤرق الانسان أثناء نومه .

أما الفنانون الذين جاءوا من دولة قطر للمشاركة فى هذا المعرض فهم جاسم الزينى ، يوسف خالد الشريف ، وسلطان الغانم ، وعلى حسن الجابر ، وعيس ماجد الغانم ، وحسن عبد الرحمن الملا ، ويوسف أحمد محمد ، ووفيقه سلطان سيف ، وسلمان المالكى (كاتب هذا المقال) .. وكان من الممكن لهؤلاء الفنانين الذين يمثلون قمة الحركة الفنية فى قطر أن يفوزوا بأكثر من جائزة للشراع الذهبى ، لولا أن أعمالهم المشاركة ليست آخر انتاجهم ، ولكنها أعمال ــ فى معظمها ــ سبق أن قدمت فى معارض أخرى .

أما الدولة المضيفة ــ الكويت ــ فقد شاركت بـ١٤ فناناً هم : محمود الرضوان ، حسين عبد الله اشكنانى . علي نعمان توفيق ، ومحمد الشيخ عقيل ، حميد خزعل ، ويوسف القطامى ، وعبد الرضا باقر ، سامى محمد ، وسعود الفرج ، وسالم الخرجى ، وأيوب حسين ، وموضى الحجى ، وعيسى صقر ، وقاسم ياسين .. ورغم المشاركة بهذا العدد الكبير فى هذا المعرض الهام ، إلا أننى أرى ــ من وجهة نظرى ــ أن الحركة التشكيلية فى الكويت تأثرت خلال السنتين الماضيتين نتيجة لغياب الروح الجماعية التى تعودناها من فنانى الكويت ، وقد كان لذلك أثره فى مستوى الأعمال المقدمة والتى لا تتناسب مع المكانة المتألقة التى وصل إليها الفنان التشكيلى الكويتى وسط المحافل التشكيلية .

وإذا كانت لوحات الجناح الفلسطيني قد قدمت ــ كعادتها ــ قضيتها الأساسية وقضية الفنان التشكيلى العربى وهى تحرير الأرض ، فإن الفنانين السوريين الذين شاركوا فى هذا المعرض قد تألقوا فى أسلوب التعبير ، ودلت لوحاتهم على تمكن فى الأدوات والمعالجة الفنية .

وعلى العموم فإن معرض الكويت التاسع للفنانين التشكيليين العرب ، كان فى مجمله تظاهرة فنية ، جمعت كافة الفنانين العرب من المحيط إلى الخليج ، كجسم واحد يشارك فى إيصال نبضات الأمة العربية .

سلمان المالكى

الأسلحة المعجزة

راضي صدوق



- « ستموت ، واحسرتاه ..
- قتلته .. قتلته بيدي !
نعم . قتلاً خصباً متدفق الخيرات .
كان الوقت ليلاً ، زحفنا بين شجرات قصب السكّر .
وكانت الخناجر تضحك للنجوم ، ولكننا كنّا لا نُبالي بالنجوم !
وكانت شجرات قصب السكّر تُخدّدُ وجوهَنا بجداول من دموعٍ خُضْر
- لقد حلمتَ بابنٍ يُغمض عينَيْ أمّه .
- لا يا أمّاه . بل آثرْت أن أفتح عينيَّ على شمسٍ أخرى .
- واحسرتاه عليك يا بُنيّ ، ستموت شرَّ موته .
- أمّاه ، بل خَيْرَ ميتة .
- لأنك كرهْتَ فأسرفْت .
- بل لأنني أحببتُ فأسرفت .
- تَرَفّقْ بي ، أغلالك تخنقني ، جروحك تُدميني يا بُنيّ .
- العالم لا يترفّق بي . ليس في العالم إنسانٌ بائس يُعْدَم ، ولا إنسان شقيّ يتعذّب ولا مُشرَّد ضائع في فجاج الأرض ، إلا وأُقتلُ فيه وأُذَلّ .
- خلّصْه ياربّ ! ..
- لن تريحني يا قلب من ذكرياتي

كان ذلك ، ذات مساء ، من شهر نوفمبر .
وفجأة وَمَضتْ ، في الصَّمتِ صيحات
.. يبدو أننا وَثَبنا ، ونحن الضائعين المشرَّدين ، نحن المخلوقات الضائعة .

. . . .

هذه ملامح من قصيدة لأيميه سيزار من ديوانه « الأسلحة المعجزة » مازلت أذخرها في قرار الذّاكرة ، مع ما تَرسَّب في تلافيفها من غبار الأيام وركام السنين . لكأنّها قصة المسيرة العازمة لهذا الشعب الذي تبعثر في مفازات التّيه ، على مدار المعمورة ، لأكثر من ثلاثين عاماً . هذا الشّعب الفلسطيني الذى نَبَع كدفْقةِ زُلال الماء ، تنبجس من جلْمدِ الصخر ، ثم تَتَسرب في الجُرودِ والتلال الظامئة ، فتوقظ الخصْبَ الغافي في رحم الجدب .. وتحفل الكروم بالعناقيد ، ويدر الطين الناشف لبناً وعسلاً ، بعد أن تروى بالدم .

إنها حوارية ضائع وضائعة ، أم ووليدها . هي تضن به على نصال الخناجر التي تضحك للنجوم . تضن به أن يزحف في أدغال الليل والشجر . لقد خسرت الأرض . فكيف تخسر ولدها والأرض ؟ .. ولكن الزمن مثل النار ، ينضج العواطف النيئة ، ويغذى الوجدانات الضيقة بآفاق جديدة ووعى جديد . فالغصن المورق حديث التفتح ، تمور فيه نيران نسغ جديد لا يرهب دغلا ، ولا يرجف لنصلة خنجر . لقد فتح عينيه على شمس أخرى .. أيموت شر ميتة ؟ .. بالطبع لا ، لأنه يحيا أذل حياة ! .

الأم ، بالعاطفة وبتجربة العمر ، ترى أن معركة ولدها خاسرة . فهو صغير ، ضائع ، وان إسرافه في الكراهية لكل من صنع له مأساته ، هو الذى يدفع به في طريق الهول والخطر وركوب الموت . والولد ، على غضارة عوده وضآلة تجربته الحياتية ، يرى أن حياته الذليلة خاسرة . ولئن قدر له أن يسقط على أرضه شهيداً ، فلن يخسر شيئاً من حياة .. ولكنه سيطرق الباب المسدود ، للقوافل الضائعة التي تنتظر طلوع من يطرق لها الباب ، من غيابات المجهول .

وفي القضايا الكبرى ، لا تستقيم موازين المناطقة وعلماء الرياضيات . والوطن ، عندما يغتصب أو يعتدى عليه ، ليس أمام مواطنه الا أن يشهر سلاحه . وأى جدل متفلسف متحذلق ، ينكر على المعتدى عليه ان يرفع ساعده في وجه العادى ، أو يهول على أصحاب الحق عقابيل العزم على أداء ضريبة الوطن ، إن هو إلا ضرب من ضروب الانحراف الساقط والاجتهاد السلبي المرذول .

يا عاشق الزهر

« الشابي في الذكرى الخمسين لوفاته »

شعر : شجاع محمد الأسد

تذكَّر الحُلْمَ الريّانَ فابتسما
وراح يغزل من إيحائه نَغَما
حُلْم الصِّبا .. وربيعُ العمر مُتكِّىء
على الزمان .. وما أحلى الصبا حُلُما
إذ « الرعاةُ » أغانيهم مجنَّحة
تطوي البحيرات والقيعان والأكَما
وكلُّ وادٍ من الألحان مزدهر
وكل نهرٍ غدا بالحُبِّ منسجما
وما ترى زهرةً إلاَّ وداعبها
ثغرُ النسيم فمالتْ تلثمُ النَسَما
ونَحْلَةٍ عَبَثتْ في صَدْرِ دالية
وقَبَّلتْ نافراً من صدرها .. وفما
وطائرٍ حالمٍ نادَى بصاحبه :
تعالَ نعمل من ورد الحقول دُمى
ونحتسي من شفاه الفُلِّ خمرتَنا
ونمسح الدمعَ إنْ دمعُ الصباح هَمي
فما الندى غير دمع الفجرِ يَذْرِفُهُ
قَبْلَ الفِراقِ ، على خَدِّ الرُّبى ألما
وأرض قرطاجةٍ تزهو بشاعرها
فتجعل الشعرَ خمراً والرحيقَ لمى
ابن الطبيعة ... في عيْنَيْهِ بارقة
منها ، ودفءٌ فنونِ الشرقِ فوقهما
فشاعر الوجد إنْ دار الحديثُ طلى
وشاعر المجدِ إنْ داسَ العدوُّ حِمَى
وشاعر « الشعب » .. يُعطي منْ محبَّتهِ
ما يبتغي الشعب ، فِعْلاً كان أوْ كَلِما





والباعثُ العزمَ في أعمــاقِ أمّتِهِ :
إنَّ « الإرادَةَ » تبني للعُلَى أُمَمَا ..
إذا الشعوبُ أرادت غيَّرتْ « قدَرا » ،
ودمَّرتْ نُظُمــا ، واستنطقتْ قِيَمــا
وحَوَّلتْ زفراتِ الظُّلمِ عاصفــةً
تلوكُ في جوفِ شِدْقَيْهــا الذي ظَلَمــا

....

إنّ الذي أنشدَ الدنيــا فأسكرهــا
ذوَى النشيدُ على آهاتــه سَقَمــا
وأَقْبَلَ الداءُ وحشاً فاغراً فَمهُ ،
مُسَنَّنَ النابِ ، جَوْعــانَ الحَشــا ، نَهِمَــا
فصوَّح الزهرُ من فِقدانِ شــاعرِهِ
وأَوْغَلَ اللَيلُ .. والإصــباحُ قد هُزِما
والحُبُّ والشِعْرُ قد ذابَا بظُلْمته ..
والحبُّ والشعر لا إبــداعَ دونهمــا
وليس في الأُفقِ إلاّ وحْشَةٌ ودَمٌ
يُلَطِّخُ السُحُبَ الدَكْناءَ والسُّدُمــا
يا عاشق الزهر ! مثل الزهر قد قصرت
بكَ الحياةُ .. فلم تَنْعَمْ ، ومــا نَعما

....

أشرِقْ ، أبا قاسمٍ ، كالشمس مؤْتَلِقاً
واهْطِلْ بشعرِكَ غيْثاً وَاكَبَ الدّيَمَا
وابعثْ به ثورةً بالحقِّ زاخرةً
وابعثْ به عزَّةً تستنهض الهِمَمــا
فقد نسينا .. وسوطُ البطشِ يُفْزِعُنا ..
معني الكَــرامةِ والإقدامَ والشَمَمــا
وحُطِّمَ القلمُ الرَّعافُ في يدنــا
شَرَّ الطغاةِ طُغاةٌ حطّموا القَلَمــا
وأنتِ .. ياتونسُ الخضراءُ ! معذرةً
إنْ لمْ يُوفِّ القريضُ الشاعر العَلَمــا
فالبحتريُّ عليــلُ النفْسِ مضطهَدٌ
وسيفُ عنترةَ العَبْسيِّ قد ثُلِمــا

....

وأقْفَرَ الحــيُّ من فُرسانِ ساحتــهِ
لمّــا ترى فيه إلا العبدَ والقَزَما
ناديتُ معتصماً أبغي الملاذَ به
فإذْ بمعتصمٍ ما عاد معتصمــا

عمان ــ الأردن

أضواء

مع الشاعر فاروق جويده :

كيف يكون الوطن جرحاً وقصيدة ؟

حوار أجرته : سارة

ربما لأننى فشلت فى كتابة الشعر .. أحببت .. الشعر والشعراء .

وربما .. كما قال المحزون لفقد نخلته العراقية بلقيس « الشاعر مخلوق استثنائى .. لذلك تكون جراحه استثنائية .. وأحزانه استثنائية .. وموته استثنائياً » .

ربما .. لذلك .. أصبح حبى للشعر أيضاً .. عشقاً استثنائيا .

وربما ..

بحر الدوحة .. أول قصيدة حب داعبت أنفاسها الحارة قلبى الصغير ..

بحر الدوحة .. بأهازيجه .. غناء الثكولين بأحبائهم .. وغناء العائدين لصدور أحبائهم .

ولأن كتابة الشعر بحد ذاتها عمل انتحاري .. و .. لأن الطمأنينة هى مقتل للشعر والشاعر معاً .. أحببت التمرد الشرس للكلمة المتوجة .. بالحزن .. والقلق .. وانكسارات القلوب الوحيدة .

« وزيرنا العاشق » فاروق جويده .. شاعر الثمانينات .. كما وصفه الدكتور زكي نجيب محمود .. ولعله شاعر الأعوام المقبلة أيضاً .. لأن « فاروق » خرج من معطفنا نحن قراؤه .. هاجرنا معه من الزمن الخارجى الصاخب .. إلى الزمن الداخلى الأشد صخباً .. وكنا معه .. وكان معنا .. كما أشار الدكتور سمير سرحان فى دراسته النقدية لديوانه الأخير « قيثارة يختلط فيها الحزن الغامض الدفين .. والحنين إلى زمن ماض كان الكون فيه يتميز بالتناغم والإكتمال ، والأسى على زمن حاضر اختلفت فيه موازين الأشياء وسادت فيه فوضى القيم » .



الشاعر فاروق جويده

ولأننا كنا نحن « معطفه » فقد احتضن أحلامنا فاحتضناه .. وصارت أشعاره صدفتنا التى تحوى شتات إنكساراتنا .. فصرنا بحره السخي حباً .. وعطاء .

علمنا كيف يكون الوطن جرحاً وقصيدة .. وعلمنا كيف نموت كالأشجار واقفين .. وعلمنا كيف وأين يكون « الملاذ الأخير » .. فتشبثنا بأحلامنا المهزومة بحثاً عن « بيت صغير لكل الحيارى » .

وفى مكتبه بجريدة الأهرام .. صافحت وجهى عشرات البطاقات الملونة المزروعة كزهور بريد فى أرجائه .. وسمعته يقول لى : « تساءل د . لويس عوض عن سر هذه البطاقات .. فأجبته قائلا : فى غياب النقد والنقاد تظل هذه البطاقات القادمة من مختلف أنحاء العالم العربى ناقدى الوحيد » .

قلت : هل هذا رأى .

قال : نعم .. هو كذلك .

عصرنا .. وملوك الطوائف

وتساءلت .. وفى السؤال طعم العتاب ومرارة الحزن ..

لماذا جئت بابن زيدون ليصرخ من جديد فى هذا الزمان بأن مآذن الأندلس لن تسقط أبداً .. وقد سقطت ؟

ــ ربما لأننى أردت أن أقول بمعنى آخر أن مآذن الأندلس قد سقطت وما كان ينبغي أن تسقط .. وربما لأننى وأنا أخوض بأحلامى المشروعة المستنقع العربى الآسن .. أجد نفسى فى ابن زيدون الذى شهد لحظة السقوط الكبرى .. سقوط الأندلس .. وقد شهدت أنا أيضاً لحظة السقوط الأكبر .. سقوط القدس .. وسقوط الحلم معها .

وقد ظلت تطاردنا ــ نحن الشعراء والكتاب ــ منذ ألف عام وحتى اليوم حيرة ابن زيدون .. أيهما أجدى الكلمة أم السيف .. وإذا كانت السيوف قد تهاوت .. فما قيمة الكلمة .. وقد قضينا نصف عمرنا فى حروب ومعارك فكرية « دونكيشوتية » لم يكن فيها غالب ولا مغلوب .. إن دوافع معاركنا الفكرية تذكرني دائماً بدوافع معاركنا السياسية الوهمية على امتداد الساحة العربية فى ربع القرن الأخير .

إن جميع معاركنا ــ الفكرية والسياسية ــ كانت بلا قضية ، استنفدت طاقات الانسان العربى الاقتصادية والفكرية والجسدية أيضاً .. وكان الخاسر الوحيد فيها الانسان العربى .. البسيط المطحون بأحلامه المتواضعة .

إن اختيارى لابن زيدون لم يكن اختياراً عفوياً .. بل أردت أن أحذر من خلال هذا الاسقاط التاريخى الفنى بأننا نعيش عصر ملوك الطوائف من جديد .. إن المسرحية قد يتغير أبطالها .. ولكن النص واحد .. والمهزلة أيضاً واحدة .. وأردت أن أقول ان الكلمة التى لا يشوبها زيف ولا يحاصرها القهر هى القادرة على صنع الإنسان .. وأنه حينما تسقط الفكرة يسقط الإنسان والوطن .. وأن الأفكار العظيمة هى التى تصنع الحضارات العظيمة .. وأن العرب صنعوا حضارة الأندلس حينما كانت عقيدتهم هى المنارة التى يسترشدون بها .. وأن مأساة المجتمع الحقيقية تبدأ حينما يتجرد من قضاياه الحقيقية .. فيصبح مجتمعا بلا قضية أو فكرة أو عقيدة .. ذلك هو الإنهيار الحقيقى الذى يتبعه بالضرورة ضياع الحلم وسقوط الإنسان .. وأن المأساة الحقيقية ليست فى السيف أو الكلمة .. ولكن مأساة الانسان الذى يحمل السيف أو الكلمة .. وأن الاحلام الكبرى لا يصنعها الأفراد وحدهم .. وانما تصنعها الشعوب .. وإن الحلم قد يحمله فرد .. ولكن يحتاج إلى شعب يحققه .. ابن زيدون

توهج بحلم كبير فى زمن لا يعرف قدر الأحلام .. ولكنه ضل الطريق عندما اعتقد أن الشاعر قادر على العوم فى مستنقع السياسة ومبارزة السلطة ، لقد ضل ابن زيدون .. وسقط .. كما سقط المتنبى من قبله !

• وكيف جعلت « ولادة » شخصية إنسانية مؤثرة ، وهى المرأة اللعوب التى كتبت يوماً على ذيل ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالى
وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقى من صحن خدى
وأعطى قبلتى من يشتهيها

ــ لقد كانت « ولادة » بالنسبة لي رمزاً أكثر منها « ولادة » التاريخ .. أنا لم أقدم على المسرح المرأة اللعوب التى استطاعت أن تجمع حولها كل تلك القلوب .. ولكنى قدمت امرأة مجروحة .. مهزومة .. ممزقة بين حلمها وبين واقعها .. بين ماضيها وبين حاضرها ومستقبلها .. بين إنسان تحبه وقضية تؤمن بها .. شخصية « ولادة » عندى الانسانة المعزولة التى آمنت بالكلمة والحب رغم أنها عاشت فى ظل السيف والحكم رمزاً للوطن .. وابن زيدون رمز للحكم وللحلم معاً .. وقد حاولت أن تقنع وزيرها العاشق بأن الكلمة أجدى وأعمق .. وأن المنصب يعمى عن أشياء كثيرة فهو كالخمر يذهب العقول ، لكنه لم يصغ إليها .. فتهاوت الأشياء .. سجن ابن زيدون الحلم .. وسقطت « ولادة » الوطن .

• هل تتفق مع الرأي القائل بأن التصنيف الدقيق للوزير العاشق بأنها أمسية شعرية كانت فى حاجة أيضاً إلى استشراف عالم المسرح ؟

ــ أعتقد أن الحكم على هذه المسرحية كان على طرفي نقيض .. ولكن كان هناك إجماع على أن القضية التى طرحتها المسرحية خاطبت وجدان الإنسان العربى وتلمست مواطن الأوجاع فى نفسه .. البعض رأى فيها عملا دراميا تنقصه بعض عناصر العمل المسرحي .. والبعض الآخر رأى فيها عملا درامياً متماسكاً .. وهناك من قال انها امسية شعرية .. وفى ظل تلك المقاييس .. ومع تشعب الإتجاهات .. كتب عن المسرحية عدة مقالات .. وإذا كانت هناك كلمة لابد أن أقولها .. فهى أننى قدمت فى هذه المسرحية كل ما استطعت من جهد .

• أعتقد أن « الوزير العاشق » بداية مرحلة جديدة للمسرح المصرى بعد إنتكاسة الأعوام الماضية ؟

ــ أترك هذا الحكم للناقد والقارىء والمشاهد .. ولكن ما يهمنى كشاعر وكاتب أننى وضعت يدى على جرح تنزف منه ضمائرنا وتخجل .. ودليلى على ذلك أن الجماهير التى شهدت المسرحية أثناء عرضها فى الجزائر قاطعت الممثلين بالتصفيق الحاد عدة مرات .. ودليلى الآخر أنه فى كل ليالى عرض المسرحية فى القاهرة وضعت لوحة تقول « كامل العدد » الأمر الذى لم يحدث من قبل .

• هل تتفق مع الرأى القائل بأن من أسباب نجاح المسرحية أنك اخترت ــ بذكاء ــ شخصيتين تثيران خيال القارىء العربى هما ولادة بدلالها الأنثوى وابن زيدون بنونيته الشهيرة ؟

ــ لاشك أن قصة حبهما تثير خيال القارىء والمشاهد العربى .. ولكن لو أننى تناولت المسرحية من هذا الجانب فقط لما أضفت شيئاً للمسرح العربى .. وما كانت لتثير إهتمام أحد .. لأنها قصة نعرفها جميعاً ونحن مازلنا على مقاعد الدراسة الأولى .. ولكن الإضافة جاءت من أننى جعلت ابن زيدون الإنسان بكل مقاييس الضوء والظلال فى مواقفه وهواجسه وأحلامه يستبدل نونيته الشهيرة ليصرخ فى وجوهنا محذراً :

لا تتركوا الأوطان أرضاً مستباحه
فالأرض تعرف من يحب ترابها
الأرض تعرف صدقوني
من يبيع .. ومن يفرط
ومن يلوث .. عرضها .
ماذا نقول غداً ..
ماذا سنحكي .. عندما تتكسر الصلوات
فى أرجاء مسجدنا الحزين ؟
أنقول بعنا الأرض؟
أنقول خنا العهد؟
الأرض ملك للصغار ..
القادمين مع الصباح .

لقد اتخذت من ابن زيدون قناعاً وسيطاً .. وللقناع « الرمز » الوسيط فى لغة الشعر والمسرح مفارقة فى الزمن .. بحيث يقودنا من حيث الظاهر إلى الماضى .. ولكنه يقودنا فى حقيقة الأمر الى الحاضر .. ومع ذلك فهو يقودنا الى المستقبل .. وهذا ليس بجديد فى الشعر العربى المعاصر أو فى المسرح الشعرى .. وغالباً ما يمثل القناع شخصية تاريخية مثل الحلاج وصقر قريش والمتنبي وأبى العلاء .. وقد يكون نموذجاً متكرراً فى الأساطير والقصص الشعبى مثل بروميثيوس وعشتار أو السندباد .. وقد يكون القناع شخصية مخترعة تضفي عناصرها من التاريخ أو الحاضر مثل « القرندل » فى مسرحية « الأميرة تنتظر » لصلاح عبد الصبور أو « مهيار الدمشقي » فى شعر أدونيس .

• إذن .. هل هناك شكل من أشكال التطابق بين القناع والشاعر ؟

ــ إن القناع محصلة العلاقة بين هذين الطرفين الشاعر/ الشخصية ، ولأنه كذلك فهو ينطوي على عناصر منهما معاً دون أن يتطابق مع أى منهما بالضرورة .. وقد يكون القناع أقرب الى هذا الطرف أو ذاك .. ولكن القرب شيء والتطابق شيء آخر .. ولذلك فإن كلا الصوتين ــ فى القناع ــ لا يظل فى حالة عزلة بل يتفاعل كل منهما مع الآخر .. ويعدل منه .. فيفقد كل منهما داخل هذا التفاعل شيئاً من وضعه الأصلى .. ويكتسب وضعاً جديداً .. ودلالات جديدة .

سيجيء زمان الأحياء

• هل حقاً تعتقد كما بشرت فى قصيدتك بأنه « سيجيء » زمان الأحياء أم أنها ازدواجية الكلمات عند الشاعر ؟

• لا ينبغى أن نفرط فى لغتنا العربية الفصحى لأنها المجد والتاريخ .

• لست من جيل الكبار الذين ساهموا فى خلق « السيرك » الثقافى السياسى !

• رغم أن نزار دخل لعبة السياسة فإن شعره العاطفى أبقى من شعره السياسى


ابن زيدون


د . شوقي ضيف


نجيب محفوظ


نزار قباني


د . محمد جابر الانصاري


فدوى طوقان


غادة السمان


نازك الملائكة


د . علي شلش

ــ أنا مؤمن بأن زمان الأحياء سيجيء .. زمان تستعيد فيه الكلمة موقعها على خريطة الأشياء .. وتستعيد فيه المشاعر مواقعها بجوار دفتر « الشيكات » والأرصدة .. لإيماني الراسخ أن الخلل قد يصيب مجتمعاً بعض الوقت .. ولكن ناموس الحياة وطبيعتها توازن الأشياء .. وبأن الأجيال الجديدة التى خرجت من أنقاض صبرا وشاتيلا ستكون أكثر جسارة منا .. والغد لن يصنعه إلا إنسان جسور .. و

حين يموت الناس وقوفاً
ذلك يعني .. أن الأرض ستنجب يوماً
بعض الأمن .. وبعض الحلم
وبعض الناس .

وحين يموت الناس نياماً
ذلك يعني أن العمر
سيسقط سهواً
بين الحاكم والحراس .

هذا .. ما قلته في الوزير العاشق أيضاً .

• وسألته إذا كان قد نجح ــ كشاعر ــ فى الحفاظ على البقية الباقية من أحلام هذا الجيل المهزوم إقتصادياً ونفسياً وإجتماعياً ؟

ــ أنا شاعر أرفض الهزيمة .. وأتحدى الإنكسار الذى لا يجبر .. وأسوأ أنواع الهزائم استسلامنا الصامت لإنكساراتنا .. ليس الموت أن تنفجر قنبلة تطيح بالعشرات .. أو أن نخسر قضية أو أن نتعثر فى طموح .. لكن الموت الحقيقى هو سقوط الحلم .. فإذا كان الأمس قد سقط واليوم فى طريقه للسقوط .. فلا ينبغي أن يسقط الغد أيضاً .. فإذا كنا استطعنا جمع أشلائنا فى الحروب .. فما أسهل أن نجمع تذكارات لهزائمنا الأخرى .. ونتشبث بالحلم .. كل الهزائم تتساوى إلا سقوط الحلم .. والشعر هو الإبن الشرعي للأحلام .. والقدرة على مواصلة الحلم هي سبيلنا لبعث جديد من بين الأنقاض .. وأعتقد أنني وصلت بقناعاتي هذه إلى مساحة عريضة من أبناء هذا الجيل .. ومؤشري لذلك أن معظم دواويني بيع من كل واحد منها أكثر من مائة ألف نسخة على امتداد السنوات السبع الماضية .. ولعلني أكثر الشعراء تعرضاً لسرقة قصائده .. بل إنني تعرضت لأضخم سرقة أدبية فى تاريخ شعرنا الحديث والقديم .. فقد سرق أحد الشعراء العرب ديوان « ويبقى الحب » وطبعه تحت إسم « حكايا القلوب الجريحة » .. والذى أسعدني كثيراً أن الذى كشف السرقة قارىء يعيش فى إحدى ضواحي الرياض فى خطاب نشرته مجلة اليمامة مع تعليق منها على هذه السرقة .. ولقد تكررت ظاهرة سرقة أشعارى .. والذين سرقوا قصائدى أثبتوا حب الناس للشعر .

قلت لشاعرنا المسروق ..

• لماذا مساحة الحزن فى حياة الانسان العربى أكبر من مساحة الفرح .. وهل حقيقة أننا شعب يزدهر بالحزن ويذبل بالفرح ؟

ــ نحن شعب يحب أفراحه .. يزغرد لها نشوة .. ويبتهج ببشائرها كالصغار .. ولكن .. قدرنا أن نعيش هذا الحزن .. ونتنفسه فى مواويلنا .. وضحكنا .. وأغانينا وخبزنا .. ولقد قلت فى إحدى قصائدى :

يا ساقي الحزن دعنى إننى ثمل
إنا شربناه قهراً ما بأيدينا

• يقول الشاعر حجازي « المبدع من يخرج عمله من الطمأنينة الى القلق » فماذا تقول أنت ؟

ــ المبدع من يحاول أن يصنع حلماً فى زمن سقطت فيه كل الأحلام .

• ويقول الأبنودى إن العامية التى يكتب بها هى « فصحى الحياة » .

ــ اللغة العربية الفصحى هى تاريخنا ومجدنا .. وينبغى أن لا نفرط فى المجد والتاريخ .

• قال نجيب محفوظ فى حوار معه انه يجد فى أغاني أحمد عدوية كلاماً وألحاناً « تمشي معاه » وأنه حينما يسمع « نار ياحبيبى نار .. فول بالزيت الحار » فإن هذا ليس كلاماً فارغاً .. بل هو ترجمة لفوضى العصر فى قالب غنائي جميل ! !

ــ مع تقديرى العميق لأستاذنا نجيب محفوظ .. ودهشتي العميقة أيضاً لرأيه هذا .. فإن هذه الأغاني ما هي إلا صورة من صور الإنحطاط التى وصلت إليها الأغنية والكلمة العربية .

• هل تخلصت القصيدة العربية من الثرثرة الشعرية العربية ؟

ــ لم تتخلص القصيدة من الثرثرة .. لأننا مازلنا نرى الشعر قوة بلاغية .. واستعراضا لغوياً وثقافيا .. والشعر فى رأيى ــ ببساطة شديدة هو الإحساس .. والصدق الجميل .

وسألت فاروق جويده فى شيء من الدهشة ..

• أين كان الشاعر وقد هجرت الشعر ثمانية أعوام كاملة ؟

ولاذ بالصمت دقائق .. كأنه يحاول أن يتذكر أمراً قد نسيه .. وقال فى هدوء :

هذا هو الجانب القدرى فى حياتنا .. لقد فرقت بيننا ظروف الحياة .. اكتسحني الجفاف .. واستنزفني الإحساس الهائل بالإحباط والعبث مع بداية النكسة عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٦ وهى الفترة التى عملت فيها محرراً اقتصادياً بالأهرام .. لقد جنحت بي العربة فى طريق لا أعرفه .. وسرقت من عمرى ثمانية أعوام أحسست فيها بمعنى الضياع وتجرعت مرارته .. وإن كنت قد نجحت فى عملى آنذاك .. وقد يدهشك أن أقول أنني استفدت من تجربة عملى كمحرر اقتصادي .. لقد تعلمت أن الشعر هو اقتصاد الكلمات .. وهو اللغة المكثفة جداً .. جربي أن تحذفي بيتاً لي فى قصيدة .. ستجدينها تتهاوى منك تماماً .. فبناء القصيدة معمارياً يعنى الاقتصاد .. والتجربة عندى أيضاً مكثفة جداً وشديدة الاقتصاد .. و .. كان لابد أن أعود للشعر .. بيتي .. وخيمتي .. وسمائي .. كان حنيني للعودة جارفاً .. ولم أكن أملك القرار فيه .. وعدت .. لأتدثر بدفء الكلمة .. وأغفو على صدرها .. من جديد .

شعراؤنا .. ودموع التماسيح

• يقول الدكتور محمد عزيز الحبابي رئيس جمعية الفلسفة فى المغرب « إن المثقفين العرب يكتفون فقط بالبكاء على الشعب فى قصائد تجريدية كلها دموع .. ولكنها كدموع التماسيح .. نحن متخلفون .. وتخلفنا يزداد ويتراكم . والمثقفون يمرحون وراضون عن ذلك » .

ــ أنا لا أبرىء المثقف العربى من الكارثة التى لحقت بالعالم العربى .. ولا من المأساة التى نعيشها الآن .. لقد مر المثقفون العرب بعدة مراحل .. مرحلة الإختبار .. مرحلة الصراع .. مرحلة التصفيات .. ثم مرحلة المهادنة .. وأخيراً مرحلة الإختيار .. التى كانت فيها اختياراتنا عاطفية وشمتها السياسة ببصماتها الداكنة .. حملنا فيها الأبواق ــ فى أحيان كثيرة ــ لقضايا وهمية .. أنا لست ضد أن يكون للإنسان موقف سياسي .. ولكن ضد أن يتحول المثقف إلى لعبة فى يد الساسة . لقد كانت مرحلة الإختيار هذه بداية تفجير الصراعات بينهم على امتداد ربع القرن الأخير .. وبداية مرحلة التصنيفات الفكرية الموشومة أيضاً بالتصنيفات السياسية .. والتى بدأت معها مرحلة الإغتيالات المعنوية إعتقاداً منهم بأن المواقف لابد أن تحسم لإتجاه دون الآخر .. واستنفر المثقفون القوى السياسية ضد بعضهم البعض .. ولقد وصل بنا الأمر إلى أن يكون المثقف العربى سيفاً مسلطاً على مثقف آخر بحكم سلطة أو منصب أو قرابة .. وكانت النتيجة أن هزم المثقفون أنفسهم واغتالوا قضيتهم الحقيقية .. قضية الحرية .. حرية كل واحد منهم أن يعبر عن رأيه حتى لو اختلف معه .

وسألت فاروق جويده « الشاعر الذى يخطو خطوات ثابتة نحو القمة » كما قال عنه الدكتور محمد عناني ..

• أين كنت إذن من كل هذه الصراعات ؟

ــ لم أشارك أنا فى هذه الصراعات لأني لست من جيل الكبار الذين ساهموا فى خلق « السيرك » الثقافي السياسي .. أنا من الجيل الذى تحمل وزر هذه النتائج ولم يشارك فى صنعها .

• هل الشعراء رافضون أم مستسلمون .. وهل هو رفض عبثي .. أم استسلام عبثي ؟

ــ كثير من الشعراء رفضوا ثم وافقوا .. ثم أعلنوا رفضهم من جديد .. ثم استسلموا .. وتاهت الموافقة فى الرفض .. والقضية فى اللاقضية .. وتلونوا بكل الألوان ولم نحفظ لهم لوناً واحداً فى ذاكرتنا .. وهذه لعبة يمارسها بعض بهلوانات السيرك الثقافي .

• ماذا تعني كلمة « تغيير » فى حياة شاعر .. وسياسي ؟

ــ فى حياة سياسي تعني استبدال أصنام بأصنام .. وفى حياة شاعر تعني خلق إنسان أفضل قادر على فرز العملة الحقيقية من العملة المزيفة .. إنسان يحلم .. وجذوره راسخة فى الأرض كنخلة .. إنسان يدرك أن قضاياه مهما تشعبت وتفرعت فإنها تصب فى مجرى واحد هو حريته .. وحريتي .. وحرية كل طفل يفتح عينيه بحثاً عن ضوء الشمس .

امرأتان .. بيني وبين نزار

• بعد ظهور القصائد الأولى لفاروق جويده ، كانت المقارنة دائماً تدور حول أوجه التشابه والإختلاف بينه وبين نزار قباني .. ومن هنا كان

فاروق جويده في سطور

• من مواليد كفر الشيخ فى ١٠ فبراير ١٩٤٥ .
• تخرج فى كلية الآداب ــ قسم صحافة ــ عام ١٩٦٨ وكان ترتيبه الأول على دفعته .
• عمل محرراً اقتصادياً بالأهرام ثم سكرتيراً للتحرير بها ثم مشرفاً للصفحة الثقافية .. ويعمل حالياً رئيساً للقسم الثقافى بجريدة الأهرام أيضاً .
• صدر له :
• ديوانه الأول « أوراق من حديقة أكتوبر » ١٩٧٤ .
• وديوانه الثامن « شيء سيبقى بيننا » ١٩٨٣ .
• أموال مصر كيف ضاعت « اقتصاد » ١٩٧٦ .
• بلاد السحر والجمال « أدب رحلات » ١٩٨١ .
• الوزير العاشق « مسرحية شعرية » ١٩٨١ .

يستعد لإصدار مسرحيته الشعرية الثانية والتى تتناول تاريخنا العربى المعاصر .. وله تحت الطبع ديوان شعر .

• ترجمت قصائد له إلى اللغات : الإنكليزية ، الفرنسية ، الصينية ، اليوغسلافية .

• صدرت هذا العام أعماله الكاملة عن دار تهامة وقد تضمنت دراسة نقدية مطولة كتبها الناقد الدكتور شوقى ضيف .

• وقد صدرت كتب تناولت أعماله منها ..
• « الوحدة والتنوع فى الأدب العربى المعاصر » د . عبد العزيز شرف ١٩٨٢ .
• الجديد فى الأدب المعاصر د . صلاح حافظ ١٩٨٤ .
• أصوات من الشعر المعاصر أحمد فضل شبلول ١٩٨٤ .

• العلامتان المضيئتان فى الشعر العربى الحديث : فدوى طوقان ونازك الملائكة

• قامة شوقى تتساوى مع قامة المتنبى ، لأنه جعل من الشعر خبزاً يومياً !

• لا أوافق نجيب محفوظ فى اعجابه بأغانى أحمد عدوية !

سؤالي لماذا كانت هذه المقارنة بينكما فى رأيك ؟ وهل المرأة ــ الموضوع ــ هى التى ربطت بينكما .. أم أن هناك أسباباً أخرى ؟ فاجابني « وزيرنا العاشق » مبتسماً :

ــ أنا من عشاق نزار .. نذرت أيام شبابى لقصائده .. يوم كنا نتناول أشعاره كما نتناول أوراقنا الخاصة جداً والحميمة جداً .. ولاشك أننا أكثر الأجيال تأثراً به .. وأوجه التشابه بيني وبينه تنحصر فى نقطتين .. إحداهما سهولة العبارة .. وسهولة توصيلها للناس .. وأنا مع الرأي القائل بأن أبسط الشعر أجمله .. ونقطة الإلتقاء الأخرى هى مساحة قارىء نزار العريضة التى جعلت له مملكة خاصة .. وقد كنت الشاعر العربي الوحيد الذى اخترق حاجز هذه المملكة .. وأرقام المبيعات تؤكد ذلك .. أما أوجه الإختلاف .. فلقد وصل نزار للقارىء بالقصيدة والأغنية معاً .. أما أنا فقد وصلت اليه بقصائدي .. أنا لم أصل على جناح أحد كما حدث لنزار وكامل الشناوى وابراهيم ناجي .. والتجربة عندى ليست مشابهة لتجربة نزار .. والمرأة عندى أيضاً ليست هى امرأة نزار .. فهو يرى أن تحرير المرأة العربية ــ فى جزء منه ــ أن يكون فى جسدها .. بينما أرى أن تحرير المرأة العربية يجب أن يبدأ من عقلها .. ونزار أيضاً يرى المرأة أحياناً بقعة طين .. بينما أراها نقطة ضوء .. نزار عاش المرأة الحقيقية .. وأنا عشت المرأة الحلم .. هو عاشها كما أرادها .. وأنا عشتها كما حلمت بها .. وكلانا راض عن تجربته .. وإن كانت تجربتي مع المرأة لم تكن بالتوافق الذى حلمت به .. ربما تكون المرأة الحلم قد تراجعت فى السنوات الأخيرة .. لم يعد الحلم بوجهه القديم .. براءته القديمة .. لقد داسته أقدام كثيرة .. ونقطة الإختلاف الأخيرة بينى وبين نزار أننى لم أدخل لعبة السياسة ونزار فعلها .. ولقد أضرته أكثر مما أفادته .

• ولكن القارىء كسب « هوامش على دفتر النكسة » .

ــ هذا صحيح .. وفى رأيى أن شعر نزار العاطفى أبقى من شعره السياسي .. لقد دخل نزار خنادق وفنادق سياسية كثيرة ودفع الثمن غالياً .

• طرح هذا السؤال على نزار وأطرحه أنا عليك بدوري .. من هى المرأة التى يمكن أن يحبها فاروق جويدة اليوم ؟

ــ امرأة تقبلني بنصف عمر .. ونصف قلب .. ونصف حلم !

• للشتاء سر خاص عند الأدباء .. فهو موسم الكتابة عند أغلبهم .. فالشتاء عند العقاد

ــ مثلا ــ كتاب يغلق أبوابه عليه ليهيم فى أحلام الشعر والفن والأدب .. فماذا يعني لك الشتاء .. برد .. ومدفأة .. ومطر يهطل على النافذة ؟

ــ امرأة أحبها و .. تحبني .. و

وأخاف أشباح الشتاء ..
وأخاف يوماً .. أن أعود بلا جناح
كالطائر المكسور
تحمله الرياح الى الرياح ..
وأخاف حبك عندما
يأتي الشتاء بلا رفيق ..
والدرب بعدك صامت الأنفاس
مرتجف الرحيق .

• هل جرحتك .. امرأة ؟

ــ جرحني .. صدقي .

• وما هي نقطة ضعفك ؟

ــ قلبي الطفل فى اندفاعه وأشواقه .

• ولأنك شاعر القلوب الوحيدة .. أسألك لماذا تخبو اللهفة .. وتنتحر الأشواق ؟

ــ هذا السؤال يعذبني .. فأنا القائل :

العطر عطرك .. والمكان هو المكان
لكن شيئاً قد تكسر بيننا
لا أنت أنت .. ولا الزمان هو الزمان .

• من هو الشاعر الذى ضللنا بأحلام اللقاء ؟

ــ مجنون ليلى عندما قال .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن ألا تلاقيا

• هل تتفق معي فى أن الكتاب الذين أعتقدوا أنهم استطاعوا التعبير عن أعماق المرأة وهمومها هم أدعياء ــ أقول ذلك كامرأة ــ وأن ما يكتبه الرجال يتناول المرأة كموضوع وليس كذات ، وأنه لا يستطيع الوصول إلى مجاهل المرأة إلا المرأة نفسها ، وإن فشلت حتى الآن فى ذلك ؟

ــ أوافقك على هذا الرأى .. فأنا أرفض كل أشكال الأدب التى يصوغها بعض الكتاب مدعين أنهم نجحوا فى الوصول إلى سراديب المرأة وفك طلاسمها والتعبير عن جراحاتها وأحلامها .

• أثارت د . ميرفت حاتم الناقدة المصرية الشابة والمدرسة بكلية العلوم السياسية بجامعة « هاوارد » فى واشنطون عاصفة من التعليقات فى مهرجان طه حسين الذى عقدته جامعة المنيا حين خالفت آراء النقاد لأنها أكدت فى بحثها الذى قدمته وجود أدب نسائي مستقل .. وأن النساء يكتبن بطريقة مختلفة عن الرجال ويعالجن مواضيع مختلفة .. وأن الأدب النسائي ينمو ويمتد إلى الداخل .. والأدب الرجالي ينمو ويمتد إلى الخارج .. وأدانت آراء النقاد بأنها « كلاسيكية » لأنها يفوتها أن اهتمامات الجنسين تعبر عن نفسها من خلال أشكال أدبية وفنية متميزة .. لها خصوصيتها .

ــ أخالف هذا الرأى بشدة .. أنا لا أعتقد بوجود أدب نسائي وأدب رجالى .. هناك أدب أو لا أدب .. فعندما تعبر المرأة عن نفسها فإنها تعبر عن الذات الإنسانية التى تتمثل فى المرأة والرجل .. وهذاينطبق أيضاً على الكاتب الرجل .

الديناصور الذى يكاد ينقرض

• إذا كان الأدب العظيم يعطي نقداً عظيماً .. فهل أزمة النقد الحالية سببها أن الكرة فى محمد جابر الأنصارى .. وهل أصبح النقد مهدداً بالإنقراض كالديناصور كما قال د . علي شلش ؟

ــ لا أعتقد أن أزمة النقد الحالية يعود سببها إلى تواجد الكرة فى ملعب الكتاب أو النقاد لأنهما فريق واحد لا ينفصل ولا يتجزأ وإن اختلفت المواقع .. وأعظم ما كان فى حياتنا النقدية والإبداعية أنها كانت تشكل تيارات متكاملة ومتآلفة .. وفى رأيى أن الإنتكاسة أصابت الطرفين معاً المبدع والناقد .. وأن السياسة تركت ظلالها عليهما فأصابتهما بحالة من الإحباط واليأس .. وأنه لا يمكن للنتاج الفردى أن يشق طريقه بذاته

ويفرض وجوده بما يمكن من قيم فنية وثقافية .. لأن هذا تكريس للفردية فى العمل الثقافي والإبداعى .. وإلا كيف تنمو التيارات والإتجاهات والمدارس الفنية المتباينة .. أليست هى نتاج فهم ووعي وممارسة جماعية وإن تمخضت فى النهاية عن قيمة فنية واحدة .. فنحن نعاني من أزمة شمولية فى مجتمع فقد تفاعله الصادق والإيجابى مع قضاياه العامة .. وإن كلا الطرفين — الناقد والمبدع — فى حاجة للآخر لأن العلاقة بينهما علاقة تعاون مشترك حول هدف واحد هو إثراء حياتنا الثقافية والفكرية .

• تطرح الصحف والمجلات بين الحين والآخر قضية أزمة العقل العربى ، أين تجد هذه الأزمة ؟

— فى المثقفين أنفسهم . ومسئوليتهم كاملة وثابتة فيما لحق العقل العربى .. فهم مثقفون بلا قضايا .. اعتزلوا عقولهم .. وهجروا أرض قضاياهم الخصبة .. واشتغلوا فى مطبخ السياسة العربية .. لم يعودوا كما كانوا ضمير الأمة .. ويبدو ذلك جلياً فى صحفنا العربية .. إنها صحف بلا قضية .. فالقضية تخلق التزاماً .. والإلتزام يشحذ الهمم ويقود إلى الإلمام والإبانة .. ويوم كانت لنا قضايا كان هناك عقل عربي .. كانت قضية الحرية الفكرية من القضايا الأساسية التى ناضل المثقف العربى من أجلها .. وكانت قضية الإستقلال .. وقضية تحرير المرأة من التسلط والإرهاب .. وحق الإنسان العربى فى أن يتعلم ابتداء بالدول العربية التى ناضلت لكى تستعيد لسانها العربى المفقود تحت ظلم الإحتلال .. وانتهاء بتعليم المرأة العربية التى حرمت من هذا الحق .. كل هذه قضايا اجتمع حولها العقل العربى .. وحينما صرنا مثقفين بلا قضية .. سقط العقل العربى .. وسقطنا .

• و .. هل إقليمية الفكر العربى جزء من أزمته ؟

— بل جزء من مميزاته .. طاغور كان شاعراً إقليمياً ورغم ذلك حصل على جائزة نوبل .. وعمر الخيام كان شاعراً إقليمياً ورغم ذلك أيضاً ترجم لكل لغات العالم .. الإقليمية إحدى المميزات إذا كانت جذورها ضاربة فى أعماق التاريخ والأرض والدين .. بدليل أن المعري ترجم وابن خلدون وأبن رشد وابن سينا والفارابى والغزالى .. ولكن حينما نغير العباءة ونرتدى « البرنيطة » ونمسك البايب ونقول نحن إقليميون فهنا تكون المغالطة .. وحينما ننقل من الغرب بعض قصصه وبعض تجاربه الشعرية والمسرحية ونعيد صياغتها باللغة العربية .. ومن ثم نعيد تصديرها .. فإنهم يقولون بضاعتنا ردت إلينا .. نحن لا نقيم ولا نترجم لأن الغرب يرى صورة باهتة من أدبه فى كثير من مؤلفات بعض كتابنا اللامعين المرموقين .

• ما هى أزمة الكتاب العربى الحقيقية ؟

— أزمة فكر .. وأزمة كاتب .. أزمة قارىء .. وأزمة ناشر .. وأزمة مجتمع .

• هل تتفق معى أن بعضاً من جيل الرواد تعملقوا فى وجدان الأدب العربى لأنهم كانوا رواداً وليس لأنهم عمالقة حقاً ؟

— نعم .. أتفق معك وأقول أيضاً بعضهم .. بدون تحديد أسماء .

إضاءات

ويبقى وهج من أنفاس الشعر .. وتبقى بعض الظلال .. وبعض الألوان من حوارى مع فاروق جويدة .. أنقلها لكم :

• العلامتان المضيئتان فى تاريخ الشعر العربى الحديث هما فدوى طوقان ونازك الملائكة .. أما الشاعرة المصرية فلم توجد بعد !

• شوقى هو الشاعر الذى جعل من الشعر خبزاً شعبياً والذى تتساوى قامته مع المتنبى .

• مدرسة الرومانسية العربية سبقت رومانسية الغرب وهى أكثر عمقاً منها وأكثر رسوخاً .

• أرفض الرمز الغربى حتى أظل مع قارئي على أرض واحدة .

• الفن كالحب .. لابد أن يكون عملا أخلاقياً .

• الدكتورة سهير القلماوى وبنت الشاطىء إسمان أنا حريص على أن أقرأ لهما .. لأنهما تشكلا تشكيلا ثقافياً سليماً .. مشكلة الكاتبات المصريات الجدد هى ضحالة التشكيل الثقافي .. والموهبة وحدها لا تكفي .

• بدايات البياتي كشاعر كانت أعظم وأعمق وأروع .

• الشعر لا يموت بالضربة القاضية .. وكذلك الحب .

• ابن زيدون شاعر عالمى بكل المقاييس .

• غادة السمان .. أنضج كاتباتنا العربيات .

• كل الأشياء الجميلة تأتي بغير موعد .. وترحل أيضاً بغير موعد .

• أعيش كما أكتب .. وأكتب كما أعيش .. بمعنى أننى أعيش بهذه البساطة التى أكتب بها .. أنا ظل قصائدي .. وقصائدى ظل لي .

فاروق جويده فى الميزان

• قال الناقد الدكتور شوقى ضيف : « إن نبض الشاعر يختلف عن كل من سبقوه .. ومن أهم ما يميز شعره اتساع النداء فيه ، وهى صفة أساسية ..فى كل شعر جيد .. واننى أحس عند قراءته بأنه ينقلنى إلى قريتى أيام أن كنت ألهو مع لداتى من صبيان القرية .

• ويقول د . عبد العزيز شرف : « إن شعره يمثل مرحلة متميزة في الرومانسية الجديدة » .

• وأضاف د . عبد العزيز حموده : « بأنه واحد من الشعراء القلائل من أبناء جيله الذين يؤكدون باستمرار قدرة هذا الجيل على العطاء المتجدد والمستمر »

• وكتب د . يوسف خليف رئيس قسم اللغة العربية باداب القاهرة : « استطاع الشاعر أن يقدم لنا صورة من التجديد نفتقدها في كثير من شعر المدرسة الجديدة التي حطمت كل القيم الوسيقية واهدرت كل المقومات الصوتية لشعرنا العربي .

• وعن « الوزير العاشق » كتب كامل زهيري : « لقد ظل جمهور المسرح الذكي متعطشا لشاعر رصين حتى ظهر فاروق جويده بمسرحيته الراقية الأولى .. التي أعادت الروح للمسرح الشعرى بمولد شاعر جديد أعاد الضوء للمسرح وأعطانا الكثير من عذابه وعذوبته »

• وعنها أيضاً كتب عبد الفتاح البارودى بأنها « أضافت إسم مؤلفها إلى أسماء مسرحنا الشرقى .. شوقى وعزيز أباظة وعلى باكثير والشرقاوى وصلاح عبد الصبور »

• وطالب د . يحيى الجمل التلفزيونات العربية : « بأن تذيع هذه المسرحية حتى يراها كل عربى ويشعر بحجم الكارثة التى تحيط بنا »

• وأضافت فريدة النقاش : « بأن المسرح المصرى يشهد بداية نهضة .. ومن مظاهرها مسرحية « الوزير العاشق » التى استعاد بها المسرح الشعرى جمهوره » .

• وأشاد مصطفى أمين بأن « المسرحية حدث ثقافي بكل المقاييس على المستوى المصرى والعربى فقد حققت أعلى إيرادات فى مسارح الدولة ومثلت مصر فى مهرجان المسرح الجزائرى . وأرسل التليفزيون المغربى بعثة تليفزيونية لتصوير بعض مشاهدها ورغم هذا اعترضت الرقابة المصرية على تصويرها مخافة أن يتعلم الوزراء العشق والغرام والهوى .. رغم أن المسرحية تتناول الصراع بين الحكام العرب فى الأندلس .. وربما تصورت الرقابة أن الأندلس هى حديقة الأندلس بالجزيرة ! » .

سارة

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● المعرفة سيادة ●● لا مؤاخذة ●●● المزاح البارد

المعرفة سيادة



بقلم: عباس محمود العقاد

المسافة بين منشية الاسكندرية ومحطة الرمل قصيرة، ولكنها على قصرها تريك من أى طريق سلكتها عظم المسافة بين الأمم التى تسود والأمم التى تساد.

عشرون أو ثلاثون مكتبة فى هذه الطريق بين فرنسية وانجليزية وإيطالية ويونانية، وفيها من الكتب الأدبى والقصصى والفلسفى والعلمى وكل ما يبحث فيه الباحثون ويصنف فيه المصنفون.

والبلاد عربية، فأين هى المكتبة العربية بين جميع هذه المكتبات؟

لا ترى هناك مكتبة واحدة، وإن رأيت بعض الكتب العربية فقد تراها معروضة فى إحدى الوجهات الأفرنجية فرعاً من الفروع الصغيرة، لا أصلا من الأصول الكبيرة التى تتشعب عليها الفروع.

لم هذا؟

ألأن الاسكندرية مدينة تجارية كما يقولون فلا شغل فيها للمصريين غير التجارة والسوق، وغير البضاعة والأسعار؟

إن كانت التجارة صارفاً عن الثقافة فالأجانب فى الاسكندرية تجار أو عاملون فى التجارة، ولعلهم هم القابضون على أزمة السوق وهم الظافرون منها بحصة الأسد، وما من أجنبى فى الاسكندرية إلا وهو طالب مال ومشتغل بحرفة من حرف الاتجار والصناعة. فلم كثرت الكتب الأفرنجية وقلت الكتب العربية فى المدينة؟؟

أم هى كثرة الصحف والمجلات كما يقولون قد صرفت المصريين عن دراسة الكتب إلى لهو القراءة وتزجية الفراغ؟

ليس هذا أيضاً بصالح لمعذرة ولا لتفسير، فإن الصحف والمجلات الأجنبية التى تظهر فى القاهرة والاسكندرية، أو ترد إليها من لندن وباريس وروما أكبر عدداً وأوسع انتشاراً من صحفنا ومجلاتنا العربية، وهى مع هذا لا تصرف القراء عن مطالعة الآداب ومتابعة العلوم والأخذ بالنصيب المطلوب من الثقافات والفنون.

لا هذا ولا « الأمية » سبب معقول لشيوع الكتب الأفرنجية وندور الكتب العربية فى عاصمة القطر الثانية، أو فى عاصمة الثقافة الشرقية على عهد من

المعرفة سيادة

عهود مصر الغابرة ، فإن العارفين بالقراءة من المصريين فى الاسكندرية لا يقلون عدداً من العارفين بالقراءة فيها من النزلاء والغرباء ، وإن كان فرق بينهما فى العدد فليس هو الفرق الذى يكون بين صفر وثلاثين .

إنما الفرق الصحيح هو فرق بين أمم تسود وأمم تساد .

أو هو فرق بين من يطلبون المعرفة شوقاً واستطلاعاً ، ومن يطلبونها تكليفاً واتباعاً ، لأن التكليف فرض على المسودين حتى حين يعرفون .

بل هو فرق بين النفس التى يبقى فيها جانب يطلب الغذاء بعد أن تشبع المعدة بالخبز والماء ، وبين النفس التى يشبع منها كل جانب حين تمتلىء الأحشاء بالطعام والشراب .

وذلك هو الفرق الصحيح لا مراء .

• • •

وفى الطريق من مصر إلى الاسكندرية على جانب الصحراء أديرة قديمة نعلم عنها من كتب الأجانب ما لسنا نعلم من الكتب العربية جمعاء .

ذهبت إلى الاسكندرية ومعى كتاب ضخم بالانجليزية عن هذه الأديرة يقع فى نيف وخمسمائة صفحة كبيرة بين كتابة ونقوش .

لمن كتبه الكاتب ؟

وماذا يعنى القراء مما كتب ؟

كتبه للمعرفة ، ويقرأه القراء للمعرفة ، وليس من سبب غير المعرفة يساوى الجهد المبذول فيه والثمن المقدور له والوقت الذى انقضى فى تحضيره وتأليفه وضبط نقوشه ورموزه وتواريخه .

أما هذا السبب فلعله آخر الأسباب التى تدفع الجمهرة عندنا إلى فتح كتاب ، فضلا عن تأليف كتاب .

• • •

من يطلب المعرفة لفائدة يحصرها فى المأكل والملبس والمسكن وما هو فى حكم الطعام واللباس والبيوت ، فإنما هو مسوق إلى ما يطلب ، وإنما هو عبد فى جهله وعبد فى معرفته على السواء .

ومن يطلب المعرفة لأنها المعرفة ، فذلك هو السيد وتلك هى السيادة ، وحسبه أنه هو يريد أن يعرف ثم تأتى الفائدة فى الطريق ، وليس ، يراد على معْرفة شيء كما يراد على جهله ، لأنه مسوق بسلطان الضرورة القاهرة إلى ما يريد .

ولست أعنى بسيادة العارف أن المعرفة سلاح فى يديه يصل به إلى السيادة كما يصل المرء إلى السلطان بالسيف والمال والحيلة .

كلا . فلو كان كل ما فى المعرفة من سيادة أنها كالسلاح فى هذا المطلب لكانت أداة تؤدى إلى غيرها ولم تكن غاية تتأدى إليها المقاصد وتنتهى إليها اللبانات .

ولكنما عنيت أن طلب المعرفة للمعرفة هو هو السيادة ، وهو هو العلامة على أن الانسان « سيد » ، يفهم ما يفهمه لأنه طبيعة فيه ووظيفة من وظائف عقله وتكوينه ، لا لأنه مغرى به إغراء الطمع ، ولا لأنه مسوق إليه سوق الاجبار والاكراه .

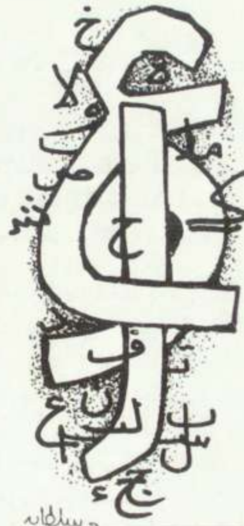
لم تعرف النفس ؟

الا تسأل : لم تنظر العين ؟ ولم تسمع الأذن ! ولم يشم الأنف ؟

ولم تدرك الحواس ؟

إن العين لا تنظر لسبب غير أنها حاسة فيها قوة النظر ، والأذن لا تسمع لسبب غير أنها حاسة فيها قوة السماع ، وكذلك الأنف وكذلك كل حاسة فى الانسان أو الحيوان .

فما بالنا نبتنى سبباً للعقل أو البصيرة حين يدركان ويعرفان ؟ لماذا تنظر العين لغير علة ولا مطمع ولا فائدة ، ثم نأبى على العقل أن يدرك ما يدرك إلا للعلل والمطامع والفوائد ، والا لهذه العلل والمطامع والفوائد التى نحصرها فى أضيق الحدود وأقرب الحاجات .



لأحرى بنا أن نسأل : لماذا يحجم العقل عن المعرفة ، وأن نسأل لماذا تحجم العين عن النظرة ، وأن نسأل لماذا تعجز الحواس عن الادراك .

عندئذ نفهم الجواب ولا يطول بنا العناء فى فهمه ، فذاك أن الحواس عاجزة مكفوفة ، وأن العين عمياء ، وأن العقل معدوم أو ضعيف .

أما أن نسأل لماذا يعنى العقل بالمعرفة فذاك هو اللغو والفضول ، وذاك هو السؤال الذى يشبه سؤالنا : ما بال العين تقع على ما تراه ولا تنحرف عنه ولا تأبى النظر إليه .

حسب الشيء أنه يرى ليكون ذلك حقاً له فى رؤية العيون .

وحسب الشيء أنه يعرف ليكون ذلك حقاً له فى معرفة البصائر والعقول .

فان جعلنا للمعرفة ثمناً من الحطام أو ثمناً مما يشبه الحطام فهى إذن معرفة اضطرار أو معرفة عبيد وأتباع ، وهى إذن شيء وطبيعة السيادة شيء ، ولو نجح صاحبها فى السيطرة على الآخرين كما ينجح الجبان فى يده المدفع وخصمه أعزل من السلاح .

قال الأستاذ طمسون عن آراء أرسطو فى علم الأحياء ما معناه : إن الفضل كل الفضل للفيلسوف الإغريقي العظيم أنه شعر بالحاجة إلى مراقبة الحشرات والأسماك فى الخلجات ، وفهم أن تقييد حركتها وتسجيل ولادتها ونموها معرفة تحسن بالحكيم ، وليس الفضل أنه أتى بآراء فى علم الأحياء يعول عليها الناس فى العصر الحديث .

ولو أن الفيلسوف الاغريقى لم يشغل عقله فى زمانه إلا بما يفيد لتوه وساعته لما وصلنا إلى علم أحياء يفيدنا اليوم ، أو لا يفيد .

ليست الآفة عندنا أننا مشغولون بالتجارة عن القراءة ، فالأوربيون أعظم منا اشتغالا بالتجارة واجتناء لخيراتها .

وليست الآفة أن الصحف اللاهية تصرفنا عن كتب العلم والأدب والدراسة ، فان الصحف اللاهية سبقتنا فى أوربا ويسبقنا بها الأجانب فى بلادنا .

ولكنما الآفة أن التجارة تجارتان : تجارة أحرار فهم مسيطرون عليها ، وتجارة اتباع فهى مسيطرة عليهم ، وأننا إذا طلبنا المال أو المعرفة طلبناهما مسوقين ولم نطلبهما طلب السادة الذين يملكون من أنفسهم بقية يشغلونها بما يحبون .

عباس محمود العقاد
١٩٣٨

لا مؤاخذة



بقلم : محمد فريد أبو حديد

كنت أعرف رجلاً طيب القلب بلغت منه طيبة القلب مبلغاً عظيماً . فكان يحب الخير ولا يميل الى الأذى ، ويعف عما فى أيدى الناس ، ويعطيهم مما فى يديه أكثر مما كان ينبغى له ، حتى إنه كان يحب أحياناً أن يولم لبعض أصدقائه وليمة فلا يجد ما يولم لهم به من المال فى كفه ، فيدفعه حرصه على إرضائهم إلى أن يؤذى نفسه فى سبيل ذلك الرضا ، فقد استدان مرة بضعة جنيهات من صديق له وأولم فى اليوم التالى لبعض أصدقائه وليمة لذيذة ، وأبى عليه كرمه أن يهمل صديقه الذى استدان منه فدعاه الى الحضور ، وكانت فكاهة الأصدقاء بنبأ الوليمة والدين الذى ركب صاحبها من ورائها سبباً فى شحذ شهوة الطعام فى الجمع حتى لم يبقوا على شيء من ذلك الطعام اللذيذ .

غير أن هذا الرجل الطيب كان فيه عيب واحد لا أعرف فيه عيباً سواه ، وهو أنه كان يعنى عناية عظيمة برأي الناس فيه ، فلا يكاد يسمع من أحد مدحاً فى نفسه حتى يثور طربه ، ويهتز للمديح اهتزاز الغصن الرطب فى الريح ، وقد تدفعه الأريحية عند ذلك إلى الخروج عن طاقته فى جزاء المادح ؛ وأما إذا هو سمع أحداً يذمه ولو ذماً ضئيلاً ، فانه لا يتمالك نفسه من الغضب ، وقد تكون غضباته مضرية هائجة ، ولولا انه من الثابتين المطمئنين الى حكم القانون ، لكان لا يرى شيئاً يغسل عنه معرة الذم ، إلا أن يراق فى سبيلها الدم . وقد عرفت أنه سمع مرة أن بعض الناس يقعون فيه ويذمونه بأنه يأكل فى بيته الثريد بأصابعه الخمس ، وأنه ما يكاد يصل إلى بيته حتى يخلع ثيابه المحترمة ، ويلبس لباساً ساذجاً مما يلبسه عامة الناس من طبقات الفقراء ، فيضع على رأسه لبدة بيضاء من الصوف الخشن ، ويلبس فى رجله قبقاباً من الخشب الثقيل ، ويلبس على جسمه جلباباً من القطن الرخيص ، فما كاد يسمع ذلك القول حتى ثارت ثائرته ، وجعل يصيح فى الحاضرين بأعلى صوته واصفاً ما يلبس وما يأكل ، مجتهداً أن يطلع الناس على حاله فى بيته ، وعلى ما هو عليه من تمتع بأقصى ما يتمتع به المتحضرون المتأنقون ؛ ولعله قد لاحظ شيئاً من التردد بين سامعيه فى تصديق أقواله ، فجعل يزيد فى التأكيد حتى بلغ الأمر منه أن جعل يقسم لهم جهد الايمان ، ولما أحس مع كل ذلك أن السامعين فيهم المعاند والمكابر ، اتخذ خطة عملية حازمة لبيان صدق قوله ، فقد حلف على الجميع وعزم أشد العزيمة أن يزوروه فى منزله فى صباح الغد ليقيموا عنده النهار أجمعه فيطلعوا على أسلوب حياته معاينة واختباراً . ثم ذهب من فوره الى أقرب أصدقائه إليه ، وأوثقهم مودة عنده ، وأملئهم جيبا . فاستدان منه مايستعد به لحفلة الغد . ولم ينس أن يدعوه فى المدعوين لشهود ما هو على نية إظهاره وإجلائه .

ولكن لا يظنن أحد من القراء أننى أصف هذا الرجل لأنه ممن يستحق العناية الخاصة لميزة فى شخصه ، أو لمكانة له بين الناس . فانما أنا أسوقه مثلاً لقوم فى مصر يريدون أن يقحموا البلاد فى مثل ما تورط فيه صاحبنا هذا . فمثلاً قد تكرر ما قال القائلون من الدعوة لمصر فى الخارج ، وما صاح الصائحون من وجوب إظهار أهل الغرب على ما نحن عليه من رقى وتحضر ، وهم لا يضنون على ذلك السعى بالمال مهما عظم مقداره ، والحق إننى أعطف أشد العطف على وطنية هؤلاء وسلامة طويتهم . فمثلاً قد ذهب أحد المصريين الى مؤتمر من المؤتمرات ، وكان بطبيعة الحال لابساً بذلة من البذلات الرسمية الوجيهة ، فمال عليه جاره وكان من ممثلى بعض دول الغرب فسأله عما هو صانع ببذلته تلك بعد انصرافه من المؤتمر . وأغلب ظنى أن ذلك الزميل الأوربى المحترم قد ظن فى الممثل المصرى أنه لا يكاد ينفلت من المؤتمر حتى يرمى بتلك البذلة فوق أقرب شجرة من شجر الجميز إذا بلغ الطريق المؤدية إلى عاصمة بلاده ، وهو راكب جملا قوياً يحمله فى سفره ، ثم يقف تحت تلك الشجرة ينتظر مرور أول وعل من وعول الجبل فيرميه بسهم من قوسه الشديدة ، ويسلخ عنه جلده ، وينشره فى الشمس يوماً أو بعض يوم ، ثم يلبسه بدل بذلته الرسمية . ثم يتابع سيره نحو العاصمة لمقابلة أولى الأمر فيها ، وإبلاغهم نتيجة

لا مؤاخذة

بحوث المؤتمر الذى كان يمثل بلاده فيه . لعل ذلك الزميل قد حسب هذا ، ولابد أن الممثل المصرى قد تصور هذا الظن ، ورأى فيه مساساً عظيماً بكرامته وكرامة بلاده فغضب له ، وجاء يشكوه لبنى وطنه ليظهر لهم مقدار جهل الناس بحقيقتهم ، وقد سمع هذا القول طائفة من الناس فغضبوا له غضباً شديداً ، وجعلوا يطالبون بأن تبذل الحكومة من أموال الشعب بضع مئات من ألوف الجنيهات الذهبية لكى تنظم دعوة لاطلاع أهل الغرب على حقيقة أمر الشعب المصرى .

وإننى لا أرى مانعاً يمنع من بذل المال ، ولا من القيام بدعوة فى سبيل مصر ، فكل شيء فى خدمة مصر هين .

ولكنى مع ذلك أحب أن تتجه الدعوة نحو قصد مخالف كل المخالفة لما يريد هؤلاء السادة أن يدعوا إليه ، ولايسعنى إلا أن أعتذر لهم وللقراء عن هذه المخالفة التى قد تغضبهم متى وصفت لهم حقيقتها ، ولا أجد شيئاً أقدر أن أعتذر به اليهم إلا أن أقول لهم : « لا مؤاخذة » ، فان هذه الكلمة كلمة سحرية ، وقد جربت أثرها فى مختلف المواقف ، فوالله ما خانتنى سحرها يوماً ، ولا خذلنى نصرها فى ساعة من ساعات الشدة . فكم وطئت على أقدام فى الترام وقت الزحام ، فلما رأيت ثورة الذى وطئت قدمه أسرعت وتلفظت بذلك الطلسم ، فاذا وجهه تشرق عليه ابتسامة عريضة ، ويهز رأسه لى ، كأنما هو يعتذر عما ظهر على وجهه من التجهم فى أول الأمر . وكم أخطأت فلم ينجني من تبعة الخطأ إلا هذا اللفظ المبارك ، وكم خرجت عن حدود اللياقة ونفذت الى العفو الفسيح من مداخل هذا اللفظ البديع . فلا مؤاخذة أيها السادة إذا كنت أعتقد أن خير مصر ونفع الوطن فى أن نبذل بضعة آلاف أو بضع مئات من الآلاف من جنيهات الذهب ، على أن يقوم جماعة من المخلصين لمصلحة هذه البلاد بدعوة فى شعوب العالم أجمع ، يعلون فيها من ذكر مصر ، بأن يصفوا أهلها بالتوحش والغلظة ، وينعتوهم بأقبح النعوت وأبشع الصفات

ـ وحبذا يوم يعتقد فيه شعوب أوربا وامريكا أن المصريين لا يلبسون إلا جلود النمور والأسود ، ولا يعرفون من المساكن إلا الكهوف والأدغال ، وأن لهم قسياً قوية وسهاماً مسمومة ، وأنهم يقفون لأعدائهم تحت الصخور ووراء الجذوع ، فيسددون إليهم سهاماً مصمية لا ينجو أحد من جراحها ، وأن الذى يدخل بلادهم لا يلقى إلا مشقة ، ولا يرتاح فى حل ولا ترحال . وأن المصريين يأكلون لحم الحيوان بغير نضج ، فاذا لم يجدوا من لحوم الحيوان شيئاً أشبعوا الجوع بما يجدونه قريباً منهم فى اللحم ، ولو كان آدمياً ، وأنهم حديدو الأسنان ، حمش السيقان ، خزر العيون ، قبيحو الخلقة ، أقول هذا « ولا مؤاخذة » فان تلك الدعوة عندى آثر وأحب ، وأثرها فى ظنى أبلغ فى إجلال القوم لنا ومراعاتهم لحرمنا . فان الناس على حضارتهم لم يزيدوا بعد على أنهم متوحشون ، قد طلوا ظاهرهم بطلاء من الفضة أو الذهب ، وأما باطنهم فلا يزال فيه الحيوان البري الذى يخشى القوة الوحشية خشية أعظم من تقديره لفضائل الفلسفة .

وإنها لأهانة لا تعد لها إهانة أن يذهب نفر من أهل مصر ليعلنوا فى ملأ الشعوب الأخرى أن شعب مصر يلبس الملابس المعتادة ، لا جلود الحيوان ، وأنه يأكل الخبز والطعام ، لا لحوم البشر ولا المن والجراد . أما أنا فيمين الحق إنه لأحب إلى أن يذهب الناس عنى قائلين إنى متوحش ، أو إنى جاهل ، أو إنى غر ، أو إنني من أكلة لحوم الانسان ، من أن أكلف نفسى أن أبين لهم أننى لست كما يزعمون . لا بل إننى أحسب أنه لو ظن الناس فىّ مثل هذه الظنون لكان هذا مبعث فكاهة لنفسى أنعم بها وحدى وأنا أتأمل مقدار جهل هؤلاء الناس بى ، وضلالهم فى معرفة حقيقة أمرى .

ولعل أهل الغرب إذا فشت فيهم عقيدة أننا من لابسى الجلود وآكلى اللحوم النيئة ، حملهم ذلك على بعض التحرز فى معاملاتنا ، وبعض الخشية من أنيابنا .

ولا مؤاخذة ! ! ...

محمد فريد أبو حديد

١٩٣٤

كان لنا فى المدرسة الابتدائية مدرس لا نراه إلا معبّساً ـ لا يفتر له ثغر ولا تنبسط له أسارير وجه ، ولا تلمع عيناه بنور البشر ، لفرط ما يزوي ما بينهما ، ولكنه على هذا كان لا يكف عن ركوب زملائه المدرسين ورئيسه الناظر أيضاً بالدعابة التى تجيء أحياناً خفيفة محمولة ، وسائغة مستظرفة وأحياناً أخرى تكون سمجة ثقيلة لا تطاق . فمن لطيف مزحه أن العادة جرت فى المدارس بأن يصور التلاميذ مع أساتذتهم فى آخر العام المدرسى لتبقى الصور ذكرى لعهد التعلم فصففنا أمام المصور ـ القصار من أمثالى فى الصدر ، والطوال وراءهم ، وجلس المعلمون على كراسى أعدت لهم أمامنا وجيء بكرسى كبير ذى مسندين للناظر ، وكان رجلا جهولا ولكنه طيب القلب ، وجعل صاحبنا يروح ويجيء هنا وههنا ليسوى الصفوف كما يزعم ، ويقدم واحداً ويؤخر آخر ويقبل ويدبر والناظر قلق يصيح به : « اخلص بقى يا فلان افندي » فيقول : « حالا . إن الله مع الصابرين » ويمضي فيما هو فيه من التسوية والتعديل . وكانت العادة أيضاً أن توضع خلف الصفوف خريطة أو مصور جغرافى كبير فادعى أنه نسي ذلك وذهب يعدو إلى حجرة المدرسين ثم عاد يحمل مصوراً ملفوفاً وعلقه وأبقاه مطوياً ثم صاح بنا : « الآن انظروا كلكم إلى عدسة المصور » ففعلنا ونشر هو المصور الجغرافى وأخذت الصورة فطوى الخريطة وحملها وذهب بها فأعادها إلى حيث كانت ، وجاءت الصور وأدى كل من رغب في الاحتفاظ بنسخة منها الثمن المفروض ومضى بها إلى بيته فرحاً مسروراً . ثم تأملناها على مهل فى البيوت فاذا مكتوب وراءنا بالخط الثلث : « حيوانات الدنيا » ، ولا أحتاج أن أقول إن معلمنا نشر خلفنا مصوراً لحيوانات الأرض من أبقار وجاموس وحمير وخيل وأسود وفيلة الخ لا للكرة الأرضية وقاراتها ..

ومما أذكره فى باب المزاح العملى أن واحداً من أصدقائى كاد مرة يخرب بيتى ، فقد زارنى فلم يجدنى وكنت يومئذ فى بيت عتيق له فناء رحيب ، فوقف يصفق وينادى ، فلما قالوا له إنى خرجت قال : « سبحان الله العظيم وهل هذا كلام ؟ يشبك بنات الناس ويهرب ؟ » .

المزاح البارد

بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني



وعدت إلى البيت وأنا خالى الذهن مما حدث ، فلما دخلت على أهلي قلت : « السلام عليكم » كما هى عادتى فرأيت أمى تنظر إلى مقطبة ثم ترخى عينها إلى الأرض ، فالتفت إلى زوجتى فاذا هى تنظر إلى الحائط ولا تحول عينها عنه ، كأنما عليه رسم ساحر ، فاستغربت وأنكرت هذا الاستقبال الحافل بالنذر ولكنى آثرت التباله ، وأقبلت على أمى أريد أن أقبل يدها فتناولتها فنزعتها بعنف وحولت وجهها عنى والدمع متحير فى مآقيها فزاد عجبى وقلت : « مالكم ... جرى إيه ؟ » فصاحت أمى بى : « رح .. رح إلى حيث كنت ».

ووجدت زوجتى لسانها فقالت : « أيوه رح إلى حيث كنت » .

فتأملتها ملياً وأنا أحك رأسى وأحاول أن أهتدى إلى سر هذا اللقاء الغريب فلم يفتح الله على بشيء ، فقعدت أمامهما وجذبت وجهيهما إلى وقلت : « خبرانى ما هى الحكاية فما أعرف شيئاً أستحق من أجله أن ألقى منكما هذه الجفوة » .

فأفصحت أمى قليلا وقالت : « شف بنات الناس ... »

فقاطعتها : « بنات الناس ؟ أى بنات وأى ناس ؟ » .

قالت : « هل خطبت ؟ » .

فوثبت إلى قدمى وصحت : « خطبت ؟ .. خ .. خ .. » .

فقالت زوجتى : « ألا ترين كيف يتلعثم ؟ إن هذا إقرار » .

فصرخت وأنا أكاد أجن : « أى إقرار يا ستى ؟ أين عقلكم يا خلق الله ؟ ألا تكفى غلطة واحدة ؟ » .

ولا أحتاج أن أقول أيضاً إنى خرجت بحماقتى من ورطة فوقعت فى ورطة . فقد اقتنعت أمى وزوجتى بأن الزواج من أخرى لم يخطر لى على بال ، وإن هذا كان مزحاً ثقيلا من صاحبى ولكن زوجتى ظلت إلى آخر عمرها تذكر قولى : « ألا تكفى غلطة واحدة ؟ » .

* * *

ومن الفصول الباردة ما حدث مرة فى بيت قريب لنا وكان قد دعانا إلى سهرة فى مصر الجديدة حيث كان يسكن : وكان بين الضيوف اثنان من المصريين الذين تعلموا فى ألمانيا : فاقترح أحدهما أن يدعو صديقاً له من الألمان ليسمعنا قطعة موسيقية ألمانية فكاهية ، وقال إنها : « تميت من الضحك » وأيد زميله قوله ، فقبلنا وذهب رب الدار معهما لدعوة هذا الألمانى الذى بشرنا بأنه سيميتنا من الضحك وكانت شقته فى العمارة نفسها فما لبثوا أن عادوا ومعهم رجل وقور ، ذو لحية كثة ، ووجه رزين ، ونظرة صارمة ، فجعلت أتعجب فيما بيني وبين نفسى كيف يسع هذا الرجل أن يضحك أحداً كائناً ما كان ما يغنيه أو يعرفه . وكان الشابان يكلمان الرجل بالألمانية التى لا نعرف منها حرفاً . وجلس الرجل إلى البيانو وشرع يدق فلم يبد لنا — أو على الأقل لى — أن فى الأمر ما يضحك ، وكان جاداً وكان وجهه ساهماً كأنه يحلم ، وغنى وهو يدق بصوت عميق قوى فالتفت إلى أحد الشابين فألفيته يبتسم فقلت : أبتسم مثله وأستر جهلى باتخاذه قدوة ، وصرت بعد ذلك أخالس الشابين أو أحدهما النظر وأفعل كما يفعلان فإذا ابتسما ابتسمت ، وإذا ضحكا ضحكت ، وإذا قهقها أطلقتها مجلجلة ، ولم أكن وحدى فى هذا الاحتذاء فقد كان المدعوون مثلى جهلاء — أعنى باللغة الألمانية — وقد خطر لهم كما خطر لى أن يحاكوا الشابين . وكنت ربما عجبت لطربنا فقد كان إذا ضحكنا أو قهقهنا يرمينا بنظرات حامية فالتفت إلى الشابين مستغرباً ما يبدو عليه من الغضب والغيظ والنقمة فهمس فى أذنى أحدهما أن هذا هو المضحك .. هذا الجد الصارم على الرغم مما فى القطعة التى يغنيها وما فى تلحينها من الفكاهة الواضحة فهززت رأسى كأنى فهمت وازددت اقتناعاً بأن الأمر مضحك ولاشك ورحت أقهقه . ثم استغنيت عن النظر إلى الشابين والاقتداء بهما ورحت أضحك على مسئوليتى كما يقولون وخلعت ثوب الجهل والتقليد ، ولبست ثوب الدعوى المريض الفضفاض .

وأخيراً نهض الرجل عن كرسيه وأدار فينا عيناً تقذف بالشر وخرج مغضباً محنقاً يبرطم ويبرجم ونحن نتبادل نظرات الانكار لهذا السلوك العجيب فهل كان ضحكنا يا ترى أقل مما يجب ؟ هل خيبنا أمله ببلادتنا ؟ لا بل بجهلنا فقد كان ما يغنيه قطعة مبكية من مأساة مشهورة : وكان الرجل المسكين يعتز بأدائها على الوجه الصحيح ، فكاد يجن إذ نتلقى ذلك بالهزء والسخرية . وقد اعتذرنا إليه بعد بضعة أيام — لما فهمنا الحقيقة وعرفنا أنها كانت مزحة قبيحة — ولكن المسكين كان قد تعذب ليالى لا ليلة واحدة .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧

حين تصحو ابنتي

شعر: محمد الحارثي



حينَ تصحو ابنتي ابْتِهاجْ
منَ النومِ
أصحو
أرتِّلُ قرآنَ فجرٍ جديدْ
وأجلُو زجاجةَ روحي بروحِ الزُّجاجْ
وأسبحُ في بحرِ يومٍ جَديدْ
وأُشْعِلُ وردةَ عمري ..
أكثِّفُها ، وأوحِّدها باحمرارِ السِّراجْ

• • •

حينَ تصحو ابنتي
أستعيدُ المساءْ
وأمسكُ في راحتي أغنياتِ المدينة ، أسماءها ،
شوارعها ، حدائقها ، بناياتها ، نفاياتها ، خرافاتها ،
ثم أعجنُ كلَّ العناصر بالماءِ ..
أخبزها في إناءٍ مُحَمَّى بنارِ التَّوحُدِ بالشمسِ والبرتقالْ
.. ثم آخذها وأوزعها بالبريد السريع إلىٰ حَيثُ كانتْ ،
وأقعدُ قدَّامَها وأنا مُنتَشٍ بدخولِ الهواءْ
في مساماتها وشُعيراتها ..
أُقبِّلُ وَجهَ ابنتي ..
أدثِّرُها بفطور الصباحْ
ثمَّ ...

آخذها للحديقةِ ، حيثُ تمارسُ كلَّ طفولتها
في التَّزحلقِ ، أو في «التَّمرجُحِ »
أنظُرُ في وجْهها وهي تضحكُ ..
وهيَ تطيرُ ككُلِّ الفراشاتِ ..
أشعُرُ ساعتها بارتياحْ
وأنسي قليلاً ..
قليلاً ..
قليلاً ..
قِلاعَ الجِراحْ

• • •

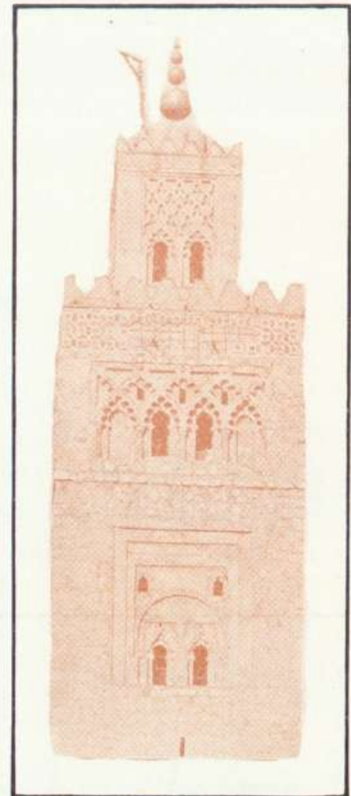
حينَ يأتي المساءْ
وتنامُ ابنتي ، بعد صحنِ العَشاءْ
أستعيدُ الصباحْ
ثم قَبْلَ التمسُّكِ باللوحِ تشطُرهُ موجَةٌ ،
وتعرِّيه من شكلِهِ فلسفاتُ الرياحْ
يجيء الدوارُ ..
وأسقطُ في قاعِ بحرِ الجراحْ
وأنتظرُ الصحوَ ...
صحوَ ابنتي ، وطُيُور الصَّباحْ

ـ مَسقط ـ

كُلّنا أهلٌ وشعبٌ واحد

شعر: محمد التهامي

أغْلِقُوا المذيَاعَ .. قَدْ أزْعَجَني
سَئمتْ رُوحِي .. وَمَلَّتْ أُذُني
بَعْدَمَا فُزِّعتُ مِنْ مَأسَاتِكمْ
لَمْ يَعُدْ شَيءٌ لَكُمْ يُفزِعُني
بَعْدَمَا أسْرَفْتُ في تَصْديقِكُم
لَمْ يَعُدْ قَوْلٌ لَكُمْ يَخْدَعُني
ذلِكَ المَيْنُ الَّذِى جُرِّعْتُهُ
حطَّمَ الصِّدْقَ .. كَمَا حَطَّمَنى
لَمْ أعُدْ بَعْدَ الَّذِى شَاهَدْتُهُ
أُرْجِعُ العَيْنَ لِمَا رَوَّعَنِى
لاَ تَظُنُّوا أنَّ مَا تَأتُونَهُ
فِيهِ شَيءٌ مِنْ قَلِيلِ الفِطَنِ
إنني أدْرَى بِمَا بَيَّتُّمُوا
قَدْ هَوى السِّتْرُ الَّذِى ضَلَّلَنى
لَنْ تَرَوْنِي دُمْيَةً فى كَفِّكُمْ
أوْ تَرونِى سَاجِداً لِلْوَثَنِ
إنَّنِى أرْثَى لَكُمْ مِمَّا أرى
وَأرَاكُمْ في شِراكِ المِحَنِ
وَأُصَافِيكُمْ عَلَى عِلاَّتِكم
وأُنَادِيكُمْ بِقَلْبٍ مُؤْمِنٍ ..
آهٍ مِنكُم .. لَوْ صَدَقْتُمْ مَرَّةً
لَخَرَجْنَا مِنْ عَذَابٍ مُزْمِنِ
فَتَعالَوْا نَصْدُقَ القَوْلَ مَعاً
لَا تَخافُوا مِنْ سَرابِ الفِتَنِ
كُلُّنَا أهْلٌ وَشَعْبٌ وَاحِدٌ
نَتَلاَقَى فى رِحابِ الوَطَنِ
وَسَنُعْطِى عَنْ سَخَاءٍ وَرِضىً
كُلَّ مَا تَبْغُونَ مِنْ عَيْشٍ هَنِى
نَحْنُ أوْلَى مِنْ غَرِيبٍ غَرَّكُمْ
لَيْسَ يُعْطِيكُمْ بِغَيْرِ الثَّمَنِ
نَحْنُ أهْلُوكُمْ .. وأنتُم أهْلُنَا
كُلُّنَا أعْضَاءُ هَذَا البَدنِ
كُلُّ شَرٍّ نَصْطَلى فِيهِ مَعَاً
لَيْسَ مِنَّا وَاحِدٌ فى مَأْمَنِ
أرْضُنَا تَجْمَعُنَا فى عَيْشِنَا
وَتُوارِينَا ـ مَعاً ـ في الكَفَنِ
وَغداً !! هَلَّا نَظَرْتُم فى غَدٍ
وأمِنْتُم مِنْ حِسَابِ الزَّمَنِ ؟





أحدث اكتشاف قدمته السينما الفرنسية .. فقد أحاطت الدعاية هذه الممثلة واسمها «فاليرى كابريسكى» بكل البريق لتؤكد اسمها لجمهور السينما.

بقلم: رءوف توفيق

مأزق السينما الفرنسية

التضحية بالفن الجيّد في مقابل إرضاء المتفرّج العادي .. الملول .. المرْهَق!



« ايزابيل ادجاني » المثلة التى قدمتهـا السينما الفرنسية منذ خمسة أعوام ، وأصبحت الآن من ألمع ممثلاتهـا .



« سابينى ازيما » التى حصلت أخيرا على جائزة أحسن ممثلة (فى جوائز سيزار) عن فيلم « يوم أحد فى الريف » .

في الثامن من هذا الشهر ــ مايو ــ يبدأ مهرجان « كان » السينمائي ، الذي يعتبر من أهم الأحداث السينمائية ، والتي تستعد له صناعة السينما في العالم ، فهي تقدم من خلاله أفضل انتاجها الجديد ، وحيث يتجمع عدد هائل من النقاد والصحفيين والسينمائيين ، ورجال الصناعة وخبرائها وتجارها ..

مهرجان حافل تشهده هذه المدينة الفرنسية منذ ثمانية وثلاثين عاماً .. ارتبط بها ، وارتبطت به .. حتى أصبح أحد المعالم الفنية على خريطة العالم .

ولكن المثير تماماً .. أن فرنسا التي يقام على أرضها هذا المهرجان السينمائى .. تعاني صناعة السينما فيها من هزات متلاحقة !

ما تكاد تخرج من مأزق حتى تقع في مشكلة !!

ويمكن تلخيص موقف السينما الفرنسية الآن .. بأنها السينما التي تبحث عن « رد الاعتبار » بعد الهزائم المتلاحقة أمام السينما الأمريكية التي تكتسح السوق الأوربية ، والسوق الفرنسية واحدة منها !

« رد الاعتبار » بعد الخسائر المادية التي لحقت بالانتاج السينمائي ، وخصوصاً الأفلام ذات الميزانيات الضخمة ، والتي منيت بالفشل .

« رد الاعتبار » بعد الهجوم العنيف الذي شنه النقاد والخبراء على فقدان « هوية » السينما الفرنسية حتى أصبحت في كثير من الأحيان « مسخاً » مشوهاً ، لا يدل بحال على حضارة فرنسا وتاريخها الطويل في الثقافة والفن .

المتفرج العادي .. هو الهدف !

ومحاولات « رد الاعتبار » .. يبدو أنها تتجه الآن الى تحقيق هدف رئيسي .. هو تدعيم وجود الفيلم الفرنسي داخل بلده أولا .. ثم داخل السوق





«رومى شنايدر» الوجه المعبر الذى فقدته السينما الفرنسية ، وكان أحد معالمها

«ايزابيل هوبير» إحدى نجوم القمة على الشاشة الفرنسية .



الأوربى ثانيا ..

أي أن الخطة بدأت .. بإثبات الوجود !

ومن الواضح حتى الآن .. أن تحقيق هذا الهدف يسعى بجدية وبحركة التفاف سريعة لجذب المتفرج العادي ، الملول ، المرهق .. وتلبية احتياجاته من الفن السينمائي الذي يعتمد على الكوميديا أو الإثارة البوليسية .. أو الاثنين معاً ! وهذا المتفرج ، الملول ، المرهق .. هو آفة السينما العالمية الآن !

واذا كانت السينما الأمريكية قد استطاعت أن تكسب هذا المتفرج ، بمجموعة أفلام الكوارث والرعب .. ثم أفلام الخيال العلمي ، ومخلوقات الفضاء .. فإن السينما الفرنسية لا تستطيع أن تجاري هذا التيار الباهظ التكاليف ، الذي يعتمد على وسائل الإبهار البصري والسمعي ، والذي تتبارى من أجله الصناعة الأمريكية في تحقيق أعلى مستوى من خلال إخضاع تكنولوجيا الآلات والمعامل .. لزغللة العيون ، وإحداث الصدمة والمتعة الوقتية !

والسينما الفرنسية ليس لديها الامكانيات لتقديم هذه الأفلام .. فماذا تفعل ؟ بحثت في دفاترها ، ورصدت مؤشرات السوق عندها .. ثم قررت أن تدخل هذه المباراة الشرسة مع السينما الأمريكية ، لانتزاع «بعض» من جمهورها .. بسلاح الكوميديا وأفلام التشويق والمغامرات !!

مؤشرات الشهور

الثلاثة الأخيرة

ولهذا أسندت مسئولية ادارة أكبر مؤسسة للسينما في فرنسا (شركة جومو) لمنتج شاب حقق أرقاماً قياسية في الايرادات بفلمه الأخير ، الذي شاهده خمسة ملايين متفرج في فرنسا وحدها .. (والفيلم من النوع الكوميدي) !!

استدعوا هذا المنتج .. وقالوا له نريد أن نربح .. تعال وظف خبرتك في السوق لإنقاذ هذه الشركة الكبيرة من خسائرها ..

حدث هذا في ديسمبر الماضي .. وبعدها بثلاثة أشهر كانت مفاجأة جوائز سيزار السينمائية الفرنسية (وهي تعادل جوائز الأوسكار الأمريكية) .. فقد ذهبت جائزة أحسن فيلم وأحسن اخراج لفيلم كوميدي عنوانه «لي ريبو» يتحدث عن العلاقة بين شرطي ولص والمغامرات التي تجمعهما معاً ..

الفيلم من النوع التجاري ..

والغريب تماماً أن ترشيحات جوائز السيزار لأحسن فيلم كانت تضم أفلاماً لأكبر وأهم مخرجي السينما الفرنسية (آلان رينيه – اريك رومير – برنارد تافيرنيه) ..

وكان في قائمة أحسن فيلم ، ذلك الفيلم الموسيقى الرائع «كارمن» للمخرج فرنشيسكو روزي ، والذي يعيد إحياء أوبرا كارمن بلغة سينمائية متدفقة بالجمال والمتعة .

ولكن هذا «الفن الراقي» لم يشفع للحصول على الجائزة .. وكأنما كانت النية مبيتة لتكريم السينما التجارية .. فذهبت أهم جائزة سينمائية في فرنسا .. الى المخرج «كلود زيدي» وفيلمه «لي ريبو» .

واعتبر كثير من المراقبين لحركة السينما الفرنسية .. أن هذا الاتجاه في الجوائز يؤكد ارضاء مزاج المتفرج العادي الملول ، المرهق .. والاعتراف بذوقه الفني .

وهكذا كشفت الاتجاهات الجديدة في صناعة السينما الفرنسية – وخلال ثلاثة أشهر فقط – مؤشرات المرحلة القادمة من الانتاج !

وأصبح واضحاً أنها مرحلة من الانتشار .. قد تكون على حساب «الفن الراقي» .. ولكن المطلوب هو الاستمرار وتحقيق الأرباح !!

«الوحش الأمريكي»

الذي يلتهم الايراد !

والمأزق الذي تعاني منه السينما الفرنسية .. ليس جديداً .. ولكنه تفاقم في السنوات الأخيرة ..

وسجلت الأرقام ، انخفاض عدد المشاهدين ، المترددين على دور السينما ، من ٤٥٠ مليون شخص في عام ١٩٥٠ الى ٢٠٠ مليون شخص في عام ١٩٨٢ .. الى ١٩٥ مليون شخص في عام ١٩٨٤ !

وهذا الانخفاض لا تنفرد به فرنسا فقط .. ولكنه ظاهرة عامة تعاني منها السينما الايطالية



المخرج الراحل « فرانسوا تريفو »



المخرج « كلود ليلوش » على اليسار .. أثناء اخراج أحد أفلامه .

أيضاً .. والسينما الانجليزية .

ولكن أغرب ما في هذا الانخفاض .. أنه يأتي بنسب عالية بين مشاهدي الانتاج السينمائي المحلي ، بصورة أكبر من تأثير ذلك على الانتاج السينمائي الأمريكي !

فالمشاهد الذي يملك حق ثمن تذكرة الدخول الى دار العرض .. قد يتحمس لمشاهدة فيلم أمريكي ، أكثر من حماسه لمشاهدة فيلم فرنسي أو ايطالي أو انجليزي !

وبالتأكيد يتضح أن اغراء السينما الأمريكية ، وحجم الدعاية المصاحب لها .. يفوق اغراء السينما المحلية الأوربية !

وأمام هذا « الوحش » الذي يلتهم الايراد ، والاهتمام .. فكرت الدول الأوربية في تدعيم صناعة السينما فيما بينها .. من خلال وسيلة الانتاج المشترك .. كأن تساهم دولتان في انتاج فيلم وأحياناً ثلاث دول !! وتضخمت ميزانية الأفلام .. ولكن بالرغم من هذا الحل .. الا أن العائد المادي لم يكن مغرياً بالاستمرار .. ولكن لم يكن هناك طريق آخر !

تنقل المخرجون من بلادهم .. وتنقل المثلون .. وتكتلت رءوس الأموال .. وبالرغم من ذلك لم تحدث المعجزة .. ولم ينكسر « الوحش الأمريكي » .. بل أصبحت المعجزة أن توافق إحدى شركات التوزيع الأمريكية على الدخول كشريك في الفيلم والقيام بتوزيعه عالمياً .. حينئذ تفتح « أبواب السعد » للفيلم !

وأمام هذه الحقيقة الاقتصادية .. كان على السينما الأوربية أن تعيد حساباتها .. وتستكشف الطرق لمقاومة الفناء والنهاية !

مأزق السينما الأوربية .. ومـــأزق الفــن الجيد

أغرقت السينما الايطالية أسواقها بالأفلام الكوميدية الخفيفة ، القليلة التكاليف ، التي تصلح مع أطباق المكرونة« الاسباجتي » الشعبية ..

فتحت السينما الانجليزية أستوديوهاتها ومعاملها وأرضها لرجال الصناعة الأمريكية الباحثين عن أسعار أقل .. وأماكن جديدة لتصوير أفلامهم ..

سعت السينما الألمانية والسويسرية لكل الفرص المتاحة للانتاج المشترك .

وجربت السينما الفرنسية كل الطرق .. مستفيدة من تاريخ وخبرة المؤسسة الفرنسية« جومو » في الانتاج والتوزيع .. ولكن هذه المؤسسة بدأت تعاني من خسائرها المادية المتلاحقة ..

ولكن استمرار هذا المأزق .. لا يعني نهاية السينما الأوربية .. ولكن يعني انخفاض الفرص أمام السينما الفنية الجادة !

ففي وسط هذا الصراع التجاري للبقاء والاستمرار .. يصبح الحرص على المستوى الفني والفكري الجيد .. مسألة تحتاج لوقت وتكاليف .. وتضحية !

ولم يعد القادرون على التضحية .. مستعدون للمجازفة بقلب مفتوح !! هناك الف سبب وسبب يجعلهم يترددون .. ويتدخلون .. ويطالبون بالتنازلات !

ومن الصعب .. أن يقبل الفنان الحقيقي ، العمل بالتنازلات !

الفترة الذهبية .. التي انتهت

وقد حزنت فرنسا على رحيل مخرجها اللامع الموهوب « فرانسوا تريفو » في أكتوبر الماضي .. مات متأثراً بمرضه الخبيث عن ٥٢ عاماً .. ولكن « تريفو » كان أكثر حزناً في سنواته الأخيرة بسبب ما جرى للسينما الفرنسية .. بعد التوهج الفني الذي عاشته في سنوات الستينات مع « الموجة الجديدة » . والتي كان هو أحد مؤسسيها .

في آخر حوار صحفي معه أجرته مجلة « ستيلز » الانجليزية .. قال المخرج تريفو : « لقد انتهت الموجة الجديدة في السينما الفرنسية .. ولم يعد باقياً منها سوى بعض الأفلام وما يكتبه عنها تاريخ السينما » .

وفي نفس الحوار الذي أجرته المجلة الانجليزية بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على ظهور الموجة الجديدة .. قال المخرج « كلود شابرول » وهو أحد مؤسسي تلك الفترة الذهبية من السينما الفرنسية :

« لقد كان كل شيء وقتها ينبيء بعصر من الحرية والابداع في فرنسا .. مجيء ديجول الى الحكم .. والرغبة الشعبية في أن تكون السينما الفرنسية تعبيراًعن ايقاع العصر .. في نفس وقت ازدهار أدب القصة والرواية .. وحماس الكتاب للمشاركة في السينما .. كل هذه العوامل كانت أشبه بالصدمة التي ايقظت السينما الفرنسية .. والتي جعلتنا نتحرك لنصنع شيئاً » .

هكذا تكلم بحزن ومرارة .. صانعوا الفترة الذهبية .



لقطة من فيلم « قصتنا » الذى فاز أخيرا بجائزة أحسن سيناريو كتب للسينما .. وفاز « آلن ديلون » بجائزة أحسن ممثل .. والفيلم استقبله الجمهور باستياء شديد ، بينما تحمس له النقاد !

وتمر السنوات .. ويتغير الناس .. وتتغير السينما .

انتهت الموجة الجديدة .. وأصبحت مجرد ذكرى جميلة .. ومناسبة فقط يحتفل بها في المهرجانات والمعاهد المتخصصة .

وفقدت السينما الفرنسية شخصيتها المتميزة .. وتفرق ألمع مخرجيها يبحثون عن فرص للعمل في بلاد أخرى .. وحتى من بقي منهم محافظاً على فن السينما ، لم يجد الجمهور المناسب الذي يحميه ويدافع عنه .

قناه رابعة في التليفزيون

.. تدخل المعركة

وآخر ما كانت تتوقعه السينما الفرنسية في معركتها من أجل البقاء والاستمرار .. أن يفتتح التليفزيون قناة خاصة (القناه الرابعة) لكي تعرض لجمهورها في المنازل ونظير اشتراكات شهرية ، عشرين ساعة يومياً من الأفلام السينمائية !

حدث هذا في نوفمبر الماضي .. وظهرت القناة الرابعة ، لتقدم لجمهورها نوعيات مختارة من الأفلام الفرنسية والأوربية والأمريكية (٦٠ في المائة) أفلام فرنسية وأوربية ــ والباقي أفلام أجنبية) .. ومعظمها أفلام حديثة ، لم يمر على عرضها الأول في دور السينما سوى ١١ شهراً .. بينما كان العرف السائد في التليفزيون الفرنسي أن ينتظر ثلاثة أعوام ــ وأحياناً عامين ــ حتى يستطيع أن يعرض الأفلام الجديدة !

ولكن القناة الرابعة ، وباغراءات كثيرة ، وتخفيضات في الاشتراكات .. استطاعت أن تصبح حقيقة داخل نسبة كبيرة من البيوت الفرنسية .. وتحت شعار نحن نأتي لك بالسينما داخل بيتك .. ودون حاجة لأن تبذل مجهوداً لكي تذهب لدور العرض ، وأيضاً دون أن تتكلف ثمن التذاكر والمواصلات ..

وتراوحت ردود الفعل حول تأثير هذه القناة على مستقبل السينما الفرنسية .. البعض يراها كارثة محققة حيث ستلتهم عدداً كبيراً من رواد السينما ، وبالتالي ستؤثر على ايرادات الأفلام .

والبعض الآخر يراها فرصة ذهبية للسينما الفرنسية ، حيث يصبح ثمن استغلال الفيلم للعرض بالتليفزيون .. مورداً جديداً لم يكن متاحاً بهذه السرعة !

وما زالت التجربة في شهورها الأولى .. ولم تحسم بعد نتائجها .



إيف مونتان .. نجم الشاشة الفرنسية الذى قرر الاشتراك فى الأفلام التجارية الهابطة حتى يحافظ على مستواه الفنى .

« طرازان الجديد » أو الممثل « كريستوفر لامبرت » الذى أصبح فى عام ١٩٨٤ هو النجم الذائع الصيت الذى تراهن عليه السينما الفرنسية لخمسة أعوام قادمة

جيل جديد من الممثلين .. ولكن

ولكن المتفائلين بمستقبل السينما الفرنسية .. يضعون أوراقاً مختلفة على المائدة ويراهنون عليها ..

إنهم يراهنون على قدرة السينما الفرنسية في العطاء المستمر بالنسبة للوجوه الجديدة من الممثلين والمخرجين ففي العام الماضى ــ فقط ــ دفعت بالممثل الجديد « كريستوفر لامبرت » الذي لعب بطولة فيلم « أسطورة طرزان » وتحول بين يوم وليلة الى واحد من أشهر ممثلي السينما الفرنسية .. بل والسينما العالمية !

فقد تصدر فيلم « طرزان » قائمة الايرادات في عام ١٩٨٤ .. واشترك نفس الممثل في فيلم مع ممثلة فرنسا الأولى « كاترين دينيف » بعنوان « كلمات وموسيقى » .. ثم اشترك مع « ايزابيل ادجاني » نجمة فرنسا المدللة ، التي فازت في العام الماضي بجائزة سيزار كأحسن ممثلة .. هاهما معاً في فيلم جديد بعنوان « محطة المترو » ..

وفي العام الماضي أيضاً .. لمعت الممثلة « فاليري كابريسكي » في فيلم « امرأة عمومية » .

ولمعت أيضاً الممثلة « سابيني أزيما » بطلة فيلم « يوم أحد في الريف » .. وفازت عنه بجائزة سيزار هذا العام كأحسن ممثلة ..

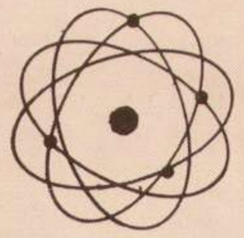
مجموعة من الممثلين قد يستمرون لعامين أو خمسة أعوام .. وقد تستثمرهم السينما الأمريكية لتدفع بهم الى آفاق عالمية أوسع انتشاراً ..

والمراهنون يقولون إن دليل صحة السينما الفرنسية هو بقاء الآن ديلون وبلموندو وكاترين دينيف وايزابيل هوبير .. وغيرهم ممن يضيئون الشاشة ويحملون اسم فرنسا .

ولكن المتشائمين يقولون .. إن السينما الفرنسية تصنع النجوم .. ولكنها لا تصنع كتاب السيناريو الذين هم عماد السينما .. فالموضوع السينمائي هو الأصل .. والأبقى .. فما الذي يفعله الممثل الجيد بدون موضوع يقدمه !

وهذه النقطة التي يثيرها هؤلاء .. لهم كل الحق فيها .. فحتى اتجاه السينما الفرنسية الى مخاطبة المتفرج العادي ، الملول ، المرهق .. تحتاج الى نوعية من الموضوعات غير المستهلكة .. تلك التي اطلق عليها الجمهور والنقاد معاً « السينما الغبية التافهة » .. فمهما كان المتفرج ملولاً إلا أنه لايريد أن يشعر أنهم يعاملونه كفاقد للوعي والادراك . ! !

رءوف توفيق



العلم هو المستقبل

الدفـــاع الذاتـي للنبـــات


الدفاع الذاتى للنبات

أعلن فريق بحث بلجيكى أنه تمكن من جعل أوراق شجيرات التبغ تنتج مبيداً حشريا يحميها من الآفات والحشرات .

فلقد استخدم الباحثون تقنيات الهندسة الوراثية لعزل الجينة المسئولة عن تكوين بروتين سام من نوع خاص من البكتريا ، ثم قاموا بزرع هذه الجينة فى نوع آخر من البكتريا تتطفل على النباتات مسببة لها نوعا من السرطان النباتى .

وبهذه الطريقة استطاع الباحثون تحويل نشاط هذه البكتريا الضار باستبدال الجينات المسئولة عن الأورام السرطانية بالجينات المكونة للبروتين السام للحشرات واليرقات التى تهاجم نبات التبغ .

وبعد الحصول على هذه البكتريا المعالجة بتقنيات الهندسة الوراثية ، قام الباحثون بجرح ساق نبات التبغ وتعريض الجزء المجروح لمحلول يحتوى على البكتريا المعالجة بحيث قامت الأخيرة بنقل جيناتها الجديدة للنبات التى تتطفل عليه ، ومن ثم أصبح هذا النبات قادرا على إفراز المادة القاتلة للحشرات .

ونظرا لأن هذه الجينات أصبحت جزءا من الحامض النووى لخلايا النبات فإن هذه الخاصية ستنتقل من جيل إلى آخر وتصبح صفة متوارثة .

ويتوقع العلماء بعد نجاح الأبحاث على نبات التبغ امكانية تعميم هذه التقنية على عدد كبير من المحاصيل والخروج بها من حيز التجربة الى حيز التطبيق خلال فترة لا تزيد على خمس سنوات .

وتتميز هذه الطريقة المبتكرة بأنها لا تسبب تلوثا للبيئة ولا تضر بالانسان أو الحيوان أو الحشرات النافعة كما هو الحال بالنسبة للمبيدات الحشرية المستخدمة حاليا .

جهاز جديد لتنظيم دقات القلب



يعانى مرضى القلب عادة من اضطراب فى ايقاع دقات القلب فقد يصبح الايقاع بطيئا جدا أو شديد السرعة وبشكل مفاجيء ، وفى كلتا الحالتين يمثل ذلك خطراً على حياة المريض . كما يتعرض البعض إلى اختلاج عضلى فى البطين ، وفى مثل هذه الحالة لا تسرع دقات القلب فقط ولكن ايقاعها يصبح عشوائيا .

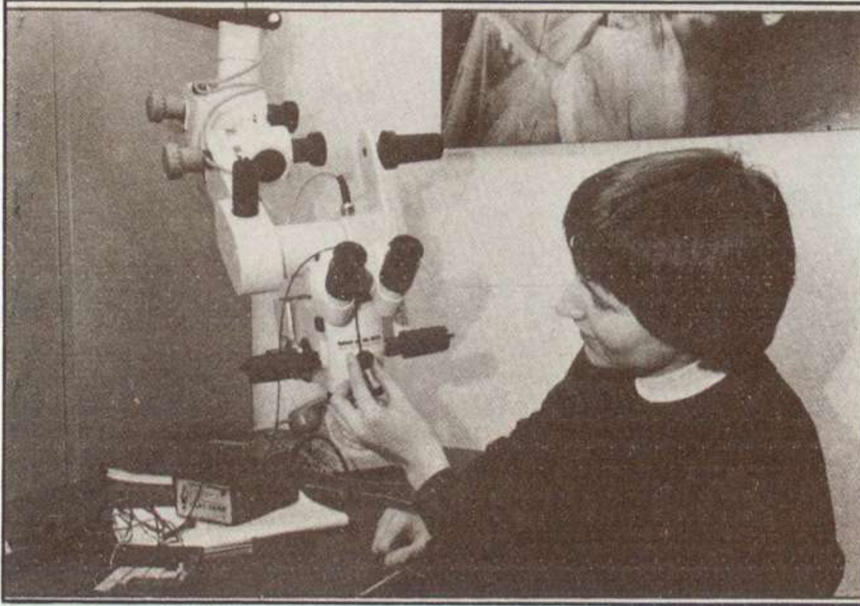
وبما أن جهاز تنظيم دقات القلب التقليدى لا يعالج الاحالة ضعف وبطء دقات القلب فقط ، فإن باحثاً امريكياً ابتكر جهازا جديدا يزرع تحت الجلد ويولد نبضات كهربية تنظم جميع اضطرابات دقات القلب .

ويزن الجهاز الجديد ٩٥ جراما ، ولا يزيد طوله عن ثمانية سنتيمترات ، ويزرع تحت الجلد قرب عظمة الترقوة ، ويخرج من الجهاز سلك يمتد خلال وريد كبير إلى البطين الايمن للقلب . ويقوم الجهاز بمراقبة النبضات الكهربائية الطبيعية للقلب ، بحيث لا يتدخل الا عند الحاجة فقط . وهو يولد عادة نبضة قدرها نصف جول ، ولكنه يستطيع توليد نبضة قيمتها ٢ جول فى حالات الطوارىء .

ومن مميزات هذا الجهاز الجديد أنه يمكن تعديل قوة النبضات الكهربائية التى يولدها بالتأثير عليه من الخارج .

ولقد تم تجربته بنجاح على ٢١ مريضا ، ومن المتوقع أن يصبح جاهزا للاستخدام العلاجى فى العام القادم . وسعه هذا الجهاز ألفا جول ، أى أنه يستطيع توليد ٤ آلاف صدمة كهربائية ، وبالتالى لن يحتاج المريض الى تغييره الا بعد فترة طويلة .

ميكروسكوب يستجيب لصوت صاحبه



أصبح الميكروسكوب أداة حيوية فى مجال الجراحة ، خاصة في العمليات الجراحية الدقيقة ، فهو يكبر أدق التفاصيل مما يساعد الطبيب على العمل بدقة وراحة أكبر . وتصل درجة تكبير بعض الميكروسكوبات الى أربعين مرة .

ولكن استخدام الميكروسكوب يحتاج الى عمليات ضبط مستمرة أثناء الجراحة ، مثل تعديل معامل التكبير أو بعد العدسات .. الخ ، وهى تستغرق وقتا ثمينا . فالطبيب يقوم بالتحكم فى جميع عمليات الضبط بواسطة قدمه ، وذلك بالضغط على واحدة من أربع دواسات ، ويستغرق الضغط على الدواسة المناسبة ونقل الحركة الى الحركات التى تقوم بعملية التعديل والضبط حوالى عشر ثوان ، وهو وقت طويل بالنسبة للعمليات الجراحية الدقيقة .

ولذلك ابتكرت باحثة فرنسية شابة ميكروسكوباً يطيع الأوامر الشفوية للجراح . فلقد زودت الميكروسكوب بميكرو كمبيوتر صغير لا يزيد حجمه عن حجم كتاب متوسط ، يضم دوائر للتعرف على الصوت بحيث يستطيع ترجمه الأوامر الشفوية التى ينطقها الجراح الى تغيير فعلى فى بعد العدسات ودرجة التكبير .. الخ . وقامت الباحثة الشابة بتثبيت الميكروكمبيوتر محل الدواسات ثم وصلته بميكروفون صغير مثبت بين العدستين العينيتين .

ولا تستغرق عملية اعطاء الأوامر وتنفيذها سوى واحد على عشرة من الثانية . ويتميز هذا الميكروكمبيوتر بسرعة استجابته للأوامر الشفوية ، فهو أسرع خمس مرات من الأجهزة المماثلة .

ولقد أثبت هذا الميكروسكوب فاعليته وكفاءته ، وبدأ تعميم استخدامه فى العمليات الجراحية الدقيقة .

الحذاء الإلكتروني



وصل غزو الالكترونيات لحياتنا الى مستوى الأحذية ، فاحدى الشركات الألمانية المتخصصة فى الملابس والأجهزة الرياضية تقدم أول حذاء ألكترونى ، وهو حذاء للتدريب على العدو .

تضم المادة المكونة لنعل هذا الحذاء دوائر ألكترونية يمكن اعتبارها ميكروكمبيوتر مصغرا فبواسطة هذه الدوائر يتم حساب المسافة التى قطعها العداء والزمن الذى استغرقه السباق وعدد السعرات المستهلكة آخذة فى الاعتبار وزن العداء الضاغط على النعل .

كما يمكن برمجة هذا الحذاء بحيث يمكنه ضبط الخطوة بناء على ايقاع أساسي للسير أو العدو .

وتظهر جميع البيانات على شاشة مثبتة على لسان الحذاء .

هاتف لضعاف السمع



يتحول الاتصال الهاتفى مع ضعاف السمع الى عملية تعذيب للطرفين ، ولذلك فكر مهندس أمريكى فى تصميم هاتف خاص لهؤلاء المعوقين ، وهو يشبه الى حد كبير الهاتف العادى الا أن لوحة الأزرار تضم الى جانب الأرقام الحروف الابجدية ، بحيث يضم كل زرار رقما وثلاثة حروف .

ويتصل الهاتف بجهاز صغير حجمة ١٤ سم فى ٨ سم فى ٢ سم ولا يزن سوى ٢٨٠ جراما . يقوم هذا الجهاز بتحويل النبضات الكهربائية المرسلة الى كلمات مكتوبة تظهر على شاشة صغيرة أعلاه مصنوعة من البللورات السائله .

وبالتالى فالمتحدث على الطرف الآخر من الخط الهاتفى لا يتكلم وانما يستخدم أزرار الهاتف كمفاتيح الآلة الكاتبة لتظهر الكلمات على شاشة المعوق فيقرأها بدلا من أن يسمعها .

ولتسهيل عملية الاتصال يمكن استخدام بعض الاختصارات المتفق عليها .

ويعتبر هذا الهاتف حلا عمليا إلى أن يصبح الهاتف المرئي حقيقة واقعة .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى :

لأحد الجسور التى تمتد لمسافة خمسة وعشرين كيلومتراً ، لتربط بين دولتين عربيتين . ولقد بدأ العمل فى هذا الجسر فى ١١ نوفمبر عام ١٩٨٢ ، وسوف يفتتح فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٥ .

وهو يعد أكبر جسر فى الشرق الأوسط ومن المتوقع أن تمر عليه يومياً سبعة وعشرين ألف سيارة . أين يقع هذا الجسر ؟ وما إسم الدولتين اللتين سوف يربط بينهما هذا الجسر ؟

● ● ●

الصورة الثانية :



مؤلف عربى ولد بمصر عام ١٤٤٥ م ، وتوفى بها عام ١٥٠٥ ، وسافر الى بلاد الشام والحجاز والمغرب واليمن والهند طلباً للعلم ، وقد ألم بجميع علوم الثقافة الإسلامية فى عصره ، وخاصة علم التفسير والحديث والفقه والبلاغة والنحو ، وله مؤلفات عديدة منها (المزهر) فى اللغة ، والإتقان فى علوم القرآن ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

. . من هو ؟



دوحة القراء

بـيت الحـكمة

المعروف أن العصر العباسى كان عصر النقل والترجمة فى دولة الاسلام ، فقد استقدم الخلفاء العباسيون العلماء وأغدقوا عليهم المال ، فترجمت العلوم من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية .

يقول ابن خلدون فى مقدمته : كانت كتب أقليدس فى الهندسة هى أول ما ترجمه العرب أيام الخليفة المنصور وسموه كتاب « الأصول » والمؤسسة التى أنشأها هارون الرشيد والتى تعرف باسم (بيت الحكمة) وتعهدها من بعده الخليفة المأمون لم تكن خزانة للكتب فحسب بل كانت مؤسسة علمية أشبه بالأكاديميات في وقتنا الحاضر ، عنى فيها بجمع الأصول والمراجع والنقل والترجمة والتأليف العلمى وأعمال الرصد وتنمية العلم وإجراء البحوث ، وكان ببيت الحكمة قسم أشبه بمركز الوثائق المعروف اليوم .

تولى أمر بيت الحكمة فى أيام الرشيد عالم فلكى هو « ابن سهل :» كما تولى أمرها أيام المأمون عالم الرياضيات الأول فى الاسلام « الخوارزمى »، ولقب بعض أعضاء بيت الحكمة بلقب « صاحب بيت الحكمة » .

ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وكانا طبيبين توليا رئاسة الترجمة ، ثم يحيى بن منصور الفلكى وجماعة من علماء الفلك تولوا إصلاح آلات الرصد والقيام بالرصد المأمونى فى جبل قاسيون بدمشق ، وفى الشماسية فى بغداد كما اشتهر أبناء موسى الثلاثة ببحوثهم الفلكية والهندسية والميكانيكية وقد ثبتوا بأمر من الخليفة المأمون فى بيت الحكمة مع يحيى بن منصور .

أحمد الحسينى السيد : حلوان ـــ مصر

شخصيات وإنجازات



• القاطرة البخارية : المهندس البريطاني « ريتشارد تريفثيك » عام ١٨٠٣ ، ثم المهندس البريطاني « جورج ستيفنسون » ، عام ١٨١٤ .
• أول خط سكك حديدية ثم انشاؤه في بريطانيا عام ١٨٢٥ .
• ماكينة الخياطة : الفرنسي « بارتيليمسي تيمونييه » عام ١٨٣٠ .
• الدراجة : الانجليزي كيركباتريك مكميلان (١٨٣٩) الدراجة الحديثة : البريطاني ستارلي (١٨٨٤) .
• البطارية الكهربائية : الايطالي اليساندور فولتا عام (١٨٠٠) .
• المكواة الكهربائية المسطحة : الأمريكي سيلي عام (١٨٨٢) .
• اطارات السيارات : البريطاني روبرت تومبسون عام (١٨٤٥) .
• الرادار : البريطاني روبرت واتسون وات عام (١٩٣٥) .. والامريكيان تايلور ويونج (١٩٢٢) .
• سماعة الطبيب : (ستيتو سكوب) الفرنسي رينيه لانيك (١٨١٦) .
• الدبابة : البريطاني ارنست سوينتون عام (١٩١٤) .
• المحول الكهربائي : الأمريكي جوزيف هنري (١٨٢٩) .
• الآلة الكاتبة : الأولى الناجحة تجارياً صممها الأمريكيون كريستوفر شولز وتشارلز جليدن وساموبل عام (١٨٦٨) .
• الهيلكوبتر : الأمريكي سيكورسكي (١٩٣٩) .
• الميكرفون : الأمريكي برلينر (١٨٧٧) .

عبد الله محمد سليمان الجابري
مطار السيب ـ سلطنة عمان

لقطة الشهر



دعـــاء لأمـّـي

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : عبد الهادى محمود مغمومة ـ سورية ـ حماة .

جلَّ مَنْ لا يُخْطِئ

فيما يلي بعض الأخطاء الشائعة :
• ليس في قلم الرصاص أى رصاص ! فهو مصنوع من مادة الجرافيت ، وهى نوع من أنواع الفحم .
• الفضة الألمانية لا تحتوى على فضة ! إنها خليط معدني من النحاس ، والنيكل ، والزنك .
• خليج « هدسن » ليس خليجاً ! إنه بحر داخلي .
• العناصر الأربعة المعروفة : النار ، والماء ، والأرض ، والهواء ليست عناصر بل هى مركبات .
• كلب البرية ليس كلباً ، بل هو حيوان قارض كالفأر .
• الدودة العمياء ليست عمياء ولا هى دودة . إنها نوع من أنواع الضب ولها عينان ظاهرتان .
• البطاطا الايرلندية ليست بطاطا ولا تأتى من ايرلندا .

صالح أحمد العقيلي : صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

توعد مصطفى فهمى ربيب الاستعمار شاعرنا العربى الراحل خليل مطران بالنفى .. فلم يهتز الشاعر وكتب قصيدته « مقاطعة » التى حذفنا من أبياتها كلمة ، ووضعنا بدلاً منها كلمة « مقصودى » ، وعليك أن تعرف الكلمة الأصلية عند الشاعر من خلال معانى الأبيات :

يقول الشاعر :
أنا لا أخاف ولا أرجى
« مقصودى » مؤهبة وسرجى
فإذا نبا بي متن بر
فالمطية بطن لج ..
لا قول غير الحق لى
قول وهذا النهج نهجي
الوعد والابعاد ما
كانا لدى طريق فلج

مقصود الشاعر مكون من ٤ حروف .
٣ ، ١ ، ٢ ، نقطع فيه مسافات

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

« الأمل واليأس ليسا من شأن العالم الذى حولنا ، فالعالم الذى حولنا لا علاقة له بنا ، ولكن نحن الذين لنا علاقة به ، نحن مرتبطون به ، ولكنه ليس مرتبطاً بنا .. تماماً كما أن الكرة الأرضية معلقة من الشمس والشمس ليست معلقة بالكرة الأرضية » .

قائل هذه العبارة الفلسفية هو مؤلف مسرحي عالمى .. كتب للمسرح مسرحيات عديدة من بينها : « زيارة السيدة العجوز » و « رومولوس العظيم » و « هبط الملاك فى بابل » . و « الشهاب » و « هى وعشاقها » .

فهل عرفته ؟
إسمه مكون من مقطعين و١٣ حرفا
٥ ، ١ ، ٤ ، ٦ بمعنى يغطى .
١٣ ، ٩ ، ١٢ ، ١٠ ، ٨ ، ١١ ألحانه مستخدمة بصفة دائمة فى أوربا .

« أنا أحاول أن أعرض على خشبة المسرح .. الدراما الداخلية التى تدور فى كيان الانسان .. ووهى دراما لم أصل إلى فهم واضح لها . ومنهجي يكمن فى دراستى لنفسى وذاتى فقط .. من خلال ذلك أستطيع أن أصل إلى فهم الكون كله » .

• قائل هذه العبارة الفلسفية هو كاتب مسرحى عالمى شهير .. أحد أعمدة مدرسة مسرح العبث واللامعقول ومن أشهر مسرحياته « الدرس — الخرتيت — المغنية الصلعاء — الكراسى » .

• هل عرفته ؟ إسمه مكون من مقطعين و١٢ حرفا

١ ، ٥ عمله يابانية
٦ ، ١٠ ، ١١ ، ٨ بمعنى أقيم

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ١٨٧٤
• مكان الميلاد : مدينة باريس .
• الجنسية : فرنسى — انجليزى .
• الوظيفة : درس الطب وحصل على شهادته الطبية .. الا أنه لم يعمل طبيباً على الاطلاق .
• المهنة : احترف كتابة الأدب فى القصة والمسرحية .
• رواياته : « ليزا القادمة من لامبث — العبودية الانسانية — دون فير ناندو — كاتيلينا — الكعك والجعة » .
مسرحياته : « رجل الشرف — الليدى فريدريك — جاك سترو — مستر دوت — المكتشف — زوجة قيصر — الزوجة الوفيه — أناس أفضل منا — من أجل خدمة الآخرين » .
• له فى القصة القصيرة : « توجيهات محددة — مخلوقات القدر — العميل البريطانى — حالة من التشرد — وجهات نظر » .
• الشخصيات التى تأثر بها : « اميل زولا .. وبلزاك وموباسان » .
• تاريخ رحيله : ٢٩٦٥
• هل عرفت صاحب هذا الجواز ؟
• اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و٩ حروف
٤ ، ٥ ، ٢ ، ٣ بمعنى ضرائب
١ ، ٦ شخصية هامة فى أسطورة أوزوريس

مسابقة مدن العالم

• هذه هي إحدى المدن العربية الشهيرة في المملكة الأردنية الهاشمية ، حاول أن تتعرف عليها من خلال بطاقة المعلومات :

• يطلقون عليها مدينة الجبال السبعة .

• قيل إن اسمها القديم هو « الرية » ويعني المكان الذي يجتمع فيه الناس ويحتشدون أو المدينة الكبيرة أو العاصمة . ويقال أيضاً إن اسمها كان « رية بن عمون » .

• في عام ٢٤٧ قبل الميلاد .. احتلها فيلادلفوس بعد أن أرسله اليها بطليموس وأسماها « فيلاديفيا » .

• في سنة ١٦ هجرية فتحها يزيد بن أبي سفيان وجعلها قاعدة القسم الجنوبي من البلاد الواقعة شرق نهر الأردن ، ويسمى هذا القسم « البلقاء » .

• يروى أن الحضارات المتعددة التي توالت على هذه المدينة جعلت منها مدينة أثرية جمعت بين الآثار الرومانية والاغريقية والعربية والاسلامية .

• بعد الحروب الصليبية توالت على المدينة عدة زلازل وأوبئة حتى هجرها أهلها وتجنب الناس سكناها .

• كانت البداية الحقيقية لازدهار المدينة في عهد الامير عبد الله بن الحسين الذي اتخذها عاصمة لدولته .

• هل عرفت إسم هذه المدينة العربية التاريخية التي يتكون أسمها من ٤ حروف ؟

• ٤ ، ٣ ، ١ ، ٢ ، بمعنى أملس

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١١

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر حاتم الطائي هي : الزاد .

٢ ــ عبارة شهيرة من قائلها : نابليون بونابرت .

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز : ابن بطوطه .

٤ ــ مسابقة مدن العالم : مدينة لندن .

أسماء الفائزين

ــ فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري :

القارئة : نبيلة عبد الرحمن دهب ــ السودان .

ــ فازت بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري :

القارئة : بثينة عبد العزيز محمود ــ مصر .

ــ فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري :

القارئة : مريم محمد حسن ــ قطر .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ لواحظ طه حسن ــ اليمن الديمقراطية
٢ ــ ابتسام إندراوس ــ قطر
٣ ــ عبد اللطيف عبد الله علي ــ الجمهورية العربية اليمنية
٤ ــ حياة قاسم خيري ــ سلطنة عمان
٥ ــ بوبوط سعيد ــ المغرب
٦ ــ عامر جاسم محمد ــ العراق
٧ ــ محمد أحمد المصطفى ــ موريتانيا
٨ ــ حسني سليمان عبد الجبار ــ ليبيا
٩ ــ شهاب الدين حميده ــ تونس
١٠ــ سعيد دحماني ــ الجزائر

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١١

الصورة الأولى : مدينة صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية .

ــ الفائزة : سيرين رفعت اسماعيل ــ الامارات العربية المتحدة

الفائز : ظافر كاظم حسن ــ الهند

الصورة الثانية : العالم العربي عبد الرحمن بن خلدون

الفائز : حسين علي الشيخ ــ البحرين

الفائز : محمد قاسم حموده ــ السعودية

حل استراحة الدوحة للعدد ١١١

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ الحاجب ــ الرموش الأنف ــ الخد ــ الذقن ــ الأذن .

٢ ــ لعبة الظلال : رقم (٢)
٣ ــ دوري الكاريكاتير : اللاعب رقم (٤)
٤ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٥)
٥ ــ لوحة لم تتم : الشاعر بيرم التونسي .
٦ ــ المثل يقول :

ــ امشي عدل يحتار عدوك فيك
ــ في التأني السلامة وفي العجلة الندامة

٧ ــ هات أجمل تعليق :

ــ كل ما يتقدم لي عريس الأهل يرفضوه لعدم التكافؤ الجسماني !

ــ الفنجان يقول سوف تعمل وليمة كبيرة الأسبوع القادم ، وأنا سوف أكون فيها !

اسماء الفائزين في استراحة الدوحة

١ ــ صلاح الدين شيخ قنبر ــ سوريا
٢ ــ الكيلاني كيلاني محمود ــ مصر
٣ ــ عبد الله الدرمكي ــ الامارات العربية المتحدة
٤ ــ فتحية محمد عباس ــ السودان
٥ ــ محمد مراد راضي ــ الأردن
٦ ــ أبا هشام خالد (اشتراك) المغرب
٧ ــ علياء حسين علي ــ البحرين
٨ ــ محمود ذيب حسن ــ الكويت
٩ ــ إخلاصي أحمد محمد حسين ــ السودان
١٠ــ محمد محمود رجب ــ قطر
١١ــ محمد أبو زيد سليمان ــ السعودية
١٢ــ محمد أحمد العشري ــ مصر
١٣ــ موسى محمد عبد الحبيب ــ اليمن
١٤ــ سهير طلعت مصطفى ــ قطر

• • •

« تحـــذيـــر »

التدخـــــين يضر بصحـــــتك
وننصحـــــك بالامتـــناع عنـــه

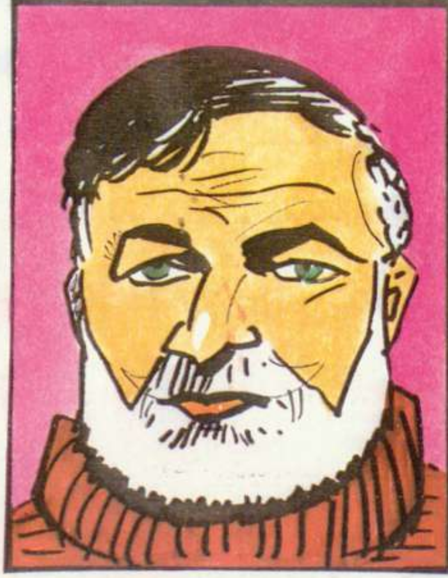
استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة





• بين أصل وصورة الروائى الأمريكى أرنست همنجواى ، الذى يتميز بواقعية أسلوبه ، هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا استطعت العثور على هذا المثل أرسله إلينا ، فى انتظارك جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لزعيمة نسائية فقدناها ضمن حوادث العنف فى العالم .. حاول أن تكمل اللوحة وتتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



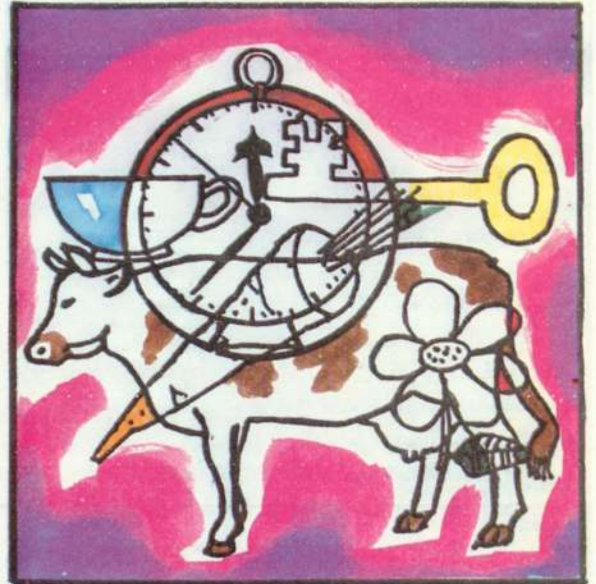
• هل يمكنك أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ حاول وأرسله إلينا لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



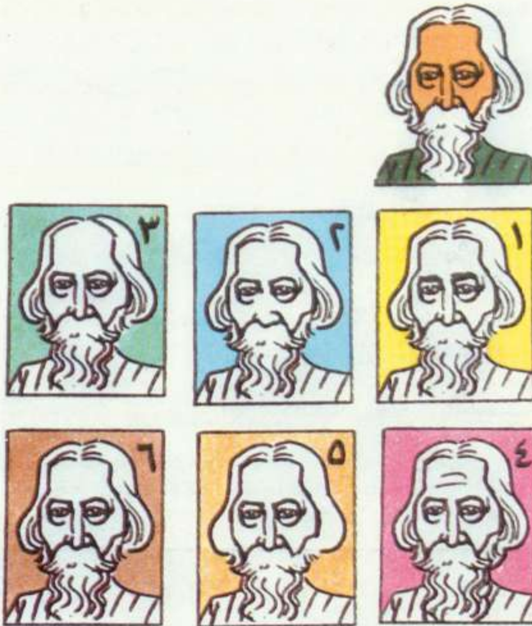
• هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، بعد أن فشل تماما فى محاولاته ورفع راية الاستسلام ؟ ..
حاول ففى انتظارك جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط !



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا تعرفت على تلك الأشياء إمسك ورقة وقلما ، وارسل اجابتك إلينا لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية طاغور .. شاعر الهند العظيم الذى مازال شعب الهند يردد أغانيه الوطنية حتى يومنا هذا .. فى هذه اللوحات واحدة تشبه تمام الشبه ، وفى البقية اختلافات بسيطة ..
هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

مقدار الفرحة.. وقدرة الألم!

مقدار الفرحة .. لا يعرف بالكلمة ، أو بحجم الابتسامة ! قدرة الالم .. لا تحدد بالبكاء ، أو بوقت العبوس ..

إن الانسان يفر من « المقاسات » ومن التحديد : لحظة التعبير عن احساسه .

إنه يجرى فى داخل نفسه ، ولا يريد أن يراه الآخرون .. بل هو يحاول التمثيل أحيانا امام الناس ويرفض أن ينقاد لانطباع الناس عنه !

إن الفرحة فى حياة المرء نسبية .. إنها لاتتضاعف فى شكل انعكاسات على وجوه من يراهم .. إن كل من يشاركونك الفرحة .. لا يهم الرغبة أن يفرحوا هم أولا من خلال فرحتك ، فاذا نجحت فى امتحان أو رقيت فى وظيفتك ، أو شعرت بالحب يصفق بين جوانحك .. فلابد أن تتردد على مسامعك كلمات التهنئة المختلطة أحيانا بالغيرة أو بالحسد !

وبعض الناس لا يتعمق فرحتك ، ولكنه يغوص فى أعماقه لتهوية تلك الأعماق حتى لا تختنق بالغبطة لك . ويجفف الأشياء التى ابتلت بضحكة يأخذها من فرحتك ولا يعيدها اليك !

وبالطبع ... فليس فى هذه الصورة حقد على الناس ، أو تشاؤم بمستوى الرابطة التى أصبحت تجذب الناس إلى بعضهم البعض ..

فالرابطة الانسانية مشوشة فى انشغال الجميع بما تمتلىء به نفسه وتفيض .. لكن هذه الصورة رؤية بـ« الزوم » لأعماق الانسان ! !

ورغم ذلك فالحب موجود ، والعاطفة لم تفقد من وجدان الانسان ، والخير .. من الممكن أن تعثر عليه ، ولو لم يكافئك الذين منحتهم الخير والمحبة !

الحب موجود ... إذا كنت لا تنتظر مقابلا له ، ولا تتوخى أصداء تأتيك ممن تحب .

الحب قدرة على التضحية ، ومقدرة بهذه الخفقة المتواصلة التى لا تهن ولا تضعف .. فإذا كانت نفسك مليئة بهذه العاطفة الجميلة .. فلن ترى الناس الا أحباء ، ولن تسمعهم الا منشدين يغنون ويعزفون !

والعاطفة موجودة .. إذا كنت تربى إبنك ليكون عضواً مفيدا وعاملا ، وترى فى إبنتك أمومة جديدةتسقى المستقبل من الحنان والالتئام والمحبة ، فالعاطفة لا تجعلك تنتظر من إبنك أن يتكفلك بعد عجزك وشيخوختك لأن زمنه القادم أكثر قسوة من زمنك ، فيكفيه ما سيواجهه ، والعاطفة لا تدفعك إلى مطالبة ابنتك بأن تنسى نفسها وتتذكرك أنت .. لأن واجبها القادم سيكون أكبر من واجبك .. ستكون منشغلة باثبات الحب فى بيتها الجديد بكل صوره ومواقفه المتعددة . فالابناء لن يكونوا امتداداً للآباء ، ولكنهم قدرة جديدة وقدر يختلف عن قدرك ، وطموح يتضاعف عن طموحاتك ، ولكنها الآمال التى تكبر فى نفسية سُقيَت بالخير والمحبة ، وتتضاءل فى نفسية عانت من الفرقة ، والأسى والحزن !

إن الحياة بدون حب .. هى ذلك الذى كل ما تجرى إليه يهرب منك : ولست أحدد هنا ، أو أقيس .. لكنه انفتاح النفس على التعب .. وانفتاح القلب على الفرح بالأمل دائما ! !

لذلك .. فالناس يتعبون من هروبهم المستمر ، ويتعبون من تحديدهم المتعاقب ، ومن مقاياساتهم لحجم الفرح وحجم الألم ، ويتعبون ــ تبعا لذلك ــ من أفراح الآخرين .. لأنها تنفذ إلى أعماقهم ، وتكشف عن بلل محصور فى تلك الأعماق !

إن فرحة الانسان .. هى من أملاك الناس .. وان أعماقك لك وحدك ! !

ولكى تسعد الناس .. ينبغى أن تدخل السرور إلى قلوبهم ليحبوك أكثر ، أو على الأقل حتى لايفكروا فى كراهيتهم لك ! !

إن فلسفة الرابطة الانسانية أصبحت ترهق الناس .. فالأب يخاف من عقوق ابنه إذا كبر ، والأم تخاف من انشغال ابنتها عنها إذا شاخت أو إذا ضامتها الحياة . والزوجة تخاف من تبدل زوجها وانسياقه وراء الماديات أو الشهوات ، والزوج يخاف من دعة زوجته واهمالها له . والابن يفكر فى مستقبله كلما ازداد عمره . وما الذى سيكون عليه أبناؤه من عاطفة نحوه ، والبنت تفكر فى أسلوب المحافظة على زوج المستقبل .. لئلا تسرقه منها مشاغل الحياة أو تأخذه منها فجائع العصر !

ورغم أبعاد هذه الفلسفة للرابطة الانسانية .. فقد أخذ الانسان يعدو خلف مطامعه ، وهربا من خوفه الذى ينذر به الغد القادم . أصبحت الماديات هى الاهتمام المباشر الذى يتسلط أحيانا على عاطفة المرء .. فترى الأب لا يرى أبناءه لعدة أيام ، وترى الابن فى زهوة شبابه يركض خلف المباهج دون قياس أو تأمل .. قبل أن تقتحمه مسئوليات الحياة !

وهكذا يضيع من عالمنا : مقدار الفرحة ، وقدرة الألم ! !

جـــدة

لقطات من الخليج

من معالم الدوحة الحديثة

أصبحت مدينة الدوحة مدينة عصرية تتمتع بالكثير من المظاهر الحضارية ، فهى تسعى بصورة دائمة لاستكمال كافة متطلباتها سواء على صورة مصانع أو كليات جامعية أو فنادق أو بنوك عالمية أو مطار جديد وطرق متسعة جميلة وغير ذلك من المنشآت الحديثة ..

وفى اللقطة نرى جانباً من المعالم الحديثة فى مدينة الدوحة وهو الجسر الجديد عند دوار الجيده وما حوله من عمران ازدهر فى سنوات قليلة ، ضمن خطط العمل الذى لا ينقطع ليل نهار من أجل أن تبلغ عاصمة دولة قطر مستوى المدينة المعاصرة الرامية إلى النفع العام والتقدم والازدهار . لقد أصبحت الدوحة إحدى أجمل العواصم العربية وأكثرها عمرانا وازدهاراً بالحياة ، إنها لؤلؤة عربية على شواطىء الخليج .



فلسطينية.. للفنان: محمود أبو عسكر
معرض الكويت التاسع للفنانين التشكيليين العرب

العدد ١١٤ - رمضان ١٤٠٥هـ - يونيو/ حزيران ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- حاجتنا إلى تجديد الإيمان
  د. يوسف القرضاوي
- ملف ثقافي هام:
  الكلمة سلاح والشعراء يقاتلون
- أطفال العرب سنة ٢٠٠٠
- قلعة صناعية قطرية على شاطئ أم سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم



لوحة وفنان

مِن الفن الشعبي المغربي

عندما تدخل متحف اللوفر بباريس ، ستتوقف أمام هذه اللوحة التى رسمها فنان فرنسى أحب المغرب العربى بفنونه وفرسانه وخيوله العربية الأصيلة .. واللوحة من وحي الفن الشعبى المغربى الملىء بالمضامين الإنسانية التى تترجم الأحاسيس والانفعالات والمشاعر بصورة صادقة ومبسطة ، ولهذا عاشت تلك الفنون وتجددت مؤكدة أصالة منبعها وهدفها الجميل .

الفنان صاحب اللوحة هو الفرنسى « ثيودور شاسرايو » (١٨١٩ ـ ١٨٥٦) الذى كان مدخله لزيارة الشرق عندما التقى فى باريس بوالى قسنطينة فى الجزائر ، وتوطدت الصداقة بينهما ، فدعاه لزيارة موطنه ، ولبى الدعوة ليصل إلى الجزائر فى عام ١٨٤٦ ، وليذوب عشقاً فى جمال طبيعتها وموقعها الفريد ، وليقول لكل الذين من حوله : لقد جسدت الجزائر كل أحلامى عن سحر الشرق .

وكانت هذه الرحلة هى مفتاح زياراته المتكررة الأخرى للجزائر والمغرب .. وخلال تلك الرحلات أثرى الحياة الفنية الفرنسية بلوحاته التى قال عنها النقاد إنها تجمع بين الكلاسيكية الجديدة والتعامل العاطفى الحار مع الألوان ، وهذا بالإضافة إلى عمق الإحساس والطلاقة والشاعرية والإغراق فى عشق الضوء وجمال ألوان الطبيعة .

وكانت هذه اللوحة هى إحدى روائعه ، ولهذا اقتناها متحف اللوفر ، لتذكر كل من يراها بسحر الشرق وجمال فنونه ذات البريق الأصيل الجذاب .

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازى ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد
ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١١٤ ـ رمضان ١٤٠٥هـ ـ يونيو / حزيران ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقى دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــذا العـــدد


د. محمد جابر الأنصاري
من هنا يبدأ الرد العربي
(ص ٦)


أكرم زعيتر
بدوى الجبل وإخاء أربعين سنة (ص ١٧)


الفريد فرج
تذكرة دخول إلى مسرح العصور الوسطى (ص ٣٦)


«الدوحة» في رحلة على خط الاستواء ومن جزر المالديف (بقلم: رءوف توفيق) ص ٨٤

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

• أبـواب •

● المـــــواد لا تعـــــاد إلى مرســـــليــــها نشـــــرت أو لم تـــــنشـــــر

كلمة


سلمان المالكي

فنـــان ...

سوف يلاحظ القارئ العزيز في هذا العدد من الدوحة لمسة فنية جديدة تختلف عن الأعداد السابقة ، والفضل في هذه اللمسة الجمالية يعود إلى الفنان القطرى الشاب سلمان المالكى ، فقد أصدر الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الإعلام قرارا بأن يتولى سلمان المالكى منصب « المدير الفنى » لمجلة الدوحة ابتداء من الشهر الماضى ، وكان لهذا القرار فرحة كبيرة وأثر طيب في هيئة تحرير المجلة ، فسلمان ليس غريبا عن الدوحة ولا طارئا عليها ، فهو يعمل بها منذ أن كان طالبا بكلية التربية الفنية في القاهرة خلال عطلاته الصيفية ، ثم تفرغ للعمل بعد أن نال بكالوريوس التربية والفنون منذ سنتين ، ورسوماته ولوحاته الحية الناجحة تملأ صفحات الدوحة ، فسلمان لم يصل إلى هذا المنصب الفنى الكبير إلا بعد خطوات متأنية ، وبعد أن أثبت جدارته وكفاءته وموهبته ، وأصبح واحدا من ألمع الفنانين الشبان في قطر وفي الوطن العربى كله ، فقد أقام معرضا فنيا ناجحا في الدوحة منذ شهور ، واشترك في عدد من المعارض العربية والدولية المهمة في : الكويت ولندن وباريس وطوكيو ونيودلهى وغيرها من العواصم العالمية ، وهو فنان متنوع الموهبة ، فإلى جانب لوحاته الممتازة الغنية بأفكارها وألوانها ، فإنه واحد من أنجح رسامى الكاريكاتير العرب ، ولوحاته الكاريكاتيرية الساخنة تطالعنا كل صباح على صفحات زميلتنا « الراية » فتدفعنا إلى الابتسام والتفكير معا وتمس في نفوسنا كثيرا مما نعانيه من هموم والآم في حياتنا العربية المعاصرة . بالإضافة إلى ذلك كله فإن سلمان المالكى فنان صاحب أخلاق رفيعة ، وصاحب سلوك إنسانى جميل ، فالابتسامة لاتفارق شفتيه ، و « سنته الذهبية » تعلن علينا كل صباح نداء التفاؤل والاقبال على الحياة ، وصوته خفيض لايرتفع حتى في لحظة الغضب ، ولذلك فقد بعث فينا سلمان داخل تحرير الدوحة روحا جديدة هي روح المحبة والمودة ومواجهة الصعوبات اليومية بصبر وتأن ومرونة وابتعاد عن العصبية ، والغرور والاعجاب المشين بالنفس ، وقد أصبح مكتب سلمان في مجلة الدوحة خلية نحل نلتقى فيها جميعا للعمل والأمل والتعاون والتعامل المتفاهم الكريم ، وبعد ذلك كله فإن سلمان لم يقدم في هذا العدد الجديد من الدوحة كل مالديه ولا أهم مالديه ، إنه من النوع الذى يريد للأشياء أن تنمو وتزدهر بهدوء ودون تسرع أو قفز أو ضجة أو إعلان ، ولذلك فالمستقبل أمامه لوحة كبيرة لم يبدأ فيها إلا بالخط الأول من خطوط هذه اللوحة .

ولاشك أن سلمان المالكى هو ثمرة ناضجة من ثمرات النهضة الثقافية في قطر وهى النهضة التى يرعاها أمير دولة قطر حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، وهى نهضة مباركة طيبة تزداد كل يوم قوة وإشراقا وطموحا وتطلعا واعيا إلى المستقبل .

« الدوحـــة »

من هنا يبدأ الرّد العربي

معركة فكر وثقافة بِقَدْر ماهى معركة أرض وكرامة

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

يكاد يكون قانوناً ثابتاً فى التاريخ العربى الحديث..بل هو قانون ثابت متكرر لا تخطئه العين .. هذا القانون باختصار : انه مع كل فترة انحسار وتقهقر للحركة العربية الاسلامية العامة ، الجماعية ، الشاملة الموحدة لهذه الأمة .. تنمو وتشرئب وتتكاثر حول مستنقع الانحسار والردة طفيليات ونباتات سامة ذات خواص معينة ، هى هى ذاتها فى كل فترة انحسار ، وفى كل حقبة انحطاط وفى كل خريف للردة .. وكأن مياه المستنقع الانحطاطى الآسنة تمدها وحدها بالحياة والغذاء فى كل زمان تغمر فيه الأرض العربية ، وتحل فيه محل الشلالات النقية الصحية لحركة التوحيد والتقدم .

فما ان تقع هذه الأمة ، فى أي بقعة من بقاعها ، تحت سيطرة عدو غاشم ، أو مستعمر استيطانى ، أو طغيان متخلف مستسلم ، أو حروب طائفية وتجزيئية (وهذه كلها ظاهرة واحدة لا تتجزأ) ..

ما إن تقع هذه الردة السياسية للحركة العربية الاسلامية ، حتى تنمو حول المستنقع ذاته ، وفى وقت واحد ، الطفيليات والنباتات الشيطانية التالية :

١ ــ الدعوة الى إحلال اللهجات العامية محل العربية الفصحى .

٢ ــ الدعوة إلى إلغاء الحرف العربى واستبداله بالحروف اللاتينية .

٣ ــ الدعوة الى إلغاء النحو العربى بحجة صعوبته واستبداله بمختلف أشكال وصيغ (التبسيط) الغامضة ..

٤ ــ انتشار الشعر العامي والنبطي والمنثور وانحسار الشعر العربي الحقيقى بمختلف أشكاله ومدارسه الحية .

٥ ــ غياب الفنون الأدبية الحقيقية الرفيعة من رواية ومسرحية ومقالة وأقصوصة والعودة إما الى الأشكال التقليدية الميتة أو الى المحاولات التجديدية الزائفة والفارغة من أى محتوى .

٦ ــ اختفاء ثقافة وفكر القضايا الحياتية والحضارية الكبرى وغلبة ثقافة وفكر الخلافات والمذاهب الفرعية والشكليات والصغائر التافهة ؛ مع التكالب على إلحاق الابناء بالمدارس الخاصة والأجنبية !

٧ ــ تصاعد الحديث فجأة عن الحضارات المحلية البائدة ، التى تخطاها التاريخ وتخطتها حياة الشعوب العربية وأحيلت منذ زمن طويل الى المتاحف وقاعات الآثار .. يتصاعد فجأة الحديث عنها فى صحف الانحطاط وأجهزته ومنابره ومعاهده وكأنها حضارات المستقبل .. وطوق النجاة .. والقصد طبعاً فى منتهى الوضوح : إحياء الميت من تلك الآثار المحلية البائدة فى محاولة لدفن الحضارة الحية الوحيدة القابلة للنهوض على هذه الأرض : الحضارة العربية الاسلامية .. والوجوه التى خلف هذه المحاولة وجوه معروفة أيضاً فى


رفاعة رافع الطهطاوى


الشيخ محمد عبده


محمد على

منتهى الوضوح : مستشرقون من صنف الموظفين فى دوائر الاستخبارات الأجنبية ، وأساتذة يهود بولاء عميق لاسرائيل .. وحفنة من الكتاب من الناطقين بالعربية ، ولكن بولاء عميق أيضاً لاسرائيل وللأوصياء الكبار عليها فى الغرب .

٨ ــ المبالغة فى احياء الفولكلور المحلي والمبالغة فى العادات والخصائص المحلية ، وغلبة الحديث عن شخصية محلية متميزة فى كل قطر عربى ، بل فى كل مدينة وناحية عربية ، والايهام بوجود كيانات تاريخية ثابتة لتلك المدن والقرى والأحياء والدساكر ! ! هذا مع زرع العداء والفرقة بين كل بلد عربي وآخر ، وكل طائفة وأخرى ، وكل ناحية وناحية ، والتشهير بالعروبة بمفهومها الحضارى الراقي .. وبعث قبلياتها وبداواتها لاخفاء وجهها الحقيقى .

٩ ــ تحويل الإسلام من مفهومه الحضارى العظيم ومن منطلقاته الالهية والروحية والتحريرية كما جاءت فى كتابه السماوي المنزل على رسوله الكريم ، وكما تبلورت فى سيرة الرسول الأعظم وصحابته وتابعيه فى صدر الاسلام ؛ تحويل هذه الثروة الروحية والحضارية كلها الى جدل وخلاف ، بين جماعات عديدة متناحرة ، أبعد ما تكون عن روح الجماعة الاسلامية الواحدة .

١٠ ــ انتشار روح البلادة واللامبالاة فى المجتمعات العربية والاهتمام الشديد بالناحية الاستهلاكية والمظهر الترفي الاستهلاكي ، والتهرب من حياة العمل والجد والانتاج ، وفقدان التقدير الجماعى لمن يضحون بأرواحهم وأرزاقهم وراحتهم فى سبيل المجموع . وعدم الاهتمام بالتحرك لرد أي ظلم أو إجحاف أو عدوان ؛ وسيادة النزعة الفردية الأنانية المطلقة القائلة .. ومن بعدي الطوفان !

هذه النباتات الطفيلية فى اللغة والأدب والثقافة والفكر والاجتماع والحياة العامة تكون فى كل فترة انحسار وتراجع ، بمثابة (الأبناء الشرعيين) لحركة الردة فى الحياة العربية الاسلامية .. الردة عن التوحيد والكيان الجماعي الكبير ، الردة عن التمسك بالحقوق ، الردة عن التمسك بالكرامة ، الردة عن الشوق الى التقدم الحقيقى ، الردة عن الحياد والاستقلال الفعلي بين الأمم .. والردة عن .. فلسطين ! !

وما أشبه الليلة بالبارحة ..

يوم نهضت مصر العربية فى عهد محمد علي الكبير ، كانت حركة الاستقلال القومى والتوحيد العربى الاسلامى والنهوض الحضارى أماً حانية لبعث اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم والعلم والتقدم والمشاعر المشتركة والقيم الواحدة على يد رجال النهضة من الطهطاوي الى محمد عبده .. وكان بعث الأدب الرفيع .. والتراث الحضارى الاسلامى .. والانفتاح المتزن الواثق على حضارات الأمم .. والبحث عن الروابط المشتركة والاهتمام بالقضايا الحيوية الكبرى .. والشعور بالكرامة ورفض المهانة .. كلها نبتة واحدة مباركة واسعة الانتشار ، رائعة الاخضرار ، على الأرض العربية من وادى النيل الى ديار الشام الى أقاصى المشرق .. الى تونس الخضراء .. وبعكس ذلك عندما ضربت القوى المعادية لهذه الأمة ضربتها الموجعة ، وأجهضت النهضة الأولى ، واستطاعت أن تضع قلعة العروبة ــ مصر ــ فى ظل الاحتلال ، المقنع أولاً ، والمباشر بعد ذلك ، إذا بكل تلك الزهور الجميلة تتساقط من الحياة المصرية والحياة العربية ، وإذا بالنبات الشيطاني الذى أشرنا الى خواصه وأنواعه وطعومه وألوانه السوداء وأشواكه السامة ، ينمو بشراسة حول مستنقع الاحتلال البريطاني فى مصر ، والاحتلال الفرنسى للجزائر وتونس ، ثم لسوريا ولبنان .

وفى ظل الاحتلال البريطاني لمصر ارتفعت أصوات ممثلي الغزو الثقافي أنفسهم ، بأرديتهم الرسمية ، وبلا أقنعة ..

فهذا السير وليم ويلككس يقف عام ١٨٩٣ فى نادى الأزبكية ويقول : إن العامل الأكبر فى ضعف قوة الاختراع لدى المصريين استخدامهم للغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة ، وانه لابد من اتخاذهم اللغة العامية أداة للتعبير الأدبي والعلمي ليصبحوا فى عداد الأمم المتقدمة ..

هذا الصوت المنكر متى ارتفع ؟

بعد ١١ عاماً من وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني فى عام ١٨٨٢ .. وكأن الاحتلال جاء لينمي قوة الاختراع لدى المصريين !

فهى إذن نبتة واحدة ..

الدعوة إلى العامية بمبادرة مندوب انجليزى هى الصوت الآخر لهدير البوارج الانجليزية المحتلة .. فى المياه المصرية .. ولا يمكن الفصل بين الجانبين ..

ولنتأمل فى عمق هذا الاختراق الثقافى الذى لم يقل عن الاختراق العسكرى السياسي : « وكان هذا الرجل (أي وليم ويلككس) من أشد أعداء اللغة الفصحى . وقد بذل غاية جهده لمحاربتها والقضاء عليها .. وقد ظل يكيد للعربية ، ويوحى الى أهلها بأنهم ليسوا عرباً ، وان لا صلة لهم ولا للغتهم بالعرب .. إذ زعم أن اللهجة التى يتكلمها المصريون تمت الى اللغة الفينيقية أو البونية كما سماها ، انحدرت إليهم منذ كان الهكسوس بمصر ، وأن لا صلة لها بالعربية ، وأخذ يتلمس لذلك براهين مضحكة فى كتابه (سوريا ومصر وشمال أفريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية) .

ومن ثم نشط ، ونشط غيره ممن يضمر نيته الى التأليف بالعامية ، فترجم قطعاً من بعض روايات شكسبير الى العامية المصرية .. فجاءت ترجمة

معركة فكر وثقافة
بقدر ما هي معركة أرض وكرامة

سخيفة ، وفقدت هذه الآثار الأدبية قيمتها وجمالها ، لأن العامية لم تسعفه بالتعبير الصحيح ، ولم تستطع أن تنهض بتلك المواقف الخالدة العنيفة ، بل جاءت عبارتها سوقية مبتذلة .. ثم ألف كتاباً علمياً باللغة العامية هو كتاب (الأكل والايمان) ليبرهن على أن اللغة العامية صالحة لأن تكون لغة العلم ، فخانته العامية ، ولجأ في كثير من تعابيره الى الفصحى .. ولكن كتبه هذه لم تأته بالثمرة المرجوة ، ولم يستجب المصريون لدعوته ودعوة غيره من المستعمرين .. » — (راجع كتاب في « الأدب الحديث » تأليف عمر الدسوقي ، ج٢ ، ط٦ ، ص٤٢ — ٤٤) .

إذن الفكرة القائلة إن العربية الفصحى هي المسئولة عن حجب العبقرية المصرية وهي السبب في غياب روح الاختراع لدى المصريين .. متى ظهرت وعلى لسان من ؟

ظهرت تحديداً في ذروة السطوة البريطانية على مصر ، عندما كانت سياسة الانجليزي « دانلوب » في التربية تجتث كل جذور النهضة الحضارية والتعليمية التي بدأت في عهد محمد علي ، وتتجه لتخريج الموظفين والكتبة الصغار للدوائر والدواوين الخاضعة للإدارة الاستعمارية .

وعلى لسان من ؟

على لسان مندوب انجليزي لم يخف أياً من نواياه وغاياته ، هو وليم ويلككس . لنتذكر هذا جيداً . ولنقارن بين الأشباه والنظائر ..

مع عودة الروح الى مصر والعرب في عهود النضال اختفت هذه الدعوة ، واستأنف المصريون وأشقاؤهم العرب نهضتهم وأدبهم وتعليمهم وحياتهم باللغة العربية الفصحى .. كما هي طبيعة الأشياء ومنطق التطور .

ولكن ما أن عاد عصر الردة الجديدة في هذه السنين واستعرت الخلافات بين العرب ، وتمت التراجعات عن التضامن العربي ومنطلقات الوحدة ، وضربت القوى المعادية وطليعتها اسرائيل ضربتها في عمق الوطن العربي .. كما حدث يوم وقع الوطن العربي تحت براثن الاحتلال في القرن التاسع عشر .. (وان اختلفت الأشكال والمسميات والمظاهر) .. نقول ما أن عاد عصر الانتكاسة والتراجع في هذه السنين ، حتى عادت معه وصاحبته بصورة ملحوظة تلك الدعوات المشبوهة التي تصور الكثيرون انها انتهت بانتهاء عصر الاستعمار القديم .

ففي عام ١٩٧٨ نجد أن دعوة وليم ويلككس تنبعث حية على لسان لويس عوض من جديد ، وإذا به يعيد سيرة اللغة اللاتينية واللهجات العامية الأوربية التي تفرعت الى لغات مستقلة منفصلة . وهو نموذج تمويهي يقصد به : لماذا لا تتحول اللهجات العامية العربية الى لغات مستقلة منفصلة وتعلن انفصالها عن الفصحى التي يود لويس عوض أن تلقى مصيراً يشبه مصير اللاتينية . (راجع عرضاً ونقداً جذرياً لهذه الدعوة في كتاب الأستاذ رجاء النقاش ، الانعزاليون في مصر ، ص ٥١ — ٩١) .

ولم يفت لويس عوض ، في أبحاث أخرى ، أن يكرر المعزوفة ذاتها التي وضعها وليم ويلككس وهي أن اللغة الفصحى هي المتهم الأول والأخير في قضية اغتيال العبقرية المصرية !

فاذن هذا الشبل من ذاك الأسد ..

وهذا النبات الشيطاني الذي نرى حصاده المر اليوم في الدعوة الى العامية وأخواتها من نبات عصر الردة ، هو النبات الشيطاني ذاته الذي ظهر ، مع فصيلته كلها ، في زمن الانحدار قبل مئة سنة(١) .

ونحن لو أخذنا الخصائص الأخرى من إحياء للحضارات البائدة ، أو إحياء للشعوبية ، أو إحياء للنزعات المحلية والاقليمية والطائفية الضيقة .. لوجدنا أن « الفصيلة » الشيطانية كلها قد نمت بشراسة في وقت واحد مجتمعة ، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الدعوات والاتجاهات والنزعات تمثل قانوناً ثابتاً متكرراً ، وخصائص مميزة لكل فترة من فترات الردة والانحطاط والتراجع في تاريخ العرب ، وأنها ، أي هذه الدعوات والنزعات ، هي التعبير الفكري والثقافي عن الهزيمة العربية في المعترك السياسي والحربي .

لذلك لم نستغرب عندما سمعنا من أديب عربي نثق به ، أن رئيساً عربياً سابقاً قد فكر ، ضمن خطه السياسي الذي سار عليه ، أن يستبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني ، زيادة في التقرب من الغرب ، واحياءً لاتجاه كمال أتاتورك الذي كان ذلك الرئيس شديد الاعجاب بما فعله في تركيا من فصل تام بينها وبين عالمها الاسلامي وجيرانها العرب تمهيداً لالحاقها بالغرب .

فليكن لدينا واضحاً وضوح الشمس ، أنه عندما نسمع صوتاً يدعونا للعامية أو للحرف اللاتيني ، أو للحضارات البائدة المفرقة لوحدة عروبتنا واسلامنا ، فان هذا الصوت — أياً كان وبأي زي تلبس — ما هو إلا مجرد صدى ثقافي لصوت مجنزرة اسرائيلية في أرضنا العربية بالجنوب اللبناني ، أو الضفة الفلسطينية أو الجولان السورية أو طابا المصرية ... تماماً مثلما كانت الدعوة للفرنسة في الجزائر الصدى الثقافي لصوت الآلة العسكرية الفرنسية المحتلة على التراب الجزائري ، ومثلما كانت الدعوة للعامية على لسان وليم ويلككس وأذنابه الصدى الثقافي للاحتلال العسكرى البريطاني في مصر .

إن هذه الدعوات والنزعات هي الاختراق الأعمق والأخطر في دخائل النفس العربية ومخزوناتها ، بعد الاختراق السياسي العسكري . والمعركة النهائية ستتقرر هنا . هل ستقبل التجزئة والتمزيق والانحدار من الداخل ، بنبذ الفصحى ، والتخلي عن وحدة التراث العربي الاسلامي وقيمه ، والانخداع بدعوات الفرعونية والفينيقية والقرطاجية ، وأشباهها ؟

واذا كان الانسان العربي يشعر بعودة الروح اليوم عندما يرى أبطالاً من أمته يستشهدون في الجنوب اللبناني ويحررون الأرض والكرامة والارادة باصرارهم على الموت المشرف ؛ فإن الانسان العربي ، في أي مكان كان ، وبامكاناته المتاحة يستطيع أن يكون بطلا أيضاً في موقعه ، لأن المعركة أصبحت معركة وجود على امتداد الأرض العربية كلها ، وأصبحت معركة تراث ولغة وفكر بقدر ما هي معركة أرض وكرامة .

وفي معركة التراث واللغة والثقافة والفكر لا يكفي أن يتقدم فدائيون قلائل ويبقى المجموع العربي في حالة تفرج ولا مبالاة ، أو حالة تألم بلا عمل .

هنا يستطيع كل انسان عربي أن يقوم بدوره وواجبه ، وأن يكون بطلاً أيضاً في هذه المعركة المعنوية الهائلة المتعلقة باللغة والثقافة والقيم .

فالانسان العربي عندما ينتصر للغته العربية الفصحى ضد دعوات العامية المشبوهة ، في كتابته وقراءته ومخاطباته ومواقفه ، فإنه يقوم بعمل من أعمال الصمود ، لأن المعركة اليوم هي معركة القضاء على اللغة العربية الواحدة الموحدة ..

والانسان العربي عندما يبقى متمسكاً بانتمائه العربي الاسلامي الواحد ، رافضاً النزعات الاقليمية التافهة ، رافضاً الشعوبية ، رافضاً التجزئة الجديدة والطائفية ، فإنه يمارس عملاً من أعمال البطولة ..

والانسان العربي عندما يرفض اللامبالاة السائدة ، والبلادة المنتشرة ، والنزعة الاستهلاكية المهلكة ، ويلتزم بالعمل المنتج المنظم النظيف ، ويعمق وعيه ليكون في مستوى المواجهة لأبعاد هذا التراجع الشامل كله .. فإنه في واقع الأمر يخطو الخطوة الأولى في طريق الرد على الهجمة الشرسة التي وصلت الى الأعماق .. الرد الذي ليس منه بد .

فيا أخي العربي .. اذا أردت أن تقول لا للهجمة الشرسة ضد وجودك .. فقل : لا للعامية ، لا للحرف اللاتيني ، لا للفرعونية والفينيقية ، لا للطائفية .

فمن هنا يبدأ الرد .

محمد جابر الأنصاري

هامش

(١) قارن مثلا بين شيوع الحديث عن الفرعونية والفينيقية في العهد الاستعماري وعودته في الحقبة الاسرائيلية .

العالم الثالث بين الحقائق والأوهام

بقلم: فؤاد كامل

« العالم الثالث » مصطلح شاع فى الستينات ليصف مجموعة البلدان المتخلفة من العالم . ولاشك أن للعالم الأول الذى يضم الدول الأوروبية الغربية والولايات المتحدة الأمريكية دخلاً كبيراً فى إطلاق تلك التسمية ، إذ يأتي بعدها في ترتيب بناء القوة العالمى دول الكتلة الشرقية . والسمة المشتركة بين دول العالم الأول والعالم الثاني أنها دول متقدمة صناعياً وتكنولوجيا ، على حين أن السمة المشتركة بين دول العالم الثالث هى أنها فقيرة ومتخلفة تكنولوجيا ، وإن كانت تمتلك ـ فى مجموعها ـ موارد ضخمة من المعادن والطاقة والثروة البشرية والحيوانية . ولكنها تفتقر الى التجانس الذى يميز كلا من العالمين : الأول والثاني .

بيد أننا نستطيع أن نصف « العالم الثالث » بأنه « العالم الأكبر » من حيث المساحة ، ومن حيث عدد السكان ، إذ يحتل من العالم ٦٠٪ من مساحته ، ويربو عدد سكانه على ٧٠٪ من سكان الكرة الأرضية ! فهو أكبر من العالمين الأول والثاني مجتمعين !

وهذه النسب المئوية الهائلة التى يتمتع بها العالم الثالث يقابلها اختلاف مريع فى توزيع الثروة بين هذا العالم والعالمين الآخرين . والفرق شاسع بين شمال الكرة الأرضية الذى تحتله دول العالم المتقدمة وبين جنوبها الذى تشغله دول العالم المتخلفة من حيث الدخل الفردى . ومن المعروف أن الجوع والحرمان والأمية والتبعية آفات تستشرى فى جسد العالم الثالث الذى أنهكه الاستعمار ردحاً طويلا من الزمان . وإلى هذا الاستعمار يرجع الشطر الأكبر من المشكلات التى يعانيها ذلك العالم ، كما ترجع إليه السياسة التى وضعها لاستمرار تلك المشكلات وبقائها لتنخر فى ذلك الجسد الذى تركه عليلا مستنزف الموارد ، ومنهك القوى . وحقيقة الأمر أن تخلف دول العالم الثالث لا ينفصل عن تقدم دول الأول الرأسمالية ، وبينهما علاقة تضايف ، كما يقول المناطقة .

ولا يغرنك ما تقدمه تلك الدول وغيرها من الدول الشرقية من مساعدات للعالم الثالث ، فهى مرتبطة أولا وأخيراً بمصالح تلك الدول المانحة ، سياسياً وتجارياً واقتصادياً ، وهى تهدف فى نهاية المطاف إلى المحافظة على ذلك البون الشاسع القائم بينها وبين الدول الفقيرة . وهذا تقرير أصدره البنك الدولى فى عام ١٩٧٢ يؤكد فيه « أن عبء الفقر فى العالم فى تزايد مستمر وليس فى تناقص » .

فإذا دخلنا إلى العالم الثالث نفسه ، بعد كل هذه المقارنات التى عقدناها بينه وبين العالمين الآخرين ـ وجدنا تفاوتا هائلا بين بلدان العالم الثالث بعضها والبعض الآخر . فثمة بلدان وطبقات اجتماعية تعيش فى تلك البلدان أبعد من أن توصف بالفقر ، بل إنها تتمتع فى حقيقة الأمر بثراء فاحش قد يفوق ثراء بعض الدول المتقدمة ، ومع هذا كله فإن هذه الدول التى تتمتع بالثراء الفاحش تحسب فى عداد دول العالم الثالث ، وهنا تكمن المفارقة ، أعنى فى تعريف الفقر الذى توصف به بعض دول العالم الثالث ، وإن تكن غنية من حيث دخل الفرد ، ومن حيث الدخل العام .

والفقر بعامة معناه غياب شيء ما .. الرجل الأصلع مثلا يفتقر رأسه إلى الشعر ، والأرض البور إلى الخصوبة .. وهلم جرا . والفقر بهذا المعنى يحدث تلقائياً فى الطبيعة . أما الثراء ـ بالمعنى الدولى ـ فلا يحدث تلقائياً فى الطبيعة ، وإنما يحتاج إلى تفسير ، وبخاصة أن معظم الأمم الغنية فى الوقت الحاضر ، كانت أمما فقيرة فى الماضى القريب . فالسؤال الذى ينبغي أن يطرح هو : ما هي الظروف والملابسات التى توافرت لتحدث تلك الأحوال السعيدة ، وذلك المستوى من الرفاهية والوفرة الذى يتمتع به شطر ضئيل من البشر فى الوقت الحاضر ؟ وإلى أى مدى يمكن أن نقوم بتحليل هذه التوليفة العجيبة من الظروف التاريخية والطبيعية ، أو إعادة تركيبها فى مجتمعات أخرى ، أو تطعيم تلك المجتمعات بشيء من هذه الظروف لكى تنهض من عثرتها ، وتتحرر من تبعيتها ؟

المشجب العتيق

ثمة مشجب شائع تعلق عليه بلدان العالم الثالث معظم مشاكلها ، ألا وهو زيادة عدد السكان . وكان « مالتوس » المفكر الانجليزى هو أول من استخدم نظرية إرجاع فقر الأمم إلى زيادة السكان التى تتم على أساس متتالية هندسية ، على حين تتم زيادة المواد الغذائية على أساس متتالية حسابية (والفرق فى الزيادة بين المتتاليتين شديد الضخامة) ، ومن ثم ، فقد تنبأ بحدوث مجاعة هائلة فى المستقبل ، تجتاح العالم إذا لم يضع حداً لهذا النمو السكانى المخيف من جهة ، ولم يعمل على تنمية موارده الغذائية من جهة أخرى .

ولكى تكون لدى القارىء فكرة مجسدة عن

العالم الثالث بين الحقائق والأوهام

مدى ازدحام السكان على الأرض في واقع الأمر ، فليتصور أن أهل الأرض جميعاً أسكنوا في ولاية واحدة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولتكن ولاية تكساس مثلا ، وتبلغ مساحتها ٦٧٨,٦٢٣ كيلومتراً مربعاً ، على حين أن تعداد السكان في العالم هو ٤٤١٤ مليون نسمة . في هذه الحالة سوف يكون نصيب الفرد الواحد من الأرض حوالى ١٥٧ متراً مربعاً تقريباً ، ونصيب الأسرة المؤلفة من أربعة أفراد ٦٢٨ متراً مربعاً . وهذا معناه أن كل فرد في العالم سيتمكن من السكن مع عائلته في منزل رحب تحيط به حديقة واسعة ، في ولاية تكساس وحدها ! !

الشعور بالازدحام يأتي إذن من تكدس الناس في المدن حيثما كانت ، على حين أن معظم بلدان العالم ــ وبخاصة بلدان العالم الثالث ــ تضم مساحات واسعة من الأراضى تكاد تكون خالية من السكان . فالمشكلة ليست في جوهرها مشكلة ازدياد عدد السكان في البلدان الفقيرة ، بقدر ما هى مشكلة سوء توزيع هؤلاء السكان على الأراضى المتاحة . ولا علاقة حتمية في واقع الأمر بين الفقر وبين الكثافة السكانية . فثمة بلدان « مرتفعة » الدخل ، و « متوسطة » الدخل ، و « منخفضة » الدخل ، تدخل في عداد البلدان ذات الكثافة السكانية المرتفعة . الحبشة ــ مثلا ــ ذات كثافة سكانية تعادل كثافة الولايات المتحدة الأمريكية ، بيد أن متوسط دخل الفرد السنوى فيها لا يكاد يزيد عن مائة دولار . وسنغافورة تعانى من كثافة سكانية هائلة (٣٩٠٠ نسمة للكيلو متر المربع) ، غير أن دخل الفرد فيها يزيد ثلاثين ضعفاً عن دخل الفرد في اثيوبيا . ويتمتع الفرد في اليابان بدخل يزيد على دخل الفرد في كثير من البلدان الأوروبية ، وإن تكن الكثافة السكانية في اليابان أعلى منها في الهند .

الصحارى المخصبة

وهنا يمكن أن تساق الحجة القائلة بأن المعول على الأراضي الصالحة للزراعة ، وأن الصحارى والجبال والأراضى البور لا يمكن أن تدخل في الحسبان . وهذه الحجة وإن بدت مقنعة لأول وهلة ، إلا أنها تتعرض للشك عندما نتذكر أن صحارى الكويت والمملكة العربية السعودية ــ على سبيل المثال ــ تضم آبار النفط التى جعلتهما من أغنى دول العالم . وحتى إذا استخدم المرء الأراضى الصالحة للزراعة معياراً للحكم ، فلن يغير ذلك من النتيجة شيئاً ، إذ تملك الهند من تلك الأراضى أكثر مما تمتلكه اليابان من الأراضى بوجه عام ، وبالمثل تمتلك إثيوبيا منها أضعاف ما تمتلكه بريطانيا .. ولا سبيل إلى المقارنة من حيث مستوى المعيشة بين الهند وأثيوبيا من جهة ، وبين اليابان وبريطانيا من جهة أخرى .

ولا يحفظ لنا التاريخ أمثلة على ارتفاع معدل النمو السكانى الذى أدى إلى نتائج اقتصادية خطيرة ، على خلاف ما تذهب إليه الآراء النظرية . ولعل أبرز مثال على ذلك ما حدث في العالم الغربى . فمنذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الآن ، تضاعف عدد السكان إلى أربعة أضعاف ، على حين أن الدخل الحقيقى للفرد ازداد إلى خمسة أضعافه ، وقد حدث هذا الارتفاع في مستوى المعيشة في وقت كان عدد السكان ينمو في العالم الغربى بمعدل يفوق في سرعته المعدل الذى ينمو به سكان العالم الثالث في الوقت الحاضر .

وتشكل الموارد الطبيعية ذريعة أخرى تلجأ إليها معظم حكومات العالم الثالث لتبرير تخلف شعوبها . والواقع أن هذا التبرير قد يكون مضللا وخادعاً في كثير من الأحيان . وذلك أن التعريف الحقيقى للمورد الطبيعى هو أنه شيء موجود في الطبيعة « نعرف كيف نستخدمه » لتحقيق أغراضنا . في هذا التعريف لا تنفصل « المعرفة » عن مفهوم المورد الطبيعى ، بحيث تؤلف مع الشيء الطبيعى نفسه كلا متكاملا . وحصر الموارد الطبيعية منذ قرنين لم يكن يتضمن اليورانيوم أو توليد الطاقة الكهربائية من مساقط المياه ، لأنهما لم يكونا معروفين أو صالحين للاستخدام في ذلك الزمان . فإذا وقر في أذهاننا هذا المفهوم للموارد الطبيعية ، لم نستطع أن نقول : إن هذه الموارد تنضب أو تتناقص بمرور الأعوام ، إذ تتجدد المعرفة دائماً ، وبتجددها يتحقق لنا الكشف عن موارد جديدة ، أو يتهيأ لنا أن نحسن استخدام الموارد الموجودة فعلا ، وقد يحدث أحياناً أن تصبح بعض الموارد « عتيقة » حتى قبل أن تستنفد تماما ، أو قبل أن ينضب معينها ، وذلك نتيجة للكشف عن بدائل أفضل .

فالتفاوت في الثروة بين الأمم لا يمت كثيراً بصلة إلى اختلاف في الموارد الطبيعية . اليابان ــ مثلا ــ لا تملك شيئاً من النفط ، كما أنها تستورد معظم الموارد الطبيعية من الخارج لانتاج صناعاتها الضخمة ، ومع ذلك فإن دخل الفرد فيها يفوق دخل الفرد في المكسيك التى تملك معادن وفيرة ، وتربة خصيبة ، ومقادير غزيرة من البترول ، وأنهاراً كافية لتوليد طاقة كهربية هائلة . فالتفاوت في الثروة بين الأمم يرجع في معظمه إلى حسن أو سوء « استغلال » الموارد الطبيعية لا إلى وجود هذه الموارد نفسها . وقد كانت الأرجنتين ــ التى تعد من أكبر الدول المصدرة للقمح في العالم ــ دولة مستوردة للقمح طيلة أجيال متعاقبة ، حتى هاجر إليها أناس من نوعية مختلفة ، ومن ثقافات مختلفة ، وذوى قيم ومهارات مختلفة ، فاستحالت إلى دولة من أكبر الدول المصدرة للقمح في العالم بأسره .

تصنيع الجوع

« وأنت تقرأ هذه الكلمات ، يموت ثلاثة أطفال جوعاً ، ويولد أربعة وعشرون طفلا آخرون » .. هذه العبارة نشرت على غلاف كتاب ذاع صيته تحت عنوان : « القنبلة السكانية » . فهل هناك علاقة حقيقية بين هلاك الأطفال جوعاً ، وبين ولادتهم بهذه الكثرة ؟ الواقع أن المجاعات تحدث في العالم « على الرغم » من وجود فائض غذائى فيه ، بل قد تحدث المجاعة في بلد يكون فيه هذا الفائض . وحقيقة الأمر أيضاً ــ كما تثبت ذلك الاحصاءات المتاحة ــ أن المواد الغذائية تزداد في العالم بأسرع مما يزداد عدد السكان . ومقدار الطعام الذى يخص الفرد الواحد ارتفع اليوم بعامة ، عما كان عليه منذ قرن مضى . وما تعانيه بعض مناطق العالم من مجاعات يأتي في معظمه من النظم السياسية أكثر مما يأتي من حجم السكان . وكثير من دول العالم الثالث تمنع استخدام المحاريث والأجهزة الآلية الزراعية (الميكنة) بحجة أنها تقلل من فرص العمل .

وجرياً على سياسة النعام في دفن الرءوس في الرمال ، يلقي كثير من مفكرى العالم الثالث مسئولية التخلف على كاهل الاستعمار الجديد ، بعد أن تخلصت معظم دول هذا العالم من الاستعمار القديم . ويتناسى هؤلاء المفكرون الظروف التى تحياها هذه الدول ، والتى هيأت للاستعمار الجديد أن يوطد أركانه فيها ، وأن يفرض سيطرته عليها . فمن ضعفها يستمد قوته ، ومن هوانها يكتسب عزته . صحيح أن الدول الكبرى تسعى إلى الابقاء على حالة التخلف والتبعية التى كانت عليها دول العالم الثالث ما وجدت في ذلك مصلحة لها ، ولكن من الصحيح أيضاً أن هذه الدول كانت متأخرة داخلياً ، ومتخلفة بعوامل باطنية ، قبل أن يفكر الاستعمار الجديد ، والامبريالية الحديثة في الابقاء على هذا التأخر والتخلف . وليس معنى هذا أن دول العالم الثالث قد كتب عليها أن تعانى الفقر والتبعية إلى الأبد ، وأنها كلما نفضت عن كاهلها نير استعمار قديم ، رسفت في أغلال استعمار جديد . وهكذا دواليك .. كلا ، إن هذه الدول تستطيع أن تخرج من هذه الحلقة المفرغة ، وأن تحطم ما يفرض عليها من ضعف وتخلف ، بأن تنظر إلى الأمور نظرة واقعية ، وبأن تضع لمشكلاتها حلولا مبتكرة تتناسب مع ظروفها وبيئتها . فقد نجد في كثير من الأحيان أن بعض دول العالم الثالث تعانى من أبنائها أنفسهم مالا تعانيه من الغرباء الأجانب . وكثير من دول العالم الثالث التى نالت استقلالها بشق الأنفس ، والتى انتزعت حريتها بعد عناء شديد من براثن الاستعمار ، عادت

فبددت هذا الاستقلال ، وأضاعت تلك الحرية ، لا لشيء إلا لأنها لم تحسن استغلال مواردها ، ولم تحقق كل إمكاناتها ، وضل سعيها وهي تحسب أنها تحسن صنعاً . وكانت النتيجة أنها انتكست على أيدى حكامها المتطلعين إلى تحقيق الأمجاد الشخصية انتكاسات يصعب الخروج منها ، والتقدم بعدها .

حماقات اقتصادية

ويقودنا هذا الخاطر إلى الحديث عن آفة مشتركة تعانى منها معظم بلدان العالم الثالث ، ألا وهى إنشاء المشاريع الضخمة التى تبهر السمع والبصر ، ولكنها لا تتمخض فى واقع الأمر عن نتائج اقتصادية مفيدة تعادل ما أنفق فيها من أموال ، وما بذل فيها من جهد . وقد تبدو هذه المشروعات فى بداية الأمر على أنها ضرورة قومية تحتمها أوضاع التحرر والاستقلال الجديدة ، وأنها وسيلة لتأسيس حياة صناعية حديثة ومتقدمة لا غنى عنها ، ولكنها تؤدى فى نهاية الأمر إلى خسائر مادية فادحة . هذا فضلا عن مظاهر الاسراف والترف التى تكبد ميزانيات تلك الدول نفقات باهظة هى فى أمس الحاجة إليها لتحسين مرافقها وإصلاح بنيتها الأساسية .. ولا نشير إلى المغامرات العسكرية التى تتورط فيها تلك الدول ، فهى ليست فى حاجة إلى فضل بيان .

• • •

ومن آفات العالم الثالث أن كثيراً من حكامه وحكوماته يدفعون أبناء الشعوب التى يحكمونها ، وبالذات أولئك الذين يرجى منهم إصلاح الأوضاع فى الداخل ، أو ما يطلق عليه اسم « رأس المال البشرى » ــ يدفعون أولئك الأشخاص الذين يملكون تلك القدرة ــ على الهجرة ، وبذلك يهدرون مورداً هاماً من موارد بلادهم ، كان يمكن أن يساعد فى تنمية تلك البلاد ، وفى تحسين أحوالها . ولا يعد هذا عملا لا أخلاقياً ولا إنسانياً فحسب ، وإنما هو حماقة اقتصادية فى المقام الأول ، حماقة لا سبيل إلى تبريرها إلا من وجهة النظر السياسية لهؤلاء الحكام الذين يبغون التربع على دست الحكم أطول مدة ممكنة .

• • •

وتتفرع عن هذه الآفة آفة أخرى لا تقل خطراً ، ألا وهى تفشى البيروقراطية فى بلدان العالم الثالث . وترجع هذه الآفة إلى نظامين : نظام الحكم ونظام التعليم ، إذ يسعى الحكام إلى توطيد مراكزهم وتشديد قبضتهم على الشعوب المحكومة بفرض نظم إدارية تكفل لهم التغلغل والتوصل والسيطرة على مقدرات الحياة الفردية ، وتشكيل المواطنين وفقاً لقوالب وأنماط سهلة التوجيه ، قابلة للخضوع والإذعان . وتتوسل نظم الحكم للوصول إلى هذه الغايات بما تضعه من نظم تعليمية وتربوية .

وتكون النتيجة الحتمية لهذا كله أن تصبح هذه « البيروقراطيات » نفسها عوائق كئودا فى سبيل التنمية بما تفرضه من قيود ، وتتخذه من إجراءات . وبدلا من أن تسهم فى التقدم الاقتصادى والثقافى لتلك البلدان ، تؤدى إلى تخلفها عن الركب الحضارى ، وتمنعها عن المشاركة فى حركة التقدم العالمى .

وعندما لا تستطيع « البيروقراطية » استيعاب الأعداد الضخمة من الشبان الذين تفرزهم الجامعات والمعاهد عاماً بعد عام ، والتوسع فى بسط نفوذها على كافة مناحي الحياة ، فإنها لا تجد أمامها بديلا عن هذا إلا بأن تجعل فئة كبيرة من هؤلاء الخريجين الذين يفتقرون إلى كل مهارة اقتصادية ذات معنى ــ فئة عاطلة ، ساخطة ، خطرة مدمرة من الناحية السياسية .

معونات لغير أغراضها

وتتمثل تبعية العالم الثالث فى « المعونة الخارجية » التى تتلقاها من الدول الكبرى . وهى معونة تلجأ إليها حكومات العالم الثالث بحجة مساعدتها على تنفيذ خطط التنمية . أما إن كانت هذه « المعونة » تساعد حقاً فى التنمية أو تعوقها ، فأمر متروك للاستقراء فى كل حالة على حدة . ذلك أن هذه المعونة كثيراً ما تستخدم فى غير الأغراض التى طلبت من أجلها .. ومن هنا يمكن أن تكون عاملا معوقاً للتنمية لا مساعداً لها . وإليك بعض الأغراض التي تستخدم فيها هذه المعونة : (١) الحصول على الأسلحة التى تلجأ إليها حكومات العالم الثالث لقمع أعدائها ونقادها السياسيين ، وضرب الحركات الناهضة لها فى الداخل ، (٢) اضطهاد الأقليات العنصرية والعرقية ، وبخاصة الأقليات التى تعد أكثر إنتاجاً ونشاطا من الناحية الاقتصادية ، (٣) تغطية العجز فى الميزانية ، ذلك العجز الناجم عن القصور وعدم الكفاءة واللامسئولية التى تعانيها البلدان المتلقية للمعونة ، وبذلك تتيح لحكومات تلك الدول البقاء أطول مدة ممكنة فى السلطة بحمايتها من عواقب أفعالها المرتجلة غير المدروسة . وأياً كانت صنوف الفشل التى تصيب الدول الممنوحة فى تنفيذ أغراضها ، فإن الدول المانحة تظل غير مسئولة عن النتائج ، وتظل بمنأى عن كل ضرر . ولا يصيب الضرر والشر إلا شعوب العالم الثالث التى تعانى من الكوارث والمصائب .

● العالم الثالث يمثل ٦٠٪ من مساحة الأرض و٧٠٪ من سكان العالم

● ولاية تكساس وحدها يمكن أن تتسع لكل سكان المعمورة .. فلماذا يُقال إن الأرض قد ضاقت بمن فيها؟

المخرج الصعب

والاختيار الذى تواجهه شعوب العالم الثالث اختيار صعب بحق .. فهى إما أن ترضى بالتبعية والانسياق وراء نموذج من النماذج التى تفرضها الدول العظمى ، وفى هذا فقدان لشخصيتها ، وانطماس لهويتها ، وسقوط فى هاوية لا منجاة منها ، أو أن تبحث فى صدق عن هويتها ، وتلتمس طريقها الخاص . وتهتدى إلى الحلول الخلاقة التى تمكنها من الخروج من أزمتها الحالية .. فإن لم تستطع ، فيكفيها فخراً أنها حاولت وأقدمت وسعت ما وسعتها القدرة ، وأسعفتها الموارد والإمكانات ، وسط نظام عالمى شديد التعقيد ، مسرف فى الأنانية ، مغرض فى نواياه ، حريص كل الحرص على أن يزداد العالم الثالث تخلفاً وانحلالا ، وأن تشتد تبعيته وعبوديته والأغلال الملتفة حول عنقه ، بعد تجريده من كل أسلحته ، وإجهاض كل قواه ، واهدار طاقاته جميعاً .

والاختيار الأخير يتطلب عدة تحديدات :

١ ــ تحديد الهوية القومية ، وهذا يستلزم تحديد موقف كل بلد من بلدان العالم الثالث من تراثه ، ومن الفكر العالمى المتقدم ، ومن احتياجات الأغلبية فيه .

٢ ــ تحديد القوى الحقيقية التى ينبغى أن تتحمل عبء التنمية ، والتى ينبغى أن تشارك دون استثناء فى صنع المستقبل ، وتحديد أغراض التنمية ذاتها وطبيعتها .

٣ ــ تحديد طبيعة العلاقة بالنظام العالمى ، ومحاولة خلق توازن فى هذه العلاقة فلا جنوح إلى الانغلاق المفرط أو الانفتاح العشوائى ، والأمثلة على مثل هذا التوازن واضحة فى موقف اليابان الناجح ، وكذلك فى علاقة الصين بذلك النظام .

٤ ــ تحديد دور الفرد العادى فى الدولة ، والاهتمام ببناء الانسان بناء قويماً سوياً ، بحيث لا يشعر بالقهر والغربة ، وإنما يشارك بحرية فى تنمية ذاته ووطنه على السواء .

٥ ــ تحديد دور الصفوة فى تشييد المجتمعات الجديدة . فعلى كاهل الصفوة يقع عبء القيادة والقدوة ، وهو عبء ليس هيناً أو يسيراً .

فؤاد كامل

لماذا خفت صوت الإيمان في هذا العصر؟

حاجتنا إلى..

تجديد الإيمان

بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

يعتقد كثير من الغيورين من أهل العلم والفكر، ان الذى ينقصنا لكى نسعد ونرقى أفراداً وجماعات، انما هو التقدم العلمى والتكنولوجى، الذى يساعد مجتمعاتنا على أن تنمو وتتطور، وتلحق بركب العالم المتحضر، الذى حطم الذرة، وغزا الفضاء، وصنع (الكومبيوتر) وأصبح على أبواب ثورة بيولوجية لا ندرى ماذا تصنع بالانسان.

ومن حسن حظنا نحن المسلمين أن ديننا لا يضيق بالدعوة إلى العلم والتقدم، كما قد يتوهم الذين لا يعرفون الاسلام، ويريدون أن يجروا عليه ما جرى على الأديان الأخرى.

ونحن نعتبر التقدم العلمي وما يثمره في الحياة من استخدامات تكنولوجية نافعة ـ تيسر على الانسان حياته ، وتوفر عليه جهده البدني والعقلي ـ عبادة بالنسبة للفرد المسلم ، يتقرب بمعرفتها واتقانها الى ربه ، كما يتقرب بالصلاة والصيام ، وهي ـ بالنسبة للمجتمع ـ فريضة كفائية ـ يأثم المجتمع كله إذا لم يقم من أبنائه عدد كاف يسد كل الثغرات ، ويلبي كل الحاجات ، التي يتطلبها المجتمع في كل مجالاته المدنية والعسكرية .

ولكن الذي نؤكده هنا هو حاجة مجتمعاتنا ـ وكل المجتمعات البشرية ـ الى العلم والايمان جميعاً ، فالانسان جسم وروح ، وعقل وقلب ، ولابد من رعايته كله ، وامداده بما يغذي كل جوانبه وطاقاته ، مما ينبت من الأرض ، ومما ينزل من السماء .

وهذا هو التوازن أو التكامل الذي تميز به الاسلام .

فمن مظاهر التكامل في نظام الاسلام أن التقى به العلم والايمان جنباً الى جنب ولم يقم في مجتمعه ما قام في المجتمعات الأخرى من نزاع بين العلم والدين ، راح ضحيته الألوف من أهل العلم والفكر ، ومن رأى رأيهم أو سار على دربهم .. وتاريخ أوربا في العصور الوسطى حافل بالمجازر البشرية الرهيبة التي سيق إليها العلماء والدارسون في ظل محاكم التفتيش وغيرها .

وقد حكى الشيخ محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية » جملا من هذه الوقائع تقشعر لمجرد ذكرها الجلود ، وتستنكرها في عصرنا أدنى العقول .

إن الشيء الذي تميز به الاسلام عن غيره هو احترامه للعقل ، ودعوته إلى النظر والتفكير ، وحثه على العلم والتعلم واشادته بالعلماء وأصحاب العقول ، وحملته على الجمود والجهل ، وتمجيده للقراءة والكتابة والقلم ، منذ أول آيات أنزلت من القرآن .

لم يقل في الاسلام ما قيل في أديان سابقة من مثل : « اعتقد وأنت أعمى » أو « اغمض عينيك ثم اتبعني » أو « الجهالة أم التقوى » !! بل قرر من يعتد بهم من علماء المسلمين : « ان ايمان المقلد لا يقبل » . ولا عجب ان طالب القرآن المشركين وأمثالهم من أصحاب العقائد الباطلة بقوله : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (سورة البقرة : ١١١) .

وقال في شأنهم : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » (سورة يونس : ٣٦) .

لقد شاع في تاريخ الكنيسة الغربية طوال العصور الوسطى عندهم : أن العقل ضد الوحي ، وأن العلم عدو الدين ، وأن الفكر خصم الايمان ، وأن الشريعة نقيض الحكمة . اما الاسلام فلم يعرف هذه المشكلة ، فالعقل والوحي عنده أثران من آثار الألوهية ، لا يتعارضان ولا يتناقضان ، ولهذا نرى الوحي يمجد العقل ، ويحث على الانتفاع به ، ونرى العقل هو الدليل على صدق الوحي ، وهو الأداة لفهمه وشرحه .

ومن هنا قرر المحققون من أئمة الاسلام : أنه لا تعارض أبداً بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، وما ظنه بعض الناس من تعارض ، فلابد أنه نتيجة خطأ في فهم ما هو من العقل أو ما هو من الدين .

ولقد مضت أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم ، نشأ فيها كثير من المعارف والأفكار ، ورغم هذا لم تخالف آية من آياته حقيقة ثابتة ، وهذا من دلائل الاعجاز في هذا الكتاب العظيم .

ومع أن القرآن ليس كتاب « علم » بالمعنى الاصطلاحي للعلم الآن ، فقد تضمن اشارات كثيرة الى حقائق علمية ، لم تكن تخطر على بال أحد في عصر نزوله ولا بعد عصره بقرون ، وألفت في ذلك كتب كثيرة كشفت عن لون جديد من اعجاز القرآن ، يمكن تسميته « الاعجاز العلمي » .

وأكثر من ذلك ان القرآن ينشيء بتعاليمه « العقلية العلمية » التي تنكر الخرافة ، وترفض اتباع الظنون والأهواء ، وتستعصي على التبعية والتقليد ، وتؤمن بالبرهان في العقليات ، وتعتمد على الملاحظة والتجربة في الماديات ، وتعتقد أن العقل نعمة منحها الانسان ، لينظر بها ، ويفكر في الانتفاع بالكون وما فيه والاستفادة من سير التاريخ ، وما يجرى فيه من سنن الله لا تتبدل . ففيه آيات (لقوم يعقلون) و (لقوم يتفكرون) و (لقوم يعلمون) و (لأولى الألباب) و (أولى النهى) .

ويشيد القرآن بالعلماء في آيات كثيرة من سوره : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . ويجعلهم وحدهم أهلا لخشية الله تعالى ومخافته : « انما يخشى اللهَ من عباده العلماء » . وقد ذكر القرآن العلماء هنا بعد ذكر السماء والماء والنبات والجبال والحيوان والانسان ، مما يشير الى ان العلماء هنا هم الراسخون في العلوم الكونية والحيوية وما يتعلق بها ، فان علمهم هذا يعرفهم بقدر الله عز وجل ، وعظيم نعمته ، وواسع رحمته .

وذكر القرآن من قصص النبيين والصالحين ما يلفت الأنظار ـ بقوة ـ الى قيمة العلم ومنزلته ، في اعانة الانسان على وظيفته في خلافة الله في الأرض واستخدامه في كثير من الأمور النافعة . كما في قصة آدم وتفوقه على الملائكة بالعلم ، وقصة يوسف ، وتدبيره أمر مصر في المجاعة بالعلم ، وقصة سليمان واحضاره عرش بلقيس بالعلم ، وغيرها من قصص النبيين والمؤمنين .

العلم لا يغني بغير الايمان

ومع هذا فليس العقل كل شيء في الانسان ، ولا العلم كل شيء في الحياة .

إن العقل له ميدانه الذي لا يتجاوزه ، والعلم له مجاله الذي لا يتعداه ، وبعد ذلك يقف العقل والعلم حائرين . فسر الوجود ، وغاية الحياة ، ومبدأ الكون ومصيره ، وقضية الموت والحياة ، وما يتصل بذلك من قضايا الوجود الكبرى ، لا يستطيع العقل أن يدركها وحده ، ولا يستطيع العلم أن يمد إليها سلطانه ، لأن سلطانه فيما يخضع للملاحظة والتجربة ، أي في الماديات والمحسوسات .

فكان لابد من معرفة أخرى تنبع من مصدر آخر ، لتحديد مركز الانسان وغايته ، ومهمته في هذه الأرض ، وعلاقته بالكون والحياة ، وخالق الكون والحياة ، وليس هذا المصدر إلا الوحي الالهي . ولا سبيل الى التلقي عنه إلا بالايمان . وقد حاول بعض مفكرى البشر في مختلف العصور أن يصلوا الى الحقائق الكبرى بعقولهم ، وأن يحلوا مشكلات الوجود بأفكارهم فلم يستطيعوا ، وخرجوا بنتائج متناقضة ، لا يطمئن بها قلب ، ولا تستقيم بها حياة . ان الايمان وحده هو الطريق المأمون .

إن الايمان هو الذي يفسر قضايا الوجود الكبرى ، ويصل الانسان بالوجود الكبير وبالأزل والأبد ، ويجعل لحياته طعماً وهدفاً ورسالة .

وهو ـ مع ذلك ـ الذي يعصم العلم من الانحراف ، ويحول دون استخدامه في الشر والعدوان ـ ولهذا رأينا سليمان حين احضر إليه عرش بلقيس بواسطة (الذى عنده علم في الكتاب) يرجع الفضل الى الله ولا يطغى أو يغتر ، بل قال ما قصه القرآن :

« فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربى ليبلوني أأشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم » .

وفي قصة ذى القرنين بعد أن أتم بناء السد ،

يقول فى تواضع المؤمنين : « هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكا ، وكان وعد ربى حقاً » .

ورأينا العلم الذى قام بتوجيه الإيمان فى ظل الحضارة الإسلامية يبنى ويعمر ، ويعمل لخدمة الانسان ، وتزكية الانسان ، واسعاد الانسان .

ورأينا حين قام العلم فى الغرب ـ لظروفه التاريخية مع الكنيسة ـ بعيداً عن هدى الله ، مقطوعاً عن الايمان بالله ، كانت نتيجته الأسلحة الكيماوية والجرثومية وآلات الفتك والدمار ، التى جعلت البشرية تبيت على أحلام مزعجة ، وتصحو على مخاوف مفزعة ، لقد أعطاها العلم الوسائل ، ولكنه لم يعطها الغايات ، وحقق لها المتعة المادية ، ولكن لم يحقق لها السكينة النفسية . انتصرت به على الطبيعة ، ولكن لم تنتصر به على نفسها وشهواتها .

ومن هنا كان لابد من ايمان العلماء ، وعلم المؤمنين . وهذا ما تقوم عليه الحياة الاسلامية المتكاملة .

ولهذا جمعت أول آية نزلت من القرآن بين العلم والايمان . وهى قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » فالقراءة ـ وهى مفتاح العلم ـ انما يريدها الاسلام قراءة باسم الله الخالق وإذا كان مفتاح الاسلام هو العلم والفهم ، فإن جوهر الاسلام هو الايمان ، وجوهر الإيمان هو التوحيد . بل هو جوهر الرسالات السماوية كلها . ولهذا كان النداء الأول فى كل رسالة : « يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » .

مكانة الإيمان من حياة الانسان

إن حقيقة الدين ومهمة الإيمان تتجلى :

أولا : فى وصل ما بين الإنسان وربه ، وإشعاره بقربه وحبه ، وملء ما بين جنبيه ثقة به ، واعتماداً عليه ، واطمئناناً إليه ، وأنساً به ، ويقيناً بكل ما جاء من عنده .

وتتمثل ثانياً : فى الارتفاع بقيمة الإنسان من مجرد « حيوان متطور » كما تصوره أو صوره بعض الناس ، إلى كائن مكرم مكلف مسئول ، مخلوق فى صورة الخالق ، مخلوق فى أحسن تقويم ، مستخلف فى الأرض ، مغبوط من الملأ الأعلى ، فلا غرو أن يعمل الدين على إعلاء « نفخة الروح الإلهى » فى كيانه على « قبضة الطين والحمأ المسنون » فيه . وبذلك لا يعيش الإنسان مشدوداً إلى أسفل .. إلى المتاع الأدنى ، بل يحيا دائماً مشرئباً متطلعاً إلى الأفق الأعلى .

وتتمثل ثالثاً : فى توسيع صلته بالكون العريض من حوله ، فهو ليس كائناً طفيلياً فى هذا الوجود الكبير ، ولا هو ـ أي الكون ـ بالعدو الذى يصارعه ، أو المجهول الذى يطارده ، بل هذا الكون كله مسخر لمنفعته ، وهو كذلك آية تدله على ربه . كما أن الناس ـ كل الناس فيه ـ اخوة له ، يشاركونه فى العبودية لله ، والبنوة لآدم .

وتتمثل رابعاً : فى مد عمر هذا الوجود إلى ما بعد هذه الحياة القصيرة الأمد ، أى الى حياة الخلود والأبد ، فليست قصة البشرية مجرد « أرحام تدفع ، وأرض تبلع » أو كما قال قوم « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين » بل الأمر كما قال عمر بن عبد العزيز : « إنكم خلقتم للأبد ، وإنما تنقلون بالموت من دار إلى دار ! » وهذه المعانى كلها ، إنما ينشئها ويحييها الإيمان : الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، وهما ركنان أساسيان فى كل دين .

خفوت صوت الإيمان فى عصرنا

ولا يخفى أن جمرة الإيمان فى هذا العصر ، قد فقدت كثيرا من توهجها واشتعالها فى القلوب ، وأن صوت الإيمان قد خفت فى حنايا الضمائر ، ولم يعد له من السلطان والتأثير ما كان من قبل ..

ويرجع ذلك إلى جملة أسباب ، منها :

• ـ غلبة التفكير المادي والحياة المادية على جمهور الناس ، فى أنحاء العالم ، نتيجة لسيطرة الحضارة الغربية . وانتقل ذلك بالعدوى والاختلاط وأجهزة التأثير المختلفة ، من الغرب إلى الشرق ، ومن غير المسلمين إلى المسلمين . وألهى الناس التكاثر ، حتى كادوا ينسون أن بعد الحياة موتاً ، وبعد الموت بعثاً ، وبعد البعث حساباً ، وبعد الحساب ثواباً وعقاباً ، وجنة وناراً ،

• ـ يتبع ذلك اهتمام جمهور الناس بالعلوم الوضعية والمادية ، وما ينبثق عنها من استخدامات تطبيقية (تكنولوجية) ساعدت الناس على الاستغراق والاستمتاع بالحياة ، على حين قل الاهتمام بعلوم الدين ، وما تشتمل عليه من « غيبيات » لا يألفها كثيراً العقل المعاصر ، حتى أن بعض علماء الدين ودعاته ، يحاولون تأويلها بما يرضي نزعته الحسية ، أو يهربون من الحديث عنها ، حتى ان الذى يتابع الاستماع إلى خطب الجمع فى المساجد أو من المذياع ، لا يكاد يجد خطبة منها تتحدث عن الموت أو القبر أو البعث والحساب ، أو الجنة والنار ، كأن هذا من دلائل التخلف والمنافاة للعصرية !

• ـ اهتمام الدعاة إلى الإسلام فى العقود الأخيرة من سني القرن الرابع عشر ، بالتركيز على عرض النظام الإسلامى ، وبيان محاسنه ، والدعوة إلى تطبيقه ، ولم تعط أهمية مماثلة لعرض العقيدة والدعوة إليها ، وتعميق أثرها فى العقول والقلوب ، نظراً لظهور الفكر العلماني الذى يعتبر الدين ـ كل دين ـ مجرد صلة خاصة بين المرء وربه ، ولا علاقة له بنظام الحياة ، فاقتضى الرد عليه التأكيد والتركيز على النظام الاجتماعي والاقتصادى والسياسي والتشريعى فى الاسلام ، دون أن تأخذ العقيدة حظاً مماثلا من هذا التأكيد . والواجب هو الموازنة بين تعاليم الاسلام كلها ، وان كانت العقيدة ـ ولا ريب ـ هى أساس البناء .

• ـ إغفال الأجهزة الاعلامية والثقافية والتربوية لهذا الجانب المهم ، الذى يمثل غاية حياة الإنسان ، وسر وجوده ، والذى يجعل لحياته طعماً ومعنى ورسالة ، وذلك ثمرة لإغفال أمر الدين كله عقيدة وشريعة ، وأخلاقاً وآداباً ، ونظام حياة ..

وليت الأمر وقف عند الإغفال والإهمال ، بل تجاوزه إلى اللمز والسخرية ، بل إلى الطعن والهجوم ، أحياناً فى صورة سافرة بلا خوف ولا حياء ، وأحياناً أخرى ـ وهي الأكثر والأخطر ـ فى صور مقنعة ، وبأساليب ملتوية ، ووسائل خفية ناعمة مسمومة ، تقتل وتدمر ، ولكن دون أن يسمع لها أزيز كأزيز الرصاص ، أو دوى كدوي الألغام .

• تركيز الفلسفات والأنظمة التعليمية والتربوية على الجوانب المادية والتكنولوجية والعلمية فى مناهجها وكتبها ومدارسها ، والنظرة إلى الدين نظرة إهمال أو عداء ، تقليداً للعلمانيين فى الغرب ، أو الماركسيين فى الشرق ، فالأولون يسقطونه من الحساب ، والآخرون يعادونه سراً وعلانية .

فإذا دخل الدين المدرسة أو الصف ، لم يدخل دخول صاحب البيت ورب الدار ، بل دخل كأنه زائر دخيل ، أو ضيف ثقيل .. ساعة فى آخر اليوم المدرسي ، تسد بها خانة أو يملأ بها فراغ ، حتى تسكت ألسنة المتدينين المتزمتين المتعبين !

ولاعجب ، أن أصبح التعليم يشكو الجفاف والجفاء والخواء .. ويحتاج إلى الروح الذى يوقظ القلوب ، ويحرك المشاعر ، ويرد إلى الجثث الهامدة الحياة ! ورحم الله الفيلسوف والشاعر المسلم محمد إقبال الذى قال عن هذا التعليم

- ليس في الإسلام مبدأ يقول: "الجهالة أم التقوى"
- عند علماء المسلمين: "إن ايمان المقلد لا يُقبل"
- قصص آدم ويوسف وسليمان عليهم السلام كلها تُعْلِي من شأن العقل

« الحديث » كما كان يسمى في عصره : « انه لا يعلم العين الدموع ، ولا القلب الخشوع » !

حاجة عصرنا إلى تجـديد الإيمان :

إن العالم كله أحوج ما يكون الى الايمان ، ولكن الايمان بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين ، يعتبر جوهر وجودنا ، وسر خلودنا وهو لنا روح الحياة ، وحياة الروح .

إن الإيمان هو سبيلنا إلى رضوان الله تعالى ، وعدتنا في طريق الآخرة ، فقد حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، ولن نقدر على احتمال المكاره في طريق الجنة ، ولا أن نقاوم الشهوات المفضية إلى النار ، إلا بقوة روحية داخلية ، تستحب المكاره ، وتستعذب العذاب في سبيل الله ، كما تركل الشهوات ولذائذ الدنيا كلها ، إذا كان من ورائها سخط الله .

وهذه القوة الروحية إنما يصنعها الإيمان ، إنه هو الذي يحفزنا إلى أداء المهمة التي خلقنا لها ، وهي عبادة الله تعالى ، ويحبب إلينا هذه العبادة حتى تغدو لنا قرة عين .. وهو الذي يأخذ بيد المرء ليتقرب إلى الله تعالى بأداء فرائضه الواجبة عليه ، ويزداد تقرباً إليه بنوافل الطاعات ، حتى يربح حبه له ، فإذا أحبه سبحانه كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، وإذا دعاه أجابه ، أو سأله أعطاه .

على أن الإيمان ليس سبيلا إلى سعادة الآخرة فحسب ، بل هو السبيل أيضاً إلى سعادة الدنيا التي يحرص كل الناس عليها ، ولا يجدها منهم إلا القليل ، أو أقل القليل . وكم من أشياء يخطف بريقها أبصارهم ، فيلهثون وراءها يحسبون أن فيها السعادة المنشودة ، فإذا هي سراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

إن الايمان وحده هو الذي يمنح الإنسان الطمأنينة وسكينة النفس التي هي روح السعادة وسعادة الروح « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

قد يستطيع الإنسان بواسطة المال والثراء أن يوفر لنفسه كثيراً من اللذائذ ، وأن يعب من الشهوات ما يمكن أن يشترى بالدرهم والدينار ، ولكن السعادة الحقيقية لا تعرض في الأسواق ولاتشترى بالنقود ، ولا بالنفوذ ، لأنها تنبع من أعماق النفس ، وليست سلعة نستوردها من هنا أو هناك . وهي التي قال عنها أحد السلف الصالح على شظف عيشه : اننا نعيش في سعادة ، لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف !

وقد يستطيع الإنسان بواسطة العلم أن يعيش في عالم أوتوماتيكي . يضغط بأصبعه على زر عن يمينه أو يساره أو أمامه أو خلفه ، فيدنو له البعيد ، ويلين له الحديد ، ويتحرك الساكن ، ويسكن المتحرك ، ويعيش ناعماً مرفها ، كأن عشرات من الخدم بين يديه ، فهو لا يقل — بل يزيد — فيما يتمتع به عن قارون العتيد ، أو هارون الرشيد ..

ولكن العلم — وإن هيأ للإنسان رفاهية الجسم — لم يهيىء له طمأنينة القلب ، منحه الوسائل ، ولم يمنحه غاية يعيش لها ، لأن هذه ليست مهمة العلم ، بل هي مهمة الإيمان .

والإيمان الذى نعنيه ، هو الذى ينمي في الإنسان حوافز الخير ، وكراهية الشر ، ويملأ ما بين جنبيه شوقاً إلى التزكي ، ورغبة في الترقي من جاذبية الطين الأدنى ، إلى أفق الروح العليا ، وهو الذى يعطي الإنسان الطاقة والقدرة للتحليق بأشواقه الصاعدة ، فوق مستوى الغرائز الهابطة . وهو الذى يهب الشباب في عنفوانه أمام الشهوات العارمة إرادة كإرادة يوسف الصديق ، تقبل ذل السجن ، وترفض إغراء المعصية ، وشعاره : « رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه » .

إن الايمان الذى ننشده ، هو وحده الذى تنبت في تربته شجرة الأخلاق ، وتنمو في ربوعه أزهار الفضائل المثلى ، والقيم العليا ، ولقد أثبت التاريخ والواقع ، أن الأمم بدون أخلاق ، لا تنهض بعبء جسيم ، ولا تقوم بعمل مبدع .

وإن أمة بلا أخلاق ، كبنيان بلا أساس . فهو مهما علا وامتد حتمي الانهيار ، ورحم الله شوقي إذ قال :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم	فأقم عليهم مأتمــاً وعويلا !

ولطالما حاول كثير من الحكام والزعماء والمسئولين ، أن يضبطوا سلوك مجتمعاتهم بالقوانين والقرارات وحدها ، ناسين أن الانسان إنما يقاد من داخله لا من خارجه ، فلم تغن عنهم قوانينهم ولوائحهم شيئاً ، وعادوا بالخيبة والخسران ، وغلب الهوى على الحق ، والأنانية على الخير ، وعلا صوت الشهوة على صوت الواجب ، ولا غرو أن شاعت جرائم كبر ، وظهرت مآس وفضائح على أعلى المستويات . وكان مما كتبه أحد القضاة في بريطانيا تعليقاً على الحكم في إحدى هذه القضايا الكبيرة المثيرة : بدون قانون لا يستقر مجتمع ، وبدون أخلاق لا يسود قانون ، وبدون ايمان لا تسود أخلاق !

والإيمان هو الذي يفجر الطاقات الكامنة في إنسان شعوبنا المسلمة ، فتندفع بقوة العقيدة في الله وفي الدار الآخرة ، ليزرع الاعاجيب ، ويصنع البطولات ، وينشيء الروائع ، كما رأينا ذلك في التاريخ الماضي ، وفي الواقع الحاضر .

إن الإيمان هو الذي يحل مشكلة النزعة الذاتية الفردية عند الانسان — وهي نزعة فطرية أصيلة — حين يعلمه أن ما يقدمه من خير ، وما يضحي به من جهد ، وما يبذل من مال أو نفس ، لن يضيع عندالله منه مثقال ذرة ، بل كله مكتوب له ، ومردود إليه ، ومضاف إلى رصيده عند الله « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، فلا يخاف ظلماً ولا هضما » « ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

والايمان هو الذي يضع بين يدي الإنسان قوة هائلة ، حين يغرس في نفسه : أن قدر الله نافذ لا محالة ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما يخاف عليه الناس من رزق أو أجل ، مكتوب عندالله ، لا مجال فيهما لزيادة أو نقصان ، فالأرزاق مقسومة والآجال معلومة ، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوا أحداً بشيء لم ينفعوه ألا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

هذا اليقين بالقدر ، يجعل المؤمن به يشعر أنه في جهاده ودعوته يمثل قدر الله الذي لا يرد ، وقضاءه الذي لا يغلب ، كما قال أحد الصحابة في حرب الفرس لأحد قوادهم ، وقد سأله : من أنتم ؟ فقال : نحن قدر الله ! ابتلاكم الله بنا ، كما ابتلانا بكم ، فلو كنتم في سحابة لصعدنا اليكم ، أو لنزلتم الينا ! !

والإيمان كذلك هو الذي يوثق الروابط بين أهله ، فيجمعهم في ظل الآخرة ، ويصل بينهم بأوثق عرى المحبة ، فالإيمان رحم بين أهله كما قال تعالى : « إنما المؤمنون اخوة » .

وإذا كانت هناك أشياء تفرق بين الناس بعضهم وبعض ، من اختلاف العرق أو اللون أو اللغة أو الإقليم أو الطبقة أو النسب ، أو الثروة أو غير ذلك ، مما يحجز الناس بعضهم عن بعض ، فان الإيمان بحرارته وقوته هو الذي يذيب هذه الحواجز ، ولا يعترف بها ، ويجعل من وحدة العقيدة رابطة فوق رابطة الدم أو أقوى ، ولحمة كلحمة النسب أو أوثق . حتى أن المؤمن ليؤثر أخاه

تجديد الإيمان

في العقيدة على أخيه من النسب ، بل على ابنه من الصلب .

وفي رحاب هذه الأخوة الكبيرة ، تختفي الأحقاد الصغيرة ، وتهون الدنيا التي يتهارش عليها الناس ، وهي أهون عند الله من جناح بعوضة ، وتنكمش مشاعر الحسد والبغضاء التي سماها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ « داء الأمم » وقال عن البغضاء بحق : انها الحالقة ، لا بمعنى أنها تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين .

ولا يقف الأمر عند سلامة الصدر من الحسد والبغضاء ، بل يعمر القلوب حب كبير ، منبثق من حب الله تعالى ، إنه حب لكل من والاه وآمن به . حيث يرتفع بالإنسان من الأنانية الدنيا إلى الغيرية العليا . وفي هذا جاء الحديث الصحيح « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « والذي نفسي بيده ، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا »

وتتمثل الغيرية في أجلى صورها عندما تتجسد في هذا المعنى الذي لم يعرف ولن يعرف في غير مجتمع المؤمنين ، وهو معنى « الإيثار » أن تجود بالشيء لأخيك وأنت محتاج إليه ، وان تتعب ليرتاح أخوك ، وتعرض صدرك لتلقي ضربات السيوف وطعنات الرماح لتحمي أخاك . وأن تبيت على الطوى لتقدم كل ما عندك من زاد عشاء لأخيك . وهذا هو الذي وصف الله به الأنصار في قوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

وهنا تتحول المشاعر الرقيقة من الأخوة والمحبة والايثار إلى تلاحم في الخير ، وتراحم في السراء والضراء ، وتعاون على البر والتقوى ، صوره النبي بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً » « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »

شهر لتجديد الإيمان

وشهر رمضان فرصة لتجديد الإيمان ، واحياء القلوب به ، ورد الشاردين الى ساحة الله ، فينتبه الغافل ، ويتذكر الناسي ، ويتوب العاصي ، ويقف الجميع على باب الرحمن الرحيم ، قائلين ما قال أبوهم من قبل : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

إنه شهر لتصفية الروح والسمو بها .

فالانسان ــ بحكم طبيعته المزدوجة ــ يسمو تارة ويهبط أخرى ، يحلق حيناً في آفاق روحية عليا ، كأنه ملك ذو جناح ، ويتمرغ حيناً في أوحال المادة والشهوة كأنه حيوان من ذوات الأربع .

فلا عجب أن نراه يعثر كما ينهض ، ويخطىء كما يصيب ، ويعصي كما يطيع . ولكن الله جعل له أكثر من مصفاة وأكثر من مطهرة يغتسل بها من أدرانه ويتطهر بها من خطاياه ، يخرج منها نظيفاً نقياً ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .

فهناك مصفاة يومية هي الصلوات الخمس .

وهناك مصفاة أسبوعية هي صلاة الجمعة .

وهناك مصفاة سنوية هي صيام رمضان وقيامه .

يقول الحديث النبوي الذي رواه مسلم في صحيحه : « الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر »

فمن لم تطهره الصلوات اليومية ، ولا الجمعة الأسبوعية ، كانت لديه فرصة في رمضان ليتطهر فيها بحسن الصيام والقيام ، ويحوز مغفرة الله تعالى لما فرط منه . فان فاتته هذه الفرصة فهو الشقي المحروم . ورد أن جبريل عرض للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يرتقي المنبر فقال : « بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : آمين ! فيابؤس من دعا عليه أمين الوحي وأمن عليه خاتم الرسل (١)

فالصلوات الخمس هي ميزان اليوم ، والجمعة ميزان الأسبوع ، ورمضان ميزان العام .

شهر الاخلاص لله

ورمضان شهر لانتصار الانسان : انتصار ارادته على شهوته ، وعقله على هواه . على أن أعظم ما يكون انتصار الانسان حين يفعل الخير ، ويعمل الصالحات ، أداء للواجب ، وابتغاء رضوان الله وحده . فهذه هي ذروة الاخلاص والتجرد ، وهي ذروة السمو الانساني .

والصوم الذي يأمر به الاسلام ويثيب عليه ، ويفتح لصاحبه أبواب المغفرة والجنة ، ليس مجرد الامساك عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، فمن الناس من يصوم حمية من مرض ، أو سعياً الى صحة ، أو احتجاجاً على مظلمة ، أو خضوعاً لمراسيم ، أو اتباعاً لعادة ، أو نحو ذلك من البواعث والأغراض ، ولكن هذا كله لا يقيم له الاسلام وزناً . والصوم المعتبر في ميزان الاسلام هو الذي يقوم به صاحبه « ايماناً واحتساباً » أي تصديقاً بوعد الله ، وطلباً لما عند الله . وكذلك القيام ولهذا حرص الرسول على ذكر هذه العبادة حين قال : « من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢)

ان الاسلام رسالة توحيد وتحرير ، جاءت تحرر الناس من عبادة ما سوى الله ،من عبادة الطبيعة وعبادة الاشخاص ، وعبادة الأوهام ، وعبادة الأهواء ، وتوجيه العبادة الى كائن واحد ، هو الرب الأعلى « الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى » .

وهكذا كان الصوم عبادة خالصة موجهة الى الله وحده . وفي هذا جاء الحديث عن الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فانه لي وأنا اجزي به . يدع الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي » (٣)

وعلامة الصوم المقبول ــ الذي هو ثمرة الايمان والاخلاص لله ــ أن يكف الصائم لسانه عن الزور واللغو ، ويده عن الأذى ، وجوارحه كلها عن المعصية ، وأن يصوم ظاهره وباطنه عما يسخط الله تعالى ، وأن يدفع السيئة بالحسنة ،واذا جهل عليه أحد أو سابه أو قاتله قال بلسانه وقلبه : اللهم إني صائم !

بهذا ينتصر الانسان ، ويكون الصيام له جنة ووقاية ، والا كان صياماً صورياً لا يعد صاحبه ــ في الدنيا ــ لتقوى ، ولا يحقق ــ في الآخرة ــ لأهله مغفرة ولا رحمة ولاعتقاً من النار ، وفي الحديث « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع.(٤) » من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (٥)

ونسأل الله أن يجعل من رمضان موسماً لتجديد إيماننا واحياء قلوبنا ولاصطلاح على الله تعالى ويجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأن يجعل حظنا من هذا الشهر المغفرة والرحمة والعتق من النار .

يوسف القرضاوي

هوامش :

(١) رواه الحاكم عن كعب بن عجرة وقال : صحيح الاسناد واقره المنذرى فى الترغيب .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٤) رواه ابن ماجه واللفظ له ــ والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وصححه على شرط البخارى .

(٥) رواه البخارى وأصحاب السنن .

يواصل الكاتب العربى الكبير أكرم زعيتر فى هذا العدد دراسته التى بدأها فى الشهر الماضى حول الشاعر « بدوى الجبل » ، وفى هذه الحلقة الثانية يقدم لنا أكرم زعيتر صورة حية من شعر بدوى الجبل وصوره الفنية النادرة ومواقفه الوطنية الصادقة .



الشاعر العربى بدوى الجبل

بدوي الجبل .. وإخاء أربعين سنة

عبقرية فنية لم تولد في مدرسة ولا جامعة

بقلم : أكرم زعيتر

البواكير

كانت العرب تقول لمن يهتف أو يهذى بالشعر قبل أن يجيده : « إنه يقرزم » وأشهد ان البدوى طلع على الدنيا شاعراً مجيداً وما عرفه الشعر قرزاماً ، وأنت اذا قرأت بواكير شعره رأيتها متينة السبك رائعة المعاني مما جعل الشاعر الكبير بشارة الخورى يقول ، « إن شعر البدوى أرجح من عمره » . وجعل العلامة المجمعي الشيخ عبد القادر المغربي يصفه بالشاعر الذى تمردت عبقريته على ناموس التدرج ..

ولو أن الأصمعي القائل فى شعر أبى العتاهية : « انه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب » استشرف ما يبدعه البدوى لهتف به : هذه ساحة لا خزف فيها ، انها سوق الذهب واللؤلؤ والمرجان .

ثقافته

وثقافة البدوى لم يستمدها من مدرسة أو معهد ، وفى ديوان أبيه درس القرآن والحديث والنهج وقرأ الأغانى والأمالى وآثار الجاحظ وأبى حيان . ثم قرأ وحفظ الكثير مما فى دواوين الشريف الرضي والمرتضى ومهيار والمتنبى والبحترى وأبى تمام وأبى فراس والمعرى .. وعوض من حرمانه معرفة لغة أجنبية بقراءة مترجمات فى الأدب والتاريخ والاجتماع والمذكرات وأذكر أنه قرأ مترجمات شقيقى المرحوم عادل فى الفلسفة والتاريخ والاجتماع وحرثها وأشاد بها .

وعلى أنه عب دواوين أئمة الشعر فإننى اقطع بأنه شبيه بذاته ، له كيان شعرى مستقل بأدواته ، ديباجة وخيالاً ، ومعاني ونغماً ، وقد يقال فى شعراء مجيدين إنهم متأثرون بالبدوى ولاسيما بعد أن يذهب زبد الشعر الطلسمى الهاذر المتفشي جفاء ويمسى هباء .

أدوات الشعر العالى

يمتلك البدوى أدوات الشعر العالى : الخيال واللفظ والعاطفة واللغة والنغم أو الموسيقا ، والأسلوب هو الذى يوائم بينها . خياله يتسم بالجدة والطرافة والعمق . إنه مخترع أخيلة وألفاظه أنيقة ، مصطفاة فصيحة تساير الأخيلة والمعانى شرافة وجزالة ، أو رقة ولوناً ، وكأن لها أرواحاً كما يقول الشهيد سيد قطب . وعاطفته ذات سرادة ولغته متينة ، وفى بحوره وأوزانه ايقاع موسيقى يناسب الموضوع فللعاصفة أو البركان بحر يختلف عن السلسبيل الرقراق . ثم ان ديباجة البدوى — وهى كما يدعوها وطن الشعر ، وبدونها يكون الشعر غريباً ، ولا يكون شعراً — تجعل من المعنى المتداول شعراً ، وفى شعره حكمة ، والشعر اذا نبع من القلب لاغنية له عن العقل أو الفكر . وشعرنا العربى لا يستكمل مراميه اذا تجرد عن الحكمة . وقولك إن المتنبي حكيم ، لا ينفي عنه عظامة شعره . وقد طعم دانتى وغوتيه وشكسبير شعرهم بالحكمة . وصاحبنا البدوى كثيراً ما سكب الحكمة فى قوالب من جمال اللفظ وروعة النغم معتبراً أن الحقائق مظاهر جمال فى الكون . ولكنه على أى حال مع العاطفة قبل المنطق ويرى قدامى النقاد أن الحكمة

عبقرية فنية
لم تولد في مدرسة ولا جامعة

في الشعر لا يجوز أن تكون إلا كالملح في الطعام .

وجعل البدوى من أغراض شعره استثارة الحس الوطني والذياد عن الأهداف القومية العليا شأن من يستودع قلبه ضمير وطنه فيجيء شعره صورة فنية لخواطره وهواجسه ونبضات فؤاده . وهنا قد تفتقد وحدة قصيدته في الرثاء مثلاً ، ذلك لأنه حين يرثى مجاهداً وطنياً تراه يثب الى الحديث عن وطنه وأمته ويقحم آراءه الوطنية في اتساق ويسكب روحه الثائرة في أبيات ، ثم يعود فيبدع الختام إبداعه المطلع ، وفي اجتهاده أن الذين يعتمدون وحدة القصيدة يغلب عليهم التصنع ويفتقدون العفوية ..

مراثيه

ومراثي البدوى ليست مما ألفناه نحيباً وتعداد محاسن ، ولكنها تقري الأخيلة بصورة أخاذة لاخوانه الراحلين ، تحمل اللوعة وتضفى على الحزن وسامة وسحراً ، ووالله إنني أتمثل صديقى الكبير الأثير سعد الله الجابرى أمامى حين أتلو قول البدوى في رثائه :

طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجداً
بدعة الظرف والأناقة يرضيك
دعـابـاً عفاً ويرضيك جدا
تنهل العين من بشاشة سعد
ريها والعيون تروى وتصدا
مترف في رجولة واعتداد
راع زياً وراع وجهاً وقدا

وعرفت شخصياً الزعيم السورى الثائر الكبير ابراهيم هنانو ، وراصفت البدوى في رثائه ، ولكن من ذا الذى يحسن أن يصف الزعيم الذى ضوى جسمه ولم يضو عزمه وصف البدوى اياه ؟

وضاو من السقم ضجت في شمائله
عواصف الحق والأمواج والزبـد
اذا أثير نضا عنه مواجعه
كما تفلت من أشراكه الأسـد
يروع في مقلتيه بارق عجب
وعـالم عبقرى السحر منفرد
يغالب البشر أسقاماً نزلن به
أبى له الكبر أن يأسى لها أحد

وعرفت السياسى العربى العبقرى الكبير فارس الخورى ونعمت منه في شبابى بعطف وتشجيع وحنان ، وأعيانى رثاؤه ، وهات من يقول فيه قول البدوى :

ولـه الطرفة المليحة تغني
عن نقاش وتسكت المنطيقا
وبيان تخاله الوشي ، والأطياب
شتـى واللؤلـؤ المنســوقا
فيه عمق البحار تزخـر بالدر
وفيــه متــارف الموسيقـا
وضمير نديان يسرف في الحس
فيجزي حتى الخفي الدقيقا

والبدوى داعية الحقد الوطنى على المحتل الظالم فما يذكى مقاومة الغاصب مثل هذا الحقد الذى أدعوه (الحقد المقدس) .

آمنت بالحقد يذكى من عزائمنا
وأبعـد الله اشفاقاً وتحنـانا
ويل الشعوب التى لم تسق من دمها
ثاراتها الحمـر أحقاداً وأضغانا

واما الحقد الشخصى فما أسرع ما يغسله الأسى ويمحوه الحنان :

غسل الأسى قلبي وحسبك بالأسى
من غاسل حقد القلوب وماحي
وودت حين هوى جناح حمامة
لو حلقت من خافقي بجنـاح

واذا استشرى حقده على خصوم عقيدته رشقهم بسهمه :

عصابة شر راح يبرأ منهم
الى الله ابقاء على نفسه ــ الشر

فلسطين

وفلسطين قضية العرب الأولى كانت تساوره كلما نظم قصيدة وطنية وما نظم فيها يؤلف ديواناً من الفلسطينيات ، يثير فيه النخوات ويؤجج الثارات ، يبكت ويندد ، وينذر ويهدد ، فإذا اعتمر العراق ليحتفل بتتويج فيصل الثانى هدر متفجعاً :

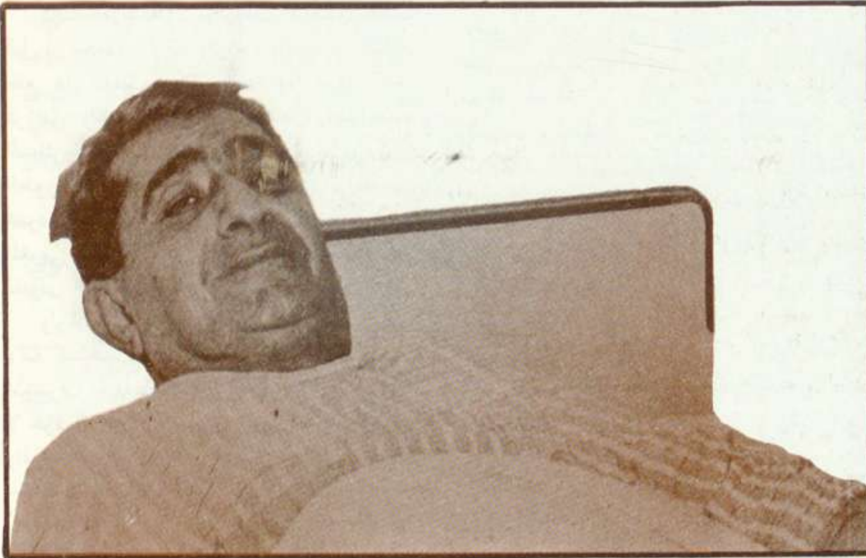
قد استرد السبايا كل منهزم
لم تبق في رقها إلا سبايانا
وما لمحت سياط الظلم دامية
إلا عرفت عليها لحم أسرانا
ولا نموت على حد الظبى أنفاً
حتى لقد خجلت منا منايانا

ولكنه يختم قصيدته التى أربت على المائة صادحاً :

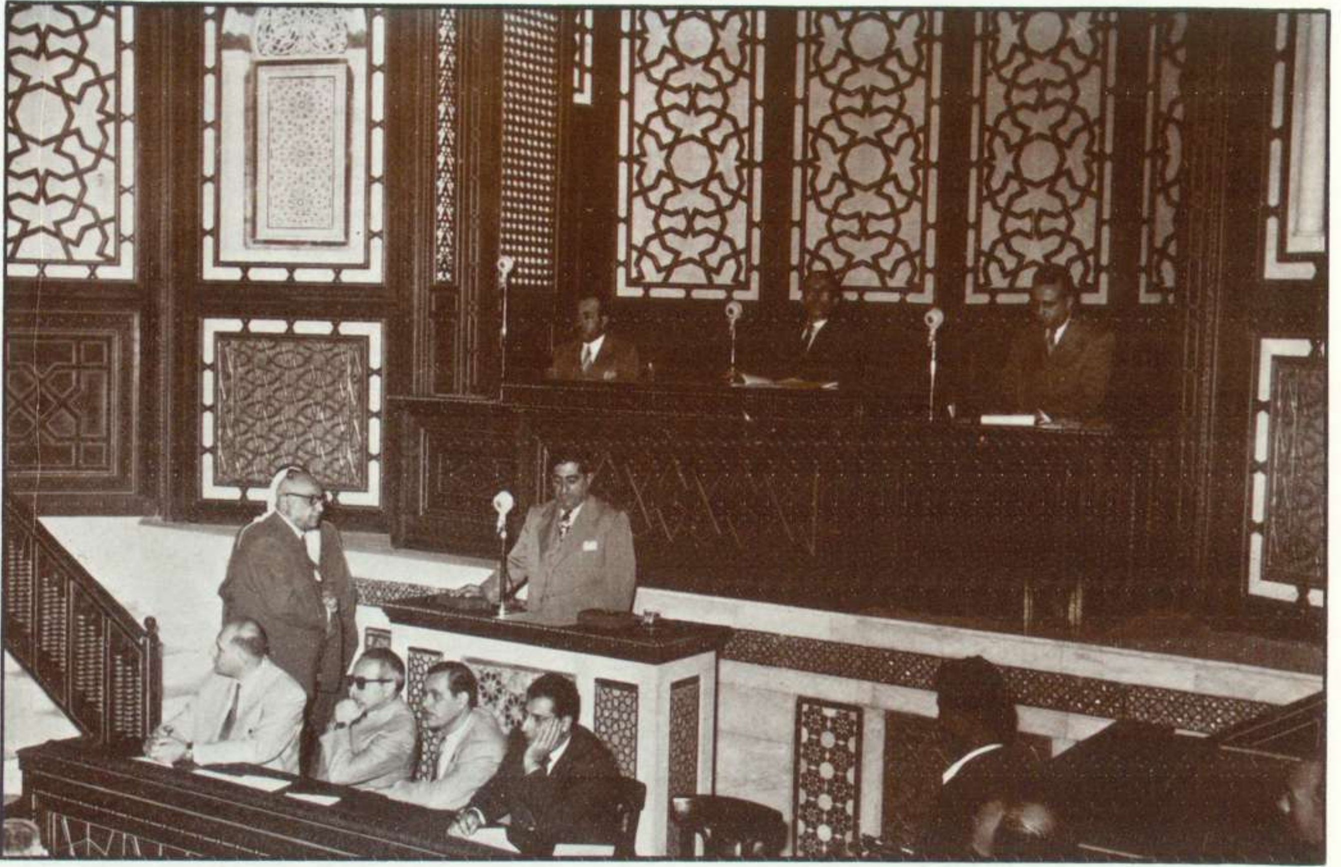
ما في العراق ولا في الشام موعدنا
على الثنيـة من حطين لقيانـا

وفي أغرودة الجلاء عن سورية .

يا فلســطين هوى مستعر
من ربى الشـام ونصر وولاء



الشاعر الكبير بدوى الجبل طريح الفراش في المستشفى الألمانى ببيروت على اثر هزيمة ١٩٦٧



بدوى الجبل يقسم اليمين النيابية فى البرلمان

وتحيات الرضى من دجلة
وسلام الله من غار حراء
أين من تأرك والثأر دم
خالد الفتح وأين الأمراء

وحسبى أن أذكر أن أربعين بيتاً من قصيدته « من وحى الهزيمة » تتغنى بالقدس ثم تندبها ، والمسجد الأقصى :

هل درت عدن أن مسجدها الأقصى
مكان من أهله مهجور
أين مسرى البراق ، والقدس والمهد
وبيت مقدس معمور
لم يرتل قرآن أحمد فيه
ويزار المبكى ويتلى الزبور
طوي المصحف الكريم وراحت
تتشاكى آياته والسطور
تستبى المدن والقرى هاتفات
أين .. أين الرشيد والمنصور

ومنها :

لا تشق الجيوب فى محنة القدس
ولكنها تشق الصدور
حبست أدمع الأباة من الخوف
ويبكى الشذا وتبكى الطيور

وأما اللاجىء فهيهات هيهات أن يقول شاعر مثل قول البدوى بلسانه .

انا حزن ، شخص يروح ويغدو
ومسائي مع الأسى والبكور
طردتني الأكواخ — والبؤس قربى—
وتعالت على شقائي القصور
يحتويني الهجير حيناً ، ولا يرحم
أسمال فقري الزمهرير
وعلى الجوع والضنى والرزايا
فى دروبى أسير ثم أسير
نقلتنى الصحراء حيناً وحيناً
نقلتني الى الشعوب البحور
حاملا محنتى أجرر أقدامى
ويومى سمح الغمام مطير
محنتى الغيث ان ارادوا والا
فهدير البركان والتدمير
حاملاً محنة الخيام ، فتزور
وجوه عنى وتغلق دور
الخيام المزقات وأم
فى الزوايا وكسرة وحصير

على أنه بعد وصف مؤثر مفاض يتنبأ :

تنتخي للوغى سيوف معد
ويقوم الموتى وتمشى القبور
عربي فلا حماى مباح
عند حقدى — ولا دمي مهدور

موسيقا الشاعر

وشعر البدوى ذو نغم هو الذى يسمو به عن أبدع اللوحات الزيتية لأكابر الرسامين ويميزه عنها .. إنه يحفظ ويرتل ، ويرنم وينغم ، ويرتسم فى الحافظة فينشد ، وبه يستشهد :

جاء أمير الشعراء أحمد شوقي لبنان ، وأرسل قصيدته اللبنانية ومطلعها .

السحر من سود العيون لقيته
والبابلى بلحظهن سقيته

وما أكثر ما ينوه اللبنانيون بقوله فيها :

لبنان والخلد اختراع الله لم

عبقرية فنية
لم تولد في مدرسة ولا جامعة

يوسم بأزين منهما ملكوته

وكان البدوى فى رونق صباه يزور لبنان ، فنظم قصيدة عارض فيها قصيدة شوقي بمثل قافيتها ووزنها ، وقد أهداها الى أمير الشعراء ومطلعها :

الحسن فيك وهذه مرآته
بجمال ربك أشرقت آياته

ألا تحس الايقاع ؟ ألا يهز عطفيك خطاب البدوى راثي الحمراء فى سينيته الأندلسية الخالدة ؟

يا راثي الحمراء جل على البلى
صرح بدمعك سطرت مرثاته
لو كان رب القصر يسمع ضيفه
لسعت إليك وفوده وهباته
أو كان يدري القصر من في بابه
خلع البلا ، وازينت شرفاته
ضحكت إليك جنانه وتخايلت
بالكاعبات البيض مقصوراته
ما عذره ، وهتفت فى أمواته
الا تهب من الثرى أمواته

ولا تطربنى الموسيقا الغنائية فى أروع لوحة شعرية أكثر مما فعلت ، وأنا أشدو قوله فى قصيدة (الكعبة الزهراء) التى أهداها « إلى أعتاب أبى الزهراء صلوات الله عليه » :

أرى بخيال السحب خطو محمد
على مخصب من بيدها وجديب
وسمر خيام مزق الصمت عندها
حماحم خيل بشرت بركوب
وناراً على نجد من الرمل أوقدت
لنجدة محروم وغوث حريب
وتكبيرة فى الفجر سالت مع الصبا
نعيم فياف واخضلال سهوب

المفردات

والمفردات لدى البدوى غزيرة ولكنك لا تقع على غير مأنوس فيها على طول نفسه الشعرى ، وقد عثرت على مفردة في قصيدته فى ذكرى انتخاب شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية السورية :



البدوى وعمره ٢١ سنة

وخف إلى ظلالك عبد شمس
يريح شجونه ظمأى طلاحا

وقبل أن أتساءل : ما الطلاح ؟ وأعلم أنها المتعة رأيتني أنتشي وأرتل مع الشاعر :

جراح فى سريرتك اطمأنت
لقد اكرمت بالصبر الجراحا
كأن الهم ضيفك فهو يلقى
على القسمات بشراً وارتياحا
وقبلك ما رأت عيني هموما
مدللة وأحزاناً ملاحا
وقد ترد الخطوب على كريم
فترجع فى صباحته صباحا

أسلوب الشاعر

وما أحسب أن اتساق اللفظ والمعنى ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى وفخامة الكلام لجسامة الحادث وقدرة الفن الشعري التصويرى للبدوى يتجلى بأجزل من قوله فى تأبين ابراهيم هنانو :

زحف البحر بالجبال من الموج
دراكاً وجرجر الطوفان
لطف الله بالسفينة لم يسلم
شراع ولا نجا سكان
تخبط الليل ، والعواصف والركـ
ـب حيارى ، دليلهم حيران
حولها اليم كالجبال وأطياف
الردى والبروق واللمعان
وظلام غمر رهيب فما
تبصر الا الظنون والآذان
وعزيف للجن تنقله الريح
وأدى الأمانة الترجمان
وانطوى تحتها الجحيم ، فلأموا
ج من حر ناره فوران
سخرت بالسفينة اللجة الخضراء
واختار قبره الربان
واطمأنت الى القنوط فما
تلمح حتى بالخاطر الشطآن

أما الرقة التى تناسب المعني ، اما اللفظ الحاني الحنون العطوف فدونك وصفه لمرض سعد الله الجابري :

ما رأى السقم قبل سعد حناناً
وحياء من السقام ورفدا
كبقايا السيف اطمأنت إلى الجفن
وراحت تبلى الهوينا وتصدا
روعة الشمس فى الغروب ولا
أعشق للشمس عنفوانا ورأدا
يملأ المغرب العيون من الشمس
اذا ردها الضحى عنه رمدا

وأسلوب البدوى خال من التعقيدات اللفظية والمجازات المصطنعة .. وجماع القول فيه : جودة سبك ، إشراقة لفظ ، بداعة خيال ، متانة لغة ، سرادة عاطفة ، وعطور وطيوب وذكريات ، وأغاريد وزغاريد ونعميات ، وجوامح وثارات ، ونجاوى وهمسات ، وهموم وأطياف أحبة ودموع وآهات ، وعمق فى تصوف وابتهالات .

وإلى هذا فإن شعره يتنزه عن التعمية والإلغاز ، وكما أن فيه السلسبيل الهنيء السائغ ، فإن فيه العميق ــ ولا أقول الغامض ــ الذى يحملك على التفكير والاندماج فى القصيدة حتى لتتقمص روح الشاعر ، ومن عبقرياته فى هذا الباب قصيدته : « بكيت على السراب » ولو ترجمت الى اللغات الأجنبية ــ والديباجة لا تترجم ــ لاختالت على أترابها لدى الأعاجم ، فالسراب ، سرابها ، اريحى ، أشقر القسمات ، ندى اللمح ، وردى الحباب :

يزوق لي الرمال جنى وظلا
ويغمز بالكؤوس وبالشراب
محا حقد الهجير على الصحارى
ووحدتي المريرة واغترابي

ويخاطب نعمى القلوب ونعمى العيون :

سرابك رحمة ومنى حسان
سكبن طيوبهن على عذابى
أحث خطاى فى اللهب المدمى
إلى أفيائه الخضر الرطاب

ثم يهتف :

بكيت من السراب ، فحين ولى
وأوحدني بكيت على السراب
وأشقاني اليقين فيا حنيني
الى الخدع المنضرة السوابي

الهمــــوم

وما رأيت شاعراً عبقر الألم وجمل الهم ونضر الحزن كالبدوى ، وقد جعل من قبور أحبابه ورفاق دربه رياض إخاء ، وبساتين وفاء ، ومجمع ذكريات وأحرام مقدسات . إنها تفجر بيانه وتطلق بالحنان لسانه : فى رثاء سعد الله :

إن قلبي خميلة تنبت الأحزان
ورداً ونـرجســـــاً وشقيقـا
لو على الصخر نهلة من جراحي
راح مخضوضل الظلال وريقا

وفى رثاء هنانو :

لا أوحش الله قلبى من مواجعه
ولا تحـول عن نعمائها الحسد
إنـى أدلل آلامـى وأمسحـها
مسح الشفيق وأجلوها وانتقد

وفيهـــا :

أفدى القبور التي طاف الرجاء بها
يا للقبـــور غدت ترجى وتفتقد
مصارع بعطور الحق زاكيـــة
كأنما سكبوا فيها الذى اعتقدوا
مسحت دمعي من ذكراهم بيـــد
وأمسكت كبدى ألا تذوب يـــد

الغـــزل

وللبدوى شعر غزل يزرى بدواوين فى النسيب ، وشاعر مبدع مركب من عواطف وخيال مخصاب ، يجيء فى هذا الباب بالعجب العجاب ، وقصائده « خالقة » و « شقراء » و « سمراء » أشير إليها ، وأعجز عن المفاضلة بينها واجتزاء بعضها عن كلها .. على انه إذا استراب بعذرائه التى « يخشى على حسنها من خطرة الفكر ونجوى العيون » عيرها بقبل العاشقين وراح يصنف القبل مبتدعاً :

مـن قبلة خـائـنـة مـرة
وقبلة تمتمت : لا أخون



بدوى الجبل فى عنفوان شبابه

وقبلة مجنونة فى اللمى
وقبلة وارعة فى الجبين
وقبلة حمراء مثل اللظى
وقبلة بيضاء مثل اليقين

الســـائرات

وقد لا تخلو قصيدة للبدوى من بيت سائر يستشهد به ، تلخص فيه حكمة وتختصر تجربة ، ويكون مسند حديث أو فصل خطاب ، وهات فى الأمثال المضروبة ما يغنى عن هذه السائرات :

قد تطول الأعمار لا مجد فيها
ويضم الأمجاد يوم قصـــير
انا البرىء ولكن حرمة وهوى
أقر بالذنب كى ترضى واعترف
إن دين االعظيم فى كل شعب
لا يوفى وحقـــه لا يؤدى
ولا وفاء لقلب حين نؤثره
حـتـى تكون رزايانا رزاياه
لا تحاسب أخا هوى فى هواه
كل ثغر على الهوى معسول
يفتك الظلم بالضعيف ويردى
بعد حـين بشؤمه الظلامــا
سبة الدهر أن يحاسب فـكر
فى هواه ، وأن يغـل لسـان
كل علم يغزو النجوم ، ويغزو
بـالمنايا الشعوب علم حقير
لايـهـيـن الشعوب الا رضاهـا
رضى الناس بالهوان فهانوا

• • •

نثر البدوى

وللبدوى نثر رفيع أنيق ، إنه شعر منثور ، وان كان لا يرضيه أن يطلق عليه لفظ شعر . وكونه فى أكثره مسجوعاً بلا تكلف ، وفر له عذوبة الوقع على الآذان ، واذا كان الشعر — كما سنرى فى الذكريات — هو الذى يمتلك الشاعر فلا يواتيه ساعة يريد ، فإن النثر يأتيه طائعاً ، سهلا ، مسلساً قياده ، لا يتأبى عليه حين يشاء ، ومما يسترعى النظر أن نثره ، خلا رسائله الإخوانية ، يكاد يقتصر على المراثى ، وكل مرثاة مقامة بليغة أو قصيدة منثورة . على أنه يتدفق محلقاً مجلياً فى نثره إذا ثار على مظلمة أو ثأر لكرامة أو رد على فرية أو أدحض شبهة أو عاتب أو استعتب ..

وأرانى قبل انتباش الذكريات من منجمها اقتبس مثالا لنثره الفنى الأبدع فى المطلع الأروع ، لمحاضرة ألقاها فى جمعية العروة الوثقى بالجامعة الأمريكية ببيروت وجعل عنوانها : « القومية العربية فى الجاهلية والاسلام » وقد غنانا صادحاً !

« لكل شاعر سدرة منتهى يتوهج بضيائها قلبه ، ويندى برفيف أقحوانها حبه ، وتفيء الى ظلالها لباناته ، وتتبرج بصورها وألوانها خيالاته ، ويعب من سلافتها بيانه ، ومن قدرتها ايمانه ، ومن عذوبتها وجدانه .. والعروبة يا سيداتى وسادتى هى :

سدرة المنتهى لبيانى ووجدانى وايمانى من بداوتها صغت إبائي ، ومن فتوحها سلسلت كبريائي ، ومن شمائلها وثقت لطموحى ورجـائى ، ومن حضارتها ادللت على الدنيا بضيائي ، ومن لياليها القمراء ، تغفو على رمال الصحراء معطرة بالطيوف والأنداء فضضت بيانى . ومن النسيم يهب على واحاتها ، ثم يحمل الطيوب الى فلواتها ، نمنمت ألحانى ، وسكبت أوزانى ، ولم اته على الدنيا لأننى خلقت عبقرياً . ولكنني تهت على الدنيا لأنني خلقت عربيا .

لقد آمنت بالعروبة ، لأنني آمنت بالحق والخير والجمال . آمنت بها وطناً للحق والخير والجمال ، وأمة للحق والخير والجمال . وعقيدة للحق والخير ، فمن أراد العروبة ايماناً فى قلبه ، وفناء فى حبه ، وأنساً فى وحشته ، وهناءة فى سريرته ، وعالماً فى وحدته ، فليتقرب الى نعمتها بالحق والخير والجمال .

أكرم زعيتر

البقية فى العدد القادم

الصيام قبل الإسلام

بقلم : الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

ما إن يقرب حلول شهر رمضان ، حتى تتداعى المعاني السامية ، وتتوارد الصور ، وتتلاحق الذكريات منبثقة عنه ، ويستعرض الفكر مواكب التاريخ الانساني من فجره وحتى يوم الناس هذا مستحضراً صورة النهار الصائم ، والظمأ في الهواجر ، والليل القائم وأنفاس المستغفرين بالأسحار وهي تتصاعد إلى الملأ الأعلى ، ودونها وقريباً منها صور أخرى للسلوك الإنساني في صيامه عن الشهوات ، وحبسه النفس على المكرمات ، مترقياً ومتسامياً بصور شتى تتهادى أمواجها بالنفس نحو تطهير الصائم فكره ، وبيانه ، وسلوكه ، ومنطقه .

ولكى ندرك قيمة ذلك التدريب والتطهير نتخيل ماذا يكون الإنسان لو فقد ذلك ؟

ماذا يكون الانسان لو فقد السلطان على شهواته وصار أسيراً لها ، بل ماذا يكون إحساسك نحو إنسان فقد الطهر فى فكره فلا يدور فى خواطره إلا كل شر وسوء لنفسه وللناس وللحياة ، وكم شقيت الحياة بهذا الصنف من الآدميين .

ماذا تحس نحو إنسان فقد الطهر فى قوله فلا تسمع منه إلا هجراً فى القول وفحشاً فى النطق ، وكم تقطعت أواصر واهتزت قيم بكلمة جارحة تطير كالسهم الطائش لا يملك عليها سلطاناً .

ماذا تحس نحو إنسان فقد الطهر فى سلوكه ، فأساء إلى نفسه وإلى الحياة والأحياء معاً وما مُج صوت المصلحين وترددت فى جنبات الدنيا دعوات الرسل إلا من أجل تصحيح الكلم والعمل بل إن حصاد الإنسانية إلى ربها لا يتصاعد منه إلا الطيب منهما (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) من أجل هذا — وأكثر منه — كان الصيام هو البلسم الواقى والعلاج الناجع بل وكادت تجمع عليه رسالات السماء ودعوات الرسل والمصلحين من كل دين حتى لقد تجاوز أمره أمم الديانات السماوية إلى غيرها من الأمم الوثنية .

وإن دل ذلك على شيء فأقرب دلالة له أنه الشريعة التى تتواءم مع الفطرة الإنسانية فى كل زمان ومكان ، سواء هديت إليها فطرة مركوزة فى طباعها أو تلقتها استحساناً وتقليداً لأهل الديانات من حولها ، أو حفظاً واعتزازاً بميراث نبوة سابقة .

فتاريخ الأمم والشعوب ينطق بكل دلالة على أنه لم تخل شريعة من الشرائع من التكليف بالصيام على وجه من وجوه التكليف التى عرفتها الأمم ، وتلك حقيقة يسلم بها جميع أهل الأديان والملل والنحل من كتابية وغير كتابية ، وسماوية وغير

● الصيام من العبادات البدنية ، ويكاد يشترك فيه كل من قبلنا كما أشار القرآن الكريم

● جاء الصيام في الإسلام وسطاً في الكمّ والكيف ، وذلك لإنهاض همم المسلمين حتى لا يتميز بها من كان قبلهم

سماوية ، وحتى الوثنية منها ، بل وحتى عصر الناس هذا مازال الصوم منسكاً من مناسك الأمم يتعبدون به إلى اليوم بصورة أو بأخرى .

وصدق الله العظيم (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) .

وقد قال المفسرون فى بيان المراد بالذين من قبلنا أقوالاً منها : أن المراد بالذين من قبلنا ، أى الذين كتب عليهم الصيام كما كتب علينا إنهم أهل الملل من قبلنا بإطلاق ، ونقلوا هذا عن حبر الأمة ابن عباس وهو من الصحابة الأجلاء وعن سيد من سادات التابعين هو قتادة ، نقل ذلك عنهما شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى .

ذلك أن مدار الدين — وهو فطرة فى الناس — يكون متعلقاً بالاعتقادات والعبادات ، والمعاملات والزواجر .

وأديان البشرية التى عرفت عنها فى تاريخها البعيد والقريب وأشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد) لها نهجها فيما سنته لأتباعها من معتقدات وعبادات لها أثرها فى شتى جوانب النفس الانسانية من روحية وبدنية ومالية وغيرها .

اختلافات الأمم

ومعلوم أن الصيام فى الذروة من العبادات البدنية وتكاد تشترك فيه كل الأديان المذكورة آنفاً بشكل أو بآخر .

وهو عبادة تقوم — أساساً — على كف النفس وحبسها عن شهواتها وعزفها عن أهوائها وصبرها على أمور ينجذب إليها طبعها وتدفعها دواعيها إلى الاخلال بها .

وقد جاء القرآن الكريم فى الذروة السامقة يعبر عن المضمون والهدف بهذا الايجاز المعجز (لعلكم تتقون) .

وإذا كان هدف الصوم ومقصوده الأساسى هو (التقوى) فإن هذا الهدف نفسه يمثل ركناً أساسياً وهدفاً أصيلا من دعوات الرسل جميعاً ، فالتقوى حكمة كامنة وراء كل دين بكل مضامينه وأخلاقه مصداق ذلك قول الله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) .

وقوله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) والله سبحانه (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) .

ومع هذا الوضوح فى مضمون الصوم وهدفه اختلفت الأمم والملل فيه اختلافاً تقارب وتباعد من الوسيلة والغاية ، وأتى هذا الخلاف على صور شتى من حيث الزمان والمقدار والصائم والمصوم عنه وداعى الصيام وغايته ، شتيت من الصور والأشكال يجمع شتاتها مجمل من القول : أنه فى الكم والكيف .

• فمن حيث الكم منهم من أطاله حتى أمل به وخرج به عن غايته كصوم الرهابين ومن على شاكلتهم .

ومنهم من قصره حتى أقله فأفقده أثره حتى لم يصر فى عداد مسمى الصوم فى قليل ولا كثير ، كصوم المجوس ومن على نهجهم .

• ومن حيث الكيف : منهم من حرم نوعاً من الطعام كاللحم تسلطاً على النفس بالنحول والهزال .

ومنهم من فرقه فى أيام السنة على صورة لم يستقر له معها نظام واختص العلم بها أحبار ورهبان .

• وجاء الاسلام وسطاً فى الكم والكيف فأقامه شعاراً ومنهجاً وعبادة وسلوكاً فعلق أمره برؤية الهلال الظاهر للأعين (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) وأقامه تطهيراً للنفوس عن جميع ما يدنسها من الآثام ، وكفها — أثناء صيامها — عن اللذات الثلاث المأكل والمشرب واقتراب النساء مع الاعتقاد بأنه وإن وجب الامساك عنها فإنه ليس بمحرم عليها ، فجاء الصيام محدد الأحوال والأوقات والكيفيات .. واضح المعالم والأهداف .. متمايزاً ومتميزاً ، جامعاً ، ومانعاً .

وليست المماثلة لمن قبلنا فى الكم والكيف ، وإنما هى فى أصل الوجوب .

وقد جاءت تلك الإشارة بهذه المماثلة (كما كتب على الذين من قبلكم) لتحقيق أغراض تضمنها هذا التشبيه .. منها :

• الاهتمام بعبادة الصوم والتنويه بها لأنها شرعها الله قبل الاسلام لمن كانوا قبل المسلمين ، وشرعها للمسلمين ، وذلك يقتضى اطراد صلاحها ووفرة ثوابها ، وإنهاض همم المسلمين لتلقى هذه العبادة كى لا يتميز بها من كان قبلهم .

• أن فى هذا التشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة لئلا يستثقلوا هذا الصوم ، إذ أن فى الاقتداء بالغير أسوة فى المصاعب ، وقد أكد هذا المعنى الضمنى قوله تعالى (أياماً معدودات) .

• إثارة العزم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين فى قبول هذا الفرض ، بل ليأخذوه بقوة تفوق ما أدى به الأمم السابقة .

من أنواع الصيام

فكيف كان أداء هذه الأمم السابقة لهذه العبادة ؟

هذا ما سوف نعرض له فى عجالة فيما نستقبل من سطور ..

أما بالنسبة للملل والنحل غير الكتابية وغير السماوية فقد ذهبت فى صيامها إلى حدى التطرف : إفراط وتفريط ، حسب مذهبها ونظرتها للحياة .

فنجد — مثلا — الديانة « الزرادشتية » نظراً لأنها تكره كل ما يؤدى إلى إضعاف الجسم ، وبالتالى ترفض الرهبانية ، فإنها بناء على ذلك تنهى عن الصوم إلا فى ظروف خاصة نادرة .

وعلى النقيض من ذلك — تماماً — الديانة « البرهمية » ، فإنها وهى تتجه بعبادتها إلى غاية واحدة هى فى نظرها (الفناء فى الله) والاندماج فى الكائن الأسمى حسبما تزعم وتعتقد ، فإنها ترى أن مما يساعد على الوصول إلى هذه الغاية الإنابة إلى الله والرجوع إليه والندم على ما فرط من المعاصى والآثام والورع والتقشف فى الحياة وإهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق .

ومن ثم فإنها تحث — على عكس الديانة الزرادشتية — على الإكثار من الصوم لما يؤدى إليه من إهمال المطالب الحيوانية ، وإضعاف القوى الجسمية وإضعاف تحكمها فى الإنسان ، بل إنها لتفرضه فرضاً على جميع الطبقات بعامة ، وعلى بعضها فى مناسبات كثيرة بخاصة وهذا فيما يختص بالصيام المفروض .

أما الصيام العام فإنه عندهم تطوع ونوافل وليس شيء منه فرضاً وله أنواع كثيرة ، وقد أشار — البيرونى — فى كتابه (تحقيق ما للهند ص ٤٨٥ وما بعدها) إلى بعض المراسم والطقوس التى ترتبط عندهم ببعض أنواع الصيام مثل : (ومن كان من شيعة (باسيديو) اجتنب فيها — أى فى أيام صوم معين — اللحم والسمك والحلوى واقتراب النساء وجعل أكله مرة كل يوم وجعل الأرض وطاءه من غير فرش ولا ارتفاع) .

الصيام قبل الإسلام

ومن ذلك أيضاً ما يذكره عن بعضهم فى بعض صيامهم (وفيه يتلوثون بأخثاء البقر، ويفطرون بلبنها وبولها وأخثائها مقطوبة، وهذا اليوم أول أيام خمسة يسمونها (بيشم بنج راتر)، ويصومونها لباسديو..) الخ.

كذلك عرف المجوس الصوم، ومن نحلهم نحلة (الصيامية) تجردوا للعبادة، وأمسكوا عن الطيبات من الرزق تزهداً، وأمسكوا عن اقتراب النساء والذبح.. الخ!

كذلك عرف الصوم ملل ونحل من عبدة الأوثان، فقد عرفه وثنيو الهند ولايزالون وغيرهم يصومون إلى الآن، ذلك أن الهند ـ بعامة ـ عرفت الصيام قبل الميلاد بعدة قرون وكان جزءاً من عباداتهم الشاقة القائمة على الرياضة القاسية الهادفة إلى تطهير النفس على حساب البدن.

كما عرف قدماء المصريين الصوم منذ أزمان سحيقة فى أيام وثنيتهم، فكانوا يصومون أيام الأعياد، وكان الكهان يصومون ستة أسابيع فى العام، وكان صومهم من طلوع الشمس إلى غروبها.

كذلك عرف اليونان الصوم إذ انتقل إليهم من قدماء المصريين وكانوا يفرضونه ولاسيما على النساء.

وكذلك عرف الرومان الصوم وكانوا يعنون به.

تفسير لصوم وثنى

وللإمام محمد عبده تفسير وتوضيح لصوم الوثنيين إذ يعلله: بأنهم كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم ـ فى زعمهم ـ إذا عملوا ما يغضبها، أو لإرضائها واستمالتها إلى مساعدتهم فى بعض الشئون والأغراض، وكانوا يعتقدون أن إرضاء الآلهة والتزلف إليها يكون بتعذيب النفس وإماتة حظوظ الجسد.

وانتشر هذا الاعتقاد فى أهل الكتاب حتى جاء الإسلام يعلمنا أن الصوم ونحوه إنما فرض لأنه يعدنا للسعادة بالتقوى وأن الله غنى عنا وعن عملنا وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا.

الصوم عند أهل الكتاب

وأبرز أهل الكتاب ومن يراد بهذه الصفة عند الاطلاق هم:

• أهل الديانة التى جاء بها رسول الله موسى عليه السلام ونزل عليه بها كتاب من عند الله هو (التوراة).

• وأهل الديانة التى جاء بها رسول الله عيسى عليه السلام ونزل عليه بها كتاب من عند الله هو (الإنجيل).

وبنزول هذين الكتابين على رسوليهما ـ صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ـ لقبوا بأهل الكتاب.

أما أهل الكتاب من اليهود فكان لهم صوم هو:

١ ـ صوم اليوم العاشر من الشهر السابع من سنتهم وهو الشهر المسمى عندهم (تسرى)، يبتدىء الصوم من غروب اليوم التاسع إلى غروب اليوم العاشر، وهو يوم كفارة الخطايا ويسمونه (كبور)!

٢ ـ ثم إن أحبارهم شرعوا: صوم أربعة أيام أخرى: وهى الأيام الأول من الأشهر: الرابع، والخامس، والسابع، والعاشر من سنتهم تذكاراً لوقائع بيت المقدس.

٣ ـ صوم يوم (بوريم) تذكاراً لنجاتهم من غضب ملك الأعاجم (أحشويروش) فى واقعة (أستير).

٤ ـ وعندهم صيام التطوع: ومنه صيام نوح وموسى عليهما السلام، ففى سند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

« مر النبى صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء، فقال: ما هذا من الصوم؟ قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبنى اسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى، وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم».

ومعنى سؤاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو السؤال عن مقصد اليهود من صومه لا تعرّف أصل صومه.

وما روى من أن موسى عليه السلام لما قربه الله نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ـ ثلاثين ثم عشراً ـ على ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) سورة الأعراف (١٤٢)، وتابع قومه من بعده الصيام كل (اثنين) وكل (خميس) يوم صعد الجبل ويوم نزل منه.

ومن صيام التطوع عندهم ـ كذلك ـ صوم نبى الله داود عليه السلام، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصيام صيام داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) رواه البخارى، وكان أحب الصيام وأفضله ـ تطوعاً ـ لأنه أشق على النفس، فإنه لا يعتاد الصيام، ولا الفطر، وفاعله يمكنه أن يؤدى حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره بخلاف من يتابع الصوم، فإنه لا يمكنه القيام بهذه الحقوق.

ومما ورد عندهم من نصوص التوراة التى فى أيديهم بشأن الصيام ما جاء فى:

• سفر (عزرا) الإصحاح الثانى ص ٧٥٠ (٢١).

(وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا).

• سفر يوئيل: الإصحاح الأول ص (١٢٩٩) (١٤): (قدسوا صوماً).

• وفى الإصحاح الثانى ص ١٣٠٠ « ولكن الآن يقول الرب: أرجعوا إلي بكل قلوبكم، وبالصوم، وبالبكاء والنوح » (١٢).

« ومزقوا قلوبكم لاثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رءوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة » (١٣).

« قدسوا صوماً نادوا باعتكاف » (١٥).

من صوم أهل الكتاب

ليس فى شريعة النصارى نص على تشريع صوم زائد على ما فى التوراة، فكانوا يتبعون صوم اليهود.

• وفى صحيح مسلم عن ابن عباس:

(قالوا: يارسول الله إن يوم عاشوراء تعظمه اليهود والنصارى).

(ثم إن رهبانهم شرعوا صوم (أربعين يوماً) اقتداء بالمسيح، إذ صام أربعين يوماً قبل بعثته).

(ويشرع عندهم نذر الصوم عند التوبة وغيرها).

• • •

إلا أنهم يتوسعون فى صفة الصوم فهو عندهم: ترك الأقوات القوية والمشروبات، أو هو: تناول طعام واحد فى اليوم يجوز أن تلحقه أكلة

خفيفة ، هذا ولهم صيام كثير أشهره صوم (الميلاد) وعدته ثلاثة وأربعين يوماً ويرخص فيه بأكل السمك .

وصوم (يونس) ، وصوم العذراء ، والرسل ، وصوم يونان ومدته ثلاثة أيام ، وصوم النذر والكفارة والتوبة الخ ثم الصوم الكبير وهو الذى صامه السيد المسيح عليه السلام ومدته خمسة وخمسون يوماً وهو أشهر صومهم وأقدمه قبل عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى عليه السلام ، وكان يصومه (عيسى) عليه السلام هو والحواريون ويمسكون فيه عن أكل المواد الغذائية والحيوانية ، والمتشددون منهم ينقطعون عن الطعام من منتصف الليل حتى الساعة الثالثة تقريباً بعد ظهر اليوم التالى .

ثم وضع رءساء الكنيسة ضروباً أخرى من الصيام وفيها خلاف عندهم بين المذاهب والطوائف ومنها : صوم عن اللحم ، وصوم عن السمك وصوم عن البيض واللبن .

وكان الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود يأكلون فى اليوم والليلة مرة واحدة فغيروه وصاروا يصومون من نصف الليل إلى نصف النهار .

ومن عاداتهم أمر الصائم بدهن الرأس وغسل الوجه حتى لا تظهر عليه امارات الصيام فيكون مرائياً .

ومما ورد عندهم من نصوص ما جاء : فى إنجيل متى : الإصحاح السادس (ص١١) :

« وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك » (١٧) لكى لاتظهر للناس صائما ، بل لأبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية »(١٨) .

وفى الإصحاح السابع عشر (ص٣٢) :



« لما رأى عيسى عليه الصلاة والسلام فتى وأخرج منه الشيطان قال لأصحابه : وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم » (٢١) :

وفى الاصحاح الرابع (ص٦) : « فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً » (أى المسيح عليه السلام) (٢) .

ومما ورد من آثار فى ذلك ما أخرجه البخارى فى تاريخه والطبرانى عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كان على النصارى صوم (شهر رمضان) فمرض ملكهم فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن عشراً ، ثم كان آخر فأكل لحماً فأوجع فوه ، فقال : لئن شفاه الله ليزيدن سبعة ، ثم كان عليهم ملك آخر فقال : ما ندع من هذه الثلاثة الأيام شيئاً أن نتمها ، ونجعل صومنا فى الربيع ففعل فصارت خمسين يوماً .

وجه التشبيه

يبقى بعد ذلك ان نتساءل ما هو وجه التشبيه فى قوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) ودلالته ؟

• هل هو تشبيه الفرضية بالفرضية ، أى فرض عليكم كما فرض عليهم ولا تدخل فى هذه الفرضية صفة الصوم ولا عدة أيامه ؟

• أم هو فى اتفاق الصومين المكتوب عليهم والمكتوب علينا فى الوقت والمقدار الذى هو لازم لنا اليوم فرضه ــ وهو شهر رمضان ــ بالذات ؟

(أم هو رمضان بالذات مع زيادة قيد وهو أنه كتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا ولا يقربوا النساء بعد النوم ، ولم يزل المسلمون على ذلك يصومون حتى نزل قول الله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) سورة البقرة .. وصارت أكلة السحر فصل ما بين صيامنا وصيامهم .

والجواب عن ذلك أنه بكل واحد من هذه الأقوال قال بعض العلماء والمفسرين :

ويقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى بعد أن ساق كل قول ودليله :

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : إن معنى الآية : يأيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب أياماً معدودات وهى شهر رمضان كله لأن من بعد (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام كان مأموراً باتباع (ابراهيم) وذلك أن الله جل ثناؤه كان قد جعله للناس إماماً ، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفية المسلمة فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذى أمر به من قبله من الأنبياء .

وأما التشبيه فإنما وقع على الوقت ، وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم (شهر رمضان) مثل الذى فرض علينا سواء ، والله ولى التوفيق .

حسن عيسى عبد الظاهر

• كيف كان أداء الأمم السابقة لعبادة الصيام؟ ولماذا تطرّفت بعض المِلَل في أدائه؟

• لماذا رأى الرسول الكريم ، أن أفضل الصيام هو صيام داود عليه السلام؟

الفكر الاجتماعي وقضية التنمية

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

من التعبيرات التي ذاعت في الفكر العربي في العقدين الأخيرين مفهوم التنمية ، ونجد الكلمة تستخدم في الوثائق الرسمية والخطط الحكومية وفي أبحاث ودراسات الأكاديميين الذين يتحدثون عن التنمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية إلى غير ذلك من مجالات . وبقدر ما اتسع استخدام التعبير وذاع بين الناس ، بقدر ما استخدم في مجالات تخرج عن معناه ومقصده . فالبعض يستخدم مفهوم التنمية بمعنى التقدم ، والبعض الآخر يستخدمه بمعنى التحديث ، والاتجاه إلى أشكال أكثر عصرية من التنظيم الاجتماعي ، والبعض يستخدمه كمرادف لتعبير التغير ، وهذه الاستخدامات رغم أنها غير دقيقة إلا أنها تشير إلى معان ودلالات ارتبطت من فترة تاريخية أو أخرى بمفهوم التنمية .

رغم أن مشكلة التنمية لم تطرق أبواب العلم الاجتماعي إلا فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، فمنذ القرن السادس عشر على الأقل والمفكرون الاجتماعيون يعالجون موضوع التغير والتطور في المجتمع ، ويكفي في هذا المجال أن نستعرض بسرعة أهم معالم هذه المعالجة . فكل من فرنسيس بيكون (١٥٦١ ــ ١٦٢٦) ورينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠) تصورا أن الإنسان يستطيع أن يحقق تقدماً لا حدود له بفضل جهوده الارادية الواعية ، ووضع فونتنيل (١٦٥٧ ــ ١٧٥٧) نظرية للتقدم الاجتماعي تقوم على أساس أن تراكم المعرفة العلمية هو أفضل طريق لتحقيق التقدم ، وتأكدت فكرة التقدم وحتميته بالنسبة للمجتمع الإنساني ، فرأى سانت بيير (١٦٥٨ ــ ١٧٤٣) أن الحضارة تسير دائماً نحو التقدم ، ونظر تيرجو الى تطور التاريخ والحضارة على أنه عملية تراكمية بحيث يعجل كل تطور حضاري بذلك ، ويؤكد كوندرسية (١٧٤٣ ــ ١٧٩٤) أن التقدم أمر حتمي للحياة الإنسانية ، وأن أساس تقدم الإنسانية هو تقدم العقل البشري ، وعلى يد سان سيمون (١٧٦٠ ــ ١٨٢٥) الذي بشر بالعصر الذهبي الذي ستصل إليه الإنسانية في مستقبلها نتيجة للتقدم العلمي ، أصبحت فكرة التقدم هي محور عملية التطور .وقدم أوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧) نظريته المشهورة عن المراحل الثلاث التي تعكس عملية التقدم في التاريخ ، وحتى بداية القرن العشرين إختلطت فكرتا التغيير والتقدم لدى عالم الاجتماع الإنجليزي هربرت سبنسر (١٨٢٠ ــ ١٩٠٢) الذي رأى أن التقدم الاجتماعي يسير في وفاق مع التقدم الكوني والبيولوجي ، وأن التطور الاجتماعي هو جزء من عملية طبيعية شاملة تحدث في الكون .

والفكر الاجتماعي في القرن التاسع عشر يقدم لنا أيضاً بداية التمييز بين أنماط متعددة من المجتمعات . فالسير هنري مين في كتابه القانون القديم (١٨٦١) يميز بين مجتمعات قائمة على المكانة الاجتماعية وأخرى على التعاقد ، وأن جوهر التطور هو الانتقال بالمجتمع من وضع المكانة الاجتماعية إلى وضع التعاقد . كما ميز تونيير (١٨٨٧) بين الجماعة والمجتمع حيث يسود الأولى طابع المحلية والعلاقات التلقائية الطبيعية أو ما يسميه بالإرادة الطبيعية التي تجد أساسها في العائلة أو القبيلة ، وفيه تعد الجماعة بمثابة تنظيم طبيعي يرتبط به الإنسان من الميلاد إلى الممات ويشعر بالانتماء إليه وتسود الوحدة العضوية والقيم المشتركة والتناسق الداخلي . أما المجتمع فيعرف الارادة العاقلة أو الرشيدة ، حيث تسود قيم التعاقد والعمومية والانتماء إلى جماعات غير طبيعية كالنقابة أو الحزب . كذلك يفرق أميل دوركهايم (١٨٩٣) بين مجتمعات بسيطة وأخرى مركبة .

الأولى يسودها التضامن الآلى ، الذى يقوم على التشابه فى الأبنية والقيم السائدة والأفكار ، والثانية تقوم على التضامن العضوي الذي يعتمد على التباين الذي يؤدي إلى التكامل وحيث يكون البناء الاجتماعي تنظيماً للعناصر المتباينة .

هذه النماذج الثلاثة ــ مين وتونيير ودوركهايم ــ ليست سوى أمثلة لعديد من الثنائيات التي قدمها الفكر الاجتماعي في القرنين التاسع عشر والعشرين ،ومنها التمييز بين التقليدي والحديث ، والحضري والريفي ، والزراعي والصناعي ، لكن كل هذه المحاولات لم تخرج عن إقامة ثنائية بين نوعين من المجتمعات دون أن توضح لنا كيفية الانتقال من أحدهما إلى الأخرى والقوى التي تحكم هذا الانتقال.

وتنتقد هذه الثنائيات على أكثر من أساس فهي ..

أولا : تخلط بين مفاهيم التغير والتطور والنمو والتقدم .

ثانيا : فان لها طابعاً سكونياً جامداً وتفترض أن كل المجتمعات لابد أن تنضوي تحت أي من النمطين .

ثالثا : تتضمن في ثناياها انحيازاً للنموذج الغربي في التنمية وافتراض أن نموذج المجتمع الغربي هو غاية عملية التنمية ونهايتها .

من التنمية الاقتصادية الى التنمية المجتمعية

ذكرنا أن موضوع التنمية فرض نفسه على دراسات العلوم الاجتماعية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبالذات مع استقلال دول آسيا وأفريقيا ، ومرة أخرى كانت سرعة التطور التاريخي أكبر من التراكم العلمي والأكاديمي ، فقد

وضح مدى تخلف الدراسات العلمية عن استيعاب الحقائق الجديدة ، ومعالجة المشاكل المستحدثة التي طرحتها هذه البلدان . وكان علم الاقتصاد أسرع العلوم الاجتماعية استيعاباً للموضوع ، وبرزت التنمية الاقتصادية كأحد اهتمامات العلم الرئيسية وربما كان سبق علم الاقتصاد في هذا المضمار مرجعه أربعة أسباب ..

أولها ــ أن الحكومات شجعت ذلك من حيث تركيزها على مشكلات التخلف الاقتصادي .

ثانيها ــ أن الآثار الاقتصادية الناجمة عن التخلف من بطالة وفقر ... الخ لها طابع العجلة .

ثالثها ــ أن علم الاقتصاد أكثر قدرة على التعبير الرقمي عن متغيراته .

رابعها ــ أن موضوع التنمية السياسية والاجتماعية قد يثير حساسيات وخلافات لاتوجد رغبة في إثارتها .

وتطرف البعض في التركيز على البعد الاقتصادي الى حد اعتباره العنصر الوحيد لعملية التنمية ، ووصلوا إلى نوع من الحتمية الاقتصادية أو التكنولوجية مؤداها أن كل المتغيرات التي تطرأ على المجتمع يمكن ارجاعها في نهاية الأمر إلى عوامل إقتصادية أو تكنولوجية ، يترتب على ذلك أن تصبح المدخلات الاقتصادية أو التكنولوجية هي السبيل الوحيد لإحداث التغيير الاجتماعي .

ولا شك أن في ذلك تبسيطا شديدا لمفهوم التخلف لتداخل مختلف ظواهر الحياة الاجتماعية جدلياً وتساندها وظيفياً ، وبتقدم الدراسة في الموضوع اتضح شمول ظاهرة التنمية ، وأن التنمية الاقتصادية ما هي ألا إحدى متغيرات الظاهرة التي تشمل متغيرات اجتماعية وسياسية أخرى . وأنه ينبغي أن نأخذ في الاعتبار عوامل اجتماعية أخرى مثل طبيعة البناء الاجتماعي والعدالة في توزيع الدخل والتكوين الفكري وبناء القيم في المجتمع والنظام السياسي والسياسات المتبعة .

كما اتضحت العلاقة الوثيقة بين مختلف جوانب عملية التنمية ، فالتنمية الاقتصادية ترتبط بعديد من الجوانب الاجتماعية من حيث شروطها ونتائجها . فنجاحها يتطلب وجود مؤسسات اجتماعية معينة وقيم ونظام تعليمي وخبرات فنية وتكنولوجية . فالقيم الاجتماعية التي تضبط السلوك الاجتماعي وتوجهه تمارس تأثيراً على عملية التنمية من حيث آثارها المباشرة على الحوافز وأنماط الاستهلاك وحجم المدخرات وحجم الأسرة . ويدخل في ذلك أيضاً دور المعتقدات والتقاليد والعادات والأوضاع والالتزامات العائلية والقبلية . كما تتطلب التنمية الاقتصادية اعتبار التعليم وما يتصل به كالتدريب المهني والبحث نوعاً من الاستثمار وتوجيه سياسته وفقاً لاحتياجات التنمية . ومن حيث الآثار والنتائج فإن التنمية الاقتصادية تطرح آثاراً على أشكال وأبنية المجتمع سواء فيما يتعلق بوضع الأسرة أو بدرجة العمران (التحضر السكني في المدن) أو بنسق القيم السائدة والعلاقات الاجتماعية والعلاقة بين الأجيال ، كما أنها تستهدف في التحليل الأخير هدفاً اجتماعياً وهو توفير حد أدنى من الإشباع الاقتصادي اللازم لتحقيق رفاهية الإنسان .

التنمية الاجتماعية من الناحية الأخرى تستهدف إقامة بناء اجتماعي يضمن استثمار إمكانات المجتمع البشرية والمادية أفضل استثمار ممكن ، ويضمن توزيع عائد التنمية الاقتصادية توزيعاً عادلاً ، فالتنمية الاجتماعية تستهدف إحداث تغييرات اجتماعية في أبنية المجتمع ووظائفه ، ويتضمن ذلك البناء السكاني والمؤسسات الاجتماعية وأنماط العلاقات الاجتماعية ونسق القيم والمعايير السائدة .

وهناك علاقة وثيقة بين البناء الاقتصادي لمجتمع ما ، والشكل السياسي له والقوى الفاعلة فيه . ومن ناحية أخرى فان التنمية الاقتصادية تتطلب درجة من الاستقرار السياسي الذي يدفع إلى ازدياد معدلات الادخار ويخلق إطاراً نفسياً ملائماً للعمل المشترك ، كما تتطلب جهازاً إدارياً على درجة عالية من الكفاءة .

نتج عن ذلك على المستوى الاكاديمي حركة مزدوجة من ناحية ازدياد اهتمام الاقتصاديين بالعوامل غير الاقتصادية في عملية التنمية ولعل دراسات روستو وهاجن وميردال أفضل أمثلة في هذا المجال . ومن ناحية أخرى تطور الاهتمام بموضوع التنمية في مجال الدراسات الاجتماعية الأخرى كعلم الإنسان (جيرتز) وعلم النفس (ماكليلاند) وعلم الاجتماع (مور وليرنر) وعلم السياسة (الموندو فيربا ، وباي وكولمان وابتر) .

وعلى المستوى الحكومي اهتم المخططون بدور العوامل الاجتماعية في عملية التنمية مثل الاعتراف بدور القيم أو النظام الاداري في تعويق عملية التنمية أو الاسراع بها ، وأشارت العديد من برامج التخطيط في البلدان النامية الى هذه الحقيقة ، وكانت نتيجة هذه الحركة أن أصبحت التنمية الاقتصادية جزءاً من كل ، وازداد الادراك بأن تنمية الاقتصاد لا يمكن فصلها عن تنمية المجتمع ككل وإطلاق قواه الكامنة .

ما هي التنمية ؟

هي عملية شاملة متعددة الأبعاد والجوانب ، بمعنى أنها تشمل المجتمع بأسره بكل ما يتضمنه من أنماط سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية . فمن المسلم به لدى أغلب الباحثين أن المجتمع يمثل وحدة عضوية كلية مترابطة يتأثر كل جزء بها بالتغير الذي يطرأ على باقي الأجزاء .

● التنمية ليست مجرد زيادة الدخل وتحقيق أهداف اقتصادية فقط ، بل هي عملية أشمل وأوسع

موضوع التنمية إذن من الموضوعات التي تشكل أهتمام كافة الدراسات الإنسانية : فعلم الإنسان (الأنثروبولوجي) يدرس تطور الأنماط المعيشية والثقافية للإنسان من أشكالها البسيطة البدائية إلى الأشكال الأكثر تعقداً وتركيباً ، وعلم التاريخ يقدم لنا الاطار التاريخي لعملية التطور والعوامل التي ساهمت في تحديد مسارها ، وعلم الجغرافيا يدرس البيئة الجغرافية للإنسان من موقع ومناخ وتضاريس والعلاقات المتبادلة بين البيئة والإنسان تأثيراً وتأثراً ، وعلم الاقتصاد يتناول تطور الأنماط الاقتصادية ، وكيفية تنظيم المجتمعات المختلفة لنظمها الانتاجية ، وعلم النفس يدرس العلاقة بين التغيرات من الأبنية الاجتماعية والسياسية وبنية الوعي الفردي والأمراض النفسية أو أشكال الاختلال وعدم التوازن التي يمكن أن تنتاب الإنسان نتيجة لهذه التغيرات ، وعلم الاجتماع يدرس المشاكل المرتبطة بالتطور من حيث نشوء أبنية اجتماعية جديدة وأدوار ووظائف مستحدثة ، والانتقال بالولاء من العائلة إلى جماعات جديدة أوسع نطاقاً ، وعلم السياسة يدرس طبيعة العمليات والنسق السياسية المرتبطة بتطور الأبنيةالاجتماعية .

قضية التنمية إذن هي قضية تغير حضاري شامل يتناول كافة أبنية المجتمع وأدواره ، ويشمل الجوانب المادية والانسانية فيه . يترتب على ذلك أن أية نظرية في التنمية الاقتصادية أو السياسية مثلاً لابد أن تنبثق عن ، وترتبط بنظرية عامة في تطور المجتمع ، وأن تأخذ في اعتبارها جوانب المجتمع المختلفة التي تتعرض لعملية التنمية ، لذلك لابد من الأخذ بمنهج ينظر الى الظاهرة التنموية في تكاملها ويسمح بالنظرة الشاملة للبناء الاجتماعي ككل .

وهكذا نخلص إلى أن التنمية ليست مجرد زيادة مستوى الدخل ولا مجرد تحقيق أهداف اقتصادية ، وليست مجرد استعارة الأنماط التكنولوجية المتقدمة من الدول المتقدمة . فالتنمية كقضية حضارية جوهرها تحقق الغايات الجماعية للأفراد في إطار المجتمع ، والسياسة التنموية هي تلك التي تسمح للأفراد وتنظيماتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مواجهة العقبات التي تحول دون ذلك ، وتمكنهم من إطلاق قواهم الكامنة لتحقيق هذه الأهداف وبحيث يمتلك المجتمع قواه الدافعة من داخله ، ويصبح قادراً على تحقيق استقراره وتوازنه على طريق الغايات الجماعية للمجتمع .

انتبهوا أيّها العرب

أطفالنا سنة ٢٠٠٠

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

- أخطر التحدّيات التي لم نستوعبها حتى الآن: تطبيع الطفل العربي على الكمبيوتر والإليكترون
- كيف نقاوم "المغناطيسية" العلمية الغربية التي تسرق من الوطن العربى أعظم الكفاءات والمواهب؟
- أهمّ من الجامعات: مراكز البحث العلمي في الذرّة والفضاء وزرع الأعضاء وعلاج السرطان

لم يبق الا ١٥ عاماً ويبدأ ــ بمشيئة الله ــ القرن الحادى والعشرون الميلادى ، واذا كانت النظرة الى المستقبل أهم من النظرة الى الحاضر ، فإن الغد المأمول قد يحقق للأمة العربية ما افتقدته فى أمسها أو يومها . ولا تحسبن الأمل فى الغد هو خيال فإن الخيال دائماً يسبق الواقع ويلده . والتخطيط للطفل العربى يجب أن يسبق التنفيذ . ويمكن للعرب أن يخططوا لطفلهم ما افتقدوه هم فى أمسهم أو يومهم . وقد يحقق الأبناء ما افتقده الآباء من أماني عزت عليهم . واذا كان هناك فارق ملحوظ بين واقع العالم الصناعى المتقدم وواقع العرب المعاصر ، واذا كان التقدم العلمى يمضى بخطى الساحر وبسرعة البرق ، فإن تشكيل الطفل على أساليب المدنية الحديثة وأدواتها ، وتمهيد عقله لتقبل أدواتها التكنولوجية هو الأمل الوحيد لطي المسافة بين وضعنا والوضع العالمى المتقدم .

والله عادل . إنه يخلق أطفال العالم كلهم على قدر واحد من المساواة المطلقة : فوجبة الطفل ابن الفقير هى هى وجبة الطفل ابن الغنى . وانما هما أبواه بعد ذلك اللذان يشكلانه ، وانما هو الطريق الذى مهده له أو لم يمهده له مجتمعه هو الذى يسلكه الى حيثما ينتهى به . فيحسن اذن بالعرب أن ينظروا فى واقع أنفسهم ليحددوا أوجه نقصهم فيتداركوها عن أبنائهم ، فإن هم فعلوا ذلك كان مردودهم أوفر غلة من أى استثمار مالى أو صناعى أو تجارى . فالطفل أسرع الأشياء نموا وان لم تلحظ عيونكم ذلك . والطفل أسرع ما فى الوجود تطوراً .

فخمسة عشر عاماً من حياة طفل يمكن أن تحوله من خلال التعليم من مخلوق صفر ضعيف ، معتمد على أبويه عاجز عن اطعام نفسه أو سقياها الى خريج جامعة يرتاد الفضاء ويحطم الذرة ويشق الانفاق ، ويزرع الصحراء ويشق الجبال . وهو بعد هذه الطفرة لا ينمو الا ببطء أشبه بالعدم وربما يبدأ الانحدار . فترة التطور الحقيقية ، اذن ، هى من الطفولة الى الشباب . وموقع التطور الحقيقى فى أى مجتمع هو مجموع الأحداث . أما الرجل أو المرأة فقد فاتهم التطور فى معظمه .

حذار أن يكون أطفالنا فى ساحة أطفال العالم متفرجين على أبناء الفرنجة فقط . وتذكروا أنه يمكن لابن التابع أن يبدل مركزه مع ابن السيد ــ بالتعليم وحده ــ فى فترة لا تتجاوز ١٥ عاماً . وتذكروا أن العدالة الاجتماعية الحقيقية لا تحققها القوانين ولا النظم السياسية ، وانما يحققها التعليم وحده ويحققها فى سلم وسلام سريعين جداً . وتذكروا أنه ممكن ــ عن طريق التعليم وحده ــ إتاحة المساواة السياسية أو حتى التفوق السياسى للعرب على المجتمعات الدولية الأخرى ، وأن هذا الانفاق فى هذا الباب هو أقل كلفة مرات ومرات عن الانفاق فى السلاح أو التناور السياسى أو حتى عن البذخ الفردى .

فاما عن أن نفقة التعليم أقل كثيراً من البذخ الفردى ، فمن الحقائق الاقتصادية السليمة ــ وربما غير المعروفة للعامة ــ هى أن الهالك لدى أى فرد متوسط لا يعيش حياة مترفة اطلاقاً من فاقد فى الطعام أو فى اللباس أو فى التغيير الذى لامبرر له يصل الى عشرين ضعفا ــ على الأقل ــ مما ينفقه فى باب طلب العلم !

فالعلم اذن هو السحر الحقيقى الحديث . السحر المتاح للجميع والسريع المفعول .

الكومبيوتر

ان أول ما ينقص الطفل العربى فى باب التعليم وما يجب أن نوفره له ونحن نعده للقرن الحادى والعشرين الذى سوف يهل علينا فى غمضة عين قدرها ١٥ عاماً ــ هو تطبيع الطفل على الكومبيوتر والألكترون . لقد تطورت أداة التعليم من اللوح



حذار أن يكون أطفالنا فى ساحة أطفال العالم متفرجين فقط

الأردواز الى الريشة والدواة الى القلم الحبر الأمريكانى الذى يحمل دواته داخله الى القلم الجاف الى المسطرة الحاسبة ، ثم قفز قفزة واحدة الآن الى الكومبيوتر والالكترون . وعقول الآباء العرب لم تستوعب حتى الآن هذه الحقيقة البسيطة ويصرون على ارسال أولادهم الى المدارس بالقلم الجاف !

ان الفرق بين استخدام الكومبيوتر فى العملية التعليمية أبعد أثراً مرات ومرات لا حصر لها عن الفرق بين استخدام المطبعة فى طبع الكتب والمجلات وبين نسخها باليد . هل تتصور أنه فى عصر النساخين كانت هذه المطبوعة تصلك حيث أنت الآن ، وتصلك بسعرها الزهيد هذا وتصلك معها آلاف وآلاف غيرها ؟

ان الفرق بين من يستخدم الكومبيوتر فى العملية التعليمية ومن لا يستخدمه قد يكون أكثر من الفرق بين من تتاح له كل كتب مكتبة الكونجرس أو الاسكوريال وبين من لا يملك الا هذه المطبوعة .

وقد يكون أكثر من الفرق بين من تتاح له أخبار العالم كلها عبر الراديو ومن هو مسجون فى معتقل فى قلب الصحراء .

وليس الكومبيوتر بباهظ الثمن ، بل هو أقل كلفة من المدرس ، خصوصاً أن كان مدرساً خاصاً ، ثم هو مدرس تحمله معك حيث تكون وفى كل آن وأوان ، ويدرس لك كل العلوم وكل المعلومات وبأسرع مما يتيحه المدرس التقليدى وأكثر منه دقة ، ويمكنه أن يمتحنك ويصحح اجابتك دون أن يجللك بخزى الرسوب أو يرميك بقاذع اللفظ أو يضع قلمه الأحمر على خط سير حياتك .

ثم ان له فائدة قصوى قد لا تدركها العقول الآن وهى أنه سوف يمنع تماماً هجرة العقول العربية أو نزيفها الى أوربا وأمريكا لأنه سوف يتيح لها وهى مستقرة فى دارها وأهلها كل الجو العلمى والحقائق العلمية التى تجذب حالياً ضحيتها الى الخارج بالمغنطيسية العلمية حتى تسلمه الى مغنطيس آخر سياسى أو اجتماعى أو عقائدى .

ان نزيف العقل العربى سوف يتوقف تماماً عند من يستعملون الكومبيوتر .

وفى باب الاحتفاظ بالعقول العربية ، كم نود لو أن الدول القادرة أنشأت عندها كلها مراكز بحث علمى متعمق بدلا من الجامعات التى تتنافس فى انشائها ثم يتخرج خريجوها ويتغربون أو يتأوربون أو يتأمركون . هذه الجامعات أكثر من الحاجة الحقيقية للمجتمع العربى . وقد أنفق عليها فى سخاء كان يمكن أن ينشيء مراكز بحث علمى فى الذرة والفضاء وزرع الأعضاء وعلاج السرطان ، وهذه المعاهد كفيلة بجذب العقول العربية الجامعية للبقاء فى الوطن ، بل هى كفيلة بعملية هجرة معاكسة للهجرة الحالية . واعنى هجرة عقول أوربية الى هذه المعامل والمراكز العلمية .

قد تكون مهمة الجامعة هى جعل العلم فى خدمة المجتمع أو الدولة . ولكن مهمة مركز البحث المتقدم هى شيء غير هذا : هى العلم من أجل العلم ، هى البحث العلمى من أجل علم جديد . هى فتح مناجم العلم التى هى أوفر من مناجم الذهب وآبار البترول .

إن كل قرش يصرف على البحث العلمى هو تحويل معدن خسيس الى معدن نفيس ، وتحويل التراب الى ذهب ولكنكم لا ترونه ذهباً الا بعد فترة .

أطفالنا سنة ٢٠٠٠

ان جانباً بسيطاً من فائض الغاز الذى يحترق أو جانباً بسيطاً من تذبذب أسعار البترول أو جانباً من فرق سعر القطن فى الأسواق العالمية كفيل بأن يؤسس مراكز بحث علمى عالى . ان كل مراكز البحث العلمى الغربية التى تجذب شباب علمائنا لم ينشئها الا أفراد بتبرعات وهبات . وهؤلاء الأغنياء المتبرعون يعتبرون بالنسبة لاغنيائنا فقراء .

وفى مجال الاحتفاظ بالعقول العربية فى الوطن العربى يمكن أن تقوم مؤسسة تبحث عن الطلاب النابهين فى الجامعات العربية وترعاهم أبوياً فى مراقبة تطورهم العلمى بحيث يصلون الى مستوى دولى . ان هذا العالم الصغير أو الشاب عندما يرى أن له أباً روحياً فى الوطن العربى وأنه يسانده ويستحثه للتنافس الدولى وانه يعده للسباق العالمى كما يعد خيوله سوف يثبت له جدارته بهذا التنافس العالمى الحر وسوف يرتبط بالوطن العربى .

ومراكز البحث العلمى العربى كما أتخيلها يجب أن تشمل أيضا مراكز بحث فى العلوم الانسانية والاجتماعية . فليس عالمنا العربى عالماً للآلات ولكنه عالم للانسان والروح والعاطفة أيضاً ، على كل الأحوال يجب أن يحول جانب كبير من اعتمادات إنشاء الجامعات الى انشاء مراكز بحث علمى متعمق أو متطور . أن سياسة وانشاء الجامعات قد تجاوزت المدى المعقول حتى أصبح أجر الخادمة الأمية خمسة أمثال أجر الجامعية المتعلمة . وأصبح أجر سائق الآلة أو خفيرها أضعاف أجر مهندسها . وأصبح ايراد الميكانيكي اليدوى أضعاف الجامعى ذى العمل الحر المهنى . وأصبح الهرم مقلوباً .

الالكترون

تطورت اليابان الى مركز الصدارة عن طريق رؤيتها قبل غيرها لأهمية الالكترون . وسبقت غيرها فى مجال استخدامه ، فقفز بها الى الصف الأول فى نحو عشر سنوات رغم خروجها من الحرب العالمية الثانية محطمة وإرادتها مرغمة .

اذا كان الكومبيوتر هو القلم والورقة بالنسبة للتلميذ والطالب والجامعى ، فان الالكترون هو العدة الجديدة للصانع والزارع والتاجر والحرفى فى عصرنا وسوف يكون أكثر أهمية فى المستقبل القادم القريب . ان الالكترون قد حول العامل من حداد أوعتال أو شيال يبيع قوته وصحته ويعرض بصر عينيه للشراء ويعرض صحته للبخار والتراب ، الى صانع حديث يشغل بالالكترون كل شيء من أول لعبة الطفل الى أدوات الزراعة والطب والصناعة الى السيارات والسفن والطائرات ومالا أدرى من أشياء .

ان المدارس الصناعية والتجارية والزراعية فى طول الوطن العربى وعرضه قد خرجت فئات نهضت بالعمل اليدوى والفنى نهضة أغنتنا عن الخضوع الكامل للاستعمار بفنونه وآلاته ووسائل مدنيته . ورغم أن هذه المدارس لم تحظ بالاهتمام الذى حظيت به جامعاتنا بل لقد تحول بعضها الى جامعات . رغم هذا كله فان هذه المدارس تحتاج الآن الى تطوير شامل وسريع يقوم أساساً على استخدام الالكترون فى كل ميدان يمكن استخدامه فيه : زراعياً أو صناعياً أو تجارياً .

ان الكهرباء على قدر ما قدمت للعالم كله من تقدم مثلها مثل مصادر الطاقة الأخرى من بترول وفحم وخلافهما ــ قد أصبحت الآن بعد الالكترون كما يصبح الرجل العاجز امام الساحر المعجز . فالراديو بعد أن كان بالكهرباء ، لا يقوى على حمله رجل فحل ، أصبح هو نفسه بالالكترون يوضع فى جيب الصبى وأصبحت أجهزة التجسس الالكترونية من خلف الجدران المحكمة تقوم بما لم نكن نتخيله عن الجن والعفاريت . ان العامل العربى يحتاج الآن الى من ينبهه الى ضرورة استعمال الالكترون ويذهب إليه فى دكانه ويفتش على وجود الالكترون ويشترطه فى رخصته . لأن هذه هى الأداة الى التحرر السياسى الحقيقى ، والى التقدم الاقتصادى السريع والى تطور المجتمع من مجتمع نائم الى مجتمع متيقظ ويسابق الريح .

البحث العلمى

اذا كانت بعض الدول تزرع فى كل مصنع مندوباً يراقب الانتاج حتى تتم لحظة السباق الدولى ، فاننا نحن العرب فى حاجة الى أن يكون فى كل موقع مندوب عن وزارة للبحث العلمى أو اكاديمية العلوم أو أى جهة رئيسية يكون هدفها هو تطوير الواقع العربى الى وضع علمى متسابق مع العالم الخارجى . ان مثل هذا الملاحظ فى أى مصنع أو شركة أو مؤسسة سوف يستحث تطبيق أحدث وسائل العلم فى الانتاج والتصنيع ، والتوزيع وسوف يطور الانتاج أضعاف أضعاف ما ينفق على الاعلان أو التسويق أو السمسرة أو خلاف ذلك .

ومثل هذا الملاحظ العلمى سوف يطور الجو الى جو علمى متفتح منسجم وموحد ومندفع نحو هدف واقعى . ان الملاحظ العلمى لا يقل أهمية للعرب حالياً عن الطبيب أو المهندس أو القاضى أو الضابط أو الأديب . فهذه الوظيفة الى جانب « مدن العلماء » أو « مدن العلم للعلم » يمكن أن تعيد العصر الذهبى للمدارس العربية العلمية القديمة فى قرطبة وفى بغداد وفى خوارزم ، ويمكن أن تفرخ ابن سينا آخر ، وابن رشد جديد !

الوحدة العربية للطفل العربى

لقد عانى العرب فى تاريخهم مرارة فشلهم فى قيام وحدة بينهم ويجب أن يحققوا لأبنائهم ما حرموا هم منه .

لم يحقق العرب قدراً معقولا من الاتحاد والتجمع الا فى مواجهة الحرب فقط . فى حرب ٧٣ حققوا قدراً معقولا باتحاد جيشى مصر وسوريا ثم بالمقاطعة البترولية . وفى حرب ٦٧ حققوا قدراً من الوحدة فى مقررات مؤتمر الخرطوم . وفى عدوان ١٩٥٦ هبوا متعاطفين مع مصر وقطعوا البترول بمبادرات شعبية . وفى حرب ٤٨ كان هناك بعض التجمع أيضاً .

ولكن فى زمن السلم تتمزقهم الخلافات والتفرقة . والأساليب السلمية لا يلجأون إليها كأسلوب تكتل وتوحيد . فمثلا لو أن هناك خطاً حديدياً من طنجة الى القاهرة ينقل البضائع والركاب أو على الأقل طريقاً برياً ــ اوتوستراد ــ لحقق هذا ــ وبمكاسب مادية ــ ما عز تحقيقه بالمناورات السياسية والحملات الاعلامية والمؤتمرات العربية رغم كل ما تنفقه بدون عائد .

لقد كانت بريطانيا قبل أن تفاجئها الحرب العالمية الثانية تخطط لاقامة امبراطورية أفريقية لها عن طريق مد طريق برى من القاهرة الى كيب تاون .. لا أكثر .

ولقد كانت تركيا العثمانية حتى فى أواخر أيامها تمد خطا حديديا من اسطنبول الى المدينة المنورة ومن اسطنبول الى بغداد .

ان طبيعة الأرض العربية تجعل سكان الوطن العربى متجمعين فى جزر تفصل بعضها عن البعض بحار من الرمال الشاسعة . فواحة وادى النيل تفصلها عن ليبيا الصحراء الغربية . وعرب الشمال يفصلهم عن وادى النيل الصحراء الشرقية . وعرب العراق يفصلهم عن عرب الشام بيداء شاسعة . وان اتصالات الطيران والاتصال اللاسلكى وحتى اتصالات القمر الصناعى العربى لن تغنى أبداً عن الاتصال الأرضى الذى يخلط الشعوب ويصلها كما تصل الأسرة أبناءها .

ان فقد الاتصال الأرضى بين مصر والأردن عبر صحراء النقب كان عاملا حاسماً فى نزع أرض فلسطين من الجسد العربى ثم كان عاملا حاسماً أيضاً فى فك الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ . لقد قامت محاولات اقليمية للوحدة فشلت جميعها لعدم وجود الاتصال الأرضى : قام مشروع الهلال الخصيب . ومشروع سوريا الكبرى . ومشروع الوحدة العربية الناصرية . ومشروع وادى النيل وأفشلها جميعاً عدم وجود اتصال أرضى يمكن رجل الشارع من التجوال .

ولقد كان وجود الاتصال الأرضى – عبر ممرات سيناء – هو العامل الوحيد الذى جعل جولدا مائير تحلم بالنزول الى القاهرة لتتسوق مشترواتها !

ان الاتصال الأرضى هو أبجدية العمل السياسى الوحدوى . وهو مشروع يصرف على نفسه ويحقق عائداً مادياً ويفرز وحدة واقعية عملية .

لقد استطاع العمال الحرفيون العرب فى البلاد ذات الكثافة السكانية مثل مصر والسودان وتونس أن يعملوا فى البلاد البترولية ويحققوا بذلك وحدة فعلية وعملية وناطقة دون جعجعة السياسيين والاعلاميين وانتكاساتهم الضارية . لقد حقق العامل والفلاح البسيط ما عز تحقيقه على كثير من الزعماء وحققوا بهذه الوحدة الصامتة العاملة عائداً مادياً لهم ولبلدهم وللبلد المضيف . وهذا ما سوف يحققه أضعافاً مضاعفة وجود وسائل الاتصال الأرضى من سكك حديدية واوتوسترادات وما تفرزه من سياحة مشتركة وسوق تجارية ممتدة ومتنوعة ومستطرقة كالأنابيب المستطرقة تحتفظ كل أنبوبة بانبعاجاتها الخاصة ولكن مستوى الماء فيها كلها واحد .

اذا كان العرب الكبار قد حرموا من الوحدة وفشلوا فى تحقيقها فى محاولاتهم المتعددة وأحسوا مرارة الفشل ، فيجب أن يحموا أولادهم عام ٢٠٠٠ من هذا الفشل بأى صورة .

هناك صور كثيرة لتنمية صورة الوحدة بين أطفال العرب . اذا كنا لا نطمع فى برنامج تعليم موحد لأن الآباء الكبار مختلفون على هذا ، فلنتفق على توحيد فرع واحد وليكن مثلا كتاب القراءة والأدب العربى الذى يتداوله أى طالب من اللاذقية شمالا الى جوبا جنوباً ومن طنجة الى مسقط ، كتاب واحد بحيث تكون ثقافة الطفل متجانسة .

من الممكن أن تكون هناك معسكرات للأطفال العرب تمزجهم عقلياً وعاطفياً .. أن لم نتمكن من معسكرات للمعلمين العرب فضلا عن برنامج موحد لاعدادهم . من الممكن أن يتمتع الطفل العربى بحق التعليم فى أى دولة عربية وفى كل المدارس بدون حواجز ان لم يكن لهم جواز سفر طلابى حر تفتح لهم الحدود حالياً .

من الممكن أن تتبنى الجامعة العربية جميع أطفال الدول العربية وتتيح لهم وسائل التراسل والتزاور وتبادل البرامج وتخطيط الوظائف ومواقع العمل بعد التخرج .

ليت الجامعة العربية تعطى اهتماماً أكبر للطفل العربى وتوفر جهودها للطفل العربى قبل الرجل العربى .

الاهتمام بالطفل أجدى من الاهتمام بالبالغ

وهذا موقف حضارى . وهو أيضاً موقف عربى قديم . فالعرب أقدم الأمم اهتماماً بالطفل من باقى الأجناس . كانوا يرسلون رضيعهم بعيداً عن المجتمع الحضرى لا انتجاعاً للصحة فحسب ولكن كانوا يختارون مرضعة محسبة مؤصلة فيها من الصفات الذهنية والخلقية ما يحبون أن يكون مثلها فى نسلهم . وهذا هو ما يحاوله الآن علماء الغرب فى تجاربهم بأطفال الأنابيب أو فى لعبهم بالجينات والكرموسومات وان لم يصلوا بعد الى شئ مما وصل إليه العرب فعلا وتمتعوا به أجيالا وراء أجيال .

وفى التاريخ العربى لمعت سلسلة من الأطباء العرب كانوا يعالجون الطفل العربى ويهتمون به غير ناظرين الى الصحة الجسدية إلاعلى أنها عنصر فقط من كيان يكتمل بالعناصر الخلقية والروحية والمعنوية وهو مالم يصل اليه الطب الغربى حتى الآن . وقد لا نستطيع حصر كل هذه الأسماء ولكن علماء طب الطفولة الغربيين المعاصرين يعودون إليهم حالياً ليسترجعوا ماكتبوه يعود د . جراتسيانى الأمريكى الى طب ابن جزلة المتوفى عام ١١٠٠ م ويعود زميل له الى طب أبى على بن مندويه الأصفهانى ، ويعود يوسف حبى عضو المجمع العلمى العراقى الى طب حنين ، ويعود راينر بنيليك من المانيا الشرقية الى ابن الجزار ، ويعود دياز من أسبانيا الى عبدالملك بن حبيب هناك أيضاً من تتبع كتابات ابن النفيس وابن القف والكازدنى والسامرى والانطاكى .

وهناك قائمة طويلة بأطباء الأطفال العرب من الرازى الى ابن سينا الى ابن وافد والغافقى وابن زهر وابن كلس وابن الجزار وعشرات غيرهم يحاول الطب الغربى الآن أن يعيد قراءة ماكتبوه بعد أن تبين سعة أفقهم وشمول نظرتهم للطفل نفسياً وعقلياً واجتماعياً الى جانب الناحية الجسدية .

وكان النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) يستحث الأبوين على الاهتمام بالطفل وبمسؤوليتهما الكاملة عنه بقوله « كل مولود يولد على الفطرة . وانما ابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فعلى الأبوين تدريب وتهذيب الغرائز لا مجرد اطعام الطفل وكسوته . وكان فى هذا الصدد يقول « من كان له صبى فليتصاب له أى يتصاغر له بلطف فى القول والفعل . وكان اذا لقى طفلا فى الطريق يركبه ناقته ويلاطفه حتى يضحك . وكان فى بيته يربى على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس ثم الحسن والحسين رغم كل مشاكل الرسالة . وكان يقول حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية والا يذيقه الا طيبا . فجعل محو الأمية فى رقبة الأب مباشرة .. لا الدولة . وجعل اشتراط ان يكون طعام الطفل من رزق حلال مدخلا الى التقى والتعفف والبعد عن كل حرام أو مشبوه . وكان يقول ما كان الرفق فى شئ الازانه وفى هذا اختيار للأسلوب السيكولوجى المطلوب . وكان يقدر الطب فيقول العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فكأنه يجمع الطب الروحى أو المعنوى فى علم الأديان الى الطب الجسدى المعروف وهو مازال ينقص طبنا المعاصر الأوربى .

وفى الختام

إن علماء الانثروبولوجيا المعاصرين (علماء الأجناس) يؤكدون أن الطفل العربى يأتي على رأس قائمة أطفال العالم كله ذكاء وخفة روح وسرعة بديهة ونشاطاً فى الحركة وسرعة حفظ وملاحية فى التعبير . وانما ينطفىء بريق الذهب هذا ويتحول الى زنجار وصدأ بالاهمال أو بالبرامج التعليمية المشوهة . ومعلوم أن الطفل هو ثروة الغد . وانها ثروة تزرى بالثروات الطبيعية الأخرى من معادن ومحاصيل . وعلى العرب الا يدعوا العجز الذى يحيط بهم يقيد أطفالهم أيضاً باغلاله ويطحنهم بين رحاه .

على الجامعة العربية وعلى وزارات الثقافة وعلى طبقة المثقفين أن ينقذوا أطفالهم من الغرق ليصير الغد غداً للعرب .

السيد فهمى الشناوى

● اقتـــراح بإنشـــاء "مؤسســة للنابغيـــن" تـبحث عن الطلاب النابهيـن في كل الجامعات العربيـة .. وتـرعاهـم وتـراقب تطـورهـم



آباء عاطفيّون وأمّهات قويّات!

بقلم: الدكتور يحيى الجمل

يواصل الدكتور يحيى الجمل ، رواية مذكراته الممتعة فى هذا العدد ، وكان الدكتور الجمل قد بدأ هذه المذكرات فى العدد الماضى من الدوحة حيث ألقى أضواء كاشفة على الحياة الاجتماعية والثقافية فى ثلاثينيات هذا القرن ، وفى هذا الحلقة الجديدة يمضى الكاتب الكبير فى تصويره الدقيق لحركة الثقافة والمجتمع منذ اربعين سنة من خلال أبرز كتاب هذا العصر وفنانيه وقضاياه ومشاكله المختلفة .

كان فتانا يقضى صباحه يقرأ . وقد بدأ « مشوار » القراءة مع مصطفى لطفى المنفلوطى ، ومايزال يذكر كيف استغرق فى قراءة « ماجدولين » حتى أنه كان لا يحس بمرور الوقت من حوله ، الا أن فترة « المنفلوطى » لم تستغرق معه وقتا طويلا وانما عبرها بسرعة الى قراءات للمازنى وتوفيق الحكيم ثم محاولات بعد ذلك مع الرافعى وأخرى مع العقاد وغيرها مع طه حسين ، وكان المنبع الخصب هو أعداد الرسالة . أعداد الرسالة فى سنواتها السابقة وأعداد الرسالة الجديدة . كانت الرسالة هى المدرسة الثقافية التى كان يمضى فيها ومعها شهور الصيف الأربعة ، وكان للرسالة شقيقة صغيرة اسمها « الرواية » وفى الرواية التقى مع كثيرين من كتاب القصة القصيرة وكثير من المترجمات . وعلى صفحات الرواية يذكر أنه التقى مع نجيب محفوظ لأول مرة من أكثر من أربعين عاما . يذكر أيضا أنه التقى بتوفيق الحكيم على صفحات الرسالة والرواية جميعا . وكان يلقى تشجيعا من أخيه ومن ابن عمه « أمين » ، أما أخوه فكان يريده أن يحب الرافعى ويقرأه ويأتم به وأما « أمين » فكان لا يرى فى قراءة الرافعى خيرا يرتجى وأن الثقافة كل الثقافة والعمق كل العمق هى فى قراءة العقاد . وكان فتانايسمع الى اخيه ويسمع الى ابن عمه ولا يريد أن يغلق ذهنه على أحد أو دون أحد من الكتاب الكبار جميعا .

وكان « سعد » هو رفيق الجزء الغالب من وقته خاصة عندما تقترب الشمس من الغروب . كانا يخرجان معا يسيران على الجسر ما حلا لهما السير . فى يدهما كتاب أو عدد من أعداد الرسالة أو أعداد الرواية . يتحدثان فى كل شىء حديثا منطلقا على سجيته لا يتركان أمرا من الأمور الا طَرَقَاه .

وكان فتانا قد جاوز الثانية عشرة من العمر واقترب من نهاية المرحلة الابتدائية عندما خفق قلبه بالحب لأول مرة وهو فى القرية . كان يحبها وكانت تحبه . وكانت تكبره بعام واحد وكانا يلتقيان خلسة فى أمسيات صيف القرية . وكان يسهل لقاءهما أنهما قريبان وأن الدور توشك أن تتجاور .وكان تعبير كل منهما عن حبه للآخر يتمثل فيما قد يحتفظ به لكى يقدمه لصاحبه من بعض « كيزان » الذرة أو بعض ثمار الفاكهة عند أول ظهورها . ما كان أحلى أن يعطيها شيئا من ذلك القبيل أو أن يأخذ منها شيئا . وكان يتخيلها وهو يقرأ قصص الحب خاصة « ماجدولين » وكان يتصور أنه سيعيش معها قصة حب يكتبها يوما من الأيام .

وكان حبهما بريئا ساذجا غرا أيضا . ولكن ذلك الحب الذى بدأ به قلبه مسيرة طويلة ووعرة لم يقدر له الا أن يكون حبا موجعا على غير ما ينتظر من حب الصبية بعضهم لبعض حيث رآهما أخوها وهما واقفان فى جنح الليل يتهامسان ويتناجيان ، وكان أخوها يعلم منه مباشرة أنه يعيش قصة حب وقد أدرك الآن من هى « المحبوبة » وضرب أخته « علقة » وقاطع قريبه منذ تلك الليلة .

أما هى فقد أصيبت بالحمى وتأخر أهلها فى احضار الطبيب وأكلت ما لا ينبغى لها أن تأكل ،وفى صباح يوم حزين انطلقت الأصوات الباكية تعلن أن روحها الحلوة قد فاضت الى ربها ، وهكذا طويت صفحة حبه الأول وهى لم تكد تبدأ .

* * *

وفى أجازات الصيف فى القرية بدأ يعرف أباه وأمه وبقية أخوته عن قرب ، ذلك أنه كان يقضى

طوال العام الدراسى فى طنطا مع أخيه « سعيد » الى أن انتهى « سعيد » من التعليم الثانوى ودخل كلية الحقوق فى القاهرة وهناك استقرت الأسرة كلها بناء على إلحاح الأخ الاكبر ورغبته أن تكون أمه قريبة منه .

وفى أجازات الصيف الطويلة وفى تلك القرية من قرى المنوفية كان يرى أباه ويرى أمه ويرى بقية أفراد أسرته ، وبدأت تنطبع فى نفسه مشاعر وخيالات وأفكار عنهم جميعا .

أما أبوه فكان الحنان مجسما فى رجل . كان رجلا طيبا بكل ما تعنيه هذه الكلمة عند المصرى العادى من أمور منها الايجابى ومنها السلبى عند هواة تحليل الالفاظ .



نجيب محفوظ



مصطفى لطفى المنفلوطى



عبد القادر المازنى

كان يحب أولاده ويتعلق بهم ويحرص على مرضاتهم ما وسعه الى ذلك من سبيل . وكان حنوناً عطوفاً لا يذكر أنه زجره أو ضربه فى طفولته قط . ولم يكن الرجل موسعاً عليه فى الرزق ومع ذلك كان حريصاً الحرص كله على أن ينال أولاده ــ جميعاً ــ بنين وبنات ــ من التعليم ما قد حرم منه ، وذلك أن هذا الوالد الطيب كان من أوائل من ذهبوا الى التعليم المدنى فى منطقتهم وكان بيقين أول من دخل المدارس الثانوية من أهل القرية ولكنه لم يستطع أن يحصل على شهادة « البكالوريا » ويبدو أن ذلك ترك فى نفسه أثراً عميقاً جعله حريصاً أن يحقق أولاده مالم يتح له أن يحققه .

وكان الرجل الطيب سريع التأثر بما يسمع من الناس مما كان يجعله يبدو متردداً لا يستقر على رأى إلا وتركه الى غيره ثم عاد إليه أو لم يعد ، ولكن الشيء الثابت الواضح فى سلوكه هو ذلك الحب الغامر الفياض تجاه أبنائه ، وقد كان ذلك الحب يصل أحياناً الى حد الايذاء عندما يتحول الى نوع من الخوف الذى لا مبرر له ولا سبب .

ويذكر صاحبنا وهو صبى صغير كيف أن والده هو الذى كان يشرف على « حمامه » لكى يتأكد من أن الماء لا هو بالبارد ولا هو بالساخن وإنما هو بين هذا وذاك فاتر لا يؤذى الغلام ولا يسبب له نزلة برد بعد ذلك . وكيف كان يلف الصبى لفا بعد الحمام فى بطانية من الصوف ولا يتركه الا وهو فى سريره يتهيأ لنوم عميق أو غير عميق حسب ما يكون قد أصاب فى يومه . وقد أثر ذلك على صاحبنا طوال حياته اذ أضعف مقاومته لنزلات البرد وتقلبات الجو وأصبح المرض الذى يعاوده بين الحين والحين هو تلك « الانفلونزا » الكريهة التى توشك أن تلم به عند مخارج الفصول ومداخلها وبين ذلك أحياناً أخرى .

وكان ذلك الوالد الطيب الحريص على أولاده وعلى تعليمهم ومستقبلهم كثيراً ما يضرب لهم الأمثال الطيبة من وجهة نظره لكى يشجعهم ويحفزهم على الاقتداء بها ، ولكن الفتى يذكر أن والده الطيب لم يذكر مثلا واحداً يصلح لاحتذاء . كان يضرب لهم الأمثلة ، دائماً بأشخاص هم دونهم فى كل شيء . ولكن الوالد كان يراهم خيراً من أولاده . ويبدو أن كثيرين من الآباء لا يرون فى أبنائهم خيراً ويرون الخير كله فى أبناء الغرباء .

وكم كان يحز فى نفس الفتى أن يضرب له أبوه مثلا بهذا أو ذاك من فتيان القرية الذين كان هو يراهم دونه فى كل شيء . وتمضى الأيام فاذا بكل تلك الأمثلة لا تنجح فى شيء قط لا فى الفلاحة ولا فى غير ذلك ، ويحلو للفتى وقد شب عن الطوق أن يذكر أباه بتلك الأمثلة الخائبة التى كان يذكرها له يريد من ورائها أن يحفزه الى ما هو أفضل ، وقد حاول الفتى عندما كبر أن يفهم سر ذلك ولكنه لم يستطع أن يصل الى شيء ، ولعل الشيء الوحيد الذى دار بذهنه هو أن والده كان يحب والد هذا أو والدة ذاك لقرابة أو صلة وكان حبه للوالدين يدعوه الى شيء من الاعجاب بالأبناء فلا يرى فيهم الا محاسنهم ولا يفتأ يذكر تلك المحاسن ــ الموهومة ــ أمام أبنائه حتى ليكاد يضجرهم فى حياتهم وحتى ليكاد يدفعهم دفعا الى كراهة تلك الأمثلة بل والسخرية منها .

ولم يكن ذلك الوالد الحنون من الشخصيات الآمرة الناهية المستبدة بأبنائها . كان عكس ذلك تماماً وكان مسالماً لا يحب المشاكل وينأى بنفسه ويود لو نأى بأولاده جميعاً عنها . وكان متديناً فى غير تطرف ، محباً للحياة فى غير تكالب . يسره من دنياه رؤية أولاده ناجحين ويسعده أن يأكل من الطعام ما يشتهيه ويستطيبه .

وكان الفتى يلحظ أن أسارير ذلك الرجل الطيب كانت تمتلىء بالرضا وهو على مائدة الطعام يأكل ما يحبه من ألوانه ، وكان من محبى الأسماك واللحوم بصفة عامة ــ وكان يكمل سعادته أن يكون حوله بعض أبنائه إن لم يتيسر أن يكونوا جميعاً معه . لم يكن شرهاً وإنما كان ذواقة فى غير تكلف ولا تزيد .

كان يحب الخير كل الخير لنفسه ولأولاده . وكان يحب الخير لمن لا يعرف من الناس ولكنه بالنسبة للآخرين من أهل القرية فإنه ما كان يسعده كثيراً أن يمتاز عنه أحد منهم بشيء فإن امتاز أحدهم فإن ذلك لم يكن محل قبول حسن أو رضا صادق من نفسه وان أظهر ذلك الشعور أمام الغير . وكان أظهر ما يبدو ذلك واضحا تجاه بعض الذين لم يكن الوالد يرتاح لهم أو حتى لسماع حديثهم ولم يكن بالتالى يرتاح عندما يسمع أن خيرا أصابهم خاصة إذا كان ذلك الخير يتمثل فى شراء بضع قراريط من أرض .

ولم يكن ذلك الشعور بغير سبب . كان والد الفتى يوشك أن يضطر فى شهر اكتوبر من كل عام ــ وهو بداية العام الدراسى ــ أن يبيع بضعة قراريط من أرضه لكى يواجه تكاليف بداية العام الدراسى خاصة عندما كبر أولاده ودخلوا المدارس كلهم أو أغلبهم وكانوا فى مراحل التعليم المختلفة من الابتدائى الى الجامعة . ولم يكن هناك من سبيل الى مواجهة أقساط المدارس وشراء ما يحتاجه هؤلاء الأبناء غير اللجوء الى بيع أرض أو رهن شيء أو اقتراض من أحد . وكان أبوه يقدم على ذلك غير

آباء عاطفيّون وأمّهات قويّات!

نادم ولا متأفف ولكن والدته كانت على عكس ذلك تماماً. كان يوماً حزيناً بالغ الحزن اليوم الذى تضطر فيه الأسرة الى بيع شيء أو اقتراض مبلغ من المال مهما كان سبب ذلك أو دواعيه حتى ولو كان دفع أقساط مدارس الأبناء.

والحقيقة ان أمه كانت شخصية مختلفة عن أبيه كل الاختلاف.

كانت لا تقرأ ولا تكتب ومع ذلك كانت حادة الذكاء قوية الشكيمة متميزة الشخصية. وكانت أقرب الى القسوة على نفسها وعلى أولادها لا تكاد تترك خطأ صغيراً دون أن تعنف مرتكبه من الأولاد أو من الغير أشد التعنيف. وكانت متحفظة فى عواطفها لا تكاد تعبر عنها أو تبديها، حتى حنانها نحو أولادها كان أمراً يندر أن يظهر على وجهها وإن امتلأ به قلبها. بل إنها كثيراً ما كانت تبدو بالغة القسوة خاصة فى الأمور التى تخاف منها على مستقبل أولادها وعلى ماتريده لهم من سلوك، ولم يكن يخيفها شيء قدر اختلاط أولادها بأولاد عمومتهم ــ خاصة البعض منهم ممن خابوا فى كل شيء وكانوا فى سن أخيه الكبير ــ وكان معها الحق فى خشيتها ولكنها كانت تبالغ أشد المبالغة فى ردود أفعالها وقسوتها عندما كانت تضرب أحد أبنائها لكى تقوم ما تراه اعوجاجا.

ويبدو أن صاحبنا كان أقل الإخوة الثلاثة الأوائل تعرضاً للضرب من أمه. ويبدو أن الأخت الكبرى نالت من هذه القسوة أكثر مما ناله هو أو ناله «سعيد». ورغم أن سعيداً لم يسلم من بعض مظاهر القسوة من والدته الا أنها كانت مع ذلك تحوطه بقدر من الرعاية والتدليل والاهتمام قل أن يدانيه فيه أحد من الابناء الآخرين. وكان ذلك يحنق فتانا ويجعله يحس بنوع من الغيرة نحو أخيه الكبير، وكانت مظاهر رعاية أمه وتدليلها لسعيد تبدو فى كل شيء حتى فى أصناف الطعام التى تختصه بها وحتى فى طريقة الكلام أو فى تركه ينام حتى الظهر ــ فى أيام الأجازات ــ أو فى غير ذلك من أمور. وكان نجاح سعيد فى الامتحانات حدثاً تهتز له القرية وتعلم به من أقصاها الى أقصاها، وتوزع من أجله أكواب «الشربات» ذلك على حين أن نجاح صاحبنا ــ وكثيراً ما كان ترتيبه الأول على لداته ــ فكان يمر فى صمت لايكاد يشعر به أحد ولا يحتفل له أحد.

ولم تكن العلاقة بين الوالدين ــ وهما على هذا الاختلاف فى الشخصية ــ علاقة ود وسكن وهناءة كان يشوبها كثير من التوتر وكثير من النزاع «والنقار» والخلاف وكثيراً ما كان يسمع والدته تقول إنه بودها أن تذهب الى مكان بعيد لا يعرفه أحد لترتاح من زوجها ومن أولادها، وكثيراً ما كانت تبدى برمها وضجرها بتصرفات الوالد المالية بل انها فى الأغلب الأعم لم تكن ترضى عن أى تصرف من تصرفاته. وكانت لا تكتم ذلك ولاتخفيه. وكانت الأمور بينهما تمر أحياناً هادئة رغم الخلاف وما ذلك الا لأن الوالد كان يترك الأمور تسير ويلزم جانب الصمت، الا أنهما فى أحيان أخرى كانا يبلغان من التوتر حدا يوشك أن يهدد الحياة الزوجية كلها تهديداً خطيراً. ورغم كثرة هذه الأزمات ورغم حدة الخلافات بين هذين الزوجين الطيبين فإن رابطة الزوجية بينهما لم تنفصم قط إلى أن لقيا وجه الله بعد عمر طويل.

وكان الفتى يشعر بتعاطف مع أبيه كلما دب الخلاف بينه وبين أمه. وكان يرى أن والده على حق وأن أمه بما جبلت عليه من حدة طبع تدفع الأمور دفعاً إلى مالا يحسن أن تدفع إليه.

واستمر الفتى حتى بعد أن كبر يحس بتعاطف أكثر مع أبيه وبتقدير أكثر لأمه. كان أبوه حنوناً عطوفاً. وكانت أمه حادة الذكاء قوية الشخصية. ومن هنا كان هواه لأبيه وكان عقله لأمه وهو أمر عكس المعتاد فى الحياة. ذلك أن الأب هو الذى يفترض فيه أن يمثل القوة على حين تمثل الأم الحنان والحب. وكانت الصورة مقلوبة فى تلك العائلة. كان الأب هو مصدر الحب والحنان. وكانت الأم هى مصدر القوة والحسم والاصرار. ولعل هذا هو الذى يفسر أن الفتى يشاركه فى ذلك اخوته جميعاً باقدار قد تختلف ــ كانوا يهابون أمهم ويتعلقون بأبيهم وهم صغار وأنهم عندما اشتد عودهم وتقدمت بهم الحياة كانوا أكثر حديثا عن أمهم وأكثر رواية لنوادرها وأكثر ذكراً لما كانت تضرب من الأمثال الشعبية البليغة.

ومازال فتانا بعد أن تقدم به العمر وتقلب فى أوضاع عدة من أوضاع الحياة وبلغ من الحياة الأكاديمية اقصاها، مازال مع ذلك يحفظ الكثير من الأمثال الشعبية التى كانت أمه ترويها وتتمثل بها فى مواجهة أحداث الحياة.

وقد ورث الفتى عن أبيه ذلك الحنان المفرط، ولم يبرم الفتى بذلك الميراث رغم أن أكثر ما لاقاه فى حياته من عناء وأكثر ما ظهر عليه من ضعف كان يرجع الى حنانه ذلك الذى لم يستطع أن يتحكم فيه أو أن يخفيه عندما ينبغى له ذلك فى بعض تصاريف الأيام.

ولكن الشيء الذى لاشك فيه أن الفتى، واخوته جميعاً رغم أنهم كانوا يحسون احساساً قوياً بحرص كل من والديهما عليهم وعلى مستقبلهم الا أنهم لم يتمتعوا بذلك الدفء العائلى الذى تهيئه الحياة المستقرة التى يسودها التفاهم بين الزوجين. ولعل ذلك قد ألقى كثيراً من الظلال على نفس الفتى وعلى نظرته لكثير من الأمور.

* * *

لم يكن «أمين» مجرد ابن عم كبير ولم يكن شخصاً عادياً على أى حال.

كان أخاً غير شقيق لسعد. وكان «أمين» وأمه وأخوته يمثلون الجانب المهضوم آنذاك وإن تغيرت الأحوال بعد ذلك ــ وكان سعد وأمه وأخوته هم الأثراء لدى والدهم. وكان الفتى على تلك العلاقة الوثيقة بسعد، يتبادلان الخطابات فى الشتاء ولا يمضى يوم واحد فى الصيف الا والتقيا بعض اللقاء أو أكثره، ولا تمضى فترة من الفترات الا كانت لهما نادرة من النوادر.

ولم يكن «أمين» من سنهما وانما كان يكبرهما بعشرة أعوام على الأقل. عندما كان الفتى يقترب من الرابعة عشرة ــ وهى السنة التى أنهى فيها تعليمه الابتدائى ــ كان أمين قد جاوز الرابعة والعشرين.

وكان شعور الفتى نحو «أمين» مزيجاً من الإكبار والخوف والاعجاب والنفور. وكان شعور «أمين» نحوه أيضاً مزيجاً من كثير من المتناقضات، الا أنه كان يبدى بالفتى اهتماماً ويوليه حدبا ويشيد بمواهبه ويشجعه على الاستزادة من القراءة ويطريه دائماً ويتوقع له مستقبلا مزهراً فى عالم الفكر والأدب.

وكان أمين يستقل طوال الصيف بحجرة فى ملحق من ملاحق «الدوار» الى جوار حجرة

● كيف تتفاوت حظوظ الناس فى الحياة وتتفاوت دون أسباب واضحة؟

التليفون » والسلامليك » وكانت تلك الحجرة هي منتدى المثقفين من أهل القرية . وجلهم من الأزهريين وأغلبهم فى عمر « أمين » وأصغر جيلهم هو أخوه « سعيد » ومع ذلك فكثيراً ما كان الفتى يحضر مجلسهم وينصت الى مناقشاتهم بل وقد يلقى بكلمة هنا أو هناك .

وكان « أمين » يحب أن يخلو إليه بعد أن ينفض الجمع ويحب أن يحدثه كما لو كان واحداً من لداته . ويبدو أنه كان يجد منه من الإصغاء والانتباه مالم يكن يلقاه من الآخرين .

وحرص « أمين » على أن يحببه فى قراءة العقاد وان لم يفرض عليه ذلك فرضاً .

وكانت أعداد الرسالة ترد الى أمين كل أسبوع فى البريد فقد كان من المشتركين فيها وكذلك أعداد الرواية وكان أمين واحداً من القلائل فى القرية ــ إن لم يكن الوحيد ــ الذين يقتنون مجموعة من الكتب الأدبية يحتفظون بها فى خزانة خاصة عبارة عن تجويف فى أحد جدران الحجرة له باب من خشب مفتاحه دائماً فى جيبه . ويستطيع الفتى أن يقول إن حفظ القرآن فى « كتاب » الشيخ عبد الحميد قشطة مع كل ما صاحبه من معاناة وقسوة من قبل الشيخ ، وحمل أخيه له على أن يحفظ أو يقرأ فى كليلة ودمنة ، وتردده على مكتبه البلدية فى طنطا ثم مكتبة الحجرة ــ حجرة أمين ــ وخزانة المكتبة بها كانت هى بدايات تكوينه الأدبى والثقافى وكانت سر ما يقال عن تمكنه من اللغة العربية .

كان « أمين » صاحب فضل عليه من غير شك .

ولكن أمين لم يكن شخصاً عادياً . كان أميل إلى الاكتئاب يغلب عليه الحزن ويحس دائماً أنه مظلوم مهضوم وأن الدنيا قست عليه . وكان الفتى الصغير الذى لم يجاوز الرابعة عشرة يسمع ذلك كله من ابن عمه الكبير . كان يسمعه مشفقاً أحياناً حزيناً أحياناً أخرى برما بهذا الحديث المقبض فى غير ذلك من الأحايين .

ومن يدرى لعل ميل الفتى الى بعض الاكتئاب يرجع فيما يرجع اليه من أسباب أخرى الى تلك الجلسات الطويلة فى أجازة الصيف والى تأثره بعض التأثر بما كان يسمعه من أحاديث ، وليس معنى ذلك أن الفتى لم تكن لديه أسبابه الخاصة للشعور بالمرارة والاكتئاب أحياناً أخرى فما كان أكثر تلك الأسباب ولعل أكثرها أهمية ما كان يحس به من جفاف حنان أمه وميلها كل الميل لأخيه الكبير وما كان يحيط تلك السيدة من هالة حزن لا تكاد تفارقها بعد وفاة والدتها .

● هكذا يتسرب الحزن إلى الطفل ويظل معه إلى النهاية عندما يفرق الآباء بين الأبناء في المعاملة

وكان من خصائص « أمين » أنه يحب أن يصنع الشاى بنفسه ويحتفل بذلك احتفالا شديداً . وكان عنده فى حجرته الخاصة « منقد » من الفخار وكومة فى ركن الحجرة من « قوالح » الذرة المجففة وكان يحسن « رص » القوالح » ويحسن إذكاء النار ثم يضع عليها براد الشاى فى عناية بالغة واهتمام شديد . ولم يكن الفتى يطيق أن يشرب من « الدور الأول » من ذلك الشاى الأسود وكان نصيبه من الشاى يبدأ عند الدور الثانى ويحلو عند الدور الثالث حيث يخف لون الشاى كثيراً ويميل الى الاصفرار . ومازال صاحبنا حتى يومنا هذا لا يشرب الشاى الا خفيفاً حتى أن بعض من يعرفه يتندر عليه بأنه يشرب الشاى قبل « تلقيمه » أى قبل أن يوضع به نبات الشاى نفسه كناية عن أنه انما يشرب ماء يقال له تجاوزاً شاى .

ولم يكن « أمين » مدخناً ولكنه كان يشرب سيجارة بين الحين والحين . ويذكر الفتى أن أميناً كان يعطيه قرشاً صاغاً ويرسله ليشترى به عدداً من السجائر « الفرط » كانت أحياناً ثلاث سجاير وأحياناً أربعا ، وكانت من ماركة يقال لها « واسب — Wasp » اذا كانت ذاكرة الفتى مازالت تعي اسم تلك السجائر . والشيء الذى لم يستطع الفتى أن يدرك له تعليلا حتى يومنا هذا أن « أميناً » هو الذى أغراه ــ وهو فى تلك السن المبكر ــ أن يدخن سيجارته الأولى . لاشك أن أميناً كان يدرك مخاطر التدخين ، كذلك لاشك أنه كان يعلم أنه ليس من الخير لفتى صغير أن يدخن ، وقبل ذلك كله وبعد ذلك كله فقد كان يغريه بعمل لا يستطيع أن يجهر به وكان العلم به معناه أن يناله من أهله غضب شديد .

ترى لماذا أغراه أمين بشرب السيجارة الأولى ولماذا ظل يعطيه طوال عطلة الصيف سيجارة بين الحين . والحين وقد يكون ذلك الحين يوماً أو أسبوعاً أو أقل من ذلك أو أكثر ولكنها كانت بداية سيئة على أى حال . ومنذ اليوم الأول لم يشعر الفتى برغبة أو متعة فى أن يمسك سيجارة وينفث منها سحائب الدخان . ولكنه فعل واستمر يفعل . ينقطع أحياناً ويعرض أحياناً ويلعن دائماً ذلك اليوم الذى بدأ فيه التدخين ذلك على حين أنه لم يصبح مدمناً أبداً فى يوم من الأيام .

ويذكر الفتى من بعيد يوماً قاسياً بالنسبة لابن عمه هذا الكبير الذى كان له فى نفسه منزلة كبيرة . كان أبوه غاضباً عليه لأمر من الأمور وكان يعنفه بصوت عال ــ وكان عمه ذلك عالى الصوت قوى البنية ــ ولم يكن ابنه صغيراً فقد كان يقترب من الخامسة والعشرين وكان فى التعليم الأزهرى الجامعي ويذكر الفتى أن « أميناً » ظل مطرقاً صامتاً محزوناً وأبوه مندفع كسيل العرم يكيل له الشتائم والسباب .

أدرك الفتى معنى الظلم وأحس بالحزن الشديد وكان عنده استعداد لادراك معنى الظلم والتعاطف مع المظلومين فقد كان يحس أن أهله ــ وأمه بصفة خاصة ــ لا يعدلون فى المعاملة بينه وبين أخيه الكبير الذى كان يستأثر بالعطف كله والاهتمام كله ولا ينال صاحبنا من ذلك الا أقل القليل إن ناله من ذلك شيء قط . وكان هذا هو شعوره حتى لو لم يكن هو الواقع فعلا كما يحب أخوه أن يقول .

وكان الفتى يود لو استطاع « أمين » ان يدفع عن نفسه بعض هذا الضيم الظالم ولكنه كان يعلم أنه لن يستطيع الا أن يصمت حزيناً متألماً الى أن تنتهى ثورة والده ، ولعل صمته وحزنه وألمه كان سيزداد عمقاً اذا رأى والده نفسه ذلك الثائر الغاضب قد أخذ يظهر من العطف والحنان لابنه الصغير من الأم المفضلة آنذاك ــ مالم يكن فى حاجة اليه قدر حاجة « أمين » الى بعضه .

وأحس الفتى ــ فى غير وعى ــ كيف تتفاوت أنصبة الناس فى الحياة وكيف تتفاوت تلك الأنصبة لا لميزة هنا ولا لنقص هناك ولكن لأن تصاريف الحياة وأوضاعها أرادت ذلك وفرضته فرضاً .

يحيى الجمل

تذكرة دخول إلى ....

مسرح العصور الوسطى

بقلم: الفريد فرج



الغناء والاستعراض بمسرح العصور الوسطى

المسرح التجريبى أو مسرح الطليعة أو المسرح المجدد فى بريطانيا يسمونه « مسرح الهامش » أو مسرح الحافة Fringe Theatre .. وله قاعدة كبيرة من الفنانين ومن الجمهور ، ومغامرات فنية كثيرة ومتنوعة .

فاذا كانت مدينة لندن وحدها تضم أربع فرق للمسرح القومى تمتلك سبع منصات مسرحية ، وتضم حوالى أربعين مسرحاً تنتمى إلى القطاع المسرحى الخاص أو التجارى غير المدعوم من طرف الدولة .. ففى لندن أكثر من ستين منصة مسرحية تشغلها فرق مسرح الهامش أو الطليعة .. وتجتذب حوالى النصف من الحجم الكلى لجمهور المسرح كل ليلة

وهى فرق محترفة وليست من فرق الهواة ، غير أنها تتنافس على الأرض التجريبية وتتبارى فى التجديد والابتكار والبحث فى المجهول وفى غير المألوف .

ويحار المرء فى ملاحقة هذه الفرق أو تصنيف هذه التجارب .. أو فى محاولة تقسيمها نوعياً أو تحديد وضبط انتماءاتها الفنية ،

فالتجربة بحد ذاتها هى خروج على التقسيمات النوعية المألوفة .. فكيف لنا أن نحاول ادخالها قسراً تحت عناوين لقوالب فنية عمدت هى إلى الافلات منها والى التمرد عليها ؟!

وعلى هذه المساحة العريضة للتجريب ينبسط مسرح الهامش أو مسرح الطليعة أمام المتفرجين بكل ألوان قوس قزح وظلالها الفنية ، وبكل ما يتخيله المرء من مبادرات مسرحية أو احتمالات ثقافية فوق المنصة السحرية للمسرح .

واذا شاء متفرج مثلى محب للفنون أن يصف ما يجرى على المسرح التجريبى وصفاً جامعاً مانعاً .. سيجد فى ذلك صعوبة تغريه أن يدع مثل هذا الوصف لغيره . لكن ذلك لا يمنعنى من محاولة التقاط طرف خيط واحد من كرة الخيوط المتشابكة ، ومحاولة تقصيه وترشيحه للنظر والتأمل فى وسطنا الفنى والمسرحى العربى .

هذا الخيط الذى اخترت التقاطه وتقصيه هو مسرح العصور الوسطى الذى يعرفه دارسو المسرح باسم المسرح الأخلاقى وباسم مسرحيات الأسرار .

ومع أن هذا المسرح القديم قد طالما حط الناقدون والدارسون من شأنه ووصفوه بالسطحية والضحالة والركاكة ، ونسبوه إلى عصر الانحطاط الأوروبى .. فقد لحقه التجريب وأدركته الطليعة فى محاولة رد الاعتبار له ومناقضة التقييم الشائع عنه .. بحيث صادفته منذ سنوات فى احدى فرق الهامش التى تسمى نفسها « فرقة ممثلى العصور الوسطى » (!) .

ابتعاث التراث الشعبى

استهوتنى فكرة ابتعاث التراث المسرحى الشعبى التى أعلنت عنها الفرقة ، واجتذبتنى نبرة التحدى التى قدمت بها تجاربها .

فهذا المسرح الذى غرق فى طوايا النسيان أربعة قرون أو نحوها .. كان قد سبق شكسبير ومعاصريه ، كما كان قد سبق راسين وكورنى وموليير ومن تبعهم ، ونفاه عصر النهضة الأوروبية .. ودرج النقاد والدارسون على تسخيفه والتهوين من شأنه .

والمسرح الأخلاقى قد عرف بنبرة الوعظ وبتشخيص الأفكار المجردة فى شخصيات مسرحية .. كالرحمة والعدل والحسد والطمع ..

انتشر هذا المسرح فى أوروبا خاصة فى القرن



الشحاذ (!!) يحتج على الآخرين

الرابع عشر ثم ذاب فى فورة عصر النهضة وتضاءل شأنه حتى اندثر .

أما مسرحيات الأسرار فقد كانت أيضاً تقوم على تشخيص المعانى المجردة ، ومن شخصياتها الخير والشر ، العناية الآلهية والموت .. وكانت مواضيعها تدور عادة حول القصص الدينية وتستخلص منها المواعظ الحسنة .

ولم يكن مسرح العصور الوسطى يخلو من الفكاهة أو من الحيل المسرحية المبهرة أو من الغناء والرقص وجاذبيات العرض المسرحى ، وكان يتميز أيضاً بفواصل من ألعاب الأكروبات وألعاب الحواة والموسيقى والحيل الميكانيكية والأقنعة المسرحية .

فهل يجد هذا المسرح فرصة مجددة فى نهاية القرن العشرين ؟ !

« الرجل الذى يبيع الغفران »

شاهدت فى فرقة ممثلى العصور الوسطى مسرحية « حكاية الرجل الذى يبيع الغفران » ، وهى مقتبسة من « حكايات كانتربرى » للشاعر والقصاص الانجليزى القديم « جيوفرى تشوسر » (١٣٤٠ — ١٤٠٠ م) .

وحكايات كانتربرى من أشهر الآثار الأدبية للعصور الوسطى . وقد كتبها تشوسر على لسان فريق من المسافرين الذين أخذوا يقطعون وقت الرحلة بتبادل القصص ذات المغزى الأخلاقى .

واقتبست الفرقة النص المسرحى عن إحدى هذه القصص وصاغتها للمسرح على النسق الفنى لمسرح العصور الوسطى بما يمكن أن نسميه المسرح ذا المغزى المباشر ، فالمسرحية كتبت بأسلوب العصور الوسطى بما فى ذلك الشخصيات المثبتة المسطحة ، والخطاب المباشر للجمهور ، وبساطة السرد والانتقال فى الزمان والمكان .

ولم يقصر أحد من أفرادها فى بناء ذلك العالم المسرحى القديم بكل التفاصيل الواردة فى الكتب ..

فنحن أمام مجموعة من الممثلين ، إذا جاء أوان الغناء انشدوا على أنغام الموسيقى القديمة بالصوت المنتظم ، وإذا كان فاصل الرقص ، أبدعوا فيه ، وإذا بلغ النص مساحة الألعاب الأكروباتية مشوا فوق العصى الطويلة وتبارزوا بالرماح الطويلة فلا يختل توازنهم ، وزملاؤهم يتشقلبون من حولهم فلا يسقط أحدهم سقطة موجعة ..

مجموعة من الممثلين المدربين المطمئنين ، متعددة قدراتهم ، وملكاتهم حاضرة ..

وقد أثارت الفرقة عجبى واعجابى ، فحرصت على حضور مسرحياتها ابتداء من ١٩٨١ — السنة التى تكونت بها الفرقة — وشاهدت لها مسرحية « إبرة جامركيرتون » ومسرحية « الانسان » فضلا عن مسرحية « الرجل الذى يبيع الغفران » .

وعلمت من مطبوعات الفرقة أن نسخة مسرحية « إبرة جامركيرتون » محفوظة بمكتبة جامعة كمبردج منذ أن مثلها طلبة « كلية المسيح » بالجامعة عام ١٥٧٥ ، وأنها قد كتبت ومثلت قبل هذا التاريخ ، وأن مؤلفها مجهول ، وترمز إليه نسخة كامبردج الباقية بحرف « س » .

وهى مسرحية فكاهية تدور حول البحث عن إبرة فى كومة من القش .

أما مسرحية « الانسان » فترجع نسختها على الأرجح إلى عام ١٤٧٣ ، وهى موجودة ضمن مجموعة مسرحيات « ماكرو » وهو اسم آخر من اقتنى مجموعة المسرحيات المخطوطة ، ويرجح أنها كانت فى ملكية كنيسة سانت ادموند قبل أن تؤول الى « ماكرو » .

وتدور مسرحية « الانسان » حول الصراع بين الخير والشر . وانسان المسرحية فلاح بسيط تعلمه « الرحمة » (وهى شخصية مسرحية) أن واجب الانسان العمل والصلاة .. إلا أن الفلاح اجتمع عليه خمسة أشرار يحاولون صرفه عن واجبه ، وهم (شخصيات مسرحية) : « الشقاء » ممثل هزلى يحتال على الفلاح ليصيبه بالشقاء ، ويعاونه فى ذلك « النكران » و « الزمان » و « الشر » .. ورائدهم الأكبر بالطبع هو « الشيطان » ذاته .

ومن الحيل الطريفة التى ألهبت حماس الجمهور أن الراوى حين آن أوان ظهور الشيطان أهاب بالجمهور اذا كانوا يحبون رؤيته أن يلقوا بالبنسات فى أتون ملتهب على المنصة .. وهى حيلة كانت تلجأ إليها الفرق المسرحية المتجولة لانتزاع الدراهم من المتفرجين ، وقد استجاب لها شباب

مسرح العصور الوسطى

القرن العشرين من المتفرجين فألقوا فى الأتون ببنساتهم وشلناتهم حتى تفجر الأتون وخرج منه الشيطان بحيلة بارعة !

أما مسرحية « الرجل الذى يبيع الغفران » فتبدأ بخطاب طويل يلقيه الراوى وهو يتجول فى صالة المسرح يحض الجمهور على شراء أشياء مباركة يحملها فى كيس .. منها قطرات من مياه القدس ، وخيوط من رداء المسيح عليه السلام ، ويعظ الناس بعظة فكاهية طويلة ويغريهم بدفع ملاليمهم العزيزة بتكرار القول : ان البخل أصل الشرور جميعاً !

ثم يروى مع الممثلين فى مشاهد متتابعة وحرة قصة تدور حول ثلاثة من الأفاقين الذين يتمرغون فى أوحال الرذائل .. الميسر والسكر والسب القبيح ، وأعظم شرورهم هو الطمع ، الذى يقودهم إلى البحث عن كنز مدفون لرجل مات ، فلما عثروا على الثروة أعماهم الطمع حتى قتل كل منهم الآخر فماتوا جميعاً !

ما قبل شكسبير .. ما بعد الفيديو

أعود لمطبوعات الفرقة لأقرأ بها أنها أول فرقة محترفة تضع مسرح العصور الوسطى على الخارطة المسرحية من جديد عام ١٩٨١ ، وتتحدى التحيز الأكاديمى والفنى الطويل ضد ذلك المسرح .

ويعلنون انهم لا يقصدون ابتعاث النصوص وأسلوب التأليف القديم فحسب ، وانما يريدون قبل هذا أن يعيدوا الحيوية لحرفة الممثل .. البهلوان .. الراقص .. المنشد .. لاعب الأكروبات .. القادر على ألعاب الحواة .

ويذكرون فى مطبوعاتهم أن أهمية ذلك المسرح لا ترجع فقط إلى ما يدين به شكسبير لفنانيه ، وهو ما تنكره الدراسات المسرحية المجحفة ، ولكن أهميته ترجع أيضاً إلى أن المائتى سنة التى تفصل « جيوفرى تشوسر » عن « وليام شكسبير » قد كانت حافلة بنشاط ذلك المسرح وشهدت ازدهار الحرفة التى بلغت آنذاك ذروة مهنية لم يبلغها المسرح بعد ذلك .

ان رسالتهم ــ يقولون فى مطبوعاتهم ــ « هى النظر إلى الأمام والنظر الى الخلف ، وتعنيهم الحياة بعد عصر الفيديو مثلما تعنيهم الحياة قبل عصر شكسبير » .

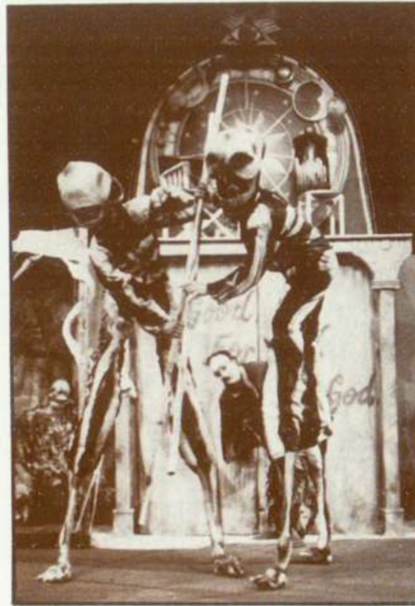
ولكن دع مطبوعاتهم جانباً وتعال معى نراجع ما صدقناه وما لم نصدقه من مزاعم الأكاديميين .

فقد كانت قناعة الأكاديميين فى الماضى تؤكد ضرورة مطابقة اللوحة الفنية لقواعد المنظور ، وكان العمق فى اللوحة الفنية من ضرورات الفن ، ولكن الفن الحديث عرف الرسم على أساس من المساحة لا الحجم ، وبذلك استردت الرسوم البدائية ورسوم الأطفال قيمتها ..

وقد عرف المسرح الحديث قيماً جديدة شاعت وذاعت حتى أصبحت معياراً جمالياً ثابتاً يناقض القيم التقليدية ، كقوة القص فى المسرح الملحمى ، وهدم الحائط الرابع لدمج المنصة بالصالة ، وقوة الخطاب المباشر للجمهور فى المسرح التعليمى ، وامتزاج الفنون التعبيرية فى المسرح الشامل .

ومن شأن هذه القيم الجديدة للمسرح الحديث أن تدعونا لمراجعة التقييم التقليدى لمسرح العصر الوسيط .

وفرقة ممثلى العصور الوسطى ليست بعيدة عن هذه المراجعة ، وهى فى الواقع تنظر الى الأمام بالنظر إلى الخلف ، وهى تتنبأ فى الأغلب .. لا تجتر . ومن ثم جهدهم الفنى الظاهر والخافى لابراز ما يتميز به المسرح القديم من قوة المعالجة الملحمية للمسرح ، ومن موضوعات إنسانية ، ومن



مشهد من مسرح العصور الوسطى

قوة القص ، وقوة المؤثرات الفنية والتقنية ، وحكمة الأمثولة .

انهم يعيدون بناء المعمار المسرحى القديم أمام المشاهدين .. يمثلون ويغنون ويرقصون وينقلبون فى الهواء أو يمشون على العصى المرتفعة ، ويخلطون الدرامى بالغنائى بالاستعراضى بألعاب السيرك ، ويؤكدون التداخل بين المنصة والجمهور ..

يفعلون ذلك فى الواقع بقدر كبير من الدهاء والمكر الفنى ، اذ يزاوجون فى الواقع بين التقليدى والحديث .. بل يقدمون الحديث بملابس قديمة ، وكأنهم يقولون : انظروا جيداً .. أليست أحدث مودات المسرح هى بذاتها أقدم مما تظنون ؟!

الجباه العالية

ولأول وهلة تدخل هذه الفرقة من الشباب فى روع المتفرج أنهم لابد أن يكونوا من أبناء مدارس السيرك أو من شباب غناء « البوب » الحديث .. ولكن المرء يدهشه أن يجد فى هذه المجموعة التى تضم ١٩ فناناً نخبة من زبدة المثقفين ذوى الجبهات العالية كما يقول الانجليز .

فأحد عشر فناناً منهم من الحائزين على الدرجات العلمية فى الأدب والفلسفة والفنون بجامعات اكسفورد وكيمبردج وريدنج وانجليا وبريستول ..

ومنهم أربعة تخرجوا فى الكلية الملكية للموسيقى ودرسوا الموسيقى القديمة ، وثلاثة من خريجى أكاديمية الفنون الدرامية والمقارنة .

فمجموع الخبرات الأكاديمية التى تضمها هذه الفرقة لا تقارن بأية فرقة أخرى من فرق الشباب .

الدنيا مسرح كبير

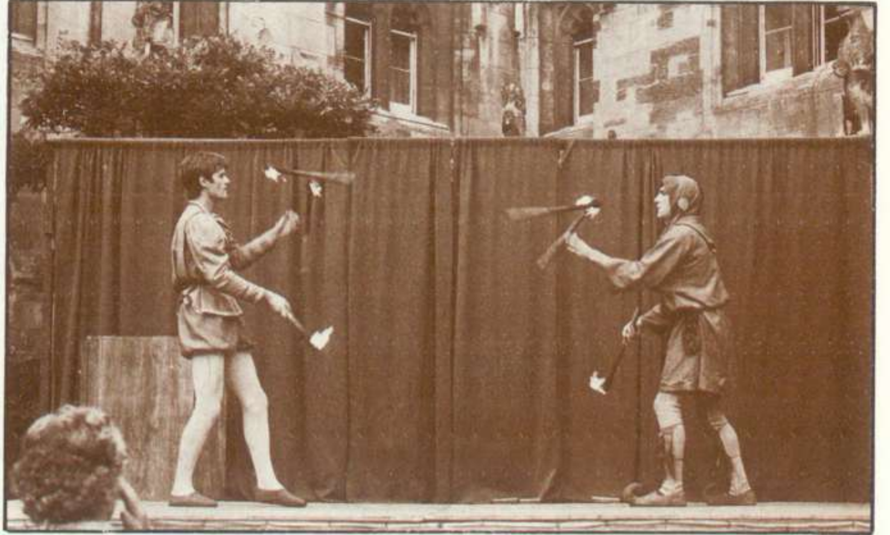
وقد اكتسبت فرقة ممثلى العصور الوسطى فى سنوات قليلة شهرة معتبرة ، فمنحها مجلس الفنون إعانة سنوية وقامت برحلات إلى استراليا وأوروبا .

وقدمت هذا العام مسرحيتها القديمة الجديدة « الدنيا مسرح كبير » للكاتب الأسبانى الشهير « دون بيدرو كالديرون دى لاباركا » .. أو كالديرون (١٦٠٠ ــ ١٦٨١ م) وهو يمثل مع سلفه الكاتب الكبير « لوب دى فيجا » العصر الذهبى للمسرح الأسبانى .

وقد بلغ المسرح الأسبانى على يدى هذين الكاتبين ذروته فى أسلوب الفن للعصر الوسيط ، ولم يتطور ليكتسب سمات مسرح عصر النهضة فى ذلك



الأقنعة المسرحية من التقاليد الفنية لمسرح العصور الوسطى



ألعاب الحواة .. فاصل ترفيهى ضمن المسرحية

الزمن المبكر كما حدث فى بريطانيا على أيدى شكسبير ومعاصريه أو فى فرنسا على أيدى كورنى وراسين وموليير.

وقد كان كالديرون من رجال البلاط، وانتقل من خدمة أمير قشطالة الى خدمة الملك فيليب الرابع ثم التحق بسلك رجال الكنيسة وواصل التأليف لمسرح القصر الملكى.

وكتب كالديرون مائتى مسرحية (!) .. وهذه المسرحية التى نتحدث عنها كتبت عام ١٦٤٩ م وقدمت للمرة الأولى أمام الملك فيليب الرابع.

وتبدأ المسرحية بخطاب ـ طويل لشخصية «الدنيا» .. التى تروى أن الأدوار قد تم توزيعها بين البشر كما يحدث فى المسرح، فكان من نصيب أحدهم أن يكون ملكاً، والثانى أن يكون ثرياً نبيلا، والثالث فلاحاً، والرابعة امرأة غانية فاتنة والخامس شحاذاً معدماً..

وتتمثل العناية الالهية فى نصيحة الدنيا لهؤلاء البشر: «افعل خيراً لأن الله هو الباقى» .. وهى عبارة تطلق حرية الانسان فى الاختيار بين طيبة النفس وبين قسوة الضمير.

وتعيش هذه الشخصيات المسافة بين الميلاد .. والموت تنعم أو تتعذب، وتتقاطع مصائرها، ويسلك كل أمرئ حسب اختياره.

وفى يوم الحساب تجد الشخصيات أن مقياس الفضيلة هو أسلوب كل منهم فى معاملة الشحاذ الذى يتقدمهم جميعاً ليشهد عليهم ويدل على من تصدّق عليه، وعلى من آذاه.

قوة المسرح .. وقوى السـوق

وتتمثل رسالة المسرحية وانسانيتها أيضاً فى أنها تدحض «قوى السوق» بقوة «العناية الآلهية».

وكانت قوى السوق الشائعة فى زمن المسرحية كما هى اليوم تتمثل فكرياً فى وضع المصلحة الاقتصادية فى اطار من هالات المجد ومعانيه، وكأن الثراء والنجاح قانون طبيعى لا بديل عن التسليم به، بينما كان الفكر الشائع ينظر الى الفقر والعوز نظرة الانكار والذم .. كأنه عقوبة من السماء أو كأنه نقص أخلاقى ..

وقد أبرزت المسرحية مغزاها الأخلاقى الداحض لقوة السوق .. فى اتزان جمالى وفى اطار من المرح، وجددت بقدرات فنانيها المتنوعة الفاصل المسرحى الراقص الملازم للعروض المسرحية للعصور الوسطى، فدفعت الى منصة المسرح ملكين للموت يحصدان البشر بالمنجلين ويلاحقانهم ويتنافسان على اصطيادهم من فوق العصى الطويلة ومن خلف الأقنعة المهولة فى جو من المرح والموسيقى ..

صعود المسرح القديم

ولعله قد اتضح لبعض القراء السبب الذى اجتذبنى للاهتمام من بين التجارب المسرحية الكثيرة .. بهذه التجربة لتجديد وابتعاث مسرح العصور الوسطى.

إنها تؤيد ببساطة دعاوانا المسرحية بمصر والوطن العربى كله حول ضرورة ابتعاث الشكل المسرحى الشعبى .. مسرح السامر الريفى ومسرح الحلقة المغربى ومسرح المحبظين وبابات خيال الظل والأراجوز.

تلك الدعوة قد شارك فى اثارتها توفيق الحكيم فى كتابه «قالبنا المسرحى». ويوسف ادريس فى مسرحيته «الفرافير» ومقدمتها النظرية، والدكتور على الراعى فى كتابه «الكوميديا المرتجلة»، والطيب الصديقى فى انتاجه الفنى، وكاتب هذه السطور فى مسرحيته «عسكر وحرامية».

هذه الدعوة الى اعادة تقييم مسرحنا الشعبى فيما قبل القرن التاسع عشر وآثاره الباقية الى القرن العشرين .. هى التى اجتذبتنى لتقصى تجربة ذوى الجباه العالية من الفنانين الانجليز بفرقة ممثلى العصور الوسطى بلندن.

ويبدو أن تجربتهم الفريدة لم تجتذبنى وحدى، ولا اجتذبت الجمهور وحده ..

فمنذ نشأة الفرقة عام ١٩٨١ .. اجتذبت الفكرة الشاعر المسرحى الشاب «أدريان ميتشيل» .. واجتذبت معه الفرق القومية البريطانية.

ففى عام ١٩٨٢ أعد ادريان ميتشيل مسرحية «عمدة زالاما» من تأليف كالديرون للمسرح القومى البريطانى.

وفى عام ١٩٨٣ أعد نفس المؤلف مسرحية «الحياة حلم» لكالديرون أيضاً وقدمتها فرقة شكسبير الملكية.

وفى عامنا هذا قدمت فرقة ممثلى العصور الوسطى مسرحية «الدنيا مسرح كبير» التى سبق الحديث عنها .. كما افتتحت ملكة بريطانيا موسم فرقة المسرح القومى الاسكتلندى الذى يقدم مسرحية من العصور الوسطى للمؤلف «سير دافيد ليندساى» (١٤٨٦ ـ ١٥٥٥) .. أحدثكم عنها فى موضوع لاحق.

الفريد فرج


الشاعر على الشرقاوى

علي الشرقاوي
شاعر يستمدّ إلهامه من هموم العصر ورموز التراث

بقلم: أحمد محمد عطية

علي الشرقاوى شاعر عربى من البحرين ، يغترف شخصياته وصوره وقصائده من التراث العربى عامة ومن تراث بلده ومنطقة الخليج بوجه خاص . هكذا يصل الشرقاوى الماضى العربى بالحاضر العربى ، ويوظف خبرة الماضى وحكمته فى خدمة الحاضر المعاش . فيحيى التراث ويشحنه بمضامين عصرية وهموم اجتماعية وسياسية معاشة ، ويقدم انموذجاً حياً لامتزاج الأصالة والمعاصرة ، فى ابداع شعرى جديد تتألف كلماته وصوره من الطبيعة البحرينية الجميلة ، حيث البحر والزرع والنخل ..

وهو شاعر مفكر يمتزج لديه العام بالخاص والذات بالموضوع ، من جراء احتضانه لقضايا وطنه وأمته ورؤيته للشعر كأداة للتغيير الاجتماعي والسياسي والحضارى . وبقدر ما هو مهموم سياسياً واجتماعياً ، فإنه حريص على التجديد والابتكار والاضافة فى الشكل الشعرى وفى ابداع مفردات قاموسه الخاص ، فى صوره وقصائده ودواوينه الكثيرة والمتتابعة منذ نشر أولى قصائده سنة ١٩٦٧ فى أعقاب النكسة حتى اليوم ، حيث تزايد نشاطه وامتد الى المسرح وأغاني الأطفال والشعر العامى ، حتى رئاسته لأسرة الأدباء والكتاب فى البحرين .

فقد أصدر الشاعر علي الشرقاوى حتى اليوم ستة دواوين شعرية هى : « الرعد فى مواسم القحط » (١٩٧٥) ، « نخلة القلب » (١٩٨١) ، « تقاسيم ضاحى بن وليد الجديدة » (١٩٨٢) ، « هى الهجس والاحتمال » (١٩٨٣) ، « رؤيا الفتوح » (١٩٨٣) ، « المزمور (٢٣) لرحيق المغنين شعر شين » (١٩٨٣) ، مع ديوان من الشعر العامى بالاشتراك مع زوجته الشاعرة فتحية عجلان عنوانه « أفاً يا فلان » (١٩٨٣) ، وذلك بالإضافة الى قصيدة طويلة عن حصار بيروت وقصائده الأحدث المتتابعة .

وقد تحدث إليّ الشاعر علي الشرقاوى عن تجربته الشعرية والأدبية ورؤاه وطموحاته ، رداً على سؤال لي حول هذا الموضوع قائلا : « صادقت الصعاليك وعايشت الزنج والقرامطة وسكنت فى عشق الصوفيين ، وسافرت فى أحزان السياب وأحلام صلاح عبد الصبور ، وتسكعت مع لوركا وناظم حكمت وبابلو نيرودا . كلهم كانوا أصدقائى . كنت أبحث ومازلت عنى وعن الانسان والمجتمع فى داخل نفسى أو فى الواقع المعاش » .

الشاعر رماد قصائده

والكتابة عند الشرقاوى « هم يومى ، قلق ، معاناة ، وإحباطات أقفز فوقها بالاستمرارية والمواصلة . الكتابة هم ، مثلما يفكر الأديب فى زوجته ، فى عمله ، فى أطفاله ، فلابد أن يفكر فى كتابته ، تطورها ، تجددها ، ابتكارها .. إنه الاحتراق يا صديقى ، ان لم تحترق لن تستطيع الكتابة . الشاعر رماد قصائده » .. (جريدة « أخبار الخليج » البحرينية ١٥ أكتوبر ١٩٨٢) أو كما يقول فى مقطع من قصيدته الطويلة « رسائل » :

اكتبينى
أنا ظلمة من دم
تتضور عينى لحرف يضيء
لكلمة حب تحيل دمائى المحاطة بالقبر
طيرا جريء .
فإن السطور تعمدنى
أتحول فى ومضها قامة كالدى
وربيعاً أصير على الكون
كل الحقول حروف
فهل توقفين نزيفى ؟ (نخلة القلب ص ٩)

فإبداع الشعر فى سطور علي الشرقاوى هو الذى يعمده ويمنحه الحياة والتواجد . والشعر هو أداته ووسيلته للتواصل مع الناس والأحبة واكتشاف المجهول ، كما يقول فى قصيدته « فتوحات » :

يغلقون النوافذ
أفتح بالشعر نافذتى
وأغادر فى نسغ الكلمات الطرية نحو المجاهيل
أعزف بالورقات الصبية عذب المواويل .
(نخلة القلب ص ١٤٥) .

ولعل أبلغ وصف لرؤية الشرقاوى لأهمية الشعر فى حياته قوله فى مقدمة ديوانه الخامس : « رؤيا الفتوح » « لست إلا رؤيا فى حرف » .

وأضاف علي الشرقاوى ، فى شهادته لمجلة « كلمات » البحرينية (العدد الأول خريف ١٩٨٣) ، قائلا : « المهم بالنسبة لى أن لا أكرر تجاربى . ان أبتكر ما يستحق أن يقرأ . فالشعر الذى لا يخلق الجديد والمختلف لابد أن يجد له مكاناً فى متحف الغبار» فالمهم لدى الشاعر الشرقاوى هو التجديد : « الهاجس الجدة ، الابتكار ، الشكل المغاير ، الصورة الحية الفنية الثرية ذات الأبعاد المتفجرة ، انه البحث عن التنوع الذى هو الحلم » .

التجديد والأصالة

والتجديد عند علي الشرقاوى يرتبط بالأصالة ، ببعث التراث واستلهامه وتوظيفه فى شعره الحديث وشحنه برؤاه العصرية . فهو شاعر عربى أصيل لا يجنح إلى التغريب أو الرموز والأساطير الغربية . فمن التراث العربى ، المتصل بتراث الخليج أيضاً ، ينتقى علي الشرقاوى شخصيتين من

التاريخ العربي ، فى ديوانه الأول « الرعد فى مواسم القحط » ، فيحييهما ويبث فيهما رؤاه العصرية ومفاهيمه وهمومه الاجتماعية والسياسية ، من خلال صوره الممتزجة بالطبيعة ، الغابة والورد والحقول والرعد والماء والنخل .. اضافة الى صور البحر ، فى قصيدته « تصريح علنى بعد اغتيال أحد الخوارج » :

تسافر بين تجاعيد وجهك قافلة الموت
تكتشف اللذة موطنها ـ غابة الدم
بوابة صار صوتك
هل كان معزوفة الورد ؟

(كان فصول شتاء وكان حقول مجاعة)
تسافر ، يعرق فى وجهك القيظ .

يطلع نسغ الترقب من زهرة الملح ،
فهل خطواتك رعد وماء ؟
« ص ٦،٥ » .

وبكلمات أكثر تقريرية ومباشرة يحدد الشاعر هدية « سلطان » ، المغتال من الخوارج ، ويسقط من خلالها هموم القهر والفقر المعاصرة ، فى رؤيته الاجتماعية والسياسية لحركة الخوارج وإضاءته الجديدة لها :

سلطان ..
أعرف أنك تبحث فى سعف الكوخ
عن كتب خبئت منذ عام
وأعرف أنك تبحث فى زرقة البحر
عن جزر لن تراها
وتبحث ..
(فى البحث ظل مذاق الغربة موتا
وظل اشتهاء)

سلطان . أعرف أنك عشت احتجاج
يتابعك المخبرون
لأنك متهم بالتوحد بالفقراء
ومتهم بتعاطى الحضور
(البلاد التى تتحول فيها الزوايا
مخافر للقتل ، ليست بلادى)
تطالب بالخبز
يتابعك المخبرون

ولكن الشاعر بعد أن يكشف مغزى الاتهامات القديمة ، وأهمها التوحد مع الفقراء وحمل همومهم والمشاركة فى قضاياهم ، يرفض انكاره لبلاده ويربط بينه وبين أبناء الوطن فى حبهم جميعاً لهذا الوطن قائلا :

ولكنها لن تكون على الأرض إلا بلادك
فى الحزن والعيد تبقى بلادك
فى الصحو والنوم تبقى بلادك
فى كل شيء بلادك
أنت بلادك
سلطان .. أعرفك الآن أكثر ،

أعرف أنك عشت بسيطاً
كنخل بلادى ، كأحزانها يوم عيد
وحين يردد اسم الحبيبة فى جلسات المساء
تصلى وتكتم حبك ،
تحمله ارخبيلا من الوجد
(حين تصيرين أنت دمى أستحيل أنا ساعديك) (ص٩ و ١٠)

ويختتم الشاعر قصيدته مخاطباً « سلطان » ، قائلا بأنه يكفيه انه طرح سؤالا ظل ينتظر

الإجابة :
فأنت خلقت سؤالا
هل يقتلون السؤال ؟ (ص١٤)

الماء والورد

وفى قصيدته « هكذا تكلم أحد القرامطة » يقدم الشاعر علي الشرقاوى رؤيته العصرية لحركة القرامطة ، مخاطباً « وردة الجوع » ، مغترفاً فى تراكيبه « مع القرامطة » من دمع الصعاليك « المستحمين فى أنهر الجوع » ، مستخدماً صور البحر والشواطىء والماء والورد فى التعبير عن بؤس القرامطة وفقرهم وتعبيرهم عن الحلم الباقى ، فحتى فى الجوع والقهر والقبر ومياه البحر المالحة تورق الوردة وينهض النخل من بين القبور ويولد الأطفال رمزاً للأمل فى الغد الأفضل :

يا وردة الجوع ، يا كل شيء لدى
نهاراً أراك
نخيلا تقايض شاهدة القبر بالقبر ،
أنا البحر ،
جلدى الشواطىء ،
أسكن فى قطرة الماء ، فى الطلع أسكن ،
فى التربة المستحمة بالانتفاضات
فى مطلع الصيف أسكن ،
يا وردة الجوع
هزى جدار الأزقة يطلع طفل
وهزى الصدى
صنما يسقط الحقد ، فى الوحل يسقط
فى الوحل ،
فى الوحل
يا وردة الجوع
قد يمنعون النعاس عن العين .. لكن
سأبقى أنا الحلم .
كل الجهات طريقى . (ص٤٥ ـ ٤٧)

إذا كانت هذه القصائد الأولى للشاعر علي الشرقاوى قد شابها المزيد من الكلمات المباشرة والجمل والتراكيب التقريرية المألوفة ، فإنه لم يلبث أن تقدم نحو مزيد من التكثيف والترميز والتجديد والتراكيب الجديدة فى قصيدته الطويلة ، التى تشكل وحدها ديوانه الثالث المعنون : « تقاسيم ضاحى بن وليد الجديدة » .

التراث الشعبى

فمن التراث الشعبى البحرينى ينتقى الشاعر علي الشرقاوى شخصية فذة هى شخصية الفنان

علي الشرقاوي

شاعر يستمد الهامه من هموم العصر ورموز التراث

البحريني المرتبط بفن البحر وغناء البحر وشقاء البحر كذلك ، المولود عام ١٨٩٠ والمتوفى عام ١٩٤٥ ، الذى اشتغل بالطرب والغناء والتلحين ، واشتهر في منطقة الخليج بألحانه المتميزة وأدائه المتفرد فى غناء « الصوت الخليجى » ، كما فاق سواه حتى أستاذه محمد بن فارس فى براعة ريشته وعزفه على آلة العود . وقد عمل قبل ذلك « نهاما » ، أى مغنيا يصاحب الغواصين ويرفه عنهم على ظهر السفينة فى عرض البحر ، وكان أسمر اللون قاتمه مع بعض الجدرى فى الوجه . وقد اختتمت حياته بنهاية مأساوية إذ مات بعد ان تجرع زجاجة من الكحول (السبيرتو الحارق) ، كما يقول الشاعر البحرينى علوى الهاشمى فى دراسته « مستويات الرمز وفاعلياته » (المنشورة بمجلة « كلمات » البحرينية العدد الأول خريف ١٩٨٣) .

فى هذه القصيدة الطويلة ، « تقاسيم ضاحى بن وليد الجديدة » (٦٤ صفحة قطع صغير) ، يعبر الشاعر علي الشرقاوى عن غربة هذا الفنان الشعبى إزاء سيطرة الآلات الغربية ، على الفن العربى البدوى الأصيل والنقى والبسيط ، ويرمز من خلال ذلك الى سيطرة الغرب على الانسان البدوى العربى الطيب وعلى مقدرات الأمة العربية وثرواتها وعقلها ، مركبا تعبيراته الجديدة من حياة البحر ومعالمه وتراثه العربى والخليجى .

وفى إحيائه لهذه الشخصية الفنية الشعبية يمزج الشاعر بينها وبين شخصية البدوى العربى ويسقط من خلالها رؤاه العصرية . أو كما وصف الشاعر الشرقاوى هذه التجربة الجديدة ، فى شهادته لمجلة « كلمات » البحرينية العدد الأول خريف ١٩٨٣ : « أنا أكتب ضد تشيؤ الانسان وتحوله الى رقم فى ترس الآلة . ولذلك أكون البدوى الذى لا يعرف غير الحب والطيبة والعلاقات الانسانية الفطرية ضد الآلة وليس الآلة كآلة محددة ومصنوعة من الحديد . وهذا ما حاولت ان أطرحه من (تقاسيم ضاحى بن وليد الجديدة) .

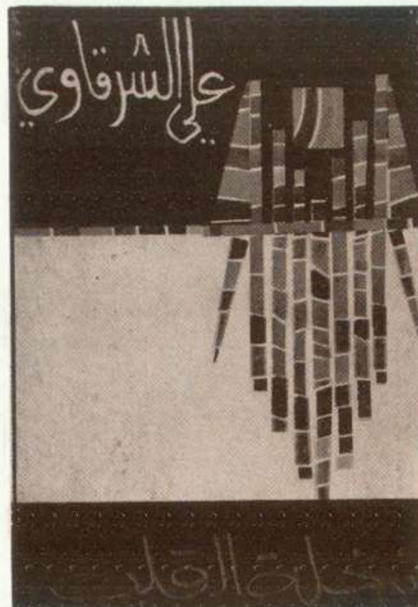
انه يحتج على ضياع صوت الفنان البدوى البكر « ضاحى » فى صخب الآلات الغربية التى لوثت مواله العربى الأصيل ، موال النرجس المعطر بالداء المعدى الخبيث ، حتى غدا الفن العربى والبدوى منفياً مغترباً فى وطنه كالمخطوطة فى الزمن الأمى حيث لا أحد يقرأ أو يسمع :

أحاول
مبحوح صوتى
ويدى لا يتحرك فيها وتر
والريشة ذاكرة الوقت البدوى تنوء على
كتفى

لكأن الطفل غفا فى الجوع
كأن دموع الصباح تفيض دما
أتفقد بين صعود الضربة صحوتها
وأحاول
مجروح وقتي
من لوث بالآلات الغربية موال النرجس ؟
من عقلنى ؟
..... مركون مثل المخطوطة فى الزمن
الأمى

أما الأنغام البدوية التى تنساب من شفتى الفنان ضاحى بن وليد فيبدع الشاعر فى تصويرها ومزجها بمفردات الطبيعة ، فهى تغزل أيام الرعد حجراً وشجراً وطفلا . وهى كالنورس يحرك ألحان الوجد ليغزو بها « نهار اليم » ، مؤكداً ضرورة تجاوز الممكن بالحلم فى الغد الأفضل :

والأنغام البدوية من شفتيه
تظل على أيام الرعد وتغزلها
حجراً
شجراً
طفلا .
مركون
الأنغام البدوية يجهلها
من لم يسق السنوات جنون الرمل



« غلاف ديوان « نخلة القلب »

من لم يمتص فى الفجر حليب النخل ..
الحزن هنا خمر
وأنا أشرب فى قدح الممكن لابد الحلم
أثقف بالوجد المنغوم شفار الهم الواقف
كالنورس
فوق نهار اليم

العازف فى الظلمات

و« ضاحى بن وليد » ، الذى يحييه الشاعر علي الشرقاوى ، رائد عازف فى الظلمات ، عارف بخارطة الحزن العربى وقادر على كشف الأنغام المعبرة عن الوجدان العربي ، ولكنهم شيأوه ، أى تحول الى شيء فى فحيح الآلات الغربية أيضاً تحت سقف الحياة المادية النفعية حتى اضطرت أوتاره للصمت ، بالرغم من عمق الصوت البدوى وقدرته على التعبير والإيقاظ :

مبحوح قلبى
وفحيح الآلات الغربية
تحت السقف الديناري المغزول من الآهات
على الوتر الصامت علبني
من شيأ صوتك يا عود النار ؟
من شيأنى ؟
اشرب
وتحول فى شفتى
أتنقل فيك اليك
وألقى الأيك وراء يديك يحاورنى
فارحم هذا القلب اللاجىء فى بدنى
أشرب
لجنونى أشرعة الحرف السابح فى صحو الليل
أجرب فيه مزج الفرحة بالكشف البدوى
ولج الخطف يجربنى
جاور شجنى
غامر فى النفس وعلمنى
هل غيرك يوقظ صوت الفيروز الراقد بين
فمى ؟
هل غيرك يسمع حمحمة البحر الطالع من
نغمى (ص١١ و ١٢)

وتمتزج معاناة الانسان العربى ، البحار العربى بالبدوى العربى والفنان العربى ، وتتصاعد آمالهم وطموحاتهم فى أنغام « ضاحى بن وليد » وكلماته الصادقة الأصيلة بتراكيب الشاعر المكونة من مفردات عالم البحر :

ضاحى يرفع أشرعة الممنوع
ضاحى بالعود يهز وقود الفعل ويسقيها
بدم الأشلاء

فتخضر الصرخات البدوية شاهرة
بالرقصة سيف الجوع
ضاحي كالجدول يرحل
ضاحي كالمنهل يأتي
يرحل
ويحول بين تقاسيم العود تقاسيم الأشياء
وفي الصدر يعطر بالكلمات تجاعيد الميناء
ويسيرها .. نحو الداخل
(ص٥٣و٥٤)

أبو ذر الغفارى

ومن التراث العربى أيضاً ينتقى الشاعر علي الشرقاوى، فى ديوانه الرابع «هى الهجس والاحتمال»، ثلاث شخصيات بارزة وموحية، ويعيد تشكيلها وصياغتها وشحنها بمفاهيم ورؤى عصرية. الشخصيات هى: «أبو ذر الغفارى»، «أحمد بن ماجد»، و«السهر وردى».

وفى قصيدته عن الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى، بعنوان «أبو ذر يعبر المستطيلات»، ينادى الشاعر أبا ذر نصير الصعاليك ومخرج الممكن من المستحيل، يقولها الشاعر بأبسط الكلمات وأرقها تعبيراً عن ثراء التراث العربى وامكانية توظيفه فى خدمة أدبنا وشعرنا وحياتنا المعاصرة:

تقدم أبا ذر منى
فلا الذئب منى برىء
ولا الجب
هذا قميصى
سأرفقه راية للدماء
وأدعو جموع الصعاليك للحب جيشا
تقــدم
ودعنى أشم الخطى فى عيونك
أشرب من نسمات هواك
فأنت قريب كصوتى ولكننى لا أراك
أنت أليف كأهداب عينى
تقدم وخذنى
فحين توهجت فى المستطيل
تداعى فؤادى اليك
(ص٢٥و٢٦)

ابن ماجد

أما قصيدته «السفينة» عن الملاح الشاعر أسد البحار ورائد الاكتشافات البحرية أحمد بن ماجد، فهى تلتقط لحظة مبهرة عند احياء ذلك الرائد العربى العظيم هى شوقه لرؤية الوطن، ولكن الوطن الذى يراه ليس هو الوطن الحقيقى، إذ يشحنه الشاعر بصور معاصرة مرفوضة، تعبيراً عن نقده ورفضه لها. وخلال ذلك يغترف الشاعر صوره وكلماته من تراث البحر وعالم البحر الثرية والموحية.



غلاف ديوان «أفآ يافلان»

إن ابن ماجد الذى قاد سفينة المكتشف البرتغالى فاسكو دى جاما وهداه إلى كشوفاته يقدم الخليج كفاتح لعصر الكشوفات. فمن النار والجرح وخوض الأسفار بالسفينة فى الغيم يولد الصباح الجديد والكشف الجديد، وهو ينادى بالبدء من هذا الخليج:

ابن ماجد: اهتك سر البحار
فللنار وحم الصباح
وللجرح نزف الولادة
والدرب والاختيار
السفينة فى الغيم تعرف أسرارها
يتداخل همى بأسفارها
أينكم.
ابدأوا من خليج سيومض عصر الكشوفات
(ص٤٦)

ويصف الشاعر علي الشرقاوى «ابن ماجد» بأنه «كوكب» فوق السفينة، وانه «يأتى اذا الماء يذهب» وان يديه تمتدان للبحر قائلة انهض فيطيع انه الملاح القائد والمكتشف المبدع، ولكنه عندما يطلب ان يرى وطنه فإنه يظل يصيح: «لا أرى وطنى»، ويكرر الشاعر صيحته تكراراً موحياً مع كل صورة مرفوضة للوطن:

ابن ماجد ماذا ترى؟
ـ لا أرى وطنى
البنوك شهيق وزوادة للملل
ـ لا أرى وطنى
السياحة نهر حليب ونهر عسل
ـ لا أرى وطنى
الصراصير تضربنى بالهراوة
تحت الجدار يراقبنى أنفها المستريب
آه تدخل بين أمسى ولون فمى
آه جائعة كلماتى
وقلبى حزين. حزين. حزين.
فمن أين يبدأ هذا المحاصر؟
أضرب صدر القواقع (ص٥١)

ومع ذلك فالشاعر لايدعو لليأس ولكنه يؤكد امكانية تحقيق الحلم وتجاوز الواقع، لأن الخليج هو صاحب الكشوفات ومنه ستنبثق الكشوفات الجديدة والمستقبل الجديد:

فياحلم شعبى الذى فى السفينة
وشعبى الذى فى المدينة
من خليج سيبدأ ومض الكشوفات
غير ضجيج القواقع
تضربنى بالهراوة
أضرب فى صدرها
ثم أضرب (ص٥٣)

ثم يناديه الشاعر مختتماً قصيدته الطويلة:

يا ابن ماجد انظر
نظرت.
هى الأرض ممتدة فى دمى
ارفعوا حلمكم
عالياً
عالياً
عالياً كى أرى (ص٥٦)

وبعد، ان عالم علي الشرقاوى الشعرى هو عالم واسع مترامى الأطراف، حافل بالقضايا العامة، الرؤى السياسية والاجتماعية، إذ تتقلص فيه هموم الشاعر الذاتية لتندمج فى همومه العامة، فهو

شاعر مهموم بوطنه وأمته. وهو يرى فى التراث العربى والخليجى وفى شخصياته التراثية خير معين على تحقيق الحلم العربى لهذا اهتممت فى هذه المقالة باتجاهه التراثى ورموزه وأساطيره العربية، كنموذج لاحياء التراث فى الشعر العربى المعاصر فى الخليج، وتحقيق صحيح لمعادلة الأصالة والمعاصرة.

أحمد محمد عطية

بعض المــدن .. تصنع التاريخ

صيدا..
عروس الجنوب اللبناني التي دوّخت الإسرائيليّين

بقلم : عصام شريح



ليس الرجال غير العاديين هم وحدهم الذين يصنعون التاريخ ، فالمدن ـ بعض المدن ـ تلعب هـذا الدور خلال حقب معينة من الزمــان ، وكما أن هناك رجالا خالدين أو سيدات خالدات ، لقيامهم أو قيامهن بأدوار بارزة تركت بصماتها على صفحات التاريخ ، فهناك أيضاً مدن ، تبرز أمام دارسى التاريخ أو البــاحثين ، وكأنهــا منارات لا يملك الدارس أو الباحث إلا أن يحط رحاله فى ربوعها لبعض الوقت ، قبل استئناف رحلته .

من المدن صانعة التاريخ هذه ، مدينة صيدا أو « صيدون » قديماً فى لبنان ، فهذه المدينة التى دوخت الاسرائيليين بالأمس القريب ، فاضطروا مرغمين على الانسحاب منها ، تلقن نفس الدرس اليوم لوكلاء الاسرائيليين ، وما فعلته صيدا بالأمس القريب ، وما تفعله اليوم ، ليس دوراً عابراً أو مقطوع الجذور ، بل هو دور تاريخى ، ومستمد من مسيرة المدينة عبر العصور والأجيال .. ولصيدا شقيقة لعبت دوراً شبيهاً هى مدينة « صور » ، وهى التى دغدغتها مآثر التاريخ ، وعفرتها منزلقاته وعثراته ، « صور التى جاء تساؤل فى التوراة عنها : « من بلغ يوماً ما بلغته صور ملكة البحار؟!! » ، « صور » التى تعتبر واحدة من أهم الحواضر فى التاريخ القديم ، « صور » التى ساهمت فى ازدهار الحضارة اليونانية ، وزرعت وجودها العمراني والتجارى والحضارى فى البحر المتوسط ، والتى اشتقت أوروبا اسمها من اسم ابنة ملكها « أوروب » ، والتى أبحرت منها « أليسا » أو « أليسار » ، لتؤسس « قرطاجة » التى أدخلت الرعب فى قلب روما عاصمة الامبراطورية الرومانية القديمة .

جنوب لبنان

وصيدا ، هى حاضرة الجنوب ، هذا الجزء من لبنان ، الغني بسكانه المجدين الصامدين ، والغني بأرضه ومياهه ، غنى هو أيضاً بتاريخه والآثار

الباقية فيه ، والناطقة بحضارته وأمجاده الغابرة . وللتذكير بأهم معطياته الحضارية ، نشير الى ما أكدته فى هذا المجال ، كتب القدماء ، من هوميروس « الذى أتى على ذكر صيدا وصور مراراً فى الالياذة والأوديسة فى القرن التاسع ق . م » ، الى هيرودوتس « فى القرن الخامس ق . م » ، الى ديودورس الصقلي وسترابون « القرن الأول ق . م » .

وجنوب لبنان ، يعني تاريخياً بالدرجة الأولى ، صيدا وصور ، اللتين يرجع تاريخهما ، بحسب آثار مدينة صيدا ، الى ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة ، على أقل تقدير ، ولم يقتصر نشاطهما على التجارة والملاحة ، ومختلف الصناعات والفنون الحرفية (الزجاج والعاج والمعادن والصباغ الأرجواني ..) فحسب ، بل شمل مجالات أخرى ، كعلم الفلك والرياضيات ، حيث قال المؤرخ « سترابون » جملته المشهورة : « .. وحتى الآن ــ أى القرن الأول ق . م ــ يمكننا تلقى العلم فى صيدا وصور ، ليس فى علم الفلك والرياضيات فقط ، بل فى جميع فروع الفلسفة ! » .

ومن الناحية التاريخية ، فإن المنطقة المعروفة حالياً باسم جنوب لبنان ، كانت جزءاً من دولة الكنعانيين ، التى امتدت حدودها فى بعض الفترات ، من صيدا شمالا حتى أريحا جنوباً .

وقد عرفت هذه المنطقة هجرات عربية مبكرة إليها ، منها هجرات الكنعانيين والفينيقيين (الفينيقيون شق من الكنعانيين انساحوا على طول شاطىء فلسطين ولبنان وسوريا) ، ثم الأنباط (واليهم تنسب بلدة النبطية) ، وقبائل من قضاعة وقحطان ، ومن هذه الأخيرة قبيلة « عاملة » ، التى اطلق البعض اسمها على الجنوب اللبنانى ، فأصبح يعرف أحياناً باسم « جبل عامل » أو « جبل عامله » .

وفى العصر العباسى دخلت قبائل فارسية الى المنطقة ، بعد أن نزحت من منطقة كسروان .

وفى العصر الحديث ، دخلت هذه المنطقة ضمن حدود لبنان ، الذى أصبح دولة ، استناداً الى اتفاقية سايكس ــ بيكو » ، التى جزأت بلاد الشام .

ويبلغ عدد سكان جنوب لبنان ٨٥٠ ألف نسمة ، أى ما يزيد على ربع سكان لبنان ، وهم موزعون على ٥٠٧ مدينة وقرية ، منتشرة على مساحة تبلغ ٢٢٨٧ كيلومتراً مربعاً ، فى سبعة أقضية ، داخل محافظتين اثنتين هما محافظة صيدا ومحافظة النبطية ، وينتمى سكان جنوب لبنان الى الطوائف الرئيسية فى لبنان : مسلمين شيعة ، ومسلمين سنة ، ودروزاً ، ومسيحيين : موارنة وكاثوليك وأرثوذكساً .

ومن أهم موانىء جنوب لبنان ، ميناء صيدا ، وميناء صور ، وميناء (أو مرفأ) مصفاة الزهرانى لتكرير النفط المصدر والآتى من السعودية (انبوب النفط متوقف عن العمل حالياً) .

وأهم جبال جنوب لبنان : جبل الشيخ ، وجبل مراح البقرة ، وجبل نيحا ، وجبل الريحان ، وجبل عامل .

وأهم الانهار : نهر الليطانى ، ونهر الأولى ، ونهر الزهرانى ، ونهر الحاصباني ، ونهر الوزاني .

أما أهم المدن فهي : صيدا (عاصمة الجنوب وعدد سكانها ١٤٠ ألفاً) ، وصور (٥٣ ألفاً) ، والنبطية ، وجزين ، ومرجعيون ، وبنت جبيل ، وحاصبيا والخيام .



أم تحمل طفلها الرضيع أثناء الاشتباكات التى تعرضت لها المدينة .



لقطة لابتهاج صيدا بعودة الجيش إلى الجنوب

الصهاينة وجنوب لبنان

وقد يكون من نافل الكلام أن نكرر أن الصهاينة يطمعون بأرض الجنوب ، بل وبكل لبنان وغير لبنان من البلاد العربية ، وهذه المطامع تاريخية ، وليست ظرفية ، وتستند الى مزاعم دينية ، تتمثل فى تحديد ما يسمى « بأرض الميعاد » أو « اسرائيل الكبرى » التى تمتد من الفرات الى النيل ، كما هو مكتوب على مدخل الكنيست الصهيوني (البرلمان) : « حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » ، ومن هذه المزاعم أيضاً ما ورد فى سفر التثنية : « كل مكان تدوسه أقدامكم يكون لكم ، من البرية ولبنان » وما ورد فى سفر يشوع : « كل موضع تدوسه بطون أقدامكم ، لكم أعطيه كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان الى النهر الكبير (نهر الفرات) ، جميع أرض الحثيين ، والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » ، وما ورد فى سفر يشوع أيضاً : « أرض الجبليين (أى أرض مدينة جبيل ومنطقتها فى وسط الساحل اللبنانى) ، وكل لبنان نحو شروق الشمس ، من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة » .

وانطلاقاً من هذه المزاعم قال مؤسس الحركة الصهيونية « تيودور هرتسل » عندما سأله السلطان العثماني عبدالحميد الثاني تحديد « دولة » اليهود المزعومة ، وما إذا كانت تمتد الى بيروت أو ما هو أبعد منها : « سنطلب من الأرض ما نحتاج إليه ، وتزداد المساحة المطلوبة بازدياد المهاجرين » ، وقد لخص « دافيد بن جوريون » هذه المقولة بعبارة واحدة هى : « التجمع والاقتحام » .

أما الأسباب غير الدينية للمطامع الاسرائيلية فى جنوب لبنان ، فتتلخص بالمطامع فى مصادر المياه وخاصة نهر الليطانى ، ثم السيطرة الاقتصادية ، يضاف الى ذلك سبب سياسي ، يتمثل فى ضرب نموذج التعايش اللبناني بين مختلف الطوائف ، وتفتيت لبنان الى دويلات طائفية ، مما يدعم النظرية الصهيونية ، بأن المنطقة العربية لا تشتمل على أمة موحدة ، وانما على طوائف دينية متصارعة ، وهو ما يبرر أن يكون للطائفة اليهودية كيان سياسي فى المنطقة أيضاً ! !

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى تصريح خطير أدلى به الحاخام الأكبر للطوائف الشرقية فى الكيان الصهيوني ، فى أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان فى عام ١٩٨٢ ، فقد قال عندما سئل عن حدود « اسرائيل » الشمالية ، « هناك نظريتان بالنسبة للحدود الشمالية : الأولى تقول إنها تصل الى الحدود مع تركيا ، والثانية تقول إنها تتوقف عند

صيدا..
عروس الجنوب اللبناني التي دوّخت الإسرائيليّين

نهر الليطاني ، أما بالنسبة لي فإنني اكتفي بالنظرية الثانية حالياً ! » .

دويلة الشريط الحدودي

بعد قيام الكيان الصهيوني ، بدأ قادة هذا الكيان ، بانتهاج سياسة عدوانية ضد جنوب لبنان ، وذلك انطلاقاً من المطامع التاريخية الصهيونية فيه ، ففي عام ١٩٤٩ ، واستناداً « لاتفاقية الهدنة » المعقودة بين لبنان و « اسرائيل » ، جرى تخطيط جديد للحدود احتفظت « اسرائيل » بموجبه ، بمساحات واسعة من الأراضي اللبنانية ، التابعة للقرى الأمامية من الجنوب مثل قرى : يارون ، رميش ، عيترون ، بليدا ، ميس الجبل ، حولا ، عديسه وكفركلا وغيرها . وفي حرب ١٩٦٧ ، استولت « اسرائيل » على احدى عشرة مزرعة في خراج بلدة « شبعا » هي : مزرعة المغر ، مزرعة فشكوء ، خلة غزالة ، مزرعة زبدين ، مزرعة برتعيا ، مزرعة الربعة ، مزرعة بيت البراق ، مزرعة بزحتا ، مزرعة كفر دوره ، مزرعة العقاسب ومزرعة رمثا .. اضافة الى مساحات واسعة من جنوب جبل الشيخ ، بيد ان اسرائيل ، بدأت بشن أعمال حربية متتابعة ضد جنوب لبنان منذ عام سبعين ، بحجة الرد على رجال المقاومة الفلسطينية والعمليات الفدائية ضد المستوطنات والمستوطنين . وكان أعنفها الاجتياح الاسرائيلي لمنطقة الجنوب في عام ١٩٧٨ ، (١٥ آذار — مارس) .. لكن الاسرائيليين انسحبوا من جنوب لبنان تحت ضغط الرأي العام الدولي ، وخاصة الضغط المتولد عن قرارات مجلس الأمن ، بيد أنهم احتفظوا بمنطقة أصبحت تعرف بمنطقة الشريط الحدودي ، وفي ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٩ ، أعلن العميل سعد حداد من مستوطنة « المطلة » ولادة دويلة في منطقة الشريط الحدودي أسماها « دولة لبنان الحر » ، وهي المنطقة نفسها التي أعلن الصهاينة أنهم سيحتفظون بها بعد استكمال انسحابهم من جنوب لبنان ، لاقامة « حزام أمني » من سكان هذه المنطقة من المسيحيين ، ضد الهجمات على المستوطنات الصهيونية بشمال فلسطين المحتلة .

جنوب لبنان وفلسطين

تعتبر العلاقات بين سكان شمال فلسطين وسكان جنوب لبنان ، علاقات تاريخية ، حيث كانت فلسطين تحتضن الجنوب اللبناني قبل قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ ، والى فلسطين كان ينتقل أبناء الجنوب للعمل الموسمي أو الدائم ، الى درجة أن العملة الفلسطينية (النقد) كانت الأكثر تداولاً في عموم جنوب لبنان ، وخاصة في قريتي بنت جبيل وشبعا ومدينة صور ، والعلاقات الاقتصادية والتجارية بين مدن وقرى جنوب لبنان وبين مدن حيفا وعكا وصفد الفلسطينية كانت أعمق منها ، بين تلك المدن والقرى اللبنانية والعاصمة بيروت ، كما كان لبنانيو الجنوب ، يعرفون المدن الفلسطينية جيداً ، ويترددون عليها ، أكثر من معرفتهم ببيروت .. وحتى أن الاقتصاد في جنوب لبنان واقتصاد شمال فلسطين كانا اقتصاداً واحداً الى حد كبير ، وكانت السوق الفلسطينية ، رغم جميع الحواجز الاستعمارية ، مفتوحة أمام اللبنانيين الجنوبيين ، تماماً كما كانت مفتوحة للفلسطينيين ، وفيها كانت تتم المبادلات الاقتصادية والتأثيرات السياسية . ومن الطبيعي والحال كذلك أن يكون النضال ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين ، والنضال ضد الاستعمار الفرنسي في لبنان ، خلال الثلاثينات والأربعينات ، نضالاً مشتركاً ، انعكست آثاره فيما بعد على النضال ضد الصهيونية الباغية .

صيدا عروس الجنوب

أعود الى صيدا ، والحديث عن جنوب لبنان حديث طويل وذو شجون ، لأقدم للقارىء العزيز نبذة عن هذه المدينة المناضلة ، التي أرغمت جيش الاحتلال الاسرائيلي ، أن يجرجر أذيال الفشل وينسحب منها ومن بقية الجنوب خاسئاً كسيراً .

فمدينة صيدا ثغر على ساحل لبنان الجنوبي ، يبلغ عدد سكانها حالياً أكثر من ١٤٠ ألف نسمة ، وهي تبعد عن بيروت ٤٧ كيلومتراً ، وصيدا إحدى المدن الفينيقية القديمة التي اشتهرت بالتجارة والملاحة ، وكانت قاعدة للدولة الكنعانية في بعض مراحلها ، وقد فتحها العرب أثناء خلافة عمر بن الخطاب في عام ٦٣٨ ، واغتصبها الصليبيون ، وحررها صلاح الدين الأيوبي منهم في عام ١١٨٢ ، ثم تداول الفريقان احتلالها خلال مائة عام ، حتى استقرت في أيدي العرب في عام ١٢٩٢ ، وقد أعاد الأمير اللبناني فخر الدين بناءها ، ودمرتها الزلازل في عام ١٨٣٧ ، بيد أن العثمانيين أعادوا بناءها من جديد ، وقد ازدادت أهميتها التجارية بعد استقلال لبنان بسبب مد خط للبترول السعودي الى منطقة الزهراني في جنوبها . أما أهم آثارها فهي قلعة البحر ، وقلعة القديس لويس وخان الفرنج .

تلك هي الملامح العامة لصيدا ، لكن لا بأس بالتفصيل قليلا ، لأن صيدا هي عروس الجنوب وعاصمته ، ولأنها دخلت أخيراً التاريخ من أبوابه الواسعة ، عندما تصدت للغزاة الصهاينة منذ أيام الغزو الأولى في صيف عام ١٩٨٢ ، حتى أجبرتهم على الانسحاب مطأطئي الرؤوس في ١٦ — ٢ — ١٩٨٥ .

يقول الدكتور فيليب حتي ، إن صيدا وصور ، أصبحتا في العصر الفينيقي ، سيدتي البحار ، لكن صيدا تعتبر أقدم عهداً من جارتها صور ، لا بل إنها تعتبر أماً لها ، فقد جاء في سفر أشعيا في التوراة ، « إن صور ابنة صيدا » ، كما أن صيدا ، كما هو مثبت على نقودها كتابة ، أم لمدينة « هبو » بشمال أفريقية ، وأم لمدينة كيتيوم في قبرص .

وقد كانت الزعامة لصيدا على المدن الفينيقية ، كما كانت لها السيادة البحرية ، فمارست هذه



الاعلام اللبنانية تملأ شوارع صيدا بعد إنتهاء كابوس الاحتلال

الزعامة وهذه السيادة على جنوب لبنان ، بما في ذلك مدينة صور .. وكان كتاب التوراة ، كما كان الشاعر اليوناني هوميروس ، يسميان الفينيقيين صيدانيين ، مما يدل على أن صيدا كانت أقدم من صور . وتصف التوراة صيدا ، بأنها « صيدون » العظيمة ، أما هوميروس فيقول في أشعاره ، إن تجارة الأقمشة والنحاس هي من احتكار مدينة صيدا ، مما يدل على أهميتها التجارية في ذلك الزمان ، كما يمتدح هوميروس الصيدانيين ، والاشارة في « الالياذه » الى « الثياب المطرزة من صنع الصيدانيات » ، إنما هي اشارة صريحة الى مهارة النساء الفينيقيات ، كما وصف هوميروس « جاماً من الفضة » صنعه صيداويون ، بقوله :

« إن الصيدانيين أصحاب الحذق والمهارة في الأعمال اليدوية الدقيقة ، هم الذين صاغوا هذا الجام الذي لا مثيل لجمال صنعه في الدنيا » . وبالطبع فإن هذه الشهادة من هوميروس ، إنما تصف لنا أهمية الفن الفينيقي أو الصيداني وشيوعه في جميع بقاع حوض البحر المتوسط ، فكأنه كان يسير جنباً الى جنب مع التجارة التي اشتهر بها الفينيقيون .

ومن الصناعات التي راجت على الشاطىء الفينيقي ، صيد السمك ، واسم مدينة صيدا ذاتها يرد الى جذر سامي يفيد « الصيد » ، كما اشتهرت صور « بمهندسي » البناء ، وهؤلاء المهندسون والبناؤون الصوريون هم الذين بنوا ما يعرف « بهيكل سليمان » ، بأمر من ملك صور « حيرام » ، مستخدمين فيه خشب الأرز من لبنان ، كما اشتهرت صور ، ومعنى اسمها « صخر » ، بالصباغ الارجواني (اللفظة الاغريقية فونيكس) ، وقد استخرج الفينيقيون هذا الصباغ من حيوان بحري يعرف باسم المريق ، الذي لا يعيش قرب الشاطىء الفينيقي أو اللبناني فحسب ، وانما نجده قرب شواطىء البحر الأبيض المتوسط جميعها ، غير أن أشهر وأجود أنواع هذا الحيوان ، كانت تعيش على شواطىء صيدا وصور .

وقد بنى الفينيقيون مستعمرات عديدة لهم في قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية وسردينيه وغيرها من جزر البحر المتوسط ، لكن أعظمها كانت على شاطىء تونس كما تعرف اليوم ، وهي مدينة قرطاجة التي حاربت روما وانتصرت عليها لفترة من الزمن ، قبل ان يمحوها الرومان من الوجود لحقدهم عليها ، وقرطاجة هي ابنة صور ، أنشأتها في عام ٨١٤ ق . م ، واسمها يعني المدينة الحديثة ، مقابلة لها بمدينة « يوتيكا » التي بنوها في تونس أيضاً ، واسمها يعني المدينة القديمة أو العتيقة .

وفي العهد الآشوري ، استسلمت صيدا وصور في عام ٧٠١ ق . م ، للملك أسرحدون ، لكن صيدا استعادت قوتها ونشاطها فيما بعد ، فعاد إليها أسرحدون وخربها في عام ٦٧٥ ورمى بحجارة سورها الى البحر .

وعندما تقدم الفرس الى لبنان ، اختار داريوس الأول (٥٢١ — ٤٨٥ ق . م) مدينة صيدا لتكون عاصمة الأيالة (الولاية) الخامسة التي شملت لبنان وسوريا وفلسطين وقبرص ، وقد ازدهرت العلاقات بين الجانبين ، بسبب حاجة الفرس للمراكب والبحارة الفينيقيين أو الصيدانيين في حروبهم وخاصة ضد الأغريق ، حيث زود الفينيقيون الفرس بـ٢٠٧ مركبا وخاضوا معهم غمار معارك بحرية عديدة ، لكن لما خسر الفرس معركة سلاميس ، أمر ملكهم احشويروش بقطع رؤوس بعض القواد الفينيقيين ، فأبى القادة الباقون استئناف الحرب الى جانب الفرس ، وانسحبوا بمراكبهم تحت جنح الليل عائدين الى بلادهم ، ولمدة خمس عشرة سنة ، لم يرد ذكر لاشتراك مراكب فينيقية مع الأساطيل الفارسية ، ويقول مؤرخ أغريقي : « ان إكليل الغار في هذه الحرب استحقه الأثينيون (نسبة لأثينا) في المعسكر الأغريقي ، والصيدانيون في معسكر (البرابره) » . وقد بدأت العلاقات بين الفينيقيين أو الصيدانيين والفرس تتدهور منذ ذلك الحين ، وزاد نفور الفينيقيين من الفرس في عهد الملك أرتحششتا بسبب الغطرسة والفظاعة التي عوملوا بها والضرائب التي فرضت على الأهالي ، وثار الفينيقيون ضد الفرس في طرابلس أولا ، وامتدت الثورة الى جميع انحاء الشاطىء اللبناني ، وكان انتقام الفرس من صيدا رهيباً ، عندما صمموا على الموت أباة أحراراً ، بعد أن قتل أرتحششتا ٥٠٠ وجيه من وجهاء المدينة كانوا قد خرجوا لملاقاته وبأيديهم أغصان الزيتون ، وفي ساعة قنوط ويأس احرق الصيداويون جميع مراكبهم في الميناء ، لئلا يفكر أحد بالهرب بحراً ، ودخلوا بيوتهم واستسلموا للموت حرقاً ، ويقال إن أكثر من أربعين ألف شخص هلكوا في هذا الحريق الهائل ، ومن نجا قبض عليه وسبي الى بابل ، وهكذا أصبحت صيدا سيدة مدن البحر المتوسط ، كومة من رماد في عام ٣٥٠ ق . م ، ولم تدم سيطرة الفرس بالنار والدم أكثر من ١٨ عاماً بعد ذلك ، حيث سقطت الامبراطورية الفارسية تحت ضربات الاغريق وملكهم الاسكندر المقدوني .

أما صور ، فلم يكن مصيرها أقل تعاسة من مصير صيدا ، فقد دمرها الغزاة الجدد : المقدونيون ، حيث استسلمت بعد سبعة أشهر من المقاومة في عام ٣٣٢ ق . م ، بعد أن قتل من سكانها نحو ثمانية آلاف رجل سقطوا في المعركة ، وصلب المقدونيون ألفي رجل على الشاطىء ، وباعوا في سوق النخاسة ٣٠ ألف نسمة كما يباع العبيد .

صيدا وفلسطين

نكتفي بهذه اللمحات من تاريخ صيدا ، بل وتاريخ جنوب لبنان ، لنشير الى أن هذا التاريخ المجيد لهذه المدينة العظيمة ، ولكل بلد ومدينة وقرية في الجنوب اللبناني ، قد وجد صداه الواسع في تاريخنا المعاصر ، وأيامنا هذه ، حيث كانت في صيدا الشرارة التي اشعلت الحرب اللبنانية ، والتي هي انعكاس في أحد أهم وجوهها للقضية الفلسطينية ، عندما قتل ابن صيدا البار معروف سعد في ٢٦ شباط ١٩٧٥ ، اثناء ترؤسه تظاهرة قام بها الصيادون في صيدا ، احتجاجاً على منح شركة « بروتين » التي يرأس مجلس ادارتها الرئيس الأسبق كميل شمعون ، احتكار صيد السمك على طول الشاطىء لمدة ٩٩ عاماً ، فبعد أن اطلقت قوات الجيش النار على المتظاهرين في صيدا ، وقتلت النائب معروف سعد ، كانت حادثة الهجوم الكتائبي في منطقة « عين الرمانة » ببيروت على حافلة كانت تقل عدداً من أهالي مخيم تل الزعتر الفلسطيني ومنطقة الدكوانة المحيطة بالمخيم ، فقتل ٢٦ شخصاً ، وجرح ٢٩ آخرون ، من ركاب الحافلة ، بتاريخ ١٣ — ٤ — ١٩٧٥ ، وكانت هاتان الحادثتان السبب المباشر لاندلاع الحرب الأهلية في لبنان التي مضى عليها حتى الآن أكثر من عشر سنوات .

ولقد تجاوبت صيدا في وقت مبكر مع النضال الفلسطيني ضد الصهيونية ، حيث شهدت المدينة تظاهرة ضخمة بتاريخ ٢٦ — ٨ — ١٩٢٩ ، ضمت المسلمين والمسيحيين واليهود في المدينة ، تأييداً لعروبة فلسطين ، واستنكاراً للصهيونية ووعد بلفور ، كما شهدت صيدا تظاهرة أخرى في ١٢ — ٧ — ١٩٣٦ ، تضامناً مع الثورة الفلسطينية المعروفة بثورة عام ستة وثلاثين والتي استمرت ثلاث سنوات حتى عام ١٩٣٩ ، وقدم فيها الفلسطينيون ألفي شهيد . وقد سقط قتيلان في التظاهرة في اشتباك مع قوات الأمن الاستعمارية الفرنسية ، اضافة الى سقوط ثمانية جرحى ، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع تأييد صيدا ، وجميع أهل جنوب لبنان للثوار الفلسطينيين وبأشكال شتى .

أما خلال الغزو الاسرائيلي الأخير لجنوب لبنان ، فقد لعبت صيدا أبرز دور لها في تاريخها الحديث ، في مقاومة الغزاة ، واضطرتهم أخيراً تحت ضربات رجال المقاومة البواسل الى الرحيل منكسرين منهزمين ، ويكفي صيدا فخراً ما قاله فيها قائد القوات الغازية في لبنان الجنرال « أوري أور » : « انني لم أزرع شجرة في صيدا ، وليس ثمة ما يربطني بها !! » .

عصام شريح



صورة قلمية

عبد الرحمن شهبندر

زعيم سوريا بين الحربين

بقلم: فتحي رضوان

كانت القاهرة فى الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى ، فى سنة ١٩١٨ ، وبداية الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ، تزدان محافلها وندواتها الأدبية والاجتماعية ، ومقاهيها الشهيرة ، بعدد من الشخصيات العربية ، ذات المقام العالى ، والتاريخ الحافل والتجربة الغنية ، والصيت الواسع . كنا نراهم سائرين فى الطرقات مع أصدقائهم وأندادهم ، من المصريين من زعماء السياسة وأئمة الأدب ، وفقهاء الدين .

وكنا نسمعهم يخطبون فى المناسبات العامة ويحاضرون فى أندية الفكر والثقافة ، ويتصدرون الجنازات ، وسرادقات المآتم ، وتنشر أنباؤهم بين الحين والآخر ، وكأنهم من أبناء البلاد وقادتها ، وكثيراً ما نقرأ لهم فى الصحف المقالات والبحوث ، فنرى أن هؤلاء الضيوف الأجلاء ، يجمعون بين أمرين عظيمين : الخبرة بالشئون السياسية ، والمساهمة فى معارك الوطنية ، والتمكن من الثقافة العربية القديمة ، فالشعر يجرى على ألسنتهم وكأنه من الكلام الدارج ، والاستشهاد بالقرآن والحديث النبوى ، يطاوعهم ، كلما التمسوا منه السند ، وطلبوا عنده الحجة ، وكان ذلك هو الفارق الكبير بين زعماء مصر ، وزعماء العرب ، فمحصول الزعيم المصرى بعد سنة ١٩١٩ ، من الأدب العربى القديم ، والمأثور من أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآيات القرآن البينات ، قليل غاية القلة . قد يعوضون أنفسهم عنه بالالمام بطرق الأدب الغربى ، والثقافة الأوروبية ، وان كان عدد الذين تزودوا بهذا الضرب من الثقافة الأجنبية ، كان فى تناقص مستمر .

من بين هذه الشخصيات طبيب تزعم بلاده ، وخاض معها المعامع ، وطارده الاستعمار ، بمحاكماته الظالمة ، وأحكام الموت المخوفة ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر الذى كان فى الرابعة والخمسين عندما تعرفت عليه بالقاهرة سنة ١٩٣٠ ، عند بدء اتصالى بالحياة العامة عند التحاقى بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . فقد ولد عبد الرحمن شهبندر فى سنة ١٨٧٩ ولكنه حينما وقع نظرى عليه كان مليئاً بالصحة ، فياضاً بالحيوية ، حسبته فى أوائل العقد الرابع من عمره .

وقد كان أول لقاء لى مع الدكتور عبد الرحمن شهبندر اللاجىء السياسى بالقاهرة بوصفه زعيم سوريا الذى حكمت ضده فرنسا بعقوبة الموت ، فاستقبلته حكومة مصر لأن الأمر فى مصر كان مرده للاستعمار البريطانى وممثله الأكبر المندوب السامى البريطانى ، الذى كان يحتل على النيل ، قصراً ضخماً ، فسيح الأرجاء ، يعرف منذ سنوات فى لغة السياسة المصرية (بقصر الدوبارة) لأن الحى الذى يقع فيه هذا القصر ، يعرف بهذا الاسم ، وكانت سياسة بريطانيا فى الشرق العربى ، هى استمرار التنافس بين الاستعماريين البريطانى والفرنسى ، الا أن هذين الاستعماريين لم يكونا يتنافسان إلى الحد الذى تستطيع فيه حركات التحرر العربية أن تظفر لمصر وسوريا والعراق

● كـــان أول لقـــائي بـــه عنـــد ما حكمت عليـــه فرنســـا بالإعـــدام

● تجربتـــه السـياسـية الطويـلة جعلت لحديثـه مذاقـاً خاصـاً في القـلوب والعقـول

● قطـــع على قدميـــه باديـــة الشـــام في ثـلاثـة أشــهر لينـــجو بحياتـــه !

● كـيف أغـــروا أحـــد المجرمـين باغتيـــاله وهو يـؤدي واجبــه الإنسـاني كطبيب ؟

بالاستقلال التام . فأقصى ما تمنحه مصر لزعماء الحركات الوطنية فى الشرق العربى ، هو أن يجد الزعيم السياسى المطرود من منطقة نفوذ فرنسية كسوريا أو لبنان ملجأ فى مصر كما يجد اللاجىء السياسى العراقى ملجأ فى سوريا أو لبنان .

لذلك كان عبد الرحمن شهبندر وعدد غير قليل من زعماء سوريا ولبنان المطاردين فى وطنهم يجدون الملجأ السياسى فى مصر ، يروحون ويغدون ، ويكتبون ويخطبون وربما يمارسون وظائفهم ، أو يشتغلون ببعض التجارة ان شاءوا ، ولذلك فقد ذهبت فى سنة ، ١٩٣٢ الى فندق (الكونتننتال) فى ذات مساء لأستمع الى خطباء عرب ، بمناسبة الاحتفال باليوم الأول للثورة العربية التى قادها الشريف حسين بن علي ، باطلاق رصاصة من مسدسه ، من قصره الخاص .

وكان المحتفلون بهذا اليوم لا يلقون فى مصر ، تأييداً شعبياً لأن ثورتهم ، أى الثورة العربية التى قامت سنة ١٩١٦ ، كانت تعد عند المصريين طعنة فى ظهر دولة الخلافة الاسلامية ، فى حربها ضد بريطانيا ، وحلفائها أعداء الاسلام ، ولكني كنت أشعر بالاثم وأنا ماض الى هذا الاحتفال لأنى لم أذهب لأشارك فيه ، بل لأقابل الزعيم السورى عبد الرحمن شهبندر . وقابلته مع الحضور فى قاعة فندق الكونتننتال الذى كثيراً ما كانت تقام فى قاعته الكبرى الحفلات والاجتماعات والمؤتمرات .

وتوالى الخطباء ، حتى جاء دور الدكتور شهبندر ، فكان أحسن المتكلمين ، وأشدهم تأثيراً على السامعين ، وكنت أعلم أنه طبيب ، وأن أكثر المتكلمين فى ذلك الاجتماع كانوا ممن يعتبر الكلام صناعتهم .

مؤتمر الطلبة الشرقيين

وبعد ذلك بقليل نبتت فى رأسى فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وكانت فكرته تتلخص فى عقد مؤتمر للطلبة الذين ينتمون للجامعات من أقصى الشرق فى اليابان الى أقصى الغرب فى مراكش ، على أن يكون الى جانب المؤتمر ، مباريات رياضية ، شبيهة بمباريات الأولمبياد وأن تقتصر على طلاب هذه المنطقة التى تضم اليابان والصين والهند واندونيسيا والملايو وبورما ، وأبناء المشرق العربى : العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، وبلاد المغرب العربى ، ليبيا (وكانت تعرف فى مصر آنذاك بطرابلس الغرب) وتونس والجزائر ومراكش .

وقد تحمس لهذه الفكرة عدد من أساتذة الجامعة كان فى مقدمتهم جميعاً المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ثم الدكتور عبد الوهاب عزام ، ثم الشيخ أمين الخولى وأحمد أمين . وقبل أن يشارك فى لجنتها التحضيرية السيد عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس اللاجىء الى مصر ، وأخيراً الدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيم سوريا . وهذا ماوثق العلاقة بينى وبينه فكنت أتردد على عيادته الكائنة بشارع الملكة نازلى ، الذى يطلق عليه الآن شارع رمسيس على مقربة من حي غمرة ، وكنت أجد فى الاستماع الى حديثه فائدة دقيقة ، إذ كان ممن يفضلون قراءة الكتب العربية والانجليزية ، ويتابع الحديث عنها ، ومن ثم فقد كان لديه ما يقوله عن مجريات الأمور فى الوطن العربى ، وفى العالم قاطبة ، وكانت تجربته السياسية الطويلة فى وطنه ، واتصالاته منذ مطلع شبابه برجالات العرب والغرب تجعل حديثه طريفاً ومتنوعاً ومليئاً بالنوادر ، ودرساً شيقاً لخصائص النفوس ، فى مواقف الشدة والامتحان ، ونقائص العظماء الذين تكشفهم وتعريهم ساعات الحرج .

ولقد كان العرب خارج مصر ، يتابعون ما يجرى فيها ، ويتعصبون لمن تتعصب لهم الأغلبية المصرية ، ويكرهون ما تكرهه هذه الأغلبية ، فى ذات يوم طلبنا من وزير التربية فى مصر ، وكان يسمى وزير المعارف ، موعداً لنعرض عليه فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وكان الوزير يومذاك منتمياً لحزب الاتحاد المتحالف مع حزب الشعب الذى يرأسه اسماعيل صدقى باشا الذى كان أكره الشخصيات السياسية للناس فى الوطن العربى ، لشدة مخاصمته لحزب الأغلبية ، ولذلك كان الدكتور شهبندر متحرجاً من مقابلة هذا الوزير وكان يخشى أن يأخذ عليه أنصاره والمعجبون به فى سوريا وسائر البلاد العربية فى المشرق ، لذلك قال لى ونحن ندخل الى غرفة الوزير المصرى :

يجب أن نؤكد فكرة أننا جئنا لنقابل وزير المعارف ، لا لنقابل شخص الوزير ، فوافقته ، فما كدنا ندخل الى الوزير ، حتى قال الدكتور شهبندر ، معالى وزير معارف مصر ، لقد جئنا لنقابل وزير معارف مصر ، ولنعرض على معالى وزير معارف مصر فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وأدرك الوزير ما يعنيه الزعيم السورى ، فلم يغضب ، واتممنا الزيارة وخرجنا : فالتفت الى الدكتور شهبندر : أظن أننى أكدت بوضوح كاف أننا ما جئنا إلا لنقابل الوزير . فقلت له اطمئن ، فقد كان تأكيدك واضحاً تماماً ، ولما أذعنا بياناً عن هذه المقابلة ، تضمن البيان هذا المعنى جلياً ملفتاً للنظر .

ودعانى الدكتور شهبندر لتناول الغداء فى منزله ، وأذكر أنه قال لى وهو متهلل : لقد جاءني اليوم غلامان .. وقد كانت قرينته حاملاً ، فأسمينا أولهما (صلاح) ، فلما جاء بعده أخوه قلنا لنسميه (رباح) ، لأنه كان بمثابة ربح غير منتظر .

وأجريت لى عملية الزائدة الدودية فى مستشفى قريب من منزله بغمره ، فجاء يزورنى ، فغلبت عليه مهنته ، فأخذ يقرأ البيانات المعلقة على سريرى ، ولما جاءت كبيرة المرضات راح يسألها عن أمور متعلقة بالعملية . فشكرته على هذا الاهتمام .

أحب الأحاديث

وكان أحب الأحاديث الى قلبه ، وأجراها على لسانه ، حديث الثورة السورية التى اندلعت فى سنة ١٩٢٥ فى جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش ، والذى كان وزير خارجيتها ، ومن أطرف ما أذكره من هذه الأحاديث أن الثوار فوجئوا ، وهم ينازلون القوات الفرنسية بسلاح



عبدالرحمن شهبندر

زعيم سوريا بين الحربين

جديد ، لا عهد لهم به ، هو الدبابة ، التى كانت تستطيع الصعود الى معاقل الثوار فى قمم الجبال الحصينة ، وهى تدور فى طرق الجبل الثعبانية بسهولة ، ويسر ، فاسقط فى أيدى الثوار بسبب هذه القلاع الصغيرة المحصنة ، التى لا تنفع فيها البندقية ، التى كانت عدة الثائر المقاتل السورى . ولكن مالبث هؤلاء المقاتلون أن عرفوا نقطة الضعف فى هذا السلاح ، وهو أن حركة قائد الدبابة مقيدة داخل جوف الدبابة ، وأن نظره يتجه الى الأمام ، ولا يستطيع أن يرى ما خلفه ، فكان المقاتلون السوريون يقفون على منحنيات الطرق الجبلية ، ويدعون الدبابة تمر أمامهم قليلا ثم يقفزون على ظهرها ، ويرفعون قائدها من فتحة الدبابة ، ثم يجهزون عليه ، وهو عاجز عن المقاومة .

وبعد قليل أدركت القيادة الفرنسية أن الدبابات أصبحت مصائد لجنودها ، وأصبح الجنود غير مستعدين للطلوع الى الجبل بها ، واستمر الثوار فى قتالهم المظفر ضد الفرنسيين مع انعدام التكافؤ بين سلاح الفريقين .

• • •

ملحمة جهاد رائع

والحق ان حياة عبد الرحمن شهبندر كانت ملحمة كفاح جديرة بأن تروى ، لشباب الجيل الجديد ، يستمدون منها الموعظة ، لتثبتهم فى جهادهم اليوم .

فقد بدأ الدكتور عبد الرحمن كفاحه وهو بعد شاب فى العقد الثانى من عمره ، وقد بدأ اصطدامه بالسلطة فى عهد جمال باشا الذى عرف فى تاريخ سوريا بالسفاح الذى عينته حاكماً لسوريا ولبنان حكومة حزب الاتحاد والترقى فى تركيا وهو الحزب الذى ألفه عدد من الضباط والشباب فى الجيش التركى ، كان أشهرهم أنور باشا والى جانبه جمال باشا وطلعت باشا . وكان جمال باشا يشك فى كل حركة تقوم فى سوريا ويحسبها انتفاضاً ضد الحكم العثمانى ، فيعاجل القائمين بها بالسجن ، ثم بالشنق — وكان ضباط الاتحاد ، لا يطيقون حركات الشباب العرب الذين كانوا يؤمنون بأن حكومة تركيا كان يجب أن تتكون من جناحين : جناح للأتراك وآخر للعرب . وأن دولة تضم هذين العنصرين القويين جديرة بأن تكون فى هذا الموقع العظيم فى العالم ، دولة عظمى يحسب لها أعداؤها كل حساب .

أحاق خطر الموت بالشاب عبدالرحمن شهبندر ، فقرر ان ينجو بحياته ، ففر الى العراق واضطر ان يقطع على قدميه بادية الشام ، فى ثلاثة أشهر طويلة مليئة بالتعب الجسمانى الذى لا يحتمل ، والخوف من الخطر الذى لا ينقطع ، وبعد وصوله إلى العراق مجهدا ، كانت قد نالت منه الرحلة الطويلة كل منال ، سافر إلى الهند ، ثم منها الى مصر وبقى الى سنة ١٩١٩ . وفى هذا التاريخ كانت الجيوش العربية بقيادة فيصل بن الحسين ، تشارك فيصل فى إقامة الدولة السورية التى لم تعمر طويلا . وفى الوزارة السورية الأولى برياسة السيد هاشم الاتاسى وهى الوزارة التى سميت بوزارة (الدفاع) أسندت الى شهبندر وزارة الخارجية ، ولكن الفرنسيين لم يطيقوا مقام هذه الدولة ولا تأليف تلك الوزارة ، فسيروا جيشاً فرنسياً الى دمشق فتصدى لهم وزير الدفاع ، يوسف العظمة عند مدخل مدينة دمشق فى موقع (ميسلون) ومر الفرنسيون على جثته وكان استشهاده ، موقعة وطنية يؤرخ بها الى اليوم . وعاد شهبندر مرة أخرى الى القاهرة ، ولكن لم يلبث حتى نادته دواعى المقاومة الوطنية الى دمشق . وفى ابريل سنة ١٩٢٢ حضرت لجنة أمريكية بقيادة (كرين) لتسأل الشعب عن رأيه فى الدولة التى تنتدب لادارة شئون سوريا ، وقد خرجت جموع الشعب السورى بزعامة شهبندر لتعلن لهذه اللجنة أنها لا تقبل عن الاستقلال بديلا ، فنفد صبر زعماء الاحتلال الفرنسى ، فاعتقلوا زعماء سوريا الداعين الى استقلالها وفى مقدمتهم شهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ، وأودعتهم المعتقل فى بيت الدين ثم نقلتهم الى قلعة (ارواد) وهى القلعة التاريخية التى أقيمت فى جزيرة أرواد منذ عهد الصليبيين ، وقد حكمت محكمة عسكرية على هؤلاء الزعماء وعدد آخر من رجالات بلغت عدتهم جميعاً عشرين شخصا بالموت ثم خفف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة . ومن الطريف ان مصرياً كان فى طريقه الى العراق ليتولى مهنة التدريس بها شارك وهو فى طريقه الى العراق فى مظاهرات السوريين ، فاعتبر من زعمائهم ، وسجن معهم فى معتقل أرواد .

الثورة السورية الكبرى

وأفرج فى سنة ١٩٢٣ عن شهبندر فسافر الى أوربا وأمريكا ، وقام بدعاية واسعة النطاق لقضية بلاده هناك ، ولما عاد الى دمشق بادر بتأليف حزب الشعب ، دعماً لمقاومة الاحتلال .

فى هذه الفترة بلغ الدكتور عبدالرحمن ما يعانيه أهل جبل الدروز من طغيان القائد الفرنسى الذى نصبه الاحتلال حاكماً لهذا الجبل ، فاتصل بزعماء الدروز وعلى رأسهم سلطان باشا الأطرش ، ودبر معهم الثورة السورية الكبرى التى اندلعت فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٢٥ والتى أصلت المستعمرين الفرنسيين ناراً حامية ، وقد ترامت الى أركان المعمورة الأربعة ، أنباء هذه الثورة المظفرة وذاعت أنباء المواقع الباهرة التى خاضها الثوار السوريون ، والتى أبلوا فيها بلاء حسناً . وقد اختير الدكتور شهبندر وزيراً لخارجية الثورة ، ولما تزايدت وتوالت هزائم الفرنسيين ، ملأوا البلاد بقوات هائلة مزودة بأقوى وأحدث سلاح ، واصطدمت تلك القوات الضخمة بالثورة من كل جانب ، فلم ير سلطان الأطرش مناصاً من اللجوء الى الأردن ، فى حين لجأ عبدالرحمن شهبندر للعراق ومنها لمصر . وحاكمت السلطات العسكرية الفرنسية عبد الرحمن شهبندر غيابياً وقضت عليه بالموت للمرة الثانية .

ولما عاد إلى وطنه فى مايو سنة ١٩٣٧ ، زحفت الألوف من كل جانب من سوريا واستقبل استقبال الفاتحين ، ولما وصل الى العاصمة ألقى خطاباً من شرفة سراى البلدية حفظه مواطنوه عن ظهر قلب ، ورددوا فقرات منه ، وبقى فى دمشق يشرف على تنظيم المقاومة الوطنية ، وكان الاستعمار يتربص به خوفاً من تأثيره الشديد على مواطنيه ، فأغروا به أحد المجرمين ، فقصده الى عيادته فى دمشق بوصفه مريضاً واغتاله ، وهو يؤدى واجبه الانسانى العظيم .

والدكتور عبدالرحمن شهبندر ، وان كان طبيباً بالمهنة والتعليم ، كان مؤرخاً وعالماً من علماء الاجتماع ، كتب فى صحف ومجلات الوطن العربى المقالات والبحوث وقد ترجم وعلق وهو فى سجن أرواد عن الانجليزية كتاب (دليزل برنس) ، الموسوم (سلطة السجون) وجمعت مقالاته فى مجلة المقتطف تحت عنوان القضايا الاجتماعية الكبرى ، فكانت قطعة من عقل عبدالرحمن شهبندر وعلمه الغزير ، وأسلوبه الفذ الذى يدل عليه .

رحمه الله ، ونفع اخوانه العرب بجهاده وعلمه وأدبه .

فتحى رضوان



بقلم : الدكتور محمد البهي

تيسير الأمور على المطلّقة

التشريع القرآنى فى سورة البقرة ، وهي السورة الأولى فى الوحى المدنى ، عني فى علاقة الزوجين بالطلاق وحل ما يترتب عليه من مشاكل : كمشكلة العدة .. ومشكلة افتداء المرأة نفسها بمهرها أو ببعض منه .. ومشكلة المهر المسمى أو غير المسمى لغير المدخول بها .. ومشكلة رعاية المطلقة لفترة من الزمن بعد طلاقها .. ومشكلة خطبة المطلقة أثناء عدتها ، وذلك وقاية منه للمرأة وحفظاً لحقوقها فى حياة انسانية كريمة ..

وهذا التشريع المدنى ذاته فى تطوره يستمر : يرعى كفالة الحياة الانسانية الكريمة للمرأة المطلقة ، فى سوره التى نزلت بعد البقرة :

ففى السورة الثالثة عشرة فى التشريع المدنى ، وهى سورة « الطلاق » أهاب القرآن الكريم بالمؤمنين أن يتجنبوا العسر والأزمات فى معاملة المطلقة .. أى يتجنبوا التضييق عليها واحراجها ، أو تفويت رغبة مشروعة عليها :

١ ــ فيطلب من الرسول عليه السلام والمؤمنين معه : أن يقع الطلاق فى طهر حتى تستقبل المرأة المطلقة عدتها بالحيضة المقبلة . وذلك للزوجة التى تحيض ، ومدخول بها . وبذلك لا تضيع عليها فترة لا تحسب فى عدتها . يقول الله تعالى :

« يأ أيها النبى : اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (أى اذا أردتم تطليق النساء فليقع الطلاق مقترناً بالعدة .. أى تحسب العدة على أثر الطلاق مباشرة) وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » أول سورة الطلاق .

٢ ــ كما يطلب منهم عدم اخراجهن من المساكن التى كن بها على عهد الزوجية الا إذا أغلظن عليكم وفحشن فى القول . يقول تعالى ، متمما للآية السابقة :

« لا تخرجوهن من بيوتهن (أى لا يجوز لكم اخراج مطلقاتكم من البيوت التى كن يسكن فيها) .

« ولا يخرجن (أى بإرادتهن الخاصة دون اتفاق معكم) ،

« الا أن يأتين بفاحشة مبينة (أى الا أن يغلظن فى القول معكم فيجوز عندئذ اخراجهن) وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

« لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » أول سورة الطلاق .

٣ ــ وحسماً للنزاع بين الزوجين عند الفرقة النهائية أو المراجعة : يطلب التشريع المدنى بين الزوجين ــ كما يطلبه التشريع المدنى عامة فى كل عقد بين طرفين ــ أن يوجد شاهد عدل على الفرقة ، أو الرجعة : يقول الله تعالى فى سورة الطلاق أيضاً :

« فاذا بلغن أجلهن (أى انتهت عدتهن) فأمسكوهن (أى راجعوهن) بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف (أى طلقوهن باحسان) وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله .

« ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (أى ينصح به من لم يكن مادياً وثنياً) .

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً » سورة الطلاق ٢ ، ٣ .

٤ ــ ويؤكد مرة أخرى عدم الاضرار بالمطلقات فى أية صورة من صور الاضرار . فيقول فى سورة الطلاق كذلك :

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم (أى حسب مقدرتكم ــ اذا لم يكن فى مسكن الزوجية) .

« ولا تضاروهن (أى فى السكنى) لتضيقوا عليهن (أى وبالتالى تخرجوهن بمضايقتكم لهن حتى يخرجن من مساكنكم) .

« وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن (أى وبالاضافة الى السكنى يلتزم الأزواج بالانفاق عليهن طيلة عدتهن . فإن كن صاحبات حمل فعدتهن الى الوضع) .

« فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن (أى بعد الولادة وانتهاء العدة) .

« وأتمروا بينكم بمعروف (أى فى شأن الرضاعة والأجر عليها . أى ليكن أمرها بين الزوجين على أساس من المشاورة والاتفاق بينهما) .

« وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (أى وان تضايقتم ولم يتفق الوالدان على أجرة الرضاعة بأن بالغت الأم فى اجرتها .. أو بالغ الأب فى التقليل منها ، فلا حرج على الوالدين عندئذ من أن ترضع الطفل امرأة أجنبية أخرى ، يتفق الوالد معها ، حسماً للنزاع بين الوالدين) .

« لينفق ذو سعة من سعته ..

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » الطلاق : ٦ ، ٧ .

٥ ــ كما يتيح الفرصة لمن لم تحض : أن تحسب عدتها بالشهر ، بدلا من القرء . يقول الله تعالى فى السورة ذاتها :

« واللائى يئسن من المحيض من نسائكم (أى بلغن سن اليأس) إن ارتبتم (أيها الأزواج وشككتم فى حملهن) فعدتهن ثلاثة أشهر .

« واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال ، أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » الطلاق : ٤ .



شكل (١) صورة معبرة نشرتها مجلة الجغرافيا الدولية ، وفيها يظهر ذلك الفرخ الصغير وكأنما هو ينظر بحيرة الى هذا البيض الساكن ، فبعضه قد تهشم لرقة قشرته الضعيفة التى لم تحتمل جسم الأم الحاضنة ، وتبين أن سبب ذلك يرجع الى أحد المبيدات الحشرية ، والبيض الآخر لم يفقس ، لأن المبيد قتل الأجنة أثناء تكوينها ، ولذلك فسوف يطول انتظار هذا الفرخ دون أن ينعم بخروج فرخ آخر يؤنس وحدته .

المبيدات الحشرية.. هل ستكون بشريّة؟

بقلم : د . عبد المحسن صالح

هو بلاء وشر مركب .. بلى به هذا الكوكب .. البلاء تجسد فى ثلاثة لا غنى عنها فى حياتنا .. فمن هواء ملوث .. الى ماء ملوث .. الى طعام ملوث .. والتلوث فيها يصدر من الانسان ، ثم يأخذ دورته المقدرة ، لكن لابد أن يعود فيصيب الانسان ، حتى لكأنما البيئة قد رفعت ضدنا شعار الانتقام ، لأننا لم نحترم شرائعها ، ودنسناها بما لايصح أن يوجد فيها ، فحق عليها أن ترد لنا الصاع صاعين ، لأن البادىء أظلم ، وليس هناك من هو أظلم من الانسان بين كل الكائنات .. هو ظالم لنفسه ، وظالم لغيره ولبيئته التى تعاملت معه بالحسنى ، فأساء اليها .. ولا يحيق السوء الا بأهله ، أو هكذا طبقت تلك الحكمة بين بيئة وانسان .. وهذا ما سنتناوله فى هذا المقال .

يحكى أن مدينة هانئة ، كانت تعيش فى توافق مع بيئتها المسالمة ، فأحاطتها بمزارع طيبة ، ومحاصيل وافرة ، وفراشات محلقة ، وطيور مغردة ، وبساتين قطوفها دانية ، وزهور تتمايل بألوان زاهية .. وغير ذلك مما يؤكد للمدينة حياة رغدة هانئة .

ثم حدث أن هبت عليها آفة غريبة غيرت ما أحاطها من نعيم كانت تمرح فيه فى الأيام الخالية .. فلقد ظهرت أمراض غامضة ، فاكتسحت أمامها الطيور الداجنة ، وأصابت الماشية بأضرار بالغة ، فحل بها الهزال ، وأجهز عليها الموت ، ثم بدأ الناس فى المزارع يتحدثون عن أعراض أمراض حلت بهم وبأسرهم ، وعندما فحصها الأطباء فى المدينة المسالمة ، تحيروا فى تشخيص مرضاهم الذين سردوا عليهم أعراضاً مرضية لم تكن فى كتب الطب واردة .. وحدثت وفيات ، ليس فقط بين البالغين والمسنين ، بل بين الرضع والأطفال !

هناك ظاهرة أخرى غامضة خيمت على مظاهر الحياة .. فأين ذهبت الطيور التى كانت تحلق حول الناس بأعداد وافرة ؟ .. وما سبب

شكل (٢) تقوم الطائرات برش مئات الألوف من أطنان المبيدات سنويا على مستوى العالم ، ولابد أن يتسرب هذا المبيد الى الماء الذى نشربه ، والنبات الذى نعيش عليه ، أو يعيش عليه أى حيوان آخر نستفيد بلحمه وشحمه ولبنه وبيضه ، فينتقل الينا المبيد مستترا على موائد الطعام .



اختفائها ، اللهم إلا من أعداد قليلة ترى وهى تحاول الطيران ، فلا تستطيع ، ثم ترتجف بشدة ، وتسكن الى الأبد ؟ .. وتهامس الناس حائرين : انه ربيع صامت خال من الشدو والغناء والتغريد ، ثم ذلك البيض الذى تضعه طيورهم الداجنة ، لم يعد صالحاً لتكوين الأجنة ، فكثيره قد فسد (شكل ١) ، وقليله قد حسن ظاهرا ، لكنه أعطى أفراخاً لا تسر الناظرين .. وزهور التفاح والمشمش والبرتقال التى تفتحت فى ذلك الربيع ، لم يعد النحل يحوم حولها ، ليجمع رحيقها ، ويلقح زهورها ، فتضاءل ثمرها ، وهزل انتاجها .. وهذه البحيرات ، وتلك الجداول والقنوات .. أين ذهبت أسماكها ، وكيف تبخرت خيراتها ، ولماذا هلكت طيورها ؟ .. ماذا حدث لها حقاً بعد أن كانت تجذب الصيادين ، وتطعم الجائعين ؟!

تلك ــ اذن ــ مقتطفات اخترناها من مقدمة كتاب « الربيع الصامت » الذى كتبته الكاتبة العلمية الأمريكية راكيل كارسون ، ونشر فى عام ١٩٦٢ ، ولقد عرضناها هنا بتصرف ، ودون الاخلال بالجوهر ، ثم إن محتويات الكتاب ذاته قد أحدثت صدمة وفزعاً فى الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها ، وحقق توزيعاً خيالياً ، وحازت مؤلفته ثماني جوائز من هيئات علمية ورسمية ، وعندما قرأه الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى أمر على الفور بتشكيل لجنة علمية لدراسته ، ولقد أدى ذلك ــ فيما بعد ــ الى ظهور وكالة حماية البيئة من التلوث ، نظراً للآراء والحقائق الخطيرة والكثيرة التى وردت فى الكتاب ، والحق أن الكاتبة قد بذلت فيه مجهودات مضنية تتضح من ضخامة عدد المراجع التى اطلعت عليها ودونتها ، فرغم أن مادة الكتاب ذاتها قد شغلت ٢٥٠ صفحة ، الا أن المراجع وحدها قد وقعت فى ثلاثين صفحة تضم ما يزيد على ٥٥٠ مصدراً .

الأذى قد حاق بالجميع

وطبيعى أن الصورة القاتمة المفزعة التى وصفت بها الكاتبة تلك المدينة المنكوبة هى صورة خيالية ، لكنها ــ فى الوقت ذاته ــ واقعية ، إذ لم يحدث كل ما حدث لمدينة بعينها موجودة على الأرض ، لكن المآسى الواردة قد حدثت فى أماكن متفرقة من العالم ، وراحت هى تجمعها وتجسدها فى مكان واحد ، حتى تضخم المأساة أمام ضمير العالم عامة ، ومنتجى المبيدات خاصة ، وهى بذلك تضع النقط فوق الحروف للذين يسرفون فى استخدام هذه السموم دون ضابط أو رابط .

فمن منا مثلا من لم يستخدم المبيد فى منزله أو مكتبه للقضاء على ذباب يطن ، أو بعوض « يزن » أو صراصير تتجول وتضايق ، وما أيسر ــ والحال كذلك ــ من تناول العبوة الأنيقة للمبيد الحشرى ، فينطلق منها رذاذ معطر يحسبه الناس منعشاً ، رغم أنه ــ فى الحقيقة ــ مهلك .. فرذاذ الموت الذى يقتل الذبابة والبعوضة والصرصار ، كفيل أيضاً بقتل الانسان ، والذى يحدد عمليات القتل هو الجرعة المناسبة .. فكم سمعنا عن حوادث انتحار بشرى ، تمت بنجاح عند استخدام مبيد حشرى .. لهذا فإن ما قتل كثيره ، فقليله ضار ، ثم إن محصلة القليل كثير ، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر ، وكذلك كان فى مستصغر الرذاذ

المبيدات الحشرية.. هل ستكون بشرية ؟

معظم الضرر ، ولن تتضح أبعاد المأساة الا بعد الانتهاء من قراءة هذا المقال .

ان المطلعين على بواطن الأمور التى تجرى فى السر والعلن يدركون أن البشر جميعاً يكتنزون نزراً يسيراً من أنواع المبيدات فى أجسامهم ودهونهم ، لأن بعض المبيدات تهوى الدهون وتذوب فيها ، ليس ذوبان حب بطبيعة الحال ، لكن الدهن شره لاكتنازها لسنوات قد تطول ، وطبيعى أن تفاوت نسبة تلك المبيدات فى الأجسام يعتمد على الاسراف فى استخدام هذه المبيدات ، ليس فقط على مستوى الرذاذ الذى نطلقه فى منازلنا ومكاتبنا بل أيضاً فى الأماكن العامة ، حيث تقوم سيارات خاصة بنشرها فى الشوارع ، لكن المبيدات مستترة أيضاً فى كوب الماء ، وعصير الفاكهة ، وقطعة السمك ، وشريحة اللحم ، والخضراوات الطازجة والمطهوة ، والجبن والمربى وعسل النحل الذى كان فيه شفاء للناس ، فأصبح بدوره يحمل الأذى والضرر للناس !

وقد يظن البعض أننا فى هذا السرد المخيف مبالغون الى حد كبير ، أو أنه تخويف لا مبرر له ، ولا دليل عليه ، لكنه للأسف بلاء واقعى ومقيم ، خاصة إذا علمنا أن بعض هذه المبيدات قد اكتشف فى أجسام الحيوانات التى تعيش فى ثلوج القطب الشمالى ، رغم أنها لا تستخدم المبيدات هناك ، لكنها انتقلت إليها بطرق بعضها معروفة ، وبعضها الآخر مجهولة ، لكنها على أية حال مؤشر خطر يوضح أن الذى لوث البعيد ، أولى أن يلوث القريب ، أى الذى يعيش فى المجال أو البيئة التى تستخدم فيها آلاف فوق آلاف من أنواع المبيدات المختلفة .

ولاشك أن قائمة المبيدات طويلة عريضة ، اذ هى ليست فقط فيما نستخدمه فى مدننا أو قرانا ، فذلك لا يعتبر شيئاً مذكوراً بالنسبة لمبيدات أخرى تستخدم على نطاق واسع فى الحقول والبساتين والغابات والتربة ومصادر المياه (شكل ٢) .. فمن مبيدات حشرية نحارب بها الحشرات التى تفتك بالزرع والضرع ، الى مبيدات فطرية نقتل بها الكائنات الدقيقة التى تصيب النباتات ، الى مبيدات حشائش وفئران .. الى آخر هذا الطوفان من المركبات التى تزيد وتتنوع كل عام ، لاحلال الجديد الأكثر قتلا ، محل القديم الذى فقد فاعليته بمرور الزمن ، نتيجة للمقاومة والمناعة التى تتجلى فى حياة تلك المخلوقات الصغيرة .

محصلة لابد منها

ولكى تتجلى لنا الأمور على حقيقتها ، فلا مناص هنا من تقديم تلك الصورة التى ذكرها بيير روندبير فى كتابه المتع « الماء » والذى ظهر بعد كتاب « الربيع الصامت » بعشر سنوات ، فيذكر روندبير أن بحيرة كلير التى تبعد عن مدينة سان فرانسيسكو بحوالى ٩٤ ميلا ، كانت موطناً لبعوضة تلدغ ، لكنها ليست ماصة للدماء ، ولا ناقلة للأمراض ، ولكى يتخلص الناس من مضايقاتها ، استخدموا مبيداً يعرف باسم « دى . دى . دى » ، أو د . د . د » — وهذا اختصار لاسم كيميائى طويل قد لا يهمنا هنا ، بل الأهم أن كثافة البعوض قد اختفت ، لكن الى حين ، اذ عاد الى كثافته الأولى بعد سنتين ، فاستلزم الأمر رش البحيرة مرة ثانية ، للقضاء على يرقاته التى تعيش فى الماء ، لكنه لم يكن قضاء مبرماً على أية حال ، بل حل القضاء بألفين من طائر الغواص الذى كان يعيش على أسماكها ، فاختفى منه فى غضون خمس سنوات ١٩٤٠ طائراً ، ولم يتبق الا ٦٠ فقط !

ترى .. ما الذى أباد هذا الطائر أو كاد ؟ .. الجواب عند علماء البيئة الذين أفزعهم هذا الانقراض ، فعندما حللوا ماء البحيرة ، ودهون وأنسجة بعض الطيور الميتة ، وجدوا أن تركيز المبيد فى الماء لا يزيد عن جزء واحد فى ٥٠ مليون جزء من الماء ، لكنه ارتفع فى الطير الى ١٦٠٠ جزء فى المليون (أى ١,٦ جرام من المبيد فى كل كيلوجرام من لحم الطير) .. ولاشك أن هذا التركيز الضخم هو الذى قتل الطيور .. كيف — اذن — قفز هذا التركيز حتى وصل الى ٨٠ ألف مرة بين الماء ولحم الطير ؟

إن ذلك يتم عن طريق سلاسل الطعام التى تسير على مبدأ أن الكبير يأكل الصغير ، والقوى يلتهم الضعيف ، فالكائنات النباتية الدقيقة المعروفة بالطحالب هى أول حلقة فى سلسلة الطعام ، ولقد امتصت المبيد مع عناصر الماء ، فوصل التركيز فيها الى خمسة أجزاء فى المليون ، وعندما عاشت الأسماك الصغيرة على هذه الكائنات الدقيقة ، ارتفع التركيز الى ٤٠ جزءاً فى المليون ، وتأتى الأسماك الكبيرة لتأكل الصغيرة بما أكلت ، فتضاعف التركيز الى ٤٠٠ جزء فى المليون ، وعندما أكلت الطيور الصغير والكبير ، قفز التركيز الى ١٦٠٠ جزء فى المليون !

والآن .. ماذا قد يحدث للانسان من جراء تناوله شريحة من هذا السمك ؟ (وما يستهلكه فى الوجبة متروك لتقديرك على أية حال) .. الجواب : أنه سيكون آخر حلقة من سلاسل الطعام .. ولابد والحال كذلك أن يزيد فيه التركيز ، ثم ما قد يتبع ذلك من تدمير لأنسجة قشرة الغدة الكظرية (الغدة فوق الكلية) ، واذا حدث هذا التدمير ، نقص إفراز هرمون الأدرينالين ، ويتبعه هبوط فى النشاط الحيوى أو الفسيولوجى ، وهبوط فى ضغط الدم ، وفقدان الأوعية الدموية القدرة على الانقباض ، وأحياناً ما يحدث تدمير فى الكبد ، وقد تصاب الغدد الجنسية بأذى يؤدى الى مواليد مشوهة أو ميتة .. الخ .

وطبيعى أن أذى هذه المبيدات لا يظهر بين يوم وليلة ، ولا سنة وأخرى ، لكن الخوف يتأتى من المحصلة النهائية من مداومة تناول القليل مع القليل ، فيحدث التركيز الذى قد لا تحمد عقباه ، وهذا ما دعا البروفيسور فيليب هاندلر رئيس اكاديمية العلوم الأمريكية فى مؤلفه الكبير « البيولوجيا ومستقبل الانسان » الى الرد على مزاعم الذين يشككون فى أذى هذه المبيدات ، فيذكر « ان الذين يدعون بعدم وجود مخاطر محسوسة فى وقتنا الحاضر ، لا يعنى ذلك أن المخاطر لن تظهر مستقبلا ، ورغم أن هذه المخاطر لازالت قيد البحث ، وأن وجهات النظر فيها لازالت مختلفة ، الا أن الشيء الواضح تماماً أن جسم أى كائن حى لا يخلو الآن من واحد أو أكثر من هذه المبيدات التى يزيد استهلاكها عاماً بعد عام » !

سوء الاستخدام عمدا وجهلا

لكن مما يزيد الطين بلة أن الدول الفقيرة أو النامية يغرر بها ، وتدفع دفعا لاستخدام هذه المبيدات فى المنازل والحقول ومصادر المياه ، دون ترشيد بخطورتها ، أو رقابة فى طرق رشها ، أو معرفة بآثارها الضارة .

فمنذ حوالى ستة أشهر فقط ، أصدرت منظمة الصحة العالمية نشرتها الشهرية « الصحة العالمية » ، وخصصت كل موضوعاتها لأخطار التلوث التى تفاقمت فى عالمنا المعاصر ، ولقد جاء فى واحدة من هذه الدراسات — التى كتبها البروفيسور والديمار آلميدا أستاذ علم سموم البيئة بجامعة كامبيناس بالبرازيل — حقائق خطيرة عن استخدام المبيدات ، واستهل دراسته بمقدمة مثيرة يقول فيها : فى صباح يوم الأحد من كل موسم ، تقف عربة كبيرة فى أحد الأماكن الفسيحة لقرية تشتهر بزراعات القطن ، ومن العربة تنطلق الموسيقى عبر

مكبرات الصوت ، ومعها مناد ينادى : فليتقدم الجميع ، وليتناولوا مشروبا بالمجان ، وليشاهدوا كيف تقتل الحشرات فى الحقول .. لاترددوا ، ولتختاروا المشروب الذى تفضلونه .. انه لذيذ ومنعش ، وبدون ثمن هذا اليوم !

وطبيعى أن يتقدم الناس .. الصغار منهم والكبار ، ويشربون ولا يدفعون ، ثم تبدأ الاغراءات والدعايات المضللة ، وباختصار يدفعون أثمان المبيدات ، ولايدفعون أثمان المشروبات .. انه نوع من الكرم اللئيم ، فكل همّ بائعى المبيدات تحقيق أكبر قدر ممكن من المبيعات ، وجمع حصيلة كبيرة من الثروات ، على حساب الفقر والجهل والمرض الذى يتفشى بين هؤلاء الناس أو غيرهم .

الاحصائيات الطبية فى مقاطعة ساوباولو قد أشارت الى أن ألف عامل من العمال الزراعيين المشتغلين فى رش هذه المبيدات قد تم فحصهم خلال عام واحد ، وتبين أن ١٠ فى المائة منهم قد أصيبوا بالتسمم بدرجات خفيفة ومتوسطة وحادة ، ولقد حدث أن أكل بعض الأطفال بطيخة أتت من حقل معامل بمبيد حشرى فوسفورى ، وبعد ساعتين نقلوا الى المستشفيات لاسعافهم ، ومات عدد آخر من الأطفال بعد أن عوملت رؤوسهم بمبيد فوسفورى لقتل القمل الموجود فيها ، فمات القمل وماتوا معه !

ويذكر « آلميدا » أيضا أن دراسة تمت فى البرازيل عن عدد ضحايا المبيدات فى الفترة مابين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٩ ، فوصلت الى ٣٤٤٥ حالة ، مات منها ٢٠٨ فردا ويقدر بعد ذلك أن عدد حالات التسمم بالمبيدات فى الدول النامية تربو على ٣٧٥ ألف حالة سنويا ، يموت منها عشرة آلاف حالة ، وهو يذكر أيضا حقيقة معروفة ، ذلك أن الدول النامية ــ خاصة فى قراها ــ ليس لديها الاحصاء الطبى المضبوط ، ولا التشخيص الأمثل الذى يستطيع أن يرجع الحالات المرضية الى مسبباتها الحقيقة ، خاصة وأن أعراض التسمم بالمبيد ، أو حالات الموت التى تروح بسببه ، قد تكون غامضة ، كما أنها لاتقوم بالمسح الصحى الدقيق عن الآثار التى تسببها تلك المبيدات فى الناس ، ويعنى ذلك أن عدد حالات التسمم قد تكون أكثر مما ذكره بكثير ، ثم يعدد المآسى التى تسببها المبيدات ، فبعضها يسبب التشوهات الخلقية ، أو الأورام السرطانية ، أو الأمراض الوراثية وغير ذلك من أعراض خطيرة .

جناية المبيدات فى البيئة

ورغم أن أذى المبيدات واسع الانتشار بين الدول المتقدمة والنامية ، الا أن دمارها أكثر فى الدول النامية ، وبحيث تظهر آثارها على صور الحياة المختلفة .. خذ على سبيل المثال الجداول والمصارف والقنوات التى كانت فيما مضى غنية بالأسماك ، لكن الأسماك فيها ماعادت ترى الا نادرا ، لأن المياه قد تلوثت بما يعود اليها من الحقول التى رويت ورشت بالمبيدات ، أو قد تصل المأساة الى ذروتها عندما يتخلص عمال رش المبيدات من فائضها فى مصادر المياه ، بغرض قتل الأسماك ، فتصبح صيدا ميسرا ، فيجمعه الناس فرحين ليأكلوه بملوثاته ، وهو جهل فادح ، وعدم إدراك وتبصر بما تحويه الأسماك من عناصر التسمم والموت (شكل ٣) ، وفى أحيان قليلة تذكر أجهزة الأعلام فى الدول النامية بعض هذه الحالات ، وكثيرا ما تهملها *

● قصة طائر الغوّاص الذي اختفى بسبب المبيد الكيميائي !

● عدد ضحايا حالات التسمّم بالمبيدات في الدول النامية يربو على ٣٧٥ ألف حالة سنويًا

وأحيانا ماتصدر الدول الغنية فائض انتاجها الى الدول الفقيرة على هيئة معونات ، وقد تكون ملوثة بالمبيدات ، فتسبب حالات من التسمم الذى تختلف درجاته باختلاف تركيز المبيد ، وتذكر مجلة الصحة العالمية أن مثل هذه الحوادث قد ظهرت فى المكسيك وجامايكا وكولومبيا والبرازيل ، وتذكر أيضا أن احدى الدول العربية فى القارة الآسيوية ، قد استوردت حبوبا معالجة بأحد المبيدات الفطرية ، وسلمتها الى المزارعين لزراعتها ، لكنهم طحنوها وأكلوها ، فظهرت عليهم أعراض التسمم بالجملة ، فأنقذ منهم عدد وفير ، ومات عدد قليل .. وهى حادثة حقيقية سبق أن اطلعنا عليها فى مرجع علمى آخر منذ بضع سنين .. أضف الى ذلك أن بعض المزارعين يضيفون الى الحبوب المخزونة شيئا من هذه المبيدات الحشرية بغرض حمايتها من التسوس ، ثم هم بعد ذلك يستخدمونها كغذاء ، وطبيعى أنهم لايدركون مايفعلون ، فلم يبصرهم أحد بسوء مايفعلون .

وبعد انتهاء الحرب الفيتنامية الأمريكية ، ظهرت حالات من التشوه الخلقى بين الأطفال الحديثى الولادة ، فمنهم من مات ، ومنهم من عاش بعاهات ترى صورة واحدة منها منشورة ضمن هذا المقال (شكل ٤) ولقد أرجع الأطباء الفيتناميون أسبابها الى الكميات الهائلة من مبيدات الحشائش التى رشتها الطائرات الأمريكية على الغابات ، فعرت أشجارها من أوراقها ، وأبادت حشائشها وأعشابها ، لكشف الثوار المختبئين بها .

وطبيعى أن تتنصل الحكومة الأمريكية من هذا الذنب ، وراحت تعلله بأسباب أخرى تدعى بها أن المبيد برىء ، هذا رغم أن تقريراً طبياً أمريكياً قد أوضح أن هناك علاقة بين ولادة الأجنة المشوهة والميتة وبين بعض المبيدات ، ومنها مبيد الحشائش ، وأن هذه التشوهات قد ظهرت فى بعض الولايات الأمريكية التى تستخدم هذه المبيدات ، ومن أجل هذا تدخلت وكالة حماية البيئة ، وحظرت انتاج المبيد أو استخدامه الا فى أضيق الحدود ، وقد طعنت شركة « داو » للكيماويات فى هذا الحظر أمام احدى المحاكم ، لكنها خسرت القضية .

والشىء نفسه قد حدث فى بريطانيا ، حيث أدان اتحاد المزارعين هناك المبيد ، وأشفع الادانة بسرد عشرين واقعة خطيرة لأثر المبيد المدمر على الزرع والضرع والبشر ، لكن اللجنة الاستشارية للمبيدات التابعة لوزارة الزراعة لم تأخذ بوجهة نظر اتحاد المزارعين بحجة أن دور المبيد فى انقاذ الثروة الزراعية أهم من تلك الحالات الفردية .. ويبدو أن وجهة نظر اتحاد المزارعين كانت على حق ، اذ حدث أن تسرب من أحد مصانع المبيدات نصف كيلوجرام من مادة الديوكسين (وهى موجودة ضمن مبيد الحشائش) فى منطقة مأهولة بالسكان فى شمال ايطاليا ، ولقد حدث وقتها ذعر شديد ، خاصة بين النساء الحوامل ، لدرجة أن بعضهن قد اجهض أنفسهن لعلمهن أن المبيد يسبب تشوه الأجنة ، ورغم ذلك فقد سجل الأطباء منذ ذلك الحين ارتفاعاً كبيراً فى عدد الأطفال المشوهين !

ولاشك أن الأحداث بعد ذلك كثيرة ، لكن يكفى أن نشير الى حالة أخيرة ، وفيها تذكر دراسة نشرتها مجلة « رجل العلم العصرى » البريطانية مؤخراً ظهور أعراض مرض محير أدى الى تقوس عظام الكثير من المزارعين فى جنوب الهند ، وصاحبها تآكل فى مفاصل الركب والفخذ ، وعندما فحص المعهد القومى للتغذية بالهند تلك الحالات ، وجد أن معظم السكان يختزنون كميات غير عادية من المبيدات التى تستخدم هناك بدون توعية أو ضابط ، وانتقلت بعد ذلك من الحقول الى مصادر المياه ، فتركزت فى أسماكها ، ومن الأسماك الى البشر ، وعندما حظر استخدام هذه المبيدات ، بدأت الأعراض تتناقص بعد سنوات .

هذا بلاغ للناس كافة

ومن عادة الناس أنهم لا يهتمون كثيراً الا

المبيدات الحشرية..
هل ستكون بشرية؟

شكل (٣) عندما وجدت عبوة صغيرة من المبيدات طريقها الى أحد المصادر المائية ، تسببت فى هذه الحالة المأساوية ، وأبادت أسرابا هائلة من الأسماك ، امتدت لعدة كيلومترات ، ويقال ان ما يزيد عن أربعين مليون سمكة قد أبيدت آنذاك .



بالظاهر ، ولا يستيقظون الا بالكوارث ، فكارثة تسرب المواد السامة من مصنع المبيدات فى مقاطعة مهوبال بالهند ، والتى راح ضحيتها الآلاف ، غير عشرات الآلاف الذين لا يزالون يعيشون بعاهاتهم ، قد أثارت ضمير العالم ، وظلت حديث أجهزة الاعلام لأسابيع طويلة ، لكنها لا تثار بما يجرى فى الباطن ، لأنه غير محسوس ولا ظاهر ، رغم أنه أخطر شأناً ، وأعظم ضرراً ، لكن خطورته لا تظهر الا على المدى الطويل ، وله ضحايا كثيرون يعدون بعشرات ومئات الآلاف كل عام ، لكنهم موزعون فى أنحاء العالم على نطاق واسع ، ثم ان المبيدات تؤدى عملها وتدميرها ببطء على مدى سنوات قد تطول ، ومن أجل هذا لا يتنبه الكثيرون لأذاها .

ولاشك أن هذه المبيدات تنساب الى الأجسام الحية من البيئة التى تلوثت بها ، ورغم أن الجرعات منها جد قليلة ، الا أن بعض هذه المبيدات قد لا تفقد مفعولها الا بعد سنين طويلة داخل الأنسجة وفى البيئة ، وهذا يعنى أنها تتركز بمرور الأعوام ، ولا مناص اذن من غزوها للمادة الوراثية ، واقتحامها للعمليات الحيوية ، وتعطيلها للتفاعلات الكيميائية ، وتداخلها فى الوظائف الفسيولوجية ، خاصة فى الأجنة والأطفال الرضع ، لأنهم لا يزالون فى بدايات النمو والتكوين ، وأى خطأ فى هذه البدايات ، لاشك يتعاظم شأنه فى النهاية .. ولا يسلم البالغون من الأذى بطبيعة الحال .

والأمراض والعجز والتشوهات التى يحدثها سوء استخدام المبيدات كثيرة ، ولاشك أن بعض أعراضها قد درست وعرفت ، لكن هناك أعراضاً أخرى جديدة وغير معروفة تعبر عن نفسها دائماً ، خاصة وأننا لازلنا حديثى عهد بهذه الملوثات الخطرة التى لازالت تشتغل فى الخفاء ، ثم يظهر تدميرها على هيئات شتى ، ومع ذلك ، فإن ما عرف منها قد لخصه لنا دكتور آلاستير هاى — أستاذ الباثولوجيا الكيميائية بجامعة ليدز فى كتابه المثير الذى اختار له عنواناً مثيراً كذلك ، فأطلق عليه اسم « الخنجر الكيميائى : دروس مستفادة من مبيد الأعشاب ٢،٤،٥ — ت والديوكسين » (والديوكسين مادة شديدة الخطورة توجد بتركيزات خفيفة مع مبيد الأعشاب) .. وهذه الأعراض والأمراض على حسب ما يذكر : تدمير فى خلايا الكبد ، وخلل فى الجهاز الهضمى قد يظهر على هيئة غثيان وقيء واسهال ، وآلام فى العضلات ، وفقدان فى الشهية ، وضعف فى جهاز المناعة ، وأضرار بالجهاز العصبى ، وفقدان السمع والشم والتذوق ، وتقوس العظام ، والصداع ، بالاضافة الى اضطرابات نفسية تتمثل فى الاكتئاب



شكل (٤) بنت وولدان تشوهت منهم العظام ، وحالتهم تشهد بالمأساة التى خلفتها حرب مبيدات الحشائش والأشجار فى فيتنام .. والصورة نشرتها مجلة « رجل العلم العصرى » البريطانية فى عام ١٩٨٢ ضمن مقال بعنوان : إنها تقتل النباتات .. فماذا عن البشر ؟! .. والصورة فيها الجواب !

وعدم التركيز والشرود والاضطراب فى النوم ، ونوبات من العصبية والغضب .. الخ ، وكل هذه الأعراض من مبيد واحد يحتوى على الديوكسين .

يضاف الى ذلك أيضاً ما تحدثه المبيدات الأخرى من التشوهات الخلقية فى المواليد ، أو ولادة الأجنة ميتة ، أو نشوء أنواع غريبة من الأورام السرطانية ، أو فقدان الخصوبة ، أو تغيير بعض الصفات الوراثية للخلايا الجنسية ، أو هبوط فى وظائف الغدد الصماء ، أو تغيرات فى كيمياء المخ .. الى آخر هذه القائمة من المصائب القائمة والقادمة — أى التى لم يكتشف العلم أعراضها بعد .

كلمة أخيرة واجبة

لكن أخطر من ذلك كله أن المبيدات التى تنتج ثم تثبت خطورتها على بيئة الدول المتقدمة ، ويحظر فيها تداولها ، تصدرها تلك الدول الى العالم الثالث ، وليس ذلك الكلام من عندنا ، بل ذكرته مصادر شتى نتذكر بعضها ، ولا نتذكر بعضها الآخر ، فلقد ذكرت ذلك دائرة معارف الأكاديمية الأمريكية (الجزء ١٥ صفحة ١٩٨ لعام ١٩٨١) ، وذكرها البروفيسور آلميدا فى نشرة منظمة الصحة العالمية (أغسطس/سبتمبر ١٩٨٤ صفحة ١٠) ، وكأنما دول العالم الثالث قد أصبحت حقل تجارب ، ويتبع ذلك أيضاً أن يكون سكانها بمثابة حيوانات تجارب كذلك !

ويذكر نفس هذين المصدرين كذلك أن بعض الحبوب والدقيق والمعلبات المصدرة من الدول المتقدمة الى الدول النامية تحتوى على بعض هذه المبيدات ، وتلك حقيقة يجب أن ننبه لها الأذهان ، هذا بالاضافة الى أن بعض دول العالم الثالث التى أنشأت فيها الدول المتقدمة صناعات للمبيدات (كالهند مثلا) ، ليست لديها معايير مضبوطة عن نوعية المبيدات المنتجة ، إذ قد تحدث تفاعلات جانبية لسبب أو لآخر ، فيؤدى ذلك الى انتاج مركبات شديدة الخطورة على الحياة ، وليست واردة فى مواصفات المبيد .

أضف الى ذلك أن آثار التلوث بالمبيدات الموجودة فى لبن الأمهات فى دول العالم المتقدم قد بدأت تنخفض تدريجيا ، نتيجة للرقابة الصارمة المفروضة على بعض المبيدات الخطرة ، لكن سوء استغلالها فى دول العالم الثالث قد أدى الى زيادة ملحوظة فى ألبان حيوانات المراعى ، وكذلك فى لبن الأمهات .

وأخيراً فان الدعايات الضللة التى تنشرها شركات انتاج المبيدات ، لتحث الناس على استخدام المبيدات ، لا يهمها الا تحقيق أكبر ربح ممكن على حساب صحة الناس ، ولا يزال ذلك الاعلان الذى ينتشر فى تليفزيونات بعض الدول العربية ، ويظهر فيه رجل أنيق يعلن فيه عن مبيد له قوة قتل ثلاثية يعددها على أصابع يده ، إمعاناً فى التأثير على المستمعين ، هو فى تصورنا أنه ذو قوة قتل أولى للحشرات ، وقوة قتل ثانية للبيئة ، وقوة قتل ثالثة للناس .. وتلك — فى الحقيقة — هى الثلاث موبقات القاتلات التى تتصف بها المبيدات ، وعلى كل المستويات .

لكن .. ما هو البديل ؟ .. وهل يعني ذلك أن نترك زرعنا وضرعنا وأجسامنا نهبا للآفات ؟

ما هذا قصدنا ، فهناك سلاح بديل يتمثل فى المبيدات البيولوجية ، فربما كان فيها بعض الأمل والخلاص — ولذلك دراسة قادمة .

عبد المحسن صالح

هامش

• بعد أن انتهينا من كتابة هذه الدراسة ، ظهر خبر مثير فى إحدى جرائد دولة عربية يذكر أن شرطة المسطحات المائية قد ضبطت ١٠٩٤ كيلو جراما من المواد السامة فى مخازن ثلاثة تجار ، لبيعها للصيادين لاستخدامها فى صيد السمك ، وأحيل المتهمون للقضاء !

وردة الفجر

شعر: محمد آدم

حينَ حَطَّ على النيلِ ، كانَ النَهارُ دَماً ،
والمَصَابيحُ ، مُطْفَأَةٌ ،
والجُنودُ التي تَتَزَيَّنُ بالرّملِ ، والعُشْبِ ،
تَرْقُدُ ،
تَحْتَ التُرابِ المُنَدّى ،
وَتَنْسجُ ، للفَجْرِ ألْوَانَهُ ،
ثُمَّ تَبْكي انتِظَاراً .
وكانَ يُدَاعِبُ أحْلَامَهُ المُبْحِرَاتِ ـ إلى الحُزْنِ لَيْلاً ـ
وَيقْطِفُ وَرْدَ القَصَائِد ،
يَفْجَأُ ظِلَّ التَماثِيلِ ،
يَرْحَلُ عَبْرَ النوافِذِ ،
والشُرُفَاتِ المُضَاءةِ ،
والشَجَرَاتِ العَرايَا ،
التي لا تَحُطُّ ـ عليها ـ العَصَافِيرُ ،
أَوْ تَتَلكأُ ،
ثُمَّ تُهَاجِرُ قَبْلَ ورُودِ الصَبَاحِ ،
وتمشي على الشَوْكِ ،
والنَـــار ،
تَقْطَعُ أرضَ البَرارى ،
غِنَـــاءً ،
رتيباً
حَزِيناً
وكانَ يُضَاحِكُ هذى البِلادَ مَسَاءً ،
يُقَاسِمُها ،
لَيْلَهَا الدَمَوِيَّ الطَوِيلَ ،
ويُفرِدُ للحُلْمِ ،
سجَادَةً ،
من رَمَادِ التَوابِيتِ
زَهْرِ البَنَفْسَجِ
عُمْقِ الجُذُورِ
اخضَرارِ النَدى
والغُصُونِ التي تَتَمايَلُ تَحْتَ الصَبَاحَاتِ ،
حينَ يَشبُّ الهَوَاءُ الخَرِيفِيُّ ،
مُؤْتَلِفاً ،
بالشُمُوسِ ،

على خُصُلاتِ النَخيلِ ،
وَيرْكُضُ ،
في السَّهلِ ،
والأَرضِ ،
مُفْتَتِحاً ،
للرِّمَالِ الوَضِيئةِ ، دَوْرَتَهَا ، صَوْبَ سِرْدَابِها الأبدى
العَميقِ ،
إلى الدّمِ ،
حِينَ تَغِيبُ المَوانِئُ ،
أَوْ ،
تَتَنكَّرُ للنيلِ أفْرَاسُهُ ،
كانَ يعرِفُ سرَّ المَدينةِ ،
حِينَ يَجِيءُ ،
وكانَ يُزَاوِجُ بينَ الفُصُولِ ،
وبَينَ الحُقُولِ ،
وَيأْخُذُ للنيلِ مَجْلِسَهُ قُربَ شَطِّ الجَزِيرَة ،
دَورَتَهُ ،
بينَ كلِّ البِلادِ التي تَستَطِيلُ إليهِ ،
وَيرْحَلُ للنهرِ ، حتى يُلاقي المَرايا .. الدّماء ..
اصطِفَافَ الجُنودِ .. اغتِسَالَ الورود

على شَهْقَةِ الرّملِ ،
حيَن يُعَرِّينَ أجْسَادَهُنَّ ،
الجَميلاتِ ،
للصُبْحِ ،
والفَجْرِ ،
يَرْتَعْنَ خلْفَ الغُيُومِ الشَفِيفَةِ ،
ثُمَّ يُقَهْقِهْنَ ، للنهرِ ، والعُشْبِ ،
يَمْسَحْنَ ،
هذا البَهاءَ النَبِيلَ ،
بأعْرَافِهِنَّ ،
الصَغِيراتِ ،
يَرْكُضْنَ ،
نحوَ التلالِ البعيدةِ ،
ثُمَّ يَبُحْنَ بأشْوَاقِهِنَّ ، الحَبِيسَاتِ ،
للؤلؤاتِ الفَرِيدَةِ ،

في الغَوْرِ ،
والسِّنْدِيَانِ العَتيقِ ،
ويأخُذُ في الرَّكْضِ ، مِنْ خَلْفِهِنَّ ،
كَطَيرٍ من الريحِ ،
والضَوءِ ،
لا يتوقفُ قُرْبَ الثُغُورِ . ولا يَتَلكَّأُ ،
تَحَتَ النَوافِذِ ،
والشُرُفَاتِ ،
إلى أنَ يَحُطَّ بأحْلامِهِ ،
جَنْبَهُنَّ ،
وَيَنْسِجْنَ ،
هذا الفَضَاءَ ، شُجَيْرَاتِ ،
عِشْقٍ ،
وظِلٍ ،
وكانَ يُرَاوِدُ أهْلَ المدينةِ ،
ثُمَّ يعودُ اذا الليلُ جاءَ ،
وأظْهَرَتِ الأَرْضُ أحْمَالَها
مَالَهَا ،
لا تَذُوبُ المَدينةُ فيهِ ،
كما يَشْرَبُ الرَّملُ نَخْبَ النَدى ،
والصَدى المَعْدِنِيِّ ،
وَوَحْلِ التَرائِبِ ،
والطُرُقَاتِ الوَرِيفَةِ ،
والضَحِكاتِ الأَلِيفَةِ ،
والنيلُ ينسي ،
كما ينسى هذا النَهارُ الدّمَ المُفْعَمَا ،
كُلّمَا ،
فَاجَأتْهُ العَصَافِيرُ ، كانَ يَحُطُّ ،
على النيلِ ،
يُطْعِمُ هذى البلادَ خُلَاصَاتِ عينيهِ ،
وَهَجَ الفُؤادِ ،
وَوَهَجَ الشُمُوسِ ،
وَيغْزِلُ من ناقِلاتِ البَوَاخِرِ بعضَ الحَنينِ ،
إلى أهْلِها ،
الغُرباءِ ،

الذينَ يَموتُونَ ، جَنْبَ الحَشَائِش ،
قُرْبَ الطَواحِين ،
تَحتَ السَواقِي التي تَنْزِفُ الآنَ ،
دَمًا ،
وتُسْقِي الحُقُولَ الظَمِئةَ ،
كيفُ تكوُن المَدائِنُ مَهْزُومةً ،
والرِجَالُ التَوابِيتُ ،
يَنْتَحِبُونَ ،
عَرَايَا ! !
وَيتَّكِئُونَ على شُرُفَات المَنَازِلِ ،
يَضطَّجعُونَ قَليلاً ،
وَيْرتَحِلونَ قَليلاً ،
ولكِنَّهُمْ ،
حينَ تَأْتِي السُيُوفُ الصَقِيلَةُ ،
يَنْسرِبُونَ ،
ـ كَجرْذَانِ حَقْلٍ ـ
تُفَاجِئهَا النَخلاتُ ، فَفَرَّتْ ،
إلى الأرْضِ ،
تَشْرَبُ من ثَديِّها المطَرِيِّ ،
وتَدْهَسُ هذى البلادَ ، لتأْكُلَ من تَمْرِهَا ،
العَسَلِيِّ ،
لَحْمَ أبَنَائِها الكَادِحِينْ .
آه .
يَاأيُّها الفُقَراءُ الذيَن أَتوا ،
في الصَباحِ البَهِيجِ ،
يَشُدُّونَ للنَهْرِ ، أحْمَالَهُم ،
ليسَ هذا الذى تَشْرَبونَ هو النهرُ ،
لكِنَّهُ ،
حُمْرَةٌ من رَمَادِ الحَرائِقِ ،
عِرْقٌ من الدَم ، يجرى على سِحْنَةِ الأَرْضِ ،
يَرْفُضُ أنْ يَتكَوَّنَ مَاءً
وَنخْلاً
وَزيتُونَةً
وَيرْفُضُ أنْ يَتفَرَّعَ فوقَ الجبَالِ الشَريدَةِ ،
أنْ يَستَرِيحَ على الرَملِ ،
أَوْ يَتحَدَّرَ نحوَ الحُقُولِ الفَسِيحَةِ ،
والنهرُ ،
ينسى ،
كما كانَ آباؤُهُمْ يفْعَلونَ ،
هُمُ الآنَ ،
في أَوْجِ بَهْجَتِهِمْ ،
يَشْرَبُونَ النبيذَ ،
المُعتَّقَ ،

أَوْ يَرْقُصُونَ فُرادىٰ
ـ وَيِنْتَحِبونَ زُمَرْ ـ ،
على ضَوءِ لَونِ الدِّمَاءِ ،
التي تَتَسَاقَطُ ،
في الرَّمْلِ ،
مَخْضُوبَةً ،
في بَيَاضِ النَهَارِ ،
وخُضْرةِ عُشْبِ المَرَاعى ،
إلى أنْ تَجيءَ الرِياحُ التي تَحْمِلُ المُزْنَ ،
والغَيمَ ،
تُسْقِطُهُ ،
شَجَراً ،
شَجَراً ،
شَجَراً ،
يَتَناسَلُ ، تَحْتَ مَدَارِيهِ ،
كالقَمرِ اللؤْلؤىِّ ، الذى يَتهاوى ،

إلى الوَحْلِ ،
ضَوءاً من الظِلِ ،
ظِلاً من الضَوءِ ،
ثُمَّ يُسَافِرُ في الشَاحِنَاتِ ، التي تَحْمِلُ
العِشْقَ
والخُبْزَ
والخَمْرَ
نَحوَ الثُغُور الغَرِيبةِ ، عنْ أَهْلِهَا ،
الغُرباءِ ،
الذينَ يموتونَ جُوعاً
وشَوقاً ،
إلى النَخْلِ
والنَهرِ
والتَمرِ
هذا الفَضَاءُ مدىً ،

والصَباحَاتُ لا تُفْصِحُ الآنَ عن جِسْمِها العَنبرىِّ ،
المُضَمَّخِ ،
بالتُوتِ ،
والعُنَبِ المَرْمَرىِّ ،
وَتْرحَلُ في الليلِ نَحوَ البِحَارِ التي تَسْتَرِيبُ
الشَوَاطِئُ ،
منها ،

ولا يَنْزِلُ المَطَرُ المَوْسمىُّ عليها ،
النَوارِسُ أعْجَزُ مِمَا هىَّ الآنَ ،
تَبدو على الفَجْرِ ،
مُغْتَالَةً ،

بالبَنَادِقِ ،
والنهرُ لا يَحْمِلُ الآنَ غيرَ الغَرِيبينَ ،
والعَاشِقَاتِ ،

وَمَنْ يَحْتَسُونَ الكُؤُوس
مُعَتَّقَةً ،
في صُدُورِ البَنَاتِ ،
الجَميلاتِ ،
والبَحرُ لا يَسْتَعِيدُ نَضارَتَهُ ،
حينَ كانتْ تُسَافِرُ فيهِ ،
الكَتَائِبُ ،
مَحْمُولَةً ،
بالسَّفائِنِ ،
فوقَ زنودِ الرجَالِ الذينَ يَشُدُّونَ ،
للحَرْبِ ،
أَثقَالَهُمْ ،
وفي الفَجْرِ يَرْتَحِلونَ ،
فَوارِسَ ،
تَنْصِبُ للعَدْلِ خَيْمَتَهُ ،

وتُقِيمُ المَمَالِكَ فوقَ التُخُومِ القَصِيةِ ،
ثُمَّ تُزَاوِجُ بينَ النَهارِ ،
وبَينَ النَهارِ ،
وَتفْرِشُ للحُبِّ ، سِجَّادَةً ،
كىْ تَمُرَّ عليها البلادُ ،
إلى البَحْرِ ،
مِنْ بَعْدِ أنْ يُفْرِخَ الصُبْحُ ،
أجْنَادَهُ ،

للنَهارِ الطَويلْ .
حينَ حَطَّ على النيل ،
كانَ يُتَابِعُ أبنَاءَهُ القَادِمِينَ ،
من الحَرْبِ ،

مُتَّشِحينَ ،
بلونِ الحِدَادِ ،
وُمنكِفئِينَ على الرَّمْلِ ،
يَغْتَسِلونَ من الدَّمِ ،
بالدَّمِ ،
يَسْتَنْشِقُونَ العُذُوبةَ ،
مخلوطةً
بالبَهاءِ النَبيلْ .
آهِ .
لكنهُ ـ حينَ حَطَّ على النيلِ ـ
كانَ يُخَطِطُ ،
نَافُورةً ،
من فَرَحْ .

مازالت الحضارة الإسلامية متألقة تمتد جذورها العريقة عبر الأجيال بروعة ما تضمه من آثار فريدة تجذب إليها إهتمام العالم كله .. والمتحف الإسلامي في القاهرة يضم في ردهاته وقاعاته أنفس مجموعة من الآثار الإسلامية تعبر عن أزهى الحقب وأثراها ، وخاصة بعد تجديده وتوسعاته الجديدة وخروج معروضاته الى النور بعد أن كانت حبيسة المخازن لفترة طويلة .. لقد عادت الروح إلى المتحف الاسلامي !

عودة الروح إلى المتحف الإسلامي

- كان لابدّ من مواجهة علمية لإنقاذ الآثار الإسلامية بعد إهمالها
- ظلت فكرة إقامة متحف للآثار الإسلامية معطّلة ٣٤ عامًا !
- من المقتنيات الجديدة كنوز الفاطميين وأسلحة من العصور الإسلامية

فاروق اباظة

الاهتمام بمتحف الفن الإسلامي يجيء متسقاً مع الاتجاه السائد الآن بوجوب الحفاظ على الثروة الأثرية العربية التي تمتد جذورها عبر قرون طويلة منذ شروق الإسلام بكل روائعه الحضارية والأثرية في فن العمارة والنحت والخزفيات والرسم والنسيج والأسلحة وصك العملة والزخرفة وصناعة الزجاج والأواني والأدوات الطبية .

والمتحف الإسلامي بالقاهرة يقول عنه عالم الأثريات الدكتور أحمد قدري رئيس هيئة الآثار المصرية : إنه بعد تطويره وتجديده أصبح أعظم متحف للآثار والفن الإسلامي في العالم ، فهو يضم ضمن مقتنياته درة المجموعات الإسلامية ..

وعندما نتحدث عن المتحف الإسلامي القاهري نرى أنه من الأصوب أن نسرد باختصار تاريخ الآثار الإسلامية في مصر .. لقد بدأ الاهتمام بهذا التراث العربي عندما شكلت لجنة للحفاظ على التراث العربي برئاسة الخديوى توفيق عام ١٨٨١ م ، قامت بحصر التراث الإسلامي والقيام ببعض أعمال الترميم الضرورية. وكانت هذه اللجنة تضم إلى عضويتها رئيس الوزراء أما بقية الأعضاء فيمثلون أرفع المستويات الثقافية والعلمية مثل على مبارك باشا ومحمود باشا الفلكي ومصطفى باشا فهمى والعالم النمساوى فرانتز باشا ، وحصرت اللجنة ألف وخمسمائة أثر إسلامي في القاهرة بالإضافة إلى أربعمائة أثر في بقية المحافظات ، وبسبب ضعف إمكانات الترميم اندثر منها ما يقرب من ألف أثر ، وظلت عمليات الترميم المحدودة قائمة لما تبقى من الآثار الإسلامية ما بين أعوام ١٨٨٢ حتى ١٩٣٦ ، ثم بدأت هذه الآثار الإسلامية تعاني من حالة الإهمال والتردى ، وكان لابد من مواجهة علمية لإنقاذها ، وذلك بتحديد فلسفة واضحة للعمل مع خطة وجدول زمنى لتنفيذ عمليات الإصلاح والترميم والتجديد وتحديد الأولويات . واختيرت طريقة التعامل مع مناطق أثرية بأكملها ، باستخدام الشباب لإزالة المخلفات المتراكمة حول الأثر ، وإجراء عمليات تجميل واسعة النطاق مع إتاحة الخدمات السياحية والثقافية داخل هذه المواقع . وكان الوقت هو العدو الأول بعد أن وصلت معظم الآثار الإسلامية إلى حالة من التصدع والقرب من الانهيار ، وقد أمكن المحافظة على أغلب هذه الآثار واستعادت طابعها المعماري وزخارفها وألوانها .

فكرة المتحف الاسلامي

وقصة إنشاء المتحف الإسلامي بالقاهرة بدأت كفكرة عام ١٨٦٩ م ، حين اقترح المهندس « سالزمان » على الخديوى اسماعيل إنشاء متحف للآثار الإسلامية يضم في جنباته التحف والآثار ، ولكن الفكرة ظلت معطلة حتى عهد الخديوى توفيق عندما صدر مرسوم بتكليف وزارة الأوقاف بتخصيص مكان لذلك المتحف الوليد في عام ١٨٨٠ ، وعهد إلى « فرانتز » باشا بإعداده وتنظيمه فاتخذ له من أروقة جامع الحاكم بأمر الله مكاناً أطلق عليه اسم « دار الآثار العربية » وظلت الدار كذلك فلم يطرأ على المتحف تطور كبير إلا بعد إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية عام ١٨٨١ ودخوله تحت إشرافها فكان ان أنشيء لها مبنى خاص في صحن جامع الحاكم ، ثم طالبت اللجنة الحكومة عام ١٨٩٩ م بإنشاء المبنى الحالي للمتحف بميدان باب الخلق بالقاهرة فاكتمل البناء ونقلت إليه التحف وافتتح في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٣ (٩ شوال سنة ١٣٢١ هـ) .. وظل إشراف المهندس النمساوى فرانتز باشا على المتحف من سنة ١٨٨١ م إلى عام ١٨٨٧ م ثم أعقبه المهندس « ماكس هرتس » كبير مهندسي حفظ الآثار العربية الذى عين عام ١٩٠١ م أميناً عاما للمتحف وعين الأثرى المصرى على بهجت أميناً مساعداً ثم مديراً له في يناير ١٩١٥ م حين ترك ماكس هرتس القاهرة وعاد إلى



ابريق من البرونز



ف الاسلامى الذى يضم بين ردهاته وقاعاته أهم مجموعات الآثار الاسلامية



آنية خزفية محلاة بزخارف اسلامية

بلده إنجلترا .. واتسع نطاق النشاط في المتحف الإسلامي ليشمل التنقيب عن التراث الفنى الإسلامي والمحافظة عليه وإجراء الحفائر فى مواقع العواصم الإسلامية فى مصر (الفسطاط ــ العسكر ــ القطائع) والأماكن التاريخية الأخرى .

وبعد ذلك توالت الاكتشافات التى كان ينشر عنها فى المجمع العلمى المصرى ، وكان لدار الآثار العربية الفضل الأول فى إعداد الرواد الأول من علماء الآثار المصريين الذين تخصصوا فى الآثار الإسلامية ..

وفى عام ١٩٤٢ ضم « بيت الكريدلية » إلى دار الآثار العربية هدية للدولة من مؤسسه الانجليزى « جاير أندرسون باشا » وهو مثال لطرز البيوت الإسلامية فى العصر التركى .. وظل متحف الفن الإسلامى يضاعف ما لديه من التحف والمقتنيات بشراء المجموعات الخاصة وكان أشهرها مجموعة « رالف هرارى » من التحف المعدنية ومجموعات الدكتور المرحوم « علي ابراهيم » من الخزف والسجاد .

الفن الإسلامى يغزو العالم

وعندما تولت إدارة دار الآثار العربية أيد مصرية خالصة فى عام ١٩٥١ ، شهد المتحف فترة الازدهار فخصصت قاعات للطرز الفنية فى مصر وإيران وتركيا وخصصت أخرى للقطع الأثرية حسب مادتها من أخشاب ومعادن وخزف وزجاج وعهد بأقسامها إلى الأمناء يتخصصون فى دراستها ويعرفون بها وينشرون عنها وأصدروا دليلا بأهم مقتنياته .. وشملت روح التجديد اسم المتحف فاستبدل بإسم « دار الآثار العربية » اسم متحف الفن الإسلامى ،تعبيراً عن مشاركة غير العرب من الشعوب التى اعتنقت الإسلام وأصبحت مشاركة فى صنع الحضارة الإسلامية ، وعرضت مع زيادة المقتنيات تحف العصر التركى فى مبنى خاص ألحق بالمتحف فى شارع الإنشا بحي السيدة زينب ابتداء من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٥ م . كما صدرت سلسلة من المطبوعات بإسم « مجموعات متحف الفن الإسلامى » بشكل كتيبات تعرف بمجموعات المتحف صدر منها سجاجيد الصلاة التركية ومعدات التجميل وصنج السكة فى فجر الإسلام وفجر السكة العربية ، وطبعت مجموعة من الصور الملونة للفنان الاسلامى بهزاد ، وكان أحدث منجزات المتحف فى مجال النشر دورية بعنوان (دراسات آثارية إسلامية) .

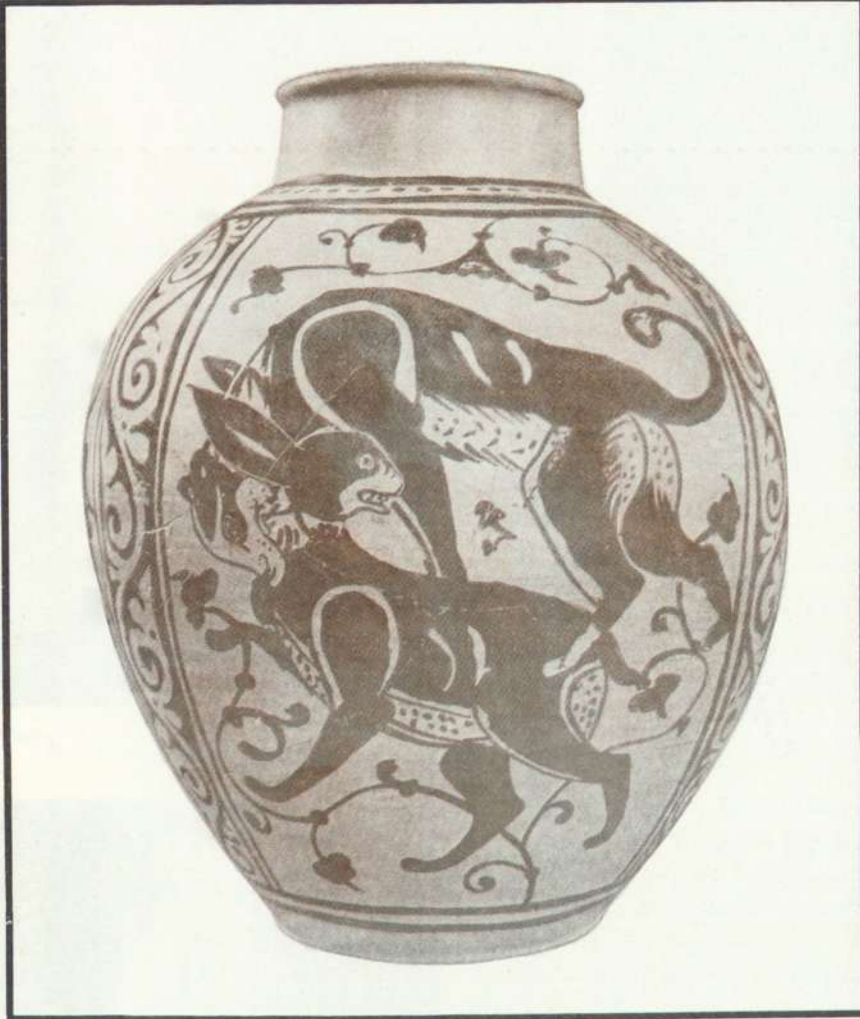
وقد شارك المتحف فى المعارض التى نظمتها

● مطلوب تكثيف الجهود لإنقاذ الآثار الإسلامية المبعثرة في كل أنحاء العالم

هيئة الآثار وطافت بكبرى المدائن الأوربية والأمريكية والآسيوية ، وبالإضافة إلى ما قام به من دور فى الاحتفال بعيد القاهرة الألفى عام ١٩٦٩ م ، فأقام معرضاً كبيراً للفن المصرى الإسلامى فى فندق سميراميس القديم .. فقد ظل تزايد مصنفات المتحف حتى بلغت زهاء ثمانين ألف تحفة من الخزف والفخار والزجاج والبلور الصخرى والنسيج والسجاد والمعادن والحلى والأخشاب والعاج والأحجار والجص والسكة والمخطوطات حتى ضاقت بها قاعات العرض والمخازن . وأشتدت الحاجة إلى أماكن أفسح تصلح للعرض والتخزين ، وأصبحت قضية تطوير العناصر المعمارية والمتحفية معاً ضرورة لا محيص عنها نادت بها كل الدوائر الأثرية والثقافية فى مصر والخارج وعلى رأسها هيئة اليونسكو ..

المشهد الجديد

وبدأ تطوير وتجديد متحف الفن الإسلامى بضم جانب كبير من قاعات الدور العلوى بمبنى المتحف كى تضم المقتنيات التى طال تخزينها ، وخصصت القاعات العلوية لعرض قرابة ألف قطعة من النسيج معظمها مصرى عثر عليه فى حفائر الفسطاط وبعضها إيرانى وتركى ، وكذلك عرضت خزانتان للأزياء وما يقرب من عشرين سجادة مختلفة الطراز وأربع ثريات نحاسية من العصر المملوكى والتركى كما خصصت قاعة بالدور العلوى للدراسات الأكاديمية للنسيج . وانتقلت مكتبة المتحف مع تخصيص مساحات أفسح لها وأعدت قاعة كبيرة على يسار المدخل الشمالى للإطلاع والمحاضرات التى تلقى عند الحاجة فى غير أوقات العمل الرسمية ، وألحق بالمتحف قسم لترميم التحف والمقتنيات وكذلك قسم التصوير للمتحف ، وأعدت قاعة جديدة لعرض العملات الأثرية والموازين والمكاييل والأنواط والأوسمة التى يندرج معظمها تحت اسم « علم النميات » بالإضافة إلى تجهيز القاعة بأساليب عرض حديثه للعملة ، وخصص الجزء العلوى لحفظ خزائن تحت هذا القسم من العملة مع إعداد مكان للدارسين للفحص والدراسة .. وقد ضمت إلى المتحف أيضاً أرض إلى الشمال منه كانت تشغلها محطة للبترول مما كان يشكل تهديداً مستمراً لأمن المتحف وآثاره ، وتم إنشاء حديقة أثرية إسلامية للعرض المفتوح ضمت العشرات من القطع المناسبة من الأعمدة والتيجان



زهرية معدنية من القرن الخامس الهجرى



سائحة أجنبية أمام معروضات المتحف



رئيس هيئة الآثار : الدكتور أحمد قدرى



طبق من الخزف التركى يرجع تاريخه للقرن السابع عشر



بعض الزوار داخل التحف الاسلامى

مشكاة من الخزف ، عمرها أكثر من أربعة قرون

والجرار وأعمال النحت الحجرى والرخام الإسلامي . ويتوسط الحديقة المتحفية الجديدة نافورة تم ترميمها وتشغيلها وسلسبيل تركى وواجهة جامع مملوكى فضلا عن مشرب مناسب للزوار روعى فى تصميمه التناغم مع الطراز المعمارى للمتحف ، وكذلك أماكن لبيع المطبوعات والبطاقات والنماذج الفنية والتذكارية للسائحين وهواة الفن الإسلامى .

كما أجري تغيير شامل سواء فى أسلوب وفلسفة العرض المتحفى أو فى مسارات الزيارة داخل المتحف ، وتم استحداث إضاءة جديدة مدروسة سواء داخل فتارين العرض أو خارجها موجهة لإعطاء أرفع تأثير جمالى للمتحف خاصة الذى رمم منه بعد إستخراجه من المخازن وإعادة استخدامه ليقدم المزيد من التأثير المطلوب . كما طبعت بطاقات عرض باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية ، وأقيمت دائرة موسيقية مركزية لبث الموسيقى الكلاسيكية العربية والأوربية كخلفية عامة خافتة لمساعدة الزائر على المزيد من المتعة الثقافية ، بينما عزلت قاعات المتحف وصالاته عن الخارج بنوافذ مجددة محكمة لمنع تسرب عناصر التلوث الجوى والصوت والصورة حتى يمكن للزائر التركيز على التحف والمعروضات ، وقد تم إجراء ترميم معمارى شامل للقطع الأثرية ، وكذلك تجميل عام معمارى وزخرفى سواء داخل المتحف أو واجهاته الخارجية منها نافورة مزينة بالزهور فى الواجهة الجنوبية ، وأعيد طلاء المتحف وواجهاته ومداخله بلون مناسب وباستخدام الجرانيت والرخام من أنماط فنية إسلامية أبرزت ما فى الواجهة من تفاصيل معمارية جميلة أو حليات فى وحدة فنية متناسقة ، وأعدت قاعة جديدة للروائع فى مواجهة المدخل الرئيسى عرضت فيها مختارات من التحف تمثل جميع عصور الفن والحضارة الاسلامية .

واشترك فيما يجرى من تطوير وتوسعات فى المتحف مجموعات متكاملة من المهندسين والأثريين والفنيين والعمال المدربين ، وقد تم تلبية الكثير من احتياجات المتحف وقطاعاته وتحديثه وجعله مركزاً للإشعاع الثقافى والحضارى ، وسيتم أيضاً الاستفادة ببقية مساحة الدور العلوى .

وقد ضم أخيراً لمتحف الفن الإسلامى مقتنيات جديدة خاصة بالإسلام والعلوم وتمثل عطاء الحضارة الإسلامية فى مجالات العلوم المختلفة من طب وفلك ورياضيات وصيدلة وجراحة وجغرافيا وأثر هذه الحضارة ذات القيمة التاريخية والعلمية .

● ضاقت قاعات العرض عندما وصلت مقتنيات المتحف إلى ٨٠ ألف تحفة نادرة

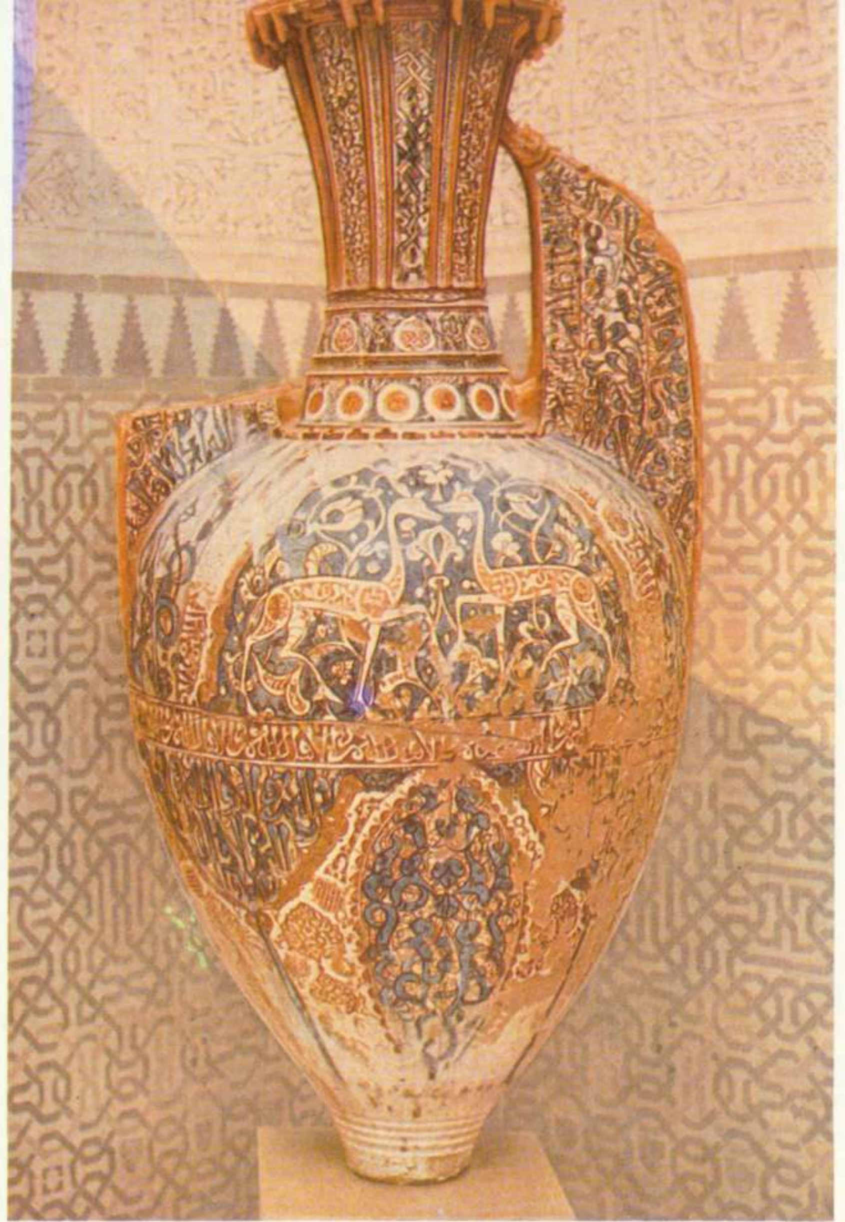


صفحة من مصحف مخطوط في العصر العثماني

نوافير جانبية للمياه



ومقتنيات المتحف الإسلامي في القاهرة تعبر بصدق عن روعة الفن الإسلامي وعراقته خلال العصور، من بين هذه المقتنيات أعمال خزفية وزجاجية ونسيج وسجاد وأسلحة وزخارف ورسوم وتماثيل واسلحة وأدوات طبية ونقش على الخشب، من بينها تمثال ظبي من البرونز يغطى جسمه رسوم نباتية بارزة، وتمثال أسد من البرونز المصبوب عليه بعض الزخارف المحفورة، وتمثال من الخزف لسيدة جالسة مزين بزخارف نباتية، وابريق من البرونز بزخارف محفورة ينسب للخليفة مروان الثاني بن محمد آخر خلفاء الأمويين (٧٥٠ م ــ القرن الثاني الهجرى) ومشكاة من الزجاج مزخرفة بالمياه الملونة والتذهيب باسم الناصر محمد بن قلاوون من مسجده (١٣٩٨ م ــ القرن السابع الهجرى) وتمثال من الخزف لأسد على ظهره طلاء زجاجي أزرق قاتم، ومنجرة مكفتة بالذهب والفضة مزينة بزخارف نباتية ورسوم وحيوانات ومناظر للصيد، ولوحة من الجص من قصور الخلفاء العباسيين في مدينة سامرا بالعراق، وقطعة من الورق عليها رسم ساخر يمثل قرداً يركب عنزا ويمسك عصا، وقطعة نسيج من الكتان مزخرفة بأشرطة من الحرير عليها عبارة «اليمن والإقبال مكررة» وقاع إناء يزينه رسم أوزة طائرة، وشريط من الخشب عليه بالحفر العميق منظر فنانة وعازف على آلة وترية من العصر الفاطمي، ومفرش مستطيل من النسيج بزخرفة في الوسط مع أسود محورة وبالإطار أشخاص في حديقة بالإضافة إلى كتابات فارسية، ومنجرة من البرونز على شكل طائر، وجزء من قاع إناء من الخزف عليه رسم غزال وسط أنواع نباتية، وصحن من النوع المعروف باسم خزف الفيوم متعدد الألوان يعود إلى القرن الرابع الهجرى، وقدر من الخزف ذى البريق المعدني عليه صورة كلب يقنص غزالا، وكتلة من الرخام عليها بالنحت البارز شكل أسد مع بعض زخارف نباتية محفورة على أجزاء منه وقطعة نسيج من الصوف عليها شكل يمثل فرس النهر، ومقلمة من النحاس المكفت بالذهب والفضة مزينة بزخارف نباتية وهندسية وهى بإسم السلطان الملك المنصور محمد (١٣٦٣ م ــ ٧٤٦ هـ)، ورسم بالألوان المائية



تحفة أثرية نادرة ، يرجع تاريخها إلى القرن السابع الهجرى



آيات قرآنية بارزة ، أبدع فيها الخطاط الاسلامى

(الفريسك) يمثل شخصا جالساً يمسك فى يمينه كوباً وهو جزء من حمام كشف عنه المتحف فى شمال الفسطاط ، وثريا من النحاس عليها كتابة بخط النسخ باسم السلطان قايتباى وألقابه فى مصر ، وشمعدان جميل من النحاس مصنوع بطريقة الضغط من الداخل وعليه تماثيل صغيرة لحمامات يليها صف من الأسود ، وسلطانية من الخزف الايرانى لها مقبضان على شكل أسدين ، وعلبة من العاج صناعة الأندلس عليها صورة طائرين متقابلين بالحفر البارز على أرضية نباتية ، وباب من الخشب المصفح بالنحاس تزخرفه صور عديدة للحيوانات والطيور .

ومن أهم مقتنيات متحف الفن الإسلامى مجموعة النقود النحاسية والبرونزية والذهبية وتعد من أنفس مجموعات النقود فى المتاحف المتخصصة ، بالإضافة إلى الأسلحة المتنوعة خلال العصور الإسلامية .

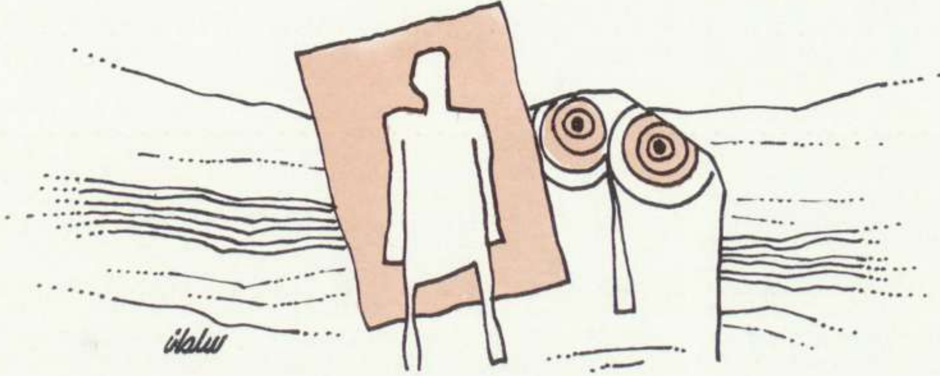
وأغلب مقتنيات متحف الفن الإسلامى ترجع إلى كل من العصر الفاطمى والعصر الأيوبى . وكان صلاح الدين الأيوبى قد استولى على كنوز الفاطميين وقام بتوزيعها ، وقد أورد المؤرخون بياناً بالتحف التى كانت بالقصور الفاطمية والتى أرسلها صلاح الدين هدايا للسلطان نور الدين زنكي عام ٥٦٩ هـ.. وكان من بينها مصاحف من القرآن الكريم مجلدة بصفائح ذهب وعليها أقفال من ذهب والمصحف مكتوب بخط ذهب . وكان من بينها كذلك قطع من البلور وأباريق محلاة بالمينا الذهبية وأوان فاخرة عظيمة القدر وغير ذلك ، وقيل إن صلاح الدين قد وجد فى خزائن القصر من الأعلاق الثمينة والتحف ما يخرج عن حد الإحصاء .. وبالرغم من ذلك فقد ظلت الفنون مزدهرة في العصر الأيوبي الذى تميز بوجود مجموعة هائلة من التحف الخشبية والزخارف والحشوات المجمعة فى أشكال هندسية ، وقد تخلف من العصر الأيوبي العديد من التحف الرائعة مثل تابوت المشهد الحسينى الموجود بالمتحف ، وتابوت زوجة الملك العادل وتابوت الإمام الشافعى وعلى هذا التابوت زخارف غاية في الإبداع ، وازدهرت كذلك صناعة العاج ، أما التحف المعدنية فكان لها شأن كبير يرجع إلى هجرة عمال هذه الصناعة من الموصل إلى القاهرة ودمشق ، وتخلف عن ذلك العصر تحف تضمها المتاحف العالمية وأهمها صينية من النحاس رائعة الزخارف مكفتة بالفضة عملت للملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل وهى تحمل اسم صانعها أحمد ابن عمر المعروف بالزنكى النقاش وهى محفوظة بمتحف اللوفر فى باريس وتاريخها يرجع إلى (١٢٤٠ م ــ ٦٣٧ هـ) ويعرف للزنكى النقاش أيضاً تحفة أخرى بالمتحف البريطانى فى لندن عبارة عن إبريق من النحاس يحمل اسمه ، وبمتحف المترو بوليتان فى نيويورك إبريق معدنى من عصر السلطان الملك الكامل مكفت بالفضة على جداره زخارف نباتية تتخلله رسوم آدمية وأشكال هندسية ، وبمتحف بوسطن شمعدان من النحاس المكفت بالفضة من عصر الملك الكامل وعليه زخارف بديعة من التوشيح العربى تتداخل فى أشكال آدمية وحيوانية ، وبالمتحف البريطانى فى لندن أسطرلاب من العصر نفسه نقش عليه اسم صانعه عبد الكريم المصرى الأسطرلابى ، وقد أحيطت الأشكال الفلكية بزخارف محزوزة وأخرى مكفتة بالفضة تنبثق منها أشكال من التوشيح العربى .

ومتحف الفن الاسلامى .. بالرغم من كل ما تسرب من مقتنياته إلى أكبر متاحف العالم ، مازال يضم هذه الصفحات الرائعة من التاريخ المجسم الذى يعبر بصدق عن أزهى عصور الابداع وأثراها بالفن الرفيع الذى بهر الدنيا ، لأنه يعبر بصدق عن حضارة لها جذورها وتراثها العظيم .

فاروق أباظة

محاولة لرسم خريطة للوطن

شعر: عبدالمنعم عواد يوسف



ولي وطنٌ أحاصرهُ ،
يحاصرني
يمد خطوطه في قلب خارطتي ،
فأرسمه ، ويرسمني ،
وأصبح قشة في نيله الدفاقِ ،
ترقص في يد الأمواجِ ،
رفةَ طائرٍ يلهو بقرب ضفافهِ ،
أنشودةً عذراء يعزفها على شبَّابةِ الأحلامِ ..

فلاح خليُّ البالِ ، لم تعركه بعد رحا السنينَ الدُّهم ،
لم تصبغ مداخله بلون القار أيام الأسى الهوجاء ،
هأنذا ... أعاود رسم خارطتي
فترسمني ، وأرسمها ،
وأدخلها ، فتدخلني ،
وأصبح عندها خطا يصد جحافل الأعداءِ ،
يحضن مقدم الرفقاءِ ،
يفتح بابها للفجر ،
يدخل بالسنا ، بالنورِ ،
بالألقِ الأريجيِّ الذي يحيي موات النفسِ ،
يوقظ ما خبا بالرأسِ ،
يدعوني لهذا العرسِ ...

هأنذا ... وكل الفرح يدخلني ،
يفاجئني ،
بطلعة وجه إيزوريسَ ،
حين تجمعت أعضاؤه في حضن إيزيسٍ ،
وعاد لها ،
يعيد الخصبَ ،
يزرع روحه بالأرضِ ،
حورس هبَّ منتصباً بصدر أبيه ،
هأنذا ... وهذا البِشْر يغمرني ،
فيا وطني ،
أيا وطني الذى قد عاد خارطةً تمد خطوطها الخضراء في قلبي
فتزرعني ، وأزرعها ،
وتحصدني ، وأحصدها ،
وواحدنا يصير الكلَّ ،
والكل الذى لولاه ماكانت مشيئتنا يكون الجزءَ ،
جزءَ الجزءِ ،
حباتِ التصافي الحلو ، تصبح لمعةً في العينِ ،
قطراتٍ من العرق السخي على جبينٍ لوحته الشمسُ ،
دفقاً من دمٍ ينساب ،
يدخل رسمَ خارطتي ،
فيصبح بعض أعضائي ،
وحين يضمني صدر التراب الرخوِ ،
تنبت ألف زاهرةٍ ، تنوّر كهَف أحشائي ،
وهأنذا ...
أموت ، أموت ، لكني ،
سأبعث في أحبائي ..

ملف فكري هام

صراعنا الثقافي والحضاري مع الصهيونية

ليس الصراع بيننا وبين العدو الصهيونى صراعا عسكريا أو سياسيا فقط ، بل هو فى جانب عميق منه صراع ثقافى وأدبى وحضارى واسع ، وعلى صفحات هذا الملف الهام دراسة لهذا الجانب من جوانب الصراع الكبير ، ويجيب الملف على سؤالين هامين : الأول هو : كيف صَور الشاعر العربي المعاصر شخصية اليهودي ؟ والثانى هو : كيف صَور أدب الأطفال العبرى صورة العربي ، وكيف يرى هؤلاء الأطفال شخصية الانسان العربى ؟

... إن الكتاب اليهود يحاولون أن يبذروا فى قلوب أطفالهم بذور الكراهية للعرب منذ أن يفتح هؤلاء الأطفال أعينهم على الحياة .

وهذا الملف الهام يشارك فيه أديبان عربيان من ألمع أدباء الجيل الأدبى العربى الجديد فى فلسطين وهما : عز الدين المناصرة والدكتور فوزى الأسمر والمجال مفتوح فى الدوحة للحوار والمناقشة حول هذا الملف .



● كيف يصوِّر الشاعر الفلسطيني شخصية اليهودي في الأرض المحتلة؟



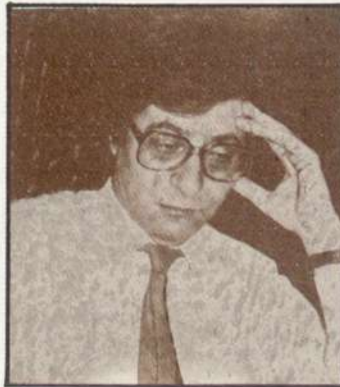
● ..وكيف يصور اليهود الشخصية العربية في قصص الأطفال العبرية؟


ابراهيم طوقان


أبو سلمى


عبد الرحيم محمود


سميح القاسم


محمود درويش


فدوى طوقان

الكلمة سلاح .. والشعراء أيضًا يقاتلون

صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر

بقلم : عز الدين المناصرة

... يدرس هذا البحث « حالة العداء » بين طرفين وانعكاسها البسيط فى الشعر الفلسطيني . وحالة العداء هذه متميزة فى طابعها ، بل هى حالة نادرة فى تاريخ العالم ، ففى عام ١٩٤٨ ، أقيمت « دولة » لم تكن موجودة من قبل ، على حساب شعب طرد من أرضه ، فنشأت « حالة العداء المتبادلة » لأسباب تاريخية وموضوعية لها ما يبررها .. إنها تختلف ــ فى طبيعتها ــ عن صورة الفرنسى فى الأدب المغربى . بل وتختلف عن صورة الانجليزى فى الأدب الفلسطيني . ولنقل بوضوح أكثر : لقد أقام الاستعماران البريطاني القديم والأمريكى الحديث ، « دولة اسرائيل » ركيزة لهما فى الشرق العربى ، واستخدمت الحركة الصهيونية التى هى أداة التنفيذ ، كافة الوسائل لتحقيق ذلك سواء بالوسائل المسلحة أو الايديولوجية أو حتى الأوهام الميتافيزيقية المضادة لحركة التاريخ . وقد كان اليهود يعيشون فى فلسطين كأقلية طائفية مطمئنة فى المجتمع الفلسطيني ، ففى عام ١٩١٤ ، بلغت نسبتهم سبعة فى المائة من مجموع سكان فلسطين العرب .

وهنا لا ندرس منطق العدالة الفلسطينية ولا منطق القوة الصهيونية ، بل ندرس « الصورة » كما وردت في الشعر ، ونعني بالإنعكاس البسيط أننا ندرس المعنى ، فلا يحتاج الأمر في هذه الحالة إلى دراسة الانعكاس المعقد في النص الشعرى الذى يتطلب دراسة بنية النص ، لأن صورة اليهودى تتعلق بخارجية النص أكثر من « البنية العميقة » .

لقد نشأت صورة « اليهودى » في ذهن « الفلسطيني » وتشكلت عبر مراحل تاريخية طويلة ، فهى صورة سلبية عموماً ، نشأت في التاريخ القديم من روح العنصرية أو عقدة التعالى في كتاب « التوراة » المحرف .وقد تحددت الصورة الأولى لليهودى كصورة كلاسيكية وأثرت على الوجدان الشعبى العام ، إنها صورة « اليهودى التوراتى » بمعناه السلبى ، فاليهودى — في التوراة — يدمر ويحرق وينهب ويحب السيطرة بوسائل براجماتية وميكافيلية ، وهو يشعر بالتفوق والاصطفاء . كذلك تبرز ضمن الصورة القديمة التاريخية لليهودى عقدة المضطهد الأبدى . وهذه الصورة تهدف باستمرار إلى استغلال الجانب العاطفي لدى شعوب العالم تجاه اليهودى (المضطهد) .. وتندمج ضمن هذه الصورة العامة ، تفاصيل أخرى . ثم ولدت في عصور متأخرة الصورة الكاريكاتورية لليهودى في أوروبا ، نعنى بها « الشخصية الشايلوكية »(١) التى قام وليم شيكسبير بتقديمها كنموذج ، وقد كانت سائدة في عصر شيكسبير ثم نمت بعد ذلك في الآداب الأوروبية ، وهذه الصورة الكاريكاتورية ترتبط بالصورة التاريخية الأولى . ثم تشكل « الجيتو اليهودى » في أوروبا تعبيراً عن التميز والشعور بالاضطهاد والتعالى ، محاولا أن يجمع المتناقضات ، والجيتو هو أول محاولة — باعتقادى — لتحويل معتقداتهم إلى عنصر من عناصر تتناقض مع القومية الأصلية ، وخوفاً من انشقاقات الجيتو ، أى بروز الجانب السلبي ، تم تجميع الجوانب الايجابية فيه ، تلتها عملية تنظيم مقصودة من قبل دعاة الحركة الصهيونية الأوائل ، ثم التقطوا اللحظة المناسبة ، المتطابقة مع الاستعمار البريطاني لفلسطين ، والمتطابقة مع نمو اضطهاد اليهود في أوروبا ، والتى بلغت ذروتها في الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم خلقوا أساطير حول عذابهم الأوروبى ، ليبرروا العذاب والاضطهاد الحقيقى الذى مارسوه ضد الشعب الفلسطيني ، واستطاعوا وضع الثقافة الأوروبية في موقف الشعور بالذنب تجاه المنفى اليهودى . وجروهم إلى مناقشات ميتافيزيقية تتعلق بأسطورة « أرض الميعاد » ، لأن هذا النوع من المناقشات يجلب لهم عطفاً أوروبياً ، وهنا لعبت الأيديولوجية الصهيونية المسلحة دورها التنفيذى في اقتلاع شعب من أرضه التى عاش فيها منذ الإنسان الأول .

لقد أثبتت الحفريات المتعلقة بحضارة الأوغاريت الكنعانية ، أن كتاب التوراة مثلا بلغته العاطفية — وبصورته الراهنة — قد تأثر بالأدب الكنعاني الفلسطيني ، وأن « التوراة » جاءت بعد نصوص أوغاريت بحوالى خمسة عشر قرناً . ولكننا لن ندخل في الجدل البيزنطي ، لأن الصهيونية بأيديولوجيتها العنصرية كانت تهدف إلى جرنا الى مثل هذا الجدل الميتافيزيقي . وتبقى الحقيقة وهى أنه لا يحق لأى كان طرد شعب من وطنه .

والغريب أن صورة العربى في الشعر الصهيوني مطابقة تمام المطابقة للايديولوجية العنصرية ومتماثلة مع الفعل العنصري على أرض فلسطين ، في حين نجد صورة اليهودى في الشعر الفلسطيني أكثر اقتراباً من الحقيقة الواقعية ، أى من الانسانية . وحين ندرس صورة اليهودى في ذهن العربى — الشاعر مثلا — ننطلق من تحديدات لابد منها وهى أن « اليهودى المعاصر » لا يحمل من الرؤية التوراتية سوى الجانب التدميرى منها . أي عقدة التعالى ، بحيث نستطيع أن نؤكد أن « اليهودى التوراتى » غير موجود على أرض الواقع . أما « الصهيوني » فهو صاحب الايديولوجية العنصرية المعروفة التى تشتمل على عناصر مادية أكثر . أما « الاسرائيلي » فهو اليهودى المرتبط بكيان ودولة تؤمن بالصهيونية وبالفعل العنصرى ، لأنه اقتلع شعباً من أرضه . قد يقال : إن هناك استثناءات . هذا صحيح ولكنها تبقى استثناءات « فردية » أو « جماعية صغيرة » . لا تؤثر في تغيير الفعل العنصرى على أرض فلسطين ، في المنظور القريب . وقد تشكلت صورة اليهودى في الذهنية العربية منطلقة من « صورة ذهنية بلاغية » . ثم « صورة إيديولوجية سياسية » . ثم الصورة « الواقعية » .

تشكلت لدى جزء من العرب صورة واقعية لليهودى الواقعى ، لأنه مع تشكل هذه الصورة ، ولد الإحساس بالخطر الواقعي .

نماذج شعرية مختارة

لقد اخترنا نماذج من الشعر الفسطيني تختلف في التجربة الشعرية زمنياً وفنياً وتتشابه أحياناً . فمثلا : ابراهيم طوقان : هو شاعر فلسطين الأول زمنياً وموضوعياً عاش في الفترة ما بين ١٩٠٥ — ١٩٤١ وهو شاعر وطنى يتميز بنقده للواقع السياسي الفلسطيني آنذاك ورؤيته التحذيرية . وأبو سلمى : اشتهر قبل العام ١٩٤٨ وعاش في فلسطين فترة الصراع الفلسطيني مع الصهيونية والاستعمار البريطانى . كذلك عبد الرحيم محمود وهو من نفس النمط ويضاف لذلك أنه حمل السلاح واستشهد في معركة الشجرة عام ١٩٤٨ . وفدوى طوقان شاعرة من مدينة نابلس من الجزء المسمى بالضفة الغربية أو الجزء الباقي من فلسطين الذى احتلته « اسرائيل » عام ١٩٦٧ وقد اصطدمت بالشخصية الصهيونية بعد العام ١٩٦٧ . وسميح القاسم وهو يكتب الشعر — عملياً — منذ أوائل الستينات وهو من قرية « الرامة » في الجليل وبقى في فلسطين بعد تأسيس « دولة اسرائيل » ، أى يحمل جواز السفر الاسرائيلي وتطبق عليه كافة قوانين « الدولة الاسرائيلية » ، ماعدا حقوقه الانسانية المشروعة كمواطن في أرضه . ومحمود درويش من قرية « البروة » في فلسطين ١٩٤٨ . وظل يطبق عليه القانون الاسرائيلي حتى عام خروجه من فلسطين المحتلة في أول السبعينات . حيث غادر الى القاهرة أولا ثم انضم الى منظمة التحرير الفلسطينية حوالى العام ١٩٧٣ . وعز الدين المناصرة(٢) من مواليد قرية « بني نعيم — الخليل » وقد عاش في الضفة الغربية ثمانية عشر عاماً حيث غادرها عام ١٩٦٤ وعاش في مصر والأردن ولبنان وسوريا وبلغاريا وتونس والجزائر . وهو ينتمى للثورة الفلسطينية التى انطلقت في منتصف الستينات .

ومن هنا فنحن أمام عينة أساسية مختارة في الشعر الفلسطيني . تتميز بالتنوع في التجربة .

ويرى البعض أنه يمكن أن نضيف للدراسة : توفيق زياد — راشد حسين — يوسف الخطيب — معين بسيسو — هارون هاشم رشيد ، لتكون الدراسة مكتملة . وهذا صحيح .

وحتى تتضح الصورة للقارىء نحدد جدول الأولويات للنماذج المختارة في هذه الدراسة والمنشور على الصفحة التالية (جدول ١)

إن هذا الجدول يقول لنا ما يلي :

أولا: إن النماذج المختارة تنقسم الى فئتين من حيث العمر بينهما فاصل زمني واضح ، أى أنهما يمثلان جيلين : جيل ما قبل ١٩٤٨ (طوقان — محمود — أبو سلمى — والى حد ما فدوى طوقان) وجيل أوائل الستينات شعرياً (القاسم — درويش — المناصرة) . هذا مع استمرارية أبى سلمى وفدوى طوقان بعد ١٩٤٨ في الكتابة الشعرية .

ثانياً : يتوزعون على مساحة جغرافية واسعة من فلسطين من الجليل مروراً بطولكرم ونابلس حتى الخليل .

ثالثا : هناك اثنان عاشا في فلسطين الموحدة حتى وفاتهما أو استشهادهما (طوقان — محمود) . وهناك اثنان عاشا في ظل الدولة الاسرائيلية (درويش — القاسم) : وهناك اثنان عاشا في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني ١٩٥٠ — ١٩٦٧ : (فدوى طوقان — المناصرة) وهناك شاعر عاش أربعين سنة في فلسطين الموحدة واثنتين وثلاثين سنة في المنفى (أبو سلمى) . وهناك اثنان عاشا في فلسطين والمنفى (درويش والمناصرة) أما الباقون حتى الآن في فلسطين فهما : فدوى طوقان (الضفة الغربية) وسميح القاسم في (فلسطين المحتلة) . إذن هناك ثلاثة عاشوا في المنفى وهم (أبو سلمى —

درويش ـ المناصرة وهناك أربعة لم يعيشوا فى المنفى (القاسم ـ فدوى طوقان ـ ابراهيم طوقان ـ عبد الرحيم محمود) أما الذين احتكوا مباشرة مع الشخصية الصهيونية فهم : القاسم ـ درويش ـ فدوى طوقان .

١ ـ ابراهيم طوقان (١٩٠٥ ـ ١٩٤١) .

ابراهيم طوقان هو شاعر فلسطين الأول بالمعنى المعاصر فى القرن العشرين . فقد كتب معظم شعره فى الفترة ما بين ١٩٢٧ ـ ١٩٤١ ، أى فترة الانتفاضات الشعبية الفلسطينية ضد الانتداب الانجليزى وتصاعد الهجرة اليهودية الأوروبية الى فلسطين . وقد اعتبر طوقان فى شعره أن الاحتلال الانجليزى هو العدو الأول وأحياناً اعتبر الاحتلال الانجليزى والحركة الصهيونية هما عدو مشترك . وردت صورة اليهود فى شعره فى ١١ قصيدة تقريباً بصور مختلفة .

وعلى الصفحة المقابلة الجدول رقم (٢) الذى نقدم فيه عينة للألفاظ المستخدمة فى وصف اليهود وكيفية استخدامها فى الجملة الشعرية :

ونلاحظ من هذا الجدول ما يلى :

أولا : الانجليز واليهود عدو مشترك ولا فصل بين الاستعمار البريطانى وبين اليهود . فالأول هو الذى جاء بالثاني . ولهذا فاليهودى تابع للمستعمر البريطاني .

ثانياً : يتساوى فى المعنى الشعرى اليهودى مع الصهيوني .

ثالثا : هناك أوصاف سياسية لليهودى الصهيوني فهو « العدو ـ الخصم » ـ « غاصبون » وهناك أوصاف أخلاقية نابعة من الفكرة الشيكسبيرية والأفكار الشعبية عن اليهود : « ذئاب » ـ « صيارفة » « خداعون » ـ « أشعب » . بينما أطلقت صفة « المحتل » على الانجليز فى الغالب . وتتخذ لفظة « صيارفة » معنى اجتماعياً ، إضافة لمعناها الأخلاقي .

رابعاً : ورود صورة اليهودى فى شعر طوقان يتمحور حول معنى التحذير منه ودق ناقوس الخطر . والتحذير من اليهودى جاء بسبب اغتصابه للأرض وهجرته إليها .

خامساً : البناء الشعرى يتخذ من الأسلوب الشائع للشعر الوطني منهجاً بنائياً له . مع خصوصية طوقان فى مجال استخدام لغة الحياة اليومية وأسلوب السخرية التراجيدية .

٢ ـ أبو سلمى :

عندما نقرأ ديوان أبي سلمى ، نفاجأ بأن صورة اليهودى فى شعره شبه معدومة أو غير موجودة بشكل واضح ، وحتى حين نلتقط بعض أبياته الشعرية فإنها ستظل تشكل صورة باهتة ، خذ مثلا :

« وأذلهـم وعـد اليهود
ولا أذل من اليهـود »

لقد كتب هذا البيت حوالى عام ١٩٣٦ . أي إبان الثورة المسلحة والإضراب العام للفلسطينيين ، ومع هذا فهو يكرر ويؤكد صفة « الذل » عند اليهود وهى صفة ذهنية متوارثة وتقليدية ، ويكرر بعض الصفات البلاغية فى وصف اليهود دون ذكرهم حرفياً مثل : « البغى والعدوان » ـ « الظلم » ـ « الوحش » وهى تدخل فى باب التشبيهات القاموسية ولا تتجاوزها . هذا عن الصورة المباشرة . وحتى تكتمل الصورة ، لابد من القول أن أبا سلمى ركز على المعاني النقيضة ، أي بذور فكرة المقاومة . وقد دار شعر أبى سلمى حول المحاور التالية :

١ ـ فى شعر « أبى سلمى » ، ميل فطري واضح لتأييد الحركة العمالية الفلسطينية آنذاك ، وهو موقف ذهنى ووطنى غير حزبى ، بمعنى أنه لم يكن منتمياً للأحزاب الوطنية ولكنه كان يتعاطف معها .

٢ ـ هناك فكرة مركزية فى شعره تدور حول الهجوم على السياسة العربية .

٣ ـ هناك مديح وتقدير للثورة الفلسطينية المسلحة عام ١٩٣٥ وما تلاها ، ممثلة فى رثائه وتمجيده لأبطالها وشهدائها ، خصوصاً « الحركة القسامية » التى قادها الشيخ عز الدين القسام .

٤ ـ يعتبر أبو سلمى ، أن العدو الرئيسى هو « بريطانيا العظمى » وهو بتركيزه على بريطانيا فى شعره ، يريد القول أن الصهيونية مجرد تابع .

أما شعر أبى سلمى بعد هجرته عام ١٩٤٨ فقد تركز على المحاور التالية :

١ ـ الحنين الرومانتيكي الى فلسطين ، حيث نجد استنفارا لعناصر الطبيعة فى شعره : « أنهارنا الذليلة ـ زيتوننا المجرح .. الخ » إضافة لرسم صور الأمكنة . و « المكان » له مكانة خاصة فى شعر أبى سلمى بعد ١٩٤٨ فهو شاعر « الكرمل » وهو شاعر المدن والقرى الفلسطينية ، وهذا ناتج عن الإصرار على رفض الحدود والشتات ، فالمكان ليس مجرد ذكرى شعرية ، بل ان ذكره تعبير عن التواصل ورفض الانقطاع . صحيح أن ذكر المكان قد يصبح ـ أحياناً ـ أمراً لفظياً قاموسياً ، لكننا فى هذا المجال نكتشف أن شعر أبى سلمى قد ساهم فى ولادة شعر الأرض الشاملة فيما بعد .

٢ ـ هناك تركيز على نتائج فعل العدو : « التشرد ـ الحدود ـ بقايا أهلي ـ شظايا أهلي ـ كفر قاسم ـ السليب ـ الغريب ـ السجن ـ القتل ـ الخيام » .

وقد اهتم أبو سلمى بالمناسبات الوطنية الفلسطينية ليؤكد رفضه للعدو . ويمكنك معرفة شعر أبي سلمى من خلال قاموسه الشعرى وخصوصاً « قاموس المكان » .

وبتلخيص أكثر نقول : إن النتيجة المفاجئة حول « صورة اليهودي » فى شعر أبى سلمى ، هى صورة « باهتة وشبه معدومة » ، نعني هنا الصورة المباشرة ، بمعنى أنه يرفض حتى مجرد فكرة الحوار ـ من موقعه ، ولكننا نستنتج الصورة الكاملة حين نراه يمجد فكرة المقاومة التى هى نقيض لصورة العدو . ونستنتج أن أبا سلمى ـ ضمناً ـ ضد أى « سلام » مع « دولة اسرائيل » ، بل هو لا يعترف بوجودها حتى من باب الموقف السلبي منها ، لأن حديثه فى شعره عن قدسية المكان فى فلسطين ، يلغى وجود « اسرائيل » الإغتصاب الواقعي ، حتى كأنه لا يراها . وظل أبو

الشاعر	سنة الميلاد	مكان الميلاد فى فلسطين	الفترة التى عاشها فى فلسطين	ملاحظات
١ ـ ابراهيم طوقان	١٩٠٥	نابلس	١٩٠٥ ـ ١٩٤١	توفى فى نابلس عام ١٩٤١
٢ ـ أبو سلمى	١٩٠٧	طولكرم	١٩٠٧ ـ ١٩٤٨	توفي فى واشنطن عام ١٩٨٠ ودفن في دمشق
٣ ـ عبد الرحيم محمود	١٩١٣	عنبتا ـ طولكرم	١٩١٣ ـ ١٩٤٨	استشهد فى قرية الشجرة ودفن في عنبتا
٤ ـ فدوى طوقان	١٩٢٠ تقريبا	نابلس	منذ ولادتها وحتى الآن	اقتربت من الشعر الثورى بعد عام ١٩٦٧
٥ ـ سميح القاسم	١٩٣٩	الزرقاء الاردن وعاش طفولته في فلسطين . في قريته « الرامه » ـ الجليل منذ طفولته حتى الان		
٦ ـ محمود درويش	١٩٤١	البروة ـ الجليل	١٩٤١ ـ ١٩٧١	
٧ ـ عز الدين المناصرة	١٩٤٦	بني نعيم ـ الخليل	١٩٤٦ ـ ١٩٦٤	

جدول رقم (١) يحدد الأولويات للنماذج المختارة فى هذه الدراسة

سلمى على هذا الموقف حتى آخر يوم فى حياته . يقول فى قصيدة كتبت فى أوائل السبعينات ، أى فى ظل الثورة الفلسطينية الجديدة :

مـا لـبنى قومي يلوموننا
قالوا لنا : الواقع والممكن
يا ظالمى شعبي ألم تعلموا
إن العـدى ظلمهـم أهون

إنه يرفض « الواقع والممكن » أى الحلول المطروحة ، وهو ضد الذين يروجون لها . وهو من باب الغضب يشبه هؤلاء بالأعداء ، بل أقسى . إن أبا سلمى يلغى صورة العدو ولكنه يجهز أسلحته لمحوها ، بمعنى أنه يعترف ــ ضمنا ــ بوجود الصهيوني الواقعى ، وإلا فلمن يعد أسلحته ؟!!

٣ ــ عبد الرحيم محمود : (٣)

الغريب أيضا أن « صورة اليهود » فى شعر عبد الرحيم محمود ، غير موجودة أصلا ، حتى كأنهم غير موجودين ، وإن كانت تتراءى الأشباح من خلال ألفاظ قاموسية مثل : « الأعادى ــ الاضطهاد ــ التعسف ــ ضاعت فلسطين ــ ضائع مهدور ــ ديجور » ، وهى أوصاف تعني كل شيء ، لكنها لا تحدد . وهى غير كافية لرسم صورة « اليهود » . وحتى صورة « الأعادى » هى صورة عامة فى شعره . لكننا يمكن أن نشير الى الصورة « الضمنية » ، بمعنى أن شعر عبد الرحيم محمود هو « شعر مقاومة » . فهو قد مجد أبطال الثورة قبل ١٩٤٨ .

والمسألة الأخرى ــ الضمنية ــ والدامية التى تؤكد أن اليهود اعداء يجب محاربتهم حتى الموت ، هى « استشهاد عبد الرحيم محمود نفسه » فى معركة الشجرة عام ١٩٤٨ . إذن اليهودى هو العدو ، وصورته كعدو تستلزم النضال حتى الاستشهاد لسحق العدو كفعل هو أكبر من الفن .

فدوى طوفان : (٤)

عرفت فدوى طوقان كشاعرة فى الأربعينات ، ولكنها اشتهرت فى الخمسينات ، وشعرها يعبر عن أحاسيس أنثوية شرقية . ومع هذا فقد كتبت بعض القصائد الوطنية ذات النفس الرومانتيكى . وحتى عام ١٩٦٧ ، لم تظهر صورة « الصراع العربي ــ الاسرائيلي » فى شعرها ، إلا بعض الاستثناءات التى تتحدث عن نتائج الفعل الصهيوني « اللجوء مثلا » ونجد ــ قبل ١٩٦٧ ــ بعض الصور المتناثرة مثل وصف اليهود بـ« العدو » أو بصفات ذهنية بلاغية مستمدة من الموروث الشعبى والثقافى الفلسطيني ، فالعدو ، أى اليهودى هو « بوم غريب » ــ « غاصب » ــ « غريب الديار » « مرتبط بالحركة الصهيونية فى أوروبا » ــ « يحلم بالتوسع الاستيطاني » . وقد قيل هذا شعراً بأسلوب رمزى يعتمد التشبيه البسيط القاموسى . وفى قصائد أخرى تتكرر الصورة : « يد البغي » « الجانية » ــ « العدو اللئيم » ــ « المعتدي » ــ « الطغاة » ــ « البغاة المجرمون » وهى أوصاف أخلاقية عامة ، تقترب من دخولها ــ ولو لفظياً ــ فى تحديد صورة العدو عملياً ، لكن العدو قد يعني الانجليز واليهود معاً أو أحدهما .



عز الدين المناصرة

ولديها قصيدة واحدة تطرح القضية مباشرة ، هى قصيدة « أردنية فلسطينية فى انجلترا » فى ديوانها « أمام الباب المغلق » .

« أنا من روابى القدس ... وطن السنا والشمس »
ــ يا ، يا ، عرفت .. إذن يهوديه
يا طعنة أهوت على كبدى
صماء وحشيه .

إن فدوى فى هذه القصيدة تكتشف أن فلسطين هى ــ فى وجدان الانجليزى ــ وطن « لليهود » من خلال الحوار فى القصيدة .

ها هى فدوى تكتشف فى النص أن تهويد فلسطين قد تم عملياً فى « الوجدان الغربى » . أما موقفها فهو موقف مضاد طبعاً : « يا طعنة أهوت على كبدى » ، انها ضد تهويد المكان والبشر . هذه هى الصورة التقليدية للصراع العربى الاسرائيلي ، لكن قصيدة « فلسطينية فى انجلترا » تعتبر نقطة جديدة فى وعيها للصدام .

أما بعد عام ١٩٦٧ فالأمر يختلف ، حيث تخرج فدوى من شرنقتها الأنثوية الذاتية ، وتتلاشى الصورة الذهنية اللفظية لليهودى ــ الصهيوني ، لتتحول إلى وصف الصهيونية « كاحتلال استيطاني مرئى » . وقد ساهم فى تشكيل هذه الصورة عندها ، احتلال « الضفة الغربية وغزة » عام ١٩٦٧ ، حيث تعيش فى نابلس ، وقد كان ديوانها « الليل والفرسان » الصادر بعد عام ١٩٦٧ ، فاتحة قصائد ذات منحى جديد بالنسبة لشعرها السابق . وفى شعرها هذا نجد الصور التالية :

• استمرارية وصف الاحتلال الصهيوني بأوصاف أخلاقية بلاغية ، فالاحتلال هو « الطاعون » « الأفاعي » ــ الإعصار الهمجى » ــ « الشيطان » ــ « السارق » ــ « السجان » ــ التترى » ــ تشويه البراءة » ــ « الحدود والسجون » ــ « دودة العلق » ــ ناهب الأرض » ــ « ناسف البيوت » ــ « الزنزانة ــ السلاسل ــ الجند » .. الخ .

القصيدة	الوصف	طريقة استخدامها الشعري	ملاحظات
١ ــ الثلاثاء الحمراء	أعداء البلاد	أنذرت أعداء البلاد بشر يوم مستطير	الصهيونية والاحتلال البريطانى
٢ ــ تفاؤل وأمل	الذئاب	وانظر بعينيك الذئاب تعب من أحواضها	الصهيونية والاحتلال البريطانى
	الاثيم المتعدي	صحت عزائمكم على دفع الأثيم المعتدى	الصهيونية والاحتلال البريطانى
٣ ــ إلى بائعي البلاد	١ ــ أعدائهم	باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعاً بالمال لكنما أوطانهم باعوا	الصهيونية
	٢ ــ أعداؤنا صيارفة	أعداؤنا منذ أن كانوا صيارفة	الصهيونية
	٣ ــ اليهود	... بل رجعت الى اليهود بكم قربى وأطباع	اليهود
	٤ ــ الخصم خداع	يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تعلمت أن الخصم خداع	اليهود
٤ ــ فلسطين مهد الشقاء	الغاصبون	منذ احتلال الغاصبين ونحن نبحث فى السياسة	الانجليز
٥ ــ الفدائي	خصوماً	وخصوماً ببغيهم ضجت الأرض والسما	اليهود
٦ ــ حطين	أشعبان	فى مصر يطمع أشعب .. وهنا تبدى أشعبان	اليهود والانجليز
٧ ــ أيها الأقوياء	وعد بلفور	وخجلنا من لطفكم يوم قلتم وعد بلفور نافذ لا محاله	اليهود والانجليز
٨ ــ ١٠٠٠	الهجرة اليهودية	أرى عدداً فى الشؤم (حتى نهاية القصيدة)	اليهود والانجليز
٩ ــ ياقوم	عدوكم	يا قوم ليس عدوكم ممن يلين ويرحم	اليهود والانجليز
١٠ ــ زيادة الطين	احتلال	منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنا	الانجليز
	الهجرة اليهودية	بفضلكم قد طغى طوفان « هجرتهم »	الانجليز واليهود
١١ ــ مناهج	خصمان	لنا خصمان ذو حول وطول وآخر ذو احتيال واقتناص	الانجليز واليهود

جدول رقم (٢) يقدم عينة للألفاظ المستخدمة فى وصف اليهود وكيفية استخدامها فى الجملة الشعرية

• وتقول فدوى فى شعرها ان هذا الاحتلال يضطهد الشعب الفلسطيني وأنه يزعم السلام وأن الاضطهاد يقع على « المسلم والمسيحى الفلسطيني » .

• تظهر فدوى طوقان ، الصورة المناقضة للاحتلال وهي صورة المقاومة الفلسطينية .

وهكذا بدأت بالظهور صورة « اليهودى الصهيونى الاسرائيلي » الواقعى بديلا عن صورة « اليهودى الذهنى » :

ويدوى صوت جندى هجين
لطمة تهوى على وجه الزحام :
عرب ، فوضى ، كلاب
إرجعوا ، لا تقربوا الحاجز ، عودوا يا كلاب

هذه هى الصورة الواقعية العملية للاسرائيلي ، لم تكن موجودة فى شعر فدوى . وهنا نغض النظر عن تقويم النص ــ إبداعياً ، ونكتفى بالمادة الشعرية الخام التى استخدمتها ، فهى ترى أن الجندى الاسرائيلى ، هو جندى « هجين » ، إشارة إلى اختلاط العبرية وغيرها فى لغته وإلى المعنى البعيد وهو هجرة اليهود من مواطنهم الأصلية المتعددة إلى فلسطين . وكلمة « هجين » لها مدلول أخلاقى فى الوجدان الشعبى . وهى أيضا صورة المحتل لأرض الغير والمتغطرس المتعالى ، وهذه سمات عامة لأى محتل ، ولكن الصورة وإن استخدمت أسلوب البلاغة الشعبية السائدة إلا أنها اقتربت من الصورة العملية لليهودى الصهيونى الاسرائيلى الواقعى المرتبط بدولة من نفس النمط . وهنا لا نفرق بين الأوصاف الثلاثة ، لأن الجندى هو يهودى بالفعل وصهيوني بالعقيدة واسرائيلى بارتباطه بكيان .

ويبقى أن نقرأ لفدوى طوقان من شعرها ، قصيدتها « إيتان فى الشبكة الفولاذية » التى هوجمت من قبل بعض النقاد فى جانبها الفكرى ، حيث قيل إن القصيدة « تعترف » بالدولة الصهيونية ، ولهذا سنقرأ القصيدة لنكشف عناصرها ، وهل حدث تحول لصورة « الصهيونى » فى ذهن فدوى طوقان أو لا ؟ تقول فدوى فى مقدمتها النثرية للقصيدة « ذات صباح سأل طفل من أطفال الروضة فى كيبوتس معوز حايين : كم يوماً يتوجب علينا أن نحافظ على الوطن » ؟؟ !

أعتقد أن استخدام فدوى لبطلها « طفلاً يهودياً بريئاً » اعتبر ليس فى مكانه ، كما ان استخدامها لكلمة « الوطن » أضاف دهشة أخرى ، لأن « الوطن » يصبح هو « وطن الطفل اليهودى : فلسطين » لدى القارىء العربى ، أما النص الشعرى وهو الأهم ، فإنه يصف طفلا يهودياً يرمز لمستقبل الدولة الاسرائيلية وهذا الطفل يعيش فى « شبكة فولاذية » وهي رمز بقاء اسرائيل بالقوة المسلحة وعيشها عيشاً اصطناعياً بالقوة المسلحة وخرافة النجمة رمز المعتقدات اليهودية .

والشاعرة تقول للطفل اليهودى : إن حياتك كذبة كبرى فلا تخدع بهذه القوة الفولاذية ، لأن موتها أمر أكيد ، ولهذا فالشاعرة تشفق على البراءة من تشويهها . هذه هى عصارة القصيدة ، إذن لماذا الضجة الصحفية العربية حول القصيدة ؟؟

إن الضجة تنبع ــ باعتقادى ــ من كون القصيدة تعترف بوجود « اليهودى البرىء » كوجود واقعي ولمجرد الحديث عن هذا الوجود . ولأنها تعترف بلغة « الحوار مع الواقع » أو مع اليهودى الواقعى . وهذه الصورة تخالف الصورة الذهنية الميتافيزيقية لليهودى الصهيوني المرسومة فى الذهن العربى قبل ١٩٦٧ . أى أن العربى قبل ١٩٦٧ كان يرفض مجرد التفكير فى رسم صورة اليهودى حتى لمجرد رسم الصورة العملية ، ولهذا اكتفى الذهن العربى قبل ١٩٦٧ برسم الصورة البلاغية المعتمدة على الشعارات : « شذاذ الآفاق ــ الدويلة المسخ » .

ولو حذفنا اسم « إيتان » من عنوان القصيدة واستبدلناه باسم آخر ولو حذفنا المقدمة النثرية ولو غيرت شخصية الطفل إلى شخصية يهودية عادية ، لظل الأمر عادياً ، لكن استخدامها لشخصية الطفل اليهودي هو الذى أثار الشكوك حول القصيدة من حيث مغزاها الفكرى ، لأن الطفل البرىء سيصبح جندياً مقاتلا كما هو فى واقع الصراع العربى الاسرائيلى . إذن فإن قصيدة فدوى هذه تمثل علامة بارزة فى شعر فدوى لأنها ترى ــ عمليا ــ اليهودى العملى . ولغة « الحوار مع الواقع » من موقع المختلف ، جديدة على الفكر العربى ، لأن مجرد « المحاورة » كانت مرفوضة حتى لو انطلقت من موقف تناحري .

٥ ــ سميح القاسم :

يقول سميح القاسم فى إحدى قصائده : « وبكينا .. يوم غنى الآخرون » . إن هذه الجملة الشعرية تلخص ما حدث فى الواقع يوم إقامة « دولة اسرائيل » عام ١٩٤٨ . لأن إقامة « دولة جديدة » تم على حساب « شعب اقتلع » . وصورة اليهودى الصهيوني فى شعر سميح القاسم هى الصورة العملية الواقعية للصراع ، أى أن القاسم توجه مباشرة الى مخاطبة ما يظن أنه « اليهودى الواقعى الشريف الواعى » ــ إشارة إلى قلة من اليهود يتفهمون الموقف العربي ــ ، ويتعامل معه ايجابيا . وقصيدته « أخوة » مثال لذلك وهو يخاطب الصهيونى :

« وإن قام من بين أهلك واع ، يبرئني .. تزدريه بقسوة » .

وسميح القاسم يعترف بشعار « الأخوة ــ العربية اليهودية »(٥) وهو لا يرفض السلام الحقيقى ، هذا ما تقوله نصوصه الشعرية . والقاسم يطالب بالحرية والمساواة فى الحقوق ، ويمكن تلخيص صور « اليهودى واليهودى الصهيونى » فى شعر سميح بما يلي :

• اليهودى الصهيونى يمارس اضطهاداً يومياً مباشراً ضد الفلسطيني : (أنظر قصائد : « أخوة ــ كرمئيل ــ من وراء القضبان ــ رسالة من المعتقل) ويصف سميح القاسم فى شعره السجون وإقامة المستعمرات على أرض الغير . ولهذا فهو يطالب بالحرية .

• يرى أن الصهيوني ضد السلام الحقيقى ، وهذا معناه أن القاسم لا يرفض الحوار (قصيدة السلام) .

• ويرى أن الصهيوني ضد يهوديته (يا طفلا يقتل يعقوبه) ــ (قصيدة مزامير) . ومعنى هذا أن الشاعر ضد صهيونية اليهودى وليس ضد يهوديته .

• ويرى أن الصهيوني مرتبط بالنازية والاستعمار .

• ويرى أن اليهودى كان « مظلوماً » : ذبح النازية لليهود فى أوروبا ، فأصبح ظالماً : (قصيدة


معين بسيسو


هارون هاشم رشيد

إلى إيفتوشنكو) .

هكذا نرى أن سميح القاسم يعترف بضرورة رسم صورة واقعية لليهودى واليهودى الصهيوني من موقع المختلف ، بل هو ــ عملياً ــ يحاور هذه الشخصية ويرى أن الصورة الأخرى ــ « اليهودى الطيب » باهتة وضعيفة بالرغم من انه يعترف بوجودها . وهو يعترف بضرورة التعايش السلمى لكنه يرى أنها ــ فى الواقع ــ غير ممكنة بسبب عدم الاعتراف بالفلسطيني من قبل « الآخر » . وهذه مقولات ايدلوجية نبعت من مصدرين :

أولا : رؤيته اليومية كعضو فى المجموعة العربية التى تعيش على أرضها ضمن القانون الاسرائيلى المفروض عليها وضمن « الاضطهاد الأخوى » اليومى .

ثانياً : انتماؤه إلى الفكر السياسى الذى يعترف بدولة اسرائيل قانونياً ولكنه فى نفس الوقت يطالب بدولة فلسطينية للشعب الفلسطيني على أرضه إلى جوار دولة اسرائيل ويطالب بعودة الحقوق المشروعة .

ثالثاً : ايمانه بفكرة المقاومة بأشكالها المختلفة ولهذا فهو يمجدها فى شعره .

لقد طرح مصطلح « شعراء المقاومة الفلسطينية » فى منتصف الستينات من قبل بعض النقاد العرب ، لكنهم وقعوا فى خطأ واضح وهو أنهم لم يطبقوا عملياً المصطلح على الفرع الآخر والأساسى لشعر المقاومة وهو « شعراء الثورة الفلسطينية » ، أى الذين آمنوا بالكفاح المسلح أسلوباً أساسياً ولم يرفضوا الأساليب الأخرى فى النضال : « معين بسيسو ــ عز الدين المناصرة ــ .. الخ » ، كذلك انتموا إلى الجناح المتقدم من فكر الثورة الفلسطينية . إذن : لماذا إلغاؤهم من مصطلح « شعراء المقاومة » ، ولماذا اقتصر المصطلح على شعراء الأرض المحتلة ؟ (٦) ثم حدث تشكيك فى مصطلح المقاومة الشعرية نفسه ، فقد قال غالي شكرى ــ بما معناه ــ ان شعراء المقاومة الفلسطينية وهو يعني : (محمود دوريش ــ سميح القاسم ــ توفيق زياد) ، قال إن هؤلاء ليسوا شعراء مقاومة ، بل شعراء « معارضة » لأنهم يعترفون بوجود «اسرائيل» كدولة ، وأنهم « يقاومونها » من موقع المعارضة ضمن النظام الواحد . طبعاً أعتقد ان هذا يشكل ظلماً لهؤلاء الشعراء ، أولا : لأن وضعهم « القانوني الاسرائيلي » مفروض عليهم ولم يختاروه ، ثم هم عبروا عن مقاومتهم بأساليب متعددة ، وإن كانوا لم يمارسوا الكفاح المسلح .

إذن أريد القول : ان مصطلح « شعراء المقاومة » لابد أن يعاد فيه النظر انطلاقاً من المبادىء والمواثيق والظروف الخاصة للشعب الفلسطيني وانطلاقاً من تعريف وسائل المقاومة بالسلاح أساساً وبالوسائل الأخرى ، ولابد من إعادة الاعتبار لشعراء الثورة الفلسطينية كشعراء مقاومة . وأعتقد أن ما حدث من خطأ نبع أساساً من ظروف وأسباب تاريخية تتعلق بتلك « الصدفة التاريخية عام ١٩٦٦ حين « اكتشف » شعر الأرض المحتلة « فجأة » . ثم من قال ان شعراء الأرض المحتلة هم الذين يقيمون فى الأرض المحتلة فقط ، هل معنى ذلك ان محمود درويش لم يعد من شعراء الأرض المحتلة لمجرد خروجه منها عام ١٩٧٢ ، أو عز الدين المناصرة لخروجه منها عام ١٩٦٤ ومعين بسيسو لخروجه منها عام ١٩٦٧ أو حتى الشعراء الذين فى المنفى . إن الإنتماء للأرض المحتلة هو الذى يحدد مصطلح « شعر الأرض المحتلة » ، لأننا ضد تجزيء حركة الشعر الفلسطيني المقاوم (٧) .

٦ ــ محمود درويش (٨) :

محمود درويش ، هو أحد شعراء الأرض المحتلة ، ولد فى « البروة » فى الأرض التى أقيمت عليها « اسرائيل » . أنهى دراسته الثانوية وعمل صحفياً . ومحمود درويش من مواليد عام ١٩٤١ . سافر الى الخارج ثم الى القاهرة حيث بقى فيها حتى عام ١٩٧٣ . ثم غادرها إلى بيروت حيث عمل فى مجلة « شؤون فلسطينية » ، ثم رئيساً لتحرير مجلة « الكرمل » التى مازال رئيساً لتحريرها . اعتقلته السلطات الاسرائيلية عدة مرات بسبب نضاله أثناء وجوده فى الأرض المحتلة ، يعيش حالياً فى باريس . إذن هو تربى فى نفس البيئة السياسية التى تربى فيها سميح القاسم وتوفيق زياد . ودرويش يعتبر ديوانه « أوراق الزيتون » الصادر عام ١٩٦٤ هو ديوانه الأول وفى هذا الديوان تظهر صورة « الصهيوني » تحت أوصاف تقليدية ذهنية مثل كل الشعراء الفلسطينيين : « عدوى » ــ « طاغيتى » ــ ونيرون روما ــ « بنات آوى » .. الخ .

كذلك يظهر فعل الاضطهاد اليومى (الذى هو صورة الآخر ــ الصهيونى) كما فى قصيدته : « عن إنسان » و « بطاقة هوية » وفى بطاقة هوية تظهر صورة العذاب اليومى للفلاح العربى فى ظل القوانين الاسرائيلية . وبطبيعة الحال فهناك مقابل الاضطهاد الصهيوني ، توجد روح المقاومة . وتظل صور الاضطهاد اليومى أو صورة الصهيونى ، صورة تقليدية ذهنية لا تختلف عن الصورة السائدة وفى ديوانه « عاشق من فلسطين » الصادر عام ١٩٦٦ والذى نعتبره البداية الأقوى فنياً فى شعره نجد نفس التكرار لأوصاف الصهيوني : « وحوش الغاب ــ عاصفة وحطاب ــ خيول الروم ــ بيضة الأفعى ــ طغاة ــ النذل » ، ورغم وجودها فى بنية النصوص فى تشكيل شعرى ناجح إلا أن الصفات القاموسية تظل صفات ذهنية . وفى قصيدته « قال المغنى » تتكرر نفس صور الاضطهاد ، حتى تتشابه تشابها كاملا مع قصيدته « عن إنسان » حيث يكرر تفاصيل الاضطهاد المشتقة من صورة السجن ، وتجد نفس الألفاظ : « نباح وحش ــ الجلاد ــ الشياطين » . ولعل أهم قصائد الديوان هى قصيدة « نشيد الرجال » . يقول درويش : « .. ويشتمنا أعادينا : هلا .. همج هم .. عرب ــ ص : ٢٤٥ » وهى صورة خارجية للجندى الاسرائيلى ، حيث لا تختلف عن قول فدوى طوقان : « عرب ، فوضى ، كلاب »

وفى نفس القصيدة يصف الشاعر ــ الضحية :

ــ ألو ... أريد يسوع
ــ نعم .. من أنت ؟
ــ أنا أحكي من « اسرائيل »
وفى قدمى مسامير .. واكليل
من الأشواك أحمله
فأى سبيل ... الخ

إن ظهور صورة « الضحية » فى الشعر الفلسطيني ، يجعل القارىء يتصور ــ ضمناً ــ صورة الجلاد . وهو فى هذه الحالة « الصهيوني » ، إن السؤال الذى طرحه النقاد هو : لماذا صورة الصهيونى أكثر وضوحاً فى شعر الأرض المحتلة منه فى شعر شعراء الثورة الفلسطينية خارج الأرض المحتلة ؟

والسؤال الآخر هو : لماذا صورة العرب بعموميتها ايجابية فى شعر الأرض المحتلة ، فى حين نجدها سلبية فى شعر شعراء الثورة الفلسطينية فى المنفى ؟ . والإجابة واضحة وهى أن الشاعر المقيم فى الأرض المحتلة يرى الصهيوني كل يوم وبالتالى فإن صورة الصهيونى هى صورة واقعية فى حين أن صورة الصهيوني فى شعر الثورة الفلسطينية هى صورة ذهنية . رغم المعاناة الواحدة فى النتائج على الأقل . فى حين يعانى شاعر الثورة من اضطهاد آخر ضد الفلسطيني وهو يراه أكثر وضوحاً من زميله فى الداخل ، ثم لأن العدو الأساسى لشاعر الداخل هو العدو الذى يراه وهو الحلقة المركزية بالنسبة له ولهذا نرى صورة العرب عمومية وايجابية . على أى حال ، تظل صورة الصهيوني فى شعر درويش صورة تقليدية ذهنية وهذا له علاقة بالأدوات الفنية فى المرحلة الأولى من شعره كما فى ديوانيه السابقين .

لكن صورة الصهيوني تبدو واضحة وضوحاً فنياً اعتباراً من ديوانه « آخر الليل » الصادر عام ١٩٦٧ ، وخصوصاً فى قصائده : « ريتا والبندقية » . والجملة الشعرية المركزة فى هذه القصيدة : « بين ريتا وعيونى بندقية » تلخيص لعلاقة العربى باليهودى ، فالشاعر كانسان يحب « ريتا ــ اليهودية » ، لكن البندقية الاسرائيلية تكون عائقاً أمام هذا الحب . أما قصيدته « جندى

يحلم بالزنابق البيضاء » . فقد أثارت حواراً شبيهاً بالحوار العربي الذي جرى حول قصيدة فدوى طوقان « ايتان في الشبكة الفولاذية » . لقد قيل : إن محمود درويش يتعاطف مع الجندي الاسرائيلي ويشفق عليه ويصوره إنساناً عميق الإحساس ، عميق الأزمة . لكن هذا القول يظلم القصيدة لأنه يجتزىء هذا الجانب دون ان يربطه ببقية الصورة للجندي الاسرائيلي ، أعتقد ان القصيدة تتحدث عن « أزمة الجندي النفسية » فهو يشعر أنه مزروع في غير أرضه الأصلية(٩) وفي قصيدة « ازهار الدم » عن مذبحة كفر قاسم ، تعود الصور الذهنية مرة أخرى : « ضربة الجلاد ــ الطغاة .. الخ » .

إلا أن بيتين يقدمان الصهيوني من الناحية الابداعية :

« وأهنىء الجلاد منتصراً على عين كحيله
مرحى لفاتح قرية .. مرحى لسفاح الطفوله »
كذلك في قصيدة « الأغنية والسلطان » . هكذا

نرى أن أوصاف اليهودي والصهيوني في شعر درويش خلال وجوده في الأرض المحتلة أي حتى عام ١٩٧١ ، هي صور ذهنية تقليدية قاموسية إذا تم اقتلاعها بمفردها من النص الشعري ، ولكنها صور حيوية حين ندرس بناء القصيدة العام خصوصاً في ديوانه « آخر الليل » .

٧ ــ عز الدين المناصرة : (١٠)

سأحاول أن أرسم صورة اليهودي والصهيوني ، كما وردت في مجموعاتي الشعرية المنشورة دون تدخل مني في التفسير ، أي سأكتفي بالإشارة إلى النصوص وتصنيفها ، تاركاً التوضيح للنقاد ، ولدت في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٦ في قرية « بني نعيم ــ الخليل » التي احتلها الاسرائيليون عام ١٩٦٧ ، وعشت في القرية والمدينة ثمانية عشر عاماً قبل الاحتلال ، غادرت فلسطين إلى القاهرة للدراسة في جامعتها عام ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٧ ، رفضت سلطات الاحتلال عودتي ضمن قانون « لم الشمل » تحت إدعاء انني لم أكن موجوداً أثناء الاحتلال ، وقد عاودت الكرة فيما بعد ، الا أن انتمائي للثورة الفلسطينية أصبح علنيا ، وباءت كل المحاولات التي قامت بها عائلتي بالفشل ومازال والدي ووالدتي وأخوتي يعيشون في الأرض المحتلة ، أنهيت دراستي الجامعية بالحصول على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من (كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة) عام ١٩٦٨ ، واكملت دراستي العليا فيما بعد ، حيث حصلت على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة صوفيا في بلغاريا . وعملت في أجهزة الثورة : نائباً لرئيس تحرير مجلة « فلسطين الثورة » الناطقة بلسان المنظمة في بيروت ومسؤولا للنشر في الاعلام ومديراً لمدرسة أطفال تل الزعتر وعضواً في القيادة العسكرية الفلسطينية لجبهة الشياح في بيروت خلال حرب السنتين . وسكرتيراً لتحرير مجلة « شؤون فلسطينية » الصادرة عن مركز الأبحاث الفلسطيني . وعشت حصار بيروت وكنت سكرتير تحرير جريدة « المعركة » التي صدرت في بيروت خلال الحصار .

في ديواني الأول « ياعنب الخليل » الصادر عام ١٩٦٨ ، ترد صورة الصهيوني على الشكل التالي : في قصيدة « ملاحظات قبل الرحيل » ، ترد صورة الرقابة الاسرائيلية على رسائل الفلسطينين الى الخارج :

نسيت أن كل حرف في الكتابه
قد صممته هيئة الصليب والرقابه
بداية ، نهاية ، مكرره
يا حزن قد ذوبتني ، رميتني للعتبات المقفره

وترد في نفس القصيدة صورة الجنود الصهاينة على الجسر الفاصل بين الأردن وفلسطين :

قد أثلجت دنياك في ليل العبيد
مازاد من دمعي
مروا مع الليل البهيم وأطفأوا شمعي
لا تقطعي النهر المقدس للأماني والوعود
فهناك فوق الجسر جند سود
لا ترحلي ، لا ترحلي
مسدودة كل الجهات
النيل يبكي والفرات ... الخ

وفي قصيدة « يا عنب الخليل » :

سمعتك عبر ليل الحزن أغنية خليليه
يرددها الصغار وأنت مرخاة الضفائر
أنت دامية الجبين
ومرمرنا الزمان المر يا حبي
يعز على أن ألقاك مسبيه
سمعتك عبر ليل الصيف أغنية خليليه
تقول ، تقول : يا عنب الخليل الحر .. لا تثمر
وإن أثمرت .. كن سما على الأعداء .. كن علقم .

كذلك ترد الصورة التالية في قصيدة « زرقاء اليمامة » :

نسينا أن عين الحلوة الزرقاء مخلوعه
وأن الراية الأخرى على الأسوار مرفوعه

وفي قصيدة « ناطوران » :

يأتيك والرمان منتصب النهود
وعلى سلالم بيتنا رقص اليهود

وفي قصيدة « قال أحد الكنعانيين » :

سأشق الجيب ، سألطم لو غرزوا في الرمل الأعلام
لو أكلوا خبز الأيتام
لو سرقوا أشعارك يا حبي .

أما ديوان « قمر جرش كان حزينا » ، ففي القصيدة التي تحمل نفس العنوان :

يا هلي ــ يزحف الرمل نحو المدينة يأكل منا العظام
يا هلي ــ يا اخضرار الحقول التي لا تنام
يا هلي ــ إنهم يقطعون السهوب هنا يقطعون الشفاه
يا هلي ــ قد دفنا أحباءنا وعبرنا المياه غير أن الجنود
يا هلي ــ فتشوا في المقابر عن جثث الشهداء

وفي نفس القصيدة :

يوماً .. ما
نرمي حجراً في عين الغربة والأعداء
ونرد الخيل الجامحة الصفراء

وفي قصيدة « رسائل متبادلة بيني وبين الموت » ، عن استشهاد المناضل الفلسطيني وائل زعيتر في روما الذي اغتاله الموساد الاسرائيلي :

اسمع وقع خطاهم حول نوافيرك يا روما الميتة الأعضاء
ياروما الشلل ويا روما النوم ويا روما الصمت
جاءوك مساء ورأوا في عينيك البحر
حينئذ عرفوك
ورأوا فوق سريرك جملا مكتوبه
عن وطن يطلب منك الثار
ورأوا أصحابك في المنفى
يحمل كل منهم غربته وصليبه .

كذلك هناك صور متفرقة في قصائد مختلفة مثل « اعتذار الى المدينة الزرقاء» و « نقبل التعازي في أي منفى » في ديوان « قمر جرش ... » .

وفي ديوان « جفرا » ، ترد صورة فعل العدو في قصائد : « نشيد الكنعانيات » .

ــ « كيف رقصت أم علي النصراوية » ــ « وهل بقي في المدينة حدائق أيها السيد ؟ » :

عمي صباحاً يا عصافير الخليل
ورفرفي على الصخور الجبليه
ناصب الفخاخ في المنفى
والإسرائيليون « رحماء »
لا ينصبون الفخاخ
لأنهم يحبون الصيد بالوسائل الحديثة .

كذلك نجد صورة « الصهيوني ــ اليهودي ــ الاسرائيلي » ممتزجة في قصائد أخرى من ديوان « جفرا » مثل قصائد : « آ .. وي .. ها » ــ « لا تغازلوا الأشجار حتى نعود » ــ « جفرا زارتني في صوفيا وعادت إلى قبرها في بيروت » ــ « تبدأ الحرب أو تنتهي » ــ « غافلتك وشربت كأس الخليل » ــ « جفرا أرسلت لي دالية .. وحجارة كريمة » .

أما ديوان « الكنعانياذا » ، فنجد صورة « اليهودي التوراتي » في قصيدة « الغزال الأبيض

الصغير » ونجد كذلك صورة اليهودى الصهيوني فى قصائد : « مريام الشمالية » و « .. فى حفل عائلى بهيج » و « ضع نبيذاً فى الجرار » ــ « سراويل » ــ « بدو بحريون » ــ « يمامة الشعوب » ــ « أبو النحل النباطى » ــ « تاريخ الزجاجة » ــ « أسراب الكنعانيات » ــ « أظافر أعدائك استطالت » ــ حجر الفلاسفة » ــ « الناصري » .

وتظهر كذلك صورة اليهودى الصهيوني فى ديوانى : « الخروج من البحر الميت » و « لن يفهمنى أحد غير الزيتون » .

استنتاج :

مرت صورة اليهودي الصهيوني بمراحل متعددة فى الشعر الفلسطيني ، ويطغى على هذه الصورة الوصف البلاغي الذهنى المتوارث فى الخيال الشعبى عن اليهودى الذى يرد عادة بوصفه عدواً ، هذا قبل ١٩٦٧ . أما بعد ظهور الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ وبعد نكبة أو كارثة ١٩٦٧ ، فقد تطورت صورة اليهودى الصهيوني فى الشعر الفلسطيني نحو فهم أفضل للصهيوني وظهرت صورة اليهودى كصورة عملية واقعية . ونجد : « القاسم ــ درويش ــ زياد » يفرقون بين اليهودى والصهيوني ، كذلك فدوى طوقان وهذا نابع من رؤية الشعراء الفكرية ومن رؤية فدوى طوقان للصهيوني الواقعى بعد احتلال ١٩٦٧ . وأعتقد أن معين بسيسو وعز الدين المناصرة يدوران فى نفس المسار مع بعض الاختلافات . وجميع هؤلاء مجدوا المقاومة كنقيض للصهيوني (١١) .

فى حين نجد « أبا سلمى » و « عبد الرحيم محمود » لا يرسمان صورة اليهودى الصهيوني . بل تكاد تكون الصورة باهتة فى شعرهم . أما ابراهيم طوقان فقد وردت صورة اليهود ممتزجة بصورة الانجليز . والوصف الشعرى لهم عنده وصف بلاغي تراثى ذهني . ويبقى أيضاً ، أنه لابد من التحذير من خطر تسرب « الاسرائيليات » إلى وجدان الشعراء الفلسطينيين تحت دعاوى مختلفة . كذلك نستنتج أن الشعر الفلسطينى منذ منتصف الستينات بدأ يفرق بين اليهودى والصهيوني (١٢) لكنه لم يستطع تعريف الاسرائيلى هل هو مجرد يهودى أم هو صهيوني بالكامل ! ! ، وبتقديرى أن الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلى سيستمر حتى لو تم تخديره لفترة من الزمن ، لأن الحل العادل والشامل لا يتم إلا بين طرفين قويين ولن يتم الحل العادل والشامل بوجود طرف قوى وطرف ضعيف .

والاستنتاج الأهم هو أن الشعر الفلسطيني ــ كما فى النصوص ــ كان إنسانياً فى رسمه لصورة اليهود ، بينما نجد النقيض فى رسم صورة العربى فى الأدب الصهيوني .

عز الدين المناصرة

هــوامــش

١ ــ مسرحية « تاجر البندقية The Merchant of Venice » لوليم شيكسبير ، ممنوعة من دخول « الأرض المحتلة » وممنوعة فى الدراسات الأكاديمية فى الجامعات الاسرائيلية .

٢ ــ ألقى هذا البحث فى « الملتقى الدولى للأدب المقارن ــ ١٤ ــ ١٩ مايو ، ١٩٨٣ » فى جامعة عنابه بالجزائر . وكان رئيس الملتقى الأستاذ عبدالمجيد حنون قد اقترح أن أقدم البحث بعنوان « صورة اليهودى فى شعرى » فقط . لكنى لأسباب عديدة . آثرت أن أقدم صورة اليهودى فى الشعر الفلسطيني بشكل عام . أما صورة اليهودى فى شعرى فقد أوردت المقاطع الشعرية التى تطرقت لليهودى دون تعليق حتى لا أقع فى خطأ التبرير والإسقاط .

٣ ــ انظر : « الشاعر عبد الرحيم محمود » تأليف نافع عبد الله . منشورات مكتبة دبي ــ طبعة أولى ١٩٧٩ وهو أطروحة ماجستير قدمت للجامعة اليسوعية فى بيروت . وقد استخدمت نصوص هذا الكتاب . ولم استخدم الطبعات السابقة لديوان عبد الرحيم محمود لأنها ناقصة . علماً أنني أعمل الآن على اعداد وتحقيق ديوان عبد الرحيم محمود من جديد فى طبعة ربما تكون الأفضل ، حيث عثرت على مئات الأبيات غير المنشورة ، وسيفاجأ القارىء بعثورى على المقالات النقدية التى نشرها عبد الرحيم محمود .

٤ ــ أنظر : ديوان فدوى طوقان ، دار العودة ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٦٨ .

٥ ــ أحد الشعارات الأساسية لبعض القوى السياسية فى اسرائيل .

٦ ــ عندما أصدر الصديق الشهيد غسان كنفانى كتابه عن شعر المقاومة عام ١٩٦٦ ، لم يكن يعني أن الشعر الفلسطيني فى الضفة الغربية وغزة ليس شعراً مقاوماً فى بعض نماذجه . بل كان يعنى إعادة الاعتبار لمنطقة شعرية فلسطينية ظلمها النقاد العرب حين تجاهلوها قبل ١٩٦٦ مع أن المنشورات والمجلات العربية فى اسرائيل كانت تصل إلى الأجهزة الثقافية والإعلامية العربية . ولكن ليس معنى ذلك كله تجاهل شعر الثورة الفلسطينية المقاوم أيضاً الذى برز منذ العام ١٩٦٥ أى مع « اكتشاف » شعر منطقة الجليل . وللحق فإن الصحفى ابراهيم أبو ناب كشف عن هذا الشعر قبل الشهيد غسان كنفاني بشهور حين نشر نماذج منه فى مجلة « الأفق الجديد » الأدبية التى كانت تصدر فى القدس عام ١٩٦٦ والتى كنا نكتب فيها . لكن النقاد العرب تحدثوا عن شعر المقاومة فى الجليل على أنه كل الشعر الفلسطيني المقاوم (رجاء النقاش ــ غالى شكرى ــ عبد الرحمن ياغي ــ محمد دكروب ــ ويوسف الخطيب) وغيرهم . وهذا تجزيء لشعر المقاومة الفلسطينية إلى « أرض محتلة » و « شعر الثورة الفلسطينية » . أما الزعم بفوارق مطلقة فهو غير صحيح . فهناك مشتركات أكثر من الفوارق . وللأسف تبنى الإعلام العربى لأسبابه الخاصة هذه النظرة بل ودفع باتجاهها بتخطيط سياسي مسبق ومقصود . لأن شعر الثورة المقاوم يحمل فى ثناياه كمية كبيرة من النقد للعرب أنفسهم . ولأن شعر المقاومة فى الداخل يواجه العدو المتفق من الجميع على عدائه . وبوضوح أكثر لم تتم مناقشة مصطلح « المقاومة » بأسلوب علمى حتى الآن . ووضعت أسماء شعرية فلسطينية متخلفة فى خانة الشعر المقاوم لمجرد أنها تقع جغرافياً فى « الأرض المحتلة » بينما ألغى شعر الثورة البارز منذ منتصف الستينات .

٧ ــ مازال القارىء العربى متأثراً بالنقد الاعلامى والشائعات النقدية الإعلامية . ففى عام ١٩٨٣ أقيمت أمسية شعرية لعدد من طلبة جامعة قسنطينة وكانت القصائد تدور حول حصار بيروت . ثم فتح النقاش الذى لم أتدخل فيه . فقال شاعر ينتقد قصائد زملائه الشعراء الجزائريين الشباب : « لا يحق لكم أن تكتبوا عن حصار بيروت ، لأنكم لم تعيشوا الحصار . والذين يحق لهم أن يكتبوا عن الحصار هم شعراء المقاومة الفلسطينية فقط ، بل وشعراء الجليل منهم فقط » . أى لا يحق لمحمود درويش ومعين بسيسو وعز الدين المناصرة الذين عاشوا حصار بيروت أن يكتبوا عن حصار بيروت . بينما يحق فقط لسميح القاسم وتوفيق زياد لأنهما يعيشان فى الداخل . للأسف فهذا المنطق الساذج ليس بعيداً عن النقاد العرب الكبار والصغار منهم إذا تمعنا جيداً فى نقدهم العملى .

٨ ــ أنظر : ديوان محمود درويش ــ المجلد الأول ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٠ . كذلك : ديوان سميح القاسم ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ مع مقدمة مطاع صفدى . كذلك : ديوان « أبو سلمى » ــ عبد الكريم الكرمى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٩ ــ كتب معين بسيسو ومحمود درويش خلال حصار بيروت ، قصيدة مشتركة بعنوان « الي جندي اسرائيلى » وتجربة القصائد المشتركة ليست جديدة على الشعر الفلسطيني . وأفكار ومعاني هذه القصيدة تتشابه الى حد بعيد مع قصيدة درويش « جندى يحلم بالزنابق البيضاء » . وقد لقيت القصيدة موقفاً سلبياً من المقاتلين الفلسطينيين خلال الحصار ، لأنها « تؤنسن » الجندى الاسرائيلى أكثر من تقديمه كمجرم حرب . أما بعد الخروج من بيروت فلم تظهر صورة اليهودى فى الشعر الفلسطيني : « مديح الظل العالى » لدرويش و « القصيدة » لبسيسو و « حصار قرطاج » للمناصرة على سبيل المثال .

١٠ ــ أنظر : دواوين عز الدين المناصرة : يا عنب الخليل ١٩٦٨ الخروج من البحر الميت ، ١٩٧٠ ــ قمر جرش كان حزيناً ١٩٧٤ ــ باجس أبو عطوان يزرع أشجار العنب ــ ١٩٧٤ ــ لن يفهمنى أحد غير الزيتون ــ ١٩٧٦ ــ جفرا ، ١٩٨١ ــ الكنعانياذا ، ١٩٨٣ ــ حصار قرطاج ، ١٩٨٣

١١ ــ أنظر : مقدمة عز الدين المناصرة لديوان توفيق زياد . الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .

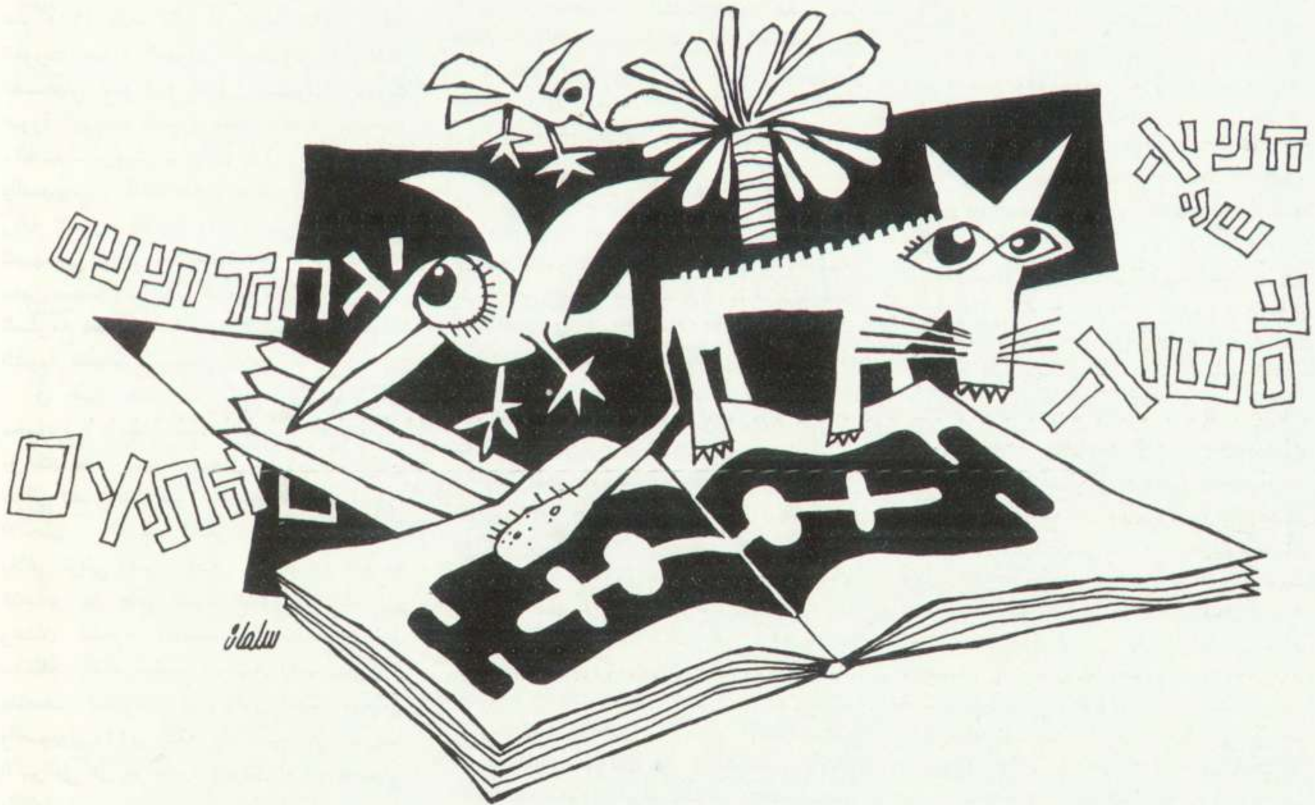
وانظر : مقدمة عز الدين المناصرة لديوان راشد حسين « أنا الأرض .. لا تحرميني المطر » ، منشورات فلسطين الثورة ، ١٩٦٧ ، والعجيب الغريب أن دار العودة فى بيروت قامت باعادة طبع هذا الديوان تحت عنوان « قصائد فلسطينية » مع حذف مقدمتى . مع أن الديوان من إعدادى بالاتفاق مع راشد حسين أثناء حياته . بل وتسمية الديوان قمت بوضعها بنفسي باختيارها من إحدى قصائد الشاعر ووافق الشاعر نفسه عام ١٩٧٢ على التسمية ، أي قبل وفاته فى نيويورك ، ١٩٧٧ . فمن حق الدار أن تحذف مقدمتى لكن ليس من حقها حينئذ أن تغير اسم الديوان . وعليها أن تشير الى ان الديوان من إعدادى واختيارى ، لأن راشد حسين أرسل لي بعض قصائده وقمت بالبحث عن القصائد الأخرى فى المجلات والصحف وحصلت على بعضها من الشهيد ماجد أبو شرار ولهذا نأمل تصحيح هذا الخطأ فى الطبعات القادمة .

١٢ ــ نلاحظ أن النقاد العرب درسوا « شعر المقاومة فى الجليل » بمنطق سياسي وليس انطلاقاً من المستوى الابداعى . ولهذا تمت إسقاطات كثيرة سلباً وايجابيا : يوسف الخطيب مثلا فى مقدمته لديوان الوطن المحتل وعبد الرحمن ياغي فى دراسته « شعر الأرض المحتلة » ، فالأول سلبى والثانى ايجابى مبالغ .

هكذا يزرعون بذور الكراهية ضد العرب

الشخصية العربية في قصص الأطفال العبرية

بقلم: الدكتور فوزي الأسمر



إن الشخصية العربية كما صورت في قصص الأطفال التجارية باللغة العبرية في فلسطين المحتلة ، تمثل انعكاسا للأفكار التي حملتها الحركة الصهيونية ، ولا تزال ، عن العرب بشكل عام والفلسطينيين العرب بشكل خاص . وأستطيع أن أقول ، إن صورة هذه الشخصية لم تنحصر على اليهود الاسرائيليين فحسب ، بل نقلت وقبلت عند الكثيرين من يهود العالم وعند قطاع كبير من الرأي العام العالمي ، خصوصا الغربى منه . وللأسف الشديد فإن الحركة الصهيونية استطاعت أن توجه أنظار الرأى العام العالمي إلى منظارها ليرى من خلاله شخصيتنا العربية ، ويحكم علينا نتيجة لتلك الرؤية .

وقد ظهرت هذه الرؤية واضحة فى كثير من الكتب ، ولاسيما الكتابين اللذين كتبهما الدكتور « ادوارد سعيد » عن « الاستشراق » و « المشكلة الفلسطينية » . فالحركة الصهيونية كانت تعرف قيمة السيطرة على الرأى العام العالمي ، ومدى انعكاس هذه السيطرة على مقدرة تحقيق أهدافها في فلسطين خاصة ، وفي الشرق الأوسط بشكل عام . وكحركة استعمارية استيطانية فقد تحتم على الصهيونية أن ترسم الشخصية العربية في أدنى المستويات ، وتنتزع كل حقوقها حتى تستطيع أن تبرر ما تقوم به في فلسطين .

من هذا المنطلق ، يجب أن ننظر إلى هذا البحث ، وأن نأخذ بعين الاعتبار ، مدى تأثير أدب الأطفال التجارى ، على البنية الاجتماعية والأخلاقية في اسرائيل ، فأدب الأطفال ، مثله مثل الأدب بشكل عام ، يكشف بعض النواحي الاجتماعية والأفكار الايديولوجية ، وطريقة التعبير عن غير اليهود ، وعن السلام والحرب ، وغيرها في المجتمع .

ولا أريد هنا أن أقول ان أدب الأطفال العبرى هو الذي يخطط السياسة العنصرية التي انتهجتها حكومات اسرائيل منذ أن قامت الدولة اليهودية على أرض فلسطين . ولكن بلا شك ، يمكن القول إن أدب الاطفال يشكل عنصرا ثقافيا ، ويترك أثره على نفسية الصغار ، والذين هم في الواقع رجال ونساء المستقبل ، وصانعو القرارات السياسية ، والتي قد تكون لها تأثيرات علينا جميعا ، وهذا ما نراه ونلمسه الآن في فلسطين التي احتلتها اسرائيل كلها ، وفي تصرفات اسرائيل فى لبنان ، وفي نسف المفاعل النووى العراقي ، وفي ضم مرتفعات الجولان السورية إليها .

هل تغيرت صورة العربى ؟

وهناك عوامل كثيرة تؤثر على توجيه الطفل ، وترسم له خطوط حياته العريضة في المجتمع . ومن أهم هذه العوامل : الوالدان والبيت ، والأساتذة والمدرسة ، والأصدقاء والمحيط العائلي ، وطبعا الأدبيات المتوفرة والتي تقرأ لهؤلاء الأطفال ، أو التي يقرأونها بأنفسهم . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن كل هذه العوامل ، قد استقت معلوماتها من نفس المصدر الفكرى وحملت نفس التوجيه العقائدى الذي ترعرع عليه حتى الكبار منهم والذين اعتنقوا الايديولوجية الصهيونية وهاجروا إلى فلسطين قبل وبعد قيام الدولة اليهودية ، بهدف اقامة هذه الدولة والمحافظة عليها ، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل هذا ، فاننا نستطيع أن نتصور نفسية معظم الصغار عندما يكبرون في مثل هذا الجو ، ومدى تعاملهم مع القضية العربية والشخصية العربية .

وقد كان الانسان يعتقد أنه في أعقاب محاولة « السلام » الذي تم بين مصر واسرائيل ، وفي أعقاب الاحتكاك الذي حدث بين اليهود وبين العرب الفلسطينيين في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، أن تتغير الصورة المشوهة للعرب ، الا أن بحثا قدمه الدكتور « ادير كوهين » من جامعة حيفا ، بالاشتراك مع الدكتورة « مريام روث » من نفس الجامعة ، والذي يعتمد على استطلاع أجري بين ٢٦٠ تلميذة وتلميذا من الصفوف الرابع والخامس والسادس والذي نشر عنه تعليق فى صحيفة « هآرتس » الاسرائيلية يوم ٣٠ كانون الثاني (يناير) الماضي ، كان يشير الى أن صورة العربي لدى هؤلاء الأولاد لم تتغير ، فالعربى كما جاء في هذا البحث هو : خاطف الأولاد والقاتل والمجرم والارهابي .

ويجب أن أسارع وأقول أن ليس كل اليهود في اسرائيل يحملون نفس الأفكار عن العرب ، بل توجد أقلية يهودية صهيونية ليبرالية ، والتي تتمثل في اليهود الذين كانت لهم علاقات مباشرة مع الفلسطينيين العرب قبل عام ١٩٤٨ ، وبعض الذين حضروا من الدول العربية ، والمعروفين في اسرائيل باسم « اليهود الشرقيين » والذين عاشوا مع المجتمعات العربية لفترة طويلة امتدت الى أجيال ، هذه الأقلية رفضت إلى حد ما صورة العربي التي ترسم فى الأدبيات الصهيونية ، رغم أنها لم ترفض كليا النتائج التي توصل إليها الكتاب في كتبهم . ومن جملة هؤلاء الكتاب الليبراليين ، والذين انعكس تفكيرهم الايجابي إلى حد ما على صورة العربي ، كان « س . ازهار » و « بنيامين تموز » و « عاموس كينان » والشاعرة « داليه رابيكوفتش » وغيرهم .

هناك طبعا الأدباء المناهضون للصهيونية ، والذين يعرفون حقيقة أهداف تشويه صورة العربي في الأدبيات الاسرائيلية ، وعلى رأسهم يقف الشاعر والأديب « مرخاي ابي شؤول » . ولكن هاتين المجموعتين صغيرتان ، وتأثيرهما في هذا المجال ، على المجتمع اليهودى في اسرائيل وخارجها ضئيل .

فكرة الأرض العذراء

كيف فسرت الاصلاحات الصهيونية للأولاد ؟ إن التعبير « أرض بلا شعب الى شعب بلا أرض » وجد طريقا له ،وبشكل واسع فى كتب الأطفال ، فهو يمثل أساسا في الفلسفة الصهيونية ، ومن ناحية أخرى يزيل الشعور بالذنب عن كاهل اليهود الاسرائيليين . وكأن البلاد كانت في الحقيقة فارغة من السكان . ولذا فإن أحدا لا يتحمل أية مسؤولية . فى أحد الكتب التي قرأتها ، يقول الكاتب :

« ... وقام يوسف وبعض رجاله بقطع البلاد (فلسطين) سيرا على الأقدام ، حتى وصلوا إلى الجليل . لقد تسلقوا الجبال والهضاب ، والتي كانت خلابة في مناظرها . ولكن في الوقت نفسه كانت خالية ،لا يسكنها أحد ... وقال يوسف : إننا نريد أن نقيم هنا المزرعة الجماعية (الكيبوتس) ومن هنا سندحر نحن هذا الفراغ . وسنطلق على هذا المكان اسم : تل حاى (التلة الحية) ... إن الأرض خالية من السكان ، لقد ابتعد عنها أبناؤها (القصد طبعا اليهود) . لقد تشتتوا ولم يعتنوا بها ، إنه لا يوجد من يحرسها أو يعتني بها » . (غرفوتيش ونافون : محرران ، « ماذا أقص على الطفل » صفحة ١٢٨ و١٣٢ و١٣٤) .

وهذه البلاد ، أى فلسطين ، لم تكن في عرف أدب الأطفال العبرى خالية من السكان فحسب ، بل ان أحدا لم يستغلها منذ أن طرد اليهود منها قبل ألفي سنة تقريبا . وقد جاءت هذه الصورة لتبرر المقولة الصهيونية « الأرض العذراء » . وفي أحد هذه الكتب توجد قصة رجل وصل إلى فلسطين وبعد أن عاش في احدى المزارع الجماعية ، (الكيبوتس) فترة معينة ، قرر أن يأخذ عائلته ويترك المزرعة الجماعية ويفتش له عن مكان آخر يعيش فيه . وسار في أرض فلسطين « الخالية من السكان » قاطعا الجبال والوديان والسهول الى أن وصل إلى بقعة « من أجمل البقاع التي شاهدتها فى حياتي » وعندها قال : « سنسكن هنا » وبعد أن اتخذ هذا القرار ، أقام كوخه الصغير ، وأخذ يجوب الأرض التي تحيط بها وعندها :

« رأى حجرا كبيرا ، وذهب اليه وتفحصه جيدا ، ووجد بعض الآثار عليه ، وقال لنفسه إن هذه الحجارة هي ما تبقى من قرية يهودية قديمة ، يجب أن نغرس وتدنا هنا ، ونبعث هذه القرية اليهودية مرة أخرى . ونادى ابنه وقال : هنا على هذا التل سنسكن ، هل ترى هذه الحجارة؟ انها بقايا قرية يهودية قديمة ، دعنا نجمع بعض هذه الحجارة ونقيم قريتنا الجديدة » . (اليعزر سمولي « أناس التكوين » ص ١٢) .

ولم يكتف الكاتب بهذا « الاثبات القاطع » ان الأرض عذراء منذ أن تركها اليهود ، بل ذهب الى أبعد من ذلك ، عندما عثر ابنه على لوحة رخامية ، وهو يحرث الأرض ، وبعد أن أخرجها هو ووالده ، وقاما بغسلها ، وجدا عليها رسمة

● العربي في قصصهم هو خاطف الأطفال والقاتل والإرهابي !

● مازالوا يقولون لأطفالهم إن فلسطين كانت خالية لم يسكنها أحد قبلهم !

« مانورا » أي الشمعدان الذي يعتبره اليهود رمزا لهم ، وتستعمله دولة اسرائيل كشعار لها . وعندها تبجح الأب كيف أن هذه القطعة الرخامية كانت موجودة في هذه الأرض منذ ألفي سنة ، وكيف أن أحدا لم يستغل الأرض . ولذا عثروا عليها عندما عادوا الى البلاد . (نفس المصدر ص ١٥) .

وهنا يجب أن نلاحظ العلاقة بين العثور على الحجارة القديمة ، وبين اقامة القرية الجديدة من تلك الحجارة ، فالكاتب لا يشير هنا الى أن الأرض كانت عذراء فحسب ، بل إلى أن ما يقوم به هو بعث الحياة الجديدة ـ القديمة في فلسطين . وهي الفلسفة التي بنى عليها « تيودور هرتزل » فلسفة روايته « الأرض الجديدة ـ القديمة » وكما هو معروف فإن « هرتزل » هو الأب الروحي للحركة الصهيونية .

تشويه الانسان العربي

والصورة المميزة للعرب في أدب الاطفال التجاري العبرى ، هي صورة قاتمة ، وهي تمتد بشكل أو بآخر إلى جميع الكتب التي قرأتها . فالعربي هو مجرم وقاتل . فهو يحب القتل من أجل القتل . ولذا يجب عدم « ادارة الظهر للعربي » . كما أنه يقتل لأتفه الاسباب ، ويظهر وكأن لا قيمة لحياة الانسان عنده ، ثم أنه اللص ، فهو يسرق لأن هذا في طبعه ، وخاصة من اليهود ، وذلك نتيجة « الغيرة » ، غدار يغدر حتى بأهله وأقاربه ، يبيع نفسه وضميره وشعبه بأبخس الأثمان وهو من مجموعة الرعاع ولذا لا يقدر قيمة الأشياء ، جبان لا يقدر على الحرب ولهذا فإنه غدار . وهذه الصورة واضحة في تصوير الجندي والمقاتل العربي . وهو الأبله الذى لا يعرف كيف يتحدث ، ويصدق كل ما يقال له ، ولا يستطيع أن ينتصر حتى في العدو أو السباحة ، ودائما يجب ان يعلمه شخص غير عربي ما الذي يجب أن يفعله .وهو كذاب ، لا يمكن الاعتماد عليه في أية كلمة يقولها ، ولا أي وعد قطعه على نفسه ، وهو قذر في تفكيره وجسمه ، لا يغتسل ، و « المعلمة » دائما تحذر الأولاد من الاقتراب من العربي كي لا يصابوا بمرض عضال .

وقد جاءت هذه الصور وغيرها في أدب الأطفال ، لتنزع من الطفل احترامه للعربي ، وبالتالي فإن الشخص الذى لا تحترمه لا تستطيع النظر بموضوعية إلى المشكلة التى يطرحها ، ولذا يسقط حقه ، وفي جميع هذه الكتب يظهر دائما التفوق اليهودي في كل المجالات . والعربي المقبول لديهم ، هو العربي الذي يقبل الأمر الواقع ، ويرى النواحي « الايجابية في الصهيونية ويستطيع التفاعل معها » . بمعنى آخر ، كل عربي يخون شعبه ويبيع ضميره ، فهو العربي الجيد . وهناك عربي جيد آخر هو العربي الذي يتثقف على أيدي اليهود .

وكمثال أخر ، هناك قصة أب يشرح لابنه عن العربي اللص ، ولكن بصورة مهذبة ، يأتي عربي وابنه لشراء بعض الحاجيات من عند يهودي وابنه ، ويضطر الأب للدخول إلى البيت ، وعندها يدور الحوار التالي :

« ... أفنير ، راقبهما ، صاح الأب ، وذهب إلى البيت ليحضر بعض النقود لأعطائها للعربي ، في حين نظر افنير حوله ولم يعرف من عليه أن يراقب » .

« ... أفنير ، اذهب خلفهما حتى البوابة ، وتأكد أنهما لم يسرقا شيئا ، قال الأب ... أبي هل صحيح ان كل العرب لصوص ؟ سأل افنير والده . من الذي قال لك هذا الكلام ؟ قال الأب بعصبية . يجب أن لا تتحدث بهذه الطريقة ... عندما يدخل عربي متجرك ، فإنك تلاحظه كي لا يسرق ، وتطلب مني أن ألاحظه أيضا ، وعندما يدخل يهودي فإنك لا تخاف أن يسرقك ، وارتبك الأب ، هناك اشكال مختلفة من العرب ، قال ، ويوجد بينهم لصوص . انك لا تعرف من العربي اللص ومن العربي الشريف .

وهل يوجد لصوص يهود ؟ سأل الابن . طبعا ، ولكن ليسوا هنا ، إنهم هناك بعيدا في المدينة . في قريتنا كل السكان اليهود مستقيمون ، ولا أحد منهم يسرق . والعرب ألا يغضبون عندما تراقبهم وكأنهم لصوص ؟ سأل الابن . ربما ، أجاب الأب ، ولكن ماذا نستطيع أن نفعل ؟ (يوسي مرغليت . « نار في الحرش » ص ١١ ـ ١٤) .

هذا الحوار يشير مرة أخرى إلى كيفية اقناع الكاتب للأطفال بوجهة نظره من خلال حوار نصفه ليبرالى : « من قال لك إن كل العرب

صورة طفل من المخيم .. وهي ـ بالطبع ـ صورة صارخة تجنبوا تقديمها للطفل الاسرائيلي



● في كل قصص الأطفال نرى التفوق اليهودي في كافة المجالات

● لماذا ركز كُتّاب الأطفال على شخصية البدوي ؟

لصوص ؟ » و « هناك بعض اللصوص اليهود ولكنهم هناك في المدينة » ، بعيدا عن واقع حياة الصغير ، ولكن كل يهود القرية شرفاء ، أما العرب فلا تستطيع أن تميز بين اللص والشريف منهم ، ولذا يجب مراقبتهم جميعا ، وعدم الوثوق بهم ، وإذا غضب العرب ، فليغضبوا . .

الشخصية الأساسية

والشخصية العربية الأساسية في كتب الأطفال هي شخصية البدوي ، فهي تلعب دورا في تكوين الشخصية التي تسكن فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، ونادرا ما ربط المؤلفون بين البدوى وبين عروبته ، البدوي دائما بدوي . وشخصية البدوي في مجملها ايجابية إلى حد ما ، رغم أنها تحمل بعض الصفات الأساسية التي وضعتها الصهيونية للشخصية العربية . ولكنها ايجابية بمعنى أن الكتاب قد قاموا بوصفها ووصف الحياة البدوية والعادات والتقاليد والزي وغير ذلك وصفا دقيقا .

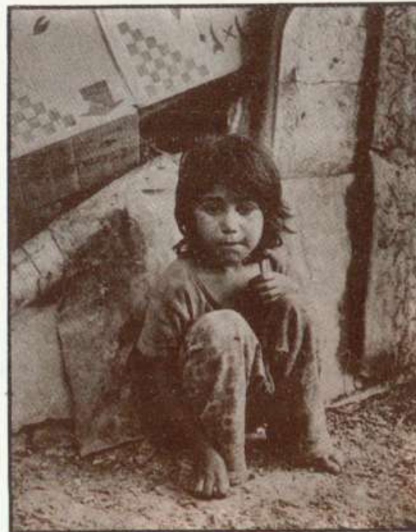
والسبب في هذا الاهتمام الكبير ، يعود في رأيي لأسباب كثيرة ، أهمها شخصية البدوي المميزة ، ولكن الأهم من هذا هو استغلال الحركة الصهيونية للبدوي لتدعيم فلسفتها بأن أرض فلسطين كانت خالية من البشر ، ولتستطيع أن تبرر ما حدث بعد أن اكتشف بعض المفكرين أن أرض فلسطين كانت مأهولة ولم تكن خالية .

ولقد استغلت الصهيونية عدم ارتباط البدوي بالأرض كي تبرهن أنه عابر سبيل في فلسطين . فاليوم يسكن في شمالها وغدا في جنوبها ، وبعد غد في مصر أو سوريا أو غيرهما من الأقطار المجاورة . بمعنى آخر أن البدوي لا يمتلك أرضا ، ولذا فإنه لا يوجد له حق على أي أرض . وقد نجحت الصهيونية في تفسيرها هذا إلى حد كبير ، ليس في كتب الأطفال فقط ، بل لدى الكثيرين من الرأي العام الغربي .

وقد ركزت الدعاية الصهيونية على هذه الشخصية أيضا ، عندما ربطت بين مفهوم « الأرض » و « الوطن » . وكون البدوى ، وهو في رأيها الساكن الأساسي في فلسطين ، غير مرتبط بالأرض ، ولا أرض له ، فهو بالتالي غير مرتبط بالوطن ولا وطن له . ولم تكن الصهيونية بحاجة إلى الكثير من الجهد لاقناع الرأى العالمي الغربي ، خصوصا الأوروبى حيث وجدت وترعرعت ، بهذا المنطق ، لأن شخصية البدوي كانت معروفة لدى الرأى العام العالمي ، بسبب الاتصالات التي كانت قائمة بين أوروبا والشرق ، وهى اتصالات وعلاقات بين مستعمر ومستعمر . وبالتالي لم تكن الشخصية العربية ـ البدوية ، شخصية ايجابية عند الغرب أيضا ، ولذا وجدت

● منذ قيام إسرائيل وهم يشوّهون صورة المقاتل العربي في أدب الأطفال

● بعد حرب عام ١٩٧٣ رأينا لأول مرّة حكايات عن دخول القوات العربية إلى المستوطنات



هذه الطفلة الفلسطينية قتلوا والدها ووالدتها.. ورغم ذلك يقولون لأطفالهم أن العرب قتلة !!

الصهيونية أرضا خصبة لتفكيرها .

وأستطيع القول إن تصوير العربي الفلسطيني بأنه بدوي فقط ، أعطى الصهيونية قوة لتوسيع استيطانها ، عن طريق جذب الرأي العام العالمي إلى جانبها ، وكذلك اقناع الأطفال بوجهة نظرها . ليس لهذا السبب أسهب الكتاب في تطوير الشخصية البدوية .

وفى معظم القصص التي تعالج موضوع البدوي ، يظهر فجأة ويختفي فجأة :

« ... ذات يوم ، ظهرت في وادى الربيع حمير وجمال محملة بالصناديق والرزم ، مصحوبة بنساء وأطفال . أناخ الرجال جمالهم في مكان منبسط وأنزلوا حمولتهم وحمولة الحمير .. وفي خلال دقائق معدودات نصبت الخيام وأخذ الدخان يتصاعد من النيران التي أضرمت في وسط الخيمة ... »

(اليعزر سمولي « رجال التكوين » ص ١٤٢ ـ ١٤٣)

وقد ذهب بعض الكتاب إلى وصف دقيق لحياة البدو ، وملابسهم وعاداتهم وعلى سبيل المثال ، هذا وصف لعباءة بدوية وأهميتها في حياة البدوي :

« ... العباءة لباس ممتاز ، قال ناسي ، مدافعا بحماس كبير عن لباس البدوي التقليدي . فهي تتلاءم مع الشتاء كما مع الصيف . وتصلح للنوم علاوة على الجلوس والسير . في الشتاء يتلفح البدوي بعباءته والتي يستطيع لفها مرتين حول جسده ، فيدفأ . والعباءة تحميه من المطر ، يرتدي البدوي عباءته بحيث يكون وجهها المغطى بالشعر من الداخل ، فيستحيل على المطر عندئذ اختراق العباءة وينزلق عنها وكأنها مطلية بطبقة من الزيت .

أما في الصيف ، فتحفظ العباءة بين طياتها كمية من الهواء تحمي جسم البدوي من الحرارة ، وتمنع عنه التعرق أيضا . ان أحد المخاوف الدائمة للبدوي هي نقص المياه . فالعباءة تساعده على الاحتفاظ بمستوى السائل في جسده ، وبالرغم من قلة تعرق جسم البدوي ، فإنه لا يبرد عند التعرق . العباءة منامة مريحة جدا وباختصار فإن للعباءة ميزات لايمكن حصرها .

(باروخ نادل ، « ناطي ومغامرات الخصرة الحمراء » ص ٩٦) .

هذا الشرح المسهب في عباءة البدوى ، يعطي فكرة عن اهتمام الكاتب بحياة البدوي . انني لم أعثر على أى وصف آخر عن العرب يشبه هذا الوصف في كتب الأطفال التى استعملتها لهذا البحث . حيث تناولت كتب الأطفال العبرية التي صدرت بين الأعوام ١٩٤٨ ــ ١٩٧٥ .

المقاتل الفلسطيني

وهناك صورة لا يمكن تجاهلها ، رغم أنها مكثفة ومتشعبة . وهي شخصية المقاتل الفلسطيني ، والجندى العربي . فبالنسبة للأول ، فإنه لم يقدم للقارىء على أنه مقاتل . ان الفلسطيني لا يقاتل ، بل يحاول ان يقتل . واعتبر النضال العربى الفلسطيني ضد الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني حرب « عصابات مجرمة » .

« ... العصابات العربية حاكت المؤامرات في حينه لهدم كل ما بناه جيل الطليعة اليهودية (في فلسطين) »

(ع .دانى ، « استقلال اسرائيل » ص ٩٥)

« ... وعندما تفجرت الأحداث الدامية فى أرض اسرائيل وقف الشيخ عبد الله أبو ستة على رأس عصابة مجرمة ، وبدأ ينظم الهجمات على طرق المواصلات العبرية ، وقصف المستوطنات ، واقامة الكمائن وزرع ألغام في الطرق »

(بني ماتيف ، « الزارعون في الصحراء » ص ٧٣)

« ... سمعت مرة قبل أربعة أو خمسة أيام ، راسان الحارس يقول لوالدى إن العرب ينظمون عصابات كي يهاجموا المستوطنات اليهودية ، وقد

قال له والدي « اننا نعد لهم استقبالا حارا » (ارييل اوفيق ، سبع طواحين وطاحونة ص ٩٠) .
وتطورت شخصية المقاتل الفلسطيني ، بشكل سلبي طبعا . فبعد قيام الدولة اليهودية أصبح « متسللا » يعبر الحدود إلى وطنه ليسرق ويقتل . ومن ثم أصبح « مخربا » ، حيث يقوم بنفس العمل ، بالاضافة الى التخريب . فهو ينسف أعمدة الكهرباء ويقصف البيوت ، وبعد ذلك أصبح « ارهابيا » يقتل الأطفال في « الكيبيوتسات » ويخطف الباصات ويزرع المتفجرات . وطبعا هذه الصورة لشخصية المقاتل الفلسطيني موجودة في جميع الكتب .
أما بالنسبة للجندي العربى ، فإن الصورة ليست أحسن ، فشخصية الجندي هي شخصية سلبية ، ويعتمد الكتاب فى تصويرها على انتصارات اسرائيل في الحروب التي قامت بها ، وانتصرت . الجندى العربي جبان ودون قدرة فكرية ومقابله « السوبرمان » اليهودي . الجندي العربي يهرب من ساحة القتال في حين يظهر الجندي الاسرائيلي هكذا :
« ... حتى لا يبقى أى شخص منا على قيد الحياة ، ويستجوب ويعذب على أيدى الأعداء ، فانه إذا سقطت الطائرة قبل وصولها الى الهدف ، قال مانو بابتسامة ساخرة ، سنكون نحن بلا مظلات . سنتحطم جميعنا مع سقوط الطائرة ، ولن يعرف المصريون إلى الأبد ماذا كان هدفنا في سيناء .
اننا لا نستطيع أن نطلب منك ومن رجالك أن تتحطموا مع الطائرة إذا ما وقعت ، قال القائد غفرياهو : إنكم لا تطلبون منا ذلك ، اننا نحن الذين نطلبه من أنفسنا ، وبوعي كامل لأنه لا يوجد بديل ... » (افنير كرميلي « الدورية الخاصة مطوقة » ص ٦٨)
ومقابل هذه القوة العجيبة ، يظهر الجندي العربي ، جبانا أبله ، ودون أخلاق . يكفي ان يطلق رصاص في الهواء حتى يفر هاربا :
« ... ولم يشعر الولد اليهودى بما يفعل . حمل مدفع العوزي ، وأطلق بعض العيارات النارية في الهواء ، والتي مرت من فوق رأس الجندي العربي ، وكان هذا العمل كافيا . العربي ، فوجىء ، وأخذ يعدو هاربا . »

(اريبل اوفيق « المظليون قادمون » ص ٦٢) .

ولكن هذه الشخصية تغيرت قليلا بعد حرب ١٩٧٣ ، عندما استطاع جيشا مصر وسوريا اقتحام مواقع الجيش الاسرائيلي على جبهتى القنال والجولان . ولأول مرة تظهر في قصص الأطفال حكايات عن احتلال مستوطنات يهودية من جانب جيش عربي . وقد تركزت هذه القصص على أحداث بعض المناطق العربية المحتلة ، وذلك لأن من السهل اظهار « قوة » الجيش الاسرائيلي هناك ، في حين لم يستطع الكاتب تفسير تحطيم خط بارليف واحتلاله من جانب الجيش المصري للقارىء الصغير . ومع ذلك فقد استطاعت هذه الحرب ادخال نغمة جديدة على أدب الاطفال ، كتصوير حالة الفزع والخوف فى المستوطنات اليهودية . وهي صورة لم يعثر عليها في قصص ما قبل عام ١٩٧٣ .
« ... صفير قنبلة مستمر ، يخترق السماء فوق رأسى ، في البداية يكون ضعيفا وبعيدا ، وبعد ثوان يصبح قويا وقريبا . إنه يثير الخوف ويجبرنا على اخفاض رؤوسنا ، وينتهي هذا الصفير بصوت كالرعد ومن ثم هدوء غريب .. ضجة طائرات نفاثة تمر فوق رؤوسنا ، سرب من أربع طائرات ميغ يمر بسرعة البرق باتجاه جبل الشيخ .. ضجة مخيفة حولنا ، لم أكن أتصور أنه يوجد مثل هذه الضجة المخيفة لدرجة شعرت اننا عبارة عن حبة تطحن بين عجلات ضخمة ، كأن الأرض تهتز تحت أقدامنا وبعد قليل سنسقط إلى داخل حفرة عميقة سوداء » .
(اريبل اوفيق « دخان الجولان » ص ٧)
إن صورة العربي فى هذا الأدب هي صورة مشوهة جدا وسلبية جدا ، وهذا نابع من عدة أسباب أهمها : نزع الاحترام عند اليهودي للشخص العربى ، وهذا ما يفسر عدم الشعور بالذنب بالنسبة لما يقوم به هو أو حكومته . كما أن انتزاع الاحترام يؤدى إلى انتزاع الحساسية الانسانية .وبالتالي يقبل الأحكام مهما كانت ضد من لا يكن له الاحترام ، بما في ذلك حكم التشريد وسلب الممتلكات وحتى الاعدام .كما جاء هذا التشويه ليبرر العمل الذي خططت له الصهيونية منذ أن وجدت ، وهو انتزاع فلسطين من أصحابها الشرعيين ، أي العرب ، وإقامة دولة يهودية هناك .
ولقد جاء هذا التشويه فيما كتب عن العرب والفلسطينيين والذى سبق وعرضنا جزءا منه في هذه الدراسة . ولكن التشويه الأخطر جاء فيما لم يذكر ، خصوصا عن الشعب العربي الفلسطيني
لم يذكر أي شيء عن الأدب الفلسطيني أو الأدباء أو الفنانين ، فهذا البند معدوم ، كما لم يذكر أى شيء عن وجود مفكرين فلسطينيين ضمن المفكرين العرب .
كان الفلسطيني دائما « عربيا » ، في حين كان يصف العرب الآخرين بجنسية بلادهم : السوري والمصري والعراقي واللبناني الخ ... وهذا العمل جاء لينكر وجود شيء اسمه شعب عربي فلسطيني ، وليعطى الأنطباع فيما بعد ان العربي الفلسطينى هو « عربي » وامامه الوطن العربي مفتوح .
كما أن صورة الفلسطيني ابن المدينة مشوهة جدا ، ويشار اليها بين السطور فقط ، أو عندما تكون هناك حاجة ، على غرار سكان مدينة يافا الذين خرجوا « لذبح يهود تل أبيب » ، وحتى في هذه الحالة صنفوهم بـ « العتالة والبحارة والزعران » . ان عدم وجود أبناء المدن يلغى وجود المدينة .
وانعدمت أيضا شخصية الفلاح العربي الفلسطيني ، انها لم تظهر في هذا الأدب مطلقا ، ولم يكن انكارها محض صدفة ، كما كان التركيز على شخصية البدوي في أدب الأطفال ، والسبب في انعدام شخصية الفلاح يعود الى عكس اظهار شخصية البدوى . البدوي لا علاقة له بالأرض ، في حين يكون الفلاح ملتصقا بها ، ويحبها ويحترمها ولا يضحي بها . الفلاحون الوحيدون الذين جاء ذكرهم في هذه القصص كانوا الفلاحين الذين يعملون فى أراضى الأغنياء من العرب ، والذين طردوا من الأرض بعد أن اشتراها « الأفندي اليهودي من الأفندي العربي » .
كما لم يأت ذكر أى شيء يتعلق بالحضارة الفلسطينية : الأعمال اليدوية الفلسطينية ، أو صناعات الصابون وعصر الزيتون أو النشاط المعماري الذي اجتاح فلسطين ، أو المدن التي أقامها العرب أو الفلسطينيون أنفسهم . إن وجود مثل هذه العناصر يشير إلى وجود حضارة عربية ، وبالتالي يشير إلى وجود شعب ، أرادت الحركة الصهيونية أن تنفي وجوده !

فوزى الأسمر

صورة أخرى إختفت من قاموس قصص الأطفال العبرية فهم ينكرون حقيقة إقبال الفلسطينيين على العلم بشكل ليس له مثيل



بطاقة من متفرج عربي

لـ: سناء

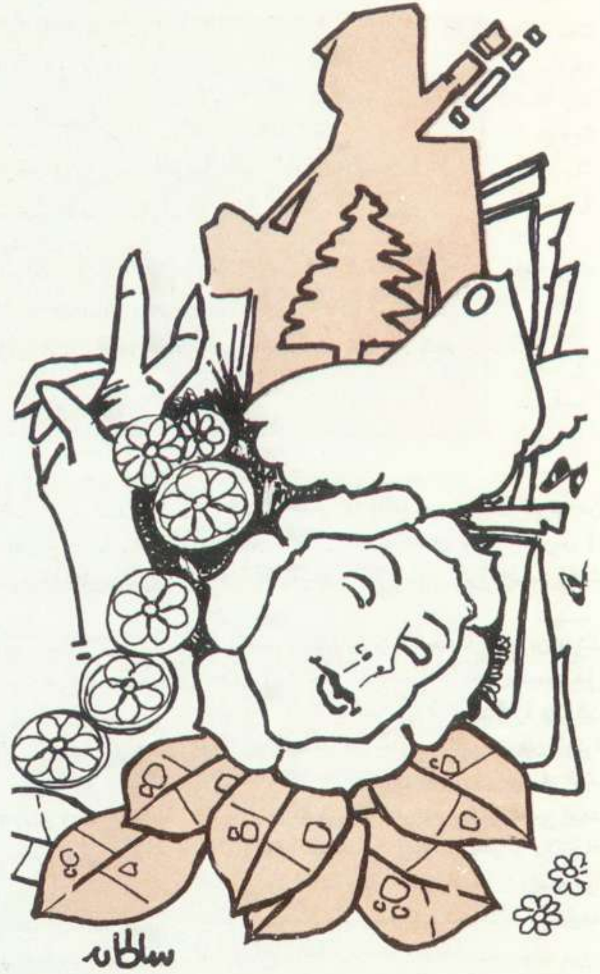
لا أعرفُها ... لكنْ ملامحَها - في ذاكرتي - حيّه
تتجسّدُ شمساً في روحي وتحاصرني حتى في النـوم
لا أعرفها ... لكني أعرفُ ما في عينيها من هَمّ
في عينيها هَمٌّ صبيّه
ترقبُ لحظةَ زغردةِ العرسِ الدمويّ
تتفجر أشواقاً عطشى للقاء « الحقِّ » بصحبةِ كلِّ شهيدٍ عربيّ
في عينيها صمتٌ يتحدّر من لغة لا يعرفها غير الشهداء
لغة تصرخ فينا : إنَّ الطرقَ المأمونه
لا يسلكها إلا الجبناء
ممن شربوا كأسَ الذلةِ في حضنِ الأوهامِ المألوفه
لا أعرفها ... لكنّي أقرأ في عينيها أوجاعَ الأرضِ العربيه
أشهد كفرَ قاسم ... أشهد صبرًا ... أشهد بيروتَ الوطنيه
أشهد مُدناً غارقةً في قهرٍ ... وقرىً باتتْ مطويه
في قبضةِ مَنْ نهبوا الأرض وهتكوا العرض وداسوا الحريه

* * *

لا أعرفها ... لكنَّ « سناء »
تعرف أني أحد الموتى المتكئين على مجلس وَهْمْ
تعرف أني أتلهّى بالجملِ - الحيلِ المخبوءة في كتب الإنشاء
أتخفى في وحلِ الحججِ المعتادة إن برزَ التمساحُ وفاضَ الدمّ
يتسرب مني تاريخي ... وطني ... يتسرب صوتي في رملِ الإغواء
وأعودُ أمارسُ ألعابي ... وأتابع رقصَ الشرقِ ... أتابعُ أسخفَ فيلمْ
قُدِّرَ لي ... أن أبقى أتفرجْ
قُدِّرَ لي ... أن أتعلق في زمن عربيٍّ الخيبةِ ... مرتجفِ الأعضاء
قدر لي ... ألا أخجلَ من أخيبِ ألعابي أو أتحرجْ
قدر لي ... أن أبقى اتطاير كالورقِ المتناثرِ في الريحِ الهوجاء

* * *

ذاتُ السبعة عشر ربيعاً نبتتْ كالزهرةِ في « عنقونْ »
قريةِ أهلٍ منّا ... لكنّا لم نسمعْ عنها من قبلْ
في رقدتنا داخلَ هذا العطنِ المخزونْ
في غمرةِ لهفتنا بحثاً عن أقربِ حلّ
ذاتُ السبعة عشر ربيعاً زَرعتْ في ساحتِنا شجرَ الوردِ الأحمرْ
شجراً كدنا ننساه من الخدرِ اليوميّ
ذاتُ السبعة عشر ربيعاً تركَتْنا في الوقت الضائع نسألُ : هل نربحُ أم نخسر ؟
ومضَتْ تصعدُ للقاءِ « الحقِّ » بصحبةِ كلِّ شهيدٍ عربيّ ...



شعر
حسن توفيق

سلطان بن سيف وملحمة تحرير مسقط

بقلم: أحمد العناني

كنا قد أسبقنا الإشارة فى مقال سابق الى التحالف البريطانى الهولندى الفارسي العربى الذى انتهى بطرد البرتغاليين قسراً واقتداراً من قلعتهم المنيعة ومصدر ثرائهم الخليجى ألا وهى جزيرة هرمز.

ولم يتمكن ذلك الحلف الرباعى الذى أحدث صدى حزيناً فى أوروبا الغربية مقروناً بنقمة شديدة على الانجليز لانتصارهم عنوة للمسلمين ضد البرتغال كما فهم الناس الأمر، نقول ان ذلك الحلف لم يتمكن من الاستيلاء على هرمز أوائل العشرينات من القرن السابع عشر إلا بعد جهد جهيد، وخسائر دامية، والواقع أن المنتصر الأساسي هناك كان هو الانجليز الذين عرفوا كيف يتخلصون من الهولنديين بالقوة القاهرة فى الخليج والعمل ضدهم فى القارة الأوروبية، كما قلبوا للشاه الصفوى ظهر المجن فخرجوا بحصة الأسد من ريع الجمارك فى أعظم موانىء العالم التجارية قاطبة فى ذلك العصر.

وقد اعتبر البرتغاليون سقوط هرمز كارثة قومية وصارت شعاراتهم فى لشبونة كما فى جوا شبيهة بشعارات الرومان القدماء ضد قرطاجنة يقسمون أن يدمروها، وكانوا لا يتصورون لهم وجوداً فى الخليج مفرغاً من هرمز، لهذا فقد راحوا بسرعة وجد ومواصلة يزيدون على تحصينات مسقط المنيعة تحصينات أخرى مستجدة يصلون فيما بينها على رؤوس الجبال بطرق سرية وأنفاق تحت الأرض وأبراج وتحصينات فوقها، حتى أصبحت المسافة من جبل السعالي الى جبل المكلا سلسلة متصلة من التحصينات المشحونة بأدوات الحرب من كل نوع. ثم جاءوا بأفضل محاربيهم من البرتغال وجوا وغيرهما، وامتلأ أديم الأرض أسواراً وبروجاً.. وعلى رءوس الجبال الشاهقة المدببة كان يتنقل قناصة البرتغاليين الذين يسددون رصاصهم لأية نأمة تتحرك أمامهم على امتداد الرؤية حتى البحر.. وكانت قوافل لا تنقطع من دواب الحمل ولاسيما البغال تصعد فى الطرق الوعرة موقورة بالمؤن التى شحنت بها القلاع فكأنما تهيأت لحصار يدوم سنوات طويلة..

لقد أصبحت مسقط فى نظر البرتغاليين هى موقع التحدى بعد سقوط هرمز وكان مقصدهم أن يعيدوا تمركزهم فى حصن ميئوس من الاستيلاء عليه أو سقوطه حتى اذا أكملوا فيه عددهم وذخائرهم وعساكرهم بدأوا يحاولون استرداد ما فقدوه من سائر البلاد العمانية وراحوا يتربصون لفرصة تواتيهم لاستعادة هرمز..

الجرس ورقبة القط

لم يكن الانجليز متحمسين لأية مواجهة أخرى مع البرتغاليين بعد هرمز، لقد نالوا حصة الأسد من غنائم البرتغاليين، وحيث أنهم زاهدون فى القتال البرى فقد اقتصروا على موقف سلبي غير منفعل..

أما الهولنديون الذين أغاظهم غدر الانجليز بهم الى الصميم فإنهم انصرفوا يعدون أساليب تجارية متفوقة يقصدون بها تفليس سائر منافسيهم من الأوروبيين وقد عانى الانجليز بالفعل خسائر ضخمة فى تجارة المنسوجات بخاصة.. وكان الهولنديون هم سادة صناعة النسيج وهم أول من طور وسائل الغزل والنسج الى مستوى العصر الراهن.. أما من الناحية العسكرية والسياسية فإنهم آثروا أن يركزوا سائر قواتهم فى الأرخبيل الأندونيسي وذلك لمواصلة احتكارهم العديد من أصناف التوابل التى كانت تدر عليهم أرباحاً أسطورية.

كان التحدي اذاً واقعاً على السكان العرب من العمانيين، وكان عليهم هم أن يعلقوا الجرس فى رقبة القط المسعور وإلا عاود الكرة عليهم وفتك بهم..

وأحس سلطان بن سيف خليفة ناصر بن مرشد اليعربي وابن عمه أنه يجب أن يحمل قدميه على درب من الشوك والجمر وأن ذلك هو قدره وإلا فإن الأمر معه سيكون الى رجوع حتمى.. فإن البكرة التى شد ناصر حبالها كان ينبغى ان يواصل الشد عليها الى أن يصل الوعاء المرفوع بها الى أقصى البعد علواً وإلا انفكت البكرة ودارت الحبال بالاتجاه المعاكس وضاعت دماء الشهداء الذين استعادوا معظم مدن عمان وأقاليمها التى كان قد مضى عليها قرن وربع راسفة تحت البرتغاليين.

فى وجه امبراطورية ذات غنى وأساطيل وثروات ومستعمرات

لقد دام عصر سلطان بن سيف فترة تقارب فترة حكم الخليفة الزاهد العادل عمر بن عبد العزيز.

فقد تولى أمر الإماميين عشية وفاة سلفه العظيم ناصر بن مرشد اليعربى يوم الجمعة العاشر من

ربيع الثاني ١٠٥٩ هجرية ، وفارق الحياة فى يوم الجمعة السادس عشر من ذى القعدة عام ١٠٦١ هـ .

وفيما أتيح لسلفه ست وعشرون سنة من الحكم ليضع الأساس لدولة قوية وليطرد البرتغاليين إلا من أضخم حصونهم فى مسقط ومطرح ونواحيهما فإن سلطان بن سيف استطاع فى فترته القصيرة أن يحقق أمرين بالغي الخطورة وهما :

أولا : تحقيق معجزة الاستيلاء بقوة العمانيين وحدهم على مسقط وسائر حصونها وحصون نواحيها ..

ثانياً : تأسيس نواة الأسطول العمانى الذى انطوى تطويره السريع الى مستوى أساطيل الدول العظمى على معجزة أخرى ..

لقد كان الصلح الذى حصل عليه الامام ناصر (١) قد أوصى بهدم قلاع البرتغاليين فى مطرح وقريات وصور وتسويتها بالأرض وكذلك هدم قلعة كان أنشأها الامام فى مطرح وذلك صيانة لاستمرار الوجود البرتغالى فى مسقط مع إعفاء العمانيين من كل أشكال الضرائب التى كان يفرضها البرتغاليون فى مسقط .

وقد غضب الملك البرتغالى على قائده فى مسقط «دون جوليودى نورنها» .. وأمر بالقبض عليه ، وحيث كانت هذه البوادر مزعجة ومنذرة بنقض البرتغاليين ما أبرموه خصوصاً وانهم كانوا منهمكين فى شحن الحصون بالسلاح والمؤن ، فإن سلطان بن سيف أصاب كل الاصابة فى شروعه فور استلامه الحكم فى تطويق سائر منطقة القلاع البرتغالية الحصينة .. ولو تردد أقل تردد لضاع عمل ثلاثين سنة سدى .

وكأنما وقف التاريخ عند أقدام تلك الحصون المنيعة حائر الخطو لا يدرى أحد أين تكون مسيرته .. فالحصون هائلة والرتغال ماتزال ذات دولة وامبراطورية وعناد ، والامر أصبح يعنى أن تكون تلك الامبراطورية أو لا تكون ... وانظر هذا الوصف الحي لسير الامور (٢) «وكانت الحرب يومئذ بين الامام وعسكر البورتجيز (٣) سجالا ، ولا قدرة للبورتجيز أن يخرجوا الامام وجيشه الكثيف من مطرح ، ولا قدرة للامام وعسكره أن يدخلوا مسقط فتسمعهم يصيحون على من بالسور من البورتجيز «ناجزونا ، بارزونا ، فليس الشجاع من تحصن بالقلاع» ولكنه لم يكن يخرج لهم منهم أحد ... فطالت الحرب بينهم على تلك الحال حتى كاد الامام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم لعدم القدرة على الدخول عليهم»

كان ضرورياً والحالة تلك أن يستميت المسلمون فى وقف الإمدادات عن عدوهم ، لذلك انطلقت سفن العمانيين التى بدت أقرب شيء شبهاً بسفن الأوروبيين من حيث حجمها وتصفيحها وتسليحها ، وأبعد ما تكون عن السفن العربية التجارية التقليدية ، وكانت تلك خطوة فى منتهى الشجاعة والحكمة حيث فتت كثيراً فى عضد البرتغاليين ... لكن اجراءات الحصار كلها كانت تبدو وكأنها مستحيلة بسبب ما كانت تزخر به قلاع البرتغاليين فى مسقط وحولها من المؤن والسلاح ..

ورفض الامام سلطان بن سيف أن يخفف من حصاره أو يقلل من كثافة قواته حول الحصون مؤمناً بأن الله تعالى لابد أن يجعل له من ذلك الضيق مخرجاً ، ويروى عنه أن كان بمنتهى التواضع يتجول بين جنوده يحدثهم فى شئونهم ويزين لهم ثواب المرابطة فى سبيل الله ، ويؤكد أنه لم يكن للعمانيين مندوحة من مواصلة خطة الحرب بثبات ويقين ، وكان يسلم على الصغير والكبير والحر والعبد .

ويبدو أن حالة الأمن والرفاه سادت البلاد فى عصره مما نجم عنه رخص الأسعار وأمان الطرق ، وكذلك يستطيع المتبصر فى النصوص الواردة عن وصف أخلاقه وسلوكه ، وكيفية تفاعله مع شعبه وتفاعلهم معه ، أن يدرك أن سلطان بن سيف لم يكن الا صورة أخرى من الزعامة الاسلامية العمرية ، زعامة ابن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز ، أو تاليا فى حركة الزمن صلاح الدين أو يوسف بن تاشفين أو نور الدين ... انها زعامة الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه ، وكان أول عهدهم أن يطرحوا عبء كل طموح مادى عن كاهلهم ، ويزيحوا كابوسه عن قلوبهم ... فلا ترف ولا قصور ولا فسق ، ولكن بساطة وعبادة وجهاد وصدق ... وتسرى روح هؤلاء فوراً فى نفوس المسلمين فإذا كل مسلم أسد هصور ، واذا هو بقدرة الله القادر جل جلاله يجول ويصول ..

واذا ما اراد الله فلا راد لحكمه .. وكذلك كان أمام قلاع مسقط ومطرح ... أمر أغرب من الخيال ، وأقرب إلى الأساطير.. فيالله الكبير المتعال حين يريد ربي شيئا ان ربي لقوى شديد المحال .. تحصل قصة تذكر بقصة نعيم بن مسعود فى حرب الخندق غداة أزال الله بحيلة ذلك الرجل صولة الأحزاب فشتتهم فى ليلة واحدة أيدى سبأ .

واقعة كأنها أسطورة

كان البرتغاليون شأنهم شأن الانجليز يعولون فى الكثرة الكاثرة من مقاتليهم على صفوة يختارونهم من أفضل الجنود الهنود ثم يولونهم امتيازات ضخمة ويسبغون عليهم فضلا ، ويختصونهم بالرواتب والمناصب ، وأما الانجليز أو البرتغاليون فهم الضباط الآمرون ..

وكان زعيم هؤلاء الهنود البنيان يدعى تروتم له ابنة رائعة الحسن شاهدها «الفريره» زعيم البرتغاليين وقائدهم (كما يلفظ العمانيون اسمه) فجن جنون البرتغالى لجمالها ، ومع انه علم ان أهل ملة تلك البنت لا يزوجون نصرانياً يأكل لحم البقر لكنه أصر على الزواج وبعث أحد الأساقفة خاطباً ..

ورأى الهندى انه لو عاند سيده البرتغالى مواجهة فسوف يسفك دمه ، ويستكره ابنته على الزواج فصمم على اللجوء للحيلة والعذر فتظاهر بالموافقة التامة بشرط واحد هو أن يقبل الخاطب العاشق مرور بعض الوقت ريثما يحضر كاهن الطائفة من الهند ، وتحضر قريبات الفتاة لكى يتمموا لها اجراءات الزواج وطقوسه العديدة ولكى يعددن له أهنأ زواج يخطر بالبال ... وصدق البرتغالى وقنع وراح يتصبر .

فى أثناء ذلك قام البنياني الهندى بالاتصال بالأمير سلطان بن سيف فأطلعه على مخطط كامل للقلاع ووصف دقيق لأماكن مخارجها ومداخلها ، واتفق معه على أن يفسد الهندى مخازن المؤن بسوائل سامة ينثرها فى كل مكان منها ، وبعدما تم التفاهم على كل صغيرة وكبيرة فى خطة معقدة ذات تفاصيل عديدة قام سلطان بن سيف نفسه بالهجوم متوكلا على الله ، ولو أن إخلاص الهندى كان مزيفاً لضاع المسلمون وجيشهم فى تلك السراديب الحصينة ، وبوغت البرتغاليون بالتكبير حين دقت ساعة السماح بالتكبير فإذا الجند المسلمون بين مخادع نوم البرتغاليين ، فكأنما انشقت سقوف القلعة فأمطرتهم مطراً مميتا فوق البرتغاليين فى أسرتهم ... واشتد الوطيس وأهلكت المباغتة العدو ، وتمت الخطة بكل تفاصيلها وسقطت مسقط الحصينة المحصنة فى أيدى أهلها وجاء الحق وزهق الباطل ، وذل المعتدون ورمى الله الأبراج بقدرته وحكمته .

وحين حاول بعض البرتغاليين الوصول الى ذخيرة مدافعهم وجدوا أنها لم تكن صالحة للاستعمال فقد أفسدها الهنود عليهم ... وكان اليوم مأساة لهم وحاول أسطولهم فى البحر أن يفعل شيئاً فلما انقضت عليه سفن العمانيين وأدرك قائده ما وقع فى مسقط ومطرح ولى بسفنه هاربا الى عمق المحيط الهندى ليوصل نبأ الهزيمة الى سادته فى جوا .

وشهد المسلمون فى نزوى يوماً للنصر أزال غم القلوب ، ومحا غيظ النفوس بعد مائة وخمسين عاماً من الحزن وشقاوة الاحتلال وحكم الغريب الواغل ..

ولم يلبث سلطان بن سيف أن ودع الحياة فكأنما كانت رسالته مقرونة بمعجزة النصر فى مسقط فلما تمت توفاه الله ..

هوامش

(١) نأخذ هنا برواية لوريمير إذ لانجد سببا للتشكيك فيها ، كما لا نجد تفاصيل هذا الصلح فى مصادرنا الأخرى . ـ لوريمير : دليل الخليج ـ الترجمة المنقحة ص ١٣٥ ج ٢ تاريخى .

(٢) هذا الوصف المثير نقلناه عن كتاب حمد بن محمد بن رزيق ـ الفتح المبين الصادر عن سلطنة عمان ١٣٧٧ وتحقيق عبد المنعم عامر وزميله ص ٢٨٥ .

(٣) البورتجيز تعنى البرتغاليين بالانجليزية .

الدوحة

في رحلة على خط الاستواء ومن جزر المالديف

قام رءوف توفيق برحلة مثيرة إلى جزر المالديف .. وعاد من الرحلة ليكتب لمجلة الدوحة هذا المقال الشيق :

في هذا المكان البعيد .. على خط الاستواء .. وسط الجزر المتناثرة في المحيط الهندي .. تسمع صوت المؤذن ، واضحاً ، عذباً ، وبلغة عربية سليمة ، يدعو للصلاة .. وترى المصلين داخل المساجد ، يرتلون آيات القرآن الكريم .. ويمارسون شعائر الصلاة بكل خشوع وإيمان .

هنا

كراسات اللغة العربية في أيدي الأطفال

ميناء « مالي » العاصمة .. وحركة دائبة من المراكب التي تنقل البضائع والمسافرين



وجوه سمراء .. لفحتها أكثر أشعة الشمس الاستوائية الحارقة .. أسماؤهم كلها عربية .. الأجداد والآباء والأبناء ..

قد لا يجيدون التحدث باللغة العربية .. ولا يسعفهم في الحوار سوى بعض العبارات أو الكلمات .. ولكن مع الأجيال الجديدة ، بدأت خطة شاملة في المدارس .. لتعليم اللغة العربية من خلال مدرسين منتدبين من الدول العربية .

لهذا تشعر بالسعادة .. عندما ترى الأطفال ، في طرقات الجزر التي يسكنوها ، وقد خرجوا قبل ساعات الغروب .. يمسكون بكراسات اللغة العربية ، يستذكرون دروسهم في ضوء النهار .. وتكتشف داخل بيوتهم وبجوار لمبات الغاز .. لوحات الاردواز السوداء يكتبون عليها بالطباشير ، ويتعلمون حروف الهجاء العربية !

صورة لا يمكن أن تخطئها العين ..

تماماً كصورة الطبيعة هنا .. الطبيعة العذراء بكل عنفوانها وشموخها وطزاجتها .. البحر .. والرمال البيضاء وأشجار جوز الهند .. والنباتات الاستوائية العملاقة !

المكان .. جزر المالديف ..

على الخريطة تستطيع أن تحددها .. جنوبي غرب كل من الهند وسريلانكا .. وهي تمتد من درجة ٧,١٠ شمالي خط الاستواء ، الى درجة ٠,٤٥ جنوباً ..

أغرب مطار في العالم

والطائرة تقترب من هذه الجزر .. ترى من الجو منظراً فريداً .

سلسلة من البقع اللونية وسط المحيط الهندي .. كتلة من اللون الأخضر الداكن يحيط بها شريط من اللون الأبيض .. وكل كتلة من هذه يتدرج من حولها اللون الأزرق بكل درجاته .. لون المياه في المحيط !

وهذه الكتل .. أو البقع اللونية .. تأخذ أشكالاً مختلفة أحياناً مستطيلة .. وأحياناً دائرية .. وأحياناً مثلثة !

كل كتلة ، هي في الحقيقة .. جزيرة وسط المياه والجزر تقترب ، وتبتعد عن بعضها .. وكأنها حبات عقد من الألوان .

وجزر « المالديف » تتكون من ١١٩٠ جزيرة .. تشكل « أرخبيلا » مستطيلا في المحيط الهندي .

وعندما تبدأ الطائرة في الهبوط .. تتضح الصورة أكثر .. وتكتشف مدى جمال الطبيعة .. حيث تنبت الغابات الاستوائية في كتل كثيفة .. وسط نتوءات الجزر المرجانية التي شقت أمواج المحيط .

وتهبط الطائرة في أغرب مطار بالعالم ..

مطار داخل جزيرة كاملة .. وممر الهبوط يقسم الجزيرة نصفين .. بحيث ترى البحر على جانبي الممر .. وأمامك .. ومن خلفك ..

والجزيرة صغيرة ومخصصة بالكامل لكي تكون مطاراً ومبنى خدمات للركاب .. وهذا المطار افتتح



لقطتان .. الأولى : داخل أحد الفصول المدرسية .. والحصة في القرآن الكريم .. وكراسات اللغة العربية أمام كل تلميذة .. ثم لقطة أخرى لأطفال جزر المالديف



الدوحة

في رحلة على خط الاستواء ومن جزر المالديف


رئيس الجمهورية : الحاج مأمون عبدالقيوم


احدى فتيات « ماليف » تعمل على شبكة الاتصالات

في نوفمبر عام ١٩٨١ .. ويحمل اسم « هولولي » .. ويبعد عن جزيرة « مالي » العاصمة بحوالي ربع ساعة يقطعها القارب .. وهو وسيلة الانتقال بين الجزر المتناثرة ..

هذا المطار الحديث أعد ليستقبل الطائرات العملاقة التي تعبر خطوطها من أوربا الى آسيا .. وقد كان افتتاح هذا المطار حدثاً هاماً في تاريخ جزر « المالديف » حيث اعتبر هذا المطار بمثابة باب للعالم الخارجي .. يسهل الانتقال من وإلى « المالديف » .. وبالتالي ينشط حركة السياحة .. والتي تعتبر المصدر الثاني للدخل في ميزانية جمهورية « المالديف » بعد صيد الأسماك .

الحياة في مائتي جزيرة فقط !

والعاصمة « مالي » تقع في جزيرة لا يتعدى طولها ميلين .. وهي ليست أكبر جزر المالديف .. فهناك جزيرة « جان » ويبلغ طولها أربعة أميال ونصف ميل ..

أما باقي الجزر فلا يزيد طولها عن الميل الواحد ..

واذا كانت مجموعة جزر المالديف تتكون من ١١٩٠ جزيرة .. إلا أن الجزر المأهولة بالسكان مائتان فقط .. أما باقي الجزر فهي إما غابات كثيفة .. أو مسطحات من الرمال والصخور المرجانية .

وعدد سكان جمهورية المالديف يصل الى ١٧٥ ألف نسمة .. وأكبر تجمع للسكان يقع بطبيعة الحال في الجزيرة « مالي » العاصمة حيث يسكنها ٤٠ ألف مواطن .. وهؤلاء يمثلون عائلات التجار والموظفين بالمصالح الحكومية ، والمدرسين ، وطلاب المعاهد الدينية .

ومن أهم ملامح العاصمة .. ميناء المراكب .. وسوق السمك .. ومبنى مجمع المصالح الحكومية حيث تتجمع كل الوزارات والإدارات في مبنى واحد .. ومبنى كلية دار العلوم (اللافتة باللغة العربية) .. ويضم عدداً من القاعات المجهزة للقراءة وللندوات ..

وتتلألأ تحت أشعة الشمس .. قبة مسجد العاصمة المكسوة بصفائح اللون الذهبي .

ودين الدولة هو الإسلام ..

وجميع أبناء « مالديف » يعتنقون الاسلام .. ولاتمنح صفة « المواطن » إلا للمسلمين فقط .. وإن كان القانون يسمح لغير المسلمين بالاقامة الدائمة وحق ممارسة العمل .

شيء من التاريخ

يرى المؤرخون أن الشعب « المالديفي » ينتمي أصلاً الى الجنس الآري الذي نزحت جماعات منه (قبل الميلاد) من شمال الهند الى سريلانكا وبقية المناطق المجاورة للهند .

بينما يرى بعض المؤرخين — لم يثبت هذا تماماً — أن هذه الجزر كان يسكنها مستوطنون قبل وصول الهجرة الآرية ..

ولكن الثابت الأكيد .. أنه في فترات لاحقة من تاريخ « المالديف » .. اختلط المالديفيون بكل من العنصر العربي والعنصر الأفريقي الشرقي .

وكان الشعب المالديفي — في الأصل — يعتنق البوذية .. حيث كشفت الحفريات الأثرية القديمة ، وجود ثقافة بوذية في المالديف خلال السنوات الألف الأولى الميلادية .. وقد تم إكتشاف أحد التماثيل البوذية ، بدا تكوينه ، أقرب إلى التماثيل الهندية منه الى مثيلاتها السريلانكية .. الأمر الذي يدفع الى الاعتقاد بوجود اتصالات وعلاقات ثقافية مباشرة مع الهند منذ القدم .

وقد اهتدى الشعب المالديفي الى الاسلام في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي .. من خلال داعية اسلامي يدعى « أبو البركات يوسف البربري » الذي قدم على مالديف من جماعات البدو القاطنين في شمال أفريقيا

الحقيقة الثابتة

ومجتمع « جزر المالديف » يشهد حالة من

الاستقرار .. والقناعة التامة .. اكتسب من الطبيعة النقاء والصفاء والهدوء، وتعلم من الاسلام السماحة ، والرضا ، والأخلاق الطيبة التي لا تعكر صفوها المطامع الخاصة أو الشرور.

إنهم يمتثلون ــ تلقائيا ــ لكل التعاليم الدينية المقدسة ..

بل يؤرخون الجريمة .. بآخر جريمة حدثت منذ ١٥ عاماً .. وكان مرتكبها أحد الأجانب .. ويؤكدون على هذه الحقيقة بأن أبناء مالديف لم يرتكبوا أية جريمة طوال هذه السنوات.

وعندما تقترب من أبناء مالديف .. الذين يعيشون في الجزر البعيدة عن العاصمة .. تقترب أكثر من الحياة البدائية بكل بكارتها ونقائها ..

وقد أتاحت لي الظروف أن انتقل الى إحدى الجزر البعيدة (تبعد حوالي ثماني ساعات في المحيط من ميناء العاصمة) وأكثر ما أثار اهتمامي .. تلك المجاميع الهائلة من الأطفال الذين خرجوا على شاطيء جزيرتهم .. يتأملون هذا القارب القادم إليهم .. وهؤلاء الزوار «الأجانب».

وعندما حط القارب بالقرب من الشاطيء .. وقف الأطفال يكتمون دهشتهم وهم يشاهدون الزوار الأجانب يسيرون بينهم .. لا أحد يعترضك .. ولا أحد يسألك ..

وتزداد دهشتنا نحن .. ومرافقنا «المالديفي» يقود خطواتنا الى داخل الجزيرة .. ووجوه النساء والرجال العجائز ترقبنا في فضول .. ولكن في صمت ؛ يكفي أن تلقي عليهم عبارة «السلام عليكم» فتشعر بالطمأنينة والترحيب على وجوههم وهم يردون«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ..

ومرافقنا «المالديفي» يدعونا لدخول منازل أهالي الجزيرة ..

المنازل بسيطة جداً .. ومتواضعة .. ولكنها نظيفة جداً ..

الملابس نظيفة .. ومغسولة بعناية .. والأطفال وجوههم تنبض بالحيوية وبريق النظافة .. الشعر المغسول ، اللامع .. وقمصانهم البيضاء ، والصنادل الخفيفة في أقدامهم.

الدين يحض على النظافة .. وهم مؤمنون تماماً ..

والمنازل تفتح لنا بلا أي سؤال أو إعتراض .. أطفال كثيرة .. والسن متقاربة .. وكأنهم كلهم ولدوا في أعوام قليلة متلاحقة ..

بعض العجائز .. يشغلون وقتهم في صنع وزخرفة الأواني الخشبية .. معداتهم بدائية قديمة .. يستعملون أيديهم وأقدامهم في تشغيل تلك المعدات وطلائها.

نماذج قليلة من المشغولات اليدوية .. وعندما تبدي اعجابك بها ،لابد أن تتساءل .. لماذا لا تصبح هذه المشغولات بداية لصناعة تدر دخلا على أصحابها .. لماذا لا يصبح في كل بيت مشغل خاص وآلات أكثر تطوراً ؟

وتأتي الاجابة هادئة تماماً ــ مثلهم ــ إنهم يصنعون هذه المشغولات ليس من أجل زيادة



رياضة القوارب الشراعية التى تجذب الكثير من سياح العالم إلى جزر المالديف



داخل استوديو فى تليفزيون جزر المالديف

الدخل .. ولكن كنوع من الهواية والمزاج الخاص ..

إنهم قانعون جدا بما يرزقهم به البحر .. ولا يحلمون بأكثر مما يملأ بطونهم .. ثم ينامون بلا هواجس أو أطماع !

إنهم يعيشون على الأسماك .. وثمار جوز الهند ..

من الأسماك ما يؤكل طازجا .. ومملحاً .. ومجففا.

ومن الأشجار ما يبنون به بيوتهم .. ويصنعون مراكبهم الصغيرة.

وتسأل عن الشباب .. أين ذهب شباب الجزيرة ؟ فأغلب الذين تقع عليهم عيناك إما أطفال أو نساء أو رجال عجائز ..

ويأتي الرد بأن الشباب إما انتقلوا الى العاصمة «مالي» بحثاً عن العمل .. وإما ارتحلوا الى الجزر السياحية ليعملوا في الفنادق السياحية.

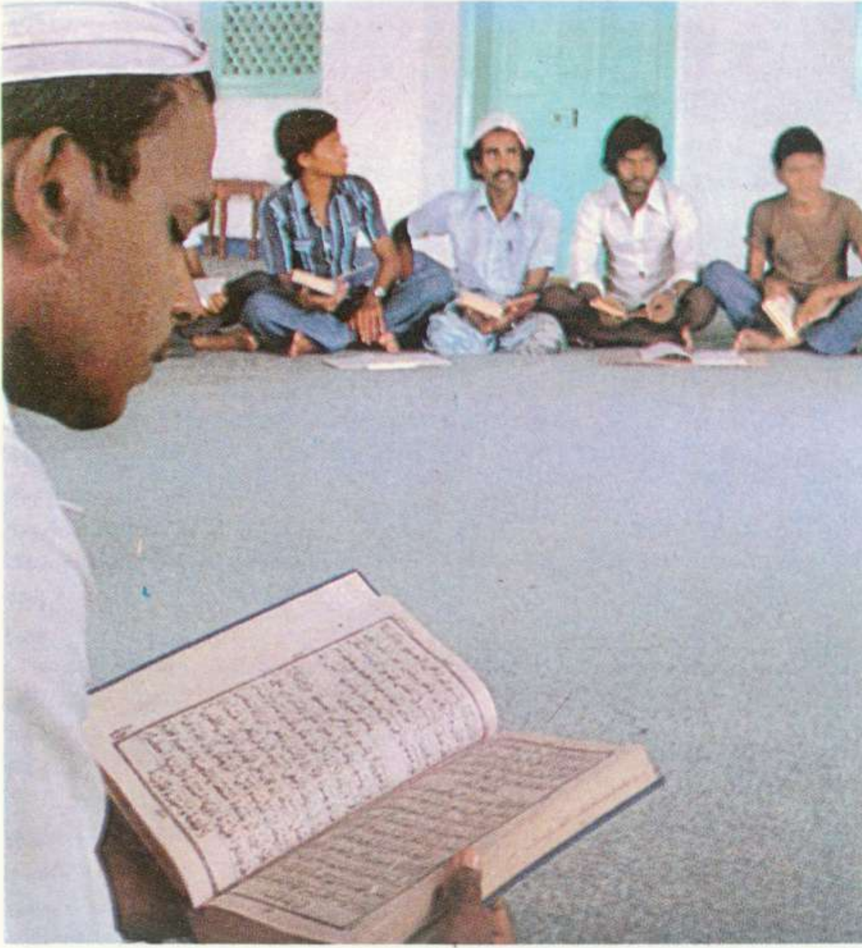
جزر للسياح .. فقط !

ومع تدفق حركة السياحة الى جزر المالديف .. قررت الحكومة تخصيص ٤٨ جزيرة لاستقبال السائحين ..

وهذه الجزر السياحية .. مغلقة تماما أمام

الدوحة

في رحلة على خط الاستواء ومن جزر المالديف


حصة دينية في صحن أحد المساجد في العاصمة



الموطنين العاديين .. فليس من حقهم السكن بها .. أو التعامل معها إلا من خلال « تصاريح » خاصة تصدر من المسئول الإداري لكل جزيرة ..

وهذه الجزر أصبحت تشكل حلماً أرحب بالنسبة للشباب .. فهي تمثل لهم فرصاً جديدة للعمل وإكتساب الخبرات .

ولكن حتى هذا الحلم .. ينظر له البعض . على أنه الطريق للفساد والإنحراف .. فالاحتكاك بالسائحين قد يورث أفكاراً ومعتقدات خاطئة ، وخطيرة ..

ولهذا تسمعهم هنا .. يتكلمون بشوق وحنين الى ليالي القمر عندما تهل على أهالي الجزر .. فيخرجون من منازلهم .. يتسامرون في حب وإخاء .. وكيف تنسحب هذه الليالي الجميلة أمام حلم الهجرة الى الجزر السياحية .. والتي تضاء بالمولدات الكهربائية .. ويسود فيها صوت شرائط الكاسيت بالموسيقى الغربية !

والمشكلة قد تبدو رومانسية .

ولكنها بالتأكيد إحدى تحديات التطور .. التي يواجهها رئيس جمهورية « المالديف » الحاج مأمون عبد القيوم .. ومعه البرلمان والأجهزة التنفيذية ..

ورئيس جمهورية المالديف الحاج « مأمون عبد القيوم » .. من عائلة متوسطة في « مالي » .. ولد عام ١٩٣٧ .. وقضى فترة من صباه وشبابه الأول في مصر .. تعلم في الأزهر الشريف .. ثم استكمل دراسة القانون والفلسفة من الجامعة الأمريكية في القاهرة .. وحصل أيضاً على شهادة القانون الاسلامي والفلسفة من جامعة « أحمدو بيلو » بنيجيريا من عام ٦٩ ــ ٧١ .

وقد انتخب رئيساً لجمهورية المالديف في عام ١٩٧٨

ويعتبر رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ، ورئيس السلطة التنفيذية في نفس الوقت .. ويتم ترشيحه من قبل مجلس الشعب أولاً عن طريق الاقتراع السري .. ثم يطرح للإنتخاب الشعبي في استفتاء عام .

وفيما يتعلق بالسلطة التشريعية فهي تتركز في مجلس الشعب الذي يتكون من ٤٨ عضواً ، يعين الرئيس ثمانية أعضاء منهم .. ويتم اختيار الباقي بواسطة الانتخابات العامة بحيث يكون عضوان من « مالي » ــ العاصمة ــ ثم عضوان من كل مجموعة جزرية .

وجزر المالديف مقسمة الى ١٩ اقليماً ، يرأس كل منها رئيس مسئول يتم تعيينه من قبل رئيس الجمهورية .

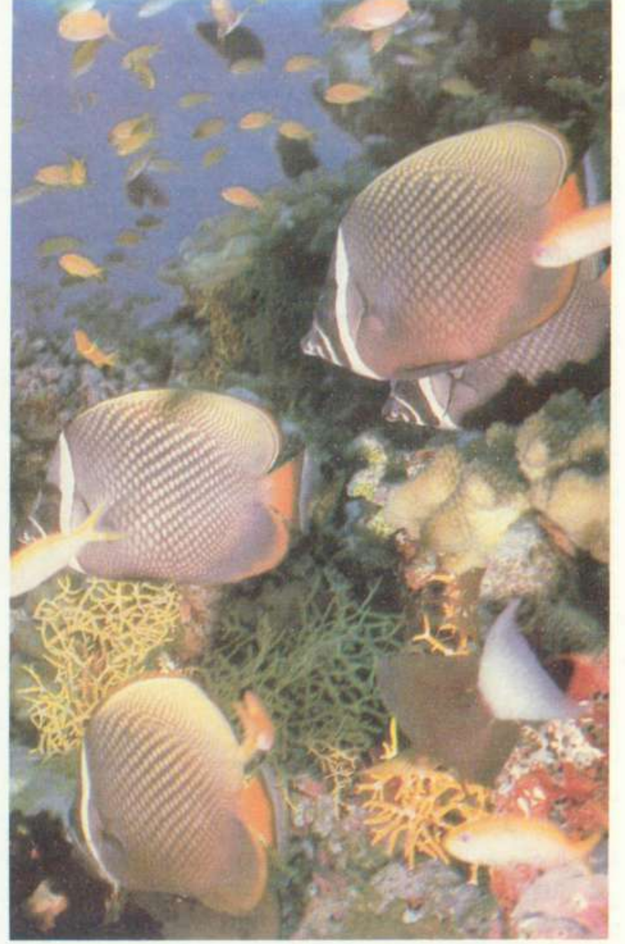
السمك الطائر .. والمياه المضيئة

ولأن الجزر متناثرة .. ومتباعدة في المحيط الهندي .. (تمتد مساحة ٨٢٠ كيلومتر طولاً و ١٣٠ كيلومتر عرضاً .. وتشغل مساحة كلية قدرها ١٠٦,٦٠٠ كيلومتر مربع .. تحتل اليابسة منها ٢٩٣ كيلومتر مربع فقط) ...

لذلك تعتبر رحلة التنقل من جزيرة الى أخرى .. رحلة لا يقوم بها المواطنون إلا لظروف قصوى .. فكل جزيرة تعتبر مجتمعاً مستقلاً متكاملاً ..

ولكن بالنسبة للسائح ــ مثلي ــ فرحلة التنقل بين بعض الجزر .. كانت فرصة نادرة للاستمتاع برؤية الأنواع النادرة من الأسماك وهي تسبح تحت الماء .. ونظراً لشفافية الماء وخصوصاً بالقرب من شواطىء الجزر .

أما في أعماق المحيط .. فقد تصادف مجموعات « الدرافيل » وهي تسبح بجوار بعضها .. وتقفز في



كل الألوان .. وأندر أنواع الأسماك فى المحيط الهندى



جمال الطبيعة فى إحدى جزر المالديف

الهواء للحظات .. ثم تختفي تحت الماء .. وقد تصادف بعض أنواع السمك الطائر .. الذي يشق الأمواج ليطير في الهواء لمسافة طويلة ثم يعود مرة أخرى الى الماء .

وهواة الغوص في أعماق المحيط والذي يأتون من أنحاء أوربا في مجموعات سياحية .. يمارسون رياضتهم ويتحدثون عن مشاهداتهم المثيرة .. وبعضهم يستغل هوايته في تصوير الأفلام السينمائية العلمية تحت الماء .. أو يؤلفون الكتب ولكن مهما قرأت .. أو سمعت .. إلا أن المشهد

الذي لا يمكن أن تتخيله .. هو كيف تضيء أمواج المحيط ليلا بوهج الفسفور .. عندما تتكسر الأمواج على حافة القارب .. فيبدو ضوء الفسفور كحبات من الماس .. أو تشكيل من النجوم المتلألأة وسط المياه .

عشرون عاماً .. من الاستقلال

وجمهورية « مالديف » تحتفل هذا العام بمرور عشرين عاماً على استقلالها .

فمنذ عام ١٨٨٧ وجزر المالديف كانت محمية بريطانية وذلك بموجب الاتفاقيات المبرمة بين

السلطان محمد معين الدين والحاكم البريطاني في سيلان .. وكانت مالديف تدفع ، بمقتضى هذه الاتفاقية ، اتاوة سنوية للحاكم البريطاني في سيلان .. ثم توقفت عن الدفع منذ سنة ١٩٤٨ ، حيث منحت شكلاً من اشكال الحكم الذاتي .

وفي يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٥ ، أصبحت « مالديف » دولة مستقلة ذات سيادة ، بعد التوقيع على اتفاقية الاستقلال بين « مالديف » والمملكة المتحدة .

ومما هو جدير بالذكر أن « مالديف » لم يقم بها أي حاكم أو مندوب إداري بريطاني ، طيلة فترة الحماية .. باستثناء سنوات الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حيث اتخذت بريطانيا تسهيلات عسكرية لها في الجزر الواقعة على الأطراف الشمالية والجنوبية .

وقبل فترة الحماية البريطانية .. يذكر تاريخ « مالديف » أنها تعرضت لفترة استعمار برتغالي ، استمرت ١٧ عاماً ابتداءاً من عام ١٥٥٨ .. حيث

كانت « مالديف » تابعة في تلك الفترة للحاكم البرتغالي المقيم بالقواعد البرتغالية في « جوا » بالهند .

ويحكي تاريخ « مالديف » عن ثورة الشعب المالديفي عام ١٥٧٤ بقيادة « محمد تاكوروفان » الذي يعتبرونه من ألمع الأبطال والذي نظم كفاح أبناء مالديف لطرد البرتغاليين من أرضهم .

رصيد للمستقبل

هذه بعض ملامح من الدولة الاسلامية « مالديف » التي تتشبث بلغة القرآن .. وروحه . وإذا أدركنا أن ٦٠ في المائة من مجموع السكان ، تقع أعمارهم تحت سن العشرين ..

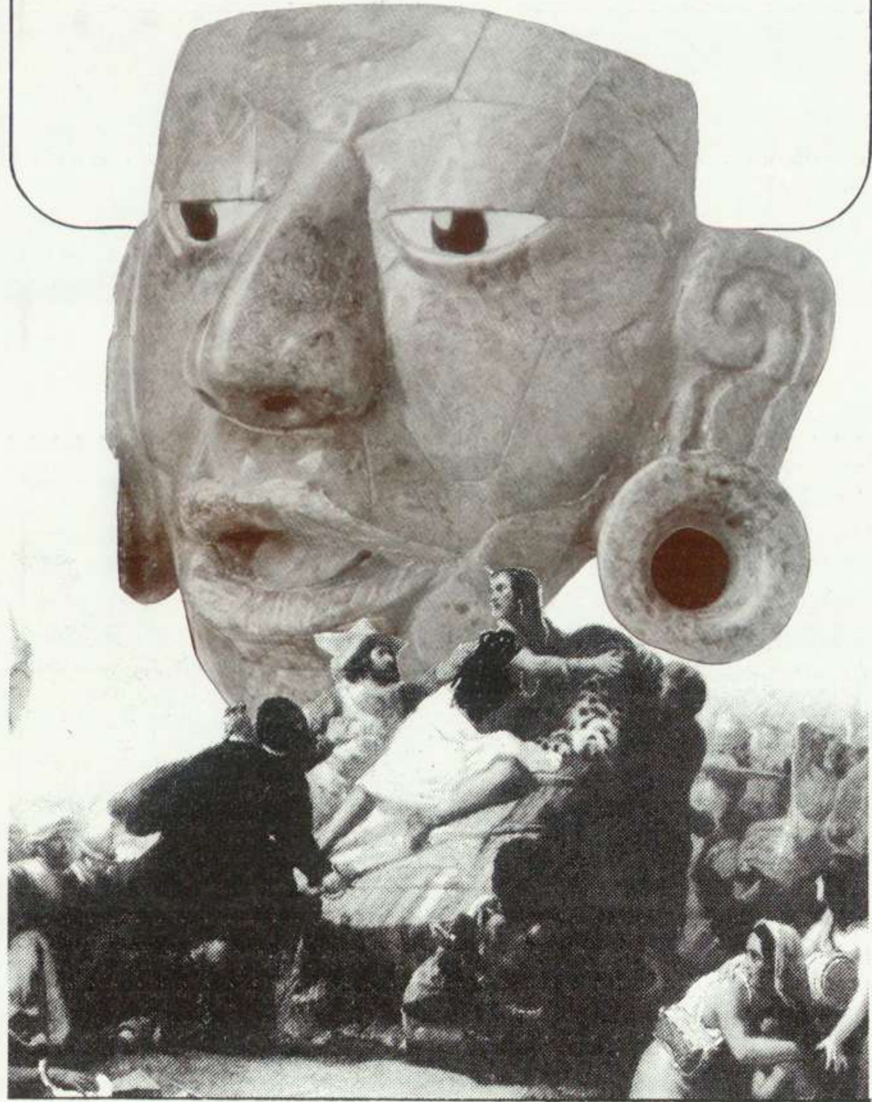
لاستطعنا أن نقدر حجم التحدي الذي تواجهه هذه الدولة في مجال التنمية والبناء .. ولاستطعنا أيضاً أن نفهم معنى حرصهم على تعليم اللغة العربية .

إنه باختصار .. اضافة لرصيد المستقبل .

رءوف توفيق

من روائع الفن الأمريكي قبل عصر «كولمبس»:

تسليط الأضواء من جديد على حضارة الهنود المنسية



قناع من مخلفات حضارة «المايا» يرجع إلى القرن الخامس الميلادى.. ولوحة للفاتح الاسبانى «بيزارو» يأسر ملك الأنكاغورا (١٨٤٦)

لم تسلط الأضواء على فنون الشعوب الأصلية لأمريكا اللاتينية إلا مؤخراً ، وكأن الرجل الأبيض الذى استعمر أمريكا منذ أكثر من أربعمائة عام شاء أن يخفى عمداً كل ما ينم عن حضارتها أو يشهد بتقدم سكانها الأصليين فى الفنون والصنائع كى يبرر استلاب هذه البلاد وابادة شعوبها ، وهى واحدة من أبشع جرائم الرجل الأبيض فى العصر الحديث .

ولكن الحقيقة لا تغيب الى الأبد . إذ خلال العشرات الأخيرة من السنين بدأ العالم يعرف أن من يسمون بالهنود الحمر ، أى شعوب المايا والانكا والازتك وغيرهم من سكان أمريكا الأصليين ، كانت لهم حضارة متقدمة ، وبرعوا براعة منقطعة النظير فى صنع الحلى والأقنعة والتماثيل ، وفى زخرفتها وتطعيمها بالذهب والفضة والمجوهرات ، مما يدل على علو باع فى فنون الحضارة يضاف الى ما خلفوه من آثار عظيمة فى المعمار وتعبيد الطرق ومعرفة الهندسة والحساب والتقويم ، حتى ليقال أحياناً إن حضارة الهنود الحمر لم تكن تقل فى بعض نواحيها عن حضارة الفراعنة فى أزهى عصورها .

والآن ، تمتلىء المتاحف والمجموعات الخاصة فى أمريكا وأوربا بآلاف التحف والقطع الفنية التى خلفتها هذه الشعوب العريقة قبل مقدم الرجل الأبيض فى أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، ويعكف الباحثون والدارسون والنقاد على فحصها ودراستها بعناية ، وكأنها كنز كشف عن أسراره ، أو غنيمة غارقة ظهرت على سطح البحر ، فلا يزدادون إلا إعجابا وتقديراً لهذه الحضارات العظيمة الضائعة .

وقد قام عدد من الاخصائيين برئاسة جاك سوستيل بفحص مئات من هذه القطع المبعثرة فى المتاحف والمجموعات الخاصة ، واختاروا منها ٤٠٠ قطعة فنية قاموا بنشرها علمياً فى مجلد ضخم ظهر خلال شهر ابريل الماضى بعنوان «روائع من الفن الأمريكى قبل عصر كولمبس» ، ومعظمها لم يكن معروفاً من قبل إذ كان فى طى الكتمان ، وهى تنشر الآن على الجمهور لأول مرة .

وقد تسربت هذه الروائع عن طريق عمليات السرقة والنهب للمواقع الأثرية فى أمريكا اللاتينية ، تلك التى لم تنقطع منذ القرن السادس عشر حين وصل الفاتح الأسبانى دى كورتيز الى أرض الازتيك (المكسيك حالياً) فى عام ١٥٢١ وحاصر عاصمتها «تينو شتيتْلان» ودمرها عن بكرة أبيها بما فيها من قصور ومعابد تنطق بروعة الحضارة الازتيكية ، وأطلق يد جنوده فى نهب تحفها . وتكرر نفس الشيء فى بيرو عام ١٥٣٣ على يد الفاتح الأسبانى بيزارو الذى استطاع بجنوده الذين لا يتجاوزون ١٨٠ فرداً تدمير

بقلم: محمد العزب موسى


نموذج من الفن الزابوتيكي الذي إزدهر في القرن الرابع الميلادي، تم العثور عليه في المكسيك


قناع مغطى بطبقة من الصدف، من مخلفات حضارة «تيو تيهوا كان» في القرن الرابع الميلادي

حضارة الإنكا العظيمة بعد أن أسر امبراطورها «أتوالابا» في عمل يعد من أوقح وأخس الأعمال على طول التاريخ. وفي «يوكاتان» حدث نفس الشيء أيضاً في حضارة «المايا» التي ازدهرت آلاف السنين ثم انهارت كخيوط العنكبوت لدى أول لمسة من أصابع الرجل الأبيض.

وقصة انهيار حضارة الانكا بالتحديد تستحق أن تحكى كمثال على خسة ودناءة الفاتحين الأسبان، اذ عندما وصل المغامر الأسباني بيزارو بثلته الصغيرة من الجنود الى مشارف مملكة الانكا المنيعة في جبال بيرو، قرر الامبراطور اتوالابا أن يذهب بكل حاشيته وجيوشه الجرارة للقاء هؤلاء الغرباء، وليكن سلام ومحبة إذا خلصت نية القادمين أو فلتكن هي الحرب. يقول بيدرو ابن عم بيزارو قائد الغزو «رأيت كثيراً من الجنود الأسبان يبولون على أنفسهم دون أن يدروا من شدة الخوف عندما رأوا هذه الجيوش الجرارة». ولكن بيزارو قرر استغلال عنصر المفاجأة لشن هجومه الغادر، وكان قد أخفى جنوده ومدافعه الصغيرة داخل فتحات بعض الأبنية، وعند اشارة متفق عليها مسبقاً هدرت المدافع، وخرج الجنود الأسبان من مخابئهم، وانهمرت نيران البنادق على جموع الانكا الذين لم يروا في حياتهم، ولم يتصوروا في خيالهم، مثل هذه الأسلحة التي تحصد العشرات والمئات، فدب فيهم الذعر، واستبد بهم الهلع، حتى ان البعض منهم مات من شدة الرعب دون أن يصبه سلاح، ثم هجم الأسبان على محفة الملك، وانتزعوه منها، بعد أن قتلوا النبلاء الذين يحملونها.

كتب أحد الجنود الأسبان مفاخراً بهذا «النصر» يقول: خلال ساعتين كانت كل هذه القوات التي تتجاوز الثمانين ألفاً قد أبيدت أو تشتتت، وكان شيئاً لا مثيل له رؤية هذا الحاكم العظيم وهو يقع في الأسر خلال لحظات بعد أن جاء في قمة عظمته وقوته».

وبوقوع الملك أتوالابا في الأسر تشتت كل جيشه وذهب هباء، لأن الملك هو مركز العصب في مجتمع الإنكا، وبدونه لا يمكن أن يفعل أحد شيئاً، تماماً كخلية النحل إذا فقدت ملكتها تبعثرت وهلكت، ولذلك يقال ان فتح بيرو جاء نتيجة الحركة الشطرنجية «كش ملك» في أول اللعب!

وعرض الملك أتوالابا على آسريه أن يطلقوا سراحه مقابل أن يملأ احدى حجرات القصر بالذهب مرة، وبالفضة مرتين، وهو عرض رحب به بيزارو، وسرعان ما بدأت قوافل حيوان اللاما تخرج من شعاب جبال الانديز حاملة اطناناً من الكنوز المعدنية الثمينة التي برع فيها شعب الانكا، تماثيل آلهة وحيوانات وطيور، وكئوس ذهبية وفضية، ومجوهرات ومصاغ وموائد قرابين من الذهب الخالص والفضة النقية، بالاضافة الى سبعمائة من الصفائح الذهبية الكبيرة التي كانت تزين جدران معبد الشمس الرئيسي في العاصمة «كوزكو»، وجيء بهذه الكنوز الى الأسبان فدية للملك اتوالابا.

ولكن كل هذه التحف الرائعة سحقت دون رحمة وصهرت في آذان ضخمة لتحويلها الى سبائك من المعدن، ونقلوها إلى أسبانيا حيث سكت منها العملة الأسبانية.

من المحتمل أن تكون فدية الملك «اتوالابا» هي أكبر فدية دفعت في تاريخ الانسان، ان كل ثروة امبراطورية الإنكا التي جمعت خلال ألف سنة قد انهمرت بين يدى الأسبان لتملأ الحجرة بالذهب مرة وبالفضة مرتين، ولكنها للأسف لم تكن كافية لانقاذ حياة الملك، اذ بعد أن حصل الأسبان على آخر حمل جاء به آخر حيوان من قافلة اللاما، اقتادوا «أتوالابا» الى ميدان عام، وأعدموه. بزعم انه كان يتآمر لشن هجوم على الأسبان!

وكانت هذه فرية كبرى فإن قواد الانكا لم يجرءوا على مهاجمة الأسبان رغم قلة عددهم لأن مليكهم سجين بين أيديهم، وخشى الأسبان أن يطلقوا سراح الملك بعد أن دفع الجزية خوفاً من أن يصحبوه معهم في تغلغلهم داخل البلاد تحسباً من المفاجآت، لذا آثروا أن يقتلوه غدراً ثم وصلتهم تعزيزات جديدة استكملوا بها تدمير مملكة الإنكا.

ونفس هذا الغدر تقريباً تعرض له شعب الازتيك، إذ ظنوا أن الفاتح الأسباني دى كورتيز هو كبيرهم الغائب «كويتز الكوتل» الذى تقول الأساطير انه اختفى في الزمن السرمدى ووعد بالعودة إليهم مرة أخرى قادماً من البحر، وعلى هذا قابلوا دى كورتيز بحفاوة بالغة وأطاعوه، وقد استمرأ دى كورتيز هذا الوضع واستغله الى أقصى حد، وجعل الملك مونتيزوما ملك الازتيك يسير في حاشيته، حتى أحكم الحصار على عاصمته، ودكها دكا، وأقام على أنقاضها مدينة المكسيك.

وخلال القرون التالية جهد المستوطنون الأوربيون عموماً من أسبان وبرتغاليين وفرنسيين وانجليز وغيرهم في انكار أى فضل أو حضارة لمن أسموهم بالهنود الحمر، ورموهم بالبربرية والتخلف والهمجية، توطئة لاستئصال شأفتهم، واستعبادهم، وابادتهم.

ولكن، كما ينتصر الحق على الباطل ولو بعد طول المدى، أخذت شواهد هذه الحضارات المنسية المظلومة تظهر على السطح من جديد لتؤكد لنا: كم كانت هذه الحضارات عظيمة، وكم كان أهلها بارعين في كل شيء عدا الغدر واللؤم اللذين تميز بهما القادمون من وراء البحار.

وردت كلمة « مخ » لأول مرة فى البردية المصرية « ادوين سمث » والتى ترجع الى سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد .. والعجيب أن هذه الكلمة لم تعرفها لغات الدنيا كلها فى ذلك الوقت .. فحتى الوثائق الطبية الاغريقية القديمة لم يرد فيها ذكر كلمة « مخ » إلا بعد أكثر من ٢٠٠٠ سنة . وفى دقة بالغة تصف البردية المصرية تجاعيد المخ الخارجية وتشبهها بسطح المعادن بعد صهرها ، وتضيف البردية بأن المخ هو مركز التحكم العصبى فى الجسم البشرى ، وأن إصابة الرأس والمخ قد تؤدى الى اضطراب التحكم فى مختلف أجزاء الجسم بما فى ذلك القدمين .. والعجيب أن يرد ذكر لكسور الجمجمة المنخفضة وعلاقتها بشلل الجسم .. والتشنجات الناتجة من إصابة الرأس . كما يرد ذكر أهمية التحكم العصبي فى حركة عضلات الجسم ، هذا بالاضافة إلى وصف دقيق لمرض « التيتانوس » الناتج بعد اصابة الرأس .

من أسرار المخ

بقلم : الدكتور سامي عزيز

وبداية فإنه يمكن تقسيم الجهاز العصبي الى قسمين رئيسيين :

١ ــ المجموعة المركزية : وتتركب من المخ الذى بداخل الجمجمة والنخاع الشوكى الذي بداخل القناة الغضروفية .

٢ ــ المجموعة الفرعية : وتشمل الألياف العصبية العديدة وعقدها المختلفة وهي :

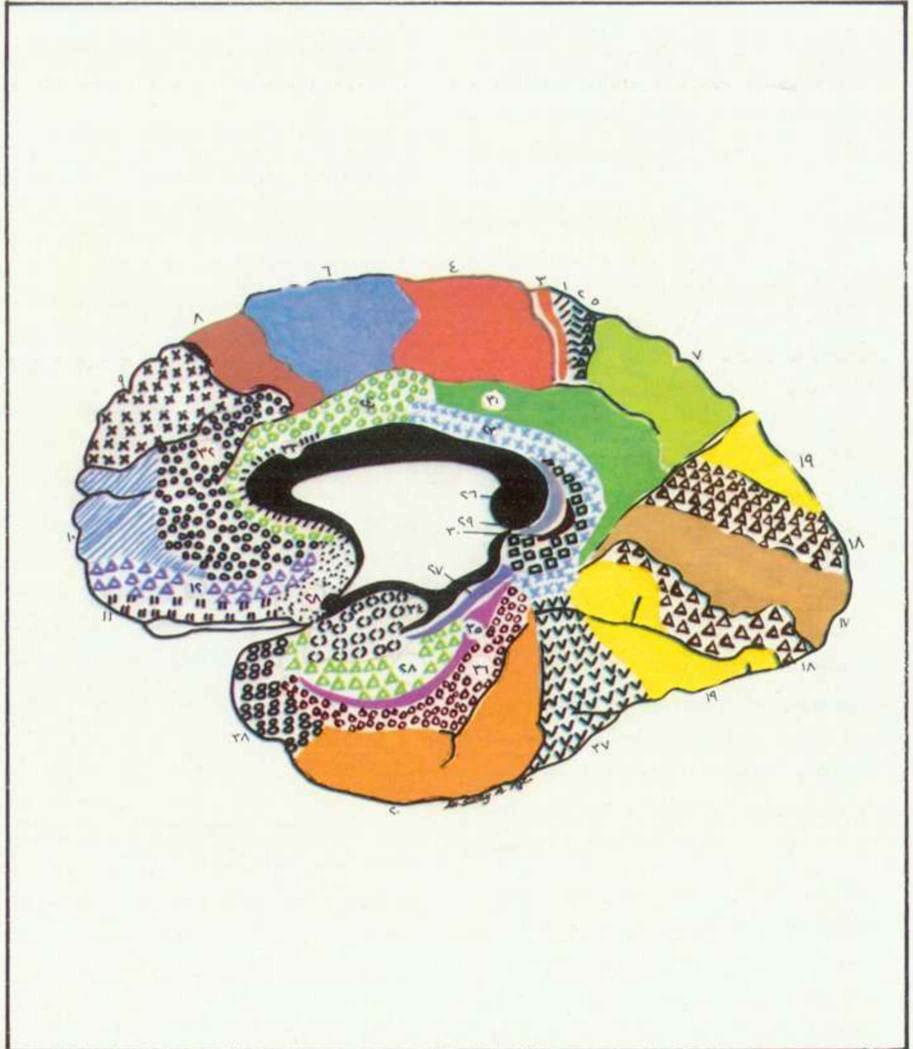
- ــ الأعصاب الدماغية وعددها ١٢ على كل جانب .
- ــ الأعصاب النخاعية الشوكية وعددها ٣١ على كل ناحية .
- ــ الأعصاب اللاارادية ، وتنحصر فى الجهاز السيمبثاوى (التعاطفى) والجهاز الباراسيمبثاوي (نظير التعاطفى) .

وسنقتصر فى الحديث عن المخ ، الذى يمكن تقسيمه إلى المخيخ ومقدم المخ :

أولا .. المخيخ : يصل وزن المخيخ فى المتوسط حوالى ١٤٥ جراماً ويقسم عادة الى ٢٠ قسماً وستة جسور تصله بباقى أقسام الجهاز العصبي المركزي . أما بالنسبة لوظيفته فاننا نجد :

- ــ الجزء الأمامى منه يختص بالتوازن .
- ــ الجزء الأوسط منه يختص بايصال الأوامر لعضلات الجسم المختلفة .
- ــ الجزء الخلفى منه يختص بتنسيق الأعمال الارادية ، لذلك يمكننا أن نقول عنه أنه مركز توافق وانسجام حركات الجسم الارادية .

لذلك فتخريب المخيخ فى الطير يفقده الاتزان والقدرة على الطيران فيهوى على الأرض . كذلك تخريب الجزء الأمامي من المخيخ فى الكلب يجعله يسقط للأمام أثناء المشى .. أما تخريب الجزء الخلفى فيجعله يسقط للخلف .. وتخريب نصف المخيخ يجعله لا يستطيع الوقوف فيندفع باتجاه



شكل (١) سطح المخ فى الانسان ، وتظهر عليه أهم مراكزه

● مُخّ الجنين يتكوّن من ١١ مليارًا من الخلايا العصبية
● كل من يقل وزن دماغه عن كيلوجرام .. فهو من المعتوهين
● بعض الزواحف يصل وزنها إلى ١٤٠٠ كيلوجرام ولا يزيد مُخّها عن ٧٠ جرامًا

شكل (٢) مناطق الجسم المختلفة ممثلة فى المنطقة الحركية للمخ

العلاقة بين وزن المخ ووزن جسم الحيوان علاقة هامة فى تحديد الذكاء والعبقرية

واحد وتتباعد أطرافه .

والتخريب الكامل للمخيخ يجعل الحيوان أو الانسان يضطرب ويفقد الانسجام ويتطوح فى مشيته كالسكران فى خط متعرج مع اهتزاز فى الرأس والجسم .

ثانياً .. مقدم المخ : وهو عبارة عن نصفي كرة ويكون الجزء الأكبر من حجم المخ ويقع أعلى المخيخ .. وسطح مقدم المخ أملس فى الظاهر ولكنه فى الواقع يحتوى على شقوق عميقة تسمى « الأخاديد » ويترتب على ذلك حدوث ثنيات بين الأخاديد تسمى « التلافيف » . وصورة الأخاديد والتلافيف واحدة تقريباً فى أمخاخ الناس جميعهم ولكنها تختلف فى خصائصها من فرد إلى فرد . وفى الشيخوخة تميل الأخاديد الى الاتساع كما تجنح التلافيف الى الانكماش . ويتميز نصفا كرة المخ كسائر أجزاء الجهاز العصبي المركزي إلى :

● ــ المادة الرمادية والتى تسمى أيضاً قشرة المخ وتحوى الخلايا العصبية .

● ــ المادة البيضاء وتحوي الألياف العصبية (المحاور العصبية) .

ويمكن تقسيم نصفي كرة المخ إلى فصوص .. ويسمى كل فص بحسب منطقة الجمجمة التى تعلوه . وهذه الفصوص هي :

١ ــ الفص الجبهى .
٢ ــ الفص الجدارى .
٣ ــ الفص المؤخري .
٤ ــ الفص الصدغي .

وحتى تسهل دراسة كل جزء من قشرة المخ دراسة وظيفية ، تم الاتفاق على تقسيمه الى مناطق صغيرة ، وسميت كل منطقة برقم معين .. فمثلا :

الفص الجبهى يشتمل على المناطق رقم ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٤٤ .

والفص الجدارى يشتمل على المناطق رقم ٣ ، ١ ، ٢ .

والفص المؤخرى يشتمل على المناطق رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

والفص الصدغى يشتمل على المناطق رقم ٥٢ ، ٤١ ، ٤٢ .

لذلك فوظائف المخ يمكن دراستها بحسب الفص والمنطقة التي تختص بها (شكل رقم ١) .

١ ــ الفص الجبهى :

أكثر نمواً فى الانسان بالمقارنة إلى سائر الحيوانات ويختص بالوظائف العقلية العليا كالحكم والتقدير والتدبير بالاضافة إلى ادراك بعض الأحاسيس كالشعور بالألم . أما الجزء الخلفي من الفص الأمامي فيختص بالحركات الارادية .. إذ أن الخلايا العصبية الموجودة فى قشرة المخ بهذا الجزء (المنطقة الحركية) تصدر منها السيالات الباعثة على الحركة .. وامكن بعد تجارب عديدة باستخدام أقطاب خاصة لتنبيه خلايا هذه المنطقة التأكد من أن مناطق الجسم المختلفة ممثلة فى المنطقة الحركية

للمخ بطريقة مقلوبة . فيمكن تمثيلها (كما فى الشكل رقم ٢) بصورة رجل مقلوب .. الرجل إلى أعلى فى تقابل السطحين الانسي والوحشى ، واليد والفم الى أسفل ناحية الفص الصدغي .

٢ ــ الفص الجدارى :

المنطقة رقم ٣ ، ١ ، ٢ ، وتختص بالاحساس غير المتخصص مثل الاحساس باللمس والاحساس بالوضع وبعض عناصر الاحساس بالألم ، والاحساس بالتغيرات المحدودة في درجة الحرارة .. وتجدر الاشارة هنا الى ان منطقة الاحساس تماثل المنطقة الحركية فى تمثيل مناطق الجسم المختلفة عليها بطريقة مقلوبة .

٣ ــ الفص المؤخرى :

ويختص باستقبال السيالات البصرية وتقديرها وتقويمها . ويشتمل هذا الفص على المناطق رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩ . أما وظائف هذه المناطق فى استقبال السيالات البصرية فهى كالاتي :

• ــ المنطقة رقم ١٧ : نرى بها الأشياء على هيئة مجموعة من الأضواء المختلفة الشدة .

• ــ المنطقة رقم ١٨ : نتعرف بها على الصور المختلفة .

• ــ المنطقة رقم ١٩ : يمكن بهذه المنطقة استدعاء وتذكر الصور المختلفة التى سبق رؤيتها .

لذلك ليس من الخطأ بل من الصواب أن نقول إننا نبصر بمؤخرة أمخاخنا وليس بعيوننا كما هو مألوف ، فالعين ما هى الا كاميرا لالتقاط الصور . أما إدراك هذه الصور وتقديرها والاحتفاظ بها فى الذاكرة فيختص به هذا الفص من المخ .

٤ ــ الفص الصدغي :

يختص الجزء الأوسط من التلفيف الصدغى الأعلى باستقبال السيالات السمعية . وسبق أن ذكرنا أن هذا الفص يشتمل على المناطق رقم ٥٢ ، ٤١ ، ٤٢ . وأما وظائف هذه المناطق فهي :

• المنطقة ٥٢ : تدرك الأصوات المختلفة على أنها نوع من الرنين أو الضوضاء .

• المنطقة ٤١ : ندرك بها معنى الأصوات المختلفة التى نسمعها .

• المنطقة ٤٢ : يمكن بها استدعاء وتذكر الأصوات المختلفة التى سبق أن سمعناها .

وتجدر الاشارة الى أن جميع مناطق القشرة يتصل بعضها ببعض بواسطة شبكة كبيرة من المحاور العصبية .. لذلك لا تستطيع منطقة من مناطق المخ أن تؤدى وظائفها مالم تكن اتصالاتها كلها سليمة سواء فى ذلك الاتصالات الصادرة منها والواردة إليها .

نمو المخ

يعتبر تكوين المخ فى الجنس البشرى من ظواهر النمو المبكرة . ويصل عدد خلايا مخ الجنين بعد اكتمال نموه الى حوالى ١١ مليارا من الخلايا العصبية .. وهذا يعنى أنه حتى يتوافر هذا العدد الهائل من الخلايا (١١ مليارا) فى وقت الولادة فإنه يجب أن يتم انتاج ما يقرب من عشرين ألف خلية عصبية كل دقيقة فى المتوسط .

وبعد الولادة يستمر المخ فى النمو بسرعة أكبر كثيراً من سرعة نمو أجزاء الجسم الأخرى بحيث يبلغ نموه لدى طفل فى الرابعة من عمره بمقدار يمثل ٩٠ فى المائة من وزنه حينما يصل الطفل مرحلة البلوغ .

ويظهر من هذا الجدول مقادير نمو المخ البشرى الطبيعى خلال العشرين سنة الأولى من العمر :

السن	وزن المخ بالجرام
عند الولادة	٣٤٠
٦ أشهر	٧٥٠
سنة كاملة	٩٧٠
سنتان	١١٥٠
٣ سنوات	١٢٠٠
٦ سنوات	١٢٥٠
٩ سنوات	١٣٠٠
١٤ سنة	١٣٥٠
٢٠ سنة	١٤٠٠

ويتضح من هذا الجدول أنه رغم أن مقدار النمو هو أعلى مقدار قبل الولادة ، فإن وزن المخ البشرى يزداد أثناء السنوات الخمس الأولى من الحياة بما يقارب ثلاثة أضعاف ما كان عليه . وتجدر الاشارة الى أن مقدار هذا النمو المتقدم لا يوجد له نظير لدى أى من الثدييات الأخرى . والأبحاث العلمية تشير إلى أهمية التغذية وأثرها على الطفل قبل الولادة وبعدها . فإذا لم تتلق الأم الغذاء الكافي أثناء فترة حملها ، فإن جنينها يتعرض لنقص شديد فى التغذية الضرورية له . ومن المعروف أن تغذية الجنين بعد الأسبوع السابع من الحمل تتم بواسطة المشيمة . والمشيمة ما هى الا عضو مؤقت أسطوانى الشكل تتلاقى عنده أوعية الجنين الدموية بأوعية الأم . ويتم تبادل المواد الغذائية والأوكسجين والهرمونات بواسطة المشيمة بين الأم وجنينها . وتؤكد الدراسات التى أجريت فى أحد المراكز المتخصصة فى الولايات المتحدة أن الأم التى تعاني من سوء التغذية تكون مشيمتها أصغر وأخف وزنا من مشيمة الأم التى تتلقى كمية كافية من الطعام المغذى السليم . كما أثبتت الدراسات التى أجراها الدكتور . زامنهوف الأستاذ بجامعة كاليفورنيا أن خلايا مخ الفأر المحرومة أمه من المواد البروتينية أقل عدداً من خلايا مخ الفأر الذى تحصل أمه على نصيب كاف من البروتين . كما توصل الى أن الحيوانات التى تعاني أمهاتها من ضعف فى مشيمتها يقل عدد الخلايا العصبية فى مخاخها عن المستوى الطبيعى عند الولادة .

والدراسات والأبحاث المنشورة فى المجلات الطبية تؤكد أن سوء تغذية الأم أثناء الحمل يعرقل نمو مخ مولودها ، لذلك كانت الحاجة إلى توجيه عناية خاصة إلى تغذية الأم أثناء فترة الحمل والرضاعة وخاصة فى دول العالم الثالث .

وزن الدماغ .. والعبقرية :

من المعروف أن الدماغ الذى يقل وزنه عن الكيلوجرام لا يوجد عادة الا فى المعتوهين والبلهاء وضعاف العقول بوجه عام . وفى دراسة شيقة نشرتها مؤخراً احدى المجلات الطبية المتخصصة .. حاول الباحث فيها أن يوجد علاقة بين وزن الدماغ والعبقرية . يذكر الباحث أن وزن دماغ « رفائيل » الرسام الشهير يوم مات كان ١١٦١ جراماً وأن وزن دماغ « اناتول فرانس » الكاتب الفرنسى الكبير ١١٧٠ ، وأما الكاتب الروائى الروسى « تورجنيف » فوزن دماغه يوم مات كان ٢٠١٢ جراماً ، وان السياسى بسمارك بلغ وزن دماغه يوم أن مات ١٨٠٧ جراماً كما أن الشاعر الالمانى شيللر كان دماغه يزن ١٥٨٠ جراماً .. ويؤكد الباحث بهذه الأدلة وغيرها على صحة نظريته .. العبقرية ترتبط بزيادة وزن الدماغ عن المعدل الطبيعى .

ولكن هذه النظرية ينقصها الكثير ، ولا يمكن الأخذ بها والا كان الرجل أذكى من المرأة على الدوام ، لأن متوسط وزن دماغه يزيد بأكثر من ٨ بالمائة على متوسط وزن دماغ المرأة . والواقع أن العبقرية لا ترتبط بوزن الدماغ بل بعوامل أخرى أهمها :

١ ــ مساحة مسطح قشرة المخ وحجمها (المادة الرمادية المحتوية على الخلايا العصبية) : فى الشخص العادى يصل مسطح قشرة المخ ٢٢٠,٠٠٠ ملليمترا مربعاً .. وثلث هذه المساحة فقط يمثل الجزء الخارجي الظاهرى من قشرة المخ أما الجزء الأعظم فيمثل الجدران الجانبية للشقوق العميقة (الأخاديد) التى سبق الحديث عنها . لذلك فمن نعمة الله علينا وجود هذه الشقوق الأخاديد وما ترتب على ذلك من حدوث ثنيات بين الأخاديد (التلافيف) مما أدى الى زيادة مساحة مسطح قشرة المخ وبالتالى زيادة عدد الخلايا العصبية الموجودة بها .

٢ ــ سمك هذه القشرة نفسه يلعب دوراً هاماً .. فكلما زاد سمك القشرة زاد فيها بالتالى عدد

● لمـاذا يتعـرّض الإنسـان للنسـيان .. وماهي العـوامل الطبيـعيـة التي تؤثـر في ذلـك ؟
● هـل هنالـك فـرق بـين دمـاغ المـرأة ودمـاغ الرجـل ؟

الخلايا العصبية المختلفة الأشكال والوظائف .. وتقدر هذه الخلايا بحوالى ١١,٠٠٠ مليون خلية . أما عدد الألياف العصبية (المحاور العصبية) التى تمتد فى المادة البيضاء لتصل مناطق المخ بعضها ببعض ، فتقدر بما يقرب من ٢٠٠ مليون محور عصبى .

٣ ــ نمو الفص الجبهى فى المخ البشرى ، وهو سمة من سمات التطور والرقي .. وتشير الأبحاث الى أن هذا الفص له علاقة بالمواهب العقلية المختلفة كالذاكرة والمعرفة هذا بالاضافة الى ارتباطه بالنواحى العاطفية . ولقد كان من المعتقد أن اصابة هذا الفص تؤدى إلى اختلال معدلات الذكاء .. ولكن تم عمل العديد من الدراسات على مجموعة من العسكريين المصابين فى الحرب العالمية الثانية باصابات أثرت على هذه المنطقة من المخ ، وتشير الأبحاث الى أن معدلات الذكاء لم تتأثر كثيراً بعد مرور أكثر من ١٠ سنوات من الإصابة ، هذا بالاضافة إلى أن ازالة الفص الجبهى على الجانبين أو قطع المسارات الواصلة بين هذا الفص وأجزاء المخ الأخرى كما يحدث فى العلاج الجراحى لبعض الأمراض النفسية والعقلية يجعل المريض عاجزاً عن ادراك السيالات الحسية رغم انه ما يزال يستقبلها . ويفقد المريض قدرته على التقدير الصائب والتخطيط السليم وقد يقوم بسلوك مخالف للنظم الاجتماعية التى اعتاد عليها بالاضافة إلى اضطراب النواحي الانفعالية والسلوكية لديه . وخلاصة القول أن قشرة المخ كلها بمناطقها المختلفة ، وليس الفص الجبهى وحده ، هى التى تحدد العبقرية .

٤ ــ نسبة وزن الدماغ إلى الجسم كله لها أهمية قصوى فى تحديد نصيب الانسان من العبقرية أو الذكاء بل لعلها أكثر أهمية من الوزن المطلق للدماغ . فالزواحف العملاقة التى تعود إلى العصر الجيولوجى الوسيط « السوزويت » . والتى تعرف باسم استجوسايرس **Stegosaurus** يصل وزنها ١٣ ــ ١٤ طناً أما مخها فلا يزيد وزنه عن ٧٠ جراماً . وبذلك تكون نسبة وزن المخ إلى وزن الجسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ وفى المقابل نجد المخ البشرى يصل وزنه فى المتوسط ١٤٠٠ جراماً وبذلك تكون نسبة وزن المخ إلى وزن الجسم ١ : ٥٠ . ويخدم الكيلوجرام الواحد من وزن الدماغ فى الفيل (وهو يزن ستة كيلوجرامات) ٥٠٠ كيلو جرام من وزن الفيل . والحالة أسوأ فى الحوت إذ يتحتم على كل كيلو جرام من الدماغ ان يعنى بحوالى أحد عشر طناً من وزن هذا الحيوان (شكل رقم ٣) .

لذلك هناك عوامل كثيرة تؤثر فى الذكاء والعبقرية من الجهة التشريحية .. ولا يمكن الأخذ بوزن الدماغ المطلق وحده لتمييز العباقرة .

تخزين المعلومات والذكريات

ما هو التعليم ؟ وأين تختزن المعلومات والذكريات ؟

وما هى التغيرات التى تحدث فى المخ من التعلم والتذكر ؟

ولماذا ننسى بعض ما نتعلمه ؟

التعلم هو العملية التى يتغير بفعلها السلوك . وهذا التغير السلوكي الذى يحدث من جراء التعلم يجب أن يلازم الانسان . فالانسان مثلا يولد قاصر العدة .. غير قادر على مواجهة مطالب الحياة الاجتماعية والمادية .. فهو اذن فى حاجة إلى التعلم والاكتساب طرفان أساسيان هما الانسان من جهة والبيئة الخارجية من جهة أخرى . ومن العبث محاولة ترجيح طرف على الآخر . ولابد هنا من التذكر حتى تلتئم حلقات الاكتساب وكى يصدر السلوك معبراً عن شخصية نشعر بوجودها وباستمرار وحدتها .

والذى يهمنا هنا ما أشارت إليه الأبحاث الحديثة فى هذا المجال .. فالأبحاث تشير إلى أن المعلومات تختزن فى المخ على هيئة تغيرات جزيئية فى بروتينات الخلايا . فمن المعلوم أن الخصائص الوراثية تنتقل من الوالدين إلى الجنين عن طريق تغيرات جزيئية فى شكل الحمض النووى د . ن . ا . وقد وجد أن عملية التعلم أو الاختزان (الذاكرة) تتم بواسطة تغير ثابت فى الحمض النووى د . ن . ا .

ومن أجمل التجارب التى أجريت فى هذا المجال ، التجارب التي قام بها « ماكونل » مثبتاً أهمية الحمض د . ن . ا فى عملية التعلم ، إذ قام بدراسة بعض الديدان البدائية المسطحة المسماة « بلانريا » . وتحتوى هذه الديدان على جهاز عصبى بدائى مكون من بعض المجموعات العصبية . وخرج من الدراسة بالآتى :

(١) الديدان تتمدد عند تعرضها للضوء ، وتنكمش عند تلقيها صدمة كهربائية خفيفة .

(٢) عند تعرض الديدان للضوء ثم إلى صدمة كهربائية وتكرار ذلك نحو مائة مرة فإنه يتولد انعكاس شرطي فى هذه الديدان حيث تنكمش الدودة عند تعرضها للضوء . أى انها تعلمت شيئاً جديداً .

وأخذ (ماكونل) الديدان التى قام بتعليمها ثم قسمها إلى مجموعتين . ووضع المجموعة الأولى فى محلول من طبيعته تحطيم الحمض النووى د . ن . ا . اما المجموعة الثانية فوضعها فى محلول مائى عادى . فلاحظ أن الديدان التى تحطم فيها الحمض النووى د . ن . ا . لم تتمكن من الاحتفاظ بما تعلمته وأصبحت تتمدد فى حالة تعرضها للضوء . اما المجموعة الثانية التى احتفظت بالحمض النووى د . ن . ا . فقد احتفظت بما تعلمته .

ولذا فالأدلة تشير إلى أن ما نتعلمه يختزن على هيئة تغيرات جزئية وشكلية فى الحمض النووى د . ن . ا .

وقد ساعد نجاح (ماكونل) فى تجاربه على ديدان (البلانريا) البدائية فى استكمال البحث فى هذا المجال على حيوانات أرقي لتأكيد دور الحمض النووى فى التعلم . ومن أفضل هذه التجارب ، التجربة التى تم فيها حقن بعض الفئران بكمية من الحمض النووى د . ن . ا . فى الغشاء البريتوني للبطن ، وذلك قبل التعلم وأثناء تدريبهم على بعض الاستجابات . وقد لوحظ أن الفئران التى حقنت بمادة ال د . ن . ا . تستجيب استجابة واضحة سريعة بالمقارنة إلى الفئران التى لم يتم تعليمها .

الا أن هناك عددا من التجارب التى تشير إلى أهمية المادة الكيميائية (الاستيل كولين) المنتشرة بين الأعصاب فى القشرة المخية في عملية التعلم . فقد لوحظ في بعض التجارب الحديثة أن مادة « الاستيل كولين » تزيد زيادة واضحة بعد عملية التعلم مما يوحي إلى دور هذه المادة فى عملية التذكر .

ولاشك أن كيميائية التعلم والتذكر مازالت مجالا خصباً للأبحاث الفسيولوجية والنفسية . ومازال هناك العديد من المواد الكيمائية التى لم يتم بعد اكتشاف ارتباطها بالتعلم والذاكرة . ومثل هذه الاكتشافات ستحقق فى المستقبل القريب بإذن الله قفزة واسعة للأمام إذ سنتمكن من تحسين طرق التعلم والتذكر وبالتالى اختزان قدر أكبر من المعلومات العلمية والثقافية والأدبية والجمالية .

ولكن أين تختزن المعلومات والذكريات ؟

● في الأوقـات العصيبـة يفـرز المـخ مـواد مهـدئـة ومخـدرة بصـورة طبيـعيـة وبـدون مؤثـرات خارجيـة

من أسرار المخ

● كل العباقرة يحملون أدمغة يزيد وزنها عن كيلوجرام .. وبعضها يزيد عن كيلوجرامين!



رفائيل
وزن دماغه : ١١٦١ جراما

اناتول فرانس
وزن دماغه : ٢٠١٢ جراما

شيللر
وزن دماغه : ١٥٨٠ جراما

بسمارك
وزن دماغه : ١٨٠٧ جراما

وفي أى مكان من المخ يتم حفظ المعلومات والأرقام والحوادث البصرية والسمعية ؟ وما هي أحسن الوسائل للتذكر ؟

تشير معظم الدراسات إلى أن الذاكرة تختزن بطريقة منتشرة في الجزء الخاص بها من القشرة المخية كما سبق أن وضحنا . فالمنطقة رقم (١٩) مثلا يمكن بها استدعاء وتذكر الصور المختلفة التى سبق رؤيتها . والمنطقة (٤٢) يمكن بها استدعاء وتذكر الأصوات المختلفة التى سبق ان سمعناها وهكذا . أما الذكريات المعقدة (معلومات وأرقام وحوادث بصرية وسمعية) فهى تحتاج لعدة معدلات حسية في كل مناطق الحس .

وتعتبر عملية التسميع الذاتي من أحسن الوسائل للتذكر والاحتفاظ بالمعلومات لأطول فترة ممكنة ، حيث يتم دراسة الجملة الأولى ثم تسميعها ذاتياً من الذاكرة ثم تعلم الجملة الثانية وتسمع ذاتياً الجملة الأولى والثانية وهكذا . وبتلك العملية نستدعي المادة التى درسناها في فترات متعاقبة قريبة من بعضها . وقد ثبت تجريبياً فوائد هذه الطريقة عند قراءة الفصل بأكمله عدة مرات في الاحتفاظ بالمعلومات لفترات أطول . هذا بالاضافة إلى أهمية تقسيم وتلخيص ما ندرسه ، ووضع عناوين رئيسية للموضوع . وتكرار استذكارنا للموضوع من وقت لآخر بطريقة التكرار المتقطع وليس التكرار المتكامل يتيح لنا الفرصة إلى الاحتفاظ بالمعلومات لفترات أطول . وهناك عوامل كثيرة تؤثر في التذكر سنناقشها باسهاب في مقال قريب بإذن الله .

ولكن لماذا ننسى ؟

التعلم كما سبق أن وضحنا تصاحبه تغيرات في تركيب البروتينات والحمض النووى د . ن . ا . وهذه التغيرات الجديدة في البروتين تفسر لنا كيفية الاحتفاظ بالمعلومات التى تعلمناها . الا أن هناك عدداً من العوامل مثل الجلسات الكهربائية ومثبطات تركيب البروتين قد تؤدي إلى عدم الاحتفاظ بالمادة المتعلمة إذا ما أعطيت مباشرة بعد عملية التعليم . أما اذا مر بعض الوقت قبل اعطاء هذه المثبطات فهنا تختزن المعلومات دون أن تتأثر بهذه الموانع .

ومن هنا جاءت أهمية النوم بعد التعلم . فلقد لوحظ أنه اذا نام الفرد بعد تعلمه بعض المواد مباشرة فإنه يتذكر هذه المواد بطريقة أوضح عما إذا تعلمها أثناء النهار . ربما يرجع ذلك إلى تداخل أوجه النشاط المختلفة أثناء النهار وكثرة المؤثرات التى من شأنها أن تؤثر على عملية تدعيم المعلومات وبالتالي يسهل نسيان المواد المستذكرة . اما النوم بعد الاستذكار فإنه يعطى فرصة كاملة لتدعيم هذه المعلومات وعدم تداخلها مع أى نشاط أو مؤثر آخر وبالتالي يسهل تذكرها .

والأبحاث الحديثة تشير إلى أن خلايا المخ تفرز مادة كيميائية (الاندورفين والانكفالين) لها نفس تأثير المورفين ، لذلك سميت « بأفيون المخ الطبيعى » وهذه المادة يزيد افرازها في أوقات الألم والأزمات النفسية والعاطفية واتضح أخيراً أن لها دوراً في عمليات التعلم والتذكر والنسيان .

الجديد من أسرار المخ :

في سنة ١٩٧٧ تقاسم العلماء الأمريكيون بلو ، وجيلمان ، وشالي جائزة نوبل في علم الفسيولوجيا نتيجة اكتشافهم قدرة خلايا المخ على افراز مواد طبيعية لها تأثير المخدرات والمورفين والهيروين والمطمئنات المختلفة . كما توصلوا إلى طرق الكشف وقياس هذه المواد الموجودة في المخ وتحت المهاد (الهيبوثلاموس) وأيضاً في الغدة النخامية . والمخ يفرزها في وقت الألم وفي وقت الأزمات النفسية .

ووجد حديثاً أن المورفين الطبيعى على أنواع ، أهمها :

١ ــ مجموعة الانكفالين : لها نفس تأثير المورفين وتتركب من خمسة أحماض أمينية ، وغالباً ما توجد في النهايات العصبية عند اتصالها بالخلايا العصبية .

٢ ــ مجموعة الاندورفين : وتتركب من ٣١ حمضا أمينياً ، وهى على أنواع فمنها :

- ألفا اندورفين .
- بيتا اندورفين .
- جاما اندورفين .

ولقد وجد أن الألفا والجاما اندورفين والانكفالين لهما نفس قوة وفعالية المورفين . اما البيتا اندورفين فمفعولها يعادل ٥ إلى ١٠ أمثال تأثير المورفين ، وهذه المواد توجد ملتصقة على مناطق معينة من سطوح الخلايا العصبية في مراكز الدماغ مثل مراكز الألم والخوف والانفعالات الخ .. وطالما هذه المواد متوافرة وتغطى سطوح خلايا هذه المراكز فإن دماغ الانسان يعمل بروية وحكمة ، ولكن عند زيادة أو نقص هذه المواد عن أسطح الخلايا .. عندئذ تبدأ خلايا قشرة المخ في الاضطراب وتحدث الأزمات النفسية وأزمات الألم المختلفة . ولاشك أن اكتشاف المورفين الطبيعى في المخ يفتح المجال للعديد من الأبحاث العلمية ، وكل يوم ينكشف لنا سر من أسرار المخ الذى لازلنا نجهل عنه الكثير ، وسبحان الله الذى أبدع في خلقه .

سامي عزيز

مديـر إذاعـة قطـر في حـوار مع الدوحـة:


عبد الرحمن سيف المعضادى مدير إذاعة قطر

٣٠٠ ألف شريط من التسجيلات النادرة في الإذاعة القطريّة!

أجرى الحوار: يوسـف الحـرمي

- دراسـة هـامة لإمكانيـة بث إذاعـة القـرآن الكريم على مـدار العـام
- أخطـاء المذيعـين اللغويـّة أمـر شـائع على امتـداد الوطـن العـربي
- البـاب مفتـوح أمـام الشـباب القطـري للوقـوف أمـام الميكـرفـون





لقطتان من داخل مبنى الاذاعة فى قطر

قال عبد الرحمن سيف المعضادي مدير إذاعة قطر إن لدى الإذاعة ست مكتبات موسيقية وهى مكتبة البرنامج العام ومكتبة الاذاعة الشعبية ومكتبة برنامج الأوردو، والبرنامج الفرنسى والبرنامج الانجليزى ومكتبه خاصة بالأصول والأشرطة النادرة.

وأضاف فى حديثه لمجلة الدوحة ان ما يميز اذاعة قطر أن لديها كماً جيدا من التسجيلات النادرة يزيد عددها على ثلاثمائة ألف شريط مسجل، وقريباً جداً سيدخل نظام الكمبيوتر داخل المكتبات بهدف تطوير أعمالها.

وقال إن البرامج المحلية في اذاعة قطر تشكل كماً لا بأس به، وأشار الى أن الاذاعة تقوم بتطوير أجهزة إرسال (F.M.)، وسينتهى العمل فى هذا المشروع فى أوائل عام ١٩٨٦.

٣٠٠ ألف شريط من التسجيلات النادرة في الإذاعة القطرية !

وحول مدة البث الاذاعى قال مدير الإذاعة القطرية ان الاذاعة تبث فى الوقت الحالى ٤٤ ساعة يومياً تغطى جميع الخدمات الإذاعية .

وعن المشاريع الجديدة قال ان هناك دراسة لامكانية بث اذاعة القرآن الكريم على مدار العام ، وليس فى شهر رمضان المبارك فقط كما هو الحال فى الوقت الحاضر .

وحول بعض الأخطاء اللغوية من جانب بعض المذيعين قال إن هذه الأخطاء اللغوية مع الأسف أمر شائع على امتداد الوطن العربى .

وعن التنسيق والتعاون الاذاعى بين اذاعات دول مجلس التعاون أشار المعضادي الى التعاون الوثيق بين اذاعة قطر وإذاعات دول مجلس التعاون فى مجال تبادل البرامج عن طريق الهاتف أو التلكس .

وأخيرا قال إن تعدد الاذاعات العربية ظاهرة صحية جيدة ، ولكن هناك ضرورة لوجود التنسيق بين هذه الاذاعات .

وفيما يلى نص الحوار مع السيد عبد الرحمن سيف المعضادي مدير إذاعة قطر :

برامج الاذاعة

فى البداية سألت مدير الاذاعة عن كيفية رسم خريطة برامج الإذاعة فأجاب أنه يتم رسم خريطة برامج إذاعة قطر بحيث تغطى جميع الخدمات فى البرنامج العام والشعبى والانجليزى والفرنسى والأوردو ، حسب طبيعة فصل السنة فهناك دورة تبدأ من يناير لمدة ثلاث شهور ، يتم التركيز فيها على البرامج الثقافية والتعليمية ، ثم دورة أبريل وهى متنوعة فيها برامج ثقافية وبرامج المنوعات ، ثم دورة يوليو وهى الدورة الصيفية ، تكون فيها البرامج خفيفة ومتناسبة مع هذا الفصل ، ثم دورة أكتوبر ، وهذه تكون على نفس نسق دورة أبريل تقريباً وهناك دورات إذاعية خاصة مثل دورة شهر رمضان المبارك ، ويعتمد فيها على البرامج الدينية والثقافية والتاريخية ، وبرامج التسلية ، ثم دورة خاصة بالأعياد ، ودورة بمناسبة ٢٢ فبراير ، ودورة بمناسبة ٣ سبتمبر الذى يصادف يوم الاستقلال ، ويتم تنفيذها حسب المخطط الموضوع ، وحسب دراسات يقوم بها قسم العلاقات التبادل والبحوث بالإذاعة ..

البرامج الجادة

واستمر مدير الاذاعة فى حديثه قائلا : إن مما يميز إذاعة قطر وخاصة البرنامج العام وهو البرنامج الرئيسى ، الاعتماد على البرامج الجادة ، وهذه البرامج ثقافية وسياسية اضافة الى برامج البث المباشر التى لها علاقة مباشرة بالجمهور . وان البرامج المحلية في إذاعة قطر تشكل كما لا بأس به فهى تساوى في البرنامج العام أكثر من ٨٠٪ ، وفي البرنامج الشعبي ٩٠٪ وفي برنامج الأوردو ٩٠٪ ، وكذلك فى البرنامجين الفرنسى والانجليزى . أما إذا كان المقصود بالبرامج المحلية من البرامج التي تنطق باللهجة المحلية ، فإن عددها قليل نسبياً في السنوات الماضية ، أما فى هذا العام فان النسبة ارتفعت بشكل ملحوظ ونأمل أن تصل إلى مستوى جيد .

وعندما سألته عن مدى التنسيق بين اذاعة قطر وإذاعات المنطقة أجاب على الفور قائلاً : إن إذاعة قطر هي إحدى اذاعات دول مجلس التعاون الخليجى ، وإحدى الإذاعات الأعضاء في اتحاد الإذاعات العربية ، وبالنسبة لإذاعات المنطقة هناك تنسيق دائم بيننا وبين الاذاعات الشقيقة ، وهناك تبادل بشكل جيد للبرامج فيما بيننا . ولعل التبادل بين إذاعاتنا في المنطقة فريد من نوعه ، حيث أننا نتبادل البرامج بطلبها إما عن طريق الهاتف أو التلكس ، وأحياناً تتم المبادرة من إحدى الاذاعات عندما تجد برنامجاً جيداً فتقوم بإرساله من تلقاء نفسها .

ست مكتبات موسيقية

وأضاف المعضادي بأن هناك ست مكتبات موسيقية في إذاعة قطر ، وهي مكتبة البرنامج العام ومكتبة الاذاعة الشعبية ، والأوردو ومكتبة البرنامج الفرنسي ومكتبة البرنامج الانجليزى ، ومكتبة خاصة بالأصول والأشرطة النادرة ، ولعل مما يميز إذاعة قطر أن لديها كما جيداً من التسجيلات النادرة التي قد لا توجد في كثير من الإذاعات العربية الشقيقة . ويزيد عدد الأشرطة على ثلاثمائة ألف شريط مسجل ، وسوف يتم قريباً تطوير العمل بالمكتبات بإدخال نظام الكمبيوتر الحديث .

وقال : إنه بالنسبة لتطوير أجهزة الإرسال ، فان هناك تطويراً عاجلا ، وآخر ضمن الخطة المقبلة . أما التطوير العاجل فهو تجديد هوائيات الإرسال ، بالنسبة للموجة القصيرة والتي تسمع على امتداد الوطن العربى وأوروبا ، أما التطوير الآخر فهو ذو شقين .. الشق الأول تطوير أجهزة إرسال الإف إم (F.M.) . وهذا المشروع نأمل ان ينتهى العمل فيه أوائل عام ١٩٨٦ م . أما الشق الثانى فهو تطوير الإرسال على الموجات القصيرة ، وهذا المشروع نأمل أن يرى النور خلال السنوات الثلاث القادمة .

ورداً على سؤال حول عدم وصول صوت إذاعة قطر الى بعض البلاد العربية قال على الفور ان الإذاعة حالياً تغطي بالموجات المتوسطة منطقة الخليج العربي ، وشبه الجزيرة العربية نهاراً والعراق والأردن ، وسورية ، وفلسطين المحتلة مساء .

أما بالنسبة للموجة القصيرة فهى تغطى الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه ، وكذلك معظم الدول الأوربية ، ونأمل أن نغطى رقعة كبيرة من العالم عند الانتهاء من مشروع الموجات القصيرة . وقال أيضا بان اذاعة قطر تبث حالياً ٤٤ ساعة يومياً لجميع الخدمات والبرامج ، أما البرنامج العام فهو يبث ١٨ ساعة ونصف الساعة يومياً وخلال شهر رمضان المبارك يبث على مدي ٢٤ ساعة متواصلة دون انقطاع .. وأضاف بأن من المشاريع الجديدة دراسة إمكانية بث إذاعة القرآن الكريم على مدار العام ، وليس فى شهر رمضان فقط.. أما إضافة خدمات جديدة فيعتمد على الإمكانات المتاحة .

أمر شائع للأسف !

ورداً على سؤال آخر حول الأخطاء اللغوية للمذيعين قال إن الاخطاء اللغوية للمذيعين والمذيعات مع الأسف أمر شائع دون استثناء على امتداد الوطن العربى ، وقد يكون السبب راجعاً الى طريقة تدريس اللغة العربية فى المدارس والجامعات ، كما أن المذيعين سواء في إذاعة قطر أو في غيرها لا يكونون بالضرورة من خريجي الآداب قسم اللغة العربية مثلا ، وإنما منهم خريج التاريخ وخريج القانون .. الخ ، فلابد أن نتوقع حدوث بعض الأخطاء اللغوية .

وأضاف وبهذه المناسبة فليس هناك ما يحول دون التحاق الشباب القطرى بالإذاعة ، وهناك عدد كبير داخل الإذاعة الآن ، من الشباب القطرى المجد في جميع الاقسام ، لكن بالنسبة للمذيعين ، فالأمر يتطلب مواصفات خاصة ، ونحن لا نتشدد كثيرا بالنسبة للشباب القطرى الراغب في دخول مجال العمل الاذاعى ، وهناك عدد معقول من

العاملين في هذا القطاع ، وعدد من المتدربين والمتدربات ، والقلة النسبية للقطريين في هذا المجال عائدة إلى إحجام الشباب عن هذا العمل ، إذ يقبل على العمل الاداري والفني بينما يحجم عن الوقوف أمام الميكرفون

الكاتب والمعد

وسألته عن نوعية المشكلات التى تواجه الإذاعة . فقال لابد أن تكون هناك بعض المشكلات في أي عمل ، ولكن من أهمها والتى نرجو أن نتغلب عليها هي وجود الكاتب والمعد والممثل القطرى ، وقد بدأنا مع بداية يناير الماضي بعمل برنامج تحت اسم (تجارب إذاعية) نأمل أن ينتج عدداً من الكتاب والمعدين الذين سيخدمون ان شاء الله برامج الاذاعة والتليفزيون .

وأضاف بأن الاقبال كان في الماضى قليلاً من العنصر النسائي القطرى للعمل فى الإذاعة أما اليوم فلدينا عدد معقول في معظم أقسام الإذاعة ، وهناك عدد آخر في الشئون الإدارية والمالية ، وعدد ثالث في التنسيق والمكتبات وفي الاستعلامات ، وهناك رئيستا قسم وخمس مذيعات . ولعله عدد قليل نظراً للظروف الاجتماعية . ولكن الفتاة القطرية بدأت تشق طريقها في جميع المجالات .

وسألته عن رأيه بصراحة في الإذاعات التالية : إذاعة الكويت ، إذاعة القاهرة ، إذاعة المملكة العربية السعودية والإذاعة البريطانية ، فقال أولاً إذاعة الكويت من الإذاعات القديمة في منطقة الخليج ينظر لها بالافتخار ، ونتمنى أن تكون كذلك دائما خدمة للاعلام الخليجي والعربي الإسلامي . أما إذاعة القاهرة فهى أول إذاعة عربية كانت انطلاقتها بداية الانطلاق الاعلامى العربى ، فكانت مدرسة لكل إذاعى ، ولكل إذاعة ناشئة . أما الإذاعة البريطانية فهي أيضا من أولى الإذاعات العالمية ولديها من الخدمات الإذاعية التي تصل إلى ٣٩ لغة ، ومنها الإذاعة باللغة العربية ، وهذه الإذاعة تعتمد اعتماداً كلياً على نشرات الأخبار والبرامج الإخبارية ، وأما إذاعة المملكة العربية السعودية ، فهي من أوليات الإذاعات العربية ، وهي صوت ينطق بالعروبة والإسلام وخدمة الدين الاسلامي الحنيف ، وهذه الإذاعة شهدت تطوراً كبيراً ، سواء على المستوى البرامجي أو مستوى الإرسال ، فهي تغطى معظم دول العالم بعدة لغات . وفي استفتاء قام باجرائه قسم العلاقات والتبادل والبحوث حول الإذاعات العربية ، وجدنا أن إذاعة المملكة من أوليات الإذاعات التي يحرص المستمع العربي على سماعها ، ونتمنى لهذه الإذاعة الشقيقة كل تقدم وازدهار .

وسألته عن العمل الإذاعى هل هو في رأيه فنى أو أدبي ، أو يحتاج إلى ثقافة كبيرة أو الى تدريب فأجاب قائلاً : لابد أن يكون هناك تدريب مستمر للعاملين في المجال الإذاعي والتليفزيوني ، إذ أن هذا العمل يتطلب دائماً المعرفة بالجديد على المستوى الفني والتقني . وسألته أيضا عن رأيه فى بعض الأصوات الإذاعية العربية المعروفة مثل محمد فتحى ، أحمد سعيد ، صلاح خليفة ، سعد لبيب ، أحمد سالم ، صفية المهندس ، فقال : محمد فتحى اعتبره أبا للإذاعيين العرب ، أحمد سعيد مؤسس صوت العرب وكان ظاهرة إعلامية في وقت من الأوقات ، صلاح خليفة أستاذ وخبرة في العمل الاذاعي ، سعد لبيب خبرة إعلامية مثلها قلة في الوطن العربي ، أحمد سالم طاقة خليجية شابة تمثل المذيع في دول مجلس التعاون الخليجي ، صفية المهندس امرأة فاقت الرجال في العمل الإذاعي .

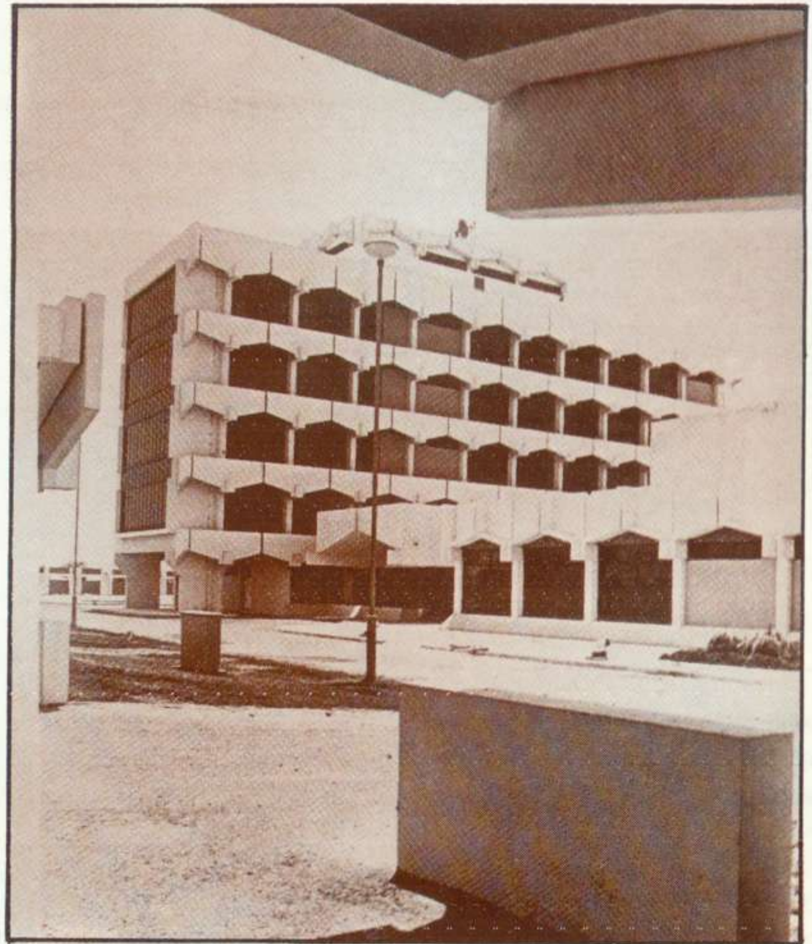
أصوات تبشر بالخير

أما عن الاصوات الاذاعية التى تبشر بالخير .. فقال انها : عيسى الشريم في الإذاعة الشعبية ، إلهام بدر بالبرنامج العام والصوت الجديد سلوى سلطان . وقال إنه يعجبه في برامج إذاعة قطر البرامج الثقافية وبرامج البث المباشر ، وخاصة (حوار مفتوح) أما الذي لا يعجبه فهو البرنامج الذى يخطط له بشكل جيد ويساء تنفيذه ! ..

وأضاف بأنه عندما يحس بأن هناك خطأ وقع فيه المذيع يحس بأنه صادر منه شخصياً فإنه يتصل بالمذيع ويوجهه الى موضع الخطأ حتي يتفاداه في المرات القادمة . وقال بأنه لابد للمذيع المبتديء من الجد والمثابرة وعدم الخوف من الميكروفون وتحصين نفسه بالقراءة المستمرة .

وأخيراً سألته عن رأيه في تعدد الإذاعات العربية وتنوعها : هل هو ظاهرة صحية ، أم مرضية ، فقال هناك مثل معروف في بعض الدول العربية يقول : إن اليد الواحدة لا تصفق ، فأرى أن تعدد الإذاعات العربية ظاهرة صحية جداً ، حيث أنها تنقل إلى العالم الخارجي عاداتنا العربية والاسلامية الراسخة ، وأرجو أن يكون هناك التنسيق الجيد بين إذاعاتنا العربية حتى نظهر بصورة مشرفة أمام العالم الخارجي .

يوسف الحرمي



الاذاعة القطرية

تذكار من فلسطين

قَلْعَةُ القُدْسِ

تصر جميع الأدبيات الغربية بوجه عام ، على تسمية قلعة القدس هذه بـ « قلعة داوود » دون ما أي سند علمي آثاري على الإطلاق ..

وحقيقة الأمر فى هذا الصدد أن هناك « داوودين » اثنين إن جاز التعبير : أولهما ، وألصقهما بجوهر الطبيعة الانسانية هو « داوود القرآني » بمفهومنا الإسلامي ، من حيث هو أحد أنبياء الله الذين ظهروا فى فلسطين فى القرن العاشر قبل الميلاد ..

وثانيهما ، وأبعدهما فى الوقت نفسه عن أية قيمة روحية ، أو أية صفات إنسانية نبيلة ، هو « داوود التوراتي » بمفهوم اليهودية العدواني الاستعلائي على شعوب الأرض كافة كما يزعمه اليهود حيث يظهر لنا ــ خاصة فى سفر صموئيل ــ مجرد ملك زمني ذباح سفاح وذى سطوة عسكرية طاغية باغية .. أراد مثلا ، ــ برواية الأسطورة التوراتية بطبيعة الحال ــ أن يتزوج من « ميكال » ابنة الملك « شاؤول » ، فقال شاؤول : « هكذا تقولون لداوود : ليست رغبة الملك فى المهر ، ولكنه يريد مائة قُلفة من الفلسطينيين انتقاماً من أعداء الملك » .. « فحسن الأمر فى عيني داوود أن يكون بذلك صهراً للملك .. فلم تتم الاحلام حتى ذهب داوود وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل ــ (لم يكتف بالمائة) ــ وجاء بقلفهم ، فعرضت على الملك بتمامها ، فزوجه شاؤول ابنته ميكال » !! .. (سفر صموئيل الأول ــ الاصحاح ١٨ ــ الرقم ٢٥ ــ ٢٨) ..

هذا . ولمعلومات قارىء « الدوحة » العزيز ، فإن مبدأ قتل الفلسطينيين على إطلاقهم ، ولمجرد شهوة القتل فى ذاته ، يعتبر طقساً دينياً يهودياً « بالغ القداسة !! » .. ولقد ورد ذكر الفلسطينيين ، باسمهم الصريح هذا ، فى قرابة مائتين وخمسين معرضاً فى مختلف أسفار التوراة ، باعتبارهم أعدى أعداء الرب اليهودى الخصوصى « يهوه » الذى أحل دماءهم لمتعة شعبه المختار !! ..

وأما « داوود القرآني » بالمقابل ، فلقد حظي على مر جميع العصور الاسلامية فى فلسطين بكل ما اختص به أنبياء الله من حفاوة وتكريم ، لدرجة أن العديدين من الحكام المسلمين قد أطلقوا اسمه ــ وكذلك اسم ولده النبى سليمان ــ على عدة أماكن إسلامية فى القدس خاصة ، وفى فلسطين كلها بوجه عام ، حتى إن الملك « جقمق » من القرن التاسع الهجري قد انتصر لفكرة أن رفات النبى داوود ترقد فعلا فى أحد الأقبية خارج سور القدس ، فانتزع ملكية هذا القبو وحوله إلى مسجد عرف من ثم باسم « مسجد داوود » .. ثم أعقبه السلطان العثمانى سليمان فى القرن العاشر الهجري ، فزاد المسجد عمارة وبهاء إلى أن أصبح من أبرز المشاهد الإسلامية فى مدينة السلام ... ذلك إلى أن سقطت القدس الجديدة ــ التى خارج السور ــ فى أيدى الأعداء الصهيونيين عام ١٩٤٨ ، فسرعان ما أزالوا كل ما بداخل المسجد من آيات قرآنية ، أو أية ملامح عربية إسلامية ، وحولوه إلى كنيس يهودى يغص فى العادة بأفواج السياح الغربيين الذين يرون فيه دليلاً قاطعاً على أنه قبر « الملك داوود » مؤسس السلطة الزمنية اليهودية الأولى على ما يدعونه « أرض اسرائيل » !! ..

* * *

قصارى القول : ليس ثمة من أي شاهد آثاري علمي واحد يمكن أن يبرهن على أن « للملك داوود » أية صلة بهذه القلعة الشامخة من قريب أو بعيد ..

تشير أساسات القلعة بوضوح تام إلى بصمات الملك العربى الأنباطي « هيرود » الذى انتدبته روما حاكماً على كل فلسطين ، وشطر من جنوبي سورية ، فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد ..

ثم لاحقاً لذلك أعيدت عمارة القلعة بعد الفتح العربى الإسلامى .. وفى القرن الحادي عشر الميلادى تحصن الغزاة الصليبيون بها ، وقاموا بترميم بعض أجزائها وفقاً لتطلباتهم العسكرية .. إلى أن كان الفتح الأيوبى العظيم لبيت المقدس فى صبيحة يوم الجمعة الثانى من تشرين الأول سنة ١١٨٧ ميلادية ــ فيما يصادف تالي ليلة الإسراء والمعراج يوم السابع والعشرين من رجب ــ فيقول ابن الأثير (فى كامله فى التاريخ) : إن من أول ما فعله صلاح الدين لما دخل القدس : « أن أمر بعمارة السور وتجديد ما رث منه ، فأحكم الموضع الذى حكم البلد منه (أي القلعة) ، وأمر بحفر خندق ، وسلم كل برج إلى أمير يتولى عمله » إلخ ..

ثم تعاقبت على القلعة التجديدات والإضافات



الاسلامية العديدة : في العصر الأيوبي بنى الملك المعظم عيسى برجها الحربى الرائع (فى منتصف الصورة) سنة ٦١٠ هجرية .. وفى العصر المملوكي أضاف إليها ابن قلاوون مسجداً فى داخلها سنة ٧١٠ هجرية .. وكذلك فى العصر العثماني أضاف إليها السلطان سليمان القانوني مئذنتها الشامخة (فى ذروة الصورة) سنة ٩٣٨ للهجرة ..

بقي أن نضيف أخيراً معلومة واحدة فقط ، وهى أنه من على درجات مدخل هذه القلعة ، وقف الفاتح البريطاني الذميم ، الجنرال إدموند أللنبى ، بعد احتلاله القدس يوم ٩ كانون الأول عام ١٩١٧ (أي بعد سبعة وثلاثين يوماً من إعلان حكومته وعد بلفور) ، ليطلق قولته الشهيرة الحاقدة الشامتة :

— « اليوم انتهت الحروب الصليبية » !! ..

يوسف الخطيب

« اللوحة المنشورة : ليثوغراف للرحالة الأسكتلندي الرسام رويرتس ، وضعه سنة ١٨٣٩ ..

حلم في رسالة



بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

يروى سيغموند فرويد في واحد من مؤلفاته حكاية فتاة شابة جاءت إليه شاكية من حلم تكررت رؤيتها له في منامها، وأزعجها مضمونه. كانت ترى في الحلم أباها مسجى في الفراش، ميتاً، فاذا استيقظت أحست بانزعاج شديد وتألمت، لا حزناً مما رأته وما تدرك أنه أضغاث أحلام، بل لشعورها في حلمها بأن السرور كان يملأ قلبها برؤية أبيها فاقد الحياة في نعشه. إحساسها بالذنب كان كبيراً كلما استيقظت من هذا الحلم المتكرر. إنها تحب أباها محبة بالغة، ولا تفهم كيف تسر بموت هذا الأب، ولو كان سروراً في المنام. ولذا طلبت من فرويد أن يعينها في التخلص من انزعاجها وتألمها بالبحث عن دوافع سرورها البشع ذاك.

والحلم عند فرويد هو بالدرجة الأولى «تحقيق رغبة». وقد كان تفسيره لحلم هذه الفتاة أحد شواهده على صدق ذلك التعريف للحلم. لقد استجوبها داعياً اياها إلى استعادة ذكرياتها القريبة والبعيدة، محللا نفسيتها، فحصل منها على اعتراف توضحت به مشكلتها. كانت الفتاة تحب صديقاً لأبيها حباً جماً دون ان يتاح لها أن تشعر ذلك الصديق بعاطفتها فيبادلها حباً بحب. وفي ذات يوم مرض أبوها فراح الصديق يعوده، وكان سرورها برؤيته في دار أسرتها كبيراً. وعندما ابل الأب من مرضه انقطع الصديق عن التردد على داره مما جعل العاشقة تفتقد زياراته في منزل أهلها. كانت رغبتها في ذلك الحبيب كبيرة، ولم يكن من سبيل لتحقيق تلك الرغبة في غير الحلم. وأوحى لها لاشعورها بأنه مادام مرض الأب قد أتاح لها رؤية من تهواه، فلاشك في أن موت الأب نفسه سيتيح لها ما هو أكثر من مجرد الرؤية... أعني الوصال! وهكذا مات الأب في حلم الفتاة، فسرت بموته الجدير به أن يحقق رغبتها العميقة في وصال حبيبها..

على أن هذا الشاهد الذى قدمه فرويد برهاناً على صدق نظريته، وشواهد كثيرة مثله، لا يكفي ليجعلنا نسلم تسليماً مطلقاً بأن الحلم هو دوماً تحقيق رغبة، وتحقيق رغبة جنسية على الأخص، كما يؤكد على ذلك فرويد. ومع ذلك، فان أحداً لا ينكر على هذا العالم ما أحدثه من انقلاب في تفسير الأحلام. ربما سبقه كثيرون تحدثوا فيما تحدث هو فيه، الا انه هو الذى جعل من تفسير الأحلام علماً محدد الأصول. وبينما كانت الأحلام عند قدماء المفسرين، بدءاً من ارتيميدوروس الافسيسي ومروراً بما نسب الى ابن سيرين وجعفر الصادق، تنبؤاً عما سيحدث في المستقبل أو إخباراً بما هو جار في الحاضر، أعاد فرويد الى الحلم حجمه الأصلي بأن جعله مجرد رغبة دفينة تنتمي بكافة عناصرها الى الماضي. الماضي القريب أو البعيد، وأحياناً الى ماضي الانسان قبل أن يولد، كما أشار الى ذلك في مؤلفه «مختصر في التحليل النفسي».

واذا تجاوزنا ما نؤمن به من القيمة المستقبلية لرؤيا الأتقياء والصالحين، وأحياناً لرؤيا أناس عاديين وقعنا على تجاربهم فيما قرأناه أو سمعناه، فاننا نعرف أن الحلم ليس دوماً مجرد تحقيق رغبة. هناك أحلام تتراءى للمرء في منامه بدوافع مختلفة، خارجة عنه أو داخلية فيه. ويروى فرويد نفسه عن أحدهم أنه حلم ذات مرة بنفر من الرجال هجموا عليه وطرحوه أرضاً وأوثقوه ثم جعلوا يدقون وتداً غليظاً بين ابهام قدمه والاصبع الذى يليه، واستيقظ من ذلك الحلم فرأى قشة عالقة بين أصبعيه هذين... احساس ذلك الحالم المرهف في منامه ضخم القشة وحولها إلى وتد يدق في قدمه.

تلك رؤيا كان دافعها عامل خارجي. ومن الرؤى التي تثيرها المنبهات الخارجية حلم مشهور لباحث فرنسي عاش في القرن التاسع عشر واستشهد به فرويد كثيراً، هو الفريد موري. عرف ذلك الحلم بين الباحثين في هذا المجال باسم حلم المقصلة، وأصبحت له قيمته في الدلالة على أن ليس من علاقة بين الزمن الذى تدور فيه أحداث حلم ما وبين الزمن الحقيقي كما يقاس في الواقع.

ويروى موري الحلم الذى ذكرناه في كتاب له صدر في عام ١٨٦٠ بما يلي:

«أحلم بأني أعيش في فترة الارهاب في أيام الثورة الفرنسية الكبرى واني أحضر مجازر تلك الفترة.. أمثل أمام محكمة الثورة وأرى فيها كبار زعمائها: روبيسبيير ومارا والنائب العام المخيف فوكيه ــ تنفيل.. أتناقش واياهم.. يحاكمونني ويحكمون على بالاعدام.. أقاد في عربة المحكومين مع جمع كبير الى ساحة الثورة حيث أصعد على منصة التنفيذ.. يربطني الجلاد الى الخشبة ويحرك ذراع المقصلة فتسقط سكينها على عنقي.. أحس برأسي ينفصل عن جذعي! وهنا أستيقظ والذعر يملأ نفسي فاذا بي أجد أن قضيباً معدنياً من مسند سريري قد سقط على عنقي، فوق فقرات رقبتي، مستقراً عليها كما تستقر سكين المقصلة على عنق المحكوم عليه. كان سقوط القضيب قبل لحظة من استيقاظي، بهذا أخبرتني أمي التي كانت في الغرفة ورأت وقوعه على واستفاقتي السريعة».

ويعلق الفريد موري على حلمه هذا بما يدل عليه من أن الاحساس الخارجي المتمثل بسقوط قضيب، لم يستغرق غير لحظة، على فقرات عنقه، هو الذى أطلق في تصوره حلماً احتوى أحداثاً متتابعة لا تتم في اليقظة الا في زمن طويل.

• • •

سقت ما سبق من الكلام لأتحدث بعده عن تفسير حلم في رسالة تلقيتها منذ نحو من ثماني

سنين . يحدث أن أتلو هذه الرسالة على أصحابي في بعض المناسبات فيعجبون منها أو يتندرون بما ينسب كاتبها الى من صفات مميزة هو شديد الايمان باتصافي بها ، بينما لا يجد أصحابي ولا أجد أنا في نفسي شيئاً منها . وقبل أن أنقل للقارىء نص تلك الرسالة لابد من التحدث عن الظروف التى دعت كاتبها الى توجيهها الى .

فقد حدث قبل ثمانية أعوام ، وفي شهر آذار — مارس سنة ١٩٧٧ على التحقيق ، أن سجل لي التليفزيون العربي السورى ثلاث حلقات من الحوار أجبت فيها على ما طرح علي من أسئلة حول شؤون شخصية وعامة مختلفة . أذيعت الحلقة الأولى في مساء الرابع عشر من ذلك الشهر ، آذار — مارس ، وأذيعت الحلقتان الأخريان بعد الأولى بأسابيع . وقد لقيت في حينها كثيراً من المشاهدين لي على الشاشة الصغيرة ممن أظهروا اهتمامتهم بما قلته في حوارى أو اعجابهم به ، صادقين فيما أظهروه أو مجاملين لي . كما اني تلقيت لتلك المناسبة عدداً من الرسائل كان أغربها وأدعاها الى الاهتمام والتعليق هذه الرسالة التى أنقلها فيما يلي ، بنصها وباغلاطها الانشائية والاملائية ، حرصاً على نكهتها العفوية :

« ان ارادة الله فوق كل شيء

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الدكتور عبد السلام العجيلي المحترم

من بعد السلام والتحية والاكرام . سوف اقص عليك قصة تعارف الروحى معك دفعتني بالكتابة اليك وكم كنت مشتاق لارى صورتك كما رأيتها في التلفزيون في ليلة ١٤/٣/١٩٧٧ صورة انسان اديب رازن وطبيب مهذب فشتان بين الخيال والحقيقة حيث كنت رأيتك في ليلة حالكة شاب وسيم طويل القامة ذو شارب صغير ولاشك انك مثلي وقد تجاوزت الخمسين .

انا صاحب بقالية (بسيطة) وقد صدف في منتصف ليلة ١٤/٣/١٩٧٧ على ماذكر رأيت حلماً انك انت تطرق باب دارى ففتحته لك وكنت بلباسك العادى وكان معك رجل آخر يرتدى اللباس الأبيض فقلت لي بالحرف الواحد (انا الدكتور عبدالسلام العجيلي وهذا هو معاوني المرض لقد جئنا من الرقة لزيارتك فقط) فقلت لك تفضل بالدخول فاهلا وسهلا بصديقي الطبيب ورفيقه ولما دخلتما معي عتبة باب دارى استيقظت من الحلم ورأيت نفسي مندفعاً بلا شعور تاركاً فراشي متجهاً نحو باب الدار لاستقبالك ففتحته فعلا ولم ار احدا ولكنني شعرت بأن شخصان او اكثر ولوا مسرعين نحو الطريق الغربي وكانت ليلة ممطرة وعاصفة لفت نظرى بأن القي بنظرة خاطفة على الغلق الحديدى لدكاني الملاصق لدارى وسرعان ما اخذتني الدهشة لقد داهم اللصوص دكاني وافلحوا في كسر احد الاقفال واستعصى عليهم القفل الثاني فاستعجبت في امرى واخذتني رعشة نفسية ثم اعتراني خشوع الهي وتشرد فكرى وسبحت في عالم روحاني جميل فقلت عندها يا ربي ما اعظمك لما جعلت صديقي الدكتور يتحمل مشاقة السفر من الرقة الى دمشق ليخبرني بأمر هذه السرقة برهة وقوعها يا الهي ما اعظمك لماذا لم ترسل لي غيره من جوارى او احد من داخل هذه المدينة دمشق التي تعج بالاطباء والمصلحين من اهل الحسب والنسب ثم بقيت حيث انا امام باب دكاني برهة من الزمن تحت وابل من رزاز المطر والريح تلفحني وانا اسبح الله تعالى عن هذا التعارف الروحي مع هذا الصديق الذى ارسله الله لي من عالم الغيب دون غيره من الناس اليس هذا عجيب الهام الهي ينتحل اسم هذا الشخص ليدفع عني الشر والاذية . ارجو منك المعذرة . فانا لا اعرفك شخصياً ولا انت تعرفني وبين مدينتي دمشق والرقة مدينتك شوطاً واسعاً ومئات من الكيلومترات ولم ار وجهك طيلة حياتي حتى ولم اقرأ لك شيئاً من نصوص الادب او القصص .

وفي ليلة المقابلة في التلفزيون التى اجريت معك في المساء التالي ضحكت من نفسي وقلت لها ان هذا الانسان الطيب قد اسدى الي جميلا دون ان يعلم فواجبي ان اشكره شكرا جزيلا لعله يضحك مني او يستهزىء بي فذلك شأنه او يستغرب من قصتي هذه فيجد له تعليلا او تفسيرا اما انا فانني اومن بأن روحه طاهره ونقيه ارسلها الله الي في وقت الضيق .

انني ارجو منك المعذرة فلو حدثني احد الناس بهذه القصة او بواحدة مشابهة لكذبته وضربته بالجنون وانفصام الشخصية او قلت عنه انه معتوه اما انا حدثتك بها والله شاهد على مااقول على ما حدث معي دون زيادة او نقصان .

وفي الختام اقبل مني فائق الشكر والاحترام وادامك الله عونا لامثالي الفقراء سواء في اليقظة وانت في عيادتك تداوى المرضى او في الحلم تآزر عباد الله ودمتم ١٥/٣/١٩٧٧ .

الداعي لكم صديقك
ابو محمد خير

ملاحظة :
اذا حضرت لطرفكم ازوركم ان شاء الله تعالى صديقاً لا مريضاً »

هذه هي رسالة مكاتبي الدمشقي الذى اسمه أبو محمد خير ، وهذا هو حلمه الذى ساقه الى أن يعتقد في شخصي من الولاية والصلاح ما أفصح به في رسالته وما يجعل أصحابي يتندرون به علي حينما أتلو الرسالة عليهم . أما أنا فاني اجاريهم في تندرهم ولكني لا أقف عند ذلك ، بل أروح مفسراً لهم الحلم التفسير المعقول الذى أراه له . ومفتاح ذلك التفسير المعقول هو نفس المفتاح الذى فسر به الفريد مورى السالف الذكر رؤياه عن المقصلة في عام ١٨٦٠ ، والمبني على أن لا علاقة أو تناسب بين زمن الحلم والزمن الحقيقي في اليقظة .

ذاك ان كل الحلم الطويل الذى رآه ابو محمد خير كان منطلقاً من سماعه في لحظة معينة صوت عبث اللصوص بقفل باب مخزنه القريب من مكان نومه ، في محاولتهم سرقة ذلك المخزن . لقد أثارت قرقعة القفل في مراكز خلق الرؤيا في الدماغ عنده هذا الحادث الذى تراءى له في الحلم ، حادث وفودى عليه وتحيتي له وتعريفي اياه بنفسي وبممرضي . خلق كل هذا في اللحظة الخاطفة التى انتبه فيها لأصوات محاولة اللصوص كسر القفل . تماماً مثلما خلق سقوط قضيب مسند السرير على رقبة الفريد مورى حلمه المستمد من معلوماته عن أحداث الثورة الفرنسية ، وذلك في اللحظة الخاطفة التى انقضت بين سقوط القضيب واستفاقته الفورية .

بقي الجواب على ما تساءل به أبو محمد خير نفسه في رسالته حين قال لماذا لم يبعث الله إليه غيرى أحداً يوقظه من نومه وينقذ مخزنه من السرقة . الجواب سهل . صحيح ان الرجل لا يعرفني شخصياً ، كما صرح في رسالته ، ولكني لا أستبعد أن يكون اسمي قد تردد أمامه في مناسبات عديدة . في الرسالة ما يدل على أنه يعرف أشياء غير قليلة عني سمعها من أناس يحسنون الظن بشخصي . فلما خلق ذلك الحلم في تصوره كان لابد أن يكون الموقظ له انسان ذو شهرة باعانته للآخرين في مجالات عديدة . وكان أن وقع اختيار لاشعوره ، عشوائياً أو تحت تأثير عوامل لا نستطيع تحديدها بدقة ، على كاتب هذه السطور في حلمه المنقذ ذاك ..

* * *

لقد مضت ثماني سنوات على وصول هذه الرسالة الي ولم أحظ بعد بزيارة السيد أبو محمد خير الموعودة لي . لعل الظروف لم تتح له القيام بها . ولعله لو زارني لخاب أمله حين افسر له حلمه بهذا التفسير الذى شرحته وحين أفجعه بمشاعره الروحانية التى وصفها في رسالته . وقد يقع هذا المقال بين يديه فيقرأه ويتعرض لخيبة الأمل وللفجيعة بتصوراته التي لا أتفق معه بشأنها .

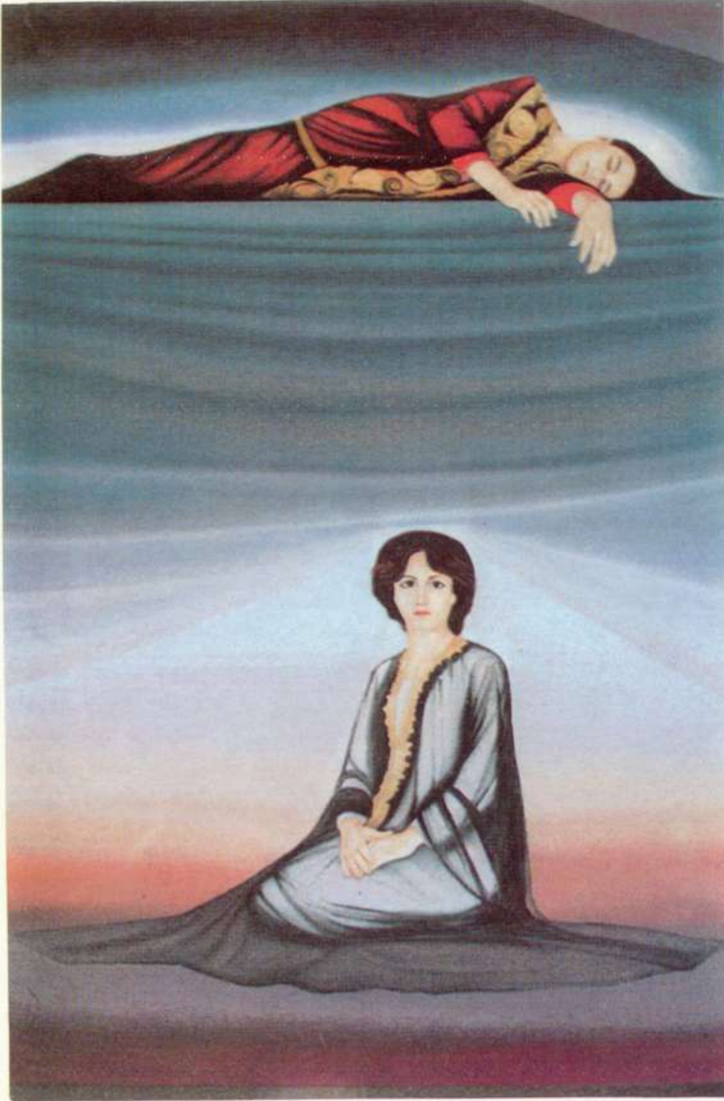
ولكنه ، وإن لم تكن بيننا معرفة سابقة ، يصفني بأني صديقه . وجدير به على هذا أن يعذرني حين يتذكر الحكمة القديمة التي تصلح في أمر تفسير الأحلام مثل صلاحها في سائر الأمور ، وهي أن صديقك هو من صَدَقك لا من صدَّقك ..



مع الفنان الكويتي
عبد الرسول سلمان

لاعب الكرة الذي أصبح فنّانا صاحب خيال أسطوري

بقلم: يوسف أحمد


حلم

تعتبر حركة الفنون التشكيلية المعاصرة فى دول الخليج العربية ، بحق علامة مضيئة على صفحات الحياة الثقافية التى يعيشها انسان الخليج فى هذه الأيام ، وهى تتمثل فى هذا العدد الملحوظ من المعارض المتعددة الاتجاهات ، والندوات الفنية المصاحبة ، وحركة النشر الفني التى بدأت هى الأخرى تشق طريقها فى إصرار واهتمام .

وتعتبر دولة الكويت الشقيقة رائدة فى مجال الفن التشكيلي الخليجي المعاصر ، فبعد دخول مادة التربية الفنية فى أواسط الأربعينات فى المنهج التعليمى بالكويت ، وارسال البعثات خارج الكويت للاستفادة والاستزادة من علوم الفنون التشكيلية ، وانشاء المرسم الحر الكويتى عام ١٩٦٠ ، واهتمام المسئولين بالكويت بهذا المرسم كنواة لفنانين متفرغين يأخذون على عاتقهم رسالة الفن التشكيلي متمثلة فى حضورهم الدائم فى أى منتدى خليجي .

وقد أدى انشاء الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية عام ١٩٦٨ إلى دفعة قوية من أجل نشر اللوحات والرسوم الكويتية خارج البلاد سواء فى الدول العربية أو دول أوربا وأمريكا ، وذلك عن طريق المعارض الخاصة التى تحمل اسم الجمعية والتى أدت الى ظهور العديد من الفنانين المتألقين ، الذين من بينهم الفنان عبدالرسول سلمان ، الذى يعتبر بحق الشمعة المضيئة للحركة المعاصرة الكويتية فى السنوات الأخيرة .

والفنان عبد الرسول سلمان ، رغم كونه لاعباً للكرة ، إلا أنه أثرى الفن بعالمه الخاص المتميز ، منذ مشاركته الأولى عام ١٩٦٢ فى معرض الربيع الرابع الذى أشرفت عليه وزارة التربية والتعليم فى الكويت .

ثم انطلق الفنان فى خطوات أخرى فاشترك بلوحاته فى معارض الأندية الصيفية عام ١٩٦٣ ، وقدم خلالها أعمالا بيئية كويتية رأى كثير من النقاد أنها تعبر عن موهبة حقة ، سيكون لها شأن كبير فى المستقبل !

وقد ظهرت موهبة الفنان المبكرة منذ مشاركته — وهو مازال طالبا فى المرحلة الثانوية — فى المعارض التى مثلت اسم الكويت فى الخارج .

وبالتحاق فناننا عام ١٩٧١ بدار المعلمين ، بدأت ملامح أسلوبه تتضح ، مغلفة تحت الاتجاه السريالى الشريطى ، حيث كان يملأ اللوحة بأوراق شريطية تلف أركان اللوحة مؤكدة تكوينها العام وموضحة الصورة الحقيقية للرؤيا الداخلية التى تلوح بين الحين والحين فى موضوعاته .

إلا أن الفنان عبدالرسول سلمان لم يقفز الى هذا الأسلوب فجأة .. بل كانت بداياته كلاسيكية واقعية ، ومعالجاته للموضوعات البيئية الكويتية



التحدى



انطلاق

تنطلق من التقاليد ، والرقصات الشعبية ، والبيئة البحرية ، وكان فى ذلك الوقت يلجأ إلى الأسلوب التأثيرى ذي الملامس الطويلية ، ولعل تلك الملامس هى التى أوحت لعبد الرسول بفكرة الشرائط والالتفافات وابداعاته فى استخدامها فيما بعد فى موضوعات شعبية وانسانية .

والواضح أن اطلاع فناننا عبد الرسول سلمان على المدارس العربية الحديثة والأوروبية من خلال شغفه برؤية معارض أوروبا المختلفة ، هو الذى ساعد على تكوين فكره النابض الحديث وطريقة معالجاته الفنية فى لوحاته الحديثة ، ومعايشته للفكرة التى يقدمها فى كل لوحة من لوحاته ..

والمعروف أن الفنان عبدالرسول سلمان يتميز بخياله الأسطورى ، وتعلقه بالرمزيات والقوالب السريالية التى يضمنها مضامين قومية أو سياسية أحياناً ، فى لوحته المسماة « شهداء الحرب » نرى تجسيد كراهته لأعداء الانسانية ، واحتقاره لآلات الدمار وتمجيده للأبطال الذين يقدمون حياتهم من أجل ايمانهم بالمثل العليا .. إنه فى هذه اللوحة ، يرتفع الى المستوى الأدبى دون أن يطغى على التقنية الفنية !

والواقع أن الفنان عبد الرسول سلمان له نشاط آخر غير نشاطاته الابداعية فى مجال الرسم والتشكيل . فلقد قام عام ١٩٧٥ بإصدار أول كتاب يحكي مسيرة الفن التشكيلي الكويتي ، مستعرضاً بداياته الفطرية ، وعلاقة الفنون التشكيلية بالصناعات الشعبية ودخول مادة الرسم فى التعليم العام والمؤسسات التى ساعدت على نشر الوعي التشكيلى بين الناس مثل وزارة التربية والتعليم ، ووزارة الاعلام ، والمرسم الحر الكويتى ، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ، وجمعية المعلمين وغيرها .. وفى هذا الكتاب يتحدث — أيضاً — عن الوضع الحالي للتشكيل المعاصر ، وهذا بخلاف ما قدمه فى الكتاب عن مسيرة حياة أكثر من عشرين فنان رائد وشاب !

وفى عام ١٩٧٩ قدم كتاباً آخر عن الفنان الرائد المرحوم محمد الدمخي ، ضمنه رحلة حياته الفنية والمأساوية :

وكانت آخر مؤلفاته : « التشكيل المعاصر فى دول مجلس التعاون الخليجى » والذى يعتبر بحق أول كتاب عن تاريخ وعلاقة الفنون التشكيلية بانسان الخليج ، ولقد صدر هذا الكتاب بمناسبة انعقاد الدورة الخامسة للمجلس الأعلى لقادة دول مجلس التعاون بالكويت فى نوفمبر ١٩٨٤ .

وخلال الشهر الماضي اقامت وزارة الاعلام القطرية معرضاً متكاملا لأعمال الفنان عبدالرسول سلمان السريالية ، ضمن نشاطات المعارض التى تقوم بها ادارة الثقافة والفنون وذلك لإتاحة الفرصة الكبيرة للجمهور القطرى للتعرف على تجارب فنانى المنطقة وبخاصة المخلصين منهم .

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر



نقّاد الأيام الآتية

في الستينات ، كنت أتردد باستمرار الى مقهى دمشقي معظم رواده من الأدباء والفنانين ، وهناك تعرفت الى أحد النقاد الشبان الذين يتكلمون كلاماً مملوءاً بالحماسة والرغبة في الاستشهاد في سبيل المثل العليا والأدب الرفيع الملتزم بهموم الانسان والقضايا المصيرية للشعوب .

أعجبت بذلك الناقد الشاب ، وسرنا يوماً معاً في أحد الشوارع ، نحكي عن شؤون الأدب ، فتطرق الحديث الى شاعر معين ، فأبديت فيه رأياً سلبياً ، فانبرى الناقد الشاب الى الدفاع عنه بحرارة ، مشدداً على أنه شاعر عظيم خالد ، وشعره سيصبح تراثاً للأجيال القادمة .

وظللنا نتناقش حول ذلك الشاعر حتى بح صوتي وأحسست بأني في أي لحظة قد أنقل الى المستشفى لأنام أياماً على سرير في قسم العناية المشددة ، ووجدت نفسي أقول للناقد الشاب : « دعنا ننبذ العموميات ونناقش الأمر مناقشة تعتمد على الوقائع والأدلة . اذكر قصيدة لشاعرك هي في رأيك جيدة ، وسنناقشها ، وسنرى من منا على صواب » .

فقال لي الناقد الشاب فوراً وبغير أن يفكر لحظة : « أنا أعرف الشاعر معرفة شخصية حسنة ، ولكني لم أطلع بعد على شعره » .

فبهت ، ولم أنطق بكلمة ، ولكني لم أعلم آنذاك أني كنت شاهداً على مولد جيل جديد من النقاد سيسود فيما بعد ويهيمن ويصبح ذا شأن ونفوذ ويمتلك القدرة على تصوير عواء الثعالب كأنه تغريد بلابل .

الأصيل منسي والدّعيّ ذائع الصّيت

في عام من أعوام القرن العشرين ، أقامت امرأة فرنسية بالغة الثراء معرضاً لما تملكه من رسوم لمشاهير الفنانين في العالم كبيكاسو ودالي وشاغال وموديلياني ورينوار وفان كوخ .

واشتمل ذلك المعرض على لوحة واحدة فقط لفنان عربي ، واسم الفنان هو أبو صياح التيناوي .

وأبو صياح التيناوي فنان من دمشق ، دمشق الأزقة والحارات والبيوت الترابية ، لا دمشق الشوارع العريضة والمباني الحديثة ، ورسومه مستمدة من الحكايات الشعبية العربية ، ولكن غالبية رسومه مكرسة لعنترة وعبلة ، يرسمهما بالألوان على الزجاج ، يرسم عنترة رجلاً حقيقياً قوياً يشهر سيفه حين يكون وحده متأهباً لمواجهة أعدائه والانتصار عليهم ، أما حين يكون برفقة عبلة فإن سيفه متوار في غمده ، ويرسم عبلة امرأة جميلة عذبة حزينة حزناً غامضاً ، وممتطية صهوة جواد عربي أصيل .

وبراعة أبي صياح التيناوي الفنية الفذة تتجلى في أنه رسم عنترة وعبلة في مئات اللوحات دون أن تكون لوحة مشابهة للأخرى مع أن الموضوع واحد لم يتبدل .

وأبو صياح التيناوي لا علاقة له بعالم الفن والفنانين والثقافة ، فهو يمتلك دكانا في حي شعبي ، يبيع فيها ما هب ودب من الخردوات ، وحين يأتي شخص ما راغب في شراء لوحاته ، يترك دكانه بعد أن يطلب من جاره الاهتمام بها في أثناء غيابه ، ويأخذ الزبون الى بيته القريب حيث تكدست رسومه في احدى الغرف الخالية ، وهناك يبدأ أبو صياح التيناوي بعرض لوحاته ، لوحة أثر لوحة ، مسهباً في تبيان مزاياها وبلهجة بائع ماكر يريد اغراء زبونه بشراء ما يعرضه من سلع .

وهذا السلوك قد يبدو لأول وهلة مستغرباً ، ولكنه بالنسبة الى أبي صياح التيناوي هو أمر جد عادي ، فهو لا ينظر الى نفسه على أنه فنان ، ويرفض أن يقال عليه إنه فنان ، وكل شخص يعامله على أنه فنان ينفر منه ولا يرغب في رؤيته ثانية ، أما من يقول له : « أنت فنان كبير موهوب » فهو ينظر إليه بريبة كأنه محتال له مآرب خفية من العسير كشفها ، فالرسم بالنسبة إليه مجرد مهنة كالحدادة والنجارة .

ولم ينجح أي صحافي في اجراء حديث معه ، وكان يقول للصحافي : « إذا أردت أن تشتري فأهلا وسهلا ، أما اذا لم تكن تريد الا الحكي فأرنا عرض أكتافك » .

وقد حاولت بعثات تليفزيونية أجنبية إجراء مقابلات معه ، ولكنه رفض رفضاً باتاً ، وطرد أعضاءها شر طردة .

وكان أحد الفنانين اللبنانيين دائم التردد إليه ، يشتري منه اللوحة بثمن لا يزيد عن عشرين ليرة سورية ، ثم يأخذها الى بيروت ، ويضعها في إطار فاخر ، ويبيعها للأجانب بمبلغ لا يقل عن خمسمائة ليرة لبنانية ، وكان هذا الثمن في ذلك الحين باهظاً يحلم كبار الفنانين العرب بنيل مثله .

وفي أحد الأيام ، اشترى الفنان اللبناني لوحتين من لوحات أبي صياح التيناوي ، فقدم إليه أبو صياح لوحة صغيرة الحجم ، فسأله الفنان : « كم تريد ثمناً لها ؟ » .

فقال أبو صياح : « أنت اشتريت لوحتين كبيرتين ، وهذه اللوحة الصغيرة على البيعة » .
وجملة « على البيعة » كانت تستخدمها نساء الحارات الشعبية الدمشقية حين يشترين أي شيء ، ويطلبن الى البائع أن يزيد الوزن قليلا قائلات : « زد قليلا .. على البيعة » .

وفي يوم من الأيام ، عرض على أبو صياح التيناوي لوحة مرسومة على الزجاج لعبلة وهي تمتطي صهوة حصان أسود اللون ، وكانت لوحة رائعة تبهر حقاً ، فتأملتها ، ثم سألته وأنا أشير بسبابتي الى لطخة سوداء في سماء اللوحة : « يا أبا صياح .. ما هذا ؟ » .

وكان أبو صياح التيناوي لا يبتسم ، ومتجهم الوجه دائماً ، ولكنه عندما سمع سؤالي ازداد تجهم وجهه ، وبدا كمن أهين إهانة بالغة ، وقال لي بنزق : « اسمع يا أستاذ .. يا محترم .. اذا كنت لا تعرفني فاسأل عني . أنا لا أغش زبائني . أنا أبيعهم لوحة لعبلة راكبة على حصان ، ولكن عرض اللوحة لم يسمح برسم الحصان كاملا ، واضطررت الى رسم ذيله ناقصاً ، وهذه القطعة السوداء هي بقية ذيل الحصان » .

وكانت اللوحة التي يرسمها أبو صياح التيناوي ، وتحظى بتقديره وحبه ، يشوهها من دون أن يدري ، فهو يكرر كتابة اسمه وعنوانه في كل فراغ من فراغات اللوحة كأنه يريد أن يؤكد أنه هو حقاً ذلك المبدع الذي رسم تلك اللوحة الرائعة .

وقد عاش أبو صياح التيناوي حياته بعيداً عن الأضواء والشهرة ، ولم يحظ بأي تكريم ، ولم ينل أي وسام أو منصب ، ولم تنشر أي مطبوعة عربية نبأ وفاته ، فصفحاتها مكرسة لتمجيد رسامين لا يصلحون لطلاء جدران غرفة تسكنها أسرة معوزة .

الشعر الحديث والباذنجان

صديقي الشاعر السوري علي الجندي الذي ينظم قصائد تقطر عواطف حارة ، لم أره منذ أربع سنوات بسبب إقامتي بلندن ، وأعاني شوقاً إليه والى أشعاره .

وفيما مضى من السنين ، التقينا ، علي الجندي وأنا ، فقال لي : نظمت بالأمس قصيدة طويلة بعد أن أكلت أربعة أرغفة طازجة مع باذنجان مقلي بأفخر نوع من أنواع زيت الزيتون الأصلي ، فهل أنت مستعد لسماع القصيدة ؟ » .
وكان سؤاله مطروحاً بلهجة توحي بأني لن أنصت لقصيدة بل سأذهب الى فلسطين الحبيبة كي أحررها وحدي ، وشعرت بأني جندي جبان في جيش طارق بن زياد ، وتكلمت مرحباً بسماع القصيدة ، وبدأ علي الجندي يلقي قصيدته بصوت لا يقل عذوبة عن صوت سعاد حسني ، ولما انتهى من تلاوة قصيدته ، حملق الى بصرامة محقق لا يعرف الرأفة ، وسألني : « ما رأيك ؟ أريد رأياً صريحاً لا مجاملة فيه » .

ففكرت قليلا ، ثم قلت لعلي الجندي : « أنت تخدعني . هذه القصيدة لم تنظمها بعد أن أكلت باذنجاناً مقلياً ، بل نظمتها بعد أن اغتسلت ساعات في حمام ساخن » .

فنظر الى علي الجندي باستغراب ، وسألني بدهشة لم يستطع إخفاءها : « وكيف عرفت ؟ » .
فقلت له : « لأن القصيدة أثرت في وجعلتني راغباً في الركض الى أقرب حمام سوق » . فاتهمني صديقي علي الجندي بأني لا أتذوق الشعر الناضج ، فبادرت الى نفي تهمته باستنكار شديد ، ولكني فيما بعد لما أطلعت على ما ينشر من أشعار حديثة اقتنعت أن التهمة الموجهة الى من قبل علي الجندي كانت حقيقية وليست ملفقة .

سرّ المهنة

زميلي القديم ، العالم الفاضل الورع عبد الله الشيتي ، قابلته السنة الماضية حيث يعمل بالكويت ، وكان دائم الضحك والمرح ، فسألته : « كيف تستطيع أن تضحك بينما أحوال العرب ترغم الحجر على البكاء ؟ » .
فقال : « هذا سر المهنة » .
فقلت له : « أنت منذ أن طرد آدم من الجنة تكتب في الصحف زاوية يومية ساخرة ، فكيف تجد موضوعات تكتب عنها ؟ وماذا تفعل عندما لا تجد موضوعاً يصلح لأن تكتب عنه كتابة ساخرة ؟ » .
قال : « أكتب عن أصدقائي ساخراً منهم » .
قلت : « واذا لم تجد صديقاً تسخر منه ؟ » .
قال : « أسخر من نفسي » .
قلت متسائلا بفضول : « وكيف تتناول الحابل والنابل من غير أن تغضب أحداً ؟ » . فضحك عبد الله الشيتي ضحكة شرلوك هولمز ، وقال : « وهذا أيضاً سر المهنة » .
وأعترف بأن محاولاتي للوصول الى سر المهنة قد أخفقت كافة ، وظل ما أكتبه ينال غضب الأصدقاء والخصوم .





تبلغ طاقة مصنع «الايثلين» في مجمع البتروكيماويات ٢٨٠ الف طن سنويا

قلعة صناعية على شاطئ أم سعيد

تحقيق: طلعت الشايب

المنطقة الصناعية بأم سعيد ، والتى نزور اليوم احدى قلاع الصناعة بها ، مفخرة لكل عربى وترجمة أمينة وصادقة لكلمات سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني : إن مشاريع التصنيع فى نظرنا شيء مهم .. يمثل حجر الزاوية فى بناء صرح وطننا ، ولقد سلكنا سبيل التصنيع ووضعنا برنامجه لأننا لانريد أن نعرض أنفسنا للمخاطر الاقتصادية فى المستقبل ، ولعل أهم الضمانات فى هذا الصدد هو العمل على تنويع مصادر دخلنا الوطنى عبر القاعدة الصناعية الصلبة لأن من شأن ذلك أن يخفف من اعتمادنا على البترول تدريجياً . ولذلك كان من واجبنا إكمال بناء المجتمع الصناعى فى دولة قطر وخلق مصادر الدخل البديلة للبترول . فالأجيال القادمة أمانة فى يدنا .

وقد بدأ الاهتمام بإنشاء المدينة الصناعية بأم سعيد فى أوائل السبعينات لكى تكون مركزاً للصناعات الثقيلة ، ولترتفع اليوم فيها أبراج المصانع المتعددة التى تسخر أحدث منجزات العلم والتكنولوجيا لخدمة الإنسان العربى ، ولتهيىء الفرص أمام أبناء هذا الوطن للمشاركة فى صناعة المستقبل على الأرض العربية .

● الاستخدام الأمثل لموارد البلاد الطبيعية

« تعتبر الصناعات الثقيلة معياراً من معايير التطور الاقتصادى ومقياساً لما تحققه أية أمة من الأمم من تقدم وازدهار ورمزاً لعزتها الوطنية .

وقد أدركت قطر بفضل القيادة الحكيمة لصاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني حفظه الله ما للصناعات الثقيلة من أهمية كبرى بالنسبة لبلد كقطر . بالإضافة إلى اعتبارها مصدراً أساسياً من مصادر تنويع الدخل وأملا حقيقياً يعطى أبناء شعبنا الفرصة لدخول عصر التكنولوجيا ومعايشة أحداثه ومواجهة تحدياته .

ونحن نشهد اليوم بانتهاء العمل فى إنشاء مصنع البتروكيماويات استكمال حلقة أخرى هامة من حلقات الخطة التصنيعية لدولة قطر التى استهدفت الاستغلال الأمثل لمورد أساسي من مواردها الطبيعية ، والذى كان يحرق هدراً قبل تصنيعه واستغلاله » .

من كلمة وزير المالية والبترول سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني بمناسبة افتتاح مجمع شركة قابكو فى فبراير ١٩٨١ .



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى
وزير المالية والبترول



مصنع « البولى إثلين » منخفض الكثافة ، وتبلغ طاقته السنوية ١٤٠ الف طن

وفى مقدمة كتاب « الخليج ليس نفطاً » يقول المفكر العربى الخليجى الدكتور محمد الرميحى ، المعروف باهتماماته بقضايا التنمية والوحدة فى العالم العربى : « الخليج ليس نفطاً .. فهو انسان وأرض قبل النفط ، وسيظل كذلك بعد النفط . والنفط فى تاريخ الخليج العربى ما هو إلا مرحلة من المراحل التاريخية التى مر ويمر بها هذا الجزء من الوطن العربى ، ويبدو أنه من أقصر المراحل التاريخية » .

وعندما يتكلم الواقع الملموس فى دولة قطر ، فإنه ينطق بأن الربع الأخير من هذا القرن قد شهد تطوراً كبيراً وحركة دائبة فى اتجاه بناء المستقبل وتأمين حياة الأجيال القادمة فى عالم سريع التغير .

ومن أجل تخفيف الاعتماد على مصدر ناضب وشبه وحيد للدخل القومى كان لابد من استخدام موارد مرحلة النفط واستثمارها من أجل مراحل ما بعد النفط . لذلك اعتمدت خطط وبرامج التنمية الصناعية لدولة قطر على الصناعات القادرة على الانطلاق والنمو والمنافسة فى الأسواق العالمية اعتماداً على جودتها وأسعارها التنافسية مستفيدة من المقومات التصنيعية فى الدولة .

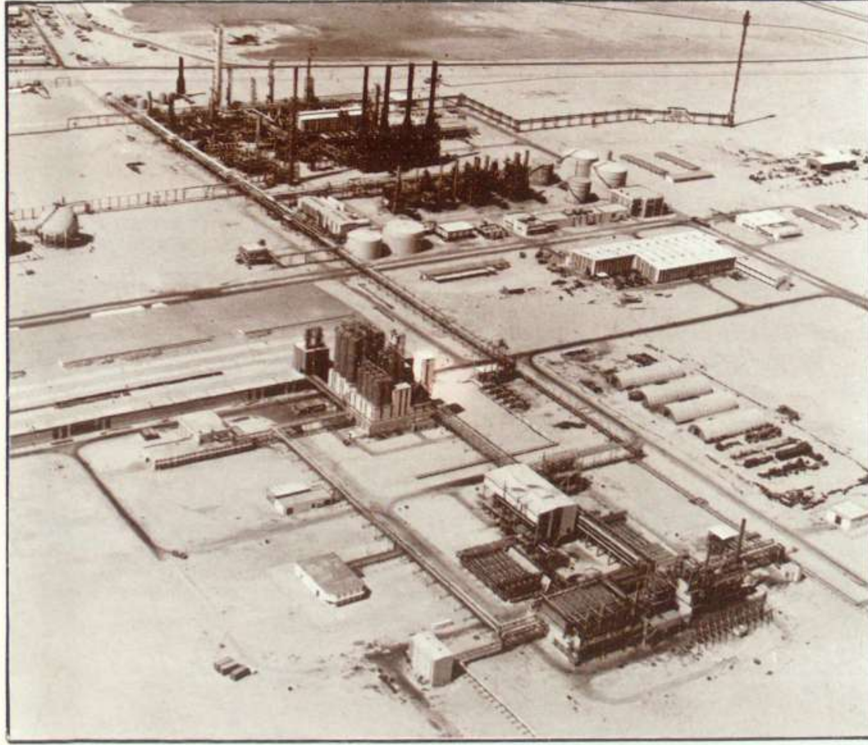
قلعة صناعية
على شاطئ أم سعيد

أنشئت شركة قطر للبتروكيماويات « قابكو » موضوع هذا الاستطلاع عام ١٩٧٤ بين دولة قطر ، ممثلة فى المؤسسة العامة القطرية للبترول (٨٤٪) ، ومجموعة سى . دى . اف شيمى CdF Chimie الفرنسية (١٦٪) ، برأس مال قدره ٣٦٠ مليون ريال قطرى ، تم زيادته أكثر من مرة ليصبح فى ١٩٨٥ مبلغ ٤٣٦ مليون . يشغل مجمع الشركة مساحة تقدر ب ١٠٠ هكتار ، ويضم ثلاثة مصانع رئيسية لانتاج الإيثلين والبولى ايثلين منخفض الكثافة ، ومصنعاً للبخار والطاقة اللازمة لتشغيل المجمع ، بالإضافة إلى المنشآت التكميلية العامة الأخرى .

وقد بلغت التكلفة الإجمالية للمجمع ٢٦٠٠ مليون ريال قطرى ويمكنه طبقاً للطاقة التصميمية أن ينتج سنوياً ٢٨٠,٠٠٠ طن من الايثلين ، ١٤٠,٠٠٠ طن من البولى ايثلين منخفض الكثافة ، ٤٦,٠٠٠ طن من الكبريت .

أما المادة الأولية المستخدمة فهى الغاز الغنى بالإيثان الذى يصل إلى المجمع عن طريق مصنع تسييل الغاز التابع للمؤسسة العامة القطرية للبترول .

هذا الغاز يحتوى على ٦٠٪ تقريباً من الايثان ، ٢٠٪ من الميثان ، ٢٠٪ من الغازات الحامضية الأخرى .



منظر عام لمجمع البتروكيماويات

وحدة جديدة
لاستخلاص الإيثان

وداخل مجمع الشركة يجرى العمل الآن على قدم وساق لانشاء وحدة جديدة لاستخلاص الايثان ، من المخطط لها أن تبدأ فى العمل مع بداية ١٩٨٦ . هذه الوحدة سوف تستقبل وتعالج ١٥٠ مليون قدم مكعب يومياً من خليط من الغاز النصيل Stripped Gas قادم من الحقول البرية والبحرية ، ويحتوى فى تركيبه على ١١٪ من الإيثان .

بمعالجة هذا الخليط سوف تنتج الوحدة الجديدة يومياً ٥٠٠ طن مترى من الإيثان ليستخدم فى مصنع الايثلين ، ٢٠٠ طن مترى من L. P. G. يعاد توجيهها إلى مصنع تسييل الغاز من أجل استخدامات أخرى ، أما الغاز الذيلى المتبقى Tail Gas فسوف يتم ضخه إلى شركة الأسمدة الكيماوية المجاورة لمجمع الشركة . الغرض من انشاء هذه الوحدة الجديدة ، والتى تتكلف ٢٠٠ مليون ريال قطرى ، هو تأمين الكمية اللازمة من المادة الخام لتشغيل مجمع « قابكو »

قابكـــو

شركة قطر للبتروكيماويات المحدودة

• العنوان : المركز الرئيسى : ص.ب ٧٥٦ الدوحة — قطر .
ت : ٣٢١١٠٥
تلكس : ٤٣٦١ قابكو د . اتش
المجمع : المنطقة الصناعية — أم سعيد — قطر .
ت : ٧٧٠١١١
تلكس : ٤٨٧١ قابكو . د . اتش .

• رأس المال : ٤٣٦ مليون ريال قطرى .
• المساهمون — المؤسسة العامة القطرية للبترول ٨٤٪ .
— مجموعة CdF Chimie ١٦٪ .
• مساحة الموقع : ١٠٠ هكتار .
• عدد العاملين : ٦٦٥ .
• تاريخ افتتاح الانتاج التجارى : يناير ١٩٨١ .
• تاريخ المجمع : فبراير ١٩٨١ .
• المادة الخام : الغاز الغنى بالإيثان ٦٠٠,٠٠٠ طن سنوياً . والذى يزود به المجمع من قبل مصنع تسييل الغاز التابع للمؤسسة العامة القطرية للبترول .
• المنتوجات والطاقة التصميمية : — الإيثلين ٢٨٠,٠٠٠ طن سنوياً — البولى ايثلين منخفض الكثافة ١٤٠,٠٠٠ طن سنوياً .
— الكبريت ٤٦,٠٠٠ طن سنوياً .
• إمكانات التصدير : الايثلين : جميع انحاء العالم وخاصة جنوب شرقى آسيا . البولى ايثلين : ٥٥٪ الى الشرق الأوسط ٤٥٪ جنوب شرقى أفريقيا والشرق الأقصى .
الكبريت : الخليج العربى — الهند — الباكستان .

● لأول مرّة في الشرق الأوسط يتمّ نقل غاز الإيثلين عن طريق الشاحنات!


محمد السليطي


صالح الحجي


يعقوب الهيل


محمد درويش


ناصر النعيمي


عبد الله الملا

بكامل طاقته التصميمية بصفة مستمّرة ومنتظمة ، وعدم تأثره بأى خفض فى انتاج البترول لأى سبب من الأسباب .

• • •

قبل القيام بجولتنا فى أرجاء المجمع التقيت بالسيد محمد حمد السليطى المدير الادارى للشركة والذى لم ينس خلال الحديث معى أن يحث الشباب القطرى عبر مجلة الدوحة على الاقبال على العمل فى المجال الصناعى من أجل بناء بلده ومستقبله . كما التقيت بالسيد أحمد أسد ضابط شئون الموظفين (٢٩ سنة — بكالويوس فى إدارة الأعمال من الولايات المتحدة فى ١٩٨٠) وهو يعمل بالشركة منذ تخرجه ، كذلك التقيت بمساعده السيد عبد الله الملا (٢٦ سنة — بكالوريوس إدارة أعمال — جامعة أريزونا بالولايات المتحدة فى ١٩٨٤) . ومن احصائيات الشئون الادارية نعرف أن اجمالى العاملين بالشركة حالياً ٦٦٥ منهم ١٠١ قطرى (١٥٪) ، ٣٣٠ من أبناء الدول العربية (٦٥٪) وهى نسبة عالية بالمقارنة بمثيلاتها فى المصانع الأخرى ومع الوضع فى الاعتبار أن صناعة البتروكيماويات صناعة متخصصة وتتطلب مستوى عاليا من الخبرة والكفاءة .

كذلك علمنا أن الشباب القطرى يشغل عدداً كبيراً من المناصب الهامة بالشركة ، من هذه المناصب على سبيل المثال :

المدير الإدارى — مدير العلاقات العامة — نائب مدير التسويق — نائب مدير المحاسبة — ضابط شئون الموظفين — المراقب الادارى المساعد — مشرف الاسكان — مشرف الاتصال والعلاقات العامة — منسق الأمن — منسق العلاقات الصناعية والخدمات — منسق حماية البيئة — مهندس أول الصيانة والخدمات العامة — مشرف انتاج البولى ايثلين .

جولة داخل المجمع

فى الإدارة الفنية وقبل جولتنا نتعرف على اثنين من الشباب القطرى هما المهندس صالح الحجى والسيد يعقوب الهيل ، اللذان فضلا العمل بالمجال الصناعى بعد الحصول على الدرجة الجامعية ، الأول فى الهندسة ، والثانى فى العلوم .

صالح الحجى حاصل على بكالوريوس فى الهندسة الميكانيكية من جمهورية مصر العربية فى ١٩٧٧ وعلى الماجستير من فرنسا فى ١٩٨١ أثناء عمله بالشركة ، وهو يشغل حالياً وظيفة مهندس أول الصيانة والخدمات العامة وتمتد مسئولياته الإشرافية لتشمل أقسام الصيانة الفنية والخدمات العامة والمشتروات والمخازن ومكتب الرسم . وعن تجربته فى « قابكو » يقول : « التحقت بالشركة فى ١٩٧٧ واخترت مجال الصناعة لما لها من أهمية فى بناء مستقبل المجتمع وتطويره .. أرسلتنى الشركة فى بعثة دراسية إلى فرنسا لمدة عامين للحصول على الماجستير ، وبعد عودتى أعد لى برنامج استمر لمدة ٩ شهور داخل المجمع مررت خلالها على جميع الأقسام الفنية ثم انتهى بى الأمر فى قسم الصيانة كما يتفق مع دراستى وتخصصى ، حيث بدأت كمساعد لمدير الصيانة ثم تدرجت فى السلك الوظيفى » .

ويقول المهندس صالح الحجى : « يجب على الشباب القطرى أن يقبل على العمل فى المجال الصناعى والفنى ، وأن يساهم فى بناء وطنه ، فالمجال أمامهم مفتوح لتولى مسئولياتهم مع اخوانهم من أبناء الدول العربية ، ويجب أن نعلم جميعاً أن الاستفادة بالخبرة الأجنبية غير العربية ليست سوى مرحلة مؤقته نتحمل بعدها نحن كامل المسئولية . وبالمزيد من الدعم المعنوى للكفاءات القطرية تتاح لها فرصة لإثبات وجودها والتغلب على أى صعوبات تواجهها . وأنا أناشد الخريجيين القطريين وخاصة من ذوى التخصصات الفنية أن يتجهوا إلى الشركات الصناعية الكبرى التى أقامتها الدولة .. فالصناعة هى الضمان الاكيد من أجل مستقبل أفضل على جميع الأصعدة : الشخصية والوطنية والقومية » .

أما السيد يعقوب الهيل : فأسأله فى البداية عن قصة « موكب الهيل » الذى يتحدث عنه زملاؤه فى العمل فيقول ضاحكاً :

« يا سيدى منذ شهور طلبت منا شركة « سابك » السعودية كمية من غاز الإيثلين لبدء تشغيل مصنع « صدف » . كان علينا أن ننقل اليهم الكمية المطلوبة بالشاحنات ، وكانت هذه أول مرة ينقل فيها غاز الإيثلين بالشاحنات بالشرق الأوسط . الحمد لله تمت العملية بنجاح ودون أى

قلعة صناعية على شاطئ أم سعيد



صهريج الإيثلين ، ويستعمل لتخزين ٣٠ الف متر مكعب من غاز الإيثلين

غلايات (مراجل) توربين الغاز بمصنع البخار والطاقة في مجمع البتروكيماويات



حوادث ، وكان ذلك يتطلب تنسيقا دقيقاً مع أجهزة متعددة : الشرطة ، الأمن ، الاطفاء ، الصحة .. الخ . كنت أنا المسئول عن تأمين هذا العمل والتنسيق مع جميع الأطراف وكانت الشاحنات تخرج فى موكب تتوفر له كل احتياطات الأمن والسلامة حتى الحدود ، تتقدمه الشرطة وتتبعه سيارة الاسعاف . وهكذا أطلق الزملاء على الموكب موكب الهيل » .

ويعقوب الهيل الذى يشغل وظيفة منسق حماية البيئة بالإدارة الفنية من مواليد ١٩٥٣ حاصل على دبلوم معهد الأدلة الجنائية فى ١٩٧٤ وعلى بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة فى ١٩٨٠ ويعمل فى « قابكو » منذ سنة ١٩٨١ . وقد أمضى السنة الأولى فى الشركة متدرباً فى المختبرات وأقسام الانتاج المختلفة ، ثم أرسل إلى المملكة المتحدة لحضور دورة تدريبية عن التلوث وحماية البيئة .

مع صالح الحجى ويعقوب الهيل وعبدالمحسن علي مشرف الاتصال بإدارة العلاقات العامة — وصاحب الخبرة الطويلة فى هذا المجال منذ عمل فى

« نفط الكويت » سنة ١٩٥٥ – كانت لنا جولة سريعة على مصانع المجمع .

• • •

مصنع الإيثلين ...

صمم هذا المصنع لينتج ٢٨٠,٠٠٠ طن سنويا من الإيثلين من كمية ٦٠٠,٠٠٠ طن من الغاز الغنى بالإيثان يستقبلها من مصنع تسييل الغاز التابع للمؤسسة العامة القطرية للبترول . هذا الغاز الغنى بالإيثان يتكون تقريباً من ٦٠٪ من الإيثان ، ٢٠٪ ميثان ، ٢٠٪ غازات حامضية أخرى وتتم عملية انتاج الإيثلين على ٣ مراحل هى : المعالجة – التحطيم البخارى – فصل المشتقات .

١ – معالجة الغاز : يعالج الغاز لاستخلاص الغازات الحامضية « كبريت الهيدروجين وثاني أكسيد الكربون » . يحول غاز كبريت الهيدروجين إلى كبريت صلب ويخزن فى مخزن يتسع لـ ٨٠٠٠ طن حيث يهيأ للتحميل والشحن بالسفن للتصدير . يفصل بعد ذلك غاز الميثان . أما الإيثان فيرسل إلى التخزين المحلى داخل خزانين كرويين سعة كل منهما ٤٠٠٠ متر مكعب أو يرسل مباشرة لتغذية أفران التحطيم .

٢ – التحطيم : يحقن الغاز القادم من المرحلة السابقة بالبخار ويمرر عبر أنابيب ملتفة داخل أفران التحطيم على درجة حرارة ٨٥٠ درجة . والهدف من حقن البخار هو تسهيل التفاعل والتقليل من ترسب الفحم على جدران الأنابيب .

٣ – فصل المشتقات :

وهو يتم على ثلاث مراحل :

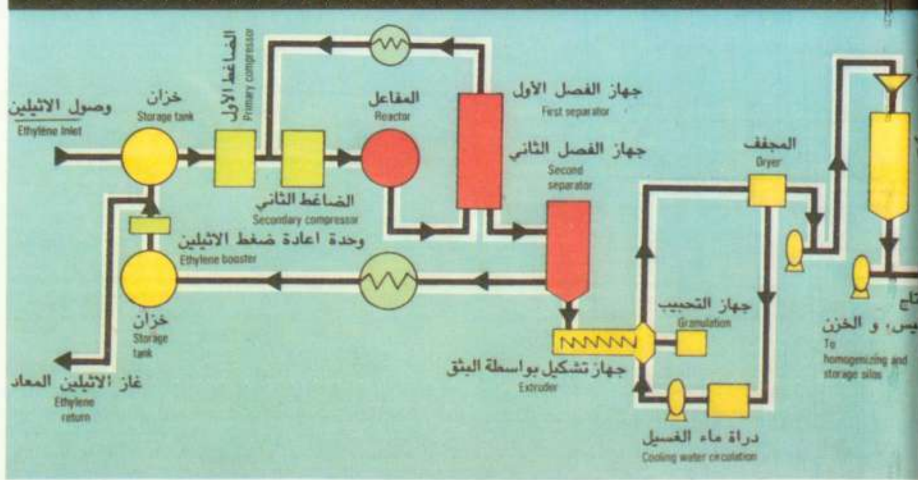
• القسم الحار : حيث تبرد الغازات المتكسرة الخارجة من الأفران بسرعة الى درجة حرارة ٣٥ داخل مبادل حرارى وبرج تبريد ويستفاد من حرارة التبريد فى انتاج البخار .

يتم فى هذا القسم أيضاً فصل الماء والزيوت الثقيلة ويرسل الغاز المحطم على درجة حرارة ٣٥ إلى قسم الضغط .

• ضغط الغاز : يضغط الغاز المحطم إلى ٣٦ بار ضغط جوى وتتم عملية الضغط بواسطة ضاغط من خمس مراحل يعمل بالطرد المركزى ثم يغسل الغاز المضغوط بين المرحلتين الرابعة والخامسة لإزالة الكميات الضئيلة المتبقية من ثاني أكسيد الكربون وكبريت الهيدروجين .

• القسم البارد : بعد التجفيف تبرد الغازات المحطمة فى دائرة البروبيلين السائل ثم فى دائرة الإيثلين السائل والذى تكون درجة حرارته ٩٥ تحت الصفر وذلك لتسهيل عملية فصل الغازات كما يلى :

المرحلة الأولى : إزالة الهيدروجين والميثان لاستعمالهما كغاز وقود .



رسم توضيحى لعمليه التحطيم البخارى التى تتم في مصنع الايثلين

وحدة تحلية مياه البحر



قلعة صناعية على شاطئ أم سعيد

المرحلة الثانية : استخراج الإيثلين بنقاوة ٩٩,٩٥٪ وكذلك الإيثان الذى يعاد من جديد إلى أفران التحطيم .

المرحلة الثالثة : البروبيلين : ويتم تخزين الناتج عن عملية الفصل فى خزان كروى البروبان : ويعاد استخدامه مرة ثانية .

أما باقى المواد الهيدروكربونية فيتم حرقها .

يرسل غاز الإيثلين المنتج إلى صهريج أسطوانى سعة ٣٠,٠٠٠ متر مكعب بدرجة حرارة ١٠٤ تحت الصفر وعلى الضغط الجوى ، أو يرسل إلى مصنع البولى ايثلين .

يوجد أيضاً مخزن لتخزين الكبريت على شكل حبيبات ، ويشحن مباشرة إلى المراكب الراسية بمحاذاة الرصيف .

مصنع البولى إيثلين

تبلغ الطاقة الإنتاجية للمصنع ١٤٠,٠٠٠ طن سنوياً من البولى ايثلين منخفض الكثافة وهذا المصنع من أكبر المصانع فى العالم والتى تعمل على خط انتاج واحد ويتبع طريقة CdF Chimie الفرنسية .

خطوات التصنيع

• عملية ضغط الغاز :

يضغط غاز الإيثلين النقى (٩٩,٩٥٪) على مرحلتين الأولى إلى ٢٥٠ ضغط جوى بواسطة الضاغط الأولى ، والثانية إلى ٢٠٠٠ ضغط جوى بواسطة الضاغط الثانوى .

• البلمرة :

يتم تحويل غاز الإيثلين المضغوط إلى مادة البولى ايثلين داخل مفاعل . أما التحكم فى التفاعل فيكون بواسطة الضغط والحرارة والمادة الحافزة وعوامل الانتقال للوصول إلى النوعية المطلوبة . بعد انتهاء التفاعل تخرج النواتج من المفاعل وينخفض الضغط تدريجيا ليسمح بفصل البوليمر عن الإيثلين غير المبلمر الذى يعاد دورانه لاستخدامه من جديد . وتصل نسبة البلمرة إلى ٢٠٪ . يعزل المركب المبلمر (البولى ايثلين) وتضاف إليه عدة مواد لتحسين خواصه مثل مانعات التأكسد ومانعات ضد الأشعة فوق البنفسجية ووسائط الانزلاق وغيرها .

• التجانس :

تتم عملية التجانس للبولى ايثلين للتأكد من تناسق خواصه .

والمصنع مجهز بصوامع للتخزين لتسهيل عملية التحميل فى الشاحنات ومزود بخط آلى للتعبئة بالأكياس ولفها على شكل رزم مغطاة بغشاء من البلاستيك أو يعبأ بصناديق للشحن مباشرة على السفن .

مصنع البخار وتوليد الكهرباء

ويضم هذا المصنع :

– ثلاثة توربينات غازية لتوليد الكهرباء (كل منها ١٧ ميجا واط) .

– مرجلا طاقة كل منهما ١٤٠ طن بخار/ساعة على ضغط ٤٥ بار وذلك بالاستفادة من حرارة الغازات الخارجة من التوربينات الغازية .

– مرجلان تقليديان يعملان على الغاز للمساعدة عند الحاجة ، استطاعة الواحد منهما ٧٠ساعة على ضغط ٤٥ بار .

– غلاية للمساعدة عند الضرورة ، استطاعتها ١٨٠ طن/ساعة .

– يحتوى المصنع أيضاً على محطة كهرباء فرعية ، وهى المحطة الأساسية لتوزيع الكهرباء لكل المجمع ، وموصولة بشكبة كهرباء الدولة بخطين ، جهد كل منهما ١٣٢,٠٠٠ فولت لتأمين توزيع منتظم للطاقة فى المجمع باستمرار .

المنشآت التكميلية العامة

– محطة لضخ مياه البحر تستخدم للتبريد الإجمالى وهى مجهزة بمضخات ، طاقة كل منها ١٣٠٠٠ م متر مكعب .

– محطة لضخ غاز الوقود .

– وحدة لانتاج غاز النيتروجين .

– وحدة لانتاج الماء الخالي من الأملاح المستعمل فى تغذية المراجل .

– شبكة لتوزيع الموائع الأساسية (ماء – هواء – غازات .. الخ) مع خزانين سعة كل منهما ٧٥٠٠ م متر مكعب لتخزين الماء المحلى .

– وحدة لتحلية مياه البحر .

الإنتاج والتسويق

فى سنة ١٩٨٣ بلغ انتاج «قابكو» من البولى ايثلين منخفض الكثافة ١٤٤,٠٠٠ طن ، وهو رقم يزيد عن الطاقة التصميمية . كذلك فى سنة ١٩٨٤ بلغ الانتاج ١٥٠,٠٠٠ طن وهو رقم يزيد أيضاً عن الطاقة التصميمية بمقدار ١٠,٠٠٠ طن .

أما بالنسبة لسنة ١٩٨٥ فالمستهدف هو انتاج ١٨٠,٠٠٠ طن من الايثلين ، ١٥٥,٠٠٠ طن من البولى ايثلين .

وفى الادارة المالية التقيت باثنين من الشباب القطرى يشغلان منصبين هامين فى الادارة : الأول هو ناصر النعيمى ، نائب مدير المحاسبة (٣٢

منطقة أم سعيد الصناعية

• تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من دولة قطر وعلى مسافة ٤٥ كم تقريباً من العاصمة «الدوحة» .

• بدأ الاهتمام بها واعدادها لتكون مركزاً للصناعات الثقيلة فى أوائل السبعينات وذلك لوجود شريط ساحلى مناسب .

• خلال السنوات القليلة الماضية قامت الدولة بتجهيزها باللوازم الأساسية للصناعة مثل تعميق السواحل وربطها بقنوات مؤدية إلى المياه العميقة وانشاء العديد من الأرصفة كما تم ربط المنطقة بشبكة خطوط أنابيب الغاز الطبيعى لتغذية مختلف المصانع ومحطات الكهرباء بالغازات اللازمة كمادة خام ومصدر لتوليد الطاقة .

• أهم المصانع الموجودة بها حالياً مصفاة تكرير البترول – الأسمدة الكيماوية – الحديد والصلب – البتروكيماويات – مصنع تسييل الغاز .

• المنطقة مجهزة بشبكات للطرق والمياه والمجارى والاتصالات ، والمنطقة السكنية مزودة بجميع الخدمات اللازمة لإقامة العاملين وأسرهم .

سنة) والذى بدأ حياته العملية فى هذا المجال منذ ١٩٧٣ بالمؤسسة العامة القطرية للبترول ، ثم التحق بشركة قابكو فى ١٩٨٠ ، وتدرج فى عدة وظائف بالادارة المالية حتى رقي إلى هذا المنصب فى أوائل ١٩٨٥ .

والثاني هو نائب مدير التسويق ، محمد دوريش (٣٠ سنة) ، خريج تجارة القاهرة (١٩٨٠ — ١٩٨١) والذى يعمل بالشركة منذ حصوله على البكالوريوس .

وفى إطار خطة تنمية القوى البشرية القطرية يسافر محمد درويش هذا الصيف إلى المملكة المتحدة للحصول على درجة فى المحاسبة تعادل الماجستير بعد عامين من الدراسة

رغم حداثة الشركة إلا أن منتجاتنا وفى وقت قصير أصبحت تتمتع بسمعة طيبة فى الأسواق العالمية لجودتها العالية ، هكذا بدأ محمد درويش حديثه معى . ثم يقول :

« نحن نهدف إلى انتاج وبيع أكبر كمية ممكنة ، وبالطبع بأفضل سعر ممكن . البيع فى أسواق الشرق الأوسط أمر منطقى ، حيث تكاليف النقل أقل منها إلى أسواق الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا . ولكن للأسف فإن أسواق الشرق الأوسط محدودة ، ولا يمكنها أن تستوعب أكثر من ٥٠٪ من انتاجنا .

من هنا كان اتجاهنا إلى الأسواق البعيدة فى جنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى حيث المنافسة شديدة والسوق خاضعة لظروف يفرضها المنتج المحلى والمنتج المنافس القادم من الولايات المتحدة والبرازيل واليابان وغيرها من البلاد . » ونعرف من إحصائيات قسم التسويق أن مبيعات قابكو فى السنوات الأربع الماضية كانت كما يلى :



صوامع تخزين البولى إيثلين

	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
• البول ايثلين	١٠٠,٥٠٠	١٢٢,٦٠٠	١٤٠,٩٠٠	١٥٣,٢٨٣
• الإيثلين	٢٥,٠٠٠	٨,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٥٧,٤٠٦
• الكبريت	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٢٧,٧٧٩
(•) الكميات بالطن المترى .				

اجمالى عدد العاملين بالشركة ٦٦٥

- نسبة العاملين القطريين ١٥٪
- نسبة العاملين من مختلف الجنسيات العربية بما فيهم القطريين ٦٥٪
- نسبة العاملين من غير العرب ٣١٪
- نسبة المعارين من قبل الشريك الأجنبى ٤٪

وبعد ..

فإن هذه الزيارة الميدانية لمجمع شركة قطر للبتروكيماويات والأول من نوعه فى المنطقة ، وحيث شاهدنا والتقينا بشباب وكفاءات من ١٤ دولة عربية يتعاملون مع أحدث منجزات العلم وتكنولوجيا العصر لتحويل مادة كانت تحرق هدراً إلى مواد مفيدة تجعلنا نؤمن ان كل مصنع يقام على أية بقعة من وطننا العربى الكبير ليس سوى لبنة فى صرح التنمية الشاملة ، وخطوة نحو مستقبل عربي أفضل ، فى عصر سريع الايقاع ، لامكان فيه للمنتظرين على أرصفة التاريخ .

طلعت الشايب



لقطة من مجمع البتروكيماويات

كثيرون من الفنانين ، العرب أو الأجانب ، يعودون من جديد الى الحرفة الشعبية ، الى الفنون التقليدية ، يستلهمون منها مصادر أعمالهم الفنية ، على مستوى التصور والتقنية أيضاً . الفنان يريد من ذلك أن يتصل من جديد بممارسة فنية عريقة ، خبرت الشعوب فعاليتها الابداعية ، دون حاجة أو هوس بالتجريب والاختبار والبحث ، ويريد من ذلك أيضاً أن يؤكد أن الفن ليس ابتكاراً مطلقاً ، بل حلقة متجددة فى سلسلة عريقة وعميقة الجذور فى تربتها المحلية .

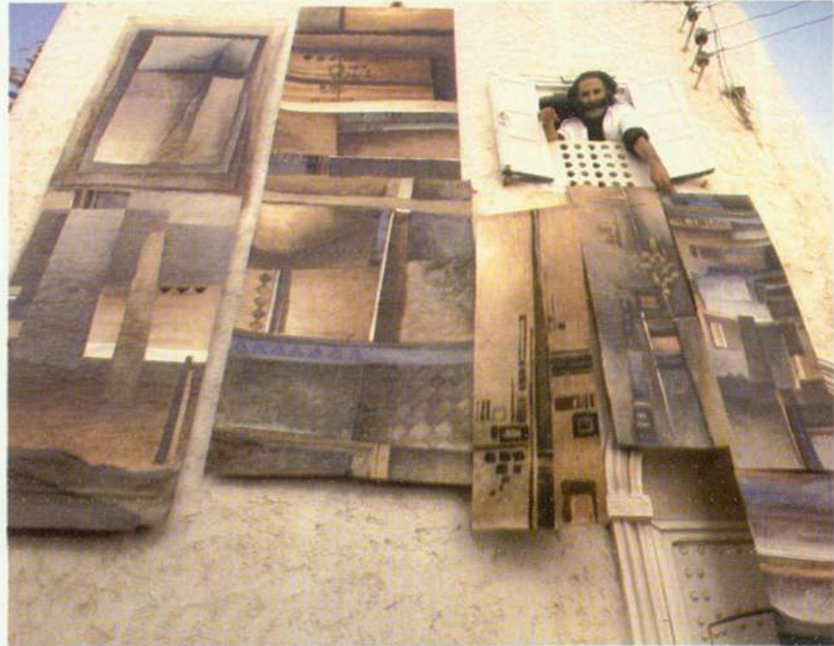
فنان فرنسي .. وفنان مغربي

يعودان إلى المقامات اللونية للسّجادة الشعبيّة العربيّة

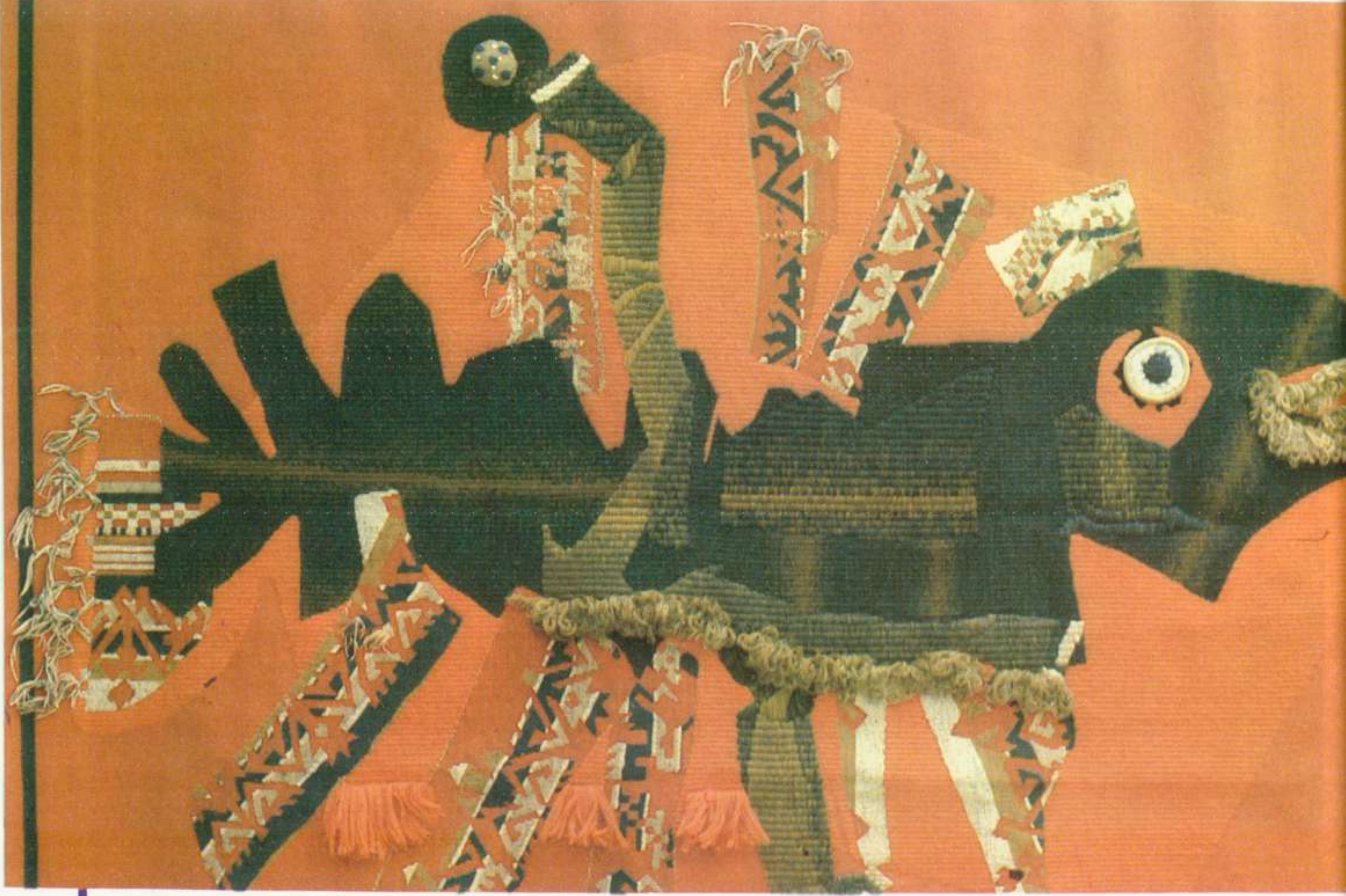
بقلم : شربل داغر

الفنان روجيه بيزومب الفرنسي والفنان محمد بناني المغربى يعودان لاستلهام نوع محدد من الفنون الشعبية : الأبسطة أو السجادة الشعبية . ينطلقان من هذه التجربة دون أن يكرر الواحد منهما زميله ، لا بل يتجه كل واحد منهما بعمله وجهة مبتكرة ومختلفة ، تجعلنا نتساءل عن صلة المبتكر بالأصيل . يعودان بطريقة مختلفة : بيزومب يعود الى هذه الحرفة .. من موقع غربى ، فهو ما عرف مثل هذه الممارسة الفنية فى بيئته ، بل إثر رحلة قام بها فى عام ١٩٣٧ الى المغرب ، على خلاف محمد بناني الذى عرف الحرفة الشعبية الى جانب ممارسته للفن التشكيلي جنباً الى جنب منذ بداياته الاحترافية .

إن هاتين التجربتين تعلماننا بطريقة مختلفة ومبتكرة أن لا ننظر الى ماضينا نظرة الاستهانة ، بل نظرة التجديد ، وأن لا ننظر الى المواد ، أية مواد ، ومهما كانت « حقيرة » ، نظرة الإهمال والنسيان بل نظرة الاستفادة الفنية . فكل مادة نبيلة بحد ذاتها ، أكانت قماشاً أم حديدا ، طالما



الفنان المغربى محمد بنانى مع مجموعة من التشكيلات الفنية للأبسطة العربية .



بساط عربي من انتاج الفنان الفرنسي بيزومب ، استخدم فيه الخرق والفضلات وبقايا المواد المتعددة

أن يد الفنان تعبث بها فنياً . فالفنان الأصيل يستطيع أن يحيي الفضلات (فضلات المواد) .. حتى وهي رميم !

متعة وإفادة

الفنان الفرنسي روجيه بيزومب (٧٢ عاماً) تعلم من جداتنا فن البسط والسجاجيد ، ونسج بها قماشة أعماله الفنية . بيزومب يعلمنا مثل محمد بناني أن كل شيء صالح للفن ، من الخرق وفضلات الأقمشة حتى نثار المادة . عاد الى الحرفة المغربية بدوره يستقي منها تكوين عمله الفني .

نتوقف أمام أبسطته الفنية ، لا لأنها تميز سيرته الفنية فقط ، بل لأنها تخصنا ، تعود إلينا ، تعنينا ، نحن العرب ، إذ تحاكى تقاليد متوارثة ومتداولة فى مدننا وأريافنا ، وهى تقاليد خاصة بالعاملين على الأنوال . ما إن تنظر الى أحد هذه البسط حتى تتذكر تقاليد العائلة وجيرانها ، حين كانوا يجمعون بقايا القماش ، ويذهبون بها عند وفرتها ليصنعوا منها بسطاً ، كانت تمد على الأرض فى الشتاء بدل السجاد ، خاصة عند العائلات الفقيرة : بسط بألوان عديدة ، بتعدد ألوان الأقمشة ، وهى تتدرج وفق خطوط أفقية ، وتتشكل أحياناً وفق بعض الحركات الهندسية البسيطة .

هكذا : كل شيء صالح للفن . لا غرض للفن مستقلا عن حاجات صانعه . يحتفظون بفضلات الأقمشة ، طلباً للاقتصاد والتوفير ، خاصة عند المعوزين ، وهى فضلات لا تتلف ولا ترمى في سلة المهملات بل يعاد نسجها فى بسط جميلة ونافعة . أي تقدير للمادة ! الفن ليس متعة وحسب بل إفادة أيضاً !

فى عام ١٩٣٧ يقوم روجيه بيزومب برحلة خاصة الى بلدان المغرب العربي . الرحلة عادية فى مسلسل متواصل من الرحلات ، لم ينقطع ولم يتوقف حتى الآن ، عند عاشق أبدي للسفر والتجوال والاكتشاف . يحل ، أولا ، فى المغرب ، ثم فى تونس والجزائر ، ولم يتحقق من أثر هذه الرحلات على فنه إلا بعد عودته الى باريس ، حين تبلورت طريقته الفنية المستلهمة والمستفيدة من تقاليد وتقنيات العاملين على الأنوال . « اذا كانت سيرة الفنان ، أو شخصيته الفنية الخاصة ، تتحدد أو تبدأ دائماً بنقطة ما ، هائلة بآثارها ، وواعدة بنتاجها ، فإني أجد هذه النقطة انطلاقاً من رحلتى هذه » ، يؤكد لنا . كأنه الحب من أول نظرة . لا بل أكثر . كأنه الزواج الأبدى . فمنذ عام ١٩٣٧ وحتى يومنا هذا لم يتوقف بيزومب عن استثمار هذه الطريقة الفنية المستجلبة وعن اكتشاف امكانات جديدة للتعبير منها .

بيزومب يجمع الخرق والفضلات ونثار المادة ، لكنه لا ينسجها فى بسط ، كما هو عليه الحال فى تقاليدنا المحلية ، إنه يتصرف مع هذه المواد المجمعة مثلما يتصرف الفنان مع أصباغه اللونية أو النحات مع أحجاره . إنها مادة العمل ، وهو « يشكل » بواسطتها تحفته الفنية . إنه فنان

فنـــان فـــرنسي .. وفنـــان مغـــربي

بعودان إلى المقامات اللونية للسجّادة الشعبيّة العربيّة

وليس صانعاً . هو يشكل ، ولا ينسج ، يؤلف ، ولا يرصف .

كل ابداع مغامرة

« المادة ، مهما كانت حقيرة أو مألوفة ، تبقى نتاجاً فنياً خالصاً ، لأن الروعة الجمالية لا تتأتى من جودة المادة أو نوعيتها . بل هي مسألة جدارة وحقيقة . الفن هو أن تكون جديراً بالحياة إذا كنت انساناً ، وحقيقياً فى الفن إذا كنت فناناً . كل إبداع فني هو مغامرة بحد ذاته » . هكذا يعرف بيزومب علاقته بالمادة ، تقديره لها ، وابتكاره منها للأشكال الجميلة .

فى أبسطته هوس بتحولات المادة القماشية ، وغيرها أيضاً . فهو لا يستعمل الخرق وفضلات الأقمشة وبقايا أثواب بالية فقط ، بل أدوات معدنية قديمة ، وخلافها من المواد المهملة ، المشروكة ، المرشحة .. للموت ، أي لعدم الاستعمال اليومي ، والجمالي بالتالى . إنه يجمع مواد عمله من حياة البشر اليومية ، ويعطي هذه المواد فرصة العيش مرة جديدة . كأنه ، بطريقته هذه ، وبما أن الفضلات لا تبقى « حية » فى الواقع أكثر منها فى الأعمال الفنية ، يعيد صياغة الزائل والعارض من المواد .

يقدر المادة ، ويعشق التحولات . فى البساط تفتقد كل فضلة أصلها ودورها ، وتكتسب حيزاً جديداً لها . كل بساط دورة من التحولات ، فوق بسطه الجدرانية تتجاور التخريمات (الدانتيل) مع فضلات الأقمشة الملونة ، وتتجاور أيضاً المواد المتواضعة ، حتى لا نقول الحقيرة ، كالأقمشة العادية ، مع المواد الفاخرة .

تذويب الحدود بين المواد

« أسعى الى ابتكار أشكال تذيب الحدود والفواصل بين المواد ، وبين الجدي والطريف ، أعبر فى هذه البسط عن أمور جدية ، ولكن كما لو أني ألعب أو أتسلى . أجمع فى هذه البسط بين ذوائب الثريا والمرايا المكسورة ، بين الكريستال والمعدن . أريد من سمفونية المواد والأشكال والألوان أن تحاكي المجد العريق لهذه المواد وأن تعيد لها الحياة » .



وسط أعماله التشكيلية جلس الفنان بناني فى جو من وحى الحياة الشرقية

يتكلم الفنان بيزومب عن فنه بيديه ، كأنه حرفي ، على النول خاصة . يتكلم براحة كما لو أنه يتذكر وقائع يوم فى المساء . المسافة غير بعيدة أبداً ، بعكس الطرق الفنية الأخرى . بين كلية جسد الفنان ، احساسياً ويدوياً ، وبين نتاجه ، بين وتيرة عمله وحياته اليومية وبين نتاجه . إنه فنان كلي . فنان سعيد .

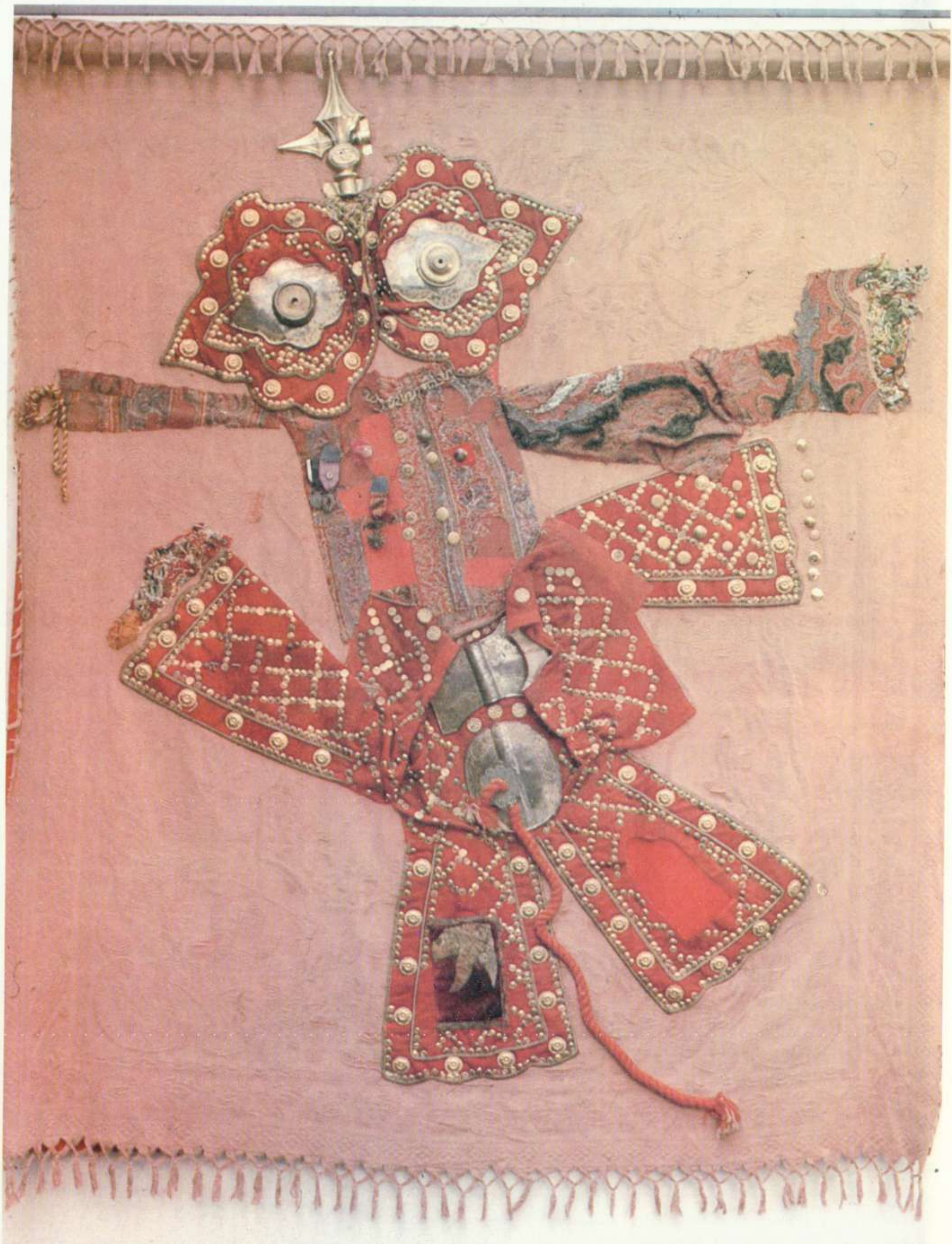
الاشتغال بالمادة ، قماشاً أو معدناً ، يفترض التقيد بها بقدر ما يدخر حرية التصرف بها . لا تتوفر لبيزومب طبعاً ، فى اشتغاله بهذه المواد ، الحرية الكاملة المتوفرة لمن يذيب حديداً ويصبه فى قالب ابتكره أو انتقاه . إنه يختار المواد . يختار قياساتها وأحجامها ، ويقطعها كيفما يشاء . لكنه لا يستطيع أكثر من أن يختار جمعاً ، لا تذويباً ، بين هذه المواد كيفما يريد . الحرية محدودة إذن . إنها حرية توليف (مونتاج) ، بما تفترضه من جمع وحذف . إلا أن محدوديتها لا تتأتى إلا من الحرص فى « الحفاظ » على المادة ، لا من تقييدات أسلوبية ارتضى بها الفنان . هذه هى حدود هذه الطريقة ، وهذا ما « يشرفها » أيضاً .

ألا أن المحدودية هذه لا تلغي حدود تدخل الفنان وفعله الجمالي . في عمليتي الجمع والحذف يقوم الفنان بممارسة تجمع بين حسه الغرائزي ومعرفته الكيميائية ، اذا جاز القول ، بالمادة ، يعيد الفنان باشتغاله على فضلات المادة ، تملكه لها ، وللطبيعة .إنه فن حرفة ورغبة أيضاً !

عجائب الآثار

« ورأينا بهذه المدينة داراً يسمونها دار التصاوير ملآنة بالتصاوير المنحوتة من الرخام والمرمر الجيد ، وتصاوير أخرى فى حيطان تلك الدار بحسن الصناعة التى لا فرق بينها وبين الآدمي إلا بعدم الكلام ، حتى انك ، اذا حققت النظر فى الصورة التى فى الحائط تراها تتبعك بنظرك ، فيالها من صنعة غريبة ! » (١) : بهذه الدهشة العارمة يصف الجزائرى سليمان بن صيام رحلته فى ١٨٥٢ « الى بلاد فرانسة أو الرحلة الصيامية » .

قد يكون هذا النص المغمور هو أول نص يعبر فيه عربي عن تعرفه ، وبالتالى عن انبهاره ، أمام « فن المرسم » (l'art de l'átelier)



سجادة بديعة ، متناسقة الألوان ، استطاع الفنان الفرنسي « بيزومب » أن يجعلنا عند رؤيتها نشعر بمدى اقترابه من الفن العربي

فنان فرنسي.. وفنان مغربي

يعودان إلى المقامات اللونية للسجّادة الشعبيّة العربيّة

و « اللوحة السندية » (la toile de cheralet) بعد النص التاريخي الوصفي لعبد الرحمن الجبرتي في « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » (٢) ، الذي يتحدث فيه عن الحملة الفرنسية (١٧٩٩) ، عن فنانيها ، عن مقامهم وفعاليتهم ، وعن « المصور أريغو » خاصة ، وهو ريغو نفسه ، المصور الفرنسي المعروف . يالها من صنعة غريبة !

عرب القرن الماضي مثل فنانينا في بدايات القرن الحالي وقفوا منبهرين ، صارخين : يا لها من صنعة غريبة ! هي ممارسة غريبة فعلا ، أي غير معروفة في بيئتهم ، ومخالفة لتقاليدهم الفنية المحلية ، وهي غرابة تحمل التباين بقدر ما تحمل الاندهاش أمام هذا « الوافد » الجميل . ولكن هل هي صنعة فعلا كما عناها العرب : « العلم الحاصل بمزاولة العمل » ، و « المهارة في عمل اليدين » ؟ أما حاول المصريون (وهم العرب الأوائل الذين احتكوا بالفن الغربي منذ حملة بونابرت) تعريب هذه الممارسة « الغريبة » ، أي تملكها وادخالها في البناء التعبيري العربي ، حين سموها بـ « صناعة الصور » ؟ هذه التسمية لم تعد متداولة في أرجاء العالم العربي ، وبتنا نسمي هذا الفن المستجلب بـ « التصوير الزيتي » ، أو خلافه من الأسماء المترجمة . تبدلت الترجمة لأن الفنان العربي مثل المترجم العربي تبينا بدقة أكثر الفارق النوعي بين « الصناعة » بمفهومها العربي و « الممارسة التشكيلية » بمعناها الغربي ، لاختلاف أصلي في التصورين الجماليين .

معلقات فنية حديثة

أعمال محمد بناني الجديدة تثير مثل هذه الأسئلة ، وغيرها أيضاً . لكل عمل فني نسبه ، أصوله في تاريخ الأشكال الفنية . تناسب أعماله الجديدة تسمية « المعلقات الفنية » ، أو « الصناعات الفنية » : هي معلقات كصنف في طريقة فنية هي طريقة الصناعة .

محمد بناني : صانع فني يصنع معلقات فنية حديثة .

لا تناقض ولا التباس في التعريف أعلاه ، مثل التناقض والالتباس اللذين نلحظهما عند التعريف بأي فنان عربي . يصعب على الفنان العربي المعاصر أن يكون أصيلا وحديثاً في آن معاً حين ينتج



بساط شعبي آخر للفنان الفرنسي .. يدل على مدى تأثره بالفنان العربي التلقائي

« اللوحة السندية » ، حتى لو أتت لوحته مستعملة لقوانين الجمالية العربية الاسلامية . فاللوحة ، كنوع ، شكل فني ذو نسب عريق في الحضارة الغربية مثلما تشكل المحفورات اليابانية (أو فن المخطوطة عند العرب) نوعاً عريقاً وخصوصياً لحضارة ما . أعمال محمد بناني الجديدة تثير هذه الأسئلة .. الجذرية ، إذ تبعدنا عن الحلول « التوفيقية » في الفن ، وعن الاستعادة الفولكلورية لتراثنا ، وعن عمليات الاقتباس والتجديد التي تحفل بها تجارب فنانينا المعاصرين . بناني ، مثل العديد من الفنانين العرب ، بدأ بالتشخيصية (أو التّمثّيلية) وانتهى الى التجريدية . وبدوره أيضاً حاول لوحة مسطحة (دون عمق منظوري) ، اقتبس مفرداتها التشكيلية من نسق الزخرفة العربية والعمارة العربية ، المغربية خاصة . لكنه لم يهنأ بهذه الحلول « التوفيقية » (مع النفس بالأساس ، وقبل الجماعة) اقتنع غيره بعمل فني ، مقنع في حدوده الفنية الضيقة ، و « متناقض » في صلته مع شكله الفني الحضاري . بدوره طرح اللوحة المسندية جانباً ، مثلما سبقه الى ذلك الفنان ، المغربي بدوره ، فريد بلكاهية ، والفنان المغربي الآخر محمد المليحي ، ولكن بصورة جزئية .

أعمال بناني الجديدة تشير إليه . هي صنع يديه ، ولها .. اطلالته البنية أو الرمادية . مثل الحنين أو الغروب . مثل شوق الذاكرة لملامسة جلد الطفولة ، الجلد القديم والمخطط ، الجلد الحي والمعتق ، جلد الدفء والمتانة والعراقة ، مثل جلد المغرب الأصيل .

محمد بناني يعود الى المغرب ، الى تقاليده العريقة وصناعاته الشعبية ، يعود الى ماضي ما تعلمه والى ما صنعته يداه . فقد كان صانعاً للجلود في بداياته الفنية ، في تطوان ، مدينته الأصلية ، يسوى منها زنانير وحقائب وغيرها من المصنوعات الجلدية . كان صانعاً جيداً وتاجراً فاشلاً : ذات يوم حمل بناني مصنوعاته الجلدية الى محل في الرباط كان يتعامل معه لبيع مصنوعاته ، حيث « اكتشف » بدهشة كبرى ، وبألم أيضاً ، أن السيدة الفرنسية ، صاحبة المحل ، باعت أمام مرأى عينيه أحد زنانيره الجلدية بستين درهماً مغربياً ، فيما كان قد باعه لها قبل دقائق بعشرة دراهم . إثر عودته الى تطوان . أقفل بناني محله الصغير وشرع



هكذا حاول الفنان الفرنسى «بيزومب» فى هذه السجادة أن يؤكد قدرته على إعادة صياغة الخامات المهملة

نوافذ محترفه لحسن الحظ ، حظه وحظنا !

يعود بناني من جديد الى الجلود ، الى الأقمشة بأنواعها العديدة ، الى الجلود والأقمشة المستعملة . إنه ينتقيها ، يجمعها ويشتريها من الأسواق الشعبية مثلما يجمع الفنان العراقى شاكر حسن آل سعيد ما يخلفه البشر من تخطيطات ورسوم وكتابات على الجدران .

مقامات لونية

الأقمشة مثل الجدران تحكى حكايةالانسان ، تحتفظ بآثاره وتبلغها ، مثل علامات فائقة الدلالة ، حتى حين لا تكون صارخة بل مكتومة . أعماله لا تظهر الشيء بل توحى به . إنه فن ضمني ـأكاد أقول ـ ، مراجعة قائمة فيما تتضمنه القطعة الفنية وما توحي به للمتلقي . مثل الجمر تحت الرماد . مثل الصراخ المكتوم . مثل الصور والحكايات التى تخرج من الجلد المستعمل ، ذي الملمس الناعم (كأنه ميت ، مستنفد ، أصم) ، حين ننظر إليه ، لمجرد أن نمعن النظر فى مقامات الألوان الترابية ، لون الذاكرة ، لون القدم ، لون الحنين ، من أصفر الزعفران حتى البني المحروق . أعماله لا تدعونا الى سفر فى تراكم اللون وتاريخه الاستعمالى والعاطفي ، بل تستنفر فينا رغبة اللمس أيضاً ، طواعية اليد ورقتها الحانية . ضربة واحدة من الأزرق تكفيه لأن يحيى ، لأن يشعل هذه المقامات اللونية .. الكتومة . كتومة : مثلما يتفاهم حبيبان فى عائلة عربية تقليدية دون عبارات . مثل نظرة حانية لأم وادعة ، مثل علامة وحسب دون ثرثرة طويلة .

إنها معلقات فنية .

بناني لا يخرج فقط من إطار اللوحة المسندية ، بل من صالة العرض أيضاً ، وهي تقليد غربي آخر . يجب أن ننظر الى أعماله معلقة ، مثبتة من الأعلى فقط ، لا فوق جدار فى صالة مكيفة بالهواء ، بل فى الهواء الطلق ، فى الشارع أو فى الساحة العامة ، لكي « يشكلها » بدوره ، ولكي يؤثر فيها .. كيميائيا الهواء والضوء الطبيعيان ، مثلما تتعرض ملبوساتنا ومقتنياتنا الجلدية وخلافها لفعل البيئة والزمن والطبيعة . مثل سجادة فارسية (عجمية) . هنا أيضاً ، يقطع بناني علاقته مع تقاليد الفن « الصالونى » ، ليجعل الفن منخرطاً فى البيئة ، فى العمارة ، ومع الجماعة أيضاً ، مثلما كان الشعراء الجاهليون « يعلقون » قصائدهم في الأسواق الأدبية أمام مرأى الجميع ، وللجميع . انه ينتج قطعة فنية ، غرضاً فنياً ، موجوداً ومحدداً وسميكاً مثل جسم : يجمع الأقمشة فوق بعضها البعض ، حتى انه يخيطها أحياناً ..

إنها الحرفة اليدوية ، الصنعة الشعبية ، حين ترتقي وتتبلور كممارسة تشكيلية .إنها قطعة تنتجها اليدان ، وقيمتها الفنية ناتجة عن الاشتغال اليدوى بها ، لا عن تنفيذها فوق حامل مادي كصورة ذهنية أو مرئية في العقل والتصور . إنها قطعة تتراكم فيها الخبرة والعمل الدؤوب وملكة البناء التشكيلي . هى عمل زمني ، لا انتاج لحظة محددة وصورة بعينها .

محمد بناني يجد لطريقته الفنية أصولاً بعيدة ، نثق بها ويغمرنا الحنين للمسها الناعم والأكيد . هي الطمأنينة التى نفتقدها فى عالم يغص بمواد وسلع هشة ، ضعيفة ، سريعة الاستهلاك ، دون أى تاريخ وأية ذاكرة . هى الثقة بجلد يفصح عن حكاياته المكتومة .

شربل داغر

باريس



نموذج تشكيلى للفنان المغربى محمد بنانى ، استخدم فيه مقامات الألوان الترابية

هوامش :

(١) : راجع النص الكامل لهذه الرحلة فى كتاب « ثلاث رحلات جزائرية الى باريس » ، تقديم وتحقيق خالد زيادة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٩ ـ ص ٣٠ .

(٢) طبعة بولاق ، ١٨٧٩ .

● رسائل زمان



فرق مذهل بين زماننا وزمان أجدادنا الذين عاشوا قبلنا بآلاف السنين ، اذ ما أيسر الآن أن تسحب ورقة وقلماً وظرفاً ، لتكتب رسالة ، ثم تلقيها فى صندوق البريد ، وبأقل التكاليف ، فيتلقاها المرسل إليه بعد يوم وبعض يوم ، أو عدة أيام قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، ولا تهم بعد ذلك المسافات ، حتى ولو كانت آلاف الكيلومترات ، فزماننا هذا هو زمن الاتصالات السريعة بفضل كفاءة وسائل المواصلات التى تختصر الأزمنة والمسافات ، ولن يحس الانسان الحالى بالنعمة التى يعيش فيها الا إذا رجع للأيام الخوالى ، حيث اكتشفت هذه الرسالة السومرية (الى أسفل) ومظروفها التى وضعت فيه (الى أعلى) منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، والكتابة هنا غائرة ، لأنها كتبت على لوحة من الطين ، وكذلك المظروف ، وما أشقى ــ والحال كذلك ــ « بوسطجى » أو رجل البريد الذى كان يستخدم قدميه ، أو دابة يركبها ، خاصة اذا كانت المسافات طويلة ، وتستغرق شهوراً بين ذهاب واياب ، وقد يحدث أن يموت « البوسطجى » فى الطريق ، أو قد ينتقل المرسل أو المرسل إليه للدار الآخرة .. فكل شيء جائز فى عصر رسائل الطين !

● تبدو بين الأصابع لؤلؤة



صغيرة لدرجة لاتكاد تصدق ، لدرجة أن ظفر الأصبع يبدو بالمقارنة كبيراً .. ورغم ذلك الحجم الضئيل ، فهى بيضة أحد الطيور .. أصغر بيضة يمكن أن يضعها طائر .. اذ يبلغ وزنها ثلث جرام ، أو بالتحديد ٠,٣٦٥ جراماً لا غير ، أما طولها فلا يتجاوز سنتيمتراً واحداً ، وعرضها حوالى سبعة ملليمترات .. والبيضة لطائر صغير بكل المعايير ، وهو أحد أنواع الطيور المعروفة باسم الطائر الطنان ، أو الطائر النحلة ، فطوله حوالى ٥٧ ملليمتراً ، بما فى ذلك منقاره وذيله اللذان يبلغ طولهما وحدهما نصف طول الطائر ، أما وزنه فيصل الى حوالى ١,٦ جرام لا غير ، أى قدر وزن فراشة ، هذا ووزن الفراشة متروك لتقديرك على أية حال .. ومن المعروف أن أكبر بيضة لطائر هى عرضها يساوى ١٥,٢ / ١٢,٧ سنتيمتراً ، ووزنها ١,٦٥ كيلوجراماً ، وتتحمل قشرتها وزن رجل تبلغ كتلته ١١٣ كيلوجراماً ، وبعملية حسابية يتضح أن كل ٤٥٢٠ بيضة للطائر الطنان تزن بيضة واحدة للنعام .. والغريب أيضاً أن بيضة الطنان تزن بالتقريب ربع الطائر ، وياليت للدجاج ما للطائر الطنان ، اذ لو حدث ذلك ، لبلغ وزن بيضة الدجاج ــ فى المتوسط ــ حوالى نصف كيلوجرام !

● هل هي قبلة .. أم إظهار للقوّة؟



إذا كانت الطيور لا تعرف القبل كما يعرفها البشر ، فان هذه اللقطة تدحض ما قد يساور ظنوننا من أول نظرة ، رغم أن تلاقي المنقار يوحي بأن الطائرين في حالة من حالات النشوة ، لكن المظهر خادع ، إذ أن الوضع هنا قريب من وضع تلاقي ديك مع ديك ، أو كلب بكلب ، أو تيس بمثيله ، ذلك أن معظم أنواع الذكور أثناء فصل التزاوج والتنافس على امتلاك الأنثى ، تدب بينها غريزة العدوانية والتشاجر ، ولكل نوع طريقته المفضلة في الهجوم على عدوه من نفس نوعه وجنسه ، ولاشك أن مثل هذا الصراع في صالح حياة الأنواع ، لأن فيه الغالب والمغلوب ، والغالب هو الأقوى ، وهو الذى يحظى بالأنثى ، فيورث الأجيال القادمة صموده وقوته الكامنة في تكوينه الوراثي .. لهذا اذا وجدت ذكرين يتصارعات ويقتتلان ، فابحث عن الأنثى ، فهي غالباً التي تطلق شرارة الصراع لتختار الأنسب والأقوى .

● نعم مظلات قائمة .. ولكن!

على أرضية الغابات الدافئة ، حيث تتساقط الأوراق والثمار وفضلات الطيور والحشرات الميتة ، تبدأ حياة جديدة على تلك النفالات العضوية ، فتحللها وتعيدها سيرتها الأولى — أى الى عناصر وغازات بسيطة ، فكأنما على أنقاض الأموات ، ورفات الحياة ، تبزغ حياة جديدة بكل أشكالها وصورها وأنواعها .. فمن حيوانات أولية بسيطة ، الى كائنات بكتيرية ، الى أنسجة فطريه أو غير ذلك من صور الحياة البدائية ، وهذه اللقطة التى تبدو على هيئة مظلات ، ليست في الحقيقة الا واحداً من هذه الكائنات ، أو هو أحد أنواع الفطريات التي تعيش على أرضية الغابات ويعرف باسم عش الغراب ، ولقد جاء مكبراً هنا عدة مرات ، وكل مظلة تحمل على سحطها السفلى عشرات أو مئات الألوف من الجراثيم ، وعندما تتساقط على أرضية الغابة ، تتفرع بين المادة العضوية وتحللها وتمتصها وتعيش عليها ، ثم تكون محاور دقيقة لترتفع الى أعلى كسيقان مستقيمة ، تنتهى بهذه التشكيلات الجميلة التى تبدو كمظلات أنيقة ، لكنها تظلل « بذور » أو جراثيم حياة قادمة ، ولكل حياته الميسرة .





قلادة الاستقلال القطرية

على طريق النهضة في قطر

القلائد والأوسمة

بقلم: درويش مصطفى الفار

لعل نزعة الناس الى تمييز الأفراد المتفوقين الذين يؤدون للجماعة ، سلماً أو حرباً ، خدمات مرموقة ، قضية قديمة قدم المجتمع البشرى ذاته ... ولقد اتخذ أسلوب تمييز الفرد النافع صوراً شتى وطرائق مختلفة خلال التاريخ ، فتارة يمنحه رئيس الدولة أو السلطان أو الملك ، إقطاعاً من أرض ، له غلتها ولعياله وورثته من بعده ، وتارة يخلع عليه حلة أو عمامة ، تعني رفعه الى رتبة أعلى فى الوظائف العسكرية أو المدنية ، أو يهبه درعاً أو سيفاً أو قوساً أو رمحاً مزخرفاً أو فرساً مطهمة ، أو يمنحه صرة من النضار أو الورق ، دنانير أو دراهم ، يستعين بها على شئون دنياه ، ومتاع عيشه ..



نوط الاستحقاق القطرى



وسام الإقدام القطرى

وكان للعرب فى جاهليتهم الأولى واسلامهم ، أسلوب آخر ، الى جانب الأسلوب المادى يفرقون به الخبيث من الطيب ، مدحاً واطراء وتمييزاً ، أو هجاء ودحضاً وملامة ، فرب بيت شعر من قصيدة ، لا يساويه من المال كل ما فى خزائن الأغنياء ، حتى سمى العرب بعض قصائد شعرائهم الفحول ، مقلدات الشعر أو قلائده ، وهى (البواقى) على الدهر ، وللقارىء أن يسترجع بعض ما قاله المتنبى فى سيف الدولة مدحاً ، وما قاله فى كافور هجاء ..

واصطلح الناس عبر القرون ، على أن المال والخلعة ، وأى منحة مادية ليست بالضرورة ميزة للممتازين وسمة للنابهين والنابغين .. فاخترعوا أسلوباً جديداً للتكريم والتقدير والتمييز ، قد لا يكون ذا قيمة مادية ضخمة ، ولكنه يحمل المعنى المراد بالامتياز حملا أميناً لا يؤتى من مداخل التزوير والتزييف والتصنع والتظاهر . ذلك هو أسلوب منح القلائد والأوسمة ، تعبيراً للفرد عن تقدير الجماعة ممثلة فى رئيس الدولة أو المؤسسة أو الهيئة أو الجماعة من العلماء أو الأدباء والفنانين ..

ويقولون إن أول من سك الأوسمة والأنواط هو الامبراطور البيزنطى (يوحنا باليولوغوص الثامن) سنة ١٤٣٨ م ، وأمر بصنعها من البرونز ، ليعلقها على صدور الممتازين من رجاله والعاملين بدولته ... وعلى توالى القرون ، احترف الكثير من الصناع مهنة صناعة الأوسمة والقلائد والأنواط من الذهب والفضة وغيرها من الفلزات والسبائك واشتهرت بها عائلات بذاتها فى بلاد الانكليز والفرنجة والجرمان ، والطليان ، مثل عائلة (دوناتو برامانت) أيام البابا يوليوس الثانى (١٥٠٣ ــ ١٥١٣ م) وعائلة (بطرس فلوتر) فى نورمبرج ، قبل محاكماتها المشهورة بثلاثة قرون ونصف القرن ، وعائلات جويللام ووارين أيام لويس الثالث عشر ، حفيد لويس التاسع أسير دار ابن لقمان بالمنصورة فى مصر ..

وتنوعت أشكال الأوسمة والأنواط والقلائد ، وتبارى الناس فى زخرفتها ونقشها وتطعيمها بالأحجار الكريمة المختلفة ، ومنهم من تغالى فى ذلك كثيراً ، ومنهم من ثار على هذا الغلو ، كما فعل هتلر فى ألمانيا (١٩٣٣ ــ ١٩٤٥ م) إذ جعل أرفع وسام فى دولة الرايخ هو وسام (الصليب الحديدى) وصنعوه من الفولاذ لا غير !!!

ولعل البريطانيين أكثر الناس اهتماماً بأنواع الأوسمة والقلائد وخاصة فى عصر بناء الإمبراطورية أيام ملكتهم الشهيرة (فيكتوريا) . ويقول رجال اللغة من الانكليز إن أول استخدام لكلمة (ميدال) كان سنة ١٥٨٦ م ، ولا أدرى اذا كانت هذه الكلمة قد دخلت الى أوروبا من اللغة العربية من الفعل (تدلى) بمعنى تعلق كالدلو ..

أما الأمريكيون فأشهر أوسمتهم (نوط الشرف) الذى أقر به الكونجرس الأمريكى فى ١٨٦٢/٧/١٢ م وبدأ منحه للعسكريين فى ١٨٦٣/٣/٢٥ ولرجال (المارينز) البحريين فى ١٨٦٣/٤/٣ م ، ولا ندرى هل ناله أحد منهم من الذين عرفتهم سواحل لبنان الجريح سنة ١٩٨٢ م ؟!

وأرفع أوسمة الامريكيين المدنية هو ذاك المسمى وسام الاستحقاق سنة إنشائه ١٩٤٥ ثم سماه الرئيس جون فيتزجرالد كنيدى قبل أن تغتاله الأصابع الخفية سنة ١٩٦٣ م ، سماه باسمه الحالى وسام الحرية ..

ولقد صدر فى قطر القانون رقم (٥) لسنة ١٩٧٨ م يقضى بانشاء الأوسمة والقلائد المدنية والعسكرية القطرية لأول مرة في تاريخ البلاد ، ووقعه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى في ١٣٩٨/٦/٢٣ هـ (١٩٧٨/٥/٣٠) .

ويقضى هذا القانون بانشاء :

١ ــ قلادة الاستقلال ، وهى أرفع وسام فى دولة قطر ، وتمنح لرؤساء الدول الحاليين أو السابقين .

٢ ــ قلادة الاستحقاق ، وتمنح لأولياء العهد ونواب رؤساء الدول وأعضاء مجالس الوصاية ورؤساء مجالس الوزراء ورؤساء الهيئات النيابية .

٣ ــ وشاح الاستقلال ويمنح لنواب رؤساء الوزارات ومن فى مستواهم من الشخصيات المشهود لهم بالكفاية العالية والتفانى فى خدمة الوطن أو العروبة أو الإنسانية .

٤ ــ وشاح الاستحقاق ، ويمنح للوزراء ومن فى مستواهم من السفراء وكذلك لكبار الشخصيات من القطريين وغير القطريين ممن يؤدون أعمالا قيمة لدولة قطر أو العروبة أو الانسانية .

٥ ــ وسام الاستحقاق ، ويمنح للقطريين وغير القطريين ممن يؤدون خدمات نافعة لدولة قطر أو للعروبة أو للإنسانية .

وهذا الوسام من خمس طبقات .

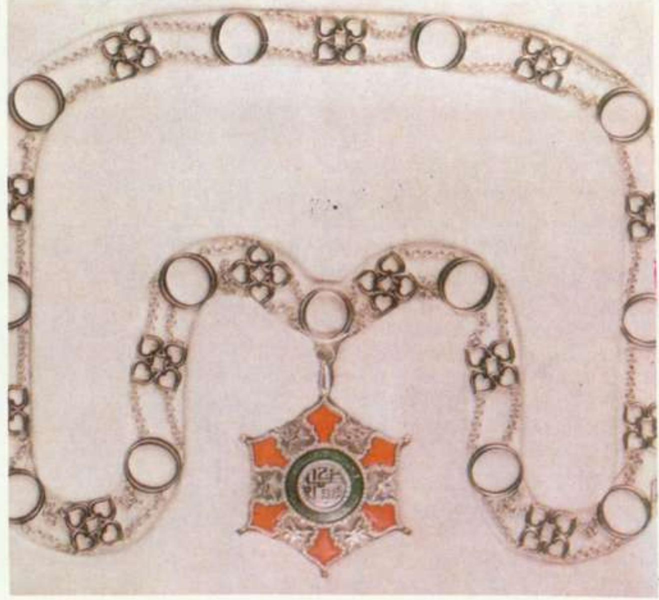
٦ ــ نوط الاستحقاق ، ويمنح بطبقتيه للموظفين والشباب والفرق الرياضية المتفوقة .

أما الأوسمة العسكرية فمنها ، وسام الإقدام ، ووسام الامتياز ووسام الجدارة ووسام الخدمة

القلائد والأوسمة



درع القوات البحرية الملكية السعودية



قلادة عمان الكبرى (سلطنة عمان)

المخلصة وشارة الكفاءة القيادية وشارة الكفاءة الادارية وشارة الكفاءة التدريبية .

وقد ترك القانون الباب مفتوحاً لإنشاء أوسمة مدنية وعسكرية أخرى حسب مقتضيات الأحوال .

وقد بين القانون الرتب التى تمنح لها الأوسمة المختلفة ، وصاغ الحدود التى تمنح طبقاً لها تلك الأوسمة والقلائد وفصلها تفصيلا حضارياً واضحاً ...

وعلى الرغم من أن المادة الحادية والعشرين من ذلك القانون تنص على أن :

« تبقى الأوسمة وبراءاتها ملكاً لمن منحت له ، وتنتقل ملكيتها لورثته. على سبيل التذكار »

• أسوة بما هو متبع فى كل بلاد العالم ..

• إلا أن سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، قد ارتأى رأياً آخر فى كل ما أهدى إليه من القلائد والأوسمة من مختلف بلاد العالم ، وضرب مثلا ، لم يسبقه إليه أحد قبله ..

• فقد أهدى جميع هذه الهدايا (الشخصية)



قلادة مبارك الكبير (الكويت)



وسام « موجنج هوا » الأكبر (كوريا الجنوبية)



ملحق لوسام سانت مايكل وسانت جورج (المملكة المتحدة)



وسام النهضة : من أوسمة سلطنة عمان

ملكا (لمتحف قطر الوطني) بالدوحة ، مقراً بذلك مبدأ حضارياً ، وهو اعتباره أن هذه الأوسمة والقلائد قد أهديت له بصفته « أمير شعب قطر » وان الشعب الذى افتتح المتحف من أجله فى ١٣٩٥/٦/١٤ هـ (١٩٧٥/٦/٢٣) هو مالك هذه الأوسمة والقلائد !!!

• وكان من جملة ما أهداه من ذلك للمتحف :

١ ــ قلادة الجمهورية (من مصر ١٩٧١/٦/٥ م) .

٢ ــ قلادة الشرف (من السودان ١٩٧٢/٤/٢٩) .

٣ ــ قلادة بدر الكبرى (من المملكة السعودية ١٩٧٣/٥/١) .

٤ ــ قلادة النيل العظمى (من مصر ١٩٧٣/٨/٢٤) .

٥ ــ وسام موريتانيا (مايو سنة ١٩٧٤) .

٦ ــ قلادة الحسين بن علي (من المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٧٤/٧/١٨) .

٧ ــ وسام الاستقلال (من تونس ١٩٧٥/٧/٢٢) .

٨ ــ الوسام المحمدى (من المملكة المغربية ١٩٧٥/٧/٢٤) .

٩ ــ الوشاح الأكبر لجيون دونير (فرنسا ١٩٧٥/١٠/٢٧) .

١٠ ــ قلادة بهلوى (ايران ١٩٧٥/١١/١٣) .

١١ ــ وسام الأسد الوطنى (السنغال ١٩٧٥/١١/٢٠) .

١٢ ــ قلادة عمان الكبرى (سلطنة عمان ١٩٧٥/١٢/٢٠) .

١٣ ــ قلادة سيمون بوليفار (فنزويلا ١٩٧٧/٤/٢١) .

١٤ ــ وسام جمهورية اندونيسيا (١٩٧٧/١٠/١٢) .

١٥ ــ الوشاح الأكبر من وسام القديس ميخائيل والقديس جورج (من بريطانيا ١٩٧٩/٢/٢١) .

١٦ ــ وسام إيزابيلا (اسبانيا ١٩٨٠/١١/٣) .

١٧ ــ قلادة مبارك الكبير (الكويت ١٩٨٢/٢/١٥) .

١٨ ــ نيشان باكستان الأول (١٩٨٤/٤/١٦) .

١٩ ــ وسام موجنج هوا الأكبر (كوريا الجنوبية ١٩٨٤/٤/٢١) .

٢٠ ــ وسام الكريزنتام الأكبر (اليابان ١٩٨٤/٤/٢٣) .

ويعرض متحف قطر الوطنى هذه الهدية الفريدة ، مع هدايا أخرى قدمتها جهات عديدة غير الأوسمة والقلائد الى سمو الأمير ، فى معرض خاص ، يؤمه زواره ، ويرون فيه وجهاً حضارياً فريداً غير مسبوق .

درويش مصطفى الفار



من روائـــع الفن العـــالـــمي

بقلم: جمـــال قطـب

العازفة

في استعراضاتنا الكثيرة لمدارس الفن الشهيرة في التاريخ ، لم نتوقف أمام مدرسة بريطانية تمثل حركة أو ظاهرة شاملة تلقى باشعاعاتها وتأثيراتها على مسيرة الفن العالمى ، كما حدث فى إيطاليا أو بلاد الشمال الأوروبى (هولندا وبلجيكا) أو فرنسا مثلا . ذلك لأن الفن البريطانى ــ كعادة الانجليز أنفسهم ــ فن محافظ ملتزم فى كل مراحل التحولات الكثيرة التى غيرت مسار الفكر العالمى عبر عصوره المتعاقبة . حتى أن التيارات التى كانت تهب على الجزر البريطانية من الشمال أو الشرق أو الجنوب .. لم تستطع أن تعصف بتقاليد الفن البريطانى أو تطبعه بأساليبها المستحدثة إلا بقدر ضئيل ، بينما يواصل الطابع البريطانى تطوره الطبيعى فى تمهل واستيعاب وتغيير بطىء لا يكاد أن يحس .. وبالتالى ، لم يظهر فى انجلترا ما يمكن أن نطلق عليه ثورة فنية أو تحول شامل ينتج عنه مدرسة جديدة تفاجيء حركة الابداع العالمى .

ومن الملاحظ أن الصور الشخصية تمثل جانباً أساسياً عند معظم الفنانين الانجليز .. ان لم تمثل الجانب الأكبر من إبداعاتهم .. حتى اننا رأينا أن فنانى القرن الثامن عشر العظام من أمثال وليام هوجارت وتوماس هدسون وجوشوا رينولدز وتوماس جونسبرو وجورج رومنى .. وغيرهم . كانوا من فنانى رسم الأشخاص ، وهم الذين سجلوا شخصيات عصرهم فى لوحات خالدة تعمر بها المتاحف وصفحات التاريخ ، ومن العسير أن نتذكر أى شخصية بريطانية لعبت دوراً فى السياسة أو الفكر أو المجتمع .. إلا ونجد لها صورة من أعمال هؤلاء الفنانين العظام . وظلت هذه الاهتمامات الفنية سائدة حتى منتصف القرن التاسع عشر ، رأينا بعدها تطوراً فى أساليب الأداء (التكنيك) فرضته التيارات الجديدة فى مستحدثات علوم البصريات والاكتشافات الجديدة فى تحليل ضوء الشمس وألوان الطيف فيما عرف بالمدرسة الانطباعية التى انبثقت من باريس حينذاك ، ولو أن التغيير كان متزناً وملتزماً إلى حد كبير فى بريطانيا بعكس ما حدث فى فرنسا من التغيرات الجذرية التى أحدثت انقلاباً فكرياً شاملا بين فنانى العالم أجمع .

وإذا كنا نتحدث عن هذا الالتزام فى الفن البريطانى فى القرون الحديثة .. فما بالنا بالقرنين السادس عشر والسابع عشر ؟ كان الفن فى انجلترا وقتها فناً راقياً نبيلا تنم صياغته عن إخلاص الفنان وسمو مكانه ومكانته فى المجتمع ، ولم يسخر لخدمة هدف واحد كما حدث فى فن عصر النهضة الذهبى الايطالى .. ولم يوظف لخدمة البلاد كما فعل الفنانون الفلمنكيون فى دول الشمال الأوروبى فى هولندا وبلجيكا ..

ولكن الفنان فى بريطانيا كان سيد الموقف .. يرسم ما يحلو له ، ويحلق فى جماليات الحياة من حوله ، ويختار ما تتفتح له بصيرته ووجدانه . وكانت سيدات المجتمع وقادته وعناصره البشرية المرموقة .. هى المنهل الابداعى للفنانين ..

ولوحة اليوم هى من روائع الفن العالمى البريطانى .. كما أنها من أشهر اللوحات التى تطالعنا دائماً كنموذج راق للجمال الذى يبعث على التأمل والاعجاب الهادىء فى غير إثارة ولا انفعال .. رسمها الفنان أوراتسيو جنتليتشى فى عام ١٦١٠ وأسماها : العازفة الفاتنة . وربما يلفت اسم الفنان أنظارنا ، فهو اسم إيطالى وليس اسماً بريطانياً .. بينما حديثنا عن الفن البريطانى ، وهذه حقيقة .. فقد ولد الفنان فى مدينة بيزا فى إيطاليا عام ١٥٦٣ وتلقى دراسته الفنية فى روما (ولذلك يظهر جليا طابع فن عصر النهضة على تفاصيل اللوحة) ،

وقد مارس عمله الفنى فى مطلع شبابه فى روما وجنوا وتورينو .. ثم هاجر إلى باريس .. وعندما ذاعت شهرته كفنان مرموق ، قصد لندن واستقر فيها وأصبح مواطناً بريطانياً . منغمساً فى التقاليد السائدة فى المجتمع .. وعاش حياته كأحد الفنانين الذين أسسوا الطابع الخاص للفن البريطانى فى عصره ، حتى توفى فى لندن عام ١٦٣٩ .

والعازفة الفاتنة هى ابنة الفنان أوراتسيو ، واسمها أرتمسيا ، وقد رسمها الفنان بعاطفة أبوية جياشة تنضح بالحب السامى فى غير تكلف أو ابتذال . بل أضفى عليها براءة وجمالا وجواً بديعا تتألق ايحاءاته الملهمة من خلال هذه الرموز الشاعرية بين الأنغام والألحان والسكينة والتأمل الابداعى الرفيع . وقد عرفت أرتمسيا فى التاريخ بأنها كانت واحدة من ألمع نجوم المجتمع البريطانى فى أوائل القرن السابع عشر ، وأكثرهن ثقافة وتألقاً فى المحافل الفكرية . والمجتمعات الراقية . ولننظر سوياً إلى هذه اللوحة . ولنتأمل تلك المعانى التى فجرت ينابيعها لمسات الفن الرقيقة الحانية الدافئة !



العازفة : للفنان العالمى أوراتسيو جنتليتشى (١٥٦٣ ـ ١٦٣٩)

لأن الشوق معصيتي

قصة بقلم : ســـــارة

١ ــ الحمل

لأن الشوق معصيتى
دهمني حبك .. كالمطر .. والريح ..
أنا المسكونة ببحيرات الحزن .. المجدولة بالوحدة .. و .. بأشواق ترعش لحلم شارد .. قد يأتي .. وقد لا يأتي ..
حاربت طواحين الهواء .. وطواحين الماء .. هزمت .. وجرحت .. وتبعثرت .. و .. جمعت بقايا قلبي الصغير .. و .. بعثت من جديد كالعنقاء .. أبحث عنك .
اشتقتك فى ليالي التيه .. والبرد .. والخوف .. والمطر الحزين .
صافحت عيون المدن الغريبة بحثاً عن عينيك .. تحسست ملامحها .. بحثاً عن ملامحك الموشومة فى أحلامى وذاكرتى .
ركضت ــ بدوية هاربة من صحراء العمر ــ أجوب الطرقات .. والوجوه .. لوحات الإعلانات . المقاهى .. والقطارات والمراكب الراحلة .. أبحث عنك .. لعلك هنا فى هذه الشجرة .. ولعلك هناك فى تلك الزهرة .. ربما .. سكنت وجه القمر .. أو اتخذت من النجوم خيمة .
أنا المهزومة فى وطنها .. ودارها .. وأحلامها ..
المنذورة للرحيل .. المغسولة بالشجن ..
أعلن ..
أن الشوق إليك معصيتي ..

و .. أعلن .. أنني أصنع كل يوم من حلم العثور عليك .. مجدافاً .. كلما تكسر مجدافي قبل الوصول إلى مينائك .. وجزرك .. وأشجارك .. وغاباتك الحادة .

ها أنت تنداح كمياه المحيطات فوق كل لحظة من لحظات عمرى .. تحتل أيامي .. وذكرياتي .. وجروحي .. تتسلل لعطرى .. وأوراقي .. وخزانة ثيابي .. وسريرى الشائك .. تخرج من كل الأشياء .. وتنبت فى كل الأشياء .. وأنا لا أملك أن أقاوم ..

ولا أملك أيضاً إلا أن .. أحبك .. أحبك .
فتوهج .. لأتوهج .. هكذا تولد زهرة .. وتدفق .. تدفق .. في سهولي .. يا خبزي القمحي .. سنابلك الناضجة بالأشواق أنا .. فاحصدني .

منفية كنت خارج مدن الكلمات الجميلة ..



الشوق .. اللهفة .. الحنين .. الدفء .. قبل أن « أتشعلق » كطفلة شقية بأرجوحة حبك الشمسية .

كنت كصياد متعب يعود كل مساء بأصداف البحر الفارغة .

كنت نخلة بلا جذور وأغنية بلا صوت .. وسهماً بلا هدف .. وأرضاً بلا مطر .. وعصفوراً بلا عش .. وتاريخاً بلا مؤرخ .. وحكاية بدون راو .

فأصبح حبك قارة خصب للأشياء .. كل الأشياء .. نسفت جسور عودتي لطمأنينة الوحشة .. وترف السكون قبل التشبث بحلم العثور عليك .. أحرقت القطارات .. والسفن والطائرات .. لأظل راحلة اليك .. وفيك أبداً .

أركض إليك حلماً .. بقدر ما أتوق إلى الهرب منك .. كل وجه التقيته عذبني لأنه ليس وجهك .. وكل يد امتدت نحوى .. كانت كجبال من الثلج تعزلني فى قارة الصقيع والبرد .
وحيدة أنا بدون دفئك .. وأمطارك .. وعواصفك .
أقول لك ..

إذا كنت لن تسكنني فابق مشترياً أحلم يوماً بامتلاكه لي .. و .. سأتبعك حافية حتى آخر العالم .

٢ ــ المخاض

« ضحك الحزن مني لكثرة الغرف التى استأجرتها فى بيته »
لذا .. قررت عند العثور عليك ..
أن أتسلل إلى مسامك .. وأنصب خيمتي ..
لأنبت زهرة فريدة فى أحراش عمرك .. وأنحدر كجدول صغير عبر سهول فرحك الشاسع .. و .. أن أصير فراشة صغيرة اختبىء فى أعشاب صدرك .
قررت ..
أن أغفو على كتفك .. قطعة أكلت منها عواصف الشتاء .. وأحكي لك عن هجرتي الطويلة إليك .. عن النخيل الذى سألته عنك .. والحجارة .. وعصافير الكناري .. شجر السدر .. والغمام .. والراحلين والعائدين .
قررت ..
أن أخترق .. قارتك الحارة المشتعلة بالطيب والفرح .. بتشردي الطويل .. وبحثي الطويل .. وحزنى الطويل .
قررت ..
أن أنفجر بك .. وفيك أشواقاً وأحزاناً ولهفة .. فضمني إليك .. لأضمك إلى .. و .. لنسقط ..
ما أروع .. أن نسقط معاً فى الفرح .

٣ ــ الولادة

ها أنت أمامي فارساً يمتطي صهوة أحلامي ..
و .. أنا أمامك ..
لكني .. مصلوبة بالخوف من فقدك ..
لكني .. مشنوقة بتعبي ..
لكني .. مذهولة حتى الصمت .. لأن العثور عليك أمر لا يصدق ..
لكني .. عاجزة عن تنفيذ قراراتي بالرحيل فيك وإليك .
يا عينيه ..
إذا كان لأحدنا أن يطلق الشرارة .. فلتشعلي الفتيل أنت .
فأنا عاجزة أن أحكي لك كم أشتاق
و .. عاجزة أن أعلن .. أن الشوق إليه معصيتي .



الخليج العربي والتغيّر الحضاري

بقلم : عبد الرزاق البصير

ليس مخطئاً من يتساءل عن سبب هذه الهجرة التى تحدثت عنها في كلمة سابقة ، والتي تشبه مد البحر وجزره ، والتى لم يشهدها أى قطر عربى آخر غير منطقة الخليج العربى . وجوابى على من يطرح هذا السؤال هو أن هذه المنطقة العربية كانت قبل أن تدر أرضها على أهلها بهذا الخير فقيرة فى كل شيء ولاسيما فى الناحية الثقافية ، إلا ذبالات ضوء مضطربة تأتى من الصحافة العربية فى مصر والشام والعراق ، لا تستقبلها الا فئة قليلة متحدية استنكار المعارضين المتشددين إذ أنهم يرون فى قراءة الصحف شيئاً من الاثم يعاقبهم الله عليه .

وتأتى هذه الذبالة الضوئية من رحلة فئة قليلة الى الهند والى الشام ومصر والعراق ، فتستكشف هذه الفئة أن الحياة فى تلك البلاد تكاد تغاير حياة هذه المنطقة ، فالطب لا يعالج بالشعوذة أو بالعقاقير القديمة وإنما يعالج بطرق حديثة تعتمد على تشخيص الأمراض بأدوات حديثة يستخدمها أناس بذلوا جهودا مضنية فى الدراسة حتى استطاعوا أن يتوصلوا الى معرفة الكثير والكثير من مسيرة الحياة فى جسد الانسان ، وبذلك استطاعوا أن يبصروا الناس فى مأكلهم ومشربهم وفيما ينبغى أن يتجنبوه من طرائق تجعل أجسادهم مجالا للحشرات تعرض حياتهم الى المخاطر ، كما عرفوا أن التعليم لا يكفى أن يكون فى كتب كل ما فيهاسقيم وعقيم . واستكشفوا أيضاً أن تدبير السياسة فى الخارج والداخل وتوثيق العلاقات بين الأمم لا تسير في طريقها الصحيح إلا بمساهمة كل أفراد الشعب فى الرأى والمشاركة فى خيرات البلاد .

استكشفوا ذلك كله وعادوا الى أقطار هذه المنطقة يبشرون بالاصلاح ، وطريق ذلك أن ينتشر التعليم بين الجميع . فوجدت دعوتهم طريقها الى القلوب الخيرة المستنيرة ، كما أنها وجدت مقاومة من القلوب المغلقة التى تريد إبقاء كل شيء على ما هو عليه ، ولكن الفئة المستنيرة ثبتت للمقاومة ، وصبرت للتهم المختلفة التى تحاول أن تقف فى الطريق وتسد كل الأبواب .

وكان الشعراء والأدباء أول من استجاب لهم فأحسنوا الاستجابة ، حيث نجدهم ينظمون القصائد فى المناسبات المختلفة ، يدعون الناس فيها الى أن العلم أصبح أساس الحياة فى جميع العصور ، ولكنه فى هذا العصر أصبح المنطلق الذى لا يمكن لأى شعب أن يحيا بدونه ، وتجد ذلك جلياً واضحاً فى آثار الشاعر عبد الرحمن المعاودة ، والشاعر أحمد يوسف الجابر ، والشاعر عبد اللطيف النصف ، والشاعر خالد الفرج ، وغيرهم من الشعراء . ثم تطورت هذه الدعوة فأصبح الشعراء يدعون الناس الى قراءة الصحف ليكونوا على صلة بما يجرى فى العالم بصورة عامة وفى الوطن العربى بصورة خاصة ..

فهذا هو أديبنا المرحوم أحمد البشر الرومى يرفع صوته قائلا :

ان للصحف بقلبى
منزلا أغلى نزولـــه
إنمـا الصحف كطير
يشتهى الحر هديله
كل من شاء رقيا
صير الصحف سبيله
فبهـا خير حيـاة
وهى للعلم وسيله

ومن الواضح أنك اذا أردت أن تتذوق هذا الشعر من الناحية الفنية فانك لا ترضى عنه بلاشك ، لأنه ضعيف من هذه الناحية لأن قائليه قد تكون لديهم الموهبة الشعرية ولكن نفوسهم امتلأت بالحماس لتنبيه مواطنيهم الى محاربة الجهل فوجدوا النظم أسرع انتشاراً فى النفوس ذلك أن العربى تميل نفسه بسرعة الى الشعر .

وعلى كل حال فإن أولئك الرواد كانوا مصابيح بددت الكثير من ظلمات الجهل ، وان من حق التاريخ أن نعرف أجيالنا بهم ، لأنهم هم الذين أضاءوا الطريق وثبتوا لكثير من الخطوب حتى اذا شاء الله أن يمكن لهذه الدعوة فى أرض هذه المنطقة بما نبع من باطنها من خير غزير واسع جعل المسئولين قادرين على محاربة الجهل والفقر والمرض ، فأخذوا يشيدون المدارس والمعاهد والجامعات وأخذوا يبنون المستشفيات ويعمرون المؤسسات لإدارة هذه النهضة الشاملة .

وهذا كله لا يمكن أن يسير فى طريقه الصحيح السليم الا بنظم وقوانين وقواعد لتسير الحياة فى كل هذه المؤسسات بصورة صحيحة . فاقتضى ذلك أن تنفتح هذه المنطقة للخبراء والعلماء والأطباء والمدرسين ، وما الى ذلك مما تستدعيه هذه النهضة الشاملة ، مما جعل الحياة تندفع بقوة عظيمة امتدت الى كل شيء فى هذه المنطقة . ولا يمكن أن تسير هذه النهضة الواسعة بدون أخطاء وعثرات — فان سكان هذه المنطقة بشر من البشر تنطوى جوانح البعض منهم على حب الثراء ، وتنطوى جوانح البعض منهم على حب المناصب ، فحدث مايحدث لكل نهضة واسعة مفاجئة ، لم تحقق كل ما يتمناه المخلصون الذين يريدون أن يكون كل شيء في مكانه الصحيح . فاذا أضفنا الى ذلك قوة حيلة الأجانب الذين انثالوا على هذه المنطقة للقيام ببعض الأعمال العمرانية والاقتصادية ، وطيبة قلوب سكان هذه المنطقة وحسن نيتهم اتضح لنا كثير من أسباب ما وقعت فيه بعض أقطار هذه المنطقة من أخطاء أهدرت بسببها كثير من الأموال .

وهنا تبرز مهمة المفكرين المهتمين بالاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة من أبنائنا وبناتنا بعد أن استنارت عقولهم بالعلوم والمعرفة ، وتتمثل فى إبداء آرائهم وأفكارهم بصراحة فى مسيرة حياتنا .

فلابد اذن من أن يفسح المجال للمتخصصين ليبدوا ما يتوصلون إليه من آراء وأفكار ، وأن نتقبلها بقبول حسن لتسير حياتنا بكل جوانبها فى طريقها الصحيح ، والا فليس لما نبذله لأبنائنا وبناتنا ليتعلموا ، وليس لما يبذله شبابنا من جهد فى تحصيل العلم من معنى ، اذا كانت آراؤهم وأفكارهم تذهب أدراج الرياح ، أو اذا كنا نضطرهم الى أن يلوذوا بالصمت ... فان خير العلم ما نفع قائله وانتفع به من وصل إليه .

مجمع اللغة العربية

تلقينا من مجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة تتضمن نص القرارات والتوصيات التي أصدرها مؤتمر المجمع في ختام جلساته للدورتين الخمسين والحادية والخمسين .

توصيات مؤتمر الدورة الخمسين

أولا : يوصي المؤتمر أن يتحقق التعاون بين المجامع العربية والجامعات والهيئات العلمية لتوحيد المصطلحات العلمية ، حتى تصل إلى لغة علمية موحدة .

ثانياً : أن تعنى وسائل الإعلام جميعها بالتزام العربية الفصحى نطقاً وأداء مع وجوب تعيين مصححين متخصصين لكل ما يكتب فى الصحف والمجلات أو يذاع من أخبار ومواد مختلفة ، يقومون بتقويم الألفاظ وضبطها ضبطاً دقيقاً . وأن يعنى فى الإذاعة والتليفزيون خاصة بتنمية المهارات والقدرات اللغوية بمحاضرات يلقيها على المذيعين متخصصون فى اللغة العربية .

ثالثاً : يوصى المؤتمر بأن تلتزم مسارح الدولة باللغة الفصحى فى تمثيلياتها ، ويطلب إلى مسارح القطاع الخاص أن ترتقي بلغة تمثيلياتها إلى مستوى الفصحى تدريجياً .

رابعاً : يوصى المؤتمر بأن يلتزم أساتذة الجامعات ومدرسو المدارس المختصة باستعمال اللغة الفصيحة السهلة في إلقاء المحاضرات والدروس ، وكذلك فى المناقشات والمحاورات .

خامساً : يوصي المؤتمر أن تزود مكتبات مدارس التعليم العام بتسجيلات المصحف المرتل لتمكين الطلبة من محاكاة الفصحى والنطق بها نطقاً سليماً ، وان تهتم وزارات التربية بزيادة رصيد الطلبة من محفوظ القرآن الكريم ليزداد وعيهم بالألفاظ والأساليب القرآنية .

سادساً : لاحظ المؤتمر تدهور مستوى النصوص التى تقدم إلى الطلبة لاسيما نصوص الشعر لذلك يوصي وزارات التربية والتعليم بضرورة البعد عن النصوص التى تصدر عن أقلام غير معترف بها .

سابعاً : يوصي المؤتمر بأن تقلل وسائل الاعلام من الاهتمام بالآداب الشعبية لتزيد من ناحية أخرى اهتمامها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلقى الآن ترحيباً من مختلف الطبقات على امتداد العالم العربى .

ثامناً : وجوب مراقبة الخطب العامة على اختلاف أنواعها من جهة ألفاظها ومن جهة ضبطها ، لما لها من آثار خطيرة في توجيه لغة الجماهير ونطقها، وتبلغ هذه التوصية إلى مختلف الجهات الرسمية ، ولاسيما وزارات الأوقاف التى تخاطب الجماهير أسبوعياً ، لتلقى العناية الواجبة .



توصيات مؤتمر الدورة الحادية والخمسين فبراير ـ مارس سنة ١٩٨٥

أولا : يؤكد المؤتمر توصياته السابقة ، ويأمل أن يستكمل تنفيذها من جميع جهات الاختصاص .

ثانياً : يوصى مؤتمر المجمع بضرورة العمل على تعريب التعليم فى جميع مراحله ولاسيما مرحلة التعليم العالى والجامعى . ومما يجدر ذكره أن مدار البحث الذى اقترح هذا العام لمؤتمر المجمع كان حول (تعريب التعليم) .

ثالثاً : يؤكد المؤتمر على ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ومتابعة الجهود التى يقوم بها اتحاد المجامع العربية فى هذا المضمار .

رابعاً : كما يوصي بالمبادرة إلى التوسع فى وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية مع مقابلها بالانجليزية والفرنسية .

خامساً : كما يوصي بإنشاء هيئات علمية خاصة في كل قطر عربى يقوم بترجمة أمهات الكتب العلمية القديمة والمعاصرة فى مختلف اللغات والتخصصات .

عبد العزيز جاويش

نشرتم بالعدد ٨٧ الصادر فى شهر جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ . مارس ١٩٨٣ م موضوعاً للكاتب الكبير الأستاذ فتحى رضوان أطال الله فى عمره وأمده بالصحة والعافية فى خدمة الأمة الاسلامية والعربية .. وكان هذا الموضوع عن المجاهد الشهيد عبد العزيز جاويش .

ان نضال المجاهد لم يقتصر على بقعة معينة من الوطن العربى بل امتد الى ربوع المنطقة الاسلامية كلها ، وليبيا احدى هذه المناطق التى كانت له فيها أياد بيضاء فى فترة الجهاد المقدس ضد الطليان وضد فلول الحملات الصليبية .

ونظراً لاهتمامي بحياة هذا الزعيم ، أود أن تزودونى بعنوان الأستاذ فتحى رضوان أو أى جهة تهتم بهذا الموضوع ، لأزودها بجانب آخر مضيء عن حياة هذا الزعيم . ومصدر معلوماتى عنه هو ماتركه والدى من مذكرات ومستندات تخص عبد العزيز جاويش .

وكان والدى رحمه الله قد توفى فى ١٩٦٠ م بطرابلس وذكر فى مذكراته انه انتقل الى الاسكندرية عام ١٩١١ م متخفياً من اسطمبول فى زورق بحرى ، وكان من ضمن الضباط العرب المساهمين فى حركة « تشكيلات مخصوص » وكان المجاهد عضواً فيها وفى الجانب المدنى ووالدى كان عضواً عسكرياً « برتبة يوزباشي » ووظيفة هذه الحركة هى طرد الصليبيين من بريطانيين وفرنسيين وطليان من وطننا العربى بالقوة . وقاد والدى قافلة الى منطقة طبرق حاملا ٧٥ ألف ليرة ذهبية الى قائد المنطقة أنور باشا والمجاهد أحمد الشريف ، وكان فى مقدمة القافلة شقيق الزعيم الراحل عبد اللطيف جاويش .

وكان والدى ينتقل من منطقة قتال الى أخرى حتى عام ١٩١٧ م وكانوا فى حملة الى منطقة القنال لتحرير مصر من الاستعمار البريطانى ، وفى غزة تم أسره فى نوفمبر ١٩١٧ م ثم نقل الى مصر (يرجح فى منطقة الاسكندرية حتى ١٩٢٠ م حيث أطلق سراحه بعد اقراره بالعودة الى وطنه الأم ليبيا وانه لن يخدم فى الجيش العثمانى) .

هذه الوثائق والمذكرات أود أن أزود بها الأستاذ فتحى رضوان أو أى جهة تهمها حياة الزعيم

نصرة الشعب الفولاني

رسالة مفتوحة إلى أصحاب المعالى وزراء الاعلام بالدول العربية والاسلامية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

فأتقدم بهذه الرسالة الى معاليكم ، نيابة عن الطلاب الفولانيين فى الجامعات العربية والاسلامية ، راجين تمكيننا من اذاعة برنامج دينى باللغة الفولانية من اذاعات دولكم الموقرة للتصدى للحملات الشرسة التى تشن بقصد تحويل الأمة الفولانية عن دينها وعقيدتها وتذويب شخصيتها وهويتها ، ذلك أن الأمة الفولانية هي أكبر القبائل الأفريقية من حيث الكثرة والانتشار ، اذ توجد الفولانية فى أكثر من عشرين دولة افريقية ويبلغ تعدادها حوالى ٦٥ مليون نسمة حسب الاحصائيات الرسمية لعام ١٩٧٦ م ، كما انها حتى عهد قريب كانت الأمة الوحيدة التى يعتنق جميع أبنائها الاسلام مما جعل القوة المعادية للاسلام توليها اهتماماً خاصاً ، وتسعى جاهدة من أجل بث روح الفرقة وتمزيق أواصر الوحدة والأخوة بين أبناء الأمة الواحدة ، وقد قامت حركات التنصير العالمية بانشاء اذاعة (صوت الانجيل) فى أديس أبابا ــ اثيوبيا تبث يومياً عدة ساعات باللغة الفولانية من البرامج الدينية البحتة ، وهي من القوة بحيث يسمعها القاصى والدانى فى كل أرجاء القارة الافريقية ، وبالتالى تؤثر على أبنائنا وأهلنا فى تلك البلاد فى الوقت الذى نحن فى أمس الحاجة .. الى الارتباط والتلاحم مع العقيدة الاسلامية ، والدول العربية والاسلامية ضد أعدائها الذين يريدون الكيد والانهيار لها .

هذه النشاطات الاذاعية والاعلامية وخاصة الصادرة من الجمعيات التنصيرية فى بعض العواصم الافريقية قد بدأ يظهر خطرها فى المجتمع الفولاني بشكل ملفت للنظر ، مما يحثنا على الوقوف عنده ومعالجة جذوره ، ويمكن لمعاليكم الرجوع للوقوف على مصداقية ذلك ، الى ما نشرته مجلة (المجتمع) الكويتية (الثلاثاء ١٦ ذو الحجة ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩/١١/٦ م / عدد ٥٧)

بصدد التقرير العاجل للمؤتمرات والنشاط التنصيرى ضد الشعب الفولانى المسلم فى أفريقيا .

ولقد قامت اذاعة جمهورية مصر العربية ، منذ عام ١٩٦١ م بادراك خطورة الموقف وقررت اذاعة برنامج دينى باللغة الفولانية لمدة ساعة ونصف يومياً ، كما قررت تدريس اللغة الفولانية فى جامعة القاهرة بواقع ثمانى ساعات أسبوعياً ، على أننا أبناء الأمة الفولانية قد بذلنا قصارى وسعنا فى التثقيف والتفقه من أجل فهم الاسلام ، ونشر تعاليمه فى كافة أرجاء قارتنا الغالية ، كما عقدنا اجتماعات كثيرة فى فرنسا والقاهرة والمدينة المنورة ، وتباحثنا حول التحديات التى تواجه أمتنا وتهدد ديننا وتراثنا الاسلامى العريق فرأينا ان أول عمل يتوجب علينا القيام به باعتباره خير وسيلة تمكننا من الصمود والمقاومة ، هو التوجه الى وزاراتكم الاعلامية لمساعدتنا فى حمل جزء من العبء الكبير الذى يفرضه علينا التزامنا الاسلامى من خلال بث برنامج دينى يومى أو أسبوعى باسم (صوت الاسلام) الى قومنا فى كل أنحاء القارة الافريقية نكشف لهم زيف ماينشره أعداء الاسلام من ترهات وأكاذيب بقصد تسميم أفكارهم ومعتقداتهم . ولعل فى ايراد المقترحات الآتية والمذكورة فى مجلة المجتمع بعنوان « كيف نتصدى للتبشير ونحطمه » ، ما يحدد الاطار العام لدعوتنا هذه ويسهل مهمة التوجيه :

أولا : جمع المعلومات وتحليل الموقف القائم .

ثانياً : وضع برامج تعليمية عن الاسلام باللغة الفولانية .

ثالثاً : توفير تعليم القرآن الكريم وسنة نبيه الكريم وبقية الكتب الاسلامية من خلال وسائل الاعلام الحديثة مثل الكتب وأشرطة التسجيل والأفلام ... الخ .

رابعاً : اذاعة برنامج اذاعى عن الاسلام باللغة الفولانية .

كل تمنياتنا أن تتمكن وزارات الاعلام من مساعدتنا لتحقيق غاياتنا هذه على أمل توجيه وتعليم الشعب الفولانى فى القارة الافريقية . والله نسأل أن يحفظ بلادكم فى قلب كل مسلم ، ويديم عليها نعمة الأمن والاستقرار ويحقق المزيد من التقدم والرفاهية انه سميع مجيب الدعوات .

عنهم : محمد أحمد برى ــ سيراليون

ويا حبذا أحفاده أو أولاده لأعرف أيضاً نشاط والدى خلال الفترة ١٩١٧ م ــ ١٩٢٠ م فترة الحركة الوطنية في مصر .

ألا ترى معى أن تاريخنا القريب لم يكتب بعد ، وأن هناك عازلا وضع للأمة الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة لاخماد طاقاتها المتأججة .

محمود قاسم تنتوش
ص.ب : ٢٠٥٤
طرابلس ــ الجماهيرية الليبية

ــ عنوان الأستاذ فتحي رضوان هو : ٢٨ شارع اسماعيل رمزى ــ مصر الجديدة القاهرة ج.م.ع .

اللّاسَامِيَّة

أرجو إفادتي عن المقصود بمصطلح « اللاسامية » الذى تردده الصهيونية فى كثير من الأحيان .

الفاتح عيسى ابكر
أم درمان

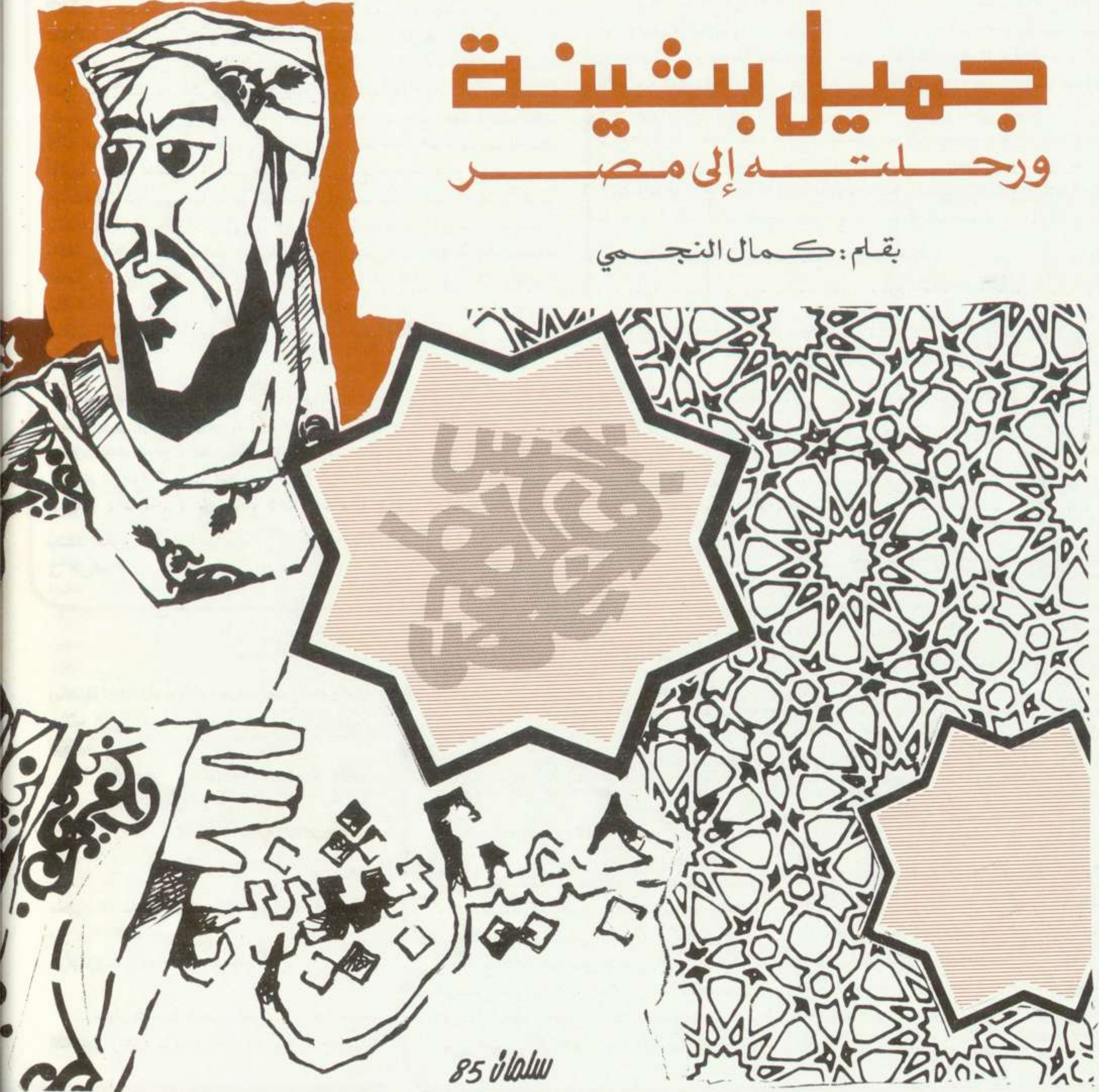
ــ اللاسامية أو معاداة السامية ، مصطلح اخترعته الحركة الصهيونية للتعبير عن معاداة اليهود . وكلمة « سامي » مأخوذة مما ورد فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين من أن ابناء نوح هم سام وحام ويافث . والساميون هم نسل سام من العرب واليهود وغيرهم ، ولكن الصهيونية تعمدت اطلاق السامي على اليهودي ، وأصرت على اطلاق مصطلح معاداة السامية على كل الحركات والأفعال المناوئة لليهود فى أوربا ، وفى كل أنحاء العالم فيما بعد ، تجنبا منها لاستعمال مصطلح معاداة اليهود بسبب ما اكتسبه لفظ اليهودى من ظلال قبيحة فى أذهان الشعوب الأوربية عبر التاريخ ، فقد ارتبطت كلمة اليهودى بصفات البخل والانغلاق والجبن والاستغلال وغيرها .

بين شعراء « الحب العذرى » ينفرد الشاعر الكبير جميل بن معمر أو « جميل بثينة » بتاريخ يكاد يكون متصل الحلقات ، من بداية أمره فى الحب إلى نهايته ، وإن عبثت ببعض سطوره متناقضات أخبار الرواة ..

والحب العذرى ـ كما لا يخفى ـ هو أشهر ضروب الحب فى الشعر العربى القديم ، يرادفه فى مصطلحنا الشائع الآن « الحب الأفلاطونى » .. ومعناه المتفق عليه : الحب المشبوب النقى الراسخ فى القلب بلا غاية ينشدها صاحبه أو صاحبته إلا مطالب الروح ولذات النفس الشاعرة الهائمة فى عالم الجمال وعالم الخيال ! ..

جميل بثينة ورحلته إلى مصر

بقلم : كمال النجمي



ومن مفارقات « الحب العذرى » أنه منسوب إلى « بنى عذرة » فى الحجاز ، إلا أن أشهر عاشق « عذرى » يتداول اسمه وشعره فى عصرنا هو قيس بن الملوح أو « مجنون ليلى » ولم يكن قيس ولا ليلى من بنى عذرة الحجازيين ، بل كانا من بنى عامر النجديين ..

أما الشعراء العذريون حقاً ، فأشهرهم جميل بثينة أو مجنون بثينة ، لأنه عذرى النسب والحسب ، ومثله فى الحسب العذرى والنسب ، صاحبته بثينة .. ولكن ليلى العامرية ذهبت دونها بالشهرة العريضة فى تاريخ « الحب العذرى » ! ..

فهل وقع ذلك من جراء خلط الرواة القدماء بين سطور من قصة مجنون ليلى وسطور من قصة مجنون بثينة ، كا فعلوا فى قصص « المجانين » الآخرين ، أمثال قيس بن ذريح وابن قيس الرقيات وكثير عزة وتوبة بن الحمير (مجنون ليلى الأخيلية) وعروة العذرى وابن الطثرية ، وغيرهم ممن لا يحصون فى بنى عامر وبنى عذرة والقبائل الأخرى ؟!

اختلاط أوراق العشاق

لعل الدكتور طه حسين كان معذوراً حين



استخلص من اختلاط أوراق العشاق « العذريين » بأوراق مجنون ليلى ، أن هذا المجنون الشهير لم يكن إلا حديث خرافة ، وضعوه رمزاً لأهل العشق جميعهم ، ولكن هذا الرأى الذى لا يصعب استنباطه من تضارب الروايات ، يمكن أن يمحو شخصيات المجانين الآخرين ، أو بعض هذه الشخصيات ، بل يمكن أن تزول من تاريخ أدبنا المعاصر شخصية الدكتور طه حسين نفسه ، إذا طبق عليها النقاد منهجه فى تحليل تاريخ مجنون ليلى أو مجنون بثينة ، كما فعل الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى فى مقال مشهور حاول به أن يثبت أن طه حسين اسم وهمى ليس له وجود فى تاريخ الأدب المصرى ! ..

إلا أن أحداً لا ينكر أن تاريخ « العذريين » مثقل بأوهام كثيرة ، ومتناقضات خطيرة ، وإن كانت هذه الأوهام والمتناقضات لا تستعصى على النقد والتحليل ، طلباً للحقيقة ، ونفاذاً إليها ..

خبر سفره إلى مصر

وتاريخ جميل بثينة — بين تواريخ شعراء الحب العذرى — أجدرها بالنظر المتأنى ، وأسلسها قياداً لمن يحاول تنقيته من الشوائب ، وتمييز صحيحه من باطله ..

وأكبر الشوائب والأوهام فى تاريخ جميل بثينة — كما يبدو لنا الآن — ما ذكرته كتب الأدب والتاريخ من أنه سافر إلى مصر ومات فيها ودفن فى قرافتها المشهورة .. ولو ثبت هذا الوهم ، لثبت كل وهم آخر يتصل به فى تاريخ جميل بثينة ، وإذن لانهارت قصته كلها كما ينهار مبنى مغشوش الدعائم واللبنات ، ولكن تحليل هذا الوهم أو تفنيده ، يسقط بقية الأوهام فى قصة هذا الشاعر الذى لم يعرف بنو عذرة أشعر ولا أعشق منه ..

وقد يدهشنا أن تحليل خبر سفره إلى مصر وموته ودفنه فيها ، لم يخطر على بال الباحثين الذين كتبوا عنه فى عصرنا ، حتى إن الأستاذ عباس محمود العقاد — وهو الناقد القوى الشكيمة — مر بهذه القصة فى كتابه « جميل بثينة » مر السحاب ، بلا تفنيد ولا تأييد ، ففاتنا من علم هذا الأستاذ الكبير وقوة حجته ومنطقه فى مثل هذه الأمور شيء نافع كثير ! .. ولكنه غير ملوم على ذلك لأن كتابه عن جميل بثينة لا يتعدى ما أولع به من المباحث النفسية فى الشخصيات التاريخية بلا وقوف عند تحقيق الأخبار والتواريخ ، وحسبك من منهجه هذا ما كتبه عن ابن الرومى وأبى نواس ..

أما الدكتور زكى مبارك فإنه حين تحدث عن جميل بثينة فى كتابه « العشاق الثلاثة » .. لم يجد إلا بعض علامات الحيرة والتعجب والاستفهام يرسمها على أخبار رحلة جميل إلى مصر ، وموته فيها .. فقال : « .. ثم تمضى القصة فتذكر أن جميلا رحل إلى مصر .. مصر التى عرفت أعنف المعارك الغرامية بين كليوباترة وانطونيوس ! .. ومتى رحل جميل إلى مصر ؟ .. رحل إليها فى ساعة يأس من صاحبة هواه .. وفى مصر عانى جميل سكرات الموت وهو يهتف باسم المرأة الحلوة العذبة التى جعلت حياته قيثارة ترجع ألحان الألم والأنين .. » .. إلى آخر القصة كما وردت فى كتاب الأغانى للأصبهانى ..

بعض هذه القصة جاء على لسان أعرابية عجوز من بنى عذرة ، نقل عنها أحدهم أنها لقيت جميلا ذات يوم فقال لها : « أنا عامد إلى مصر ، ثم تحدثا ساعة وودعها ، وشخص — إلى مصر — فلم تطل غيبته أن جاءهم نعيه » فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة :

صدع النعى وماكنى بجميل
وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى
نشوان بين مزارع ونخيـل
قومى بثينة فاندبى بعويل
وابكى خليلك دون كل خليل

وأخبر الأصمعى بعض أصحابه قال : « تحدث رجل شهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر ، أنه دعاه فقال : هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك ؟ .. فقال .. قلت : اللهم نعم ! .. قال : إذا أنا مت فخذ حلتى هذه التى فى عيبتى فاعزلها جانباً .. ثم كل شيء سواها لك .. وارحل إلى رهط بنى الأحب من عذرة — رهط بثينة — فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتى هذه واركبها ، ثم البس حلتى هذه واشققها ، ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات ، وخلاك ذم ! .. ثم أنشدنى : « صدع النعى وماكنى بجميل » — وذكر الأبيات المتقدمة — فلما قضى وواريته ، أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرنى به جميل ، فما استتممت الأبيات حتى برزت امرأة يتبعها نسوة فرعتهن طولا ، حتى أتتنى فقالت : يا هذا والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتنى .. قلت : والله ما أنا إلا صادق ، وأخرجت حلته ، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبن .. فلم أر يوماً كان أكثر باكياً وباكية منه يومئذ » ! ..

هكذا كان آخر عهده بمضارب قوم بثينة : لبث ثلاث ليال لا يريم هضبة هناك فلقى تلك العجوز فأخبرها أنه جاء ليودعهم قبل رحلته إلى مصر ، منفرداً ، لم ينضم إلى قافلة ولم يصحب أحداً ، ولا اتخذ دليلا .. فزعموا أنه قال كذا ، وأوصى بكذا فى آخر يوم له فى الدنيا بمدينة مصر ! ..

لم تسأله العجوز عن مأربه فى مصر ، ولم يخبرها بشيء عن مأربه ، ولكن « الرواة » قالوا إنه

جميل بثينة

ورحلته إلى مصر

قصد عبد العزيز بن مروان أمير مصر شاكياً إليه أن « السلطان » أباح دمه لقوم بثينة ! ..

من أباح دمه ؟

فأى « سلطان » ذلك الذى أباح لفريق ضعيف من بنى عذرة ، دم شاعر العذريين جميعاً ؟! ..

يقول القاصون والرواة إن أهل بثينة اشتكوه إلى عامل بلاد عذرة ووادى القرى الذى يربط الحجاز بالشام ، واسمه « عامر بن ربعى بن دجاجة » فأهدر دمه إن عاد إلى زيارتها ! ..

وهذا أول خلل فى قصة سفره إلى مصر ، فإن « دجاجة » لم يكن إلا عاملا أو حاكماً صغيراً تابعاً لعامل المدينة المنورة ، ليس له سلطان وإن كان يمثل سلطان الدولة فى مقاطعته الصغيرة .. ولا يملك هذا الحاكم الصغير إهدار دم أحد من الرعية ، فضلا عن دم شاعر طبقت شهرته الآفاق ووصلت أشعاره إلى مسامع الخليفة فى دمشق ، ومسامع أخيه فى مصر .. ولابد فى هذا الأمر ، وفى أقل منه ، من رجوع « دجاجة » إلى عامل المدينة ، ورجوع عامل المدينة إلى الخليفة الأموى فى دمشق ! ..

حسبك أن تعلم أن الحجاج بن يوسف الثقفى الجبار كان يبسط سلطانه على العراقيين فى ذلك العصر ، فلم يهدر قط دم شاعر بتهمة الغزل والنسيب .. ولم يكن العامل « دجاجة » ليهدر دم مسلم بدون أن يرجع فى ذلك إلى أبان بن عثمان بن عفان الذى كان حاكم المدينة أيامئذ .. ولم يكن أبان نفسه وهو ابن الخليفة عثمان بقادر على إهدار دم لا يوافق الخليفة عبد الملك بن مروان على إهداره ! ..

رواية أخرى

على أن الرواة الذين قالوا برحيله إلى مصر خوفاً على دمه ، قد خالفهم رواة آخرون قالوا إنه مضى إلى اليمن فأقام بها مدة حتى عزل ذلك الوالى عن بلاد العذريين وانتجعوا ناحية الشام ، فرحل جميل إليهم .. فكأنما سقط « مرسوم إهدار الدم » بسقوط الوالى « دجاجة » ! .. فماذا فعل الوالى الجديد فى جميل بثينة ؟ .. هل حقن دمه ولم يهدره بمرسوم جديد ؟! ..

إن تاريخ جميل ملىء بالرحلات بين منازه وادى القرى والحجاز واليمن والشام ، وفى وثبة واحدة أو وثبتين كان بعيره يبلغ به مدينة « أيلة » ثغر بلاد الشام على خليج العقبة ، فيقيم هناك ما شاء ثم يتجه إلى الشام أو يعود أدراجه إلى وادى القرى ــ مدخل الحجاز ــ منحدراً من أيلة مع القوافل أو منفرداً بنفسه لا يصحبه إلا الخيال الطارق من محبوبته فى بلاد بنى عذرة ..

كانت أيله وغزة والقدس ودمشق والمدينة ومكة والطائف هى المدن العربية القريبة من بلاده .. أما « مدينة مصر » أو الفسطاط أو « بابليون » كما كانت تسمى حتى ذلك العهد ، فلم يكن يقصدها من العرب إلا الجند وأهل الديوان ورجال الحكم .. ولبثت كذلك من عهد عمر بن الخطاب إلى عهد هشام بن عبد الملك الذى أذن لأول مرة بلحاق بضعة آلاف من إحدى القبائل بالريف المصرى ، ثم توالى لحاق القبائل الأخرى فى جماعات تتفرق هنا وهناك ..

وفى الوقت الذى زعموا أن جميلا قصد فيه مصر ، لم يكن العرب يقيمون هناك إلا فى مدينتين اثنتين فقط ، هما الفسطاط والاسكندرية .. قال المقريزى فى خططه إن العرب بعد أن حرروا مصر من الروم « نزلوا فى موضع الفسطاط الذى يعرف بمدينة مصر ، وفى الاسكندرية .. وتركوا سائر قرى مصر » ..

فلم تكن مصر إذن أيام رحلة جميل إليها ــ كما زعموا ــ مهجراً يتوافد إليه العرب أو يقيمون فيه بلا « تصريح » من الخليفة ذاته ، وقد أوشك بعض العرب أن يقعوا تحت عقاب عمر بن الخطاب لأنهم نزلوا الريف المصرى وأقاموا بلا إذن من عمر ، ولم يكن فى سلطة عمرو بن العاص ــ والى مصر فى عهد عمر ــ أن يمنح لأحد من العرب إذناً بالإقامة فى مصر ، وصار ذلك الأمر متبعاً حتى عدل عنه الخليفة هشام بن عبد الملك كما أسلفنا ..

قصة عامية الخيال !

والأسماء العربية المشهورة التى وردت الفسطاط والاسكندرية حتى عهد هشام بن عبد الملك واردة فى تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى ومن جاء بعدهما ، وليس فيها اسم جميل بثينة الذى انفردت بذكره كتب أدبية دونت فى القرن الرابع الهجرى ، نقلا عن رواة لا قيمة لرواياتهم بعد ذلك الزمن الطويل الذى تراكم فيه على جميل بثينة وأمثاله ما شاء الرواة من كذب ونسيان وزيادة ونقصان وتحريف وخلط قصة بقصة وشخصية بشخصية .. ومن هذه الثغرات الواسعة دخلت الى تلك الكتب قصة جميل ورحلته إلى مصر وموته فيها .. وبعيره وثيابه التى عاد بها رجل مجهول إلى مضارب بنى عذرة ، بعد أن دفنه ذلك الرجل بهدوء وبدون أن يعلم مضيفه حاكم مصر ، عبد العزيز بن مروان ! .. فهذه قصة كأنها من قصص ألف ليلة وليلة .. قصة عامية الخيال يخجل منها تاريخ « الإسناد » فى الأدب العربى الذى نقله إلينا الرواة طوال مائة وعشرين عاماً تقريباً قبل بدء الشروع فى تدوين السطور الأولى من هذا الأدب نقلا عن هؤلاء الرواة ؟ ! ..

نحن لا نقول فى نقل الأدب العربى القديم بوجوب الإسناد الصارم كما فى الحديث النبوى الشريف ، ولكن لابد من النظر النقدى فلا يقف أدباء كبار أمام قصة خيالية كسفر جميل إلى مصر ، وقفة العاجز ، فتضيع فى وقفتهم العاجزة هذه ، حقائق كثيرة فى تاريخ الأدب العربى والأمة العربية .. مع أن الأمر يبدو فى ظاهره غير ذى بال .. قال الجاحظ : « إن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الربح سبباً إلى الخسران » ! .. ولقد تزيدوا فى قصة جميل بثينة فتنقصوها وأوشكوا أن يفسدوها ..

فإذا افترضنا أن جميل بثينة قام فعلا برحلته تلك إلى عبد العزيز بن مروان فى مصر ، فهل كانت وسيلته أو شفاعته إلى هذا الأمير قصيدة عصماء يمدحه بها ؟! .. فأين هذه القصيدة فى شعر جميل .. هل ضاعت ؟ ، ولماذا لم يروها الرجل المجهول الذى جاء إلى بثينة بثيابه وبالأبيات الثلاثة التى أولها « صدع النعى وماكنى بجميل » .. هل ضاعت هذه القصيدة ، وكيف تضيع ولا يتلقفها الرواة وهى بيضة الديك فى شعر جميل لأنها « المدحة » الوحيدة فى شعر جميل كله .. لو كانت قد جرت على لسانه ؟! ..

إن جميل بثينة لم يقل مديحاً طيلة حياته ، حتى زعم النقاد الأقدمون أن راويته وتلميذه كثير عزة أشعر منه ، لأن كثيراً كان من أمدح الشعراء ، إلى كونه بارع الغزل ..



ولا يصح فى الرأى أن يرخص جميل شعره فى مدح عبدالعزيز بن مروان ، ويأباه على الخليفة الوليد بن عبدالملك ! ..

لم تكن فى يد جميل أية وسيلة إذن إلى عبدالعزيز بن مروان ، فلماذا تجشم السفر إليه ؟! .. وأى شيء كان يملكه عبدالعزيز لهذا العاشق الذى أهدر « دجاجة » دمه فى الحجاز وهى أرض لا سلطان عليها لعبد العزيز وإن كان أخاً للخليفة عبدالملك ؟! .. أكان جميل يطمع فى أن يخاطب الأخ أخاه ليحقن دمه ؟! .. وكيف وقد كان الخليفة عبدالملك أحد المعجبين بجميل بثينة ؟! ..

فمن أى النواحى جئت هذه القصة وجدت طريقاً مسدوداً لا يستطيع جميل بثينة أن ينفذ منه إلى مصر إلا فى خيال الرواة الذين وضعوا لها خاتمة من نسج خيالهم ، يهدمون بها الجوانب الصحيحة الثابتة فى هذه القصة الجميلة من قصص الحب العربى ..

ولو سايرنا هؤلاء الرواة ، لتصورنا أن جميل بثينة كان فى شرخ شبابه حين سافر إلى مصر يطلب الوساطة فى الحب . وليس ذلك صحيحاً لأن قصته مع بثينة بدأت فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وصار جميل فى أواسط هذا العهد شاعراً مشهوراً حتى كان يزيد بن معاوية يجلس لسماع الغناء فى شعره الذى يقول :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما
قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟!

فهل قصد جميل مصر فى أواخر عهد عبدالملك ابن مروان وقد جاوز سن الحب والشباب ودخل فى الشيخوخة بعد حب امتد أكثر من أربعين سنة هى مدة حكم معاوية ويزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، وكيف نصدق أن جميلا كان يغازل بثينة ويقتحم بيتها ويشاجر زوجها وأهلها ، وهو فى تلك السن العالية ، حتى استجار أهله بالسلطان فأهدر دمه فسافر هارباً إلى مصر يستنجد بأميرها ؟! .

إضافات أغفلت فعل الزمـان

أيفعل ذلك شيخ عربى جاوز الستين من عمره ، وفى القرن الأول الهجرى ؟! ..

إن الرواة الذين أضافوا إلى قصة جميل ما أضافوا ، قد نسوا مرور الزمن وأفاعيله بجميل وقلبه وحبه وفكره ونظرته إلى الحياة والكون والمرأة والزواج والغزل ! .. ورسموا لجميل صورة الشاب الذى لا يشيخ أبداً .. وهو خيال جميل حقاً ، ولكنه تاريخ باطل مع الأسف ! ..

فلا تصح قصة سفره إلى مصر إلا إذا كان قد سافر صغيراً فى أول عهده بالحب حين ثقل مكانه على أهل بثينة فضجوا بالشكوى إلى أهله وربما رفعوا أمره إلى الولاة ، وكان أبرزهم فى الحجاز حينذاك مروان بن الحكم الذى كان صديقاً لجميل وقد صحبه غير مرة فى سفره إلى الشام قاصداً الخليفة معاوية بن أبى سفيان .

وإن كان جميل قد سافر إلى مصر شاباً صغيراً ، فذلك لا يكون إلا فى عهد معاوية ، وواليه على مصر أيامئذ عمرو بن العاص ، أما عبدالعزيز بن مروان فكان صبياً مع أترابه فى المدينة المنورة ..

وإن كان قد سافر وهو شيخ كبير ومصر فى يد عبدالعزيز بن مروان ، فذلك عجيب جداً ، لأن الخليفة عبدالملك بن مروان فى الشام ، كان أقرب إلى ديار بنى عذرة — بين الشام والحجاز — من أخيه عبدالعزيز فى مدينة مصر أو فى حدائق حلوان ..

وقد كان عبد الملك وابنه الوليد من المعجبين بشعر جميل وبشعر راويته وتلميذه كثير عزة الذى كان مقرباً إلى عبدالملك وسائر الأمويين لمدائحه فيهم .. ولو شاء جميل لكان « كثير » رسوله إلى الخليفة وشفيعه .. ولكن ذلك لم يحدث من الشيخين جميل وكثير ، لأن جميلا لم يهرب بدمه من أحد فى شبابه ولا فى شيخوخته .. وقد لبث كثير — المقرب إلى الخليفة والامراء — راوية لجميل طوال حياته ، ومنه تعلم النسيب — على حد قوله — ولعله لم يشبب بعزة إلا لكى يسميه الناس « كثير عزة » .. كما قالوا « جميل بثينة » ! ..

هذه هى الصورة كما نراها بعد استقراء خطوطها استقراءً نقدياً متأنياً وتمحيص الحكايات المروية بإسناد أو بغير إسناد لأناس مجهولين أو معروفين ..

شطحات الرواة

ولا يفوتنا استكمالا للصورة أن نلاحظ أن اسم مصر ارتبطت به أسماء بعض مشاهير الشعراء فى العصر الأموى قبل أن يكتمل تعريب مصر ، بل قبل أن يبدأ ، ومنهم كثير عزة الذى زعموا أنه قصد عبد العزيز بن مروان فى مصر وأقام عنده حتى قلقت عليه عزة فسافرت إلى مصر تستخبر عنه ، فماتت هناك فدفنت فى سفح المقطم كما دفن جميل بثينة ، وعاد كثير إلى الحجاز أو إلى الشام حزيناً على عزة التى بذلت فى سبيله حياتها ! ..

هذه القصة التى تتداخل فى قصة جميل بثينة ، ينقضها راوية كثير الذى قال فيما زعموا إنه صحب كثيراً إلى مصر ، فلما عادا إلى الحجاز مرا بديار عزة ليلقاها ..

وليت شعرى كيف غفل مخترع قصة عزة المدفونة فى مصر ، أنها كانت امرأة عربية ذات زوج غيور ، ولم يكن فى أخلاقها مطعن لأحد ممن سمعوا شعر كثير فيها ، فهل غافلت عزة زوجها وأهلها وركبت ناقتها من وادى القرى إلى أيلة ثم قفزت فوق رمال سيناء ومرقت من بحر القلزم إلى مدينة مصر ؟! .. أليس هذا من خيال « ألف ليلة وليلة » كما قلنا ؟! ..

وزعم الرواة كذلك أن عبدالله بن قيس الرقيات نزل فى ضيافة عبدالعزيز بن مروان فى مصر فمدحه ووصف قصوره وحدائقه فى حلوان .

بل إن مجنون ليلى لم يشذ عن هذه « القاعدة » عند الرواة ، فسافر كما أرادوا له إلى مصر ، وقال وهو عائد يغذ السير إلى العراق :

يقولون ليلى بالعراق مريضة
فأقبلت من مصر إليها أعودها

ولا ندرى لماذا نسى الرواة الوضاعون الأذكياء أن يبعثوا أيضاً بقيس بن ذريح ولبنى إلى مصر ليلتئم شمل العشاق والشعراء « العذريين » فى « بابليون » أو « مدينة مصر » فى سالف الزمان ؟! ..

لقد فعل الرواة شيئاً أطرف من ذلك ، إذ جعلوا بثينة تلقى الخليفة عبدالملك بن مروان فى قصره بعد موت جميل .. ثم جعلوا عزة تلقاه أيضاً وهى عجوز — لم تمت فى مصر ! ! .. — وقد مات كثير .. ثم جعلوا الثالثة الأخيلية صاحبة توبة .

ووضع الرواة على لسان بثينة نفس الكلمات التى وضعوها على لسان عزة والأخيلية ، فكل منهن يسألها الخليفة متفكها مداعباً :

— ما الذى أعجب فلاناً منك فقال فيك من الشعر ما قال ؟! ..

فتجيبه المرأة العجوز بثينة أو عزة أو ليلى الأخيلية :

— أعجبه منى ما أعجب المسلمون منك حين صيروك خليفة ! .. فيضحك عبدالملك حتى تبدو فى فمه سن سوداء كان يتعمد إخفاءها عن الناس ! ..

هكذا فعل الرواة ! .. وإنما أرادوا التشنيع على السن السوداء فى فم عبدالملك ، ولو بالكذب عليه وعلى الفاتنات الشهيرات اللاتى أدبر شبابهن وفتنتهن ومات الشعراء الذين تغزلوا فيهن .. فأدخلهن الرواة واحدة إثر واحدة إلى مجلس عبدالملك ليقلن له الكلمات التى تسخر من سنه السوداء .. ومن خلافته على المسلمين قبل كل شيء ! ..

ولكن تحليل هذه الأقاويل يفندها ويبطلها ويقيم عمود شعر الغزل كما يقيم عمود التاريخ ..

وقصة جميل بثينة من قبل ومن بعد ، قصة ثابتة لا يعلق بها الشك الذى علق بقصة مجنون ليلى — مثلا — بالرغم من أن الرواة أماتوه حياً ودفنوه فى سفح المقطم بمصر « وطن الشهداء من أهل الأدب والفن والجمال .. التى لا يموت فيها غير الأحياء » .. على حد قول الدكتور زكى مبارك فى تعليقه على هذا الخبر القديم المتجدد على الزمان ، وإن لم يكن له أساس إلا الخيال الذى أخرج لنا وللدنيا كلها قصص « ألف ليلة وليلة » فى سالف العصر والأوان ! ..

كمال النجمى

قصة قصيرة

القدر

بقلم: د. زهرة المالكي

« صوت الضمير قد لا يجدى فى نفوس البعض منا .. لكن صوت القدر يزرع آخر النغمات » ..

أسرع حسام والفرحة تغمر كيانه كله بألوانها الوردية نحو الشقة المتواضعة التى تحتل ركناً ضئيلا من العمارة الكبيرة التى يقطن فيها .. وأحس وهو ينظر إلى باب الشقة الصغير بأن لونه الشاحب الذى ذابت معالمه مع الزمن قد أصبح جديداً جميلاً ..

« وكل جديد جميل » .. مرت هذه العبارة فى خاطره ، وأحس لها طعماً مشبعاً بالمرارة فى نفسه ، فهو لا يعرف الجديد .. ثيابه قديمة ، كتبه ودفاتره قديمة ، الأثاث قديم .. كل شيء من حوله يتداعى من وطأة السنين على كاهله .. ولكن منذ اليوم سينسى الأشياء القديمة ، وسيبحث عن أخرى جديدة ..

وودع حسام كل هذه الأفكار وأخذ يبحث فى طيات عقله عن فكرة واحدة .. كيف سيخبر والده بالنبأ السار ؟ .. كيف يفاجئه بنجاحه الباهر فى الامتحانات ؟ .. واستمر يفكر وهو يخطو نحو الداخل ، لكنه شعر بالهدوء يلف المكان .. فلا مذياع والده الصغير يملأ الأسماع ، ولا صوت مطرقته العجوز يتردد صداه وهو يهوى بها كعادته على الأثاث المفكك الأوصال محاولا إعادته إلى قوة الشباب ولو بعض الشيء .. وطاف بنظراته فى أرجاء المكان يبحث عن والده ، وكم كانت صدمته حينما رآه ملقى على الأرض لايبدى حراكاً .. لكنه حاول إبعاد أشباح الأفكار المؤلمة وقال لنفسه : ربما غلب النوم أبى بعد يوم مرهق فاختار أن ينام فى هذا المكان دون أن يكلف نفسه عناء الانتقال إلى الفراش .. لكن شكله وهو ممدد على الأرض أعاد إليه الأفكار المخيفة التى اجتاحت نفسه حينما رآه للوهلة الأولى .. فركع بجواره وأمسك كفه المنقوشة بالتجاعيد محاولا إيقاظه لكن ملمس الكف البارد أذهله .. وأحس لحظتها بأن آماله كلها تصدعت وهوت كحائط قديم تفتت أجزاؤه وانتثرت على التراب بعد أن كان شامخاً متطاولاً ..

وفجر ذلك المشهد المروع ذكريات بؤسه التى أعتقد أنه سينساها بعد اليوم .. فقد ماتت أمه وتركته صغيراً محروماً من العطف والحنان .. ووالده المسكين أرهقه الفقر وأثقلت عليه الديون حتى يدخل ابنه الوحيد المدرسة ويوفر له نفقات التعليم حتى النهاية .. كان يبني عليه آمالاً كبارا ، ولكن هذه الآمال تحطمت الآن .. فماذا يفيد تفوقه وماذا تفيد شهادته الثانوية بلا إنسان يشاركه حياته بأفراحها ومتاعبها .. ويمده بالمال ، المال عصب حياة هذا العصر ! ..

ولكن لا .. لا ياحسام لاتترك الأمنيات تتحطم .. فكر فى حل ، ابحث عن مخرج .. هكذا حدثته نفسه وهو يحاول الإنزواء بعيدا عن ذكريات الماضي ، وصورة الحاضر التى أصبحت مشوهة ، والمستقبل .. إنه لا يعرف كيف سيكون هذا المستقبل ! ..

ها هي الأيام تمر وعقارب الساعة تتحرك ولم يبق على تقديم الطلبات للجامعة غير أسبوعين .. وفكر حسام كثيراً .. عصر عقله وهو يبحث عن حل ، فليس من السهل على الإنسان أن يتخلى عن أمانيه فى لحظة ضعف يائس .. ولكننى لم أعرف اليأس مطلقاً من قبل .. أجل ياحسام أنت لا تعرف اليأس .. إذن فكر ، فكر ..

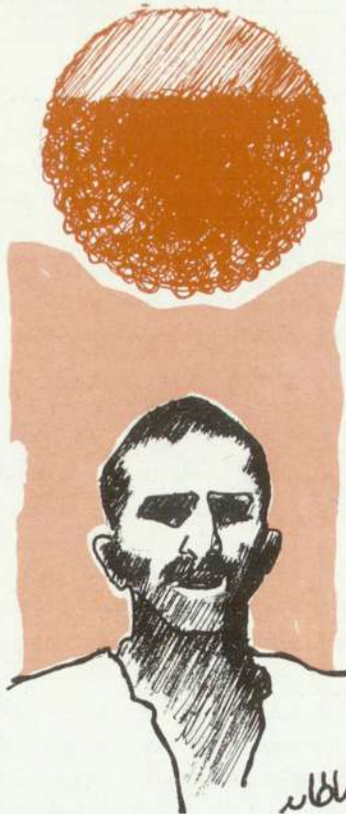
وبينما هو غارق فى بحور أفكاره لاحت أمامه صورة جارته العجوز « فاطمة » .. إنسانة طيبة ثرية ليس لها قريب فى هذه الدنيا ، وقد اعتاد حسام أن يقرأ لها جرائد الصباح ويقوم ببعض شؤونها وكانت تنفحه قدراً من المال من حين لآخر .. وتوقف عن التفكير لحظة وردد بينه وبين نفسه : كم هو غريب هذا القدر .. يمنح المال لمن لا يحتاج إليه ويحرم منه من هو فى أشد الحاجة له .. وراودته فكرة شيطانية .. لماذا لا يحاول أن يسخر مال السيدة « فاطمة » لتحقيق آماله ؟ .. ولكن كيف ؟ ! ..

« الأمر فى غاية البساطة » .. هكذا أجاب على سؤاله ومضى يتابع فكرته فى مسارها .. سيقتل فاطمة ويستولى على مالها الوفير .. ولاشك أنه غير مخطىء فى قراره هذا .. ففاطمة تحبه كابن لها ولابد أنها أوصت له بمبلغ كبير من المال يأخذه بعد وفاتها .. لكنه يحتاج إلى المال الآن ! .. إذن لماذا لا يحاول أن يأخذ نصيبه مقدماً ؟ .. أجل سيذهب إليها فى الصباح كما تعود دائماً ولكنه لن يقرأ لها الجريدة .. بل سيقتلها .. سيقتلها وينال نصيبه ..

وأسرع فى اليوم التالى نحو جارته « فاطمة » لكنه أحس بالعجز يتسلل إلى خطته المحكمة بعد أن ردت عليه تحية الصباح ، فالطيبة المرتسمة فى عينيها الوديعتين وهي تتطلع إليه منعته من تنفيذ قراره .. وصمم على أن يعود إليها فى المساء .. فى الليل .. حتى لا تشل نظراتها الطيبة إرادته وفكره .. فهو لن ينظر إليها .. سيكتفي بقتلها وأخذ نقودها ثم الهرب .. وحينما نشر الليل ستائره السوداء على الكون مضى حسام نحو أحد المتاجر ليبتاع مسدساً يسهل له إنهاء مهمته سريعاً ..

وفى الصباح التالى كان هناك شخص آخر فى منزل السيدة فاطمة يقرأ لها الجريدة .. فقد انتظرت حضور حسام كثيراً لكنه تخلف عن موعده للمرة الأولى ، فطلبت من ابن صاحب العمارة الصغير أن يقرأ لها .. فهذه الجريدة هى النافذة التى تطل منها على العالم وما يحدث فيه .. وأوصت « علياً » وهذا هو اسم ذلك الفتى الصغير بأن يقرأ لها الأخبار فى صفحة الحوادث كما تعودت دائماً أن تقول لحسام وهى تبتسم : إننى أسمع أسماء من يموتون كل يوم ، ولابد أننى فى يوم قريب سأغادر الدنيا وستقرأ اسمى بالطبع لكننى لن أكون معك فى هذه اللحظة .. فهل ستفتقدنى وتحزن على كثيراً يا صغيري ؟ ..

وأفاقت من خاطرتها تلك على صوت على وهو يقول : عثر فى ساعة متأخرة من الليل على جثة شاب فى التاسعة عشرة من عمره صدمته سيارة وهو يجتاز أحد الشوارع مسرعاً .. ووجد فى أوراقه الشخصية التى عثر عليها مع مسدس صغير فى جيبه أن اسمه : حسام أحمد ! ..



أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● فرار عبد الرحمن الداخل ● مداعبة صديق ● مظاهر القسوة والرحمة في الحضارات ● قضية طريفة أمام القضاء الباريسي



من مآسي التاريخ

فرار عبد الرحمن الداخل

بقلم: محمد عبد الله عنان

ليس بين أمراء الدولة الأموية ، سواء فى الشام أو الأندلس ، من تقدم إلينا حياته وسيرته تلك الصفحة المدهشة التى يقدمها إلينا عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ، فقد كان هذا الأمير بطل مأساة خارقة مؤثرة ، ولم تكن روعة هذه الصفحة فى أنه أقام من العدل ملكاً عظيماً فقط ، وأقام لمجد أسرته الذاهب صرحاً شامخاً فحسب ، ولكن روعتها تبدو بنوع خاص فى معترك المحن الأليمة التى نشأ فى غمارها هذا الأمير القوى النابه . وإذا كانت حياته السياسية لا تحمل على كثير من الحب ، وتبدو لنا حياة مغامر يشق طريقه إلى السلطان بوسائل ليست دائما مشروعة ، فإن المحنة التى طبعت بها حياته الخاصة ، وما صقلت هذه المحنة من خلاله الباهرة ، لما يستثير منا أيما عطف وإعجاب .

وقد لا نجد لحياة الداخل صورة أبلغ وأقوى من تلك التى رسمها لنا خصمه وعدو أسرته أبو جعفر المنصور العباسى إذ نعته بصقر قريش ، ولخص لنا حياته المدهشة فى قوله : « عبر القفر ، ودخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته . إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان ، وذللا له صعبه ، وعبد الملك ببيعة أبرم عقدها ، وأمير المؤمنين بطيب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالأندلس ، وافتتح الثغور ، وقتل المارقين ، وأذل الجبابرة الثائرين » .

تلك هي حياة عبد الرحمن بن معاوية ، حياة نشأت من العدم ، وسلسلة حافلة بالمحن والصعاب الفادحة ، تبدأ فى المشرق بفرار عبد الرحمن أمام مطارديه وقتلة أسرته ومغتصبى عرش آبائه وأجداده ، وتنتهى فى المغرب وبسائط الأندلس بالظفر والملك الموطد . ولقد كان هذا الفرار أول وأعجب فصل فى هذه المأساة ، وكان عنوان القدر المدهش يدبر من الحوادث الواقعة ما لا يخطر

فرار عبد الرحمن الداخل

تصوره على الذهن المغرق فى الخيال .

كانت سنة ١٣٢ هـ سنة حاسمة فى تاريخ الاسلام والخلافة ، ففيها انهار صرح الدولة الأموية تحت ضربات بنى العباس ، وقامت فى المشرق خلافة جديدة هى الخلافة العباسية ، ورأت العصبة العباسية الظافرة أن تتوج ظفرها بسحق الأسرة التى استولت على تراثها واجتثاث أصولها وفروعها ، فنظمت مطاردتها الشهيرة لبنى أمية ، وتتبعتهم بالقتل الذريع فى كل مكان ، وقتلت منهم جماعة كبيرة من الأمراء والسادة ، ولم تبق حتى على النساء والأطفال ، ولكن هذه المطاردة الدموية الشاملة لم تجتث الشجرة من أصلها ، وشاء القدر أن يفلت بعض فروعها ، وأن يزكو ليستعيد أصله الراسخ فى أرض أخرى ، فكان ممن نجا من المذبحة الهائلة فتى من ولد هشام بن عبد الملك ، اختاره القدر ليحمل مصاير الدولة الأموية إلى وجهة أخرى .

هذا الفتى هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام . وكان وقت أن حلت النكبة بأسرته يقيم مع أهله وإخوته فى قرية تعرف بدير يوحنا من أعمال قنسرين ، وفيها كان مولده قبل ذلك بعشرين عاماً ، وكان أبوه معاوية قد توفى شاباً فى أيام أبيه هشام ، فكفله وإخوته جدهم هشام ، ولما وقعت النكبة وأمعن الظافرون فى مطاردة بنى أمية فر عبد الرحمن بأهله وولده إلى ناحية الفرات وحل هنالك ببعض القرى ، واختفى بها حيناً يدبر أمره ، وكان يرقب الموت فى كل لحظة ، ولكنه كان فى الوقت نفسه يتجه بذهنه إلى مستقبل بعيد غامض . وبينا هو فى هذا الجزع القاتل يدبر أمره ، إذا بجند المسودة تطوق القرية ، وتستقصى آثار بنى أمية ، وإذا بعبد الرحمن يرى شبح الموت أمامه فجأة ، فيحاول اجتنابه بالفرار من مطارديه .

وقد انتهت إلينا عن الفرار قصة مؤثرة نقلها إلينا مؤرخ أندلسى مجهول عن لسان عبد الرحمن ذاته(١) ، ونقلها عنه بعد ذلك أبو حيان مؤرخ الأندلس(٢) وخلاصتها أن عبد الرحمن حينما علم أن القرية قد غصت بجند المسودة ، بادر إلى شىء من المال فحمله ، وفر مع أخيه الأصغر ، وهو صبى فى الثالثة عشرة من عمره ، وقصدا إلى شاطىء النهر (الفرات) فدل عليه بعض الخونة فما شعر إلا والخيل فى أثره ، فألقى بنفسه فى النهر مع أخيه وأخذا يقطعانه سباحة ، واستطاع عبد الرحمن أن يصل إلى الضفة الأخرى ولكن الغلام عجز عن قطعه ، وآثر أن يعود إلى الضفة الأولى بعد أن وعده الجند المطاردون بالأمان ، ولكنه ما كاد يقع فى أيديهم حتى انقضوا عليه وقطعوا رأسه أمام عينى أخيه وقلبه يتفطر روعة وأسى .

ولما أمن عبد الرحمن خطر مطاردته سار مختفياً إلى الجنوب وقطع فلسطين ثم مصر ، وهو يحمل حياته فى كفه متأهباً للقاء الموت فى كل لحظة . وكانت عيون العباسيين ترقبه وتشيعه خلال هذه الهضبات والفيافى الشاسعة ، وتكاد تكشفه من آونة إلى أخرى ، ولكن طالعه كان يهديه ، فجاز مصر إلى برقة ناجياً بنفسه ، والتجأ إلى أخواله بنى نفرة ، وهم بطن من بربر طرابلس وكانت أمه بربرية منهم تدعى راح ، وأقام لديهم يرقب الفرص ، وأنفذت إليه أخته أم الاصبغ موليبه بدراً وسالماً ومعهما شىء من المال والجوهر . والظاهر أن عبد الرحمن كان يتجه منذ الساعة الأولى ببصره إلى افريقية ، وأن نفسه كانت تحدثه بما قد يكون له فى الأندلس من شأن . فلما هدأ روعه استأنف سيره ، ونفذ إلى افريقية يحاول اختراقها ، وكان المتغلب عليها يومئذ عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى ، وكان وقت أن دالت دولة بنى أمية فى المشرق قد دعا لبنى العباس ، وكان يخشى على سلطانه من ظهور بنى أمية فى إفريقية ، فطارد اللاجئين إليها منهم ، وقتل بعضهم واعتقل البعض الآخر وصادر أموالهم . ولما شعر بظهور عبد الرحمن بن معاوية حاول القبض عليه ، ولكن عبد الرحمن استطاع أن يتجنب المطاردة ، وأن ينجو مع صحبه إلى المغرب الأقصى .



وهنا تتفتح آمال عبد الرحمن وأطماعه ، فعلى مقربة منه فى الضفة الأخرى من البحر بلد غنى زاهر من تراث الدولة الأموية الذاهبة لم تمتد إليه يد المسودة ، ولم تقتحمه دعوتهم ، وفيه عصبة قوية من بنى أمية وأنصارهم ومواليهم ، وفيه يستطيع ــ إذا حالفه حسن الطالع ــ أن يعيد بناء الصرح الذى انهار فى المشرق ، ويستأنف لأسرته حياة جديدة فى السلطان والملك . وكانت الأندلس فى الواقع ، منذ انجلت عنها يد السلطة المركزية ، مهبط الطامعين والمتغلبين ، وكان يحكمها ويقودها يومئذ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ وكان وقد وليها قبل ذلك بنحو عشرة أعوام باتفاق الجماعة عقب معارك داخلية طاحنة ، ولكن حكمه لم يتوج قط بالصبغة الشرعية ، ولم تستكن الأندلس نهائياً إلى حكمه بل كانت تتطلع دائماً إلى مصيرها وترجو أن تظفر بالاستقرار السياسى فى ظل أميرها الشرعى . وهكذا فإن عبد الرحمن الأموى حينما سبر غور أحوال الجزيرة على يد بعض رسله وموالى أسرته ، آنس أملاً فى العمل وفى النجاح ، ثم عبر إلى الجزيرة ، والتقى فى أنصاره وعصبته بيوسف وقواته فى « المسارة » على مقربة من قرطبة فى أوائل ذى الحجة ١٣٧ هـ (٧٥٦ م) ، وكان النصر حليفه ، إذ هُزم يوسف وحلفاؤه هزيمة شديدة ، ودخل عبد الرحمن قرطبة فى يوم الأضحى ، واستقبلت الأندلس عهداً جديداً .

° ° °

على أن يوم المسارة كان بالنسبة لعبد الرحمن فاتحة الظفر لا غايته ، فقد استطاع بعد أحداث وخطوب جمة أن يجوز إلى الأندلس ، وأن يفتتح عاصمتها وينتزع إمارتها لنفسه ، ولكنه ظفر بعرش لم يتوطد سلطانه ، وكان ثمة بينه وبين ملك الأندلس الحقيقى مراحل شاقة ، بيد أن هذا الفتى الذى شحذت المحنة والخطوب همه استقبل مهمته الفادحة بعزم مدهش ، وقضى بقية حكمه وحياته ثلاثة وثلاثين عاماً يغالب صعاباً لا نهاية لها . وكانت الأندلس خلال هذه الفترة كالبركان الثائر ، يضطرم كل يوم فى ناحية ، فلا تكاد الثورة تخمد فى ناحية منها حتى تضطرم فى ناحية أخرى . وكان عبد الرحمن فى خططه وأساليبه طوال هذه المعركة مثال الجرأة والصرامة والقسوة ، بيد أنها لم تكن شهوات طاغية ظامئ إلى الدم ، بل كانت أساليب عنف يمليهاالعنف والخطر الداهم .

كان عبد الرحمن يعيش من يوم إلى يوم فى غمر الخلاف والثورة والخيانة ، ولم يترك له الكفاح المضطرم المستمر فرصاً كثيرة لأعمال السلم ، بيد أنه خرج ظافراً من المعركة ، ظافراً باعادة الصرح الأموى الذى تهدم فى المشرق ، وتوطيد دعائم الملك الذى غلب ، وإنشاء أسرة أموية جديدة فى الغرب ،

قدر لها أن تسير بالأندلس فى سبيل العظمة والفخار أحقابا .

بيد أن هذا الظفر الباهر كانت تغشاه دائما آلام نفس معذبة ذلك أن المحنة طبعت نفس عبد الرحمن وروحه إلى الأبد بطابع الكآبة والشجن ، وهو لم ينس قط أنه سليل دوحة تقصفت واجتثت أصولها الراسخة حيث كانت يانعة زاهرة ، وأنها اجتثت فى مناظر دموية مروعة كان من شهودها وكاد يغدو فى ضحاياها ، ومن ثم نراه حتى آخر حياته محزون النفس يتلهف على ماضيه ، ويبكى مجد أسرته ، ويتحسر على فراق وطنه ، وعلى نفيه وغربته وقد انتهت إلينا من شعره أبيات مؤثرة تفصح عن آلامه المعنوية مثل قوله فى التشوق إلى ربوع الشام :

أيهذا الركب الميمم أرضى
أقر من بعضى السلام لبعضى
إن جسمى كما علمت بأرض
وفـؤادى ومـالـكـيـه بـأرض
قدر البين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي

وقوله وقد رأى فى الرصافة[3] نخلة منفردة :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائى عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي[4]

تلك هى مأساة عبد الرحمن الداخل ، ونقول مأساة لأن الظفر الذى اختتمت به لم ينزع عن هذه الحياة الشاقة لونها المؤسى . وقد كان الداخل بلا ريب من أعظم شخصيات التاريخ الأندلسى ، بيد أنه فى حياته الخاصة يبدو لنا دائماً ذلك الطريد الذى تثير محنته وآلامه فى النفس شجنا ، قبل أن تثير أعماله الحافلة فى النفس إعجاباً .

محمد عبد الله عنان

١٩٣٨

هامش

(١)وردت هذه الرواية فى كتاب « أخبار مجموعة فى فتح الأندلس » لمؤلف مجهول ص ٥١ ــ ٥٣ .

(٢) أوردها المقرى عن ابن حيان فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) رصافة قرطبة ، وقد أنشأها الداخل تشبها بجده هشام حيث أنشأ الرصافة بالشام .

(٤) وفى نسبة هذه الأبيات إلى الداخل خلاف .

مُداعبة صَدِيق

شعر : محمود غنيم

تعزية موجهة إلى صديقنا الشاعر (...) عن سبعة جنيهات احتال عليه دجال فسلبه إياها وكان أحوج ما يكون إليها .

هوِّن عليك وجفِّفْ دمعك الغالى ... لا يجمعُ اللهُ بين الشِّعر والمالِ
إنّا لفى زمن فَقْدُ النقود به ... يُدمى العيون كَفقد الصحب والآلِ
أدِّ التعازى في مال وفي ولد ... لا فرق ما بين أموالٍ وأنجالِ

* * *

مِنْ أين أصبحتَ ذا مالٍ فتَسْلبَهُ ... يا أشبهَ الناسِ بي في رقَّةِ الحالِ؟
فيالها سبعةً من جيبك انطلقت ... وأنت أحوجُ مخلوقٍ لمثقال
فريسةٌ من فمِ السنور قد نُزِعَتْ ... شتَّانَ ما بين سِنَّوْرٍ(١) ورئبال(٢)
عوِّذْ نقودك واعقِد حولها عُقَداً ... وثيقةً تتحدى كلَّ حلَّالِ

* * *

قالوا خلت يدُهُ من كل ماملكت ... فقلت بل رأسُه من عقله خالِ
لم يَبْقَ عندك ماتخشى عليه فنَمْ ... كما أنامُ قريراً ناعمَ البالِ
نفسي فداؤكَ ليت اللصَّ صادفني ... قد يغلبُ اللصَّ بالافلاس أمثالى

* * *

ياليت شعرِيَ ماذا أنت صانعُه؟ ... أتزمعُ الصومَ حتى شهرك التالى؟
عش من قريضك في ريّ وفي شبع ... إن كان ينتفعُ الظمآنُ بالآلِ(٣)
أقسمت ماسلبت تلك النقودَ يدٌ ... بل وَدَّعَتْ هرباً من جيبك البالى
الذئب لايشتهى لحمَ ابن جلدته ... فكيف غرَّرَ دَجَّالٌ بدجالِ؟

١٩٣٨ م

١ ــ السنور : حيوان أليف . ٢ ــ الرئبال : الأسد . ٣ ــ الآل : السراب .

مظاهر القسوة والرحمة في الحضارات

بقلم : عبد الرحمن شكري

أشرت فى مقالة (مجد العرب والاسلام) إلى محاولة بعض المؤرخين الأوربيين إصغار مظاهر القسوة فى الحضارات الأوربية وإعظامها فى الحضارات الشرقية . ولسنا نريد أن ننكر مظاهر القسوة فى الحضارات الشرقية ، وإنما نريد ألا يكون هناك لبس ، وألا تختفى الحقيقة التاريخية ، وهى أن الحضارات الأوربية لم تكن مظاهر القسوة فيها أقل من مظاهرها فى الحضارات الشرقية . فكل تمثيل قرأنا عنه فى حضارة شرقية قرأنا مثله فى الكلام عن الحضارات الأوربية . ولا يمكن تقصى كل مظاهر القسوة فى الحضارات ، ولا يفيد الانسانية إخفاء الحقيقة ، والمؤرخون الذين يخفونها قد يفعلون ذلك بحسن نية لأنهم يغالطون أنفسهم فيكونون كمن يجهل الحقائق وإن كانت ماثلة أمامه . وهذه ظاهرة كثيراً ما تشاهد فى الحياة فيحسبها الناظر سوء نية وكذباً متعمداً وماهي كذلك ، وإنما هى المغالطة للنفس التى تجعل المؤرخ يفرق بين النفوس البشرية ونزعاتها فى الشرق ، وبين النفوس البشرية ونزعاتها فى الغرب . كما يفرق المؤرخون فى بعض الأحايين بين العقول البشرية وملكاتها وطرق تفكيرها فى الشرق وبينها فى الغرب ، ويبالغون فى اختلاف طرقها بحسن نية ، وإن كانت المبالغة خطأ فى البحث والاستقراء .

كما نقرأ عن الحضارة الاغريقية أنها منبع الرحمة والنور فى العالم القديم والحديث ، وكان بعض المؤرخين لا يسهبون فى وصف مظاهر القسوة فيها ، وإن كانت موصوفة فى مراجع التاريخ ، وإنما هم يهملون وصفها عند إثبات أن الحضارة الاغريقية منبع الرحمة والنور فى العالم ، فلا يذكرون أن تلك الحضارة كانت مؤسسة على عرق جبين الأرقاء ودمائهم ، ويهملون ذكر ما كان يحدث فى المحاكم الاغريقية إذا ادعى أحدهم دعوى على رجل وأنكر هذا الرجل الدعوى وجيء بالأرقاء الذين يملكهم هذا الرجل المنكر وعذبوا بأصناف من العذاب القاسى الشنيع كي تؤخذ اعترافاتهم وهم يعذبون حجة على سيدهم . وكان السيد إذا اعترض على تعذيب أرقائه عد معترفاً أو شبه معترف بخوفه من أن يبوح أرقاؤه وهم يعذبون بما يؤدى إلى إدانته . ومن أمثال تلك القسوة فى الحضارة الاغريقية ما كان يلاقيه الأرقاء فى المحاجر والمناجم ، ومثلهم مثل الأرقاء فى مناجم الرومان . ويكفى وصف مالاقاه جنود أثينا الأسرى عندما حاولوا غزو سراقوسة فى صقلية وفشلوا واستخدموا فى المحاجر والمناجم أرقاء ، ومن مظاهر القسوة أيضاً معاملة المدينة الظافرة للمدينة المغلوبة على أمرها إذا ثارت على سيدتها ، فقد كانت المدينة الظافرة تقضى فى بعض الأحايين بقتل جميع الرجال وبيع الأطفال والنساء فى سوق الرقيق . وهذه المعاملة تذكرنا بما كان الاغريق فى العصور الحديثة يشنعون به على الأتراك ومعاملتهم لرعاياهم من الاغريق ، إلا أن تلك المعاملة القاسية القديمة كان يعامل بها الإغريق الإغريق وحتى فى المدينة الواحدة كان الحزب السياسى إذا ظفر ، عامل الحزب المخاصم له أشنع معاملة . وهذا كان حال الحضارة الاغريقية التى كانت بالرغم من ذلك منبع الرحمة والنور فى تاريخ الحضارة الأوربية . فإذا انتقلنا إلى حضارة الرومان وجدنا أن مظاهر القسوة لم تكن أقل منها فى الحضارة الاغريقية ، فكان الأرقاء يعاملون معاملة قاسية بالرغم من القوانين التى أصدرت لحمايتهم . وكانت الأحزاب السياسية يقسو بعضها فى معاملة بعض قسوة شنيعة . وكان الظفر الحربى الرومانى نذير القسوة الشنيعة حتى بعد ذلك الظفر عند الاحتفال به وبعد الاحتفال به . وكانت الخوازيق التى يعير بها الأتراك والشرقيون من العقوبات الرومانية ، وكذلك الصلب والتمثيل بالمصلوبين وهم مصلوبون . وكانت ميادين الكوليسيوم معرضاً لجنون قسوة النفس الانسانية حتى صارت من ملذات الجمهور الرومانى رؤية الوحوش وهى تفترس أجسام الأحياء وتمزقها تمزيقاً ، ورؤية حرق الأحياء كما كان المسيحيون يحرقون . ولم تكن مظاهر القسوة فى الحضارة مقصورة على حضارة أوربا الوثنية ، بل كانت على أفظع شكل حتى عند المتدينين من القائمين بأمور محاكم التفتيش الذين كان بعضهم يبكى رحمة بمن يعذبونهم فلا يزيدهم بكاء الرحمة إلا رغبة فى تعذيب ضحايا تلك المحاكم اعتقاداً أن ذلك التعذيب وأن تلك القسوة رحمة بالضحايا . ويقولون إن تعذيبهم فى الحياة الدنيا يقلل من عذابهم فى الآخرة ، فيكون تعذيبهم فى الحياة الدنيا رحمة بهم ، ولم تكن مظاهر القسوة مقصورة على طائفة دينية دون الطوائف الأخرى بل اشتركوا فيها جميعاً ، كما أن القوانين التى كانت تطبق فى الأمور غير الدينية كانت مثقلة بروح القسوة والتعذيب . ومن العجيب أن المؤرخين الذين ينعون على الدولة الاسلامية تنفيذ الحدود ينسون أن القوانين الأوربية والمحاكم الأوربية كانت إلى قبيل الثورة الفرنسية توقع عقوبات هى نفس الحدود التى ينتقدونها فى الدولة الاسلامية . فاننا نقرأ فى مؤلفات ماكولى وغير ماكولى من المؤرخين عن قطع الأيدى وجدع الأنوف وصلم الآذان وغير ذلك من أجزاء الجسم ، وقراءة وصف العقوبات التى وقعت بعد فشل ثورة دوق مونموث تكفى للدلالة على أن المؤرخين ينسون ما كان فى الحضارات الأوربية من مظاهر القسوة عند ذكرها فى الحضارات الشرقية . فاننا نقرأ كيف كانت أجسام الأحياء تقطع وتنصب أجزاؤها على النصب والمبانى والأعمدة وعند ملتقى الطرق ، فمن رءوس وأحشاء وأرجل وأيد منصوبة نتنة كانت تفسد الهواء فى انجلترا بعد ثورة دوق مونموث وغيرها من الثورات الفاشلة . والمستعمرون الأوربيون فى أمريكا حتى المتطهرون منهم لم يقصروا فى مظاهر القسوة ، وقد استعرض فان لون المؤرخ الأمريكى مظاهر القسوة فى الحضارة الأوربية والأمريكية فى كتابه المسمى (تحرير الانسانية) ولا تزال آلات التعذيب فى المتاحف الأوربية الخاصة بها تدل على أن النفوس فى أوربا لم تكن أقل قسوة من النفوس فى الشرق ، ولا نريد ذكر هذه الحقائق للغض من فضل الحضارة الأوربية . وإنما نريد تصحيح ما يشيعه بعض المؤرخين بحسن نية ، أو بسوء نية فيضلل ما يقولون ويؤدى إلى تخليد قسوة الانسانية ، وربما كانوا أبعد الناس عن الرغبة فى تخليدها .

والحقيقة أن النفس الانسانية إذا غضبت قست وأجرمت حتى ولو كان غضبها للحق أو الحرية أو الوطنية أو كرهاً للظلم . ولعل أكبر انتصار للنفس الانسانية فى المستقبل يكون انتصارها على نفسها بمنعها من الاجرام والقسوة الهمجية الوحشية عندما تغضب للحق أو الحرية أو الوطنية أو كرهاً للظلم . انظر مثلا ما ارتكبه ثوار الثورة الفرنسية من شرب للدماء ، وتمزيق أجسام الأحياء ، وأكل للحوم البشرية وسلخ لجلودها والتذاذ باراقة الدماء والفخر بما كانوا يسمونه الغنائم والأسلاب من أحشاء نتنة ورءوس كانوا يضعونها على الرماح . ولم يفعل كل هذا أناس شرقيون ولا أناس من قبائل نيام نيام فى أواسط أفريقيا بل أناس غضبوا للحرية وكرهوا الظلم وكانوا يدعون إلى الحرية والأخاء والمساواة وإلى محو الشر . وهذه الثورة الفرنسية كانت مقدمة للديمقراطية الحديثة ، ولكن بعد أن كره العالم اسم الحرية زمناً وارتضى الحكومة المطلقة زمناً بسبب هذه الفظائع وهذه النذالة فى الاجرام والقسوة .

ثم انظر إلى فظائع الحروب الاستعمارية

وفظائع الحرب الكبرى فقد قاسى من أجلها من المحاربين ومن الأطفال والنساء آلاماً كثيرة عدد لم يقاس مثله فى الحضارات الشرقية بشهادة بعض المؤرخين الموثوق بقولهم وبشهادة المفكرين مثل هالدين وليونارد وولف .

ثم انظر إلى مستقبل الانسانية وما هو منظور أن تقاسيه من الويلات بسبب الحضارة الأوربية وجشعها ومخترعاتها مما ينسى المفكر كل مظاهر القسوة فى الحضارات الشرقية التى ينتقدها بعض المؤرخين الأوربيين . والحقيقة أن النفس الانسانية فى السلم والحرب وفى أعمالها وأقوالها اليومية لا تزال أكثر ولوعاً بالقسوة مما يظن المستعرض لها بنظرية سطحية عجلى ، كما هى أكثر ولوعاً بالمجون وقصصه وأعماله مما يظن المستعرض للأكاذيب المقررة التى هى طلاء الحضارة والتى تخفى مظاهر القسوة والمجون فى أعمال النفوس البشرية .

وإنى ما ذكرت تنور المتوكل الذى عذب فيه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات إلا ذكرت الغلاف الحديدى ذا المسامير الذى كان يوضع فيه الأحياء فى أوربا . وما ذكرت الرقيق فى الدول الشرقية إلا ذكرت أن الرقيق كان شائعاً فى أوربا وأمريكا إلى عصور قريبة ، وإلا ذكرت أنه عندما بدأ الرحماء يدعون إلى تحرير الرقيق ووجدوا نصراً من رجال الدين فى أوربا ألفوا أعداء من رجال آخرين من رجال الدين كانوا يتذرعون بآيات من الكتاب المقدس من العهد القديم كى يزكوا بها الاستعباد ، وذكرت ما كان يقاسيه الرقيق فى الحضارات الأوربية مما يطول شرحه ووصفه ، وذكرت أن الكنيسة نفسها كانت تشترى الرقيق من الغلمان الصغار الملاح وتخصيهم ، وكانوا يسمون خصيان الكنيسة ، وكانت تفعل ذلك كى يرق صوتهم فيرتلون الآيات فى الصلوات بصوت عذب شبيه بأصوات النساء . وكان بعضهم يهلك من عذاب الخصى .

وبعد فان مثل المؤرخين الأوربيين الذين ينكرون أو يصغرون من أمر مظاهر القسوة فى الحضارات الأوربية ويكبرون أمرها فى الحضارات الشرقية مثل كل إنسان فى هذه الحياة الدنيا يصغر ويهون من أمر مظاهر القسوة التى ترتكبها نفسه ويكبر من أمر مظاهرها الصادرة عن نفوس غيره من الناس . وهو يفعل ذلك إما بغفلة وعن حسن نية ، وإما يفعل ذلك وهو يدرى ما يفعل . ولن تنصلح الانسانية إلا إذا امتنع تضليل النفس هذا .

عبد الرحمن شكرى

١٩٣٨

حول كتاب "هتلر"

قضية طريفة أمام القضاء الباريسي

نعرف أن للهر أدولف هتلر رئيس الحكومة الألمانية الحالية ، وزعيم الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى ، كتاباً كتبه أيام المحنة ، وقت أن كان زعيم جماعة صغيرة وحزب ناشىء ، وكان وقتئذ معتقلا فى إحدى القلاع يقضى حكماً صدر عليه لاشتراكه فى مؤامرة دبرت فى ميونيخ لقلب الحكومة . ولم يكن لهذا الكتاب الذى صدر فى سنة ١٩٢٥ بعنوان : جهادي (Mein Kampf) ، أهمية سياسية أو أدبية . وفيه يقص هتلر سيرة حياته ، ويعرض برنامج حزبه ، وآراءه السياسية فى أسلوب عادى لا يمتاز بشىء إلا بما يتخلله من المبادىء والآراء المتطرفة . فلما تطورت الحوادث ، وغدا هتلر زعيم أعظم الأحزاب الألمانية ، واستولى على مقاليد الحكم ، اتجهت الأنظار الى كتابه ، وتخاطفته الملايين ، وطبع مراراً عدة ، وترجم إلى عدة لغات ، واتخذ أهمية جديدة يسبغها عليه مركز مؤلفه وما انتهى إليه من السلطان والنفوذ .

وقد رأى أحد الناشرين الباريسيين أن يخرج الكتاب باللغة الفرنسية لما للكتاب من خطر فى نظر الجمهور الفرنسى بعد أن غدا مؤلفه أعظم خصم لفرنسا ، فأرسل إلى شركة فرانز أيهر الألمانية التى فوضت جميع حقوق النشر يستأذنها فى الترجمة ، فأجابت بالرفض المطلق . والظاهر أن ذلك يرجع الى أسباب سياسية أكثر مما يرجع الى أسباب مالية ، لأن الهر هتلر لم يشأ أن يطلع الشعب الفرنسى على ماكتبه ، وفيه كثير مما لا يدعو الى الطمأنينة . ولكن الناشر الباريسى لم يعبأ بهذا الرفض ، وأخرج لكتاب « جهادى » ترجمة فرنسية بديعة كاملة بقلم ثلاثة من الكتاب المعروفين . فبادرت شركة فرانز أيهر الألمانية الى رفع الأمر الى القضاء الفرنسى ، واستصدرت أمراً بالحجز على النسخ المطبوعة لدى الناشر الباريسى ، ورفعت عليه دعوى تطلب مصادرة النسخ المحجوزة ، والحكم عليه بغرامة قدرها ألف فرنك عن كل نسخة ، والحكم عليه فوق ذلك بتعويض مالى كبير .

وكانت نظرية الشركة الألمانية أمام المحكمة أن نشر الترجمة دون إذن يعتبر اعتداء واختلاساً ، وقانون سنة ١٧٩٣ الفرنسى الذى يحمى الملكية الأدبية يعتبر ذلك « تزويراً » تترتب عليه جميع حقوق التعويض والمصادرة .

ولكن الناشر الباريسى أجاب على لسان الأستاذين : « جاييه وفيليب لامور » أن هذه الحالة لا يشملها قانون سنة ١٧٩٣ . ذلك أنه لا يمكن أن نشبه كتاب هتلر بكتاب عادى أو رواية لمؤلف عادي ، والواقع أن كتاب « جهادي » إنما هو كتاب عمومى لرجل من الرجال العموميين ، ورؤساء الحكومات الذين تغدو كتاباتهم ملكاً للجميع على نحو ما يغدو تصريح وزارى أو خطبة عرش ، فلكل إنسان الحق ، بل ومن واجب كل إنسان يهمه الاطلاع على الشئون العامة أن يعرفها وأن يقرأها . هذا الى أن العقد الذى تزعم الشركة الألمانية أنها حصلت بمقتضاه على حقوق النشر لا يوجد ولم يقدم ، وليس لديها غير تصريح شفوى من « الزعيم » هتلر . ورفع الدعوى بهذه الصورة باطل ، وكان واجباً على هر هتلر ، إذا شاء أن يحمى حقوقه أن يتقدم بنفسه ، وعلى أساس الاعتبارات السياسية التى هى جوهر القضية ؛ ولكنه لم يكن لديه من الشجاعة أو الصراحة ما يحمله على اتباع هذا الطريق ، ولهذا آثر أن يتقدم بواسطة شركة للنشر وعلى أساس الاعتبارات التجارية .

وقد أثارت هذه القضية اهتماماً كبيراً فى الدوائر القضائية والأدبية ، ولا تزال منظورة أمام محكمة السين التجارية ، رهن صدور الحكم فيها . على أنه يرجح منذ الآن أن يأخذ القضاء الفرنسى بنظرية الناشر الباريسى فى اعتبار كتابات الرجال العموميين وأقوالهم ملكاً مباحاً يسوغ لكل إنسان أن يحصل عليه وأن يذيعه .

١٩٣٤

قصـــة قصـــيرة

المفاجأة

بقلم: عبـاس خضـر

ريشة: سلطـان السليطي

لحها من الشباك .. فتذكر أياماً كان فيها الشباك يلعب الدور الأول في خفقات القلوب ، يشير الفتى للفتاة ، فتستجيب وتبتسم إن أعجبها الفتى ، يكون نظرة فابتسامة فموعد فلقاء . كما قال أمير الشعراء شوقي ، أو تعرض وتغلق الشباك في وجهه ، ويكون ذلك إما إعراضاً حقيقياً أو دلالا .

كان الشباك في ذلك الزمن له شأن أى شأن ، إذ تلوح منه الوجوه الحسان ، كان مثل القمر الذى ينشر أشعته المبهجة ، ولا يهم ما وراء هذه الأشعة من جبال ورمال وتضاريس يحكى عنها رواد القمر ، كذلك الشباك يلوح منه الوجه الجميل ولا يهم ما وراء هذا الوجه .. قد يكون الأب القاسي الذى يجر البنت من شعرها ويصفعها ويغلق الشباك ويهددها إن رآه فتح بعد ذلك فسيكون الوبال وشر الأعمال .

كان الشباك كذلك في زمن مضى ، وكانت الأغنية القديمة تقول :

« يا نينه شفته من الشباك جدع حليوة وأسمر ، وعدى عليه يا نينه » ..

كانت بنت الجيران التى تطل من الشباك أول خطوة نحو الحب ، ولم تعد كذلك الآن ، فالبنات والستات في الطرقات وفي المدارس والكليات « على قفا من يشيل » وتراهن في كل مكان ولا حاجة الى التحديق في الشبابيك .

على أى حال شعر صاحبنا بالارتياح عندما لمحها . وهو في شقته وحيداً ، يشعر بالانقباض وما يشبه الكآبة : ذلك المرض النفسي المقول عنه ، وذلك لطول وحدته ، كاد صوته أن يفقد التعبير بتلوينه حسب الحال ، لقلة التحدث مع أحد ، والعضو ـ كما تعلم ـ يضعف إذا لم يعمل . تنبه لذلك أخيراً ، فشرع يكلم نفسه بصوت عال كتمرين لخبرته ، ينشد بيتاً من الشعر ، أى بيت يجيء على لسانه ، أو حكمة .. يقول في نفسه وهو يضحك على نفسه : لو سمعنى أحد وأنا أكلم نفسي لظن بى الظنون وأقربها أنى مجنون .

لا يحب الستائر التى تحجب عنه مناظر الخارج ، وتشعره بأنه حبيس بين الجدران ، فهو بدون الستائر يتطلع الى هذه المناظر من النافذة أو باب الشرفة ، وهو الآن يجد فائدة من ذلك ، فلولا تجرد النافذة من الستارة ما رآها .. ما انتعش بمرآها ، وجهها جميل ، ليشر إليها ، ربما تبتسم له ..

فعلا نظرت اليه ، وخيل له أن رأى شبه ابتسامة على شفتيها .. رآها تستعد للخروج ، ليخرج هو أيضاً ، فقد يقابلها في الطريق ، ولكن الجو لا يبدو له ملائماً للخروج ، الدنيا برد ، والهواء نشط ، مثل « السم » لأنه يسمم البدن ، أليس يصيبه بنزلات البرد وخاصة الزكام ؟ انه يرى الملابس المنشورة على حبال الغسيل في الشرفات وعلى الأسطح تهتز بسرعة ، فيخشى لفحة البرد إن خرج ، ولكنها هى ستخرج ، فليتوكل وينزل ..

سخر من من نفسه ، كيف يغازل مثل الشباب ويحسب حساب الجو ونزلات البرد مثل الشيوخ ؟ ولكن لا وقت للتفكير في هذه المتناقضات ، فهيا وانتهز الفرصة قبل أن تفلت منك ..

ولكن ماذا يريد منها ؟ أليست جارة وللجيران حقوق وحرمات ؟ ولكنه يعلل النفس بصحبة بريئة .. فقد تلين له فيذهبان الى الحديقة العامة ويجلسان في الشمس ، آه .. الشمس ، الشمس لا تدخل هذه الشقة الباردة ، فيستعين فيها بالمدفأة الكهربائية ، هرع الى المدفأة فأطفأها استعداداً للخروج ، الخروج ؟ وهل أنت مصر على الخروج ؟ نعم ولم لا ؟

استشعر السخرية من نفسه مرة ثانية : يزمع أن يطارد المرأة مثل المراهقين ويخاف من الجو البارد مثل العجائز ؟

أسرع فارتدى ثياب الخروج ، وهبط .. ما إن صار في الشارع حتى أحس بأن الجو ليس سيئاً كما كان يتوقع ويخشى ، النسمات منعشة ، والشمس مشرقة ، لماذا يحرم نفسه من الهواء الطلق ويظل حبيساً بين الجدران ؟

كذلك العمل ، يخيل للمرء أنه صعب فإذا أخذ فيه وجده سهلا .

ما إن وصل الى ناحية الشارع حتى تذكر أيام كان يقف ساعات مع أصدقائه وأنداده الشبان يعاكسون الغاديات والرائحات ، ويتطلعون الى الشبابيك التى تنظر منها البنات .. لم يعد ذلك كما كان ، فشبان هذه الأيام يرون البنات والنساء في كل مكان ، وخاصة في المدارس والكليات المختلطة ، والفتاة تحادث الفتى بشكل عادى ، فلا يقول لها : « يا باشا ! » كما كانوا يقولون في الزمن الماضى ، ولا تقول له : « ياسم ! » رداً على غزله الجرىء . انتهت « الباشوية » ولم يعد هناك « سم » .



ولكنه لا تزال فى أعماقه تلك النزعات أو النزغات .. أليس يسعى الآن وراء التى لاحت له من الشباك وخيل اليه أنها تبتسم له .. ؟

ها هى ذى .. يالله ! ماذا يرى ؟ بيدها عصا تتوكأ عليها ، رجلها اليمنى ملوية ، وقدمها اليمنى تسقط على الأرض منحرفة ، وبدنها يميل جزء منه ، وهى لهذا تمشى بصعوبة ، فهى عرجاء اذن ، وهذا العرج لا يظهر من النافذة ، وسبحان من ركب هذا الوجه على ذلك الجسم !

مسكينة .. إنها تستدعى العطف لا الغزل ، ولو علمت ما غازلتها حينما رأيتها من النافذة !

ثم أفاق الى نفسه ، وتساءل يؤنب نفسه :

هب أنها غير ذلك ، أعنى كما ظننتها أولا فماذا كنت تريد ؟ أيليق هذا وأنت فى هذه السن ؟ أمازلت مراهقاً وغداً ؟ كنت كذلك أيام الصبا . أتذكر يوم مشيت وراء فتاة توجه أليها ألفاظ الغزل البذىء ، وهى تمشى صامتة كأنها لا تشعر بك ، وبعد أن حفيت قدماك التفتت اليك وقالت مؤنبة : أما كفاك ؟ دعنى واذهب لحالك .

شعر نحو العرجاء بشعور آخر يختلط بالإشفاق .. تأملها من بعيد .. يالله ! أتكون هى « أمانى » ؟ وما الذى جرى لها ؟ كان طفل يتقافز حولها ، فلما بعد عنها نادت :

ــ يا حمادة .. حمادة .. تعال هنا .

اقترب منها ، لم يملك نفسه أن سألها :

ــ أنت .. أنت أمانى ؟

ــ نعم يا أحمد .

ــ أهلا يا أمانى .

ــ أهلا بك يا أحمد .

ــ عشر سنين لم أرك ، أهذا ولدك ؟

ربت كتف الصغير ، ومسح على رأسه ، وقبله .

قالت :

ــ نعم ، انه أحمد ولدى !

ــ أحمد ؟ سميته أحمد ؟

ــ ...

ــ ماذا حدث لك ؟

ــ نصيب .. ليس لنا الا أن نرضى بما قسم الله .

ــ لم أنسك قط ، وانى سعيد بلقائك .

كان نصيبه الحرمان منها ، لأنه لم يكن لديه « شقة » وكانت أزمة المساكن قد استحكمت ، وكان حصول مثله على شقة مستحيلا ، وطالت مدة خطبتها ، ضغط عليها أهلها عندما تقدم لها آخر عنده شقة ، فتزوجت به مستسلمة لقضاء الله .

توفى والداه . فورث عنهما فيما ورث « الشقة » المستأجرة ، بعد فوات الأوان . وها هو ذا يعيش وحيداً ، قسمة ونصيب !

شعر بالحب القديم يستيقظ فى أعماقه .. يأخذ شكلا جديداً ، يتحول من العنفوان الى الهدوء ، ومن الرغبة الجامحة فى الامتلاك الى الاستقرار النفسى القانع ، جعل يردد :

حسبى وحسب الذى كلفت به
منى ومنه الحديث والنظر

قال لها :

ــ هل أسعد بجلسة معك فى الحديقة ؟

أشارت برأسها موافقة .

ــ إيه يا أمانى .. هل تذكرين هذه الشجرة التى طالما تفيأنا ظلالها ؟

ــ ومن ذا الذى ينسى أحلى ما كان ؟

ــ انها باقية على العهد ، تحنو علينا كما كانت ، كنت أجىء هنا وحدى فأشعر وأنا أتأملها كأنها تسألنى عنك ..

ــ أما تزال شاعراً .. ؟

ــ ان لم أكن فقد صرت ، من يرى هذا الجمال ولا يشعر به ؟ هذه الأشجار السامقة تهتز فروعها فى رقة ودلال ، وهذه الأزهار تبهرنا بألوانها ، وخرير الماء .. أتسمعين خرير الماء فى هذا الجدول ؟ وتغريد الطيور ؟ ان الطبيعة تحتفل بلقائنا ..

تسكت كأنها خجلى وتبتسم .

يركز بصره على ابتسامتها التى طالما فتنته ..

• • •

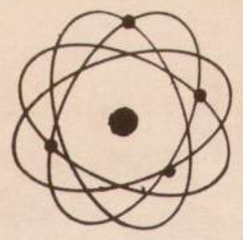
لما عاد كان يقفز على سلم المنزل بشباب لم يعهده منذ سنين .. ودخل الشقة وهو يدندن :

« شباك حبيبى .. شبك قلبى .. شبك قلبى » .

وصوته يطرد من الشقة أشباح الوحدة ويطهرها من جراثيم الكآبة .

واتجه ببصره نحو شباكها ، فرآه أحسن الشبابيك !

القاهرة



العلم هو المستقبل

● الروبوت المنزلي مساعد ورفيق



من المتوقع أن يصبح الربوت المنزلى رفيقاً دائماً ونافعاً للاسرة فى غضون السنوات القليلة القادمة . فقبل نهاية هذا القرن سيقوم الربوت بمهام الحراسة والأمن والأعمال المنزلية البسيطة فضلا عن تسلية الكبار والصغار .

وأكثر هذه الأنواع تطوراً ربوت أمريكى طوله ٩٠ سم ويزن ١٨ كيلوجراماً ويتحرك بسرعة ٥٥ سم فى الثانية . وهو يتمتع بذاكرة قوية تتسع لثلاثة ملايين وحدة تخزين ، كما أنه مزود بخمسة أجهزة رصد تعمل بالموجات فوق الصوتية يستطيع بواسطتها تحديد مواضع الأجسام التى قد تصادفه فى طريقه ، وأحد هذه الأجهزة موجه نحو الأرض لحمايته من التعثر وبالتالى فان هذا الربوت يتحرك بحرية فى غرف المنزل دون ان يصطدم فى أى شيء .

ومن ناحية أخرى فهو يستطيع التمييز بفضل جهازى رصد للأشعة تحت الحمراء بين الكائنات الحية والجوامد ، ومن ثم يمكنه اكتشاف وجود أى متسسلل أو دخيل .

ويتميز هذا الربوت عن اقرانه بأنه يضم داخل هيكله المتواضع دوائر الكترونية لثلاثة أجهزة ميكروكمبيوتر تعمل بشكل متواز يقوم كل واحد منها بجزء من المهمة المطلوب تنفيذها . مما يجعله أقوى ثلاث مرات من أى كمبيوتر شخصى .

ونظراً لأن سعة ذاكرته أكبر بكثير من أى ربوت منزلى فهو يستطيع القيام بالعديد من المهام مثل الحراسة ورصد الدخان والحرائق فضلا عن التسلية ، كما يمكن تزويده بمكنسة كهربائية خفيفة ليقوم بأعمال التنظيف فهو له ذراعان متحركان . وباختزان المواعيد فى ذاكرته يقوم بتنبيه صاحبه بصوت واضح وكلمات مفهومة عندما يحين الموعد المحدد .

واذا شعر بان قواه بدأت تضعف فانه يتوجه من تلقاء نفسه الى أقرب مصدر للتيار الكهربى ليقوم وحده بشحن بطاريته .

● عدسات لاصقة ذاتيّة التكيّف



العدسات فى المستقبل تكون ذاتية التكيف

تحاول الأبحاث فى مجال علاج عيوب البصر الوصول الى عدسات قادرة على التكيف مثلها مثل عدسة العين الطبيعية .

ويتوقع الباحثون أن تصبح العدسات اللاصقة فى مطلع القرن الواحد والعشرين عدسات ذاتية التكيف باستخدام تقنيات الكترونية وكيمائية خاصة .

ففى مؤتمر عن قصور النظر عقد مؤخراً فى باريس قدمت أبحاث هامة عن تقنيات جديدة للعدسات اللاصقة .

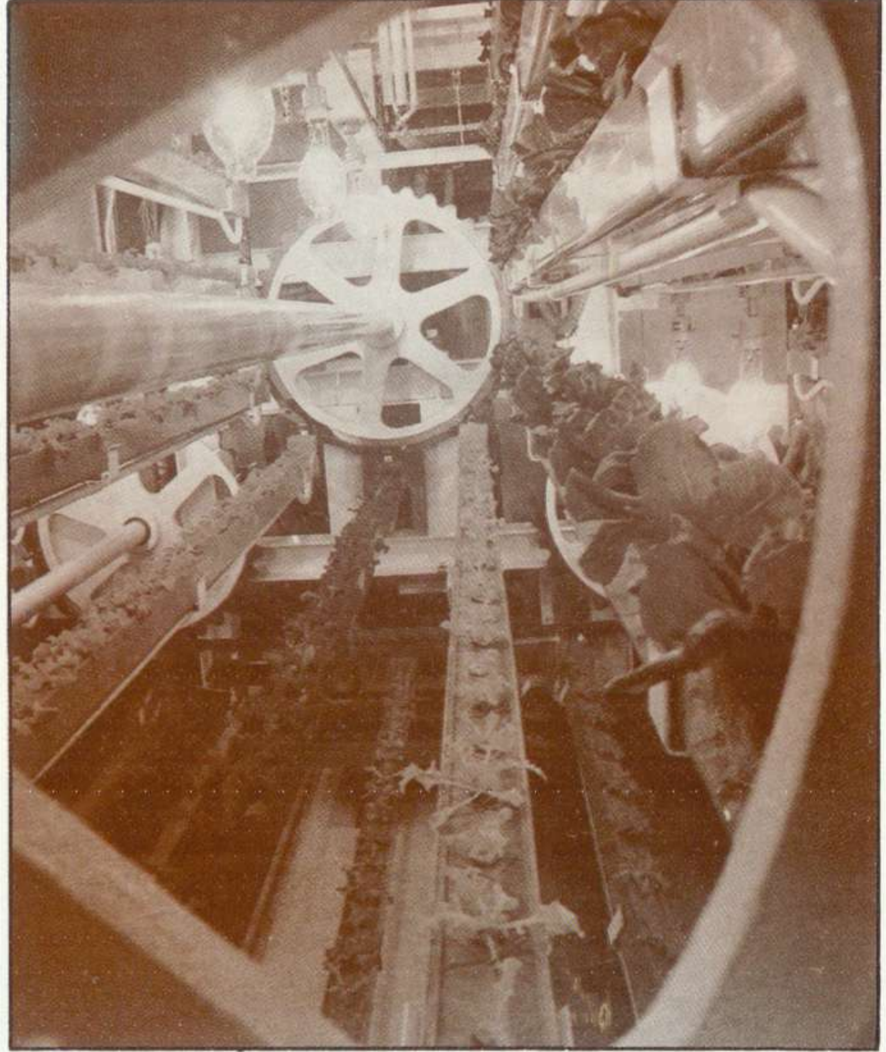
فلقد قدم باحث أمريكى شاب عدسات كيمائية يتغير سمكها تبعاً لنوع الوسط الموجودة فيه . فعندما وضعت فى محلول يوريا انتفخت وتغير تقوسها وبالتالى قوتها وعند وضع العدسة نفسها بعد ذلك فى محلول يماثل تركيب دموع العين عادت الى مواصفاتها الأصلية . ومعنى ذلك أن العدسة أمكنها التكيف،أى تغيير درجة تقوسها تبعاً للوسط الموجودة فيه وهو ما يسمى بالتكيف الكيمائى .

ولكن التكيف الطبيعى لعدسة العين يتم بشكل لحظى فى حين تستغرق هذه العدسات اللاصقة وقتاً لتقوم بعملية التكيف . ولذلك تواصل الأبحاث تجاربها للوصول الى مواد جديدة لتصنيع هذا النوع من العدسات بحيث تتغير درجة تقوسها وبالتالى قوتها بالسرعة المطلوبة .

اما التقنية الثانية فهى عبارة عن عدسات الكترونية متغيرة القوة . ويعتمد عمل هذه العدسات على التحكم الكهربى فى ترتيب الجزيئات المكونة لها . حيث يتغير اتجاه وترتيب هذه الجزيئات تبعاً للجهد الكهربى الذى تتعرض له . وصنعت هذه العدسات من مادة عضوية تتميز بنشاط ضوئي محاطة بطبقتين رقيقتين من مادة شفافة موصلة للكهرباء .

وبالتالى فان أى تعديل فى ترتيب الجزيئات ينتج عنه تعديل لمعامل انكسار العدسة ككل مما يتيح لها امكانية التكيف .

مصنع الخس

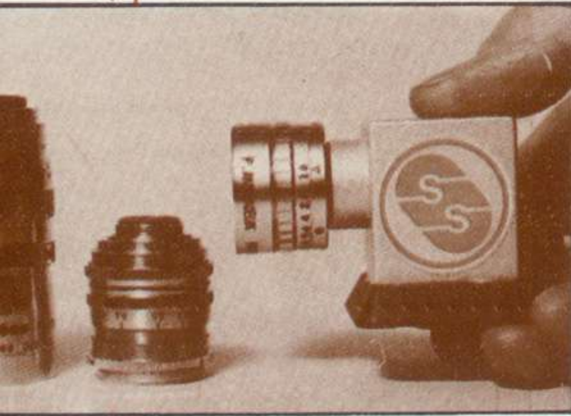


بدلا من الصوبة الزجاجية التقليدية يقدم اليابانيون صوبة تكنولوجية لزراعة الخس ويطلقون عليها اسم «مصنع الخس» وهو مصنع فريد من نوعه فالنبتات موضوعة على سير دائم الحركة (كما تبين الصورة) بحيث تؤمن حركة السير المستمرة تعرض كل نبتة لقدر متساو من الحرارة والضوء.

ويتميز هذا المصنع بأن نمو الخس فيه أسرع خمسة أضعاف عن الطبيعي حيث ينضج خلال عشرين يوماً فقط. ويفسر الباحثون المشرفون على هذه الصوبة الآلية بأن توفر المواد الغذائية على شكل سوائل والجو الغني بثاني أكسيد الكربون والحرارة الثابتة والأشعة الضوئية المستمرة لمدة ٢٤ ساعة تساعد على سرعة النمو.

وتكلف هذا المصنع الذى عرض نموذج له في معرض التكنولوجيا الدولى «تسوكوبا ــ ٨٥» الذى أقيم مؤخراً فى اليابان مائتى ألف دولار. ويمكن بالطبع استخدام نفس التقنية لزراعة مختلف الخضروات.

أصغر كاميرا في العالم



انتهى المهندسون الفرنسيون فى معهد الالكترونيات فى جامعة «تولوز» من تصميم أصغر كاميرا الكترونية فى العالم، فوزنها لايزيد عن ٧٥ جراماً وارتفاعها ٣٦ ملليمترا وعرضها ٢٤ ملليمترا. فهى أشبه بعلبة ثقاب مزودة بعدسة.

وتحمل الأعجوبة الفرنسية اسم «ميكام» وهى اختصار لكلمة ميكرو كاميرا، وبدأت فكرة هذه الكاميرا بتصميم نظام يسمح لمن فقدوا البصر بالقراءة. ويتكون هذا النظام من كاميرا صغيرة يحركها الكفيف بيده اليمنى فوق النص المطبوع ليقوم الميكروكمبيوتر الموجود داخلها بالتعرف على حروف هذا النص واظهارها على السطح العلوى للكاميرا فى شكل حروف «بريل» بحيث يستطيع الكفيف قراءتها بيده اليسرى.

وتتعدد استخدامات «ميكام» فى الأغراض الصناعية سواء فى المراقبة عن بعد أو الربوت الصناعى كما يمكن استعمالها فى الطب والمجالات الفضائية بالإضافة بالطبع الى أنشطة الجاسوسية.

وتتميز هذه الكاميرا الفرنسية عن مثيلاتها اليابانية والالمانية بأنها أصغر حجماً وأرخص ثمناً كما يمكن ان يركب لها عدد كبير من العدسات مثل الزوم وتلك التى تعطى رؤية بانورامية الخ.

تحقق في القاهرة .. ما نادت به "الدوحة" منذ سبع سنوات

السينما المصرية
بين حرّية الفكر.. وحرّية التهريج!

بقلم: رءوف توفيق

تحقق فى القاهرة أخيراً .. ما نادت به مجلة « الدوحة » منذ سبع سنوات ..

فقد تشكلت فى القاهرة ، لجنة عليا للرقابة على الأعمال الفنية ، وضم قرار تشكيل اللجنة عدداً من علماء الدين ، وأساتذة الاجتماع وعلم النفس .. وعددا من الكتاب والنقاد .. وخبراء السينما فى مجال الانتاج والاخراج والتأليف .. والاستوديوهات والتوزيع .. بالاضافة الى ممثلى أجهزة الرقابة الحالية ..

وبهذا وصل عدد أعضاء هذه اللجنة الى ٣٧ عضواً .! اجتمعوا بالفعل على مدى الثلاثة شهور الأخيرة ، لبلورة هدف اللجنة فى « حماية حرية الفكر » و « اطلاق حرية الابداع الفنى الهادف والارتقاء بالذوق الفنى » .



وهكذا .. أصبح من المأمول في القاهرة .. أن يتقلص الدور التقليدى لأجهزة الرقابة الحكومية والتى يمارسها ـ بحكم اللوائح والقوانين ـ عدد من صغار الموظفين ، يهمهم في المقام الأول عدم التعرض للمساءلة ، واتباع الأحوط والأسلم لهم .. مما أدى الى رفض كثير من الأفكار والموضوعات الجادة ، والتى تناقش قضايا اجتماعية وسياسية هامة .

وانتقلت المهمة ـ بحكم تشكيل اللجنة العليا للرقابة ـ على عاتق ومسئولية رجال العلم والدين والاجتماع .

ماذا كتبت « الدوحة » ؟

وهذا الاتجاه في الرقابة على الفن .. هو ما نادت به « الدوحة » في عددها الصادر في مايو عام ١٩٧٥ .. في مقال بعنوان : « الرقابة على السينما .. شر لابد منه .. ولكن هناك حل » كتبت أقول :

« لاشك أن المطالبة بإلغاء الرقابة على الأفلام .. يعد أمراً خيالياً مستحيلا ـ وقد كنت أوضحت في نفس المقال موقف دول العالم من اللجوء للرقابة ، لحماية النشء من الانحرافات .. وحماية البسطاء وقليلى التعليم من السموم المدسوسة بذكاء في بعض الأفلام » .

واستطرد ذلك المقال .. وصولا الى الحل المقترح .. فكانت هذه السطور :

« ما يمكن المطالبة به .. أن تشكل أجهزة الرقابة من ذوى الخبرة والدراية من الشخصيات العامة » .

« فليس هناك أسوأ من أن يتولى صغار الموظفين اصدار الحكم على الفكر السينمائى » .

« واذا اتفقنا على أن الرقابة شر لابد منه .. فإننا يمكننا تحويل مسارها الى خدمة حقيقية للمواطنين ، وللثقافة ، وللفن عموماً .. اذا أتحنا الفرصة لأصحاب العقول المتفتحة وخبراء السياسة والاجتماع ، للمشاركة في تحديد الممنوع والمسموح » .

« ولا يمكن أن يختلف اثنان على مشروعية هذا الطلب » !

كان هذا ما نشرته « الدوحة » منذ سبع سنوات ..

وتحقق ذلك أخيراً في القاهرة ..

وهذه المرحلة الجديدة من الرقابة على الفن في مصر .. لابد أنها ستمر بتجارب واختبارات مختلفة .. وستتصادم بعض الآراء .. ويمضى بعض الوقت حتى تظهر النتائج الحقيقية لهذه التجربة ..

وعلينا من الآن أن ننتبه لبعض المحاذير .. ونطرح التساؤلات في احتمالات المستقبل .. ذلك لأن هذه التجربة المصرية لابد أنها ستنعكس بشكل وآخر على مسار الفن في مصر .. وبالتالى سيكون لها


نبيلة عبيد وأحمد زكى في لقطة من فيلم « التخشيبة » للمخرج عاطف الطيب .. ولم يكن على نفس مستوى فيلمه « سواق الأتوبيس »


لقطتان : الأولى لشادية ويسرا في فيلم « لاتسألنى من أنا » والفيلم لم يكن على المستوى المتوقع من ناحية الموضوع .. واللقطة الأخرى لأحمد زكى ووفاء سالم في فيلم « النمر الأسود »



بعض التأثير على الفن عموماً فى المنطقة العربية .
فالفن — كما هو معروف — من أكثر وسائل التعبير انتشاراً .. وله سحر خاص فى تشكيل الوجدان .

نظرة .. من حولنا

وحرية الفكر ، والتعبير عنه ، من أكثر القضايا التى صاحبت مسيرة البشرية منذ فجر التاريخ وحتى الآن .. تعاقبت العصور ، والأنظمة .. وتعاقبت أيضاً وسائل تقييد حرية الفكر ، تحت مسميات مختلفة !

ورغم ان كل القوانين والمواثيق الدولية تنص على حق الانسان فى التعبير عن أفكاره .. الا أن هذا « الحق » ليس دائماً حقاً مطلقاً .. فهناك حدود ملزمة يقف عندها هذا « الحق » . ! !

وفى أكثر الدول ديمقراطية ، على خريطة العالم الآن .. لا يوجد الحق المطلق فى التعبير ، على مستوى أجهزة الاعلام ، أو من خلال السينما أو التليفزيون أو المسرح .. وانما هذا « الحق » مرتبط بشكل أو بآخر بالمؤسسات الاقتصادية الكبرى ، يلتزم بمصالحها ، ويتحرك من خلالها .. واذا حاول أحد أن يتمرد على هذه الحدود .. فعليه أن يتحمل النتائج .. صحيح انه لن يتعرض للسجن أو المصادرة ، ولكنه سيتعرض لما هو أقسى وأبشع .. سيتعرض للفصل والمطاردة فى رزقه .. واغلاق كل الأبواب فى وجهه .. سيدرج اسمه فى قائمة غير المرغوب فى التعامل معهم .

وأقرب مثال لنا — فى المنطقة العربية — ما تعرضت له الممثلة « فانسيا ريدجريف » من اضطهاد وتعطل نتيجة مواقفها من تأييد حقوق الشعب الفلسطيني .. ثم ما تعرضت له أيضاً الممثلة « جيل كلايبرج » نتيجة اشتراكها فى فيلم « حنا . ك » الذى يطرح بوضوح حق الشعب الفلسطيني فى أرضه ..

العقاب مستمر .. بالنفي من العمل ..
يحدث هذا فى أمريكا « الديمقراطية » .. حيث المؤسسات الصهيونية تقبض على زمام الاقتصاد ، وتحرك البشر من خلال مدى انتمائهم لها ! !

حتى فى انجلترا .. أعرق دولة أوربية تعتز بتاريخها مع الديموقراطية .. من المستحيل ان تمارس الحرية الكاملة فى التعبير .. الا من خلال ركن المتحدثين أو الخطباء فى حديقة « هايد بارك » الشهيرة .. وتحت حراسة الشرطة !

وتحول هذا « الركن » الى مزار سياحى .. يقف أمامه السياح بكاميراتهم .. وأجهزة التسجيل .. وكأنهم يتفرجون على شيء غريب ونادر ! !

الأفــلام تحكى عن حرية الفكر

ومن أهم الأعمال السينمائية التى تعرضت للضغوط التى تمارس على حرية الفكر والتعبير .. فيلم (٤٥١ فهرنهيت) للمخرج الفرنسى الراحل فرانسوا تريفو .. والفيلم مأخوذ عن رواية للكاتب الأمريكى « راى برادبرى » .. وقد اعتبذت هذه الرواية عند صدورها عام ١٩٥٧ صرخة عنيفة ضد الارهاب المكارثى الذى صادر كل الاتجاهات الفكرية ، وحاول تخريب الانسان من الداخل والغاء عقله .

وقد جاء الفيلم تجسيداً بارعاً لمدى الخوف والشراسة التى يمارسها « نظام ما » لو اكتشف أن أحد أفراد الشعب « يفكر » خارج النطاق المرسوم الذى حدده هذا النظام ! .

والفيلم تدور أحداثه فى مدينة غير محددة .. وفى زمن غير معروف .. حتى يعطى لموضوعه حالة من العمومية .

فى تلك المدينة تظهر حكومة تصدر قراراً بتحريم قراءة الكتب « لأن الكتب تجعل الناس يفكرون .. والتفكير يجعلهم غير سعداء ! » .. وتخصص تلك الحكومة فرقة من رجال الاطفاء مهمتهم أحراق الكتب أينما اكتشفوها .. ولذلك سميت هذه الفرقة « ٤٥١ فهرنهيت » وهى درجة الحرارة التى تحترق عندها الكتب !

وبطل الفيلم .. هو أحد رجال حرق الكتب .. قضى ست سنوات فى هذا العمل .. ثم التقى مصادفة بفتاة ظلت تلح عليه بأسئلتها عن حرق الكتب .. وذات مرة سألته بذكاء شديد : « هل قرأت شيئاً من هذه الكتب التى تحرقها ؟ » فاستنكر بشدة .. ولكنه فى ليلة أخفى كتاباً من الكتب المصادرة .. وبدأ يقرأ .. وفجأة اكتشف أنه لا يعيش ! ! . وقرر أن يعيش .. أن يقرأ الكتب ويدافع عنها .. وضحى فى سبيل ذلك بكل شيء .. زوجته ، بيته ، وظيفته .. ولم يندم .. فقد اكتشف انسانيته لأول مرة .. واكتشف الحياة ..

والمعنى الذى يقصده الفيلم .. أن الكتب تعنى المعرفة .. والمعرفة تقود الى التأمل والتفكير .. وهذا ما ترفضه سلطة النظام الحاكم ، لأنها تريد من الناس أن يتحولوا الى قطيع مطيع يتلقى ما يعطى له ، بلا مناقشة أو تفكير .

وهذا الفيلم نموذج لتيار هام فى السينما .. يقف ضد كل المحاولات — تحت أى اسم — لمصادرة حرية الفكر والتعبير .

وقد شهدت السينما العالمية فى تاريخها الطويل .. فصولا من المعارك المشرفة انتصرت فيها لحق الانسان فى التعبير عن رأيه .. وقد سقط فى هذه المعارك الكثير من الضحايا ، مؤلفين ومخرجين



وممثلين ، أصابتهم حراب أجهزة التسلط والارهاب الفكرى ..
ولكن من قال إن هناك معارك .. بلا ضحايا .. ؟

الحرية .. والفوضى

المهم ان هذه المعارك التى خاضها المثقفون والفنانون عبر أجيال طويلة من أجل رفع الظلام عن العقل الانسانى .. هذه المعارك استغلها البعض لنزواتهم الخاصة .. ولمضاعفة ثرواتهم .

حولوا الحرية الى فوضى .. وأشاعوا قيماً لا أخلاقية .. تاجروا بالجريمة والعنف والجنس .

استغلوا الحرية لاشعال نيران الغرائز .. واطفاء أنوار العقل .

ومع هذا العبث المتعمد .. كان لابد من وجود « الرقابة » .

رقابة أخلاقية .. ورقابة دينية .. ورقابة تحمى المجتمع من المفسدين وتجار الغرائز ..
وهناك فرق بين المطالبة بحرية التعبير وحرية

كما أن أسلوب المنع والمصادرة لمثل هذه الافلام التافهة .. يعطى قيمة لها لاتستحقها .. ومن حيث لانقصد تتحول هذه الافلام الى سلعة مطلوبة ، تطبيقاً لنظرية « كل ممنوع .. مرغوب »

ومع الاعتراف بحقيقة انتشار أجهزة « الفيديو كاسيت » فقد تسللت نسخ هذه الأفلام الى البيوت والمقاهي والنوادى .. تماما كما حدث مع فيلمى « درب الهوى » و « خمسة باب »

إذن .. ماهو الحل . ؟

فى تصورى .. أن الوقوف بجانب الأفلام الجادة فكرا وفنا .. سيدفع بالضرورة الأفلام الهزيلة للانسحاب تدريجيا من السوق .

وقد شهد السوق المصرى بالفعل .. انخفاضاً مذهلاً فى مدى اقبال الجمهور على الأفلام التجارية الهزيلة .. والفيلم الذى كان يتخطى العشرة أسابيع فى عرضه الأول بالقاهرة .. أصبح لايصمد الآن لأكثر من ثلاثة أسابيع أو أربعة ..

وساد فى القاهرة تعبير .. أن الجمهور الذى كان يشجع مثل هذه الأفلام .. وصل الى حالة « التشبع » ولم يعد يرغب فى المزيد !

صحيح ان ظاهرة انخفاض الايرادات .. امتدت فى السوق المصرى لتشمل كافة الأفلام ، الجيد منها .. والردئ .

ولكن التفسير الأقرب الى المنطق .. أن الجمهور قد أعلن احتجاجه على السينما عموما .. وهذا الاحتجاج بمثابة رد فعل متوقع .. مايلبث أن يعود لحالته الطبيعية .. ولكن بالتأكيد ليس مع الأفلام التى أصابته بخيبه أمل ! !

والدليل على ذلك أن صناعة السينما فى مصر شهدت خلال الشهر الماضى ــ فقط ــ تنفيذ ١٢ فيلما جديدا مابين بداية التصوير .. أو إنهاء العمل بها ! !

حق الفنان فى التظلم

اذن .. ماهو الدور المتوقع من اللجنة العليا للرقابة فى مصر ؟

الآمال كلها معقودة على إتاحة فرصة أكبر وأجرأ .. لحرية الفكر والتعبير الواقعى عن المشاكل الحقيقية للمجتمع .

فقد كانت أجهزة الرقابة الحكومية على السينما .. تخشى التصريح بالأفلام الجادة .. خوفا من الوقوع فى المساءلات .. أو بمعنى آخر خوفا من إغضاب السلطة .

وهذا الخوف والتشكك .. أحيانا يكون حقيقيا .. وأحياناً يكون « وهما » فى رءوس صغار الموظفين الذين بأيديهم الموافقة أو المنع .. ومن أجل إيثار السلامة والبعد عن المشاكل .. فهم « غالبا » مايلجأون الى قرار المنع .

وأصبح معروفاً أن أفلام التهريج والإسفاف .. من الممكن أن تمر بسهولة من باب الرقابة .. لأن أشخاص يمثلون نبض المجتمع وعقله وضميره .

وما نادت به « الدوحة » منذ سبع سنوات .. وماتحقق أخيرا فى القاهرة بإنشاء « لجنة عليا للرقابة » .. كشف فى الجلسات الأولى من اجتماع هذه اللجنة ، عن حماس بالغ ضد تيارات الابتذال والسوقية والتهريج التى أصابت الفن المصرى فى السنوات الأخيرة .

ولكن هل من الممكن القضاء على هذه التيارات المسمومة .. بين يوم وليلة ؟

الأجابة المنطقية .. لا ..

فهذه التيارات انعكاس لتيارات عالمية تعانى منها السينما فى كل بلاد العالم ..

السينما الايطالية تعانى من نفس الحالة .. السينما الفرنسية .. السينما الامريكية .. السينما الهندية .. السينما الانجليزية .

وأصبح من المعروف عالميا .. أن نسبة الأفلام الجادة والتى تثير الفكر والتأمل .. لاتتعدى ١٠ فى المائة من مجموع الانتاج السنوى فى أى صناعة سينما فى العالم .



نور الشريف وأحمد راتب وعلى الشريف فى فيلم « آخر الرجال المحترمين » الذى لم تحذف منه الرقابة أى مشهد أو حوار

الفكر .. والمطالبة بحرية الاسفاف والابتذال ..

وفى كل دول العالم المتقدم .. هناك أجهزة رقابة ، تصنف الأفلام أخلاقيا ودينيا .. وتشترط ألا يعلن عن فيلم بدون التصنيف الذى تحدده له .. حتى لايقع الجمهور فى المصيدة .

وأصبح معروفاً ـ مثلا ــ أن الفيلم الذى يحمل تصنيف (X) هو فيلم غير مرحب به لأنه يحتوى على مشاهد جنس صارخة .. أو مشاهد عنف بشعة .

وفى أمريكا .. ثارت مناقشات عنيفة خلال العام الماضى عند بداية عرض فيلم « انديانا جونز .. والمعبد الملعون » فقد اعترض الكثير من النقاد ورجال المجتمع على مدى فظاعة مشاهد الدم والعنف فى الفيلم وطالبوا بتصنيف جديد ــ يضاف الى التصنيفات القائمة بالفعل ــ يدين مثل هذه الأفلام التى فاقت كل الحدود المتوقعة .

الافلام الهابطة .. هل ستختفى ؟

ومن هنا تبدو أهمية أن يتولى جهاز الرقابة ..



سعاد حسنى فى لقطة من أحد أفلامها الأخيرة «موعد على العشاء» .. وهى حاليا لاتشارك فى أفلام غير مقتنعة بموضوعها

قانون الرقابة لايتعرض لمثل هذه الأفلام .. ولكن يضع المتاريس والمحاذير أمام الافلام التى تناقش مسائل جوهرية وتحرك الفكر .. !

وانشاء لجنة عليا للرقابة .. سيرفع الخوف التقليدى من على عاتق موظفى جهاز الرقابة الحالى .. ليصبح مسئولية أعضاء اللجنة الذين يمثلون نبض المجتمع .

فقد تقرر أن تكون هذه اللجنة العليا .. بمثابة القاضي الذى سيلجأ إليه كل متظلم من قرارات المنع أو الحذف ..

من حق المؤلف أن يتظلم .. ومن حق المخرج والمنتج أن يتظلما أيضا .. وستكون قرارات هذه اللجنة نهائية لصالح ماتراه فى خدمة الفن والمجتمع .

ومما يعطى لهذه اللجنة ــ قوة وثقلاً .. أنها جمعت فى تشكيلها بين شخصيات دينية وثقافية وفنية .. وتبادل الآراء بينها سيخلق بالتأكيد مناخا أفضل وأكثر إثراءً لحركة الفن .

هل سيتعطل الانتاج الفنى ؟

وان كانت هناك بعض المخاوف التى بدأت تنتشر فى الوسط الفنى بالقاهرة .. بأن تعدد أعضاء اللجنة ــ ٣٧ عضوا ــ واختلاف معتقداتهم الفكرية .. وتبادل المناقشات بينهم .. قد يؤدى الى ضياع الوقت .. وتعطيل عجلة الانتاج ، وبمعنى آخر .. ان مناقشات هذه اللجنة .. قد تؤدى الى تحجيم النشاط الفنى فى مصر .. خصوصا ان هذه اللجنة مسئولة عن الانتاج السينمائى .. والانتاج المسرحى .. والانتاج الغنائى .. والرقابة على المؤلفات والكتب .. وقد يمتد نشاطها الى الرقابة على التليفزيون .. !!

ولكن هذه المخاوف حسمت من خلال القرارات الأولى التى أصدرتها اللجنة .. بتشكيل لجان فرعية متخصصة من أعضائها .. فى مجالات السينما والمسرح والغناء .

وهذه اللجان الفرعية تواصل عملها ، كل فى اختصاصه .. لتبحث فيما يؤول لها من منازعات وخلافات بين المؤلفين والفنانين وأجهزة الرقابة الحالية ..

فإنشاء لجنة عليا للرقابة .. لايلغى أجهزة الرقابة الحالية .. بل ستكون أمتدادا لها .

وفى نفس الوقت تشكلت لجنة فرعية .. لدراسة تعديل قانون الرقابة الحالى فى مصر .. ليكون أساسا سليما وقويا لمستقبل الفن .

ان هذه الخطوة تعنى مزيدا من التفاؤل للمثقفين والفنانين الذين طالما اشتكوا من تعنت موظفى الرقابة مع أعمالهم .. وعملية التفتيش المستمرة فى معنى

كل كلمة يكتبونها .

وقد شهدت الرقابة على السينما فى مصر خلال العام الماضى انفراجا واضحا .. شهد به السينمائيون والنقاد .. من خلال الافلام التى سمح بعرضها .. ومنها « بيت القاصرات » و « آخر الرجال المحترمين » و « حتى لايطير الدخان » و « بيت القاضى » و « الحب فوق هضبة الاهرام »

وهذا الانفراج ، وان كان قد أوحى به جو الديموقراطية وتعدد الأحزاب ، وصحف المعارضة فى مصر .. الا أن إنشاء لجنة عليا للرقابة .. بالتأكيد سيضيف الى هذا ، مزيدا من الضمان والأمان لحرية الفكر والتعبير .. بحيث لايصبح « الانفراج » و « الانغلاق » مجرد مرحلة .. او سلاحاً يستخدمه أحد المسئولين ، كما يشاء وفى الوقت الذى يحدده .. بل تصبح هناك قاعدة ثابتة محكومة بممثلى المجتمع .

وعلينا ان ننتظر ثمار هذه التجربة .

رءوف توفيق



محسنة توفيق وسماح أنور .. فى فيلم « بيت القاصرات » للمخرج أحمد فؤاد

عادل إمام من أكثر النجوم شعبية وأغلاهم أجرا .. شارك فى العديد من الأفلام خلال الخمس سنوات الأخيرة ، وأصبح يختار أفلامه بعناية .. اللقطة من فيلم : الحريف

● مهداة إلى شعب السودان العربي في انتفاضته الجديدة ●

مسار تنقّل النسمات

د. خالد حسن إدريس
جامعة قطر

ويــداي أرملتــان
من نَزَق وزيــف
وكالعنج (١) المُجدلِ
من قَديــد
ذراعــاي
مغروســان
في حمــأة (٢) الضيق المُنيفُ (٣)
وبدينة الأعطاف مترفةُ الكلامْ
أقواسُ نصرٍ من جماجــمْ
وسُقْياها غمَــامٌ
مــن دم
وفي أوحالهــا
جيَفٌ وزُهري
ونَشْقٌ أذْفَر (٤)
وسكرةُ مــوت
ياويح بُعْدك يا نجــومْ
ويا جداراً من صميم الغيبِ
قد تطاولَ كالظِلالِ وكالغيــومْ
يَخيمُ أسىً
حتى ثُرَيَّات الطريق
تَدورُ حول إبْصاري
تَقَطَّعُ في اختزالِ
كمواقد « أمْ سيرو » (٥)
رحمي طَعِمت بــه
وَيَطْعَمُ من مخاضي

شرسُ الكــلابْ
أرضي هنــاكْ
نوقٌ وإبْكارٌ وأزْهــارُ
ونغرفُ من سحــابْ
يا وعدَ الأبوةِ بالبنين
وَعْداً توهجَ كالقبابْ

ويا سهوبُ
يا نيلَنَا المُضْنَى
تُغالبُه الجلامِدُ
إذْ يَضيقُ .... وَينحسِرْ

تماده طَمْثٌ (٦)رقيقْ
وكالبصَــاقْ
سَليلُ النيلِ تَهرَاقا (٧) أبي
ومن دمائك يا نُجُومي (٨)

تَنتُ (٩) أصابعُ أرجلي العشرةْ
أُغيبُ وجهِيَ المَنْحُولَ
أَخْشَى أن ألامْ
العَيْهَرانُ (١٠) جابَ مَقَاطِعي
ومن خِــلافْ
قَطَّعَ الأوصــالْ
اشعاعاتٍ هَبَائِبُ ذَرَّةِ
تَساقَطُ كالقُرُوحِ
وكالهُمُــومْ
تُمزِّقُ « حَمرَةَ الوزَّةْ » (١١)

و« أمْ بَادِر »
وتُفْقِدُ أرضنــا الذِكْرَى
فَجيعَتَنَــا
سكونٌ عَمْ
لا غورٌ يُنَهْنِهُ خيبةَ الأملِ
ولا أُفُقٌ
ولا طيبُ الصَبَا
ولا قَطَرَاتُ الا من مَدامِعِنَا
وأبْكَارُ الهَوَامِ تَخَرَّمتْ
ويَلْعَقُ من مآقينا
وتنزفُ دمْ
صال ببكر طهارتي
نهم الضراوةِ
متقدْ
وبهذي بَعْدُ
فوق حصيرة خَرْقَاء
أنا شيخ الحضرةِ المُلْهَم
أنا سيفُ اللعنَةِ الصمــاءْ
وجومُكِ يا بَيَادِرنَا
نُجُومُكِ يا مَرَابِعنَا
وحول قُرَاكِ مَاتَ الكونُ
منهالاً على الأركانْ
ومن سُدُم (١٢)
اليافعاتُ هوىً
المائتاتُ على الطريقْ
وعلى الضَفيرِ « حمَائمُ » (١٣)
وَرَفِيفُهَا نَقْرٌ
لِوَقْعِ مواكب وبريقْ
تَكُرُّ تَدورُ تُدرُ
تَسحُّ تَهْطَال
هُمُومُكِ يا بَيَادِرَنَا
سحاباتٌ عَقِيمــاتٌ
وأَمْحَــالُ (١٤)
أقلبُ وجهَ مَوْتَانا

سرى بردٌ
يَصُكُ نُخاعَ وجْداني
رأيت الموت ألوانا
رأيتُ حبيبَتي زَهْرة
وَتَبْتَسِمُ
وينهشُ من تَبَسُّمِها
دُودٌ وذُبَّـــانُ
سوقُ خـــلاً (١٥)
لأجيـــاف
أما كانت بكل جَدَائِلِ الوادي
تَرِفُ تَصُوغْ ..
ومن نَدَّي الطَّلْحِ (١٦)
رياها .. أليفُ نُشُوغْ (١٧)
ومن رطيب غُيُومِها
نَضِيدُ (١٨) « صُبَاغْ »
وَمَعْذِرَةً لأطْيافي
لأجمل ما سَرَى ليلٌ
على الأكْوَانْ
لأرواحِ
لِفِرْقَانِ
أَخَنَتْ على الأرضِ
تعُودُ مَرَاتِعَا خَضْرَاء
من بُطُونِ النُوقْ
ومن ضفاف شُرُوقْ
من سيتِيتْ (١٩)
من طفلِ تكبدَ رحلةَ العدَمِ
ليلقى فوق ظهْرانَيْكَ ألف عَدَمْ
ومن نَغَم
يُهَسْهِسُ سَعْفَ « تُوتيل » (٢٠)
يعودُ عواصِفًا هوجاء
ومن غَوَادِي النِيلْ
وأدرك أرْضَنَا شَبَحُ
وَغَمْ
طَوَانا كما لفَ الفَضَا نَغَمُ

وكَوْكَبةٌ وخُدَّامُ (٢١)
لِتَفْري ثَخِينَ دَمٍ
وَيُدْرِكُنَا
أهذي المُثْخَنَاتُ جِرَاح رَبَاحْ
رباحُ أَخي
لقَبْضَةِ هَيْنٍ وَرَشْقَةُ مَـاءْ
من الذي قَتَلَه
أزْهَقَ روح ميلادِي
وحاضِـــرُنا
وأمضي ......
أزْحَفُ فوق أجســادِ
بنبضٍ واجفٍ
يَقْسُو على أوصالِ أحبابِي
أُدَمْدِمُ :
فليكن من بعض دمائهم غَدُنَا
وللأطفال في عُمْري
سنبحث في شُقُوقِ الأرضِ
عن أمل
وعن نملِ
وما جَمَعَا
أجر ثقيلَ أصْفادِي
ومن أقعد خَطْوَهُ المَحْلُ :
تركنا أم مَيَّاسَا
وعلى حَوَاجِبِهَا
اتكأتْ حائِلُ مِحْنَةِ الزَمَنِ
تركناها الى الخُرْطُومْ
لأن الأرض في الخرطومْ ـ
لو تَصْدق الأنباءْ ـ
ورفاءٌ من دِمَنٍ(٢٢)
لأن حِزَامَ المَوْتِ في الخرطومِ
ممـــدودُ
وقوس النصرِ في الخرطوم
مَشْدُودُ
شواهد أمة شَمَّاءْ

أنا طفلةٌ
ولم يتجاوزْ عُمْرِيَ العَشرةْ
قَدِمْتُ مَع سيلٍ من الظُعَّانْ
رِحْلَة استغْرَقَتْ عُمْري
وأنيقَ تَذْكَاري
وَفِضِّي من شعورِ الناسِ
بالانْسانْ
دخلتُ مسار تَنَقُّلِ النَسَماتْ
حَطَطْنَا غربَ أمْ دُرْمَانْ
أشلاءً وأطْيَافَا

هوامش :

(١) العنج : في اللغة جماعة الناس والاشارة الى جماعة بعينها في السودان نسبت اليها سياط « العنج »
(٢) الحمأة : الطين الأسود المنتن
(٣) المنيف : الذي طال وأشرق
(٤) أذفر : له رائحة كريهة
(٥) أم سيرو : أصله في التراث السوداني مواقد الجن التي تبدو للساري فيقصدها ويضل بها
(٦) طمث : الدم
(٧) تهراقا : الملك والقائد السوداني الفذ قبل الميلاد
(٨) نجومي : هو عبدالرحمن النجومي بطل السودان العظيم
(٩) تنث : ترش
(١٠) العيهران : الغول
(١١) حمرة الوزة وأم بادر : موضعان ببادية السودان تغني بهما الركبان
(١٢) السدم : الطمر والدفن
(١٣) الحمائم : شريط خلق ذو ألوان تضفر به شعور الصبيات
(١٤) الأمحال : القحط والشدة .
(١٥) سوق الخلا : مفارق الطرق تقام عليها أسواق قصيات
(١٦) الطلح والصباغ : نوعان من الشجر عرفا بطيب العود والشذى
(١٧) النشوغ : الهجرة الفصلية في بادية السودان الغربية
(١٨) نضيد : متشابك بعضه فوق بعض
(١٩) سيتيت : أعالي نهر عطبرة
(٢٠) توتيل : قمة تآذر مدينة كسلا في شرق السودان
(٢١) كوكبة وخدام : الكوكبة هي الثلة من الفرسان استعملها نظام مايو ليصف سدنته ، والخدام من الشياطين تبذل نفسها تفانياً لمن يسقط أخلاقياً
(٢٢) الدمن : موضع الأوساخ غني بمواده العضوية وخصوبته .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : للجامع الأزرق الذى أقيم سنة ١٦١٦ ، فى إحدى المدن الاسلامية العريقة ، ويقع جزء من هذه المدينة فى القارة الأوربية والجزء الآخر فى القارة الآسيوية ، ولقد ظلت هذه المدينة فترة طويلة عاصمة لهذه الدولة الاسلامية حتى سنة ١٩٢٣ .

فى أية مدينة يقع هذا المسجد الشهير ؟

وما هو الاسم القديم لها ؟

• • •



الصورة الثانية : فقيه ولغوى عربى ومؤرخ له شهرة كبيرة ، ولد فى القرن الثالث الهجرى وأقام بالعراق ومات عام ٢٨١ هـ ، يعتبر بحق شيخ العلماء العرب فى علم النبات ، ومن مؤلفاته الأخبار الطوال الذى تناول فيه بالتفصيل أخبار فتح العراق على يد العرب ، وقد أسهب فى وصف معركة القادسية ، وله أيضاً كتاب النبات الذى حظى بتقدير العلماء .

من هو هذا العالم العربى ؟



دوحة القراء

عالم الدببة

تتزاوج الدببة خلال شهر ابريل ، وهي الفترة الوحيدة التى يمكن فيها مشاهدة زوج من الدببة البالغة معاً ، وتحفر الأنثى فى شهر يناير أو فبراير جحراً فى الجليد المجاور للشاطىء ينتهى بغرفة متسعة . تحتفظ فيها الأنثى بصغارها ولا يزيد حجم الشبل كثيراً عن الفأر ، كما أنها تكون عمياء عديمة الحيلة لمدة أسبوعين ، وتلد الأنثى شبلين في المرة الواحدة وفى أحوال كثيرة يولد شبل واحد فقط ، وفى أحوال نادرة جداً تلد الأنثى ثلاثة أشبال ، وتعيش الصغار فى العرين لمدة لا تقل عن شهر ، لا تغادره فيها الأم مطلقاً ، وإنما ترضعها طوال الوقت ، دون أن تتناول أى طعام ، وتبقى الصغار مع أمها لمدة تتجاوز السنة ، تتعلم فيها كيف تصيد فرائسها .

ويبلغ طول الدب على العموم (٢,٦) مترا ، وارتفاعه عند الكتف يكون (١٣٧) سنتيمترا ، أما وزنه فيكون (١٥٩٥) رطلا ، حواسه تتمثل فى السمع ، والبصر ، والشم وجميعها حادة ، من عاداتها انها تعيش وحيدة وهى جسورة وفضولية ، موطنها يكون فى جميع أنحاء المنطقة القطبية الشمالية وغذاؤها يتكون من اللحوم خصوصاً عجول البحر . وتتواجد الدببة فى جرينلاند وأيسلندا وشمال النرويج .

نقاش خليل ــ القرارم ــ الجزائر

المقارنة العجيبة

تم اختيار الرئيس ابراهام لنكولن لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٨٦٠ ، وتم اختيار الرئيس جون كيندى لهذا المنصب سنة ١٩٦٠ ، وكلاهما مات مقتولا والذى تولى الرئاسة بعد لنكولن اسمه جونسون ، وكذلك كان جونسون إسم من تولى بعد كيندى ، أولهما أندرو جونسون ولد سنة ١٨٠٨ وثانيهما ليندون جونسون ولد سنة ١٩٠٨ ، قاتل لنكولن ولد سنة ١٨٣٩ ، وقاتل كيندى ولد سنة ١٩٣٩ ، كلا القاتلين أغتيل قبل محاكمته ، حدث للرئيس لنكولن قبيل إغتياله أن نصحه سكرتيره الخاص ــ وكان اسمه كيندى ــ بألا يذهب تلك الليلة إلى المسرح ، وكذلك حدث للرئيس كيندى قبيل إغتياله أن نصحه سكرتيره الخاص ــ وكان إسمه لنكولن ــ بألا يذهب إلى مدينة دالاس (التى اغتيل فيها) ، فر قاتل لنكولن من المسرح الذى إقترف فيه جريمته ، واختبأ فى متجر ، وفر قاتل كيندى من المتجر الذى إقترف منه جريمته ، واختبأ فى مسرح .

والآن صديقى القارىء ، مارأيك فى هذه المقارنة الغريبة ..

• من كتاب الدكتور زكى نجيب محمود مجتمع جديد أو الكارثة

شوكت محمد علي ــ القاهرة

حدث في شهر يوليو

• ٧١١/٧/١٩ ــ دخل العرب الأندلس وقد مكثوا فيها نحو ٨٠٠ عام .

• ١٩٦٩/٧/٢١ ــ هبط أول إنسان على سطح القمر وهو رائد الفضاء الأمريكى نيل أرمسترونج على متن المركبة أبوللو ١١ .

• ١٩٥٢/٧/٢٣ ــ قيام ثورة ٢٣ يوليو المصرية .

• ١٩٥٨/٧/١٤ ــ قيام الثورة العراقية .

• ١٩٢٠/٧/٢٤ ــ معركة ميسلون بين القوات السورية والفرنسية .

• ١٩٤٥/٧/٢٨ ــ رفض رئيس وزراء اليابان إنذار الحلفاء باستسلام اليابان .

• ١٩٧٧/٧/١٥ ــ أعلن عن استقلال جيبوتى عن فرنسا .

• ١٩٦٧/٧/١ ــ نشبت معركة رأس العش والتى فشل فيها العدو الصهيوني فى احتلال مدينة بورفؤاد المصرية .

• ١١٨٧/٧/٤ ــ هزم البطل صلاح الدين الأيوبى الصليبيين فى معركة حطين .

وليد سليمان ــ دمشق ــ سوريا

لقطة الشهر



العجوز والبحر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : عادل الرملي محمد ــ الاسكندرية ــ مصر .

كلمات لها معنى

• أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ــ والعداوة ــ والفقر ــ والمرض .

• منع الجود سوء الظن بالمعبود .

• كفارة عمل الشيطان الاحسان إلى الناس .

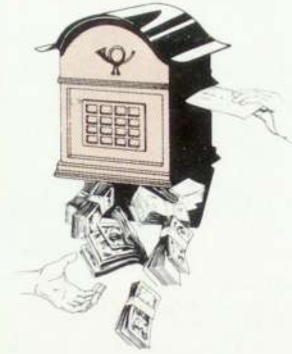
ثلاث عزهن ذل : الدين ولو درهم والغربة ولو يوم ــ والسؤال ولو أين الطريق ؟

• العفاف زينة الفقر . والشكر زينة البلاء ــ والتواضع زينة الحسب ــ والفصاحة زينة الكلام ــ وخفض الجناح زينة العلم ــ وحسن الأدب زينة الورع . وبسط الوجه زينة القناعة .

• العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

• ثلاثة يزيد الله بها الرجل المسلم عزاً : الصفح عمن ظلمه ، والعطاء لمن خدمه ، والصلة لمن قطعه .

توفيق بوسته ــ طبلبه ــ تونس



دوحة القراء

مسابقة الدوحة ؟؟

المسابقة الشعرية

• الأديب الكبير عبدالقادر المازنى يصف ليلاً فى احدى قصائده فلا يرى فيه الا رياحاً نوائح وأمواجاً مصطخبة .. وشيء يظلله .. حذفنا هذا الشيء ووضعنا بدلا منه كلمة «مقصودة» .. وعليك أن تعرف الكلمة الأصلية عند الشاعر من خلال معانى هذه الأبيات :

ومالى كأنى ظللتني «مقصودة»
لها من مخوفات الأساود هيدب .

وليل كأن الريح فيه نوائح
على أنجم قد غالها منه غيهب .
تجاوبها من جانب اليم لجة
تزاءر فيها موجها المتوثب
كأن شياطين الدجى فى اهابه
تغنى على رمز الرياح وتعرِب

المقصودة عند الشاعر مكونة من خخمسة حروف .
٣ ، ١ ، ٢ ، ٤ بمعنى آخذ من رصيدى .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

« ولكنى لن أفزع ، فالمجد أمامى .. ورغم عطائك الشحيح الذى أوقعنى أكثر من مرة على حافة الفقر والموت ، الا أننى أقبل يدك . فمنذ سنوات الصبا غير الرشيدة ، وحتى العمر الرشيد ، كنت غريباً عن خططى المسبقة ، لكن الآن كل شيء مفتوح أمامى » ..

جاءت هذه العبارة على لسان احدى شخصيات مسرحية «الغاية» التى كتبها المسرحى العالمى «الكسندر أستروفسكى» التى يؤكد فيها أن الانسان بلحمه ودمه واحد فى كل مكان وزمان .. وهنا وهناك نجد الخديعة والاخلاص .. اللخيانة والأمانة .. الغدر والوفاء .. الظلم والعدل ...

فمن هو قائل العبارة السابقة من بين شخصيات المسرحية . اذا كنت لا تعرفه .. ارجع إلى النص الأصلى لتعرف أن اسم قائل العبارة مكون من سبعة حروف ..

١ ، ٢ ، ٣ وحدة مسافة .
٧ ، ٥ ينسب اليه الفنان .

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ١٩٣٠ .
• مكان الميلاد : مدينة لندن .
• الجنسية : انجليزى ..
• المهنة : مؤلف مسرحى وأديب عالمى .
• أشهر أعماله فى المسرح : «أنظر خلفك فى غضب ــ الغرفة ــ حفلة عيد الميلاد ــ الساقى الأخرس ــ الألم الخفيف ــ الحارس ــ العودة» .

• وفى السينما : كتب سيناريو فيلم «الخادم» .
• مكانته الأدبية : شارك فى انشاء مدرسة «مسرح الغضب» مع الأديب العالمى «جون اوزبورن» .
• قالوا عنه : كاتب مسرحى شاهد على عصره .. شهادته معقولة ومعتدلة .. وقد يكون فيها بعض الرفض .. لكن القبول يشكل نغمة أساسية فى مسرحياته .

• هل عرفت من هو صاحب هذا الجواز ؟
• اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ١٠ حروف .
٤ ، ٩ ، ٣ فى العود الموسيقى
٦ ، ١ ، ٢ ، ٨ طلاء .

مسابقة مدن العالم



هذه هي احدى المدن العربية الشهيرة .. حاول أن تعرفها من خلال بطاقة المعلومات :

• هي احدى مدن المغرب ويطلقون عليها اسم « مدينة الحدائق » .

• بناها يوسف المنصور على الساحل الغربي المطل على المحيط الأطلسي . وسماها « معسكر النصر » ، وبدأ بناءها قبل وفاته عام ١١٨٤ ، وأتمها ابنه يعقوب في بضعة شهور .

• أقام يعقوب في الجزء الشمالي الشرقي للمدينة مسجداً يعرف باسم مسجد حسان ، ولكنه لم يتمه ولا تزال أجزاء من أعمدته باقية لليوم .

• تقابل هذه المدينة مدينة أثرية أخرى تاريخية أيضاً هي مدينة شلا .. يفصل بينهما نهر أبي الرقراق .

• عندما احتل الفرنسيون بلاد المغرب « اتخذوا هذه المدينة عاصمة منذ عام ١٩١٢ وأقام فيها الماريشال « ليوتي » ومن غرامه بها أوصى أن يدفن في قلعة قديمة بالمدينة تضم عدة قبور لبعض ملوك المغرب .

• ورغم أن هذه المدينة هي مقر الملك والحكومة ودور السفارات والجامعة ودور الصحف .. الا أنها تعتبر من أصغر مدن المغرب .

• أقدم وأشهر حدائق هذه المدينة هي حديقة الوادية وشارع محمد الخامس .

• هل عرفت هذه المدينة العربية التي يتكون أسمها من ٦ حروف .

٤ ، ٦ ، ٢ صفة للشجاع .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٢

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة هي : الأقلام .

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها : الكاتب الانجليزي الساخر برنارد شو .

٣ ـ جواز سفر : الشاعر والسياسي الفيلسوف محمد إقبال .

٤ ـ مسابقة مدن العالم : العاصمة الإيطالية (روما) .

أسماء الفائزين

ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : عبد الله عبد الواحد سيف ـ الجمهورية العربية اليمنية .

ـ فاز بالجائز الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : محمد جمال محمد ـ جمهورية مصر العربية .

ـ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : شادى قاسم محمد الشلبي ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ عمر مرغني عمر ـ الهند .
٢ ـ جميل مصطفى ذكر الله ـ الامارات العربية المتحدة .
٣ ـ رياض الصباغ ـ سوريا .
٤ ـ زهير صادق الرمحي ـ الكويت .
٥ ـ محمد إدريس السندى ـ باكستان .
٦ ـ شيخة أحمد صالح السعدى ـ قطر .
٧ ـ الحداد عبد الله بن أحمد ـ المغرب .
٨ ـ حمود جمال ـ الجزائر .
٩ ـ عبد الله أحمد مهدى ـ البحرين .
١٠ ـ محمد عبد الرحمن القاضى ـ المغرب .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٢

الصورة الأولى : المبنى ١٠ داوننج ستريت في لندن ، وهو مقر رئيسة الوزراء .

ـ الفائز علي عبد القادر حسن ـ قطر .
صالح سليمان بدره ـ السعودية .

الصورة الثانية : الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت .

ـ الفائز : أحمد خازم ـ سوريا .
ـ الفائزة : فاطمة محمد ذيب أحمد ـ الكويت .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٢

١ ـ أصل وصورة : الجبهة ـ الحاجبان ـ الأنف ـ الشارب ـ الشعر ـ الفم ـ الذقن .

٢ ـ دوري الكاريكاتير : اللاعب رقم (٥) .

٣ ـ لعبة الظلال : رقم (٣)

٤ ـ لأقوياء الملاحظة : ديك ـ خروف ـ كرة ـ كتكوت ـ عصفورة ـ قفل .

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٤) .

٦ ـ المثل يقول :
ـ إجرى يابن آدم جرى الوحوش غير رزقك ما تحوش .
ـ في التأني السلامة وفة العجلة الندامة .

٧ ـ هات أجمل تعليق :
• قيس ابن عمى عندنا يامرحبا يامرحبا
• أنا قلبى لك ميال ومافيش غيرك على البال

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة

١ ـ يوسف عبد العزيز ـ الامارات العربية المتحدة
٢ ـ سلوى عباس ـ مصر
٣ ـ عبد الله خليفة الكبيسى ـ قطر
٤ ـ فادى أحمد عصفور ـ السعودية
٥ ـ أسامة عبد الرازق عبد الغفار ـ البحرين
٦ ـ عبد الله أحمد العلى ـ السعودية
٧ ـ وليد أنور عبد الستار ـ جمهورية اليمن الديمقراطية
٨ ـ ثائرة جاسم محمد ـ العراق
٩ ـ عبد الباسط ملا علي ـ سورية
١٠ ـ خالد سالم ابراهيم ـ الأردن
١١ ـ سامى حسن السباعى ـ مصر
١٢ ـ أحمد حسين عبد العزيز ـ البحرين
١٣ ـ وليم اسكندر يونان ـ مصر
١٤ ـ نزار أحمد سلامة ـ قطر

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف



أصل وصورة





كان الشيخ عبد العزيز البشرى من الأدباء المعروفين فى الجيل الماضى ، وقد تميز ببلاغته وأسلوبه الساخر وقدرته على تصوير الشخصيات تصويرا أدبيا ناجحا .. وفي اللوحتين المنشورتين هناك سبعة اختلافات طفيفة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

المثل يقول



فى هذا الرسم الكاريكاتيرى محاولة للتهكم على التقليد الأعمى لكل شيء ، وهذا الرسم ينطبق عليه المثل الشعبى المعروف ، هل يمكنك التعرف على هذا المثل الشعبى لتحصل على جائزة ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لقائد عسكرى فذ ، نفى إلى سانت هيلانة ، ومات بداء السرطان فى ٥ مايو ١٨٢١ .. أكمل اللوحة لتتعرف على هذا القائد وتحصل على جائزة

هات أجمل تعليق :



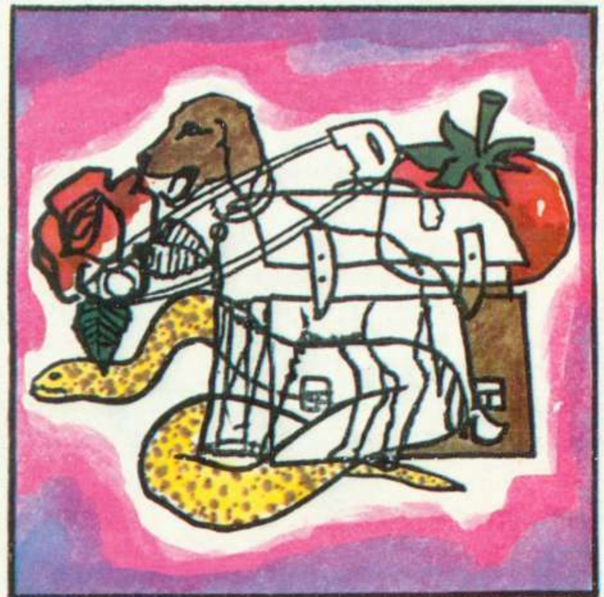
مطلوب منك أن تتوصل الى تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ، فقد تفوز بجائزة

لعبة الظلال



حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى حتى تحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين















اللوحات الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الدكتور محمد حسين هيكل الذى قدم التليفزيون العربى أخيرا روايته الشهيرة « زينب » .. هل تستطيع التعرف على اللوحة التى تشبهه تمام الشبه ؟

الورقة الأخيرة



بقلم : عبد الله الجفري

ما دخل الهنود ؟

الهنود ينصحون العالم بالإقبال على الموسيقى .. والهنود ينصحون أنفسهم فقط (! !) .

ولكن هذه النصيحة تحتاج الى توضيح أكثر ، فالعالم كله - يقول - من الذى ينفى أننا لا نحب الموسيقى ، أو أننا لا نقبل عليها ؟ .. فهذا الزعم مردود .. فنحن نسمع الموسيقى بالنهار فى الطائرات ، والقطارات ، والمؤسسات ، والسيارات ، وقد أصبح من الطبيعي الآن أن تدخل إلى أية مؤسسة أو شركة أو حتى مصنع وتقابلك الموسيقى ، وبعض الدول تفكر أيضاً أن تدخل الموسيقى الى فصول الدراسة فى المدارس ، والجامعات ، والمعاهد حتى يستمتع كل من يعمل أو يفكر ، والكثير من الناس اليوم لا يبقى فى مكتبه كثيراً ، فهو إما فى طائرة ، أو قطار ، أو سيارة ، وكلها تبث الموسيقى ! .

وهذا شيء جميل جـداً ؟ !

اما فى الليل .. فإن الموسيقى فى كل مكان .. على الأرض ، ومن السقف ، ومن الجدار .. شيء كالشلال الذى يجعلك تخاف الانزلاق ، أو الغرق ، أو الطرش ، أو على أقل توقع : أن تخاف من الملل والكآبة ! .. فأغلب الموسيقى فى ليل أوروبا وأمريكا - أي فى أغلب مناطق العالم - هى موسيقى صاخبة زاعقة .. فكيف تصدق أن الموسيقى تجلب الكآبة ؟ !

ربما أقول هذا الاعتبار - بصفة خاصة - لأننى لا أميل الى الأجواء الصاخبة ، وموسيقى الجاز وتطويح الرأس حتى لا يشعر به صاحبه فوق كتفيه . فالموسيقى الهادئة المنسابة فى اعتبارى هى النغم الحقيقى المريح للنفس ، والمبدد للملل وللملوحة النفسية !

ولكن .. ما دخل « الهنود » فى هذه النصيحة الداعية الى الإقبال على الموسيقى ؟ !

هنا الخبر ... ففى جامعة « راجستهان » بنيودلهى .. كشف بحث قدم لقسم الموسيقى .. أن لها تأثيراً فعالا فى شفاء الاضطرابات الذهنية ، والتوتر العاطفى ! !

- ويضيف الخبر : انه قد أجرى البحث على بعض المرضى ممن يعانون من حالات انقباض النفس والاكتئاب فى مستشفى لأمراض الرأس بولاية راجستهان الهندية ، وثبت أن الموسيقى تتسرب الى ثنايا الجسم ، حتى الى الأماكن التى لا تستطيع الوسائل العلاجية الأخرى أن تصل إليها . انتهى الخبر !

وبالطبع ... فإنهم لا يقصدون موسيقى الجاز ، أو أي لون من الموسيقى الصاخبة التي تعتمد على شدة قرع الطبل والأبواق النحاسية التى تصدر أصواتاً - لا أنغاماً - متشنجة .

فالهنود يعتزون بألحانهم وأنغامهم الشعبية ، وأنصحك ان تحدق فى وجه هندى وهو يستمع إلى موسيقى بلده .. ستراه منتشياً .. محلقاً .. مهموماً ، ورأسه مازال فوق كتفيه ، ولكنه يميل به كما تميل نسمة خفيفة بساق زهرة ، أو كأن الهندى وهو يغنى أو يستمع الى أنغام بلده يمزج خفقات قلبه بوعى عقله .. فالموسيقى الهندية عاطفة ، لكن الموسيقى الغربية قد تحولت الى جنس له قيمة مدفوعة ! !

وأعرف صديقاً لي - ليس هنديا ! - عندما تتناهى الى سمعه أنغام هندية يبادر الى الصمت ، والتأمل ، ويقول لى : دعنى أرى العشق مجسداً فى هذه الألحان ، فالموسيقى الهندية لا تخرج من الحنجرة ، أو أنها لا تعتمد على « النفخ » كثيراً ! . ولكنها تعتمد على الأوتار ، فكأنها تشد خيوط القلب خيطاً خيطاً !

- وقلت له : ولكنها موسيقى شرقية ، ولعل هذا هو السبب الوحيد الذى يشدك إليها ، فهى تتشابه مع النغم العربى ، والتركى ، والفارسى ، وحتى اليونانى أيضاً . وهذه الأنغام تستهوينا .. لأن فيها بيئة ، وفيها أصداء من الماضى ، وفيها ما تعودنا عليـه !

- قال : ربما ، ولكن ما قلته يعتبر جانباً من التأثير .. أما التأثير كله فى رأيى فيرجع الى طبيعة هذه الأنغام .. تشعر بأنها صادرة من النفس .. بواحة بما يقوله القلب . اما الألحان الغربية الحديثة ، فنحن نسمعها بأقدامنا وبأجسادنا .. اما أن ترقص وتتقافز وتتلوى ، أو لا طعم لها اطلاقاً !

- قلت ضاحكاً : ولكن من خواص اللحن الغربى أنك لا تسمعه وحدك ، وانما لابد أن يشاركك فى التأثر به شخص آخر .. أنثى تبادلك الحركة المجسدة لذلك النغم !

- قال : صحيح .. ولذلك يريدون أن يؤكدوا لنا أن اللحن الغربى تعبير عن الفرح والمرح .. أما ألحاننا الشرقية فيغلب عليها الحزن !

- قلت : ولكن هذا فى النغم فهو الذى يغسل الحزن فى النفس ويعالج الكآبة والانقباض لأنه تعبير صادق لمحتوى النفس ، وصدى للمشاعر المتراكمة أو المترسبة فى الأعماق .

- قال : أسمعنى اذن لحناً هندياً !

- قلت : أتريد موسيقى هندية ، أم صوتاً هندياً يغنى ؟ !

- قال : لا فرق .. ان الصوت والنغم ممتزجان ! !

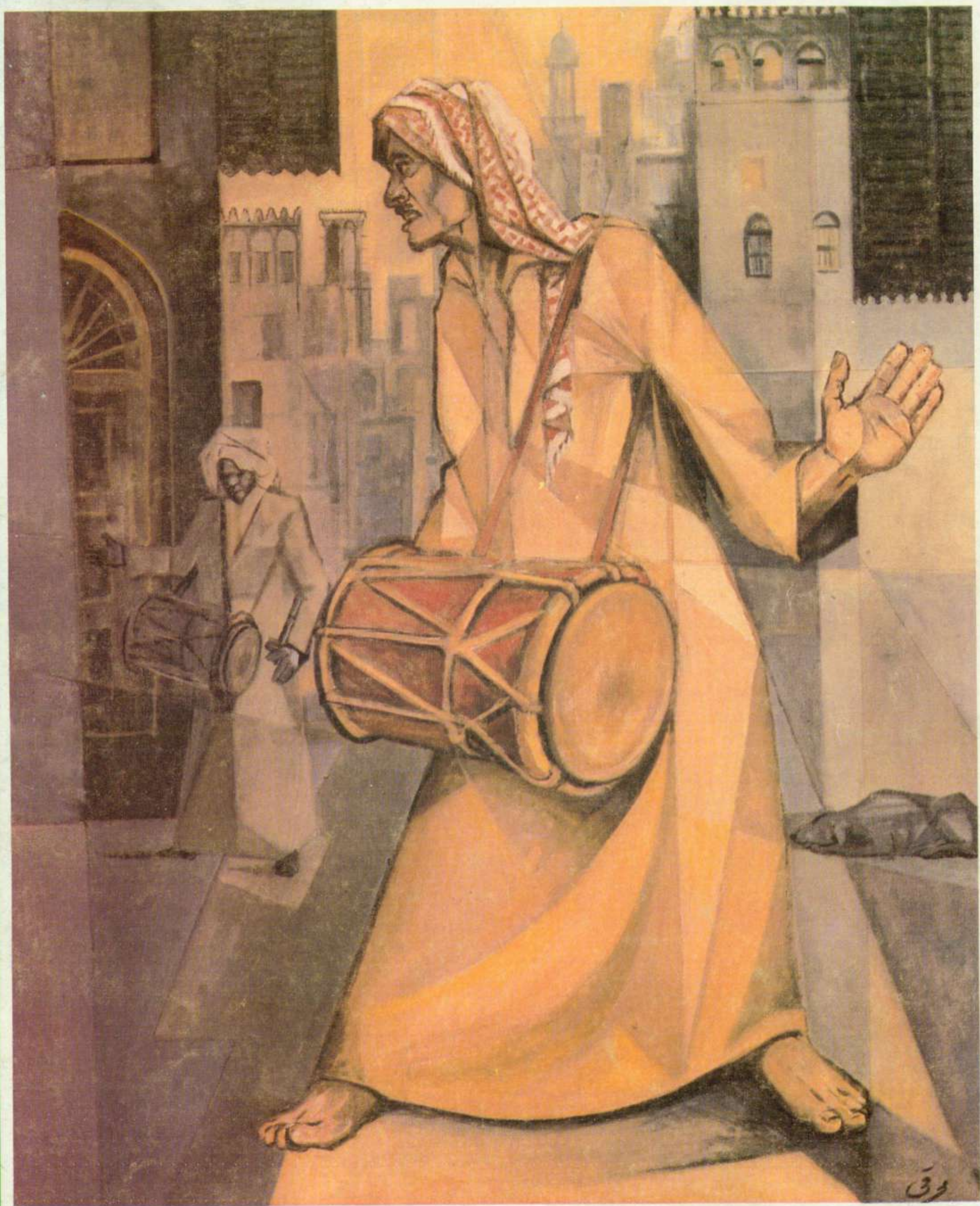


لقطات
من
الخليج

قرية سياحية على ساحل قطر

هذه القرية هى واحدة من القرى القديمة فى شمال دولة قطر الواقعة على البحر .. ويطلق عليها اسم قرية « المفير » .. وكان لهذه القرى فى الماضى طابع خاص يتمثل فى السواحل ذات الرمال النظيفة ، وكثرة الأسماك فى مياهها ، والمبانى ذات الطراز المحلى الضارب أعماقه فى جذور الأرض ..

وقد ظل بعض أهالى قطر يسكنون هذه القرية فى الماضى ، إلى أن هجروها بعد ظهور النفط وزيادة العمران فى المدن الكبيرة . وفى السنوات الأخيرو أصبحت قرية « المفير » مكانا جذاباً ، يؤمه العديد من أهالى قطر لقضاء أجازاتهم الأسبوعية .. ومن هنا بدأ الاهتمام بإعادة ترميم مبانى القرية ، لتحويلها إلى قرية سياحية ، لتكون نموذجاً حياً لتقاليد الماضى وآثاره بكل ما فيه من تراث وأصالة .



المسحراتي .. لوحة للفنان البحريني : عبد الله المحرقي

العـــــدد ١١٥ - شـــــوال ١٤٠٥هـ - يوليـو/ تمـوز ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملـتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

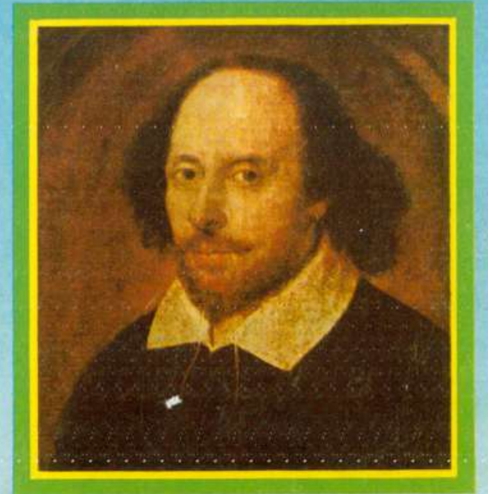
ناقد كبير يفتري على شكسبير

عبد الحق فاضل



الطائر المهزوم في مهرجان كان

رؤوف توفيق





حسن البنا: صورة إنسانية بعيدة عن السياسة

الدكتور الطاهر أحمد مكي

"الفلاشا" قصيدة جديدة للشاعر السوداني الدكتور تاج السر الحسن



لوحة وفنان

زفة العروس

لوحة بديعة تمثل وصول موكب العروس إلى بلدة « بسكرا » بالجزائر ، وهى ضمن مقتنيات اللوحات الشرقية المحفوظة فى متاحف لندن ..

هذه اللوحة للفنان الفرنسي « فيليب بافى » الذى تخصص فى رسم شمال أفريقيا والشرق الأدنى ، وتجول فيهما مع أخيه « يوجين » الذى كان ــ هو الآخر ــ فناناً ، قدم عدة لوحات هامة من وحي الشرق .

وقد عاش الفنان « فيليب بافى » فى لندن لبعض الوقت ، وعرض لوحاته فى الجمعية الملكية للفنون ، وفى الأكاديمية الملكية ، وذلك في الفترة ما بين ١٨٨٠ ، ١٨٨٣ ميلادية .. كما أنه أقام فترة فى أسبانيا ، وهو فى طريقه إلى شمال أفريقيا ، ويتضح ذلك من لوحاته عن غرناطة وأشبيلية ..

وفى نهاية الثمانينات من القرن الماضى ، عرض الكثير من أعماله فى باريس ، وكان من بينها تلك اللوحة التى يتضح فيها أسلوبه المتميز بالربط المحكم للفكرة والموضوع ، والتناغم بين التفاصيل الدقيقة فى الحياة اليومية فى الشرق ، وهذا بخلاف الألوان الحية المتناسقة ..

إن لوحته « موكب العروس » تجعلك وكأنك أمام مشهد حي لأفراح العصر الماضى وأغانيه ودقات طبوله !

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **قطر :**
دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ــ الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع ــ ص . ب ٣٥٨ ــ الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ــ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ــ دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ــ شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ ــ بغداد .

● **ليبيا :**
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ــ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ــ طرابلس ــ فرع بنغازي ــ ص . ب ٣٢١ ــ بنغازي .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الأردنية :
ص . ب ٣٧٥ ــ عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع
ص . ب ٢٢٤ ــ المنامة .

● **السعودية :**
الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ــ جدة

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ ــ الصفاة
الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ــ بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ ــ صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ــ ص . ب ٤٢٢٧
المحافظة الأولى ــ عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ــ شارع المطار الجديد
ابو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :**
وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ــ سلطنة عمان

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج ــ ص . ب ٤٤٠ ــ تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ــ ص . ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية ــ الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١١٥ ـ شوال ١٤٠٥هـ ـ يوليو / تموز ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة ــ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ــ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ــ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

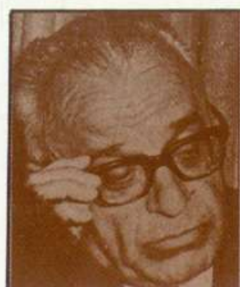
الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر ٦ ريالات
البحرين ٤٠٠ فلس
الامارات العربية ٦ دراهم
عمان ٣٥٠ بيسة
الكويت ٥٠٠ فلس
السعودية ٦ ريال
الجمهورية اليمنية ٤ ريال
اليمن الديمقراطية ٣٥٠ فلسا
العراق ٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٣٥٠ فلسا
سوريا ٣٥٠ قرشا
لبنان ٣٥٠ قرشا
مصر ٢٥٠ مليما
ليبيا ٥٠٠ درهم
السودان ٣٠ قرشا
تونس ٥٠٠ مليم
الجزائر ٥ دينار
المغرب ٥ دراهم
باقي دول العالم : ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــــذا العــــــــدد



أكرم زعيتر
وحلقة جديدة من ذكرياته عن الشاعر بدوى الجبل (ص١٢)



د. محمد جابر الأنصارى
نظرة على الجديد فى أنحاء العالم من حولنا (ص٦)



الفريد فرج
تذكرة دخول ثانية إلى مسرح العصور الوسطى (ص٣٦)



درويش مصطفى الفار
على طريق النهضة فى قطر: الخرائط الجيولوجية (ص٤٨)



حوار مع الشاعر مصطفى بهجت بدوى (ص١١٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

كلمة


أحمد عبد الله

جندي مجهول ...

في أواخر شهر مارس الماضى فقدت مجلة « الدوحة » أحد العاملين المخلصين بها وهو الزميل العزيز الراحل « أحمد عبد الله حسن » ، وقد ظل أحمد عبد الله يعمل في هذه المجلة منذ سنة ١٩٧٧ ، حتى توفاه الله على سرير المرض فى لندن بعد أن خذله قلبه فتوقف عن النبض ، وحارت أمام القلب المريض كفاءات أكبر الأطباء فى العالم ، فلم يستطيعوا مع إرادة الله إلا التسليم الكامل .. ولقد كان أحمد عبد الله بحق جندياً مجهولا من هؤلاء الذين يبذلون أقصى الجهد فى صمت وبعيداً عن كل الأضواء الصحفية المتلألئة .. كان يواصل ليله مع نهاره فى المطبعة من أجل أن تصدر « الدوحة » فى صورة حية مشرقة ، وكان يتمتع بالنضارة والشباب المتفتح والصحة الجسمانية الواضحة ، بحيث أن من كان يراه فى سنوات العمل الأولى لم يكن يربط بينه وبين المرض أو الموت العاجل بأى رابط ، ولم يكن يخطر على بال أحد أن مثل هذا الجبل البشرى المتين يمكن أن يسقط فى لحظة وهو يؤدى عمله ، ويقوم بواجبه على أحسن وجه .. كان يأتى قبل مواعيد العمل الرسمية ، وينصرف بعد ساعات طويلة من انتهاء هذه المواعيد ، ويلبى نداء المطبعة فى أى وقت وأية ساعة ، حتى لو كان ذلك فى منتصف الليل ، أو فى الفجر أو فى اللحظات المبكرة من الصباح ، المهم أن يخرج العمل كاملا وناضجاً وسليماً مهما كان الجهد أو الثمن المطلوب . والحقيقة أن العمل الجدى فى الصحافة لا يعترف بهؤلاء العابرين الذين ينظرون إلى هذه المهنة على أنها ترف وزينة وشهرة وأضواء لامعة ، ثم يجلسون فى مكاتبهم الأنيقة ويهتمون بالمظهر أكثر مما يهتمون بالجوهر والقيمة الحقيقة والأثر العميق فى الناس والجهد الصادق المتواصل . إن مهنة الصحافة تحتاج إلى من يؤمن بها ويعمل فيها بتواضع وصفاء وقدرة مستمرة على العطاء ، ولذلك فإن وراء كل صحيفة ناجحة حشداً كبيراً من هؤلاء العاملين المخلصين ، الذين يشبهون الجندى فى ميدان القتال . وعندما يتلقى القارىء فى آخر الأمر عملا صحفياً ناجحاً يخدمه ويقدم إليه المتعة والثقافة والفن والفكر فى إطار جميل وجذاب ، فإن مثل هذا العمل الصحفى فى صورته الأخيرة يكون ــ فى حقيقته ــ ثمرة جهود كبيرة وراء الستار يقوم بها جنود مجهولون أشداء . وقد كان أحمد عبد الله واحداً من هؤلاء .. فى إخلاصه وتفانيه وعطائه لمجلة « الدوحة » التى أحبها وأحبته ، فقدم لها من روحه كل ما يستطيع وفوق ما يستطيع ، حتى أقعده المرض وألزمه الفراش ، وسرعان ما تحول فراش المرض إلى فراش الموت . وقد مات أحمد عبد الله فى عز شبابه ، فقد كان فى الواحد والأربعين من عمره ، ومات وهو يعمل ، وكان حريصاً على العمل طالما كان قادراً عليه ، فلم يتوقف أبداً إلا عندما خذله قلبه خذلانا نهائياً ، ولم تبخل عليه « قطر » الحبيبة بأية فرصة من فرص العلاج ، فصدر قرار أميرى كريم بعلاجه فى لندن تحت إشراف أكبر المتخصصين فى أمراض القلب ، وظلت يد الرعاية القطرية الطيبة تحنو عليه وتسانده حتى اللحظة الأخيرة ، حيث قدمت « قطر » بذلك نموذجاً نبيلا لموقفها الانسانى من العاملين المخلصين فوق أرضها الطيبة .

لقد فقدنا فى مجلة « الدوحة » زميلا عزيزاً ، وأخلاقاً كريمة رفيعة ، وجهداً صادقاً مشرقاً فى العمل بتواضع وصمت وإخلاص وكفاءة ، فليرحم الله أحمد عبد الله ، ولتكن يد الله دائماً مع كل العاملين المخلصين فى مهنة الصحافة الصعبة القاسية ، وهى المهنة التى ضربت أرقاماً قياسية فى أمراض القلب والعيون بين العاملين الجادين فيها ، والذين يعطونها بغير حساب وبغير تردد كل ما يملكون من نبض القلب ونور العيون وقوة الحياة .

« رئيس التحرير »

• أبــواب •

● المــــواد لا تعـــــاد إلى مرســـليـــهـا
نشـــرت أو لم تـــنـشــــر

نظرة على الجديد في أنحاء العالم من حولنا

القرن الواحد والعشرون يدق الأبواب

فهل يستمع العرب إلى الطَّرَقات العالية؟

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

انشغال الفكر العربي بهموم البيت العربي الكبير وشئونه وشجونه واجب يومي لا مفر منه . وإن فررنا منه ساعة أعادتنا إليه نشرات الأخبار المدلهمة ساعة بعد ساعة . غير أن إرسال النظر إلى ما وراء الحدود العربية ، حيث العالم الانساني الرحب ، يتفاعل ويتمخض بالمفاجئ والجديد والمدهش .. أمر نحتاج إليه أيضاً .. لنشم نسمة هواء نقي بين دخان الانفجارات العربية وحروب المدن والأحياء ، خاصة وأن بيتنا العربي الكبير يقع في مفرق الطرق من الدنيا كلها بين آسيا وأفريقيا وأوربا ، ويعنى الكثير للقوتين الأعظم ، ويقع فى القلب من عالم اسلامي كبير يحيط به ، وعالم ثالث أوسع يشاطره همومه وأحزانه وتطلعاته .

ومنذ أقدم العصور وحضارتنا العربية الاسلامية تحاور الحضارات وتفتح ذراعها للأمم والثقافات ، متفاعلة ، هادية ، مؤثرة .. فلنطل قليلاً برؤسنا فوق الجدار ، لنرى ما يدور هناك فى الأفق الواسع .. لعله يعطينا بعض التبصر وبعض الحكمة فيما يعتورنا من شجون .

وأول ما يلفت النظر فى المشهد العالمي الراهن وأبعاده الجديدة تلك الحيوية المستجدة التي أخذت تسرى في اقليم أمريكا اللاتينية بعد عهود طويلة من التعثر والانقلابات والثورات المضادة والشقاء الطويل مع الجار الأمريكى الشمالي الثقيل الظل !

ففى بلدان أمريكا اللاتينية اليوم تصنيع يصل إلى مرحلة النضج ، رغم مشكلات الاقتصاد .

وفي بلدان أمريكا اللاتينية اليوم صحوة ديمقراطية ، تعكس نضج مجتمع التصنيع ، وتحاول أن تستبق العنف والعنف المضاد فى بعض أطراف القارة الجنوبية ، بعد أن تنفض عن نفسها عبء المسلسل الطويل لانقلاباتها العسكرية فى العقود السابقة .

غير أن أهم وأعمق ما يلفت فى عالم أمريكا اللاتينية ، البعيد عنا مسافة ، القريب منا معاناة ، هو ذلك الأدب الجديد الذى أخذ يبهر العالم كله .

إن أدباً إنسانياً عميقاً وجديداً بدأت تتمخض به مجتمعات أمريكا اللاتينية بما يوحي أنها على عتبة تطور حضاري نوعي بحكم ما يحمله ذلك الأدب من ارهاصات ومؤشرات خصبة .

ولقد احتفلت أوساط النشر والترجمة لدينا ، فى فترات سابقة ، بالأدب الأوربى الغربى فى مدارسه المعروفة ، وبالأدب الروسي ، وبالأدب الوجودي .. على بعد المسافة الحضارية والنفسية والذهنية بيننا ـ فى مجتمعاتنا العربية ـ وبين تلك الآداب ..

وأعتقد أنه سيكون باعثاً إيجابياً وحافزاً مشجعاً للغاية لو شهدنا حركة ترجمة ونشر فى عواصمنا العربية تعنى بالأدب اللاتيني الجديد ، وتقدمه فى ترجمات أمينة وفى دراسات شاملة فالمشكلات تكاد تكون متشابهة ، والمعاناة الانسانية لواقع التخلف والتطلع واليأس والأمل تنبع من خلفية مشتركة ، كما أن ما يحفل به ذلك الأدب الجديد فى ذلك الطرف القصي ، من اصرار وصمود وصبر ووضوح يمثل افتراقاً نوعياً عن العبث واللامبالاة والغموض الذى وفد إلى أدبنا وشعرنا المعاصر من خلال المؤثرات الوجودية والسيريالية التى غزت المكتبة العربية فى العشرين سنة الماضية .

أتمنى هذا وأنا أعلم أن واقع النشر في بيروت ، وواقع النشر فى القاهرة ـ وهما عاصمتا الكتاب العربي ـ ليس بالواقع السهل الميسور .

ولكني ، مع هذا ، اعتقد بأمانة أن التفاعل الدافئ المنفتح ، العميق مع الأدب الجديد فى بلدان أمريكا اللاتينية ، بمشاكلها المتشابهة مع مشاكلنا ، وتراثها الأسباني المتخالط مع تراثنا العربي ، ان ذلك التفاعل قد يكون منعطف التصحيح وشرارة التوقد ،الذى نأمله لأدبنا المعاصر الذي طال رقاده ..!

وطبيعى ان الحيوية تنبع من داخل الذات ، بلا جدال ، ولكن المؤثرات المواتية والمشجعة قد تكون باعثاً على اطلاق حيوية طال ركودها واستقت من منابع غير ملائمة لها ..

ومن المؤشرات المهمة في عالم أمريكا اللاتينية ، قبل أن نغادره إلى مكان آخر ، ظاهرة « لاهوت التحرر » .. وهو فكر مسيحى انساني تقدمي وتحرري جديد ، يرفض الكثير من مواقف الكنيسة الرسمية وابتعادها عن معاناة الشعوب وتطلعاتها ، وسكوتها عن ظلم القوى الكبرى والنظم الاجتماعية غير العادلة .. (وقد اضطر البابا إلى حظر بعض تيارات هذا الاتجاه) .

انه فكر دينى ودنيوى يذهب بالرهبان إلى حيث يعيش الناس ويعملون ويعانون ليأخذ بيدهم ، بدل الانغلاق داخل الكنيسة بين المراسم والطقوس الكهنوتية .

وهذا التوجه التحرري المسيحى الجديد يحاول السير على خطى التوجه الاسلامي السليم فى الجمع بين الدين والدنيا ، وبين الايمان والعمل ، وبين المثال والواقع ، وبين الروح والمادة .. كما أنه يرفض إلحاد الماركسية وماديتها ، وان حاولت بعض أوساطها التقرب منه من حيث التكتيك السياسى . وبلاشك فإن المهتمين بدراسة الصحوة الاسلامية ومظاهرها المختلفة على الصعيدين الاجتماعي والسياسى ، يمكن أن يجدوا بعض المقارنات والتوازيات بين الظاهرتين هنا وهناك بما يوفر مجالاً خصباً لدراسة مقارنة مفيدة لظاهرة دور الدين فى التأثير على حياة العالم كله في غربه وشرقه .

وإذا ما نجح « لاهوت التحرر » فى تقديم بديل ثالث مستقل عن الرأسمالية والماركسية لبلدان أمريكا اللاتينية ، فإن ذلك سيقدم دليلاً جديداً آخر على أن شعوب العالم الثالث ستكون قادرة فى عالم القرن الحادي والعشرين على السير في نهج حياتى وحضارى مستمد من روحها وتراثها وأصالتها رغم كل تحديات التحديث والتكنولوجيا المتقدمة .

ومن أقصى الغرب إلى أقصى الشرق .. حيث الظاهرة اليابانية وصعود القوة الشرقية الجديدة في اقليم الشرق الأقصى ، وهى ظاهرة تحدثت عنها كثيراً ، ولن أمل من تكرار الحديث عنها ، ولفت نظر العقل العربي والوجدان العربى إليها ، لأنها

● أدب أمريكا اللاتينية أقرب إلينا من أدب الغرب

● قيعان المحيطات ملیئة بكنوز أثمن بكثير من النفط

تمثل ببساطة القوة العالمية الأعظم التي سيتوجب علينا التعامل معها في عالم القرن الحادي والعشرين الذي لم يعد بعيداً عنا .

فإذا كانت بلدان امريكا اللاتينية تمثل نموذجاً مشابهاً لأوضاعنا ويمثل تطورها نموذجاً لما يمكن أن يكون عليه الخط العام لتطورنا ، فإن قوة الشرق الآسيوى الجديد تمثل البديل الحتمي للقوة الغربية التى تعاملنا معها طويلا ، ووقعنا تحت سيطرتها ، والتى تعاني اليوم مشكلات ذاتية عميقة رغم ما يبدو عليها من اقتدار . فكيف سنتعامل مع القوة الجديدة ؟ وهل سنعرف ان نستفيد منها ، مع الوقوف بازائها موقف الند للند ، أم سيعيد التاريخ ذاته ونكرر الخطأ الذي وقعنا فيه فى تعاملنا غير المتكافئ وغير الصحى مع القوة الغربية ؟

والواقع ان اطالة التأمل فى مسار القوة الشرقية الجديدة يعطينا في أوضاعنا العربية الراهنة ، نماذج صحية لكيفية نهضة الأمم وصمودها وعملها وانتاجها ، ويقدم لنا دليلاً ينقض كل ما نعانيه من احباط ويأس .. دليلاً حياً تحت ضوء الشمس المشرقة على أن حياة الأمم ليست كلها تمزقاً وهدماً وعقماً واحباطاً .. وأنه يمكن أن تنهض أمم شرقية متخلفة وتلحق بركب التقدم ، بل وتتسلم قيادته .

لذلك فإن اهتمام الفكر العربى ، ليس فقط بتفوق اليابان ، وإنما بنهوض الصين في ظل نظام آخر ، وبتقدم كوريا في ظروف أخرى ، وبتوحد فيتنام بمنهج مغاير .. كل ذلك من شأنه أن يقدم للوعي العربي شواهد حية وخيارات كثيرة لكيفية نهوض الأمم ، عندما تقرر أن تنهض .

أما البعد الثالث الذي أريد أن الفت إليه فى هذه الاطلالة على الأفق الرحب وعلى الغد الواسع ، بعد البعد اللاتينى ، والبعد الآسيوى ، فهو البعد المتعلق بالثورة التكنولوجية الثالثة .. ثورة علوم الكمبيوتر وتقنياته .

فبعد الثورة الصناعية الأولى القائمة على البخار والفحم ..

وبعد الثورة الصناعية الثانية القائمة على الكهرباء والنفط .. تبدأ اليوم الثورة الصناعية الثالثة .. ثورة الالكترونيات .. ثورة الرقائق والدقائق المتناهية في الصغر .. ثورة الأدمغة الالكترونية التي تفوق ، في بعض الجوانب ، قدرة العقل البشرى ذاته ، كما فى العمليات الحسابية المعقدة الفائقة السرعة .

ان ثورة الكمبيوتر كوسيلة معلومات واتصالات قد اخترقت حياة العصر كلها بالطول والعرض .. من العمليات الحسابية الى تسجيل أدق حركات القلب إلى التحكم في العمليات العسكرية إلى رصد حركات النجوم .

القرن الواحد والعشرون يـدق الأبــواب

فهل يستمع العرب إلى الطَرقات العالية؟

لن تستطيع أمة أن تهرب من حضور الكمبيوتر سلباً أو ايجاباً . وإذا تجاهلته فسيأتيها في عقر دارها بأيدي أعدائها الطامعين .

ولا أدل على ذلك من أن القوة الآسيوية الجديدة قد أدركت ـ في صراعها مع القوة الغربية ـ هذا السر .. فقررت أن تنازل الغرب في عقر داره بسلاح الكمبيوتر .

ان صناعة الالكترونيات وأجهزة الكمبيوتر هي الصناعة اليابانية الأقوى والأكثر صموداً حتى في الأسواق الغربية .

وقبل فترة قصيرة طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من اليابان التعاون معها في حقل الكمبيوتر الحربي والالكترونيات العسكرية ، وهي الدولة التي حرمت عليها أمريكا ذاتها التعاطي في شئون الحرب !

ورغم مدهشات الكمبيوتر فهو مايزال صبياً في خطواته الأولى ، وسؤال المستقبل هو : ماذا لو تمكن الكمبيوتر من التحول إلى طاقة؟ طاقة تحل محل النفط والكهرباء والفحم ؟ أو على الأقل أصبح وسيلة ناجحة لتوليد الطاقة من الشمس أو الهواء أو الماء أو أية مواد مصنعة رخيصة ؟

ذلك سؤال للمستقبل .. عندنا نحن على الأقل . لكنه ـ لدى بعض الأمم ـ قد دخل حيز التنفيذ ، وتحول من علامة استفهام إلى فعل مضارع !

ويلي بُعْد الكمبيوتر ، بُعْد اكتشاف الفضاء .

ان البعد الفضائي سيكون أحد الأبعاد الأساسية لعالم القرن الحادي والعشرين ، تماماً مثلما كان بعد الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر .

ان مركبات فضائية تبحر اليوم في العالم اللانهائي عبر سنوات ضوئية ، إلى كواكب وأجرام ونجوم لا حصر لها ، وتبث صوت الانسانية في تلك الاصقاع الفلكية .

وتطور الكمبيوتر يعد الانسان بغزو أكثر ثمارا للفضاء . والمسألة ليست مسألة معرفة علمية فلكية . ان حرب الكواكب التي بدأت بين العملاقين الدوليين تدخل في صلب المسألة الفضائية . كما سيكون بالامكان اجراء تجارب على الكائنات العضوية وعلى تركيب العناصر والمعادن بعيداً عن جاذبية الأرض ومؤثراتها بما يفتح المجال لظهور تكوينات عضوية وكيميائية جديدة في منظومة الكائنات التي نعرفها ، بما لا يمكن التنبؤ بشكله وخطورته منذ الآن ..

أما البعد الأخير ، الذي نود الالماح إليه في نظرة الطائر هذه ، فهو بعد استثمار قيعان البحار واستصلاح الصحاري واستغلال الطاقة الشمسية .

ان قيعان البحار تمثل مساحة أكبر وأغنى من كل القارات مجتمعة . وإذا كان العالم قد ذهب بعيداً إلى الفضاء الخارجي ، فإنه لم يهمل الإعداد للنزول إلى تحت مياه المحيطات لاستثمار قيعانها الفسيحة والغنية بميزات كثيرة .

ان استثمار قيعان البحار يحمل امكانات ثروة ووفرة ستقف منها ثروة النفط ووفرته موقف التواضع الشديد ! والعالم العربي محاط بأطول الشواطئ وأعرض البحار والمحيطات . وعندما سيأتي وقت استثمار قيعان البحار نأمل ألا تقوم بذلك ـ نيابة عنا ـ شركات أجنبيه للاستثمارات البحرية !!

وإذا جاء عصر الصحاري الخضراء .. فالعرب أيضاً أبناء الصحاري لا ينازعهم فيها منازع ..

وإذا جاء عصر الطاقة الشمسية الرخيصة ، فحرارة الشمس في بلادنا من أغنى ما يكون !

ولكن ..!

مع كل هذه الأبعاد الرحبة الواعدة أمامنا ، فإن البعض منا مازال يقاتل على مسافة أمتار لتحديد حدود كيانات الطوائف ! .. فهل من عاملين على امتداد هذه الأبعاد الجديرة بالتضحية ؟

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ورحمك الله يا أبا الطيب .. فها نحن كما تركتنا .

محمد جابر الأنصارى



أصبحت صناعة أجهزة الكمبيوتر هى الصناعة الأكثر صمودا حتى فى الأسواق الغربية

● نحن بلاد الشمس المشرقة والشواطئ الطويلة والصحارى الضخمة .. فهل نتنبه إلى ثروة : الشمس والماء والصحراء ؟

● أمامنا أبعاد رحبة للنموّ والتطور .. ولكن خصوماتنا الصغيرة تهدّد المستقبل العربي كله

كتاب صغير ولكنه خطير

رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

بقلم: فتحي رضوان

ظهر فى مصر أخيراً كتيب صغير من تأليف الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى ، الذى لم يكن من الضباط الأحرار الذين هيأوا ودبروا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الا أنه مع ذلك لعب دوراً فى حياة هذه الثورة ، وفى توجيه أحداث السياسة المصرية ، وفى تحديد بعض المفاهيم الوطنية ذات الخطر والقيمة ، وكان هذا الدور بارزاً ومؤثراً وباقياً فى تاريخ مصر والسودان معاً .

ويتناول هذا الكتيب جانباً عظيماً من أحداث السياسة الكبرى التى وقعت فى النصف الثانى من القرن العشرين الحافل بأكبر التطورات ، ولكنه للدهشة الكبيرة جانب غاب فى أطواء التاريخ حتى لكأنه لم يقع ، ولكأن هذا الذى أحدثه تافه وضئيل القيمة ، وهو مايناقض الحقيقة ويتحداها . ولكيلا أطيل على القارىء الكريم ، أقول ان عنوان الكتاب الذى أعنيه ، والذى أنا بسبيل تلخيصه وتقديمه ، هو « ثورة يوليو وإتفاقية السودان » .

ولعل القارىء العزيز يذكر أن الشعب المصرى تشبث بالسودان ، واعتبره جزءا مكملاً لوطنه ، وأن الله خلق هذين الشعبين ليكونا وحدة لا تنفصم ، وكياناً لا يتجزأ ، وأن المفاوضات التى بدأت تجرى بين السياسيين المصريين أمثال سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس ومحمد صلاح الدين وأحمد خشبة ، فى عهود وزارات متباينة الاتجاهات ، مختلفة النزعات ، كانت تتحطم على صخرة السودان ، فالانجليز كانوا لا يريدون أن يفرطوا فى السودان ، فلا يدعونه يرتبط بمصر ارتباطاً وثيقاً لأسباب عديدة أولها أن التسليم بارتباط هذين الشعبين أحدهما بالآخر يؤدى ان آجلا وان عاجلاً الى قيام امبراطورية ضخمة واسعة المساحة مترامية الأطراف ، ذات موارد اقتصادية هائلة فى موقع من الأرض ، هو أغلى المواقع وأغناها . وأعنى به موقع مصر فى الشمال الشرقى من أفريقيا المطل على البحرين الأبيض والأحمر وهما بحرا الحضارة والتجارة والحروب على مدى القرون المتعاقبة ، وعند التقاء القارتين الضخمتين : أفريقيا وآسيا ، وفى طريق الحجيج إلى الحرمين : المكى والمدنى ، وطريق الحجيج إلى القدس وبيت لحم والناصرة ، هذا كله قبل أن يتفجر البترول فى السعودية والخليج العربى ، ويصبح عصب الحياة ، فى الحرب والسلم ، ومجال الصناعة والتجارة .

وكان السبب الثانى الذى عملت بريطانيا من أجله على عدم توطيد علاقة مصر بالسودان ، هو أن ايصال مصر بالسودان اذا توثق واشتد ، معناه ايصال مصر بأفريقيا السوداء ، بمدخراتها الطبيعية الهائلة واتصال العرب بهذه القارة العذراء . ولا يعدو أكثر من ذلك دواعى الاستعمار البريطانى والفرنسى ، للوقوف فى وجه كل صلة بين مصر والسودان ، والعمل على قطعها وقصمها وإلقاء الوقيعة بينهما . وكانت أحداث التاريخ المصرى السودانى ، وأثر فتح محمد علي للسودان بجيش مصرى رأسه أحد ابنائه ، وهو اسماعيل ، تتيح فرصة للحكام البريطانيين والفرنسيين الذين وضعوا أيديهم على مصر ابتداء من سنة ١٨٨٢ ، وعلى أقطار أفريقية شديدة الاتصال بالسودان مثل الكونغو وأوغندا وكينيا وتشاد ، لاحداث الوقيعة بين المصريين فى شمال وادى النيل والسودانيين فى منتصفه وجنوبه فقالوا إن صلة مصر بالسودان كانت صلة غزو وفتح واستغلال يعنى صلة استعمار شبيه بالاستعمار الغربى ، وإن تجارة الرقيق نمت وازدهرت فى السودان فى ظل الحكم المصرى ، حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ، كان الضابط حسين ذو الفقار صبرى أركان حرب القوات المصرية العسكرية فى السودان ، وكان من

رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

تقاليد الحكم المصرى البريطانى فى السودان ، منذ الغزو الانجليزى لمصر ، أن ترسل مصر عدداً من الجنود المصريين ، وعلى رأسهم بعض الضباط ، وكانت هذه القوة العسكرية الصغيرة ، مجرد رمز للعلاقة بين مصر وبين السودان ، ولكنها قوة غير قادرة على أن تفعل شيئاً ذا قيمة ، إذا تأزمت الأمور ، وكان مؤلف الكتاب الذى هو موضوع حديثى ، أركان حرب تلك القوة العسكرية المصرية الصغيرة عندما قامت الثورة ، وكان عمله قليلاً فاستطاع أن يتأمل فى العلاقة التقليدية بين مصر والسودان وموقف الوطنيين المصريين من السودان ، وموقف الوطنيين السودانيين فخرج من تأملاته أن ما جرى عليه العرف عند الساسة المصريين من أن الوحدة بين الشعبين ، هى وحدة يؤكدها التاريخ ، وتؤكدها علائق الاخاء والمودة بين الشعبين ، هو خطأ كامل ، وانه لابد من إعادة النظر فى كل ما ورثناه عن سنى ما قبل الثورة ، لنحقق أمرين : الأول أن نخرج الانجليز من السودان ، والثانى ان نقيم علاقات بين مصر والسودان ترتكز على حقائق الواقع ، لا على تصورات وتمنيات .

ولما انتهى إلى نتيجة لتأملاته ، قرر أن يعرض هذه النتيجة على الضباط الذين قاموا بالثورة ، لكى يحذرهم من الاسترسال فى الأفكار السائدة فى أوساط الوطنيين المصريين والتى يحسبون العلاقات المصرية السودانية على أساسها .

ولم يكن ذلك سوى ثورة ، فقد كان ما انتهى إليه الضابط حسين ذو الفقار صبرى ، تصادماً صريحاً مع الفكر السياسى المصرى ، وعزم ذو الفقار أن يسافر إلى مصر ، ويحدث ضباط الثورة برأيه الذى اهتدى إليه وآمن به على ضوء إحتكاكه بحقائق الأمور فى السودان وعلى ضوء ما سمع ورأى فى السنوات التى قضاها فى هذا الاقليم . وسافر فعلاً ، ففوجىء بأن أعضاء مجلس قيادة الثورة ، غير مستعدين لاستقباله ، وغير مستعدين لسماع أى كلام بشأن السودان ، فقد استغرقتهم أمور السياسة الخاصة بمصر ، والمصاعب التى صادفتهم ، والمقاومة التى اعترضتهم والتى انبعثت من بعض زملائهم الذين لم يتح لهم أن يشاركوا فى الحكم ، وبقى حسين ذو الفقار ، واقفاً بباب مجلس قيادة الثورة ، يروحون أمامه ويغدون ، ويتقدم لكل فرد منهم يخرج من قاعة الاجتماع أو يدخل فيها ، ويحاول أن يستوقفه ، ولو للحظة ، ليحدثه عن السودان ، وليعرض عليه مذكرة أعدها فى موضوع علاقات مصر بالسودان ويمضى الأعضاء إلى حال سبيلهم دون أن يلقوا إليه بالا وهو شاعر بخيبة الأمل وبالحيرة ، وبقلة الحيلة ، رجاؤه فى أن يسمع هذا المجلس الثورى رأيه يتضاءل



حسين ذو الفقار صبرى

ويضعف إلى درجة الذبول ..

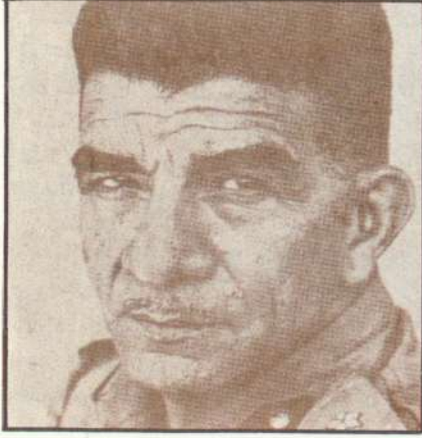
ويسرنى أن انقل لك الصورة التى رسمها المؤلف لنفسه فى تلك الفترة ، قال .

« طرت إلى القاهرة ، حاملاً مذكرتى ، تحدونى الآمال مدفوعاً بحماس أى حماس ، فاذا بى أمام حجب كثيفة من أشياء .. مجلس قيادة الثورة فى حالة انعقاد مستمر أو يكاد ، دونه أبواب موصدة بالضبة والمفتاح .

« أمكننى أن أتصيد بعضاً من الأعضاء ، أولا الذين كان لى بهم معرفة سابقة . ما ان ألمح منهم خارجاً من قاعة الاجتماعات أو داخلا إليها ، حتى أسارع بغية مفاتحته فى الموضوع ، ملحاً على ضرورة عرضه ودراسته ولكنهم لاهون عما أقول مشغولون يتمتمون بتحيات عجلى بينما كيانهم مشدود إلى اهتمامات أشعر أنها بعيدة كل البعد عن العالم الذى فيه أعيش .

كانت مشكلة السودان قد استحوذت على تفكيرى بشكل عميق ، وأصحو بها وعليها ، تلازمنى تداخلاتها ، فى غدواتى وروحاتى ، أتوه بخيالى الى احتمالاتها اذ ما جلست إلى طعام وتستنهضنى اذا ما حاولت أن أخلد إلى راحة بعد عناء تفكير ، تنخر فى كيانى حتى النخاع فاذاما أقبل الليل تملكتنى حسرة على هذا اليوم الذى فات ، فكم من أيام أخر هى أيضاً إلى ضياع ، وأتساءل فى قلق ممض ما اذا كانت البقية الباقية من الفترة المتاحة لنا ، والتى ينتهى أجلها بحلول الثامن من نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو التاريخ الذى حددته الادارة الانجليزية فى السودان لاعلان (دستور جديد للسودان) سوف تتسع فتتخذ ما يلزم من قرارات » .

وأخيراً سمح لحسين ذو الفقار أن يعرض



محمد نجيب

مذكرته (الخالدة) على أعضاء مجلس قيادة الثورة ، فقد دعى إلى اجتماع لهذا المجلس فى القاعة المخصصة له . ويصف حسين ما جرى فى هذا المجلس وهو يتلو مذكرته قال : « بدا لى أنى قد شحنت تقريرى بملامح عن أوضاع ما كان يتصور أحد من السامعين بأنها قد بلغت هذا القدر من التعقيد فألاحظ انصراف البعض الى أوراقهم الخاصة . وكأن لسان حالهم يقول :

هو احنا يعنى ناقصين مشاكل ، ويتظاهر البعض الآخر من قدامى الأصدقاء بالانصات الى ما أقول . بينما اشعر بأن اهتماماتهم الحقيقة مشدودة الى ما كان يسيطر على أذهانهم من مشاكل تواجههم فى نطاق ما كان وكل إليهم من اختصاصات .

شعرت بخيبة أمل تجرفنى ، فيتبخر الحماس الذى كان يحدونى ، ولكنى أمضى قدماً وقد خفت صوتى الى وتيرة من رتابة ، وكأنى أكلم نفسى ، فقد انفضت من حولى دائرة الاهتمام . كان على أن أغالب نفسى فأصل الى ختام تقريرى ، وقد دخلت بعد أن استنزفنى الجهد ، فارغ القلب ، مشاعرى خاوية كأنما تبددت الى متاهات من يأس وإحباط . القلقلة من حولى تنذر بأن أعضاء المجلس قد ضاقوا ذرعاً يتعجلون نهاية الجلسة لينفضوا ، وقد ازيحت عن كواهلهم أثقال يحملونها على مضض » .

ولكن جاء القدر ليمد يده إلى حسين صبرى ، وهو يتحفظ فى عالم متجهم ، يدير له ظهره ، ويسمعه بنصف أذن ، أو بلا أذن مطلقاً ، فقد تغيرت الوزارة الأولى التى شكلت فى أعقاب الثورة ، والتى كانت برياسة على ماهر (باشا) وحلت محلها وزارة برياسة اللواء محمد نجيب ،



علي ماهر



عبد الرزاق السنهوري



صلاح سالم

ومحمد نجيب سوداني مع انه من ريف مصر ومن مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية ، الا أن والده وجده وخاله جميعاً عملوا في السودان وماتوا ودفنوا فيها ، وكان قد قضى طفولته في إقليم السودان وتعلم في مدارس السودان ، وكان كثيرون من زعماء السودان زملاءه في المدرسة ، ولذلك كان محمد نجيب على نقيض الضباط الشبان ، شديد الاهتمام بمشكلة السودان . وكان وجوده على رأس الحكومة المصرية ضماناً ليرى الزعماء السودانيون على أن مصر تضمر الخير للسودان .

ويمضى حسين ذو الفقار فيقول :

« نعم .. يأتيني صوت محمد نجيب من بعيد ، عن حدود المكان ، أسمعه يشكرني على الصورة الكاملة الواضحة ، التي قدمت ، وعلى الجهد الصادق الذي بذلته ، وهي الكلمات التقليدية التي تلقى في مثل هذه المناسبات إيذاناً بانتهاء الجلسة إلا أنه اثلج صدري مالمست فيها من صدق وحرارة ، شأنها شأن الكلمات الرقيقة التي تقدم حين العزاء . فاستأذن البعض خارجين ، وتحول الآخرون إلى مجموعات يتجاذبون أطرافاً من حديث أو من نقاش هامس تتخلله أحياناً ضحكات ، هي عنوان روابط وثيقة من زمالة وألفة فأشعر بأني عليهم غريب .

وأنصرف الى جمع أوراقي المتناثرة ، فقد حطت على بلادة تتخونها مشاعر من احباط ، ولكني أفاجأ بصلاح سالم يجذبني من ذراعي فينتزعني من مكاني الى أحد أركان المجلس حيث محمد نجيب وجمال عبد الناصر وقد انهمكا في الحديث ان صح أن يوصف كذلك . فقد لاحظت ان محمد نجيب كان منفعلا بحماس ، تتدفق على لسانه الكلمات بينما جمال عبد الناصر لايكاد ينطق بحرف واحد ، وانما ينصت في سكون ، فيطرق برأسه بين الحين والحين » .

وتدب الحياة في مذكرة حسين ذو الفقار ، ويبدو أن سعيه بدأ يشق طريقه ، انما تجد في طريقه ، صعاب أخرى ، اذ تشكل لجنة للتفرغ لمشكلة السودان ، ويكون من بين أعضائها الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا رئيس مجلس الدولة ، الذي كان مهتماً قبل الثورة بالسودان وكتب في شأنه مذكرات ، ولكن السنهوري رجل قانون وإن انغمس بالسياسة كثيراً ، وكانت هناك معاهدات بين مصر وبريطانيا .معاهدات تنصب على السودان وكانت هذه المعاهدات تحتوى نصوصاً تمنح مصر حقوقاً وتشرك مصر في السيادة على السودان ، وكان السنهوري مهتماً بهذه النصوص ومتمسكاً بها . وكان حسين ذو الفقار يرى أن هذه النظرة القانونية ستغضب الزعماء السودانيين ، وتقربهم من الحكومة البريطانية ، فدارت لذلك مناقشة بين حسين والسنهوري ، تحولت الى مشادة ثم الى أكثر من مشادة ، وكان ذلك حدثاً تاريخياً ذا أهمية وطرافة . فالسنهوري شيخ من شيوخ القانون . كان استاذاً في كلية الحقوق ، ثم عميداً لها ثم وزيرا للمعارف وكان حسين ذو الفقار ضابطاً في الدرجات الدنيا في السلك العسكري ، ولكن الزمن جمع بين الشخصين ، وجعل كلا منهما على طرف ، فحدث ما يرويه حسين ذو الفقار على النحو التالي . « كان محمد نجيب قد افتتح المناقشة مشيراً إلى المذكرة التي سهرت الأيام والليالي في إعدادها ثم ينسحب إلى سكوت ، أما صلاح سالم فقد أطرق برأسه منذ اللحظة الأولى لا ينبس بكلمة ــ على غير عادته ــ وكأن الأمر لايكاد يعنيه . وهكذا تحولت الجلسة إلى مساجلة بيني وبين الدكتور السنهوري ، شرع يهاجم بنود المذكرة عنيفاً ، بينما أحاول جهدى أن أرده إلى تفهم ما يكتنف الموقف من ظروف واعتبارات .

حاولت جهدى أن أقنع عبد الرزاق بأن بنود المذكرة انما هي سبيلنا الوحيد للقضاء على النفوذ البريطاني في السودان . وأن التمسك بنصوص ليس من ورائها إلا الأصرار على الاحتفاظ بسيادة شكلية لمصر ، فإنما هو التكريس الأكيد للهيمنة الاستعمارية على أراضي السودان . وكنا ندور في حلقة مفرغة حيث لا تلاق .

وانفجر حسين فصاح في السنهوري :

« يا دكتور سنهوري خروج الانجليز من السودان هو بيت القصيد وهذه المذكرة هي سبيلنا الى ذلك ولا سبيل سواها في ظل ما يحيط بنا من ظروف .. متكاتفين مع السودانيين فنكسب ثقتهم ولا نحولهم الى اعداء .

فيرد السنهوري محاولا تسفيه آراء حسين :

« أسمع يا حسين يا ابني . يابني دول بيضحكوا عليك دى ألاعيب سياسية بكره تفهمها لما تكبر بيستغلوك وأنت مش حاسس » .

وانتفضت واقفاً وقد تحول كياني كله الى صوت هادر زاعق .

« وأنت ايش فهمك في السودان .. هو أنت تعرف حاجة عن السودانيين » .

واختم كلامي عن هذا الكتيب بهذه الصورة التي تبين أنه ، بقي أكثر المصريين يجهلون ما يجرى وراء الكواليس من أحداث جسام في مجالات العلاقات المصرية السودانية ، وهو ما عرضه حسين ذو الفقار صبري بأسلوبه الممتع ، وتصويره الحي المتقد ، الذي جعل كتابه الصغير وثيقة تاريخية وأدبية جديرة بان تلهم المؤرخين والأدباء ..

فتحي رضوان

على هذه الصفحات يواصل عميد الأدب القومي العربي المعاصر الأستاذ الكبير أكرم زعيتر ذكرياته الرائعة عن الشاعر « بدوي الجبل » وقصائده وكفاحه الطويل ، وتدور أحداث هذه الحلقة الجديدة بين دمشق وبغداد في ثلاثينات هذا القرن :



الشاعر العربي بدوي الجبل

بدويّ الجبل .. وإخاء أربعين سنة

شاعر كبير وهو دون العشرين

بقلم : أكرم زعيتر

- تعرفت عليه سنة ١٩٣٧ في المكتب القومي بدمشق
- صداقة حميمة تحولت إلى أخوة حميمة امتدت أربعاً وأربعين سنة
- عندما هرب الشاعر الكبير من طغيان الفرنسيين في دمشق ووصل إلى بغداد ليعمل مدرساً بإحدى مدارسها

كنت في الرابعة عشرة من عمري في مدرسة النجاح النابلسية أتوقد حماسة قومية متأثراً بالبيت الذي فيه نشأت ، والمدرسة الوطنية التي فيها تعلمت . وقد أشربت حب الثورة العربية . وحدث أن زار عمان أبو الثورة ، شيخ قريش ، الحسين بن علي ، فاعتمرتها وفود من بلاد الشام تحييه وتناجيه وتبثه شكواها من الانتدابين الانكليزي والفرنسي . وشاعت بينها أبيات من قصيدة ترحيب به قالوا : انها لشاعر فتىً يدعى « بدوي الجبل » .. وقد نقلتها ورتلتها واستظهرتها ، ومطلعها :

ألف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين
وارث البردة عن صاحبها
أحمد المختار خير المرسلين

وكانت لا تبرح ذهني قصيدة الفرزدق في زين العابدين : « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته » وأنا أردد قول البدوي :

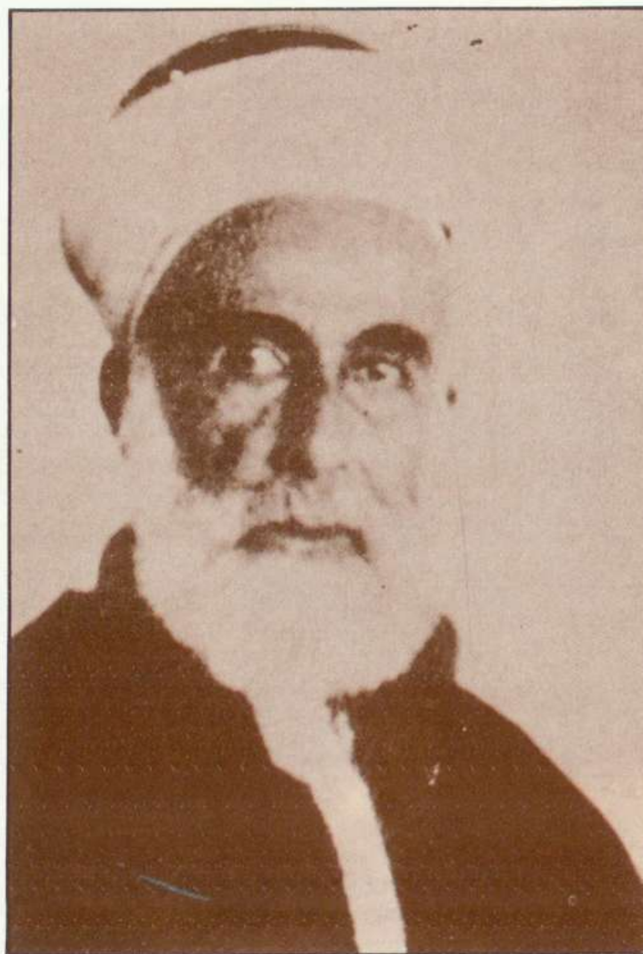
يعرف البيت اذا طاف به
أنه ابن الطائفين العاكفين
تعرف الاستار اذ يلثمها
أنه ابن الساجدين الراكعين

وفي الموكب يقول :

حوطوا الموكب باسم المصطفى
وبنيه من عيون الحاسدين
وانثروا الدمع على موكبه
ودعوا المسك لحور و لعين
أدمع البشر وقد يبكي الفتى
سره الدهر كما يبكي الحزين


الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع السورى فى العهد الفيصلي ، وقد استشهد فى معركة ميسلون


فيصل بن الحسين


الحسين بن علي أبو الثورة العربية

وفى قصيدته التى أربت على السبعين بيتاً مجد الوحدة العربية وناشد الحسين ان يعمل لها .. ومن ابياتها ما ظل البدوي يرددها :

انا بالروح جواد فاغفروا
زلتى إن رحت بالدمع ضنين
لا ترى الاعداء دمعي جارياً
انني أبغض عطف الشامتين

وقلت يومئذ لفتى الشعر النابغ صديقى ابراهيم طوقان : « ما ترى فى بدوى الجبل ؟ » فقال : « شاعر كبير وهو دون العشرين فما يكون شأنه فى المستقبل ؟ » .

قلت : ليت له ديواناً ..

ومضت شهور .. وعاد ابراهيم من الجامعة الأمريكية ببيروت الى نابلس ، وأقبل على متهللاً يقول : « هذا ديوان بدوي الجبل صدر منذ أشهر جئت به من بيروت وآثرتك به على نفسي » . ورحت اترشف شعر البدوي حيناً وأتعببه آخر ، وأعجبنى أن جعل إهداء الديوان « إلى مثال البطولة العربية ، إلى الشهيد الراقد فى مسيلون . الى تلك الروح الكبيرة التى تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وقد شِمْتُ فى ترحيب اعلام فى الأدب : كرد على ، والمغربي ، وخليل مردم بك ، وبشارة الخورى وجبران التويني وعفيفة صعب بالديوان ، مخايل شاعر المستقبل الأكبر . وظل ذاك الديوان المطبوع سنة ١٩٢٤ قنية نفيسة لدى وقد رجعت والبدوى إليه بعد أربع وخمسين سنة لنختار منه البواكير فى ديوانه الكبير ..

• • •

كنت سنة ١٩٣٧ اتولى الإعلام الفلسطيني لثورتنا الكبرى ، وجعلت مكتبي فى المكتب القومى العربي الذى أسسه زعيم شباب سورية فخرى البارودى ، وهو من تجمعت فيه مناقب الشام الشهمة ، وفوجئت ذات يوم ، وأنا فى مكتبى بشاعر الحركة العربية محمد الشريقي قادماً من عمان .. ويصطحب فتى نحيفاً أسمر ذا عينين براقتين وأنف أقنى وثغر باسم .. ويقول لي : « هذا هو بدوي الجبل الذى أعلم اعجابك به وترديدك شعره » .. فأهلت ومرحبت به ، وما لبثنا حتى انضم الينا روح دمشق المرحة فخرى البارودى ، وأزهرت مجلسنا ذكريات الشعراء الثلاثة عن العهد الفيصلى .

وانعقدت بينى وبين البدوى آصرة صداقة صميمة سرعان ما غدت أخوة حميمة امتدت أربعاً وأربعين سنة حفلت بذكريات ما اعطرها وما اوفاها ! وأرجو اذا ساعف العمر وواتت الطاقة أن يتألف منها ومن رسائله اللؤلؤية كتاب يحلق فيه نثر البدوى الفخيم تحليق شعره العظيم .

كان البدوي عضواً فى البرلمان السورى نائباً عن بانياس فى محافظة اللاذقية ، وقد تعاهد ونواب اللاذقية على الاخلاص للوحدة السورية ومكافحة كل نزعة تجزئة اقليمية أو طائفية . وكانت لقاءاتنا موصولة واجتماعاتنا ندوات نتذاكر فيها فى ما يحتمه الواجب الوحدوي من مواقف ، ويستوي فى اهتمامنا القومى عمل لوحدة سورية وعمل لمظاهرة الثورة الفلسطينية .

ويبدو أن اندفاع البدوي فى التنديد بدعاة التجزئة من عملاء فرنسا قد غاظ كثيراً صحيفة « البشير » التى كانت تصدر فى بيروت شعوبية النزعة ، فرنسية الميلاد ، جزويتية التحرير ،

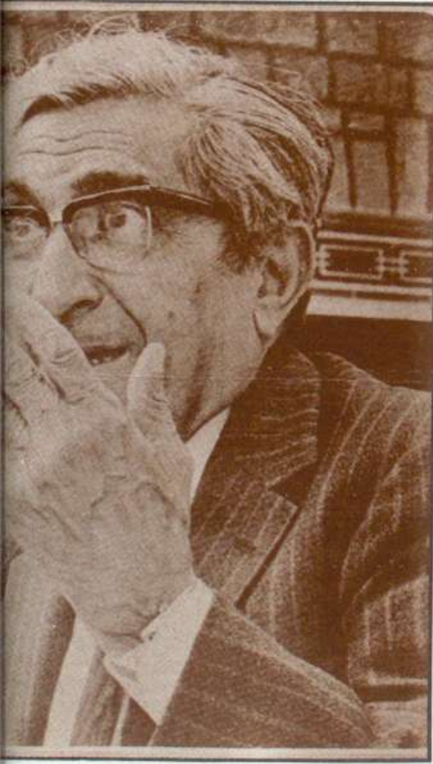
شاعر كبير
وهو دون العشرين

فحملت على البدوى وعيرته برسالة كتبها منذ سنوات يستروح منها تودد إلى فرنسا ، يوم كان عضواً فى المجلس التمثيلي العلوى الذى ألفته الحكومة المنتدبة . وتلقفتها جريدة دمشقية كان صاحبها على خلاف حزبى وانتخابى مع الكتلة الوطنية التى ينتمي إليها البدوى . وبادرت الى بيت البدوي لأعرب له عن ألمى مما قرأت فوجدته قد أعد رداً على « البشير » وفيه يقول : « قد تعود البشير أن يهاجمنى .. ولو أراد غير ذلك لما رضيت عن نفسى ، لأن فى سكوت البشير عني غضاضة لا أحتملها وتصغيراً لبلائى وجهادى ، وما وثقت من عملى كما وثقت اليوم ، فلو أردت أن أتقدم الى الأمة العربية بدليل على بلائى فى خدمة قضيتها لما وجدت دليلاً أقوى حجة وأمتن برهاناً من هذا الموقف الذى تقفه البشير مني ومن هذه الضغينة التى تحملها لي هى وأسيادها ، ، وقال : « لقد وطنت نفسي عندما سلكت هذا الطريق على احتمال كل أنواع الأذى ، وكنت أترقب من أسياد البشير السجن والنفى ولا أزال أترقبه .. أما أن تزعم أنني أريد فى وطنيتي عرضاً من أعراض الدنيا فهذا هو الكذب والوقاحة معاً لأن أعراض الدنيا ومغانمها عند أسيادها لا عند الوطنيين الذين يلاقون أنواع المظالم والارهاق كل يوم وليلة ، فما يأوى أحدهم إلى فراشه إلا وهو على نذير فى سجن أو نفى وتشريد » وقال : « واننى أحمد الله على أننى جهرت بالوطنية وهى جذوة تحرق أكف لا مسيها ، وأنني رفعت لواءها بين سمع الدنيا وبصرها ، والقوة تلوح بالسجون والمنافى ، وبما هو شر من السجون والمنافى فما زادني ذلك إلا ايماناً وبصيرة واطمئناناً » .

وحرضت البدوى على أن يوجه إلى صاحب الجريدة الدمشقية كتاباً خاصاً ، فكتب فى غير تلبث أو غمغمة رسالة إذا أنا اقتبست منها بعض فقرات فلأن ذلك يستوفي سيرة الشاعر العظيم ، ويقول فى الكتاب : « ليست وطنيتي جديدة ياسيدى ، وليس جهادى فى سبيل هذه الأمة ابن عامين أو ثلاثة أعوام ، بل هو جهاد قديم ينتظم صباي وشبابى ، فقد فهمت معني الحرية والقومية فى ظلال المدينة الخالدة دمشق فى أثناء حكم المغفور له فيصل الأول ، ومع أننى لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمرى يومئذ فقد شاركت فى الحركة الوطنية بالقدر الذي أستطيعه ولم تقتصر هذه المشاركة على ماكنت ألقيه من القصائد الوطنية فى النادى العربى ، بل تجاوزته الى أبعد من ذلك (وهنا تحدث عن جهوده فى العهد الفيصلى وحين دخول الفرنسيين دمشق وتوقيفه من قبل ديوان الحرب الفرنسي ، وقد أوجزته فيما سردته من سيرته) ثم قال : « وقد قاومت وقاومت حتى تعذرت كل عناصر المقاومة والنضال فاعترفت بالأمر الواقع عن يأس وقنوط وغمرنى التيار ، فما أنكر أنني اسأت وأخطأت ، وهذا ضعف أعترف به ، ولم يكن فى وسع انسان فى ظروف كظروفى ومحيط كمحيطى أن يفعل غير ما فعلت ، على أنه ذنب لا أنكره بل أعترف به واستغفر الله عليه » وبعد أن استشهد باخوانه أعلام الوطنية كمردم والقوتلي ورسلان والجابرى فى ترسيخ دعائم الوحدة ومقاومة دسائس التجزئة أشار إلى تضحيته فى سبيل الغاية الوطنية المقدسة وهو مرتاح الضمير إلى هذا كله « راحة لا أستبدل بها كل ما فى الدنيا من مجد وجاه ونعيم .. لقد أسأت وأحسنت وحسبى أن تكون الحسنة بدل السيئة ، وأنا فى هذا الحساب لن أكون أمام أمتى العربية ولا أمام ضميرى مديناً ، بل أنا واثق أنني سأكون الدائن الغني ، وأستغفر الله على هذا الزهو فما أريد به مناً ولا فخراً » وأنهى كتابه المفاض : « وبعد فأنا رجل فيه جفاء وخشونة وعناد ، وفيه ايمان بالله وثقة بالنفس وتقدير للعمل الذي يقوم به وقد صارحتك بما فى نفسي ولك بعد ذلك الا تصدق كل ما ترميني به دوائر معروفة بحقد على ولاذنب لي الا أنني لا أساومها فى تقطيع أجزاء الوطن وبترها ، ولك أن تتلاقى معها بتحطيمي حتى لا يرتفع صوت علوي بوحدة ولا عروبة ، وأنا على حالتيك راض عن نفسي مطمئن الى عملي واذا أرضيت ضميري فقد أرضيت ربي وأرضيت أمتي وحسبى ذلك والسلام » .

وفى نيسان سنة ١٩٣٩ تبادلنا الالتياع حين فوجئنا بمصرع الملك غازي بن فيصل ملك العراق .. وقلت للبدوي : « أنا ذاهب إلى بغداد ، ولعلي أرثي فيها الملك غازي كما رثيت أباه فيصلاً » .. فأجاب : تعال غداً إلى المجلس النيابي واستمع لكلمتى فى غازي » .

وحرصت على حضور الجلسة أصيل السادس من نيسان ١٩٣٩ وقد افتتحها الرئيس العبقرى فارس الخورى بكلمة بليغة ثم دعا النائب محمد سليمان الأحمد الى القول فسمعت ثم سمعت صديقي البدوي يعرب عن لوعة الدنيا العربية لمصرع غازي ويهتف : « يا دنيا العرب ، يريدك الظالمون ضيقة صغيرة ويلوحون لك بالعدة والعديد ، والنار والحديد والأقدار الظالمة القاسية ونريدك واسعة كالأمل ، كبيرة كالايمان ونلوح لذلك بالعراق وبتاج العراق وبالأنجاد المغاوير على ضفاف الرافدين . يا دنيا العرب لقد روعك مصرع الملك الشهيد وحول أعراسك إلى مآتم ، ولكن لوعة



بدوي الجبل في إحدى المناسبا
يلقي بعض قصائده الرائعـ

الشام فوق كل لوعة وحزنها فوق كل حزن ، ومن أولى ببكاء الملك الشهيد من المدينة الشهيدة تنحني على القبر المنور وتضع عليه جراحها وأمجادها ، فما ترك الظلم والطغيان ريحانة واحدة فى الغوطتين لترف على القبر الذكي الندي » ..

« إن الشام التى تنوء بألف جرح وجرح من الحراب فلا تئن ولا تشكو ، بل تزداد عنفاً وكبرياء . هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتنمرة لعوادى الزمن يخونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي ، وفى وسع الذين تكبرت دمشق على طغيانهم فما أرتهم دموعها . فى وسعهم أن يروا هذه الدموع فى مأتم الملك الشهيد ، وأن يقولوا للدنيا وللعالم : لقد رأينا دمشق تبكي . يا أبا فيصل ويا ابن فيصل نم هانئاً بين آبائك وأعمامك الأقيال الغطاريف من عبد مناف ودع الحلم الوردي المعطر الذي أغلق أبوك العظيم أجفانه على هناءته ، دعه يهدهد آلامك وآمالك فى رقادك الطويل . دع هذا الحلم المعطر يجلو صوره أمامك واحدة واحدة ، فيلمع فكرة كما تلمع الحباحب فى الليل الداجي ثم ينير عقيدة كما تنير الشمس فى الأضحيان . ثم يتوثب حقيقة قوية عنيفة لا تبالي بالحدود والتخوم ثم يتراءى ذلك فى صورته الأخيرة الرائعة وقد اكتملت الظلال والألوان والخطوط ملكاً عربياً يظلل الفيحاء والزوراء ، وكتائب ظفر تسيل بها الصحراء الظامئة فتزدهر الرمال وتخضوضر وتنبت الحديد والمران ، وفتى من بني أبيك يحمل النجدة



الشريف حسين في عمان سنة ١٩٢٣ ، ووراءه موسى كاظم باشا الحسيني الزعيم الفلسطيني ،والشيخ عبد القـادر المظفر ، وعلى يساره غالب باشا الشعلان رئيس الديوان الأميرى

والظفر إلى الغوطتين فتواكب أمية وغسان وصلاح الدين فتى هاشمياً على مفرقه تاج العرب ترمقه نصرانية وإسلام ، وتتوحد عليه بغداد والشام » وفي تلك الجلسة تبارى النواب في الدعوة إلى اتحاد القطرين السوري والعراقي ..

ويممت العراق ، وكانت العلاقات الفرنسية السورية قد تدهورت ونفر إلى بغداد أحرار من سورية ولبنان ، وطارد الفرنسيون أحرار الفلسطينيين فلاذوا بالعراق ، فنشطت الحركة القومية التحررية نشاطاً جعل الكثيرين يطلقون على العراق « بروسيا العرب » ..

• • •

وكنت ذات يوم في مكتبي بوزارة المعارف وقد عينت موجهاً قومياً واذا بالبدوي يباغتني أشعث أغبر في « بنطال » قصير ، قد أضناه السفر ونهكته الوعثاء فما أحر اللقاء ! ! وما أطيب العناق ! بعد ذاك الفراق ! .. ولخص لي الرحلة وهو يكاد يتهاوى من الأعياء .. وحمد الله أن نجاه من بطش الفرنسيين ، وأقبل رجال المعارف يحيونه ويرحبون به ثم صحبته إلى مكتب وزير المعارف المرحوم صالح جبر الذى بالغ في الترحيب به وأعرب عن رجائه أن تفيد معارف العراق في احدى مدارسها من فضله ، ومع أنه لم يكن يحمل الشهادة التى يشترط أن يحتازها كل معلم ، فقد

كان اسمه هو الشهادة التى تفتح أمامه أبواب التدريس ، ومما أذكره انه ردد أمام الوزير : « الحمد لله خلصنا من واسط وأصبحنا أحراراً .. » فسألناه : وما حكاية واسط هذه ؟فروى لنا : حدث حين مات الحجاج بن يوسف ، باني مدينة واسط ، أن اطلق سراح السجناء ، وسئل أحدهم عن أسباب سجنه ، فأجاب : لقد شوهدت ذات يوم أبول في قارعة الطريق فأمر الحجاج بطرحي في السجن منذ أمد بعيد وظللت فيه هذه المدة الطويلة حتى مات الحجاج فأطلقت : ثم ألقى عباءته على كاهله وغادر واسط مهرولاً ، وسمع وهو ينشد :

اذا نحن غادرنا مدينة واسط
...وبلنا حيث شئنا من الدنيا

وأمر الوزير بتعيين البدوى مدرساً للعربية في احدى مدارس بغداد .

• • •

ونشرت صحف بغداد نبأ لجوء البدوي إلى بغداد ورحبت به وأخذ الأدباء وأصدقاؤه من الأحرار اللاجئين الى بغداد يتوافدون على مكتبي للسلام عليه ، وبينما هو في المكتب ، رن جرس الهاتف .. إنها الآنسة الراقية أمة سعيد مديرة دار المعلمات تهتف بي : « صديقك بدوي الجبل في بغداد ... ليس لدار المعلمات نشيد .. ياليت شاعرنا الكبير ينظم لفتيات العراق نشيداً ننشده في احتفالنا بأربعين غازى .. ويحيى فيه ملكنا الطفل الحبيب فيصلاً .. » ونقلت للبدوى رغبة المربية الفضلى ، فاهتش لها قائلا : « مع أنني لا أنظم بتكليف فقد انشرح صدرى .. وسأرى ! » وفي أصيل اليوم نفسه زارني يحمل النشيد .. وأعطانيه بخط يده ، فرتلته . وبادرت إلى دار المعلمات وأمليته على المديرة .. واحتفظت بالأصل وهو غير مدرج في الديوان .. وهذا هو ينشر اليوم في الدوحة أول مرة :

الفتيـات .. الفتيات
حياتنـا سر الحياة
الزهـرات العطـرات
لـدجلة وللفرات

• • •

تـوسعى دنيـا الرشـيد
نـريـد والمجـد يـريـد
من جوهر المـاضي البعيد
سنخلق الغـد الجـديـد
انـا نـهز الـوجـود
حيـن نـهـز المـهـود
تكبرى تكبرى ، هذي السماء فاطفري
بالأمل المنتصر ، نحن الرجاء فاخطري
بحلمك المعطر :
الفتيـات ..

شاعر كبير وهو دون العشرين

● قصة طريفة عن مدينة واسط والحجاج وشاعر عربي ساخر



نشيد الفتيات
لبدوي الجبل بخط يده

الفتيات . الفتيات
حياتنا سر الحياة
الزهرات . العطرات   لدجلة والفرات

تدوي دنيا الرشيد   نريد والمجد يريد
من جوهر الماضي المجيد   نخلق الغد الجديد
إنا نهز المجد   حين نهز المهد

تكبري تكبري هذي السماء فاظفري بالأمل المنتصر . تحت الرجاء فاخطري
لحلمك المعطر

الفتيات ....

نسقي الجنود تحت البنود   ونسكب النصر دما بالنشيد
نضفر الغار يوم الفخار   والغار للفاتح او للشهيد
الشام . والشاطئ البسام   لآلئ صيغت بتاج الرشيد
خولة بنت الأزور   قومي انظري . رد قديم الأعصر   فهللي وكبري
للأمل المنور

الفتيات ....

الغوطة الفيحاء من ديارنا   والقدس أندى باقة من غارنا
والأبيض الرجراج من بحارنا   والنيل كل النيل من أنهارنا
حضارة العالم من آثارنا   من شاء فلينسج على غرارنا

يا راية العرب اظفري   وفيئي ونضري ووحدي وحرري   تهللي تهللي
فالتاج منضور الحلي
على محيا فيصل

الفتيات ..

ونسقي الجنود ، تحت البنود
ونسكب النصر دماً بالنشيد
نضفر الغار ، يوم الفخار
والغار للفاتح أو للشهيد
الشام ، والشاطىء البسام
لآلئ صيغت بتاج الرشيد
خولة بنت الأزور ، قومي انظرى
رد قديم الأعصر ، فهللي وكبرى
للأمل المنور
الغوطة الفيحاء من ديارنا
والقدس أندى باقة من غارنا
والأبيض الرجراج من بحارنا
والنيل كل النيل من أنهارنا
حضارة العالم من آثارنا
من شاء فلينسج على غرارنا
يا راية العرب اظفري : وفيئي ونضري ..
ووحدي وحرري
تهللي ، تهللي ، فالتاج منضور الحلي
على محيا فيصل
الفتيات ..

وكنت فى اللجنة التحضيرية لتأبين الملك غازى فى أربعينه ، ودعى إليه أعلام فى السياسة والشعر والأدب فى مصر وسورية ولبنان والأردن وفلسطين ، وقلت للبدوى فور وصوله إلى بغداد : « على الجارم وعبد الوهاب عزام وشبلي الملاط ومحمد الشريقى سيكونون شعراء الحفل ولكن العقد لا ينتظم إلا بواسطته : بدوي الجبل » فأجاب : « مصرع غازي هزني وقد سمعتني أرثيه نثراً .. ورثاؤه شعراً مما ساورني وأنا اقطع البادية إلى بغداد .. والقصيدة تختمر فى خاطرى » ..

أكرم زعيتر

هامش

في المقال السابق ان الشاعر ولد في قرية ديغة والصحيح ديفة وجاءت عبارة : ارخت لبانات روحه وصحيحها : أرضت لبانات روحه وجاءت : منوهاً له وصحيحها منوهاً به .

وفي صورته فى احدى جلسات البرلمان اشير إلى ان النائبين كانا عن يمينه والواقع انهما عن شماله وان الذى كان عن يمينه هو النائب فاخر الكيالى .

• ورد فى الحلقة الثالثة خطآن هما سرادة والصحيح أنها سراوة ، وكلمة المتعة والصحيح أنها المتعبة .

القضية الفلسطينية
في الكتب المدرسية الأمريكيّة
تبرئة كاملة لإسرائيل واتهامات باطلة للعرب

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

ازداد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بموضوع التنشئة السياسية **Political Socialization** كأحد أبعاد دراسة النظام السياسي فى مجتمع ما . ويقصد بالتنشئة السياسية تلك العملية التى يكتسب بواسطتها الأفراد الاتجاهات والمشاعر تجاه النظام السياسى كما يتعلمون أدوارهم ومسئولياتهم ازاء هذا النظام ، وبعبارة أخرى فإن عملية التنشئة السياسية هى عملية نقل الثقافة السياسية السائدة فى مجتمع ما بما تتضمنه من قيم ومعتقدات ومعايير الى الأجيال الجديدة .

وتنبع أهمية دور التنشئة السياسية من الوظائف التى تقوم بها فهى تضمن استمرار نظام القيم والمعتقدات السياسية فى المجتمع من جيل الى جيل ، وهى تغرس روح التضامن الوطنى والقومى بين المواطنين ، ومن ثم فهى أداة دافعة للتكامل ، وهى أخيراً أداة للضبط الاجتماعى ، تقوم بتأكيد قيم معينة دون قيم أخرى .

ويتفق الباحثون على أن عملية التنشئة هى عملية مستمرة لا تقتصر فقط على صغار السن ولكن تستمر عبر مراحل الحياة المختلفة . ومن أهم أدوات التنشئة السياسية وأكثرها فعالية وتأثيرا النظام التعليمى ، ومن هنا أهمية دراسة الكتب المدرسية كمؤثر لعملية التنشئة السياسية وللقيم والمفاهيم التى تسود فى مجتمع ما حول إحدى القضايا الداخلية أو الخارجية .

وترجع أهمية الكتب المدرسية كمؤشر الى أكثر من اعتبار . أولها أنها تندرج ضمن الأدوات المؤسسية للتنشئة والتى تقدم المعلومات والقيم الى الجمهور المستقبل لها بشكل مرتب ومنظم ، وثانيها أن الكتب المدرسية وبالذات تلك المتعلقة بالتاريخ أو العلوم الاجتماعية عادة ما تزعم الموضوعية ، لذلك فإنه ينظر إليها على أنها حقائق ، لا تتضمن آراء منحازة لطرف أو لآخر ، وثالثها أن الكتب المدرسية تخاطب جمهوراً فى مقتبل العمر ، غير قادر على التمحيص ، ومن ثم تلعب دوراً رئيسياً فى تشكيل رؤيته ونظرته للقضايا المختلفة خاصة عندما نتذكر أن المعلومات الدراسية بخصوص عديد من الموضوعات كثيراً ما تكون نهاية المطاف بالنسبة للعديد ممن لا يهتمون بهذه الموضوعات وأخيراً فإن دور الكتب المدرسية يزداد أهمية عندما تدعم أدوات التنشئة الأخرى فى المجتمع الاتجاه الوارد فيها .

فى هذا الاطار تبرز أهمية دراسة كيفية تناول الكتب المدرسية للقضية الفلسطينية والصراع العربى ـ الاسرائيلى . ويركز هذا المقال على الكتب المدرسية الأمريكية باعتبارها نموذجاً يعكس الرؤية الغربية عموماً للقضية ، ويعتمد هذا التقرير فى النتائج التى يشير إليها على عدد من البحوث الميدانية التى قام بها أساتذة الاجتماع والسياسة فى الجامعات الأمريكية (١) . وسوف يعرض المقال لنتائج هذه الدراسات فيما يتعلق بالحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ وأسبابها ، وحرب ١٩٦٧ وأسبابها ، وصورة العرب واسرائيل عموماً ، ونصل فى النهاية الى عرض لأهم الاستخلاصات .

الحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى ١٩٤٨

تعرض الكتب المدرسية الأمريكية عادة الجذور التاريخية للصراع من وجهة نظر صهيونية ،

القضية الفلسطينية في الكتب المدرسية الامريكية

فتذكر أن اليهود عاشوا لأعوام طويلة يحلمون بالعودة الى « أرض الميعاد » وأن الحلم قد تحقق في عام ١٩٤٨ عندما أعلنت دولة اسرائيل . ولا تشرح هذه الكتب تاريخ فلسطين ، والوجود العربي الطويل فيها ، والأهداف السياسية للحركة الصهيونية بل تشير الى أنه في خلال عشرين عاماً بعد اعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ استوطن آلاف اليهود في فلسطين حيث حققوا تقدماً كبيراً في الزراعة والصناعة وأن الهجرة قد ازدادت نتيجة اضطهاد النازية لليهود .

وتشير جميع الكتب الى قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والذى أوصى بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية وأخرى عربية باعتبار أن هذا القرار يعكس التأييد الدولى والشرعية الدولية لقيام اسرائيل . ويعرض بعضها لهذا القرار بشكل متميز سافر فيذكر أحد الكتب أن الأمم المتحدة قررت تقسيم فلسطين الى نصفين فصار نصفها بلداً حراً للشعب اليهودى وصار النصف الآخر جزءاً من الأردن .ويلاحظ استخدام المؤلف لكلمة حر في الاشارة الى اسرائيل فقط ، كما يلاحظ أن كل الكتب المدرسية تتجاهل ما حدث بعد ذلك وهو ابتلاع اسرائيل لجزء كبير من المساحة المخصصة لانشاء الدولة العربية الفلسطينية قبل بدء الحرب في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، كما لا يشير أى منها الى النص الكامل لقرار التقسيم والذى يتضمن جعل القدس مدينة دولية ولا تناقش حق الأمم المتحدة في تقسيم المناطق الموضوعة تحت الانتداب ومدى اتفاق قرار التقسيم مع مبدأ حق تقرير المصير بل اعتبره البعض أعظم انجازات الأمم المتحدة وأخيراً لم تتعرض هذه الكتب لدور الولايات المتحدة في الضغط السياسى لتمرير قرار التقسيم .

وتشير معظم الكتب المدرسية ان لم يكن كلها الى أن العرب كانوا المعتدين ، فقد غزوا « دولة اسرائيل الصغيرة في أعقاب اعلان استقلالها مباشرة » ويذكر أحد الكتب أن اليهود أعلنوا دولة اسرائيل في الجزء الذى خصصته لهم الأمم المتحدة وهذا غير صحيح تاريخياً . ففى ١٥ مايو وقبل أية معارك بين العرب واسرائيل كانت الهاجاناه والقوات العسكرية الصهيونية قد استولت بالفعل على مناطق عديدة من تلك التى كانت مخصصة للدولة العربية الفلسطينية .

وتصف كتب التاريخ ردود فعل البلاد العربية لاعلان اسرائيل بكلمات مثل الحرب ، والعدوان والغضب والهجوم والغزو فيذكر أحد الكتب أنه عندما أعلنت « الأمة اليهودية قيام اسرائيل كدولة مستقلة أعلنت ٥ بلاد عربية الحرب عليها » ويزعم آخر « أن العرب قرروا تحطيم اسرائيل الدولة الوليدة واحدى الديمقراطيات القليلة التى ظهرت في السنوات الأخيرة » . وهنا يلاحظ أن كلمة العرب ترتبط بعدد من التعبيرات السلبية مثل عارض ، وهاجم ، وغزا ، وطرد ، وغضب ، وألقى في البحر .. الخ ، بينما ترتبط كلمة اليهود أو اسرائيل بتعبيرات ايجابية مثل الاستقلال والوطن ، والديمقراطية ، والحرية .

هذه المعلومات والايحاءات التاريخية المضللة والمشوهة تجعل الطالب متحيزاً ضد العرب . وهى لا تنقل لهم وجهة النظر العربية في الموضوع ولا تناقش نشاط الجماعات العسكرية الصهيونية في فلسطين قبل حرب ١٩٤٨ بوقت طويل . ولا تذكر أسباب نزوح الفلسطينيين عن ديارهم ، وتتجاهل كيف أنهم أكرهوا على ذلك ، ولا تناقش حق الأمم المتحدة في اصدار قرار التقسيم والضغط السياسى الأمريكى الذى رافق اصدار القرار ، كما أنها تتجاهل الوقائع التاريخية التى قد تؤذى صورة اسرائيل مثل واقعة اغتيال مندوب الأمم المتحدة السويدى الكونت برنادوت في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ في القدس وتكتفى بالاشارة الى أنه قد قتل بل ان بعض الكتب ألقت بتبعة قتله على الفلسطينيين .

وتشير أغلب الكتب الى أن اسرائيل قد قامت نتيجة قرار الأمم المتحدة دون الاشارة الى أن قيامها كان في الواقع بالقوة واغتصاب الأرض وتشريد الفلسطينيين من ديارهم . ويندر أن نجد عرضاً موضوعياً يذكر وجهات النظر المختلفة كما يندر عرض قضية اللاجئين الفلسطينيين باعتبارها مسألة أساسية في أى تسوية للقضية .

حرب ١٩٥٦ وأسبابها

تميل معالجة الكتب المدرسية الأمريكية لحرب ١٩٥٦ أيضاً الى التحيز بل وفقا لأحد الكتب يبدو كأن مصر لم تتعرض لهجوم على الاطلاق وان كل ما حدث هو « أن الحرب قد اشتعلت » ، ويذكر كتاب آخر أن عبد الناصر كان يعادى اسرائيل الأمر الذى أثار قلقها ودعاها الى غزو مصر في أواخر عام ١٩٥٦ ، وأنها هاجمت مصر أيضاً خوفاً على سلامة قناة السويس بعد تأميم مصر لشركتها وضماناً لاستمرار الملاحة الدولية فيها ، ويدعى كتاب آخر أن الحرب قد حدثت بسبب اغلاق عبد الناصر لخليج العقبة ولوضع حد لهجمات الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعد مصرية ، وبررها كتاب آخر بأن مصر رفضت السماح للسفن الاسرائيلية أو لسفن بلدان أخرى تحمل شحنات لاسرائيل بالمرور في قناة السويس فغزت اسرائيل سيناء . ولاشك أن مثل هذا العرض لحرب ١٩٥٦ لابد وأن يشعر الطالب الأمريكى بالدهشة لتبنى الرئيس ايزنهاور وجهة نظر معارضة لاسرائيل وتصرفه في اتفاق مع الاتحاد السوفيتى لاجبار الدول الثلاث الصديقة للولايات المتحدة — بريطانيا وفرنسا واسرائيل — على سحب قواتها من مصر . ولم تحاول أغلب الكتب عرض وجهة النظر العربية مثل ذكر هجوم اسرائيل على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والذى أدى الى مقتل عدد كبير من الجنود المصريين كما لم يتعرض أى كتاب لحقيقة أن هذه الحرب كانت بناء على تدبير سابق بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا .

حرب ١٩٦٧ وأسبابها

تنحو جميع الكتب المدرسية في هذا الصدد باللوم على العرب وعبد الناصر ، فيدعى أحد الكتب « أن العرب شنوا هجوماً على اسرائيل بقيادة مصر فدمرتهم اسرائيل » ، ويذكر كتاب آخر أن مصر أغلقت منفذ اسرائيل على البحر الأحمر وحركت جيشها على الحدود ودعا عبد الناصر جميع الدول العربية الى سحق اسرائيل ، وتربط بعض الكتب بين العرب والسوفيت .

ولم يذكر أى من الكتب المدرسية سلوك اسرائيل العدوانى خلال الشهور التى سبقت حرب ١٩٦٧ وعدوانها على قرية السموع الأردنية ودخول الطيران الاسرائيلى سماء دمشق وسلسلة التصريحات الاسرائيلية التى هددت باسقاط نظام الحكم في سوريا واحتلال دمشق وهو السلوك الذى أدى الى تصعيد التوتر وايجاد الأزمة التى نجمت عنها الحرب . وبصفة عامة فان معالجة حرب ١٩٦٧ في الكتب المدرسية لا تمكن الطالب من ادراك تعقيدات الأزمة ولا تساعده في الوصول الى فهم سليم فيما يتعلق بأسباب الحرب ونتائجها .

صورة العرب واسرائيل

تفسر العديد من الكتب استمرار الصراع في المنطقة بالقاء اللوم على العرب وتزعم أن الكراهية التى يشعرون بها نحو اسرائيل هى سبب الأزمة ويبرر أحد الكتب هذا العداء بأنه ناجم من أن اسرائيل بلد ديمقراطى الأمر الذى يهدد الكثير من الأنظمة غير الديمقراطية العربية . ويلاحظ في هذا المجال أن الكتب لا تتعرض لنظرة الاسرائيليين الى العرب ولا لوضع العرب داخل اسرائيل والتمييز العنصرى ضدهم .

وتهتم الكتب بابراز انجازات اسرائيل في كافة المجالات فتكرر كيف حولت الصحراء الى واحة مزدهرة وتقارن ذلك مع تخلف العرب وتأخرهم وعجزهم عن التنمية رغم مواردهم الكبيرة ، ويؤدى ذلك بالطبع الى تبنى الطلبة مشاعر متعاطفة مع اسرائيل . كما تمتلىء الكتب بالصور التى تبين كيف كانت الصحراء حينما وصلها اليهود وكيف جعلوها تزدهر وتنتج ويذكر أحد الكتب أنه عندما عاد اليهود الى فلسطين « وجدوا أن الأرض مازالت كما كانت عليه في أيام أجدادهم الأوائل » . وبينما توصف اسرائيل بالتقدم والمدنية وأنها دولة عصرية متقدمة وديمقراطية يوصف العرب بالتخلف والفقر والجهل والعدوان . فيؤكد أحد الكتب على الطابع

الديمقراطى لاسرائيل ويذكر آخر أن اليهود الأوربيين حملوا معهم المدنية الى فلسطين بعد أن عاش العرب فى ظل الاقطاع والفقر والجهل لمدة طويلة ، ويربط ثالث بين العداوة العربية لاسرائيل والدين الاسلامى ، وفى كثير من هذه الكتب تستخدم كلمتا العرب والمسلمون كمترادفين .

وفى هذا المجال أيضاً فان ما يرد فى الكتب المدرسية الأمريكية يجانب الحقيقة ، فالتاريخ يدحض خرافة تحويل الصحراء الى واحة مزدهرة ، فأجزاء كبيرة من فلسطين كانت منذ عهد بعيد خصبة ومنتجة كما تشير كافة الوثائق التاريخية وشهادات الرحالة الأجانب ، ولا تخبر الكتب المدرسية القارىء أن مشاريع الرى فى صحراء النقب قد تبين أنها غير اقتصادية منذ عام ١٩٥٥ الا أنها استمرت فى نطاق محدود لأسباب عسكرية .

وأخيراً فان هذه الكتب تتعمد عدم الاشارة الى ما يهز صورة اسرائيل مثل اضطهاد اليهود الشرقيين ودعوتهم من أجل المساواة أو وضع العرب داخل اسرائيل أو استيلاء اسرائيل على المناطق المنزوعة السلاح بينها وبين كل من سوريا ومصر .

استخلاصات ونتائج

من عرض ما تقدمه الكتب المدرسية الأمريكية عن القضية الفلسطينية والصراع العربى ــ الاسرائيلى يمكن الوصول الى الاستنتاجات التالية :

١ ــ أن جميع الدراسات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبالصراع العربى الاسرائيلى موالية لاسرائيل بشكل صريح وسافر ولا يمكن اعتبار أى منها موضوعياً أو يعرض وجهة النظر العربية بشكل علمى غير متحيز .

٢ ــ من حيث المساحة المخصصة لمعالجة اسرائيل والبلاد العربية فى هذه الكتب عادة ما يخصص لاسرائيل مساحة موازية أو أكبر مما يخصص للدول العربية كلها ، فأحد الكتب المدرسية للصف السادس يخصص صفحتين ونصف صفحة مرفقة بتسع صور حديثة لاسرائيل فى حين يخصص للسعودية ثلثى صفحة وللعراق ربع صفحة . كما تلعب الصور التى تتضمنها هذه الكتب دوراً هاماً فى تأكيد انطباعات ورؤى معينة وتوصلت احدى الدراسات نتيجة تحليل ١٨ كتاباً بهذا الصدد إلى أن هناك ٢٠٢ صورة عن العالم العربى يركز معظمها على المساكن الريفية والواحات والبدو وقوائل الجمال . أما الصور الخاصة باسرائيل فتركز على التقدم والحضارة الحديثة .

٣ ــ عادة ما تقترح الأسئلة التى ترد فى نهاية كل جزء أن يكتب الطلبة تقارير ترتكز على معلومات مستقاة من وسائل الاعلام ، ولما كانت هذه الوسائل متحيزة لاسرائيل ومعبرة عن وجهات نظرها فان هذه الأسئلة والتقارير التى يكتبها الطلبة تميل الى قبول وجهات النظر الاسرائيلية .

٤ ــ ان معظم مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية تمتلك مراجع ضافية عن اسرائيل أكثر مما لديها عن العرب ، علاوة على أن هذه الكتب وضعت بواسطة مؤلفين يتعاطفون مع اسرائيل . وعلى سبيل المثال ففى احدى المدارس الثانوية فى ولاية كاليفورنيا وجد الباحث خمسة كتب عن اسرائيل وحدها وكتابين فقط عن الشرق الأوسط بوجه عام . ويتيح هذا الوضع للمدرسين أن يتعلموا المزيد عن اسرائيل كما يشجع الطلبة على اختيار اسرائيل كموضوع لتقاريرهم وبحوثهم الدراسية .

٥ ــ تتغاضى معظم الكتب المدرسية عن الحق الشرعى للفلسطينيين وتستخدم بعض الكتب عن عمد كلمة عربى بدلا من فلسطينى لكى تعطى الانطباع بأن الصراع بين الاسرائيليين وكل العرب ، كما أنها لا تبرز قضية الفلسطينيين وحقهم فى تقرير مصيرهم .

٦ ــ بصفة عامة تكرس الكتب صورة سلبية عن العرب باعتبارهم قوماً متخلفين وأنهم سبب الصراع فى المنطقة ، بينما تذكر اسرائيل واليهود بكثير من الاعجاب والتمجيد وتشير الى ما قاساه اليهود على يد هتلر وأن اسرائيل قامت كنتيجة لقرار الأمم المتحدة وتتجاهل أن اسرائيل طردت الفلسطينيين من أراضيهم وأنها توسعت على حساب الدول العربية المجاورة وأنها لا تحترم قرارات الأمم المتحدة وأنه لا توجد دولة فى العالم أدينت عددا من المرات بواسطة أجهزة ومنظمات الأمم المتحدة المختلفة مثل اسرائيل ربما باستثناء جنوب أفريقيا .



٧ ــ أن تناول الكتب المدرسية للموضوع يميل الى اصدار الأحكام الأخلاقية والقاء اللوم ومن ثم فانه لا يساعد الطالب على فهم القضية الفلسطينية بشكل موضوعى وذلك من خلال وصف الأسباب الموضوعية لها والجذور التاريخية للصراع . وهكذا فان هذه الكتب تنقل للطلبة «وجهة نظر» حول القضية أكثر من عرضها للأصول والجذور التاريخية لها ثم تترك لكل طالب بعد ذلك الحرية فى اختيار وجهة النظر الخاصة به .

٨ ــ ان هذا المنهج غير العلمى فيما يتعلق بتناول القضية الفلسطينية لا يقتصر فى الحقيقة على هذه القضية فحسب وانما يمتد ليشمل كيفية تناول تاريخ المنطقة ، والاسلام ، والأوضاع المعاصرة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية ، ففى كل هذه الموضوعات توجد أخطاء علمية وعدم دقة فى البحث ، بالاضافة الى التحيز وعرض وجهة نظر واحدة بصددها . وجدير بالذكر أن جمعية دراسات الشرق الأوسط التى تضم أساتذة العلوم الاجتماعية المختلفة المهتمين بالمنطقة شكلت لجنة لدراسة الكتب المدرسية وفى تقريرها الذى شمل دراسة ٤٦ كتاباً وصلت الى أن ٢٪ منها غير مقبول على الاطلاق أما الكتب الباقية فتتراوح فى موضوعيتها ودقتها .

ويتضح مما سبق أن معالجة القضية الفلسطينية هى معالجة غير مرضية على الاطلاق سواء من حيث الشكل أو المضمون ، فهى تعطى مساحة أكبر فى التناول لاسرائيل كما تعرض أساساً وجهة النظر الاسرائيلية وبالتالى يتجه الطلبة الى تطوير أفكار وانطباعات ومواقف خاطئة حول القضية والتعاطف مع وجهة النظر الاسرائيلية .

ولعله ليس من قبيل التعميم غير المبرر القول بأن الكتب المدرسية فى أغلب الدول الغربية الأخرى تعكس نفس الاتجاهات السابقة وهو ما يدعو الى النظر فى هذا الوضع وكيفية اصلاحه بقصد تقديم صورة متوازية وموضوعية عن القضية الفلسطينية ، ويمكن للمعلمين ونقاباتهم وتنظيماتهم القيام بدور حيوى فى هذا المجال .

على الدين هلال

هامش :

(١) يعتمد هذا المقال على نتائج عدد من الأبحاث فى الموضوع منها :

ــ د . الياس زين : القضية الفلسطينية فى كتب التاريخ المدرسية الأمريكية ، شئون فلسطينية ، عدد ٢ (ايلول ــ سبتمبر ١٩٧٣) ص ١٨٨ ــ ١٩٤ .

ــ د . اياد القزاز : النزاع العربى الاسرائيلى فى كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية فى الولايات المتحدة ، شئون فلسطينية ، عدد ٤٨ (ايلول ــ سبتمبر ١٩٧٥) ص ١٨٥ ــ ١٩٣ .

الماء
قضية خطيرة يواجهها كل العرب

بقلم: بسام طالب

● أحمد زكي يماني يقول: الماء أثمن من النفط

● المسلم الشهيد الذي مات ليعطي أخاه جرعة ماء متبقية

● الصفة الأساسية المشتركة لاستخدام المياه العربية هي: الهدر

الماء هو قضية القضايا التي تشغل بال العالم ، وهي قضية خطيرة تقتضي جهوداً واعية ومكثفة وبخاصة وأن العالم كله مهدد بنقص المياه . فما الذي يجب علينا نحن العرب القيام به في مواجهة هذه القضية ومواجهة أطماع إسرائيل الدائمة في المياه العربية ، وما الذي يجب على دول مجلس التعاون على وجه الخصوص القيام به أمام هذه المشكلة الخطيرة والتي تحتاج إلى مزيد من الجهود المبذولة ؟

وكنت وفية كالماء
فكيف أخون ، ماء العين
كيف أهرب من دمي ، وأنت الدروب
وكل الدروب اليك تؤوب

• • •

لم يجد الشاعر أصدق من الماء تعبيراً عن الوفاء ، ولم يجد أثمن من ماء العين تعبيراً عن الاخلاص .

يقولون أنقى من الماء ، فالماء دليل النقاء ، وقد جعل الله سبحانه من الماء كل شئ حي ، يقول تعالى في سورة هود / ٦ / « وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء .... »

وكانت سقاية الماء في مكة مكرمة كبيرة ، ودرجة عالية رفيعة لا ينالها إلا كرام القوم ، وقد جاء في الاثر : اسق الماء ولو على الماء .

والماء أحد العناصر الاساسية للوجود ، بل يكاد يفوق كلاً من عنصري الأرض والأمن ، والحضارات القديمة قامت أساساً على ضفاف الأنهار ، « والماء أوفر جميع الموارد الطبيعية في العالم ويوجد منه على الأرض كمية يقدر حجمها بـ ١٤٥٠ مليون كيلومتر مكعب (الكيلومتر المكعب مليار متر مكعب) .

واحتياطي هذه الكمية ثابت ، وقد وجدت هذه الكمية على الأرض وستظل فيها ما دامت الأرض ، ومعظم هذا الماء موجود في البحر (٩٧,٢٪ منه) وتؤلف الجموديات حوالي ٢,١٥٪ منه ولا يبقى سوى ٠,٦٥٪ منه في الجو وعلى ظهر الأرض وهذه الكمية تبلغ بالحجم ٨,٥ مليون كيلومتر مكعب ، وهذا الحجم كاف لما يزيد كثيراً عن احتياجات الكرة الأرضية ، فلا خوف من نقصانه والعوز اليه .

والمشكلة في هذا السائل الحيوي هو أنه لا يوجد





الماء : أهم القضايا الخطيرة التى تشغل العالم الآن ، فهل نهتم ــ نحن العرب ــ بحاضر ومستقبل الماء ؟

أحمد زكي يماني : الماء أثمن من النفط

دوماً في مكان الحاجة اليه ولا في وقت الحاجة اليه .

ويعتبر السعي في تحصيل الماء أحد أشكال الجهد والسعي اليومي من أجل الحياة ، ولا تؤلف الحاجات البيئية من الماء سوى ١٠٪ من اجمالي الاستهلاك العالمي . أما الصناعة العالمية فتستهلك حوالي ٢٠٪ من مصروف الماء ، و٧٠٪ الباقية تستهلكها الزراعة .

ومن البديهي أن يكون الماء واحداً من أهم أسباب الفقر والبؤس والمجاعات في العالم ، واذا ما أخذنا بعين الاعتبار نسبة التلوث الكبيرة التي يخلفها الاستهلاك الصناعي ، فان العالم ينقسم حيال الماء إلى كتلتين كبيرتين : الأولى هي كتلة أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى الماء إما لاسباب اقليمية أو بسبب التخلف ، والكتلة الثانية هي كتلة أولئك الذين يوشكون بسبب التلوث الكبير أن لا يجدوا كمية الماء اللازمة للوفاء بحاجاتهم البيئية والصناعية والزراعية .

صراع تاريخي وصراع وجود

والصراع على الماء صراع تاريخي ، ان لم نقل صراع وجود ، فمن عالم النبات إلى عالم الانسان مروراً بعالم الحيوان والصراع على الماء قائم ومستمر .

فهذه النبتة تتطاول بجذورها إلى جاراتها ، حيث تكون الأرض أكثر رطوبة وأغزر ندى ، وهذان حيوانان يتصارعان على شربة ماء ، ومن القصص مالا يعد ولا يحصى عن الصراع على الماء وعن جرعة الإيثار في الماء، فهذا المقاتل المسلم يقضي شهيداً ليعطي أخاه كمية الماء المتبقية ، وكم قامت حروب من أجل الماء ، وكم تكرست خلافات بسبب اقتسام حصص الماء في الأنهار ، ولعل الكثيرون يذكرون جولات معالي الشيخ أحمد زكي يماني المكوكية في السبعينات إبان أزمة ماء الفرات بين سوريا والعراق ، وأذكر أنني سألت حينها معالي الشيخ يمانى سؤالاً كان مضمونه : أيهما وجدتم أصعب العمل في النفط أم العمل بالماء ، فأجابني بهدوئه المعهود الماء أثمن من النفط ، وقد فهمت من اجابته أن العمل في الماء أدهى وأمر .

كان من الطبيعي جداً أن تقوم الحضارات الانسانية في أوائل عهدها في وديان الانهار فحضارة بلاد الرافدين قامت في وادي دجلة والفرات وحضارة الفراعنة قامت في وادي النيل ، وفي وديان أنهار الهند والصين قامت حضارات عدة .

وتحتاج العمليات الحيوية في كافة الكائنات الحية نباتية وحيوانية على السواء إلى كميات كبيرة من الماء فلكي تنبت البذور لابد لها من وسط يحمل قدراً كافياً من الرطوبة ، وأول ما يبحث عنه الجذير الصغير في التربة هوالماء ، وبتقدم النبات في النمو تزيد احتياجاته للماء ، وفي الزراعة تختلف كمية الماء اللازمة لانتاج قدر معين من الغذاء تبعاً لنوعية هذا الغذاء ، فالغذاء النباتي يحتاج إلى مقدار أقل مما يحتاجه قدر مماثل من الغذاء الحيواني . فعلى سبيل المثال يلزم لانتاج كيلو جرام واحد من حبوب القمح ٦٠٠ لتر ماء ويلزم لانتاج نفس الكمية من الأرز ٢٠٠٠ ــ ٢٥٠٠ لتر ماء ، بينما يقدر ما يلزم لانتاج الكيلو جرام الواحد من اللحم بحوالي ٢٥,٠٠٠ لتر ماء والكيلوجرام الواحد من اللبن ١٠,٠٠٠ لتر ماء .

وكما تحتاج الزراعة الى الماء ، تحتاج الصناعة اليه أيضاً ، وتستخدمه بكميات كبيرة ، ويختلف المقدار اللازم من الماء هنا أيضاً تبعاً لنوع الصناعة ففي صناعة الالبان تلزم أربعة لترات ماء في انتاج الكيلوجرام الواحد ..

ونحتاج إلى نحو ١٥٠٠ لتر من الماء لصنع زوج من اطارات السيارات الثقيلة بينما نحتاج الى ١٠,٠٠٠ لتر من الماء لصنع سيارة دون اطارات .

ويتمتع الانسان بالأولوية على الزراعة والصناعة في ضرورات احتياجه للماء فهو يحتاجه للبقاء كماء للشرب ويحتاجه لاستعمالاته المنزلية .

واحتياجات الانسان آخذه في الزيادة في خط مواز لتقدمه الحضاري والتكنولوجي ، وبينما لا يتعدى ما يستهلكه الفرد في البيئات البدائية حوالي لترين ونصف لتر يومياً ، نجد أن استهلاك الفرد في البيئات المتقدمة يصل الى ١٦٠ لتراً يومياً .

ولقد أدى التقدم التكنولوجي الى زيادة كبيرة ومفرطة في استهلاك المجتمعات للمياه بدءا من الفرد ومروراً بالزراعة والصناعة .

كما أدت الزيادة المفرطة في عدد السكان الى مضاعفة استهلاك الانسان للماء العذب ، مما أدى إلى بروز أزمة حقيقية في الموارد المائية .

على صعيد آخر هناك توزع للمناخات على سطح الكرة الأرضية تابع لما يسمى بالتوازن المائي ، والتوازن المائي هو العلاقة بين ما يدخل منطقة ما من مياه في شكل تساقط وبين الفاقد من هذه المياه بفعل التبخر والنتح من النبات ، اضافة الى التغيرات التي تطرأ على المياه المختزنة (رطوبة التربة ، المياه الجوفية ، البحيرات ، المجاري المائية ....)

فالمناطق الجافة يتمثل بها نقص واضح في مجموع ما يدخل المنطقة من المياه على مدار السنة ككل . وحجم هذا النقص هو الذي يحدد درجة الجفاف لذا فهناك مناخات رطبة ومناخات شبه رطبة ومناخات شبه جافة ومناخات جافة وأخيراً مناخات متطرفة الجفاف .

الماء

قضية خطيرة يواجهها كل العرب

وتعتبر المياه أنفس الموارد الطبيعية في المناطق الجافة ، حيث تتحكم في وجود وتوزيع وكثافة كل من النبات والحيوان والانسان ، ولكي يمكن استغلال المناطق الجافة لإقامة مراكز عمرانية ينبغي توفير المياه بكميات يعتمد عليها ، وتكون ذات خصائص نوعية تسمح بقيام نشاط اقتصادي مختار ، وهناك في المناطق الجافة موردان مائيان رئيسيان : المياه الجوفية (السطحية ، والباطنية) والتي تعتبر مصدراً متناقصاً في بعض المناطق الجافة ، ثم هناك الانهار الدائمة التي تستمد مياهها ذات الكميات الكافية من مناطق مطيرة ، أو من جزر رطوبة مجاورة . أما المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف فليس لديها سوى المياه الجوفية السطحية والباطنية وقد فتح تقطير مياه البحر وازالة ملوحتها باباً كبيراً ليصبح المورد الرئيسي للمياه في المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف .

إن علم المياه لا يزال يعتبر علماً ناقصاً لأنه يعمل على استنباط نتائج صحيحة من معطيات ناقصة ، لكن هذا العلم علم خطير وله أبعاده الحياتية والسياسية .

لقد أقر مؤتمر التقنية المائية الدولي الذي عقد في نيروبي بكينيا في نيسان ابريل ١٩٨٤ بأن نحواً من ألفي مليون رجل وامرأة وطفل « أى حوالى نصف سكان العالم » لا يزالون محرومون من أي وسيلة تصلهم بامدادات المياه .

ولسنا مبالغين اذا قلنا بأننا نعيش عقد الماء بل عقد ندرة الماء على الأصح سيما وأن مصادر عليمة تقول بأن هناك ١١٦ مليون عربي محرومون من المياه فما هو الموقف المائي العربي ؟

الماء والصراع العربي الاسرائيلي

باستثناء مساحات صغيرة ، يعتبر وطننا العربي من أوضح الأمثلة على المناطق الجافة وشبه الجافة ، وتتوفر في الوطن العربي ثلاثة مصادر رئيسية للماء العذب وهي الأنهار والأمطار والماء الأرضي . إلا أن أهمية كل منها تختلف كثيراً من قطر لآخر ، ففي مصر يكاد نهر النيل أن يكون المصدر الوحيد للماء ، وفي العراق وسوريا نجد دجلة والفرات يوفران الجزء الأكبر من الاحتياجات المائية ، بينما توفر الأمطار الجزء الباقي ، وفي اليمن والجزائر والمغرب نجد الأمطار هي المورد الاساسي للمياه ، أما في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (السعودية ،الكويت ، الإمارات العربية المتحدة ، عمان ، البحرين ، قطر) فبجانب الأمطار يساهم الماء الأرضي بقدر . أما المورد الرئيسي فهو يأتي من تحلية مياه البحر .

إن السمة الغالبة للأسلوب الذي يتبع في استخدام الموارد المائية في الوطن العربي هو الهدر ، وعلى الرغم من أن الماء كما أشرنا ثروة قومية بالغة القيمة في عصر الندرة الذي أشرنا اليه فان هدراً حقيقياً يجري للمياه العربية نتيجة سوء الاستخدام وتخلف التقنية ، ومما زاد الطين بللاً هو دخول الماء كعنصر أساسي في الصراع العربي الاسرائيلي .

لقد أصاب كبد الحقيقة من قال بأن الماء يصنع الحقائق الكبرى في الشرق ، ويعتبر الماء نقطة الارتكاز الأساسية في الميثولوجيا أو الأساطير اليهودية ، بل في الايديولوجيا اليهودية كلها .

جاء في سفر التكوين ــ الاصحاح ١٥ :

« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر (النيل) إلى النهر الكبير (الفرات) »

وتقول الأدبيات الفلسفية اليهودية :

« ان أي استعادة للتاريخ لا تتم إلا من خلال الضغط اللامحدود على الجغرافيا »

وفي عام ١٩٥٦ أوضح ديفيد بن جوريون المعادلة بكل جلاء حين قال : اننا نخوض مع العرب معركة المياه ، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الكيان اليهودى فى فلسطين .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشكلة المائية في اسرائيل وانعكاسها على الصراع العربي الاسرائيلي :

« البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في دفع ملايين اليهود للهجرة إلى فلسطين ، لايتم إلا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وأن التوسع في استغلال الأرض لن يتم إلا بتأمين كميات كافية من المياه لإرووائها وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

« ومنذ عام ١٨٧٣ تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين إلى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة إلى الدعوة اليهودية القائلة : « بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب إذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين إلى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .



الدكتور محمد الرميحى
الماء أهم لنا من أى شيء آخر

وكان النائب اللبناني الراحل موريس الجميل قد أشار في محاضرة له عام ١٩٦٤ إلى رهان اسرائيلي على المياه اللبنانية فقال :

« انصرف اهتمام مؤسسي اسرائيل إلى الناحية المائية ، وحسبوا لها ألف حساب ولانهم أدركوا قبل الحكام العرب ، أن حياة الدولة التي يصممونها منوطة الى حد بعيد بالمياه ، وأن المياه بالنسبة اليها قضية حياة أو موت ، فكان من الطبيعي أن تتجه الأنظار إلى منطقة غنية بالمياه وتسد هذا العجز فكانت تلك المنطقة هي لبنان الجنوبي » .

إن الحلم الاسرائيلي في السيطرة على المياه العربية ، لم يكن مجرد حلم جاء من فراغ ، بل كان في الحقيقة منطلقاً استراتيجياً في اقامة دولة اسرائيل ومعبراً استراتيجياً في استمرارها .

فمنذ أوائل الخمسينات واسرائيل تخطط للسيطرة على الماء العربي . في البداية جاءت الرسالة مهذبة وذلك على لسان المبعوث الأمريكي إلى المنطقة الذي صرح عام ١٩٥٤ قائلا :

« لقد وضعنا برنامجاً شاملاً متكاملاً لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين » .

ثم بدأت التحركات الاسرائيلية . وخلال عشر سنوات ١٩٥٧ ــ ١٩٦٧ لم يكن بيد العرب أن يفعلوا أكثر من اتخاذ قرار بتحويل روافد نهر الاردن ، وذلك لمنع اسرائيل من تحويل النهر الى النقب ، ولم تكن لديهم القوة لتنفيذ هذا القرار ، اذ منعتهم اسرائيل على الأرض من تنفيذ قرارهم هذا الصادر عن القمة العربية الاولى عام ١٩٦٤ بل انهت هذا الأمر بصورة دراماتيكية حين شنت عام ١٩٦٧ الحرب على مصر وسوريا والأردن واحتلت الضفة الغربية والجولان وسيناء وأنهت الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب وتم نقل ما يزيد عن ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا وصولاً إلى النقب .

ولم يجانب بعض الباحثين الصواب حين

● المــــاء يصنـــــع الحقــــائــق الكـبرى في الشــرق
● نصف سـكان العـالم محـرومون من الوسـائل الصحيحـة لإمدادات الميـاه
● كـيف تقـوم دول مجـلس التعاون بدورهـا الفعّـال في حل مشـكلة الميـاه؟
● مطـلوب عقـد نــدوة عن الرؤيـة الحقيـقيـة لحـاضـر ومسـتقبل المـوارد المـائيـة في دول مجـلس التـعاون

أطلقوا على حروب اسرائيل ضد العرب اسم « حروب الماء » فأهمية الماء بالنسبة لاسرائيل كما أشرنا تنبع من الأهمية التي توليها للزراعة كضمان استراتيجي لبقائها وربط المهاجرين اليهود بها. وكان من الطبيعي بعد أن استنزفت اسرائيل كل المياه في فلسطين أن تتطلع لمصادر أخرى ، مياه جديدة ، وقد أخذ هذا التطلع شكل جر المياه من الدول العربية المجاورة بدون رضاها.

بدأت اسرائيل اذن بنهر الأردن وهي تتطلع إلى الليطاني ، يقول حاييم وايزمان في مذكرة لوزير الخارجية البريطاني عام ١٩٢٠ : « انني متأكد أن سيادتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين فلو تأمنت لها جميع مياه الأردن واليرموك فلن تفي بحاجاتها . ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه أن يؤمن المياه لري الجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة ».

وواقع الأمر جاء ليثبت ذلك : فقد غزت اسرائيل لبنان عام ١٩٧٨ بعملية اسمتها « الليطاني » ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان عام ١٩٨٢ واحتل الجنوب اللبناني ، وأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية ، وفي أواخر العام الماضي بدأت اسرائيل تطلق بالونات اختبار للتأكد من مدى مناسبة الجو العام لتنفيذ مخططاتها الفعلية في سرقة المياه اللبنانية فكتبت صحيفة هارتس الاسرائيلية تقول : إن الادارة العامة لمصلحة المياه في اسرائيل قررت أن تستخدم قريباً خط أنابيب النفط العائد لشركة التابلاين الذي يبدأ من حقول النفط في رأس تنوره في السعودية ويمر عبر الأراضي الأردنية والسورية مخترقاً هضبة الجولان السورية ثم عبر الأراضي اللبنانية حيث ينتهي في منطقة الزهراني لتحويل مياه نهر الحاصباني التي تمر مياهه فوق خط أنابيب التابلاين في لبنان إلى اسرائيل.

وذكرت هارتس أن مهندس شركة /طحال/ التي كلفت بانشاء جميع شبكات المياه في اسرائيل ، أعدت مشروعاً لاستخدام جزء من خط أنابيب نفط التابلاين لضخ المياه من مصادر نهر الحاصباني ، وتحويلها إلى اسرائيل . إن ما جرى قد جرى ، ولكن وراء الأكمة ما وراءها فالكيان الصهيوني متعطش للمياه وتشير المصادر العلمية بأن القسم الأعظم من مصادر المياه المتاحة للعدو الصهيوني قد تم استغلاله ، اذن لابد من التطلع مجدداً نحو الخارج ، إن هذا التطلع الصهيوني نحو المياه العربية هو تطلع ناشيء من التركيبة البنيوية لدولة اسرائيل.

فالكيان الصهيوني ، كيان قائم على التوسع ، وعليه حتى يعيش أن يشن حرباً كل فترة من الزمن على جيرانه ليقضم قسماً من أراضيهم تكون منفذاً لمشاريعه الاستيطانية وجلب المزيد من يهود العالم ، وهو مضطر لذلك وليس لديه خيار آخر ! اذن ما زال في الجعبة الاسرائيلية الكثير ما دام هناك ماء عربي غير خاضع بصورة أو بأخرى للهيمنة الصهيونية ، ومادامت هناك في المشرق العربي أمور مائية لم تسو بعد لصالح الكيان الصهيوني فيجب تسويتها ــ في العالم العربي خارج مصر ــ حتى تنتهي هذه المسألة وبعدها يبدأ حديث نهر النيل.

الميــاه العربيــة (اشارة خاصة لدول مجلس التعاون)

لانني أحب يا حبيبتي المطر
وأنتشي ، وانتشي كلما انهمر
لأن من عينيك تولد النجوم
ويختفي في رمشها القمر
أحب يا وردية الغيوم
أن يورق المساء في عيوننا
معاولا ، مطارقاً ، ندية الثمر

• • •

للماء في الحياة العربية بعد آخر ، والماء في التراث الفلسفي العربي أقرب الى الرومانسية منه إلى الفكر . الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن . والماء مناسبة للتبتل كما أنه مناسبة لإرواء الأرض العطشى ، والدين الاسلامي الحنيف يدعو لصلاة الاستسقاء حين ينحبس المطر.

الوجه الآخر للماء في الحياة العربية يعني الاستقرار ، والنماء وبالتالي الحضارة والتقدم . فالماء قضية محورية ويجب أن تأخذ الأولوية التي تستحقها خاصة في أقطار الندرة المائية من الأقطار العربية ونقصد منها على وجه الخصوص دول مجلس التعاون العربية وهي : المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت، دولة قطر ، دولة الامارات العربية المتحدة ، سلطنة عمان ، ودولة البحرين . يتميز حوض الخليج العربي بالمتناقضات من حيث مصادر المياه العذبة ففي سهول دجلة والفرات تتوفر المياه العذبة وتتحول إلى أهوار وبحيرات ومستنقعات . أما المنطقة الممتدة من رأس شبه جزيرة مسندم حتى سهول العراق شمالا فانها تعاني قلة من المياه العذبة.

وهناك أجزاء من الخليج العربي وسط بين الوفرة في دلتا دجلة والفرات والقلة في الساحل العربي من رأس مسندم حتى سهول العراق شمالاً.

وتشمل مصادر المياه العذبة في حوض الخليج العربي ما يلي :

١ ــ المياه الجارية (الانهار والأودية)
٢ ــ المياه الجوفية السطحية ، الحفرية
٣ ــ تحلية مياه البحر
٤ ــ تنقية مياه المجاري

وسنستعرض فيما يلي الوضع المائي في كل دولة على حدة من دول مجلس التعاون :

المملكة العربية السعودية

إن أمطار المملكة العربية السعودية بوجه عام قليلة وغير كثيفة ، وتهطل على فترات متقطعة وبمعدلات غير مستقرة من عام لآخر ، وقد تكون الأمطار الشتوية أكثر انتظاماً في توزيعها عن التي تهطل في فصل الربيع.

ويبلغ متوسط الأمطار نحو ٧٥ مم في الشمال الغربي ، ويزداد كلما اتجهنا جنوباً الى أن يبلغ في وسط البلاد نحو ١٠٠مم ، ويقل متوسطها كلما اتجهنا نحو الربع الخالي حيث تنعدم كلياً . ويزداد معدل الرطوبة النسبية كلما اتجهنا شرقاً صوب الخليج العربي ، وتزداد درجة الحرارة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . أما التبخر فيتراوح بين ثلاثة آلاف و خمسة آلاف مم . تغطي الصخور الرسوبية ثلثي مساحة المملكة أي ما يعادل ١,٥ مليون كيلومتر مربع ، ويبلغ معدل سمكها نحو ٥٥٠٠متر ، وتحوي بين طياتها طبقات حاملة للمياه ، هذه الصخور الرسوبية

الماء

قضية خطيرة يواجهها كل العرب

تحتوي على ٢٨ تكويناً ، عشرون منها تحمل مياهاً جوفية وتسع من هذه العشرين تختزن مياها جوفية صالحة للاستعمال ونتيجة للسحب الشديد ، وعدم حفر الآبار بطرق هندسية سليمة وصحيحة أدى ذلك إلى انخفاض منسوب مياه بعض الطبقات وتسرب المياه منها ، بالاضافة إلى أن تغذية هذه الخزانات الجوفية أقل بكثير مما يتم استخراجه منها .

وازاء هـــذه الظروف الطبيعيـــة والبيئية والجيولوجية للمياه الجوفية في المملكة ومواكبة للمد العمراني والنماء المضطرد في عدد السكان والتوسع في حقلي الصناعة والزراعة تلبية للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، كان لابد من التوجه إلى إقامة محطات لتحلية مياه البحر .

بلغ عدد مصانع تحلية المياه المالحة في المملكة حتى نهاية عام ١٩٨٣ ثلاثة عشر مصنعاً أو مجمعاً وهي الخبر (١) والجبيل (١ ، ٢) والخفجي (١) ومجمع جدة ومجمع المدينة ينبع ومصانع حقل ، والوجه وأملج ورابغ فرسان والبرك .

وقد بلغ انتاج الماء فيها جميعاً عام ١٩٨٣ نحو ٢١٠ مليون متر مكعب .

وتخطط المملكة لتزداد عدد مصانع التحلية في المستقبل وتزداد طاقتها الانتاجية لتصبح عام (١٩٩٠) ٤٦٧,٥ مليون متر مكعب أما عام (٢٠٠٠) فيقدر انتاج مصانع التحلية بنحو (٨٣١) مليون متر مكعب سنوياً .

لقد أنفقت المملكة ٤٠٠ مليون دولار في عقد السبعينات على مشاريعها المائية كما خصصت للنصف الأول من عقد الثمانينات ما يقارب ١,٥ مليار دولار لمنشآت تحلية المياه وحدها .

وقد أوضح جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عند افتتاحه لمشروع تبريد المصانع بمياه البحر في مايو ١٩٨٤ أن امكانية المملكة من انتاج تحلية المياه بلغت ٥٠٠ مليون جالون ، وأنها لأول مرة في تاريخ الأمم تنتج كمية مثل هذه لشرب المواطنين والزراعة ، وفي الخطة الثالثة صممت محطات التحلية لد المدن التي ينوف عدد سكانها عن ٥٠٠٠ نسمة بنحو ١٦٤٠ ألف متر مكعب يومياً من مياه الشرب ، وتشرف على ٩٠ بالمائة منها المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة .

الـــكويت

كانت مياه الأمطار والمياه الجوفية السطحية وما ينقل من شط العرب في سفن شراعية (البوم) هي المصادر الأساسية للمياه العذبة في الكويت ، إلى أن قامت شركة الزيت في الأحمدي عام ١٩٥٠ بانشاء محطة لتقطير مياه البحر طاقتها ٦٠٠ ألف جالون يومياً وفي عام ١٩٥٣ أنشأت الدولة محطة لتحلية مياه البحر في الشويخ طاقتها مليون جالون يومياً .

أما الآن فتضم : (١) محطة الشويخ سبع وحدات تقطير مجموع طاقاتها الانتاجية الاسمية (١٤) مليون جالون (٢) محطة الشعيبة الشمالية : بدأ العمل عام ١٩٦٦ بثلاث وحدات تقطير ، الطاقة الانتاجية لكل منها مليون جالون يومياً ، وتضم الآن سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية (١٤) مليون جالون يومياً . (٣) محطة الشعيبة الجنوبية : وتم تشغيل أولى وحداتها في نهاية عام ١٩٧١ بطاقة انتاجية خمسة ملايين جالون يومياً ، وهي الآن تضم ست وحدات تقطير كبيرة مجموع طاقتها الانتاجية (٣٠) مليون جالون يومياً . (٤) محطات الدوحة الشرقية : وتتكون من سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية (٤٢) مليون جالون يومياً .

واهتمت الدولة بالمسح الجيولوجي بحثاً عن موارد المياه الجوفية ، وقد اكتشف أول بئر في حقل الروضتين عام ١٩٦٠ ويبعد هذا الحقل ٨٨ كم شمال مدينة الكويت وتبلغ مساحته ٥٠ كم . أما حقل العيش فقد تم اكتشافه عام ١٩٦٣ ويبدأ انتاجه الفعلي عام ١٩٦٥ وقد حفر به ٦١ بئراً منها ٢٦ بئراً منتجة .

هذا وقد اكتشفت حقول المياه القليلة الملوحة التي تصلح للزراعة والأغراض المنزلية ولكنها لا تصلح للشرب عام ١٩٥١ وقد عثر على هذه المياه في منطقة الصليبية وحقل القشعانية وحقل الشقايا .

ومن استعراض جدول استهلاك المياه العذبة خلال الفترة من ١٩٥٧ ـ ١٩٨٣ نلاحظ أن معدل استهلاك الفرد الواحد من الماء العذب ارتفع من (٤,٥٦٢) جالون في السنة عام ١٩٥٧ حتى بلغ (١٨,٥٥١) جالوناً عام ١٩٨٢ ، أي أنه ارتفع خلال عقدين إلى ما ينوف عن ثلاثة أضعاف ، وذلك بالرغم من ارتفاع عدد سكان الكويت إلى حوالي خمسة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٢ .

أي أن معدل استهلاك الفرد من الماء في الكويت يزيد عن (٩٠) جالوناً في اليوم ثلثها تقريباً من الماء العذب والثلث الباقي من المياه القليلة الملوحة .

دولة الامـارات العربية المتحدة

تختلف دولة الامارات العربية المتحدة من حيث مصادر المياه العذبة فيها عن دول الخليج العربي ، اذ يخترق أرضها كثير من الأودية التي تنبع من مرتفعات عمان وهي أبرز ظاهرة تضاريسية في دولة الامارات ، وقد بلغ عدد الآبار وحقول المياه حتى نهاية عام (١٩٨٣) ٣٣ حقلاً و ٤٩٩ بئراً انتجت حوالي ١٢ مليارا أو ٦٨٧ مليون جالون من المياه . كما تقدر عدد الافلاج والينابيع في دولة الامارات بحوالي ١٥٠ فلجاً يعمل منها حاليا ٤٧ فلجاً بشكل دائم ، وتعتبر أفلاج العين والراوودي من أهم أطول الأفلاج الموجودة في الدولة وأكثرها عمقاً .

تتمون دولة الامارات العربية المتحدة من مصدرين أساسين لمياه الشرب وهما المياه الجوفية التي تكون غالباً عذبة صالحة للشرب وتستغل مباشرة ، أو تكون مالحة نسبياً ، ويتم معالجتها كيميائياً . أما المصدر الآخر فهو مياه البحر ، والأمطار قليلة ومتوسط سقوطها لا يتعدى ٨٠ مم سنوياً وتسقط بين شهري نوفمبر وأبريل ، وأن كان أكثر من نصفها يسقط خلال شهري ديسمبر ويناير .

هذا وقد ارتفعت الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في دولة الامارات العربية المتحدة لتبلغ معدلات عالية جداً ، وذلك لتغطية النمو السكاني الكبير وما رافقه من نهضة عمرانية وزراعية وصناعية .

ومع تزايد الطلب على المياه العذبة لمختلف أغراض التنمية فان المخزون المائي الجوفي يعاني من تراجعات خطيرة وذلك نتيجة :

ـ استمرار انخفاض منسوب المياه الجوفية نتيجة الضخ الجائر وعدم شمولية القوانين التي تنظم حفر الآبار وطرق عملها .

ـ ارتفاع نسبة الاملاح في المياه الجوفية نتيجة لتداخل مياه البحر خصوصاً الآبار القريبة من الخليج .

ـ كذلك يلاحظ إرتفاع نسبة الفاقد الظاهري (الفرق بين الكميات المنتجةوالكميات المستهلكة) والذي يتمثل في المجالات التالية :

ـ كميات مستهلكة غير مقاسة لعديد من الاسباب .

ـ كميات مفقودة نتيجة لتسرب المياه لتلف في شبكات التوزيع أو إهمال في الصيانة أو لا مبالاة هدرية .

دولة البحرين

ان معدل سقوط الامطار في البحرين منخفض كما هو الحال في بقية منطقة الخليج العربي ويصل متوسط الامطار سنوياً الى حوالي ٧٥ مم . ويلاحظ انتظام سقوط الامطار في ديسمبر ويناير وفبراير .

وموارد المياه في البحرين تكاد تكون مقصورة بالكامل على المياه الجوفية من مختلف النوعيات والتي تحتل ثلاث طبقات صخرية مائية ، وترتبط هذه المياه بشبكة جوفية كبيرة تأتي أصلا من مناطق في أراضي المملكة العربية السعودية . وعندما كان متوسط سقوط الامطار عالياً حافظ معدل تراكم المياه في منطقة تخزين المياه على مستوى أكبر للاحتفاظ بالمياه الجوفية عما هو عليه الحال في العصور الحديثة ، ونتيجة لذلك فقد استمر استنزاف مخزون المياه الجوفية لعدة سنوات نظراً لأن إجمالي

التصريف الطبيعي من الطبقات الصحراوية يتجاوز معدل تراكم المياه المتوفر حالياً وفقاً للظروف المناخية . كما يرتفع معدل استنزاف المياه الجوفية المخزونة نتيجة للاستخراج المستمر لمياه الآبار .

تنشأ موارد البحرين المائية المستمدة أساساً من المياه الجوفية من التخزين في الطبقات الصخرية الحاملة للماء ، وقد أثبتت الدراسات أن كمية المياه الجوفية المستخرجة طبيعياً وصناعياً تتجاوز كميات المياه المتراكمة المتاحة ، وأن معدل التراكم غير كاف للسماح بأي تطوير للمياه الجوفية بل والاكثر من هذا فان كميات المياه المتاحة للتطوير سوف تعتمد على معدل الاستنفاذ المستمر للمخزون وهذا يعتمد على معدل احلال المياه المالحة محل المياه العذبة المستنفذة .

وتختلف نوعية المياه الجوفية في البحرين اختلافاً كبيراً وتصبح هذه المياه أكثر ملوحة في الاتجاه الجنوبي الشرقي .

وتتركز العيون في البحرين في الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية وقد كان مجموع تصريف المياه في البحرين سواء من العيون أو الآبار ١٨٢ مليون متر مكعب عام ١٩٧٦ ولكنه انخفض الى ١٤٨ مليون متر مكعب عام ١٩٧٩ .

ولقد أدى الارتفاع المستمر في مستوى معيشة سكان البحرين والتوسع في العمران والنشاط الصناعي إلى زيادة الطلب على المياه العذبة ، كما أن التدهور المستمر في موارد المياه الجوفية في جزيرة سترة ، دفع دولة البحرين إلى انشاء محطة لتحلية المياه في جزيرة سترة ، وقد كان انتاجها ٥ مليون متر مكعب يومياً .

وفي العام الحالي عند استكمال وحدات التقطير سيرتفع انتاجها الى ٢٥ مليون متر مكعب ، وهذا إلى جانب المشروع القائم حالياً في سترة والذي يخلط المياه الجوفية بمياه البحر المقطرة .

دولة قطـــــر

خلال الفترة الممتدة بين اقامة أول محطة لتقطير مياه البحر عام ١٩٥٤ واستكمال جميع مرافق وتجهيزات محطة رأس أبو فنطاس تم انجاز العديد من مشاريع التحلية في قطر ، أبرزها اقامة المحطة المركزية في رأس أبو عبود عام ١٩٦٣ بطاقة انتاجية قدرها ١,٥ مليون جالون يومياً . أما محطة رأس أبو فنطاس فقد افتتحت عام ١٩٧٧ وشهدت أيضاً تطويرات مستمرة إلى أن بلغت طاقتها الانتاجية عام ١٩٨٣ (٣٢) مليون جالون مما يرفع الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في قطر إلى ٤٠ مليون جالون يومياً .. وقد عززت هذه الكمية عام ١٩٨٣ بما يزيد على ١١٧٢ مليون جالون من المياه المستخرجة من الآبار الجوفية في مختلف أنحاء قطر ويبلغ معدل سقوط الأمطار في شبه جزيرة قطر ٨٠ مليمترا ويتجمع بعضها في روضات يبلغ عددها (٨٥٠) منخفضا مستديرة الشكل .

أما المنخفضات في شمال قطر فتمتلئ بالرواسب الطينية الى عمق ١١$\frac{1}{2}$ متر في الجنوب وهذه المنخفضات تأخذ أشكال فوهات البراكين وتلعب دوراً في تغذية المخزون من المياه الجوفية وبذلك تعوض جزءاً من الاستهلاك الاستنزافي لهذه المياه .

ــ المياه الجوفية الحفرية :

وهناك حوضان جوفيان في دولة قطر :

ــ الحوض الجوفي الشمالي ويشمل حوالي ٢٠٪ من المساحة الكلية ويقدر المخزون الجوفي في هذا الحوض بحوالى ٢٥٠٠ مليون متر مكعب .

ــ الحوض الجوفي الجنوبي ويمثل هذا الحوض أكثر من نصف مساحة شبه جزيرة قطر ويحتوي على مياه نسبة الملوحة فيها عالية .

ــ تحلية مياه البحر والتي تبلغ طاقتها الانتاجية القصوى ٤٨ مليون جالون يومياً .

ــ مياه المجاري المعالجة :يبلغ التصريف اليومي لمحطة المجاري في منطقة النعيجة حوالي ٢٠,٠٠٠ متر مكعب يومياً أي ٤,٤٠ مليون جالون يومياً تستخدم في ري أشجار الظل وحدائق الدوحة .

وقد أدخل عليها تطوير جديد مؤخراً ضاعف من قدرتها على التصريف اليومي .

سلطنة عمان

تعتمد سلطنة عمان على المياه الجارية في أوديتها التي تنبع من مرتفعات عمان وكذلك الامطار التي تسقط على الجبل الاخضر معظم شهور العام ، ويضاف إلى ذلك المياه الجوفية السطحية والمياه الجوفية الحفرية .

وهناك العديد من الأودية التي تصب في خليج عمان وتقع في نطاق السلطنة وهذه الأودية تجري في سهل الباطنة وعن طريق المياه الجوفية السطحية التي تتسرب في بطون هذه الأودية من الامطار . ويعتمد النشاط الزراعي للسكان على طول سهل الباطنة من شيناس شمالاً حتى مسقط جنوباً ، حيث تقترب مرتفعات عمان من مياه خليج عمان معلنة انتهاء سهل الباطنة في الجنوب ، وهنا يقوم الانتاج الزراعي على مياه الآبار . وأهم هذه الاودية :

وادي جزي وتشارك فيه دولة الامارات (مدينة العين) ، وادي الحواسنة ، وادي الفرعة ، وادي سمايل ، وادي الفلج .

ويعتمد سهل الباطنة سواء المدن أو القرى أو الانتاج الزراعي على الآبار بينما يعتمد داخل عمان على الافلاج .

ويقدر انتاج المياه الجوفية في سلطنة عمان أوائل الثمانينات بـ ٤٣٠ مليون متر مكعب سنوياً .

ولمواجهة الضغط السكاني ومواكبته لخطط التنمية كان لابد من التوجه للبحر فأقيمت أول محطة لتحلية المياه في مسقط بطاقة انتاجية قدرها ٤ مليون جالون يومياً .

الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائيـــة

وتجدر هنا الاشارة إلى الندوة التي عقدت في جامعة الكويت بدعوة من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في مارس ١٩٨١ . تحت عنوان : الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية .

خاتمة

يقول الدكتور محمد الرميحي :

« استراتيجياً ــ أكاد أقول ــ إن الماء أهم لنا من أي شئ آخر ، ومع ذلك فما زال في أدنى قائمة أولوياتنا القومية ... ولا نذكره في خططنا الاقتصادية الا لماماً . »

الماء إذن قضية محورية ، بل قضية القضايا ، والعالم مهدد بنقص المياه ، فما بالنا نحن العرب على وجه العموم ، وما بال دول مجلس التعاون على وجه الخصوص ؟

دون أي شك هناك جهود ضخمة تبذلها دول مجلس التعاون بهدف توفير ما يكفي من المياه الصالحة للشرب والاستخدامات الأخرى كري المزروعات وغير ذلك .

أخيراً فاننا نرى أن تقوم اللجنة صاحبة العلاقة في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالتعاون مع الجهات المختصة بالتحضير لندوة علمية متخصصة تحت عنوان : حاضر ومستقبل الموارد المائية في دول مجلس التعاون ــ رؤية استراتيجية . وذلك كمتابعة للاهتمام الذي توليه دول المجلس على هذا الصعيد .

بسام طالب

المراجع :

(١) مشاكل الماء الدولية : المهندس وجيه السمان الخفجي اكتوبر ١٩٨٤

(٢) كتاب التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي الدكتور محمد السيد عبدالسلام ــ عالم المعرفة .

(٣) كتاب بيئة الصحاري الدافئة : ا . س . جودي و . ج . ولكنسون ترجمة الدكتور علي البنا .

(٤) الأراضي الجافة : كنيث والتون ، ترجمة الدكتور على عبدالوهاب شاهين

(٥) العربي : العدد ٣١٨ ــ مايو ١٩٨٥ . المياه العربية وصراع الوجود . استطلاع سليمان الشيخ .

(٦) الدكتور محمد الرميحي . المياه العربية وحديث عن الخطر المستتر ــ مجلة العربي .

(٧) كتاب جغرافية الخليج . د . محمود متولي . د . محمود أبو العلا ــ مكتبة الفلاح .

(٨) الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية ــ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

غابة للنمور وغابة للأدباء

كان النمر قاعداً مع ابنه الصغير تحت أغصان شجرة الغابة الفسيحة الأرجاء فدنا منه الحمار، وقال متسائلاً بخوف: «أتأذن لي بالتكلم معك؟» فقال النمر وهو يتثاءب: «تكلم، فالقوانين تكفل لكل مواطن حرية الكلام». قال الحمار: «أنا تجولت في الغابة، ولم أترك مكاناً فيها لم أزره، وقابلت كل من يعيش فيها ...».

فقاطعه النمر قائلاً بنزق: «أتريد أن تخبرني أنك حمار سائح؟». قال الحمار وقد تعاظم خوفه: «كل ما أبغيه هو أن أنقل اليك رأيي فيك». قال النمر بسخرية: «هيا تكرم باسماعي رأيك فيّ، وسأصاب بالزكام حتماً اذا لم أسمعه».

قال الحمار: «ما سأقوله لك ليس نفاقاً ولا مجاملة ولا رياء بل هو الحقيقة وحدها، ولا أبغي من قولها لا مكسباً ولا مغنماً».

قال النمر بسأم: «قل ما تريد بايجاز ولا تتحدث كالأدباء العرب حين يستخدمون مليون كلمة ليقولوا فقط إن السماء زرقاء».

قال الحمار: «ما أبغي قوله هو أنك الأقوى والأنبل والأشجع، ولا أحد في الغابة يضارعك أو يستحق أن يقارن حتى بذيلك، ولذا فأنا معجب بك اعجاباً أعجز عن وصفه».

ما ان سمع النمر ما قاله الحمار حتى غضب غضباً شديداً، ووثب عليه وثبة ضارية طرحته أرضا وأهلكته.

تعجب ابن النمر، وقال لأبيه: «لم يقل الحمار سوى الكلام الحسن، ولم يفعل ما يستحق أن ينتهي من أجله مثل هذه النهاية السيئة».

فقال النمر حانقاً مؤنباً: «لو لم تكن صغير السن، صغير العقل، لأدركت أن اعجاب حمار بنمر هو العار الذي لا يمحوه سوى الدم».

وصمت النمر لحظات مفكراً، ثم قال لابنه بوقار: «فلتعلم يا بني أن النمر الجدير بالاعجاب حقاً هو ذاك الذي تعجب به النمور مثله لا الحمير».

فقال الابن متسائلاً بدهشة: «ولماذا لا يفعل الأدباء مثلما فعلت بالحمار حين يمتدحهم نقاد تافهون جهلة».

فضحك النمر وأجاب قائلاً: «لأن غابة النمور تختلف عن غابات الأدباء، ففي غابات الأدباء يحظى بالترحيب والتقدير كل مديح حتى ولو جاء من جرو، أما النقد النزيه المخلص فيعامل صاحبه بوصفه عدواً ينبغي له أن يصرع ويدفن في أسرع وقت».

رجل نسي أنه كان طفلاً

كان أحد الأطفال شديد الشبه بعصفور دوري صغير مرح طائش، وقد نظر يوماً إلى السماء فرأى غيمة تعبر الفضاء الأزرق كأنها طير ضخم له العديد من الأجنحة، فحدق اليها باعجاب، ثم قال لها بصوت متوسل: «احك لي حكاية، فأنت دائمة الرحيل من بلد إلى بلد، ولابد من أنك تعرفين الكثير من الحكايات».

فقالت الغيمة للطفل بلهجة موبخة: «ما هذا الطلب الذي لا يطلبه سوى أبله؟ عمل الغيمة هو أن تمطر لا أن تسلي الصغار وتروي لهم الحكايات. اذا لم أمطر جعت، فأي هو الأفضل لك: أن تشبع خبزاً وفاكهة وخضراوات أو أن تسمع حكاية؟».

فحزن الطفل لأن الغيمة رفضت تلبية رجائه، ثم تعاقبت السنون، وكبر الطفل، وأصبح رجلاً، وصار مشهوراً بثرائه.

وفي يوم من الأيام، نظر الرجل مصادفة إلى السماء، فأبصر غيمة. قالت الغيمة للرجل الذي كان طفلاً: «أنا أعرف أروع حكاية في العالم، فهل ترغب في سماعها؟».

فتجهم وجه الرجل الذي كان فيما مضى من السنين طفلاً، وقال للغيمة بغضب: «وظيفتك فقط هي أن تمطري وتروي بمائك ما أملك من الأراضي حتى تزداد ثروتي حين يقبل موسم الحصاد».

فاغتاظت الغيمة، وصممت على ألا تمطر، ولكنها عندما امتلأت بالماء وجدت نفسها مرغمة على أن تمطر، فأمطرت مطراً غزيراً، وكانت سبباً في ازدياد ثروات الذين لايحبون الانصات لحكايات الغيوم، ونسوا أنهم كانوا يوماً أطفالاً.



ليس لها إلا مهنة واحدة

جاءت عقارب صغيرة إلى جدها العجوز ، وقلن له : « لدينا مشكلة عويصة ، ونحتاج إلى نصحك » .

قال الجد : « وما هي تلك المشكلة ؟ » .

قالت العقارب الصغيرة : « في كل يوم نسمع الأطفال يحكون عن المهن التي يحلمون بأن يعملوا فيها حين يصحبون كبارا ، ومشكلتنا هي أننا لاندري أية مهنة نختار حين نكبر » .

فقال الجد : « لامبرر لأية حيرة ، فالعقارب كافة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ليست لها سوى مهنة واحدة فقط ، وهي أن تلسع وتميت بسمومها » .

وفيما بعد ، لما كبرت العقارب الصغيرة ، عمل بعضها في المجال الفكري والأدبي ، وعمل بعضها الآخر في المجال الاعلامي ، فبرهنت أفعالها على صدق كلام الجد العجوز ، وكانت ضحاياها شعوباً لا أفراداً .

لماذا تخلّت الضفادع عن صمتها ؟

في قديم الزمان ، كانت الضفادع محبة للصمت ، ولكنها تنبهت يوماً إلى أن الناس يزدرونها ، ويمنحون حبهم للطيور المغردة ، فنقمت على الناس ، وحسدت الطيور . ولما كانت الضفادع تحب الاجتماعات ولا تتخذ قراراً إلا بعد جدال ومشاورات مطولة ، فقد عقدت اجتماعاً جماهيرياً مكرساً لبحث موقف الناس منها ومن الطيور المغردة .

وفي الاجتماع تكلمت ضفادع كثيرة ، بعضها اتهم الناس بالجهل وفساد الذوق ، وبعضها الآخر اتهم الناس بالتمييز العنصري ، ولكن ضفدعاً اشتهر بحكمته قال للضفادع : « الناس ينصتون لأصوات الطيور المغردة ويعجبون بأصواتها لأن أصواتها جميلة حقاً وتستحق الاعجاب ، ولكنهم لو استمعوا إلى أصوات أجمل لنبذوا الطيور واهتموا فقط بصيدها من أجل أكل لحومها » .

قالت الضفادع بحيرة : « وما الحل ؟ » .

قال الضفدع الحكيم : « الحل موجود لدينا ، فأصواتنا جميلة وأروع من أصوات الطيور المغردة ، ولكننا لا نستخدمها ولانستغلها الاستغلال الناجح ، ولو فعلنا لنلنا اعجاب الناس وحبهم وتصفيقهم » .

واتخذت الضفادع قراراً بالاجماع يقضي بالتخلي عن الصمت ، ونفذت قرارها ، ولجأت إلى النقيق ليلاً ونهاراً ، فلم يتبدل موقف الناس ، وظلوا يزدرون الضفادع ، ويحبون الطيور المغردة ، فازداد حقد الضفادع على الطيور ، ولكنها لم تتنبه إلى أن تغريد الطيور كان السبب في حرمانها من حريتها ، وأدى إلى سجن الكثير من الطيور المغردة في أقفاص ، ولا ذنب لها سوى أن أصواتها جميلة .

ماجرى لجحا مع زوجته وحماره

عاد جحا إلى بيته ، فوجد زوجته عابسة الوجه ، فسألها : « ما بك ؟ » .

قالت : « لا تسألني بل اسأل حمارك الذي تركته مربوطاً بباب البيت » .

قال جحا : « ماذا فعل ؟ هل رفسك أو عضك ؟ » .

قالت : «مررت بجانبه ، فغازلني وقال لي إني أجمل من قمر » .

وكانت زوجة جحا قبيحة الوجه ، سيئة الطباع ، فقال لها جحا مستغرباً : « أمتأكدة أنه قال لك إنك أجمل من قمر ؟ » .

قالت زوجة جحا : « وقال لي أيضاً إن الربيع يأتي في السنة مرة واحدة ، أما أنا فربيع دائم » .

فبادر جحا إلى اختيار أغلظ عصا من عصيه ، وخرج من البيت ، وانهال ضرباً بالعصا على الحمار ، فتجمع الناس حولهما ، وقال رجل لجحا : « ارحم حمارك يا جحا » .

فقال جحا وهو مستمر في ضرب حماره : « الحمار حماري ، ولا يحق لأحد التدخل في شؤوني » .

قال الرجل : « وماذا فعل حتى تضربه مثل هذا الضرب القاسي ؟ » .

قال جحا : « لقد غازل زوجتي وقال لها ألفاظاً نابية » .

فقال الرجل لجحا : « كن عاقلاً يا جحا . الحمار لا يتكلم » .

قال جحا : « أنا أعرف أنه لايتكلم ، ولكنه يبدو أنه قد تكلم فعلاً ، وما قاله لزوجتي لا يقوله سوى حمار » .

قال الرجل : « اذا كنت غاضباً على حمارك فلا تضربه ، فقد يموت وتخسر ما دفعته ثمناً له بينما اذا بعته تخلصت منه واسترجعت أموالك » .

ففكر جحا في كلام الرجل فرأى أنه صائب ، فاقتاد حماره إلى السوق ، وراح يصيح : « من يشتري هذا الحصان الأصيل صاحب الحسب والنسب ؟ » .

فتحلق حوله عدد كبير من الناس ، وقالوا له هازئين : « هذا حمار وليس حصاناً » .

قال جحا بثقة : « انه حصان . انظروا اليه . انه يمشي على أربع والحصان يمشي على أربع . له ذيل وللحصان ذيل . له أذناه وللحصان أذنان » .

عندئذ نهق الحمار ، فصاح الناس بجحا : « وهذا الصوت المنكر ؟ أليس صوت حمار ؟ » .

فقال جحا : « اذا كانت المشكلة فقط هي مشكلة الصوت المنكر فلا يحق لكم الاعتراض لأنكم تستمعون كل يوم إلى أصوات أبشع ولا تستنكرون بل تصفقون إعجاباً وتقديراً » .

ويقال إن جحا قد نجح في بيع حماره بوصفه حصاناً ، ويقال إن المشتري لم يكن بالمغبون اذ فاز الحمار في أكثر من سباق للجياد الأصيلة .

ولما علم جحا بما جرى لم يستغرب أو يندم ، فهو يعيش في عصر يسبق فيه الحمار أسرع حصان ، والسبب يرجع إلى أن الدعاية قد تقدمت وتطورت أساليبها ، وباتت تقنع الحصان بأنه حمار ، وتقنع الحمار بأنه حصان .



الجنرال متتياهو بيليد :

نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب !!


الجنرال متتياهو بيليد

بقلم : عصام شريح

يمثل الجنرال متتياهو بيليد ، نموذجاً فريداً بين السياسيين فى الكيان الصهيوني ، ربما ليس له شبيه ، باستثناء السياسي والصحفى « أوري أفنيري » ، الذى يشترك معه فى أفكار شبه موحدة ، حول مستقبل الكيان الصهيونى « غير السار » ، وضرورة الانعطاف بسياسات هذا الكيان من الحرب والعدوان والتوسع والاستيطان ، الى « السلام » مع العرب !!

لكن من المهم أن نلاحظ قبل كل شيء ، أن بروز تيارات مستحدثة أو جديدة ، أو مختلفة ، فى أى نظام عقيدي أو شمولى ـ والنظام الصهيوني فى طليعة هذه الأنظمة ـ إنما هو نتيجة منطقية للمآزق الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التى يواجهها هذا النظام فى مرحلة معينة من مراحل وجوده ، أو نموه ، ومن هذه الزاوية فقط ، يمكن فهم التيار (المحدود جداً) الذى يمثله الجنرال بيليد وزميله أفنيري ، وان كان لكل منهما أسبابه وفهمه المختلف أحياناً عن الآخر فى تفسير الوقائع والأحداث والتاريخ ... ومن هنا أيضاً ، ولأن التيار الذى يمثله الجنرال بيليد ، ليس حدثاً فردياً ، أو طفرة شخصية ، فإن من المهم جداً ، أن نقرأ ونتابع ونتعمق فيما وراء السطور ، فى أفكار هذا الجنرال والسياسي .

التمييز بين فترتين

فى عرضه لأفكاره حول الصراع العربي ـ الصهيوني ، يميز الجنرال بيليد بين فترتين مرت بهما السياسة الاسرائيلية : الأولى تمتد ما بين عام ١٩٤٨ (قيام الكيان الصهيوني) وعام ١٩٦٧ ، حتى حرب حزيران (يونيو) ، حيث تميزت هذه الفترة بالتظاهر بالسلام مع العرب ، فى حين كان العرب يعلنون رسمياً وبشكل متواصل ، رفضهم المطلق لوجود « اسرائيل » واغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية ، وكان « ملهم » هذا الموقف أول رئيس للحكومة فى الكيان الصهيوني « دافيد بن جوريون » ، وفى رأي الجنرال بيليد فإن هذا الموقف لم يوضع على المحك أبداً ، ولو أن العرب غيروا موقفهم القائم على الرفض المطلق لوجود « اسرائيل » ، لكانوا تمكنوا من فضح سياسة بن جوريون هذه .

وبين الرفض العربى المطلق ، والتظاهر الاسرائيلي بالسلام ، تمكن الصهاينة بقيادة بن جوريون ، من « التمتع بعطف الغرب ورضاه » ، وتحقيق برنامج طموح خلال العشرين سنة الأولى من اغتصاب فلسطين ، ويعدد الجنرال بيليد خمسة انجازات رئيسية حققتها القيادة الصهيونية خلال هذه الفترة ، وهي :

١ ـ استيعاب هجرة يهودية كثيفة من جميع أنحاء العالم ، وخاصة يهود البلاد العربية .

٢ ـ تحقيق تنمية صناعية ذات بنية منتظمة وحديثة ، تستند على العلم .

٣ ـ إنشاء نظام متطور جداً للخدمات الاجتماعية ، لمواجهة المشاكل الناجمة عن تصاعد عدد المهاجرين اليهود بشكل كثيف .

٤ ـ وضع نظام تعليمي متقدم ، يكفل تنمية قدرات علمية وتكنولوجية عالية ، رغم انخفاض المستوى التعليمي للمهاجرين في بادىء الأمر .

٥ ـ إنشاء جيش عصري ، قادر على مواجهة السياسات العربية .

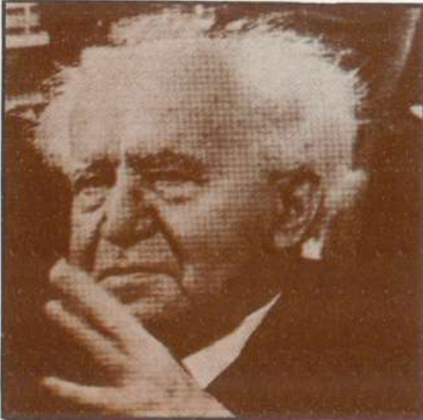
ويلاحظ بيليد أن الدول العربية ، كانت تهدد « اسرائيل » خلال السنين العشرين الأولى ، بخوض حروب معها ، بيد أنها لم تنفذ تهديداتها هذه أبداً ، وهو ما يعني أن مزاعم « اسرائيل » من أنها كانت مهددة أبداً من العرب ، لم تكن واقعية ، وكان العرب يزودون « اسرائيل » خلال تلك الفترة بالمبررات الكافية للحصول على مساعدات عسكرية ومالية من الدول الغربية ، وعلى دعم مالي وسياسي شبه مطلق من يهود العالم ، كما أن هذه المزاعم ، مكنت الحكومات الاسرائيلية



ظاهرة النزوح عن الكيان الصهيوني



أوري أفنيري : منعطف السلام



بن جوريون : سياسة السلام الكاذب

« العمالية » المتعاقبة ، من تعبئة المستوطنين الصهاينة وحشد طاقاتهم فى كل مجال ، وخاصة المجال العسكرى العدوانى ، وتحقيق تماسك قوي بين المستوطنين اليهود المتنوعي الأصل العرقي والوضع الثقافي .. وهذا الوضع هو الذي مكن القادة الصهاينة من تنفيذ سياساتهم « العدوانية » ضد العرب ، بالاستناد الى أخطار خيالية ، وقد أثبتت النتائج التى أسفرت عنها حرب الخامس من حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، أن ما يسمى « بأمن اسرائيل » ، كان مضموناً تماماً .

أما الفترة الثانية ، فهي تلك التي بدأت بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وقد تميزت هذه الفترة بنوع من الارتباك فى السياسة الاسرائيلية ، أدى الى تزايد الاتجاه الفاشي والتوسعي على حساب الأرض العربية ، أما سبب الارتباك ، فيعود الى تبدل ملحوظ طرأ على الموقف العربى ، بالنسبة لاسرائيل ، حيث لم يعد موقفاً متصلباً ، وانما موقف القبول المشروط ، (البيان الأمريكي ــ السوفيتي فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٧ .. الخ) . وقد أدى هذا الارتباك فى السياسة الاسرائيلية الى نمو مصطلحات سياسية جديدة ، تتسم بتحريف الحقائق والأهداف ، وكان آخر هذه المصطلحات العملية التى تمت ضد لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وأطلق عليها اسم « عملية سلام الجليل » .

بيد أن الجنرال بيليد يلاحظ فى هذه المرحلة ، أن التطورات الجديدة فى المنطقة ، وخاصة الموقف العربي « المشروط » من السلام ، قد أدى الى تجريد « اسرائيل » من فكرة « اللا بديل » التى كانت مسيطرة تماماً على عقول الاسرائيليين فى الفترة الأولى ، والتى كانت فحواها أنه لا بديل عن الحرب مع العرب الذين يرفضون وجود اسرائيل بشكل مطلق ، ويطلقون التهديدات المتواصلة لازالتها ... وهكذا نشأ عهد من « البدائل المتعددة » أمام الاسرائيليين ، يتعذر تحقيق إجماع بشأن أي منها ، وقد ترك هذا العهد بصماته على المستوطنين اليهود ، حيث بدأت عملية انحلال مزعجة تركت آثارها فى العديد من المجالات ، وكان أحد مظاهر هذه العملية ، أن الهجرة الكثيفة من دول العالم الى « اسرائيل » قد حل مكانها نزوح متصاعد من « اسرائيل » الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، كما أن الاتجاه الديني الشوفيني قد أخذ بالتنامي بشكل متصاعد ، وفى الوقت ذاته ، بدأ يلاحظ انحطاط فى فعالية الجيش الاسرائيلي ، كما ظهر فى حرب ١٩٧٣ ، « وحرب لبنان » ١٩٨٢ .

اتجاهات جديدة

وازاء هذا الواقع ، الذي اتسم بضحالة روحية وفكرية مذهلة ، كما يقول الجنرال متتياهو بيليد ، تبلورت ثلاثة اتجاهات رئيسية فى التفكير السياسي الاسرائيلي ، وهى اتجاهات تتجاوز أحياناً كثيرة ، الحدود الحزبية ، بل إنها غالباً ما تتنافس داخل الأحزاب السياسية القائمة ، وهذه الاتجاهات هى : إتجاه يدعو الى فكرة « اسرائيل الكبرى ــ من الفرات الى النيل » ، واتجاه ينادي « باسرائيل ذات الحدود المعدلة أو المحسنة » ، واتجاه يدافع عن مبدأ عدم إجراء تغييرات إقليمية ــ أي « اسرائيل » بحدود عام ١٩٦٧ « قبل عدوان ٥ يونيو » « حزيران » .

نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب!!

يستند أصحاب الاتجاه الأول «اسرائيل الكبرى»، الى زعمين اثنين، ويقوم الزعم الأول على فكرة الوعد الذى أعطاه «يهوه» ــ إله اليهود ــ لليهود «بالعودة الى أرض الميعاد»، ومؤيدو هذه الفكرة، هم فى الغالب من اليهود المتدينين، الذين يطالبون بعدم التخلي طوعاً، عن أي جزء من «أرض الميعاد» المزعومة (والتي لا تعرف حدودها بالضبط وإن كان يشار إليها بالمنطقة الممتدة بين نهر الفرات فى العراق، ونهر النيل فى مصر)، فى حال الاستيلاء عليها، لأن ذلك يمثل إثماً أمام «يهوه».

أما الزعم الثاني فيقوم على أساس شوفيني، وهو ينادي بأن «عظمة اسرائيل» المزعومة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوسع الاقليد، وأصحاب هذا الاتجاه هم قادة الأحزاب الدينية وعصابات غوش إيمونيم وكاخ، اضافة الى حزب الليكود وحزب «تحيا ــ النهضة».

أما أصحاب الاتجاه الثاني «حدود محسنة»، فيزعمون أن ضم بعض الأراضي العربية المحتلة، وبشكل محدود ولكن غير تافه إطلاقاً، الى «اسرائيل»، من شأنه أن يحسن الوضع الأمني للكيان الصهيوني فعلا، بل ويسمح لهذا الكيان بأن يكون قابلا «للمصالحة». وأصحاب هذا الاتجاه فى معظمهم، من حزب العمل، بيد أن من الملاحظ، كما يقول الجنرال بيليد، أن أصحاب الاتجاه الأول يلتقون مع أصحاب الاتجاه الثاني فى رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، ويشير الى أن موقف جماعة حزب العمل من القضية الفلسطينية، نابع من مفهومهم التوسعي الاقليمي، فهم نظراً لمناداتهم بوجوب ضم جزء كبير من أراضى الضفة الغربية المحتلة، فانهم يرون أن لا مكان للفلسطينيين فى الضفة، ومن ثم ينتهون الى نتيجة ملتوية، تقول بتقسيم الضفة بين «اسرائيل» والأردن، زاعمين أن الأردن قد يسهل عليه التخلى عن نصف الضفة الغربية، نظراً لاتساع أراضيه، وامكانية استقرار الفلسطينيين المهجرين فيها.

وأما أصحاب الاتجاه الثالث، وهو اتجاه محدود وصغير، فينادون بأن حاجة «اسرائيل» الأساسية، ليست ضم مزيد من الأراضي المحتلة، وانما «السلام»، وأن تحقيق ذلك ممكن اذا تخلت «اسرائيل» عن الأراضى العربية التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧، وأصحاب هذا الاتجاه، ومنهم الجنرال بيليد وأوري أفنيري و«حركة السلام الآن» وحركة «يوجد حدود»، يرفضون فكرة «اسرائيل الكبرى»، وفكرة «الحدود المحسنة»، وجميع الادعاءات المستندة الى التوراة أو حجة الأمن، وهم إذ وصلوا الى هذه النتيجة، فانهم يرحبون بانشاء دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، كجزء مما يصفونه «بخطة السلام التى تكفل الاعتراف المتبادل بين جميع الأطراف، وتحقيق أمن معقول للجميع».



المستوطنون: توسع مستمر فى الأرض العربية

وهم السـلام!

ويخلص الجنرال بيليد من كل هذا، الى وضع متشائم بالنسبة لامكانية تحقيق «السلام» بين العرب و«اسرائيل»، ذلك لأن أصحاب الاتجاه الأول القائم على التوسع فى الأرض العربية، من الفرات الى النيل، يقبلون بالسلام أصلا، وهم بالتالي لا يسعون إليه. أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين يطالبون بحدود محسنة، وهم غالباً أعضاء فى حزب العمل، فإن بينهم من ينادي بفكرة «اسرائيل الكبرى»، وبينهم من ينادي بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧، وطالما أن تشكيلة حزب العمل تضم هذين التيارين المتناقضين، اضافة الى التيار الرئيسي الذى ينادى بالحدود المحسنة، فإن هذا الحزب لن يستطيع تغيير مواقفه المعلنة.

وازاء هذا الواقع، فان التغيير المنتظر فى الموقف الاسرائيلي من «السلام» مع العرب، لن يأتي، إلا اذا صعد أصحاب الاتجاه الثالث الى السلطة فى «اسرائيل»، حيث يطالب هؤلاء، بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، لكن الجنرال بيليد يقر ويعترف بأن وصول أصحاب هذا التيار الى الحكم أمر بعيد الاحتمال فى الوقت الحاضر، وبالتالى فان أي أمل فى حصول تغيير فى الكيان الصهيوني، من شأنه أن يسمح ببدء عملية «سلام» بمشاركة فلسطينية فعلية، ما هو إلا مجرد وهم.

بيليد و«السلام»!!

بعد كل هذا، لابد من طرح السؤال التالى: لماذا ينزع الجنرال متتياهو بيليد نحو السلام مع العرب، ويعلن بوضوح قبوله بقيام دولة فلسطينية فى الأراضي المحتلة؟؟!

فى الواقع ــ وكما قلنا فى مقدمة هذه المقالة ــ فإن ظهور تيارات مختلفة فى عقيدة ما، هو نتيجة منطقية لدخول هذه العقيدة فى دائرة المآزق، حيث أن المأزق هو وحده الذى يحتم بروز طريقة جديدة فى التفكير والسلوك، ومن هذا المنطلق يمكن فهم أفكار الجنرال بيليد، الذى أشار أكثر من مرة الى خطورة المآزق التى تواجه «اسرائيل»... فقد أكد «أن اسرائيل مزعزعة أمنياً بسبب تمسكها باحتلال الأراضي العربية»، وانتقد سياسة بناء المستوطنات فى هذه الأراضي، مشيراً الى أن الانفاق على هذه المستوطنات، بلغ فى العام الماضي ستمائة مليون دولار، كما أن غزو «اسرائيل» للبنان، كلفها ثلاثة مليارات ومائتي مليون دولار، وبالنسبة للأزمة الاقتصادية قال إن سببها يعود الى أن «اسرائيل» خصصت حوالى ثلاثين بالمئة من دخلها، للنفقات العسكرية منذ عام ١٩٦٧،

مؤكداً أن الأزمات الاقتصادية التى تجتاح الكيان الصهيوني ، إنما ترتبط تماماً بالسياسة التى اتبعتها الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة منذ عدة سنوات «حيث تنتهج «اسرائيل» سياسة لا تستطيع تطبيقها» ، ويشير الجنرال بيليد الى ارتباط «الأمن» بالاقتصاد ، فيقول «إن الأمن قيمة قياسية ، وليس قيمة مجردة ، وعندما ترى دولة أن من الضرورى زيادة نفقاتها الدفاعية من عشرة الى ثلاثين بالمائة ، من دخلها ، فإن من المؤكد أن ذلك مؤشر على انعدام شعور هذه الدولة بالأمن» .

ويضيف الجنرال بيليد أنه وغيره ، كانوا يفكرون قبل حرب عام ١٩٦٧ ، بطريقة تختلف عن التفكير بعد تلك الحرب ، ويقول ، إنه ذهب الى اسحق رابين فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقال له : «ان بامكاننا الآن حل القضية الفلسطينية ، وانهاء الصراع مع الدول العربية» ، لكن رابين طلب إليه ألا يرفع صوته ، لأن العرب سيطالبون اذا سمعوا هذا الكلام ، بالعودة الى «قرار التقسيم» ، وأكثر

● غزو إسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢ كلفها ثلاثة مليارات ومائتي مليون دولار

● أفكار بيليد الجديدة دليل على وجود مأزق حقيقي في الفكر الصهيوني

من ذلك فإن بيليد ، يشير بشكل غير مباشر الى العلاقة بين أفكاره «الجديدة» ، ونشأته فى القدس ، فيقول : إنه عندما أصبح شاباً ، ازدادت رغبته فى تعلم اللغة العربية ، حيث عاش أصلا فى مدينة القدس ، وتعلم فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة مختلطة من العرب واليهود ، ودرس اللغة العربية كلغة أساسية ، ويضيف : «وقد اقتنعت تماماً أن الشعب الفلسطيني هو الشعب الذي سأعيش الى جانبه» .

لكن من المهم جداً أن نميز بين موقف بيليد من «السلام مع العرب» ، وبين مسألة اغتصاب فلسطين ، والفكرة الصهيونية التى كانت السبب فى عملية الاغتصاب هذه ، فقد قال فى حوار مع مجلة «هعولام هزيه» الاسرائيلية ، إنه وإن كان ينادي بالسلام والاعتراف بين «اسرائيل» ودولة فلسطينية فى الضفة والقطاع المحتلين ، إلا أنه يرفض تماماً الحديث عن الماضي» ، أي أنه يرفض مناقشة عملية اغتصاب فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، ويعتبر هذا الاغتصاب أمراً واقعاً ، لا مجال لاعادة النظر فيه .

لكن ... وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأفكار التى يطرحها الجنرال بيليد تستأهل وقفة تأمل منا ، لأن بروز مثل هذه الأفكار ، هو دليل كما قلنا على وجود مأزق فى الفكر الصهيوني ، خاصة وأن الجنرال بيليد نفسه يقول ، إنه لم يفكر بهذه الطريقة الا بعد عام ١٩٦٧ ، والأرجح بعد حرب ١٩٧٣ ، التى كادت «اسرائيل» أن تسحق فيها . ونعتقد أن بروز أفكار مثل أفكار الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد ، يجب أن تلقى البحث عربياً ، كما تتطلب من ذوي الشأن السياسي والفكري التمحيص والعمل على الاستفادة منها .

عصام شريح

من هو؟

ولد متتياهو بيليد بمدينة حيفا الفلسطينية سنة ١٩٢٣ ، وانضم الى عصابة الهاغاناه سنة ١٩٤١ ، وأنهى فيها «دورة قادة فصائل» سنة ١٩٤٣ ، ثم توجه الى بريطانيا سنة ١٩٤٦ لدراسة الحقوق فى جامعة لندن ، لكنه استدعي عند اندلاع حرب عام ١٩٤٨ ، وعين قائداً لفصيلة فى القدس ، ومن ثم قائداً لفصيلة فى «لواء غفعاتي» ، وأصبح خلال فترة الحرب نائباً لقائد كتيبة فى اللواء نفسه ، وقد اشترك فى معارك المثلث . وفى عام ١٩٤٩ ، أنهى بيليد دورة قادة كتائب ، ثم خدم فى هيئة الأركان العامة للجيش الاسرائيلي ، وتوجه بعدها الى بريطانيا ، حيث التحق بدورة ضباط أركان ، وتخرج منها فى عام ١٩٥٢ ، ولدى عودته ، عين ضمن طاقم الاعداد لانشاء مدرسة القيادة والأركان ، وبعد أن درب فى هذه المدرسة ، نقل الى قسم التدريب فى هيئة الأركان العامة ، وخدم فيه حتى عام ١٩٥٦ . وفى أعقاب حرب ذلك العام ، عين متتياهو بيليد قائداً لمنطقة شرم الشيخ ، ثم حاكماً عسكرياً لقطاع غزة . وفى صيف عام ١٩٥٧ ، عين قائداً للواء القدس ، وخلال فترة ١٩٥٩ ــ ١٩٦١ ، تولى منصباً كبيراً فى هيئة الأركان العامة ، وفى عام ١٩٦١ ، التحق بالجامعة العبرية بالقدس ، حيث درس فيها العلوم الشرقية ؛ وفى نيسان (ابريل) ١٩٦٣ ، عين مساعداً لنائب وزير الدفاع لشؤون التسليح ، ثم عين فى نيسان (ابريل) ١٩٦٤ ، رئيساً لشعبة المستودعات ورفع وهو فى هذا المنصب الى رتبة لواء فى أواخر آذار (مارس) ١٩٦٥ ، وأنهى متتياهو بيليد خدمته فى هذا المنصب ، وترك الجيش الاسرائيلي بتاريخ ١ ــ ٧ ــ ١٩٦٨ ، ثم سافر الى الولايات المتحدة ، حيث تابع دراسة الأدب العربى ، وحصل على درجة دكتوراه فى هذا الأدب من جامعة لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا فى عام ١٩٧١ ، وعاد فى نفس هذا العام ، حيث عين محاضراً فى الأدب العربي بجامعة تل ابيب فى أواخر ١٩٧١ ، الى أن شغل منصب رئيس قسم الأدب العربى بهذه الجامعة منذ عام ١٩٧٤ ، وحتى عام ١٩٧٧ . وخلال الفترة من ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ ، عمل محاضراً وباحثاً بجامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة ، وفى فترة ١٩٨١ ــ ١٩٨٢ ، عمل محاضراً (ضيفاً) بجامعة السوربون بباريس .

وفى عام ١٩٧٥ شارك بيليد مع «التقدميين العرب واليهود» ، فى تأسيس ما يسمي «بمجلس السلام الاسرائيلي ــ الفلسطيني» ، الذى اتخذ شعاراً له العلم الفلسطيني الى جانب «العلم الاسرائيلي» . وكان الجنرال بيليد عضواً فى قيادة حزب شيلي (معنى شيلي : السلام لاسرائيل) قبل ذلك ، لكنه انشق عنه مع أوري أفنيري ويعقوب أرنون ، فى أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ ، بسبب خلافات فى الرأي بين قياديي هذا الحزب حول تقييم عملية الغزو . وفى ٣٠ــ٣ــ ١٩٨٤ ، شارك الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد فى المهرجان الجماهيري الذى أقامته «الحركة التقدمية» بمدينة الناصرة بمناسبة «يوم الأرض» .

كتب بيليد منذ عام ١٩٧٧ وحتى اليوم العديد من الدراسات فى الأدب العربي ، كما كتب العديد من المقالات السياسية ، عارضاً من خلالها رأيه فى ضرورة تسوية الصراع العربي ــ الاسرائيلي بالطرق السلمية . ومع أن بيليد ولد فى حيفا إلا أنه عاش معظم أيامه فى القدس التى أنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، وهو يقيم منذ بضع سنوات فى مستوطنة «موتسا» غربي القدس المحتلة ، وهو متزوج وله ولدان ، وهو عضو فى الكنيست عن «القائمة التقدمية للسلام» التى يرأسها المحامي العربي محمد ميعاري ، كما شكل الجنرال بيليد حزباً فى الفترة الأخيرة ، أطلق عليه اسم «البديل» .



فى العدد القادم يواصل الدكتور يحيى الجمل كتابة قصة حياة عادية.



فصول أبي البهاء
فائدة لم تكن في الحسبان

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

فصــــول أبي البهاء لا تنتهي . ولست أدري أهو من سوء حظي أو من حسنه أن لا تتجاوز مشاركتي له في أحـــداث هذه الفصول حد روايتهـــا عنه ، أو روايتها عن أصحابه الذين هم في غالب الأحيــــان أصحــابي أو ممن يمتون لي بصلة قربى . إنه معي شـــخصياً جاد كل الجد . وحين يلقاني في مدينته الكبيرة يبادر إلى التطوع لمساعدتي فيما أنا محتاج إليه أو إلى نصحي فيما أريد شراءه ، حتى لأعجب أحياناً كيف تتحول فيه هذه الأريحية وذلك الاندفاع في إنجاز ما يتطوع به إلى قدرة على الضحك على ذقون السذج أو السخرية المؤذية بمن يراهم يستحقون أن ينزل بهم تنكيله .

أغلب فصوله تنطلق من وحي الساعة التي هو فيها . دخل ذات مرة إلى ملهى بالاس في رفقة قريبي إسماعيل ،فلفت نظره في وقفته على الباب مجموعة من أبناء بلدتنا ، وبعضهم من معارفه ، يحيط أفرادها بثيابهم البدوية بمدني أفندي يبدو أنه ضيفهم ، حول مائدة عامرة بأصناف المأكول والمشروب . سأل أبو البهاء إسماعيل عمن يكون هذا المحتفى به فقال له : إنه الأستاذ زيدان ، مدير المصرف الزراعي في بلدتنا . من عادته في مثل هذا اليوم ، مساء الخميس ليلة الجمعة ، أن يقدم من البلدة إلى المدينة ليسهر وينبسط في هذا الملهى على حساب جماعتنا . لاتنس أن رقابهم ، في هذه السنة السيئة ، بيده . فهو الذي في مكنته أن يقرضهم من أموال المصرف ما يستطيعون به سداد ديونهم ومتابعة أعمالهم الزراعية إلى أن يحين قطاف الموسم القادم . إذا رأيتهم يغدقون عليه من كرمهم فما ذاك منهم غير تزلف ونفاق حرصاً على رضاه عنهم ...

في تلك اللحظة ولدت فكرة العبث بمدير المصرف هذا في رأس أبي البهاء . تقدم إلى الشلة الملتفة حول الأستاذ زيدان ، فهتف به بعضهم محيياً ودعوه إلى مجالستهم . إلا أن أبا البهاء تجاهل الدعوة وراح يجيل نظره في جوانب الملهى كمن يبحث عن انسان بعينه .ولما ألح عليه أحدهم بالدعوة قال إنه كان يتمنى أن يشاركهم سهرتهم لولا أنه يبحث عن سامي بك وكان يتوقع أن يراه هنا . سألوه : من سامي بك هذا ؟ فأجاب بقوله : ألا تعرفونه ؟ إنه رئيس مفتشي المصارف الزراعية الجديد ... جاء لتوه من العاصمة وهو في طريقه إلى بلدتكم ... الأخبار كثيرة في الادارة المركزية عن أن الأمور في فرع المصرف الزراعي عندكم ليست على ما يرام ، فهو قادم ليجري تفتيشاً مفاجئاً على الحسابات فيه ..

وما حدث عند هذا أن العيون كلها تحولت إلى الأستاذ زيدان . غص هذا بلقمته في حلقه ، وهب واقفاً تاركاً أصناف المأكول والمشروب على حالها فوق المائدة ، وهرول ليركب أول سيارة متجهة إلى مقر عمله في البلدة الصغيرة التي تبعد مائتي كيلومتر عن ملهى بالاس في المدينة الكبيرة . وفي تلك البلدة سيتقلب الأستاذ زيدان على مثل الجمر في انتظار المفتش الذي لن يقدم مطلقاً . فسامي بك ، هذا المفتش ، ومهمته الموهومة لم يكونا غير اختراع من اختراعات أبي البهاء في الساعة التي أحنقه فيها أن يرى مدير المصرف يأكل ويشرب ويلهو على حساب المزارعين المساكين الذين يشقون بكدحهم وراء لقمة العيش بينما يمسك هو بخناقهم ويتحكم بمصائرهم .

وفصل أبي البهاء مع حسين الخليف قريب مما فعله بالأستاذ زيدان في أن فكرته كانت بنت ساعتها . إلا أن دافعه فيما فعله بحسين الخليف كان مختلفاً عما دفعه للعبث بالأستاذ زيدان . كما أن حسين الخليف ، على الرغم من كونه ضحية الفصل ، كان أحسن حظاً من مدير المصرف الزراعي ، فهو على الأقل قد حصل مما عبث به أبو البهاء على فائدة له لم تكن قبل في حسابه .

أخبرني بهذا الفصل الأخير صديقنا أبو النبيل ، وكان قد قرأ ما كتبته عن أيام عسر أبي البهاء حين تقمص شخصية المستر جورج ب . سمعان ليظفر من بعض مزارعينا السذج بعشاء وعلبتي سيكارات . قال أبو النبيل :

ـ حدث هذا في نفس السنة السيئة التي كان موسمنا فيها من زراعة القطن بالغ السوء . قصدنا كلنا المدينة الكبيرة نبحث فيها عمن يقرضنا شيئاً من المال لسداد أقساط ديون البنوك المستحقة علينا ، وحسين الخليف واحد منا . أنت تعرف حسين الخليف ، رجل بسيط المدارك فيما عدا ما يمس مصلحته الخاصة ، فهو فيها فهلوي لا يغلبه غالب . وأنت تعرف كذلك كم هو بدين ، تتدحرج كرشه أمامه عند المسير حتى لتحسبه حبلى في شهرها التاسع . كان أبو البهاء في ذات يوم يجالس في المقهى ابن بلدتنا صديقه أبا أسعد ،

الذي جاء المدينة مثل جماعته يبحث عن حل لضائقته ، حين أقبل حسين الخليف متجهاً إلى طاولتهما . قال أبو أسعد لأبي البهاء في عجلة : هذا حسين الخليف ، أحد أصهاري ، وهو رجل ملحاح لا يعذر في شيء ... يريد مني أن أعرفه بمن يقرضه مبلغاً من المال يفي به دينه ، ولو وجدت أنا من هو مستعد للاقراض لهجمت عليه قبله . عليك به يا أبا البهاء ... واسمه كما قلت لك حسين الخليف !

قال أبو النبيل : لم يحتج أبو البهاء لغير هاتين الكلمتين ليرسم خطته . ولما جذب حسين الخليف كرسياً إلى الرجلين سمع أبا البهاء يقول وكأنه يتم كلاماً كان بدأه قبل حضوره : لا يا أبا أسعد ... أنا ضد تعامل الأصدقاء بالأمور المالية . سأفقد صداقتك لو أنني أقرضتك هذا المبلغ الذي أريد تشغيله بفائدة . أنت قد تستغل مودتي لك فتتأخر في أداء دينك لي . وأنا ، إذا تأخرت أنت في الدفع ، قد أتناسى ما بيننا من صداقة وأقيم عليك دعوى قضائية تنتهي بحجز أملاكك ، فيفسد ما بيننا من ود قديم . أريدك أن تدلني على من تثق به ومن هو بحاجة إلى قرض بفائدة معقولة ، ومن لا أستحي منه إذا اضطررت إلى حجزما يملكه لقاء ديني ...

وهنا ، كما ذكر أبو النبيل ، سقط حسين الخليف في فخ أبي البهاء . حين سمع بالمال وبالبحث عن مستدين له سال لعابه وراح يغمز أبا أسعد بعينه ويلكزه بكوعه لينتبه اليه ، في حين بادر هذا يقول لأبي البهاء : ربما كان علي أن أستاء لرفضك إقراضي ، ولكني أعذرك لأنني أفهم تخوفك . حسناً ... اليك صهري العزيز حسين الخليف ... انه صاحب مشروع زراعي كبير ، ربما كانت له حاجة بمبلغ الخمسين ألف ليرة التي تريد تشغيلها . تستطيع أن تأتمنه على هذا المبلغ ، وبامكانه هو أن يقدم لك الضمانات الكافية لاستيفاء مالك عند الاستحقاق . وإذا تأخر عن الوفاء فأنت في حل من ملاحقته بكل طريقة قانونية ، أقول لك هذا منذ الآن .

قال محدثي : عند هذا الكلام لم يتأخر حسين الخليف عن أن يمد يديه إلى جيوبه فيخرج منها رزماً من صكوك عقارية وأسناد تمليك كان قد أعدها لتكون ضمانه للوفاء عند من يقبل باقراضه ماهو بحاجة اليه . فرش تلك الأوراق على الطاولة أمام أبي البهاء مبيناً أنه على استعداد لأن يرد له دينه بفائدة كبيرة في الموسم القادم ، وهو موسم منتظر أن يكون خصباً ، فالقحط لا يمكن أن يتكرر في سنتين متعاقبتين في منطقتنا . وارتسمت على محيا أبي البهاء علائم الاقتناع بما يسمع ، لاسيما وأن أبا أسعد كان يؤمن على كل ما يتلفظ به صهره العزيز . قال أبو البهاء أخيراً : احسب الخمسين ألف ليرة في جيبك يا سيد حسين . وإذا احتجت إلى أكثر منها فسأقنع شريكي بأن نزيد المبلغ عشرة آلاف أخرى . ما لك إلا أن تشرف محلنا في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ... ماذا ؟ ألا تعرف محلنا ؟! عليك أن تسلك أولا جادة بارون ، وفي الشارع الجانبي الذي يتفرع من هذه الجادة ، الثاني إلى يمينك بعد الساحة الكبيرة ، تمشي بضع خطوات وهناك تسأل عن محل هندي وغوري في الطابق الثاني من العمارة . سأكون أنا وشريكي في انتظارك . يا حياك الله . أرجو أن تنتهي معاملتنا المالية المستقيمة إلى صداقة دائمة . صداقة بعد المعاملة أدعى إلى المتانة والدوام من معاملة بعد الصداقة ... إلى اللقاء بعد ظهر اليوم إذن يا سيد حسين ...

وقام أبو البهاء عن كرسيه مودعاً حسين الخليف بهزة يد قوية في مصافحة كادت أن تتحول إلى عناق .

كنت من ناحيتي أعرف ، من غير أن يذكر لي أبو النبيل ذلك ، أن لا محل في أي شارع يتفرع من جادة بارون المشهورة في هذه المدينة الكبيرة يحمل اسم هندي وغوري . إنه مجرد اسم اخترعه أبو البهاء على طاولة صديقه أبي أسعد . ولذا فقد توقعت ما رواه لي محدثي من أن حسين الخليف قضى كل أمسيته بين الساعة الخامسة ، موعد افتتاح المحلات التجارية ، وبين الساعة الثامنة موعد إغلاقها ، ذارعاً الشوارع المتفرعة من جادة بارون وهو يقرأ اللافتات على الحوانيت ويسأل أصحاب المخازن ، ويصعد الأدراج أو ينزل منها ، ويقرع أجراس الأبواب في الطوابق المتتالية ، مستفهماً عن محل هندي وغوري الذي تنتظره فيه خمسون ألف ليرة ، وربما ستون ! ثلاث ساعات كاملة من الهرولة وارتقاء السلالم وهبوطاً لجسم كجسم حسين الخليف في ثقل الوزن وضخامة الأطراف جديرة بأن تعصر بدنه عرقاً وتذيب كمية غير هينة من الشحم المتراكم في كرشه . كل ذلك دون أن يبدو أثر لأبي البهاء ولا لمحل هندي غوري الذي سماه أبو البهاء ...

في الصباح التالي ، على ما أخبرني أبو النبيل ، بكر حسين الخليف إلى المقهى الذي يتخذ فيه قريبه أبو أسعد مجلسه كل يوم ، ليسأله أين يقع محل هندي وغوري الذي لم يهتد إليه بالأمس . تظاهر أبو أسعد بالعجب من تيه صهره في جادة مشهورة وعجزه عن العثور على محل تجاري أكثر شهرة ، وراح يلقي عليه محاضرة أعدها له أبو البهاء مسبقاً . قال له : أين تغيبت البارحة يا رجل ؟ جاءني صديقنا أبو البهاء بعد الساعة التاسعة وأرهقني بأسئلته عنك . أخجلتني أمامه يا صهري الكريم ! وحين أبدى حسين الخليف استعداده لأن يرافق أبا أسعد في تلك اللحظة إلى محل هندي وغوري قال أبو أسعد : ذهابنا في هذه الساعة عبث ، فأبو البهاء يكون في هذا الوقت في دار الحكومة يسير فيها مصالحه الكثيرة . وأنا كما تعرف مضطر إلى الرجوع إلى البلد بعد أقل من ساعة . ما عليك إلا أن تقصده في الثانية عشرة تماماً ، في منتصف النهار ، فتجده في انتظارك ومعه خمسة وسبعون ألف ليرة . نعم خمسة وسبعون ألفا . أقنعته بأن يزيد مبلغ القرض إلى هذا المقدار ... ستون ألف ليرة لك والباقي لي . هذه بيننا ، فأنا لم أقل له ذلك . سمعته انت بأذنك يرفض اقراضي لأنه لا يأتمنني على ماله ، وما أظنك مثله في قلة الثقة بوفائي لديوني . ماذا ؟ أتستصعب أن تهتدي إلى المحل ؟ سأدلك عليه وأنت قاعد هنا ... أنت تعرف الفندق الكبير في جادة بارون ، مالك إلا أن تسير عشر خطوات لتجد الشارع الثاني إلى يمينك . من هناك تسير عشرين خطوة أخرى فتجد أمامك لافتة كبيرة مرفوعة على شرفة الطابق الأول تحمل اسم محلات هندي وغوري . لافتة تفقأ العين بكبر حجمها وضخامة حروفها ...

ولا حاجة بي إلى القول إن حسين الخليف ، في بساطة تفكيره ولجاجته في بلوغ ما يهمه ، قد تعرق من جديد ، وكثيراً ، وأضاع قسطاً لا بأس به من شحم بطنه في ركضه في الظهيرة المحرقة ساعات متتالية ، باحثاً عن لافتة لا واقع لها لمحل لا وجود له . لافتة محلات هندي وغوري . كما لاحاجة بي لأن أقول إن أبا أسعد ، حين لقي صهره في بلدتهما بعد ثلاثة أيام ، ألقى عليه كل اللوم مقرعاً إياه على جهله التصرف في المدينة الكبيرة ، وعلى أنه أضاع على نفسه وعليه — هو أبو أسعد — مبلغاً كبيراً من المال كان كافياً لفك خناق الأزمة التي اشتدت عليهما في تلك السنة السيئة !

وهكذا عاد حسين الخليف بمثل خفي حنين من ذلك القرض الموهوم . إلا أن الذي لا شك فيه أن بعضاً من الفائدة قد مسته من عبث أبي البهاء به . لقد عاد إلى بلدته وقد ذبلت كرشه واضمحلت بعض الشيء . أذبلها الأسى على ضياع الفرصة المنقذة من ناحية ، ومن ناحية أخرى اضمحلت تلك الكرش مما تكلفه من جهد في ركضه في الشوارع وصعود السلالم ونزولها في أيام البحث المتتالية التي لم تعد عليه بطائل . وهذا ما عنيته حين قلت إن أبا البهاء قد أكسب حسين الخليف بفصله هذا فائدة لم تكن له في الحسبان .

• • •

فصول أبي البهاء ، كما أسلفت في مطلع هذا المقال ، لا تنتهي . أوردت منها قبل الآن ما عرفته عنه في أيام العسر وأيام اليسر ، وما بلغني من عبثه بالرؤساء وسخريته بالثقلاء والبخلاء ، وما أضحك به من أحبهم وأحنق من أبغضهم . وأحسبني سأتوقف في روايتها عند هذا الفصل بعد أن أصبحت خصال أبي البهاء معروفة من خلالها ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق كما قال الأولون . وإذا كنت قد أضربت عن رواية فصول أخرى شائقة ، تطوع كثير من أصحاب أبي البهاء في قصها علي ، فلعلي تجنبت بذلك إحراج أبي البهاء نفسه أو إحراج أناس آخرين لهم اسمهم ولهم مكانتهم كانوا في ذات يوم من ضحايا تلك الفصول . فنحن ندرك جميعاً أن ليس كل ما يعلم يقال . وفيما قيل ، مما لا حرج في قوله ، غناء وكفاء .

الرقة — سورية

قصيدة جديدة
للشاعر السوداني
الدكتور تاج السر الحسن

فلاشا

هذا الفلاشى جـــاء
يسخر من شعبى
يرمقنى من عل
فى قمة « الهيلتون »
يبصق فى النيل
يضحك من جبنى

• • •

فى شرفة الفندق
كان فلاشيان
قد ثرثرا ، حدقا
فى المقرن المزدان
ورقصا .. عربدا
ونثرا الأشجان
ــ (قبلنى ، ضمنى)
ياليت هذه الرؤى
« عادت باسرائيل »
(هذا سنا الخرطوم
فهل نرى (دجله ؟)
فتزدهى الأحلام
ونملأ السله ؟

من رطب الوديان
والكرم والغله

• • •

الحاكم الجائر
يختال فى الميدان
وحوله الجند
والسيف والصولجان
بقطعة من نقود
باع ثرى الأوطان
أهدى الفلاشا المكان
أهدى الفلاشا الزمان
بينا أنا ملقى
فى القيد أشكو الهوان
والفقر والأحزان

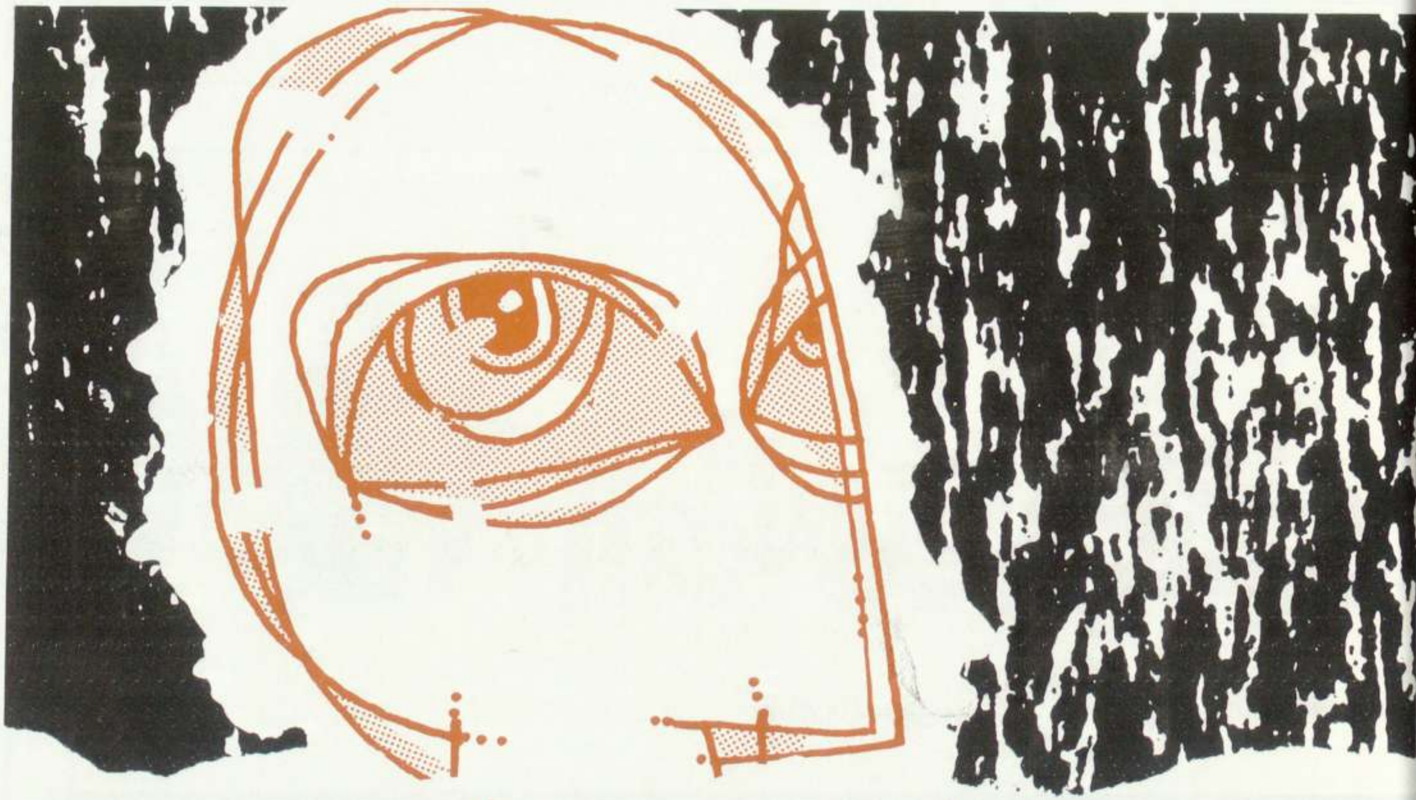
• • •

رسم التلفاز (شاشا)
حوله جمـع الفلاشا
بينما فى قلبه شيء

من الوسواس جاشا
ان ما يدعى فلسطين
بقلبى يتلاشى
فالفلاشيات
قد أحدثن فى قلبى ارتعاشا
والفلاشيون أهلى
مرحباً قومى الفلاشا

• • •

تلك الفلاشيّة
زهرة فسقيّة
وخصرها ضيق
خاتم جنيّة
وشعرها أسود
ليل وأغنيه
تموجت حولها
عواطفى الحيّة
سمراء لكنها
حقاً يهوديّة
قيل لها انها
سوف ترى (يافا)
وكرمها الزاهى



لوناً وأصنافاً
وترتمى فى الظلال
بين شذى البرتقال
فهى هنا فى المطار
أرقها الانتظار

. . .

جاع كل الناس
لم يبق أحد
ظمأ (التيجرا)
(وبنو عامر)
والأمهـره
والهدندوه
والصوماليون
وأهل جيبوتي
كل القرن الأفريقى
اشتعلت فيه نار الجوع
مات الطفل الشاحب
ماتت الأم
ومات الأب
والقرية لم يبق بها أحد

غير جذوع الشجر الميت
وهياكل قطعان ملقاه

. . .

غير أن الفلاشا وحدهم لم يجوعوا
وحدهم أكرموا
ان هذا مريـع
لهم الحافلات
المـكان الوسيـع
الفنادق مشعله
والموائد مشرعه
والربيـــع

. . .

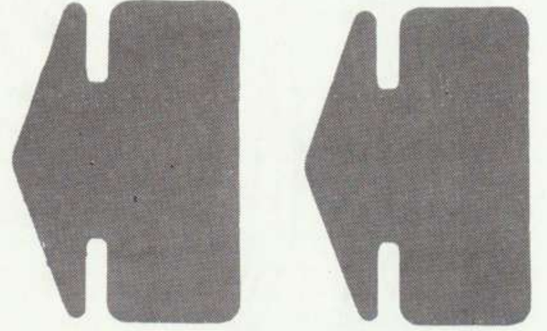
من صفحة « التلفاز »
نشهد هذا البث
حيث السفير الوزير
باسم الحاكم الكبير
من خان هذا الوطن
باع ونال الثمن

وتلك واشنطون
فى شرفة « الهيلتون »
حيث بنو صهيون يجمعون النقود
مما يجود اليهود
ويخنقون البشر
ويقتلون الوجود
فى قلب « يافا » وفى
« صيدا » وأرض الحدود
من جاء بالطائرات ؟
وأجمل الحافلات ؟
انهم المجرمون
السادة الظالمون
من قيدوا شعبنا
فى ظلمات السجون
لا تتركوهم هنا
فى أرضنا يمرحون

. . .

الخرطوم

تذكرة دخول ثمانية إلى :



مسرح العصور الوسطى

بقلم : الفريد فرج

مشهد من مسرحية « نقد الطبقات الثلاث » التى تميزت بحضور الملكة إليزابث وأسرتها لحفل الافتتاح .

● إعادة الاعتبار للمسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد على الصدقات، لا على ثمن بيع التذاكر

● ثقافتنا العربية وحركتنا الفنية سبقت الإنجليز في اهتمامهم بالتراث المسرحي القديم

حدثتكم في العدد السابق عن « فرقة ممثلي العصور الوسطى » الانجليزية .. التي تقدم مسرحيات أقدم من عصر النهضة وأسبق زمنيا من عصر شكسبير ..

لقد بدأت الفرقة نشاطها كفرقة مسرحية تجريبية متواضعة .. ثم سرعان ما لفتت الأنظار واجتذبت الاهتمام .. فأعادت الاعتبار للمسرحية الأخلاقية ، وللمسرح الشامل الذي تميز بالغناء والرقص وألعاب الحواة والألعاب الأكروباتية وبالحيل التقنية .. والذي سمي أحياناً بمسرح الشارع ، وأحياناً بمسرح السوق .. باعتبار المكان المفضل لنشاطه .

إن هذا المسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد أحياناً في دخله على الصدقات من الجمهور ، لا على ثمن بيع التذاكر .. والذي اختفى من الخريطة الثقافية منذ عصر النهضة إلى اليوم .. وتعرض للتحامل والازدراء من الأكاديميين والفنانين على السواء .. يعود على أيدي فرقة من المثقفين الشباب ، فيجذب الانتباه إلى حد أن تشارك مع الفرقة الصغيرة في إحياء تقاليده القديمه فرق قومية كبيرة ، كالمسرح القومي البريطاني (١٩٨٢) ، وفرقة شكسبير الملكية (١٩٨٣) ، .. ثم المسرح القومي الاسكتلندي (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) بمسرحية الافتتاح للموسم « نقد الطبقات الثلاث » .

عيوب أو فضائل المسرح القديم

كانت الحركة الثقافية منذ عصر النهضة الأوربية قد هونت من شأن مسرح العصور الوسطى ، وعددت عيوبه بأنه مسرح تعليمي مباشر .. وبأنه مسرح قصصي أكثر منه مسرحاً درامياً .. وبأن شخصياته مسطحة تمثل فضائل أو رذائل بعينها وتتسمى باسمها وتفتقد البعد الانساني اللازم للشخصية المسرحية ، وهو عمق الاختيار بين عناصر الخير وعناصر الشر ، في روح كل انسان .

ومع ذلك فقد كان المسرح في العصور الوسطى يعد لوناً من « التعليم المبهج » .. وكانت أشهر الفرق المسرحية تفتتح مسرحياتها في قصر الملك أو الدوق ، ثم تنتقل لتجوب الريف والمدن على عربات مجهزة لتتحول إلى منصات للتمثيل في الشارع أو في السوق .

وكانت نقابات الحرف تدعم ذلك النشاط المسرحي إحياء للأسواق ، وكانت البلديات تشارك أحياناً في دعم ذلك الفن .

وقد رأى الفنانون المحدثون والتجريبيون الذين أعادوا احياءه أن ذلك الفن يتميز أيضاً بفضائل كثيرة ..

انه فن يتصف بالذكاء في حين أنه بريء من ادعاءات الذكاء .

وهو فن انساني وقادر على التركيب الانساني العميق بواسطة عناصر وأدوات بسيطة وواضحة .

وهو يمزج الفكاهة بالجد في جرأة ، ويصمم الانتقال بين المناظر بحرية لا تتقيد بالقيود الواقعية أو الديكورات المتكلفة والثقيلة .

مسرح الفولكلور

نشأ المسرح الأخلاقي والمسرح الشامل للعصور الوسطى في الشارع ..

ولكنه انتقل بعد ذلك إلى القصر ..

نشأ ذلك المسرح على أيدي المحترفين ممن احترفوا التمثيل وانتسبوا إلى المهنة كحرفيين صغار ، وتفاوتت سبلهم إلى الشهرة أو إلى الإفلاس حسب حظوظهم .

ولكن بعضاً من المثقفين وأبناء القصور ساهم في التأليف لهم أو التأليف لمسرح القصر الملكي أو قصر الدوق .. على نفس نمط التأليف السائد في الشارع والسوق ، وبنفس الأسلوب المتبع فيما سميناه المسرح الأخلاقي أو المسرح ذا المغزى المباشر .

وقد عانى مسرح القصر ومسرح الشارع للعصور الوسطى نفس المصير ، فحذفته يد التجاهل والإغضاء والازدراء طوال قرون عصر النهضة الأوربية التي طغى مسرحها عليه ، منذ عصر شكسبير ، وغلبه على أمره ، فانزوى في أركان النسيان .

إلا أن العصر الذي نعيشه قد شهد حركة واسعة لاحياء الفولكلور والفنون القديمة .. في العالم كما في بلادنا .

وقد امتدت حركة الاحياء هذه جغرافيا ، في الصين التي أحييت فنونها التقليدية في تصوير المنمنمات كما أحييت فن أوبرا بكين ، وفي بلادنا حيث تتسابق الجهود لاحياء التراث الفكري والأدبي العربي ، وفي الغرب حيث يجري احياء المهرجانات الفنية القديمة ..

وامتدت حركة الاحياء أيضاً لتشمل كل الفنون .. الموسيقى والغناء والشعر الشعبي والقصصي ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في حركة الاحياء هذه ؟

وقد شهد عصرنا الحديث في أوروبا خاصة حركة واسعة ردت الاعتبار للفن البدائي ورسوم الأطفال .. وتجاوز الالتزام بقواعد المنظور في التصوير ، والتطلع إلى ثقافات بعيدة في الزمان أو المكان ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في ذلك ؟

وقد يلفت نظرنا نحن أبناء اللغة العربية هذا التوجه نحو إحياء الثقافات القديمة أكثر مما يلفت ذلك أنظار الأوروبيين عامة ، لأننا نملك من

تذكرة دخول ثانية إلى:
مسرح العصور الوسطى



الفكاهة مع الاستعراض والغناء في مسرح العصور الوسطى

التراث الفولكلوري والرسمي ذخيرة في الفنون والآداب لا حدود لها .. ومع ذلك فإن أوروبا تبحث أيضاً عن تاريخها وتراثها .

وقد كان في هذا السياق ما قام به فنانو فرقة ممثلي العصور الوسطى من احياء لفن التمثيل الفولكلوري وفن العرض المسرحي الفولكلوري .. وما قامت به بعد ذلك فرقة المسرح القومي الاسكتلندي من احياء نص قديم من نصوص المسرح للعصور الوسطى هو موضوع حديثنا هنا .

وكانت ذروة اعادة الاعتبار للمسرح القديم هي حفلة الافتتاح للمسرح القومي الاسكتلندي هذا الموسم ، والتي تميزت بحضور الملكة اليزابث وأسرتها افتتاح مسرحية « نقد الطبقات الثلاث » من تأليف « السير دافيد ليند ساى » (١٤٨٦ — ١٥٥٥)

والمسرحيــــة كتبت ومثلت باللهجـة الأسكتلندية ، وهي تختلف عن غيرها من اللهجات البريطانية بقصر الحروف المتحركة وجعجعة الحروف الساكنة .

وكتبت المسرحية لمسرح البلاط الاسكتلندي عام ١٥٤٠ في عهد الملك جيمس الخامس .. وغابت منذ عصر النهضة فلم تر أضواء المسرح حتى هذا العام .

وتتميز المسرحية بما يتميز به مسرح العصور الوسطى من تشخيص المعاني المجردة في شخصيات مجازية تحمل أسماء دلالاتها .

نقد الطبقات الثلاث

تفتتح التمثيل شخصية « الاجتهاد » .. الذي يدعو مجلس الطبقات الثلاث للانعقاد ، وهي طبقة النبلاء وطبقة العلماء ، وطبقة التجار أو البورجوازيين .. فيدخلون ليتخذوا أماكنهم بالمجلس .

ويتقاطر الفقراء من أبواب صالة المسرح من غير دعوة ليحيطوا بالمسرح والمجلس ..

ويدخل الملك « إنسان » — هذا اسمه — وحوله حاشية تتألف من ثلاثة أشخاص هم : « الخليع » و « المنافق » و « الأنيس » .. وهؤلاء يزينون له كشاب أن يدعو السيدة « شهوة » إلى حفلة بالقصر ، ويستطيعون بفكاهاتهم أن يتغلبوا على تردده ، فتدعى « شهوة » ويستسلم البلاط لسحرها وشدوها الجميل هي وفتياتها الساحرات .

عندئذ يصل « حسن المشورة » (بضم الحاء وسكون السين) إلى المدينة فيهوله ما آلت اليه حال البلاد ويتوجه إلى قصر الملك لينصحه .

ولكن تأخذ عليه الطريق الشرور الثلاثة : « الملق » و « الغش » و « الخداع » .. ويقوم بأدوارهم حسب تقاليد مسرح العصور الوسطى ثلاثة بهاليل من الممثلين الهزليين ، يشيعون روح الفكاهة والسخرية من حولهم .

انهم يصدونه عن الوصول إلى القصر . ثم يتدبرون أمرهم للوصول إلى الملك للفوز بعطاياه ، فيقررون التنكر في هيئة الزهد والتقوى والحكمة ، وبذلك يدخلون القصر ، ويسعون إلى تحقيق مآربهم .

بتأثير من السيدة « شهوة » والشرور الثلاثة يرفض الملك استقبال « حسن المشورة » ، ويحكم على « الفضيلة » وعلى « التقوى » بالحبس بعد أن لفقت لهما الاتهامات فتوضع الفتاتان في الأغلال ..

وقد آلت البلاد للسقوط في أيدي الأوغاد ، وأشرفت على الافلاس والخراب ، وشملتها الفوضى ..

ولكن في اللحظة الحرجة يصل إلى المسرح « الإصلاح السماوي » أو إن شئت « رسول العناية » وجنده الأشداء ، وراياته الملونة بألوان الطيف وموسيقاه القوية .. فيعم الفزع والاضطراب في القصر وتفر الشرور الثلاثة بعد أن سرقت الخزانة ! .

أطلق « الاصلاح » سراح « الفضيلة » و « التقوى » ، وقضى على « شهوة » بالنفي .. ففرت لتختبئ بين أعضاء مجلس الطبقات (!)

الآن تحيط بالملك « الفضيلة » و « التقوى » ،

ويلازمه «حسن المشورة»، ويعد الملك رعاياه بالاصلاح .. فيأمره «الاصلاح السماوي» بدعوة مجلس الطبقات للاجتماع في هيئة برلمان لاصلاح البلاد، ويقوم «الاجتهاد» بدعوة البرلمان، ويعلن للجمهور وقف التمثيل للاستراحة.

السائرون إلى الخلف

يفتتح الفصل الثاني بمشهد فكاهي بين رجل فقير يبحث عن العدالة .. وراهب يبيع صكوك الغفران الممهورة بتوقيع بابا روما.

ويدب النزاع بين الاثنين، فيدخل «الاجتهاد» وهما مشتبكان، فيطردهما ويدعو أعضاء مجلس الطبقات للاجتماع.

إلا أن الأعضاء يدخلون إلى منصة المسرح بظهورهم .. ويتجهون إلى أماكنهم سائرين إلى الخلف، ويتعثرون ويوقع بعضهم بعضاً وهم في الطريق إلى كراسيهم..

إن أعضاء مجلس الطبقات أو البرلمان لن يسلموا بدورهم من سخرية المؤلف ونقده اللاذع.

يدعى الناس لتقديم شكاواهم.

ويتقدم للشكوى عامل فقير يمثل بسطاء الناس اسمه «جون عجلة».

يتهم «عجلة» البرلمان وسلطاته الثلاث بالضعف والانقياد لسيطرة «الملق» و«الغش» و«الخداع».. فيأمر «الاصلاح» جنوده الأشداء بمداهمة المجلس والقبض على الشرور الثلاثة ووضعهم في الأغلال.. فيتم العثور عليهم بين الأعضاء، وتنفيذ الأمر فيهم.

ولكن «جون عجلة» يواصل اتهام رجال الكنيسة من الكرادلة باساءة استخدام السلطة والاثراء غير المشروع، فيستدعي رؤساءهم للتحقيق أمام نواب الطبقتين الأخريين، ويحكم عليهم «بالصلاح»، ويُصْدَرُ حكم بالاعدام على الشرور الثلاثة.. فيقبض على «الغش» و«الخداع» ويتم تنفيذ الحكم عليهما، إلا أن «الملق» يستطيع الفرار.. ويتغاضى الجميع عن ملاحقته فينجو ويختفي عن الأنظار.. بحيث لا يستطيع جنود الاصلاح الأشداء تنفيذ الحكم عليه!

«الملق» عند المولف هو الناجي الوحيد في كل الأحوال!

الحكمة .. والجمال

القصة كما ترى أشبه بحكايات كليلة ودمنة، أو الحكايات الشعبية القديمة، تستهدف من تركيبها البسيط والمباشر، ومن تقاطع مصائر شخصياتها المجازية التوصل إلى الحكمة الأخيرة والخلاصة الفكرية..

ولعل التلخيص الذي أوردته للمسرحية لا يفي بحقها مما تتميز به من قوة اللغة والشاعرية، ومن قوة السرد إلى جانب حكمة القصد.. فضلاً عما تتميز به المسرحية من استعراض وغناء وفكاهة راقية ومواقف مسرحية محكمة وقوية.

وهي إلى جانب ذلك بريئة من التعالي الذى يتصف به فن المسرح كما عرفناه، فهي لا تترفع على الجمهور ولا تخاطبه بكلفة.

المؤلف

وقد اهتم النقاد في بريطانيا بالتنويه بما في المسرحية من جرأة على النقد، وخاصة فيما يتعلق بنقد رجال الكنيسة في ذلك الزمن المبكر من القرن السادس عشر.. فأشاروا إلى ما أغفله التاريخ من دور اصلاحي للمؤلف المسرحي «سير دافيد ليندساي» إلى جانب الدور الاصلاحي لمعاصريه من الفلاسفة الذين دعوا لاصلاح الكنيسة، من أمثال «كالفن» و«نوكس»، وسلفهم الألماني «مارتن لوثر».

كما اهتم النقاد بالاشارة إلى أن «ليندساي» الذي كان من رجال البلاط ومن مستشاري الملك قد قدم مشروع الاصلاح وكشف عن الفساد على لسان عامل بسيط هو «جون عجلة» الذي يوحي اسمه بمعنى التطور ويمثل بسطاء الناس.

وتراث ليندساى حافل بنقد الفساد، وبالانسانية في علاج موضوع السلطة..

فقد كتب عام ١٥٢٩ مسرحية بعنوان «شكوى للملك» بطلها ببغاء ينصح رجال الحكم وهو على فراش الموت، بينما يمثل رجال الحكم والسياسة على المسرح طيور جارحة يتهمهم الببغاء بالشح والرياء..

وكان السير ليندساى رائدا لابن الملك على أيام الملك جيمس الرابع ملك أسكتلندا، ولما مات الملك، وكان الابن قاصراً تحت الوصاية، طرد الوصي على العرش ليندساي من القصر، فاعتزل في ضيعته، حتى إذا ما تولى الابن الصغير العرش باسم جيمس الخامس دعا ليندساي ليكون من مستشاريه ورجال البلاط المقربين.

ومسرحنا القديم

نستطيع أن نزعم أن ثقافتنا العربية، وحركتنا الفنية العربية قد سبقت الانجليز في اهتمامهم بالتراث المسرحي القديم وتقدير قيمه الفنية.

وقد طرح قضيته في الجانب النظري كل من توفيق الحكيم في كتابه «قالبنا المسرحي»، والدكتور علي الراعي في كتابه «الكوميديا المرتجلة» فضلاً عن يوسف ادريس وغيرهم.

كما طرح قضيته في الجانب الفني عدد من المؤلفين المسرحيين.. كل منهم بأسلوبه، باحياء أسلوبه وجمالياته.

ولكننا لم نصبر على تطوير أفكارنا ومواصلة درسها. كما أن الطرح القوي لقضية مسرحنا القديم لم يغر بعد جامعاتنا ومعاهدنا الفنية وشباب الباحثين بتكثيف الجهود في مجال احياء واظهار مسرح السامر ومسرح الحلقة ومسرح المحبظين فضلا عن خيال الظل ومسرح الدمى القديم.

وننتظر من جانب آخر أن تتقدم جماعة من الشباب المثقفين وفناني المسرح بالريادة في هذا المجال.. واجتذاب الجمهور حول هذا المسرح القديم.. للخروج بمسرحنا العربي القومي مما يعانيه من املال التكرار والتقليد، والمحاولات العبثية لخطف أقباس من أضواء المسرح الغربي دون تمعن ودون فهم ودون تأمل، وباستعجال وسطحية لا تليق بمسرح قومي يريد أن يرسي دعائم للثقافة والحضارة العربية تصمد لتحديات القرن الحادي والعشرين.



مشهد من المسرحية التى كتبها السير دافيد ليندساى (١٤٨٦ - ١٥٥٥)
والتى جعلت نقاد بريطانيا اليوم ينوهون بجرأتها على النقد

الفريد فرج

يوسف الشاروني

محنة الفنون

في عصر السينما والراديو والتليفزيون

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرى من سينما الى اذاعة الى تليفزيون هى الوسيلة الرئيسية فى النصف الثانى من القرن العشرين للجماهير العريضة للحصول على المتعة الفنية وذلك على نطاق عالمى بوجه عام ، وفى بلاد مثل بلادنا ترتفع فيها نسبة الأمية الأبجدية الثقافية بوجه خاص .

وواضح أن هذه الوسائل تقدم أعمالها الفنية على أساس جماعى وهو شبيه — وان كان بطريقة مختلفة — بما كان يحدث للعمل القصصي فيما قبل عصر انتشار الطباعة حين كان كل راو يُدخل من حصيلة عصره ومفاهيمه على العمل القصصي الذى يحفظه عن السلف ويرويه لجمهور مستمعيه حتى يجعله عملا معاصراً يجذب الانتباه . إن أمراً مماثلا يحدث اذن بالنسبة لكل عمل قصصى يعرض عن طريق هذه الوسائل الثلاث ، ذلك أن كاتب السيناريو يحذف ويضيف إلى القصة بما يتفق مع الاذاعة المسموعة أو المرئية ، وكذلك يتدخل المخرج بما يوفق بين الرؤية الفنية وما يتخيل أنه يرضي أذواق الجماهير ، حتى الممثل فإن أداءه يضفى على ما أنجزه تضافر كاتب السيناريو والمخرج والمصور ومصمم الديكور ومصمم الملابس ... الخ يضفى طابعه الخاص ، حتى إن العمل السينمائى أو التليفزيونى الواحد يختلف باختلاف المخرج أو الممثل . ومعنى هذا أن القاص أصبح فرداً فى مجموعة . حقاً إنه لايزال يكتب القصة منفرداً ، وقد يقرؤها الخاصة كما كتبها ، وهم فى الأغلب المجموعة التى تريد أن تتعلم منها لكى يصبح أفرادها قصصيين فى المستقبل مثله ، فهو يكتب إذن مباشرة لجمهور خاص محدود إذا قيس بالجماهير العريضة التى لن تتذوقه كما كتب عمله القصصي مباشرة ، لكنها ستتعرف عليه من خلال هذه الوسائل الجماهيرية الجديدة بعد أن تم الحذف من عمله الأصلى أو أضيف إليه بما يتفق وتفسير المجموعة التى تناولت عمله ومدى عبقريتها بما يتفق مع تحويل الكلمة المقروءة إلى كلمة مسموعة أو مرئية (١) .

مراحل الانتاج الفنى

فى الانتاج السينمائى يناقشون عنوان القصة السينمائية ، ويطلب من مؤلف الدراما الاذاعية أو التليفزيونية أن يقتطع الخمس أو الربع مما ألفه حتى لا تتجاوز الدراما الوقت المحدد لاذاعتها ، فاذا لم يفعل اقتطعها شخص آخر . وتحديد حجم العمل الابداعى معروف منذ القدم ، فقد حدد أرسطو حجم المسرحية ، وكان الكاتب المسرحى يلزم نفسه بهذا الحجم كما يلزم نفسه بقيود الشعر التى يكتب بها مسرحيته . ومنذ ظهور الصحافة نجد أن رئيس التحرير أو المشرف على صفحة الأدب يحدد للكاتب : كاتب القصة القصيرة أو الرواية المسلسلة أو قصيدة الشعر .. مساحة النشر المتاحة له . فتحديد زمن العرض أو الاذاعة إذن ليس جديداً بالنسبة لمؤلفى القصص السينمائية أو الاذاعية أو التليفزيونية . ولكن هؤلاء المؤلفين يفقدون فرديتهم منذ اللحظة التى يطلب من أحدهم فيها أن يقدم أولا ملخصاً « لفكرته » يتم عرضها — ربما على أصحاب شركات الاعلان — بقبولها أو رفضها أو تعديلها . وشتان بين الملخص وبين العمل الأدبى المرتبط بصياغاته والتى ربما يتعذر على مؤلف « القصة المطبوعة » تلخيصها لأنها مرتبطة بأسلوبها بل بكل كلمة فيها . وبغض النظر عن قيمة العمل الدرامى — وقد تم تحويل القصة إلى عمل درامى تطويعاً لهذه الوسائل الوسيطة — فإن اهتمام شركات الاعلان يكون منصباً على عدم الاساءة إلى أحد ممن يحتمل أن يصبحوا من زبائنها ... (٢) فاذا تمت الموافقة على الملخص أو تم تعديله فعلى الكاتب أن يحول ملخصه إلى نص بعد أن يكون قد مضى على تقديمه الملخص عدة أسابيع . ومعنى ذلك بالنسبة للمبدع الذى تكون الطبعة أداة توصل ابداعه لجمهور قرائه هو أن يفقد حماسه أو اتصاله الشعورى لأنه فقد اللحظة النفسية التى سبق أن دفعته إلى الابداع والحالة الوجدانية التى كان يعيشها لحظة الابداع بينما على مؤلف الدراما فى الفنون الحركية — السينما والاذاعة والتليفزيون — أن يأخذ نفسه بعادات مختلفة عن عادات سلفه الذى يبدو مدللا بالنسبة له . فكلمات الوحى الفنى والالهام هنا كلمات متحفية تاريخية ، إن عليه أن يستأنف ما انقطع منذ أسابيع ، وان يصطنع الحالة الوجدانية التى تدفعه إلى خلق التفاصيل بما يتفق وما سبق أن قدمه فى الملخص ، أو ما طلب منه من تعديلات ، لا تساعده فى ذلك إلا خبرته وحاجته إلى جمهور والى مال . فالكتابة هنا أقرب إلى ما نسميها الصنعة ، لأن صاحبها يقدم ما يمليه عليه السوق .

ونحن لا نقول إن المبدع فى عصر المطبعة كان يقدم ما يستهجنه السوق ، ولكنه الفرق بين الالزام والالتزام. الالزام هو أن تنفذ أو ترعى ما تؤمر به من سلطة خارجية قبل أن تتمثله فى داخلك . أما الالتزام فهو أن تقدم ما تكون قد تمثلته

● لماذا ضاعت فرديّة الإبداع التي تمتّع بها المؤلف في عصر المطبعة؟

● المؤهل الأول لكاتب الإذاعة والتليفزيون هو القدرة على الكتابة تحت ضغط الظروف المتصلة بمواعيد الإرسال!

● بعض النقابات تطالب الآن بمصادرة أيّ عمل فني يتعرّض لأعضاء هذه النقابات!

● أصبح المؤلف التليفزيوني مطالبًا باستخدام كل براعته وحِيَله الفنيّة حتى لا يُغْلَق التليفزيون في وجه عمله!

● بعض الذين يدافعون عن الأدب قالوا: إن الثقافة الروحية مجهود، وكل نظام يُضْعِف المجهود فهو يُضْعِف الثقافة أيضًا

وتشربته واقتنعت به. بينما كثير من كتاب الفنون الحركية يمارسون كتاباتهم ممارسة الصانع مهنته وليس ممارسة المبدع فنه.

مشاكل الكاتب المبدع

ويرجع ارنولدهاوزر فى كتابه «الفن والمجتمع عبر التاريخ» أزمة الفيلم إلى أنه لا يجد كتابه، وبعبارة أدق إلى أن الكتاب لا يجدون طريقهم إلى الفيلم. فالكتاب الذين اعتادوا أن يفعلوا ما يشاؤون داخل جدرانهم الأربعة أصبح عليهم الآن أن يعملوا حساب المنتجين والمخرجين وكتاب السيناريو والمصورين والمديرين وسائر أنواع الفنيين، على الرغم من أنهم لا يعترفون بسلطة روح التعاون هذه، أو حتى بفكرة التعاون أصلا. فمشاعرهم تثور على فكرة انتاج أعمال فنية لتسليمها إلى جماعة أو شركة. يستطيعون هم أنفسهم فى كثير من الأحيان أن يعللوا دوافعهم ـ فى يد قوة خارجية تفرضها عليهم فرضاً. أو فى يد أغلبية على أحسن الفروض ـ والمسألة مسألة ظاهرتين تنتميان الى فترتين زمانيتين متباينتين، الكاتب المنعزل الوحيد الذى يعتمد على قريحته الخاصة من جهة، ومشكلات الفيلم التى لا يمكن أن تحل إلا جماعياً من جهة أخرى. فالوحدة التعاونية للفيلم هى سبق لأسلوب اجتماعى لم نصبح بعد اكفاء له (٣). وكل ما يجرى على الفيلم ينطبق بالتالى على كل من الاذاعة والتليفزيون.

ذلك انه عندما ينتهى الكاتب من كتابة نص لاحدى وسائل الاتصال الجماهيرى المسموعة أو المرئية ـ بعد أن ووفق على فكرته ـ يقدمه من جديد إلى المخرج والمنتج ومرة أخرى تعقد اللجان لمناقشة النص ومرة أخرى تعرض اقتراحات بالتعديل والتنقيح. وتختلف الحالة النفسية التى تسود هذه اللجان باختلاف أعضائها. وينتهى الأمر بالنص إلى أن يصبح ربما بعيداً كل البعد عما كتبه المؤلف. حتى إن المؤلف الذي يفكر بعقلية أدب المطبعة يصعق ويصاب بالذهول عندما يرى على شاشة السينما والتليفزيون ما آل إليه النص الذى كتبه. ويمكننا أن نقارن معظم ما قرأناه من روايات بما نشاهده منها على شاشة السينما أو فى حلقات تليفزيونية.

فكل برامج الاذاعة والتليفزيون تكتب ثم تعاد كتابتها بحيث تتم فى المواعيد النهائية المقررة مما لا يمنح الكاتب إلا عدداً محدداً من الساعات للكتابة. فالمؤهل الأول للكاتب هنا هو القدرة على الكتابة تحت ضغط الظروف المتصلة بمواعيد هذه الأجهزة. والمقدرة على تقبل النقد عظيمة القيمة هنا. لأنها تعنى أكثر من عدم التجهم، فتلقى النقد معناه فهمه فهماً جيداً أو سريعاً بما يكفل تنفيذ الاقتراحات فى فترة اختصاره أو اعادة كتابة جزء منه حتى يتضمن سطراً أو إشارة معينة (٤) فالقصاص الذى تصل قصته الى الجماهير عن طريق هذه الوسائل الوسيطة يأتي دوره فى الدرجة الثانية. فرغم أن القصة كلها أساساً من ابداعه إلا أن المشاهدين يرون عمله عن طريق عدسة الكاميرا، وتتولى تفسيره عمليات المونتاج الخلاق وتوجيهات المخرجين وأداء الممثلين (٥).

وهكذا تذوب تماما فردية المؤلف فى عصر وسائل الاتصال الجماهيري، كما ذابت من قبل فى عصر الرواية الشفهية، وتصبح فردية الابداع ـ التي يتمتع بها المؤلف في عصر المطبعة ـ أمرا شبه مستحيل.

واننى كثيراً ما أتساءل ما إذا كان ذلك احدى الدلالات على زوال عصر الفردية ـ اذ يكون لى رأيي وأن يكون لك رأيك ونتعايش معاً ـ والذي تزامن وعصر المطبعة، ودخولنا مرة أخرى عصر الرأي الواحد. وهل هذه الأجهزة أحد أسباب أم إحدى نتائج ما نحن قد نكون مقبلين عليه؟

جماعية التلقي

أما جماعية التلقي لوسائل الاتصال الجماهيرى فهو أمر نفترض حتى ولو كان من الممكن تحقيقه أحيانا. لكن الأغلب الأعم هو أن يكون هناك جمهور قد يتسع كما في حالة السينما وقد يضيق كما في حال الاستماع إلى الاذاعة أو مشاهدة التليفزيون أحيانا. ويكون حكم المتلقي هنا متأثراً بمن حوله من انبهار أو سخط، وليس حكما فرديا كما في حالة القراءة، وما أشبه هذا المتلقى المعاصر بسلفه حين كان يجلس في المقهى مع جمهور المتلقين أمثاله يستمع إلى الشاعر ذي الربابة.

هذه الجماعية عند كل من المبدع والمتلقى في الفنون المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى تجعلها أقل حرية من الفنون الأدبية التي تقوم على فردية المبدع والمتلقي.

أول هذه القيود أن الرقابة على الأعمال المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى أكثر صرامة من رقابة الكتاب أو حتى المسرح. ذلك أنه كلما اتسعت دائرة الجمهور المتلقي كان التأثير أوسع نطاقا، وبالتالي كانت الرقابة أشد، وتأتي

محنة الفنون
في عصر السينما والراديو والتليفزيون

الرقابة السياسية فى المقدمة ، أما الرقابة الأخلاقية أو الدينية أو رقابة التقاليد والعرف فتختلف من بلد إلى آخر . وقد وصلت الرقابة ــ كما سمعنا أخيرا ــ إلى حد مطالبة بعض النقابات المهنية بمصادرة كل عمل فني يصل إلى الجمهور عن طريق إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية إذا كانت مهنة إحدى شخصياته المنحرفة تنتمي إلى إحدى هذه النقابات .

يقول بادي تشايفسكى في كتابه (ثلاث تمثيليات للتليفزيون) : فالدراما في التليفزيون تختلف عنها في الاذاعة عنها في المسرح بل ، عنها في السينما . فالاذاعة والتليفزيون على وجه الخصوص تسمع وتشاهد في الأوساط العائلية والمنازل والمدارس والنوادي وما أشبه ذلك . وما دام هذان الجهازان موجودين في المنازل ، فالاستماع إلى أحدهما أو مشاهدة الآخر سيكون متاحاً لجميع أفراد الأسرة ، كبيرها وصغيرها على السواء . وهذا يستلزم أن تكون الموضوعات المذاعة والمتلفزة لا تخدش الحياء .. فتحذف منها مثلا المناظر الجنسية ومناظر العنف كالقتل ، كذلك الأمر مع المسرحيات التي تعرض عن طريق شاشة التليفزيون إذ تحذف منها المشاهد المماثلة ، وأحيانا يكتفي بحجب الصوت إذا كانت الألفاظ غير لائقة .

إن الفنون التي تعرض على جمهور كبير محتشد في مكان واحد معاً تضطر إلى مخاطبة العامل المشترك البسيط ــ إذا جاز لنا أن نستعير المصطلحات الرياضية ــ بين هذا الجمهور ، حتى قيل إنها تخاطب مستوى من الذكاء يعادل عقلية صبي في الرابعة عشرة من عمره .

والعامل المشترك البسيط لجمهور السينما أقل بكثير من العامل المشترك لجمهور المسرح أو حفلة موسيقية . فمجرد حضور مسرحية حديثة في مدينة كبرى تقوم بها فرقة مسرحية لها شعبية ويقتضي الاستعدادات الداخلية أو الخارجية : مثل حجز المقاعد مقدماً والحضور في وقت محدد والتأهب لمهمة تملأ وقت السهرة . على حين أن المرء يحضر السينما ربما بطريقة عابرة ، وفي أي وقت إذا كان العرض مستمراً . ويربط أرنولد هاوزر بين وجهة النظر العادية التي يتخذها الفيلم ، والطابع الارتجالي غير المتكلف الذي يتسم به ارتياد السينما ، ويرى أن هناك جهداً مبذولا من أجل جذب أعداد أكبر من المستهلكين بغية تغطية نفقات الاستثمار المتزايدة ، ولقد كان من الممكن تغطية التكاليف اللازمة لأوبريت عن طريق مسرح متوسط الحجم ، بينما كان على الفرقة الاستعراضية أو فرقة الباليه الكبيرة أن تسافر من مدينة كبيرة إلى أخرى لكي تغطي نفقاتها . أما الفيلم الكبير فينبغي أن يسهم في تمويله رواد السينما في العالم بأكمله لكي يغطوا رأس المال المستثمر فيه ، وهذه الحقيقة تحدد تأثير الجماهير الشعبية في انتاج الفن ، فهي لم تستطع أبداً عن طريق مجرد حضورها العروض المسرحية في أثينا وفي العصور الوسطى أن تؤثر في أساليب الفن تأثيراً مباشراً ، فدخول المسرح الاغريقي لم يكن مجاناً فحسب ، بل كانت الدولة تمنح كل مواطن مكافأة كتعويض جزئى عما يضيع عليه من كسب بسبب انقطاعه عن العمل لمشاهدة المسرح الذي كان يدوم اليوم كله ويستمر ثلاثة أيام . وكانت هذه المكافأة تسمى بدل مسرح . وكان الجمهور يستفتى فيما يعرض عليه ، فقد كانت تعرض مسابقات سنوية خلال هذه الأيام الثلاثة ، يخصص كل يوم فيها لشاعر من كبار الشعراء يعرض فيه ما كان يسمى رباعية مؤلفة من ثلاث مآس أي تراجيديا ثم مسرحية رابعة هزلية ويمنح الفائز غصن الزيتون وينقش اسمه على لوحة الخالدين ، ولكن منذ أن ظهرت الجماهير بوصفها جماهير مستهلكة (بكسر اللام) ، وأصبح أفرادها يدفعون الثمن الكامل لمتعتهم ، عندئذ فقط أصبحت الشروط التي يدفعون بها أموالهم عاملا حاسماً في تاريخ الفن ، وأحياناً ما يكون تملقهم أو عرض ما يغريهم ــ وإن لم يكن في صالحهم ــ سمة أخرى من السمات التاريخية لوسائل الاتصال الجماهيري .

جاذبية قانون أقل الجهود

وإذا كان استخدام الآلات في الانتاج قد أخذ يوفر من مجهود الانسان العضلي ، فانه قد استبدل بهذا المجهود مجهودا آخر لا يقل قسوة واستهلاكا للانسان وهو المجهود العصبي . فسائق السيارة أو الجرار مثلا قد يظل جالساً ست ساعات أو أكثر دون أن يبذل أي مجهود عقلي ، ولكنه مع ذلك يبذل مجهوداً عصبياً قاسياً بيقظته المستمرة وانتباهه المتصل . وقد أثبت علم التشريح أن الجسم أكثر عجزاً عن تجديد النشاط العصبي منه عن تجديد النشاط العضلي ، ولو أننا أضفنا إلى كل ذلك مشقات الحياة العصرية التي تزداد تعقيداً بالنسبة إلى الحياة البدائية القديمة ، لأدركنا مدى عجز الانسان المعاصر عن توفير ما يلزم من جهد وطاقة للقراءة ، بحيث يتضح لنا الاساس العضوى والنفسى الذي تستند إليه الاذاعة وغيرها من أجهزة السمع والبصر في منافستها للقراءة . فهذه الأجهزة تستمد قوتها من قانون انساني عام هو قانون أقل الجهود ، وجاذبية هذا القانون للانسان المجتهد في عصرنا الحاضر (٦) . فالناس ينظرون إلى هذه الأجهزة نظرتهم إلى أجهزة للتسلية والترفيه ، والثقافة تتطلب حالة نفسية جادة وتأهبا أراديا لتحصيلها ، ثم مجهوداً حقيقياً يجب أن يبذل في سبيلها .

ولكن من ناحية أخرى يمكن القول إن الاذاعة بتقديمها للمسرحيات تعزز أهمية النص الأدبى للمسرحية ، ولا تدع حركات التمثيل أو المناظر تطغى على ذلك النص بحيث يمكن القول إن الاذاعة تؤدي إلى تعزيز الأدب التمثيلي وتقريبه من اهتمام عامة الناس وذلك لأن حسن الالقاء والتنغيم وحسن استخدام المؤثرات الصوتية يضاعف من قوة تأثير النص الأدبي بما ينفث فيه من حياة دون أن تطغى الحركة التمثيلية والمناظر ــ كما سبق أن ذكرنا ــ على النص الأدبى (٧) .

الكتابة فى التيه

والمؤلف المسرحي يعرف دائما رأي جمهوره في مسرحيته فالتصفيق أو القهقهات المنبعثة من أرجاء الصالة أو الصمت التام أو الزحام على المقاعد دلالة على مدى ما يلقاه عمله من اقبال واعجاب . وعلى العكس من ذلك إذا قوبل عمله بالصفير وصيحات الاستهجان وخلو المقاعد من شاغليها . فالمسرحية لا تصبح عملا فنياً متكاملا حتى تقدم إلى جمهورها . ولهذا ربما كانت الرغبة في التعلم من الجمهور هي أثمن ما يستطيع الكاتب المسرحي الناشيء أن يكتسبه للتقدم في كتابة المسرحية وحتى كاتب السيناريو السينمائي ــ برغم أنه لا يعمل من خلال ممثلين من لحم ودم ــ إلا أنه يستطيع ملاحظة رد فعل عمله على الجمهور المحتشد في دار العرض ، كما أن هناك شباك التذاكر يدل كلا من الكاتبين ــ المسرحي والسينمائي ــ دلالة لا لبس فيها على مدى نجاح عمليهما جماهيريا .

ولكن المؤلف الاذاعي والتليفزيونى ــ على عكس صاحبيهما ــ يكتبان في تيه . فلكل منهما جمهور يقدر بأضعاف جمهور المسرح والسينما ، ولكنه جمهور خفي . فلا يمكن التأكد ــ في أية لحظة ــ ما إذا كانت هذه الملايين تشاهد تمثيلية أم أنها أغلقت أجهزة الاستقبال في وجهها . لهذا لا ينطبق عليها هنا القول المأثور بأن الجمهور جزء من التمثيلية .

والحقيقة أنه ليس للمؤلف الاذاعي أو التليفزيوني جمهور بالمعنى المتعارف عليه ، لكن له عدداً كبيراً من المشاهدين ، يشاهدون عمله إما فرادى وإما في مجموعات قليلة العدد . وهذا موقف جديد كل الجدة على المؤلف الدرامي ، وعليه كي يجابهه ألا يتعلم حرفة جديدة فحسب ، بل يتعلم وجهة نظر جديدة (٨) .

فالتأليف الاذاعى والتليفزيونى معناه ان المؤلف يحاول أن يقص قصة على شخص أو عدة أشخاص ليسوا مضطرين إلى سماعها ، ولم يتكلفوا أجر مقعد في دار عرض لمشاهدتها ولا تهيؤا خاصا لرؤيتها ، كما أن جو المنزل الغارق في الضوء يسمح بمشتتات وملهيات لا حصر لها . ومن ثم يتحتم على المؤلف التليفزيونى أن يستخدم كل براعته ، ويستفيد من

كل الحيل الفنية ، كي يجعل الأشياء واضحة أمام المشاهد وجذابة حتي لا يغلق جهاز الاستقبال .

يقول جورج لوثر في كتابه (دليل التأليف التليفزيونى) : إن على مؤلف التليفزيون ألا يشعل عود ثقاب بل أن يطلق صاروخا ، لا يأخذ بيدك في رفق بل يقبض على رقبتك ويقتلعك من مكانك اقتلاعا . بينما المؤلف الروائي والمؤلف المسرحي وكاتب السيناريو السينمائى في غنى عن ذلك (٩) .

مجالات الاختيار

وكل ثقافة تتطلب اختياراً للنوع الذى يريده الانسان منها ، ومجال الاختيار فى كل من السينما والاذاعة والتليفزيون محدود بعدد دور السينما القريبة ومحطات الاذاعة وقنوات التليفزيون مما لا يقاس بمجال الاختيار فيما يراد قراءته من كتب ومجلات . وهى حرية تعود فتبعثها من جديد ــ فيما يبدو ــ انتشار الأشرطة السمعية والبصرية أو الكاسيت والفيديو كاسيت .

أخذ البعض على جهازى الاذاعة والتليفزيون أن مخاطبتها لعدد مهول من الجماعات يعمل على نشر روح القطيع ، أى نشر ما يسمى بالكونفورميزم أي الطابعية التى تدمغ الناس بطابع واحد ، وتصب أرواحهم وعقولهم فى قالب واحد ، مما يقضى على الأصالة الفردية وحرية الرأي والاختيار . وان كان يمكن القول من ناحية أخرى إنها تقرب بين العقول فى النظر الى الحياة والى المجتمع . وتنمى التقارب فى التفكير السياسى والاجتماعى والقومى (١٠) .

خلاصة القول ان الجمهور المتلقى تطور من جمهور المسرح أو الأوبرا أو الباليه وهو جمهور محدود العدد له ذوق متجانس ، يتأهب أفراده لقضاء سهرتهم ، بحيث يكونون جماعة ذات طابع خاص يختلفون عن المارة فى عرض الشوارع أو الجالسين على المقاهى . فلما اخترعت السينما كانت تكاليف الفيلم من الارتفاع بحيث أصبح على منتجيه أن يعرضوه على جمهور أوسع ، لا لاستعادة رأس المال المستغل فحسب بل وللحصول على أرباح ، فأصبح الفيلم يعرض على شعوب مختلفة الأذواق والمستويات والتقاليد والعقائد ، وهو يحاول أن يخاطبها جميعاً وأن يجتذبها ويخرج النقود من جيوبها ، وهكذا فقد الجمهور تجانسه النسبى الذى كان يتميز به جمهور المسرح والأوبرا ، بل وجمهور المقاهى فى بلادنا وهو يستمع إلى شاعر الربابة يغنى سيرنا الشعبية . فلما اخترعت الاذاعة والتليفزيون ، بقدر ما ازداد اتساع الجمهور بقدر ما قل الجهد المبذول من جانب المتلقى فى التهيؤ للاستماع أو المشاهدة ، فلئن تضاءل تجانس جمهور السينما فقد كان هناك ما يزال جهد جانب المشاهدين فى الذهاب إلى قاعات السينما ودفع أجر معين عند الدخول والتأهب لقضاء سهرة كاملة ، كما أن الظلمة التى تشمل القاعة تعزل أفراد الجمهور بعضهم عن بعض رغم انهم يشعرون بتكتلهم مما يجعل احساسهم بالفردية والجماعية شبه متعادل ، فكأنما السينما بذلك كانت مرحلة وسطى بين فنون المسرح والأوبرا والباليه وفنون الاذاعة والتليفزيون . تلك الفنون التى تسللت الآن داخل البيوت بحيث تضاعف عدد المشاهدين تضاعفاً مهولا ، لكن بقدر اتساع الجمهور بقدر ضحالته النفسية ، فليس ثمة تأهب خاص ولا جهد مبذول فى الاستماع والمشاهدة ، وليس ثمة عزلة للمتلقى تعينه على التركيز ، بل ربما يستمع الى الاذاعة أو يشاهد التليفزيون وهو يتسامر مع ضيوفه أو بعد عشائه ولهذا فمن الممكن ببساطة إذا لم يجذب العرض المشاهدين اغلاق الشاشة فى أية لحظة بحيث يصدق القول (اتسعت المساحة وقل العمق) . والبعض مثل ديهاميل فى كتابه (دفاع عن الأدب) يعلن أن الثقافة الروحية مجهود وكل نظام للحضارة يضعف المجهود فهو يضعف الثقافة أيضاً .

الاختراعات وبداية المشاكل

ويقول روجر م . بسفيلد (الابن) فى كتابه (فن الكاتب المسرحى) : لقد كان لزاماً على القصاص المسرحى ــ وذلك لعدة آلاف من السنين ــ أن يحصر نفسه فى مساحة محددة تؤدى فيها مسرحيته ، وقد مرت هذه المساحة ، أو حلبة التمثيل ، بأشكال مختلفة خلال القرون إلا أن مظهراً وحيداً فذاً من مظاهرها ظل ثابتاً لا يتغير ، ذلك أن المساحات المحددة كلها كان يتم ترتيبها بحيث يستطيع جمهور من الناس محتشد فى كتلة واحدة ــ وليس أفراداً متباعدين ــ مشاهدة الحدث الذى يصوره الممثلون أو يحاكونه . وقد أطلقت المدينة على هذا المزيج الذى يتكون من التمثيلية وحلبة التمثيل وجمهور النظارة كلمة المسرح .

وبطلوع فجر القرن العشرين ، وظهور اختراعات إديسون وماركوني ، بدأ عصر الالكترونيات وبدأ المسرح فترة جديدة من التحول تبعاً لذلك ، ولم يعد الكاتب المسرحى هذا الوسيط الواحد فحسب ... وسيط المنصة المسرحية التى يقص من فوقها قصصاً ... بل أصبح يملك ثلاثة أوساط أخرى جديدة هي : شاشة الصور المتحركة ، فميكرفون الاذاعة ، ثم شاشة التليفزيون آخر الأمر .

وكانت الصور المتحركة أول هذه الأوساط الثلاثة ، وبظهورها أصبح فى وسع العدسة المتفحصة المستقصية أن تتلمس أدق العواطف وأشدها إرهافاً وتكبرها فوق شاشة واسعة ، كما بلغ فن التمثيل ــ فى تعبيره بقسمات والوجه واستخدامه وقفة التردد ــ مستوى جديداً رفيعاً . أما جمهور المتفرجين فظل كما هو محتشداً إلى بعضه البعض ، يستجيب لما يرى استجابة الجماعة الواحدة ، إلا أن الاستجابة الفورية بين الممثلين الأحياء وجمهور النظارة تلاشت واختفت ، ومن ثم كان على كاتب الدراما أن يغير من فنه الكتابى . وفى مقابل ما خسره الممثل السينمائي من علاقة مباشرة بينه وبين جمهوره ، فقد كسب انتشاراً أوسع لأن العلاقة بين السينما والمسرح كالعلاقة بين الكتاب المطبوع والكتاب المخطوط .

ثم ظهر الوسيط الاذاعى . وهنا نشأ مسرح التخيل الذهنى ، وتفتت جمهور القرن العشرين إلى أفراد أصبحت أذهانهم ــ عبر آذانهم ــ هى المدرج الجديد الذى يكتب له المؤلف المسرحى . كما أصبحت أصوات الآلات وأصوات الممثلين والموسيقى حافزها المستثير . واكتشف القصاص الدرامى فناً كتابياً جديداً للربط بين الحدث والشخصيات فى تمثيلياته وبين الأذن الانسانية المدركة .

ولكن العلم لم ينقطع مدده للمؤلف المسرحى ، فما لبث أن أتاح له القرن العشرون المزاوجة بين العناصر البصرية لشاشة الصور المتحركة وبين قدرات الالكترونيات فى اجتياز المسافات وذلك عن طريق وسيط جديد هو التليفزيون ، ومن ثم أصبحت غرف الجلوس فى جميع أرجاء العالم هى مدرجه الجديد .

يوسف الشارونى

المراجـع :

١ ــ يوسف الشارونى « القصة والمجتمع » سلسلة كتابك رقم ٧٤ ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

٢ ــ بادي شايفسكى ، ثلاث تمثيليات للتليفزيون . ترجمة صلاح عز الدين ، مكتبة مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

٣ ــ أرنولد هاوزر ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف . ١٩٧١ جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ــ ٤٩٩ .

٤ ــ كنجسون وكاوجيل آخرون ، الاذاعة بالراديو والتليفزيون ، ترجمة نبيل بدر ، المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ ــ ٩٢ .

٥ ــ المرجع السابق ، ص ١١١ ــ ١١٢ .

٦ ــ د . محمد مندور ، الثقافة وأجهزتها ، مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ، ١٩٥٨ ، ص ٢١ و ٢٢ .

٧ ــ المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٨ ــ سير بازيل بارتليت تأليف التمثيلية التليفزيونية . ترجمة عزت النصيري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٣٨ .

٩ ــ جورج لوثر ، دليل التأليف التليفزيونى ، ترجمة عزت النصيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

١٠ ــ الثقافة وأجهزتها ، ص ٢٨ .

١١ ــ جورج ديهاميل ، دفاع عن الأدب ، ترجمة د . محمد مندور . الدار القومية للطباعة والنشر . ١٩٦٤ ، ص ٤٢ .

هل يتحول شعرنا إلى جولة بغير دليل في دار للمجانين؟


محمود سامى البارودى


خليل مطران

مدرسة شعرية ولكن!

بقلم : الدكتور كمال نشأت

المتابع لحركة الشعر ومسارها ابتداء من أوائل نهضتنا يراه مواكباً لحياتنا ، معبراً عن تطورها الحثيث ، فالشعر جنس من الأدب يصور كما تصور الأجناس الأخرى الحياة فى المجتمع .. من هنا كان تطوره إيذاناً بتطور مجتمعنا ، ورصداً لمساره الحضارى ابتدأ البارودى حركة احيائه وتلقفه مطران ليمنحه نسغاً من الحياة الجديدة المتأثرة بشعر الغرب ، ولكن فى حدود ، وأكمل عبد الرحمن شكرى درب تطوره ، ووضع له العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وميخائيل نعيمه . قواعده الجديدة .

كل هؤلاء وضعوا أسساً وقواعد فى الشعر جديدة .. وكانت الصبغة الرومانسية نابعة من البيئة العربية ، وإن وجدت متنفساً لها فى الشعر الرومانسى الغربى الذى اطلع كلهم عليه فى لغته الأصيلة ، فكانت نماذجهم الشعرية نماذج جديدة وإن حملت هموم الناس وتطلعهم الى شعر جديد يواكب نهضتهم الحضارية ، وإذا بحال المجتمع كالذى يقف برجلين : رجل فى القديم وأخرى فى الحديث ، ذلك أن فشل المحاولات السياسية لنيل الاستقلال ، ووجود المستعمر الأجنبى فى أغلب الأقطار العربية ، خلقا حالة من عدم التوازن النفسى والاحباط الفكرى ، وإننا لنجد أصداء ذلك كله فى شعر الجيل الرائد أمثال شكرى ، وخليل مطران ، وأبو شادى ، والعقاد والمازنى .

كان المجتمع العربى يفور ويغلى متطلعاً الى النموذج الغربى فى كل شيء — والملاحظ — فى المجال الذى يهمنا وهو الأدب — أننا دائماً نأخذ عن الغرب تياراته ومذاهبه الأدبية بعد أن تكون هذه التيارات قد انتهت فى بيئاتها الأصلية ، ولذلك كانت رمزية شكرى وأديب مظهر وسعيد عقل ، مثلا تنمو فى شرقنا العربى بينما هى ماتت فى أوروبا .

على أننا ونحن نذكر هذه الحقائق لا ننسى أن نشير الى الشعر السريالى أو الذى اجتمعت فيه مذاهب أو مدارس مختلفة مثل الشعر العربى الحديث ، الذى خرج شعراؤه عن الواقعية أو الرومانسية أو الرمزية ، وكتبوا شعراً جمع بين هذه المدارس كلها .

إن التطور الذى مس شعرنا كان تطوراً حاسماً سريعاً ، والتأثر شىء طبيعى فى مجال الأخذ عن الآخرين ، فلابد أن ينشأ تيار ما أو مذهب ما يلتفت إليه الناس فى موطن نشأته ، فاذا آمن به جيل من الشعراء بحيث تتوطد تعاليمه لتؤثر فى أدب هذا الجيل كان من الطبيعى أن المتأثرين به فى أمة أخرى يحتاجون الى وقت ليس بالقصير حتى يتأثروا به ، وهذا هو الذى حدث فى أمر تأثرنا بالتيارات الشعرية الغربية الحديثة .

وهو أمر — كما ذكرنا سابقاً — طبيعى لا شذوذ فيه .

حركة بلا هوية

إلا أن شعرنا الذى مر بمراحل متباينة قد تعرض الى تيار جديد كان مزيجاً من تيارات مختلفة ، ابتدأ من الستينات ، وكتب نماذجه


أدونيس


إليـوت

الأولى الشاعر السورى (أدونيس). وقد تأثر به جيل كامل من الشعراء على اختلاف فى مستويات التأثر، وقد استفاض هذا التيار الذى يقوم ــ اذا حاولنا رده إلى أصوله ــ على مزيج من الرمزية والسريالية والتصويرية، ومع انه شكل مدرسة، إلا أنه لم يجد من يضع لها اسماً.. إنه حركة شعرية موجودة دون اسم يحدد هويتها، ولقد لعب اليوت فى رفد هذا التيار دوراً هاماً، خاصة أن شعراءه قد تأثروا باعتماده على الأساطير، وان كان شعره أكثر تماسكاً ووضوحاً.

لقد اعتمد إليوت فى مذهبه الشعرى على الشعر الميتافيزيقي الذى احتفل بالذهنيات، وعلى الشعر الفرنسى الرمزى الذى ابتعد عن الوضوح، ولجأ الى البلورة والايحاء، وعلى «الإيماجيين» الذين يعتمدون على (الصورة) وعلى رأسهم الشاعرة (إميلى دكنسون) والشاعر (إزرا باوند). كان إليوت يؤسس مذهباً خليطاً من هذه الاتجاهات، وكان أهم ما دعا إليه هو (المعادل الموضوعي) الذى أقصى الذاتية الفردية وجعلها تختفى خلف معادل ما من الأساطير والمواقف الموضوعية البعيدة عن ذات الشاعر. أما السريالية فقد أنكرت الواقع الخارجى واعتمدت على كشوفات علم النفس، خاصة (اللاشعور) الذى تكمن فيه وراثات الجنس البشرى وخبراته، فدعت الى (الكتابة الآلية) التى لا يحدها منطق، ولا يتدخل فى جريانها عقل، ومثلما يعبر (الحلم) عن الانسان حيث تتدفق الصور الخرافية دون عقلانية أو منطق، تتدفق على الشاعر السريانى القصيدة التى يجب أن تتابع صورها فيكتبها ــ وهو فى غفوة العقل اليقظ ــ دون مراجعة، وعليه ان يكتب بسرعة مثلما يكتب كاتب الطابعة السريع الطبع ما يمليه عليه متحدث سريع الكلام، وهى الكتابة التى أسماها «أندريه بريتون» الكتابة الآلية.

هذه باختصار شديد التيارات التى غزت الساحة العربية، فأثرت فى مجرى، الشعر العربى الحديث عند جيل من الشعراء وإن كانت الرمزية أقدم تأثيراً فى شعرنا الحديث، وقد كان هذا التأثر عن طريق القراءة المباشرة من قبل الشعراء الذين يجيدون لغة أجنبية، وهم قلة، أو عن طريق التأثر ببعض الشعراء الذين تمثلوا هذه التيارات، وعلى رأس هؤلاء الشاعر (أدونيس) الذى يجيد الفرنسية، ويتابع حركة الشعر الحديث، وهو قادر على تنظير وجهة نظره المتأثرة بالتيارات الحديثة فى الشعر الأوروبى قدرته على تقديم النموذج الشعرى الذى يحاول أن يحقق فيه وجهة نظره الشعرية، وقد تابعه جيل كامل من الشعراء ومازالوا، واذا بهم يدورون فى فلكه، لا يستطيعون الخروج فيه بشخصيات مستقلة، والقادرون على ذلك كانوا قله محدودة.

على ان هذا التيار المزيج من الرمزية والسريالية والتصويرية كانت السريالية عماده الأول، وقد اختلف الشعراء الذين ينتسبون إليه بعد ذلك فى مدى استفادتهم منه، ومدى تأثرهم بالنماذج الشعرية التى كتبها الكبار فيهم.. وهكذا اختلفت المواقف، وتشتت الاتجاهات داخل هذا التيار، فوقع الكثيرون فى متاهة العرضي والتافه والتقليدى، فالشعراء يشتركون فى الصور والتعابير وطريقة صياغة الجملة حتى أصبح شعر هذا التيار قصيدة واحدة تنشر بأسماء مختلفة.

أما الشعراء الذين أثبتوا وجودهم فى الساحة الشعرية واستفادوا من كل التيارات الغربية وتمثلوها، وعرفوا كيف يستفيدون منها ممزوجة بتراث أمتهم الشعرى ولم يفقدوا صلتهم بجمهور الأدب، فقد كانوا قلة.

أما فى الشعر الانجليزى الذى خضع كثير من شعرائنا لأثره وتأثيره فقد كان (ديلون) توماس) شاعراً استغرق نفسه فى التعمية المقصودة، حتى أن المسودات التى كتبت فيها قصيدة واحدة من شعره بلغت سبعاً وأربعين ورقة، وكثير من جملها قد شطب وغير مرات عديدة بلغ أقصاها احدى وأربعين مرة للجملة الواحدة (راجع «ديلان توماس» لجبرا ص١١٨). وقد اختلف النقاد فى الحكم عليه.. من هنا كان رأى هـ. ج. بوريتوس الذى قال فى شعره (إنه جولة بغير دليل فى دار للمجانين) أما ستيفن سبندر فقال (انه مجرد مادة شعرية لا أول لها ولا آخر، ولا سيطرة عليها ذكية أو مفهومة).. لقد ظل ديلان (لعشرين سنة غير مفهوم لدى معظم الشعراء والنقاد المدركين فى زمانه).. وعلى الرغم من النقاد الذين وقفوا الى جانب شعره، فإن الاختلافات حول هذا الشعر كانت عميقة وكثيرة، ولا عبرة بأن ديوانه قد طبع مرات خلال سنتين، فإن القاءه المذهل للشعر خلال ندواته الشعرية فى انجلترا وأمريكا يقف ــ فى رأينا ــ وراء هذا النجاح!

واذا كان الخلاف على شعر ديلان توماس عميقاً فى بيئة لم يشكل هذا الشعر مفاجأة لها لأنه قد نما نمواً بطيئاً وصحياً على أسس سابقة استقرت فى البيئة الأوربية، واندا حَ فى نفوس الناس وأذواقهم.. أقول إذا كان شعر ديلان توماس هو حصيلة كل هذه المذاهب، وهى تقف وراء كل بيت من أبيات شعره، ومع أنه ثمرة لكل هذه المذاهب الشعرية فإن عدداً كبيراً من النقاد الغربيين الذين عاشوا هذه المذاهب يرفضون شعره ويرمونه بالجنون أو التصنع والافتعال الغامض الخ..

فاذا كانت هذه هى حال كثير من الأدباء والنقاد أمام هذا التيار الشعرى الذى نما نمواً طبيعياً فى بيئاته الأصلية، فما هو حال جمهورنا المتذوق للشعر الذى يفاجأ بهذا النمط دون مقدمات من مذاهب أدبية معينة تعيش خلال عشرات السنين وتلون الذوق العام، وتهيىء هذا الذوق لتقبل تيارات جديدة تتوالد من هذه التيارات، فالمعروف أن أى مذهب جديد لا يخرج من عدم، ولا يأتي من الهواء، وانما هو جنين شرعى لما سبقه.. أرجع لأقول: كيف يتعاطف القارىء العربى مع هذا التيار وقد نما ذوقه ــ عبر أجيال ــ على شعر يهتم بالعلاقات القريبة بين الأشياء وكان أقرب إلى الواقع وبساطة الخيال.

ان هذه النقلة الشعرية فى مسيرتنا الابداعية كانت مفاجأة باترة حادة، ولم يكن لها تمهيد على الاطلاق. ولأنها قادمة من بيئات ذات تطور حضارى معين، كانت الهوة عميقة بين الجمهور المتذوق للشعر وهذا التيار الجديد، وقد ساعد على انصراف الناس عنه النماذج الغريبة الشاذة التى اطلعوا عليها. من هنا كان عدم التعاطف معه على المستوى العام، وإن كان الشعر المعقول فى هذا التيار يحتاج بطبيعته إلى جمهور خاص من النخبة، ويكفى أن تسأل قارئاً محباً للشعر عن اسم شاعر يعجب به لتدرك أن اسماً واحداً من شعراء هذا التيار لا يمر بذاكرته، وستتأكد أن الشعراء الذين لا يتجاوزون عشرين شاعراً أو أكثر قليلا هم الذين يقرأون بعضهم البعض، وخارج هذا العدد المحدود لا أحد يعرف شيئاً عن هذا الشعر وأصحابه.

نقد مشروع

إن النقد الذى يوجه الى هذا التيار الشعرى الذى بدأ منذ الستينات، أى حوالى ربع قرن، يمكن اختصاره فيما يلى:

• لم يفرز هذا التيار شاعراً ناجحاً ولا أقول جهيراً على الرغم من مرور هذه المدة الكبيرة، وأدونيس نفسه، وهو رائد هذه المدرسة، معروف

مدرسة شعرية ولكن!

كشاعر قبل أن يتبلور عنده هذا التيار.

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يقدموا (قصيدة واحدة) ممتازة، يتفق جمهور الأدب ومتذوقوه على امتيازها مثلما اتفقوا على امتياز (سدوم) لأبي شبكه و (صلوات في هيكل الحب) للشابي و (أخي) لميخائيل نعيمه و (لست أدري) لأبي ماضي و (أنشودة المطر) للسياب الخ..

• عدم قدرة القارىء على حفظ قصيدة واحدة من هذا الشعر ولاشك أن انعدام المنطق في تركيب الجملة والغموض الذي يرين عليها عامة يقف وراء هذا العجز.. من هنا كان هذا الشعر متأبياً على القراءة.. والفهم.. والحفظ.. والتلحين (كأي شعر آخر) بعيداً عن أن يكون نموذجاً أدبياً راقياً يختار منه لتنمية الذوق الأدبي للطلبة (كأي شعر آخر).

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يكتبوا أو يكتب واحد منهم مسرحية شعرية.. وهذا شيء طبيعي.. فاذا كانت القصيدة المفردة لا تحقق تواصلا فنجاحاً لدى الناس المهتمين بالشعر، فما بالك بمسرحية؟

العيب في القصيدة

• يحتاج هذا التيار الشعري إلى مقاييس نقدية جديدة، فالمقاييس التي يعتمد عليها النقاد قد استقرت في الساحة الأدبية بعد مئات السنين استنتاجاً من واقع النصوص الأدبية الممتازة، وهذه المقاييس تنادي مثلا بوحدة القصيدة، ولنقل وحدة الموضوع على الأقل.. فأين هذه الوحدة في أغلب شعر هذا التيار؟ وهذه المقاييس تنادي بأن الانسجام بين تجربة القصيدة وايقاعها اللفظي من معالم نجاحها الشعري ولكن القصيدة المنتمية الى هذا التيار لا ايقاع لها يتفق مع نوعية تجربتها.. لأن التجربة ضائعة.. مهوشة.. مبهمة، والقصيدة كومة من المجازات والمجردات.. من هنا كان النقاد الشباب الذين تناولوا بعض شعر هذا التيار يقفون في فراغ القصيدة، فيدورون حولها من الخارج، لأن داخلها معتم لا يبين شيئاً، فيعمدون الى العموميات، والعموميات تؤدي الى الانشاء وخلق الجمل الأشد غموضاً من القصيدة المنقودة، واذا بنا - في السنوات الأخيرة - نقرأ نقداً غامضاً وانشاء لا يفصح عن شيء. والعيب غالباً عيب القصيدة التي لا تقدم إلا هذه الألاعيب اللفظية، فليست هناك تجربة شعورية ذات صلابة تتيح للناقد أن يتعامل معها.

• كانت نتيجة هذه المجازات التي لا يمسكها منطق، ولا يحددها ذوق أدبي متمرس، أن وقر في ذهن كثير من الشباب الأدباء أن الغموض هو سبيل التعبير الوحيد، وها هو كاتب شاب يكاد ينكر الوضوح فيعتذر له مبرراً.. يقول (وإن لم يكن الشاعر مفهوماً واضحاً فما ذاك بعائب له، فهو ذو قضية أصبحت (موضوعه) الشاغل الذي يصب فيه مضامينه..

ولنا أن نسأل: اذا كان هذا التيار الشعري يمثل مرحلة في الكتابة الشعرية تجريبية الوجه والهدف.. فالى أي حد نجح؟ وما الأعمال التي قدمها؟ هذا سؤال يجب أن يكون هدف الأدباء والنقاد؟

إن هذا التيار قد انتهى في الشعر الانجليزي الحديث.. مات.. وماتت مدرسة إليوت منذ ثلاثين سنة بتأثير الشعراء الشباب أصحاب ما يسمى بـ (الحركة) الذين أرجعوا الشعر الى بساطته.. وغنائيته.. ورومانسيته، واذا بهذه الرومانسية التي كانت سبة في حق الشاعر (العجيب أنها مازالت عندنا نحن المقلدين للتيارات الأدبية الغربية!) تكون المعلم الرئيسي لهذا التيار الذي قوض.. التجريد والغموض واستخدام الأساطير والثقافات المختلفة في وقت - كما قلت في مكان آخر - أصبح الناس يحتاجون القصيدة (الواحة) لا القصيدة (اللغز) بسبب من تعقد الحياة والتهديد بحروب تفني فيها الأسلحة الشيطانية الانسانية كلها، فضلا عن ارتفاع الأسعار العالمي.. وفساد الحياة الحضارية الآلية التي يعيشها الناس..

يؤكد كلامي هذا، كما يؤكد صحة الحركة الشعرية الجديدة في انجلترا، ما نشرته جريدة الثورة العراقية في العدد الصادر بتاريخ ١٨ آيار ١٩٨٣: (أقيم في مدينة نيويورك المؤتمر السنوي لعشاق الرواية الرومانسية حضره ٤٠ مؤلفاً وكاتباً وكاتبة في الرواية الرومانسية من الولايات المتحدة وبريطانيا، وتمت خلال المؤتمر مناقشة العديد من الموضوعات الخاصة بهذا النوع من الكتابة الذي زاد الاقبال عليه من قبل القراء والذي بلغ عددهم ٣٠٠ مليون قارىء، وتمثل نسبة المبيعات فيها ٤٠ في المائة من مجموع الكتب التي تصدر في الولايات المتحدة...).

بين أدب البساطة وأدب العُقَد النفسية

أما جريدة الجمهورية ففي عدد من أعدادها (الثلاثاء ١٧ أيار ١٩٨٣) خبر له دلالة تؤيد هذا الاتجاه. يقول الخبر ان رواية (الجندي الطيب شفايك) للكاتب التشيكي (جاروسلوف هازيك) قد ترجمت الى خمسين لغة أجنبية وحققت شهرة عالمية و (ان عناصر المرح والدعابة والسخرية التي تطبع أعمال (هازيك) على تضاد مع اليأس القائم والكآبة التي تصورها أعمال معاصره وابن بلده (فرانز كافكا) الذي ألف كتبه بالألمانية والذي يبدو أنه يستأثر باهتمام أقل من (هازيك) على صعيد تخليد ذكراه، إذ تصادف هذا العام أيضاً الذكرى المئوية لميلاد كافكا)..

العودة الى البساطة

وفي هذين الخبرين المختلفين دلالة لا تقبل الشك على اتجاه الأدب في العالم كله الى البساطة والى التفاؤل والى روح الرومانسية.. بعد أدب التعقيد والعقد النفسية واستعراض العضلات الثقافية (إليوت) والغموض الذي لا يفصح عن شيء (ديلان توماس).. يجرى هذا في العالم كله وتحدث هذه الارتدادة لأن طبيعة الحياة استوجبتها، ولكننا نحن المقلدين لتيارات الغرب الأدبية أشد حرصاً على هذه التيارات الأدبية التي تركها مبتدعوها!

إن الشيء الذي يجب أن يعرفه شعراؤنا هو أن الانتماء الى تيار شعري معين لابد أن يبرره قرب مزاج الشاعر وتكوينه النفسي لهذا التيار.. فالشاعر الغنائي طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً رمزياً، والشاعر الرمزي طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً واقعياً.. ولكن أن ينتمي جيل بأكمله الى تيار ما.. وافق أمزجة الشعراء وطبائعهم أم لم يوافق، فهنا الخطورة..

والعجيب أن شعراء هذا التيار يعتقدون أن طريقتهم في الكتابة الشعرية هي الطريقة الوحيدة، فهم يتهكمون على الشعراء الآخرين الذين لا ينتمون الى تيارهم وكأن الشعر (مودة) كما يحدث في مجال الأزياء في الوقت الذي لا يرتقي فيه شعر في أمة ما إلا اذا ترك الشعراء يقولون في الأسلوب الذي يلائم مزاجهم وطبائعهم.

من هنا كان تشابه وجوه الشعراء لأنهم دخلوا (القالب). ولأن التيار أصلا مفاجأة غير متوقعة للذوق الأدبي العربي كان هذا الحاجز العالي بين شعر هذا التيار وجمهرة المتذوقين، وإن كانت هناك نماذج ناجحة فالذين يتعاطفون معها قلة من النخبة الذين تمرست أذواقهم على نماذجه الغربية لتمكنهم من لغة أجنبية.

كمال نشأت

كائنات

شعر: محمد آدم

في الحجرةِ
معتمةِ الضوءِ
تموجُ الأشياءُ
وتدخلُ ريحٌ من فتحاتِ الحائطِ
تَدْهَمُ مصباحَ الغازِ الموقدَ
يهتز قليلاً
ويغيبُ الضوءُ المتأرجحُ
ما بينَ الظلمةِ
والظلِ
فأبحثُ عن عودِ ثقابٍ
أُشْعِلُ قِنْدِيلاً
هلْ تأتي السيدةُ الآنَ
ويأتي الطيرُ البحريُّ
من السفرِ المتربِ
عَبر الغاباتِ
المتلاصقةِ الأطرافِ
انفرطَ المطر الليليُّ
على قِطْعَانِ الأيلِ المتحركِ
صوبَ النبعِ
الساكنِ
صمتٌ
يَخرقُ أرجاءَ القريةِ
مازالتْ أبخرةُ الليلِ تُحلِّقُ
فوقَ الأعمدةِ المتساقطةِ
الضوءِ
كلابٌ تتعاركُ فوقَ الوحلِ
المُتألقِ
مازالَ الفَجرُ يُعرِّشُ



خلْوَته
والسيدةُ تُرَتِبُ زينتَها
وتعدُّ الشاىَ
الرجلُ الكهلُ ـ المتأنقُ ـ
يتأبطُ
فَرْعَ طفولتهِ
ويثرثِرُ
عن حربٍ قد شارَكَ فيها
من زمن
لا يتوقفُ فوقَ عقاربِ
ساعتهِ
قِطعٌ من غيمٍ أبيضَ تَسَّابَقُ
ناحيةَ الأفقِ المُعْتمِ
وتخلِّفُ أشباحاً
من غيمٍ
يتراكضُ
في ذاكرةِ الوقتِ
وها هيَّ ريحٌ تَطْرُقُ بابي
وتُنَقِّرُ فوقَ الجدرانِ
المتصالبةِ
على أنقاضِ العشبِ
هدأتْ أمطارُ الليلِ
ابتدأ رجالُ الدَرَكِ
يجوبونَ
شوارِعَهُمْ
في الحجرةِ
معتمةِ الضوءِ .

الخرائط الجيولوجية

بقلم
درويش مصطفى الفار

علم صناعة الخرائط بأنواعها من سمات الحضارة الإنسانية ، منذ بدأ الإنسان يعقل ، ولا تستطيع دولة من الدول أو مجموعة من البشر ، فى زماننا هذا أن تدعى الانتماء إلى الركب الإنسانى ومواكبة التقدم العلمى المعاصر إذا لم تعط لعلم صناعة الخرائط ما يستحق من اهتمام ، وتبذل فى سبيله من الجهد والمال ما ينبغى له ..

والخريطـــة أو الخارطـــة كلمة جـــديدة فى لغتنا العربيـــة إذا أردنا بهـــا تلك اللوحات التى نستبين منهـــا ، بمختلف المقـــاييس ، مواقـــع الأمـــكنة على ســـطح هـــذه الأرض برا وبحـــرا ..

وكان جغرافيونا الأقدمون ، كالمسعودى ، والجيهانى ، وابن خرداذبة والعذرى وابن حوقل والكيماكى والقردى واليعقوبى والمنجم والبصرى والادريسى يسمون الخرائط ، مساحة الأرض ، أو صورتها ، أو رسمها ، ولم ترد فى كتبهم كلمة خريطة أو خارطة ...

ولا نود أن ننحو منحى المتزمتين والمتنطعين ، الذين يطيب لهم الجدل العقيم فى أن الشاعر الانجليزى (شكسبير) من أصل عربى وكان اسمه (شيخ زبير) ...

فقد ظهرت كلمة (كارت) أو (تشارت) بمعنى الخريطة أو الخارطة فى سنة ١٥٧١ فى اللغة الانجليزية ، وكان الانجليز آنذاك أكثر الناس اهتماما بصناعة الخرائط ، تمهيدا لإنشاء الامبراطورية ..

واشتقت تلك الكلمة من كلمة اغريقية وأخرى لاتينية معناهما رقعة من (البردى) أو قرطاس من البردى ، وكان البردى ورق الكتابة منذ أن اخترعه المصريون القدماء على ضفاف النيل ..

ولا أدري هل (قرطاس) العربية هي الأقدم بين الناس أم (خارطس) الإغريقية أم (كارد) أو (شارتا) اللاتينية .

ثم استخدموا كلمة (تشارت) سنة ١٦٠٥ لتسمية لوحة دائرية من (الكاغد) أو الورق المقوى ، يعلوها اثنان وثلاثون خطا كل منها يبدأ من مركز الدائرة ، لتبيان الجهات الأصلية على البوصلة .. أما كلمة (ماب) الانجليزية فقد استخدموها سنة ١٥٢٧ ، اختصارا لعبارة لاتينية تلفظ (مابا موندى) بمعنى صورة الأرض من سطحها ..

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة ، إذا قلنا إن كلمة خريطة أو خارطة كما نستعملها اليوم فى لغتنا العربية هى تعريب أو توليد من كلمة (تشارت) أو (كارتا) .. تماما كما أخذنا من الآخرين كلمات ، جغرافيا ، وفيزياء ، واصطرلاب ، وكما أخذ منا الآخرون كلمات ، الجبر ، واللوغاريتم ، والترسانة ، والقند ، وما إلى ذلك .

• والخرائط فى الحضارة الإنسانية ، على طول الزمان ، أنواع واشكال لا غنى للناس عنها فى السلم والحرب والبر والبحر ، وحتى نجوم السماء ومجراتها ، صنعوا لها الخرائط بمختلف المقاييس ..

• ولعل من أهم أنواع الخرائط التى يتداولها الناس كأساس لبناء أنواع العمران الحضارى ، ما نسميه الخرائط الجيولوجية ..

• والخرائط الجيولوجية تتميز عن غيرها من الخرائط ، فى أن نوعاً منها ، تعبير عن (الزمان والمكان) معا ، بينما غيرها من الخرائط والمخططات هى تعبير عن المكان فقط ..

• وإذا كانت الخرائط عادة ، صورة لسطح الأرض من ظاهره ، فإن الخريطة الجيولوجية تبيان ، عند أهل الاختصاص ، لباطن الأرض وما تحت سطحها ، لأن المشتغل بعلم الخرائط الجيولوجية ، يستطيع بما لديه من العلم والخبرة والممارسة ، أن يرى باطن الأرض من ظاهرها !!!!

فإذا نظر المختص إلى خريطة قطر الجيولوجية مثلا ، ووجد أن سطحها تغطيه طبقات العصرين (المايوسين) و(الايوسين) الأوسط والادنى ، علم انه بالحفر يمكن اختراق طبقات العصور المتتابعة من الأحدث الى القديم ، الطباشيري والجورى

والترياسى والبرمى والفحمى والديفونى والسيلورى والاوردوفيسى والكامبرى ، وان ما فوق الميوسين ، من طبقات البلايوسين والبلايستوسين ، إما أنها لم تترسب أصلا على سطح شبه الجزيرة ، أم أن عوامل التعرية قد محتها خلال الأحقاب منذ بروز شبه الجزيرة وجزر حوار والعاليه والسافلية من تحت الماء .. وان غياب طبقات الأيوسين الأعلى والمايوسين الأدنى والاوليجوسين والباليوسين ، قد يعود إلى واحد من أسباب عديدة لا مجال هنا لحصرها ..

وقد بدأ العلماء فى الاهتمام برسم الخرائط الجيولوجية لسطح الأرض منذ زهاء قرنين من الزمان ، باستثناء أقدم خريطة جيولوجية عرفها علماء التاريخ حتى اليوم ، وهى بردية ثورين التى يرجح الباحثون أنها لمنطقة منجم ذهب الفواخير بالصحراء الشرقية المصرية ..

وقد حاول العلماء فى البدء تمييز أنواع الصخور على سطح الأرض من نارية وبركانية ورسوبية متماسكة وروسوبية لا تزال سائرة إلى التماسك كالكثبان الرملية ورواسب الأنهار والشطوط والأوشال والسباخ والبحيرات والبطائح ، وسموا الأولى بصخور العصر الأول والثانية بصخور العصر الثانى والثالثة بصخور العصر الثالث ، دون أن يؤكدوا حقيقة العلاقة الزمانية بين تلك المجموعات الثلاث الكبرى ..

ثم تصادف أن اكتشف مهندس انجليزى يدعى وليم سميث سنة ١٨١٥ أن الطبقات المتتابعة تتمايز عن بعضها البعض ، مهما امتد بها المكان ، بوجود بقايا مستحجرة من القواقع والمحارات وعظام الأسماك وغيرها من الحيوان ، وأوراق النباتات البائدة ، فاستنتج أن ذلك التشابه فى المحتوى الأحيائى المندثر ، لابد وأنه يعنى علاقة زمانية قطعا ، أى أن كل الطبقات ، وان اختلفت سحنتها ، التى تحتوى على مخلفات ما انقرض واستحجر من المخلوقات ، تنتمى إلى بحر واحد ترسبت فيه بما كان يعج به ذلك البحر فى زمانه من الأحياء ..

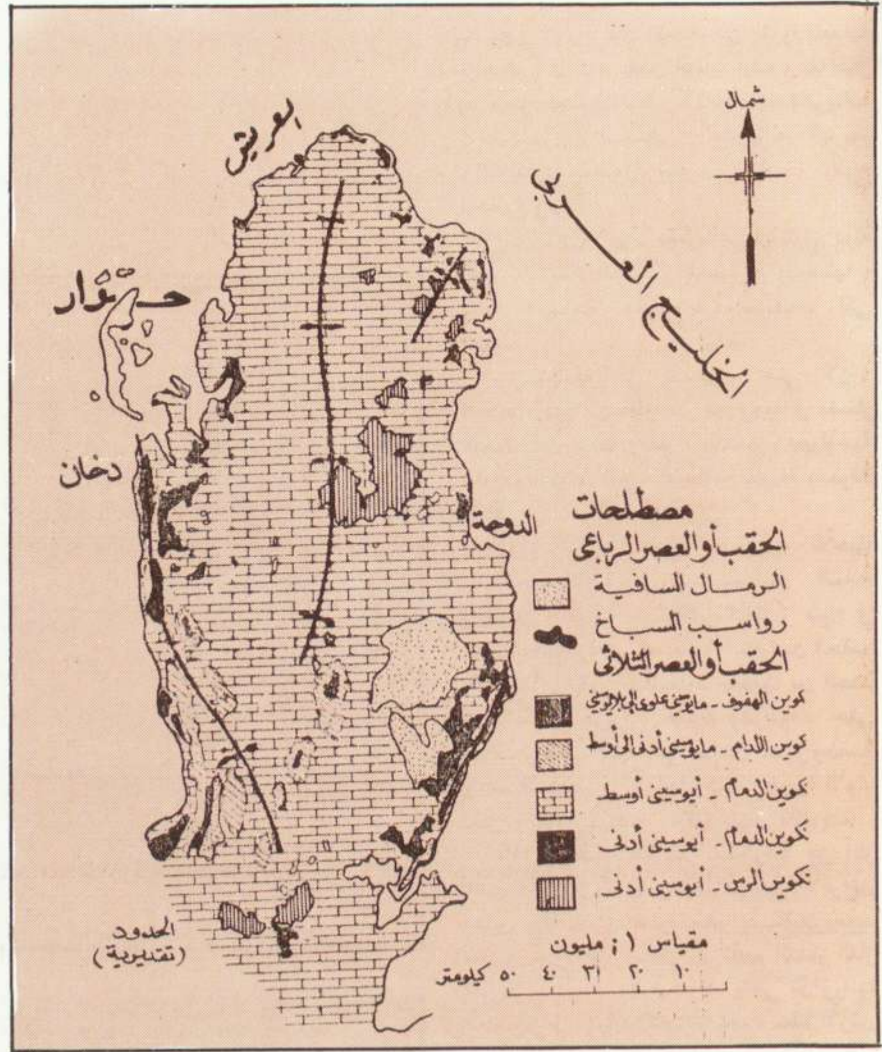
ومن هنا بدأ اهتمام العلماء بالعلاقة الزمانية بين الصخور وطبقاتها ونشأ ذلك الفرع من علم الجيولوجيا الذى نسميه علم الاستراتيغرافيا أو علم الطبقات ..

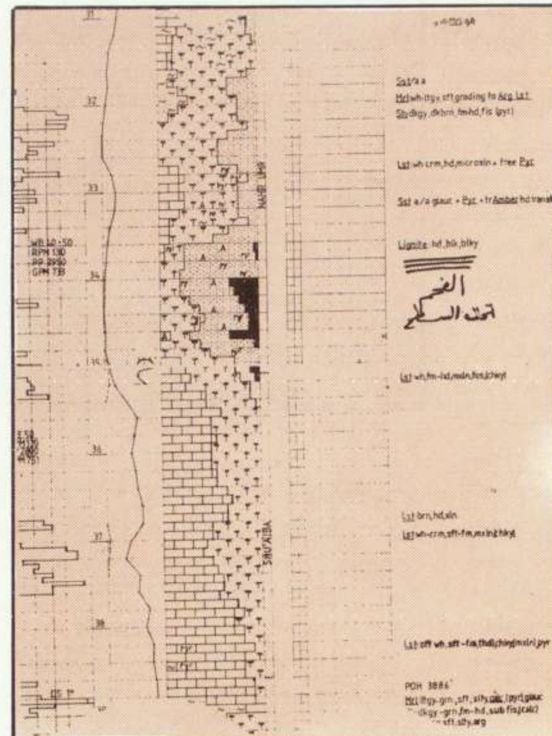
وهذا الفرع من العلم هو الذى يقودنا إلى مظان زيت الصخر أو النفط وكذلك الغاز ..

ولولا قواعد هذا العلم وقوانينه ، لما تسنى فى الثلاثينات ، الاقتناع بحفر أول الآبار وما تبعها فى منطقة دخان بغرب قطر ، وما نجم عن ذلك من خير ونعمة وفضل من الله ..

ولعل أقدم ما نعرف عن التخريط الجيولوجى لشبه جزيرة قطر كان ما عمله بلجريم سنة ١٩٠٨ ..

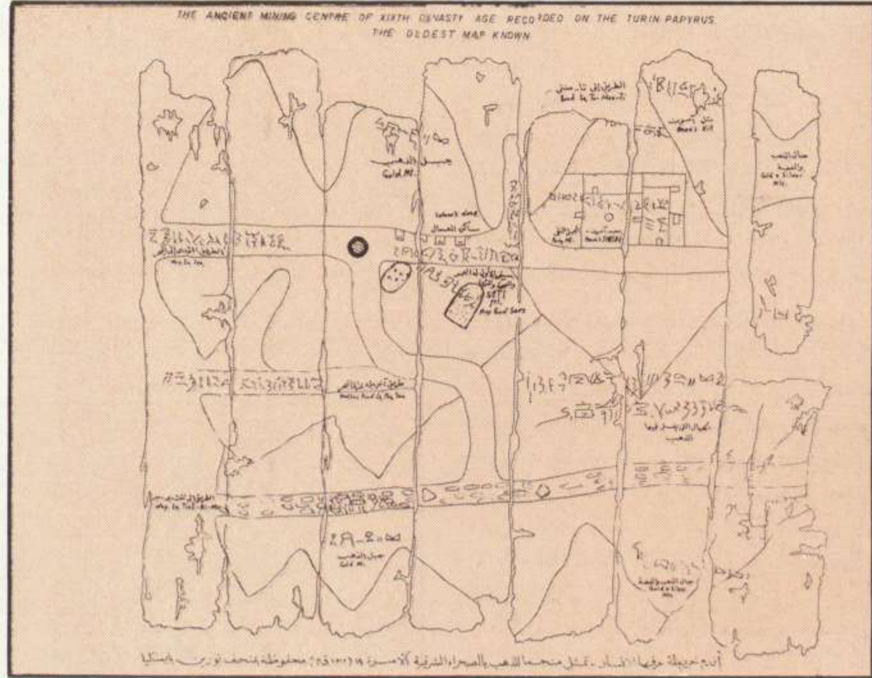
وكان بدء الاهتمام بعمل الخرائط الجيولوجية لدولة قطر ومياهها الإقليمية ، من مجموعة جزر





خريطتان : الأولى تمثل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر .. أما الخريطة الأخرى فهى طبقات من الفحم الحجرى ، يبلغ سمكها زهاء أربعين قدما ، فى العصر الطباشيرى الأدنى ، على عمق تحت سطح الأرض فى شبه جزيرة قطر ، وقد أسفر عنها الحفر بحثا عن النفط والغاز الطبيعى ، وربما تكون ذات فائدة اقتصادية يوما ما ..

الخرائط الجيولوجية



أقدم خريطة جيولوجية عرفها الانسان .. ويرجع تاريخها إلى عهد الملك سيتى الأول (١٣١٣ ق . م) وتمثل منجما للذهب بالصحراء الشرقية بمصر . وهى محفوظة بمتحف تورين بإيطاليا



خريطة جيولوجية لشبه الجزيرة العربية

(حوار) غربا إلى جزر حالول وشراعوه شرقا ، قد بدأ فى الثلاثينات من هذا القرن الميلادى .. ولقد تواصل العمل فى صناعة الخرائط الجيولوجية لدولة قطر دون انقطاع منذ أن كان رسم الخريطة الجيولوجية بأنواعها ، الاستراتيغرافية والتركيبية يقوم على أساس العمل بالطرق التقليدية باستخدام اللوحة المسطحة أو (البلانشيطة) وما يكتنفه من مشقة وعناء ، إلى استخدام الطائرات والمصورات الفضائية ، مما يسمونه فى مصر (الاستشعار عن بعد) ويسمونه فى العراق (التحسس النائى) ويطيب لنا أن نسميه (الاستشراف) ترجمة لكلمتى (Remote Sensing) ، وهى ترجمة فى رأينا عربية تعنى تماما معنى اللفظة الأجنبية ..

وإذا كان عمل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر ، قد استقطبه البحث عن مظان النفط والغاز بالدرجة الاولى ، فإن البحث عن الثروة المعدنية والحجرية قد ناله بعض العناية أيضا ، مما أسفر عن وجود الجبس ، وطين الأثابولجايت وكبريتات الاسترنشيوم (السلستاين) وكبريتات الباريوم (الباريت) والحجر الجيرى الصلب ، وأنواع الحصى والرمال ..

ولكن الأمل لا يزال معقودا على أن تتبنى دولة قطر ، استكمالا لمسيرتها الحضارية ونهضتها ، إنشاء (مساحة جيولوجية) مستقلة ، لكى تضطلع :

(١) بتجميع كل ما سبق ، حتى الآن ، الحصول عليه من معلومات جيولوجية فى مضمار البحث عن النفط والغاز ، لكتابة (جيولوجية قطر) وتاريخها خلال الأحقاب بطريقة مستوفاة كاملة .

(٢) ودراسة المحتوى الحفرى للأحياء المستحجرة الكبيرة والمجهرية من النبات والحيوان ، دراسة مستوفاة متكاملة ، سواء فى الطبقات الظاهرة على السطح ، اعتبارا من الحقب القديم الذى تظهر طبقاته وما يقطعها من الجدد البركانية فى جزيرتى حالول وشراعوه ، حتى أحدث رواسب السباخ على سواحل الجزر وخاصة فى منطقة حوار ، وسواحل شبه الجزيرة الأم ، لعمل (كتالوج) مصور كامل يشمل ذلك كله .

(٣) ودراسة العينات المستخرجة من آبار الحفر عن البترول وغيرها مما تم حفره لأغراض أخرى ، أو يجرى حفره حاليا ومستقبلا بصدد تحديد موارد الماء الباطنى أو تقييم انتشار الغاز الطبيعى ، دراسة مستفيضة قد يتأتى من ورائها الحصول على ما يفيد اقتصاديا تحت سطح الأرض وفى أعماقها ، لا سيما ، وأن بعض الآبار يشير تتابعها الطبقى إلى وجود راقات من (الفحم) لا ينبغى اغفالها ، إذ قد تكون ذات نفع فى المستقبل .

ولعلنا لا ندعى غير الحق ، حين نذكر أن (المساحات الجيولوجية) منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، كانت ، ولا تزال ، هى المدارس الحقيقية التى تربى أجيال الجيولوجيين الأفذاذ الذين يقدمون بين آن وآخر من الملاحظات والاكتشافات ، ما يغير النظريات العلمية الجيولوجية ويعدل مسارها ويستجلى غموضها ، لأن علم الجيولوجيا قبل كل اعتبار (علم مشاهدة) للفرد فيه أثره العميق منذ نشأ وحتى اليوم وإلى الغد القريب والبعيد ، ولا مكان أقدر على تقديم وجبات النضوج للمشتغل بالجيولوجيا من جهاز (المساحة الجيولوجية) ولعلنا كذلك لا نقول جزافا ، حين نذكر أن أجهزة المساحة الجيولوجية كان لها نصيب الأسد فى رسم السياسة العالمية منذ مطلع هذا القرن ، وان الخرائط الجيولوجية لمختلف مناطق العالم ، هى التى تحدد اليوم القيمة الحضارية العالمية لأى دولة من دول العالم فى مشارق الأرض ومغاربها .

درويش مصطفى الفار



بقلم : الدكتور محمد البهي

في أدب الرجال والنساء

قال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم (وغض الرجال من نظرهم عند لقاء النساء ، هو عدم الاسترسال فى النظر اليهن ، « وعدم ملاحقتهن بالنظرات الجارحة لحيائهن) .

ويحفظوا فروجهم (فلا يباشروا المعاشرة الجنسية غير المشروعة . وهى الزنا إذ فى اقتراف جريمة الزنا انتهاك بحرمة المرأة .. وضياع لشرف الرجولة ، الذى يتمثل فى المسئولية الفردية عن الولد) ذلك أزكى لهم (أى ما جاء هنا خاصاً بالرجال فى أدب اللقاء مع النساء هو طريق الطهر والنمو فى العلاقة بين الاثنين) ان الله خبير بما يصنعون .

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (أى لا يتابعن الرجال بالنظرات ، ولا يثرن بنظراتهن الفتنة فيهم) .

ويحفظن فروجهن (أى لا يقترفن جريمة الزنا ، لأن مباشرتها منهن ليس فيها اهدار لكرامتهن فحسب ، بل فيها أيضاً : اعتداء على كرامة المجتمع ، وعلى تحديد المسئولية الخاصة برعاية الأطفال الذين يلدنهم ، عن طريق اقتراف هذه الجريمة) .

ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (أى وليسترن أبدانهن . إذ المراد بزينة المرأة : بدنها . فهو فى ذاته فتنة للرجل ، لو كشفت عنه أو عن بعض أجزائه . ولكن يسمح لها بالكشف عن الوجه والكفين لضرورة حاجتها فى الحركة والتعامل مع الآخرين أو الأخريات .

« وليضربن بخمرهن على جيوبهن (أى وليسدلن من لباس الرأس على نحورهن وصدورهن بما يغطيها) .

ولا يبدين زينتهن (أى يظهرن من أبدانهن ، عدا العورة) إلا لبعولتهن (ازواجهن) أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بنى اخواتهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت ايمانهم ، (من النساء) أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال (أى الذين يتبعونكن لفضل يترقبونه منكن من الرجال الذين ليست لهم حاجة الى النساء : لبله ... أو لعجز ... أو شيخوخة) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (ويراد بهؤلاء الأطفال : الصغار الذين لم يستطيعوا بعد أن يميزوا : ما هى عورة المرأة ، وربما يقصد بهؤلاء الأطفال من هم فى سن الطفولة المبكرة) .

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (أى ولا يحركن أرجلهن فى المشية أو فى الجلوس : حركة تكشف عن سيقانهن) .

وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (والتعقيب بطلب التوبة من المؤمنين والمؤمنات جميعاً ينبىء عن : ان ما أمر به المؤمنون والمؤمنات هنا الآن من : غض البصر عند اللقاء .. وعدم مباشرة الزنا .. وعدم ابداء المرأة زينتها لغير محرم لها .. واسدالها خمارها على نحرها وصدرها ..وعدم تحريك رجليها ، بمايكشف عن ساقيها : كانت اباحته من العادات السائدة فى العصر الجاهلى للمجتمع العربى السابق ، وكذلك فى المجتمعات الحضارية المادية فى عصر ماقبل الرسالة : فلم تكن المرأة بماتكشف به عن فتنة بدنها لأجنبى عنها..

أو بما تبيحه لنفسها من معاشرة جنسية غير مشروعة : تعتقدأنها ترتكب أمراً مخالفاً للآداب السائدة فى مجتمعها إذ ذاك . كما تفعل المرأة الآن بنفسها لاغراء الرجل واثارته نحو المرأة : من الكشف عن مفاتنها وعن تجسيم ما تبقى من بدنها بلباس يكاد يحدد عورتها . ولم يكن الرجل بما يفعله إذ ذاك من التقاء المرأة بنظراته .. وبما يبيحه لنفسه من معاشرتها معاشرة حيوانية فى أية صورة من صورها : يشعره بمخالفة يخجل منها لأنها ضد تقاليد مجتمعه أو ضد آدابه فى السلوك) النور : ٣٠ـ٣١ .

ـ وجاء فى أدب الجلوس ، قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا . إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، يفسح الله لكم (أى فى نعيمه ورضاه) .

وإذا قيل لكم : انشزوا (أى ارتفعوا من أمكنتكم لضرورة اقتضتها التوسعة فى المجلس) فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات (أى وبسبب طاعتكم هنا واستجابتكم لما يطلب منكم فى أدب الجلوس : يزد الله من منازلكم لديه) والله بما تعملون خبير » المجادلة : ١١ .

فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبدأ!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

من قديم الزمان ، ظهر على هذا الكوكب طير يدعى « أبو قردان » ، وكان من الطيور الوديعة التى تعيش على التهام الحشرات والديدان ، ولقد ظل على هذا الحال ، الى أن جاء الانسان ، وعندئذ حدث الاستلطاف بين هذا وذاك .. فالانسان يحرث الأرض ويرويها ، فتخرج منها الآفات الكامنة فيها ، ويجىء أبو قردان ليخلص صاحبه من بلاويها ، واستحسن الانسان منه هذا الفعل المفيد والحميد ، خاصة وأن الطير لم يكلفه أجرا ، أو يسبب له ضررا ، واستمرت هذه الصداقة والألفة بين الاثنين آلاف الأعوام ، حتى عرف عن أبى قردان أنه صديق الانسان .. الى أن حدث شىء مؤسف أطاح بهذه الصداقة التقليدية ، وأصبح الطير ضحية ، وكأنما الانسان قد قطع اليد التى امتدت اليه بالاحسان !

لكن « أبا قردان » لم يكن الضحية الوحيدة للانسان ، بل هو واحد من طوفان الضحايا التى كانت بمثابة « المبارد » الحية ، أو أداة من أدوات المقاومة البيولوجية التى استمرت على هذا الكوكب لمئات الملايين من السنين ، لكن الانسان راح يبيدها بمبيدات من صنع يديه ، ظنا منه أن هذه المبيدات ستخلصه الى الأبد من الآفات ، فخاب ظنه ، اذ لازالت هذه الآفات تتسلط عليه وعلى زرعه وضرعه ، هذا رغم أن المبيدات قد ظهرت على نطاق واسع منذ اكثر من أربعين عاما ، وكان من المفروض أن تؤدى الى نتائج طيبة ، الا أن واقع الأمر يشير الى غير ذلك ، إذ يذكر أحد التقارير الأمريكية أن استهلاك المبيدات قد تضاعف ١٤ مرة مابين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٧٥ ، ورغم ذلك فقد زاد دمار الآفات الى حوالى الضعفين فى المدة ذاتها ،

ويعنى ذلك أن المبيدات لم تحقق الآمال العريضة التى كانت معقودة عليها ، إذ كانت بمثابة مخدر أو علاج مؤقت ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من



شكل (١) أحد الأسلحة البيولوجية النافعة والمعروفة باسم حشرة الدعسوقة أو « أبو العبد » ، وهى ـ كما ترى هنا ـ تعيش على التهام الحشرة المعروفة باسم ذات الوسادة القطنية ، لأنها تبدو وكأنما تغلف نفسها بغطاء من القطن .. (الدعسوقة تبدو داكنة اللون فوق الحشرة البيضاء)

البحث عن وسائل أخرى للانقاذ ، خاصة وأن المبيدات سلاح ذو حدين : حد منه لقتل الآفات وهذا خير ، لكن الحد الآخر قد أصاب الانسان وأصاب البيئة ، وهذا شر ، وهو ما تعرضنا له فى مقال الشهر الماضى على صفحات هذه المجلة .

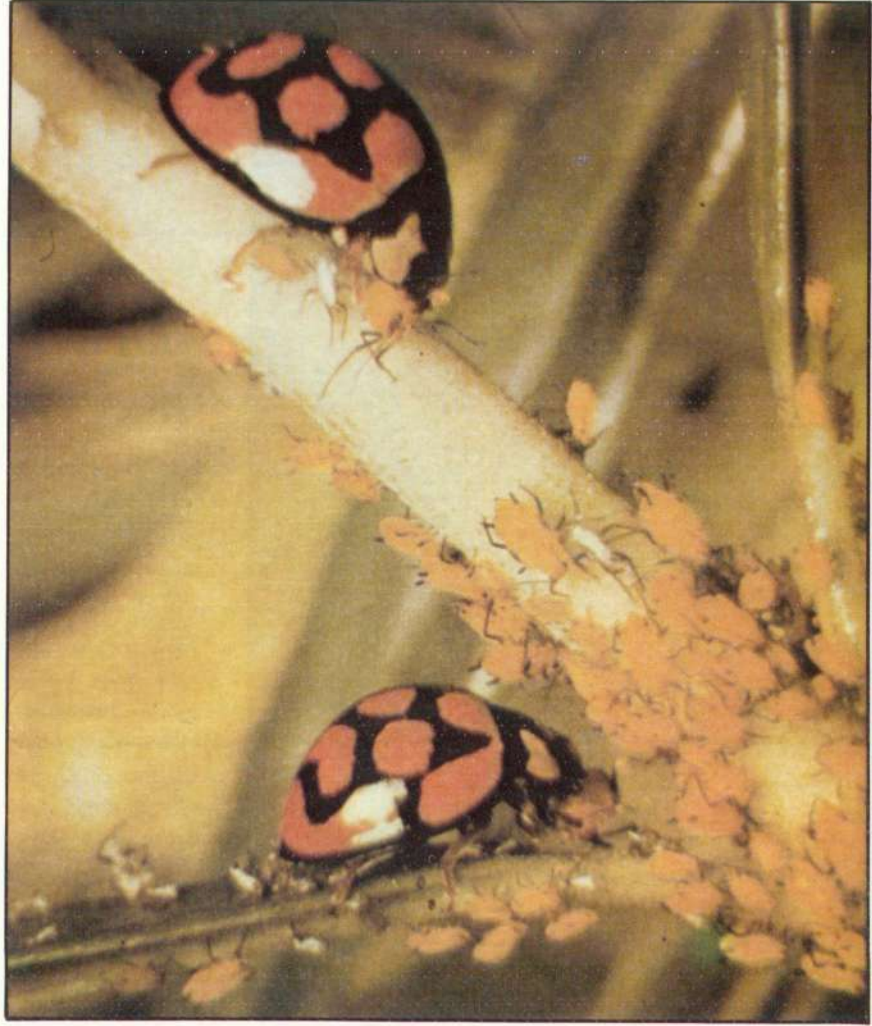
المبيد أباد النافع مع الضار

وعندما تسرع الانسان فى استخدام المبيدات ، وأسرف فيها ، فقد قتل النافع مع الضار ، وأحدث بذلك خللا فى الميزان .. ذلك أن الحياة لم تترك للمخلوقات الحبل على الغارب لتتكاثر دون ضابط أو رابط ، بل أوجدت لها « الفرامل » التى تحد من انطلاقها الجامح فى التكاثر ، ورصدت لها « المبارد » الحية التى تبرد أعدادها الزائدة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر .. اذ لا يوجد كائن حي الا وله أعداء طبيعيون ينالون منه فى كل مرحلة من مراحل حياته ، يستوى فى ذلك الميكروب والنبات والحيوان والانسان .

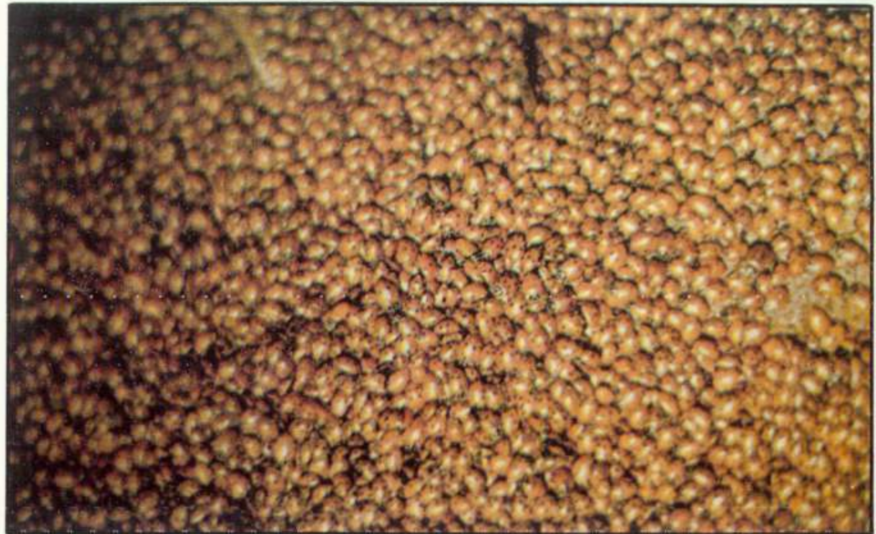
والذى يسعى الى « كتاب » الطبيعة ، ويقلب فى صفحاته ، ويتطلع الى أحكامه ، فلاشك أنه واجد فيه معلومات غزيرة تساعده على مقاومة تلك الآفات ، وبالسلاح البيولوجى الذى تسلط عليها من قديم الزمن ، فكما لا يفل الحديد الا الحديد ، كذلك لا يفل الآفات الا آفات مثلها .. المهم أن تستخرج من سجلات الحياة ما يفيد لما يفيد ، خاصة وأن هذه السجلات المدونة فى كتاب الطبيعة الأصيل تحتوي على كل دساتير الحرب البيولوجية التى استخدمتها وتستخدمها ضد الأنواع التي تتكاثر وتفتك بغير حدود .

فطائر أبى قردان الذى حل به الانقراض أو كاد ، ليس الا نوعاً أو سلاحاً واحداً فى قائمة ضخمة من ترسانة الأسلحة البيولوجية التى استخدمت قبل ظهور الانسان ، وكانت تقضى على اعداد لا حصر لها من الحشرات والديدان ، ولقد تعطل هذا السلاح بظهور المبيدات الكيميائية ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، اذ عندما قتلت المبيدات الآفات ، ثم أكلتها أسراب أبى قردان أو غيرها من طيور تعيش عليها ، تجمعت المبيدات بالتدريج فى أجسامها ، فقتلت بعضها ، ودمرت الكثير من ذريتها ، فأدى ذلك الى نقص ذريع فى أعدادها ، مما يهدد بانقراضها ، فخسر الانسان بذلك صديقاً وسلاحاً كان يبيد له بالمجان ، وطبيعى أنه قد أخل بالميزان ، لأنه دمر أحد أركان التوازن البيولوجى المتمثل فى أبى قردان ، أو غيره من كائنات كثيرة كانت تشتغل لصالحنا .

ولكى تتضح لنا الأمور أكثر ، فعلينا أن نتعرض لتلك الكارثة التى حلت بمساحات هائلة من الأشجار فى شمال شرق الولايات المتحدة ، اذ تسلطت عليها يرقات (ديدان) نوع من الفراشات



شكل (٢) حشرة أبى العبد أو الدعسوقة وهى تتجول بين أسراب المن النباتى لتبيده قبل أن يبيد النبات .. وهذه الحشرة الصديقة قد تقتلها المبيدات مع ما قتلت من حشرات ضارة ، ويعنى ذلك خسارة فى أحد عناصر المقاومة البيولوجية للآفات ، وقبل أن تظهر المبيدات



شكل (٣) حشود من حشرة أبى العبد التى تباع فى أكياس لتصبح « مبردا » طبيعيا للآفات ، وهى ــ بلاشك ــ أسلم وأرخص من المبيدات..

فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبيد !

تعرف باسم الجيبسى Gypsy (أو الغجرية — ان صحت الترجمة الحرفية)، ولقد بلغ من سرعة انتشار هذه الآفة وضخامة تدميرها، أنها كانت تكتسح أمامها كل عام ١٣ مليون فدان من الأشجار التى أهلكت أوراقها الديدان، ولاشك أن تلك خسارة فادحة بكل المعايير، فما الذى داس على زنادها لتنطلق كقذيفة مدمرة ؟ .. ثم كيف حدث ذلك ؟ .. وأين — اذن — السلاح البيولوجى، أو المبرد الطبيعى الذى يكبح جماحها ؟

لاشك أنه موجود، لكن الخطأ كان من الانسان، فلقد دخلت هذه الآفة الى الولايات المتحدة، دون أن يدخل معها عدوها، وفى غياب هذا العدو تكاثرت على هواها دون ضابط أو رابط، ولكى لا تتفاقم الكارثة، سافر فريق من العلماء الأمريكيين منذ عامين الى الصين، حيث الموطن الأصلى لهذه الفراشة، وبعد شهور من البحث فى مناطق بلغت ٥٢ منطقة مختلفة، خرجوا بحصيلة وفيرة من « المبيدات » الحية لهذه الفراشة أو يرقاتها، وكان بيانها كالآتى : ثلاثة عشر نوعاً من الطفيليات التى تمرضها وتقتلها، وأربعة عشر نوعاً من الطيور والحيوانات والحشرات الأخرى التى تصطادها وتعيش عليها، هذا بالاضافة الى أعداد أخرى من أنواع الفيروسات والفطريات التى تنهكها وتحد من تكاثرها.

ان هذا المثال يضع أمامنا صورة شبه كاملة لعدد أنواع « المبارد » الحية التى تحد من انتشار نوع واحد من الحشرات فى بيئة محددة من البيئات .. لكن هذه الظاهرة ليست جديدة تماماً، اذ استخدم الصينيون القدامى بعض أنواع النمل، وربوها على أشجار الفاكهة، لتبيد الحشرات والديدان التى تعيش عليها، وفى عام ١٨٠٠ ركز الطبيب والعالم الطبيعى ارازموس داروين على ضرورة استخدام وترويض المقاومة البيولوجية للحشرات الضارة فى كتابه فلسفة الزراعة والبساتين .. وفى عام ١٨٨٨ استورد الأمريكيون من استراليا حشرة صغيرة تعرف باسم الدعسوقة، ليقاوموا بها حشرة قشرية كانت تعيش على أشجار الموالح (شكل ١)، وتسبب فيها خسارة فادحة، وبالفعل أبادت هذه الأداة الحية أعداداً هائلة من الآفات، وانقذت الأشجار من تدميرها.

تركة ثقيلة من الآفات

لكن مما لاشك فيه أن اختيار السلاح البيولوجى، أو المبيد الطبيعى لكل آفة من الآفات أمر بالغ التعقيد، ويتضح ذلك من حالة فراشة الجيبسى التى تبين أن لها أكثر من ٤٠ عدواً طبيعياً يحد من تكاثرها، لكن هذه الفراشة تمثل نوعاً واحداً من بين عشرة آلاف نوع من الحشرات المدمرة التى لها صلة مباشرة باقتصاديات الانسان، هذا بالاضافة الى حوالى ٨٠٠٠ نوع من الأمراض الفطرية التى تصيب النبات والحيوان والانسان، وأكثر من ٢٠٠٠ نوع من الديدان الثعبانية الدقيقة التى تخترق جذور النبات، وتسبب فيها خسارة فادحة، كما يوجد حوالى ٢٠٠٠ نوع من الحشائش والأعشاب الضارة التى تحتاج الى مقاومة، هذا غير آلاف أخرى من الفيروسات والبكتيريا والحيوانات الأولية التى تتسلط على كل الكائنات.

انها — كما ترى — تركة ثقيلة تحملتها مخلوقات هذا الكوكب، وعلى رأسها الانسان، ومع ذلك لم يفقد العلماء الأمل، لعلمهم أن هناك توازناً بديعاً قد أرسيت قواعده بين المخلوقات، وهو محصلة تجارب طويلة استمرت عشرات الملايين من الأعوام، وفيها تفاعلت الكائنات فيما بينها على أوسع نطاق، حتى صارت بالصورة المتآلفة التى نراها بها الآن، وما علينا الا أن ندرس ونختار منها العدو المناسب، للآفة المناسبة، وفى الوقت المناسب، وتحت الظروف المناسبة، لنصل الى تحقيق الأهداف المرجوة ..

فمن الحشرات ما هو عدو وصديق، فأما الصديق فقد أعان الانسان فى الحد من الآفات، ومن المكن توجيهه ليصبح مبيداً حيوياً أقوى من المبيدات الكيمائية التى تلوث البيئة، وتؤذى الانسان، فالحشرة المعروفة باسم « أبو العبد »، أو « أم سعيد » — كما يطلق عليها بعض المزارعين، أو الدعسوقة — كما تعرفها بهذا الاسم بعض البلاد العربية، هى حشرة صديقة تعيش على التهام أعداد هائلة من المن والبق والقمل النباتى (شكل ٢) بالاضافة الى الحشرات القشرية التى تعيش على أشجار الموالح أو على غيرها من أشجار فيها مآرب للانسان، فمن مؤهلات هذه الحشرات الضارة أنها تتكاثر بسرعة رهيبة، وتمتص عصارة النباتات بشراهة شديدة، وتسبب خسارات فادحة، لكن الأمر يختلف فى وجود « أبى العبد » الذى يستبشر الناس بحضوره خيراً، وهو بالفعل فاعل خير !

لكن أبا العبد هذا ليس نوعاً واحداً، بل أحصى العلماء منه أكثر من أربعة آلاف نوع، ولكل نوع بيئته وسلوكه وطعامه وشكله المميز، ثم ان الأنثى تختار النباتات المناسبة التى تتكاثر عليها تلك الآفات، وتضع بويضاتها بين حشودها، حتى اذا خرج الأنجال، وجدوا الموائد منصوبة وعامرة، وهى كأمهاتها تتميز بشراهة بالغة للطعام، لدرجة ان الواحدة منها تستهلك من المن النباتى مثلا عدة مئات فى بضعة أيام، ولنتصور — بعد ذلك — ان الدعسوقة الواحدة تضع ما بين ١٠٠ — ٢٠٠ بويضة، وأحياناً قد يصل العدد الى ألف، فهذا يختلف باختلاف النوع، ثم ان انتاج الأجيال قد يتكرر مرتين أو ثلاثا فى الفصل الواحد، ويعنى ذلك ان الذرية الناتجة من

شكل (٤) مبيد حى آخر فى هذه الصورة يبين حشرة تغرس خرطومها فى يرقة (دودة) تأكل النبات. فتقتلها قبل أن تقتل النبات

حشرة واحدة قد تصل الى عشرات الألوف أو الملايين في غضون ثلاثة أشهر أو أربعة ، ما لم يحد من تكاثرها شيء ، وكل واحدة منها تلتهم المئات ، وهذا ينبئك بقدرتها الفائقة على إبادة هذه الآفات ، ودون أن تكلفنا شيئاً مذكوراً ، ومن أجل هذا ظهرت فكرة جمعها وتربيتها وبيعها في أكياس يحوى الواحد منها ما بين ٤٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ حشرة (شكل ٣) ، خاصة بعد أن ثبت أن الدعسوقة قد أنقذت بالفعل ـ وفي غضون سنتين ـ زراعات الموالح في كاليفورنيا ، وبتكلفة لم تتجاوز خمسة آلاف دولار ، وهي تكلفة لا تذكر بالنسبة لمحصول يدر عدة ملايين من الدولارات كل عام .

ولقد هددت ديدان فراشة قرمزية محصول جوز الهند في جزر فيجي ، وانتقلت الفراشات بعد ذلك من جزيرة الى جزيرة ، وكادت زراعات جوز الهند أن تبور ، لولا أن استغاث الناس بالعلماء ، فأغاثوهم بذبابة ، لكنها ليست كذبابنا المنزلي ، بل نوع آخر يتطفل على فراشة جوز الهند في مواطنها الاصلية ، وأرسلوا منها لجزر فيجي ٣٠٠ ذبابة لا غير ، وانطلقت على يرقات الفراشات ، لتضع فيها بويضاتها ، فتفقس لتعطى مزيداً من الذباب ، الى أن وصل عددها في غضون سنةواحدة الى ٢٠٠ ألف ذبابة ، وحامت بين الفراشات كألسنة اللهيب ، فأبادت منها أعداداً هائلة ، وبهذا أنقذت المحصول من دمار أكيد .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، ولا يتسع المجال لذكر المزيد .

آفاق أخرى أشمل ..

وليس سلاح الابادة البيولوجية مقصوراً على آكل ومأكول ، أو صيد وصياد ، كما هو الحال مع الطيور التي تلتهم أعداداً ضخمة من الحشرات والديدان ، ولا هو كذلك حكر على حشرات تأكل حشرات أخرى ، أو تتطفل عليها ، كما هو الحال مع « أبي العبد » وذبابة فيجي وكثير جداً غير ذلك (شكل ٤) بل قد يمتد مجال المقاومة البيولوجية للآفات إلى آفاق أخرى أوسع وأشمل ، فالداء موجود بصور شتى ، والدواء متاح في البيئة ذاتها ، لأنها طبيبة نفسها ، أو هي كانت كذلك قبل أن يتدخل الانسان في شئونها ، فأخل بموازينها ، وما دام قد تدخل ، وفعل ما فعل بملوثاته التي لا تعد ولا تحصى ، فعليه أن يلجأ الى البيئة ليستعين بما اختزنته من أسلحة أو « عقاقير » بيولوجية لها فاعليتها التي لا تنكر .

ولاشك ان لكل كائن حي ميكروباته وأوبئته وطفيلياته .. بداية من الانسان الكبير ، ونهاية بالميكروب الضئيل ، لأن للميكروب الصغير ميكروباً أصغر يعيش عليه ويهلكه ، وميكروب الميكروب فيروس ، ومع أنه أضأل من الميكروب حجماً ، الا أنه أخطر منه شأناً ، وهكذا يسير الصراع بين كل الأنواع ، وعلى جميع المستويات ، فرب كبير يهلكه الصغير ، كما أن الصغير قد يصبح لقمة سائغة للكبير ، وهكذا يتطاحن الكل مع الكل ، ليحدث التوازن المطلوب بين الأنواع ، وهذا ما عبر عنه اوجستس دومورجان في شعره (مع شيء من التصرف البسيط منا) .

للبراغيث الكبيرة براغيث صغيرة
على ظهورها تعيش وتلدغ .
وللبراغيث الأصغر براغيث أضأل ،
وهكذا فالكل يلسع .
لكن للبراغيث الكبيرة بدورها براغيث أكبر
وعليها تسود وتتجبر .
بينما لهذه الأكبر براغيث أكبر منها فأكبر
.. لهذا فعليك أن تتدبر .

ولكى نتدبر ، فعلينا أن نأخذ على سبيل المثال هذا النوع من الصراع غير المنظور في التربة الزراعية بين فطر (عفن) وديدان ثعبانية (نيماتودا) ، ولا يكاد كلاهما يرى بالعين المجردة ، ومع ذلك فهى تتكاثر بسرعة فائقة ، وتصيب جذور النباتات اصابات بالغة ، لكن الفطر يوجد عادة حيث توجد هذه الديدان ، وينصب لها المشانق الحية بخيوط نسيجه الدقيق ، فاذا حدث ودخلت الدودة في الأنشوطة (عقدة أو خية كالتي توجد في المشنقة) ، ضغطت عليها ، واحتجزتها ، ثم تخترق لحمها ببروز من نسيجها ، وبعدها يتفرع الفطر في داخلها ويتكاثر حتى يقضى عليها ، ليجهز مزيداً من المشانق ، لمزيد من الديدان (شكل ٥) ولولا هذا السلاح البيولوجي المثير ، لهلكت المحاصيل ، ومن أجل هذا تربى تلك الأنواع من الفطريات ذات المشانق ، وتوزع في التربة الزراعية ، لتبيد الديدان بطريقة أكفأ وأسلم من المبيدات الكيميائية التي تستخدم ضد تلك الديدان الثعبانية .

وليس ذلك بالسلاح البيولوجي الوحيد ضد تلك الديدان ، بل هناك كثير غيره توصل إليه العلماء ، ولنذكر حالة أخرى ذكرتها بعض المراجع العلمية كمبيد للديدان الثعبانية ، فالنبات المعروف باسم الآذريون أو القطيفة (ماريجولد) يفرز من جذوره مادة كيميائية في التربة الزراعية ، وبها يبيد الديدان الثعبانية ، ومن أجل هذا يزرعه بعض الناس بين محاصيلهم ، ليخلصهم من دمار تلك الديدان .

الشيء بالشيء يذكر

ومادمنا قد تعرضنا لهذا النبات الذى يبيد الديدان ، فلا أقل من التعرض لنبات آخر ورد ذكره في بحث هام أجراه دكتور محمد فخر الدين الصاوى ـ أستاذ صحة المناطق الحارة بالمعهد العالى للصحة العامة بجامعة الأسكندرية ، في أثناء بحوثه عن بدائل لمبيدات القواقع التي تضاف الى مصادر المياه العذبة ، واضعا نصب عينيه ما تحدثه من آثار ضارة وقاتلة للأسماك ، وما تسببه من أورام خبيثة في مبايض وكلى حيوانات التجارب ، مما قد يشكل خطورة على صحة الانسان ، هذا بالاضافة الى أن المبيد المستخدم والمعروف باسم البايلوسيد يتركز في النبات والحيوان ، وينتقل بعد ذلك الى الانسان ـ على حسب المراجع العلمية التي أشار اليها د . الصاوى في بحثه الممتع .. من أجل هذا فقد حالفه التوفيق في التوصل الى بديل طبيعى يغنى عن استخدام المبيد الكيميائى .. والبديل نبات عشبى ينمو في وادى النيل ، ويعرف باسم الدمسيسة (آمبروزيا) ، ولازال يستخدم كوصفة شعبية لعلاج المغص الكلوى ، وطرد بعض الحصوات من الكلى ، ويعنى هذا ان النبات لا أذى فيه للانسان ولا ضرر ، لكن المثير حقاً أن التجارب التي قام بها د . الصاوى ، أو قام بها غيره من بعده ، قد أثبتت أن هذا النبات لو أضيف الى الماء في حالة جافة أو غضة لكان كفيلا بابادة القواقع وبتركيزات تتراوح ما بين ١٠ ـ ١٢ جزء في المليون (أى كيلوجرام من النبات في حوالى مائة ألف لتر من الماء) .. وهى نتيجة طيبة ، والأمل ـ بعد ذلك ـ معقود على استخدام هذا النبات غير المكلف على أوسع نطاق ، حتى يمكن القضاء على تلك القواقع الحاملة لديدان أمراض ظلت مع الناس آلاف السنين ، ولازالت (منها البلهارسيا والدودة الكبدية .. الخ) .

واذا كانت بعض الديدان الثعبانية تضر ، فإن بعضها الآخر ينفع ، ومن أنواعها النافعة ما قد يصبح مبيداً بيولوجياً لعدد من الحشرات الناقلة للأمراض ، والتي اكتسبت مناعة ضد المبيدات ، لكنها ليست منيعة لنوع من الديدان الثعبانية المائية المعروفة باسم « ريزميرس » ، فهذه الدودة الضئيلة تتطفل على يرقات البعوض وتقتلها (شكل ٦) ، ولو أحسن استغلالها ، لكانت سلاحاً بيولوجياً فتاكاً .. لكن ليرقات البعوض عدواً آخر يلتهمها التهاماً ، ويتخذها طعاماً مستساغاً ، ولهذا يستهلك الواحد منها أعداداً هائلة ، والمستهلك سمكة تعرف باسم سمكة البعوض أو الجامبوزيا ، ولقد أثبتت التجارب أنها ذات أثر فعال في المقاومة البيولوجية للبعوض .

ومن الديدان الثعبانية أيضاً ما يتطفل على أنواع من الحشرات التي تصيب النباتات ، ومنها أيضاً ما يهاجم الأعشاب المائية غير المرغوب فيها ويدمرها ، وغيرها يلتهم الفطريات التي تتطفل على جذور النباتات .. الى آخر هذه الحلقات المتشابكة والمعقدة ، والتي تحتاج الى دراسات مكثفة ، لنعلم مالم نكن نعلم ، وعندئذ نعرف كيف نوجهها لصالحنا ، فلا تطبيق سليم ، بغير علم قويم .

سلاح الميكروب

وكما يمرض الانسان بقائمة من الميكروبات ، ومعه أيضاً النبات والحيوان ، كذلك يكون الحال

فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبيد!

مع الآفات ، اذ أن لها أمراضها .. المهم أن تعزل منها ميكروباتها التى تتسلط عليها فى الطبيعة وتصيبها ، ثم ندرسها ونوجهها اليها بحالة وبائية كما انتشرت هى أيضاً بحالة وبائية .

ولقد حقق العلماء تقدماً فى هذا المجال ، فمنذ حوالى خمسين عاماً ، استخدموا أنواعاً من البكتيريا بعد اكثارها على أوساط غذائية خاصة ، ثم ترش بالطائرات أو بالعمالة البشرية على الحشرات التى تهدد الزراعات ، ولقد طبقت هذه الطريقة بنجاح فى بعض الخضروات وزراعات القطن والتبغ والبطاطس وما شابه ذلك (شكل ٧) .. وفى كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، استخدمت جراثيم الفطريات التى عزلت من الحشرات المصابة بها ، ورشت بالطائرات على مساحات واسعة من أشجار الفاكهة والغابات ، وعندما تأكل الديدان النباتات التى تلوثت بتلك الجراثيم ، فلا مناص من انباتها فى داخل أجسامها ، ثم تتفرع بنسيجها الفطرى الغزير لتمتص لحمها ، وتقضى عليها .

اكتشف العلماء كذلك عدداً من أنواع الحيوانات الأولية التى تسبب أمراضاً مميتة لبعض أنواع الحشرات الضارة ، وعندما ربيت تلك الحيوانات الدقيقة على أوساط غذائية ، وتكاثرت فيها بالبلايين ، أصبح من الممكن استخدامها كوباء مبيد .. فهناك ــ على سبيل المثال ــ حيوان أولى اسمه « نوسيما » المتخصص فى اصابة أحد أنواع الجراد ، وعندما رشوه بالطائرات على هذه الآفة المدمرة ، وبمعدل بليونين فى الفدان الواحد ، أهلك حوالى ٦٠٪ من الجراد ، وهى نتيجة طيبة على أية حال ، خاصة وان الاصابة فى الجراد كانت تنتقل من جيل الى جيل ، حتى خفت حدتها ، ومن الممكن بعد ذلك تكرارها ، لنكرر مزيداً من الابادة فى هذه الحشرة الضارة .

وعلى صعيد آخر تمكن العلماء حتى الآن من عزل حوالى ٣٧٠ نوعاً من الفيروسات التى تصيب الحشرات المدمرة ، ولازالت البحوث سارية لترويضها كمبيد بيولوجى بتار ، ولقد تحقق بعض النجاح فى هذا المضمار ، اذ يذكر عالم الحشرات ريتشارد ريد جواى الباحث بوزارة الزراعة الأمريكية فى دراسة نشرت له عام ١٩٨١ ، أنه قد تم حتى الآن تجهيز خمسة أنواع من الفيروسات لرشها على النباتات المصابة بأنواع خاصة من الحشرات ، وانها مطروحة الآن فى الأسواق بعد أن ثبت صلاحيتها فى المقاومة البيولوجية لهذه الآفات

شكل (٥) صورة مكبرة بالميكروسكوب لخيوط ثلاثة أنواع من فطر يعيش فى التربة الزراعية ، وقد اتخذت شكل الأنشوطة أو العقدة (الخية) لتلتف بها حول الديدان الثعبانية (الصورة السفلى) ، ثم يتفرع الفطر داخل جسم الصيد ليبيده ، فينقذ المحاصيل من شروره .

.. ولازالت البحوث جارية لترويض أنواع أخرى .

ابادة عن طريق الخداع

وآخر ما تفتق عنه ذهن العلماء تلك الحيلة الخادعة التى استخدموا فيها عطر الحب الذى يجمع بين ذكور وأناث النوع الواحد ، ليتم التلقيح والاخصاب وانتاج ذرية جديدة ، والعطر ــ بطبيعة الحال ــ ليس من عندنا ، بل هى مواد كيميائية تنتشر من أناث الحشرات ، لتتوزع فى الهواء بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، لكن الذكور الهائمة تحس بها ، وتدرك أن هناك اناثاً تنادى ، فتتوجه إليها ليتم التزاوج .

ولقد اهتدى العلماء الى بعض هذه العطور ، والمعروفة باسم الفيرومونات ، لكن الأمور لم تكن سهلة كسهولة هذا الكلام ، اذ اكتشفوا أن لكل « ليلى » عطرها المميز الذى يجذب « قيسها » ، وليس قيساً سواه ، ويعنى هذا ان لكل نوع بطاقته أو هويته الكيميائية التى يتعرف بها على نوعه ، ولابد ــ والحال كذلك ــ ان يعزل العلماء الفيرومون أو العطر الخاص بكل نوع ، ليعرفوا تركيبه الكيميائى ، وبهذا يمكن تصنيعه فى المعامل على نطاق واسع .. لكن ذلك أيضاً يحتاج الى جهد ووقت وصبر ، فالغدد التى تفرز العطر الأنثوى الحشرى غدد جد صغيرة ، وتركيز الفيرومون فيها ضئيل ، ولهذا فان الحصول على جرام واحد



شكل رقم (٦) هذا الحشد الكبير من الديدان الثعبانية الدقيقة قد أصاب احدى يرقات البعوض فى رأسها وبطنها ، وسوف تنطلق هذه الديدان لتصيب مزيدا من اليرقات .. وأنعم به من سلاح بيولوجى أفضل بكثير من المبيدات .



شكل رقم (٧) أحد أنواع البكتيريا الذى تم عزله وتربيته بكميات لرشه على الزراعات المصابة بآفة من الآفات ، وعندما تأكلها الآفة بما عليها من بكتيريا (التى تبدو كأسطوانات) أو من سموم تفرزها البكتريا (البلورات الموجودة في وسط الصورة) ، فانها تمرضها وتقتلها ، وتخلص النباتات من فتكها (الصورة مكبرة آلاف المرات) .

من أى عطر ، يستلزم جمع عشرة آلاف مليون حشرة (أى تقريباً ضعف سكان العالم من البشر) .

ورغم ذلك ، فلا بأس من ارتياد هذا المجال الدقيق والصعب ، وتم بالفعل عزل عدة فيرومونات من الحشرات التى تسبب خسارات فادحة ، وأمكن تصنيعها فى المعامل بكميات تسمح باستخدامها على نطاق واسع ، ثم وزع كل فيرومون فى مصائد على مساحات واسعة ، والى المصائد تتجه الذكور وتتجمع ، ظناً منها ان الدعوة صادرة من أنثى ، لكنها كانت دعوة الى الموت .. ثم اتضح ان هذه الطريقة مجهدة ، فاستبدلوها بغمس بلايين القصاصات من الأوراق التى تتشرب الفيرومونات ، ووزعوها على الحقول الشاسعة بالطائرات ، فانتشرت القصاصات على مساحات ضخمة ، وانتشرت روائحها فى كل الاتجاهات ، وعندئذ لم تستطع الذكور ان تهتدى للاناث ، فلقد اربكتها العطور الأنثوية التى تهب عليها من كل الجهات ، وأحدثت بذلك تشويشاً أضلها عن الاهتداء للجنس الآخر ، وبهذا فوتت عليها فرصة التلقيح والاخصاب ، اللهم الا من صدفة عابرة وفى أضيق الحدود .. ويقال ان مثل هذه الوسائل قد استخدمت بنجاح فى عدد من الآفات ، وعلى رأسها سوسة أو خنفسة لوزة القطن التى تسبب وحدها خسارة سنوية فى هذا المحصول الأمريكى تتراوح ما بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ مليون دولار ، وكانت تستهلك فى مقاومتها ثلث كمية المبيدات التى تستخدم فى كل الزراعات الأمريكية ــ على حسب ما ذكره أحد التقارير الصادرة من وزارة الزراعة الأمريكية .

الانسان هو البادىء بالخلل

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن فيما قدمنا من لمحات عابرة يكفى لتوضيح أن أمور التوازن البيئى بين الكائنات محكومة بعوامل وموازين حساسة ، وأن التلاعب فيها قد يؤدى الى خلل لا تحمد عقباه ، ولاشك أن الانسان هو النوع الوحيد الذى تدخل بكل ثقله فى إحداث هذا الخلل ، وهو خلل غريب لم يشهده هذا الكوكب منذ مائة عام فقط ، ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة ، ومن هذه الأسباب حدوث انفجار سكانى فى البشر ، نتيجة للتقدم الطبى والصحى والدوائى الذى قضى على أمراض وأوبئة كثيرة كانت تصيب الناس قديماً ، وتحد من أعدادهم ، لكن ليس معنى ذلك أن يطالب أحد بعودة « مبارد » الأوبئة لتبرد فى الناس ، فهذا شيء لا يستقيم مع منطق سليم ، بل ان الأمر يتطلب أن تتوازن موارد الطعام ، مع الزيادة المضطردة فى السكان ، وهذا يستلزم مزيدا من الأرض الزراعية ، لتزدحم الأرض بنباتات موجودة فى كل آن وحين ، ولابد ان يتبع ذلك المزيد من الآفات ، لأن فرصة أية آفة فى التكاثر ستكون ميسورة ومتاحة طالما هى واحدة دائماً فى مساحات هائلة من النباتات فى كل المواسم ، وطبيعى أن يسعى الانسان للحد من الآفات ، فاستخدم المبيدات ، لكن المبيدات قد قتلت النافع مع الضار ، وعندما اختفى النافع الذى كان يبرد الضار ، حدث الخلل فى التوازن ، أضف الى ذلك أن كثيراً من الحشرات الضارة التى كانت تقتلها المبيدات فى الماضى ، أصبحت الآن منيعة ضد كثير من هذه المبيدات ، مما جعلها تنتشر بضراوة أكثر مما كانت فى الماضى .

فكأنما البيئة كائن حي معتدل ، أو كأنما هى تسير على مبدأ « خير الأمور الوسط » .. أى انها لا تحب التخمة فى نوع على حساب نوع آخر ، وعندما حلت التخمة بالنوع الانسانى على هيئة انفجار سكانى ، أدى ذلك إلى خلل قد يعانى منه الناس لأجيال طويلة ، مالم يتداركوا الأمر ، ويعودوا لكتاب الطبيعة ، ليتعلموا منه الشرائع المضبوطة ، والحكم السامية ، والسنن العظيمة التى وجهت هذا الطوفان الدافق من المخلوقات عبر مئات الملايين من السنين ، وهو ماعبرت عنه الآية الكريمة أدق تعبير «وأنبتنا فيها من كل شيء موزون» ، الى ان جاء الانسان ، فطغى وبغى بالميزان ، فكان ماكان مما ورد ذكره من تلوث وخلل وضحايا ، وهو ما تعرضنا له فى سلسلة من المقالات .. وآخرها هذا المقال ، وفى ذلك الكفاية ، لعل الناس يرشدون ، وعلى بيئتهم يحافظون ، وفى مبيداتهم لا يسرفون .

عبد المحسن صالح

بكائيات متقاطعة

قصة بقلم : ســـارة

« أنا على ردٍّ مالم أقلْ أقدرُ مني على ردِّ ماقلت »
قيصر

(١)

قال : سيقتلك عنادك .
قلت : ولا .. يقتلني خوفي .
تناثرت النجوم ، انغلق القمر ، وشح ضوء الشمس
و .. افترقنا .

(٢)

كان لي بيت ، يتضوع ترفاً ، وريحاناً ، وعصافير ، وشموساً .
كان لي بيت كبيوت غرناطة ، لـكنه ضاع كما ضاعت غرناطة ، في غفلة مني ضاع ، وفي غفلة منه ضعت .

• • •

« ليس بعد التمام إلا النقص » قالها أحد الصحابة وهو يبكي حين سمع خطبة الوداع فى حجة الوداع .

(٣)

تمددت على السرير فى إحدى العيادات السرية ، ملوعة كنت ، مشروخة كنت ، مغموسة فى الحزن كنت ، وكان « مارس » يورق فى الطرقات ، الحوارى ، الحقول ، الوجوه ، يورق فى ضحك الماعز ، وفى ثغاء الصغار ، فى عيون الأقاحي ، وفى انغماس العشق فى العاشقين .
سألني الأشيب ذو النظرة الرمادية : لماذا تنوين التخلص من الجنين ؟
قلت : تعودت أن أختار النهايات قبل أن تختارني .
و .. فرت من صدرى آهة ، دمعة ، شهقة ، لوعة .
قال مسلمة بن عبد الملك ، ما مدحت أو شكرت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

(٤)

يا وجه أمي البعيد ..
يا وجه أمي البعيد ..
« آه .. يمه » .

(٥)

كان جدي محترماً ، مهيباً ، جليلاً ، عظيماً .
وكنت أعرف أنه لم يكن محترماً ، ولم يكن مهيباً ، ولم يكن جليلاً .. ولم يكن عظيماً .
أجبرت على أن أحترمه ، وأهابه ، وأجله .. وأعظمه .
تصدعت ، تصدعت ، تصدعت .
و .. رفضت .

• • •

قال محيي الدين أحمد بن ابراهيم النحاس الدمشقي صاحب « مشارع الأشواق » المتوفى سنة ٨١٤ هـ . قال « شاهدت مراراً الفأر يركب على الهر ، وينزل ويعود مراراً ، لا يعدو الهر على الفأر ، ولا ينفر الفأر من الهر ، وذلك بالتعليم والتدريج فى الإقدام ، حتى ينعكس الطبع إلى ضده » .

(٦)

كنت أصرخ ، أصرخ ، أصرخ .
ولا أصرخ .
كنت أموء ، أثغو ، أعوي .
ولا أبكي .
كان علي بعد أمتار مني مضرجاً بدمائه ــ هكذا قررت الحرب وقرروا ــ بلا ذراع .
كانت ذراعه فى يدي .

كان ميتاً ، كنت ميتة .
الشظايا تنفجر ، تنفجر الشظايا ، النيران تلتهب ، تلتهب النيران ، يشتعل الشارع والبيوت والأشجار والأرض والسماء ، الشارع والبيوت والأشجار تشتعل ، يندلع الرصاص الطائش ، الرصاص الطائش يندلع ، يندبني الرماد ، يندبني الحريق ، تندبني الكلاب الضالة ، تندبني بقايا الأجساد المشوهة .
أتبعثر ، أتبعثر ، أتبعثر .
يجدب العمر بعدك يا من كانت ذراعه بذراعى ..
يجدب العمر ..
آه يا بيروت ..
يا لذكراك التى .. يا لذكراك التى .

• • •

قال ابن عربى : لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً ، لأذقنا الفراق طعم الفراق .
ليرحمك الله ..
و .. يرحمنا .

(٧)

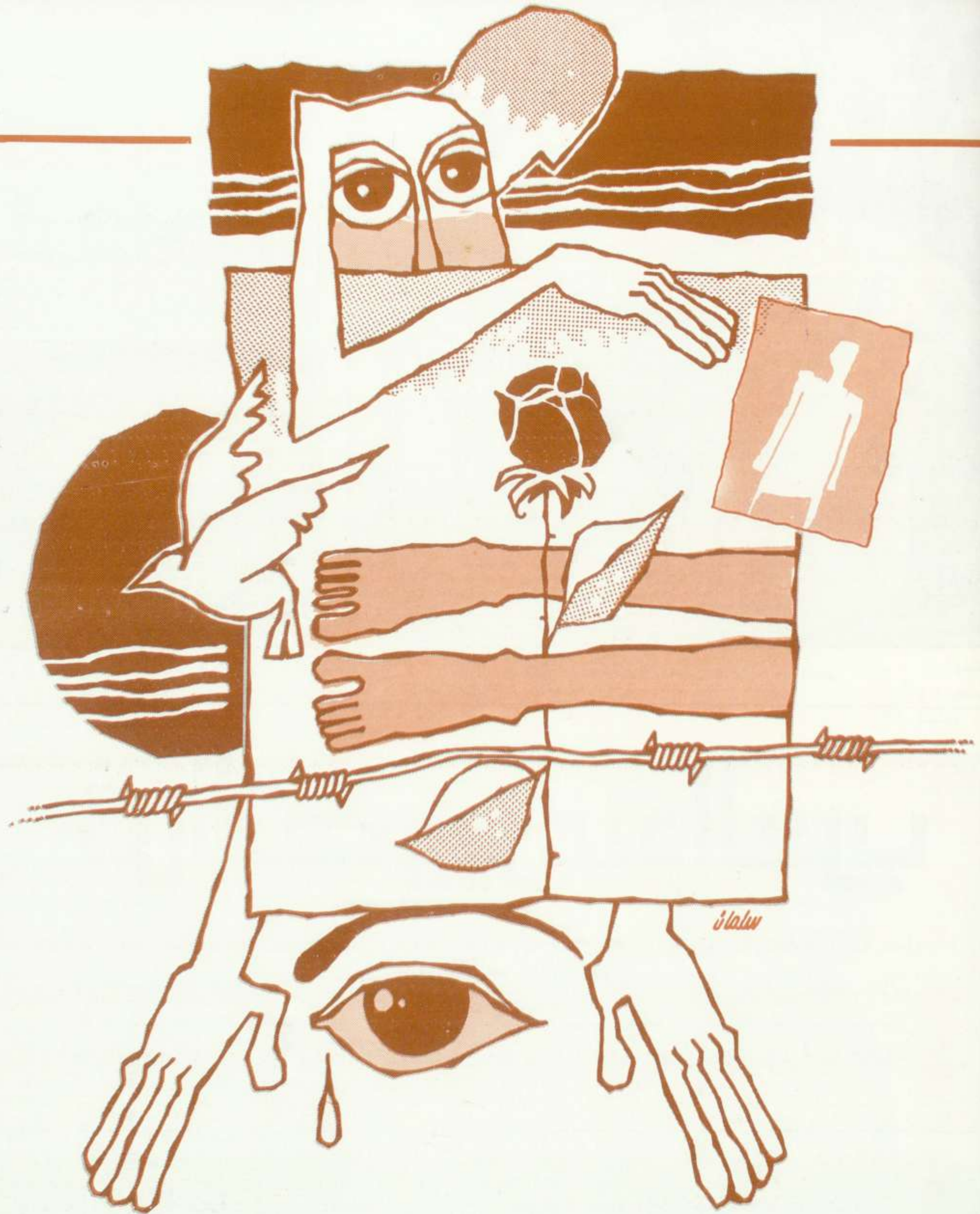
فارساً كان يمتطي الغمام ويناطح النجوم قبل أن يدخل المعتقل .
بعد أربعة أقمار مكتملة ، وأربعة أيام مجفلة .. وأربع ساعات متثائبة ، وأربع ثوان منذرة .. عاد إلينا ..
كان غاضباً بانكسار ، لكن ما عاد قادراً على أن يتنفس حلماً .
آه .. كم تؤدبنا السجون .

• • •

قال الإمام الغزالي : « من مال غضبه إلى الفتور ، عالجه بما يقويه ، ومن مال غضبه إلى الإفراط عالجه بما يكسر سورته » .

(٨)

فى برد « لندن » الموحش .
وأيامها الموحشة .
وبشرها الأكثر وحشة .



قاومت جوعاً ــ ما أكثر ما قاومت ــ حاصرتني ليال طويلة الأنفاس ، ثقيلة الأنفاس ، مطيرة الأنفاس ، مثلجة الأنفاس ، قاومتها بشرائح من « التوست » أنقعها فى اللبن ، شريحة فى الصباح ، شريحة فى المساء .

أتذكر ، أتذكر .

• • •

قال أرسطو : « يا إسكندر : لا تجزع على مافاتك ، فإن ذلك من خواص الضعفاء » .

(٩)

الحزن يصدىء القلب ..
الحزن يصديء القلب .

(١٠)

فى ليلة تطفح بالسأم ..
قررت أن أثرثر معكم على الورق .. فكانت هذه البكائيات المختزلة ، قد تثير في نفوسكم السأم ، هذا ليس ذنبي .

و .. قد تقلبون شفاهكم وتقولون : كم هي سخيفة هذه المرأة .

هذا ذنبكم ، لأنكم واصلتم القراءة حتى النهاية .

أترككم فى أمان ، لتتركوني فى أمان .

سارة ــ القاهرة

كتاب الشهر

عرض وتقديم :
حسني شحادة



لوحة من مقامات الحريرى رسمها يحيي بن محمود الواسطي



إحدى لوحات كتاب كليلة ودمنة

فن التصوير عند العرب

● استطاع الفنان في مقامات الحريري أن يضفي على العمل الكبير كل عناصر الحيوية والجمال في العصور العربية الوسطى!

● عندما هاجر كثير من الفنانين العرب إلى خارج بغداد بعد إحراق المغول للكتب ورميها في نهر دجلة!

فن التصوير عند العرب ، كتاب يتناول فناً جمالياً . أبدع فيه الأجداد .. إنه يحكى قصة هذا الفن على مر العصور العربية المختلفة . بكل ما أعطتنا من ثراء وغناء فى أشكال الفنون المتعددة ، التى تبلورت من جديد بقيام الدولة الاسلامية ، مكونة أساليب متميزة ، تحقق تطلعات أولئك المؤمنين من العرب الحماة ، الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية ، مجاهدين فى سبيل الله ، فاتسعت الدولة الاسلامية ، وعمرت ونما ذلك الوعى الناضج بين المسلمين على اختلاف مشاربهم وأجناسهم .. وربما كان هذا الأمر هو الذى عبر عنه ــ بكل وضوح ــ العالم الكبير ، أبو الريحان البيروني بقوله : « إن ديانتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان ، الأولى تحميها قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء : فلطالما حاولت طوائف من الرعايا أن تتآلف سوية لاضفاء الصفة غير العربية على الدولة ، ولكنها لم تنجح فى هدفها » .

وقبل الدخول فى تفاصيل عرض هذا الكتاب الهام ، أحب أن أقول إن التراث هو الميراث الذى يخلفه السلف إلى الخلف .. وإلى المجموعات البشرية المتعاقبة .. فهو وسيلة حضارية ، جمعت بجهد فكرى وابداع عقلي ، وقوة بدنية . وبالعلم والعمل ، تجسد الانجازات ، والتجارب ، والخبرات ، والمواقف ، والقيم .

ومن هذه الأنماط الحضارية ، الكلف بالجمال ، وتطوير فنونه ، وأساليبه ومراميه ، ذلك أن حب الجمال ، قديم قدم الانسانية ، فبهجة الانسان ، بنواحى الجمال التى تحوطه ، من مظاهر طبيعية ، أو فيما ترك من آثار ، أمر يشهد به تاريخ الانسانية ، وتسجله آثارها ، منذ العصر الحجري ، ومروراً بالحضارات القديمة ، حتى يومنا هذا .

ولهذا فإن كتاب « فن التصوير عند العرب » هو خلاصة تراث العرب الفني على مر العصور ، ويزيد من أهميته ، أنه من تأليف عالم متخصص من أبرز العلماء فى الفن وهو « ريتشارد اتنغهاوزن » ، وترجمه الى العربية الدكتور عيسى سلمان ، والأستاذ سليم التكريتي .

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول ، تقع فى حوالى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ومزود بلوحات مختارة من الفنون الاسلامية فى العصور المختلفة .

بداية الفنون التصويرية

وقد استعملت كلمة تصوير فى هذا الكتاب بأوسع معانيها ، فهى لم تشمل الرسوم على الجدران ، وعلى الخشب ، وعلى الورق ، فحسب ، بل شملت الرسوم على الزجاج ، ورسوم الفسيفساء الزجاجية ، والرسوم على الفخار أيضاً .

ولما اتسعت الدولة الاسلامية ، فأصبحت دمشق حاضرة الأمويين ، وبغداد حاضرة العباسيين ، وقامت مدن اسلامية كبيرة فى مشارق الدولة الاسلامية ومغاربها ، أصبح للفن التصويرى دعاة ، فهذا الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٧١٢ — ٧١٥م) ، يشيد قصر عمرة فى بادية الشام فى الأردن ، طرف البحر الميت الشمالي الشرقي ، فيزين السقف والجدران بالنقوش الجميلة ، وكذلك الخلفاء العباسيون ، زينوا قصورهم فى بغداد ، وسامراء ، وآل عثمان فى تركيا ، بالاضافة الى الفرس الذين سبقوا غيرهم فى هذا المضمار .

لقد عني المسلمون بإبداع رسوم جميلة ، ولكن يندر تصوير الأحياء فيها ، إذ تكون فى غالبها من أشكال نباتية هندسية فنية ، يتداخل بعضها ببعض ، فتكون زخارف ، أصبحت من مميزات جمالية الفن الاسلامى . وبقيت تلك الرسوم شاهدة على فنية هذه الأعمال التصويرية .

قبة الصخرة المشرفة

ومن أهم تلك الرسوم ، أقدم التصاوير التى ابتدعت فى الحضارة الاسلامية ، والتى مازالت محفوظة على نطاق واسع ، على الجدران الداخلية لقبة الصخرة المشرفة فى بيت المقدس ، وهو أول بناء ضخم فى دولة الخلافة الاسلامية ، بنى بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان عام ٦٩١ م ، ويتألف البناء من قبة كبيرة ، ورواقين يدوران حول ما هو بارز من الصخرة ، وذلك إحياء لذكرى المكان الذى بدأ منه معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن مظاهر الزخارف التى تزين البناء ، تحكي قصة فن التصوير العربى الاسلامى المميز ، فنرى فى الفسيفساء الزجاجية التى تغطى أجنحة وبواطن عقود الرواقين ، ورقبة القبة . تنوعاً كبيراً ،



لوحة من كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » وهو محفوظ فى مكتبة طوبقبو سراى باسطنبول

لأشكال رسوم نباتية ، فهذه أشجار رسمت رسماً واقعياً ، وهذه رسوم نباتية شكلية ، تتخللها أزهار وورود ، في زهريات مختلفة الأشكال ، مزينة بفروع وأغصان ذات التواء ، وأخرى عمودية محتشدة وبنطاق واسع ، وتلك زهرة ذات حجم كبير ، تطغى على ما حولها .. وهكذا .

وهناك صفة مميزة أخرى ، وهي الاستعمال المفرط لأشكال المجوهرات المصنوعة من الأصداف والأحجار الكريمة ، المرصعة على الأشكال النباتية . وأكثر هذه الرسوم الفنية دهشة ، تلك التيجان المتنوعة الأكاليل والدروع على جوانب الأروقة المواجهة للصخرة في الوسط .

إن هذه الزخارف الفسيفسائية المفرطة في الغنى ، مظهر له ما يبرره ، فهي قبل كل شيء في بناء يشغل مكاناً مقدساً منذ القدم .

وهذه أشكال التيجان والجواهر الثمينة النادرة الأخرى حول الصخرة المشرفة ، إبراز لدحر القوتين الكبيرتين المعاديتين للاسلام الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية . كما أظهر الخليفة تقواه كمسلم ، حين أرسل شعار الدولة المؤلف من سرادقين الى الكعبة في مكة المكرمة .

أما الهدف الثالث لغلاء هذه الزخارف وفنية صنعها ، فهو التفوق على أبهة مباني الديانات الأخرى ، واستمالة المهتدين الجدد ، الداخلين في دين الله أفواجاً .

وبذلك نرى أن الغرض الأساسي لهذه الزخارف ، يبدو وكأنه ليس لابهار أبصار المشاهدين فحسب ، بل أكثر عن ذلك ، وهو الإعلان عن انتصار دين الله ، وإظهار سيادته العالمية .

الجامع الأموي في دمشق

وكما نعرف فقد اتسم عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ، كعهد ازدهار للدولة العربية الاسلامية ، فقد اتسعت الفتوح شرقاً وغرباً ، فأظهر طموحاته العظيمة في الداخل ، وخاصة ازدهار العمران ، فبنى عمائر كبيرة في مراكز الخلافة ، وشيد المسجد الأموي في دمشق ، ومسجداً في المدينة المنورة ، وثالثاً في القدس الشريف ، وتقول المصادر التاريخية ، بأنه أمر بتزيين الكعبة الشريفة في مكة المكرمة بالفسيفساء .

ويعتبر جامع دمشق الكبير ــ الجامع الأموي ــ الأهم بالنسبة لتاريخ التصوير ، حيث نجد أوراق « الإكنتس » النابعة من « قرون الرخاء » ، والأشجار المرسومة رسماً واقعياً ، مشابهة لما هو موجود منها في قبة الصخرة المشرفة ، أما المباني ، فتظهر في الرسوم ، على هيئة مجاميع صغيرة ، أو وسط مناظر برية ، كما هو ظاهر في المشهد الشامل على الجدار الغربي للرواق ، وهذا الرسم هو المفخرة الفنية الباقية من زخارف المسجد الأصلية ، حيث وصلت الى تلك الرسوم يد البلاء والتلف ، بسبب الزلازل تارة ، والحرائق أخرى .

وهناك مجاميع عديدة من المباني ذات الطرز المختلفة بين ثماني أشجار ضخمة . بالقرب من متسع مائي ، يخاله الرائي كنهر يجري بشكل واقعي .

وقد تجلت مهارة أولئك الفنانين ، في إنجاز هذه الأعمال الفنية وتصويرها طبقاً لمتطلبات الشريعة الاسلامية . اذ لم تظهر مطلقاً رسوم لمخلوقات بشرية أو حيوانية من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كانت تمثل العالم الاسلامي الفسيح ، وقد أكد العالم الجغرافي المشهور « المقدسي » ذلك بقوله :

« من العسير أن تكون في هذه الرسوم شجرة معروفة أو مدينة شهيرة ، لم تصور على تلك الجدران » .. ويعزز « ابن شاكر » وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجرى هذا الرأي ، عندما يصف الفسيفساء « انها تمثل كل الأقاليم المعروفة » .

ويعلق المؤلف على ذلك فيقول :

« من العسير على المرء أن يتصور دليلاً أقوى أثراً لسلطة عالية تمارسها دولة جديدة ، أكثر مما وجدناه معروضاً في هذه الزخارف الفسيفسائية التى يضمها الجامع الرئيسي في العاصمة دمشق .

قصر عمرة

أما قصر عمرة ، فقد بناه الوليد بن عبد الملك ، باني مسجد جامع دمشق الكبير « الجامع الأموي » ، وترجع أهمية قصر عمرة من الناحية الفنية إلى أنه حلقة الوصل بين الفن العربى الذى تأثر بالفن والثقافة البيزنطية ، وبين بداية الكشف عن شخصية الفن العربى المتميزة ، فالزخارف التى حفظت على جدرانه ، تعطينا فكرة ذات أهمية كبيرة ، فالصحن المركزى للقاعة الكبرى ، يشكل وحدة زخرفية متكاملة ، ذات أشكال هندسية ، مربعة ، أو ذات أضلاع كثيرة ، مزخرفة بأقواس تخلب اللب من جمالها وتناسقها ، أما غرف النوم فقد زينت جدرانها وسقوفها بزخارف مستوحاة من النباتات ، ومن المجموعات الحلزونية لأشجار الكرمة ، وقد وشيت هذه الزخارف بالمرمر والفسيفساء ، وقد غطي السقف بزخارف هندسية ، وتشاهد على الجدران شعارات تمثل زهرة « اللوتس » في كأس مفرطح ، ذات تعبيرات رمزية .

ومن الموضوعات الفنية الشيقة والحية التى ترى في أحد الأروقة ، قصة صيد البقر الوحشية بالشباك . وعلى الجدار المقابل رسم تقوم فيه كلاب الصيد بالهجوم على قطيع من الغزلان .

وهناك في إحدى المقصورات ، سقف يدعو الى الدهشة والتأمل ، اذ رسمت فيه زخارف القبة السماوية ، بأبراج ونجوم ، وبطريقة علمية ، وهذه الزخارف مصنوعة من ألوان الذهب ، حتى السماء فيها مذهبة ، ومزينة بالفسيفساء .

ولعمرى فإن الفن التصويرى في قصر عمرة ، ينتقل من موضوع تصويرى الى آخر ، وكأنه كتاب فني ، يرى فيه الدارس لوحات مختلفة ، وفي انتقال مفاجىء باتجاه نحو تقسيم المنظر إلى وحدات تتكامل لتكون صفة بارزة من صفات فن التصوير عند العرب .

القلاع والقصور الأخرى

لم يكن قصر عمرة هو المنزل الوحيد الذى شيد في زمن الأمويين في الصحراء ، ذلك لأن معظم بني أمية كانوا يكرهون العيش في المدينة ، لأنهم كانوا يظنونها غير صحية لازدحامها ، لذلك بنوا لأنفسهم الكثير من المباني التى تشبه القلاع عند تخوم الأراضى الزراعية في سوريا ، والأردن ، وفلسطين ، فعدا قصر عمرة ، يوجد قصران أمويان آخران ، يتجلى فيهما فن التصوير العربى ، وهما « قصر الحير الغربي » و« قصر خربة المفجر » .

وقد شيد قصر الحير الغربى بإتقان ، وزخرف بافراط ، وهو يقع على الطريق من دمشق الى تدمر ، ويعود تاريخه الى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، ويحتمل أن يكون قد شيده في حوالى سنة ٧٣٠ م ، ويحتوى القصر على صورتين كبيرتين على جدران الغرف ذات السلالم ، الأولى موشاة بالفسيفساء ، التى يستغرق صفها وقتاً طويلا ، وأما الثانية ، فهى مرصعة بالمرمر في تصوير بديع .

أما قصر خربة المفجر بالقرب من أريحا في فلسطين ، فقد شيد في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، وقد عثر المنقبان « هاملتون » و« برمكي » على نحو مائتين وخمسين قطعة مرسومة ، وعلى عدد كبير من الفسيفساء التى بقيت في حالة جيدة ، من قصر خربة المفجر .

إن هذه التصاوير مدهشة خلابة ، اذ تحتوي على تصاميم هندسية ، في احداها مثلا شكل يتألف من شجرة تفاح أو سفرجل كبيرة ، مع نباتات مورقة على يمين الصورة وعلى يسارها ، ويرى بين هذه النباتات من الجهة اليسرى غزالان يقضمان الأوراق في حركة بطيئة نحو الواجهة الأمامية ، وعلى الجهة اليمنى ، فتوجد صورة أسد مفزع ، قد قفز على ظهر غزال يرتعد فرقاً ، وهو يحاول الافلات .. ولكن دون جدوى .

ازدهار فن الكتابة

والواقع أننا عندما نستعرض الرسوم التصويرية العربية ، فإننا لابد أن نتطرق من ذلك الى فن الكتابة ، في الفترة الممتدة من أوائل القرن الحادى

عشر الميلادى وحتى منتصف القرن الثاني عشر ، لم يحدث أي تطور مباشر ، بعد التجارب السابقة لحركة التصوير الواقعية ، إلا في التحف المعدنية ، والأواني الخزفية ، والقراميد ، والجص .

وقد ظهر في نهاية القرن الثاني عشر ، باعث آخر للتطور بشكل ملموس ، في المخطوطات ، وهي أجمل المنمنمات التي يبدأ تاريخها بصفة أساسية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى

كليلة ودمنة

كان شعراء العرب القدامى يتخذون الحيوانات مادة لموضوعاتهم الأدبية ، ولاسيما الخيل والإبل ، لذلك لم يكن من المدهش ، أن نجد واحداً من المؤلفات العربية يتناول أساطير عن الحيوان ، وهو كتاب « كليلة ودمنة » يعزى الى الفيلسوف الهندي « بيدبا » ، وترجمه ابن المقفع المتوفي سنة ٧٥٩ م ، والذي يبين في مقدمته بأنه لم يستخدم التصاوير الملونة للحيوانات ، ليجتذب الشباب العوام فحسب ، بل اهتمام الملوك على وجه التخصيص . لقد كان الكتاب في الواقع مرآة للأمراء . وقد قيل عن صوره التي رسمت بألوان مختلفة ، أنها قد رسمت ، لتزيد من بهجة القارىء ولتجعل المفاهيم الواردة في القصص أكثر تأثيراً .

كتاب الأغاني

ويتمثل هذا النمط التصويري أيضاً بصورة مشابهة في كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الاصفهاني ، المكون من عشرين مجلداً ، والذى أنجز سنة ١٢١٩ م ، بعد عمل استغرق أربع سنوات ، وبقيت من هذا الكتاب ستة أجزاء ، منها المجلد الثاني والرابع والحادي عشر موجودة في دار الكتب المصرية ، أما المجلدان الرابع عشر والتاسع عشر ، فهما في مكتبة « ملت كتب خانه سي » باستانبول ، والجزء العشرون في المكتبة الملكية في كوبنهاجن عاصمة الدنمرك .

الفن البيزنطي في لبـــاس عربي

ولقد ساد عنصران رئيسيان في التصوير العربي خلال العهد الأموي ، العنصر البيزنطي (الكلاسيكي) والعنصر الساساني ، أما في العصر العباسي ، فقد كان ــ بادىء ذي بدء ــ العنصر الايراني هو السائد ، ثم مالبث أن ساد العنصر الكلاسيكي عن طريق الايحاء البيزنطي ، عندما استطاع المصور العربي أن يدخل التأثيرات الكلاسيكية في منهجه الخاص ، ثم تكييفها لطريقة الحياة الإسلامية ، ويتضح ذلك في المخطوطات الاغريقية التي ترجمت الى العربية بتصاوير مزوقة بالزخارف المختلفة ، مثل مخطوطة « مادة الطب » الاغريقية « لديوسقوريديس » المؤرخة في عام ١٢٢٩ م ، والموجودة في متحف « طوبقبو سراي » باستانبول في تركيا .

وهناك صورتان تستحقان التنويه في تلك المخطوطة ، عن النباتات الطبية ، الأولى تمثل رسماً لشجرة الكرم ، تمثل نمو النبتة من الجذر حتى الأوراق ، بتصوير صادق ، لدرجة أنها لو لم ترسم على ورقة ، لحسبها المرء نبتة أصيلة أغريقية أدخلت في كتاب عربي .

أما الرسم الثاني : فهو تصوير لنبتة « العدس » وهي تقف على شكل مغاير تماماً لشجرة الكرم ، فنجد أن الصورة قد رسمت في شكل متناظر الأجزاء ، دون أي تدرج في التلوين .

وفي هذه المخطوطة العربية لمادة الطب رسم جدير بالتنويه عنه ، لنبتة « الاتراغالوس » ، التي تستعمل كعلاج لبعض الأمراض ، فقد رسمت بطريقة عادية ، ولكن بدلا من أن توضع في مكان خال ، كما هي في مخطوطة مادة الطب الأصلية باللغة الاغريقية ، أصبحت في المخطوطة العربية ، تشترك مع منظر صيد ، يظهر فيه كلب مفترس من وراء التلال يطارد غزالاً شارداً ، فقد حاول الفنان العربي أن يضع هذه المنمنمات ، رغبة في إضفاء الحياة على الرسوم النباتية .

عاصمة الخلافة العباسية

وقد بلغ فن التصوير العربي شأو تكامله بعد سنة ١٢٠٠ م ، في عاصمة الخلافة العباسية ، بغداد ، وبلغ مجده في الربع الثاني من ذلك القرن ، وشاء القدر أن تكون أول إشارة تدلل على هذا التطور ، مخطوطة في الطب البيطري ، خاصة بعلاج الخيل ، وهي مخطوطة « البيطرة » ، لأحمد بن الحسين الاحنف » ، وتوجد منها نسختان ، نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية ، نسخت عام ١٢٠٩ م ، أصاب المنمنمات فيها بعض التلف . أما الأخرى ، فموجودة في « استانبول » ، ونسخت سنة ١٢١٠ م ، وتحتوى على تصاوير من ذات الأسلوب تماماً .

ولكن مرحلة النضوج تتمثل في منمنمات نسخة من مخطوطة « رسائل إخوان الصفا » ، وهي موسوعة علوم ، نسخت في بغداد سنة ١٢٨٧ م ، وتمثل الأسلوب البغدادي الخالص في أوج عظمته ، لأن فكرة التصاوير قد هضمت جيداً ، في مفاهيم الحضارة العربية الاسلامية ، فأصبحت تتاجاً متميزاً .

مقامات الحريري

ولقد كان لرسوم « مقامات الحريرى » ، التي أنجزت في بغداد ، بالجهد الكبير ، والمتنوع ، والذى بذل فيها ، منزلة ، دفعت فن التصوير العربى الى الذروة .

تحتوي مقامات الحريرى على خمسين مقامة ، دارت أحداثها في أماكن متفرقة ، ومختلفة ، أعطت للفنان العربى بعداً وخيالا ، ووفرت للقارىء تصوراً يضفي على المقامة حيوية وجمالاً وتاريخاً ، حيث اعتبرت مرآة للحياة العربية في العصور الوسطى .

واشتهر من المقامات ، مخطوطتان ، الأولى محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس العاصمة الفرنسية ، تحتوي على تسع وتسعين صورة ، برسم الواسطي ، وتعرف باسم « شيفر حريري » نسبة الى مالكها « شيفر » .

أما الثانية ، فمحفوظة في معهد الدراسات الشرقية ، بأكاديمية العلوم في « لينتجراد » ، وتمتاز بمنمنماتها ذات الصفة التعبيرية المتوافقة مع قصة المقامة المعبرة عنها .

ولابد من وجود عدد من المخطوطات المفقودة لمقامات الحريري وقد دلل على ذلك اكتشافه نسخة ثالثة مزوقة مؤخراً ، في استانبول ، ولكنها تعرضت لتشويهات لا يمكن اصلاحها .

لقد اعتمدت كل المنمنمات الموجودة على خبرة وحسن اطلاع على المناظر النوعية التي رسمت ، ولكن هناك استثناء وحيداً يتمثل في صورة إحدى الجزر الشرقية التي رست عندها سفينة « أبوزيد والحارث » . إن هذا الرسم من بنت أفكار المزوق ، فقد رسمت بطريقة زخرفية بديعة ولكنها مختلفة .

وغير مقامات الحريرى ، هناك الكثير من المخطوطات المزوقة ذات التصاوير . وقد اقتصرنا على ذكر ماسبق ، للشهرة الذائعة ، مثل ألف ليلة وليلة ، ومخطوطة رياض وبياض الأندلسية ، وكلها تدلل على ما كان للتصوير العربى من أشكال أكثر جاذبية وبهاء .

فن ما بعد الغزو المغولى

ويعتبر الغزو المغولي نقطة التحول الكبرى في تاريخ التصوير العربي الاسلامي ، والذى بلغ ذروته القصوى باحتلال بغداد ، سنة ١٢٥٨ م ، حيث قتل آخر خليفة عباسي حاكم فيها ، فخربت المدن ، وقتل الناس ، وأحرقت الكتب ، ورميت المخطوطات في نهر دجله حتى غلب لون الحبر على الماء ، فدمر المناخ الاجتماعي والاقتصادى بعد الازدهار الذى أدى الى سمو فن تزويق الكتاب . فتبع ذلك ثلاثة تغييرات كبرى أولها هجرة كثير من الفنانين الى أماكن آمنة في الغرب أو في الشمال الغربى ، وأجبر آخرون الى الهجرة الى الشرق الأقصى للعمل في العواصم المغولية



فرسان ينتظرون المشاركة فى استعراض : احدى لوحات المقامة السابعة من مقامات الحريرى

الحديثة ، وهذا التحول أحدث بدوره التغير الثاني الذي جعل الفنانين الذين أخذوا للعمل تحت إمرة الأسياد الجدد ، فهيأوا أنفسهم لأذواق فنية متغيرة ، والثالث خضوع هؤلاء الفنانين الى تأثيرات مغولية .

وخضعت بغداد مدة مائة وخمسين سنة تحت الحكم المغولى . الذين كانوا وثنيين ثم هداهم الله فاسلموا . ولكن انتاج المخطوطات المزوقة بقي مستمراً بشكل محدود جداً ، فقد انتقل مركز الانتاج الحقيقي الى دولة المماليك فى مصر وسوريا ، ولكنه لم يبلغ المستوى الرفيع الذى بلغه فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، ولكنه شهد انتعاشاً ضئيلاً فى النصف الأول من القرن الرابع عشر . فمن أهم المسلسلات المميزة لمنمنمات هذه الفترة سلسلة تتألف من إحدى عشرة تصويرة فى بداية كتاب « منافع الحيوان » لمؤلفه « بختيشوع » وهو مخطوط طبي يتناول الانسان والحيوان والنبات ، بنفس الطريقة التي طبقها « ديقوريدس » عن النباتات ، وهناك أيضاً مخطوطة واحدة ، امتزجت فيها الصفات العربية والصينية (المغولية) وهى مخطوطة « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، للبيروني ، مؤرخة سنة ١٣٠٧ م ، فتظهر رسومها الأشخاص بسحنة مغولية ، ولباس عربى ، وكذلك مخطوطة « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزويني الذى تناول فيها الاجرام السماوية والمعادن والنبات والحيوان والانسان ، وهناك منمنمة أخرى فى مخطوط عنوانه « منافع الحيوان » تأليف « ابن الدريهم الموصلي » ، الذى خطه بيده فى سنة ١٣٥٤ م . وهكذا يتضح أثر الغزو المغولي فى المنمنمات العربية ، ولكن يبقى الطابع العربى هو الغالب .

المنمنمات فى العصر المملوكي

وقد تجلى مظهران من مظاهر الفن التصويرى العربى فى عهد المماليك البحرية (من سنة ١٢٥٠ م — ١٣٩٠ م) ، الأول هو الفن المتقن التأليف فى العالم الاسلامى ، الذى يتمثل فى الاشكال الهندسية المعقدة . التى لم تكن تغطى جدران المساجد وقبابها فحسب ، وانما كانت تغطي المنابر ، والأبواب ، ودفات الشبابيك ، وأغلفة الكتب ، والسجاد .

أما المظهر الثاني فهو ظهور شكل واحد من الأشكال الرئيسية للزخرفة ، بل إنه الشكل الوحيد أحياناً ، ذلك هو الكتابة الخطية لاسم السلطان ، أو الأمير بكل نعوته الدقيقة وأوسمته ، وهذا ما جعل الرسام الرسمى فى عهد المماليك ، غير قادر على انتاج فن واقعي ، يمثل الحياة اليومية تمثيلاً صادقاً بمضامينها النفسانية . ويتخلى عن الفن الاجتماعى على غرار ما حوته مخطوطات مقامات الحريري ، الموجودة فى مكتبتي باريس ولينينجراد .

ويتمثل الأسلوب المملوكي فى مخطوطة مملوكية فريدة مؤرخة سنة ١٢٧٣ م ، وهى مخطوطة « دعوة الأطباء » من تأليف « ابن بطلان » ، وبها إحدى عشرة صورة ويمكن مشاهدة جملة من المظاهر المميزة للأسلوب المملوكي فيها ، ذلك أن التصويرة لها إطار تخطيطي ذو أقواس وزخارف

متناظرة ، كما نسخت مقامات الحريري وزينت بتصاوير مملوكية . وكذلك كليلة ودمنة .

وهناك مرحلة أبعد في تطور التصوير في العهد المملوكي ، في مخطوطة فريدة تم التوصل إليها ، وأنجزت في حوالى منتصف القرن الرابع عشر ، وهذه المخطوطة هي « كشف الأسرار » لمؤلفها « ابن غانم المقدسي » ، الذي تناول الأزهار والطيور والحيوان ، وصورها تمزج بين العرض الشكلي في التصوير المملوكي ، وبين رشاقة الترتيب الزخرفي .

المنمنمات في القرآن الكريم

وهناك فرع ثالث . بالإضافة الى الرسوم والزخارف التي صنعت في البلاطات وفي المراكز المدنية ، ألا وهو التصوير الزخرفي في القرآن المجيد ، والذي سار موازياً لهذين النوعين ، ويتمثل هذا الفن في أشكال هندسية مضافاً اليها أشكال نباتية ، إذ منذ القرن الحادي عشر الميلادى غدا زخرفة القرآن المجيد شكلا أساسياً للمصحف الشريف .

وتتمثل أقدم الزخارف القرآنية ، في تلك الأشكال التي تفصل بين الآيات ، ثم تلك الزخارف التي تفصل بين السور ، وزخارف الهوامش والمقاطع ، وأخيراً ظهرت الزخارف التي تغطي صفحة الغرة بكاملها ، إما على شكل تركيب من صفحة واحدة أو صفحتين ، كما تضاف زخرفة الى خاتمة القرآن .

المرحلة الأخيرة
في التصوير العربى

ثم يعتبر عام ١٣٥٠ م هو المرحلة الاخيرة للتصوير العربى الاسلامى ، لأنه خضع لأساليب غير عربية ، ما عدا تزيين القرآن الكريم ، الذى استمر ولازال بأسلوبه المميز .

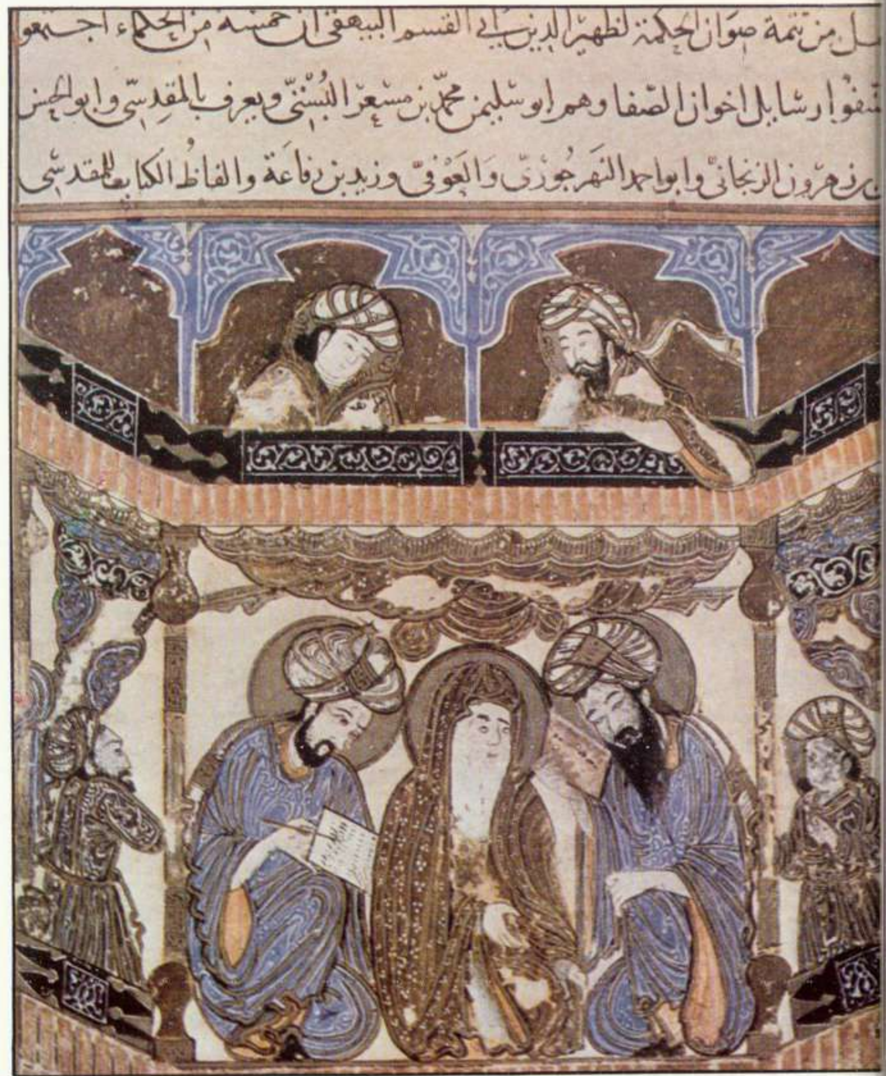
لقد طغى الأسلوب التركى في بلاد الامبراطورية العثمانية ، والأسلوب الفارسى في بلاد فارس ، فنجد مثلا مخطوطة « عجائب الخلق » المنسوبة للطوسى تنسخ في عام ١٨٨٨م ، وقد وضعت بأسلوب فارسى ظاهر ، وكذلك جميع المخطوطات التي نسخت بعد ذلك ، فقد تغلبت عليها إما الصفة التركية أو الصفة الفارسية ، وإن كان قد صبغ الفن التصويرى بطابع غير عربى ، إلا أن الحرف العربى يبقى بجماله ورونقه ، لان العربية هى لغة القرآن .

وستبقى تلك الرسومات والمنمنمات العربية أصدق مرآة للحضارة العربية الزاهرة .. فقد ورثنا الكثير .. وتعلم العالم شرقه وغربه من حضارتنا .. فكيف نقف اليوم إزاء هذا الارث الحضارى ، وما منزلته في حاضرنا وعند الأجيال المقبلة ؟

حسنى شحادة



شجرة مع مناظر حيوانية (٧٢٤ ــ ٧٤٣ م) وهى فسيفساء أرمنية في غرفة الاستقبال لحمام خربة المفجر (الأردن)



من كتاب رسائل إخوان الصفا (١٢٨٧ م ــ ٦٨٦ هـ)

في وجه الاستعمار: صفحات من البطولات الخليجية

سيف بن سلطان والأسطول الأعجوبة

بقلم: أحمد العناني

ما نزال مع فترة ماجدة من تاريخ عمان ترعرعت فيها زهرات المجد بفيض من دماء مختلطة، بعضها دماء المجاهدين ضد المستعمرين الواغلين، وبعضها من أسف بالغ دماء يسفكها المسلمون في فتنهم الداخلية.. ويا لله كم تكبر عظمة الرجال الذين يروضون جياد الحياة الجامحة في عصور المحنة الكبرى.. وهي عظمة في التاريخ الاسلامي لا يمكن أن تكون بغير جذور إسلامية، وصفات من العظمة حقيقية، واذا اجتمعت غاية الاسلام وشرف الرجولة في قائد فهو المحلق الذي لا يلحق...

يرى الدكتور صلاح العقاد المتخصص في تاريخ الخليج (١) أن الحافز الديني (كان) يلعب نفس الدور الذي تؤديه المشاعر الوطنية في عصرنا الحديث ومن ثم لم يكن بوسع أي زعيم تحقيق الوحدة إلا على أساس دعوة دينية ومن هنا (كما يرى هو) ارتبط قيام أسرة اليعاربة باحياء نظام الأمة، كما نسبت إلى بعض الأئمة المعجزات... الى آخر ذلك،

ونحن على خلاف حاسم فيما يراه الاستاذ الدكتور صلاح العقاد في أمر «كان» هذه عن الدور الديني في استقلال وتحرك الشعوب الاسلامية، فان الذي نراه من منطلق عقيدتنا غيرما يراه هو من منطلق اعتقاد له يداري التخفي فيه وهو غير خاف.. نرى أن الحافز كان ويظل يلعب الدور الأساسي في قيام أمواج لا تنقطع من التحديات التي تواجه طبعا بردود فعل استعمارية وأحياناً وطنية، ولقد كان ذلك بالضبط هو رأي دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا الاستعماري اليهودي الذي قدر عبثية المواجهة مع الاسلام بغير القضاء على جذور القرآن من المجتمعات الاسلامية..

وإني لا أشك إطلاقاً أن دراسات توينبي في تاريخ الاسلام وهو رجل شغل بابن خلدون كل الانشغال وبالدراسات الاسلامية بعامة، هي التي حفزته إلى بلورة نظريته المعروفة في سير التاريخ عن التحدي ورد التحدي والتي نقض بها نظرية ماركس في الموضوع نفسه. فالاسلام قد يظن أن شعوبه ماتت تأخراً وقهراً وصراعاً فيما بينها، واذا بقيادة رجل مخلص حكيم تأخذ الأمور اتجاهاً آخر، واذا القلوب كلها من وراء ذلك الرجل صفاً واحداً وكتلة شعور واحدة... ذلك ما حصل في غير حادث واحد.. وما معركة الزلاقة وممباسة وعين جالوت وحطين ووادي المخازن وغيرها كثير إلا أمثلة عن ظاهرة الاسلام العجيبة..

واذا ما عم الألم والغضب الشعوب الاسلامية فإن الأمر لا يتطلب إلا قائدا يحمل سمات الاسلام للرجل الزعيم فاذا الامور بين ليلة وأخرى على غير ما عرف عنها تماماً..

استعادة الثقة

في وهج المشاعر التي أوجدها طرد البرتغاليين من آخر معاقلهم في مسقط عام ١٦٥٠ للميلاد، لم يستعد العمانيون ثقتهم بأنفسهم، وبعقيدتهم وبتاريخهم وحسب، ولكنهم في الواقع اتخذوا دوراً هجومياً لطرد البرتغاليين من المجال الحيوي العماني ولا سيما في شرقي أفريقيا، ومعروف جيداً دور العرب المسلمين في كل ساحل زنجبار على المحيط الهندي، في موانئه الزاهرة مثل كلوه وممبسة، وباتا ودار السلام ونجبا ومافيا وغيرها.. فبعد أن عمروا واجهة افريقيا الشرقية على المحيط وأوجدوا فترة نشاط هائلة بين تلك

الجبهة البحرية وآخر أبعاد المحيطين الهندي والهادي ، جاء البرتغاليون بأساطيل متقدمة التسليح وارادة للعدوان لا تبالي ولا تتردد ، وحقد صليبي متوقد .

وما ان صحا العمانيون على حقيقة وضعهم الجديد حتى أدركوا أن طرد البرتغاليين من موانيء بلادهم ما لم يتبعه هجوم آخر لاستعادة حقوق عمان المسلوبة في مجالها الحيوي في ساحل زنجبار وفي الجزائر ذوات الأهمية الاستراتيجية للمحيط الهندي ، وفي المواقع التجارية على الساحل الغربي للهند ، خصوصاً وان النفوذ الاسلامي كان غالباً في مواقع كثيرة منه .. أقول أدركوا أي العمانيون انه بغير إكمال حلقات النصر فان كل شيء كان معرضاً لأكبر الخطر ... وذلك ما أدركه الامام سيف الدين بن سلطان بخاصة .

خصائص عمان البحرية

لقد صحت عزيمة الامام سيف بن سلطان على اعادة مجد بلاده البحري ، والعمانيون كما هو معروف محمولون حملا على مثل ذلك المجد ، فهم يواجهون على الجبهة البرية امتدادا من مجاهيل الربع الخالي ، وبينهم وبين مراكز الخصب النسبي في ساحات الاحساء (حيث موقع مدنية التجارة العظمى الجرعاء في قديم الأيام) وفي جزر البحرين وسيراً مع دروب الشمال الى البصرة والعراق واقليم فارس .. مسافات باهظة الكلفة على المتاجرين أو حتى المسافرين في البر ..

ولم يكن للعمانيين للدخول الناشط الى عالمهم الخليجي وعالمهم في المحيط الهندي إلا النهضة البحرية ... وهي حين يوجد القائد العازم ليست أمراً عسير التحقيق .

فعمان بلد يزخر بالموانيء الطبيعية الممتازة ، والمتاجرون في البحر تتفتح أمامهم أفضل الفرص المواتية سواء في القارة السوداء أم في الهند والشرق على حد سواء .

وكانت ذكريات المجد العماني البحري قد بدأت تطوف بأذهان الناس وما زال للعمانيين سفنهم المتنوعة الكثيرة من سفن صيد وسفن تجارة ونقل من العبرة ـ ذلك القارب الرفيع المعروف باسم الكانوه ـ وحتى سفن النقل الكبيرة من نوع « البغلة » ذات المؤخرة العالية . وكان سهلاً عليهم الحصول على أشكال الخشب من العادي منه حتى خشب الساج الهندي ... لكن الشيء الوحيد الذي كان ينقصهم هو السفن الحربية المزودة بالمدافع وذخيرة البارود النافذة ، وهذا ما استماتوا في الوصول اليه .

وانه لأمر يثير أعظم الاعجاب أن يتمكن سيف بن سلطان خلال تسع عشرة سنة من الحكم أن يبني أسطولاً حربياً عرفت فيه ثمان وعشرون فرقاطة ضخمة ، لكن أحداً لا يستطيع أن يجزم بعدد سفنه المساندة الأخرى ، وحسبنا أن نعلم أن البوارج من سفنه الكبرى كانت مسلحة بثمانين مدفعاً ، وأنه كان في الامكان وخلال فترة استنفار محدودة تحويل ما يقارب الأربعمئة سفينة وقارب من الخدمات المدنية الى الخدمة العسكرية بفضل الاحتياطات المتخذة سلفاً في بناء تلك السفن .

والواقع أن العمانيين كانوا قد تلقوا منذ مدة طويلة رسائل الاستغاثة من ساحل زنجبار وغيره من المناطق الداخلية والبحرية من شدة وطأة الاستعمار البرتغالي وتعصبه الديني ، بعد أن اصبحوا يبتزون أموال الناس لأتفه الأسباب حتى قيل إنه حين كانت تعثر دابة لبرتغالي أمام بيت أو متجر لمسلم كلف المسلم تعويضاً قد يستغرق كامل ثروته .

وقد تمكن الامام سلطان بن سيف عام ١٦٦٠ م بأسطوله المتواضع عندئذ أن يحتل ممبسة لكنه كان عاجزاً عن محاولة الهجوم على القلعة الهائلة المعروفة هناك بقلعة يسوع فما لبث البرتغاليون أن استردوا ممبسة ، وكأن شيئاً لم يكن ، ولم يكن نصيب سائر الحملات التي شنها خلفه وابنه بلعرب بن سلطان بأحسن من حظ حملته هو ، وظل الشر الكبير يعصف بمسلمي شرقي أفريقيا حتى عام ١٦٩٣ حين كان حكم البلاد قد آل إلى سيف بن سلطان .

النصر البحري العظيم

لقد قاتل الاسطول الاسلامي العماني قتالا عظيماً في معركة ممبسة التي ابتدأت في ١٣ مارس ـ آذار عام ١٦٩٦ واستمرت سجالاً حتى ١٤ ديسمبر ١٦٩٨ ، حين أدت العناية الالهية الى حسم المعركة نهائياً في صالح المسلمين حيث استشرى الطاعون حتى أهلك بقية المقاومين البرتغاليين .

لقد أدى الاسطول العماني القوي الدور الرئيسي في معركة اتسمت بصورة من أقسى صور الصراع العنيد بين حماة الاسلام والنصرانية ، وليس هذا الكلام من باب المبالغة في شيء أبداً ، فحين وجد البرتغاليون أن بوارج العمانيين كانت تغطي اللسان البري الضيق من خلف قلعة يسوع ، الذي كانت امداداتهم ترد منه ، تكبد البرتغاليون مشقة حملة ضخمة سيروها من جوا في الهند ... وكان التحدي الكبير أن تتمكن النجدات من الوصول الى داخل قلعة يسوع وتوصل المؤن والأدوية الى المحاصرين فيها ، ولهذا دارت معارك وحشية ومطاردات عنيفة في البحر والبر ، ولم يتمكن سوى ما يقارب عشر المدد من الوصول الى القلعة ، ولكن أولئك العشرة في المئة ما لبثوا أن اصيبوا بالطاعون الذي كان قد استشرى داخل القلعة .

وفي أوائل سبتمبر ١٦٩٧ وقد مضى على حصار المسلمين للقلعة واحد وعشرون شهراً تمكنت حملة من موزمبيق من الوصول تسللاً الى داخل القلعة ببعض المؤن ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، فظلوا يتابعون الحصار . وفي ديسمبر من عام ١٦٩٨ وفيما كان أسطول جديد للبرتغاليين يطل على ممبسة وقلعة يسوع قادماً بتجريدة كبرى لفك الحصار ، كان المسلمون قد قضوا على مقاومة آخر جندي برتغالي ، ودخلوا الى القلعة التاريخية التي اشبهت مدينة الاشباح إذ كان معظم جنودها قد سقطوا صرعى المرض والجراح والمجاعة .

ولكن ما وجه البطولة من ناحية سيف بن سلطان والعمانيين طالما كان للطاعون كل ما كان له من يد طولى في حسم المعركة ؟ إن الجواب على هذا يدخلنا إلى الجوانب الحزينة من التاريخ الاسلامي منذ القرن السادس عشر للميلاد بخاصة وهي جوانب تبرز منها ثلاث سلبيات كبرى شوهت تاريخنا تشويهاً رهيباً .

الثالوث المفزع

يتألف ثالوث السلبيات المفزع في تاريخنا الحديث من ثلاث نقاط سيئة : هي الخلافات القبلية أولا والخلافات المذهبية ثانياً ، والصراع على السلطة مما يؤدي الى تمزيق الأمة .

ولضيق المجال هنا لو أردنا أن نعدد مصائب الخلافات القبلية التي شوهت وجه الحياة أيام دولة اليعاربة وما بعدها ، ومعروف مع الأسف البالغ أن الخلافات المذهبية الدينية تتبع النزعات القبلية كتبعية الظل للشيء .

إن المذابح والصراعات الداخلية كانت طول الوقت مستعرة في خلال صراع السلطان مع البرتغاليين لطردهم من شرق أفريقيا كله .

ولقد استفحل الشر وعظم الخطب حتى انكفأ الرجل الذي كان يعد لأسطول على مستوى دولة عظمى يسترد به الطرق الاسلامية التجارية في المحيط الهندي والهادي حتى أسقط في يده ، ويبدو أن بعض القوم أغروه إغراء شديدا ، بالاستعانة على خصومه بدولة أجنبية فوجد أن يستنجد بنادر شاه الفارسي بدلا من الاستعانة بقوة أوروبية من النوع الذي كان يحاربه .

وكانت خطوة غير موفقة على الاطلاق فان قدوم نادر شاه الى خورفكان على رأس قوة فارسية للتدخل في شئون عمان الداخلية أثبت أنه كان شراً مستطيراً . لكن الرجل العصامي الذي أوجدته تلك الظروف العسيرة لانقاذ عمان من حضيض كارثة كبرى كان هو أحمد بن سعيد الذي سيكون إن شاء الله تعالى موضع دراسة في مقالنا المقبل .

أحمد العناني

هامش :

(١) التيارات السياسية فى الخليج العربي ص ٤٨ طبعة مصر

الملح في حياتنا

مادّة لها تاريخ في حياة الإنسان

كثرتها في الطعام خطر وقلّتها أمان وسلامة



● كانوا يقولون عن الجندي الروماني الشجاع: "إنه يساوي وزنه ملحاً"!

● طريقة قطرية ناجحة لعلاج الحروق بالملح

بقلم: الدكتور عبدالله الباكر

يعتبر ملح الصوديوم من العناصر الهامة للجسم ، وهو العنصر الموجب الأساسي فى سوائل خارج الخلية ، حيث نجده فى محلول متعادل تسبح فيه الخلايا لاستمرار عملها وتغذيتها ، وبالتالي حياتها ، إذ أن خلايانا بتعبير أدق « تسبح فى بحر من الملح » ؛ ويخضع تعادل الملح فى المحلول لتأثيرات هرمونية وعضوية أهمها الكلى وغدد ما فوق الكلى والغدد العرقية .

ولقد عرف الملح منذ فجر التاريخ ، وبدأ تذوقه يضيف نكهة على الأكل إذ أن الأكل الطبيعي لم يكن مذاقه مالحاً ؛ وكانت للملح قيم مختلفة عبر التاريخ فكانت له قيمة « مادية » لدرجة أنه كان يطلق على العبيد الجيدين وعلى الجنود فى العصر الرومانى والذين كانت رواتبهم تدفع بكميات من الملح « أنه يساوى وزنه ملحاً » . والأغرب من ذلك أن كلمة راتب Salary جاءت من اسم الملح Salarium وكان الملح أيضاً يستعمل فى بعض الأحيان كقيمة بديلة لمواد أخرى ، ويقال إن اثيوبيا كانت تستعمل الملح على هيئة قطع نقدية مستديرة منه حتى بداية هذا القرن ، واستعمل الملح فى الطب أيضاً بمختلف الأدال : فكان يستعمل فى غسيل العيون والقرح والدمامل والحروق ولتنظيف مختلف الجروح ، وكسائل معبأ بتركيز متعادل أو بدون العناصر الأخرى كبديل لفقدان السوائل والدم من الجسم بادخاله عن طريق الأوردة أو الفم فى حالات الاسهال عند الأطفال . واستعملناه حديثاً فى قطر فى علاج الحروق بتركيز معين « ٤,٥ جرامات » لكل لتر من الماء فى الطريقة القطرية لعلاج الحروق والتى عالجنا بها ٢٠٠٠ مصاب حتى الآن .

وكان يستعمل فى كثير من الاعتقادات والمناسبات مثل رش الأطفال فى العصر البابلي لمنع الشياطين عنهم ، أو عند الكاثوليك عند التعميد حيث يوضع فى الفم كرمز للصفاء والنقاء ، كما كان يعلق على أبواب البيوت والمحلات ليكون مانعاً للحسد وحارقاً لعين الحسود .

وبالرغم من هذا التاريخ عن الملح الا أنه من المواد التى أضيفت حديثاً الى طعامنا ، اذا أننا نشأنا فى سابق الزمان على أكل فيه قليل من ملح الصوديوم وكثير من ملح البوتاسيوم ، لأن الانسان كان يعيش على الفواكه والخضروات ، أى أنه كان نباتياً بالطبيعة ــ لذلك السبب فان الآلة الفسيولوجية فى

الجسم مركبة على أساس الحفاظ على الصوديوم وفقدان البوتاسيوم حتى لا يبقى البوتاسيوم بكمية زائدة فى الجسم فتضر الانسان .

والأطفال حديثو الولادة يحسون بطعم الملح اللاذع ، وبتقدم العمر يبدأ تذوق الملح والشهوة له تزداد ؛ حتى فى سنين المراهقة ، فقد وجد أن البعض يلعق الملح ويشتاق بشدة إليه ، ويذهب الدكتور / ليدت بيج الى القول مستنتجاً « الى أنه من الواضح أن الشهية للملح تعتمد على التغذية الأولية المتعود عليها ، وليست لها علاقة بحاجتنا الى الملح » .

أما عن أهمية الصوديوم فى الجسم فتتلخص فى التالى :

(١) إن عنصر الصوديوم من اهم العناصر لاستمرار العمليات الحيوية في الجسم ، إذ أن التناضحية **Ormolarity** في سوائل خارج الخلية والبلازما بالذات تعتمد أساسا على وجود كمية معينة منه يمكن قياسها ، حيث أن الزيادة والنقصان في هذه الكمية تؤدى إلى تفاعلات فسيولوجية سريعة تشمل غالبية الأجهزة في الجسم لاحداث التعادل المطلوب ، الأمر الذى إن لم يتم سيؤدى إلى حالات مرضية بسبب هذا الاضطراب قد تؤدى الى الوفاة إن لم يتم التدخل الطبي فيها .

(٢) أما على مستوى الخلية فإن حركة الملح في مختلف الاتجاهات خروجا أو دخولا هامة جدا ، حيث أن خلايا الجسم يوجد بها مضخة تسمى « مضخة الصوديوم » للتحكم في حركة الصوديوم والبوتاسيوم معا ، وأهمية هذه المضخة أنها :

• تحافظ على حيوية الخلية واستمرار مفعولها إذ أن فشل هذه المضخة التي تعتمد على الطاقة يؤدى إلى موت الخلية .

• لها دور كبير في امتصاص الأملاح والمواد المرافقة لها سواء في الأمعاء أو في الكلية مثل الجلوكوز والأحماض الأمينية .

• لها دور كبير في الافرازات بمختلف أشكالها في مختلف أجزاء الجسم .

مقادير الملح الصحية

إن الكمية الضرورية للجسم من ملح الصوديوم تعادل ٢٥٠ ــ ٣٠٠ ملليجرام يومياً ، وحتى إذا تجاوزنا ذلك في بعض الأماكن التي يعمل فيها الانسان ويفقد كميات ضئيلة بالعرق فإنه يجب أن لا يزيد عن ١,٥ ــ ٣,٥ جرامات يومياً وهذه الكمية موجودة في جميع المأكولات الطبيعية بدون إضافة الملح على الأكل ، فهل نحن متمسكون بذلك ! طبعاً لا . فلقد وجد أن الأمريكي العادى يأكل ما يعادل ١٠ جرامات ــ ٢٠ جراماً من الملح يومياً بسبب إضافة الملح على المأكولات المصنعة والمعلبة والمجففة للحفظ والتخزين .

وبنظرة بسيطة على كمية الصوديوم الموزعة فى جسم الانسان ستتضح عدة حقائق ..

وجبة دجاج ٢٫٢٢٤	فطيرة دجاج ٩٠٧	دجاج ٢/١ صدر ٦٩
ملح معلقة ١٫٩٣٨	زيت الصويا معلقة ١٫٠٢٩	ليمون ١
صلصة طماطم فنجان ١٫٤٩٨	شوربة الطماطم فنجان ٩٣٢	طماطم ١٤
كفتة ١٫٣٠٤	هامبرجر ٩٩٠	شريحة لحم ٣ اوقيات ٥٥
خيار مخلل ٩٢٨	سلطة خيار باللبن ٢٣٤	خيار ٧ شرائح ٢
فطيرة التونة ٧١٥	تونة معلبة ٣ اوقيات ٢٨٤	سمك التون ٣ اوقيات ٥٠
فوار الحموضة ٥٦٤	ماء الصودا ٨ اوقيات ٣٩	ماء ٨ اوقيات
بطاطا مهروسة فنجان ٤٨٥	بطاطا مقلية عشر شرائح ٢٠٠	بطاطا ٥
جبنة حلوم اربع اوقيات ٤٥٧	حليب مجفف ٢/١ فنجان ٣٢٢	حليب فنجان ١٢٢
ذرة معلبة فنجان ٣٨٤	كورن فلاكس فنجان ٢٥٦	ذرة ١
كعك ٢٩٣	كيك شريحة ١٧١	خبز توست قطعة واحدة ١١٤
فطيرة التفاح ٢٠٨	عصير تفاح فنجان ٦	تفاحة ٢
مارجرين نباتي ١٤٠	زبدة مملحة معلقة صغيرة ١١٦	زبدة معلقة صغيرة ٢
عصير عنب اربع اوقيات ١٩	جيلي عنب معلقة صغيرة ٣	عنب عشر حبات ١

جدول (١) يوضح كميات الملح الزائد فى كثير من الأطعمة المعلبة والمحفوظة ، مشاراً إليه بالمللى جرام



مأكولات طبيعية يوجد بها الكمية الضرورية للجسم من الملح ، وذلك تحت شرط عدم إضافة الملح على هذه المأكولات ويستثنى من ذلك بالطبع طبق شوربة الصلصة والذى نقول لك إحــذر منــه .

يحتوى جسم الانسان على ٩٠ جراما من الصوديوم موزعة على الشكل التالى :
١) السوائل خارج الخلية (٤٠ جراما منها ٤٤ فى المائة قابلة للتبادل
٢) سوائل داخل الخلية (٨ جرامات) منها ٩ فى المائة قابلة للتبادل.
٣) العظام (٤٢ جراما) جميعها قابلة للتبادل.

التغيرات في نسب الملح

أ ــ نقص الملح فى الجسم :
ينتج عن إحدى طريقتين :
(١) إما عن طريق نقص الكمية المتناولة عن طريق الفم كما هو الحال في علاج حالات هبوط القلب ، أو بعد العمليات الجراحية عندما يعطى الماء وحده لعدة أيام ، أو عدم التعويض بعد العرق الغزير أثناء التأقلم والذى قد يصل النقص اليومي فيه الى ٣٥ جراما .
(٢) وإما عن طريق زيادة في اخراج الصوديوم ، ويكون ذلك عن طريق :
• الدم كما في حالات النزيف أو الحروق أو العرق في بعض الحالات .
• الجهاز الهضمى كما في حالات القيء أو الاسهال .
• عن طريق الكلية كما في حالات التهاب حوض الكلى المزمن وفشل الكلى المزمن .
ب) زيادة الملح في الجسم :
ينتج عن إحدى طريقتين :
(١) زيادة فى الكمية المتناولة عن طريق الفم أو عن طريق الوريد ، خاصة بعد العمليات الجراحية .
(٢) نقص في الكمية المخرجة من الصوديوم كما يحدث في بعض أمراض الكلى ، هبوط القلب ، أمراض الكبد أو خلل بعض الهرمونات .

من أين تأتى كمية الأمــلاح الزائدة ؟

يوجد الملح الزائد فى كثير من الأطعمة المعلبة والمحفوظة ، واذا قلنا إن الأنشوجة والسالمون المدخن وأنواع المكسرات بها الكثير من الملح ، فهذا ليس بغريب ، ولكن الغريب إذا قلنا إن الحبوب والخبز والبدنج والبنكيك (الكيك) وعصير الطماطم وجميع أنواع الشوربة تحتوى على كمية كبيرة من الملح أيضاً (أمثلة : جدول ١) .

حتى مياه الشرب فى بعض المناطق قد تحتوى على كميات زائدة من الصوديوم ، وتصل فى بعض مناطق الجنوب فى أمريكا الى ٤٠٠ مجم فى كأس من الماء فى بعض الأحيان .
أما بالنسبة لدولة قطر فان نسبة الصوديوم من مياه الشرب حسب تحليل مختبرات وزارة الصحة العامة فانها على الشكل التالى :
١ ــ المياه الحكومية : تختلف النسبة فيها من منطقة إلى منطقة حيث انها تتراوح بين ٤٥ ــ ٧٠ مجم فى كل لتر ، وهذه النسبة مقبولة صحياً حسب المواصفات الدولية .
٢ ــ المياه المعبأة المتداولة فى الأسواق : انظر الجدول (٢) .
إن أكبر كمية من الأملاح توجد فى المأكولات المصنعة ، وهذا مصدر القلق ، والتى تعتبر فى بعض البلدان ٥٥ ــ ٦٠ فى المائة من مصادر الأكل .
إن استعمالات الملح كثيرة ؛ فهو يستعمل لتحسين المذاق فى الأكل المصنع وفى الأطعمة المخبوزة ، ويستعمل للتحكم فى الخميرة وتقوية المواد الجلوتينية بهــا .
ويدخل الملح فى اللحم المصنع كمادة حافظة وكعامل لتحسين البروتين . ويدخل ــ أيضاً ــ فى الصويا والحليب المجفف (نصف الدسم) .
أما فى مشتقات الألبان فيدخل فى الزبدة كمادة حافظة ، وفى الجبن كمادة للتحكم فى النضوج ولمنع تكاثر البكتيريا ويسهل الطعم .
وطبعاً لاشك فى وجود الملح بكميات كبيرة فى جميع المخللات .

ما هى بدائل الصوديوم ؟

١ ــ كلوريد البوتاسيوم :
يباع هذا الملح تحت أسماء مختلفة ، وقد جرب كبديل ، لكنه يجب أن لا يؤخذ من قبل المصابين بمرض القلب أو الذين لديهم اضطرابات كلوية ، وهناك مشكلة أخرى وهى طعمه المر ، لذلك تلجأ بعض الشركات الى اضافة مواد أخرى إليه للتخفيف من طعمه ، وتلك المواد ذاتها قد تشكل خطراً على الانسان .
٢ ــ ملح مورتن لايت :
وهو خليط من الصوديوم والبوتاسيوم للحد من مرارة الطعم وللتقليل من الصوديوم فى نفس الوقت . ولابد من تحذير مرضى القلب والضغط المرتفع جداً والكلية من هذا المزيج .
٢ ــ ملح البحر :
يباع ملح البحر فى عبوات فى بعض البلدان ، وبدراسته كبديل على الحيوانات وجد أنه يرفع الضغط أكثر ، ورغم أنه يحتوى على بعض المعادن

الجيدة ، الا أن نسبتها تتراوح من مكان الى مكان وتعتمد على المواسم ، وبه مادتان ، هما النيكل والقصدير ، فقد ترتفع نسبتهما فتشكلان خطراً على الجسم . وهذا الملح الى جانب أنه غالى الثمن بالنسبة للملح العادى ، لا ينصح بأن يكون بديلا .
٤ ــ مادة جديدة :
أعلن حديثاً أن العلماء اليابانيين فى جامعة هيروشيما قد طوروا مادة جديدة ، لها طعم الملح ولكنها لا تحتوى على الصوديوم .

الملح والعرق

من ضمن التعادل الفسيولوجى للأملاح والتنظيم لعملية التبادل يفرز في العرق كمية قليلة من الملح ، وتقل نسبة ملوحة العرق كلما غزر وقرب الصيف بالنسبة للناس العاديين والمتأقلمين على المناخ الحار ، لذلك كان الاعتقاد الخاطىء ، وهو الذى أدى الى الافراط فى الملح فى بعض البلاد الحارة ، بأن « الذى يعرق كثيراً يجب أن يأكل ملحاً أكثر » ، حتى أن بعض الناس يلجأون الى اعطاء حبوب الملح وخاصة بالنسبة للرياضيين .

الملح واليود

يعتبر اليود من المواد الهامة التى تدخل فى تكوين هرمون التيروكسين الذى تفرزه الغدة الدرقية ، ويؤدى هو نفسه الى تضخم هذه الغدة ، ويحتاج الانسان منه الى (٥٠ ــ ٣٠٠) ميكروجرام يومياً .
ويوجد هذا المرض بشكل واسع فى المناطق الجبلية والبلاد الواقعة بعيداً عن البحار . وأهم مصدر له هو المأكولات البحرية ، فلذلك أصبح أمر اضافة اليود الى الملح فى البلدان التى لا تأكل من البحر أمراً ضرورياً فهو بنسبة ٧٦ ميكروجراماً فى كل جرام من الملح ، لذلك ننصح فى الأكل أن تكون هناك مأكولات بحرية عند الاقلاع عن الملح أو اضافة كميات صغيرة على الطاولة أثناء تناول الطعام من الملح الذى يوجد به يود ، وخاصة بالنسبة للذين فى طور النمو وعند البلوغ وأثناء فترة الحمل .

ما الذى يجرى فى البلدان المتقدمة ؟

اتجهت الأوساط الصحية الى توجيه الناس فى أواخر السبعينات وأواخر الثمانينات من خلال جميع القنوات وأجهزة الاعلام والتجمعات للاقلال من الملح أو الابتعاد عنه كلية . فهناك

● مـــدارس حديثـــة تعـــلم النـــاس "الطعـــام بـــدون مـــلح"
● كمبيـوتـر جديـد للجـيب يحذرك من خطـر المـلح

اصرار من الجهات العلمية المتعصبة بقناعتها بوضع علامة تبين نسب الملح وأنواعه وكمياته على كل علبة بشكل واضح حتى يعلم الناس مقدار الملح الذى يستهلكونه وبالذات المصابين أو المعرضين للاصابة بالضغط المرتفع . وتفيد التقارير الواردة من أمريكا :

١ ـ أن بيع المأكولات الذى كتب عليها « قليلة الملح » أو بدون ملح « بدأ يرتفع فى السنوات الأخيرة ، وبدأت المحلات الصحية تبيع منه بكثرة وأن بيع الملح فى السوق قد انخفض .

٢ ـ ظهرت مطاعم عديدة تعلن عن وجبات بغير الملح أو بقليل منه فأصبح يرتادها الكثير من الناس بناء على قناعتهم بخطورة الملح الزائد ، ودلالة ـ بالتالى ـ على الاهتمام بصحتهم .

٣ ـ إن الأمور بالنسبة للملح قد ذهبت الى مرحلة أخرى فى أمريكا بالذات ، حيث صدرت كتب الطبخ ونشرات الأكل بغير ملح ، ونظم البعض حلقات دراسية يدخلها الناس للتعلم بطريقة جماعية على أسلوب الاقلاع عن الملح . والأكثر من ذلك وفى النهاية تم تسويق آلة تسمى « حارس أو مراقب الملح » ، وهى عبارة عن كمبيوتر صغير للجيب ، تستطيع أن تغذيها بمعلومات عن رغبتك فى الأكل فتعطيك الجيد منه وتحسب لك فى جميع الأطعمة بنسبة الملح الموجود بها حتى آخر ملليجرام ، وإذا زاد الملح فى أكلك عن المعدل فإنها تعطيك صفارة انذار .

٤ ـ نشر توجيهات عن طريق الاقلاع عن الملح :

• الرجوع الى الأكل الطبيعي والنباتى منه بالذات .

• الطبخ بدون اضافة ملح الى الطعام والاكتفاء بما يوجد من أملاح فى المواد الغذائية الطازجة .

• الابتعاد كلياً عن جميع المعلبات حيث أنها المصدر الرئيسى للاملاح ، ناهيك عن بقية المواد الكيميائية المستعملة فى حفظها والتى لها دور فى مرض السرطان .

• إذا دعت الحاجة الى استعمال المعلبات فانظر الى المعلبات التى يكتب عليها كميات الملح وقدر حاجتك اليومية على أساسها وينصح أن لا تستعمل المعلبات التى يأتي اسم الملح الثالث على قائمة محتوياتها ، وفى نفس الوقت عليك بتصفيتها من الماء الذى بها ، واغسل الخضراوات بماء جديد لتقليل الملح .

• الرجوع الى بعض الكتب والمقالات الجيدة التى تنشر بانتظام عن الأكل من غير أملاح .

• عند الأكل لا تضع ملحاً اضافةً من على الطاولة .

• اذا كنت خارج البلاد فهناك مطاعم يمكن السؤال عنها تقدم وجبات بقليل من الملح أو بدون ملح .

• ابتعد كلية عن الأكل السريع والجاهز كالهمبرجر وغيره ، فهو يحتوى على مواد أخرى قد تكون مضرة غير الملح

• اذا كنت مضطراً لادمانك على تذوق الملح فالجأ الى بدائل الملح مثل كلوريد البوتاسيوم أو المخلوط منه البوتاسيوم مع الصوديوم .

• حاول التقليل من مشتقات الألبان أو الابتعاد عنها وخاصة الجبن والزبدة . بهذا أيضاً أنت تقلل الدهون فى طعامك .

• تأكد من أن الماء الذى تشربه لا يحتوى على كميات كبيرة من ملح الصوديوم وينصح أن لا تزيد عن ١٠٠ ـ ٢٠٠ جزء من المليون (ينصح لمرضى القلب والكلى أن يكون أقل من ذلك بكثير) .

• بامكانك فى الطائرات الآن أن تطلب طعاماً قليل الملح أو من غير ملح .

• اذا كنت من أصحاب الضغط المرتفع فلاحظ أن تنتبه أن يكون طعامك ودواؤك أيضاً تحت اشراف الطبيب .

• أخيراً هذه بعض الخطوات للاقلاع عن الملح :

(١) ابدأ بعدم رش الملح أثناء الأكل .

(٢) ابدأ بالتدريج بانقاص كمية الملح عند الطبخ أو الخبز ويفضل انقاص المقادير المطلوبة الى النصف . ثم استمر على هذا المنوال ثم النصف الى مرحلة لا شيء .

(٣) استعمل الاعشاب والبهارات والليمون الأسود وغيره لاضافة النكهة على الأكل حتى تغنيك عن التذوق المالح .

جدول رقم (٢)

مستوى الصوديوم فى بعض أنواع من المياه المعبأة المتداولة فى الدوحة

النوع وبلد الانتاج	مستوى الصوديوم ملجم/لتر
أبولونارس ـ ألمانيا	٤٤٠
كورالا ـ ايطاليا	١
دوحة ـ قطر	١٦
ايفيان ـ فرنسا	٧
جلفا ـ الامارات العربية المتحدة	٢٢
جامنيكا ـ يوغوسلافيا	٨٧٥
مساقى ـ الامارات العربية المتحدة	١٣
بيريير ـ فرنسا	١٥
راملوسا ـ السويد	٢٠٣
ريان ـ قطر	٤٣
صحة ـ لبنان	٣

الملح والأطفال

هناك تركيز فى السنوات الأخيرة على ارتفاع الضغط عند الأطفال لدرجة أن معهد القلب والرئة والدم الوطني فى أمريكا أوصى سنة ١٩٧٧ أن جميع الأطفال فوق سن الثلاث سنوات يجب أن يقاس ضغطهم سنوياً على أساس احتمال الاكتشاف المبكر لحالات ارتفاع الضغط الثانوى ، وأولئك الذين من المحتمل أن يصابوا بارتفاع الضغط الأساسي فى سن النضوج . إن هذا الاهتما تؤيده غالبية الدراسات ولكن بطرق أخرى وبالذات فى الأطفال المصابين بالسمنة أو فى حالات تاريخ للاصابة العائلية بارتفاع الضغط ، إن هذا الاهتمام سببه أن هذا الأكل المصنع بالمعامل للرضع والأطفال يحتوى على كميات من الملح أكثر من المسموح به لنفس السن ؛ لذلك تقرر منع استعمال الملح فى كثير من هذه الأغذية بالذات وخاصة أغذية الأطفال الرضع .

ولقد أوصت لجنة التغذية التابعة للأكاديمية الأمريكية للأطفال بالتالى :

(١) ضرورة تخفيض وعدم زيادة كميات الملح الحالية فى غذاء الأطفال .

(٢) ضرورة كتابة المعلومات كاملة عن الملح على غذاء الأطفال .

(٣) الذين هم من عائلات مصابة بارتفاع الضغط يمكنهم الاستفادة من غذاء قليل الملح بالرغم من أن الاثباتات حتى الآن ليست مؤكدة .

إن المشكلة هي عندما ينتقل الأطفال للأكل من نفس طعام العائلة حيث يتناولون كمية من الملح مجبرين ، وهذا يشكل خطراً كبيراً عليهم لأن الأطعمة المنزلية تجهز لكي ترضي الذوق المالح لدى الكبار ورب البيت فى الدرجة الأولى .

ما هي علاقة ملح الصوديوم بضغط الدم ؟

صار من المعروف منذ بداية هذا القرن بعد الدراسة التى نشرها L. Ambard & E. Benjard أن تقييد استعمال الملح سيؤدى الى تخفيض ضغط الدم ، وتبع ذلك التطبيق العملى والاكلينيكي لهذا الاكتشاف حتى أصبح واسع الانتشار بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان أوائل الذين نشروا دراسة جيدة عن استعمال الأرز كغذاء وليس به ملح هو Kenpenw واشتهرت بعد ذلك وجبة الأرز والفواكه كعلاج للضغط ، وظل

الحال على هذه الفكرة والغالبية العلمية بقناعتها أن هناك علاقة واضحة بين الملح وارتفاع الضغط ، ووضعت على أساس هذا المفهوم نصائح وصيغ للمرضى للسير عليها سواء فى المستشفيات أو فى العيادات الخاصة بالضغط أو حتى للمتعالجين فى البيوت ، ولكن الدراسات التى صدرت بعد منتصف السبعينات خرجت عن هذا الأساس وقللت من أهمية هذه العلاقة ، بالرغم من عدم نكران وجودها ، وكانت أول دراسة أثارت هذه الضجة من استراليا على أثر مقال نشرته فى المجلة الطبية الاسترالية عام ١٩٧٥ الدكتورة بريسلا كنيد Priscilla Kinaid وتبعها آخرون .

وظل موضوع الملح والضغط حتى وقتنا الحاضر موضوعاً ساخناً للنقاش بين مؤيد لدوره الكبير فى الضغط وبين مقلل لعلاقته بالضغط التى ان وجدت فهى ضئيلة جداً .



جميع العلبات تحتوى على مواد حافظة يدخل ـ أساسا ـ فيها ملح الصوديوم

ماذا يقول المؤيدون ؟

(١) الدراسات الوبائية : بالدراسات الوبائية المقارنة للشعوب المختلفة وجد أن الضغط المرتفع الأساسي يكثر فى البلدان التى تتناول الملح وبالذات فى المجتمعات الغربية والحديثة ، واليابانيون مثل لذلك حيث يكثر استهلاكهم للطعام النيء المجفف والملح والمخللات بأنواعها والخضراوات المجففة والمملحة واستعمال الصويا ، وحتى أوائل الثمانينات كان الشلل المفاجيء ونزيف المخ كمضاعفات للضغط العالى يتصدران قائمة الوفيات .

أما الشعوب البدائية والتى تستعمل الملح القليل كالأسكيمو ورجال القبائل فى أفريقيا وسكان حوض الأمازون ومرتفعات ماليزيا فانها لا تعانى من هذا المرض وفى بعض الأماكن لم يسمع عنه . ولكن هذه الأجناس عندما تنتقل الى المجتمعات المتحضرة وتأكل من أكلها يرتفع ضغطها .

(٢) الدراسات المختبرية : تبين فى كثير من الدراسات على أنواع معينة من الحيوانات والفئران بالذات أن اطعامها الملح يؤدى الى رفع ضغطها وأن التقليل منه يؤدى الى انخفاضه .

(٣) الدراسات الاكلينيكية : هناك الكثير من الدراسات الاكلينيكية التى بينت أن تقييد الملح بدرجة كبيرة (٦٠٠ ملجم فما تحت) يقلل الضغط فى المرضى بالضغط الأساسي وان كان بمختلف الدرجات ويساعد على التخفيض اذا استعمل بدرجة معتدلة مع بقية أنواع العلاجات سواء كانت تغذوية أو علاجية بالأدوية أو العناصر التي تأتي فى قائمة أسباب ارتفاع الضغط الأساسي .

(٤) الدراسات الفسيولوجية : هذه الدراسات ، والتى قامت بها مجموعة من أساتذة هذا العلم وعلى رأسهم جايتون Guyton .. A C ومجموعته ، تربط ملح الصوديوم بالضغط من خلال عملية معقدة تعتمد ببساطة على « أن الزيادة فى الملح ستؤدى الى زيادة تجمع السوائل فى سائل خارج الخلية ، الأمر الذى سيكون عبئاً على القلب والأوعية الدموية » .

أخيراً يقول الدكتور فرايز فى مقاله الشهير : « بالرغم من أن ميكانيكية ارتفاع الضغط الأساسي لا تزال غير واضحة ، الا أن الظواهر وان لم تكن حاسمة فهي ظواهر جيدة للدلالة على أن تقييد الملح تحت (٢) جرام فى اليوم سيؤدى الى منع حدوث هذا النوع من الضغط واختفائه كمشكلة صحية رئيسية » .

ماذا يقول المعارضون ؟

١) إن أسباب ارتفاع الضغط عديدة والملح ليس هو كل شيء كعنصر ؛ فلقد أصبح لبقية العناصر والأسباب أيضاً دور مثل نقص الكالسيوم والمغنسيوم والبوتاسيوم ومثل السمنة واستعمال الكحول والكافيين والتدخين وقلة الحركة والقلق وغيره .

٢) ان جميع الدراسات الوبائية ليست دراسات مستقبلية مراقبة ، والضغط فيها يخضع لاعتبارات اجتماعية ومعيشية واقتصادية وغذائية ونفسية وليس للملح فقط .

٣) ليس صحيحاً أن الحمية الشديدة للصوديوم (٦٠٠ ملجم فى اليوم) تقلل من الضغط فى المرض بالضغط العالي الا أن هذه الكمية ليست مقبولة للمرضى لتكون علاجاً لهم طول الحياة ؛ اضافة الى ذلك لا أحد يعرف حتى الآن ما هو تأثير هذه الحمية ، أو الذى أقل منها إن أمكن ، على أعضاء الجسم وبالذات الكلية على المدى البعيد .

٤) ان هناك أنواعاً كثيرة من الأدوية لتخفيض الضغط ثبت فعاليتها ومعروف حتى أعراضها الجانبية وأدى استعمالها فى دراسات كبيرة فى استراليا وأمريكا وعلى مدى طويل الى التحكم فى الضغط والتقليل من مضاعفاته ، فلماذا يحرم المريض من ذلك الحق تحت شعار تقليل الملح ؟

٥) ان الدراسات الحيوانية والاستناد عليها كأمثلة للعلاج ليست كافية لاتخاذ قرار على أساسها يهم مصلحة البشر .

٦) الى جانب أن دراسات قد نشرت لم تبين

● الذين يستعملون الملح بكثرة مُعَرَّضون للشلل ونزيف المخ
● تحذير طبي من المعلبات والمجففات والأطعمة الجاهزة



بدأت الأوساط الصحية الأمريكية فى السنوات الأخيرة بنصح المواطنين بالرجوع إلى الأكل الطبيعي والنباتى منه بالذات .

أى علاقة بين تقييد الملح وانخفاض الضغط فى بعض المرضى ، فإن الدراسات الأخرى التى بينت هذه العلاقة قد أظهرت انخفاض الضغط فى البعض وعدم انخفاضه فى البعض الآخر وفى نفس الدراسات ، الأمر الذى يدعو الى التفكير بأن هناك من لديهم قابلية للتأثر بالملح وغيرهم لا يتأثر .

٧) لا يوجد شيء اسمه التقييد المعتدل للصوديوم يمكن أن نضعه لأحد لعلاج الضغط الأساسي ، بل يمكن أن يوجد نوع من التنظيم ، والبرنامج الغذائى المتشابك الذى تدخل فيه العناصر التى لها علاقة بالضغط ومن المعتقد أن تكون فيه فائدة لتخفيف الضغط .

٨) لا يوجد داع لهذه الضجة ولا داعى للتعميم على الناس جميعاً بأن يلتزموا بقرار أكل الطعام دون ملح حيث أنه لا توجد أى دلالة على أن الملح يؤدى الى اصابة الأصحاء بالضغط الأساسي العالى ، ولقد نشرت دراسات أعطى فيها مجموعة من ذوى الضغط العادى (٢٠ ــ ٢٥ جراما) من الملح فى اليوم فلم تؤد الى ارتفاع ضغطهم .

إذن ما العمل ؟

ان الاعتدال فى كل شيء هو أساس السلامة والوقاية من هذه الظاهرة المرضية الخطيرة اذ أن هناك نسبة كبيرة فى مختلف البلدان ومنها بلادنا يعانون من ارتفاع الضغط ومعرضون لمضاعفاته الخطيرة ، ولاشك أن الصوديوم له علاقة بالضغط المرتفع بشكل أو بآخر ، كذلك يعتقد الأطباء أن الاكثار من تناول الملح يسبب انهياراً للجسم وضعفا للقوى الجنسية ويجعل الجسم مستعداً للاصابة بالأمراض ، وهو يزيد من حموضة المعدة ، كما أنه مثير قوى للاعصاب والخلايا العصبية ومثير للأغشية الدقيقة الرفيعة .

لذلك ينصح بما يلي :

١) ان المرضى الذين يعانون من بعض الأمراض كهبوط القلب والكلى والذين يتوجب عليهم الاقلال والامتناع عن الملح حسب ارشاد الطبيب ، عليهم الالتزام بذلك .

٢) بالنسبة للأطفال والرضع يفضل أن لا يتعرضوا لمذاق الملح حتى لا يصبح عادة لديهم ، وعلى أفراد العائلة مراقبة الأغذية المقدمة لهم والتأكد من نسبة أملاحها ، هذا الأمر هام جداً بالنسبة للأطفال الذين يوجد فى عائلاتهم أفراد من ذوى الضغط المرتفع الأساسي .

٣) ان المرضى المصابين بالضغط الأساسي المعتدل (الضغط الانبساطي من ٩٥ ــ ١٠٥) عليهم التعاون مع الطبيب فى الالتزام بدقة بالتقييد فى الملح ، فإن نتائجه جيدة فى البداية وبالذات اذا كان مرافقاً لعلاجات أخرى وأهمها الأدوية والاسترخاء وتخسيس الوزن .

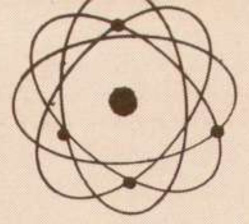
٤) في المرضي المصابين بالضغط الأساسي العالي وهم حتماً تحت اشراف الطبيب ويتعالجون بالأدوية فإن التقليل والاعتدال في الملح له دور في مساعدة تخفيف الضغط .

٥) لا توجد ضرورة لحرمان الناس العاديين من الملح ومذاقه ، والاسراف في هذا الحرمان خطأ بالنسبة للأصحاء ، ولكننا ننصح بأن يكون الاستعمال معتدلا ، ونبدى قلقنا فقط عندما يستعمل الملح بكميات كبيرة كما هو متبع حالياً حيث هناك الملح الموجود فى المواد الغذائية والملح المضاف عليها للاغراض المختلفة التى ذكرناها والملح المضاف لارضاء الذوق أثناء الطبخ والملح المضاف من الملاحة التى على الطاولة والملح الموجود فى الماء . « هذا هو الاسراف الذى يخيفنا » .

ونعود لنكرر النصح للناس الذين فى تاريخهم العائلى من هو مصاب بارتفاع الضغط أن ينتبهوا الى تقليل الملح فى طعامهم .

وختاماً نحذركم من المعلبات والمجففات والأطعمة الجاهزة السريعة .

عبد الله الباكر







العربة المزودة بآلة حاسبة .. والعربة التي تتبع المشترى .

أول مجمع استهلاكي إلكتروني

أقام اليابانيون في إحدى ضواحي طوكيو أول مجمع تجاري من نوعه ، فكل الأعمال تتم فيه اتوماتيكياً ابتداء من تفريغ البضائع إلى رصها مروراً بعمليات البيع نفسها .

فيتولى عملية تفريغ البضائع من الشاحنات فريق من الربوت يتميز كل واحد منهم بقدرة على القراءة بحيث يستطيع التعرف على المكتوب فوق كل صندوق ويقوم بتوزيعه طبقاً لمحتوياته على أدوار مبنى التخزين الستة ، حيث تتم عمليات التخزين اتوماتيكياً أيضاً .

ويستغرق تفريغ الشاحنة سبع دقائق ، ولا تحتاج إلا لربوت واحد في حين أن نفس الشاحنة تحتاج لأربعة عمال لتفريغها ، وتستغرق العملية في هذه الحالة ساعة كاملة .

ومن أغرب الأشياء في هذا المجمع أن الأرفف المعروضة عليها البضائع تتكلم الى العملاء ، فبمجرد أن يأخذ العميل شيئاً من عليها يقوم جهاز رصد يعمل بالأشعة تحت الحمراء ومثبت أعلى البضاعة بتشغيل تسجيل صوتي يبين له مزايا المنتج ومكوناته وطريقة استخدامه .

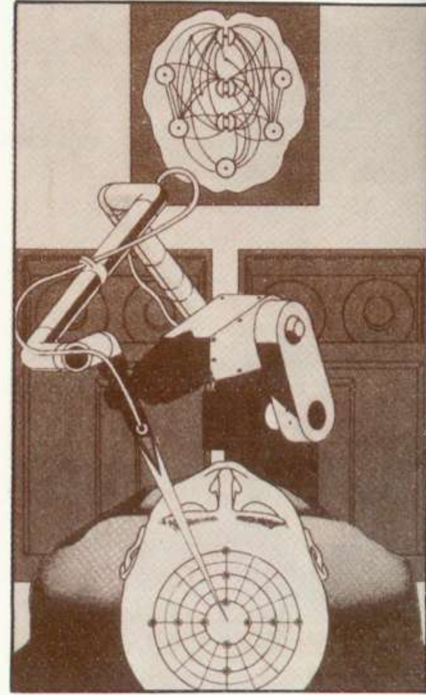
أما العربة التي تضع فيها ربة البيت مشترياتها فمزودة بآلة حاسبة ، كما تبين الصورة ، بحيث تستطيع في كل لحظة حساب إجمالي المبلغ الذي أنفقته . كما أن هناك نوعاً آخر من العربات تتبع المشتري أينما ذهب وهي تتخذ شكل ربوت مزود بسلة كبيرة لوضع البضائع . ويقدم « أوكي » ، وهذا اسمه ، نفسه الى العميل والعميلة في صوت لطيف ويعرض خدماته ويتبعه على بعد متر منه .

وهو مزود بأجهزة رصد تجعله يتفادى أي اصطدامات اثناء سيره ، واذا ما حدث ذلك فهو يقدم اعتذاره بنفس الصوت العذب والطريقة المهذبة .وفي قسم الجزارة يتولى ربوت آخر تقطيع اللحوم إلى شرائح ووزنها وتغليفها ، فعندما يضرب المشتري على لوحة مفاتيح خاصة بقسم الجزارة ، نوع اللحم والوزن المطلوب وسمك الشرائح ، يقوم الجزار الآلي بتنفيذ الطلبية ، ولكن قبل أن يشرع في تقطيع اللحم يحسب ثمن الطلبية الذي يظهر على شاشة خاصة أمام العميل . فاذا كان الثمن لا يناسبه فما عليه سوى الضغط على زر خاص بالغاء الطلبية !

وبعد إغلاق المجمع ليلاً تشهد ممراته الخالية حركة لا تهدأ ، فتقوم عربات كهربائية بتموين مختلف الأجنحة بالبضائع لتعويض ما تم بيعه خلال اليوم .

وتتحرك هذه العربات اتوماتيكياً يقودها كابل كهربي مدفون تحت أرضية المجمع . وتضع العربات أمام كل جناح حاوية صغيرة تحتوي على البضائع الخاصة به . وبعد عناء الليل تخلد العربات أثناء النهار الى الراحة ، حيث تقوم بتجديد نشاطها ، وذلك بشحن بطارياتها ذاتياً .

الروبوت الجرّاح



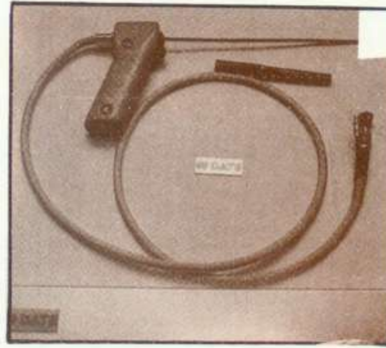
ساهم الربوت لأول مرة في إجراء عملية جراحية ، فلقد استطاع تقديم يد المساعدة في جراحة دقيقة في المخ لاستئصال بعض الأورام .ويتخذ هذا الربوت الجراح شكل ذراع آلي صغير مبرمج ومزود بجهاز رصد يدل الجراح إلى موضع الورم عند ادخاله في جمجمة المريض من خلال فتحة صغيرة ، بحيث تظهر احداثيات الورم بدقة تصل إلى واحد على ألف من المليمتر على اطار يثبت حول رأس المريض . وبذلك يقوم الربوت بجزء دقيق من الجراحة بدلاً من الطبيب .

ولقد أجرى الربوت أول عملية له على رجل في الثانية والخمسين ونجحت الجراحة .

ولكن مبتكر هذا الجراح الآلي يؤكد أنه لا يحل أبداً محل الطبيب وإن كان يمثل تقدماً كبيراً في تحديد واستئصال الأورام بدقة ليس لها مثيل .

ومن المتوقع أن يلقى هذا الربوت الجراح اقبالاً كبيراً بين الأوساط الطبية ، خاصة في مجال جراحة المخ ، وذلك عندما يبدأ طرحه في الأسواق قبل نهاية العام الحالي .

الجراحة بالتجميد



سوف يبدأ قريباً استخدام أداة جراحية جديدة تقوم بتجميد الأورام عند درجات حرارة شديدة الانخفاض مما يؤدي إلى تدميرها .

وتتكون هذه الأداة الجراحية من منظار خاص يعمل عند درجات حرارة منخفضة مزود في نهايته بمجس ومبادل حراري دقيق الحجم ومنظم لضغط غازات التبريد ، وهو عبارة عن دائرتين معدنيتين صغيرتين .

ويبدأ عمل هذا المنظار بامرار غاز أول أكسيد النيتروجين تحت ضغط ٤٥ جوي خلال انبوب رفيع مرن إلى أن يصل إلى المجس ، وهو عبارة عن رأس باردة ، وعندئذ يقوم منظم ضغط الغازات بتنظيم اندفاع الغاز وتبريده إلى ـ ٨٠ درجة مئوية في أقل من عشر ثوان . ويتم التحكم في درجة الحرارة بواسطة المبادل الحراري .

وعندما تتجمد الأنسجة ، يقوم صمام كهربي بوقف سريان الغاز ، كما يوجه في الوقت نفسه غاز الهليوم نحو كتلة الجليد التي تكونت عند نقطة تلامس الرأس البارد بالأنسجة ليذيبها ولينزع الرأس . ونظراً لدقة حجم الرأس البارد بالأنسجة التي لا يتجاوز قطرها ٢ ملليمتر ومرونة الانبوب يمكن استخدام هذه الأداة في فحص الأوعية الدموية وتدمير ما قد يسد مجراها ، كما يمكنها تدمير الأورام التي قد توجد في الشعب الهوائية والامعاء الدقيقة والمرئ ... الخ

وتتميز هذه الطريقة بأنها لا تحتاج إلى تخدير كلي ولا تسبب أي ألم أو نزيف ، كما انها لا تحتاج إلى أي مصدر كهربي ، فكل ما يلزم لاستخدامها تيار من غاز ثاني أكسيد الكربون السائل عند درجة حرارة ـ ٧٩ درجة مئوية وأول أكسيد النتروجين عند ـ ٨٩ درجة مئوية أونيتروجين سائل عند ـ ١٩٦ درجة مئوية . وتستطيع هذه الغازات الباردة تجميد واحد سنتيمتر مربع من الأنسجة في عشر ثن . وكانت الجراحة بالتجميد قد استخدمت منذ عدة سنوات في استئصال البواسير وعلاج الدوالي الخ .. ولكن الجديد هو استخدام هذا التكنيك مع فكرة المنظار بحيث يمكن الوصول إلى كل الأجهزة الداخلية للجسم من شعب هوائية وأمعاء دقيقة والجهاز البولي والتناسلي فضلاً عن الأوعية الدموية .

هاتف يسمع ويتكلم



الهاتف المتكلم

بدأت الأجهزة المتكلمة تنتشر وتدخل حياتنا اليومية ، ففي فرنسا تجري تجربة نوع جديد من الهواتف العامة .

والهاتف الجديد ليس مزوداً بقرص أو لوحة مفاتيح كما أنه لا يضم بوقاً وسماعة مثل الهاتف التقليدي . فهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك لأنه يفهم الأوامر الشفوية وينفذها ، كما يستطيع التحدث الينا والدخول في حوار معنا .

فعندما يدخل من يريد التحدث في الهاتف إلى هذه الكابينة يضع بدلاً من النقود بطاقة الدفع الالكترونية الخاصة به في فتحة معينة في الهاتف ، وعندئذ يبدأ الأخير في شرح طريقة استخدامه ، ويكفي لاجراء المكالمة نطق الرقم المطلوب بصوت واضح ليقوم بتكوينه من تلقاء نفسه ويظهر الرقم على شاشة صغيرة . وعند انتهاء المكالمة يقوم المتحدث بالضغط على أحد الأزرار لقفل الخط .



شخصية هارون الرشيد في ألف ليلة وليلة

بقلم : عباس خضر

في حياة الناس شخصيات أضفوا عليها سمات معينة قد لا يكون لها وجود في التاريخ الحقيقي ، ينسبون إليها حكايات ونوادر تطابق تلك السمات ، مثل « جحا » و « أبي نواس » حتى صار كل منهما مشجباً يعلق عليه كل ما هو ساخر مضحك .

ومن ذلك « هارون الرشيد » الذي ألبسته « شهر زاد » راوية ألف ليلة ثياباً من الخيال تفوق الوصف ، ونسبت إليه كثيراً من ألوان الترف والطرب ، مما لم يحدث في واقع التاريخ .

وأكثر ذلك يدور حول الجواري وعلاقاته بهن ، مما جعله في ذلك أسطورة عالمية عرفها كل من قرأ حكايات ألف ليلة ، سواء في أصلها العربي وفي ترجماتها إلى لغات العالم الواسع ، كما عرفها كل من سمع ممن قرأ ، وكل الناس إما قارئ أو سامع .



والعجيب أن الناس تشبه بالرشيد من يسخرون منه لانغماسه في الملذات وانحرافه عن جادة الحياة المستقيمه .. مع أن (الرشيد) شخصية عظيمة سواء في واقع التاريخ أو في خيال شهر زاد !

إن شهر زاد رسمته بألوان زاهية ، لا شك أن لها جذوراً في التاريخ ، فهو خليفة عادل ينصف المظلوم ، ويعين الضعيف ، وينقله من حال إلى حال لم يكن يحلم بها . ويعمل لخدمة الاسلام والمسلمين ، ويجول ليلاً متنكراً في بغداد كي يتعرف أحوال الناس ، ويصحبه في هذه الجولات وزيره جعفر والسياف مسرور ، الأول مسئول عن أمن الناس وراحتهم ، ولابد في نظر الخليفة أن يعرف كل خافية ويطلع الخليفة عليها ، يقوم بعمل الشرطي ورجل المخابرات ، والثاني (مسرور) يحمي الخليفة ويحرسه مما عسى أن يتعرض له في جولاته التنكرية ، وقد يقتضي الحال أن يأمره بإطاحة رأس يستعصي اصلاح صاحبه .

الصفة الغالبة

والصفة الغالبة في هارون الرشيد الميل إلى الترف الشديد ، والجواري الحسان ، والعطف على المحبين وصنع المعروف لهم ، واتاحة الفرصة للمحب أن يجتمع بحبيبه ، والتنازل للمغرم الولهان عن الجارية الأثيرة لديه : لدى الخليفة ! كما رسمته شهر زاد .

ويتمثل أكثر سمات هارون الرشيد ــ كما هو في خيال شهر زاد ــ في حكاية من حكاياتها نرى فيها ابن الوزير في البصرة الذي مات أبوه وخلف له ثروة كبيرة بددها في إسرافه في « ليالي الحظ » التي كان ينفق فيها بسخاء على أصدقاء النعمة الذين تنكروا له بعد أن عرفوا إفلاسه . وكانت له جارية جميلة يحبها وتحبه . ولم يبق من ماله غيرها ، فعرضت عليه أن يبيعها وينتفع بثمنها ، ولكن الوزير الذي كان ينافس أباه ويعاديه دس له عند سلطان البصرة ، ونرى بعض الحكايات تقول إن البصرة كان لها سلطان خاضع للخليفة في بغداد يوليه ويعزله . قال الوزير المعادي للوزير المتوفي وولده إن الجارية الجميلة كان قد اشتراها الوزير

شخصية هارون الرشيد في ألف ليلة وليلة

المتوفي للسلطان ، ولكن ابنه غرر بها واعتدى عليها ، فاستبقاها له أبوه .

أصدر السلطان أمره باهدار دم ابن الوزير ، وبحثوا عنه ، ولكنه تمكن من الهرب هو وجاريته ، وظلا هائمين على وجهيهما حتى بلغا بغداد ، وسارا بها حتى وجدا مكاناً مكنوساً مرشوشاً أمام بستان مغلق ، وفي المكان مصاطب مستطيلة نظيفة ، فقال علي نور الدين (اسم الشاب) لجاريته :

ــ إن هذا مكان مليح .

فقالت الجارية :

ــ يا سيدي لنقعد ساعة على هذه المصاطب كي نستريح .

وكان الشتاء قد ولى عن بغداد ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ، ونعما بمرور النسيم فناما .

كان هذا البستان يسمى « بستان النزهة » وفيه قصر يسمى « قصر الفرجة » وهما لهارون الرشيد ، كان اذا ضاق صدر الخليفة أتى إلى البستان والقصر لينفرج من ضيقه وينشرح صدره . القصر له ثمانون شباكاً وفيه ثمانون قنديلا ، في وسطه شمعدان كبير من الذهب ، اذا دخله الخليفة أمر الجواري أن يفتحن الشبابيك ويوقدن القناديل . ويجلس وأمامه اسحاق الموصلي وحوله الجواري ، فيسمع الغناء ويشاهد الرقص . وللبستان حارس شيخ كبير اسمه ابراهيم .

غريبان رماهما القدر

خرج الشيخ ابراهيم لحاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين . فعاد وقطع جريدة خضراء ، وقصد إلى النائمين ليضربهما . ولكنه فكر وقال في نفسه :

ــ يا ابراهيم ، كيف تضربهما ولم تعرف حالهما ؟ قد يكونان غريبين رماهما القدر هنا ... نظر إلى وجهيهما وقال : إنهما جميلان لا ينبغي أن أضربهما .. جلس إلى جانبهما ، فاستيقظ الفتى واستوى جالساً . قال له ابراهيم :

ــ يا ولدي ، من أين أنتما ؟

ــ نحن يا سيدي غريبان .

قال ابراهيم في نفسه : ان النبي أمر باكرام الغريب ، ثم قال :

ــ يا ولدي ، أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك ؟

ــ لمن هذا البستان يا سيدي ؟

أراد الشيخ ابراهيم أن يطمئنهما فيدخلا البستان دون أن يشعرا برهبة فقال :

ــ هذا البستان ورثته عن أهلي .

قام الثلاثة ودخلوا البستان ، فوجدوا الثمار على الأشجار . والأطيار تغرد على الأغصان ، رأوا البرقوق لونه كلون الحسان ، والقراصية تذهل عقل الانسان ، والمشمش كمشمش خراسان ، والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان ، والورد تحكي حمرته خدود الحسان ، وكان الزمان في اعتدال ، والنسيم في اعتلال .

دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة ، وجلسوا في طرف من أطرافها ، وقدم لهما الشيخ الطعام ، فأكلا ، ثم قام علي نور الدين يتمشى في البستان بصحبة الشيخ ابراهيم ، وقال هذا :

ــ يا ولدي ، هذه الحجرة فيها كل ما هو معد لأمير المؤمنين ..

ــ أمير المؤمنين ؟!

ــ نعم يا ولدي ، كل هذا لأمير المؤمنين هارون الرشيد .

ــ ألم تقل لنا انك ورثت هذا البستان عن أهلك ؟

ــ أردت بذلك أن تطمئنا ولا تأخذكما رهبة .

ونادى علي نور الدين جاريته ، وجعل يحدثها عما يرى مما يبهر الأنظار ويذهل العقول .وأقبل الليل بظلامه ، فقال علي نور الدين :

ــ يا شيخ ابراهيم ، باذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف ؟

ــ قم ولا توقد غير شمعة واحدة .

فقام وأوقد شمعة ثم أخرى ، حتى أوقد ثمانين شمعة .

ثم قالت أنيس الجليس :

ــ وأنا ؟ ألا أوقد قنديلا من هذه القناديل ؟

ــ أوقدي قنديلا واحداً .

فقامت وابتدأت من أول القناديل إلى أن أوقدت ثمانين قنديلاً .

رقص المكان

سطعت الأضواء ورقص المكان .. قدر الله السميع العليم أن الخليفة في ذلك الوقت كان جالساً في غرفة يطل شباكها على نهر دجلة ، فنظر ناحية البستان والقصر فرأى ضوء القناديل والشموع ساطعاً ينعكس على صفحة مياه النهر .. فقال :

ــ علي بجعفر البرمكي ..

فما مرت لحظة إلا وجعفر واقف بين يدي الخليفة :

ــ ماذا جرى في قصر الفرجة يا جعفر ؟

ــ لا شئ يا أمير المؤمنين .

ــ تقدم عندي وانظر من الشباك .

فنظر جعفر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار ونور .. فأراد أن يهون الأمر ويلتمس عذراً للشيخ ابراهيم ، وتذكر شيئاً فقال :

ــ يا أمير المؤمنين ، في الأسبوع الماضي قال لي الشيخ ابراهيم : اني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين ، أريد أن تأخذ لي اذناً من الخليفة بأن أقيم في البستان حفلاً لختان أولادي ، فقلت له : افعل ما شئت وإن شاء الله أعلم الخليفة بذلك .

ــ يا جعفر ، كان لك عندي ذنب واحد فصار الآن ذنبين ، لأنك أولا ما أعلمتني ، وثانياً ما بلغت ابراهيم مقصوده ، لأنه ما قال لك ذلك إلا تعريضاً بطلب شئ من المال يستعين به ، فلم تعطه ولم تعلمني حتى أعطيه .

ــ نسيت يا أمير المؤمنين .

ــ هيا بنا نذهب اليه ، فانه رجل صالح يعطف على الفقراء ويواسي المساكين

ــ يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى ، ولابد أنهم في هذه الساعة على وشك الانفضاض .

ــ لابد من الذهاب اليهم .

خرج الخليفة وبصحبته جعفر ومسرور متنكرين في زي تجار ، وساروا إلى أن وصلوا إلى باب البستان ، ووجدوا الباب مفتوحاً ، فدخلوا ومشوا إلى آخر البستان . وقال الخليفة :

ــ لابد أن أتسلل اليهم لأنظر ماذا يفعلون قبل أن يرونا .

فوق الشجرة

وصعد الخليفة على شجرة جوز عالية فروعها قريبة من الشبابيك ، وقعد على الفرع الذي يقابل شباكاً تأتي منه أصوات غناء . ونظر فرأى جارية تغني وأمامها شاب ، والاثنان في منتهى الحسن والجمال . كانت أنيس الجليس تغني والشيخ ابراهيم يدق على طبلة وهو في غاية الطرب . عجب الخليفة من هذا المنظر ، ثم نزل وقال :

ــ يا جعفر ، اصعد وانظر الرجل الصالح وماذا يفعل ..

صعد جعفر ورأى ما رأى الخليفة ، ثم نزل ووقف صامتاً من شدة الخجل .

انصت الخليفة إلى غناء الجارية ، فأطربه صوتها ، فلان صوته وهو يخاطب جعفر :

ــ والله يا جعفر ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا .. أريد أن أدخل اليهم وأجلس معهم وأسمع الصبية تغني أمامي .

ــ يا أمير المؤمنين إذا دخلت عليهم تغير حالهم وصاروا في خوف وهيبة منك .

ــ فكر لي يا جعفر في حيلة أحتال بها على معرفة الحقيقة من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم .

قال الخليفة ذلك ثم قصد إلى ناحية دجلة وجعفر يتبعه ، واذا صياد واقف يصطاد وقد رمى شبكته في الماء وهو ينشد :

يا راكب البحر في الأهوال والهلكة
اقصر عَناك فليس الرزق بالحركة

أما ترى البحر والصياد منتصب
في ليله ونجوم الليل محتبكـــة
ولما فرغ من انشاده التفت فرأى الخليفة أمامه فارتعدت فرائصه ، ولكن الخليفة هون عليه اذ ناداه باسمه وكان يعرفه :

ــ يا كريم ، اصطد على بختي .

اطمأن الصياد ولملم شبكته ثم طرحها في الماء ، ثم جذبها ، فاذا فيها سمك كثير . فرح الصياد ولكن الخليفة كان مشغولاً عنه يفكر في حيلة يدخل بها على الشاب والجارية والشيخ ابراهيم ، ثم فاجأ الصياد بقوله :

ــ يا كريم اخلع ثيابك ..

فلم يسع الصياد إلا أن ينفذ أمر الخليفة وخلع جلبابه الخشن المملوء بالقمل والبراغيث .. وخلع عمامته التي مكثت فوق رأسه ثلاث سنين بدون حل ولا ربط ... وخلع الخليفة جبته وثوبين من الحرير ، ثم قال للصياد : خذ هذه والبسها . ولبس جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما . وقال للصياد : اذهب أنت إلى حالك ودعني ولا تسألني عن شيء .

شعر الخليفة بالقمل يجول على جسمه ، فأخذ يتحسس بعض جسمه ويقبض بيده ويرمي .. ثم قال للصياد :

ــ ويلك .. ما هذا القمل الكثير ؟

ــ يا سيدي ، انه في هذه الساعة يؤلمك ، فاذا مضى أسبوع فانك تتعود عليه ولا تحس به .

فضحك الخليفة وقال له :

ويلك كيف أبقي هذا الجلباب على جسدي أسبوعاً ؟

ــ أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أقول كلاماً أشتهي أن أقوله ..

ــ قل ما عندك .

ــ خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أردت أن تتعلم الصيد حتى تكون في يدك صنعة تنفعك .. وما دام الأمر كذلك فهذا الجلباب يناسبك .

قال الصياد ذلك وولى في سبيله . أخذ الخليفة سلة السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشائش . وقصد الى جعفر ووقف بين يديه ، فقال له جعفر :

ــ يا كريم ــ ما جاء بك إلى هنا ؟ انج بنفسك قبل أن يراك الخليفة ..

ضحك الخليفة وأزاح اللثام عن وجهه وهو يقول :

ــ هذه نتيجة طيبة ، اذا كنت لم تعرفني فلن يعرفني الشيخ ابراهيم . كن مكانك حتى أرجع اليك .

تقدم الخليفة الى باب القصر ودقه ، فقال ابراهيم من الداخل :

ــ من بالباب ؟

ــ أنا كريم الصياد . سمعت أن عندك ضيوفاً فجئت اليك بشيء من السمك .

دخل الخليفة وابتدأ بالسلام . فقال له ابراهيم :

ــ أهلا باللص المغامر ، تعال أرنا السمك الذي معك .

وأقبل علي نور الدين والجارية لما سمعا ذكر السمك ، وكانا يحبانه ، قالت الجارية :

ــ هذا السمك مليح ، ليته كان مقلياً .

قال ابراهيم للخليفة :

ــ اذهب إلى المطبخ واقل السمك وهاته بسرعة .

ــ سمعاً وطاعة .

قال الخليفة ذلك وجرى إلى جعفر وقال :

ــ يا جعفر انهم طلبوا السمك مقلياً .

ــ يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليه .

ــ لا ، والله لا يقليه إلا أنا بيدي ..

قمة الطرب

ذهب إلى المطبخ فوجد فيه كل ما يحتاجه قلي السمك . فلما تم قليه أخذه إليهم ووضعه بين أيديهم . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم قال الخليفة لعلي نور الدين :

ــ ليتك تعطف علي يا سيدي وتأمر الجارية أن تغني .

قال ابراهيم كما اعتاد أن يخاطب الصياد :

ــ يا أحقر الصيادين .. مالك والغناء ؟ ومن أنت حتى تطلب الغناء ؟ أنت طفيلي ، والمثل يقول « طفيلي ويقترح ! »

قالت الجارية لابراهيم :

ــ لا يا سيدي انه يستحق كل خير ، لقد أطعمنا السمك اللذيذ .

وقال الشاب :

ــ غني يا أنيس الجليس من أجل هذا الصياد .

تناولت العود وغمزته بعد أن عركت أذنه وغنت فأطربت ، وجعل الخليفة يهتز طرباً وهو واقف ويقول : طيبك الله .. طيبك الله ..

وقال له علي نور الدين :

ــ اجلس ، خذ راحتك ..

بعد الفراغ من الغناء التفت الخليفة إلى الشاب وقال له :

ــ يا سيدي هل انت هارب من جناية ؟ أو لأحد عليك دين ؟

ــ يا صياد ، انه جرى لي ولهذه الجارية أمر عجيب .

ــ أما تحدثني بحديثك عسى أن يكون لك فيه فرج .

فأخبره علي نور الدين بما جرى له من الأول إلى الآخر .

هل يكاتب الصياد الملوك ؟

قال الخليفة :

ــ أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى محمد بن سليمان الزيني (سلطان البصرة)

ــ وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ..؟

ــ صدقت ، ولكني أخبرك بالسبب ، لقد قرأت أنا وهو في مكتب واحد عند فقيه ، وكنت أنا العريف ، ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً .

ــ اكتب حتى أنظر .

كتب الخليفة بعد البسملة :

« من هارون الرشيد إلى محمد بن سليمان الزيني . الواصل اليك بكتابي هذا علي نور الدين بن خاقان الوزير . قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً ، فانزع نفسك وأجلسه مكانك . »

ما قرأ الشاب هذه الرسالة حتى هب واقفاً بين يدي الخليفة :

ــ معذرة يا أمير المؤمنين ..

وما رأى ذلك الشيخ ابراهيم حتى وقع مغشياً عليه .. ولما أفاق جعل يتضرع إلى الخليفة حتى عفا عنه .

عباس خضر

... وكان الرشيد يعدل بين الناس ويسعى في حل مشاكلهم ويتعاطف مع المحبين ويلبس ملابس الصيادين والتجار ويتجول في بغداد بعد حلول الظلام لكي يعرف حقائق الناس والحياة بعيداً عن رهبة الحكم والسلطة .

تذكار من فلسطين

على خليج العقبة

يمثل المشهد المقابل واحة عربية ظليلة على خليج العقبة، أو خليج أيلة، لاخلاف..

وكلمة «العقبة» هى التسمية المتأخرة، والحديثة نسبياً، لموقع «أيلة» العربى الغائر فى القدم، ولكن «أيلة» هذه كانت ترد فى بعض تصانيف البلدانية العربية بتعبير «عقبة أيلة»، فيبدو أن تاريخ الاستعمال الطويل قد غلب المضاف، على المضاف إليه، فأخذت تعرف «بالعقبة» وحسب..

وسواء أخذنا بهذه التسمية أو تلك، فإن «أيلة» بلدة عربية كنعانية خالصة، ورد ذكرها فى توراة اليهود على أنها كانت قائمة على بحر القلزم ــ أي خليج العقبة ــ بزمن سابق لضياعهم فى تيه سيناء، وقبل أن يتحقق للخروج اليهودى من مصر أي اتصال بتراب فلسطين.. (سفر التثنية ــ ٢ : ٨).. وعلى هذا فإن لفظة «إيلات» التى أطلقها اليهود على مدينتهم المستحدثة فى متاخمة «أيلة»، ليست إلا من قبيل التهويد التقليدى لأسماء البلدانية الفلسطينية ذات الأصل العربى الكنعاني..

ثمة بين الأردن وفلسطين تلك العلاقة التوأمية الفريدة التى لا أظن أن لها نظيراً على متسع رقعة الوطن العربى الكبير.. فعلى امتداد تاريخنا الجغرافى العربى الإسلامى كان «جند فلسطين» أول ما يستقبلك من بلاد الشام على تخوم الحجاز، مشتملا على الجنوب الحالي لكل من الأردن وفلسطين معاً، بما فى ذلك خليج العقبة، وجبال الشراة، والبلقاء، جنباً إلى جنب مع القدس، وجبال الخليل، وسهل غزة، وصحراء النقب.. ثم يليه شمالاً «جند الأردن» مشتملاً بالمقابل على السلط، وعجلون، جنباً إلى جنب مع بيسان، وطبرية، وصفد، حتى إن واضع «تقويم البلدان» صاحب حماة (من القرن الثامن الهجرى)، ليخير القارىء بين أن يضع «بيت المقدس» فى «إقليم فلسطين» أو فى «إقليم الأردن» على حد سواء.. (صفحة ٢٤٠).. بمعنى أن فلسطين فى حقيقة الأمر هى الأردن، والأردن هو فلسطين..

ثم جاءت خريطة الانتداب البريطانى فشطرت خليج العقبة إلى نصفين.. شرقيهما أردنى تقع فيه مدينة العقبة، أو «أيلة» التاريخية ذاتها، وغربيهما فلسطينى تقع فيه قرية صغيرة تجوز فيها تسمية «المرشش»، أو «المرشرش»، أو «أم رشرش»، وهى القرية التى استكمل الغزاة اليهود احتلالها بعد عشرة أشهر من إقامة دولتهم ــ أى بتاريخ ١٠ آذار ١٩٤٩ ــ وأطلقوا عليها تسمية «إيلات»، آخذين فى توسعتها، وتغذيتها بالمهاجرين اليهود، لتصبح ميناءهم الثاني ــ بعد حيفا ــ وإنما على خليج العقبة.. ذراع البحر الأحمر..

يلاحظ العلامة الفلسطيني الجليل، الأستاذ مصطفى مراد الدباغ، فى موسوعته التاريخية / الجغرافية الحافلة «بلادنا فلسطين» أن تسمية «إيلات» هذه ذات أصل تاريخي، غير عربي، يرجع إلى عهد التوراة، حيث ننقل عنه حرفياً:

«إيلات كلمة سريانية Ilata»، تعنى شجرة البلوط، وهكذا ورد «اسم العقبة فى العهد القديم» (التوراة)، وقد أعاد اليهود اسمها القديم «عند اغتصابهم لموقع المرشش».. (ج ١ ــ ق ١ ــ ص ١١٩ ــ الحاشية)..

ولكن.. بمقدار حق التلميذ فى أن يستأنف الحقيقة العلمية إزاء أستاذه الكبير، فإنني أعتقد أن ملاحظه شيخنا الدباغ غير دقيق:

فأولا: ليس لكلمة «إيلات» اليهودية المستحدثة، أو حتى «إيلات» السريانية، أي ذكر فى طول التوراة وعرضها، لا فى نسخة «جمعية الكتاب المقدس»، ولا فى نسخة «المطبعة الكاثوليكية»، ولا بالاستهداء بـ«فهرس مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى»..

وثانياً: ترد كلمة «عقبة» فى أحد عشر معرضاً فى التوراة، وإنما بثمانية مدلولات مختلفة، لا علاقة لأي منها بموقع «العقبة» الذى نحن بصدده..

وثالثاً: إن المفردة التي ترد فعلا فى التوراة هى «أيلة»، ولكن بوصفها بلدة كاملة التأسيس مسبقاً على بحر القلزم، قبل أن تكون لأي يهودي أية علاقة بأرض فلسطين..

فالبلدة إذن عربية، كنعانية التأسيس، وصحيحها «أيلة»، وليس لها أي تاريخ يهودى باسم «إيلات»، وإن يكن قد توضع فيها بعض اليهود فى أزمنة لاحقة، على نحو ما توضعوا أيضاً فى سائر بلدان «أرض كنعان»..

زد على ذلك أخيراً ــ إن تكن بعد حاجة للبرهنة على أصالة «أيلة» العربية الخالصة ــ أن ياقوت الحموي يوردها فى معجمه على أساس أنها، أيضاً، إسم جبل بالحجاز ما بين مكة والمدينة، وفى هذا الجبل يقول كثير عزة:

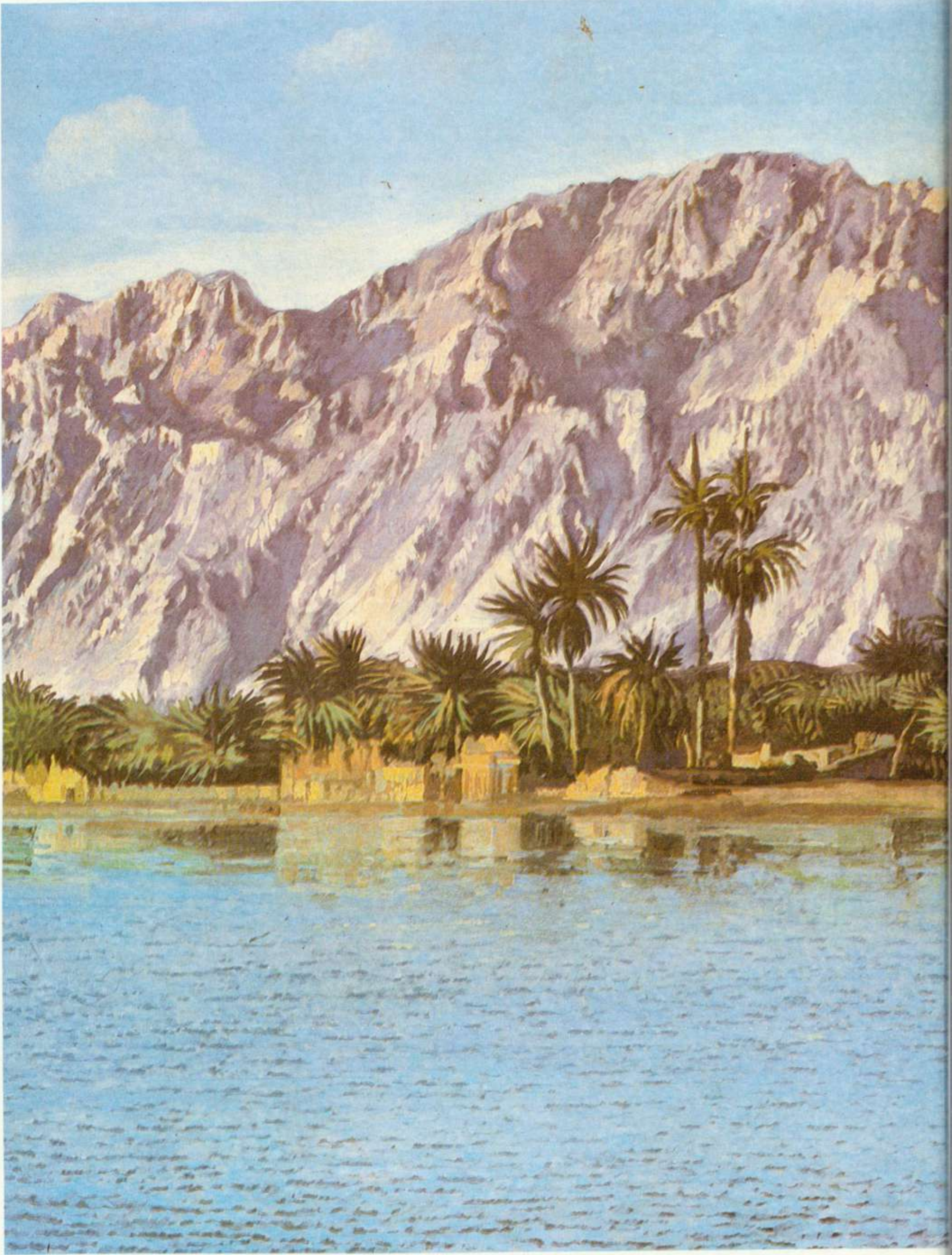
رأيت وأصحابى «بأيلة» موهنا ... وقد غار نجم الفرقد المتصوب
لعزة ناراً ما تبوخ، كأنها ... إذا مارمقناها من البعد، كوكب

ويقول أيضاً:

تهبطن من أركان ضاس، و«أيلة» ... إليها، ولو أغرى بهن المكلب

وجلي أن الشاعر، فى الشاهدين كليهما، إنما يشير إلى جبل حجازى يحمل اسمه العربى «أيلة» منذ زمن سحيق لا تعيه ذاكرة الإنسان.. فما أغنانا، والحالة هذه، عن تفريغ «أيلة» الكنعانية عن أي أصل سرياني، أو غير عربي؟!..

يوسف الخطيب



على شاطئ العقبة قرب أيلة

بقلم: جمـــــال قطـــب

القارئــة

فى هذا الباب من روائع الإبداعات العالمية ، تناولنا العشرات من سير الفنانين العظام ونزعاتهم وطابع عصرهم الذى يحيونه ويسبغون عليه ملامح إبداعهم الجميل ؛ فمن خلال اللوحة أو الفنان ، تعودنا أن نلقى الضوء على مدارس الفن ومراحل ازدهاره وتطوره ، أو هبوط مستواه وتدهوره ، ويذكر قراؤنا أننا استعرضنا سوياً أكثر من مرة فنون عصر النهضة الإيطالى الذى أطلق عليه العصر الذهبى فى القرن السادس عشر ، وكيف انحدر إلى الاهتمام بالرونق والزخرف فى القرن السابع عشر فيما يعرف بفن النهجية والباروك الذى غزا المانيا وإيطاليا وانجلترا ودول الشمال الأوروبى .. ولكنه عرف فى فرنسا فى القرن الثامن عشر باسم الركوكو ..

وإذا كانت فرنسا قد سيطرت على حركة الابداع العالمى بعد ذلك وحتى أوائل القرن العشرين .. إلا أن عصور الازدهار قبل القرن الثامن عشر كانت تتمركز فى ايطاليا وبلاد الشمال الأوروبى (الفن الفلمنكى) واسبانيا .. ثم انجلترا . أما ما كان موجوداً فى فرنسا فنجده إما مستورداً أو مسلوباً من البلاد التى اجتاحتها الجيوش الفرنسية أو اجتهادات فردية لعبقريات متناثرة لم تمثل نهضة فنية رائدة كما حدث فى العصر الذهبى فى ايطاليا أو الفن الفلمنكى فى هولندا وبلجيكا مثلا .. إلى أن جاء القرن الثامن عشر ، واستقطب البلاط الفرنسى خيرة الكفاءات الفنية فى البلاد ، وتسابق الفنانون لإرضاء هذه النزعة الأرستقراطية المترفة ، وانغمسوا فى بريق الحياة الناعمة ، وجاءت فنونهم بريقاً زائفاً وزخرفاً متأنقاً يواكب حياة البذاخة التى أصبحت فنونهم مظهراً من مظاهرها فى التاريخ الفرنسى .. وظهر فنانون على جانب كبير من الكفاءة والموهبة الرائعة .. تسابقوا فى رسم فاتنات الطبقة الراقية والمناظر الرومانسية الحالمة .. وتخصص فريق منهم فى رسم متطلبات البلاط الفرنسى ونسائه الشهيرات من أمثال (مدام دى بمبادور) و (مارى انطوانيت) وغيرهما من الأسماء التى يحفل بها التاريخ .. وقد لعبن الدور الأساسى فى مجرى الأحداث والتحولات الأساسية المصيرية .. ولذلك أطلق على فن هذه الفترة : فن البلاط . وتألقت أسماء العباقرة العظام من أمثال : فراجونار وبوشيه وواتو وغيرهم من الأساطين الكبار . ويعتبر فراجونار (واسمه الكامل جان أونريه فروجونار) أحد العمالقة العالميين الذين أثروا الفن والفكر الرومانسى بشكل جعل من فنه نهجاً شعبياً للحياة فى عصره .

وقد تتلمذ فراجونار على يد فنان الروكوكو الشهير فرانسوا بوشيه الذى اشتهرت إبداعاته لمدام دى بمبادور ، راعية الفنانين فى عهد لويس الخامس عشر .. وقد عمر فراجونار حتى بلغ الرابعة والسبعين من عمره (١٧٣٢ — ١٨٠٦) ، وبذلك شهد فترة التحولات السياسية الرهيبة من تاريخ فرنسا ، واكتوى بنار الثورة الفرنسية التى عصفت بفنه ودمرت مكانته وصادرت لوحاته وممتلكاته حتى مات معدماً عام ١٨٠٦ . وقد عرفنا من لقاءاتنا السابقة على صفحات (الدوحة) كيف أن الثورة قد نصبت الفنان الشهير (دافيد) قائداً للحركة الفنية ، فجعل من نفسه دكتاتوراً وحاكم[...] بأمره فى كل ما يتعلق بشئون الفن فى فرنسا [...] وقضى قضاء مبرماً مروعاً على فن البلاط ، بعد أن [...] قضت الثورة على البلاط نفسه .. وجعل الفنانين [...] يحسون بأن المقصلة فى انتظار رقابهم مالم يهتفو[...] بسقوط الروكوكو وانتهاء فن الرفاهية إلى الأبد ! [...] وهكذا فعلوا ! وتحولوا إلى نزعة جديدة تتفق [...] ومجريات الأمور آنذاك !

أما لوحتنا التى يراها قراؤنا على الصفحة [...] المقابلة ، فهى لإحدى فتيات المجتمع التى رسمها [...] فراجونار عام ١٧٧٦ وأسماها : القارئة الحسناء [...] وقد تحول الفنان منذ عام ١٧٧٠ إلى رسم الصور[...] الشخصية ولاسيما فتيات العائلات الاستقراطية فى [...] باريس وفاتنات المسرح والمشاهير والنبلاء . ويرى [...] المحللون ونقاد الفن فى هذه اللوحة كثيراً من [...] خصائص الفن الفرنسى فى القرن الثامن عشر حيث [...] تتلألأ الألوان البراقة الدافئة التى تبعث فين[...] البهجة والإحساس بنعومة وترف ذلك العصر [...] بالرغم من الانهماك الجاد الذى يبدو على وجه هذ[...] الحسناء المستغرقة فى قراءة كتابها الصغير .

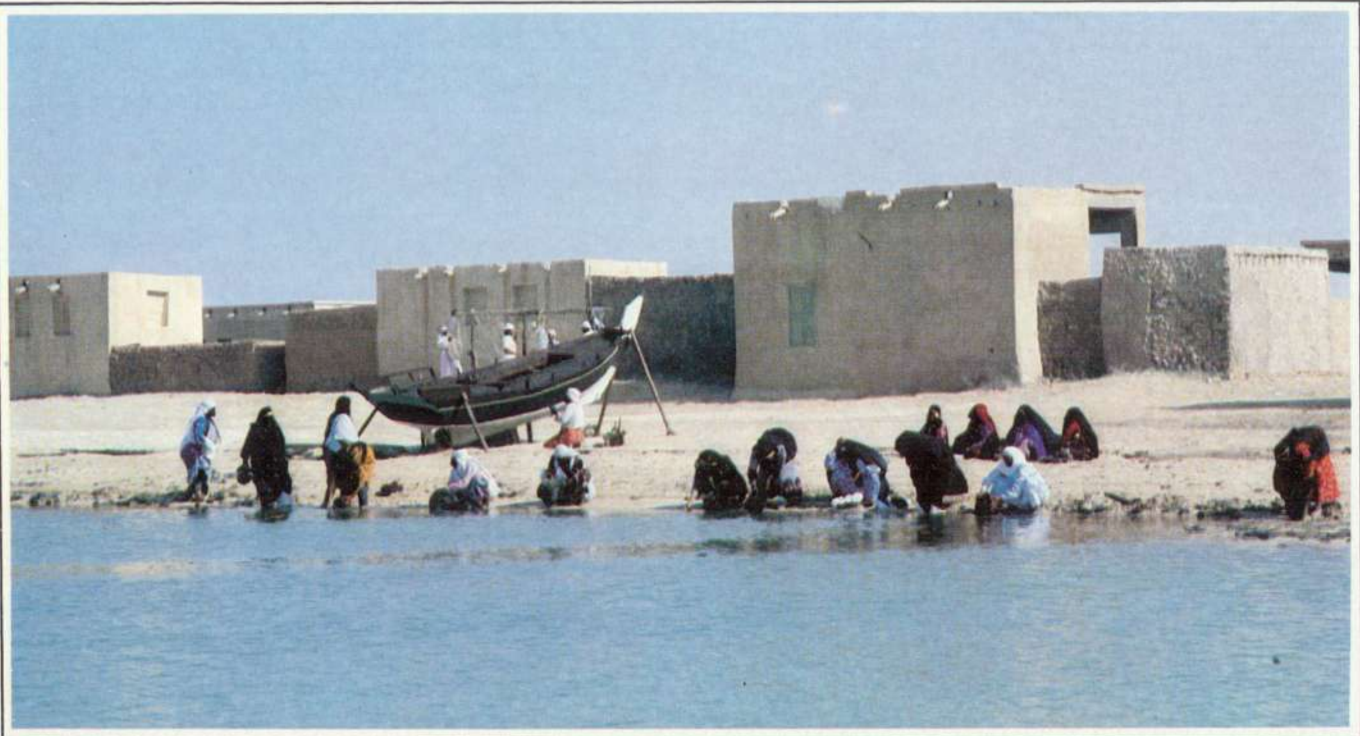
ومن خلال التأنق البادى على ملابسها [...] وشعرها ، ومن حركة أصابعها الدقيقة الرشيقة .. [...] نستشعر جو الرفاهية وسمات الترف .. تلك [...] السمات التى تميز بها فن (جان أونوريه [...] فراجونار) .. سواء رأيناه فى مناظره الطبيعية [...] الشاعرية المألوفة ، أو فى لوحاته الميثولوجية [...] الأسطورية ، أو فى رسم (موديلاته) من ذوات [...] الجمال التى يضفى عليها الفنان فخامة وتأنقاً يحكى [...] قصة عصره السابح فى أطياف الشاعرية .



القارئة الحسناء ، لفنان الروكوكو الشهير فراجونار (١٧٣٢ - ١٨٠٦ م)

قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

تحقيق: السيد حجازي ● عدسة: أمين بدوي

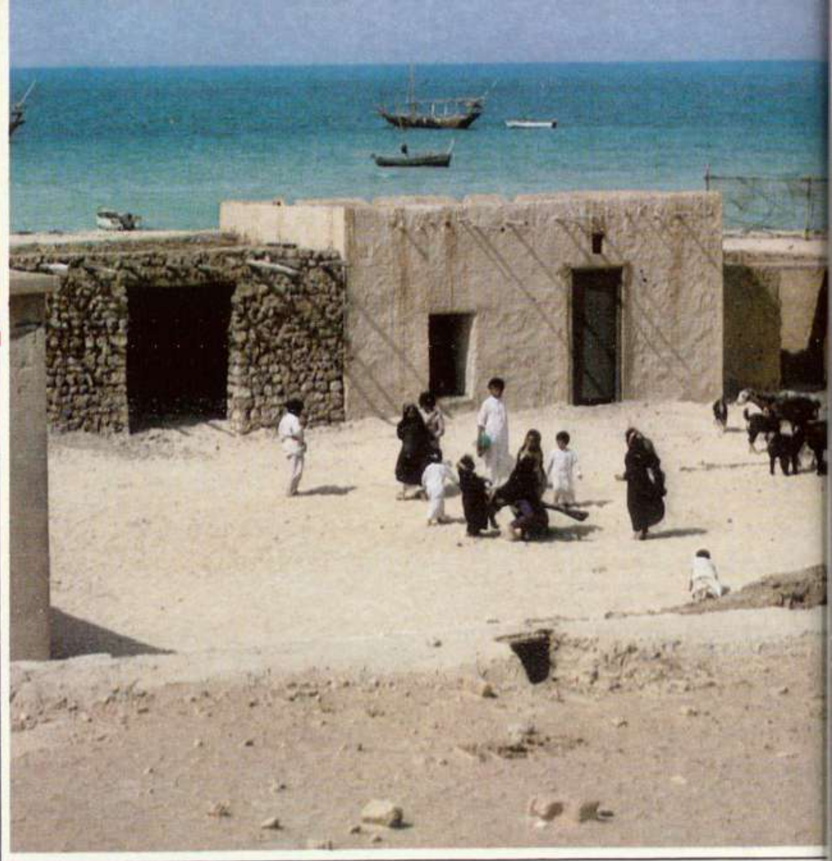




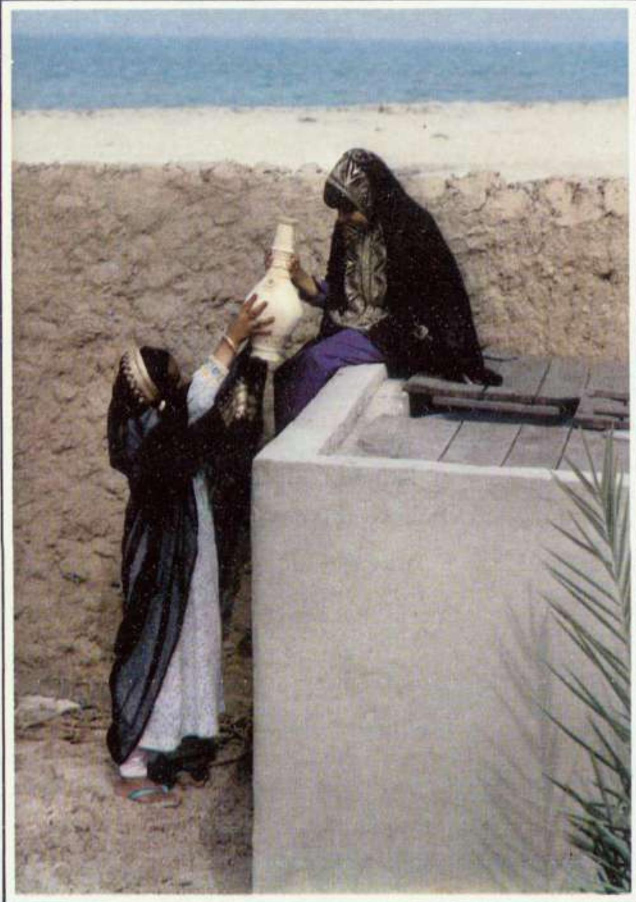
● على شاطئها الرملي النظيف وبيوتها ذات الطراز الإسلامي عاشت قبيلة الفضالة

● مارس أهلها مهنة الغوص على اللؤلؤ في الماضي، وهجروها بعد تدفق النفط وظهور اللؤلؤ الصناعي

● إعادة إحياء القرية وصناعاتها الشعبية وتشجيع السياحة الداخلية إلى آثارها القديمة



● تمثل قرية المفير جزءاً حيا من التاريخ القطرى القديم ، وهذه عدة لقطات للقرية بعد اعادة ترميمها ، وعودة النشاط اليها ، وتصوير مسلسل تليفزيونى فيها يحكى فصلا عزيزا من التاريخ .





كانت الفكرة التى تبلورت أخيراً هى انتاج مسلسل تليفزيونى محلى يتحدث عن الحياة فى قطر أيام زمان .. أيام الغوص على اللؤلؤ ..

وبدأ البحث عن المكان الطبيعى الذى تصور فيه المشاهد والمناظرمن خلال الواقع ، دون الحاجة الى ديكورات من أى نوع ..

وبرز اسم « المفير » على الفور ..

إنها القرية القطرية القديمة التى تصلح لهذه المهمة ، وتعطى الانطباع الحقيقى عن الحياة فى سنوات الماضى ..

ولذلك قامت وزارة الاعلام فى دولة قطر بالعمل على ترميمها واستغلال مبانيها من أجل هذا الهدف ..

وهكذا تحولت «المفير» الى قرية سياحية من الدرجة الأولى ، تقدم الماضى للحاضر ، وتحكى تاريخ الأجداد بكل صدق وواقعية ..

فما هى قصة هذه القرية القطرية التاريخية ؟ .. وما دورها فى خريطة الماضى وأحداثه ؟ . وما دور أهلها فى صنع الحياة على هذه الأرض الطيبة ؟ .. ان القصة حافلة بالفصول الممتعة والمعلومات المفيدة ..

قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

في البداية لابد من وقفة ضرورية ..

ان العديد من المدن والقرى الساحلية تنتشر على طول الشريط الساحلي لشبه جزيرة قطر ..

من هذه المدن والقرى الوكرة والدوحة وقرية سميسمة والخور والذخيرة والغارية والمفير ورويس وأبو ظلوف والزبارة والوسيل والحويلة والخوير والجميل وغيرها الكثير .

ولكل منها تاريخ طويل ، ولأهلها دور لا يستهان به في صنع هذا التاريخ وتأصيل الحياة القديمة بكل تقاليدها وقيمها ..

على الساحل الشمالي

وبالنسبة لقرية المفير التي برز الاهتمام بها أخيراً ، فان الحديث عنها يفرض نفسه في هذا المجال ..

وهو يأتي على لسان السيد محمد جاسم الخليفي مراقب شئون المتاحف والآثار بادارة السياحة والآثار بوزارة الاعلام ..

يقول مفصلا الحديث عن قرية المفير السياحية انها تقع على الساحل الشمالي لشبه جزيرة قطر في المنطقة المحصورة بين قرية الغارية ومدينة الرويس ، وهي بالتحديد تقع شرقي هذه المدينة بحوالي ثمانية كيلو مترات ..

ولقد كانت تسكنها قبيلة الفضالة ..

وهي تتكون من حوالي عشرة بيوت تمتاز بالبساطة المتناهية في التصميم ..

انها ذات طراز يماثل طراز البيت العربي الاسلامي . وهو في الغالب يتكون من حجرة أو حجرتين وأحياناً من ثلاث حجرات . وهناك أيضاً مجلس للضيوف وحوش كبير مربع أو مستطيل ..

وغالباً ما تكون الحجرات في أحد أركان الحوش . أما المجلس فعادة ما يكون بالقرب من المدخل الرئيسي للبيت ..

كما كان البيت يضم في وسطه « العريش » ..

هذا العريش عبارة عن سقف خشبي قائم على أربعة أعمدة خشبية . وكان الهدف منه أن يكون مكاناً للنوم ليلا في فصل الصيف ، وتستظل تحته الأغنام في وقت الظهيرة ..

وعادة ما تكون هناك « دكة » خارج البيت للجلوس عليها ، عند التقاء الناس بعضهم بالبعض بعد صلاة المغرب ، وأحياناً بعد صلاة العصر ..

المسجد مازال قائماً

ويواصل محمد جاسم الخليفي الحديث عن قرية المفير قائلا إنه يوجد بهذه القرية أيضاً مسجد صغير لأداء الصلوات فيه ، وهو يمتاز بمأذنة جميلة متواضعة لا تزال قائمة حتى الآن ..

وتمتاز المفير أيضاً بشاطئها الرملي النظيف ..

ولذلك يتوافد عليها الكثير من الناس هذه الأيام لقضاء الأجازات الأسبوعية والاستمتاع بجوها اللطيف ..

ولقد كانت بها زمان « عين ماء » غير صالحة للشرب منها ..

ولذلك كان أهلها قديماً يأتون بالماء من منطقة « عذبة » القريبة من قرية الغارية والتي تبعد عنها حوالي ثمانية كيلومترات الى الجنوب الغربي ..

وتمتاز هذه المنطقة « عذبة » بكثرة عيون الماء العذب فيها ، والتي كانت تزيد على الستين عيناً ..

ولقد كانت المفير عامرة بأهلها ، شأنها ، في ذلك شأن جميع المدن والقرى الساحلية ، وكانوا يمارسون مهنة الغوص على اللؤلؤ عندما كان هذا اللؤلؤ له شأن كبير في سوق التجارة ..

لكن بعد حين تغيرت الصورة ..

بدأ تدفق النفط وأكتشف اللؤلؤ الصناعي ، وظهرت الشركات ، وتوسعت الطرق ، وانتشر العمران ..

وأخذت صناعة الغوص على اللؤلؤ في التراجع ، الى أن اختفت في الخمسينات والستينات ..

وبدأ أهالي المدن والقرى الساحلية يهجرون مساكنهم للالتحاق بالعمل في الشركات ، أو للانتقال الى العاصمة الدوحة المركز الذي أنشئت فيه المدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق الهامة ..

وهكذا كان الحال بالنسبة لأهالي قرية المفير أيضاً ..

فلقد أدى انتعاش الحياة الاقتصادية في قطر بعد ظهور البترول الى قيام الدولة باقامة مساكن شعبية للمواطنين ، وتجميعهم في مدن رئيسية ..

ومن هنا ترك أهالي المفير منازلهم ونزحوا الى مدينة الرويس (مدينة الشمال) ، وقام بعضهم بالنزوح الى مدينة الدوحة ..

خطورة الهدم !

ويضيف مراقب شئون المتاحف والآثار قائلا إن الدولة قد قامت باستملاك معظم المدن والقرى الساحلية ومن بينها قرية المفير ..

وتقوم بلديات المناطق بعد الاستملاك بهدم القرى والمدن الساحلية ، انطلاقاً من مبدأ أن القديم لا يصلح أن يكون موجوداً مع الحياة العصرية الحديثة ..

والحقيقة أن هذا المنطق خاطيء جداً وخطير ..

لأن هذا الهدم يؤدي الى طمس ودفن جزء من تاريخ قطر المتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية القديمة ..

وهذا ما حدث بالفعل في كل من مدينة الدوحة والخور وسميسمة والرويس وأبو ظلوف والحويلة

أحد المحلات القديمة في القرية



وغيرها من المدن الساحلية ..

لكن مازالت هناك بعض أجزاء صغيرة وقليلة من القرى الساحلية مثل قرية المفير وقرى الغارية وأبو ظلوف ، وجزء بسيط من مدينة الوكرة القديمة ، وهى كلها تحتاج الى ترميم واعادة إحياء ، للمحافظة على الطابع المعمارى المحلى التقليدى ..

وهذا فى الحقيقة أمر يجب الاهتمام والعناية به قبل فوات الآوان ..

ولايزال محمد جاسم الخليفي يتكلم عن هذه القضية الهامة ..



كان أهل القرية يعيشون على الصيد والحياة الطويلة فى البحر

ان الترميم وحده لا يكفى ..

ان الطريقة المثلى هى اعادة تسكين القرى الساحلية بعد ترميمها ، بالناس ، حتى تظل محافظاً عليها ، ومصانة ..

وتحتاج المدن الساحلية فى الواقع الى طرق مرصوفة توصلها بالعاصمة ، ويستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر ..

كما أنه يمكن من خلال عملية ترميم القرى اعادة إحياء الصناعات الشعبية فى بيئتها الطبيعة الأصلية ..

وما ترميم قرية المفير الا مثال بسيط يجب أن يتبعه الكثير ..

يجب أن تتبعه عملية تنظيف المنطقة ، وتوطين بعض من الناس أصحاب الصناعات البحرية مع عوائلهم ، واقامة استراحة ومطعم ومظلات شمسية ..

بهذا نكون قد حققنا العديد من الأهداف منها اعادة إحياء القرية والمحافظة عليها ، وإحياء الصناعات الشعبية ، والتشجيع على ازدهار السياحة الداخلية ..

الخطة العامة

وأسأل مراقب شئون المتاحف والآثار بعد هذا الحديث التفصيلي عن بعض الأعمال الأخرى المماثلة التى تقوم بها الادارة ، ضمن خطتها العامة للمحافظة على المناطق الأثرية فى دولة قطر ..

وتحمل اجابته الكثير من الاضافات ..

ان ما حدث بالنسبة لقرية المفير من اعادة ترميمها والاستفادة بها فى بعض الأعمال الفنية ، يأتى ضمن خطة عامة لترميم القرى والمدن الأثرية ..

وأقرب مثل فى هذه الخطة قرية الغارية فى الشمال الشرقي والتى تبعد عن المفير بحوالى ثمانية كيلو مترات ..

اذ تتم المحافظة على آثارها القديمة ومبانيها التراثية بإعادة بنائها وترميمها ..

والهدف من ذلك أن تبقى حلقة الوصل قائمة بين الماضى والحاضر ، وأن تتحول هذه المنطقة وغيرها الى أماكن سياحية يرتادها المواطنون والزائرون ..

وبهذه المناسبة فإن قرية الغارية تمتاز بجمال شواطئها ورمالها الطبيعية ، ومياهها ذات العمق المناسب ..

كما تمتاز بتوفر التسهيلات الأساسية فيها من طرق مرصوفة تؤدى إليها ، بالاضافة الى موقعها وقيمتها التاريخية ..

لذا فإن وزارة الاعلام تنوى تحويل هذه القرية الى قرية نموذجية بعد ترميمها واعادة احيائها ، على غرار قرية أصيلة فى تونس التى تمتاز باستمرار حضاريتها وبقائها على طرازها القديم ..

ولسوف تقوم الوزارة حال استملاك الدولة لمعظم بيوت القرية بتسييجها ، ومن ثم ترميم المبانى الموجودة بها ، وذلك حفاظاً على طابعها القديم ، وحتى تكون من الأماكن السياحية التى يقبل عليها الجميع ، بالاضافة الى اقامة أنشطة ثقافية فيها مستقبلا ..

وهذا العمل فى الحقيقة يدخل ضمن أنشطة ادارة السياحة والآثار المتعددة فى المحافظة على المواقع الأثرية والمباني التراثية ذات الطراز المعمارى الجميل الذى يعتبر جزءاً من تاريخ العمارة المحلية فى دولة قطر ..

تنقيب وترميم

ويضيف محمد جاسم الخليفي أن من الجدير بالذكر أن ادارة السياحة والآثار قد فرغت مؤخراً من أعمال التنقيب والترميم فى موقع مدينة الزبارة القديمة التى يعود تاريخ انشائها الى ١٧٧٦ ميلادية ، بالاضافة الى الانتهاء من أعمال التنقيب والترميم فى قلعة مروب الاسلامية التى يعود تاريخها الى العصر العباسى ..

كما قامت الادارة مؤخراً بوضع لوحات إرشادية للمواقع الاثرية ، وذلك فى كل من موقع مروب الاسلامى ، وموقع مدينة الزبارة القديمة ، وموقع تل الجاسية ، وحصن الغوير ، وقلعة قويحة ..

وستقوم الادارة فى هذا العام بتثبيت لوحات إرشادية أخرى للمواقع الأثرية ، وذلك حفاظا على تلك المواقع من أعمال الردم وغيرها ..

كما انتهت الادارة مؤخرا بالاشتراك مع فريق فرنسى مؤلف من باحثة أثرية ورسام معمارى ومصور متخصص من أعمال المسح والتسجيل والتصوير والرسم لمعظم المبانى التاريخية والأثرية فى داخل مدينة الدوحة وخارجها ..

وقامت أيضا بعمل أرشيف متكامل للرسومات والمخططات والصور و« السليدات » والبطاقات التسجيلية .

وتقوم الادارة فى الوقت نفسه بحصر المكتشفات وترميم جزء منها ، والاحتفاظ بالأجزاء الأخرى وعرض ما يصلح منها للعرض فى متحف قطر الوطنى والمتاحف الاقليمية ، حتى تعم الفائدة منها ، ويشاهدها كافة المواطنين والزائرين ..

وبعد فلقد كانت هذه هى قصة قرية المفير التاريخية السياحية ، بما احتوته من تفاصيل عنها ، وعن الجهود الأخرى التى تبذل فى مضمار احياء القديم بكل ما يحمل من أصالة وقيم ..

ولسوف تبقى المفير وغيرها من آثار الأجداد تحكي قصة التاريخ والصراع من أجل الحياة ، وسط ظروف شديدة القسوة ، خاضها رجال عركوا البحر ، وتحملوا المشاق وخلفوا لنا الكثير من التضحيات والأعمال الحية والعميقة ..

السيد حجازى

فنان

سيد سعد الدين

يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته وكل ما فيها من كائنات حيَّة


الفنان سيد سعد الدين

بقلم: صبحي الشاروني

الحضارة بناء ترتفع جدرانه مع تتابع الأجيال .. كل جيل يستوعب منجزات الجيل السابق ، ثم يضيف اليها . ينبهر الشباب بسيرة الشيوخ ، ويحاولون أن يتمثلوا بهم ، وعندما يشتد عودهم لا يقنعون بما أنجزه أستاذتهم فيجتهدون محاولين أن يتخطوهم أو يضيفوا ما يميزهم .

وهكذا تسير الحضارة قدما ، ويرتقي الفن الذي هو خلاصة الحضارات .

وفى فنون الرسم هناك نماذج لتتابع الأجيال ، جيل يسلم جيلا آخر ، وتلميذ يكمل مسيرة أستاذه ، فيبلغ مكانته ويحاول أن يتميز ويتفوق .

ومن بين أبناء الجيل الراهن فى الفنانين التشكيليين ، يبرز الفنان « سيد سعد الدين » الذى يعتبر وريثا لجيل أحمد صبرى والجيل الذى يليه ، لقد بدأ سيد سعد الدين تلميذا مخلصا لمدرسة أحمد صبرى ومن تلاه من الفنانين الكبار فى نفس المدرسة ، ثم انتقل سيد سعد الدين بعد ذلك بفنه خطوات بعد أن هضم وتمثل مميزات أساتذته فحقق طابعه الشديد الخصوصية والوضوح ، واحتل مكانة بارزة بين أفراد الجيل الرابع من أجيال التشكيليين العرب ، حتى بدأت البنوك تتسابق على شراء لوحاته لأن الخبراء يتنبأون بأن أسعارها ستتضاعف مع اتساع شهرة الفنان وزيادة الاقبال على فنه .

ولد « سيد سعد الدين » بمدينة « قنا » عام ١٩٤٤ ، وهو لا يذكر الآن إن كان قد تعلم الكلام أولا أم الرسم : فقد انغمس فى الرسم والتشكيل من طفولته المبكرة .. وقد انبهر وهو صبى برسوم مدرس الرسم « كرام » التى نفذها على جدران المدرسة بأحجام كبيرة توضيحية لتلاميذ المرحلة الالزامية وكانت تصور مختلف حيوانات البيئة .

وذات يوم كان العمال قد انتهوا لتوهم من إعادة طلاء مسكنه ولم يعيدوا الأثاث الى مكانه .. فانتهز الصبى الصغير فرصة وجوده فى المنزل بمفرده وراح يعتلى الكراسي والمناضد ليرسم على الجدران الحديثة الطلاء رسوماً للجمل والحمار والقط والكلب ومختلف الحيوانات التى شاهدها مرسومة على جدران المدرسة .

فلما عاد أفراد الأسرة فوجئوا بأن معظم حيطان المسكن تغطيها رسوم « سيد » ، فثارت ثائرتهم وحصل على « علقة ساخنة » جزاء عمله الفني الكبير .. وأعادوا طلاء الجدران مرة أخرى والحسرة تملأ قلب الفنان الصغير على ضياع فنه ومجهوده ..

لكن صديقاً للأسرة عارض هذا الموقف وأعلن تقديره لرسم الصبى ، وقدم له مكافأة على عمله العظيم ... وحفرت هذه الواقعة فى وجدان الفنان أثراً جعله يتشبث بالفن فيما بعد ولا يرضى سواه .

كان والده يعمل مشرفاً على الغابة الصناعية فى مدينة قنا فكان يحلو له وهو فتى أن يقضى وقت فراغه بين أشجار وأعشاب هذه الغابة يشكل من الطين تماثيل وأشكالا يتركها لتجف فى حرارة الشمس ، ثم يعرضها على ضيوف الأسرة ..

وخلال دراسته فى المرحلة الاعدادية كان يتفوق دائماً فى مادة الرسم على مستوى القطر المصرى ، وفاز بجائزة عن هذا التفوق لا يزال يعتز بها .

وفى المرحلة الثانوية كان يمارس نشاطه الفنى



لمسة وفاء .. إحدى لوحات الفنان الذى يجمع بين خصائص النحت والعمارة فى لوحاته

فى قصر الثقافة والساحة الشعبية .وكلما شارك فى مسابقة على المستوى المحلى كان هو الفائز الأول .

وعندما أشرفت دراسته الثانوية على الانتهاء اشترك فى مسابقة أقامتها وزارة الشباب عام ١٩٦٣ للهواة (أى لغير الدارسين والمتخصصين فى الرسم) حول موضوع « البيئة » . وتقدم « سيد سعد الدين » بلوحة رفضها المحكمون متصورين أنها من رسم فنان متخصص لارتفاع مستواها .. لكن أستاذ التربية الفنية المشرف على الساحة الشعبية تدخل موضحاً أنها من عمل شاب صغير السن لم يبارح مدينة « قنا » فأصر المحكمون على الالتقاء به ، فسافر « سيد » الى القاهرة . وعندما ناقشه المحكمون قرروا اعطاءه الجائزة الأولى بجدارة .

الهروب من الهندسة

عندما حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٦٣ ، أبدى رغبته فى الالتحاق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ،ولكن هذه الرغبة قوبلت بسخرية الأسرة .. وطبقاً لمجموع درجاته التحق بالمعهد العالى الصناعى بالمنيا (الذى أصبح الآن : كلية الهندسة بجامعة المنيا) ورضخ الشاب الذى سافر للاقامة فى المنيا ، بينما ظلت أسرته فى قنا ، وفشلت محاولته فى تصحيح مسار دراسته أمام معارضة الأسرة واصرارها على استمراره فى دراسة الهندسة ، وقرب منتصف العام الدراسى هجر دراسته واتجه الى القاهرة ليقيم فى منزل أخته ، ويسعى بأى ثمن لدراسة الرسم دون غيره .

وبينما هو يتصفح احدى المجلات تعرف على الفنان « سيد عبد الرسول » فى باب « لوحة وفنان » وعرف أنه يعمل أستاذاً فى المعهد الايطالى (ليونارد دافنشى) فتوجه الى هذا المعهد ليلتحق بالقسم المسائى الخاص بهواة الفن ليحقق حلم دراسة

فنان
يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته


المرجيحة


التحطيب : أشهر الألعاب الشعبية فى الريف

الرسم بغض النظر عن المؤهل أو الشهادة .. وطلب أن يلتحق بمرسم الفنان « سيد عبد الرسول » .

وعندما شاهد الأستاذ عمل التلميذ ، الذى كان صغير السن بشكل ملفت للنظر بالنسبة لبقية الدارسين فى هذا القسم المسائى ، تعجب من تفوقه مع صغر سنه . وعرف أنه هارب من دراسة الهندسة حريص على دراسة الرسم .. فاصطحبه الى المدير الايطالى للمعهد مقترحاً قبوله طالباً بالقسم النظامي الصباحى ، مع مراعاة ظروفه كمتمرد على رغبة أسرته فى سبيل الفن . فقرر المدير قبوله بمصروفات مخفضة ، وفرح الفنان الصغير وبدأ يعمل على تدبير الجنيهات السبعة المطلوبة كمصروفات دراسية .

ورشحه أحد الأصدقاء ليعمل رساماً فى جريدة « الحقائق » التى كان يصدرها « أنور زعلوك » .. والتقى « سيد سعد الدين » بصاحب الجريدة الذى استمع الى قصته باهتمام ، وافهمه أن الجريدة تعانى من ضائقة مالية ، لكنه وعده بنشر قصته ومناشدة المسئولين معاونته فى تحقيق هدفه ، مع العمل على تدبير قيمة المصروفات الدراسية المطلوبة فى أقرب فرصة ، وقبل الفنان الصغير هذا العرض ، وبدأ المحررون يسلمونه مقالاتهم ليرسم ما يناسبها عند النشر .

ولما نشرت قصته اهتم بها استاذه « سيد عبد الرسول » وكذلك محافظ قنا ، بالاضافة الى أخيه الذى كان « سيد » قد أرسل اليه يطلب معاونته فى تدبير المصروفات .

أما الفنان « سيد عبد الرسول » فقد سلم نسخة من الجريدة للمدير الايطالى للمعهد وترجم له فحواها .. فتقرر اعطاؤه المجانية الكاملة طالما حقق التفوق الدراسى ، وكانت هذه هى أول مرة يعفى فيها طالب مصرى من المصروفات ويتقرر تعليمه على نفقة الحكومة الايطالية .

أما محافظ قنا فقد أرسل يطلب لقاء هذا الفنان الشاب ، وحضر أخوه الى القاهرة متعجباً من الضجيج الذى اثاره « سيد » .

وعندما توجه الى معهده حاملا المصروفات المطلوبة علم بخبر اعفائه منها .

وعندما التقى بمحافظ مدينة قنا خرج من اللقاء وقد حصل على راتب شهرى صغير يعاونه على الاستمرار فى الدراسة ومواجهة نفقات الاقامة فى القاهرة ... وراح الطالب « القناوي » يجتهد فى دراسته ويحرص على التفوق والتميز ..

بشائر التفوق

خلال دراسته بالمعهد الايطالى تعرف عن قرب على ثلاثة أساتذة : سيد عبد الرسول الذى حصل على جائزة الدولة لعام ١٩٥٨ وتميز بلوحاته الشعبية الطابع ذات الايقاع الزخرفى فى الملابس والأدوات .. ثم الأستاذ الايطالى « تريفى زونو » المتعصب للأسلوب الكلاسيكى فى الرسم ، فكان يلزم طلابه بالتدقيق فى العمل والحرص على مطابقة الواقع .. أما الثالث فهو الفنان الايطالى « كرالي » المنفتح على الاتجاهات الحديثة فى الفن بغير تعصب ، مما وسع رؤية الفنان الشاب وجعله يكتسب خبرات متنوعة .

وواصل الفنان تفوقه ، وقبل أن ينهى دراسته بالمعهد الايطالى عام ١٩٦٧ شارك فى المسابقة الدولية التى تنظمها هيئة « اينا تورنج » الايطالية لطلاب الفن فى معاهد «ليوناردو دافنشى » فى جميع أنحاء العالم ، والتى شارك فيها حوالى خمسة آلاف متسابق ، حيث قدم فناننا لوحة تصور مجموعة من البيوت فى حارة بمدينة « قنا » ففاز عنها بالجائزة الأولى ونال الميدالية الذهبية ، عندما عرضت بالقصر الملكى فى ميلانو .. كما رشحت هذه اللوحة الفائزة للاشتراك فى مهرجان الشباب بتريستا .

وبعد التخرج عين « سيد سعد الدين » معيداً بنفس المعهد الذى درس فيه .

سنوات الامتياز

وتمضى رحلة الفنان بعد ذلك فى خطوات ناجحة .



سوق الحمير « الدواب »

فقدفاز سنة ١٩٧٢ بالجائزة الثانية فى معرض صالون القاهرة السنوى عن لوحته « أنشودة إلى الراحلين » وكتب النقاد فى الصحف اعتراضا على أن ينال الجائزة الثانية بينما كان يستحق الجائزة الأولى .

وفى المعرض الرابع عشر للطلائع عام ١٩٧٣ الذى تنظمه جمعية محبى الفنون الجميلة سنويا لشباب الفنانين الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة شارك الفنان بلوحته « من وحى الدواب » التى تعرض بانوراما « لسوق الحمير » ، وفى هذا المعرض وبهذه اللوحة فاز الفنان الشاب بالجائزة الأولى ، ودرجة الامتياز ، وكانت هذه هى المرة الأولى والوحيدة فى تاريخ هذا المعرض التى تقدم فيها الجائزة الأولى مصحوبة بدرجة الامتياز على مدى ربع قرن .

وتابع الفنان نجاحه عندما فاز بجائزة المسابقة التى نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لعام ١٩٧٤ .

تضحيات من أجل الرسم

وفي عام ١٩٧٦ صدر قرار تصفية معهد « ليوناردو دافنشي » بالقاهرة ، استنادا إلى انهاء الاتفاقية الثقافية بين مصر وايطاليا بشأن اقامة معهد ايطالى للفنون الجميلة بالقاهرة .

وانتقل الفنان إلى العمل في شركة دولية للتنقيب عن البترول رئيسا لقسم « الرسم الهندسي الجيولوجي » ، واستمر فى هذا العمل لمدة عام ونصف خفت خلالها انتاجه الفني ، وافتقد نفسه كفنان منتج ، وتولد في داخله صراع عنيف بين حبه للفن واغراء الدخل المرتفع .. وانتهى هذا الصراع بموقف مشابه لقراره عام ١٩٦٣ الهرب من دراسة الهندسة بمدينة المنيا واستقال ليعمل استاذا لفن التصوير الزيتى بمعهد المعلمات شعبة الفنون التشكيلية بمدينة بني غازي في ليبيا .

لكنه ما لبث أن اكتشف فشله فى السيطرة على وقته حيث لم يجد متسعا للرسم كما يريد ، فضلا عن ابتعاده عن الجذور وافتقاده المناخ الذى استقى منه جميع موضوعات لوحاته السابقة . فعاد إلى القاهرة بعد عام واحد ليتفرغ تماما للفن .. وفعلا حصل على منحة التفرغ للانتاج الفني منذ عام ١٩٨٠ وحتى كتابة هذه السطور .

ومنذ حصوله على التفرغ عاد إلى تفوقه وفوزه فى المسابقات .. ففاز بجائزة الرسم من المعرض العام سنة ١٩٨١ ، كما شارك فى « بينالي الاسكندرية » لعام ١٩٨٢ وحصل على الجائزة الاولى في التصوير الزيتى على الجناح المصري فى المعرض ، وحصل أخيرا على جائزة الرسم الأولى لعام ١٩٨٣ بالمعرض العام للفنون فى مسابقة « حافظ وشوقى » .

مراحله الفنية

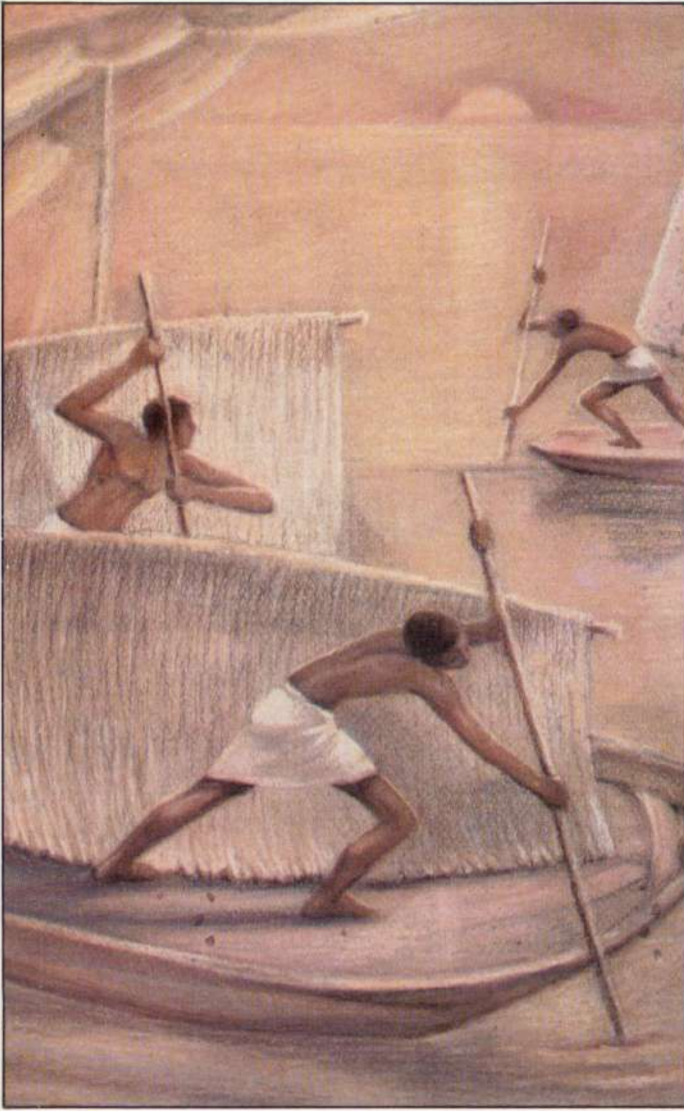
رغم فوزه بعدة جوائز قبل استقراره طالبا بالمعهد الإيطالى للفنون الجميلة بالقاهرة (معهد ليوناردو دافنشي) .. إلا أنه لم يضع قدميه على بداية طريق النضج إلا خلال سنوات الدراسة ، أي من منتصف الستينات .. في ذلك الوقت رسم لوحات يغلب عليها الطابع الهندسى .. أى الاهتمام بالعلاقات الهندسية التي تحكم الخطوط والمساحات في اللوحة ..

ومن هذه المرحلة بدأ ينطلق نحو تأكيد الجانب البنائي أو المعماري في لوحاته ، حتى عندما تصدى لرسم لوحات ذات طابع تجريدى للتعبير عن بعض المقطوعات الموسيقية كانت العلاقات الهندسية بين الخطوط هي التي تسود أعماله .

ثم التفت الفنان إلى البيئة المحلية .. مثل البيوت والشوارع الضيقة في مدينته الصغيرة بصعيد مصر ، التى راح يطوف بها منتقياً بعض المظاهر التى اختصت بها أو حولها ، مثل مراجيح الاطفال ومبارزات التحطيب ثم الأعمال المنزلية التي تقوم بها ربات البيوت ــ مثل سلسلة لوحاته عن « الغسيل » ــ ثم مواكب الاحتفالات ومواني

فنان
يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته


عازف الربابة


الصيد

المراكب الشراعية ، وأسواق الدواب في الريف .. وغيرها .

الأسلوب البنائى

هذه هى موضوعات لوحاته التي سجلها بأسلوبه الخاص الذى يتطور باستمرار ، في اتجاه تأكيد الجانب « الدرامى » الذي يجمع خصائص العمارة والرسم والنحت فى وقت واحد .ان لوحاته لا تمثل مجرد انطباعات عن البيئة ، وإنما هي دراسات أيضا للتراث الشعبى في مصر .

وفي تشكيلاته المختلفة تحليل تتجلى فيه قوة البناء ورسوخه باحساس المثال المتمكن ، مما يشيع فى لوحاته جوا من التعبد والصوفية .

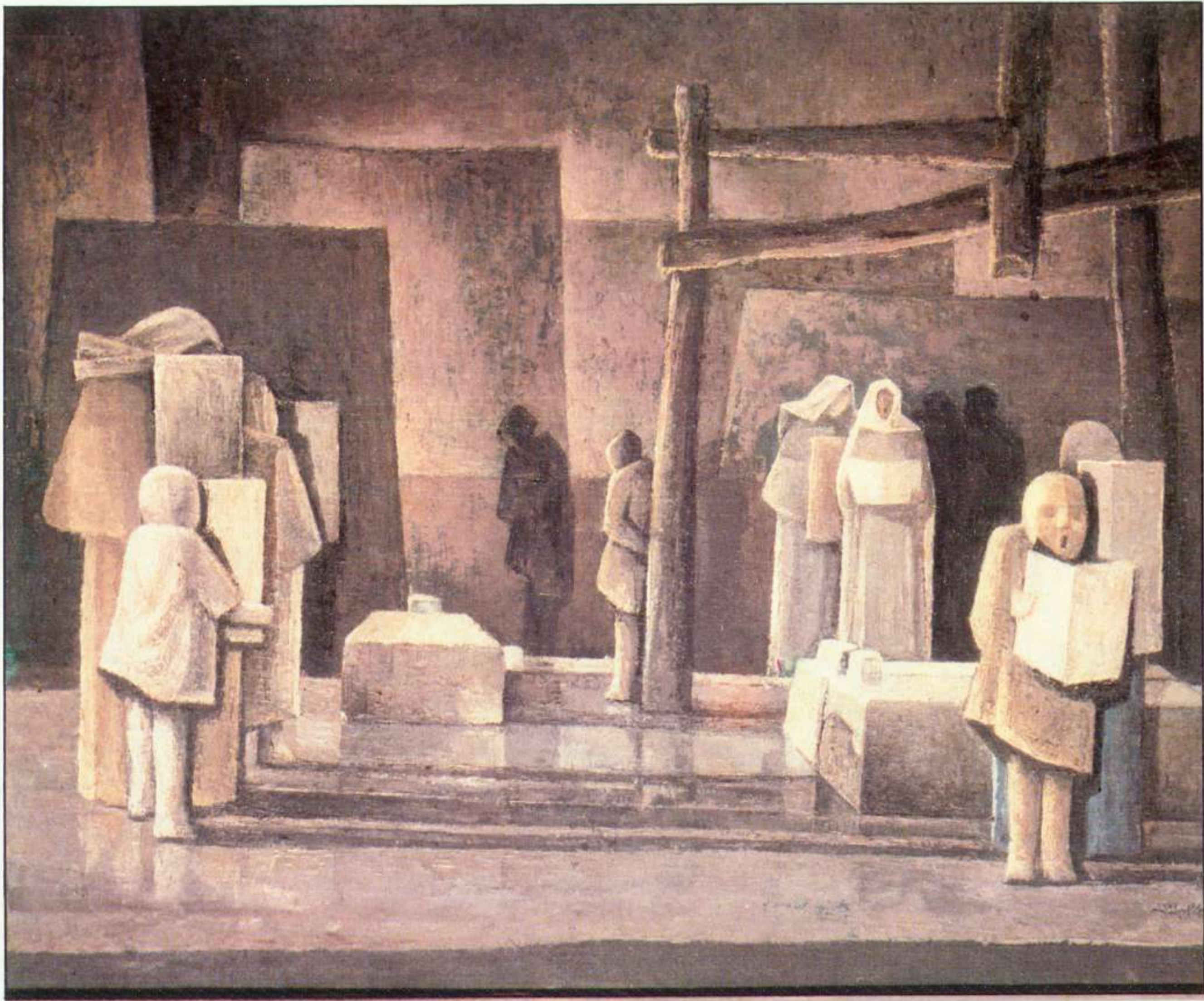
لقد تخلى الفنان الى حد ما ــ عن الجانب « الغنائى » في أعماله ، فى سبيل التركيز على العنصر « البنائى » . بمعنى أنه لم يستخدم الألوان المتعددة المتراقصة في ايقاعات سريعة تشيع الاحساس بالطرب في عين المشاهد ، وإنما فضل أن ينفذ إلى أعماق المتفرج من نفس مداخل التراجيديا التى تعتصر القلب وتترك أثراً لا يمحى . لأن البنائية ترتكز على الكتلة وعلى الديناميكية النابعة من داخلها فى غير اسراف لونى ، فهي لا تحتاج إلى ألوان تغني وانما إلى الايحاء بالصلابة والتكتل والرسوخ .

والمشاهد يحس أنه أمام منصة مسرحية تتحرك عليها الشخوص والعناصر الديكورية ، فالفنان لا يحاول ــ ولو للحظة واحدة ــ أن يصل إلى المشاهدين عن طريق « الايهام » أي مطابقة الواقع حتى تحسب أن الرسم ينقل صورة واقعية .. لكنه يحقق الابهار « بالاغراب » .. وفي المسرح توضع قطع الديكور ويتحرك المثلون والراقصون طبقاً لتصميم جمالي مسبق ، ولا يترك شيئاً للصدفة ، وان كان كل شيء يوحي بأنه إتخذ موقعه الصحيح بالصدفة .. وهكذا يتأكد التصميم الهندسى ولا يخفت الاحساس بالديناميكية والحركة والحيوية في الاشكال ، وهى نفس ما نجده في أعمال الفنان .

وتبدو الحيوانات فى لوحاته أبطالا فى مشهد مسرحي .. يبدون كنبلاء في أسطورة خرافية عوقبوا بمسخهم ، وها هم فى مشهد من مشاهد الأوبرا أو الباليه ، وعلى وشك أن يتحركوا بين الراقصين أو المنشدين .. لقد نزع عن حيوانات البيئة ، خاصة الحمار ما يشيع بيننا عن بلادته وغبائه ،وتحول إلى قطعة ديكور أنيقة على هذا المسرح الفسيح ..

ان حبه للبيئة وحنانه عليها جعله يلتقط مما حوله أكثر الصور انسانية ليجسدها بأسلوبه المتقن ، فتبدو خارج الزمن وكأنها آتية من أعماق التاريخ ،تتخذ مظهراً أسطورياً فيه رهبة وخشوع لاتحادها مع الأرض والحجر ، مصورة أجواء صعيد مصر المحمل برائحة الزمن العتيق .. إنها ملاحم تشكيلية يسودها منطق الهندسة والبناء وتشيع فيها حكمة الفكر والفلسفة مع شاعرية رقيقة تمتزج فيها الرياضة بالحس ، والعقل بالوجدان فى حبكة تصويرية متقنة .

والفنان يحرص على رسم وتلوين كل سنتيمتر مربع في لوحته ، ولا يترك أي جزء إلا جعله



أنشودة الرحيل

مشغولا منمقاً .. انه لا يستخدم الضربات الكبيرة من فرشاة الرسم فعجينة اللون عنده دسمة مملوءة بالتفاصيل الصغيرة ، أو بمعنى آخر : « ثرية الملمس » . وفي نفس الوقت نجد أشكاله وقد اتخذت مظهراً مكعباً وكأنها منحوتات أو تماثيل وضعت تحت مصادر ضوئية متنوعة ، ترسل أضواء فضية متناسقة ، وبعض هذه الأضواء يشع من العناصر المرسومة نفسها ولا يأتيها من الخارج .

إن سيد سعد الدين يقتصد في ألوانه .. فيميل إلى الألوان الصفراء والبنية والترابية ، ويبتعد — إلى حد ما — عن اللونين الازرق والاحمر في حالتهما الصريحة .. ثم يعالج ألوانه المفضلة بشاعرية رقيقة واضحة وبرسوخ ..

لوحات مملوءة بالحيوية

أما الحركة والديناميكية في لوحات الفنان فتتحقق من عدة طرق :

أولها : التكوين المتحرك الذي يجعل عين المشاهد تتحرك لمتابعة العناصر في توزيعها على مسطح اللوحة وتأمل الأشكال الكبيرة في المقدمة والصغيرة في مؤخرة اللوحة .. هذا التتابع والتنوع طبقا لعلاقات هندسية ورياضية ، يشيع الاحساس بالحيوية والديناميكية ، ويقود عين المشاهد لتسير معها خلال متابعة الاشكال المرسومة وتأملها .

وثانيها : ذلك التناقض الذي يثير الاندهاش ، بين الشكل النحتي للعناصر الذي يوحي بالثقل والرسوخ من ناحية ، وأوضاعها المتطايرة والمتحركة من ناحية أخرى ، فتبدو وكأنها من ثقلها من جاذبية الأرض .

وثالثها : تلك الشفافية التي يستخدمها في بعض أعماله ، فتكشف للمشاهد عن درجات لونية متدرجة أو متباينة ، عندما يحجب العنصر الشفاف جزءاً من عنصر آخر ، أو تتراكم العناصر الشفافة في بعض المناطق لتحقق تتابعاً في الدرجات اللونية لم يسبق لنا تأمل مثيلها في الحياة الواقعية .

وهكذا يحقق التباين بين الأشكال التي تتحرك بعنف وتلك المستقرة في رصانة وسكون ، وبين العتمة والشفافة ، وبين الخطوط المستقيمة والمنحنية ، نوعاً من الحوار الموسيقى المتعدد والمتنوع كما في الاعمال السيمفونية الرفيعة .

لهذا يشيع في لوحات الفنان شيء من السحر أو اللغز نتيجة اتجاهه إلى بعض المبالغات التعبيرية والخيال الخصب الجامح ، فيحقق الاندهاش ويدفعنا إلى التأمل ، فتنطبع في ذاكرتنا ولا ننساها أبداً ..

ولهذا كان من المنطق عندما طلب « البنك الأهلي المصري » وبنك « تشيس الأهلي » من الفنان الكبير الاستاذ عبد السلام الشريف أن يرشح أحد الفنانين الشباب ممن يتوقع أن ترتفع أسعار لوحاتهم في المستقبل لتكون ميداناً للاستثمار .. أن يرشح أعمال الفنان سيد سعد الدين .

صبحي الشاروني

مفكرة يابانية

اليابانيون إغريق هذا الزمان ورومانه

بقلم: جمال محمد أحمد



يقولون إن أوفق المداخل لتاريخ روما هو دراسة آدابها ، وان أوفق المداخل لآداب الاغريق هو دراسة تاريخها ، واليابانيون فى الذى رأيت أيامى معهم اغريق هذا الزمان ورومانه فى آن . لهم من آداب الاغريق على عهدهم الأخصب نصيب ، ومن منشئات الرومان السياسية والعسكرية على عهودهم الأولى ، نصيب . هذا الشبه الذى كنت أحب أن أسوق له الشواهد ، وهى أكثر مما كنت أحسب ، جعل من أدبهم وتاريخهم ذاك القط التوأم من سيام سارت به الأمثال ، يُضعان وهما واحد ، لا ينفصمان وهما لصيقان شطران .

رباعية يوكيو ما يشيما (١٩٢٥ – ١٩٧٠ م) مثلا تعالج وجدان الانسان اليابانى واستجابة يده وعقله للحوادث والطامات التى عاشها منذ عقد القرن الأول حتى السادس منه . لا غناء لك عن رباعيته إن أردت أن تفقه تاريخ هذه الفترة فقها يحس بنبض . لا غناء لك عن الرباعية وان قرأت كل الذى كتب فوكوزاوا يوكيشى (١٨٣٥ – ١٩٠١) ورصد عن تاريخ بلاده . وبارع قادر هو فى الذى كتب ورصد فى جوانب الحياة التى عالجها : التعليم ، شئون الحكم ، والى من هذين بسبيل ، كالذى كان من أمر الجبرتى الذى رصد كل نأمة ونفس بحذق يعجب ، ومن أمر الطهطاوى ، زبدة وعصارة المناخ الفكرى فى مصر وفى فرنسا على عهده (١٨٠١ – ١٨٧٣) .

التاريخ والرواية شقا مقص لا يقوم مقام الواحد آخر ، كالذى بين ثلاثية محفوظ وتاريخ عبد الرحمن الرافعى لمصر المعاصرة . هذا الجسد لا غناء له عن تلكم الروح تسري فيه من قلم سيد الرواية عندنا اليوم ، وربما لحين قادم .

ألحت هذه الخواطر على ، وأنا أدخل دار ياسونارى كواباتا (١٨٩٩ – ١٩٨٢ م) ، المتحف . تلقانا لدى الباب رجل قصير القامة ما فى هندامه الأوربى ما يدل على أنه فى أريج حال ، ولا فى كرافاته الأسود ، وأسلوب ربطها ما يدل على أن ذلك مألوف لباسه . سعى الينا يحمل خطوة وراء أخرى ، مائلا قليلا للامام يحملك على الاشفاق على حاله . مد يده بمظلة لى وقد انحنى انحناءة كبيرة ، أخذها معه لمرشدتى . انحنت له قليلا لقاء انحناءته الكبرى وتقدمنا يحمل هو أيضاً مظلته ، فقد كان يوماً من أيام يونيو وذاك عندهم أمطر الشهور والدار فى ضاحية كاماكورا ، مقعد الأباطرة والحاكمين فى ظلهم على العهد الذى سمي باسم ذلك الإقليم من ١١٨٥ حتى ١٣٣٣ . جاءها كواباتا من بيت أهله فى اوسكا ، عاصمة أخرى من العواصم التى عرف اليابانيون فى تاريخهم الطويل ، كثير الحوادث والأحداث ، سبقت طوكيو العاصمة الحاضرة أخوات لها كثيرات أبعدها صيتا كيونو ونارا وأوساكا .

دار الكاتب المرموق أقرب الى بستان ، أو هى بستان الدار سريحة منه ، فى وسطها شجر البستان ، وأزهاره تحف بها تلحقها ، تكاد تنساها وأنت ترعى جداول البستان تتقلص سعيدة

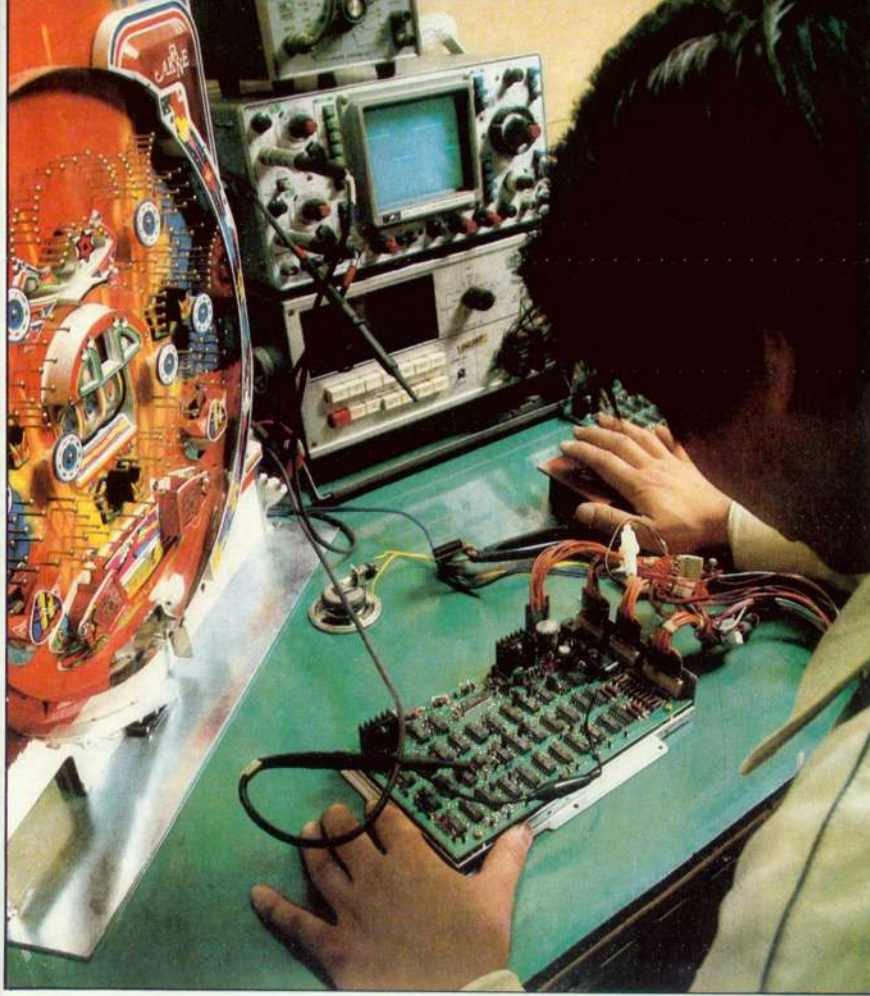


زهور قادمة من كل انحاء البلاد إلى طوكيو

فرحة قطرات الماء . تدغدغ السكون الساكن ، ما فى المكان صوت غير صوتها الواجس ، فالدار بعيدة من زحام القرية تجيئها من زقاق ينعرج من الطريق الوسطى تشق القرية على جانبى الزقاق بيوت صغيرة صامتة ، عليها هى الأخرى أشجار تتدلى أغصانها فوق جدرانها ، والذين طوفوا ذلك البستان الأكبر ، اليابان كله لن يعجبوا حين يعصى على أن أذكر اسم شجرة أو زهرة وأنا الذى ما عرفت غير القليل الذى ينبت فى السافانا وعلى النيل ، وأكثرها شجر ضخم جهم يعارك كي يحيا فتقوى جذوعه : اللبخ والتبلدى والكتر واللعوت وما من أشجارنا وازهارنا الطبيعية بسبيل . ودقة وحلاوة أزهار وأغصان اليابان تعصى حتى على غيرنا من أهل الطبيعة الرحيمة ، قالها جيمز كيركب ، وهو الشاعر الذى غنى بالطبيعة فى بلاده الراحمة الوادعة . أشفق على زميل له ترجم المانيوشو ، أقدم مختارات الشعر اليابانى ، ما زالت وهى التى جمعت فى القرن الثامن الميلادى ، مصدر وحى وإلهام ، للذين أتوا بعده « من مشقات الترجمة عن لغة مغربة ، العثور على كلمات وتعابير أسماء الطيور فيها والحيوانات والحشرات ، والنباتات ، وحتى الأشياء التى يستعمل الناس فى حياتهم كل يوم تشق عليك ، ان كانت مما لا يستعمل الناس فى الغرب » .

فرح راعى الدار بباقة ورد حملتها معى للدار المتحف . جرى أتى بها فى مزهرية وأنا أراه يعالجها برقة ودودة ، ويمينى ويساري وأمامى ضروب من الأزهار ، خال لى انها تبسم عاطفة ، حامل التمر الى هجر ساذج . ودخلت من باب صغير على مرتفع من الأرض فوق إطار من الخشب المدهون يحمل الدار كله . ورأيت والله طيب الحياة على الأرض فوق هذا الاطار : السجاجيد عليه ذات أبهج الألوان ، يحذق الناس صنعها هنا ويفتنون ، تخنق بنعومتها وقع الخطى ، وتزيد وقع السكون

اليابانيون إغريق هذا الزمان ورومانه



صناعة الأجهزة الدقيقة فى اليابان

عليك سكوناً . أنت تمشى في منام . رفوف الكتب يمناك ويسراك متراصة فى دهليز طويل . لكل رف زر تضغطه طائعاً يأتيك شطر من المكتبة ، وهى نحاس خفيف طلي بطلاء أبيض ، أكثر الكتب كواباتا . مراجع رواياته ، « الف كركى » مثلا و« ريف الجليد » روايتان يقرؤهما اليابانيون ويذكرونه فى أسى وجلال .

الأسى .. لأنه أنهى حياة بديعة مبدعة ١٩٧٢ م ولما يتجاوز الستين بكثير ، أعود للجلال بعد دقائق . أشركك سر الأسى : حين يذكر زائر مثلي كاتبهم بالرضا الذى استحق يسكتون ، وأنا الذى أعرف كيف يحبون آثاره ويعشقون شخصه . يخرجون بالصمت عن لا ونعم ، فتحار ، ربما كان لعجزى الاجتماعى دخل ، « الكلام الصغار » كما يقولون ، موهبة لا يؤتاها كل واحد ، واليابانيون من أبعد الشعوب عن الفضول ، لا يشبعون نهم سائل ، حذرون إن كانت فنونهم وآدابهم مرآة لهم هى لاشك ذاك ، الكلام القليل خلة فى كل رجل وامرأة . لا تجد فى شعرهم ، على كثرة ما نظموا فى القديم ، وينظمون فى الحديث ، الا ملاحم معدودة . على النقيض تفردوا فى الشعر بنموذج يسمونه هايكا وآخر يسمونه تانكا . وينفرد النموذجان بأبيات معدودة أقرها الأقدمون فى طور من أطوار تاريخهم وأدبهم الذى ظل مرآة لكل العصور ويلهث اليوم ليبقى جنب ضرب القديم من الشعر . رائعة صاحبنا كواباتا موضع حديثنا هذه اللحظة « ريف الجليد » مائة وأربعون صفحة من القطع الصغير ، عدة كلماتها خمسة وثلاثون ألف ، صفحات « ألف كركى » أكثر قليلا ، مائة وسبعون ، عدة كلماتها أربعون ألف لا تزيد . ما خرج عن هذا التقليد غير يوكيو ميشيما وهو الذى رعى كواباتا وأحب وأقدر .

والفيلم اليابانى بعد أن اتخذ مقعده الأمامي مع سائر الأفلام يكاد أن يكون سيد هذا التقليد فى الاقتصاد ، فالمخرج اليابانى تاجر بهذا الأمر حاذق ، ولو كنت أعرف أنى سأكتب هذا لأحصيت الكلمات فى فيلم « ملحمة ناریاما » . يصور الفيلم عرفاً قديماً فى قرى اليابان كان الأبناء يحملون الآباء والأمهات على ظهورهم يلقون بهم على قمم الجبال والغابات يدعونهم هناك للصقور والذئاب والسباع كيلا يشركوهم طعامهم القليل فقد كانت شحيحة الأرض وما كان حقاً ـ فى زعمهم ـ أن يأكل هؤلاء وقد عجزوا عن الانتاج نهاية أيامهم تلك . فى مشهد من المشاهد يستمر دقائق يحمل ابن قوى السواعد طويل عريض المنكبين أمه المنحولة على ظهره ، يلقى بها بعد مشقات لا قبل للواحد بها فى الوديان والسهول على الصخور ، وعبر السيول فى بؤرة تغص بالطيور الكاسرة تحوم حول عظام الذين أتوا البؤرة من قبل ، والوحوش الجائعة ، تحاول عبثاً أن تخرج من البؤرة ، الصخور ملساء والأرض بعيدة . تمضى أنت مع هذا الرعب ممسكاً أنفاسك . ما عجبت حين سمعت عند عودتى أن سحر التصوير والألوان وبراعة القصة لقي حفاوة فى مهرجان « كان » وضعه فى قمة الحظوة بجوائز « كان » .

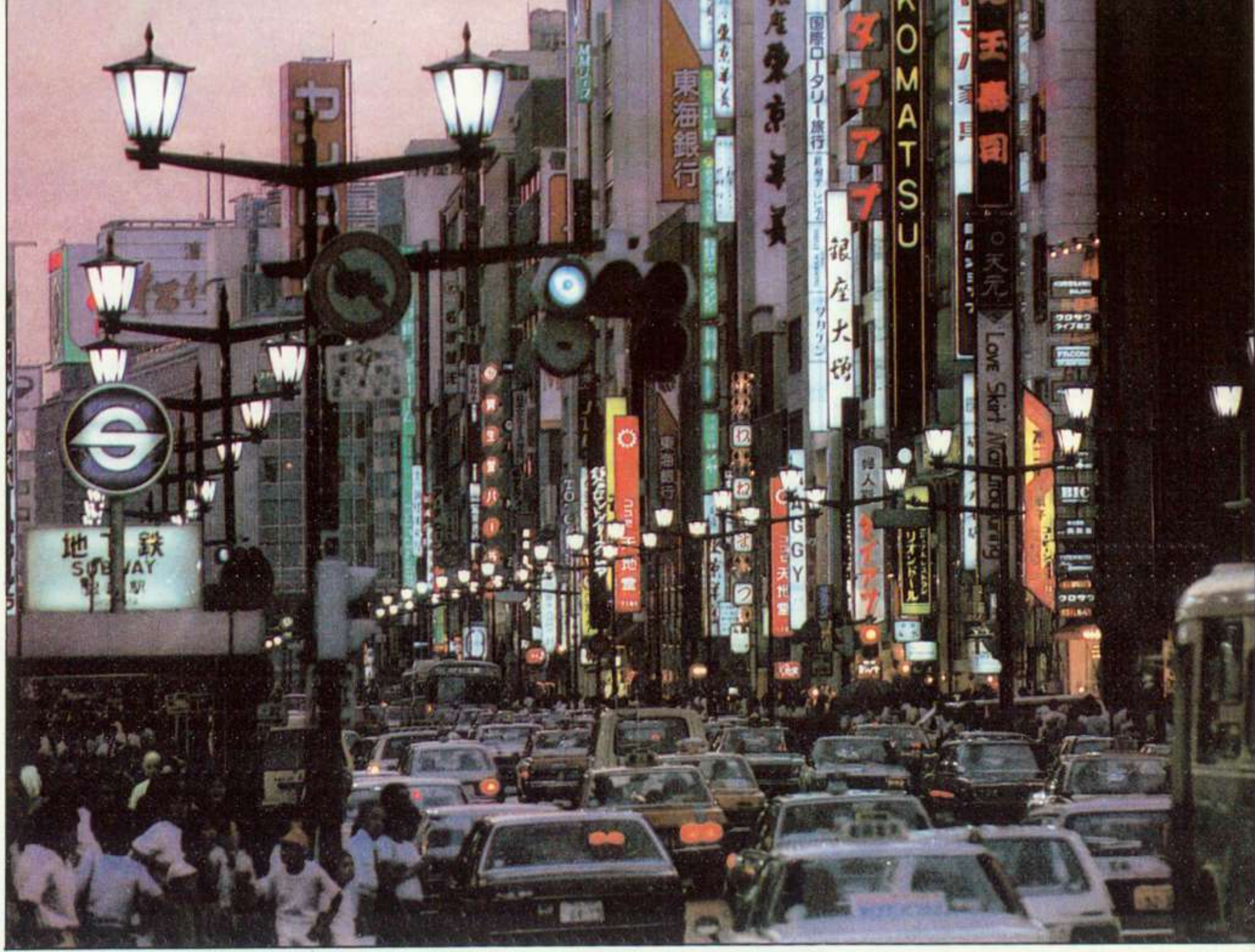
* * *

حمانى هذا الذى أقول عن عجزى الاجتماعى ، والذى أقول عن الاقتصاد فى الكلمة عند اليابانيين من أن أصل لسر كواباتا . ما الذى حمله على قتل نفسه وهو الذى عاش ترف داره الخضراء ذات الزهر والماء ، الذى عاش جديراً بأسلافه حيث ولد ونما وفتح عينيه على دنيا ثرية صاخبة لاهية فى اوساكا ؟ ولد طيبا ، وعاش طيبا ، يعشق الطيب الجميل ويعشق الآخرون عشقه هذا ، يودون لو هاموا بالحياة مثله ، واعترف به العالم أجمع فلماذا كان ؟

وأخيراً عرفت . ما قتل كوباتا نفسه من جهد أو بلاء أصابه . قتل نفسه ليقول للناس كلمته . قالها لهم بالدم . إن أرخى العيش أرفه العيش لا يستحق عناءة أن هو لا يحيا حياته وفق أضوائه .

استغلق علي السر حتى لقيت صاحبا كنت قد لقيته سنين قبل زيارتى هذه لليابان ، وما كنت أحسب أنه سيعين ، وهو الذى قضى شبابه الأول مع جامعة طوكيو وجامعة هارفارد ، يطل على العالم من « مدرسة الحقوق » فيها ومدرسة « الأعمال الادارية » لكنه والله أعان الشباب اليابانى المعاصر ، أقرب للمثال الذى أراده لنا التاريخ العربى ، حين كان يلح على المتعلم أن يدرس شيئاً بعينه أعمق الدرس ، وأن « يلم من كل فن بطرف » .

قال لى صاحبى الذى يعمل الآن قائداً لجناح البنك الصناعى فى طوكيو وكان بعيداً فى الذى نحسب نحن عن آداب وفنون أهله وبان لى من الذى كان يقول إنه أخذ من الآداب والفنون والعلوم نصيباً . تلك واحدة من شمائل شباب زمانه . قال حسيراً كاسفاً إن كواباتا هم بالزواج من فتاة كانت تقوم على شئونه ، أراد حين هم بهذا الزواج لاكفاء بين طرفيه هو وهى أن يصونها ويصون الجنين فى بطنها ، ثمرة عمق ارتباطها به . وأبت الشرائع أن يتزوج : إنه واحد فريد ، وهى من عامة الناس . أبت الشرائع . قالت إنها من طبقات دون . كان احتجاجه احتجاجاً على الغباء لا احتجاج كلام ، واحتجاجاً على الغباء لا بالكلام . بالدم وبالحياة كلها . خطة نعرفها عن اليابانيين .



مدينة طوكيو بالليل

يرتبط اسم كواباتا بفترة فى تاريخ اليابان يود الناس هناك لو أصبحوا ذات صباح وقد نسوه ، مسحوه من وجدانهم مسحا كأن لم يكن . تلك فترة « وادى القتام » فيما يسمونها هم أنفسهم . ولي الجيش فيها شئون السياسة ، والحرب والدبلوماسية ، فترة امتدت لعقد من الزمان بأكمله كما قلت ، شقي فيها القلم اليابانى أتعس الشقاء ، استحال عليه أن يكون ذا شأن وسيف الجيش مدلى عليه من أعلى ، ازدهاه أن انتصر انتصارات عسكرية على جيرانه فى شرق وجنوب شرقى آسيا ومشى بعيدا مع زهو انتصاره ، يروى جون موريس فى كتابه « مسافر من طوكيو » الذى نشر ١٩٤٦ بعد أن عاد لانجلترا وقد استحال مع حرب الباسفيك أن يعلم اللغة الانجليزية فى مدارس ومعاهد اليابان كما فعل فترة من الزمان . قال رئيس الوزراء آنذاك الجنرال توجو يعالج هياج البرلمان ضد الانجليزية أبى تعليمها قال إنها رمز الآخرين والآخرون هم الجحيم ، كما علمت الناس أدوات الاعلام التى سخرها الجيش تسخيرا لطموحه . قال رئيس الوزراء وهو يسعى لتسكين العاصفة التى أثار هو نفسه وأعوانه أشباهه : « دعونا نبق تعليم الانجليزية فى معاهدنا ومدارسنا حتى حين . سنحتاج الانجليزية لادارة الأقطار التى سنحتل . سنحتاج لادارة استراليا وحدها عددا من رجالنا يعرفون الانجليزية . لفترة من الزمان نعلم اليابانية للأهلين هناك » ــ وكانت جندية عاتية تعيش زمان الفتوح الطاغية قرنا بعد أوانها عماها استبدادها بأهلها أن ترى يقظة آسيا للخلاص من آثار تلك الفتوح . ما كان ممكنا للقلم أن يجد مكانه الأليق به مع السيف هذا الأرعن . ما صدرت عنه غير تفاهات تسبح تسبح بحمد الجيش تسبيحا أجوف أجرد ، لا الحزن حزن ، ولا السعد فيه سعد . الكل زيف وباطل أباطيل ، بان خباله فى الحرب بعد ضرب مرفأ بيرل هابر ، وماترتب على ذلك الهجوم من خراب وهوان محيق باليابان .

وأبى الزيف كواباتا . سخر قلمه يصور جفاف النفوس وقسوتها . أهل القرابة والحظوة عند الجيش عماهم ثراؤهم الذى أصابوه عن الحس بالذى حولهم من حمق ، وما كان كواباتا أهوج يناطح الصخر ، كان يقول الذى يريد أن يقول مداورة ، يتقى . قال فى رفق بصير لايكذب : طيبات الحياة لا تقتضيك كل ذلك السلطان وكل ذلك الهلع واللهاث وراء المال . صور فى كتاباته الغرائز الأولى فى الانسان : شهوة الطعام ، شهوة الجنس وصور الطبيعة ، الزهرة وغصن الشجرة والتلال والجبال مثلا راجيا أن يرى الناس فى تصويره إياها مايرى هو من جمال .

قرأ العامة فى كتاباته حكايات لاتشق عليهم لأنها سوائغ ، وقرأها الخاصة لأنها كانت بضعا من شعر وأساطير الأقدمين ، أشاع فيهم أجمعهم ، العوام والخواص ، هدوء بال ودعة افتقدوها على أيام حكم الجيش يسوقهم للايمان بحماقات ما كانوا ليؤمنوا بها لولا أن الجيش ، وقد ملك أدوات الدعوة كلها والتبشير بالذى يبغيه وهو يحكم .

قاوم هذا الزيف والضلال كواباتا ، كالذى فعل فولتير واخوانه فى فرنسا حتى يقابله بعضهم بمدارس الفكر الفرنسى على أيام مقتهم السلطان الذى ماكان لسلطانه وازع ، ويقابله الامريكيون بكتابهم الذين غنوا للطبيعة وللغرائز ، الأولية فى انسان ، والذى فيها من لذاذات وعناء ، لكنى لا أرى فى هذه المقابلات الا قليلا من حقيقة فن وفكر كواباتا . انه فى البدء والختام ابن أرضه وتراثه وزمانه . بعبارة أخرى يابانى خالص ، قرأ فولتير وقرأ ويتمان وأمتع بهما وراح سبيله اليابانية .

ذكرت كواباتا وذكرت داره ، وأنا أطوف الجزيرة المعبد مياجيما . يحفل اليابانيون منذ القديم بالقلم والمحراب والسيف على نحو سواء ، لكل معبده ، لايفضل معبد القلم معبد المحراب ولا معبد السيف . كلها معا سرائح من كل متكامل متماسك ، وجزيرة مياجيما كلها معبد صغير ، جزيرة أصغر من أن يكون بها مكان لمقابر . ماف الجزيرة جبانة . يدفن الأهلون موتاهم فى هيروشيما عبر لسان من المحيط تسلل للأرض حول الجزيرة المعبد وقد قاوم المعبد الماء وأفلح ، أعانه العابدون فيه بالسدود والقيود على الماء .





لقطتان : الأولى تمثل الاندماج فى الدور على المسرح مع الاهتمام بتقاليد الزي والعادات اليابانية .. واللقطة الأخرى لمضيفات يابانيات بزيهن المميز الجذاب

مياجيما أشبه بصورة جزر الأساطير التى خلد الاغريق والرومان فى أذهاننا فى البحر الوسيط . تجئ بك لها قوارب بخارية أنيقة ، كلها من طابقين ، تشق منذ تقلع بها من هيروشيما مياه زرقاء زرقة السماء ، لا عاصفة تخيف ولا ميتة هادئة تضجر ، بين بين ، متعة للعين منعشة . تقف محركات الباخرة قبل أن تصل مرساها بكثير فتجدك تطفو فى هدوء ناعم ، كلما اقتربت من أرض الجزيرة أوحى لك هدوء الباخرة وأوحى لك سكون المسافرين بعيونهم على الجزيرة أمسكوا عن الكلام ، أنك تقبل على صمت جليل . يعنق المسافرون لزرقة لسان البحر ، وكان يوما من أيام يونيو ، رذاذ من المطر ، ولا ريح . كل الكون ساكن تحسب المسافرين وهم يخرجون من الباخرة صفين طويلين ، أنهم يمشون فى حلم ، فرط السكون حولهم وفرط صمتهم ، وقد تفرقوا عند أول الجزيرة فرقا صغيرة .

وجدتنى ومرشدتى مضيفة مؤسسة اليابان ندخل سوقا رطبة الأرض مغطاة تترقرق أشعة من الشمس خلال خشب السقف كالذى تفعل عندنا فى سوق الحميدية والموسكى وفاس . والحوانيت كالتى عندنا أيضا ممسك بعضها من الضيق بعضا ، ماقى الجزيرة المعبد ذعر . فيها أمان التقى والورع . تتناثر بين الحوانيت فنادق صغيرة ، رجعنا لواحد منها للغداء بعد طواف على الحوانيت . وما كان فيها كثير لم نجده فى أسواق نارا وكيوتو واوساكا . هنا تحف اليابان مما يفتن السائحين ، جمعت من كل بقعة فى جزر اليابان . أسرعت بى وبها كواباتا ، كان ذلك اسمها ، وما كانت السرعة التى وهمت . كانت كأكثر اخواتها دقيقة لايمكن لها أن تحسن غير هويتى . خطوة اثنين مستحيل . يميننا قريبا لسان المحيط ، رصت على رصيفه تماثيل فى أكثر من وضع رأيته فى متحف طوكيو الكبير ، قائما قاعدا ، راقدا وفى كل وضع من أوضاعه . هذا متأمل ، عيناه ساجيتان . يسارنا قريبا جبل يكاد يضم لصدره المحيط يميل ميلا نحوه وكأن يد فنان وضعته هناك ، عامدة لقاء الصخر والبحر . على القمة أشجار يلف بعضها بعضا ، أغصانها تتدلى تحجب عنك مسار الجبل لسفحه ، وفى السفح أزهار من كل لون بهيج تسرح مترفة ماتمسها يد البستانى . بين كل مجموعة من هذه الأزهار تماثيل صغيرة مما يحذق الفن اليابانى ، أكثرها لبوذا وبعضها لشخوص من مسرح النو ، فى المعبد مسرح قديم لهذا الضرب من التمثيل الذى تفرد به اليابانيون منذ مطالع القرن الخامس عشر . أخذه الكهان من رقص وغناء أهل القرى أتوا بها لمعابدهم يصورون بأغان استحدثوها ، ورقص زينوه تزيينا ليعبر عن أمجاد اليابان القديمة تعبيرا استحوذ على أفئدة الولاة والارستقراط والحاكمين ، وبقي لليوم مسرحا لايعرف شبيها له بلد آخر . يرعى تماثيل بوذا هذه وشخوص مسرح النو سدنة المعبد ، فكلها من نحاس خالص ونوع من الطين يناطح الدهور ، لايخشون عليها من أن تسرق ، السدنة عندهم « النقيب » الذى يحرس « البيان » هنا .

مبرر وجود وحياة هذه الجزيرة معبدها الذى يجيئه العابدون من قرى ومدن اليابان . تدخله خطوات قليلة بعد جانب الجبل الذى رأيت جانبه الآخر يطل على المعبد ، اطلالة احتضان رقيق ودود . وعلى أرض المعبد أنهر صغيرة ـــ جداول كبيرة إن شئت ـــ تربطها بعض من الجسور من الحطب ، على جوانبها تماثيل من أحجام وأشكال عدة .

بعد فسحة من الأرض صغيرة وتراب وحصى وبقايا علب الآيس كريم الورق والكوكولا وغيرها من العلب ، ناحية البحر كشك أمامه شباب صاخب لاه ، بعضه على ظهور الهوندا ، بعضه على ظهره فوق الأرض ، لاخشوع هنا ولا تبتل . هنا بدعة أخرى مما تصنع الولايات المتحدة ، لاشئ هنا على البحر أمام الكشك وعليه ، غير الشباب المرح المتصابى ، مرشدتى لاتلقى بالاً اليهم ، تسرع بنا الخطى للذى يليق بزائر ، كمن تريد أن تصرفه عن هذه البدع الوافدة . على قرب قريب من المعابد والديارات والخشوع والرهبة وقرب أقرب من الشباب ، متحف الخناجر والسيوف .

كان اليابانيون أمة حتى سنين قليلة مضت يعدون من لا سيف من نطاقه يتدلى عريان . يعجبون كيف له . وحديث السيف والخنجر تروعك صرامته فى حياة وأدب اليابان وأرجو لك فسحة من الوقت لترى كيف صور مكان السيف والخنجر فى الحياة اليابانية الروائى العظيم يوكيو ميشيما فى « الحصين الجامحة » ثانى أربعة كتب فى رباعية ، واريد لك أن تيسر عندك المزاج والفراغ أن تقف عند هذه الصفحات التى يروى لك فيها خيبة الناس وفزعهم من حكومة أمرت الناس أن ينزعوا سلاحهم الذى عاشوا قربه وعاشوا به منذ عهدهم بالأباطرة والحكام . اذن لن تعجب حين تعود تقرأ زعمى لك أنا لن نستطيع معجزة اليابان . فى الروح اليابانية ، فى التراث اليابانى ، وفى اليابانى المعاصر ، شئ نفتقده نحن الآن وكان يوما من الأيام بعضاً من حياة العرب لاحياة دونه . سأقف لحظات مع هذا الفصل عن السيف فى الرواية حين يتقدم بنا الحديث كى أغريك به تتصفحة . لن تضيع وقتا ان فعلت .

جمال محمد أحمد

منازل في الأفق [1]

شعر: محمد القيسي

الـكمان

هلْ يُفسِّرُ هذا الكمانْ
دمعةَ الأُقحوانْ
هل يعالجُ روحي المريضَ ،
وأسترجعُ الكائناتِ إلى صدرِ أُمّيَ ،
قبلَ فواتِ الأَوانْ

هل تُناديني تعالْ
طفلةُ الموجِ إلى البحرِ ،
وأحتاجُ إلى عمري
ويرتاحُ السؤَّالُ !

دون كيشوت

أرى خيمةً في الجبلْ
تُنكِّسُ أعلامها مؤمنَةْ
بما وُعدتْ من جرارِ العَسَلْ
وطيبةِ حزبِ العملْ
أراها تُجمِّعُ هذا الحطامَ ، حطامي
وما يَتبقّى مِنَ الراية المُثخَنَةْ
أرى عِلَّتي المُزمِنَةْ
أرى خيمةً تلمعُ الآنَ ضِدّي
أراني وَحدْي
أدورُ كما حجرا مطحنَةْ
أُواجهُ أيامَ هذي السنةْ !

طوبي ليوم تناهى إليّ

كأنَ الشوارعَ مُلكي
كأنَ البناياتِ حولي فُتاتٌ تناثرَ ،
والعَرَباتِ دُمىً تتقافزُ ،
والريحَ فُلكي
كأنَ النهارَ بلا مُنتهى
كأني بلغتُ ذُرى المُشتَهى
وَجاوزتُ شكّي
فهلْ كانَ إبريقُها دَانياً من شفاهي
إلهي
إلهي
لقدْ فاضَ نبعُكَ فيَّ ،
وَعمَّتْ مياهي !
فطُوبى لهذا الغياب ،
وطوبى ليوم تناهى إليَّ ،
فأزهرَ شوكي
كأنَ الشوارعَ مُلكي !

امرؤُ القيس

أنهى عُروقَ البحـرِ وَانتظَرا
لا بـارقٌ غنَّى ولا خَطَـرا
فنجـــانه الثانى تجَرعَه
وتجـرَّعَ الإسمنتَ والحجـرا
لم تأتِ موعدها ولا بَعثَتْ
في صدرِ طارِقها ولو خَبَرا
وَطَوى كتابَ الأَرضِ خبأَه
وتوزَّعـتْ أنفـاسُهُ شَـررا
في كُلِّ مُنعطَفٍ وناحيـةٍ
سكبَ الضُلوعَ وأطلَعَ الشَجَرا
لـم يُنفـقِ الأيـامَ في عَبَثٍ
كُلُّ الرمـالِ تُراودُ المَطَرا

لها ولي

أَلترابُ لها والحجارةُ لي
أَلأغاني لها والهوامشُ لي
أَلنهارُ الشفيفُ لها ،
والزوايا البعيدة لي
والهديلُ الذي ينتهي عند شُرفتِها فَرِحا
والضُحى
وَالأَريكةُ والبَيلسَانْ
ورنينُ الكمانْ
وقطوفُ الكرومِ لها
كلُّها
ولها المهرجانْ
ثمَّ لا شيءَ لي
غيرُ هذي الحجارةُ تَسقطُ من منزلي !

هامش :

(١) من مجموعة حملت نفس العنوان ، والتى فازت بجائزة ابن خفاجة الأندلسي لعام ١٩٨٤ التى يمنحها المعهد الأسباني العربى للثقافة فى مدريد وسوف يقوم المعهد بنشر المجموعة باللغتين العربية والأسبانية .

صورة إنسانية بعيدة عن السياسة



حسن البنّا كما عرفته

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

لم أكن أدرك يوم رأيته للمرة الأولى فى قرية نائية من قرى مركز إسنا ، محافظة قنا ، فى أعلى الصعيد ، تسكنها قبائل عرب المطاعنة التى أنتمى إليها ، شيئاً مهماً عن السياسة والكفاح ومساوىء الاستعمار والاحتلال الإنجليزى وجبروته ، والهجمة الشرسة على الإسلام ديناً ، فى القاهرة والمدن الكبرى ، وحبائل جمعيات التبشير ، وأجهزة الاعلام الأجنبية ، وفيض الكتب والنشرات التى توزعها مؤسسات تتخفى وراء العلاج والتعليم ، وتوزع مع العلم والصحة الإلحاد والزيغ ، وفتنة المسلمين عن دينهم .

ولكنى أيضاً ، لم أكن بعيداً عن ذلك ، فقد كنت من نابهي الأطفال الذين يترددون على كتاب القرية ، والمدرسة الإلزامية ، وموقوفاً عليهما ، لا عمل لى غير القراءة والمذاكرة وحفظ القرآن الكريم ، على حين أن جل لداتى يساعدون أهليهم فى الزراعة ، ومتطلبات العيش ، وكان علي فى لحظات الفراغ أن أقرأ للناس ، وهم أميون فى جملتهم ، صحيفة الأهرام ، الجريدة الوحيدة التى تبلغ القرية ، اشتراكاً يتقاسمه ضابط النقطة ، وعمدة القرية ، وخال لى ، وكنت أعى بعض ما أقرأ ، من أسماء الوزراء والأحداث على الأقل ، وأفهم قدراً يسيراً من التعليقات ، وقليلا جداً من المقالات ، أما الجانب الأكبر فكنت أراه طلاسم لا تعنى شيئاً ، ولا زلت أذكر حتى الساعة مقالا كبيراً ، فى الصفحة المخصصة للأدب والثقافة ، عن « التشاؤم والتفاؤل » رحت أقرؤه مرة ومرة ، فلم أفهم شيئاً مما يقول .

فى تلك الأيام سمعت أن حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حل ضيفاً على ديوان عائلتى فى كيمان المطاعنة ، على بعد كيلومترات من محل إقامتى ، وفيها كان يسكن والدى أيضاً ، فشددت رحيلى إليها ، مأخوذاً برؤية شخصية قادمة من القاهرة ، يظهر اسمها فى الصحف بين حين وآخر ، ويكتب المقال الافتتاحى فى مجلة « النذير » وكانت تقع فى يدى أحياناً ، يجلبها خالى حين يذهب الى السوق فى المدينة .

كان ذلك فى أواخر شهر أغسطس من عام ١٩٣٨ .

بدأت أتأمله من على بعد أولا ، ومن قريب فيما بعد ، هذا الضيف الوافد ، يرتدى ملابس بيضاء فضفاضة ، بسيطة ونظيفة ، ويلف فوق طربوشه شاشاً ، معتدل القامة والبنية ، أبيض مشرباً بحمرة ، مرسل اللحية ، نافذ البصر والبصيرة ، يتحرك وسط جموع الريفيين البسطاء كأنه هالة من نور ، وهم حوله فرحون به ، يعرف كيف يملك قلوب المئات الذين توافدوا من النجوع التى حول القرية ، بعضهم طلاب فى الأزهر ، والغالبية فلاحون ، جاءوا مدعوين ، أو ليسلموا عليه ، أو مستطلعين .

كيف يمضى يومه ؟

أمضى حسن البنا وقتها فى كيمان المطاعنة ليلة ويومين ، زار فيها كل دواوين بطون العائلة فى القرية ، حتى أولئك الذين كانوا على خلاف مع أهلنا ، أو الذين يرتبطون بأحزاب سياسية لا تتعاطف مع الاخوان المسلمين ، وفى زيارته يصلح بين المتخاصمين ، ويجمع الناس على كلمة خير ، يفعل ذلك فى الصباح على امتداده بعد إفطار بسيط ، رغم وفرة ما يقدم وتنوعه ، فإذا انتصف النهار صلى بالناس الظهر فى المسجد ، وأمهم فى الصلاة ، وبعدها يتناول الغداء على بسط مفروشة على الطريقة العربية وجموع المدعوين على شرفه ، فإذا انتهى الطعام أرسل شكره فى دعاء طيب ، لا أزال أذكر لفظه ، ويرن صداه فى أذنى كأنه قيل بالأمس ، فى لغة نقية رصينة ، وامتنان صادق

مؤثر : «أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم ملائكة الرحمن ، وذكركم الله فيمن عنده» .

وبعد الغداء يستريح قليلا من وهج حر الظهيرة ، حيث الشمس شديدة والحر قوى فى أعلى صعيد مصر ، حتى اذا حانت صلاة العصر أم الناس فى مسجد القرية ، وكان يومها متواضعاً ، مفروشاً بالحصر ، تعلوها طبقة خفيفة من التراب ، وتطوقه الشمس من كل جهاته ، ومع ذلك لم يضق بشيء من هذا ، وما ضجر ولا تأفف ، وإنما ظل فيه بعد الصلاة يلقى حديثاً دينياً استهله بحديث : «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتابه ، ويتدارسون آياته ، الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ..» ثم يمضى يفسر بعضاً من آى القرآن ، ويربطها بواقع الناس ، ولا أذكر الآن من تفاصيل الحديث شيئاً ، وإن بقيت الصورة حية متوهجة فى عقلى وقلبى .

فاذا جن الليل بعد رحلة مرهقة بين دواوين بطون القبيلة المختلفة ، وآوى الناس الى مضاجعهم ، انفرد هو بنفسه ، فى صمت ومن غير ضجيج ، يقرأ ورده ، ويؤدى ما اعتاد من صلواته .

كان له رفيق فى هذه الرحلة «أ . ح » ، وكان يومها شاباً فارعاً ، فى مقتبل العمر ، موفور الجسد ، قوى البنيان ، تخرج فى الأزهر حديثاً ، يرتدى الزى الأزهرى كاملا ، عمامة وقفطاناً وكاكولة ، وأذكر واعياً أن الناس لم يرتاحوا إليه ، رأوا فى حركاته تصنعاً وافتعالا ، وفى حديثه عجباً وخيلاء ، وكلها فيما يرون أشياء لا تليق بالعلماء ، ولا تعكس ملامح وجهه شيئاً من نور الصالحين وتقاهم ، وبدا لهم كأنه يطل عليهم من عل ، فتركوه فرداً ضائعاً فى ضجيج المتزاحمين حول البنا ، وان أعطوه حق الضيافة كاملا .

ومن كيمان المطاعنة الى أصفون المطاعنة ، حل ضيفاً على عائلة فراج طايع ، وكان عميدها قد أمضى أعواماً يدرس فى الأزهر ، دون أن ينال شهادة ما ، على عادة الناس فى تلك الأيام ، وأصبح عضواً فى مجلس الشيوخ عن الدائرة ، بعد أن عهد إلى الشيخ محمد الأمير أن يقيم شعبة للإخوان فى القرية ، وكان هذا أيضاً قد درس عامين فى الأزهر ، ولم يكمل دراسته ، لأسباب خارجة عن ارادته ، واستعاض عن حرمانه هذا بأن أخذ على عاتقه تبعة حث الناس فى القرية على تعليم أبنائهم بإرسالهم إلى المدارس والمعاهد والكليات فى القاهرة ، ويصحبهم أحياناً بنفسه ، على ما فى ذلك من جهد ومشقة ، وصدق فى جهده .

جولة فى الصعيد

وفى العام التالى ، فى شهر سبتمبر ١٩٣٩ ، جاء حسن البنا فى رحلة ثانية ، شملت الصعيد كله فى هذه المرة ، جاء يؤكد صلته بالناس ، ويدعم شعب الإخوان التى أقيمت ، واذ توثقت علاقته بأهلى وقومى ، حاول أن يحل مشكلاتهم الاقتصادية والعائلية ، وأن يوجههم نحو الخير ، وأن يصرفهم عن بعض ما يقومون به من عادات ، يسمع بها ولم يرها ، كالثأر والتشاحن والعصبية القبلية ، وكان احتفاء الناس به كبيراً فى هذه المرة وقوبل باطلاق البنادق فى الهواء زيادة فى التكريم .

فى هذه المرة رأيته عن قرب أكثر ، فقد كبرت عاماً ، وازداد اهتمامى بمعرفته ، ولم يغير هو شيئاً فى برنامجه ، أو عبادته ، أو ملابسه ، غير أنه صحب شاباً أزهريا آخر ، ولازلت أذكر اسمه ، رغم أننى لم أره بعد هذه المرة أبداً ، هو الشيخ عبد المعز عبد الستار ، وكان طالباً فى كلية أصول الدين يومها فيما يقال ، وقد أحبه الناس بقريب مما أحبوا البنا ، فقد كان متواضعاً وقوراً ، يشيع الصلاح من وجهه ، «يغضي حياء ، ويغضى من مهابته» ، وكان البنا وصاحبه قد قدما الينا فى هذه المرة من أصفون المطاعنة ، فلما أنهيا اقامتهما غادرانا الى إسنا ، ليواصلا رحلتهما فى بقية مدن أعلى الصعيد .

فى العاصمة .. قنا

فى العام التالى ذهبت الى قنا عاصمة المديرية ، تلميذاً فى معهدها الابتدائى ، وكانت مدينة منطفئة ، تبذل جهداً لكى تحصل فيها على صحيفة أو كتاب ، وأمضيت عامى الأول صبياً غراً ، أسكن أطرافها ، دون أن أهبطها لغير السينما ليلة الجمعة من كل أسبوع ، فلم أعرف خلال عامى هذا من الحياة العامة فيها شيئاً . حتى إذا كان عامى التالى اتخذت سكنى فى شارعها الرئيسى وبدأت أتعرف على نواحى النشاط فيها ، فكنت أتردد من حين لآخر على جمعية الشبان المسلمين ، التى قصرت نشاطها على بعض المهرجانات الدينية ، فى المواسم المعتادة ، مثل رأس السنة الهجرية ، والمولد النبوى ، وغزوة بدر ، وشيء من النشاط الرياضى ، وفى تلك الأيام كان الناس يتخذون من المناسبات الدينية وسيلة لتغذية الشعور العام ، وايقاظ روح الوطنية والنضال ، ضد المستعمر ، دون أن يستطيع منعهم أو التصدى لهم ، ويحضر مثل هذه الاحتفالات كبار الموظفين عادة ، وتلقى فيها خطبة رئيسية تعرض لتاريخ المناسبة ، وتحاول استخراج العظة ، وتحث المسلمين على استرداد مجدهم ، تتلوها قصائد يلقيها شعراء من أهل الاقليم عادة ، متوسطة الجودة فى خيرها ، تناجى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتبكى المجد الذاهب ، وتأسى على الماضى المفقود وتأمل فى غد أفضل حالا .

وكان المعهد الدينى يقيم بدوره حفلا فخيماً ، ويتميز بأن المدير نفسه ، وهو ما يعدل وظيفة المحافظ الآن ، يحضره بشخصه ، يصل برفقة شيخ المعهد ، ويسبقه هذا فى خطوه بوصفه رجل دين ، رغم أنه مرؤوس له بوصفه موظفاً طبقاً للوائح والقوانين ، وهو اعتداد كان الأزهر يومها يدين به لشيخه العظيم محمد مصطفى المراغى ، اذ كان من أحرص الناس على كرامته عالما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها شيخاً ، ولم يحن رأسه لحظة واحدة أمام أى مخلوق .

ولكن قنا الهادئة ، تحولت عام ١٩٤٠ الى مدينة صاخبة تضج بالحركة والجند والسلاح والسيارات والمصفحات ، جنود من كل جنس ولون ، جاءوا من شتى أطراف الدنيا ، من بريطانيا ، والهند ، ودول أفريقية واستراليا وأوروبا ، وألوف من العمال المصريين معهم ، يتلقون أجوراً عالية ، ويعملون فى مد خطوط السكك الحديدية والكهرباء والماء بين قنا والقصير على البحر الأحمر ، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية قبل ذلك بعام ، وعانى الانجليز هزائم مريرة فى شمال مصر على الحدود الليبية ، وحصاراً عنيفاً فى البحر الأبيض المتوسط ، اذ سيطرت عليه الغواصات الألمانية والايطالية ، فأرادوا أن يتلقوا امداداتهم عن طريق البحر الأحمر ، وهو أكثر أمنا لهم ، ويتيح لهم الانسحاب بخسائر أقل فى حالة الهزيمة الكاملة .

وجاء الجنود معهم بكل الأمراض : الجريمة ، والسوق السوداء ، والسرقات ، وأزمة الاسكان ، والتضخم ، وقلة المواد التموينية ، والملاريا .

فى تلك الأيام أحسست ، وأنا على أبواب الشباب ، أن جمعية الشبان المسلمين مكان طيب لقضاء الوقت ، والتدرب على الخطابة ، ولكنها بلا غايات سياسية واضحة وصريحة ، وان تحرير الوطن لن يجيء عن طريقها . وكان منظر الجنود الأعاجم من كل الجنسيات والألوان سكارى فى آخر الليل يثيرنا ، ويلهب فى أعماقنا الحماسة والتمرد ، ويدفعنا إلى الاصطدام بهم دفعاً .

وساقتنى قدماى صدفة الى شعبة الاخوان المسلمين ، وكانت تشغل الدور الأرضى من عمارة فى ميدان المديرية ، وهو الرئيسى فى المدينة ، وتطل عليه مباشرة ، وتتكون من قاعة معدة للمحاضرات



الشيخ محمد مصطفى المراغى : كان أحرص الناس على كرامته عالما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها

حسن البنّا
كما عرفته

تتحول الى مصلى فى أوقات الصلاة ، ومكتبا ، وغرفة ثالثة ، الى جانب المرافق . وانضممت إليها فى الحال وفى ذاكرتى صورة هذا الرجل العبقرى الذى رأيته فى ديواننا منذ عامين .

كان نشاط الاخوان المسلمين متنوعاً ، يشمل المحاضرات والدروس ، والتدريب على الخطابة ، والرحلات ، وكل ضروب التعاون على الخير ، والمنضمون إليها من المدرسين فى الثانوية والمعلمين ومن صغار الموظفين فى جملتهم ، وبعض طلاب المعهد الدينى ، أما أساتذة المعهد فآثروا أن يظلوا على الحياد وأن يقنعوا بالوعظ والخطابة فى جمعية الشبان المسلمين .

وفى ٢٠ مايو ١٩٤١ أصدر حسين سرى رئيس الوزراء قراراً بنقل حسن البنا من مدرسة عباس الأول الابتدائية بالقاهرة الى مدرسة قنا الابتدائية ، وكان ذلك مع نهاية العام الدراسى ، ولعله جاء ليتسلم العمل فقط ، ثم سافر ثانية ، لأننى لم أره فى هذا العام ، فقد كنت مشغولا بامتحاناتى أيضاً ، أما فى العام التالى ، وجاء مع بدئه ، فقد كنت الى جوار البنا جل وقتى .

البنا معلماً

كان البنا نموذجاً فى دقته ، موظفاً على ذكاء شديد ، وقدرة فائقة فى تحويل المواقف لصالحه ، وحين جاءت الأوامر السرية لناظر المدرسة بأن يرهقه بالعمل ، فيوكل اليه أقصى قدر من الساعات ، والمدارس يومها تجرى على نظام اليوم الكامل ، من السابعة والنصف صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر ، لم يتململ البنا من هذا ، وكل ما هنالك أنه رغب فى أن يقوم بتدريس الخط العربى ، وسعدت المدرسة برغبته ، وسعد بها زملاؤه ، فقد كان المدرسون يهربون من هذه المادة ، لأنهم يرونها أدنى من غيرها ، ولعزوف الطلاب عنها ، واعتمادها على الموهبة وحدها ، وعدم اعتناء المفتشين بها ، فأعطوها له شاكرين !

أما البنا نفسه فكان يهدف من وراء هذه الرغبة الى غايتين ، أولاهما : أن الساعات المقررة للخط أسبوعياً ساعتان ، ومعنى هذا أنه سوف يدرس لكل تلاميذ المدرسة البالغ عددها ١٥ فصلا ، سوف يلتقى بكل هؤلاء الصغار ، وهم على أبواب

● كان يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة على الدوام

● كان عفيف اللسان لا يخوض في سيرة أحد .. ولا يذكر أحداً بسوء حتى لو كان من أعدائه

● كان يردّد دائماً قوله : نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه .. ويرحم بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه

الشباب ، فيصنع منهم الرجل الذى يريده لبلاده ، وهو ما حدث فعلا . فهذا المدرس البشوش ، المبتسم دائماً ، العطوف فى هدوء ، والحنون فى وقار ، جعل من حصة الخط شيئاً جميلا ، يقبل عليها الصغار فرحين ، فهو يتباسط معهم فى القول ، ويحدثهم عن كثير من شئونهم ، ولا يبعد بهم عن عالمهم ، ويسألهم فى غير إحراج أو تأنيب : من الذى صلى منهم الصبح فيكافئه ويطريه ، ومن الذى يحفظ شيئاً من القرآن فيسمعه منه ويصحح له ، فاذا جاءت فسحة وسط النهار تواعد معهم على اللقاء فى مصلى المدرسة .

وبعد شهر واحد كان أحب الأساتذة الى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء !

أما الغاية الثانية فهو أن حصة الخط تنتهى بانقضاء وقتها ، فلا تصحيح بعدها ، ولا تحضير لها ، فيفيد بالقليل الذى تبقى له من اليوم وبقية الليل فى الدعوة ونشرها ، واكتساب أنصار لها ، وفى القراءة والعبادة .

كان البنا ينزل فى « لوكاندة الجبلاوى الجديدة » ، وهى أرقى فندق فى قنا على تلك الأيام ، ولا يزال مبناها قائماً الى يومنا ، وإن تدهور حاله وعدا عليه الزمان ، وبرنامجه اليومى لايكاد يختلف ، يعود إليها مع الرابعة ليستريح قليلا ، ويغير ملابسه ، ثم يأتي الى شعبة الاخوان فيصلى المغرب جماعة بمن فيها ، صلاة وقورة خاشعة ، لا يطيل فيها فترهق ، ولا يجعل منها مجرد أداء واجب فيختصر ، وينصرف بعدها الى تصريف شئون الجماعة ، ولقاء الزوار ، أو زيارة من على موعد منهم من أهل البلد ، أو الهيئات الأخرى اسلامية ومسيحية ، ثم يعود الى صلاة العشاء ، وبعده يلقى درساً دينياً هو قراءة فى كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالى ، وكان يثنى عليه كثيراً ، وأول من لفت نظرنا إليه .

أما ليلة الجمعة ، فكان يعقب صلاة العشاء محاضرة عامة ، يأتيها الجمهور من كل أنحاء المدينة ، من المنتسبين الى الاخوان وغيرهم ، وتدور حول قضايا الساعة التى تهم الجماهير ، ولكنها تتخذ من الدين منطلقاً .

قلب يعمره حب الناس والطبيعة

أتاح لى القرب من البنا على امتداد تلك الشهور القليلة أن أتبين فيه أشياء كثيرة : الذاكرة القوية ، فما رأيته مرة الا وسألنى عن أهلى بأسمائهم فرداً فرداً ، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة ، أو ذكرت أسماؤهم أمامه مرة واحدة ، وقدرته الفائقة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دواماً ، وعفة لسانه ، فما رأيته مرة يخوض فى سيرة أحد ، أو يذكرشخصاً بسوء ، معارضاً أوعدواً ، وانما ينقد ما يراه من زيف وباطل ، أو خروج على قواعد الدين ، نقداً

موضوعياً ، يشخص الداء ، ويصف العلاج ويأخذ بالأسباب أو يدعو إليها ، ويعلو على تناول الأشخاص ، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤالف ، ويردد باستمرار :« نعمل سويا فيما اتفقنا عليه ، ويرحم بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

ورأيته يسع بقلبه الناس جميعاً ، من يكبرونه سناً ، ومن يفوقونه فى الوظائف درجات ، فضلا عمن دونه عمراً ومقاماً ، يهتم بأمرهم ، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب ، وفيما بعد سوف يضم المركز العام للاخوان المسلمين فى القاهرة إدارة للعلاقات العامة مهمتها معاونة الاخوان على مستوى القطر المصرى أولا ، ثم العالم الاسلامى فيما بعد ، على حل مشكلاتهم اليومية والحياتية . ويحرص على أن يجمع الاخوان فى أى مكان على الحب والود والتعاون . وأول ما يبدأ به أى خطبة له زائراً ، أن يذكر مستمعيه بأنه يحمل لهم تحيات الاخوان فى المكان القادم منه .

وكان يشده جمال الطبيعة ، ومنظر النيل ، وغروب الشمس ، ومهابة الجبال ، ويرى فيها بديع صنع الله ، وما أكثر ما صحبنا فى جولات ونزهات الى غابة قنا ، وكانت قد أنشئت فى تلك الأيام على حافة المدينة ، فوق جزء من الصحراء ، وهناك نصلى المغرب ، لا يحد بصرنا جدران ، ولايعزلنا عن السماء ستار .

ولم تمض غير شهور قليلة حتى أحست انجلترا المستعمرة ، ولها فى قنا قوات ومخابرات ، والحكومة المصرية التى كانت تتحرك فى إطارها ، أن حسن البنا فى الصعيد أخطر منه فى القاهرة ، فهو يتحرك فى مجال بكر مفتوح ، ويلتقى بأناس خلص ، لم تفسدهم الحضارة ، ولم تعرف الطراوة طريقها الى قلوبهم أو أبدانهم .فردته الى القاهرة من جديد .

وقبل أن يرحل البنا من قنا أراد أن يفيد من مكانته ، ومن حب الناس له ، وتعلقهم به ، فتمنى عليهم أن تكون دار الاخوان خاصة بهم وملكاً لهم ، وليست شقة مستأجرة فى عمارة ، فانهالت التبرعات من كل طبقات السكان ، وبنوها فى أفضل مكان من المدينة ، وضمت الكثير من المؤسسات العلمية والاجتماعية : قاعة محاضرات ، وعيادة ، ومكتبة ، ومصلى ، ونزلا للقادمين من الاخوان ، وأصبح أعضاؤها ورواداها من خيرة موظفى المدينة ممن يعملون فى الادارات المختلفة .

بعض من عرفت

لازالت بعض الصور ثابتة فى ذاكرتى ، وان نسيت بعض الأسماء ، أذكر الشيخ محمد عبدالظاهر ، وكان مأذوناً وصاحب مكتبة ، وحركة لا تهدأ وسوف يقضى حياته سجيناً فى الهجمة على الاخوان المسلمين ، والفنان سعد الشاذلى ، وكان مصوراً موهوباً ، وخلقاً عطراً ، ومات فى التعذيب ، ومستشاراً فاضلا من رجال القضاء ، كان يجيئنا فى الدار ، ويؤمنا فى الصلاة ، ويفسر معنا بعض آى القرآن ، واذا بى اكتشف أنه يحفظ القرآن ، لا تند منه آية ، وكان محمد القرط المشرف على المجزر اذا صلى بنا المغرب أو العشاء يقرأ القرآن فى عذوبة خاشعة يرق لها الصخر ، وطه عبد السلام لا يكلف بشيء الا قام به راضياً مهما يكن شاقاً ، وسوف يكون لحسين رشدى المدرس فى صنايع قنا دور خطير سأعرض له فيما بعد ، وكان هناك أحمد السنهورى ، وظل وفياً لبدئه حتى يومنا ، وابراهيم دهمش ، ولم يكمل رحلته فى التعليم أو فى الاخوان .



صورة نادرة لحسن البنا الذى أضاف لثقافة الاسلامية ثقافة معاصرة بلا حدود

فى القاهرة

ولم يكد البنا يصل القاهرة ويستقر فيها حتى كشفت وزارة حسين سرى باشا عن نواياها ، فأغلقت مطبوعاتهم وتمالك الاخوان أعصابهم دون أن يداخلهم خوف أو رعب.وفى تلك الأيام ، ولعلها كانت أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، سوف يهبط قنا فى القطار الذى يصلها فى السابعة مساء مع أول الليل ، وافد من القاهرة هو المناضل التقى الضحى المرحوم الأستاذ صالح عشماوى ، والتقى بالاخوان بعيداً عن عيون الحكومة والانجليز ، فى فيلا تقع على هامش المدينة ، صلى فيها الاخوان العشاء ، وتذاكروا أمورهم ، وحمل اليهم القرارات : لا نستفز الحكومة ، ولكن اذا دعت الحال سوف نواجهها ومن وراءها ، ومع الفجر عاد الى المحطة ،وأخذ القطار الذى يغادرها فجراً ، دون أن يحس به أحد .

وأذكر أننا بعدها تدارسنا كيف نواجه الانجليز فى كل مواقع المدينة الهامة ، مراكز تجمع الكهرباء والهاتف ، وكيف يمكن أن نقطعها فى دقائق فنعزل المدينة ، ونغرقها فى الظلام ، ومن يقوم بهذه المهمة وكيف ، وجاءنا العاملون فى الادارات المتصلة بهذه الخدمات بالخرائط كاملة ، وتولى حسين رشدى تدريبنا على طريقة فصل الكهرباء فى مجمعاتها دون أن نصاب بأذى ، ودرسنا تجمعات القوات البريطانية ، ومخازن سلاحها ، وكيفية مواجهتها اذا هى تدخلت ، ولا أدرى ما الذى كان يحدث فى القاهرة يومها ، ولكن لم تمض غير أيام قليلة حتى أفرج عن حسن البنا . وألغى قرارحل الاخوان ومنع اجتماعاتهم ، فعادوا يمارسون نشاطهم بأقوى مما كان بعد أن اكتسبوا شعبية هائلة .

ورغم نشاط الاخوان المتسع فى قنا الا أن الدراسة فى المعهد لم تكن مفيدة أو حتى مسلية ، فقد كان مستوى المدرسين هابطاً ، ومعلوماتهم التربوية منعدمة ، وليس لهم تخصص محدد يعنون به ، وكل مدرس يدرس كل شيء ، والحياة الثقافية فى المدينة متخلفة ، وفى تلك الأيام جاء المعهد معيناً جديداً الشيخ كامل عجلان ، وكان صحفياً أدبياً ، فزلزل بأسلوبه وطريقته فى الحياة والتعامل والفهم ما جمد من أفكارنا ، وحثنى على ترك هذا الجو الخانق ، وهكذا قررت أن أرحل الى القاهرة ، وأن أقضى مرحلة التعليم الثانوى فيها .

فى ٩ أكتوبر ١٩٤٤ وصلت القاهرة ، وهى تموج بالمظاهرات من كل شكل ولون ، فقد أقيلت وزارة الوفد بعد صراع مرير مع القصر الملكى ، وجاء فاروق بأحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء ، فحل البرلمان ، وبدأ يختط سياسة يمثل رأى فاروق مركز الثقل فيها .

وابتلعتنى القاهرة بصخبها ، ومظاهراتها الطلابية التى لم تكن تتوقف ، وندواتها الثقافية العديدة ، فى الجمعيات ، والنقابات ، والجامعات ، وبعضها كنا نحضره مقابل ثمن يعدل ثمن تذكرة السينما ، وهكذا احتجت لبعض الوقت لكى تعرف قدمى طريقها الى المركز العام لجماعة الاخوان المسلمين ، وكان يقع فى أهم ميدان من الحلمية الجديدة ، وتجيء فى وسط القاهرة تماماً ، وكانت فى مطلع هذا القرن مسكن علية القوم .

كان للاخوان فى الميدان داران ، احداهما قديمة متواضعة ، من طابقين ، شغلها المركز العام زمناً ، وتحتلها جريدة الاخوان ، والثانية قصر منيف ، اشتراه الاخوان حديثاً ، من تبرعات عمت القطر المصرى كله لهذا المقر ولاصدار الصحيفة اليومية . وشارك فيها المواطنون من كل الطبقات ، الأغنياء

حسن البنا
كما عرفته


اسماعيل صدقى


حسين سرى

والفقراء ، المثقفون والعمال الرجال والنساء والأطفال ، بما يملكون من مدخرات بسيطة أو جواهر وحلى ، وفى القاعة العربية من هذا القصر ، وكانت بالغة الفخامة والروعة ، رأيت حسن البنا للمرة الأولى فى القاهرة ، وحوله حشد من الناس ، يسلمون على الجمهور إثر اجتماع حافل من الاجتماعات التى كانت تقام لنصرة قضية فلسطين ، وعرفت بينهم للوهلة الأولى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وآخرين لم أعرف منهم أحداً .

وانتظرت حتى انتهت الجموع ، فتقدمت إليه ، تذكرنى فى الحال ، ورحب بى ، وسألنى كالعادة عن أهلى ، فرداً فرداً ، وعن حالى وسكنى ودراستى ، وأن يرانى من حين لآخر ، وبدأت أتردد على المركز العام ، وعرفت أن الأستاذ المرشد ، وكان هذا لقب البنا ، يلقى كل ثلاثاء حديثاً ، يبدأ عقب صلاة العشاء ، ويمتد حسب الظروف ، ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات ، وتتدفق الجماهير لسماعه من كل أنحاء القاهرة ، ومن المدن والقرى القريبة ، وتملأ ساحة القصر والميدان ، وتشغل الشوارع التى أمامها ، يحملون مقاعدهم ، احتراساً ، أو يقفون على أقدامهم ، فى انتظار أن يسمعوا هذا الرجل الملهم ، انه يعرف فى بلاغة لا نظير لها ، عمادها الصدق أولا ، كيف يأخذ طريقه الى قلوب الجماهير ، وكان الحديث متنوعاً ، فى الدين والسياسة ، والاقتصاد والاجتماع ، وكل ما يمس الحياة ، وفى نهاية المحاضرة يتقدم إليه جمهور المستمعين بما يرون استيضاحه ، ولأن أعدادهم تمتد الى نصف كيلومتر تقريباً ، فهم يكتبونها فى أوراق يسلمها المرء لمن أمامه حتى تبلغ البنا فى النهاية ، ثم تأتيه الاجابة عليها علانية ، عبر مكبرات الصوت ، مهما كانت خطورة السؤال .

ثقافته الجامعة

أوتى حسن البنا جوامع الكلم ، وكان خير من يطبق القاعدة البلاغية القديمة : لكل مقام مقال ، فعنده حديث لكل مستوى ، ولمشكلات كل لحظة ، وهو يملك ناصية اللغة ، معجماً وقواعد ، ويحفظ القرآن كله ، ويلم بالحديث فى مجمله ، ويدرك أسرارهما واعياً ، ويستخدم ذلك كله فى مهارة ، الى ثقافة معاصرة بلا حدود ، يحار المرء معها : كيف وأين ومتى حصلها ، فهى لا تقف عند الثقافة الاسلامية وحدها ، وانما تتجاوزها الى الصراعات العالمية ، السياسية والمذهبية ، والاجتماعية ، والمنجزات الاجتماعية على امتداد العالم كله ، الى شجاعة فائقة ، غير متهورة ولا مترددة .

فى حديث منها جاءه سؤال عما يقال من أموال دفعها اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء للاخوان كى يستميلهم الى سياسته ، فكان رده : أولا ، المنطق أن على من اتهم أن يثبت ، فالبينة على من ادعى ، فاذا لج فى الخصام ، فدعوه وأمره ، وقولوا له : ليكن ما تقول ، فان صدقى لم يدفع من جيبه ، والاخوان لا ينفقون جماعة فى غير ما ترون وما تعرفون من المؤسسات الاسلامية ، وهم قبل ذلك ومن بعد ، لا يحيدون عن دعوتهم ولا منهجهم قيد أنملة ، ولو بملء الأرض ذهباً .

وكان هناك حديث آخر أقل شهرة ، عرف باسم « حديث الخميس » ، لطلاب الجامعة ومن فى مستواهم ، وهو الى الحوار والبحث أقرب منه الى العرض والوعظ ، ويدور حول موضوع واحد ، وقضية محددة ، يتدارسها المجتمعون وهو اتجاه لم يعمر طويلا ، لأن صاحبه سوف يغيب عن الحياة بعد قليل .

وذات يوم جاء القاهرة قريب لى ، هو الشيخ محمد الأمير ، ومعرفته بالبنا وثيقة ، فذهبنا لرؤياه فى المركز العام ، ولأن الرجل كان مشغولا ، فقد ضرب لنا موعداً فى بيته فى صباح اليوم التالى ، فى الساعة التاسعة صباحاً .

وفى الموعد المحدد ذهبنا إليه ، كان يسكن فى الحلمية أيضاً ، على مقربة من المركز العام فى سكة سنجر الخازن ، فى الطابق فوق الأرضى ، من بيوت القاهرة القديمة ، فقابلنا فى غرفة الاستقبال ، وتفتح على السلم مباشرة كعادة البيوت فى تلك الأيام . وفى صمت رحت أتأمل بيت الرجل الذى يهز مشاعر الألوف حين يتحدث ، ويلتف حوله المجاهدون العرب ، وتتعلق به آمال المواطنين فاذا به غاية فى البساطة ، تشغل المكتبة جدارين منه وفى جانب آخر مكتب متواضع ، وأمامه كرسيا خيزران ، جلسنا عليهما ، على حين جلس هو على مكتبه ، وجاء الشاى لنا جميعاً ، ودار بينهما حديث عن الناس فى الصعيد ، وعن تنظيم شعب الجماعة فى قراه ، وعن رعاية أبنائهم الوافدين للتعليم فى القاهرة ..

لم تكن جماعة الاخوان يوماً مجرد تجمع دينى أو سياسى ، أو هما معاً ، وانما قوة ظاهرة ، تسيطر على الشارع والمصنع والجامعة ، ويحكم حركتها نظام دقيق وتوجه أمورها إدارات متخصصة ، وهى أول مؤسسة فى مصر اهتمت بالعالمين العربى والاسلامى باطراد ، وفى ضوء منهج محكم ، وأقامت لذلك إدارة متخصصة تتتبع مشاغله وهيئاته ، وتغذى كفاحه بما تستطيع .

انسجام الفكر والموقف

وفى تلك الأيام استقال حسن البنا من عمله مدرساً للغة العربية بالتعليم الابتدائى ، دون معاش ، ليعطى كل وقته لشئون الدعوة ، وحتى يواجه بنفسه متطلبات حياته المتواضعة ، أصدر مجلة « المسلمون » المتخصصة ، امتيازها له ، ويكتب فيها ، ويعاونه نخبة من أفاضل العلماء والباحثين ، ويأخذ من فائض دخلها ما يعينه على العيش دون زيادة .

كان البنا كما رأيته نموذجاً لا يتكرر بسهولة ، سلوكه ينسجم مع فكره ومواقفه تتفق وما يدعو إليه ، وشغل حبى له وإيمانى به قائداً ملهماً الجانب الأكبر من تفكيرى يومها ، وكنت أرى فى المرحوم صالح عشماوى ، ورئيس تحرير مجلة النذير ثم الدعوة من بعد ، صورة قريبة من البنا وان لم يوهب بلاغته وانطلاقه وحكمته ، فقد كان التفانى مجسماً ، والاخلاص بشراً يتحرك على الأرض .

على أن شاباً فى مثل سني ، لم يكن يومها يساق بما يعرف فحسب ، لأن ما يعرف لا شيء فى الحقيقة ، وانما يستجيب أيضاً لنبض القلب ، وأمور القلب لا تخضع دواماً لحكم العقل ، ومن ثم



ابراهيم عبد الهادى



أحمد ماهر

لم أكن ، على بساطة تجربتي وتفاهتها راضياً عن مواقف عدد من كبار الاخوان .

اثنان نفر منهما قلبى

رأيت أحمد السكرى وكيل الاخوان ، ورئيس تحرير الجريدة اليومية فلم ترتح نفسى إليه ، دون تعامل معه ، وقد كتب يوماً في صدر الصحيفة أنه استقال من وظيفته ليتفرغ لشئون الدعوة ، ويعطيها والصحيفة كل وقته . وكان ذلك صحيحاً في جانب منه ، أما الجانب الآخر فهو أنه ترك وظيفة في الدرجة السابعة ، ومرتبها يومها لا يعدو عشرة جنيهات ، وأخذ راتباً في صحيفة الاخوان يبلغ مئة وخمسين جنيها ، وهو الراتب الذى كانت تدفعه كبريات الصحف يومها لرؤساء تحريرها ، وهم موظفون مهنيون ، لا يزعمون أنهم أصحاب دعوة ولا متفرغين لها ، وساعتها أحسست أن في الأمر خداعاً لآلاف البسطاء من الاخوان الذين أسهموا في جريدة مبدأ ، ليس غايتها الربح ، وواقعاً لن تربح شيئاً ، وإنما أرادوها سلاحاً في النضال من أجل ما يؤمنون به ، وتمنيت يومها لو اكتفى بما يعينه على مواجهة مطالب العيش ، خصوصاً وأن الحياة كانت سهلة ميسرة ، وأن راتب الوظيفة التى تركها كان بسيطاً ومحدوداً .

كذلك نفر قلبى من « أ . ح » بعد لقائين ، اذ رأيت فيه عجباً وتصنعاً لا يتفقان مع خلق المؤمن القوى ، ثم خبرته مدرساً في معهد القاهرة لا يلتزم بوقت الدرس ، واذا التزم به لا يقوم بمهمته مدرساً ، وانما يحدثنا عن أمجاده ، في قيادة المظاهرات الأزهرية لاسقاط الشيخ الظواهرى ، والمناداة بالامام المراغى شيخاً للأزهر ، وأشياء آخرى من لغو الحياة وباطلها ، وأسفت أن يكون مثله عضوا بارزاً في جماعة الاخوان المسلمين .

تدخل بريطانى سافر

كان الاخوان المسلمون في السنوات التالية لانهاء الحرب يمثلون قوة رهيبة وثقلا سياسياً ملحوظاً في الشارع المصرى ، ولا يمكن تجاهله ، ويدفعون الجماهير ويقودونها ، للمطالبة باجلاء الانجليز ، ولعبوا دوراً قتالياً بارزاً ، وبالغ الأهمية ، في حرب فلسطين الأولى ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ . وفى نوفمبر من العام نفسه ، عقد قناصل انجلترا وفرنسا وأمريكا اجتماعاً في قرية فايد ، وكانت تحتلها القوات البريطانية الى جانب ضفتى قناة السويس على امتدادها ، وكلفوا السفير البريطانى أن يطلب من النقراشى باشا رئيس وزراء مصر اصدار قرار بحل جماعة الاخوان المسلمين ، وأرسل جورج أوبرايان السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط ، ومقره فايد أيضاً ، خطاباً الى إدارة المخابرات التابعة للقوات البريطانية في مصر وشرقى البحر الأبيض المتوسط يخطرها بما دار في الاجتماع ، والنتيجة التى انتهى إليها ، وأن السفارة البريطانية في القاهرة سوف تتخذ الاجراءات اللازمة لحل جمعية الاخوان المسلمين .

وجاء الرد سريعا ، بعد أسبوعين تقريباً من هذا الاجتماع ، ففى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشى باشا بوصفه حاكماً عسكرياً عاماً أمراً بحل جماعة الاخوان المسلمين ، ومصادرة شعبها وممتلكاتها ، وكل مؤسساتها وأموالها ، وتعطيل صحفها ، واعتقال الألوف من أعضائها .

وحاول حسن البنا أن يلتقى مع رئيس الوزراء على حل ، فلم يكن راغباً في المواجهة ، ومع أن قوة الاخوان المسلمين وما أفادوه من تجارب قتالية في حرب فلسطين يجعل منهم قوة قادرة على مواجهة الحكومة ، والانتصار عليها ، الا أن الرجل كان يعرف ويعى جيداً ، أن أكثر من مئة ألف جندى بريطانى يعسكرون في منطقة القناة ، في انتظار الفرصة المواتية ، ومتأهبين لاحتلال مصر من جديد ، وبذلك يئدون النهضة الوليدة في فجرها .

لم يرد لمأساة أحمد عرابى أن تتكرر ثانية ! غير أن النقراشى كان حريصاً على أن يظل في الحكم ، وبقاؤه فيه مرتبط برضى فاروق والانجليز عنه ، فركب رأسه . وأصم أذنيه عن أية وساطة أو محاولة إيجاد حل ، وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، أى بعد عشرين يوماً من قرار الحل ، أطلق طالب في كلية الطب البيطرى الرصاص عليه ، أثناء دخوله وزارة الداخلية ، بعد أن تخفى الطالب في زى ضابط شرطةفأرداه قتيلا .

حادثة ١٢ فبراير ١٩٤٤

وجاء ابراهيم عبد الهادى ضعيفاً خانعاً ، مضطرباً حريصاً على الحياة ، وأصبح رئيساً للوزراء بعد أن كان رئيساً للديوان الملكى ، وأغرق مصر في موجة من الاعتقلات والمحاكمات العسكرية ، بلا تحقيق ولا تثبت ، وعرفت مصر لأول مرة في تاريخها الحديث تعذيب المعتقلين على نحو بشع ، وهناك أكثر من جهة يهمها أن تتخلص من المرشد العام للاخوان المسلمين ، وعلى رأسهم فاروق ، ولم ينس أن مصر دفعت بقوتين في حرب فلسطين ، الجيش المصرى ويتلقى أوامره من فاروق الذى كان قائده الأعلى ، وكتائب الاخوان المسلمين وتتلقى أوامرها من حسن البنا ، وإنها أرقى تدريباً ، وأحسن تسليحاً ، وأشد فعالية وقابلية للتضحية والفداء ، وأنها لم تهزم في معركة ، فبات يخشاهم من قلبه ، ومعه الانجليز ، والصهيونية نفسها بعد أن خبرت شبابهم في القتال ، فتجمعوا كلهم ، ودفعوا بحكومة ابراهيم عبد الهادى نفسها لاغتيال حسن البنا في يوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤٩ ، في الساعة الثامنة مساء ، ومع أنه تمالك نفسه ، ونزل من سيارة الأجرة التي كان يستقلها ، واتجه الى هاتف جمعية الشبان المسلمين حيث كان هناك ، وأدار رقمين من مكالمة حاول أن يطلبها قبل أن يغمى عليه ، الا أنه نقل الى مبنى الاسعاف على بعد دقائق ، ثم الى قصر العينى ، وهناك أجهزوا عليه تماماً .

رحمه الله .

في صبيحة اليوم التالى كنت أقف في نافذة البيت الذى أسكنه في ميدان السيدة عائشة ، وبه يمر الطريق الى مقابر الامام الشافعى ، فرأيت سيارة الموتى ، تطوقها قوات ضخمة من الشرطة مدججة بالسلاح ، وتتبعها عربات مصفحة تنطلق بسرعة ، لا أحد أمامها غير العسكريين ، ولا معها ولا وراءها ، ولم يخالجنى أدنى شك في أنها تحمل جثمان الشهيد .

ولم أبك ، فقد جف الدمع في عينى ، وتوزعتنى هموم غامرة ، عما سوف ينتهى اليه وطنى في مستقبله القريب والبعيد ، ثم قرأت على روحه الفاتحة !

الطاهر أحمد مكى

المكان

شعر: حلمي سالم

في الميدان المشجوج لحته :
كان هو الهائم نفسه .
كان هو الناحل نفسه .
فندهته .
انخرط بعتمة درب
كنت شبكت على شجرته أسمائي ،
وشبكته .
انخرط على غبشته
فتبعته
اصطدمت رئتانا
فعرفته :
كان الشج عميقاً بين العينين .

* * *

حين انحرف على صدري
ليقول : اذهب لترى الكون يفيض على شباك الأكوان
بنثار غموض الياقوت
لم يكن يعرف أن دمائي في رؤياي ،
أن ثقوب حياتي حدقات تبصر لـتموت .
والمشهد : جِسمان بجُثمان .

* * *

ليت المكان كان رقعةً ، ولا زمان
ليت المكان كان جغرافيا ، بلا ضلوع .
ليت المكان كان دميةً
بلا تواريخ لانجراح وردة تضوع .
ليت المكان كان لا مكان

حين انحرف على صدري
كان يرى الكون اتكأ على أهدابي
كان يرى الأمكنة ، الأمكنة وقد صارت سكينا
في جلبابي .
صرخ : الأمكنة استشرت في شريان قتيلي .
وأنا من تحت الأبنية همست :
الأمكنة هنيهاتي ،
والطرقات سماي .

* * *

في الميدان المتخفي عن جسمي
أبصرته
كان يعبئُ ميداني في جمجمته
كان يرتب أوردة صباه على قلبي
فعرفته :
كان زماني المغدورَ وقد صار مكانا .

* * *

وعلى العتمة رئتان
ونزيف حي
لدم مفتَضح
ينحدر على الجدران
إلى أعلى .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● في ملعب الكرة ●● شخصية أدبية طريفة
● مسلمو السودان الغربي في القرن الثامن الهجري

في ملعب الكرة

بقلم: الدكتور محمد عوض محمد

... وفى ذلك اليوم ذهبت بصديقى إلى ملعب الكرة، لم أذهب به إلى دور العلم أو إلى حلقات الأدب ، حيث ينصت إلى لجاج العلماء ، وحوار الأدباء ، فلقد طعم من هذا الغذاء الدسم الشهر كله : وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشرعة ، وبين الأريكة والسرير ، وبين الفنون الرفيعة والغليظة ؛ وبين الفتوة والمروءة ، وبين الكوفة والبصرة، وبين المستشرقين والمستغربين ...

• • •

انتزعتك ياصديقى من بين هذا كله . فلعمرى لقد آن لك أن تمسح عن جبينك المجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقه ، وأن تزيل عن عينيك ما علق بهما من قذى البحث العميق ، عن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق : ذلك البحث الذى طالما ما أضناك وأذواك : ثم عدت منه صفر اليدين ، أو رجعت بشيء زهيد لا يطفئ غلة ، ولا يغنى من جوع .

فتعال اليوم نتبوأ هذا المقعد العالى ، ونشرف منه على هذا الميدان الفسيح ، كما يشرف النسر من ذروة الطود . ولنرقب ما يجرى بين أيدينا من الحوادث الجسام ... أراك تبتسم ابتسامة الشك أو الانكار ، كأنما تظن أن ما يجرى هنا ليس إلا ضرباً من العبث أو اللهو ؛ فلا وأبيك لن تبرح حتى تشهد فى هذا الملعب من دروس الحكمة ومن عبر الحياة ، ومن المعانى البديعة العميقة ، ما لم تجده بعد فى الكثير من أسفار أصحابك الخالدين ...

وها هم أولاء اللاعبون قد أقبلوا ، فدوى رعد الهتاف والتصفيق ، أرأيت هذه الأجسام الفتية التى أفعمت صحة وقوة ، والتى لا تكاد تستقر فى مكان مما بها من نشاط ومرح ، ولكنها قد تثبت فى موقفها حينا فكأنها الجبال الرواسى . ثم تنقض على الأثر كأنها صخور تهوى من قمة طود ؛ أو تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسى . وهى بعد هذا كله لا تشكو كلالا ولا ملالا ، كأنما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يغيض . إن هذه السيقان التى تراها تحمل تلك الأجسام ، ما نمت هذا النمو ولا اكتسبت تلك القوى فى يوم أو بعض يوم .. بل هى ثمار المران الطويل شهوراً وسنين . وليس من هؤلاء

في ملعب الكرة

الفتيان من لم يأخذ نفسه بأنواع من الجد والدأب وبالحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كي يبلغ هذه المرتبة العالية من القوة ومن الرشاقة ، ومن جمال الفتوة ، والرجولة الصحيحة .

حدثني بالله ! الا ترى في النظر إلى هذه الأجسام القوية الفتية متعة للنفس وللحس ، بعد الذى شاهدته من تلك الأجساد المترهلة ومن تلك البطون الناتئة ، واللبات المترامية على الصدور ، والأقفاء المطوية فى ثنايا عديدة ، مديدة والسيقان الغلاظ التى لا تستطيع المضى ميلا أو بعض ميل . ألا أن عيوننا لتقذى برؤية هؤلاء الأسبوع كله . فلينعم طرفنا اليوم بمنظر الصحة الدافقة والقوة الباهرة .. بعد هذا فلتضف فصلا جديدا إلى كتاب الفتوة ، فصلا تبنيه على المشاهدة والعيان لا على الأخبار والأقوال ...

ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيان فأحسنت تأديبهم ... أنظر اليهم كيف تركوا ضيوفهم يسبقونهم إلى الملعب . وفى إثرهم ينزل أصحاب الدار على مهل ، كأنما يمشون على استحياء . وهم على هذا كله خصوم ، ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا لين . ولا محاباة فيها ولا مداراة : معركة سيبوء فيها الضعيف بالخزى والخسران ، ويرقى النصر بالمنتصرين إلى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هى بيت القصيد . وأن فى صورها العديدة لما ينشرح له الصدور وتطمئن القلوب ... فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافآ فى العدة ، وتماثلا فى العدد . فلن يكون الفوز فيها إلا للجد والجلد ، للبراعة والأقدام ... ونحن فى عالم طالما نشهد فيه تألب الأقوياء على الضعفاء ، وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التى تزهى بعدتها وعديدها ، ويحلو لها أن تمعن فى الجور وتسرف فى العدوان . فما أسعدنا اليوم إذ نتناسى ذكر هؤلاء حينا ، لكى تنعم أبصارنا بشهود معركة نظيفة بريئة بين أكفاء وأنداد ...

أجل ، وأنك لتهتز طربا إذ ترى هذه المعركة تدور رحاها بين يديك فى وضح النهار . معركة ليس فيها خفاء ولا لبس . الميدان كله أمام أعيننا ــ من أدناه إلى أقصاه ــ نتأمل كل ما يجرى فيه ولا يخفى علينا من أمره شيء ... فلننس الآن ــ ونحن ننظر إلى هذه الحرب الطاهرة ــ تلك المعارك الغريبة المريبة ، التى تدبر فى الخفاء وتنمو فى الظلام . وتنصب فيها الحبائل ، ويشتد فيها الكيد ، ويتناسى فيها الشرف ، وتحنث فيها الايمان ، وتخان فيها العهود . والتى لا يحلو فيها الطعن إلا على غرة ، ولا يتحارب فيها إلا بأسلحة الجبن ... هذه ــ ويا للاسف ! ــ معارك قد امتلأت بها حياة الناس فلنستعن على نسيانها الساعة بهذه المعركة النبيلة ، التى بين أيدينا ، والتى تبدأ جهاراً ، وتجرى جهاراً ، وتنتهى جهاراً ... وعلى كل لاعب رقباء من هذه الآلاف المؤلفة ، التى احتشدت اليوم لكى ترقب حركات كل لاعب وسكناته . والويل لمن يحيد عن الصواب لمحة العين ، فيستثير من آلاف الأفواه صيحات الانكار والاستهجان .

أجل وإن لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطا قد نصت عليها قوانين مقدسة الرعاية ، ولن ترى فى العالم كله قانونا ينفذ فى شدة وصرامة ، وفى قوة وحزم ، كما ينفذ هذا القانون ، الذى ليس فى تنفيذه تسويف ولا (تأجيل) . بل سرعان ما يلقى الآثم جزاء اثمه ، قبل أن يتحول عن مكانه ، وهاهنا الحكم النزيه اليقظ الذى يحصى الصغيرة والكبيرة ، ولا يعرف المحاباة ولا المداراة .. فإذا كنت ــ يا صديقى ــ ! قد أهمك وأحزنك أن رأيت العدل يصرع والقانون يداس بالنعال فى مشارق الأرض ومغاربها ، فلتسر الهموم عن نفسك برؤية هذا الحكم العدل ، الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، والذى يرى القوى المدل بقوته ضعيفا عاجزاً ، حتى يقتص منه ويرده إلى جادة الصواب .

والآن ، ألست تراك شديد الاعجاب بما تراه الساعة فى الفريقين من عزمة وثبات ودأب لبلوغ الغاية ، ومضى لما وطنوا النفس عليه . فلقد يخطئون الهدف المرة بعد المرة . من بعد ما أجهدوا قواهم سعيا وطلبا . ولكنهم يعودون بعد الاخفاق إلى السعى والعدو ، لا تنيهم العقبات إلا ريثما يتأهبون لاجتيازها . ولا يرتدون لحظة الا ليأخذوا العدة للتقدم . وكأنما لا يعرفون طعم اليأس ، ولا يؤثر فيهم الاخفاق ، فهم أبداً كموج البحر لا يتراجع إلا ليندفع ، ولا يضعف إلا ليشتد .

وها قد انقضت الساعتان كأنهما لحظتان . فى وسعك الآن أن ترجع إلى أسفارك وأخبارك ، ونحوك وصرفك . وأحسبك الآن قد آمنت أن هذا الميدان البرئ لا يخلو من الحكمة والموعظة الحسنة . أجل وأنك لتحدثك نفسك الساعة بمثل الذى تحدثنى به نفسى ليت لعب الحياة كان جداً ، وياليت جدها كان لعبا !

محمد عوض محمد

١٩٣٤



شخصية أدبيّة طريفة

أحمد أبو الفرج الدمنهوري

الضّاحك المضحك

بقلم: أحمد تيمور

أحمد تيمور «باشا» «١٨٧١ ــ ١٩٣٠» عالم وأديب من أعظم علماء العرب وأدبائهم فى الجيل الماضى وهو والد الكاتبين المعروفين محمود تيمور ومحمد تيمور وهذا الفصل الطريف تم نشره بعد وفاته.

أحمد أبو الفرج الدمنهورى الشاعر الأديب، ظريف الجملة والتفصيل، حلو النادرة والفكاهة، انجذبت إليه النفوس وألفته القلوب على دمامته وغرابة شكله. ولد بدمنهور ونشأ بها فى ضنك وحرقة حال، ولم يكن مشتغلاً بالأدب فى أول أمره، ثم لازم الشيخ محمداً الوكيل القبانى أحد أدباء دمنهور المشهورين وعليه تخرج فى النظم، وصحب أيضاً الشيخ حميده الدفراوى، وهو أديب لكنه لا يبلغ درجة الوكيل، ولم يحضر المترجم العلم على شيخ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلا ولا نهاراً فيكتب عنه كل ما يسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره، أخبرنى ثقة أنه اجتمع بدمنهور حوالى سنة ١٢٨٥ فرآه شاباً نيف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع لا يستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلاً.

ثم نظر المترجم فى كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأ ينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات، إلا أنه كان قليل الاجادة كثير الخطأ واللحن، يتكلف التجنيس والتورية، وأحسن شعره ما نظمه فى المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار. وكان حضوره إلى القاهرة صحبة الوكيل، فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة، وهى إذ ذاك غاصة بالأدباء وفى الناس



بقية، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر، ويراسلونه إذا غاب، فحسنت حاله قليلاً بما كان يناله من هباتهم. ثم اتصل بشاهين باشا كنج فى طندتا لما كان مفتشاً على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم فى حلبة ندمائه، واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغاً وافراً اشترى به عقاراً ورمم داره بدمنهور، واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله أفندى نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقيم عنده الأيام والأشهر يجتمع فى أثنائها بغيره من الكبراء وذوى الوجاهة فيهدى إليهم مدائحه ويتحفهم بطرائفه.

وكان على قلة إجادته فى شعره مفتوناً به مبالغاً فى تقريظه وقت انشاده، يمزج ذلك باشارات وحركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه فى النظم، ولعمرى لا أرى عبارة تفى بوصفه ووصف حركاته عند الانشاد وقيامه وقعوده والتفاته واستدعائه الحاضرين إلى استماعه، فانه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولاً بتقريظها ونبه الحاضرين إلى مواضع الاجادة منها، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعاً خبيئة رأيهم فيه، واستحلفهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله فى عمرهم، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة المبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين، ثم يمضى فى

شخصية أدبية طريفة

أحمد أبو الفرج الدمنهوري

الضاحك المضحك

البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكر ، ويقول سبحان المانح ! كم ترك الأول للآخر ! وأمثال هذه الجمل التى اشتهرت عنه وصارت من لوازمه ، ثم يمضى فى الانشاد ، فاذا مر بتجنيس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طرباً ، ثم نظر للحاضرين وقال لهم اسمعوا من الفتى العربى اللعوب ، تف على المتنبى وسحقاً له ، أين له السلاسة والسهولة ؟ وهكذا حتى يتم القصيدة ، فان رأى من السامعين استحساناً تمادى فى غلوائه وأعجب وأطرب ، وربما عارضه بعض من يحضره استجلاباً لطرائفه واستئناساً بمحاورته ، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة . بلغنى أنه حضر مرة مجلساً جمع لفيفاً من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ فى استحسانها كعادته ، وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها ، فانتبذ له صديقنا العالم الفاضل ، والشاعر المجيد ، الشيخ عبد الرحمن قراعة مداعباً ، وقال له أخطأت فى بيت منها فأدخلت حرفاً على حرف وهو مما لا يجوزه النحاة ، فاما أن تسقطها أو تأتينا بشاهد على صحة قولك ، ووافقه الحاضرون ومالوا معه على المترجم ، فنكس رأسه هنيهة ، ثم نظر إليهم كالمتعجب وقال ياليت قومى يعلمون !

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبى البقاء الزرقانى ، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه ، ويعرض للشيخ ما يشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الالحاح عليه بترك ما هو فيه والاصاخة إليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة ، ولكن لا يكاد الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه نادرة ينقلب لها المجلس ضحكاً ، فكان يقول فيه إن أبا الفرج عندى مشكلة من المشاكل لا أدرى أهو ثقيل أم ظريف .

وكان أول اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به وأشتاق رؤيته فرأيت عجباً : رأيت شيخاً قصيراً دميم الوجه قد ذهبت احدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام وهو جالس فى زاوية من المكان يملى على شخص حسن الخط دالية من الطويل منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو محمد توفيق باشا بقدومه من الاسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت والاعجاب به على ما تقدم ذكره للالتفات إليه ، ثم مر ببيت قافيته لفظة (ومعضداً) فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المتعضد بالله فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى أضجره ورمى الدرج من يده ، فغلبنى الضحك واستطرفته وقصدت محادثته ، فقلت لعل سيدى الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبى الطيب التى يقول فى مطلعها :

لكل امرئ من دهره ماتعودا
وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

فسكت ثم نظر الى شزراً ولم يزدنى على قوله :

تف على المتنبى ، فاستغربت فى الضحك وسألت عنه بعض الحاضرين فخبرنى به فكدت أطير سروراً بلقائه ، وأقبلت عليه أمدح القصيدة وأذكر مواضع الاجادة فيها وأستعيدها منه ، فأبرقت أسرته وأقبل على أيما إقبال وأسمعنى بعض مقطعات من شعره ، فقلت له : أما كان الأولى بهذه اللآلئ أن تنظم فى سمط؟ فقال نعم ياسيدى إنى مهتم بذلك وسيكون ديواناً مرقصاً ، وامتد بنا المجلس فرأيت منه ما لو أردت إثباته برمته لطال بنا المقال . ثم فارقته وأنا أشوق الناس إليه ، وكأنى به أحد أبناء المنجم الذين ذكرهم الثعالبى فى اليتيمة وأورد فصولاً للصاحب بن عباد فى وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يستملح منه ما يستثقل من غيره ، فقد رووا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند إنشاده وعن البحترى أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجاباً بشعره ، وقد عيبا بذلك وعد من سقطاتهما التى نعاها عليهما الناعون بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجباً بكنيته وكثيراً ما كان يتدرج بها إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبى الفرج ابن الجوزى وأبى الفرج الاصبهانى صاحب الأغانى وغيرهما ، فلا يدع أحدا من المتكنين بها إلا وينتسب إليه ، تارة لهذا وتارة لذاك ، ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء ، ووسع أكمامه وسعى حتى جعلوه نقيباً للأشراف بدمنهور . حدثنى صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكرى أفندى المكى قال : لقيته مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت : يا أبا الفرج إن كنيتك تنبىء عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبى الفرج بن الجوزى ، فقال نعم ياسيدى صدقت وأصابت فراستك ، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسى ما دار بيننا فأعدت عليه الحديث وقلت له إجادتك فى الشعر مع هذه الكنية تدلنى على أنك من نسل أبى الفرج الببغاء ، فقال أى نعم وهو الواقع أ هـ . ولا خلاف فى أنه كان يعلم قصد محدثه فى أمر نسبه ، إلا أنه كان يخرجه مخرج الجد حتى مع أخص الناس به ويغضب ممن ينكر عليه فتستظرف منه .

وادعى مرة أنه نال نصيباً وافراً من اللغة بحيث أصبحت لا يشذ عنه شيء من مفرداتها ، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس ، وتصدر للأجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عليها خابطاً خبط عشواء لا يبالى بمن يحتج عليه بكتب اللغة . وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له الفاظاً يسألونه عنها فيخترع لها معانى يجيب بها ، وربما أحال تخرصاً على كتب لغوية يعينها ، ونظم له بعضهم بيتاً كبيت الخنفشار وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدباء وهو :

وبخرنق الأقيال عاثت فالتثت
وركاء تعترض الأكام بشيظم

فقال نعم ! هذا بيت لعنترة ، ذكره له صاحب الأغانى وهو يصف به حمامة ، والخرنق شيء يشبه نسج العنكبوت وليس به ، يكون بين أغصان الأشجار ، فيقول إن هذه الحمامة عاثت بين الأقيال ، أى الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أى اشتبكت به ، وأما الشظم ، وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح محبباً إلى القلوب أديباً ظريفاً حاضر الجواب حلو النادرة ، وكانت وفاته فجأة بدمنهور فى ثانى ليلة من شهر ربيع الثانى سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان آخر قوله انا لله وانا اليه راجعون ، فشق نعيه على من عرفه وشيع جنازته الألوف تغمده الله برحمته .

١٩٣٤

مُسلمو السودان الغربي

يحاولون كشف أمريكا في أوائل القرن الثامن الهجري

بقلم: الدكتور عبد الوهـاب عزام

عثر كريستوفر كلمب على أمريكا على غير قصد إليها، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم.

وقد حاول مسلمو السودان الغربي في أوائل القرن الثامن الهجري أن يبلغوا الشاطىء الغربي من المحيط الاطلنطي (بحر الظلمات) برأي أسد من رأى كلمب، وفكرة أصح من فكرته، قبل كشف أمريكا بنحو قرنين.

كانت عظمى ممالك المسلمين في السودان في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالي ومضافاتها. وكانت تعرف في ذلك الحين باسم بلاد التكرور. والتكرور كان أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة.

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى، قال في صبح الأعشى نقلاً عن العبر: وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية، وافتتح الكثير من البلاد. قال في مسالك الأبصار: حكى ابن أمير حاجب والي مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع.»

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة. قال في صبح الأعشى نقلاً عن مسالك الأبصار. «قال لي المهمندار: خرجت للتقاه من جهة السلطان فأكرمني اكراماً عظيماً بأجمل الآداب. ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي. قال ولما قدم قدم للخزانة السلطانية حملاً من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب. وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول جئت للحج لا لغيره.

فلما صار إلى الحضرة السلطانية قيل له قبل الأرض فتوقف وأبى ظاهراً وقال كيف يجوز هذا؟ فأسر إليه رجل كان في جانبه كلاماً، فقال أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد. وتقدم إلى السلطان فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه. وتحدثا طويلاً.

ومقصدنا من هذا الكلام في الرواية الآتية عن صبح الأعشى:

«قال في مسالك الأبصار قال ابن أمير حاجب سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال: إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتي سفينة، وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم. فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة، وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زمناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي. فلم يصدقه فجهز ألفي سفينة: ألفاً للرجال وألفاً للأزواد. واستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك. فكان آخر العهد به وبمن معه» أ. هـ.

فما رأي المؤرخين والجغرافيين في هذه الرواية العجيبة؟

قد قرأنا في الجرائد قبل سنة أو سنتين أن بعض الباحثين صادف في أمريكا الجنوبية قبائل تشبه أن تكون عربية مسلمة. فهل بلغ ملك السودان الغربي وأصحابه أمريكا في القرن الثامن الهجري وانقطعت الطريق بينهم وبين أفريقية فأقاموا هناك؟ أو ماذا؟

لعل سعادة شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا يدلي برأيه في هذه المعضلة.

١٩٣٤

لقاء مع الشاعر
مصطفى بهجت بدوي

الشاعر مصطفى بهجت بدوى

● القرآن الكريم هو مُعَلِّمي الأكبر والأوحد
● أغنتني الأذن الموسيقية عن دراسة علم العَرُوض
● قد يهُون العُمرُ إلا ساعة .. ويهُون الشِّعْرُ إلا شاعِرًا

أجرى الحوار: سعد صادق محمد

الشاعر الذى التقيت به فى هذا الحديث ، هو أحد رواد مدرسة المحافظين أو « مدرسة الإحياء » ـ كما يسمونها ـ فى الشعر المعاصر ، تلك المدرسة التى أسمعتنا أنغاماً جديدة عادت بنا الى الأصالة الشعرية ، والتراث العربى الخالد فى عصورهما الأولى والزاهرة .

ورغم أنه شغل عدة مناصب ادارية وصحفية رئيسية فى الصحافة المصرية منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن الا أنه مازال يواصل عطاءه الشعرى ، ويمضى به فى درب الابداع والجودة والأصالة .. إنه الشاعر مصطفى بهجت بدوى ، وهو من مواليد الاسكندرية عام ١٩٢١ ، وهناك أيضاً كان مولد شعره .

وفى مكتبه بدار الاهرام طرحت عليه عدة أسئلة ، رد عليها بهذه الاجابات التى تميزت بالصدق والصراحة ... سألته :

• كيف بدأت كتابة الشعر ؟ .

• أتراني مبالغاً إذا قلت أنه كما أن كل مولود يولد على الفطرة كما يقول رسول الله عليه السلام ، فان كل انسان يولد عادة وله خمس حواس معروفة ، أما الحاسة السادسة الكامنة ، فهى حاسة الشعر بصورة ما ، أو الشعور الانسانى الرقيق على اطلاقه ، والانفعال بكل معنى جميل لست أدرى ولكن أعتقد أن حاسة الشعر قائمة فى نفوس البشر على وجه من الوجوه سواء التقت فيما بعد مع موهبة نظمه وقرضه وانشاده أم اكتفت بتذوقه ، أو طمرتها ماديات الحياة .

تلك هى اجابتى ابتداء وعلى وجه العموم ، ربما لزم ايضاحها ، أما التخصيص الذاتي ، فلقد تعجب أننى لم أتنبه بادىء الأمر لهذه الموهبة التى تكمن فى نفسى ، بل لعلى كنت استثقل فى مرحلة الدراسة الابتدائية ومعظم الدراسة الثانوية ، حصص المحفوظات وأنفر من الشعر الجاهلى وغير الجاهلى ، لكنى فى الوقت نفسه كنت مطبوعاً على الأذن الموسيقية ، وكنت أعزف على آلة البيانو سماعياً من سن السابعة ، وفى سن السابعة عشرة التقت الخاصتان على أمر قد قدر ، والذى فجر الطاقة الشعرية الموسيقية هو القرآن الكريم ، عندما بت أتحسس طريق الله سبحانه وأكرمنى الله ببصيرة التدين من منابعه الأصيلة « القرآن المجيد والسنة المحمدية » ومضيت اغترف ، فترهف مشاعرى ويتقوم لسانى ، حتى أننى بعد أن كنت ألحن وأخطىء كثيراً فى قواعد اللغة العربية وتشكيل المرفوع والمنصوب والمجرور شأن غالبية الطلاب ، أمسيت شديد اليقظة لاستقامة النحو الواضح وادراك أسبابه والحرص عليه فيما أتحدث وأكتب ، وكان المعلم الأكبر والأوحد هو « كتاب الله العزيز » .

وعلى حين غرة تاقت نفسى الى نظم الشعر ، وأغنتني الأذن الموسيقية والخامة الفطرية التى أشرت اليها عن دراسة علم العروض « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » .

ولقد كان يمكن أن تطوى ملكة الشعر وتذوى وتذروها الرياح ولا تعدو مجرد نزوة أو مرحلة أحسبها مرت على عدد لا بأس به من الناس فى باكورة شبابهم ثم انصرفوا عنها ، أو شغلوا بغيرها لولا أننى أخذتها مأخذ الجد ووجدت نفسى فيها أكثر ما أجد ، فعضضت عليها بالنواجز حتى مع كونها بدأت هواية ـ لا احترافاً ـ واخالها ما برحت كذلك .

جيلى والشعر التقليدى

قلت للشاعر مصطفى بهجت بدوى :
ما هو مفهوم الشعر من خلال نظرتك إليه ؟

ـ أغراض الشعر كثيرة كما عرفها العرب وغير العرب ، غزلا ووصفاً ومديحاً وهجاء ورثاء وحكمة ثم اتجاهات وطنية وسياسية واجتماعية ... الخ .

واذا كنت قد استهللت واستغرقت فى صباى بالغزل والنسيب والتشبيب فاحتل المساحة الأكبر من ديوانى الأول ـ وهذا أمر طبيعى وتلقائى ومعهود ـ فان الشعر السياسى والاجتماعى قد غلبا على فيما تلا ذلك ، غير أن مفهوم الشعر عندى واحد لم يتغير وهو كونه تعبيراً جميلا منغماً عن مشاعر جميلة حساسة ، ونفس صافية مرهفة ، ومن أخطاء الأمثلة العربية الشائعة قولهم « أعذب الشعر أكذبه » فاننى أؤمن أن « أعذب الشعر أصدقه » ، بل أن الأمر لا يقتصر فى باب صدق الشعر أو الشاعر على العذوبة ، بل يمتد الى وصوله الى نفوس المتلقين وخلوده أيضاً ، إن من يمتلك ناصية البيان والبلاغة وحسن واشراق الديباجة والصياغة الشعرية ، والمعانى الخلابة والألفاظ والتركيبات الرقيقة المنمقة المختارة ، والموهبة الربانية ، وبالقراءات والتعمق والعناية بشعره فى جهد دون تكلف وفى انسياب دون تعمل ، هو هو الشاعر عندى ، لا النظام ولا الحامل « لبالونات » ملونة براقة قد تلفت الأنظار ، ولكنها لا تلبث أن تطير أو « تفرقع » فتذهب بدداً .

• من أى جيل أنت .. ومن هم الشعراء الذين زاملوك فى نظم الشعر واتفقوا معك فى اتجاهاتك الفكرية ؟ .

ـ الجيل الشعرى استهلالا هو جيل الأربعينات « بصراحة » أعتقد أن هذا الجيل لا هو طاول الأجيال القريبة السابقة عليه ، ولا أخذ حظهم من الذيوع والانتشار الا قليلا ، وقد تحضرنى أسماء أتراب تزاملنا بصورة مثل : عبد الرحمن الشرقاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، وكمال عبد الحليم ، ومصطفى عبد الرحمن وآخرين ـ وقد تغيب عنى أسماء ـ لا تقل اجادة ومعظمهم انصرف عن الشعر ، فى حين أن الجيل الوسط بعد شوقى وحافظ ومطران ، كان أثبت وأكثر لمعاناً كشعراء مدرسة « أبولو » وعلى محمود طه ، وابراهيم ناجى ، وصالح جودت وأحمد فتحى فضلا عن شوامخ دار العلوم واشباهها مثل : محمود غنيم ، وأحمد محرم ، ومخيمر ، والأسمر ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الغنى حسن ، والبحيرى .

• الى أى مدرسة تنتمى ، ولمن من الشعراء قرأت فى أول عهدك بالشعر وتأثرت به ؟ .

ـ أما المدرسة ، فقد اصطلح على تسميتها مدرسة « الشعر الغنائى » ، ورغم أننى لم أقدم لغناء قصيدة واحدة ، وهى أقدم وأوسع مدرسة فى الشعر العربى وألصقها بمنابعه الأصيلة وحقيقة ، لا أستطيع أن أحصى عدد الشعراء القدامى والمحدثين الذين قرأت دواوينهم ـ أقول : قرأت لا حفظت ، فلقد رغبت عن حفظ الاشعار فيما ندر وألح على ، وربما يرجع ذلك الى الظروف أو العجز ـ الى كونى لست راوية أشعار ، أو حتى لا تتسرب أشعارهم الى أبياتى دون أن أدرى ، أو لضعف حافظتى لا ذاكرتى أو « لعقدة المحفوظات » المترسبة فى أعماقى منذ الدراسة الابتدائية والثانوية ، ولكن من القدامى الذين قد أكون تأثرت بهم اعجاباً وتقديراً يأتى فى مقدمتهم « أبو الطيب المتنبى ، وأبو العلاء المعرى ، وأبو تمام ، والبحترى ، وبشار بن برد ، والشريف الرضى .. ثم من القرن الحالى « شوقى » ثم أحمد شوقى ، ثم أمير الشعراء بمعنى واحد ، أى أنه « غطى » عندى على معاصريه .. فقد يهون العمر الا ساعة ويهون الشعراء الا شاعراً .

• ما رأيك فى الشعر التقليدى الموروث ؟ .

ـ اسمح لى أن أصف هذا السؤال ومن وجهة نظرى ، بأنه أشبه باستطلاع الرأى فى الحروف الابجدية ، أو السلم الموسيقى ، أو الألوان المختلفة التى يمزج بها الرسام فرشاه ، أعنى أن الشعر هو بأوزانه ورويه وقوافيه ، ومعانيه طبعاً ، الشعر بدأ تعبيراً فنياً له قواعد وأصول وسيظل كذلك مدى الحياة حتى ولو جرى تصرف فيها ، وتجديدات تبقى فى اطار « القيود » ولكن كما قال بعض السابقين :

الشعـــر صعب وطويل سلمه
لا يرتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت بــه على الطريق قدمه
يـــريد أن يعربـــه فيعجمه

الحرب بين الشعراء

وهنا كان لابد أن أسأل الشاعر مصطفى بهجت بدوى :

• يحارب أصحاب حركة الشعر الحديث ، الشعر التقليدى ويتهمونه بالانغلاق داخل دائرة القوافى الموحدة .. فما رأيك ؟ .

ـ الحرب متبادلة ومستمرة بين دعاة الشعر الجديد أو الحر ، أو شعر التفعيلات من جانب والملتزمين بالشعر التقليدى من جانب آخر ، ولو أنها هدأت نسبياً آخر الأمر ، أو قرب نهاية المطاف .

ولقد أكون بطبيعتى ضد المغالاة والتطرف ، وأنتهج الطريق الوسط ، ثم إن رأيى الذى لا يتحول هو أن الشعر مادام شعراً فهو كذلك أياً كان لونه تقليداً أو حديثاً وبالشروط التى أوضحتها آنفاً فى اجابتى على السؤال السابق ، ان حركة التجديد فى « شكل الشعر » ليست ابنة اليوم ، بل لعل الأندلسيين العرب بدأوها بالموشحات ، ثم توالت بعد ذلك الأشكال والصور : تغيير القوافى فى القصيدة الواحدة ، تجزىء التفصيلات ، تطويع الشعر للمسرح كما فعل أحمد شوقى فى مجنون ليلى ، ومصرع كليوبترا .

وفى أواخر الاربعينات من هذا القرن نشأ أو ابتدع شعر التفعلية والتحرر من « ثقل » القوافى واضطرادها تحرراً جزئيا ، ولما كان هؤلاء المجددون قد درسوا اصول الشعر وملكوا موهبته فإنهم فى تقديرى لم يأتوا خرقاً بشعاً أو يقترفوا جرائم لا تغتفر ، ولقد مارسوا الشعر التقليدى وعرفوا أصوله ، ودرسوا أعلامه ورواده ومشاهيره ، لذلك جاءت قصائدهم الحرة « لوناً معقولا » ومقبولا عندى من الفن الشعرى .. صحيح أنهم تأثروا باتجاهات الشعر الانجليزى والغربى على وجه العموم فى عدم التقيد الشديد بالقوافى ، وفى استخدام الصور الرمزية ، وفيما يسمى وحدة القصيدة لا وحدة البيت الواحد التى يأخذونها على الشعر العربى التقليدى ، وهو اتهام غير صحيح على اطلاقه فالشعر العربى يعرف وحدة البيت ووحدة القصيدة على السواء ، وصحيح انهم خرجوا علينا بما تخيلوه من « الموسيقى الداخلية » فى القصيدة على حد تعبيرهم ، ولكن ظل كل ذلك اجتهاداً قابلا للمناقشة لا للرفض الحاسم أو اللعن الناقم حينما ينصف النقد غير أنه مع تعاقب السنين حلت لبعضهم اللعبة الأجنبية فأسرفوا فى الغموض الشديد بدعوى أن ذلك قمة البلاغة الحديثة التى تواكب العصر ، وآية العمق ، وهنا زلزلت القصيدة العربية زلزالها وكادت تفقد مقوماتها من طول مابدلت معالمها حتى تشوهت ومسخت أو كادت ، وكان منطق التقليديين المعتدلين المتفتحين ـ لا المتقعرين ـ بسيطاً ومفحماً فى المجادلة ، كانوا يقولون : اورنا قصيدة واحدة من الشعر ذى الموسيقى الداخلية المزعومة والغائص فى الرموز والأساطير والمعن فى الغموض .. أرونا مجرد قصيدة واحدة من هذا اللون هزت وجدان الناس ، أو تقبلوها قبولا حسناً اذا أنشدت أو حفظوها واستشهدوا بها اذا نشرت ؟ .. وكان هذا السؤال المحير والذى ظل بلا جواب شاف هو حسبهم ليقيموا على المعسكر الآخر الحجة ، غير أن الذى أساء أكبر اساءة الى حركة الشعر الجديد هو أن عناصر جديدة من « الشعراء » الذين لم يكتبوا فى مرحلتهم الأولى قصيدة تقليدية كاملة واحدة ، دخلوا الى المضمار أو « الهوجة » على الأصح ، فأعوزت قصائدهم لا القوافى فحسب ، بل الأوزان أيضاً فهى فى عرف الشعر .. أى شعر « مكسورة » ـ أى أنها لا هى شعر ولا هى نثر ـ وطائفة أخرى خلطت بين أوزان مختلفة فى القصيدة بل البيت الواحد ، وذلك منتهى العجز والضحالة والخفة والجهل .. انهم دخلاء طفيليون على الشعر ، منبوذون منه ، كأنهم لم يكسروا عموده فقط وانما وقع عموده على أم رأسهم حتى ولو تخيلوا أن رؤوسهم وهاماتهم مرفوعة بهذا التجديد الأعجمى « الألعى » الكارثة ، وهكذا فهم فى مجموعهم ـ باستثناء عدد قليل جداً بينهم أخص منهم صلاح

لقـــاء مع
الشـــاعر

مصطفى بهجت بدوي

عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ، وأمل دنقل ، ونازك الملائكة ـ فشلوا فشلا ذريعاً ، فى حركة التجديد التى ضلت الطريق ، ولعل هذا هو ـ أشرتم إليه فى حديثك معى ـ ما انتهى إليه الدكتور الطاهر مكى فى كتابه « الشعر العربى المعاصر » من أن الشعر الحر فشل بسبب افتقاده للموسيقى الصالحة ، وأن افتقاده الى النغم الموسيقى يجعله غير صالح للتأثير على الناس ، ولقد أضيف : أن بعضاً من رواد الشعر الحر قد تراجعوا عنه وارتدوا أو بالأحرى آمنوا من جديد وعادوا إلى أحضان الشعر الأصيل ، ومنهم : نازك الملائكة ، بل شملت المراجعة والتصويب عدداً من الشعراء الأوروبيين الذين كان يمثل نهجهم الحر « السائب » لمقلديهم العرب ذروة التقدم والأدب المتحضر ، ولعل فى ذلك درساً بليغاً مخجلا لهم ، لست أدرى ماذا هم قائلون فيه ؟ .

• ما الفرق بين الشعر العامي والزجل .. وأيهما أقرب الى الشعر العربى ، وأيهما أخطر على لغتنا العربية الأصيلة ؟ .

ـ الزجل يمثل جانب اللغة الدارجة الموزونة الذى سار بمحاذاة الشعر العربى التقليدى أما الشعر العامى فيمثل فى ظنى « الشعر الحر الحديث » باللغة الدارجة وإن كنت أعتقد أن ـ فرسانه ـ فرسان الشعر العامى ـ أنجح وأبلغ وأفصح من نظرائهم بصفة عامة فى الشعر الحر الحديث بالفصحى ، والنماذج التى نقرأها فيما يسمى الشعر العامى شديدة الدلالة على ذلك ، واعترف أنها تشدنى وتستهوينى مائة ضعف ما يفعل الشعر الحر بالفصحى ، وللانصاف فقد وظف هؤلاء موهبتهم فى الشعر العامى توظيفاً اجتماعياً وسياسياً وجماهيريا راقياً ، وطاوعتهم مواهبهم وأخيلتهم وتراكيبهم ومعانيهم وكلماتهم بصورة لافتة للنظر بلاشك ، من هؤلاء الافذاذ : فؤاد قاعود وسيد حجاب وصلاح جاهين ، والابنودى ، وفؤاد حداد وغيرهم ، وقد صادفت قرائح أفكارهم ذيوعاً وأمكن تلحينها وغناؤها ، ومادمنا بصدد الزجل والشعر العامى فلا يفوتنى أن أضع فى صدارة ناظميه المعاصرين شاعراً اعتبره عبقرياً فريداً فى فئة خصوصية هو أحمد فؤاد نجم وخاصة فى مقطوعاته الاجتماعية والسياسية وهو ـ بحق ـ خليفة بيرم التونسى ذلك الذى قال عنه أمير الشعراء أحمد شوقى قولته المشهورة (انى لا أخاف على الشعر العربى قدر تخوفى من « براعة » أزجال بيرم التونسي) ، بيد أن هذه الشهادة على أهميتها لم تشكل آنذاك خطراً على لغتنا العربية الأصيلة ، كما لا تهدد الاشعار العامية الجيدة الآن لغتنا العربية الجميلة ، فنحن نتحدث ـ غالباً ـ بالعامية فيما بيننا ، وحين نكتب أو نخطب نلتزم بالفصحى ، فلا خوف اذن ولا خطر ، وانما هو تعايش سلمى بينهما ، الضمان كل الضمان والحفاظ الأخلد للفصحى باق أبد الدهر ، ما بقى الذكر الحكيم ، والقرآن الكريم (وانا له لحافظون) ، ثم إن لكل شعب من الشعوب العربية لهجته الخاصة ، ولا مانع ، وانما الذى يجمع بين تلك الشعوب العربية هو الفصحى التى لن تضمحل ولن تنقرض مادمنا نتمسك بها ونحرص عليها وأحسبنا متيقظين لذلك ... أرجو .

هذه هى دواوينى

والشاعر مصطفى بهجت بدوى فى انتاجه الغزير المتميز ، ينتقى قصائده بعناية فائقة ولايقدمها إلا من خلال إحساس صادق ومشاعر فياضة ولهذا كان لابد أن أسأله :

• كم صدر لك من دواوين شعر ؟ .

ـ فى سنة ١٩٤٧ ـ أى فى مطلع الصبا ـ أصدرت ديوانى الأول « وجدان حائر » وهو من الشعر التقليدى مائة فى المائة ، ثم فى مارس سنة ١٩٥٦ تأثرت بموجة شعر التفعيلات ، ووقر فى ظنى أنه أفعل وأطوع وأوقع فى الشعر السياسى بالذات ـ فكتبت قصيدة طويلة أو « ملحمة » كانت باكورة العمر ـ والقلم ـ الذى نذرته للقضية الفلسطينية العربية (وان ضاع هباء .. للأسف) وسميتها « لن نخون فلسطين » وحقق توزيعها رقماً قياسياً « عشرة آلاف نسخة » ثم صدرت لها طبعة ثانية فى سوريا بعد شهور ، ثم طبعة ثالثة فى القاهرة عام ١٩٦٧ ، ولقد احتفى النقاد بهذا الديوان احتفاء ملحوظاً ، وأجمعوا على أن ابياته من الشعر التقليدى المتطور فضلا عن كونى فى مواضع عديدة منها ، وخلال استرسالى على مستفعلن الأساسية تطول أو تقصر ، تلتزم بعدد متماثل ، أو تختلف والقافية قائمة منغمة ، وإن تنوعت من حين لحين ، كنت أعود خلال استطرادى الى القصيدة الكاملة التقليدية بكل مواصفاتها المنتظمة المعروفة فى ســبعة أبيات متعاقبة أو أقل أو أكثر ، وراقت لى هذه الطريقة فى قرض الشعر السياسى ، فكررتها بعد قرابة عامين فى أعقاب تأميم قنال السويس والعدوان الثلاثى ، ثم وفاة أخى المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى ـ حيث أصدرت ديوانى الثالث « القناة والمعركة وأخى » فى يوليو ١٩٥٨ بعدها وفى عام ١٩٦٣ جمعت قصائدى التقليدية التى كتبتها ونشرتها عبر الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٣ واصدرتها فى ديوانى الرابع « عندما توحى الليالى » وتلت ذلك فترة طويلة ، جفانى فيها الشعر وجفوته ، حتى كدت استسلم لمظنة أن الالهام الشعرى قد رحل عنى بغير رجعة ، لا مجرد أننى شغلت عنه ولا أخفى عنك أن هذا « العقم » أرقني وعذبنى طويلا حتى كان ذات يوم وأنا فى مدينة لينتجراد سنة ١٩٧٢ وأحمل فى صدرى هموماً ثقيلة جداً خلفتها هزيمة يونيه ١٩٦٧ ومزقتنى تمزيقاً مثلما فعلت تلك المنكودة فى نفوس شعوبنا العربية فجأة جاشت مشاعرى حيث كنت أجهش بالبكاء على حالنا ، ووجدتنى أرتجل على البديهة خمسة أبيات من الشعر تحناناً وشوقاً ونداء لمصر وللنصر ... الله ؟ .. اذ ما فتئت الشاعرية كامنة لا ينقصها الا ان أرنو لها وترنو لى .. أن أحركها وتحركنى ، وكان آخر العهد بها من قبل بيتان منذ سنوات مثلا حالى ومثلا بى :

رثيت أبى ثم واريت شعرى
كأنى فقدت به الموهبه
وجفت ينابيع روحى فباتت
حياتى موحشة مجدبه

واهتبلت الصحوة الشعرية الفجائية فى لينتجراد ، وأعجبنى أن المعنى استوفى أغراضه فى خمسة أبيات من الشعر فقط لاغير ، فمضيت على النهج بعد أن تفجرت طاقتى ، وخلال رحلات متفرقة فى روسيا والمجر وبلغاريا والنمسا وبريطانيا ومدريد والأندلس ولبنان وجبهة القتال بين ربيع وصيف سنة ١٩٧٢ ، كنت قد أتممت نظم حوالى ٧٠ قصيدة خماسية .. وهكذا كتب لديوانى الخامس « خماسيات عربية أوروبية » ، أن يؤلف ويعد للطبع وينشر خلال خمسة أشهر فحسب من البداية للنهاية ، وكان لوناً جيداً وفريداً فى دواوينى الشعرية وتجربة عزيزة سعدت بها ويكفى أنها انبعثت معها نفسى الى الشعر انبعاثاً وقد طبعته ونشرته دار النجاح فى بيروت فى أكتوبر ١٩٧٢

على أن أفضل وأنضج دواوينى وأحبها الى ديوانى السادس « رسالة إلى المسيح » الذى كان الآخر تجربة مختلفة عن سوابقه ، فهو قصيدة وطنية دينية سياسية اجتماعية طويلة جداً . واقعية وخيالية ، بمعنى انها تصور الواقع وتحلل وتنتقده فنياً ثم تسبح فى سيناريو « نتخيله » لنزول المسيح عليه السلام ، كما بشرتنا بذلك أحاديث نبوية شريفة فى صحيحى البخارى ومسلم . والقصيدة حاولت أن تتلاقى بعض رتابة الشعر التقليدى ، وبعض شطحات الشعر الحر وقد صدر الديوان المذكور سنة ١٩٧٥ .

أما ديوانى السابع « أوراق من قصة العمر الحالم » فيضم قصائد تقليدية وأخرى حرة مزج بينها ، وأصدرته ونشرته دار الوحدة ببيروت يناير سنة ١٩٨١ ، وكان حلقة أخرى من حلقات انتمائى للقضية الفلسطينية ، واشتياقى للنصر العربى ، والتى بدأتها بديوان « لن نخون فلسطين » وأتوق أن أختمها وأتوجها بديوان لا يتوجع للنكبات أو يحث الهمم والعزائم لتحقيق النصر والأمل المنشود ، وانما يحتفل بالنصر فعلاً وحقاً وصدقاً ، ويسجله ويؤرخه وينظمه بعد أن نكون قد انتزعناه من ضمير الغيب .. وبمشيئة الله

سعد صادق محمد

عالم السدود

شعر: محمد التهامي



يا طَـائري لا تَنْطَلِـقْ أَخَـافُ مِنْ أَنْ تَحْتَرِقْ
يَا طـائري إلَيْكَهـا تَجارِبَ الَّذي سَبَقْ
أَكَلْتُ قَبْلَكَ اللَّظى شَرِبْتُ قَبْلَكَ العَرَقْ
وَخُضْتُ مُوحِش الطَّريق والظَّلامُ يَنْطَبِقْ ...
وَمِنْ مَخَالِبِ السبَاعِ وَالضِّبَاعِ أَرْتَزِقْ ...
فَعَضَّني مِن النُّيوبِ مَا أَحَالَني مِـزَقْ ...
فَنَظْرَتي إلَى السَّمَا وبالتـرَابِ أَلْتَصِقْ ..
وصَحوَتي إلى الضَّنَى ونَـوْمَتي إلى الأَرَقْ

° ° °

حَاوَلْتُ أَرْكَبُ النِّفَاقَ قُلْتُ حَسْبَها اتَّفَقْ
فَخَانَني بِهِ الجَوادُ بَعْدَ خُطْوَةٍ نَفَقْ
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ مَطِيَّةٌ لِمَنْ حَذَقْ
وَمَن يَخُضْ بِحَارَهُ بِلا دِرَايَةٍ غَرِقْ
فَعَالَمُ المُنافِقِينَ أَهْلُهُ لَهُمْ فِرَقْ ..
شعَارها مِلْءُ العُيونِ في سَمائِنَا خَفَقْ
فَلِلْيَمِينِ مُنْتَمى ... وَلِلْيَسَارِ مُعْتَنِقْ
مُخَادِعٌ وَلاَؤُهُ فَهَمُّهُ أَنْ يَرْتَزِقْ
فَلِلضَّياعِ إِنْ خَطا وَلِلضَّلالِ إن نَطَقْ
يَبِيعُ حَتَّى دِينَهُ لَوْ سَاوَموا فِيهِ مَرَقْ

° ° °

فَقُلْ لَنَا يَا صَاحِبي قُلْ كَيْفَ أَنَا نَتَّفِقْ ؟
وَفِي الضُّلُوعِ خَافِقٌ لِغَيْرِ صِدْقٍ مَا خَفَقْ
قَدْ عَاشَ يَعْشَقُ الوَفاءَ مُخْلِصاً لِمَا عَشِقْ ...
لَمْ يَعْرِفِ السُّجُودَ مَرَّةً لِغَيْرِ مَنْ خَلَقْ ..
حَيَاتُه لَا تَسْتَحِقُ كِذْبَةً لَا تَسْتَحِقْ ...

° ° °

يَا طَائِري .. يَا هَاجِري يَا قَاتِلِي .. لَا تَنْطَلِقْ
يَا وَيْلَتِي !! أَنَا الَّذِي هَيَأْتُهُ لِلْمُنْطَلَقْ ...
مَا كُنْتُ أَدْري أَنَنا في لَحْظَةٍ سَنَفْتَرِقْ
وَيَسْتَقِلُّ وَحْدَهُ بَيْنَ الظَّلامِ المُنْطَبِقْ
قَدْ كُنْتُ أَنْوي حِفْظَهُ بَيْنَ الجُفُونِ والحَدَقْ
لَكِنَّهُ .. لَكِنَّني .. لَكِنَّ مَا نَخْشَى سَبَقْ

الإكسير...

قصّـــة الأعجوبـــة التي شـــغلت النـــاس منـــذ آلاف الســـنين

بقلم: محمد عبد القادر الفقي

« المـكان معمل قديم ، قد تبعثر فيه أفران وبواتق وأنابيق ، وأجهزة للتقطير ومنافيخ ، والرجـل القائم فيه عجوز ، قـد انحنى على وعاء عظيم يسلق فيه من البيض ألفين ، وهو من بعـد السلق يقشر البيض فى عناية زائدة ، ثم هو يجمع القشر فى كومة كبيرة ، ثم هو يسخنه على لهب هين حتى يصير أبيض كالثلج ، بينما صـاحب له يقوم بفصل البيض عن صفاره ، ثم هو يقوم بادخال الفسـاد إليهما جميعاً بوضعهما فى روث جاء به من خيول بيضـاء ، ويقوم الرجل ، ويقوم صاحبه ، على تقطير هذه الأنتجة الغريبة ثمانى سنوات طويلة ، وهو يقطرها ويعيـد تقطيرها لاستخراج سائل أبيض خفى غريب وزيت أحمر ... وبهذين المذيبين القويين ، اللذين يذيبـان فى زعمهما كل شىء ، يأمل هذان الـكيماويان أن يستخرجا « حجر الفلاسفة » ، وجاء اليوم الأخير المأمول الذى تظهر فيه نتيجة جهودهما ، ويبدآن يومهما هذا كما بدءا كل يوم ، بأنفاس متلاحقة ، وأنفاس قلق مضطربة ، فيهـا الرجاء كل الرجاء ، وفيها الخشية كل الخشية ، ويختتمان اليوم بالفشـل والخيبة .. إن حجرهما يأبى أن يحول معدناً واحداً من المعادن الخسيسة الى الذهب !! » .

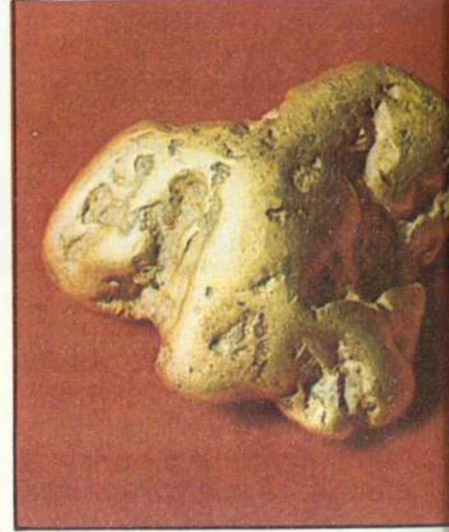


رأس ذهبى من أيام الرومان .. وقد شد بريق الذهب العلماء فحاولوا أن يصنعوه من المعادن الرخيصة



ملكة النمسا إليزابث التى كانت ترتـدى فستاناً مرصعا كله بالذهب والمجوهرات ..

● عدد من علماء الكيمياء يلقون مصرعهم فوق مشنقة ذهبية لعجزهم عن استخراج المعدن النفيس من المعادن الرخيصة !



الذهب فى صورته الأولى وقبل تشكيله فى مصوغات جميلة

قصة واحدة من مئات القصص التى تروى عن « الاكسير » المزعوم ، ذلك الأعجوبة الذى شغل العالم — شرقه وغربه — بالبحث عنه ، قروناً طويلة ، حتى لأكاد أجزم أنه لم تشغل الفكر البشرى مسألة كمسألة البحث عن هذا الاكسير ، اللهم إلا المسألة الأولى فى هذا الوجود وهى البحث عن الخالق الذى أبدع صنعه فى خلق السماوات والأرض ! .

قصة أسند دور البطولة فيها إلى شخصيات مختلفة تنتمى إلى كافة طبقات المجتمع البشرى ، فتارة يقوم بها « سيميائى » ، وطوراً يقوم بها « كيميائى » ، وأحياناً راهب ناسك فتنه بريق الذهب الأصفر ، ومرة ملك ، وأخرى صعلوك .

ولاتكاد توجد على الأرض مادة لم تختبر ، فى سبيل الحصول على الاكسير ! لقد كان البعض على استعداد أن يصنع المستحيل ، وأن يسافر حتى بلاد الواق واق فى سبيل التوصل الى سر هذا الاكسير !

وكانت البداية على يد ديموقريطوس :

كان بولوس ديموقريطوس — كما تقول بعض الروايات التاريخية — هو أول من مهد لفكرة الاكسير الذى يحول المعادن الخسيسة ، كالرصاص ، إلى الذهب !

ولا غرابة فى ذلك ، فإن لفظة الاكسير — هى فى حد ذاتها — مشتقة من كلمة اغريقية معناها



قلادة مشهورة فى منطقة الخليج العربى .. وهى من الذهب .

(جاف) ، وربما كان ذلك لاعتقاد البعض أن الاكسير يجب أن يكون جافاً وصلباً ، أى حجراً ، ولا غرو أن تكون من بين تسمياته الشهيرة ذلك الاصطلاح الذى شاع فى العالم ، أعني (حجر الفلاسفة) .

ولقد كان بولوس ديموقريطوس يجمع بين الفلسفة والسيمياء (والسيمياء هى علم الكيمياء القديم) ، وقد حاول هذا الرجل أن يجمع بين خبرة المصريين العملية فى استخلاص الفلزات وبين نظريات أرسطو ، وكان يعلم أنه إذا عولجت الفلزات معالجة معينة فإن لونها يتغير ، على سبيل المثال ، إذا مزج النحاس الأحمر بالخارصين (الزنك) ، وهو فلز رمادى اللون ، حصلنا على سبيكة من النحاس الأصفر يشبه لونها لون الذهب ، وقد تراءى إلى بولوس أنه ما دام أصبح فى الامكان الحصول على لون الذهب ، فما هى إلا خطوة أخرى حتى يمكن الحصول على الذهب نفسه ، ومادام الرصاص والذهب ، بناء على نظريات أرسطو ، يتكونان من العناصر الأربعة (وهى التراب والماء والهواء والنار) ، لذلك ، تساءل ديموقريطوس : ألا يمكن تحويل الرصاص إلى الذهب عن طريق تغيير نسب هذه العناصر تغييرا مناسباً ؟

ولم يقف بولوس عند حد السؤال ، وإنما — كما تحكى كتب التاريخ الاغريقي — بدأ يجرى سلسلة من التجارب ، من شتى الأنواع ، لتحويل الرصاص إلى ذهب .

ومنذ ذلك الحين تحمس الكثيرون لفكرة بولوس ، وتبنى نظريته عدد كبير من الناس بتحمس شديد ، واستمر حلم تحويل المعادن

الإكسير...

قصة الأعجوبة التي شغلت الناس منذ آلاف السنين

الخسيسة إلى ذهب يداعب خيال الكثيرين حتى وقت قريب جداً !

ومن الطريف أن نجد رجلا كالامبراطور الرومانى دقلديانوس يحارب هذه الفكرة ، لا لشىء إلا مخافة أن يتعلم الرعاع صنع الذهب عن طريق الاكسير ، ومن ثم ينهار نظام النقد ، وتنهار كذلك اقتصاديات الامبراطورية الرومانية ، ولذلك دعا هذا الرجل إلى إصدار الأمر باتلاف جميع الكتب السيميائية ، سواء ما كان منها يعالج قضية الاكسير ، أو لا يعالجها من قريب أو بعيد !

غير أن أبحاث السيميائيين لم تقف عند حد معين ، وكيف تقف وهم مقتنعون تمام الاقتناع بأنه يمكن تحويل المادة من صورة إلى أخرى ، ومن عنصر إلى عنصر آخر مخالف ؟ لقد كانوا يرون بأعينهم أوعية من الحديد تغمر فى ما يخرج من نبع ، يحتوى أملاح النحاس ، فتخرج تلك الأوعية وقد غطي سطحها بطبقة من معدن النحاس الأحمر ، وفى الواقع ، لم تكن طبيعة التفاعلات الكيميائية قد درست أو فهمت جيداً يومذاك ، حتى يمكن فهم سر ترسب فلز النحاس على الحديد ، نتيجة لإزاحة الأخير للأول من كبريتات النحاس حين يغمس الحديد فيها .

وكان السيميائيون أيضاً يرون كيف يخرج من خامة سوداء قذرة ــ عند صهرها بالنار ــ لفترة طويلة ــ معدن جميل براق ، وذلك بعد أن يزول عن الخامة ما فيها من خبث ، وكثيراً ما كانت تخرج الفضة والذهب ، بكميات غاية فى الصغر ، من الكثير من الخامات ، نظراً لوجودهما فى الطبيعة بهذه الخامات ، وقد استنتج السيميائيون أن الزيادة فى الصهر تزيد من مقدار الفضة ومقدار الذهب ، ومن ثم كانوا يسهرون الليالى الطوال يصهرون الخامات أملا فى الحصول على الذهب ، أو الاكسير ! ، بل انهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، إلى احتمال أن تتحول الخامة كلها إلى ذلك المعدن الأصفر الجميل ، إلى الذهب ، وكانت فروضهم لاحتمال حدوث ذلك معقولة ، خاصة بعد أن نظروا إلى ما يحدث فى الطبيعة من ناحية ، وفى جسم الانسان من ناحية أخرى ، من معجزات ؟! أفليس الرجل يأكل طعامه فلا يلبث أن يتحول الطعام إلى دم ، وفى غير جسم الانسان ، ألا يحول النبات التربة الزراعية إلى أوراق خضراء وإلى ثمرات مختلفة الألوان والمذاق والرائحة ؟ وكان فى السيميائيين بعض ذوى الأمزجة الصوفية الذين رأوا أن الحصول على الذهب من المعادن الخسيسة لا يتم إلا بقتل المادة الأصلية واستبدالها بعنصر جديد ، ولذلك ، فقد أنفقوا سنوات عمرهم فى الكشف عن سر المادة التى تقتل روح المادة الأصلية لكى تحولها إلى ذهب ، والتى قلنا عنها أنها الاكسير .

المسلمون والاكسير

تنسب إلى جابر بن حيان ــ أحد عباقرة المسلمين ــ عدة كتب وآراء ونظريات فى السيمياء ، وفضلا عن ذلك ، لم يكن هذا العلامة مقتنعاً بأن جميع المواد تتكون من عناصر أرسطو الأربعة (الماء والتراب والهواء والنار) ، ومن ثم أخذ جابر بن حيان يواصل التفكير فى آراء جديدة فى مسألة الاكسير .

وقد بنى جابر تفكيره على ما كان واضحاً من أن خواص الفلزات واللافلزات كانت على طرفى نقيض ، فهل من الممكن أن تكون ــ الفلزات واللافلزات ــ مكونة من التراب ، ذلك العنصر الذى يمثل الصلابة ؟ ولذلك ، قرر جابر أن الفلزات لابد أن تحتوى على جوهر خاص إذا أضيف إلى التراب بنسب مختلفة ، نشأت أنواع مختلفة من الفلزات الفردية ، كما قرر أن طبيعة كل فلز تتوقف على نسبة ما أضيف من ذلك الجوهر إلى التراب ، ولابد أن الزئبق يحتوى على أكبر نسبة من ذلك الجوهر ، لأنه سائل ، ومن ثم فلا يحتوى إلا على نسبة ضئيلة من التراب .

وأيضاً ، لاحظ جابر بن حيان أن أنواعاً معينة من اللافلزات تشتعل ، فى حين أن الفلزات لا تفعل ، وقد علل هذه الظاهرة بأنه لابد من وجود جوهر خاص ، إذا أضيف إلى مادة ما أكسبه خاصية « القابلية للاشتعال » ، وقرر أن الكبريت لابد أن يحتوى على كمية كبيرة من هذا الجوهر ، لأن الكبريت يشتعل بسهولة ، ومن ثم كان جوهر الاحتراق عنده هو « الكبريت » .

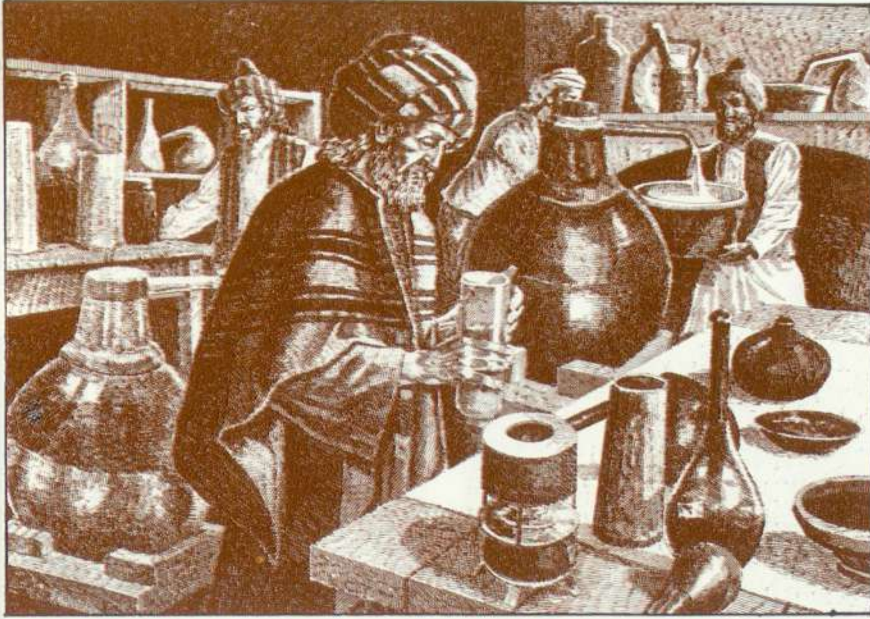
وتوصل جابر إلى هذه النتيجة ، وهى أن جميع المواد الصلبة تتركب من جوهرى « الزئبق » و « الكبريت » ، ومن ثم فما علينا إلا أن نغير تركيب مادة ما ، إذا كان ذلك ممكناً ، حتى نراها تتحول إلى ذهب .

ولذلك ، اهتم السيميائيون القدامى اهتماماً كبيراً بالزئبق كأحد أركان الاكسير ، يقول جابر بن حيان : « لاتشد عليه النار فى أول التدبير فيفر » ، ومعنى ذلك أنهم عرفوا أن النار القوية تجعل الزئبق يطير ، وهذا صحيح علمياً ، فالزئبق يتبخر عند درجة حرارة ٣٠٠ مئوية ، أما النار الخفيفة فتحوله ببطء إلى أوكسيد الزئبق .

وقد حضر السيميائيون المسلمون الزئبق بتسخين « القنبار » ، وهو مادة ترابية حمراء إذا سخنت تحللت إلى كبريت يحترق وزئبق يبقى فى الإناء ، ولاشك أن خروج الزئبق بخواصه التى نعلمها من جسم ترابى وعودته إلى حالة التراب حين يتأكسد ، كل ذلك بالنار ، قد أوجد أمام هؤلاء السيميائيين مجالا واسعاً لتفسير طبائع الأجسام ، والحلم بالحصول على الذهب من الرمال أو المعادن الأخرى عن طريق التسخين . ومن الجدير بالذكر ، أن الحلم بالاكسير ، أو بتحويل العناصر من حالة إلى حالة أخرى لم يكن مقبولا من جانب بعض علماء المسلمين ، فابن سينا ــ على سبيل المثال ــ كان يرفض تماماً فكرة تحول عنصر إلى عنصر ، وله رسالة فى ذلك ، وقد ذهب بعض العلماء مذهب ابن سينا فى ذلك الرفض .

تحضير الاكسير

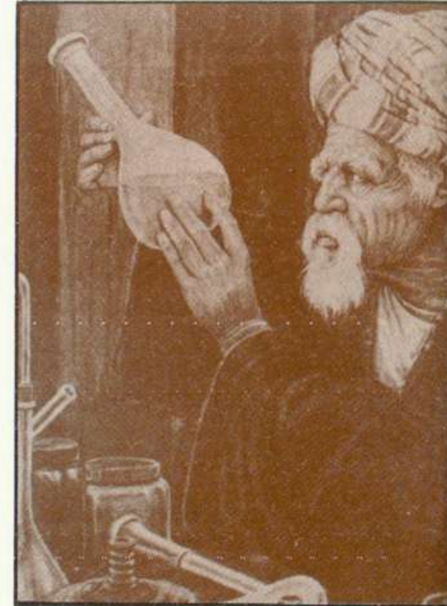
اختلفت طرق تحضير الاكسير وتنوعت ، وكان السيميائى القديم لا يترك مادة يقع عليها بصره أو تطوف ذكراها بخياله دون أن يحاول اختبارها للحصول على الاكسير المزعوم ، وكان كتابع السراب يحلم بالماء فى الصحارى الجافة ، وكم كان الواحد منهم يذيب ويبلور صفوفاً كثيرة



العالم العربى جابر بن حيان الذى واصل التفكير فى آراء جديدة عن الأكسير (الذهب)

من المعدنيات ومن الأملاح الطبيعية ، وكان يفعل الشيء الواحد مرة ، ومرتين ، وعشر مرات ، ومائة مرة ، فكان يذيب ويجبن ويكلس الشب والزاج الأخضر ، وكل مادة نباتية أو حيوانية ، سواء أكانت عشباً أو زهراً أو لحماً أو حتى روثا ، يضعها فى الأنابيق وفى المعوجات ، ويعالجها بالغلي وبالترجيع وبالتقطير وبالتكثيف ، وبالصهر وبالاشعال ، وبالتبسيط وبالتكرار وبالتبخير ، وبالضم والقران ، وبالترفيع وبالتصعيد ، وبعمليات أخرى عديدة : فيزيائية أو كيميائية .

وقد جاء فى كتاب الملك أن الاكسير « قد يخرج — وحق سيدى — للكثير من الناس بالاتفاق — أى بالمصادفة — ويحصل فى أيديهم على غاية ما يكون من الفضيلة فلا يعرفونه ويضيعونه ، وقد يعرفونه بعدما يفقدونه ، فيجتهدون فى إعادته ثانية فلا يقدرون عليه إلى أن يموتوا بحسرته » ، وقال بعض السيميائيين : « إن تدبيره لا يفهمه إلا الواصل ، والواصل فى غنى عن ذلك » ، وقال جابر بن حيان : « إن العلماء كتمت وقت العمل فى كل تدبير » ، وكان جابر يوصي الباحثين عن الاكسير بالعمل فى السر ، حيث يقول : « بالله عليكم لا تجعلوا سهولة صنع الذهب تغريكم فتفضحوا سر صنعه ، أو تطلعوا أحداً ممن حولكم على طريقة صناعته ، كان هذا من كان ، وسواء أكان زوجكم ، أو كان ابنكم ، أو أحداً آخر ليس تجمعكم واياه قرابة ، وأنتم إذا لم تنتصحوا بالذى أنصحكم به فسوف تندمون حين لا ينفع الندم ، إنكم إذا فضحتم السر فقد أفسدتموه ، ذلك أن الذهب من بعد ذلك سوف يصنع فى سهولة ، كالسهولة التى يصنع بها الزجاج للأسواق » .



سينا .. كان يرفض فكرة الحلم بالحصول على ... من الرمال أو المعادن الأخرى

فى العصور الوسطى

شغلت مسألة البحث عن الاكسير كافة الشعوب والمجتمعات ، وجميع طوائف الشعب الواحد . وفى أوروبا فى العصور الوسطى ، نجد بعض رجال الدين المسيحى يهتمون بهذه المسألة اهتماماً بارزاً ، مثل الراهب الفرنسى جتفريدس لوربيه والبابا جون الثانى عشر الذى شاع عنه أنه أقام معملا كيماوياً شهيراً فى مدينة أفنيون بفرنسا ، وعمل فيه بنفسه بغية صنع الذهب ، وأنه جمع لنفسه من تلك الصناعة ثروة بلغت ١٨ مليوناً من الفلورينات ، وأنه كان يحمى نفسه من منافسيه الكيميائيين بالأوامر البابوية يصدر منها الأمر بعد الأمر .

حمى البحث عن الاكسير

وصلت حمى البحث عن الاكسير إلى ملوك أوروبا ، وكان الملوك فى انجلترا ، على سبيل المثال ، ابتداء من عصر الملك هنرى الخامس ، يمنحون بين حين وآخر ، بعض الأفراد ترخيصاً بالاشتغال بمسألة صنع الذهب ، وكان هدفهم من ذلك أن يسيطروا على الذهب بأنفسهم .

كما تعرض بعض الملوك لعمليات نصب وخداع من قبل بعض الأفاقين الذين زعموا أنهم على دراية بسر صناعة الذهب من المعادن الخسيسة ، وكثر عدد الذين ادعوا أن النجاح كان حليفهم ، ومن أشهر هؤلاء عالم أسبانى يدعى (رامون للى) ، فقد نسب إليه أنه صنع ذهباً لادوارد الأول ملك انجلترا ، ولكنه بالطبع لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل فى الواقع يبدو أن (للى) كان من السيميائيين القلائل الذين لم يكونوا يعتقدون بأن تحويل الفلزات من الأمور الممكنة ، وبالرغم من ذلك ، فإن الناس كانوا متحمسين لتصديق قصة هذا الانجاز المزعوم ! .

وتحكى كتب التاريخ التى تتناول سيرة حكام أوروبا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كيف كان هؤلاء الحكام يميلون إلى تصديق السيميائيين الذين كانوا يزعمون لهم أن الذهب يمكن صنعه من الحديد ، مثال ذلك ما يروى عن كريستيان الرابع ملك الدانمرك الذى كان يضرب عملته الذهبية خلال المدة من ١٥٨٨ إلى ١٦٤٨ من الذهب الذى كان يصنعه له أحد السيميائيين ، وكذلك فعل فرديناند الثالث امبراطور الدولة الرومانية خلال الفترة من ١٦٣٧ إلى ١٦٥٧ .

على أن بعض الملوك والأمراء كانوا يتوعدون السيميائيين بأقصى أنواع العذاب إن هم فشلوا فى تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب ، وسجلات التاريخ مليئة بقصص من حياة دجالين افتضحوا وماتوا شر ميتة ، منهم ماركو براجادينو الذى شنقه أمير بافاريا ، ومنهم وليم دى كرونيمان الذى شنقه مركيز بيروث ، ومنهم امرأة تدعى مارى زجلرين حرقها يوليوس دوق برنزويك ، أما فريدريك أمير فرتزبرج فقد نصب مشنقة ، وجعلها قائمة دائمة ، يشنق بها كل من وعده بانتاج الذهب ولم ينتج ، ودهن هذا الأمير المشنقة باللون الذهبى إمعاناً فى السخرية والاستهزاء ! .

وفى العصر الحديث تحقق حلم الاكسير .. لكن !

مع التطور العلمى الهائل الذى حدث فى القرن العشرين ، تحقق حلم الإنسان فى الحصول على الذهب من المعادن الأخرى الأقل قيمة ، ولم يكن الأكسير الذى استخدم لتحقيق هذا الحلم شيئاً معروفاً من قبل ، وإنما كان بعض المكونات الدقيقة للذرة التى عرف الانسان أسرارها مؤخراً .

لقد تمكن العلماء من الحصول على الذهب من فلز الزئبق الذى كان القدماء يحلمون بتحويله إلى ذهب ، وذلك عن طريق استخدام قذائف نووية من الجسيمات الدقيقة الذرية ، كما تمكن العلماء أيضاً من الحصول على الذهب عام ١٩٣٦ فى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك عن طريق قذف عنصري الايريديوم والبلاتين بنيوترونات ذات طاقة عالية ، إلا أن الذهب المتكون بهذه الطرق غير مستقر كيميائياً ، إذ أنه سرعان ما يتحلل بمجرد أن يتكون .

وقد تمكن العلماء مؤخراً فى جامعة كولومبيا من الحصول على الذهب من البلاتين عن طريق وضع البلاتين بجوار عنصر الراديوم المشع الذى تنطلق منه دقائق صغيرة تحول البلاتين إلى ذهب مشع ، وهكذا ، يتحقق قول الشاعر : « ولكن من الأحلام ما يتوقع » ، ولكن للأسف ، فإن البلاتين الذى يحضر منه الذهب أغلى ، وتكاليف عملية التحويل هذه باهظة ! !

محمد عبد القادر الفقى

أهم المراجع :

١ — برنارد جاف — بواتق وأنابيق — ترجمة د . أحمد زكي — مكتبة النهضة المصرية ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة .

٢ — البحث عن العناصر — تأليف اسحاق اسيمون وترجمة اسماعيل حقى — مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٨ .

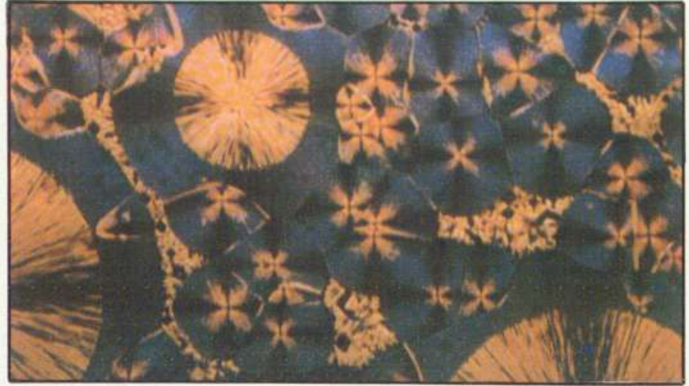
٣ — ألان هاريسون ، « الذهب » ، الولايات المتحدة — ١٩٤٨ .

عندما تتحول الخضرة إلى أرقام





كان من المتوقع والميسور أن يضع صاحب هذا البيت لافتة معدنية تحمل هذا الرقم الواضح ـ أى ٥٠ ، لكن ذهنه تفتق عن فكرة مبتكرة وجميلة ، فراح يشذب جزءاً من الأعشاب النباتية النامية كسور حول منزله ، حتى أخرج منها رقم البيت ، وهو هنا قد ضرب عصفورين بحجر واحد ، أولهما أن يوضح لغيره أنه صاحب أفكار تنطوى على لسة من لسات الفن والجمال ، وثانيهما أن ييسر لزواره معرفة البيت دون أدنى عناء ، ولقد جاءت هذه اللقطة المثيرة كتعبير حي لما تنطوى عليه النفس البشرية من حب وميل لكل ما هو طبيعى ، ولاشك أن للناس فيما يعشقون مذاهب ، خاصة إذا كان فى هذا العشق ما يريح نفوس الآخرين .. ومع ذلك ، فهذه اللقطة متروكة لتقديرك ، فربما تستحسنها ، وربما يراها غيرك « تقليعة » لمجرد جذب الأنظار ، أو دعاية بدائية لصاحب الدار .



جمال لا يراه الناس

يعيش العلماء حياة البشر فى حين ، وفى حين آخر يعيشون مع عوالم أخرى لا يراها الناس ، فهؤلاء يرون الظاهر ، لكن العلماء يرون كثيراً من الباطن ، وغالباً ما يكون هذا الباطن مطوياً على نظام جميل ، وتناسق عظيم ، وهذا ما توضحه تلك اللقطة الغريبة ، التى تبدو بتشكيلات مثيرة ، لأنها جاءت مكبرة بالميكروسكوب مئات المرات ، وهى ـ كما ترى ـ تنطوى على تناسق يعبر عن نفسه أجمل تعبير ، وكأنما هى من عمل فنان يقدر الزوايا ، وينظم الأشكال ، ويوزع اللمسات الجمالية بفن واقتدار .. ترى ، ماذا تعنى هذه اللوحة ؟ .. الواقع أنها لاحدى المواد التخليقية المعروفة باللدائن والتى تنتج من عمليات كيميائية يطلق عليها البلمرة ، اى التى تتشابك فيها جزئيات المادة الصغيرة المتجانسة ، لتؤدى الى جزئيات أكبر فأكبر ، فيظهر على أساسها النايلون أو البولى استر أو الباكالايت .. الخ ، والصورة توضح بلمرة مادة السيليكون (الرمل) عندما صهر ثم تجمد ، ثم قطع الى شرائح رقيقة ، فظهر تحت عدسات الميكروسكوب على هيئتين مختلفتين ، وللعلماء فى هذه التكوينات شرح وتعليل يتشعب الحديث فيها ويطول ، وأيا كانت الأمور ، فان العين البشرية قاصرة عن رؤية ما تنطوى عليه هذه العوالم الدقيقة من نظم مثيرة ، ولهذا فما أعظم ما يخفى على الحواس ، وما أكثر مالا يراه الناس .

بيت من الفقاقيع





كل كائن حي ينشد الأمان ، ويطلب الحماية ، ولكل وسيلته التى يراها مناسبة وفعالة ، وفى ذلك تختلف الكائنات اختلافاً عظيماً ، لكن أحياناً يجيء تصميم البيت بأنماط غريبة من مواد البناء ، الا أن أغرب نمط هو ما تراه فى هذه اللقطة ، فلقد غاب صاحب البيت واختفى تحت سقف من الفقاقيع (الى اليمين) ورغم أن الفقاقيع واهية ، الا أنها فعالة ، وتخدم الغرض تماماً ، بدليل أنها قد عبرت بأجيال المخلوق الذى يسكنها عشرات الملايين من السنين ، هذا وصاحب بيت الفقاقيع يسمى « الباصوق » .. وهو اسم على مسمى ، لأنه يبصق لعابه على هيئة رغوة ذات فقاقيع ، وله فى ذلك وسيلة مبتكرة ، تشبه فكرة مضحكة ماصة كابسة ، فعندما تقف يرقة الباصوق على سطح نبات غض ، تمتص عصارته ، وتخلطها بمادة لعابية تشبه الصابون ، ثم تضخ الخليط مع شيء من الهواء ، فيتحول الى فقاقيع (بدايتها فى الصورة إلى اليسار) ، والفقاقيع ذات طعم ردىء ، وبهذا تحميها من الكائنات الأقوى التى تسول لها نفسها اصطيادها .. بقى أن نعرف أن الفقاقيع تقاوم عملية البخر لفترات تطول ، حتى تكمل اليرقة أطوار حياتها ، وتصبح حشرة يافعة .. فأنعم بها من فكرة حشرية .



وبيت من الخشب

الحياة حرص وتنمر وحذر ، ومن لا يأخذ حذره ، فلا يلومن الا نفسه ، يستوى فى ذلك أرقى وأضأل المخلوقات ، وهذه اللقطة المثيرة خير تعبير لتلك الحقيقة ، إذ هى لدودة أو يرقة تعرف باسم دودة الحقيبة ، والاسم أيضاً على مسمى ، فهذه الدودة تخرج الى الحياة ضعيفة ، وكأنما هى تدرك أن القوى يأكل الضعيف ، ولكى تؤمن على حياتها ، راحت تبنى لنفسها بيتاً ، لتحتمى فيه ، وتأوى إليه ، وهى تبدأ أولا فى طلب الحماية قبل أن تطلب الطعام ، وحسناً فعلت ، والا راحت فى خبر كان .. من أجل هذا تهديها غريزتها منذ الصغر الى تجهيز « خوذة » من القش الصغير ، فتضم القشة بجوار القشة بخيوط من حرير ، وتغطى بها رأسها ، وجزءاً من جسمها ، وبمرور الزمن تأكل وتنمو وتكبر ، ولابد أن يتسع سكنها ، ليوافق نموها ، وعندئذ تبحث عن خامات أكثر صلابة ، وأكفأ تمويها ، فتقطعها من مصادرها ، وترصها وتثبتها بمزيد من خيوط الحرير ، وبهذا تحمل بيتها الخشبى على ظهرها وبه تسير ، ولولا هذه الصورة الواقعية لظن البعض أن ذلك ضرباً من الأساطير !

ناقد كبير يفتري على شكسبير

● لماذا شنَّ بن جونسن حملة عنيفة ضد شكسبير بعد وفاته ووصفه بأنه كان فنانًا مضحكًا؟

بقلم: عبد الحق فاضل

ليس مستغرباً من ضعاف الأدباء أن يتورطوا في نقد مالا يفهمون ، لكن من المستغرب جداً من أديب وشاعر ومؤلف مسرحي خطير مثل بن جونسن (١) أن يتدهور في وهدة كهذه تتوارثها الأجيال . وأكثر غرابة ألا يتصدى فرد من الشراح الشكسبيريين لدحض خطأ جونسن دفاعاً عن صواب شكسبير .



وليم شكسبير .. هاجمه بن جونسن وفتح ضده باب السخرية والتهكم على مصراعيه .. ثم عاد ليمدحه في موقف متناقض !

قال بن جونسن في كتابه (خشب) عن شكسبير : «لقد سقط مراراً في تلك الأشياء (٢) فلم يستطع أن ينجو من الضحك ، فمثلاً قال أحدهم لقيصر(٣) : قيصر انك تظلمني ، فأجابه : إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل ، وأشباه ذلك ، ما كان مضحكاً » (٣ : ١) .

إن بن جونسن الذي كان يعَد أكبر كتاب المسرح وأبرز شخصية أدبية في بريطانيا ، بعد وفاة شكسبير ، هو الذي يسقط هنا سقطتين كبيرتين .

أولاهما مرفوضة حتى لو صدرت عن بعض المبتدئين من المسرحيين .

فان من البَداهة أن ما يقوله شخوص التمثيلية إنما يعبر عن نفس المتكلم لا عن نفس المؤلف .

فهذه العبارة التي أضحكت جونسن لم يقلها شكسبير ، بل قيصر .

وقيصر — لا شكسبير — هو الذي يحاسَب على ما فيها من خطأ إن كان فيها خطأ .

فلمَ لا نقول ، بل لَم يقل بن جونسن الذي يحسب العبارة مغلوطة متناقضة مع نفسها باعتبار الظلم والسبب العادل لايجتمعان — أنها من هفوات قيصر التعبيرية ، أي أن شكسبير أراد بها تصوير أسلوب قيصر في الكلام ، بدلاً من عدها من هفوات المؤلف ؟ لكن بن جونسن لم يميز بين قيصر وشكسبير .

وعَمَى التمييز بين المؤلف وشخصياته آفة قاصمة لظهر الفن .

ولو كان ما يقوله الشخوص معبراً عن شخص المؤلف لالتزموا جميعاً بمنطق واحد — سديد أو **فاسد — ولا نهار مبدأ الحوار وانتقض الفن المسرحي من أُس قواعده .**

وهل انتقد جونسن يا ترى قول اكتافيوس زعماً أنه كلام شكسبير : « إن بعض من يبتسمون لنا أخشى أنهم يضمرون في قلوبهم ملايين الإساءات » **(في المسرحية ١/٤ : ٥٠) . باعتبار أن الاساءات مهما كثرت لا تعد بالملايين ؟**

ثم إن كلمة قيصر تلك التي يزدريها جونسن ويضحك منها ضحكاً بلغ صداه مسامعنا عبر القرون ، ليست صحيحة فقط بل ورائعة . إنها تطبيق بارع للقالة العربية القدمَى : « البلاغة الايجاز » ، فقوله « إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل » يفهم البلغاء وأهل الفطنة أنه يعني « إن قيصر لم يظلم قط (ولم يعاقب) إلا بسبب عادل » .

وبديهي أن هذه الصياغة الأخيرة أوضح من عبارة شكسبير المكثفة وأقرب إلى بساطة الفهم .

لكن هل هو شكسبير الذي تجوز مطالبته بالتبسيط والتسطيح ؟

هذه القالة الشكسبيرية تذكرنا بالآية الكريمة : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » الأنعام — ١٥١) . والمعنى الذي يفهمه بن جونسن من هذه الآية : كيف يمكن قتل النفس (التي حرم الله) بالحق ؟ أما ما يفهمه ويعجب به الفاهمون



الشاعر والمؤلف المسرحي بنجامين جونسن الذي شن حملة عنيفة ظالمة ضد شكسبير

فهو « لا تقتلوا النفس إلا بالحق ، فان الله حرم قتلها بغير حق » .

لكن تركيز المعنى بإزالة المكرر ، وإعادة صياغة العبارة بقلبها هذه القلبة الفنية المثيرة ، جعلها مرصوصة مشحونة على هذا الشكل ، واذا بالمعنى أعلى وأغلى وأحلى .

ولم يتطرق المفسرون فيما يظهر ، حتى الزمخشري في كشافه إلى هذه النقطة ، بل النكتة البلاغية ، واكتفوا من تفسير الآية بناحيتها العقابية ، ربما لأنهم عدوها أوضح من أن تحتاج إلى مزيد وضوح .

آية مكتنزة أخرى : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » (النساء — ٢٩) . سيظن جونسن إذا هو قرأها أنها تعني جواز أكل المؤمنين أموالهم بينهم بالباطل اذا كانت تجارة عن تراض منهم .

ويلحظ القارئ من غير ريب ما في تعبير(لا تأكلوا أموالكم بينكم) من إختزال فني لتعبير (لا يأكل بعضكم أموال بعض) أو (لا تأكلوا أموال بعضكم بعضا) .

وفي القرآن عينات كثيرات من روائع الاختزال يتمثل فيهن فن البلاغة بالحذف . وهي فيما نعتقد من جملة المفاتن النفسانية والذوقية التي خلبت ألباب عرب الحقبة بالبيان القرآني .

وإنما تكمن لذة عبارة شكسبير المتلئة الحبلى تلك في هذا الالتواء والتناقض الظاهري .

وهي أنفس من عشرين عبارة مسطحة يصوغها لنا جونسن لأداء هذا المعنى . وكأني بشكسبير قد قال : إن قيصر لم يعاقب بريئاً إلا بالحق .. تلك إذن غلطة جونسن لا غلطة شكسبير .

قال بروتس في خطابه يبرر إشتراكه في اغتيال قيصر : « ... لا لأني أقل حباً لقيصر ، لكن لأني أكثر حباً لروما » .

في المنطق الأرسطوي لا يمكن أن يكون بروتس أكثر حباً لروما إلا إذا كان أقل حباً لقيصر ، لكن هذا الخلل الشكلي والتداخل في المعنى ، والتنازع بين الأقل والأكثر ، أجمل وأقوى إيحاء مما لو قال « قتلته مع حبي له لأن حبي لروما أكبر » .. وأوقع كذلك في قول أرسطو نفسه فيما أثر عنه : « إني أحب أفلاطون لكن حبي الحقيقة أكبر من حبي أفلاطون » — أو كما قال — مع تسجيل إعجابنا بهذه المقولة .

فكيف يا ترى غفل جونسن عن الضحك من قولة بروتس هذه أيضاً ، في نفس المسرحية ؟ أم تراه انتقدها شفاهاً ، أو تحريراً ولم تحفظها السجلات فحملتها الريح ؟

على أن عبارة شكسبير — أو قيصر — « إن قيصر لم يظلم إلا بسبب عادل » لم ترد بهذا الشكل في الفوليو الأول(٤) لأنها حرفت بتأثير انتقاد جونسن على الأرجح ، فجاء النص في الفوليو هكذا : « اعلم أن قيصر لا يظلم ، ولا هو بغير بينة يمكن اقتناعه » (المسرحية ١/٣ : ٤٧ و ٤٨) .

كلام سليم لكنه عادي وبارد إذا هو قيس بصيغة شكسبير التي ذهب سحرها بهذا التبسيط ، وغدت أقرب إلى ذوق بن جونسن ومتابعيه وهم فيما يظهر جميع النقاد والشراح منذ قرابة أربعة قرون حتى الساعة .

منطق ومنطق .

منطق بن جونسن ومنطق شكسبير ، كلاهما صحيح . والفرق بينهما كالفرق بين (١+٢=٣) والرياضيات العليا .

ونحن إذ نعيد إلى التحفة الشكسبيرية اعتبارها هنا نشكر لجونسن الذي سبب هذا التحريف أن أطلعنا على طراز الكلام الذي يضحكه .

وها هو شكسبير يرد عليه ضحكه كاملاً مع الفائض .

ما أكثر من المؤلفين من يدرجون انتقاد جونسن بنصه في كتبهم دون أن يبدي واحد منهم رأيه فيه أو يعترض عليه انتصاراً لشكسبير كأنهم مجمعون مع بن جونسن على تخطئته .

وأحسب ذلك قد استفز شاعر العرب المتنبي ، فقال نيابة عن أخيه في العبقرية :

أتيت بمنطق (الفن) الأصيل
وكان بقدر ما (حلقت) قيلي (٥)
فعارضه كلام كان منه
بمنزلة النساء من البعول !

— مع المقدار المناسب من اعتذارنا إلى النساء عن تفريط شاعرنا بحقهن .

فرار التمييز

على أثر انتهاء بروتس القاتل من خطابه الذي هيج به العامة فهتفوا له ونددوا بقيصر القتيل ، ارتقى المنبر انطونيو ، ومن جملة ما قال في خطابه التأبيني على جثة قيصر :

كلكم أحببتموه ذات مرة ، لا لغير سبب .
فأي سبب يمنعكم إذن أن تندبوه ؟
إيه أيها التمييز ، لقد
فررت إلى البهائم العجماء ،



ناقد كبير يفتري على شكسبير

فعدم البشر عقولهم . (٢/٣ : ١٠٤ – ١٠٧)
وكان (فرار التمييز) إلى البهائم مادة لانتقاد جونسن وسخريته كذلك .

وفي مسرحيته (كل امرئ معتكر المزاج) (٦) عرض بشكسبير في عدة مطاعن من جملتها قول أحد الشخوص متهكماً : « إن العقل فر منذ عهد بعيد إلى الحيوانات ، كما تعلمون » ، وقول آخر في مسرحية أخرى « عندئذ فر العقل إلى الحيوانات ، فيما أرى » .

يلاحظ أن انطونيو ، صديق قيصر ، بل أصدق أصدقائه ، كان يخطب الجمهور بعد أن أوغرهم بروتس على قيصر الذي كانوا يهتفون له ويمجدونه أمس وحسب ، واذا بهم يذمونه اليوم .

فأراد أنطونيو أن يبكتهم على هذا التقلب ، وأن يشتمهم ، لكنه بدلاً أن يقول لهم في غيظه أنهم أحط إدراكاً من البهائم ، بهذا التعبير الغليظ ، المكشوف ، قالها على طريقته المواربة ، المبطنة ، شبه المهذبة ، بعبارة تؤدي المعنى دون أن تخدش مشاعرهم الكثيفة ، لأنه يريد استجلابهم إلى قضية قيصر القتيل لا تنفيرهم .

وهو أسلوب برهن جونسن نفسه على أنه ناجح جداً ، إلى حد أنه هو الأديب الفهامة لم يدرك المراد بالعبارة ، ناهيك بجمهور العوام .

ولا هو – جونسن – فطن إلى أن مثل هذا الموقف كان قد وقفه (مارللوس) في المشهد الأول من الفصل الأول من نفس المسرحية ، حيث عنف العامة تقريعاً لهم على نسيانهم (بومبي) الذي أحبوه ذات زمان ، قبل أربع سنوات (٧) ، فانهال عليهم سباً ، صريحاً ، مباشراً ، غير مقنع :

يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور (!) إيه أنتم يا غلاظ القلوب ، يا رجال روما القساة .أما عرفتم بومبي ؟ (١/١ : ٣٥ – ٣٧)

أنطونيو كان أكثر كياسة مع غوغائه .
انه رفع مرتبتهم فجعلهم أحط إدراكا من البهائم فحسب ، بدل الجمادات .

ثم هو يستهويهم ببلاغته وضربه على أوتارهم العاطفية . وعندما أفلح في إعادتهم إلى حب قيصر وانحيازهم إليه أخبرهم بأن قيصر أوصى للشعب بكل ممتلكاته ، فطالبوه بقراءة الوصية ، فكان من ألاعيبه الخطابية أن قال لهم لتهييجهم : « ما أنتم خشب ، ما أنتم حجارة ، وانما أنتم بشر (!) .. وما دمتم بشراً فلئن سمعتم وصية قيصر لتؤججن فيكم ناراً » (٢/٣ : ١٤٤ – ١٤٦) .

رد الاعتبار – من حيث قصد أو لم يقصد – إلى بشريتهم حين انقلبوا على بروتس هذه المرة بعد انقلابهم على قيصر .

إن فرار العقل أو انتقاله من شخص الى شخص ، في المعاني المتكررة عند شكسبير في مختلف مسرحياته ، و (فرار العقل) في مسرحيته (يوليوس قيصر) تخفيف لقول (مارللوس) «يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور » آنفاً ، وتشديد لقول كاسيوس في نفس المسرحية « لقد هلكت عقول آبائنا فغدت تحكمنا نفوس أمهاتنا » (٣/١ : ٨٢ – ٨٣) .

وعلى سبيل المثال وحسب نذكر قول القائد الفرنسي في مسرحية (هنري الخامس) عن الجنود الانكليز « إن الرجال يشبهون الكلاب في قوة أجسادهم وخشونة طباعهم ، ويتركون عقولهم عند زوجاتهم » (٣/٧ ص ١١/١٢٢) .

وليس المقصود أن الزوجات أصبحن عاقلات حكيمات بل إن الأزواج أجساد قوية بلا عقول .
ولا ننس أن نكتة (فرار العقل) التي سخر منها جونسن إنما قالها أنطونيو ، لا شكسبير ، وهو المسؤول – مسرحياً – عما فيها من خطأ أو صواب .

وقالها لهم بعد تمجيدهم قيصر وانقلابهم عليه بعد خطبة واحدة . لم ينسوه فقط مثلما نسوا (بومبي) بل جعلوا يثلبونه .
والمقصود طبعاً في جميع الحالات مجموعة الجماهير لا أفراداً معينين منها .

وهذه أيضاً غلطة بن جونسن ، لا غلطة شكسبير . وجدير بالملاحظة كذلك أن انطونيو قال إن الذي فر إلى العجماوات هو التمييز(Judgment) الذي يتعرف به المرء الخير من الشر والحق من الباطل ، وأن فراره صير البشر كأنهم فقدوا العقل كله ، لا ملكة التمييز فقط ، لكن جونسن لم (يميز) بين العقل والتمييز فقال في المرتين من سخريته أن العقل (Reason) هو الذي فر .
إن ذنب شكسبير أن جونسن ومتابعيه لم يستوعبوا هاتين العبارتين الشكسبيريتين الفنيتين .
وهنا ينبري شاعرنا المتنبي مرة أخرى ، ليقضي بين شكسبير ومخاصميه :

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وما دام جونسن قد فتح باب السخرية والتهكم على مصراعيه فمن حق شكسبير كذلك أن يتهكم ويسخر .

ومن غرائب المصادفات أن شكسبير قبل أن يعلم ما سيصيبه من مسرحيته هذه من أباطيل النقاد ، جازاهم فيها على ما سبق أن قدمت أيديهم من انتقادات واهية شفهية وربما تحريرية أيضاً من جونسن وغيره ، فأعد لهم منصوبة (٨) لا أعرف لها مثيلة في سخريتها وفي عمقها وبراعتها ، هي أنه جعلهم يفهمون عكس ما يقرأون ، مما سنميط عنه النقاب حين يأتي دوره عند تناولنا المسرحية .

فكأنما حجز جونسن في المسرحية مكان الصدارة لنفسه بين طائفة النقاد والشراح الذين استطاع شكسبير أن يغشي على أبصارهم أجمعين ، قرابة أربع مئات من السنين .

بحر بوهيميا

عام ١٦١٩ ، بعد ثلاثة أعوام من وفاة شكسبير ، قال جونسن لأحد أصدقائه : « كان شكسبير يعوزه الفن » .

ذلك أن شكسبير « أدخل في مسرحيته (حكاية الشتاء)(٩) عدداً من الرجال يقولون إنهم نكبوا بغرق السفينة في بوهيميا ، حيث لا بحر في الجوار الى نحو مئة ميل » (٤/٤٧) .

هذه غلطة جغرافية لا فنية ، في مفهوم عصرنا . غير أن جونسن معذور لأن الجغرافيا كانت عنده فناً .

والظاهر بالاضافة إلىمفهومه هو أن تعبير (الفن) كان القوم يستعملونه بمعنى العلم فعلاً كالذي وجدناه مثلاً في قول الكاهن (وارد) : « سمعت أن مستر شكسبير كان ذكياً بالفطرة دون أي فن قط» (٥/١٤) – أي دون تعلم .

وبهذا المعنى وحده يمكن فهم قول بن جونسن في تقريظه لمجموعة المسرحيات بعد سنوات أربع :
« يجب ألا أعزو إلى الطبيعة كل شئ ، فإن فنك يا شكسبير المهذب ، يجب أن يحظى بنصيبه . فان الشاعر الحق يصنع ، مثلما أنه يولد »

أي أن معارفه يجب أن توَفى حقها من التقدير إلى جانب موهبته . فعلى هذا يكون معنى انتقاد جونسن آنفاً هو (إن شكسبير تعوزه المعرفة) ، وهي هنا المعرفة بجغرافية بوهيميا .

فلو كان جونسن في مكان شكسبير لكان « يمضي حالاً إلى أقرب خبير جغرافي ، ويمحص القضية تمام التمحيص قبل أن يضيف سطراً واحداً إلى مسرحيته » (٢/ ٢٠٤) .

فاذا دافع المنكران عن صاحبهما هناك فما دفاعهما هنا ؟

إن الأمر أهون من هجوم جونسن ودفاع المنكرين على كل حال ، فقد وجدنا أن شكسبير إنما استعار « ساحل البحر من قصة خيالية لروبرت كرين كان يعمل فيها في تلك الآونة ، ولم يخطر له أن يتحرى المسألة » (٢٠٤/٢) . وما كان ليتحراها حتى لو خطر له أن يفعل .

وما كان ليحجم عن خلق محيط في بوهيميا أو في أي مكان إذا اقتضت حبكته ذلك ، عامداً لا مخطئاً فقط .

الدراما هي التي تهمه لا الجغرافيا ولا التاريخ .

إن تقييم المسرحيات لا يقاس بمقدار ما فيها من علم وجغرافيا بل بمقدار ما تختزنه من فن وتجاوب مع النفس الانسانية ، وبراعة .

تهجمات أخرى

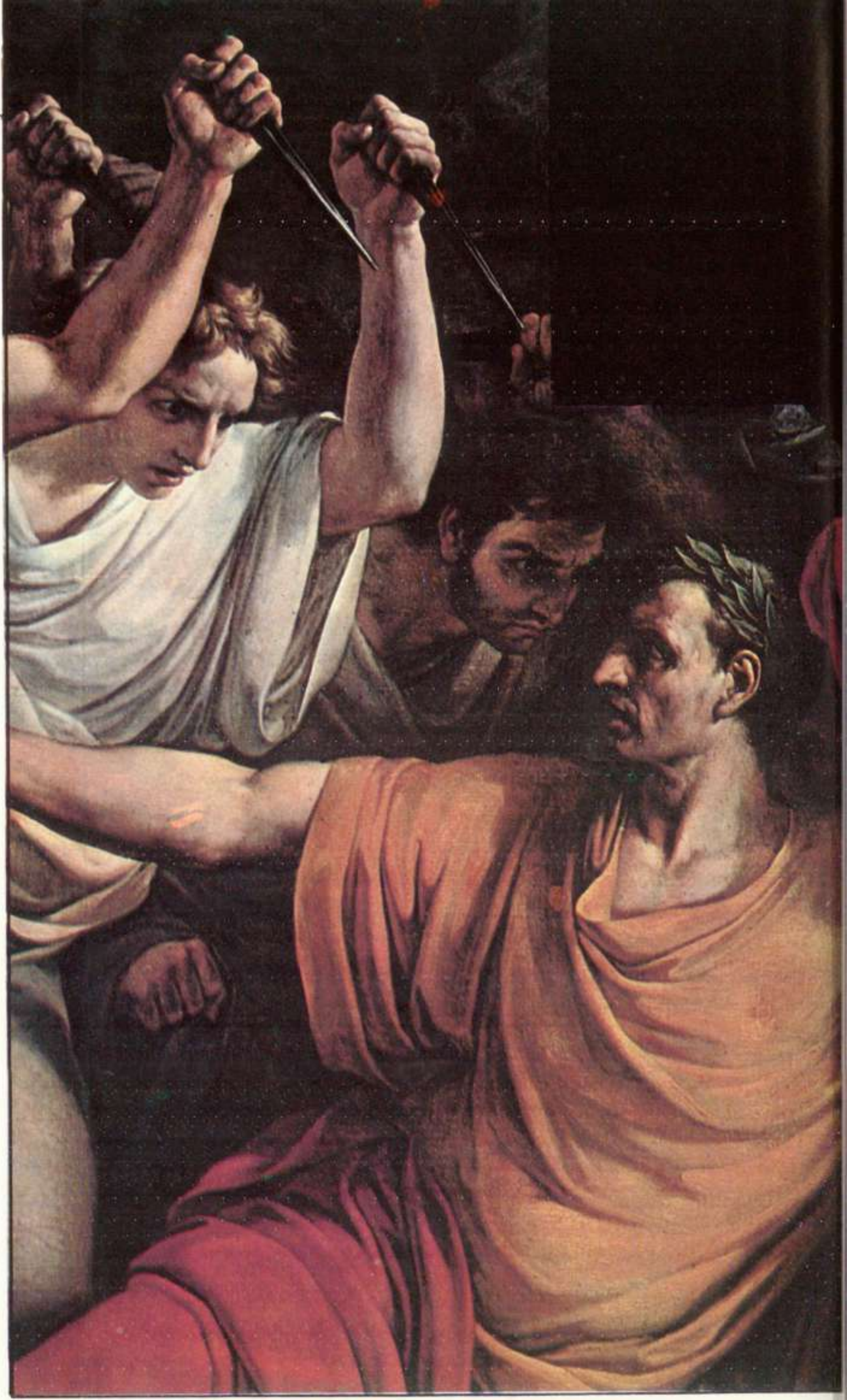
لم تقتصر تهجمات بن جونسن على شكسبير على ما تقدم وإنما أورد في مسلاته (كل امرئ معتكر المزاج) تعريضات مختلفة بشكسبير منها تلميحات إلى مسرحيته (هنري الرابع) ومنها وخزات في (يوليوس قيصر) على الأخص مثل ايراده تعبير « أنت أيضاً يا بروتس ؟ » .

في هزل عابث ، بالاضافة إلى ما سبق ذكره من (فرار العقل إلى الحيوانات) وبالإضافة إلى (عدم الظلم إلا بسبب عادل) ، وإلى السخرية من شعار النبالة الذي كان قد منح لوالد شكسبير ثم ورثه عنه شكسبير .

يعقب (هالليداي) على هذا بقوله ما موجزه : «ربما كان الرد السريع على هذه الطعنات المازحة هو أن شكسبير تناول جونسن المعارض للابتداعية (الرومانسية) في أشد مسرحياته ابتداعية ــ فمثله في شخصية (جاك) السوداوي ... ووسمه باسم يدل حالاً على جونسن لمن كانت له أية معرفة بالفرنسية . وكان جونسن قد وصف نفسه في شخصيته (أسبر) **Aspar** ومن دون تواضع كاذب بأنه « ذو روح مبدع حر ، مولع ومتماد في التقريع دون خوف متحكم في مساوىء العالم ... » ، .. مع هذا إن كان جاك ضربة لجونسن فقد كانت المباراة ودية ولم تكن ضغينة في صورتها الكاريكاتورية » (١٨٠/٥) .

ونعتقد أنه لابد أن لجونسن انتقادات أخرى شفوية كذلك كان يدلي بها لشكسبير نفسه أو لغيره من الناس .

ولسنا نعرف شيئاً عن المناقشات الفنية التي كانت لا محالة تجري بينهما ــ تعقيباً على



الذى قال عنه بروتس بعد أن اشترك فى قتله : لا لأنى أقل حباً لقيصر .. لكن لأنى أكثر حباً لروما

كان جونسن يلتزم في التأليف المسرحي بحقائق العلم ومدونات التاريخ ، ويدرس المراجع ويحقق ويدقق ، ويخضع فنه لمعلوماته لا معلوماته لفنه .. على حين أن شكسبير يتعمد ــ كما فعل في (يوليوس قيصر) مثلاً ــ أن يجانب التاريخ أو يعاكسه أحياناً .

وما يهمه ـ إذا تطلب فنه ــ أن يحور ويحرف .

المنكران (١٠) اللذان يدعيان أن المؤلف شكسبير الحقيقي هو (ايرل اكسفورد) يتطوعان للدفاع عنه بقولهما متحمسين : « إن الذين تابعوا جونسن في السخرية من إشارته إلى ساحل البحر في بوهيميا إنما فضحوا جهلهم بأن بوهيميا في أوج سطوتها كانت تمتد إلى البحر الادرياتيكي (٦٧/٦) .

لكن هل وقعت أحداث المسرحية في ذلك العهد ؟ ثم أن هذه ليست الغلطة الوحيدة في جغرافية شكسبير فإن لها في مختلف مسرحياته لمثيلات .

فبحره في بوهيميا يشبه بحره الوهمي بين ميلانو وفيرونا مثلاً حيث لا بحر ولا سفر من إحدهما إلى الأخرى إلا على اليابسة (١١) .



ناقد كبير يفتري على شكسبير

مسرحياتهما ومسرحيات سواهما من المؤلفين – لكننا نستطيع أن نرجح أنها كانت هادئة ، لأن « شكسبير كان واحداً من الكتاب النادرين الذين لم يشتبك معهم بن جونسن في شجار علني قط » (٢/٢٠٣) .

ندرة الشطب

همينكز وكوندل (٥) ، رفيقا شكسبير اللذان عملا معه في التمثيل وفي تمثيل مسرحياته على الأخص أكثر من عشرين عاماً قالا إنه « كان ذهنه ويده يسيران معاً ، فما كان يفكر فيه كان يقوله بتلك السهولة ، حتى أننا يندر أن تلقينا منه شطباً في أوراقه » .

حقيقة واقعة قد يذهب الوهم بأحد مذهب الشك في صدقها والظن أن الصديقين الوفيين قد افتعلاها أو بالغا فيها ، لولا أن جونسن شهد بها متذمراً وعابها على نحو ينبئ أنها خصلة كانت شائعة عن شكسبير وكان اصدقاؤه ما يفتأون يذكرونها ويشيدون بها مما أثار غيظه ، بينما كان هو ، بن جونسن ، متأنياً ومدققاً في كتاباته .

سجل في دفتر مذكراته في سنوات لاحقة : « إني أتذكر أن الممثلين كثيراً ما ذكروا كمفخرة لشكسبير أنه مهما سطر في كتاباته لم يشطب سطراً قط . وكان جوابي : ليته شطب ألفا ، فكانوا يحسبونه كلام موجدة ، إني لم أقل ذلك للأجيال التالية بل خاطبت جهلهم الذي اختار تلك الظاهرة **لإطراء صديقهم في ما هو على أشد الخطأ فيه ، كان لطيف التعابير ، حين يتدفق بتلك السهولة التي كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف »** (٤/٥٠) .

أما هذه فأشهد أن جونسن محق فيها . ولعلنا لو أحصينا السطور التي كان يحسن بشكسبير أن **يشطبها من مسرحياته الست والثلاثين لأربت على الألف** .

وإن كان المتفق عليه في فن المسرح أن من خصائصه التركيز فإن هذه الخصلة لم تكن دائماً من سجايا شكسبير ، فهو كثيراً ما يتبسط من غير داع في حديثه فتسحبه نشوة الكلام وتدفق القريحة الى مسافات بعيدة عن صدده .

وعجيب أن تفوت شكسبير مثل هذه البديهية غير ما مرة في مسرحياته .

ولا ينقضي عجبنا إلا إذا اكتشفنا أن أمثال هذه السطور المطنبة مدسوسة على شكسبير ، لكن نقد جونسن ينبئ أنها واقع حق .

ويبقى مبرر آخر يشفع لشكسبير في أمثال هذه الهفوات وكل أنواع الهفوات بوجه عام هو أنه لو كان يعيد النظر فيما يكتب لهذب وشذب .

ومبرر ثالث هو أخطاء النسخ والطبع التي ليس في مستطاعنا تقدير مدى تخريبها ، والتي تمنى الزميلان الناشران معها أن لو كان شكسبير حياً ليصحح مآثره بنفسه .

أما نقد جونسن هذا فسواء أكان يمازجه شيء من موجدة وحسد أم لم يكن فأنا شخصياً أعتقد أنه مصيب فيه .

إن تأليف تلك المسرحيات الباهرة دون شطب وتنقيح إلا النادر ، يبدو غريباً لايكاد يقبل التصديق . لكن « كان لشركته فيما بعد كاتب آخر هو (جون فليجر) الذي كان يعمل بنفس الطريقة » ، وقد قال ناشره : « إن كل ما رأيته من يد مستر فليجر كان خلواً من التحشية بين السطور . ويؤكد أصدقاؤه أنه لم يكتب شيئاً مرتين .

ويبدو أنه كان يملك تلك الموهبة النادرة في أن يهيء ويتيقن كل شيء أولاً في ذهنه » .. » (٢/١٥٦) .

ولا نعرف مستوى انتاج فليجر ، لكني أعد ارتجال روائع شكسبير من أعاجيب الدنيا . وهذا الارتجال يبرر الكثير من المآخذ التي كان يجب أن تكون أكبر وأكثر .

شخصية الأديبين

ومن يكون بن جونسن هذا ؟

إنه رجل مزاجي ، خشن الطباع ، تياه بنفسه ، نَدَرَ من أدباء زمانه من لم يشتبك معه في مخاصمة أو مهاترة . و« حين كان يكدح في سطوره التلاوية (الكلاسيكية) المضبوطة ، كان يعيش حياته في تطرفات عنيفة : عرف غيابة السجن ، ثم دخل السجن ثانية لقتله ممثلاً زميلاً (في مبارزة) . وقد أزعج السلطة بانقلابه كاثوليكياً خلال مدة السجن .

وبعد اثنتى عشرة سنة ارتد ثانية بدرجة من الحماس أشد .

وكانت له حزازات مع أناس مسالمين ، وقد ضرب (جون مارستن) وأخذ مسدسه وأخاف (مايكل دراتين) ، وأهان (إينيكو جونز) العظيم .

كان يحب النكات العملية .

وقد صارح رجلاً مزهواً مثل الملك جيمس في وجهه بأنه لايملك أذنا موسيقية .

كان شريباً مكثراً جداً ، « محباً عظيماً لنفسه ، مداحاً لها » ، ورجلاً يحسن الحب ويحسن البغض معاً . « منفعلاً في رقته وغضبه ، غير مبال بأن يكسب ويدخر » .

« صديقه وليم شكسبير يكاد يكون على تمام التضاد . وعلى قدر ما تظهره كل الدلائل المتيسرة ، لم يكن قط في السجن ، ولم يقاتل أحداً في مبارزة ، ولم يحمل ضغينة مطلقاً .

وكان متدبراً جداً في نقوده .

وقد عاش وعمل عشرين سنة بانسجام مع نفس الزمرة من الرجال » (٢/٢٠٤ و ٢٠٥) .

أي أن شكسبير وبن جونسن أشبه بالموجب والسالب في الصورة الفتوغرافية ، ما تراه أبيض في هذه تجده أسود في هذه . لكن لا في السلوك وحسب بل في الفن أيضاً .

وكلاهما متناقض مع نفسه .فبقدر ما كان شكسبير حريصاً مدبراً في أمواله ومتحفظاً ورقيقاً في سلوكه كان منطلقاً متحرراً سادراً في فنه ، عنيفاً سفاحاً في مسرحه ، علاوة على كونه كثير العبث بالحقائق التاريخية والقوانين الفنية المتَعارف عليها .

يقابل ذلك استهتار جونسن بالمال وتسيبه في التصرفات مع حرص شديد على المواصفات المسرحية ورعاية القواعد والألفاظ وطرق التعبير التلادية وتحريم العنف في اللفظ والحركة على الخشبة وما الى ذلك مما نَسَفَه شكسبير ولم يتقيد منه إلا بما يلائمه في الموطن الملائم له ، نزولاً على حكم الحبكة الفنية والاثارة الدرامية والمصلحة التجارية لجذب أوسع جمهور إلى مسرح شركته .

وعنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته واستقامته على خشبة الحياة ، يناظر عنف جونسن وتسيبه في سلوكه على مسرح الحياة مع تحفظه الزائد على مسرح التمثيل .

انطلاق في الفن وتقيد في الحياة يقابله انطلاق في الحياة وتقيد في الفن ، وكأن كل واحد منهما يعوض بقلمه عن ممارساته في حياته .

تصفيته الحساب

بعد كل هذا نرانا نتساءل حيال هذه الاختلاطات :

ما موقف بن جونسن من صديقه الحميم اللدود شكسبير ؟ ويالها صداقة عدائية تنافسية بين رجل فظ كبير القلب من أشد الرجال تطرفاً في زمانه ، وآخر من أرصنهم وأكثرهم دماثة .

إنها مواقف لا موقف .

موقف سوء فهم يشوبه سوء نية ، في مثل التشنيع التهريجي على (الظلم بسبب عادل) و (فرار التمييز إلى العجماوات) وموقف سوء نية خالص مثل الطعن ، والسخرية من شعار النبالة الممنوح لوالد شكسبير .

ثم موقف حسد كالذي يكون عادة بين أبناء الحرفة ، ولا سيما أن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظارة كالمغنطيس بينما كانت مسرحيات بن جونسن التي يعتز بها ويكدح في تدبيجها بعد مراجعة المصادر العلمية والتثبت من صحة كل خبر وقضية ونظرية ولفظة فيها – تمثل في قاعات شبه خاوية ، وأحياناً في نفس القاعة التي تعود فتكتظ بالنظارة حين تمثل فيها مسرحيات شكسبير .

● عنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته على خشبة الحياة.. يناظر عنف جونسن في حياته وتحفظه على مسرح التمثيل!

● هل هو موقف حسد.. لأن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظّارة كالمغناطيس.. بينما مسرحيات بن جونسن تُمثَّل في قاعات شبه خاوية؟!

ثم هناك موقف الخلاف العقائدي في فهم (الفن) من قبيل الاعتراض على غلطة البحر الموهوم في بوهيميا خلافاً لما تصرح به الخرائط الجغرافية والتقيد بالوحدات الثلاث (وحدة المكان والزمان والموضوع)، وتحريم الألفاظ الجديدة، واستهجان العنف في المقال والفعال على المسرح حتى أنهم كانوا يستعيضون عن حوادث القتل بدخول رسول ينبئ الحاضرين بمصرع فلان على يد فلان، فجاءهم شكسبير ليعرض على الخشبة مبارزات بالسيوف ومشاهد تقتيل، إلى آخر ما خرقه من قوانين فنية مطاعة.

وأخيراً هناك موقف النقد النزيه لتدفق شكسبير في الكتابة دون ضبط ولا تنقيح.

ولئن كان جونسن قد آذى شكسبير بأية من الصور وبأي من الدوافع فان إيذاء شكسبير لجونسن قد كان أكبر وأوجع، ولو عن غير قصد، في ثلاثة شؤون على الأقل: خروج شكسبير في فنه على القواعد التي يؤمن بها جونسن ولا يستطيع عنها حولا، وتفوقه الفظيع في الموهبة والنبوغ، ونجاح مسرحياته على الخشبة.

من أجل هذا يلوح أنه كان يبغضه فناناً منشقاً أولا، ويحسده منافساً كاسحاً ثانياً، ومع ذلك فرضت شمائل شكسبير نفسها عليه وأجبرته على أن يحبه انساناً نبيلاً ثالثاً ــ بالرغم من (عيوبه) هذه.

ويظهر في ثناء جونسن نفسه عليه في بعض المواطن وهو الصريح الذي لا يهاب ولا يداجي، ومن اعجاب (هنرى جتل) على أثر التعرف به، ومن تسميته من قبل معاصريه: شكسبير (الحلو) و (المهذب)، ومن حب زميليه اللذين تجشما مشقة جمع مسرحياته الست والثلاثين ونشرها بعد وفاته بسبع سنوات في مجموعة واحدة ــ أنه كان جذاب الشخصية آسرها.

هنا يأتي من جونسن دور (موقف) الحب والاعجاب ليزيد الأمر تعقيداً والمواقف اضطراباً وتضارباً وتداخلاً وتشابكاً:

«لقد أحببت الرجل. واني لأجل ذكراه ــ دونما تعبد ــ بقدر ما يجلها أي أحد. كان أميناً حقاً، ذا طبع متفتح حر، رائع الخيال، جرىء الآراء، لطيف التعابير، حين يتدفق بتلك السهولة التي كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف» (٥٠/٤).

مديح حتى في معرض النقد.

ويأتي الاطراء الأكبر في قصيدة جونسن الرثائية التقريظية التي افتتح بها الناشران مجموعة المسرحيات:

«في ذكرى محبوبي المؤلف وليم شكسبير، وما خلفه لنا» (٣٣٣/٢).

ومما جاء في القصيدة:

«لك النصر يا بريطانيتي، فإن لديك واحداً تقدمينه تدين له كل مسارح أوربا بالتبجيل. إنه لم يكن لعصر، بل لكل زمان» (٤٧/٤).

ومنها:

«أيها التم(١٢) الحلو من نهر (أفون)، أي منظر كانت رؤيتك وقد ظهرت ذات يوم في مياهنا، وحلقت على ضفاف التيمس تلك التحليقات التي فتنت اليزا وجيمس» (٤٧/٤).

وما كان جونسن ليقول هذا لولا تأكده (علمياً!) من افتتان الملكة اليزابث ومن بعدها الملك جيمس فعلا بمسرحيات شكسبير.

ومن التسجيلات الباقية عن ذلك أن الملك جيمس بلغ من استحسانه لمسرحية (تاجر البندقية) التى شاهدها يوم (أحد المرافع). أن طلب إعادتها يوم الثلاثاء التالى (٢٢٩/٥)، أي بفاصل يوم واحد.

«يجب ألا أعزو الى الطبيعة كل شيء، فان فنك ياشكسبير المهذب يجب أن يحظى بنصيبه، فإن الشاعر الحق يصنع، مثلما أنه يولد» (٣٣٤/٢).

وهذا اعتراف بفن شكسبير الذى كان أنكره سابقاً. أي سعة اطلاعه ووفرة معارفه، المكتسبة خارج مقاعد الدرس.. وكأنه تعديل للقالة الشائعة يومئذ، من أنه موهوب وحسب، من جهة، وكأنه تراجع عن قوله إن «شكسبير يفتقر إلى الفن» قبل أربع سنوات، من جهة أخرى.

ولم يستطع جونسن «إن يتمالك عن القول ان شكسبير كان يملك القليل من اللاتينية والأقل من الاغريقية، لكنه استرسل يقول إن أعاظم الدراميين الاغريق وحدهم كان في استطاعتهم مباراته، وأنه حلق فوق جميع معاصريه» (٣٣٣/٢).

ومثلما يتكون اللون الأبيض من مزاج ألوان الطيف الشمسي المختلف بعضها عن بعض ــ تمخض مزيج مشاعر بن جونسن المتباين بعضها عن بعض، عن هذا الحب الفياض والإعجاب الصادق، والاعتراف له بالتفوق، مع الاعتراف ضمنياً بخطئه هو في تخطئة شكسبير أو بضآلة شأن انتقاداته على الأقل بالقياس إلى روائع أعظم الرجلين.

حتى لو افترضنا أنه كان في قصيدته هذه عاطفياً إلى حد ما، ومنساقاً مع العادة المألوفة من المغالاة بعض الشيء في التقريظ كما قد يرى بعضهم، فان تعاظم إرتفاع قدر شكسبير منذ وفاته جيلاً بعد جيل ــ قد جعل إطراء جونسن متزناً ومعتدلا، وربما قاصراً، في معايير جيلنا.

ولا نعلم إلى أين سيصل في معايير أجيال قادمة.

على أن قصيدة جونسن هذه لم تنفع شكسبير في شيء لأنه غني عنها، بقدر ما أفادت جونسن الذى صححت موقفه وخففت من نقمة الأجيال عليه.

ولو لم يكتبها لبقي مذموماً متهماً بالحسد والصغار لدى التاريخ «لا لعصر، بل لكل زمان».

أية كانت الحال فإن جونسن قد صفى حساباته بهذه القصيدة مع مناوئه ومنافسه وصديقه، وحقق لنفسه المصالحة مع ضميره.

عبد الحق فاضل

هوامش:

١ ــ أثل اسمه بنجامين جونسن ثم اختزل.
٢ ــ قوله (مراراً) ينبىء أن له اعتراضات أخرى غير المدونات القليلة التى وصلتنا.
٣ ــ في مسرحية (يوليوس قيصر).
٤ ــ الفوليو الأول هو الطبعة الأولى الكاملة من مجموعة مسرحيات شكسبير الست والثلاثين. صدر عام ١٦٢٣ بعد وفاة شكسبير بسبع سنين. وقد آثرنا استعمال كلمة (الفوليو) بصيغتها هذه الأعجمية لانها أصبحت أشبه باسم العلم.
٥ ــ أصل البيت:
أتيت بمنطق العرب الأصيل
وكان بقدر ما عانيت قيلي
٦ ــ Heminges & Condell
٧ ــ قتل بومبي في ٤٨ ق. م، وقيصر في ٤٤ ق. م.
٨ ــ المنصوبة بالفصحى هي ما يسمى بالدارجة المصرية (المقلب).
٩ ــ Winter's Tale
١٠ ــ هما دوروثي أوكبرن وكارلتن أوكبرن مؤلفا كتاب (شيك ــ سبير) «الرجل الذي وراء الاسم» (٦٧/٦).
١١ ــ مسرحية (سيدان من فيرونا) ــ (١/١: ٥٣ و٥٤).
٠ ــ Every Man out of his Humour
١٢ ــ التم بالفتح كالعم، هو الأوز العراقي، وهو أكبر من الوز حجماً وأطول عنقاً.

الفنـــان التشـــكيـــلي القطـــري .. عـــلي حســـن



الحرف العربي
والصحوة الفنية الجديدة

بقلم: سـلمان المالكـي

يكاد الحرف العربى أن يصبح قاسماً مشتركاً لدى الفنانين التشـــكيليين العرب .. فهو صحوة جديدة ، أو ربما ولع قديم يتجدد عبر أطر حديثه .. لكن يبقى أن لكل فنان رؤيته الخاصة وتفســـيره الخاص أيضاً ، وربما سيبقى الاهتمام بالحرف العربى قائماً مادامت الايحاءات اللامحدودة التى تميزه قائمة ، ومادام بخطوطه اللامتناهية وامتداداته الرائعة يشكل مجالاً خصباً لفنانينا .. ولهذا كان هذا اللقاء مع أحد الفنانين الذين استلهموا من الحرف العربى رؤياهم الخاصة



تكوين

علي حسن واحد من الفنانين التشكيليين القطريين الذين استهواهم الخط العربي ، فاستغرقوا ليس فى خطوطه وشكله المجرد فحسب ، لكن أيضاً ــ وهو الأهم ــ بتعبيراته ومعانيه العديدة ، انه دائم البحث عن الجديد فى هذا الحرف ، لم يكتف بما قدمه بل مازال يسعى بدأب كبير لرسم لوحة حروفية متكاملة تتناسب وعظمة الكلمة ومقدرتها على الفعل .

استخدام الخط العربى

قلت للفنان علي حسن :

• يميل عدد من الفنانين التشكيليين العرب الى استخدام الخط العربى ، حتى أن الأمر أصبح بمثابة ظاهرة تستحق الوقوف عندها طويلاً ، كيف تفسر ذلك من خلال تجربتك مع الخط العربى ؟ .

ــ ثمة ظاهرة لابد من الاشارة اليها وتتلخص فى أن الفنان التشكيلي العربى ابتدأ من حيث انتهى نظيره فى دول العالم وعلى الأخص فى أوروبا ، بمعنى أن مدارس الفن التى عرفها الغرب لم يكن لها وجود فى بلادنا فكان أن عشنا هذا الانقطاع بين ماض نفخر به لم نسجله وحاضر منقطع الجذور يبحث عن هوية ، وطبيعي والأمر هذا أن نعود الى التراث الغائب حتى الآن فكان أن حظي الخط العربى بكل هذا الاهتمام فى محاولة لربط الجذور ووصل ما انقطع .

• وهل ينطبق هذا الأمر على الفن التشكيلي فى الوطن العربى بشكل عام ؟

ــ بشكل عام ، نعم ، لكن هناك خصوصيات معينة تميز عدداً من المناطق العربية ، حيث موضوعات صيد اللؤلؤ على سبيل المثال تشكل سمة أساسية لدول الخليج ، البادية ، الصحراء ، حتى اللباس يختلف عما هو سائد فى دول عربية أخرى ، لاشك اننا نشترك فى نواح عديدة بل وكثيرة لكن تبقى هناك خصوصيات لكل دولة ، أو مجموعة دول كما هو الحال بالنسبة لدول الخليج العربية كما ذكرت .

• ولكن الملاحظ أنك استخدمت الحرف فى جميع لوحاتك ، كيف تلخص تجربتك وإلى أي مدى ساعدك في تحقيق طموحاتك الفنية ؟

ــ هناك سمتان أساسيتان تميزان الحرف العربى .. تعبيره عن معنى معين وطبيعة شكله الطيع الذى يساعدك على التعبير عما هو أكثر من المعنى المتجسد فى الكلمة ، وطبيعى والحال هذا أن تستغرقك التجربة فهو يفتح أمامك مجالات غير محدودة للتعبير ، ودائما اشعر بأن هناك المزيد لأقدمه وطالما لازمني هذا الشعور فأنني بالضرورة



لوحتان تمثلان تجربة الفنان علي حسن فى تشكيل الحرف العربى بصورة جذابة ومتناسقة



الحرف العربي
والصحوة الفنية الجديدة



كتابات : لوحة استخدم فيها الفنان اللون الأبيض والأسود

سأجرب مرة ومرات أخرى .

• هذا يعنى أن لديك شيئاً تسعى لتحقيقه من خلال الحرف العربي ؟ .

ــ بالتأكيد لكن ليس من خلال الحرف العربى فقط بل من خلال اللوحة التشكيلية ككل فالحرف العربى فيها وسيلة للتعبير تماماً كما هو وسيلة لربط التراث الغائب ، لا أدعي بأنني أسعى لتحقيق المعجزات من خلاله ، لكنني بالتأكيد أسعى لأعمال متفردة مميزة .

الأفكار ومشاكل التذوق

وهنا سألت الفنان علي حسن :

• ماذا تريد أن تطرح من خلال لوحاتك ، بمعنى ما هي الأفكار التى تريد ايصالها ؟

ــ من الصعب القول انني أريد طرح أفكار محددة من خلال لوحاتي ، ربما الأصح من ذلك اننى أسعى للتعبير عن مواقف محددة ، هموم محددة وقضايا محددة . اللوحة البعيدة عن هموم

الفنان في سطور

• مواليد ١٩٥٧ .
• سكرتير الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .
• بكالوريوس آداب قسم تاريخ جامعة قطر .
المعارض الجماعية التى شارك بها :
• جميع المعارض المحلية ٨٣ ــ ١٩٨٥ .
• النمسا ــ اليابان ــ كوريا ــ الهند ــ باكستان ــ تركيا ــ المعرض العربي بمدريد
• العيد الوطني لدولة الكويت ١٩٨٤ .
• بينالى القاهرة ١٩٨٤ .
• معرض المؤتمر الرابع لدول مجلس التعاون الخليجي ــ الدوحة .
• معرض المؤتمر الخامس لدول مجلس التعاون الخليجي ــ الكويت .
• المعرض التاسع للفنانين التشكيليين العرب (الكويت) .

المجتمع ليست لوحة ، واللوحة التى لا تصور موقفاً محدداً ليست هى الأخرى لوحة ، لا يمكن أن ترسم لمجرد الرسم أو لمجرد طرح فكرة محددة ، هناك قضايا عديدة لابد من نقلها عبر اللوحة ولئن بدا اهتمامي بالحرف العربى كبيراً فلأنني أحس بأن للكلمة دوراً هاماً فى حياتنا ، منذ أن وجدت هذه الكلمة ونحن مولعون بها وبالتأكيد فأنها قادرة على التعبير عن الكثير من همومنا ومواقفنا .

• ولكن هناك مشكلة تتعلق فى مدى تذوق الجمهور للحركة الفنية التشكيلية أو لمدى تذوق الجمهور للغموض الذى يميز بعضاً منها ، كيف تفسر هذه القضية ؟

ــ لاشك ان الكثير من الفنانين يلجأون الى الغموض أحياناً فى لوحاتهم ، لكن الا ترى معى أن الغموض بات يميز جزءاً كبيراً من حياتنا ؟ طبيعي أمام هذا الواقع ان تأتي اللوحة لتعبر عنه ، إنها صدى لما نعيشه وانعكاس حقيقى لما نحياه ، والحقيقة ان غموض اللوحة ليس أكثر من غموضنا نحن واضطرابها ليس أكثر من اضطرابنا ، انها التعبير الأكثر دقة عن حياتنا وربما الأكثر أهمية .

• ولكنك شاركت ، فى معارض عديدة وجربت أساليب عديدة أيضاً ، هل هناك مشروع محدد لاقامة معرض خاص بلوحاتك ؟

ــ أفكر جدياً فى إقامة معرض خاص لكنني مازلت متريثاً فى هذا الخصوص ، ليس لدي أسباب محددة لهذا التريث فهذه الخطوة أعتبرها أهم منعطف يمكن أن أصادفه فى حياتى الفنية ولابد من اتخاذ كافة الاستعدادات التى تتناسب ومثل هذا الحدث الذى يشكل أهم طموحات كل فنان ، لكنني لا أعتقد أن الوقت سيطول كثيراً .

الفنانون القطريون

• ما رأيك بالحركة التشكيلية فى قطر ، والى أى مدى استطاعت أن تحقق لنفسها ملامح تميزها عن باقى الأقطار العربية ؟ .

ــ لاشك أن هناك تفاعلا بين التشكيليين العرب من خلال القضايا الواحدة التى تواجههم ، لكن تبقى هناك خصوصية محددة تفرضها البيئة التى ينتمي إليها الفنان ، وهى خصوصية تتعلق ربما بالمفردات وليس بالمدلول العام ، اننا نواجه هموماً واحدة على امتداد الوطن العربى ، ومن الطبيعى أن تكون موضوعاتنا واحدة لكن يبقى الخلاف فى المفردات الصغيرة ، أو فى وسيلة وطريقة التعبير عن تلك الهموم .

والى هنا ينتهى لقائى بالفنان التشكيلى القطرى علي حسن .. الذى استلهم الحرف العربى فى لوحاته برؤية خاصة وتفسير متميز .

سلمان المالكى

وسرب الفراشات يسأل عنك

إلى الشاعر الراحل
صلاح عبد الصبور

شعر: عزت الطيري

(١)

لماذا نعيدُ التحدثَ عنك
ويرشق صمتَ السويعاتِ سهمُ السؤالِ
فنسأل عنك الليالي
ونسأل عنكَ المطاراتِ ،
نسأل عنكَ الفناراتِ ،
نسأل ورد الجبالِ
لأنك حين ارتحلتَ ، ارتحلنا
الى غابة الجدبِ والأمسيات الخوالي
لأنك حين ارتحلتَ ، انتهينا
وضاع الحُداءُ .. وضاعت خيول المحالِ
وغادَرَنا الصحوُ ،
هاجَمَنا القيظُ .
سامَرَنا الغيظُ ،
ماتت مع الفجرِ أغنيَّةُ البرتقالِ
لأنكَ تعشق إنقاذ لون الفراشاتِ ،
تقصير بُعدِ المسافاتِ ،
تطويل هامات نخل الأماني
فيصطك بالغيم ، تمطر ،
يضحك سهل الشمالِ
فيطلع في الصخر عشب الصفاء
وينبت في الليل بدر الأغاني
فكيف تظن بأنا
نخليك ترحل عنَّا
فيقتلنا :
نحيبُ النوارس حين تجفُّ
بحار الحياةِ وتهوى المرافئْ
بكاء القواقع والصَدفاتِ
اذا ما تسممَ رمل الشواطئْ
عذاب العصافير عند المساء
اذا ما أطل الخريف المفاجئْ
فكيف نخلِّيك ترحل عنَّا
وكيف نخلِّيك تهرب مِنَّا
لأنَّ ...
لأنَّ
لأنَّ ...

(٢)

وسرب الفراشات يسأل عنكَ ،
وسرب العصافير ، رجع الغناء البعيد ،
المواويلُ ، دمع المجاديف حين يعاندها الموجُ ،
صوت الدفوف ، الدراويش حين يغنون للوصلِ والهجرِ ،
همس المآذن في الفجرِ ، لون الصباح ، الورود ، البنات ،
العبير ، القصائد ، والعاشقون الذين يخيبون في الحُبِّ ،
والثائرون الذين يموتونَ في الجُبِ ، هل ترجع الآن
سيفاً نجردهُ للزمان الخئون ؟
وهل ترجع الآنَ أغنيةً وبيارقْ
وقوس قُزَحْ ؟!!



سينما

"الدوحة" في مهرجان "كان" السينمائي

القصّة الكاملة للفيلم الفائز بالجائزة الكبرى للجنة التحكيم

بقلم: رءوف توفيق

الطائر المهزوم

« بيردى » مع العصافير في محاولة لابتكار نوع من التفاهم معها

في اليوم الأخير لمهرجان « كان » السينمائى .. تبدو المدينة وكأنها فى حالة « عزال » .. ناس تجرى هنا وهناك .. حقائب وصناديق تتكدس داخل السيارات وشاحنات النقل .. مئات العمال ينتشرون فى ايقاع سريع ، يفكون الديكورات ويزيلون الملصقات واعلانات الأفلام ، ويخلعون الأضواء ..

وفى مساء ذلك اليوم ــ وبعد الاحتفال الصاخب باعلان النتائج وتوزيع الجوائز ــ تسترخى المدينة بعد طول ارهاق وازدحام ..

فى بداية الفيلم يجلس ومعه قفص الحمام قبل التعرف على صديقه

ولكن الحال يختلف .. بالنسبة لرجال صناعة السينما الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم يعرضون « بضاعتهم » من الأفلام ..

انهم ــ فى ذلك اليوم الختامى ــ يحسبون نتيجة صفقاتهم : الأرباح والخسائر .. الفرح وخيبة الأمل .. الانتصار والفشل .. والاستمرار أو التوقف !

والحسابات تختلف عند النقاد والعشاق الحقيقيين للسينما .. إنهم يحسبون حصيلتهم من الفن .. ويعطون أصواتهم بما كسبه الفن من اضافات جديدة .. أو اكتشافات متميزة فى الخلق والابداع السينمائى ..

وقد كان الفيلم الأمريكى « بيردى » أحد أهم الاكتشافات السينمائية المثيرة هذا العام .. والذى فاز بالجائزة الكبرى الخاصة بلجنة تحكيم المهرجان .

ميلاد الصداقة

وكلمة « بيردى » تحمل معنى الاسم والصفة .. فبطل هذا الفيلم اسمه « بيردى » وهو أيضاً



الصديقان بعد رحلة صيد الحمام ليلا يعودان بالأقفاص فى سعادة

الطائر المهزوم



عاشق الطيور .. الذى يحلم دائماً بأن يحلق مثلها فى الفضاء .

وقصة الفيلم عن الصداقة بين شابين .. جمعتهما مشادة حامية .. تبادلا الضرب واللكم والمطاردة .. ثم انتهت المشادة بالتقاط الأنفاس .. والضحك .. والمصافحة ..

إنهما فى نفس السن تقريباً .. ومن نفس الطبقة المتوسطة التى تعيش فى « فلادلفيا » .. أحدهما نموذج لغالبية الشباب الأمريكى الذى يهوى رياضة « البيسبول » والمطاردات والعنف .. والثانى «بيردى » المغرم بالطيور ، والذى تنحصر أمنيته فى أن يصنع جناحين لنفسه ويطير..

غرفته مليئة بصور الطيور .. والكتب التى تحكى عن أنواعها وخصائص كل منها .. والتشريح الدقيق لجناح الطائر ، وحركته أثناء الطيران ..

يقول لصديقه : « هل تحب الحمام » ؟ .

يرد عليه : « ماذا أحب فيه » ؟

ـ إنه يطير ..

ـ ثم ماذا .. ؟

ـ هذا يكفى جداً ! .

ولكن الصديق تبدو عليه الدهشة والفضول .. ويستغل « بيردى » حب المغامرة فى صديقه ، ويدعوه لمشاركته فى اصطياد الحمام ليلا ، حيث يأوى بين أعمدة الكبارى الحديدية ..

والمغامرة لذيذة ، فتسلق الأعمدة .. والامساك بالحمام بتلك السهولة .. ووضعه فى الأقفاص .. مسألة مثيرة ربطت الصديق بهذه الهواية ..

ولكن « بيردى » لايصطاد الحمام لكى يعذبه بالحبس داخل الأقفاص .. وانما لكى يرقبه وهو يحرك جناحيه للطيران .. وفى سبيل ذلك فهو يبنى برجاً من بقايا الأخشاب المستخدمة .. ويشاركه صديقه فى بناء أعشاش الحمام وتقديم الحبوب والماء والرعاية لها .

ويمتلىء البرج بالحمام .. الذى يطير فى أسراب ثم يعود فى تشكيل رائع .. وكل حمامة تعرف عشها ، تأوى إليه فى طمأنينة واستقرار ..

وتشتد السعادة بالصديقين .. ليصبح برج الحمام هو مكان لقائهما وهوايتهما معاً .. يواصل « بيردى »تأملاته فى الطيور .. أما صديقه فتستهويه مغامرة الامساك بالحمام واحضاره الى هذا البرج .. وفى إحدى محاولاته يتسلق سقف أحد المصانع ليلتقط الحمام النائم فى الظلام بين ثنايا السقف .. العدد وفير .. والحمام مستكين تماماً .. وتنطلق ضحكته بفرح .. ولكن فى لحظة يفقد توازنه ويسقط من هذا الارتفاع الشاهق .. ومن خلفه صوت « بيردى » يناديه بلوعة وحزن .. وهو يلهث للهبوط من على سقف المصنع .. ويكاد لا يعرف من شدة الاضطراب أين يضع قدميه !

فى المشهد التالى .. نرى عربة اسعاف .. ولا نتبين ما حدث .

حرب فيتنام .. وما بعدها

ينتقل الفيلم بعد ذلك مباشرة الى داخل أحد المستشفيات العسكرية للأمراض العقلية والعصبية .. لنرى « بيردى » حليق الرأس .. يجلس منزوياً مكوماً على نفسه فى أحد أركان حجرة عارية تماماً الا من سرير حديدى ..

انها ليست حجرة .. بل « زنزانة » سقفها عال .. حوائطها سميكة .. وليست هناك سوى نافذة صغيرة ، مغروزة بقضبان الحديد .. وباب الغرفة من الحديد الأسود ، يفتح ويغلق من خلال الحراس المسلحين .

ويأتى صديقه لزيارته مرتديا زيه العسكرى .. مصاباً فى ذراعه ورأسه ، مربوطاً بالشاش .. وفى مشيته بعض العرج .. وقد اختفت من وجهه كل ملامح الحيوية والمرح .

ونفهم من حديثه مع مدير المستشفى العسكرى .. أنه كان مع « بيردى » .. فى كتيبة واحدة بحرب فيتنام .

لقد استدعيا للانضمام الى الجيش الأمريكى .. والترحيل الى فيتنام .. فى حرب لا يعرفان لها أى مبرر .. وبلا أى قدرة على الرفض !

وها هى النتيجة .. إنه مصاب فى أكثر من مكان بجسده .

أما « بيردى » فقد أصابه اختلال عقلى .. يرفض الكلام تماماً .. يبدو مذعوراً دائماً .. يجلس على الأرض مثبتاً عينيه على النافذة الضيقة ..

وقد اعتبرته إدارة المستشفى ، حالة خطيرة .. فوضعته فى غرفة منفردة وتحت حراسة مشددة ..

ويظن الصديق الذى جاء لزيارته .. أنه سينجح فى دعوته للنطق والكلام .. ولكن « بيردى » ينزوي مذعوراً .. ينظر إلى صديقه وكأنه لا يعرفه ..

يهرب منه خائفاً .. يتكور على نفسه فى ركن الحجرة .. ولا ينطق بكلمة .

وتنتهى الزيارة .. ويخرج الصديق تعيساً .. تعصره المرارة والألم ..

الذكريات الجميلة.. ومحـــاولات القهر

ويتنقل الفيلم بين ذكريات الماضى .. وأهوال الحرب .. وتعاسة الحاضر .

إنها الذكريات كما تتراءى « لبيردى » .. أحداث متقطعة تفجرها زيارات صديقه ومحاولاته لدفعه للكلام ..

إنه يتذكر برج الحمام .. وكيف ثارت والدته عليه وصرخت غاضبة لأنه أفسد جزءاً من حديقة المنزل .. وأسرعت تحطم برج الحمام ، يشاركها والده ، بكل الانفعال والثورة .. حتى هشما البرج تماماً .. وطار الحمام مذعوراً فى الفضاء .. وكأنه يبحث عن مكان آمن يحط عليه .

إنه يتذكر .. كيف فكر مع صديقه فى شراء سيارة قديمة للانطلاق بها واسترداد حريتهما المكبلة بهذا المكان الضيق المزدحم الملىء بالنفايات ..

وكيف ذهب الى مقبرة السيارات المستهلكة .. وتقاسما شراء سيارة صدئة .. وعملا معاً ـ بكل الصبر واللهفة ـ لاصلاحها واعادة طلائها .. حتى أصبح للسيارة شكل ولون .. واستجابت لهما .. ودار محركهـا .. وانطلقا يصرخان من الفرح والسعادة .. لا يصدقان ما حدث .. وقررا الاحتفال بهذا الانتصار .. فاستقلا السيارة كأنهما يغسلان كل هموم الأيام الطويلة والانتظار والقلق .. ثم انطلقا بعد ذلك الى الملاهى وقد عادا طفلين يمرحان بلا هموم أو خوف .. ولكن والده لا يعجبه هذا الحال .. فيضرب صديقه .. ويبيع السيارة ! !

الطائر المكسور الجناح

لقد برع المخرج « آلان باركر » فى نسج هذه المشاهد التى تعبر عن الصداقة الجميلة .. والرغبة فى التحرر والانطلاق .. ثم تلك الاحباطات القاسية والمتلاحقة .. سواء من عائلته وحواجز سوء الفهم واستخدام البطش والعنف فى تحديد اقامته ، وتحديد أفكاره وطموحه وأحلامه ..

واحباطات المجتمع ككل .. والزج بهما فى حرب قذرة تستخدم فيها أبشع أسلحة الدمار والموت .. لتحصد الأرواح وتحرق المزروعات .. وتمزق أجساد الأطفال والنساء فى فيتنام .. وأيضاً تمزقهم هم ـ شباب الجيش الأمريكى ـ الذين يجدون أنفسهم يواجهون نيران جهنم ومقاومة عنيفة .. ولا يساندهم ايمان أو هدف !

تمتزج مشاهد الذكريات .. مع مشاهد مستشفى الأمراض العقلية .. وكأنما المخرج يؤكد تلك الحقيقة البديهية التى يتناساها الكثيرون .. وانه



هل كان « بيردى » يتصور بعد الحلم بالطيران أن يدخل مستشفى الأمراض العقلية ؟

لا شيء يأتي من فراغ .. وان كل فعل له رد فعل ..

و « بيردى » نموذج واضح .. الشخصية المحطمة .. التى اغتالوا شبابها .. وامتصوا فى داخلها كل رغبة فى الحياة .. حتى مجرد التعبير عن النفس ، والكلام .. أصبح لا معنى له .. فآثر الصمت والانزواء كحمامة مكسورة الجناح غير قادرة على الانطلاق .. وغير قادرة على الصراخ بالألم ! .

وقد اختار المخرج « آلان باركر » أن يجسد هذا المعنى بالضبط .. من خلال تشكيل جسد الممثل الذى يؤدى دور « بيردى » .. فجعله يجلس القرفصاء .. محنى الظهر .. مكتوف اليدين .. لا يقف .. ولا يسير .. وانما يتقافز مضموم الساقين والقدمين .. وكأنه طائر جريح ..

وعيناه دائماً على النافذة المعلقة فى آخر الحائط العملاق .. حيث لا يرى الا السماء من خلف القضبان الحديدية .. وحيث يتلقى وجهه كتلة الضوء الطبيعى وكأنه يتنفس ويحيا من خلالها .

الحلم المستحيل .. بالطيران !

ويتوالى شريط الذكريات مع زيارات صديقه الذى يحاول جاهداً أن يدفعه للكلام والمشاركة فى الحوار معه .

« بيردى » يتذكر علاقته مع عصفور صغير أصفر اللون .. وكيف كان يجلس بالساعات يلاعبه ويحاول أن يكتشف لغة أو صوتاً ليتفاهم معه .. حتى فوجىء ذات لحظة غادرة .. بقط متوحش يهجم على العصفور محاولا التهامه .. ويقترب « بيردى » بتحفز وحذر شديد .. لينقض على القط



الطائر المهزوم



المخرج « آلان باركر »



بيردى يحاول الطيران بالجناحين اللذين صنعهما بنفسه !

.. ويستخلص العصفور من بين أسنانه (فى مشهد سينمائى بارع) .. ثم يمسك العصفور بين أصابعه يربت عليه .. وينفخ الهواء فى رأسه .. وكأنما يدفع الحياة لكى تدب مرة أخرى فى هذا الجسد الصغير المذعور ..

ويبدأ العصفور فى التحرك .. والانطلاق ..

ويسترد هو أنفاسه .. ويمتلىء وجهه بالسعادة والفرح ويستلقى على أرض حجرته منتشياً .. والعصفور فوق صدره .. ويحلم بأنه يطير مخترقاً هذه المساكن المزدحمة .. والدروب الضيقة .. ويرتفع فى الهواء .. بعيداً عن كل التلوث والشرور .

وتتحرك الكاميرا معه فى مشهد بارع التنفيذ .. وكأننا نعلو معه فى الفضاء تدريجياً .. وتتصاعد الموسيقى فى ايقاع يوحى بالانتصار والتدفق ..

وتتردد كلمات « بيردى » فى مونولوج داخلى شديد العذوبة .. يقول فيه . « فى أحلامى دائماً .. أن تكون لى أجنحة وأطير .. الطيران هو الصعود .. وكأنما هناك من يسحبك الى أعلى خلال السحب البيضاء .. لتسبح فى هواء نقى .. وتظل تصعد فى طبقات الجو .. حيث لا شىء تلمسه .. ولا مكاناً محدداً تريد الوصول إليه » .

وفى واحد من أجمل مشاهد الفيلم .. يحاول « بيردى » مع صديقه .. تجربة التحليق مثل الطيور .. فيرتديان رداءً من ريش الطيور .. ويصنع «بيردى» لنفسه جناحين لهما مفصلات استوحاها من دراسته لتشريح أجنحة الطيور .. ويضع فى قدميه تلك الزحافات التى تستخدم فى التزحلق على الجليد .. ويدعو صديقه لدفعه من الخلف بسرعة ..

وبالفعل يدفعه صديقه .. فينطلق « بيردى » بالزحافات .. حتى يصل الى منحدر جبل .. ويحرك جناحيه.. ولكنه لا يطير .. بل يسقط فى مستنقع مياه .. وتتحطم الأجنحة ..

انه الحلم المستحيل !

• الفساد لدرجة التعفن !

وتتكرر زيارات صديقه له فى محاولة لا تعرف اليأس لاخراجه من حالة الصمت والشرود .. وفى كل مرة يفتح الصديق صندوق الذكريات لينعش ذاكرة « بيردى » ويدفعه للكلام .. ولكن بلا فائدة ..

ويفقد الصديق أعصابه ذات مرة ، ويهز « بيردى » بعنف .. يؤنبه على هذا الصمت .. ويستفزه أن ينجو بنفسه من هذا السجن الكئيب .. ولكن بلا فائدة .. ويخرج الصديق من « الزنزانة » هائجاً فى غضب وانفعال .. ليواجه بمدير المستشفى العسكرى وهو يطلب التحقيق معه .. والتفتيش فى تاريخه وحالته الاجتماعية والنفسية ..

ويندهش الصديق من هذه الأسئلة المتلاحقة .. ويدرك أنهم يحققون معه بالفعل ، فهناك من يسجل كلماته فى محضر الاستجواب .. وكأنما أراد أن يتأكد مما يحدث حوله .. يسأل مدير المستشفى .

ـ هل تحققون معى أنا .. ؟

ويرد مدير المستشفى بصرامة : كان لابد أن نفعل هذا .. لنتأكد من صلاحيتك للتحدث مع بيردى !

ويترك الصديق غرفة مدير المستشفى .. وهو ينظر حوله وكأنه لا يصدق .. هل هذا هو الثمن الذى يستحقه كل من اشترك فى هذه الحرب ؟

إنه يرى حوله .. مرضى .. ومشوهين .. ومعوقين ..

تقول المرضة التى تنحصر مهمتها اليومية فى تقديم صحن الطعام لبيردى فى زنزانته ..

« كل الحروب تنتج عنها حوادث عرضية .. وربما لم تلاحظ ما حدث لأفراد مثل صديقك لأنهم لا يهمونك فى شىء .. لقد فسد بعضهم لدرجة التعفن .. والبعض مات ببساطة وصمت » .

وفى مشهد آخر يبرر مدير المستشفى العسكرى موافقته بالسماح له بزيارة « بيردى » فيقول له :

ـ عندما علمنا بحالتك .. ظننا أنك من الممكن أن تساعدنا فى العلاج

فيرد الصديق بلهجة جادة وساخرة :

ـ علاج من ؟ أنا أم بيردى ..؟!

فالكل ضحايا .. ولا أحد يهتم !!

• الهروب

ورغم عدم الاستجابة من « بيردى » للمحاولات التى يبذلها معه صديقه .. الا أنه فى



فى هذه اللقطة يبدو البطل مع عصفوره الأصفر بعد انقاذه من فم القط المفترس !

إحدى الزيارات الأخيرة .. ظهرت على ملامح « بيردى » شبح ابتسامة ..

إنه لأول مرة ينتبه .. ولأول مرة تتغير ملامحه المذعورة ويبتسم ..

ويقفز الصديق من الفرح .. إنها بادرة طيبة .. لقد أوشكت محاولاته على النجاح .. ويهرع الصديق الى مدير المستشفى يبلغه بما حدث .. « لقد ابتسم » !

وببرود شديد يتلقى الطبيب هذا الخبر .. ويعلق « إن هذا لا يعنى شيئاً » !

ويشعر الصديق بإحباط شديد .. ويثور فى انفعال .. ثم يدرك للحظة أن حالة « بيردى » تهمه هو شخصياً .. وقد لا تعنى لادارة المستشفى سوى مجرد « حالة » ..

وبهذا الادراك .. يسحب ثورته .. ويعتذر للطبيب ويخرج ..

ويواصل محاولاته مع « بيردى » ويقول له فى توسل وهو يكاد يبكى .. إننى فى كل مرة أحضر الى هنا على أمل أن تكلمنى .. ولكنى أظل أتكلم أنا .. ولا ترد على .. هل أنا مجنون لأتحدث مع نفسى طوال الوقت .. لماذا لا تكلمنى .. لقد تعبت .. تعبت .. واذا كنت لا تريدنى أن أحضر لزيارتك .. فأنا لن أحضر .. وستكون هذه هى زيارتى الأخيرة لك » ..

ولأول مرة يخرج صوت « بيردى » فى لهفة .. « لا .. لاتتركنى » ..

ويفاجأ الصديق بأن « بيردى » تكلم .. ويصرخ من السعادة والفرح .. وهو يطلب منه أن يتكلم أكثر .. ويهزه بعنف وقوة .. كأنما يريد ألا يضيع الخيط من بين يديه .. وفى نفس الوقت يهتف منادياً الطبيب أن « بيردى » تكلم ..

وتنفتح أبواب الزنزانة لتهجم على الصديق ، فرقة من رجال الحراسة التى تقف فى ممرات المستشفى وتحاول اخراجه .. ولكنه يتشبث بمكانه .. ويمسك بذراع « بيردى » ويدفعه للهرب من هذا المكان .. وتدور معركة مع فرقة الحراسة .. وينجح الصديق فى التخلص منهم .. وينطلق مع « بيردى » بأقصى سرعتهما للهرب .

وينتهى الفيلم بخروجهما مرة أخرى الى العالم .. فى مشهد غاية فى الذكاء والاثارة .. والجمال .

ولكن هل يعني خروجها مرة أخرى الى العالم .. نهاية لمشاكلهما ؟

بالقطع لا .. ولكنهما حتما سيكونان أكثر فهماً لما يحدث حولهما .. وأكثر صلابة وقوة !

• المخرج .. والمؤلف .. والممثلون

وقد استحق هذا الفيلم أن يفوز بالجائزة الكبرى الخاصة من لجنة تحكيم مهرجان « كان » ..

والفيلم مأخوذ عن رواية صدرت عام ١٩٧٩ للكاتب الأمريكى « ويليام وارتون » الذى استقر فى باريس منذ أكثر من ربع قرن .. وقد رشحت هذه الرواية لجائزة البوليتزار .. وفازت بجائزة الكتاب الأمريكى .

والرواية تدور أحداثها أثناء الحرب العالمية الثانية .. ولكن المخرج « آلان باركر » اختار أن يجعل الأحداث متعلقة . بحرب فيتنام .. وكتب السيناريو « ساندى كروبف وجاك بهر » .

والمخرج « آلان بكر » من أصل انجليزى .. لمع اسمه مع فيلم «اكسبريس منتصف الليل » .. ثم « اطلق النار على القمر » .. ثم « شهرة » .

ولكن هذا الفيلم يعتبر من أنضج أعماله .. وقد تعمد أن يختار اثنين من الممثلين الشبان غير المعروفين للقيام ببطولة الفيلم .. وأجرى عدة اختبارات على ألفى شخص ــ بمعدل ٣٥ شخصاً يومياً ــ حتى استقر الرأى أخيرا على « مثاو مودين » للقيام بدور « بيردى » .. ونيكولاس كاج » للقيام بدور الصديق ..

ومن الواضح تماماً الجهد الذى بذله المخرج فى ادارة الممثلين واستخراج الانفعالات الدقيقة دون افتعال أو هبوط .

ولكن المخرج يقول إن أصعب ما واجهه فى اخراج الفيلم هو التحكم فى الطيور .. والقطط والكلاب التى ظهرت بمشاهد الفيلم والتى أكدت مهارة المصور « ميشيل سرسين » .

تكلف الفيلم ١٢ مليون دولار ..

• • •

إنه فيلم عن الشباب الأمريكى .. والحروب الأمريكية .. سواء أكانت فى فيتنام .. أو فى أى مكان آخر ..

فالنتيجة واحدة .

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

رسالة إلى الدكتور محمد جابر الأنصاري

تلقينا هذه الرسالة القيمة الموجهة إلى الدكتور الانصارى من الاستاذ حافظ أمين وهذا هو نص الرسالة :

قرأت مقالكم الممتع (مطلوب تأسيس نثر عربي جديد) في العدد ١١٢ من الدوحة ، وما فيه من وصف لحال النثر العربي الحديث ، وما وصل إليه من العامية والركاكة والعجمة ، وكيف صار الكلام مكرراً معاداً ، وقد غاب من ورائه العقل والمنهج ، وغابت الروح المفعمة بحب الكشف .

وقد أرجعتم معظم السبب ـ كما فهمت من المقال ـ إلى المسئولين عن النشر ، إذ تقولون (إن التفكير العقلي والعلمي أصبح من المحظورات ، وإن حرية العقل وحرية البحث صارت من المغامرات غير المأمونة) .

وأحب هنا ـ لو سمحتم ـ أن أضيف إلى هذا السبب في فساد النثر العربي الحديث ، سبباً آخر ، هو غياب الهدف من الكتابة في ذهن المؤلف ، كما أحب أن أضيف إلى صفات العامية والركاكة والعجمة ، صفة الغموض .

لقد كانت لأنصار المعاصرة في الماضي (كالعقاد وشبلي شميل) ، ولأنصار الأصالة (كالمنفلوطي والرافعي) ، ولأنصار التوفيق بين المعاصرة والأصالة (كطه حسين وأحمد أمين) أهداف واضحة كل الوضوح ، وكانت الأهداف كلها نافعة ، إذ كان المجتمع وقتئذ يجهل تراثه كما يجهل الفكر الأوروبي الجديد . وكان يكفي أن يتزود الكاتب ببعض ما تخرجه المطابع في ذلك العصر من تراث الأجداد ، ومن ثمار الفكر الغربي ، حتى يصول ويجول في الكتابة ، وحتى يكون نافعاً وممتعاً لدى القارئ العربي .

لم تعد تلك الأهداف كافية لدى كل من الكاتب والقارئ المعاصرين فقد ثبت أن الفكر الغربي الحديث ـ حتى عند الغربيين أنفسهم ـ لم يعد يكفي لاستمرار الحضارة ، كما ثبت أن التراث العربي وحده لا يكفي لإقامة حضارة معاصرة . كذلك ظهر أن المحاولات القديمة للتوفيق ، ليست إلا نقلاً من هنا ومن هناك ، والنقل والتقليد وحدهما لا يقيمان حضارة .

ورغم إدراكنا لهذه الحقيقة لم نستطع ـ حتى الآن ـ تحديد أهداف جديدة ترسم لنا طريق المستقبل ، فجاءت الكتابات المعاصرة ـ كما تقولون ـ خالية من الجديد أو المفاجئ أو المحرك أو المدهش أو المفيد ، كما جاءت عديمة المغزى غامضة الاسلوب ، حتى أننا نفهم الآن لطه حسين وإليا أبو ماضي ، بل وللجاحظ وابن المقفع ، أسرع مما نفهم للمؤلفين المعاصرين .

بل إن هذه الظاهرة لا تنطبق فقط على فن الكتابة ، وانما تنطبق أيضاً على باقي الفنون ، كالرسم والموسيقى والتمثيل وغيرها . لقد كان الانتاج الفني لعبد الوهاب ونجيب الريحاني ولأمثالهما من الفنانين العرب ، سهلاً ممتعاً ، يتذوقه العامة والخاصة ، وهذه السهولة التي امتازوا بها لا نجدها الآن في أكثر إنتاج فنانينا المعاصرين ، وقديماً قالوا في تعريف الأسلوب الجيد إنه يصل إلى قلبك قبل أن يصل إلى سمعك .

بل إني أتمادى في تعميم الظاهرة ، فأقول إنها تنطبق على كافة أنشطة الحياة ، وليس فقط على النشاط الثقافي ، فلم يعد يكفي أن يشرح المصلح الاجتماعي العربي مقدار انبهاره بما رآه في لندن أو باريس ، ثم ينادي بتحرير المرأة أو احترام الوقت والنظام ، أو يصف عبقرية أبي بكر وعمر وعلي وعثمان ، ثم ينادي بتغيير الواقع . ولم يعد يكفي أن ينادي المصلح الاقتصادي بإنشاء البنوك الوطنية ، وإقامة المصانع والسدود ، واستخدام أحدث الأجهزة والآلات . لقد تجاوزنا كل ذلك ، وأصبحنا نطالب بشئ جديد أكبر من مجرد النقل والتقليد .

وليس معنى هذا أنني أعارض عملية النقل من هنا أو من هناك ، وانما أعارض أن يكون النقل غاية وهدفاً ، وأن يتم قبل أن نحدد ماذا نريد من حياتنا ، ذلك لأن إدراكنا لحاجاتنا الحقيقية ، وثقافتنا في أننا قادرون على تحقيق أهدافنا ، ينقذنا من عقدتين نفسيتين خطيرتين : عقدة الخواجة (المعاصرة) وعقدة الأجداد (الأصالة) . والحقيقة أننا لن نصبح معاصرين أصلاء ، إلا إذا بدأنا في إقامة حضارة ، وفي هذه الحالة فقط نستطيع أن ننقل من هنا أو من هناك ، أو نخلق أشياء جديدة ليست من هنا أو من هناك ، دون خوف أو تردد أو حرج .

ورغم الضعف الملموس في إنتاجنا الثقافي وغير الثقافي ، فاني لا أرى هذا الضعف مما يدعو إلى القلق أو فقدان الثقة ، فنحن الآن في مرحلة انتقالية ، وفي المراحل الانتقالية يكثر النصابون في الأسواق (ونقصد بالأسواق هنا كل ألوان النشاط) . وتبدو كل مرحلة انتقالية وكأنها أقل ثراء من المرحلة التي تسبقها ، لأنها لا تعطي ثماراً ناضجة ، هكذا كان عقد الخمسينات ، عندما كنا نترحم على جيل العباقرة ، حتى ظهر جيل الستينات ، وهكذا نترحم الآن على عقد الستينات ، دون أن يدرك أكثرنا بأن الأيام المقبلة حبلى بما سيثري مستقبل العرب في كافة المجالات إن شاء الله .

إن امتلاء السوق العربي حالياً بالأفاقين ، ناتج عن فقدان الهدف ، وعندما تفقد الأمة هدفها ، ويجهل أبناؤها ماذا يريدون ، لا يعود لدى أكثر المؤلفين والفنانين شيء يقولونه ، أما الأقلية التي تحمل بذور الحضارة الجديدة ، فسرعان ما تنقض عليها الأكثرية ، متهمة إياها بأنها من المدارس القديمة ، التي تريد أن تقول شيئاً مفهوماً ، والثقافة في أيامنا أكبر من أن تقول شيئاً مفهوماً ! !

ولأن هذه هي الحقيقة ، لابد أن يفتعل الكاتب أو الفنان المعاصر أسلوباً يخفي وراءه خلو إنتاجه من أية فكرة ذات قيمة ، أو أي إحساس صادق ذي فائدة ، ويتم هذا بأن يوهم جمهوره أن الجهل بمغزى إنتاجه ، إنما هو جهل في الجمهور وليس في الكاتب أو الفنان : اقرأ مثلاً ما كتبه أحدهم أخيراً : « إن غلبة السمات الفوقية في الدراسات الاقتصادية ، لن تحل العملية التضخمية ، إذ لابد من تخطيط تنموي يربط بين الجوانب المجتمعية ... إلخ . »

واضح أن مثل هذا الكاتب ، المفتقر إلى الأهداف ـ اللهم إلا الأهداف الصغيرة ـ ليس لديه شئ يقوله ، إذ لو كان لديه شيء حقاً لما فشل في إيجاد تعبير أسهل وأوضح ، ولكن خوفه من الأفتضاح ألجأه إلى مثل هذه الحيلة ، أما القراء والنقاد فهم يخشون الاعتراف بعدم الفهم ، خوفاً من أن تلتصق بهم تهمة الجهل .

هنا يحق لنا أن نتساءل : وما هو الهدف الكبير الذي علينا أن نسعى إليه ، بعد أن تجاوزنا هدف التعريف بالتراث العربي وبالفكر الغربي ، وبعد أن أصبحت المعركة بين أنصار المعاصرة وأنصار الأصالة غير ذات موضوع ؟

الهدف الجديد ـ في رأيي ـ يبدأ بتحطيم الأصنام المعاصرة ، التي خلقتها الحضارة الأوروبية الحديثة . إذ لابد لأية حضارة جديدة أن تبدأ بتحطيم الأصنام التي تراكمت أثناء سقوط الحضارة التي تسبقها ... هكذا بدأت الحضارة الاسلامية عندما حطمت أصنام حضارتي الرومان والاغريق ، وهكذا بدأت الحضارة الأوروبية عندما حطمت صنم الاستعباد (استعباد الكنيسة للعلماء والمفكرين ، واستعباد الحكام للمواطنين ، واستعباد الرجل للمرأة .. الخ) .

ومع بدء سقوط الحضارة الأوروبية ظهرت أصنام جديدة سادت العالم كله ، ولعل أظهر هذه الأصنام صنم الاستهلاك بأي ثمن ، وصنم اللذة بأية وسيلة ، وصنم التحرر من أي شيء ، حتى ولو أفقدنا هذا التحرر احترام البيئة ، واحترام الروابط الأسرية ، واحترام إنسانية الشعوب الفقيرة ، واحترام ناموس الطبيعة ... الخ .

ومن خلال تحطيم الأصنام المعاصرة سنكتشف طريقنا الجديد ، طريق الانسان المعاصر نحو حياة خالية من الانحلال ، ومن التعصب ، ومن استنزاف الطبيعة .

حافظ أمين ـ القاهرة

همسة حنان

انني شاب مسلم من الفلبين ، أحمل جواز السفر رقم ٨٥٧٩٧٨ الصادر بالعاصمة مانيلا . لم أجد في بلادي فرصة لدراسة ديننا الاسلامي العظيم ، فتوكلت على الله وحضرت إلى القاهرة وأنا الآن مقيد بالصف الثالث الاعدادي بمعهد البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف .

وقد واجهت قبل حضوري وبعده كثيراً من العناء والمشقة فأنا من أسرة شديدة التواضع في حياتها المادية ، ولم أحصل على أية منحة دراسية سواء من قبل الأزهر ومجلسه الأعلى أو من سفارة بلادي ، ولم أكن أتوقع أن أجد مستوى المعيشة في القاهرة مرتفعاً إلى مستواه الحالي ، وهذا أمر يهدد حياتي الدراسية بالخطر والفشل لا سمح الله .

انني أحد ابنائكم المسلمين ، حضرت إلى المنطقة التي انبثق فيها الاسلام ، وظهر فيها رسولنا الكريم .

انني أرفع يدي إلى السماء متوسلاً لله عز وجل أن يكشف ضيقي . ويوسع معيشتي ويوفق بعض الأغنياء المسلمين للتعطف بمساعدتي حالياً كي اتغلب على الصعوبات المادية التي أواجهها أثناء دراستي بالقاهرة .

إن البركة من الله ، والأجر والثواب لكم في الدنيا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الطالب/صالح هاشم

ص. ب ١٢٠٣

العتبة /القاهرة/ج. م. ع.

ــ نتلقى باستمرار الكثير من الرسائل المشابهة لهذه الرسالة ، ونحجم عن نشرها لاعتبارات عديدة ، ولكننا أضطررنا لنشر هذه الرسالة بالذات لأنها من شاب ترك بلاده البعيدة وسعى باصرار لطلب العلم في ديار الاسلام .

ونرجو الله أن يوفقه وأمثاله لما يحبه ويرضاه .

كتب وصلتنا


الشاعر كمال عبد الكريم الوحيدى

تلقت المجلة باقة الكتب التالية من كرام قرائها :

- طريد الدار « شعر »
- المؤلف : كمال عبدالكريم الوحيدي
- الناشر : مطابع علي بن علي ــ الدوحة

... هذا هو الديوان السادس الذي يصدر في الدوحة خلال خمس سنوات للشاعر العربي الفلسطيني كمال الوحيدي ، أحد أبناء مدينة غزة الصامدة .

وتزيد عدد صفحات الديوان عن المائتي صفحة من الحجم المتوسط ، وتتضمن ما يقرب من خمسين قصيدة ، وهي بمجملها نوع من الوجدانيات التي تدخل العقل لحسن سبكها ، وتدخل القلب لعمق صدقها .

إن الشاعر الذي انشبت الغربة أنيابها في كبده يحمل على كاهله كل هموم أمته العربية الاسلامية ، ويصور ــ بشكل خاص ــ مأساة شعبه الفلسطيني بدقة ورقة وألم ، ولكنه في النهاية واثق بنصر الله ، وواثق بأن أمته ستفيق يوماً من غفلتها ، وتنهض من كبوتها ، ويعود « طريد الدار » إلى داره ، مهما إدلهم الليل ، وعبست الأيام .

- هكذا تكلم عرسان « شعر »
- المؤلف : مازن شديد
- الناشر : دار الكرمل : عمان : الأردن
- موسوعة الاعلام والصحافة
- المؤلف : طلعت همام
- الناشر : دار الفرقان

ص. ب : ٩٢١٥٢٦ ــ عمان ــ الأردن .

البابية

أرجو إعطائي فكرة عن « البابية » ومدى علاقتها بالصهيونية والاستعمار ؟

غادة محمد بلبع ــ بنغازي

ــ البابية مذهب ديني ظهر في ايران عام ١٨٤٣ م وصاحبه هو الميرزا علي محمد رضا الشيرازي الذي إدعى أنه « الباب » المؤدي إلى الامام المنتظر المستور ! !

أودع الباب تعاليمه الدينية في كتاب « البيان » وزعم أنه أنزل عليه ، وظل يدعو الناس سراً وعلانية إلى مذهبه ، وأثارت دعوته ضجة في الأوساط الاسلامية فأصدر العلماء فتوى بارتداده عن الاسلام وبقتله ، وقد أعدم فعلاً عام ١٨٥٠ م . ونقل البابيون بقايا الباب خلسة إلى حيفا بفلسطين . وله فيها اليوم ضريح معروف أصبح مزاراً لهم .

والبابية هي حركة خطيرة أوجدها الاستعمار واحتضنتها اليهودية العالمية إلى جانب رعايتها للبهائية في فلسطين ، وواجب كل العرب والمسلمين أن يحذروا من مثل هذه الحركات المشبوهة .

ردود قصيرة

● الأخ الدكتور محمد أبوزيد/الرياض
ــ قصائدك لابأس بها ، وإن كنت بحاجة إلى دراية أكثر عمقاً بعلم العروض ، وبهذه المناسبة نرجو أن يعذرنا بعض الأخوة الشعراء حينما نتأخر أو نعتذر عن نشر قصائدهم بسبب كثرة ما يردنا منها ، حيث لا يقل شهريا عن خمسين قصيدة وشيء منطقى أن لا تستوعب مجلة شهرية متنوعة أكثر من خمس قصائد في العدد الواحد .

● الأخ السليماني عبد الغني محمد/المغرب
ــ نأسف لعدم قدرتنا على تلبية طلبك لك تحياتنا .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : هذه الصورة فى إحدى المدن بدولة الإمارات العربية المتحدة ، فما هى أسماء الامارات السبع التى تتكون منها هذه الدولة الخليجية الشقيقة ؟ .



دوحة القراء

• • •



الصورة الثانية : أحد العلماء الألمان ، ولد سنة ١٨٤٥ وتوفى عام ١٩٢٣ ، وهو عالم فيزيقى له بحوث مأثورة فى ميادين الفيزيقة وبخاصة علم الحرارة والميكانيكا والكهرباء ، ولكن إكتشافه ١٨٩٥ لأشعة الموجة القصيرة (أو الأشعة السينية) فاق هذه البحوث ، وقد نال على هذا الاختراع العظيم جائزة نوبل الأولى فى الفيزيقة عام ١٩٠١ كما أصر علماء الطبيعيات على أن يسمى هذا الإختراع الرائع بإسم مكتشفه ـ فمن هو؟

أمثال وحكم

• « أن يكون الشغل مجهدة ، فإن الفراغ مفسدة » .

(عمر بن الخطاب)

• لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم ، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

(على بن أبي طالب)

• أمران يسلبان الحر كمال الحرية ، وهما قبول الاحسان وافشاء السر ، فإن من أحسن إليك ملكك ، ومن أفشيت له سرك خفت أن يفشيه .

(الأمير عبد القادر الجزائرى)

• من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، حسبك من شر سماعه .

(اكثم بن صيفي)

• غناك فى نفسك وقيمتك فى عملك ، وبواعثك أحرى بالعناية من غاياتك .

(عباس العقاد)

• اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن بعدك .

(أرسطو)

ابن داود عبد القادر ـ الجزائر

لا إله إلا الله

من أسرار شهادة « لا اله الا الله » أن جميع حروفها جوفية ، اشارة الى الاتيان بها من أعماق الجوف وهو القلب . وأن ليس من حروفها حرف معجم « أي منقوط » إشارة الى التجرد عن كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى . وأنها اثنا عشر حرفاً على عدد شهور السنة ، فمن قالها مخلصاً كفرت عنه ذنوب السنة ، وأنها مع « محمد رسول الله » أربعة وعشرون حرفاً ، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فكل حرف يكفر ذنوب ساعة ، وأن كلماتها سبع ، وأبواب جهنم سبعة فكل كلمة تسد بابا عن قائلها بإخلاص ، ولا اله الا الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

مؤمن محمد النجار

سراي القبة ــ القاهرة

أهميّة الكتاب

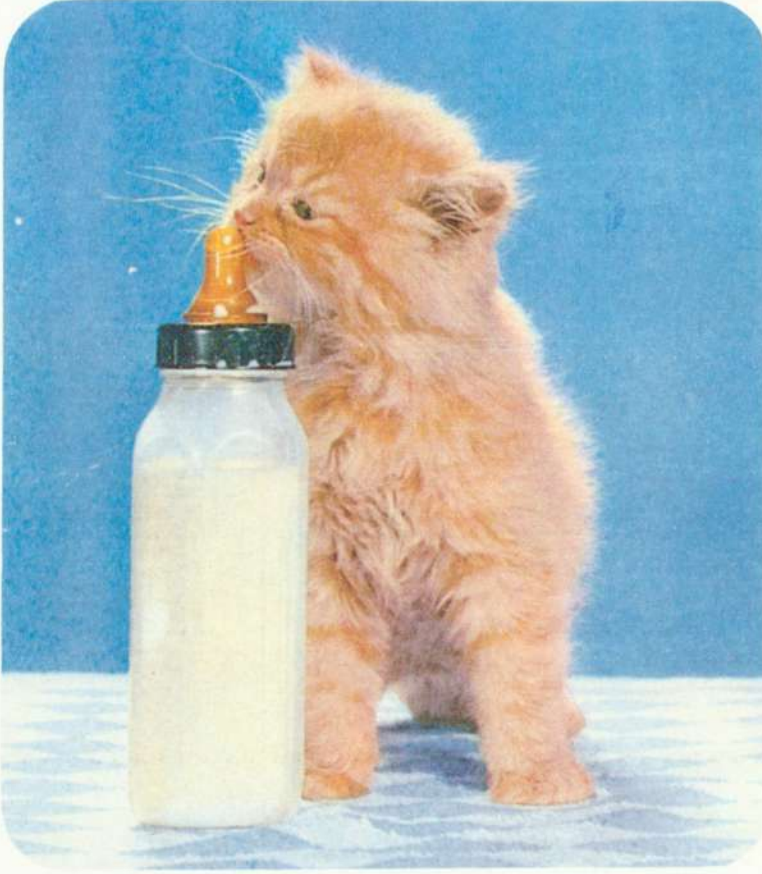


دخل الرشيد على المأمون ، وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ قال : كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة . فقال الرشيد : الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن خلوت لذتى ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن قلت : إن زهر البستان ونورَ الجنان يجلوان الأبصار ويمتعان بحسنهما الألحاظ ، فإن بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيى القلب ، ويقوي القريحة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستثير دفائن القلوب ، ويمتع فى الخلوة ، ويؤنس فى الوحشة ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك .

ليندا حربي مشتهى ــ الدوحة

لقطة الشهر



براءة

فازت بجائزة هذه اللقطة ومقدارها مائة ريال قطرى القارئة آمال مصطفى الزكي ــ دمياط ـ ج . م . ع .

هل تصاب الحشرات بالأمراض؟

من النادر أن نفكر فى مرض الحشرات ، إلا أن علماء الحشرات يقولون إنها تعانى من نفس أنواع الأمراض التى تلم بنا ، فتصاب بعدوى الأمراض الفيروسية والأوبئة البكتيرية والأمراض الفطرية والديدان ، كما أنها عرضة للتطفل عليها من حشرات أخرى .

وتتعلق أول حالة سجلت لمحاولة إجراء الإسعاف الطبى للحشرات بمرض يهدد بإنهيار صناعة تربية دودة الحرير فى فرنسا . واستدعى لويس باستير للنظر فيما يمكن عمله ، فأستخلص من ديدان معينة من ديدان القز ــ لا تصاب بالمرض ــ سلالة وهجنها وانتج سلالة محصنة .

ونحل العسل مع أنه قوى البنية في العادة ، إلا أنه يمرض فيسبب خسائر جسيمة فى انتاج العسل وشمع النحل . وبالاضافة إلى الحشرات السابقة تصاب دودة الحرير بالصفراء التى يطلق عليها صفراء دودة الحرير ، بل وتصيب الكوليرا والملاريا أنواعاً معينة من الحشرات !

خالد حسن النشاشقى

قنا ــ ج . م . ع



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

شاعرنا العربى الراحل عباس محمود العقاد ترك وصية ، بألا يمشى به احبابه إلى القبر صامتين .. خشية أن يتهيب القبر .. ووصيته تركها فى قصيدة .. حذفنا من بين أبياتها كلمة ووضعنا بدلاً منها كلمة « المقصود » وعليك أن تعرف الكلمة الأصلية عند الشاعر . يقول الشاعر فى الأبيات :

إذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا أراح الله ذاك المعذبا

فلا تحملونى صامتين الى «المقصود»
فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا فإن الموت كأس شهية
ومازال يحلو أن يغنى ويشربا

وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى
فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا

• المقصود عند الشاعر مكون من ٥ حروف .
٣ ، ١ ، ٤ بمعنى انفعل

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

• « ماذا يجدى الانسان لو كسب العالم كله . وخسر نفسه ؟ .. الانسان تحول إلى سيد للطبيعة لكنه حتماً سيصطدم بالطبيعة لأنه سيدخل فى علاقات معادية للطبيعة » .

جاءت هذه العبارة على لسان احدى شخصيات مسرحية « مصرع كاسبر هاوزر » لمؤلفها الألماني ديتر فورته .. التي عالج فيها قصة كاسبر هاوزر الصبي الذى لم يقطع المؤرخون والكتاب حتى الآن بهويته وأصله والذى مازال الغموض يكتنف قصته الغريبة المحزنة .

فمن هو قائل العبارة السابقة من شخصيات المسرحية ؟ .. اذا كنت لا تعرف .. ارجع إلى النص الأصلى للمسرحية !

قائل العبارة اسمه مكون من ٦ حروف .
٦ ، ١ ، ٣ بمعنى نهرب .

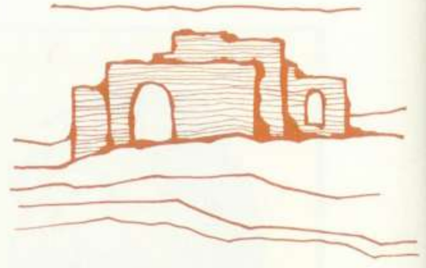


جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ١٨٨٨ .
• مكان الميلاد : بلدة سان لويس ــ ولاية ميزورى ــ الولايات المتحدة الأمريكية .
• الجنسية : أمريكى .
• المهنة : عمل بالتدريس فى مدرسة هاى جيت بلندن .. ثم مساعداً لرئيس تحرير مجلة أدبية بعنوان « ايجويست » .
• الوظيفة : شاعر وكاتب مسرحى وأديب عالمى . وأستاذ فى النقد .
• دواوينه : « قصائدى ــ أربعاء الرماد ــ الديوان الكامل .
• أشهر قصائده : الأرض الخراب . الرباعيات الأربع ــ انقاذ ما يمكن انقاذه .
• مسرحياته : « جريمة اغتيال فى الكاتدرائية ــ حفل كوكتيل ــ رجل الدولة الكبير .
• مكانته الأدبية : قام باحياء المسرح الشعرى بعد أن كان النثر قد طغى على التأليف المسرحى ــ وله نظرية خاصة فى النقد هى الفن من أجل الفن .

• تاريخ وفاته : ١٩٦٥ .
• هل عرفت صاحب هذا الجواز ؟
• اسم صاحب هذا الجواز مكون من حرفين اختصاراً لأسمه الأول ولقبه مكون من ٥ حروف .
١ ، ٤ ، ٥ خارج الخط بالانجليزية .

مسابقة مدن العالم



إنها احدى المدن العربية الشهيرة .. حاول أن تعرفها من خلال المعلومات التى سنعطيها لك عنها :

• هذه المدينة أختارت اللون الأبيض رداء لها فسميت المدينة البيضاء .

• يصف أحمد بن سحنون الراشدى هذه المدينة فى القرن العاشر فى كتابه « الثغر الجمالى » فيقول : هذه المدينة هى ست جزائر فى البحر المحيط من جهة المغرب . وكانت تعرف بقلعة بنى مؤفنه .

• يقال أن بلكين بن زيرى . خليفة العبيديين على المغرب هو الذى بناها وفى قول آخر يقال أن البربر هم الذين أنشأوا هذه المدينة فى مكان مدينة أكسر سيوم الرومانية القديمة .

• والمدينة اليوم تبدو للناظر وكأنها شلالات من البيوت البيضاء الهابطة من أعلى إلى مياه البحر .

• من أشهر معالم هذه المدينة . حي القصبة القديم وباب الواد والفوروم الذى وقف فيه الجنرال ديجول عند زيارته للمدينة يستمع إلى صراخ الفرنسيين وهم ينادودن الجزائر فرنسية .

• وفى قلب المدينة يوجد مسجد كتشاره الذى حوله الاستعمار الفرنسى إلى كنيسة حتى عام ١٩٦٢ ويوجد قصر الشعب الذى كان مقراً للحاكم العسكرى الفرنسى .

• هل عرفت هذه المدينة العربية التى يتكون اسمها من سبعة حروف ؟

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٣

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر خليل مطران هى : فرسى .

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها : العبارة الأولى : فردريش ديرنمات العبارة الثانية : يوجين أونيسكو

٣ ـ جواز سفر : اسم صاحب جواز السفر : سومرست موم .

أسماء الفائزين

فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارئة : مجدة السيد محمد سالم ـ مصر .

فازت بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى .

القارئة سمية عبد الغنى محمود ـ الأردن .

فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى .

القارىء : عبد المنعم محمد الشيخ ـ السودان

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ انيس بوذيبة.......................الجزائر
٢ ـ مساعد العبد الله .... السعودية
٣ ـ أمينة السيد أبو العلا السماحى ...... مصر
٤ ـ أحمد يوسف حبيب .... مصر
٥ ـ راقية غالب حيدر .... عدن
٦ ـ أحمد مروان الموسى..............الامارات
٧ ـ كريم عز الدين أحمد يوسف .... مصر
٨ ـ اسماعيل أحمد محمد .... المغرب
٩ ـ محمد بسام دواليبي...............سوريا
١٠ـ بلقاسم أحمد .... المغرب

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٣

١ ـ الصورة الأولى : يقع هذا الجسر فى الخليج العربى وسوف يربط بين دولة البحرين والمملكة العربية السعودية .

٢ ـ الصورة الثانية : المؤلف العربى : جلال الدين السيوطى .

الصورة الأولى : الفائزة : منيرة سند راشد ـ البحرين .

الفائز : عبد السلام سيف مقبل ـ الجمهورية العربية اليمنية

الصورة الثانية : الفائز : محمد الحسن العقيد ـ السودان .

الفائز : نسرين رفعت عفانة ـ الامارات العربية المتحدة .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٣

أصل وصورة : شعر الرأس ، الجبهة ـ الحاجبان ، العيون ، الأنف ، الفم ، الشارب .

لعبة الظلال : رقم ٣

المثل يقول : اكله لحم ورماه عضم .

يخلق من الشبه أربعين : رقم ٦ .

لأقوياء الملاحظة فقط : مفتاح ، ساعة ، فنجان ، بقرة ، زهرة ، جزرة .

لوحة لم تتم : انديرا غاندى .

هات أجمل تعليق : ان غاب القط إلعب يا فار .

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ـ محمود بن محمد الروامى سلطنة عمان
٢ ـ نور الدين محمد ادريس .... السودان
٣ ـ عثمان عوض الحداد .... السعودية
٤ ـ هشام حسيم محمود الحداد ....قطر
٥ ـ أحمد علي الفراته.................. مصر
٦ ـ جاسم محمد سلمان .... العراق
٧ ـ شمس الدين سليم السيد......... السودان
٨ ـ نبيل عبد الله محسن........ اليمن الشمالى
٩ ـ ايمان الياس ابراهيم .... مصر
١٠ـ ناجى حسن حجازى.......... السودان
١١ـ سمير عطية واصف.................. مصر
١٢ـ محمد علي أبو غنيم ....الأردن
١٣ـ شريف محمد الحاج................ مصر
١٤ـ سمير ابراهيم نور الدين .... مصر

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

دووو



أصل وصورة



بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان العربى دريد لحام الذى أمتعنا بفيلمه « الحدود » اختلافات طفيفة .. حاول أن تتعرف عليها لتحصل على جائزة .

المثل يقول



مازالت أمثالنا الشعبية تعبر فى كل زمان ومكان عن أخلاقيات وسلوكيات يجب أن نتبعها .. ولهذا فإذا تعرفت على المثل الشعبى لهذا الرسم الكاريكاتيرى ففى انتظارك جائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر عربى راحل اشتهر بقصائده الوجدانية التى غناها كبار المطربين مثل عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ونجاة .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية الشاعر لتفوز بجائزة ؟

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .حاول وأرسله الينا لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



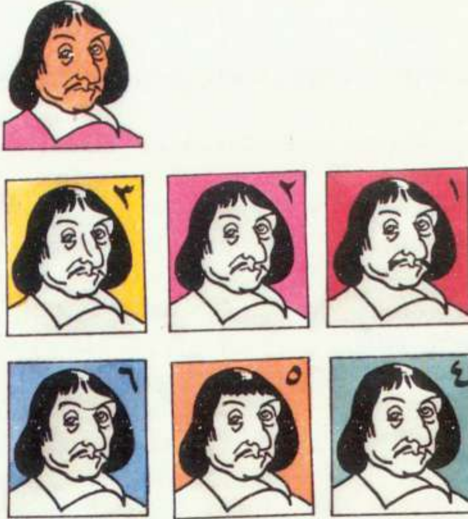
حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، فقد تحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



اللوحات الست المنشورة للفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠) الذى اشتهر بقواعده فى البحث عن الحقيقة كأساس للتربية الحديثة التى تدرب العقل على التفكير المنظم الحر .. وفي هذه اللوحات واحدة تشبهه تمام الشبه ، وفى البقية اختلافات بسيطة .. حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة

بقلم

عبد الله الجفري



من الذي ضاع ؟!

ـ يا من رأى منكم امرأة ضائعة !!

كان هذا النداء يتردد باللغة الانكليزية من ميكروفونات البوليس وهم يتلقون الأخبار باللاسلكي !

أما المرأة التي ضاعت ، فهي ليست قصة ، وأيضاً لم تعد تصلح أن تكون « أنثى » ومطابقة لقصيدة شعر ، ولم يعد في وقتها ما يسمح لها بسماع الموسيقى ، أو بأن تبدو هي « كنغم » زئبقي متماوج !

أبداً ... هي سيدة تسكن في حارة من حارات أوروبا ذات السوق المتحدة ، ولم تكن ترتاد الشوارع الكبيرة الواسعة في مدينتها كثيراً إلا عند الحاجة القصوى !

ولكن هذه السيدة ضاعت فجأة !!

تركت بيتها صباحاً ولم تعد ، وخرج زوجها وأولادها يبحثون عنها ولم يعثروا عليها أبداً ..

وفي أوروبا .. من المستحيل أن تضيع المرأة بالذات عن عنوان بيتها ما دام انها نجحت في اقامة بيت ، ولكنها من الممكن أن تضيع عن عناوين كثيرة في نفسها من الداخل !

واتصل زوجها بالبوليس عله يعثر عليها ..

والبوليس يسأل زوجها : هل تشاجرتما في الصباح ، هل تحبها . هل لكما اصدقاء وأعداء . هل هي جميلة ، نحيفة ، رفيعة ، تشرب أم انها عطشى ! متزنة ، عاقلة ، أم « خلبوصة » على حل شعرها ؟!

ولا يطيق الزوج هذه الأسئلة ، ويصرخ : أولاً أعيدوها .. أوجدوها وسأجيب على جميع أسئلتكم ، ومستعد أن أضيف اليها أسئلة وأجوبة من عندي !

وطيلة ست وثلاثين ساعة كان البحث يجري على قدم وساق ، وسيارة وطائرة هليكوبتر .. حتى كاد اليأس أن يصيبهم .

وأخيراً وجدوها ، كانت سيدة عاقلة ، متزوجة ، ولوداً !!

كانت سيدة تحسن القراءة والكتابة ، ولكنها ترفض الكثير مما تقرأه في الصحف ، وتحب أن تقرأ الكتب بطريقة خاصة !

كانت سيدة تحب زوجها بهدوء شديد .. تحبه فقط كلما خرج من البيت أو خرجت هي ، لأنها تقيس ميزان أشواقها له طالما هو بعيد عن وجهها !

كانت سيدة يحكمها المزاج ـ في بعض الوقت فقط ـ ولكنها تعتقد أن المزاج يحكم العالم كل الوقت !

• • •

وهكذا عثروا على تلك المرأة ـ وهي ذات وجه جميل ومريح ـ وكانت تجلس في إحدى الحدائق ، وبجانبها كتاب تقرأ منه ، وهي مستغرقة تماماً .. مبتعدة عن كل ما حولها .. حتى أنها نسيت الوقت ، ولم تهتم بذهاب النهار ، ووضعت الكتاب بجانبها لأن الليل قد ساد ، ولم تفكر أن تعود الى البيت في هذا الوقت .. فما دام أننا نشعر باحساس معين فالوقت هو ملك الأحساس ، والوقت يبقى متوقفاً بأمر الاحساس !

كانت سيدة في منتصف الثلاثين .. رشيقة ، مبتسمة ، وعندما لقيها رجال البوليس لم يسألوها : أين أنت .. ما الذي تفعلين ؟ .. بل قالوا لها عبارة واحدة فقط هي : لقد تأخرت على زوجك ويريد أن ينام دون أن يترك باب البيت مفتوحاً !!

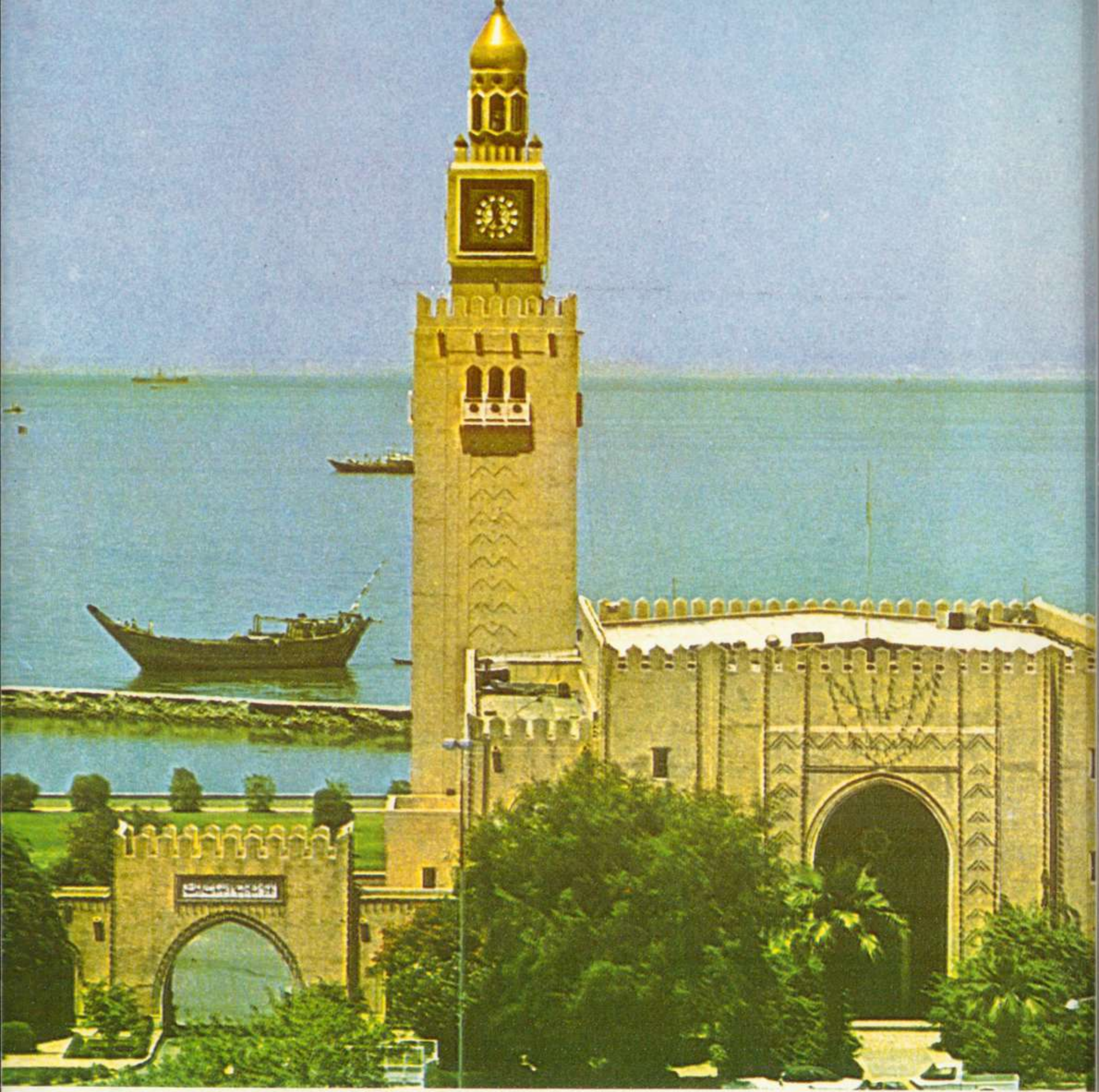
وعندما دخلت بيتها .. كان زوجها قد هدأ بعد أن أخبروه بالعثور عليها تليفونياً ، واستقبلها مبتسماً وهو يتفرج على التلفاز ، ودخلت إلى المطبخ وأعدت العشاء وقالت لزوجها بهدوء : أريدك أن تقرأ هذه الرواية التي شغلتني اليوم عنكم .. اسمها (حيثما اتفق) وكاتبها هو : جيمس هيلتون ، وتحكي قصة عضو في مجلس العموم البريطاني تورط في عدة مشكلات بسبب فقدان الذاكرة ، ومن هذه المشكلات التي تورط فيها ....

ـ وقاطعها زوجها قائلاً : لا أرغب أن تقصي أحداث الرواية .. فأنا أعرف أنك خيالية أحياناً ، وأنك عاطفية جداً ، ولكني اكتشفت اليوم صفة جديدة فيك وهي أنك فقدت ذاكرتك !

ـ وابتسمت الزوجة وقالت : ألسنا نحيا عصراً بهذه الصفة ؟ .. انه العصر الذي فقد ذاكرته ، فلا تتوتر ، وإنما عالج ذلك بقراءة القصص القديمة يا عزيزي . والمهم أنني وأنت نحب بعضنا للأبد !!

فمن الذي ضاع في هذه الحكاية .. الزوجة ، أم الزوج ؟!

جدة



لقطات من الخليج

قصر السيف

يعتبر قصر السيف من أهم معالم الكويت ، فهو مقر الديوان الأميرى .. وكان الشيخ مبارك الصباح الذى تولى حكم الكويت عام ١٨٩٦ هو الذى أمر ببناء المرحلة الأولى من الصرح الحالى ، ومازال جزء من السراى المبنى من الطوب الأصفر باقياً حتى اليوم فى الجانب الغربى من القصر الحالى .

وقد شُرع فى بناء قصر السيف الجديد فى أوائل الستينات ، وروعى فى بنائه البساطة والتراث ، بحيث يتناسب فى شكله مع تصميم المبنى القديم .

ولعل برج الساعة ذا القبة المذهبة من أهم معالم هذا القصر الشهير .



ليلة الحِنَّة.. للفنان البحريني عباس المُوسوي

العدد ١١٦ - ذو القعدة ١٤٠٥هـ - أغسطس/آب ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

■ **الجيلاني: قصّة مجاهد إسلامي كبير**
د. حسن عيسى عبد الظاهر

■ **مهرجان "كان" في مواجهة الإرهاب**
رؤوف توفيق

■ **الأصحّاء لا يشربون القهوة**
د. عبد الله الباكر

الحصان أجمل حيوان وأروع لوحات

بقلم: حسني شحادة



لوحة وفنان

إلقاء الشعر

فتن العرب بطريقة إلقاء الشعر في مجالسهم ، فكانت المنظومة الطويلة ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة تطربهم ــ تماماً ــ كما يطربنا اليوم شدو المغنى .

وكانت الصورة الغالبة للشعراء العرب القدامى ، والتي توارثها من بعدهم الأحفاد تبدأ بالنسيب(الغزل) فوصف الصحراء والرحلة فيها ، والناقة ، ثم المدح أو الهجاء ، وإن كان بعض الشعراء مثل المعرى وابن أبى ربيعة وابن الأحنف فضلوا القصيدة ذات الموضوع الواحد .

ومن وحى هذا التراث الثقافى الأصيل المتواصل ، كانت هذه اللوحة لرجل طاعن فى السن إستغرق فى الاستماع لقصيدة شعرية .. واللوحة للفنان النمساوى « رودلف أرنست » الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨٥٤ ــ ١٩٣٢ ، وكان والده رساماً شهيراً ، وتجنس بالجنسية الفرنسية عام ١٨٧٦ ، ثم اقتصر على رسم المشاهد الشرقية فى عام ١٨٨٦ بعد عدة رحلات إلى الشرق [illegible] وخيال خصب جعله يبدع فى أعماله الفنية ، التى تميزت بالاهتمام بالزخارف العربية الدقيقة والأثواب الحريرية البهية .

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ — الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع — ص . ب ٣٥٨ — الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام — شارع الجلاء — القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات — برامكة ص . ب ٤٩٠٢ — دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان — شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ — بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان — فرع طرابلس ص . ب . ٩٥٩ — طرابلس — فرع بنغازى — ص . ب ٣٢١ — بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ — عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ — المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ — جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ — الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ — بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ — صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع — ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى — عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع — شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط — سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج — ص . ب ٤٤٠ — تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف — ص . ب ٦٨٣ — الدار البيضاء .
  MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية — الجزائر .
  ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١١٦ - ذوالقعدة ١٤٠٥ هـ - أغسطس/آب ١٩٨٥ م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة — قطر .
العنوان البرقي :
المجلة — الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH —
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

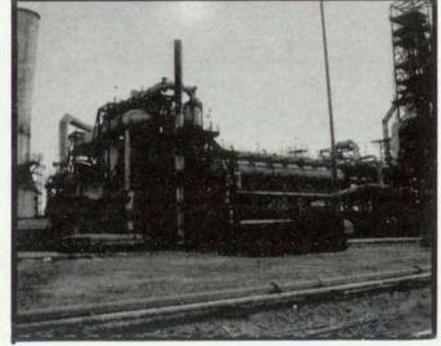
الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــذا العـــــــدد



في قطر : أول مصنع صلب متكامل بالخليج ص (٧٦)



انجي افلاطون .. عاشقة الأشجار والضوء الأبيض ص (١٢٠)



الفريد فرج : الأصول العربية للنهضة الأوروبية ص(١٦)



محمد البشير الابراهيمي من زعماء الاصلاح الاسلامي ص (١٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● جميـــع المراســـلات ترســل باسـم رئيس التحريــر

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

كلمة


د . يوسف إدريس

الثقافة والصيف

كان الجيل الماضى من الأدباء والمثقفين يعتبر الصيف فرصة للعمل الثقافى الواسع ، وكان طه حسين ـ على سبيل المثال ـ يسافر إلى أوروبا ليعتكف فى أحد الفنادق الصغيرة ، ويحمل معه مراجعه المختلفة ليقرأ ويكتب ويعود فى نهاية الصيف بكتاب جديد أو أكثر ، وحتى الأربعينات والخمسينات كانت الأجيال الجديدة من محبى الأدب والثقافة تجد فى الصيف فرصة كبيرة للقراءة الحرة الواسعة ، فكان الكثيرون منهم يعودون إلى قراهم من مدارسهم أو جامعاتهم ، وهناك فى هذه القرى البسيطة كان هؤلاء المثقفون الشبان يعكفون على القراءة تحت ظل شجرة ، أو فى صحن جامع ، أو على ضفة ترعة ، وكانت المكتبات فى تلك القرى العربية المختلفة تتكون بفضل الجهود الذاتية للقارئين أنفسهم ، فكانوا يتبادلون الكتب ويشتركون فى شراء المجلات والصحف ، لأن امكانياتهم المادية لم تكن تساعدهم على غير هذه الطريقة التعاونية فى الحصول على الكتب وخلق الفرص المختلفة للقراءة والتعرف على أحدث ما تنتجه العقول .

ذلك كان شأن « الصيف القديم » ، الذى كان صيفاً للثقافة والنمو العقلى والروحى ، ولكن الدنيا تغيرت فى عالمنا العربى منذ ربع قرن أو يزيد ، عندما دخل التليفزيون بالتحديد حياة الناس ، فأصبح التليفزيون سيد الموقف وخاصة فى الصيف ، وهنا أصبح الصيف فصلا للمتعة والاسترخاء والتسلية والترفيه ، وفى الصيف ينخفض توزيع الكتب بصورة واضحة ، وتنصرف الأجيال الجديدة عن القراءة والتفكير .. فالصيف الآن نوع من الإجازة العقلية الكاملة .

وهذه ظاهرة سلبية تستحق العلاج والمقاومة .

على أن الصيف مازالت له بعض آثاره الثقافية الأخرى ، فكثيراً ما تنفجر فيه معارك أدبية وفكرية واسعة ، وعلى صفحات هذا العدد من الدوحة معركة أدبية ، يشعلها الأديب الفنان المعروف جمال الغيطانى فى الحديث الذى أجرته معه فى القاهرة السيدة سارة ، ففى هذا الحديث يفتح جمال الغيطانى النار على الحياة الأدبية ، ويبدى آراء عنيفة فى عدد من كبار الأدباء والمفكرين ، وقد نشرت الدوحة الحديث كما أدلى به جمال الغيطانى ، الذى يتردد اسمه الآن فى الصحافة العربية والأجنبية بعد ترجمة روايته المعروفة « الزينى بركات » إلى الفرنسية وترحيب النقاد الفرنسيين بها .

وقد حرصت الدوحة على نشر هذا الحديث المثير ، إيماناً منها بحرية الفكر ، ورغبة منها فى تحريك الركود الأدبى الصيفى ، ولكن الدوحة تحرص فى نفس الوقت على التأكيد بأن الآراء الواردة فى الحديث هى آراء جمال الغيطانى ، وليست آراء الدوحة ، فالدوحة تكن كل التقدير والاحترام لجميع الأدباء والمفكرين الذين وردت أسماؤهم فى هذا الحديث المثير ، وعلى رأس هؤلاء جميعاً الأديب والكاتب الكبير يوسف إدريس الذى تعرض للنقد من جانب الغيطانى ، وتؤكد الدوحة أن صفحاتها مفتوحة للمناقشة والرد على ما جاء فى هذا الحديث من آراء .

والدوحة تنتهز هذه الفرصة لتهنئة الكاتب الكبير يوسف إدريس بالموقف العادل للقضاء الذى أنصفه ممن هاجمه يوماً بغير الحق ، حيث قرر الحكم القضائى تعويضاً قدره عشرون ألف جنيه مصرى ليوسف إدريس ضد الشخص الذى اعتدى على يوسف اعتداء أدبياً غير كريم ... فتهنئة ليوسف وللكرامة الأدبية العربية فى كل مكان .

رئيس التحرير

• أدب وفنون •

• أبواب •

المدير الفني: سلمان المالكي

حقائق باهرة يجب أن نعرفها الآن

العقل الإسلامي بين الأصالة والتقليد

بقلم: الدكتور كمال الدين حسن البتانوني

قلما تخلو صحيفة أو مجلة من الحديث عن قضايا التراث، التي يتعرض لها الكتاب بمسميات عديدة، وليس هدفنا التعرض لمناقشة هذه المسميات، أو تغليب رأي على آخر، أو بحث ماهية الأصالة وماهية المعاصرة، وغير ذلك من الموضوعات، إنما نهدف إلى عرض بعض الجوانب المشرقة من التراث العلمي الاسلامي.

ويجمل بنا، قبل الولوج في الحديث عن التراث العلمي الاسلامي، أن نوضح للقارئ أننا نقصد بالتراث العلمي، ما خلفه لنا المسلمون الأوائل من آثار جليلة في مجالات العلوم الطبيعية الأساسية من معارف، من رياضيات وطبيعة وكيمياء، وفلك ونبات وحيوان وجيولوجيا، وتطبيقات هذه المعارف في الطب والزراعة والهندسة والصيدلة والبيطرة وما إليها.

أما المعارف الأدبية والفلسفية والدينية، فانها خارجة عن نطاق هذه الدراسة، حتى لا نتوه في متاهات لا قبل لنا بها، مع اعترافنا بأن التراث الاسلامي في هذه المجالات، ما زال يمثل معينا ثراً لا ينضب، ننهل منه كل يوم.

ورغم أن المؤلفات العلمية التراثية كانت المصدر الأول لكثير من المعارف عند الأوروبيين في بداية نهضتهم، وكانت العمدة في دراسة العلوم عندهم، فإننا للأسف لا نشير في حديثنا عن الاكتشافات العلمية إلا للغربيين، مع أن كثيراً من هذه الاكتشافات كانت بفضل التراث العلمي الاسلامي.

إن الغرب يطنطن لهارفي على أنه مكتشف الدورة الدموية، مع أن مكتشفها الأصلي هو ابن النفيس الطبيب المسلم.

كما يعتز الغرب بآراء علمائه في الطبيعة والضوء والانكسار والابصار، ومصدرها الأصلي منذ قرون مضت هو ابن الهيثم وما نادى به «لا مارك» من أثر الطبيعة والبيئة على الكائنات الحية، لم يغفله ابن خلدون، حيث قال: إن العادة قد تغير من صفات العضويات، بمثل ما يغير الطقس.

ومما يؤسف له أن ما ندرسه وما ندَرِّسه من مناهج عبر المراحل التعليمية لا يتعرض لانجازات العلماء المسلمين مثل ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي وابن النفيس والرازي والدينوري والجاحظ وغيرهم من العلماء الذي يزدهي بهم العلم في كل عصر وآن. فاذا اعتز الغرب بعلمائه، فينبغي علينا ألا نغمط حق علمائنا الذين نقل عنهم الغرب في سالف الأيام.

ما هو التراث العلمي الذي نعنيه؟

إننا نقصد بالتراث العلمي ما خلفه العلماء المسلمون من ألوف المصنفات والكتب والرسائل، والتي تكتظ بها مكتبات الشرق والغرب، العامة منها والخاصة، والتي حقق منها القليل، ومازال الباقي مخطوطاً كما تركه مؤلفوه، أو كما خطه ناسخوه.

وقد لايكون هناك أمة من الأمم لها ما للأمة الاسلامية من تراث خالد، ذي أثر بعيد الغور في تطور العلوم. حتى قيل وبحق، إنه لولا أعمال علماء المسلمين من أمثال ابن الهيثم وابن سينا والبيروني والرازي والخوارزمي والبتاني والكندي وابن النفيس والزهراوي وغيرهم، لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء، ولتأخر سير المدنية عدة قرون (١).

وعلى الرغم من الهجمات التي يتلقاها التراث الاسلامي، فان هناك بعض المنصفين من علماء الغرب، الذين يعترفون بأن أوربا مدينة للمسلمين بخدمتهم العلمية، تلك الخدمة التي كانت العامل الأكبر في النهضة الأوربية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

فقد كانت الحضارة العلمية العربية الاسلامية بمثابة حلقة الاتصال بين الحضارة الإغريقية والحضارة الحديثة.

هل هو تراث عربي أم اسلامي؟

يزعم البعض أن الحضارة التي ازدهرت في الفترة من القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) حتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في الأقطار التي سادها الاسلام في قارات ثلاث هي آسيا وأفريقيا وأوربا، حضارة عربية، استناداً إلى دور العرب في تلك الحضارة، وإلى أن اللغة العربية كانت لغة العلم، فمن أراد في ذاك العصر الذي ذكرناه، أن يكتب علماً تقرؤه الناس من القاطنين في أرجاء العالم الاسلامي المترامي الأطراف، لجأ إلى العربية فكتب والف بها، ونشر علمه بين الناس بلغة العرب.

ومن الفريق الذي يدافع عن وجهة النظر هذه «هل» (٢) حيث يقول: «ولايمكن أن نغفل في معالجة تطور العلم في الاسلام الدور الذي قامت به في ذلك الميدان أمم عديدة دخلت هذا الدين، .. ولكن يجب برغم ذلك أن لا نبخس قيمة الأثر الكبير الذي تركته العقلية العربية في الحضارة الاسلامية، وإن كان من الصعب تقدير هذا الأثر تقديراً دقيقاً، ذلك أن نفراً من الباحثين أراد أن يبخس أثر العرب في تلك الميادين، فزعم أن العلماء


ابن خلدون


الرازي


ابن سينا


الخوارزمي

المسلمون أسبق من الأوربيين وهم رواد الاكتشافات الكبرى التي ينعم بها الانسان في هذا العصر ولولا علماء المسلمين لتأخر سير المدنية عدة قرون

المسلمين كانوا من أمم مختلفة ، ملكوا ناصية اللغة العربية ، وعاشوا في اتصال وثيق مع العرب ، ودونوا تاريخهم وأشعارهم وأفكارهم وألفوا الدراسات العميقة المسهبة في شتى العلوم ، وأنهم لم يستمدوا أصول تفكيرهم في كل ذلك من ينابيع عربية ولكن ينبغي أن لا ننسى أن العرب هم الذين أثاروا في تلك الأمم من جديد الشوق إلى المعرفة وأتاحوا لها الفرصة لارضاء هذا الشوق المتجدد ، وكذلك يجب ألا ننسى أن دولة عربية هي التي رعت الحضارة والثقافة بشكل رسمي وبذلت جهدها لإحياء العلوم والسير بها إلى الأمام » .

كما يذهب البعض إلى تسميتها بالحضارة العربية نظراً لمشاركة عدد من أصحاب الديانات الأخرى من مسيحيين ويهود وصابئة وغيرهم في منجزات هذه الحضارة .

ومن ناحية أخرى ، يرى البعض الآخر بأن تسمية تلك الحضارة بـ « الحضارة العربية » ليست على درجة كبيرة من الدقة ، آخذين في اعتبارهم أن العنصر العربي لم يسهم وحده في تكوين هذه الحضارة وابداعها ، بل لقد شاركه في ذلك أمم مختلفة من فرس وآسيويين آخرين وسريان ، وغيرهم من الشعوب التي عاشت في ظل الدولة الاسلامية ، هذا إلى جانب حكومات إسلامية غير عربية أسهمت في احتضان تلك الحضارة ، وساعدت على نموها وتطورها ، وذلك بعد الانحلال والتفكك الذي أصاب الدولة العباسية منذ منتصف القرن الثالث الهجري .

ولكن هذا العالم الاسلامي ، رغم ما يضمه من دول منفصلة من الناحية السياسية ، إلا أنه ظل عالماً مشتركاً في هوية واحدة ، هي الهوية الإسلامية التي تجمع شتاته وتميزه عن غيره من مناطق العالم ، فقد كان عالماً اسلامياً لا عربياً فحسب ، يقوم على وحدة العقيدة المشتركة ، بديلاً عن عصبيات الروابط العرقية والقبلية ، ولذلك فان الحضارة والتراث الذي نحن بصدده إسلامي .

وفي هذا الصدد ، يجدر بنا أن نورد ما ذكره المؤرخ الكبير الاستاذ محمد شفيق غربال ، حيث يقول : « ... مما ذاع بيننا نقلاً عن المصطلح الفرنجي تقييد استعمال الكلمة « اسلامي » فكما أن العلماء الأوربيين لا يستخدمون في دراستهم التاريخية الوصف (نصراني) إلا على الأزمنة السابقة للعصور الحديثة والمعاصرة أو لا يطلقونه إلا على ما يتصل بالعقائد ، فانا أيضاً أخذنا عنهم تحديد طور « اسلامي » داخل أطوار الامم الاسلامية . هذا المصطلح الفرنجي له ما يبرره عندهم ... أما عندنا فما وجه تبريره ؟؟ » .

وهناك قوم يقفون بين هؤلاء وأولئك ، فيطلق الدكتور عنقاوي اسم « الحضارة العربية الاسلامية » إذ هي عربية في لغتها وفي العناصر العربية المسلمة وغير المسلمة التي أوجدتها ، كما هي اسلامية في روحها وفي الحكومات التي احتضنتها وفي الشعوب الاسلامية وغير العربية التي شاركت فيها وأبدعتها وغذتها بنتاجها وتراثها .

وفي رأينا أنها حضارة اسلامية ، خلفت تراثاً علمياً اسلامياً ، مستشهدين بما قاله الدكتور عنقاوي رغم تسميته لها بالحضارة العربية الاسلامية فيقول : « الاسلام هو الدين الذي فتح آفاقاً جديدة للشخصية العربية ، ومهد لها السبيل لتحتل مكانتها بين أمم الأرض ، وهو أيضاً الدين الذي حض على التعليم وتحصيل الثقافات أينما وجدت » .

فقبل الاسلام لم يكن للعرب ذلك التراث العلمي العظيم ، الذي يحوي العديد من المعلومات والمعارف العلمية ، وكذا الآراء والنظريات والمشاهدات والتجارب .

فلم يكن لهم تراث يمثل نواة لمثل هذا التراث العلمي الاسلامي الذي خلفه المسلمون ، ولما أفاء الله عليهم بالاسلام ، تغيرت الأوضاع تماماً ، فطلبوا العلم وأعانوا على البحث فيه ، فالاسلام دين يحض في دأب وعنف على طلب العلم ، إنه لدين معجزته كتاب ، ألا وأول آيه « اقرأ » ، وإنه ليوصي بإمعان النظر في ملكوت السموات والأرض ، والتفكر في خلق الله ، والإمعان في معرفة الكون والكائنات .

ولم يكن الفاتحون المسلمون مجرد غزاة من الصحراء ، بل كانوا فاتحين يحملون معهم الاسلام ، والاسلام دين جامع ، يمثل نظاماً يحيط بكل جوانب الحياة الانسانية .

وبذا كان لابد للمسلمين أن يمارسوا حياة إسلامية في مجتمع إسلامي ، في ديار إسلامية .

لقد انطلق المسلمون الفاتحون في الشرق والغرب ، ووجدوا أنفسهم إزاء حضارات أكثر تقدماً وغنىً بمراحل عن أية حضارة عرفوها من قبل ، ولكن الفتح الاسلامي ، وحد الثقافة في مجتمع اسلامي تسوده النظرة الاسلامية التي أصبحت النهج المقبول للدولة والمجتمع . وأصبح المسلم ينتقل بحرية من أدنى الدولة الاسلامية إلى أقصاها ، ويكفيه أن يتوجه للمسجد ليشعر أنه في وطنه ، فلا غربة في العالم الاسلامي ، ومساجده دور عبادة ودراسة ، وهكذا نشأ مناخ لم تتعود عليه الشعوب التي فتح الله عليها بالاسلام قبل ذلك .

وفي هذا المناخ الاسلامي ، البعيد عن التعصب العرقي والطائفي والديني ، تكونت ثقافة وحضارة عالمية جديدة ، ونتج تراث اسلامي ، ذو هوية مستقلة وشخصية متميزة الخصائص .

ولو لم ينشأ هذا المناخ الاسلامي ، لم تكن هناك

أدنى فرصة لتكوين هذا التراث ، الذي ساهم فيه العرب والعجم وأهل الذمة تحت مظلة الاسلام .

لكل هذا وغيره ، نعتقد أن هذا التراث العلمي اسلامي المولد والنشأة .

ورغم قولنا هذا ، فاننا لا نتبع تماماً مقولة ابن خلدون « من الغريب أن حملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، وليس في العرب حملة علم .. » أو قوله : أما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم ، والنظر فيه ، فانهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولي سياستها مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء أبداً يستنكفون عن الصنائع والمهن ، وما يجر إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين ، ومازالوا يرون لهم حق القيام به ، فانه دينهم وعلومهم ... (٦) .

وإنا لنعتبر هذا تجنيا على العرب المسلمين ، فهم الذين احتضنوا العلماء من المسلمين الأعاجم ومن غير المسلمين ، وبرعايتهم لأمور الدولة ، فقد وفروا المناخ المناسب للفكر والعلم ، بل إن بعضهم ملك ناصية بعض العلوم وأتقنها .

أما أن التراث بلغة عربية ، فلأنها لغة العقيدة ، ولأن استعمال اللسان العربي صار من شعائر الاسلام ، ولا نقول أبداً كما قال الغربيون إنها لغة الغزاة ، فكم من غزاة اندمجوا في الشعوب المغلوبة وتاهت لغتهم ، لكن اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم ، كرمها الله بذلك وشرفها ، قد لعب الاسلام الدور الأول والرئيسي في انتشارها وسيادتها . ويجمل بنا في هذا الصدد ، أن نعترف بأن اللغة العربية تتسم بطاقة ضخمة على أن تكون أداة للتخاطب المصقول والتعبير عن الافكار المعقدة ، ويمكن فيها توليد كلمات جديدة تشتق من صيغ الأفعال ، وبها يمكن حشد عديد من المعاني في تعبير واحد موجز قوي الايحاء ، ولا مراء أنها أداة رائعة للتفكير والبحث العلمي .

نقل أم إبداع ! !

يتعرض التراث العلمي الاسلامي للهجمات من قبل بعض مفكري الغرب ،أو من سار سيرتهم ، ونهج نهجهم ، وهؤلاء يدعون أن هذا التراث تقليد ونقل مطلق عن اليونان وغيرهم ، مجردين هذا التراث من صفة الابداع والابتكار .

وقبل أن نناقش موضوع النقل والابداع ، يحسن بنا أن ننقل هنا ما ذكره الاستاذ قدري حافظ طوقان (٧) ، مع اختلافنا معه في تسمية « الحضارة العربية » ، يقول : « إن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج عن منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت . وقد قام أصحابها العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى حماسة وفهم ، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل إن في نقلهم روحاً وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكياً ، فهو أبعد ما يكون عن الجمود ، وقد خطوا في العلوم خطوات فاصلات كان لها أبعد الأثر في تقدمها ، فبعد أن اطلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء في سائر ميادين المعرفة نقحوه وشرحوه ،وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار . »

وأضيف ما ذكره الدكتور عمر فروخ (٨) حيث يقول : « ويجب علينا أن نعلم أن العلوم ــ وهي وجه من أوجه الحضارة ــ لا تبرز في الأمة فجأة ، مقطوعة عن جهود الأمم السابقة ، بل تنتقل من أمة إلى أمة ، وفضل كل أمة إنما هو فيما تزيده في التراث العام للانسانية » ، كما أضيف قول برنارد لويس (٩) : « ولم تكن الحضارة الاسلامية ، رغم تنوع أصـــولها ، مجرد تجميـــع آلي للثقافات القديمة ، بل هي بالأحرى خلق جديد انبثت فيه جميع هذه العناصر لتكون حضارة جديدة أصيلة ، ذلك بأن انتقلت إلى صورة عربية اسلامية ، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل تطور هذه الحضارة . »

ولعلنا نتفق مع بادو (١٠) في قوله : « وصحيح أن صانعي الحضارة الاسلامية ، أول الأمر ، ضموا هذا التراث المتنوع (يقصد تراث الكتابات الإغريقية القديمة والفكر الأفلاطوني ، والمؤسسات البيزنطية ، والتشريع الروماني ، والبحث العلمي السرياني والفني الفارسي) إلى ملكهم ضماً لم يكد يناله التحوير ، ولكن لم يمض إلا قليل من الوقت حتى أصبحوا أكثر اصطفائية في الانتفاع به ، وأخذوا يدمجون عناصره في قوالب ونماذج مستحدثة ، وجد فيها أهل العلم الاسلامي مادة للبناء وحافزاً للابداع ، أما النتيجة فلم تكن مجرد تلفيق متباينات صفت فيه جزيئات الثقافات المتفرقة ونثاراتها بعضها لصق بعض ، بل كانت في الحق خلقاً جديداً ذا نسق مميز خاص به ، تسري في ثناياه روح جديدة ويمثل نظاماً اجتماعياً جديداً . »

وإذا كان المسلمون الأوائل أفادوا من الحضارة الاغريقية ، فان الباحث المنصف لا يمكن أن يغفل أمر المدنيات والحضارات القديمة ، التي سبقت العصر الاغريقي ، وتقدمت عليه في التاريخ ، ولا يمكن أن تكون المدنية الاغريقية قد نشأت فجأة ، وبمعزل عن المدنيات الأخرى من بابلية وأشورية وفرعونية ، فالحضارات لا تعيش بمعزل عن بعضها البعض ، لكنها تتفاعل مع بعضها مكونة تراثاً إنسانياً ، يضاف إليه كلما ازدهرت الحضارات .

وقد أنصف هيرودوتس الحضارات القديمة عندما قال : إن معظم فلاسفة الاغريق القدامى ، كانوا يقضون شطراً من حياتهم على ضفاف النيل في مصر وفي بلاد ما بين النهرين .

ويقول الدكتور عبدالحليم منتصر (١١) : « يعترف المنصفون من المستشرقين بأن الرومان وهم ورثة اليونان ، لم يحسنوا القيام على التراث الاغريقي ، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك ، فقد حفظوا هذا التراث وأتقنوه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تعدوه إلى ترقية ما أخذوه وتطبيقه ، باذلين الجهد في تحسينه وإنمائه ، حتى سلموه لعلماء النهضة الأوروبية ، فعلماء العصر الحديث » .

كما يذكر الدكتور توفيق الطويل (١٢) في معرض حديثه عن التراث العربي الاسلامي : « وهكذا نرى من كل ما أسلفنا أن العرب قد نهلوا من علوم الأوائل ــ شأنهم في هذا شأن بناة الحضارة من شعوب الأرض طراً ،ولكنهم لم يقفوا عند حد الطلب ، ولم يقنعوا بما تلقوا من معارف بل أخذوا يتحررون بالتدريج من التقديس الخرافي للأوائل ، وبفضل مناهجهم العلمية تجاوزوا مرحلة النقل والتقليد إلى مرحلة الابداع والتجديد ، وكان مرد هذا إلى ما تهيأ لهم من خصائص التفكير العلمي الذي سبقوا بها عصرهم ، وتميزوا بها دون من عاصرهم من شعوب الأرض ، وكشفوا ، عن طريقها ، عن كنوز من الحقائق ميزت تراثهم الأصيل المبتكر ، واتجهت أوروبا وهي تنفض عنها أثواب تخلفها الذي غطت فيه قروناً ، فاستيقظت على نور العلم العربي واستضاءت به في مسيرتها نحو التقدم والازدهار العقلي الذي تمارسه اليوم » .

والمسلمون في دورهم في النقل والترجمة والدراسة ، لم يكونوا كالنمل يجمع غذاءه ، ويحفظه كما هو حتى وقت الحاجة إليه ، إنما كانوا كالنحل ، يجمع الرحيق ، بل يصطفي ما يجمعه ، ويهضمه ويقدمه للانسانية عسلاً ســـائغاً ، فيه شفاء للناس . وفي ظل الاسلام الوارف ، أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ، وانتجوا تراثاً علمياً اسلامياً ، وظهر عدد من العلماء المسلمين يزدهي بهم العلم ، شاركوا مشاركة فعالة في بناء النهضة العلمية الانسانية ، وخطوا بالانسانية خطوات فسيحة في سبيل الرقي والتقدم .

ويجمل بنا أن ننقل ما ذكرته الدكتورة سيجفريد هونكه (١٣) عن موقف أوروبا تجاه التراث الاسلامي ، فتقول : «وفي مراكز العلم الأوروبية ، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يده إلى الكنوز العربية هذه يغرف منها ما شاء الله له أن يغرف وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب ، ولم يكن هناك كتاب واحد

من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الحضارة العربية ، فالكتب التي درسها الدارسون ، واستند إليها الباحثون ، كانت كتب ابن سينا وأبي القاسم الزهراوي وابن زهر وحنين بن اسحق واسحق الاسرائيلي ، وكما كانت الثقافة اليونانية منهلاً للعرب ، كذلك أصبحت الثقافة اليونانية العربية منهلاً للأوروبيين المتعطشين للعلم والمعرفة . »

ولعلنا نلاحظ أن المستشرقة الألمانية ، رغم إنصافها للمسلمين وحضارتهم فيما ذكرته ، إلا أنها تصر على تسميتها بالحضارة العربية ،وتحاول ربط الثقافة العربية بالثقافة اليونانية بتسميتها ثقافة يونانية عربية .

وانا لنعتقد أن في هذا تجنيا على الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامي ، وإلا كان من الأحرى بنا أن نقول الثقافة الفرعونية البابلية الأشورية اليونانية العربية . وهذا يوضح لنا حقيقة يجب ألا تغيب عن أعيننا ، وهي أنه حتى من يحاول إنصاف الحضارة والتراث الاسلامي ، فانه يدس بعض المفاهيم والمسميات ، لوياً للحقائق ، ليخدم بها هدفاً لا يخفى على كل لبيب .

وبالرغم من أن بعض علماء الغرب قد أعماه التعصب والحقد ، فلم يعترف لعلماء المسلمين بالفضل ، فانه تظل هناك حقيقة واحدة ، هو أن كثيراً من النظريات والآراء العلمية الحديثة إنما تمتد جذورها إلى التراث الاسلامي ، الذي قدم ألوف المؤلفات والكتب والمصنفات التي ظلت العمدة التي يعتمد عليها علماء الغرب طيلة قرون وقرون .

أهم مصدر لعلماء الغرب

واذا كان هناك بعض المغرضين في طمس هذه الحقيقة ، فان التاريخ يقف شاهداً بأن التراث العلمي الاسلامي كان أهم مصدر لعلماء الغرب حينما نهضوا بحضارتهم ، والأمثلة كثيرة تفوق الحصر ، ولا يمكن مجرد سردها في الحيز الضيق المتاح لهذا المقال ، وإن كنا نضرب بعض الأمثلة ، فهي تمثل قدراً ضئيلاً ، ونزراً يسيراً من اسهامات التراث العلمي الاسلامي في الحضارة الغربية . ولقد بدأت ترجمات التراث العلمي الاسلامي إلى اللغة اللاتينية ــ التي كانت لغة العلم في وقت ما في دول أوروبا ــ منذ قرون عديدة . وعلى سبيل المثال ترجم الطبيب اليهودي فرج بن سالم عام ٦٧٨ هـ/١٢٧٩ م كتاب « الحاوي » لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى ٢٢٣ هـ/٩٣٤ م) إلى اللاتينية . فكان من حيث حجمه واحداً من أوائل الكتب الطبية الضخمة التي طبعت في الغرب ونشر عام ١٤٨٦ م وأعيد طبعه أكثر من مرة في القرن السادس عشر ، وهو دائرة معارف ضخمة .

ومن رسائل الرازي المشهورة التي أبدى فيها أصالة وابتكاراً ، رسالته في الجدري والحصبة ، التي ترجمت إلى اللاتينية عام ١٤٩٨ م في البندقية بواسطة فالا ، ثم نشرها مع ترجمتهااللاتينية عام ١٧٦٦ م شاننج ، ونستطيع أن نتبين أهمية هذه الرسالة إذا عرفنا أنها طبعت بالانجليزية وحدها أربعين مرة بين سنتي ١٤٩٨ و ١٨٦٦ .

أما أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (المتوفى ٤٠٤ هـ/١٠١٣ م) فقد ألف كتاباً بعنوان « التصريف لمن عجز عن التأليف » ، وقد لعب هذا الكتاب دوراً كبيراً في اثراء المعرفة الطبية ، بما حوى من اكتشافات ، عند الغربيين منذ زمن بعيد .

فقد كان الزهراوي السابق إلى ربط الشرايين والأوعية الدموية لإيقاف النزيف في الجراحات ، وكان أول من قدم وصفاً واضحاً للأحوال والظروف الوراثية المرتبطة باستعداد بعض الأجسام للنزيف ، وعالجه بالكي ، كما كان أول من وصف بعض أوضاع الجنين في الرحم ، وجسور الأسنان ذهبية وفضية ، وأدوات ضغط اللسان والقسطر الرصاصي .

كما أجرى جراحات ناجحة في شق القصبة الهوائية وتفتيت الحصاة في المثانة وغير ذلك كثير .

وللأسف لا توجد طبعة كاملة لكتابه « التصريف » وقد ترجمت بعض مقالاته إلى اللاتينية منذ عام ١٤٢٣ م (٨٢٦ هـ) بواسطة بيترو أرجيلانا ، كما ترجم جيرار كريمونا بعض رسائل الزهراوي . ويكفي أن نذكر أن الجراح الفرنسي « جي دي شولياك » استشهد في كتابه « الجراحة العظيمة » الذي اكتمل عام ١٣٦٣ م (٧٦٤ هـ) بكتاب التصريف أكثر من مئتي مرة .

أما كتاب القانون لأبي علي الحسين بن عبدالله ابن سينا (المتوفي ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م) فقد ترجمه إلى اللاتينية جيرار دوجمونسيري ، وطبعت أجزاء من هذه الترجمة عدة مرات قبل عام ١٥٠٠ م (ميلانو ١٤٧٣م ، بادوا ١٤٧٦ م ١٤٩٧م البندقية ١٤٨٣ م الخ) وطبعت الترجمات كاملة في البندقية (١٥٤٤ ، ١٥٨٢ ، ١٥٩٢ م) ولوفان ببلجيكا (١٨٥٨ م) ونابولي (١٤٩١ ــ ١٤٩٢ م) ، وترجم الكتاب أيضاً إلى العبرية .

وأول طبعة عربية صدرت من هذا الكتاب كانت في روما عام ١٥٩٣ م ، كما طبع في القاهرة مطبعة بولاق عام ١٨٧٧ م .

ومن الطبعات الجزئية للقانون طبعة باريس ١٦٥٧ ، وهاله ١٧٩٦ وفريبورج ١٨٤٤ وهولندا (ليدن ، ١٨٩٦ م) وكانت كليات الطب في الغرب ــ حتى أوائل القرن العشرين ــ تنشر في رسالاتها أجزاء من الكتاب كما أنه كان أساساً لتعليم الطب في كل أوربا .

أما كتاب شرح تشريح القانون لابن النفيس (المتوفي ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨ م) ، الذي توصل فيه في أول ثورة حقيقية على تشريح جالينوس ، إلى كشف الدورة الدموية ، فقد ترجم إلى اللاتينية في البندقية عام ١٥٤٧ م .

ومن العجيب أنه ظهر ثلاثة من علماء أوروبا يصفون دورة الدم في الرئة بنفس الألفاظ التي استخدمها ابن النفيس ، هم ميشيل سرفيتوس الاسباني ، الذى نشر كتابه Christianismi Vestituto عام ١١٥٣ م ، وقد أعدم بسببه حرقاً .

وريالدو كولومبو أستاذ التشريح فى جامعة بادوا ، الذى نشر عام ١٥٥٩ رأيه فى كتابه ثم وليم هارفي (توفى ١٦٥٨ م) الذي نشر عام ١٦٢٢ م كتابه Motu Cardis ونسبت إليه نظرية الدورة الدموية ! .

هذه عينة صغيرة ، وهناك الكثير مما نقله الغرب من التراث العلمي الاسلامي في مجال الرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب والجغرافيا والفلك وغير ذلك من العلوم .

ونأمل من هذه الدراسة وأمثالها ، أن يتعرف النشء العربي المسلم على تراث أجداده الأولين ، ويعلم أن الحضارات دورات تمر من قوم إلى آخرين ، وخلال دورة الحضارة ، يضاف إليها ما يثري التراث الانساني ، وأن المسلمين أضافوا الكثير إلى هذا التراث .

كمال الدين حسن البتانوني
جامعة قطر

هوامش

(١) الدكتور عبدالحليم منتصر . احياء التراث العلمي العربي . مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم . العدد الخامس . ص٥

(٢) هل : الحضارة العربية . ترجمة ابراهيم العدوي . القاهرة ١٩٥٦ ص ٩٨

(٣) وردت في الفكر الجغرافي . تأليف نفيس أحمد ، ترجمة فتحي عثمان . دار القلم الكويت ط٢ ١٩٧٨

(٤) الدكتور عبدالله عقيل عنقاوي . الأصالة والتجديد في الحضارة العربية مجلة كلية الآداب . جامعة الملك سعود .م ٩ (٤٧ ــ ٦٢) ١٩٨٢ . ص ٥٢

(٥) نفسه ص ٥٦

(٦) ابن خلدون . المقدمة

(٧) قدري حافظ طوقان . من تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . دار الشروق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ١٩٦٣

(٨) الدكتور عمر فروخ . تاريخ العلوم عند العرب . دار العلم للملايين . بيروت ط٣ ١٩٨٠ ص٩

(٩) برنارد لويس : العرب في التاريخ ص ١٩٢

(١٠) جون س . بادو : دور العرب في الثقافة الاسلامية . في عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة . مركز الوثائق والدراسات . ديوان رئيس الدولة . أبوظبي . دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٧٧ . ص ٢٠

(١١) الدكتور منتصر نفسه ص ٥

(١٢) الدكتور توفيق الطويل : في تراثنا العربي الاسلامي . عالم المعرفة (٨٧) مارس ١٩٨٥ . ص ٦٢

(١٣) سيجفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة بيضون دسوقي . بيروت ١٩٦٩ .

نهاية أبي حيّان التوحيدي

كنت أسير في حديقة من حدائق لندن مبتهجاً بنبأ صدور كتاب جديد لشاعر ينشر الجهل والزكام والعمى باسم الحداثة ، فاصطدمت فجأة برجل عجوز صدمة قوية أوشكت أن تطرحه أرضا ، فاضطربت وخجلت وارتبكت ، ولكني ما أن فتحت فمي راغبا في الاعتذار حتى قال لي الرجل العجوز بلغة عربية فصحى وبلهجة حانقة موبخة : « أأنت أعمى ؟ لماذا لا تستخدم عينيك اللتين منحهما الله لك كي تبصر ما حولك ؟ » .

فبادرت إلى الاعتذار بحرارة ، ولكن الرجل العجوز ظل غاضبا ، وقال لي : « أنصحك بالذهاب فورا إلى أقرب طبيب عيون ، فكيف تصطدم بي بينما الحديقة واسعة إلى حد أنها تصلح لأن تكون ساحة يتقاتل فيها جيشان ؟ » .

قلت للرجل العجوز بصوت يشبه صوت شحاذ : « أنت عربي وأنا عربي ، والعربي أخ للعربي في كل مكان في العالم ما عدا الوطن العربي ، فلماذا لا نجلس على مقعد من مقاعد الحديقة ونتعارف ونتحادث بدلا من أن تستمر في توبيخي على خطأ غير مقصود ؟ » .

ففكر الرجل العجوز لحظات ، ثم جلس على أحد المقاعد القريبة ، وجلست بجواره قائلا له : « ما الاسم الكريم ؟ » .

قال الرجل العجوز : « اسمي أبو حيان التوحيدي » .

فقلت وأنا أبتسم : « اسم جميل لابد من أن المرحوم والدك كان معجباً بالأديب العربي الشهير أبي حيان التوحيدي ، فاختار اسمه كي يكون اسمك » .

فقال لي الرجل العجوز بغيظ واعتداد : « أنا أبو حيان التوحيدي نفسه الذي تقول عليه إنه الأديب المشهور » .

فضحكت ، ثم قلت : « غير معقول أنت بالتأكيد محب للمزاح ، ولو كان ما تقوله صحيحا فهذا اليوم هو يوم تاريخي في حياتي لأني معجب بكتب التوحيدي اعجاباً يثير حنق زوجتي وغيرتها ، ويدفعها إلى أن تقول لي : لماذا تزوجت بي ولم تتزوج الكتب ؟ » .

فقال الرجل العجوز : « ما أقوله هو الصدق ، وأنا لا أكذب ، وميزتي في كتاباتي هي أني إذا اضطررت إلى الكذب فإني أتعمد أن أكذب كذبا ليس من العسير على القارىء أن يكشف أنه كذب » .

قلت بحيرة : « ولكن الكتب تقول إنك قد مت قبل مئات السنين » .

قال أبو حيان : « لا تكن ساذجا ، ولا تصدق كل ما تقوله الكتب فهي أحيانا ملأى بالأكاذيب المخجلة ، فالأديب الأصيل المبدع لا يموت ويبقى حيا بينما يكون الأديب التافه ميتاً وهو حي » .

فقلت بأسى : « ولكننا الآن في زمان لا حياة فيه ولا تكريم ولا اجلال إلا للأديب التافه بينما الأديب الحقيقي محكوم عليه بالفناء أو النوم أو الدفن تحت جبال من الغبار » .

فلم يعلق أبو حيان بكلمة على ما قلته إنما راح يحملق بإعجاب إلى أشجار خضراء .

فسألته : « متى جئت إلى لندن قادما من الوطن العربي ؟ » .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

قال أبو حيان : « أنا لم آت من أي بلد عربي بل أتيت من أوغندا » .

فقلت بدهشة : « أوغندا ؟ ماذا كنت تفعل في أوغندا ؟ » .

فضحك أبو حيان التوحيدي ضحكة هازئة ، وقال لي : « أنت كمن يسأل السمكة عما تفعل في الماء . أنا أوغندي الجنسية ، ومقيم بأوغندا ، وجواز سفري أوغندي » .

قلت مبهوتا : « وجنسيتك العربية ؟ » .

قال أبو حيان : « تخليت عنها منذ أعوام بسرور لا يوصف وبحزن لا يوصف » .

قلت : « وما السبب ؟ » .

قال أبو حيان : « لا تسألني بل اسأل الأحوال العربية » .

فصحت غاضبا : « يا للعار ! لم أكن أتخيل أنك ستهجر جنسيتك العربية . كيف سمح لك ضميرك بارتكاب مثل هذا الفعل المنكر ؟ » .

فتأملني أبو حيان بنظرات متفحصة ، ثم قال لي بازدراء : « يخيل إلي كأنك تلومني مع أنك لو أتيحت لك فرصة الحصول على الجنسية السيريلانكية لا نقضضت عليها بالأظافر والأسنان والأضراس » .

فنكست رأسي قائلا : « وكيف حياتك الجديدة في أوغندا ؟ » .

قال أبو حيان : « رائعة مدهشة ! مثالية ! في سنة واحدة اعتقلت شهرا بتهمة أني رجعي ، واعتقلت شهرا بتهمة أني يساري ، واعتقلت شهرا بتهمة أني أكتب مديحا ، واعتقلت شهرا بتهمة أني أكتب هجاء » .

فقلت بذهول : « كيف تسمي هذه الحياة رائعة مع أنها لا تستحق أن توصف إلا بأنها أسوأ حياة ؟ » .

فقال لي أبو حيان كأنه يخاطب طفلا ملتصقا بصدر أمه ولم يخرج يوما من بيت والديه : « أن أسجن خير من أن أقتل بعد تعذيب » .

فلذت بالصمت هنيهات ، ثم قلت لأبي حيان متسائلا بفضول : « وما سبب مجيئك إلى لندن ؟ » . قال أبو حيان : « إني أعتزم اصدار مجلة أدبية فكرية ذات مستوى راق » .

قلت بحماسة : « هذه فكرة رائعة ، فغالبية المجلات الأدبية والفكرية الآن تتناسى أنها موجهة إلى أناس أحياء ذوي عقول وقلوب ، ولا نفع فيها إلا لمحرريها وكتابها وأصحاب المطابع والمصانع المنتجة للورق ، ولكن متى ستصدر العدد الأول ؟ » .

قال أبو حيان : « الصدور متوقف على ايجاد الممول الذي لا يحول المجلة إلى خادم وجارية » .

فقلت بمرح : « ثق بأن مجلتك لن تصدر إلا بعد ألف سنة » .

فقال أبو حيان : « اذا صدرت بعد ألف سنة فهذا أمر جليل ودليل على أنه سيوجد في المستقبل من سيحترم الأدب والفكر » .

قلت : « ما رأيك ؟ ما دمنا قد التقينا مصادفة ، فهل توافق على أن أجري معك مقابلة صحافية ، فتوفر علي عناء كتابة مقالة ولاسيما أني كاتب مبتدئ أنجح مرة وأخفق أعواما ، وعندي أسرة يجب أن تأكل كل يوم » .

قال أبو حيان بصرامة : « موافقتي مرتبطة بموضوع المقابلة » .

فقلت فورا : « الموضوع بالطبع سيتناول الحياة الأدبية والفكرية في البلاد العربية » .

فتجهم وجه أبي حيان ، وقال لي باستنكار : « هل أنت ضعيف الذاكرة أم أصم ؟ ألم أقل لك إني أوغندي ، فكيف تريد مني التحدث عما أجهله ؟ » .

قلت : « إذاً سنتحدث عن الحياة الثقافية الأوغندية » .

فقال أبو حيان وهو يتنهد بارتياح : « أنا موافق ، فهيا اسأل ما طاب لك من الأسئلة » .

— « هل يوجد شعر في أوغندا » .

— « يوجد شعر من مختلف الأنواع والأزياء . شعر موزون مقفى وشعر حديث وشعر حر » .

— « وما هي أهم صفات كل نوع من أنواع ذلك الشعر ؟ » .

— « الشعر الموزون المقفى أفضل من أية حبوب منومة ، والشعر الحديث يروج له الأطباء ، فمن يطلع عليه لابد له من أن يركض باحثا عن طبيب نفسي أو عقلي ، والشعر الحر من ينصت له ثلاثة أيام يصبح حرا ويطير إلى عالم لا عودة منه » .

— « والقصة القصيرة ؟ » .

— « القصة القصيرة هي وفق القوانين السائدة فن محبوب ، ولا يكتبها إلا من كان قصير القامة ، وقصير النظر ، وقصير اليد » .

— « والنقد ؟ ما أحواله ؟ » .

— « النقاد كثيرون ، ولكنهم مختلفون في الرأي حول ماهية النقد . بعضهم يقول إن النقد الواعي هو نقود ، وبعضهم يقول إن النقد هو كلمة وليس نفطا أو دبابة ، ولم يصل الخلاف إلى إتفاق » .

— « وأدب الأطفال ؟ هل هناك اهتمام به وإيمان بدوره في تربية الجيل الجديد .. جيل المستقبل ؟ » .

— « الاهتمام بأدب الأطفال يفوق الوصف ، ويؤدى دوره التربوي والتثقيفي أروع أداء ، وقد نجح في خلق أجيال من المنافقين والأدعياء والانتهازيين والجبناء واللصوص والخانعين والقانطين » .

— « وهل في أوغندا أدباء مشهورون ؟ » .

— « شهرة الأديب مرتبطة بموهبته في تأليف العصابات المؤازرة له في السراء والضراء ، فإذا كان موهوبا حقيقيا في هذا المضمار فهو لامحالة سائر في الطريق الموصلة إلى نيل جائزة نوبل للآداب » .

— « وهل تشجع الصحف الأدب والأدباء ؟ » .

— « كل صحيفة تكرس صفحة يومية للشؤون الأدبية ، ويشرف عليها محررون معادون للتفاوت الطبقي في الأدب ، ولذا فهم يمتدحون الشعير ، ويذمون القمح ، ويقدمون القمامة بوصفها أجمل ورد » .

— « وهل يعاني أدباء أوغندا أزمة ما تتعلق بحريتهم في التعبير عن أفكارهم ؟ » .

— « لا ، فالدولة الرشيدة افتتحت دكاكين ، وكل دكان مختصة بجنس من الأجناس الأدبية ، دكان للقصة والرواية ، ودكان للشعر ، ودكان للمسرحية ، ودكان للأبحاث النقدية والفكرية ، والكاتب الذي يبغي الكتابة يقصد دكانا من تلك الدكاكين ، ويعرض على الموظف الحكومي ما يرغب في كتابته ، فيقوم الموظف بالكتابة بأسلوب يتناسب مع مقتضى الحال ، فلا يغضب حاكما وينجي الأديب من متاعب تبدأ من السجن وتصل إلى المشنقة » .

— « هل يوجد للأدباء في أوغندا اتحاد يجمع شملهم ويوحد صفوفهم ويدافع عن حقوقهم ؟ » .

— « بالطبع . هناك اتحاد للأدباء لا يكف عن عقد المؤتمرات ، وفي كل مؤتمر تتخذ أروع المقررات والتوصيات ، وتكتب بخط جميل على ورق فاخر » .

— « وهل لذلك الاتحاد دور ما في تنشيط الحياة الثقافية ؟ » .

— إن دوره بالغ التأثير والأهمية ، ولاسيما أن الاتحاد مزيج من مخفر الشرطة وتجمع الأدباء ، وبعد تأليفه تضاءلت نسبة الجرائم نظرا لنشاطه في المجالات الأمنية » .

ووجدت نفسي أنهض بغتة واقفا ، فسألني أبو حيان : « إلى أين ؟ » .

فقلت : « إلى أوغندا سيرا على الأقدام » .

وسرت نحو أوغندا مستخدما قدمين سبق لهما أن اطلعتا على محاسن المخافر الأدبية اطلاعا لاينسى .



الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه العشرين

بقلم: الدكتور تركي رابح

احتفلت الجزائر في السابع والعشرين من شهر شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩ مايو ١٩٨٥ بالذكرى العشرين لوفاة علم من أعلام الاسلام والعروبة والفكر والاصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر، هو المرحوم محمد البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦) الذي توفى في عاصمة الجزائر يوم ١٩ مايو ١٩٦٥ عن عمر بلغ السادسة والسبعين عاماً قضى منها أكثر من أربعين عاماً في خدمة الاسلام والعروبة في الجزائر، والجهاد من أجل تحريرها من الاستعمار الفرنسي.

... والشيخ محمد البشير الابراهيمي يعتبر من رجالات العالم الاسلامي الذين عملوا في النصف الأول من هذا القرن وما بعده (١٩٢٠ ـ ١٩٦٥) على تجديد شباب الاسلام، عن طريق تطهيره من البدع، والخرافات، التي لصقت به في عهود الجمود، والتأخر، ومحاولة الرجوع به إلى عهد السلف الصالح من الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم، لذلك فهو وزميله الشيخ عبدالحميد بن باديس (١٨٨٩ ـ ١٩٤٠) الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١ ـ ١٩٤٠) يعتبران من «مدرسة التجديد الاسلامي» التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر في الشرق العربي، والعالم الاسلامي، وامتدت إلى المغرب العربي في بداية هذا القرن وكان ابن باديس والشيخ الابراهيمي من أساطينها في الجزائر.

... والشيخ محمد البشير الابراهيمي يعتبر من جهة أخرى من الكتاب البارزين في العالم العربي. وله قلم بليغ، وأسلوب جزل بلغ القمة، في المتانة، والرشاقة، والبلاغة، والسلاسة، والعذوبة وقد رأس تحرير «البصائر» الاسبوعية لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابتداء من عام ١٩٤٧ إلى أن عطلها الاستعمار الفرنسي بعد نشوب الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٤ وذلك في بداية عام ١٩٥٦.

... ولم تقتصر جهود الشيخ البشير الابراهيمي وجهاده وكتاباته على الدفاع عن استقلال الجزائر وحريتها وعن عروبتها وأسلامها فحسب؛ بل شملت كذلك معظم أقطار العروبة والاسلام من أندونيسيا وباكستان إلى ليبيا، وتونس ومصر، والمغرب وفلسطين والجريحة.

... ومن أجل هذه الأعمال الجليلة التي أداها للجزائر وأقطار العروبة والاسلام تحيي الجزائر في كل عام ذكرى وفاته اعترافاً منها بجهاده، وتقديراً لاعماله الجليلة من أجل الوطن التي استمرت أكثر من أربعين عاماً قضاها معلماً ومربياً، وواعظاً مرشداً، ومجاهداً بقلمه وعلمه.. إلى أن وافته المنية في التاسع عشر من شهر مايو سنة ١٩٦٥، في عاصمة الجزائر بعد استقلالها بحوالي ثلاث سنوات.

... وقد كان للشيخ الابراهيمي منهج خاص في الاصلاح الديني والاجتماعي وتربية الرجال عبر عنه في كتاباته العديدة في جريدة البصائر الاسبوعية، ومجلة الشهاب الشهرية التي كان يصدرها الشيخ عبدالحميد بن باديس في الفترة من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٣٩ وبعض المجلات العربية الأخرى.

وفي هذه الكلمة الوجيزة بعض الأضواء على هذا المنهج.

ضرورة معرفة القائد بنفسية الأمة

يرى الشيخ البشير الابراهيمي أن على الشخص الذي يتصدى لخدمة أمته في أي ميدان من ميادين الحياة العامة أن يعرفها معرفة جيدة أولاً، إذ لا يمكنه أن ينجح في مهمته النجاح المطلوب إلا اذا عرف نفسيتها وعقليتها معرفة متعمقة، ليس هذا فحسب بل يطلب منه كذلك أن يقرأها كما يقرأ

الكتاب ، ويدرسها كما يدرس الحقائق العلمية حتى يضمن لنفسه النجاح المنشود في مهمته ، يقول الشيخ البشير الابراهيمي في جريدة البصائر « من أراد أن يخدم هذه الامة (الجزائر) فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية ، فاذا استقام له ذلك ، استقام له العمل ، وأمن الخطأ فيه ، وضمن النجاح والتمام له ، فان تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها ، ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل » وقد استفاد الشيخ البشير الابراهيمي من هذا المبدأ فائدة كبرى في سائر ميادين عمله الاسلامي والعربي الهام الذي قام به طوال فترة رئاسته لجمعية العلماء بعد وفاة رئيسها الشيخ عبدالحميد بن باديس (١٨٨٩ ــ ١٩٤٠) أثناء الحرب العالمية الثانية . يقول الشيخ البشير الابراهيمي في جريدة البصائر « أما أنا فأزعم أنني جربت ودرست ، وانني قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه ، وما هذا ببعيد ولا كثير على من خدم أمته ولابسها عشرات السنين معلماً مدرساً ، واعظاً خطيباً ، محاضراً ينتزع مواضيع محاضراته من وجوه الجمهور قبل أعمالهم » ومن هنا ندرك سر نجاح الابراهيمي في جمعه كلمة الشعب حول حركة الاصلاح والتربية والتعليم في الجزائر ، وتأييدها ومناصرتها بكافة أنواع التأييد والمناصرة ، حتى تغلبت على كافة الصعوبات والعراقيل التي وضعها الاستعمار في طريقها ..

... وقد برز نجاح الشيخ البشير الابراهيمي في هذا الميدان في المدارس العربية الكثيرة التي أسستها جمعية العلماء في عهد رئاسته لها وكذلك في النوادي الثقافية الكثيرة ، والمساجد الاسلامية ، والبعثات العلمية إلى خارج الجزائر لطلب العلم لأنه استطاع أن يغرس في نفوس أبناء الشعب عادة البذل بسخاء للمشاريع الوطنية واحتضانها ومساندتها على الأمور الضرورية للحياة لأنها السبيل الوحيد للمحافظة على المقومات الاساسية للأمة ، والطريق السليم لتحرير الوطن من الاحتلال الاجنبي الغاشم .

وقد تجلت هذه العادة ــ عادة البذل بسخاء للمشاريع الوطنية ــ في أعظم صورها خلال سنوات الثورة (١٩٥٤ ــ ١٩٦٢) حيث كان الرجال والنساء يتسابقون في بذل كل ما يملكون من مال ومتاع للثورة ، فضلاً عن بذل أنفسهم وأولادهم لها وبذلك نجحت الثورة الجزائرية وحققت انتصاراتها العظيمة على الاستعمار الفرنسي وأجبرته في النهاية على الاعتراف باستقلال الجزائر التام ..

مرونة شخصيته

هناك ميزة يمتاز بها الشيخ البشير الابراهيمي ينبغي الاشارة اليها في هذا الصدد وهي مرونة شخصيته وقدرته على التكيف مع مختلف المواقف ، والظروف ، والأشخاص ، فقد كان رحمه الله عندما يكون وسط جموع الشباب مثلاً يبدو لنا وهو في الستين من العمر وكأنه شاب مثلهم يضحك معهم ويمرح ويلقي بالنكت والملح ، والطرائف ، ويتناقش معهم في اهتماماتهم ، وأحلامهم ، وطموحهم ، وبذلك يزيل بسرعة الكلفة بينه وبينهم وبالتالي يكسبهم إلى دعوته وفكرته ..

أما اذا كان مع المواطنين من عامة الشعب فهو مثلهم كذلك يحادثهم بلغتهم ويضرب لهم الأمثال والحكم والنكت من أقوالهم ، وبذلك يدخل إلى قلوبهم من أحب طريق اليهم ، وبالتالي يكسبهم هم الآخرين أيضاً إلى الحركة الاصلاحية بواسطة هذه الرابطة الروحية القوية والصداقات المتينة التي يكونها بسرعة معهم نظراً لأنه قد أزال كل حاجز يمكن أن يحول بينه وبينهم ، وفتح لهم قلبه ونفسه فاذا هم يشعرون بأنه بمثابة الأب والصديق أو الأخ الكبير لهم جميعاً يعمل لصالحهم وصالح دينهم ولغتهم ووطنهم ، وبذلك يلتفون حول الدعوة التي يدعو لها (دعوة الاصلاح الديني والاجتماعي والتربية والثورة) ويتسارعون إلى بذل أموالهم للمشاريع التي يدعو لها ، وهذا هو سر نجاحه العظيم في قيادة حركة جمعية العلماء بعد وفاة الامام عبدالحميد بن باديس في ١٦ أبريل سنة ١٩٤٠ وقد ازدهرت على يديه الحركة الاصلاحية والتربوية ازدهاراً كبيراً حتى قارب عدد مدارس جمعية العلماء على ٤٠٠ مدرسة عربية تعلم أبناء الشعب اللغة العربية والدين الاسلامي في كامل أنحاء القطر قبل نشوب الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٤ ــ والمعروف أن فرنسا كانت تعتبر اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية ، وبالتالي لا تدرس في المدارس التي تشرف عليها إلا على هذا الأساس وتحاربها حرباً شعواء ..

شجاعته في إبداء الرأي

والى جانب مرونة شخصيته ، وروحه المرحة ، هناك ميزة أخرى يمتاز بها الشيخ البشير الابراهيمي ، هي شجاعته الفائقة في ابداء الرأي وقول كلمة الحق ، مهما كانت الظروف ، ومهما تحرجت المواقف ، لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يخاف بأس الاستعمار وجبروته .

والذى يطالع مقالاته التي كان يكتبها في البصائر وهي مقالات نارية يهاجم فيها الاستعمار وأعوانــه بكل قوة وعنف لتملكه الدهشة من هذه الجرأة ، والشجاعــة التي كان يتمتع بهما وهو الأعزل من كل سلاح إلا سلاح الايمان بالله وحب الشعب له ، والتفافــه حول حركة جمعية العلماء ، التي كان يقودها مع ثلة من رفاقه .. فقد كتب في العدد الأول من السلسلة الثانيــة من جريدة البصائر في عام ١٩٤٧ مهاجماً الاستعمار بصريح العبارة وبلغة كانت في غاية القوة والعنف مبيناً جرائمــه ضد الشعب الجزائري . كتب يقول « جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر كمـا تجئ الأمراض الوافدة ، تحمل الموت وأسباب الموت » ثم يقول « والاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح ، وهو في الجزائر قد أدار قوانينـه على نسخ الأحكام الاسلامية ، وعبث بحرمة المعابد ، وحارب الايمان بالالحاد ، والفضائل بحماية الرذائل ، والتعليم بافشاء الأمية والبيان العربي بهذه البلبلــة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير » ..

ويخاطب النواب الجزائريين في المجلس الجزائري في عام ١٩٤٧ فيقول « يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان ، وإن الشيطان لكم عدو (فاتخذوه عدوا) ، وإن الاستعمار شر ، ومحال أن يأتي الشر بالخير ، ومحال أن يجني من الشوك العنب » .

... وفي عام ١٩٥١ كتب في نفس المعنى يقول : « الاستعمار لا يؤمن بالله حتى نسأله الانصاف لدينه الحق ، ولكنه يؤمن بالقوة فلنحذره عواقب الاغترار ، فان هذه الأمة في مجموعها قوة بعددها وبالمعاني التي استيقظت فيها ، وبايمانها بحقها ، وبتصميمها على استرجاعه فاذا تعامى (الاستعمار) عن هذه القوات كلها فان تقلبات الدهر ستفتح عينيه منها على ما يكره ، وإن الله للظالمين لبالمرصاد » .

لقد كانت جريدة البصائر الأسبوعية التي كان الشيخ البشير الابراهيمي يرأس تحريرها قبل أن توقفها فرنسا بعد نشوب الثورة الجزائرية حوالي عامين في مطلع عام ١٩٥٦ ملتقى للأفكار العربية والاسلامية الحرة الصادقة في الجزائر ، وكانت تتابع الأحداث الجزائرية ، وسياسة فرنسا في الجزائر ، كما كانت تولي أهمية بالغة للأحداث التي كانت تقع في الوطن العربي وبقية البلدان الاسلامية ، وكان قلم الشيخ بشير الابراهيمي البليغ بما عرف عنه من جرأة وبسالة ، وعمق يقف لهذه السياسة الاستعمارية بالمرصاد ويكتب في بيان خطرها على الوطن ، واللغة العربية ، والدين الاسلامي ، المقالات النارية التي تعتبر بمثابة قنابل تنسفها من الأساس .

وكان الابراهيمي كما قلنا لا يخاف ولا يماري في حقوق الوطن فقد كتب سلسلة مقالات في عام ١٩٤٩ تحت عنوان « التعليم العربي والحكومة (فرنسا) » كشف فيها بكل وضوح ألاعيب فرنسا ومناوراتها لوأد اللغة العربية في الجزائر ، بعد أن اعتبرتها قبل الحرب العالمية الثانية لغة أجنبية في هذا القطر العربي المسلم ثم كبلت تعليمها في الجزائر بمختلف القوانين الجائرة ، وقد جاء خاتمة تلك المقالات ٥ « أما الرأي الشجاع العاقل الحصيف الموزون بميزان العدل والحق فهو أن نجتمع

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه العشرين

ونصمم ، ونعتمد على أنفسنا ونتوكل على ربنا ونتعلم ديننا ولغتنا وكل ما يخدمهما من علوم وفنون من البدايات إلى النهايات لأن ذلك ألزم لحياتنا ووجودنا من الطعام والشراب . ولا نبالي بأي مخلوق ، ثم يقول « أما نحن (يقصد أعضاء جمعية العلماء) فقد كنا علماء دين ، ودعاة علم وتربية ، وزراع خير ورحمة ، ولكن الحكومة (يقصد فرنسا) تعد هذا كله سياسة ، وتعتبرنا لأجله سياسيين فليكن ذلك ، ولنكن علماء وسياسيين ، ولنكن كل شئ ينفع أمتنا ويحمي ديننا ولغتنا ، ومادمت لا تجد صاحبك إلاحيث تكره ، فمن العدل ألا يجدك صاحبك إلا حيث يكره » .

... وهكذا إذا رحنا نتتبع كتابات الشيخ البشير الابراهيمي ومواقفه في مختلف المناسبات فسنجد أنه كان صاحب شجاعة نادرة في إبداء هذا الرأي والاصرار عليه مهما كانت القوة التي يواجهها ، وهذه الميزة أو الخاصية هي أيضاً من عوامل نجاحه الباهر في قيادة حركة الاصلاح الديني والتعليم العربي في الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى قيام ثورة أول نوفمبر عام ١٩٥٤ .

رأيه في يقظة المسلمين

كان الشيخ البشير الابراهيمي يؤمن إيماناً عميقاً بأنه لا يمكن المحافظة على كيان الجزائر العربي الاسلامي في وجه موجات الغزو الفكري الغربي ، وسياسة الفرنسة التي إتبعتها فرنسا في الجزائر بعد الاحتلال مباشرة في عام ١٨٣٠ بقصد فصلها نهائياً عن جسم العروبة والاسلام ـ لايمكن المحافظة على هذا الكيان إلا عن طريق نشر التعليم العربي الاسلامي في البلاد لأنه هو وحده الذي يعمل على المحافظة على عروبة الجزائر واسلامها وبالتالي المحافظة على كيانها القومي العام ضد عوامل الهدم والتخريب الاستعمارية ، ولذلك وجه جل نشاطه وفكره ، وسخر قلمه البليغ للدعوة إلى نشر التعليم العربي في أوساط الشعب ، وحثه على تأسيس المدارس العربية التي تقوم بتدريس اللغة العربية والدين الاسلامي لابناء الجزائر ثم المطالبة بفصل الدين عن الحكومة الفردة حتى لاتكون لها أية صلة بالدين نظراً لأنها حكومة غير مسلمة ، وبالتالي لايحق لها التدخل في الشئون الدينية للمسلمين وتركهم أحراراً يتصرفون في مساجدهم وأوقافها وأئمتها كما يأمرهم دينهم الحنيف فقط .. وكانت فرنسا تدرك خطورة هذه الدعوة على سياستها الاستعمارية في الجزائر ، ولذلك كانت المعركة بينها وبين جمعية العلماء التي كان الشيخ البشير الابراهيمي يتولى رئاستها معركة رهيبة صامتة حيناً ، وجهرية مدوية أحياناً أخرى .

ومنهج الابراهيمي في الاصلاح الديني والاجتماعي للمجتمع العربي والمسلم في الجزائر يقوم بوجه عام على أساس الرجوع إلى الاسلام في منابعه الأولى التي هي القرآن الكريم ، وسنة محمد وكان يرى أنه لن تقوم للمسلمين قائمة ما داموا لم يجعلوا من الاسلام سلوكاً عملياً لهم في الحياة وماداموا بعيدين عن روح القرآن الكريم في أعمالهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والادارية والسياسية ، فقد كتب في مجلة الشباب التي كان يرأس تحريرها الإمام عبدالحميد بن باديس قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٢٥ ــ ١٩٣٩) كتب يقول « إنه لم يمض على المسلمين في تاريخهم الطويل عصر هم فيه أبعد عن القرآن منهم في هذا العصر ولم يمض على الدعاة إلى الحق وقت عظمت فيه العهدة واستغلظ الميثاق مثل هذا الوقت ، وأنه لا مخرج لهم من هذه العهدة ، ولا تحلل من هذا الميثاق إلا بالدعوة للقرآن » .

ويقول في مقال آخر طويل تحت عنوان « دولة القرآن » نشره في مجلة « المسلمون » مؤكداً على نفس الفكرة وهي أن السبب في تدهور المسلمين ، وضياع دولتهم ، وزوال هيبتهم أمام دول العالم ، هو بعدهم عن هداية القرآن الكريم ، وأنه لا مناص لهم من العودة إلى القرآن مرة أخرى إذا أرادوا استعادة مجدهم الغابر ، وهيبتهم الضائعة ، يقول « ما أضاع المسلمين ، ومزق جامعتهم ونزل بهم إلى هذا الدرك من الهوان ، إلا بعدهم عن هداية القرآن ، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها ، وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها وفي معترك الشهوات ليكسر من شرتها ، وفي مفارق سبل الحياة ليهديهم إلى أقومها ، وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب » .

والشيخ البشير الابراهيمي في كتاباته عن واقع المسلمين في بداية هذا القرن الذي يغلب عليه طابع التأخر الفكري ، والحضاري ، والتمزق الأخلاقي ، والتبعية السياسية والاقتصادية للدول الأوربية المستعمرة ــ في كتاباته عن هذا الواقع يرجع أسبابه إلى عاملين اثنين في رأيه :

١ ــ إلى فريق من علماء المسلمين وضعوا أنفسهم موضع القدوة وهم ليسوا بأهل لها .

٢ ــ إلى طوائف من غلاة المتصوفة الذين اختلت عندهم الموازنة التي أقامها القرآن الكريم بين الجسم والروح .

يقول في مقاله سالف الذكر (دولة القرآن) « ومازاد المسلمين ضلالاً عن منبع الهداية وعماية عنها إلا فريق من العلماء وضعوا أنفسهم في موضع القدوة والتعليم .. ثم طوائف من غلاة المتصوفة انتحلوا وظيفة التربية والتقريب من الله ــ فهم الذين أبعدوهم عن القرآن وأضلوهم عن سبيله بما زينوا لهم من اتباع غير سبيله .. ومن عجيب أمر هؤلاء أنهم يصدرون في شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة الخ » ونفس هذا المعنى تقريباً تناوله في مقال آخر تحت عنوان « داء المسلمين ودواؤهم » نشره في مجلة « المسلمون » وقد تعجب فيه قائلاً « كيف يسقط المسلمون هذا السقوط المريع وفيهم كل أسباب الصعود وبين أيديهم كل ما ارتقى به أسلافهم من كتاب وسنة ، ولغة عربية ان لم ترتق فهي لم تنحدر » ويكرر القول بأن السبب في ذلك هو بعد المسلمين عن هداية القرآن ثم يضيف سبباً آخر هو « تقليد المسلمين الأعمى لأوربا في قشور الحضارة ، وتوافهها لا في جوهرها وأصولها التي تقدمت بها أوربا على العالم الاسلامي وحازت بها قصب السبق ..

التربية وتكوين الرجال

يؤمن الشيخ البشير الابراهيمي إيماناً مطلقاً بالعلم ويرى فيه السبيل الوحيد لنهضة الأمة وانتشالها من مخالب التخلف السياسي والاقتصادي ، والثقافي والاجتماعي ، واعدادها للمعركة الفاصلة مع المحتل الغاصب الذي يجثم على صدرها غير أن العلم وحده ليس كافياً في رأيه لتكوين رجال يعتمد عليهم في النهوض بهذه المهمة الخطيرة اذا لم يكن هذا العلم يستند إلى تربية اخلاقية واعية ..

... لقد لاحظت من خلال مطالعاتي لمقالاته في جريدة « البصائر » ومجلة « الشهاب » ومجلة «المسلمون» وفي سائر انتاجه الذي وقع تحت يدي وكذلك من خلال ملازمتي له مدة إثنى عشر عاماً كاملاً لاحظت أنه يجعل التربية في المنزلة الأولى ثم التعليم في المنزلة الثانية وكان يرى بأن السبب في تدهور الشعب الجزائري بعد الاحتلال لا يرجع في الواقع إلى قلة المتعلمين من أبنائه بقدر مايرجع إلى تدهور أخلاقهم التي كانت على غاية من السوء ... وفي هذا المعنى كتب في جريدة البصائر يحث المعلمين في مدارس جمعية العلماء على وجوب التمسك بالأخلاق القويمة لأنهم هم الذين يصنعون الأجيال الصاعدة التي تعتمد عليها الجزائر في المحافظة على كيانها ، وفي افتكاك استقلالها من المحتل الغاصب .. وشرح لهم بأنهم سوف ينجحون في مهمتهم التربوية إذا كانت أخلاقهم مستقيمة حتى ولو كان حظهم من الكفاءة العلمية ليس على مايرام يقول « لا يضيركم ضعف حظكم من العلم اذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة ، فان أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل أشد وأوكد من حاجتها إلى العلم لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من نقص في العلم ولكن من نقص في الأخلاق . »

وهناك نصوص كثيرة من كتابات الشيخ البشير الابراهيمي في مختلف المناسبات توضح ايمانه

العميق بالعلم وضرورة توفيره لأبناء الأمة من ذلك مثلاً أنه كتب افتتاحية بليغة في « البصائر » عن التعليم وضرورة تكاتف أبناء الشعب لتشييد المدارس العربية في كل مكان حتى يمكنها أن تستوعب الأطفال الذين يقضون حياتهم خارج أسوارها لأنهم لم يجدوا لهم أماكن فيها نظراً لقلتها وعدم عناية الحكومة الاستعمارية بتوفيرها لتعليم أبناء الجزائر – فهؤلاء الأطفال هم عماد مستقبل الوطن في تحرره وخلاصه من الاحتلال يقول : « حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس ، مافي ذلك شك إلا في قلوب ران عليها الجهل ، وشملها الفساد ، ونفوس ختم عليها الضلال ، وضرب على مشاعرها المسخ ، وطال عليها الأمد في الرق فصدئت منها البصائر ، وعمت الأبصار فتغير نظرها في الحياة ووسائلها ، فرضيت بالدون ، ولاذت بالسكوت ... الحياة بالعلم والمدرسة منبع العلم . ومشرع العرفان ، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة ، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم ذل ، ومن التمس الهداية اليه من غيرها ضل ، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك . » ثم يقول : « إن الأمم تبني ما تبني من القصور وتشيد ما تشيد من المصانع وتنسق ما تنسق من الحدائق ، وتحف ذلك كله بالسور المنيع فإذا ذلك كله مدينة ضخمة جميلة ، لكنها بغير المدرسة عقد بلا واسطة ، أو جسم بلا قلب » .

والتربية القويمة والتعليم السليم ينبغي أن يكونا في نظره باللغة العربية لأنها وعاء ثقافتنا ، وحافظة تراثنا الفكري والحضاري ، وذلك بالخصوص في المرحلة الأولى من التعليم حتى يشب الطفل على محبة قومه ، وتاريخ بلاده ، والولاء لوطنه ثم لا بأس بعد ذلك من دراسة اللغات الأجنبية في المراحل التعليمية التالية بعد أن تنضج مداركه النضج الكافي ، وهو في هذا الرأي يتفق مع أحدث النظريات التربوية التي تنادي بأن الطفل لا يستطيع أن يتلقى تعليمه الابتدائي بلغتين مختلفتين في وقت واحد لأن ذلك يرهق ذهنه الغض وفي نفس الوقت سوف يكون على حساب لغة قومه الوطنية بدون شك ولا ريب والمطلوب هو العناية باللغة القومية في الدرجة الأولى في هذه المرحلة الاساسية من التعليم .

فقد كتب في عام ١٩٤٧ سلسلة مقالات تحت عنوان (التعليم العربي والحكومة) جاء في بعضها مايلي بالحرف الواحد « اللغة العربية هي لغة الاسلام الرسمية ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها ، فكيف اذا اجتمعا :

١ – حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة .

٢ – وحق من حيث أنها لغة جنسها في المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً ومن هنا نشأ مانراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية .. »

ويشرح خطورة التعليم باللغة الأجنبية وحدها وعدم تعليم أبناء الجزائر باللغة العربية التي تعصمهم من الزلل والانحرافات الفكرية والقومية فيقول « والتعليم الأجنبي (يقصد الفرنسي) على تفاهته في الكيف ، وقلته في الكم وعلى اضطرارنا اليه ، واقبالنا عليه يسبقه جهل ، وتقترن به آفات وتعقبه مفاسد ، وهو على ذلك كله يفتح عينا ليعمي عينا ، ومن بلغ إلى غايته منا أصبح بالطبيعة متنكراً لماضيه ، ودمه ، وقومه ، لأن ذلك التعليم وجده فارغا فملأه بما يشاء هو لا بما نشاء نحن » .

وقد كان الشيخ البشير الابراهيمي يعمل في المدارس التي كانت تخضع لاشراف جمعية العلماء على أن تبني التربية فيها على أساس الدين والمقومات الوطنية أي أنه كان يرى أن يكون تدريس التربية الدينية إجبارياً مثل تدريس العلوم والآداب والاخلاق والرياضيات . فحاجة الأمة كما كان يردد دائماً إلى رجال أقوياء في أخلاقهم وسلوكهم العام ، أحوج منها إلى علماء متبحرين في مختلف العلوم والفنون ولكنهم ضعفاء في إيمانهم وأخلاقهم .

فهؤلاء يمكن الاعتماد عليهم في الشدائد والملمات ، وفي المحافظة على التراث القومي للبلاد ، أما الآخرون فانه يسهل التأثير عليهم واغراؤهم كي يتنكروا لشعوبهم وقوميتهم من طرف رجال الاحتلال بل وربما خانوا وطنهم ..

وقد تطرق من هذا إلى ضرورة عدم سفر أبناء المسلمين للدراسة في أوربا الا بعد أن يتعلموا في بلادهم تعليماً قومياً متيناً حتى لا ينخدعوا ببريق المدنية الأوربية عندما يسافرون إلى أوربا وبالتالي قد يتنكرون لتاريخهم وقوميتهم وثقافة بلادهم ، يقول في مقال تحت عنوان « داء المسلمين ودواؤهم » أن جل أبنائنا الذين التقطتهم أوربا لتعليمهم عكسوا آية فرعون مع موسى ، ففرعون التقط موسى لينفعه ويتخذه ولدا ، ورباه صغيرا وأحسن اليه فكان موسى له عدواً وحزنا وسدة عين ، أما أبناؤنا فقد التقطتهم أوبا وعلمتهم وربتهم فكانوا عدواً لدينهم وحزنا لأهله وسخنة عين لأهلهم وأوطانهم إلا قليلاً منهم » ثم يقول :

« .. ان الغرب لا يعطينا إلا جزاءاً مما يأخذه منا ولا يعطينا إلا ما يعود علينا بالوبال وقد أعناه على أنفسنا فأصبح المهاجر منا إلى العلم يذهب بعقله الشرقي فينبذه هناك ، كأنه عقال على رأسه ، لا عقل في دماغه ثم يأتينا يوم يأتي بعقل غربي ، ومنهم من يأتي بعقل غربي ومعه امرأة تحرسه أن يزيغ . »

وبالجملة فالتعليم في نظر الشيخ البشير الابراهيمي لا يمكن فصله عن التربية وهو يرى أن حاجة الجزائر الأكيدة قبل الاستقلال هي إلى شئ قليل من العلم وفي نفس الوقت إلى قدر كبير من الأخلاق الفاضلة ، التي لايمكن اكتسابها إلا عن طريق التربية الدينية والأخلاقية ..

وهكذا تتجه فلسفة الابراهيمي في تكوين الرجال إلى الجانب الأخلاقي والروحي فيهم قبل الجانب الفكري المحض أو الجانب المعرفي المحض يقول الشيخ الابراهيمي في شرح مذهبه أو فلسفته هذه : « كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام ١٩١٣ في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم ، وانما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل ، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا »وهذا ما يفسر لنا كثرة توجيهاته إلى المعلمين الأحرار بأن يولوا عنايتهم في مدارس جمعية العلماء بتقويم الأخلاق ، واصلاح العوج منها عند التلاميذ ، قبل أي شئ آخر يقول الشيخ الابراهيمي في هذا المعنى : « أحرصوا (الخطاب موجه للمعلمين) على أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة التالية نصب أعينكم وحاديكم في تربية هذا الجيل الصغير ، وهاديكم في تكوينه وهي : « أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم ، وانما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق ، فمنها كانت الخيبة ، ومنها كان الاخفاق .. أنتم حراس هذا الجيل الجديد والمؤتمنون عليه ، والقوامون على بنائه ، وأنتم بناة عقوله ونفوسه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة ، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية » .

الغاية من التربية والتعليم

كانت الغاية من وراء الجهود التي بذلها الإمام عبدالحميد بن باديس (١٨٨٩ – ١٩٤٠) ورفيقه في الجهاد وخليفته في جمعية العلماء الشيخ البشير الابراهيمي هي أن يكونا للجزائر جيلاً قائداً مسلحاً بالأخلاق الاسلامية المتينة والمعارف العلمية الضرورية لمعركة الحياة – وكانا يهدفان إلى أن يحمل هذا الجيل القائد الدعوة الاسلامية بين جوانحه ، والايمان بالعروبة والجزائر في قلبه كي يعمل بروح عربية ثورية على إنقاذ الجزائر من وهدة السقوط الأخلاقي الذي تردت فيه ، وانقاذ الوطن من مخالب الاحتلال الغاصب الذي جثم عليه قرناً ونيفاً من الزمن وقد تم لهما ما أرادا حيث أصبح تلامذة ابن باديس والابراهيمي ينتشرون في كل مكان من أرض الجزائر ، وجاءت ثورة أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ فوجدت الجيل الذي كونه ابن باديس والابراهيمي وجمعية العلماء على أساس الاسلام والعروبة والوطنية الصادقة في طليعة الثوار الذين جاهدوا بصدق وايمان وبطولة من أجل تحرير الجزائر العربية المسلمة – مع سائر المجاهدين الصادقين من أبناء الجزائر البررة ..

تركي رابح – جامعة الجزائر المركزية

حقيــــقة اليـــوم الذي تغيَّرت فيــه الدنـيـا

الأصول العربية للنهضة الأوربية

بقلم : الفريـد فـرج

تناثرت المخطوطات العربية فى أنحاء أوربا بعد سقوط الأندلس فصنعت عصر النهضة الأوربية . وقد أنكرت أوربا فضل العرب على الغرب مئات السنين بدواعى التعصب أو بادعاءات التفوق والامتياز . ولكن يطيب لنا من وقت لآخر أن تتخلى أدبيات التاريخ الأوربي عن ذلك التعصب لتضيف إلى معلومات الناس جانبا من الحقائق وصفحات جديدة من فضل العرب على أوروبا

وأشهر الكتب الحديثة فى هذا الموضوع كان كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة الألمانية زيجفريد هونكه .. بينما أحدث الاسهامات في هذا الصدد كانت سلسلة البرامج التليفزيونية التى أنتجها التليفزيون البريطاني وحققها وقدمها جيمس بيرك بعنوان : « اليوم الذي تغيرت فيه الدنيا ــ نظرة شخصية » .

وقد اعتاد مؤلفو تاريخ العلوم وتاريخ الحضارة الغربية التغاضي عن هذه الأيام الحاسمة في تاريخ أوربا التي باع فيها الغزاة الاسبان مكتبة قرطبة بعد سقوطها ، وكانت تضم أربعمائة وأربعين ألف مجلد ، إلى الباعة المتجولين .. وباعوا مكتبة طليطلة بعد سقوطها وكانت تضم أكثر من خمسمائة ألف مجلد ! وباعوا مجلدات المكتبة العامة لغرناطة ..

وحمل الباعة أحمالهم على ظهور البغال فى قوافل طويلة ، عبروا بها الهضبة الأسبانية وجبال البرانس وانتشروا بها فى أوربا يبيعونها للطلبة والمترجمين والدارسين .. وتغير بها وجه الحياة فى القارة التي عاشت قبلها فى الظلام .

وقد دأب المؤلفون الأوربيون على تحجيم هذا الحدث الخطير أو تجاهله أو إنكاره بدواع عنصرية أو استعمارية تناسب إدعاءاتهم بالتفوق والامتياز .

ولكن بسقوط دعاوي التفوق والامتياز وانهيار إدعاءات العنصرية فى القرن العشرين .. لم يعد إنكار فضل العرب على الغرب مستساغا أو سهلا ، وأصبح من الوارد أن تهتم أدبيات التاريخ الأوربي بطرح أبعاد التأثير العربي فى عصر النهضة الأوربية على نحو يخدم العلم والحقيقة .

الظلام الأوربي .. ما هو ؟

تعال نلق نظرة على أوروبا قبل سقوط الأندلس .

كانت أوروبا الممتدة من روسيا إلى فرنسا ،

ومن السويد إلى إيطاليا تعيش عصراً من البداوة والجهل والخوف والترحال لم يعرف الشرق له مثيلا إلا قبل آلاف السنين .

ومنذ انهيار الامبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى كانت هذه حال قبائل الواندال والأنجلوساكسون والهون والغال وغيرها على السواء .

وابتداء من القرن السادس الميلادي كان الرهبان يتداولون في أديرتهم كتابا للقديس أوغسطين مؤلفا عن انطباعات تاريخية قديمة عن الحياة الآخرة ، ولم تكن ثمة علوم دنيوية مدونة ، وكان القديس يدعو مريديه لادارة ظهورهم للعالم الفاني والتعلق بالتفكير في يوم الحساب والحياة الآخرة .

وكان الرهبان يحفظون ذلك الكتاب ويقضون حياتهم خلف الجدران السميكة للأديرة فى عزلة اختيارية عن العالم ، وقد اعتصموا بحصونهم المنيعة ، يقرأون ويكررون قراءة القديس أوغسطين .

وفي القرن السابع الميلادى استطاع بعض الرهبان أن يجمعوا بعض المعارف القديمة التي ترجع إلى العصر الروماني وصاغوها في مختارات وملخصات ومقتبسات جمعوها في مجلد واحد صاروا يعلمونه للنشء جيلا بعد جيل .

كانت المعرفة ثابتة .. مثلما كانت رسوم الكنائس ثابتة لا تتغير .

وكانت كل معرفة يملكونها قديمة ترجع إلى قرون خلت .. يقرأونها وكأنهم يحلمون بماض أفضل من حاضرهم ويتلهفون على العيش فيه ، بالوهم ان استحال رجوعهم إليه في الحقيقة .

شـــارلمان

وفجأة أضاء أوروبا قبس ضئيل وقصير . فقد تولى شارلمان الملك عام ٧٦٨ م ثم توجه البابا امبراطورا عام ٨٠٠ م وكان ملكا طموحا وعلى صلة بالخلفاء العباسيين فأمر باستدعاء جميع النساخين في بلاده وأمرهم بالاتفاق على شكل موحد للحروف الهجائية وما ترمز إليه من أصوات ، والاتفاق على أسلوب واحد فى تهجي الكلمات ..

هكذا ولدت اللغة الألمانية وضبطت الحروف اللاتينية التي كتبت بها فيما بعد جميع اللغات الأوربية ، في القرن التاسع الميلادي .

كما أمر شارلمان بفتح مدرسة لتعليم النشء في كل كاتيدرائية وفي كل دير في بلاده ، وأمر بوضع كتاب جديد يجمع شذرات المعرفة المتداولة في عصره . فوضع المؤلفون ذلك الكتاب وقسموه إلى سبعة أبواب هي :

الحقائق المتداولة عن الزراعة والحرف . نظرية للموسيقى لضبط أغانى الصلوات . الحساب لضبط الضرائب والنفقات . الهندسة للبناء .

الفلك لضبط التقويم وحساب الأيام .

قواعد اللغة والبلاغة لضبط معانى الكلمات ، المنطق لفهم اللغة .

وقد دونت في هذا الكتاب الشامل كل المعارف القديمة . وتم نسخه وتعميمه فى المدارس .

ولكن شارلمان توفى عام ٨١٤ م ، واجتاحت أوروبا غزوات الفايكنج وهي قبائل متوحشة خربت المدن والسواحل ووفدت من الشمال .

مليون مجلد من روائع الثقافة العربية في غرناطة وقرطبة يستولى عليها البـــاعة المتجولـــون بعد سقوط الأندلس .

فعادت أوروبا إلى الظلمات ..

وعادت الفوضى والخرافة والجهالة إلى عهدها في كل انحاء القارة ..

وعاد الخوف والترحال ..

الأســـواق

وبعد انحسار موجات الفايكنج ، استقرت الحياة إلى حد ما ، فعرفت أوروبا الأسواق .. ابتداء من منتصف القرن العاشر الميلادى ، وبدأت حركة التجارة . انعقدت الأسواق اسبوعية ، ثم صارت بعضها أسواقا يومية ، وبدأت عادة الشراء والبيع وتبادل الانتاج وأول بوادر تقسيم العمل . كما بدأ العمران يمتد حول الاسواق ، لتنشأ القرى الكبيرة أو المدن الصغيرة هنا وهناك .

وفى منتصف القرن الحادى عشر أصبحت مدينة بولونيا الإيطالية الواقعة في وسط البلاد وملتقى الطرق مركزا تجاريا مهما .

ويلاحظ أنها ككل المدن الإيطالية المعاصرة قد بنيت حول ميدان كبير ذى أربعة أضلاع .

قصر الحاكم يشغل أحد الأضلاع .

والمجلس الحاكم يشغل الضلع الثاني .

والكنيسة هى الضلع الثالث .

والسوق هي الضلع الرابع .

ومع ازدياد حركة التجـارة لم تـكن الأمـور على ما يرام في المدينة التجـارية الجديدة .. حيث أفتقدت المدينة وافتقد السوق النظام القانونى والقضائي الذي ينظم المعاملات .

كانت الخلافات التجارية أو المدنية تسوى على أساس العرف والعادات والتقاليد القبلية البربرية وبالاحتكام إلى الكبراء .

وهذه أحكام فضفاضة ومطاطة لا يطمئن لها سوق .

فالسوق يحتاج إلى تشريع ويحتاج إلى قاض يحكم بالقانون .

فى عام ١٠٧٦ م عثر راهب اسمه ديونيرياس على قانون جستنيان الروماني ، وأعاد نسخه بعد أن أثقله بالشروح والهوامش . ولكن ذلك القانون ظل صعبا على الفهم ، كما أنه وضع في ظروف مختلفة فلم توافق نصوصه الحال دائما ، واجترأ الكثيرون على الاجتهاد فيه مما دفع البولونيين للنظر نحو النظام القضائي بالاندلس .

قـــرطبـــة

إذا أحببت أن تعرف قرطبة في ذلك الزمان من القرن العاشر والحادي عشر الميلادي .. فإن صورتها لم تكن تختلف عن بغداد أو القاهرة أو دمشق فى أزهى عصورها .

ولم تكن قرطبة تختلف عن طليطلة أو اشبيلية أو غرناطة إلا بأنها عاصمة الأندلس .

هي أكبر مدينة أوروبية ومنارة ثقافية عالمية .

تعدادها مليون نسمة وعمرانها حجمه مائتان وستون ألف مبنى ، وبها ثمانون ألف دكان وثلاثة آلاف مسجد وثلثمائة حمام وقصور ومكتبة عامة تضم حوالى نصف مليون مجلد .

ازدهرت بقرطبة ، وبالأندلس عامة صناعات

الأصول العربية للنهضة الأوربية

المعمار والحرير والجلد والحلي والمعادن ، كما عرفت تجارة المحاصيل وفنون الري والزراعة .

كانت شوارع قرطبة تضيء بالليل وتحفها الأرصفة من الجانبين ، وأمسياتها غنية بالشعر والغناء والموسيقى ، وأسواقها تبيع الكتب التى ينسخها النساخون على الورق ويزينونها بالرسوم .

ولعل الزائر الأوروبي كان يذهله معمار مسجدها الكبير بمقرنصاته وشبابيكه المزخرفة بالزجاج وغابة الأعمدة التي تعتمد السقف أو أسلوب تحميل المبنى على الأكتاف الحجرية مما يعتبر لغزا معماريا فى نظر الأوروبيين .

أو لعل الزائر الأوروبي كان يذهله نظام النافورات والفسقيات وجريان الماء إلى المستويات العالية بالضغط ، ويعجب من ذلك الأسلوب الذي يتيح للفلاحين ري الأراضى العالية .

وقد كانت قرطبة حاشدة بالعلماء والدارسين للتفسير والتشريع وعلوم اللغة وعلوم وفنون الطب والجراحة ، والموسيقى وأنماط السلوك المرفه الذي نقله الفنان زرياب من بغداد العباسيين وزاد عليه من ترتيبات الترف .

ولابد أن الزائر الأوروبي لقرطبة كان يعجب من تغير أزياء الناس بين الصيف والشتاء ، وسنة بعد سنة ، أو كان يعجب من أنماط السلوك على مائدة الطعام وتعدد الأطباق وتناول الحلوى بعد الطعام .

وقد كان التسامح الديني بمدن الأندلس يسمح للمسيحيين بالاحتفاظ بكنائسهم وبإقامة شعائر دينهم .. مما يضاعف بشاعة ما أقام الأسبان بعد انتصارهم من محاكم التفتيش وما مارسوه من اضطهاد للمسلمين ولابناء دينهم أيضا .. مما وصف بشاعته التاريخ .

ولم تكن اللغة العربية مجهولة فى أسواق المدينة أو خاناتها ، مما ساعد على اقبال الزائرين وذيوع أضواء الحضارة العربية .

١٥٠ سنة بعد سقوط قرطبة

سقطت طليطلة عام ١٠٨٥ م بينما كانت بولونيا تبحث عن نظام قضائي للسوق . وسقطت قرطبة عام ١٢٣٦ م وسقطت غرناطة عام ١٤٩٢ م ونصبت فى كل مدينة من هذه المدن أسواق لبيع المخطوطات التي ذاعت شهرتها فى أوروبا كلها وحملها التجار عبر الدروب الوعرة لبيعها فى الاديرة والمدارس والقصور في كل انحاء القارة .

ويقدر جيمس بيرك أن النساخين والمترجمين استغرقوا مائة وخمسين سنة في نقل الكتب العربية إلى اللغات الأوربية .

عرفت أوروبا خلال المائة والخمسين سنة من سقوط قرطبة علوما جديدة لم تخطر ببال أحد من قبل ولم تشر إليها مدونات شارلمان .. كالرياضة والجبر والهندسة والفلك (مسارات النجوم) والطب والتشريح وعلم النبات وعلم الحيوان والكيمياء والصيدلة والطبيعة وعلم الضوء والمعمار والفلسفة .

كما عرفت أوروبا أرسطو على الوجه الصحيح .

وكانت أوروبا قبل نقل الكتب العربية تتناقل عن أرسطو بعض المأثورات السطحية والمجتزأة ، فعرفت أركان فلسفته لأول مرة بالعربية ، وكانت نظريته فى المعرفة والمنطق مفتاحا لمنهج جديد يتميز بضوابط دقة الفهم وسلامة الاستنتاج .

ومنذ وقوع أوروبا على ذخائر هذا الكنز الثمين تطور التشريع ونظام القضاء ، وانشأت بولونيا أول جامعة تمنح خريجيها شهادات معتمدة .

وعرفت أوروبا القياس العقلي ، كما عرفت فى مجال العلم التجربة والاختبار والتحليل والاستنباط

وأصبح اسم ابن رشد (١١٢٦ م — ١١٩٨ م) هو حجة المتعلمين فى أوروبا واشتهر بين العامة والخاصة .

البابـــا يتحرك

وقد عرف الأوروبيون بالطبع أسباب المطر وهبوب الرياح من الكتب العربية ، فآمنوا بجبرية القانون الطبيعي بحيث يمكن التعويل عليه فى الملاحة وفى الزراعة ..

ولكن هذه الجبرية كانت تناقض نظرية الكنيسة التي كانت تربط الظواهر الطبيعية بافكارها حول الرحمة واللعنة .

كما أن العلوم الجديدة أحدثت ثورة في الأفكار التقليدية .. مما دفع البابا عام ١٢١٠ إلى تحريم تداول الكتب العربية أو ترجمتها أو الجهر بما فيها .

فكأن ابن رشد قد نكب مرتين .. مرة فى قرطبة مدينته العامرة إذ اتهم فى دينه ومرة فى روما !

ولكن قرار البابا لم يحدث ما كان مرجواً منه .. فأضرب طلبة جامعة باريس عن تلقي الدروس اضراباً طويلاً استمر ست سنوات ، وأحدث الطلبة والعلماء فى مختلف أنحاء القارة شغبا أدى إلى مساع بين الطرفين لاحداث نوع من الوفاق على أساس أن الانسان يمكنه أن يكتشف الظواهر الطبيعية وقوانينها بالعقل الذي هو منة الله عليه ، ولكن أسرار الايمان يجب أن يظل موضعها الروح والقلب .

وهكذا رفع البابا أحكام الحرمان عن العلماء ، وأصبحت أسماء ابن سينا وابن حزم والخوارزمي والفارابي والادريسى إلى جانب أرسطو من الأسماء التي يتداولها الخاصة ليتميزوا بمعرفة علومهم . وسقطت بذلك الأوهام الأوروبية القديمة والمعارف الثابتة وفتحت أبواب المدن والقرى البربرية الأوربية لعصر النهضة وللتقدم العلمى والفنى والثقافي والفكرى .

العلوم إنسانية

من المجالات التى لا تطرقها جامعاتنا إلا نادرا هذا المجال : تاريخ العلوم .

وأعتقد أن تكثيف البحث فى تاريخ العلوم العربية لابد أن يساعد فى حل بعض المعضلات الفكرية التي يعانيها المواطن العربي العصري .

فمع أن أوروبا قد اغترفت العلوم العربية ونشطت في تنميتها وتطويرها واستخدامها لتطوير الحياة على وجه القارة واستمدت منها القوة والقدرة على التقدم .. فمنا من لا يزال يتهيب الأخذ من الغرب .

وإن كانت أوروبا قد أنكرت فضل العرب واللغة العربية عليها هذا الانكار الطويل ، فإن واجبنا يحتم علينا ألا ننساق وراء دعاواهم الكاذبة فننكر مثلهم ذلك الفضل ضمنا .. بوصف العلوم والفنون الحديثة بأنها غربية الأصل والمسيرة فنتحرج من استردادها ونحن أصحابها .

إنها علومنا التي أضاءت ظلمات أوروبا ، وأفكارنا التى أثارت أفكارهم . فلا محل للتحوط أو النكوص عن استردادها وأن ننعم بثمارها وبتطوراتها .

إن ذلك ليس تغريبا أو اغترابا ، فقد نبعت العلوم من أصالتنا ، وأصالتنا قديرة على استيعابها واستقبالها بقلب مفتوح .

الفريد فرج
لندن

ابن تيمية

ومعاركه ضدّ الجهل والتخلف والجمود

بقلم: عبدالقادر بن محمد العماري

لقد أحسن التليفزيون القطري صنعاً بانتاجه مسلسلاً عن شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم الحراني المشهور بابن تيمية هذه الشخصية الاسلامية الفذة التي كان لها دور عظيم في ايقاظ المسلمين وتصحيح عقائدهم . وقد أجاد الممثلون واتقنوا أدوارهم وخاصة الممثل الكبير عبدالله غيث الذي مثل دور ابن تيمية .

لقد خاض الامام ابن تيمية معارك ضارية مع عصابات الجهل والجمود والتخلف الفكري كما خاض أيضاً معارك سياسية وحربية مع الطغاة والظلمة ، وقاد المقاومة الشعبية للدفاع عن الوطن الاسلامي ولا زال هذا الامام بتراثه وفكره وكتبه التي تركها لنا يخوض المعارك الفكرية مع تلك القوى الجاهلة التي بدأت الآن بالقاء السلاح بعد أن عم الوعي في الشعوب وعرفت الحق من الباطل ، فالى وقت قريب كان ذكر ابن تيمية عند كثير ممن يتسنمون المراكز الدينية في العالم الاسلامي ويتصدرون قيادة الفكر الديني يثير الغيظ والحنق والانفعال ويوصمونه بأقذع الألفاظ ويوجهون اليه أفظع التهم فقد اتهم ابن تيمية بالكفر والزيغ لأنه كشف الحجاب عن محاولات قوى البغي والظلام في ابقاء الشعوب الاسلامية أسيرة الجهل والتخلف وفرض آراء وأفكار تكرس الجهل والضلال .

لقد تضامن الحكام الظلمة ومشايخ الطرق الصوفية من أجل استغلال الشعوب فقام هذا الامام فصرخ في وجوه أولئك المستغلين قائلاً كفاكم تضليلاً وظلماً للمسلمين وكفى تعتيماً على الحق الذي جاء به الاسلام فلا نافع ولا ضار الا الله ولا وسطات بين العبد وربه ولا كهانة ولا استغلال في الاسلام .

وكم قرأنا في كثير من الكتب الصفراء وكم سمعنا من وعاظ وقصاص يسمون أنفسهم علماء تهجماً على هذا الامام كقولهم انه ضال مضل وقبل سنوات جاء شيخ أزهري صوفي تولى منصباً دينياً في احدى دول الخليج فحرض على حرق كتب ابن تيميه ولا زال بعض المشايخ ممن هم على شاكلة هذا الشيخ الأزهري يتهجمون على الامام ابن تيميه في كتبهم مثل ذلك الأزهري الذي ألف كتاباً بعنوان (ابن تيميه ليس سلفياً) أراد أن يتقرب بكتابه هذا إلى مشايخ الطرق في البلاد التي أصدره فيها ولا زال كثير من المشايخ يبررون البدع والخرافات التي أنكرها ابن تيميه لأنها تتعارض مع الاسلام .

ولأن ابن تيميه له آراء جريئة في الفقه أيضاً فقد أثار بذلك حفيظة الفقهاء المتعصبين من اتباع المذاهب الأخرى لأنه لا يتقيد في آرائه إلا بالدليل القوي من الكتاب والسنة على الرغم أنه حنبلي المذهب إلا أنه لا يتعصب لمذهب معين فالرأي الذي يؤيده الدليل أو تقتضيه المصلحة العامة يقف إلى جانبه ففتواه في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد التي خالف فيها المذاهب الأربعة لا زال يتردد صداها إلى اليوم بعد أن أخذت برأي ابن تيمية في هذه المسألة أكثر الدول الاسلامية في قوانين الأحوال الشخصية لأن رأي الجمهور في هذه المسألة هو المرجوح في ميزان الأدلة ودعوى الاجماع عليه ليست صحيحة والعمل برأي ابن تيميه في هذه المسألة فيه مصلحة جمع شمل الأسرة وحماية الأطفال من الضياع ولا يعقل أن كلمة واحدة قد يقولها الرجل من غير تفكير تكون سبباً في شتات أسرة بكاملها . والذين يصرون على رأي الجمهور في هذا العصر انما يدفعهم التقليد والحساسيات المذهبية وان غلبتهم الآراء وأيدت السلطة القول المخالف لرأي الجمهور اتباعا للمصلحة العامة للاقلال من حوادث الطلاق ، قبلوا ذلك على مضض ثم اندفعوا في ايجاد المبررات بأن العصر يقتضي ذلك حتى لا يلجأ الناس إلى التحليل عن طريق التيس المستعار وكأن هذا التحليل لم يكن إلا في هذا العصر ولم يكن في عصر ابن تيميه الذي ذكره من جملة الاسباب التي جعلته يميل إلى هذا الرأي والغريب أن من جملة أسباب سجن ابن تيميه قوله بهذا الرأي الذي يكاد كل المسلمين يعملون به الآن والعجيب أن أحد الدكاتره أراد أن يوفق بين عاطفته المذهبية وواجبه كأستاذ للشريعة في كلية الحقوق فبعد أن شتم ابن تيميه وانتقد مخالفته للجمهور في هذه المسألة ذهب يبرر ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية في هذه المسألة في البلد التي يعمل بها حتى لا يقال انه يعارض القانون .

ومن الآراء التي تبناها ابن تيميه رحمه الله مسألة عدم الاجبار للبنت في تزويجها وعدم أحقية أوليائها في تزويجها بمن لا تريده فقد كان ذلك أمراً سائداً في عصر ابن تيميه لأن بعض الفقهاء جارى التقاليد القبلية مما أضفى عليها نوعاً من الشرعية على الرغم أن هناك أحاديث نبوية صحيحة تؤكد على أن من حق البنت البكر أن تختار الزوج الذي تريده وليس لأوليائها أن يجبروها على من لاتريد ، وقد شرح ابن القيم رأي شيخه ابن تيمية قائلاً (كيف ان الأب لا يستطيع أن يتصرف في الشيء اليسير من مال بنته من غير أخذ موافقتها ولا تؤخذ موافقتها فيما يتعلق بنفسها كيف يجوز أن يزفها بغير رضاها إلى من يريده هو وهي كارهة مبغضة لهذا الزوج الذي يريد أبوها أن يزفها اليه) .

فمواقف ابن تيميه سواء في ميدان الحرب وردع المعتدين عن حياض الوطن الاسلامي أو في الميدان الاجتماعي أمر خلده له التاريخ وذلك ما يعرضه له المسلسل من تاريخه رحمه الله فجزى الله ابن تيميه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وياليت علماء الاسلام اليوم يسلكون نهجك أيها الامام العظيم ويتبعون طريقك التي هي طريق الحق وهي التي ستقود المسلمين إلى النجاح في الدنيا والآخرة .

وأتمنى أن تقوم كل التليفزيونات في العالم الاسلامي بعرض هذا المسلسل حتى يعرف المسلمون جهاد هذا الامام العظيم ، واني على يقين أن عرضه سيجد اعتراضاً من قبل بعض المخرفين من المتصوفة في العالم الاسلامي كما هي عادتهم في محاربة الحق وشكرا لتليفزيون دولة قطر .



مساكين أهل العشق

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

بين محفوظاتي بيت شعر قديم كنت قرأته في أيام الصبا في ألف ليلة وليلة ، هو التالي :

مساكين أهل العشق ، ما كنت أشترى جميع قلوب العاشقين بدرهم

تلوت بيت الشعر هذا على صاحبى يوسف بك ، وأسميه هكذا تعمية مني على اسمه الحقيقى ، في آخر لقاء لي به في مدينته التي زرتها منذ مدة قريبة ، فبدا عليه الامتعاض كأني أسأت به اليه . كان قد فتح لي صدره وقص علي من أمره ما ساقني الى ترديد هذا البيت عليه . إلا أنه ما لبث أن ابتسم ابتسامة خفيفة وقال ، بعد أن فكر قليلا : صدقت ، أو صدق قائل هذا الشعر .. الحق معه ، والحق معك ...

ويوسف هذا صاحب قديم لي ، تعود معرفتي به إلى أول شبابنا حين جمعتنا مقاعد الدراسة الثانوية وبعض فترة دراستنا العليا . عدت أنا إلى بلدتي الصغيرة بينما ظل هو في مدينته يتدرج في طريقه الذى اختاره لحياته إلى أن اصبح ذا اسم شهير ومكانة كبيرة .

كان له من هيبة الناس ما يغنيه عن تخوفهم منه ، وما كان يسمع ممن حوله إلا عبارات التقدير ولا يرى ممن يعاملهم غير التجلة والاحترام . ولاشك في ان تعوده على هذا هو ما خلق في نفسه النقمة التى ضاق لها صدره وكست وجهه ملامح انقباض واضحة جعلتني ، عندما التقيت به في هذه المرة ، اسأله بالحاح عما يشكو منه . تردد أول الامر في الافصاح عما به مدعيا أن كل أحواله على ما يرام غير انه ، بعد أن تمادينا في أحاديثنا إلى ما عاد بنا إلى ذكريات الشباب وحكاياتنا الحميمة القديمة ، خرج عن تحفظه . ورأيته يقاطعني فيما كنت أتحدث به ويقول :

ـ يافلان .. أتدرى أن صاحبك ، الذى هو أنا ، عاشق في هذه الأيام ؟

تطلعت إليه في شبه دهشة وقلت :

ـ اسمعني الله عنك الأخبار الطيبة يا يوسف بك . في هذا العمر ، وهذه المكانة ؟!

ثم ما لبثت أن انفجرت ضاحكا وأنا أضيف :

ـ لا أصدق . ليس لأن العشق محرم عليك ، ولكن لو كان الأمر كما تدعي لفاض وجهك بشاشة على الأقل ، ولما لقيتني بهذا التجهم .. إلا إذا كنت عاشقا مهجورا أو محبا غير محبوب .

فهز صاحبي رأسه وقال : بل اني من حبي في سعادة غامرة . أما التجهم الذى تراني فيه فسأعلمك بسببه . انه يعاودني كلما عادت إلى بالي واقعة بسيطة جرت لي بسبب هذا الحب منذ أيام قليلة . واقعة بسيطة ، ومرت فوق ذلك بسلام ، ولكني لا أملك التخلص من النقمة التي تثيرها ذكراها في نفسي . هل تريد أن تستمع إلي ؟

قلت : كلي آذان صاغية . ماذا جرى لك منذ أيام قليلة ؟

• • •

راح يوسف بك يروى لي أسباب حنقه الذى نغص سعادته بحالة الحب التي يعيشها . قال :

ـ نعم ، في هذا العمر وهذه المكانة ! ألست انت الذي طالما رددت علي أن الحب لا يأبه بالأعمار ، وأن غوته أحب وهو في الخامسة والسبعين فتاة في دون العشرين من عمرها ؟ احسبني يا أخي مثل غوته . ما أقصه عليك لا يتعلق بحبى ذاته ، بل بما تعرضت إليه وأنا في طريقي إلى هذا الحب . منذ ثلاثة أيام فقط ، عدت من سفر بعيد ، من احدى رحلاتي التي يفرضها المركز الذى احتله علي . وجه الحبيبة الجميل لم يفارقني في حلي وترحالي . كنت أرى تقاطيعه ونظرة عيني صاحبته ، التي يتراوح ايحاؤها بين هدوء البحيرة الساجية ونفور القطة الشرسة ، أرى هذه وتلك في وجوه الفاتنات اللواتي كن يتسابقن إلى تحيتي في حفلات الاستقبال التي تقام لي ، وبين سطور الوثائق التي كنت أتلوها لنفسي قبل أن اضع توقيعي المبجل في أدناها . وحين رجعت إلى البلد ، وكان وصولي اليه مساء ، منذ ثلاثة أيام كما قلت لك ، كان أول شيء فعلته اني هتفت للحبيبة أعلمها بعودتي . ردت علي بقولها انها متلهفة لتراني ، ولتراني في هذه الساعة ! وانا ، هل كنت اقل لهفة ؟ وإنما كنت محاطا بمن كان عليهم أن يحتفوا بي بعد هذه الغيبة الطويلة ، وليس سهلا أن اتخلص منهم لأزورها هي في دارها . لم تقبل لي عذرا في أن أؤجل لقاءنا إلى الغد ، وكانت كلمتها الأخيرة : لا تقل انك لن تخلص من واجباتك الملحة في الفجر ... سترى نافذة غرفتي المطلة على الشارع مضاءة إذا مررت تحتها عند الفجر ... حتى تلك الساعة سأكون في انتظارك !

ماذا يكون ، يا عزيزى ، ردك على هذه الكلمات إذا كنت في مثل حالي ؟ على كل حال لم تستبد بي واجباتي إلى الفجر ليلتها ، وإنما تأخرت بي حتى قاربت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . خرجت من منزلي في تلك الساعة واستوقفت سيارة اجرة في الطريق وقصدت الحي البعيد الذى كانت ، هي ، تنتظرني فيه خلف نافذتها المضاءة . انحدرت من السيارة على مبعدة من العمارة التي يقع فيها منزلها واكملت طريقي مشيا في الشارع المؤدى إلى ذلك المنزل .

كان الحي غارقا في الهدوء ، والشارع بعماراته المطفأة انوار النوافذ والشرفات يلتف في ظلام سابغ ، وكنت أنا امشي على الرصيف واتجهت نحو وسط الجادة رافعا رأسي لأتبين أنوار النافذة المضاءة من أجلي . وفي تلك اللحظة ، حين خطوت الخطوات الأولى على اسفلت الشارع ، حدث ما لم اتنبه له ، وما لم اكن اتوقعه ، والذى أثر في إلى الدرجة التي رحت تتساءل معها عما أشكو منه .

ما الذى حدث ؟ خرق سمعي فجأة صوت بوق صاعق آت من ورائي تلاه صرير حاد ، كاد أن يمزق طبلة اذني ، لفرامل سيارة وقفت من ظهرى على قيد اصبع . نجوت من الدهس في تلك اللحظة نجاة لا تصدق . هل تظنني ارتعت لما حدث ؟ صدقني ان لا . كنت من احاسيسي آنذاك في

استغراق يبعد عني كل خوف ، غير تارك في نفسي مكانا لغير الغبطة التي ملأتها وانا اتميز النافذة المنيرة في ظلمة الحي الغافي . وكنت مستعدا إلى أن أتابع سيرى دون أن التفت إلى الوراء لأتبين لون العربة التي كانت ستقضي علي أو نوعية سائقها الذى كاد أن يحمل وزر دمي في عنقه . إلا أن ذلك السائق ، ورجل آخر كان يرافقه ، لم يتركاني في حالي . فقد نزلا من مقعديهما وتوجها إلي بصراخ حاد ، وبكلمات عنيفة ، بل بكلمات تجاوزت العنف إلى البذاءة . ما تصورت يوما ان انسانا يجرؤ على أن يتلفظ بمثل تلك الكلمات في حضورى ، فكيف أن يوجهها إلي ، إلي بالذات ! تلك الكلمات بحدتها وبفحش معانيها هي ، وليس خطر الموت الذى نجوت منه قبل لحظة ، هي ما اخرجني من سديم الغبطة التى كانت تسبح فيها مشاعرى لتنبهني إلى ما أنا فيه في الواقع .

كيف تراني يا صاحبي ؟ أقصد كيف تراني من الناحية البدنية ؟ أؤكد لك أن البطش بذينك الرجلين لم يكن أمرا عسيرا علي . لم يكونا من ضخامة الجسم بما يخيف مثلي ، وكان الحنق من النعوت الفاجرة التي ألصقاها بي جديرا بأن يهبني قوة شمشون في تلك الساعة . بل أني رفعت يدي .. رفعتها ثم لم ألبث ان انزلتهـا ، واطرقت برأسي . لم اخبرك بأني كنت أحمل في يدى هديتي إلى التي اضاءت نافذتها إلى الفجر في انتظارى . هدية هي آخر ما ابتكرته مصانع العطور في البلد الذى كنت في زيارته ، في تغليف بالغ الأناقة . في تلك اللحظة نسيت صراخ الرجلين وشتائمهما ، وداخلني الخوف لأول مرة مما كاد ان يحل بي . ماذا لو أن هذه السيارة لم تقف على بعد اصبع من ظهرى فاستمرت وسارت على جسدى ؟ ماذا سيقول الناس ، اولئك الذين يعرفونني ويسمعون بي والذين يحلفون باسمي ، حين تتحدث الألسنة بما وقع لي ، بعد منتصف الليل وفي جادة بعيدة ، وحيدا واصابعي مطبقة على زجاجة عطر لم تعرفها بعد غانية في هذه المدينة ؟ وكل ذلك تحت شباك مضاء لفاتنة ليست نكرة في الاسم والمنزلة ؟! .

نعم انزلت يدى واطرقت برأسي ، ولم ارد على الرجلين بكلمة ، وانما انسحبت من امامهما اجر قدمي في سيرى إلى موعدى . غطى خوفي مما كان ممكنا ان يحدث ، على حنقي مما كالاه لي من شتائم في تلك الدقائق فقط . اما بعدها فقد راحت تتردد في ذهني كلماتهما ويعود إلى خاطرى موقفي الجبان الذى وقفته امامهما وانا اتلقى شتائمهما المقذعة منهالة علي كأنها الصفعات . لماذا جبنت هكذا ؟ أهو خوف أن اخوض شجارا يحرمني موعد تلك الليلة ، أم خوف أن يجتمع علينا الناس فاعرف من أنا وما الذى جاء بي إلى هذا المكان في تلك الساعة ؟ ربما كان هذا وربما كان ذاك ، وربما كان الامران معا . إلا أن الذى لاشك فيه أني ما وقفت موقف الغضاضة والهوان ذاك الا لأني كنت عاشقا . وحين تراني في لحظة ما ممتعضا متجهم الوجه ، تأكد أني في تلك اللحظة اراجع نفسي والومها على أنها ورطتني في العشق إلى أن اذلتني هذا الذل ...

• • •

وتوقف يوسف بك عن الكلام فابتسمت له كالمواسي . وكالمواسي ايضا رددت عليه بيت الشعر الذى افتتحت به مقالي ، عن مسكنة أهل العشق ، وأنا احدث نفسي بأن صاحبي يعمل من الحبة قبة . أو لعله العشق هو الذى وتر مشاعره وضخم ردود الفعل فيها على ما جرى له إلى هذه الدرجة . وتابعت مواساتي له بأن قلت له :

ـ لابد دون الشهد من ابر النحل ياعزيزي ولابد من أن تتطعم سعادتك بالحب بيعض المنغصات . انت مع هذا حسن الحظ بأن نجوت بجلدك ، وبسمعتك ، هكذا . انك تذكرني بعاشق مثلك كان مقدرا له حظ أبأس من حظك بكثير . لعلك تتعزى عما جرى لك إذا اخبرتك بما جرى له .

قال : من هذا الذى تعنيه ؟

قلت : إنه مريض جاءني في ذات يوم حاملا مشكلته . وعسى أن لا يأخذ زملائي الاطباء علي اني بحت بسر المهنة لأني رويت لك تلك المشكلة .

دخل هذا الرجل علي في غرفة المعاينة مع زمرة من المرضى . لعلك سمعت بطريقتي في العمل في عيادتي وكيف تضطرني كثرة المترددين عليها إلى ان استقبلهم جماعات . كلما طلبت من ذلك الرجل أن يتقدم لأفحصه ، لأن دوره حان ، كان يستمهلني طالبا أن يظل إلى آخر الحضور كان امرءا بدويا ، في آخر الشباب وأول الكهولة ، مورد الوجه نظيف الثياب ، وليس في ملامحه ما يشي باصابته بمرض ظاهر . ولما لم يبق غيره أمامي سألته عما يشكو منه ، فأجابني في شبه تردد : لست مريضا ، وانما جئت اسألك سؤالا . قلت : تفضل واسأل . قال : منذ أيام عضني كلب .. اترى في عضة الكلب ما يضر ؟ قال هذا وهو يكشف لي عن ساقه اليسرى فبان لي في ربلة الساق اثر جرح سائر إلى الاندمال . وكرر لي سؤاله قائلا : اترى في هذه العضة ما يضر ؟

مثل كل طبيب أمام مثل هذه الحالة رحت استفهم من الرجل واسأله : منذ متى عضك ذلك الكلب ، وهل تعرفه ، وهل لا يزال حيا ؟ اجابني قائلا : اعرف الكلب ، فهو كلب منزل اناس اعرفهم ، وهو لم يعد حيا .. قتلته بمسدسي هذا حين انبت انيابه في ساقي .. ومن حسن الحظ اني فعلت ذلك وقبل ان يبتعد عني ، إذ خرست الطلقة لقرب المرمى فلم يسمع أحد صوتها .. كان ذلك ليلا ، بعد العشاء ، ومنذ خمسة أيام ! قلت للرجل : بل لعل ذلك لسوء الحظ .. لو ظل الكلب حيا بعد عشرة أيام من عضه لك لحكمنا بأنه سليم من داء الكلب . أما الآن فلابد من سوقك إلى المستوصف الحكومي لتأخذ الحقن الواقية من ذلك الداء ، فما من احد يضمن لنا سلامة ذلك الحيوان من السعار ... لماذا لم تراجعني قبل الآن ؟

جمجم الرجل لسؤالي الاخير هذا وتمتم . وراح يرجوني أن اصف له علاجا لا يحيجه إلى التردد على المستوصف ، لئلا يتسامع معارفه بأنه تعرض لعضة كلب في ذات ليلة . قلت له : ليس في عضة الكلب ما تتخوف له من كلام الناس عنها ، وكان الأجدر بك أن لا تتأخر في مراجعة الطبيب إلى اليوم . قال : ما كنت انوي التحدث عن هذه العضة إلى احد ، ولكني تغلبت على ترددى وجئت اليك ... الكلب ، ياحكيم ، هو كلب دار اعرفها جيدا ... هاجمني وأنا أحاول ، في غفلة الأهلين ، أن اتسلل إلى التي احبها ، تلك التي تسكن في تلك الدار !

واضفت وأنا احدث صاحبي ، فقلت له : وهكذا يا يوسف بك يا اخي ، مأزق ذلك البدوى اخطر من مأزقك بكثير ، وقد زج نفسه فيه لانه كان ، مثلك ، عاشقا . الخطر الذى كان يتهددك انت هو فضيحة تدوم يوما وليلة . وفي أقصى الاحوال كان يمكن أن تفارق الدنيا بهدوء ، تحت عجلات السيارة التي كادت أن تقضي عليك . أما ذلك المسكين فإنك لا تتصور ما كان مهددا به لو لم يراجعني قبل خمسة أيام من انتهاء مدة فاعلية اللقاح ضد داء الكلب . كان سيغدو مسعورا ، وسيموت حتما ... ليس الميتة الهادئة التى كانت تهددك ، بل ميتة شنيعة لا يصل إليها قبل أن يمر بمراحل العذاب المرير . يصاب بالسهاف ، وهو ظمأ جنوني لا يستطيع ارواءه لأن مجرد رؤية الماء تثير فيه تشنجات حادة تصل إلى درجة الاختناق ، كما ان اشعة الضوء تبدو له كأسياخ محماة تنغرس في كرتي عينيه . يصرخ ويعوى ويهذى ، ويصبح خطرا على نفسه وعلى من حوله قبل أن يفارق الحياة في نوبات تشنج مريعة . كل ذلك تقبله ذلك الرجل ، وسكت عليه ، وتردد في محاولة الخروج منه ، لأنه كان عاشقا ! مساكين اهل العشق ...

• • •

عندما انتهيت من رسم صورة العذاب الذى كان يتهدد مريضى البدوى ليوسف بك ، رأيت التجهم الذى كان يكسو وجه صاحبي يتلاشى ، فتنبسط أساريره وترتسم على شفتيه ابتسامة بين الرضى والاستكانة . وسمعته يتمم من نفسه كلمات ذلك البيت من محفوظاتي في أيام الصبا قائلا :

ـ الحق معك ... ما كنت اشترى جميع قلوب العاشقين بدرهم !

الرقة ــ سورية

قصة مجاهد إسلامي كبير

عبد القادر الجيلاني

إخلاص عميق وقدوة عالية وتأثير واسع على الناس

بقلم: الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

- أسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من غير المسلمين، وتاب مائة ألف من قطّاع الطُرُق والخارجين على القانون
- عاش تسعين سنة لا يلبس إلا الثياب الخشنة ولا يأكل إلا أقل القليل

أينما يممت وجهك شطرا من العالم الاسلامي شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، في السهل والغابة والمدينة والقرية لابد وأن يصادف سمعك اسم (سيدي الجيلاني) و (الشيخ الجيلاني) و (سيدي عبدالقادر) و (الطريقة القادرية) و (الطريقة الجيلانية) و (القطب الغوث) وورد سيدي (عبدالقادر) الخ هذه الأسماء والمسميات تسمعها من مثقفين وأميين وتسمعها في أفريقيا وآسيا وغيرهما من أرض الله، وتتساءل ويتساءل معك الكثيرون من هو هذا الجيلاني، وما هي طريقته ؟

وإذا كان الجيلاني قد شغل بحديثه والحديث عنه المجتمع الاسلامي طوال القرن السادس الهجري فذلك أمر معهود في كثير من الأعلام في كل فن وعلم واتجاه.

أما أن يظل محفوراً على صفحة التاريخ، ومتردداً في ذاكرته وعلى لسان الزمان وسمعه، هكذا .. فتلك هي المسألة بل والمقتضى الذي تأتى من ورائه هذه السطور لتلقي ضوءاً نكشف به هذه الصفحة من تاريخنا الفكري والسلوكي ونتعرف على تيار كان وما زال له أثره النافذ بمنهجه ورجاله في أوساط الخاصة والعامة من مثقفين وأميين، هو المنهج التربوي أو السلوكي أو الصوفي الذي كان وما زال حديث التاريخ والحاضر والمدح والقدح والإقبال والنفور ومازال أئمته متربعين على عروشهم في ردهات التاريخ ودهاليز الزمان حاضره وماضيه.

هي سطور للاستكشاف أكثر منها سطوراً للتقييم لصفحة من صفحات الرجال العارفين عن طريق الذوق بمنهج قبله ناس ورفضه آخرون وبين القابلين والرافضين ملايين الجماهير التي تشارك بوعي وبغير وعي في مواكب القبول ومواكب الرفض على سواء.

هذا نمط من الدعاة أصحاب الكلمة المسموعة المؤثرة والنافذة إلى أعماق النفس البشرية بإذن ربهم طالما نلتقي بهم في عصور الدعوة ولا يخلو منهم زمان أو مكان على تفاوت في قوة تأثيرهم ، وآثارهم التي يخلفونها لمن بعدهم .

فكم منهم من أعلام تلاقت عليهم القلوب وائتلفت ، وأصغت لهم الأسماع ومالت ، واكتظت مجاسهم بالرواد والمتعلمين والمحبين والمعجبين من خاصة الناس وعامتهم ، وتناقلت الألسن الاشادة بهم وبمجالسهم وآثارهم ، وكم من جاحد أسلم على أيديهم بهدي الله ، وكم من عاص تاب في مجلسهم ، وكم من جاهل اهتدى بكلمتهم ، وكم من أمي تعلم بدروسهم .

ولا ننسى مجالس الحسن البصري ، ومالك ، والشافعي ، والغزالي ، وابن الجوزي وابن تيمية وسلطان العلماء العز بن عبدالسلام وغيرهم كثير وكثير .

وداعيتنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني ممن حباه الله سعة في العلم ، وصفاء في النفس ، وتأثيراً بالكلمة ، والسمت الخاشع ، يدلك على الله حاله ويرشدك إليه مقاله ، وقد هدى الله على يديه آلاف الشاردين بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان حلو المنطق عذب الحديث ، قوي الكلمة .

بدأت دروسه ومواعظه بحجم المكان الذي بدأ فيه بمدرسة المخرمية ، ومازالوا يزدادون ومازال المكان يوسع يوماً بعد يوم حتى طار صيته في الآفاق ، وذاعت كلماته على الألسن واشتهرت مجالسه حتى صار يضرب بها المثل ، حتى كأنه أمة من الناس .. لشخصيته كداعية يطابق قوله عمله ويعطي القدوة من نفسه بهديه ودله وسمته ..وبنوعية المادة والعلم الذي يدرسه ومدى حاجة الناس اليه وتأثيره فيهم .. وبقوة الأداء التي تستحوذ على اهتمام الطالب والسامع حتى ليصغي إليه اصغاء المحب المستفيد ، ويسعى إليه الخاص والعام والمتعلم والأمي والعاقل والجاهل .

عصر الجيلاني

ازدحمت الأحداث في عصر الجيلاني إذ ـ كان القرن السادس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي من القرون الموارة بالأحداث الملتهبة والمتلاحقة وما يكاد يجف المداد من تسجيل واحد منها حتى يأتي حدث آخر تتلوه أحداث وأحداث وكأن الليالي بها حبالى .

في مشرق العالم الاسلامي أخذت الدولة السلجوقية في التفتت حتى انقرضت ٥٩٠ هـ ـ ١١٩٣ م ، وحاولت الدولة (الخوارزمية) أن تكون الوارث لها ولما يتم الميراث ، وانتهت في هذا القرن الدولة (الغزنوية) ٥٧٨ هـ ـ ١١٨٢ م . وقامت مكانها الدولة الغورية وبدأت قوية بابتداء سنة ٥٤٧ هـ ـ ١١٥٢ م ، ثم اتسع ملكها في الهند بما لم تبلغه دولة اسلامية قبلها ، هذا عن المشرق .

فاذا يممنا وجوهنا قبل المغرب وجدنا دولة (المرابطين) تلفظ أنفاسها الأخيرة مع سنة ٥٥٢ هـ ـ ١١٥٧ م لتخلفها في المغرب والأندلس معاً دولة الموحدين (دولة بني عبدالمؤمن) تلك الدولة التي أسسها (محمد بن تومرت) الملقب بالمهدي سنة ٥١٤ هـ ـ ١١٢٠ م .

وبين أحداث المغرب والمشرق كانت الأحداث الكبرى في مصر والشام ، اذ انتهت في هذا القرن دولة (الفاطميين) بمصر وبالتحديد سنة ٥٦٧ هـ ـ ١١٧١ م على يد صلاح الدين الأيوبي ، وقامت الدولة الأيوبية مكانها ، وكان صلاح الدين أول ملوكها ، وكان أول عهد أخذه على نفسه إخراج الصليبيين من الشام ، وكان صادقا مع نفسه ووفياً في عهده فانتهت على يديه تلك الحروب الصليبية المشئومة بانتصاره على الصليبية واستعادته بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م والتأم على يديه هذا الجرح الدامي في جسم الأمة الاسلامية .

هكذا كان هذا القرن السادس مليئاً بالأحداث الجسام التي غيرت كثيراً من مجرى تاريخ الأمة الاسلامية . هذا عن السياسة وعروشها ودولها .

وعلى الجانب الآخر حيث دولة العلم ورجاله ، في حال شبيهة بمثيلاتها في الجانب السياسي .

في المشرق كان قد بدأ العد التنازلي لبعض المجتمعات الاسلامية في فقد مكانتها العلمية بسبب ماكان بين المذاهب ورجالها على شتى تخصصاتهم من عقائدية وفلسفية وفقهية وصوفية ، من تناحر وعداء وحرب ضروس لايخبو لها أوار تزكيها عصبيات وحميات ، هي أقرب في كثير منها إلى جاهلية منها إلى اسلام .

فالفلسفة بعد الهزيمة المنكرة التي ألحقها بها الغزالي في القرن الخامس في المشرق مازالت في دور خمودها . وقد تربع على عرش القيادة العلمية بعدها علم الكلام وعلم الفقه وكان لعلماء كل منهما السلطان القوي مع ماهم معروفون به من عداء شديد للفلسفة وعلومها . أما في المغرب فمازالت تلمع لها أضواء على يد دولة الموحدين وبخاصة (أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن) الذي كان لها مثلما كان (المأمون) لدولة بني العباس .

وبقدر ماكانت الدائرة على الفلسفة في القرن الماضي على يد الغزالي في المشرق بقدر ماكانت الدائرة لها في هذا القرن في المغرب الاسلامي على يد ابن رشد إذ كانت فلسفته في ميزان أهل الذكر فيها أرقى ماوصلت إليه الفلسفة الاسلامية بل يعدون لها من الفضل أكثر من غيرها في نهضة الفلسفة في أوربا .

كذلك احتل التصوف في هذا القرن مكانة فضفاضة مما بدا معها كثير من رجاله انهم لم يكونوا أهلاً لها ، فانتشرت الخانقاهات الصوفية وصارت مقصداً للزائرين والناذرين للأحياء والأموات وعلت قباب كثيرة ماكان لها أن تعلو للتبرك بأصحابها بل وطلب قضاء الحاجات منهم وعندهم ، للأسف !

وفي هذا المناخ كله ظهر الداعيةالشيخ « عبدالقادر الجيلاني » ظهوراً احتل فيه مكان (القطبية) التي افتتن بها كثير من الناس حينها وبعد حينها ولم يكن وحده في الميدان بل كان الميدان مزدحماً بالكثير ، اذ كان هو أحد الأقطاب الأربعة المتربعين على عرش القطبية آنذاك وهم (الجيلاني ، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي المتوفي ٥٧٠ هـ ـ ١١٧٤ م وينسب إلى قبيلة عربية تسمى بني رفاعة ، ثم البدوي ، والدسوقي) .

لكنه فاقهم وطار صيته ذائعاً عنهم إذ كان نسيجاً وحده جمع بين العلم والعبادة وخاطب الخاصة والعامة معاً بما يشبعهم ويقنعهم على سواء .

الوطن والمنشأ

ونبدأ رحلتنا وصحبتنا باسم الله مع الشيخ « عبدالقادر الجيلاني » من بلاد (الديلم) وبالتحديد من مسقط رأسه (أرض الجيل أو جيلان) تلك الولاية من أرض فارس التي طالما أخرجت نباتاً طيباً باذن ربها قبل الشيخ « عبدالقادر » وبعده ، فمنها خرج شيخ المفسرين (ابن جرير الطبري) ، وفيها ساد منهجه قبل « عبدالقادر » بقرون .

ومنها وفيها برز أعلام بعده يحملون هذه النسبة « الجيلي أو الجيلاني » .. منهم (الجيلي أحمد بن صالح توفى ٥٦٥ هـ) ، ومنهم (الجيلي عبدالكريم بن إبراهيم ٧٦٧ هـ ـ ١٣٦٥ م توفى ٨٢٦ هـ ـ ١٤٢٨ م) وينتهي نسبه إلى الشيخ « عبدالقادر » . ومنهم (الجيلاني محمد بن صالح ١٠٨٨ هـ) .

وعبر تاريخها ومن قبل الاسلام وبعده واسمها يتردد على سمع التاريخ بما يموج فيها من الاحداث السياسية والتيارات الفكرية والمذاهب في الأصول والفروع .

من هو (الجيلاني) ؟

لنتعرف اليه :

كنيته : أبو محمد ، ولقبه : (محيى الدين) ،

واسمه ونسبه : (عبدالقادر بن أبي صالح موسى بن عبدالله بن (جنكي دوست) بن أبي عبدالله بن عبدالله الجيلي ثم البغدادي الزاهد)

وقيل : ان نسبه ينتهي إلى (الحسن بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه ، كما ينسب كذلك إلى موطنه بنسب (الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي) ، وقالوا أيضاً : كان له جد لأمه يسمى (أبا عبدالله الصومعي) ويعرف بـ (جيلان) واليه نسب .

والتحقيق : أنه (الجيلاني) أبا ، وأما ، وأصلا ، نسبةً إلى (جيلان) التي بها ولد عام ٤٧٠ هـ ١٠٧٨ م .

قصة مجاهد إسلامي كبير

عبدالقادر الجيلاني

نشأته العلمية

وفد (عبدالقادر) في مقتبل شبابه على بغداد ، ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، وكان ذلك سنة ٤٨٨ هـ ـ ١٠٩٥ م وهي السنة التي خرج فيها (أبوحامد الغزالي) من بغداد .

وكانت وفادته تلك في خلافة (المستظهر بالله العباسي) ، وما إن حل بها حتى تفرغ وتوفر تماماً على طلب العلم من كل فنونه وفروعه ، السائدة في عصره ، وعلى كبار الشيوخ في كل فن ، طلب حب ، وشغف ، واهتمام .

فسمع بها (الحديث) من : أبي غالب بن الباقلاني ، وجعفر السراج ، وأبي بكر بن سوسن ، وابن بيان ، وأبي طالب بن يوسف ، وابن خشيش ، وأبي الزيني .

وتفقه على : القاضي أبي سعيد المخرامي ، وأبي الخطاب الكلوذاني .

وقيل : انه قرأ أيضاً على : ابن عقيل ، والقاضي أبي الحسين ، وبرع في المذهب ، والخلاف ، والأصول ، وغير ذلك ،

وقرأ (الأدب) على : زكريا التبريزي ، وصحب الشيخ (حماد الدباس) الزاهد . ... وهكذا أجاد وأتقن من العلوم الاسلامية ، معظمها حتى حصل منها مايناهز ثلاثة عشر عاماً .

عالماً وفقيهاً

دروسه وتلاميذه : تصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ ، وكان يقرأ عليه تلاميذه طرفي النهار دروس : التفسير ، وعلوم الحديث ، والمذهب والخلاف ، والأصول والنحو ، وكان يقرأ القرآن لهم بالقراءات بعد الظهر ، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع له وفيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر .

يقول ابن قدامة : دخلنا بغداد سنة ٥٦١ هـ فاذا الشيخ عبدالقادر ممن انتهت اليه الرئاسة بها علماً ، وعملا ، واستفتاء .

وكان يدرس بمدرسة شيخه المخرمي والتي آل أمرها اليه فدرس بها ، وكانت كما يقول ابن الجوزي ، مدرسة لطيفة فقوضت إلى عبدالقادر .. حتى ضاقت بالناس فعمرت ووسعت وتعصبت في ذلك العوام ، وأقام بها حتى توفى ودفن بها .

من فتاواه

كان يفتي على مذهبي (الشافعي وأحمد) وكان العلماء في بغداد يعجبون بفتواه ، ومن أمثلة ذلك ما يحكيه ابنه عنه فيقول :

جاءت فتيا من العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على علماء العارفين فلم يتضح لأحد فيها جواب شاف ، وصورتها :

ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث : أنه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها ، فما يفعل من العبادات ؟

قال : فأتي بها إلى والدي فكتب عليها على الفور : يأتي مكة ، ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً ـ يعني سبعة أشواط ـ وحده وتنحل يمينه ، قال : فما بات المستفتى ببغداد ..

مؤلفاته

له عدة مؤلفات مطبوعة أكثرها في التصوف منها :

١ ـ الفتح الرباني والفيض الرحماني .
٢ ـ الفيوضات الربانية .
٣ ـ فتوح الغيب .
٤ ـ الغنية لطالب طريق الحق .

وفيها أشياء حسنة وفيها غير ذلك من أحاديث ضعيفة وموضوعة .

من معالم شخصيته

إن شعاره ومنهجه الذي التزمه في تدريسه ووعظه وصلته بالناس هو : معلم الخير لا تضجر لهذا قصة يرويها لنا أحمد بن مطيع الباجسرائي فول : كنت أجيء من مدرسة الوزير (ابن هبيرة) من باب البصرة إلى الشيخ (عبدالقادر) فجئت في بعض الأيام وهو كأنه ضجران ، فانتهرني ، وقال : قم ، فمضيت ، فبينما أنا في بعض الطريق ، أنفذ خلفي ـ من يعيدني إليه ـ فجئت ، فقال : لما حردت ـ غضبت ـ عليك ، ومشيت ، نمت ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أنت معلم الخير لا تضجر ، أنت معلم الخير لا تضجر ، أنت معلم الخير لا تضجر ، ـ ثلاث مرات ـ قال : ثم أخذ علي وأقراني .

معالم العصر وأعلامه

اتسم عصر (الجيلاني) بنهضة علمية متدافعة وماج بتيارات فكرية وفلسفية وإصلاحية قوية ، وبرز فيه أئمة في كل فن ، منهم :

• حجة الاسلام أبو حامد الغزالي بجهاده العلمي الذي شغل به دوراً عظيماً في الاصلاح والتجديد الفكري والعلمي .

• ومنهم الامام الشيخ (عبدالقادر الجيلاني) بجهاده في الدعوة والتربية فشغل دوراً عظيماً في جميع طبقات الشعب بالاصلاح والتربية .

• وامتلأ كذلك المغرب الاسلامي بالمصلحين فكان (ابن يا سين) على رأس حركة المرابطين وكان القاضي عياض المالكي أستاذاً لعصره .

اتجاهات التصوف في هـذا العصر

وسط تيارات كثيرة ومن غبار المعركة التي قادها الغزالي بقوة ضد الفلسفة وانتصر فيها للتصوف طريقا إلى الحقيقة .

ووسط التيارات الفكرية ، والفقهية ، والتربوية ، والكلامية ، وغيرها كان للتصوف عدة شعب ، ومسالك تشعب إليها .

منها النزعة الاستقلالية الذي كاد بها أن ينتهي إلى الانفصال عن الشريعة وأن يصبح مدرسة قائمة بنفسها .

ومنها : التطرف والمغالاة في مجالات الشطح التي اعتذر عنهم فيها بأنهم لا يقتدى بهم فيها ، ولم يسلم الشيخ (عبدالقادر) نفسه من المؤاخذة عن هذا .

ومنها ما شغلوا به المجتمع الاسلامي آنذاك ، بما لا يفيد من أحوالهم في دفع الخطر المحدق بالأمة الاسلامية ، فانصرف الناس التابعون إلى ما يدعونهم إليه من إهمال أمر الدنيا فتهيأ لأعدائهم الاستئثار بها دونهم وسهل على عدوهم أمر الاستيلاء على بلادهم في تلك الغفلة التي ضربها ذلك النوع من التصوف عليهم ، ومع هذا لم يتنبه أحد من المسلمين لخطر ذلك إلا قلة من أمثال (ابن الجوزي) الذي انبرى لهذا وشدد عليه النكير لما كان له من عظيم الخبرة بأحوال السلف والصدر الأول قل من كان في زمانه من يساويه في معرفة ذلك بل كان ل ٨لك بل كان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم وقسط من مشاركتهم في معارفهم ، فكان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين فيشتد إنكاره عليهم ، وقد قيل : إنه صنف كتاباً ينقم فيه على الشيخ عبدالقادر أشياء كثيرة .

ووسط هذه التيارات كلها وذيوع الفوضى بذلك في بعض زوايا الصوفية وتكتلاتهم وتجمعاتهم ، في هذا المناخ برز الشيخ « عبدالقادر» وسط هذه المحن كما يبرز المعدن الأصيل ملتزماً ، ومجدداً ، ومعارضاً لهذه التنوعات كلها بل وتصدى لها بمنهج قويم .

يقول الشعراني : (كانت طريقته التوحيد وصفاً ، وحكماً ، وحالاً ، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً) .

وهو يقول لأصحابه : (اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تخالفوا) ، ويقول : (إن انخرم فيك شئ من الحدود فاعلم أنك مفتون قد لعب بك الشيطان فارجع إلى الشرع والزمه ، ودع عنك الهوى لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي باطلة) .

ويقول : (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ادخل عليه ، ويدك في يد الرسول صلى الله عليه وسلم) .

ويقول : (ترك العبادات المفروضات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية لا تسقط الفرائض عن أحد وفي حال من الأحوال)

وقد آن أن نعرف كيف كانت النشأة الصوفية للجيلاني ؛ إنه قد سار شوطاً طويلاً ، مع مراحل من رياضة النفس وهضمها فقد أخذ نفسه في بدء أمره بالمجاهدات الشديدة لا يترك هولاً إلا ركبه ، فكان يلبس جبة صوف ، ويضع على رأس خريقة ، ويمشي حافياً في الشوك وغيره .

يقول : كنت أقتات بخرنوب الشرك وقمامة البقل ، وورق الحض من جانب النهر والشط ، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياما لا أجد فيها طعاماً ، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها ... فما ذهبت إلى موضع إلا وغيري سبقني إليه ، وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حباً ...

نمط من أحواله

يقول الشيخ الجيلاني عن نفسه : وكنت أشتغل بالعلم فيطرقني الحال فأخرج إلى الصحاري ليلاً أو نهاراً فأصرخ ، وأهج على وجهي ، فصرخت ليلة فسمعني العيارون ففزعوا ، وجاءوا فعرفوني ، فقالوا : عبدالقادر ، المجنون .. أفزعتنا .. وكان ربما أغشى علي . فيغسلوني ، ويحسبون أني مت من الحال التي تطرقني ، وربما حاولت الخروج من بغداد فيقال لي : ارجع فان للناس فيك منفعة .

ويرجع وكان للناس فيه منفعة .

واتجه إلى التصوف حتى صار طابعه المعروف به بجانب ما كان يقوم به من تدريس ووعظ . وقد ذكر ابنه : (موسى بن عبدالقادر) يقول : سمعت والدي يقول : خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ، ومكثت أياماً لا أجد ماء ، فاشتد بي العطش ، فأظلتني سحابة ، فنزل علي منها شئ يشبه الندى فترويت به ، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق ، وبدت صورة ، ونوديت منها : يا عبدالقادر ، أنا ربك ، وقد أحللت لك المحرمات ، أو قال : أحللت لك ما حرمت على غيرك ، فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، اخسأ يا لعين ، فاذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، فخاطبني وقال : يا عبدالقادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك ، وفقهك في أحوال منازلاتك فقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق .

قلت : لربي الفضل والمنة .

فقيل له : كيف علمت أنه شيطان ؟ قال : بقوله : وقد احللت لك المحرمات . وهكذا كان الجيلاني بعلمه وفقهه زاهداً صوفياً يقظاً راشداً ، فهو لم يكن من دعاة الرهبانية ، وتعذيب الجسد ، وإنما كان يسعى ويعمل لصفاء الروح وتجديد التوبة والانابة إلى الله عز وجل على أصالة وفقه من الكتاب والسنة وعلى إخلاص في الاقبال على الله تعالى ، وكان مع هذا لا يرى بأساً بالتمتع المباح في الدنيا وطيباتها مع المعارضة الشديدة للعكوف على لذاتها ، وتعلق القلب بها .

مآخذ على الشيخ الجيلاني

لما بلغ التصوف ما بلغ في هذا القرن تهيب الناس الانكار على أصحابه ، وقد حكوا حكايات كثيرة عمن تجرأ على الانكار عليهم فكان لذلك أثره في تهيب الإنكار عليهم من الناس وفي التغاضي عن كل ما يصدر منهم ولو بلغ في مخالفة الشرع ما بلغ .

أنه لما اشتهر (الجيلاني) في الآفاق والتف حوله القاصي والداني ، اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد ، وذهبوا إليه ليمتحنوه في العلم ، وقد جمع كل واحد منهم مسائل ليمتحنه فيها ، فلما استقر بهم المجلس أطرق (الجيلاني) فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدورهم فمحت ما في قلوبهم فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا أجسامهم ، ثم صعد (الجيلاني) على الكرسي فأجاب عما كان عندهم فاعترفوا بفضله ، ولا ندري أيهما المؤاخذ بمثل هذه الحكايات إن صحت : أهو الجيلاني ؟ أم الذين يحكونها عنه ؟

ومن ذلك ومع ما كان عليه من علم وفضل لم تمنعه كثرة العلوم التي حصلها وأجادها من التغالي في دعاوي التصوف والصوفية فكان مما أخذ عليه قوله :

عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامه آخذ بيده ، يا هذا فرسي مسرج ، ورمحي منصوب الخ

ينكر على (الحلاج) دعواه فيما سبق ، وانما اخذ عليه عثرته بالجهر بها ويفسرها البعض بأنها هي : دعوى الحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود ، الخ .

ثم الحكاية المعروفةعن الشيخ عبدالقادر وأنه قال : (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) وأحسن ما قيل في الاعتذار عنه عن هذا الكلام ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردي في معارفه : أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدي بهم فيها ، ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم ، فكل احد يؤخذ عليه من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ومن ساق الشيوخ المتأخرة مساق الصدر الأول ، وطالبهم بطرائقهم ، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري ، وأصحابه مثلاً من العلم الكثير والعمل العظيم والورع القوي والزهد البالغ وكمال الخوف والخشية ، وإظهار الذل والحزن والانكسار والازدراء على النفس وكتمان الأحوال والمعارف والمحبة والشوق ونحو ذلك فلا ريب أنه يزدري المتأخرين ويمقتهم ويهضم حقهم ، فالأولى تنزيل الناس منازلهم ، وتوفيتهم حقوقهم ، ومعرفة مقاديرهم ، وإقامة قدرهم ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، ... وانما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين ولا يميزون ما يصح عنهم من ذلك من غيره فصاروا يخبطون خبط عشواء في ظلماء .

وأقرب ما يعتذر به عن مثل هذا من بعض الصوفية الموسومين بالصدق أنه محوك على نسج الرمز المعتاد لديهم ، أو على غشاوة الخيال التي تخيم عليهم ولابد من الحذر في قبوله أو تلقيه .

الطريقة القادرية وانتشـــارها

إليه تنسب فهو مؤسسها وإمامها وعلى يديه درجت في القرن الخامس الهجري ، ثم أخذت في الانتشار والذيوع في كل أرجاء العالم الاسلامي إلى يوم الناس هذا مع تفاوت في القوة والضعف والايجاب والسلب ، والقرب والبعد من منبعها ، ولها نظمها في تربية المنتسبين والمريدين مدونة في كتب القوم وجارية على ألسنتهم واجتماعاتهم .

ولعل من أعظم الجهات التي تنتشر فيها هي افريقيا وبخاصة في شمالها وغربها وكانت أظهر ما تكون في المغرب الأوسط (الجزائر) وفي (تونس) وكانت تشاركها في الانتشار هناك (الشاذلية) حتى كانت كل الطرق تنسب إلى إحدى هاتين الطريقتين ، ومن (الجزائر) امتدت القادرية إلى الصحراء الكبرى وواحاتها ، ومن أشهرها واحة (توات) ومنها نهض بها المهاجرون والدعاة إلى أفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر م فاتخذوا من (ولاته) أول مركز

عبدالقادر الجيلاني

لطريقتهم ، ثم اضطر أحفادهم للخروج منها ، فلجأوا إلى (تنبكتو) ومنها انتشروا في غرب افريقية كله وكان منهم العلماء والدعاة والمدرسون والتجار ممن حملوا راية الدعوة إلى الاسلام في تلك البلاد دعوة وتعليماً وجهاداً ، وكان من أبرزهم وأئمتهم الامام (محمد بن عبدالكريم المغيلي) إمام غرب إفريقية وداعيته ، والإمام الشيخ (عثمان دان فوديو) مؤسس الفولانية هناك في القرن الثاني عشر هـ وكان ممن سلكوا طريقها وتتلمذو على كتب مؤسسها وتأثروا به واقتدوا به في حاله ومقاله .

الدعوة إلى الله

من المعلوم أن مجال العمل في الدعوة إلى الله تعالى حقلان هما :

ــ أمة الاجابة : التي استجابت وتستجيب لله وللرسول اذا دعيت لما يحييها ، فهي في حاجة دائمة إلى التذكير والبيان تثبيتاً لها على الحق وتحصيناً لها من الفتن والزلازل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) .

ــ أمة الدعوة : التي أمر المؤمنون أن يبلغوها دعوة الله ويسمعوها كلامه وينادوا فيها بالايمان والهدى ليستنقذوها من الكفر ومن عذاب الله في الدنيا والآخرة

وفق الله (الشيخ عبدالقادر الجيلاني) في العمل في كلا الحقلين معاً وكان لغرسه ثمار فيهما فقد كان غيوراً على الدين واصلاح المتدينين لا يهدأ له بال في ذلك ، وفتح باب البيعة ودعا إلى التوبة ، وتداعى إلى ذلك المسلمون من كل ناحية يجددون العهد والميثاق للعودة إلى الله ويعاهدون على أن لا يشركوا ، ولا يكفروا ، ولا يفسقوا ، ولا يبتدعوا ، وقد دخل هذا الباب على يديه خلق لا يحصيهم إلا الله عز وجل ، وصلحت أحوالهم ، فأخذ يربيهم ويحاسبهم ويتعهدهم ويشرف على تقدمهم وتربطه بهم أوثق الروابط . ومن أجل ما أكرمه الله به أن أحيا على يديه موات النفوس بتجديد الايمان والتوبة وتذكير القلوب بربها ، حتى لهج الناس بالثناء عليه والثقة به .

دعوته للحكام

ولم يقتصر في دعوته على عامة الناس بل كان قائماً بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم صداعاً بالحق لا يخشى في الله لومة لائم يتناول الخلفاء بالنقد والتوجيه ، فكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هم والوزراء والسلاطين والقضاة والخاصة والعامة ويصدعهم بالحق على رءوس الأشهاد وأعواد المنابر في المحافل العامة ، وينكر على الظلمة ومن يوليهم ويواليهم ، حتى ضاق به كثير منهم ، وشكا منه الخليفة العباسي (المقتفي لأمر الله) بأنه يعرض به استخفافاً ، واضطر أن يكلف وزيره (ابن هبيرة) لينفذ إلى الشيخ فيبلغه في خلوة بأنه يحسن به أن لا يتعرض للخليفة أصلا وهو يعرف حرمة الخلافة ، وذهب اليه رسول الوزير ــ وكان هو الشيخ الفقيه أبا الحسن بن غريبة ــ فأخذ بمهابة الشيخ وما جرؤ على عتبه أو لومه وقال : قمت عنه وذهبت ــ ولم يكلمه فيما جاءه من أجله خشية منه ــ فقال لي الوزير هل بلغت ؟ فذكرت له حالي معه في المجلس وما كان من الشيخ ، فقال الوزير : لاشك في صلاح الشيخ عبدالقادر .

هكذا لهج الناس بالثناء عليه ورزقه الله الوجاهة والقبول والمهابة فكان يحضر في مجلسه أحياناً الخليفة والوزراء ويجلسون في تأدب وخشوع ، كما كان له الأثر البعيد في نفس العامة ، والاستجابة لما يدعوهم إليه ، ومما يحكى في هذا الصدد ما يذكره أبو الحسين بن الفقيه البغدادي فيقول : إن مدرسة (عبدالقادر) كانت للقاضي (المخرمي) فلما آلت إلى (عبدالقادر) أراد أن يوسعها ، ويعمرها ، فكان الرجال والنساء يأتونه بشيء فشيء إلى أن عمرها . واتفق أن امرأة مسكينة جاءت بزوجها ، وكان زوجها من الفعلة البسطاء رزقه كفاف ، وقالت لعبد القادر : هذا زوجي ، ولي عليه من المهر قدر عشرين ديناراً وهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي ، وقد تراضينا على هذا ، وقبل الزوج ذلك ، وأحضرت المرأة (الخط) وسلمته إلى عبدالقادر ، فكان يستعمل الزوج في المدرسة ، وكان يعطيه يوماً الأجرة ، ويوماً لا يعطيه ــ لعلمه بأن الرجل محتاج فقير ولا يملك شيئاً ــ إلى أن علم أنه عمل بخمسة دنانير ، فأخرج عبدالقادر (الخط) ودفعه إلى الزوج ابراء لذمته من دينه ــ وقال : أنت في حل من الباقي .

ولا ندري بأيهما أنت أشد عجباً : من صنيع المرأة وبذلها في الخير أم بصنيع الشيخ وحسن تصرفه مع الرجل ومراعاة ظروفه ، أم بهما معاً ؟ . وهكذا كان فيه للناس خير .

وقد سادت بمواعظه ومجالسه في العالم الاسلامي موجة من الايمان والطهر والصلاح يقول الكيساني : (لم تكن مجالس سيدنا الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه تخلو ممن يسلم من (اليهود والنصارى) ، ولا ممن يتوب من قطاع الطريق ، وقاتلي النفس وغير ذلك من الفساق ، ولا ممن يرجع عن معتقد سيىء) .

وكان (الجيلاني) يحمد الله على ذلك ويقول : (أراد الله عز وجل مني منفعة الخلق فانه قد أسلم على يدي أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى ، وتاب على يدي من العيارين والمسالحة أكثر من مائة ألف ، وهذا خير كثير) ، والعيارون : النهبة قطاع الطرق ، والمسالحة : الجماعات المسلحة .

تربيته للدعاة

وكانت عينه على تلاميذه ناقدة فكان يختار منهم الناضج ويجيز كثيراً منهم ممن يرى فيه النبوغ والاستقامة والكفاءة على الدعوة والتربية فينتشرون في الآفاق شرقاً وغرباً يدعون ويصلحون ويربون ويحاربون الشرك والجاهلية والبدع ويقيمون الربط والزوايا في كل مكان يصلون إليه مراكز لدعوتهم وطريقتهم .

في مثواه الأخير

يقول ابن الجوزي : توفي الشيخ عبدالقادر ليلة السبت ثامن ــ وقال غيره : تاسع من ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة ــ ٥٦١ هـ ــ بعد المغرب ، ودفن من وقته بمدرسته ، وبلغ تسعين سنة ، وسمعت أنه كان يقول عند موته : رفقاً رفقاً ثم يقول : (وعليكم السلام ، وعليكم السلام ، أجيء إليكم ، أجيء إليكم) ، وسمعت من يحكي أنه قال عند موته : أنا شيخ كبير ، ما وعدنا بهذا ،

وقال غيره : صلى عليه ولده (عبد الوهاب) ، وقبره ظاهر بمدرسته ببغداد .

وفي دليل خارطة بغداد (١٧٨) : أن مشهده ــ أي موضع دفنه ــ يعد من المواقع المهمة التي كانت داخل سور بغداد الشرقية ، وذلك من الناحية الخططية لمدينة بغداد القديمة وهي من الأماكن القديمة القليلة التي لا تزال قائمة في مواضعها الأصلية إلى الآن ، وقد أنشئ عند قبره مسجد جامع واسع ، وعلى مصلاه قبة فخمة متقنة الهندسة ، مبنية بالحجر الكاشاني الملون بالأصباغ المختلفة مع النقش الجميل تحيط بها المآذن ، وحول المصلى رواق واسع عقد بأساطين من الرخام الأبيض ، ويعتبر من مشاهد المدينة .

وله بمدينة (لوديهاما) بالبنجاب مقام ينسب إليه رحمه الله ورحمنا جميعاً رحمة واسعة .

حسن عيسى عبدالظاهر

يواصل الـكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجـديد مذكراته وذكرياته الممتعة مع الشـاعر العربي الـراحل بدوي الجبل في قصـائده وتجاربه النضالية المختلفة

بدويّ الجبل .. وإخاء أربعين سنة

رَقَّ الحديدُ وما رقُّوا لِبَلْوانا!

بقلم: أكرم زعيتر



الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

● مظاهرة قومية رائعة من الشعر الرفيع

● عندما اجتمع أكبر شعراء الأمَّة العربيَّة في بغداد

كان حفل أربعين الملك غازي مظاهرة قومية عربية بالغة الروعة ، فبعد أن رحب رئيس الوزراء العراقي بالأمة العربية ممثلة في وفودها التي تجتمع لتمجيد المثل القومي الأعلى الذى كان غازي يسعى إليه ، تليت برقية مصطفى النحاس وفيها تشارك مصر بكل قلبها شقيقها العراق في مصابه الأليم ، ثم أعلن لطفي الحفار رئيس وزراء سورية السابق أن القطر الشامي يحفظ العهد الذى قطعه لفيصل وتكلم حمد باشا الباسل بلسان « الأمة العربية والعشائر العربية القاطنة فيها معزياً العراق وممجداً موقف الحسين بن علي من قضية فلسطين » ووكد جمال الحسيني باسم اللجنة العربية العليا عهد الله وميثاقه بأن فلسطين باقية على بذل التضحيات الجسام لاعلاء كلمة العرب ، ثم جلجل صوت الشاعر المصرى العملاق علي الجارم في قصيدة أربت على الستين بيتاً ، وقد ضجت القاعة بالهتاف وهو يشدو :

أتينا لنقضي للعروبة حقها
يسابق وفد في تلهفه وفداً
يحملنا النيل الوفي تحية
ويهدي من الآمال اكرم ما يهدى

وغازي :

فقدناه سيفاً هاشمياً اذا سطت
سيوف الليالي كان أرهفها حداً
حسام بكف الله كان حياله
فأصبحت الأرض الطهور له غمداً

وفيها :

حمامة وادى الرافدين ابعثي الهوى
حنيناً فما احلى الحنين وما أشدى
ففي النيل أرواح ترف خوافقاً
تقاسمك التاريخ والحب والودا
إخاء على الفصحى توثق عهده
وشدت على الايمان اطرافه شدا
لنا في صميم المجد خير أبوة
زهينا بها أصلاً وتاهت بنا ولدا



رَقَّ الحَديدُ وَمارَقتُوا لِبَلْوانا!

وتلا العلامة محمد بهجة الأثرى كلمة الدكتور محمد حسين هيكل وزير معارف مصر وفيها يقول : « ونحن أبناء العربية أفراد أسرة واحدة والراحل الكريم من صميم هذه الأسرة العربية حسباً ونسباً وهو من صميمها بما كان من ميوله وميول آبائه واجداده نحو مجد العربية ومن توثبهم لعظمتها » .

والقى الشيخ ابراهيم الجبالى كلمة الأزهر الشريف ممجداً الوحدة العربية . مؤكداً أن اتحاد المسلمين أعظم عامل لحفظ السلام العالمى وكانت كلمة لبنان بلسان نائبه الشيخ يوسف الخازن تنضح بالعروبة ، ونهض الدكتور عبد الوهاب عزام يبلغ رسالة الجامعة المصرية للأمة العربية في خطاب بليغ مؤثر : « وليكن من اجتماعنا على مصيبة الغازى اجتماع كلمتنا واستحكام اخوتنا . لتكن من هذه المصيبة الجامعة أخوة جامعة وكلمة جامعة » ثم تلا قصيدة رائعة من نظمه مطلعها :

بنـي قومنـا تقسـو الخطوب وَتَرْبَدُّ
ويشرق في اعقابها الصبـر والمجد

وتلا أكرم زعيتر كلمة فلسطين الثائرة ، وتليت كلمة الزعيم السورى الدكتور عبد الرحمن شهبندر وكلمة محمد العشماوي وكيل وزارة المعارف المصرية وألقي « شاعر العربية الفتاة » محمد الشريقي قصيدته الطويلة البارعة وغازى فيها :

ترعرع مطبوعاً على حب قومه
فكان عراقيـاً وكان . شآميـاً
وكان حجازياً ، بلى أرضُ يعرب
جميعاً له كانت حمى ومغانيـا

ومجد شاعر لبنان شبلي ملاط الثورة الفلسطينية وثوارها :

وتفقدوا غازي فلم يجـدوا الذي
قـد كان معواناً لهـم وعمادا



الشاعر فى مقابلة تليفزيونية

رائعة البدوي

ورمقت العيون بدوي الجبل وهو يعلو المنبر ليلق رائعته ، وقد جعل عنوانها : « مصرع الشمس في الضحى » وكان المطلع :

زهوة الفتح والشبـاب النجيـد
من سقى الفجر من دماء الشهيد
خضت غرة الصباح فقـد نمَّ
عليهـا بالعطر والتوريـد
قـدر أنزل الكَمِيَّ عن السر
ج وألـوى بالفارس المعدود
مصرع الشمس في الضحى هـل
ينال الشمس في أفقها عثار الجدود
دم غازي يا حمرة الفجر فاسقي
وارشفي من ضيائه واستزيدي
عُرسَ في الجنان فالحـور



محمد حسين هيكل



علي الجارم

يطفرن على ميعة الضياء البديد
وحنت فـاطمُ تضـم فتاهـا
لهفة الأم فوجئـت بالوحيد

ومجد بغداد وحضاراتها ثم هتف :

ايه دنيا الرشيد تفني الحضارات
وتبقي كالدهر دنيـا الرشـيد

وتغني بدجلتها وبساتينها وأماسيها ونخيلها وأنغامها وقيانها وزورقها وملاحها :

رف مجدافه على الماء وانسا
ق بأحلى معـاصـم وزنود

وأشاد بسراياها ومواكب النصر وقادة فتوحاتها .
وتجلى غازي على روعة الدهـر
وحيـا بالطـالع المسعود
وبيمناه رايـة الوحدة الـكبرى
فيـدي يارايـة الله مـيدي

ورتل شعراً احلام بنت مروان ، دمشق ،



سعد الله الجابري ونبيه العظمة صديقا البدوي ١٩٤٥



الملك غازي سنة ١٩٣٩

وتطلعها إلى العراق وفجيعتها بمصرع الغازي .

من رأى النسر بادهته المنايا
فهوى وهو ممعن بالصعود

وناجى الملك الطفل بأروع ما تكون المناجاة ، وذكّره بجده فيصل الكبير ثم هتف به :

فيّء الشآم باللواء ونضّر
شاطئيها بظلك الممدود

وانطلقت الأكف بالتصفيق ، رغم وقار المأتم وهو يشدو :

ليس بين العراق والشام حدٌّ
هدم الله مابنوا من حدود

واراده ان يردد قولة هارون للغمامة :

قل كما قال للغمامة هارون
وفي الجو زمزمات الرعود
قل لها : أيها الغمامة جودي
شاطيء الرافدين أو لاتجودي
حوّمي ما اردت شرقاً وغرباً
في تخوم الكون الفسيح المديد

سترفين مخصبا من سفوحي
أو تُروّين ظامئاً من نجودي
امطري اين شئت فالكون ملكي
وبنوه قبائلي وجنودي

واما الشآم :

لا تسلني عن الشآم فقد حز
بجيد الشآم عض الحديد
لوحوا بالقيود فابتدر الموتَ
أباة تمردوا للقيود

ووصف المظالم النازلة بها ثم أهاب به :

فتنمر وأغضب لقومك وارجم
بالشهاب اللماح كل مريد
واغز بالجيش قبة الفلك
الدائر واقحم به عرين الأسود

ثم حرض العراق على الصهاينة في فلسطين التي ضاقت رحابها :

بنفايا الدنيا على كل وجه

منهم سبة اللعين الطريد
أدِّب القوم بالسياط ونزِّه
سيف هارون عن دماء العبيد

سقوط باريس

واحتل الالمان باريس خريف سنة ١٩٤٠ وحدث أن قرر نادى المثني ـ وكنت من مؤسسيه ـ الاحتفال بذكرى الثورة العربية في التاسع من شعبان ، تلك التي اطلق الحسين بن علي رصاصتها الأولى ، وقد تجمع في بغداد زعماء من احرار سورية وفلسطين ولبنان ومصر ، فاردناها تظاهرة عربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى مواجهة أحداث هذه الحرب بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، واقترحت على إدارة النادى أن يكون بدوي الجبل شاعر الاحتفال ، وقد أبلغته الرجاء فاعتذر ، فالححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، وحجته أن الشعر يواتيه من دون أن يستدعيه ، وان همومه جمة ، وقريحته ناضبة ، فهامست نفسي : لابد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر ، وانطلقت : انحدث : « يا بدوي ، يا أخي ، فرنسا التي نكلت بسورية ، فرطت في اسكندرون ، دمرت دمشق ، أنت هنا مشرد ترتشف رزقك مدرساً وأبوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة ألا يراك . اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، أحمد مريود ضحاياها . الجزائر . المغرب . تونس ما فعلت فيها . الله أكبر ، فرنسا التي قوضت استقلال سورية تغدو محتلة تذوق من الهوان ما أذاقتنا ! ! ياالله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها مقهورة كما قهرتنا ! وأبو الثورة الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم محوداً وقبراً في جوار الأقصى ، اولى قصائدك قيلت فيه . وفي ذكرى الثورة أنت أنت الذي تنصفه ميتاً كما أنصفته حياً ، ومن موجبات الوطنية ان ندعو إلى انتهاز فرصة سقوط باريس وتحرير سورية . . » . وعلى هذه الوتيرة استرسلت متحمساً متأثراً ، الى أن برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ودموع البدوي مطالع القصيدة أو هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، ومن دون استئذان انصرف بهمهم . وارق تلك الليلة ، وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود ، وفي حشد من زعماء العرب والوحدويين من شبان العراق ، شخصت الأبصار إلى البدوي وأرهفت الآذان :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رق الحديد ومارقوا لبلوانا
خل العتاب دموعاً لا غناء بها
وعاتب القوم أشلاءً ونيرانا

وماج النادي حين هتف :

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا

رَقَّ الحَـديـدُ وَمَا رَقّـوا لِبَلْوَانَـا!

وأبعد الله إشفاقاً وتحنانـاً
ويل الشعوب التي لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغاناً
تغضي على الذل غفراناً لظالمها
تأنق الذل حتي صـار غفرانـا

وتوجع لما ينزل في الشام ، وتحدث عن جراحها وثوراتها ، وذكر احباءه وقبور رصفائه ، ومجد الشهيد ، وهات من يقول فيه قول البدوي :

يعطي الشهيد فلا والله ماشهدت
عيني كإحسانه في القوم احساناً
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه
عند الكفاح ويلقي الله ظمآنـا
والحق والسيف من طبع ومن نسب
كلاهما يتلقى الخطب عريانـا

وكادت الأكف تدمى حين جلجل :

إني لأشمت بالجبار يصرعـه
طاغ ويرهقه ظلماً وعدوانـاً
لعلـه تبعث الأحـزان رحمته
فيصبح الوحش في برديه انساناً

ونعى على الفرنسيين ما صنعوه في دمشق وتدميرهم قصورها ومسجدها وخاطب باريس :

عشرين عاماً شربنا الكأس مترعة
من الأذى فتملَّىْ حرفها الآنـا
ما للطواغيت في باريس قد مسخوا
على الآرائك خداماً واعوانـا
الله أكبر هذا الكـون أجمعـه
لله لا لك تدبيـراً وسلطانـا
ضغينة تتنـزَّى في جوانحنـا
ما كان أغنـاكم عنها واغنانا

وأشاد بالثورة العربية وقائدها وكتائبها وصحرائها :

وللجياد صهيـل في شكائمهـا
تكـاد تشربه الصحـراء ألحانا

وأبو الثورة :

لاث العمامة للجُلَّـى ولست ارى
إلا العمائم في الاسـلام تيجانـا

وندد بخيانة الحلفاء ، وختم قصيدته بأبيات تنبأ فيها بالوحدة الكبرى وبقيام جيش عربي محرر ، وانطلقت الأكف بالتصدية وهو يشدو :

ما للسفينة لم ترفع مراسيها
ألم تهيء لها الأقدار ربانا
شقّي العواصف والظلماء جاريـة
باسم الجزيرة مجرانا ومرسانا
ضمىٌ الأعاريب من بدو ومن حضر
إني لألمح خلف الغيم طوفانا
يا من يُدلٌّ علينا في كتائبـه
نظارِ تطلعْ على الدنيا سرايانا

وقد رأيت الاستاذين ابراهيم عبد القادر المازني واسعد داغر يبادران إلى تحية الشاعر متأثرين بما سمعا .

واذكر انني رأيت في اليوم التالى على لوحة أحد صفوف دار المعلمين ببغداد هذا البيت :

جفضي على الذل غفراناً لظالمها
تأنق الذل حتي صار غفرانـا

وقال لي الطلاب : ان الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، أستاذ الأدب العربي (رئيس المجمع العلمى العراقي بعد ذلك) هو الذى كتب البيت على اللوحة منوهاً بجماله الشعرى حاثاً الطلاب على استظهار تلك القصيدة ..

وقد هربت القصيدة الى الأقطار العربية ، وتغلغلت في بلاد الشام ، وقال لي البدوي بعد ربع قرن ان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة اخبره حين لقيه أنه فوجيء وهو في الزنزانة في جزيرة الشيطان بافريقيا ، بهذه القصيدة تتسلل إلى السجن وقد استظهر بعض أبياتها ، وكانت مما أثبتت للبدوى عند الحبيب مقاماً كريماً .

دموع الشام

على أن أحداث سورية كانت تهز مشاعرنا ونحن في العراق الذى لاذ به زعماء سورية ، الجابرى ومردم بك والحفار وعادل العظمة والقاوقجى واركان عصبة العمل القومى وثوار فلسطين وعلى رأسهم الحاج أمين الحسيني ، وتتالت على البدوي أنباء عن العسف الفرنسي وسجن نبيه العظمة واخوانه واقلقه نبأ عن مرض والده الشيخ الجليل وقد حرم رؤيته ..

وذات صباح من ايار سنة ١٩٤٠ جاءني يحمل قصيدة موجهة إلى السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء ـ وكان مرجواً لدور قومي كبير ـ وقد جعل عنوانها (دموع الشام) وأعطانيها (ولا أزال احتفظ بها بخط يده) .. فتلوتها متأثراً . وكان الرئيس الكيلاني يستقبل زائريه يوم الجمعة ، فيممنا بيته تلك الأصبوحة ، وأخبرته خبر القصيدة ، فرجا أن اتلوها فرقرقت عينيه والحضور واستعادني ابياتها التي أنافت على الخمسين وكان مطلعها :

حيِ الرئيـس اذا نزلت بساحه
رَحْباً تهلل للوفود فساحا
واقرأ له شعـرى تُرَنِّحْ عِطْفَه
لُحرر البيان وَجَـوِّد الأَمَداحا
واهتف اذا هـدأ النـديُّ ولـم
تجـد إلا الأحبة فيه والنُّصَّاحا
ياشـارب الماء القراح : بجلِّقَ
لم يشـربوا إلا الدموع قَرَاحا
عرس الشـآم طغى عليه ظالم
فطوى البسـاط وحطم الاقداحا

وحيا الرئيس وناجاه واستثار حميته القومية وقال :

امـا لداتك بالشآمِ فـإنهم
حملوا الإبـاء سلاسلاً وجراحا
نزلوا السجون فعطـروا ظلماتهـا
انفاً وعزاً كالضحى وجمـاحـا

وناجى اخوانه في سجونهم :

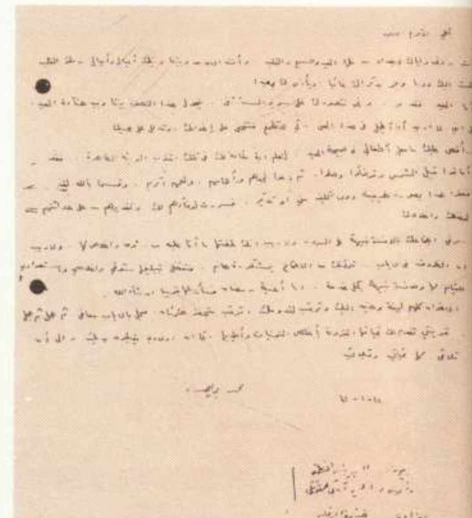
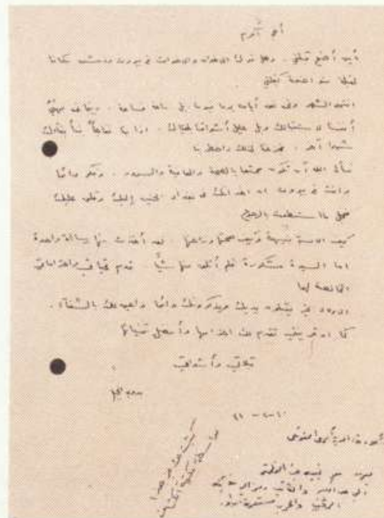
فإذا ذكرتكُمُ شـربتُ مدامعي
فكانني نمـلٌ يعب الراحـا
واخال ان البـدر يحمل منـكم
نبأ إليَّ إذا أطـل ولاحـا

ويذكر شيخ العروبة نبيه العظمة :

شيخ العـروبة في القيود إباؤه
يُخْفي السنين وعبئها الفضاحـا
عَنُفَ الطغاة به ويسـخر كِبْرُهُ
بالشـامتين طـلاقة ومراحا
حمل القضية والسنين فيـالـه
من منكب زحـم الردى وازاحـا

وبعد أن يذكر نجيب الريس الكاتب الكبير ، وفائز الياس النائب الشهير ، يتذكر أباه الشيخ الذى نهكه المرض ، ويخاطب الرسول الذاهب الى اللاذقية حيث يقيم أبوه ، بأبيات ما تلوتها إلا ترجحت في المقلتين عبرات :

لا تعـد عنـد اللاذقية شاطئاً
غزلاً تضاحكـه الصبا ممراحاً
بالله إن كحَلَتْ جفونـك موجَـةُ
ضُمَّ الشـراع وقبِّـل الملاحـا
انزل على خيـر الأبـوة رحمـة
تسع الحياة وعفـة وصلاحـا
يشكو السقـام فإن هَتَفْتَ امامه

رسالتان من بدوي الجبل إلى الكاتب

باسمي تهلل وجهه وارتاحا
وأطِلْ حديثك يستعده تعللاً
بالذكر لا لتزيده ايضاحا
واذا ألح فللحنان عذوبة
في مقلتيه تحبب الإلحاحا
والثم أحبتي الصغار ورفها
غرراً نواعم كالورود صباحا
واحمل لإخوان الجهاد تحية
كالروض رفَّ عباهراً وأقاحا

ويصف الشاعر كيف هرب الى العراق قبل ساعات من مداهمة بيته :

فت العدو بمهجتي وتركتهم
حنقاً علي يقلبون الراحا
عزم فجأت به العدى لم استشر
نجماً عليه ولا أجلت قداحا
مالي اكافح بالبيان وإنه
جهد المقل عزيمة وكفاحا
ومن الفضاضة أنني أرضى به
بعد الظماء المرهفات سلاحا
فلئن سلمت لأهتفن بغارة
شعواء أحكمها ظبى ورماحا
ولأشهدن بكل فج معقلاً
للظلم زعزعه القضاء فطاحا

ثم عاد فهز حمية الرئيس وصحبه واستنخى العراق الذي :

آسي الجراح الداميات حنانه
وهفا ورق طلاقة وسماحا

صهرت من الخطوب

زارني البدوي في مكتبي فرآني مكتئباً عابساً فاهمه امري واستحكاني السبب .. فقلت : تبين لى أن شعوبيين يدسون الدسائس على حملة الفكرة الوحدوية .. وقد استدعاني مسؤول كبير وقال لي : بلغني ان مكاتبة تجري بينك وبين شكيب ارسلان فأين رسائله إليك ؟ قلت : نحن في حالة حرب والمكاتبة مستحيلة واذا جاءت منه رسائل فانها تمر على الرقابة ، فهي تصل إليكم قبل أن تصل إلى ، ثم أى ضير في مكاتبة الأمير شكيب الذى احترمه ؟ فقاطعني : « الظرف خطير .. انتبه عدني انك اذا تسلمت من شكيب (هكذا) رسالة أن تطلعني عليها » .

قلت : « مع علمي استحالة المكاتبة فأنا لا أعدك .. ثم انصرفت واخشى أن يكون هناك أمر مبيت لي .. » قال : لا تهتم .. وسكت قليلاً ثم نهض الى مكتبي وتناول ورقة كتب عليها هذين البيتين مرتجلاً .

أأكرم ماتضوَّعَتْ الغوالي
بأعطر منك مأثرة وعرفا
صهرت من الخطوب فزدت قدراً
وتلك سجية الذهب المصفي

وبهذين البيتين بدد كآبتي !!

نبيه ومشكورة

واذن لي الفرنسيون بعد وساطة والحاح من وزير الخارجية العراقية علي جودة بالشخوص الى لبنان لاجراء عملية جراحية في مستشفى صديقي الدكتور محمد خالد ببيروت وزودني صديقي وزير المعارف صادق البصام بتصريح رسمي يقضي بانتدابي لمهمة ثقافية في بيروت وأوصاني الزعماء السوريون بلقاء اخوانهم في سورية ولبنان ومذاكرتهم فما يكون الموقف ازاء الأحداث .. وبينما كنت في المستشفى بعد اجراء العملية عادني السيد مصطفي فتح الله صاحب « الكشاف » ، وكان آتياً من بغداد ودس تحت مخدتي رسالة ، فلما انصرف الزائرون تبينت أنها من بدوي الجبل وفيها يقول :

« كنت ــ ونحن واياك في بغداد ــ ملء العين والسمع والقلب . وأنت الآن ــ وبيننا وبينك أميال وأميال ــ ملء القلب يتلفت إليك دوماً ويعمر بذكراك غائباً ويأنس بك بعيداً .. اما العيد فقد مر ، ونحن نتصورك على سرير المستشفى فيحول هذا التصور بيننا وبين هناءة العيد . سأقص عليك ما فعل أطفالى في صبيحة العيد لتعلم أية مكانة لك في تلك القلوب البريئة الطاهرة ، فقد أفاقوا قبيل الشمس وتوضأوا وصلوا ثم دعوا لجدهم وأعمامهم ولعمهم أكرم .

وقسماً بالله لقد فعلوا هذا بصورة طبيعية دون تكليف مني أو تذكير فسررت لوفائهم لك وتقديرهم ــ على حداثتهم ــ لفضلك واخلاصك . سرني اجتماعك بالآنسة نبيهة كل السرور ولاريب أنك بلغتها ما أنا عليه من شوق واخلاص لها . ولا ريب أن الظروف في الاياب ستمكنك من الاجتماع بمشكورة هانم فتفضل بتبليغها شوقي واخلاصي واستعدادي للقيام وللآنسة نبيهة بكل خدمة . الاخوان كلهم لهفة وحنين إليك وترقب لقدومك ترقب متحفز ظمآن ، فعجل بالاياب معافي ثم عجل ثم عجل » . توقيع محمد سليمان أحمد .

أما نبيهة فهى الوطن الكبير نبيه العظمة وأما مشكورة فهى الزعيم شكرى القوتلي وقد اجتنب التصريح باسميها خشية وقوع الرسالة بيد الرقابة وما ينجم عن ذلك من مضاعفات والحرب ضارية لا ترحم !

وسمحت السلطات الفرنسية لى بالبقاء في بيروت شهراً آخر ، فتلقيت من البدوى رسالة مع رسول يقول فيها :

« أين أضع قبلتي وهل ترك الاخوان والأخوات في بيروت ودمشق مكاناً لقبلة متواضعة كقبلتي ؟ انتهى الشهر ، ونحن نعد أيامه يوماً فيوماً . بل ساعة فساعة . وبينما نحن نهيء أنفسنا لاستقبالك وبل غليل أشواقنا بلقياك . اذا بنا نفاجأ بنبأ بقائك شهراً آخر فجزعنا لذلك واضطربنا . نسأل الله أن تكون ممتعاً بالصحة والعافية والسرور . وفكر دائماً وانت في بيروت أن أخوانك في بغداد بحنين إليك وقلق عليك فعجل ما استطعت بالرجوع . كيف الآنسة نبيهة وصحتها وراحتها .لقد أخذت منها رسالة واحدة .. أما السيدة مشكورة فلم اتلق منها شيئاً . قدم تحياتي واحتراماتي الخالصة لها » .

توقيع : بدوي الجبل

أكرم زعيتر

البقية في العدد القادم

حقوق الإنسان في الشريعة الإسلاميَّة

بقلم: أحمد فؤاد كامل

عندما شعر المجتمع الدولي بالحاجة إلى تنظيم حقوق الانسان المدنية والسياسية في المسائل الجنائية أصدر : —

• الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨

• الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية ١٩٧٦

وقد تضمنت هذه المواثيق أهم المبادئ والأحكام التالية : —

• حقوق المتهم في مرحلة التحقيق :

(١) عدم اللجوء للتعذيب أو المعاملة غير الانسانية أو إجراء التجارب الطبية أو العلمية على أي فرد .

(٢) ضرورة اعلان المتهم بأسباب القبض عليه والتهم المنسوبة اليه .

(٣) وجوب اقتياد المتهم أمام القاضي واعطائه الحق في التعويض اذا كان القبض أو الايقاف قد تم بشكل غير قانوني .

• حقوق المتهم في مرحلة المحاكمة :

(١) حقوق المتهم في المساواة أمام القضاء . من ذلك :

— استقلال المحكمة في أحكامها .

— وجود المحكمة قبل المحاكمة قانوناً .

— المحاكمة العادلة .

— علنية الجلسات .

— حيدة المحكمة .

— اصدار الأحكام علانية .

(٢) قرينة البراءة :

— المتهم برئ حتى تثبت ادانته .

(٣) الحد الأدنى من الضمانات التي لابد من توافرها في المحاكمة وهي :

— ابلاغ المتهم فوراً وبالتفصيل في لغة مفهومة لديه بالتهمة المنسوبة اليه .

— تمكين المتهم من الدفاع عن نفسه والاتصال بمن يختاره من المحامين .

— إجراء المحاكمة دون تأخير زائد عن المعقول .

— حق المتهم في استدعاء شهود نفي .

— حقه أيضاً في استجواب شهود الخصم سواء بنفسه أو بالوساطة .

— توفير مترجم للمتهم غير القادر على فهم اللغة التي يحاكم بها .

— ألا يلزم المتهم بالشهادة ضد نفسه أو بالاعتراف بأنه مذنب .

(٤) الطعن في الأحكام :

— حق المحكوم عليه في الطعن باعادة النظر في الأحكام الصادرة ضده .

(٥) عدم جواز محاكمة الشخص عن الفعل مرتين .

• حماية الأقليات :

— الحق في الالتجاء إلى المحاكم .

— حق المتهم في أن يدافع عن نفسه أو بواسطة محام وحقه في مناقشة خصومه .

— أن يكون الحكم في القضية مبنياً على دليل يوضع تحت نظر الدعوى وأن يكون الدليل معروفاً للجميع .

— الحق في الاستئناف .

— حق المتهم في عدم اجباره على الاعتراف أو الشهادة ضد نفسه .

• • •

واذا كان الاعلان العالمي لحقوق الانسان يؤكد في مقدمته الاعتراف بكرامة الانسان ، فان الاسلام قد كرم الانسان من قبل هذا الاعلان بأكثر من أربعة عشر قرنا .

يقول الحق تبارك وتعالى :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

ويقول سبحانه وتعالى :

(وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير) .

ويقول تعالى :

● نفي إسلامي قاطع عن تعذيب المتهم أو ضربه
● الإسلام يفرض للمتهم راتباً شهرياً إن كان في حاجة إلى ذلك
● الاعتراف على النفس مرفوض - إسلامياً - إذا تم تحت تأثير الخوف أو الجوع

(يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا بأنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

ويقول الحق تبارك وتعالى :

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

• • •

وقد حدد الاسلام اجراءات المحاكمة تحديداً دقيقاً حتى لا يعذب متهم أو يضرب محافظة على حق الأفراد في الأرض — ولا يبيح التضييق على المتهم لحمله على الاعتراف بل انه ليكاد يلتمس الأسباب لتبرئته .. وذلك تبعاً للمبدأ المقرر :

(إدرءوا الحدود بالشبهات) .

لذلك فان من المبادئ التي وضعها عمر بن الخطاب :

(عدم الأخذ باقرار الخائن) .

ومن المأثور عنه في هذا الخصوص قوله :

(ليس الرجل بمأمون على نفسه ان أجعته أو أخفته أو حبسته أن يعترف على نفسه) ذلك أن الاسلام ينهى عن التعذيب والمثلة حتى ولو كان ذلك في الكلب العقور فكيف الأمر إذا وقع ذلك على الانسان .

وقد بلغ من اهتمام الاسلام بالمتهمين في قضايا أنه يوجب أن يجري عليهم رواتب شهرية تدفع إلى المحتاجين منهم شهرياً سواء أكانوا من الرجال أو النساء وذلك فوق كسوتهم صيفاً وشتاء .

كما يوجب حسن معاملتهم وعدم تعذيبهم وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب في كتاب بعث به إلى ولاته :

(لا تدعن في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائماً ، ولا تبيتن في قيد إلا رجلاً مطلوباً بدم ، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم) .

ومن نصائح الامام الغزالي للولاة :

(ينبغي أن تقنع برفع يدك عن الظلم ولكي تهذب غلمانك وأصحابك وعمالك ونداماك فلا ترض لهم الظلم فأنت تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلم نفسك) .

• • •

ان حماية الضرورات الاجتماعية تتطلب السير على طريق العدل عملاً بقوله تعالى :

(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) .

وقوله تعالى :

(وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ....) .

(... وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) .

• • •

وإذا كان الفقه القانوني يرى في الخصومة القانونية هدفاً هو البحث عن الحقيقة وإثبات الحق ،

فان تعاليم القرآن الكريم تؤكد :

(وقل الحق من ربكم) .

(إن الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

على أن حق الانسان في الحرية الشخصية يقف عند حد الاعتداء على حق غيره أو — الاعتداء على النظام العام والآداب العامة فاذا ما تعدى هذا الحق وقفت حريته عن اختيار أو عن اجبار .

ومثال الاعتداء على حق الغير ما يوضحه النبي بقوله :

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم) .

فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) .

فهنا يكون التدخل في حريتهم الشخصية ومنعهم من التصرف في نصيبهم واجباً درءاً للهلاك الذي يصيب الجماعة بتصرفهم .

ويعد عمر بن الخطاب أول قاض في الاسلام وأول من عين قضاة متخصصين في الخصومات بين الناس — وتعد رسالته إلى أبي موسى الأشعري وثيقة حقوق الانسان الاسلامية ونصها :

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى اليك وأنفذ إذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ به .

آسى الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .

البينة على المدعي واليمين على من أنكر — والصلح جائز بين المسلمين ومن أدعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي اليه فان بينه أعطيته حقه وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك هو أبلغ للعذر وأجلى للعمى .

ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه وأرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لا يبطله شئ ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجريا عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد أو ظنياً في ولاء أو قرابة فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عنهم الحدود إلا بالبينات والأيمان .

ثم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن أو سنة ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال التي أعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق .

وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم فان القضاء في مواطن الحق ما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر .

فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس .

ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً ، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

• • •

كما جاء في كتاب عمر بن الخطاب الى شريح :

إذا وجدت شيئاً في كتاب الله فاقض به ولا تلتفت إلى غيره ، وان أتاك شئ ليس في كتاب الله فاقض بما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فان أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنه رسول الله فاقض بما أجمع عليه الناس وإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك ، فان شئت أن تجتهد برأيك فتقدم ، وإن شئت أن تتأخر فتأخر وما أرى التأخر إلا خيرا لك) .

بمناسبة أول فيلم عربي عن نابليون

وعد نابليون لليهود سبق وعد بلفور ب ١١٨ سنة

● متى ينتبه المثقفون العرب إلى حقائق التاريخ؟!

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي



كان نابليون بونابرت أول من أعطى وعداً بوطن قومي لليهود في فلسطين. كان ذلك قبل وعد بلفور. وإذا كان اليهود المعاصرون قد نسوا بلفور وأنكروا عليه فضله، فقد نسوا قبله نابليون وهو أول من مد إليهم يده. وسوف ينسون أيضاً كل من يقف موقف بلفور أو نابليون.

● كيف تحوّل الاستعمار من جيوش إلى بنوك ومعاهد بحث وشركات استثمارية ومشروعات ثقافية؟

● الاضطهاد النازي حجة مفتعلة، وأحلام اليهود أبعد بكثير من أيام هتلر

أعطى نابليون وعده عام ١٧٩٩ أثناء حصاره لمدينة عكا. لقد حاصر عكا شهرين كاملين وفشل في فتحها. وكان هذا أول فشل يصيب نابليون. فشل في عكا قبل أن يفشل في ووترلو، وصدم نابليون وتقلصت أحلامه وبدأ مرحلة السقوط وكأنما أصابته لعنة وعده لليهود.

وسرعان ما هرب متسللا من مصر – رقبة العالم – وبعد شهور اغتيل خليفته كليبر، وبعد شهور أخرى تزوج خليفته «جاك منو» مصرية من رشيد وأعلن اسلامه.

كان نابليون قد جاء إلى مصر ليقهرها، فقهرته، وقهرت رجله الثاني ثم رجله الثالث أيضاً.

نص الوعد المشئوم

«إن العناية الالهية (!) أرسلتني إلى هنا على رأس جيشي هذا وقد جعلت هذه العناية الالهية (!) نشر العدل وتحقيقه مطلبي، وتكفلت بظفري المستمر وجعلت من القدس (!) مقري العام. وبعد قليل سوف تجعل مقري في دمشق وسوف أكون جاراً لبلد داود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين (!!!):

إن الأمة العظيمة التي تنجب الرجال تناديكم الآن لا للعمل على اعادة احتلال وطنكم فحسب، ولا لاسترجاع ما فقد منكم(!) بل لأجل ضمان مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم ولكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين.

انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً، ولم تثبط همة أبناء الأبطال أجدادكم. أجدادكم الذين كانت محالفتهم تشرف أسبرطة وروما».

هذا هو النص الحرفي لوعد نابليون، نهديه لبعض كتابنا المتأوربين المستغربين الذين يزعمون أن الحملة الفرنسية على مصر هي التي حركت اليقظة العربية. هؤلاء الكتاب الذين يهاجمون مثلاً جمال الدين الأفغاني، ويعزون النهضة إلى حملة نابليون التي لم تدم إلا ثلاث سنوات ووجهت بثورتين، وهرب بطلها الأول واغتيل الثاني وأسلم الثالث!

هذه الحملة في نظرهم هي التي أوجدت النهضة، أما محمد علي الذي جاء بعدها مباشرة وبنى كل مشاريع الري والتعليم وقاد أكبر ثورة زراعية، وكون جيشاً منتصراً في أفريقيا وآسيا وأوربا فلا فضل له عندهم.

يلاحظ على وعد نابليون هذا أنه خاطب اليهود بأنهم ورثة فلسطين الشرعيين، وأنها فقدت منهم وسوف يسترجعها لهم، وأن هذا هو العدل، وأن العناية الالهية ضمنت له النصر. وكلها مزاعم كذبتها العناية الالهية في الحال، فقد هزم أمام عكا بعد هذا الوعد بأيام، وضرب جيشه بالطاعون، وفر هو هارباً في جنح الظلام، ونفي بعد ذلك وفقد أملاكه كلها. وأدهى من هذا كله أن نسيه تمام النسيان من أصدر هو لهم هذا الوعد وتبرأوا منه، وأنكروه.

كيف صدر هذا الوعد

قبل حملته على مصر كان نابليون قد عقد اجتماعاً سرياً (!!) مع بعض الشخصيات اليهودية الفرنسية في فرنسا.

وقبل هذا الاجتماع السري كان توماس كوربت اليهودي الايرلندي البارز قد أرسل رسالة إلى باراراس عضو حكومة الدركتوار (حكومة الادارة) ينصح فيها الفرنسيين باستعمار الشرق، وخلق وطن لليهود في فلسطين يكون ركيزة لفرنسا داخل هذا الوطن.

قالت هذه الرسالة حرفياً كلاماً يتضح لنا اليوم معناه: قالت«إن اليهود سوف يكونون لكم عنصراً استعمارياً ثابت الأركان يحل في آسيا محل الامبراطورية الآخذة الآن في الانحلال (يقصد الخلافة العثمانية) – امبراطورية العثمانيين. وسوف يقدم لكم هذا العنصر اليهودي أهم الضمانات لبث الفوضى وهدم الدين واشعال الأزمات وسوف يلين هذا العنصر التركي الصلد والمتعصب نتيجة الاحتكاك والاختلاط باليهود القادمين من مختلف البلدان حاملين مختلف النظريات والثقافات.

بل انني أعتقد أن الصين ذاتها ستتأثر باليهود».

وقد لقيت هذه الرسالة من هذا الايرلندي اليهودي إهتماماً بالغاً، عقد على اثره الاجتماع السري بين نابليون ويهود فرنسا. وتمت في هذا الاجتماع مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود: يصرف اليهود على نابليون وحروبه، على أن يقتسم الطرفان المغانم، لنابليون السلطة والمجد ولليهود العائد المادي ونشأة اسرائيل!

بعد هذا الاجتماع التساومي التآمري السري أصدر اليهود البيان التالي:

نص البيان اليهودي

«إن عددنا ٦ مليون منتشرون في جميع أنحاء العالم. وفي حوزتنا ثروات وأموال وممتلكات طائلة. وعلينا أن نتذرع بكل قوتنا لاستعادة بلادنا (!) إن الفرصة سانحة ويجب أن نغتنمها.

يجب أن نعمل بالوسائل الآتية لتحقيق مشروعنا المقدس: يجب إقامة مجلس يهودي عالمي ينتخب من يهود ١٥ بلداً هي ايطاليا، سويسرا، المجر، بولندا، روسيا، شمال بريطانيا، اسبانيا، ويلز، السويد، تركيا، آسيا، أفريقيا.

هذه اللجنة اليهودية الدولية تكون قراراتها مقبولة لدى كل يهود العالم بحيث تصبح قانوناً مخضعاً ملزماً. واقتراحات هذا المجلس الدولي تبلغ إلى الحكومة الفرنسية إذا اقتضى الحال ذلك. أما البلاد التي تنوي قبولها مع فرنسا فهي: اقليم الوجه البحري من مصر إلى عكا والبحر الميت إلى البحر الأحمر. هذا المكان من العالم هو الأكثر ملائمة من أي بقعة في العالم. ونحن فيه نصبح قابضين على تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الجنوبية والشمالية. ولن تتأخر أثيوبيا عن إقامة علاقات تجارية معنا بملء رضاها، فهي البلاد التي قدمت للملك سليمان الذهب والعاج والجواهر الكريمة!

ثم ان مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا. وموقع بلدنا هذا على البحر الأبيض المتوسط يمكننا من إقامة مواصلات سهلة مع فرنسا وايطاليا وأسبانيا وسائر أوربا.

إن هذا المكان المتوسط موقعاً من العالم سوف يصبح وكأنه مستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها الأرض الغنية حوله.

أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى باقتراحاتنا للباب العالي، فلا تنشر علناً. وسوف نضطر لابقائها منوطة بحسن ادارة الأمة الفرنسية». انتهى البيان اليهودي!

تحليل الأطماع اليهودية

اذا كان التغريبيون العرب يقولون إن الحملة الفرنسية هي سبب النهضة العربية الحديثة، فها هي نوايا الحملة تتضح، فاليهود هم الذين صرفوا ومولوا نابليون، وأعطاهم نابليون بالمقابل وعداً بالوطن القومي وأرض داود.

وعد نابليون لليهود سبق وعد بلفور بـ ١١٨ سنة



وليست هذه المطامع اليهودية مجرد استنتاجات ولا تخوفات ولا ظنون وافتراءات ، بل هم اليهود أنفسهم الذين ينادون بها ويساومون نابليون عليها .

إنهم يطمعون فيما بين البحر الأبيض إلى البحر الأحمر إلى دلتا مصر .

إنهم يطمعون في أن تكون « فلسطين » مستودعاً للثروات لكل المنطقة ، حتى الثروات الزراعية .

إنهم يطمعون في تليين العنصر التركي والعنصر الصيني وترويضهما .

إنهم يقررون أن نشاطهم المادي يجب أن يسيطر على تجارة الشرق الأقصى والعرب وأفريقيا. ومن اللافت للنظر أنهم عندما أصدروا بيانهم هذا قبل الغزوة الفرنسية لمصر ــ وحتى الآن ــ لم يحددوا حدوداً جغرافية فاصلة لهذا الوطن المطلوب . فهم يقولون من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر إلى دلتا مصر ، مع نفوذ ممتد على آسيا وأفريقيا .

ومن المقلق حقاً أن يطمعوا في دلتا النيل ، ومنذ غزوة نابليون وحتى اليوم : فإلى جانب ما ورد في بيانهم السابق ، كانت جولدا مائير تكرر أن حلمها أن تسوق سيارتها إلى القاهرة لتتسوق فيها ثم تعود إلى القدس . وركب بيجن الطائرة فوق الأهرام وقال إن أجداده بنوها وقال عيزر وايزمان وهو يصافح رجل أعمال كبيراً : كم أتمنى أن أشاركك نشاطك المالي !

إن هذه الطموحات كلها ليست موجهة إلى قطعة من الأرض مثل باقي الأرض . لا. إن معنى هذه الطموحات هو السيطرة على العالم والتحكم في أوربا والامساك بزمام التاريخ .

فهذه البقعة هي التي قال عنها عمرو بن العاص : « هي لمن غلب » ، وقال عنها ايزنهاور« هي رقبة العالم ، من أمسكها خنق العالم وأمسك بأنفاسه » ، وقال نابليون : لو لم أخرج من مصر ما نفيت ولا هزمت . وقال كرومر : إنها أخطر منطقة في العالم .

وليس من الضروري السيطرة عليها سيطرة مباشرة بالجيوش . فقد تغيرت الجيوش الآن الى بنوك والى معاهد بحث والى شركات استثمار ومشاريع ثقافية وفنية ومذهبية وتحول الاستعمار إلى سيطرة ومديونية ، وإلى قوانين محلية .

مؤتمر بال

عقد مؤتمر بال في ١٨٩٧/٨/٢٩ في سويسرا برئاسة هرتزل ، وحضور ٢٠٤ عضوا ، منتخبين من يهود العالم ، ليعلنوا المطالبة العلنية الأولى بوطن قومي بعد أن كانوا يتفاوضون سراً مع نابليون قبل ذلك بمائة عام !

وقد دام هذا المؤتمر ثلاثة أيام ، أعلن بعدها مولد الحركة الصهيونية العالمية وهدفها إقامة دولة يهودية في فلسطين . وهذا هو نص القرارات :

« إن غرض الصهيونية هو تأسيس شعب يهودي في فلسطين يضمنه القانون العام ؛ ولتحقيق هذا الهدف نقترح الآتي :(١) ترقية فلسطين على يد عمال زراعيين وصناعيين يهود .(٢) تنظيم وجمع شتات يهود العالم بواسطة المؤسسات المحلية والدولية طبقاً لقوانين كل دولة . (٣) تنمية شعور اليهود بالوطن (٤) الحصول على موافقة الحكومات كلما دعت الضرورة إلى هدف صهيوني » .

لقد درج المؤرخون على أن يعتبروا مؤتمر بال هو مولد الحركة الصهيونية . ربما كان السبب هو ظهور كلمة الصهيونية لأول مرة في هذا المؤتمر . ولكن من استعراض ما نقول يتضح أن هذه الحركة نحو وطن قومي بدأت قبل مؤتمر بال بقرن كامل ، وبدأها نابليون ، وإن كان أعطى وعده لليهود عامة ، ولم يخصص كلمة الصهيونية . وربما كان هناك سبب آخر لهذا الأهمال ، هو محاولة الحركة اليهودية ألا تربط نفسها بنابليون بعد أن هزم ونفي وأفل نجمه ، وصعد نجم خصمه بريطانيا التي أراد اليهود أن يربطوا دراجتهم في سيارتها الصاعدة .وهو نفس الاسلوب الذي استخدموه بعد ذلك عندما أفل نجم بريطانيا وسطع نجم أمريكا ، فجلدوا الضباط البريطانيين على جذوع الشجر ووجهوا وجههم نحو أمريكا .

إذا كان اليهود قد بدأوا المطالبة بالوطن القومي منذ أيام نابليون واذا كانوا قد أعلنوا مذهب الصهيونية علناً منذ أيام مؤتمر بال ، فما بال الحجج التي تذرع بها روزفلت في لقائه مع الملك عبد العزيز في البحيرات المرة بمصر ثم في الفيوم بمصر أيضاً من أن اليهود تعرضوا للطرد والابادة على يد هتلر ، مما يستدعي إلجاءهم بفلسطين ؟ وظلت أبواق الغرب تكرر هذه الحجة المصطنعة حتى رسخت في الأذهان . هذا في الوقت الذي كان وعد بلفور قد سبقه وصول هتلر إلى الحكم بسبعة عشر عاماً ، وكان مؤتمر بال قد سبق وصول هتلر بستة وثلاثين عاماً وكان وعد نابليون لهم قد سبق بمائة وخمسة وثلاثين عاماً . هل يكذب الكبار وكبار الكبار ؟

بل الأدهى من كذب الكبار هذا أن يخفي الكبار ــ سواء انجلو سكسون أو ألمان ــ أن نفس حكومة هتلر هذه عقدت مع الصهيونية العالمية معاهدة سرية تعرف بمعاهدة هنفارا بغرض تهجيرهم إلى فلسطين (مقالنا عن المانيا وفلسطين) .أم أن الكبار كبار في أكاذيبهم .

موقف نابليون

هل كان نابليون أيضاً من المستكبرين ؟ . لقد جاء إلى مصر وهو يعلن أنه انما يقصد قطع الطريق البريطاني إلى الهند فاذا وطأت قدمه أرض مصر ــ بل وهو ما زال على سطح البحر ــ يعد منشوراً يعتبر ميثاقاً يدعي فيه أنه انما جاء لتخليص العرب من « ظلم » المماليك والترك ! وبناء عليه لا يحاربه إلا المماليك والترك ! وينهزمون ! وهو المطلوب . فاذا حقق هذا الانتصار لا يتجه إلى الهند ، ولكنه يتجه شمالاً عبر الشام نحو اسطنبول . وهو أمام عكا ، من أعمال فلسطين ، يصدر فجأة وعده التاريخي لليهود بوطن قومي . ويتضح انه حتى من قبل أن يجهز جيشه ، وقبل أن يقود « جيش الشرق » عبر البحر الأبيض قد اجتمع إلى اليهودية العالمية وساومها وساومته ، وعاهدها وتعاهد معها .

بل يتضح ما هو أكثر من ذلك ، وما يتفق مع أطماع نابليون العالمية الواسعة . يتضح وبلفظ صريح وقاطع من بيان اليهودية العالمية أن اليهودية العالمية كانت تطمع في وراثة الامبراطورية العثمانية بكل أملاكها . وقد أثبتت مسيرة اليهودية العالمية بعد ذلك وأكدت هذه الأطماع الواضحة ، بل ان الفترة المعاصرة التي نعيشها الآن قد شهدت صراع اليهودية العالمية في طرد فرنسا وانجلترا من نفس أملاك الدولة العثمانية ، ونشر هيمنة اسرائيلية مكانها !

بل الأدهى من ذلك كله أن ينص البيان اليهودي العالمي الصادر منذ نحو قرنين ! ــ على أنهم ينوون تليين العنصر التركي والعنصر الصيني أيضاً باعتبارهما من العناصر البشرية الصلدة التي يصعب ابتلاعها ، وأن أداة هذا التليين أو الاذابة هي خلط ثقافتيهما بثقافات متنوعة يحملها إليهم اليهود .

ما بال مؤرخينا يسهون عن ذلك ويكتمون الشهادة ؟! بل ان الأمر قد وصل بمؤرخينا إلى الاستهواء الغربي أو التأورب أو التغريب إلى أن يصوغوا لنا عقيدة تاريخية وعقدة نفسية ومركباً ذهنياً بأن النهضة المعاصرة هي من صنع الحملة الفرنسية ، وأنها هي التي فتحت نافذة دخل منها ضوء الحضارة وأنها هي التي اطلقت شرارة التفكير في الذهن العربي .

هل يعقل أن الحملة الفرنسية التى لم تدم إلا ثلاث سنوات فقط، تخللتها ثورتان شعبيتان عنيفتان لدرجة أن دخلت الخيل الأزهر ودكت منازل المدينة من المقطم ، ثلاث سنوات ، تنتهى بأن يهرب القائد الأول نابليون ، ويغتال القائد الثاني كليبر ، ويسلم القائد الثالث مينو لاجئاً إلى احضان امرأة عربية من رشيد ، ثم يقال بعد هذا ان هذه هى الحملة التى أضاءت الظلام ونشرت العدل وحققت المدنية بعد ظلم واظلام وضلال ؟

ثم كيف تكون هذه السنوات الثلاث الحافلة بالثورة والغضب الشعبى هى منطلق الحضارة والتفكير ، ولا يكون عهد محمد على التالى لها مباشرة والذى دام عشرات السنين وحقق انشاء كليات قبل ٩٠٪ من كليات أوربا ، وجيشا تفوق على جيوش أوربا ، ونظام زراعة كان هو ثورة عالية في الزراعة .. كيف لا يكون هذا العهد هو بداية الصحوة ؟

هل يا ترى يخضع مؤرخونا لإسرائيليات ؟ أم ياترى هناك حلف استعمارى خلفهم ؟
ألا نلاحظ أن نابليون عندما زعم أنه جاء إلى مصر ليحرر العرب من ظلم الترك ثم لم يلبث غير شهور قبل أن يذهب إلى عكا ويعلن قيام الوطن اليهودى ... ان نابليون هذا بهذا الخطو الثابت قد تكرر بعد ذلك تماما عندما قاد لورنس ، تحركه المخابرات البريطانية ، ثورة عرب ضد ترك خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم ما لبث بعدها بشهور معدودة أن أصدر بلفور ، تحركه أيضا المخابرات البريطانية ، وعد بلفور الشهير ، ألم يكن نابليون عندما اتجه صوب اسطنبول يريد اسقاط الخلافة الاسلامية شبيها تماما بعد ذلك باللورد اللنبى عندما دخل القدس وقال اليوم انتهت الحروب الصليبية ؟ الخطوة الأولى ضرب العرب بالترك والخطوة الثانية وطن قومى لليهود والخطوة الثالثة هدم الخلافة ! !



لقد انتقلت العدوى من مؤرخينا إلى مثقفينا أنصار الحملة الفرنسية وأعداء العثمانية وجمال الدين الأفغانى وأعداء العربية وأنصار العامية . بث هؤلاء المثقفون سما ثقافيا لتأكيد دعوى باطلة بأن الحملة الفرنسية هى بدء النهضة .. ادعوا أن اصطحاب نابليون لمطبعة معه واصطحابه لفريق من العلماء الزراعيين والكيماويين والجيولوجيين الذين مسحوا مصر ووصفوها هو ثورة ثقافية حديثة .

ان هذا الذى فعله نابليون من استخدام المطبعة والعلماء فعله الانجليز فى الحرب العالمية الأولى والثانية ، وهتلر فى حربه وغزوه لكل بقعة دخلها بجيوشه . وقبله الروس فى غزوهم لأوربا الشرقية . أن كل أجهزة المخابرات الحديثة تصطحب معها المطبعة والعلماء وتستخدم الاذاعة والإشاعة وحرب الاعصاب . وتستخدم المخابرات الدولية أبرز الأمخاخ . سومرست موم كان فى المخابرات البريطانية . كذا اغاخان . بل أن المستشرق ارنولد والمؤرخ الصهيونى مرجليوث وهما اصحاب نظرية ان لا دولة ولا خلافة في الاسلام وانه مجرد عبادة ... كل هؤلاء كانوا من المخابرات البريطانية .

فلماذا نعتبر مطبعــة نابليون وعلماء نابليون من بناة الحضـــارة ، ولا نعتبر المخـــابرات البريطانيةوالنازية والأمريكية والاسرائيلية من بناة الحضارة . لماذا ؟

لقد حمل نابليون معه إلى مصر ــ المطبعة والعلماء ــ حمل نساء كان بعضهن يلبس ملابس الجنود ! وحمل معه الخمارات وموائد القمار وألاعيب الحواة وكان هو نفسه يلبس ملابس الشيوخ فى الاحتفالات الدينية . فهل كل هذا كان من عناصر « التنوير » التى يزعمها سادتنا المثقفون أنصار العامية وأعداء جمال الدين ؟

هل هؤلاء السادة المثقفون مضللون (بالفتح) أم مضللون (بالكسر) أم حدث لهم استهواء لأوروبا أم حدث لهم تأورب كامل أم حدث لهم تغريب كامل . أم هم كارهون لعقائدنا ؟

لقد صحب نابليون معه المطبعة وصحب معه العلماء لأنه يعلم أنه قادم إلى بلد ذى عقيدة ، أو ما نسميه الآن ايديولوجية . كانت عقيدتهم هى ما تبقى من ارث عن أجدادهم . وكانت عقيدة أجدادهم الأولى قد تكونت من الاسلام وكتابه القرآن . وكان نابليون يعلم هذا وأراد نابليون أن يحاجج هذه العقيدة بعقيدة أوربا الوضعية فحشد كل أدوات العقيدة الوضعية : احضر الكيماويين وكانت الكيمياء علما حديثا أشبه بعلم الذرة الآن ، وأحضر المهندسين والزراعيين وسائر العلماء ليساندوه فى مواجهة عقيدة غلبت التاريخ .. ونابليون عندما شكل مجلساً من مشايخ الدين ، وكان يحضر بنفسه اجتماعاته ويعلق على صدورهم النياشين وهو لابس ملابسهم ، إنما كان يحاول استهواء هؤلاء الشيوخ عن بقايا عقيدتهم . وكان رفض المشايخ لهذه النياشين . والقاؤها فى وجهه إنما هو تعبير عن رفضهم لمحاولته اخراجهم من عقيدتهم .

ولاشك فى أن نابليون كان ينوى تنصير هؤلاء المشايخ بالكامل لو كان أمكنه ، وبعد أن يئس منهم وجد الامندوحة من أن يحمل السيف ضد عقيدتهم ويدخل أزهرهم بخيله ، ويدوس القرآن بحوافر جنوده ! ثم وجد ألا مندوحة من أن يقف أمام عكا ويعلن اعلانه التاريخى قائلا : يااصحاب فلسطين الشرعيين ! وهكذا كشف النقاب عن تجنيد اليهودية العالمية له . ثم يقول انها أرض داود ويقول انه سينقل عاصمته إلى دمشق ليكون جارا لعاصمتهم فى القدس !

هذا هو نابليون ــ وهو فى الشرق ــ وهذه هى حملة نابليون « لتنوير » الشرق العربى . نابليون الذى استكبر أن يتوجــه البابا لم يستكبر أن يسير فى ركب اليهودية العالمية . وكان جزاؤه هو جزاء أمثاله ــ فيما بعد ــ فما أن اصدر هذا التصريح حتى هزم ــ لأول مرة ــ أمام عكا على يد الجزار باشا ثم ضربه الطاعون . ثم هرب ليلا عبر البحر فى زى امرأة . ثم تدهور وانتهى . وبعد ذلك كله لم يذكره اليهود ولا شكروه وتبرأوا منه .

موقف العرب

لقد استطاع مثقفو العرب من الذين حدث لهم استهواء أو تأورب أن يخفوا عن قومهم حقيقة نابليون الصهيونية والمناوئة للاسلام ، وان يجعلوه فى مخيلتهم من رواد التنوير ، وخانوا بذلك أمانة العلم وأمانة القيادة لهذه الأمة ... وبالمناسبة فقد ظهر فى الأيام الأخيرة أول فيلم عربى عن نابليون فى مصر وهو فيلم يتجاهل كل هذه الحقائق الساطعة .

ولما كانت الثقافة هى التى تسبق وتقود السياسة فقد ضل من بعدهم أيضا كثير من الساسة وتكرر ما فعله نابليون على يد الانجليز وغير الانجليز .

ولازالت الأطماع اليهودية قائمة بغير حدود جغرافية ، وتشمل من دلتا مصر إلى البحر الأبيض وإلى البحر الأحمر مع خلق مستودع لكل الثروة المادية للمنطقة فى فلسطين ومع تطويع العنصر التركى والصينى .

ان على المثقفين العرب أن يتطهروا .

السيد فهمى الشناوى

هامش : ______________

نص النداء اليهودى ونص وعد نابليون موجودان فى كتاب القضية الفلسطينية لمؤلفه عودة بطرس عوده المطبعة الفنية الحديثة بمصر .

قصة حياة مجلة عربية مظلومة

روضة المدارس

بقلم: الدكتور أحمد حسين الصاوي



رفاعة رافع الطهطاوي

درج الباحثون في التاريخ الحديث على القول بأن مجلة « روضة المدارس » كانت « صحيفة مدرسية » تصدر عن « ديوان المدارس » وتوزع فقط على « التلاميذ » وتشجع المجدين منهم على الكتابة فيها ... الخ . ونشأنا ونشأت بعدنا أجيال ، وضمن ما حصلناه من معلومات هذه المقولة التي تحصر المجلة في نطاق « مدرسي » محدود ، على أنها قضية مسلمة . حتى الباحثون الذين درسوا تاريخ الصحافة المصرية لم يخصوا « روضة المدارس » بأكثر من سطور قليلة لا تجلو حقيقة دورها ومكانتها .

ثم أتيح لبعض الباحثين في السنوات الأخيرة أن يتناولوا موضوع هذه المجلة ضمن ما تناولوه من ثمرات الرائد العظيم رفاعة الطهطاوي ، بل إن بعضهم جعلها دون غيرها محور بحثه . فاذا بالمقولة القديمة تهتز وتتهاوى والحقيقة تتكشف وتبين . واذا هذه المجلة بكل المقاييس دورية ثقافية على أعلى مستوى سمح به عصرها . بل إن هذه المجلة المظلومة انفردت بمميزات وخصائص من حق تاريخ الصحافة العربية أن تسجل لها.

صحيح أن « الروضة » صدرت عن « ديوان المدارس » ، وصحيح أن معظم قرائها كانوا من الطلبة ، ولكنها لم تكن أبداً صحيفة مدرسية محدودة المستوى . وإنما كانت « روضة المدارس » منبراً للتثقيف والتنوير . ولم يقلل من قيمتها أو ينقص من قدرها أنها صدرت عن « ديوان المدارس » أو أن غالبية قرائها من الطلبة . فقد كانت نشأتها في كنف الدولة ضرورة مرحلية ، اذ لم تكن ظروف الأفراد أو الجماعات في مصر في ذلك الوقت تسمح بأن تصدر مثل هذه الدورية خارج النطاق الحكومي ، ومن ناحية أخرى فقد كان ناشئة الأمة يمثلون الكتلة الرئيسية للقطاع المتعلم الذى يستطيع أن يقرأ ويستوعب المادة التى تقدمها دورية ثقافية . وهؤلاء الناشئة هم الجيل المرجو في النهضة التي كانت آخذة بأسبابها .

ولم يكن توزيع المجلة يقتصر على الطلبة وحدهم ، فقد كان يقرؤها كذلك معلموهم وكثير غيرهم من المتعلمين الذين يشغلون مختلف المواقع داخل الحكومة وخارجها . وكل هؤلاء وأولئك كانوا بيئة خصبة ، صالحة لتلقي كل ما يثري المعرفة ويمتع العقل ويذكي الوجدان .

فما هي قصة هذه المجلة ؟ وما هي صورتها الحقيقية التي تحدد تحديداً دقيقاً مكانها من تاريخ الصحافة العربية بعامة ، ومن تاريخ الدوريات الثقافية بوجه خاص ؟ ..

كان رفاعة الطهطاوي قد نفي إلى السودان ثم عاد إلى أرض الوطن بعد فترة اغتراب قاسية امتدت طيلة الشطر الأكبر من عهد الوالي عباس الأول . وكان ألم رفاعة لهذا النفي الجائر كبيراً ، ولكنه أخذ يشغل فراغ وقته في السودان بالترجمة .

واستأنف الرجل نشاطه في عهد سعيد ، فتولى إدارة بعض المدارس ، كما أعاد انشاء قلم الترجمة . ثم اتجه إلى إحياء التراث العربي القديم ، لرغبته في نشر العلوم بسعة دائرتها ، وحبه عموم النفع بها » ، فسعى حتى صدر الأمر » بطبع جملة كتب عربية ... عم الانتفاع بها في الأزهر وغيره .

غير أن رفاعة واجه التعطل مرة ثانية في أواخر عهد سعيد ، ثم بدأ المرحلة الأخيرة المثمرة من حياته في عهد اسماعيل .

ولا جدال في أن اسماعيل كان حاكماً مستنيراً مصلحاً ، وأنه حقق لبلاده الكثير من أسباب النهضة والتقدم . ولولا اسرافه وعدم تبصره أحياناً ، ولولا مطامع الدول الأوربية ، لكانت مصر قد احتلت مكانتها الجديرة بها في موكب الدول العصرية الناهضة .

ولقد كانت الحياة في مصر أيام اسماعيل خصبة أشد الخصب ، تفيض جوانبها المختلفة بالنشاط والعمل والبناء .

وشهدت الحياة الثقافية بالذات نهضة


الخديوي اسماعيل


اسماعيل صبري


علي باشا مبارك

● كانت جزءًا من نهضة ثقافية شاملة ، وأول مجلة ثقافية عامة في العالم العربي

ملحوظة ، فأعيد تنظيم مجلس المعارف ، وأنشىء عدد كبير من المدارس ، وأعيد إرسال البعثات العلمية لأوربا ، وأسست دار الكتب والمتحف المصري ، وأنشئت الجمعية الجغرافية والمجمع العلمي المصري .

وصاحب هذا كله اهتمام ملحوظ باللغة العربية ، سواء من حيث مستوى تعليمها بالمدارس أو استخدامها في مكاتبات « الدواوين » .

أما الحياة الصحفية فقد واكبت الحياة الثقافية ، وشهدت بدورها انطلاقة كبيرة ، بدأت بها الصحافة المصرية مرحلة جديدة مشرقة في تاريخها المجيد .

في عهد اسماعيل ظهرت أول صحف أهلية . وأسهم السوريون في الحقل الصحفي بجهود كبيرة ، بعد أن لجأوا إلى مصر ، يحتمون بها وبما يظللها من أمن وحرية نسبية لما عانوه من الاضطهاد العثماني في بلادهم . وتفاعلت الصحف مع براعم النهضة الثقافية التي بدأت تتفتح ، ومع الحياة السياسية الناشئة ، وانفعلت بالأحداث الخارجية الكبرى . وقيض الله لها ملهماً فذاً هو الداعية المناضل جمال الدين الأفغاني ، فمستها حرارة دعوته ، ورددت شعاراته ونادت بأفكاره .

أما الصحافة الحكومية فكانت تمر بأمجد أيامها وآخرها ، قبل أن تتم رسالتها وتطوي كتابها ، وتخلي الميدان للصحافة الأهلية . وقد عكست في وضوح ملامح الدولة الجديدة بكل أنشطتها وتطلعاتها .

في عام ١٨٦٥ التفت اسماعيل الى « الوقائع » فأيقظها من خمودها ، ووفر لها من الامكانات ما جعلها كما أراد لها « في عداد الجرائد المعتبرة » إدارة وتحريراً . وأصبحت تصدر بانتظام مرتين كل اسبوع ، في طبعة عربية حافلة بالمواد المتنوعة ، ولها ترجمة تركية تصدر في طبعة منفصلة ولكنها لم تعمر طويلاً . وقد عين لتحرير « الوقائع » عندئذ أحد معاوني رفاعة ، وهو « بلديه » الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي ، الذي سبق أن عمل تحت اشرافه في التدريس والتصحيح وتحرير الأعمال المترجمة بالمدرسة التجهيزية ومدرسة الألسن .

وفي العام نفسه أصدرت حكومة الخديوي الطموح صحيفتين ، أولهما هي مجلة « يعسوب الطب » الشهرية ، وكانت صدى للنهضة التعليمية الطبية التي أشرفت عليها نخبة من أعلام المصريين والأجانب . وقد حرر هذه المجلة محمد علي باشا الحكيم كبير الأطباء المصريين وأحد أعضاء البعثات التعليمية في عهد محمد علي ، واشترك معه نخبة من نوابغ الأطباء . وكانت تعالج الموضوعات الطبية والصحية في أسلوب علمي مبسط ، ولغة سليمة منقحة . وهي أول دورية متخصصة من نوعها تصدر بالعربية .

أما الصحيفة الثانية ، فهي « الجريدة العسكرية المصرية » ، التي كانت كذلك صدى للتقدم العسكري الكبير في عهد اسماعيل . وتختلف هذه الصحيفة عن سميتها التي صدرت في عهد محمد علي ، اذ كانت الأولى للجرائم العسكرية وحدها ، أما هذه ، فليست جريدة ضيقة المعنى محدودة الغرض ، وهي ليست مقصورة على الشئون العسكرية ، بل يندرج فيها ايضاً فوائد جليلة من المعارف النافعة والفنون المتنوعة ..

هكذا صدرت المجلة

وفي عام ١٨٧٠ صدرت مجلة « روضة المدارس » ، التي كانت جزءاً من نهضة أخرى هي النهضة الثقافية الشاملة ، والتي قدر لرفاعة أن يكون اسهامه فيها ختام جهاده العظيم في قيادة التحول الحضاري لمصر الحديثة .

ولم يكن لرفاعة علاقة ما بمجلة « يعسوب الطب » . أما « الجريدة العسكرية المصرية » ، فكانت معظم مقالاتها يكتبها ضباط البعثة الفرنسية بالجيش المصري ، ثم يترجمها بعض العاملين في قلم الترجمة باشراف رفاعه ، وعلى رأسهم تلميذاه عبدالله ابو السعود ومحمد قدري .

وليس صحيحاً ما قيل في هذا الصدد ، من أن رفاعة كان « مشرفاً على تحرير المجلة العسكرية بالفرنسية والعربية » . أو أنه « أشرف على ترجمة بعض أعداد المجلة العسكرية المصرية »

فلم توجد للجريدة العسكرية المصرية أية طبعة فرنسية بذلك الاسم أو بغيره .

كان رفاعة قد تولى منذ بداية عهد اسماعيل بعض المهام الإشرافية في حقل التعليم ، وأبرزها عضويته في « قومسيون ديوان المدارس » ، وهو أشبه بمجلس أعلى يخطط لسياسة التعليم ويشرف على تنفيذها وتطويرها . هذا فضلاً عن « نظارته » التقليدية لقلم الترجمة . وكان يتولى ديوان المدارس (وزارة التعليم) في ذلك الوقت علم آخر من أعلام نهضتنا الفكرية الحديثة وأحد نوابغ بعثات محمد علي ، هو الأديب المؤرخ المهندس علي مبارك .

وقد فكر ديوان المدارس في اصدار مجلة « روضة المدارس » لتكمل رسالة التثقيف التي تنوعت أعباؤها وتشعبت بين معاهد التعليم العامة والمتخصصة ، وغيرها من الأجهزة التي أنشأتها الدولة . وكان وراء هذه الفكرة علي مبارك الذي حمل أمانة المسئولية « الرسمية » للنهضة التعليمية وقتذاك ، ورفاعة الطهطاوي الأب الروحي لها .

وكان منطقيا أن يختار الديوان رفاعة « ناظراً » للمجلة الجديدة ، يشرف عليها ويوجهها ويرعى نشاطها . وقد نوه « الوزير » بهذا الاختيار في كلمة نشرها بالمجلة ، قال فيها : « لما كان حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس هو المشار اليه بين أرباب المعارف بالبنان ، والمعترف بدرجة فضله الرفيعة كل انسان ، ناسب أن تجعل هذه الصحيفة تحت نظارته ، لتتحلى من معلوماته بالدر الثمين ، وينشر علمها فيتلقاه محب المعارف باليمين » .

كانت « الروضة » أول مجلة ثقافية عامة في العالم العربي . وقد اتخذت شعاراً لها بيتين من الشعر أكدت فيهما وظيفتها « التربوية » ، وهما :

تعلم العلم واقرأ
تحز فخار النبوة
فالله قال ليحيى
خذ الكتاب بقوة

وقد صدرت المجلة نصف شهرية في حجم الكتاب المتوسط ، وعين لرئاسة تحريرها علي فهمي رفاعة ، نجل رفاعة الطهطاوي . ولم يكن في هذا الاختيار أية مجاملة للرائد الكبير ، وانما كان رئيس التحرير ــ كما أجمع مؤرخوه ــ شخصية ممتازة ، ويشهد سجله بالتفوق في كل عمل تولاه .

العدد الأول

وقد ظهر العدد الأول من « روضة المدارس » تتصدره افتتاحية طويلة رسمت منهج المجلة وحددت أهدافها ، وجمعت بحروف ثقيلة لتأكيد أهميتها .

وقد اختلف الباحثون في تحديد شخصية كاتب هذه الافتتاحية . فبينما يسلم بعضهم بأنها بقلم رفاعة ، فإن بعضهم الآخر ينسبها إلى ولده علي فهمي ، بالرغم من أن فهرس المجلد الأول من المجلة قد أوضح انها بقلم والده .

وأيا ماكان الرأي حول من كتب هذه الافتتاحية أو صاغ عبارتها ، فالذي لا شك فيه أن ما تضمنته من أفكار حول رسالة المجلة يعكس في وضوح شخصية رفاعة ، ويصور في دقة آراءه ووجهات نظره ، ويطابق المنهج الذي التزمه طيلة سنوات جهاده .

حقيقة أن أسلوب الافتتاحية متأنق ، وتزين عباراته ألوان من البيان والبديع ، ولكن هذا الأسلوب ذاته ليس غريباً على رفاعة . فقد كان لكتابته عدة أنماط تختلف باختلاف طبيعة ما يكتب . وقد يكون رأى أن افتتاحية العدد الأول من مجلة ثقافية مثل « الروضة » يناسبها أسلوب الترسل الأدبي على طريقة معاصريه ، فاستخدمه في كتابتها . وقد يكون كذلك قد حدد معالم المقال ودون أهم نقاطه ، ثم عهد به الى رئيس التحرير فصاغه بهذا الأسلوب .

وعلى أية حال ، لقد بدأت الافتتاحية بتمجيد مصر والاشادة بنهضتها ، والتنويه باقبال بنيها على « اكتساب العلوم والفنون » . وهذا المدخل يذكرنا بمقدمات رفاعة في كثير مما كتب ، وبخاصة في أعماله الخالدة : « تخليص الابريز » و « مناهج الالباب » ، و « المرشد الأمين » .

وبعد أن أثنى الكاتب على الخديوي اسماعيل ، وامتدح انجازات حكومته في حقل التعليم ، أشار إلى الغاية من صدور المجلة عن « ديوان المدارس » ، وهي أن تسهم في تحقيق رسالته « في تعميم العلوم وتتميم المعارف ، وانتشار الفنون واكثار اللطائف ، ومداولتها بين جميع أبناء الوطن ، وتسويتهم في الورود على مستعذب هذا الشرع الحسن ، وابراز الوسائل المعينة على جلب قطافها بدون كبير مشقة ... » ولا مراء في أن هذه هي الغاية التي عاش رفاعة عمره يعمل جاهدا من أجلها ، والتي عانى ما عانى من جرائها .

ورسم الكاتب بعد ذلك ملامح « الروضة » ، فقال : إنها سوف تخصص لنشر « أي مادة علمية من المواد النفائس ، بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة ، والمسائل المتأصلة والمتنوعة ، أقرب تناولاً للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذاً لمن يعانيها من قريب الفهم والبعيد » .

وتطبيقاً لسياسة المجلة في تقريب مادتها إلى أذهان قرائها « بدون كبير مشقة » فقد أكد الكاتب أن كل ما ينشر فيها سوف يكون « بقلم سهل العبارة واضح الاشارة ، وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجشمة لصعب التراكيب » . وذلك حتى « تنكشف للعامة مخدرات العلوم وترتفع حجبها المستورة » .

وانتقل الكاتب الى الحديث عن قراء المجلة الذين سوف تقدم لهم زادها ، وخص بالذكر منهم طلاب المدارس الذين أنشئت أساساً من أجلهم ، فقال إن هذه المجلة « تتكفل ... بانتشار أنواع العرفان بين كل محب لاقتباس العلوم من أبناء الأوطان ... وعلى الخصوص بين أبناء المدارس ... فإنها تكون بالنسبة لهم ولغيرهم أعم نفعاً وأعظم وقعاً بما انطوت عليه من نشر الفوائد العلمية الفائقة ... حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم ... » .

وتناول الكاتب في ختام مقاله تحرير المجلة ، فقال إن « ديوان المدارس » قد عين لها نخبة من الكتاب المتخصصين ليمدوها « برسائل مؤلفة جديدة ... من فنون وعلوم مختلفة ، ومسامرات من مستحسن الحكايات والاخبار ... وبعض تراجم من لغات أجنبية ... » وان كلا منهم قد صار « برسم عضو تأسيس » .

و« العلماء الأساتذة والفضلاء الجهابذة » الذين تكونت منهم هيئة تحرير المجلة كان يتصدرهم اسم « سعادة مدير المدارس » ، أي علي مبارك نفسه ، الذي « تفضل ... عليها بمسائل في وصف البحار العمومية وذكر متعلقاتها وأحوالها الكلية والجزئية » . وبعده تأتي أسماء :

ــ عبدالله فكري بك : لعلوم العربية والفنون الأدبية .
ــ بروكش باشا : للتاريخ القديم
ــ اسماعيل بك الفلكي : لعلوم الفلك
ــ محمد أفندي قدري : للجغرافيا والأخلاق والمعاملات .
ــ محمد بدر افندي : للطب و علم الأبدان
ــ أحمد أفندي ندا : لعلم النبات
ــ الشيخ عثمان مدوخ : لغرائب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجي والنكات .

وذكرت الافتتاحية كذلك أن « مباشرتحرير » المجلة ، أي علي فهمي رفاعة ، قد أحيل عليه « الكلام على محروسة مصر القاهرة وذكر أخطاطها وشوارعها وحاراتها وميادينها ومتنزهاتها ... » ، كما ذكرت أن العلوم الرياضية « أحيلت ... على خوجات (مدرسي) المدارس الملكية (المدنية) ، وما يرد منهم في القابل يذكر باسم صاحبه حتى لا يضيع عمل عامل » .

وقد انضم إلى أسرة تحرير المجلة بعد ذلك أكثر من كاتب متخصص . وكانت المجلة تعلن عن انضمام كل منهم في مقدمة أول مقال ينشره . ففي العدد الثاني مثلا انضم السيد صالح مجدي بك . ومن العدد العاشر انضم كذلك الشيخ حسونة النواوي .

على أن هذا التحديد لم يكن معناه أن أولئك الأعلام سوف يكونون هم وحدهم كتاب المجلة ، بل إن الطريق كان مفتوحاً أمام من يستطيع المشاركة في تحرير المجلة ، حتى اذا كان ما يزال طالباً بالمدارس .

بين الأصالة والمعاصرة

ومضت المجلة ، ملتزمة بخطتها التي بسطتها في افتتاحية العدد الأول ، تقدم لقرائها زاداً طيباً مختلفاً ألوانه ، تتنوع فيه الموضوعات بين اللغة والأدب من ناحية ، وشتى فروع المعرفة والعلوم من ناحية أخرى . ويتوزع فيه اهتمام التحرير بين العربي القديم والغربي المستحدث . وفي هذا التنوع والتوزع ما يعكس صورة صادقة لاتساع ثقافة رفاعة وشمول نظرته ، ومنهجه التعادلي الذي يقيم فيه توازناً متسقاً بين الماضي والحاضر ، وبين التراث الروحي والمنجزات العلمية ، وبين الأصالة والمعاصرة .

نشرت « الروضة » مقالات في التاريخ بمختلف عصوره ، وفي الجغرافيا والفلك ، والتراجم والسير ، والفلسفة وعلم النفس ، والاخلاق والاجتماع ، كما نشرت قصائد كثيرة . وكذلك أفسحت صفحاتها لمقالات في الطب والصحة والطبيعة والكيمياء والصناعة والرياضيات والهندسة .

ولم تكتف المجلة بنشر المقالات ، وانما استنت كذلك منذ العدد الثالث أن تنشر فصولاً من بعض الكتب . ولم يكد يخلو عدد من أعدادها من أجزاء منجمة (ملازم) من كتاب أو أكثر . وكلها كتب قيمة كتب معظمها خصيصاً « برسم روضة المدارس » ، ثم نشرت بعد ذلك في طبعات مستقلة . ولا نتردد في أن نرجع اهتمام المجلة بنشر تلك الكتب إلى عناية رفاعة الشخصية وتوجيهه المباشر . فقد كانت حياته العريضة نموذجاً رائعاً على ايمانه بقيمة الكتاب ومدى ما يمكن أن يسهم به في نهضة البلاد ، سواء بما قدم هو نفسه من المؤلفات والمترجمات ، أو بما شجع على اصداره أو أشرف على نشره من كتب .

وأثرت المجلة مادتها بنقل بعض الموضوعات الجيدة عن غيرها من الدوريات ، سواء أكانت أوربية أم عربية . فنقلت عن مجلة الدراسات الآسيوية المعروفة التي كانت تصدر في فرنسا ، كما نقلت عن « الجنان » و « الجوائب » و « ثمرات الفنون » فضلاً عن الوقائع المصرية و « روضة الاخبار » .

والى جانب المواد الدسمة ، فقد اعتادت المجلة أن تنشر بين حين وآخر بعض مواد التسلية والامتاع التي تناسب مستواها الرفيع ، كالنوادر الأدبية والألغاز المنظومة والملح الطريفة . وكذلك اهتمت بنشر أخبار حقل التعليم كنتائج الامتحانات ، وأسماء الموفدين في بعثات ، وترقيات المدرسين وتنقلاتهم ، وبعض التقارير الرسمية . ولم تغفل كذلك نشر إعلانات عن الكتب التي تصدرها الهيئات الحكومية والجمعيات الثقافية .

● أسهم في تحريرها عدد من أعلام العصر ونوابغه في مرحلة النهضة العربية الحديثة
● ثلاثة كتب كانت أهم ما نشرته المجلة لرفاعة الطهطاوي

ولقد ضم سجل كتاب «الروضة» الذين أسهموا في تحريرها بمقالاتهم ورسائلهم وفصول كتبهم، إلى جانب من مر ذكره من أعضاء هيئة تحريرها، عدداً من أعلام العصر ونوابغه الذين يمثلون بحق صفوة المثقفين وخيرة شباب العلماء المتخصصين، في مرحلة البعث الحضاري لمصر القرن التاسع عشر. ومن هؤلاء مثلاً: الطبيب حسن محمود، الذي ألف وترجم عدة كتب، ووصل في سلك المناصب الى نظارة مدرسة الطب، والشيخ حسين المرصفي الناقد الأديب المجدد، الذي كان له أعمق الأثر في أعلام الأدب العربي ورواد الدراسات الأدبية في العصر الحديث، وتادرس وهبي بك المترجم الأديب ورجل التعليم الكبير.

ويستوقف نظر الباحث من كتاب روضة المدارس كذلك ثلاثة أسماء يجمع بين أصحابها أنهم، الى جانب نشاطهم في عدة مجالات ثقافية، فقد مارسوا العمل الصحفي في غير «الروضة»، وكان لكل منهم في هذا الحقل محاولات رائدة، وهم:

ـ عبدالله أبو السعود: من نوابغ «الطبقة الأولى» من تلاميذ رفاعة بمدرسة الألسن، كما أسلفنا القول، ثم اصدر عام ١٨٦٧ أول صحيفة مصرية أهلية، هي «وادي النيل» التي ظلت تصدر بانتظام حتى اغلقتها الحكومة عام ١٨٧٢، فتابع ولده محمد أنسي اصدارها باسم «روضة الأخبار» واستمر هو يواليها بمقالاته السياسية. وقد أسهم في تحرير «روضة المدارس» منذ عامها الأول.

ـ محمد عثمان جلال: أبرز خريجي «الطبقة الثالثة» من تلاميذ رفاعة بمدرسة الألسن. اقتحم بشجاعة واقتدار ميدان الترجمة الأدبية، فنقل عن الفرنسية عدداً من روائع القصص والمسرحيات، كما اشتهر بتعريبه لكوميديات موليير وأمثال لا فونتين، غير ما عربه من كتب عسكرية بحكم عمله في «ديوان الجهادية». هذا عدا انتاجه الشعري وجهوده في مجال الأدب الشعبي. أسهم مع أبي السعود في تحرير «الجريدة العسكرية المصرية» كما ذكرنا. وفي عام ١٨٦٩ أصدر مع ابراهيم المويلحي صحيفة «نزهة الافكار». ولكنهما توسعا في تطبيق مبدأ حرية الصحافة إلى الحد الذي رأت معه حكومة اسماعيل أن تغلق الصحيفة بعد عددها الثاني.

ويجب أن يسجل لروضة المدارس أنها نشرت لهذا الأديب أولى مسرحية مصرية على الأطلاق. فقد ألحق بالعدد الثالث من السنة الثانية الجزء الأول من كتاب له بعنوان «كتاب النكات وباب التياترات..» ويبدأ الكتاب بمقدمة جد قصيرة، تحدث فيها الكاتب عن المسرح بعامة والمسرح الكوميدي بوجه خاص. ثم اتبعها بنص مسرحية مصرية كوميدية بعنوان «الفخ المنصوب للحكيم المغصوب»، كتب حوارها بالعامية. وقد نشرت فصول المسرحية منجمة على أكثر من عدد، ولكن لم يتبعها شيء من باقي أجزاء الكتاب. ويبدو أنه كان يتضمن نصوص عدد آخر من المسرحيات التي ألفها الكاتب أو عربها، غير أن المجلة عدلت عن نشر مواد أخرى بالعامية.

ـ ميخائيل عبدالسيد: من أكبر مثقفي الأقباط في القرن التاسع عشر. أتقن اللغة الانجليزية وكان على علم وافر بالعربية وعلومها وآدابها، وقد تلقى بعض دروسها على عدد من شيوخ الأزهر المعروفين. كان جم النشاط في «روضة المدارس»، ثم أنشأ عام ١٨٧٧ صحيفة «الوطن» وتولى تحريرها أكثر من عشرين عاماً. ولهذه الصحيفة سجل حافل في تاريخ الصحافة المصرية.

أما طلائع المثقفين من طلبة المدارس المخصوصة (العليا) الذين أسهموا في تحرير الروضة ببعض الطرائف والشعر والموضوعات المترجمة، فلعل أبرزهم هو الشاعر الشاب اسماعيل صبري الطالب بمدرسة الادارة، الذي نشرت له المجلة عدداً من القصائد.

ويلاحظ الدارس الأدبي وضوح تطور انتاج هذا الشاب الموهوب على صفحات «الروضة» من النظم التقليدي في المدح وغيره، إلى الشعر الوجداني الرصين. ولا شك أن اتاحة فرصة النشر له في حد ذاته كانت من العوامل التي ساعدت على صقل موهبته ونضج شاعريته. فما أقوى الأثر الذي يحدثه «نشر» بواكير الانتاج لشباب الكتاب والأدباء، وبخاصة للموهوبين منهم. ثم أن هذه المجلة بالذات، التي شجعت صبري بنشر انتاجه مع إنتاج أعلام الأدب والفكر، كانت بالنسبة له «مدرسة مجيدة... بعثت المقاييس الأدبية (الصحيحة) وأعادت للأذهان نهضة الشعر في عصور إزدهاره الأولى..» وكان يقرأ في الروضة أبحاث المرصفي ودراساته وأبحاث ودراسات نجا الابياري وجميعي ومحمد سعيد وغيرهم من الذين قامت على أكتافهم حركة البعث الأدبي في القرن التاسع عشر.

على أن أهم ما نشرته المجلة لرفاعة كان ثلاثة كتب:

١ ـ «القول السديد في الاجتهاد والتجديد». وهو كتيب يضم بحثاً فقهياً خالصاً يدل على تمكن رفاعة من العلوم الدينية التي تلقاها في صدر شبابه بالأزهر. وفيه يفسر الحديث النبوي القائل «يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها» تفسيراً يوسع به مفهوم «الاجتهاد». فهو يرى أن «التجديد» ليس مقصوراً على «الاجتهاد» وحده، وانما يشمل كذلك التقرير والتأييد للدين، وأنه «يهم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء محدثين وفقهاء ونحاة ولغويين». وقد نشر هذا البحث بأكمله ملحقاً للعدد السادس من السنة الأولى، وجاء في تقديمه أن كاتبه «ألفه برسم روضة المدارس».

٢ ـ «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز». وهو الجزء الثاني من سفر ضخم أراد رفاعة أن يؤرخ به لمصر منذ عصورها القديمة حتى الوقت الذي عاش فيه، وعنوانه «أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق اسماعيل». وكان الجزء الأول قد ظهر بهذا العنوان بالفعل، وهو يتضمن تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي. ثم اقترح علي مبارك على رفاعة أن ينشر الجزء الثاني في «الروضة» قبل أن يطبع في مجلد مستقل.

ولقد نال التاريخ دائما عناية خاصة من رفاعة، فقد كان بدراسته شغوفاً وفيه كتب عدداً من أفضل بحوثه وأبقاها. واليه يرجع الفضل في الاعتراف بالتاريخ مادة أساسية من مواد الدراسة في مدرسة الألسن ثم في المدارس «التجهيزية» بعد ذلك، وفي الاهتمام بتزويد المكتبة العربية بالكتب التاريخية التي قام تلاميذه بترجمتها وتولى هو مراجعتها. وأبرز ما تتجلى وطنية رفاعة وايمانه ببلاده واعتزازه بامجادها في كتاباته التاريخية. ويلاحظ كذلك فيما كتب رفاعة من الموضوعات السياسية والاجتماعية وغيرها أنه كثيراً ما كان يلجأ إلى التاريخ يستمد منه الأمثلة والشواهد يستخدم حقائقه في المقارنة والتحليل واستنباط النتائج.

وفي «نهاية الايجاز» لم يتوقف رفاعة عند التأريخ لحياة الرسول الكريم، وانما ختم السيرة العطرة بفصل عن الحكومة الاسلامية في حياة الرسول ونظمها السياسية والمالية والاجتماعية.

والحديث عن «نهاية الايجاز» يحتاج إلى صفحات وصفحات. غير أن مجمل القول فيه إنه ينفرد دون سائر كتب السيرة النبوية بخاصيتين واضحتين:

ـ أنه أول كتاب مصري «حديث» في هذا الموضوع، بعد انقطاع عن الكتابة فيه أكثر من أربعة قرون. وقد سبق به رفاعة بنحو ستين عاماً أعلامنا المعاصرين الذين طرقوا هذا الموضوع، مثل هيكل والعقاد.

ـ أنه أول كتاب في السيرة يجمع فيه كاتبه بين الايمان الوجداني بالرسالة المحمدية وبين المنهج العلمي العقلاني. فهو لا يكتفي بالمسلمات والسرد التاريخي للوقائع والأحداث، وانما

يستخدم التحليل والاستدلال ، ويربط الدعوة الاسلامية بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية .

والكتاب بعد هذا من أوضح النماذج على ذلك المزيج الثقافي المتجانس الذي جسدته شخصية رفاعة ، بين الأصالة الاسلامية التي لم يفسدها الاحتكاك بالغرب ، وبين الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة فكراً وعلماً ومنهجاً . فرفاعة ــ كما وصفه مؤرخ سيرته بحق ــ هو أول من جمع « بين نسبة الأزهر الحقيقية واكتساب العلوم الأجنبية اللتين بانضمامهما إلى بعضهما صار هذا الشريف الجليل نافعاً لأوطانه رافعاً ألوية العلم في زمانه .

وقد بدأ نشر هذا الكتاب في السنة الثالثة من « الروضة » . وعلى الرغم من انتقال رفاعة الى الرفيق الأعلى في أثناء السنة الرابعة ، فقد واصلت المجلة نشر باقي أجزاء الكتاب في السنتين الرابعة والخامسة ، بعد أن قام ولده بقراءة مسوداته وتصحيحها .

٣ ــ « المرشد الأمين للبنات والبنين » . ونحن نعرف أنه من أكبر أعمال رفاعة وأخلدها وقد بدأ نشر فصوله بعد وفاة كاتبه بأكثر من عام . والنظرة الفاحصة لطريقة نشر الكتاب بالمجلة تثبت حقيقة تاريخية أخطأها من تعرضوا لمؤلفات رفاعة من الباحثين .

فالصفحة الأولى منه ــ كما نشرتها المجلة ــ تتضمن مع العنوان واسم المؤلف ووظيفته (ناظر قلم الترجمة وأعضاء ــ كذا ــ قومسيون ديوان المعارف) عبارة « الطبعة الأولى ــ بمطبعة المدارس الملكية ــ ١٢٨٩ هـ » فاذا أضفنا إلى هذا أن طريقة جمع مادة الكتاب تختلف عن طريقة جمع سائر مواد المجلة ، فعدد سطور الصفحة أقل ، وطول السطور أقصر لكي تتيح نشر العناوين الفرعية بالهوامش الجانبية للصفحات ، خلصنا من ذلك إلى نتيجتين :

أولا : أن الكتاب سبق أن نشر في طبعة مستقلة عام ١٢٨٩ هـ ، أي قبل نشره في المجلة بنحو عامين ، وقبل وفاة مؤلفه .

ثانياً : أن المجلة حرصت على نشر صورة « طبق الأصل » من الكتاب ويحتمل أن المطبعة ، وهي نفسها التي طبعت المجلة ، كانت ما تزال تحتفظ بصفحات الكتاب الرصاصية تمهيداً لإعادة طبعه . ويحتمل كذلك أنه كان قد بقي بالمطبعة فائض من « ملازم » الكتاب دون تجليد بعد صدور الطبعة الأولى .

ومن المستبعد بالقطع أن يكون الكتاب قد طبع ــ كما أثبتت صفحة عنوانه ــ عام ١٢٨٩ ولكنه بقي حبيس المطبعة دون أن يخرج إلى النور ، حتى بدأت المجلة في نشره بعد وفاة صاحبه . ومن المستبعد كذلك أن تكون المطبعة قد « بدأت » طبع الكتاب عام ١٢٨٩ ولكنها لم تتمه لأن كاتبه توفي (عام ١٢٩٠) قبل أن يكمل كتابة فصوله ، إذ أن صفحة العنوان التي تحدد سنة الطبع هي آخر ما يجمع من صفحات الكتاب .

وعلى هذا فليس صحيحاً ما ذكره أولئك الباحثون ، من أن الكتاب نشر أولا منجماً في « الروضة » بعد وفاة صاحبه ، ثم ظهر في طبعة مستقلة بعد ذلك باشراف ولده في عام ١٢٩٢ .

وكان رفاعة قد دون هذا الكتاب ــ كما قرر في « التمهيد » ــ بناء على طلب ديوان المدارس ، لكي « يصلح لتعليم البنات والبنين » . ويرتبط ذلك أساساً باتجاه تعليمي بالغ الأهمية لحكومة اسماعيل ، هو فتح أبواب العلم أمام المرأة والمساواة بينها وبين الرجل في فرص اكتساب المعارف . وينوه المؤلف في المقدمة بهذا الاتجاه في اعزاز كبير . فالخديوي قد « سوى في كتاب المعارف بين الفريقين (البنات والبنين) ولم يجعل العلم كالإرث للذكر مثل حظ الأنثيين . فبهذا سوق المعارف المشتركة قد قامت وطريق العوارف للجنسين استقامت ، وليل جهل النساء جلاه فجر المعارف ... فقد أحيا في طباعهن نجاح الآمال ونشر لهن أعلام المقال والفعال وخصهن بمدارس كالصبيان يخرجن بها من حيز العدم إلى الوجدان ... » .

ولا يتصور أن يكون ديوان المدارس قد قرر هذا الكتاب الكبير لدروس « المطالعة » التقليدية بالمدارس ، فمستواه لا يصلح إلا للكبار . ثم أنه لا يشبه الكتب التي تخصص عادة لمثل هذه الدروس ، وتحتوي على موضوعات متفرقة لا تنظمها فكرة معينة ، فهو كتاب يضم موضوعات مترابطة تدور حول فكرة واحدة . ومن غير المعقول ، فضلاً عن ذلك ، أن يتقرر كتاب لدروس المطالعة ، فيحصل عليه الطلبة في مرحلة ما من مراحل دراستهم ثم تنشر فصوله ملحقة بمجلة غالبية قرائها من الطلبة . والأقرب إلى المنطق أن يكون الديوان قد زود به المدارس .لاطلاع المعلمين وللمطالعة الحرة التي يشجع عليها الطلبة في الصفوف المتقدمة وبخاصة أولئك الذين يتخصصون في التدريس بعد تخرجهم .

أما مادة الكتاب الضخم وما تضمنه من آراء وأفكار ، فمن العسير أن نلم بها ــ مهما أوجزنا ــ في عجالة ، إذ أن ذلك يحتاج إلى أن تفرد له دراسات عميقة مستفيضة .

وهكذا شاءت المقادير أن يواصل الرائد العظيم رعايته لمجلة « روضة المدارس » واسهامه في تحريرها حتى بعد وفاته . وقد تأكد هذا المعنى عندما استمرت المجلة ، حتى توقفها . تظهر وفي صدر صفحاتها الأولى هذه العبارة :

تحت ادارة ناظر قلم الروضة ومطبوعات المعارف علي بك فهمي « نجل رفاعة بك » .

وبعد . فلقد كانت « روضة المدارس » التى غرس نبتها ورعاها رفاعة الطهطاوى ، مدرسة جامعة أسهمت بقسط كبير فى حركة التنوير ، وإذا كان اعلام المثقفين وتلاميذ رفاعة وقتئذ قد قدموا باشرافه إلى قرائها ذلك الزاد الذى يثرى معرفتهم ويضيء أذهانهم وأرواحهم ، فقد تجاوز رفاعة ذلك النطاق إلى ما هو أعمق وأخطر . إلى ايقاظ العقول وشحنها بمعطيات الفكر الانسانى المتحضر ، وإلى ترقية النفوس وتهذيبها بكل رفيع من القيم والعواطف ، وإلى تكوين الشخصية السوية المتعادلة لمواطن مصر الحديثة الناهضة ، الذى يأخذ بأسباب التحضر والمعاصرة ، ويتمسك فى الوقت نفسه بتراثه وأصالته .

لقد كانت رسالة رفاعة وحدة متكاملة الأجزاء . فقد دعا فيما نشرته له « روضة المدارس » إلى حرية الفكر ، وبذر بذور القومية ، وتغنى بالوطنية وأبرز مفهوم المواطنة ، ورفع شعار سيادة القانون ، وميز بين الحقوق والواجبات ، وطالب بتحرير المرأة .

وكانت المجلة تحت اشراف رفاعة مدرسة صحفية كبرى ، تمرس فيها الكتاب والمحررون بكتابة المقال ، ذلك اللون الجديد من ألوان النثر العربى الذى كان للصحافة الحكومية فضل تقديمه . ولقد شهدت هذه المدارس عدة محاولات لتطوير أسلوب الكتابة وتخليصه من أثقال المحسنات والزينة التى ترسبت فى النثر العربى عبر عدة قرون ، ونجحت هذه المحاولات إلى حد كبير ، وبخاصة فى المقالات العلمية والتاريخية وما إليها .

وأدى ذلك إلى سيادة الاسلوب المرسل الذى أرست الصحافة دعائمه ، وانتقل به النثر العربى إلى طور جديد .

وكانت « الروضة » كذلك مهدا لتجربة من أهم التجارب اللغوية ، هى ترجمة المصطلحات المختلفة إلى اللغة العربية . وقد كان لرفاعة نفسه ولمحررى المجلة من تلاميذه خريجي مدرسة الالسن بخبرتهم الطويلة جهود مضنية فى هذا الصدد . وصحيح أن بعض ما حفلت به صفحات « الروضة » من ألفاظ مترجمة لم يقدر له أن يعيش بعدها : وأن ألفاظا أخرى قد تعدلت صياغتها فيما بعد . ولكن تلك التجربة الضخمة ، مع ما قبلها من تجارب كان لرفاعة ومدرسته فيها أكبر الأثر ، مهدت الطويل أمام الصحافة المصرية لتسهم بدور لا ينكر فى إثراء اللغة العربية بعدد كبير من المصطلحات المترجمة التى غدت ألفاظا ثابتة فى قاموس استخداماتنا اليومية .

واحتجبت « روضة المدارس » بعد وفاة راعيها بنحو أربعة أعوام فانطوت بذلك صفحة مشرقة . وكان عهد الصحافة الحكومية فى مصر يؤذن كله بزوال ، بعد أن شبت الصحافة الاهلية عن الطوق ، وغدت مؤهلة لحمل الرسالة وأداء الأمانة .

أحمد حسين الصاوي

جحود

شعر: راضي صدوق



عدبني بأنَّكِ لنْ تَذْهبي ... وأنك شَمْسي ولنْ تَغْربي
بلغتُ بكِ الآنَ آخرَ كاسي ... ولستُ أُريدكِ أَنْ تَشربي

تَرفَّعْتُ أَنْ أُشْرِكَ الفارهينَ ... على شَظَفِ العَيْشِ ، من مَشْرَبي
ليَ السّمُّ وحدي .. وللآخرينَ (م) ... السُّلافةُ من قلبيَ الطيِّبِ
تَميَّزْتُ في النَّاسِ حتّى الذُّرىٰ ... ومَنْ ذا يُزاحِمُني مَلْعَبي ؟
أنا الحبُّ صِرْفاً ، وكأْسي دِهاقٌ ... ولكنَّ دَهْرِي الخؤونُ الغَبي
تَفنَّنَ في الزَّيْف حتّى الهَوان ... وأَسْرَفَ في الذُّلِّ حتى صَبي
يَجورُ على المُبْدعينَ الحياةَ ... ويُرْخي الذُّؤابــةَ للثعلب ..
ويرفعُ كلَّ ذَليل الجَبينِ ... ويَخفضُ من هامةِ الكَوْكَبِ

* * * * *

عديني بأنَكِ ما زلْتِ لي ... وأَنَّ حنانَكِ لم يَنْضبِ ..
وانك لن تَلِغي في دمي ... ولن تنكريني في مغربي
لقد أنكَرَتْني ليالي الحَصادِ ... وكم رَوِيَتْ من دمي المُخْضَبِ
وأَنكرَ خِلّي .. وأَنْكَرَ أَهلي ... وأَسْرَفَ في النُّكْرِ حتّى أَبي !
وغَادَرَني الجائعونَ العُراةُ ... وليس لهمْ بَعْدُ من مأَرَبِ
وكمْ من أَخٍ جُعْتُ من أَجْلِهِ ... نَمَا في الرِّجالِ ولم يُنْجِبِ
وعادَ إليَّ مع النَّائباتِ ... وفي طَيِّهِ شَوْلَةُ العقْربِ
تَصاغَرَ حتّى انْطَوىٰ ظلُّه ... وغَلْغَلَ كالجُرْحِ في غَيْهَبي
طَوَيْتُ عليهِ الأَسىٰ والدّموعَ ... مُشيحاً على أَلَمٍ مُغْضَبِ

* * * * *

لقد بَلَغَ المُرْتَقى اللاعبونَ ... فكيفَ الوصولُ ولم تَلْعبِ؟ !
وما بعْتَ في سوقِهمْ سلْعةً ... ولسْتَ أَجيراً لِذِي مخْلبِ ؟
ولا خُنْتَ عهْدَ الثَّرىَ والدّماء ... لتَنْعَمَ بالمالِ والمَنْصِبِ ..
ولم تَتَلَبَّسْ قَميصَ النّضالِ ... وتَرْقَ السماء على مَنْكبِ
تَباركْتَ من صائمٍ لا يَجُوعُ ... ولا يَشْتَهي رَنَقَ المَشْربِ
حياتُكَ أُمثولةٌ في الكفاح ... مُسطَّرةٌ بالصُّمودِ الأَبي
أَناتَكَ .. إنَّ الطَّريقَ الْتَوىَ ... وَرانَ القُنوطُ على المَوْكبِ
وخَفَّ الرِّفاقُ لغاياتِهِمْ ... يَدورون في حَوْمةِ المكْسبِ
هنيئاً لهمْ ما تَعافُ الكرام ... ونِعْمَ الفريسة للثَعْلَبِ !

شـــــاعـــــر لـه قضـيـــة

قاسم حداد

من الخطابة والسَّذاجة إلى الرَّمز والعذوبة

بقلم: أحمـد محمد عطيـة

قاسم حداد ، شاعر مجدد ، من أبرز وجوه الحركة الشعرية الجديدة فى البحرين . وهو شاعر صاحب قضية ، وقضيته هى الوطن ؛ البحرين والوطن العربى . فالوطن هو حبه الأثير والوحيد ، وحوله تدور معظم قصائده ودواوينه ،وتعـد بمثابة تنويعـات على لحن هذا الحب العظيم والجارف . وتنعكس فى شعره ملامح تطور رؤاه نحـو الوطن ؛ من التـأثر بالشعراء العرب المحدثين إلى إبداع لغته الخاصة وقاموسه المنفرد وصوره المتجددة ، ومن الغضب والثورة والخطابية والمباشرة إلى الرمز البديع الشفاف والعذوبة والرقة والتجديد في استخدام الـكلمات والتـكثيف الشعرى الخـلاق ، فـى سيمـفونية مـن الألـوان واللوحـات التشكيليـة وطبيعـة البحرين الساحرة ، واتساع آفـاق الرؤى نحـو الشمـولية والـكونية والمزج بين وضع الإنسان فى الـكون ووضعه الاجتمـاعي والسياسى ، مع إحياء التراث وبعث الشخصيات التراثية وتوظيفها فى تقديم رؤى معاصرة تضيء الحاضر وتثرى قضيته الأثيرة ؛ الوطن .

وقاسم حداد شاعر غزير الإنتاج ، فقد أصدر حتى الآن ثمانية دواوين شعرية هى : « البشارة » (١٩٧٠) ، « خروج رأس الحسين من المدن الخائنة » (١٩٧٢) ، « الدم الثاني » (١٩٧٥) ، « قلب الحب » (١٩٨٠) ، « القيامة » (١٩٨٠) ، « انتماءات » (١٩٨٢) ، « شظايا » (١٩٨٣) ، « يمشى مخفـوراً بالوعول » (١٩٨٤) . كما يؤدى قاسم حداد دوراً قيادياً فى الحياة الثقافية بالبحرين ، فهو يشارك فى إدارة نشاط أسرة الأدباء والـكتاب ، فى الندوات والأمسيات والـكتابات وفى المسرح والنقد ، وله كتاب عن « المسرح البحرينى ــ التجربة والأفق » (١٩٨٠) ، ومقالات ودراسات نقدية متعددة ، وذلك بالإضافة إلى إسهامه فى الحركة الأدبية العربية ؛ المؤتمرات الأدبية والمهرجانات الشعرية العربية ، وهذا ما حقق له الشهرة والانتشار على امتداد الوطن العربى ، فهو أشهر شعراء البحرين المحدثين فى هذا المضمار .

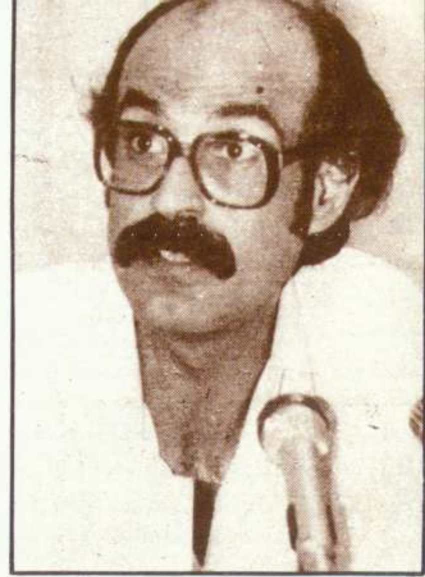
وقاسم حداد شاعر جاد يستوعب التراث والتاريخ ، ويبدع شعره بإصرار كقضية حياته الوحيدة ، وكأسلوب كفاح ونضال من أجل التقدم بالوطن . فهو يرى أن الشعر هو هواء الزمان . الشعر هو بوصلة الوقت . وكل شعر لا يصوغ وقته ولا يبتكر مناخه ، يتخلف عن حركة التاريخ ، والشعر لا يهتم كثيراً بالذين يرغبون فى الاسترخاء . الذى يسترخى سيتركه الزمن . ومن يرغب فى الاسترخاء عليه أن يبتعد عن الشعر . فالشعر ضد الاسترخاء بشتى أشكاله » . (مجلة « كلمات » الفصلية البحرينية العدد الأول خريف ١٩٨٣) .

لحظات الإبداع

كما عبر الشاعر قاسم حداد عن تجربته الشعرية ورؤاه ولحظات إبداعه للشعر فى ديوانه الرابع « قلب الحب » . فهو مهندس يصوغ الكلمات والجمل والموضوعات وينتقيها من لغات كثيرة ويستعد لهذا اللقاء مع الشعر « كما لو أنه فى امتحان صعب » ،لأن قاسم حداد معني كل العناية بالتجديد فى الـكلمة والقالب والشكل وإبداع قصيدة جديدة :

.. وأقف كالمذهول .. هكذا
أستعد للقائك كما لو أنه امتحان صعب
أهندس جملا وموضوعات
وأردد كلمات مصاغة من لغات كثيرة
(قصيدة « لماذا » ص ٧٥)

وهو يهيم وحده فى غابات الليل ، لا يهدأ ولا ينام ولا يهجع بين الحروف والـكلمات والخيالات ، يمتزج لديه الألم والفرح والفردوس والجحيم ، الكل ينام ولكنه يقظ لا يهدأ ويظل يهدر « كالموجة المجنونة المتأرجحة فى قدم مارد



الشاعر البحريني قاسم حداد



غلاف ديوان : « انتماءات »



غلاف ديوان : « شظـايا »

طائش » ، ويصاب جسده بالمرض حتى يلد قصيدته الحية « النشيطة » ، وهو يعنون قصيدته « الجحيم الحميم » تعبيراً عن عذاب الشاعر فى لحظات الإبداع :

لا أهجع
حروف وكلمات وشظايا
خيالات وومض فوق الوسادة
الرفاق ينتقلون من حلم لم ينته
إلى حلم لم يبدأ
وأنا لا أهجع
كالموجة المجنونة المتأرجحة ..
فى قدم مارد طائش
ولا أهجع
يختلط الفردوس بالجحيم فى لهج صريخى
ولا أهجع
وفى الصباح
حين يستيقظ الرفاق
يجدون فى فراشي جسداً مريضاً
وقصيدة نشيطة (ص ١١٨)

كما يصور قاسم حداد فى قصيدته « بحرية أكثر » أثر تجربة الشاعر ومعاناته فى تطور شعره من المباشرة إلى إعادة صياغة الواقع وتركيب كلماته وصوره تركيبا جديداً . وهو يخاطب الوطن فى هذه القصيدة ، فبعد أن كان يقيم علاقات مباشرة مع الـكلمات ويتصل بالوطن ، اضطر للبحث عن طرق جديدة لابداع الشعر بحرية أكثر ، فصارشعره على ألسنة الناس ، واتسعت مجالات الإبداع ، فيكفيه حب الوطن وشوقه الثابت فى القلب كى يستمرَ فى قول الشعر :

صارت قلوب رفاقى
دفاتر تقرأ وتحضن
وبحرية أكثر
صرت أقيم علاقات مع الأفق
وحين أكون فى البحر أو فى الصحراء
فى الغابة الحجرية
أو فى الغيبوبة
لا يفارقنى الشعر
لا يحتاج الشاعر سوى لشوق
فى القلب
من أجل أن يتدفق
وأنا لست فى حاجة لشيء سواك
فأنت شوقى المتأجج
كالألق فى كلماتى (ص ٤٦و٤٧)

ويهتم قاسم حداد بالتجديد فى الكلمات واللغة ، كما فى قصيدته « الحبيب » ، فهو يعيد تشكيلها وتركيبها وفـكها « ليغزلها من جديد » كى يصوغ فيها أحلامه وسهر لياليه ومدنه وأشواقه وطموحاته لقصيدة جديدة قادرة على التوصيل والبقاء :

يهيىء لها كلمات جديدة
جديدة جداً أحياناً
كأنه يتعلم اللغة لأول مرة
انه يستعد ، ليحمل لها كل عمره
وكلما استعد أكثر للقاء
اتصل أكثر بالبقاء . (ص٦٦)

تأثر ومباشرة

بدأ قاسم حداد تجربته الشعرية بالتأثر بالشعراء العرب المحدثين ؛ بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وأدونيس ، وبشعر الخمسينات الحماسى المباشر ، كما اتفق على ذلك نقاده . فـكتب الناقد العراقى طراد الـكبيسى ، فى دراسته « الحركة الشعرية الجديدة فى البحرين وموقعها من حركة الشعر العربى الحديث » ، قائلا عن ديوانى قاسم حداد « البشارة » و « خروج رأس الحسين .. » : « إن قاسم أسير تأثيرات مباشرة لشعراء آخرين ، البياتي والسياب بشكل خاص . لا يبدو هذا فى بناء الجملة ، واللغة ذات الطابع الوثائقى والتشكيل الايقاعى وحسب ، بل وفى الأفكار والاستعارات وهذا التشكيل والأفكار والاستعارات ، استعارات من البياتى واضحة ، وخاصة فى شعر البياتى الخمسيني كما هو فى (اباريق مهشمة) مثلا . كما نجد تأثير صلاح عبد الصبور ، وخاصة فى ديوانه (الناس فى بلادى) واضحاً على رؤية قاسم للمدينة فى قصيدته (يا أيها الإنسان) .. » وأضاف الـكبيسى قائلا : وبدلا من أن نجد آثار الشعر الخمسينى العراقى والمصرى خاصة فى شعر قاسم ــ كما فى (البشارة) ــ نجد أثر أدونيس يبدأ بالظهور هنا (فى ديوان خروج رأس الحسين ..) وخاصة قصيدته « هذا هو اسمى » ، نلاحظ ذلك فى بعض التعابير ، وفى بناء القصيدة واستخدام الفوارز (/) فى محاولة لمسرحة القصيدة كما هو بارز فى قصيدة قاسم (صلاة الخوف) . » (مجلة الأقلام ، مايو ١٩٨٠ ، عدد خاص عن الأدب العربى فى البحرين) .

الـــوطن

يحتل الوطن مكانة أثيرة فى قلوب أهل البحرين وشعرائها وأدبائها بوجه عام ، « فإن الوعى الوطنى والإحساس بقضية الوطن والأمة قد ارتبطا منذ أول نشأتهما بالتجربة الأدبية التى غذى رجالها بقصائدهم وخطبهم ومقالاتهم الصحفية ذلك الشعور وغرسوه فى المجتمع من حولهم ، كما استمدوا منه جذور تجربتهم الأدبية وبخاصة فى مراحل الغليان الشعبى ، مما أثر سلبياً فى المراحل الأولى ــ الخمسينات مثلا ــ على المستوى الفنى للتجربة الشعرية فطبع معظم القصائد بطابع الخطابية والتقريرية والصراخ . » كما كتب الشاعر والباحث البحريني علوى الهاشمي فى كتابه « ما قالته النخلة للبحر ، الشعر المعاصر فى البحرين » (ص ٢٦ و ٢٧) .

لذا ظلت قضية الوطن المجال الأثير المعتد عبر دواوين قاسم حداد الشعرية ، التى بدأت بالسذاجة فى الرؤية والمباشرة والحماسة

قاسم حداد

من الخطابة والسذاجة إلى الرمز والعذوبة

والتقريرية . فقد « كانت الرؤية في (البشارة) رومانسية شفافة تتماشى وطفولة المرحلة الشعرية وبراءتها .. وفي (البشارة) ظل المنطلق الفكري ساذجاً .. » كما ذكر الناقد البحريني أحمد المناعي في تعريفه بالحركة الأدبية في البحرين . (مجلة الأقلام — عدد ابريل ١٩٧٥) .

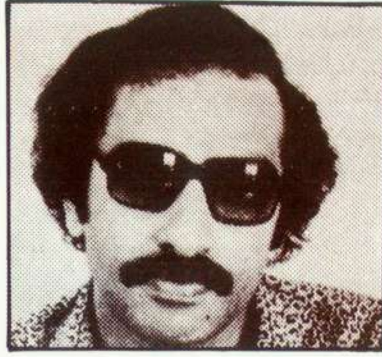
ولكن حرص قاسم حداد على تجاوز تجاربه الشعرية الأولى ، واقتران التزامه بقضية الوطن بالتجديد في إبداعه الشعري ، يتضح في رحلته الشعرية ابتداء من ديوانه الثالث « الدم الثاني » . فمع أن الصوت العالي بالغضب والثورة استمر في طرح التقريرية والحماسة في هذا الديوان ، الا أن الصور الشعرية والوعي الفكري والتراكيب المكثفة أخذت تغزو بدورها قصائده في محاولة واضحة لتجاوز بداياته الشعرية الأولى . فظهرت الصور المركبة من الألوان ومن طبيعة البحرين ، وقلت العبارات المسكوكة والكليشيهية ، وقل التفاؤل الساذج ، وتقاطر الحزن العميق في كلمات القصائد . ها هو ذا الشاعر يخاطب الوطن في قصيدة « الدم الثاني » التي منحت عنوانها لديوانه الثالث :

يا وطني المراق
كنت نهراً وشمس
تصعد فوق الهمس
كيف استحال صوتك الراعد كالهجوم
بحيرة يغرقها الوجوم
ولست وحدى . انها النجوم
والشجر الناعس فوق صدرها والعوسج المسموم
(ص ٢٣) .

هكذا يبدو الوطن الحزين في رؤية الشاعر ، لذا فهو يصرخ :

غيروا شكل أسماتكم
غيروا الشعر والخبز والعشب ولكن
دعوني أغني دمي . مرة قبل موتي
دعوني أوقع تاريخي المستهام ارتعاشاً
بصوتي (ص ٣٥)

أما الوطن العربي فهو « أغنية في الرماد » ، كما في قصيدته « غنفرينا . وأول الماء حلم » . لذا يرى الشاعر المدن تجسد الخجل والحزن ، فـ « في كل أرض لي الآن عاصمة للخجل ، وعاصمة للبكا » ، و « خليج من الثوم » . وهنا يعلو الصوت الخطابي المباشر قائلا : « وطن !؟ هذا انتظار مجرم ، هل يخرج التمثال من أحجاره السوداء » . وهكذا فالغضب والحماسة هما أبرز ما في قصائد ديوان قاسم حداد الثالث « الدم الثاني » . وحتى طرفة بن العبد ، الشاعر الجاهلي ابن البحرين ، يستدعيه الشاعر قاسم حداد ويضمن قصة حياته ومأساته



الشاعر الناقد البحريني علوى الهاشمي

هموم الوطن والشاعر المعاصرة ، في قصيدته « تحولات طرفة بن الوردة » ، فيقول وردة :

هذه بلاد ستخلع أبناءها واحداً واحداً
في الخفاء
ومازلت أعشق هذه البلاد التي قتلتني
مازلت أحملها كوكباً في قميصي (ص ٥٩)

ومع ذلك فإن الشاعر يتمسك بالوطن الذي قتله ويقدم له الهدايا ، لأنه يستمد وجوده من هذا الوطن ، فبعد أن يضمن القصيدة قصة الرسالة التي حملها طرفة بن العبد لوالي البحرين والتي أوصت بقتله ، يعلق عليها قائلا :

هكذا أخبرتني بلادي التي اسمها في
القصيدة
وأعطتني صوتي وألوان حبري
ولكنها شردتني
وحين التقينا قبلت جميع اعتذاراتها
وقلت احمليني يدا للهدايا الجديدة (ص ٧٠)

هكذا ينتقي قاسم حداد شخصية شاعر عربي عظيم ويحيي سيرته ويمزجها برؤيته وهمومه المعاصرة ، هذا الشاعر الجاهلي ، الذي أنكرته عشيرته ففارقها ولجأ مع خاله الشاعر الملتمس إلى ملك الحيرة ، ترددت حول مصرعه روايات متعددة . فيقول كرم البستاني ، في مقدمة ديوان طرفة ، انه كان يتيماً مسرفاً ماجناً ، وكان أيضاً شاعراً مبدعاً جميل العبارة والصورة ، وانه لما أنفق كل ما يملكه من ابل ، اتجه ، هو وخاله الشاعر الملتمس ، إلى عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، الذي كان يقصده الشعراء وينشدونه الشعر ، فأعجب ملك الحيرة بشعر طرفة وضمه إلى مجلسه ، غير أن طرفة لم يلبث أن استخدم شعره في التشبيب بأخت الملك وفي السخرية منه ومن زوجها . فدبر الملك لقتله هو وخاله الملتمس ، وبعث مع كل منهما برسالة إلى أبو كرب بن الحرث والي البحرين وطلب منه قتلهما . ويقال أن الملتمس قرأ رسالته بالطريق وطوح بها في النهر وغير طريقه إلى الشام . أما طرفة فإنه أصر على توصيل رسالته إلى والي البحرين ، ورفض أيضاً عرض والي البحرين بالهرب وصمم على البقاء بالسجن لأنه يرى ، فرفض والي البحرين بدوره أن ينفذ أمر الملك بقتله وطلب من الملك إيفاد رجل آخر ينفذه ، فعين ملك الحيرة واليا آخر على البحرين يدعى عبد هند ، نفذ أمر القتل في طرفة وفي الوالي السابق أيضاً . وثمة روايات أخرى عن مقتل طرفة بن العبد ، تختلف في التفاصيل وتتفق في مصرع طرفة بن العبد ويرى د . طه حسين ، في كتابه « في الأدب الجاهلي » ، أن قضية مصرع طرفة أسطورة ترددت في « طبقات ابن سلام » وأغاني الأصفهاني . (ص ٢٢٦) وقد حظي طرفة ابن العبد بمكانة في شعر قاسم حداد وسواه من شعراء البحرين المعاصرين .

ويظهر استخدام الألوان في قصيدته « زهرة الحزن » حيث يوجه الشاعر الأسئلة حول صورة الوطن المتغيرة : « وطني هذا أم العزبة أم قائمة البحر ؟! » ، « وطني هذا أم الدهشة في خارطة البحر استوت رملا ، لماذا » ؟! ويضيف :

هذا وطن لا يخجل الآن
من الألوان والصورة بالأسود والأبيض
هل يذكر ؟ هل تختلط الألوان
في عين بلادي ، هل أقول ؟ (ص ١٠٨)

قلب الحب

اذا كانت المباشرة والتأثر والخطابية قد تجاوزت مع الصور الشعرية واستخدام الطبيعة والألوان والتراث في ديوان الشاعر الثالث « الدم الثاني » ، فإنه قد استكمل تطوره الفني في ديوانه الرابع « قلب الحب » ، ففي هذا الديوان تكامت رؤيا الشاعر وظهرت لغته الخاصة ، وجاورت سيمفونية الألوان واللوحات التشكيلية العذوبة والرقة والتجديد في استخدام الكلمات . كما انفرد هذا الديوان بقصائد يعبر فيها الشاعر عن تجربته الشعرية ولحظات إبداعه الشعري وعن رؤاه أيضاً ، وقد تناولناها في السطور السابقة من هذه الدراسة ، فقصائد الديوان بالغة القصر والتكثيف والإيحاء والرقة والعذوبة والجمال . والوطن هو الحب والحبيبة ، وهو الموسيقى « السابحة في حليب أطفالنا ، والتي ننام ونصحو وهي ساهرة تحرس أيامنا » . (ص ١٦٠) والوطن في قصيدته « الهنا والهناك » حبيبة والحبيب هو الشاعر ، وهما لا يفترقان بالرغم من براعة الصور التي يستخدمها الشاعر لتصوير المفارقات بين وضع الحبيب وحالة الحبيبة ، ومع ذلك فإن الحب يجمعهما :

والليل الذي يجلد لياليهما واحد
سرير الحبيب ثلجة في صقيع الشتاء
وفراش الحبيب جمرة في تنور الصيف
هي هنا
وهو هناك
تعذبها انتظارات لا تحصى
وتلعب به هواجس وهموم كثيرة

لا يشكيان
لا يسأمان
لا يتعبان
فقط يواصلان الحب
هى هنا
وهو هناك (ص ١٠٦)

ولعل أعظم تصوير لرؤية الشاعر لوضعه ازاء الوطن وذكرياته وأوضاعه ، هو تصويره لنفسه فى زمرة العصافير الصغيرة ، ولكنها القوية والمبشرة . فبعد أن يسرد بكلمات مباشرة وواضحة الأشكال والأجهزة والعلاقات والجسور والقوى الكبيرة والكثيرة التى تفصل بينه وبين الوطن ، والمفارقة بين قوة التحديات وضخامتها وضآلة الشعراء ، العصافير الصغيرة ، يقول فى قصيدة « القمر الشتوى » ، مستخدماً الرمز البسيط الشفاف والعبارات الرقيقة الواضحة :

ونحن لسنا أكثر من عصافير صغيرة
صغيرة جداً
ولكن كلما ازدهر القمر الشتائى فى حدائقه
كلما صارت العصافير الصغيرة جداً
أكثر قوة من العنف والعسف
المتراكمين
ويواصل القمر فى الهطول . (ص ١٠١)

تطور رؤية الوطن

وتتطور رؤية الشاعر قاسم حداد للوطن مع تزايد دواوينه وثراء ثقافته ومعرفته وتجاربه ، فتكثر الأصوات السياسية والرؤى الاجتماعية ، وتقطر القصائد حكمة ولكنها تزداد تكثيفاً مع استخدام رموز الألوان والطبيعة والأطفال فى صوره الشعرية ، فهو فى قصيدته « مرآة لؤلؤة الوقت » ، يكشف الوطن فى صور الذين يعملون ويهزون الكون من الجذور ويخلقون الجمال ويضيئون الظلام الأسود ، إن هؤلاء العاملين على الأرض هم الذين يهزون :

جذور
الكون
الميت
يبنون جمال الكون الحى
أريك التوق الأحلى
الشوق الأعلى
فى الخطوة مندهش مرتعش أصغى وأجىء
أخذت بيدى
هذا الأسود عتم الأيام يضيء (القيامة ص ٣٦)

وفى قصيدته « مرآة الجسد » يصور الشاعر الوطن الميت وهو يحمله ويسير بحثاً عن رأسه التى يمكن أن ينهض معها ويغير الكون . ويستخدم الشاعر الخيال الفانتازيا فى تركيب صوره من مفردات الواقع والفكر :

هذا وطنى
أحمله وأسير وأبحث عن رأس أحمله
والرأس هناك هناك
فخذنى
هات الرأس أقوم وأقلب قاعات الكون
تقلص حتى كاد يصير قديداً
الفضة تحرسنى والريش الناعم يلمسنى
فأصير قوياً
والتابوت يلح
تعال تعال
فهذا التابوت سيحمل حياً وميتاً ويدور به
ويموت به
فالجسد الحى الميت وحش البشر الجائل فى
ليل الناس (القيامة ص ٤٩)

وفى قصيدته « اشراقات طرفة بن الوردة » ، من ديوانه السادس « انتماءات » ، يقدم رؤية مأساوية جميلة للوطن بلسان طرفة ، بعد أن يتغزل فى الوطن بأعذب الكلمات وأرقها ؛ فالوطن « حبيبة قلبى » ، وهو « أرض أجمل من كل الجنات » . ولكنه يذكر رحيله العاصف ذات مساء ووطنه « مختبىء فى الجسد المرضوض » ، يبحث عن الدفء ، فلم يجده سوى فى « ثقب صغير » سعى نحوه بكل آماله وطموحاته ، غير أنه وجد فيه المفاجأة الصادمة إذ كان ثقب بندقيته ؟!

وطنى فى اللهث
فى الخطوة نحو الثقب
كان الثقب باب الكون فى عينى
فألقيت بكل التعب الدهرى فى الركض
رأيت الثقب ماء
يا حبيبى
ما الذى يفعله العاشق مقتولا
سوى الرقص مع الموت المؤدى للحياة
واقتربت
الثقب فى عينى
ووحدى فى عيون الثقب
وحدى للحياة
ياحبيبى خلته ...
لكنه كان عيون البندقية
... وتناسيت البقية (انتماءات ص ٥٣)

شظايا

هكذا تقدم توظيف التراث وإحياء وبعث الشخصيات التراثية واستخدامها فى تقديم رؤى معاصرة تضيء الحاضر ، كما فعل قاسم حداد مع طرفة بن العبد فى ديوانه « انتماءات » . وفى ديوانه السابع « شظايا » تمكن الشاعر من ابداعه الخاص ، وأخذ يثق بقدراته وطريقه ورؤاه ، فتجنب الإطالة والسرد واتجهت قصائده إلى التركيز والقصر والتكثيف الشعرى الموحى ، ومضت نحو الكشف الجديد والخلق والبوح بأقل عدد من الكلمات ، حتى لا تتعدى بعض قصائد هذا الديوان كلمات معدودة ولكنها ثرية الأبعاد والايحاءات .

وتستمر فى هذا الديوان ، « شظايا » ، الرؤية المأساوية للوطن ، فالشاعر يظل يتساءل بألم « النوارس المذبوحة » فى قلبه عن وطنه . ويصور الشاعر دم النوارس يصبغ ثيابه فى قصيدة جميلة ومؤثرة تحمل اسم « النوارس » ، ولكنها تتساءل مع الشاعر عن ماهية الوطن وهويته بمفردات تمتزج فيها الطبيعة والألوان بالرؤيا :

هل أنت وطنى ؟
لست فى ريبة ولا فى ثقة
ولكن النوارس المذبوحة فى قلبى
لا تقدر أن تنام
تظل مرعوشة تنتفض وترهش
فتصبغ ثيابى بأرجوانها
لا تخجل النوارس من ذبحها
لم تكن فى ريبة ولا فى ثقة
ولكنها كانت تسأل
هل أنت وطنى ؟
تلك النوارس المذبوحة فى قلبى
والتى لا تنام
ماذا أقول لها لكى تهدأ فى الذبح؟
(شظايا ص ٢٤ و ٢٥)

ومع ذلك فإن الشاعر لا يكف عن عشق الوطن ، لأنه يمده بماء الحياة وصلابة النخل ودفء الانتماء ، وذلك فى أحدث قصائده وأطولها ، « يمشى مخفوراً بالوعول » ، إذ يقول :

اطمئنى انه وطنى
سينسى غدره اليومى يوماً
قلت : لا تستعجلى موتى فهذا النخل يعرفنى
عقدت بكاحليه الخيل يوماً
كنت مضطربا طريدا شارداً
والماء ينقصنى
فأعطانى عباءته وكوخاً دافئاً

وبعد ، هذا هو قاسم حداد ، شاعر البحرين الذى يعشق الوطن ، وتشكل كتاباته ودواوينه تنويعات على لحن الوطن والتزامه بقضايا الحرية والعدالة والقومية ، ولا يتسع المجال للتناول النقدى والموضوعى لأعمال الشاعر كلها لغزارتها وغناها المشحون بالإيحاءات والدلالات ، حسبى أن أشرت إلى تطوره الفنى والموضوعى وإلى قضيته المحورية وعشقه الأثير ومفتاح فهمه : الوطن ، إذ تستهدف هذه الدراسات كشف مناطق مجهولة فى الأدب العربى المعاصر والتعريف بمبدعيه .

أحمد محمد عطية

عرب ١٩٤٨ في إسرائيل

قنبلة موقوتة

بقلم: عصــام شريــح



« الإناء ينضح بما فيه » هكذا يقول المثل العربي ، وهذا هو بالضبط واقع الحال بالنسبة للصهيونية ، فهذه العقيدة التي تبدو العنصرية أحد أهم سماتها ، لا تكف عن إفراز الظواهر العنصرية المختلفة ، سواء على صعيد الفكر والتنظير ، أو الفعل والممارسة ، ولعل المدهش في هذه الظواهر ، أنها لا تقتصر على الحاخامات رجال الدين ، الفئة الأكثر تحجراً في الحركة الصهيونية فحسب وإنما تشمل جميع قطاعات وفئات الاسرائيليين ، وبصورة خاصة قطاع المثقفين ، الذين يستخدمون ثقافتهم ، لتغذية العنصرية الصهيونية ، وتعميمها على « المجتمع » اليهودي .

وفي هـــذا النطـاق ، يبرز أمامنـا البروفسور « أرنون سوفير » ، كأحد هؤلاء المثقفين ، الذين ينظرون للعنصرية الحاقدة على العرب ، والمنادية بتصفية عرب فلسطين (١٩٤٨) بشكل أو بآخر ، بدعوى التخلص من خطر كامن يهدد مستقبل الـكيان الصهيوني .

قنبلة موقوتة

يحاول البروفسور أرنون سوفير ، وهو « مستشرق » ، أن يضفي على دعوته العنصرية المكشوفة ، سمة البحث العلمي ، بالاعتماد على الاحصاءات الاسرائيلية الرسمية ، والاحصاءات المقارنة في البلدان مثل الصين ومصر ، لاخفاء الحل « الهمجي » الذي يخلص اليه من دراسته لأوضاع عرب فلسطين (١٩٤٨) ، ويبادر سوفير أولاً إلى دق ناقوس الخطر ، محذراً مما يصفه بالقنبلة الموقوتة داخل « اسرائيل » ، ويحدد مكونات هذه القنبلة المزعومة ، بأنها : التكاثر الطبيعي المذهل لعرب ١٩٤٨ ، والمساحة الجغرافية الواسعة التي يحتلونها ، ثم إرتفاع معدل الثقافة والتعليم بينهم ، اضافة إلى حالة الاحباط التي يعيشها العرب ، والناجمة عن تمسكهم الشديد بقوميتهم العربية ، واعتبار فلسطين وطنهم الخالد .

وكعادة جميع العنصريين الصهاينة الذين كتبوا حول موضوع عرب عام ١٩٤٨ ، فان سوفير يلجأ إلى التنبيه والتحذير من الأخطار التي يحملها المستقبل في طياته بسبب تنامي عدد العرب وتزايد قوتهم ، ويقول إن عرب عام ١٩٤٨ ، يحتلون المكانة الأولى في العالم ، في مجال التكاثر الطبيعي ، حيث تبلغ نسبة الولادات بينهم أربعة ونصفاً بالمئة ، وترتفع إلى خمسة بالمئة بين البدو ، أي بمعدل ٤٥ حالة ولادة لكل ألف نسمة .

ولاضفاء السمة العلمية والموضوعية على حديثه ، كما قلنا ، فان البروفسير سوفير يلجأ إلى الاحصاءات المقارنة ، التي توضح كما يقول ، أن نسبة التكاثر الطبيعي في الصين ، تبلغ ٢ بالمئة ، وفي مصر ٢,٥ بالمئة ، وفي « اسرائيل » ١,٥ بالمئة ، وهذا يعني أن هذه النسبة بين الفلسطينيين تبلغ ضعف النسبة في كل من مصر والصين ، وأكثر من ذلك بكثير من نسبتها بين الاسرائيليين . ويضيف إلى هذا ، أن نسبة الوفيات بين اليهود أكبر منها بين الفلسطينيين ، حيث تبلغ هذه النسبة بين الاسرائيليين سبعة بالألف ، فيما هي بين الفلسطينيين أربعة بالألف فقط . ويستنتج سوفير من هذه الاحصاءات المقارنة ، أن نسبة الولادة بين عرب ١٩٤٨ أكبر من نسبة الوفيات ، مما يعني أن العرب يتمتعون بنسبة تكاثر طبيعي لا مثيل لها في العالم .

ولا ينسى سوفير أن يضيف إلى تحذيراته « !! » ظاهرة أخرى تزيد من خطورة المشكلة ، وتتمثل في نسبة الصبيان والصبايا والشبان والشابات ، المرتفعة جداً بين العرب ، ويقول في تحليل هذه الظاهرة ، إن نسبة الأولاد حتى سن الرابعة عشرة في المجتمعات البشرية في عالمنا المعاصر تبلغ ٣٠ بالمئة تقريباً ، بيد أنها بين عرب ١٩٤٨ ، تبلغ ٥١ بالمئة ، فاذا أضفنا إلى هؤلاء الأولاد ، الشبان بين سن الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، فان هذه النسبة بين الفلسطينيين ، تصل إلى ٦٠ بالمئة ، وهذا يعني أن ثلثي عرب ١٩٤٨ ، هم من الصبيان والصبايا والشبان



المستشرق الصهيوني: آرنون سوفير



الفلسطينيون في «الجليل»: هذه بلادنا .. ولن نتركها ما دام فينا عرق ينبض

● نسبة التكاثر الطبيعي بين عرب ١٩٤٨ هي أعلى نسبة في العالم
● الشباب يمثلون ٦٠٪ من السكان العرب
● تصفية عرب ١٩٤٨ جسديًّا قضية لن يسمح بها أحد

والشابات .

ويضرب المستشرق الصهيوني مثلاً على ذلك ، فيقول ان في قرية «سخنين» بمنطقة الجليل ، والبالغ عدد سكانها ١٥ ألف نسمة ، ٧٥٠٠ طفل وصبي حتى سن الرابعة عشر ، وهذا يعني أن نصف سكان هذه القرية موجودون في مؤسسات التعليم المختلفة ، من رياض الأطفال إلى المدارس الثانوية ، وهذه حالة فريدة من نوعها في العالم ، ومع أن سوفير لا يستبعد انخفاض نسبة التكاثر الطبيعي بين العرب في المستقبل ، بحيث يؤدي ذلك إلى خفض نسبة العرب إلى الاسرائيليين إلى ١ ـ ٦ بدلا من ١ ـ ٥ ، فانه يوضح ، مستعيناً بتقديرات مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي ، أن عدد العرب في فلسطين المحتلة (عرب ١٩٤٨) ، سيقفز في عام ١٩٩٨ إلى مليون ومئتي ألف نسمة ، بالمقارنة مع ٧٣٠ ألف نسمة حالياً ، وقال إن العرب يتضاعفون مرة كل ١٥ ـ ١٦ سنة ، فقد كان عددهم في عام ١٩٤٨ حوالي ١٦٠ ألف نسمة ، وفي عام ١٩٦٦ ، قفز العدد إلى ٣٠٠ ألف نسمة ، وفي عام ١٩٧٨ ، تضاعف العدد ليبلغ ٦٠٠ ألف نسمة ، (أما آخر احصاء في عام ١٩٨٠ ، فقد أظهر أن عدد العرب في فلسطين المحتلة قد بلغ ٧٣٠ ألف نسمة) .

القرى العربية

ويحذر البروفسور سوفير كذلك من نمو القرى العربية وتزايد عددها واتساع نطاقها وتحول البعض منها إلى مدن كبيرة ، ويقول ، إن مراكز التكاثر الطبيعي الكبرى للعرب ، تكمن في القرى ، التي تضم ألوف السكان ، ويضرب مثلاً بقرية سَخنين ، مشيراً إلى أن عدد الولادات السنوي في هذه القرية يبلغ خمسمئة طفل ، وهكذا ارتفع عدد سكان هذه القرية من ٢٥٠٠ نسمة في عام ١٩٤٨ عندما اغتصبت فلسطين ، إلى ١٥ ألف نسمة حالياً ، أما قرية ترشيحا (معلوت بالعبرية) ، فتضم حالياً ستة آلاف نسمة ، وهي تعتبر قرية عربية متوسطة من حيث نسبة السكان ، في حين أن عدد سكان قريتي «تمرة» و«سخنين» أكبر من عدد سكان مدينة «صَفَد» . ويشير البروفسور سوفير إلى مدينة «الناصرة العليا» «نتسريت علييت» المجاورة لمدينة الناصرة العربية ، والتي أقيمت في عهد دافيد بن غوريون أول رئيس للوزراء في الكيان الصهيوني ، أي في الخمسينات ، فيقول بأن «الناصرة العليا» التي أنشئت لتكون مدينة يهودية صرفة ، قد أصبحت اليوم مدينة محاصرة ومخنوقة بالانتشار السكاني العربي فيها ، والناجم بشكل أساسي عن التكاثر الطبيعي للعرب ، ويضيف أن ثمانين الف عربي انتقلوا للسكن في الناصرة العليا منذ انشائها . أما قرية «كفر كنا» فان عدد سكانها يبلغ اليوم حوالي ١٠٠ ألف نسمة ، ويقول سوفيى كفر كنا» المكتظة بالفلل والكراجات وأماكن الصناعات المختلفة ، ليست قرية ، وانما هي مدينة كبيرة ، بل وأكثر من ذلك فانها تبدو وكأنها عاصمة عربية في منطقة الجليل .

ومما يثير حفيظة سوفير وحقده على عرب الجليل ، التماسك السائد بينهم ، ولذلك فهو يقول أن التماسك العربي البارز في خارطة منطقة الجليل ، يجب أن يثير قلق كل مراقب في «اسرائيل» ، «فكل قافلة يهودية ، تضطر للسير من «الخضيرة» نحو الشمال (منطقة الجليل) ، عن طريق قرية «أم الفحم» وضواحيها ، والتي يبلغ عدد سكانها ٦٠ ألف نسمة ، ستضطر للمرور عبر سلسلة من المدن والقرى العربية ، تبدأ من كيبوتس بركائي ، وتنتهي بالقرب من كيبوتس مجدو» .

دور البدو

ويشير آرنون سوفير ، إلى أن للبدو الفلسطينيين دوراً كبيراً في عملية الانتشار السكاني العربي ، حيث يوجد في منطقة الجليل وحدها حوالي ثلاثين ألف بدوي ، يسيطرون على نصف منطقة الجليل الأدنى ، كما يشير بتهكم إلى وجود قرية عربية اسمها «بيت زرزير» ، بالقرب من قبر موشى دايان ، تبلغ مساحتها نفس مساحة مدينة نهاريا .

وما يقال عن انتشار البدو الفلسطينيين في منطقة الجليل يقال أيضاً في نظر المستشرق الصهيوني ، عن الانتشار البدوي في منطقة النقب ، التي يحتلون معظم أجزائها حسب قوله ، في المنطقة الواقعة بين «عراد» و«بئر السبع» ، وحتى المنطقة الواقعة إلى الشمال من مستوطنة «مشمار هانيغف» ، يعيش حوالي خمسين ألف عربي من البدو ، ويسكنون منطقة توازي بمساحتها نصف مساحة منطقة الجليل .

المستوطنات والمدن أيضا !!

وتكاد مخاوف البروفسور سوفير من التكاثر الطبيعي لعرب عام ١٩٤٨ وانتشارهم في أنحاء بلادهم ، لا تتوقف ، فمن مخاوفه من الانتشار العربي في القرى ، إلى انتشار البدو الفلسطينيين ،

عرب ١٩٤٨ في إسرائيل
قنبلة موقوتة

ينتقل إلى التحذير من انتشار العرب أيضاً في المدن والمستوطنات التي يسكنها اليهود ، وقد أشرنا إلى تحذيراته من الانتشار العربي في مدينة الناصرة العليا ، ويضيف اليها أيضاً مدينة عكا ، لكنه يقول إن هاتين المدينتين ليستا المكانين الوحيدين اللذين يسكن فيهما العرب إلى جانب اليهود ، فهناك حوالي مئة مدينة ومستوطنة يهودية ، تضم أقليات عربية ، من ضمنها مدينة صفد ، ومستوطنات « يعره » وَ « بتيح تكفا » وَ « ريشيون ليسيون » ويعرب سوفير عن اعتقاده ، بأن العرب سيكونون في نهاية القرن الحالي ، متواجدين في جميع المستوطنات اليهودية ، باستثناء الكيبوتسات (المزارع الجماعية) .

أما في القدس ، فيقول أرنون سوفير إن هناك مشكلة ضخمة تثير الخوف فعلاً ، حيث يجري تسابق بين العرب واليهود في مجال التكاثر الطبيعي ، مشيراً إلى أن العرب في القدس كانوا بعد عام ١٩٤٨ ، حوالي تسعين ألف نسمة ، أما الآن فان عددهم يربو على نصف مليون نسمة ، وبالطبع فان تكاثر العرب يمنحهم شعوراً بالقوة والثقة بالنفس ، يضيف سوفير إلى ذلك عنصراً آخر لصالح العرب ، هو انتشارهم في مساحة من الأرض كبيرة نسبياً ، ويستدل على ذلك بسيطرة العرب على معظم أراضي منطقة الجليل ، وهذه السيطرة ستفرض تلقائياً ، ضغوطاً من العرب من أجل الحصول على الحكم الإداري الذاتي ، أو على الاستقلال .. وهذا التطور في رأي سوفير غير مستبعد .

البركان العربي

ويحذر البروفسور أرنون سوفير أخيراً من أن التكاثر الطبيعي لعرب ١٩٤٨ ، والذي يتم أمام نظر الاسرائيليين وسمعهم ، والذي يواجه بالاهمال على حد زعمه ، انما ينطوي على قوة هائلة للعرب تشبه قوة البركان ، خاصة وأن وضع العرب التعليمي والثقافي سيكون مساوياً لوضع اليهود في هذا المجال بعد جيل واحد ، وما يسميه سوفير « ببراكين الأقليات » ، موجود في أكثر من مئة دولة ، لكنه يحذر من أن وضع الأقلية العربية في « اسرائيل » خطير ، لأن هذه الأقلية تتمتع بثقافة وروح قومية متميزتين ، ووضع عرب ١٩٤٨ شبيه بوضع الأقليات الموجودة في ايرلندا ولبنان ويوغوسلافيا ودول أخرى ، ويقول : « اننا نشهد الآن الكفاح الذي تقوم به هذه الأقليات من أجل الحصول على تأكيد هويتها واستقلالها » .

الحل ! !

وبعد أن ينتهي سوفير من عرض مشكلة « القنبلة الزمنية العربية » يعود ليطرح الحل من وجهة نظره ، لنزع فتيل هذه القنبلة ، فيدعي أنه لا يرمي من وراء كلامه عن هذه « القنبلة » ، إثارة الاسرائيليين ودفعهم إلى القيام بعمل عنيف لطرد العرب من « اسرائيل » ، وانما ايجاد حل مقبول للمشكلة ، ويستعرض سوفير عدة حلول قبل أن يخلص إلى الحل الذي يبدو ممكناً من وجهة نظره .

وهذه الحلول تتلخص في حل ينادي بابادة وطرد العرب ، وحل آخر يدعو إلى اجبار العرب على الاندماج بشكل كامل في الكيان الصهيوني ، وحل ثالث يدعو إلى فرض « سياسة القبضة الحديدية » ضد الأقلية العربية ، (هذه السياسة مفروضة منذ اغتصاب فلسطين في عام ١٩٤٨ وحتى اليوم) ، ويعرب سوفير بأن هذه الحلول الثلاثة غير عملية ، ولا يمكن تطبيقها على الأرض ، فبالنسبة لطرد العرب أو تصفيتهم جسدياً ، فان هذه العملية يجب أن تتم بشكل كامل وإلا فلا ! ! ، ويقول انه حتى لو شاء الاسرائيليون تصفية عرب ١٩٤٨ جسدياً ، فان ذلك يبدو حلاً غير عملي وغير ممكن ، لأن اسرائيل مدينة بملايين الدولارات للولايات المتحدة (الأصح بمليارات الدولارات) ، ولدول أخرى ، ولا أعتقد بأن هذه الدول ستوافق على خطة الطرد أو الإبادة ، كما أنه يمكن استخدام العديد من الوسائل ضدنا ، اضافة إلى أنه لا يجوز للاسرائيليين أن ينسوا ردود الفعل التي صاحبت مذابح صبرا وشاتيلا في عام ١٩٨٢ » ! !

أما بالنسبة للحل الثاني « عملية الدمج » في « المجتمع اليهودي » ، فيعرب البروفسور سوفير عن اعتقاده بأنها غير عملية اطلاقاً ، ولا مجال للغوص فيها . وبخصوص سياسة « اليد القوية » أو سياسة العصا والجزرة ، فان هذه السياسة قد جرى تجريبها لمدة طويلة ، كما يقول البروفسور ، وقد أثبتت عدم جدواها .

ويشير إلى ما يطالب به البعض « الحاخام كهانا مثلاً » ، من ضرورة ممارسة ضغط على عرب ١٩٤٨ ، حتى يرحلوا مختارين من فلسطين ويقول أن العكس هو ما يحدث ، حيث « نشهد باستمرار ومنذ عام ١٩٤٨ ، هجرة الشبان اليهود الذين ولدوا في « اسرائيل » ، إلى نيويورك ، ليعملوا هناك سائقي أجرة في حين أن العرب صامدون ، واذا غادر البعض منهم ، فان ذلك يكون للدراسة في دول أوروبا الشرقية ، حيث يرسل حزب « راكح » المئات منهم إلى تلك الدول ، ثم يعودون ثانية . »

وبعد هذا التفنيد اليائس من جدوى هذه الحلول ، يطرح البروفسور سوفير الحل الذي يراه ، وهو يتلخص في التعايش بين اليهود وعرب ١٩٤٨ « بسلام كامل » ، ومن أجل أن يحدث هذا ، يقول انه يتعين على الاسرائيليين أن يكونوا أقوياء جداً من الناحية العسكرية ، كما يتوجب جعل « اسرائيل » نموذجاً لما يصفه بالحياة اليهودية » ، لكي تتمكن من اجتذاب يهود الشتات اليها ، كما يقترح العمل على تحسين المستوى الاقتصادي للعرب ، والحفاظ على مستوى حياة مرتفع لهم ، « حتى نزرع فيهم الاحساس بوجود ما يمكن أن يخسروه » ويطالب بمنح العرب كذلك الشعور بأن اليهود ، لا ينوون اجتثاثهم » .

بيد أن هذا الحل ، الذي يحاول فيه البروفسور سوفير إخفاء الحل الحقيقي الذي رمى اليه من وراء وصف العرب بالقنبلة الزمنية والبركان الذي سينفجر في « اسرائيل » كما انفجر في بلدان ذات أقليات متميزة كايرلندا وقبرص وغيرها .. سرعان ما يتهاوى ، عندما طالب بتهويد منطقة الجليل ، وبذل مساع جديدة في هذا السبيل بعد أن فشلت جهود مماثلة خلال السنوات الثلاثين الماضية ، وعندما طالب بتهويد منطقة غور الأردن ، وإسكان أعداد كبيرة من اليهود في هذه المنطقة ، حيث سيساهم استيطان هذه المنطقة من مستوطنة « المطلة » شمالاً إلى ميناء « إيلات » جنوباً ، في رفع الكفاءة « الدفاعية » عن « اسرائيل » ، وتخفيف الازدحام في منطقة الشريط الساحلي ، وتقليص الاحتكاك مع عرب ١٩٤٨ » .

واقعية سوفير الكاذبة

أخيراً لابد لنا من القول ان هذا الصهيوني الذي يحاول التمسح بالعلم والمنطق ، والحلول الوسط ، انما يدعو في الواقع إلى تصفية عرب ١٩٤٨ ، ولكن من ضمن منهج مدروس ، ومخطط يأخذ في اعتباره الفرص المناسبة لذلك . وما يفضح هذا التوجه العدواني والعنصري لدى أرنون سوفير ، هو دعوته لجعل « اسرائيل » نموذجاً للحياة اليهودية ، من أجل اجتذاب يهود الشتات ، ودعوته كذلك إلى تكثيف الاستيطان في منطقة الغور ، والعمل بشكل جاد لتهويد الجليل ، فمثل هذه السياسة ، أي اجتذاب يهود الشتات ، وعملية التهويد ، من شأنها مصادرة أراضي العرب ، وتضييق مجالات الحياة أمامهم ، ودفعهم بالتالي إلى النزوح عن وطنهم ، أما مسألة التعايش السلمي التي يبشر بها البروفسور بعد كل تلك المقدمات العنصرية عن القنبلة الزمنية التي يشكلها عرب ١٩٤٨ في جسم « اسرائيل » ، فحديث خرافة يا أم عمرو » .

عصام شريح

بقلم : الدكتور محمد البهي

سبيل الله

إن المتتبع لآيات الله فى كتابه الكريم ، فيما عبرت به هذه الآيات : عن « سبيل الله » .. يجد : أن الكفر بالله وعدم الإيمان به ابتعاد عن سبيل الله . « أم تريدون أن تسألوا رسولكم ، كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » (١) .. فالآية قد جعلت تحدى الماديين الوثنيين بمكة على عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — لرسالته ، وكفرهم بوحدانية الله ، ضلالاً وانحرافاً عن سواء السبيل . وسواء السبيل — أو السبيل السوى المستقيم — هو سبيل الله.

.. ويجد أيضاً : أن اتباع هوى النفس وشهوتها ضلال وبعد أيضاً عن سواء السبيل . ففى نداء الله لداود عليه السلام بقوله : « ياداود : انا جعلناك خليفة على الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (٢) .. ففى نداء الله هذا : يربط بين اتباع الهوى والضلال عن سبيل الله .. أى يربط بين السلوك الأنانى ، والانحراف عن الخط المستقيم الذى هو سبيل الله .

... ويجد كذلك : أن الشرك بالله وجعل أنداد له ، ابتعاد عن سبيل الله : « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار .. الى أن يقول : وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله ، قل تمتعوا فإن مصيركم الى النار » (٣) .

.. ويجد أيضاً : أن اتباع الظن والكذب فى السلوك والمواقف ، انحراف عن سبيل الله « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون الا الظن ، وان هم الا يخرصون » (٤) .. فإذ ينهى الرسول عليه السلام عن مخالفة كتاب الله الى رأى اتباع الناس مهما كثر عددهم ، فإنما يربط بين رأيهم ، واتباع الظن أو الكذب فيه . واتباع الظن أو الكذب هو تجنب للصراط السوى ، وهو صراط الله .



وهكذا : الكفر بالله ، واتباع الهوى والانانية .. والشرك بالله .. واتباع الظن أو الكذب : انحراف وابتعاد عن سبيل الله وسبيل الله إذن هو : سبيل الهداية ، وسبيل الايمان ، وسبيل التضحية من أجل الايمان ، وسبيل المصلحة العامة .

سبيل الله هو السبيل الانسانى المهذب الذى يرتفع فيه الانسان فى معاملة الآخرين عن : النفاق والانتهازية ، وعن الأنانية والاستغراق فى الشهوات والمتع المادية ، وعن التخمين والتصورات التى قد لا تصيب الواقع . والذى يسلك سبيل الله هو : من يحب غيره كما يحب نفسه .. وهو من يصارح غيره ويكون مرآة له يرى فيها عيوبه .. وهو من يتبع العلم واليقين فى مواقفه من الآخرين .. وهو — قبل ذلك كله — من يؤمن بالله وحده ، دون أن يشرك معه أحداً سواه : فى الاحترام ، والتقديس ، والعبادة . اذ من يؤمن بالله وحده لا ينافق انساناً آخر معه ، ولا يخدعه ، ولا يؤثر ذاته بالحب وحدها ، دون الآخرين فى محيط وجوده .

سبيل الله هو : هداية الله التى سجلها فى كتابه الكريم ، وأوحى به الى رسوله محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .. هو رسالة الإسلام ، الذى هو السلام بين الناس على هذه الأرض .

هوامش :

(١) البقرة : ١٠٨ .
(٢) ص : ٢٦ .
(٣) ابراهيم : ٢٨ — ٣٠ .
(٤) الانعام : ١١٥ — ١١٦ .

كثيراً ما نظــرت إلى المرآة ، وحسبت أننى أرى فيهـــا أخى

توائم متطابقة وتوائم بالجملة

بقلم : د. عبد المحسن صالح

في استهلال الحديث عن التوائم المتشابهة والمتطابقة تماماً ، قد لا نجد ما هو أصدق مما عبر به توأم عن شقيقه التوأم بقوله « كثيراً ما نظرت الى المرآة ، وحسبت أننى أرى فيها أخى » .. وهو ــ في الواقع ــ تعبير دقيق قد لا يدركه الا العلماء الذين يعرفون الأصول الوراثيـــة التى جاء على أساسها مثل هؤلاء التـــوائم ، حتى كأنما هى طبعات متقنة ومشتقة من أصول واحدة ، فلا يختلف فيها حرف ، ولا تتفاوت بينها كلمـــة أو جملة أو فقرة ، أى كأنما التوأمان ــ باختصار شديد ــ اثنان في واحد ، أو واحـــد في اثنين .. وبحيث يصعب التمييز بينهما ظاهراً وباطناً ، والظاهر هو ما يراه الناس ، والباطن هو ما يراه العلماء على مستوى الشفرات الوراثية ، والجزيئات البروتينية ، والأنسجة الأساسية ، والطباع والمزاج والذاكرة والصوت .. الى آخر هذه الصفات التى درسها العلماء دراسة وافية ، ووصلوا فيها الى حقائق غريبة ، سوف نتناولها في هذا المقال .

ان قائل العبارة السابقة هو الكاتب الشهير مصطفى أمين في ذكرى مرور تسع سنوات على وفاة أخيه التوأم علي أمين ، وهما من مشاهير التوائم المتطابقة التى أربكت الناس ، وأحدثت مفارقات مثيرة ، لصعوبة التمييز بين الاثنين ، ولهذا يذهب مصطفى أمين الى وصف ذلك بقوله : « كان من الصعب على غير المقربين منا أن يفرقوا بيننا ، بل كانت أمنا لا تستطيع أن تفرق بين أصواتنا ، وفي بعض الأحيان كنا نجلس صامتين ، ومع ذلك كانت عيوننا تتكلم ، ويجرى بيننا حوار بلا صوت .. ودرس في انجلترا ، ودرست في أمريكا ، ومع ذلك كانت أفكارنا واحدة ، لا نختلف في أدق التفاصيل ، وكنت أذهب وحدى الى الترزى وأختار القماش لبذلتى ، ويذهب هو وحده ويختار القماش الذى يعجبه ، فاذا بنا نختار نفس القماش ونفس اللون ، وكان هذا الاتفاق العجيب يسبب لنا حرجاً ، ويحدث أن نذهب الى مكان واحد ونحن نرتدى نفس البذلة ، وكان هذا يثير ضحك الناس .. وكان المحررون يدخلون مكتبى



شكل (١) أشهر توأمين متطابقين أو متماثلين في عالمنا العربى : الكاتبان الصحفيان مصطفى وعلى أمين ، فلقد بلغ من دقة التشابه بينهما صعوبة التعرف عليهما ، إلا من المقربين منهما.

ويسألونني رأيي ، ثم يذهبون الى أخي ويسألونه رأيه ، فاذا كل واحد منا يجيب نفس الاجابة ، ويصدر نفس القرار .. وكانت بيننا صلة روحية غريبة . كان هو تلميذاً في فصل وكنت تلميذاً في فصل آخر ، واذا ضربني المدرس بكى أخي ، وهكذا كنا نتخاطب من قارتين مختلفتين ، وكأننا نجلس معاً في نفس الغرفة .. كان على أمين هو نصفي الثاني بل نصفي الأول » ! (شكل ١) .

وقد يبدو أن هذا الوصف مبالغ فيه ، إذ قد يصعب على العقل أن يتقبل أن التطابق في التكوين الخلقي قد يتأسس عليه أيضاً تطابق في الشعور والوجدان والأفكار ، ومع ذلك فلا يجب أن نتسرع في الحكم ، لأن الدراسات التي أجراها العلماء على مثل هذه الحالات توضح ظواهر غريبة ، بل أغرب مما كنا نتصور .

أصول التوائم المتشابهة وغير المتشابهة

وقبل أن نعرض تلك الظواهر ، كان من الأوفق أن نسرد شيئاً عن الأصول التي اشتقت منها التوائم ، فلاشك أن ذلك سوف يساعدنا على تقبل أنماط التطابق أو التماثل بين الشكل والمضمون في حالة التوائم المتشابهة تماماً ، ويعني ذلك أن هناك أنماطاً من التوائم التي تأتي غير متشابهة في الشكل أو الجنس ، كأن يأتي أحدهما ذكراً ، والآخر أنثى ، ولهذا يختلفان بقدر ما يختلف الأخوة والأخوات في العائلة الواحدة ، ومن ثم يمكن التمييز بينهم .. لكن مما لاشك فيه أن الفرق بين التوائم المتماثلة وغير المتماثلة يتحدد بدايةفي عمليات الاخصاب .

فبداية التوائم غير المتماثلة تنشأ من إفراز بويضتين أو أكثر في نفس الشهر ، ولنفس الأنثى ، ولهذا اذا حدث الاخصاب ، فان كل بويضة تستقبل حيواناً منوياً ، ويؤدى ذلك الى « سبيكة » وراثية تختلف في تفاصيلها عن أية سبيكة وراثية أخرى ، فينتج عنها أجنة مختلفة كذلك ، ومن الميسور التمييز بينها ظاهراً (شكل ٢) وباطناً ــ أى على مستوى البروتينات وفصائل الدم ، وزراعة الأعضاء ، هذا بخلاف التوائم المتماثلة التي تنشأ من بويضة واحدة ملقحة بحيوان منوى واحد ، وعندما تنقسم هذه البويضة الملقحة ، يحدث ــ لأسباب غير معروفة تماماً ونعبر عنها بأنها صدفة ــ أن تنفصل خليتان أو مجموعتان من الخلايا القليلة ، وتصبح إحداهما مستقلة عن الأخرى ، ويؤدى ذلك الى تكوين جنينين متماثلين يتغذيان من مشيمة واحدة ، وكأنما هما طبعتان متفقتان من نسخة واحدة أصلية ــ هي الخلية الملقحة التي اختلطت فيها صفات الأبوين وتناسقت ، فاذا حدث وانشقت الى بداية جنينين ، فان هذا التناسق المتقن يصبح « مبرمجاً » فيهما ، وعندئذ يترجم الى صفات وراثية متماثلة ، وكأن التوأمين





شكل (٢) يظهر الاختلاف واضحا بين هذين التوامين في الصورة العليا ، لأن بداية كل منهما كانت بويضة مستقلة وتلقحت بذاتها ، فاختلفت في مضمونها الوراثي عن الخلية الأخرى ، لكنهما تحملان ــ بطبيعة الحال ــ صفات الأبوين (نصفها من الأب ، ونصفها من الأم) ، وفي الصورة الثانية تشابه التوأمان تماما في كل الصفات ، لأنهما نشأتا من بويضة واحدة أى من أصل واحد !



كلما اتجهت من البلاد الباردة إلى البلاد الدافئة ينقص احتمال ولادة التوائم !

توائم متطابقة وتوائم بالجملة

كيان واحد ، أو كأصل وصورته أمام مرآة (شكل ٢ ب) .

هذا .. ومعدل وفود التوائم عموماً الى الحياة (أى التوائم المتشابهة وغير المتشابهة) يقع تقريباً فى حدود حالة بين كل مائة حالة ولادة ، (وفى قول آخر حالة بين ٨٠) أى حوالى عشرة من بين كل ألف .. ثلثاها توائم غير متشابهة ، والثلث متشابهة فى كل الصفات ، بداية من الشكل العام ، ونهاية بالصفات الدقيقة التى تظهر على بصمات الأصابع (شكل ٣) ورائحة العرق ذاته ، لدرجة أن الكلب البوليسى المدرب على اقتفاء الأثر يرتبك فى التمييز بين توأم وشقيقه المتماثل ، فلا يستطيع الفصل بينهما ، وهذا ينبئك أن العمليات الفسيولوجية والكيميائية فيهما واحدة .. ومما يؤكد ذلك أيضاً أنه يمكن نقل نسيج أو عضو من أحد التوأمين ، وزراعته فى التوأم الآخر ، وعندئذ يتقبله الجسم ولا يلفظه ، وكأنما الدم دمه ، واللحم لحمه ، والبروتين بروتينه ، وهو بالفعل كذلك ، لأن الأصول الوراثية واحدة !

وهناك ــ بطبيعة الحال ــ حالات ولادة لأكثر من توأمين ، لكنها أكثر ندرة ، فمجيء ثلاثة توائم يقع فى حدود مرة واحدة بين كل عشرة آلاف حالة ولادة ، وأربعة بين كل مليون ولادة ، وخمسة بين كل مائة مليون ، وستة فى كل ١٠ بليون ولادة .. وفى مثل هذه الحالات ، تتعدد وتتباين الاحتمالات ، فلو أن سيدة وضعت ثلاثة توائم ، فمن المحتمل أن تكون الثلاثة غير متماثلة ، لأنها نشأت من ثلاث بويضات ملقحة ، أو قد يأتى الثلاثة من بويضتين ، وهنا تنشق احداهما ، وتعطى جنينين ، ولابد ــ والحال كذلك ــ ان يكونا متماثلين ومتطابقين (لأن أصلهما واحد) ، وتعطى البويضة الثانية جنيناً أو توأماً مختلفاً عن الاثنين ، أو قد يأتى الثلاثة من بويضة واحدة ملقحة ، وعندما تنقسم ، تنفصل خلاياها الى ثلاث بدايات ، كل بداية منها تعطى جنيناً ، ولابد أيضاً أن تكون التوائم الثلاثة متشابهة تماماً ، لأن الأصول الوراثية مشتقة من « نسخة » أصلية واحدة تؤدى الى ثلاث طبعات متماثلة (شكل ٤) .

عوامل تؤثر فى ولادة التوائم

الاحصائيات الكثيرة التى جمعها العلماء من مواليد الدول التى تهتم بمثل هذه الأمور توضح معدلات مجيء التوائم مثنى وثلاث ورباع أو ما هو أكثر من ذلك ، ففى الولايات المتحدة يتبين من تلك الاحصائيات أن من بين كل التوائم التى تضعها السلالة البيضاء ، يأتى منها حوالى ٣٤٪ توائم متماثلة تماماً ، والباقى (أى ٦٦٪) توائم غير متماثلة ، لكن نسبة التوائم المتماثلة تنخفض الى حوالى ٢٩٪ بين الملونين الأمريكيين ، ونفس هذه النسب تقريباً توجد فى الشعب الألمانى ، وان كانت معدلات التوائم المتماثلة أكبر بين سكان المدن عن سكان الريف .

وتشير الدراسات التى أجريت على الشعوب المختلفة ، الى أن للمناخ أثراً فى ولادة التوائم ، اذ كلما كان المناخ أكثر برودة ، كانت معدلات ولادة التوائم أكثر احتمالا .. فمن بين كل ألف حالة ولادة فى دول اسكندينافيا توجد ١٤ حالة توأمية ، يقابلها ١١ حالة فى كل من فرنسا وايطاليا ، لكنها تنخفض الى ٨ حالات فقط فى اليونان ، ثم تنخفض مرة أخرى الى أربع حالات فى الأرجنتين .. أى كلما اتجهت من البلاد الباردة الى البلاد الدافئة نسبياً أو الحارة ، ينقص احتمال ولادة التوائم تبعاً لذلك .

ومع ذلك فهناك أيضاً اختلاف واضح فى انتاج التوائم بين سلالة وسلالة أخرى ، فنساء قبائل « اليوروبا » السود بنيجيريا هن أكثر البشر انجاباً للتوائم ، اذ يصل معدلها الى ٤٠ حالة بين كل ألف ولادة ، وهى فى زنوج القارة الأفريقية عموماً تصل الى ٢٠ حالة فى المتوسط لكل ألف .

كذلك يتضح أن ولادة التوائم قد تتأثر بعوامل وراثية موجودة فى عائلات دون أخرى ، (شكل ٥) أى أنها تنتقل من الأمهات الى بناتهن وحفيداتهن ، ويقال إن للعمر دخلا أيضاً ، فالزوجات الأمريكيات الصغيرات لديهن القدرة على انجاب التوائم بمعدل ولادة واحدة بين كل مائتى ولادة ، فى حين أن المعدل يرتفع أربع مرات فى السيدات اللاتى تزيد أعمارهن عن ٣٥ عاماً ، وتعليل ذلك غير معروف تماماً ، وان كان بعض العلماء يرجعه الى اضطراب افراز الهرمونات كلما تقدم بهن العمر ، إذ قد يحدث ألا تفرز بويضة فى شهر ، وفى الشهر الذى يليه تفرز المرأة بويضتين يؤديان الى ولادة توأمين .

لكن هناك حالات نادرة ومشهورة فى انتاج التوائم على غير العادة ، وفيها لا يأتى المواليد فرادى على الاطلاق ، بل على هيئة مثنى وثلاث ورباع ، ومن أشهر هذه الحالات حالة فلاحة روسية تدعى مدام فيودور فاسيليت التى رزقت بتسعة وستين مولوداً بيانها كالآتى : ١٦ ولادة أنجبت فيها ٣٢ طفلا (بمعدل توأمين فى كل ولادة) ، وثلاثة توائم فى سبع حالات ولادة (٢١ مولوداً) ، وأربع مرات ولدت فى كل منها أربعة توائم ، ولقد عاش معظم هؤلاء التوائم ، ليكونوا أكبر عائلة من أم واحدة ، هى بلاشك أخصب السيدات وأوفرهن فى انتاج البويضات .

وليست هذه هى الحالة الوحيدة ، بل هناك حالات أخرى أقل كفاءة فى انتاج ذرية من التوائم ، منها ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ حالة سيدة حملت ووضعت ٣٢ مولوداً فى ١١ مرة ، منها ثلاث مرات بتوأمين فى كل مرة ، وست مرات بثلاثة توائم لكل ولادة ، ومرتان وضعت فى كل أربعة توائم ، ورزقت سيدة أخرى بأربعة وأربعين مولوداً توأماً فى ٣٣ عاماً ، ففى ١٣ ولادة وضعت ٢٦ توأماً ، و١٨ توأماً فى ست مرات .. هذا ومعظم التوائم فى مثل تلك الحالات من التوائم غير المتشابهة ، وهو يرجع الى خصوبة المرأة ، أو



شكل (٣) بصمتان متطابقتان تماما لتوأمين متماثلين ، لدرجة أن أحد خبراء البصمات لا يستطيع التمييز بينهما ، فيعتبرهما لشخص واحد !

اسرافها فى افراز البويضات. فأربعة توائم فى ولادة واحدة يعنى — فى أغلب الأحيان — افراز أربع بويضات تخصب جميعاً ، وهذا يختلف عن معظم حالات السيدات ، فلكل شهر بويضة واحدة ، فاذا زادت الأمور عن هذا المعدل ، دل على زيادة الخصوبة !

والواقع أن ولادة أربعة توائم ليس هو الحد الأقصى فى مثل هذه الحالات ، بل قد يرتفع العدد الى ضعف ذلك ، أو ربما أكثر ، فهناك حالات نادرة وصل فيها الحمل الى عشرة توائم دفعة واحدة (ويرجع ذلك الى استعمال عقاقير الاخصاب) ، لكن التوائم كانت تجهض تلقائياً ، وتختصر الطريق الى الدار الآخرة ، اذ ليس من المعقول أن تحمل اناث البشر كل هذا العدد من الأجنة ، فتتساوى بذلك مع الحيوانات الثديية الأخرى كالأرانب والفئران وما شابه ذلك ، بل إن حدودها لا تتعدى طفلا أو طفلين أو ثلاثة ، لكن فى أحيان نادرة قد تصل الى خمسة وربما الى ستة ، وقد تولد جميعاً أحياء ، ويواصل بعضها النمو ، كما حدث مثلا فى حالات جد قليلة ومسجلة فى بلاد مثل مصر (حالة واحدة فى أسيوط بمصر ، حيث وصل عدد المواليد الى ستة منذ بضع سنوات مضت) وكولومبو وايران وايطاليا وبريطانيا وجنوب أفريقيا ، وكانت التوائم خليطاً من ذكور واناث ، أو اناث صرف ، وكلما زاد عدد التوائم ، نقص وزن المواليد ، وجاءت الولادة قبل موعدها ، فوزن مولود واحد عادى يتراوح ما بين ٣,٢ — ٣,٥ كيلوجرامات ، فى حين أن الوزن الكلى لستة توائم قد يبلغ فى بعض الحالات ١١ كيلوجراماً — أى بواقع ١,٨ كيلوجرام للتوأم الواحد ، ثم يزيد وزن التوأم تدريجياً ، كلما نقص عدد التوائم ، لكن ذلك لا يمنع من ولادة توأمين أحياء بوزن وصل الى ١٢,٩ كيلوجراماً ، وهى حالة نادرة حدثت عام ١٩٢٤ لسيدة تدعى جين هاسكين من ولاية اركانساس الأمريكية !

التوائم بين نظرتين مختلفتين

ولاشك أن موضوع معدلات مجيء التوائم وتباينها موضوع طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، حتى نستطيع أن نتعرض للموضوع من زاوية أخرى مختلفة ، فرغم أن العلم قد فسر لنا أصول نشأة التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، إلا أن بعض المجتمعات البدائية القديمة قد نظرت الى مجيء التوائم نظرة أخرى مختلفة ، فمنها ما كانت تكرمها وتعتبرها بشرى طيبة ، فى حين أن بعضها الآخر كان يعتبرها بمثابة نذير شؤم ونحس ، ولهذا لم تتورع عن قتلها أو ذبحها ، كذلك كان عدد التوائم ذاته مدعاة للتفاؤل أو التشاؤم ، فان جاء العدد زوجيا ، فالتوائم شر ، وان جاء فردياً فهى خير ، ولهذا يقص علينا فليجو طراليس احتضان امبراطور طروادة لخمسة توائم ورعايته لهم ، وتنشئتهم على حسابه الخاص ، كما يذكر ديونيسيوس أن الدولة كانت دائماً ترعى التوائم الثلاثية ، وتغدق عليهم وهم فى حضانة ذويهم ، وعلى العكس من ذلك كانت التوائم ذات الأعداد الزوجية ، فقدومها يعنى النحس ، اذ تحدث بلينى عن ولادة أربعة توائم ، فكان أن حلت المجاعة بالناس ، كما أن موت الامبراطور كلوديوس قد أرجعوه الى مولد توأمين ملتصقين — على حد اعتقاد العامة ، وهناك حكايات أسطورية تتحدث عن ولادة التوأمين روميولوس وريموس ، فاعتبرا نذير شر ، ومن ثم فقد أحرقا مع أمهما ، وألقيت رفاتهم فى النهر ، لكن التوأمين عادا الى الحياة ، وقذفت بهما المياه الى الشاطىء ، حيث أرضعتهما أنثى ذئب ، وعندما بلغا مبلغ الرجال ذبحا أموليوس الذى اغتصب أحقيتهما فى العرش .. الى آخر هذه الاعتقادات الخاطئة التى لا تقوم على أساس !

لكن التوائم — خاصة المتشابهة منها — كانت دائماً ذات أهمية خاصة للعلماء ، اذ وجدوا فيها ضالتهم التى تساعد على توضيح مسألة هامة ثار حولها الجدل زمناً طويلا ، فكثيراً ما تساءلوا : هل بعض الصفات والطباع والذكاء والسلوك نتيجة عوامل وراثية ، أم هى مكتسبة من التنشئة أو البيئة الاجتماعية أو من الاثنين معاً ؟ .. ان مثل هذا التساؤل يهم — فى المقام الأول — علماء النفس والتربية والاجتماع والوراثة ، لكن هناك سؤالا آخر يهم الأطباء : هل بعض الأمراض الغامضة تنشأ نتيجة عوامل وراثية ، أم هى أمر عارض وناشيء من البيئة ؟ .. وهل طول العمر والصحة والمرض وراثى أم مكتسب ؟ .. الخ .

الواقع أن مثل هذه الأسئلة يصعب الاجابة عليها إجابات مقنعة ، مالم تكن مدعمة ببحوث علمية تتمخض عنها نتائج واضحة ، لكن من الممكن الاجابة عليها من خلال التوائم المتشابهة ، لأن أصولها الوراثية تنعكس على صفات الانسان الظاهرة مثل الملامح أو الشكل العام ، وبعض الأمراض الوراثية ، وما شابه ذلك .

من أجل هذا وجد العلماء — كل فى تخصصه — أن دراسة التوائم المتطابقة هى المخرج الوحيد من الشكوك التى كانت تسيطر عليهم منذ فترات طويلة ، اذ تكمن فى تلك التوائم ضالتهم المنشودة ، ولهذا يدرسونها دراسة وافية وعميقة من كل الوجوه ، ويتبين لنا ذلك من التفاصيل التى قام بها العلماء لدراسة خمسة توائم اناث متشابهة تماماً ، وهى التى تعرف فى المراجع العلمية باسم خماسى توائم دايون التى ولدت ونشأت فى كندا ، فعن دراسة هؤلاء التوائم الخمسة يذكر مرجع « لاروس فى علم الحياة » وصفاً مختصراً بقوله « لقد أثارت ولادة هذه التوائم انتباه العلماء وشغفهم بمثل هذه الحالة التى نادراً ما تتكرر ، فمنذ لحظة ولادتهن أحاطت بهن مجموعة من العلماء البيولوجيين وعلماء علم النفس ، وبدأوا يسجلون كل شاردة وواردة عن كل توأم من التوائم الخمسة المتطابقة ، بما فى ذلك سرعة النمو والقدرة على الاستجابة والتفاعل بما يحدث حولهن ، وكيف ينمن ويستيقظن ، ويبكين ويرضعن ويمرحن ، بل وكيف يتخلصن من فضلاتهن الصلبة والسائلة ، وكلما مرت الشهور ، وزاد نموهن وعرفن كيف يجلسن ويمشين ويتكلمن ويبتسمن ويتصرفن ، كانت التسجيلات بالصوت والصورة تدون لكل واحدة منهن ، مهما كان التصرف الصادر تافهاً ، حتى ولو كان ذلك ايماءة أو لمحة أو صوتاً غير



شكل (٤) حالة نادرة لثلاثة توائم متشابهة تماما ، لأنها نشأت جميعا من بويضة واحدة ملقحة ، وعندما انقسمت ، انفصلت خلاياها الأولى الى ثلاثة مخزونها الوراثى واحد ، فأدت الى « طبعات » متماثلة .

توائم متطابقة وتوائم بالجملة

مفهوم أو حركة عابرة ، ولقد تسلطت عليهن الأضواء أكثر مما تتسلط على أشهر ممثلات هوليوود ، وكن يعاملن كأنهن أميرات ، لكنهن فى الوقت نفسه كن أشبه بحيوانات التجارب ، اذ ظللن سنوات تحت اختبارات طبية ونفسية وسلوكية لا عدد لها ولا حصر ، وأخيراً أطلق سراحهن بعد أن ضقن بالعيون الكثيرة المسلطة عليهن ليل نهار ، ولكن بعد أن جمع العلماء معلومات هائلة دونوها فى مجلدات ضخمة تحتوى على ثروة زاخرة من الصور والأرقام والجداول والرسوم البيانية والأشكال التوضيحية ، وبحيث يمكن القول بأن أحداً فى التاريخ القديم أو الحديث لم يحظ بمثل ما حظى به هذا الخماسى المتماثل من كل الوجوه » (شكل ٦) .

وطبيعى أننا لا نستطيع أن نعرض شيئاً من هذه النتائج الضخمة لضيق المجال ، ثم انها ليست الدراسة الوحيدة التى أجريت على التوائم ، فقد تبعتها دراسات أخرى كثيرة أعظم تطوراً ، نتيجة لتطور الفكر وأجهزة البحث ، لكن أهم هذه البحوث التى أجريت فى هذا المجال كانت فى المانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، ففى جامعة شيكاغو تعاون ثلاثة علماء . نويمان أستاذ البيولوجى ، وفريمان أستاذ علم النفس ، وهولزينجر عالم التحليل الاحصائى ، مع الاستعانة بفريق آخر من العلماء ، ولقد درس هذا الفريق ٥٠ زوجاً من التوائم المتماثلة و ٥٠ زوجاً من التوائم غير المتماثلة من نفس الجنس (أى ذكور صرف أو إناث صرف) ، وفى المانيا درست حالات ٨٠ زوجاً من التوائم المتماثلة و ١٢٥ زوجاً من غير المتماثلة ، ولكل دراسة نتائجها المثيرة التى سوف نتعرض لبعضها فيما بعد ، يضاف الى ذلك أحدث دراسة بدأت منذ خمس سنوات فى جامعة مينيسوتا الأمريكية تحت اشراف عالم النفس توماس بوكارد ، واشترك فيها ١٧ آخرون ، من بينهم ستة من علماء النفس ، واثنان من الأطباء النفسانيين ، وتسعة من الأطباء ذوى التخصصات المختلفة ، بما فى ذلك متخصصون فى التحليل الاحصائى الطبى ، ومن المقدر أن تنتهى تلك الدراسة فى نهاية هذا العام . ويقال ان تحليل الكم الهائل من المعلومات التى حصلوا عليها من ٣٣ زوجاً من التوائم المتماثلة سوف يستغرق عامين أو ثلاثة ، ومع ذلك فقد نشر بوكارد بعض نتائجه الأولية فى المجلد السنوى للعلم والمستقبل الذى صدر عام ١٩٨٣ .

توائم فى المرآة

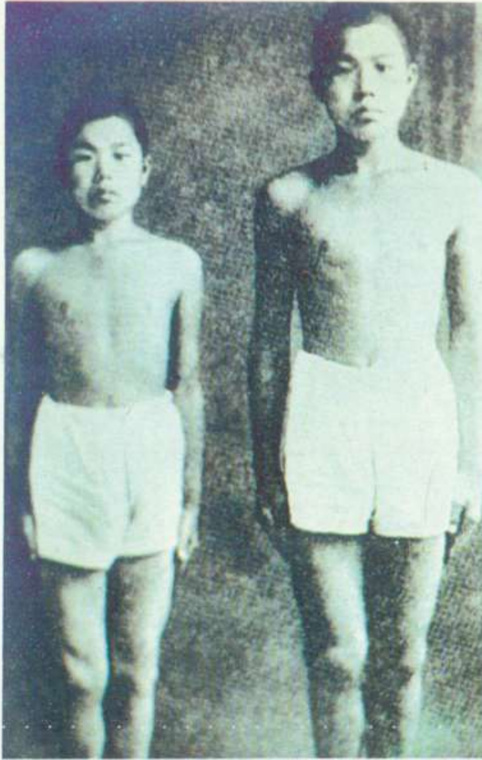
فمن البحوث الكثيرة التى تمت فى السنوات الماضية ، أمكن استخلاص نتائج مثيرة من التوائم المتماثلة . وبحيث تبدو لنا الأمور وكأنما التوأمان بمثابة أصل وصورته فى المرآة ، لكن الصورة هذه المرة حقيقية ومجسدة وقائمة ، ويعنى ذلك أن التطابق بينهما متقن الى درجة مذهلة .. فعالم البصمات بيرتيلون يذكر أن هناك حوالى مائة نمط أو خاصية مميزة يمكن بها تحديد الاختلاف بين بصمات انسان وانسان آخر ، وأن احتمال تطابق ١٦ خاصية فقط من بين المائة لا يمكن أن تتكرر الا فى حالة واحدة بين كل ٤,٢٩٤,٩٦٧,٢٩٦ حالة ،

شكل (٥) فى خمس ولادات وصل معدل انجاب التوائم فى هذه العائلة أربع مرات ، وفى كل مرة تضع الأم توأمين غير متماثلين ، اما ولدا وبنتا ، أو ولدين ، والشقيقان فى أعلى الصورة ولدا على فترتين يفصل بينهما عام واحد .





شكل (٦) خماسى توائم دايون المتماثلة والتى عاشت جميعا ، وحظيت بدراسة مكثفة من علماء الوراثة والبيولوجى والطب والنفس .. الخ .



شكل (٧) توأمان متماثلان تماما ، لكن قصر أحدهما عن الآخر يرجع إلى إصابة القصير بمرض عاق نموه ، وهو ــ على أية حال ــ شيء عارض .

ومع ذلك فان بصمات التوأمين تتطابق فى أكثر من ٣٠ خاصية ، ولا يمكن أن يأتي هذا التطابق الفريد بين أى عدد من البشر منذ أن ظهروا على هذا الكوكب ، والى أن يرث الله الأرض بمن عليها ، اللهم فقط فى حالة التوائم المتماثلة !

كذلك تتطابق نبضات القلوب ، وكما يظهرها رسام القلب الكهربى ، وأيضاً الموجات التى تصدر من مخى التوأمين ، وكما سجلها رسام موجات المخ الكهربى ، واذا ظهر الصلع فى أحد التوأمين ، ظهر الصلع فى التوأم الآخر بنفس الدرجة وفى نفس العمر (انظر شكل ١) ثم يذهب التطابق الى أبعد من ذلك فى حالة الأمور الشاذة أو التشوهات التى قد تظهر فى كل من التوأمين ، من ذلك مثلا أن يولد أحد التوأمين بأصبعين أو أكثر ملتصقين ، فيجيء التوأم الآخر على نفس النمط تماماً ، أو قد يولد هذا بستة أصابع ، فيولد الآخر بنفس العدد من الأصابع ، وعلى نفس اليدين أو القدمين ، واذا جاء قاطع أو ناب أو ضرس بارز أو حائد عن موقعه فى أحدهما ، ظهر العيب نفسه فى الآخر ، كذلك قد يكون الحال فى ظاهرة الشرم أو انشقاق الشفة العليا (أو ما يطلق عليه اسم الشفة الأرنبية أو الأشرم) ، فاذا ظهرت فى أحدهما ، ظهرت فى الآخر .. الخ .

لكن التطابق الأغرب الذى يدعم ظاهرة الأصل والصورة فى المرآة يتجلى بوضوح فى حالة توأم يستخدم ذراعه الأيسر بكفاءة ، فيجيء الآخر ليستخدم يمينه بكفاءة (وهما فى هذه الحالة يمثلان انساناً وصورته فى المرآة) .. واذ جاء شعر رأس هذا عند قمة منبته لينمو فى اتجاه عقرب الساعة ، فان شعر التوأم الآخر يكون فى عكس هذا الاتجاه ، واذا كانت خصلة شعر جبين هذا تتجه يميناً ، فانها فى الآخر تتجه يساراً ، حتى النمش أو الوحمة أو العلامات المميزة على بشرة الجهة اليمنى للوجه فى أحد التوأمين ، يظهر لها مثيل على بشرة الجهة اليسرى لوجه الآخر ، وفى بعض حالات التوائم المتشابهة يظهر القلب فى موضعه جهة اليسار ، والكبد جهة اليمين ، وهو أمر طبيعى ، لكن الشيء الغريب أن يأتى القلب فى بعض التوائم جهة اليمين ، ويأتي الكبد جهة اليسار ، ولقد كانت التوأمتان مارى وايميلى (ضمن مجموعة توائم دايون الخماسية التى سبق الاشارة إليها) من ذلك الطراز الغريب .. أو قد تكون بصمات الأصابع فى التوأمين كأصل وصورة فى المرآة ، لكن هذه التكوينات الانعكاسية ــ كما يطلق عليها ــ نادرة بين التوائم المتماثلة .

ومع ذلك فليس حتماً أن تتطابق التوائم المتماثلة فى كل الأحوال ، فقد تظهر بينها بعض فروق قليلة ، كأن يكون أحدها أكثر بدانة من الآخر ، أو يكون أقصر نتيجة لاصابته بمرض (شكل ٧) .. الى آخر هذه الأمور العارضة ، ومع ذلك فلا زالت الملامح واحدة ، والصفات الوراثية متطابقة .

ذلك اذن سرد سريع لما ينطوى عليــه عالم التوائم من حقائق ومفارقات ، وبقدر ما يسمح المجال ، لكن يبقى الجانب الأهم والأكثر اثارة ، وهو ما يختص بأنماط من السلوك البشرى ، الذى يرجعه البعض الى أصول وراثية ، ويعتبره البعض الآخر نتيجة مكتسبة من البيئة التى يتربى فيها الانسان وينشأ ، فهل العدوانية أو ظهور العبقرية ، أو الميل الى دراسة فن من الفنون ، أو حب الموسيقى ، أو الرياضيات ، أو تفضيل ألوان على أخرى .. هل هذا وغيره موروث أو مكتسب ؟

الواقع أن الاجابات قد تختلف ، ومع ذلك فالدراسات التى أجراها العلماء على التوائم المتماثلة ، والتى نشأت فى بيئات مختلفة أو متماثلة ، توضح لنا الكثير من الغموض الذى خيم على العقول ، لكن ذلك موضوع آخر طويل ومثير ، وسوف نفرد له دراسة مستقلة ، ليتبين الغث من السمين .

عبد المحسن صالح

غريب في المدينة



بقلم: الدكتور يحيى الجمل

في هذه الحلقة الثالثة يواصل الكاتب الكبير الدكتور يحيى الجمل رواية « قصة حياة عادية » بعد ما قدمه في الفصلين السابقين « الدوحة مايو ويونيو ١٩٨٥ » من حديث ممتع عن حياة القرية والمدينة الصغيرة في الثلاثينات.

مازال يذكر أول يوم رأى فيه القاهرة.

وكان دخوله إليها لأول مرة من ناحية شبرا. وكان يركب أحد تلك « الأوتوبيسات » التى تأتى من مدن الدلتا لكى تصب ركابها وما يحملون فى القاهرة قرب جامع « الخازندار ».

ورغم أنه لم يكن صغيرا إلا أنه فوجئ إذ رأى « الترام » يجرى على قضبان مثبتة فى الأرض وكان خياله كله يوحى إليه أن الترام معلق بسلك فى الهواء. ولا يدرى على وجه اليقين من أين جاءت له هذه الصورة: ولكنه يرجعها فى الغالب إلى صورة رآها فى كتاب من كتب المطالعة فى إحدى سنوات الدراسة الابتدائية فى طنطا ولم تظهر قضبان الترام فى تلك الصورة: وإنما ظهر الترام وكأنه معلق من « السنجة » فى سلك يمتد فى الهواء.

وانطبعت تلك الصورة فى ذهنه ولم يحاول أن يفهمها على غير ذلك النحو إلى أن كان ذلك اليوم الذى رأى فيه الترام يسير على الأرض فوق قضبان من حديد كما تسير تلك القطارات التى كان يراها أحيانا فى محطة « طنطا ».

ومازال يذكر حتى الآن كيف كانت « مفاجأته » وهو يرى الترام يسير على الأرض وكيف أن القاهرة فى لحظة المواجهة الأولى بينه وبينها قد أخلفت ظنونه.

وكانت القاهرة مختلفة تماما منذ اللحظة الأولى عن كل ما رآه من قبل. شارع شبرا واسع لا يقاس بما كان فى طنطا من شوارع وهذا الترام المعلق فى الهواء والذى يسعى على الأرض وهذه السيارات الكثيرة وهؤلاء الناس يمشون بسرعة أكبر وأعداد أكثر. يبدو أن الحياة فى القاهرة تختلف عنها فى غيرها من المدن اختلافا كبيراً.

وكان المنزل الذى يقطنون فيه قريبا من جامع الخازندار يقع فى شارع فرعى صغير ومازال يذكر أنه كان هناك على رأس ذلك الشارع بقال صغير يبدو أنه من المهاجرين الأولين من قريتهم إلى المدينة وقد سمع فيما بعد أنه قريب بعيد لأمه. أما « الشقة » التى استأجرها أبوه لهم فقد كانت شقة صغيرة لا يكاد يذكر شيئا واضحا عن هندستها ولكن الذى يذكره أن أخاه كان يستقل بحجرة.

وكان لتلك الحجرة باب مستقل يؤدى إلى سلالم البيت وباب يفتح على حجرة أخرى وكان هو وبعض إخوته يقيمون فيها. وكان فى تلك الحجرة سرير كبير ولكنه لم يكن ينام على ذلك السرير وحده بل إنه مازال يذكر أياما كثيرة كان ينام فيها على الأرض ويترك السرير لأولئك الأضياف الذين يلمون من القرية بين الحين والحين.

وكانت الحرب العالمية الثانية توشك أن تختم فصولها. كانت إيطاليا قد خرجت من الحرب مهزومة مكسورة مدحورة. وكان الايطاليون قد علقوا الدكتاتور موسولينى من رجليه فى جذع شجرة. وكانت جيوش هتلر تخرج من انكسار إلى انكسار ومن هزيمة الى أخرى.

ومازال يعلق فى ذهن الفتى من تلك الأيام أن « الشاى » كان يباع بالبطاقات وأن الفلاحين فى القرى لم يكن يكفيهم ما يوزع عليهم وأن ذلك كله أدى إلى تجارة واسعة فى السوق السوداء للشاى. ولاشك أن السوق السوداء كانت أكثر اتساعا من أن تقتصر على هذه السلعة « الشاى » ولكنه يذكر هذه السلعة دون غيرها لأن أحد أقاربه ممن كانوا يأتون من القرية وينزلون عندهم ويحتلون مكانه على السرير كان يتاجر فى الشاى. يشتريه من السوق السوداء فى القاهرة. ويبيعه إلى بعض التجار فى القرية ويحقق عن طريق ذلك ربحا غير قليل.

ولا يذكر الفتى كيف أتيح له أن يتعرف على شابين من الصعيد كانا يسكنان قريبا من منزلهم. ورغم أن هذين الشابين كانا يسكنان فى حجرة واحدة، إلا أن أمرهما كان مختلفاً جداً.

أما أحدهما فكان يقرأ كتبا لم يسمع عنها الفتى من قبل وكان يحتفظ بمجلات يبدو أن قليلين كانوا يسمعون عنها وكان يردد أسماء وعبارات لم يألف فتانا سماعها قط وعلاوة على ذلك كله فقد كان أول أزهرى يعرفه الفتى يلبس اللباس « الافرنجى » إذ كان يلبس بدلة كما يلبس تلاميذ المدارس والجامعات ولايلبس العمامة والقفطان كما يلبس الأزهريون.

وأما الشاب الآخر فكان طرازا آخر من الناس . كان مفتول العضلات حاد النظرات فى وجهه قسوة . وكان لايلبس الزى الأزهرى ولا يلبس الزى الافرنجى وإنما يلبس جلبابا مما يلبسه أعيان الريف ولكنه ـ على عكسهم ـ لا يضع على رأسه شيئا ويمسك دائما عصا فى يده يهزها هزا . ويبدو أن صلته بالعلم كانت ضعيفة .

وأدرك الأزهرى المثقف أن الفتى يحب القراءة ويقبل عليها إقبالا شديدا فشجعه ذلك على أن يعطيه بعض المجلات يقرأها ولكنه لم يكن يسمح له بأن يأخذها معه . ويذكر الفتى اسم واحدة من تلك المجلات . كان اسمها « الفجر الجديد » ومازال الفتى يذكر أنه قرأ فى تلك المجلة قصائد من الشعر لشاعر لم يكن قد سمع اسمه من قبل اسمه « محمد عبد الحليم » بل ومازال يذكر بيتا من أبيات واحدة من تلك القصائد كان يقول :

تنعم الكلاب لدى القوم
ونشقى فيا لها مضحكات

أما الشاب الأخر فكان يتاجر فى مواد التموين فى السوق السوداء . وكان الشاى بين ما يتاجر فيه .

وروى الفتى أمام قريبه ذلك الذى كان يجئ من القرية وينزل عندهم وينام على سريره أمر ذلك الشاب وطلب منه ذلك القريب أن يعرفه به ولم يجد الفتى حرجا فى أن يفعل شيئا من ذلك .

ويبدو أن الرجلين تفاهما على صفقة من الشاى . ويبدو أن الثمن كان « مرتاحا » لأنه لاحظ أن قريبه كان سعيدا بإتمام الصفقة .

ولم يمض غير يومين اثنين حتى عاد ذلك القريب من القرية غاضبا حانقاً ثائراً يريد أن يعصف بذلك الشاب « الغشاش » عصفا . فقد كان الشاى المباع خليطا من أوراق الشاى وحبات الفحم وأشياء أخرى لا تمت إلى الشاى بصلة.وأحس الفتى بحرج شديد فقد كان هو واسطة اللقاء بين الرجلين . وأخذ قريبه وذهب به إلى حيث يسكن ذلك الشاب ولكنه لم يجده وضرب له قريبه موعدا وذهب إليه فيه ولكنه لم يجده أيضا . وأصبح واضحا أن ذلك الشاب اللعين لا يريد ملاقاته . ولما لجأ الفتى ومعه قريبه إلى الشاب الآخر « المثقف » أبدى أنه لايعرف عن صاحبه الآخر شيئا وأنه لا يربطه به غير التواجد فى مكان واحد يتقاسمان دفع أجرته وانهما جاءا من قرية واحدة من قرى الصعيد .

ولم يشأ قريبه أن يعود إلى القرية قبل أن يلقى ذلك « النصاب » وترصده يوما كاملا إلى أن عثر فيه . وكانت دهشة قريبه بالغة عندما أنكر صاحبه كل صلة له بصفقة الشاى المغشوش . وهم ذلك القروى أن يضربه بعصاه على أم رأسه ولكن الشاب تفادى الضربة بمهارة ، بل وطال قريبه بضربة موجعة ثم لاذ بالفرار .

وأحس الفتى احساسا شديدا بالذنب ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا .

* * *

كان الفتى يخشى أن تمتد يد أبيه أو يد أخيه إلى تلك الصور المثيرة التى كان يحتفظ بها لبعض الممثلات والتى كان يشترى بعضها من كشك قريب من البيت وكان يرى بعضها الآخر فى بعض المجلات . ولا يزال الفتى يذكر صورة لممثلة اسمها « ديانا دربن » .

كانت تنطق بخفة الدم والحيوية والجمال جميعا .

ويبدو أن فتانا كان فى وضع أفضل من غيره ممن هم فى مثل سنه فقد كان يحب القراءة وكان حريصا على تحصيل دروسه والتفوق فيها بل إنه إلى جوار ذلك اشترك فى فريق كرة السلة فى المدرسة . ولكنه لا يذكر أنه برز فى ذلك الفريق أبدا . وبعد مباراة من تلك المباريات التى كانت تجرى بين مدرسته وبين بعض المدارس الأخرى أصابه برد شديد تحول بعد أيام إلى التهاب فى الرئة . وانزعج والده انزعاجا شديدا وذهب به إلى الأطباء الذين قرروا أن الفتى أصيب بالتهاب بلورى فى صدره وأن رئته اليمنى بها « ماء » وأن هذا الماء يجب أن يبذل ونصح طبيب المدرسة أن يدخل الفتى مستشفى القصر العينى الجديد . وقد كان بالفعل جديدا آنذاك .

وأدخل الفتى إلى المستشفى . وصاحبه إلى هناك أبوه وأمه وأخوه . وجلسوا معه بعض الوقت ثم تركوه فى رعاية الأطباء والمرضين والممرضات .

وكان من نصيب الفتى أن يقيم فى حجرة فيها سريران فقط لا أن يقيم فى عنبر من عنابر المستشفى التى تمتلىء بالمرضى من الجانبين .

وكان فتانا آنذاك فى السنة الرابعة الابتدائية .

ومازال الفتى يذكر والده ذلك الحنون وهو يأتى لزيارته كل يوم وفى يده شىء من طعام أو شىء من فاكهة ولا يترك المستشفى إلا وقد سأل كل من استطاع أن يصل إليه عن حالة ابنه ومدى تحسنها ومتى يخرج من المستشفى .

وبذل الماء من صدر الفتى مرة ومرة ومرة .

وأخذت صحته تتحسن فى بطء ووالده يستعجل يوم خروجه من المستشفى خاصة وأن امتحان الشهادة الابتدائية كان على الأبواب . ويبدو أن الأطباء كانوا يطمئنون ذلك الرجل الطيب عندما كان يلح عليهم فى السؤال ولكنهم فيما يبدو كانوا يدركون أن خروج الفتى من المستشفى مازال أمامه وقت قد يطول .

ومازال الفتى يذكر بوضوح المرضتين اللتين كانتا تتناوبان الإشراف على العنبر الذى يعالج فى إحدى حجراته .

كانت واحدة منهما بيضاء قصيرة ممتلئة اسمها « أميرة » . وكانت الأخرى سمراء فارعة اسمها « جوزفين » . ولم تكن جوزفين هذه مصرية ولم تكن تتكلم من اللغة العربية إلا بضع كلمات . وكان أنفها أفطس ووجهها مما لا يمكن وصف تقاطيعه بالجمال ومع ذلك فقد كانت صاحبة روح جميلة بحق وكان المرضى يحبونها وكان فتانا يرتاح إليها كلما رآها ويتبادل معها بعض الحديث باللغة الانجليزية .

وكان الفتى ينتظر ساعة مرورها بشوق وترقب . ويبدو أن « جوزفين » أدركت أن الفتى يوشك أن يتعلق بها ويبدو أنها لم تكره ذلك أو يبدو أنها اعتادت مثل ذلك من مرضاها الذين كانت تهتم بهم اهتماما حقيقيا وكانوا لا يجدون ما يبادلونها به إلا تلك المشاعر التى يختلط فيها الحب بالتقدير برجاء الشفاء .

وعندما بدأ الفتى يقترب من الشفاء وسمح له أن يتحرك قليلا فى المستشفى لاحظ أن « العنبر » الذى كان فيه توجد به حجرة ليس فيها إلا سرير واحد .

وكان معنى قبول أحد المرضى فى تلك الحجرة أنه صاحب حظوة ومكان كبير . وحرص الفتى أن يعرف من يحتل تلك الحجرة وحده وماذا يعانيه من مرض . وعرف الفتى أن رجلا أجنبيا ـ انجليزيا على الأرجح ـ طاعنا فى السن هو الذى خصصت له تلك الحجرة . ويبدو أن الفتى لم يرض عن تلك المحاباة لهذا الانجليزى العجوز وكانت هناك أمام حجرة ذلك المريض سبورة على حامل يبدو وأنها كانت تستعمل للأغراض التعليمية وأخذ الفتى قطعة من الطباشير ثم كتب على السبورة بضع عبارات باللغة الانجليزية تنتقد تخصيص تلك الحجرة لهذا الرجل الفانى « الذى لم يعد يصلح لشىء **Good for nothing** » مازال الفتى يذكر هذه العبارة تحديدا بين عبارات أخرى كتبها على تلك السبورة ثم تركها بغير توقيع وذهب إلى حيث يوجد سريره .

وقرأت جوزفين ماكتبه صاحبنا وقرأه بعض الأطباء ولم يجد الفتى استنكارا شديدا لما فعل بل إنه سمع من أحد الأطباء أنه لم يصدق أن طالبا فى الابتدائية يكتب مثل هذه العبارات باللغة الانجليزية .

وأدرك الفتى من يومها أن الاحتجاج بالكلمات أمر قليل الجدوى .

* * *

ويبدو أن والده كان يلح فى خروجه من المستشفى ويتعجل ذلك اليوم وقد وافق الأطباء أخيرا على خروجه على أن يظل تحت رقابة طبية فى المنزل وأن يأخذ « حقنا » معينة كان يأخذها فى المستشفى وأن يلزم السرير لا يبرحه إلا قليلا .

وكانت الصاعقة أن الأطباء قرروا أنه لن يدخل امتحان الشهادة الابتدائية فى الدور الأول بحال .

ودخل الفتى امتحان الدور الثانى ولما كان غيابه عن الدور الأول بعذر مقبول فقد أعطى درجاته كاملة وكان ترتيبه « الأول » فى منطقة القاهرة .

ودخل مدرسة شبرا الثانوية حاصلا على مجانية التفوق . وبدأت مرحلة جديدة من حياته .

« إلى اللقاء فى العدد القادم »



أحد أروقة الأزهر ويحمل اسم البلد الذى قدم منه الدارسون



الأزهر بشموخه وتاريخه العظيم الملئ بالأحداث الهامة لأكثر من ألف سنة

الأزهر..

أول جامعات الدنيا.. وألف سنة من الأحداث والرجال

بقلم: فاروق أباظة

يستمد الأزهر شموخه وجلاله من تاريخ عميق الجذور يمتد لأكثر من ألف سنة شهد فيها صحنه ومحرابه ومآذنه أجل الأحداث وأخطرها وخلال عمره الطويل مرت عليه المحن فأغلقت أبوابه وضربت جدرانه بالقنابل وسقط فى رحابه المئات من الشهداء ولكنه تجاوز العثرات وأصبح أشد وهجا وتألقا وإيمانا برسالته من أجل مجد وعزة الإسلام فمن أبوابه خرج الثوار المسلمون يحملون مشاعل الهدى والنور ، وفي أروقته عاش ألمع الرجال من المفكرين والمجتهدين فى كل علم وفن ، وتخرج فيه أقطاب الشريعة والمحاماة والسياسة ، وتطور الأزهر في الستينات ليصبح جامعة كبرى تضم آلاف الطلبة والطالبات لا تقوم فقط بتدريس علوم الفقه والشريعة والتفسير والنحو والصرف والعروض وإنما أيضا علوم الطب والأجنة والهندسة والحاسب الآلى والرياضيات والزراعة تمشيا مع احتياجات العصر مع الاحتفاظ بأصالة الإسلام وشريعته السمحاء .



• جانب من حى الأزهر الذى يعتبر من أعرق الأحياء الشعبية

● ليس مجرّد جدران ومآذن ومحراب .. ولكنه موطن أحداث الأمّة الإسلامية

● مَنْ هُم الذين قادوا حركة تجديد الفكر داخل ساحة الأزهر ؟

● فوق منبره انطلق النداء لِصَدِّ التتار والصليبيِّين ومقاومة الفرنسيين

● أول أزهري مُعَمَّم شاهد أوبرا «لاسكالا» وسافر إلى إيطاليا وموسكو سنة ١٨٤٠

والأزهر الشريف ليس مجرد مبنى ومآذن ومحراب ولكنه جماع أحداث وأحداث سطرها المؤرخون الأفذاذ من عرب وعجم وظل الأزهر إبان الحقب والعصور المتواليه هو السجل الحى لما كان يعترى الأمة الإسلامية من قوة وضعف وغفوة وصحوة ... أكثر من ألف عام بقيت فيه مآذنه السامقه لتحكى هذا التاريخ بأمجاده الفكرية فقد كان الناس ينظرون إلى الأزهر منذ القديم نظرة قائمة على الاحساس العميق برسالته وخطير مكانته .. لقد كان من بين شيوخه رواد نجحوا فى هذا الصرح العملاق كى يتخلص من شوائب الجمود وتمثل ذلك فى إنبهار المؤرخ الأزهرى الكبير الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بتجارب الفيزياء والكيمياء التى كان يقوم بها العلماء الفرنسيون فى القاهرة إبان الحملة الفرنسية ومن بينهم « مونج » « ومونتيه » « وكافاريللى » وكان يتردد على معملهم التجريبى فى حارة الكاشف بحى السيدة زينب ليشاهد ما يقومون بتجربته من أعاجيب علمية . ومن بعده جاء رائد التجديد الفكرى فى الأزهر الشيخ حسن العطار الذى تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٤٦ وأخذ يهز الأزهر هزا عنيفا قويا : إنه يقول فى كتابه « جمع الجوامع » : قد عربت كتب فى زماننا من كتب الفرنجه ، وفيها أعمال كثيرة وأفعال رقيقة أطلعنا على بعضها وأستخرجت تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية ، وفى هذه الكتب تكلم القوم فى الصناعات الحربية والآلات النارية ومهدوا فيها قواعد وأصولا حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيره ومن سَمَت به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم .. »

وللتأثير الكبير للأزهر داخل العالم الإسلامى منذ قيامه حتى اليوم فقد تناوله العديد من المؤرخين الأجانب عند تسجيلهم للفترة التى قضوها برحاب القاهرة وعلى رأس هؤلاء « كارستن نيبور » الدانماركى « وأندريه ريمون » الفرنسى « وادوارد وليم لين » الانجليزى والذى يسرد واقعة

الأزهر..

أول جامعات الدنيا.. وألف سنة من الأحداث والرجال



بعض الطلبة الأفارقة الذين يدرسون فى جامعة الأزهر

دخوله لأول مرة إلى صحن الأزهر فيقول : « مررت فى طريقى إلى مسجد الحسين بداخل الجامع الأزهر وكان الكثيرون يحملون معهم الخبز وغيره من المأكولات إلى الفناء الكبير وأماكن الصلاة لبيعه إلى المجاورين (أى الطلبة) وغيرهم من المترددين على الجامع والجامعة ، وكان الفناء لبرودة الجو يزدحم بجماعات من الطلبة والمتبطلين يتكاسلون ويتشمسون ، وكان يشغل بعض الفناء الأساتذة فى صحبة النشء من طلبتهم ، ويعرض الجامع الأزهر دائما منظرا يستحق الاعتبار بالنسبة لى على الأقل لأنه المركز الرئيسى الذى يجذب المريدين من رجال الدين والأدب والعلم من أنحاء العالم الاسلامى » ...

حكايته وتاريخه

وقد شيد الأزهر القائد جوهر الفاطمى فى الجنوب الشرقى من مدينة القاهرة وعلى مقربة من القصر الكبير الذى أقيم حينذاك بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب ، وقد تم وضع أساس الجامع فى ١٤ من رمضان عام ٣٥٩ هـ وأستغرق بناؤه سنتين وأقيمت فيه أول صلاة فى السابع من رمضان عام ٣٦١ هـ .

وكان من عادة المسلمين حينما يشرعون فى إنشاء مدينة جديدة أن يبنوا مسجدها فى وسط الساحة المعدة للبناء ثم يجرى بعد ذلك تخطيط الشوارع بحيث تؤدى جميعها إلى المسجد تيسيرا على المسلمين كى يهرعوا عند كل آذان إلى الصلاة وكذلك سهولة الإلتقاء بالحاكم عند طرح أمر من الأمور الهامة .

وأزهر اليوم ليس كله بالجامع الفاطمى الأصل بل هو حصيلة من الإضافات الأثرية ضمت إليه فى حقبات متتابعة وذلك خلال العصر الفاطمى والملوكى العثمانى ثم القرن التاسع عشر والعصر الحديث .

يقول على مبارك المؤرخ المصرى الكبير فى كتابه « الخطط التوفيقية » : وتضاعفت شهرته فى الآفاق ، وهرع إليه طلاب العلم من جميع بلاد الإسلام لتعلم العلوم الشرعيه والفعلية والنقلية من دروسه الدائمه المتصدر فى إقرائها جهابذة العلماء والمحدثين ما بين مؤلف ومدرس فنجد فيه من المجاورين الألوف المؤلفة من الطوائف المختلفة كأهل الحجاز واليمن والسند والهند والسودان والجاوة وبغداد والمغرب والشام والسليمانية والأتراك والأكراد خلاف الحجم الغفير من البلاد المصرية كالصعيد والبحيرة والفيوم والشرقية والغربية ولكل طائفة من طوائفه رواق يخصها وهو الجامع الجامع والأزهر الأزهر والمدرسة الكبرى والبقعة النافعة ، به يزول الجهل وتخلد حياة العلم وتتأدب النفوس وتتسع القرائح وتتنبه الفطن وتروق الأفكار وتتفنن الآداب وتظهر الأسرار ويكتسب الشرف العظيم ويعظم القدر فكم بزغت فيه شموس وأقمار وغردت فيه بلابل المعلمين والمتعلمين فى العشى والابكار والأسحار .

وللجامع الازهر ثمانية أبواب أشهرها وأكبرها باب المزينين حيث كان يجلس المزينون لحلق رؤوس المجاورين ، ومقصورته الكبيرة أقامها القائد جوهر وتمتد من باب الشوام إلى رواق أهل الشرقية وتحتوى على ست وسبعين أسطوانة من الرخام الأبيض أما المقصورة الجديدة فهى أصغر من القديمة وبها محرابان والصحن متسع مكشوف ويجلس فيه المجاورون للمطالعة فى أيام الشتاء ويبيتون به فى ليالى الصيف ، وللأزهر ست منارات يؤذن عليها فى الأوقات الخمس وفى الأسحار وبه سبع مزاول ، فى صحنه أربع لمعرفة وقت الظهر ، ثلاث لمعرفة العصر ، وألحقت بالأزهر مدارس أشهرها المدرسة « الطيبرسية » أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش وجعلها مسجدا لله بالاضافة إلى الجامع الأزهر وقرر بها درسا لفقهاء الشافعية ، والمدرسة الجوهريه وبها قبلة صغيرة وكان يجلس بها بعض المؤدبين لتعلم الأطفال وبداخلها مدفن منشئها جوهر القنقبائى .

وقد كثرت أوقاف الخلفاء والأمراء على الأزهر ومن أشهر الأوقاف التى خصصت له وقفية الحاكم بأمر الله الفاطمى ... ويقول المؤرخ المقريزى إنه وقف للخطيب أربعة وثمانين دينارا وللحصر المضفورة مائة وثمانية دنانير ، واثنى عشر دينارا ثمن البخور الذى يستخدم خلال شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وسبعة دنانير ثمن نصف قنطار شمع ومائتى مكنسة لكنس الجامع وسبعة وثلاثين دينارا ونصف دينار لزيت الوقود ولكل مؤذن ديناران فى الشهر ، ومن مرتبات الجراية التى وقفها الأمير محمد أبو سلطان ثلاثمائة وعشرون رغيفا كل يوم يصرف منها لمائة واثنين من الطلبة لكل طالب رغيفان ويصرف لستة وعشرين من المدرسين لكل واحد ثلاثة أرغفة وللناظر الحسبى وهو شيخ الجامع كل يوم عشرون رغيفا ولشيخ الرواق سبعة أرغفة . وأشهر أروقة الأزهر : « الحرمان ، والشوام والسليمانية والمغاربة والأتراك والسنارية والجبرتيه واليمنية والأكراد والهنود والبغدادية والبحيرة والفيومية والحنفية والغشنية والبرابرة والشرقاوية والحنابلة » .

وتشكلت مكتبة الأزهر التاريخية والتى تحوى آلاف المجلدات القيمة فى الشريعة والتفسير وعلوم اللغة العربية عندما أمر الحاكم بأمر الله بنقل نصف كتب دار الحكمة إلى الأزهر وعددها يناهز الآلاف فقد ذكر المقريزى أن عدد كتب دار الحكمة بلغ مليونا وستمائة ألف كتاب .

وقد كان الأزهر مزارا وملاذا علميا للعديد من فقهاء وعلماء المسلمين الذى شدوا رحالهم إلى رحابه للتزود من مناهله ومن بينهم الحسن بن الهيثم ويعده الباحثون مؤسسا لعلم البصريات وقد أقام داخل قبة على باب الأزهر ، والمؤرخ مؤسس علم الاجتماع « ابن خلدون » الذى نزح إلى مصر عام ٧٨٤ هـ واختلط بعلماء الأزهر ومارس التدريس فيه

● أربعة وثمانون دينارًا للحُصْر المضفورة واثنا عشر للبخور ونصف قنطار شمع
● أبو العلاء الجديد ضاق به شيوخه لكثرة ما يُلقي عليهم من أسئلة

والطبيب «ابن النفيس» مؤسس علم التشريح ووظائف الأعضاء.

قلعة لصد المعتدين

وللأزهر صفحاته المشرفة الخالدة في التصدي للظلم وتحقيق حرية الإنسان التي كفلها الإسلام ومحاربة كل معتد يعمد إلى غزو الأرض الإسلامية فمن ساحته انتقلت الدعوى إلى صد التتار في عين جالوت بقيادة السلطان قطز من أجل أن تبقى راية الإسلام سامقة شامخة في الأعالي وعلى منبره أيضا نودى على المسلمين كى يسهموا في الجهاد لدحر جيوش الملك الصليبى لويس التاسع الذى جاء يغزو مصر باسم الصليب فدحرته جيوش الاسلام ووقع أسيرا في قبضتها.

.. وفى داخل الأزهر أيضا انطلقت شرارة الجهاد ضد غزوة الفرنسيس لمصر كما سجل الجبرتي في كتابه والذى جاء فيه ما يؤكد تأصيل دور الأزهر في الكفاح المسلح ضد الغزاة إنه يقول في الجزء الثالث منه ما يلى :

«لما ظهرت غلبة الفرنساويين في القرن الثالث عشر الهجرى على مصر وملكوا قلاعها أرسل كبيرهم إلى مشايخ الأزهر مراسله فلم يجيبوه فعند ذلك ضربوا بالمدافع على البيوت والحارات وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر وحرروا عليه المدافع والبنادق وعلى ما جاوره من الأماكن كالغورية والفحامين فضج أهل تلك الجهة ونادوا «ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف».

وفى مارس عام ١٨٠٠ م كانت ثورة مصر الأولى التى إندلعت من داخل الأزهر وما أثبتته للغزاة الفرنسيين من تعذر استقرارهم في مصر ومن قبلها ثورة أكتوبر عام ١٧٩٨ التى كتب عنها المركيز «دى لاجونكيير» وهو من الضباط الفرنسيين القلائل الذين عادوا سالمين إلى ديارهم بعد الغزو الفرنسى لمصر «كانت الدعوة إلى الثورة تختلط جهارا بآذان المؤذنين وكان الجامع الأزهر مقر قيادتها وأخذ علماء الأزهر يبثون الدعوة إلى الثورة بواسطة شيوخ المساجد يحثون عليها في عظاتهم وخطبهم وبواسطة المؤذنين يدعون إليها خمس مرات في اليوم مع كل صلاة .. ويضيف المؤرخ الانجليزى لحملة نابليون على مصر «كريستوفر هيرولد» كان الأزهريون هم قادة الوطنية والفداء وتزعم الثورة يوم نشوبها عالم أزهرى شاب هو الشيخ بدر المقدسى فقد نزل إلى الشارع وخطب في جمع غفير من الناس داعيا كل مؤمن بالله أن يذهب إلى الجامع الأزهر (لأن اليوم يوم غزو المؤمنين للكافرين) وتكاثر المعممون كما يقول الجبرتى يخطبون الجماهير، وتطايرت أنباء الثورة وأقبل الفلاحون وأهل الضواحى بالقاهرة وظهرت الأسلحة والرماح والأسهم في الأيدى مع الحجارة والعصى والفئوس وما إليها وتجمع في الأزهر عدد قدر بأربعين ألفا من الثائرين وبلغت أنباء التجمهر في الأزهر إلى الجنرال الفرنسى تيبوى حاكم القاهرة فركب الخيل وحاول إجتياز المتاريس وهنا برز له أحد الثائرين وطعنه برمح فأرداه قتيلا .. ويسجل الجبرتى ما حدث للأزهر في أعقاب هذه الثورة فيقول : «دخل الإفرنج المدينة كالسيل، ومروا في الأزقة والشوارع كأنهم الشياطين أو جند إبليس وهدموا ما وجدوه من المتاريس ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول وتفرقوا في صحنه ومقصورته وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة المجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع والوداع والمخبآت بالدواليب والخزانات ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم داسوها وأحدثوا فيها وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوا بصحنه ونواحيه، وتحزبت نصارى الأروام وأغتنموا الفرصة في المسلمين وأظهروا ما في قلوبهم كمين وكأنهم شاركوا الافرنج في النوائب !!

ويظل الأزهر القلعة التى ينطلق منها الثوار ضد الظلم والجور والاستعباد فعندما يحتل الانجليز مصر ولا يجد أهلها طريقا للخلاص غير ثورة مارس عام ١٩١٩ تنطلق شرارتها الأولى من الجامع الأزهر .. يقول الاستعمارى الانجليزى جنرال اللنبى في وثيقة سرية يرسلها إلى وزير خارجية انجلترا في ٤ إبريل عام ١٩١٩ مايلى :

«إن الحركة الوطنية التى كانت في بادىء الأمر حركة سياسية بحتة بدأت الآن تتخذ طابعا دينيا وجامع الأزهر هو مركز الاضطرابات الدينية حيث تلقى فيه الخطب المثيرة والنارية ليل نهار وبالنظر إلى الطبيعة المقدسة للجامع الأزهر والمعترف بها في كافة أنحاء العالم الإسلامى فإن من غير الممكن كبح جماح من يرتادونه بالقوة. وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن الحركة بدأت تؤثر في سوريا وفلسطين بالإضافة إلى تأثيرها في مصر والخطر خطر حقيقى وجاد جدا وقد استطعت أن أقمع بقوة السلاح معظم المظاهرات ولكن أسباب القلق لا تزال على ما كانت عليه من قوة».

وفى يوم ١٣ من مارس ظهر الأزهريون في قيادة مظاهرة المسجد الحسينى بعد صلاة الجمعة وكان طلبة الأزهر هم أول من تعرضوا لرصاص الإنجليز وسقط من بين صفوفهم أول الشهداء.

رواد الثورة الفكرية

وقد استطاع الأزهر خلال تاريخه الطويل أن ينجب للعالم العربى والاسلامى روادا تقدموا صفوف الجماهير في انتفاضاتها ضد القهر والتسلط والغزو الاستعمارى ومصلحين قادوا حركة الفكر والتجديد وكان لهؤلاء الرواد تأثيرهم على حركات التحرير داخل البلاد الاسلامية والعربية ومن بين هؤلاء عمر مكرم الذى التحق بالأزهر وأنهى دراسته فيه ثم تقلد منصب نقيب الأشراف ورفض أن يكون عونا للاحتلال الانجليزى لأنه كان مسلما في عقيدته أزهريا في ثقافته، وحين تعرضت مصر لغزو الحملة البريطانية عام ١٨٠٧ م قام عمر مكرم بإستنفار الشعب وأمر بإيقاف الدراسة بالأزهر حتى ينصرف علماؤه ومجاوروه إلى صد العدوان وأخفق العدوان البريطانى وعادت فلول الحملة تجر أذيال الخيبة، ومن أبناء الأزهر الذين حاربوا الجمود وتنبهوا إلى ضرورة التجديد وتخليص الفكر الاسلامى من سذاجة العصور المظلمة وخرافاتها واحياء وتطوير العقلانية الإسلامية الشيخ رفاعه الطهطاوى الذى ولد عام ١٢١٦ هـ في طهطا بصعيد مصر وتخرج في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه ثم سافر إلى فرنسا ليؤم طلاب البعثة العلمية في أمور الدين فتعلم الفرنسية ورصد ما شاهده هناك من نهضة علمية ولما عاد جاهد من أجل تطوير الأزهر الذى كان يقصر اجتهاده على علوم الشريعة ويخاصم بقية علوم الحضارة .. قال الطهطاوى : «لاتتوهم أن علماء الفرنسيس هم القسوس فإسم العلماء يطلق على من له معرفة بالعلوم العقلية وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها وأن الأزهر وجامع بنى أميه بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس كلها زاخرة بالعلوم النقلية أما علوم المقاصد والغايات فيجب تعلمها لأنها إسلامية الاصل».

ويجيء بعد الطهطاوى من رواد التجديد الفكرى في الأزهر الإمام محمد عبده الذى واصل الدعوة لتحرير العقل الاسلامى من أجل النهوض بالأمة وبناء مستقبلها ..

ولا ننسى في مقام التعرض لرواد الاصلاح الدينى والسياسى من رجالات الأزهر الزعيم أحمد عرابى الذى تثقف بالعلوم الأزهرية وحارب التدخل الأجنبى في بلاده والزعيم سعد زغلول

الأزهر..

أول جامعات الدنيا.. وألف سنة من الأحداث والرجال



فناء الأزهر الفسيح الذى إنطلقت من داخله شرارة الجهاد ضد غزوة الفرنسيين لمصر



باعة الكتب الثقافية ينتشرون بجوار الأزهر الذى استطاع خلال تاريخه الطويل أن ينجب أهم العلماء فى العالم العربى والاسلامى

الذى تلقى ثقافته الأزهرية وهو شاب وناضل من أجل الحرية والقضاء على الاستعمار...

وهناك قصة طريفة لأول عالم أزهرى دعاه قيصر روسيا ليقوم بتعليم العربية وآدابها فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية الروسية كما عمل استاذا لتاريخ الشرق بجامعة موسكو وهو الشيخ محمد عياد طنطاوى وكان ممن يمثلون الحركة الفكرية الجديدة فى الأزهر.. وقد تعلم الشيخ طنطاوى اللغة الروسية وسافر إلى روسيا عام ١٨٤٠ فكان انتقاله حدثا خطيرا فى تاريخ الأزهر وقد وضع المستشرق الروسى «أغناطيوس كراتشوفسكى» كتابا عن حياة الشيخ محمد عياد ويقول فيه :

«كان قدوم الطنطاوى إلى روسيا حدثا كبيرا ليس فى حياته فقط بل وفى الاستشراق الروسى أيضا» وكتب العالم الأثرى الروسى «سافيليف» رسالة إلى احد أصدقائه يصور فيها أثر زيارة الشيخ طنطاوى لروسيا فيقول« أنت تسألنى عن هذا الرجل الجميل فى لباس شرقى وعمامة بيضاء وله لحية سوداء كجناح الغراب وعلى وجهه سمة الذكاء .. لقد رأيته مرتين يسير بخطوات وئيدة على بلاط شارع «نفسكى» فلفت نظرى ونظر زائرى هذا الشارع.

ومما يدل على روح التجديد عند الشيخ الطنطاوى إنه فى طريقه إلى روسيا عرج على إيطاليا ولم يتردد وهو الشيخ المعمم أن يزور دار الأوبرا مرتين ليشاهد فى المرة الأولى رواية السلطان محمد وفى المرة الثانية رواية المحبين ويذكر الطنطاوى إنه لم يكن هناك بين المشاهدين معمم سواه .. ولولا الأزهر ما كان لنا أبو العلاء الجديد .. الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى المعاصر .. الصبى الضرير الذى اجتاز أبواب الأزهر ليغترف من علومه ما يسد نهم معرفته التى لا تشبع ويصور الدكتور طه حسين حياته إبان التحاقه بالازهر فى درته الرائعة «الايام» وكيف كان يلح على شيوخه بالأسئلة والاستفسارات حتى يضجوا من جرأته ويأمرونه بمغادرة حلقة الدرس .. يقول الدكتور طه حسين فى كتابه الأيام وهو يسرد قصة الصبى الأزهرى الكفيف طه حسين : وقد سمع الصبى درس النحو ففهمه من غير جهد وطال عليه إلحاح الشيخ من الإعادة والتفسير ثم إنفض الدرس وتفرق الطلاب وظل الصبى فى مكانه حتى يعود أخوه فيجذبه فى غير كلام وفى غير رفق ويمضى به حتى يخرجه من الأزهر وحتى يقطع به الطريق التى قطعها به فى الصباح والضحى ، وحتى يلقيه فى مكانه من الغرفه على ذلك البساط القديم قد بسط على حصير بال عتيق ومنذ ذلك الوقت يتهيأ الصبى لاستقبال حظه من العذاب»... ولا ننسى عندما نتحدث عن الأزهر أن نذكر دوره فى تجديد حركة الشعر العربى وتبنى البعض من أبنائه للمدارس الشعريه الحديثة وكيف تخرج فيه أيضا رواد فى الغناء العربى ومن بينهم الشيخ عبده الحامولى والشيخ سلامه حجازى والشيخ زكريا أحمد والشيخ محمد القصبجى والشيخ سيد درويش وإن كان لم يدخل الأزهر ولكنه تعلم فى الكتاتيب التى كانت تتولى إعداد التلاميذ للإلتحاق به ..

إن الأزهر بحق هو الدرة المتوهجة بالمعرفة والضياء على جبين العالم الإسلامى وتاريخه العريق يسجل أمجاد أمة مازالت بدينها الحنيف صامدة قوية لأنها إتخذت من الإسلام درعا وعقيدة..

فاروق أباظة

دور الأمم المتحدة في تسوية المنازعات بالطرق السلميّة

بقلم: الدكتور محيى الدين علي عشماوي

شهدت ولا تزال الساحة الدولية بصفة عامة والساحة الخليجية بصفة خاصة نشاطاً بارزاً للأمم المتحدة من أجل السعى لحل النزاع المسلح العراقى ـ الايرانى بالطرق الودية وذلك من أجل انهاء هذه الحرب المدمرة التى لن يكون فيها منتصر أو مهزوم ، بل ستعود بالوبال الخطير على شعبى البلدين ومواردهما وامكانياتهما الاقتصادية والبشرية والاجتماعية والحضارية ، بل وستمتد آثارها إلى أبعد من حاضر ومستقبل البلدين المتحاربين لتشمل حاضر ومستقبل ، وكفاح ونضال ، وأمن وسلامة واستقرار ، الأمة العربية والاسلامية .

وإذا كان نشاط الأمم المتحدة ـ منذ قيام هذه الحرب ـ قد بدا أقل مما يجب أن يكون عليه ، واعتبرت الأمم المتحدة عاجزة عن القيام بدورها بشكل فعال فى التدخل لتسوية هذا النزاع بموجب اختصاصها الأصيل فى حفظ السلم والأمن الدولى والذى يهدده اشتعال هذه الحرب واستمرارها فى هذه المنطقة الاستراتيجية التى تقع فى محور الالتقاء بين الشرق والغرب وبين الكتلتين المتصارعتين على تثبيت نفوذها وفرض سيطرتها وهيمنتهما على دول المنطقة تحقيقاً لصالحها الاستراتيجية العليا فى زمن السلم وزمن الحرب على حد سواء ، إلا أن الفترة الماضية قد شهدت تحركاً ايجابياً وفعالاً من جانب الأمم المتحدة . وقد تمثل هذا التحرك فى مبادرة السكرتير العام للأمم المتحدة بزيارة المنطقة وزيارة طهران وبغداد والالتقاء بزعماء وقادة البلدين والاستماع منهما ـ على الطبيعة وفى مواقع النزاع ـ للآراء ووجهات النظر المتباينة والخاصة بإمكانية ايقاف اطلاق النار وعقد هدنة مؤقتة وايقاف الهجوم على المدن والأهداف المدنية والبحرية والجوية ، وتمهيداً لتهدئه الجو ، والسعى لايجاد تسوية سلمية لهذا النزاع بالطرق الودية .

وإذا كانت الأنباء ـ وقتها ـ قد طالعتنا بما صرح به السكرتير العام للأمم المتحدة بعد زيارته هذه ، بأنه قد وجد أن الفجوة كبيرة بين آراء ووجهات نظر الطرفين ، وأنه مع ذلك على استعداد للعودة لمباشرة مهمته سعياً لايجاد تسوية فى اطار الأمم المتحدة ، وبذلك يكون الباب مازال مفتوحاً لقيام السكرتير العام وأجهزة الأمم المتحدة بما فيها الجمعية العامة ومجلس الأمن بعمل جاد ومخلص وسريع لمحاولة ايقاف القتال وايجاد الوسائل اللازمة لحل هذا النزاع بالطرق الودية .

وهذا يدعونا أن تلقي نظرة على دور الأمم المتحدة فى تسوية المنازعات الدولية المسلحة بالطرق الودية ، وعلى الامكانيات المتاحة والاختصاصات التى تتمتع بها الأمم المتحدة فى مجال تسوية المنازعات المسلحة من أجل حفظ السلم والأمن الدولى ، وذلك من واقع ميثاق هذه المنظمة العالمية التى قامت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية التى دمرت ما دمرت ، وأفنت ما أفنت ، وقاست منها البشرية ويلات كثيرة ، فجاءت هذه المنظمة لتنقذ العالم من الحروب القادمة ولتبنى السلام والرخاء والرفاهية لكافة سكان المعمورة بلا تمييز .

فنجد أولا . وفى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ، النص التالى :

« نحن شعوب الأمم المتحدة .

وقد آلينا على أنفسنا :

أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف .

وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

ونبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى .

وأن ندفع بالرقى الاجتماعى قدماً ، وأن نرفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح .

وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا :

أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وأن نعيش معاً فى سلام وحسن جوار .

وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولى .

وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها ألا تستخدم القوات المسلحة فى غير

دور الأمم المتحدة في تسوية المنازعات بالطرق السلمية

المصلحة المشتركة .

وأن نستخدم الأداة الدولية فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها » .

ثم نجد ثانياً أن ميثاق الأمم المتحدة قد حدد مقاصد الهيئة والتى قامت لتحقيقها ، فجعل مقصدها الأول وغايتها الأسمى ــ وذلك طبقاً لنص المادة الأولى الفقرة الأولى من الميثاق ــ هو حفظ السلم والأمن الدولى ، وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم ولإزالتها ، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم ، وتتذرع بالوسائل السلمية ، وفقاً لمبادىء العدل والقانون الدولى ، لحل المنازعات الدولية التى قد تؤدى إلى الاخلال بالسلم أو لتسويتها .

وبالمثل نجد أن المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة قد حددت المبادىء الخاصة بتسوية المنازعات المسلحة بالطرق الودية حفظاً للسلم والأمن الدولى حيث نصت على ما يلى :

« يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولى عرضة « للخطر » .

« يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة أو على أى وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة » .

« يقدم جميع الأعضاء كل ما فى وسعهم من عون إلى (الأمم المتحدة) فى أى عمل تتخذه وفق هذا الميثاق ، كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملا من أعمال المنع أو القمع » .

« تعمل الهيئة على أن تسير الدول غير الأعضاء فيها على هذه المبادىء بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ السلم والأمن الدولى » .

وعن تعريف وتحديد الطرق الودية والوسائل السلمية التى يتم عن طريقها وبواسطتها حل المنازعات الدولية ، نشير إلى ما أوردته المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة والتى تنص على ما يلى :

« يجب على أطراف أى نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والأمن الدولى للخطر أن يلتمسوا حله بادىء ذى بدء بطريق المفاوضة ، والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية ، أو أن يلجأوا إلى الوكالات والتنظيمات الاقليمية ، أو غيرها من الوسائل السلمية التى يقع عليها اختيارهم » .

ومن هذا النص يتضح لنا أن هناك عدة طرق وعدة وسائل سلمية لحل المنازعات الدولية ، نوجز فى مايلى شرحاً لكل منها :

أولا : حل المنازعات عن طريق المفاوضة

والمفاوضة هى إحدى الطرق السلمية التى يلجأ إليها لحل المنازعات الدولية ، وتتم المفاوضة عن طريق تبادل الآراء بين الأطراف المتنازعة لمحاولة تقريب وجهات النظر بين هذه الأطراف بقصد الوصول إلى تسوية للنزاع القائم بينهم .

وتتم المفاوضة عادة بالطريق الدبلوماسي وعن طريق المبعوثين الدبلوماسيين التابعين لأطراف النزاع . ويتم التفاوض إما شفاهة أو بواسطة مذكرات مكتوبة يتبادلها الطرفان أو ممثلوهما عندإجراء المفاوضات وعن طريق ذلك يتعرف كل طرف على رأى الطرف الآخر فى حل هذا النزاع ، وتظل المفاوضات جارية حتى يصل الطرفان إلى حل وسط يرضى به كل منهما كاتفاق ودى لحل النزاع القائم بينهما .

وقد تتم المفاوضة بطريق مباشر بين أطراف النزاع أو عن طريق مؤتمر دولى يضم الأطراف المتنازعة والأطراف المتصلة بهذا النزاع وذات المصلحة الخاصة لتسويته .

وغالباً ما تشارك الأمم المتحدة بممثل عنها فى مثل هذا المؤتمر وتشارك فى هذه المفاوضات لضمان وجود طرف حيادى لا مصلحة له فى النزاع وهو فى نفس الوقت حريص على فض النزاع بالطريق الودى حفاظاً على السلم والأمن الدولى وتحقيقاً لهذا المقصد الهام من مقاصد الأمم المتحدة .

ويعتمد أسلوب المفاوضة على حسن نية الأطراف ورغبتهم الأكيدة فى حل النزاع القائم بينهم ، فإذا صدقت النية نجحت هذه المفاوضات وتوصلت الأطراف إلى تسوية سلمية تنهى النزاع وتحقق مصلحة الأطراف .

وقد يشتمل أسلوب المفاوضة على إجراء تحقيق عن أسباب النزاع وموضوعه والمتسبب فيه وجميع عناصره ومكوناته ، وقد يتم هذا التحقيق بواسطة لجان فنية متخصصة فى موضوع النزاع تقوم بالبحث والتحقيق والاستدلال والوصول إلى الأدلة والبراهين واقتراح الحلول المناسبة لحل النزاع ، ولعل أبرز مثل لذلك هو نزاع الحدود بين دولتين متجاورتين والنزاع على أراض ومناطق تدعى كل دولة حق السيادة والتملك والسيطرة والاستقلال عليها ، فى هذه الحالة تشكل لجنة حدود فنية تضم أعضاء فنيين متخصصين من فنيين وسياسيين وعسكريين وغيرهم ، وتكون هذه اللجنة مشتركة من الجانبين المتنازعين ، وتضع تقريرها وإفادتها ، للعرض على المتفاوضين الرئيسيين ، للاسترشاد والتعرف على الحلول المناسبة لحل النزاع القائم .

وقد تتولى الأمم المتحدة تقديم خدماتها الودية للأطراف المتنازعة بالاتصال بهم ودعوتهم لإجراء المفاوضات واتخاذها طريقاً سلمياً لحل المنازعات القائمة بينهما . كما قد تقوم دولة معينة لها علاقات صداقة مع طرفى النزاع بالاتصال بطرفى النزاع وعرض تقديم خدماتها الودية لهما بالتقريب بينهما ودعوتهما للدخول فى مفاوضات دون اشتراكها فى هذه المفاوضات ، والتى تتم مباشرة بين ممثلى طرفى النزاع بغرض التوصل إلى تسوية سلمية لحل النزاع وانهائه دون تدخل طرف ثالث من غير أطراف النزاع .

ثانياً : حل المنازعات عن طريق الوساطة

تعنى الوساطة قيام دولة ليست طرفاً فى النزاع بعرض وساطتها على الأطراف المتنازعة والاشتراك فى المفاوضات التى قد تجرى بينهم لتسوية أوجه الخلاف القائم بين هذه الأطراف بطريق ودى .

وغالباً ما تساهم الدولة الوسيطة فى البحث عن الحلول التى تؤدى إلى تسوية النزاع القائم تسوية سلمية ، وتعرض هذه الحلول على الأطراف المتنازعة وتحاول التوفيق بين وجهات النظر المختلفة والآراء المتباينة لأطراف النزاع .

وبطبيعة الحال لا يمكن أن تنجح الدولة الوسيطة فى وساطتها إلا إذا كانت هذه الوساطة مقبولة من أطراف النزاع ، ولذلك فغالباً ما تكون الدولة الوسيطة على صداقة وعلاقات طيبة مع كل طرف من أطراف النزاع ، ويكون لها من الثقل السياسى والتقدير الدولى ما يؤهلها للقيام بمثل هذه الوساطة والتوفيق بين أطراف النزاع للوصول إلى حل نهائى لتسوية النزاع القائم بينهم بالطريق الودى .

وقد عرف نظام الوساطة كطريق ودى لحل المنازعات الدولية منذ أن وضعت إتفاقية لاهاى عام ١٩٠٧ وهى الإتفاقية الخاصة بتسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية ، كما عرف هذا النظام فى عهد عصبة الأمم ، كما شمله أيضاً ميثاق الأمم المتحدة .

ثالثاً : حل المنازعات عن طريق التوفيق

يعتبر التوفيق طريقاً من الطرق الودية التى يلجأ إليها المتنازعون لتسوية النزاع القائم بينهم تسوية سلمية . فى الحالات التى لا تستطيع فيها المفاوضات أو الوساطة التوصل إلى حل مقبول من أطراف النزاع يؤدى إلى انهائه ، فان الدول المتنازعة قد تلجأ إلى أسلوب التوفيق وذلك عن طريق انشاء لجنة تسمى لجنة التوفيق وتشبه فى مهمتها هيئة التحكيم ، وتعد طريقاً وسطاً بين الوساطة والتحكيم .

وتتكون لجنة التوفيق من خمسة أعضاء ، يعين كل طرف واحداً من أعضائها ، ويعين الثلاثة

الآخرون باتفاق الطرفين ويتم اختيارهم من رعايا دولة ليست طرفاً فى النزاع ، وتقوم اللجنة بمهمتها بموافقة طرفى النزاع وتحاول التوصل إلى حل يرضى أطراف النزاع ويسوى النزاع بينهم تسوية سلمية وقد ورد بيان الأحكام الخاصة بأسلوب التوفيق كطريق ودى لحل النزاع منذ أن وضع ميثاق جنيف العام سنة ١٩٢٨ فى عهد عصبة الأمم . كما ورد النص على التوفيق فى ميثاق الأمم المتحدة ضمن الطرق الودية لحل المنازعات الدولية .

رابعاً : حل المنازعات عن طريق التحكيم

والتحكيم هو أحد الطرق الودية التى تلجأ إليه الدول لتسوية المنازعات التى تنشأ بينها . ويكون عرض النزاع على التحكيم بناء على اتفاق الأطراف المتنازعة ، ويتم التحكم عن طريق لجنة تحكيم خاصة تختارها الدول المتنازعة أو عن طريق محكمة التحكيم الدولى الدائمة فى لاهاى . وقرار التحكيم ملزم لأطراف النزاع وعليها تنفيذه وذلك استناداً إلى قبولها المسبق لعرض النزاع على التحكيم وهذا هو ما يميز طريق التحكيم عن طريق الوساطة والتوفيق غير الملزم للدول المتنازعة إلا بقبولها لـه .

خامساً : حل المنازعات عن طريق التسوية القضائية

يقصد بالتسوية القضائية قيام الدول المتنازعة بعرض النزاع على القضاء الدولى والمتمثل فى محكمة العدل الدولية والتى تعرض عليها المنازعات القانونية وفقاً لأحكام النظام الأساسى لهذه المحكمة .

ومحكمة العدل الدولية هى الأداة القضائية الرئيسية لهيئة الأمم المتحدة ، وأعضاء المحكمة تنتخبهم الجمعية العامة ومجلس الأمن ، ومقرها مدينة لاهاى ، وتفصل المحكمة فى المنازعات التى ترفع إليها وفقاً لأحكام القانون الدولى .

سادساً : حل النزاع عن طريق المنظمات الدولية أو الاقليمية

إذا لم تنجح الطرق الودية السابق الاشارة إليها ، فإن أطراف النزاع قد تلجأ إلى الأمم المتحدة أو المنظمات الاقليمية لحل النزاع القائم بينها .

وقد نص ميثاق الأمم المتحدة على حق هذه المنظمة الدولية فى حل النزاع الدولى الذى يعرض السلم والأمن الدولى للخطر وذلك بالطرق الودية التى نص عليها الميثاق .

فقد بين الفصل السادس من الميثاق والخاص بحل المنازعات حلا سلمياً الطرق الودية الخاصة بحل المنازعات الدولية ، وحق مجلس الأمن فى أن يدعو أطراف النزاع إلى أن يسووا ما بينهم من النزاع بتلك الطرق .

كما نصت المادة الرابعة والثلاثون من الميثاق على أن لمجلس الأمن أن يفحص أى نزاع أو أى موقف قد يؤدى إلى احتكاك دولى أو قد يثير نزاعاً لكى يقرر ما إذاكان استمرار هذا النزاع أو الموقف من شأنه أن يعرض للخطر حفظ السلم والأمن الدولى .

كما تنص المادة الخامسة والثلاثون على أن لكل عضو من الأمم المتحدة أن ينبه مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى أى نزاع أو موقف من النوع المشار إليه فى المادة الرابعة والثلاثين .

وطبقاً لنص المادة السادسة والثلاثين فإن لمجلس الأمن الحق فى أية مرحلة من مراحل النزاع أن يوصي بما يراه ملائماً من الإجراءات وطرق التسوية .

وأيضاً ـ وطبقاً لنص المادة الثامنة والثلاثين ـ فإن لمجلس الأمن ـ إذا طلب إليه جميع المتنازعين ذلك ـ أن يقدم إليهم توصياته بقصد حل النزاع حلاً سلمياً .



المفاوضات
الوساطة
التحكيم
التسوية القضائية
المنظمات الدولية
المنظمات الإقليمية

هذه هى وسائل الأمم المتحدة فى تسوية المنازعات الدولية

كما حدد ميثاق الأمم المتحدة للأمين العام للأمم المتحدة دوراً فى حل المنازعات الدولية بالطرق الودية ، وفى تدخل الأمم المتحدة فى هذه المنازعات . فالمادة التاسعة والتسعون تنص على أن للأمين العام أن ينبه مجلس الأمن إلى أية مسألة يرى أنها قد تهدد حفظ السلم والأمن الدولى .

كما أن للجمعية العامة ومجلس الأمن الحق فى تكليف الأمين العام للأمم المتحدة بمتابعة تنفيذ القرارات والتوصيات التى تصدر بشأن حل المنازعات الدولية بالطرق الودية ، وكذلك القيام بأعمال الوساطة بين أطراف النزاع بغرض البحث عن تسوية سلمية للنزاعات القائمة والتى تهدد السلم والأمن الدولى ، ودعوة هذه الأطراف لمائدة المفاوضات أو الوساطة أو التحكيم لانهاء النزاع بينها .

جهود الأمين العام للأمم المتحدة

ومن هذا المنطلق وتنفيذاً لمواد ميثاق الأمم المتحدة الخاصة بتسوية المنازعات الدولية بالطرق الودية ، والسابق الاشارة إليها ، كان تحرك الأمين العام للأمم المتحدة وزيارته للمنطقة ولكل من طهران وبغداد لمحاولة البحث عن الوسائل السلمية الممكنة لحل النزاع بين الدولتين المتحاربتين .

وأيضاً ـ وتنفيذاً للميثاق ـ كان الدور الذى قام به مجلس الأمن لمحاولة حل النزاع العراقى ـ الايرانى منذ بدايته وذلك عن طريق القرارات التى تدعو طرفى النزاع إلى إيقاف إطلاق النار واللجوء إلى حل النزاع بالطرق الودية التى نص عليها الميثاق ، واحترام حرية الملاحة فى مياه الخليج ، وعدم التعرض للأهداف المدنية والبحرية .

وبالرغم من ذلك ، فإنه من المؤكد أن الأمم المتحدة ـ وبصفة خاصة مجلس الأمن ـ يستطيع القيام بدور أكثر فعالية لحل هذا النزاع ، وذلك إذا ما اتفقت الدول الكبرى ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن على التصدى بجدية وبرغبة أكيدة فى حل هذا النزاع ، وباشرت جهودها المستمرة فى هذا الشأن بحسن نية ، وتنفيذاً لدورها الأصيل والخاص بحفظ السلم والأمن الدولى وحل وإيقاف المنازعات التى قد تهدده وتعصف به .

ومن جانبها تبذل كل من جامعة الدول العربية ومجموعة دول عدم الانحياز والمؤتمر الاسلامى ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية مساعيها الحميدة ووساطتها لحل هذا النزاع بالطرق الودية ، وتدعو طرفى النزاع إلى إيقاف اطلاق النار والسعى لايجاد تسوية سلمية فى ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولى .

محيى الدين علي عشماوى

الأصحـــاء لايشربـــون القهـــوة :

الكافيين

فيه منافع قليلة .. ولكن ضرره أكبر



بقلم : الدكتور عبد الله الباكر

الإقبال على شرب القهوة والشاى مسألة شائعة الانتشار في العالم ، ولا يكاد منزل على وجه هذه الأرض يخلو منهما ، فهما رمز للعلاقات الاجتماعية والكرم ، وبينما يتمتع الشرق بحب الشاى فإنه يقال إن نصف القهوة العالمى يشربه الامريكان ، أما من ناحية نسبة تناول الأفراد لهما فإن الدول الاسكندنافية تعتبر من أكثر الدول التى تقبل عليهما بصورة ملحوظة .

والقهوة ــ كما نعرف ــ أصلها من البلاد العربية ، ويقال إن منشأها الحبشة واليمن ثم انتقلت إلى بلدان أخرى وكانت معروفة فى البلاد العربية قبل أن تعرف فى أمريكا ، ويروى أن سبب معرفتها أن أحد الرعاة من الجزيرة العربية قد تعرف عليها عندما كانت غنمه تأكلها من شجرة تجعلها منتبهة ونشطة ، وعندما جرب الراعى ذلك النبات بعد عناء اليوم ظل مستيقظاً ونشطاً طوال الليل !

وبعد أن عرفت القهوة وانتقلت إلى مناطق أخرى ، أصبحت فى أوروبا وفى بلدان أخرى رمزاً للقاءات ، وتكونت من أجلها أماكن سميت مقاهى ، ويقال إن أول مقهى أفتتح فى مدينة القسطنطينية كان فى عهد السلطان سليمان الثانى ، وانتقلت الفكرة بعد ذلك إلى لندن وباريس وخاصة شارع الشانزليزيه ، وكانت تلك المقاهى ــ ولا يزال بعضها فى الشرق والغرب ــ ملتقى للأدباء والفلاسفة والسياسيين والعلماء ، حتى أنه قد اطلق عليها سابقاً « مدارس العلماء » .

وظلت القهوة تحتل الصدارة فى المشروبات الإجتماعية حتى برزت أخيراً بعض الدراسات العلمية التى تضع المحاذير وعلامات الاستفهام حول الافراط فى شربها .

أين يوجد الكافيين ؟

وإذا ما تساءلنا : هل يوجد الكافيين فى القهوة وحدهـــا .. فإن الإجـــابة ستـكون بالنفى .. لأن الكافيين موجود فى هذه المصادر :

• أولا : مصادر التغذية والتسلية :

ــ القهوة والشيكولاته والكاكاو (انظر جدول ١) .

ــ المياه الغازية (جدول ٢) .

ــ مصادر الطعام الأخرى .

وتعتبر القهوة أهم مصدر للكافيين فى الغرب ، بينما يعد الشاى أهم مصادره فى الشرق .. وكما نعرف فإن العالم كله يشترك فى استهلاك الشيكولاته والكاكاو ، وجميع هذه المواد بها مادة المثيل ذينثين (Mythyle Xanthine) .. فإلى جانب الكافيين فى القهوة ، يوجد الثنوفللين فى الشاى ، ويحتوى الكاكاو على الثيوردمين ، والمادتان بهما خواص مدرة للبول أكثر من



يعتبر تحضير وتقديم القهوة العربية أحد مظاهر الحياة الاجتماعية في بلادنا ، ويتبارى الناس في إقتناء أدوات صنع القهوة التي تكون في الغالب محلاة بالنقوش والزخارف الجمالية

الكافيين ، وهذا إضافة إلى وجود حامض التنيك Tannic Acid في الشاى .

وتحتوى المياه الغازية على نسب مختلفة من الكافيين ، الذى يأتى إما من خلال مستخرج جوز الكولا الذى يعطى ١٠ فى المائة من كمية الكافيين فيها ، وإما من إضافة مادة الكافيين إليها ، فهناك مليونا رطل من الكافيين تضاف إلى أنواع المشروبات الغازية سنوياً فى أمريكا .

أما المواد الغذائية الأخرى ، فيوجد بها الكافيين كمادة إضافية لإعطائها النكهة ، ومن ضـمنها المواد المخبوزة والحلويات والبودنج والجلاتين ، والكمية فى هذه المواد ـ بالطبع ـ قليلة .

• ثانياً : الأدوية :

يستعمل الكافيين فى كثير من الأدوية ، ويباع بدون إذن صرف فى المنبهات أو مسكنات الألم منذ سنين ، اذ أن وجوده يزيد من قوة التسكين ، ويستعمل أيضاً فى مانعات الشهية مثل فنيل بروبنولمين Phenyl Propanolamine

ما هى القهوة ؟

تنبت القهوة من شجرة دائمة الاخضرار طوال فصول السنة ، وتحتاج هذه الشجرة إلى مناخ حار ذى أمطار استوائية غزيرة ونأخذ منها بذور القهوة التى تحتوى على مادة الكافيين كعنصر مهم وأساسي ، وهو المسئول عن التأثير على أجهزة الجسم ، وبها أيضاً بعض المعادن كالفوسفور والبوتاسـيوم والـكالسيوم وآثار بسيطة من الفيتامينات .

وأنواع القهوة المزروعة :

١ ــ Robusta روبستا ، وتشكل ثلث القهوة فى العالم ، ومصدره غالباً أفريقيا ، وهى أقل جودة من النوع الآخر لأن طعمها لاذع ، لذلك فهى تباع للمستهلك بنصف سعر القهوة الجيدة ، وقد تخلط بعض الأحيان مع النوع الجيد لتباع بسعر رخيص .

٢ ــ Arabica « العربية » وهى أجود الأنواع ، وعلى الرغم أن اسمها عربية الا أنها النوع الذى يزرع فى أمريكا اليوم ، وهذا النوع يقسم إلى صنفين حسب الجودة . وتعتبر كولومبيا أحسن مصدر للصنف الجيد ، وتأتى بعدها البرازيل مع أن غالبية ما تنتجه البرازيل هو من الصنف الثانى ، ونسبة الكافيين فيها تعتمد على نوع القهوة فهو بنسبة ١٪ فى اربيكا و ٢٪ فى روبستا ، وتعتمد أيضاً على طريقة التحضير فى الأشكال المختلفة منها .

وأنواع القهوة التى تباع فى الأسواق هى :

١ ــ القهوة العادية : الحبوب العادية المحمصة المطحونة وهى تحتوى على ٨٣ ملجم من الكافيين فى كل كوب سعة ٦ أونسات ، وكثرة استعمالها لها تأثير كبير .

٢ ــ القهوة المصفاة Instant Coffee :

هذه القهوة أقل تركيزاً للكافيين (٦٠ ملجم من الكافيين فى كل كوب ست أونسات) ويتم تحضيرها بطريقة ترشيح القهوة ثم تجفيفها مرة أخرى فى شكل مسحوق اما بطريقة الرش أو التجليد ، والطريقة الأخيرة أفضل لأنها تبقى على خصائص وطعم القهوة ، وهى أغلى سعراً ، وتستعمل من قبل كثير من الناس الذين يودون تخفيف نسبة الكافيين فى قهوتهم .

٣ ــ القهـــوة المســـحوب منها الـــكافيين Decaffeinated Coffee : فيها ٣ ملجم من الكافيين فقط ، لكننا ننصح بعدم تناولها لأن المحلول الأساسى الذى يستعمل كمذيب للقهوة يترك ترسبات أثناء عملية التصنيع ، وقد تأكد أن واحداً منها يؤدى إلى السرطان فى الحيوانات المخبرية ، لذلك منع استعماله أخيراً ، ومادة هذا المحلول تسمى (Decaffeinated Coffee) واستبدلت بمادة أخرى تسمى ميثيلين كلوريد ، وبالرغم من الادعاء أنها ليست خطرة الا أن الطب ينبه إلى خطورتها ، وحتى يثبت عكس ذلك فهى مادة كيميائية ولابد أن تكون لها آثار قد تظهر فى المستقبل .

وهناك نوع من هذه القهوة بدأ تحضيره أخيراً بطريقة التفريغ ولكنه ليس شائع الاستعمال ولا غبار على هذا النوع .

وهناك أنواع أخرى بدائل ، ولا أعتقد أنها ضرورية مادام الانسان قادراً على أن يستعمل القهوة بشكل معقول وبلا افراط .

أما القهوة العربية « الخليجية » ، فإن كمية الكافيين بها قليلة ، بالاضافة إلى وجود الهيل أو « الحبهان » الذى يقوم بدوره كملطف ذى رائحة طيبة ، ويقال إنه يساعد على الهضم ، والجدول رقم « ٣ » يبين دراسة مقارنة من مختبرات وزارة الصحة العامة فى دولة قطر .

بدائل القهوة والشاي

هناك أنواع أخرى ليست قهوة في حد ذاتها ولكنها تستعمل بدائل للقهوة والشاي حسب عادات ورغبة أهالي كل بلد ، وقد برز أخيراً في أمريكا وأوربا ما يسمى بالشاي العشبي (Herbal Tea) على مختلف الأشكال ، ولكن جميع الأطبـاء لما صادفوه من مضاعفات في مرضاهم ينصحون بالابتعاد عنه وعدم تعاطيه ، لأن بعضه يحمل بعض السموم ، فقد وجدوا أن هذه الأعشاب يستخرج منها أكثر من ٥٠٪ من

الكافيين

فيه منافع قليلة.. ولكن ضرره أكبر

الأدوية لذلك هي غير مضمونة ، لأن المعيار للكمية الدوائية بها غير مضبوط ، ولذلك يقال بأن الشاي العشبي مادة دوائية وليست غذاء .

ولقد عددت النشرات الطبية المضاعفات الخطرة لهذه الأعشاب وحصرتها في : الاسهال ، الحساسية لدرجة الصدمة ، السرطان ، الجفاف نتيجة لادرار البول ، التسمم ، سموم الجهاز العصبي .

طريقة تحضير وتخزين القهوة

إن طريقة طحن وطهي وتخزين القهوة لها أثر على مذاق ونكهة القهوة ، لذلك تفضل القهوة المطحونة والمحمصة حديثاً ، واذا ذهبنا أكثر فان آلات الطحن لها ميزات على بعضها البعض أيضاً حسب نشرات المستهلكين في أمريكا ، أما بالنسبة للتحضير فيفضل أن يكون الاناء من الزجاج أو الصيني المطلي المقاوم للحرارة بدلا من النحاس والمعدن اللذين قد يتفاعلان مع المواد الموجودة عند ارتفاع الحرارة ، ويجب أن تطهى القهوة على نار هادئة .. أما التخزين فيجب أن يحفظ البن في أوان زجاجية قاتمة ويوضع في الثلاجة لأن البن يحتوي على مواد وزيوت تتأكسد بتعرضها للأوكسجين .. وهذا الكلام ينطبق على المطحون وغير المطحون .

ماذا يحدث بعد شرب القهوة ؟

أوضحت الدراسات أنه بعد شرب القهوة فان نسبة الكافيين في الدم تصل إلى ذروتها خلال ساعة ، وتقدر بـ ٥,٣ مجم في اللتر لكل كوبين من القهوة .. وتحتاج من ٢ ــ ٣ ساعات حتى تصل بنسبة عالية في اللعاب .. والتخلص من الكافيين يأخذ وقتاً أطول عند المرأة الحامل ، لذا يجب أن تتجنب شرب القهوة حتى لا تؤثر على أعصابها أو أعضائها أو على الجنين . وقد اتضح أن الكافيين أو مخلفاته يظهر في حليب الأم بعد ربع ساعة تقريباً ، ولكن حتى الآن لم تظهر أية دراسات تبين آثار ذلك على الرضيع . كما يظهر ــ كذلك ــ في السائل المنوي .. أما ناتج التمثيل فيخرج على هيئة مخلفات « Dimethyle Xanthine » عن طريق البول .

استعمال الكافيين الدوائي

في السنوات الأخيرة بدأ يتضاءل ذلك التفاؤل الذي صاحب استعمال الكافيين الدوائي ، حيث أثبتت الدراسات أن تأثيره ضئيل .

وقد استخدم في الحالات التالية :

• التلقيح الصناعي : استعمل الكافيين كمقو للحيوانات المنوية الضعيفة لزيادة حركتها واتجاهها إلى الأمام ولزيادة قدرتها على النفاذ خلال المادة المخاطية في عنق الرحم . إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، حيث وجد أن تأثيره لفترة قصيرة ، ولم يعد يقوي هذه الحيوانات ، رغم أن الكمية المستعملة كبيرة .

• حالات الاضطرابات العقلية في الأطفال باعطائهم كوبين من القهوة يومياً أو ٣٠٠ ملجم ، ولكن معظم الدراسات فشلت في تأكيد دور الكافيين في هذه الأمراض .

• استعماله في علاج السرطان كمقو لتأثير الأدوية المضادة للسرطان ، وهذا الاستخدام ــ حتى يومنا هذا ــ لم يعرف مداه على الانسان .

• استعمل الكافيين أيضاً في مرض « باركنسون » ولكن نتائجه مشكوك في نجاحها ، وقد كانت الكمية المستعملة كبيرة .

• علاج الأمراض الجلدية : استخدم الكافيين في علاج مجموعة مختلفة من الأمراض الجلدية ، وقد استخدم في شكل « كريم » بنسبة ٣٠٪ من قبل الدكتور « كابلان » ومجموعته ، وهذه النسبة في الحقيقة مرتفعة وهي النسبة ذات الأثر .

الكافيين والصحة

إتضح أن الكافيين له دور في اسراع التمثيل الغذائي ، وقد أكدت مجموعة من الدراسات ــ وخاصة دراسة ميللر ومجموعته ١٩٧٤ ــ بأن أخذ الكافيين بمقدار ٤ مجم لكل كيلوجرام من الجسم يعتبر عاملاً حرارياً يزيد من استعمال السعرات الحرارية وله دور في تخفيف الوزن ، لكن الموقف لم يتضح حتى الآن بالنسبة لدور القهوة المشروبة على المدى البعيد ، وإن كانت الغالبية تنصح في حالة انقاص الوزن بشرب القهوة سادة وبدون سكر .

وقد وجد أن الكافيين في القهوة أو الشاي يرفع من نسبة سكر الجلوكوز في الدم ، فهو يرفع نسبه الأحماض الدهنية في الدم وخاصة في حالات الاستعمال الدائم للقهوة . أما الكولسترول فان الدراسات الأولية قالت إنه يرتفع بنسبة ضئيلة ، ولكن الدراسات الأخيرة التي أجريت في النرويج على مجموعة كبيرة من البشر يستهلكون من ٦ إلى ٩ أكواب قهوة يومياً ، أوضحت أن هذه الكمية تؤدي إلى رفع كمية الكولسترول في الدم بصورة ملحوظة .

الكافيين وجهاز التنفس

اتضح من الدراسات الحديثة بالذات في كندا أن الكافيين يزيد سرعة التنفس بنسبة تشبعه في بلازما الدم ، وأنه أيضاً يزيد التهوية في الحويصلات الهوائية الصغيرة في أمراض انسداد الجهاز التنفسي .

ولقد استعمل الكافيين في علاج ضيق النفس أو اللانفس « Apnea » في الأجنة والأطفال حديثي الولادة وذوي النقص في الوزن ، وكان له دور كبير

الجدول رقم (١)

بعض المشروبات والحلويات	الكمية (حجم أو وزن)	كمية الكافيين بالملجرام
الشاي المغلي	١٨٠ سم٣	٤١,٤ ملجرام
الشاي الحاضر	«	٢٩,٣ ملجرام
القهوة المغلية	«	٨٨,٠٠ ملجرام
القهوة الجاهزة	«	٧٠,٧ ملجرام
الكعك بالشيكولاته	٩٢ جم	١٣,٨ ملجرام
الشيكولاته	٢٨ جم	٧,٧ ملجرام
الحلويات المغطاة بالشيكولاتة	٢٨ جم	٢,٨ ملجرام
ايس كريم بالشيكولاتة	٨٩ جم	٤,٥ ملجرام
الحليب بالشيكولاتة	٢٤٠ سم٣	٧,٥ ملجرام
فطاير بالشيكولاتة	١٤٨ جم	٥,٥ ملجرام

في منع حدوث التلف في أدمغتهم ، وللكافيين مستقبل في علاج « ظاهرة موت الأجنة المفاجئ » « SIDS » .

وهناك أيضاً أدلة واضحة على أن الكافيين يوسع القصبات الهوائية ، الأمر الذي له أهمية في حالات مرضى الربو ، حيث وجد أن ثلاثة أكواب من القهوة تحدث أثراً يساوي الأثر الذي يحدثه ٢٠٠ مجم من دواء الثيوفلين ، وعلى الرغم من أهمية الكافيين بالنسبة لمرضى الربو إلا أنه يجب الحذر عند تناوله مع دواء الثيوفلين حيث أن الناتج الغذائي للكافيين هو الثيوفلين ، الأمر الذي قد يؤدي إلى حدوث آثار جانبية في حالة زيادته في الجسم .

علاقة القهوة بالقلب

هناك تناقض في نتائج تأثير الكافيين على القلب ، والسبب هو عدم القدرة على التمييز بين المتعودين على الاستهلاك وغيرهم ، وقد توصلت بعض الدراسات إلى أن الكافيين يقلل ولا يغير سرعة ضربات القلب ، والبعض الآخر وجد أنه يزيد ضربات القلب ، كذلك الأمر بالنسبة للضغط ، أما بالنسبة لعلاقة الكافيين بأمراض القلب كالاحتشاء القلبي أو الضربات البطينية المبكرة VPBS فقد كانت موضع نقاش والتباس ، وبعد الدراسات التي خرجت في أوائل الستينات من (Paul O. Etal 1963)

ومن مجموعة بوسطن في أوائل السبعينات لا يزال أمر تقريرها محيراً ، حيث بينت أن هناك علاقة بين هذه الأمراض وبين الكافيين وبالذات الاحتشاء القلبي ، إلا أن الدراسات الحديثة جميعها وبالذات دراسة برمنجهام الأمريكية ، لم تبين أي علاقة مهمة تذكر بين هذه الأمراض والكافيين ، بل وهذه الدراسات لا تجد عذرا لمنع القهوة النهائي عن مرضى القلب ، وأن بعض الذين تزداد عندهم الضربات البطينية المبكرة يحتاجون إلى أقل من ٩ أكواب قهوة في اليوم ، أما الأشخاص الذين لديهم حساسية للكافيين فهم معرضون إلى اللانظمية Arrythmias

المهم في الأمر أن الاعتدال في شرب القهوة ليس له علاقة بأي من أمراض القلب المذكورة إلا في الأشخاص الحساسين ، ولا يعتبر الكافيين بعد تلك الدراسات له علاقة مباشرة في إحداث أو استمرار تقدم أمراض القلب والشرايين ، ولكن التدخين مع القهوة يدخل في هذه العلاقة ..

القهوة والضغط

ما زالت الدراسات التي جرت حول علاقة القهوة بالضغط متناقضة ، فهناك دراسات بينت أنها تؤدي إلى ارتفاع الضغط ، ودراسات أخرى قالت تؤدي إلى انخفاض الضغط ، وجاءت ثالثة لتقول لا يوجد تغير في الضغط مع تناول الكافيين . ولكن الدراسات الأخيرة وبالذات دراسة « روبرتسون ــ ١٩٨٤ » ، قالت بأنه لا توجد علاقة بين استمرار شرب القهوة وارتفاع الضغط أو الارتفاع في نسبة مادة (Catetholamine) أو نسبة « الرنين » في الدم في المرضى المصابين بارتفاع طفيف في الضغط ، لذلك لا داعي لمنع مرضى الضغط من تناول المواد التي بها الكافيين وبكمية معتدلة ، بشرط الامتناع عن التدخين والكحول .

الكافيين والجهاز الهضمي

أكثر الأعراض حدوثاً بعد شرب القهوة هو حرقان في فم المعدة ، ومن المحتمل أن يكون ذلك بسبب إثارة القهوة للغشاء المخاطي للمرئ أو بسبب زيادة انتاج الأحماض في المعدة وتأثيرها المثير على المرئ بسبب رجوعها إليه .

وكان الباحثون في السابق يعتقدون أن القهوة لها دور في احداث القرحة أو في تفاعلها ، لذلك كان منع القهوة عن مرضى القرحة إحدى وسائل العلاج ، إلا أن هذه العلاقة حتى إن وجدت ليست مؤكدة علمياً ولا يوجد دليل علمي يؤكد أن منع القهوة سيؤدي إلى علاج القرحة ، لكن الزيادة منها لاشك ترفع من درجة الحموضة ، ودورها يصبح مضاعفاً مع السيجارة التي تأكدعلمياً أنها تؤخر شفاء المرضى بالقرحة أثناء علاجهم .

ولا شك أن القهوة بأنواعها ــ حتى القليلة الكافيين منها تؤدي إلى زيادة في إفراز المعدة وأحماضها .

العيوب الخلقية ونتائج الحمل

في السنوات الأخيرة ظهر القلق في الأوساط الصحية من استعمال المواد التى بها الكافيين في فترة الحمل ، الأمر الذى قد يؤدى إلى تشوهات في الأجنة والتأثير في نتائج الحمل كحدوث الاجهاض والولادة المبكرة أو توفى الجنين أو الولادة بأقل من الوزن المعتاد .

ولقد ظهر هذا في التجارب على الحيوانات المختبرية وفي خمس دراسات أخرى على البشر ، أهمها دراسة « ماو ومجموعته ١٩٧٤ » ودراسة « بورلي ومجموعته ١٩٧٨ » ودراسة « نوربي ومجموعته ١٩٧٩ » .

لكن دراسات ظهرت أخيراً وعلى مجموعات كبيرة لم تؤكد هذه العلاقة بالشكل القاطع ، وأهمها دراسة لين . ودراسة روزنبرج من بوسطن .

ويزداد غموض الموقف عندما نعلم أن الادارة الأمريكية للأغذية والعقاقير FDA اعتبرت الكافيين على أنه من المواد التى تعتبر مأمونة عموماً . G.R.A.S. عام ١٩٧٧ ، ثم عادت عام ١٩٨٠ وأصدرت تحذيراً للناس عن احتمال وجود علاقة بين استعمال الكافيين أثناء الحمل والتشوهات ، ونصحت على أساس ذلك الحوامل بتحذير استعمالهن للمواد الحاوية على الكافيين .

أمراض الثدى الحميدة

ربطت بعض الدراسات بين استهلاك المواد التى بها الكافيين وبعض هذه الأورام بالذات في النساء في مرحلة سن اليأس ، وكانت لدراسة « منترن ١٩٨١ من جامعة أوهايو دور كبير في ذلك ، حيث بين في دراسته أن ٨٢٪ من النساء اللاتى امتنعن عن استعمال أي مادة بها الكافيين قد

الجدول رقم (٢)

كمية الكافيين في بعض أنواع الطعام والمشروبات

بعض المرطبات	الكمية (حجم أو وزن)	كمية الكافيين بالملجرام
الكوكاكولا	٣٦٠سم٣	٤٥ ملجرام
دكتور بيبر	»	٣٩,٦ ملجرام
د . بيبر الخالي من السكر	»	٣٩,٦ ملجرام
Mello Yellow	»	٥٢,٥ ملجرام
Mr. Pibb	»	٤٠,٥ ملجرام
بيبسي كولا	»	٣٨,٤ ملجرام
بيبسي كولا ريجيم	»	٣٦ ملجرام
Tab	»	٤٦,٥ ملجرام

الكافيين

فيه منافع قليلة.. ولكن ضرره أكبر

أدى ذلك إلى اختفاء الأورام بهن أما الباقي فقد تحسن وضعهن وقل حجم الورم .

وجاءت بعد ذلك الدراسات بين مؤيدة ومعارضة والأخيرة بالذات لم تثبت بالاشعة أي تغير ذكره منترن .

إلا أن الدراسات حتى الآن قليلة في هذا المضمار ، وبما أن هذا النوع من المرض وبالذات مرض الكيس الليفي Fibrocystic Disease له أوجه مختلفة ، وهو أحد الأمراض التي تحمل خطر التحول إلى سرطان ، وبما أن بعض النساء لديهن بعض الحساسية في هذه السن لمادة الكافيين فإنه من الأسلم التقليل منها والامتناع عنها في حالة حدوث الورم .

الكافيين والسرطان

العلاقة بين السرطان والكافيين علاقة غير واضحة تماماً ، ولا يوجد معيار معين للاعتماد عليه ، ويعتقد البعض أن العلاقة إن وجدت قد تكون بسبب عامل آخر غير الكافيين في القهوة أو في البيئة . لكن المحير أن دراسات كثيرة ربطت بين الكافيين والسرطان ، فواحدة من هذه الدراسات التي اجراها ستوك Stock وهي دراسة وبائية شملت ٢٠ بلداً ربطت بين الشاي وسرطان الحنجرة والرئة والثدي لدى النساء ، وبين القهوة وسرطان البنكرياس والبروستاتا عند الرجال وسرطان المبيض عند النساء وسرطان الدم عند الجنسين . هذا وأتت دراسات بعد ذلك أيضاً أوائل الثمانينات تبين أن لسرطان البنكرياس علاقة بشرب القهوة حيث وجد (Mac Mahon Etal) أن الذين يشربون كوبين من القهوة فإن عامل الخطورة للإصابة فيهم «١» بينما الذين يشربون ٣ ، ٤ ، ٥ أكواب في اليوم فإن عامل الخطورة فيهم « ٢,١ » ، « ٢,٨ » ، « ٣,٢ » على التوالي . وهناك أيضاً دراسات عن وجود علاقة بين سرطان المثانة واستهلاك القهوة ، وأن إحدى هذه الدراسات المهمة كانت تدرس دور السجائر والوظيفة على سرطان المثانة ، فوجدت أن القهوة أيضاً لها دور .

وهناك دراسة أخيرة نشرت عام ١٩٨٤ ، وأجريت على ٢٣٩١٢ شخصاً من بين مجموعة دينية منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٨٠ ..



بذور القهوة التي تحتوي على مادة الكافيين التي تؤثر على أجهزة الجسم ، وهذه البذور هي نتاج شجرة دائمة الأخضرار طول السنة ، وتحتاج دائماً لمناخ حار

الجدول رقم (٣)

محتويات القهوة من الكافيين

القهوة القطرية	٦,٦٨ ملجرام	لكل ١٠٠ سم٣
النسكافيه « حبيبات »	٤٥١٥,١٥ ملجرام	لكل ١٠٠ سم
النسكافيه الخفيفة الربتكيز	٥٤,١٨ ملجرام	لكل ١٠٠ سم ٣
النسكافيه القوية	١٠٨,٣٧ ملجرام	لكل ١٠٠ سم ٣

مع العلم بأن :
ملعقة صغيرة من حبيبات النسكافيه تزن ١,٨ جم
فنجان القهوة يسع حوالي ١٥٠ سم ٣ من القهوة السائلة .

● الكافيين قد يؤذي القلب ويؤدي إلى ضغط الدم والسكر
● أخطار على الجنين إذا أكثرت الحامل من شرب القهوة

وهم « جماعة اليوم السابع » ، والمعروف عنهم أنهم لا يستعملون القهوة ، لكن الذين استعملوها منهم كان خطر الإصابة بسرطان القولون أكثر لديهم ، إلا أن الدراسة لم تبين أى علاقة مع أنواع السرطان الأخرى ..

أمام ذلك كله يمكننا أن نقول إن الدلائل والدراسات الوبائية أوضحت أن هناك نوعاً من العلاقة بين الكافيين وبعض أنواع السرطان ، ولكنها لا تستطيع أن تجزم بوجود علاقة مباشرة بينهما أو الكمية المحددة لحدوث العلاقة ، ورغم ذلك فإننا ندعو إلى الحذر الزائد من استخدام المواد التى تحتوى على الكافيين وخاصة بالنسبة للمدخنين أو الذين يعيشون معهم فى أماكن رديئة التهوية .

الكافيين والكلية

استعمال الكافيين كدواء أو أخذه فى المواد التى تحتوى عليه بكمية كبيرة يؤدي إلى زيادة كمية البول ، الذى يعتقد أنه يتم عن طريق التدخل في عملية امتصاص الماء والصوديوم في الكلية .

الكافيين والجهاز العصبى

للكافيين تأثيرات مختلفة على الجهاز العصبى وهو في الأساس المادة الشعبية المنبهة والمنشطة النفسية فى دول الغرب وامريكا ، حيث وجد فى أمريكا الشمالية أن هناك ٩ من ١٠ أشخاص يشربون المشروبات التى تحتويه ، وأن كل ١ من ٤ أشخاص يشربون بين ٤ ـ ٥ أكواب من القهوة أو الشاى أو كليهما .

فالكافيين يرفع القدرة على الحذر واليقظة ويزيد من سرعة الاستجابة بالنسبة للإثارة السمعية والبصرية فى الشخص العادي ، ولكنه عكس ما يقال عنه بين العامة فى أوربا بأنه يعكس الكآبة الناتجة من تأثير الكحول .

ويؤثر الكافيين على النوم فى مختلف مراحله ويؤدى إلى الأرق إذ أن تناول القهوة مثلا قبل الذهاب إلى السرير بـ ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة يؤدي إلى الزيادة فى زمن ما قبل النوم ، ويقلل فترة النوم ، ويزيد من فترة النوم الخفيف الأمر الذى يؤكد الاعتقاد الشعبى « بأن الكافيين يؤثر على النوم » ، طبعاً هذا الأمر لا ينطبق على كل الناس وبالذات الذين يتناولونه بكثرة وتطبعوا عليه .

كذلك يؤثر الكافيين بشكل ظاهر على المزاج إذ أن مجموعة من المتطوعين وصفوا احساسهم بالاستعداد الكامل والبعض بالقلق . هذا التأثير أيضاً يعتمد على تغيرات وحساسية الأفراد للكافيين .

كذلك هناك تغير سلوكى مصاحب لاستعمال الكافيين حيث أنه يشبه السيجارة والمواد الأخرى من حيث التعود والاحتمال وظهور علامات السحب التى بالامكان ملاحظتها فى الناس المتعودين على الشاى أو القهوة صباحاً عندما يتأخرون عن شربها إذ يصابون بصداع واضطرابات فى الحركة وقد تكون فى البعض شديدة تؤدى إلى الغثيان .

مما تقدم يتضح أن القهوة أو الشاى بكميات مقبولة تزيد من القدرة الذهنية وتزيد الانتباه وتجعل تواصل الأفكار مستمراً والانفعال الحسي بالحدث سريعاً ودقيقاً ، فلقد وجد أنه بعد كوبين من القهوة تزداد مهارة السائق وتزداد سرعة ودقة الطابعين على الآلة الكاتبة .

الكافيين والمرضى النفسانيون

يعتبر الكافيين من المواد المنافسة لعقار الديازبام ، حيث أنه ينافسه على مكان استقباله فى خلايا المخ « المستقبل » فيمنع استقباله وبالتالى تأثيره الدوائى لذلك يجب أن لا يعطى أو يؤخذ الكافيين مع هذه الأدوية « الفاليوم كمثل معروف لهذه الأدوية » .

ومن بين المرضى النفسانيين في المستشفى يتضح أن الكافيين يؤدى إلى كثرة الاضطرابات ، وحيث تبين ذلك في الفحص بالنسبة للقلق أو الكآبة . أما بالنسبة لمريض انفصام الشخصية فإن حالته تسوء باستعمال المزيد من الكافيين ، أما الحبوب المنومة فإن مفعولها يقل كثيراً إذا أخذ الكافيين معها فلقد بين Forrest Etal أن مفعولها مع الكافيين يساوى مفعول العقار المموه Placebo لذلك ينصح بعدم بدء علاج المصابين بالأرق قبل المعرفة الدقيقة عن تعاملهم مع الكافيين . فى هذا المجال يتحمل الأطباء والمستشفى الذى يعالج فيه هؤلاء المرضى مسئولية تنظيم عملية تناول الكافيين .

التسمم بالكافيين Caffeinism

هذه الظاهرة هي حالة من التسمم الحاد أو المزمن الناتج من تناول جرعات كبيرة من الكافيين « تقريباً أكثر من ٩ أكواب من الشاي أو أكثر من ٧ أكواب من القهوة » . هذه الحالة تبين أن حدوثها أكثر من المتوقع لذلك فإنها كظاهرة مرضية وضعت فى كتاب التشخيص السنوي لجمعية الأطباء النفسانيين الأمريكية ، إن أعراض هذه الظاهرة كثيرة وتختلف نسبة ظهورها بنسبة ارتفاع كمية الكافيين فى بلازما الدم . « ١٠ ـ ٢٠ مجم/لتر فى الأطفال والرضع ، ٣٠/ لتراً فى البالغين » تؤدى إلى ظهور أعراض التسمم والتى تشمل الاستياء ، القلق ، التوتر ، الهياج ، والارتعاش العضلى ، الأرق ، الصداع ، مجموعة من التأثرات الحسية كالطنين فى الأذن ومجموعة من التأثيرات على الأجهزة المختلفة . قد يصل التسمم بالكافيين فى بعض الحالات إلى الوفاة وسجلت حالات انتحار بكميات كبيرة من القهوة تصل إلى (١٠ جم) فى بعض الأحيان .

إن المواد التى تحتوى على الكافيين تدخل فى كل شيء فى حياتنا منذ طفولتنا حتى شيخوختنا ولا يكاد على وجه هذه الأرض يخلو بيت منها لكن استعمالنا لها فاق في كثير من الأحيان وتخطى مكانها كشيء من التسالي الاجتماعية فنحن ربما نتناولها يومياً على شكل ٣ أكواب من الشاى أو القهوة وحبتين من المسكنات للصداع التى بها الكافيين وزجاجة أو علبة من الكولا وقطعة من الشيكولاته وبعض الأحيان كيك بالقهوة .

هذا فى المعدل ولكن بعض الناس بناءً على اعتقادات وممارسات خاطئة يتناولون أكثر من ذلك الأمر الذى أدى إلى قلق السلطات الصحية فى جميع الأقطار فتوجهت لدراسة هذه الظاهرة التعودية « الادمانية » فى المجتمع ووصلت غالبيتها بالمتاح لديها للاعتقاد أن الكافيين مادة كيميائية تؤدى إلى الاعتماد والاحتمال وأعراض سحب المادة ، لذلك يرجى فيها الاعتدال والذين يعانون من سمومها يرجى الامتناع كلياً !

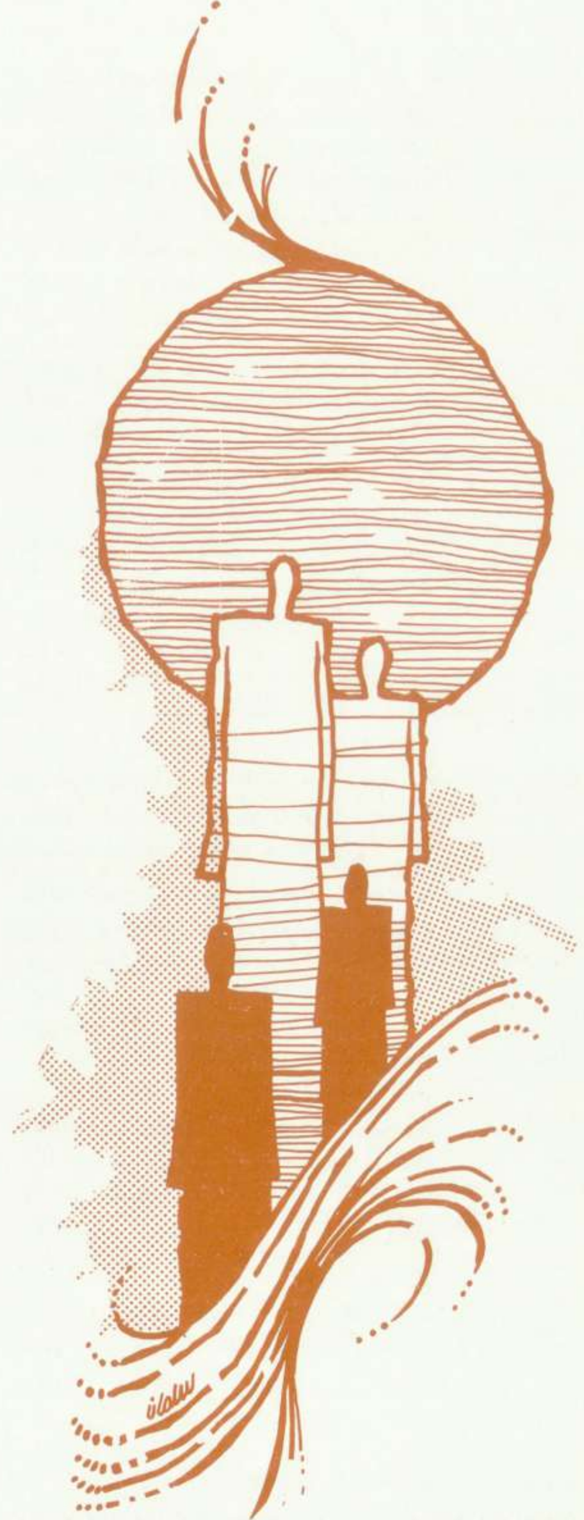
عبد الله الباكر

في ذكرى احراق المسجد الأقصى

يا قُدس..



شعر: محمود الشاهد



القدس في قلبي وفي وجداني ... هي أولٌ والغير حُبٌ ثاني
القلب يُدميه الحنين تولُّهاً ... قد أثقلته مرارة الحرمان
وأهيم في الذكرى وأنىَّ يكتفي ... قلب المحبّ بصورة وأماني
وتدفّقُ العبرات لا يُغني الفتى ... عن سالف الايام والأزمان
يوم الصبا المفتون في ريعانه ... أكرم بذاك العمر والريعان
يوم الأماني الخضر تجمع شملنا ... في كل زاوية وكل مكان
ونشمّ أنسام الحياة رقيقة ... ممزوجة بنسائم الايمان
من كل ركن قد تعطّر بالتقى ... من حول مسجدها عظيم الشان
القبلة الأولى وثالث مسجد ... للمسلمين قصيِّهم والداني
شُدّوا الرحال له وتلك وصيّةٌ ... أوصى الرسول بها لكل زمان

...

يا قدس أبواب السماء تفتّحت ... وتطلّعت في لهفةٍ وحنان
والنور يغمر والملائك حُوَّمٌ ... يسعون حول العرش دون تواني
سبحان من أسرى بطه عبدِهِ ... في ليلة ضاءت على الأكوان
أسرى به الروح الأمين برحلة ... فيها تجلّت قدرة الدَّيَّان
للمسجد الأقصى أهَلَّ بركبه ... من مَكّةٍ فتعانق الحرَمَان
الله شرّفه وبارك حوله ... في محكم التنزيل في القرآن
من فوق صخرته تسامى للعلى ... طويت مسافات ببضع ثواني
ولجنَّةِ المأوى تناهى وارتقى ... يا هوله ما تبصر العينان
فلقد رأى الآيات يعجز وصفها ... ما نالها بشرٌ من الانسان
وهب الإلّه لنا عظيم صلاتنا ... صلة تشدّ العبد للرحمن

...

القدس والذكرى تطوف بخاطري ... وتقلب الأيام والحدثان
والعادل الفاروق يفتح بابها ... بمفاتح الانصاف والإحسان

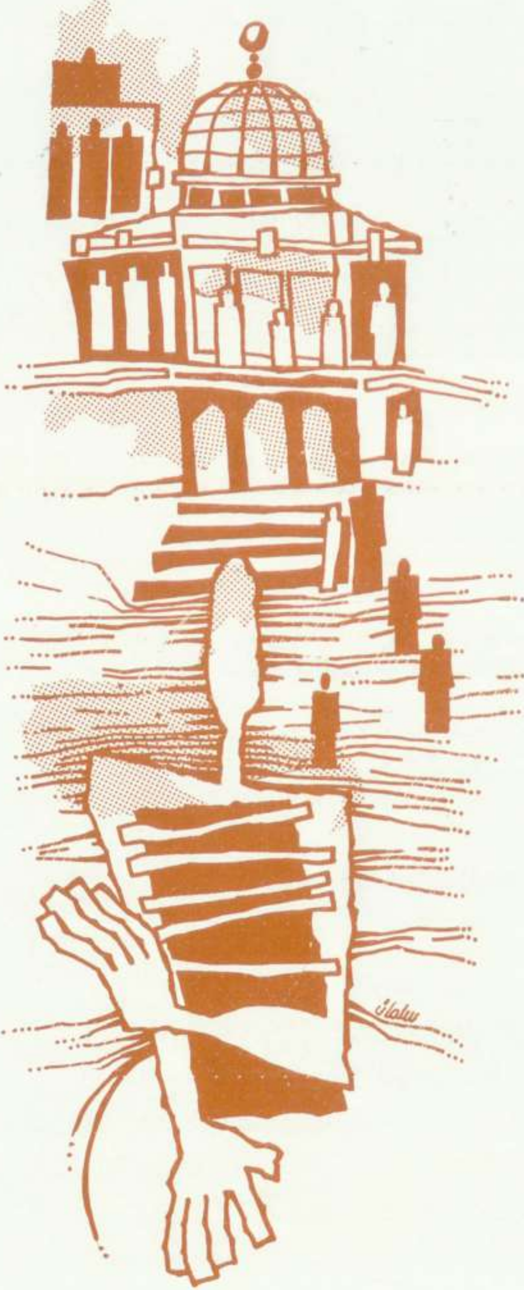
ويخطُّ في سفْر الخلود وثيقةً كانت لكل الناس عهد أمان
فيحلّ في الأرض السلام وشرعُه ويقوم عدل راسخ البنيان
هل سجَّل التاريخ في صفحاته عهداً يساوي الكلّ في الميزان
لكنّما التمزيق ينخر صفنا وتُذيقنا البغضاء طعم هوان
وتدوس أقدام الغزاة ترابنا وتدين أرض القدس للعدوان
حتى يتيح الله جمع شتاتنا ويعود قلب الحبّ للخفقان
يأتي صلاح الدين يصنع وحدةً للعرب يبنيها على الايمان
فيدكُّ صرح البغي من أركانه ويزيل عهد الظلم والطغيان
في ليلة الإسراء عادت قدسنا والمسجد الأقصى وصوت أذان

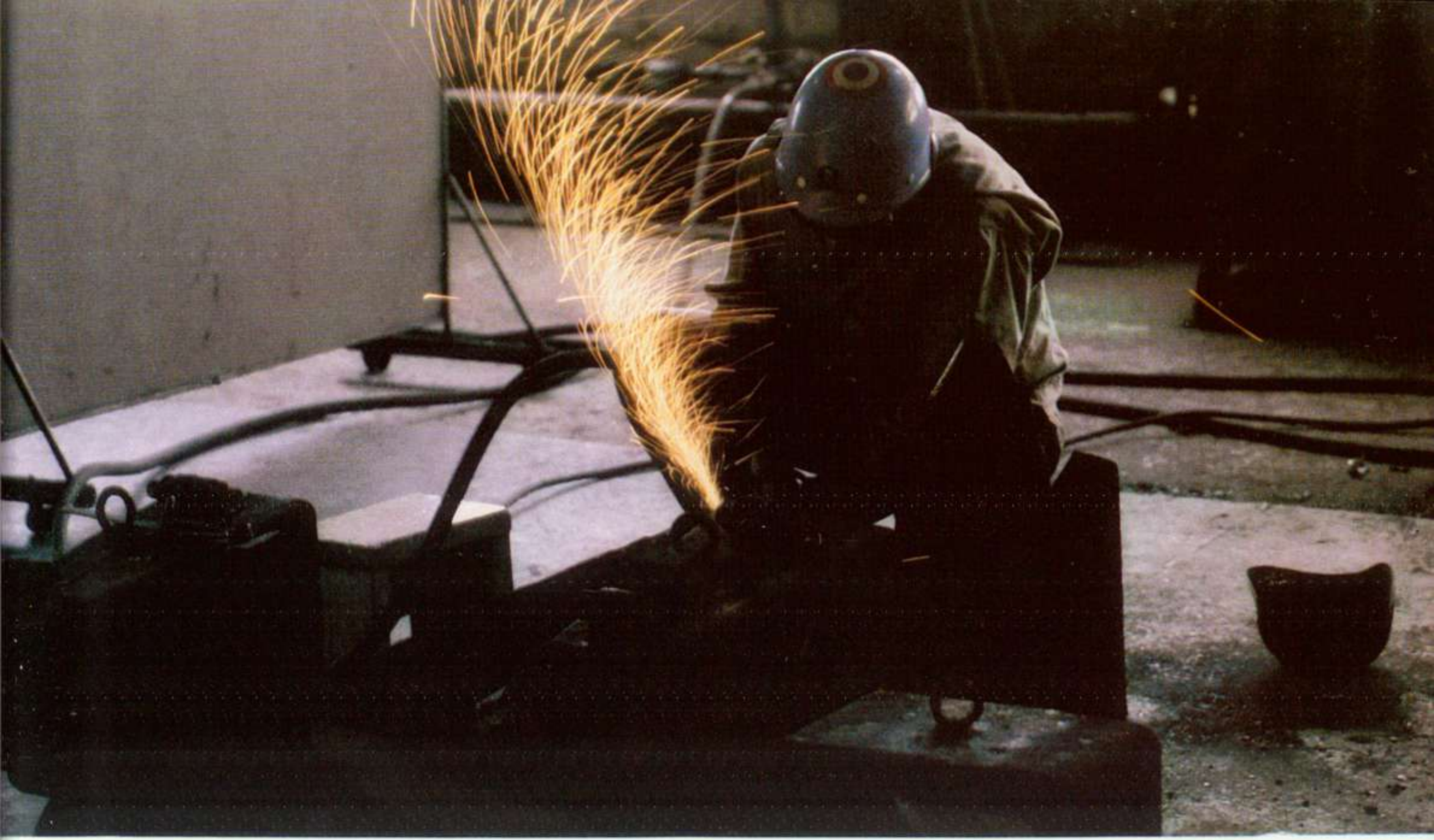
• • •

يا قدس قد عاد الظلامُ وليلهُ أرخَى عليك ستورَه من ثاني
وجحافل الصهيون تسحق شعبنا بالغدر والتشريد والحرمان
في كل ركن من حماك مهانة قد دنّسوا بالغصب كلَّ مُصان
المسجد الأقصى ومسرى المصطفى وكرامة الاسلام والانسان
يا قدس هل نشكو الزمان وَصَرْفَه وبنا البلاءُ المرُّ كلّ زمان
عَمِيَتْ قلوب القوم فهي كليلة ما غرَّكم أن تبصر العينان
وتفرّقوا شيعاً تُناحر بعضَها والحرب بينهم بكل يماني
هُنّا على الأعداء رغم جموعنا وكأننا زبدٌ جُفاء فاني
ولقد تنامى الحقد في جنباتنا ودماؤنا هدرت من الأخوان
إنّا نسينا الله في أفعالنا فالله أنسانا هوى الأوطان
لن ترجع الأوطان دون جهادنا بالنفس نبدأه مع الأبدان
واذا أراد الله نصر شعوبنا نقّى نفوسهم من الأدران
وقضى بوحدتهم وجمع شتاتهم ووقوفهم صفّاً بوجه الجاني

• • •

يا قدس يا حبَّ السماء تحيّة من قلب صَبٍّ مُولع ولهان
مبروكة الأرجاء أرّقني الجوى والبعد عن تلك الربى أضناني
لهفي على تلك الربوع وأهلها هُمْ للصمود فرائدٌ ومعاني
هلّا أطلّ الفجر بعد غيابه بعد الليالى السود والأشجان
وتعود للشعب المشرّد أرضه فكفاه ما لاقى من الأحزان
وكفاه ما سُكبت دماه رخيصة يا ليتها بَلّتْ ثرى الأوطان
لابد من رُجعى وإن طال المدى أو طال ليل القهر والحرمان
لابد من يومٍ لنا من دهرنا فالدهر في شرع القضا يومان
هذا نداء الحق يقرع سمعنا ما زال رجع صداه في الآذان
هيّا اعملوا وتكاتفوا وتوحّدوا وتعاونوا في السرّ والاعلان
فالله بشّرنا بعَوْدٍ أحْمَدٍ في سورة الإسراء في القرآن





يخرج الصلب من خلال عمليات فنية دقيقة هذه هى احداها

كيف دخلت قطر مرحلة تصنيع الحديد والصلب؟

القصة الكاملة لأول مصنع صلب متكامل في منطقة الخليج

تحقيق: السيد حجازي • عدسة: أمين بدوي

كان ذلك منذ سبع سنوات تقريباً ..

واذا شئنا التحديد الدقيق فقد كان اليوم هو السادس والعشرون من ابريل عام ١٩٧٨ ..

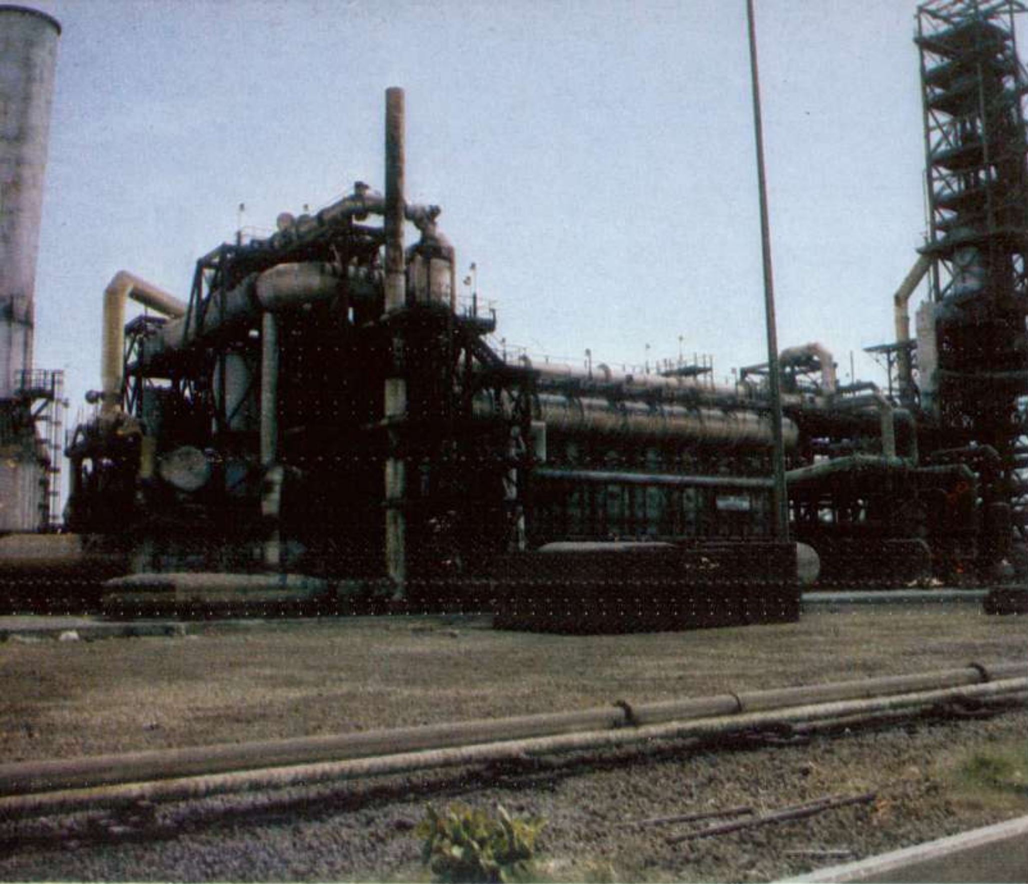
فى هذا اليوم التاريخى شهدت دولة قطر حدثاً لا يستهان به ..

فقد خرجت الى الوجود صناعة جديدة رائدة على المستوى القطرى ، ودخلت قطر مرحلة من المراحل الصناعية الهامة هى مرحلة تصنيع الحديد والصلب ..

وهى خطوة كانت تعنى ولا تزال أن قطر بدأت تعرف طريق المستقبل الصحيح الذى يكمن فى قوة الصناعة ، والتسلح بأهم أسلحة العصر الحديث ..

فى هذا اليوم المشهود قام حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى بحضور المناسبة التى وضعت البلاد على مشارف الخطوة الجديدة ، وتفضل سموه بقص الشريط ايذاناً بافتتاح شركة قطر للحديد والصلب ..

وبدأت المسيرة المباركة ..



● الإنتــاج فــاق طاقتــه التقديريــة فـي أول ســنة بعــد التشــغيل

● المصنــع ســاهــم في التطويـر السريـع لقطـاع الإنشـاءات محليـًا وخليجيـًا

يقف مصنع الحديد والصلب فى قطر شامخاً كدليل على الارادة التى لا تلين

وهى فعلا كذلك بكل المقاييس ..

فمنذ ذلك التاريخ انطلق العمل والانتاج فى هذا المجال الحيوى والهام بخطوات ثابتة ، وواثقة ..

وبعد عامين فقط من التشغيل الكامل أثبتت هذه الشركة أنها من أكثر شركات الحديد والصلب كفاءة فى العالم ..

واستمرت مسيرتها تؤكد هذا المعنى وتثبته ، وأخذ انتاج قطر من الحديد والصلب ينافس فى الأسواق العالمية ، ويعرف بتميزه ، ومواصفاته الخاصة ..

والحكاية .. حكاية الحديد والصلب القطرى ، منذ أن بدأت ، وحتى وصلت الى ما وصلت إليه ، تستحق أن نقلب صفحاتها ، ونستمتع بفصولها التى تعكس الاصرار على التقدم ، والارادة التى تفعل المستحيل ..

وهناك فى الواقع معالم وتواريخ لا تنسى فى حياة هذه الشركة الرائدة ..

فى مايو ١٩٧٣ بدأ المركز الفنى للتنمية الصناعية فى العمل على اخراج مشروع مصنع الحديد والصلب الى حيز التنفيذ ..

وفى يوليه ١٩٧٤ أبرمت الاتفاقية بانشاء شركة قطر للحديد والصلب المحدودة بين حكومة دولة قطر وكل من شركة كوبى ستيل وطوكيو بوكى اليابانيتين ..

وأخذت الأحداث تتوالى ..

بدأت أعمال الهندسة المدنية بعد ذلك . ثم وصلت الى أم سعيد السفينة الأولى المحملة بالخردة اللازمة لتشغيل المصنع . واكتملت التركيبات والانشاءات فى معظم أجزاء المصنع ..

وفى ٢٦ ابريل عام ١٩٧٨ أفتتحت المصانع رسمياً وبدأ الانتاج التجارى ، ووصلت الى ميناء أم سعيد فى مايو من ذلك العام السفينة الأولى المحملة بخام الحديد . وغادرت الميناء أول بارجة محملة بمنتجات الشركة ..

رقم قياسى

وبدأ تشغيل فرن الاختزال المباشر ..

ثم بدأت المبيعات للسوق المحلية ، وحققت وحدة الأفران الكهربائية مع وحدة الصب المستمر رقماً قياسياً فى الانتاج بلغ مليون طن ..

وسجلت وحدة الدرفلة المليون الأول فى الانتاج ، كما سجل قسم تسليم الانتاج المليون الأول من التسليم ، وفى الوقت نفسه سجل مصنع الاختزال المباشر المليون الأول من الانتاج ..

وتضم الشركة كما يقول المهندس محمد سعيد السحال مدير المركز الفنى للتنمية الصناعية ورئيس مجلس إدارة الحديد والصلب ، أول مصنع صلب متكامل فى منطقة الخليج ..

فهو يشمل كافة مراحل الانتاج اعتباراً من اختزال خام الحديد الى مرحلة الدرفلة النهائية لانتاج قضبان التسليح ..

ويضيف المهندس السحال أن المصنع يعمل بطريقة مستمرة ومنتظمة حتى فاق انتاجه طاقته التقديرية ، ومما يدعو للتقدير والاعجاب هنا ما قرره البنك الدولى من اعتبار هذه الشركة مثلا يحتذى به للدول النامية عند إقامة مشروع ما فى مجال الصناعات الثقيلة ..

ولقد تجاوزت الشركة طاقتها التقديرية فى أول سنة كاملة بعد بدء تشغيلها .. فقد كانت الطاقة التقديرية لها ٣٣٠ ألف طن سنوياً من قضبان التسليح ، بينما بلغ الانتاج الفعلى فى عام ١٩٧٩ كمية قدرها ٣٧٨٥٤٤ طن ..

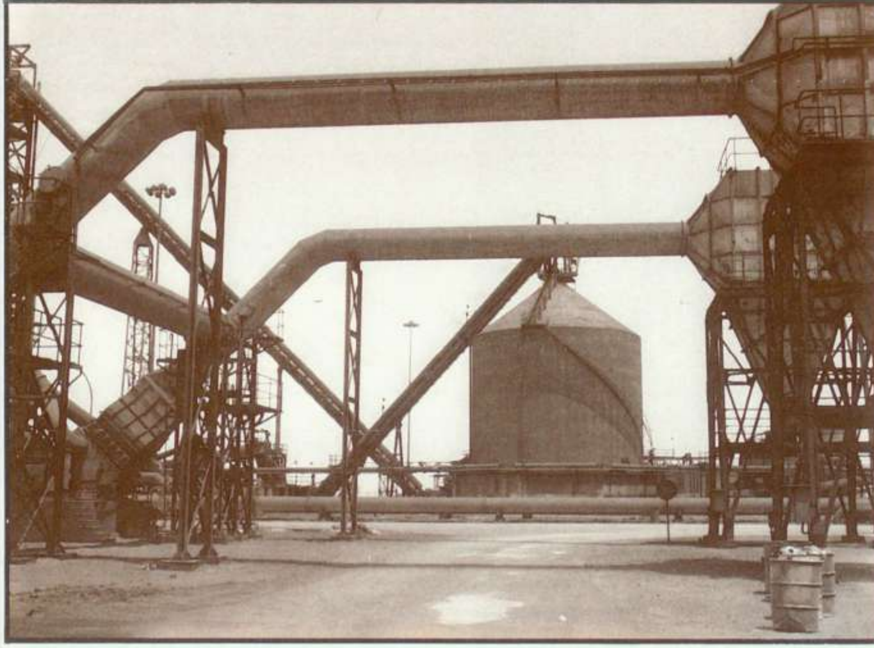
انجاز مميز

وهذا فى الواقع كما يقول المهندس السحال يعتبر انجازاً مميزاً على المستوى العالمى ..

فشركات الصلب المتكاملة تحتاج الى فترة تتراوح بين ٣ و ٥ سنوات للوصول إلى طاقتها حتى فى الدول الصناعية ..

ولقد بلغ الانتاج الفعلى عام ١٩٨٠ على سبيل المثال كمية قدرها ٤٥٠٣٤٠ طن بزيادة بلغت ٣٦٪ كما زاد الانتـاج فى عام ١٩٨١ حتى وصل إلى ٤٥٤٣٦ طن . وتجاوز انتاج الشركة المليون طن الأولى من الحديد الاسفنجى فى مايو ١٩٨١ ، ومن كتل الصلب فى يناير من نفس العام ، ومن قضبان التسليح فى فبراير من العام نفسه أيضاً ..

ويضيف المهندس أحمد السبيعى نائب رئيس مجلس إدارة الشركة الى ذلك قوله : إن انتاج



عشرات من الأجهزة داخل قسم التخزين المباشر والذى تبدأ منه رحلة الحديد

المصانع من حديد التسليح قد ساهم مساهمة فعالة فى التطور السريع لقطاع الانشاءات على مستوى دولة قطر ، وعلى مستوى دول الخليج العربى الشقيقة .. وكانت ولا تزال أكثر الدول استيرادا لانتاج الشركة هى دول الخليج ، وفى مقدمتها السعودية ، تليها الامارات ، ثم الكويت وعمان ..

كما ساهم هذا الانتاج أيضاً فى مشروعات وقطاعات متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر محطات توليد الكهرباء والمنشآت الحيوية والمشروعات الصناعية والفنادق والمساكن ..

العمل الجاد

ولقد تمكنت الشركة كما يقول المهندس السبيعى من تحقيق هذه النتائج المميزة بالعمل الجاد ، والمثابرة ، والتصميم ، كما تمكنت من تحقيق نتائج جديدة فى مجال تدريب وتطوير العمالة الادارية والفنية القطرية بالشركة ..

وهكذا أصبحت المصانع تضم أقساماً كثيرة يرأسها قطريون من بينها قسم الأفراد ، والمشتريات ، والسلامة ، والاختزال المباشر والصب المستمر ، والدرفلة ، وغيرها .. وقد أثبتوا هم وغيرهم من العاملين فى كافة المجالات قدرتهم على العطاء ، والوصول بالانتاج الى الجودة المطلوبة والمميزة ..

ولقد تأسست شركة قطر للحديد والصلب (قاسكو) فى ١٤ أكتوبر ١٩٧٤ شركة مساهمة بين حكومة دولة قطر وكل من الشركتين اليابانيتين كوبى ستيل المحدودة وطوكيو بوكى المحدودة ، وذلك ضمن خطة التصنيع لدولة قطر والتى اعتمدها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ..

وكان رأس المال الخاص بالشركة هو ثلاثمائة مليون ريال قطرى ، أى خمسة وسبعون مليون دولار أمريكى تقريباً ، وتملك حكومة دولة قطر سبعين فى المائة من الأسهم ، بينما تملك الشركة اليابانية الأولى عشرين فى المائة والثانية عشرة فى المائة ..

وينتج هذا المصنع أسياخ الحديد العادية والمجدولة ، وكتل الصلب المربعة المقطع ، والحديد الاسفنجى ، ويقع على مساحة تبلغ سبعمائة وسبعين ألف متر مربع ، ويضم حوالى ١٢٠٠ فنى وموظف وعامل ..

الانتاج يتصاعد

والصورة تبدو أكثر واقعية وأكثر اشراقاً داخل المصنع نفسه ..

فمنذ بدء التشغيل التجارى لشركة قطر للحديد والصلب فى ابريل ١٩٧٨ وانتاجها يتصاعد بطريقة مستمرة ، ويحقق سنوياً أرقاماً قياسية فى الانتاج فى كافة مراحله ابتداء بمرحلة الحديد الاسفنجى ، ثم كتل الصلب ، وانتهاء بمرحلة قضبان التسليح ..

والأرقام التى يقدمها المسئولون هنا عديدة ، وهى مبهجة تعطى الانطباع بأن المسيرة فى تقدم والانتاج فى تصاعد وتميز ..

• ان طول الميناء الذى يستقبل الخامات يزيد على الألف متر ، وبعمق أكثر من خمسة عشر متراً ، وله خمسة أرصفة ، وبه عدد من الأوناش والسيور والساحات والوحدات ..

• تبلغ الطاقة الانتاجية لوحدة الاختزال المباشر أربعمائة ألف طن مترى من الحديد الاسفنجى فى السنة ..

• الأفران الكهربائية ذات قدرات عالية جداً ، بطاقة انتاجية تقترب من الخمسمائة طن مترى فى السنة ، وتبلغ طاقة الشحن الواحدة سبعين طناً مترياً ..

• الطاقة الانتاجية لوحدة الصب المستمر تزيد على الخمسمائة طن مترى فى السنة ، بينما تبلغ طاقة وحدة الدرفلة أكثر من ثلاثمائة طن مترى من أسياخ حديد التسليح ..

ومع الأرقام والمعلومات عشنا التجربة على الطبيعة بالكامل ، ورأينا كيف يتم انتاج الحديد والصلب منذ البداية حتى النهاية ..

وكخطوة أولى تفرغ الخامات المستوردة بواسطة الأوناش الموجودة على رصيف الميناء الخاص بالشركة . ويمكن لهذا الميناء أن يستقبل سفن الخامات بحمولة تصل الى مائة ألف طن ..

بعد التفريغ تبدأ عملية نقل خام الحديد من الميناء بواسطة السيور الناقلة لتخزينه فى الساحة الخاصة ..

وهنا يتم تخزين خام الحديد بطريقة خاصة حتى يصل الى الاختزال المباشر ..

أما الحديد الخردة فيتم تحميله بواسطة الرافعة المغناطيسية ونقله بالشاحنات لتغذية الأفران الكهربائية ..

وفى وحدة الاختزال المباشر رأينا كيف تشحن مكورات أكسيد الحديد من أعلى الفرن ويتم اختزالها بواسطة غازات الاختزال الساخنة والتى تتكون أساساً من غازى الايدروجين وأول أكسيد الكربون ..

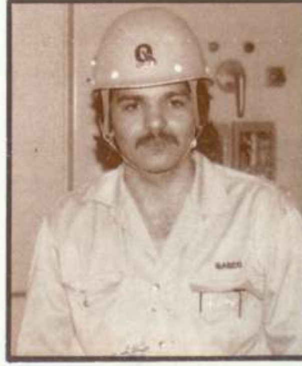
وبذلك يتم انتاج الحديد الاسفنجى الذى يتم تبريده فى الجزء الأسفل من الفرن بواسطة غازات التبريد ، بحيث لا تزيد درجة حرارته عن ٦٥ درجة مئوية عند خروجه من أسفل الفرن ، وذلك لتفادى أكسدته مرة أخرى ..

نظام متكامل

وفى وحدة الصهر أو الفرن الكهربائى يوجد فرنان من الأفران الكهربائية ذات القدرات العالية جداً ، وقد استخدم فى هذه الوحدة نظام متكامل من السيور الناقلة ومعدات الرفع الكهربائية ، لنقل


أحمد موسى


محمد صالح


عيسى المالكي


عبد الجواد جودة

● ٣٠٠ مليون ريال رأس مال الشركة و ١٢٠٠ فني وموظف وعامل في المصنع
● سبعون في المائة من القطريين يحتلون مراكز قيادية
● ماذا يقول العاملون في المصنع .. وكيف تمضي صورة إنتاج الحديد خطوة بخطوة من خلال الواقع ؟

المواد الخام ، وتزويد الأفران بها لتقليل مشكلات نقل المواد ..

والفرن في هذه الوحدة يعمل بنظرية القوس الكهربائي ..

اذ يتم توصيل الكهرباء الى الأقطاب الثلاثة لتحدث الشرارة الكهربائية التى تتحول الى طاقة حرارية تصهر الخردة ..

وبعد صهر الخردة يتم شحن الفرن بالحديد الاسفنجي والمواد اللازمة لاعطاء الصلب المواصفات المطلوبة ..

وأثناء التشغيل ، كما رأينا ، يغذى الفرن بالطاقة الكهربائية اللازمة وباستمرار ، ويتم ارسال عينات من الحديد المنصهر لمركز مراقبة الجودة ، للتأكد من نسبة الكربون والكبريت والفوسفور والمنجنيز ، والسيليكون ، وبعض العناصر الأخرى ..

وبعد اجراء تحاليل التركيب الكيميائي للصلب وقياس درجة الحرارة والتى تصل الى ١٦٦٠ درجة مئوية تقريباً ، يصب الحديد المنصهر فى بوتقة خاصة لنقله لوحدة الصب المستمر ..

وفى هذه الوحدة الأخيرة رأينا كيف يستقبل الصلب المنصهر من فرن الكهرباء فى بوتقة خاصة ، يتم نقلها الى ماكينة الصب المستمر بواسطة ونش علوى (١٢٠ طناً) ..

ومن فتحة النزول المنزلقة ينساب الصلب المنصهر الى البوتقة الوسيطة ومنها يتم توزيعه الى قوالب الصب الأربعة ، حيث تأخذ كتل الصلب شكلها المطلوب مع تبريدها جزئياً ، لتمر بعد ذلك من خلال غرفة التبريد الثانوى ، ويكتمل تبريدها نهائياً ..

ولقد لاحظت أن أشعة جاما (بواسطة الكوبالت ٦٠) تستخدم فى التحكم الاوتوماتيكى لسرعة الصب ، عن طريق وحدة درافيل السحب ، والتى تقوم بسحب كتل الصلب المتجمدة خارج الماكينة ..

بعد ذلك تقطع كتل الصلب المستمرة بواسطة مقص هيدروليكى ، وتنقل بعد تبريدها الى قسم الدرفلة بواسطة الونش المغناطيسى ..

وفى وحدة الدرفلة يشحن فرن التسخين بكتل الصلب ، لتمر بثلاث مراحل ، بعد الانتهاء منها تبرد أسياخ التسليح المنتجة وتقطع آلياً ، وتنقل الى ماكينة الربط لربطها فى حزم ، ويتم ثنى حزم الأسياخ العادية والتى يبلغ طولها اثنى عشر متراً بواسطة ماكينة الثنى الموجودة فى القسم حسب طلب العميل ..

الصورة .والواقع

هذه الصورة التى عشناها على الطبيعة داخل أقسام المصنع ، وشاهدنا من خلالها كيف يتم تصنيع الحديد ، لا تكفى فى وصفها هذه الكلمات السابقة ..

فهى بكل المقاييس أكبر من أن توصف .

فالمشاهدة من خلال الواقع أروع وأكثر مدعاة للفخر والأعجاب والاطمئنان ..

ويزيد من روعة الصورة أن يكون حديث العاملين فى المصنع مؤكداً لكل هذه المعانى ، ومعطياً أبعاداً جديدة أكثر اضاءة للصورة داخل هذا المصنع العملاق ..

ان أحمد عبد الرحمن موسى رئيس شئون الموظفين والحاصل على ماجستير إدارة أعمال من أمريكا ، يتحدث عن الجانب البشرى والانسانى داخل شركة قطر للحديد والصلب ..

يقول إن هناك فى القسم معه أربعة قطريين ، وفى المصنع يصل عدد العاملين القطريين الى سبعة وسبعين ، ما بين عامل وفنى .. وهناك من بينهم ستة وعشرون يرأسون أقساماً بالمصنع ..

ويضيف أن الشركة تقدم العديد من الخدمات والتسهيلات والضمانات الاجتماعية ، مثل مساعدة الزواج التى تتمثل فى سلفة قدرها عشرون ألف ريال ، والسكن المجانى ، وسلفة السيارة ..

أما بالنسبة للرواتب فتحددها طبيعة العمل نفسه ..

والدوام يبدأ من السابعة صباحاً حتى الثالثة والنصف بعد الظهر ، ويتخلل ذلك الوقت فترة راحة لمدة خمس وأربعين دقيقة ..

وهناك الى جانب ذلك خدمات أخرى كالأكل ، والسكن الخاص بالعزاب ، والأنشطة الرياضية السنوية ، والنادى الخاص بكبار الموظفين ، ونادى الوظائف المتوسطة الذى يجرى انشاؤه ، والعيادة الخاصة بالموظفين ، والمواصلات من السكن الى السوق ثلاث مرات فى الأسبوع ، وتذاكر السفر السنوية ، والوجبات الأربع فى اليوم الواحد ..

الكفاءة أولاً

ويضيف أحمد عبدالرحمن موسى إن الترقي داخل المصنع يعتمد أولاً وأخيراً على عنصر الكفاءة ..


هكذا يتم نقل الحديد والصلب وتحميله بآلات خاصة وبجهود العمال الفنيين


كل شيء في المصنع يتم بنظام التحكم الآلي وفق أحدث الأساليب العلمية

ويدلل على هذه الحقيقة بقصة ١١ شاباً كانوا يدرسون في مركز التدريب ، ثم عملوا في الشركة ، وانتقلوا للدراسة في اليابان لمدة ثمانية عشر شهراً ، وعادوا للعمل لمدة معينة ..

انهم حالياً رؤساء أقسام بالمصنع ..

ويواصل الحديث محمد صالح المسئول الإداري بشئون الأفراد ..

انه خريج جامعة قطر عام ١٩٨٤ ، وحاصل على بكالوريوس العلوم ، لكنه أحب العمل في مجال الإدارة ..

ولذلك داوم على عدة دورات تدريبية ، وأخذ يعمل في المصنع منذ اليوم الأول بهمة ونشاط ، وهو يؤكد ألا مشاكل تذكر في العمل ..

ويضيف أن من بين العاملين (١٢٠٠) توجد ست عشرة جنسية ، والغالبية من الهنود ، والمصريين ، ثم يأتي بعد ذلك البنجلاديشيون والقطريون والجنسيات الأخرى ..

أما بالنسبة لليابانيين فهم يتركزون في ادارة المصنع . ويحتل سبعون في المائة من القطريين مناصب قيادية ..

وألتقي ببعض الإخوة العاملين في المصنع ..

راجي ني (هندي) رئيس عمال في دائرة الشحن ومناولة المواد ، يؤدي عمله منذ ثماني سنوات ، خميس مال الله (إيراني) سائق أضخم رافعة في الشركة يعمل منذ سبع سنوات ، ماثير ماثيا (هندي) سائق رافعة منذ سبع سنوات ، محمد علي طلبة (مصري) مشغل أجهزة بادارة الاختزال المباشر يعمل منذ سنة ونصف السنة ..

هؤلاء والآخرون الذين لقيناهم راضون عن أعمالهم ، ويقدرون الجهود المبذولة من أجلهم ، ويعيشون حياة الأسرة الواحدة مع الجميع بلا استثناء ، ويحصلون على كل حقوقهم ، وتحل كل مشاكلهم إن وجدت ..

العمالة جيدة

إلى جانبهم التقيت ببعض العناصر العاملة الأخرى ..

الياباني مينور اوديس مدير الصيانة الذي سألته عن رأيه في العمالة الموجودة بالمصنع ، فقال انها جيدة ، لكن لابد في البداية من التدريب المستمر على العمل لمدة لا تقل عن ثلاثة شهور ، لاختلاف الظروف من مصنع لآخر . وأضاف أن اللغة هي المشكلة التي تعوق التفاهم ، لكن الأمور تحل على كل حال ..

وقال مينور اوديس إن الانتاج الخارج من المصنع هو انتاج جيد بكل المقاييس ، وإن تميزه وصموده يعتمدان على التسويق . وهو للعلم كما قال لنا يعمل في المصنع منذ سنة واحدة ، ومبعوث من شركة كوبي ستيل اليابانية ..

أما كفاح مصطفى محمد رئيس قسم المشتريات ، خريج جامعة قطر كلية العلوم الانسانية والحاصل على ماجستير في إدارة الأعمال من أمريكا ، فهو يرى أن على الشباب الجديد أن يشعر بالاحساس بالمسئولية ، وضرورة التطور مع الزمن ، وأن يكون الانتاج هو الأساس الذي يعتمد عليه ..

وهو يلخص عمل القسم الذي يرأسه بأنه مثل « القناة » التي تصل عن طريقها كل احتياجات المصنع ، من قطع غيار وزيوت وخامات ، وغيرها من الطلبات التي تطلبها جميع الأقسام . ويضيف أن معظم الاحتياجات تأتي من اليابان وأمريكا والدانمارك والبرازيل والسويد ..

ويتحدث عيسى علي أحمد المالكي وهو قطري يعمل في وظيفة فني كهربائي في القسم التابع للأفران والصب المستمر ، وهو خريج التدريب المهني بالدوحة ، وتلقى عدة دورات تدريبية ..

يقول إن الراتب لا بأس به ، ولكن الإضافي هو الذي يساعد بالطبع . ويضيف أنه من الطبيعي أن تثور بعض المشاكل بين الزملاء أو بين فني ورئيس قسم ، وهي كلها مشاكل تتعلق بالرغبة في الترقي ، واتاحة الفرصة لتولي المناصب القيادية ، ولكن في





لوحة تذكارية تتصدر مدخل المصنع مسجلة ذكرى افتتاح سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني لهذا العمل الكبير .. ثم لقطة تمثل كمية من أسياخ الحديد التي ينتجها المصنع في انتظار تصديرها للخارج

النهاية تحل بود ومحبة ، ويعود الصفاء بين الجميع ..

القيادة مسئولية

وألتقي أيضاً ببعض رؤساء الأقسام القطريين : محمد طاهر علي رئيس قسم الاختزال المباشر ، راشد الكواري رئيس قسم الأفران والصب المستمر ، حسين عبدالله يحيى رئيس قسم الأمن والسلامة ، علي حسن المريخي رئيس قسم بشئون الموظفين ، ناصر صالح الفضالة رئيس قسم الخدمات العامة ، جواد عبدالله رئيس قسم الطاقة ، محمد علي الشيبة رئيس قسم الكهرباء ، محمد جاسم المالكي رئيس قسم الصيانة ، يعقوب همام رئيس قسم ضبط الجودة ، محمد سعيد أبو شرباك رئيس قسم المواد الخام ، خالد عبدالحميد صديقي رئيس قسم النقل ..

انهم جميعاً يعتقدون أن القيادة مسئولية وواجب وقدرة على التحمل ، وأن ما وصلوا اليه لم يكن سهلاً ، وانما تطلب جهداً وعرقاً ، وتدريباً . وهم لا يزالون يواصلون التدريب والتعليم ، فلا حركة لساكن ، ولا تحقيق لطموح دون عمل متواصل ..

أما اللقاء الأخير فكان مع الأخ عبد الجواد جودة الذي بدأ العمل في المصنع منذ عام ١٩٧٩ ، كمهندس مدني تخرج في جامعة الأزهر ، وهو الآن يؤدي دوره في العلاقات العامة بكل همة ونشاط ..

انه مثل طيب على الأداء الجاد والسلس ، وهو يستقبل زوار المصنع بكل ود ، ويشرح لهم كل صغيرة وكبيرة دون أن يشعرهم بأي تعب أو ملل ..

صورة أخيرة

وليس أبلغ من هذه الصورة الأخيرة نختتم بها هذا الحديث من قلب مصنع الحديد والصلب في دولة قطر ..

إن هذه الصورة تتضمنها رسالة من المدير العام للمصنع هيروشي هاسيماوا إلى كل العاملين به ، في بداية هذا العام ..

ماذا تقول الرسالة ؟

هذه هي كلماتها :

« خيمت سحابة من الفتور والخمول الشديدين على سوق الصلب بمنطقة الخليج اعتباراً من مطلع العام المنصرم ، وباستثناء فترة قصيرة نسبياً صاحبت بداية الربع الثاني من نفس العام . وعلى ذلك تصبح أية محاولة للتنبؤ بحركة السوق المستقبلية من واقع الظروف الراهنة ضرباً من التخمين العشوائي ..

على أنه مما يثلج الصدر نجاح قاسكو برغم الظروف المذكورة في إنجاز موازنتها للنصف الأول من العام .

وعلى الرغم من قتامة النصف الثاني من عام ١٩٨٤ إلا أنني أعتقد أن الشركة بامكانها تحقيق أهدافها من خلال الجد والمثابرة ..

.. وغني عن القول إن هذه المنجزات أمكن تحقيقها من خلال معدلات الانتاج والتشغيل العالية مع ضغط الاستهلاك وهي أمور يرجع الفضل في انجازها للمثابرة والاقتراحات البناءة وجهود دوائر التحكم بالجودة بالاضافة للتعاون الصادق بين جميع العاملين ..

.. وفي هذا الصدد لا يفوتني أن أعبر عن امتناني لكم جميعاً لجهودكم المخلصة . على أننا لا ينبغي أن ندخر جهداً في سبيل ضغط الانفاق والنهوض بمستوى ورشنا الانتاجية وتأمين سلامتها كأسلوب لتجاوز المحنة الحالية ..

.. لذلك أناشدكم التعاون الصادق لتحقيق ذلك .. »

انتهت رسالة المدير العام ..

وتحققت الخطة ، وما زالت تتحقق ..

وحاضر المصنع الآن كما رأيتم مبهج ، ومبشر ، ويحمل الكثير من الآمال والطموحات ، ومستقبله سيكون أكثر بهجة ، وأكثر انطلاقاً ، وطموحاً ..

هذا هو ما أحسسته ، وأحسه ، ولاشك أنكم معي جميعاً في هذا الاحساس ، بعد هذه الزيارة الميدانية لمصنع الحديد والصلب في دولة قطر ..

السيد حجازي



بقلم: جمـــال قطـــب

سيدة القصر



الفنان « توماس جينز بورو » — ١٧٢٧ — ١٧٨٨

ولد توماس جينز بورو Thomas Gainsborough في ١٤ مـايو عـام ١٧٢٧ ببلـدة صدبورى ، وهو الابن الخامس لأحد تجار المنسوجات الموسرين ، وعندما تفتحت موهبته فى طفولته المبكرة ، أرسله والده إلى لندن عام ١٧٤٠ ليدرس الفن وهو لم يزل طفلا فى الثالثة عشرة من عمره . وظل بالعاصمة البريطانية حتى عام ١٧٤٨ ، حيث قضى ثمانى سنوات متنقلاً بين مراسم الفنانين والمتاحف ومكتبات الفن الشهيرة . وكما نعلم ، فقد كان القرن الثامن عشر عصر ازدهار فنى فى أنحاء كثيرة من أوروبا ، ولا سيما فرنسا التى تألق فيها فن الروكوكو ذو الملامح الارستقراطية فى أحضان القصور المترفة .. وبهر فناننا الشاب وهو فى العاصمة البريطانية بفن الروكوكو الفرنسى ، وحياة البذخ ، ومثالية الفن (وهى نزعة رومانسية سار على نهجها معظم الفنانين فى ذلك العصر) .

وإذا رجعنا بذاكرتنـا إلى ما استعرضناه سويا على هـذه الصفحات من قبل عندما تناولنا مدارس الفن البريطاني وأقطابه العالميين ، وجدنا أن هذا الفن قد عني باتجاهين : تصوير الشخصيات المرموقة فى المجتمع الارستقراطى وفاتناته من ربات الجمال الشهيرات ، والاهتمام برسم المناظر الطبيعية فى خلفية اللوحات .. لا كمدرسـة فى ذاتها كما نهج فنانو الشـمال الأوربى فى هولنـدة مثلا ، ولكن ، كعامل مساعد للاهتمام الأساسى عند الانجليز .. وهو الصور الشخصية Portraits . وهكذا وجدنا جينز بورو يهيم بالمناظر الطبيعية .. ويفرد لها الجزء الأكبر من مسطحات لوحاته . وشيئاً فشيئاً ، رأيناه وقد أضفى على الطبيعة غلالة شاعرية وجعلها اهتماما مستقلا كمنظر متكامل فى بعض لوحاته ، وحدث أن خصصت إحدى المستشفيات المركزية فى يوم افتتاحها فى ١١ مايو عام ١٧٤٨ قاعة كبرى لإحدى لوحات جينز بورو وكانت منظرا طبيعيا خالصا .. ولذلك اعتبرت هذه اللوحة بمثابة تحول تاريخى لمسيرة الفن البريطانى آنذاك . إذ كان من المستحيل على أى فنان من معاصريه أن يرسم لوحة ليس فيها إلا المناظر الطبيعية وحدها !

• وعاد الفنان إلى بلدته بعد ما حصله من خبرة وشهرة وتألق اسمه حتى ملأ الأسماع والأبصار فى بريطانيا ، فرحل من مسقط رأسه إلى مدينة أكبر هى إبسويتش Ipswich .. ومكث بها بضع سنوات حتى رحل عام ١٧٥٩ إلى مدينة بات Bath ذات النشـاطات الفنية المرموقة وموطن العـائلات الموسرة وتألق اسمه ، وطارت شهرته كرسام لفاتنات المجتمع البريطاني ونبلائه ووجهائه وسيدات القصور العريقة ! ويذكر التاريخ أن فناننا أخذ يرفع من أجره حتى وصل إلى ستين جنيها لرسم صورة صغيرة .. (وستون جنيها من نقود تلك الأيام كانت ثروة طائلة كافية لشراء بيت بريطاني جميل) !

وتحول جينز بورو من رسم الصور النصفية إلى رسم الأشخاص بكامل أطوالها ، وبرع أكثر وأكثر فى رسم المناظر الطبيعية .. وعاما بعد عام أصبح فنان بريطانيا بلا منازع .

وكان من غير المعقول ان يظل خارج العاصمة .. ولا سيما بعد أن أصبح عضوا مؤسسا فى الأكاديمية الملكية التى افتتحت أبوابها فى لندن عام ١٧٦٨ ، وكان الفنان الوحيد الذى وقع عليه الاختيار باجماع الآراء .. من خارج العاصمة ! وفى عام ١٧٧٤ استقر توماس جينزبورو فى لندن ، حيث توالت روائعه ومعارضه الخاصة ، واحتضنه البلاط الملكى ، فرسم الملك جورج الثالث والملكة شارلوت وأفراد العائلة المالكة والحاشية .. وصارت لوحاته لفاتنات القصور تحفاً تأخذ طريقها إلى المتاحف وقاعات الأكاديمية الملكية أولا بأول .. وفى عام ١٧٨٤ فكر الفنان الكبير فى إقامة متحف خاص لأعماله ، فاستعاد بعضها من الأكاديمية ومن القصور الملكية .. وأقام لها معرضاً دائما فى مسكنه بحى بالمول Pall Mall الشهير . وظل يدعم متحفه بإبداعاته حتى مات فى اليوم الثانى من أغسطس عام ١٧٨٨ .

واللوحة التى نراها على الصفحة المقابلة ، رسمها جينز بورو فيما بين عامى ١٧٧٥ — ١٧٧٧ ، وهى واحدة من أجمل وأشهر لوحاته التى تمثل طابع أزياء العصر ومسحته الارستقراطية . وتوجد اللوحة حاليا ضمن مقتنيات المتحف الوطنى الاسكتلندي بأدنبره .. وتمثل سيدة من أبرز سيدات القصور الارستقراطية فى بريطانيا آنذاك هى (مسز توماس جراهام)

فلنتأمل هذه الرائعة .. لنرى كيف استطاع الفنـان أن يحـدث تناغماً موسيقيا مثيرا ، وتوازنا خـلابا بين عناصر الطبيعة ذات الخلفية الرومانسية الداكنة ، وصورة سيدة القصر الحسناء التى جعلها فى دائرة الضوء وكأنها اليقظة وسط أطياف الأحلام المبهمة .. وبذلك صارت الصورة الشخصية محورا لجذب الانتباه ، وبرزت تفاصيلها فى غنى لوني وتناغم ضوئى متلألىء .. نراها .. وكأننا نسبح فى أطيافها الملهمة بين ترف القصور وسحر الطبيعة وروح الشاعرية التى اتسم بها ذلك العصر الفنى الحالم الجميل .



سيدة القصر (مسز توماس جراهام) رسمها الفنان بين عامى ١٧٧٥ و ١٧٧٧ ، وهى من مقتنيات المتحف الوطنى بأدنبره

على طريق النهضة في قطر

نقود عرفتها قطر

بقلم: درويش مصطفى الفار

على صعيد النشر العلمى المتقدم ، أصدرت وزارة الإعلام فى قطر سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) سفرا ضخما تزيد صفحاته على ستمائة ، وضعه العلامة المرحوم الاستاذ الدكتور محمد ابو الفرج العش ، طيب الله ثراه ، درس فيه زهاء ألفين وثلاثمائة من المسكوكات المحفوظة بمتحف قطر الوطنى ، دراهم وَرق فضية ودنانير عينا من ذهب ، دراسة مستوفاة غير مسبوقة ، وقدم لهذا الجزء الأول معالى الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطرى بقوله : يسرنى أن أقدم إلى قراء العربية هذه الدراسة العلمية المتخصصة في جانب لم نلق عليه فى عالمنا العربي الأضواء الكافية بعد ، بالقدر الذي يتفق مع أهميته الحضارية ، ألا وهو النقود ، والمسكوكات الأثرية . إن حاجتنا إلى معرفة تراثنا الماضى ، هى حاجة الشجرة لجذورها ، فهى التى توفر لها عوامل الاتصال والديمومة بالأرض ، فتحول دون جفافها ، وتزودها بما يحفظ شخصيتها وما من أمة تتيه فى شعاب الضياع طالما ظلت على صلة بجذورها . وانطلاقا من هذه الحقيقة ، تفضل حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر المفدى فأمر بالبدء فى إعداد الدراسات اللازمة لإنشاء « معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية » والذى سيصبح عند اكتماله المعهد العلمى الأول فى نوعه فى العالم .



الدكتور محمد أبو الفرج العش ، عالم مؤرخ عربى ، كان لايعترف بالحدود القائمة بين الأقطار العربية ، لقى ربه وهو يكتب ويبحث ويؤلف حتى آخر لحظة من حياته

ورب سائل يقول :

« كل هذه الأهمية تعيرونها للنقود القديمة ؟ »

وردا على ذلك ينبغى الايضاح بأن النقود نوع من أفضل أنواع الوثائق التاريخية الحسية ، فهى تحمل سمات التطور التاريخى ومدى ارتقاء النظم المالية والسياسية ، وتكرس أسماء الخلفاء والحكام والولاة وصانعى القرارات ، على إمتداد رقعة العالم ، وهى مثلا ، تثبت أو تنفى مقولات تاريخية ببيان قاطع . ولعلماء النقد وسائلهم فى المنهج العلمى الذى يستخدمونه ، فهبوط أصناف الخليط المعدنى فى عملة عصر من العصور أو سلالة من الملوك ، يثبت أنه عصر ضعف وسلالة تدهور ، كما أن زوال آثار التقليد فى مأثورات ونقوش النقد ، دليل على زوال الأثر الاجنبى بل ان النقود أحيانا تتحدى المؤرخين وتكشف عن قصورهم ، فبين أيدينا قطع نقود من عصور مختلفة ، تحمل أسماء رجالات سكوا تلك النقود أو أمروا بسكها ، ولكننا لا نجد لهم ذكرا فى التصانيف التاريخية التى وصلت إلينا ، وحين نجد الغش فى النقود قد توقف بعد ظهور الإسلام وسيادة الدينار الاسلامى ، فإننا نضيف برهانا حسيا آخر على العظمة الإنسانية للدين الذى شرفنا الله تعالى بحمل رسالته إلى العالم . ومرة أخرى ، فإننى لأشعر بسعادة حين أقدم إلى القارىء العربي هذه الدراسة القيمة عن مجموعة من المسكوكات الإسلامية الفريدة التى يضمها متحف قطر الوطنى ، والتى أعدها واحد من أبرز علمائنا المتخصصين فى هذا الميدان ، وهو الدكتور محمد ابو الفرج العش الاستاذ بجامعة قطر ، راجيا المولى عز وجل أن يجعل من هذا البلد منارة علم ومركز نهضة حضارية واشعاع ثقافى فى ظل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى وسمو ولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

والله ولى التوفيق .

وكان المؤلف (رحمة الله عليه) قد كتب فى مقدمة هذا المرجع العلمى الراقى ما يلى :

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين . من نعم الله أن تتطلع الشعوب



ريال يتداوله الناس اليوم فى قطر بعد أن صدر فى عيد الفطر (١٤٠٥ هـ)



ريال مشترك بين قطر ودبى ، استخدم فيما بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧٣ م



(ريال الفرنسة) عليه صورة ماريا تريزا (١٧١٧ ــ ١٧٨٠) ملكة النمسا والمجر وبوهيميا .. كانت من أقوى الشخصيات السياسية فى أوربا .. وقد استخدمت هذه العملة فى كل أرجاء الجزيرة العربية .



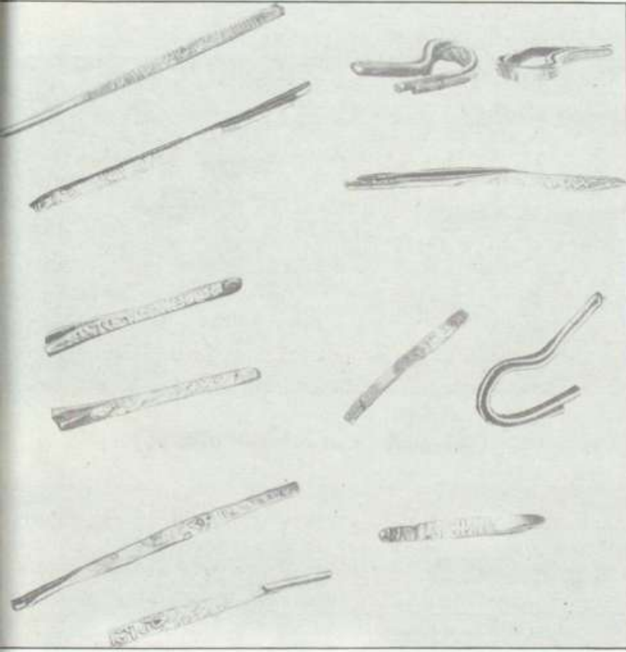
أثناء بناء المملكة العربية السعودية استخدمت عملات « ماريا تريزا » و« فيكتوريا » بعد أن تم دمغها بكلمة « نجد » ، تماما مثلما فعل الخلفاء الأمويون قبل عام ٧٧ هـ حيث دمغوا عملات البيزنطيين والساسانية ، واستخدموها قبل أن يستقلوا بعملاتهم الاسلامية الخاصة .

العربية والاسلامية لاحياء تراثها التليد ، ويعتبر هذا الاتجاه الخطوة الأولى لمسايرة ركب الحضارة ، لأنه لا حضارة بدون تراث ، ودون التعرف على هذا التراث ، ودون فهمه والتمكن منه . فإذا نجح الإنسان العربى والمسلم ، فى ادراك أهمية تراثه ، فإنه بالتالى يتعرف على نفسه ويحدد مستواه ، فلا هو يخدع نفسه ولا يكون عرضة لأن يخدع . فالحضارة العربية الإسلامية أضاءت العالم بدين يوازن بين الدنيا والآخرة ، وخلق يجعل الإنسان سعيدا فى داره ومجتمعه ، وعلم يصقل العقل ، وفن يهذب النفس والعاطفة . كل ذلك خلق الأمة العربية الإسلامية الرصينة ، والدولة العادلة الحكيمة . هذه الحضارة خبت بسبب البعد عن روح الدين وأهدافه ، فعاد الناس وزعماؤهم إلى الجاهلية المتناحرة ، فتمزق الشمل ، وانفرط العقد وبات العرب والمسلمون متفرقين تائهين ، تتقاذفهم التيارات من كل جانب وتتجاذبهم الأطماع ، ولا يهتدون إلى سبيل الخلاص ، فمضت علينا حقبة ونحن نتخبط فى دياجير الظلام ، وكنا لا نعرف أنفسنا ، بينما يعرف عنا الطامعون بنا كل شيء . درس الأجنبى تاريخنا ، ونقب عن آثارنا ، ونهب وثائق عزتنا وحضارتنا ، لأننا كنا غافلين . وأخيرا فتحنا عيوننا ، فرأينا أنفسنا مقصرين ، فأخذنا نتلمس الطريق الصحيح ، ونتجاوز العقبات وليس لنا إلا أن نسأل الله أن يسدد خطانا فى طريق التقدم » .

ولقد أحدث صدور هذا الكتاب النادر ، عن وزارة الإعلام فى قطر ، دويا هائلا محمودا فى كل الأوساط العلمية العالمية المشتغلة بدراسة المسكوكات الاسلامية .

ولا جدال فى أن الناس هنا ، فى قطر ، خلال القرون ، قد عرفوا واستخدموا كل أو بعض ، تلك النقود التى جاء ذكرها فى ذلك السفر الكبير ، من فلوس ودراهم ودنانير ، وأنهم قد استخدموا النقود الساسانية التى سكها أباطرة الفرس على الجانب الشرقى من الخليج ، والنقود المغولية التى سكها ملوك المغول فى امبراطورية الهند الاسلامية وعلى تخوم الصين وأواسط آسيا ، والنقود البيزنطية التى

نقـــود
عرفتـــهاقـــطـــر



ملوية الحسا (اللارن) : كانت تصنع من الفضة (والنحاس) واستخدمت خلال القرن السابع عشر، كعملة تجارية بين منطقة الخليج العربى والهند وسرنديب.



ربع آنة : كان فى وسع الانسان فى قطر فى ذلك التاريخ أن يشترى بها كل حاجات منزله فى يومه ! ويلاحظ على ربع الآنة أنها سكت سنة ١٨٨٦ بواسطة شركة الهند الشرقية



كنز من النقود الفضية ، عثر عليه أحد المواطنين وأهداه للمتحف القطرى ، كان محفوظا في جرة من الفخار مدفونة فى شمال قطر.



روبية هندية تحمل صورة الملكة فيكتوريا (١٨١٩ ــ ١٩٠١) مؤسسة ومهندسة الامبراطورية البريطانية التى كانت لا تغيب عنها الشمس ، حكمت بريطانيا وايرلندا منذ عام ١٨٣٧ ، وأصبحت امبراطورة الهند عام ١٨٧٦ ، ومنذ ذلك التاريخ دخلت عملتها قطر ومنطقة الخليج.

كانت لاشك تدخل السوق العربية عندما يتغلب الروم على الفرس ...

كذلك عرف الناس لاشك فى قطر النقود التى سكها السامانيون والخوارج والعثمانيون ...

وحيث أن الإسلام قد دخل إلى قطر وما حولها فى السنة الثامنة أو السادسة من الهجرة النبوية الشريفة ، على يد الصحابى الجليل العلاء الحضرمى رضى الله عنه ، فلابد وأن الناس فى قطر قد عرفوا نقود الإسلام منذ البداية ، تلك التى يذكرها كل من ابن تغرى بردى فى الجزء الأول من موسوعته « النجوم الزاهرة » وابن الأثير فى كتابه « الكامل فى التاريخ الجزء الرابع » حيث جاء :

« ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية غير أنه قد زاد فى بعضها « لا إله الا الله وحده » وفى بعضها « الحمد لله » وفى بعضها « محمد رسول الله » ، وفى خلافة عثمان رضى الله عنه ضرب دراهم نقشها « الله اكبر » وضرب معاوية دنانير عليها تمثال متقلد سيفا .

وضرب عبد الله بن الزبير دراهم مدورة بمكة ،



درهم أموى من الفضة ، مضروب فى واسط بالعراق عام (١٠٥ هـ) وهو من مجموعة متحف قطر الوطنى



حزام بدوى محلى بالريالات « الماريا تريزا » وأنصاف الريالات ، وهو – أيضا – من مقتنيات متحف قطر الوطنى

وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحا غليظا قصيرا ، فدورها عبد الله ونقش على أحد وجهى الدرهم « محمد رسول الله » وعلى الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق ، وهذه لاشك انها استخدمت فى قطر ، فلما استوثق الأمر لعبد الملك ابن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب ابنى الزبير ، فحص عن النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير فى سنة ست وسبعين ، وقيل إن عبد العزيز بن مروان كان قد نصح لعبد الملك بضرب دنانير سنة ٤٦ هـ ... وذكر الدميرى فى موسوعته « حياة الحيوان » ضربا من النقود يقال لها « البغلية » قال « ان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية عليها صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية « نوش خور » أى « كل هنيئا » وذكر أن هنالك نقودا ضربها الأمراء والولاة فى عهد الخلفاء الراشدين ، أقدمها يرجع إلى سنة ٢٨ هـ فى طبرستان وعلى دائرها بالخط الكوفى « بسم الله ربى » وآخر يرجع إلى سنة ٣٨ هـ ، على دائرته هذه العبارة أيضا وآخر سنة ٦١ هـ فى يزد ، على دائرته « عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين » على أن هذه المسكوكات لم تعتبر رسمية فى الدولة الاسلامية وأول من سك نقودا « رسمية » هو عبد الله بن مروان الذى بعث نقوده إلى جميع بلدان الإسلام ، ومنها قطر لاشك ، وتقدم إلى الناس فى التعامل بها ، وتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها ، وأمر بإبطال التعامل بالنقود الرومية والفارسية وردها إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الاسلامية . ورغم ذلك فإننا لازلنا نجد نقودا من تلك التى أمر عبد الملك بإعدامها فضة وذهبا ، ولهذا نطمع فى أن يسفر البحث والتحرى عن وجود مقتنيات من تلك النقود (الممنوعة) لدى الأفراد فى مجموعاتهم الخاصة ، مما سوف يضيف إلى البحث العلمى فى مجال دراسة المسكوكات اضافة كبرى ...

وهنالك عملات أو نقود غريبة الشكل والنمط ، كانت تصنع على هيئة أسلاك مطروقة من النحاس أو الفضة استخدمت فى قطر وما حولها ، وهى تلك التى سماها الفرنجة باسم (اللارن) واطلق عليها العرب اسم (ملوية الحسا) وشاع استخدامها إبان القرن السابع عشر بين منطقة الخليج (بفرسها وعربها) وبين بلاد السند والهند وسرنديب (سيريلانكا) وكانت لا تعرف ولا تتداول إلا فى هذه الطريق التجارية فقط ، ولذلك ضرب العرب مثلا فى منطقة الخليج ، حيث يقال ان فلانا مثل (ملوية الحسا) أى أنه غير معروف فى غير موطنه ولا قيمة له ولا يأبه له الناس خارجه !!

وترانا لا نزال نجد حتى اليوم من الألفاظ المتداولة بين الناس بقايا كلمات من عهود قريبة نسبيا ، تحتاج إلى تصنيف تاريخى يضع النقاط على الحروف بالنسبة لكلمة ، روبية ، وآنة ، وبيزة ، وريال (الفرنسا) والبرغش والريال . فقد سادت لفظة (روبية) مثلا وهى كلمة سنسكريتيه من الهند معناها ، النقد الفضى ، ولا يزال كبار السن حتى يومنا هذا يطلقون على الريال ، وهو العملة الرسمية المتداولة ، لفظ (روبية) ، كما أن الناس لا يزالون يطلقون على النقود جملة لفظ (بيزات) جمع بيزة ، وهى تساوى خمس آنة والآنه تساوى جزءا من ستة عشر جزءا من الروبية الفضية .. ولقد تداول الناس فى قطر وما حولها تلك العملات الهندية إبان سيطرة الانجليز وهيمنتهم الامبراطورية على الهند ، وارتباط تجارة اللؤلؤ الخليجى ، من قطر وغيرها ، بأسواق الهند .

ولقد كانت القيمة الشرائية لتلك النقود فى أيدى الناس ، من القوة بحيث أن من كان يمتلك فى ذلك الزمان غير البعيد جدا ، مائة من الروبيات الفضية ، كان يعتبر بمقام مليونير معاصر فى دنيا النفط ! !

كذلك تداول الناس فى قطر ، النقود التى سكها سلاطين عمان وزنجبار ، واشتهر منها « البرغش » ، وتداولوا الريال السعودى والريال (الفرنسا) الذى سكته الامبراطورة النمساوية ماريا تريزا قبل موتها سنة ١٧٨٠ م ، ولا أدرى إذا ما كانت نقود ابنتها الامبراطورة الفرنسية المشهورة (مارى انطوانيت) قد وصلت إلى قطر ؟؟ . كذلك استخدم الناس نقود شركة الهند الشرقية ، التى مهدت لإحتلال بريطانيا (العظمى) للقارة الهندية ، ونقود البرتغاليين إبان سطوتهم على الخليج بشاطئيه ، العربى والفارسى فى القرن الخامس عشر الميلادى ...

ونحن فى حاجة إلى بحث علمى مبوب مفصل ، يتناول تداول كل ما ذكرنا من النقود ، وقيمتها محليا وعالميا ، ونشأة النقود المشتركة بين قطر ودبى فيما بين سنة ١٩٦٦ ، سنة ١٩٧٣ وما تلاها بعد ذلك ..

ولعل جهات الاهتمام فى أبواب هذا البحث ، والتى نخص منها ، مؤسسة النقد القطرية ، وقسم التاريخ فى جامعة قطر ، ومركز التراث الشعبى الخليجى ، ومتحف قطر الوطنى ، والهواة من الأفراد أن تتضافر جهودهم ، وتتجمع معلوماتهم ، لإخراج هذا البحث إلى حيز الوجود ، لما له من قيمة علمية وتراثية ، فضلا عن أنه مجال لطيف لمقارنات تمس جوانب المعيشة ، كأن يذكر مثلا ، كم كان ثمن الجمل أو القنطار من التمر أو المثقال من اللؤلؤ فى عام كذا ، يوم كانت العملة المتداولة هى كذا ، ولا ننسى فى هذا المجال أن نذكر حقيقة تاريخية قد لا يعرفها كثير من عباد الله ، وهى أن (منطقة البحرين) ، قد ارسلت من الزكاة والجزية إلى عاصمة الاسلام الأولى المدينة المنورة ، مبلغا من المال تجاوز (ثمانين ألف دينار) وهو مبلغ لم تعرفه الدولة الاسلامية من أى مكان آخر ، منذ أن جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا ...

درويش مصطفى الفار



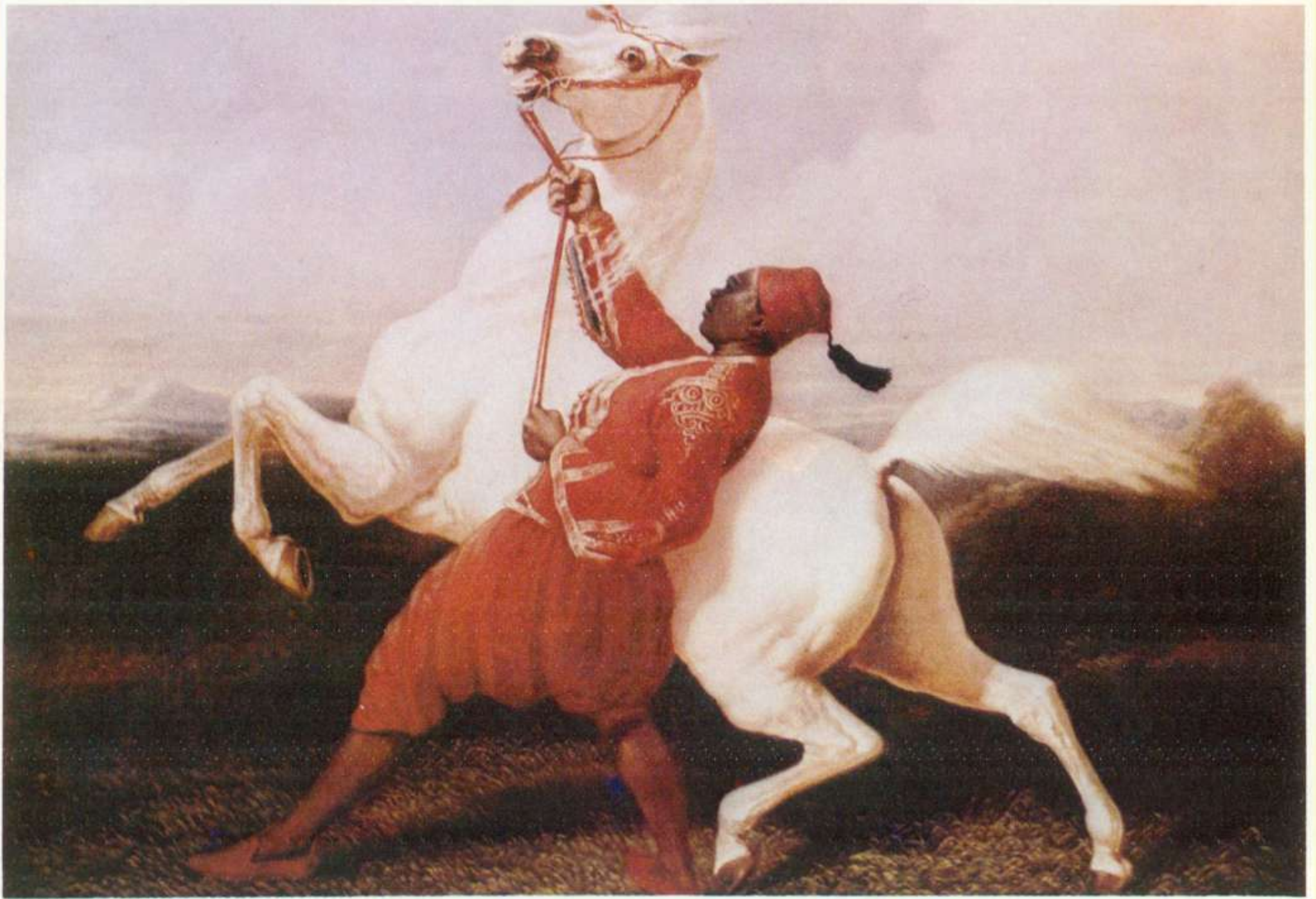
فارس مملوكي على صهوة جواد عربي للفنان كارل فيرنيه (١٧٥٨ ـ ١٨٣٦)

كتاب الشهر

الحصان
أجمل حيوان وأروع لوحات

عرض وتقديم : حسني شحادة

هذا الكتاب « الحصان في الفن » يعتبر بحق تحفة رائعة ، بما احتوى من معلومات ولوحات فنية ، ومراجع وفهارس . ولذلك فانه كتاب جدير بالمطالعة ، وجدير أيضاً بترجمته إلى العربية ، لاظهار كيف أن الجواد العربي هو أجمل الخيول على الاطلاق .



لوحة عالمية تمثل مروض الخيول ، وهو يمسك بعنان الحصان العربي

● الجـــواد العـــربي أجـــمل وأغـــلى الخيـــول في العـــالـــم
● حصـــان يهـــاجم أســـداً في لوحـــة عالميـــة رائعـــة
● الـحصـــان هو التجســيد الحيُّ للوفـــاء والارتـــباط بصاحبـــه

تغنى الأدباء والشعراء بالخيل وجمالها ، ومناقبها ، وشيمها ، ووفائها ، وشجاعتها ، وقوتها ، ورسموا لذلك صوراً بلاغية رائعة ، يكاد القارئ أو السامع لها ، أن يتصور تلك اللوحة الفنية من خلال الاستماع ، أو القراءة ، فاذا كان ذلك هو دور الأدب والشعر ، فكيف بأرباب الفن ؟!

لقد خلبت الخيول ألباب الفنانين ، واستولت قوتها ومهابتها على أفئدتهم ، وحرك جمال قوامها أشرعة خيالهم ، وسجل تلك الخلجات واللمسات ، مؤلف انجليزي ، في كتاب « الحصان في الفن » ، وهو يقع في مائة وستين صفحة من القطع الكبير . ويحتوي على ثمانية أبواب ، ومحلى بعدد كبير من اللوحات الفنية الملونة وغير الملونة ، من رسومات كبار الفنانين العالميين ، حتى جاء هذا الكتاب، بحق تحفة فنية رائعة ، أضافت إلى مكتبة المعارف الانسانية لبنة فنية جديدة .

بدأ الكتاب بمقدمة « بول ملتون » ، يقول فيها : « إذا كنا نحب الجمال ، فان الجمال الأحب الينا ، هو ذاك الذي يعتمل في شعورنا ، ويتصل بحياتنا ، وفي هذا الكتاب ، جمع مؤلفه « جون باسكت » . كل أولئك الذين أحبوا الخيل ، حيث نجد في أعمالهم الفنية ولوحاتهم بهجة لأنفسنا ، ومتعة لعيوننا ، وراحة للقلوب ، لأنها أعمال فنية اختلطت فيها المشاعر بالحب ، لأن الحصان حيوان جميل ولطيف ، يحرك في شعورنا ذكريات تجلب إلينا مسرة ، وحبوراً لا ينتهي » .

الحصـــان في الحضـارة القديمة

أثبت علماء الانثروبولوجيا . أن علاقة الانسان بالحصان ، قديمة جداً ، وأثبتت الآثار القديمة ، التي اكتشفت من باطن الأرض ، عن قبور في « أوراسيا » بها رسوم نادرة ، وآثار تدل على أهمية الحصان ، في حياة الانسان .

كما وجدت آثار كثيرة في مواطن الحضارات القديمة كحضارة وادي النيل ، وحضارة ما بين النهرين ، والحضارة التي قامت على ضفاف نهر الفولجا ، ونهر الدانوب ، وغيرها ، وكل تلك



سباق العربات الإغريقية ، فوق آنية زهور تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد

الآثار ، تدل على هذا الارتباط بين الانسان والحصان ، واستطاع العلماء بعد مزيد من البحث والتدقيق ، وضع مقولة تؤكد ، أنه أينما أوجد الانسان بصماته الحضارية عبر التاريخ ، فانها تكون غالباً مرتبطة بالحصان .

وقد أثبت المؤلف هذا القول في عرض لوحات جميلة فناً وذوقاً وشكلاً للحصان ، منها ما هو في القرن الرابع قبل الميلاد ، ومنها ما هو في القرن الخامس ، ومنها ما هو في القرن العاشر ، وفي أماكن كثيرة من العالم ، ومن أجملها تلك اللوحة الفنية التي وجدت في قبر أحد القادة الصينيين تمثل خيله التي دفنت معه .

الفروسية في العصور الوسطى

الفروسية ذات معنى رائع ، تتمثل في حماية الضعفاء ، وعقاب الجور والظلم أينما وجدا ، وتولي أمر كل قضية عادلة أو كريمة ، حتى تفوز وتنتصر ، لتثير ذكريات الاستبسال العفيف ، والتضحية الفردية والجماعية ، وإغاثة الملهوف ، وإجلال السمو الاخلاقي ، لتحرك في النفس معاني السماحة الباسمة وسط المخاطر ، والرقة الوادعة التي تلازم القوة ، والتودد الكريم .

ولكن هذه المعاني النبيلة ، والأهداف الغالية ، والمرامي السامية ، استغلت استغلالاً يتنافى مع كل مرمى خلقي ، أو هدف أخلاقي ، في حملات الحروب الصليبية على بلاد الشرق ، حيث تجرد أولئك الفرسان من كل معاني السمو والشرف والسماحة والعدل ، فبلغوا غاية الطغيان ، وكانوا أظلم من الظلم ، وتشهد عليهم شوارع القدس القديمة ، التي سالت فيها دماء الابرياء بغزارة ، من سيوف أولئك الفرسان التي أعملوا فيها ذبحاً للأطفال والشيوخ والنساء .

في هذا العصر ربيت الخيول القوية لأغراض الحرب والفروسية ، فأعطت الخيول مظهراً متميزاً ، وقد سرح الفنانون في الخيال ، فأبدعوا في الرسم والتصوير ، بلوحات بديعة ، عرض الكتاب عدداً منها ، تمثل الفرسان بكامل ملابسهم المزركشة ، وأسلحتهم المختلفة ، كما في لوحة « سان مارتيني » (١٢٨٤ ـ ١٣٢٤) ، أما لوحة المبارزة للفنان « رينيه دوانجو » سنة (١٤٠٩ م) فهي بديعة في اتقانها وألوانها وأضوائها .

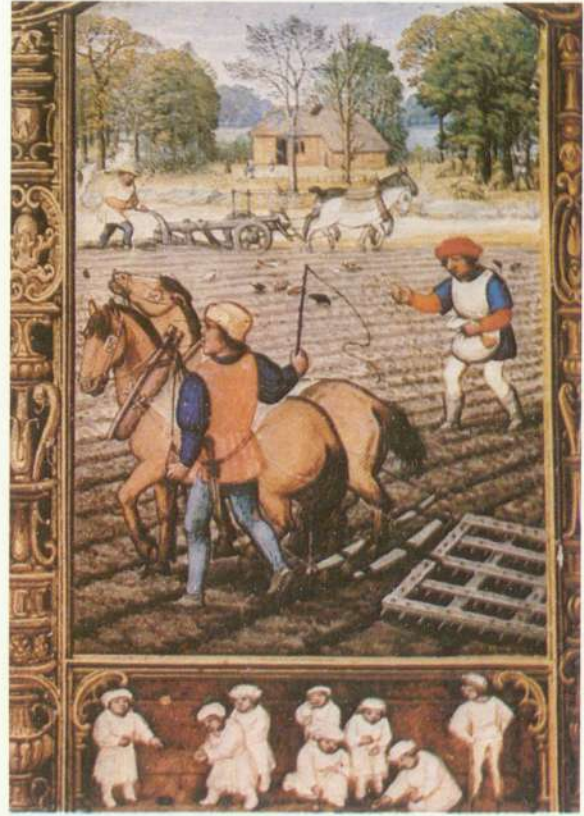
عصر النهضة

عصر النهضة مصطلح يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية ، حيث نزح العلماء والفنانون إلى ايطاليا ، ومعهم تراث اليونان والرومان ، حيث بلغت أوج ازدهارها في القرنين الخامس عشر الميلادي ، والسادس عشر الميلادي ، ومن إيطاليا انتشرت النهضة إلى فرنسا ، وأسبانيا والمانيا ، والأراضي الواطئة ، وانجلترا ، وإلى سائر أوروبا .

برزت في هذه الأثناء ـ نهضة فنية راقية ، كان من أعظم شخصياتها « ليونارد دافينشي » و « مايكل انجلو » و « رافائيل » ، وكان لهذه الحقبة لمسات فنية ، أصبحت ذات تأثير واسع النطاق في الفن ، والعمارة ، فكانت هذه النهضة عودة واعية إلى المثل العليا ، والأنماط الكلاسيكية ، حيث تحرر الفنانون جزئياً من التقاليد القاسية ، واحتلت الدراسات عن الخيل مكاناً بارزاً ، فرسمت لوحات رائعة للخيل ،فنبغ فنانون كبار أمثال « رافائيل » الذي رسم للحصان لوحات رائعة ، وكذلك « رونالد مونتو فالو » و « جيافيني بولوتا » ، وآخرون .

ولقد أطلق بعض المؤرخين على القرن السادس عشر عصر العباقرة ، عندما برزت ثورة ثقافية فكرية كبرى ، غيرت مجرى الحياة الاوروبية ، فكان هذا القرن مفتاحاً للحقبة التاريخية التي تعتبر بدءاً للعصر الحديث ، في هذا القرن ارتقى

● ارتبط الحصان بالفرسان الذين يقومون بحماية الضعفاء ويدافعون عن القضايا العادلة


منظر ريفي في أوربا القرن الخامس عشر ، ونرى الخيول وهي تقوم بالحرث


خوذة (إغريقية) من البرونز محفور عليها حصان ، تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد

الذروة فنانون عاصروا الحقبتين وولدت عبقريات جديدة . فأصبحت أسماء مايكل انجلو ، وتيسيان ، ودافنشي ، ورافائيل ، وتينتوريتو ، تلوح كأسماء ذات أبعاد تخرج بها عن نطاق عصرها .

عصر الباروك

للقرن السابع عشر سمات عامة وخصائص فنية ، وسعت من نطاق الرؤيا ، وأضافت إلى تجارب الانسان في مضمار الفنون أشياء جديدة أثرت روح الفن وتعابيره . كما تميز هذا العصر ببحثه الدائب حول النور والظل ، وبعودة الفنان إلى الواقع وسياحاته في مجالات الطبيعة ، وبحثه عن التناسق المعبر ، وتنظيم الفضاء ، وتوازن الحجوم للأشياء ، وانجذابها ، وارتباطها ، وبذلك قدمت حلاً لكل المشاكل المتعلقة بالنور واللون ، والزمن ، والفضاء ، من خلال العمل الفني . فبدت في أسلوب العمل الفني ، سمة عامة ، تتمثل في سيطرة « الباروك » الذي أصبح رمزاً للعصر ، ومدلولاً عاماً لا ينتسب إلى وطن معين ، وانما يحمل سمات فنية مشتركة ، بين بلاد عدة ساهمت في اثراء الحياة الفنية في هذا العصر ، بمعالم لها خصائص البذخ والترف والفخامة والمبالغة ، وحرية التكوين في أشكالها المركبة ، التي ابتدعها الباروك ، حيث ساد اتجاه التأليف والاقتباس من اتجاهات مختلفة ، فكانت اللوحة في هذا العصر ، مسرحاً لالتقاء عديد من الاتجاهات والاساليب وتجميعها وصياغتها .

ولقد جاء الباروك كرد فعل مضاد للكلاسيكية التي عادت في عصر النهضة ، ومن أعلام هذا العصر « برتيني » و « بورديني » و « فينولا » ، وبلغ هذا الفن ذروته في عهد لويس الخامس عشر ، وازدهر في ألمانيا والنمسا ، وبلغ ذروة تطوره في اسبانيا على يد « شيريجيرا » .

وظهرت في هذا العصر لوحات رائعة للخيول مثل لوحة « شارلس لوبرون » ، ولوحة « السير انتو فان دايك » ولوحة « ديفو فالس كويز » ولوحة « البرت تيوب » ولوحة فيلب « وفر مانز » ولوحة « رميراند فان ريجي » وآخرون .

الحصـــان في فنون الشرق

تطرق « جون باسكت » بشكل سريع مبسط ، الى الخيل في الفن الشرقي ، وأورد لوحات عديدة فارسية ، وصينية ، ويابانية ، وهندية ، وكانت أبرزها لوحة للمبارزة بين « رستم » و « اسفنديار » في القرن الرابع عشر ، وهي مأخوذة من الشاهنامة ، وأورد لوحة من المدرسة المغولية لفارس يطلب الماء من أصحاب بئر ، وهي مرسومة في الهند عام ١٦٦٢ م .

القرن الثامن عشر
« عصر الروكوكو »

اذا كان القرن السابع عشر تميز بأنه عصر « الباروك » ، فان القرن الثامن عشر عرف في عالم الفن بعصر « الروكوكو » ، ذلك الطراز الذي يعد امتداداً للباروك ، بعد أن فقد عنفوانه الجارف ، وتحول إلى ضرب من المقاييس الجمالية المتسمة بالأناقة والرقة والحلاوة .

كانت أوروبا في هذا العصر تعيش عهداً من الرخاء ، والحياة المرهفة ، حيث أمدتها المخترعات العلمية بوسائل الرفاهية ، والحياة الاجتماعية ، واتسع مجالها .

أما بالنسبة للحصان ، فقد اتسم هذا القرن بفترة الفن الكلاسيكي في انجلترا ، فكانت اللوحة الجميلة للسير « روجر بيرجن » على صهوة جواده ، والتي رسمها « جيمس سايمور » سنة

الحصان

أجمل حيوان وأروع لوحات

١٧٤٠ م ، وكان من أبرز الفنانين الذين أعطوا الخيل اهتماماً كبيراً الفنان « جورج سبنس » ، الذي وضع كتاباً في علم الحيوان ، ورسم لوحات رائعة ، منها لوحة تمثل « دوق ريشموند » في رحلة صيد سنة ١٧٦٠ م ، كما رسم لوحة شهيرة أخرى لمجموعة من الخيل في أوضاع مختلفة ، وقد رسمت هذه اللوحة سنة ١٧٦٢ م « لماركيز روكنجهام » ، وله لوحة أخرى بديعة لحصان يهاجمه أسد ، وثالثة لحصان خائف مرتاع لمنظر أسد يتحفز لمهاجمته .

وقد رسم « ساوري جلين » سنة ١٧٩٢ ، لوحة رائعة لحصان عربي ، تفنن في هذه اللوحة في الاضاءة والظلال ، وفي حركة الحصان ، ولونه .

العصر الحديث

يتصف النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بعصر انتصار الرومانسية على الكلاسيكية الجديدة ، على حين كان نصفه الثاني هو عصر الواقعية والانطباعية ، ويعتبر هذا العصر عدة عصور فنية متداخلة في بعضها البعض وقد بدأت بالصراع بين الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية ، وانتهت بنوع آخر من الكلاسيكية على يد « سيزان » و « سيرا » من ناحية ، وبنوع آخر من الرومانتيكية على يد « جوجان » و « فان جوخ » من الناحية الأخرى .

وبالنسبة للحصان ، فقد اشتهرت لوحات « جيمس وارد » و « جون فريدرك هاننج » و « إدوارد تروي » .

وكانت اللوحة الشهيرة للفنان « بول جوجان » ، الذي اتخذ رسم الحصان ليس لقوته ونبله بل لجماله الذي لا يقاوم ، وكان ذلك سنة ١٨٩٨ .

كما رسم الرسام الشهير « بابلو بيكاسو » بعد زيارته الأولى لباريس لوحات كثيرة للحصان ، أورد الكتاب ثلاثاً منه .

الأحوال والانساب والأسماء

ولقد خص المؤلفون من أدباء ، وشعراء ، وعلماء ، وفنانين ، الخيل بعناية كبيرة ، فعالجوا شتى الجوانب المتصلة بها ، فبحثوا في صفاتها ، وأحوالها ، وأنسابها ، وأسمائها ، وألوانها ، وأصواتها ، وأشكالها ، كما صنفوا مواضع الفروسية ، ورعاية الخيول ، وكل ما يتصل بها .

وذلك لما وهب الله الخيل من جمال الشكل



مقطع من لوحة للخيول للفنان الانجليزي « جورج استبز » (١٧٦٢ م)

وحسن الطبع ، وحب الالفة ، فلها سرعة الطير ، وقوة الدابة ، وشجاعة الانسان ، ولها خفة النسيم ورشاقته ، وعتو الريح وصولته ، وكان من نصيبه حسن الخلقة ، من إهاب قائم ، وشهاب أبيض في الجبهة ، وكريم خلق ، من ذكاء في الكر والفر ، وحمية المتيقن في القتال .

أن في القرآن الكريم تشريف عظيم للخيل ، اذ يقسم بها الله سبحانه وتعالى في قوله الكريم : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً ، إن الانسان لربه لكنود » صدق الله العظيم .

وكذلك ورد هذا المعنى في حديث رسول الله صلوات الله عليه وسلامه :

« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

ولعل الناظر من أول وهلة إلى الحصان يدرك أصالته ومزاياه ، ويوجز الأمير « عبدالقادر الجزائري » في رسالة إلى الجنرال الفرنسي « دوما » صفات الحصان الكريم فيقول :

« إننا لنعرف أن الحصان لا يكون عريقاً حقاً إلا إذا اقترن جمال تكوينه بالشجاعة والخيلاء ، وازدهى عجباً وسط الطلقات والنوازل ، فيعتز بفارسه ، ويأبى أن يمتطيه سواه ، ولا يأكل قط فضلات حصان آخر ، ويسره أن يعكر بأقدامه ما قد يقابله من الماء الصافي ، وهو بسمعه ، وبصره ، وبمهارته وذكائه ، يستطيع أن يقي صاحبه آلاف المكاره في الطرد والحرب ، كما يشاطر فارسه مشاعر الألم والسرور ، ويعاونه بالقتال معه ، والاتحاد وإياه في كل زمان ومكان .

أما في القتال ، فيبذل الفرس الأصيل العون لفارسه أثناء المعركة ، فيعض العدو في صدره ، ويدافع عن فارسه ، باليدين والرجلين ، ويكر ويفر ، وينقض على العدو في لحظة انطلاق السهم ، واذا مضى الفارس يبحث عن ملاذ ، ولمح الجواد ملاذاً ، سابقت سيقانه بصره ، وطوى المسافة التي تفصله عن هدفه ، كما تطوي الريح السحاب ، وإذا رأى الرماح تهدد صاحبه ، هب إلى الزود عنه ، وشب بجماع جسمه ليحميه ، وإذا هوجم الفارس من الخلف ، ينزلق تحت بطن حصانه أو يتعلق بعنقه ، وحصانه المسرع سرعة البرق ، كفيل بأن يحميه بعيداً عن الخطر .

لذلك فان الرابطة التي تصل الحصان بفارسه ، رابطة قوية ، حتى اننا لانجد اسم المقاتل إلا مقترناً باسم جواده ، لذلك فقد التزم الشعراء في قصائد وأبيات لا حصر لها ، في مدح بطولات جيادهم ، بكلمات مختلجة بالعاطفة ، يوحيها التقدير وعرفان الجميل ، تنطق بالالفة والحنان ، وكأني بها ، وهي تنشد في المعركة ، تزكي في نفس الجواد حمية وفخراً ، فهذا الاخنس بن شهاب يقول لفرسه « زيم » :

هذا أوان الشد فاشتدي زيم
مثلي على مثلك يدعى العظم

ويقول « زيد بن سنان » في فرسه الوجزة :

رميتهم بوجزة إذا تواصوا
ليرموا نحرها كتبا ونحري
إذا نفدتهم كرت عليهم
كأن فلوها فيهم وبكري

ويقول « حمزة بن عبدالمطلب » رضي الله عنه في



الرحلة إلى بيت لحم : لوحة للفنان الايطالى «بينوزو جوزوللي» يعود تاريخها إلى عام ١٤٦٣ م

فرسه «الورد» :

أنقي دونه المنايا بنفسي
وهو دوني يغشى صدور العوالي
فإذا ما هلكت كان تراثي
وسجالا محمودة من سجالي

وهذه اللوحة الشعرية

وقد رسم الشاعر العربي امرؤ القيس هذه اللوحة الشعرية الرائعة للجواد فيقول :

وقد اغتدي والطير في وكناتها
وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه
طراد الهوادي كل شأو ومغرب
على الأين جياش كأن سراتهُ
على الضمر والتعداء سرحةُ مَرقبِ
له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وصهوة عير قائم فوق مرقبِ
له كفل كالدِّعصِ لبَّده الندى
الى حاركٍ مثل الغبيطِ المذأبِ
وعين كمرآة الصَّناع تديرها
لمحجرها من النَّصيف المنقَّبِ
له أذنان تعرف العتقَ فيهما
كسامعتي مذعورة وسط ربربِ
ومستفلك الذِّفريّ كأن عنانه
ومثناتهُ في رأس جذع مُشذَّبِ
واسحم ريان العسيب كأنَّهُ
عثاكل قنو من سميحةِ مرطب

اذا ما جرى شاوين وابتلَّ عِطفهُ
تقول هزيزُ الريحِ مرَّت بأثأبِ

هذا غير ما يروى من ذكر أخبار الخيل ، كالفرس «جذعة» التي ظلت تعدو من الصباح إلى مغرب الشمس ، حتى سقطت ميتة في معسكر فارسها بعد أن انقذته ، وكذلك الفرس «جلاب» ، التي نحرها حاتم الطائي لاطعام ضيوفه ، والفرس «الاطلال» التي وثبت وثبة ارتفاعها أربعون ذراعاً ، والفرس «عوج» التي قطعت قيودها ، وانطلقت تعدو أربعة أيام متصلة حتى وجدت صاحبها .

قصص الفروسية في الغرب

ونجد مثل هذه الأمثلة تملأ قصص الفروسية في بلاد الغرب ، فظهرت كتب كثيرة باللغة الفرنسية واللغة الانجليزية والالمانية والاسبانية والبولونية والروسية وغيرها ، وتغنى بالجواد الشعراء والأدباء في بلاد الغرب ، فهذا «لا مارتين» شاعر فرنسا الكبير يقول :

«إن عيون الجياد العربية هي لغة بكاملها ، إذ يعبر الجواد بعينيه الساحرتين عن كل شيء ، وبها يفهم كل شيء ، وتتفجر من محاجرها حدقة من نار ، وسط بياض مبقع بالدم» .

ويقول «بوفون» العالم الفرنسي :

«إن الجواد هو أنبل كسب سيطر الانسان عليه»

وقد ملأت أسماء الجياد قصص الفروسية الغربية ، تروي كيف أيقظ جواد «أوجيه» صاحبه عند اقتراب العدو . وفي قصة «رينو دي مونتوبان» يصيح «رينو» وهو يتحدث إلى جواده «بابار» قائلا :

«ألا بوركت الساعة التي ولدت فيها» . ثم يخاطبه بعاطفة يفهمها كل من يحب الخيل ، بقوله :

«إيه «بابار» ! ليتك استطعت النطق ، حتى تخفف من شدة ألمي» .

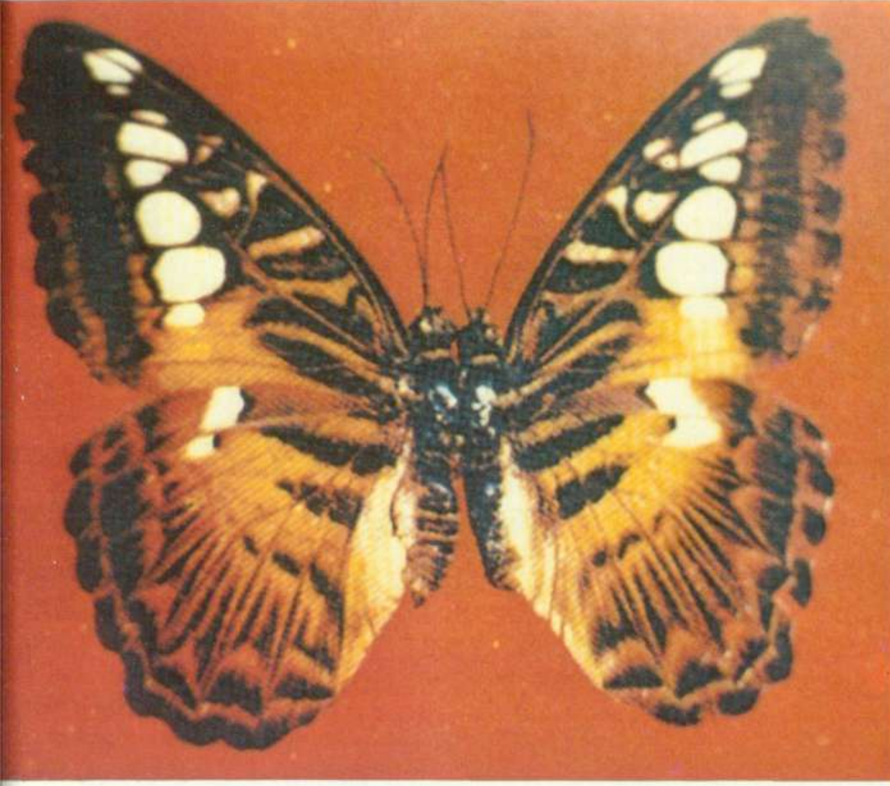
وتروي قصص أخرى ، كيف عاد «دوستون» بعد غياب دام سبع سنوات ، فلم تعرفه خطيبته ، بينما عرفه حصانه !

كلمة أخيرة

وبعد فسيبقى الحصان مصدر الهام للفنانين على طول المدى ، وسيبقى كذلك مصدراً يتغنى به الشعراء ، وقد اهتمت المكتبة العربية مؤخراً بالخيل ، فصدرت مجموعة من الكتب أبرزها كتاب الجواد العربي ليوسف ابراهيم يزبك ، الذي أخذ كثيراً من لوحاته من كتاب «جون باسكت» .

أما كتاب الحصان في الفن ، فانه تحفة رائعة ، بما احتوى من المعلومات واللوحات الفنية ، هذا عدا ثبت كبير بالمراجع ، وفهارس للوحات الكتاب الفنية . انه كتاب جدير بالمطالعة ، وجدير بترجمته إلى العربية لاظهار كيف أن الجواد العربي ، أجمل الخيول على الاطلاق .

حسني شحادة



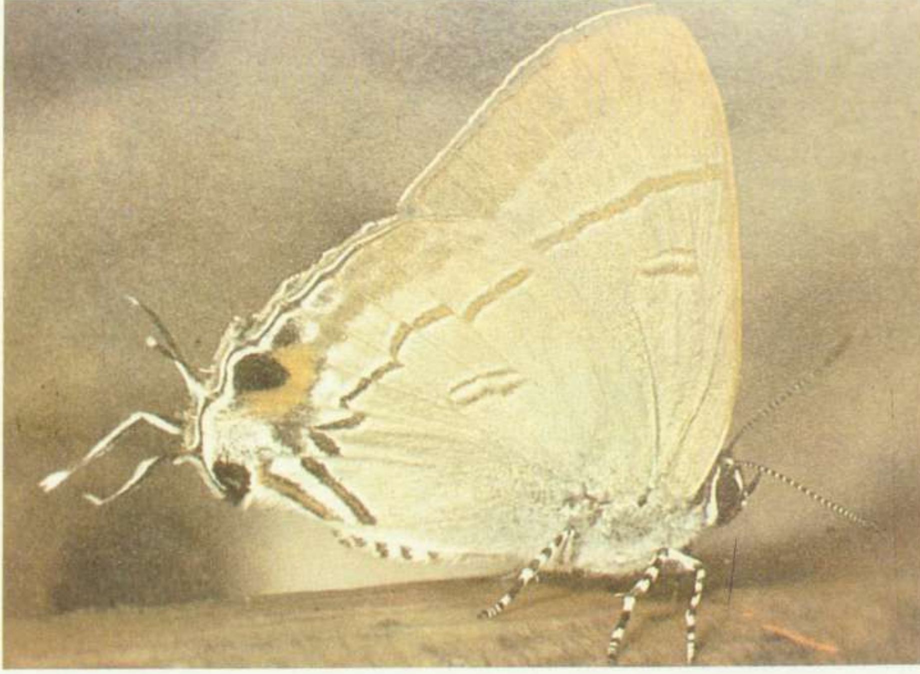
اثنتان في واحدة

هذه اللقطة قد لا تثير الاهتمام من أول نظرة ، لكنك لو دققت النظر فيها ، فقد تصل الى السر الكامن فى غرابتها ، فالفراشة ليست واحدة ، بل هما اثنتان ملتصقتان عند صدريهما ، والذى أعطى الانطباع السريع بأنهما فراشة واحدة ، هو عدد الأجنحة التى تبدو لواحدة ، ولكن .. هناك رأسان ، وكل يحمل قرنى استشعاره ، وأيضاً بطنان واضحان ، وتعتبر هذه الحالة الأولى من نوعها فى عالم الفراشات ، وهى أيضاً أغربها على الاطلاق ، لأن ذلك يعني وجود يرقتين (دودتين) كانتا ملتصقتين خلف رأسيهما ، ويتبع ذلك أنهما كانتا تزحفان وتأكلان معاً ، ثم جمعتهما شرنقة واحدة ، وخرجت منهما هاتان الفراشتان التوأمتان السياميتان (نسبة الى توأمى سيام ـ انظر اللقطة الأخرى المدونة هنا عن توأمين من البشر) .. ولازالت هذه الفراشة الغريبة معروضة فى متحف جو مالون بمدينة « سيبو » بالفيليبين ، منذ أن تم اكتشافها عام ١٩٥٤ ، ولتكون شاهدة على ما فى الحياة من مخلوقات غريبة ومثيرة .

أغرب توأمين



وما دام الشيء بالشيء يذكر ، كان لابد أن نذكر أن ولادة التوائم الملتصقة فى الانسان أكثر احتمالا من الفراشات . وقد يأتي الالتصاق بين الرأسين أو الصدرين أو البطنين .. الخ ، والصورة توضح طفلتين توأمتين ولدتا فى تايلاند عام ١٩٥٢ ، وظلتا هكذا ملتصقتين من جهة البطن ، حتى بلغتا من العمر ٢٢ شهراً ، ثم أجريت لهما عملية جراحيـــة ، وتم فصلهما بنجاح فى مستشفى بانـكوك على يد جراح أمريكى يدعى دكتور ليستر دراجستدت فى ٢٩ مارس عام ١٩٥٥ .. هذا ومما يذكر أن أشهر توأمين عاشا ملتصقين من جهة الصدر هما انج وشانج من سيام (وعرفا بتوأمى سيام) .. ولقد ظلا هكذا الى أن ماتا معاً فى عام ١٨٧٤ عن ٦٣ عاماً ، لكن شانج مات أولا ، وتبعه انج بعد ساعات قليلة .



رأســـان .. أصـــليّـــة وتقـــليـــد !

من أول نظرة عابرة ، تبدو هذه الفراشة ، وكأنما لها رأسان ، أمامية بقرنى استشعار ، وبأرجل ترتكز بها على النبات .. ورأس خلفية فيها ضمور بالعينين والأرجل وقرنى الاستشعار .. فهل يعنى ذلك أيضاً أننا أمام احدى غرائب الحياة التي قد تأتى بتوأمين ملتصقين وبرأسين متقابلين ؟ .. الواقع أن هذه اللقطة الغريبة تظهر غير ما تبطن ، فرغم أن ظاهرها يوحى بأنها توأمان برأسين ، الا أنها ليست كذلك حقاً ، بل هو نوع من التمويه أو الخداع الذى يحمى الفراشة من أعدائها ، فاذا أتاها العدو ليلتقطها من خلفها أو من أمامها ، أربكه ذلك ، فلا يعرف لها رأساً من ذيل ، انها على أية حال — حيلة قد تصيب وقد تخيب ، وشيء خير من لا شيء .. ولله فى خلقه شئون !



خـــدعـــة التـــكبـــير

رغم أن هذا التكوين نراه دائماً معنا فى منازلنا وحجراتنا ومكاتبنا ، الا أن أحداً قد لا يستطيع التعرف عليه ، لهذا تأمل فيه ، فربما تتوصل الى سر الخدعة ، فالحقيقة أن هذا التشكيل الغريب هو السلك الرفيع داخل المصباح الكهربى ، وهو الذى يتوهج ويضيء اذا مر فيه التيار . وظهوره بهذا الشكل المثير يرجع الى تكبيره بالميكروسكوب المجسد عشرات المرات ، فأعطى الانطباع بأننا ننظر الى تكوين مختلف تماماً ، كأن يكون مثلا اطارات سيارات أو أى شيء آخر مما قد يخطر ومالا يخطر على بال .. وكم من تشكيلات أخرى كثيرة تختلف فى شكلها وتكوينها إذا نظرنا إليها بعينين : عين البشر ، وعين المجهر !

سُفُنُ الدَّوْحَة
في إحساس الفتيات القطريّات

بقلم: الدكتور محمود البسيوني

ينجذب نظر الزائر الجديد لمدينة الدوحة الى مجموعة المراكب الكائنة فوق شاطىء المدينة ، بأنواع مختلفة ، وأحجام متعددة ، ويرى تلك السفن معروضة فى بركة بمتحف قطر الوطنى ، لتحكى تاريخ الدوحة حينما كان شاطئها الرئيسى فى مياه الخليج حيث يعمل عدد من السكان باصطياد اللؤلؤ ، والمحار ، والأسماك ، أو بالتجارة عبر هذه المياه المتسعة .



سفن الدوحة من خلال رؤية للطالبة عائشة خميس الخليفي





لوحتان من وحى السفن على الشاطىء : الاولى للطالبة مريم أحمد الموسى .. والأخرى للطالبة بدرية عيسى البدر





رؤية أخرى لسفن الدوحة للطالبتين : ليلى حسين النعمة .. ووفاء ماجد الخليفى

ووضع السفن على الشاطىء بهذا التراكم مثير للرؤية ، ويعبر عن لمسة وفاء لتلك الأجسام التى صنعها الانسان بيديه لتخدم أغراضه . وطالما أن الأيدى هى أدوات التشكيل فسيتبعها انفعالات الإنسان التى شكلها ، وصاغها فى قوالب مميزة ، تدركها حينما نقارن هذه السفن بغيرها التى تنتمى لبيئات أخرى .

وكل سفينة مصنعة لتخدم غرضها ، فلها بدن عريض فى الوسط ، وتصيبه النحالة والرشاقة حينما يمتد إلى الأمام حيث مقدمة السفينة ، الذي يلتقى عنده الجانبان الأيمن والأيسر فى واجهة تكاد تشبه منقار الطائر ، أو رأس السمكة . أما الخلفية التى تكون الدفة الموجهة للسفينة فهى قاعدة مستعرضة تربط الجانبين ربطاً يجعل للشكل الكلى للسفينة كياناً تجريدياً خالصاً ، من صنع الإنسان ، ويزيد هذا الكيان جمالا الصوارى التى كانت تحمل أشرعة السفينة ، فهى تصنع عادة لتعبأ فيها

● الأنامل الرقيقة ترسم السفن فى أكثر من لوحة وتعبّر عنها بصورة فنّية نابضة

الرياح التى تدفع السفينة إلى الأمام ، تشق طريقها عبر أمواج البحر العاتية ، وهى تتمايل ذات اليمين وذات الشمال فى جو راقص حالم .

والسفينة لها أهمية كبيرة فى حضارة الانسان وانتقاله من مكان إلى مكان ، وذكرها القرآن الكريم مع نوح وفى قصة موسى والخضر الذى خرق السفينة ليحتفظ بها لأصحابها من يد ذلك الملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصباً . ورسمت السفينة على جدران المعابد وجسدها المصريون القدماء فى نماذج تشرح النشاط البحرى الذي كانت تقوم به حتشبسوت فى أعالى النيل .

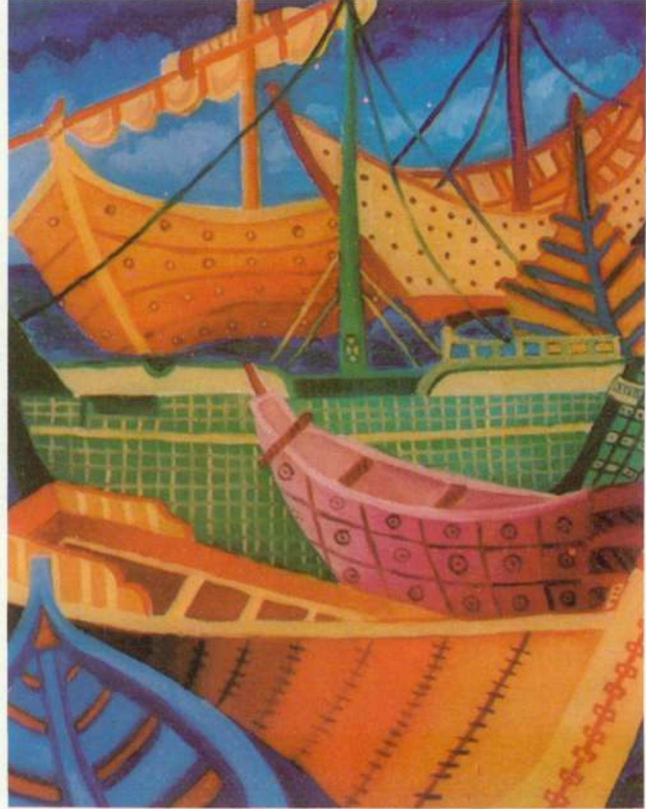
وقد تناول مصورون عديدون السفينة كموضوع للتعبير التشكيلى . وكان كل منهم يبرز فيها المعالم التى تروقه ، أحياناً يبرزها كجسم صلب له كيان مميز صامت ، تلفعه أمواج البحر ، وأحياناً أخرى يفجر الفنان من حولها الحركة ونشاط التجارة أو الصيد .

سُفن الدَّوحة
في إحساس الفتيات القطريات



ثلاث لوحات تمثل فيضا أصيلا تلقائيا للطالبات : ناهد ابراهيم السليطي (على اليمين) وموزة أحمد آل ثاني (أعلى) ثم وفاء أحمد الحمد





ولقد استخدم موضوع السفن الراسية على شاطىء الدوحة لطالبات قسم التربية الفنية جامعة قطر فى مقرر أسس الرسم (١١٠) تحت اشراف الكاتب . وانتقلت الطالبات إلى الشاطىء حيث هذه السفن ، يستلهمن منها النظام المعمارى المميز فى تركيباتها ، ثم زرن متحف قطر الوطنى يتأملن السفن القائمة فى بركة الماء داخل المتحف ، وطبيعى أن يثمر هذا الاستلهام بابداعات متنوعة ، وتكوينات مميزة ، أخذت وقتاً وصبراً وأناة لتخرج إلى النور .

وأهم ملاحظة فى هذه التكوينات أنها ليست أكاديمية ، ولم تسيطر على الطالبة فيها نزعة النقل الفتوغرافى الآلى الميت ، وإنما انصب الاهتمام على التكوين ذاته ، وادراك العلاقات ، وتميز الأشكال من الأرضيات ، حتى ألواح الخشب التى شكلت جوانب السفينة ، وأشكال المسامير المتراصة فوقها ، وبعض المظاهر الأخرى كالشباك ظهرت لتعطى أنغاماً ، وايقاعات للتكوين . وها هى نماذج مختارة من هذه التكوينات حققتها الدارسات فى هذا الموضوع البيئى الحى . ولكل صورة قصتها ، وشخصيتها ، وقراءتها التى تبين أن مدخل كل طالبة كان البحث عن الابداع وعن الجديد ، وكانت الألوان أدوات لبناء التعبير بتصميمات واعية ، استفيد فيها من مداخل الفن فى القرن العشرين ، مثلما استفيد من تراث التصوير الإسلامى كما ظهر فى المخطوطات المعروفة .

فالشكل (١) يتضح فيه الايقاع القوسى فى دوران الشاطىء ، وتنظيمات السفن المرصوصة فى تتابع دائرى تتبعه أقواس أمواج الشاطىء .

اما الشكل (٢) فتداخلت الأشكال القوسية فى إيقاعات جمالية ممتدة حتى نهاية الشاطىء الآخر بألوان دافئة زاهية مثيرة .

والشكل (٣) صور مجموعة المراكب فى ترابط وتآلف ، وكأنها كائنات حسية تتحدث لبعضها البعض .

والشكل (٤) انشغلت فيه الطالبة بالانعكاسات فى البحر ، وبنوع من الرومانتيكية المسيطرة على الزوارق ، فى لحظات الشفق التى تدعو للتأمل .

والشكل (٥) بنائى لونى فياض بالتناغم والحس المرهف .

والشكل (٦) أبرز المسامير فى ايقاعات جميلة تكسو أجسام السفن الزرقاء والصفراء والخضراء .

والشكل (٧) تشريحى إيقاعى فى السفن وفى الكثبان الرملية ، وتنظيمات الخطوط القوسية ، يدعمها اهتمام الطالبة التلقائى بالملامس .

والشكل (٨) استخلصت فيه الطالبة نظاماً تجريدياً خالصاً تلمح من خلاله آثار الألواح والصوارى والمياه الزرقاء .

هذه نماذج قليلة من كثير تمثل فيضاً من احساسات الفتيات القطريات ، وهو فيض أصيل ، تلقائى ، غير متأثر بمحفوظات راكدة ، ولا بعوائق القواعد التى تغلق عادة منافذ التفكير .

إن تلك الابداعات تمثل ثراء ، وتحمل خيراً بالنسبة لاعداد مدرسة التربية الفنية الجامعية الحديثة في دولة قطر ، فتحية لهذه الأنامل الرقيقة التي أفاضت علينا بهذه النسمات التى تدعونا للتأمل والاهتمام والتقدير .

محمود البسيوني

الملك الشهيد

بقلم : أحـمد العنـاني

سنكون في صفحتنا هذه المرة مع الملك العربي العامري الجبوري مقرن بن زامل الذي سقط شهيد الواجب في وجه البغي البرتغالي في البحرين ، وهو ابن الملك زامل بن حسين مؤسس حكم الاسرة الجبورية في نجد والاحساء ، والذي امتد حكمه في فترة من أواخر القرن الخامس عشر فشمل البحرين وهرمز وعمان .

ولابد لنا من عرض سريع يعرف القارئ بكيفية نشوء هذه الدولة العربية ، والظروف والأوضاع التي أدت إلى ارتفـاع شأنها ... من المعروف أن ضعف الخلافة العباسية في بغداد ضعفاً واضحاً منذ القرن الرابع للهجرة أدى إلى قيام سلسلة من الحركات الثورية المشبوهة وكان آخرها وأشدها عتواً حركة القرامطة التي استفحل أمرها في البحرين والاحساء وجنوبي نجد ، وتطاولت على أقدس أقداس المسلمين بعدوانها على البيت الحرام ونقل الحجر الاسود من مكانه التاريخي إلى عاصمتهم في هجر ، وقد شاء الله تعالى أن ينقسم أولئك المخربون الاشرار على أنفسهم لأسباب انتهازية بسبب تأييد بعضهم للدولة الفاطمية بمصر واتصال الآخرين بمقر الخلافة في بغداد ...

إذ ذاك دبت الحماسة في السكان المحليين وقام زعيم قبيلة العيونيين الاحسائية بالاتصال ببغداد حيث أُنجِدَ بفرقة من الفرسان تتألف من سبعة آلاف مقاتل انضم اليهم أربعة آلاف من رجال القبائل العرب ، فحاصروهم بضعة أشهر في قلاعهم بالاحساء إلى أن أجبروهم على التسليم .

وبدأت فترة من حكم القبائل في مثلث الاحساء البحرين قطر بدأها العيونيون الذين انتهى أمرهم إلى تناحر شديد بين فروع قبيلتهم مما أدى إلى ظهور بني عصفور من آل عقيل من بني عامر في مكانهم ، وقد اشتهر هؤلاء بقافلتهم التي كانت تضمن الأمان لحجاج بيت الله الحرام ، وقد دام ضمانهم للقوافل بين الخليج والحجاز بضع مئات من السنين لم يتحدهم خلالها سوى قبيلة طيء التي نزلت في البصرة ولكن ذلك التحدي انتهى إلى الفشل .

ولا يعرف مدى الصلة التي تربط آل عصفور بالجبوريين ، وإن كان بعض الرواة يدعون أن العصفوريين والجبوريين هم فرعان من عامر بن عقيل ، ولكننا نعلم يقيناً أن هيبة بني عصفور امتحنت امتحاناً عسيراً في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي ، وذلك بتقدم إمارة هرمز الغنية وبسطها نفوذها على البحرين ، ونحن نرى هذه الحالة ممتدة أوائل القرن الخامس عشر الميلادي إذ كان لقب قطب الدين فيروز شاه ملك هرمز هو ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف ، الأمر الذي يؤكد ما تورده مصادر مختلفة عن تهافت دولة العصفوريين .

لم تكن مملكة هرمز الصغيرة مؤهلة لملء كل الفراغ المنسوب لها ملؤه ولذلك نجد الفترة الأولى من القرن الخامس عشر شديدة الغموض حيث تشير كل الدلائل إلى قيام تدخلات منوعة في شئون المنطقة بعضها من قبائل تترية كالآق قونيللو ، ولعل مناسبة ذلك التدخل الذي شمل الفرس وقبائل البحرين والاحساء هو صراع الاخوين سيف الدين مهار ملك هرمز وأخيه فخر الدين توارنشاه حاكم ميناء قلهات بعمان ، الأمر الذي أضعف قدرة هرمز على فرض أية هيمنة في المنطقة .

قيام دولة الجبوريين — الشيخ زامل بن حسين

منذ سقوط القرامطة ، ونجد والاحساء هما مصدر القوة الأفضل لملء فراغ النفوذ في حوض الخليج ، وقد أدت الأحوال المضطربة بعد ضعف هرمز إلى ظهور الجبور بزعامة زامل بن حسين في كل من نجد والاحساء والبحرين ، في وقت وصل فيه مد الفوضى بين قبائل تيمورلنك وقبائل السلاجقة والتركمان إلى أسوأ مراحله .

ومن منطلقه بمدينة اليمامة راح زامل يعزز مركزه الحساس على طريق القوافل بين الخليج والحجاز ، خصوصاً بعد امتداد نفوذه إلى البحرين .. ولم يتردد في استخدام الأرباح المتاحة له في زيادة العنصر الحضري من الجنود المرتزقة في جيشه الذي كان به فصائل هامة من البدو .

إن هناك غموضاً حقيقياً ، وتضارباً لا يمكن إخفاؤه بين مصادر تاريخ هذه الفترة من نهاية القرن الخامس عشر حول شجرة انساب الجبوريين ، فبينما يؤكد العيوني في كتابه عن تاريخ الاحساء أن مقرن هو ابن زامل ، نرى آخرين يجادلون بشدة بأن مقرن إن هو إلا حفيد لزامل ، وأن والده هو « أجود » الذي كان له فضل يفوق فضل زامل في توسيع رقعة الحكم الجبوري بحسن الاستفادة من الصراع الداخلي في هرمز ، حتى حل

الملك الشهيد

الجبوريون محلها في كل من البحرين والقطيف والداخل العماني .

وتبسيطاً لأمور القارئ العادي نقول ان هناك ثلاثة أسماء لمعت في تاريخ الجبوريين لزامل وأجود والملك الشهيد مقرن وبينما كان زامل هو المؤسس في داخل شبه الجزيرة بين الاحساء ونجد فان الفضل يعود لأجود في حلول مملكة الجبوريين محل مملكة هرمز في سائر مناطق نفوذها في البحرين والاحساء وعمان .

وكان أجود هو الذي انفرد بسلطان البحرين والقطيف والاحساء وشيخ نجد ، ومن الثابت أن ملك المملكة البهمنية في منطقة حيدر آباد بوسط الدكن في الهند قد كانت بينه وبين أجود مراسلات تجارية وغيرها . وكانت مملكة الدكن البهمني هذه على صلات تجارية وثيقة مع دولة المماليك في مصر . ومن المعروف عن أجود أنه انتهج سياسة مكيافيلية في إفادته من الصراع الداخلي سواء بين الطامحين بالانفراد في ملك هرمز أو بين الاباخيين في داخل عمان وسليمان النبهاني حليف هرمز على السواحل ومنذ ذلك الحين أصبح للجبوريين وجود دائم داخل عمان أثر في مستقبل الاحداث بها مدى قرنين متكاملين .

وحين كان لأجود اليد الطولى في إعادة سلغور شاه إلى عرش هرمز ، وصل نفوذ الجبوريين قمة إنجازه ، وكانوا جديرين حقاً بأن يصبحوا القوة الاساسية في شرقي الجزيرة العربية لولا الظهور المفاجئ للبرتغاليين في مياه الخليج عام ١٥٠٧ للميلاد من جهة ، والمتاعب القبلية التي بدأوا يواجهونها بالحاح شديد وتواصل في داخل نجد ، وهي متاعب أعاروها أهتماماً بالغاً لأنها تقع في موطن « العمق » الذي يرتكزون عليه في إحكام صلتهم بددل عمان ، وفي ازالة التهديد عن طرق القوافل إلى الحجاز .

ومما يذكر لأجود بن زامل جهوده الجبارة في إعادة قوة السنة في سائر المنطقة الساحلية بتشجيع أنشطة العلماء السنيين واستقدامهم مع الحفاوة البالغة إلى سائر المراكز الحضارية للدعوة إلى التزام السنة ، وفضلاً عن ذلك أصبح جائزاً أن يقال بأن الجبوريين باتوا هم حماة المواقع المقدسة في مكة والمدينة حيث أنه من الثابت أن الشريف بركات استنجد بهم فظهروا في موسم الحج بقوة قدرت بخمسين ألف مقاتل .

الملك الشهيد مقرن في مواجهة البرتغاليين

لا شك أن ظهور البرتغاليين بالكيفية التي ظهروا بها منذ ختام القرن الخامس عشر في كل من شرقي أفريقيا ، وسواحل المحيط الهندي والخليج قد أكسبهم ، باعتمادهم عنصري المفاجأة وسرعة البطش الشديد ، نفوذاً مهيمناً وكسباً معنوياً كبيراً ، ولا شك أيضاً في أن علاقات الجبوريين بكل من هرمز والبحرين كانت علاقات مربحة لهم ، فغير خاف أن هرمز ربما كانت من أغنى الدويلات التجارية التي برزت على مسار التاريخ ، ولاجرم كان لنفوذ الجبوريين فيها منذ بداية الربع الأخير من القرن الخامس عشر أثره في زيادة مداخيلهم ، وحسن الاهتمام بالمتطوعة من جنودهم ، وكذلك ، وإلى حد أقل كانت فائدة البحرين للجبوريين .

لهذا كان لابد من الاستماتة في الدفاع عن الموقعين إن أمكن أو أحدهما على أقل تقدير .

كانت أمور الدولة الجبورية قد آلت إلى مقرن في بداية القرن السادس عشر للميلاد ، حين تعقدت ظروف الصراع في الخليج على شكل لم يسبق له نظير من قبل ، وليس من المبالغة في شئ القول بأن الروايات الخيالية عن فداحة غنى السكان في جزيرة هرمز قد هيجت أطماع الطامعين على النحو الذي سوف نشير له .

أولاً كان على رأس الطامعين ذلك النفر من قراصنة البحر البرتغاليين المغامرين الذين كانوا يعلقون خطاياهم على مشجب الكنيسة مدعين أنه كلما زاد الضرر الذي يوقعونه بالمسلمين ، وتنوعت أشكال قسوته كان ذلك أدعى إلى الافتخار بأفضل ما ترضى عنه الكنيسة الكاثوليكية من الانجاز ، وعلينا أن نعلم أن الرابطة التي كانت تجمع تلك الزمر من وحوش البحر إنما كان الغنائم ؛ فهم يتصيدون السفن البريئة في عرض البحر ،فيقتلون من فيهـا بلا تردد ، ويصادرون أحمالها من البضائع ، وهم يباغتون الموانيء الآمنة الصغرى ليلا فيذبحون أهلها وهم يثيرونهم من نومهم ذبح النعاج ، وأكثر ما يهمهم أن يستولوا على حلي النساء وأموال التجار .

ولكنهم حين يواجهون موقعاً محصناً كهرمز يستدعون سائر قواتهم ويطلبون النجدات من كل من مركزهم الرئيسي في جوا بالهند ، ومن عاصمة بلادهم لشبونه .

في بداية القرن السادس عشر كان ضغط الاتراك على شمال وغرب ايران ضغطاً عنيفاً جداً ، كان قمته الانتصار التركي الساحق على الشاه الصفوي اسماعيل في موقعة جاليران الشهيرعام ١٥١٤ م (حوالي ٩١٩ هـ) ، ومن الأمور المعروفة أن الاتراك العثمانيين كانوا قد وفقوا في الحلول محل السلاجقة في آسيا الصغرى وفي اقتحام عاصمة الدولة البيزنطية « القسطنطينية » عام ١٤٥٣ ، ثم راحوا ينتشرون في كل اتجاه ، ملاحظين أن ظهور الدولة الصفوية في ايران وتوجهها للتفاهم مع اعداء العثمانيين كان جديراً بأن يحد من اندفاعهم في أوربا ، ولذلك آثروا مناجزة الصفويين فكان انتصارهم الحاسم الذي أشرنا له عام ١٥١٤ .

ولم يتردد شاه الصفويين في الاتصال الفوري بالبرتغاليين والتحالف معهم . وكانت ميزة البرتغاليين بالطبع هي تفوقهم البحري ..

ولم يكن في وسع الاتراك ولا الجبوريين أن يحولوا دون سقوط هرمز أمام تحالف البرتغال وفارس ، ولولا أن الغزاة كانوا حريصين على عدم تدمير موقعها كأعظم محطة للتجارة العابرة في العالم ، وما يعنيه ذلك من أرباح اسطورية من الجمارك لفعلوا في هرمز نظير ما فعلوه في صحار ومسقط وغيرهما من مدن عمان التي كانوا دمروها تدميراً قبل أن يحاصروا هرمز ، ويتوصلوا معها إلى نوع من الصلح الاستسلامي بفضل جهود الشاه عباس في عام ١٥١٤ م

ومنذ تلك اللحظة أصبح موقف الجبوريين في منتهى الحرج ...

فلقد أدى انشاء القلاع البرتغالية في سواحل عمان وشحنهابحاميات قوية إلى اضعاف مركز الجبوريين في داخل عمان ..

والآن أدى سقوط هرمز ليس لخسرانهم ما كانوا يجنونه من ارباح مباشرة وغير مباشرة نتيجة نفوذهم وتعاملهم التجاري معها على التوالي ، ولكن أيضاً للادعاءات الوقحة من البرتغاليين بأنهم باحتلالهم هرمز أصبحوا ورثاء شرعيين حتى لنفوذهم المندثر في كل من البحرين والقطيف وهو ما يعني القضاء على الجبوريين ..

مقرن يحصن البحرين

لم يكن في وسع مقرن أن يتدخل في هرمز بسبب قربها المباشر من الساحل الذي يهيمن عليه الصفويون في فارس ، ولقوة الاسطول البرتغالي في البحر ، لذلك قرر مقرن أن يجعل خط دفاعه في البحرين لقربها من الاحساء ، وامكان حشد سائر السفن العربية لحماية المسافة البحرية بين البر والبحرين في كل من الاحساء وقطر ...

وبالفعل فان مقرن راح يواجه تحديات البرتغاليين بمثلها : فهم يتعرضون لسفنه المتجهة لهرمز أو للخروج إلى المحيط الهندي ، وهو بدوره يضايق سفنهم المتجهة إلى البصرة أو موانئ فارس الشمالية .

وقد غدا واضحاً أن موقع الحسم بين القوتين هو جزيرة البحرين ، التي فشلت بضع محاولات بحرية برتغالية في الاقتراب منها ، لكنه عندما قام

لك الجبوريين مقرن بن زامل عام ٩٢٦ للهجرة أداء فريضة الحج ، انتهزها البرتغاليون وأحلافهم لصفويون والهرامزة فرصة ، فتوجهوا بقوة ضخمة لى البحرين . ولكنه أتضح أن مقرن وإن كان قد اب مؤقتاً عن مسرح الأحداث ، لكنه كان على حق في ركونه لمناعة دفاعات الجزيرة ... وقد أفلح لهاجمون في انشاء بعض رؤوس الجسور المؤقته لى بر الجزيرة إلا أن هجمات النبالة والفرسان لعرب كانت سرعان ما تصفيهم أو تلجئهم لمسارعة إلى سفنهم .

وفشل الهجوم الأول فشلا ذريعاً ، وراح لطرفان يعيدان تشكيل قواتهما ، فيما أرسل لبرتغاليون يطلبون المزيد من النجدات البحرية من جوا وغيرها ، فان الجبوريين كانوا قد أعدوا قوات حتياطية بينهم كتائب من الخيالة ورماة السهام ، عدد محدود من رماة البنادق .

استشهاد الملك العربي

وردت الانباء في صيف العام التالي (٩٢٧ لهجرة) ١٥٢١ م عن تقدم قوة برتغالية هرمزية حت قيادة مشتركة من انطونيو كوريا أميرال بحر البرتغالي والريس شرف الدين ملك هرمز خاضع للبرتغاليين ، وكان في الحملة أكثر من ربعمائة سفينة نقل ، والعديد من سفن الهجوم صغرى السريعة المزودة بحملة البنادق ورماة سهام ، ولكن أشد شئ تهديداً للمدافعين كان لا شك وحدة البوارج الحربية الثقيلة المجهزة مدافع الميدان الضخمة ، والتي لم تكن السفن التي عدها الجبوريون على مستواها العسكري في شئ .

جرت المعارك في جولات متلاحقة ، البرتغاليون يمهدون بقصف مدفعي ثم يتقدم ماتهم ومن ورائهم المشاة ، والمدافعون تتقدم سراياهم الدفاعية وعلى رأسها في كل حالة الملك باسل مقرن ، مناديا بثارات المسلمين ومحرضاً نده بأنهم إن يهزموا فلن تقوم للعرب قائمة في خليج ، وانه لمن أسف بالغ ولسوء حظ العرب جبوريين والبحرينيين انه في آخر مراحل المعركة قد أصبح النصر الحاسم قاب قوسين أو أدنى ستطاع البرتغاليون تمييز الملك الباسل في مكانه المعركة واصابته بجراحات بالغة ، ولكن الجبور يفقدوا معنوياتهم إلا حين توفى مقرن ، فبادروا لانسحاب إلى القطيف . وهناك دارت معركة احنة من أجل جثمان الملك الشهيد إلى أن تمكن برتغاليون منه فقطعوا رأس الجثة وانهارت قاومة الجبور ... وكان للحادث ما كان من آثار ؤسفة في الخليج .

احمد العناني

ثلاثية

شعر : عبدالمنعم عواد يوسف



« حصــــار »

محصوراً بين البحر ، وبين الصحراء
لو أفلتُ من قيعان الرملِ ، أصارع دوّاماتِ الماءْ
يا رملاً يملأُ حلقي ..
ملحٌ أنت ورمــلُ
يا ملحاً يفعم روحي ..
رملٌ أنت وملحُ
تتماسك ذراتُ الملح ، فتصبح رملاً في الحلقِ ..
ملوحته تتيبّسُ في الأعضاءْ
تتفتّتُ ذرّاتُ الرمل ، تذوبُ فتصبح ملحاً ..
أسقط بين الرمل وبين الماءْ

« هــــروب »

أحياناً يجلسُ في الركن الأيمن محشوراً في سترته الحمراء
أحياناً يجلس في الركن الأيسر منكمشاً في سترته الخضراء
يحسب أن ينطلي الأمر على مكر ثعالبها الرقباء ..
لا يدرى أن عيوناً تمرق تحت الجلد ..
تفتش عن أصل الأشياء
فأجلس ما شئت ، يميناً ويساراً ..
وأجلس ما شئت ، أماماً ووراء
لن تُفلت من قبضتهم ..
مهما موّهت الموضعَ ..
مهما بدّلت الأزياء

« توحّـــد »

في زمنٍ يعلو فيه بغاث الطير ، ويشمخُ في استعلاءْ
ويصيحُ بوجه النسرِ ..
يجلجل مثل الطبل الأجوف ، تسكره الخيلاء
فيطاول مسرى النسر ، غروراً ..
يعلو يعلو ..
لا استبصار ، ولا استحياء
ماذا في وسع النسر ، سوى أن يقبع في استخفاء
كن نسراً أوحدَ ، والزمْ وكرك ..
أكرم من أن تَسْبَحَ وسط الطيرِ ..
إذا اصطبغت بالزيف الأجواء

رسالة القاهرة تكتبها: سارة

الكاتب الرِّوائي جمال الغيطاني يفتح النار على الحياة الأدبيَّة

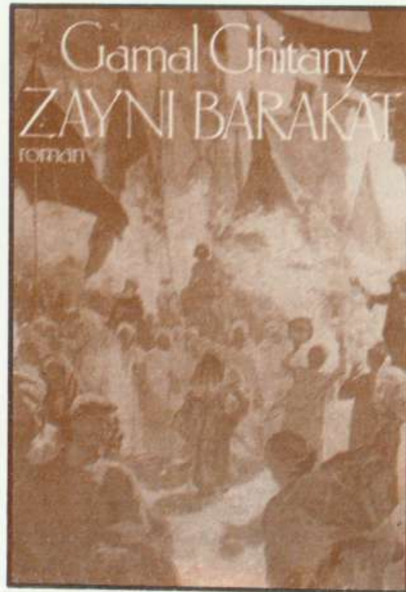
« ما من شيء يثبت على حاله ، لو حدث ذلك لصار العدم ، كل شيء في فراق دائم ، المولود يفارق الرحم ، والليل يفارق النهار ، والنهار يفارق الليل ، والساعة تفارق الساعة ، والدهر يفارق الدهر ، الجسد يعانق الجسد ثم يفارق ، حتى الأيام التي اعتقدنا أنها لن تتبدل قط ، ولن تتغير ، ولن تزول ، كل شيء ، كل شيء في فراق ، كل شيء يتغير ، كل شيء في سفر دائم ، والدنيا منزل من منازل المسافر .

أعاني ثقل الشوق الذي لا فائدة ترجى منه ، ويأسرني الفقد الذي لا راد له ، وأذوق مر الفراق الذى لا لقاء بعده ، والنأي الذى لا وصول يليه أو ينهيه ، وأتحسر على ما انقضى ، وما فاتني بلا فائدة ترجى » .

هذا هو جمال بن أحمد الغيطاني فى تجلياته الأخيرة ، في سفره الأول وسفره الثاني — والثالث تحت الطبع — وتحتار فيهما أيهم يشدك ، جمال الوطن ، جمال الحزن ، جمال الخوف ، جمال الفراق ، جمال الشوق ، جمال الغربة ، جمال الدهشة ، جمال اليتم ، جمال الانتكاسة ، جمال النأي ، جمال الحنين ، جمال العشق ، جمال الحيرة ، جمال الرحيل ، جمال الدهر ، جمال التاريخ ، جمال الحاضر ، جمال التراث .

وتحتار أكثر فى تحديد هوية التجليات وصاحبها ، هل هي تجليات صوفية وصاحبها صوفي ، أم هي تجليات فلسفية وصاحبها فيلسوف ، أم هي تجليات لغة الشعر فى إعجازها المذهل وصاحبها شاعر ، أم هي قمة الإبداع الروائي في شكل متفرد ومتميز أكسبها الأصالة والحداثة والحساسية والعمق والتفرد ، وصاحبها روائي .

وتحتار أكثر .. وأكثر .. من هو البطل فى تجلياته وأسفاره ، اللغة النابضة الشجية ، التراث



غلاف الطبعة الفرنسية لرواية « الزينى بركات »

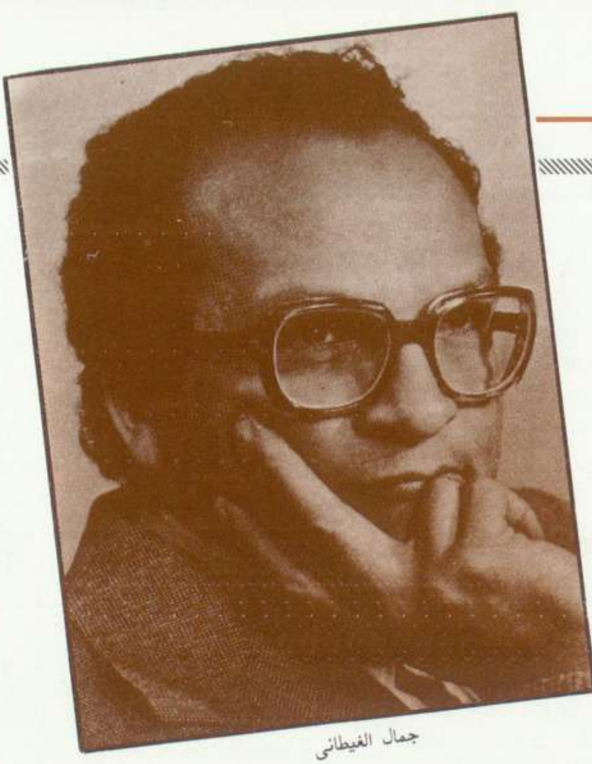
المشحون بالوجع ، الزمن الجبار القاهر ، في صيرورته الرهيبة ، ومحاولة كسره بمفتاح الذاكرة والتخيل ، والد الكاتب أم الكاتب نفسه ، ... عبد الناصر ، أم صاحب « الفتوحات المكية » محيي الدين بن عربي .. أيهم ؟! .

و.. أدعوكم للسفر معي إلى عالم الغيطاني ، الشجي ، الدافىء ، النابض ، الحي ، المتدفق ، الغاضب ، المتجدد ، المتسائل ، المتوحش ، الأسيان .

الغيطاني يحكى لنا

• ظلال الحسين سيد الشهداء تلف طفولتي وشبابي ، كان أبى يمسكني بيد ويمسك أخى بيد ، ثم نمضي لزيارته ، نخلع نعالنا ، ونلج ضريحه ، نقبل أعتابه ، كان أبى ملازما لضريحه ، دائم الطواف حوله ، لم ينقطع عن صلاة به إلا لمرض أو سفر أو غم عظيم ، كان

• لم أقرأ شيئاً في حياتي ليوسف السباعى • يحى حقي أهم وأعمق من يوسف إدريس • وزكى مبارك أهم بكثير من طه حسين • رفاعة الطهطاوى فتنته باريس عن نفسه ووطنه وتراثه • علي مبارك باشا سبب الآلام التي تعانيها مدينة القاهرة اليوم . • « الفصعامية » ... أو اللغة الثالثة بين الفصحى والعامية شيء لا وجود له .



جمال الغيطانى

يستجير به في أيام الشدة ، وكان يقول لمن يرضى عنه أنه سيقرأ الفاتحة عند مقامه ، وكنا نخرج لنطوف بالشوارع القريبة ، باعة البخور ، السبح ، المصاحف ، كتب السيرة والملاحم ، والعنبر ، واللبان ، نقف أمام دكان صغير ، صغير جداً ، يشترى لنا أبى الخروب ، يقدمه البائع في طاسات نحاسية ، نتمهل فى تذوقه ، الطعم مسكر عذب ، أورثتني هذه الوقفة عشقاً لمشروب الخروب ، صار له عندي أثر حسي ، وأثر لا يدرك أبداً ، لم أك أدرك أن عبير المشروب ، غامق اللون ، سيصحبني إلى نهاية عمري المقدر ، وأن عبيره الرطب سيرعش أغشية قلبي ويرقرق فؤادي .

• كان أبي ينقل الماء إلى بيوت عديدة ، كان يمشى متثاقلاً يمسك فم القربة ، وكان يهيم على وجهه ، يخشي الظهور في دروب القرية ، لم يكن يملك إلا جلباباً وطاقية وسروالاً ، الجلباب تهرأ تمزق ، كان أحياناً يغسله بالماء ، هكذا نزل إلى الترعة ليحجب عريه أثناء مرور أربعة من الجمالية يسوقون جمالهم المحملة بالقش والحطب والجريد .

• تواضعت آمال أبى صار انتقاله من عمله كعتال يحمل الأجولة إلى ساع يفرق البريد أمراً يستحق المجاهدة ، وأشد أهمية من التحاقه بالأزهر أمنيته الأولى ، وكنت أخجل من التصريح بوظيفة أبى وعمله كساع ، كان ذلك فى زمن جاهليتي ، قبل هدايتي وانحيازى إلى الفقراء أمثالي .

• في مكتب سكرتير مدرسة عبد الرحمن كتخدا الابتدائية . إبراهيم أفندي ، يقول : إن المصاريف خمسون قرشاً ، يقول أبى إنه سيدفع أول الشهر . يقول ابراهيم أفندي : بإمكانك ألا تدفع لو قدمت شهادة فقر ، يقول أبى : هذا فأل سيء ، إنها أول مصاريف أدفعها لولدي جمال .

•مات أبي وأنا في غربة ــ ١٩٨٠ ــ لم أر إغماضة عينيه ، ولم أحمل جثمانه ، ولم أشهد لحظة مواراته ، ولم أدر ، ولم أعرف ، ولن أدرك ماذا رأى فى اللحظات الختامية ، أو أي الصور أو الأطياف التى تجلت وتبدت له ، لم ير أبى لحظة ميلادي ، ولم أر لحظة غيابه الأبدي ، وما بين القوسين سر غربتنا ، طريق أبي في الحياة غريب ، وطريقى فى طريق أبي غريب ، وقد عقدت العزم ، وأضمرت النية على بناء مقبرة أنقل إليها أبى حتى لا يكون ضيفاً على آخرين ، حتى لا يكون غريباً في رقدته كما عاش ، حتى تكون رقدتنا إلى جواره ، عسى أن تساعدني ظروفي عسى .

• بعد رحيله أغلقت على ثيابه حقيبة ربما تبقى شذى رائحته فيها ، الرائحة التى لا يمكن أن أخطئها أبداً ، والرائحة التي لن يتكرر مذاقها أبداً ، عبير زمني الآ من ، وعطري المتبدد ، و .. آه .. من البعد ، ما يجمعه وقت يفرقه وقت .

• اعتقلت في أكتوبر عام ١٩٦٦ ، دخل اثنان من المخبرين السريين المتخصصين فى الجلد واستنطاق المتهمين ، وقوفهم إلى الخلف يحدث قلقاً ويبث اضطراباً فى النفس ، تصبح الضربة ، متوقعة في أى لحظة . والضربة غير المرئية تؤلم أشد ، كنت موزعاً بين مواجهة الضابط والإجابة على أسئلته ، وبين انتظار الضربة وألمني انتظار الضرب أشد من وقعه على جسمي عندما بدأ .

• اسألوا ذلك الضابط العتيد الذي طرق بابنا في الفجر ، وأرعب أمي وأرجف أبى ، وأفزع إخواتي ، مما ترك أثراً غائراً في شقيقى الأصغر على لم يمح حتى اليوم . رأيت إخراج أوراقى وكراريسي وصورى ، استولى على هذا كله ، فجردني من كنز ذكرياتي حتى صوري مع زملاء دراستي الابتدائية والإعدادية جردني من كل أثر احتفظت به حتى

ذلك العام ، فلم يعد لي من ذلك الزمن المنقضى ما يحتفظ بملامح أحبتي .

• رأيت أيام الضياع العظمى بداية فقد عصر بأكمله ، مفتتح زمن البلوى ، رأيت الشظايا لحظة اختراق الأجسام ، رأيت موت الأحباب ، رأيت آلام الجراح لحظة الميلاد على الوجوه ، ورأيت هجرة الأهل لبيوتهم ، رأيت الأشجار تتوقف عن الطرح والإخصاب بعد أن أفزعتها الشظايا ، وتكالبت الجروح عليها ، فالأشجار تفزع كما يفزع الإنسان ، كنت لا أطيق العودة إلى بيتي ، أخشى الهجوع ، وأخاف الانفراد ، من مقهى إلى مقهى تنقلت ، من شارع إلى شارع ، ظهر الجند المتعبون والمنسحبون من خط الدفاع الثاني ، ضجت سيناء بالظمأى والقتلى ، وشبعت الضباع والذئاب .

• فى حجرة رمادية الطلاء بمبنى إحدى الصحف قابلته ، كان مبحوح الصوت بعد طوافه يوماً وليلة ، وجمع من الخلق وراءه يهيب بعبد الناصر ألا يذهب ، ألا يمضى فى تنفيذ ما قاله عندما أطل بوجهه مكروباً على شاشة التليفزيون ، قبل ظهوره بثوان كنت آمل فى مفاجأة يعلنها أو تطور في أنباء القتال يخفف بدايات جراحاتي ، كنت مقدد الحزن ، لكني عندما رأيت ملامحه الثكلى تضعضعت أماني ، تدكدكت الأيام ، في الحجرة المطلية باللون الرمادي ، قال صاحب الوجه المتألم : لا فائدة ترجى من الكلام الآن ، ضاع الوطن الأول ، ويضيع الآن جزء من الوطن الثاني ، ما من حل إلا القتال ، انصرفنا ، افترقنا ، أمام المبنى سألت صاحبى الذي يعرفه . من يكون ؟ قال إنه فلسطيني يدرس الزراعة في القاهرة ، وينظم الشعر ، أما اسمه فهو : مازن أبو غزالة ، كم مر من الزمن حتى قرأت اسمه في الصفحة الأولى للجرائد ، ربما شهر أو شهران ،

الكاتب الروائي جمال الغيطاني يفتح النار على الحياة الأدبية

ذات صباح من الصباحات المؤدية إلى الشتاء استشهد مازن أبو غزالة ــ أقول استشهد ولا أخشى ــ فوق مرتفعات طوباس ــ مازلت أذكر الموقع الذي سالت فيه دماؤه ، مازلت أذكر موضع الخبر من الصفحة ، وعبارات البيان ، مازلت أذكر طوباس ، إذن أنا حي القلب ، نعم الذكرى لمن كان له قلب ، مازن ، عرفت كيف تموت ، ولم نعرف كيف نحيا .

• كنا نحارب ولم نكن بخائفين ، فكيف بعد أن صرنا قادرين ؟ في ليلة تغير هذا ، رفرف علمنا بجوار علمهم ، تلقت إذاعاتنا المرئية والمسموعة البث المباشر منهم ، ما كان مستحيلا تصوره وقع ، كنت ملوعاً مغموسا في حزن طري كالقار الساخن ، ياويلتا على ما فرطنا .

• يسعى قلبي ، يمشي ، قلبي أنا المنتزع من وطنه الذى هو صدري ، ها هو ذا حي ينبض ، هذا خفقه ونبضه ، أتعرف إلى الخفقة المتعبة التي أصغى إليها الأطباء طويلا ، قبل أن يصرحوا لى بتعب قلبي نتيجة علة قديمة ، وكأنه لا ينقصه إلا عطب مادي مع أنه ناء وفاض ، وخفت إجراء عملية لإصلاح علتي ، عندما علمت أنني أغيب عن وعيي ، وأن الطبيب المداوي يشق صدري ويستخرجه ويغرز فيه المشرط والرباط ، كنت أجزع ولا يغمض لي جفن كلما تخيلت ذلك .

رفيقة دربه تحكي لنا

لأول مرة تقدم واحدة من أكبر دور النشر الفرنسية المتخصصة في الأدب ــ دار السوي ــ رواية عربية هي « الزيني بركات » هذه الدار هي نفسها التي سبق وقدمت « جارسيا ماركيز » الكاتب الحائز على جائزة نوبل ، وقد استقبلت الدوائر الأدبية في باريس هذا الحدث باهتمام واضح تمثل في حجم اللقاءات والندوات التي أقيمت مع كاتبها الغيطاني ، وقد توج هذا الاهتمام بخطاب اعجاب وتقدير من الرئيس الفرنسي « ميتران » .

ماجدة الجندي ، رفيقة صاحب التجليات ، الصحفية بمجلة « صباح الخير » تحكي لنا عن سفرهما معاً لحضور هذا الحدث الثقافي الكبير :

وصلت مع جمال إلى باريس قبل يومين من نزول نسخ الكتاب إلى المكتبات ، كان الفرح بداخل قلبينا مكتوماً ، خجلاً ، لا تطاوعنا النفس على إظهاره قبل أن نمسك بأول نسخة في أيدينا ٩ يناير ٨٥ م كان الموعد المحدد لتأخذ (الزيني بركات) مكانها جنباً إلى جنب مع أي رواية لأى كاتب يقرأ له العالم ، نزلنا معاً ، لفنا صمت قلق ، كنا في طريقنا وبداخل كل منا سؤال : ترى أين سنرى أول نسخة معروضة للبيع ، وفي أي مكتبة ، وبأى شارع ، نظرت إلى جمال ، أعرف وجهه حين يقول ، ولا يقول ، أشفقت وحنوت وتمنيت اللحظة المرتقبة ألا يطول انتظارها ، في إحدى مكتبات « الكي دورسيه » دخلنا ، لم أصدق نفسي وأنا ألمح الاسم أولا ، كسرت هدوء المكتبة رغماً عني .. « الحق ياجمال .. الزينى » عدت طفلة أضحك وأتكلم وأمسك بيده وأتشبث بعيونه ، مازال يسكنها التعب لكن عليها الآن أن تفرح ، قلت : « تسمح لي ياجمال أشترى أول نسخة بحر مالي اللي أخذته منك امبارح » ! ، وأمسك جمال الغيطاني أول نسخة من مكتبة فرنسية ليخط عليها أول إهداء .. إلى ولدي وعمري الجديد الممتد ، إلى صديقي الصغير الكبير ، إلى من يسكن قلبي « محمد جمال الغيطاني » هذه هي « الزينى بركات » وقد بدأت تأخذ طريقها إلى العالم .

أسأل أنا ويجيب الغيطاني

ملحوظة ذات دلالة : تم تسجيل هذا الحوار في مقهى الفيشاوي بالحسين بناء على طلب الكاتب نفسه .

• سألت جمال الغيطاني عن أهم سؤالين أثارا انتباهه في لقاءاته الصحفية في باريس بمناسبة ترجمة « الزيني بركات » .

فأجابني قائلا :

ــ أحد هؤلاء الصحفيين ويدعى برنارد جيين من مجلة « كانزان ليترار » وهي مجلة أدبية متخصصة سألني إذا كنت قد زرت اليابان ، فأجبته بالنفي ، وسألته بدهشة لماذا اليابان بالذات ، فقال :

لأن ما قدمته من تفاصيل لعمليات « البص » أو التجسس على حرية الإنسان الفرد يحدث الآن وفي اليابان بالذات وفي بعض بلاد العالم ، وبنفس التفاصيل ولكن بالكمبيوتر ، إذن فالهم واحد ، عاني ويعاني منه الإنسان سواء كان في العصور الوسطى حيث تجري أحداث الرواية أو في أخريات القرن العشرين ، وربما كان ذلك أحد عناصر عالمية العمل ، أما السؤال الثاني فهو هل الأدب العربي القديم عرف فن القص أو الرواية وأجبتهم مستنكراً بأن أدبنا يحوي أعظم نص قصصي في العالم « ألف ليلة وليلة » وهي عمل يضم عشرات الأساليب في القص ، وحدثتهم عن نماذج كثيره من القص موجودة في الأدب العربى ليست بالضرورة قصاً مباشراً مثل السير الشعبية والملاحم والمقامات ، بل توجد نصوص أخرى من القص غير المباشر كتجارب المتصوفة والتاريخ .

• لقد احتميت في الزيني بركات بأطار مملوكي لتقول رأياً في عصرك ، بينما اتجه نجيب محفوظ إلى المباشرة في الكرنك فما رأيك ؟ .

ــ أعتقد أن الفارق بين الروايتين هو اختلاف في الظروف وفي الهدف ، لقد شهدت لحظة ميلاد الكرنك إذ كنا نجلس عصر أحد الأيام أنا وأستاذي الكبير نجيب محفوظ في مقهى عرابي في العباسية القديمة ، وإذ برجل أبيض البشرة ، جاحظ العينين يدخل ، وجلس ليلعب الشطرنج ، ولاحظت أنه قوبل باحترام شديد ، وسألت خادم المقهى عنه فأجابني بأنه حمزه بسيوني مدير السجن الحربي ، وعندما علم نجيب محفوظ بذلك نبتت فكرة الكرنك في ذهنه كما أخبرني بذلك فيما بعد ، إذن الكرنك كتبت لإدانة مرحلة معينة ، لهدف سياسي واضح ، وكتبت عبر معاناة الآخرين وليس عبر معاناة شخصية ، والزيني بركات كانت عكس ذلك تماماً ، لقد كتبت عبر معاناة شخصية حادة ، وقصدت بها إدانة القهر في جوهره ، ولم أقصد إدانة فترة زمنية معينة ولا حتى لحظة تاريخية محددة .

• إذا اعتبرنا « خطط الغيطاني » بمثابة تخطيط تمهيدي للتجليات ، فهل نستطيع اعتبار ــ المقتبس من عودة ابن اياس ــ وهداية أهل الورى ــ وكشف اللثام ــ بمثابة تخطيطات تمهيدية للزينى بركات ؟ .

ــ نعم ، فكل الروايات التي كتبتها كانت تتواجد على شكل إرهاصات في قصص قصيرة ، ولكن عند كتابتي لهذه القصص لم يكن في ذهني أبداً أنها ستتطور في يوم من الأيام إلى روايات ، ويمكن اعتبار هذه القصص درجات من إلحاح الهم أو الفكرة أو الحاح المشاعر ، فالزيني بركات كانت فعلاً موجودة في القصص التي ذكرت بالإضافة إلى قصة « اتحاف الزمان » وقصة « المغول » التي كتبتها بعد خروجي من السجن عام ١٩٦٦ ، والتي كانت بداية توجهي للتاريخ ، كما أن قصة « وقائع حارة الطبلاوي » كانت بمثابة تخطيط تمهيدي « لوقائع حارة الزعفراني » ، ويمكن اعتبار مجموعة « ذكر ما جرى » كلها تمهيدا لرواية « خطط الغيطاني » كما أن الخطط كانت مدخلاً إلى التجليات خاصة على مستوى الشكل ، فأعمالي كلها مترابطة وتنتمي إلى عالم واحد وإن تعددت الرؤى والألوان والأشكال .

• كيف يبدأ إذن مشروع الرواية في نفسك ، وهل اختلاف البدايات يعني الاختلاف في أسلوب التنفيذ ؟

ــ من الصعب الإجابة على هذا السؤال خاصة فيما يتعلق بالبدايات ، فقد تلح علي نفسى فكرة ما ، وربما تعيش معي هذه الفكرة عدة سنوات ، وقد تظهر على شكل قصة قصيرة دون وعي مني بذلك ، ولكنها تظل هاجساً ملحاً ومقلقاً ينمو ويتمدد ويكبر حتى يأخذ شكل الرواية ، فأنا كاتب روائي ولست كاتب قصة قصيرة ، والقصة عندي بمثابة تمرين تمهيدي للرواية ، ولكل رواية عندي ظروفها المختلفة وبداياتها المختلفة .

• صديقي مازن عرف كيف يموت ونحن لا نعرف كيف نعيش
• كان أبي ساعي بريد وأنا لا أخجل من ذلك بل أعتز به
• تعلمت من نجيب محفوظ تنظيم العمل والسيطرة الحديدية على الزمن والإخلاص الشديد للأدب

كما أن الهم العام يختلط ويتشابك مع الهم الخاص ، فوقائع حارة الزعفراني كتبتها في ذروة معايشتي للمادة التي استمرت ثلاثين عاماً ، والزيني بركات بدأت بفكرة إدانة نوع معين من النمط الانتهازي الذي عايشناه في الستينيات عندما كان عبد الناصر يندد في خطبه بالذي اختلس خمسة آلاف جنيه ، وهذا النمط أصبح ساذجاً جداً وبريئاً في السبعينات التي شهدت اختلاسات بلغت خمسة مليارات . هذه كانت الفكرة التي بدأت بها كتابة الزيني بركات ولكني فوجئت بعد كتابتها بأنها قد تحولت إلى رواية ضد القهر والبص واستلاب حرية الانسان الفرد ، أما التجليات فكان باعثها وفاة أبي ذروة الحزن على المستوى الشخصي ، وعلى المستوى العام كانت زيارة السادات لاسرائيل ذروة الفجيعة بالنسبة لي أنا الذي عايشت تضحيات البسطاء عن قرب أثناء عملي كمراسل حربي ، لقد تعلمنا نظرياً بأن العالم سياق متصل وبناء منطقي متراكب واكتشفنا أن ما تعلمنا كان « الضرورة » التي ينبغي أن تكون ثم لم تكن .

أما بالنسبة لمرحلة التنفيذ فإنها تنقسم إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى هي الكتابة التلقائية ، وأعمل فيها بلا توقف ، وعندما تنتهي هذه المرحلة لا أعود إلى الكتابة إلا بعد أن يدفعني الحنين إلى الشخصيات والعوالم التي خلقتها ، ساعتها أعود إلى الكتابة من جديد ، والكتابة بالنسبة لي عملية ضبط لاتزاني النفسى والعاطفي ، وفي هذه المرحلة أكتب بشكل بطيء وبمتعة أكبر لأنني أعود لشخصيات حية نابضة ، وعوالم قد تشكلت على الورق ، ولم يعد ينقصها إلا الألوان والظلال ، والعمل الوحيد المستثنى من هذا النظام « التجليات » لأنه عمل قد يستغرق عشرين أو ثلاثين عاماً ، من يدرى ، وأقوم بكتابته ونشره على شكل أجزاء منفصلة .

• لقد أحسسنا بالقاهرة القديمة ــ المدينة ــ بأحيائها وعاداتها وأزقتها بطلاً رئيسياً في الزيني بركات ، كيف نجحت في ذلك ؟

ــ إن الجهد الذي بذلته فى التحضير للزيني بركات يعادل جهد التحضير لرسالة دكتوراه ، وإن خبرتي بالقاهرة القديمة نتجت عن الإعداد لهذه الرواية ، وبفضلها أعد حالياً من خبراء القاهرة القديمة ولي أبحاث في ذلك وقد دعيت لبعض المؤتمرات العلمية الخاصة بالآثار الإسلامية ، لقد كنت أكتب الرواية وأمامي خريطة للمدينة القديمة ، فإذا كان لموكب السلطان ــ مثلا ــ أن يسير في أحد شوارعها ، كان على أن ألتزم بخط سيره تماماً كما كان أيام « ابن إياس .

وكان لهذا الشارع علامات معينة من المباني مثل قصر الأمير قوصون وقصر الأمير بشتال ، واستلزم ذلك مني بالتالى معرفة شكل العمارة فى تلك الحقبة الزمنية بالإضافة لمعرفة دقيقة للحياة اليومية المصرية وخاصة أنها مدونة يوماً بيوم منذ الفتح العربي على يد مؤرخين أمثال ابن عبد الحكم « فتوح مصر والمغرب » . الحقب التي وصفها الشهود تتعاقب وكأن كل كاتب يسلم إلى الآخر شهادته ، من القضاعي إلى المسبعي إلى المقريزي ، إلى ابن تغرى بردى ، إلى ابن إياس الذي جاء في القرن السادس عشر ، إن ابتعاث عصر بأكمله بكل تفاصيله الدقيقة تطلب مني جهداً رهيباً ، بالإضافة لذلك فأنا عاشق للقاهرة القديمة ، عمري متناثر في أرجائها ، بل إنني أحفظ كل شبر فيها ، وأستطيع أن أحدثك عن حركة الظل في الشارع المقابل لمسجد قلاوون منذ شروق الشمس وحتى غروبها ، والمكان عندي مسور بالزمن ، في صغري كنت أريد أن أسكن في الدقي ، خاصة وأن أبي كان يمشي أربعة كيلو مترات يومياً ذهاباً وإياباً من الحسين إلى مقر عمله ، ولكن أبي رفض إنتقالنا « مش ممكن أسيب الحسين » كان أبى يردد ذلك ، وعندما كبرت فهمت ماذا يعني الارتباط بمكان مؤطر بلحظة زمنية معينة .

• بماذا ترد على تساؤل وتحليل « سيزا قاسم » لشخصية الزيني بركات بأنه قد ينظر إلى استمراره في شغل وظيفته على أنه رمز للسلطة التي استمرت بعد هزيمة عسكرية نكراء ، فهل هو استعاره عن

جمال الغيطاني في سطور

• من مواليد ٩/٥/ ١٩٤٥ من قرية جهينة في محافظة سوهاج بالصعيد وقد نشأ بحي الجمالية والقاهرة القديمة .

• درس فن تصميم السجاد ويعتبر في مصر من خبرائه ومارسه بين ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨ .

• اشتغل بالصحافة منذ عام ١٩٦٨ ، ويعمل الآن بجريدة الأخبار .

• عمل مراسلاً صحافيا في جبهات القتال وغطى الحرب الإسرائيلية ــ العربية ، بيروت ، إيران ، العراق .

• ترجع بداياته في الكتابة إلى عام ١٩٦٣ حينما نشر قصتين إحداهما في مجلة الأديب اللبناني والاخرى في مجلة الأدب المصرية .

• في الفترة الممتدة بين عام ١٩٦٩ ــ ١٩٨٥ صدرت له خمس روايات . وثمانى مجموعات قصصية ، بالإضافة إلى ستة كتب تتضمن دراسات ومشاهدات منها : المصريون والحرب ١٩٧٤ ــ أسبلة القاهرة ١٩٨٤ .

• له تحت الطبع «كتاب التجليات» السفر الثالث ، وثلاثة كتب تتضمن دراسات عن بيوت القاهرة القديمة ــ الحياة اليومية في القاهرة القديمة ــ شارع المعز لدين الله .

• تدرس أعماله في عدد من جامعات العالم منها جامعة أكسفورد ــ معهد الاستشراق في نابولي . الجامعة الأمريكية في القاهرة ، ومعظم الجامعات الفرنسية .

• ترجمت قصصه القصيرة إلى اللغات : الإنجليزية ــ الإيطالية ــ الأسبانية ــ الروسية ــ اليابانية ــ الصينية .

• ترجمت روايته « وقائع حارة الزعفراني » إلى اللغة الإنجليزية ، و« الزيني بركات » إلى الروسية عام ١٩٨٤ ، كما ترجمت أيضا هذا العام إلى اللغة الفرنسية وصدرت عن « دار لوسوى » وستترجم من الدار ذاتها إلى ثماني لغات عالمية .

• حصلت حفيدة إبراهيم ناجي الطالبة ساميه محرز على شهادة الدكتوراه ــ الشهر الماضى من إحدى الجامعات الأمريكية وكان موضوعها عن أعمال الكاتب جمال الغيطاني .

الكاتب الروائي جمال الغيطاني يفتح النار على الحياة الأدبيّة

جمال عبد الناصر الذي استمر في الحكم بعد الانهيار العسكري عام ١٩٦٧ م ؟

ـ هذا استنتاج خاطىء ، فأنا لم يكن في ذهني عبد الناصر وأنا أرسم شخصية الزيني بركات ، وقد ظن الروس ذلك أيضاً عندما فكروا في ترجمتها ، وظلوا يتأرجحون في ظنهم هذا حتى اقتنعوا في العام الماضي وقاموا بترجمة الرواية ونشرها بعد أن تأكد لهم بأنني لم أقصد بشخصية الزيني بركات استعارة عن عبد الناصر .

• ما الصلة بين « الزينى بركات » و« مائة عام من العزلة » ؟

ـ الصلة بينهما هى النزوح من التراث العربي ، فماركيز قرأ ألف ليلة وليلة ، واعتبرها من الأعمال الكبيرة والهامة ، وقد استخدم بعض عناصرها فى أعماله ، إذن الصلة بين عملينا أننا مضينا في اتجاه واحد ومتقارب وهو الاعتماد على التراث ، وماركيز اعتمد على تراث عربي وتراث محلي من حكايات شفهية ، والروايتان فيهما جهد الإحساس بالخصوصية ، ومن هنا نجحت الزيني بركات فى باريس ليس باعتبارها فلكلوراً وإنما باعتبارها شكلاً روائياً أصيلاً ، كما نجحت من قبل « مائة عام من العزلة » من هذا المنطلق أيضاً ، وأنا شديد الدهشة من موقف المثقفين العرب ، فعندما كتب ماركيز في إحدى قصصه عن الفتاة التى أمسكت بملاءة السرير وطارت ، هللوا لها ، ونســـوا أن جزءاً من تراثنا فى الخيـــال الصوفي قـــائم على الطـــيران في الهـــواء والمشي على الماء ، لكن كعادتنا كان من الضروري أن يأتي واحد من الغرب ليوظف هذه الجزئية من تراثنا لنعيد نحن اكتشافها ، كما حدث مع ألف ليلة وليلة عندما كتب عنها جورج لويس دراساته ، ومما يثير غضبي ماتتعرض له ألف ليلة الآن من إدانة ومصادرة في المحاكم المصرية .

• في تحقيق في الأصول الثقافية لجيل الستينات في الرواية المصرية ذكر سامي خشبة أن من العوامل التي حددت اتجاهكم نحو التراث وساعدت على ظهور الزيني بركات و« أيام الانسان السبعة » لعبد الحكيم قاسم ، و« الطوق والأسورة » ليحيى الطاهر عبد الله ، الحملة المنظمة من جانب وسائل الإعلام الجماهيرية للترويج للنزعة إلى الماضى وتقديمها بوصفها المنبع الأصلي للفكر الرسمي ، فهل تتفق معه في ذلك ؟ .

ـ هذا غير صحيح ، بل إن أجهزة الإعلام قابلت هذه الأعمال بالتعتيم الكامل ، وقد فرض علينا حصار إعلامي طوال السبعينات ، ومن أجل ذلك فقد وصلت شخصياً إلى اقتناع خاص بي يتمثل في الزهد بأجهزة النشر المصرية . ونشر بعض أعمالي خارج مصر على الرغم من أنني أعمل في دار نشر صحفية كبرى ، وقد نشأ عن ذلك أن الأدب الصادق عن حركة الواقع الجوهرية كان يصطدم ـ نظراً للحصار الذي ضرب عليه ـ بتلك المؤسسات ، فكان أقصى ما استطعت فعله هو طبع عدد محدود من أعمالي على آلة الزيودكس ، ووزعتها أنا وأصدقائى بطريقة بدائية ، وكان الهدف من ذلك مجرد تسجيل لظهور تلك الأعمال ، وكنت أعي أن القارىء الذي أريد الوصول أليه قارىء خاص .

كما أن النزعة التقليدية المسيطرة على المجتمع كانت نزعة معادية للفن ، إذن فجيلنا ، جيل الستينات ولد خارج الأطر الرسمية ، وخارج الأطر الإعلامية .

• ما مفهومك للرواية التاريخية ؟

ـ كان هناك مفهوم سائد بالنسبة للرواية التاريخية وهو إعادة سرد أحداث معينة في التاريخ بشكل روائي مثل روايات جرجي زيدان ، أو التركيز على حادثة معينة واستلهامها في عمل روائى مثل روايات الكسندر دوماس الأب والابن ، أو بعض روايات نجيب محفوظ الأولى مثل « عبث الأقدار » و « رادوبيس » ، وأنا أختلفت مع هذا المفهوم كما اختلفت مع جورج لوكاش في كتابه « الرواية التاريخية » ، فهو يعتبر استخدام الوثائق في الرواية التاريخية أمراً مرفوضاً ، ويعتبر أن خروج الروائي بالهدف من مجرد سرد أحداث تاريخية محددة خروجاً بالرواية عن مفهومها التاريخى ، وقد كتبت الدكتور رضوى عاشور في مجلة الطريق اللبنانية أن الزينى بركات قامت بنقض مفهوم لوكاش للرواية التاريخية ، وأعتبر أن أدق تعريف للزينى بركات ما كتبه الأديب السورى الكبير أديب اللجمى ، وكان وكيلا لوزارة الثقافة ، على الطبعة السورية من الرواية بأنها « رواية تستعيد التاريخ ولا تعيده » ، وهذا مفهومي للرواية التاريخية .

• هل هناك ثمة تناقض بين التجديد والاستفادة من التراث ؟

ـ الاستفادة من التراث هو لب التجديد ، فلقد نشأت الرواية العربية الحديثة غريبة في أحضان الرواية الغربية منذ تحول الروائيون الأوائل عن ينابيع الفن القصصي والروائى في تراثهم العربى ، عندما شرعوا في كتابة رواية عربية حديثة ، واتجهوا صوب الغرب لينقلوا عن رواياته ويقلدوها ويبدعوا على منوالها ، فوقعوا في شباك الغزو الفكري الغربي بالأنموذج الحضارى الغربي المتقدم الوافد مع الاستعمار الغربي لبلادنا في أوج عنفوانه وازدهاره ، وبدأت غربة الرواية العربية عن أصولها التراثية كاملة بتبنيها لموضوعات غربية وأشكال غربية نابعة من حضارة غربية وتراث غربي وثقافة غربية ، وكان المطلوب إيجاد خصوصية للرواية العربية ، والخصوصية تعني تأصيل شكل فني للرواية العربية ، إذ أن الأشكال القصصية العربية في التراث العربي هي أشكال متميزة لا تخضع للشروط الغربية لفن القصة والرواية ، فلكل حضارة أشكالها وتراثها ، ومن ثم فان استبعاد الأصول القصصية العربية على أسس ومقاييس غربية كان عملاً تعسفياً من قبيل الخضوع للغزو الفكري الغربي .

إن العودة لتراثنا المهجور وإعادة الاتصال به مع استيعابنا فى نفس الوقت للتراث العالمي يمكن أن يؤدي بنا إلى التفرد والتميز ، ومن هذا المنطلق فإن هناك كثيرا من المسلمات قد أعدت النظر فيها وفقدت إيمانى السابق بها كدور رفاعه الطهطاوي فى حياتنا وكذلك علي باشا مبارك وحتى طه حسين نفسه .

• ماذا تعني أنك فقدت الايمان بدورهم في حياتنا ؟

ـ فى اعتقادي الخاص أن علي باشا مبارك الذي يرجع له الفضل في بناء القاهرة الحديثة هو سبب الكوارث التي تعاني منها القاهرة المدينة اليوم ، فإن المعمار العربي والإسلامي الذي كانت القاهرة قائمة على أساسه كان نتاج بيئة وتقاليد وعقائد وثقافة خاصة ، وعندما جاء علي باشا مبارك ليخطط للقاهرة الحديثة اتجه للغرب بانبهار أعمى ولا أريد أن أقول إنه اتجه بإحساس بالدونية ، فطبق نظام البوليفار والذي يعنى نظام الشوارع المستقيمة الرأسية في شارع محمد على ، على غرار شارع ريفولي في باريس ، كذلك شارع الجيش ومنطقة عماد الدين وسليمان باشا ، بل زاد على ذلك أنه استعان بالمهندس الذي وضع أساس باريس الحديثة ليضع أساس القاهرة ، فانقسمت مدينتنا إلى مدينتين : مدينة إنسانية تحنو على ساكنها في فنها المعماري وهي القاهرة القديمة ، الجمالية ، الدرب الأحمر ، والقلعة ، ومدينة القاهرة الحديثة الممتدة من باب الحديد إلى منطقة القصر العينى ، والتي لم يبن فيها مسجد واحد في الوقت الذي بنيت فيها كنائس على الطراز السويسرى ، بل إننا نجد أمام نقابة الصحفيين كنيسة على الطراز القوطي ، وكنيسة كاثوليكية في شارع محمد فريد ، جميعها كنائس تابعة لمذاهب الكنيسة الغربية ، أما الكنائس القبطية فنجدها في قلب القاهرة القديمة ، فى الدرب الأحمر ، حارة السقايين ، بل ان هناك ديرا للسيدات فى باب الشعرية ، وقد وصلنا إلى قمة التغريب فى العمارة في السبعينات مع الاستسلام التام للغرب والثقافة الغربية المتمثل في إقامة الأبراج الألمونيوم ، هل من المعقول أن تشيد مثل هذه المباني في بلد تصل فيه درجة الحرارة إلى

خمسين درجة في الصيف ؟ ، أين هذه الأبراج التي تقوم بتعليبنا وتأطيرنا داخل قيم ونسق غربية من بيوتنا العربية التى تحنو علينا فى معمارها كبيت السحيمي مثلا وبيت مصطفى جعفر ، إن العمارة كفن كائن حي وليست مجرد حجارة مرصوصة ، ويجب التعامل معها على هذا الأساس .

• وماذا عن رفاعة الطهطاوى ؟

ـ لقد وجدته ساذجاً فى انبهاره بحضارة الغرب فى كتابه «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» وقد يكون محقاً فى انبهاره بالنظم الديمقراطية هناك ، أما فيما عدا ذلك فأنا أعتقد أنه استسلم دون وعي لثقافة الغرب ، بل أنني لم أعثر على كلمة واحدة في يومياته تشير إلى اعتزازه بانتمائه وثقافته ووطنه .

• و .. طه حسين ؟

ـ لقد قرأت في السنوات الأخيرة تراث الدكتور زكي مبارك ، وأعتقد أنه أكثر إخلاصاًللثقافة العربية وأكثر وعياً بها من طه حسين ، ففي كتابه «تاريخ النثر الفنى في القرن الرابع» أذهلني وعيه بقيمة الثقافة العربية ، واطلعت على الآراء التي أبداها وعارض فيها آراء طه حسين وخاصة فيما يتعلق بموضوع ما إذا كان العرب عرفوا فن القصة ، وهذه الآراء التي اتفق معه فيها وصلت إليها أنا باجتهادي الخاص قبل الاطلاع على كتابه القيم ، فطه حسين مع احترامي لدوره فى حركة التنوير والتعليم إلا أنه يمثل فى اعتقادي الخاص مدرسة المستشرقين .

• أتساءل عن موقفك النفسى إزاء إجماع النقاد على أن «الزينى بركات» قد استنفذت شكلها الذي يعتمد على التراث وأن محاولتك تكرار هذا الشكل في عمل آخر يهددك بالتكرار دون التجديد ؟.

ـ أعترف بأنني تأثرت بآرائهم ، وهذا اعتراف يدينني ، بل انني توقفت لعدة سنوات بعد الزينى بركات ، وانتابني القلق والحيرة ، خاصة وأنني أوغلت في مجاهل لم تطرق من قبل ، وخاصة أيضاً أن معايشتى للعصر المملوكي قد استنفدت أغراضها ، وعكفت على الاطلاع الدؤوب ، لأكتشف عند محيي الدين بن عربى طريقة متميزة في قص الحدث أو الكلام عن شخصية معينة ، طريقة متفردة لم أقرأ مثلها فى أي رواية ، إنها أقرب إلى وجداني ، وأنا أقدر على تذوقها ، لماذا لا أتمثلها وأحاول أن تكون تلك بمثابة انطلاقي تماماً كما حاولت من قبل مع تراث التاريخ المكتوب ، كنت أعي مشروعي الخاص في الكتابة ، إنه التعبير عن ثقتى بالتراث ورفضي النموذج الأوروبي ، ومن هنا ولدت التجليات التي دحضت إجماع النقاد بعجز التراث عن التجديد والابتكار والتفرد ، وكشفت أن من ادعوا عجز التراث لم يعرفوا التراث بمفهومه الواسع .

• هل هذا اتهام للنقاد بالسطحية ؟

ـ لا .. ولكني أتهمهم بتأثرهم الكبير بالمدارس النقدية الغربية ، وعدم بذل أية محاولة جادةلتطوير المدرسة العربية في النقد ، وجهلهم بالتراث وما يحتويه .

• ما الصلة بين تجلياتك وتجليات محيي الدين ابن عربي ؟

ـ كلمة تجلي هي مرحلة في الطريق الذي يسلكة الصوفي ، وتجليات ابن عربي تجليات صوفية فلسفية في إطار مذهبه برقت به فيها بعض الحقائق الأزلية والتقى خلالها ببعض الشخصيات التي لم يعش عصرها أو عاش في عصرها مثل ابن رشد ، وتجلياته تجليات ميتافيزيقية أو درجة من درجات التصوف ، تجل في المذهب وفي الفكرة ، أما تجلياتي ، فتجليات واقعية ويمكن القول بأنها وسيلة فنية للتعبير عن أشياء محددة أردت قولها ، وإن كان هناك من صلة بين تجلياتي وتجلياته فهو ثراء اللغة وتدفقها .

• كيف تفسر وجود النزعة الصوفية الحادة والنزعة الدنيوية الحادة أيضا فى التجليات ؟

ـ التعلق الشديد بالحياة والانشغال الشديد أيضا بالعدم .

• بينك وبين الزمن أو كما تحب أن تسميه الدهر قضية أو قضايا ، كيف بدأت هذه القضية وإلام وصلت ، ولماذا الدهر هاجسك الملح ؟

ـ منذ زمن بعيد ، وفي سن مبكرة جداً ، كان السؤال البسيط جداً والمعذب جداً الذي طرحته على نفسي «امبارح راح فين ، وبكره جاي منين» . كان هذا السؤال الهم والهاجس المقلق الذي ظل ينمو معي ويكبر ، وكان ذلك أحد الأسباب القوية التي جعلتني أتجه إلى التاريخ بمراحله المختلفة ، والتاريخ عندى هو الزمن الذى يحولنا باستمرار إلى الماضي الذي يجلب الذكرى والنسيان ، وقد تأملت طويلاً الزمن وأمعنت التفكير فيه بدءاً من الحركة الميكانيكية البسيطة للثواني والدقائق والساعات ، إلى حركة الأفلاك ، توالي الليل والنهار ، وإلى الميلاد والموت ، التاريخ عندي هو الزمن المنقضي ، المنتهي ، لا فرق بين لحظة مضت منذ ثوان ، ولحظة مرت على انقضائها آلاف أو ملايين السنين ، كلاهما لا يمكن استعادته ، والإنسان ما بين لحظتين : لحظة مضت لن تعود أبداً ولحظة آتية قد لا نعلمها على الإطلاق ، ومن هنا فإنني لا أصغي باهتمام كبير إلى من يقول : «إنك تكتب رواية تاريخية» الكل صار ماض ، ماض من المستحيل استعادته ، لقد تأملت طويلاً في الزمن ، وقرأت عنه في الفكر الانساني القديم ، في الأساطير ، في الدين ، في الفلسفة ، غير أنني لم أصل إطلاقاً إلى ما يمكن أن يهدىء من همي الدائم هذا ، لقد وصل بي الأمر إلى أنني كنت أمشي في الشوارع أنظر للناس بعيني إنسان آخر سيعيش بعدي ، بل إن من الأسباب الرئيسية التي دفعتني للعمل كمراسل حربي بعد الدافع الوطنى فكرة تحدي الموت . ولقد كدت أن أصافحه بيدي أثناء عملي ، لكني لم أمت ، وهناك ثمة حقيقة مؤكدة وهى أن الشىء الوحيد في هذا العالم الذي لا يمكن قهره أو مقاومته أو التصدي له هو الزمن ، وعندما كانت الحضارة تصل إلى ذروتها كان التعبير عن الرغبة في الخلود يصل إلى ذراه أيضاً ، وإذا تأملنا تاريخ الفن خاصة فى العصور القديمة فإننا سنجد جوهره محاولة قهر الفناء ، كالهرم الأكبر ، أو بالسيرة العطرة ، أو الايمان بأن هناك عالماً آخر فى حياة أخرى .

وإذا كان القدر هو بطل التراث اليوناني ، فالزمن كان جوهر الفكر الفلسفي القديم في مصر الفرعونية والذي انتقل منها إلى التراث الشعبي ، وأنا أعتقد أن في القرآن الكريم حقائق دقيقة جداً وجليلة وخطيرة جداً وقوانين تحكم علاقة الإنسان بالدهر وبالكون ، ولم يعبر عنها نص آخر كما عبر القرآن : «والعصر إن الإنسان لفي خسر» و«ما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت» وعشرات الآيات الكريمة غيرها .

ولذا فإن الفلسفة الإسلامية أصدق الفلسفات في الاقتراب من جوهر الحقيقة ، وقد جاء القرآن بدستور حسم هذه القضية «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» . ولذا فإن أصعب ما يواجهني هم البسطاء يرحلون ولا يبقى منهم شىء ، حيالهم تبدو لي فكرة العدم غير إنسانية ، والفن بالنسبة لى أرقى جهد لمقاومة العدم ، والتجليات كانت محاولة مني لتحدي الزمن ، ومحاولة للابقاء على اللحظات النبيلة في حياتنا .

• كيف وصلت إلى أن تجعل من اللغة بطلاً رئيسياً في التجليات ؟

ـ لغتنا العربية من أثرى لغات العالم ، ونحن للأسف لا نتعامل معها بشكل شامل ، فهي متنوعة الأساليب ، وكل أسلوب يكاد يكون لغة منفصلة ، فهناك أسلوب للمؤرخين ، وأسلوب للمتصوفين ، وللشعر أسلوب ، ولأدب الرحلات أسلوب أيضاً ، بل إن التعبير في اللغة العربية يختلف من قرن إلى قرن ، وإن كان التعبير عن الأحاسيس الإنسانية والوجدانيات لم يختلف كثيراً في المعني وإن اختلفت الأشكال .

واللغة بالنسبة لي عنصر فاعل ومؤثر في العمل الأدبي ، اللغة بالنسبة لي حالة أيضاً وليست مجرد أسلوب يمكن إتقانه واستخدامه كأداة ، والحال كما هو معروف يتغير ، وهكذا تتغير اللغة عندي من عمل إلى آخر ، وأعتقد أن لدي تجربتين أساسيتين في اللغة ، الأولى عبر الحس التاريخى والثانية عبر الحس الصوفي ، فعندما كتبت قصصي القصيرة «المقشرة» و«اتحاف الزمان» و«ابن سلام» ثم «الزيني بركات» كنت أتقمص روح اللغة التاريخية المنتمية إلى القرن السادس عشر ، وحتى أنفذ إلى روح هذا الأسلوب وجوهره اقتضى هذا جهداً كبيراً في مطالعة القرون الوسطى ليس« بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس فقط ، ولكن انتظمت حوله مؤلفات عديدة كانت تكمل عناصر العصر الذي تزايد إحساسي به ، كنت أطالع صفحات كاملة من بدائع الزهور بصوت مرتفع ،

الكاتب الروائي جمال الغيطاني يفتح النار على الحياة الأدبية

وأنقل إلى كراساتي صفحات كاملة منه في محاولة للتوصل إلى الإيقاع الداخلي للغة ابن إياس ، وهذا ما حدث معي أيضاً في التجليات ، لقد بدأت بدراسة أسلوب المتصوفين والذي كان الأنسب للتعبير عن تجربة الموت والزمن والعدم والدهر ، ولم أكتف بقراءة الفتوحات المكية لابن عربي ، أو الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلاني ، أو الإشارات الإلهية للتوحيدي ، إنما كنت أنقل بخطي صفحات كاملة من هذه المؤلفات على مهل وبأناة لا لشيء إلا لمحاولة تشربي لسر الأسلوب ونفاذه إلي ، المهم الإحساس بخصائص الأسلوب ، ومحاولة النفاذ إلى جوهر هذه اللغة الصوفية المرتبطة تماماً بتجربة روحية عميقة محورها الإنسان والكون ، والتي امتزجت بألم عميق لوفاة والدي .

وعايشت التراث الصوفي بدءاً من الجنيد والحلاج والقشيري والإمام الشعراني وابن سبعين والسهرودي ومازلت أعايشه ، وهكذا كانت لغة التجليات بمثابة نتاج حالة ، وأدى هذا إلى أن اللغة أصبحت بطلا رئيسياً في محاولة مني لتطويعها للإمساك بمناطق من الإحساس والشعور والذاكرة قد تفلت منها .

• ما موقفك من اللغـة المتوسطة كما وصفها عيسى عبيد أو اللغة الثالثة كما دعاها الحكيم أو « الفصعامية » ، كما أطلق عليها زكريا الحجاوى وعرفها بأنها « لغة قصت فيها الفصحى شعرها وذوائب أصوليتها ، ونظفت فيها العامية بدنها ، وابتسمت قليلاً لتخفي ما بين تجاعيدها من هموم » ؟ .

ــ ليست هناك لغة متوسطة أو ثالثة أو « فصعامية » فاللغة كما قلت حالة تتغير من حال إلى حال ، والقضية هي اللغة التي تستطيع أن تعبر عن أدق ما يريد الكاتب قوله ، وعندما اطلعت على لسان العرب الذى يحتوى على ثمانين ألف كلمة ، اكتشفت أن سبعين ألف كلمة غير مستخدمة ، واكتشفت في كتاب « المقتضب في ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب » أن كثيراً من الكلمات العامية المتداولة على ألسنة الناس والتي يخاف كتابنا من استخدامها هى في الواقع كلمات فصحى ، بل إن كثيراً من الكلمات المتداولة في الحارة موجودة في لسان العرب لابن منظور ، ومشكلة كتابنا أنهم في حاجة إلى إتقان اللغة العربية ليس بمفهوم النحو والصرف حسب اعتقاد الأدباء الكبار الذين يتهمون جيلنا بجهل اللغة ، ونحن الاقدر على فهمها والأكثر حساسية في التعامل معها ، فهم يتعاملون معها على أنها نحو وصرف فقط ، ونحن نتعامل معها على أنها كائن حي يمنحك بقدر ما تحنو عليه وتمنحه من اهتمام وتقدير .

• قلت انك بدأت في مرحلة الانبهار بيوسف إدريس ونجيب محفوظ ، ومع ذلك كانت كتاباتك في الخط المعاكس لهما ، كيف استطعت النجاة من مصيدة الانبهار العام ؟

ــ نجيب محفوظ بالنسبة لى الأب الروحي والكاتب العربى الذي توقفت عنده طويلاً وقرأته بعناية وعمق .

وقد بدأ اهتمامي به وأنا في الخامسة عشرة من عمري كذلك تعرفت به في نفس المرحلة ، وربطتني به علاقة عميقة أثرت في على المستوى الشخصي عندما قرأت رواياته لأنها كانت تحمل عناوين نفس المنطقة التي أعيش فيها . خان الخليلى . بين القصرين ، السكرية ، قصر الشوق ، وربما أيضاً لأننى وجدت رواياته فى مستوى الروايات العالمية التي قرأتها ونموت من خلالها ، وقد تعلمت منه كثيرا ، وتأثرت به في صفات شخصية عديدة منها تنظيم العمل والسيطرة الحديدية على الزمن ومنها الشعور بالإخلاص الشديد للأدب ، ولكن هذا لا يمنع أن تكون كتاباتي في الخط المعاكس رغبة مني في الخصوصية والتفرد ، وإلا ماذا تعني كلمة مبدع ، وعندما أعجز عن الإضافة ، وعندما أعجز عن أن أكون فسأتوقف عن الكتابة .

وأنا لم أقرأ لمحمد عبد الحليم عبد الله أو يوسف السباعي ، وفي سن متأخرة قرأت لتوفيق الحكيم يوميات نائب في الأرياف ، وقد أعجبتني ، أما عودة الروح فقيمتها تاريخية أكثر منها فنية .

والكتاب الذي أثر في من كتب الحكيم يمت إلى المذكرات وهو زهرة العمر ، أما مسرحه فأجهله . بالنسبة ليوسف إدريس فقد قرأت له عدداً من القصص المتفرقة في مرحلة متأخرة نشبياً لمجرد الفضول ، وقصصه تكرار لتشيكوف ، فهو لم يقدم جديداً غير التعبير عن الواقع المصرى فقط ، باستثناء محاولته الاستناد على التراث الشعبي في الفرافير ، كما أنه يكتب بلغة عادية وبدون أدنى اهتمام بها .

وفي اعتقادي الخاص أن إنجاز يحيى حقي في القصة القصيرة أهم وأعمق من إنجازات يوسف إدريس ، وتكفى مجموعته « دماء وطين » التى صدرت عام ١٩٣٢ م ، والتي أعدها من الأعمال الرائدة والهامة في الأدب العربي ، واعتبرها البداية الحقيقية للقصة القصيرة على مستوى التكنيك واللغة والموضوع .

• وقلت أيضاً إنك منذ البداية كنت تشعر بالرغبة فى أن تكتب شيئاً لم تقرأ مثله وكنت تطمح إلى تجاوز نجيب محفوظ وتولستوي ودوستويفسكي ، في رأيك هل نجحت ؟

ــ عليك بمراجعة أعمالي من جديد .

• يهمني رأيك الخاص .

ــ نعم .. لقد تجاوزتهم .

• إذن هل نستطيع أن نؤرخ بأعمالك لمرحلة ما بعد نجيب محفوظ ويوسف إدريس ؟

ــ ليست أعمالى وحدي ، ولكنها أعمال من أبناء جيلي البارزين ، وهي أعمال منحت الأدب العربى الخصوصية والتنوع والتفرد والثراء منهم صنع الله ابراهيم ــ القعيد ــ ابراهيم اصلان ــ محمد البساطى ــ مجيد طوبيا ــ جميل عطيه ــ يحيى الطاهر عبد الله .

• فى ماذا تلتقي وتختلف مع إميل حبيبي ؟

ــ إميل حبيبى من أكبر كتاب الرواية فى العالم العربي ، وتجربته من أهم التجارب الروائية العربية بالنسبة لى لأننا نمضى في اتجاه واحد وهو تأصيل الرواية العربية ، و« الوقائع الغريبة في اختفاء سعد أبى النحس المتشائل » من أكمل التجارب العربية واتمها في هذا الاتجاه ، وتوجه إميل للتراث لم يأت من فراغ ولكنه كان نوعاً من حماية الذات القومية الفلسطينية ، ولكني اختلف عنه فى أنه عاش فترة طويلة جداً كسياسى ولم يقرر التفرغ للكتابة إلا فى سن متأخرة ، وأنه أكثر اهتماماً منى في التعامل مع التراث البلاغي ، وقد التقيت به فى أوروبا عام ١٩٨٠ وأجريت معه حواراً طويلاً عن تجربته الروائية ، وأعتبره أيضا واحداً من ظرفاء العرب ، ولولا أننى أرفض استخدام وسيلة البريد بين مصر واسرائيل لكانت بيننا مراسلات ذات قيمة كبيرة .

ولا أنسى أن أذكر المسعدي الكاتب التونسى الكبير وقد قرأت له « حدثنا أبو هريرة » وأعتبرها أيضا من أهم التجارب لتأصيل شكل عربى للقصة وقد وصل فيها إلى مستوى من اللغة أحسده عليه وإن تمنيت لو كانت أكثر التصاقاً بالواقع وأقل تجريداً .

• هل تتفق مع أحمد محمد عطية في اعتبار « البحث عن وليد مسعود » تجربة روائية يدفع بها جبرا بمسيرته الروائية وثقافته الغربية نحو أصول التراث العربي ؟

ــ جبرا مثقف عربى ، لكنى لا أتفاعل مع عالمه الروائى لأن فيه درجة كبيرة من التغريب وقيمته عندي كمترجم أهم من قيمته كروائى ، وقد قرأت روايته المذكورة ، وأحسست أن جبرا يتعامل مع التراث في روايته تعامل « خواجه » . والتعامل مع التراث لا يعني مجرد محاولة تطعيم العمل الروائي به كزينه أو حلية ، ولكنه حياة وتوجه وتفاعل كامل ، وأعتقد أن عطية قد بالغ جداً في قوله هذا .

و .. ينتهي حواري مع جمال الغيطاني الكاتب الذي وصفته جريدة « الكانارد أو نشينيه » الفرنسية بأنه « أستاذ من صفوة الروائيين العظام في زماننا » ينتهي زمن الحوار ، ولا ينتهي زمن التجليات . ولا زمن كاتبها الذي مازال « يتشعلق بالأتوبيس في مشاويره اليومية ! »

ســارة ــ القاهرة

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد حجماً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● ديمقراطية الطبيعة ●● عتاب ●●● ديون إسماعيل باشا

ديمقراطية الطبيعة

بقلم : أحمد أمين

يعجبنى البحر فى جماله وبهائه ، وجلاله ولا نهايته ، ويعجبنى كذلك فى ديمقراطيته ، فهو لا يسمح لأحد أن ينغمس فى مائه إلا اذا تجرد من كل المظاهر الكاذبة التى خلقتها المدنية ، يجب أن يتجرد أولاً من ملابسه التى تميز بين الغنى والفقير ، ومن ريائه ونفاقه ومظاهره التى اصطنعها ليجعل من الناس طبقات يتحكم بعضها فى بعض .

فى البحر تتساوى الرءوس ، لا غنى ولا فقير ، ولا ذو جاه ولا عديم الجاه ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا حاكم ولا محكوم ، لا يتميزون بشيء إلا بلباس البحر ، وفى الحقيقة ليس هو لباس البحر ، وإنما هو لباس البر ، فليس للبحر لباس إلا ماؤه . ودليل أنه لباس البر أن الناس حاولوا به أن يتميز بعضهم من بعض ، واتخذوا منه شعاراً للغنى والأناقة واللياقة والوجاهة ، والبحر لا يعرف شيئاً من ذلك ، إنما يعرف ذلك البر ، ومن أجل هذا سرعان ما ينغمس الناس فى البحر ، فيسدل بمائه الأزرق الجميل ستاراً على كل أثواب الرياء حتى لا ترى بعد إلا رءوساً عارية لا يميز بينها شيء من الصنعة ، ثم هو يرسل أمواجه تداعب الناس على السواء ، فتغازل الأسود كما تغازل الأبيض ، وتصفع الجميل كما تصفع القبيح ، وتعبث بلحية العالم ، كما تلعب برأس الجاهل ،وأحياناً يهيج هائجه ، وتثور حفيظته ، فيزفر من الغضب ، حتى ليكاد يخرج من إبه ، ويطفر من ثيابه ، ويربد وجهه فيلفظ بالزبد ، وينتفخ ويرتعد ، ويرقص من غير طرب ، وهو فى هذه الحال لا ينسى ديمقراطيته ، يأتى للباخرة الضخمة قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليه فيبتلعها فى لحظة ، لا تغنى عنه محصنات العلم القديم ولا الحديث ، كما يبتلع أحياناً صبياً وديعاً وشيخاً ضعيفاً ، ليبرهن أنه لا يعبأ بقوة ولا ضعف ، ولا يخشى بأس كمي ، ولا يرحم ضعف أعزل ، سواء هو فى هزله وجده ، وسواء هو فى حلمه وغضبه ـ ما أجمل البحر ، وما أجله ، وما ألطفه ، وما أقساه !

على أنه يظهر لى أن الطبيعة فى جملتها ديمقراطية لا أرستقراطية ، ولا أرستقراطية إلا فى الانسان الكاذب ، فالشمس ترسل أشعتها

ديمقراطية الطبيعة

الذهبية ، والقمر أشعته الفضية ، على الناس سواء . على المؤمن والكافر ، والأسود والأبيض ، والغنى والفقير ، والكوخ الحقير ، والقصر الكبير .

ويأتي الجو بريح سموم فتلفح وجوه الناس على السواء ، لا تميز عظيماً ولا حقيراً ، ولا شريفاً ولا وضيعاً ؛ ثم يأتي بريح طيبة تنعش الناس كذلك ، لا يعرف في شيء من ذلك محاباة ، ولا يعرف طبقات ، ولا يعرف أى نوع من أنواع التفاوت التى تواضع عليها الناس ، يرسل فى الصيف شواظاً من نار فيدخل على الكبير فى قصره ، وعلى الفقير فى كوخه ، فلا يهاب عظيماً ، ولا يحتقر وضيعاً ، ويرسل فى الشتاء برده القارس فلا يستطيع أن يتقيه الغنى بصوفه وملابسه ، ولا بمدفأته وناره ، كما لا يتقيه الفقير فى عدمه وبؤسه ؛ ثم تطلع شمس جميلة ، ويعتدل الجو ، فتحتضن الطبيعة الناس على السواء وتكون لهم جميعاً أماً حنونا ، مشفقة باردة — إن تحدث الباشا أو البيك فى نفسه بأنه فوق طبقات العامة ، وأنه يستطيع فى شرع العرف والعادة أن ينعم بما لم ينعموا ، فتفسح له الطريق ، ويخلى له السبيل ، وتفتح له أبواب المجتمعات ، ويعامل أولاده وأقاربه بما لا يعامل به الفقراء ، فلن تحدثه نفسه أن يمتاز من الفقير فى حر ولا برد ولا نور ولا ظلام ، فان أخطأ فى ذلك وظن أنه يغالب الطبيعة فى شيء من قوانينها صفعته صفعة آمن بعدها بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأدرك أنه إن علا الناس بماله أو جاهه ، وإن تلاعب بأوضاع الناس لسخف الناس ، فهو أمام أوضاع الطبيعة حقير ذليل .

• • •

ثم يأتى القدر فينثر نعمه ونقمه ، وشره وخيره على الناس جميعاً ، فصحة فى الأغنياء والفقراء ، ومرض فى الأغنياء والفقراء . وتجد غنياً فاتر القوى منقوف الوجه ، يبيت يتضور من الألم ، يود لو خرج عن كل ماله وجاهه لتعود إليه صحته ، وبجانبه فقير مستحكم الخلقة ، متين البنية ، ممتلىء قوة وشدة وصلابة — وتجد جمالاً فى الأغنياء والفقراء ، وقبحاً فى الأغنياء والفقراء ، فهذه فقيرة مشرقة الجبين ، صافية الأديم ، مفرطة الجمال ، معتدلة القوام ، لا تفتح العين على أجمل منها صورة ، ولا أتم منها حسناً ؛ وهذه سيدتها الغنية دميمة الخلقة ، منكرة الطلعة ، تنبو عن منظرها الأحداق ، وتتفادى من مرآها الأبصار ، تريد أن تتجمل بالصناعة والأصباغ والحلي والملابس ، فلا يزيدها ذلك كله إلا قبحاً ، على حين أن جارتها الفقيرة جميلة فى طبيعتها ، جميلة فى بساطتها ، جميلة حتى فى ثيابها المهلهلة !

وللقدر فى ذلك بدع ، فأشهر طبيب فى القلب يموت بالقلب ، وأعظم جراح يموت بالتسمم . وتلد الفلاحة الفقيرة فى الطريق وهى حاملة قدرتها مملوءة ماء على رأسها ثم يقطع « الخلاص » وتحمل طفلها وتذهب الى بيتها سالمة غانمة ؛ وسيدتها الغنية يحلل دمها وغير دمها قبل الوضع ، ويعقم كل شيء فى حجرة ولادتها ، ويقف مشاهير الطبيبات والأطباء على بابها ، حتى اذا آذنت ساعة الولادة بالقدوم استخدم كل ما وصل إليه الطب الحديث ، والكيمياء الحديثة ، والعلم الحديث ، وأمضت جمهرة الأطباء فى التطهير والنظافة واتخاذ وسائل الراحة والحصانة ، وغير ذلك مما لم أذكر منه إلا قليلا ؛ ثم هى بعد تصيبها حمى النفاس ، ويقف الطب والعلم دهشاً حائراً ، ثم تسلم الروح الى ربها ، هازئاً بكل ذلك القدر .

• • •

وهناك نوع من الارستقراطية غريب ، هو الارستقراطية العلمية ، فالمتعلمون ذوو الشهادات يعدون أنفسهم — وربما عدهم الناس أيضاً — نوعاً ممتازاً من الناس ، يختلفون عنهم نوعاً من الاختلاف ، ويرتفعون عليهم نوعاً من الرفعة ، فالمتعلم ينظر الى أخيه الشقيق الجاهل نظرة فيها شيء من التعاظم ، وشيء من الازدراء ، وشيء من الغرور ، وان ساواه فى الدم ، وان ساواه فى الغنى أو الفقر ، وهو لغروره يظن أن شهادته تخوله الحق أن تكون آراؤه فى كل شيء خير الآراء ، وأن غير الجامعى لا يحق له أن يبدى رأياً بجانب رأيه ، حتى فيما ليس له اختصاص فيه .

وهو كذلك نوع من الارستقراطية الكاذبة لا تعبأ بها الطبيعة ولا تعيرها أى التفات ، فقد جعلت بين المتعلمين أذكياء وأغبياء ، وجعلت بين الأميين أذكياء وأغبياء ، بل من غرور المتعلمين أن يسموا من لم يقرأ ولا يكتب جاهلاً وأمياً ونحو ذلك من الأسماء ، ويسموا من يقرأ ويكتب متعلماً ، كأن وسيلة العلم والحكمة والعقل القراءة والكتابة وحدهما ، ونحن لو نحينا غرور المتعلمين جانباً لهزئنا بالقراءة والكتابة فى كثير من الأحيان ، ولوجدناهما وسيلة من وسائل الرقى ، ولكن بجانبهما وسائل أخرى ، ولوجدنا أنهما لا تستحقان هذا الغرور الذى ينشىء نوعاً من الارستقراطية ، فالحكمة فى تصريف الأمور لا تعتمد على التعليم الجامعى ، وسعة العلم كما تعتمد على الفطرة البشرية ، والغريزة الانسانية . ومن ثم قد ترى الجامعى الحائز لأرقى الشهادات العلمية وهو أخرق فى الحياة ، سفيه فى التصرف ، وأخاه الذى يسمونه جاهلاً أمياً حكيماً فى تصرفه مدبراً لشؤونه وشؤون اخوته الجامعيين ، وترى الأمة قد تصاب على يد متعلميها فى أحوالها السياسية والاجتماعية أكثر مما تصاب على يد جاهليها ، والفلاح القروى الأمى قد يرزق من الحزم فى تصريفه ، وبعد النظر فى آرائه ، وصدق الشعور فى وطنيته ، مالا يرزقه أخوه الأستاذ فى الجامعة أو العالم الحائز لأرقى الدرجات العلمية ، بل قد يصدر من الرأى العام الجاهل فى شؤون وطنه ، وفى المسائل الهامة التى تعرض عليه ما يفوق رأى متفلسفة المشرعين ، وحيل القانونيين .

ان نظرنا الى الذكاء ، فالذكاء مشاع بين المتعلم والجاهل ، وان نظرنا الى حكمة التصرف ، والحزم فى ادارة الأمور ، وتدبير شؤون الحياة ، فذلك أيضاً أمر مشاع بين الناس ، ففيم غرور المتعلمين وانشاؤهم أرستقراطية بجانب ارستقراطية الأموال والأعمال والطبقات . يطالبون أن يكال لهم المال جزافاً ، ويطالبون ألا يهينوا أنفسهم فى عمل ، ويطالبون أن يكون ميراثهم من آبائهم أكبر نصيب ، ويطالبون أن يكون زبدة ما تخرجه الأمة لهم وحثالته لما يسمونه الجاهلين .

ما أسعد الأمة تخفف من غلوها فى ارستقراطيتها ، بجميع أنواعها ، وتقلد الطبيعة فى ديمقراطيتها واعتدالها ..

أحمد أمين

عتاب

بقلم : محمد قدري لطفي

كان النبى صلى الله عليه وسلم يود لو أنهم أسلموا ليعتز بهم الاسلام ، ويدعو الله أن يهبه من لدنه حكمة لعله يصرفهم عن الضلالة أو يجعلهم من المهتدين ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إسلامهم ملحاً فيه ، لأن أشخاصهم عند قريش مهيبة ، وأسماءهم عند العرب رفيعة ؛ فلما دخل عليهم وقد اجتمعوا عنده ، حياهم فردوا عليه تحيته ، مخلصين أو غير مخلصين ، ثم أخذ مكانه بينهم ، فكان صمت ، وكان جلال رهيب ، ولم يلبث أن سرى بين الجمع صوت مهيب ، فيه قوة لأنه صوت الحق ، وفيه إيمان لأنه وحي القلب ؛ وكان الصوت متجهاً نحو عتبة بن ربيعة وأخيه ، يقول : أما آن ياعتبة أن تدخل أنت وأخوك شيبة فى دين الله ؟ ما دعوتكما لأمرى ولا لشيء هو من عندى ، وانما دعوتكما لأمر الله رب العالمين ؛ وهذا كلامه بين يدى فاستمعاه واصغيا إليه لعله تعالى يهديكما فتكونا من عباده المسلمين .

ولكن عتبة وأخاه لم يلبثا أن جادلاه فجادلهما ، وأخذ النبى منهما وأخذا منه ، حتى اذا غلبهما الرسول بمنطقه وقوة حجته ، لم يلبثا أن عقد الصمت لسانهما ، فالتفت النبى الى العباس ابن عبد المطلب وكان مصغياً يستمع الى قوله لابنى ربيعة ، وقال له إنك يا ابن عبد المطلب لو اهتديت بهدى الاسلام وأنت من صناديد قريش لاهتدى معك جمع كثير ، فلا تكونَن بصدك عن دين الله حائلاً بين الناس والجنة ، ولا تضربن لقريش مثلاً من الغى والضلال ، فتضل وتضل ، وأنت حرى أن يكون لهم منك هاد معين .

فلم يرفع العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان ، وانما ود لو أن النبى تركه الى الوليد بن المغيرة أو الى أمية بن خلف ، فلما شعر النبى أن العباس حائر بين عقله وعاطفته ، ورآه مطرقاً الى الأرض ، لم يلبث أن تحول عنه الى أمية بن خلف ، قال : يا أمية ، ما كان لسادة الناس أن يكفروا بسيد العالمين ، الله الذى فضلهم على عشيرتهم وذوى قرباهم ، وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء ، لعمر الله ليس بعد الكفر ذنب ، وما ينبغى لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين باعراضك عنه . قال يا محمد أمهلنى يوماً أو بعض يوم ، فان الأمر أعسر عندى من يسره لديك .

واتجه الرسول الى أبى جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الوليد بن المغيرة ، فقال لهما وقد دنا منهما : أيحق لكما أن تسبقا الناس فى الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كنتما آخر الناس عند الله ؟ ، والله مالكما فى آلهتكم غناء ، وما كنتما لتجعلا رضى الشيطان فى عصيان الله . ولكن أبا جهل لم يكن ليصبر كما صبر العباس ، أو يسكت كما سكت ، وانما جادل النبى فى عنف ، فجادله النبى فى لين ، وآثر أبو جهل الحدة ، ولم يكن النبى ليحتد . واتجه الرسول الى القوم جاداً فى دعوتهم ، ملحاً فى إقناعهم ، يمنيهم بالوعود يوم الدين ، ويحذرهم عاقبة الكفر يوم القيامة ، وأخذ النبى يفيض عليهم من بيانه ، ويشع على القوم قبساً من إيمانه ، حتى أقبل الكل عليه يستمعون له ويصغون إليه .

وبينما النبى يدعوهم فينصرف الى الدعوة بكل إيمانه ، كان يسعى إليه رجل يتوكأ على عصاه يتحسس بها الطريق إليه حتى إذا بلغ مجلس النبى لم يستمع إليه ولم يلق بالاً الى قوله ، ولم يدر أن النبى يدعو صناديد قريش الى ما دعا الله ، وإنما بادر النبى يسأله أن أقرئنى وعلمنى مما علمك الله ؛ وكان النبى عنه فى شغل ، وكان ضيوف النبى قد تلهوا عنه بما هم فيه ، فلم يلتفت إليه أحد ، ولم يرد عليه مجيب ؛ فقال أقرئنى وعلمنى مما علمك الله ، فلم يكن حظه فى الثانية خيراً منه فى الأولى ، والرجل واقف فى مكانه لا يريم ، ملح فى طلبه لا يسأم ، فأخذ يعيده ، وطفق يكرره ، حتى كره النبى صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليه الحديث ، وأى حديث ، أو يلقى عليه قول ولم ينتبه من قوله ، فعبس فى وجه الرجل وأعرض عنه ، ولم يلبث النبى أن انصرف القوم من عنده ، فيهم الذى أوشك أن يقتنع ، وفيهم الذى مازال متبرماً بالدعوة ساخطاً ، وفيهم الذى ينكر على الرسول قوله ، وفيهم الذى يحب أن يتريث فى الأمر فلا يقطع فيه برأى ؛ وكان النبى قد ظن أنه بالغ منهم فى يومه ما لم يبلغه فى أمسه ، وانه لابد اليوم مقنعهم حتى يسلموا ، فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت معه وله ؟ ولا كيف ضاق صدره وقد كان واسعاً لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء ؟ وشعر النبى بحرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه ، فقد كان عند أمر ربه يؤدى الرسالة فى صدق وأمانة ، لم يدع سبيلا لهداية القوم إلا سلكها ، أو باباً الى قلوبهم الغليظة إلا طرقه .

ولم يلبث النبى إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث إليه بحديث أو ينزل عليه شيئاًمن آيه ، واذا الوحى له لا للمسلمين ، واذا القول له لا للمشركين ، واذا الله عاتب عليه يقول إنه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ويقول له « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى » واذا ربه يلومه ويقول فى لومه « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » .

عند ذلك ذكر النبى قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث ، وهتف هاتف كأنه عمرو بن قيس يقول : أقرئنى وعلمنى مما علمك الله ، وتصور النبى حال الرجل يسأل وليس من مجيب ، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ؛ ولكنه لم يكن يدرى أنه أساء إلى الرجل أو قصد الى إساءته ، فليس النبى من يسيء إلى أحد ، وليس النبى من يصد عن الناس بله عن السائلين ، وانما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش ، فألهاه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عمن أسلم ، وانما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم .

وبات النبى ليلته مسهد الجفن قلقاً ، يفكر فيما سمع من ربه ، وفيمن عبس بالأمس فى وجهه ، وأعرض عنه ، حتى اذا طلع الفجر كان النبى يلتمس ابن أم مكتوم يلقاه هاشاً باشاً ، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له : مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى ؛ وكان النبي يلقاه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته ، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبى عنه إقبالاً عليه ، وأن يغدو عبوس النبى فى وجهه بشاشة له وارتياحاً للقائه ، واذا عمرو بن قيس مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا عمرو ابن قيس خليفة رسول الله على المدينة ، لم يستخلفه النبى عليها مرة أو مرتين ، وانما استخلفه عليها فى غزواته ثلاث عشرة مرة ، واذا النبى يخرج الى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو بن قيس . وكان حقاً قول المصطفى : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ..

محمد قدرى لطفى

١٩٣٤

ديون إسماعيل باشا

بقلم : عبدالعزيز عبدالكريم

إن ما قام به اسماعيل باشا من جليل الأعمال لا يضارع ، وما تم فى عصره من المشروعات والاصلاحات العامة لا يتسنى لأى حاكم آخر فى مركزه أن يأتي بمثلها . بيد أن خطأ اسماعيل باشا كله يرجع الى السرعة وتعدد المشروعات ، وفرط الثقة بدهاة أوروبا السياسيين والماليين ، وعدم الاحتياط فى الانفاق على الأعمال ، وخلو البلاد من المستشارين المخلصين .

كانت زيادة الثروة فى البلاد فى أوائل حكم اسماعيل بسبب ارتفاع أثمان القطن المصرى لنشوب الحرب المدنية فى أمريكا فى ذلك الوقت أول عامل على تشجيع الوالى فى سياسته ، فعقد قرضاً كبيراً لتوهمه ان الحرب ستستمر طويلاً ، ولكن الحرب وقفت فجأة فى عام ١٨٦٥ م . ولم يقف اسماعيل باشا عند هذا الحد بل أخذ يعقد القرض بعد القرض ، بشروط فادحة حتى عجز عن سداد الدين ، بل عن فوائده التى بلغت الخمسة أو الستة ملايين من الجنيهات فى العام .

وكان اسماعيل يجد من أوروبا التشجيع فى سياسة الاقتراض طمعاً فى ثروة مصر ، ولأن كبار الماليين كانوا يبحثون عن البلاد الصالحة لاستثمار رؤوس أموالهم فيها ، فوفد الكثيرون منهم الى الاسكندرية فى أوائل حكم اسماعيل ، وأسسوا فيها الشركات ، وأخذوا يتصلون بالوالى ، ولجأ كثير من الأجانب فى ذلك الوقت الى مصر لطلب الرزق ، وقد أخذت مصالح الأوربيين تنتشر فى مصر من ذلك الوقت .

وبعد أن فتحت قناة السويس التى أصبحت أهم طريق للمواصلات بين الشرق والغرب ظهرت مطامع انجلترا وفرنسا الاستعمارية نحو مصر ، فأخذتا تتنافسان فى استغلال مصر وامتلاكها .

وكان اسماعيل مسرفاً فى الواقع ، فكان ينفق الأموال الطائلة فى اكرام الضيوف الأوروبين ، والهدايا ، والقصور ، والحفلات وغير ذلك ، ولكنه أنفق معظم الأموال التى حصل عليها فى الاصلاحات ، وكان اسماعيل سليم الطوية ، على حين ان دهاة أوروبا كانوا ينصبون له الحبائل بطرق غير شريفة .

ديون اسماعيل باشا

كانت ديون اسماعيل ثابتة وسائرة ؛ فالثابتة هى القروض المحدودة التى عقدها فى بنوك انجلترا وفرنسا ، وقد بلغت حتى عام ١٨٦٨ م نحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الجنيهات ، وتراكمت عليه الديون السائرة الصغيرة المستحقة الدفع ، فكان يجددها بفوائد باهظة حتى بلغت ثلاثة أو أربعة أضعاف المبلغ المقترض .

وفى عام ١٨٦٨ م ابتدأت الحكومة تتوقف عن دفع مرتبات الموظفين ، فأخذ مركزها المالى يتزعزع ، وكانت الضرائب تجبى مقدماً ، فساءت أحوال البلاد ، فأصدر الباب العالى فى تلك السنة فرماناً يحرم تقديم أى قرض الى مصر بدون استئذان الحكومة التركية ، لكن اسماعيل عقد سلفة جديدة برهن ايرادات أملاكه الخاصة ومقدارها ٧ ملايين من الجنيهات بفائدة ١٣ بالمائة فاحتج الباب العالى على ذلك لدى الحكومة الانجليزية .

واستمرت الحكومة فى عقد القروض الى أن اقترح اسماعيل صديق (المفتش) وزير المالية فى عام ١٨٦٨ م فكرة « المقابلة » وكان المقصود منها أداء ديون الحكومة كلها ، وذلك بأن يقوم الأهالى بدفع ضرائب ستة أعوام مقدماً نظير اعفائهم من نصف الضريبة بصفة دائمة . فحصلت الحكومة

على ۸,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات ولكن الدين الثابت بلغ فى ذلك الوقت ۲۷,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات ؛ ولشدة حاجة الحكومة الى المال الوفير لسداد بعض الديون عقدت سلفة جديدة تبلغ ٤,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات .

وسافر اسماعيل الى الاستانة وحصل من الباب العالى فى عام ۱۸۷۲ م على فرمان خول له حق عقد القروض بدون قيد ولا شرط ، فرجع الوالى الى مصر فوجد الحكومة فى ضائقة شديدة فعقد سلفة مع أحد البيوت المالية الانجليزية مقدارها ۳۲,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات بفائدة ۸ بالمائة .

وقد باعت الحكومة المصرية أسهمها فى القناة بثمن بخس لانجلترا ، وكانت هذه الصفقة أكبر غلطة سياسية ومالية ارتكبها اسماعيل باشا فى حياته .

بعثات حكومات أوروبا :

(۱) بعثـــة كيف

وبعد مضى أيام قليلة على شراء الأسهم تألفت لجنة انجليزية برئاسة (كيف) لدرس الحالة المالية فى مصر فى عام ۱۸۷٦ م ، وكان هذا العام بدء التدخل الفعلى فى مصر وارسال البعثات المختلفة التى كان الغرض منها اصلاح الادارة بوضعها تحت المراقبة الأوروبية ضماناً للدائنين .

وقد اقترح (كيف) توحيد الديون المصرية كلها على أساس فائدة معتدلة تتناسب وحالة البلاد ، وتأجيل الاستحقاقات لخطورة الحال ، ووضع الادارة المالية تحت رقابة أحد كبار رجال المال الانجليز فى ذلك الوقت ، ولكن اسماعيل لم يوافق على هذا الشرط الأخير واتفق مع الماليين الفرنسيين وأصدر فى مايو مرسومين بإنشاء (صندوق الدين العمومى) وتحويل جميع الديون السائرة والثابتة الى دين موحد بفائدة ۷ بالمائة ؛ وقد عين فى صندوق الدين مندوبون عن الحكومات الفرنسية والنمساوية والايطالية .

(۲) بعثة جوش

وقد امتنعت الحكومة الانكليزية عن تعيين مندوب لها ، وعارضت المشروع فى بادىء الأمر ، ثم تم الاتفاق على ارسال بعثة جديدة مؤلفة من (جوش) ممثلا للدائنين الانكليز و (جوبير) ممثلاً للدائنين الفرنسيين لاجراء تصفية عامة .

واصطحب تلك البعثة سياسيون من ذوى الخبرة لتمثيل انجلترا وفرنسا فى مصر ، ووضع قواعد المراقبة الثنائية (كوندومنيوم) .

وقد كانت أهم نتائج بعثة (جوش ــ جوبير) المالية ايجاد دين ممتاز قدره ۱۷,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات بفائدة ٥ بالمائة وتخفيض الدين الثابت الى ٥۹,۰۰۰,۰۰۰ من الجنيهات بفائدة ۷ بالمائة فأصبح مجموع ما يدفع من فوائد الدين سنوياً لا يبقى لمصر من الايرادات ما يكفى للانفاق على الادارة وتعهد الأعمال الهامة مثل الرى وغيرها التى هى عماد الثروة فى البلاد .

أما نتائج البعثة السياسية فتتلخص فى نظام المراقبة الثنائية (الكوندومنيوم) الذى يشرك انجلترا وفرنسا فى ادارة مصر على الوجه الآتى :

(أولا) : بتعيين مراقبين (انجليزى وفرنسى) عامين للمالية المصرية .

(ثانياً) : بتعيين مندوبين من الأجانب للدين العام تعرض أسماءهم الحكومات الأجنبية على الحكومة المصرية ، وتنحصر مهمتهم فى تسلم ايرادات الجهات المرهونة ضمانة لسداد أقساط الدين السنوى من يد مراقب الايرادات العام ، وتسليمها لبنكي انجلترا وفرنسا ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لاستهلاك ذلك الدين .

(ثالثاً) : بتعيين مندوبين آخرين لادارة مصلحتى السكك الحديدية وميناء الاسكندرية ، مصريين وفرنسى وانجليزيين تحت رياسة العضوين الانجليزيين . وتنحصر مهمتهم فى تسليم ايراد هاتين المصلحتين الى مندوبى الدين العام وذلك علاوة على الأشغال الادارية .

(۳) بعثة ريفرس ولسن

ظلت ادارة البلاد وأحوالها وماليتها فى ارتباك مستمر ، وعمت الشكوى فطلب اسماعيل باشا ارسال بعثة جديدة فأصدر فى عام ۱۸۷۸ م مرسوماً يقضى بتعيين « لجنة للتحقيق » تحت رياسة المسيو دي لسبس لفحص الحالة المالية فحصاً دقيقاً ، وفوض لهذه اللجنة السلطة المطلقة لاجراء ما تراه كفيلا لتحقيق الغرض الذى أنشئت من أجله .

وقد تألفت هذه اللجنة وكان وكيلاها السير ريفرس ولسن ورياض باشا وأعضاؤها مندوبو الدول الأربعة فى صندوق الدين ، وكان رئيسها الفعلى ريفرس ولسن . وقد رفعت اللجنة تقريرها التمهيدى الى الخديو وطلبت أن تدفع الى الموظفين مرتباتهم ، وختمت تقريرها بقولها (ان الحاكم الأعلى يتمتع بسلطة لا حد لها) .

وبناء على ذلك كلف اسماعيل بتكوين وزارة مسئولة ، فأصدر مرسوماً فى ۲۸ أغسطس عام ۱۸۷۸ م بتأليف وزارة برياسة نوبار ، وريفرس ولسن فى المالية ، ودى بلينيير المراقب المالى الفرنسى فى الأشغال .

وألغيت المراقبة الثنائية التى قام عليها (الكوندومنيوم) ، وضمنت انجلترا لنفسها النفوذ الأول فى الوزارة الجديدة ، وبذلك انتقل الحكم المطلق من اسماعيل الى الأجانب أو الى السير ريفرس ولسن وزير المالية الانجليزى .

وقد واصل ولسن خطة اسماعيل فعقد قرضاً جديداً مع بيت روتشلد مقداره ۸,٥۰۰,۰۰۰ من الجنيهات بضمانة أملاك الخديو ، واستخدمت الوسائل القديمة فى جباية الضرائب ، فعم البؤس البلاد ، وأخذ السير ريفرس ولسن يفكر فى تسوية الدين بطريقة نهائية بعد أن تحققت أغراض السياسة الانجليزية ، وانتزع السلطة من الحاكم الشرعى ، فاقترح على اسماعيل إعلان إفلاسه وتأجيل دفع بعض الديون وتخفيض الفوائد الفادحة الى ٥ بالمائة .

بيد أن هذا الحل جاء بعد ما ساءت أحوال البلاد وتدخل الأجانب فى شؤون المصريين ، فثارت حمية القومية فى نفوس المصريين ، واضطر اسماعيل الى المقاومة فعزل الوزارة الأوربية فى عام ۱۸۷۹ ، وعين وزارة وطنية بحتة برياسة شريف باشا .

وقد اشترك اسماعيل باشا مع نواب الأمة فى وضع خطة مالية جديدة ، وكانوا هم الضامنين لها ، ولكن الدول لم تغفل عن هذه الاهانة ، فسعت لدى الباب العالى الى أن تمكنت من عزل اسماعيل فى عام ۱۸۷۹ م .

وكان من الممكن حل الأزمة المالية بوضع الادارة تحت رقابة مالية أو أوربية كما حصل عند إنشاء صندوق الدين ، ولكن طمع انجلترا وفرنسا أدى الى تحويل المسألة المالية الى مسألة سياسية وحال دون انفراج الأزمة . وختمت الكارثة بقانون التصفية فى عام ۱۸۸۰ م والاحتلال فى عام ۱۸۸۲ م .

عبد العزيز عبد الكريم
اسكندرية ــ ۱۹۳٤



قصـــة قصـــيرة

للحزن أجنحة

بقلم: وداد عبد اللطيف

« إياكم وبكاء اليتيم فانه يسري والناس نيام »
« حديث شريف »

• • •

قبع جاسم في زاوية المطبخ واضعاً كفاً صغيرة جمدها البرد على صدغه بينما أخذت يده الأخرى تعبث بأطراف السجادة المهترئة التي خصصت لجلوسه في اللحظات القليلة التي لا يكلف فيها بعمل ولاستذكاره ونومه أيضاً، ... سجادة بالية لم تكن تمنع بحال برودة البلاط من التسرب إلى عظامه فتدفعه إلى التكور والتقوقع داخل نفسه أكثر وأكثر ...

أسند رأسه المتعب على الجدار وأخذ يفكر وإشراقة حزينة تطوف بوجهه بين الحين والحين فتزيد من بروز وجنتيه وتدفع بعض ذوي القلوب الرحيمة إلى لثم هاتين الوجنتين الشاحبتين وإلى مده ببعض الريالات التي لا تلبث أن تختفي من يده حالما تقع عليها عينا أم ناصر سيدة الدار ...

عينان بارزتان شد ما تشبهان عيني صقر متحفز للانقضاض بهدف وبدون هدف، ولم يكن ليحزنه أن تخطف تلك الهبات القليلة منه فهو أساساً لم يكن راغباً فيها ولم يحلم يوماً باقتناء أي من الاشياء المفرحة التي يتباهى بها أمامه زملاؤه في المدرسة، كل ما يؤلمه حقيقة هو الاتهام الصامت المطل من حدقتي الرجل الذي آواه وأدخله بيته، عمه أبو ناصر، اتهامه بسرقة تلك النقود من جيبه أو من حقيبة زوجه أم ناصر وهو اتهام تترجمه الأخيرة كل مرة إلى كلمات جارحة تنفذ إلى أعماق اليتيم بقسوة فيردد بصوت مكسور مدافعاً عن نفسه: إنها جارتنا أم علي أعطتني و ... فتشجب الكلمات المترددة بصفعة قوية من يد زوجة العم الغليظة فترسم الخواتم العديدة علامات داكنة على البشرة الرقيقة لعدة أيام وتستطرد بصوت كالفحيح:

ـ ولماذا تعطيك أم علي نقوداً، أتراها تملك كنزاً ونحن لا ندري؟ هو أيضاً لا يدري لماذا تهبه أم علي نقوداً دون الباقين في حين أن ناصر ابن عمه يماثله في العمر، ربما لأنه متفوق في دراسته أكثر منه ... ربما لأنه أقصر منه قامة وربما لأنه ... لكن هي لم تفصح أبداً عن سبب اهتمامها به أكثر من الآخرين.

كلمات قليلة كانت ترددها كلما ضمته إلى صدرها وكلما رأته يكنس ساحة الدار أو المساحة الواقعة أمام المنزل والشمس الحارقة تلفع وجهه الضامر والعرق والتعب ينهشان في أعوامه الثمانية، حينها كانت تردد:

ـ الله يعوضك خيراً، لك الله يا بني لك الله.

ولا يملك لحظتها إلا أن يرفع رأسه المبلل بالعرق عالياً وينظر إلى السماء بعد أن يظلل عينيه بيديه وكأنه يعتذر بصمت لكونه نسي أن له أحداً في هذا العالم يرعاه ولو عن بعد.

وأفاق الصغير من ذكرياته العاصفة على صوت بقربه يقول:

ـ البرد قارس؟ أجاب جاسم: نعم شكراً، وامتدت يده الواجفة للغطاء الذي وضعه صديقه الغريب على ركبتيه ولف جسده به جيداً وعاد يفكر، ... لأول مرة يشعر بأن لديه شيئاً خاصاً به ... شيء لا يتقاسمه أحد معه. وجاست عيناه الواسعتان في المكان البارد ... يا الله كم يتوق في هذه اللحظة لو أنه يهب واقفاً ويهرع إلى حقيبته القديمة ويستخرج من بين كتبه كنزه الثمين .. قلم الحبر الجاف الذي قدم اليه كمكافأة على تفوقه وحسن سلوكه. كم يود لو أن صديقه الغريب لا يشاركه الفراش في هذه اللحظة .. فقط لقام من توه وأحضر الكنز وضمه إلى صدره بقوة. أكيد أن الدفء لحظتها سيتسلل إلى جسده و ...

الليل يطول داخل المطبخ المعتم .. والرياح الباردة لا زالت تنفذ من ضلفة الباب فتصطدم بجاسم وتستكن في عظامه شأنها شأن الحزن السرمدي المتغلغل في صدره فيلملم أطراف اللحاف من حوله ويحاول أن يبحر مع الفرحة التي سيهديها مع قلمه غداً لفرد من أفراد الأسرة .. أسرة عمه غداً في عيد الأسرة .. منذ بضعة أيام فقط كان يشعر بتعاسة لا حدود لها لعجزه عن شراء هدية صغيرة يذكر بها من حوله أنه موجود وأنه فرد من الأسرة يحبهم جميعاً وإن بخلوا عليه بالحب، .. هدية واحدة فقط يهديها لمن يحبه أكثر. وهاهي الآن معه تربض بين كتبه أهديت إليه في الوقت المناسب وسيتصرف بها غداً ولكن عليه قبل كل شيء أن يقرر لمن يعطيها وبعد أن يصل إلى قرار سيغلفها بذات الورقة الملونة التي كانت عليها من قبل، ولكن، وعاد يهز رأسه بحزن وكأن أحزانه لا تكفيه فها هو حزن آخر يجتث الفرحة المسروقة من أعماقه فأطراف الورقة قد تمزقت ولم تعد صالحة للاستعمال مرة أخرى وهو لا يملك الوقت ولا المال لشراء ورقة أخرى جديدة، ويباغت استغراقه في مشكلته الصغيرة صوت الغريب الغارق في النوم وهو يقول بعربية ركيكة الوقت متأخر يجب أن تنام والا ... ويعود الغريب للنوم تاركاً الصغير يكمل الجملة في ذهنه والرهبة تضج في صدره: والا، إنه يعلم ما سيحدث .. ستنهال عليه رفسات قوية من عمه أبو ناصر رفسات عمياء لا تميز الوجه من الخاصرة.

وسيتلوى ألماً لوهلة ثم يهب واقفاً متجنباً إياها بينما عبارات اللوم والتأنيب تنهال عليه فيمتد الألم

إلى مساحات أكبر وأعمق من الجسد :
أيها الكسول قم ولا فاتتك الصلاة ؟ هل تريد أن تهمل واجبات ربك أيضاً ... قم لعن ... ، وسيبتلع الكلمة المبتورة مستغفراً بعد أن تكون قد صكت أذنه و ... تتساقط الأحزان في الذاكرة ، أمه ، أبوه ، شقيقته الصغرى التي لم تتجاوز الثلاثة أيام من عمرها وسيارة مسرعة تغتال الحلم والأحباب أثناء العودة من مستشفى الولادة ، وتتركه يتيماً يلوذ بالصدور بحثاً عن قطرة حب .. عن لحظة أمن قصيرة تخدر وحدته لفترة فلا يجد إلا السراب ...

بلل شفتيه بلسانه وعاد يفكر بقوة واصرار في هديته وفي عيد الأسرة ، وردد بصوت هامس عيد الأسرة ، عيد الأ... آه انه يتذكر الآن أن أحد زملائه قال إنه عيد الأم وقد سمي بعيد الأسرة حديثاً ... إذن لم لا يهدي كنزه الثمين إلى أم ، أم ... ناصر مثلاً إنها طيبة وحنونة حين تضم ناصراً إلى صدرها وهو لا يمل من مراقبتها وهي تحنو على ابنها الوحيد تداعبه وتدلله بأحلى الأسماء لحظتها يرى حب العالم كله يتجمع في مآقيها ويرى اللهفة تطل من عروق يدها المتصلة على ظهر ناصر وهي تضمه أكثر وأكثر نعم سوف يهديها قلمه وسيقول لها بكل حب وصدق : كل عام وأنت بخير يا أمي ...

لكن قد تصرخ في وجهه بأنها ليست أمه إنها أم ناصر فقط وقد ترمي هديته في وجهه و .. وهذا الأدهى قد تتهمه بسرقتها ... إنه حينها لن يستطيع أن يقول لها بأنها هدية تفوقه حتى لا تغضب أكثر وتتهمه بالتلميح إلى تخلف ابنها في دراسته .. لا لا ... لا يقدر على أن يتجرأ ويهديها شيئا .. ليبعد هذه الخاطرة من ذهنه وليفكر مرة أخرى في شخص آخر :

يالغبائى ... « همس جاسم لنفسه » كيف لم أفكر في عمي « أبو ناصر » انه أحق بهديتي من أي كائن آخر ألم يأوني في بيته ألم يدخلني المدرسة ألم يقل لي أكثر من مرة إنه بمثابة والدى ويجب أن أمتثل لأوامره .. إنه يحبني بالتأكيد وإلا ما تحملني طيلة السنوات الثلاث التي مضت ، عمي يحبني ويخاف علي ..

وضع رأسه على الفراش توسد كفيه وشعر براحة من يصل إلى قرار ، أغمض عينيه وفتحهما .. ماذا به ... لماذا تهاجمه هذه الأفكار من جديد وتسخر من قراره ؟ أفكار كالسوسة تنخر في رأسه بجد واصرار ... تقلب على مضض حاول الهروب منها – لكن عبثاً ننسلخ عن الحقائق – ولكن ما يدريه أنها حقائق تلك التي قالتها له الجارة الطيبة أم علي من أن عمه استولى على إرثه باعتباره وصياً عليه وباع بيت أبيه ووضع الثمن في جيبه ، حتى في الفترات القليلة التي هم فيها بالدفاع عن عمه كانت تكتفي بالقول وعيناها تنظران إلى بعيد : يا ويله من الله ، ياكل مال اليتيم ...

اعتدل في جلسته للمرة الخامسة غير آبه بأسنانه التي بدأت تصطك بفعل البرد وأخذ يتساءل ، ألا يجوز أن يكون ما قالته مجرد تخريف أو إشاعات لا صحة لها ؟

ودفعه تساؤله إلى استحضار صورة عمه في حين بدأت أمور صغيرة تقفز إلى سطح الذاكرة ، .. كان يوماً ممطراً ... الأرض عطشى تشرب هبات السماء بلهفة والجفاف يغطي كل مساحات جسده المرتجف والصداع كاد يفتك به وناصر ابن عمه مسترخ في السيارة الفارهة ينعم بالدفء والترف بينما عليه هو أن يقطع الشارع في مثل هذا الجو لينتظر الباص رغم أن مدرستهما واحدة ... وفجأة قفز ببراءة متخطياً بركة صغيرة من الماء وجلس بدون مقدمات بجانب ابن عمه وشعور ناعم يتسلل إلى نفسه رغم الصداع الشديد ولم يتسن له يومها أن يعيش هذا الشعور طويلاً ، اختطفته يد كثيفة الشعر من شعره الناعم ومنعه الألم والصداع من أن يرفع رأسه ليرى صاحب اليد الغاشمة وقبل أن يرفع صوته بالبكاء وصله صوت عمه :

هذا ليس مكانك ، هل فهمت ، ليس مكانك ؟

إنتفض جاسم كمن يريد أن يطرد كابوساً يجثم على أنفاسه الرقيقة وقال لنفسه : لقد تعبت كثيراً حتى عرفت أن مكاني هنا في المطبخ ، لا لن أعطي عمي هديتي ... لقد أبكاني يومها ثم إنه يبخل علي حتى بمصروف المدرسة رغم أن نقودي عنده كما تقول أم علي ... رحمها الله ، لو كانت على قيد الحياة لما ترددت في اهدائها قلمي رغم أنها تجهل الكتابة والقراءة إلا أنها ستقدر هديتي وستفرح بها ... رحمها الله ليتها أخذتني معها فالمكان هنا بارد ...

عاد يفتح عينيه بدون هدف وابتسم فجأة حين عنت جملة في خاطره : إن الظلام ليس في داخلي فقط إنه في الخارج أيضاً ، إنه يتفلسف أحياناً كما تقول زوجة عمه ولكن بعفوية ودون تبجح ... عاد يبتسم وهو يردد لنفسه : حين أكبر سأدرس الفلسفة .. رفع يده ليزيح خصلة شعر تدلت على جبينه فاصطدمت اليد الغضة بوجه حبيب ينام قبالته وعلقت أصابع جاسم بدموع لم تنشف بعد ... ياللصديق العزيز إنه يطلق دموعه الحبيسة كلما خلا إلى نفسه ... يبكي زوجته وأطفاله وأمه العجوز وغربة لا يجني منها إلا بضعة ريالات يرسلها آخر كل شهر مع رسالة مطولة تحمل أساه ولوعته .

ياللصديق العزيز ، كرر جاسم وهو يحتضن وجه صديقه بيديه ... انني والحمد لله أفضل منه حالاً فليس لدي من أبلل وسادتي من أجله كل ليلة .

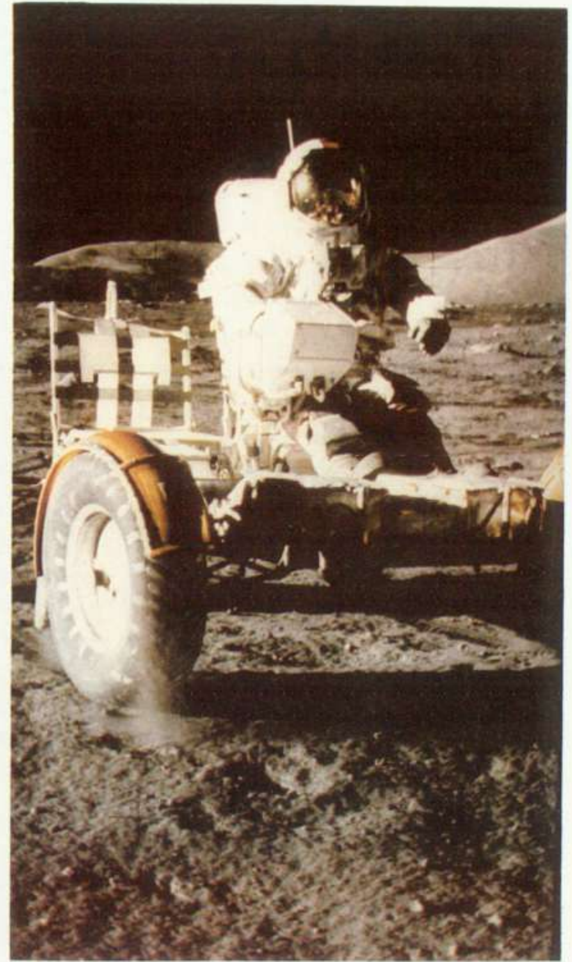
خيوط الفجر تتسلل من ستارة المطبخ القاتمة ونهار جديد بدأ يعلن عن ميلاده وجاسم لا زال يتخبط في أفكاره : لمن أهدي لمن أهدي ؟ : ناصر ، ومضى الأسم في ذهنه بشكل مفاجئ كيف غاب عن باله هذا الاسم كيف ؟ غداً بإذن الله سيهدي قلمه العزيز لابن عمه ، ارتاحت نفسه للفكرة وبدأ يخطط الطريقة التي سيقدم بها هديته ... هل يقدمها له قبل أن تنطلق به سيارته الى المدرسة أم ينتظر إلى فترة الغداء ... أم ... اصمتي يا نفسي لا تدعيني أتردد في قراري هذه المرة أيضاً اختبئي أيتها الذكريات في أعماق أعماقي ، لم تصادرين الفرحة المختلقة ؟ .... وتقفز الذكريات إلى السطح غصباً عن جاسم ، ناصر وتعاليه عليه أمام الزملاء وأوامره التي لا تنتهي : احضر كتبي واحملها عني حتى السيارة ، أريد كوب ماء ... اكتب واجب الحساب عني ، وأوامر متصلة لا تنقطع في البيت والمدرسة إنه يعامله بفوقية غريبة لا يدري من أين استمدها ... يا للذكريات البائسة ، ليبعدها عن فكره فلم يتبق أمامه سوى ناصر وسوف يهديه الهدية شاءت الذكريات أم أبت .... لكن ماذا لو سخر ناصر من هديته فهو يعلم بأنها مهداة إليه ولم يدفع فيها نقوداً ، ناصر نفسه قال ، حين رأى قلمه بعد أن أخرجه من علبته : إنه رخيص ، لدي أقلام أغلى وأجمل من قلمك هذا إنه لا شئ ؟ نعم سيسخر مني ومن هديتي ولن أقدر على إفهامه بأني لا أملك نقوداً لأشتري هدية قيمة أهديها له في عيد الأسرة ، سوف ...

واستغرق الصغير في النوم دون أن يصل إلى حل وبين اليقظة والمنام خيل إليه أنه يسمع صوت والده الحنون يداعب سمعه : قم يا ولدي للصلاة ، يا حبيبي ، ولم يدم الحلم إلا لوهلة وتهاوت الرفسات العمياء على جسده المتكور ... تأوه فتح عينيه ببطء ودهشة أين ذهب والده كان هنا منذ لحظة ... الرفسات تتوالى وعيناه لا زالتا تبحثان عن والده الطيب ... وهناك أمام الموقد الكبير وقف صديقه الأجير ينظر إليه بأسى وحزن ودموع حبيسة صادقة كالتي ذرفها الليلة الماضية تتماوج في عينيه وكأنها تعلن بأن لا حيلة ولا قوة لصاحبها من صد الأذى عن الجسد الغض .

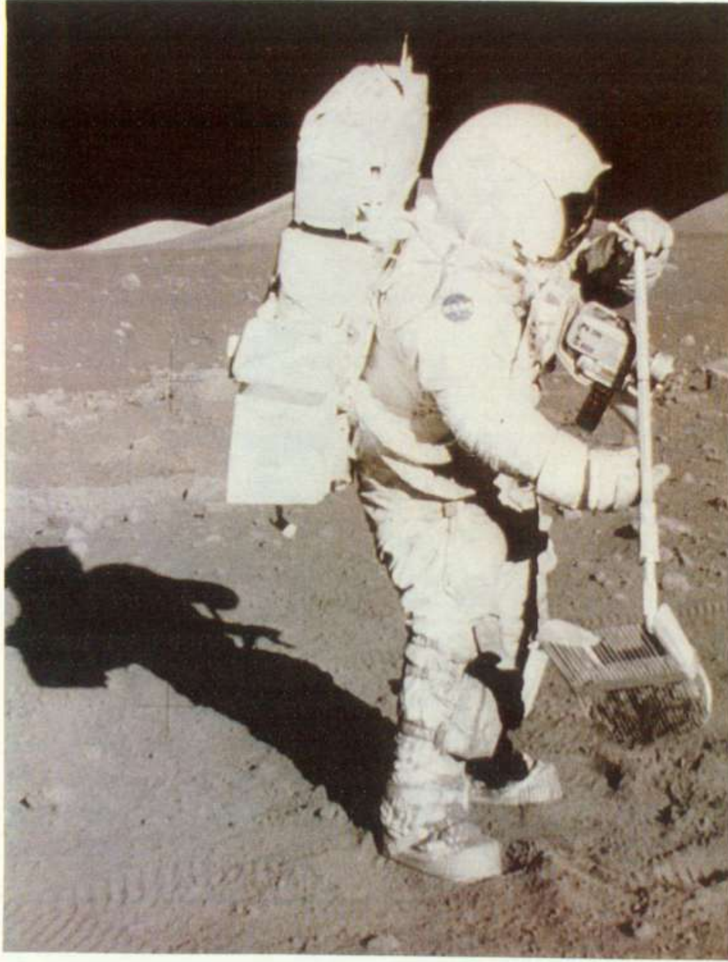
إذن لم يكن والده من داعب أذنه بصوت عطوف ، كان صديقه هو من حاول إيقاظه حتى يجنبه هذه الرفسات ... رفسات عمه ، وكرجل صغير نهض اليتيم بهدوء واللعنات المبتورة تلاحقه والألم يزحف من صدره وظهره إلى رأسه والقهر يكبر في داخله وسؤال حائر يطوف بين جنبات نفسه :

هل هو حقاً عيد الأسرة ؟ ولكن أين هي الأسرة ... أين أمه وأبوه وشقيقته الرضيعة ؟ أين أم علي .. ؟ أين الأحبة .. تختلط الاسئلة بالحزن البكر وتنساب دموعاً غزيرة لا يملك حبسها على الوجنتين البارزتين ... أنهى جاسم صلاة الفجر ووضع حقيبته القديمة على ظهره ويمم وجهه شطر الباب وقبل أن يغادر الدار دس في يَد صديقه الغريب علبة ممزقة الأطراف ...

غريب يهدي غريباً .



العربة التي استخدمت فى التنقل فوق سطح القمر



هكذا استطاع الانسان أن يسير على سطح القمر

غـــزو الفضـــاء يفتـــح آفـــاقـــا جديـــدة للبشـريّـة

هل يستقرّ الإنسان على القمر بعد عشر سنوات؟

إعداد : ياسر السباعي

متى ستصبح الرحلات الفضائية إلى القمر رخيصة ومنتظمة ؟ وهل سيواجه الانسان حياة أخرى فى الكون ، وما شكل هذه الحياة ؟ وهل ستتغير حضارة الانسان جذرياً بعد الاحتكاك بحضارات كونية أخرى ؟ وهل ستتقاتل قوى الأرض من أجل امتلاك القمر ؟ إلى كل من يتساءل عن أهمية غزو الفضاء أمام الكثير من المشاكل الخطيرة التى لم تحل على الأرض والى كل من يستفهم عن فائدة غزو القمر نطرح هذه الحقائق .

أصبح من الواضح الآن أن العملاقين يزمعان توطين الانسان على سطح القمر فى العقد القادم ، وهذه احدى الحقائق التى قد تطغى على القضايا الانسانية . ومن الضرورى أن نعرف أهمية القمر فى مستقبلنا ، وإلا يكون الانسان قد صعد إليه عبثاً ولا يعرف ماذا يفعل عند وصوله . إن الكثير من الناس يتخيل أن اكتشاف القمر يبدو سباقاً بين العملاقين . لا أحد يستطيع أن ينكر العنصر القوي والحماس الوطني للتنافس ولكن على المدى الطويل ستقل أهمية هذه الناحية .

عشرات البلايين لماذا ؟

ويتساءل بعض العلماء التقليديين عن مبررات صرف عشرات البلايين من الدولارات لتوطين عدد قليل من البشر على كتلة صخرية قاحلة خالية من الهواء ، وليست أكثر من كومة كونية من الخبث البركاني تلدعها الشمس نهاراً ، وتتجمد ليلا ، مع أن المناطق القطبية للأرض أكثر ضيافة . وحتى أعماق المحيطات يمكن اكتشافها وتعميرها بجزء بسيط من تكاليف غزو القمر . وهذا صحيح ، فالقمر كتلة قاحلة خالية من الهواء ويتفجر بالاشعاعات ، ولكنه خلال قرن واحد يمكن أن يكون مفيداً أكثر من حقول القمح وآبار النفط من وجهة النظر الشاسعة للمغامرة والرومانسية والوحي الفني والمعرفة العلمية . ومع ذلك فإن غزو القمر يمكن تبريره بالاقتصاد ، وليس فقط بالعلماء والشعراء .

ولنفند أولا أحد المبررات العامة لغزو القمر ، المبرر العسكرى ، فقد أشار أحد جنرالات علم القذائف إلى أن القمر يعتبر أرضاً عالية يمكن استخدامها لقصف الأرض . إن الجهود المطلوبة لإنشاء قاعدة عسكرية قمرية واحدة بكل تسهيلاتها يمكن أن تبنى ١٠٠ قاعدة أرضية بنفس تلك الجهود . كما أن اعتراض صاروخ قادم من القمر ، يستهلك عدة ساعات بالنسبة للتلسكوب والرادار ، أسهل من اعتراض هذا الصاروخ وهو متسلل على محيط الأرض فى عشرين دقيقة ، إلا إذا نقل الانسان صراعاته القبلية إلى الكواكب الأخرى ، فى هذه الحالة سيصبح القمر ذا فائدة عسكرية .

وقبل مناقشة المبرر الحضارى لغزو القمر لنلخص الحقائق الرئيسية عنه وأهمها : المساحة : إذ يبلغ نصف قطر القمر عدة آلاف من الأميال أي ربع نصف قطر الأرض . إذن فمساحته $\frac{1}{16}$ من مساحة كوكبنا ، أي أكثر من مساحة أفريقيا ونفس مساحة الأمريكيتين . الوزن : يزن القمر ٧٥٠ طناً (طبعاً على يمين هذا الرقم ٢١ صفراً) وهو ليس كتلة كافية من أجل الجاذبية . فزائر القمر ذو سدس وزنه الأرضي .

الجاذبية : هذه الجاذبية المنخفضة ذات نتائج مفيدة أهمها أن القمر غير قابل للاحتفاظ بالجو . ولو كان له جو ، فانه كان سيفلت منذ زمن بعيد من مكابحه الضعيفة ويضيع فى الفضاء .

الجو : بما أنه لا يوجد جو يخفف أشعة الشمس أو يعمل كخزان حرارة لليل فإن القمر عالم من انخفاض الحرارة وارتفاعها بشكل كبير . فعلى أرضنا قلما تتجاوز الحرارة مائة درجة ، إلا فى الخط الاستوائي . وتنزل إلى ٢٥ تحت الصفر فى (انتار كتيكا) القطب الشمالى ولكن كل منطقة فى القمر تتجاوز ضعف هذه الأرقام خلال اليوم القمرى .

الطقس :

إن عدم وجود الهواء يعني عدم وجود طقس ، ولا توجد أية تغييرات جوية على القمر تجعل الحياة مثيرة ، إلا الدورة غير المتغيرة لليل والنهار القمريين .

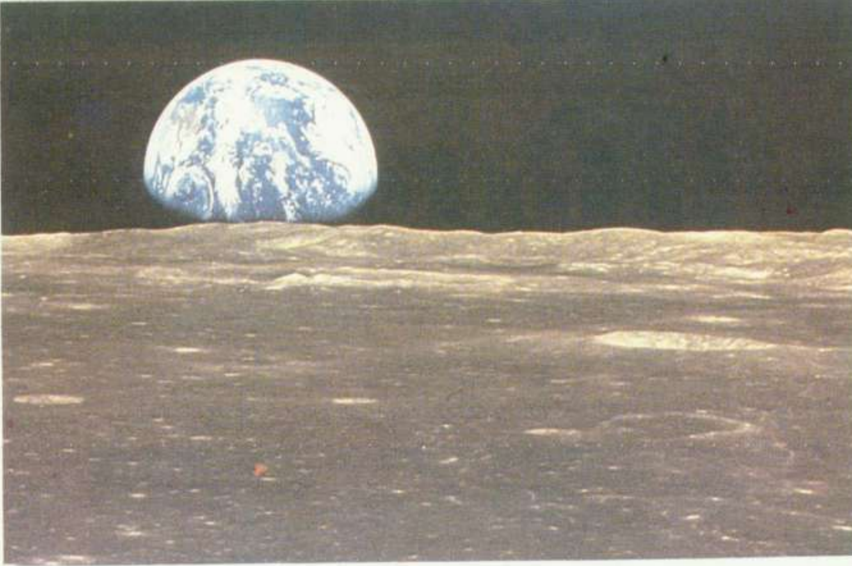
اليوم : يدور القمر ببطء حول محوره . لذا فإن اليوم القمري أطول بثلاثين مرة من يومنا وهكذا فإن الحد بين الليل والنهار عندنا والذى يتحرك خلال ١٠٠٠ ميل بالساعة على خط استواء الأرض ، تصل سرعته القصوى أقل بعشرة أميال بالساعة على القمر . ولأنه يدور حول محوره بنفس الوقت الذى يدور فيه حول الأرض ، فإنه يجعل دائماً نفس نصف كرته باتجاهنا .

المستوطنون يعملون

إن بعض الافتراضات التى يقبلها الناس كأمور معقولة الآن ، كانوا سيضحكون عليها قبل ثلاثين عاماً ، وأولها أن يستطيع الرواد المجهزون أن يقوموا بعملياتهم الهندسية على سطح القمر مباشرة أو بواسطة أجهزة التحكم عن بعد عبر الانسان الآلى . وثانيها أن القمر يتألف من نفس عناصر الأرض ، ولكن بنسب وتركيبات مختلفة . وان أكثر معادننا المألوفة سوف تنفد ، مثل الفحم الحجرى والحجر الكلسي . لكن على القمر يوجد الهيدروجين وأوكسجين وكالسيوم بأشكال أخرى . وبالإمكان تطوير تقنية استخراجها . ومن الممكن أيضاً أن تكون هناك كميات هائلة من المياه المجانية (المجمدة) تحت سطح القمر بقليل . ودون الدخول بتفاصيل التعدين والمناجم ومعالجة الخامات والهندسة الكيميائية فمن الممكن الحصول على كل هذه المواد اللازمة للحفاظ على الحياة ببناء صناعة داعمة ذاتية قائمة كلياً على المصادر والثروات القمرية . أذ تأتي الآلات والتجهيزات من الأرض والباقي من القمر . ولقد أجري الكثير من الدراسات حول استيطان القمر . واتفق كل المختصين على الصورة العامة ، على أنه قد تستهلك إقامة مستوطنة قمرية قابلة للحياة خمسين أو مائة سنة ولكن بسبب المصاريف والمخاطر والمصاعب على سطح القمر غير المضياف يتساءل العلماء : ماذا يمكن للقمر أن يقدم لنا مالم نجده على سطح الأرض ؟

إن الإجابة الفورية على هذا السؤال : لا شيء ! ولكن بإمعان النظر نرى أن الكثير من الصناعات الحديثة قائمة على التفريغ الهوائي التقني . فالاضاءة الكهربائية ونتائجها والراديو والالكترونيات لا يمكن تصنيعها بدون أنابيب التفريغ الهوائي . ولكن اختراع الترانزستور ساهم قليلا بتخفيف أهمية التفريغ (علماً بأن الخطوات الاولى لصناعة الترانزستور نفسه يجب أن تتم فى فراغ هوائي) ، كما أن الكثير والضخم من المعالجات الفولاذية والكيماوية فى إنتاج العقاقير كالبنسلين ممكنة فى فراغ هوائي ولكن من المكلف اصطناع فراغ هوائي كامل ، ومن المستحيل اصطناع فراغ كبير جداً .

وعلى القمر هناك فراغ هوائي كامل ذو ضخامة لا توصف . وهذا لا يعنى نقل الصناعة الأرضية إلى



أرضنا .. من القمر

هل يستقرّ الإنسان على القمر بعد عشر سنوات ؟

القمر ، حتى لو كانتَ تكاليف الشحن تسمح بذلك . ولكن تاريخ العلم يؤكد أن المعالجات والاكتشافات الجديدة الهامة ستتطور عندما يبدأ الانسان بإجرائها فى الفراغ القمرى . إن فيزيائيات الضغط المنخفض وكذلك التقنية ستعالجان الخرق البالية وتحولانها بين ليلة وضحاها إلى صناعات كبيرة لا يمكن تخيلها اليوم ، حيث تسوق منتجاتها على الأرض . وبهذا الاتجاه تكون أجور الشحن قليلة نسبياً .

انطلاق بدون وقود

إن هذا يقودنا إلى دور كبير سيلعبه القمر في تطوير النظام الشمسي . ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا العالم الصغير جداً الذى فى متناول أيدينا أي القمر (وصل إليه أول صاروخ خلال ٣٥ ساعة فقط) هذا العالم القمري هو نقطة الانطلاق إلى كل الكواكب الأخرى ، بسبب جاذبيته المنخفضة . فهو يتطلب أقل ٢٠ مرة من الطاقة عما هو عليه على الأرض ، وكقاعدة تزود بالطاقة لكل العمليات بين الكواكب فللقمر فائدة كبيرة على الأرض . وبالامكان العثور أيضاً على المواد التى يحتاجها الانسان هناك . وهذا أحد الأسباب التى تدعو إلى تعليق أهمية كبيرة على تطوير التقنية والصناعة القمرية .

وبسبب جاذبيته المنخفضة يعتبر القمر أرضية عالية بينما نحن على الأرض نشبه الساكنين فى أسفل حفرة عميقة جداً ، حيث علينا أن نتسلق كل مرة نرغب فيها أن نجري أى اكتشاف كوني خارج هذه الحفرة . إن علينا أن نحرق مائة طن من وقود الصواريخ لكل طن حمولة نطلقها فى الفضاء فى رحلة ذهاب فقط . أما لرحلة العودة فإننا نحتاج إلى آلاف الأطنان من وقود الصواريخ . لهذا فإن كل المشاريع الفضائية على الأرض تعتبر ميئوساً منها وغير اقتصادية ، وتحتاج إلى استهلاك هائل للوقود من أجل القليل من الحمولة . وكأننا من أجل نقل ١٢ راكباً فقط عبر الأطلسي علينا بناء سفينة مثل سفينة الملكة اليزابيث ، ولكن بكلفة أكثر بكثير ،وبالاضافة إلى ذلك فان المركبة الفضائية تستخدم مرة واحدة فقط ، لأن أقسامها تتحطم أثناء الطيران . ومن أصل عشرات الآلاف من الأطنان التى تغادر الأرض ، تعود منها كبسولة صغيرة فقط أما الباقى فهو أجهزة حرق الوقود التي تغوص فى المحيط أو تسوح فى أجواء الفضاء .

أما أن نزود الصاروخ بالطاقة النووية ، فإن الوضع سيتغير من الشكل المستحيل إلى الشكل العبثي . لأنه حتى الصواريخ النووية عليها أن تحمل مئات الآلاف من الأطنان ككتل رد فعل ، وذلك لتوفير قوة عنيفة عند الاطلاق ، فعلى كل صاروخ ، نووياً كان أو كيماوياً أن يحمل شيئاً يدفعه عكسياً . وهذا الشيء ليس بالهواء المحيط كما يعتقد الكثير ، إنما هو وقود الصاروخ نفسه . ومع ذلك فإن الصاروخ النووى يستخدم أبسط أنواع الوقود أي هيدروجين الطائرات . اذن لابد من وجود هذا الهيدروجين بوفرة على سطح القمر مركباً مع الماء (١١ منه هيدروجين) أو بشكل آخر . وأول عمل في اكتشاف القمر هو معرفة المصادر التى يمكن الحصول منها على الهيدروجين . ومن الممكن أن تتزود المركبات الفضائية بالوقود ثانية على القمر ، وعند ذلك تخف تكاليف وصعوبات وتعقيدات كل العمليات الفضائية عشر مرات على الأقل .

وبما أن المركبة الفضائية لا تحتاج إلى حمل الوقود لرحلة العودة فلن يكون ضرورياً بناء ورمي مركبات تزن عشرة آلاف طن في البحر أو الفضاء ، وذلك من أجل ايصال أطنان فقط . وبدلا من أجهزة الوقود الضخمة هذه ، يمكن استخدام صواريخ صغيرة نسبياً يعاد تزويدها بالوقود ، وتطير ثانية وثالثة . وسيخرج الطيران الفضائي من وضعه الحالي كبهلوانات مكلفة بشكل خيالى ، وسيبدأ بشكل اقتصادي بل وربما تجارى .

وهذا طبعاً مجرد بداية . فالانطلاقة الكبرى نحو عمليات فضائية فعالة تعتمد على أن القمر بدون جو . كما أن الظروف الفريدة المسيطرة هناك (وهى فريدة بمعيارنا وطبيعية بالمعيار الكونى) تسمح بتقنية الانطلاق بشكل اقتصادى أكثر بكثير من قوة الدفع الصاروخية . إنها نفس الفكرة القديمة عن (القاذفة الفضائية) التى أبدعها الكاتب العلمى الخيالي الفرنسي جول فيرن منذ



حوالى مائة عام . ولكنها لن تكون قاذفة فضائية خيالية إنما مسار انطلاق أفقي كالمستخدم فى الطائرات ، حيث من خلاله تتمكن العربات الفضائية من التسارع كهربائياً حتى تصل إلى سرعة كافية للانطلاق من القمر .

إن هذه الوسيلة غير عملية مطلقاً على الأرض حيث أنه على الجسم أن يصل إلى السرعة الحالية المألوفة وهى ٢٥ ألف ميل بالساعة . كما أن عشر جاذبيات قاومها مسبقاً رواد الفضاء بفترات زمنية قصيرة جداً يستهلك التسارع فيها دقيقتين ، ليصل إلى هذه السرعة . ويجب أن يكون مسار الانطلاق بطول ٤٠٠ ميل . وإذا قل التسارع إلى النصف لزيادة الاستمرارية فيجب أن يتضاعف طول مسار الانطلاق . وبالتأكيد فإن أى جسم ينطلق بهذه السرعة فى الجو المنخفض سيحترق ، ويتفتت إلى أجزاء، اذن لندع القاذفة الفضائية الارضية جانباً .

وعلى القمر يكون الوضع مختلفاً تماماً ، فبفضل الفراغ الهوائي الكامل تقريباً قد يتم التوصل إلى سرعة الانطلاق القمرية (حوالي ٥٢٠٠ ميغافون) بدون أى خطر من مقاومة الهواء . وبتسارع عشر جاذبيات فعلى مسار الانطلاق أن يكون بطول ١٩ ميلا فقط وليس ٤٠٠ ميل كما فى الأرض .

وعلى القمر أيضاً ستتمكن العربات من مغادرته بدون حرق أى وقود أبداً ، وسيتم الانطلاق بمراكز قوى ثابتة على الأرض يمكن أن تكون كبيرة وكثيفة حسب الطلب . وسيكون الوقود الوحيد الذى تحتاجه مركبة فضائية عائدة إلى الأرض مجرد كمية قليلة للتشغيل والملاحة فقط . وبالنتيجة فإن مقياس العربة اللازمة لمهمة من القمر إلى الأرض سيكون أقل بعشر مرات . كما أن سفينة فضائية تزن مائة طن يمكن أن تقوم بعمل سفينة بزنة ١٠٠٠ طن .

وقود بالمنجنيق القاذف !

وسيكون نوع الرحلات الفضائية مثيراً للاعجاب . فالمرحلة القادمة ستكون المرحلة المصيرية الحقة . انها مرحلة استخدام القاذف المنطلق من القمر أو المنجنيق القاذف لتزويد الوقود فى مكان احتياجه فى مدار حول الأرض أو قرب أو على أي كوكب فى المجموعة الشمسية .

إن الرحلة الفضائية الطويلة ـ أى فيما وراء القمر ـ ستصبح ممكنة فقط ، عندما نستطيع إعادة تزويد مركباتنا بالوقود وهى في مدارها . وقد رسمت خطط بتفاصيلها لعمليات تضم أسطولا من الصواريخ الخازنة ، وقد نستطيع خلال سنوات إنشاء محطات وقود فضائية ستكون مكلفة بشكل خيالى . لأنها تتطلب ٥٠ طناً من وقود الصواريخ لوضع طن واحد من الحمولة فى مدار الأرض على بعد ٢٠٠ ميل فقط .

ولكن القاذف المنطلق من القمر يمكن أن يقوم

بنفس العمل على مسافة ٢٥٠ ألف ميل بجزء من عشرين من الطاقة وبدون استهلاك أي وقود صواريخ . ولسوف تطلق خزانات الطاقة المولدة نحو الأرض ، كما أن الأنظمة القيادية التحكمية المناسبة ستبقيها في مدارات ثابتة حسب الرغبة .

اذن فإن كميات هائلة من الطاقة ستلزم لتشغيل هذا المنجنيق القمرى ولن تكون ثمة مشكلة في القرن ٢١ . فقنبلة هيدروجينية واحدة تزن بعض الأطنان تطلق طاقة كافية لاطلاق مائة مليون طن بعيداً عن القمر وستتوفر هذه الطاقة لصالح الانسان عندما يحتاج إليها أحفاده .

وهناك تطبيق آخر للمنجنيق القمري . فبامكانه قذف منتجات تكنولوجيا القمر بأي طريق نحو الأرض . فبامكان كبسولة قوية شاحنة مخروطية أن تطلق من القمر لتهبط آلياً في أى مكان على سطح الأرض . ولن تكون ثمة حاجة لوقود الصاروخ ، الا بعض الكميات للتشغيل فكل طاقة الاطلاق ستأتي من الطاقة الثابتة على سطح القمر اما عملية التبطيء فسيقوم بها جو الأرض نفسه . وعند اكتمال هذا النظام فلن تكون ثمة تكاليف شحن من القمر إلى الأرض أكثر من تكاليف نقل الشحن من قارة إلى أخرى بالطائرة . كما أن المنجنيق القاذف يمكن أن يكون صغيراً ، لأنه خال من البشر ، واذا تم تشغيله بتسريع خمسين جاذبية فيكفيه مسار بطول ٤ أميال فقط .

لقد نوقشت هذه الفكرة لسببين : الأول أنه بالاستفادة من الجاذبية الضعيفة للقمر وخلوه من الهواء واكتنازه بالمعادن تظهر هذه الفكرة كيف يمكن اجراء اكتشافات فضائية بشكل اقتصادى أكبر مما هو عليه على الأرض . والواقع أنه حتى يتم اكتشاف منهج جديد في عالم الدفع والتسيير ، فإنه من الصعب أن تكون رحلات الفضاء عملية على مستوى كبير . أما السبب الثاني فهو تاريخي فقد نوقشت هذه الفكرة لأول مرة عام ١٩٥٠ في صحيفة جمعية الكواكب البريطانية . وقبلها بخمس سنوات تم اقتراح اطلاق توابع من أجل اتصالات الراديو والتليفزيون . ولم يتوقع أحد أن يرى ذلك مجسداً في حياته ، ولكن حدث أحد هذين الأمرين ، والتساؤل الآن هل نستطيع أن نرى الآخر ؟

الضوء بدلا من الصوت

ان موضوع الاتصالات يقودنا إلى استخدام آخر ومهم للقمر . فسطح القمر معرض مباشرة للفضاء بينما سطح الأرض ــ بالنسبة لنا ــ محجوب عن الفضاء بعدد من الحواجز اشهرها الغلاف الايوني الذى يعكس كل شيء إلا موجات الراديو القصيرة العائدة إلى الأرض . أما أقصر الموجات فإنها تذهب عبره بصعوبة قليلة لذا فإن الغلاف الايوني لا يعيق الاتصالات الفضائية .

أما الحاجز الخطير ــ وهذا ما اكتشف منذ عشرات الأعوام ــ فهو الجو نفسه . ولكن بفضل تطوير جهاز الليزر الاشعاعي فإنه يبدو الآن أن أفضل وسيلة اتصالات للمسافات الطويلة ليس الصوت (الراديو) بل الضوء . فالضوء الكشاف يحمل أكثر بملايين من الرسائل ما تحمله الموجات الصوتية . ويمكن أيضاً ضبطه بدقة متناهية . وفعلا فإن ضوءاً كاشفاً يطلقه جهاز الليزر يمكن أن ينتج بقعة ضوئية على القمر عبر مئات من الأقدام فقط ، حيث يبلغ قطر الضوء الكشاف القادم من الضوء الباحث آلاف الأميال . وهذه الدرجة العليا من الضبط يمكن الحصول عليها بطاقة قليلة جداً . وتظهر الحسابات أنه بفضل الليزر يمكن التفكير بوضع إشارات للنجوم وربما للكواكب !

ولكن المشكلة أنه لا يمكن استعمال الضوء الكاشف لارسال الرسائل عبر جو الأرض التائه فبامكان أية غيمة عابرة سد الاشارة التى انتقلت خلال مليار ميل في الفضاء . أما على القمر الخالى من الهواء فلن تكون ثمة مشكلة لأن السماء ــ القمرية ــ صافية دائماً أمام موجات كل الترددات من أبعد موجات الراديو الصوتية ، عبر ضوء مرئي يمر خلال الأشعة فوق البنفسجية ، وحتى خلال أشعة اكس القصيرة التى يمكن لعدة بوصات من الهواء أن تسدها . ان هذه الدرجة الكبيرة من الموجات الكهرومغناطيسية ستتوفر من أجل الاتصالات أو أى استخدام آخر . وربما أن هذه التطبيقات تستخدم لبث الطاقة التى لم ولن تتم أبداً على الأرض . وسيكون هناك عمق موجي كاف أو (فضاء أثيري) لكل خدمات الراديو والتليفزيون .

ومن المكن أن نتخيل القمر كنوع من الاضاءة المركزية للاتصالات عبر الكواكب التى توجه موجات الضوء البؤري إلى كواكب أخرى وإلى السفن الفضائية . فأية رسالة تهم الأرض يمكن ارسالها صوتياً عبر ٢٥٠ ألف ميل على الطول الموجي الذى يخترق كوكبنا .

وهناك عدة أسباب أخرى تتيح للقمر أن يكون قاعدة للاتصالات عبر الكواكب . فالجميع يعرف الآن التلسكوبات الضخمة التى بنيت لتصل قدرتها إلى الفضاء ، ولتحافظ على اتصال مع هذه الأبعاد التى تسبر أغوارها (مثل تلسكوبات رانجرز ومارينزر وبرسبكتر) وأكثرها دقة هو التلسكوب الصوتى العملاق (قطره ٦٠٠ قدم) وهو أكبر بناء متنقل على الأرض ويحتوى على ٢٠ ألف طن من المعدن الذى تكلف أكثر من ١٠٠ مليون دولار .

وعلى سطح القمر ستكون التكلفة والوزن لهذا البناء أقل بكثير فبفضل الجاذبية المنخفضة للقمر يمكن استخدام بناء أخف بكثير مما هو عليه على الأرض . كما أن الفراغ الهوائي القمرى يساهم من ناحية أخرى ، لأن التلسكوب الأرضي يتطلب عاملا أمنياً بديلا يمكنه مقاومة أسوأ حالات الطقس . ولكن لاخوف من العواصف على القمر ، لأنه لا توجد حتى أرق النسمات التى قد تداعب الشعر !

إن الجهة البعيدة عنا من القمر جهة هادئة ، وهى أهدأ من أية منطقة على سطح الأرض منذ ملايين السنين ، وهذا طبعاً من وجهة النظر الصوتية . فمنذ بداية هذا القرن كان كوكبنا يصدر جلبة متزايدة باستمرار إلى الفضاء مما أحدث قلقاً بشكل خطير بالنسبة لفلكيي الأصوات الذين كان من الممكن أن تنسف ملاحظاتهم وجهودهم بصوت آلة حلاقة كهربائية على بعد ١٠٠ ميل فقط ! وكان القمر وراء التوصل إلى هذه الضوضاء الالكترونية ، لأنه محجوب عن ضجة الأرض بواسطة مائتى ميل من الصخور الصلبة ، وهذا أفضل من حماية ملايين الأطنان من الفضاء الفارغ . وبما أن ضوء الأرض لا يشع أبداً ، فستربط مراكز الاتصالات المستقبلية بين الصوت والضوء الكاشف وبين كل الكواكب المأهولة ، ويوماً ما قد يصل الانسان إلى ما وراء المجموعة الشمسية ليتصل بحيوات عاقلة أخرى . ونجاح هذا البحث صعب ، مالم يتم التخلص من دوي كل محطات الراديو والتليفزيون .

من يملك القمر ؟

يعتبر القمر أهم الأجرام في المجموعة الشمسية حتى من مارس والزهرة ، رغم أنه قد يكون ثمة حياة على تلك الكواكب . ولأن سطح القمر لم يمسه أحد عبر العصور ، فإنه يعتبر سجلا للظروف الموجودة منذ ملايين السنين عندما كان الكون فتياً ، أما على الأرض فكل هذه السجلات قد محيت بالهواء والأمطار وبقوى أخرى . وعندما وصل الانسان إلى القمر شعر وكأنه أمام مكتبة ضخمة كاملة من مجلدات كانت مفقودة ، مكتبة أقدم بمليون مرة من مكتبة الاسكندرية المدمرة ، وهى مثيرة تفتح فجأة ولأول مرة أمام ناظريه !

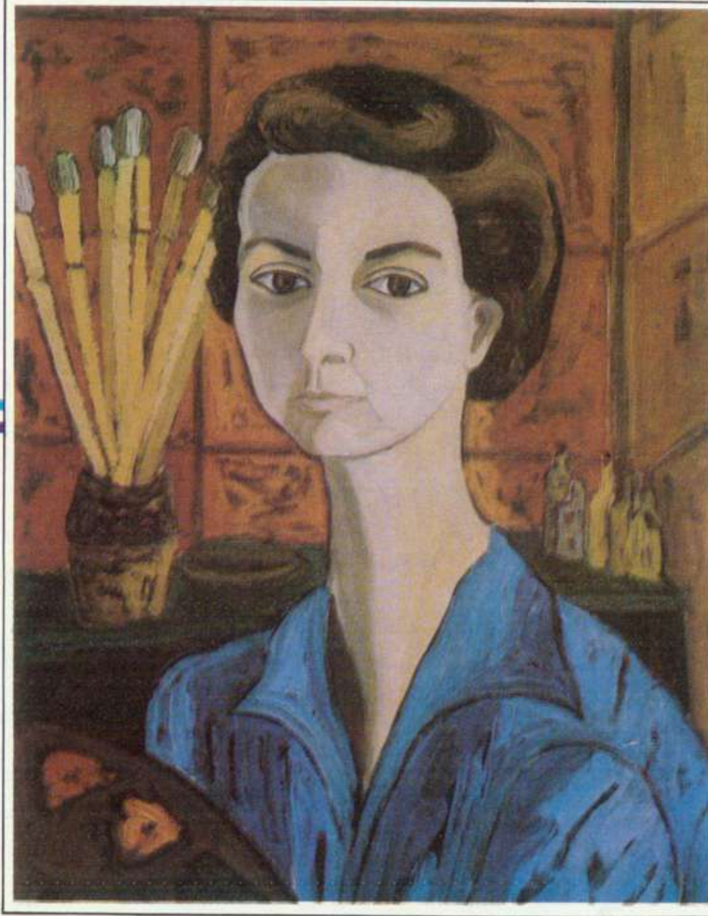
إن المقابل سيكون المهارة التى سيكتسبها الانسان أثناء الإكتشاف والاستيطان على هذه الأرض الجديدة في الفضاء . ومن المؤكد أن الانسان سيتعلم طرق إنتاج الغذاء على سطح القمر خلال سنوات أكثر مما ينتجه على الأرض خلال قرون . فهل يمكن تحويل الصخور إلى غذاء ؟ علينا أن نتحكم بهذا الحل إذا كان علينا أن نغزو الفضاء . والأكثر إثارة من هذا هو الامكانيات المفتوحة أمام طب الجاذبية المنخفضة الذى يطرح السؤال الكبير : هل سيعيش الانسان فترة أطول في عالم لايبلى فيه قلب في مقاومة الجاذبية ؟ والسؤال الأهم الآن يدور حول مصداقية من يقول ان من يملك القمر هل يهيمن على الأرض ، وعلى أية منطقة يصل إليها في الكون .. فهل الهبوط على سطح القمر يخول ملكيته ؟

وهل سيصبح القمر ميدان حروب لامتلاكه ؟ نأمل ألا يحدث ذلك !

ولكن هل يكفى الأمل لتحقيق هذه الرغبة ؟

: ياسر السباعي

أبوها هو حسن بك أفلاطون ، ابن محمد باشا أفلاطون ، كان الوالد أستاذاً مرموقاً وعالماً في ميدان « الحشرات » ، معروفاً على المستوى العالمي ، فهو الذي افتتح قسماً لدراسة علم الحشرات بكلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) كما تولى منصب عميد كلية العلوم قبل احالته إلى التقاعد .. وهناك قاعة بهذه الكلية تحمل اسمه حتى الآن . والوالدة « السيدة صالحة أفلاطون » هي ابنة عمه ، وكانت من سيدات المجتمع النشيطات ، انها أول عربية مصرية اشتغلت بتصميم الأزياء . وقد افتتحت عام ١٩٣٦ بالاشتراك مع بنك مصر : « محل صالحة للأزياء الراقية » وكان أول مشغل للأزياء يقام بأيد عربية ورأسمال عربي .



إنجي أفلاطون

عاشقة الأشجار والضوء الأبيض

بقلم : صبحي الشاروني

ولدت « انجى أفلاطون » في هذا المناخ الأرستقراطي المثقف عام ١٩٢٤ ، في ظروف متيسرة اقتصادياً وتسمح بأشكال متعددة من الاستمتاع بالحياة والثروة ، لكنها شبت وفي أعماقها بذرة الفن التي دفعتها الى التمرد على الاطار الذي تعيش فيه .. كانت تملأها رغبة قوية في القاء نظرة عميقة وشاملة خارج هذا الغلاف الرقيق الدافئ الذي يحيط بها ، ولعل أهم ما يميز رحلة حياتها هو سعيها الدءوب نحو الجذور الشعبية .

كان أول أشكال هذا التمرد على ظروفها المنزلية هو رفضها الاستمرار في الدراسة بمدرسة « الساكركير » (مدرسة القلب المقدس) . وهي مدرسة فرنسية كانت تخضع تلميذاتها لنظام صارم وتجمع بنات الأسر والبيوتات المصرية ، واستطاعت أن تقنع أسرتها بترك هذا المجتمع المرفه لتستمتع بدرجة من الحرية في مدرسة « الليسيه الفرنسية » وهي أقل صرامة وارستقراطية ، وفيها بدأت تشبع هوايتها الأولى وهي الرسم إلى جانب دراستها .

كانت الفرنسية هي لغة البيت والمجتمع الصغير المغلق الذي يضم مجموعة الأسر المسلمة التي تنتمي إلى أصل تركي .. وهو مجتمع معزول عن عامة الشعب ، لكنه يتصل بالأدب والفن والثقافة ... فأختها الكبرى (جولبري) أديبة معروفة بين المتحدثين بالفرنسية ، تكتب الشعر وقصص الأطفال منذ مراهقتها المبكرة ، وكانت تسلم ما تكتبه لأختها « انجى » التي تضع لها رسوماً من خيالها ، وكانت خالتها متزوجة من الكاتب والناقد المعروف « أحمد راسم » الذي أصدر في الثلاثينات مجلة للمتحدثين بالفرنسية نشر

أحلام الحرية : لوحة للفنانة ، تشعر من خلالها أن كل لمسة أو بقعة لونية قد وضعت بعد دراسة طويلة .. ولوحة أخرى عنوانها : نخيل من الريف



إنجي أفلاطون
عاشقة الأشجار والضوء الأبيض

فيها بعضاً من قصص أختها مع رسوم « انجى أفلاطون » . ولم يكن عمر الثانية يتعدى العاشرة .

حاول والدها أن يوجه ميلها الفطري للفن بتكليفها بعمل بعض المستنسخات العالمية ، وأطاعته مرة لكنها تمردت على هذا النوع من الرسم الذي يلغي ذاتيتها ويركز على النقل الأمين والحرفي بغير انفعال ، ذلك لأنها حرصت من البداية أن تبحث عن الفن الذي يعبر عن ذاتها ، وهكذا استطاعت « انجى أفلاطون » أن تصوغ لنفسها شخصية فنية قوية لها اليوم بصماتها الواضحة في مسار حركة الفنون الجميلة بمصر .

ولعل أبرز مثل على الاصرار هو عبورها حاجز اللغة ، فقد ظلت حتى الثامنة عشرة من عمرها لا تعرف إلا القليل من لغتها العربية ، لكن عشقها للفن والفكر المعبرين عن الواقع المصري دفعها إلى دراسة اللغة العربية واجادتها ، وقد حصلت على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ثم واصلت دراسة اللغة والتحدث بها حتى أجادتها .. كان هذا هو طريقها للاندماج بالشعب العربى المصري حيث التقت بعد ذلك بالعديد من المثقفين الوطنيين الذين استفادت من أفكارهم في تشكيل وعيها تشكيلاً مختلفاً ، يتناقض مع طبقة الصفوة من المجتمع المصري .. لقد تمتعت من البداية بقلق فطري ضد كل الأشكال الثابتة والقوى المتسلطة .

طريق السيريالية

بدأت علاقتها الأولى بالرسم بداية تلقائية بغير توجيه ، وعندما تنبهت الأسرة لهذه الموهبة ، وفرت لها دروساً في الرسم ، لكنها لم تزد عن تكبير الصور الشخصية ورسم المناظر الطبيعية نقلاً عن الصور المطبوعة .. وترفض « انجى » الاستمرار في هذا الطريق ، وتطلب أن يكون مدرسها أستاذاً فناناً ..

كان عمرها ستة عشر عاماً فقط عندما حدثت نقطة التحول الرئيسية في حياتها ، فقد اختارت الأسرة مدرساً جديداً للرسم هو الفنان الراحل كامل التلمساني . وكان « التلمساني » رساماً ومصوراً معروفاً قبل أن يعمل بالاخراج السينمائي الذي تركه وسافر إلى بيروت ليعمل مستشاراً فنياً لفرقة اخوان رحباني حتى وفاته .

في نهاية الثلاثينيات ذاع صيت « كامل التلمساني » كأحد مؤسسي جماعة الفن والحرية التي كانت تدعو لاتباع المذهب السيريالي في الفنون الجميلة ، وكان من بين أعضائها رمسيس يونان وسمير رافع وجورج حنين ، كما كانت تحظى بتأييد الفنان محمود سعيد .. ان قيام جماعة الفن والحرية يمثل أول ثورة في الحركة الفنية العربية المصرية ضد الاتجاهات المدرسية في الفن ، وقد فتحت الطريق للاتجاهات الفنية الحديثة ، وقامت باستيراد الفكر الأوربي الفني وحاولت إعطاءه طابعاً عربياً مصرياً .

عندما طلب منها « التلمساني » أن ترسم لوحة ليراها في الزيارة التالية ويقرر على أساسها كيف يتعامل مع هذه التلميذة الأرستقراطية ، فوجئ بأنها اتجهت اتجاهاً غير متوقع ، فقد كانت لوحتها مملوءة بالرموز التي صورت فيها نفسها وهي تحاول الخروج من فتحة في شجرة تحاصرها النيران ، وكان في رسمها جرأة وحيوية وشخصية قوية ، وقد أعجب الاستاذ بالجوانب التعبيرية في تلك اللوحة ، فقرر أن يعرفها بتاريخ الفن ويحدثها عن الاتجاهات الفكرية والسياسية في العالم ، كما جعلها تشارك في نشاط جماعة الفن والحرية وتعرض أعمالها في معارض الفن الحر (المستقلين) ابتداء من عام ١٩٤٢ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الوانها في تلك المرحلة قاتمة ولوحاتها متشائمة مملوءة بالرموز والخيالات .

لكن أهم ما تعلمته الفنانة على يدي « كامل التلمساني » هو أنه ليس هناك شيء ممنوع في الفن ، وليس عليها إلا أن تتعلم القواعد الأساسية في استخدام الألوان الزيتية ، ولم يهتم باطلاعها على لوحاته التي كانت تنتمي في ألوانها إلى المذهب الوحشي (أسلوب الفوف) ، وفي ترتيبها للعناصر إلى الفكر السيريالي .. فلم تشاهد التلميذة رسوم أستاذها إلا بعد مرور أكثر من عام على بداية دروسه لها ..

وعندما اشتركت في المعرض الثالث لجماعة الفن والحرية كانت أصغر الفنانين المشاركين في هذا المعرض سناً ، وتردد اسمها بين أسماء جورج حنين ورمسيس يونان وفؤاد كامل وكامل التلمساني والبير قصيري وايتين ماربيل ومارسيل بادجيني ... وغيرهم .

لقد فتح لها هذا النشاط نافذة ثقافية أطلت منها الفنانة الصغيرة على حقيقة مصر ومشاكل مواطنيها خلال فترة الحرب العالمية الثانية .. وقد انبهرت بالأسلوب السيريالي الذي يحطم الأشكال التقليدية ، ويهتم بادهاش المشاهد أو القارئ ، ومفاجأته بكل ما هو غريب وغير مألوف ، وقد اهتم النقاد بأعمالها المبكرة فكتب أحدهم يقول : « انجى افلاطون ذات السبعة عشر ربيعا .. تلميذة التلمساني منذ عامين . رائعة هي هذه المناظر الليلية ، بخضرتها المتداخلة وكأنما هي أدغال من الأفاعي .. وكأنها ساحرة ركبت فرشاتها ..

لقد كشف التلمساني عن مواهبه كأستاذ ممتاز .. فلم يكتف بأن جنب تلميذته تأثير انتاجه هو ، بل علمها كيف تستخدم ألوانها على نحو لم يعد هو نفسه قادراً عليه .

ولو قدر لهذا النجاح ألا يدير رأس « انجى افلاطون » ، فانها سوف تكون رسامة من المستوى الذي نحبه » .

كما كتب المفكر جورج حنين في نقده للمعرض يقول : « إن مفاجأة المعرض الثالث للفن المستقل تتمثل في تنوع أشكال الخضرة البالغ حد الهذيان في لوحات انجى افلاطون ، هذه الفنانة الشابة صغرى فناني مصر « المستقلين » ، تستثمر الامكانيات الفنية ــ المحدودة نسبياً ــ المتاحة لها بذكاء نادر » .

ونستطيع أن نلاحظ اليوم من متابعة أعمالها المبكرة أن عنصر « الشجرة » في لوحاتها هو عنصر ثابت في معظم أعمالها من ذلك التاريخ رغم اختلاف الموضوعات التي تناولتها .. فقد كانت الأشجار في تلك المرحلة الأولى تبدو كالآدميين ، فتتخذ شكل أم تحمي ابنتها (التي هي الفنانة ذاتها) من طائر متوحش يهاجمها .. ولقد عبر هذا الخوف الخاص عند الفنانة عن الخوف العام الذي اجتاح العصر من ويلات الحرب العالمية الثانية ودمارها ، ففيها يلتقي الاحساس الشخصي بالاحساس العام ويعبر في نفس الوقت عن الصراع من أجل التحرر من الاستعمار .

أما روح التمرد على الأوضاع الاجتماعية لبيئتها فقد دفعها لخوض تجارب متعددة ، فقد ارتفعت نبرة الاحتجاج على انتمائها الاجتماعي الموروث عندما أصبح ما تحمله من آراء وأفكار ليس مجرد رفاهية فكرية وانما عقيدة راسخة فاذا بها تقرر أن تعتمد على نفسها في كسب قوتها ، فعملت فترة في معمل للتحاليل الطبية ، وكان أول أجر تقاضته ستة جنيهات ، واشتغلت عاملة على الآلة الكاتبة ، ثم مدرسة للرسم واللغة الفرنسية في مدرسة « الليسيه » التي تعلمت فيها .. كما عملت أيضاً بالصحافة وكانت مسئولة عن صفحة المرأة في جريدة « المصري » .. وكان هذا المنبر يمثل وسيلتها لنشر آرائها وأفكارها .

النشاط النسائي

اتسعت اهتمامات انجى افلاطون وبدأت تخرج من محيط الأسرة والمدرسة إلى المجتمع الكبير .. وبدأت تشارك في الجمعيات النسائية التي تهتم بوضع المرأة في المجتمع . وهكذا سافرت عام ١٩٤٥ لتشارك كعضو مؤسس في المؤتمر الأول للاتحاد النسائي الديمقراطي الدولي . ويعتبر هذا المؤتمر من أهم العلامات في تاريخ الحركة النسائية العالمية حيث اختارت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٧٥ كعام عالمي للمرأة بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على انعقاد هذا المؤتمر .

وتحولت انجى افلاطون من الرسم إلى الكتابة ، كأداة أسرع وأوضح في توصيل أفكارها والتعبير عن مطالب المرأة في العصر الحاضر .. وفي عام ١٩٤٧ صدر لها كتاب بعنوان « ٨٠ مليون امرأة معنا » كتب مقدمته عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، وهو يتحدث عن الحركة النسائية في العالم وضرورة ارتباط الحركة النسائية المصرية بها .

وأصدرت كتابها الثاني عام ١٩٤٩ بعنوان « نحن النساء المصريات » الذي يشرح القضايا الاقتصادية والاجتماعية للمرأة المصرية ويحدد مطالبها قبيل منتصف القرن العشرين ، وقد كتب مقدمة هذا الكتاب المؤرخ المصري عبدالرحمن الرافعي . وفي عام ١٩٥١ نشرت كتابها الثالث بعنوان « السلام والجلاء » معبراً عن إرتباط قضية السلام العالمي بجلاء الانجليز عن أرض مصر ، وقضايا التحرير من الاستعمار في العالم .

وبسبب اندماجها في العمل السياسي والنشاط النسائي توقفت أربعة أعوام عن ممارسة الرسم ، ثم تزوجت عام ١٩٤٨ من الاستاذ « محمد محمود أبوالعلا » وهو من رجال القانون المستنيرين ، كان يعمل في وظيفة وكيل النائب العام .. وقد شجعها على العودة إلى الرسم والتفرغ له بعد انشغالها عنه بالأحداث التي حولها .. فعادت وهي أكثر نضجاً ووعياً بالواقع الاجتماعي .. فقد أصبحت معالم الطريق الفني واضحة أمامها ، فاتجهت إلى الريف الذي ظل من ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا موضوعها المفضل ، تصور طبيعته البكر وفلاحيه وفلاحاته الذين يصنعون النماء وينتجون الخير لصالح الشعب بأكمله .. وهكذا استطاعت أن تحقق توافقاً مثالياً بين رسومها وكتاباتها وعواطفها ..

وفي هذه الفترة التحقت لمدة عام بقسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وبعدها تلقت عدة دروس بمرسم الفنانة « مارجوفيون » ، كما تتلمذت على يدي الفنان حامد عبد الله بعض الوقت . وصاحبت الفنانة « بورشار سميكة » في جولاتها في الريف حيث كان أستاذها الدائم — ولا يزال — هو الطبيعة المصرية .

المعرض الأول

أقامت الفنانة معرضها الخاص الأول في شهر مارس عام ١٩٥٢ بقاعة « آدم » بشارع سليمان باشا (طلعت حرب حالياً) .. أقيم هذا المعرض في الفترة التي أعقبت حريق القاهرة وسبقت قيام ثورة يوليو .. أما موضوعات لوحاتها فكانت تدور حول ظروف المرأة المصرية الفقيرة المتدهورة اجتماعياً ، كما عرضت عدداً من اللوحات عن شهداء معارك الفدائيين عند قناة السويس ضد قوات الاحتلال الانجليزي ، ولقد عبرت بصدق عن حسها الوطني وأفكارها الثائرة عندما ترجمت نشاط المرأة المصرية الذي تزعمته الراحلة « سيزا نبراوي » عام ١٩٥١ عند تشكيلها اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية بعد إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية وبدء الكفاح المسلح في منطقة قناة السويس ضد القوات البريطانية .

كان أسلوبها في هذا المعرض تعبيرياً ، تتغاضى عن النسب الطبيعية وتقوم بتحوير العناصر من أجل تأكيد الجوانب التعبيرية وإبرازها .. الألوان قاتمة وضعت بانفعال ، ويسود اللوحات جو مشحون .. وقد كان الانسان هو العنصر الرئيسي في هذه الأعمال .

بعد المعرض عرضت عليها أسرتها السفر إلى باريس لدراسة الفن ، ورفضت هذا العرض لأنها خشيت أن يتبخر ما اكتسبته من « مصرية » بمجهودها الخاص استجابة لرغبتها في التعرف على جذور مجتمعها .. لقد أدركت أنها ستندمج في المجتمع الأوربي بسهولة وتنقطع الروابط التي وطدتها بأرض بلدها .

وتوالت معارضها بعد ذلك حتى بلغ عددها ٢٦ معرضاً للآن في مصر والخارج ..

وحصلت في عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ على جائزتين من معرض صالون القاهرة الذي تنظمه سنوياً جمعية محبي الفنون الجميلة في مصر .

ثم توفى زوجها عام ١٩٥٧ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره .. ان الفنانة عندما تذكره الآن تقول إنه كان إنساناً عظيماً ومتحرراً .. وبعد وفاته رفضت أن تتزوج مرة أخرى ، لأنها لم تجد الانسان الذي يقبل المرأة المتحررة كزوجة .. انه من الصعب أن تجد انساناً متقدماً فكرياً ويطبق أفكاره في الواقع الفعلي فيقبل أن يكون لزوجته عمل وفن تكرس له جل وقتها .

سنوات الحصار

في عام ١٩٥٩ نظمت الادارة العامة للفنون الجميلة والمتاحف بمصر : معرضاً لأعمالها ، سجلت في مقدمته كلمة كان قد كتبها الفنان المكسيكي الشهير « جوزيه الفاروسيكيروس » عندما زار مصر وشاهد لوحاتها عام ١٩٥٧ بعد أحداث العدوان الثلاثي على مصر .. ويقول « سيكيروس » في كلمته : « اتخذت انجى افلاطون الطريق إلى فن اجتماعي وواقعي في نفس الوقت ، ويبدأ من الاحساس العميق بالقومية ويتحرك بتصميم في المجالات الفنية مع الكائنات والحياة الكاملة للناس في بلدها .

ولطريقة رسمها خواص فنية جيدة سواء في الشكل أو اللون أو الملمس . وهي لا ينقصها شئ مما يقود الى الواقعية الحديثة : الواقعية الجديدة الأكثر بلاغة والأغنى من الواقعية القديمة ، الواقعية التي سارت نحو احتواء كل ما سبقها من أبحاث واكتشافات ، كما أنها حققت اكتشافات عظمى تشير إلى مستقبل هذا الاتجاه .. انها تسير بكل ما لديها من عاطفة فياضة وفردية نحو فن قومي ذي أصداء عالمية » .

وفي نفس العام حصلت على الجائزة الأولى في مسابقة لرسم المناظر الطبيعية .. وكانت أعمالها تعبر عن احتفالها بالانسان ، كما امتلأت لوحاتها بوجوه عمال المصانع والفلاحات والعاملات .

نشاطها الفني

وأقامت معرضاً جديداً لأعمالها عام ١٩٦٤ الذي قدمه الفنان « جان لورسا » (رائد فن السجاد المعاصر في فرنسا) .. ثم حصلت على منحة التفرغ للانتاج الفني من وزارة الثقافة المصرية عام ١٩٦٥ ولمدة عام كامل ، أقامت في نهايته معرضاً لانتاجها خلال التفرغ مع ثلاث من زملائها هم رمسيس يونان ومحمود موسى ومصطفى أحمد .

وحصلت على الجائزة الثانية في معرض أقيم في المجر عن الريف ، ولها لوحة في أحد المتاحف العالمية تمثل الأمومة في الريف . وفي مؤتمر السلام بهلسنكي التقت الفنانة بعدد كبير من رجال الفكر والأدب والفن أمثال « سارتر » و « اليا اهرنبرج » والشاعر الشيلي « بابلو نيرودا » .

والى جانب نشاطها هذا شاركت « انجى افلاطون » في كثير من المناسبات الفنية العربية ، فكانت ضمن الوفد المصري في مهرجان الواسطي بالعراق ، وشاركت في ملتقى الفنانين العرب بتونس عام ١٩٧٣ .

وأقامت في عام ١٩٦٧ معرضـاً في قاعة « لانيو فابيزا » ..في روما ، وقدم كتالوج المعرض الفنان الايطالى « ريناتوجو توزو » .. ثم أقامت في نفس السنة معرضاً آخر في جالاري الجامعة بباريس . وفي عام ١٩٧٠ أقامت معرضاً خاصاً لأعمالها في مدينة « درسدن » ثم برلين بالمانيا الشرقية ، ثم في وارسو عاصمة بولندا كما أقامت في عامي ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ معرضاً متجولاً أقيم في عدد من العواصم الأوربية . وفي عام ١٩٧٩ دعيت من مجلس الثقافة الهندي لاقامة معرض لأعمالها في نيودلهي . وفى عام ١٩٨١ عرضت أعمالها في أكاديمية الفنون الجميلة المصرية في روما .

أما المعارض الجماعية الدولية فقد شاركت في بينالي ساوباولو بالبرازيل عام ١٩٥٣ ، وبينالي فينسـيا مرتين عـامي ١٩٥٢ ، ١٩٦٨ وبينالي الاسكندرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ثم في صالون المستقلين بباريس عام ١٩٧٦ .

كما اشتركت عام ١٩٧١ في معرض الفن المصري المعاصر في باريس الذي أقيم في متحف « جاليرا » ، وكانت المشرفة الفنية على هذا المعرض . وكذلك في معرض الفن المصري المعاصر في بلجراد عام ١٩٧٤ . وساهمت عام ١٩٧٥ بمناسبة السنة الدولية للمرأة في تنظيم المعرض التاريخي الكبير الذي أقيم تحت اسم « عشر فنانات مصريات في نصف قرن » الذي أقيم بالقاهرة .

وفي عام ١٩٧٦ كانت ممثلة مصر فنياً والمشرفة على جناح الشرف للفنان المصري المعاصر الذي أقيم في الصالون رقم ٨٧ للمستقلين بباريس في قاعة القصر الكبير (جراند باليه) .

وقد منحتها الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٤ وسام الشرف بدرجة « فارس » .

وتنتشر أعمالها في العديد من المتاحف

إنجي أفلاطون

عاشقة الأشجار والضوء الأبيض

والمعارض الدائمة ، كما توجد نماذج من لوحاتها في متحف الفن الحديث بالقاهرة ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، وقاعة لانوفابييزا بروما ، ومتحف الفن الحديث في درسدن والمتحف الوطني في وارسو ، ومتحف الفنون الشرقية ، ومجلس النواب الايطالي .. كما تنتشر أعمالها في العديد من المجموعات الخاصة بمصر وفرنسا وايطاليا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وكندا ، وسويسرا ، والولايات المتحدة .

مميزات فنها

يتميز أسلوب الفنانة في الرسم بمعالجته لموضوعات مصرية لها حضورها الاجتماعي مثل العمل في الريف وحياة العمال وخاصة المرأة العاملة .. كان أسلوبها في البداية يميل إلى الرمزية مع الفطرية في تصوير الأشخاص .. ثم انتقلت إلى أسلوب ينتمي إلى المذهب « التأثيري » الذي يرى الأشياء من خلال الضوء الساقط عليها .. ضوء الشمس الأبيض الذي يتكون من ألوان الطيف السبعة .. ليس من بينها الأسود ، فالاسود هو الظلمة أو اللا لون ، والفنانة تؤكد حبها لكل الألوان التي تكون ضوء الشمس ، فهي ترسم الأشكال وهي مغتسلة بالضوء فتبدو بشكل بهيج ومتلألئ ، ألوان واضحة وغير ممتزجة ، كل ضربة فرشاه مستقلة عن الأخرى تسمح للهواء والضوء الأبيض أن يتخللها .. وتتولى عين المشاهد مهمة المزج بين هذه الضربات أو توصيلها بعضها ببعض لنتعرف على الخط غير المرسوم الذي يحدد النخلة أو الشجرة أو المرأة التي تعمل في الحقل بهمة ونشاط.. لقد استطاعت أن تستوعب وتطبق بمهارة وحساسية المفهوم العملي الذي اكتشفه « التأثريون » منذ مائة عام لحقائق اللون ، وسارت به خطوات إلى الأمام نحو أسلوبها الخاص الذي يمزج بين تنقيطية « بيسارو » وحيوية ضربات الفرشاة عند « فان جوخ » دون أن تنتمي اللوحات في النهاية لاحدهما ، وانما لانجى افلاطون .

ورغم أن الريف المصري والواحات والبحر الأحمر والمناطق المختلفة التي رسمتها ليست دائماً مغمورة بهذا الفيض من النور المبهج والألوان الشفافة ، التي نحسبها ـ في لوحاتها الزيتية ـ مرسومة بالألوان المائية ، بسبب أسلوبها الذي يحفظ شفافية الألوان .. إلا أننا نحب هذا الريف وهذه المناظر ونتعاطف معها .

وإن موضوع الفنانة الذي يشغلها هو تمجيد العمل وجهاد الفلاحين ، فهي تلتقط لحظة الفرح وقت الحصاد ، موسم الخوخ أو البرتقال أو الموز أو القطن أو اللوف أو الباذنجان ... عندما يجني الفلاحون ثمرة عملهم الطويل الصبور لكي تثمر الأرض وتخرج خيراتها . ونلاحظ أنها تواصل في الرسم طريق كفاحها في الجمعيات النسائية سواء بمصر أو كممثلة للمرأة المصرية في المحافل الدولية ، فتعطي البطولة الانسانية في لوحاتها للنساء العاملات ، لأنها لا تنسى أبداً جهادها من أجل تحرير المرأة حتى وهي ترسم البهجة في أيام الحصاد .



موسم الحصاد

لقد أحبت أعمال « فان جوخ » واعتبرته أستاذها الثاني بعد الفنان كامل التلمساني ، وتعلمت طريقته في تشكيل اللوحات باللمسات العنيفة الانفعالية وحركة عجينة اللون الدسمة غير المترددةوالتي تعبر عن الحركة والعنف .

وكما اتجه فان جوخ إلى الريف اتجهت هي أيضاً إلى الريف ، لكن فى مصر ، فى محاولة منها لاكتشاف أثر الضوء على العناصر من ناحية ،

الياباني في العلاقة بين مسطح اللوحة الأبيض والعناصر المرسومة عليه ونوعية الألوان التي تتلاءم مع هذا الاسلوب . وهي تحيط لمساتها بهوامش بيضاء تساعد على تألق الألوان واكسابها اشعاعاً فوسفورياً ينسينا ما يعتري الرسم من فطرية لاندري إن كانت عفوية أم متعمدة ..

قد لا تظهر ملامح الوجوه في لوحاتها ولكن حركة الأجسام تعبر عن الحياة ، وكأن العاملين ينشدون أغنية جماعية أو يتحركون وفق ايقاع موسيقي حماسي .. وقد رسمت الفدائيين المصريين ثم الفلسطينيين والمقاومة النسائية الشعبية ولكن بأسلوبها الذي يجعل من كل لوحة قطعة من النسيج المزخرف . وفي احدى مراحلها الفنية تخففت أعمالها من الزحام ، وسيطرت اللمسة اللونية على لوحاتها حتى نحس أن كل لمسة أو بقعة لونية قد وضعت بعد دراسة طويلة .

ولا تهتم الفنانة بالايحاء بالعمق ، انها تحترم سطح اللوحة ذا البعدين .. وفي آخر مراحلها الفنية عادت إلى تصوير الحقول المزدحمة ، فيبدو جامعو الثمار بين الاشجار كما لو كانوا هم الثمار ، يتحركون في كل اتجاه وكأنهم يتراقصون ويتمايلون بنشاط واجتهاد .

وقد وصف أحد كبار الفنانين أعمالها الأخيرة بقوله : « انها تعتبر سطح اللوحة الخام قبل أن تطمسه الفرشاة بحراً من الضوء الأبيض الشفيف .. وتعتبر لمساتها الفسيفسائية كأنها راقصات الباليه المائي تسبح فوقها ، فتبدو الخلفية البيضاء وكأنها نوافذ يتسلل منها الضوء ليتخلل اللمسات الراقصة المبهجة بزخرفتها السعيدة برشاقتها ، المزهوة بأناقتها ...

والضوء هو عنصر مرادف للمناخ الصحي ، والصحوة ، واليقظة ، والأمل والحرية .. ولذلك تكتسب لمساتها في رحابة نبضاً ايقاعياً راقصاً بهيجاً وباعثاً للتفاؤل ، حتى يمكننا أن نطلق على « انجى افلاطون » لقب « فنانة الأمل » .

بينما كانت رؤية الفنان الايطالي « ريناتو جوتوزو » مختلفة عن رؤية النقاد المصريين فهو يقول :

« إن أسلوبها يعتبر بدائياً طبقاً لاختيارها الخاص ، وهو يخلو من الطبيعية والتعبير العقلي ، أما الألوان بما فيها من خطوط قصيرة وضربات فرشاة موجزة سريعة ، فهى تبدو ككتابة رشيقة منظمة في نسيج غني بالحواشي والاقواس والدوائر وعلامات التشكيل ، ان الاتزان والتآلف النابض باعتبارهما من صفات حروف الهجاء العربية ، هما من الأمور التى لا تبدو غريبة عن هذا النسيج الذي كونته الألوان » .

صبحي الشاروني


صيادون


الفدائى

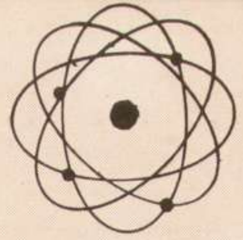

أحزان الجبل

وللتعبير عن حياة العمال الزراعيين والفلاحات من ناحية أخرى .

واتخذت لوحاتها شكل السجاد الشرقي الملون الكثير اللمسات وأصبح في لوحاتها تقابل بين الألوان الساخنة والباردة حتى تبدو في مجموعها أشبه بنوافذ الزجاج الملون المؤلف بالرصاص ، وكأنها أثواب مطرزة بالدرجات اللونية الساخنة والباردة .. في هذه اللوحات يشيع جو الفرح والسلام .

وفي أعمالها الأخيرة اهتمام واضح بعنصر الضوء ، حيث أصبحت الخلفية البيضاء تلعب دوراً أساسياً في العمل الفني .. ونحس البساطة والتلخيص للعناصر مع الرهافة البالغة . انها تستخدم التقابل بين الألوان مع ليونة اللمسات المتقطعة المتلوية والمعبرة عن الحركة .

إنها توحي في لوحاتها بأنها تغوص في أعماق الشكل ، والعناصر التي ترسمها تبدو كما لو كانت محفورة على سطح اللوحة . كما استفادت من الفن



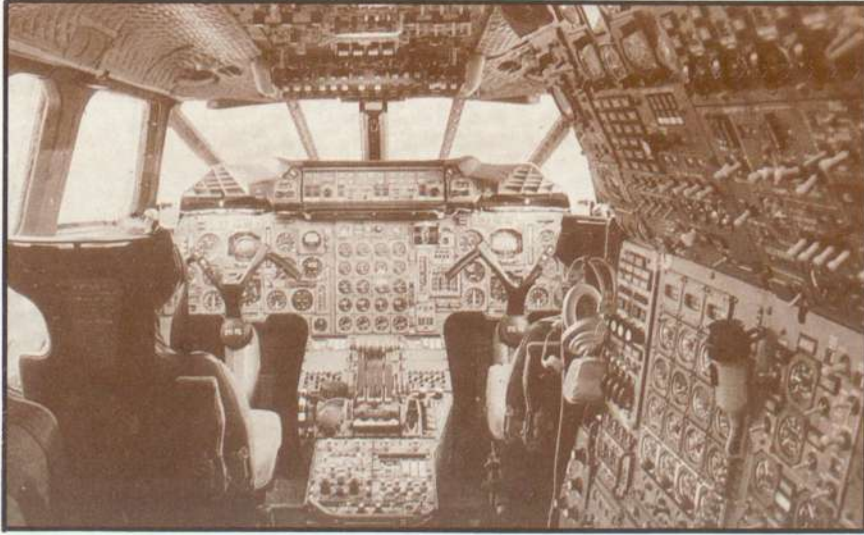
العلم هو المستقبل

عندما تتكلم الطائرة

أصبحت أجهزة الملاحة والتحكم والاتصال في الطائرات الحديثة متعددة ومعقدة التركيب ، مما جعل مهمة قائد الطائرة مهمة صعبة ، فكل حواسه في حالة استنفار مستمر ، وخاصة في الطائرات المقاتلة .

ولذلك فكر مهندسو الطيران في الاعتماد على آخر تطورات في مجال الدوائر الالكترونية ، والكمبيوتر لمساعدة الطيار في مهمته ، وذلك باستخدام دوائر تحليل وتوليف الصوت ، بحيث يستعيض قائد الطائرة بالأوامر الشفوية عن استخدام يديه أو بصره . فبدلاً من أن يقوم مثلاً بتغيير تردد جهاز الارسال أو الاستقبال يدوياً ينطق أمام الميكروفون بترددات الموجات التي يريدها .

كما يستطيع قائد الطائرة بواسطة هذا الميكروفون توجيه الاسئلة إلى الكمبيوتر عن الارتفاع الحالي للطائرة وسرعتها وكمية الوقود المتبقية الخ .. عندئذ تتولى دوائر توليف الصوت الاجابة شفوياً عليه ، ودون أن يضطر الطيار إلى تشتيت انتباهه والنظر إلى أجهزة القياس الموجودة في كابينة القيادة .وتستطيع هذه الدوائر التعرف على ٧٥ كلمة ، وهو عدد كاف جداً ، فالطيار لن يحتاج إلى أكثر من ثلاثين كلمة فقط .



كابينة قيادة احدى الطائرات الحديثة

ولقد أثبت هذا النظام عند تجربته على طائرة مقاتلة من طراز « ميراج ـ ٢٠٠٠ » أنه يوفر الكثير من الوقت والجهد بالنسبة للطيار . ومن المتوقع أن يمتد استخدام أجهزة التحكم الشفوية إلى الطائرات المدنية بعد نجاح تجربتها في الطائرات العسكرية .

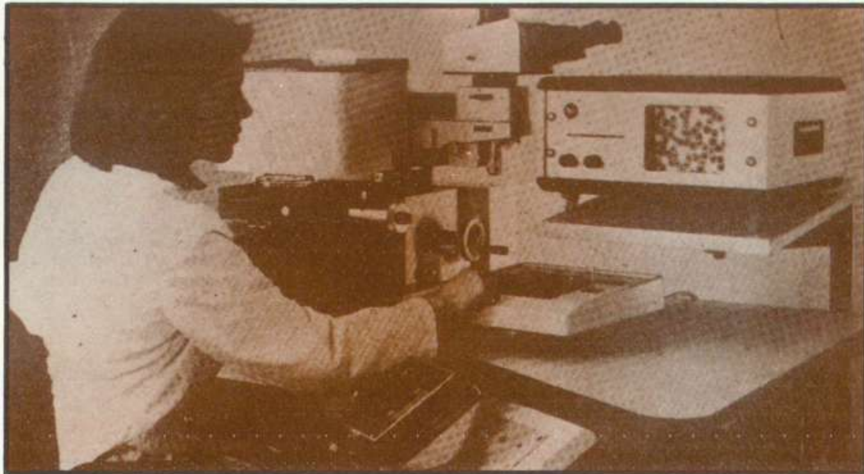
جيل جديد من المجاهر

تغزو الموجات فوق الصوتية مجالاً جديداً من مجالات البحث العلمي . فبعد أن حلت محل الأشعة السينية في فحص وتصوير الكثير من أجهزة الجسم الداخلية ، تمكن فريق من الباحثين الألمان من استخدامها بنجاح بدلاً من الأشعة الضوئية لفحص العينات المجهرية .

وبعد أبحاث دامت أربع سنوات ولد أول مجهر يستخدم تقنيات الموجات فوق الصوتية .

ويؤكد الباحثون أن المجهر الجديد يتميز بقوة تكبير أكبر من المجاهر التقليدية ، مما يسمح بفحص تكوينات متناهية الدقة ، فضلاً عن أن الموجات فوق الصوتية لاتسبب أي تلف للتكونات الميكروسكوبية التي يجرى فحصها .

ومن أهم مجالات استخدام هذا المجهر أبحاث المعادن والتركيب البللوري لأشباه الموصلات ، والأبحاث البيولوجية والطبية .



جيل جديد من المجاهر

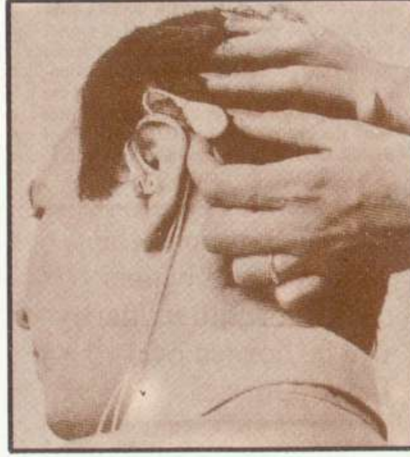
ويوفر هذا الجيل الجديد من المجاهر وقت الباحثين ، نظراً لسهولة استخدامه . فالعينات لا تحتاج إلى تحضير قبل فحصها كما في المجهر الضوئي أو المجهر الالكتروني .

الأذن الإلكترونية

تمكن الأطباء مؤخراً من اختراع جهاز الكتروني يزرع في الأذن الداخلية فيعيد للأصم حاسة السمع .

ويعتبر هذا الجهاز تطوراً جوهرياً للأجهزة المساعدة للصم ، والتي كانت قاصرة حتى الآن على تكبير الموجات الصوتية . فالجهاز الجديد يقوم بدور الخلايا الشعرية الموجودة داخل عظمة القوقعة ويحفز بالتالي ألياف العصب السمعي مباشرة .

ففي الأذن السليمة تنتقل الذبذبات الصوتية خلال العظمات السمعية إلى السائل التيهي الذي يملأ عظمة القوقعة ، وينقل هذا السائل الموجات الصوتية إلى خلايا شعرية متناهية الصغر موجودة داخل القوقعة . وتقوم هذه الخلايا بدورها بتحويل الذبذبات إلى اشارات كهربية ترسلها إلى عصب السمع . وعندما يحدث تلف لهذه الخلايا ، نتيجة حادث أو مرض ، يفقد المصاب القدرة على السمع .



الأذن الالكترونية

ولكن الأذن الالكترونية تستطيع اعادة حاسة السمع جزئياً إلى مثل هذا المصاب . وهي تتكون من ميكروفون في حجم ظفر اصبع يثبت في الأذن ، ويقوم بالتقاط الأصوات ونقلها بواسطة سلك إلى ميكروكمبيوتر صغير يضعه الأصم في جيبه . ودور الميكروكمبيوتر هو تعديل الاشارة الكهربية المعبرة عن الموجه الصوتية ، وإرسالها إلى جهاز ارسال صغير مثبت وراء الأذن . وعندئذ يقوم جهاز استقبال مغناطيسي مزروع تحت الجلد بالتقاط الاشارة من خلال الجلد وارسالها إلى قطب كهربي صغير مزروع داخل القوقعة . ويتولى هذا القطب تحفيز ألياف عصب السمع لينقل الاشارات إلى مركز السمع في المخ .

إلا أن هذه الأذن الالكترونية لا تمكن الأصم من التفرقة بين درجات الصوت ، لأنها تحفز القوقعة عند نقطة واحدة فقط ، ومن ثم فهو يستطيع سماع بوق سيارة ولكنه لا يمكنه تفسير الكلمات عند التحدث اليه . ولذلك يحاول الباحثون تزويد الميكروكمبيوتر بدوائر تستطيع فصل الترددات المختلفة للأصوات ، وارسالها على التوالي إلى القطب المزروع في الأذن الداخلية ، بحيث تقوم كل مجموعة من الألياف العصبية لعصب السمع بالتقاط مدى معين من الترددات ، وبالتالي يتمكن الأصم من التفرقة بين صوت الكمان والبيانو مثلا .

ومن ناحية أخرى تجرى تجارب على أذن الكترونية أكثر تطوراً ، تستخدم ثمانية أقطاب بدلاً من قطب واحد ، توزع على تلافيف عظمة القوقعة بحيث يستطيع الاصم التفرقة بين درجات الصوت المختلفة .

تصميم أول مدينة عائمة

وضع مهندس فرنسي تصميم أول مدينة عائمة تتسع لاقامة عشرة آلاف شخص . ويبلغ طول هذه الجزيرة الاصطناعية أربعة كيلومترات ، وتضم أكثر المعطيات التقنية تطوراً .

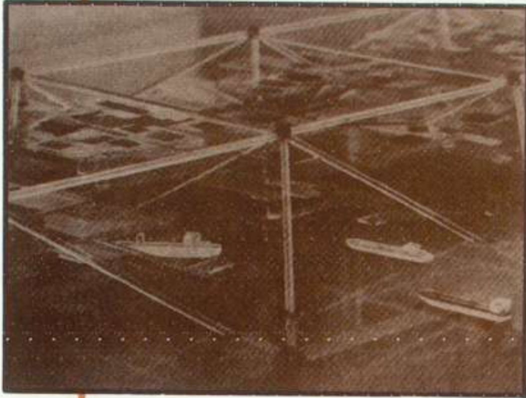
وتنقسم هذه المدينة إلى قسمين : قسم طاف فوق سطح البحر ، والقسم الآخر مغمور تحت الماء على عمق ٣٥٠ متراً . وتتكون أساساتها من ثمانية أهرامات مزدوجة مقلوبة ، صنعت من ألياف الكربون . وعلى قاعدة هذه الاهرامات تقام جميع المنشآت ، وأغلبها من البلاستيك الصلب الشفاف .

والهدف من إقامة هذه المدينة هو الاستغلال الأمثل للثروات البحرية من ثروات معدنية وبترولية وسمكية ... الخ . ويتركز جزء كبير من نشاط هذه المدينة تحت سطح البحر ، حيث توجد ورش العمل الواقعة داخل الاهرامات . ويقوم العمال في هذه الورش باستخراج المعادن من حديد ومنجنيز ، ومراقبة مزارع الاسماك والطحالب ، كما يقوم فريق من الربوت بالتنقيب عن البترول تحت اشراف فنيين موجودين في كبائن مراقبة مغمورة تحت الماء .

ويتم نقل المعادن المستخرجة من القاع اتوماتيكياً إلى المستوى الأول من المدينة العائمة حيث المنطقة الصناعية ، وفيها يتم معالجة الخام والمنتجات البحرية المختلفة وتحلية مياه البحر ، كما تتركز أهم عمليات انتاج الطاقة . وتتميز هذه المدينة باكتفاء ذاتي فيما يتعلق بالطاقة مستغلة لذلك الطاقة الناتجة عن حركة الأمواج وعن التيارات المائية الساخنة .

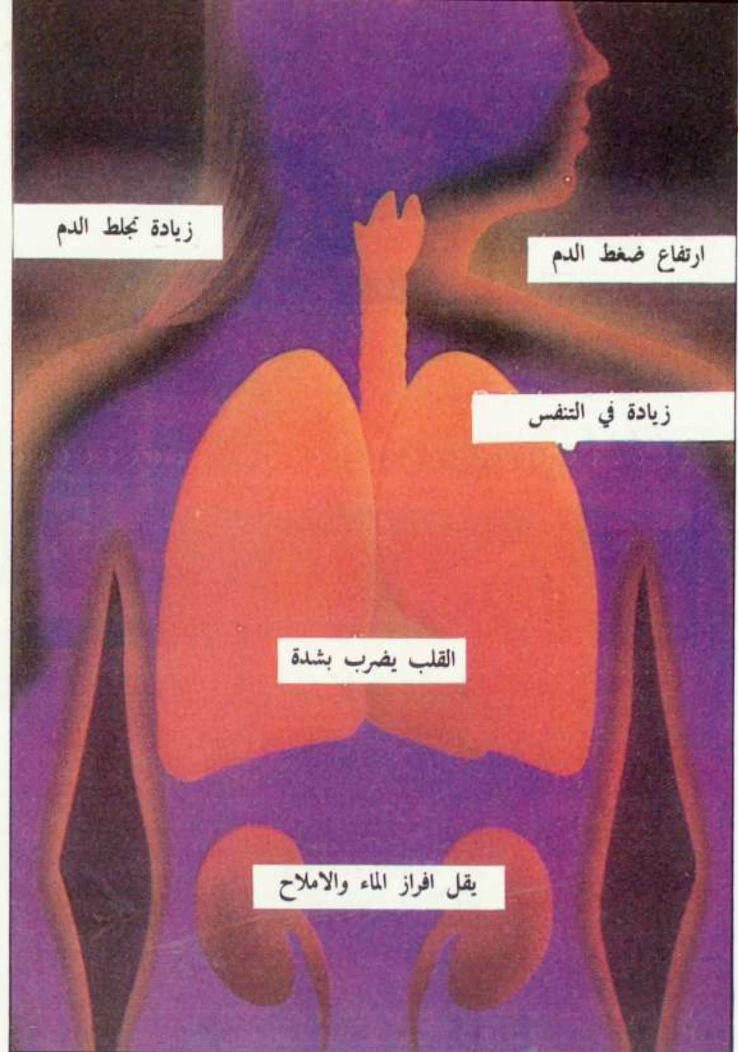
ويضم هذا القطاع من المدينة ثلاثة آلاف شخص ، يستخدمون للانتقال الرأسي مصاعد وأرصفة متحركة ، أما الانتقال الأفقي فيتم بواسطة حافلات هوائية .

ويوجد أعلى المنطقة الصناعية قطاع الادارة والأعمال حيث تتجمع كل المكاتب وقاعة تجارية ضخمة ، ودار سينما ومسرح ، فضلاً عن جامعة متخصصة في دراسة البيئة البحرية .



« ماكيت » المدينة العائمة

أما المساكن فتتجمع في شكل قرى صغيرة معلقة في قمم الاهرامات ، تضم كل قرية ٣٠٠ شخص ، وصنعت بيوتها من هياكل بلاستيكية مثبت فيها قطع الأثاث وتتوفر في هذه المنازل كل أسباب الراحة والتسلية بحيث لا يشعر سكان هذه المدينة العائمة بأي نقص أو ملل .



ميكانيكية حدوث الأمراض النفسية الجسمانية



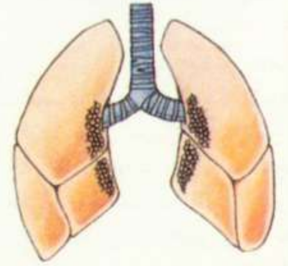
كثيراً ما يتعرض بعض الأطفال للإصابة بالأمراض النفسية الجسمانية

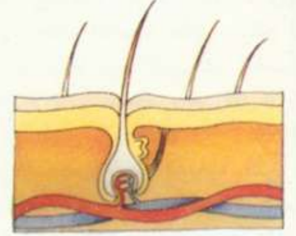
الداء في المعدة والقولون والرئة .. والسبب نفسي !

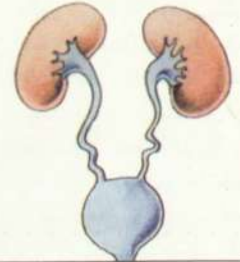
بقلم : الدكتور سامي عزيز

- الحرمان من الحب والعطف والحنان قد ينتهي بقرحة في المعدة !
- النزوع إلى العدوانية والثورة والتذمر في العمل وتجنب المسئولية يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم !









هذه هى أهم الأمراض النفسية الجسمانية

• هل للحالة النفسية للانسان تأثير على أجهزة جسمه ؟

• ما هى الأمراض السيكوسوماتية ؟

• وما هو تأثير الانفعال الذى كثيراً ما نتعرض له فى وسط معركة الحياة على أعضاء بدننا الداخلية ؟

• هل تتأثر المعدة وشرايين القلب والقولون والشعب الهوائية بالحالة النفسية التى نمر بها ؟

منذ أقدم العصور أدرك الانسان العلاقة بين النفس والجسم .فقدماء المصريين لم يفصلوا بين المرض الجسمي والمرض النفسي ، بل نظروا الى المريض نظرة شمولية . كذلك كانت نظرة علماء بابل وآشور . كما أن أبوقراط أكد على وجود علاقة بين مرض الجسد ومرض الروح . وعرف الطبيب العربي الأمراض النفسية الجسمية (السيكوسوماتية) ووصفها . يقول الطبيب ابن العباس المجوسي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م في كتابه « كامل الصناعة الطبية » الجزء الثاني ص ١٨ : « فأما الأمراض النفسانية فانه قد ينبغي ألا يدمن الانسان على الغم ولا يستعمل الغضب ولا يكثر من الهم والفكر ولا يستعمل الحسد فان ذلك كله مما يغير مزاج البدن ويعين على إنهاكه وضعف الحرارة الغريزية . ومن كان مزاجه حاداً فان هذه الأعراض تولد الحميات الرديئة بمنزلة حمى الدق وقرحة السل وما يجري هذا المجرى . فلذلك قد ينبغي أن يتجنب الانسان الأعراض النفسانية كلها وأن يلهم نفسه الفرح والسرور فانه يقوي الحرارة الغريزية ويحركها الى ظاهر البدن ويزيد في النشاط ويقوي النفس » .

ومن أنواع حمى الدق التي يذكرها ابن العباس حمى الذبول المؤدية الى هزال الجسم ، ومن أسبابها « الهم والغم والغضب والتعب والسهر وعدم الطعام والشراب لا سيما إن اتفق ذلك في سن الفتوة والشباب » . وهذه الحمى عسرة البرء (الجزء الأول ص ٣٠٤)

وكلمة سيكوسوماتية تعني الأمراض المرتبطة بالحالة النفسية للمريض . وقد يلعب العامل النفسي دوراً خطيراً في نشأة هذه الأمراض أو تكرار الاصابة بها .

وأهم ما يميز الأمراض السيكوسوماتية :

(١) وجود إرتباط بين عودة أعراض المرض وسوء الحالة النفسية للمريض ، والحالة النفسية ترتبط أيضاً بطول النوبة المرضية وشدتها .

(٢) نسبة حدوث هذه الأمراض تختلف باختلاف النوع (الجنس) :
ا ـ فالأزمة الربوية مثلا أكثر انتشاراً في الأولاد عن البنات قبل سن البلوغ ولكن بعد هذه السن تكون نسبة حدوثها في الاناث أكثر منها في الذكور .
ب ـ الأرتيكاريا المزمنة وزيادة إفراز الغدة الدرقية أكثر انتشاراً في الإناث .
ج ـ قرحة المعدة ، أمراض الشرايين التاجية ، إرتفاع ضغط الدم ، أكثر انتشاراً في الذكور .

(٣) غالباً ما تظهر هذه الأمراض بطريقة دورية على مدار السنة .

(٤) كثيرا ما يكون هناك جانب وراثي وراء هذه الأمراض ، وغالباً ما يصاب أكثر من فرد من نفس الأسرة بنفس المرض أو بمرض آخر من الأمراض النفسية الجسمية .

الأمراض السيكوسوماتية المعروفة لنا :

بلغ عدد الأمراض السيكوسوماتية المعروفة لنا الى الآن أكثر من ٣٠٠ مرض ، ونكتفي هنا بذكر أهمها وأكثرها انتشاراً :

١ ـ اضطرابات الجهاز التنفسي :
ا ـ الربو الشعبي .
ب ـ حساسية الأنف .
٢ ـ اضطرابات الجهاز الهضمي مثل :
ا ـ قرحة المعدة
ب ـ الشره أو فقدان الشهية للطعام
ج ـ اضطرابات القولون ـ القولون الحائر أو القولون العصبي .
د ـ بعض حالات الامساك والاسهال .
٣ ـ اضطرابات الجلد مثل الأرتيكاريا والحساسية .
٤ ـ اضطرابات الجهاز العضلي والمفاصل :
ا ـ الروماتويد المفصلي .
ب ـ بعض أمراض الأنسجة الضامة .
٥ ـ اضطرابات الغدد الصماء مثل :
ا ـ زيادة افراز الغدة الدرقية
ب ـ مرض البول السكري .
٦ ـ اضطرابات الجهاز الدوري والقلب :
ا ـ ارتفاع ضغط الدم .
ب ـ أمراض الشرايين التاجية .

الداء في المعدة والقولون والرئة .. والسبب نفسي!

ج ـ اضطرابات الدورة الدموية للمخ
د ـ الصداع النصفي .
٧ ـ اضطرابات الجهاز التناسلي مثل :
أ ـ اضطرابات الدورة الشهرية
ب ـ التوقف المفاجئ للدورة الشهرية .

هل للإنفعال فوائد ؟

الانفعالات المعتدلة فيها بعض الفوائد أهمها :
١ ـ الإنفعالات المعتدلة تصاحبها شحنات وجدانية تزيد من تحمل الشخص وتجدد من دوافعه ورغباته وتدفعه الى مواصلة العمل وتحقيق أهدافه .
٢ ـ كما أن لها جانباً اجتماعياً إذ أنها تزيد من إرتباط الاشخاص بعضهم ببعض .
٣ ـ الإنفعالات المعتدلة تدخل السرور وتزيل الملل .
٤ ـ لا شك أن الانفعالات تنبه الجهاز العصبي اللاإرادي والجهاز الغدي مما يزيد من مقاومة الشخص .

ولكن رغم هذه الفوائد ، هناك العديد من الأضرار التي تنشأ مع الانفعال وأهم هذه الأضرار :
١ ـ يؤثر الانفعال على التفكير ، فيجعله بطيئاً ، وصعباً كما هو الحال في الحزن والإكتئاب .
٢ ـ يقلل من قدرة الشخص على النقد كما أن تصرفاته تصبح عشوائية مشوهة .
٣ ـ يساعد الانفعال على تفكك الأفكار فتتغلب المعلومات الغريزية على التفكير والسلوك مما يؤدي الى سلوك اجتماعي غير مهذب
٤ ـ ضعف الذاكرة خاصة أثناء الإنفعال .
٥ ـ اذا تبلد الانفعال كما في حالات الانفصام ، يكون المريض عرضة للإتيان بأي جريمة أو انحراف شاذ .
٦ ـ اذا توالت الانفعالات بشكل مستمر دون أن تنتهي المواقف الى نهاية سوية ، تنشأ تغيرات فسيولوجية وينتهي الأمر بتغيرات عضوية في الأنسجة مما يؤدي الى الأمراض النفسية الجسمية أو السيكوسوماتية التي سبق ذكرها .

كيف تحدث الأمراض السيكوسوماتية ؟

من أهم العوامل التي تؤدي الى الأمراض السيكوسوماتية :

١ ـ الحرمان من الحب والعطف والحنان مع رغبة المريض الملحة في الحصول عليها ، وغالباً ما يستجيب الشخص للحرمان الذي يعانيه بالصمت والطموح الزائد ومضاعفة الكدح والتظاهر بعدم المبالاة ، وبذل الحب والعطف للغير ، وهذه الحالات الانفعالية كثيراً ما نراها في الاشخاص المصابين بقرحات المعدة .
٢ ـ النزعة الى العدوانية والثورة والتذمر في العمل وتجنب المسئولية كما في حالات ارتفاع ضغط الدم .
٣ ـ الخوف من فقد الزوجة أو الأم ، أو الفشل في الحب أو في الزواج أو في العمل ، إذ أن عدم النضج الانفعالي والتعلق الشديد بمن يحبهم يؤدي الى ظهور الأمراض السيكوسوماتية كما في حالات الربو الشعبي .

ميكانيكية حدوث الأمراض السيكوسوماتية

"تصاحب الإنفعال تغيرات في الجهاز العصبي اللاإرادي ، لذلك يزيد نشاط الجهاز العصبي السيمبثاوي في حالات القلق والخوف . وينتج عن ذلك زيادة ضربات القلب والتنفس وارتفاع ضغط الدم واتساع حدقة العين إرتفاع نسبة السكر في الدم . ويساعد على ظهور هذه الأعراض زيادة نشاط الغدة فوق الكلوية وإفرازها لهرمون الأدرينالين في الدم . ولكن قد يصاحب الانفعال زيادة في نشاط الجهاز البارسيمبثاوي ، فتقل ضربات القلب والتنفس ، وتزيد الرغبة الملحة في التبول وغير ذلك . والإنفعالات عموماً تؤثر على أعضاء الجسم المختلفة . فالمعدة مثلا تزيد كمية الدم الواردة اليها وتنتفخ الأغشية الداخلية المبطنة لجدارها ، وتنقبض عضلاتها بقوة ، وترتفع نسبة إفراز حمض الهيدروكلوريك بها .

أما القلب فيضرب بشدة وترتفع كمية الدم التي يضخها في الدقيقة ، وتنقبض الشرايين الطرفية للجسم ، ويصاحب ذلك إرتفاع ضغط الدم . ويؤثر الانفعال على الكليتين إذ يقل إفراز الماء والأملاح من الجسم مع التوتر . كما وجد حديثاً أن هناك علاقة بين سرعة تجلط الدم والانفعال . فالاجهاد النفسي يزيد من كثافة الدم مما يزيد من قدرته على التجلط أكثر من الطبيعي ، وهذا يفسر لنا العلاقة بين القلق النفسي الشديد وأمراض الشرايين التاجية واصابتها بجلطة أو احتشاء قلبي .

وتجدر الاشارة أيضاً الى أن الانفعال يمتد أثره الى الغدد الصماء ، وخاصة الغدة فوق الكلوية ، فترتفع نسبة الأدرينالين في الدم ، ويترتب على ذلك العديد من التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعال . كما يؤثر الانفعال على الجهاز العضلي اللا ارادي وعلى الجهاز العصبي ومراكزه المختلفة ، وخاصة الهيبوثلاموس والجهاز الطرفي والفص الجبهي للمخ .

قد تصيب الأطفال أيضاً ...

العجيب أن الأطفال أيضاً عرضة للاصابة بالأمراض السيكوسوماتية ، وأهم هذه الأمراض الربو الشعبي الذي يعتبر من أكثرها انتشاراً في الأطفال ، ويليه اكزيما الجلد والتهاب القولون التقرحي ، وحتى قرحة المعدة من الممكن حدوثها في الأطفال ـ وهذه الأمراض تظهر في الأطفال بصورة مزمنة ، ويتوقف ظهورها وعودة الأعراض واشتدادها على الحالة النفسية للطفل . ولكن من الصعب تحديد منشأ هذه التغيرات النفسية . بمعنى آخر هل الاضطراب النفسي ظهر قبل المرض العضوي أم أنه ظهر نتيجة له ؟

ومن أهم الأمراض السيكوسوماتية التي تم تحديد معالمها حديثاً وأهتمت بها المجلات الطبية المختصة بطب الأطفال في السنوات القليلة الماضية .. مرض يظهر على هيئة مغص متكرر مع قيئ وألم شديد في البطن في المنطقة المحيطة بالسرة ، وشعور بالغثيان ، ورفض الطعام ، وصداع ، وفقدان الوزن وربما إرتفاع بسيط في درجة الحرارة ، والأعراض تتكرر بصورة دورية ... كل اسبوعين أو مرة كل شهر . ولكن غالباً ما تظهر بعد اضطراب عاطفي .. قسوة من الوالدين .. أهمال .. شعور بعدم الحب .. إحباط في المدرسة .. فشل في الدراسة وغيرها من العوامل النفسية التي تدفع بالأمراض الى التكرر والظهور . وهنا لا يستجيب الطفل لأي دواء .. وتستمر متاعبه . ولذلك يبدأ التفكير في احتمال أن تكون هذه الأعراض علامة على وجود متاعب نفسية عند الطفل .

كلمة أخيرة ...

أشارت الأبحاث التي أجريت أخيراً الى أن أكثر من ٤٠ بالمائة من حالات الأمراض الباطنية لا يعانون من مرض عضوي بل من أمراض سيكوسوماتية ، وهم لا يعبرون عن قلقهم بصراحة . والأمراض السيكوسوماتية تكثر مع الحروب ومع التغيرات الاجتماعية المفاجئة .. وقد وجد أن الطبقة الوسطى أكثر عرضة للأمراض السيكوسوماتية عن غيرها من الطبقات نظراً لزيادة أعبائها وما تستلزمه من كفاح لمسايرة الحياة . وتشير الأبحاث الى أن الاشخاص الانطوائيين أكثر عرضة للاصابة بالأمراض السيكوسوماتية عن الأشخاص الاجتماعيين .

وعلاج هذه الأمراض لن يتم بالعقاقير المخفضة للضغط أو الموسعة للشعب الهوائية أو مضادات الحموضة وحدها .. ولكن بمزيد من الحب العطف والحنان ورفع المعاناة النفسية وتأمين السلام والفرح الداخلي لكل مريض .

سامي عزيز

النقيض

شعر: محمد الظاهر

أمشي واقتربُ
والأرضُ تغتربُ

فالأرضُ عصفورةٌ طليقةٌ ، وأنا شهادةُ الموتِ ، أوْ حُمّى الصّراعِ ، إذا مرّتْ على جُثّتي أشْرَعَتْ قنْطرةً ، مِنْ أُرْجُوانِ المدى ، مِنْ لَحْمِ مَنْ صُلِبُوا

ضجَّ الغموضُ ، فقلتُ الآنَ ذاكرتي ، خَرِيطَةُ الرَّفْضِ ، أوْ نَقْضٌ لما يجبُ

لا ، ليسَ مِنْ مِلّتي التّهويشُ وَالْغضَبُ
وليسَ في جَعْبَتي الثّوريُّ والبَطَــــلُ

إني اخْتطَفْتُ سؤالي مِنْ مخاطَبتي ، هذا الهديرَ ، وَمِنْ أسرارِ ملحمتي أنّي إذا راوَحَتْ في مِعْطَفي سُلْطَةٌ رَسْمِيّةٌ ، أكْتوي مِنْها وَأشْتَعِلُ

وَأظَلُّ أرْتَحِلُ
وَأظَلُّ أتّصِلُ
بشارعٍ حاقدٍ ، أوْ ظِلِّ عاصمةٍ تَحْبو وَتَحْتَجِبُ

تغتالُني الدّوَلُ

أوْ تَشْتَهي جثّتي الأعرابُ مُذْ دَخَلَتْ حُمّى التّحوّلِ وَالتّغْيِيرِ كُلَّ دَمٍ آخى دَمي وَاسْتَشاطَ الْقَوْمُ وَانْفَعَلوا

أمشي إلى دَمِهِمْ
أمشي ولا أصلُ
وَأظَلُّ أتّصِلُ

لكنّني مُذْ بَلَغْتُ الحُلْمَ ، صارَ دَمي إشارةَ الحَرْبِ ، ها لُغَتي ، أصابعٌ وَدَليلٌ ، كلّما نفَرَتْ ، تقابَلَ الحُلْمُ وَالتّجْسيدُ ، وَاكْتَمَلَتْ إضاءَةُ الرّوحِ وَامْتَدّتْ لها السُّبُلُ
فَلْيَدْخُلِ البحرُ في ظِلّي وَيَحْتَجِبُ

وَلْيخرجِ النّهرُ مِنْ قُدّاسِ أسْلِحَتي ، طقساً مِنَ السّحرِ ، شرياناً وَأوْرِدَةً ، يُعطي الملامحَ للتاريخِ إنَّ لَهُ ، في سُرّةِ الأرضِ ميثاقاً ، ولي سببُ

وَأظَلُّ أقْتَرِبُ
وَالأرْضُ تَغْتَرِبُ
وَأظَلُّ أتّصِلُ
أمشي إلى دَمِهِمْ
أمشي وَأتّصِلُ
أمشي ولا أصِلُ ○

هذا التناقضُ إلْحاحي فهل عَجَبٌ
أنــي أُعقْلِنُ ما يَهذى بِهِ العَرَبُ



لقطات مختلفة من الفيلم الأرجنتيني « قصة رسمية » ، تصور أولاها فى أعلى اليمين سعادة الزوج بابنته بالتبنى ، ثم زوجته مدرسة التاريخ بين طلبتها ، وفرحتها بعودة صديقتها ، تتوسط ذلك لقطة تصور بداية احساس الزوجة بالارتباك بعد أن روت لها صديقتها تجربتها الأليمة مع الاستجواب والتعذيب .. والكابوس الذى يجثم على وجدان الناس .. ويطل من عيني هذه الطفلة المفقودة

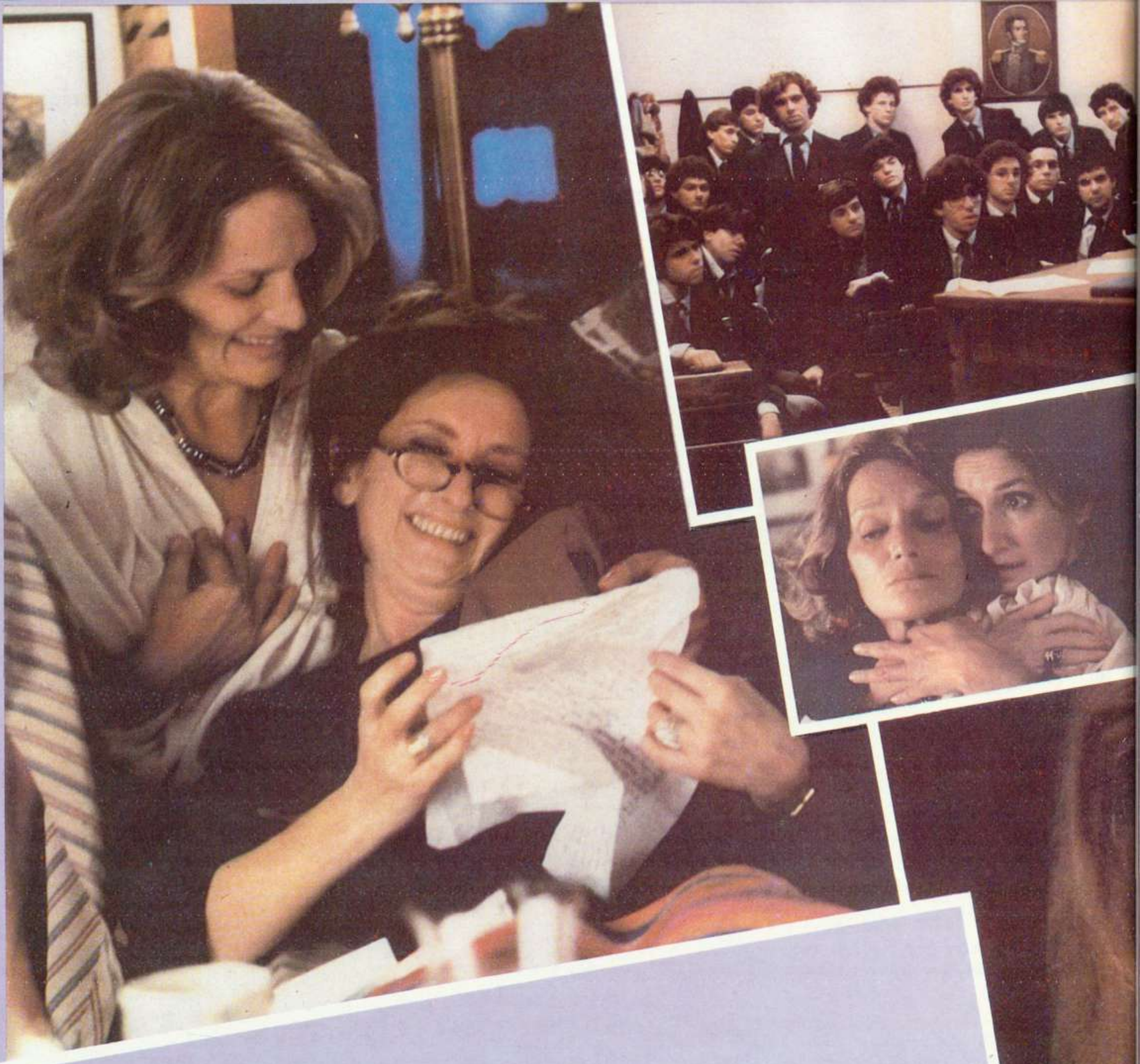
سينما



مهرجان "كان" في مواجهة

الإرهاب

بقلم : رؤوف توفيق



كثيرة هى الأخبار التى رددتها وكالات الأنباء وشاشات التليفزيون ، عن القلاقل السياسية فى أمريكا اللاتينية ، عبر السنوات الماضية وحتى الآن ..

ربما يتذكر المرء بعضاً من هذه الأخبار .. وربما تاهت منه وسط زحام أحداث العالم التى تتوالد وتتراكم فى كل لحظة .

ولكن ميزة السينما .. أنها تجسد ــ اذا أرادت ــ هذه الأحداث ، لتبعث فيها الحياة ، ولتصبح رسالة إلى ضمير العالم .. حتى لا ينسى .. وحتى ينتبه ، ألا يتكرر ما حدث فى مكان آخر . !

تقوم السينما هنا .. بدورها الحقيقى كفن شامل .. يجمع بين سخونة الواقع ، وخيال الكاتب ، ومهارة المخرج فى التعبير بالصورة وبكل المؤثرات الفنية .. ليصبح الفيلم ، وثيقة باقية ، يفوق تأثيرها عشرات الأخبار والتعليقات المكتوبة أو المنطوقة !

وسينما أمريكا اللاتينية ، كان لها حضور قوى فى مهرجان « كان » السينمائي لهذا العام .. ففى المسابقة الرسمية للمهرجان عرض فيلمان .. أحدهما من الأرجنتين « قصة رسمية » .. والثانى من البرازيل اسمه « قبلة المرأة العنكبوت » ..

مهرجان "كان" في مواجهة الإرهاب



« ويليام هيرت » الذى فاز بجائزة أحسن ممثل عن دوره فى فيلم « قبلة المرأة العنكبوت » الذى شاركت به البرازيل فى المهرجان .



الممثلة الأرجنتينية « نورمـا اليندرو » فى دور الزوجـة الذى حصلت به على جائزة أحسن ممثلة

والفيلمان يتعرضان لموقف الانسان فى مواجهة الارهاب السياسى .

والمثير تماماً .. أن كلا الفيلمين قد فازا بجوائز التمثيل فى المهرجان .

جائزة أحسن ممثلة .. ذهبت إلى الممثلة الأرجنتينية « نورما أليندرو » عن دورها فى فيلم « قصة رسمية » .. وقد حصلت على الجائزة مناصفة مع الممثلة الأمريكية « شير » بطلة فيلم « قناع » !

أما جائزة أحسن ممثل فقد استحقها الممثل الأمريكى « ويليام هيرت » عن دوره فى الفيلم البرازيلى « قبلة المرأة العنكبوت » .

واستقبلت هذه الجوائز بترحيب شديد .. وبدون أدنى اعتراض من النقاد أو الجمهور .. وهذا شيء نادر فى جوائز المهرجانات عموماً . !

ولم يكن هناك تبرير لهذا « الرضا » .. سوى أن هذين الفيلمين .. كانا على أعلى مستوى فنى متميز .. شكلا ومضموناً ! .

ونتوقف هنا بالعرض والتحليل للفيلم الارجنتينى لما له من أهمية خاصة .

• الأرجنتين .. والتاريخ الرسمى !

الفيلم الأرجنتينى « قصة رسمية » يحكى عن تلك المرأة من الطبقة المتوسطة ، والتى تعيش حياة مستقرة مع زوجها الموظف الحكومى ، وابنتها بالتبنى ذات الأعوام الخمسة .

الشكل الخارجى يعلن أنه بيت سعيد .. توافرت له كل أسباب الانسجام والترابط .. فالمرأة تعمل كمدرسة تاريخ فى مدرسة ثانوية خاصة ..

ومن الواضح أن لها شخصية محبوبة .. قيادية .. تعرف كيف تفرض وجودها واحترامها فى فصل يمتلىء بالشبان المراهقين تحت ملامح وجوههم يبدو الفضول ، والعنف .. واللامبالاة أحياناً .. والتمرد والرفض أحياناً أخرى ..

ولكنها دائماً قادرة على السيطرة ممسكة بكتب التاريخ المدرسية .. مؤمنة تماماً أن سطور الكتب هى كل الحقيقة .. وأن التاريخ مادة لا تقبل الجدل أو الشك .. ذلك لأن الوقائع التاريخية ــ على حد تعبيرها ــ سجلها المؤرخون بمنطق حيادى .. ومن هنا علينا أن نتعامل مع التاريخ على أنه ذاكرة الانسان لفهم العالم .

وهى تعيش هذا الاقتناع الكامل بأنها تعرف الحقيقة .. سواء من خلال زوجها ، الموظف « الرسمى » .. أو من كتب التاريخ المطبوعة « رسمياً » .

وهى تتوقع من طلبتها أن يكونوا مثلها .. وأن يغنوا النشيد القومى صباح كل يوم .. بنبرة عالية ، وبنفس الحماس والغيرة الوطنية مثلها .. !

ولكن .. فى بلد تعيش الاضطرابات السياسية ــ مثل الأرجنتين ــ تصبح وجهة النظر « الرسمية » للدولة .. دائماً عكس الحقيقة الواقعة ! !

وتدريجياً تكتشف تلك المرأة مدى الوهم والزيف الذى تعيشه ..

• اعترافات صديقة !

يحدث الاكتشاف من خلال ثلاثة أحداث جوهرية ..

عودة صديقتها بعد غياب طويل خارج البلاد .. تستقبلها فى بيتها .. تحتفل بها .. تضمهما جلسة طويلة وحميمة من الذكريات .

نامت الطفلة فى سريرها .. ونام الزوج مفتوح العينين ، وعلى وجهه ملامح الضيق من وجود تلك الصديقة فى البيت ..

والصديقة تسترسل فى ذكرياتها .. تحكى للزوجة عن الأيام العصيبة التى عاشتها قبل أن تضطر للفرار من البلاد .. كيف قبضوا عليها .. وتفننوا فى تعذيبها ، لكى تعترف على حبيبها .. كانوا يريدون معرفة أسماء الأشخاص الذين يتعاون معهم .. ولما لم تستجب لهم .. ضاعفوا من تعذيبها .. وحاول أحد رجال الشرطة الضغط عليها لإذلالها ! .

تحكى وصوتها يرتعش بالمرارة والغضب .. كيف كانت فى زنزانتها تسمع نشيج البكاء يحوم حولها ، يمزق صمت الليل الطويل والكئيب .. دون أن تعرف من أى مكان فى السجن يأتى صوت البكاء هذا .. وكأن السجن كله يبكى !

تحكى عن حالات اجهاض النساء الحوامل فى السجن .. حالات الولادة فى هذا المكان الضيق القذر .. واختطاف الأطفال الرضع .. وفجيعة الأمهات عندما يكتشفن ضياع أطفالهن !

وتنتفض الزوجة فى ذعر .. وتقاطع صديقتها .. وتسألها بحدة :

ــ لماذا تقولين لى كل هذا .. ؟

وتفاجأ الصديقة برد الفعل .. وترد بهدوء :

ــ إننى لأول مرة أحكى عما حدث .. وكنت أتصور أنك من الممكن أن تسمعينى ..

وتغالب الزوجة دموعها وارتباكها .. وهى تشيح بوجهها كأنما تريد أن تتخلص من كابوس



صرخت الطفلة فى فزع من لعبة الأطفال بالمدافع الرشاشة . وجاءت الأم لتهدئ من روعها .. وأغمضت الأم عينيها لتهرب من تساؤل مرير : هل عاشت الطفلة هذه اللحظة من قبل ؟

ثقيل . وتتمتم :

ــ هذا غير محتمل .. اننى أشعر بالذنب ..

وتستأذن الصديقة منصرفة .. وهى تحاول أن تهدىء من انفعالات الزوجة .. تربت عليها فى حنان .. وتعتذر لاجهادها بهذا الحديث .. وتخرج .

وتبقى الزوجة فى مكانها .. فاقدة القدرة على الحركة .. وكأن ما سمعته قد زلزل كيانها .. ولكنها صدمة الحقيقة !

وكان هذا اللقاء .. هو أول اكتشافاتها الشخصية لما يحدث حولها ..

• فزع الطفلة !

ويأتى الاكتشاف الثانى .. فى الحفلة التى أقامتها ببيتها بمناسبة عيد ميلاد ابنتها الصغيرة .. تتجمع فى البيت مجموعة من أطفال الأصدقاء والجيران .. ويشترك الأطفال فى اطفاء الشموع الخمس .. وفى اللعب والمرح ..

وفجأة تتسلل الابنة الصغيرة الى غرفتها .. وتغلق الباب وراءها .. وتمسك بعروستها تغنى لها .. وتهدهدها .. وتضمها على سريرها وتغطيها وتمسح على شعرها .. كأنما تدعوها للنوم .. وفى هذه اللحظة من الهدوء والسكينة .. تنفتح أبواب الغرفة بقوة ليظهر الأطفال ممسكين بألعابهم من المدافع الرشاشة والمسدسات .. وهم يصوبونها ناحيتها ويصرخون فى وجهها أن تستسلم لهم !

انها مجرد لعبة من ألعابهم .. ولكن الابنة الصغيرة لم تحتمل المفاجأة فأطلقت صرخة فزع رنت فى البيت كله .. وانتفض جسدها الصغير ببكاء هستيرى .. ويهرع اليها الأب والأم ..

الأب ينهر الأطفال عن هذه الألعاب السخيفة .. ويصرفهم من البيت .. أما الأم فقد أخذت طفلتها بين أحضانها .. تهدىء من روعها ، تمسح دموعها ، تقبلها فى حب وحنان ، تربت عليها حتى استسلمت الطفلة للنوم ..

فى هذه الليلة لم تنم الأم .. ظلت بجوار طفلتها مفتوحة العينين وقامت لتفتح أحد الأدراج لتخرج ملابس قديمة لطفلة فى عمر عامين .. وظلت تقلب هذه الملابس .. وهى تغالب دموعها ..

فى هذه الليلة .. هاجت المشاعر والتساؤلات حول طفلتها .

انها طفلة بالتبنى .. حصلت عليها عندما كان عمرها عامين .. وهذه هى الملابس التى كانت ترتديها .. ولكن من تكون أمها الحقيقية ؟ .. وهل هناك علاقة بين صرخة الفزع التى أطلقتها الطفلة فى هذه الليلة .. وبين ما يكون قد حدث بالفعل للأم الحقيقية ؟!

• تورط الزوج

ويأتى الاكتشاف الثالث .. عندما تدخل فصلها المدرسى .. فتجد السبورة مغطاة بالمنشورات التى تتساءل عن « المفقودين » فى الأرجنتين .. منشورات مليئة بصور المفقودين .. والنداءات التى يرفعها الأهل بحثاً عن أبنائهم ..

فى الميدان الرئيسى بالعاصمة .. كانت هناك أيضاً مظاهرة من النساء العجائز يرفعن اللافتات المكتوب عليها : « اخبرونا أين ذهب الأطفال المفقودون » « ماذا فعلتم بأبنائنا » ؟ ..

المظاهرة صامتة ، ولكن فى عيون النساء العجائز حزنا هائلا مكتوما ...

تهرع الزوجة إلى مقر عمل زوجها .. تفاجأ بأن هناك مواطناً يحاول لقاءه .. ولكن رجال الأمن يمنعونه .. والمواطن يصمم على اللقاء ويبدأ صوته يعلو .. فيحاول رجال الأمن دفعه بالقوة إلى احدى الغرف واغلاق الباب عليه .. والمواطن يقاوم مستميتاً ، فاردا ذراعيه ، ممسكاً بالباب حتى لا يغلقوه عليه .

ويخرج الزوج من مكتبه .. وما أن يلمحه المواطن حتى يصرخ فيه مستغيثاً .. : « لماذا تريد ادخالى السجن .. » ؟!

ويشير الزوج الى رجال الأمن أن يتصرفوا معه .. وتندفع إليه زوجته متسائلة عما يحدث .. فيرد عليها بالجملة التقليدية التى تعود أن يرددها : « لا تقلقى نفسك بهذه المسائل » .

تنظر إليه فى دهشة .. فيحسم الموقف بأن يخبرها باضطراره للسفر العاجل إلى بوليفيا فى مهمة عمل .. يودعها .. ولاينسى أن يقول لها منبهاً فى تأكيد : « افتحى عينيك جيداً على طفلتنا » ! .

تقف الزوجة مذهولة .. وقد عصفت بها الحيرة والشكوك..

من الواضح أن زوجها متورط مع رجال الأمن .. وأنه مشارك فيما يحدث .. ! لماذا يخفى عنها الحقيقة ؟! .

• ما هى الحقيقة ؟

وتستبد بها الحيرة .. فهى تحمل أسئلة بلا اجابات .. تلجأ إلى أحد رجال الدين .. فالمفروض



مهرجان "كان" في مواجهة الإرهاب



لقطة لمظاهرات عائلات المفقودين وأخرى لامرأة عجوز اغتيل ابنها ، وتم اختطاف زوجته .. وابنته

فى رجل الدين ألا يكذب .. تسأله أين الحقيقة فيما يحدث .. ولكن رجل الدين يلوذ بالصمت .. تكرر السؤال مرة واثنتين وثلاثاً .. ويتهدج صوتها بالانفعال والقلق .. ورجل الدين لا يرد .. ويكتفى بأن يصلي لها .. ويتركها وينصرف !

إلى هذه الدرجة .. الحقيقة مرعبة؟!

يعود زوجها من مهمته .. وتقرر أن تواجهه ..

تلقي إليه بسؤالها المحدد : « هل تكون ابنتنا .. واحدة من الأطفال المخطوفين » ؟!

يتجمد وجه الزوج مذهولا .. ولكنه يتمالك نفسه بسرعة وكأنما لم يسمع شيئا : « ماذا تقولين » ؟!

وتقرر الزوجة لحظتها .. أن تبدأ رحلتها الخاصة لاكتشاف الحقيقة ..

○ لقاء يفجر الشكوك

وفى مكاتب تلقي بلاغات المواطنين عن فقد أبنائهم وأحفادهم .. تبدأ فى البحث عن الحالات التي تنطبق عليها مواصفات ابنتها بالتبني ..

رحلة طويلة بين الملفات .. المليئة بالضحايا والدموع ..

وتقترب منها امرأة عجوز من الواضح أنها تريد أن تحكى مأساتها لأحد ، وفي مشهد من أجمل مشاهد الفيلم .. تخرج العجوز من حقيبتها أربع صور فوتغرافية قديمة .. وتحكى عن ابنها الذي اغتالوه بالرصاص فى الطريق العام .. ها هى صورته وهو طفل .. وصورته وهو فى المدرسة .. وصورته فى شبابه .. وصورة زفافه .. وتبكى ..

وتتكلم فى صوت منخفض وتمسح دموعها التى تسللت إلى تجاعيد وجهها ..

تحاول الزوجة أن تهدئها .. « البكاء لا يفيد أحداً الآن » ..

تبرر العجوز دموعها .. بأن حفيدتها كانت تحمل ملامح ابنها .. وهي تبحث الآن عن حفيدتها لترعاها كامتداد لابنها .. ولكن أين تجدها .. وهل هي على قيد الحياة .. أم أنها ماتت مثل الآخرين ؟!

وتعيد الزوجة تأمل صورة الابن وهو طفل صغير .. إنه يشبه تماما طفلتها بالتبني .. هل تكون طفلتها هى حفيدة تلك المرأة؟!

دوامة من الشكوك !

وقد برع المخرج فى تكوين هذا المشهد داخل أحد المقاهي .. مستخدما مؤثرات صوتية من تلك الألعاب الأتوماتيكية المنتشرة في المقاهى .. ألعاب الحرب .. وأصوات المدافع الرشاشة .. وكأن أصوات الرصاص هى معزوفة الحياة المرعبة ، والموت السريع فى ظل الارهاب ..

○ مواجهة الزوج

يتكرر لقاء الزوجة مع هذه المرأة العجوز .. اينما ذهبت تجدها أمامها .. تحدق فيها وكأنها تنتظر شيئاً ..

إنها تجدها أمام مدرسة طفلتها .. وتجدها فى طريقها إلى منزلها .. وتجدها فى المظاهرات تحمل اللافتات .. وصورة مكبرة لابنها مع عروسه فى ملابس الزفاف ..

تطاردها لافتات عائلات المفقودين : « أخذتم أبناءنا أحباءنا .. نريد ارجاعهم أحياء » ..

تقرر الزوجة أن تحسم شكوكها .. تصطحب تلك المرأة العجوز إلى منزلها .. لتواجه بها زوجها .. تجلس صامته فى انتظار حضوره .. تمر الساعات .. وهى تغالب خجلها .. وتحاول أن تنصرف .. ولكن الزوجة تصر على بقائها حتى يحضر الزوج ..

ويأتى الزوج مرهقا من عمله .. ويفاجأ بوجود المرأة العجوز .. ويعلم بالموضوع .. فينفجر فى غضب وهياج شديد مؤنباً زوجته : « هل تريدين ادخالى فى مصيدة؟ » .

وتفاجأ الزوجة بهذا المنطق .. وبرد الفعل غير المتوقع من الزوج .. انه يطرد المرأة العجوز من البيت .. ويغلق الباب وراءها بعنف .. ويستدير ليواصل هجومه عليها ! . « إذا كانت طفلتنا قد فقدت أمها .. فهل تريدين لها أن تفقد أمها الثانية ؟ » ..

إنه نفس المنطق المغلوط .. لا يهم ما حدث للأم الحقيقية المهم استمرار الوضع كما هو !!

زلة لسان كشفت عن الحقيقة ..

إنه واحد من أدوات الارهاب .. وأحد المستفيدين من استمراره ..

عاشت معه تصدق كل ما يقوله .. حتى سقطت الأقنعة أخيرا ..

تنظر إليه فى ذعر .. وكأنه شخص غريب .. وحش هائج يجرى إلى غرفة الطفلة .. يبحث عنها .. فلا يجدها ..



حين تصور الزوج أنه فقد طفلته بالتبنى ، وان الأقنعة قد سقطت عن دوره في الارهاب ، انفجر في غضب وهياج وحشى ، وانهال على زوجته ضرباً حتى أسال دمها .

يصرخ في زوجته .. وينهال عليها ضربا .. ويمسك برأسها ويدقه فى الحائط حتى تنزف الدماء منه ..

لقد تصور أنه فقد الطفلة ..

ماكان لايبالى به بالنسبة للآخرين الذين فقدوا أبناءهم .. أصبح هو يعانى منه الآن ..

ولكن التليفون يرن بإلحاح .. يسرع إليه .. يجد على الطرف الآخر صوت والدته تخبره بأن طفلته تريد أن تحادثه .. ويسمع صوت طفلته وهى تغنى له ..

ينظر لزوجته غير مصدق ما حدث ..

يترك سماعة التليفون يتردد منها صوت الطفلة .. بينما يتجه منكسرا إلى زوجته .. يحاول الاعتذار ..

ولكن الزوجة كانت قد اتخذت قرارها بعدم الاستمرار .. تفتح باب البيت وتخرج مندفعة ..

يقف الزوج باكيا منهارا .. فاقدا القدرة على الحركة ..

والطفلة على مقعدها الهزاز فى بيت الجدة .. مازالت ممسكة بسماعة التليفون وهى تغنى :

« البلد التى لم تعد تتذكر شيئا
« خطوت ثلاث خطوات .. ثم توقفت .. فقدت الطريق
« ولم أعرف أين وضعت قدمى ..
« انا خائفة .. أنا خائفة » ..

وينتهى الفيلم بأغنية الطفلة .. وذلك الأحساس الرهيب بالمجهول .

• حق المعرفة

فإذا كان التاريخ هو ذاكرة العالم .. كما قالت بطلة الفيلم فى البداية وهى تواجه تلاميذها .. فهل يعرف الأبناء حقيقة ما حدث .. أم أنهم سيفقدون الذاكرة .. ويكتفون بالقصص الرسمية .. والتاريخ الرسمى !

والفيلم رسالة إلى المستقبل ..

وهو لا ينتهى نهاية سعيدة .. بل بالعكس ، إنه يضع فى النهاية أكثر من علامة استفهام .

فتلك الزوجة التى تصورت أنها تعرف الحقيقة من خلال ما يعلن عنه رسميا .. ثم اكتشفت الزيف .. وعاشت الرعب الذى خيم على أنحاء المدينة .. كان أمامها أحد اختيارين :

إما أن تعيش فى أمان وتواصل حياتها الناعمة .. وهى بذلك ترضى بالأكذوبة وخداع النفس .. وإما أن تتمرد وتهجر هذه الحياة .. وهنا أيضا لا يضمن الفيلم النهاية السعيدة !

ولكن الذي يضمنه الفيلم — وهذا شيء واضح — هو المصالحة مع النفس ، والتشبث بحق المعرفة . ذلك لأن المعرفة .. تقود إلى العدل والقوة ..

• كيف استقبلت الأرجنتين هذا الفيلم ؟

وقد صاحب عرض هذا الفيلم فى الأرجنتين .. موجة من التأييد والترحيب .. شارك فيها آباء وأجداد المفقودين أيام الحكم الديكتاتورى .. وقد سجلوا آراءهم في الفيلم من خلال البرقيات والبيانات .. وشارك معهم أعضاء جمعية حقوق الانسان والتى كان لها دور بارز فى توصيل أخبار جريمة الاختطاف السياسى إلى المحافل الدولية .

ومخرج فيلم « قصة رسمية » هو الفنان الأرجنتينى « لويس بينزو » .. البالغ من العمر ٣٩ عاما .. وقد اشترك فى كتابة سيناريو الفيلم مع الكاتبة الأرجنتينية « عايدة بورتنيك » .

وهذا هو الفيلم الروائى الثالث الذى يخرجه « لويس بينزو » بعد مشوار طويل في السينما بدأه منذ أن كان عمره ١٩ عاما .. تدرج من التصوير إلى أفلام الدعاية .. إلى الكتابة للسينما .. إلى التخصص فى المؤثرات الصوتية .. ثم انتقل إلى الاخراج .

وهو يقول عن فيلمه : « نحن أغلب الأرجنتينيين .. كنا نظن أنفسنا إما ضحايا أو جلادين .. الآن ندرك تماما أننا مزيج من الإثنين » .

ولقد سقط النظام الديكتاتورى فى الأرجنتين مع نهاية عام ٨٣ وبعد ست سنوات حافلة بالحديد والنار .. ومازالت الأرجنتين تعانى من جرائم الاختطاف السياسى التى تمت فى تلك الفترة .. وقد سميت بمأساة العصر فى أمريكا اللاتينية .. ومن هنا جاءت أهمية هذا الفيلم كرسالة تحذير حتى لايتكرر ما حدث فى أى مكان آخر بالعالم !

وها هى الممثلة الأرجنتينية « نورما أليندرو » بتفوقها الرائع فى أداء دور الزوجة مدرسة التاريخ .. وبفوزها بجائزة أحسن ممثلة .. تعطى للفيلم تأشيرة مرور أوسع إلى شاشات العرض العالمية ..

« رءوف توفيق »

رسائل إلى المحرر

من المحرر

تعتمد مادة هذا الباب على ما يبعثه الينا كرام القراء من رسائل تتضمن اسئلتهم وتعليقاتهم واقتراحاتهم وتجاوبهم مع ما تنشره المجلة من مواد مختلفة .
ونأمل الكتابة الينا بخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة ، وكذلك كتابة اسم الباب على مغلف الرسالة ، مع تقديرنا لكافة القراء . ونجدد عهدنا بالاهتمام بكافة الرسائل القيمة التي تصلنا منهم .

ردٌّ على المناصرة

قرأت في عدد يونيو الماضي ضمن الملف الفكري الهام الذي نشرته مجلة الدوحة مقالا للشاعر عز الدين المناصرة ، عن صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر .

وقد لاحظت أنه يرفض تكاثر وتوالد التقسيمات الأدبية ويصر على اطلاق صفة « شعراء المقاومة » على كل شعراء الثورة الفلسطينية داخل وخارج الأرض المحتلة فيقول : « لقد طرح مصطلح شعراء المقاومة الفلسطينية في منتصف الستينيات من قبل بعض النقاد العرب . لكنهم وقعوا في خطأ واضح وهو أنهم لم يطبقوا علميا المصطلح على الفرع الآخر والاساسي لشعر المقاومة وهم شعراء الثورة الفلسطينية أي الذين آمنوا بالكفاح المسلح أسلوبا أساسيا ولم يرفضوا الأساليب الأخرى في النضال . اذن لماذا الغاؤهم من مصطلح « شعراء المقاومة » ولماذا اقتصر المصطلح على شعراء الأرض المحتلة ؟ في المقولة السابقة بعض الأشياء التى تتداخل وتتعارض فيما بينها ، فالشاعر الفلسطيني الذي صمد وبقي فى أرضه سوف يكون مختلفا تماماً عن الشاعر الذي آثر الخروج ، فالموقفان يختلفان تبعا للحالة النفسية لكل منهما ، كما يجب أن نميز بين الشعراء الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة فبعضهم آثر أن يكون قوليا (لسانيا) ابتغاء السلامة ، وبعضهم يتطابق قوله مع فعله ، والبعض الآخر يؤمن بنظرية تعاقب الفصول والمواسم والانتماءات .

ولو اننا سلمنا بمقولة الشاعر المناصرة ــ أن شعراء الثورة الفلسطينية (فى الداخل والخارج) هم شعراء مقاومة ــ وقذف لنا الواقع بشاعر فلسطيني من داخل الأرض يحمل مدفعه بيد وقلمه الابداعي باليد الأخرى فما هي الصفة التي يمكننا أن نطلقها عليه ؟!

ويتابع المناصرة قوله : « لقد حدث تشكيك في مصطلح المقاومة الشعرية نفسه فقال ، غالي شكري ــ بما معناه ــ ان شعراء المقاومة الفلسطينية وهو يعني (محمود درويش ــ سميح القاسم ــ توفيق زياد) ليسوا شعراء مقاومة بل شعراء معارضة لأنهم يعترفون بوجود اسرائيل كدولة وأنهم يقاومونها من موقع المعارضة ضمن النظام الواحد ، طبعا أعتقد أن هذا يشكل ظلما لهؤلاء الشعراء أولا : لأن وضعهم « القانوني الاسرائيلي » مفروض عليهم ولم يختاروه ، ثم هم عبروا عن مقاومتهم بأساليب متعددة ، وان كانوا لم يمارسوا الكفاح المسلح » .

وأنا أرى أنه لا عيب أو نقصان من كون ذلك الشاعر أو غيره معارضا من المعارضين ولكننا تعودنا على تجميل صورة من نحب ، وتكميل نواقصه ، ومن ثم تحميل اكتافه بقدرات وتصورات فوق طاقته الطبيعية ، فالمقاومة هي أعلى مراحل المعارضة ، وشعر المقاومة هو أعلى مراحل شعر المعارضة ، وقد تقترب مسافة كل منهما من الآخر في حالات استثنائية !.

أما عن اضافة بعض نقادنا الكبار للفظة « المقاومة » لشعر درويش والقاسم وزياد ، فلتلك ظروف وملابسات استثنائية ، فقد تعرضنا لهزيمة قاسية كادت أن تدمر الروح والقلب ، وفجأة سرت الينا نسائم تحمل عبق الاصرار والتحدي ، منطلقة من الأرض الفلسطينية المحتلة مجدولة بابداعات شعرائها ، فتعلقت بها النفس العربية المكلومة ، ويومها لم يطلق النقاد صفة المقاومة كضد للهيمنة الصهيونية ، ولكن ضد اغماءة الروح والوعي فينا أي مقاومة لداخل الانسان العربي الذي بدأ يتمارض ولا يتمرد !

ولقد ظهرت للعالم حقيقة الشعب الفلسطيني كشعب مناضل متمسك بجذوره ، تتوهج في أعماقه روح الاصرار والتحدي ، وبالمقابل سوف تستمد الروح العربية من شعر المقاومة أصالتها وتوهجها ، ذلك لأنه لو كان معروف لنا ذلك الابداع الفلسطيني من قبل لكان تأثيره ضعيفاً ، ولكان على الابداع العربي الداخلي لكل قطر عربي أن يتحمل عبء بناء الروح وحده .
أما الآن وقد سلمت العاطفة مشكورة ما احتلته من مساحات عقلية داخلنا فعلينا أيضا أن نسمي الأشياء بأسمائها !

علي عوض الله / الدوحة

رسالة علمية عن لبن الإبل

وردتنا رسالة من السيد ابراهيم العجمي المدرس المساعد بكلية الزراعة بجامعة الاسكندرية تتضمن بعض المعلومات عن رسالة الماجستير التي حصل عليها مؤخرا والتي توصل من خلالها إلى أن لبن الأل هو البديل الطبيعي للبن الأم . واتضح له من خلال الدراسة أن مكونات لبن الأل أقرب المكونات الاساسية للبن الأم من أي حيوان آخر لما يحتويه من نسبة كبيرة من البروتينات الذائبة سهلة الهضم التي تناسب معدة الطفل الرضيع ، كما يمتاز بخاصية فريدة حيث أن عدد كريات الدهن الموجودة في السنتيمتر المكعب مرتفعة جدا مما يجعله أكثر تجانسا في معدل هضمه .
كما وجد أن لبن الابل ذو مقاومة عالية جدا لفعل البكتريا حيث وجد الباحث ان عينات من اللبن ظلت سائلة على حرارة الجو لمدة ١٢ يوما كاملا دون حدوث أي تجبن .

واختتم الباحث الشاب رسالته بقوله « ربما فطن الأعراب فى الصحراء لهذه الحقيقة بفطرتهم البسيطة حيث وجدت أثناء عملية البحث في الصحراء أن الأعراب يغذون صغارهم جميعا من لبن الأبل ولذلك فإنه لابد من الاهتمام برعاية الأبل في الصحاري العربية والاهتمام بهذا الحيوان المهضوم الحق واستخدام ألبانه فى تغذية الصغار كبديل طبيعي للبن الأم » !!

من أسرار المخ



تعليقا على ماكتبه الدكتور سامي عزيز في العدد ١١٤ من الدوحة تحتهذا العنون أود أن اسوق الملاحظات التالية على الموضوع :

أولا : إن المخ جزء مستقل عن المخيخ وليس جزءاً منه كما ذكر الدكتور في العبارة التي قال فيها : « وسنقتصر في الحديث عن المخ ، الذي يمكن تقسيمه إلى المخيخ ومقدم المخ » !

ثانيا : الدماغ يقسم إلى : المخ والمخيخ ، والبصلة السيسائية .

ثالثا : وزن الدماغ كاملا ١٣٦٠ غ ووزن المخيخ ١٤٠ غ ، ووزن المخ ١٢٠٠ غ ، أما البصلة السيسائية فوزنها بضعة جرامات .

رابعا: لا أعرف السبب الذي حدا بكاتب المقال لاستخدام الدماع تارة ، واستخدام لفظ المخ تارة أخرى ، أليس من الاجدى توحيد اللفظ تسهيلا على القراء ؟

وللدكتور سامي عزيز تحياتي وتقديري .

الدكتور عمر عبد الرازق أبو عون
مخيم اليرموك ــ دمشق

التضخّم

• كثيرا ما أسمع من وسائل الاعلام ترديد كلمة « التضخم » فماذا تعني هذه الكلمة ؟

طلال ازرق ــ الجزائر

ــ ورد في موسوعة « المورد » أن التضخم المالي في علم الاقتصاد هو « ازدياد في حجم العملة المتداولة لا تصاحبه زيادة مماثلة في حجم الانتاج ، وهذا الازدياد في حجم العملة يؤدي إلى ضعف في قوتها الشرائية مما ينتج عنه بالتالي ارتفاع كبير في الاسعار .

وقد يحدث التضخم المالي بسبب الحروب اذ تكثر الحكومات وهي في غمرة القتال من الاقتراض ، ومن إصدار العملة الورقية من غير غطاء ذهبي وتشح كمية السلع في السوق المحلية فتهبط قيمة العملة هبوطا شديدا وترتفع الأسعار ارتفاعا جنونيا » .

هذا .. ومن المعروف أن الكيان الصهيوني تنطبق عليه كل هذه التعريفات ، وقد بلغت نسبة التضخم لديه أعلى معدلاتها بالنسبة لكافة دول العالم حيث بلغت خلال الشهر الماضي أربعمائة وعشرة بالمائة !! .

كُتُب وكُتَّاب

وصلت إلينا هذه الكتب :

• سعودية الغد المكن
المؤلف : شاكر النابلسي
الناشر : مطبوعات تهامة ــ جدة

• • •

• المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا
الناشر : المصرف العربى للتنمية الاقتصادية في افريقيا

وثيقة اقتصادية مهمة تزيد عدد صفحاتها عن مائتي صفحة أعدها المصرف احتفالا بمرور عشر سنوات من الحضــور العربي الاقتصادي فى أفريقيا .

• • •

• رسائل المستشرق المجري الراحل الحاج عبد الكريم جرمانوس إلى عيسى الناعوري .
أعدها للنشر : عيسى الناعوري
الناشر : المجمع العلمي العربي الهندي ــ عليكره/ الهند

• • •

• الثروة المعدنية العربية
المؤلف : د . محمد رضا محرم
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية

• • •

• الادب الشعبي في بلد الشراع
ديوان الشاعر سعيد عبد الله ولد وزير
جمع وتحقيق : سالم بن محمد الغيلاني ــ مسقط

• • •

• الرولة مجلة جديدة تعني بشؤون المسرح يصدرها مسرح الشارقة الوطني .
رئيس التحرير : أحمد بن محمد القاسمي
عنوان المجلة : ص .ب ٥٣٧٣/ الشارقة

• • •

• الإيمان وتكامل الانسان
المؤلف : بديع الزمان سعيد النورسي
ترجمة : احسان قاسم الصالحي
الناشر : مكتبة القدس ــ بغداد

ردود ســـريعـــة

• الاخ بلعيد المغربي / الدار البيضاء
ــ يمكنك مراسلة أستاذنا الكبير أكرم زعيتر على العنوان التالي :
اللجنة الملكية لشؤون القدس صندوق بريد رقم : ٢٦٠١ الشميساني ــ عمان ــ الاردن .

• الأخت فدوى مأمون الفادي/ رفاعه/ السودان
ــ يمكنك مراسلة الشاعرة القديرة فدوى طوقان على العنوان التالي : صندوق بريد رقم ٩٢٦٠٨٧ ــ عمان ــ الاردن . بواسطة السيدة حنان طوقان عبد الهادي ، وهذا هو عنوانها المؤقت حينما تخرج بين فترة وأخرى لزيارة الأهل في الضفة الشرقية من الاردن ، أما عنوانها الدائم فهو في مدينة نابلس بفلسطين المحتلة .

• الاخ زائد بخيت الزهراني/ السعودية
ــ مقالك « الجمال في عيون الشعراء » لا بأس به ، لكنه بحاجة ملحة إلى العديد من المراجع حتي يكون موثقا وشموليا ، ومادام يمثل « البداية » في مسيرتك الابداعية فهي بداية جيدة وموفقة والله معك .

• الأخ حسن يوسف نقور/ الخرطوم
ــ فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي يتعرض منذ ثلاثة أشهر لوعكة صحية ألزمته السفر للعلاج خارج دولة قطر ، وسيعود للالتقاء بقرائه على صفحات الدوحة فور عودته وشفائه إن شاء الله .

• الاخت سلوى فضل المولى/ السودان
• الاخ هاشم محمد الجالة/ السودان
• خضر عبد العزيز الثايه/ ليبيا
ــ كتاباتكم بحاجة إلى عمق في أفكارها ، ودقة في عرضها وصياغتها . لكم تحياتنا .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى :

مسجد الحضارة في مدينة تريم إحدى المدن العربية العريقة بالمشرق العربي فى أى دولة عربية تقع هذه المدينة ؟

الصورة الثانية :



قاض وكاتب عربي ولد سنة ١٨٦٥ وتوفي سنة ١٩٠٨ درس بالأزهر الشريف ثم درس القانون بفرنسا ــ وقد اشتهر بدفاعه عن قضية المرأة العربية ودعا إلى سفورها وتعليمها ومشاركتها فى الحياة العامة وقد ألف فى هذا الشأن كتابين وقد أثارت أراؤه الجديدة جدلاً عنيفاً حتى وقتنا هذا من هو هذا الكاتب وما هى أشهر مؤلفاته ؟



دوحة القراء

ماذا فعل عمر بن الخطاب؟

• تواترت الأخبار أن سيدنا عمر بن الخطاب أول من جمع القرآن في المصحف الشريف .
• وعمر أول من حرق الخمارة .
• وعمر أول من فتح الفتوح العظيمة .
• وعمر أول من مسح الأراضي .
• وعمر أول من وضع الجزية على أهل الذمة .
• وعمر أول من مصر البلدان : أي جعلها عامرة بالبناء والسكان كالمصر .
• وعمر أول من ولي القضاة في الأمصار .
• وعمر أول من دون الدواوين .
• وعمر أول من هدم دورا ملاصقة للمسجد لتوسيع المسجد .
• وعمر أول من فرش المسجد الأقصى بالحجر .
• وعمر أول من سن القيام في ليالي رمضان وأمر بإضاءتها ليلاً .
• وعمر أول من أسس بيتاً خاصا للمال .
• وعمر أول من خصص رواتب للجنود والمؤذنين وغيرهم .
• وعمر أول من أسس البريد .
• وعمر أول من خصص رواتب للمجذومين ، وهو أول من ضرب النقود ، وشق الترع وأقام الجسور وأسس الحسبة (كالشرطة الآن) .
• وعمر أول من قال : أطال الله بقاءك ، وأيدك الله ، وقد قالها لعلي بن أبي طالب .

عبد الباسط منصور
حلب ــ سوريا

لقطة الشهر



على ضفاف النيل

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى
القارىء : مبارك محمد على الأمين .

جامعة أم درمان الاسلامية
السودان

كلمات لها معنى



« قال يونس النحوي :
الأيدى ثلاثة . يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء هي الإبتداء بالمعروف واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف واليد السوداء هى المن بالمعروف » .
وفقنا الله لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

مجدة السيد سالم
الجيزة ــ مصر

خطبة لقس بن ساعدة

« ياأيا الناس اسمعوا وَعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، كل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، رضوا فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يامعشر أيآد أين الآباء والأجداد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ وأين من بنى وشيد ؟ ألم يكونوا اكثر منكم مالاً وأطول منكم أجلا ؟ طعنهم الدهر بكلكله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية ! !

كلا بل هو الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود » .

بقاس أحمد الشريف
الدار البيضاء ــ المغرب

صفات في القاضي الفاضل



أحضر الرشيد رجلاً ليوليه القضاء فقال له ، إنى لا أحسن القضاء ، ولا أنا فقيه ، قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف ، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ، وأنت رجل تشاور فى أمرك ، ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقيه فسينضم إليك من تتفقه به ، فولي فما وجدوا فيه مطعناً .

الطيب يعقوب جلال الدين
أبو عروة ــ السودان



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

المسابقة الشعرية

فى قصيدة « ألم ترنا أعز الناس » يفتخر الشاعر العربى أبو فراس ، ويذكر إيقاع سيف الدولة ببنى كلاب ، وقد قمنا بحذف كلمة أصلية من القصيدة ووضعنا بدلا منها كلمة « المقصود » .. والمطلوب منك أن تعرف الكلمة الأصلية من خلال معانى الأبيات :

يقول الشاعر أبو فراس :

أبت عبراته إلا انسكابا
ونار غرامه إلا التهابا
ومن حق الطلول علي ألا
أرغب من « المقصود » له سحابا

المقصود » أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من ستة حروف :

٥ ، ٢ ، ٦ بمعنى أحب .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

يقولون ان هذا الشاعر رحل الى مصر ، وهو مريض بعد يأسه من بطلة قصة هواه ، وأنه مات بها وهو يهتف باسم المرأة التى عذبته وجعلت اشعاره على كل لسان .

وفى أيامه الأخيرة كانت له أبيات شعرية معروفة تقول :

صدع النعى وماكنى بجميل
وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى
نشوان بين مزارع ونخيل
قومى بثينة فاندبى بعويل
وابكى خليلك دون كل خليل

وقد جاءت هذه الأبيات التى تمثل عبارات صادقة على لسان هذا الشاعر فى لحظات صدق وإحساس قوى بمشكلته الإنسانية الرهيبة .

فهل يمكنك التعرف على صاحب تلك



الأبيات .. وإذا كنت لا تعرفه ، فحاول من خلال تبسيطنا للأمور أمامك .

اسمه الكامل مكون من ثلاثة مقاطع ، وعشرة أحرف :

٢ ، ٦ ، ٥ ، ١٠ فى المسجد

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر مؤرخ وفيلسوف اجتماعى ، حاول أن تعرفه من خلال هذه المعلومات التى تتعرض لجوانب هامة فى حياته :

• عربى مسلم مشهور ، ينتمى نسبه إلى وائل ابن حجر من عرب اليمن .

• أقامت أسرته فى تونس ، وعندما سافر إلى مصر اتصل بسلطانها برقوق فولاه قضاء المالكية .

• حج إلى مكة ١٣٨٧

• رافق جيش المماليك الذى أرسل لصد زحف تيمور لنك .

• يعتبرونه مؤسسا لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع

• دَعَا إلى الرحمة بالأطفال .

•عاش حوالى ٧٤ عاما ، فقد ولد فى عام ١٣٢٢ ، وتوفى فى عام ١٤٠٦م

اسم صاحب الجواز الذى عرف به مكون من مقطعين وثمانية حروف :

(٢ ، ٣) نبات يزرع

(٥ ، ٢، ٣) شيء يشرب .

مسابقة مدن العالم





حاول أن تعرف هذه المدينة العربية من خلال المعلومات التي سنعطيها لك ، والتى قد تجعلك تصل الى الحل :

• العاصمة الثانية لليمن .
• مدينة قديمة ، مشهورة بجودة مناخها
• من أهم آثارها جامع المظفر والمدرسة الأشرفية .
• محاطة بكثير من البساتين والكروم التى تزرع فيما حولها من وديان وعلى سفح جبل صبر .
• تضم المدينة مساجد كبيرة ، وأسواق ، وهى تعتمد فى تجارتها على ميناء عدن .
• سكانها يزيد عددهم على ستين ألف نسمة .
• تقع على سفح منحدر فى جبل صبر
• اتخذها ملوك بنى رسول عاصمة لدولتهم

هذه المدينة اسمها مكون من مقطع واحد وثلاثة أحرف :

٢ ، ٣ بمعنى مجد وثراء .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٤

١ ــ المسابقة الشعرية الكلمة المقصودة هي : سحابة .

٢ ــ عبارة شهيرة من هو قائلها : ميلونوف .

٣ ــ جواز سفر : الأديب الإنجليزى هارولد بنتر .

٤ ــ مسابقة مدن العالم : العاصمة المغربية الرباط .

أسماء الفائزين

١ ــ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى

القارئة : شفيقة صالح موسى ــ سوريا .

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى

القارئ : هود محمد نصر ــ مصر

٣ ــ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى

القارئ : عبد الكريم عبدان ــ العراق

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ ليلى إبراهيم زاهر.................... ليبيا
٢ ــ على الشافعى محمد على .... مصر
٣ ــ وليد فوزى الشوبكى .... الأردن
٤ ــ محمود متولى أحمد .... مصر
٥ ــ عائشة عيسى.................... المغرب
٦ ــ محمد أحمد العقود
الجمهورية العربية اليمنية
٧ ــ السليماني عبد الغني محمد ...... المغرب
٨ ــ فاضل مهدي صالح................ العراق
٩ ــ مروه محمد عبد المنعم.............. قطر
١٠ ــ جعفر محمد مهدى............ البحرين

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٤

الصورة الأولى : بمدينة أسطنبول العاصمة السابقة لتركيا وأسمها القديم القسطنطينية .

الفائز : هشام خيرت يوسف ــ السعودية .

الفائزة : نعيمة عبد الرازق أحمد ــ العراق .

الصورة الثانية : أحمد بن داود أبو حنيفة الدنيورى .

الفائز : محمد بن صالح أحمد ــ سلطنة عمان .

الفائز : محمد أحمد علي محمد ــ مصر .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٤

١ ــ أصل وصورة الشعر ــ الجبهة ــ الحاجبان ــ الأنف ــ الشارب ــ الذقن ــ الرقبة .

٢ ــ لعبة الظلال : رقم ٢

٣ ــ لوحة لم تتم : نابليون بونابرت

٤ ــ لأقوياء الملاحظة فقط : كلب ــ وردة ــ شنطة ــ دبوس ــ طماطم ــ ثعبان .

٥ ــ يخلق من الشبه أربعين رقم ٤

٦ ــ المثل يقول : إن الطيور على أشكالها تقع « إتلم المتعوس على خايب الرجا »

٧ ــ هات أجمل تعليق :

ــ أنت ياعم تأخذ الحرارة وأنا أتصرف فى الرطوبة .

ــ ياعم لا تصدق ده كلام جرايد .

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ فرهان أحمد عصفور .... السعودية
٢ ــ مجد محمد مراد جميل .... سوريا
٣ ــ السميح عبد الكريم القاضى ...... المغرب
٤ ــ ثائر أحمد عبد النبى .... الأردن
٥ ــ جمعة بن سعيد بن مطر .. سلطنة عمان
٦ ــ عبد الناصر حامد أحمد .... مصر
٧ ــ تماضر على محاسنه .... السعودية
٨ ــ أبراش رشيد .... المغرب
٩ ــ هناء القصبى .... ليبيا
١٠ ــ محمد أحمد الشاحذى
الجمهورية العربية اليمنية
١١ ــ أشرف سعد محمد أحمد .... مصر
١٢ ــ عبد الله راشد السليطي .... قطر
١٣ ــ حامد أبو القاسم بن حامد .... ليبيا
١٤ ــ سناء محمد عجاج .... مصر

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف



أصل وصورة





الأصل والصورة للمفكر الاسلامى جمال الدين الأفغانى الذى أصدر صحيفة « العروة الوثقى » مع تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده .. وبين أصل وصورة المفكر الكبير هناك سبعة إختلافات بسيطة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

المثل يقول



هناك مثل شعبى عربى يعبر عن هذا الرسم الكاريكاتيرى ، حاول أن تتعرف عليه لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم لمطرب عربى ، أطلقوا عليه لقب : مطرب المطربين .. أكمل اللوحة وتعرف عليه لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



هذا اللاعب فشل فى العثور على ظله الحقيقى ، ساعده في حل مشكلته ، وأرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وأرسله إلينا لتفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول أن تتعرف عليها ، فقد تفوز بجائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الأديبة العربية « مى زيادة » التي من أشهر مؤلفاتها « باحثة البادية » و « الصحائف » و « مد وجزر » .. ومن بين اللوحات المنشورة واحدة تشبهها تمام الشبه . تعرف عليها لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة

بقلم
عبد الله الجفري



زمن الصخب والزحام

فى هدأة الليل ينتشر الغبار فيغطى سماء المدينة ويتحول لون السماء الأزرق الصافى إلى لون أحمر مشوش بالأتربة ، وعلماء الارصاد أو « الموظفون » فيها يقولون : إنه المنخفض الجوي القادم من أى مكان ، ولكن السماء حمراء ، ولابد أن تقفل الزجاج ، وأحيانا تنعدم الرؤية ، ومن الأحسن لك أن تقفل بعد الزجاج ستائر النوافذ ، فأنت أسير « المكيف » الهادر بشيء من البرودة ، ومع هذا الهدير تفقد هدوءك ، وتتحد أصوات السيارات التى تشق سكون الليل ، وتمزق استرخاءك ، وتطوح برأسك داخل كل ما في رأسك ، وفى فصل « السنبلة » ياويل سكان السواحل مثل جدة ، ولكني رأيت كيف دخل فصل « السنبلة » إلى مدينة أبها في جنوب المملكة ، وكان الدخول مختلفا ، فهنا في جدة انعدمت الرؤية بسبب زوابع الغبار والأتربة والعواصف الرملية ، وفي أبها انعدمت الرؤية بسبب كثافة الأمطار التى هطلت فجأة وبغزارة ، ولابد أن يكون الفرق هنا « شاعريا » ! على الأقل .

ولكننا فى عصر يقوم على الصخب والضجيج وعلى الزحام ، ودائما .. العودة من الضجيج إلى السكون تبقى هي المطلب ، ودائما .. الخروج من الهدوء إلى الصخب والزحام يبقى هو النتيجة ، أو الضرورة كسمة لعصر يتصف بهذا الزحام !

وهذا « التطبيق » يتم على كل أشيائنا بلا تمييز أو استثناء ، ولكنه تطبيق يتردد أحيانا ، وربما نستطيع أن نتخلص منه عندما ننجح في فهمنا لأشياء الحياة وفي فلسفتنا حين التفكير ، وفي عواطفنا حين العفوية ، وهذه نقطة هامة تجعلنى أتوقف عندها بعض الوقت .. متأملا ومضطربا ، وضائعا أحيانا !

إن كل هذا الصخب أتت به المدينة من رقعته ، وأضافت عليه العديد من الألوان ، هذه المفاهيم المكتسبة فينا .. من قراءاتنا ، ومواقفنا ، وتجاربنا ، وصدماتنا العاطفية ، وأحزاننا الخاصة ، وآلامنا التاريخية ، ومن عنعناتنا .. فالصخب يأتي من الزحام ، والزحام يتولد من اندفاعنا نحو الغرض ونحو الرغبة فى الوصول السريع ، ونحو الاكتشاف من أقصر مسافة ، ونحو الموت بأتفه الأسباب مثل أسباب حوادث السيارات ! !

وهذه الصورة .. تبدو هي المحور الذى ترتكز عليه فلسفة (القيمة) للحياة عند كثير من (المنسجمين) مع صفات العصر ، فلكي تخوض الزحام لابد أن تنفعل وأن تدافع ، وأن تنافس ، وأن تتحدى ، وتعتقد أنك ستعود بحصيلة من وسط الزحام ، أو أنك تستطيع أن تتخلص من هذا الزحام دون أن تصاب بالجروح ، أو بالغرور ، أو بالاختناق ، أو بالنسيان !

ولم يفعل الجيل الجديد شيئا يغاير الطبيعة الانسانية ، ولكنه استطاع أن يكثف مشاعره ، وأن ينقل الضجيج من الأرصفة ، والطرق ، والشوارع المكتظة ، والأندية إلى داخل صدره ، وإلى داخل رأسه ، وأن تتحول أفكاره إلى أرصفة ، ومقاه ومنتديات خطابة ، واضطرابات سياسية وانحرافات ايديولوجية ، وأن تتحول عواطفه إلى بغاء يمارس ضد العفوية ، وضد الصدق ، وضد العشق ذاته ، وأن تتبدل مطالبه فتصبح مجرد ماديات تخضع لمتعة الدقائق ، وتصبح حيرة في كيفية الاقتراب من طفل جميل يتقافز فوق عتبة داره وفي يده وردة ، ومن أمامه تمرق عربات قطار سريع ، أو تطأ فوقه عجلات سيارة لا ضوابط في قدمي سائقها !

وربما من هذه الصورة التفصيلية للزحام .. استطاع أن ينجح بعض كتاب القصة في تصويرها ، وأن يستخلص هذا البعض إيقاعا دراميا من بين مشاهد الزحام ، أو فصول الصخب ، ولكن لا أحد يقرأ أبدا ! !

ومشكلة هذا الجيل أنه ولد على صوت طلقات المدافع وتعاقب الحروب ، وتوالي الخدع السياسية وانهزام العاطفة وثلوجة الحنان .. ويتم ذلك كله عبر التمزق الفاجع في داخل نفسية الإنسان الذى عاد بعد خوضه للحرب العالمية وقد فقد الكثير من ذكرياته الحميمة !

وهذا التمزق موجود أيضا في نفسية الإنسان الجديد المتحرك بشبابه ، وبطموحه ، وبعلومه ، وبفنونه وبآدابه ، ورفضه لكل القطارات التي مرت وحملت معها الدمار والدماء مع الطيبة والهدوء والحزن الصامت .. فهو إنسان يفتش عن عاطفته بين حطام الأسرة التى تفككت ، ويفتش عن إنسانيته في غياب السلام العالمي والاستقرار ، والحدث على الأرض !

وأحسست أنه من المستحيل أن يأتي كاتب يمثل النهج الذى عرفت به « بيرل باك » مثلا ، أو يأتي أديب يعجب بأسلوب وملامح أدب المنفلوطي ، أو حتى توفيق الحكيم أو بمشاعر روائي عتيق منسي مثل أرسكين كالدويل ! !

إنه جيل لا يعرف ما الذى يرفضه ، وما الذى يتقبله .. فهو جيل مرغم أن يتقبل أشياء يخترقها ، وأشياء تخترقه ، وأشياء يمارسها ثم يبصق عليها !

ولكن .. لابد أن يكون اعتبارنا لهذه المرحلة .. يعني الانتقال من جيل إلى آخر ، ويعني أيضا الخروج من مفاهيم تدجنت أو دجنت الانسان .. إلى مفاهيم أفضل وأجدى ، وفى كل الأحوال .. فإن الانسان يهرب من الصخب إلى الهدوء فيمله ، وينطلق من الهدوء إلى الزحام فيضيع فيه .. وهدفه أن يقدر على التعبير ، وعلى الحركة ، وأن يقدر على التبدل باستمرار ! !

جـــده



لقطات من الخليج

أول مسجد بُني في الإسلام

يعتبر مسجد « قباء » فى المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية هو أول مسجد بنى فى الإسلام .
وقد اشترك النبى صلى الله عليه وسلم فى بنائه ، باعتباره أول مسجد بنى لعامة المسلمين .
وكان أول مسجد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرة .
وكان النبى الكريم يزوره بين الحين والآخر ، راكباً وماشياً ، ودرج على سنته اقتداءاً به أصحابه .
وقال صلى الله عليه وسلم فى فضل زيارته : « من تطهر وأحسن الطهور ، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمره » .

طيران الخليج توفّر لكم ثلاث درجات ذهبيّة إلى أوروبا.



الدرجة الأولى

في إطار تطوير الخدمات لدى طيران الخليج تم بشكل مُبتكر في هذه الدرجة تصميم مقاعد وثيرة متحركة تجمع مُواصفات الرفاهية والراحة.
وتنفرد طيران الخليج بتقديم القهوة العربية ذات النكهة العطرة والتمر العُماني الشهي. إضافة إلى رحابة الوداع التقليدي العربي الذي يتمثل في رش ماء الورد عند نهاية الرحلة.

درجة الصقر لرجال الأعمال

هذه الدرجة الجديدة - إبداع آخر - صُممت على نهج حديث متقدم. فهي توفر لك مُعظم الرفاهيات المتاحة في الدرجة الاولى. بما فيها المقعد الوثير الواسع الذي يُسهل لك أداء عملك الخاص

او الإستلقاء ومدّ جسمك في راحة وهدوء في مقصورتك الخاصة. حقيقة إن رحلات طيران الخليج تعُد إختياراً أمثل لرجال الأعمال.

الدرجة السياحية الذهبية

تتميز هذه الدرجة بكافة المواصفات التي تتوقع وجودها في درجات رجال الأعمال لدى شركات الطيران الأخرى.

للمزيد من المعلومات إتصل بوكيل سفرياتك المعتمد أو بطيران الخليج.

بإمكانكم إختيار أي من رحلات الصقر الذهبي من الخليج إلى أوروبا، حيث هناك ٢١ رحلة أسبوعيًا من الخليج إلى لندن.. ورحلة يومية إلى باريس.. وثلاث رحلات أسبوعيًا إلى فرانكفورت وأثينا.



أبوظبي أثينا البحرين الخرطوم الدوحة الرياض الشارقة الظهران القاهرة الكويت باريس بانكوك بومبي بيروت تونس جدة دبي دكا دلهي اسلام اباد صلالة صنعاء عمان فرانكفورت كراتشي كولومبو لارنكا لندن مانيلا مسقط هونغ كونغ.

العدد ١١٧ - ذو الحجة ١٤٠٥هـ - سبتمبر/ أيلول ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

٣ سبتمبر
جزء خاص بمناسبة الذكرى ١٤ لاستقلال قطر

من هنا نبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية
عبد القادر بن محمد العماري

تقشير الخيار.. بالسيف البتّار
د. عبد السلام العجيلي

قصة مخرج مسرحي ألماني مسلم
الفريد فرج



لوحة وفنان

تجار السجاد

ازدهرت صناعة السجاد فى العالم العربى منذ أوائل العصر الفاطمى ، وفى العصر المملوكى بدأت تظهر السجاجيد ذات الزخارف الهندسية الجميلة وخاصة فى مدينة أسيوط بمصر ، وانتشرت عقب ذلك صناعة السجاد فى كثير من الدول الإسلامية وخاصة تركيا التى اشتهرت بانتاج « سجاجيد الصلاة » التى كانت تحتوى على رسم يمثل محرابا فى أرضية السجادة وفى وسط المحراب تتدلى مشكاة .

وقد فتن كثير من الأوربيين فى رحلاتهم إلى الشرق بالسجاجيد العربية ، وكان من أبرز من سجل هذا التراث البديع فى لوحاته الفنان الإيطالى « جوستافو سيمونى » الذى قام برحلة شهيرة إلى شمال افريقيا وخاصة الجزائر وتونس ، وعرض حصيلة هذه المرحلة من رسومات شرقية ما بين أعوام (١٨٨٠ ــ ١٨٩٠) فى باريس ولندن ، وكان من بينها لوحة لتجار السجاد وهم يعرضون بضاعتهم ذات الزخارف الجميلة الزاهية الألوان فى الأسواق الخاصة وأمام الدور ذات الطابع الاسلامي العريق .

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ – الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع – ص . ب ٣٥٨ – الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام – شارع الجلاء – القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات – برامكة ص . ب ٤٩٠٢ – دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان – شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ – بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان – فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ – طرابلس – فرع بنغازي – ص . ب ٣٢١ – بنغازي .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ – عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ – المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ – جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ – الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ – بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ – صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع – ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى – عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع – شارع المطار الجديد ابو ظبي ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط – سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – ص . ب ٤٤٠ – تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف – ص . ب ٦٨٣ – الدار البيضاء .
  MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية – الجزائر .
  ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

الدوحة

العدد ١١٧ – ذو الحجة ١٤٠٥هـ – سبتمبر/ أيلول ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة – قطر .
العنوان البرقي : المجلة – الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH –
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــذا العـــــدد



عبد القادر العمارى : من هنا نبدأ في تطبيق الشريعة الاسلامية (ص ١٠)



د. عبد الله البـــاكر : جلودنا وأشعة الشمس (ص٦٠)



تذكـار من فلسطين : يافا عروس البحـر (ص٨٠)



محمد ابراهيم أبو سنة : كان كريشنا طفلا (ص١١٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

• أبــواب •

المدير الفني: سلمان المالكي

كلمة

قطــــر ومسئولية الاستقلال

تحتفل قطر في ٣ سبتمبر من هذا العام بالذكرى الرابعة عشر لاستقلالها ، وقد أصبحت هذه الذكرى عزيزة على قطر بل على الأمة العربية كلها ، فباستقلال قطر أصبح للعرب صوت جديد في المجتمع الدولي ، وباستقلالها أصبحت ثروة قطر في خدمة الإنسان العربي فوق أرضها وفي كل أنحاء الوطن العربي . والحقيقة التي يؤكدها التاريخ دائماً هي أن الاستقلال ليس علماً يرتفع ويرفرف في الفضاء ، وليس نشيداً وطنياً تردده الإذاعات ، وليس عملة يتداولها الناس ، بل إن الاستقلال الصحيح هو حرية ينالها الشعب للنهوض بأوضاعه المختلفة والانطلاق القوي نحو المستقبل وتوسيع امكانيات أبنائه في كل المجالات والمساهمة الايجابية في كل الواجبات القومية المطروحة ، والدول المستقلة التي لا تحقق هذه الانجازات يكون استقلالها حبراً على ورق ، وكلمة تقال وتتردد بغير أن يكون لها وجود فعلي في الواقع . واستقلال قطر هو استقلال حقيقي بكل المقاييس ، فمنذ إعلان الاستقلال في ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ والنهضة القطرية تتقدم كل يوم بخطوات واسعة تحت قيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، وإذا تصورنا سنوات الاستقلال صفحات يتلو بعضها البعض ، فسوف نجد في كل صفحة انجازاً جديداً ، وباباً ينفتح على المستقبل ، وضوءاً يشع بنوره على كل بيت وأملاً يتحقق لكل مواطن ، فقد قفز التعليم في قطر قفزات رائعة من حيث الكم والكيف معاً ، وانطلقت الصناعة في قطر نحو عصر جديد ملئ بالانتاج والخير الذي يعم الجميع ، وأصبحت الخدمات الصحية على أعلى مستوى موجود في أي بلد عصري متحضر ، وازداد الدخل القومي والدخل الفردي زيادة ملموسة ، وتم تكوين جيل قطري جديد على أعلى مستوى من الكفاءة والثقافة والخبرة ، ينتشر الآن في المصانع والمستشفيات والمدارس وكليات الجامعة وإدارات الدولة المختلفة ، وأصبحت القيادات القطرية التي رعاها القائد الأب تحتل المكان الأساسي في إدارة شئون المجتمع القطري وتطويره وتحقيق نهضته المنشودة حتى يلحق بركب العصر الحديث دون أخطاء أو عثرات . كل ذلك حققه الاستقلال بقيادة محرر البلاد وقائدها الكبير ، وهذا كله هو الذي يعطي استقلال قطر معناه ومضمونه ويعطيه قدرته على الاستمرار إلى مواقع جديدة من التقدم والنهضة .

وفي ظل الحرية والاستقلال وتحت راية القيادة الواعية للأمير المفدى وولي عهده الأمين ، أشرق عهد أصيل من الأمن والطمأنينة في أرض قطر الطيبة وبين أهلها الأصلاء ، وارتفع الصوت القطري دائماً بتأييد الحق والعدل في المجال العالمي ، وانطلق هذا الصوت القطري الصادق بكل الدعم والعون والمساهمة الفعالة في كافة قضايا التحرير والتنمية في الوطن العربي ، حيث كان صوت قطر دائماً في الموضع الذي يريده ويتمناه كل عربي في هذا العصر ، فلم تخرج قطر يوماً على إجماع عربي ، ولم تتردد لحظة في تأييد حق مشروع ، ولم تتخلف أبداً عن مد يدها إلى كل شقيق عربي يحتاج إلى المساندة والعون .

هكذا كان استقلال قطر ، وهكذا سوف يكون على الدوام في مقبل الأيام ، وسوف تتقدم المسيرة في ظل قائدها حتى يعم الخير والأمان كل بقعة في الأرض العربية الحرة .

إن الاستقلال مسئولية لا يتحملها إلا من هو جدير بها .

وقد كانت قطر جديرة على تحمل مسئوليته والانطلاق به إلى كل ماينفع العرب والمسلمين ويعود بالخير على الجميع .

« الدوحة »

في الذكرى ١٦
لجريمة إحراق
المسجد الأقصى

معركة حضارية أولاً وأخيراً

بقلم : عصام شريح

الكتابة عن المسجد الأقصى ، ومدينة القدس ، لايجوز أن تتوقف ، والتنبيه إلى المخاطر الجسيمة التي يتعرض لها المسجد الأقصى ، يجب أن تستمر ،حتى يتم تحرير المسجد ، وتحرير القدس وفلسطين من الصهاينة الغاصبين .. ذلك أن المسجد الأقصى ، يمثل قلب معادلة الصراع العربي الصهيوني في جوهرها الحضاري والذاتي .

وقد يكون من نافل القول ، بعد ست عشرة سنة من محاولة إحراق المسجد الأقصى ، أن نكرر القول ، بأن الصراع بين العرب والحركة الصهيونية ، هو صراع حضاري ، قبل أن يكون صراعا عسكرياً أو اقتصادياً... لكن المحاولات الساذجة أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، لتسطيح هذا الصراع وتبسيطه ، تجعل من عملية قرع « جرس الانذار » ، واجبا وطنياً وقومياً لايجوز التخلي عنه أو تجاهله .. وعلينا أن نتذكر كيف سطا الصهاينة على التراث العربي الفلسطيني ، وقدموه للعالم على أنه تراث يهودى ضارب في أعماق التاريخ ، مثل سطوهم على اللباس الفلسطيني التراثي ، وبعض الآثار الكنعانية العربية .

إحراق المسجد الأقصى

من هنا تأتي أهمية التنبيه للمخاطر الداهمة التي يتعرض لها المسجد الأقصى ، باعتباره أحد أهم شواهد الحضارة العربية والاسلامية ، وباعتبار أن الصهاينة يملكون البديل الحضاريل للمسجد ، ألا وهو هيكل سليمان ، لذلك لم يكف الصهاينة ولن يكفوا مادامت لهم شوكة ، عن محاولة هدم المسجد الأقصى وتقويضه وإزالته من الوجود ، لبناء هيكل سليمان المزعوم مكانه ، فكما أن المسجد الأقصى هو أحد أعمدة صرح الحضارة العربية والاسلامية ، فهيكل سليمان ، هو لب « الحضارة اليهودية » المزعومة ، وقد لخص دافيد بن غوريون ، هذه القضية ، بالمعادلة التالية : « إنه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولامعنى للقدس بدون الهيكل » ! !

وقد جاءت عملية إحراق المسجد الاقصى في ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩ ، كواحدة من المحاولات الصهيونية لهدم المسجد ، وبناء الهيكل على أنقاضه ، فقد استخدم الصهاينة في تنفيذ تلك الجريمة مواطنا استرالياً يدعى مايكل دنيس روهان ، بعد إجراء عملية غسيل دماغ له في إحدى المستوطنات الزراعية ، وكان المدخل الذي بدأت منه عملية التحريض على جريمة إحراق المسجد الأقصى ، انتماء هذا الرجل لكنيسة مسيحية (متصهينة) ، تدعى « كنيسة الله » ، حيث يزعم اتباع هذه الكنيسة ، بأن المسيح (كلمة مسيح تعني المخلص) ، لن ينزل الى الأرض ، لتخليص شعبه (اليهود) ، إلا بعد بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ، ثم قيادة هذا الشعب في طريق السيطرة والقوة ، للقضاء على أعدائه (من الغوييم أي غير اليهود) .



ومنذ محاولة روهان لاحراق المسجد الاقصى ، والمؤتمرات الصهيونية لتقويض المسجد لاتكاد تتوقف ، وقد كان آخرها محاولة نسفه بالمتفجرات ، فقد باغت اثنان من حرس المسجد العرب ، مجموعة من الصهاينة ، كان أفرادها يحملون كميات كبيرة من المواد المتفجرة داخل ستة صناديق ، لتسريبها الى داخل المسجد الأقصى .

ومن الاعتداءات الصهيونية البارزة على المسجد ، ذلك الاعتداء الذي قامت به عصابة الحاخام « مئير كهانا » ، وعصابة مايسمى « لجنة أمناء جبل الهيكل » عندما حاول أفراد هاتين العصابتين ، وبينهم جنود في الجيش ، اقتحام المسجد الأقصى في ١٩٨٢/٤/١١ لأداء الصلوات اليهودية فيه ؛ وقد تصدى لهم عدد من المواطنين العرب وحراس المسجد ، واشتبكوا معهم بالأيدي ، وفي غضون ذلك قام جندي صهيوني كان يرتدي لباس المظليين ، باطلاق النار من بندقيته على الحراس فاستشهد اثنان منهم وأصيب ثالث بجروح خطيرة ، ثم اقتحم الجندي الصهيوني المسجد الأقصى ، وأخذ باطلاق النار بشكل جنوني وحاقد في جميع الاتجاهات ، وأشعل النار في عدد من السجاجيد ، وأطلق النار على المصلين ، وعندما هرع عدد من المواطنين العرب الى المسجد الأقصى لاستطلاع مايحدث ، هاجمهم الجندي الصهيوني بنيران بندقيته ، فسقط عدد من القتلى وعدد من الجرحى ، بلغ مجموعهم ١٧ شخصاً ، ثم تابع الجندي ، وباعصاب باردة ، اطلاق النار داخل المسجد على الأضواء والثريات والمنبر ، وفي هذه الأثناء دخل ثلاثة عشر شابا الى المسجد الأقصى لمحاولة إخراج الجندي الصهيوني منه ، لكن هذا أطلق النار عليهم ، فلم ينج منهم سوى مواطن واحد ، وعندما تقاطر المواطنون العرب على المسجد ، على أصوات المؤذنين ، من القدس والقرى المجاورة بالألوف ، تدخل جيش العدو ، وأطلق النار والقنابل المسيلة للدموع على المواطنين العرب ، فأصيب سبعة منهم بجروح .

وقد تبين فيما بعد أن الجندي الصهيوني المجرم الذي أطلق النار ، في ساحة مسجد عمر والمسجد الأقصى ، يدعى « إليوت غودمان » ، وقد هاجر الى فلسطين المحتلة في عام ١٩٧٦ قادماً من الولايات المتحدة ، وأنه طالب في مدرسة تلمودية ، وعندما سئل « غودمان » عن سبب فعلته قال بكل وقاحة : « لقد كان من واجبي أن أفعل هذا » .



هرتسل : إذا حصلنا على القدس .. فسأزيل كل شيء غير مقدس لدى اليهود في المدينة .. وسأحرق الآثار التي مرت عليها القرون ! !



بن غوريون : لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل

وفي الواقع فان المحاولات الصهيونية ، لهدم المسجد الأقصى وتقويضه ، عديدة جداً ، لكن يحسن بنا أن نختتم الحديث عنها ، بالمحاولة التى أعدها الحاخام « مئير كهانا » ، فقد عثرت قوات الأمن الصهيونية وبمحض الصدفة ، على مستودع كبير مليء بالمتفجرات بتاريخ ١٩٨٠/٥/١١ ، وتبين أنه تابع « لعصبة الدفاع اليهودية » التي يتزعمها « كهانا » وكان المستودع قد بني على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية بالقدس المحتلة ، وقد أعتقل الحاخام كهانا مع عدد من أتباعه بينهم جنديان ، بتهمة سرقةأسلحة ومتفجرات من مستودعات الجيش الاسرائيلي ، للإعداد لنسف المسجد الأقصى ، وقد جاء اكتشاف هذه المتفجرات ، قبل أيام معدودة من الموعد الذي حدده كهانا لتفجير المسجد الأقصى ، واعترف هذا الحاخام الصهيوني في محاضرة ألقاها في ١٩٨٠/١٢/٢٤ ، بأن الجيش الاسرائيلي أخطأ خطأ قاتلاً ، لأنه لم يهدم المسجد الأقصى بعد احتلاله في عام ١٩٦٧ .

الحفريات حول المسجد الأقصى

سلك الصهاينة أسلوبا آخر غير النسف والهدم المباشر ، في عدوانهم ضد المسجد الأقصى ، ويقوم هذا الأسلوب« غير المباشر » على الحفريات حول المسجد وتحته من الناحيتين الغربية والجنوبية ، والهدف الحقيقي لذلك ، هو تخريب دعائم المسجد الأقصى وأساساته ، وتصديع جدرانه ، تحت ذريعة البحث عن بقايا هيكل سليمان ، إلا أن هذا الأسلوب لايقل خطورة عن الأسلوب الأول الذي يعتمد النسف والهدم بالمتفجرات .

وقد ترافقت الحفريات الاسرائيلية هذه ، مع هدم وإزالة جميع المباني الاسلامية ، من معاهد ومساجد وزوايا وأسواق ومساكن ومقابر ، كانت قائمة فوق منطقة الحفريات ، وملاصقة أو مجاورة لحائط البراق (حائط المبكى) ، وقد حدد السيد روحي الخطيب ، أمين القدس المبعد عن وطنه ، مراحل الحفريات الاسرائيلية ، بتسع مراحل حتى أواخر عام ١٩٨١ ، يمكن ايجازها بما يلي :

المرحلة الأولى : جرت على امتداد ٧٠ مترا من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي ، خلف جزء من جنوب المسجد الأقصى ، وأبنية جامع النساء ، والمتحف الاسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له ، ووصل عمق هذه الحفريات الى ١٤

متراً ، وهي تهدد مع مرور الزمن باحداث تصدعات في هذا الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له .

المرحلة الثانية : بدأت حيث انتهت المرحلة الأولى ، واتجهت شمالاً حتى تصل الى أحد أبواب الحرم الشريف المسمى « باب المغاربة » مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية) مركز الامام الشافعي » ، وعددها ١٤ مبنى ، تصدعت جميعها ، ثم أزالها الاسرائيليون بالجرافات بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٤ .

المرحلة الثالثة : وقد امتدت من مكان يقع في أسفل مبنى المحكمة الشرعية القديمة (أقدم المباني التاريخية الاسلامية في القدس) ، مارة بأسفل خمسة أبواب من أبواب الحرم القدسي ، وعلى امتداد ١٨٠ متراً ، وفوق مجموعة من المباني الدينية والحضارية والسكنية والتجارية ، تضم مساجد قايتباي الأثرية الأربعة ، وسوق القطانين وهو أقدم سوق أثري عربي إسلامي في القدس ، وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطن فيها ثلاثة آلاف عربي ، وقد تسببت هذه الحفريات التي تراوح عمقها مابين ١٠/١٤ متراً ، في تصديع عدد من المباني ، منها الجامع العثماني ، ورباط الكرد ، والمدرسة الجوهرية ، وكلها عقارات دينية وحضارية ، مايزال خطر الانهيار يتهددها بسبب هذه الحفريات .

المرحلتان الرابعة والخامسة : وقد امتدت الحفريات لمسافة ثمانين مترا خلف الحائط الجنوبي المتد من أسفل الجانب الشرقي للمسجد الأقصى وسور الحرم ، وقد اخترقت هذه الحفريات الحائط الجنوبي فى منتصف عام ١٩٧٤ ، ووصلت منه الى المسجد الأقصى بعمق عشرين متراً ، وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقصى لخطر الانهيار .

المرحلة السادسة : وقد بدأت في المنطقة الواقعة ما بين باب السيدة مريم والباب الذهبي ، وهي تهدد بازالة وطمر القبور الاسلامية التي تضمها أكبر مقبرة إسلامية في القدس وفيها رفات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم الاسلامي ، في مقدمتهم الصحابيان : عبادة بن الصامت ، وشداد ابن أوس الأنصاري .

المرحلة السابعة : وفي هذه المرحلة بدأ العدو الصهيوني بتعميق ساحة البراق الشريف ، الملاصقة للحائط الغربي ، وقد أزال الصهاينة معظم المثنى عقار عربي اسلامي بعد هدمها في هذه المنطقة ، والتي كان يقطنها ثمانمئة مواطن عربي ، تم تشريدهم جميعاً . ويعرض مشروع الحفريات الصهيونية في هذه الساحة ، مبنى المحكمة الشرعية القديمة ،المعروفة بالمدرسة التنكوية ، وكذلك مبنى المكتبة الخالدية ، وزاوية مسجد « ابو مدين الغوث » ، وكلاهما من الأوقاف الاسلامية ، بالاضافة الى ٣٥ عقاراً يسكنها ما لايقل عن ٢٥٠ عربياً .

المرحلة الثامنة : وتتناول منطقة تقع خلف الجدران الجنوبية للمسجد لأقصى ، وتستهدف اكتشاف مايسمى « بمدافن ملوك اسرائيل » .

المرحلة التاسعة : وفي هذه المرحلة من الحفريات الصهيونية التي بدأت في منتصف عام ١٩٨١ ، شرع الصهاينة في اختراق الحائط الغربي ، حيث وصلوا الى نفق قديم ، وهو أثر إسلامي خالص ، يمتد مابين الحائط الغربي للحرم القدسي ، في الموقع المسمى بالمطهرة مابين بابي السلسلة والقطانين ، وسبيل قايتباي المواجه لقبة الصخرة المشرفة . وقد أدت هذه الحفريات ، التي نجم عنها تصديع الأروقة الغربية مابين بابي السلسلة والقطانين ، الى انتفاضة واسعة النطاق في الأراضي العربية المحتلة ، كان من نتائجها إغلاق هذا النفق ، خاصة وأن علماء الآثار الصهاينة لم يجدوا ما يشير من قريب أو بعيد الى صلته بالاسرائيليين القدماء أو هيكل سليمان .

هل اقترب موعد الهدم ؟

منذ ثلاث سنوات ، والمدارس الدينية اليهودية في البلدة القديمة القدس المحتلة ، فى تزايد مستمر ، خاصة في الأحياء المجاورة لمسجد الأقصى ، والهدف المعلن لهذه المدارس التي تنتمي الى حركات دينية وسياسية مختلفة ، هو تدريس أصول الدين اليهودي للشبان والأجيال اليهودية الناشئة ، لكن الهدف الحقيقي والأهم وغير المعلن ، هو استنبات كوادر من اليهود المتعصبين والمهووسين ، للقيام بهدم المسجد الأقصى ، وبناء الهيكل « الثالث » على أنقاضه .

والتطور الخطير في هذا المجال ، هو تعاظم سطوة الأوساط الدينية الاسرائيلية التي ترفع شعار « حق اليهود في الصلاة في المسجد الاقصى » ، وتدعم هذه الأوساط ، مجموعات مسيحية غريبة الأطوار ،وتنتشر في مختلف الدول الغربية .

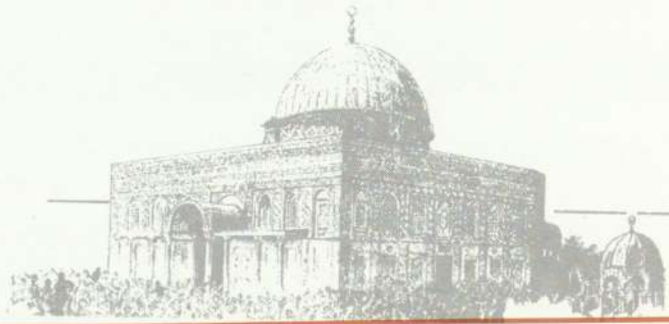
ومن بين المؤيدين لفكرة بناء هيكل سليمان في ساحة الحرم الشريف ، كل من الحاخام دافيد ليڤ حاخام مدينة تل ابيب ، ودافيد شلوش حاخام مدينة ناتانيا ، وشار يشوف حاخام مدينة حيفا ، اضافة الى الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين مردخاي إلياهو ، والحاخام الأكبر السابق لليهود الغربيين شلومو غورين . وتقف حركة « أمناء جبل الهيكل » التي أسسها غرشون سلمون في أواخر عام ١٩٦٧ ، على رأس القوى الصهيونية الساعية إلى تهويد المسجد الأقصى ، وهذه الحركة تقوم عادة باقتحام المسجد الأقصى في المناسبات الدينية ، كما تنظم التظاهرات الداعية الى التهويد بين الفينة والأخرى . أما « حركة الحشمونيم » التي يتزعمها يوئيل ليرنر ، فهى أكثر عنفاً وتطرفاً في دعوتها لهدم المسجد الأقصى ، فقد اعتقل ليرنر هذا بتهمة التسلل الى ساحة المسجد ، ومحاولة نسف مسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، « لتحريرها من الغرباء ! ! » ، وصرح ليرنر الذي يتخذ مقراً له في القطاع الشرقي من القدس المحتلة ، لصحيفة « هآرتس » : « إنه يجب القيام بعملية ما ضد المسجد الأقصى ، وإن نسفه لن يؤدى الى توحيد العالم الاسلامي ضد إسرائيل ، لأن ذلك لن يكون أسوأ من يوم الاعلان عن قيام « اسرائيل » .

أما أكبر المتآمرين المتلهفين على هدم المسجد الأقصى ، فهو الحاخام يسرائيل أريئيل ، الذي يقيم في الحي اليهودي من القدس القديمة ، وقد سبق لهذا الحاخام وارتبط اسمه بالعديد من المحاولات العدوانية ، ضد المسجد ، كان آخرها محاولة مجموعة من طلابه التسلل الى المسجد الأقصى تحت جنح الظلام .

وهناك ايضا ، حركة تطلق على نفسها اسم « الى جبل الله » ، وهى تتخذ من مستوطنة « عوفره » بالضفة الغربية المحتلة مقراً لها ، وقد امتنعت هذه الحركة منذ فترة عن ممارسة نشاطاتها بشكل علني .

وفي القطاع الشرقي من القدس المحتلة ، توجد مدرسة كتب على واجهة مبناها « عطيرت كوهليم » ، وهذه المدرسة الدينية ، تعمل على إعداد رجال الدين اليهود ، من أجل القيام بالشعائر الدينية في هيكل سليمان الذي ينوي القائمون على المدرسة بناءه في ساحة المسجد الأقصى ، ومن المضحك المبكي في الهوس الصهيوني هذا ، أن أحد رجال الدين اليهود واسمه دافيد البوم ، يقوم بخياطة الملابس التي سوف يستخدمها الكهنة اليهود عند تدشين هيكل سليمان قريباً .

كما أعلن مؤخراً في القدس المحتلة ، عن تأسيس عصابة صهيونية جديدة تحت اسم



«منظمة عطار اليوشنا»، هدفها تهويد القدس، وطرد سكانها العرب، وهدم المسجد الأقصى، لبناء هيكل سليمان مكانه.

وبالطبع فإن هناك عصابة «كاخ» التي يتزعمها الحاخام مئير كهانا، وهي وريثة «عصبة الدفاع اليهوديه» التي أسسها هذا الحاخام في الولايات المتحدة أولاً قبل قدومه الى فلسطين المحتلة، ثم عصابة «غوش ايمونيم» التي يتزعمها الحاخام موشي ليفنغر، وهاتان العصابتان لاتخفيان عقيدتهما الارهابية لتهويد القدس وكل الأراضي العربية المحتلة، وتدمير المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان مكانه.

وتجتمع هذه العصابات كلها حول ضرورة هدم المسجد الأقصى، في أقرب فرصة ممكنة، لبناء الهيكل، لأن ذلك في زعمها يقرب موعد قدوم «المسيح الذي سيخلص شعبه اليهودي من الآلام والعذاب، ويقوده للسيطرة على جميع الشعوب الأخرى والسيادة عليها!!»

لكن.. إذا كانت هذه هي عقائد العصابات الصهيونية، فان من المستهجن فعلاً، أن تقوم حركات دينية مسيحية، تشاطر هذه العصابات أفكارها، ومن بين هذه الحركات «السفارة المسيحية العالمية في القدس»!، وقد تأسست هذه «السفارة» قبل أربع سنوات، احتجاجا على نقل السفارات الأجنبية من القدس الى تل أبيب، في أعقاب «القانون» الذي أقره الكنيست الصهيوني في حينه، والذي اعتبر المدينة «عاصمة أبدية لاسرائيل»، أما مؤسسو هذه «السفارة» فهم عائلة: الزوج فيها هولندي يؤمن حسب زعمه، بأن المسيحي الحقيقي هو الذي يحب اليهود، أما الزوجة فهي مسيحية من السودان، وابنهما «العشريني» الذي يخدم في الجيش الاسرائيلي، وتضم هذه «السفارة المسيحية» ٢٥ موظفاً، وهي تصدر منشورات دورية تطالب العالم المسيحي بمساعدة اسرائيل، وتتحدث عن حق اليهود في بناء هيكل سليمان «الهيكل الثالث» على أنقاض المسجد الأقصى.

أولى القبلتين وثالث الحرمين

إن المسجد الأقصى، الذي يتعرض لكارثة حقيقية اليوم، هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، حيث كانت القدس قبلة المصلين في سني الاسلام الأولى؛ وهو مؤلف من قبة الصخرة ومسجد ملحق بها، وساحة تنتهي عند حدود حائط قديم، يزعم اليهود أنه من بقايا هيكل سليمان، ملكهم السابق، وهو حائط البراق أو الحائط الغربي. وكان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، قد أمر ببناء المسجد الأقصى في عام ٦٨٥م (٦٦هـ)، واستكمل بناءه من بعده، ابنه الوليد ابن عبد الملك في عام ٦٩١م (٧٢هـ).

وتبلغ مساحة الحرم الشريف ١٤٤ ألف متر مربع، أي سدس مساحة القدس القديمة، وتعتبر قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان، والتي تقوم على قاعدة من ثمانية أضلاع، مثالا رائعاً للفن الاسلامي في القرن الثامن، ويبلغ طول المسجد الأقصى ٩٠ متراً، وعرضه ٦٠ مترا، ويمكن أن يتسع لخمسة آلاف من المصلين، وهو كقبة الصخرة المشرفة، مزين بفسيفساء جميلة للغاية، وبآيات قرآنية، نقشت على جدرانه المرمرية.

وفي العهد العباسي، جرى ترميم المسجد الأقصى، وفي العهد الفاطمي حدث زلزال كبير أصابه بأضرار بالغة، فأعيد ترميمه في عام ١٠٢٢م بأمر من الخليفة الفاطمي «الظاهر لاعزاز دين الله»، وفي عهد الصليبيين حول هؤلاء المسجد الى كنيسة، لكن صلاح الدين الأيوبي، أعاده مسجداً كما كان بعد انتصاره على الصليبيين، وأزال معالم الكنيسة الطارئة عنه، وظل الخلفاء والأمراء المسلمون المتعاقبون، يرممون المسجد الأقصى، كلما نال منه الزمن أو الكوارث أو المحتلون، مضيفين تحسينات الى القبة والجدران والأبواب، وقد سار على هذا المنوال، السلاطين العثمانيون حتى انهيار إمبراطوريتهم.

ونعود الى القول، إن سعي الصهاينة المتواصل والمتصاعد، لهدم المسجد الاقصى، من أجل بناء هيكل سليمان مكانه، هو الدليل الدامغ، على أن الصراع بين العرب والصهاينة، إنما هو صراع حضاري قبل كل شيء. وقد قال زعيم الصهيونية ومؤسسها، «تيودور هرتسل» قبل أكثر من ثمانين عاما مايلي: «اذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت ما أزال حياً وقادراً على القيام بعمل ما، فلسوف أزيل كل شيء غير مقدس لدى اليهود في المدينة، ولسوف أحرق الآثار التى مرت عليها قرون!!!».

عصام شريح

هيكـــــل سليمـــــان

ينسب الى سليمان بن داود، انه شيد المعبد المعروف باسمه «هيكل سليمان»، بيد ان المؤرخ الاميركي اللبناني الاصل فيليب حتي، يذكر في كتابه «تاريخ سورية»، ان هيكل سليمان الذي تعتبره التوراة مثلاً لأوج «عظمة سليمان»، انما هو من صنع الفينيقيين الصوريين (أهل مدينة صور بجنوب لبنان)، وقد بناه هؤلاء على نمط المعابد الكنعانية، كما أن قصر سليمان في «أورشليم»، هو من صنع الفينيقيين أيضا. وحتى تسمية «الهيكل» مأخوذة، كما يذكر «طه باقر» في كتابه «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة»، من كلمة «هيكال» الكنعانية.

وكان خراب الهيكل الأول، أو تدميره، على يد الملك الكلداني نبوخذ نصر الذي فتح القدس وأحرق الهيكل وجميع بيوت اليهود في «أورشليم»، وسبى زهاء ٥٠ ألف أسير يهودي الى بابل، وذلك في عام ٥٨٦ ق.م. وهذا مايطلق عليه اليهود خراب الهيكل الأول.

وقد بنى اليهود الهيكل ثانية، في عهد «قورش» الفارسي، الذي احتل سورية وفلسطين بما فيها القدس «أورشليم»، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر، بالرجوع الى فلسطين، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان الملك الأكادي قد نقلها الى عاصمة ملكه بابل، وأمر الملك الفارسي «قورش» باعادة بناء هيكل سليمان على نفقته، فبدأ اليهود العائدون من الأسر البابلي، ببناء الهيكل، لكن لم يتمكنوا من استكمال بنائه، إلا في عهد الملك الفارسي «دارا الأول» في عام ٥١٥ ق.م.

وبعد زوال الحكم الفارسي عن بلاد الشام، ودخول الرومان اليها، قام اليهود بثورات ضد الرومان بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها هؤلاء عليهم، وقد تمكن الامبراطور الروماني «فسبسيان» من القضاء على ثورة اليهود، ودخل «أورشليم» عام ٧٠ ميلادية، وأوقع مذبحة مريعة في سكانها من اليهود، وخرب المدينة وأحرق هيكل سليمان، وأزاله من الوجود تماماً، بحيث لم يعد أحد يهتدى الى موضعه الذي كان فيه.

والآن.. وبعد اغتصاب فلسطين على يد الصهاينة، يحلم هؤلاء مجدداً باعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وهم يطلقون على هذه المرحلة، اسم مرحلة بناء الهيكل الثالث!!

من هنا نبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

نشرت الصحف أخيرا بأن أحد منتجى الأفلام فى مصر ذبح عجلين على باب الأستوديو لطرد الأرواح الشريرة لأنه يعتقد أن المنتجين الآخرين حسدوه بعد أن تمكن من جمع الفنانتين بوسى ورغده فى الفيلم الذى ينتجه المسمى (النشالات الفاتنات) ، وذلك لأنه لاحظ أن بعض العاملين مرضوا أثناء قيامهم بالتمثيل ، فمن الممثلات من أصيبت بنوبة برد ، ومنهن من أصيبت بانهيار عصبى ، ومنهن من أصيبت بحساسية . وتقول الصحيفة التى نقلت الخبر إنه بعد أن ذبح المنتج العجلين لم يصب أحد من العاملين فى الفيلم بأى مرض حتى تم اخراج الفيلم ، فذبح العجلين حقق الهدف منه بابعاد الاصابة من المرض .

المفترض أن منتج الفيلم رجل مثقف ، لايؤمن بالخرافات . ومن المؤسف أننا نرى كثيرا من المثقفين ، وبعضهم دكاترة يحملون دكتوراه فى الشريعة أو الفلسفة وغير ذلك من العلوم ، يؤمنون بمثل هذه الخرافات . وفى مجلة آخر ساعة مثلا بالعدد (٢٦٤٢) المؤرخ ٢٤/ رمضان ١٤٠٥هـ . يحكى لنا رجل يدعى د . محمد مصطفى حلمى عن الصوفى عمر بن الفارض أمورا لايصدقها العقل ، مثل أنه يرى مكة من القاهرة ، وكذلك شيخه البقال الذى أطلع ابن الفارض على السر ، وأن ابن الفارض كان يعيش بين الوحوش فى أودية مكة ثم استدعاه شيخه البقال بعد ست عشرة سنة قضاها فى مكة وكان اتصاله به عن طريق الاتصال الروحى الغيبى ، وأنه سمعه من مكة يقول له : احضر ياعمر (يلاحظ أن ذلك قبل اختراع اللاسلكى والتليفون) ويورد الدكتور هذه المعلومات بطريقة تدل على ايمانه بصدقها .

وفى تحقيق لآخر ساعة بالعدد رقم (٢٦٣٨) المؤرخ ٢٥ / شعبان ١٤٠٥ هـ . عن صناديق النذور أن رجلا فقيرا ذبح عجلا للشيخ عندما أنجبت زوجته بعد عشرة أعوام من العقم ، وآخر اقتطع من معاش أولاده بضع جنيهات لعدة شهور ليوفى نذراً للشيخ ، وبعض النساء بعن مصوغاتهن ليوفين بنذر للشيخ ، فتدخل صناديق النذور ملايين الجنيهات ولايدخل منها شىء لجيوب الفقراء . وأن أكثر هذه الأموال تذهب الى جيوب من يسمون خلفاء ، وحامل المفاتيح من أهل الطرق الصوفية . وكثير من هؤلاء مثقفون ، وبعضهم أساتذة فى الجامعات ، وعلماء الدين أكثرهم يقر هذه الخرافات أو يسكت عنها ؛ وحتى المسئولون من العلماء فى السلطة لايحاولون إرشاد الناس الى الطريقة الصحيحة لتقديم صدقاتهم . ولم أجد من انتقد هذه الخرافات من كبار العلماء فى العصر الحديث فى مصر إلا الشيخ محمود شلتوت ، رحمه الله ، ومايفعل فى مصر يفعل أيضا فى كثير من مناطق العالم الاسلامى ، كالشام والعراق وباكستان والهند وغيرها .

ونقول لأولئك ولهؤلاء إن تطبيق الشريعة الاسلامية الذى يطالب به كثير من المسلمين اليوم يبدأ من تصحيح العقيدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما جاء بالاسلام بدأ بالعقيدة . وقد يقول قائل إن أولئك الذين كانوا فى أيام الرسول هم مشركون ويعبدون الأصنام ؛ أما هؤلاء فهم مسلمون يعبدون الله ويعتقدون أنه هو النافع والضار . ونقول لهؤلاء إن المشركين الذين يعبدون الأصنام ودخلوا فى معارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الاحتفاظ بأصنامهم وعقائدهم الخرافية كانوا أيضا يؤمنون بالله ، ويعتقدون أنه الخالق النافع والضار . قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) العنكبوت : ٦١ . وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) . يونس ٣١/٣٢ . وقال تعالى : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون) العنكبوت/٦٣ . وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) الزخرف/ ٨٧ . وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس/١٨ . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) . الزمر/٣ .

• تصحيح العقيدة هو الأساس ولن يكون هناك إصلاح ولا حكم إسلامي إلا إذا صححنا عقائد المسلمين

• نماذج من الخرافات التي تنتشر بين المسلمين وتروج لها بعض الصحف. وكلها تخرج خروجاً كاملا على العقيدة الإسلامية الصحيحة

أليس الذبح عبادة والدعاء عبادة والاستغاثة عبادة ؟ والله يقول (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له) . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله) ؟ أليس ذبح العجول والخراف لطرد الأرواح الشريرة أو للأولياء هو ذبح لغير الله ؟ إذا كانوا يقولون بأنهم لايقصدون من الذبح أو النذر للجن أو الأولياء وانما يقصدون الصدقة فلماذا اذا يذهبون الى الأضرحة أويقصدون أماكن معينة فهل لاتجوز الصدقة الا بواسطة الأضرحة ؟ أليس ذبح العجل على باب الأستوديو هو ذبح من أجل الجن ؟

لقد استمعت فى إحدى الاذاعات العربية حديثا دينيا لأحد المشايخ يبرر فيه هذه الخرافات ويقول إن الله قد عصم هذه الأمة من الشرك ؛ ونقول لهذا الشيخ ألم يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مرضه الذى مات فيه مما كانت تعتقده النصارى فى عيسى ابن مريم وأمه من ألوهية ؟ فقد أخرج البخارى ومسلم والنسائى والدارمى والبيهقى وأحمد عن عائشة وعبد الله بن عباس معا رضى الله عنهما (لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) « يحذر ماصنعوا » . وفى حديث آخر عن عائشة قالت قال رسول الله فى مرضه الذى لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة فلولا ذاك أبرزَ قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً .أخرجه البخارى وأبو عوانه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (اللهم لاتجعل قبرى وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)أخرجه أحمد وابن سعد فى الطبقات وأبو نعيم فى الحلية . وعن جندب قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول (قد كان لى فيكم أخوة وأصدقاء وانى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولوكنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم .

والمعروف أن سبب الشرك هو الغلو فى الصالحين ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى : (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائها ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم (تقادم العلم) عبدت قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ذلك . وجاء فى الصحيحين أن أم سلمه وأم حبيبة لما رأتا الكنيسة فى أرض الحبشة وذكرتا حسنها وتصاوير فيها جميلة قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(أولئك كانوا إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل) .

فما يفعله المسلمون الآن من خرافات أكثره منقول من طقوس النصارى والفرس والهنود الوثنيين ولاينكر أحد ممن درس عادات الأمم السابقة وأديانها أن فيها كثيرا مما يفعل فى بلاد المسلمين اليوم باسم الدين والتصوف . وكل ما نطالب به أن تصفى عقائد المسلمين وأن يقوم علماء المسلمين بواجبهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأهم المنكرات التى يجب ازالتها وتحذير المسلمين منها هى التى تتعلق بالعقيدة لأن تصحيح العقيدة هو الأساس ولن يكون هناك إصلاح ولا حكم إسلامى صحيح إلا اذا صححنا عقائد المسلمين . فهذا منتج الفيلم الذى ذبح العجلين لو أن عقيدته الاسلامية صحيحة وتربى عليها ، وفهمها على وجهها الصحيح ، ماذبح العجلين على باب الأستوديو ، وتبعا لذلك أيضا لن ينتج أفلاما فيها خلاعة ومجون تتعارض مع عقيدته الاسلامية . وتصحيح العقيدة مرتبط بالتصحيح الاجتماعى ؛ وخليفة السيد البدوى الذى يتقاضى آلاف الجنيهات من الفقراء سيذهب يعيش من عرق جبينه لو أن عقيدته وعقيدة أولئك الفقراء صحيحة . والله يقول الحق ويهدى السبيل .

كان كريشنا طفلا

شعر: محمد إبراهيم أبوسنّة

في العاشر من يوليو ١٩٨٥ نشرت صحيفة الاهرام هذا النبأ : كشفت صحيفة « باتليبوترا تايمز » الهندية عن عمليات اغتيال بشعة للاطفال تجرى في مدن ولاية بيهار شرقي الهند بهدف تصدير هياكلهم وجماجمهم لمراكز الابحاث الطبية في نحو ٢٣ دولة في مقدمتها الولايات المتحدة وكندا . وذكرت الصحيفة أن أكثر من ١٥٠٠ جمجمة أطفال تصدر شهريا الى تلك الدول بواسطة أوراق جمركية مزورة تشير الى أن تلك الصادرات من الفاكهة وذلك نظير مبالغ تصل الى ثلاثة آلاف دولار للهيكل العظمى الواحد واكدت الصحيفة أن عمليات الاختطاف التي تشهدها الولاية على نطاق واسع للاطفال ترتبط بجرائم اغتيالهم حيث يجرى تقطيع رءوسهم وفصل أعضائهم في مراكز متخصصة قبل تصديرهم »

كان كريشنا ابنا لامرأة من « بيهار »
تطحن أيام العمر المجدب
في وحل الطرقات
كي تحمل شيئا لكريشنا غير الكلمات
كسرة خبز
أو قطعة حلوى
بعض فتات
يتلقفه العصفور الذاهلُ
من نوبات الجوع
وتبريح الوحشه
كان « كريشنا » ابنا لحكيم هندى متواضع
يؤمن بالأشياء الأولى
كالأرض ، النار ، الماء ، الأشجار
كان كثيرا مايتأمل هذا العالم
هذا الوحش الأبله
يفتك بالانسان وبالحيوان
كان كثيرا مايفنَى في الأفكار
حتى هلك من البرد القارس والجوع
وسط خريف الحكمة
بين تلافيف الأوهام الخضراء

كان « كريشنا » يلهو مع خلانه
ذات مساء
ويحاول وسط الوَهَن
البدني الكامن في أعضائه
أن يبتسم لإبنة جيرانه
كان الليل القادم من كل الأنحاء
يغلق أبواب الغابات

يلقي فوق الأنهار ستائر قاسية من ظلمة
يخنق أشباح نهار
ركلته أقدام الزمن العابر
كان الليل دبيبا أسود
يسرى فوق الأسطح والأشجار
يسرى مثل النار
تلتهم المدن وتلقي ببيوت الفقراء
في قاع سكون موحش
هتف « كريشنا » بالأصحاب
« هيا للبيت ، اشتقت لأمي

أخشي هذا الليل »
لم يكمل كلماته







كان لصوص الليل
ينقضون على « كريشنا »
وعلى صحبه
حملوهم مكتوفي الأيدي والأعناق
حملوهم في قلب الليل الى المجزر
حيث الذبح وتقطيع الأوصال
حملوهم كثمار المانجو
تذهب للتصدير
« الجمجمة لمركز أبحاث طبي أمريكي
والصدر وباقي الأعضاء
لمراكز أبحاث أوربيه
تقتسم أوربا حصتها الهنديه
من أجسام الأطفال

° ° ° °

كان كريشنا طفلا
صار كريشنا عينة طبيه
كان كريشنا طفلا
صار كريشنا حفنة دولارات
كان كريشنا طفلا
صار دموعا في عيني أمه

كان كريشنا طفلا
صار الخبر الأول في صدر الصفحات
للصحف اليوميه
كان كريشنا طفلا
أصبح إعلانا عن وحشية عصر
والعالم أصبح دغلا
والأيام جريمه
هل نخفي أوجهنا
هل نمضي في نسيان المجزرة
بمجزرة أخرى
ونواصل هذا الكذب اليوميّ على النفس
هذا العار اليومي
على هذا الكوكب

هل نمحو هذا العار بعار آخر
أم يمحونا
مات الإنسان الطيب
هذا عصر الانسان الذئب
عصر الوحشية والزيف
الرعبْ
مات الحبْ

رأي صريح في مأساة لبنان

لماذا انهارت ديمقراطية الاتفاق الواعي في لبنان ؟

بقلم : الدكتور كمال المنوفي

تعد لبنان إحدى الحالات القليلة فى العالم أجمع التى تبنّت صيغة فى الحكم تعرف بديمقراطية الاتفاق الواعى واذا كان تطبيق هذا النموذج السياسى قد صادف نجاحاً مشهوداً فى هولندة وسويسرا والنمسا وبلجيكا ، نجد أن له قصة أخرى فى لبنان . فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٣ وحتى أوائل السبعينيات ، أى على امتداد ثلاثة عقود تقريبا ، أظهر النظام السياسى اللبنانى قدراً مرموقاً من الفاعلية . وتميزت الحياة السياسية بدرجة ملحوظة من الاستقرار والانتظام . فالانتخابات العامة تجرى بصفة دورية ، والناخبون يشاركون فيها بمعدلات مرتفعة ، وحرية التعبير والنشاط السياسى مكفولة إلى حد كبير ؛ هذا فضلا عن انتعاش الاقتصاد وارتفاع معدل نموه . غير أن الحال قد تبدل ؛ فاذا اللبنانيون يقتتلون ويرى الناس بأم أعينهم « حرب الكل مع الكل » ، واذا نظام الحكم يتفسخ ، واذا المؤسسات السياسية والإدارية يعتريها الشلل ، واذا الدولة تفقد سلطانها وسيادتها الاقليمية ، واذا النمو الاقتصادى تتراجع معدلاته .

هذا الوضع المؤسف بكل المعايير يلتمس فيه المحافظون والراديكاليون سندا لمزاعمهم : القائلون بأن الديمقراطية لا تصلح لبلدان العالم الثالث ، والرافضون للتحديث على النهج الليبرالى الغربى ، ودعاة الاستشراق الذين يستبعدون إمكان قيام نظم ديمقراطية فى ظل الثقافة السياسية الاسلامية العربية ، ثم كتاب مدرسة التبعية الذين يرون أن الديمقراطية الحقة شىء مستحيل فى نظام سياسى يخضع لهيمنة كبار ملاك الأرض والرأسماليين ، أولئك الذين لا هَم لهم سوى الإثراء غير المحدود وتربطهم بالمركز الرأسمالى علاقة عضوية لا انفصام لها .

وأيا كانت طروحات ودعاوى هؤلاء جميعا ، يظل السؤال الكبير شاخصاً : لماذا حدث فى لبنان ما حدث ؟ تساؤل شحذ وسوف يظل يشحذ عقول الكتاب والمحللين فى محاولة الإجابة عليه . ومساهمة من جانبنا فى هذا الصدد ، نحاول أن نطل فى هذا المقال على القضية من زاوية محددة هى : مقومات ومتطلبات نجاح ديمقراطية الاتفاق الواعى ومدى توفرها فى الحالة اللبنانية .

أركان ومستلزمات ديمقراطية الاتفاق الواعى

إن واقع الانقسام الاجتماعى هو الذى يدفع إلى الأخذ بهذه الديمقراطية . ويعود الانقسام إلى تعدد الطوائف والمجموعات المتباينة لغويا أو عرقيا . وعلى الرغم من كون التعددية الاجتماعية مدعاة للاضطراب وعدم الاستقرار ، إلا أن ديمقراطية الاتفاق الواعى — ومناطها التعاون والتصالح بين زعماء الطوائف — تحول دون ذلك . فكأن السلوك التعاونى التوفيقى على صعيد النخبة السياسية يكبح جماح العنف على صعيد الجماهير بما يفضى إلى الاستقرار السياسى . وحتى يتحقق التعاون بين هؤلاء القادة ، يجب أن يكونوا مدركين تماما لمخاطر الانقسام الاجتماعى على الوحدة الوطنية وأداء نظام الحكم . كذلك ينبغى أن يتوفر لديهم التزام أكيد بالحفاظ على النظام السياسى ووحدة المجتمع . وفى هذا يقول البروفيسور ليبسون : « من غير الممكن تطبيق الديمقراطية فى حالة وجود جماعات بينها عداء شديد ... حقا إن مستوى عاليا من التضامن ليس شرطا ضروريا لقيام ديمقراطية التصالح الواعى . ولكن يجب أن يحوز القادة حدا أدنى من الرغبة والاستعداد للعمل على تقويض أو شل فاعلية النزعات الانفصالية داخل المجتمع » .

من ناحية أخرى ، يجب أن تكون الصفوة قادرة على التفاهم المتبادل ووضع القواعد وبناء المؤسسات الكفيلة بالتوفيق بين مصالح قطاعات أو طوائف المجتمع .

ومع التسليم بأن اتجاهات النخبة وسلوكها التعاونى متطلب مركزى لنشوء واستمرار ديمقراطية الاتفاق الواعى ، ثمة ظروف أو عوامل تغذى هذا التعاون وتعززه . هناك أولا توازن القوى المتعدد بمعنى وجود عدة طوائف أو جماعات متقاربة من

حيث الحجم مما يرتب وضع الأقلية بالنسبة لأى منها . هناك ثانيا قوة التماسك الداخلى على صعيد كل طائفة ، وهو ما يضمن حصول الزعماء على مساندة وولاء الأعضاء ، هناك كذلك نظام التعدد الحزبى الذى يصبح لكل جماعة فى ظله حرية تكوين حزب سياسي يعبر عن مصالحها ويختار من يمثلها فى عضوية الكارتل النخبوى الحاكم . أضف إلى كل هذا أن تعرض الدولة لتهديد خارجى من دول مجاورة أقوى وأكبر يدفع الصفوة إلى التماسك والتكاتف فى محاولة درء خطر الاختراق التمزيقى عن المجتمع والنظام السياسي .

التطبيق اللبنانى لديمقراطية الاتفاق الواعى

تتكون لبنان من عدة طوائف إسلامية ومسيحية هى : السنة ، الشيعة ، الدروز ، المارونيون ، الأرثوذكس . واقترنت التعددية الاجتماعية هذه بنوع من العزلة القطاعية ، بمعنى أن لكل طائفة مدارس ومؤسسات اجتماعية ونظم أحوال شخصية ومحاكم خاصة بها . ولعل هذا الاستقلال القطاعى يجد جذوره فى النظام الملى العثمانى الذى كان يكفل لأبناء الملة الواحدة ــ من غير المسلمين ــ قدراً من الحكم الذاتى فى الشئون الدينية والثقافية . واعتبرت كل ملة نفسها أمة قائمة بذاتها ، يتراسل زعيمها مع الدول الأجنبية بصفته هذه ، بل وينظر إليها القناصل الأجانب من تلك الزاوية الواقعية .

لا غرابة إذن أن يتشكل النظام السياسى اللبنانى على أساس طائفى ، إذ قضى الميثاق الوطنى لعام ١٩٤٣ بتوزيع طائفى لمناصب القمة : رئاسة الجمهورية « مارونى » ، رئاسة الوزارة « مسلم سني » ، رئاسة مجلس النواب « مسلم شيعى » ، نائب رئيس مجلس النواب « أرثوذكس » . ويختار الوزراء حسب التمثيل النسبى للطوائف .

وبرغم تغير عدد وحجم الدوائر الانتخابية والعدد الكلى للنواب من فترة إلى أخرى ، كان معدل توزيع المقاعد النيابية بين المسيحين والمسلمين ٦ : ٥ بصفة مستمرة . كما روعى مبدأ التخصيص النسبى فى تعيينات جهاز الخدمة المدنية إلى حد كبير . وجدير بالذكر أن هذا التوزيع استند إلى نتائج تعداد السكان الذى أجرى عام ١٩٣٢ إبان الانتداب الفرنسي والذى أظهر التفوق العددى للمسيحيين على المسلمين .

لقد شهدت الفترة الواقعة بين عامى ١٩٤٣ ، ١٩٧٥ تكوين خمسة كارتلات نخبوية هى : الأول من ٤٣ ــ ١٩٥٢ « الرئيس بشارة الخورى » ، والثانى من ٥٢ ــ ١٩٥٨ « الرئيس كميل شمعون » ، والثالث من ٥٨ ــ ١٩٦٤ « الرئيس فؤاد شهاب » والرابع من ٦٤ ــ ١٩٧٠ « الرئيس شارل حلو » ، والخامس من ٧٠ ــ ١٩٧٥ « الرئيس سليمان فرنجية » . هذه الائتلافات النخبوية أظهرت قدراً لا يستهان به من الفاعلية . غير أن التعاون بين أعضاء الكارتل الحاكم لم يكن دائما على ما يرام . فالبيئة اللبنانية ، وإن أملت الأخذ بديمقراطية الاتفاق الواعى ، كانت تموج بالكثير من الظروف غير المواتية . وجاءت أزمة ١٩٧٥ وما أعقبها من تطورات لتجسد قصور النظام وعجزه . فالانتماءات الطائفية التى أطرها ميثاق ١٩٤٣ حالت دون نمو مشاعر وطنية لبنانية حقيقية .

يقول د. ايلى سالم أستاذ العلوم السياسية ووزير الخارجية الأسبق : « لبنان لا يزال إلى حد كبير بلدا متخلفا ضعيف الرموز الوطنية ، قوى الرموز الطائفية والمحلية ، قليل الثقة فى الحكم المركزى ، قويها فى الزعامة المحلية . إن لبنان مجموعة أديان متعايشة بالتوازن والسلبيات ، لا بالآمال المشتركة والغايات الوطنية وتحدى المستقبليات » .

من جهة أخرى ، اتصف التماسك الداخلى على مستوى كل طائفة بالضعف مما غذى الصراع بين أعضاء الكارتل الحاكم . فى بعض الأحيان كان الخلاف بين زعماء نفس الطائفة أشد مما هو بينهم وبين زعماء طائفة أخرى . وتنقسم كل طائفة على أسس طبقية وعشائرية واقليمية بحيث يصعب على زعمائها الرئيسيين أن يمثلوها بالكامل . بل إن الصراع الأفقى بين زعماء القمة داخل الطائفة يعقد منه الصراع العمودى بينهم وبين العناصر المتطلعة إلى الزعامة . كذلك عانى النظام من غياب المرونة المؤسسية . وبيان ذلك أن معدلات تخصيص المراكز السياسية والادارية قد وضعت حسب تعداد ١٩٣٢ كما سلفت الاشارة . وبمرور الوقت وبسبب ارتفاع معدل الهجرة الخارجية بين المسيحيين وارتفاع معدل المواليد بين المسلمين ، فقدت الطوائف المسيحية بالنسبة وضع الأغلبية للطوائف الاسلامية ، إذ طبقا لتقدير موثوق به نشرته مجلة المغرب ــ المشرق فى عدد ٧٢ لسنة ١٩٧٦ ، بلغ عدد المسلمين بكافة طوائفهم ٦٠ ٪ من جملة الشعب اللبنانى عام ١٩٧٥ ، مقابل ٤٠ ٪ للمسيحيين . وكان الشيعة أكبر الطوائف حجما « ٢٧ ٪ » ، يليهم السنة « ٢٦ ٪ » ، فالمارونيون « ٢٣ ٪ » . وفى تقدير لوزارة الخارجية الأمريكية يعود إلى عام ١٩٨٢ ، بلغ نصيب الشيعة ٤٠ ٪ ، والسنة ٢٦ ٪ ، والمارونيين ١٧ ٪ ، والدروز ٧ ٪ . وبالتالى يشكل المسلمون ككل ٧٣ ٪ من اجمالى السكان . وبرغم تلك التطورات التي أصابت التركيبة السكانية ، ظلت معادلة توزيع القوة السياسية دون تغيير . هذه الفجوة بين الصيغة المؤسسية والواقع الديمغرافى يراها البعض مسئولة جزئيا عما حدث فى لبنان .

يقال أيضا إن المعادلة الطائفية التى ارتكز عليها نظام الحكم فى لبنان واجهت تحديا من قبل الحركات الايديولوجية التى أخذت فى الظهور خارج الحكومة والبرلمان منذ أوائل الخمسينيات ، مثل القوميين العرب ، والناصريين ، واليسار .. الخ . إذ برغم الحرية النسبية التى كفلها لهم النظام ، إلا أن طبيعته الطائفية حالت بينهم وبين المشاركة المؤثرة فى بنية السلطة مما أثار تحفظاتهم على مؤسساته وتوجهاته وسياساته .

كما يشير البعض باصبع الاتهام إلى ضيق القاعدة الطبقية لعملية تجنيد النخبة السياسية ، حيث ضم الكارتل الحاكم قيادات مبرزة اقتصاديا ، واقتصرت دورة النخب على الزعماء التقليديين ورجال المال والأعمال ، أولئك الذين عارضوا توسع نشاط الدولة فى مجال الرفاه الاجتماعى ، مع مالهذا من انعكاسات سيئة على أوضاع الأكثرية الفقيرة من الشعب اللبنانى . لا غرابة إذن أن يكون التغيير الاجتماعى والاصلاح الإدارى أحد أبرز طروحات المعارضة السياسية .

بالاضافة إلى العوامل السابقة ، يقال إن البيئة الخارجية لم تكن مواتية لنهج ديمقراطية الاتفاق الواعى . فقد تعرض النظام الاقليمى العربى لثلاثة أنماط صراعية أثرت سلبيا على النظام السياسى اللبنانى : الصراع العربى ــ الإسرائيلى ، والصراعات العربية ــ العربية ، ثم الصراع بين القوتين الأعظم . وانصرف وجه التأثير إلى حدوث تدخل خارجى متعدد الأطراف عسكرياً وسياسياً فى الشئون الداخلية اللبنانية غير مرة . فحينما استشعر أعضاء الكارتل الحاكم تهديداً لمصالحهم ، لم يترددوا فى توسيع نطاق الصراع بدعوة أطراف خارجية إلى التدخل ، فى محاولة كل منهم حماية مركزه ومصالحه ، وانزال الهزيمة بالخصوم . إن ذلك هو ما حدث سواء فى أزمة ١٩٥٨ ، أو فى الأزمة الراهنة .

وهكذا تضافرت عوامل داخلية وخارجية على تقويض النظام السياسى اللبنانى . ولا يبدو ، والأمر كذلك ، أن أي حل طائفى بقادر على إنقاذ لبنان من مأزقه الراهن . فالكانتونات مرفوضة جملة وتفصيلا ، لأنها تعنى ببساطة انتهاء لبنان كوطن واحد ، فضلا عن أنها لن تضمن العيش الآمن المستقر للطوائف . ولا جدوى من التشبث بصيغة الميثاق الوطنى حتى مع تعديلها لأنها تكرس الطائفية . من ثم يبدو الحل فى ديمقراطية حقيقية يختفى معها الفرز السكانى أو الطائفى ، ويشارك عن طريقها الجميع كلبنانيين وعرب أولا وأخيرا فى تقرير مستقبلهم وبناء وطنهم .

كمال المنوفي- جامعة الكويت

هوامش :

• أفدنا فى كتابة المقال من المصادر التالية :

(1) Michael Hudson, 'The Breakdown of Democracy in Lebanon Journal of International Affairs, Vol. 38, No. 2, Winter 1985.

(2) Hrair Dekmejian, 'Consociational Democracy in Crisis: The case of Lebanon' Comparative Politics, January 1978.

٣ ــ النظام السياسى الأفضل للانماء فى العالم الثالث ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٧١ .

خطوط السكك الحديدية

حل عملي لكل المشاكل العربية

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

لعبت الخطوط الحديدية - حيثما كانت - دورا سياسيا أساسيا يجدر أن يتذكره كل مشتغل بالسياسة أو الاجتماع أو بالقضية الوحدوية بين الشعوب . فالوصل بالخطوط الحديدية يصل الشعوب والقوميات والأجناس المختلفة أكثر مما يتم وصلها بالأماني أو الخطب أو الأشعار . وشريط السكة الحديد يعمل أكثر مما يعمله كثير من الزعماء ذوى النفوذ أو ذوى الجيوش ، ويحقق فى الواقع ما تعجز كثير من الدساتير أن تحققه بالكلام . ومع ذلك يظل شريط السكة الحديد صامتا لا يتكلم إلا للمتأمل والمفكر والباحث عن الحقيقة .

لقد كان خط قطار الشرق السريع (القطار الأزرق) هو المدخل الحقيقى إلى السوق الأوربية المشتركة ، ثم البرلمان الأوربى المشترك ، ثم الدينار الاوربى المرتقب . ولقد تم هذا الربط العملى وتغلب على العامل السلبى للتفريق المتمثل فى حربين عالميتين بلغ ضحاياهما ٥٠ مليونا من الشباب فى أوروبا وحدها ، وقد كان خط موسكو سيبريا عاملا ماديا فى توحيد القوميات السوفيتية التى تزيد على المائة ومن ثم كان للقطار أثره الواضح فى الأدب الروسى ورواياته وقصصه وأفلامه . ويوما ما كانت بريطانيا العظمى تحلم بانشاء الإمبراطورية الانجليزية فى أفريقيا عن طريق وصل الخطوط الحديدية من القاهرة إلى الكاب . ولما فشلت فى ذلك ضاع عليها هذا الحلم الضخم .

وفى شرقنا العربى كان للخط الحديدى أثر أوضح فى الاستراتيجية الحربية والسياسية والوحدوية . كانت ألمانيا تطمع فى إنشاء امبراطوريتها العربية عن طريق خط حديد برلين - الكويت ، أو برلين البصرة . أما خط دمشق المدينة المنورة فقد حقق قدراً من الوحدة العربية وخصوصا بين مكونات الشام أو سوريا الكبرى وهو ما لم يتحقق مثله بعد ذلك فى ظل أحزاب أو دساتير أو جامعة عربية : كلها تصيح بالوحدة شعاراً ، وكان نسف هذا الخط بمعرفة « لورنس » فى الحرب العالمية الأولى نذيرا بتغير سياسى واجتماعى بلا حدود ؛ فقد سقطت الخلافة . ودخل الاستعمار الغربى كل شبر فى أرض العرب ؛ وصدر وعد بلفور بعد ذلك بقليل ودخلت أفكار الرأسمالية والماركسية وغيرهما من انتاج الذهن الأوربى إلى المنطقة كلها .

وقد ظل خط حديد القاهرة - الخرطوم من أهم عوامل الارتباط المصرى السودانى ، وكان ممكنا أن يتضخم دوره لو لم يكن منقطعا عند شلالات أسوان ، وكان ممكنا أن يحل مشكلة جنوب السودان لو أنه امتد إلى جنوب السودان .

وهناك خطوط حديدية أخرى غائبة حتى الأن . ولو أنها وجدت لعملت عملا وحدويا يتجاوز كل جهود الوحدويين الكلامية والعاطفية فلو كان هناك خط يصل بين القاهرة ودمشق لما انفصمت الوحدة السورية المصرية ولو أن هناك خطا حديدياً عبر الشمال الأفريقى لتمت بالفعل وحدة المغرب الكبير ، ولا ستحال قيام النزاع بين دولة وأخرى فى هذه ا المنطقة من مصر إلى أقصى المغرب .

يمكن أن نقول - بصدق - إن خطا عربيا حديديا هو الجامعة العربية الحقيقية .

وأكثر من هذا الدور التوحيدى للعرب فإن الخط الحديدى له أثره الخطير فى اللعبة الدولية وفى الاستراتيجية العالمية . وبعيداً عن الحساسيات العربية فى هذا الصدد اخترت الحديث عن خط حديدى مصرى كمثال توضيحى للأثر فى السياسة الدولية ، وهو خط اسكندرية - القاهرة - السويس .

خط اسكندرية القاهرة السويس

كانت مصر هى ثانى دولة فى العالم تدخل إليها القاطرة البخارية .وكان المهندس ستيفنسن الانجليزى مخترع القاطرة الحديدية التي تسير بالبخار هو شخصيا المهندس الذى تعاقد معه والي مصر على استخدام هذه التكنولوجيا لأول مرة فى الشرق وأفريقيا . والواقع أنه بذلك سبق الدول الأوربية جميعها بما فيها روسيا .

كان محمد على باشا كعاهل استأثر بملك مصر ويريد أن يغلق أبواب الملك هذا على نفسه وذريته يتخوف من كل تدخل أجنبى حتى لو كان من تركيا الأم . وكان نجاحه قد حول مصر إلى واحة مثمرة بل جنة مورقة تعطيه أحسن قطن فى العالم ، وتوشك أن تفتح له أبواب أفريقيا التى يجهلها

- القطار الأزرق هو الذي خلق السوق الأوروبية المشتركة والبرلمان الأوروبي المشترك ... والدينار الأوروبي في الطريق
- الخط الحديدى العربي هو الجامعة العربية الحقيقية
- لماذا نسف الانجليز سكة حديد الحجاز ؟
- خط القاهرة ـ الخرطوم توقف عند شلالات أسوان ولم يمتد إلى الجنوب السوداني ... وكان هذا الخط قادرا على حل مشكلة الجنوب



محمد علي باشا

العالم كله ويسميها القارة السوداء . وكان كلما ازداد ثراء بلده كلما خاف عليها من الطامعين .

ومن ثم فقد عرض عليه مشروعان رفضهما كليهما : ــ

١ ــ مشروع قناة السويس وهو مشروع فرنسا التى كان يأنس إليها ويستخدم خبراءها الذين بنوا له القناطر الخيرية (موجل) وبنوا له جيشه (سيف بك الفرنساوى) وأسسوا كلية الطب الأولى فى آسيا وأفريقيا (كلوت بك) .. الخ الخ .

٢ ــ مشروع خط حديدى من اسكندرية إلى القاهرة ومن القاهرة إلى السويس ، وقد عرضه عليه الأنجليز الذين كانوا يتربصون لفرنسا بالمرصاد ، ويدخلون معها فى سباق حول السيطرة على القاهرة منذ أن حطموا أسطول نابليون فى أبى قير . رفض محمد على كلا المشروعين ، وأراح دماغه .

ولكن بريطانيا لم تسكت ، وظلت تخطط إلى أن نفذ فعلا الخط الحديدى قبل أن ينفذ مشروع قناة السويس .ومن ثم كان لبريطانيا النفوذ الأعلى على فرنسا والذى نما بالتدريج . حصلت بريطانيا على امتياز الخط الحديدى أيام عباس الأول الذى جاء بعد محمد على وابراهيم بينما نفذت فرنسا مشروع القناة بعد ذلك فى أيام سعيد باشا ثم اسماعيل باشا . وهكذا ظلت الدولتان تتسابقان داخل مصر حتى استقر السبق لبريطانيا . فكانت لها اليد العليا بعد ذلك .

وتبدأ نقطة السباق بينهما كالآتى : كان محمد على قد استصدر من تركيا فرمان ١٨٤١ بجعل ولاية العرش فى ذريته فقط الأكبر فالأكبر سنا . ولكن بمجرد توقيع الفرمان تربص الطرفان ــ تركيا ومحمد على ــ بالنكوص عنه . فقد تدهورت صحة محمد على جدا (غير صحيح أنه جن) فولى ابنه إبراهيم باشا . فتلكأت تركيا ٦ شهور فى اصدار فرمان تولية ابراهيم ولم تصدره إلا لما تأكدت أن ابراهيم سيحارب فى سبيل تثبيت الملك لنفسه . بعد تولى ابراهيم باشا حاول تغيير نظام الوراثة بحيث يتولى بعده ابنه هو ــ محمد بك ــ بدلا من الأكبر سنا ـ عباس باشا الأول ـ ـ وهرب عباس إلى مكة والمدينة خوفا من ابراهيم . مات ابراهيم باشا مبكرا . سنحت الفرصة لبريطانيا المترقبة . لم تفلت الفرصة من يدها . أثارت بريطانيا كل السفراء الاجانب فى مصر لطلب ولاية عباس . وأرسل قنصل بريطانيا سفينة حربية بريطانية أحضرت عباس باشا من جدة ، وتولى عباس باشا الحكم . فكان عليه أن يرد الصنيع لبريطانيا : لم تطلب بريطانيا إلا إنشاء خط حديدى من الاسكندرية إلى القاهرة !

كان طبيعيا أن تتوجس تركيا من عباس باشا الأول نظرا لهذه العلاقات البريطانية . ولكن ماذا فى وسعها أن تفعله وهو قد استوفى شروط فرمان ١٨٤١ تماما ؟ وحاول عباس باشا ترضية الباب العالى بأن زار تركيا حاملا هدايا قيمتها مائة ألف جنيه ثم دعا أمه إلى زيارة أم السلطان فحملت معها هدايا قد تتجاوز ما حمله ابنها أيضا . وأرسل حملة من ثلاثة آلاف جندى وألف وخمسمائة بحار وسفينتين لتحارب جميعها مع تركيا ضد روسيا . هنا تبدو غيرة قنصل بريطانيا العام مورای الذى سبق له أن أحضر عباسا فى سفينة بريطانية من منفاه فى جدة حيث يكتب هذا القنصل فى مذكراته « .. كأن عباس يريد أن ينقض كل ما بناه محمد على من استقلال لمصر عن تركيا ! ! ! . لقد كان عباس تحت حكم محمد على مشتركا معه فى محاربة تركيا وظلت هذه سياسة مصر نصف قرن ، فما الذى دهاه عندما أصبح فى مركز السلطة حتى يتغير بهذا الشكل ! » .

الواقع أن عباس كان قد صدم من انعدام الأخلاقيات عند السياسيين الأوربين عندما رأى فرنسا التى كان محمد على باشا قد عشقها تتخلى عنه وتقف مع بريطانيا ومع تركيا ضد محمد على فى أزمة ١٨٤٠ عندما حطموا أسطول محمد على !

خطوط السكك الحديدية

حل عملي لكل المشاكل العربية

الواقع أن عباسا كان يلاحظ أن كل السفراء يحاولون ابتزاز تنازلات لدولهم ، وأنه ما من سند نسبى له إلا تركيا ذاتها . وهى وحدها التى يمكن أن تحميه من أطماع ممثلى الدول الأوربية .

ولكن هذه الرؤية نفسها غابت فيما بعد عن أبصار جميع أفراد أسرة محمد على ووصلت إلى الذروة فى ارتماء توفيق باشا على أعتاب بريطانيا أثناء ثورة عرابى .

على أن هوى عباس باشا الحقيقى لم يكن مع تركيا إلا ظاهرياً . لكنه واقعياً كان مع بريطانيا ، ولذلك فإنهم هم الذين استجلبوه إلى العرش من الجزيرة العربية فى سفينة بريطانية ، وهم الذين حركوا سفراء الدول لتأييده . وهذه الحقيقة لم تكن تخفى على الصدر الأعظم راشد باشا الذى وصل به الغيظ من عباس باشا إلى درجة تطليقه خالة عباس باشا التى كانت زوجة له . كان راشد باشا يرى أن انشاء خط حديدى يخدم بريطانيا ومصالحها فى الطريق إلى الهند هو مقدمة لفصل مصر عن الأمبراطورية العثمانية .

أما بريطانيا فقد كانت وقتئذ سيدة بحار العالم واستاذ السياسة الدولية . كانت تلعب على الأوتار السياسية المتباينة معزوفة موسيقية متكاملة لا ينافسها فيها غيرها . كان قنصلها فى مصر الفريد والن ثم شارل موراى مصممين على انشاء الخط الحديدى ومصممين على تنفيذه قبل أن تنفذ فرنسا « قناة السويس » ، بينما كان سفير بريطانيا فى اسطنبول يرى ضرورة مساندة تركيا وإبقاء كيانها واقفا كساتر بين بريطانيا من جهة وروسيا والنمسا من جهة . وكان بالمرستون رئيس الوزراء يرى أن مهمته تقتصر على مساندة كل قنصل من ذوى الرأيين المتضاربين ، إيمانا منه بأن كل بريطانى مهما اختلف رأيه هو خادم للامبراطورية .

طلب سفير بريطانيا فى اسطنبول أن تطبق مصر قانون « تنظيمات » الذى أصدرته تركيا بغرض الإصلاح الداخلي في الامبراطورية العثمانية والذي يهدف أساساً إلى تقوية الحكومة المركزية في اسطنبول . وهكذا ظهرت بريطانيا بتأييد هذا الفرمان في وجه مثالي برئ . وطلب قنصلها في مصر ذاتها ضرورة تنفيذ الخط الحديدي لأنه كما قال لبالمرستون : يجب ألا تنسينا المثالية أهدافنا الحقيقية العملية ! ووافقه رئيس الوزراء على أن الانتهازية لا تتعارض مع المثالية !!! وقال رئيس الوزراء لقنصله في مصر : تصرف مع عباس باشا ولكن بصفة غير رسمية !

في أول الأمر كان عباس باشا متوجساً من المشروع مثل محمد علي باشا ومتخوفاً من التدخل البريطاني الذي يعنيه هذا الخط . ولكن شيئاً فشيئاً ومع استمرار الضغط تحول موقفه ، وأصبح أمام ضغط لا يقوى عليه . يقول بالمرستون في مذكراته عن موقفه من مساندة رأيين متعارضين رأي سفيره في اسطنبول ورأي قنصله في مصر : « إذا تعارض خطان وكونا صليباً فهل أرفض الصليب !! »

ولم يكن وقع هذا التحول في موقف عباس باشا هيناً على فرنسا . على الأقل وقفت مشلولة تشاهد فصل آلاف الموظفين والخبراء الفرنسيين الذين كان محمد علي باشا يستخدمهم . لم يكن ألمها بسبب فقد هؤلاء الموظفين لمرتباتهم الضخمة ولكن لإدراكها أنه سيحل محلهم انجليز وسيزداد نفوذ بريطانيا الدولي ، كيف تصرفت فرنسا ؟ هنا تبدو الفوارق بين سياسة الدول المختلفة : كل ما عملته فرنسا أنها انضمت إلى « جمعية الأمراء » وهم جماعة من أمراء بيت محمد علي كانوا يهدفون إلى خلع عباس باشا . وكانت هذه الجمعية تهدف إلى تنصيب احد اثنين : إما سعيد باشا وهو عم عباس أو أحمد بك ابن ابراهيم باشا وابن عم عباس ، وهما كما يسميهما موراي القنصل البريطاني في مذكراته « أطفال فرنسا » !!! وكانا يقدمان الوعود لفرنسا باعادة نفوذها لو تولى أحدهما العرش .

استغل قنصل بريطانيا هذه الاتصالات الخلفية بين فرنسا ومنافسي عباس في ترويج فكرة الخط الحديدي عند عباس واعداً إياه بالمساندة ضد فرنسا وأطفال فرنسا : سعيد باشا وأحمد بك . في نفس الوقت وعدت بريطانيا فرنسا من وراء ظهر أطفالها ـ سعيد وأحمد ـ بأن تقف معها ضد روسيا فيما كانت تدعيه روسيا من حقوق في حماية الأماكن المقدسة في ديار الشام (فلسطين) . وطبعاً باعت فرنسا أطفالها .

كانت ازاحة فرنسا درساً دبلوماسياً وعاه غيرها ممن هم أقل نفوذاً كالنمسا وإيطاليا وألمانيا ، فلم يلعبوا دوراً معاكساً لبريطانيا .

بقيت تركيا : كانت تركيا تهدف إلى استعادة نفوذها بالكامل على مصر بعد وفاة محمد علي باشا . لم يكن عباس باشا وقد تمتع باستقلال نسبي عنها ليفرط فيما اكتسبه من استقلال وسلطات محلية ، ولكنه في نفس الوقت لم يكن يطمع ولا كان قادراً على تهديد ما بقي لها من نفوذ . واستغلت بريطانيا هذه العلاقة المزدوجة ضد ومع تركيا : فأفهمت عباساً أن يوافق على الخط الحديدي نظير أن تسانده هي لدى تركيا ! وأفهمته الواقع : هاهو محاط بأعدائه « أطفال فرنسا » الطامعين في العرش ، فرنسا ذاتها الطامعة في استعادة عهد محمد علي ، الدول الأوربية الطامعة في امتيازات مصر ، تركيا الطامعة في إعادة زمن ما قبل محمد علي . وتكشفت هذه « الحقائق » أمام عباس وكأنه يراها لأول مرة . ولكن كانت هناك عقبة أخيرة وهي الحملة الشديدة ضد إنشاء الخط الحديدي . تلك الحملة التي كانت تشنها تركيا بتحريك شخصي من الصدر الأعظم راشد باشا الكاره لعباس لدرجة تطليق زوجته ، لانهاء كل رابطة مع عباس .

وكان الحل البريطاني لهذا الإشكال الأخير مفاجأة تركيا والعالم بالحصول على توقيع عباس باشا على الاتفاقية سراً ووضع العالم كله أمام الأمر الواقع .

منذ هذا التاريخ تغير الواقع السياسي في هذه البقعة الهامة من العالم .

١ ـ غرس الوجود البريطاني جذوراً عميقة له في المنطقة

٢ ـ تمتع العرش المصري باستقلال ذاتي خارج نفوذ وقبضة تركيا لدرجة أن سهل على بريطانيا إعلان الحماية البريطانية الكاملة على مصر في عهد عباس حلمي الثاني بفضل جهود بريطانيا في عهد عباس الأول .

وهكذا لعبت السكة الحديد دورها الجذري في السياسة العالمية ، ودفعت مصر ثمن هذا الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية غالياً ، ولو كان هذا الخط قد أقيم من البداية للمصلحة الوطنية وباشراف وطني كامل لكان من آثاره العكسية تدعيم الاستقلال وحماية الوطن ولكنه قام بتخطيط وتدعيم من الانجليز الذين أشرفوا على تنفيذه تماماً ضمن خطتهم الدقيقة للسيطرة على مصر واحتلالها واتخاذ هذا الخط الحديدي وسيلة لهم للاتصال بآسيا وإفريقيا وتوسيع نطاق المصالح البريطانية .

لقد زاد هذا الخط الحديدي من أهمية مصر ، ولكن لأنه كان في أيد أجنبية من البداية كانت ثمرته في القرن الماضي شراً على مصر .

والآن هل يدرك العرب أهمية السكك الحديدية ، ويسارعون إلى ربط الأقطار العربية بشبكة كبرى من هذه السكك ، وأن تكون هذه الشبكة مشروعاً قومياً وطنياً لا دخل للأجانب في تمويله وتنفيذه ؟

هل يدرك العرب أن السكك الحديدية أهم من الجامعة العربية وأهم من كل الدعوات العاطفية التي تنادي بالوحدة ؟!

لعلهم يدركون .... قبل فوات الأوان .

السيد فهمي الشناوي

الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني في رحاب الله



المغفور له سعادة الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني

فقدت دولة قطر واحداً من رجالها الأعزاء الذين تميزوا بالورع والتقوى والجهد والإخلاص ، وهو المغفور له سعادة الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني ، شقيق حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، ووزير خارجية دولة قطر .

وتوفى الفقيد العزيز إثر نوبة قلبية مفاجئة صباح يوم الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥ هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٨٥ م .

وقد تولى الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني منصب وزير خارجية دولة قطر فى ٢٣ فبراير عام ١٩٧٢ ، وكانت له نشاطات بارزة حيث زار العديد من دول العالم والدول العربية ، وشارك فى بعض دورات الأمم المتحدة والمؤتمرات العربية والدولية ، وكانت له علاقات صداقة شخصية بالعديد من القادة والزعماء العرب .

والفقيد العزيز يناهز الثانية والخمسين من عمره ، وهو الابن الخامس للمغفور له الشيخ حمد بن عبد الله بن قاسم آل ثاني .

ومجلة « الدوحة » إذ تتقدم بأحر التعازى وأصدق المواساة إلى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى عهده الأمين ، وإلى أشقاء الفقيد وأنجاله الكرام وأسرة آل ثاني الكريمة .. فإنها تتضرع إلى الله أن يتغمد الفقيد الغالى بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني في رحاب الله



سمو أمير البلاد المفدى والفقيد العزيز



سمو الأمير يتقبل عزاء نائب رئيس وزراء الكويت

سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى يتلقى التعازى من سمو أمير منطقة الرياض



سمو ولى عهد البحرين أثناء تقديم العزاء

معالى ممثل حاكم المنطقة الشرقية لدولة الإمارات العربية المتحدة أثناء تقديم العزاء

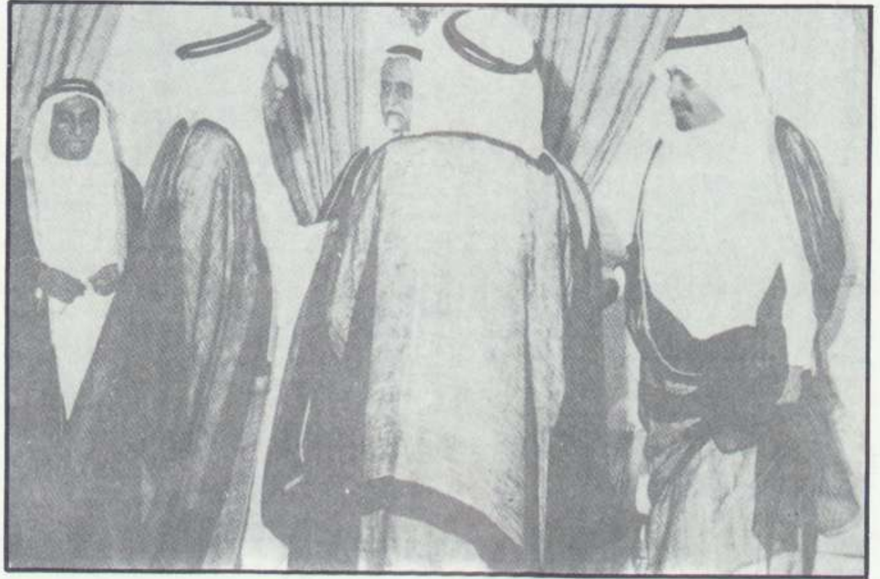
الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني في رحاب الله



الفقيد العزيز



الفقيد أمام مبنى الجامعة العربية



سمو الأمير يتقبل العزاء من أصحاب السعادة الشيوخ والوزراء

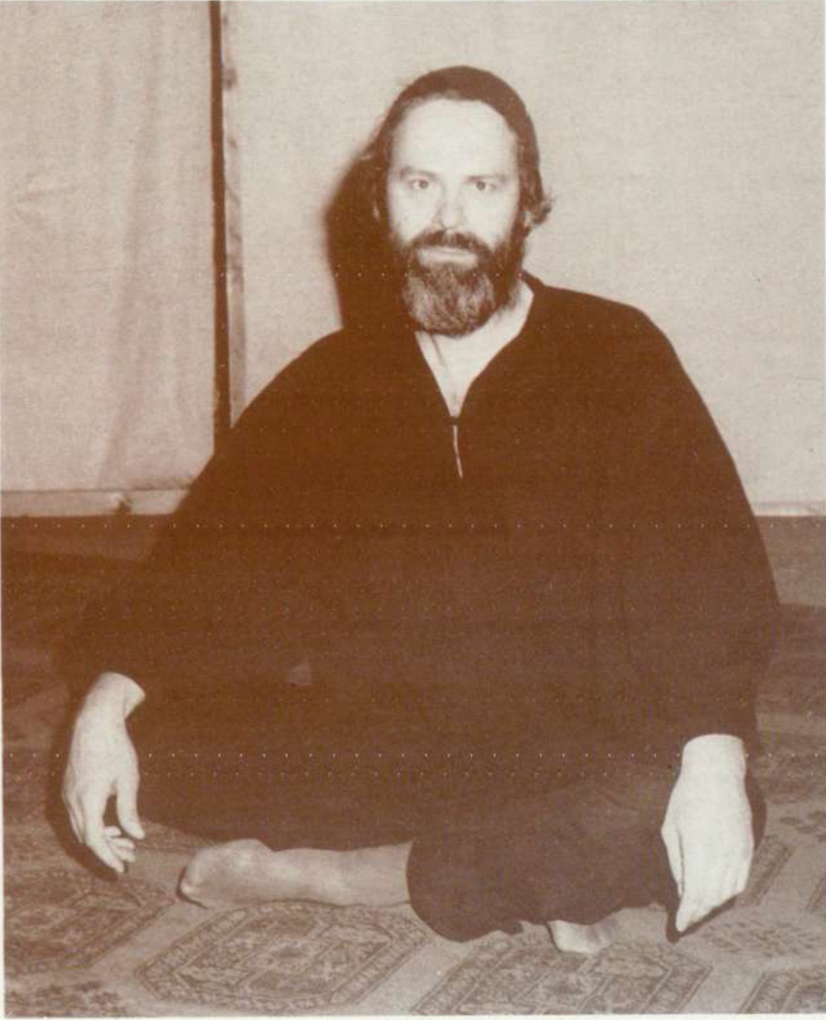


المغفور له سعادة الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني (الثالث من اليمين) في افتتاح الدور العادي لمجلس الشورى

الفريد فرج

قصة مخرج مسرحي ألماني مسلم

عزيزي أحمد



احمد بتر كروش

Ahmed Peter Kreusch

المخرج الألماني المسلم ، صورته واسمه بالألمانية والعربية بخط يده

أستأذن القراء فى أن أحدثهم عن بعض أصدقائى ، حديثا ان كان له جانب شخصى .. فما أغرانى به الا أن له جانبا عاما كذلك .

هل أبدأ حديثى بآخر شخص أكرمنى بصداقته ؟

إنه أحمد بيتركرويش .. مخرج مسرحي ألماني مسلم ، أخرج مسرحيتي « علي جناح التبريزي وتابعه قفة » في الترجمة الألمانية للدكتور ناجي نجيب .. لفرقة مايباخ المسرحية ، التي دعتني لحضور الافتتاح في برلين الغربية على مسرح ترانسفورم . أم تراني يجب أن أبدأ بالحديث عن التبريزي وتابعه كالظل قفة .. وهما صديقان قديمان عابثان كانت لهما معي حكاية ؟

فلقد رسمت شخصيتي قفة والتبريزي ليتبعاني ، فاذا أنا في النهاية أتبعهما !

من القاهرة إلى الكويت وبغداد وحلب .. إلى أم درمان وبنغازي والجزائر وصفاقس .. حتى حائط برلين لا حائط الصين العظيم ، في برلين الغربية ، دعاني هذان الهازلان الجادان لأتبعهما في سهراتهما الغريبة ، وألتقي حولهما بطوائف من الممثلين والمخرجين الظرفاء الذين أحبوا تقديم فكاهاتهم العابثة للجمهور وممارسة الشقاوة من خلال حكمة هذين الشرقيين .

« وعلي جناح التبريزي وتابعه قفة » مسرحية استوحيتها في الأصل من ثلاثة مواضع في ألف ليلة



الأميرة أحبت التبريزى حتى بعـد أن علمت أنـه فقير

قصة مخرج مسرحي ألماني مسلم

عزيزي أحمد



التبريزي وقفة يتبادلان طيب الطعام

وليلة ، تشابهت في غرابتها وتماثلت في طرافتها .

ففي الموضع الأول شاب غني يمازح ضيفاً عابراً ماحكه طمعاً في كرمه ، ويدعوه إلى طعام وهمي يصفه له وصفاً بليغاً ، ويتظاهر بالأكل والتلذذ بينما الضيف المسكين يزداد جوعاً على جوعه ، ويجاري مضيفه ويقابله مزاحاً بمزاح عسى أن يرضيه وينال في النهاية مايرجوه منه .

وفي الموضع الثاني من ألف ليلة وليلة رجلان يتنازعان ملكية كيس أوجراب صغير أمام القاضي ، فلما سأل القاضي كلاً منهما عما في الجراب ليتحقق من ملكيته له ..

زعم الأول أن في جرابه حصوناً وقلاعاً ، وطيوراً وسباعاً ، ورجالاً يلعبون الشطرنج !..

وزعم الثاني أن في الجراب زرداً وصفائح وخزائن سلاح ! ... الخ

أما الموضع الثالث من ألف ليلة فهو قصة معروف الاسكافي الذي نزل مدينة غريبة ، تظاهر فيها بأنه من الأغنياء وأنه ينتظر قافلة فيها كنوز الأرض كلها ، فأثار شهوات الناس الذين تسابقوا إلى إقراضه وتقديم الهدايا إليه طمعاً في الجزاء ببعض مافي قافلته من ثراء .

كتبت المسرحية عام ١٩٦٨ في وقت قصير نسبياً ، وضحكت مع أبطالها وأنا أسجل بقلمي مايقولون ومايزعمون ، وأعتبرتهم بعضاً من نفسي .

وقد شاهدت « التبريزي » المفلس قبل أن أكتب يدعو « قفة » إلى مائدته الوهمية ، بجد لا على سبيل المزاح .. ثم يسافر الاثنان إلى مدينة على حدود الصين فلا يجدان مفراً من الزعم بأنهما أغنياء ، وأن قافلة للتبريزي تتبعهما وتحمل ثروات فوق ما يتصور الذهن .. قد حملها التبريزى خلفه نفقة لسياحته هو وخادمه ، مما أغرى التجار باقراضه ، والوالي بتزويجه إبنته .. وكل مال وصل إلى أيدي التبريزي تصدق به على الفقراء .. والفقراء أصبحوا صناعاً وحرفيين وتجاراً .. والقافلة لا تأتي بعد .

ولكن قفة يصيبه الضجر ، وربما أصابه أيضاً الطمع ، ويريد أن يهبه سيده مالاً كثيراً ، أو منصباً خطيراً ، أو حتى لقباً كبيراً .. والتبريزي المتقشف الذي لايرى أحد على مائدته أكثر من الخبز والزيتون يستمهل قفة حتى تأتي القافلة ويعطيه من خيراتها مايشاء .

يستنكر قفة أن يعيد عليه التبريزي حديث القافلة التي كان لقفة نفسه في الواقع فضل اختراعها .. ويستنكر التبريزي أن ينكر قفة وجود القافلة ، وقد رأى بعينه كيف ملأ نبؤها المدينة بالأخوة والود والكرم والسعادة وطيبة النفس .. كيف ينكر قفة وجود القافلة وقد أحدثت في المدينة كل هذا الخير العميم ؟ ؟

ولكن قفة يبلغ به الغضب فيشي بصاحبه ثم يندم على مافعل فينقذه في اللحظة الأخيرة ليفرا مع الأميرة إلى الدنيا الرحبة ، ويتركا في المدينة رجالاً ونساء لم ينقطع أملهم في وصول القافلة .. ولعله لن ينقطع .

وسيرة القافلة موضوع عجبت له قبل أن تراودني نفسي أن أدهش به غيري من الفنانين والقراء والمتفرجين ..

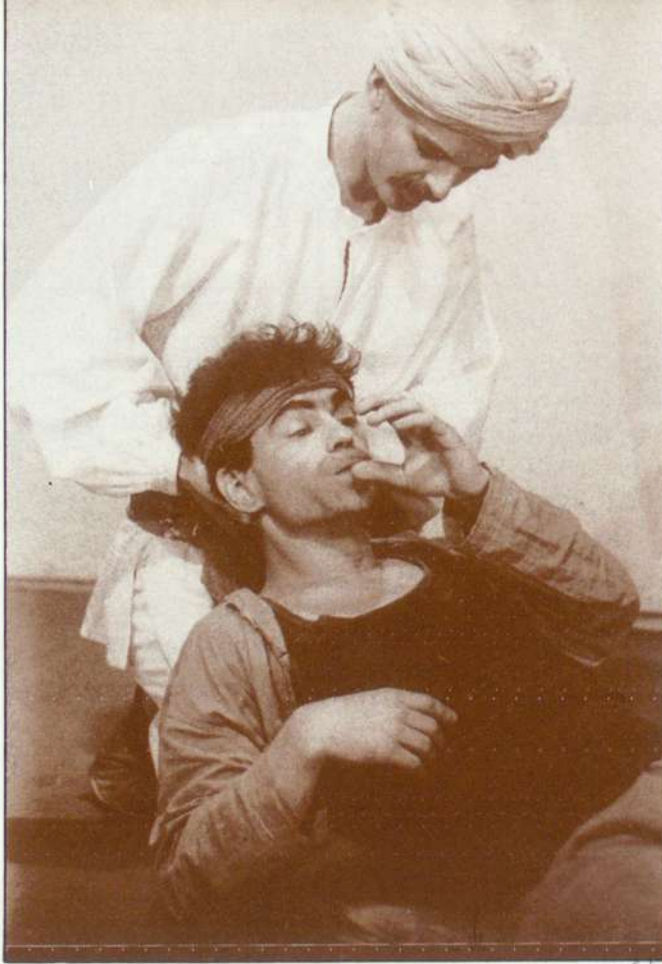
لأن سيرة القافلة في الواقع لم يبتدعها التبريزي أو قفة ، وإنما شاركه في ابتداعها كل من صدق التبريزي وقفة .

ولكل انسان خياله الخاص ورغبته الكامنة في إيهام النفس والغير باقتدار بوجود غير الموجود .

ومن لم يصدقني فليفسر لي تصديق القراء وتسليم الجمهور بالحكايات التي تروى والأساطير التي يسوقها الأدباء والفنانون ..

إن الإيهام فعل يصدر عن ملكة عظيمة من ملكات الانسان ـ هي ملكة التخيل والتخييل .. وبهذه الملكة وحدها يستطيع الإنسان أن يتعامل مع رمزالشئ أو صورته وكأنه يتعامل مع الشئ ذاته .. يستطيع أن يتعامل مع الخارطة كأنه يتعامل مع الأرض والبحار والجبال .. وأن يتعامل مع الأرقام وكأنه يتعامل مع ذات الأشياء التي ترمز لها الأرقام .. ويذرف الدموع وهو يقرأ القصص كأنه يشهد وقائع في ذات الحياة .

هكذا حررت التبريزي وقفة .. وتحررت منهما . وكنت كلما شاهدت انتاجاً جديداً للمسرحية ، أو اخراجاً من زاوية نظر أخرى ..



قفة يشرب من يد التبريزي



قفة يسحر الناس في السوق بحديث القافلة



المؤلف والمخرج مع أعضاء الفرقة بعد التدريب

أحس أن المسرحية تنفصل عني ، وتبتعد خطوة عن ذات نفسي .

حين أضحك من أبطالها أحس أني أضحك من ناس آخرين ـ لا من نفسي ، وإنني أضحك من فكاهات ألفها غيري ويريد بها أن يضحكني .

وفجأة .. أجد نفسي في برلين الغربية ، أشاهد مسرحية بالألمانية .. لا أفهم من حوارها كلمة واحدة بالمعنى القاموسي للتعبير ، وأكثر مايدهشني أن جمهورها من الشباب الألماني يضحكون كما أضحك ، والمخرج جنبي .. أحمد بيتركرويش يضحك مثلي !

التقيت بأحمد في الكواليس ، وعلى المنصة في ختام حفلة الافتتاح حيث أصر الممثلون أن نحيي الجمهور معهم ، وتحت عدسات التصوير التلفزيوني في ندوة عن المسرحية ، وفي المقهى .. حيث سألته عن نفسه ..

أنا أحمد بيتركرويش .. مهندس معماري ، زرت مصر عدة مرات لأعمل مع بعثات التنقيب عن الآثار ، قضيت كل مرة بمصر بضعة شهور .. هداني الله إلى الاسلام ، وتأملت أسرار فنون الأرابسك وكنائس مصر العتيقة .. وتحولت إلى الاخراج المسرحي ، وعثرت بالصدفة على ترجمة مسرحيتك وقرأتها مراراً ، وكل صديق أحبه أعرتها له ليقرأها .. حتى ضاعت النسخة مني في النهاية .

طلبت مني فرقة ماييا خ أن أخرج لهم مسرحية موليير « دون جوان » فاقترحت عليهم إخراج التبريزي ، وبحثت عنها في المكتبات وقرأتها عليهم ففرحوا بها وبدأنا العمل .

قبل أن نبدأ التدريبات استمهلتهم حتى أتم قراءة ألف ليلة وليلة ، وقد استثرت بهذه القراءة ، وبدأت مع الفرقة عملاً شاقاً متواصلاً .

ولكي تعلم ما بذلناه جميعاً من جهد في هذا العمل يجب أن تعرف أن الممثل الألماني عادة يتكلم إلى الداخل ، بينما ينبغي أن يتكلم في مسرحيتك العربية إلى الخارج . المسرح الألماني الحديث يملي على الممثل أن يتكلم ويداه في جيوبه ـ إذا فهمت ماأقصد ، أي لا يستخدم جسده . هذا هو القالب الذي صب فيه بيكت ويونسكو الممثل الحديث . ولكن مسرحيتك تملي على الممثل أن يعبر بجسده .. فمشهد المائدة الوهمية مثلاً لا يمكن تنفيذه إلا إذا جسد الممثل الكلمات القليلة المكتوبة له بأفعال تؤكد تناول الطعام ونوعيته ودرجة لذته .. وهكذا في سائر المسرحية .

وقال بيتركرويش لمذيعة التلفزيون :

ـ مسرحيتنا دراسة للأمل ، وحكمتها الشرقية البليغة هي أن الانسان قد يفقد الدنيا ويحتمل ذلك ، إلا أنه يرفض ولا يحتمل فقدان الأمل .

القافلة ؟ ..

كل ممثل سألني ماهي القافلة .. وكنت أجيبه ، ان القافلة هي السلام العالمي ، هي حرية الانسان ، هي الطعام والكرامة ، إذا كنت تؤمن بالغد ، فانت تعرف أن القافلة في الطريق .. مع التبريزي ، مع الأميرة ، ومع قفة آخر الأمر ، ومع كل المدينة التي صدقت ، ولما اعترف قفة لهم بعدم وجود القافلة حزنوا .. ثم عادوا يصدقون ويفرحون .

وماذا تريد أن تقول للمتفرجين ياأحمد ؟

أريد أن أقول لهم ، ها أنتم تتأملون وأنتم تضحكون ، ها أنتم تضحكون وأنتم تتأملون .. فهل رأيتم كيف يمكن أن يكون المسرح مفكراً وممتعاً في الأدب العربي ؟

وشكراً عزيزي أحمد بيتركرويش ، فإنك قد اقترحت على جمهورك من الألمان أن يهدموا الأسوار التقليدية التي اعتصموا خلفها وهم يظنون أن بلادهم هي العالم .. ابتداءه ونهايته ، ودعوتهم أن يفتحوا الأبواب ليروا بأعينهم أن الدنيا أوسع مما يظنون .

ألتمس من القارئ العذر عما يكون قد بدر مني من حديث شخصي ، وليغفره لي على أساس أني ما قصدت منه إلا جانبه العام ، حيث يظن كثير من الناس في بلادنا ـ وبعض الظن خطأ ـ أن فن المسرح يجب أن يطلق الفكر طلاقاً بائناً ، وأن يتزوج الضحك المجلجل الأجوف زواج متعة .. بيته الفراغ وعقده الباطل بصورة الحق .

الفريد فرج

خواطر تسر الخاطر

غفر الله لشكسبير ومسرحياته

بقلم: زكريا تامر



فيما مضى من السنين ، كان يعيش بدمشق مخرج مسرحي ذائع الصيت ، يتصف بأنه محاط دائما بالمعجبات والمعجبين من الفئة التي يطيب لها أن تتحدث في السهرات عن آخر نشاط أدبي وفني في أوربا بلهجة من يتكلم عن أحدث ما ابتكرته دور الأزياء العالمية من ثياب .

وكانت حياة المخرج مرفهة مدللة ، تخلو من متاعب الأثرياء وهموم الفقراء وأزمات الأدباء والفنانين ، وحيثما حل يرافقه مريدون مؤمنون بعبقريته ايمانا لايشوبه أي شك ، وينصتون بخشوع ورهبة لكل مايتفوه به كأنه سقراط العصر الحديث .

وقد اشتهر بتقديمه المسرحيات العالمية الكلاسيكية لسوفوكليس وشكسبير وموليير وراسين ، واشتهر أيضا بحبه الجم العميق للثقافة الفرنسية ، حبا يحفزه على تقليد الفرنسيين والفرنسيات في كلامه وحركاته وتصرفاته العلنية والسرية .

وكان ذلك المخرج عازبا على الرغم من أنه ودع أيام الشباب ، ويسير بخطى حثيثة نحو صحراء الكهولة والشيخوخة ، وكان يقول بدهشة ولوم لكل من يسأله عن سبب امتناعه عن الزواج : « ومن ذا الذي زعم أني لست متزوجا ؟ أنا متزوج .. متزوج من المسرح والفن » .

وآخر مسرحية قدمها لجمهور دمشق كانت مسرحية « ماكبث » لشكسبير .

وفي ليلة الافتتاح ، اكتظت قاعة المسرح بالمشاهدين والمشاهدات ، وكان المخرج يحوص في ممرات المسرح قلقا متوتر الأعصاب شاحب الوجه بسبب عدم وثوقه بتنفيذ الممثلين والممثلات لتعليماته ، ولكونه قرأ كثيرا عن أن مشاهير المخرجين في العالم يتصرفون في ليلة الافتتاح مثل هذا التصرف ، غير أنه لم يكن يعلم بأن سوء حظ غريبا فظا سيكون في انتظاره ، وقد تجلى ذلك الحظ السيء في الوقائع التالية :

حين دنت لحظة ارتفاع الستارة ، أطفئت الأنوار في قاعة المسرح ، وساد الصمت ، لتعلو أصوات الدقات الثلاث التقليدية ، فاذا هي مصادفة تشبه قرعا على باب بيت عتيق ، فصاحت فورا بنت صغيرة بصوت رفيع ممطوط : « من ؟ » .

وكانت البنت الصغيرة محقة اذا ظنت أن شخصا ما يقرع باب بيت ، ولا تستحق بأن تتهم بسوء التربية وقلة التهذيب .

وأثارت صيحتها العفوية عاصفة من الضحك المرح لا تليق بأن تكون بداية لمسرحية مأساوية ، ولكن الستارة ارتفعت برباطة جأش ، وابتدأت مشاهد المسرحية تتوالى ، وشرع الممثلون والممثلات في أداء أدوارهم بجرأة واعتداد كأنه لاوجود لجمهور .

وظهرت على خشبة المسرح مجموعة من الساحرات ، شاهرات المكانس ، وقد سلطت عليهن أضواء مختلفة الألوان تهدف الى أن تجعلهن يبدون مرعبات ، وصرخن بأصوات متهدجة مرتعشة : « في الرعد ، في الريح ، في المطر ، نحن الثلاث نتلاقى » .

ولكن منظرهن لم يثر الفزع في قلوب المشاهدين والمشاهدات كما أراد المخرج لأنهن لسبب ما كن كخادمات بائسات لم يدخلن أي حمام منذ أعوام ، وجديرات بالشفقة والرثاء .

ونشبت فجأة في المقاعد الخلفية مشاجرة حادة بين زوج وزوجته .

كان الزوج يقول لزوجته بصوت متوسل : « لا تفضحينا أمام الناس » .

وكانت الزوجة تصيح غاضبة : « دائما تقول إنك لا تجد خادمات . قل إنك بخيل شحيح تريد أن تفني شبابي في عمل البيت ، ولا تقل إنك لاتجد خادمات . هاهن الخادمات أمامك ومستعدات لأي عمل ، ويقبلن بأي أجر » .

ولم تتوقف المشاجرة إلا حين أقدم الزوج على ترك قاعة المسرح هاربا ، ولحقت به زوجته وهي تهدد وتتوعد وتلعن وتزمجر ، ومن المؤكد أن المشاجرة ستستمر في الطريق والبيت .

وندت عن المريدين المتحلقين حول المخرج صيحات خافتة مفعمة بالاستنكار والاحتجاج كأنهم يبصرون القنبلة الذرية تلقى فوق هيروشيما ، ولكن المخرج قال لهم برصانة وازدراء : « لاتبالوا . أناس رعاع ! في مسرحيتي القادمة لن أسمح ببيع بطاقة لأي مخلوق الا بعد التأكد من حسبه ونسبه ومستواه الثقافي » .

وكانت الممثلة التي اختارها المخرج لتؤدي دور الليدي ماكبث ممثلة قديرة موهوبة ، ولكنها كانت قصيرة القامة الى حد تبدو فيه كأنها آتية من عالم الأقزام الذي يحلو للحكايات المروية للأطفال التحدث عنه ، ولذا فإن المخرج صنع لها خصيصا حذاء ذا كعب طويل جدا كي يتفادى مشكلة قصر قامتها ، واحتاجت الممثلة الى تدريب طويل مرهق

شاق حتى تمكنت من السير بالحذاء .
ونجحت خطة المخرج ، وظهرت الممثلة على المسرح بقامة ذات طول معقول يصلح لشخصية الليدي ما كبث .

وفي مشهد من مشاهد المسرحية ، وقفت الليدي ما كبث على خشبة المسرح وحيدة ، وألقت كلاما بليغا مؤثرا ينفذ الى أقسى القلوب ويقسرها على الارتجاف هولا من حقائق غير سارة حول الانسان والحياة ، ثم سارت الليدي ماكبث بخطى بطيئة ، مطوقة بهالة من الاجلال الخفي ، تريد مغادرة المسرح ، ولكنها توقفت فجأة عن المسير ، واعتراها اضطراب لاعلاقة له بأحداث المسرحية ، انما كان اضطرابا يكمن سببه في أن فردة حذاء قدمها اليمنى انغرس كعبها في أرضية المسرح الخشبية ، وأبى الانسحاب ، فما كان من الليدي ما كبث الا أن خلعته ، وسارت كما يسير عباد الله على قدمين ، اليمنى حافية ، واليسرى تنتعل الحذاء ذا الكعب البالغ الطول ، فاذا مشيتها عرجاء عجيبة لا تليق بالنبيلات ، قدم في واد ، وقدم فوق جبل ، وفي كل خطوة تخطوها يميل جسمها الى اليمين ميلا شديدا كأنه يهم بالسقوط أرضا ، ولكن قوى خفية تتدخل وتمنعه في اللحظة الأخيرة من السقوط لحكمة غير معروفة .
وحملق الجمهور مبهوتا إلى تلك المشية الغريبة لليدي ما كبث الى أن غادرت المسرح .
ووفقا لرؤية المخرج الفنية الخاصة ، فإن المشهد التالي الذي يعقب خروج الليدي ماكبث من المسرح يقتضي أن يظل المسرح خاويا طوال لحظات مفعمة بسكون ذي مغزى .
وهذا ما حدث فعلا ، وظل المسرح من غير ممثلين وممثلات ، متروكا لممثل واحد هو فردة حذاء الليدي ما كبث .
وظل الجمهور محافظا على صمته مدة لحظة شبيهة بالبرق ، ثم انفجر ضحك جنوني ، وساد في أرجاء قاعة المسرح .
ويقال إن المخرج قد أغمي عليه حزنا ، ويقال أيضا إنه همس باحتقار : « صحيح أن العالم الثالث جاهل متخلف لا يقدر الفن » .
ولم تتوقف المسرحية بل استمرت مشاهدها تتعاقب كأنه لا وجود لجمهور .
وفي أحد المشاهد يظهر ماكبث على خشبة المسرح ، ويخوض مبارزة بالسيف مع خصمه ، وكانت مبارزة عنيفة ضارية مصممة على أن تسفر عن قاتل ومقتول .
وفجأة انكسر سيف ماكبث ، ووقع النصل على الأرض ، فاذا هو من خشب رديء النوع . وكان خصم ماكبث ممثلا ناشئا ، فوقف مدهوشا مرتبكا حائرا ، مفتوح الفم ببلاهة كأنه ديك اكتشف أنه دجاجة .

وقذف ماكبث مقبض سيفه ، وانحنى على الأرض ، والتقط نصل سيفه ، وتابع مبارزة خصمه بحماسة بينما كان الجمهور يذرف الدموع من كثرة الضحك .
وفي اليوم التالي ، روج بعضهم شائعة مفادها أن شكسبير جاء الى المخرج في المنام ، وقال له متسائلا : « هل تظن أني أنا الذي قتل أمك ؟ » .
وزعم المهتمون بالشؤون السياسية أن ما حدث في مسرحية « ماكبث » ليس سوء حظ أو مصادفة بل هو تنفيذ أمين لمخطط مدروس وضعه المخرج الواعي سياسيا وفكريا ، فشكسبير انكليزي واللورد بلفور انكليزي .
أما النقاد فقد أجمعوا على مديحها بوصفها أنجح مسرحية فكاهية عرفتها مسارح دمشق ، فاغتاظ المخرج من ذلك المديح ، وطلق المسرح ، وتزوج من امرأة حرص على أن تكون شديدة الشبه بشكسبير ، فالمخرج المبدع وفق المعايير الحديثة لاينام على ضيم ، ويثأر من عدوه ولو بعد أربعين سنة .

أحمر على الأرض أبيض في السماء

أديب عربي معروف أكثر مما ينبغي ، والأسباب الحقيقية سياسية وليست بالأدبية ، فهو يساري متطرف ، يكتب بيده اليسرى ، ويحارب الامبريالية بيده اليسرى ، ويأكل الطعام بيده اليسرى ، ويصافح الرفاق والجماهير الكادحة بيده اليسرى ، ولكنه ما أن يرى نقودا حتى يمد يده اليسرى ويده اليمنى .
وقد ركب ذلك الأديب يوما في طائرة عتيقة . وبعد طيران دام زهاء أربعين دقيقة أعلن قائد الطائرة أن الطائرة مضطرة الى العودة الى المطار الذي انطلقت منه لاصلاح عطل بسيط طارىء .
وبعد دقائق ، تبين أن العطل ليس بالبسيط بل هو يهدد الطائرة بالسقوط في أية لحظة ، فهيمن الرعب على الركاب كافة ، وتحولت الطائرة الى مايشبه المسجد الزاخر بالأتقياء الذين ترتفع أصواتهم ضارعة متوسلة الى الله .
واذا الأديب اليساري يجول في الطائرة غير مبال باحتجاج المضيفات ، راجيا من الركاب تعليمه أي دعاء أو أية سورة من القرآن الكريم ، فلم يؤبه لرجائه ، ولكن أحد الركاب قال له بنزق : « اقعد بجانبي وردد معي : يالطيف ويالطيف » . فأطاع الأديب اليساري ، وجلس بجوار الراكب ، وراح يردد بصوت عال فزع « يالطيف ويالطيف » .
ووصلت الطائرة الى المطار سالمة ، ومن غير أن تتعرض لأي حادث مؤسف ، وانتقل الركاب الى طائرة جديدة ، وعندما طارت كان الأديب اليساري منهمكا في نقاش حماسي للبرهنة على أن القيم الثابتة فى حياة الناس موضة قديمة ، فهل ينبغي للأدباء العرب أن يظلوا باستمرار في الفضاء ركابا في طائرة مهددة بالسقوط حتى ينبذوا الأقنعة الكاذبة ؟



الخوف

منذ أن خضع للخوف ، وهجر البندقية ، وآثر البقاء حيا ، يعلم بأنهم سيبحثون عنه ، وسيعثرون عليه .
يعلم بأنهم قد يدقون المسامير في يديه وقدميه ، وسيتألم ألما يرغمه على النظر الى أعلى مستغيثا ، والصياح باحتجاج : « لماذا تركتني ؟ » .
يعلم بأنهم قد يحرقونه حيا .
يعلم بأنهم قد يقتلونه قتلا بطيئا بسكاكينهم المثلومة الحد عن عمد .
ويوم خيل اليه أنهم طوقوا غرفته ، اختبأ في جوف تفاحة ، ولم يحاول أن يصرخ لحظة بدأت دودة بالتهامة .
وتمكنت الدودة فيما بعد من ثقب التفاحة والخروج منها والوصول الى حديقة ، وهناك تمتع بالهواء وضياء الشمس والعشب الأخضر ، ولم يطل تمتعه إذ انقض عصفور دوري على الدودة ، وابتلعها ، فابتهج إذ أصبح قادرا على الطيران من مكان الى مكان ولكنهم بعد أيام قليلة قبضوا على العصفور الدوري .

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

بدويّ الجبل.. وإخاء أربعين سنة

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسّكانُ

بقلم: أكرم زعيتر



الشاعر الكبير بدوى الجبل مع كاتب المقال

ونشبت سنة ١٩٤١ ثورة الجيش العراقي على الانكليز، وهي الموسومة بالكيلانية، وكان لنا دور قومي في تأييدها. حتى اذا اخفقت انطلقت ونفر من إخوان العقيدة إلى الصحراء فسورية ولبنان وكانا تحت سلطان الفيشيين. ثم انتهى بنا المطاف، حين اقترب الانجليز والديغوليون من حلب، إلى تركيا لاجئين حيث قضينا أربع سنوات، وأما بدوي الجبل فقد غادر العراق إلى اللاذقية.. ولم يكن الاتصال بيننا ميسوراً. وجل ما تسرب فى سمعى من أخباره، ممن جاء تركيا وممن كتب لي من زملائي المبثوثين في الأناضول أنه حين بلغ اللاذقية ــ وكانت قصيدته عن سقوط باريس قد ذاعت وأثارت عليه حنق الفرنسيين ــ قبض عليه وقذف به إلى (كسب) على الحدود السورية التركية. وسجن منفرداً في قلعتها لا يزوره أو يتصل به إنسان، وكان يقضي وقته في تلاوة ما حفظه من آيات القرآن الكريم.. ثم أفرج عنه حين دخلت الجيوش الحليفة سورية، ولكن السلطات البريطانية أمرت بالقبض عليه، والتحقيق معه عن سلوكه فى العراق، ومما حدثني فيما بعد أن ضابط المخابرات الانجليزية الكابتن ريتشارد، وكان أستاذاً فى جامعة كمبردج، علم أن البدوي شاعر فبالغ في احترامه، وأخذ عليه العهد أن يلزم بيته والا يقابل أحداً حتى ينتهي التحقيق، وأرسلت المخابرات إلى سلطات العراق تسأل عن سلوك البدوي فى أثناء وجوده مدرساً فيه، فبادر المرحوم «تحسين علي» الذى كان وزيراً للمعارف وعرفته عربياً غيوراً وممن اشتركوا في الثورة العربية إلى الإجابة بما يدفع عن البدوي كل مظنة، ثم خاض الوطنيون المعركة النيابية سنة ١٩٤٣ وفاز بدوي الجبل بالتزكية نائباً عن اللاذقية.

وتسلم الوطنيون أزمة الحكم في سورية فبرحت واخوان لي تركيا خريف ١٩٤٥، ويممنا دمشق فى مغامرة ليس هنا مجال الحديث عنها. وعلم البدوي نبأ وصولنا إلى دمشق فبادر إليها للسلام علينا.. ويمم الفندق الذى انزله فلم يجدني، لأن بعثة عسكرية انجليزية جاءت من فلسطين تحقق معي بعد أن تعهد الرئيس شكري القوتلي بألا يكون مني اخلال بالأمن، ولما يكن الحكم الوطني قد تسلم سلطات الأمن من الانجليز!

وعدت إلى الفندق ووجدت رسالة بخط البدوي كتبها مستعجلا وتغلب عليها الدعابة واذا أنا نشرتها فرجائي أن يغض القراء الطرف عن ظاهر المدح وأن يأنسوا منها بخالص المزح:

«مولاى وولي نعمتي. حضرت الآن إلى دمشق، فبادرت بعد أن تطيبت وتعطرت إلى غرفتك العامرة، فقبلت الأحجار ولثمت العتبة بله الجدار، وما أراني معبراً لمولاى عن أشواقي وعن اخلاص معاتيقه الصغار (١) الذين يقبلون يديه الكريمتين وهم أسعد الناس لو ظفروا بهذه النعمة من مالك رقهم وولى نعمته. أطال الله بقاء مولاي وحبيبي، ومن رأى قبله مولى يعشقه عبيده، ويتدله به أرقاؤه، ونسأل الله لنا وله السلامة بما هو أعظم والسلام عليه ورحمة الله».

وتوالت اللقاءات حافلات بذكريات الحرب وسجونها ومنافيها..

ذكرى هنانو

وفى نصف تشرين الثاني ١٩٤٥ زارني السيد ميخائيل ليان أمين سر لجنة الاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لوفاة الثائر العظيم ابراهيم هنانو وكلفني الخطابة في مهرجان الاحتفال في حلب الذى يقام بعد أسبوع، ولما سألته عن خطباء المهرجان، وذكر فيهم اسم «بدوي الجبل» قلت متهيبا: «حسبكم البدوي ففيه غنية عني وفيه الكفاية» فضحك وقال: والغريب أن البدوي حين علم أنك ستكون خطيباً قال لي: يكفيكم أكرم» وأصر على الإعتذار». ثم جمعنا الاثنين فى مكتبه بوزارة الأشغال، وكان هو وزيرها، واتفق الرأى على أن نخطب معاً، وقال البدوى: «يضيق الوقت عن نظم قصيدة وسأجعل خطابى نثراً» والبدوي إذا تأبى عليه الشعر لاذ بالنثر، وأشهد أنه يصح فى نثره قول حافظ ابراهيم عن أحمد

شوقي في شعره : « كأنما يتناول الشعر من كمه بسهولة » فالنثر طوع قريحته .

وأذكر ، ونحن في سيارة الوزير في طريقنا إلى حلب أنه قدم إلى البدوي سيكاراً « هافانيا » فأخذه ، وقدم إلى آخر ، فلم آخذه ، لأنني لا أدخن ، فبادرني البدوي : « خذه . خذه واعطني إياه » فأخذته ودسسته في جيبي قائلا : « لن أعطيك إياه إلا إذا أخفقت في خطابك فيكون لك تعويضاً من الاخفاق .. » .

وكانت الحفلة مهرجاناً وطنياً عظيماً تليت فيه كلمة الرئيس القوتلي ، وبرقية الرئيس الجابري مرسلة من القاهرة حيث اجتماع الجامعة العربية ، وخطب المطران العربي الوطني اغناطيوس حريكة وشاعر العاصي بدر الدين الحامد ، ورنحتنا أنشودة ملحنة تخاطب هنانو :

يـا مشرق الوجـه
في الموقف الصعب
الصحب مـا زالـوا
في أول الـركـب
نم هانئاً خلـواً
فـالمجـد للعـرب

رائعة نثرية

ودعى البدوي إلى المنبر فتلا رائعته : « ما أقرب يوم التاريخ من أمسه ، وما أدل ماضيه على حاضره ، فمنذ ألف من السنين تجمعت الكتائب الرومانية من شرق الدنيا وغربها تريد أن تجرح العروبة في كرامتها ، وأن تفجعها في حضارتها وسيادتها ، وأعدت لذلك النار والحديد ، والعدد والعديد ، ووقفت قاهرة المعز وعاصمة أمية وبغداد الرشيد . وقفت ديار العرب والهةً جازعة ، وقد أذهلتها المحنة ، وضعضعت من عزيمتها المصيبة ، ووقف قائد الرومان يحلف ليدوسن بسنابك خيله رياض الغوطتين وليقحمنها الفسطاط ، وليوردنها مياه دجلة ، ووقفت الدنيا ترقب طلائع المعركة وتتساءل عن القائد العربى الذى سيصون العرين ويكبح جماح المغيرين ، وعن المدينة التى ستتصدى لليوم العصيب وسترفع بيمناها اللواء الخصيب . وتلفتت الدنيا في ضجيج المعركة اللاهبة ، فاذا بحلب الشهباء تتقدم الصفوف ، وتتحدى الحتوف ، وتتلقى بصدرها السيوف ، واذا بسيف الدولة ابن حمدان ، عبقري الحرب العوان ، يصدم الكتائب الرومانية فيصدها ، ويتحدى الموجة الطاغية فيردها ، وأحلف بالله بل أحلف بدم الشهداء الذى انسكب ، بل أحلف بعزة العرب ، بل أحلف بالسيف الذي انكسر مما ضرب ، بل أحلف بالإيمان الذي غالب فغلب ، ماعلت بذلك كرامة حلب ، بل سلمت كرامة العرب .. » .

وبعد أن نوه الخطيب بموقف حلب قال : « وبعد ألف سنة دار الفلك دورته ، وأعاد التاريخ سيرته ، وغصت هضبات ميسلون وجنودها بالكتائب الفرنسية ، وصمد فتى العرب يوسف العظمة في المعركة ، فأسلم حشاشته ولم يسلم كرامته ، وأهان دمه ولكنه لم يهن علمه » واسترسل الخطيب في تمجيد يوسف العظمة ثم قال : « وتلفتت الدنيا مرة ثانية في هذه الظلمة من اليأس ، والغمرة من الوهن ، تتساءل عن القائد العربي الجبار ، الذى سيمحو العار ، ويغضب للثار .. وتلفتت الدنيا كرة أخرى تتساءل عن الفارس المعلم يسبح جواده المطهم ، في آذى (٢) من النار والدم ، فقال قديم التاريخ : هذا سيف الدولة ابن حمدان ! وتضاحك جديد التاريخ فقال : بل هذا هنانو بطل الميدان ، وفتى الفتيان . فحلفة بالله ، بل حلفة بالعزة القومية ، والكرامة العربية ، بل حلفة بالكتلة الوطنية ، وديعة هنانو الزكية ، لقد حمت الشهباء وحدة العرب في عهد أميرها



. زعيم الكتلة الوطنية ابراهيم هنانو ، وعلى يمينه الرئيس هاشم الأتاسي وعلى يمينه سعد الله الجابرى . ويبدو في الصورة أقطاب الكتلة في مؤتمرهم بحلب : نجيب باقي . توفيق الشيشكلى . الشيخ عبد القادر السرمني . نعيم انطاكي . جميل مردم بك . احسان الشريف . رياض الصلح وفخرى البارودى وعبد الرحمن الكيالى . حسن ابراهيم باشا

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسّكانُ

سيف الدولة ، ولقد حمت الشهباء وحدة العرب في عهد زعيمها هنانو .

أبا طارق(٣) هذي سراياك أقبلت
يرف على أعلامهـا العز والنصر
نماك وسيف الدولة الدار والهوى
وغناكما أندى ملاحمه الشعـر
وأقسم بالبيت المحرم ما احتمت
بأمنع من كفيكما البيض والسمر
فإن تفخر الشهباء فالكون منصت
وحق بسيفي دولتيها لها الفخر

وحدث أن تطلع الي وهو يلقى رائعته كأنما يسائلني الرأي فيها ، فأخرجت السيكار من جيبي وهزته مشيراً إلى أنه استحقه ، فتوقف قليلاً ـ وهو مرهف الحس ، ولما رآني أصفق له متحمساً تطلق وجهه ، وملك نفسه ، وواصل كلمته .. ولكنني وأنا اصافحه حين غادر المنبر ، وقبل صعودي لالقاء كلمتي ، دسست في جيبه السيكار قائلاً : تستحق « علبة » كاملة .. فحملق عينيه وبادهني : « بشرفك هل أخفقت ؟ » فأجبته : « بشرفي حلقت .. » . وألقيت كلمتي ، والقى الأمير مصطفى الشهابي محافظ حلب كلمته وختم محمد سعيد الزعيم الحفلة بكلمة حلب .

يوم الجلاء

وجاء موعد الاحتفال بجلاء الفرنسيين عن سورية واستكمال استقلالها في السابع من نيسان سنة ١٩٤٥ وآثر البدوي أن يلقى عصماءه التي أعدها في مدينته اللاذقية ، وليس في المهرجان الدمشقي الذي أمته وفود من الأقطار العربية ، ودعي إلى القول فيه أعلام في الوطنية والسياسة والشعر وممثلو الجامعة العربية ودولها وأمينها العام وكان لي شرف إلقاء كلمة فلسطين فيها ، ولكن سؤالا تردد على كل لسان : « وأين بدوي الجبل ؟ » حتى إذا علمنا أن مهرجان اللاذقية يذاع في المساء حرصنا على الاستماع له ، وكان سعد الله الجابري ، رئيس الوزراء ، وأحب زعيم إلى البدوي أحرصنا على الاستماع له . وجاء البدوي دمشق وتكاثرت التهنئات عليه . وفي أمسية في الفندق وكنا متحلقين حول سعد الله رجونا الشاعر أن يرنحنا بتلاوة قصيدته ، فاسمعنا بعض أبياتها ، لأنها كانت نحو تسعين بيتاً .. وقد هزني مطلعها :

الزغاريدُ فقـد جن الإباءُ
من صفات الله هـذى الكبرياءُ

وفيها تغزل بدمشق ، ومجد جهادها ، وترنم ببطولاتها وعظم شهداءها وأبدع في وصف مقامهم عند ربهم في الفردوس الأعلى ، ولم ينس فلسطين :

تم صفو الدهر لولا محنة
في فلسطين وبلوى وشقاء

ووصف المعركة الأخيرة وقد جن جنون الفرنسيين فصبوا مدافعهم على البرلمان وعلى دمشق وأشاد بموقف الزعيم القوتلي وايمانه :

بورك الايمان نوراً وهدى
نعمة الله وسر العظمـاء
يصنع الدنيا ، ولا تصنعه
صور العقل وألوان الدهاء

وحدث أن دعيت إلى الخطابة في مهرجان النجادة ببيروت احتفالاً بالجلاء عن لبنان في تشرين الثاني من تلك السنة ورأيتني أستشهد بقول « شاعر العربية » من دون أن أسميه :

الزغاريد فقد جن الاباء
من صفات الله هذى الكبرياء

شاعر العربية

ثم اعتمرت القاهرة وأنا أشد ما أكون شوقاً إلى إخواني في القاهرة وإلى عيادة سعد الله الجابرى الذي ألم به مرض في كبده فدخل مستشفى المواساة في الاسكندرية وأشرف على تطبيبه النقيب باشا بأمر من الملك فاروق الذي كان بالغ الحب لسعد الله والاعجاب به .

ولقيت في القاهرة أستاذي إمام العربية إسعاف النشاشيبي ، وقال لي ذات أمسية في الـكونتننتال . وقد تحلق حوله ممن أذكر الأساتذة : الزيات وتوحيد السلاحدار وعبد الغني حسن ـ « قرأت خطابك في عيد الجلاء عن لبنان ، واطمأننت إلى أن عشر سنوات من غيابك عني لم تغيرك ، وأنت أنت ، ولكن قل لي من هو الشاعر الذي أطلقت عليه لقب « شاعر العربية » من دون أن تسميه مستشهداً ببيت من قصيدة له في الجلاء عن سورية ؟ فأجبت : « انه بدوي الجبل » فاستنار وجهه قائلا : « أي والله ،اي والله ، إنه أجدر شاعر بهذا اللقب ! » ، قلت : « وهل يباركه أديب العربية ! » (وهو اللقب الذي كان يطلق على اسعاف) فأجاب : « واكتب له هذا .. قل له : هذا ما يقوله اسعاف .. » .

وكنت قد تلقيت رسالة عتاب من البدوي لأنني لم أكتب إليه فور وصولى القاهرة وقد استشهد في ختامها بقول ابن الفارض :

اخلاّى أنتم ، أحسن الدهر أم أسا
فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخـل

فبادرت إلى الكتابة إليه ، وحرصت على أن أنقل إليه قول أديب العربية اسعاف النشاشيبي فيه ..

ثم يممت الاسكندرية لعيادة سعد الله الجابرى ودخلت عليه في غرفته في المستشفى فوجدته يتلو القرآن الكريم .. وحملت إليه تحية أخيه القوتلي واخوانه ولا سيما بدوي الجبل ، فبش وجهه في تأثر وشكر لإخوانه سؤالهم عنه ، ومما أذكر قوله لي وأنا أودعه : « الأعمار بيد الله ، ولكن إذا مت فأرجو أن أدفن في البقيع في جوار المصطفى في المدينة المنورة .. »

وعدت إلى القاهرة .. ووجدت رسالة من البدوي تنتظرني في مكتب صديقي العربي الأخلص أسعد داغر . وإذا أوردت نص الرسالة فما يهمني في هذا المقال وألفت إليه النظر قوله :

« أما شهادة إمام العربية الأكبر ، إمامنا النشاشيبي التي زففتها إلي فهي والله تعدل كنوز الدنيا ، هذا وأنا أعلم كل العلم أنني لا أستحقها ولست في السبيل إليها ولكنه فضله وتفضله ورعايته لي ، وعطفه علي . » .

وعندي أن سراوة البدوي كلفته هذا التواضع ، فهو يعرف قدره ، وكونه « شاعر العربية » ، وفي بعض قصائده قبل الآن وبعد الآن ماينم على ذلك ، وحسبي أن أذكر منها قوله :

الخالدان ـ ولا أعد الشمس ـ
شعري والزمـــان

وقوله :

كل مجد يفنى ويبقى لشعري
شرف باذخ ومجـد أثيل

أما رسالته ففيها ، عدا ما أسلفت ، يقول : « شرفني كتاباك متواليين توالي نعم الله ، متعاقبين تعاقب آلائه ، فالحمدلله ثم الحمد لله على نعمه ولائك ، وشرف إخائك ،وأدام الله علي هذه النعمة ، مقدراً إياها حق قدرها ، قائماً ما وسعتني الطاقة بحمدها وشكرها . وسرني كل السرور تذكرك إياي مع الأخ الأوفى الأغلى محمد بك محمود جلال (٤) وماكان أسرعني إلى مصر ، بل إلى من أحب في مصر :

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديـارا

لولا عوائق الزمان ومشاغل الحياة ، وأنا الآن منهما هدف الموجة الطاغية تلو الموجة الطاغية هل أحدثك عن سرور أبنائي في كتابيك ، فوالله لو شهدت ما انطبع على أساريرهم من اللهفة والحنين إليك ، ومن الغبطة ، بل النشوة من رسالتيك . ولو شهدت عندما لوحت لهم ببريدك كيف تزاحموا وتسابقوا إليه ، لعلمت أي أثر تركته شمائلك



في عيد الجلاء الرئيس القوتلي وعلى يمينه فارس الخوري وعلى يساره هاشم الأتاسي فسعد الله الجابري فجميل مردم بك فلطفي الحفار (وهؤلاء رثاهم البدوي بعد وفاتهم) فنصوح البخاري فتوفيق شامية

الأصيلة الصافية في تلك النفوس البريئة الطاهرة ، وأي هوى لك في تلك الجوانح التي لا تعرف رياء الدنيا ولا مصانعة الناس » ثم يرجو أن أطمئنه إلى صحة الجابري ... « وأن تؤكد له باسلوبك الساحر الجازم وفائي له » :

وكتب إلى الأستاذ إسعاف شاكراً ومقدراً ، معتزاً فخوراً ، وقد إطلعت على رسالته وفاتني الاحتفاظ بنصها .

عتـــــاب

ويممت القاهرة مطلع سنة ١٩٤٧ بدعوة من الصديق العربي الصميم الأستاذ أسعد داغر للمذاكرة في عقد مؤتمر عربي شعبي وتلقيت من البدوي رسالة شغلتني شواغل عن الإجابة عليها ففوجئت برسالة عتاب استغفر الله له من الغلو فيها والجماح ، ولي من استباحة نشر هذا المزاح ! قال « أمتعك الله بالشباب الدائم ، بل أمتع الشباب الدائم بك ، فوالله مانزل بساحة أنضر من ساحتك ، ولا سكر بشمائل أعطر من شمائلك .

وبعد يا أخي وسيدي . فإذا كانت نفسك قد مرنت على الهجر ، فقد مرنت نفسي والله على الصبر . وألفت أن تمحضك أنت بعد الخالق سبحانه الشكر على اليسر والعسر . كتبت لك وترقبت جواباً حتى طال الأمد ، وتلفت الشامتون من هنا وهنا ، وتنكرت الشماتة بهيئة العطف علي فصح بي ما قلته قديماً :

لا يرى الأعداء دمعي جارياً
إنني أبغض عطف الشامتين

وهأنذا وقد أمضني الهجر ، وعزني الصبر ، أذكرك بهذا المملوك الذي لا تهمله كل الإهمال فينسى ، ولا تقربه كل التقريب فيرجى ، بل تتركه في الحالتين بين بين ، فتذيقه في الكأس الواحدة عذوبة الرضا ومرارة الغضب ، وكرامة العز وهوان الذل ، فالله الله بالرمق الذي يفنى أو يكاد .. والله الله بحبل الود أن يتقضب ، وأعيذك من سطوة الحر إذا يئس ، فقد يسلمه القنوط إلى شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة ، فيا أخي لماذا تبقى كتبنا بلا جواب ، ولماذا يبقى عتابنا بلا إعتاب !

وأخيراً يا أخي جاءتنا دعوة المؤتمر ، فهل لك أن تتفضل بتقديم تحياتي إلى الأخ الكريم أسعد بك داغر وأن تحمل إليه قبولي الدعوة الكريمة التي أسأل الله لها النجاح والتوفيق ، وأرجو كذلك أن تقدم للأخ الأغلى محمد بك محمود جلال خالص شوقي وإجلالي ولشيخ العروبة الطاهر (٥) طاعتي وامتناني » ثم نقل إلي سلام إخوانه « وربما شهدنا المؤتمر مجتمعين ويزيدنا وجودك في مصر حرصاً على الحضور :

تمـــام الحج أن تقف المطايـــا
على حـــدراء كاشفة اللثـــام

والله يطيل بقاءك قرة عين لاخوانك وللمروءة والعروبة » .

وفاة الجابري

وعدت إلى دمشق وتتالت لقاءاتنا وكان أشد ما يرمضنا أن يبدو مرض الزعيم الجابري عياء ، وقد بارح الاسكندرية إلى حلب .

وحدث أن ندبتني الهيئة العربية لفلسطين بالاتفاق مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى الدفاع عن قضية فلسطين في أمريكا اللاتينية وتنظيم الجوالي العربية فيها ، ويممت مصر في طريقي إليها ، وبينما كنت أهيئ وثائق القضية ، خطر على بالي أن أهاتف من الفندق الذي أنزله القصر الجمهوري بدمشق أسائل عن المريض الحبيب فقيل لي : قضى سعد الله بك وغادر الرئيس القوتلي دمشق إلى حلب لتشييع أخيه ورفيقه وغص مخاطبي بالبكاء ، فكانت الصاعقة ... ولحجت في البكاء ، واقتحم غرفتي الأستاذ انطون الجميل رئيس تحرير الأهرام وصديق سعد الله الحميم ، ورأى عيني غريقتين بالدموع فحاول تعزيتي ولكن العبرات تدفقت فبادرني : « قل لي ياصاحبي ماهو أجدى على سيرة سعدالله وأبلغ في وداعه هذه الدموع أم أن تغمس القلم بها ، وتكتب للأهرام لعدد الغد مقالاً عن سعدالله ؟ هو ذا القلم وهذا هو

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسّكانُ

الورق وسأزورك عصراً لآخذ المقال .. اكتب بدموعك ولا تدعها تنثال هدراً » وزودتني كلمات أنطون باشا بشحنة كهربية ورحت أكتب ولم تعصب اللوعة دمعي وأحسست وأنا أكتب المقال أنه البوح الذي أزاح عن صدري أثقل الهموم ، ورأيت المقال صبح اليوم التالي منشورا في صدر الأهرام وقد قدم له الأستاذ انطون بمقدمة كريمة كأن سعد الله هو الذي أكرمني بها ، وقبل أن أبرح مصر إلى أمريكا اللاتينية أبرقت إلى البدوي بالتعزية بوفاة أحب زعماء العرب إلى قلبه .

ووالیت الكتابة إلى البدوي من أمريكا اللاتينية ولما وصلت إلى الولايات المتحدة في طريق العودة إلى الوطن العربي وجدت في نيويورك رسالة مفاضة من البدوي يفصل فيها ما جرى في سورية من قيام الحزب الوطني وفوز الوطنيين في الانتخابات النيابية ، وتعديل الدستور لانتخاب الرئيس القوتلي باجماع المجلس ، وسير المعركة الفلسطينية واستشهاد القائد الفلسطيني عبدالقادر الحسيني في معركة القسطل .. ثم أجاب على ما أبديته من ألم لأنني غير موجود في المعركة قائلاً : «ولا يؤلمنك أنك غير موجود في المعركة فجهادك والله في ساحتك الآن أعظم من جهادك وأنت تحمل البندقية في المعركة . إن الذين يستطيعون القتال كثيرون ، والحمدلله ، في هذه الأمة ، أما الذين يستطيعون القيام بالمسؤولية الضخمة التي تقوم بها الآن فهم قليلون جداً ، بل نادرون كل الندرة فهنيئاً لك ماتقدمه لديار العرب ، لالقضية فلسطين وحدها من خدمات كبرى ، ولا أقول ذلك والله إرضاءً لك ، بل ارضاء للحق وللضمير وللواقع » ثم يقول : « أقيمت حفلة المغفور له سعد الله الجابري في ٥ نيسان وقد كانت حفلة ضخمة جداً . وقد ترأسها فخامة الرئيس وألقى حكمة رائعة وألقى من الشعراء أربعة : البدوي وعادل الغضبان والحامدي وأبو ريشة ، وقصيدتي تصل إليك طيه ، فأرجو أن أكون وفقت فيها إلى أداء بعض مايتوجب علي نحو الفقيد العظيم . وقد ذكرك أصدقاؤك ــ وهم كثر ـ بهذه المناسبة وتمنوا لوكنت حاضراً . ولاشك أن محلك في الحفلة لم يملأ . فالكلام عن سعد الله وعبقريته وخلقه ونفسيته ، وماإلى ذلك هيهات هيهات أن يحسنها وأن يفيها حقها إلا أكرم لأنه نفذ إلى سريرة سعدالله وشاركه آلامه العليا وأفراحه العليا . واننا نحن إخوان سعد الله وأصدقاءه لنعلل أنفسنا منذ الآن بسماع كلمتك في الذكرى الآتية .. وبعد فكيف أنت يا أخي وسيدي وأعز الناس علي ، وكيف صحتك الغالية ، وما هي همسات قلبك لقلبك وهل أنت مسرور السرور الذي يهنأ به أمثالك من أرباب الذوق المترف والإحساس المرهف ؟ أطل الحديث عن هذا لأخيك الذي لم يفارق خيالك تفكيره ولا قلبه ، انني مشتاق إليك ولكن شوق الهانئ لا شوق المحروم ، « لأنك من عيني نقلت إلى قلبي » وأنت ــ وحياتك ــ رفيقنا الدائم . فما هنئنا بسهرة ولا استلطفنا نكتة ولا استذوقنا جمالاً ، ولا حزبنا حازب إلا تلفت إليك القلب وخاطبك وأنس بك وشاركك الغبطة وأشركك بها . عجل بالرجوع ما استطعت فالبلاد تنتظرك وإخوانك ينتظرونك على أحر من الجمر .. » ويواصل « فخامة الرئيس يذكرك دائماً وجميع الاخوان وفي مقدمتهم نبيه بك (العظمه) وصبري بك (العسلي) وميخائيل بك (ليان) وعادل بك (العظمه) ومن لا أعد ولا أحصي من بكوات وأفندية وجنس خشن وجنس لطيف وأوانس وعوانس . لم تصل سكائر الهافانا بعد (وكنت أرسلت اليه من كوبا علبة) وإذا وصلت فستذكرك عند كل شحطة من أنفاسها العطرة» .

رثاء العظيم

ورحت أتلو قصيدته في سعدالله .. وتمثلته أمامي يهتف بالبدوي مبتسماً : أحسنت .. أحسنت .. وقد مضى على نظم القصيدة سبع وثلاثون سنة .. ولا أفتأ أعود إليها يوم الذكرى من كل عام . إنها نحو مئة بيت ، ويا لله ما أروع مطلعها :

سأل الصبح عن أخيه المفدى
أيها الصبح لن تشاهد سعدا
غيب الدهر من سيوف معد
مشرفيا حمى وزان معدا
كلما عارضوا الصوارم فيه
كان أمضى شباً وأصفى فرندا

ولا أجد أحلى وأصدق وأجمل في وصف طلعة سعد الله وحديثه وظرفه وهمومه من قوله :

حاسنوا غرة الصباح بسعد
فعلمنا أي الصباحين أهدى
طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجدا
وحديث كأنه قطع الروض
تنوعن أقحوانا وورداً
بدعة الظرف والأناقة يرضيك
دعاباً عفاً ويرضيك جدا
تنهل العين من بشاشة سعد ريها ـ
والعيون تروى وتصدى
الحضارات في شمائل سعد
فاذا سمته الهوان تبدى
مترف في رجولة واعتداد
راع زياً وراع وجها وقدا

وفيها :

زعم الخصم أنه مستبد
حبذا الحكم عادلاً مستبدا
إن شر الأمور ظلم الجماهير
وأهون بالظلم إن كان فردا

وفيها :

قل لمن يحسد العظيم ، ترفق
إن خلفَ الأمجاد هماً وسهدا

وسعد الله في مجلس النواب :

ملهم حاضر البديهة تغريه
بأحلى مما اصطفى وأعدا
مترف الفكر والبيان غني
باللآلي يصوغ عقداً فعقدا
يجمع الحق والبيان على الخصم
فلما تملك الأمر شدا
يطعن الطعنة العفيفة لا
تدمي ولكنه أباد وأردى

وسعد الله مريضاً :

ما رأى السقم قبل سعد حناناً
وحياءً من السقام ورفدا
كبقايا السيف اطمأنت إلى الجفن
وراحت تبلى الهوينا وتصدا
روعة الشمس في الغروب ولا
أعشق للشمس عنفوانا ورأدا

وطيف سعد الله :

وأصون الطيوف بين جفوني
لو تطيق الجفون للطيف ردا

ومن أبياتها السائرة :

إن دين العظيم في كل شعب
لا يوفى وحقه لا يؤدى
شغل الناس بالعظيم وأرضوا
نزوات النفوس هدماً ونقدا
حسدوه على المزايا فكان الموت
بين الأهواء والحق حدا
إن من ينكرونه وهو حي
ربما الهوه رمزاً ولحدا

وآلم البدوي أن يشن رعن من الشبان الحملة على الرعيل الأول من قادة الحركة العربية فكانت ذكرى سعد الله سانحة لعتاب اؤلئك المتجنين عليهم :

عيروا بالمشيب اخواني الصيد
سفاهاً وهل عن الشيب معدى
أي لوم على الكهول وخاضوا
غمرات العلى شبولاً وأسدا
مالأبنائنا تجنوا علينا
وغفرنا ماكان سهواً وعَمدا
أنكرونا على المشيب كأنا
لم نكن قبلهم غرانيق مردا
حاسبونا على هنات المعالي
ثم غالوا بها حساباً وعَدا



سعد الله الجابري في منتزه دمر بدمشق بعد عودته من الاسكندرية (بالطربوش) وعلى يمينه أكرم زعيتر
وعلى يساره بدوي الجبل فنبيه العظمة فمخائيل ليان ففاخر الجابري (يدخن النارجيله)

نحن رواد كم طلعنا الثنــايا
وزحمنـا الصعـاب غوراً ونجدا
أيها النـازل المقيم تعهــد
بالرضى والحنــان ركبـاً مجدا

وأقول استطراداً أنني في أحد لقاءاتي سماحة الحاج أمين الحسيني ، مفتي فلسطين ورئيس هيئتهـا العليـا سمعته يردد هذه الأبيات . وهي لسان حال كل زعيم عربي جحده جاحدون من الجيل الجديد .

ثـم مجد الشاعر جهاد الرئيس القوتلي « ووريث الشموس من عبد شمس » وتلفت إلى فلسطين وقد طَمتها الطامة :

أسلم القـدس من يحج الى القدس
ويتلو الإنجيل ورداً فـوردا
مدن القدس كالعـذارى سبوها
وأرادوا لكل عـذراء وغــدا
ضج سوق الرقيق في ندوة (٦) القوم
ونخاســه طغـى واستبــدا
غيرة الله اين قومي وعهــدي
بهم ينهدون للشـــر نهــدا

وسعد الله :

لو رأى هذه الدموع الغوالي
لبكى رحمـــة وحيـا وفــدى
ثورة في الحيــاة والموت جلت
ثورة الحـق أن تقـر وتهــدا

رائعــة المعــري

وعدت من أمريكا إلى دمشق ، وحفلت سنة ١٩٤٨ باللقاءات الشاجنة ، وقلت له ذات يوم : أي قصائدك أحب إليك ؟ .. فأجاب : كلهن حبيبات .. وحاولت أن أجعله يفاضل بينها فلم أفلح .. وفي لقاء آخر قلت له : « ان متأدباً يؤلف مختارات من روائع الشعر كلفني أن اختار له قصيدة من شعرك فماذا ترى ؟ » فأجاب : « قصيدتي في المهرجان الألفي للمعري . » (وأغلب الظن أنني لو سألته هذا بعد سنين لما آثرها على قصائده في فيينا وجنيف) ثم قال : « قصيدتي هذه ألقيتها في اللاذقية أمام الوفود العربية في المهرجان الألفي للمعري وكنت أنت في منفاك في الأناضول » ونهض إلى مكتبه وأعطانيها قائلاً : « اقرأها وحدك واختر منها ماتشاء ، إنها ذات أربعة وتسعين بيتاً » . وتوقعت أن تكون كفافة المعري وفلسفته ولغته ينابيع القول .. وإذا بي أقرأ جديداً ، وأدركت وأنا أتلوها مرنحا لم انتقاها للمختارات المزعومة ، وما أصعب الاجتزاء ببعضها !! وهذه قبسات عجلان منها :

الدهر ملك العبقرية وحدها
لاملك جبــار ولاسفاح
والكون في اسراره وكنوزه
للفكر ، لا لوغى ولا لســلاح
لاتصلح الدنيا ويصلح أمرها
إلا بفكر كالشعـــاع صراح

وبعد أن قال :

نفذت بصيرته لأسرار الدجى
فتبرجت منها بألف صباح
من راح يحمل في جوانحه

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ
ونحن المكانُ والسّكانُ

هانت عليـه أشعة المصباح

وثب خيـاله إلى مأثر عن عـداوته للمرأة فهتف به :

ظفرت برحمتك الحياة وصنتها
عن كل ناعسة الجفون رداح
أتضيق بالأنثى، وحبك لم يضق
بالوحش بين سباسب وبطـاح
يا ظالم التفاح في وجناتهـا
لو ذقت بعض شمـائل التفـاح !
عطر أحب من المنى وغلالة
بدع فمن وهج ومن أفراح
هي صورة لله جل جلاله
عزت نظائرهـا على الألواح
فتحت بقدرته النعيم ولونت
أنواره جلت يد المنـاح
ليت الهموم العبقرية هدهدت
بحنان طيبـة اللمى ممراح
ماأحوج العقل الحكيم ــ وهمه
وسع الحياة ــ لصبوة ومراح
ولمن تدلله وتسكر روحـه
عند الهجير بظلهـا النفـاح
انثى إذا ضاقت سريرة نفسـه
طلعت بآفاق عليـه فسـاح
تسقي الهموم إذا وَرَدنَ جنانها
بمعطر كالسلسبيـل قـراح
وتردهن عرائسـا مجلـوة
كندى الصباح وكن غير صباح
ايه حكيم الدهر أي مليحة
ضنت عليك بعطرهـا الفواح
اسكنتهـا القلب الرحيم فرابها
مافيـه من شكوى ورجع نواح
جرحت إباءك والحياء فأقفلا
باب المنى ورميت بالمفتـاح
لو أنصفت لسقتك خمرة ريقها
سكر العقول وفتنـة الأرواح

ورأى أعلام الأدب العربي : طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام وطه الراوي ومحمود علي والنشاشيبي والمغربي وخليل مردم بك ومهدي البصير والمبارك وسائر تلك الكوكبة فهتف بالرئيس القوتلي راعي الاحتفال :

الوحدة الكبرى تهلل فجرهـا
بظـلال أبلج ذائد نفـاح
هذى العروبـة في حمـاك مدلة
ربع العدو بهـا وضاق اللاحى
الأزرق الرجراج حن لرملـة(٧)
في الدجلتين نديـة مسمـاح



الشاعر بدوي الجبل

وأرى الكنانة إن تماجد ماجدت
بالعـاص لا بمعني ولا بفتـاح (٨)

وأنهى قصيدته معتذرا :

فأعذر إذا لم أوف مجدك حقه
لجج الخضم طغت على السباح

عقـوق الأقـرباء

ووقع « انقلاب » حسني الزعيم في دمشق في آذار (مارس) ١٩٤٩ واعتقل الرئيس القوتلي فضاقت علينا دمشق .. فغادرتها إلى بيروت فالى نابلس التي عدت إليها بعد غياب اثنتى عشرة سنة بقرار من السلطة البريطانية المنتدبة ، وبارحها البدوي إلى اللاذقية ولم نعد إليها إلا بعد مقتل حسني الزعيم في آب ١٩٤٩ .

وفي لقاء لنا في بيروت كان البدوي يتنزى ألماً وقال إنه يحس بغربة في دمشق التي يفضلها على بلاد العالمين ، وأنه ــ نظم قصيدة سكب فيها اشجانه ، وأعدها لذكرى هنانو وكانت شواظاً سلطها على الحاكمين وعلى من اعتقد أنهم أساءوا إليه وأسمعني بعض أبياتها فرجوته أن يكتبها بيده في مفكرة جيبي ففعل ، وهذه هي :

عقني الأقربون في غمرة الخطب
وعق اللـدات والاخـوان

سوف يملي التاريخ عني ما يملي
فتخـزى بظلمي الأوطـان

ينصف العبقري دهر فسيان
وفى اصفيـاؤه أم خـانوا

نعمـة الشعر نعمـة الشمس لا
يعـذر فيهـا الجحود والنكران

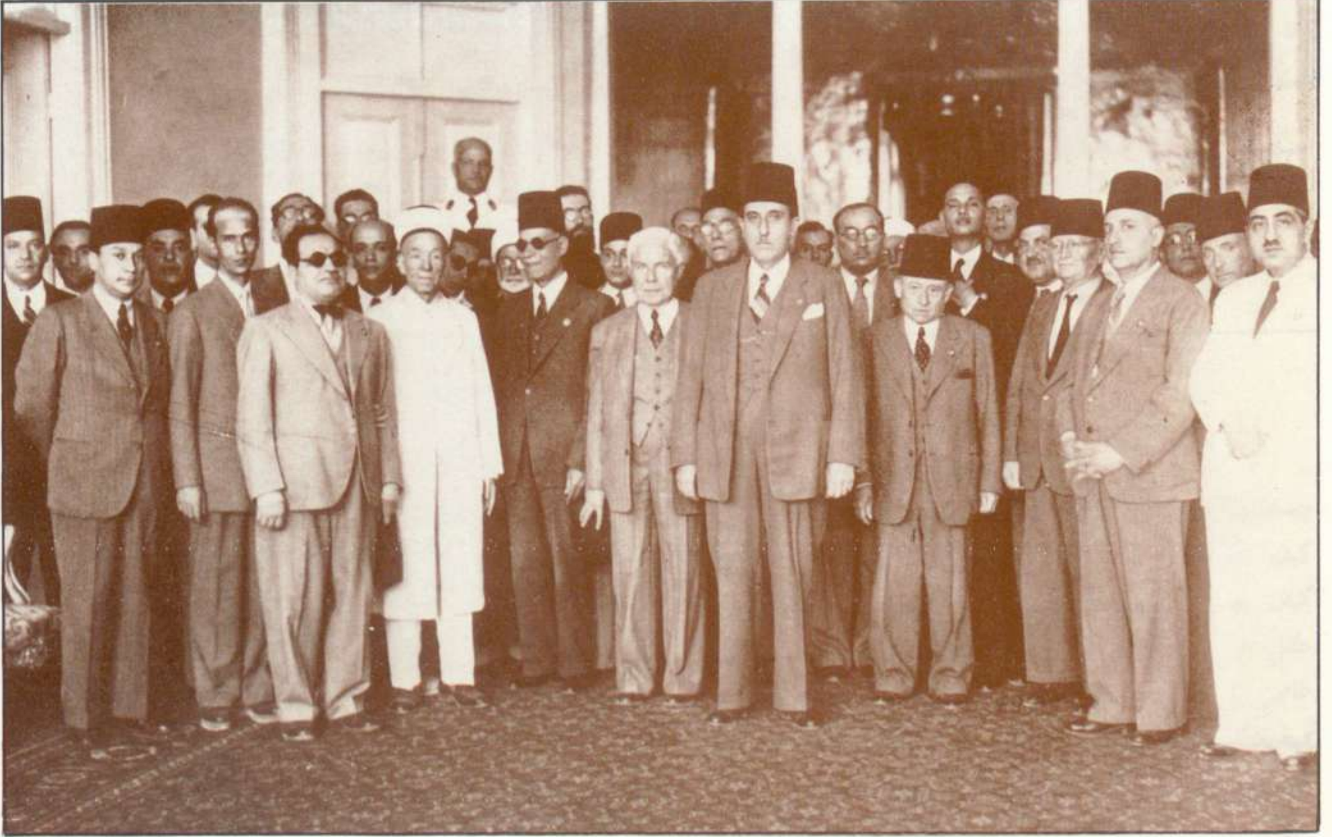
وأسر الشكوى حيـاء وكبرا
رب شكـوى إسرارهـا اعـلان

ومن روائع تلك القصيدة التي تبلغ مئة بيت ، وهي تعد في السائرة :

أين حريتي فلم يبق حـراً
من جهيـر النـداء إلا الأذان

سبـة الدهـر أن يحـاسب فكر
في هـواه وأن يغـل لسـان

الضحى والشجـاع حلف كفـاح
ما احتمى بالظـلام إلا جبـان



صورة مهمة وفريدة تجمع اعلام الأدب العربي فى المهرجان الألفى لأبى العلاء سنة ١٩٤٥ يتوسطهم رئيس الجمهورية شكرى القوتلي . من اليمين : خليل مردم بك ـ عارف النكدي ـ محمد كرد علي ـ محمد الشريقى ـ محمد البزم ـ عبد الوهاب عزام ـ اسعاف النشاشيبى ـ الرئيس القوتلى وبينهما خلفاً طه الراوى ـ فارس الخورى وبينهما يبدو رأس أحمد أمين ـ علي محمد الخورى ـ طه حسين ، ووراءه الشيخ عبد القادر المغربي ـ الشيخ عبد القادر المبارك ـ مهدي البصير وبينهما رأس أسعد طلس فآخرون ..

كتب المجد ماشتهت غرر المجد
ونحــن الكتــاب والعنــوان

نحن تاريخ هذه الأمـة الفخم
ونحن المكّـان والسكــان

قد سقينا من قلبنا الموت حتى
نبت الضرب في الربى والطعان

أخا الجلي ورب أخ تعرى
لدى الجلى عن الحسب القراب

احبك للنبيل من المعـــالي
وللعَطر السري من الرغـــاب

وانت إذا تحدتك الرزايــا
ضيـاء الشمس يسخر بالسحـاب

تحن إليك عند البعد روحي
حنين الورد للنطف العـذاب

وحبك نعمـة الدنيا وأحلى
من النعمى شمائلك السوابي

أكرم زعيتر

تعــــزية

وحدث أن كنا في جريدة « الحياة » ببيروت حين جاءني هاتف من شقيقي الكبير بنابلس عادل زعيتر يحثني على الحضور مسرعاً إلى نابلس لأن صحة شقيقي الآخر « نبيه » قد ساءت فبادرت إليها ، وبعد أيام فجعت بوفاته رحمه الله ، ويبدو أن صديقاً ما قد نقل إليه انني عاتب عليه كونه لم يعزني ، لأنني تلقيت منه بالبريد هذه الأبيات :

أأكرم حبنـــا أصفى وأسمى
ـعلى عنت الخطوبـ من العتاب

وما عزيت حين ألم خطب
مصــابك في جلالتــه مصــابي

أخطاء وردت في الحلقة السابقة

حياله	وصحيحها صياله
خضت	« خضبت
عرس	« عرس
حرفها	« صرفها

ووردت عبارة . « ورأيت الأستاذين ابراهيم المازني وأسعد داغر يبادران إلى تحية الشاعر » بعد حفلة نادى المثنى وقصيدة سقوط باريس . والواقع أنهما هناه بعد قصيدته في تأبين غازى .

جفضي	وصحيحها تغضي
الوطنة	« الوطنى

هوامش :

(١) يعني أولاده
(٢) الآذي : الموج
(٣) ابراهم هنانو
(٤) مصري كبير من أقطاب الحزب الوطني اشتهر بوفائه لاصدقائه ولذكرى مصطفى كامل ومحمد فريد
(٥) السيد محمد على الطاهر صاحب جريدة (الشورى) المشهورة .
(٦) جمعية الأمم المتحدة
(٧) البحر في سوريه حن إلى صحراء العراق .
(٨) تماجد بعمرو بن العاص لا بالفرعونين منى وفتاح .

افتتاحية الدم الفلسطيني

شعر: محمود حامد

نمشي وأكفاننا على أكتافنا لأن طريق النّضال أمامنا يمرّ عبر بوّابة الموت .

ـ ١ ـ

هُمْ يحفرونَ لِجُثّتي قَبْراً ، يضيقُ ، يضيقُ كَيْ ،
لا يخرجَ الجَسَدُ القتيلُ لكي يُحارِبَ مِنْ جديدْ
فإذا بهِمْ قَبْلَ احْتِواءِ القَبرِ لي ،
يَجدُونَ سيفِي خارجا من قاعِ لحمي ،
يَصْرخونَ : هُوَ الشَهيدْ
لِلْمَرَّةِ المِلْيُونِ عــادَ ،
أما رَأَيْتُمْ ؟
كيفَ تَنْفِرُ صَهْلَةُ الدّمِ كَالْبُروقِ مِنَ الْوَريدْ
وَتَصيرُ رَعْداً ،
ثُمَّ مَوْتاً ،
ثُمَّ سَيْفَاً صاعِقاً ... ،
ما لانَ إِلَّا حين ضَمَّ القَبضةَ السَّمراءَ فيهِ دَمُ الفِلسْطِينيِّ ،
والكَفُّ العَنيــدْ .

نَنْهارُ عِنْدَ نِعالِهِمْ ...
نبكي وَهُمْ أبداً علينا يَضْحَكُونْ
نَهوي وَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ يَنْهَضُونْ
نمضي نُجَرْجِرُ رُعْبَنا عَنْ ساحِهِمْ
ونقولُ :كيفَ بِهِمْ وَهُمْ قَتْلَى ، وَنَحْنُ الغاصِبونْ ؟
هُمْ يصمدونَ ونحنُ نسقطُ ،
يصمدونَ ، ونحنُ نسقطُ ، يصمدونْ
هُمْ يخرجونَ مِنَ المَسَامِ ، مِنَ العِظامِ ، مِنَ الجَماجِمِ يخرجونْ
وَبِخَوْفِنا ، نَحْنُ الطُّغاةُ ، مُحَاصَرُونْ .
تَغْفو على القَصْفِ العُيُونُ ،
وحينَ تَصْحُو
يُرْسِلُ القَصْفُ التَّحيَّةَ في جُنُونْ
تَتَبَسَّمُ الأجفانُ ،
والأَيْدي تُلَوِّحُ ،
لا تَهابُ مِنَ المَنُونْ

ـ ٢ ـ

هذي عُيُونُ اللَّيْلِ أَمْ ،
هذي عُيُونُ المَوْتِ تَزْحَفُ ؟
أَمْ هُمُ الأَشْباحُ مِنْ وَجَعِ المقابرِ يخرجونْ
هاماتُهُمْ تبدو كأشجارِ الصَّنَوْبَرِ ،
في التُّرابِ جُذورُها
ونعالُهُمْ فَوْقَ الحُصُونْ
يَتسلَّلُونَ كما الهَواءِ ،
يُبَعْثِرونَ الخَوْفَ في أجسادِنا
تُلْغي مَسامات الجُلُودِ ،
فكيفَ يَنْبُتُ شَوْكُهُمْ في لَحْمِنا ؟
وإلى دمانا يدخلونْ ؟
يَتَوَغَّلُونَ بنَا فيكتشفونَ فينا ،
كُلَّ ما لَمْ يكتشفْهُ الآخَرُونْ

حينَ الصَّنَوْبَرُ يَسْتفيقُ على الجبالِ ،
تَهابُ مِنْهُ الرِّيحُ ، يَخشاهُ السُّكونْ
والكونُ يصمتُ حينَ يَصْخَبُ في التِّلالِ الزَّيْزَفُونْ
هذي العُذُوبَةُ في دِمانا عَلَّمُوها ،
كَيْفَ تَرْعَشُ رهبةً منها سُيُوفٌ ،
كيف يخلعُ هذه الدُّنيا دَمٌ أَلِفَ الشُّمُوسَ .. ،
ونظرةٌ كالبرقِ تلمعُ في العُيُونْ ..

مَرّوا على جسدي خِفَافاً فانْتَشَيْتُ ،
أنا الطريقُ لهم إليكِ ،
وَهُمْ إليكِ العائِدُونْ
يأتونَ من جسدي ،
ومن لحمي وعظمي يَعْبُرُونْ

وأنا الذي رَبَّيْتُهُمْ شبْراً فَشِبْراً
قُلْتُ : لحظةَ يَكْبُرُونْ

سيكونُ ثأري في دماهم قد تَغَلْغَلَ ،
عندها ،
لا هَمَّ لو كُنْتُ التُّرابَ لِنَعْلِهِمْ ،
أَوْ لا أكونْ

° ° °

- ٣ -

يتساءلونَ عن الطُّفولةِ في المُخَيَّمِ ،
كيفَ تَكْبُرُ ؟
كيف يُصبحُ صخرة بِصُمُودِهِ
طفلٌ حبا في الطِّـينِ ،
غاص إلى الجحيمِ بعُودِهِ ؟
فَيجيبُ زَنْدُ البُنْدُقِيَّةِ :
كَمْ فتى أَضْحى نقيّاً في المُخَيَّمِ ،
لحظَةَ انهمرتْ دِماهُ على تُراب جُدودِهِ
وَهُوَ الذي ما زال يَنْسَكِبُ الحليبُ على يَدَيْهِ ،
وَفَوْقَ سُمْرِ زُنُودِهِ
يتساءلون عن الطُّفولة في المُخَيَّمِ كيفَ تَكْبُرُ ؟
كيف ترسم دربَ عودتها على كَرَّاسَةِ الفَصْلِ الصَّغيرَةِ ؟
كيف تَتَّسِعُ المَقاعِدُ للكثيرِ من الخيالات الكبيرةِ ؟
كيفَ تَتَّضِحُ الخريطةُ حين يحفرها الصِّغارُ على الجدارْ ؟
بأصابعِ العشقِ الحزينةِ : عودةً ، وطناً ، ودار
ويداً تُلَوِّحُ للجليلِ بأَنَّنا آتونَ ،
أنَّ رياحَنا وصلتْ إلى أرضِ المَطارْ
يتساءلون فأخبرهم ،
كم يُعاني من يُغادِرُ لَحْظَةً هذا الحِمَى ؟

° ° °

- ٤ -

مُدّي نَزيفَ جراحنا
هذي الحدائقُ مثْقلات بالظَّمَا
والحزْنُ يسكنُ في السُّفُوحْ
لا يبخلُ الجَسَدُ المُناضِلُ بِالدِّمَا ،
أبداً ولا ،
بخلتْ بها هذي الجُرُوحْ

إنْ يَسْحقُوا أجسادنا ،
سَتَظَلُّ تنبضُ داخِلَ الأَجسادِ رُوحْ
لن ينتهي تَحْتَ الثَّرى
من عاش يذبحهُ الطُّمُوحْ

° ° °

- ٥ -

نَشتاقُ يخلعُنا صهيلُ الرَّعْدِ من هذا العذابْ
فَالْحُلْمُ لن يبقى طويلاً عبر ذاكرةِ التُّرابْ
والرِّيحُ تمسحُ ماكتبنا فَوْقَ صَمْتِ الرَّمْلِ ،
أو فَوْقَ السَّحابْ
لا شيءَ يبقى
غيرُ ما خَطَّ النَّزيفُ على الثِّيابْ

° ° °

جسدي يُغادرني ،
تَضيقُ بِهِ الجهاتُ ..
دمي يُغادرني ؛
تضيقُ بِهِ الشَّوارعُ ،
يَسْتَفِزُّ البَرْقَ صَوْتي ،
كيف أصمتُ ؟
والصَّهيلُ بداخلي
هذي الحَدائِقُ فاسألها ما بهَا
مسكونة بالصَّمْتِ ، والشُّرفاتُ ،
ما بال البنفسج فوقها ،
حين العصافير العزيزة غادرتها ،
نام مكسورَ الجناحْ
يَهْتَزُّ وَجْداً كُلَّما
لاحتْ على الأسوارِ بَعْضُ بلابلي
ما هزَّني أنّي أصيرُ إلى تُرابِ ،
حَسْبُه الجسدُ الذي نثروه في ساحِ الجليلِ ،
يكونُ فِردوسَ الخُلُودِ لضحكةٍ تأتي من الأَعماقِ ،
يرويها دمي
فتصيرُ عُرْساً في جُذور سنابلي .

° ° °

افتتاحية الدم الفلسطيني

ضَجَّ الصَّهيلُ بداخلي
وأنا كعصفورٍ أهيمُ على شبابيكِ الحَبيبَةِ ، كُلَّما ،
حَنَّ الفؤادُ لها ، قُتِلْتُ ،
فما استرحتُ ،
وما استَراحْ
ينتابني حُزْنٌ إذا لم أغتَسِلْ ،
ما بين آونةٍ وآونةٍ بأنهارِ الرِّياحْ
ينتابني حُزْنٌ إذا
كَسرَ النُّعاس جُفُونَ مِصْباحي ،
ونامت في دمي شَمْسُ الصَّباحْ
هيَ عادةٌ مُنْذُ الطُّفُولَةِ لم تُغادِرْني ،
وَظَلَّت تأكل الجَسَدَ المُتَيَّمَ ،
كَيْفَ ظَلَّ جُنُونُ عشقي في دمي يَنْمُو ،
لِتُصْبِحَ كُلَّ هَمّي ،
ذَرَّةٌ سمراءُ في تِلْكَ البِطَاحْ ؟

° ° °

هذا جنونُ العشقِ ، فاحتملي جُنوني ،
كم تُكابرُ في الشَّرايين الجراحْ
حين استفزَّ السَّاحُ نخوتها مَشَتْ ،
فسلي سُيُوفَ المَجْدِ عَنْها ،
هل تَخلَّتْ لحظةً عن كبرها في أيِّ ساحْ ؟
تأتيكِ مُثْقَلَةَ الجناحِ بشوقها ،
فمن استباح سواكِ ساحتها هوىً ،
ولكم يطيبُ على يديكِ المُسْتَبَاحْ
آتيكِ ، مُرْهَقَةً خُطايَ مِنَ النَّوى ،
لولاكِ ما اهتزَّ المدى طرباً ولا
رقصت على درب السَّماء خُطى الشُّمُوس ،
ولا هَفَتْ للمجدِ أعناقُ الرِّماحْ .

° ° °

-٦-

مُدّي سَواقي جُرْحِنا
فالأرضُ من عطشٍ ستأكلُ ثَدْيَها
وتكادُ تخلعُ عُرْيَها
هذي البُذورْ
مُدّي على هذا الثَّرى أجسادَنا
وَلْيَعْبُرِ الأحْبابُ ،
إنَّا قد جعلنا دَرْبَهُمْ أكبادنا
كُلُّ الجهاتِ لنا ،
فمن شاءَ العُبورْ
صَوْبَ الجَليلِ ،
عَلَيْهِ أنْ يَخْطُو على هَذي الجُسورْ .

° ° °

قُولي لِمَنْ هذي البواسِقُ أشرعتْ هاماتِها
فَوْقَ العُصورْ
قُولي لِمَنْ كانت تُؤَرِّخُ عشقها عَبْرَ الجُذُورْ
قُولي لِمَنْ هذي السَّواعِدُ ،
مِثْلَ أعناقِ الرِّماحِ إذا تَثُورْ ؟
قُولي لنا ،
يا أمَّةً لم تُنْتِجِ الأَصْلابُ في أَرْحامِها
غَيْرَ النُّسُورْ

° ° °

هذا المُخَيَّمُ لَمْ يَعُدْ رملاً ينامُ على الفَجيعَةِ ، لا ، ولا
صمتاً يُشَرْشِرُ في الصُّخُورْ
هذا المُخَيَّمُ ، فاسألي ساحاتِهِ
مَنْ عَلَّمَ الأشجارَ كيفَ تُقاتِلُ الأعْداءَ فيهِ ،
وَمَنْ أثارَ النَّارَ في هذا الرَّمادِ على مَدَى جَنَباتِهِ ؟
مَنْ أشْعَلَ الغَضَبَ الجَسُورْ
لهباً يُدَمْدِمُ في خُطى راياتِهِ .. ؟
غَيْرُ الدَّمِ المَسْفُوحِ فَوْقَ الأَرْضِ نُورْ .

° ° °

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلسَّيْفِ حَدٌّ ،
قُلْتُ : هذا النَّبْضُ حَدُّ السَّيْفِ ،
والدَّم والرَّصاص هُما :
ضَجيجُ الثَّأرِ في هذي الصُّدُورْ .

° ° °

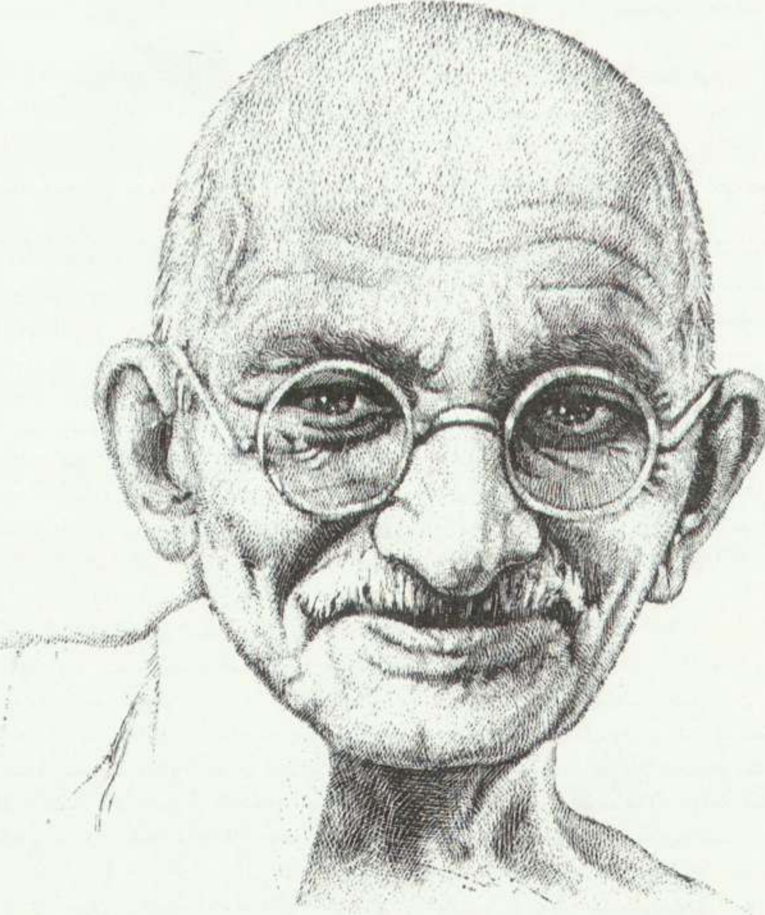
محمود حامد
الرياض

من الفكر السياسي المعاصر

غاندي

المصلح السياسي الاجتماعي

بقلم: الدكتور علي الدين هلال



● كان يؤمن بأن العالم يبدأ أولاً بالتغيير الروحي والمعنوي في داخل كل انسان

● قدرة الانسان على تحمل العذاب هي أكبر من قدرة عدوه على تعذيبه

أعاد فيلم غاندي الذي عرض قبل عامين شخصية هذا الحكيم الهندي وأفكاره إلى دائرة الاهتمام العام . وهناك قدر متزايد من التأمل والدراسة لأفكار هذا الرجل الذي وصف بأنه أعظم هندي منذ بوذا ، والذي قال عنه جواهر لال نهرو عند اغتياله إنه كان نوراً أضاء عقل الهند وقلبها لألف عام ، والذي أكد البرت إينشتاين أن الأجيال القادمة سوف تتساءل عما اذا كان شخص بهذه الصفات قد عاش فعلاً على أرضنا في القرن العشرين .

غـــانــدي
المصلح السياسي الاجتماعي



نشأ غاندي في عائلة دينية علمته منذ الطفولة ألا يقرب اللحوم ، وفي شبابه المبكر تأثر بالمبادئ الدينية الهندية التي تحذر من إيذاء كل أشكال الحياة سواء أخذت صورة الحيوان أو النبات أو الانسان . وكان ذلك بذرة فكرة اللاعنف عند غاندي . وعندما احتك بالفكر الأوربي بعد وصوله إلى لندن عام ١٨٨٨ ، تأثر ببعض أفكار الانجيل وكتاب تولستوي « مملكة الرب في داخلنا » . وكما يذكر في قصة حياته ، كما كتبها بنفسه ، فان راسكين أثر فيه كثيراً أيضاً .

وعاد غاندي وهو في السادسة والأربعين ليعيش في الهند بعد تنظيمه لحملة غير ناجحة للعصيان المدني في جنوب افريقيا . عاد وقد استفاد من فترة اقامته الطويلة بالخارج حيث نضجت ثقافته واتسعت مداركه . ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه الفترة مكنته من أن يرى المجتمع الهندي من الخارج ، وأن يضع يده على جذور المشاكل لا مظاهرها الخارجية فقط ، الأمر الذي لا يتيسر عادة لمن يعيش في دوامة هذه المشاكل ، ويتحرك كرد فعل للأحداث اليومية التي تأخذه من مكان لآخر .

نقطة الانطلاق بالنسبة لغاندي ، ولكل حياته ، هي اللاعنف ، فمن رؤيته الذاتية للتاريخ ، ومن خلال تجاربه الشخصية ، وفهمه للعالم والقوى التي تتصارع فيه ، وصل إلى الاعتقاد بأن طبيعة الانسان خيرة بحكم تكوينها ، وأن تغيير العالم يبدأ أولا بالتغير الروحي والمعنوي في داخل كل انسان .

ان فكرة غاندي عن اللاعنف تقوم في الأساس على اعتقاد ديني ، على الايمان بأن قدرة الانسان على تحمل العذاب هي أكبر من قدرة عدوه على تعذيبه ، وأن النتيجة العملية للعنف مزدوجة : فهي أولاً تطهر نفس الشخص الذي يتعذب ، وهي طريق الخلاص بالنسبة له ، وهي ثانياً تغير الشخص الذي يقوم بالتعذيب وتثير في ضميره ونفسه قوى الخير والرحمة الكامنة في كل انسان .

الفكرة الأساسية في اللا عنف هي تحمل الألم وقدرة الانسان على التضحية بالنفس ، وكما يكتب هو بنفسه : « التضحية هي قانون الحياة ... إنها توجد في كل مسارات الحياة ... نحن لا نستطيع أن نفعل أي شيء أو نحصل على أي شيء دون أن ندفع ثمناً له ... ان التضحية الحقيقية تكمن في استخلاص أكبر قدر من السعادة من أي فعل ، مهما كانت التضحية المتضمنة فيه ... إن عذاب الانسان هو جوهر اللا عنف » . وفي كل كتابات غاندي نجد التركيز على عنصر الطهارة وضرورة تنقية النفس من الشوائب ، والسعي إلى الكمال .

إن فهم معنى اللا عنف بالنسبة لغاندي يتوقف على فهمنا لشخصية غاندي ذاتها ، وللدور الذي تصدى للقيام به . فهو في الحقيقة لم يكن زعيماً سياسياً ولا مفكراً سياسياً بالمعنى المعتاد أو المألوف ، ولكنه كان في المقام الأول باحثاً عن الحقيقة ، وآمن بأن الحقيقة لا يمكن ادراكها إلا من خلال اللا عنف . وهكذا عقد غاندي رابطة وثيقة بين اللا عنف والحقيقة : الحقيقة هي الهدف واللا عنف هو الوسيلة ، التي نسعى بها إلى تحقيق هذا الهدف . ووصف غاندي الحقيقة واللا عنف بأنهما وجهان لعملة واحدة .

وفي هذا السياق فان اللا عنف يحتل قوة ضخمة ، وهنا يختلف غاندي عن غيره من الداعين إلى اللا عنف والذين اعتبروه عملاً سلبياً . أما بالنسبة لغاندي فان اللا عنف هو سلاح ايجابي يطلق به قوى وطاقات هائلة ، ومخزوناً لا ينتهي من الخير والعطاء لدى ملايين البشر . فاللاعنف لايعني السلبية ، ولا يعني الاستسلام للمكاره وللشرور ، ولكنه يعني مواجهتها ومحاولة منعها دون اللجوء إلى القوة . هو أسلوب للمواجهة يقوم على تعبئة الجماهير ، وعلى تحريكها وتنظيمها ، ولكن دون استخدام للعنف .

وهكذا فان غاندي لم يفرق بين الغايات والوسائل ، واعتبر أن الغايات النبيلة والعظيمة لا يبررها استخدام وسائل غير مقبولة ، وأن الوسيلة جزء لا يتجزأ من الغاية ، وبالنسبة له فقد كانت الوسيلة هي البذرة ، والغاية هي الشجرة . وكتب يقول « اننا لا نحصد سوى ما نبذر » .

الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي

لقد سعى غاندي إلى الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي ، وجاء اهتمامه بالسياسة من هذه الزاوية ،فقد أدرك أن وجود حكومة أجنبية استعمارية في الهند يمثل عقبة ، أمام الاصلاح المنشود في البلاد . وتمثل هدف الاصلاح عنده في القضاء على الفقر وتحقيق المشاركة النشطة للافراد في عملية صنع القرار في كل ما يتصل بأمورهم الاقتصادية والسياسية والثقافية على كل المستويات . وجدير بالذكر أن هذين الهدفين : القضاء على الفقر والمشاركة الشعبية ، يبرزان اليوم ــ وبالذات منذ بداية السبعينات ــ في فكر التنمية باعتبارهما هدف العملية التنموية .

لقد كتب غاندي في عام ١٩٢٦ يقول : إن الفقر لابد أن ينتهي ، ودافع باستمرار عن أفقر الفقراء وعن القابعين في قاع المجتمع الهندي مثل طائفة المنبوذين . وفي مؤتمر المائدة المستديرة بلندن في عام ١٩٣١ أكد باعتباره ممثلاً لحزب المؤتمر أن الحركة الوطنية الهندية تتحدث باسم هؤلاء الفقراء ، وفي عام ١٩٤٤ كتب يقول : « يجب أن لا تخدعنا مظاهر الثراء في مدن الهند ، فهي تقوم على مص دماء الفقراء » .

لقد سعى غاندي إلى ايجاد حل « عاجل وعملي دائم » لمشكلة الفقر ، ورفض أن يكون هذا الحل هو تبرعات الأغنياء للفقراء ، ولكن في ضمان عمل منتج لكل انسان . ونبه إلى أن البطالة أو البطالة المقنعة لا تمثل ضرراً على المجتمع فقط ، بسبب فقده لقدر من قواه الانتاجية ، ولكنها أيضاً ضارة ومفسدة للانسان ، ومعطلة لنموه ، ومفقدة لشعوره بالكرامة والثقة بالنفس .. وأن ما يبدو وكأنه مساعدة من الأغنياء للفقراء يؤدي في الحقيقة إلى شيوع روح الكسل والخنوع والمذلة ، وهو عمل يحط بقدر الأمة كلها .

لذلك فان الاستقلال (سوارابح) لم يكن يعني بالنسبة لغاندي الاستقلال السياسي وحسب ولكن أيضاً الاصلاح الاجتماعي ، وأكد أنه لابد من النضال من أجل الهدفين في نفس الوقت ، وأنه لا يمكن التضحية بأحدهما من أجل الآخر ، واعتقد أن الحصول على الاستقلال سوف تتبعه ثورة اقتصادية واجتماعية ، وأنه ما لم تحدث هذه الثورة فسوف تواجه الهند باضطرابات اجتماعية واسعة النطاق . وبالنسبة لغاندي ، فان المساواة الاقتصادية هي الطريق الأكيدة لتحقيق الاستقلال من خلال استراتيجية اللا عنف ، وأن المساواة

الاقتصادية تعني نهاية الصراع الطويل بين رأس المال والعمل ، ولكن هذه المساواة الاقتصادية سوف تتحقق أيضا من خلال اللا عنف ، وسوف يقوم الأغنياء ــ كما اعتقد غاندي ــ بالتنازل عن ممتلكاتهم للفقراء ، ويستطيع الفقراء أن يساهموا في الوصول إلى هذه النتيجة ، ذلك أن استمرار الأغنياء في الاستزادة من ثرواتهم لا يمكن أن يتحقق بدون تعاون الفقراء وعملهم ، ولو فهم الفقراء ذلك لأصبحوا قوة لا يستهان بها ، ولتعلموا كيف يمكن بواسطة أساليب اللا عنف تحرير أنفسهم من عدم المساواة الاقتصادية التي وضعتهم على شفا الجوع .

المشاركة واللامركزية

دعا غاندي إلى اللا مركزية وتوزيع السلطة الاقتصادية ، والسياسية . لقد انطلق من أن الأسرة هي الوحدة الاساسية للمجتمع ، اقتصادياً واجتماعياً ، وأن القرية (البانشايات) هي الركيزة السياسية له . وانطلاقا من ذلك فان وسائل انتاج الحاجات الأساسية ينبغي أن تكون مملوكة للعائلات أو التعاونيات العائلية ، وأن تكون الزراعة وصناعة القطن مملوكة ومدارة بواسطة الأسر دون الاحتياج إلى العمل المأجور . وهكذا فان الأسرة والقرية يصبحان من أساس المجتمع الذي يقوم على أساس اللا عنف ، والذي يرتكز على التعاون وإزالة مسببات الصراع الاجتماعي .

يقول غاندي : « إن مفهومي لاستقلال القرية هو أنها جمهورية كاملة ، مستقلة عن جيرانها بالنسبة لاحتياجاتها الاساسية ومترابطة معهم حيث يكون الترابط ضرورياً » ، ومن ثم فان الواجب الأول لكل قرية هو أن تزرع غذاءها والقطن اللازم لملابس سكانها ، وأن تربي ماشيتها ، وتقيم أماكن الترفيه للصغار والكبار ، واذا تيسر مزيد من الأرض فانها تقوم بزراعة المحاصيل النقدية للبيع للآخرين . وتتم إدارة كل الأمور على أساس تعاوني ، ويتولى أمور القرية مجلس من خمسة أعضاء ، يتم انتخابهم سنويا بواسطة كل البالغين من أهل القرية من الرجال والنساء ، ووصف غاندي هذا التنظيم للقرية على أنه « ديمقراطية كاملة على أساس الحرية الفردية » .. وأن المجتمع الذي يقام على هذا الأساس لن يتسم بطابع الهرمية والتصاعدية من القاع إلى القمة ، وهي سمة المجتمعات المعاصرة ، ولكنه يتكون من وحدات متكافئة مستقلة تقوم على التكامل والاعتماد المتبادل .

وكان غاندي قادراً باستمرار على أن يرى حدود أفكاره ، وكيف يمكن أن تتحول فكرة ما إلى نقيض الهدف الذي صممت من أجله . فعلى سبيل المثال فإن مفهوم سواريش أي استخدام المصنوعات المحلية والتي تستطيع العائلات والأفراد انتاجها ، كان يعني بالنسبة له ركيزة الاكتفاء الذاتي للقرى . ولكنه أدرك حدود الفكرة ، وقال : إن ذلك لا يعني ضياع موارد البلاد في محاولة لاقامة صناعات ليست ملائمة لظروف الهند ، وإن مثل هذا العمل ليصبح تصرفاً طائشاً وغير مسئول . وهكذا بينما دعا غاندي إلى الصناعات الصغيرة المحلية باعتبارها ركيزة اصلاح الريف الهندي ، فانه أدرك في نفس الوقت ضرورة اقامة عدد من الصناعات الضخمة المرتبطة باحتياجات الزراعة وصناعة الغزل . لم يكن غاندي اذن معادياً لاقامة الصناعات الكبيرة مثل توليد الكهرباء وبناء السفن والحديد وصناعة الآلات ، ولكن أراد أن لا يكون في الاتجاه إلى هذا النوع من التصنيع دمار وتحطيم للصناعات الصغيرة في الريف ، وعبر عن رفضه

● غاندى يقول : فلسطين للعرب كما أن انجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين

للاتجاهات التي تربط التصنيع بمزيد من المركزية والتخطيط المركزي .

غاندي والقضية الفلسطينية

ولعله من الجدير بالذكر تناول موقف غاندي من فلسطين ، فبرغم انهماكه الدائب بالقضية الهندية فان ذلك لم يمنعه من تتبع الأحداث في فلسطين . وفي بداية عام ١٩٣٨ مثلاً كان غاندي وراء قرار اتخذه حزب المؤتمر الهندي يشجب محاولة انجلترا تقسيم فلسطين وانشاء دولة لليهود ضد رغبة العرب ، وعبر القرار عن تعاطفه الكامل مع العرب في كفاحهم من أجل الحرية والاستقلال . وفي سبتمبر من نفس العام اتخذ الحزب قرارا آخر يؤكد نفس المبادئ .

وعبر غاندي عن آرائه في مقال له عام ١٩٣٨ عندما قال « إن الصيحة إلى انشاء وطن قومي لليهود لا تجذبني كثيراً ... لماذا لا يعيش اليهود كسائر شعوب الأرض في البلاد التي ولدوا فيها ومنها يكتسبون أرزاقهم ؟ إن فلسطين للعرب بنفس المعنى الذي تعتبر فيه انجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين . وإن ما يجري اليوم في فلسطين لا يمكن تبريره حسب أي قواعد أخلاقية . إن المنهج الصحيح يقتضي ضرورة الاصرار على المعاملة العادلة لليهود اينما عاشوا وتربوا . اليهود الذين ولدوا في فرنسا هم فرنسيون بنفس المنطق الذي يصبح حسبه المسيحي في فرنسا فرنسياً » .

ويحذر غاندي يهود فلسطين من خطر الصهيونية واتجاهاتها العدوانية فيقول في نفس المقال : ان اليهود الذين يريدون الاستقرار في فلسطين لأسباب دينية يمكن لهم ذلك بشرط موافقة العرب ، وعليهم أن يكسبوا قلوب العرب فالاله الذي يحكم قلوب العرب هو نفس الإله الذي يحكم قلوب اليهود » وعبر غاندي عن آرائه مرة أخرى قبل موته بعامين في مقال له بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٤٦ قال فيه : «في رأيي أن اليهود ارتكبوا خطأ فادحاً في محاولتهم فرض أنفسهم على فلسطين بمساعدة أمريكا وبريطانيا واللجوء إلى الارهاب السافر ... لماذا يعتمد اليهود على المال الأمريكي والسلاح البريطاني ليفرضوا أنفسهم على أرض لا ترحب بهم ... لماذا يلجأون إلى الارهاب ليحققوا بالقوة دولتهم في فلسطين ؟ »

ولعل أهم ما يلفت النظر في فكر غاندي بخصوص هذه المسألة أنه لم يخلط بين عطفه على اليهود وشجبه لكل أعمال التمييز والاضطهاد ضدهم في أوربا وبين محاولتهم إقامة اسرائيل بالعنف . فان شجبه للأمر الثاني وتعاطفه مع الفلسطينيين لم يمنعه من التعبير عن تعاطفه مع اليهود في مواجهة الحكومات التي اضطهدتهم .

ماذا يبقى منه للتاريخ ؟

لعله من سخرية التاريخ أن داعية اللا عنف انتهت حياته برصاصة متعصب ديني في الثلاثين من يناير عام ١٩٤٨ . لكن غاندي مات بعد أن رأى حلم حياته وقد تحقق : الهند مستقلة .

ومهما تضاربت الآراء والاجتهادات حول معنى فكر غاندي وما فعله للهند فان ذلك لا يقلل من عظمته ودوره . إن المهاتما ــ أي الروح العظيمة ــ وهو اللقب الذي أعطاه له طاغور شاعر الهند العظيم ، هو جزء من تاريخ الهند والعالم . فهو لم يكن مجموعة من الأفكار المجردة المحلقة في سماء المثقفين ، بل كان قطعة حية من التاريخ جسدت حياته كل الأفكار التي دعا إليها .

ورغم مضي السنين وتغير الظروف والأحداث فما زالت أفكاره موضع بحث ودراسة وتدقيق في داخل الهند وخارجها . وما زال الباحثون يجدون فيها أفكاراً لماحة وومضات من الذكاء الانساني النادر .

علي الدين هلال

بعض الزَّبَرْجَد

شعر: حسن طلب

زبرجدةٌ سِرُّها بَاتِعٌ :

زبرجدةٌ للأَوَّلينَ ..
الذين مَضَوْا
قبلَ أن يعلَموا بعضَ ما يجهلونَ
زبرجدةٌ للمساجين ..
إذْ هُمْ يشيخونَ خلفَ الزنازينِ
زبرجدةٌ للورَىٰ أجمعينْ

زبرجدةٌ لونُها طالعٌ :

زبرجدةٌ للنساءِ الحواملِ ..
للأُمَّهاتِ الكَواملِ ..
للفاتناتِ اللواتي :
إذا ماتَ عَنهنَّ أزواجُهنَّ ..
لبسنَ السوادَ ..
وألقيْنَ عنهنَّ زينَتَهُنَّ ،
زبرجدةٌ مِثلُهنَّ إذا ما سفرنَ بأوجُهِهنَّ ..
وإنْ لم يَزَعْهُنَّ عن فتنةٍ وَازِعٌ

زبرجدةٌ حسنُها طَابَعٌ :

وُلدتْ في الزمانِ البليدِ ،
وقد وقفت بالوصيد ،
عشيةَ لا منتشٍ بالقصيدِ ..
ولا سامعٌ

زبرجدةٌ باعها بائعٌ
وبعثر مسحوقَها في فضاءِ المدائنِ ..
فاستُنْشِقَتْ

زبرجدةٌ حازَها الحائزونَ ..
ولو فُرِّقَتْ
لما ظلَّ في الأرضِ عُريانُ أو جائِعٌ

زبرجدةٌ حظُّها ضائعٌ :

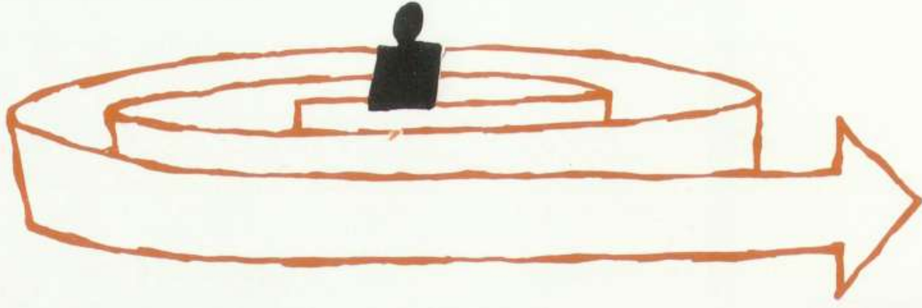
فها هي - وهي العريقةُ في الحُسْنِ -
قد حُقِّرتْ
وإلى ما تمنَّى العدُوُ لها .. صُيِّرتْ
زبرجدةٌ كالشعوبِ مُسَيَّرةٌ
وهي لو خُيِّرَتْ
لما اختارَتِ القَيْدَ أو أُجبرَتْ
زبرجدةٌ قُدِّرَتْ
فجاء بمنزلةٍ قَدْرُها
فكيف إذا حُرِّرتْ
وألْقَتْ تحيَّتَها للجماهيرِ ..
واخضرَّ مُصْفَرُّها ؟!

زبرجدةٌ وجهها خاضِعٌ :

فقد شُوهدت وهى تعرض للبيع أعضاءَهَا
على عتباتِ العدوِّ تنامُ ،
تُريق على بابِهِ ماءَها
فإن كان ماساءَ كم ساءَها
فَخفُّوا إلى وجهِها الآنَ ..
واستَأصِلوا داءَها

زبرجدةٌ صيتُها ذائعٌ :

زبرجدةٌ أظهرتها الحروبُ ،



ولولا الحروبُ لما أُظْهِرَتْ
زبرجدةٌ للجيوشِ التي سُيِّرَتْ
وتراشقَ قادتُها بالنياشينِ ..
فاستُؤْجِرَتْ
زَبَرْجَدَةٌ أُهْدِرَتْ
عليها الحَصَى والحجارةُ قَدْ قُدِّمَتْ
وهى قد أُخِّرَتْ

زبرجدة سُمُّها ناقعٌ :

زبرجدةٌ مُبْهِرٌ وَمْضُها
ولكنَّها الآنَ قد أُجْهِضَتْ
وَنُكِّل ـ بين يدينا ـ بها ..
وهى لو حُرِّضَتْ
ونُودِيَ في ساحةٍ باسمها الأَوَّلِيِّ الحقيقيِّ ..
لاستُنْهِضَتْ
وعادتْ إلى عُنْصرِ النورِ ،
واحمرَّ مُبْيَضُّها

زبرجدةٌ حُلْمُها واقعٌ :

زبرجدةٌ هى ماهى في الحُسْنِ ..
كم زُخرِفَتْ
فأصبح قد يستحيلُ على واصفٍ وصفُها
وها هى قد أُتْلِفَتْ
وأوشك يدركها حَتْفُها
رآها اللصوصُ ،
وقد أخذَتْ زُخْرُفَ العصرِ ..
فاستُهْدِفَتْ

زبرجدةٌ زُيِّفَتْ

زبرجدةٌ حزنُها رائعٌ :

زبرجدةٌ من دمِ الناسِ صِيغَتْ
فسبحانَ من صاغها
زبرجدةٌ من دم الناسِ قد أُفْرِغَتْ
وقدْ بَارَكَ القائمون على السوق إفراغَها
وها هي في الوحلِ قدْ مُـرِّغَتْ
زبرجدةٌ رُووِغَـتْ

زبرجدةٌ حَدُّها قاطعٌ :

زبرجدةٌ للسيوف التي جُرِّدَتْ
وقبل انتصارِ عساكرِها أُغْمِضَتْ
زبرجدةٌ عُوِّدَتْ
أن تطأطىء هامتهـا ..
ثم تُغضِى على الضَّيْم ..
فاستُعْبِدَتْ

* * *

زبرجدةٌ للمدَىٰ والأوانْ
زبرجدةٌ للجميلة ،
وهيَ تمرُّ على جبهةِ الشمسِ بالعنفوانْ
زبرجدةٌ باتســاعِ المكانْ
وبقدرِ النهاياتِ ... والمدِّ .. والمنحَنَىٰ
زبرْجَدَةٌ لى أنـا ..

* * *

تقشير الخيار بالسيف البتار



بقلم:
الدكتور عبد السلام العجيلي

لقيت منذ أيام معلمي القديم الأستاذ عمر، فأخذ بيدي وقال:

ــ تعال سايرني قليلا. لم أرك منذ زمن طويل وإن كنت أتابع أخبارك وأقرأ لك بين الحين والحين. ماذا تكتب لنا في هذه الأيام؟

فسرت معه في الشارع الذي كان مقفرا إلى الحديقة العامة التي أعرف أنه يقصدها كل أصيل، وأجبته قائلا:

ــ تعلم يا أستاذ أن الكتابة ليست مهنتي... أمارسها في أوقات فراغي. أنا الآن في سبيل كتابة رواية بعنوان «الأيقونة».

قال: وما هو موضوعها؟

قلت: إنها مجموعة من الذكريات والأحداث تربط بينها أيقونة. منذ عدة سنوات طلبت مني زوجة صديق عزيز علي في بيروت أن أبحث لها في حلب عن أيقونة قديمة، أصيلة، لتقتنيها وتتبرك بها، وقالت إنها مستعدة لأن تدفع ثمنها مهما كان مرتفعا. كنت في الواقع أنوي أن أقدم لها الأيقونة هدية عندما أجدها.

سألني الاستاذ عمر: وهل وجدتها؟

قلت: لم أعثر على واحدة ترضيني في ذلك الحين. ولكني، في تنقلي باحثا بين مقتني التحف القديمة وتجار الآثار والكنائس العريقة في مدينة حلب، سمعت حكايات، وقابلت أصنافا من الناس وعرفت أمورا تستحق أن تسجل كتاريخ وأن تروى كأدب. ومنذ ذلك الحين ظلت تراودني فكرة تأليف رواية حول ماشاهدته وعرفته في جولاتي، بحثا عن الأيقونة. وأنا الآن، وبعد أن انقضت سنوات على تلك الجولات، مكب على كتابة هذه الرواية. أعتقد أنها ستكون رواية جميلة ذات موضوع مبتكر، وأنها ستعجب القراء.

قال الأستاذ عمر بعد أن سمع مني هذا الكلام: ستكون رواية جميلة بلاشك. فما تكتبه شيق دوما، ويستحوذ على اهتمام من يقرأ لك. ولكني أرى أنك في هذا تقشر الخيار بالسيف البتار!..

كنا قد وصلنا، الأستاذ عمر وأنا، في تسيارنا إلى حديقته المألوفة، فدخلتها معه وجلسنا على مقعد منزو في أحد جوانبها. بعد أن أدرت في ذهني عبارته الأخيرة مرات:

ــ لم أفهم يا أستاذ ما تقصده بتقشير الخيار بالسيف البتار.

قال: السيف البتار هو قلمك ياولدي. وما تكتبه عن الأيقونة والذكريات حولها هو تقشير الخيار. أترى السيوف الباترة صنعت ليقشر بها الخيار ويقطع بها الباذنجان؟

ضحكت ضحكة خفيفة لهذا التشبيه الذي لم يخطر لي على بال، وسألته بدوري:

ــ وماذا تريد مني أن أفعل بسيفي البتار؟

قال: ليس منك وحدك. أنت واحد من كثيرين. أنتم الذين تحملون الأقلام التي هي سيوف باترة. ما علمناكم، نحن مربيكم وأساتذتكم، حمل هذه السيوف لتفعلوا بها ما تفعلون الآن...

قلت : أعذرني يا أستاذ . حتى الآن لم أفهم ما الذي تأخذه علي ، أو علينا نحن تلامذتكم ، في استخدامنا أقلامنا ؟ إننا ننتج بها أعمالاً تعجب الناس وتترجم إلى كل اللغات ويصفها الجميع بأنها روائع أدبية وفكرية .

فسكت معلمي الشيخ قليلا ، وهو يجيل نظره في جوانب الحديقة قبل أن يقول :

ــ ألا ترون العالم أمامكم وحولكم ؟

قال هذه الكلمات بلهجة أسى تبين لي من خلالها بعض ما تبطنه كلماته العاتبة . ومع ذلك فقد أجبته ، مكابرا :

ــ بل إننا نراه . إنه عالم جميل ، وفي تطور مستمر .. تطور إلى الأفضل !

فتطلع إلي بنظرة ثابتة وقال : هل أنت جاد في كلامك ؟ الفساد المستشرى في العالم وبين الناس ، والكوارث التي هي ليست من صنع الطبيعة وعناصرها الجبارة بل التي يصنعها أخوك الانسان بجهله أو بظلمه أو بالشر الذي يملأ نفسه ، والحقوق المهضومة ، والحرمات المهتوكة ... هل كل هذا تطور إلى الأفضل ؟!

قلت : لنفرض جدلا بأني أوافقك على حكمك المأساوى على عالمنا .. فأى ذنب لنا ، نحن الذين نكتب ، في هذا ؟ وما الذي تطالبنا به على التحقيق ؟

قال : أطالبكم بأن تكون كتاباتكم في هذا . إنها مسؤوليتكم . مسؤولية أن تعملوا أقلامكم في الفساد الذي يسود هذه الدنيا والمصائب التي تنزل عليها متلاحقة ، وليس في تقشير الخيار ، أعني في تأليف روايات عن الأيقونات والذكريات التي تثيرها الأيقونات .

ابتسمت وأنا اتذكر بحدة كلام الأستاذ عمر لهجته القديمة في تقريع طلابه المقصرين أيام تتلمذنا عليه . وسكت قليلا قبل أن أرد عليه بقولي :

ــ الحق معك فيما تلومنا به يا أستاذ . ولكن ...

فقاطعني قائلا بنفس الحدة : ولكن ماذا ؟

قلت : أحلم ، سيدي ، علي . أنت تتحدث من موقع المتفرج ، بينما نحن نعيش واقعا نضطر فيه إلى كتابة هذا الذى نكتبه ولا يرضيك أنت .

قال : وما الذى يضطركم ؟ أهو الخوف ؟

قلت : فلنسمه الحذر . قد يكون واحدنا شجاعا لا يبالي بما يمكن أن يصيب شخصه ، إلا أنه يظل في حذر مما يمكن أن يصيب الآخرين بجريرته .

قال الأستاذ ، وقد تطامنت حدته : لم أفهم عليك يابني .

قلت : أسوق إليك مثالا شخصيا . المثال قديم ، يعود إلى أكثر من ثلاثين عاما ، فالتمثل بالجديد أمر ليس هينا . في ذلك الزمن البعيد عدت من زيارة لي في العراق الذي كان يرزح تحت أحكام عرفية قاسية فرضتها عليه حكومة نورى السعيد . كتبت عند عودتي مقالا نشرته احدى المجلات السورية في دمشق ، عنوانه « عنتر في بغداد » ، تحدثت فيه عن مشاهداتي من حسنة وسيئة في ذلك القطر العربي . وأعجب بهذا المقال أصحابي العراقيون الذين لقيتهم في بغداد ، وكان منهم الصديق الأستاذ خالص عزمي صاحب مجلة « الأسبوع » ، فأعاد نشره هناك في أحد أعداد مجلته . إلا أن ذلك العدد صودر ، وفرضت غرامة بمبلغ من الدنانير لا أذكره الآن على الأستاذ عزمي لتجاوزه محظورات الأحكام العرفية . وحدث بعد ذلك بعام أن ألغيت تلك الاحكام العرفية ، واطمأن رجال الصحافة إلى أن من حقهم أن يتنفسوا بحرية ، فأعادت « الأسبوع » نشر ذلك المقال المحظور ، فكان أن صدر أمر نورى السعيد بإلغاء امتياز المجلة من أساسه . وبهذا فقد صديقي خالص عزمي مجلته نهائيا ..

قال الاستاذ عمر متمثلا :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
أن لن يصاب فقد ظن عجزا

وأضاف : هذا بيت شعر قديم للخنساء ، يصدق عليكم كما يصدق على كل من يقوم بواجبه . من المنتظر أن يحدث لصديقك ما حدث له . المهم أنه قام بواجبه .

قلت : ولكنه خسر ماله وحرم من مجلته يا أستاذى ، وبسببي أنا . لست مستعدا أن أجلب لأصدقائى هذا النوع من المكاسب .

قال : صاحبك أشجع منك دون شك . أنا أجزم أنه كان يتوقع ما أصابه ، ولم يتراجع مع ذلك عن نشر المقال وعن إعادة نشره . خسارة المال ليست شيئا أمام راحة الضمير .

لم أعرف كيف أقنع الأستاذ عمر بأنه يطالب الكتاب بأمر يفوق طاقتهم ، وقلت :

ــ ليس المال وحده ياأستاذ . أعرف رجلا حرمت عليه بلاده ، وبلاد كثيرة غيرها . لأنه لم يقنع بأن يقشر الخيار ، مثلي ، بسيفه . كلما زرت باريس جالسته في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر هناك ، وسمعت من حسراته لفراقه وطنه ما يبعد عني كل رغبة في بطولة من نوع بطولاته .

سألني الأستاذ عمر : وأى بطولة قام بها هذا الرجل ؟

قلت : استخدم قلمه فيما تريده أنت ياسيدى . أول ما أصابه أنه أضطر إلى الهروب بنفسه من عاصمة بلاده إلى بيروت ، لا تنس أني لا أسوق إليك الأمثلة من الحاضر بل من الماضي القريب ، في الزمن الذي كانت فيه بيروت موئل الحرية للمهددين في حريتهم ، كانت لهذا الرجل شهرة في الكتابة تفتح له أبواب الصحف أينما ذهب . كتب أول ما كتب مقالا لجريدة النهار في تلك المدينة . وحينما قرأ الأستاذ غسان تويني ، رئيس تحريرها ، مخطوط ذلك المقال رفع رأسه إلى رجلنا ذاك وقال له : سننشر لك ما كتبته ... وإنما ليكن في علمك أنك ستحكم لأجله بخمس عشرة سنة من السجن في كل بلد عربي تدخله جريدتنا ...

سألني الاستاذ : وهل نشر المقال ؟

قلت : لا ، طبعا . ومع ذلك فإن بيروت ، على سعة صدرها في تلك الأيام ، ضاقت بصاحبنا إلى أن انتهى به قلمه ولسانه إلى أن يتحرق حسرات في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر في العاصمة الفرنسية ...

* * *

لم يبد على الأستاذ عمر أنه اقتنع بما أقوله . لقد ظل على إصراره على أن واجب الكتاب الجديرين بهذه الصفة أن يشرعوا أقلامهم ليحاربوا الاعوجاج أينما كان في هذه الدنيا وأيا كان مصدره ، قبل أن يشغلوها بالإبداع الفني . ولما كنت أعرف تعلقه بالتاريخ وبالماضي البعيد الذي طالما لقننا الدروس فيه ، فقد رأيت أن أضرب له مثالا منه ، فقلت له :

ــ كأنك تريد للأدباء في هذا الزمن مصيرا كمصير بشار بن برد ...

قال : وما دخل بشار فيما نتحدث فيه الآن ؟

قلت : أنت الذي أخبرتنا أنه فقد حياته حين نظم في فساد الحكم في أيامه بيتين كان فيهما هلاكه تحت السياط .

وهنا تلا الاستاذ بيتي بشار المشهورين :

بني أمية هبوا طال نومكم
إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود

ثم تابع قائلا : ذاك كان شاعرا هجاء خبيث اللسان ، لم يقل ما قاله طلبا للصالح العام ، فلاقى جزاءه . أما ما أريده من الكتاب الحقيقيين فهو شيء آخر . أريدهم أن يكونوا بنائين في نقدهم ، إيجابيين فيما يوظفون أقلامهم فيه .

وكانت الشمس في هذه الأثناء قد قاربت المغيب ، فتذكرت أن علي موعدا انشغلت عنه برفقتي لمعلمي القديم وبحديثه . رحت أعتذر منه لاضطرارى إلى مفارقته ، وقلت له ممازحا :

ــ سأبلغ دعوتك هذه ياأستاذ إلى أدبائنا الذين اتخذوا من الكتابة مهنة لهم . أنت حريص على أن ترى هالات الشهادة حول رؤوسهم ، ولكني لا أعرف كثيرا منهم ممن يرغبون بهذه الهالات . أما أنا فلست ، على ما تعرف ، كاتبا محترفا . أعذرني إذن إذا رأيتني أتسلى بين الحين والآخر بتقشير الخيار بالسيف الذي في يدى ، وإذا عدت إلى إكمال روايتي التي بدأتها عن الأيقونة ...

قلت هذا وأسرعت في ابتعادي عن الأستاذ عمر . فلم يعد لدي مزيد من الوقت أبقى فيه معه ، ولا كانت لي رغبة في سماع مزيد من تأنيبه أو من استنكاره لما أؤلف وأكتب .

الرقة ــ سورية



مشهد من مسرحية (سرور) المأخوذة من التراث الشعبى البحرى



الممثلة البحرينية «أحلام محمد»



من مسرحية «توب توب يا بحر»

من مسرحية "القاضي بأمر الله"
إلى مسرحية "أبو نواس يرقص الدِّيسْكو"

في الذكرى الستين لميلاد المسرح البحريني

بقلم: أحمد محمد عطية

يوافق عام ١٩٨٥ مناسبة هامة فى تاريخ المسرح البحرينى ، هى مرور ستين عاماً على تقديم أول عمل مسرحى فى البحرين ، عندما قدمت مدرسة « الهداية الخليفية » عام ١٩٢٥ مسرحية « القاضى بأمر الله » على مسرح المدرسة ، مدشنة فى ذلك التاريخ المبكر ميلاد المسرح البحرينى .

وطوال هذه الأعوام الستين عاش المسرح البحرينى تجارب متعددة تراوحت بين المد والجزر ، من توقف المسيرة المسرحية إلى ابداع نص مسرحى يمزج بين التراث والمعاصرة ويوظف الشخصيات وحكايات التراث العربى فى إضاءة الواقع المعاصر .

فاتجه المسرح البحريني منذ البداية إلى التاريخ الاسلامى والأمجاد العربية ، وتطرق إلى المسرح الشعرى ، وتخصص فى مسرح الغوص والبحر ، وعبر عن القضايا الاجتماعية ، كما تمرس بتجارب الاعداد والاقتباس وبحرنة النصوص المسرحية العربية والعالمية .

فلقد ارتبطت نشأة المسرح البحريني بقيام التعليم النظامي ، الذى عرفته البحرين فى زمن مبكر بدءاً من عام ١٩١٩ . غير أن المصادر تجمع على ذكر مسرحية « القاضى بأمر الله » كأول عمل مســرحى قدمته مدرسة الهداية الخليفية ، من هذه المصادر : تقرير قسم المسرح والفنون بوزارة الشئون الاجتماعية بدولة البحرين بعنوان « المسرح البحرينى » ، وكتابا « المسرح البحرينى ـ التجربة والأفق » للشاعر البحرينى قاسم حداد و « ظواهر التجربة المسرحية فى البحرين » للناقد البحرينى ابراهيم غلوم ، وهى من مصادرنا الأساسية فى هذه الدراسة . فى حين ذهب الناقد الكبير الدكتور على الراعى وحده ، فى كتابه « المسرح فى الوطن العربى » ، إلى أن البحرين عرفت فن المسرح حينما أنشئت فيها أول مدرسة نظامية سنة ١٩١٩ ، وأن أول مسرحية بحرينية « على الاطلاق » هى مسرحية الشاعر البحرينى الكبير ابراهيم العريض « وامعتصماه » ، التى قدمتها مدرسته سنة ١٩٣٢ . (ص ٤٢٥) .

وهى أقوال تخالفها المصادر والوثائق الرئيسية عن المسرح البحريني .

تواصلت المسرحيات البحرينية المأخوذة من التاريخ الإسلامى والتراث العربى طوال العشرينات على مسرح مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق ، فقدمت مسرحيات : « وفود العرب على كسرى » (١٩٢٧) ، و « امرؤ القيس » ، و « أبو القاسم الطنبورى » (١٩٢٨) ، فى حين قدمت مسرحية « ثعلبة » على مسرح مدرسة الهداية الخليفية بالمنامة عام ١٩٢٨ ، كما ذكر قاسم حداد فى كتابه « المسرح البحرينى ـ التجربة والأفق » (ص ١١) . ويضيف قاسم حداد قائلا إنه بعد مسرحية « ثعلبة » (١٩٢٨) لم تعرف البحرين نشاطاً مسرحياً آخر سوى فى عام ١٩٣٢ ، حين قدمت مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق مسرحية « داحس والغبراء » ، وأن النشاط المسرحى توقف حتى عام ١٩٤٠ حين قدمت المدرسة الخليفية للبنات بالمنامة مسرحية « لقيط الصحراء » . (ص ١٢) .

وامعتصماه

أما مسرحية « وامعتصماه » فلقد كتبها وأخرجها الشاعر ابراهيم العريض على خشبة مدرسته الأهلية سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترسخت تجارب البداية المسرحية طوال عقد العشرينات فى قاعات المدارس النظامية . ومن هنا لا تعد مسرحية « وامعتصماه » أول مسرحية بحرينية « على الاطلاق » كما ذكر الدكتور على الراعى فى كتابه « المسرح فى الوطن العربى » .

فقد سبقتها المسرحيات السابق ذكرها إضافة إلى مسرحية عبد الرحمن المعاودة « سيف الدولة ابن حمدان » التى قدمتها مدرسته الأهلية سنة ١٩٣١ ، ثم تبعتها مسرحيتاه : « عبد الرحمن الداخل » (١٩٣٦) و « المعتصم بالله » (١٩٤٠) .

ويقول تقرير قسم المسرح والفنون البحرينى إن المسرحيات الشعرية التى كتبها كل من العريض والمعاودة كانت فى الغالب تتبع خط مسرحيات أحمد شوقى . ويؤكد الناقد ابراهيم غلوم ، فى كتابه « ظواهر التجربة المسرحية فى البحرين » ، ان مسرحية « وامعتصماه » قدمت بعد بضع سنوات من تقديم بعض الأعمال المسرحية فى مدارس الحكومة ، وهى الأعمال السابق ذكرها ، وأن هذه الأعمال هى التى لفتت انتباه العريض لتقديم مسرحيتيه « وامعتصماه » و « بين الدولتين » وشجعته لعرضها مع طلبة المدرسة الأهلية . فقد خلقت مدارس الحكومة تقليداً سنوياً ثابتاً يقضى بتقديم الأنشطة المسرحية التى تستمد موضوعاتها من روح المناهج المقررة ، ومن الأهداف التربوية المتواضعة لدى العاملين فى حقل التعليم . (ص ١٧) .

هذه كانت مرحلة البدايات المبكرة فى تاريخ المسرح البحرينى ، وقد لازمتها هنات وسذاجة وصعوبات البدايات المعتادة ، من ضعف المستوى الفنى والفكرى والوعظ والإرشاد المباشر . غير أن لهذه البدايات فضل التمسك بالأمجاد الإسلامية والانتصارات العربية وتوظيف التاريخ الاسلامى بالإيماء إلى الواقع السياسى المعاصر لتلك الحقبة التى سيطر فيها الاستعمار على الخليج ، وهذا ما حرم المسرح البحرينى من التوجهات السياسية والاجتماعية وأبعده فى تلك الحقبة عن مشكلات الواقع المعاش .

أزمة العنصر النسائى

وبالرغم من المعوقات الاجتماعية والفنية التى واجهت المسرح البحرينى فى بداياته ، فقد عمل رواده الأوائل على تجاوز تلك المعوقات الاجتماعية والفنية .

من المعوقات الاجتماعية ، غيبة العنصر النسائى من جراء سيطرة التقاليد المحرمة لظهور المرأة على المسرح . وقد تم التغلب على هذه العقبة بأن قام الصبية والشبان الصغار بأدوار النساء ، فى مسارح الطلبة ، كما قامت الطالبات أيضاً بأدوار الرجال فى مسارحهن . ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن من المواصفات التى كان يجب توافرها فى الشاب الذى يقدم الأدوار النسائية أن يكون جميل الطلعة ، يملك صوتاً رقيقاً ، وتكون سنه بين الثانية عشرة والثالثة عشرة .

فلقد انتظرت الفتاة البحرينية (بروين زينل ، فاطمة شويطر) ٤١ عاماً ، كما كتب قاسم حداد ، لكى تقف لأول مرة على الخشبة أمام جمهور غفير وذلك ضمن معرض البحرين التجارى والزراعى لعام ١٩٦٦ ، ومرة أخرى بخجل تصعد « نجلاء أحمد » لتقوم بدور فى مسرحية « بيت طيب السمعة » (١٩٦٩) . غير أن تواجد الفتاة البحرينية على خشبة المسرح تواصل منذ عام ١٩٦٦ وتوسع واستقر اليوم . وأشهر ممثلة بحرينية الآن هى « أحلام محمد » ، التى يشهد لها الجميع بالتقدم والتمكن فى التعبير الفنى الصادق .

أما المعوقات الفنية فلعل أشدها تأثيراً هى أماكن العرض ، وقد تغلبت عليها المدارس النظامية بتقديم العروض على مسارحها ، أما المدارس الأهلية فكانت تقدم عروضها على أراض يتبرع بها الأثرياء ، فى حين يتبرع آخرون بألواح الخشب التى يصنع منها هيكل المسرح ، ويأتى الطلاب القادرون بالمقاعد والستائر ، ويذكر الناقد ابراهيم غلوم أن الشاعر ابراهيم العريض اختار فناء مدرسته للعرض ، وهو يسع لخمسمائة كرسى تقريباً ، وأنه فى البداية لم يتمكن من استخدام خشبة مسرحية ، ولكن ساعده بعد ذلك تبرع أحد الأثرياء وهو « عبد الرحمن المؤيد » بمنصة ترتفع عن الأرض ثلاثة أقدام ، وفى حجم غرفة صغيرة ، وبمدخلين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار . كما استطاع العريض أن يحصل على ستائر تبرع بها مدير البلدية آنذاك « على حسين خلفان » . (ص ٥٤) .

يضاف إلى المعوقات الفنية المصاحبة للبدايات افتقار الرواد للوعى بفنية العمل المسرحى ، سواء فى التقنيات المسرحية كالاخراج والديكور أو فى كتابة النص المسرحى . فلم يزد دور المخرج فى تلك المسرحيات الأولى على تدريب الممثلين على النطق العربى السليم للحوار وتنفيذ النص حرفياً كما كتبه المؤلف .

أما النص المسرحى فلم يكن المؤلف يعير اهتماماً للحركة المسرحية والتجسيد بالحركة والمشاهد ، مما غلب السرد والوصف والخطابية . حتى أن العريض أطلق مصطلحاً فنياً غير صحيح للمسرحية ، كما كتب ابراهيم غلوم (ص ٤٠ و ٥٤) ، فأسمى مسرحيته الشعرية « وامعتصماه » رواية تمثيلية ، وأسمى مسرحيته « بين الدولتين » مسرحية شعرية ، بالرغم من الفروق المعروفة بين المسرحية والرواية .

توقف .. وانقطاع

تلك هى هنات ومصاعب البدايات ، غير أن أهم الصعوبات التى واجهت المسرح البحرينى ، بعد ميلاده المبكر ، هى فترات التوقف الطويلة التى دامت سنوات وقطعت المسيرة المسرحية ، أى أن حقبة الستين سنة الماضية « ليست تاريخاً متواصلا من العمل المسرحى ، بل ان سنوات طويلة كانت تفصل بين المحاولة والأخرى ، ظلت البحرين فيها بدون أى نشاط مسرحى يذكر .. الأمر الذى أدى إلى جعل كل محاولة تمثل تجربة خاصة تتميز بملامح مختلفة ، ودون أن يكون هذا التمايز استمراراً مباشراً لمحاولة سابقة ، كما كتب قاسم حداد ، إذ أن كل مرحلة تشكل ظاهرة منفصلة عن الأخرى ولا تمارس أى تأثير على المرحلة التى تليها ، بدليل انه حتى عام ١٩٦٦ لم يكن هناك عمل مسرحى ، له مقومات هذا الفن وأصوله ،

في الذكرى الستين لميلاد المسرح البحريني

حتى التقليدية منها » . (ص٧) ويذكر قاسم حداد أن التجربة المسرحية المتكاملة فى البحرين تبدأ من مشارف السبعينات لكون هذه المرحلة أكثر المراحل خصوبة وفعالية . ويقسم قاسم حداد المراحل التى مرت بها التجربة المسرحية البحرينية على النحو التالى :

البداية الأولى : المسرح المدرسى الحكومى والأهلى (١٩٢٥) .

البداية الثانية : المسرح ونشاطات الأندية الأهلية (١٩٤٠) .

البداية الثالثة : الفرق التمثيلية (١٩٥٥) .

بداية السبعينات : الفرق المسرحية (١٩٧١) .

مسرح السبعينات

ويتفق الناقد ابراهيم غلوم مع الشاعر قاسم حداد فى اعتبار فترة أواخر الستينات وأوائل السبعينات فترة ازدهار المسرح البحرينى أذ شهدت هذه الفترة ميلاد الفرق المسرحية الثلاث : « أسرة فنانى البحرين » ، « مسرح الاتحاد الشعبى » ، « مسرح أوال » .. كما رافق قيام المؤسسات المسرحية ظهور تجارب مختلفة فى كتابة النص المسرحي ، (ص ٦٨) اذ أخذ كتاب المسرح يولون اهتمامهم لمشاكل المواطن البحرينى الفردية والعائلية والاجتماعية .

وكان ذلك نتيجة للتطور الطبيعى فى التجربة المسرحية البحرينية ، التى بدأت بمسرحيات تستقى موضوعاتها من التاريخ الاسلامى فى المسرح المدرسى دون اهتمام بفنية العمل المسرحى ، ثم تقدمت هذه الفنية مع مسارح الأندية وتجارب المسرح المرتجل ، الذى قام على تقديم الاسكتشات والمونولوجات الفكاهية ، ومزجت التمثيل بالغناء والموسيقى .

ومن تجربة الأندية المسرحية تقدمت الفرق التمثيلية بالمسرح واقتربت من سكان القرى .

وقد تحدث تقرير قسم المسرح والفنون البحرينى عن أول فرقة تمثيلية ضمت مجموعة من الشباب هى « الفرقة التمثيلية المتنقلة » واتخذت « المكتبة الشعبية » ، وهى تخص أحد الأعضاء ، مقراً لها . وقدمت هذه الفرقة عروضها فى القرى وعلى مسرح نادى العروبة أيضاً خلال عام ١٩٥٥ ، وتضمنت العروض ثلاث مسرحيات قصيرة : « الانسانية المشردة » من تأليف وإخراج محمد صالح ، « الضمير » من تأليف واخراج صلاح مدنى ، و« صرخة لاجيء » ..

وشهدت بداية السبعينات تكوين أهم فرقتين مسرحيتين فى المسرح البحرينى اليوم ، هما فرقة « مسرح أوال » ، وفرقة « مسرح الجزيرة » ، وقدمت الفرقتان ، أوال والجزيرة ، عدداً كبيراً من المسرحيات المحلية . فطرح محمد عواد محاولته الأولى فى التأليف المسرحى « كرسي عتيق » والتى أخرجها بنفسه عام ١٩٧١ .

وفى يوليو ١٩٧١ قدم مسرح « أوال » عمله الثانى « سبع ليالى » تأليف راشد المعاودة وإخراج عبد الرحمن بركات واشترك بها فى مهرجان دمشق المسرحى الخامس عام ١٩٧٣ . كما عرض فى مهرجان دمشق المسرحى السادس عام ١٩٧٥ مسرحية ابراهيم بوهندى « سرور » . أما مسرح الجزيرة فقد قدم عام ١٩٧٤ مسرحية « زمان البطيخ » تأليف عبد الرحمن رفيع واخراج سعد الجزاف ، وفى عام ١٩٧٥ مسرحية « توب توب يا بحر » تأليف راشد المعاودة واخراج سعد الجزاف .

هذه المسرحيات وغيرها شهدت تقدماً على صعيد النص المسرحى والتقنية المسرحية ، فمن جهة ، تقدم النص المسرحى من كتابة الاسكتشات الفكاهية إلى النص المسرحى المتكامل ، كما أولى كتاب المسرح فى البحرين عنايتهم للمشاكل الاجتماعية ، واهتموا بتوظيف الحكاية الشعبية كما فى مسرحية « سرور » المؤسسة على حكاية شعبية معروفة فى التراث البحرى البحرينى بنفس الاسم ، مع استلهام تجارب الصراع الاجتماعى فى مجتمع الغوص والبحر السابق على مجتمع النفط كواقع تاريخى غنى وكرمز للصراع الاجتماعى فى المجتمع البحرينى الحديث ، وهو ما قدمته مسرحيات « سبع ليالى » و« توب توب يا بحر » لراشد المعاودة ، و« اذا ما طاعك الزمان » و« سرور » لابراهيم بوهندى .. وغيرها .

فقد وجدت هذه المسرحيات فى تراث البحرين والخليج البحرى مصادر ابداع والهام وتميز ، وفى الصراع بين رجال البحر وتجار البحر مادة درامية ثرية تصلح لفن المسرح .

كما قدم المسرح البحرينى عدداً من المسرحيات العالمية والعربية ، مثل « انتيجونا » لسوفوكليس ، و« البورجوازى النبيل » لموليير التى تم اعدادها وبحرنتها بعنوان « ثور نانا فى خطر » ، و« انظر وراءك فى غضب » لأوزبورن ، و« المفتش العام » لجوجول .. وذلك بالإضافة إلى المسرحيات العربية مثل « الرجل الطيب » لمحمود دياب ، و« المنجم » لمعين بسيسو ، و« الزلزال » لمصطفى محمود .. مع تجارب الاعداد والاقتباس والبحرنة .

لقد تقدم المسرح البحرينى ، بالرغم من مراحل الانقطاع ، وقلة أماكن العرض ، ودخول مفاهيم الربح والتجارة إلى العروض المسرحية مما دفع إلى العمل المسرحى بعض مسرحيات الأطفال الساذجة .

ومن جهة أخرى حقق المسرح البحرينى نوعاً من التوازن مع هذه المنطلقات التجارية والمعوقات الفنية التى تتمثل فى اقتصار قاعات العرض المسرحى على قاعة واحدة هى قاعة مسرح الجفير البعيدة عن جمهور المسرح والمحدودة الامكانيات .

أما التوازن الذى حققته التجربة المسرحية ، فيتمثل فى التعاون بين الحركة الأدبية والفنية المتقدمة فى البحرين وبين فنانى المسرح ، وفى عودة المثقفين من بعثاتهم الدراسية فى معاهد الفنون المسرحية والتشكيلية إلى البحرين ليمدوا المسرح البحرينى برؤى جديدة وثقافة جديدة وفن مسرحى متجدد .

غير أن التقدم فى المسرح البحرينى لم يزل يتمثل فى النصوص المسرحية المكتوبة ، بالنظر للصعوبات المتعددة التى تحول بينها وبين العروض المسرحية الجماهيرية .

أبو نواس يرقص الديسكو

وتمثل مسرحية « أبو نواس يرقص الديسكو » أحدث وجوه التقدم فى المسرح البحرينى ، ففى هذه المسرحية الحديثة (١٩٨٢) للكاتب البحرينى أحمد جمعة ، يتقدم النص المسرحى البحرينى نحو المزج بين التراث والمعاصرة ، ويتم توظيف التراث العربى على عدة مستويات : ببعث شخصية هامة من التراث ، هى شخصية الشاعر أبى نواس ، وتوظيفها فى حكاية من حكايات « ألف ليلة وليلة » ، مع مزجها بالمناخ والبيئة المعاصرين .. فى حين يجرى على المستوى الآخر الاعداد لمؤامرة يشترك فيها قائد الجيش والوزير الأول .

أما الحكاية الشعبية ففكرتها مأخوذة من « ألف ليلة وليلة » حول جماعة من الدراويش تحلم بتولى السلطة وتحقيق العدالة وتوزيع الأدوار على أفرادها ، وقد استخدم الكاتب المسرحى السورى « سعد الله ونوس » ذات الحكاية فى مسرحيته « الملك هو الملك » .

أما المشاهد ، وعددها تسعة ، فتجرى فى أماكن عصرية ؛ حانة حديثة حيث يتواجد أبو نواس ويفد إليه الدراويش ، وساحة عامة تعلق فيها اعلانات المرور الدولية مع صور لمارلين مونرو ولأم فلسطينية أمام الخيام ، جون ترافولتا ، سيارات أمريكية .. الخ .

وتصف المسرحية الحكاية بأنها « حكاية من الحكايات القديمة ، تجمع بين الحقيقة والخيال ، تتحدث عن مآثر العرب فى سالف العصر ، يختلط فيها الحب والغرام بالفروسية والانتقام ، حكايتنا يا سادة يا كرام .. » (ص ٨) .

وتتخلل هذه الكلمات مناظر الارهاب مع كل جملة وعبارة . ويبدأ أحد الدراويش أحداث المسرحية بقوله : « لقد جئنا الى حانة النجمة لنبدأ لعبتنا ، ما رأيكم يا سادة ؟ هذا المكان الوحيد الذى يصلح لسهرة ديمقراطية ، لعبة مشوقة ، أن ندبر انقلاباً ونوزع الأدوار ، وبالمناسبة بما ان شاعرنا العظيم أبا نواس هنا ، يسرنا أن ندعوه ليشاركنا هذه السهرة » . (ص١٩) .

ومن ثم يتم مزج الماضى بالحاضر فى هذه الحكاية الفانتازية التى تجمع بين القديم والجديد .

فأحد الدراويش يقرأ عن غراميات بعض الأثرياء فى إحدى الصحف ، بينما هم يخططون ويرتبون انقلابهم .

ومن ثم يدعون أبا نواس للمشاركة فى اللعبة ، فيقترح أحد الدراويش أن تشكل لجنة يرأسها أبو نواس ويطلق عليها لجنة الخلاص الوطنى ، ولكن أبا نواس يرفض . غير أن المرأة رفيقة أبى نواس تطلب منه البقاء والاشتراك فى اللعبة قائلة : « انهم ظرفاء ، وهناك احتمال يا صديقى أن يكون أصدقاؤنا فى القريب من الوزراء والقادة » . (ص ٢١) .

ويدور حوار بين أبى نواس والدراويش يؤكدون له خلاله أنها مجرد لعبة ، فينضم إليهم أبو نواس قائلا : « أنا معكم إلى المجد .. » ويصف أبو نواس الليلة بأنها « ليلة ديمقراطية لن تتكرر » . ويدعوه الجميع لإلقاء كلمته ، فيقول أبو نواس مفصحاً عن مغزى المسرحية ومحتواها الاجتماعى والسياسي :

محتوى اجتماعي وسياسي

« انقلاب الدراويش .. لماذا ؟ غداً يسجل التاريخ ان الدراويش قاموا بانقلابهم لأنهم وجدوا كل شيء مقلوباً ، الكرامة أصبحت عاراً يلبسها المرء ، الإباحية وساماً يزين الصدور ، ممنوع الحديث فى الحب ، ممنوع أن تحب المرأة رجلاً ، والشرطة فى خدمة الشعب ، لأول مرة أعلن عصيانى ، نريد تغيير صورة العالم ، المجد للشعر ، المجد للدراويش ، المجد للانسان فى الأرض .. » (ص ٢٥ و ٢٦) .

ويوجه أبو نواس نقده للعصر وسيطرة تجار الأسهم وأصحاب العقارات قائلا : « بصوت هادىء وكئيب » آه ، لماذا يبدو العالم حزيناً ، ما عاد المجد للشعراء كما كان ، صار المجد لتجار الأسهم وأصحاب العقارات .. (ص ٢٦) .

على مستوى آخر ، فى الساحة العامة ، يجرى الحوار بين قائد الجيش والوزير الأول وأحد الدراويش (رقم ٣) .

ويقترح قائد الجيش مزج اللعبتين معاً ؛ لعبة القادة ولعبة الدراويش فى تدبير الانقلاب .

وتتصاعد المواقف ، فيرتب قائد الجيش اللعبة بجدية لتحويلها إلى انقلاب حقيقى يعقبه القضاء على الدراويش ، وتتجمع خيوط اللعبة وتتطور الأحداث .

غير أن المسرحية تحتشى ببعض المناظر التى تصيبها بالترهل وتوقف نمو أحداثها وتطورها ، مثل المنظر الخامس الذى يدور بين ثريا وصديقها والشرطى ، ينتهى بمقتل رجل وسجن ثريا وصديقها وهو مشهد يمكن الاستغناء عنه دون أن يتأثر بناء المسرحية بذلك .

أبو نواس واللعبة

فى حين تمضى أحداث اللعبة الانقلابية مع المنظر السادس حيث يتحاور أبو نواس مع الدرويش رقم ٣ حول دوره فى اللعبة .

ويعترض أبو نواس ضاحكاً : « ألعب ؟ نعم دائماً كنت ألعب .. ولكن ليس فى أمور السلطة » (ص ٤٨) ويشرك الدرويش ٣ جريتا جاربو فى اللعبة . فتحث أبا نواس على مواصلتها ، فيقول لها أبو نواس . « يا امرأة .. أعرف جيداً أنه يحب كل شيء إلا لعبة الانقلابات » . (ص ٤٨) .

وعندما يطل الفجر ويقترب الصباح يظل أبو نواس متردداً : عدت مرة أخرى تقولين مقلباً ..؟ من يجرؤ ان يدبر مقالب لهم ؟ (ص ٥٤) ولكنه يرضخ أخيراً عندما يجد الشرطى يقتنع هو أيضاً بالمشاركة فى اللعبة . وتأخذ المرأة فى رقص الديسكو بينما يدور حوار حول « الحرية أكذوبة القرن العشرين » وحول أحلام الدراويش بالحرية والمساواة . وتدعو المرأة أبا نواس لمشاركتها فى رقص الديسكو فيستجيب لها ويشاركها الرقص .

المحاكمة

ويصور المنظر الثامن تطور الأحداث وتصاعدها واحتدام الصراع فى قاعة محكمة عسكرية وفى وجود قادة السلطة القدامى الذين يتحدثون عن نجاح الدراويش فى انقلابهم ، وفى تمسكهم بالسلطة والحكم ، وبالقبض عليهم جميعاً وعلى أبى نواس .

ويخشى قائد الجيش من ان تتيح المحكمة للدراويش فرصة الكلام وكشف حقيقة اللعبة ، فيقترح الوزير الأول اعدامهم « بدون محكمة » ويجيبه قائد الجيش قائلا : « لم الخوف ؟ سننفذ الأمر .. سنرى ماذا يفعل قائدك .. الأمر كله بيدى لاتخف » . (ص ٧٦) وتجرى المحاكمة على اتهامهم بانقلاب حقيقى وليس لعبة ، واتهام أبى نواس بقيادة الانقلاب فى حين يظل أبو نواس مقتنعاً بأنها لعبة وان المحاكمة جزء من اللعبة . ويصر قائد الجيش على انها جريمة ومؤامرة حقيقية على الدولة ، ويدس على المتهمين أسلحة حقيقية يدور حولها الحوار التالى الحافل بالإسقاط السياسى :

درويش ١ : لكن من أين جاءت تلك الأسلحة التى وجدوها معنا ؟

الشرطى : ثروة هذا الوطن هى الأسلحة . أكثر ما نملك هو الأسلحة .

أبو نواس : ومع ذلك الهزائم ما شاء الله . (ص ٨٠) .

ويرفض القائد والوزير الأول قبول الأمر كلعبة ومزاح فى حين يطلب أبو نواس من القائد إنهاء اللعبة والمزاح الثقيل الذى تحول إلى جد قاس قائلا : « والآن كفى أيها القائد ودعنا نذهب .. مضى علينا يومان ونحن بالزنزانات .. هذه ليست مزحة .. لقد تمزق جلدى من النوم على الأرض .. هذه أول مرة يقسو فى مزاحه » (ص ٨٢) فيجيبه قائد الجيش : « لقد كنت دائماً تكشف أوراق الآخرين .. وهاأنت الآن لا تعرف شيئاً عن ورقك » .

وتكتشف المرأة حقيقة لعبة القادة بعد تزويدهم بأسلحة حقيقية لاتهامهم بالقيام بانقلاب حقيقى . وحين يسأل أبو نواس قائد الجيش : « لم كل هذا الحقد على ؟ » يعترف القائد قائلا : نعم ان مـا أغضبنى ان سـاوى بينى وبينـك .. بل والأدهى من ذلك ان كلمتك عنده أحياناً كانت فوق كلمتى .. ولكن أشد ما يفرحنى الآن أنك ستموت بأمر منه وبيدى . (ص ٩١) ومع ذلك يظل أبو نواس رابط الجأش مؤكداً لرفيقته « ان هذه التمثيلية سوف تنهار بعد لحظات » . ويثبت قائد الجيش دموية اللعبة منهياً هذا الخلط بين الواقع والحقيقة عندما يأمر بالإطاحة برأس أحد الدراويش فيقطعها السياف ، ويسيطر الرعب والصمت على الجميع .

هكذا يتم توظيف التراث وشحنه بمفاهيم عصرية وهموم اجتماعية وسياسية فى المسرحية البحرينية الحديثة « أبو نواس يرقص الديسكو » لأحمد جمعة ، مسرحية تبحث عن الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتمزج بين الماضى والحاضر وتمد بينهما الجسور الموصلة والمثرية للمسرح العربى فى البحرين .

أحمد محمد عطية

حقوق الإنسان حبر على ورق

الحالة النفسية للمجتمع الأمريكي



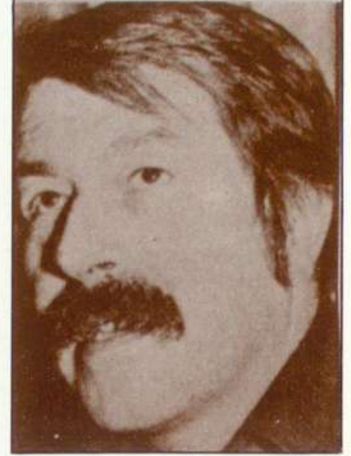
بقلم : عبدالرزاق البصير

في تصور معظم الناس أن شعوب أمريكا وأوروبا يعيشون حياة تشيع في نفوسهم الرضا والاطمئنان لما وصلوا إليه من تقدم علمي مذهل يسر لهم حياتهم كل التيسير ، فقد استطاعوا أن يصنعوا من الآلات والأدوات ما لم يكن يخطر على بال أوسع الناس خيالاً . ولا حاجة بنا إلى أن نسمي تلك الآلات أو نصف ما تقوم به من أعمال لأنها أصبحت ممزوجة بحياة الشعوب المتحضرة ، بالاضافة إلى أن تلك الشعوب تتمتع بحرية يتمنى الكثيرون لو أننا ظفرنا بقسط منها ، غير أن الواقع يقول للذين قدر لهم أن يطلعوا على آثار كتاب أمريكا وأوروبا بأن تلك الشعوب ساخطة على حياتها أشد السخط .

ولعل الأستاذ الدكتور محمود السمرة من أعظم الذين اطلعوا على آثار كتاب الغرب إطلاعاً واسعاً عميقاً وقد رأى أن يطلع أبناء قومه على خلاصة آثار أولئك الكتاب ليتعرفوا على الحالة النفسية لتلك الشعوب التي نظن بأنها تعيش في نعيم مقيم ، وبهذا يكون أستاذنا الدكتور السمرة قد قدم خدمة جليلة لأبناء أمته لأن تفهم آثار أولئك الكتاب يوسع آفاق الفكر ، فأصل الحضارة الإنسانية ما هو إلا تفاعل مع ثقافة الشعوب المتقدمة ، وهذه مهمة ثقيلة لا يستطيع القيام بها إلا الموهوبون من الكتاب الباحثين ، لأن تفهم الآثار الأجنبية بصورة دقيقة ونقلها إلى اللغة العربية ليس بالأمر السهل ،فالكاتب صورة لمجتمعه وبيئته ، ومن المحقق أن البيئات الغربية ومجتمعاتها تغاير بيئاتنا ومجتمعنا كل المغايرة ، ولكن أستاذنا ممن منحه الله قدرة تمكنه من القيام بهذه المهمة ، فقد أصدر عدة كتب قيمة تتحدث عن آثار أكبر كتاب الغرب الذين لهم أعظم الأثر في نفوس شعوبهم أمثال (صموئيل بكيت) و (جون أوزبورن) و (جنتر جراس) و (جان جنييه) و (البرتو مورافيا) وغيرهم كثيرون . ولكي تكون الفائدة عامة فإن الدكتور السمرة لم يقصر دراساته على قطر من أقطار أوروبا وإنما شملت دراساته معظم أقطار أوروبا وأمريكا .

فلنأخذ دراسته عن (جنتر جراس) وهو كاتب ألماني ظفر بمكانة مرموقة في نفوس معظم الشعوب الغربية ، قال عنه الدكتور السمرة في كتابه « متمردون » : إن (جنتر جراس) هو أشهر كاتب في ألمانيا اليوم ، وهو رأس الشباب الغاضب من كتابها ، فهو في ألمانيا نظير (جون أوزبورن) الكاتب المعروف في بريطانيا . وقد كان الأدب الألماني منذ سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٩ ليس سوى تقليد لأعمال كبار الكتاب من أمثال (جيمس جويس) و (همنغواي) و (برخت) وجاءت سنة ١٩٥٩ فكانت نقطة تحول ، انتقل فيها هذا الأدب من التقليد إلى الأصالة .

ومضى المؤلف في رسم صورة لحياة هذا الكاتب الألماني ، كما لخص معظم آثاره القصصية . ولم يكتف المؤلف بذلك وإنما أوضح أغراض تلك القصص ، وما ترنو إليه من مقاصد بأسلوب سهل يجعل القارئ العربي وكأنه يقرأ آثاراً عربية ، علماً بأن آثار (جنتر جراس) صعبة الفهم والتذوق ، لما يحيط بها من رموز كما سنرى بعد قليل ، بالإضافة إلى أن آثار هذا الأديب تبلغ آلاف الصفحات وهذا يقتضي ممن يريد قراءتها بعناية وتلخيصها أن ينفق كثيراً من الوقت وهو أمر غير ميسور لأن الدكتور السمرة يشغل مهمة إدارة الجامعة الأردنية ، وهي مهمة تأخذ منه كل



جونتر جراس



جان جينيه



ألبرتو مورافيا

جهده ووقته .

يبقى أن نتساءل من الذي يفهم قصة « الطبلة الصفيح » تلك القصة التي يدور محورها حول شخصية شاذة من الناحية المادية والمعنوية . وتبدأ القصة ببطولة (أوسكار) في مصح للأمراض العقلية وعمره ثلاثون سنة ، وقد اعترف بجريمة قتل لم يقترفها . وهنا يأخذ أوسكار في تذكر حياته السابقة منذ الطفولة الباكرة فهو لم يحب والده الألماني البقال أبداً ويؤثر عليه عشيق أمه وقريبها البولوني الذي يصر على أنه هو والده الحقيقي .

ويحدث أن يعلم بطل القصة (اوسكار) أن والديه يخططان لمستقبل حياته ، ويصمم البطل على إحباط ذلك التخطيط ليؤذي والديه فيلقي بنفسه في جملة أعمال منحطة سخيفة ، عندها يقف نمو جسده حتى يكون طوله ثلاثة أقدام .

وتعطيه أمه طبلة من الصفيح ليتسلى بها ،فتبرز موهبته بحيث يكون قادراً على أن يفعل المعجب والمذهل والخارق للعادة في ضربه طبلته .

وتسير القصة لتصور انتقال بطلها (أوسكار) من مغامرة إلى أخرى . وعندما هاجم النازيون بولونيا وقع والداه قتيلين . وعلى ضريح والديه ألقى بطبلته فإذا به يأخذ حالاً في النمو من جديد . وبعد أن يكمل الدكتور السمره تلخيص هذه القصة يوضح رمزها بقوله : « وفي القصة مواقف مثيرة للاشمئزاز تصدم ذوي الأحاسيس المرهفة . من ذلك وصفه لثعابين البحر وهي تجوس خلال رأس حصان قد غرق ، ومنظر طير النورس على الشاطئ وهو يأكل قيء امرأة ، وظهر إصبع مقطوعة ، ومثل هذه المناظر الباعثة على الغثيان كثير . ولعل (جنتر جراس) يريد بتصويره هذه المناظر أن يفتح عيوننا على حقيقة الحياة ومافيها من مناظر مؤذية للأحاسيس ، صادمة للذوق » .

وأعتقد أن من حق القارئ العربي أن يتساءل بالحاح عن أسباب هذا الغضب القوي لدى شعوب متقدمة بكل شيء ، ويأتي الجواب من المؤلف . إن ذلك يعود إلى ضياع شديد ملأ نفوس تلك الشعوب بسبب فقدها لتلك الأيام الزاهرة ، حيث الطمأنينة وراحة النفس ،والايمان العميق بقيم ثابتة لم يكن يخطر ببال أنها ستكون في يوم من الأيام موضوعاً للشك والتساؤل .

وقد دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة ، وانتهى العالم الاجتماعي (ملز) في كتابه « الصفوة الحاكمة » سنة ١٩٥٦ إلى أن السبب في هذا كله يعود إلى أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة ، لتقع في قبضة حفنة من رجال المال ، وكبار العسكريين . وقد تحالفت هاتان الفئتان من أجل تكريس المجتمع الأمريكي لخدمة مصالحها . وماهذه الحروب التي تشنها الولايات المتحدة سوى نتيجة لهذا التحالف . وليس لهذا السلوك معنى إلا أن كل ما شرع من قوانين تشيد بحقوق الانسان ليست إلا حبراً على ورق مما يجعل الفرد لا يؤمن بشيء وبهذا يصبح لقمة سائغة للذين يريدون أن يشكلوا تفكيره حسب أهوائهم ، كما يصبح في كثير من الأحيان وليس له من أرب في هذه الحياة إلا طلب اللذة بأي وسيلة كانت والايمان بالقوة . وهذا يوضح مانشاهده من قلق يساور نفوس الكثيرين .

والحق أني لا أرى مخطئاً ذلك الذي يتصور أن وطننا العربي تسير معظم أقطاره في هذا الطريق المخيف . ذلك أن ماتذيعه وسائل الأعلام عندنا من أن كل شيء على ما يرام يناقض كل المناقضة ما نشاهده في واقع الحال ، وعلى كل حال فإن مصطلح الضياع يعني الثورة للجيل الحاضر على كل ما في مجتمعه ، وهو جيل برز بعد الحرب العالمية الثانية وهو يحس بالهزيمة في أعماقه والمرارة في نفسه ، إنه جيل يحس بالضياع وانعدام القيم والكفر بكل شيء وباشتداد أزمة أفراده النفسية أخذوا يبحثون عن قيم جديدة يؤمنون بها .

ولقد فصل المؤلف هذا التوجه عندما تحدث عن الكاتب الأمريكي « كرواك » وعرضه لقصة « على الطريق » تلك القصة التي استقبلها الناس في أمريكا بتلهف شديد بعد أن لم يلتفت إليها أحد في أول ظهورها وقد عقب المؤلف على تلهف الناس لآثار الجيل الثائر بقوله : وهكذا برز أدباء الجيل الضائع فجأة بروزاً مدوياً وكأنهم البركان في ثورانه ، وأخذت حركتهم منذ هذا التاريخ تقوى وتتسع ، ويشمل نشاطها البيئات الجامعية والشوارع المكتظة بالناس ، وشاشات التلفاز والسينما وصفحات المجلات المعروفة . وتسابقت دور النشر لإصدار مختارات من كتاباتهم ، وهرع علماء الاجتماع لكتابة الدراسات عنهم ، حتى أن حركة الجيل الضائع الثائر على القيم كادت أن تصبح هي المعبرة عن الطابع العام للمجتمع الامريكي .

وهكذا يجري أسلوب المؤلف على هذا النسق ، في جميع دراساته لأدباء الغرب . على أن هذه الدراسات ينتظمها خط عام واحد يقصده المؤلف قصداً وهو أن يصور الحالة النفسية التي تعيشها تلك الشعوب . ولابد لي هنا من أن أبين أني قد أوجزت تلخيصات المؤلف إيجازاً شديداً لأشوق القارئ إلى قراءة تلك المؤلفات التي أعتقد أن في الوقوف عليها فوائد كثيرة وإني آمل أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت إليه .

تلعب الوراثة دوراً هاماً في الاستعداد للقلق .. فالدراسات تشير إلى أن الجهاز العصبي اللاإرادي في التوائم على قدر كبير من التشابه كما أن استجابته للمؤثرات الخارجية والداخلية تكاد تكون متطابقة . كذلك أوضحت الدراسات أن اخوة وآباء مرضى القلق يعانون من نفس المرض . والنساء أكثر عرضة للقلق من الرجال . ويعتبر القلق من أكثر الأمراض شيوعاً في العالم . ويقال إن ربع سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من القلق وهم في حاجة لعلاجه .

ولكن هل للقلق دور في اعتلال صحتنا ؟

وهل هناك علاقة أكيدة بين رصيدنا في بنك القلق وسهولة إصابتنا بالمرض ؟

ماذا تقول الدراسات والأبحاث ؟

رصيدك في بنك القلق..
هل هو سبب مرضك ؟

بقلم : الدكتور سـامي عزيـز

تعتبر الدراسة التي قام بها « توماس هلمس » و « ريتشارد راه » من جامعة واشنطن بالولايات المتحدة من أدق هذه الدراسات ، الفكرة كلها تعتمد على المواقف والتغيرات التي تحدث في حياتنا والتي يصاحبها أكبر قدر ممكن من القلق .. والعجيب أنهم لاحظوا وجود علاقة قوية بين الأحداث والتغيرات الهامة في الحياة وحدوث المرض .. واستطاعوا بعد محاولات متعددة أن يجمعوا هذه التغيرات ، ورتبوها ترتيباً تنازلياً بحسب شدة القلق الناجم عنها ..

ومن الثابت أن كل حدث أو تغير في حياتنا يحتاج إلى قدر من التكيف أو التوافق حتى تسير بنا الحياة ولا تتوقف .. وكلما زادت الحاجة إلى التكيف أو التوافق ، أو بمعنى آخر كلما تعرضنا إلى تغيرات كبيرة في حياتنا وزادت شدة القلق عندنا ، كلما كنا أكثر عرضة للمرض . والجدول الآتي يلخص دراسة « هلمس وراه » .. وتستطيع أنت أن تستخدمـه وتحسب لنفسك كم من الأحداث والتغيرات تعرضت لها خلال الشهور الاثنى عشر الماضية : (جدول رقم ١) .

وتنص القاعدة التي توصل إليها « هلمس وراه » على أن الفرد الذي يصل رصيده إلى ١٥٠ خلال عام ، فإن احتمال اصابته بمرض أو توعك بالصحة يصل إلى ٥٠ بالمائة ، أما الفرد الدي يتعدى رصيده ٣٠٠ فان احتمال إصابته بالمرض يصل إلى ٩٠ بالمائة . وفي دراسة أجراها « هلمس وراه » على أربعة وثمانين متطوعا تبين أن أعلى نسبة للاصابة بالمرض كانت في المجموعة التي وصل نصيبها إلى ٣٠٠ (بلغت نسبة من مرض منهم ٦٠بالمائة) ، والذين حصلوا على ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ مرض منهم ٢٥ بالمائة ، أما الذين حصلوا على ١٠٠ فما دون فلم يمرض منهم إلا ٩ بالمائة فقط .

ضغوط الحياة البسيطة

ضغوط الحياة اليومية ... هل لها أثر على صحتنا ؟

هناك دراسة موسعة أجراها مؤخراً البروفيسور « ريتشارد لازنر » من جامعة متشجن بالولايات

المتحدة .. وهى تدور حول موضوع واحد وبغرض الاجابة عن سؤال محدد ... هل المشاحنات والمشاكل البسيطة التى نواجهها كل صباح .. تؤثر على صفاء حياتنا ؟ وهل لها دور حيوي في زيادة رصيدنا في بنك القلق ؟

السفر يومياً مثلاً في قطار مزدحم .. العمل مع رئيس غضوب لا تعرف أوامره نهاية .. الحياة مع زوج مدقق يهتم أكثر مما ينبغي بالتفاصيل الصغيرة .. الزوجة المسيطرة التي لا ترحم زوجها من كثرة مطالبها وأوامرها .. لاشك أن هذه المنغصات البسيطة لا تحدث تغيرات مفاجئة في حياتنا مثلما يحدث مثلاً عند موت الزوج أو الزوجة أو الحكم بالسجن مثلاً لعدة سنوات .. إلا أن « ريتشارد لارنر » يؤكد بأن هذه المنغصات رغم بساطتها يبقى أثرها في نفوسنا أكثر بكثير من الصدمات التي اهتم بها « توماس هلمس » « وريتشارد راه » ، والتي تم ذكرها في الجدول السابق .

والدراسة التي قام بها « لارنر » على أكثر من ١٠٠٠ مواطن أمريكي (ما بين سن ٤٥ ــ ٦٠ سنة) تؤكد أن التعرض المستمر لضغوط الحياة اليومية ومنغصاتها التي قد لا نهتم بها ... تجعلنا أكثر عرضة للمرض ، لذلك يمكن اعتبارها مقياساً أكثر دقة لرصيدنا في بنك القلق بالمقارنة إلى الصدمات الشديدة التي ذكرها « هلمس راه » .

وضغوط الحياة اليومية قد تكون سريعة الزوال .. وقد تنغص علينا بصورة متكررة وربما تكون جزءاً من عملنا اليومي الذي نمارسه ، رضينا بها أم لم نرض ... لذلك فالتعرض المستمر لها مع مرور الوقت يضعف مقاومتنا ويجعلنا نسقط فريسة سهلة للمرض .

ولها وجه طيب أيضاً

يؤكد « هانز سلي » أن ضغوط الحياة ليست كلها سوداء .. فهي رغم كل ما وجهنا من اتهامات لها أيضا الجانب الطيب . « وهانزسلي » هو أول من استخدم المصطلح العلمى أو « الضغوط المتعادلة » ويقصد بها الجانب البناء والممتع الذي قد يتبع ضغوط الحياة . ويمكن تلخيص هذا الجانب الطيب لضغوط الحياة في الآتي :

• تصاحب ضغوط الحياة شحنة وجدانية تزيد من تحملنا ، وتزودنا بدوافع ورغبة في مواصلة العمل حتى نحقق أهدافنا .

• لضغوط الحياة قيمة اجتماعية إذ أن التغيرات المصاحبة لها تزيد من ترابط الأشخاص ، وتزيد من فهمهم لبعضهم البعض من الناحية الشعورية .

• لا شك أن ضغوط الحياة ، من خلال تنبيهها للجهاز العصبي اللاإرادي ، تزيد من خبرتنا وقدرتنا على مواجهة المصاعب .

• قد تكون ضغوط الحياة من مصادر سرورنا .. لا شك أن إنجاز أعمالنا بنجاح رغم

جدول رقم (١) ــ الجزء الأول من دراسة « هلمس وراه »

الحدث	رصيدك إثر الصدمة بالأرقام
• موت الزوج أو الزوجة	١٠٠
• الطلاق	٧٣
• افتراق الزوجين	٦٥
• الحكم بالسجن	٦٣
• موت قريب من الدرجة الأولى	٦٣
• التعرض لاصابة أو مرض	٥٣
• الزواج	٥٠
• الطرد من العمل أو الفصل	٤٧
• إنهاء خلاف شديد بين الزوجين	٤٥
• التقاعد عن العمل	٤٥
اضطراب صحة أحد أفراد الأسرة	٤٤
• الحمل	٤٠
• المشكلات الجنسية	٣٩
• دخول فرد جديد في الأسرة	٣٩
• استعادة خسارة تجارية	٣٩
• تغير الأحوال المالية	٣٨
• موت صديق عزيز	٣٧
• تغير طبيعة العمل	٣٦
• تغير مرات الخلاف بين الزوجين	٣٥

تابع جدول رقم (١) ــ الجزء المتمم لدراسة « هلمس وراه »

الحدث	رصيدك إثر الصدمة بالأرقام
• رهن عقار	٣١
• حبس الرهن	٣٠
• تغير المسئوليات في العمل	٢٩
• ترك الابن أو الابنة للبيت	٢٩
• اضطراب العلاقات مع حماتك	٢٩
• تحقيق انجاز أونجاح شخصي	٢٨
• بداية الزوجة للعمل أو توقفها عن العمل .	٢٦
• بداية أو نهاية العام الدراسي	٢٦
• تغير أحوال المعيشة	٢٥
• تغير العادات	٢٤
• اضطراب العلاقات مع رئيسك في العمل	٢٣
• تغير ساعات العمل	٢٠
• الانتقال إلى مسكن آخر	٢٠
• الانتقال إلى مدرسة أخرى	٢٠
• تغير الأنشطة الاجتماعية	١٨
• تغير عادات النوم	١٦
• تغير عادات الأكل	١٥
• الاجازات السنوية	١٣
• بداية عام جديد	١٢

رصيدك في بنك القلق..
هل هو سبب مرضك ؟

المصاعب والضغوط التي تواجهنا يضفي علينا نوعا من السرور والفرح ويجعل لعملنا قيمة نفتخر بها .

عمليات حسابية

يؤكد البروفيسور «لازرس» من جامعة كاليفورنيا ، والذي يعتبر بحق أحد الرواد المعاصرين في الطب النفسي وخاصة في دراسة أثر ضغوط الحياة على فسيولوجيا الجسم ... يؤكد على وجود ما سماه «بالتقييم الادراكي» كنوع من العمليات الحسابية التي تقوم بها أمخاخنا عند مواجهة ضغوط وتهديدات خارجية .. وتشمل عملية التقييم مرحلتين .. المرحلة الأولى تختص بتقييم سريع للموقف .. هل هو تهديد أم لا .. والمرحلة الثانية تختص بترجيح حلول بديلة للتعامل مع الموقف .

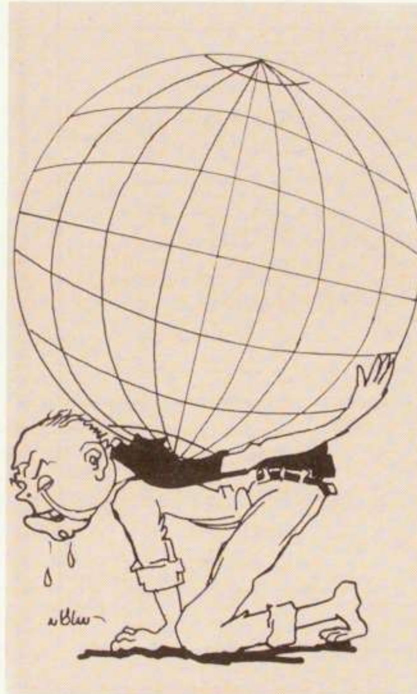
والتعامل مع الموقف يتم أيضاً في مرحلتين : إما بالتعامل المباشر الفوري بالهجوم أو الهروب .. أو باعادة تقييم الموقف ودراسته وادراكه على أنه دون مستوى التهديد . لذلك فهناك علاقة واضحة بين «التقييم الادراكي» و«الانفعال النفسي» ، ونقصد بالادراك كل العمليات الحسابية من ملاحظة ، وتذكر ، وتقييم ، وتصور ، وسببية الخ .. ولا شك أن الحكم والأمثال التي نحفظها ، والعادات والتقاليد التي ولدنا بها ، تؤثر إلى حد بعيد في هذه العمليات الحسابية ، وفي مدى ادراكنا للأمور وتفاعلنا معها .

ضغوط الحياة ...
هل تقلقنا حقاً ؟

«هانز سالي» .. أحد رواد الطب النفسي وخاصة في الأمراض السيكوسوماتية «النفسية الجسمية» يصف التغيرات الفسيولوجية التي تتبع تعرضنا لازمات الحياةفي ثلاث مراحل وهي كلها تشمل ما سماه «بالتكيف العام المتعدد الاتجاهات» وتلخص نظرية «سالي» خلاصة ما قام به من تجارب متعددة على حيوانات مختلفة بعد أن عرضها لظروف قاسية مثل : الحرمان من الطعام لفترات طويلة ... التعرض لدرجات شديدة الحرارة أو قاسية البرودة ... فقدان كمية كبيرة من الدم .. التعرض لعمليات جراحية مختلفة وغيرها .. واتضح له أن الاستجابة للظروف السيئة تكاد تكون واحدة مهما اختلف المؤثر .

(١) مرحلة الهجوم :

في هذه المرحلة يقوم الهيبوثلاموس (المهاد التحتاني) ــ الذي يعتبر المركز الرئيسي لتنظيم الجهاز العصبي اللارادي ، وهو في نفس الوقت مركز التعبير عن الانفعالات ، بارسال سيالات وشحنات كهربائية وكيمائية ، وذلك من خلال دائرة عصبية مستمرة بين قشرة المخ والهيبوثلاموس والمخ الحشوي ... وتصل بعض هذه السيالات إلى الغدة النخامية التي تقع أسفل الهيبوثلاموس ، ونتيجة لذلك تقوم الغدة النخاميـة بافراز هرمون الكورتيكوتروفين في الدم ، وتستجيب الغدة فوق الـكلوية لهذا الهرمون الأخير ، وتقوم قشرتها بافراز كمية كبيرة من مركبات الكورتيزون التي تحدث العديد من التغيرات في أجهزة الجسـم المختلفة وتهدف هذه التغيرات إلى إعـداد الجسم وتزويده بمـزيد من الحركة والنشاط لمواجهة الأزمة التي يواجهها ــ لذلك تزيد ضربات القلب بغرض تزويد المـخ والعضلات بالمزيد من الدم المؤكسج ، وتزيد حركات التنفس بغرض تزويد الدم بأكبر كمية ممكنة من الأوكسجين ، وتنقبض الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد بغرض إعادة توزيع الدم في الدورة الدموية ، وتزويد أجهزة الجسم الحيوية كالمخ والعضلات بالمزيد من الدم ، وتزويد قدرة الدم على التجلط لمواجهة أي نزيف .. أما العضلات فتبدو في وضع منقبض . وتهدف هذه التغيرات إلى إعداد الجسم وتحفيزه للهجوم .



(٢) مرحلة المقاومة :

عندما يتكون بالجسم قدر كاف من المقاومة تبدأ أعراض المرحلة السابقة في التلاشي . والواقع أن التغيرات المصاحبة للمرحلة الأولى تتطلب المزيد من الطاقة يستنفدها الجسم بدون طيب خاطر على حساب عمليات فسيولوجية أخرى ، لذلك نجد الجسم يلجأ إلى إيقاف هذه التغيرات في أسرع وقت ممكن .

(٣) مرحلة الإنهاك :

تشير التجارب التي أجراها «سالي» إلى أن تكرار التعرض للظروف القاسية وتكرار ظهور أعراض الهجوم والتحفز قد ينتهي بالإنهاك العام وفشل المقاومة ، لأن كمية الهرمونات التي تنسكب من الغدة النخامية وقشرة الغدة فوق الكلوية وغيرها قد تكون في النهاية غير كافية وأقل من متطلبات الموقف ، كما أن استمرار الظرف القاسي لفترات طويلة غالباً ما ينتهي بضمور عام في الغدد الصم وبالتالي الموت .

والأبحاث التي أجراها «هانز سالي» تؤكد أن تعرض الجسم البشري لضغوط الحياة اليومية تصاحبه تغيرات فسيولوجية مماثلة كانخفاض مقاومة الجلد للمؤثرات الكهربائية ، وزيادة نشاط موجات المخ ، وزيادة ضربات القلب وحركات التنفس .

ولكن إلى أي حد تساهم فسيولوجيا الضغوط في قتلنا ؟ وهل تعرضنا لضغوط الحياة وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية يؤثر فينا بنفس القدر ؟ وإلى أي مدى يؤثر التغيير النفسي المصاحب للقلق في قتلنا ؟

من أحدث ما نشر في هذا الموضوع ما جاء في مجلة «لانست» الطبية الصادرة في شهر فبراير الماضي عن وجود علاقة بين ضغوط الحياة التي نتعرض لها وزيادة افراز مادة «البيتا اندروفين» في الفص الأمامي للغدة النخامية . والمعروف أن «البيتا اندروفين» هي أحد المورفينات الطبيعية التي يكونها الجسم ، والتي لها تأثير مهدئ ومخفف لضغوط الحياة النفسية والجسدية بمعدل يفوق ٥٠ بالمائة مفعول أقوى العقاقير المخدرة والمهدئة ، وهذا الاكتشاف الأخير يفسر لنا بوضوح السبب في حدوث الأزمات النفسية والجسدية عند تعرضنا لضغوط الحياة المختلفة وعندما تفشل أجسادنا في تجهيز كميات كافية من المورفينات الطبيعية لمواجهة الموقف . ولا شك أننا بذلك وجدنا إجابة صريحة للسبب في اختلاف الاستجابة للألم من شخص إلى شخص ، كما أن اكتشاف المورفينات الطبيعية بالجسم يؤكد على أن رصيدنا في بنك القلق يختلف باختلاف ما نملك من مورفينات طبيعية في مواقف الحياة وتحدياتها المختلفة .

سامي عزيز

قليلا قليلا وأمشي

شعر: محمد القيسي



قليلاً مِنَ اللَوزِ هَذا المساءْ
قليلاً لأنسى
قليلاً قليلا
فقد أوجَعَتني يداها ، وأوجَعَني صَمتُها
في الغيابِ طويلا
قليلاً قليلا
قليلاً مِنَ العُزلةِ الباردةْ
قليلاً لأشربَ نخبَ دمي المستباحِ على مائدةْ
وأبكي وأضحك مما أرى
و بحالكْ
هنا وهنالكْ
قليلاً مِنَ الأُفقِ أحمر في غرفتي ، وقليلاً مِنَ الياسمينْ
قَليلاً مِنَ العشبِ والماء بين يديَّ ،
قَليلاً مِنَ الراحلينْ
قليلا من الصمت والصلوات
قَليلاً مِنَ الضوءِ يرشحُ من هذه النافذةْ
قليلاً مِنَ الوردِ والآنيةْ
لأجمعها ثانيةْ
وألقطَ أعضاءَها من فيافي يدي ،
وأحكَّ الجراحا
قليلاً لأكسو الرياحَ نواحا
وأصحو
نشيداً وموتا
قليلاً لأرفعَ بيتا
وأهوي كما ناطحةْ
فقد يَبستْ صورتي الواضحة
قليلاً قليلا

قليلاً سأسكبُ منْ وحشتي كي تُفيقْ
كثيراً سأسكبُ روحي
وَأَمنحُ هذا الحصادَ الغزيرَ وثوبي لها
لتنهضَ فيَّ ،
وَتحضنَني يافعاً وقتيلا
قليلاً
قليلا
فليس لنا غيرُ هذا الطريقْ
قليلاً مِنَ الدَعَواتْ
قليلاً لأغفرَ ماكان من طَعَناتْ
قليلاً ونخطو معاً ،
ونُسمّي الضلوعْ
قليلاً ونهمي إلى ضاحيةْ
قليلاً نُسوّي حديقَةْ
ومقهىً ، ونهراً نخيلا
قليلاً قليلا
نصوغُ العناقيدَ والداليةْ
قليلاً يكونُ لنا
رصيفٌ ،
وكرمٌ يُراودنا أنْ نقولا
قليلاً
قليلا
قليلاً ونمشي نخيلا
ونمشي ينابيع ظمآنةً وهديلا
قليلاً
قليلا !

* عمّان



من روائـــع
الفن العـــالـــمي

بقلم: جمـــال قطـب

الفـارســـــــة

جلس فناننا روبنز فى أحد أركان القصر الملكى البريطانى الفسيح ، وقد انهمك فى إبداع إحدى روائعه الفنية .. ومرت الساعات الطوال دون أن يشعر بمن حوله من رجال القصر وحاشية الملك شارل الأول ، الذين التفوا حوله وهم فى دهشة من أمره : كيف ينشغل هذا السفير الجليل الذى أرسله فيليب الرابع ملك أسبانيا ، إلى ملكهم ، بممارسة فن الرسم ، وكأنه فنان محترف ؟ !

فتقدم أحدهم إليه وسأله فى أدب : هل سيدى السفير يتسلى أحياناً بممارسة الفن ؟ فضحك روبنز من قلبه وقال له : بل إن الفنان يتسلى أحياناً بالسياسة !

وما أن عرف رجال شارل الأول ملك انجلترا قصة روبنز ـ فنان الشمال الأوروبى الكبير ـ حتى زاد عجبهم ، إذ كيف يجمع هذا العبقرى بين كل هذه الملكات فى وقت واحد ! ولكنه روبنز .. الفنان الفلمنكى الشهير ، وأسطورة ممالك الشمال فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .. وتعرف هذه الممالك (هولندا وبلجيكا) باسم الأراضى المنخفضة نظراً لانخفاض أرضها عن سطح البحر ، كما يطلق عليها اسم بلاد الفلمنك ، وتعرف نهضتها الفنية التاريخية باسم : الفن الفلمنكى .

● عاش (السير بيتر بول روبنز ١٥٧٧ ـ ١٦٤٠) حياة خصبة مترفة مثيرة ، لا يتسع المجال لسرد دقائقها ووقائعها .. وتنقل بين (أنفرس) مسقط رأسه ، والبندقية ومانتوا وروما ومدريد ولندن وباريس . ولكن صلته الوثيقة بحاكم مانتوا (أحد الأقاليم الإيطالية) كانت السبب فى تألق الفنان فى أوروبا كلها كشخصية فذة فى مجال الفن ومناورات السياسة وصناعة الحرب والسلام ! فقد أوفده الحاكم ـ محملاً بالهدايا ـ إلى فيليب الثالث ملك أسبانيا فى مهمة سياسية وفى مدريد أقام عاماً كاملا يدرس الفنـون الأسـبانية ، ويرسم اللوحات لقصورها ورجالاتها ، حيث طارت شهرته الفنية إلى كل البلاد الأوروبية آنذاك . وتوالت عليه الدعوات الرسمية من ايطاليا وفرنسا .. وكانت روائع عصر النهضة الايطالية تثير فضوله منذ طفولته ، فذهب إلى روما وفلورنسا وغيرهما من المدن الايطالية .. ودرس فنون المدارس المختلفة ، ينقل منها ويستوعب أسرارها .. ولكنه ظل فلمنكياً على الدوام .. مستقلاً بأسلوبه الذي عرف به طوال حياته الجادة المثمرة .

وعاد إلى وطنه .. وكان دوق المقاطعات البلجيكية الهولندية ودوقتها يعرفان قيمة فنانهم الذي تألق اسمه في أوروبا كلها ، فعيناه مصوراً خاصاً للقصر ، محاطاً بأسباب الترف والنعيم .. ودفعه هذا التقدير إلى العمل الدءوب ، وازدحم مرسمه بعشرات الفنانين المبهورين بفنه متتلمذين على يديه ..

وفيما بين عامي ١٦٢١ ، ١٦٢٥ كان روبنز كثير التردد على باريس لتزيين قصر لوكسمبورج بأمر من الملكة ماري دي مديتشي ، زوجة هنري الرابع ، التي كانت ترغب في تسجيل تاريخ حياتها في إحدى وعشرين لوحة تزين أبهاء القصر الكبير . وكانت مهمة روبنز صعبة للغاية فلم تكن ماري بالملكة الجميلة الرشيقة التي تستولي على إلهام ومشاعر الفنان .. كما أن حياتها ضحلة مكتظة بالمشاكل ! ولم يجد روبنز أمامه إلا أن يمزج الحقيقة بالخيال فلجأ إلى الرمزية والشاعرية والأساطير الإغريقية .. ورسم الملكة سابحة فى تلك الأجواء الرومانسية بعد أن أضفى عليها قسمات الحسن ولمسات الجمال بكرم فني وفير ! لقد تفهم الملكة ودرس نفسيتها ورغباتها الطموحة ، وها هو ذا يرسم ما يحلو لها وما يثير إعجابها . ويرضي خياله الفني في الوقت ذاته .

وبعد أن أتم مهمته في باريس استدعي إلى وطنه في الشمال ليقوم بمهمة سياسية جديدة : لقد مات الحاكم ، وانتهت بموته الهدنة ما بين أسبانيا والممالك المنخفضة وكان لابد من تجديدها .. ونجح روبنز في ذلك بأكثر مما كان يتوقع .. بل وشجعه هذا النجاح في السعي لعقد معاهدة بين أسبانيا وانجلترا .. واستقبله كل من فيليب الرابع ملك أسبانيا وشارل الأول ملك انجلترا أحسن استقبال .. وكانت هداياه لهما هي لوحاته الرائعة التي تتناول موضوع السلام والحب والرخاء ، وتنفر من العداوة والحرب والبغضاء ! وفى أثناء تلك المهام السياسية الخطيرة ، كان يركن إلى لوحاته التى لم تفارقه أبداً فى حله وترحاله حتى فى بلاط ملك انجلترا ، حيث كان يمارس فنه وهو مهمته الحقيقية التى خلق لها .. ولذلك أجاب على تساؤلات رجال الحاشية الملكية بعد أن ظنوه سفيرا يتسلى بالفن : ... « بل إن الفنان يتسلى أحياناً بالسياسة » !

وعلى الصفحة المقابلة نرى قطاعاً صغيراً من إحدى اللوحات العملاقة التى رسمها روبنز فيما بين عامى ١٦٢١ ـ ١٦٢٥ للملكة فرنسا مارى دى مديتشى ، وهنا تبدو الملكة وهى تمتطى صهوة جوادها الأبيض وتضع على رأسها خوذة الحرب الذهبية فى طريقها لهزيمة أعدائها .. أما باقى أجزاء اللوحة فتزخر بالأطياف الأسطورية والرموز الإغريقية وحشود جيشها الجرار الذى تحميه القلاع الحصينة . وهذه اللوحة هى الثالثة عشرة من سلسلة اللوحات الإحدى والعشرين التى تناولت حياة الملكة الفرنسية . وربما كان هذا الإنجاز الفنى الرائع هو أثمن تراث خلفته الملكة التى لم يحدثنا التاريخ عن شىء فى حياتها يستحق التنويه أو الفخار . بل كانت فترة حكمها مشحونة بالمكائد والتناحر ، حتى أن ابنها لويس الثالث عشر قد اضطر يوماً إلى نفيها من فرنسا كلها !

وهكذا يطوى التاريخ صفحاته بما فيها ومن فيها .. ولا تبقى إلا إبداعات روبنز وغيره من العباقرة العظام .. خالدة فى وجدان الزمان .



نحو مسرح عربي جديد

● النــّـص هو العـمود الفقـري للعـمل المسـرحي
● التـواضـع والإخـلاص والتـماسك أهـم صفات العـاملين في البـيت المسـرحي

بقلم : حـافظ أمـين

ثلاث حقـائق ، إن أدركنـاها ادراكـا عميقاً شاملا ، فهمنا طبيعة الفن المسرحى ومشكلاته ، وعـرفنا أسبـاب نهضـاته وانتكاسـاته ، ووضعنـا أيدينـا على الحلـول النـاجحة لأزمـاته .

الحقيقة الأولى هي أن النص هو العمود الفقرى للعرض المسرحى ، أى أنه لا أمل فى اقامة عرض مسرحى ناجح مالم نحسن ـ منذ البداية ـ اختيار النص الذى يحوى مقومات النجاح ، وأن الإخراج والتمثيل وباقي عناصر العرض المسرحى ـ رغم أهميتها ـ لا تستطيع انجاح نص فاشل .

هذه الحقيقة الأولى تعنى أن أى جهد لإصلاح المسرح ، لابد أن يبدأ بهؤلاء الذين يقومون باختيار النصوص ، بل يبدأ باختيار الأفراد الذين يقومون بالاختيار ، إذ لا شيء يقتل الحركة المسرحية كالاختيار الخاطىء للأفراد الذين يختارون النصوص .

وهناك أربعة أنواع من الأخطاء يمكن أن نقع فيها عند اختيار أعضاء لجان القراءة :

الخطأ الأول : أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين يعتبرون المسرح فناً للهو والعبث ، فيختار النصوص التي تحتوى على الهزل والإثارة والمجون ، معتقداً أن جماهير المسرح تضم ـ في الأغلب ـ هؤلاء الذين تتدفق الأموال إلى جيوبهم بغير حساب ، وهؤلاء ـ في أيامنا ـ هم الذين لا قيم لهم ولا ثقافة لأن معظمهم من المهنيين غير المتعلمين ، والخطأ فى هذا الاعتقاد يتلخص في أن طالبي اللهو والعبث أصبحوا في وقتنا هذا ، يجدونهما فى أماكن ووسائل أخرى غير المسارح ، وبأشكال أشد إثارة ، وأكثر مجوناً ، وربما أقل تكلفة .

الخطأ الثاني : أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين يعتبرون المسرح فناً أدبياً رفيعاً ، فيختار النصوص المتقعرة المتفيقهة ، معتقداً أن جماهير المسرح أتت إليه بغرض التعلم والتثقف ، والخطأ فى هذا الاعتقاد يتلخص فى أن المسرح له وظيفة أكبر وأعمق من وظيفة الأدب ، وأن الأدب الصرف مكانه الكتاب والمجلة والبرامج الإذاعية الجادة ، وهذه الوسائل تقدم الأدب المسرحى ـ لعشاق الأدب الرفيع ـ بطريقة أسهل وأرخص ، فلماذا إذن المشقة والتكاليف بالانتقال إلى المسرح .

الخطأ الثالث : أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين لا مقياس لهم ـ عند إجازة النصوص ـ إلا مقياس المنفعة الخاصة ، معتقداً أن القيمة الوحيدة فى الحياة هى قيمة (يا بخت من نفع واستنفع) ، فيختار النصوص المقدمة من أصحاب المراكز الكبيرة ، والمناصب المرموقة ، ومن أعضاء الشلل ذات النفوذ ، أما احتمالات نجاح العرض أو فشله ، وأما قيمة النص وجودته ، فهى أمور بعيدة جداً عن تفكيره ، والخطأ في هذه الطريقة ـ طريقة الاختيار على أساس الوساطة والمصالح الشخصية ـ أنها تنتهى دائماً بنكسة الجميع .

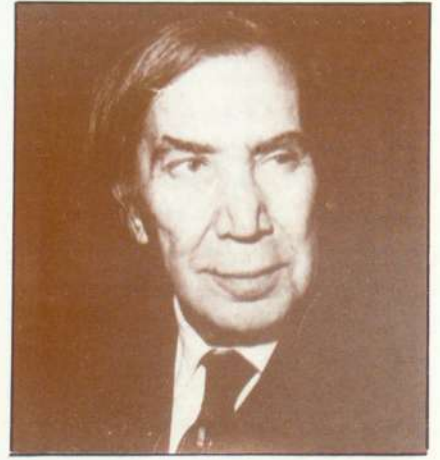
الخطأ الرابع : أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين لا يعرفون معنى قراءة نص مسرحى ، ولا يفقهون شيئاً في أصول المسرح ، ولا يستطيعون تصور الكلمات فى أذهانهم وقد أصبحت مشاهد حية ، ولعل هذا الجهل بقواعد الفن المسرحى أخطر على المسرح من الأخطاء الأولى : التفاهة والتقعر وسوء الخلق .

وقد يتساءل القارىء ـ بعد هذه المقدمة ـ « فإذا كان اختيار النصوص الناجحة يحتاج إلى أفراد منزهين عن هذه الأخطاء الأربعة ، وإلى خبرات نادرة أشد الندرة ، فكيف اذن يتم ضمان اجازة عدد كاف من النصوص التي تستطيع اقامة نهضة مسرحية ، تحقق النجاح الفنى والنجاح التجارى معاً ؟ » .

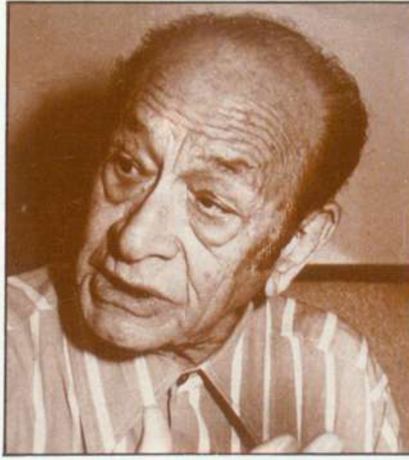
الرد على هذا السؤال بسيط غاية البساطة ، هو أن نشرك الجماهير فى هذا الاختيار ، والمسرح هو الفن الوحيد الذى نستطيع أن نحقق فيه هذه الفكرة بتكاليف زهيدة جداً .

نعم ، الحل هو أن يتم اختيار النص على أكثر من مرحلة واحدة ، المرحلة الأولى هو أن تجيز لجنة القراءة كل النصوص التي تحتمل النجاح ، وترشحها لفرق الهواة فى الجامعات والشركات وقصور الثقافة ، وفرق فى هيئة المسرح تتكون من الممثلين والمخرجين المبتدئين ، ثم يتم متابعة هذه العروض البسيطة ، قليلة التكاليف ، ورصد كيفية استقبال الجماهير لها ، حتى اذا ما ظهرت بوادر النجاح على بعضها ، رشحنا هذا البعض لفرق أكبر وبإخراج أفخم ، ولجماهير أوسع ... وهكذا .

واختيار النصوص على مراحل ، له فوائد عديدة ، ـ فهو يمنع ـ إلى حد بعيد ـ المجاملات والمحسوبية ـ كما يمنع فرض نص فاشل على فريق



يوسف وهبي



زكي طليمات



حسين رياض



نجيب الريحاني

كبير ، فيؤدى هذا الفرض إلى ضياع الميزانية فى أجور المؤلف والمخرج والممثلين وتكاليف الديكورات والدعاية وغيرها ، ثم نكتشف بعد ذلك أن الدعم كله قد ضاع فى مسرحية سمجة تافهة ، لا يشاهدها إلا بضع مئات من المتفرجين ، اذ لم تعرض إلا لأيام قلائل ، هرب بعدها ممثلوها إلى ما هو أنفع وأنجح .

• • •

ولكن ، هل غاب هذا الحل البسيط على أذهان القائمين على المسرح العربي؟ طبعاً لا ، وانما السبب فى عدم العمل به هو أن مصالحهم تتعارض مع تنفيذه ... هنا نأتي للحقيقة الثانية :

والحقيقة الثانية مبدأ معروف فى علم الادارة ، ملخصه أنك إذا أردت أن تنهض بمنشأة من المنشآت فلابد أن تضع فيها نظاماً يربط مصلحة العاملين فيها بتحقيق أهدافها ، فلا شيء يحقق نجاح مؤسسة قدر احساس الناس فيها بأن انتعاشهم يعنى انتعاشها ، وانتعاشها يعنى انتعاشهم ، والعكس مع العكس .

ولعل من أهم أسباب نكسة المسرح العربى فى السبعينيات هو احساس جميع العاملين فى مجال المسرح فى ذلك الوقت ، بأن انتعاشهم لن يتم الا بكساده ، فالبطالة فى هيئة المسرح تسمح للممثلين والمخرجين بالعمل فى مجالات أخرى أكثر كرماً فى إغداق المال ، واغلاق المسارح أو احراقها يوفر ميزانية العروض ، فتتحول إلى أجور ومكافآت لجيش من الإداريين فى الهيئة ... وهكذا جميع من يعمل فى هيئة المسرح منتفع من كساده .

الحل اذن بسيط غاية البساطة : يتلخص فى وضع نظام جديد يحول العاملين فى هيئة المسرح من فئات تنتفع من نكسته إلى فئات تنتفع من ازدهاره ، ويتم ذلك بوضع قواعد مالية تربط أجور العاملين بمقدار النجاح الفنى والتجارى للعروض ، على أن يطبق هذا النظام على جميع العاملين فى المسرح ، من أول المؤلف وعضو لجنة القراءة والمدير ، إلى عامل الديكور وأصغر موظف فى المسرح .

إن مجرد ربط أجور العاملين وحوافزهم بمدى نجاح العروض ، كفيل بأن يقف الجميع بإيجابية وشجاعة مع كل ما يخدم النهضة المسرحية ، كما أنه كفيل بالقضاء على كل مظاهر الهدم والتخريب ، من أول حرق المسارح ، واهدار الميزانية فى عرض أو عرضين تافهين ، إلى إيقاف العروض الناجحة ، ومد العروض الفاشلة .. الخ .

• • •

الحقيقة الثالثة أنه لا نهضة مسرحية بغير « البيوت » التى يقيمها ويرعاها أربابها ، لتلبية رغبات جماهير محددة . وقد يكون رب البيت المسرحي ممثلا كبيراً مثل نجيب الريحانى ، أو مخرجاً عظيماً مثل زكى طليمات ، أو مديراً ناجحاً مثل أحمد حمروش ، ولكنه فى جميع الحالات شخصية محبوبة ضخمة ، يلتف حوله الفريق ، ليخلقوا عروضاً تروق جمهورهم ، هذا الجمهور الذى تم تحديده منذ البداية تحديداً دقيقاً واضحاً ، بحيث يتم التأليف والإخراج والتمثيل وجميع عناصر العمل من أجل إرضائه .

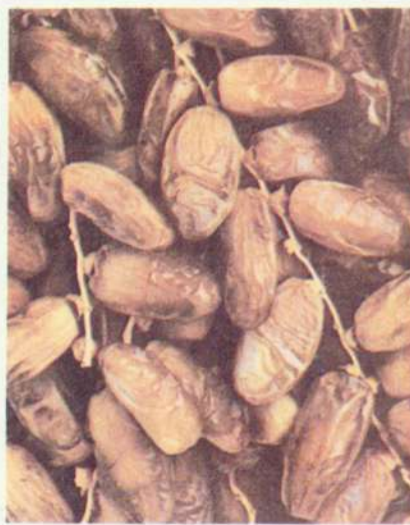
إن من أهم مقومات النجاح لأى فريق مسرحى ، التعاون الوثيق بين كل من المؤلف والمخرج والممثل ، ونسيان كل منهم أنه صاحب الفضل الأول في النجاح ، فالنجاح لا يتم إلا إذا عمل كل هؤلاء فى جو ملىء بالحب والتواضع والاخلاص ، تماماً كما يعمل كل عضو من أعضاء جسم الإنسان لصالح الجسم كله ، وهذا لا يتم إلا داخل بيت مسرحى ، تديره شخصية محبوبة حازمة .

وقد كانت البيوت المسرحية فى الماضى تضم مؤلفها ومخرجها بجانب ممثليها ، بل لقد كان الجميع يشتركون فى عمليات التأليف والاخراج ، اذ كان كل عضو من أعضاء الفريق يحس بأنه رجل مسرح ، مسئول عن العروض بكل أبعادها ، كان يوسف وهبي ونجيب الريحانى وسليمان نجيب وعبد العزيز أحمد واستيفان روستى وبشارة واكيم يشتركون فى عملية التأليف ، وكان يوسف وهبى ومنسى فهمى وحسين رياض وأحمد علام يشتركون فى عملية الإخراج ، وهكذا ، وكانت كل من عملية التأليف وعملية الإخراج تظل مفتوحة بعد عرض المسرحية على الجمهور حيث تستمر عمليات الحذف والإضافة والتعديل حسب ما يرونه من ردود أفعال المتفرج ، فلم نكن نسمع — كما يحدث الآن — عن تعنت المؤلفين ، ودكتاتورية المخرجين ، وغرور الممثلين ، وإنما كان التواضع والتماسك والإخلاص أهم صفات العاملين في البيت المسرحى ، لا غرض لهم إلا إسعاد جمهورهم ، وإنجاح العرض بكل عناصره .

ولكن ، إذا كان حل أزمة المسرح في إيجاد البيوت المسرحية ، فما الذى يمنع من انشائها ؟

الإجابة — فى رأيى — هى أن البيت المسرحى لا يصنعه قرار من الوزير ، ولكن يصنعه رجل مسرح عظيم بشرط ألا يتعرض له الوزير .







النخيل من أقدم الشجر الذي عرفه الانسان وثمرة النخيل تحتوى على ٤٨ مادة غذائية ودوائية ومعدنية .

النخلة

شجرة العرب المباركة وسيدة الشجر

تحقيق : بسام طالب

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا
بالطوب يرمى فيلقي أطيب الثمر

إنه النخل ، هذه الشجرة المباركة ، التى أكرمها الله سبحانه فذكرها فى قرآنه المجيد فى أكثر من موضع ، انها الشجرة الطيبة التى تنبت طيباً فقد ثبت فى الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (من تصبح بسبع تمرات ، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) زاد المعاد ج ٣/ص ١٥٩ . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (بيت لا تمر فيه ، جياع أهله) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

النخلة رمز من رموز الاباء العربى ، ورمز الأصالة العربية بل قل إنها الفطرة العربية نفسها ، فمنذ أن عرف العرب والنخلة شجرة طيبة مباركة مرتبطة بهم . سكن العرب ناطحات السحاب ، لكن حنينهم إلى النخل كان أقوى وأعمق من كل بنيان العالم .

ها هو ذا جذع النخلة يتطاول باسقا فى زرقة السماء العربية ، يقول الله تعالى : « والنخل باسقات لها طلع نضيد » ق ١٠ .

وها هو ذا سعف النخل يتشكل أطباقا ليظلل الصحراء العربية بأحلى الألوان وأرق الطيوف .

النخلة أمن وأمان ، معطاءة كريمة كالكرم العربى نفسه .

وقد جاء فى الأثر (ان ليس من الشجر أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران)

وقد ورد فى حديث عن الرسول قوله : (اكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم)

النخلة والنخيل

النخلة شجرة التمر ، وسيدة الشجر ، والجمع نخل ونخيل ويقال ثلاث نخلات ، والنخل اسم يذكر ويؤنث فنقول هو النخل وهى النخل ، أما النخيل فمؤنثة .

« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره ، اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » صدق الله العظيم » الأنعام/ ١٤١ .

والنخيل من أقدم الشجر الذى عرفه الانسان ؛ ويقال بأن عمر شجرة النخيل يربو على أربعة آلاف عام ؛ وأن الخليج العربى موطنها الأصلى ومنه انتقلت إلى بابل ؛ وقد أدخل العرب هذه الشجرة إلى اسبانيا .

ويقول ابن وحشيه أقدم مؤرخى العرب فى علوم الزراعة : « وانه يحتمل أن تكون جزيرة حرقان ، الواقعة على الخليج العربى بالبحرين هى الموطن الأصلى الذى نشأت فيه نخلة البلح ومنها انتقلت إلى بابل » .

النخل والشعر

تاريخ مشترك بين العرب والنخل ، بل كما تغنى العربى فى ناقته وفى صحرائه تغنى بنخله ونخيله ، تغنى بها طلعاً وهو أول التمر ، ثم غناها وهى خلال وهو ما اخضر من التمر ثم شدا بها بسر ثم رطب ثم تمر . يقول امرؤ القيس واصفا شعر المرأة :

وفرع يَزين المتن أسودَ فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل

أما زهير بن أبى سلمى فيقول :
وهل ينبت الخطي الا وشيجه
وتغرس إلا فى منابتها النخل
ويقول الرفاء :
فالنخل من باسق فيه وباسقه
يضاحك الطلع فى قنواته الرطبا
وواكب النخل مسيرة الابداع الشعرى ، فمن بطون الجاهلية حتى عصرنا الحاضر والنخل مادة أثيرة عند شعراء العربية يقول شوقى :
أهذا هو النخل ملك الرياض
أمير الحقول عروس العزب
طعام الفقير وحلوى الغنى

• النخلة رمز الايثار والعطاء ... ورمز الإباء العربي .

• دعوة خاصة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية للاهتمام بها وإعطائها ما تستحق .

وزاد المسافر والمغترب
فيا نخلة الرمل لم تبخلى
ولا قصرت نخلات الترب
أما شاعر البحرين فيقول :
مرآك يا نخل يشجينى يعذبنى
ولعل من أجمل ما قيل فى النخل وفى ما عاناه من هجمة العصر النفطى عليه قول الشاعر عبد الرحمن محمد رفيع فى قصيدة من الشعر الشعبى تحت عنوان مات النخل يا كنكرى . ويقصد طغيان البناء الأسمنتى على مزارع النخل الجميلة : يقول الشاعر :
حتى النخل مات النخل
وانقطعت عروقه
وارطبنا ذله الكنكرى
وببلاش طاح سوقه
باجر اذا تم الامر
ما يفيد أسف يازين
الجاز خلص والفنر
ما يشب بدمع العين
بيعونى فى سوق الحراج
بارخيص ولو فلسين
بيعونى بس يبقى النخل
ويبقى البحر بحرين
ويدعوالشاعر عبدالرحمن رفيع فى قصيدة أخرى إلى الزراعة وإلى كون النفط مادة ناضبة ولابد


تغنى العربي بنخلته وبجميع مراحل تحول ثمرها .


واكبت النخلة مسيرة الا بداع الشعري


مرآك يانخل يشجيني يعذبني

النخلة

شجرة العرب المباركة وسيدة الشجر

أن نتمسك بنخلنا الغالى ، ويقول فى ختام قصيدة له تحت عنوان زرعوا البحرين :

ما فى أحلى من النخيل
ولا أكرم منها شىء كان
والنخلة تطلع وتقوم
وعودها دوم عود ريان
تنبت فى الأرض السبخه
وفى الرمله ام الصبان
وفى ساعه الجود مثل الخود
تعطينا اللولو والدان
سلمى وحلاو واخنيزى
اغلى من الدر والمرجان
اهى الأم واهى الوالد
وفى ساعة الشدة والاخوان
وهى المستقبل لين شح
الزاد فى كل البلدان
باجر لين صاحت لبطون
يتذكر خيرها اليوعان
وان شاء الله تدوم الخيرات
ويعلى فى بلادنا البنيان

أما الشاعر القطرى مبارك بن سيف آل ثانى فيقول فى قصيدة له تحت عنوان : أمام نخلة ، من ديوانه الليل والضفاف :

يا نخلة فوق الكثيب
مهجورة الأصحاب يحجبها الغروب
معقوفة السعف
تناوشها الخطوب
ووحيدة خلف الرمال الحمر
يدميها الهبوب
فى القيظ يحرقها السموم
وفى صقيع البرد يبرحها الجنوب
وكأن همس حفيفها
« ويح لنفس لا يطاوعها الهروب »

النخلة شجرة العرب المباركة

عن سلمة بنت قيس قالت (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليماً ، فإنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله طعاماً خيراً من التمر لأطعمها إياه) .

ويقول الدكتور مصطفى محمود فى مجلة العلم والايمان العدد/٣٠ / ان أحدث بحث علمى عن الرطب يقول إن فيه مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة وان فيه مادة ملينة ، ومعلوم طبيا أن الملينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للقولون .

إنها شجرة العرب المباركة ، جريدها عرائش وسقوف،وجذوعها أعمدة وخوصها بسط ومكاحل وأثاث ، وليفها حبال وحشو للوسائد وللمكاءات ، والنوى غذاء الأبل والدواب .

إن زراعة النخيل فى أرض ما يعنى استصلاح هذه الأرض للعديد من أنواع الزراعة حيث أن ارتفاع شجرة النخل على ساق واحدة متوجة بمجموعة من الأوراق (السعف) يجعلها مظلة طبيعية تفوق البيوت المحمية التى تغطيها رقائق البلاستيك والنخل باسقات جميلات لها طلع نضيد ، ولا تتخذ حيزا أو مسافة كبيرة من الأرض .

والتمور غذاء كامل يحتوى على نسبة تتراح بين ٧٠ و ٨٠ بالمئة من السكريات ، كما تحتوى على كميات مهمة من الأملاح المعدنية كالحديد والبوتاسيوم والمنجنيز والكالسيوم والكلورين والمغنيسيوم .

ويعتبر النخل مدخلا اساسيا للعديد من الصناعات سواء كان ذلك من ثمرة أو كربه أو سعفه أو ليفه ، وهو مادة أولية لصناعة السكر السائل والدبس والخل والكحول والخمائر وصناعة العلف الحيوانى .

والتمر غذاء صحى سهل الهضم وتضم مكوناته :

٧٤,٦ كربوهيدرات
١٥,٤ ماء
٢,١ مواد زلالية
٢,٣ مواد دهنية
٣,٨ سليولوز
ـ بقايا

ويمكن القول باختصار أن ثمرة النخيل تحتوى على ٤٨ مادة غذائية ودوائية ومعدنية ، وقد أثبت المعهد البكتريولوجى العراقى بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية أن التمور لا تنقل الجراثيم المرضية .

ويمتلك العرب أكثر من ٧٠٪ من مجموع أشجار النخيل فى العالم وينتجون أكثر من ٨٠ بالمائة من الانتاج العالمى للتمور . وجاء فى كتاب النخيل لعبد اللطيف واكد بأن عدد نخيل العالم ٨٨,٥ مليون نخلة موزعة على الشكل التالى :

٣٢ مليون نخلة فى العراق
١٠,٥ مليون نخلة فى الجزائر
١٠,٥ مليون نخلة فى ايران
٩,٥ مليون نخلة فى السعودية
٩ مليون نخلة فى ليبيا
٨ مليون نخلة فى مصر
٢ مليون نخلة فى تونس
٢ مليون نخلة فى السودان
٢ مليون نخلة فى الهند
٢ مليون نخلة فى بلوخستان
١ مليون نخلة فى المغرب
٠,٥ مليون نخلة فى أمريكا
٠,٥ مليون نخلة فى أفريقيا

هذه الثمار ثروة قومية علينا الحفاظ عليها ورعايتها وتطويرها واستخدامها .

ويزيد عدد مصانع التمور فى العالم العربى عن ٤٠ مصنعاً .

ولقد أوصى المؤتمر العربى الأول للنخيل والتمور الذى عقد ببغداد عام ١٩٨١ باعتماد يوم ١٥ سبتمبر من كل عام يوما للنخيل والتمور فى الدول العربية ، وقد أقرت جامعة الدول العربية هذه التوصية وكلفت الأمانة العام للإتحاد العربى للصناعات الغذائية وهى الجهة التى دعت للمؤتمر لتوجيه مزيد من العناية للحفاظ على هذه الثروة القومية وتطويرها . ووضعت مشروعا لدراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع التمور المقترح فى امارة رأس الخيمة .

النخيل فى دول مجلس التعاون

وقد حظيت شجرة النخيل فى الكويت باهتمام الكويتيين ، ويقال إن الفحيحيل سميت بهذا الاسم نسبة إلى فحل النخل .

وقد أسس حوالى ١٤٠٠ مواطن فى منتصف عام ١٩٨٢ أول شركة كويتية لزراعة النخيل .



كانت ومازالت للانسان العربي ظـلاً وفيئاً وملاذاً من لهيب الصحراء .

وهناك تخطيط خليجي لمشروع ثلاث ملايين نخلة منها ٢ مليون فى دولة الامارات ومليون فى الكويت .

وقامت دولة قطر باقامة العديد من أشجار النخل سواء على طول شاطىء مدينة الدوحة الغربى أو فى متنزهات جديدة أقامتها .

وكانت النخلة وما تزال هى الشجرة الأولى التى تنتج الغذاء للمواطن السعودى ، وتحتل زراعة النخيل مكانة مرموقة بين المحاصيل الزراعية فى المملكة ، (حيث تقدر المساحة المزروعة بـ٥٧ ألف هكتار حيث يزرع فيها حوالى تسع ملايين نخلة) وتقدم الحكومة العديد من الحوافز سواء لزراعة الفسائل أو تنمية النخيل القائم أو تشجيع الصناعات القائمة على التمور ، وغير ذلك .

ولعل من أبرز ما تم على صعيد الاهتمام بالنخيل هو ندوة النخيل الأولى التى عقدت فى رحاب واحة الاحساء ، وذلك بهدف ايجاد الحلول التى قد تواجه زراعة هذه الشجرة وزيادة الرقعة المزروعة بها ، والتعرف على ما توصل إليه الخبراء والمعنيون فى كل ما من شأنه المحافظة عليها ، وتصنيع منتجاتها والإستفادة المثلى من خيراتها وبحث اقتصادياتها وتسويقها . وعقدت هذه الندوة فى الثلاثين من جمادى الأول عام ١٤٠٢هـ) وطرح فيها / ١٢٨ / بحثا من ٢٢ دولة وانتهت الندوة إلى توصيات عديدة هامة .

إن التراجع فى الدخول النفطية وضرورات الأمن الغذائى تتطلبان تنسيقا وتخطيطا خليجيا متكاملا على صعيد إعادة الشباب إلى النخيل .

ولقد جاء قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليخطو خطوة كبيرة جدا على طريق حل العقبات التنظيمية والتنسيقية فى مجال الاهتمام بهذه الثروة الكبيرة ، لذا يجب أن يولى المجلس جانبا من اهتمامه لهذه المسألة ، سيما وان الظروف مواتية تماما لايلاء هذه المسألة جل الاهتمام ، ويشير إلى ذلك السيد حسين ميازارد ، العضو المنتدب بالشركة الكويتية للنخيل ، بقوله إن الحاجة ماسة لتنظيم عملية تصدير «الفسائل» بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بما يضمن استمرارها . ويضيف بأن الأولوية يجب أن تعطى الآن لقيام مختبر حديث يشرف على عملية تطوير زراعة النخيل خاصة وأن العلم قد تقدم بشكل كبير فى هذا المجال .

ذكور النخيل واناثها وتكاثرها

يشبه كمال الدين القاهرى صاحب كتاب النبات والحيوان النخلة بالانسان فيقول : هى ذات جذع منتصب ومنها الذكر والأنثى ، وانها لاتثمر إلا اذا لقحت ، وإذ قطع رأسها ماتت ، واذا تعرض قلبها لصدمة قوية هلكت ، واذا قطع سعفها لا تستطيع تعويضه من محله كما لا يستطيع الإنسان تعويض مفاصله ، والنخلة مغشاة بالليف الشبيه بشعر الجسم فى الانسان أيضا . ونوجز عن الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد فى كتابه الرطب والنخلة أنواع النخيل وكيف يلقح :

هناك نخلة تحمل أزهارا ذكرية وتسمى النخلة الذكر أو الفحل ، ونخلة أخرى تحمل ازهاراً أنثوية وتسمى النخلة الأنثى وهى التى تثمر .

فشجرة النخل صنوان ، ولقد وجد بالملاحظة أن رأس الشجرة الفحل يكون عادة كبيرا ، وكثيف السعف ، أما كربها فتكون عريضة وجذعها غليظاً . أما الشجرة الأنثى فيكون رأسها فى الأغلب صغيراً ومتناسقاً وجذع الأنثى رشيقاً باسقا .

ولكى تثمر الشجرة الأنثى يجب تلقيح أزهارها الأنثوية بحبوب اللقاح الموجودة فى الأزهار الذكرية عندما تتفتح الأكمام وينشق غلافه الخارجي . وهناك طرق مختلفة لإجراء عملية التلقيح ، إما صناعية أو طبيعية :

ومن الطرق الطبيعية للتلقيح نقل حبوب اللقاح بواسطة الرياح ، قوله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » الحجر ٢٢ .

وكذلك نقل حبوب اللقاح بواسطة الحشرات كالنحل وغيره . أما التلقيح الجيد فيتم بواسطة الانسان وبطرق صناعية مبتكرة وتتطور باستمرار .

ويتكاثر النخيل إما :

١ ــ بطريقة النوى (زرع البذور ، وهى طريقة غير جيدة وتتأخر من ١٢ ــ ١٥ سنة)

٢ ــ بطريقة الفسائل ، والفسيلة هى خلفة تكونها شجرة النخيل الصغيرة فى العمر وتكون قرب جذع النخيل أو حوله ، والنخلة تنتج تلك الفسائل أو الفراخ عندما يكون سنها ما بين ٦ ــ ١٢ سنة .

٣ ــ طريقة التكاثر الخضرى .

لقد أثبتت التجارب أن زراعة سعف من شجرة النخيل البالغة فى وسط غذائى معين وتحت ظروف مناسبة يمكن أن تساعد على نمو حبيبات كروية داخل أنسجة السعفة ، وعند بلوغ تلك الحبيبات صفات معينة وحجما مناسبا تنقل إلى وسط غذائى مناسب فتنتج بعضها ما يسمى كنباً Callus ثم تزرع تلك الكنب فى وسط غذائى مناسب فتنمو ، وبعد بلوغها صفات معينة تنقل إلى التربة فتنمو وتصبح فيما بعد شجرة نخيل .

شجرة أرضنا ومناخنا وتاريخنا

حقا إنها شجرة أرضنا ومناخنا وتاريخنا كما قال الشيخ ابراهيم الدعيج ، وعلينا أن نعيد لشجرة النخيل أمجادها كما قال صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت .

فالنخلة رمز الأيثار والعطاء والاستمرارية ؛ إنها تمثل عطاء جيل لآخر ؛ إنها الروح ، والوعد ، والعطاء .

إنها فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى ، إنها خير البلاد ومادة الحياة وعماد التجارة كما قيل ، فعلينا أن نهتم بها لأنها جزء من نفسنا ، واهتمامنا بها اهتمام بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

بسام طالب

التعرض الزائد لأشعة الشمس خطر على الإنسان ـ الشيخوخة المبكرة للجسم البشري نتيجة من نتائج عدم الاقتصاد في التعرض لأشعة الشمس ـ من النتائج الخطيرة أيضا تعرض العين لمرض « الماء الأبيض » ـ ما هي حقيقة العلاقة بين سرطان الجلد وأشعة الشمس ؟

جلودنا وأشعة الشمس

بقلم : الدكتور عبدالله الباكر

في كل صباح تشرق فيه الشمس ، تدب الحياة على وجه الأرض ، ويسعى الناس لمزاولة مختلف الأنشطة ، إذ أن لشرق الشمس ، الذي يحمل لنا الضوء والدفء والحرارة تأثيراً فعالاً على فسيولوجية أجسامنا وسلوكنا ونفسياتنا ، إننا بمزاولتنا حياتنا اليومية من عمل خارج بيوتنا ، ورياضة من أجل المنافسات أو للحفاظ على صحتنا ، أو بانتقالنا في مجموعات إلى الشواطئ السياحية ، نتعرض لأشعة الشمس . وتواجه جلودنا بصفتها خط الدفاع الأول عن أجسامنا هذه الأشعة وخطرها .

ولما كان من الصعب أن نقطع علاقتنا بأشعة الشمس ، أو ننصح من حزموا أمتعتهم للتمتع بالشواطئ الجميلة بعيداً عن عناء العمل بالعدول عن ذلك ، يصبح لزاماً علينا إلقاء الضوء على تأثير أشعتها على جلودنا .

تتكون الحزمة الشمسية من مجموعة من الأشعة المنظورة « ألوان الطيف » والأشعة غير المنظورة « أنواع الأشعة الأخرى » . وتصطف هذه الأشعة بانتظام في الحزمة الضوئية بحسب طول موجتها التي تتراوح ما بين جزء من النانوميتر « نم » والمتر « م » . ونرى في الشكل (١) أماكنها في الحزمة الشمسية .

ويستطيع جلد الانسان أن يتكيف ويستعمل جزءاً من الطاقة الشمسية التي يستفيد منها ، وخاصة الأشعة فوق البنفسجية ، وهي أشعة غير منظورة إذا تعرض لها بشكل منتظم وعلى فترات قصيرة . ولكن لهذه الاشعة مفعولاً ضاراً ومؤثراً على خلايا الجلد وتكوينه ، يعتمد على طول الموجة التي تقع فيها . وهي تتكون من :

• الأشعة فوق البنفسجية (جـ) ، وهي قصيرة الموجة (بين ٢٠٠ ـ ٢٨٠ نم) ، وتسمى « الأشعة المبيدة للجراثيم » ، ويظهر تأثيرها على الجلد والعيون في شكل احمرار ، وينحصر في الطبقة السطحية من الجلد . ويتم امتصاص هذه الأشعة في الجو بواسطة طبقة الأوزون ، مما جعل علماء البيئة يهتمون بهذه الطبقة ، حيث أن التلوث قد يؤثر عليها .

• الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، وتعرف بأشعة حروق الشمس ، وهي متوسطة الموجة (٢٩٠ ـ ٣٢٠ نم) وتشكل ٣ بالمائة من الأشعة فوق البنفسجية . هذه الأشعة هي التي تحدث التأثيرات المختلفة ، الحادة والمزمنة منها ، إذ أنها تخترق الجلد ، فيتم امتصاص بعضها في الطبقة الكيراتنية ، وينفذ البعض إلى خلايا الجلد لاحداث التغييرات فيها .

• الأشعة فوق البنفسجية (أ) ، وتعرف باسم الضوء الأسود ، وهي طويلة الموجة « ٣٢٠ ـ ٤٠٠ نم » ، ومعظم الأشعة فوق البنفسجية من هذا النوع ، ولها دور في احداث السفعة أو السمرة عند التعرض للشمس . لكن الأبحاث الأخيرة ، وخاصة بعد استعمال هذه الأشعة في العلاج وفي بيوت التجميل ، بينت أن لها أثراً على الجلد يقوي ويضاعف أثر الأشعة فوق البنفسجية « ب » .

تأثير الأشعة فوق البنفسجية على الجلد

يتخذ تأثير الأشعة على الجلد أشكالاً مختلفة ، وقد بينت الدراسات أن خطراً فعلياً يكمن في التعرض الزائد لها ، هذا التأثير يحدث في الجميع ، ولكنه أكثر خطراً ووضوحاً في الناس البيض ، ومن لديهم حساسية للأشعة الشمسية ، ويقل هذا الخطر تدريجياً كلما غمق لون الجلد حتى السواد . ولحسن الحظ أن ثلثي سكان العالم والفقراء بالذات ، والذين تستدعي ظروفهم المعيشية العمل تحت الشم هم من الملونين

ومن أنواع التأثير الحاد أو السريع :

أ ـ حرق الشمس Sun Burn ، ويظهر في درجات مختلفة ، حسب قوة الأشعة ومدة التعرض لها ، ومكان حدوثها بالجسم ، حيث الجلد أكثر رقة وانفعالاً بها . ويحدث حرق الشمس بعد تعرض للأشعة يتراوح بين ١ ـ ١٢ ساعة . ويبدأ على شكل احمرار في الجلد فقط بعد التعرض القليل ، ولا تصاحبه أية عوارض أخرى ، ويغيب بعد ٢٤ ساعة إذا لم يحدث تعرض آخر للشمس .ويزداد الإحمرار مع تهيج في الجلد ، وينتهي في ظرف يومين أو ثلاثة ، وقد يأخذ الاحمرار شكل الالتهاب ويتورم الجلد ، مع ارتفاع حرارته ، ويصاحبه ألم ، خاصة إذا حدث بقرب المفاصل . ويستمر هذا لمدة اسبوع حتى يختفي .

ويظهر الحرق في صورة كاملة مع ظهور بثور جلدية تحتوي على سائل البلازما ، التي قد تصاب بالميكروبات وتؤدي إلى زيادة عمق الحرق إذا لم يتم علاجها . أما إذا حدث حرق الشمس في منطقة كبيرة من الجسم ، فان تجمع كمية من السوائل تحت الجلد في بعض الناس قد يؤدي إلى الغثيان المصاحب بارتفاع في درجة الحرارة ، وربما إلى فقدان الوعي والقدرة على الحركة .

وننبه إلى أن هذا النوع من الحرق قد يحدث أيضاً من جراء التعرض للاشعة فوق البنفسجية الاصطناعية المستخدمة في بعض بيوت التجميل والصناعة وغيرها .

ب ـ زيادة سمك الجلد : بسبب الضرر الذي تحدثه الأشعة في الخلايا السطحية ، يزداد انتاج الجديد من الخلايا لتحل محلها ، فتزيد من سمك الجلد ، الذي يعتبر جزءاً من الوقاية ضد الأشعة . وقد يستمر ذلك لشهور ، يظهر الجلد فيها بملمس خشن وجاف .

(جـ) التقشر : ويحدث هذا عندما ينحسر الاحمرار ، وهو عبارة عن عملية تخلص الجلد من الخلايا الميتة ، وهي طبيعية ، لكنها تصبح سريعة في هذه الحالة . وهي تقلل من مقاومة الجلد التي اكتسبها بزيادة السمك . وتعتمد كمية التقشر على درجة حرق الشمس .

(د) السفعة أوالسمرة : وهي نوعان : السمرة المباشرة ، والسمرة المتأخرة أو الحقيقية . ويحدث النوع الأول مباشرة بمجرد التعرض للشمس ولو لبضع دقائق في وسط نهار يوم صيفي ، وتصبح سمرة متكاملة بعد ساعة لو استمر التعرض ، لكنها

قد تختفي بعد أربع ساعات من عدم التعرض . وهي غالباً ما تكون بسبب الأشعة ف ب (أ) ، وربما يكون للضوء المرئي دور فيها . وهذه الظاهرة ناتجة عن الأكسدة الضوئية ، والتغير اللوني لمادة « الملانين » الموجودة في الجلد سلفاً .

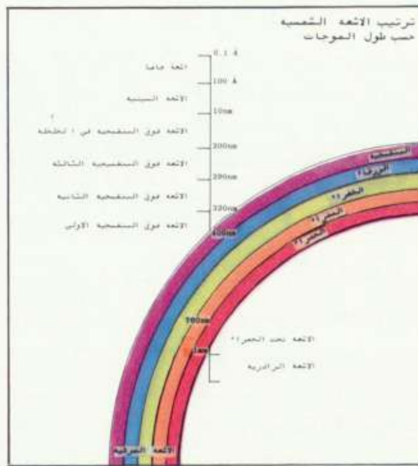
أما السمرة المتأخرة أو الحقيقية فهي بسبب الزيادة في انتاج مادة « الملانين » . وهي عملية بطيئة ، قد تستغرق عدة أيام لتصبح واضحة تماماً ، وتصل ذروتها في ٢ ـ ٣ أسابيع ثم تخبو إذاتوقف التعرض للأشعة . وتشترك في هذه العملية الكيمائية خلايا الملانين التي تصنعه ، ويتم نقله إلى طبقات الجلد السطحية عن طريق خلايا « القرتين » لتكون منه حاجز السمرة الجميل .

وغالباً ماتحدث هذه السمرة بسبب التأثر بأشعة « ب » ، وإلى حد ما بأشعة « أ » ، والأشعة المرئية . و « النمش » الذي يتكون نتيجة للتعرض لأشعة الشمس في الوجه وعلى الأنف والخدين ، يحدث بنفس الطريقة والترتيب الزمني .

(هـ) زيادة نشاط بعض الأمراض بالتعرض لأشعة الشمس : هناك مجموعة من الأمراض الجلدية تزداد أعراضها فاعلية بالتعرض لأشعة الشمس ، ومنها البلاجرا « الحصاف » والتقرن الحرابي Keratosis Follicularis ، الذي قد يتحول إلى السرطان ، ويختفي في الشتاء أحياناً . والذئبة الاحمرارية Lupus Ery Thematosis مرض له علاقة بالأشعة فوق البنفسجية ، والصدفية أيضاً ، رغم أن كثيراً من المرضى تتحسن أحوالهم في الصيف ، وتستعمل الأشعة فوق البنفسجية « أ » في علاجهم بطريقة « Puva » ، إلا أن ٢٠ بالمائة تزداد أحوالهم سوءا بالتعرض لأشعة الشمس .

(و) الحساسية الضوئية والتسمم الضوئي : وهما حالتان من الأصابة متشابهتان ، إلا أن الأولى ، وهي قليلة الحدوث ، يحدث فيها التفاعل عن طريق المناعة وتفاعلاتها . ومن أمثلتها الشرى الشمسي Solar Uvticaria والطفح الضوئي المتعدد الأشكال PMLE .

وهذا النوع يستغرق مدة طويلة حتى يشفى ، أما



الشكل (١)

النوع الثاني فهو نوع من التفاعل الكيميائي ، وغالباً ما يحدث باستعمال أساليب علاجية مثل « Puva » ، ويظهر في شكل احتراق شمسي حاد جدا ، لأنه تصميم للتفاعل العلاجي المطلوب وزيادة في حدته ، ولذلك فهو أكثر حدوثاً .

التأثير على العيون

تتأثر العيون بالأشعة فوق البنفسجية ، ويظهر ذلك في شكل احمرار حاد ، أو الظفرة والماء الأبيض على المدى البعيد . ولذلك ينصح بلبس النظارات الواقية في أماكن اللحام .

تأثير التعرض المزمن للأشعة

يؤدي التعرض المزمن الزائد غير الواعي لأشعة الشمس ، وخاصة بالنسبة للبيض وذوي الحساسية وذوي الاستعداد الوراثي ، إلى احداث أضرار كبيرة تراكمية غير راجعة لمختلف مكونات وخلايا الجلد . وتؤدي كل هذه التغيرات والأضرار أخيراً إلى ظواهر الشيخوخة المبكرة ، وسرطان الجلد ، ويتضح أن الأثنين لهما علاقة ببعضهما في حالات التعرض للشمس ، ويرتبطان بالمناعة وتأثرها بأشعة الشمس أيضاً .

ظواهر الشيخوخة المبكرة

يؤدي تأثير أشعة الشمس على الخلايا والأنسجة إلى تغيرات بيوكيميائية على مستوى الخلية ، تظهر في شكل جفاف الجلد وتشققه بسبب نقص الرطوبة فيه ، وإلى نقص مطاطية الجلد ، وظهور تغيرات لونية في الجلد في شكل بقع لونية غامقة أحياناً ، وفاتحة أحياناً أخرى ، ولزيادة في عدد وعمق التجاعيد ، وتغيرات في الأوعية الدموية تؤدي إلى اتساع كبير في الأوعية ، مع ظهور بقع تجمعات دموية بسبب تمزقات في الأوعية الصغيرة ، وظهور بقع وأورام صفراء أحياناً .

وجميع هذه التغيرات تظهر واضحة في ظهر اليد والوجه وخلف الرقبة وأيضاً في الأذن والشفة السفلى في الرجال بشكل أوضح . ويزداد حدوثها في العاملين في العراء والمزارعين والبحارة ، وتحدث بصورة أوضح في ذوي الجلد الباهت والشعر الأشقر أو الأحمر والعيون الزرقاء أو الرمادية ، والذين بهم « نمش » ، ولديهم الاستعداد للاحتراق بسهولة عند التعرض لأشعة الشمس .

وكل هذه العلامات والاستعدادات تعرف مجتمعة بالتقرن الأكتيني . Actinic Keratosis (أو التقرن الشمسي ، التقرن الشيخوخي) وتعتبر هذه الاصابة حالة ما قبل الخبيث أو السرطان في الجلد ، وهي ، عموماً ، شائعة في الأشخاص الكبار ، لكنها يمكن أن تحدث في البالغين الذين يتعرضون لكمية كبيرة من أشعة الشمس . ولقد تبين أن الاصابة الحرارية وابتلاع الزرنيخ و(Puva) ربما تؤدي إلى نفس الاصابة . والأمر الذي يقلق السلطات الصحية هو انتشار موضة التلون « السمرة » الاصطناعية عن

المستحضر	القدرة على الامتصاص	طول موجات الأشعة في الحزمة الشمسية		التركيز	المستحضرات في السوق	الأعراض الجانبية	ملاحظات
(١) أشباه حامض البنزويك ومشتقاته	فوق البنفسجية ب	٢٥٠ ـ ٣٢٠ ن م	٢٨٨	٢ ـ ٥ /		جفاف الجلد بعض الحرقات في الجلد حساسية الجلد نادرا	أكثر المستحضرات فعالية يدوم مفعولها عدة ساعات لأنها لا تغسل بالماء أو العرق
(٢) أملاح الصفصاف	فوق البنفسجية ب	٢٩٥ ـ ٣١٥ ن م	٣٠٦ ن م	٤ ـ ١٥ /		التهاب الجلد	ليست فعالة جدا واستعمالها في الولايات المتحدة أكثر من أوروبا
(٣) الفحميات	فوق البنفسجية أ	٣٢٢ ـ ٣٥٠ ن م	٣٤٠ ن م	ـ	ـ	ـ	غالبا ما تستعمل مع مستحضرات أخرى لتكون واسعة المفعول
(٤) مستحضرات البنزوفينون	فوق البنفسجية أ ، ب ، جـ	٢٧٠ ـ ٣٥٠ ن م	٢٨٧ ـ ٢٩٠ ن م	ـ		نادرا ما تسبب الحساسية	غالبا تستعمل مع مستحضرات أخرى
(٥) مشتقات الكافور	فوق البنفسجية	٢٨٠ ـ ٣١٥ ن م	٣٠٠ ن م	١ ـ ٥ /	ـ	ـ	غالبا ما تستعمل مع مستحضرات أخرى لتكون واسعة المفعول
(٦) املاح حمض القرفة	ـ	٢٩٠ ـ ٣١٠ ن م	٣٠٧ ـ ٣١٠ ن م	٢ ـ ٢,٥ /		نادرا إلتهاب الجلد والحساسية	تغسل بسرعة ويزول أثرها

جدول رقم (١) يوضح المواد الكيمائية في الكريمات وتركيزها وقدرتها على الحماية

جدول رقم (٢)

مقارنة بين المستحضرات الواقية من الشمس

المستحضر الواقي	عامل الوقاية من الشمس المكتوب على ورقة المستحضر	العامل الحقيقي للوقاية من الشمس
كوبرتون ٤	٤	٤
سن داون الكسترا بروتيكشن	٦	٥,٩
سوبر شيد ١٥	١٥	١٧,٤
اكليز ١٥	١٥	١٥,٢
بلوك أوت ١٥	١٥	١٥,٩
بين دى سوليل ١٥	١٥	٢٣,٩

جدول رقم (٢) يوضح المقارنة بين المستحضرات الواقية من الشمس

جلودنا وأشعة الشمس

طريق استعمال الأشعة فوق البنفسجية التي تحمل خطر حدوث هذه الاصابة .

سرطان الجلد

منذ أواخر القرن التاسع عشر ظهرت أهمية العلاقة بين أشعة الشمس وحدوث سرطان الجلد ، ولقد بينت الدراسات بعد ذلك حقيقة هذه هذه العلاقة ، مما جعل الوقاية منه أمراً واضحاً ومتيسراً .

ومثل أكثر أنواع السرطان ، يزداد سرطان الجلد بتقدم العمر ، إلا أنه في الأساس بسبب التعرض للأشعة الشمسية . وتبين من الدراسات والبحوث المتوفرة الآن أن الأشعة فوق البنفسجية (ب) هي أكثر الأشعة قدرة على إحداث السرطان ، وأن الأشعة ف ب « أ » تزيد من حدة ضرر الأشعة (ب) ودورها المسرطن ، وأن الإشعة تحت الحمراء قد تسرع هذه العملية ، وأن الحرارة وسرعة الرياح وزيادة الرطوبة قد تزيد من سرعة تأثير الأشعة فوق البنفسجية المسرطن ، كما أن بعض المواد الكيمائية التي تعتبر ذات دور مسرطن تؤدي إلى تأثير تجمعي مسرطن مع الأشعة فوق البنفسجية . ولقد تركز البحث على هذا التأثير أخيراً ، وخاصة بعد استعمال بعض المواد الكيمائية مع الأشعة في علاج الصدفية ف ب « أ » مع دواء Psoralens ، وف ب « ب » مع القطران .

كما تبين أن الاصابات المزمنة نتيجة للتعرض المزمن والتي تؤدي إلى تغيرات في الجلد وتؤدي إلى سرطان الجلد سببها الأصابة والضرر الشمسي ، وأن الأشخاص الذين لديهم الاستعداد لحدوث السرطان هم نفس الأشخاص المذكورين أعلاه ، وأن الجماعات الملونة والسود خاصة ، نادراً ما يصابون به .

وتتم هذه العملية بشكلها المبسط على النحو التالي : فالأشعة فوق البنفسجية تحدث الضرر في بروتين الخلية الوراثي DNA ،فاذا لم يحدث اصلاح الضرر أو العطب ، ادى ذلك إلى حدوث السرطان . وهناك اتجاه في الوسط العلمي لتفسير عملية الشيخوخة المبكرة على هذا الأساس ، وربطها بالتالي بالسرطان .

وهناك عدد من أنواع سرطان الجلد المعروفة بعلاقتها بأشعة الشمس ، ومنها القرحة القارضة ، وهو أكثر أنواع سرطان الجلد شيوعاً ، وغالباً ما يوجد في الرأس والرقبة ، وقد يصيب الظهر والسواعد والأيدي ، أحياناً . وهو لحسن الحظ يحدث في الأماكن الظاهرة ولا ينتشر بالانبثاث إلا نادراً ، إلا أنه لو ترك يحدث أضراراً بالانتشار المحلي . وقابليته للشفاء بعد العلاج عالية جداً ، ونسبة عودته بين ٥ ــ ١٠ بالمائة .

أما السرطان الظهاري Epithelioma فهو عامة أقل شيوعاً ، لكنه أكثر شيوعاً بين الملونين من النوع الأول ، بالرغم من عدم اصابتهم به إلا قليلاً .والدلائل على علاقته بالشمس أكثر إقناعاً ، وهو ينتشر بالانبثاث في الغدد الليمفاوية ، ولذلك من المهم التأكد من ذلك . والنتائج العامة للعلاج جيدة عموماً ، وإن كانت أقل من النوع الأول .

أما الورم القتامى الخبيث Malignant Melanoma فيعتبر ثالث سرطان جلدي من حيث الانتشار في الجنس الأبيض ، ولكنه من أخطر الأورام وأسرعها للموت ، حيث أن نصف المرضى يتوفون خلال سنة من حدوثه . وهو يحدث في صغار البالغين ، وبينت الاحصائيات في المملكة المتحدة أن ألفي حالة جديدة تحدث سنوياً . ولا يوجد شك في علاقته بأشعة الشمس ، وإن لم تكن مباشرة كالأنواع الأخرى ، حيث أن التاريخ المرضي يبين حدوثه في الأشخاص الذين يحترقون بشكل واضح عند تعرضهم للشمس بدل تلونهم . ويعتقد البعض أن هناك عاملاً كيميائياً مسئولاً عن إحداث هذا السرطان ، حيث أنه يحدث أحياناً في مناطق في الجسم ليست معرضة مباشرة لأشعة الشمس .

وهناك محاولات كبيرة لعلاج هذا السرطان في استراليا وكندا وأمريكا ، إلا أن أحسن النتائج التي أدت إلى حياة المصابين لمدة خمس سنوات هي تلك التي يتراوح سمك السرطان فيها بين نصف إلى واحد سم ، وفي أماكن في الأطراف .

المناعة وعلاقتها بأشعة الشمس

يعتبر الجلد خط الحماية الأول للجسم ، وهو بهذا ليس حاجزاً سلبياً ، بل عضو للمناعة في حالة دائمة من الحركة والعمل . ولذا كانت معرفة هذا الدور ، وإلقاء الضوء من خلاله على علاقة البيولوجيا الضوئية بالمناعة ، وبينت احدى الدراسات المنتظمة على مرضى الكلى المزروعة أن حدوث سرطان الجلد فيهم يعتبر مرتفعاً بالمقارنة إلى الناس العاديين . ويعتقد أن تعرضهم للأشعة فوق البنفسجية من العوامل الهامة في إحداث ذلك . ولذا ينصح هؤلاء المرضى بعدم التعرض لأشعة الشمس ، ويتم الفحص عليهم دورياً لاكتشاف المرض مبكراً .

وقد أكدت الدراسات المخبرية هذه العلاقة بمختلف التجارب . وتبين النتائج التي توصل إليها أن الأشعة فوق البنفسجية « ب » تؤدي إلى استنفاد خلايا « لنجرهان » واختفائها ، وهي خلايا تقوم بدور هام في المناعة هو تقديم منتج المضاد Antigen وحين يستنفد ، يؤدي ذلك إلى منع حدوث فرط الحساسية التماس ، وإلى إحداث زيادة في خلايا « ت » القمعية Suppressor 'T' Cells ، ونقصان في خلايا « ت » المساعدة .

وظهور هذه المعلومات هو الذي دعا إلى الحذر في استعمال بعض العلاجات ، وبعض أليب التلوين والسمرة التي تدخل فيها الاشعة فوق البنفسجية « أ » و « ب » ، مع استعمال بعض الأدوية التي لها دور في الحساسية الضوئية ، إذ أن هذه المعلومات قد استخلصت من تجارب على متطوعين بشر .

الحماية من أشعة الشمس

هناك الحماية الطبيعية ، التي تأخذ أشكالاً مختلفة ، إذ أن الجلد مصمم بدقة متناهية لكي يتعامل بطريقة دفاعية مع المحيط الخارجي ، ويتم ذلك مكوناته وعملياته الفيزيوكيميائية .

فعندما تسقط أشعة الشمس على جلودنا ينعكس جزء منها بعيداً عنا ، وخاصة الأشعة المرئية ، وتحت الحمراء ، ويعتمد هذا الانعكاس على لون البشرة ، فهو في البيض أعلى منه في السود . أما الأشعة فوق البنفسجية فان جزءاً منها ينعكس عنا ، وهو في السود أعلى منه في البيض . ولجلد الإنسان خاصية احداث تبعثر للأشعة ، وله دور كبير في الحماية من ضرر الأشعة الكونية ، وخاصة فوق البنفسجية . كما أن الجلد يمتص جزءاً كبيراً من الأشعة فوق البنفسجية ذات الموجات القصيرة الأقل من ٣٢٠ نم . وتتم في الجلد أيضاً عملية إرسال داخلي ، حيث يمتص الطاقة الشعاعية بنشرها في الداخل . وربما لهذه العملية ، إذا كانت الطاقة المتبقية كبيرة ، دور في احداث الضرر في الأنسجة .

ويشترك في هذه العمليات التماسك الفيزيائي للطبقة القرنية والمكونات الكيماوية للأنسجة من بروتين وكراتين الجلد والملانين وبعض مشتقات الأحماض الأمينية مثل « حمض اليوراسنك » والكروتين والدهون والبروتينات الدهنية .

ومن العوامل الطبيعية الأخرى الدهون التي بالسطح الخارجي للجلد ، والتي يعتقد أنها تلعب دوراً هاماً في الحماية من السرطان ، إلا أنها في نفس الوقت تقلل من انتاج فيتامين (د) . وتأتي هذه الدهون من افراز الغدد الدهنية غالباً وكذلك من الطبقة القرنية ، ولذا فان للبشرة الدهنية دوراً في الحماية .

وتعتبر السمرة أو السفعة من أهم العوامل الطبيعية في الحماية ، والذين يحرمون منها لأسباب وراثية أو مرضية ، أو لا تحدث لهم إلا بعد عناء طويل من التعرض للشمس ، أو لسبب الحساسية الضوئية ، يواجهون صعوبات جمة في تعرضهم للشمس .

عوامل بيئية للحماية

وتلعب هذه العوامل دوراً هاماً في الوقاية أو الضرر من أشعة الشمس . ومنها تلوث البيئة الذي يؤدي إلى تقليل الأكسجين ، والتأثير على طبقة

الأوزون الهامة في إمتصاص الأشعة . ومنها قرب كان التعرض للأشعة من خط الاستواء ، حيث يزيد التأثير القوي للأشعة ، لأنها تسقط بشكل عمودي أكثر ، والعكس صحيح بالنسبة لبعد المكان عن خط الاستواء . كما أن الارتفاع يزيد من تأثير أشعة الشمس على الجلد بشكل واضح . وقد تم تقدير ذلك بزيادة ٤ بالمائة من كمية الأشعة فوق البنفسجية لكل ١٠٠٠ متر ارتفاع . وللفصول أيضاً دور إذ أن الأشعة أقوى وأكثر حرارة في الربيع والصيف . وتعتبر الفترة من ١١ صباحا إلى ٣ بعد الظهر أكثر خطراً من بقية الأوقات ، وخاصة في منتصف الصيف . أما بعد أو قبل ذلك ، فان نسبة الأشعة وحرارتها تقل ، حيث يزداد ميلان سقوطها . ولذلك فان المصطافين الذين يعرفو هذه المعلومات يبدأون يومهم من الصباح الباكر حتى منتصف النهار .

ويعمل الماء ، سواء على هيئة سائل أو بخار في السحب ، كمصفاة للأشعة فوق البنفسجية ، حيث أن السماء المغطاة بطبقةمن السحاب ربما تنفذ ٦٠ ــ٨٠ بالمائة من الأشعة ، وبنفس الدرجة التي تنفذها ١٢ بوصة من الماء المقطر ، مما يبين أن وجودنا في الماء تحت أشعة الشمس له أثر ضار إن استمر فترة طويلة ، لأن الماء يشعرنا بالبرودة ، ولكن الأشعة تنفذ إلى جلودنا .

وللقدرة العاكسة للموادالمختلفة أثر في تأثير الأشعة ، إذ أن الأشعة المنعكسة منها تسقط علينا أيضاً . فالجليد يعكس ٨٥ بالمائة من الأشعة وربما ١٠٠ بالمائة عندما تكون الشمس عمودية ، والرمل الجاف يعكس ٢٠ بالمائة تقريباً بينما تعكس الخضرة ٢,٥ بالمائة فقط .

وتلعب الملابس دوراً هاماً في الوقاية ، فكلما ازدادت طبقاتها ، قل نفاذ الأشعة ، وكلما زاد بياضها ، أدى ذلك إلى انعكاس الأشعة منها . ويعتمد ذلك على نوع المواد المصنوعة منه ، وأقلها حماية هي الملابس القطنية الخفيفة .

إن معظم الزجاج لايمرر الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، حيث يتم امتصاصها . أما الأشعة (أ) فهي تنفذ من غالبية أنواع الزجاج ، الأمر الذي يجب أن يوضع في الحسبان بالنسبة للمرضى الحساسين للأشعة (أ) .

الحواجز الشمسية Sun Screens

مع توفر المعلومات عن تأثير الأشعة فوق البنفسجية واكتظاظ المصايف والشواطئ السياحية بالسواح واندفاعهم لقضاء اجازاتهم تحت الشمس المكشوفة ، اتجهت دوائر التجميل ومصانع الأدوية إلى صنع مختلف المواد الواقية من أشعة الشمس . وهي ، حسب مفعولها ، نوعان : حواجز شمسية تعمل كمصفاة ، ونوع آخر يعمل كعائق أو سد شمسي .

والمواد الحاجزة للشمس تمتص جزءاً كبيراً من الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، والبعض منها يمتص ، حسب التركيز ، جزءاً من الأشعة (أ) ، والفكرة الأساسية لهذا النوع من « الكريم » تعتمد على أنه بامتصاص للأشعة « ب » سيمنع عملية الاحتراق الشمسي والاحمرار ، وبسماحه بالنفاذ للأشعة (أ) سيؤدي إلى حدوث السمرة أو اللون البرونزي الجميل ، وبدون ضرر .

وتأخذ هذه « الكريمات » أسماء تجارية مختلفة ، إلا أن مكوناتها الكيميائية تنحصر في مواد معروفة محددة ، وغالباًما تكتب على العلبة أو الزجاجة . والجدول (١) ــ يبين هذه المواد ، وتركيزها وقدرتها على حماية الجلد . وكذلك نجد أرقاماً على هذه المستحضرات تصل حتى رقم ١٥ ، وهو ما تعترف بفاعليته غالبية المنظمات الصحية ومنها منظمة الأدوية والأغذية الأمريكية FDA وهذا الرقم هو عامل الحماية الشمسي SPF وهو نسبة التعرض المطلوبة لاحداث أقل درجة من الاحمرار في الجلد المحمي بالحاجز الشمسي ، مقارنة بأقل درجة من الاحمرار للجلد غير المحمي .وعامل الحماية الشمسي في بعض هذه المستحضرات أعلى مما هو مكتوب على العلبة ، وليس في ذلك ضرر .. انظر الجدول (٢) .

أما العائق أو السد الشمسي فهو نوع حديث من المستحضرات ، التي تمنع نفاذ الأشعة (أ) ، (ب) ، استحدثت بعد توفر المعلومات عن الأشعة وتأثيرها على مستوى أعمق من البشرة . وهي لاستعمال الأشخاص ذوي الحساسية من الشمس ، ولا تتحمل جلودهم أشعتها ، وهامة لبعض المرضى بالأمراض الجلدية ، وينصح الناس في الحالات العادية باستعمالها في الوجه ، وخاصة منطقة الأنف والخدود ، حيث رقة الجلد ، وتعرضهم الدائم للأشعة العمودية .

ومن أشهر هذه المواد الكيميائية المستعملة أكسيد الزنك ، ويباع في مستحضر باسم روك Roc . فقد تبين من الدراسات أن هذه المادة من أقوى المواد الواقية من أشعة الشمس ، وتمنع أي خلل في انتاج المادة البروتينية الوراثية . وكذلك استعمال ثاني أكسيد التتانيوم شائع ، وهناك مجموعات أخرى من المستحضرات في الأسواق ، وكل يدعي ميزات وصفات تفوق الآخر ، كزيادة التلون أو سرعته أو جعل الجلد رطباً وناعم الملمس ، أو يعطي الوقاية الحقيقية من الشمس . وليس لهذه المستحضرات سند علمي ، ولا ينصح باستعمال أي منها خارج المواد المذكورة . أعلاه ، في الوقت الحاضر على الأقل .

وأود أن أضيف هذه المعلومات بالنسبة لمن سيقضون أجازاتهم على الشواطئ ويستعملون هذه المستحضرات :

• رقم العامل الشمسي مأخوذ من تجارب بالداخل ، ولذا فهو إذا استعمل في الخارج ، قلت حمايتة ربما بنسبة ٢٠ ــ ٣٠ بالمائة .

• العرق والنزول إلى الماء يؤثران على عامل الحماية ، إلا إذا كان بالمستحضر مواد أخرى لمقاومتهما . لذلك ينصح بأن يعمل حساب لذلك ، وخاصة بالنسبة للأطفال الذين يقضون يومهم في الدخول والخروج من البحر .

• بعض المستحضرات تزيد من حساسية الأفراد للأشعة ، ولذا يجب أن يكون « الكريم » المستعمل أكثر قوة ، للوقاية من الأشعة .

• يجب اختيار الكريم المناسب من الخبرة وعلى الذين يحترقون بسرعة البدء بالرقم ٧ أو ٨ وربما أكثر حسب حساسيتهم أما المبتدئون فيفضل ٥ أو ٦ ، والتعرض للشمس قليلاً قليلاً ، والذين يتلونون بسرعة ، يمكنهم استعمال الأرقام من ٢ إلى ٤ ، مع العلم بأن الكريم والسمرة لا يستطيعان حماية أنسجتهم من ضرر التعرض الدائم الطويل .

• من الأفضل وضع الكريم على الجلد الجاف قبل ١٥ ــ ٣٠ دقيقة من النزول إلى الماء ، وتكرار ذلك بعد النزول والخروج من الماء ، وهنا يفضل استعمال الأرقام المتوسطة وتكرارها ، بدلا من الاطمئنان إلى طبقة رقيقة من المستحضرات ذات الأرقام العالية .

• استعمال المستحضرات ذات الأرقام العالية ، وتكرارها ، في الجو الرطب والحار والمناطق العالية .

وهناك مستحضرات ما بعد الشمس ، التي تحتوي على ملطفات للجلد لمنع جفافه وتشققه ، وبعضها يقوم بتبريد وتحسين المناطق المحمرة من الجلد ، ولا ضرر في استعمالها . أما إذا حدث الاحتراق وكان في الدرجات الأولى وفي مناطق صغيرة ، ودون فقاعات كثيرة ، فان هناك كثيراً من المستحضرات التي تباع بدون وصفة طبية أما إذا كان الحرق كبيراً ، فان استشارة الطبيب ضرورية .

أخيراً ظهرت شارة صغيرة على شكل شريط لقياس الأشعة فوق البنفسجية بنوعيها ، ويمكن إعادة استعمالها مرات عديدة ، وبذا يستطيع الانسان قياس قوة الاشعة ومدى التعرض لها . وقد تكون هذه الشارة ذات فائدة لبعض المصطافين ، ولكنها مهمة جداً للمصابين بالحساسية الضوئية والمرضى وذوي البشرة البيضاء الحساسة . وهي لا تتأثر بالحرارة والريح والرطوبة .

الشمس نعمة وذات فوائد جمة ، إن أحسن استعمالها ، فمنها يصنع الجلد فيتامين « د » الذي يلعب دوراً في تقوية عظامنا ، وهي تقضي على الميكروبات على سطح جلودنا ، ونستعمل أشعتها طبيعياً أو صناعياً في علاج مجموعة من الأمراض الجلدية . لكن الشمس نقمة عندما يساء استعمالها . فالزيادات الواضحة لمرضى سرطان الجلد في العالم ، والمشاكل الجلدية الأخرى ، والأضرار التي تحدثها حتى على مستوى التفاعلات البيوكيميائية في الخلية ، يدعو السلطات الصحية إلى البحث عن وسائل متعددة للوقاية منها . إلا أن الحل الأمثل والطريق الأسلم هو في حسن استعمالها ، والاعتدال في ذلك .

عبد الله الباكر



قصة قصيرة

ماحدث لعنترة

بقلم
وليد إخلاصي
بريشة
سلطان السليطي

وهكذا كانت حصيلة اليوم قاسية . أن تخسر وتعيش لحظاتك مرتعشاً خوف عقاب .

كنت أعلم أن عقابي سيكون قاسياً لا ينسى ، بعد أن تمزق القميص الملون ، وكنت قد استعرته دون إذن من خزانة أخي الكبير التي اكتشفت فيها صوراً لنساء مختلفات لصقت بعناية على الخشب ، وليس فيهن واحدة تشبه صبية من الأقارب أو الجيران ، ولكني لم أشغل فكري في البحث عن حقيقة تلك الصور كفضولي يقع على سر بين ملابس قديمة ليس فيها سوى ذلك القميص الجديد الذي وقر في ذهني أنه سيمنح منظري قوة ، فجاء فضفاضاً على جسدي ، ومنحني راحة وحرية في الحركة ، وخيل إلي أنني سأثير حسد أولاد حارة (العينين) ، وهم الفقراء الذين كانوا ينظرون أصلاً إلى البنطلون بريبة ، فكيف بذلك القميص الملون ! إلا أن الأمور لم تكن لتجري كما توقعت .

وجاءت الصفعة التي تلقيتها على قفاي ، أهون من آثار الأظافر الطويلة التي خلفها الصراع الدامي على ذراعي . وفاجأني أخي بعد عودته من مباراة كرة القدم ظافراً ، وقد علم بكل ما جرى لي ، بقوله : « وهل انتقمت من الوحش ؟ » فلم أجب بكلمة ، بل ظل رأسي مطرقاً إلى الأرض أتحاشى نظراته المتفجرة بالغضب .

كنت قد أخفيت لتوي ، وبعد عودتي متسللاً إلى الدار ، القميص الممزق في عقر سلة الغسيل . وعندما علم أخي ما حل بقميصه ، الذي كنت أعلم أنه يحتفظ به لمناسبات عاطفية أخفى عن الجميع أسرارها وتفاصيلها ، لوح بيده في وجهي مهدداً :

« أيها الجبان ، وتتركه يمزق ذراعك ولا تفعل أي شيء ؟ »

ومع أن غضبه كان حاسماً ، إلا أنه أخرج القميص من السلة ولوح به ثم رماه باستعلاء دون أن يشفق عليه بنظرة ، بل ظل يحدجني بنظرات غاضبة ويتمتم :

« يتغلب عليك .. ولا ترد له الأذى .. »

فأحسست أني أحبه في تلك اللحظات أكثر .

وبالرغم من أن أخي كان يلعب دور الأب في توجيهاته الصارمة ومراقبته الدائبة لدراستي وسلوكي ، إلا أنه لم يبخل علي مرة بالمال الذي كان يكسب شيئاً منه بالعمل كميكانيكي إلى جانب دراسته ، فيدعم ميزانية العائلة التي تدهورت مع اشتداد الغلاء في أيام الحرب . وأقسمت أن أنتقم لنفسي ولقميص أخي الملون .

كانت المعركة غير متكافئة ، ولكني خرجت منها بأخف الأضرار . وبالرغم من أن (عنتر) كان في الرابعة عشرة من عمره ، ويماثلني تقريباً في السن ، إلا أنه كان يختزن في جسده ما لا يقل عن السبعين كيلوغرام لحماً وشحماً وغلظة . وبينما يتكور ثدياه تحت القميص القطني الملتصق أبداً بالعرق الذي ينضح به جسده فيبدو كصبية مسترجلة بليدة ، فان بشرته السمراء التي تميل إلى الدكنة أعطت عينيه المحمرتين برقاً يلهب الذعر في النفوس . كانت ابتسامة عنتر التي لا تفارقه وهو يمضغ أي شيء يقع عليه ، تثير غيظ الكبار والصغار ، ولكن أحداً لم يجرؤ على الدخول في معركة معه ، فبات سيد الحي دون منازع يجول فيه ويصول ، ويتقي شره الناس . فاذا مد يده إلى حمولة حمار ليأخذ خيارة مثلاً فان صاحب الحمار كان يقول له : بالشفا يا عنتر . ومثل ذلك التنازل



للفتى لم يخطر ببالي . فكانت المعركة .

كنت صغير الحجم . ولكن خفة وزني ساعدتني على الحركة كقط . فكان عنتر يصرخ كالهمجي غاضباً اذ لا يستطيع أن يمسك بي . وهكذا صدق من لقبني بـ (الكل) (١) . كان أول من أطلق علي هذا اللقب اثنان من رفاق أخي وهما يتقاذفانني بين سواعدهما الرياضية ككرة صغيرة تشبه (الدحل) الزجاجي الذي أغرمت باللعب به . وكنت الأمهر في تصويبه حتى بت بطلاً في لعبة الدحل في حي العينين . وفي بداية المعركة كنت أقذف بنفسي في كل اتجاه . فلا تنالني أصابع عنتر الذي فرض لقبه على صبيان الحارات المجاورة أيضاً . فنسي الناس اسمه الحقيقي . ويبدو أن قوته الهائلة ساعدته على فرض الأتاوات . فما ترك طفلاً أو صبياً يمر في مملكته إلا وجرده من قروشه أو من الحلوى التي يحملها بيده أو يحتفظ بها في جيبه وربما في فمه . فينتزعها عنتر بسبابته التي تصبح كالكلابة الحديدية وهي تمتد في الفم المفزوع . واذ يحصل عنتر على الغنيمة ينظر إليها بفرح وحشي ويقهقه كالجني يقول :

« من فم لفم تموت الأم » .

وكان هذا المثل السائر . بمثابة تحذير لنا من عدوى الأمراض التي كانت في تلك الأيام تستفحل . بينما الدواء عزيز ..

ونظرت أمي في وجهي متفحصة بعتبها الصامت أبداً . وهي تداوي جروحي بالمرهم الأسود الذي لم ينقطع يوماً عن دارنا التي تعج بالأولاد . الذين شقوا الأرض وخرجوا منها كالجان . كما تصفنا بذلك جدتي التي أقامت بيننا بعد ترملها فكان والدي الموظف يشعرها دوماً أنها جزء من العائلة وأنها لا تشكل عبئاً عليه بالرغم من قسوة الحياة . وقالت جدتي وهي تصغي باحترام العارف إلى نشرة أخبار إذاعة كانت محرمة آنذاك على أهل البلد . وتهز برأسها لأقوال المذيع وهو يعلق على أخبار الحركة الوطنية الملتهبة . تؤيده وتتمتم :

« منصورين بإذن الله »

ثم إلي بتأنيب :

« يلزمكم ممرضة لا أم »

ثم بحنان المستضعف وهي تبتسم لأمي تخفض صوت المذياع . خوفاً من جارنا الذي طالما سمعنا أنه يتعاون مع الفرنسيين المستعمرين :

« ارحموا اباكم الموظف . فهو لا يقدر على شراء قميص جديد كل يوم »

آنذاك تدحرجت دمعتان من عيني . فصاحت بي أمي وقد استبد بها العطف :

« ما أرقك يا ولدي . تفكر دوماً بحالة والدك »

وفي الحقيقة . كنت أكابد ألم الأظافر التي انغرست في لحمي ولم أستطع أن أفعل مثلها في خصمي .

في البداية . صاح عنتر بي وأنا أمر في الزقاق الضيق متجهاً إلى التل الترابي حيث يتجمع الأولاد حول لعبة الدحل . كنت أظن أن قميصي يحميني من تحرش عنتر الذي لم أكن قد حادثته أو جابهته من قبل . فلم أعر صياحه أي اهتمام . ولكنه هتف حانقاً :

« انت يا ولد .. صاحب القميص الفرنساوي »

آنذاك بانت الاهانة مباشرة . وما عاد الأمر بحاجة إلى تجاهل . فغلى الدم في رأسي . فرشقت المعتدي ببصقة استقرت بين قدميه فلبث صامتاً في

ما حدث لعنترة

ذهول لم يطل ، وكأنه يجابه تحدياً لم يألفه من قبل ، إلا أن شفته السفلى تدلت فظهر نابان يلمعان في ضوء الشمس القوي وساهما مع ابتسامة بلهاء في تقويض الشجاعة التي أظهرتها في ردي المفاجئ على اهانته ، ولكني تماسكت بالرغم من كل شيء أراقب ما يمكن أن يحدث .

في لحظات ، خلتها وكأنها دبابة عدوة انطلقت فجأة ، اقترب عنتر خطوة واحدة ثم توقف .كان الأولاد من خلفه تتطاير من عيونهم شفقة علي أو ربما شماتة من الولد الجديد على الحارة ، أو أنهم وجدوا في شجاعة لم يألفوها من قبل ، فازددت تماسكاً . آنذاك صاح عنتر بصوت فولاذي يثير الفزع :

« عنتر يأمر .. عنتر يطاع »

وكان رد فعلي أسرع من تفكيري ، فهتفت وقد بات الموقف واضحاً فهو قادر على التهامي دون ريب :

« أنا لا أخافك »

ثم أردفت وقد تقدمت منه خطوة واحدة :

« وقميصي ليس فرنساوياً »

ولم يكن هناك من كلام آخر قاله الوحش . كانت يده هي التي تتكلم ، فقد طارت كفه الثقيلة في الهواء لتهوي علي ، فتفاديته متراجعاً ، وكانت المعركة .

كنت مطارداً ، ولكن خطواتي السريعة انقذتني في البداية من براثنه . وكنت كلما تخلصت من قبضته التي تحاول الامساك بي ، ازداد هياجاً تضعفه شتائمه التي تخرج من فمه المزبد

« يا ابن الحرام »

فلا أجيب بكلمة ، وأراقب إفلاتي منه .

« يا مقلد الكفرة »

وهكذا كان القميص الملون مثار نقمته ، فلم يسلم من أظافره التي أمسكت بي أخيراً ، كما أن ذراعي التي سال منها الدم وضعت حداً للمعركة الوحشية ، اذ يوقفها شيخ معمم فصل بيننا وكان خارجاً من المسجد فقادني من يدي إلى مخرج الحارة ، لأركض لا ألوي على شيء وقد استبدت بي رغبة الانتقام التي كانت تتزايد لحظة فلحظة .

كانت أيام الحرب قاسية ، فلم أسمح لنفسي بمزيد من الطعام التي قننته أمي ، وكنت أتصور أني بوزن أكبر أستطيع كسب الجولة الثانية . وهكذا فكرت في حمل الاثقال لاكتساب القوة ، ولكن أخي اكتشف تدريباتي التي أتابعها على السطح ، فمنعني من ذلك خوفاً على قامتي من أن تظل قصيرة ، وشد على كتفي بحنان وهو يقول :

« لا بأس من أن تكون أضعف من خصمك ، ولكن عليك أن تكون أكثر ذكاء منه ، لتربح »

وكانت عيناي تتساءلان بصمت « كيف .. كيف ؟ » فهمس أخي وهو يغادرني إلى عمله الليلي :

« العقل أقوى نقطة في الانسان » .

علمت بعد ذلك أن الفتى عنتر يعيش مع أمه في غرفة من غرف خان قديم تحول جزء منه إلى اسطبل للحيوانات ، واحتلت البقية منه أسر معدمة ، احتمت بجدران الخان المتشققة . لم يعرف أحد من كان والد عنتر ، فتوقد ذهني عن فكرة أن أمه التي كانت تخدم في بيوت الضباط الفرنسيين قد حملت من جندي افريقي من الذين رافقوا أولئك الضباط ، واشتهروا باغتصابهم للنساء في لحظات السكر الشديد . وهكذا بت على يقين من أن الفتى الشرير عنتر ما هو إلا ابن حرام ، وأن في عروقه تجري دماء الأعداء . وقررت أن أرمي بالتهمة المشينة في وجهه لحظة نلتقي من جديد ، وسنرى كيف سيتألب عليه الآخرون . وكنت أردد لنفسي دوماً :

« سأرى كيف يجرؤ هذا الوحش الضاري أن يكشر عن أنيابه في وجهي بعد اليوم » .

وبات الحديث عن عنتر وأصله المشكوك به ، قضية أكررها طالما استطعت ذلك ، في المدرسة وفي الحي . وفي الدار قالت أمي وهي تعيد حياكة صوف قديم على أسياخها التي دفأتنا في السنين الماضية :

« حرام يا ولدي اتهام الناس في أنسابهم أو أعراضهم »

فهتفت ببسالة ، وقد بات نسب عنتر أمراً مسلماً به :

« لو رأيت لون بشرته وسلوكه الحيواني ، لقلت معي انه ابن حرام حقاً ، وإن والده من جنوب افريقيا دون شك »

وقررت باصرار :

« هو عدو لنا » .

فكررت أمي تحذيرها فيما تتبادل النظرات مع جدتي التي كانت تصغي الينا دون تعليق . ثم توقف الحوار تماماً عندما دخل والدي ليعلن بفرح مكبوت :

« لقد ابتدأت المدينة تتحرك ، والمظاهرات تتجمع في كل مكان »

وبالرغم من تعليمات أمي في أن نعود من المدرسة حالما تسود الفوضى ، فنحن صغار على المشاركة في أي تظاهرة تقوم ضد الجنود المسلحين كما ألمحت دوماً ، فقد كانت المظاهرة التي انطلقت من مدرسة (السلطاني) عارمة ، اختلط فيها الطلاب الصغار بالكبار برجال وأولاد من أحياء بعيدة جعلوا يرددون الهتاف ضد الفرنسيين ، ويلوحون بالسكاكين والعصي يطالبون بالحرية والاستقلال ، وكنت آنذاك أنسى تماماً معنى أن يعصى الصبي أمه .

كانت المدينة شبه مقفلة ، فانهالت حجارة المتظاهرين على الدكاكين التي لم تلتزم بنداء الاضراب العام ، فتطاير الزجاج وتساقطت اللافتات ، ولعلع الرصاص الذي خرج علينا فجأة من خلف الجسر ، ثم بات يأتينا من كل جهة ، فتشتت شمل المتظاهرين وهرعوا إلى الاختباء في مدخل عمارة أو خلف سيارة متوقفة ، أو أنهم ارتموا على وجوههم يتفادون الرصاص الذي بات يصوب مباشرة على الناس .

وكانت المفاجأة التي أوقفتني عن الهرب فلبثت ساكنا لا أصدق ما تراه عيناي وأنا أشاهد بهما الفتى الشرير عنتر وهو يتقدم مع عدد قليل من الرجال من صف من الجنود الذين كانوا يصوبون الرصاص في كل اتجاه ، عنتر نفسه يتقدم وقد تمزق قميصه ليكشف عن صدره وهو يصرخ « يسقط .. يسقط » .

تراجعت جموع المتظاهرين ، ولم يبق في الساحة سوى ثلاثة يقودهم عنتر الذي سقطت العصا من يده وقد اصطبغ صدره الأسمر بالدم المتفجر ، ولكنه ظل هائجا كالثور يركض نحو مجموعة من الجنود الذين كانوا من الأفارقة السود تلمع وجوههم وأسنانهم في وهج الشمس ، حتى تعثرت قدماه فانكفأ على وجهه وسقط كتلة واحدة على الأرض لا تتحرك . آنذاك أحسست بالخطر ، فارتميت على وجهي أخفيه في التراب ، ولم أكن في تلك اللحظات لأميز بين الأسى الذي دمعت به عيناي ، إن كان حزناً على الفتى الذي بقر صدره رصاص (الدمدم) ، أم أنه الندم .

وقد ظل مثل هذا الشعور المختلط ملازماً لي عمراً ، لا أعرف كيف يمكن له أن يكون واضحاً . وإذ أزور الخان القديم بعد سنين طويلة لأغراض سياحية ، كان الفضول يدفعني للتعرف على المكان الذي كان وطناً للحيوانات والمعدمين . ومن المؤسف حقاً أني لم أستطع أن أعثر على أحد من بين سكانه الجدد الذين ما زال الفقر صديقاً لهم في الأمسيات ، يمكن له أن يتعرف على فتى قوي كان اسمه عنتره .

ولقد علمت بعد ذلك أن مشاعري ستظل لا تميز الحزن من الندم في أمور كثيرة كثيرة ..

وليد اخلاصي

حلب

هامش :

(١) الكل : تلفظ الكاف كالجيم المصرية وهو الكرة الزجاجية التي يلعب بها الاطفال .

بقلم: الدكتور محمد البهي

الحق

• مفهوم: «الحق» — حسبما ورد استعماله في كثير من آيات القرآن الكريم — يراد به: ما ينبغي، ويجب أن يتحقق، ويجب أن يكون في واقع الأمر. لأنه في وقوعه ترتبط به مصلحة عامة.

فاذا أطلق على نفسه: الحق، في قول الله تعالى: «فذلكم الله، ربكم الحق» (يونس: ٣١) فإنه يقصد بالحق في وصفه سبحانه: ما ينبغي ويجب أن يتحقق من ربوبيته وحده. وإذا استطردت الآية فذكرت: «فماذا بعد الحق إلا الضلال؟» فانها تعني: ليس هناك: بعد ما ينبغي أن يتحقق من ربوبية الله وحده.. إلا الضلال، وهو ما لا ينبغي أن يكون ويتحقق من ربوبية موجود آخر عداه.

وكذلك — في مجال إقامة الحجة على المشركين الماديين — إذ قال القرآن مستفهماً على سبيل الانكار: «هل من شركائكم من يهدي إلى الحق» (يونس: ٣٥).. فالمعنى: من يهدي الى ما ينبغي أن يتحقق، من صراط سوى في السلوك، ودليل صدق على الاعتقاد. ثم إذا جاء أثر هذا الاستفهام الانكاري الذي يتضمن نفي: أن يكون أحد من الشركاء لله على استطاعة: من هداية من يعبده.. قوله تعالى: «قل الله يهدي إلى الحق»..

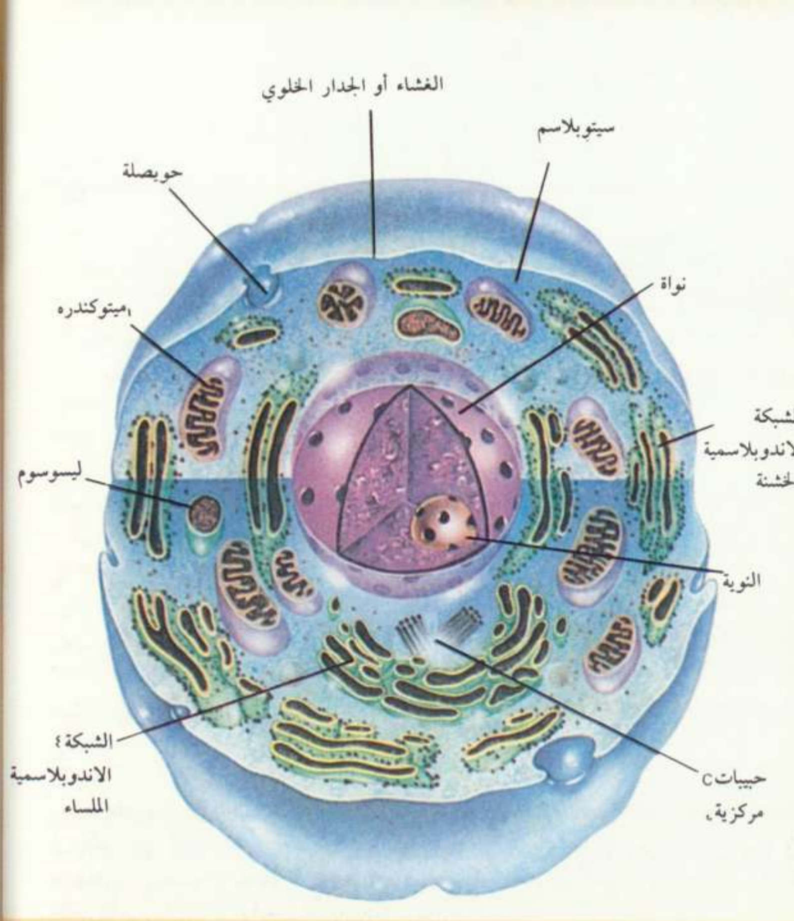
فالمقصود أمر الرسول عليه الصلاة والسلام، أن يعلن: أن الله وحده — دون الشركاء له والأنداد التي يعتقد فيها المعارضون — هو الذي يملك الهداية لعباده. والنتيجة الآن بعد إعلان: أن الشركاء الذين يتوجه اليهم بالعبادة أولئكم المعارضون الماديون.. لا يستطيعون هداية من يعبدونهم، وبعد الاعلان كذلك: أن الله وحده هو الذي يملك الهداية لمن يعبده.. النتيجة هي: أن الذي يملك الهداية ينبغي أن تتحقق العبادة له، دون ما سواه ممن لا يقدر عليها، وهو أولى بأن يتبع من غيره. وقد عبرت آية أخرى عن هذه النتيجة بقوله تعالى: «أفمن يهدي إلى الحق (أي إلى ما ينبغي من الهداية) أحق أن يتبع، أم من لا يهدي (أي لا يملك بذاته الهداية) إلا أن يهدي (أي يهدي من غيره)؟ وهذا استفهام أريد به إثبات التبعية لمن يملك الهداية، ونفيها عمن ليست باستطاعته وفي مقدوره.

فكلمة: «الحق» في هذه الآيات — وأمثالها كثير — تعطي أن المعني منها: هو ما ينبغي أن يقع ويتحقق، وتترتب على وقوعه وتحققه مصلحة عامة. والمصلحة العامة التي تترتب هنا على وصف الله لنفسه بالحق، في قوله: «فذلكم الله ربكم الحق».. هي أن قصر العبادة على الله وحده الذي ينبغي أن تتحقق ربوبيته، دون غيره ممن يدعي: أنهم أنداد له.. يحفظ على الناس كراماتهم، فلا يذلون لمخلوق: كائن من مكان — فضلاً عن أن يذلوا لما هو دون الإنسان — في العبادة والطاعة. والإنسان بإنسانيته لا يوجد على هذه الأرض ليأكل، وينسل، كما هو شأن الحيوان: وانما وجد ليؤمن بكرامته التي تتمثل في الايمان بالله وحده، وليدافع عن هذه الكرامة في مواجهة محاولة غيره.. استعباده، وجعله تابعاً طيعاً لظله.

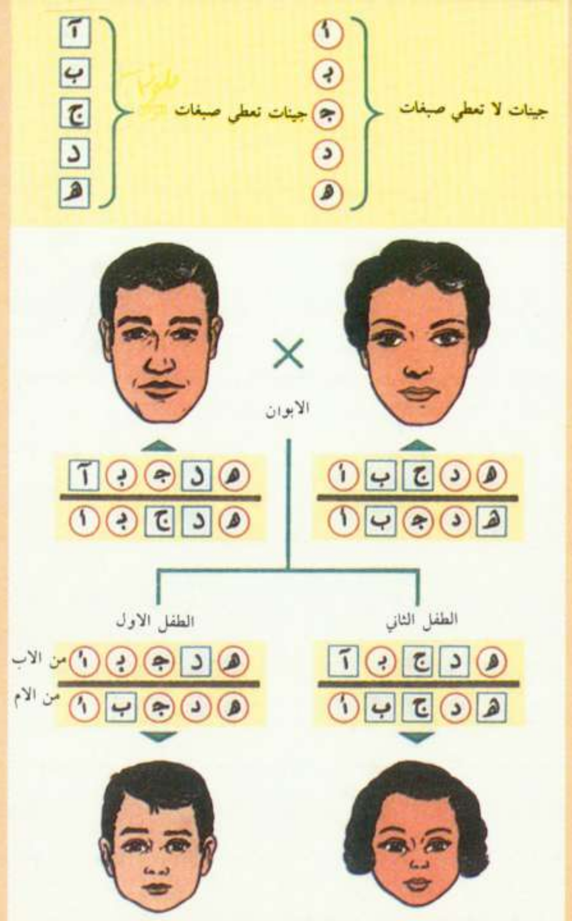
وهذه هي عينها، المصلحة العامة التي تتوخى من التعبير بالحق — بمعنى ما ينبغي أن يتحقق — في الآيات الأخرى هنا التي تقصر إمكان الهداية للبشر على الله وحده، دون ما يدعى له من أنداد، وهي قوله تعالى: «قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل: الله يهدي إلى الحق. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدي؟» — هذه المصلحة العامة التي تترتب على وقوع ما يجب هنا أن يقع، وعلى تحقق ما ينبغي أن يتحقق: من التبعية والعبادة لله وحده، دون الشركاء والأنداد تكمن في محافظة الناس على مستواهم الانساني، وعلى تميزهم في الخلق عما سواهم. ذلك التمييز الذي يتمثل في عقل: الانسان، وقلبه. وعبادة الأصنام، وعبادة ما دون الله في أية صورة تعبر عن سخرية بالعقل، والقلب في الانسان العابد لما سواه جل جلاله.

• ومع بقاء مفهوم «الحق» في القرآن على معنى: ما ينبغي ويجب أن يتحقق فقد يقصد به، وبما ينبغي أن يتحقق.. القرآن نفسه خاصة. كما جاء في قوله تعالى: «ولما جاءهم الحق (أي ما ينبغي أن يتحقق كسبيل للهداية وهو القرآن) قالوا: هذا سحر وانا به كافرون. وقالوا: لولا (أي هلا) أنزل هذا القرآن (وهو الحق في قوله: ولما جاءهم الحق) على رجل من القريتين (مكة — والطائف) عظيم (الزخرف: ٣٠: ٣١) وكما ذكر أيضاً في قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم، أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق (وهو القرآن) (الممتحنة).

فما جاء في الموضعين هنا، من: إنكار المنكرين لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ولما نزل عليه من وحي.. يوجه: أن المعنى.. بالحق هو القرآن ولكن مع استصحاب المعنى الأصيل للحق، وهو: ما ينبغي أن يتحقق ويجب أن يقع لا ما سواه.



التركيب الداخلي للخلية الحيوانية .



رسم توضيحي لانتقال عناصر الوراثة من الابوين

وراثــــة النــــبوغ وتحســــين النســــل

عـــالم الغـــد لا مكـــان فيـــه إلا للأذكـيـــاء والأقـــويـــاء

بقلم : الدكتور عز الدين فــراج

أثبتت المشــاهدات والاحصاءات أن للوراثة تأثيراً لاريب فيه على النســـل . وليست هذه الحقيقة قاصرة على بنى الانســان فحسب بل تسرى أيضاً على فصائل الحيوانات والنباتات . والدليــل على ذلك أن الاخصائيين فى تربيــة الحيوانات وزراعة النباتات فى جميع أنحــاء العالم توصلوا الى تنويــع أشكال بعض الحيوانات وتغيير بعض طبائعهـــا بواسطة تنويع الأصول التى يتفرع منهـــا .


جورج واشنطن

■ الــوراثة لهــا تأثير كبير في حيــاة الســياسيين العظمــاء ومشــاهير الفنــانين

■ الــزواج من الأقــارب يؤدى إلى إضعاف النســل

■ قوة الأمــة ليست في كثرة العــدد ، بل في إنتشار الصحة والعافية بين الأفــراد

وكذلك ترى المزارعين وعلماء النباتات يستنبطون من وقت لآخر أنواعاً جديدة من الفواكه والزهور والاقطان والبذور وما إليها بتلقيح بعض الأنواع بأنواع أخرى بطرق فنية يصلون إليها بعد تجارب كثيرة . ومن السهل الاطلاع على نتائج تجاربهم المدهشة مما يعرضونه فى شتى البلاد من معارض محلية أو دولية . ولا يزال الاخصائيون فى جميع تلك الفروع يعملون على توسيع دائرة مباحثهم المرتكزة على قواعد علمية وتجارب عملية تثير الاعجاب فضلا عن نتائجها الاقتصادية فى زيادة الانتاج وتحسين أنواعه .

فاذا علمنا ذلك سهل علينا فهم تأثير الوراثة على الجنين من بنى الانسان ووجوب وقاية النسل البشرى من شرور الأمراض التى يمكن أن تنتقل من آباء وأمهات مصابين بها الى أولادهم الأبرياء بطريق الوراثة فيولد الطفل ضعيفاً ملوثاً بأمراض لاذنب له فيها ولسان حاله يقول :« هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد » ومن أشد الأمراض خطراً وأسهلها انتقالا من الآباء الى نسلهم أمراض الزهرى والتدرن ، خصوصاً بعد ميلاد الأطفال ووجودهم فى بيئة ملوثة بجراثيم المرض ، والأمراض العقلية اذا كان أحد الوالدين مصاباً بمرض منها أو كان من المدمنين على المسكرات والمخدرات .

ونظراً للكارثة الفادحة التى تصيب الأمة مادياً ومعنوياً بسبب كثرة عدد الأطفال المصابين بأمراض وعاهات غير قابلة للشفاء من طريق الوراثة عن آبائهم أو أمهاتهم اهتم أولو الأمر وقادة الرأى فى الأمم المتمدينة بدراسة الطرق الواجب اتخاذها لوقاية الأبناء من الأمراض الوراثية .

وراثة النبوغ والعبقرية

قامت جمعية اليوجينا للمباحث ، فى أمريكا بالبحث فى حياة عدد من العظماء ، وعلى الخصوص أولئك الذين برزوا فى تاريخ أمريكا وغيرها فخرجت من مباحثها بتأكيد تأثير الوراثة فى حياة العظماء .

وفى مقدمة الذين استقصت تلك الجمعية أنباء أسلافه الرئيس ابراهام لينكولن بطل الحرب الأهلية الأمريكية . وثبت لتلك الجمعية أن كلا من والدى لينكولن انحدر عن أسرة ذات همة وإقدام .

وقد بحثت الجمعية أيضاً فى حياة « بنيامين دزرائيلى » السياسى الذى بلغ القمة فى انجلترا وقاد دفتها مدة من الزمن اذ شغل منصب رئيس الوزراء مرتين وقد اتضح للجمعية ان دزرائيلى كان وهو لا يزال غلاماً صغيراً قوى الارادة مجازفاً ولما بلغ مرحلة الشباب صار يميل الى حسن الهندام وقد فقد فى شبابه مالا كثيراً فى المضاربة وكان منذ صغره قوى البديهة طلق اللسان يخشاه الجميع فى المناقشة وكان أبوه أديباً معروفاً وقد اشتهر بنشاطه وثرثرته ، أما والدته فكانت قارصة النكتة قاسية التهكم ذات عقل راجح تقدر الأمور حق قدرها .

ولما أرادت تلك الجمعية الأمريكية البحث فى أسلاف نابليون بونابرت لتتبين أثر الوراثة فى عظمته واجهتها الصعوبة التى لقيها الباحثون فى هذا الموضوع قبلها ، فان أسلاف نابليون الأولين ليسوا معروفين وانما جاء نابليون من صلب أسرة فقيرة فى جزيرة كورسيكا بيد أن الباحثين يؤكدون أنه لابد من أن أحد اسلاف نابليون كان جندياً مجازفاً أو قاطع طريق أو غير ذلك ، مما يستدعى الحركة والمجازفة وشدة العزيمة ، والا لما جاء نابليون وله هذه الصفات التى كونت بطولته .

أما تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يمجد الأمريكيون ذكراه فإن أسلافه معروفون وقد اشتهروا بالهمة والإقدام وكانوا زعماء فى عالم الأعمال الحرة بمدينة نيويورك وكذلك كانت والدة روزفلت ــ واسمها مارتا بلوك ــ من أسرة عرفت فى ولاية جورجيا بالنشاط والهمة وبرزت فى الحياة العامة .

وكذلك جورج واشنطون الزعيم الأمريكى الأكبر انحدر عن أسرة اشتهرت بالبسالة الفائقة ، وكان أسلافه من الانجليز الذين استعمروا أمريكا وجازفوا بأنفسهم فى محاربة قبائل الهنود الحمر ومكافحة أنواع المخاطر التى كانت تصادف أولئك المستعمرين الأولين . وسيمون بوليفار بطل أمريكا الجنوبية الذى حررها من نير أسبانيا جاء من أسرة أسبانية تماثل أسرة واشنطون فى المخاطرة والاقدام ، وأوليفر كروموبل البطل الانجليزى المعروف اشتهر اسلافه من اشراف الانجليز بالشجاعة وكانوا بارزين فى انجلترا ــ وان عرفوا فى الوقت نفسه بالتبذير .

وليس تأثير الوراثة بقاصر على الساسة العظماء وحدهم بل يبدو أيضاً فى مشاهير الفنانين ، فمنهم مثلا الموسيقى الالمانى يوهان سباستيان باخ قد جاء من أسرة كثر فيها النابغون فى الموسيقى . وقد يظهر تأثير الوراثة أيضاً فى عالم التجارة والصناعة فينشأ تاجراً أو بارعاً فى الصناعة بالسليقة تبعاً لأبيه وجده .

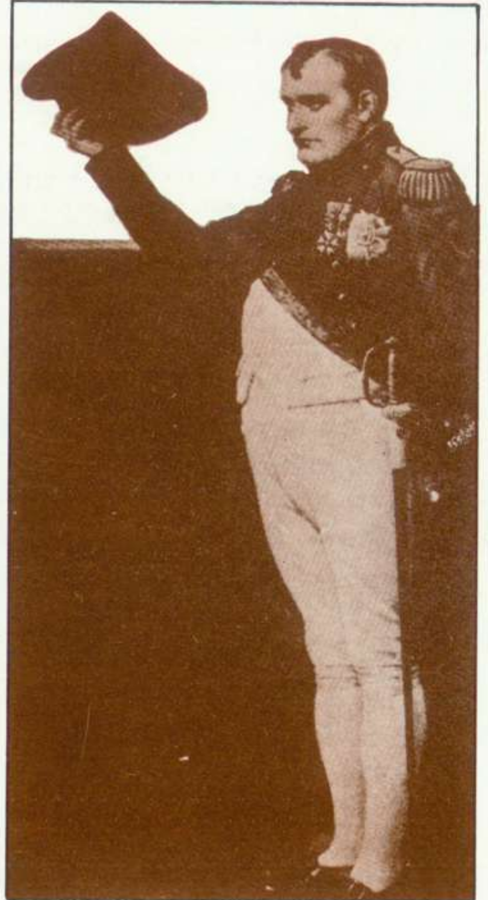
والتاريخ العربى حافل بمثل هذه الشواهد الدالة على أن العبقرية تورث ولولا دخول دم غريب فى الأسرة لما كان هناك ما يدعو الى انقراضها .

فقد كان أبو سفيان من سادة العرب المعدودين فظهر ابنه معاوية وساد فى الإسلام . وكان معاوية ينزع الى الأدب ، وله شعر مثبت فى الكتب فكان ابنه يزيد شاعراً ، وكان الوليد بن يزيد شاعراً آخر . وانقرضت الدولة الأموية ولكن بقى النبوغ الأدبى ظاهراً فيها ، فان كتاب الأغانى وهو أكبر الآثار الأدبية للعرب قد وضعه أبو الفرج الاصفهانى وهو من نسل معاوية .

وكانت أسرة المهلب مشهورة بالنجدة والشجاعة تناوىء الخلفاء أحياناً وأحياناً أخرى كانت تمدهم بالقواد العظام من أفرادها لكسر شوكة الخارجين عليها وقد عاشت دهراً طويلا يرث أفرادها هذه النزعة حتى أفسدها التسرى وهجن دمها .

وربما كان أهم مثل على وراثة العبقرية أسرة امرىء القيس . فمنها هذا الملك الضليل صاحب « قفانبك » ومنها عدى بن زيد صاحب « ابلغ النعمان عنى مالكا » ومنها الأسود بن يعفر ، ومنها سلامة بن جندل ، ومنها كليب والمهلهل وعمرو بن كلثوم .

ومما يدل على أن العبقرية كانت كثيراً ما تأتى عن طريق الوراثة لا عن طريق الاكتساب ما ذكره الجاحظ عن بعض أدباء الفرس الذين بزوا أقرانهم فى الأدب الفارسى ثم ظهر منهم من امتاز أيضاً فى الأدب العربى بحكم ذلك العرق الذى كان ينزع بهم الى الأدب .



نابليون بونابرت

هل الأمراض العقلية وراثية ؟

قام الدكتور بنروز بدراسة علمية وافية عن الأمراض العقلية ففحص حالات ١٢٨٠ مريضاً فى معهد علمى أنشىء خصيصاً لهذا المرض فى « جلوشستر » ولم يقتصر على فحص المرضى وحدهم ، بل فحص كذلك حالات أكثر من ٢١ ألف شخص من أقاربهم ، لكى يكون رأيه قاطعاً ، ولكى يكون العلاج قائما على أساس علمى ثابت ، فتوصل إلى النتائج التالية :

١) يحدث المرض العقلى من اصابة الطفل بضرر ما نتيجة صدمة أو وقوع أو من ضربة على رأسه ويمكن تلافى ذلك بالعناية التامة بالاطفال .

٢) ينشأ المرض من اصابة الطفل بالزهرى قبل ولادته ، ويمكن تلافى ذلك بمعالجة الأم المصابة بهذا الداء الوبيل ، ومنعها من الحمل قبل أن تشفى تماماً .

٣) وينشأ المرض كذلك من بعض أمراض الطفولة كالتهاب السحايا (غشاء المخ والحبل الشوكى) ويمكن معالجة ذلك بتوفير الغذاء الصحى لهم وبخلاصة افراز الغدة الدرقية . وبذلك يمكن شفاء آلاف الحالات ويصبح المرضى أصحاء قادرين على أن يتعلموا القراءة والكتابة والحرف التى تلائمهم ويتحولوا الى أفراد نافعين للمجتمع .

٤) شدة الانفعال النفسانى وغرابته منذ الطفولة وشفاؤهم سهل بطرق علم النفس .

٥) توجد فئة كبيرة مصابة بنوع غريب من البله وهذا راجع الى حالات خاصة قبل الولادة ، وهذا المرض يصيب على الأخص أولاد الأمهات اللاتى يلدن فى سن الأربعين أو بعدها نتيجة الأحوال الاقتصادية التى أخرت سن زواجهن ـ فالزواج المتأخر ـ وهذا رأى جديد ـ يسبب شقاء الأسرة بانتاج نسل ضعيف مصاب بأمراض عقلية .

٦) تحدث اصابات بأمراض عقلية فى دور الشباب أو الرجولة نتيجة قلة افراز بعض الغدد المتصلة بالمخ .

هذه الحالات كانت سبب مرض ربع الأشخاص الذين فحصهم الدكتور بنروز ، أما الباقون فثمانية فى المائة منهم ورثوا النقص العقلى عن أحد الأبوين مباشرة ، والآخرون ورثوا المرض عن غير الآباء المباشرين ، وفى حالات قليلة نشأ المرض من زواج الأقارب ، ولهذا يرى الدكتور بنروز عدم تشجيع مثل هذا الزواج .

وكانت النتيجة المترتبة على هذه الابحاث أن أشتدت الدعوة الى تعقيم كل شخص مصاب بأى مرض عقلى لتنقية الأجيال المقبلة من هذه الحالات .

علم تحسين النسل

ومن أربعة عشر قرناً من الزمان يقول الحديث الشريف « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » أى يجب على كل رجل أن ينظر الى المرأة التى يرغب فى تزوجها هل هى كفيلة أن تعقب عقباً حسناً أم غير كفيلة بذلك ، وهذا هو ما يسمى فى العصر الحديث بالنظر البيوجنى أى جعل الانسان الحسن من أهم الأهداف التى يوجه إليها الزواج .

وقد شاعت لفظة « اليوجنية » قبل نحو ثمانين سنة ، وكان واضعها ومذيعها السير فرنسيس جالتون أحد العلماء الانجليز والمقصود من هذه اللفظة علم يراه بدراسته تحسين النسل حتى يخلو من الشوائب والعيوب الموروثة . وألفت الكتب وأسست المجلات لدراسة هذا الموضوع وتأسست الجمعيات للدعوة إليه والعناية بما يثبت فروضه ونظرياته .

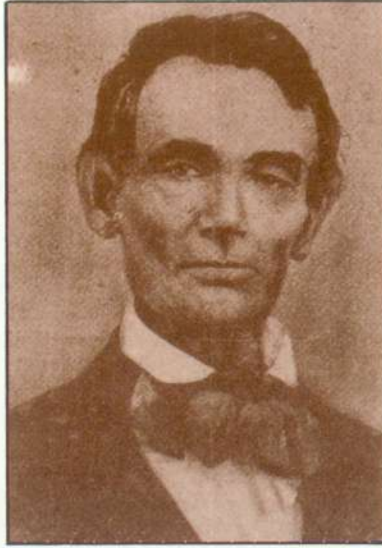
واذا تقرر هذا وجب أن نقر بأن « اليوجنية » علم صحيح يحتاج الى البحث وتدوين الحقائق الخاصة بوراثة الصفات والكفايات وأن الزواج كما يقول جوليان هكسلى من المسائل التى يجب أن يكون من حق الحكومة أن تتدخل فيها . فكلنا نعرف الآن أن من حق كل إنسان أن يكون له أبوان يزودانه بجسم وعقل سليمين « كما يقول الانجليز » ولما كانت الحكومة الوصية على الصغار فعليها أن تختار لهم آباء قد استوفوا شروط السلامة والصحة بأن تمنع على الأقل كل زواج يكون فيه أحد الأبوين مصاباً بعاهة تورث فى الأبناء .

وهذه هى اليوجنية السلبية القائمة على ترقية الشعب بمنع العناصر السيئة من أن تتلوث بها الأجيال القادمة . وقد شرعت جملة حكومات تشريعات عدة لتحقيق هذه الغاية منع بها زواج سيؤخر « اليوجنيه » ويصد الجمهور عنها ويجعل القائلين بها عرضة للنقد والتقريع ويميل كثير من اليوجنين الآن الى تحقيق أغراضهم عن طريق الرأى العام بنشر المعارف الخاصة بالوراثة والزواج .

وافتتح جالتون هذا البحث بكتابه المشهور « العبقرية الوراثية » وقد تحرى فيه ذكر الأسر التى أنجبت أكبر عدد من العبقريين لكى يثبت أن كثيراً من الصفات الحسنة ـ مثل كثير من الصفات السيئة ـ تورث ، وأننا يجب لهذا السبب أن



تيودور روزفلت



ابراهام لنكولن

● هل من حق الحكومات منع زواج المرضى والضعفاء ؟

● العلمـاء يبـذلون جهـوداً واسـعة لتنميـة المـخ البشرى وتوسيـع قدراتـه

ندرس قوانين الوراثة لكى نعرف ونميز بين أثر الوراثة وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج .

وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج .

وقد قال الأستاذ الدكتور كاريل فى مؤلفه فى سبيل تحسين النسل ان الأطفال صورة تعبر عن الميول الوراثية الكامنة فى جميع أنسجة والديهم ، وليس من الصعب تحويل تلك الميول بالوسائل التى تساعد على تحسين النسل لخير المجتمع ، أما اذا كانت بنية الوالدين غير سليمة أو ملوثة بجراثيم أمراض تفسد أنسجة الجنين بحكم الوراثة فلن ينتجوا الا نسلا ضعيفاً قليل الذكاء تعوزه القوة المعنوية وسلامة التفكير فلا يكون ضاراً لنفسه فحسب بل ضاراً لغيره بسبب ما يقترفه من جرائم تدفع به إلى السجون أو المستشفيات .

وليست قوة الأمة فى كثرة عدد أفرادها اجمالاً بل فى وفرة عدد الأصحاء منهم فى الجسم والعقل ، ولذا لا يصح أن تقتصر مهمة الحكومة الرشيدة والشعوب الراقية على تقليل نسبة وفيات الأطفال ، والاكثار من عدد المواليد أياً كانت حالتهم ، بل يجب أن تكون غايتها أسمى من ذلك فتوجه مجهوداتها الى تقليل الوفيات من جهة واتخاذ الوسائل التى تؤدي بنجاح الى تحسين النسل من جهة أخرى ، صحياً وأخلاقياً وبذلك يزداد إنتاج البلاد مادياً ومعنوياً بزيادة ابنائها الأصحاء وتقليل عدد الضعفاء أو المرضى بينهم .

ومن طرق التشريع التى اتخذت للحد من الأمراض الوراثية صدور قانون يقضى بعدم عقد زواج إلا إذا قدم كل من طالبى الزواج شهادة من لجنة طبية حكومية أو من طبيبين تقرر بعد التحقق من شخصية الطالبين واجراء الفحص الطبى الدقيق بالطرق العلمية الحديثة ، أن كل واحد منهما صحيح الجسم والعقل وليس به أعراض أى مرض من الأمراض التى تضر بصحة الزوج الآخر أو تنتقل آثارها الى النسل بطريق الوراثة أو بعد الميلاد ، وقد لجأت كثير من الدول الى هذا التشريع .

واذا حصل الكشف الطبى على طالبى الزواج بمعرفة لجنة حكومية بناء على تشريع يحتم ذلك فلا حرج على الطبيب أن يقرر كتابة صلاحية من كشف عليهم أو عدم صلاحيتهم طبياً للزواج بدون ذكر نوع المرض المانع من الزواج فيكون حكم الطبيب فى هذه الحالة كأطباء شركات التأمين على الحياة وكأطباء القومسيون الطبى الحكومى المختص بالكشف على الموظفين وطالبى الاستخدام لتقرير صلاحيتهم للعمل من عدمه وتقرير ما يحتاجون إليه من اجازات وما الى ذلك من الاختصاصات المخولة للقومسيون .

تطلعات وتصورات العلماء للمستقبل

سئل البرفسور « جان روستان » أستاذ علم الوراثة وعضو أكاديمية العلوم الفرنسية ماذا يحمل المستقبل للانسان فى ضوء التقدم فى ميدان بحوث الوراثة !

فقال : قد تكون العلوم البيولوجية أبعد العلوم تأثيراً فى مستقبل الانسان لأن هذه العلوم لا تكتفى مثل العلوم الأخرى بتغيير الوسط الذى يعيش فيه الانسان أو الأداة أو الآلة التى يستعملها ، علوم البيولوجى تتعدى هذا وذاك ، وتمضى الى الانسان ذاته ، تبحث عن استحداث تغيير فى كيانه .

ويوم نستطيع نحن علماء الوراثة معرفة كل الأساس الكيميائى ودقائقه الخاصة بالوراثة ، تلك العملية الرائعة التى تنتقل بها الصفات من الآباء الى الابناء ، يوم نعرف ذلك ، فنحن لابد وأن نصل ذات يوم الى تطوير الانسان .

هذا الأساس الكيميائى الكامل للوراثة ، هو الذى اكتشفناه فى الكروموسومات والذى يعرف بالحامض النووى أو بمعنى أدق حامض الديزوكسى ريبونيوكالييك .

واستطرد « جان روستان » عالم الوراثة الكبير يقول :

« وقد وجدنا من خلال التجارب الدقيقة ، أن البكتيريا أثبتت قدرتها على اعطاء هذا الحامض النووى فى حالات خاصة ، وأن هذا الحامض يمكن تغييره باستخدام حامض نووى مماثل ولكن من مصدر آخر .

وانى آمل — وربما يكون هذا الأمل مجرد حلم قد لا يتحقق أبداً — أنه قد يتأتى فى الغد لعلماء البيولوجى ، وعلماء الوراثة بالذات ما يمكنهم من تحسين النوع الانسانى ، وذلك باستخدام الحامض النووى المأخوذ من « السوبرمان » أو باستخدام حامض نووى صناعى مخلق داخل المعمل الكيماوى ، والذى يراعى عند صنعه ، مواصفات الحامض النووى الذى يحمل أفضل الصفات البشرية ..

ويمكننا أن نتطلع الى مستقبل الانسان من زاوية أخرى ، هى زاوية الذكاء .. قد يأتى يوم قريب يستطيع فيه العلماء تنمية المخ البشرى .. فبدلا من أن يضم هذا المخ حوالى عشرة ملايين خلية تتضاعف ثروته الحية فيضم عشرين مليون خلية .. كلها خلايا للفكر والذكاء والمعرفة .

عز الدين فراج

الخزّاف "شعراوي" وكلماته العربيّة المجسّمة

بقلم: صبحي الشاروني

اسمه الكامل « محمد الشعراوى عبد الوهاب » ، لكنه اشتهر باسم « الخزاف شعراوى » ، وهو ابن عم الفنان « محمد عبد الوهاب » ، لكنه يرفض دائماً وباصرار أن يعرف الجمهور هذه القربى لأنه يريد أن يثير اهتمام الناس بفنه وليس بحسبه .





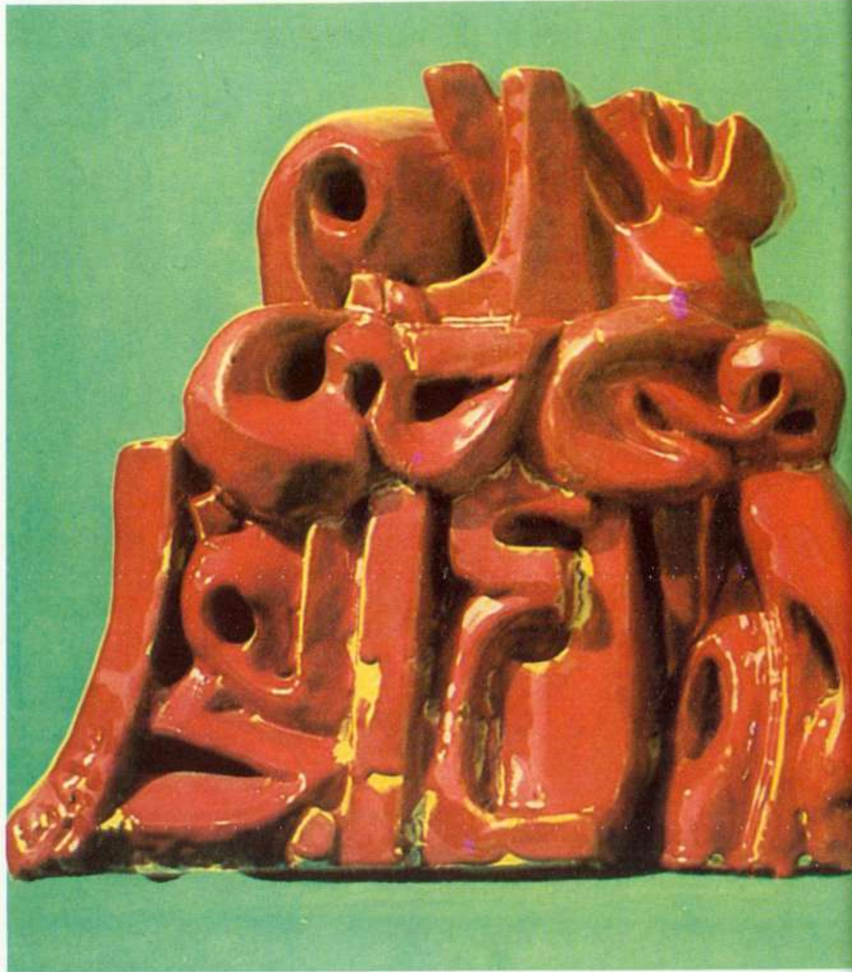
طين محروق (فخار) للفنان شعراوي

اكتشف الانسان الفخار منذ أقدم العصور ، واستخدمه في حياته اليومية ، فصنع منه الأواني والقدور التي يحفظ فيها طعامه وشرابه . وكانت منطقة الشرق الأوسط هي أقدم مناطق العالم التي توصلت إلى تزجيج الفخار ، وتحويله إلى خزف ، وتطور حتى استوفى جميع أغراضه النفعية فراح يشق طريقا جديدا يهدف إلى الترفيه وتجميل الحياة .

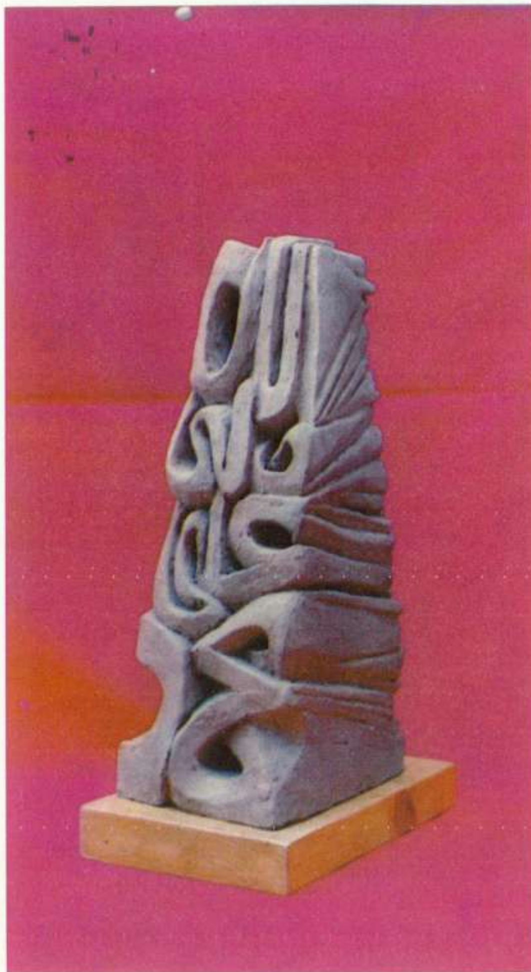
ويعتبر الإناء الذى توضع فيه زهور الزينة قمة الإبداع الذي فتح الطريق أمام الخزافين للإجادة والتنويع ، وأبدعت مصر الاسلامية روائع منه .. خاصة عندما ازدهرت مدرسة « الفسطاط » . لكن هذا الفن اندثر خلال الحكم العثماني لمصر ..

أما المزهرية (إناء الزهور) فقد ظل سجين هذه الوظيفة إلى أن ظهر ما يمكن تسميته « بالنحت الخزفي » ، وهو فن يستفيد بمعطيات الخزف التي تتمثل في الملمس الناعم الزجاجي والألوان المتعددة بالإضافة إلى البريق .. مع قيم جديدة تتمثل في تشكيل الكتل المجسمة ..

وإذا كانت خامة الخزف قد ارتبطت طوال تاريخها بفن الإناء حتى أن اللغات الأوربية تطلق



« سلام هي حتى مطلع الفجر »



اسم الجلالة فى أعلى البناء الخزفي

على « الخزاف » اسم « صانع الأوانى » وعلى فن الخزف اسم « فن صناعة الآنية » إلا أن لغتنا العربية تطلق اسم خزاف على كل من يشكل أوانيه أو تماثيله من خامة الخزف .

ويعتبر الخزاف « شعراوى » من أوائل الفنانين العرب الذين اتجهوا إلى تحرير فن الخزف من تبعيته التقليدية لفن الإناء .

نصف قرن مع الخزف

اسمه الكامل « محمد الشعراوي عبد الوهاب » لكنه اشتهر باسم « الخزاف شعراوي » . وهو ابن عم المطرب « محمد عبد الوهاب » ، لكنه يرفض دائما وبإصرار أن يعرف الجمهور هذه القربى لأنه يريد أن يثير اهتمام الناس بفنه وليس بحسبه .

ولد الفنان يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩١٦ بالقاهرة .. وقد اتجه فى دراسته إلى « مدرسة الفنون التطبيقية » حيث تخصص فى دراسة فن الخزف ، وتخرج عام ١٩٣٥ بعد أن حصل على دبلوم التخصص في هذا الفن ، وعمل مدرسا بالتعليم العام حتى تم تأسيس معهد التربية الفنية للمعلمين فالتحق به وحصل على شهادة تربوية ، وتدرج في وظائف التدريس حتى وصل إلى منصب « مفتش التربية الفنية والدراسات العملية لفن الخزف بالتعليم الثانوى » .

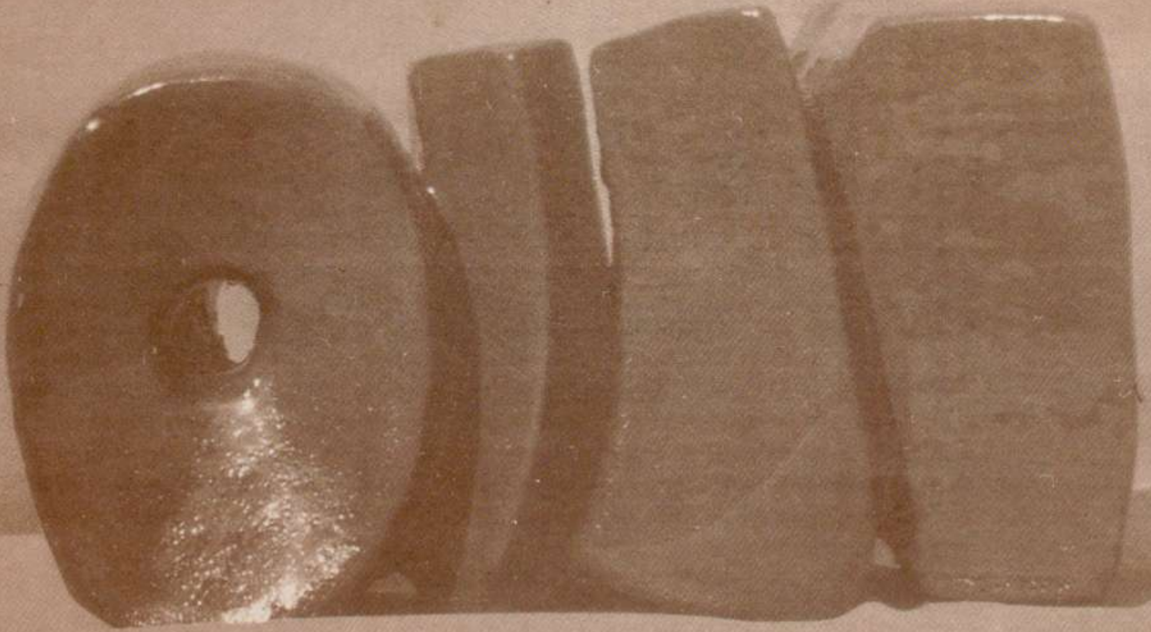
وفى عـام ١٩٦٤ م أشرف على النشاط الفنى بنادي الطلبة الوافدين الذى يستقبل الطلاب القادمين من أنحاء العالم للدراسة بالقاهرة ، وأسس قسما للخزف ، ثم أقام عددا من المعارض لأعماله وأعمال طلابه القادمين من دول مختلفة معظمها دول آسيوية وأفريقية ، واستمر فى هذا العمل أربع سنوات متتالية .

ثم انتقل للعمل بوزارة الثقافة مشرفاً على المعارض التي تقام بالخارج للفن المصرى ، ومستقبلا المعارض الأجنبية التي تقام بالقاهرة تطبيقا لمعاهدات التبادل الثقافي .. وفي عام ١٩٧٤ م أعير للعمل بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث تولى في عدن إعداد « إدارة الفنون الجميلة » ، وهناك أعد قاعات العرض المناسبة لتنفيذ اتفاقيات التبادل الثقافى في مجال الفنون الجميلة بين حكومة عدن ومختلفة دول العالم .

يبلغ العمر الفنى للخزاف شعراوي أكثر من نصف قرن ، فمنذ التحاقه بمدرسة الفنون التطبيقية في مطلع الثلاثينيات لم يتوقف عن الانتاج الفنى ، رغم أنه لم يبدأ في تقديم انتاجه للجمهور في المعارض الخاصة إلا فى منتصف الستينيات .

وقد عرضت أعماله في معرض الخزف الدولي الذي يقام سنويا في مدينة « فاينزا » بإيطاليا أربع سنوات متتالية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ م ، وحصل عن اشتراكه في هذا المعرض الدولي على عدة شهادات تقديرية .. كما سافرت أعماله ضمن معرض (٥٠٠٠ سنة خزف) الذي قدم تاريخ هذا الفن في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر .. وتنقل هذا المعرض ليقام في الاتحاد السوفيتي وبولندا وبلغاريا ورومانيا والمجر ويوغوسلافيا والمانيا الديمقراطية ، وقد رافق الفنان هذا المعرض في جولته الطويلة ، بينما اقتنى متحف برلين جانبا من أعماله .

وقد أقام الفنان معرضا لأعماله الخزفية في باريس عام ١٩٧٩ ثم انتقل إلى بون ، ولقي نجاحا كبيرا في العاصمتين حيث أقبل الأفراد على شراء أعماله ، كما دعي ليحاضر عن فن الخزف المصرى المعاصر في ألمانيا الغربية .



اسم الجلالة .. وكان هذا العمل غلافاً لكتالوج معرض الفنان في باريس عام ١٩٧٩

الخزَّاف "شعراوي" وكلماته العربيَّة المجسَّمة

وتنتشر أعمال الخزاف شعراوي في متاحف الفن الحديث بمصر ومتاحف تشيكوسلوفاكيا والمجر وفي المجموعات الخاصة بمصر وخارجها .

شعراوى بين الخزافين

إن أي محاولة لوضع تاريخ فن الخزف الحديث في مصر لابد أن تتعرض لمجموعة محدودة من الأسماء التي حققت إضافة واضحة ، سواء في إعادة الحياة لهذا الفن أو دفعه في طريق التطور إلى الأمام ... كان رائد هذا المجال هو الفنان الراحل محمود صابر باعتباره أول مصرى درس فن الخزف دراسة علمية منظمة في مصانع « سيفر » بفرنسا عام ١٩٢٤ ، موفدا من مصنع الخزف الفني الذي أقامته السيدة « هدى شعراوى » للنهوض بهذا الفن ، وكان يعمل من أجل إحياء التراث الإسلامى العريق .

وقد تلاه في هذا الميدان الخزاف الشهير « سعيد الصدر » الذي واصل المسيرة ووضع إضافته المتميزة من خلال أبحاثه في الطلاءات الخزفية ، ذات البريق المعدنى .

أما الاسم الثالث في هذه السلسلة من الرواد فهو « الخزاف شعراوي » ، الذي ركز تجاربه على الشكل الفني للمنتجات الخزفية دون الاتجاه إلى الانتاج الغزير بمعناه الصناعي أو الانصراف إلى الأبحاث الكيمائية في ميدان الطلاءات .. إن تشكيل طينة الخزف بمفهوم نحتي يراعى الصفات الخاصة لخامة الخزف ذات الوظيفة التجميلية ، هو الإضافة الحقيقية التي حددت المكانة المتميزة للخزاف شعراوى .

استيعاب التجارب العالمية

أتيحت للفنان تجربة فريدة وضعت بين يديه الخبرة العالمية في فن الخزف الشعبي ، عندما أسس قسم الخزف في نادى الطلبة الوافدين . إن تلك السنوات الأربع جعلته يحتك بالفنانين الهواة القادمين من جميع أنحاء أفريقيا وآسيا .. وفي الوقت الذي كان يوجههم ويعلمهم ، كان أيضا يتعلم منهم ؛ فقد كانوا محملين بتجارب شديدة التنوع تمثل التقاليد التشكيلية الشعبية والفطرية ، والرفيعة أيضا ، التي حملوها معهم من بلادهم . وهكذا اتسعت أمام الفنان مجالات الرؤية وآفاق الابتكار ، بل وحررته من التقاليد والخبرات المحدودة التي تعلمها ومارسها قبل عام ١٩٦٥ .

وخلال عمله في إدارة العلاقات الثقافية الخارجية بمصر ، تعرف على خبرات جديدة ... كما استوعب التراث الحضارى العريق لهذا الفن عندما تولى إعداد معرض « ٥٠٠٠ سنه خزف مصرى » ... وفي عدن أجرى تجاربه على الطينات المحلية وشهد ثقافة عربية في حالتها البكر .

ومن كل هذا توصل شعراوى إلى الأشكال التي أنتجها والابتكارات التي حققها ، والتي تقوم على فلسفة في التشكيل ووجهة نظر يدعو لها ويتبعها في انتاجه .



وهنا يستخدم الفنان شعراوي اسم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى تشكيل رائع



من أسماء الله الحسنى : الملك ، القدوس ، السلام

لقد بدأ في مرحلته الأولى ككل الخزافين ، فقام بتشكيل الآنية وتزجيجها ، كانت أشكاله تخضع للشكل الأسطواني الذي يتم تشكيله على عجلة الفخار .. ثم لم يلبث أن تمرد على الأشكال الدائرية المنتظمة ، فمر في مرحلة تالية كان خلالها يشكل الآنية على « دولاب الفخار الدوار » ثم يحدث فيها انبعاجات واضافات تغير الشكل الدائري التقليدى الممل ؛ في هذه المرحلة استوعب الخبرات الأفريقية والآسيوية ، فراح يضيف إلى سطوح الأوانى زخارف غائرة وأخرى بارزة ، ثم استخدم الفجوات والتفريغ ، وحقق فى تلك المرحلة الثالثة مجموعة مبهرة من الأوانى ذات الأشكال المبتكرة والزخارف العجيبة ، التي جمعت بين عراقة التراث وعنف التقاليد الزنجية وسعة الخبرات الآسيوية ، بالاضافة إلى ابتكاراته عندما جمع كل ذلك في انتاجه الذي كانت تتضح فيه تجربته العريضة في الخزف .

لقد استخدم الفنان نفس الأدوات والخامات وطرق التشكيل التقليدية ؛ لكنه تميز بالزخارف والنقوش التي لم تكن تجميلا أو إضافة ، ولا مجرد حلية ، أو استعراض لقدراته التقنية ، لكنها تميزت بالارتباط الوثيق بين الزخارف وأشكال الأواني في انبعاجاتها . أو تمددها ، طولها أو قصرها .. أي أن العلاقة بين الشكل المجسم للقطعة الخزفية من ناحية والشكل الملون للزخارف التي تغطي سطحها من ناحية أخرى هى علاقة حية ديناميكية ، ولا يمكن فصلها عن بعضها .

لقد استفاد شعراوى من جميع فروع الفنون الجميلة ، فكانت أوانيه كالعمارة في سموها وتنظيمها ، وكالنحت في ديناميكيته الحية ، وكالتصوير في شاعريته وتعبيريته ، وهى في النهاية أعمال تجميلية تبهج المشاهد وتبرز الخصائص النوعية لخامة الخزف التي تتميز بالنبل والأناقة .

هجـــر الإنـــاء

وفجأة أعلن الخزاف شعراوي أن الإناء قد قال كل ما عنده ، وأن فن الخزف عليه أن يتخلى عن التقيد بالقيمة التطبيقية الاستخدامية ، ويكفى أن يتوسع في الجانب التجميلي ليحقق اضافة جديدة في الشكل النحتي لقطعة الخزف ؛ ذلك لأن الاستخدام النفعي يقيد الفنان ويحد من آفاق الابتكار .

وراح يبحث عن شكل جديد معاصر ، فركز على القيمة الجمالية للشكل المجسم .. في البداية استلهم المباني والعمائر ، فكانت هي مرحلته الثالثة التي كانت تحتفظ بعلاقة واهية بفن الإناء . وصورت تلك الأعمال البيوت المبنية بالطين مرة ، والحادة الخطوط مرة أخرى .. ثم سافر إلى اليمن ، وبهرته العمارة المحلية وطابعها المميز .. لقد شهد في «حضرموت» العمائر الطينية المتعددة الطوابق والمتساندة بعضها على بعض ، وأثر بشكلها الفريد .. كما أن طينة الفخار هناك تختلف صفاتها عن طينتها في مصر ، وهي نفس مادة البناء في تلك المنطقة من العالم العربي .

عمائر فخارية

ويقول الفنان موضحا طريق التطور الذي سار فيه : « لقد بدأت بالاستغناء عن « العجلة الدوارة » التي تحتم الشكل الأسطواني ، وغيرت شكل الإناء



« إنه كان توابا »



"الوهاب"

الخزَّاف "شعراوي" وكلماته العربيَّة المجسَّمة

حتى تحول إلى قطعة نحت .. وكانت المرحلة التالية هي التخلي عن القيمة النفعية للعمل الخزفي كإناء ، والتركيز على قيمته الجمالية ، فقط ، وتركز اهتمامي على الكتلة وشكلها المجسم ، وعشت مرحلة معمارية فيها تشابه بين أعمالي الخزفية من ناحية ، والمباني من ناحية أخرى ، ثم خضت في تشكيلات الحروف العربية المجسمة : البسملة ، ولفظ الجلالة ، والآيات القرآنية ، وأسماء الله الحسنى ، ثم أسماء الأعلام ، وأعتقد أنني أسير في طريق مفتوح لتطوير فن الخزف الاسلامي والسير به طفرة تلائم عصرنا الحاضر » .

إن أعمال الفنان في مرحلته الرابعة اتجهت إلى تشكيل حروف اللغة العربية وتجسيمها ، وبهذا فتح الفنان طريقاً جديداً لتطوير فن الخزف وتحقيق طفرة جديدة ، إن أعماله خلال السنوات الأخيرة ينتمي معظمها إلى هذه المرحلة ، حيث حقق الفنان

نوعا من الفن التجريدي له قيمة النحت وفيه فخامة الخزف ، وفي نفس الوقت يوحي بالصرحية والشموخ عندما يعبر عن كلمات عربية ذات دلالة متصوفة ولكنها تتلاءم مع روح العصر الحاضر .

وفي جانب من أعماله الأخيرة نجده قد تخلى عن الطلاءات اللامعة وقدم بعض القطع الفخارية ، ليقترب أكثر من فن النحت وليبرز نبل خامة الفخار التي تستخدم في العمارة اليمنية ، فإن الشكل المعماري المستلهم في هذه الأعمال الفخارية هو أهم ما يميزها .

وهكذا كانت القيم البنائية في العمل الفني هي أهم ما يشغل الخزاف . ورغم التخلي عن القيمة النفعية إلا أنه يعوضها بتفوق متفرد في ميدان الشكل النحتي ، وهذه هي الاضافة الحقيقية للخزاف شعراوى . إن العمارة في اليمن ذات أثر عميق على هذه المرحلة الأخيرة . وكلها تقدم

تشكيلات مجسمة لكلمات وحروف عربية وبعض الآيات القرآنية ، حتى أطلق البعض على أعماله اسم « خزف اسلامي معاصر » .

نحن نعرف أن حروف وكلمات اللغة تشكل على مسطح مستو ، وحتى في العمارة الاسلامية كانت تنحت بارزة على سطح الجدار .. وفي عصرنا الحديث عندما استلهم الرسامون

حروف اللغة وكلماتها لم يشاركهم في هذا الاتجاه زملاؤهم من النحاتين .. حتى جاء الخزاف شعراوى ليقتحم هذا الميدان ويجسم الكلمات في تماثيله الخزفية التي يواصل انتاجها والتعمق في

امكاناتها منذ بضع سنوات حتى انبهر الأوربيون بأعماله عندما قدمها عام ١٩٧٩ في معرضه الخاص



تشكيل خزفي آخر لاسم نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

من آي الذكر الحكيم

بباريس ثم بون . وقد قال عنه أحد النقاد الفرنسيين : « إن الإضافة الحقيقية التي قدمها الفنان في أعمال الخزف هي أنه تجاوز ذلك الاستخدام التقليدي والنفعي المباشر لفن الأواني الخزفية ، لينتقل إلى آفاق التجريد والصياغة المتفردة للحروف والكلمات العربية في أحد الأشكال الجديدة لفن النحت » .

والواقع أن أعماله ذات مذاق محلي ، وتكتنفها صوفية وروحانية محلقة ..

ومن المهم أن نذكر أثر الخزاف شعرواى على الأجيال الجديدة من ممارسي هذا الفن في مصر ، لقد سار عدد كبير من شباب الخزافين في نفس الطريق الذي بدأ شعراوى السير فيه : طريق التخلص من أثر التراث دون أن تنقطع صلته به ، واستفاد من كل جديد ولم ينحرف بعيدا في بحث جمالي محلق .

صبحي الشاروني

كتابات شرقية وغربية

المسافر وحيداً

بقلم : جاك دى ريكومون

« منذ سنوات انتحر الأديب الفرنسي الكبير مونترلان بعد أن عاش حياته وحيداً ...
من أقواله : نحن لا نعرف كيف نموت »
ورغم مضي عدة سنوات على انتحار الأديب مونترلان فان تلك الحادثة لا زالت تثير مشاكل وخلافات فكرية عديدة ، ويبدو أن الحكم على مصير فعلته سيكون لمبدع الحياة والموت ، تلك الفعلة التي تبدو للبعض شجاعة وكبرياء بينما يراها الآخرون ضرباً من الجبن .
في ١٣ أغسطس سنة ١٩٦٩ قال مونترلان في كتابه « مجئ المساء » الذي بسط فيه ظل نهايته حين قدم اعترافاً جوهرياً بقوله « إن العزلة كانت أعظم تجربة في عمري ، لجأت اليها في الواقع خلال أكبر جزء من حياتي » .
واضح بالطبع أن مأساته الحقيقية لم تكن شيخوخة جسم شبع صاحبه من اللذات والشهوات ، ولم تكن بسبب طاعة عمياء لمثل أعلى أو لشخصية صارمة ، ولم تكن بسبب الضجر أو عدم القدرة على تذوق روح العصر أو العمي الكامل عن رؤية « أوجه الجمال في هذا العالم » والتي يصفها ميشيل انج في أشهر أناشيده كنعمة من نعم السماء . إنها مأساة الوحدة الاختيارية .
إن حالات الانتحار الوحيدة الشائعة هي تلك الحالات التي نرى فيها العاشق يقتل نفسه بدلاً من أن يتعذب برؤية حلمه وهو ينهار بعد أن يدرك استحالة الوصول إلى قمة السعادة ، أو ذلك المراهق الذي يدرك بحدسه مستقبل حياته الذليل وأنه لن يستطيع الهرب من دنس الوجود .
إن هنري رينيه يقول « إن هذا المراهق يقتل نفسه وهو يتمثل أنه بطل من أبطال الكاتب كارلو كوكسيولى وذلك ليطمئن إلى أنه سيمثل أمام الله وهو نقي طاهر » .
أما مونترلان فلم يكن سوى ضحية عشق ضد الطبيعة وهو عشق الوحدة .
يبدو لي أن أكبر خطيئة يمكن أن ترتكب ضد الانسان وبالتالي ضد الطبيعة هي أن يختار الانسان لنفسه تلك الحياة الخاصة والنادرة والتي بطلت منذ زمن ، حياة العزلة المطلقة .
إن هذه اللذة الحزينة هي أولاً إهانة لكل البائسين الذين يتحملون أحياناً هذه العزلة المفجعة كما لو كانت لعنة ، وإن كان أعظم الشعراء قد خرجوا منها بكلمات مؤثرة ومنهم جورج سيفيري في قصيدته المشهورة « الصهريج » :

وحيداً ، وفي قلبه كثير من الأشياء
وحيداً ، وفي قلبه كثير من العذاب
وكثير من الألم ..
وحيداً ، قطرة .. قطرة .

إنه إذن بخل الروح في أقبح أشكاله كالرغبة في الاحساس بعدم المديونية لأحد أو رفض الأخذ خوفاً من العطاء ، أو الخوف من خداع الآخرين أو الحرج أمامهم أو نيل كراهيتهم أو ببساطة تجنب إزعاج الثقلاء . كأن الموهبة تبدد الحاضر من أجل المستقبل لتؤكد حلاوتها وراحتها وفائدتها ، وكما قال السيد المسيح ما معناه « من يفقده سيلقاه » . إنه انعدام « حب الصدقة » الذي كان البابا بول يضعه فوق كل الفضائل ويقول بأنه يجب أن ينسج الصلات بين الفرد وبقية البشرية بحيث يشعر كل إنسان أنه ليس فقط متضامناً وإنما مسئول عن كل خير وشر في هذا العالم .

إن الوحدة امتزاج للرذائل الثلاث المقوتة وهي الأنانية والجبن والتعالي .
وعندما تحدث مونترلان عن تلك الغواية حاول التركيز على أنها أكبر النزعات شيطانية لأنها تتعارض بالطبع مع الأرواح السامية . إنها اللعنة ... ودون مواربة « ويل لمن يعيش وحيداً » . هناك برهان مدهش يقول « إذا نام اثنان معاً فانهما يشعران بالدفء ، أما ذلك الذي ينام وحده فكيف يستدفئ ؟ » .

وأخيراً ، كان يكفي مونترلان أن يعيد قراءة عنوان أحد مؤلفاته ليحكم بنفسه على نفسه فهو الذي قال : « المسافر وحده شيطان » .

الحياة البيضاء

بقلم الكاتبة الفرنسية :

فرانسواز بارترييه

كيف نسمي ذلك الخوف الجديد الذي لا يعد جبناً والذي يكبل كثيراً من الناس ، خوف من السرعة ، من نزلات البرد ، من الحب ، من القهوة الخالصة ، من الامريكان ، من الروس ، من الصينيين من المازوت ، من اللصوص ، من الزواج ، من اللحم المفروم ، من الأسبرين ، من الكنيسة ،

من شباب الاتو_ستوب ، من السمنة ، من النساء ، من الحاجة ، من الوفرة ، من الحرب وحتى من السلام المنتج ، من البطالة ، ومن الأمراض العصبية ؟ إن الناس في هذا العصر يخافون من كل شئ وينزعجون لكل شئ .

إن ذلك القلق ليس هو الاكتئاب الذي يصفه لويس باولز في كتابه « خطاب مفتوح للناس السعداء » لأن الخوف الذي أتكلم عنه هو في اليمين كما هو في اليسار ، إنه يجئ من كل جهة ، إنه يصيب كل طبقات المجتمع ، إنه غاية في البساطة ، ليس ميتافيزيقياً وليس فلسفياً . إنه خوف من الأنباء ، إنه ليس خوفاً من الذكاء . إنه خوف من المعرفة . خوف متصل بدائرة المعارف (انسيكلوبيدي) خوف متفقه . خوف من الممكن . هذا لا يعني أنه خوف زائف ، إن الحقيقة يمكن التنبؤ بها جيداً ، ولكنه خوف وهمي ، خوف ذو أبعاد ، خوف يتعلق بما هو آت .

في الغرب لا يتحرك الجسد ، ينتهي الخوف الحيواني ، لكن المخ هو الذي يرتعد . إننا إذن نعاني أكثر بكثير من أسلافنا ، لأنه لا يوجد شخص يمكنه تحمل خطر وهمي فضلاً عن خطر حقيقي .

إن سكان نيويورك مقروحون لأنهم يعتقدون أنهم إذا خرجوا في المساء فانهم سوف يهاجمون . لقد قال لي أحد الأطباء إن ذلك انتهى بأن سبب لهم ألماً أكثر من العدوان الحقيقي . إن انتظار حادث هو غالباً أسوأ من الحادث ذاته . لقد كان ذلك صحيحاً دائماً ولكننا اليوم نعرف كثيراً عن الأخطار التي

ترجمة وتقديم: محمد طنطاوي

تحيط بنا . ومن أجل مصلحتنا يحدثوننا طوال اليوم عما ينتظرنا على الطرق وعند منحنيات الشوارع ، في الغابات في مخدعنا ، في مكتبنا ، في طعامنا وحتى في مليارات الخلايا التي نحملها .

إن معرفتنا بأننا نتكون من ٩٢ بالمائة من الماء يقلقنا . إن كثرة وسائل الإعلام تضاعف مخاوفنا وينمو الحزن في رؤوسنا المنتفخة . تليف حقيقي للارادة ، وفي ذعر نتقيأ حضارتنا . نحن في حالة ضيق من كل شئ وأولاً من أنفسنا .

سوف نقف قريباً أمام الحياة ، عاجزين كما يقف الكاتب أمام الصفحة البيضاء . عذاب أن نحيا الحياة ، إن الحياة الخيالية قد أصبحت بالنسبة لبعض الشبان تجربة رهيبة مما جعلهم يقتلون أنفسهم . إنها الحالة القصوى ، وآخرون يتعاطون المخدرات ، وآخرون يملؤهم الرعب وبعضهم يهربون .

كثيرون يمشون كمن يمشي على البيض وعندما يصل معظم الناس للشيخوخة فانهم يراوغون ، ولكي يهربوا من المخاوف الكبيرة فانهم يلجأون للمخاوف الصغيرة . كم من الرجال والنساء يخشون السمنة أكثر من الموت . إنها ليست نزوة . لقد أجري تحقيق في الولايات المتحدة الأمريكية كشف أن الأمريكيين يعانون من نوعين من المخاوف الكبيرة (فوبيا) وهي الصلع والبدانة ، ونوعين من المخاوف الصغيرة وهي السرطان والاتحاد السوفيتي . ولعل ذلك هو أحد أسباب شقاء الشباب الذي لم يعد يخشى شيئاً على قوامه أو شعره ، إنه على حافة الحياة البيضاء بلا حاجز أو ستار .

كيف نجد المخرج لذلك ؟ ياإلهي .. كما يقول الرومانتيكيون عندما يشعرون في الكتابة . إن الشباب لا يستطيع انقاذ نفسه من خلال الحياة ذاتها . إن أولئك الذين يلقون بأنفسهم في الحياة يشفون بسرعة كما يشعر الكاتب بعد أن يخط في صفحته البيضاء . إن العمل لا يزال عسيراً ولا تزال الحياة خطيرة ومؤلمة ولكن العمل دواء عظيم جداً لكل شئ .

يقولون إن الله يحب الشجعان . نعم وإذا كنا لا نعتبر النجاح دليلاً على العون الالهي فان الشجاعة ـ قبل الذكاء ـ هي دائماً مفتاح الحياة . تلك الشجاعة التي أصبحت حيوية أكثر من أي وقت مضى في عصر يكاد يقتلنا الخوف فيه أسرع من الخطر .

لقـــاء الغـــربـــاء

للكاتبة الإفريقية : آوا آني

١ ـ ليلة حب

ليلة حب ، ليلة زرقاء ، كلها حنان ، ليلة حالمة ، ليلة حلوة ، ليلة شاعرية ليلة صاخبة ، ليلة لا تنسى . لكم تخيل حبيبي تلك الليلة كثيراً بأحلامه . لكم تمناها وتمناها من كل روحه ، لأنه كان علي وحدي أن أعد أحلى ما يمكن أن تقدمه زوجة في حياتها . ولكم حاول أكثر من مرة أن يتراجع عن ذلك الحلم المستحيل ، وبعد ما أوضحت له الأمر تعقل وتراجع . لقد كانت حيوية «آوا» ضرورية ليتحقق هذا الحلم في أبهى صورة ، حلمهما المشترك . ألم تضع كل خيالها وأنوثتها في خدمته ؟ هل كانت هناك تضحية واحدة لم تقم بها من أجل حبها ؟ لا ، لم تكن هناك مشكلة ، لقد كانت هناك خطة مرسومة في رأسها كبرت وعاشت طوال النهار من أجل مساء الربيع ، الربيع الخالد لحبهما .

لقد فكرت آوا فيما يلزمها من طاقة لينتعشا قليلاً فقدمت لمحبوبها طبقاً من بلاده . لقد أملى ذلك كله عليها حبها وقبله هو من جانبه بمنتهى السرور بل وأثنى عليه . أما هي فقد أحست بتواضعها المألوف بالقلق من المديح الزائد وكانت تخفض رأسها عندما تحدق فيها عيناه طويلاً . إنه لم يكن يتعب من النظر إليها والاعجاب بها لأنها عرفت كيف تختار فستانها ، لقد حلاها وجعلها جميلة في عينيه فقط . لقد كان ذلك المساء رائعاً حيث كان كل شئ يبدو كحلم . لقد نجحا في أن يخلقا لنفسيهما عالماً خاصاً بهما ، بعيداً عن أعين الناس ، في جو دافئ وهادئ حيث كان هو الأمير الوسيم وهي الأميرة .

لقد ذاقا في تلك الليلة سعادة لا يتخيلها عقل . حتى سكون الليل والموسيقى كانا نديمين لهما : هدوء سحري ، وموسيقى حلوة ودافئة تحتضنك وتلفك في معطفها الوردي لتجعلك تنسى نفسك ثم ترحل حالماً .

لقد عرفا في تلك الحجرة التي شهدت كل أسرار نشوتهما وسعادتهما أروع حب .

٢ ـ الرحيل

منذ بضعة أيام أخذ شكل المنزل الصغير المواجه للشارع في الحي الرئيسي في التغيير . إن الحجرة التي عرفت أعظم عاشقين كانت تخلو يوماً بعد يوم .. لقد انتقل رجال الشركة الذين يفهمون في فن التغليف لمواجهة الموقف . إن أركان المنزل كانت تحس بالرحيل فظهرت عليها امارات الحزن والكآبة .. إن الرجل سيرحل !

هذا الرحيل .. كان قد صمم على موعده منذ مدة ، لقد قبله على مضض بتلك اللامبالاة الفلسفية التي لا يعرفها سوى عظماء الرجال . لأنه لكي يكون عظيما فإنه لم يكن يفتقد الموهبة ، لقد كان عظيماً بالفعل . ولما أدرك أنه عبد لقدره فقد عرف أنه لا سبيل إلى تغيير مجرى حياته ليحتفظ لنفسه وللأبد بتلك السعادة التي منحها له القدر القاسي . لسوف يرحل ويترك قلبه هنا .

إن قلبه لا يعرف حمى الرحيل الكبير ، إنه لا يخفق حتى لمجرد ذكرى اللقاء . فإذا أحس يوماً بالسرور فهو السرور السطحي الذي يعكس التعلق بأرض الوطن ... شيء واضح . هل كان صديقنا حراً ؟ هل كان بوسعه أن يكون شيئاً آخر ؟ لا . إن المسافر لم يكن حراً في أن يتخذ أي تصرف منطلق ، لذا فهو بحكم التصاقه بمجرى الحياة يسير في طريقه بلا حراك .

إنه ينظر إليّ بلا ابتسام ، إن نظرته قاسية وبائسة . إن عينيه المتعبتين شاردتان وعليهما شواهد من ليالي السهاد . وفي رأسه تتزاحم أمواج من الأفكار الغامضة التي تتقاسم مشاعره . إن الحقيقة تبدو عارية .. واضحة محددة لكي تشل مرة أخرى كل أعضائه عن الحركة . إنه لا يقدر على شئ أبداً ولا يقدر إلا على الرحيل ، متعباً من الفكر ، مجهداً بالعذاب ، ويائساً من الحلم بسعادة لا يمكنه أن ينالها بيديه .

يافا عروس البحر

يلقب الفلسطينيون يافا بـ « عروس البحر » ، لأنها كانت أجمل مدن الوطن الفلسطيني الصغير ، قبل أن يقع هذا الوطن في ظل الاحتلال الصهيوني العابر .. بحساب حركة التاريخ ..

وعلى هذا ، فإن أجدادنا الكنعانيين القدامى قد اختاروا لها اسمها الصحيح تماماً وهو « يافي » بمعنى « الجميلة ، أو الزاهية » بالعربية الكنعانية الغائرة في القدم ، عندما أسسوها على شاطئ المتوسط في الألف الرابعة قبل الميلاد .. أي قبل ما يزيد على ألفين وخمسمائة سنة من أن يكون هناك على سطح الأرض يهود ، أو ديانة يهودية يتبعونها ويتشكلون معها ، بنزول التوراة الحقيقية ، المطموسة ، على النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد .. وهي قطعاً غير التوراة الوضعية المعتمدة من ثم لدى الكنيسة والكنيس معاً ، من حيث عكف أحبار اليهود على تأليف أسفارها ، وتزييف أخبارها على امتداد ما يقرب من ألف سنة بعد وفاة النبي موسى في صحراء سيناء ..

ولقد تحرف اسم « يافي » هذا على مر ألوف السنين : إلى « يابو » عند قدماء المصريين على جدران معبد الكرنك .. ثم إلى « يابوأو » عند البابليين في رسائل تل العمارنة .. فإلى « يافو » بالعبرية .. و« جوبي » بالاغريقية و« جافا » على ألسنة الغزاة الصليبيين ..

• • •

يعتبر تاريخ يافا المديد ، منذ ستة آلاف سنة ، من أحفل تواريخ بلدانيات العالم بالأحداث الجسام ، بفعل ما قد تعاقب عليها من عصور الدمار ، وعصور الازدهار ، على حد سواء ، وذلك بحكم موقع المدينة غير الحصين إطلاقاً في منتصف السهل الساحلي المكشوف ، مما جعل منها جوهرة فلسطين في زمن السلم ، ونقطة ضعفها القاتلة في زمن الحرب ، باشتمال مينائها معها على قدم المساواة .. فعلى حين نقرأ في « تقويم البلدان » لصاحب حماة ، من القرن الثامن الهجري :

« مدينة يافا كثيرة الرخاء ، ساحلية ، من الفرض الشهيرة .. كانت حصنا كبيراً فيه أسواق عامرة ، ووكلاء تجار ، وميناء كبير فيه مرسى المراكب الواردة إلى فلسطين ، والمقلعة منها إلى كل بلد » ..

فإننا سنقرأ بعد ذلك بأربعة قرون وصفاً مغايراً للمدينة ومينائها ، بشهادة الرحالة فولني Volney في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد :

« وهذا الصقع هو الأكثر خراباً من غيره في سوريا بأجمعها ، إذ الإغارة عليه سهلة لكونه مفتوحاً ، ولخلوه من الجبال ... وأما المرفأ فهو أسوأ حالاً بسبب الردم المتراكم فيه . ولأجل ذلك تضطر السفن التي تأتي إليه أن تلقي مراسيها على مسافة فرسخ من الشاطئ ، وهي مع ذلك لا تأمن الخطر » ..

على أن باستطاعتنا أن نفسر تقرير « فولني » السلبي هذا ، باستذكار الحقيقة التاريخية البسيطة في ذلك الزمن القريب نسبياً ، وهي أن مكانة يافا البحرية كانت قد انتقلت إلى ميناء عكا في أقصى الشمال الفلسطيني ، في عهد ظاهر العمر ، ومن بعده أحمد الجزار .. وأما قبل ذلك ــ ولأمد غير قصير بعد ذلك أيضاً ــ فلقد ظلت يافا ثغر فلسطين الأساسي الذي يستقبل أفواج التجار الأوربيين ، والايطاليين البنادقة والجنويين منهم بوجه خاص .. بقدر ما ظلت محطة الحجاج المسيحيين الفضلى في طريقهم إلى بيت المقدس .. وهذا هو ليثوغراف الرحالة الاسكتلندي الرسام « روبرتس » ــ على الصفحة المقابلة ــ يسجل بين أيدينا لقطة جزئية ، انطباعية ، لشاطئ « ارشيد » على مقربة من ميناء يافا ، عام ١٨٣٩ ..

غير أن أشهر ما يقترن باسم يافا ، عالمياً ، هو برتقالتها الذائعة الصيت التي تعد بحق أطيب برتقالة على سطح الأرض ..

ولكن .. برغم أن « برتقالة يافا » العربية كانت رائجة تماماً في موانئ أوروبا في القرن التاسع عشر .. وبرغم أن العديدين من الرحالة الأوربيين إلى المشرق العربي قد امتدحوا جودتها حتى منذ مطالع القرن الثامن عشر .. (أي قبل أن تكون هناك دولة يهودية ، أو حتى حركة صهيونية) .. فإن هذه البرتقالة ذاتها هي التي تنتشر اليوم في أسواق العالم بلقبها الشهير « Jaffa Orange » على أنها من البدائع الزراعية المتطورة لدولة « اسرائيل » ! هذه الدولة الأعجوبة التي أحالت صحارى فلسطين إلى جنات النعيم ! .. على نحو ما تبرزه فتاة الإعلان اليهودي وهي تمتص ، من خلال برتقالة يافا ، جراح شعب فلسطين ! ! ..

يوسف الخطيب



يافا عام ١٨٣٩ للرسام روبرتس

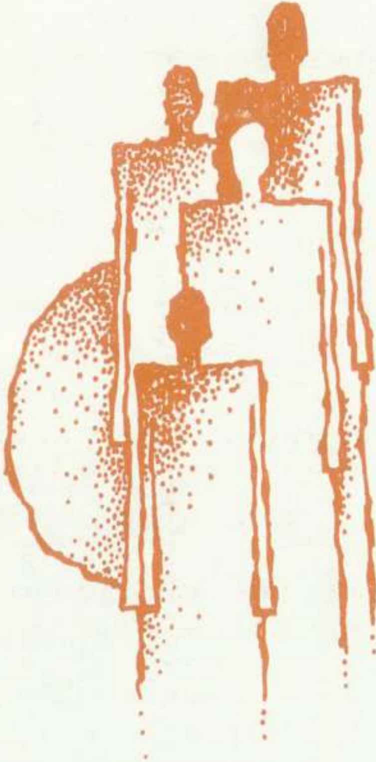
جندي

شعر: محمد آدم

يدخلُ الجنديُّ في النادى المكيفِ
يرتدي الشاراتِ
والأنواطَ
يخلعُ سترةَ الحربِ
القديمةَ
والدماءِ
ويحتسي الماء المثلجَ
آخرَ الأنباء
هلْ رجعَ المقاتلُ
والمقاولُ . . .
جامعُ الورقِ المصابِ ؟
فتضحكُ امرأةٌ
ويهزها رجلٌ
وتلتمعُ الأصابعُ باللآلىء
ينتشي الوجهُ المجعدُ
يستريحُ
وتأخذُ الريحُ الصقيلة في التفاوضِ
ثُمَّ
تنتهكُ الموائدَ
والجرائدَ
تكنس الزبدَ النديفيَّ
المرابطَ
فوقَ قاع الكأسِ
تقتلعُ الملامحَ بالبخارِ
الرخوِّ

والعشاقُ
ينصرفونَ في الضوءِ البليلِ
وكانَ لونُ البحرِ أبيضَ
والسماءُ
مليئةً بالغيمِ

والقمرُ الرصاصيُّ - النبيلُ -
يسوحُ
في قلب السواد المرِّ
هلْ
عادتْ خيولُ الفجرِ ؟
ثانيةً
تعودُ الريحُ
والجنديُّ قرب الباب
منكفىءٌ
يداعبُ طفلةً
ويناوشُ امرأةً
ويركضُ في اتجاهِ البحرِ
والحراسُ
ينسربونَ كالنمل الخفيّ
على ضفافِ النهرِ
هلْ رجعَ المقاتلُ
آهِ
هلْ رجعَ الـْ . .
هلْ ؟



٣ سبتمبر

جزء خاص

بمناسبة الذكرى ١٤ للاستقلال

قطر

قطر ومسيرة الاستقلال

لتكن مسيرتنا الخيرة مشرقة بنور مبادئنا العربية النبيلة التى نفخر بها ، عامرة بتعاليم عقيدتنا الاسلامية السامية التى نعتز بها ، تلك المبادىء والتعاليم التى تدعو إلى الحق والعدل والمحبة والتعاون والتسامح بين الناس أجمعين ، والتى ليس ثمة أفضل منها مشاعل تضيء لنا طريق العمل المثمر والجهاد القويم فى خدمة وطننا وأمتنا والانسانية جمعاء ..

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » .

من كلمات سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (الدوحة : ٢ من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ ٢٤ من نوفمبر ١٩٨٤ م) بمناسبة افتتاح الدور العادى الثالث عشر لمجلس الشورى



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



الاستقلال والنهضة التعليمية

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

تحتفل دولة قطر في الثالث من سبتمبر بالعيد الرابع عشر لاستقلالها ، ولا شك في أن الاستقلال في مفهومه الشامل ، ليس تحررا من التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب ، بل هو أيضا ، وقبل كل ذلك ، تحرر من التبعية الثقافية والتربوية ، اذا أريد له أن يكون استقلالا حقيقيا كاملا .

ويصدق ذلك أكثر ما يصدق ، على الاستقلال الذى أحرزته دولة قطر ، فتحررت عن طريقه من كل تبعية ،ومارست من خلاله ارادتها الكاملة في كافة المجالات والميادين ، بوصفها دولة حرة ذات سيادة ، بكل مافي ذلك التعبير من معنى .

ويشكل ميدان « التربية والتعليم » واحدا من أهم هذه الميادين والمجالات التي ظفرت في ظل سنوات الاستقلال بجل عناية الدولة وكامل رعايتها .

ولعل نظرة سريعة على بعض الأرقام الاحصائية ، ستكون كفيلة بأن تكشف لنا كشفا بينا ، عن مدى التطور الهائل الذى شهدته العملية التربوية في دولة قطر ، خلال أربعة عشر عاما مجيدة ، هى عمر الاستقلال فى دولتنا الفتية .

الوضع قبل الاستقلال

فإذا ما رجعنا الى الوراء قليلا ، وبالتحديد الى ما قبل الاستقلال مباشرة ، وبتحديد أكثر الى العام الدراسي ١٣٩٠ — ١٣٩١ هـ (١٩٧٠ — ١٩٧١ م) ، فاننا سنجد أن العدد الاجمالي للطلاب في جميع مراحل التعليم المختلفة ،لم يبلغ سوى ١٨٥٣١ طالبا وطالبة ، وقد كان توزيعهم وفق المراحل المختلفة كالتالي :

• المرحلة الابتدائية :
بلغ العدد الاجمالي ١٤٤٧٩ تلميذا وتلميذة . البنون عددهم ٧٩٤٩ تلميذا ، والبنات عددهن ٦٥٣٠ تلميذة .

• المرحلة الاعدادية :
بلغ العدد الاجمالي ٢٥٣٧ تلميذا وتلميذة ، البنون عددهم ١٦٣٨ تلميذا ، والبنات عددهن ٨٩٩ تلميذة .

• المرحلة الثانوية :
بلغ العدد الاجمالي ٩١١ طالبا وطالبة ، البنون عددهم ٦٢٧ طالبا ، والبنات عددهن ٢٨٤ طالبة .

• المعهد الديني :
بلغ العدد الاجمالي لطلاب المعهد في كل الصفوف الدراسية ، وفي الشعبتين الأدبية والعلمية كلتيهما ١٥٨ طالبا .

• دار المعلمين العامة :
بلغ العدد الاجمالي ٢٣٧ طالبا وطالبة ، بينهم ١٢٣ طالبا بدار المعلمين و١١٤ طالبة بدار المعلمات .

• مدرسة التجارة الثانوية :
بلغ العدد الاجمالي في جميع الصفوف ٦٦ طالبا .

• مدرسة الصناعة :
بلغ العدد الاجمالي لجميع الصفوف في كلتا المرحلتين الاعدادية والثانوية ١٤٣ طالبا .

هذا هو الوضع الكمي لحجم العملية التعليمية قبيل الاستقلال مباشرة (١٣٩٠ — ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧٠ — ١٩٧١م) ، واذا ما قابلنا هذه العينة الاحصائية بمثيلتها بعد أربعة عشر عاما من مسيرة الاستقلال المجيدة ، لاستطعنا أن نقف على البون الشاسع بين مرحلة ما قبل الاستقلال ، وبين ما تم خلال مسيرة الاستقلال المباركة ، ولأمكننا في نفس الوقت ، أن نرصد حجم التطوير الهائل الذى تم احرازه في ميدان التربية والتعليم خلال هذه الأعوام الميمونة ، أعوام السيادة وتحقيق الارادة الحرة .

في ميدان التربية والتعليم خلال سنوات قلائل هي عمر الاستقلال القطرى ، مع وعينا ببعض الجوانب التى لا تزال بحاجة الى جهد خاص ، لا سيما في مجال التعليم التخصصي ، الذى حالت بعض الظروف الاجتماعية دون وصوله الى نفس مستوى التطور الذى نلمسه بسهولة في جميع مراحل التعليم العام .

كما أن هناك بعض المشكلات التربوية الأخرى التي تعمل الوزارة جاهدة على دراستها والوقوف على أسبابها من أجل تجنب حدوثها ، مثل مشكلة التسرب التي تظهر واضحة في تعليم البنين خاصة ، وغير ذلك من المشكلات التعليمية التي تحرص الوزارة دائما على معالجتها بأسلوب علمي موضوعي ، للوصول الى أنجع الحلول وأكثرها مواءمة لواقعنا الاجتماعي ولبيئتنا العربية الاسلامية .

النهضة التعليمية المأمولة

ولم تكن تلك الأرقام الا عينة احصائية تشهد على صعود الخط البياني للعملية التربوية في دولة قطر ، صعودا يشير الى الخطوات الحثيثة التي قطعتها دولتنا الفتية خلال سنوات الاستقلال الميمونة ، تجاه النهضة التعليمية والثقافية والتربوية المأمولة .

ولئن تكن هذه الأرقام مقتصرة بطبيعتها على ايضاح التطور الكمي فحسب ، فان الكثير من أوجه التطوير الكيفي في العملية التربوية ، قد تم انجازه بحيث يكتمل للنهضة التعليمية جانباها الكمي والكيفي ، دون اقتصار على جانب دون الآخر ، وتكفي الاشارة في هذا الصدد الى التطوير المستمر للمناهج الدراسية والوسائل التعليمية بحيث تساير أحدث النظريات التربوية وأكثر الطرق ملاءمة للبيئة العربية الخليجية والتقاليد الاسلامية الراسخة ، مع الاحتفاظ في الوقت نفسه ، بالقدرة على مجاراة روح العصر بكل ماتمثله من تقنية وتقدم نحو الأفضل .

ولا يسعني في النهاية إلا أن أرد الفضل لأصحابه ، فأنوه بالرعاية الكريمة والعناية الفائقة ، التي أولاها قائد مسيرة الاستقلال المباركة ، حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى ، وسمو ولي عهده الأمين ، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، للنهضة التعليمية التربوية في دولتنا الفتية ، حيث كان لجهودهما المخلصة ، الفضل الأكبر في هذه النهضة الحقيقية ، التي نرجو لها مزيدا من الازدهار تحت رعايتهما الكريمة .

محمد بن حمد آل ثاني



الاحتفال بيوم العلم

والجدول التالي ، يلخص المقارنة بين ماكان عليه الوضع في ميدان التربية والتعليم بالأرقام ، وبين ماآل إليه خلال سنوات الاستقلال ، سنوات العمل الشاق المثمر :

المرحلة التعليمية	١٩٧٠/١٩٧١م	١٩٨٤/١٩٨٥م
عدد طلاب المرحلة الابتدائية	١٤٤٧٩	٣١٨٨٦
عدد طلاب المرحلة الاعدادية	٢٥٣٧	١٢٧٠٣
عدد طلاب المرحلة الثانوية	٩١١	٧٩٧٨
عدد طلاب المعهد الديني	١٥٨	٤١٢
عدد طلاب مدرسة التجارة	٦٦	٩٦
عدد طلاب مدرسة الصناعة	١٤٣	١٥٣
المجموع	١٨٢٩٤	٥٣٢٢٨

ولا نود أن نستخلص دلالة الأرقام ، قبل أن نشير الى التطور الكبير في حجم البعثات التعليمية القطرية الى البلاد العربية والآسيوية والأوروبية والأمريكية ، حيث بلغ عدد أفراد الطلاب المبعوثين في العام الدراسي المنصرم (١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٤ - ١٩٨٥م) ١٠٥٠ مبعوثا ، من بينهم ١٢٨ طالبا و ١٣٧ طالبة يعدون لدرجة الماجستير ، ومن بينهم ٤٠ طالبا و ١٦ طالبة يعدون لدرجة الدكتوراه ، أما الجامعيون فقد بلغ عددهم سبعمائة طالب وطالبة ، عدا المبعوثين للتعليم الخاص .

وتشير الاحصائيات الى أن الطلبة والطالبات المتوقع تخرجهم من هؤلاء المبعوثين في نهاية العام الدراسي الحالي ، يبلغ عددهم ١٤٥ طالبا وطالبة ، ويتوزعون كالتالي :

- طلبة الدراسات العليا : عشرة طلاب بينهم ستة بالماجستير وأربعة بالدكتوراه .
- طالبات الدراسات العليا : سبع عشرة طالبة ، بينهن احدى عشرة طالبة بالماجستير وست طالبات بالدكتوراه .
- الجامعيون : ثمانية وتسعون طالبا ، بينهم سبعون بالتخصصات العلمية وثمانية وعشرون بالتخصصات الأدبية .
- الجامعيات : عشرون طالبة ، بينهم ست طالبات بالتخصصات العلمية وأربع عشرة طالبة بالتخصصات الأدبية .

ويظهر من الأرقام ، مدى الطفرة التى حدثت



سياسة قطر خلال سنوات الاستقلال

بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

تنتهج قطر منذ استقلالها في الثالث من سبتمبر ١٩٧١ سياسة خارجية متوازنة ، محايدة وواضحة المعالم ، تتخذ من الشريعة الاسلامية السمحة مسلكاً ومن مواثيق الجامعة العربية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي منهجاً ومن الوحدة العربية هدفاً .

وخلال سنوات الاستقلال القصيرة شقت قطر طريقها إلى المجتمع الدولي وتبوأت مكانة قل أن تصلها دولة في مثل هذه الأعوام المحدودة من الزمن .

وتمت هذه الانطلاقة الرحبة بفضل السياسة الحكيمة التي أرسى قواعدها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ورعاية ومتابعة سمو ولي عهده الأمين لهذه السياسة وجهود مجلس الوزراء ومجلس الشورى المخلصة والأمينة في تنفيذ هذه السياسة .

ومنذ البداية وقطر تنشد توطيد الصداقة مع دولنا الخليجية والعربية والاسلامية وتوثيق الروابط مع كافة البلدان والشعوب المحبة للسلام ، وذلك على أساس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ،مساهمة في كل ما من شأنه أن يدعم الأمن والسلم العالميين ويكفل الرفاهية والرخاء للأسرة الدولية .

علاقة التعاون

ويتمثل الهدف الأسمى لهذه السياسة في ترسيخ علاقات التعاون مع دول الخليج العربية ، حيث التزمت قطر بالحرص على تدعيم البنيان الخليجي جاهدة في العمل ضمن هذا المجتمع الواحد ، مساهمة في كل مايحقق رفعة وتقدم وتماسك هذا المجتمع .

وقامت قطر ولا زالت بدورها في تشييد البيت الخليجي وتعاونت مع بقية دول الخليج العربية في تثبيت دعائم هذا البيت وتحقيق آمال وتطلعات شعوب هذه المنطقة في ايجاد كيان خليجي متكامل يكون نواة للوحدة الخليجية الكبرى . وكان من جراء ذلك أن انبثق مجلس التعاون لدول الخليج العربية بوصفه البوتقة التي تتفاعل فيها جهود وأهداف المجتمع الخليجي وشعوبه ، لتنصهر في طاقات جديدة خلاقة يعم خيرها على الجميع .

وقد أكد سمو الأمير المفدى هذه الحقيقة بقوله « نحن هنا في قطر نؤمن بضرورة تضافر جهودنا في المنطقة لنترجم واقع حقيقة تطلعنا المشترك إلى صيغة ملائمة لنا نحقق بها ما نبتغيه من استكمال مسيرتنا نحو توثيق عرى التعاون والترابط بيننا وصولاً إلى تكاملنا في مختلف المجالات الحيوية » .

وقد قرنت قطر القول بالعمل وقامت بدورها كاملاً داخل مجلس التعاون وشاركت في جميع المؤتمرات واللقاءات المنبثقة من المجلس لتساهم في دعم مبادئ التعاون والتكامل الخليجي في شتى نواحيه السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية .

وتؤمن قطر إيماناً راسخاً بأن وحدة المصير والهدف تفرض إيجاد هذا النوع من الترابط والتكامل المنظم والمتين ، حتى يصبح بالامكان خلق القوة التي يمكن الاعتماد عليها في الحفاظ على مكتسبات التعاون ومقدرات هذه المنطقة وضمان أمنها واستقلالها والدفاع عنها في وجه الأخطار . وينطلق هذا الايمان من حقيقة لا مراء فيها وهي أن دول الخليج العربية كل مترابط يتأثر أي جزء منه بما يحدث في الجزء الآخر .

وتمضي قطر في سياستها هذه إلى مجال أوسع هو المجال العربي ، فهي جزء لا يتجزء من الوطن العربي الكبير من مشرقه إلى مغربه ، تشارك هذا الوطن همومه وأفراحه واضعة نصب عينها الهدف العربي الأسمى في الوحدة والتضامن ملتزمة في كل ظرف وزمن بميثاق جامعة الدول العربية وأهدافها . وفي هذا المجال توجه قطر جل اهتمامها إلى تدعيم التضامن العربي بوصفه أمضى أسلحة العرب وأكثرها قدرة وفاعلية في مواجهة الملمات والأخطار والدفاع عن الأرض والحقوق العربية .

ولم تتأخر دولة قطر في سبيل ذلك عن أي مسعى يحقق اعلاء كلمة العرب ولم تقصر في أي



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، يترأس وفد دولة قطر لاجتماعات مؤتمر القمة العربي الطارىء في الدار البيضاء بالمغرب

جهد يوفر الخير والرفاء للأمة العربية ويصون استقلالها

قضية فلسطين

وتضع قطر قضية العرب الأولى ، قضية فلسطين في مكان الصدارة من اهتماماتها العربية ، ويجسد سمو الأمير هذا المبدأ بالقول : « إن القضية الفلسطينية هي جوهر أزمة الشرق الأوسط وإن حلها حلاً عادلاً وشاملاً يرد للشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة هو وحده مفتاح السلام في المنطقة » .

وتطبيقاً لهذه السياسة شاركت قطر في جميع اللقاءات العربية التي استهدفت رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني واسترجاع حقوقه السليبة ، وإنهاء الاحتلال الاسرائيلي البغيض لأرضه وتخليص مقدسات العرب من يد العدو الباغي .

وإلى جانب ذلك فإن قطر بانتمائها الاسلامي لا تدخر جهداً في سبيل تمتين الروابط الاسلامية وتوحيد العمل الإسلامي وتوجيه هذا العمل الوجهة التي تخدم أمة الأسلام وقضاياها وتحقيق رفعة شأنها . وقد ترجم سمو الأمير هذه الحقيقة قائلاً « إن أمتنا الاسلامية تنعم بحمد الله بوفرة من مقومات القوة الذاتية التي تتمثل فيما تملكه من الطاقات الهائلة ، ولا شك أن في امتلاك هذه الطاقات ما يكفل لها اعتلاء المكان اللائق بها في الصف الأول بين أمم العالم قوة ومنعة وارتقاء » .

ومن هنا كان حرص دولة قطر الدائم والكبير على عدم إهدار طاقات المسلمين ، وقد نادت وسعت باخلاص إلى إدخار الجهد الاسلامي المهدور بسبب الحرب بين ايران والعراق ، وإلى ضرورة توفير هذا الجهد ليؤازر المساعي والأهداف الاسلامية الكبرى في نشر لواء الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين والدفاع عن قضاياهم في القدس وأفغانستان وكل مكان . واتخذت قطر من التعاون داخل منظمة المؤتمر الاسلامي هدفاً لتنسيق وتنظيم مختلف الأنشطة والفعاليات الاسلامية ، وأدت دورها بأمانة خلال مختلف اللقاءات الاسلامية مستلهمة قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وتواصل قطر عملها على المستوى الدولي من خلال منظمة الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة ملتزمة بمبادئ ميثاقها الداعية إلى إقرار الأمن والسلم الدوليين واحترام حقوق الإنسان ورفع الظلم عن الشعوب وتحقيق الخير والازدهار لجميع أمم العالم .

كما تلتزم قطر بمبدأ عدم الانحياز وتدافع عن أهداف هذه الحركة في حل كافة أنواع المشاكل الدولية دون اللجوء إلى القوة ، وتقريب الشعوب من بعضها وتأسيس العلاقات فيما بينها على أساس الاحترام والتعاون المتبادل .

وتبرز خلال هذا المضمار مساهمة قطر في تخفيف التوترات الدولية ، وتأييد كفاح الشعوب التي تخضع للاستعمار ووضع حد للتفرقة العنصرية ، ومساندة حقوق الشعوب والدول في السيادة على ثرواتها .

ضمن هذا النطاق العربي والاسلامي والدولي رسمت قطر سياستها خدمة للأهداف الإنسانية النبيلة ، وقامت بما عليها من واجبات وحافظت على مالها من حقوق فكسبت المكان الذى تتربع عليه الآن وحظيت بالاحترام والتقدير الدوليين .

أحمد بن سيف آل ثاني



مواصلة مسيرة البناء والتنمية

لو حاولنا أن نلقى نظرة سريعة على ما تحقق فى مجال الاقتصاد والشئون المالية لواجهتنا علامات مضيئة لا تحصى ولاتعد . أبرز هذه العلامات ما ترتكز عليه السياسة المالية فى دولة قطر . ان الخطط الموضوعة هدفها مضاعفة برامج التنمية وتوزيع مصادر الدخل القومى ، وذلك بالتوظيف الأنسب للعائدات البترولية فى الأنشطة الاقتصادية المتعددة داخل الدولة وخارجها . والهدف من ذلك أن يتحقق مردود أفضل يضع الخطوات التى تخطوها البلاد على سلم الاكتفاء الذاتى ..

والمعروف أن وزارة المالية والبترول تتولى مسئولية الاشراف على السياسة المالية ، وتوجيه الشئون البترولية فى الدولة . وتسهم الوزارة من خلال صلاحياتها الواسعة فى موضوع خطط الانفاق العام وطرق التمويل وبرامج الاستثمار ومراجعة مشروعات الميزانية لوزارات ومؤسسات الدولة ومراقبة تنفيذها وإعداد الحساب الختامى لها ، وتنظيم التعاون الفنى مع المنظمات الدولية المتخصصة ، ورعاية الحقوق المترتبة للدولة ، وتنفيذ التزاماتها المرتبطة بها فى معاملاتها الدولية ..

وفى ضوء هذا الدور الذى تقوم به وزارة المالية والبترول فقد أصدر معالى وزير المالية والبترول الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى فى مناسبة صدور الميزانية العامة للدولة فى ٤ شعبان الماضى ١٤٠٥هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٨٥م ، بيانا أوضح فيه المرتكزات الأساسية للموازنة العامة . وأشار معاليه الى تأثر دخل الدولة من البترول السلعة الرئيسية التى تعتمد عليها الموازنة العامة وذلك بتباطؤ الاقتصاد العالمى الحالى . وأوضح فى هذا الصدد أنه روعى عند إعداد الموازنة أن يكون تقدير أرقامها على أسس واقعية تقوم على التحفظ فى تقدير الواردات وضغط النفقات وترشيدها ، دون الاخلال بمستوى الخدمات والانتاج ، مع تنشيط القطاع الخاص ، لما لذلك من أهمية قصوى على مسيرة الاقتصاد القطرى .

ولقد بلغت الايرادات الحكومية المقدرة فى الموازنة الأخيرة كما قال معاليه ٩٧٣٧ مليون ريال ، فى حين بلغت المصروفات العامة المقدرة ١٥,٦٠٧ مليون ريال ، يضاف إليها التزامات خارج الموازنة بمبلغ ١٤٤١ مليون ريال ، وبذلك يكون العجز المقدر بمبلغ ٧٣١١ مليون ريال . ولقد أولت الحكومة اهتماما ملحوظا فى الميزانية الجديدة للمشروعات الرئيسية ، انطلاقا من حقيقة أن الانفاق فى هذا القطاع يحقق جملة أهداف رئيسية .

ولقد قال معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى فى هذا الصدد إن الحكومة أولت المشروعات الرئيسية العامة عناية خاصة باعتبارها المحرك الرئيسى لعجلة الاقتصاد الوطنى . فقد تم رصد

مبلغ ٣٨٠٠ مليون ريال لهذه المشروعات في ميزانية العام الجديد ، يضاف إليها مشروعات خارج الموازنة قيمتها ١٣٤١ مليون ريال للمؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات والمؤسسات المساهمة بها ، وقروض عقارية ، وبذلك يصبح الاجمالى ٥,١٤١ مليون ريال .

وروعى فى تحديد مخصصات المشروعات الرئيسية كما قال معاليه توزيعها على عدد كبير من المشروعات التى تخدم البيئة القطرية من ناحية ، وأن تكون عاملا مساعدا على تنشيط الحركة الاقتصادية فى البلاد من ناحية أخرى . وأهاب الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني فى بيانه بجميع المسئولين فى الوزارات والادارات الحكومية بالتقيد التام بالاعتمادات المرصودة فى الموازنة وعدم تجاوزها مهما كانت الأسباب وضرورة توزيع مخصصات جميع البنود ، بحيث تغطى كامل مدة الموازنة مع اجراء رقابة مستمرة على المصروفات ، حتى نتمكن من التغلب على الآثار المترتبة على انخفاض العائدات البترولية ومواصلة مسيرة البناء والتنمية ..

وما قاله معالى وزير المالية والبترول يعكس هدفا من الأهداف التى يجب أن يسعى اليه الجميع ، كما يعكس أبعاد ذلك الدور الهام الذى تقوم به وزارة المالية والبترول فى مسيرة الحياة الاقتصادية فى البلاد ، وتجدر الاشارة هنا الى أن الاقتصاد القطرى يعتمد أساسا على استغلال البترول والغاز الطبيعى ، وما يدور حول ذلك من صناعات تكميلية ..

والسياسة التي تتبعها البلاد في هذا المجال هي سياسة بترولية وطنية بتوجيه من سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ..

ولقد أدت هذه السياسة فيما أدت إلى أن بسطت الدولة سيطرتها الكاملة على مواردها الهيدروكربونية ، وتملكتها بالكامل . وكان من نتيجة ذلك أن بدأت خطوات تحقيق الاستغلال الأمثل لتلك الموارد ، وتطوير الكوادر الوطنية العامة في هذا الميدان ، وذلك بعد إعطاء وزارة المالية والبترول صلاحيات تنفيذ السياسة البترولية للدولة ..

وأدت هذه السياسة الرشيدة إلى انطلاق انتاج النفط الخام وزيادة الصادرات ، وبرزت الصناعات التكميلية كالتكرير والأسمدة الكيماوية والغاز الطبيعى وتصنيعه ، ومشروع حقل الشمال ، ومجمع البتروكيماويات ..

كما أن المشروعات المستقبلية فى دولة قطر تقوم على تطوير مشروع الغاز فى حقل الشمال ، ذلك المشروع الذى سيجعلها من الدول الرئيسية المنتجة للغاز ، كما أنه سيؤدى إلى تنمية الموارد الانتاجية


معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

بشكل ملموس ، حيث أنه يختلف بطبيعته عن المشاريع التنموية الأخرى التى لابد من اخضاعها لسلم أولويات واضح مع مراعاة الموارد المالية المتوقعة . ويتم الآن تطوير الحقل ، خاصة وأن الطلب على الغاز فى زيادة مطردة ، ومن المتوقع أن يزداد الطلب عليه بشكل كبير فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، وسيصاحب المشروع تطوير عدد من المشاريع الاقتصادية الكبرى التى تعتمد على الغاز من صناعات بتروكيماوية وصناعات أسمدة وصناعات أخرى تعتمد على الطاقة الرخيصة .

وكما نعرف في السنوات الماضية ، وبعد القرار التاريخى بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد عام ١٩٧٤ ، بدأت مرحلة جديدة فى تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على الطاقة البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعى واستكمال صرح صناعة ضخمة فى منطقة أم سعيد ، تضم العديد من الصناعات الثقيلة وأهمها البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والأسمنت وغيره .. فقد قطعت دولة قطر شوطا كبيرا فى طريق التصنيع من أجل التنمية الاقتصادية ، وكان الهدف ولا يزال هو استغلال فترة الرخاء النفطى لمواجهة المستقبل .. ومن هنا كان الحرص على توسيع القاعدة الانتاجية ، وتقليل الاعتماد ــ شبه الكلى ــ على مصدر وحيد للدخل ، وبالتالى بناء اقتصاد متوازن يستطيع مواجهة أية تقلبات جديدة فى المستقبل ، ومن ثم ضمان مستقبل أكثر طمأنينة ورخاء للأجيال القادمة .



العمل الاجتماعي
من أجل النهوض بالإنسان القطري

بقلم: علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

مع عمق الانجازات والمكاسب والتحولات الحقيقية التي تمت في عهد الاستقلال داخل دولة قطر الفتية، وبرعاية سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قائد نهضتها الحديثة، كان الجانب الاجتماعي ولا يزال هو أحد أهم الجوانب التي شهدت العديد من الاضافات والاضاءات والعلامات المميزة. وكان الهدف الاجتماعي الدائم والأصيل هو بناء الانسان القطري عماد النهضة ودعامة التطور والنمو، وتهيئة كل الظروف المكنة التي تجعل من هذا الهدف حقيقة واقعة، وتحقق للجميع الاستقرار الاجتماعي المنشود.

ومن هنا وانطلاقاً من هذا المفهوم العام فقد جاء الاصلاح الاجتماعي في مقدمة الأهداف التي تحرص عليها حكومة قطر الرشيدة بقيادة رائد نهضتها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. واضطلعت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدورها في تحقيق كل ما يصل بالبلاد إلى هذه الخطوة البناءة، والاشتراك الحقيقي والفعلي في عملية التطوير التي تشهدها البلاد. وفي هذا السبيل فقد قطعت الوزارة بكل أجهزتها أشواطاً هائلة، من أجل توفير كافة الخدمات الاجتماعية، والوصول بها إلى كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطيبة.

عمل قياسي

والمتتبع للخطوات التي خطتها الوزارة في هذا السبيل سوف يرى أن ماتم، بكل المقاييس يعتبر عملاً قياسياً بالنسبة للسنوات التي شهدت نهضة البلاد. وقد كان هذا ضرورياً حتى نسابق الزمن، ونعمل على تحقيق كل مايمكن تحقيقه في المجال الاجتماعي، ليواكب المواطن تطورات العصر، ويعيش حياة آمنة مستقرة، هانئة، تدفعه إلى الانتاج، وتوفر له كافة الامكانيات والخدمات..

وكان لزاماً أن تتطور أجهزة الوزارة أولاً، حتى يمكنها مواكبة هذا التحول الاجتماعي الكبير، وحتى تستطيع أن تلاحق المتطلبات الجديدة في المجال الاجتماعي. وهكذا طورت إداراتها وتعززت الأقسام التابعة لها، ووضعت الضوابط التي تحكم سير العمل فيها. وكان أن تبلور كل ذلك بصدور القانون رقم ٨ لسنة ١٩٨٢ بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الذي حدد أهدافها وصلاحياتها ونظامها الداخلي ووحداتها الادارية التي أصبحت تضم الادارات التالية: إدارة العمل، إدارة الشؤون الاجتماعية، إدارة الاسكان الشعبي، إدارة التعاون، إدارة العلاقات الدولية والشؤون الفنية، إدارة الشؤون الإدارية والمالية .. الأمر الذي عمل على تأمين سير العمل الإداري بها وتنسيقه بشكل يكفل لها القيام بمسئولياتها على أكمل وجه.

وفي مجال العمل صدرت العديد من التشريعات التي تعمل على تأمين الحياة المستقرة الكريمة للمواطن القطري. ولقد أولت الحكومة هذا الجانب كل اهتمامها منذ نهاية الخمسينيات. وكان أن أنشئت دائرة للعمل في عام ١٩٥٥ م تهتم بتوفير القوى العاملة في البلاد، وتدعيم العلاقات الودية بين العمال وأصحاب الأعمال. وعملت هذه الدائرة على اعداد مشروع قانون للعمل ينظم هذه العلاقة بين العامل وصاحب العمل، وعلى الاشراف على شركات البترول العاملة في البلاد. وصدر أول قانون للعمل في قطر هو القانون رقم ٣ لسنة ١٩٦٢، وتلاه القانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٢ بانشاء محكمة للعمل للفصل في المعاملات بين العمال وأصحاب الأعمال والناشئة عن تنفيذ أي حكم من أحكام قانون العمل..

وفي هذا المجال أيضاً حرصت الوزارة على أن تولي تنظيم حركة العمالة في الدولة اهتماماً كبيراً، وتعاونت في ذلك مع كافة الأجهزة المعنية، وفي تنظيم استقدام العمالة العربية والأجنبية، مراعية في ذلك احتياجات البلاد الفعلية من هذه العمالة. وفي هذا الصدد عقدت الوزارة خمس اتفاقيات في اطار التعاون الفعال بين قطر وشقيقاتها العربيات، وذلك مع مصر وتونس والمغرب والسودان والصومال. ويتعاون قسم الاستخدام في الوزارة مع بقية الأجهزة الأخرى ومع الجهات المختصة بوزارة الداخلية بالعمل على ضبط عملية استقدام العاملين من الخارج، والنظر في طلبات الباحثين عن العمل أو العمال في داخل البلاد، واصدار بطاقات العمل اللازمة، وحفظ كافة السجلات الخاصة بالعمالة الوافدة..

وكان أن سعت الوزارة كذلك إلى تطوير قسم التفتيش والعلاقات الصناعية، وهو القسم الذي يقوم بدور هام في حل المشاكل بين العمال وأصحاب الأعمال وفقاً للقانون وبالطرق الودية. كما أن هذا القسم أصبح يقوم بدور ملموس آخر في التحقق من تطبيق أحكام قانون العمل بالتفتيش على المنشآت والمؤسسات المختلفة. وفي الوقت نفسه فقد قامت الوزارة أيضاً بتدعيم قسم آخر من أقسامها هو الصحة والسلامة المهنية، بحيث يقوم بدوره الفعال في مراقبة اجراءات السلامة المهنية داخل المؤسسات الصناعية، بالتعاون مع الجهات المختصة في وزارة الصحة، وذلك لحماية العمال من أخطار المهنة والتأكد تماماً من مدى ملائمة



مساكن شعبية حديثة

المساكن الخاصة بهم لكافة المواصفات الصحية المطلوبة .

الاصلاح الاجتماعي

وفي مجال الشؤون الاجتماعية فقد ارتفع شعار الاصلاح الاجتماعي الذي جاء في مقدمة الأهداف ، ايماناً منها بأن هذا الاصلاح إنما هو الركيزة التي يعتمد عليها التطور الحضاري للأمة . وهكذا انطلقت في الواقع مجموعة من المفاهيم والمبادئ الاجتماعية التي تعد وبحق ثورة في التشريع الاجتماعي ، وضعت قطر ولا تزال في مقدمة الدول التي ترعى مواطنيها رعاية اجتماعية على أعلى مستوى من الكفاءة والأداء والسهولة واليسر ..

وحتى يصبح ذلك كله واقعاً ملموساً تدعمت أجهزة الوزارة المختصة بالكوادر المتخصصة ، وانتشر الوعي الاجتماعي وشجعت المشاركة الشعبية في مجال الخدمة الاجتماعية ، وقامت جمعيات ومراكز أهلية للرعاية الاجتماعية منها الجمعية القطرية لرعاية المعوقين التي قامت بجهد ذاتي مشكور وعمل تطوعي انساني .

وفي الوقت نفسه أخذت الوزارة في تقديم المساعدة الاجتماعية لمن يحتاجها ، وقد بلغت جملة المبالغ التي قدمتها الوزارة عام ١٩٨٤ حوالي ٧٧ مليون ريال شملت ٦٨٨٦ حالة ، كما تم افتتاح مكتبين في مدينتي الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين في أماكن إقامتهم ، وقد زود قسم المساعدات الاجتماعية بالمحققين والمحققات ذوي الكفاءة ، وأنشئ مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي . وانتشرت في كافة أنحاء البلاد مكاتب الخدمات الاجتماعية ، ومراكز التدريب على الحرف والمهارات للمرأة القطرية لصقل مواهبها وقدراتها ، وخاصة تلك التي لم تنل حظاً وافراً من التعليم ، للاسهام في رفع المستوى المادي والاجتماعي لعدد كبير من الأسر ، ودفعا لأفرادها للاشتراك في نهضة المجتمع القطري وتقدمه ..

وبالنسبة لخدمة الرعاية الاجتماعية ، فمن أجل تحسين مستوى الأداء لهذه الخدمة التي تقدمها الدولة للفئات المحتاجة كالأرامل والمطلقات والايتام والمعاقين والعاجزين وغيرهم من أبناء هذا الوطن ، اهتمت الوزارة بتدعيم جهازها الوظيفي والاداري المشرف على عمليات خدمة الرعاية الاجتماعية ، وقد قامت الوزارة بالتعاون مع بعض المواطنين المتطوعين بانشاء جمعية لرعاية المعوقين من أجل توفير أكبر قدر من الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية لهم .

الجمعيات التعاونية والمساكن

وإيمانا من الدولة بالحركة التعاونية ودورها في خدمة المواطنين ، فقد قامت الوزارة بتشجيع الجمعيات التعاونية وتقديم المساعدات الممكنة لها ، فانتشرت هذه الجمعيات في كثير من المناطق ، وبلغ عددها حتى الآن تسع جمعيات ، وسوف تزداد في القريب بعد افتتاح عدد آخر في مناطق أخرى من البلاد .

وإيماناً من الدولة أيضاً بضرورة توفير المسكن الصحي المناسب للمواطن القطري فقد قامت إدارة الاسكان الشعبي بدورها في هذا المجال الهام ، وذلك بتطبيق قانون الانتفاع بنظام المساكن الشعبية لذوي الدخل المحدود ، وهو نظام فريد في نوعه ، نظراً للتسهيلات والمزايا التي تقدمها الدولة للمواطنين ، وتتمثل في منح المنتفع قطعة أرض بدون مقابل وقرض بدون فوائد يسدد المنتفع ستين في المائة من قيمته على أقساط طويلة الأجل . ويضاف إلى ذلك منحة قدرها عشرون ألف ريال للتأثيث . ومازالت الخطة تسير في تشييد المزيد من المساكن الشعبية العصرية للمواطنين .. وقد بلغت المساكن التي وزعت على أصحابها عام ١٤٠٤ هـ (٨٠٧) مساكن منها ١٥٠ مسكناً شعبياً و ٢٩٧ مسكناً للعجزة ، وسوف توزع خلال هذا العام ١٤٠٥ هـ حوالي ١٢٢٩ مسكناً في مناطق مختلفة من الدولة .

ولقد انضمت دولة قطر إلى العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية العاملة في المجال الاجتماعي ، وكانت الوزارة ولا تزال حريصة على أن يكون لقطر صوت مسموع داخل هذه الهيئات والمنظمات ، وخلال الندوات والمؤتمرات المختلفة . وقد أتاح هذا في الواقع فرصة التعرف على تجارب الدول الأخرى ، ووضع الخطوات التي خطتها قطر في مكانها الصحيح أمام العالم كله . وفي هذا الصدد تجدر الاشارة إلى أن هناك تعاونا مثمراً ومستمراً بين أجهزة الوزارة المتعددة ، وغيرها من الجهات العالمية بهدف الاطلاع والبحث والمشاورة والدراسة والاستفادة .

وهكذا قامت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ولا تزال تقوم في ظل الاستقلال وبرعاية قائد المسيرة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى بدورها وفق المنهج العلمي الحقيقي والثابت . فقد أصبحت الخدمات جادة والمجهودات مخلصة لرفع مستويات المواطنين . وكل هذا ينهض على أساس تخطيط ودراسة جميع السكان في مختلف الفئات والقطاعات في شتى المجالات . والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة هذا البلد الغالي في ظل قائد مسيرته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، جعلهما الله عوناً وسنداً لهذا البلد المعطاء ، ولأمتهم العربية والاسلامية جمعاء .

علي بن أحمد الانصاري

الإعلام القطري والتجديد المستمر

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر


عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام


محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام


وزارة
الاعلام القطرية

منذ بدأت دولة قطر خطواتها الأولى على طريق الحداثة بتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مقاليد حكمها ، والاعلام يحظى ببالغ العناية وكثير الاهتمام . وذلك لإدراك المسئولين عن الاعلام بأهمية الدور الذى يقوم به الاعلام فى عالم اليوم سواء فى الداخل أو الخارج .

ولقد سار التطور الاعلامى فى قطر بخطوات وئيدة ومحسوبة ، مواكبا بذلك خطوات الدولة فى جميع مجالات الانتاج والعمل ، مشاركاً بكل طاقته فى كل الجهود التى تبذل لرفعة شأن الوطن والارتقاء بمستوى المواطن ، من هنا تعمل وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية بدأب على توصيل كلمتها الى هدفها . كما تعمل أيضا بكل الهمة على تجديد وتحديث وسائلها كى يكون لتلك الكلمة الصدى المرجو والأثر المستهدف .

ولنستعرض بنظرة سريعة عناصر التجدد والتحديث فى وسائل الاعلام المختلفة فى دولة قطر ، نقصد بذلك أننا سوف نسوق أمثلة على ذلك التجدد المستمر وذلك التحديث المتواصل .

الدقة والموضوعية فى الاذاعة

تصل ساعات البث الاذاعى الى ما يزيد على أربعين ساعة يوميا باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاوردية .

البرنامج العام لاذاعة قطر يبث تسع ساعات يوميا ويبث البرنامج الانجليزى ثمانى عشرة ساعة ونصف يوميا ، ويبث البرنامج الشعبى ثلاث ساعات يوميا ، كما يبث البرنامجان الفرنسى والاوردى ثلاث ساعات يوميا .

وتضم اذاعة قطر أربعة عشر استوديو اضافة الى أستوديو أتوماتيكى لبث الموسيقى الغربية ، ومن بين هذه الاستوديوهات أستوديو كامل التجهيز للاعمال الدرامية وتسجيل الاغانى ويستوعب فرقة أوركسترا كاملة كما يضم مبنى الاذاعة مسرحاً اذاعياً لاقامة الندوات وتسجيل برامج المسابقات .

وتبلغ محطات الارسال فى اذاعة قطر اثنتى عشرة محطة يغطى ارسالها كافة أقطار الوطن وأجزاء من آسيا وأفريقيا وأوربا الغربية .

وتتميز اذاعة قطر بخدمتها الاخبارية الشاملة وتقاريرها السياسية ذات السمة الموضوعية . وقد اعتمدت من أجل ذلك مراسلين لها فى معظم العواصم العربية والاجنبية . وتقدم اذاعة قطر برامج المشاركة الجماهيرية التى تبث على الهواء مباشرة ، كما قامت مؤخرا ببث صوت مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الدوحة .

التليفزيون والجديد فى التكنولوجيا

يبث التليفزيون ١٦ ساعة يوميا على القنوات ٩ ، ١١ ، ٣٧ وتشكل البرامج المحلية ٤٥ بالمائة وتبلغ ساعات البث احدى عشرة ساعة على القناتين ٩ ، ١١ أما القناة ٣٧ فعدد ساعات بثها اليومى خمس ساعات وتبث من خلالها البرامج الاجنبية وبرامج التليفزيون التربوى اضافة لنقل المباريات الرياضية على الهواء مباشرة .

ويتبنى التليفزيون خطة طموحة لانتاج المسلسلات المحلية والعربية والتاريخية والتى لاقت نجاحا جماهيريا كبيرا على المستوى المحلى والخارجى . ولقد قفز التليفزيون فى مدارج التطور بخطوات واسعة فى السنوات القليلة منذ انشائه حتى الآن ويضاف الى أجهزته كل جديد فى مجال التكنولوجيا الحديثة . وعلى سبيل المثال فقد تم مؤخرا تركيب محطات تقوية جديدة لارسال قنواته الثلاث كى تغطى مساحة البلاد ومساحة كبيرة من منطقة الخليج العربى .

التعـــــريف بمنجزات الدولة

تقوم ادارة المطبوعات والنشر بدور فعال على الصعيدين الداخلى والخارجى . وهى على المستوى المحلى تقوم بالتعريف بمنجزات الدولة ونهضتها الشاملة من خلال الكلمة المطبوعة والصورة المعبرة ، كما تضطلع بمسئولية تطبيق القوانين والقواعد التنظيمية للنشر والطبع فى عمومه . وهى فى تطبيقها لتلك القوانين والنظم تصدر عن قناعة حفظ التوازن بين حرية الرأى وبين الحفاظ على النظام العام والقيم الاساسية للمجتمع .

وقد صدر لذلك قانون المطبوعات والنشر رقم ٨ لسنة ١٩٧٩ الذى يعتبر دعامة قوية لحرية الصحافة فى البلاد .

وفى المجال الخارجى تقوم الادارة بالتعريف بالنهضة القطرية وهى فى سبيل ذلك تقوم باستضافة رجال الصحافة والاعلام لزيارة البلاد والوقوف على معالم تقدمها فى المجالات المختلفة .

كما وتقوم الادارة فى مجال التعريف بالدولة وأنشطتها المختلفة باصدار العديد من الكتب والصور والخرائط والكتيبات باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ولغات أخرى .

قضايا المجتمع فى الصحافة القطرية

كفل قانون المطبوعات والنشر حرية الصحافة فى البلاد ، لذا فإن الصحافة القطرية تتعامل مع قضايا المجتمع بالحرية الكافية بهدف ايجاد الحلول للمشاكل التى قد تلوح خلال مسيرته الهادفة الى التقدم ولقد عملت الدولة على مساندة الصحافة القطرية بكافة أساليب الدعم والتشجيع .

وتصدر الصحف فى قطر عن قطاعين ، القطاع الخاص والقطاع الحكومى ، ويبلغ عدد الصحف والمجلات فى قطر ١٨ مطبوعة صحفية منها اليومية والاسبوعية والشهرية والفصلية .

أما الصحف اليومية فهى : جريدة العرب ، والراية ، والجلف تايمز والأخيرة تصدر بالانجليزية .

والمجلات والصحف الاسبوعية هى . العروبة والعهد والصقر وأسواق الخليج الاقتصادية والدورى الرياضية .

والصحف والمجلات الشهرية والفصلية هى مجلة الدوحة التى تصدرها وزارة الاعلام ، ومجلة ديارنا والعالم والمشعل اللتان تصدرهما وزارة المالية والبترول ومجلة الأمة التى تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ومجلة التربية الفصلية التى تصدرها اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم .

هذا اضافة الى مجلة الجوهرة النسائية الشهرية ومجلة غرفة تجارة قطر والريان التى تصدر عن متحف قطر الوطنى .

وتصدر بعض الهيئات والمؤسسات فى قطر مطبوعات صحفية متخصصة كصوت الجامعة التى تصدرها جامعة قطر ، ونشرة حمد التى يصدرها مستشفى حمد العام ، وتصدر جمعية الهلال الاحمر القطرى مطبوعة العطاء ، كما تصدر وزارة الصحة مجلة قطر الطبية .

التغطية الإخبارية

أنشئت وكالة الأنباء القطرية فى مايو ١٩٧٥ ، وتعمل على تغطية كافة الاحداث والنشاطات المحلية اضافة للأخبار والاحداث العربية والعالمية ولقد أصبحت أخبارها محل ثقة على جميع المستويات لما تحويه من صدق وموضوعية .

وتصدر الوكالة نشرة يومية باللغة العربية وأخرى باللغة الانجليزية اضافة إلى نشرة اقتصادية أسبوعية وتقارير وتحليلات سياسية .

وتقوم الوكالة بين فترة وأخرى باصدار مجموعة من الكتب الوثائقية التى تسجل أهم الاحداث المحلية والخليجية والشرق أو سطية ، منها كتاب عن رحلة سمو الامير المفدى الآسيوية بعدة لغات . ولقد أدخلت الوكالة ضمن خدماتها الاخبارية نظام خدمة الاخبار المصورة كما ستدخل نظام الخدمة من خلال الهاتف .

تدعيم الثقافة والفنون

تقوم ادارة الثقافه والفنون بدور كبير فى سبيل دفع الحركة الفكرية والثقافية بروافدها المختلفة الى الامام وذلك من أجل الارتقاء بالانسان والسمو به .

وهى فى سبيل هذا الهدف تدعم الحركة المسرحية وتقيم المعارض الفنية وتستضيف الاسابيع الثقافية والامسيات الموسيقية .

وتشرف الادارة على مسرح قطر الوطنى الذى يتسع لخمسمائة وخمسين مشاهدا ، كما تشرف على المرسم الحر الذى ينمى المواهب فى مجال الفنون التشكيلية . ولقد قامت مؤخرا بتكوين فرقة مسرح قطر الاهلى الذى قدم مسرحية (ياليل ياليل) التى عرضت فى مهرجان دمشق كما عرضت أخيرا فى القاهرة ولاقت استحسانا كبيرا من النقاد والجمهور هناك .

وتهتم ادارة السياحة والآثار بالمجالين السياحى والاثارى كما تقوم بتنفيذ البرامج الترويحية والسياحية وتشرف على المتاحف وتنظيمها وتشترك فى المؤتمرات السياحية وتعد النشرات والبحوث السياحية والاثرية ويتبع ادارة السياحة والآثار متحف قطر الوطنى الذى يمثل سجلا للتراث القطرى .

المعـــــاهد والدورات التدريبية

يقوم مركز التدريب الإذاعى والتليفزيونى بتدريب العاملين فى ميدان الاذاعة والتليفزيون فى قطر ومنطقة الخليج العربى على مهارات الانتاج البرامجى والهندسى تشغيلا وارسالا وصيانة .

وقد نظم المركز عديدا من الدورات التدريبية كان آخرها دورة تدريبية للعاملين فى مجال الصحافة .

وأنشىء فى أكتوبر عام ١٩٨٠ معهد الموسيقى لتقديم الدراسات الاكاديمية فى مجال الموسيقى واعداد العازفين فى جميع التخصصات وتنمية وصقل المواهب الشابة فى مجال العزف على الآلات الموسيقية والتلحين والتوزيع الموسيقى . وقد تم تخريج الدفعة الثالثة من حملة الشهادة الثانوية الموسيقية وتم ايفاد عدد من الخريجين لاستكمال دراستهم العليا فى مجال الموسيقى كما يشترك مع وزارة التربية والتعليم فى تدريب الاطفال تدريبا موسيقيا بالمعهد الموسيقى للاطفال ويسعى المعهد الى تكوين فرقة أوركسترا قطرية لتقديم الالحان الخليجية القديمة ومدة الدراسة بالمعهد ثلاث سنوات يمنح الخريج بعدها شهادة الدراسة الثانوية الموسيقية .

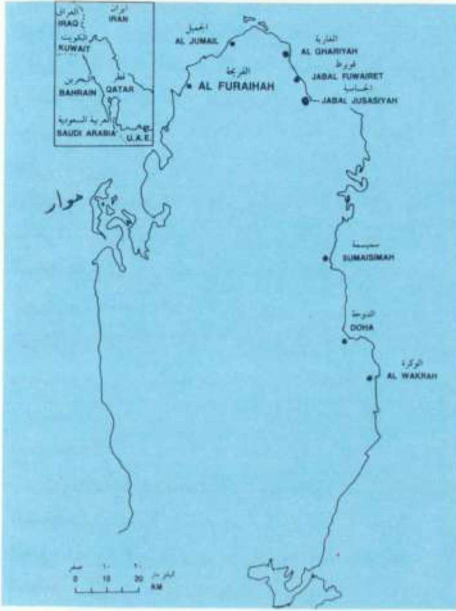
إن الاعلام القطرى بروافده التى أشرنا اليها فيما سبق وهو يسابق الزمن انما يصدر عن قناعة واقتناع بأن ما يقوم به إنما هو تحقيق لهدف نبيل يتمثل فى الارتفاع بهذا الوطن والسمو به الى أعلى الآفاق وهو يستحق ذلك لانه هو الوطن الذى وفر لمواطنيه العزة والكرامة ورغد العيش فكان حقا على مواطنيه رد الجميل

عبد الله محمد صادق

على طريق النهضة في قطر

البحث العلمي ودراسة النقوش الصخرية

بقلم: درويش مصطفى الفار



خريطة شبه حزيرة قطر مبين عليها مواقع النقوش الصخرية المعروفة حتى اليوم

في صباح يوم السبت ، غرة جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ (١٩٨٤/٣/٣) كان حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير دولة قطر ، يستقبل بالترحاب ، في مكتبه بقصر الدوحة العاصمة ، عالما شابا من بلاد الدانمارك ، ليشكره بنفسه ، ويثنى على جهده ويقرظ ما أسداه من خدمة للبحث العلمي في مجال دراسة بعض النقوش الصخرية بمنطقة الجساسية بالركن الشمالي الشرقي لشبه جزيرة قطر . وكان لذلك أبلغ الأثر في نفس الدكتور هانز هولجر كابل ، الذي أسر لي إثر انصرافنا معاً من القصر بقوله : « إنني لم أك أتصور أن حاكما عربيا سوف يهتم بتقدير مثل هذا العمل الأكاديمي البحت ، كما لم يخطر ببالي قط أنني سوف أستدعي من جرينلاند لمثل هذا اللقاء الحضاري الكريم » .

وكان الدكتور هانز قد صحب والده الراحل الدكتور هولجر كابل في رحلة علمية أركيولوجية في أرجاء قطر سنة ١٩٧٤ ، واضطلع معه بأعباء تسجيل النقوش الصخرية في شمال شرق قطر ، تمهيداً لتفسيرها ، واستكناه دلالاتها العلمية في مضمار مسيرة الحياة الإنسانية ، ولكن والده قضي نحبه قبل أن يكمل العمل ، فحمل ابنه العبء من بعده بكل أمانة العلماء ، وكان الوالد قد عمل ضمن البعثة الدنماركية التي استطلعت آثار قطر في منتصف الخمسينات ، عندما استرعت انتباهه تلك النقوش الفريدة ، التي لم يكتشف مثيل لها — حتى اليوم — خارج قطر .. وحفل العدد الثامن من صحيفة (الريان) العلمية ، التي أصدرها متحف قطر الوطني في شهر المحرم سنة ١٤٠٤ (أكتوبر سنة ١٩٨٣) ، بمقال ضاف تناول فيه هانز كابل تلك النقوش بالدراسة ومحاولة التفسير ، وصحب عدد الريان ذاك ، ملحق على هيئة أطلس يحتوى على كل نقوش الجساسية التي بلغت خمسمائة واثنين وتسعين نقشاً ، لسفن وأكواب ورموز وحيوانات وآثار أقدام وخطوط وأحواض ، مما أبقت عليه يد عوامل التعرية ، التي لا ترحم حجراً ولا ترأف بصخر ، وخاصة تلك الرياح المحملة بالرمال التي تأكل الصخور الجيرية الطرية وتأتى على ما فوقها من نقوش كما يأكل المنشار قطعة من الخشب ...

ولما اطلع الأمير على ذلك العدد من الريان ، أمر باستضافة ذلك العالم الشاب ، واطلاعه على معالم التطور والعمران في دولة قطر خلال الفترة من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٤ ، وقرر أن يقدم له بنفسه الشكر باسم البحث العلمي والأجيال القادمة على ما قام به من بحث علمي مرموق ...

ويرجع اهتمام العلماء بالبحث عن مظان النقوش الصخرية ، إلى ما أسفرت عنه دراستها في كثير من أصقاع الأرض من مغانم علمية عظمي . ومن أمثلة تلك المغانم ما يعرف باسم (حجر رشيد) . وهو قطعة من صخر البازلت البركاني الاسود الصلب ، عثر عليها رجل فرنسي يسمى (بوشار) ممن صحبوا الغزوة النابليونية لمصر . وكان عثوره على ذلك الحجر في أغسطس (آب) سنة ١٧٩٩ في مدينة رشيد القابعة عند مدخل فرع النيل المسمى باسمها في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة الاسكندرية الشهيرة . واستولى البريطانيون على ذلك الحجر ، أثناء تفتيشهم لفلول الحملة الفرنسية بعد أن قضت عليها معاهدة العريش (سنة ١٨٠٠) بالرحيل عن مصر ، وهو اليوم محفوظ في المتحف البريطاني بلندن . وحجر رشيد نقش كتبه كهنة منف في عهد بطليموس الخامس (٢٠٥ — ١٨٠ ق م) باللغتين الإغريقية أو اليونانية القديمة ، واللغة المصرية القديمة بحرفيها الهيروغليفي والديموطيقي ... وكان أول من تصدى لدراسة نقوش حجر رشيد هو الفيزيائي الانجليزى توماس يونج ، صاحب الباع الطولي في دراسة طبيعة الضوء وإثبات كيانه الموجي ، داحضا قول نيوتن الذي اعتنقه العلماء دهرا ، والذي يقول بذرية الضوء . ويقال إن يونج هذا أتقن القراءة والكتابة وهو في الثانية من عمره !!

استطاع يونج سنة ١٨١٤ أن يفك طلاسم الكتابة المصرية القديمة بمقارنة أسماء الملوك مثل بطليموس وكيلوباترا في الإغريقية والمصرية القديمة ، وأكمل العالم الفرنسى فرانسوا جان شامبليون المشوار بعد يونج فيما بين سنة ١٨٢١ ،



وردة الأكواب كما يسميها الباحثون . غائرة في الصخر ، يظن أنها لعبة للتسلية ، وهذا ظن غير يقيني فربما تكون ذات مدلولات أعمق ، ولكن ذلك يتطلب مزيداً من البحث



مجموعة من النقوش ليست في مكان واحد من منطقة الجساسية ، وهي في مجموعها لازالت تحتاج إلى تفسير

سنة ١٨٢٢ ، وأصبحت بذلك أسرار الكتابة الفرعونية واضحة المعالم ، أمام الباحث المدقق بروكش باشا (١٨٣٧ ــ ١٨٩٤) صاحب القاموس المشهور في اللغة المصرية الهيروغليفية الذي كتبه في سبعة أجزاء فيما بين سنة ١٨٦٠ ، سنة ١٨٨٢ ، والذي كان من طلبته النابغين أحمد كمال باشا صاحب الكتب المشهورة (١٨٤٩ ــ ١٩٢٣) :

١ ــ العقد الثمين في محاسن وأخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين .

٢ ــ الفوائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية .

٣ ــ بغية الطالبين في علوم وعوائد وصناعة وأحوال قدماء المصريين .

٤ ــ الدر المكنوز والسر المفروز في الدلائل والخفايا والدفائن والكنوز .

وغيرها مما يعتبر من أهم المراجع لمن تلاه من الباحثين العرب والأجانب ، مما لم يك ميسورا قبل فك رموز النقوش الصخرية على حجر رشيد . ولقد كان حجر رشيد هو الدافع الأول للعلماء للاهتمام بدراسة النقوش الصخرية حيثما وجدت ، ومحاولة حل رموزها ومدلولاتها ، فمن ذلك على سبيل المثال حجر آخر من البازلت الأسود أيضا ، يعرفه العلماء باسم حجر بالرمو إذ أنه محفوظ بمتحف تلك المدينة بإيطاليا منذ سنة ١٨٧٧ وعليه نقوش صخرية تسجل تاريخ حكام ما قبل الأسرات في مصر ، وملوك الأسرات الخمس الأولى (٣١٠٠ ــ ٢٣٤٥ ق .م) ، وكذلك تلك النقوش على الصخور في أرجاء سيناء ، والتي درسها العلامة السير وليام فلندرز بيتري سنة ١٩٠٦ وأطلق عليها اسم (أبجدية سيناء) واعتبرها كثير من العلماء والباحثين أصل كل الأبجديات العالمية المعاصرة ...

ولعل أقرب ما اكتشف من النقوش الصخرية ، تلك التي تعرف بالنقوش الأوغاريثية التي وجدت في دفائن حول مدينة اللاذقية بسوريا ، وفيها ما يدلل على أن اليهود هم أكبر مزورين للتاريخ عرفهم العالم ، إذ أن تلك النقوش الصخرية الأوغاريثية تثبت أن كثيرا مما يدعونه لأنفسهم من تراث إن هو إلا تراث عربي أصيل منذ آلاف الأعوام ...

ذاك وغيره مما أسفرت عنه دراسات النقوش الصخرية في أنحاء العالم ، كان الدافع الكامن في نفس هولجر كابل ، أثناء عمله في قطر حيث سجل هو وزملاؤه الدنماركيون والانجليز تواجد النقوش الصخرية في كل من الوكرة والقصار (شمال الدوحة) وسميسمة والجساسية وفويرط والغارية والجميل والفريحة ...

وتلك الأخيرة تناولها بالدرس والتسجيل طبيب انجليزي عجوز من هواة دراسة النقوش الصخرية هو الدكتور دينس هوكنز ، ونشرت صحيفة الريان بحثه ذاك في عددها التاسع الذي صدر في رجب سنة ١٤٠٤ (أبريل سنة ١٩٨٤) ، وفيه مقارنة عجيبة ذكرها الباحث الهاوي بين نقوش وجدت في جنوب اسكتلندة على شكل وردة الأكواب الدائرية تحاكي تلك الوردات القطرية التي لم يعرف أحد بعد سرها الحقيقي في قطر أو اسكتلندة . أما نقوش الجميل فقد أشار إليها الدكتور فتحي عفيفي في مقالة له بالعدد السادس من صحيفة الريان (ذو القعدة ١٤٠١ سبتمبر سنة ١٩٨١) .

وخلاصة القول في كل ما ذكره كابل وهوكنز وعفيفي وجلوب وبيبي ودي كاردي ، أن النقوش الصخرية في قطر ، نقوش فريدة في نسقها ودقتها واقتصارها ــ حتى اليوم ــ على سواحل شبه الجزيرة القطرية ، إذ لم يذكر أحد من الباحثين فيما هو منشور حتى اليوم في الأوساط العلمية أية نقوش صخرية تشبهها أو تحاكيها مما يحتاج إلى زيادة في البحث والاستقصاء ، في شبة الجزيرة وفيما حول قطر من الدول ، لعل ذلك يسفر عن تفسير علمي واضح لمعاني وتواريخ ومدلولات تلك النقوش . ولعل في اهتمام سمو الأمير شخصياً بشكر باحث علمي تصدى لجانب من دراسة النقوش الصخرية القطرية ، حافزا عميقاً للشباب العربي القطري لمواصلة البحث والدراسة في تلك الآثار التي خلفها الإنسان القطري نقشا على الصخور خلال القرون .

الشباب والرعاية الاجتماعية السليمة



الشباب : اهتمام ببناء العقول إلى جانب بناء الأجسام

فى مجال رعاية الشباب تبرز صورة تدعو للفخر والاطمئنان على أجيال المستقبل ..

فإلى جانب مايبذل من أجل الشباب فى مجالات العلم والعمل وتهيئة كل ظروف الحياة المناسبة أمامهم ، كان لابد من اعدادهم الاعداد التربوى السليم ، والاعداد الرياضى والجسمانى الصحيح ، من خلال اطار علمى مبرمج ..

وجاء هذا الاطار من خلال انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب والذى صدر به المرسوم الأميرى رقم (١) لسنة ١٩٧٩ بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٧٩ ، فكان ايذانا ببدء مرحلة جديدة فى حياة الشباب القطرى ..

فلقد كانت رعاية هذا الشباب فى الماضى قاصرة على بعض الأنشطة الرياضية المحدودة وخاصة كرة القدم ، كما كانت الامكانيات والميزانيات لاتتجاوز الخمسة آلاف ريال ، ثم أخذت تتصاعد بعد ذلك بقفزات واسعة ..

وجاءت هذه القفزات بعد تطورات سريعة ومتلاحقة فى مجالات رعاية الشباب المختلفة ، برعاية خاصة من سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب ..

فقد تم تنظيم المجلس بحيث وحد جهود كل أجهزة وهيئات رعاية الشباب فى دولة قطر ، واستكمل وضع العديد من اللوائح الخاصة بتنظيم العمل بالأندية والاتحادات ، وشجع على تكوين بعض الاتحادات النوعية للأنشطة المختلفة وتدعيمها ، وانتهى المجلس من دراسة موضوع اتحاد أندية العلوم ..

وازداد نشاط منشآت رعاية الشباب منذ قيام المجلس بشكل ملحوظ ومؤثر .

ويبذل المجلس الأعلى لرعاية الشباب جهوداً كبيرة لتدعيم مراكز الشباب وبناء العديد منها ، وتطوير أهدافها ورسالتها ..

ولقد بلغت ميزانية الأندية التي يدعمها المجلس الى مايقرب من خمسمائة ألف ريال قطرى ، بالاضافة الى ايجار مبانى تلك الأندية ، ورواتب المديرين والاداريين ..

ولم يقتصر نشاط المجلس الأعلى للشباب على هذه الجوانب فقط ..

فمن أجل تحقيق رسالته الرياضية والاجتماعية حرص على تشجيع الأندية التى تزاول الأنشطة الاجتماعية وقدم الدعم الفنى والمادى لها ، مما فتح مجالات جديدة لأنشطة الشباب المتنوعة ، مثل ألعاب الجولف والشطرنج وغيرها من الأنشطة الاجتماعية البناءة ..

وفى نفس الوقت عمل المجلس على وجود رابطة قوية بين شباب قطر وشباب العالم ، عن طريق الدول العربية والدول الأجنبية والصديقة ..

وفى هذا الاطار الذى يدعم حركة الشباب وتوجيه طاقاته الى النافع والمفيد ، شكلت اللجنة الدولية الأهلية القطرية برئاسة سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى بموجب قرار سمو رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب رقم (١) لعام ١٩٧٩ ..

وبنفس القرار تم تعيين نائب الرئيس ورؤساء الاتحادات الرياضية أعضاء بمجلس ادارة اللجنة الاولمبية ..

وتضم اللجنة سبعة اتحادات هى اتحاد كرة القدم واتحاد الكرة الطائرة وتنس الطاولة واتحاد كرة السلة واتحاد كرة اليد واتحاد البولينج واتحاد الفروسية والرماية . وتتولى الاشراف على الاتحادات الرياضية ونشاطاتها ، وترعى الحركة الرياضية فى دولة قطر ..

وبهذه المناسبة فقد حققت الاتحادات فى فترة وجيزة نتائج هامة على المستويين المحلى والدولى ..

فقد شكلت على المستوى المحلى عدة منتخبات على جميع المستويات من الدرجة الأولى حتى درجة الأشبال ..

وحققت هذه المنتخبات نتائج طيبة على المستوى الدولى ..

فقد استطاع منتخب شباب قطر لكرة القدم أن يحقق أكبر انجاز فى تاريخ الكرة العربية والخليجية ، فتصدر المركز الثانى فى بطولة كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا عام ١٩٨١ ..

واستطاع منتخب قطر لألعاب القوى أن يحقق بطولة العرب لاختراق الضاحية فى سوريا عام ١٩٨٠ ، وبطولة الخليج لاختراق الضاحية فى أبو ظبى عام ١٩٨١ ، ونال الميدالية الذهبية فى بطولة العرب الثالثة لألعاب القوى التى أقيمت فى تونس فى نفس العام ، وذلك فى سباق المارثون ..

ولقد توالت النتائج المشرفة لمنتخباتنا القطرية بعد ذلك على المستويات الخليجية والعربية والآسيوية والعالمية ..

وكل هذا يؤكد أن المسيرة الرياضية تمضى فى طريقها بقوة ، وتعرف كيف تصل الى الهدف من أقصر طريق ، وأن العناية بالشباب والاهتمام به يأخذان سبيلا علميا يراعى كل الظروف ، ويهتم ببناء الانسان جسميا وخلقيا ونفسيا ..



العبقري المقهور

بقلم : سليمان فياض

قبل اسابيع ، تذكرت « القاهرة » ، واحداً من عباقرتها « المقهورين » ، في ذكراه العشرين ، وهي في قلبي وقلوب محبيه ، كأنها ذكراه الأولى ، أو كأنها يوم وداعنا نحن الذين أحببناه كاتباً ناقداً ، ينفذ بقلمه إلى الجوهر ، دون غرق في التفاصيل ، ودون لجوء إلى البطاقات ، والمونتاج ، والقص واللزق ، في دراساته وأبحاثه ، ومقالاته وأحاديثه ومحاضراته وندواته . فقد ملأ بحضوره الفكري ، والحياتي ، عقول وقلوب من عاصروه .

في ذكراه العشرين نشرت باقة من المقالات في مجلة أدبية ، وعقدت ندوة في ناد للفنانين التشكيليين . عن كاتبنا العبقري « الدكتور محمد مندور » . وفي ذكراه العشرين أذكره أنا بهذه المواقف .

حوار ....

مررت ، إذ كنت بمبنى إذاعة القاهرة (في أواخر الخمسينيات) حين كانت ما تزال بمبناها العتيق بشارع الشريفين ، على استوديو (١٢) ، لزيارة صديق . وجدته بالاستديو يقدم نشرة الظهيرة . وكانت أمام الاستديو طرقة كالركن ، وابتهج قلبي حين رأيت الدكتور محمد مندور جالساً ، يلف لنفسه سيجارة ، ويلصق ورقها بطرف لسانه . كنت أعرفه من صوره . وكان عطاؤه القلمي صديقاً حميماً لعقلي وقلبي . حييت ، وجلست . ودهشت إذ رأيت معه الراقصة الشهيرة « س » في فستان باهر يليق بها ، وكانت مزهوة بنفسها : الحركة ، والنظرة ، والالتفاتة . وكان مندور في بدلته البيضاء ، يبدو على جرمه ، ضائعاً في اتساعها .

أشعل مندور سيجارته اللف ، وقال لها ، للمرأة التي يحدثها :

ــ رأيت رقصك يا بنت يا ...

ضحكت « س » . قالت :

ــ أعجبك

مط مندور شفتيه . وقال لها :

ــ لا بأس .

فقالت « س » بزهو :

ــ لو رأيتني ببدلة الرقص الحقيقية ، وليس في هذه البدلة الحشمة ، التي فرضها علينا يحيى حقي ، ومصلحة الفنون ، لقلت كلمة أفضل من ذلك .

ابتسم مندور بسخرية :

ــ البركة في نوادي آخر الليل ! !

وتضاحكت « س » ، وسكتت مغاضبة ، فالرجل الكهل « قفل » . ورمقها مندور وقال :

ــ بنت يا ... كم تكسبين في الشهر ؟

ضحكت وقالت مغيظة :

ــ لم تسأل يا دكتور ؟

فأجابها وهو يتنهد :

ــ فضول سخيف . لا تجيبي

تضاحكت « س » . وضعت ساقاً على ساق ، وقالت :

ــ احسب لي يا دكتور مندور . آخذ في النصف ساعة مائة وخمسين جنيهاً ، وأرقص في الليلة أربعة أنصاف ساعة . في كل ليلة ، حتى في ليالي الجمع . كم تظنني أكسب في الشهر ، هذا طبعاً ، عدا الأفلام ، والأفراح ، والليالي الملاح .

وفرقع ضحكها في الركن الضيق ، الوثير المقاعد ، والأريكة .

وصمت مندور . وراح يعد كطفل على أصابعه ، ويحرك كفيه بالزائد والناقص ثم قال :

ــ حسبة تحير يا ... أظن دخلك في الشهر .. عشرين ألف

صاحت المرأة بظفر :

ــ بل ثلاثين ألفاً يا دكتور ، بلا مبالغة ، في المتوسط يعني .

وبدا مندور لي مبهوتاً ، وقد لاذ بالصمت ، وأشعل سيجارة لف أخرى ، وأطرق . كنت أعلم أن مندور ، قد أبعد من الجامعة بفضل جهود زملائه « ر . ر » و « ل . ع » وآخرن ، كرجل غير مرغوب فيه في عمل على اتصال بالشباب ، ولأنه لم ينتهز الفرصة ، ويتقرب ، ويتودد ، بفكره ، وقلمه ، واتصاله ، بأولي الشأن الجدد في هذا البلد ، وكنت أعلم أنه عولج من انفصال شبكي في عينيه الاثنتين ، خارج البلاد ، بسبب قطعه لسنوات عمره كلها في القراءة والكتابة . وإذ رفع مندور رأسه قال لها . لـ « س » في غضب أبوي حزين ورفيق وضاحك :

ــ وأنا ضيعت عمري مع الورق والقلم يا ... ، وبوسعي الجلوس على صف من كتبي يا ...

ووجمت « س » ، وارتجفت شفتاها ، ولم تجد ما تقوله فأطرقت صامتة .

والتفت لي مندور ، وقال :

ــ وأنت يا بني . لم جئت هنا الآن ؟

قلت ، والقلب من اللحظة مثقل :

ــ أرتزق .

ضحك مندور عندئذ . وقال :

العبقري المقهور

ـ مثلي !!
ثم قال :
ـ حدثني عن نفسك يا .. ما اسمك ؟!

البحث عن عمل

مبنى الاستعلامات ما يزال قائماً ، ولنفس غاياته بشارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقاً) . وكنت أصعد سلالمه التي لا تنتهي ، فالمصعد لم يكن مباحاً لغير الموظفين ، إلى الدور (كذا) ، لأقدم طلباً للعمل بمصلحة الاستعلامات ، أو بهيئتها ، لا أذكر ، كنت قد تخرجت من الكلية ، وكان ترتيبي يسمح لي بالتعيين ، لولا عدم وجود بند بوظائف التدريس بالتربية والتعليم ، فرحت أطرق أبواب مباني أجهزة الثقافة والاعلام الجديدة في البلاد .

وفوجئت بمن يضع يداً رفيقة على كتفي ، ويسألني : إلى أين يا أبو داود . رأيت الدكتور أمامي غارقاً لم يزل في بدلته البيضاء (الشاركسكين) ، وتوقفنا على الدرج ، وأخبرته بما جئت لأجله . فقال لي :

ـ تعال معي . سأقدمك إلى رئيس الاستعلامات « ع » ، وأوصيه بك .

وعاد الرجل يصعد معي سلالم لا تنتهي ، كان قد فرغ من نزولها لتوه ، ودخل معي مكتب « ع » ، وهو يلهث ، ولم ينظر إلينا « ع » أحس بنا من ظل ألقاه الصباح وراءنا على مكتبه ، فقال : « نعم » . فأخذ مني مندور الطلب ، وألقى عليه نظرة ، وقدمه لـ « ع » . وقال :

ـ هذا الولد يعمل معك . وأنا أوصيك به ، فهو أهل للعمل في الثقافة .

رفع « ع » رأسه ، بدا ممتعض الوجه ، في وجهه قرف الدنيا ، والأوراق المطروحة بلا نظام على مكتبه الواسع . وقال بضيق :

ـ أمن أجل هذا عدت ؟

فقال مندور بهدوء :

ـ نعم . وصعدت سلالم . فهو عزيز علي .

فقال « ع » بنفس الضيق ، وقد سقطت شوافته إلى أرنبة أنفه :

ـ طيب . دعه لي .

وعاد « ع » ينكب على الأوراق . وسحبني مندور جانبا ، وهمس لي :

ـ إجلس ، ولا تغادر المكتب ، حتى يبت في طلبك . سأنتظرك بمقهى لاباس .

وانصرف مندور عني ، وظللت واقفاً ، حتى مللت ، فجلست . وحين رفع « ع » رأسه عن الورق ، ورآني . قال : ـ أما تزال هنا ؟ اذهب ، وسوف نخبرك إن كنا نريدك .

وقفت ، وعرفت نتيجة طلبي في تلك اللحظة . وأسرعت إلى مقهى لاباس . وجلست صامتاً . فتضاحك مندور وقال لي :

ـ قال لك : سوف نخبرك إن كنا نريدك .

فهززت رأسي ، وهمست : « لا عليك يا دكتور » . فقال لي ضاحكاً :

ـ لا تيأس يا أبا داوّد . ما زال باقياً لنا أن نكتب بالقطعة !!

حفل تكريم

كنت قد التحقت بعمل في « مطبخ » مجلة مصورة ، مهمتي فيه المراجعة الفنية صحفياً ولغوياً ، لما ينشر بالمجلة . وكان « مندور » آنذاك من كتابها الدائمين ، بالقطعة أيضاً ، وحدث أن سكرتير تحرير المجلة « س » قرر أن يترك المجلة

■ **صراع طويل من أجل الكلمة الحرة والفكرة التي تنير الحياة والمجتمع**

■ **نصيحة ثمينة من كاتب كبير للكتاب الشبان**

ليعمل نائباً لرئيس تحرير صحيفة يومية . ودعينا ، نحن الذين نعمل بها ، كتاباً بالقطعة ، ومحررين دائمين ، إلى حفل تكريم ، تقيمه المجلة بالنادي الذي تصدر باسمه المجلة ، لسكرتير التحرير « س » . وفوجئنا بمائدة حافلة بطول القاعة ، وعلى رأسها رئيس التحرير « ص » الذي لم نكن نراه إلا نادراً ، فقد كان آنذاك شخصية بالغة الخطر والخطورة في البلاد .

واثر انتهاء وليمة الشاي والجاتوهات ، جلسنا في الليلة الباردة ، بقاعة دافئة ، ودارت أحاديث متقطعة ، لا قيمة لها حتى يذكرها أحد . وكان الدكتور « مندور » جالساً معنا ، يمارس هوايته المعتادة : لف سيجارة ، من تبغ بعلبة صفيح بنيةاللون . وكان صامتاً ، مطرقا ، ومن وجهه أدركت أنه قد عزم على أمر ولمحه رئيس التحرير « ص » ، فقال له متضاحكاً بغموض :

ـ لم نسمع صوتك يا دكتور مندور

فقال مندور بجسارة صادقة ومبهرة :

ـ وهل تركتم لي صوتاً يا أستاذ ... ؟

بهت « ص » ، وقال :

ـ لم يا دكتور مندور؟ ما زلت تكتب ، وتمشي ، وتعود إلى بيتك ، وتروح وتجئ . وها أنت معنا من كتاب المجلة .

فقال مندور :

ـ اسمح لي يا أستاذ ... بسؤالين : أولا : لم فصلت من الجامعة يا أستاذ ... ؟!

فقال « ص » متضاحكاً :

ـ دعك من هذا السؤال الآن . فهذه مسألة عليا .

فعاد مندور يقول :

ـ ولم أصدرتم التعليمات للعاملين بالإذاعة ، حتى لا يطلب مني حديث ، أو أدعى إلى ندوة ؟

فقال « ص » بثقة وتأكيد :

ـ لم يحدث ذلك يا دكتور مندور . ليست هناك تعليمات بمنع أحد ، لا أنت ولا غيرك . وتضاحك ، ثم قال :

ـ ربما كانت هذه المواقف من تصرفات العاملين بالإذاعة ، من مقدمي البرامج ، يعبرون عن رأيهم فيك ، كجيل جديد .

فهز مندور رأسه نفياً ، وقال :

ـ لا يا أستاذ ... كلهم من تلاميذي ، وقد قرأوا لي ، ويتعاطفون معي ، ويعرفون أن ورائي : « حياتي » ، وسجائري اللف هذه ، والأقلام التي أحتاجها ، والكتب التي أشتريها ، والورق الذي لابد منه .. و« كوم » عيال يا أستاذ ...

وكان الصمت قد صار له رنين . ولم يدم الصمت طويلاً فقد قطعه مندور بقوله :

ـ هناك أوراق يرفعها مقدمو البرامج بأسماء المتعاملين إلى فوق ، وتعود الأوراق إليهم ، وعليها إشارة أمام بعض الاسماء بالقلم الرصاص يا أستاذ ...

وعاد الصمت ذو الرنين ، وبدا « ص » جامد الوجه ، ومحرجاً بين الحضور ، ثم قال مندور :

ـ وأحياناً يا أستاذ ... تكفي مكالمة تليفونية من فوق .. فلان : لا .. ويشيع الخبر في المبنى كله ، بل في المدينة بأسرها يا أستاذ ... لقد عرفت هذه المعلومات من الشارع يا أستاذ ..

أخذ « ص » يتضاحك ، وقال :

ـ إذن سأحدثك بصراحة يا دكتور مندور . أفكارك يا دكتور لا تتفق معنا .. !!

عندئذ ضحك مندور وقال :

ـ وأنتم يا أستاذ ... ألم تتأثروا بهذه الأفكار وتستفيدوا منها في عملكم على نطاق واسع ، ومع ذلك فأنا فيما أقوله وأكتبه حريص على عدم الصدام المباشر ، فكرياً ، حرصي على « كوم » العيال . أذكر لي قولاً واحدا بالإذاعة حذف من التسجيل ، أو سطراً بمقال حذفه الرقيب ؟

وعاد الصمت ذو الرنين ، حتى قال رئيس التحرير « ص » :

ـ مر علي غداً بمكتبي يا دكتور مندور ،

وسأسوي هذا الأمر .

ونهض رئيس التحرير مغادراً المكان ، وهو يلقي بيده وقوله تحية عامة . وأخذ الكل في الانصراف . وبقيت جالساً مع الدكتور مندور ، بقى معنا سكرتير التحرير « س » الذي قال :

ــ هذا الرجل عضو لجنة الاشراف بأعلى مؤسسة بالبلاد أحد أعضاء خمسة ، ولا يعرف كيف يكتب حرفاً يا دكتور . أنا نفسي كتبت باسمه عشرات المقالات السياسية بل المئات . فلا تحزن يا دكتور .

وانصرف « س » . وانصرف « مندور » ، وبقيت جالسا مبهوتاً . وإذا غادرت القاعة الدافئة ، للحديقة الباردة ، رأيت مندور يسير وحيداً ، تائهاً في بدلته البيضاء بين مصابيح الاشجار . سرت بجواره ، ولمحته يمسح دموعاً لا صوت لها . قال لي :

ــ اسمع يا ولد . في أول فرصة تتاح لك ، ابتعد عن الصحافة وأهلها . لا تضع رقبتك وقلمك في خية . كن كاتباً صعلوكاً ، وفي عمل وظيفي لا يعرف رفاقك فيه أنك هذا الكاتب .

.. وعاد مندور إلى الكتابة بالقطعة للإذاعة ، والعجيب أنه لم يدع للكتابة في المجلة ، منذ أن جاءها سكرتير جديد للتحرير .

اللقاء الأخير

قابلته ، الدكتور مندور ، صدفة ، يسير على رصيف بشارع القصر العيني . توقفت مسلماً . سألني :

ــ ماذا تعمل الآن ؟

قلت :

ــ أكتب قصصاً ، وأغلقت المجلة ، بسبب صراعات « أهلها » ، وأخذني « س » معه بالصحيفة التي يعمل بها نائباً لرئيس التحرير ، ومازلت أبحث عن طريق آخر أعمل فيه بنصيحتك ! !

فقال لي :

ــ وكيف حال الصحيفة الآن ؟

فقلت :

ــ العجيب أنها صارت توزع مائة وعشرين ألفاً ، بعد أن كان توزيعها سبعة عشر ألفاً فقط . وكله ، بسبب كوبون اليانصيب الذي تنشره في صفحتها الأولى ، والقراء الغلابة الذين يحلمون بالثراء .

فضحك مندور .. وقال بمرارة :

ــ وماذا في ذلك .. « الكلأ » يوزع أكثر ! !

ولم ألتق باستاذي وصديقي مندور بعدها . لكن مشهد ابتسامته المرورة ، ما زال ماثلاً أمام عيني ! !

سليمان فياض

وردتي

شعر : محمد برهام



لي وردةٌ بثياب العز تتشحُ
وتدفئُ الشمس مغناها فتمتدحُ

في شرفتي في أصيص جد هانئة
لها حديث مع الرائي ومطَّرحُ

وإن يزرْها الندى وقتَ البكور بكت
إن الدموع بعيني شاكرٍ فَرِحُ

يا حسن ثوب حريريٍّ تميس به
وقد تولى الندى التطريزَ أو « قُزَحُ »

نَشوى إذا ما نسيمُ الروضِ داعبها
وما بمجلسها خمرٌ ولا قَدَحُ

وكلما سارَ يلقاها مُعَطَّرةً
وكاد سرهما في الروضِ يفتَضحُ

يا وردتي مذ عرفنا الحبَّ من زمن
أنَا على العهد ، والعشاقُ ما برحُوا

دعي النسيمَ وكوني لي الملاذَ إذا
أذكى لَهيبَ الهوى شوقي لمن نَزحُوا

وحذِّري الشوكَ أن يُدمي البنانَ إذا
لمست خدَّكِ إني شاعرٌ مَرِحُ

حتي يعود لي الأحبابُ من سفر
ونسأل الحب ماذا بعدُ تقترحُ

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

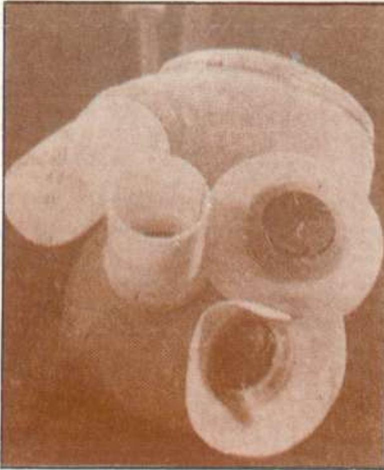
قلب جديد صنع اليابان

أعلن الباحثون اليابانيون في مركز أبحاث أمراض القلب والأوعية الدموية بأوزاكا أنهم تمكنوا من ابتكار قلب اصطناعي جديد يزرع بالكامل في جسم المريض ، وهو بذلك يوفر له حرية الحركة والتنقل .

يتكون القلب الياباني من بطينين من البلاستيك وأسطوانة رافعة من الصلب غير القابل للصدأ ، في داخلها المحرك والمكابس التي تضمن استمرار دوران الدم وتزرع مع القلب بطارية دقيقة الحجم لتمده بالطاقة اللازمة لتشغيله .

ويلبس المريض حزاما خاصاً لحفظ البطارية الخارجية اللازمة لشحن البطارية المزروعة ؟ وتتم عملية الشحن بالحث الكهرومغناطيسي من خلال الجلد . ويتميز هذا القلب بميزة أخرى ، فهو يتحكم ويعدل ايقاع ضرباته ذاتياً تبعاً للجهد الذي يبذله المريض وذلك من خلال جهاز رصد ضوئي يقوم بقياس الثوابت الانزيمية في الدم اتوماتيكياً ومن ثم فان القلب الجديد يستطيع التكيف مع النشاط الذي يقوم به المريض .

ولكن تبقى معرفة كيف سيحل اليابانيون المشكلة الرئيسية التي يواجهها القلب الصناعي ، وهي مشكلة عدم تكيف الدم مع المواد المصنوع منها القلب والتي تؤدي إلى تكون جلطات دموية تهدد حياة المرضى .



القلب الصناعي «جارفيك ـ ٧» الذي أصبح بدائيا

عندما تتكهرب السيارة



الجهاز المستخدم في كهربة السيارات

ابتكر طبيب فرنسي أحدث نظام لحماية السيارات من السرقة . يعتمد النظام الجديد على امكانيات الكهربية الساكنة ، فهو يشحن بها بعض المناطق الحيوية في السيارة مثل قفل الباب والمقود ورافعة السرعات الخ . بحيث إذا ما لمس اللص أحد هذه الأجزاء يتعرض على الفور لتفريغ كهربي تبلغ قوته ٥ آلاف فولت .

ولكن هذه الصدمة الكهربية لن تصعقه لأنها ناجمة عن تيار شدته ٠٫٣٥ أمبير فقط وهي إحدى مميزات الكهربية الساكنة .

كما يتميز هذا النوع من الكهربية بأنه لا يحتاج إلى موصلات معدنية لسريانه ، فهو يخترق كل الأجسام تقريباً . ومن ثم يمكن كهربة المقود ورافعة فتح الكابوت وحتى مقعد القيادة بطريقة غير مرئية ودون حاجة إلى وصلات سلكية يمكن فصلها .

كما لا يستطيع اللص تفادي الشحنة الكهربية عند لمس الأجزاء المكهربة حتى مع استخدام أسمك أنواع القفازات مثل تلك المستخدمة في التزلج على الجليد .

وكان طبيب الروماتيزم الفرنسي يستخدم الكهربية الساكنة في علاج الآلام العضلية لمرضاه عندما طلب منه صديقه أن يجرب استعمال جهاز مماثل على سيارته مع زيادة القوة الكهربية المتولدة . ومن الجهاز الطبي ولد هذا الجهاز المضاد للسرقة الذي يعمل ببطارية مستقلة .

ويمكن الاحتفاظ بالسيارة مكهربة ليلاً ونهاراً دون أي خطر على المارة من ذلك . أما صاحبها فعليه قبل ركوبها أن يبطل عمل نظام الأمان بواسطة جهاز للتحكم عن بعد .



نموذج (ماكيت) السفينة المغناطيسية

السفينة المغناطيسية

سفينة عام ألفين لن تطفو ، ولكنها ستنزلق على سطح الماء ، مستندة إلى وسادة مغناطيسية بحيث تبدو وكأنها طائرة فوق الماء مدفوعة بقوة كهرومغناطيسية ، فهي تعمل بدون محرك أو شراع أو دفة .

وتعتمد فكرة تشغيل هذه السفينة المبتكرة على تطبيق فكرة القطارات المعلقة مغناطيسياً التي اشتهرت بها اليابان ، ولكن مع استبدال القضبان بمياه البحر ، على أساس توليد مجال مغناطيسي طارد بين السفينة والماء يساوي كتلة السفينة ، فيستطيع حملها بعيداً عن سطح الماء . وفي هذا الوضع المعلق لا يقاوم حركة تقدم السفينة إلا احتكاكها بالهواء .

ويبلغ طول السفينة المغناطيسية التي عرضها اليابانيون أربعة أمتار ، وهي مزودة بنظام دفع يتكون من مجموعة من المغناطيسات فوق موصلة — أي معدومة المقاومة الكهربية — مثبتة على امتداد هيكل السفينة ، بحيث تولد مجالاً مغناطيسياً قوياً في الماء ، ومولد كهربي يدفع بين قطبين مثبتين تحت هيكل السفينة بتيار كهربي قوي في الماء .

وبما أن مياه البحر موصل جيد للكهرباء ، فان التيار المتولد سيكون متعامدا مع المجال المغناطيسي بحيث تدفع القوة الكهرومغناطيسية التأثيرية السفينة إلى الأمام .

ولكي تعكس السفينة اتجاهها يكفي عكس شحنات أقطاب المولد الكهربي .



المهد الالكتروني

المهد الإلكتروني

يصعب عادة اكتشاف مشكلات السمع عند المواليد الجدد ، ولذلك فكر الباحثون البريطانيون في تصميم هذا المهد الخاص لرصد أي خلل في قدرة المولود على ادراك الأصوات ، وذلك بعد ساعات فقط من ولادته ، بحيث يبدأ العلاج قبل تفاقم الخلل .

ولقد زود هذا المهد المصنوع من البلاستيك بدوائر الكترونية مثبتة داخل كل من الوسادة والحاشية الاسفنجية والحزام المربوط حول صدر الطفل . فعند وضع المولود في المهد تقوم الدوائر الالكترونية الموجودة داخل الحزام بتحويل حركة تنفسه إلى نبضات كهربية ، وهذه النبضات تطلق بدورها مجموعة من الاختبارات الصوتية التي تصل إلى سمع الطفل من خلال مكبرات صوتية مثبتة في الوسادة .

ويتكون الاختبار الصوتي الذي يستغرق حوالي ربع ساعة من مجموعة من الدرجات والنغمات الصوتية التي لا تتعدى شدتها ٨٥ ديسيبل ، تليها فترة صمت ويتكرر توالي الأصوات ثم الصمت أربع مرات خلال فترة الاختبار .

وعندما يتحرك الطفل كرد فعل طبيعي لسماعه هذه الأصوات فان الدوائر الالكترونية الموجودة في كل من الحاشية والوسادة تلتقط الحركة وترسل إشارة كهربية موجبة تضئ مجموعة من الصمامات الثنائية الموجودة أعلى المهد . وتمثل هذه الإشارات الضوئية المنبعثة من الصمامات تسجيلاً لردود فعل الطفل المختلفة من حركة التنفس إلى حركة الرأس والجسم الخ ..

ويتفاعل الطفل الطبيعي ايجابياً طوال فترة الاختبار . ولكن في حالة فشله في ذلك فان الاختبار يكرر في اليوم التالي ، وإذا كانت النتيجة سلبية يستدعي الأخصائي لفحص أذن المولود وتحديد نوع الخلل وعلاجه منذ اليوم الأول .

ويمكن متابعة حاسة سمع الطفل بعد ذلك عندما يبلغ شهره التاسع ثم في الثالثة من عمره باستخدام المهد الالكتروني .

ويؤكد الباحثون أن استخدام هذا المهد في اكتشاف مشكلات السمع يعتبر بداية فقط ، فهم يحاولون استخدامه بعد إدخال بعض التعديلات عليه في العديد من التطبيقات مثل اكتشاف مشكلات التنفس عند المواليد الجدد ورصد أي خلل في الجهاز العصبي أو تلف في المخ .. الخ .

رسالة القاهرة تكتبها: سارة

مع الكاتب الروائي: صنع الله إبراهيم

أرفض تدليل القارئ أو تضليله

- تأثرت بطريقة همنجواي في الكتابة.. ولكني لا أحب أدبه
- عانيت من تجارب أورثتني جسداً عليلاً.. وانعكس ذلك على كتاباتي
- الرواية العلمية - وحدها - هي التي حققت لي الاستقرار المادي
- لا أحب القصة القصيرة ولا المسرح ولا الشعر.. الرواية وحدها هي الفن الذي يقنعني ويثير اهتمامي

في صيف القاهرة المشتعل بحرارة الشمس والأتربة والضجيج والوجوه الطيبة، توجهت إلى منزل الروائي المصري «صنع الله ابراهيم» والذي وصفه محمد بدوي بأنه «أحد الوجوه المشرقة لفن القص في مصر، والذي يعد أدبه كدحاً دؤوباً متصلاً خلف اقتناص الجوهري والتاريخي من واقعه وسعياً حثيثاً نحو امتلاك شكله الروائي الخاص، وقد ساعده على هذا الطموح تجربة طويلة من العمل السياسي وانغماس قوي في الواقع، وانغماس صميم بأفضل ما في الثقافة الغربية.»

و.. كنت قد سجلت آراء بعض الكتاب والنقاد حول أعماله الروائية الأربعة أطلعكم عليها:

• عن «تلك الرائحة ـ ١٩٦٦» التي صادرتها الرقابة دون أن تفلت منها نسخة واحدة، والتي صدرت بعد ذلك ـ غير كاملة ـ عام ١٩٦٩، قال يوسف إدريس: «إنها ليست مجرد قصة ولكنها ثورة».!!

• ورحب سعدالله ونوس بـ «نجمة أغسطس ـ ١٩٧٤» لانها «تحمل إجابة تقنية هامة على كثير من القضايا المطروحة على الرواية».

• وكتب قمري البشير «تنهض رواية اللجنة ـ ١٩٨١ ـ على أساس استلهام استراتيجية شكل روائي يحاور فيه «صنع الله» تكوين الرواية البوليسية وقصص المخابرات ومكافحة الجاسوسية إلى جانب محاورة رواية المغامرات والفروسية التي تمجد البطل الفرد ـ الفارس الشجاع. وعارضت «سيزا قاسم» هذا الرأي وقالت بأن هذه الرواية تنتمي إلى مجموعة الروايات المعروفة بروايات التدريب والتعليم، وبأن اللجنة تنتمي إلى أدب التعرف لا أدب المعرفة.

• وبينما اعتبر آخرون روايته الأخيرة «بيروت ـ بيروت/١٩٨٤» شاهد مأساة الانسان العربي، كتب إلياس خوري: «لاشك أن صنع الله ابراهيم يعلم أن الكتابة عن مدينة مثخنة بالجراح بهذه الطريقة ليست كتابة عن المدينة، بل كتابة عن الذات وعن العجز عن الكتابة».

• وفي كتاب محمود أمين العالم الجديد «ثلاثية الرفض والهزيمة» والذى صدر أخيراً، وهو عبارة عن دراسة نقدية لروايات الكاتب الثلاث الأولى وصفها بأنها «استطاعت أن تعبر باقتدار إبداعي وجسارة فكرية، وتدقيق علمي، ومعاناة خبرة عميقة حية، عن بعض الهموم الاساسية في واقعنا المصري العربي».

هذا بعض ما سجلته بالاضافة إلى العديد من التساؤلات والاتهامات حملتها وطرقت باب منزله والذي يزينه علمان لفلسطين بالدور السابع بحي مصر الجديدة.

التعالي على الثقافة العربية

صناعة الجوع ـ البابكية ـ ديوان الخط العربي ـ خريف الغضب ـ عناوين كتب تسترعي الانتباه في مكتبة «صنع الله ابراهيم» بالاضافة إلى مجموعة كبيرة من الاسطوانات «موسيقى

كلاسيكية » ومجموعة أكبر من الكتب الصادرة باللغة الانجليزية ، منزل صغير يتميز بالبساطة ، الزجاج الملون ، ونباتات الصبار ، وأكثر ما يستوقفك دائرة اللون الأبيض الذي يوحد بين جدرانه ، وقد علق صنع الله ابراهيم على ذلك « بأنه لون يعمق الاحساس بالنظافة » .

ملحوظة اعتراضية

كتب محمود أمين العالم في دراسته عن « تلك الرائحة » : « إن صفة الرائحة هي صفة نظافة لا صفة جمال ، وصفة النظافة هذه هي ما راح السارد يتشممها ، يبحث عنها في جسد المرأة ، في جسد الرواية ، في جسد الحياة ، يرى السارد في المترو فتاة فيقول عنها « تبدو نظيفة جداً ، ولاشك أنها استحمت قبل أن تخرج » هل النظافة هي معيار الحكم عنده ؟ وهل الرائحة النظيفة هي البديل المقابل المناقض للرائحة التي لا تطاق ؟ ولهذا قد لايكون غريباً أن نتبين أن كلمات المياه والصابون والحمام والاستحمام من أكثر كلمات الرواية وعملياتها وأحداثها تردداً أو تكرارا ــ حوالي ٥٢ مرة ــ » .

و .. سألت « صنع الله »

• لماذا اسمك « صنع الله » !

فأجابني ضاحكاً :

ــ لقد طرحت هذا السؤال على أبي فأخبرني أنه بعد ولادتي احتار في تسميتي فاستخار الله وفتح القرآن الكريم ووضع يده على أول آية وكانت تحمل معنى يقول إن كل شيء من صنع الله ، فحملت أنا معنى هذه الآية الكريمة .

و .. عن أهم المحطات في حياته قال :

ــ التحقت بكلية الحقوق عام ١٩٥٢ وكانت تلك فترة التمرد الكبرى وسنوات الضياع بالنسبة لي ، فقد شغلتني السياسة والمظاهرات عن الدراسة الجادة ، وصرفت سنوات ستاً من عمري في دراسة القانون دون جدوى ، وبعدها التحقت بمعهد الفنون المسرحية لفترة قصيرة وقلقة جداً ، دفعتني الظروف إلى أن أقضي خمس سنوات ونصف السنة من عمري في السجن ، وسافرت إلى ألمانيا للعمل عام ١٩٦٨ ، وبعدها قمت برحلات أخرى ، ودرست السينما ومع نهاية عام ١٩٧٤ عدت للقاهرة ، وقد عملت في الصحافة أحياناً ، وككاتب سيناريو أحياناً أخرى ، وعملت أيضاً كمترجم وبائع كتب وموظف في إحدى دور النشر ، وقد تزوجت منذ عشر سنوات ، وكان زواجاً ناجحاً منحني الاستقرار بعد تشرد طويل ، وقد اعتبرت ابنة زوجتي دائماً ابنتي وأكثر ، ومنذ فترة طويلة اعتزلت العمل وتفرغت للكتابة نهائياً خاصة وأن ظروفي الصحية أجبرتني على ذلك .

و .. فاجأت « صنع الله » بالاتهام الأول له بأنه متعال على الثقافة العربية فأجابني قائلاً :



صنع الله إبراهيم

ــ بداية أود أن أقول إنني لا أقرأ لأثقف نفسي ، ولكني أقرأ لسببين أحدهما ترفيهي وذلك حين تحاصرني هموم الحياة ومتاعبها فأغرق قلقي في قصة بوليسية أو قصة مغامرات ، والسبب الآخر محاولة مضنية للبحث عن أجوبة لكثير من التساؤلات والقضايا التي تؤرقني ومنها على سبيل المثال لا الحصر قضية السلوك الغريزي للإنسان ، وقد صدر عن هذه القضية عام ١٩٥٤ في أمريكا تقرير يناقشها وهناك أيضاً قضية الشركات العالمية ودورها ، خفايا علاقة اسرائيل بالاستعمار ، وأسرار النشاطات السياسية ، وكل هذه قضايا هامة بالنسبة لي لم يتعرض لها كاتب عربي ، ولذلك كان لابد من توجهي للغرب .

وعموماً فان قضايانا وهمومنا هي التي توجهنا نحو المنبع الذي يجب ارتياده ، فأنا في يوم ما كنت مهتماً بالقرامطة لأنني كلفت بعمل سيناريو فيلم ــ لم ينفذ ــ يحكي تاريخهم ، فكان لابد أن أعود للمراجع العربية وقد قرأت كل ما كتب عنهم ، بالاضافة إلى أنني من جيل نشأ ليجد الرواية الغربية هي النموذج والمثال ، ولقد دفعنا للانبهار بها بسبب ماكانت عليه القصة العربية من سذاجة .

• ولكن هناك عدداً من أبناء جيلك استمدوا الكثير من منبع الثقافة العربية ، والتراث العربي ، ولم تمنعهم الرواية الغربية النموذج من ارتياد هذا المنبع ؟

ــ لكل كاتب مملكته الخاصة وكيانه الخاص وأدواته وموضوعه الخاص الذي تشكله ظروفه الخاصة ومنابعه المختلفة ، وأنا منذ مراهقتي وجدتني وجهاً لوجه أمام القصة الغربية في محاولاتي المستمرة لقراءة قصة جديرة بالقراءة ، كما أن الاهتمام بالقضايا السياسية يدفعك دفعاً نحو الغرب لأنه يشكل جزءاً كبيراً وهاماً فيها ، والثقافة الغربية هي الثقافة المسيطرة ومقاومتها لا تكون بتجاهلها ولكن بدراستها وفهمها ومعايشتها ، ولست أجد غضاضة في تأثري بالثقافة الغربية ، فنحن لا نكتب من فراغ ، ومن حقي أن أستفيد من معطيات وتجارب الآخرين بشرط أن أضيف إليها شيئاً ، فالتاريخ الأدبي هو تاريخ الاضافات والتجاوزات ، كما أن هناك عاملاً هاماً وهو مدى معرفة الكاتب بلغة أجنبية ، فالكاتب الذي يجهل لغة ثانية يجد نفسه منكباً ومهتماً ومجبراً على حصر اهتمامه وتركيزه على القراءة باللغة العربية ، أما من يقرأ بلغة ثانية فان اهتماماته تتوسع وتتشعب ويبدو مستحيلاً أن يحصر اهتمامه بثقافة دون أخرى .

• و .. ماذا عن الموسيقى العربية ؟

ــ وأين هي الموسيقى العربية التي تستحق أن تسمع !! ؟ عموماً ربما ذلك راجع للسنوات التي قضيتها في الخارج وتعرفي الحميم على الموسيقى الكلاسيكية ، لقد أحسست أن بها قدراً كبيراً من التركيب المثير للوجدان وهذا ليس خطأ ، فالثقافة سواء كانت موسيقى أو شعراً أو قصة ، في النهاية هي ثقافة انسانية متصلة الحلقات ، متوحدة الجذور والاهتمامات والطموحات .

• هناك من يقول إن جهد الباحث أو جهد الصحفي في أعمالك أكبر من جهدك كروائي !

ــ احتمال .

• هل أعتبر اجابتك هذه موافقة ــ إلى حد ما ــ على هذا الرأي ؟

ــ لا .. بالتأكيد . دعيني أعود معك إلى البداية ، فأنا اتخذت قراري بكتابة الرواية تأكيداً لذاتي ودفاعاً عنها في ظروف صعبة للغاية فقدت فيها حريتي ، وعلى الورق كان بوسعي أن أمارس كل الحرية المفتقدة ولازلت أحتفظ بأدق المشاعر لتلك اللحظات التي كنت أنفرد فيها بنفسي : مشرفاً على مساحات شاسعة من رمال الصحراء لأكتب فصولاً من رواية ، ومنذ البداية كانت لعبة الشكل تستهويني ، فالحرية التي يتعامل بها الكتاب المعاصرون مع مادة الرواية كانت تثيرني للغاية ، كل رواية تصبح مفاجأة تامة ومغامرة مثيرة جديدة ، لا تكرار فيها أو ابتذال . وكان من الطبيعي أن تتحول الطفولة التي استيقظت أدق لحظاتها في أيام فقداني للحرية إلى منجم غني بالنسبة للعمل الأول ، لكني لم أكتب غير بضع فصول توقفت بعدها عندما واجهت المشاكل التي يواجهها كل كاتب في بداية عمله ، وأحياناً كثيرة بعد الرواية الأولى ، أي طريق بين عشرات الطرق ؟ الاساليب والاشكال والمدارس ؟ تشيكوف وجويس وبروست فضلاً عن زولا وبلزاك ونجيب محفوظ

مع الكاتب الروائي: صنع الله إبراهيم

ثم آلان روب جرييه وأصحاب الرواية الجديدة في فرنسا الذين كانوا يحدثون ضجة كبرى في ذلك الوقت «بداية الستينيات»، لم يكن الأمر متعلقاً بالحرفة، بالتكنيك وحسب، وانما كان يشمل أساساً وجهة النظر، الرؤية، ما تريد أن تقوله، كنت قد بدأت حركتي من موقع التمرد على ما كان يعرف في ذلك الحين بالواقعية فقد شعرت أنا وكثيرون غيري انها تزيف الواقع وتزوقه وقدرت أن هذا الخداع لا يساعد الانسان بل يضلله، هكذا عاهدت نفسي منذ البداية أن أذكر الحقيقة، ولأن الحقيقة ليست مطلقة فلابد من أن أبذل كل جهد، مسلحاً بالعلم والتجربة، لاقترب منها قدر الإمكان، وكان لدي قدر من الغرور وقتذاك ـ كنت ما أزال في الثانية والعشرين من عمري ـ لأعاهد نفسي ألا أكرر أو أقلد، وأن أصمت اذا لم يكن عندي ما أضيفه، ومن هذا المنطلق ولدت رواياتي بأشكالها الجديدة ومضمونها الجديد، ولكن المشكلة أننا أدمنا قراءة الروايات التقليدية، الرواية «الحدوته» رواية الشخصيات المعروفة عند الجيل العربي الأول من كتاب الأدب الروائي، ولذلك فان كل رواية جديدة تظهر متجاوزة المألوف والعادي نعتبرها نوعاً من الاستفزاز والخروج على المألوف: والرواية ـ في رأيي ـ أروع فنون العصر وقد اتسعت أشكالها لتستوعب هموماً وأموراً كثيرة، وعلى سبيل المثال فان «ألدوس هكسلي **Aldous Huxley** كتب في احدى رواياته جملاً موسيقية كانت تشكل جزءاً هاماً من بنيان الرواية، ومؤلف «لوليتا» كتب رواية عبارة عن قصيدة شعرية احتلت أربعين صفحة، أما باقي صفحات الرواية فكانت شرحاً روائياً لهذه القصيدة، وكاتب آخر ضمن روايته بحثاً قانونياً احتل عشرين صفحة، إنها لعبة ذكية ومتفردة في تكنيك الرواية تضيف إليها أبعاداً أعمق، وأنا مارست هذه اللعبة في أضيق الحدود، ولماذا نذهب بعيداً فتجليات الغيطاني شكل جديد من أشكال الرواية غير المألوفة وإن كانت ممعنة في التجريد خاصة في السفر الأول، فليس هناك حادث معين ولا شخصية محدودة وانما هناك لغة تستثير ذكرياتنا وطفولتنا، وما يميز جيلنا أن لكل منا طريقته الخاصة في كتابة الرواية.

• لماذا يحس قارئك بأنك تتعامل معه بفظاظة في صورك ولغتك وأفكارك وأشخاصك؟

ـ لأنني أرفض كل أشكال الازدواجية بين الحياة التي نعيشها وبين ما نكتبه، إنني ما زلت طفلاً في كتاباتي، لم أعرف ازدواجية الكبار وازدواجية الحياة، ولذلك قد أبدو فظاً في صوري وأشخاصي وتبدو لغتي جافة وتقريرية وحيادية أو خالية من الرواء الشعري بل إنني أتعمد أن أكتب بلغة ركيكة لأن الصدق في التعبير يتطلب مني ذلك أحياناً، إنني أرفض أن أقوم بتدليل القارئ وتضليله ومكافأته على كسله وأوهامه وخيالاته الرومانسية بكتابات «مزوقة» وناعمة وحالمة. إنني أقوم بتوظيف هذه الحدة للتنبيه للبشاعة التي نواجهها في الواقع.

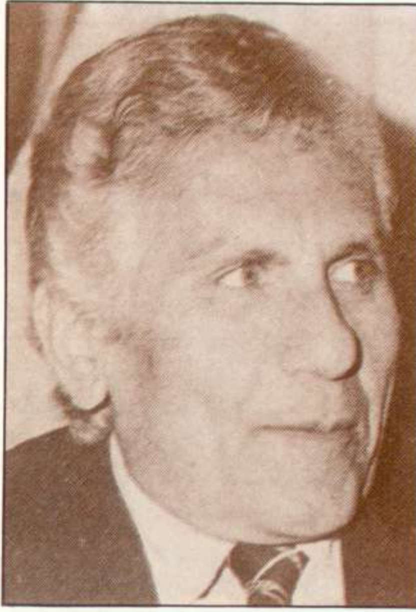
• ما هو تفسيرك لإحساسنا بأنك منفصل تماماً عن عوالمك الروائية التي خلقتها وبأنك لا تتفاعل معها ولا تنفعل معها، وأنك تستخدم اللغة ـ المسافة، وليست اللغة التفاعل والانفعال؟

ـ أعتقد أن ذلك يعود إلى طفولة شقية، فقد كان أبي موظفاً من الطبقة الوسطى وكانت زوجته الأولى من نفس مستواه، وكنت أنا ابن الزوجة الثانية والتي كانت أقل اجتماعياً منهما، وكانت تعمل ممرضة لزوجته الأولى المشلولة، ولقد كانت أمي صغيرة وجميلة ومتعلمة ومتدينة، وكانت حريصة على تسجيل يومياتها، وعانت في حياتها ضغوطاً نفسية قادتها إلى مستشفى الأمراض العقلية وأنا مازلت في السادسة من عمري، وكان ذلك حكماً علي في تلك المرحلة المبكرة بالنفي النفسي الدائم، والانفصال عن عالمي، لقد كانت بداية غربتي الحقيقية ـ رغم حب أبي لي ـ التي أعقبتها سلسلة من الأمراض التي أورثتني جسدا ضامراً عليلاً، وانعكس ذلك على كتاباتي ـ ربما ـ بحيث يشعر القارئ بانفصال عاطفي بيني وبين عوالمي القصصية التي أخلقها.

وأود أن اضيف أن اللغة ـ المسافة هي لغة العصر، لغة تتيح لنا قدراً كبيراً من الحرية، وتتيح لنا أن نراقب الآخرين عن قريب وبحياد، وتتيح لنا أيضاً حياد الوصول إلى النتائج وحياد التفكير.



نجيب محفوظ



يوسف إدريس

• لماذا صورة «الحب» في أعمالك مشروخة وعاجزة ومتوقفة عن النمو الانساني الطبيعي ولماذا تسقط شخصياتك أسيرة العجز ويجهض التوق المشروع للعطاء؟

ـ حقيقة لا أدري! وأظنها تلخيصاً مكثفاً وحاداً للمأزق الانساني.

السد العالي .. ومايكل انجلو

• كيف توصلت إلى ذلك التقسيم الغريب، والشكل البالغ التعقيد في روايتك «نجمة أغسطس»؟

ـ لم تنصرم ثلاثة شهور على الانتهاء من روايتي الأولى «تلك الرائحة» حتى كنت في طريقي إلى موقع العمل في السد العالي، ففي ظل القيود المفروضة على حرية «الفعل» بدا السد العالي كأنه المكان الوحيد الذي تتحقق فيه هذه الحرية فضلاً عما يعنيه هذا البناء من الناحية المادية بالنسبة لمستقبل بلادي، كانت لدي شكوكي المختلفة وكنت أريد أن أقطع فيها برأي، وكنت أيضاً أبحث عن زوجة، عن وجودي الذي أربكته للغاية الأحداث الحياتية المتعارضة والمتلاحقة، وكنت ما أزال أتلمس طريقي في الكتابة، وحملت معي بالصدفة كتاباً عن «مايكل أنجلو» وإذا بي أجد في مسيرته الفنية كما فسرها مؤلف الكتاب، صدى للمشاكل الفنية التي أعانيها، فهو الذي رفض أن يكون موضوعه الأول من الأساطير كما شاء أساتذته، وأصر أن يكون ذاتياً خاصاً به، وهو الذي كتب هذه الأبيات عن وظيفة الفنان:

لا تخطر فكرة للفنان مهما كانت عظمته



سعد الله ونوس

وليس لها وجود في قشرة الصخر
فكل ما تستطيعه اليد التي تخدم العقل
هو أن تفك سحر الرخام .

منهاج كامل للتأليف الفني ، بل ورؤية فلسفية للحياة والفعل عموماً ، وانطلقت أكتشف معالم السد العالي الجغرافية والهندسية والتاريخية والسياسية والانسانية ، وسرعان ما أصبحت « أنا » والسد ومايكل أنجلو وحدة متفاعلة لا يمكن تجزئتها ، وفي هذه الوحدة تكمن شروط الرواية المطلوبة ، كل ما يتعين عمله هو أن أفك سحر الرخام . يتألف السد ــ جغرافياً وهندسياً ــ من ثلاثة أقسام : قسم أمامي وآخر خلفي وثالث بينهما ، وتتألف رحلتي من ثلاثة أقسام : القاهرة السد ــ السد نفسه ــ السد أبو سمبل ، ويتكون البناء من القسمين الأمامي والخلفي من أربع عمليات مختلفة ترتبط كل منها بآلة معينة ومادة معينة ، وأربعة فصول صعوداً إلى السد وأربعة هبوطاً منه : أما السد نفسه فله قلب : النواة الصماء أو الستارة الحديدية المنيعة التي تتألف ــ للغرابة ــ من أبسط المواد وأكثرها ضعفاً : التراب ، لكن هذا التراب عندما يمزج بالماء ويحقن ببعض المواد المستوردة يتحول إلى حاجز منيع في وجه الزمن ، وفي هذا الجزء الوسطي تلتقي كل عناصر السد والرواية وتتجمع تلك الشذرات والايماءات والذكريات والأحداث في بؤرة حية ، لحظة فعل متوترة ، وهي الخلاص المشروط بالحب ، ورفعت شعار تحقيق أقصى وحدة بين الشكل والمضمون ، وقضيت شهوراً في محاولة لإعطاء كل صفحة من مخطوطي ، وكل فقرة في هذه الصفحة ، شكلاً يتفق وأشكال المواد الرئيسية المكونة للسد ، الصخور والرمال والأتربة ، ثم تخليت عن هذا الهدف ــ من الناحية التشكيلية البصرية ــ عندما وجدت أنه يحتاج مني إلى سنوات ، وركزت جهدي على اللغة .

بيروت ــ بيروت والمرأة

وسألت « صنع الله » بدهشة لا تخلو من الاستنكار .

• ألا تعتقد أنها صدمة لقارئ روايتك بيروت ــ بيروت » أن يعرف أن الدافع الأساسي لكتابتها هو محاولة معرفة التاريخ الخاص لامرأة لبنانية عرفتها ، أم أنك مغرم فعلاً أن تكون علاقتك بقارئك علاقة استفزاز ؟

و .. سألني فجأة : هل تحبين مشروب التمر الهندي ؟ قلت : نعم . قال : الأفضل أن نشربه مثلجاً قبل الإجابة على هذا السؤال ! !

و .. أجابني في هدوء مثير :

ــ هذه هي الحقيقة ببساطة شديدة ، إنها مسألة تبدو مضحكة ، ولكن ذلك ما حدث فعلاً ، عندما بدأت العمل كان الحافز الأساسي محاولة استكشاف العالم الداخلي الخاص لامرأة معينة ولم يكن أكثر من ذلك ، ولم يكن في ذهني أبداً أن أصنع توثيقاً للحرب الأهلية ، بل لم أعرف أصلاً أن هناك مادة تسمح بذلك ، ولكن عندما بدأت العمل أردت تكوين خلفية للشخصية وهي كما قلت امرأة لبنانية ، لكني ــ في الأصل ــ لم أكن مهتماً بالمشكلة اللبنانية كمشكلة ، كان هناك فحسب متابعة لبعض التفاصيل الخاصة ، وعندما رأيت ضرورة تكوين خلفية قررت أن أفهم المسألة كلها ، هذه هي الحقيقة ببساطة ، ودون محاولة مني لرفع شعارات وإدعاء أنني أردت الكتابة عن الزمن الذي عمد بالدم ، أو عن الأمل العربي ، و .. أنا شخصياً لا أستطيع الكتابة عن موضوع إلا إذا هزني في جزء خاص جداً وذاتي جداً وحميم جداً .

• و .. سألته إذا كان يتفق مع محمود أمين العالم على أن رواياته الثلاث الأولى ما هي إلا ثلاثية مترابطة الأجزاء ..

فقال :

ــ للوهلة الأولى قد لا أتفق معه ، لأنني أشعر أن « اللجنة » رواية مختلفة ، عالم مختلف ، وشخصيات مختلفة ، بناء مختلف ، ولغة مختلفة ، ولكن من الطبيعي أن تكون فيها سمات الأعمال الأخرى ، فالكاتب لا يستطيع أن يغير جلده في كل عمل ، فهو موجود في كل أعماله بصورة ما ، بهزائمه وإحباطاته ، وأحلامه وطموحاته ، وعموماً فأنا لا أستطيع الحكم لأنني لا أستطيع أن أوجد خارج أعمالي لأقوم بدور الناقد .

• قلت أن كتاباتك أحدثت أصداء في الخارج أكثر مما كان لها في مصر . لماذا في اعتقادك ؟

ــ لسببين اثنين أولهما أن الصحافة العربية تهتم بمتابعة الاصدارات الجديدة ورصدها وتحليلها وتقديمها للقارئ على عكس الصحافة المصرية ، والسبب الآخر أن الانسان العربي خارج مصر لظروف كثيرة يصعب شرحها هنا أكثر اهتماماً بالقراءة وأكثر حرصاً على متابعة الاصدارات الجديدة من الانسان العربي في مصر .

• منذ أن كتبت قصتك القصيرة الأولى « الثعبان » عام ١٩٦٣ وحتى اليوم لم يزد عدد قصصك القصيرة عن خمس ، هل هذا موقف من كتابة القصة القصيرة ؟

ــ هناك ثلاثة أشكال للأدب لا أحبها ولا أحب قراءتها : القصة القصيرة والشعر والمسرح ، الرواية هي عالمي الحقيقي ، وقصصي القصيرة التي كتبتها ما هي إلا حالات نادرة أردت أن أسجل فيها حاجة للكتابة ملحة وسريعة ، ولكن طبيعتي ترفض هذا الشكل ، فكل الأمور عندي ــ كعادتي ــ تتوسع وتتمدد وتتشعب بحيث لا يقدر على احتوائها إلا إناء متسع ومريح ، وقد كانت الرواية هي الإناء الذي اخترت لهذا الفيض المتدفق والمقلق في نفسي .

• وماذا عن رواياتك العلمية الست والتي صدرت في الفترة الممتدة ما بين عام ١٩٨٠ ــ ١٩٨٣ ؟

ــ كأي واحد من أبناء جيلي لم تكن لدي أي اهتمامات علمية ، ولكن ظروفي الخاصة أيقظت حواسي الخمس يوماً نحو ما يحيط بنا من أشياء ، السماء ، الشجر ، التراب ، الشمس ، الحجر ، الحشرات والحيوانات ، وبدأت أطرح على نفسي أسئلة كثيرة وقد انغمست في عالم الحيوانات ، كيف تعيش ، كيف تحب ، كيف تتوالد ، هل تحلم و .. أسئلة كثيرة بدت مضحكة ، ولكنه عالم جديد تفتح لي وبهرني واستحوذ علي ، وقد ساعدني على ذلك مجموعة الكتب التي كانت تأتي لنا من الخارج ، ومن حسن الحظ أنها كانت تحوي بعض الكتب العلمية ، وعندما خرجت من السجن شغلتني الحياة ، البحث عن عمل ، البحث عن زوجة ، البحث عن أجوبة ، كتابة الرواية ، الترجمة ، وأشياء أخرى كثيرة ، حتى وجدتني في يوم من الأيام مضطراً لترك العمل لظروف صحية ، واعتكفت في البيت ، ووجدت في مكتبتي عدداً من المراجع العلمية قد تجمعت ، وبدأت فوراً في كتابة أول رواية علمية للفتيان عن حيوان أحبه وهو « العنكبوت » وعندما حاولت نشرها قوبلت بابتسامات ساخرة ، إلى أن التقيت بأحد الأصدقاء وكان يعمل في دار الفتى العربي التي اقتنعت بجدوى وأهمية هذه الرواية العلمية واتفقت معي على إصدار سلسلة متتابعة ، وقد ساعدتني الدار بتوفير كافة المراجع العلمية ، وقد كان هدفي دائماً كتابة رواية علمية واقعية لا تمت بصلة لأدب الخيال العلمي ، وقد حررتني كتابة الرواية العلمية من عقدة الخوف من الكتابة بعد

مع الكاتب الروائي :
صنع الله إبراهيم


أرنست همنجواي


مايكل انجلو

الفراغ من رواية جديدة ، لأنه ليس مطلوباً مني في كتابة الرواية العلمية إلا أن أحكي حكاية مطعمة بمعلومات علمية ومكتوبة بلغة سليمة وجمل دقيقة ، لا تواجهني فيها المحظورات والقيود والطموحات التي تحاصرني عند إعداد رواية أخرى ، وأيضاً أتاحت لي الرواية العلمية أن أمارس عدة أساليب لا أجرؤ على تجربتها في رواية أخرى لأنني لا أريد الخروج على طريق رسمته لنفسي ، بالاضافة لذلك فانها حققت لي استقراراً مادياً ثابتاً حماني من فكرة العودة للبحث عن عمل تحت ضغط الظروف ، خاصة وأن كتب الأطفال أو الفتيان تباع بسهولة ويعاد طبعها عدة مرات ، بل انها تدخل البلاد المحظور دخول رواياتي فيها .

• قلت إنك تقترب من « هيمنجواي » أكثر من اقترابك من أدب الرواية الجديدة ، ما هي صور أو أشكال هذا الاقتراب ؟

ــ لقد تأثرت إلى حد كبير بهيمنجواي ، لقد آمنت ــ منذ بدأت الكتابة ــ بمقولة هيمنجواي ألا أكتب إلا عما أعرفه ، فهذه قاعدة مريحة ، قد تضيق الدائرة حقاً ، ولكنها تجعلها أعمق وأكثف وأصدق ، فقد حدث أنني حاولت ــ في البدء ــ الكتابة عن أشياء لم أعشها ، أذكر ــ مثلاً ــ عندما كنت في الواحات ، كان لنا زميل عجوز يروي حكايات حياته ، وكان يتصور أنها حكايات مهمة للغاية ، ويريد أن أكتبها ، وتصورت أنه من الممكن كتابة كل شيء وخصوصاً أنه كان يريد أن يعطيني مقابل كل جزء أكتبه من تاريخ حياته مقابلاً من السجائر ، وبدأت الكتابة ، ولكنني أحسست بافتقاد الإثارة لافتقاد المعرفة بالموضوع ، وتلك قاعدة هامة ، وهيمنجواي أيضاً صاحب شعار أن الأدب كجبل الثلج العائم الذي لا يظهر بكامله ، وهذا يجعلك تترك مكاناً للتفسير ، كما يمنح العمل قابلية التفسير من عدة مستويات من القراء ، وكان هيمنجواي يرى كذلك أن ثمة ستة أبعاد للنفس البشرية عرفنا خمسة ، ولكن هناك بعداً آخر ، حتى هيمنجواي لم يكن يعرفه ، لكن كان يؤكد دائماً أنه قائم ، وقد تعلمت منه أشياء أخرى تخص اللغة ودقة الوصف وتكثيفه ، وعلاقة الجملة بالجملة ، وتأثير بياض الصفحة والبنط ، وهذا يقربنا من الشعراء الذين يكتبون قصائدهم على شكل صور وأشكال ، وفي نظري أن أخطر ما قاله هيمنجواي هو ما يتعلق بالاقتصاد في التعبير فما يمكن أن نقوله في صفحة واحدة أفضل من أن نقوله في خمس صفحات على طريقة « إلمس وامض » ولذلك كان هيمنجواي يقذف بنصف ما يكتبه في الكتابات الأولى . ولكني آخذ عليه وبشدة أنه لم يهتم أبداً بواحدة من أخطر القضايا في العالم وهي قضية الاستعمار ، فلقد كتب عن أفريقيا بعين الأوروبي المدلل الذي لا يرى في أفريقيا إلا أدغالها وحيواناتها لممارسة نزواته في الصيد والنهب ، ولم ير الاستغلال البشع للانسان الأفريقي وكرامته وآدميته وثرواته المنهوبة .

• أليس غريباً أن تتأثر به لا من خلال أعماله الروائية بل من خلال سيرة تعرض لفن هيمنجواي كتبها « كارلوس بيكر » ؟

ــ نعم ، قد يبدو الأمر غريباً جداً ، لكن هذا ما حدث ، لقد حاولت قراءة هيمنجواي ولكني لم أحبه ، لقد كنت أشعر بالملل والسأم عند محاولة قراءة رواياته أو قصصه ، وعندما قرأت كتاب « كارلوس بيكر » أحببت طريقته ومبادئه في الكتابة ، لقد كان هذا الكتاب بداية العثور على طريقي الخاص ، بل انه غير مجرى حياتي ككاتب .

• وهل أحببت قراءة أعماله بعد أن اطلعت على الكتاب الذي شرح منهجه في الكتابة ؟

ــ قد يدهشك إذا علمت أنني لم أطلع إلا على رواية أو اثنتين حتى بعد قراءة كتاب « كارلوس بيكر » لقد كان دائماً مملاً بالنسبة لي !!

• أليس هذا حكماً على أعمالك بالملل بما أنك تطبق ــ كما تقول ــ نفس منهجه في الكتابة ؟

ــ إن تطبيق المنهج نفسه يختلف من كاتب إلى كاتب . وأرجو أن لا أصدمك إذا اعترفت لك بصراحة إنني أشعر أن « نجمة أغسطس » رواية مملة !!

و .. سألته عن الروائي العربي الذي لا يثير مله فقال :

ــ غالب هلسا وحيدر حيدر ومحمد شكري .

• و .. نجيب محفوظ ؟

ــ روائي له تاريخ لا ينكر ، أبو الرواية العربية ، ولكني أطالبه بالتوقف عن كتابة المقالات السياسية .

و .. انتهى الحوار مع صنع الله ابراهيم كاتب « الصدمات » !

سارة ــ القاهرة

صنع الله ابراهيم في سطور

• من مواليد القاهرة عام ١٩٣٧

• في الفترة الممتدة بين عام ١٩٦٦ ــ ١٩٨٣ صدرت له أربع روايات وست روايات علمية للفتيان فازت إحداها « يوم عادت الملكة القديمة » بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « أليسكو » عام ١٩٨٢

• صدرت روايته « تلك الرائحة » بالانجليزية مع أربع قصص قصيرة عن دار « هاينمان »

• ستصدر روايته « نجمة أغسطس » عن دار سندباد الفرنسية مع نهاية هذا العام .

• في الفترة الممتدة بين عام ١٩٧٥ ــ ١٩٨١ ترجم رواية العدو ــ الحمار ــ معونة أم استعمار جديد ــ ولد لا يعرف الخوف .

• صدرت عدة كتب تناولت أعماله منها :

١ ــ المغامرة المعقدة محمد كامل الخطيب .

٢ ــ « ثلاثية الرفض والهزيمة » ــ محمود أمين العالم .

• كانت « اللجنة » و « نجمة أغسطس » موضوعاً لعدد من الرسائل الجامعية .

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● التحامق في العصر العباسي
● شعراء أميون وقصائد فصيحة ● سلام على أسمهان

أزمة روحية تدفع الشعراء إلى هجاء العقل
والنصح بالبعد عنه وعدم استخدامه

التحامق في العصر العباسي

بقلم: صلاح الدين المنجد

فى العصر العباسي ظاهرة غريبة تلذ الباحث بطرافتها ولطافتها ، هي التحامق وإظهار البلاهة تارة والغفلة مرة .

وقد تدهش بادئ ذى بداءة وتعجب ؛ فإذا انثنيت على نفسك مفكراً متأملاً ، أو مقايساً باحثاً ، علمتَ أن في هذا التحامق من الصواب ما ينبئ عن حدة ذهن ، ودقة فهم ، وجودة حدس .

فلقد وجد الناس في ذلك ضروباً من الفائدة ، فكانوا يلجأون إليه كلما ضاق عليهم الأمر ، وعسرت أمامهم المسالك ؛ فينالون ما يشتهون ، ويحظون بما يحبون . وما كانوا ليتحامقوا بعد علمهم أن أولئك الناس العوام أشد منهم حمقاً ، وأقل فطنة ، وأكثر غباوة . وما لهم لا يتحامقون فى عصر قال العتابي الشاعر عن ناسه إنهم بقر لا يفقهون .

فقد ذكروا عن عثمان الوراق أنه رأى العتابي الشاعر يأكل الخبز على الطريق بباب الشام (فى بغداد) ، فقال له : ويحك ، أما تستحي ؟ قال : أرأيت لو كنا في دار بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ قال الوراق : لا . قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر . فقام العتابى ، فوعظ وقص ودعا ؛ حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : « روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ! » فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدره يبلغها أم لا ... فلما تفرقوا التفت العتابي إلى صاحبه وقال : « ألم أخبرك أنهم بقر ..؟! »

وكان أناس يرون في الحمق الروح والراحة ، وطيب العيش فسعوا إليه ، وتحدث الشعراء بذلك ، فقال أحدهم :

التحامق في العصر العباسي

الروح والراحة في الحمق
وفي زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش في راحة
فليلزم الجهل مع الحمق

وما ذلك إلا لأن العقل كان عدو الإنسان في ذلك الزمان يقول الشاعر القمي :

تحامق ، تطب عيشاً ولا تك عاقلاً
فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولأن من يتحامق يريح ويستريح . فقد سئل مرة زيد بن سعيد العبدي عن تحامقه ، فقال : « جددت فشقيت ، ثم تحامقت فأرحت واسترحت » .

وكان أناس آخرون يتحامقون لينالوا الغنى . قالوا إنه كان في بغداد رجل عاقل ، أديب فهم ، شاعر ، يقال له عامر . وكان مع أدبه محروماً مجازفاً . فلما ضاق صدره ، أظهر التحامق والتجانن ، فتفقده صاحب له ، وجعل يطلبه حتى ظفر به في بعض القرى ، وحوله الصبيان ، يضحك ويضحكون . فقال له : يا عامر ، مذ كم صرت بهذه الحال ؟ فقال :

جننت نفسي لكي أنال الغنى
فالعقل في ذا الزمان حرمان

وقد يدرك المتحامق الملوك بتحامقه فتحسن حاله ، ويزيد ماله . قالوا إن علياً القصري كان ممن يجيد الشعر ، وكان محروماً لا يؤبه له . فتحامق وأخذ في الهزل ، فحسنت حاله ، وراج أمره ، حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به ، فأفاد من هزله وحمقه المال الوافر ، والنشب الكثير . وذلك لأنه :

إن كنت تهوى أن تنال المالا
فالبس من الحمق غداً سربالاً

فيسهل ما عسر ، وتوسر وتغنى ، وتقوم بقوت عيالك وأهلك :

عذلوني على الحماقة جهلاً
وهي من عقلهم ألذ وأحلى
ولقد قلت حين أغروا بلومي
أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقي قائم بقوت عيالي
ويموتون إن تعاقلت هزلا

وكثيرا ما كان العلماء يتحامقون أو يتجانون إذا دعوا إلى القضاء . وكانوا يرون فيه مهلكة لا ينجو منها إلا من رحم الله ويخافون أن يزلوا فيعاقبوا . دعا المنصور أبا حنيفة وسفياناً الثوري ، ومسعراً وشريكاً ، ليوليهم القضاء . قال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم ، فأقال وأتخلص . وأما مسعر فيتجان ويتملص ، وأما سفيان فيهرب . وأما شريك فيقع . فدخلوا على المنصور ، فتحامق أبو حنيفة ، وتجانن الثوري ومسعر ، فنجوا .



ومثل هذا فعل عبد الله بن وهب لما دعاه الخليفة ليتولى قضاء مصر ، فقد تجنن نفسه ، فلزم بيته .

وقد حفلت كتب الأدب بنوادر رائعة ، غير ما ذكرناه عن التحامق والتجانن في هذا الباب . فمن أظرف ما يروى في ذلك أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء . فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على أن يسأل أول من نظر إليه . فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم ، وسود وجهه ، وركب قصبته . فسلم عليه الرجل ، وقال له : مسألة . فقال المجنون : سل ما يعنيك ، وإياك وما لا يعنيك . قال الرجل : فقلت مجنون والله ، ثم حدثته أني أصبت من النساء بلاء ، وآليت أن لا أتزوج حتى استشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة . فقال اعلم أن النساء ثلاث : واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك . فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال ، فهي إن رأت خيراً حمدت ، وأن رأت شراً قالت : كل الرجال على مثل هذا . وأما التي عليك فإمرأة ذات ولد من غيرك ، فهي تسلخ الزوج لتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فإمرأة قد تزوجت قبلك ، فإن رأت خيراً قالت هكذا يجب ، وإن رأت شراً ، حنت إلى زوجها الأول . فأعجبني كلامه ، وملأ نفسي ، فسألته ما الذي غير من أمره : قال . رشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء .

* * *

فهذي طرف تضحك بادئ ذي بدء ، فإذا تأملها الإنسان وجد في عمل أصحابها العقل الحسن ، والتدبير الحازم ، والرأي السديد .

صلاح الدين المنجد

(دمشق) — ١٩٤٩

ظاهرة أدبية طريفة

شعراء أميون وقصائد فصيحة

بقلم: محمود رزق سليم

ما الأمية ؟ وما مبلغ صلتها بالشعر ؟

أول ما يطالعنا من معاني الأمية أنها الجهل بمبادىء القراءة والكتابة ، اللذين هما مفتاح الثقافة والطريق المؤدى إلى العلم . غير أننا نجد أحياناً ممن مهروا في القراءة والكتابة ، ونالوا من العلم والثقافة حظاً ، ينحدرون إلى جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، إذ لا يفرقون بين حق وباطل ، ولا يميزون بين فضيلة ورذيلة ، ولا يؤدون حق العلم عليهم بالترفيه عن قومهم ، وبخدمة أوطانهم ، أولئك والأميون سواء ، بل إن بعضاً من الأميين الذين لم يمحصهم أدب ، ولم يوقحهم تعليم ، قد يكونون أسلم نية ، وأطهر طوية ، وأصدق عاطفة ، وأعرف بأقدار الناس وحقوق الأوطان . وقد استعاضوا بالذكاء والتجربة عن أميتهم ودرسوا علوم الحياة في مدرستها فتخرجوا فيها فضلاء يشأون أولئك الذين أخرجتهم الكتابة من ربقة الجهل ، وخلعتهم القراءة من حظيرة الأمية ، ولكن لا تزال بنفسهم من الجهل الأصيل علقة ، ومن الأمية الراسخة لوثة .

وليس معنى ذلك أننا نتجنى على الكتابة والقراءة ونضلع مع الأمية ، ونحط من قدر الثقافة . كلا وحاشا : ولكننا نحبها جميعاً على أن تكون الطريق الموصلة إلى فهم الحق فهماً صحيحاً وبلوغ الفضيلة بلوغاً كاملا .

ويبدو أن هذا المعنى الذى نفهمه الآن عن الأمية ، لم يكن معروفاً قبل أن تسلك الكتابة الخطية سبيلها إلى الانتشار والذيوع . فكان الأميون هم العامة لا الخاصة ، والأوشاب لا الأشراف ، والإمعات المغمورين لا الرؤساء المشهورين ولهذا أطلق اليهود قديماً لفظ « الأميين » على عرب الجاهلية استهانة بأمرهم ، وتحقيراً لشأنهم ، حتى رفع الله هذا اللفظ وشرفه وكرمه ، فنعت به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

أما الشعر فهو فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة ، ولحن الهي لا نغم تعليمى ، تكسبه المقادير في نفوس جبلت منذ أزلها على أن تكون شاعرة ، نفوس تتوثب عاطفاتها ، وتتوقد أحساساتها وتسجل عليها الأيام ما يطيب لها من حادثات بشرية ومشاعر إنسانية .

وتولد هذه النفوس أمية كسائر النفوس ، فإذا خرجت عن أميتها ، ونزعت منزع الثقافة زادت حذقاً وفراهة ، وأصبحت دانية إلى كمالها .

وقد أنجبت البشرية ، وولدت قبل عهد الكتابة والقراءة كثيراً من الشعراء . وشعراء العرب في العصر الجاهلي كانوا يمتون إلى هذه الأمية بأوشج الصلات . غير أن هذه الأمية لم تمنعهم أن يكونوا شعراء ، ولم تمنع نفوسهم أن تتغنى بما تجيش به وأن يكون غناؤهما على جانب من الرونق والجودة والصدق والسمو ، استأهل إعجاب الأجيال ، واستحق أن يكون موضع دراسة ، بل بابا من أبواب العلم والثقافة حتى اليوم . وقد أفادتهم — بلا ريب — رجاحة عقولهم وثقوب نظرهم وسمو تجاربهم عوضاً عما عانوه من الأمية والجهل بالقراءة والكتابة .

ويتبين لنا مما سبق أنه لا غضاضة على عصر أدبى من عصور الكتابة والقراءة أن يكون من بين شعرائه قوم أميون لا يقرءون ولا يكتبون . بل العجيب حينذاك ألا تطرد طبيعة الأقدار وفطرة البشرية ، فتقصر الشاعرية على قوم من المثقفين بالقراءة والكتابة ، بدلا من توزيعها على الناس والبيئات والطوائف بقسطاس مستقيم عادل ، ما دامت الشاعرية فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة — كما أشرنا — .

في الحق أن الأقدار مطردة في طبيعتها ، والبشرية متشابهة في عصور فطرتها ، جارية على وتيرة واحدة ، وتوزيع الموهبة قائم على العدالة منذ القديم . فلكل جيل شعراؤه ، وكذلك لكل بيئة ولكل طائفة . لا تبالى الأقدار في توزيعها واختيارها بأن تخص من يقرءون ويكتبون بأوفر حظ من الموهبة ، وأوفى نصيب ، دون سواهم .

ومنذ ذلك العصر الذي وجدت فيه الكتابة الخطية سبيلها إلى الوجود والحياة والقوة والاستمرار ، واتخذت منهجاً أولياً ، تعليمياً ، وللراغبين في العلم ، والساعين إلى الثقافة ، ومن ثم فرقت الناس إلى شطرين : عالم يقرأ ويكتب ، وجاهل أمى لا يقرأ ولا يكتب . ومنذ ذلك العصر الذى تولدت فيه اللغات العامية ، وافترقت فيه لغة العامة عن لغة الخاصة . نقول : منذ العصرين المذكورين ، والطبيعة سائرة على وتيرتها ، مطردة في بابها ، توزع موهبتها توزيعها العادل . ولهذا كثيراً ما ترى مخايل الشاعرية ، ودلائل الفنية بادية في أوساط الأميين .

غير أن حرص أهل الفصحى ومؤرخيها عليها ، وحفاظهم الشديد على سلامتها ، نفرهم من الأمية والعامية ، ومن أدبائهما ، وشعرائهما . لا يلمون بحياتهم ونتاجهم إلا في حذر وإباء ، وأنفة وكبرياء . ولهذا طغى عليهم سيل الحرمان ، وسحب عليهم ذيل النسيان فعاشوا نكرات مغمورة ، وأغفالا مهجورة ...

وبعد فنحن لا ندرى بالضبط ، ما موقفنا من الشعراء العوام ، وما رأينا في إنتاجهم الشعرى ؟ أنحمده لهم أم نجحده ، ونشكره أم نكفره . وهل نغبط عصرهم عليهم أم نغمطه ، ونهنئه بهم أم نعزيه ؟ ..

وقد قلنا « الشعراء العوام » لا « شعراء العامة » ، لأننا نقصد أولئك الأدباء ، الذين شبوا أميين لم يتعلموا الكتابة والقراءة ، ولذلك لم يسلكوا سبيلهم إلى المطالعة والبحث والتحصيل والدرس ، ولكن غلبت عليهم حرفة الأدب ، ونزعت بهم نازعة الشعر ، فنظموا بالفصيحة السليمة شعراً قويا بارعاً ، ومشرفاً ساطعاً ، يتضمن الجديد من المعنى ، والمفيد من الرأى ، والسلس من الحديث — فضلا عما نظموه من الشعر العامي .

فهل أمثال هؤلاء وصمة في جبين عصرهم ؟ من حقنا أن نشوهه بهم ، ونعيره بوجودهم ؟ أم نعتبرهم حلية من حلاه ، وزينة من زيناته ، لأنهم استطاعوا على رغم عاميتهم وأميتهم أن ينفذوا بفنهم وشاعريتهم ، إلى الفصحى فينظموا بها ،

شعراء أميون وقصائد فصيحة

ويصوغوا الأبيات مصقولة بصقالها ؟

هؤلاء كشعراء الجاهلية ولكن بفرق يسير .. وهو أن شعراء الجاهلية كانوا يعيشون والفصحى سليقة في اللسان ، تجرى مع الخاطر مجرى الطباع . أما شعراؤنا العوام فقد عاشوا في بيئة عامية اختلطت لغاتها وتبلبلت لهجاتها ، فكانت محرفة اللسان سقيمة البيان .

هكذا عاش عدد من الشعراء في العصر المملوكي . ولكنهم برغم هذا ، قادتهم فطرتهم السليمة ، وأذواقهم المصقولة ، إلى أن يدلفوا إلى الفصيحة المعربة من بابها ، ويعيشوا ردحاً في رحابها ، وينظموا الأبيات الرائقة في جنابها . فوعت بطون الأسفار طرفاً من أخبارهم ، وروت لمعاً من أشعارهم ، تنم عن فنهم وتدل عليه ، كما نم الأرج عن الزهر ، ودل الخرير على النهر .

وكان بعضهم بحكم عاميته ، ينظم كذلك الأزجال ، وما إليها ؛ ولكنه يضرب في وديان من الظرف واللطف ، ويفيض بألوان من السحر والبيان .

ونحن فيما يلي ننوه ببعض هؤلاء فمنهم :

الأمير بيبرس الفارقاني . كان من المعمرين ، وتوفى عام ٨٠٨ هـ وأسس حماماً تجاه المدرسة البندقدارية . وكان من أهل الدين والصلاح . وله مشاركة في العلم . وكان أمياً لا يقرأ ولايكتب . ويزن الشعر بطبعه ، وله شعر جيد باللغة الفصحى . ومن قوله في الغزل ، وفيه تورية :

من لي بظبي غرير
باللحظ يسبى الممالك
إذا تبدى بليل
جلا سناء الحوالك
من حور رضوان أبهى
لكنه نجل مالك

روى ذلك ابن أياس في البدائع .

ومنهم ابن الربيع . وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف ابن أبي الفتح المصرى التميمى ، ويعرف بالخياط . كان أديباً رقيقاً ويعتبر من كبار أدباء العوام . عاصر الشاعر المصرى البارع المرح أبا الحسين الجزار ، والأديب ناصر الدين بن النقيب ، وغيرهما من أدباء الحلبة الأولى في العصر المملوكي . وكانت بينه وبين كثير منهم مراسلات ومساجلات . وقد سل لسانه زمنا على الشاعر أبي الحسين الجزار ، فهجاه وهجا شعره . ومن هجائه قوله :

أبا الحسين تأدب
مالفخر بالشعر فخر
وما تبللت منه
بقطرة وهو بحر
وإن أتيت ببيت
وما لبيتك قدر
لم يأت بالبيت إلا
عليه للناس حكر

ومن شعره في التشوق والحنين ، مخاطباً البرق :

أعد يابرق ذكر أهيل نجد
فإن لك اليد البيضاء عندي
أشيمك بارقاً فيضل عقلي
فواعجباً تضل وأنت تهدي
ويبكيك السحاب وأنت ممن
تحمل بعض أشواقي ووعدي
بعثت مع النسيم لهم سلاماً
فما عطفوا على له برد

وقد توفى مجاهد عام ٦٧٢ هـ . وتحدث عنه صاحب فوات الوفيات .

ومنهم أيضاً شرف بن أسد المصرى . قال عنه صاحب الفوات « شيخ ماجن متهتك ظريف خليع ، يصحب الكتاب ، ويعاشر الندماء ، ويشبب في المجالس على القيان » . ونقل أيضاً عن صلاح الدين الصفدى قوله عن هذا الأديب ، قال رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدنى كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك . وكان عامياً مطبوعاً ، قليل اللحن . يمتدح الأكابر ويستعطى الجوائز . وصنف عدة مصنفات في شاشات الخليج والزوائد التى للمصريين والنوادر والأمثال ويخلط ذلك بأشعاره وهى موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم .

وقد توفى ابن أسد المصرى عام ٧٣٨ هـ .

ولم يرو له الصفدى شيئاً من شعره الفصيح . وروى له موشحة زجلية طريفة يخاطب بها شهر رمضان في دعابة وتفكه ويبدو أن رمضان إذ ذاك كان شديد الحرارة ، فأثارت حرارته في الشاعر هذه الدعابة .

ومن لطيف ما رواه الصفدى لهذا الأديب العامى ، مقامة منثورة مسجوعة ، فيها فكاهة وفيها حوار بين أحد النحاة وأحد الأساكفة ، يطلب فيها النحوى من الإسكافي نعلا طفق ينعتها له ، ويصف شروطها . فرد عليه الإسكافي رداً محنقاً ملأه بالكثير من الكلمات الغريبة .

ومما جاء في هذه المقامة ، وصفاً للنعل على لسان النحوى قوله : « ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان . أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب . ولا يعرفها ماء السحاب تصر صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب جلدها من خالص جلود المعز . ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز » الخ .

ومن الشعراء الأميين أيضاً إبراهيم بن على الحراني ، ويعرف بعين بصل . كان حائكا ، وكان عامياً أمياً ، نظم الشعر الفصيح في النزل والوصف وغيرهما .

ومن غزلياته قوله من قصيدة :

جسمى بسقم جفوته قد أسقما
ريم بسهم لحاظه قلبي رمى
كالريح معتدل القوام مهفهف
مر الجفا لكنه حلم اللمى
رشأ أحل دمى الحرام وقد رأى
في شرعه وصلى الحلال محرماً
رب الجمال بوصله وبهجره
ألقى وأصلى جنة وجهنما

وله قصيدة جيدة في وصف دمشق وجناتها يقول في مطلعها :

ربوع جلق للأوطار أوطان
وليس فيها من الندماء ندمان
كم لى مع الحب في أقطارها أرب
إذ نحن في ساحة الجيرون جيران
أيام تجرير أذيالي بها طرباً
ولى مكان له في السعد امكان
إذ بت أنشد في غزلانها غزلا
لما عزت كبدى باللحظ غزلان

ومنها يقول :

فأنت في جنة منها مزخرفة
وقد تلقاك بالرضوان رضوان
وأنت فيها عن اللذات في كسل
أنهض فما بلغ اللذات كسلان
أماترى الأرض إذ أبكى السحاب بها
آذارها ضحكت إذ جاء نيسان
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت
في الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قضب فيها مركبة ...
جواهر ويواقيت ومرجان . الخ

ومن يقرأ هذه القصيدة بتمامها ، يستروح فيها أنساماً من قصيدة أمير الشعراء شوقى بك في وصف دمشق ، ولاسيما أن القصيدتين من بحر واحد وروى واحد .

هذا ، ويقول صاحب فوات الوفيات : إن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان (المتوفى عام

٦٨١ هـ) كان قد قصد هذا الشاعر ، واستنشده من شعره فقال له : أما القديم فلا يليق وأما نظم الوقت الحاضر ، فنعم . وأنشده :

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى
بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمماً
بترب وهذا البحر يا صاحبي معنا

ومن الأميين أيضاً : ذلك الأديب الشاعر الرقيق صاحب البيتين المشهورين :

قد بلينا بوزير
ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينا
يذكر الله ويذبح

ذلك الشاعر هو ابراهيم المعمار . قال عنه صاحب الدرر الكامنة : شاعر مشهور عامى ، لكنه ذكى الفطرة ، قوى القريحة ، لطيف الطبع ، ولم يتمدح بأحد . وقال إنه مات عام ٧٤٩ هـ .

وبمناسبة ذكر عام وفاته ، نشير إلى أن المؤرخين اختلفوا فيه والذي يبدو لنا أنه من شعراء النصف الأول من القرن الثامن .

وقد نظم الشعر في أغراض كثيرة منها : النقد ، والفكاهة ، والغزل والمجون والخمريات والوصف . وقد اصطنع البديع وبخاصة التورية . وكان سلس الأسلوب ، واضح المعانى ؛ غير أن له أخطاء لغوية أحياناً .

وإلى جانب شعره الفصيح ، نظم الزجل والمواليا ، فى نفس الاغراض الشعرية التى طرقها .

ومن شعره قوله ؛ وفيه اقتباس :

قال لى العاذلون انحلك الحب
وأصبحت فى السقام فريدا
أئذا صرت من جفاهم عظاما
أبوصل تعود خلقاً جديداً
ما رأينا ولا سمعنا بهذا
قلت كونوا حجارة أو حديداً

ومنه وفيه تورية :

ياقلب صبراً على الفراق ولو
روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما
يخفيه قلبى سقطت من عينى

وبعد فهؤلاء خمسة شعراء أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، جاد بهم عصر المماليك ، فجادوا الناس بالبديع الممتع من الشعر ، فلا أقل من أن نذكرهم بالحمد والشكران بدل الذم والنسيان .

محمود رزق سليم

١٩٤٩

سلام على أسمهان

شعر : علي أحمد باكثير

في سنة ١٩٤٤ توفيت الفنانة الكبيرة أسمهان غرقا عندما انقلبت سيارتها في إحدى الترع وكانت في طريقها من القاهرة إلى مصيف رأس البر وحول هذا الحادث كتب الشاعر والأديب المعروف على أحمد باكثير هذه القصيدة :

غرقتْ ؟ كيف يغرق النُّور والحسـ ـنُ وفنٌّ الخلود فى شبر ماء ؟
ما تقولون ؟ هل تجدُّون أم تلـ ـهون أم هل يجد صرف القضاء ؟
لو حواها البحر العريض لضاق الـ ـبحر ذرعاً عن روحها الشّماء !
أو حوتْها الصحراء لانْتفضتْ ظـ ـلاًّ وماءً في جنة خضراء !
لِمَ لَمْ تغرقِ الكواكب والشُّهب وشمس الضُّحى وبدر السماء ؟
صوتها العبقرى قد كان يُغْني عن ضياء ينير فى الظلماء !

• • •

مَن شَدَا بعد أسمهان بلحن فَلأُذْنٍ عن لحنه صمْاء
ما عزائى من بعدها بنشيد أو غناء ولات حينَ عزاء ؟
ضلّةً قيل إنها بُلبلٌ أو كروانٌ أو عندليبُ غناء
أين من صوتها حناجر طير أو أرانين آلة خرساء ؟
صوتها الصوت للخلود وللفر دوس لا للدُّنيا ولا للفَناء !
أسمعَ اللهُ منه للناس حيناً ليحنُّوا شوقاً لدار الجزاء
ليرَوْا أنّ ما على الأرض فان والنعيم النعيم فى الفيحاء !

• • •

ليت عينى تذهبان ويُضْحى خطبُها كاذباً من الأنباء !
شهر يوليو مَنْ ذا يردُّك ابريـ ـلَ وأعطيه مهجتى وذَمائي ؟
شهر يوليو لا كنت ياشهر يوليو أنت شهر الدموع والأرزاء

• • •

آه يا أسمهان ! يابهجة الدُّنيـ ـا وأغنية السَّنا والسَّناء
خرست بعدكِ البلابل في الرو ض وجفت جداول السَّراء
وظلال الفن الرفيع اضمحلّت وتولّت بشاشة النُّدماء
كنت أبكى - إذا سمعتُكِ تشـ ـدين - بدمع يندى على أحشائي
صرت أبكى - إذا سمعتك تشـ ـدين - بدمع مُورّد بالدماء !
فاذهبي كالربيع ... كالكوكب الها وى.. كسارى النسيم.. كالأنداء !
واخلدى في القلوب ما خلد الفـ ـنُّ وجاشَتْ بلابلُ الشعراء
وارقدى في ثَرى الكنانة واقضي ما تشائين من هَوىً ووفاء !

(المنصورة) ١٩٤٤



بقلم: الدكتورة زهـرة المالكي

عزيزي (....)

المساء جميل والليل نسماته عذبة ، فالربيع على الأبواب والشتاء يودع الطبيعة ووريقات الأشجار وبراعم الأزهار التي بدأت في التفتح ، وأتجول بخطوات وئيدة على رصيف الشارع المطل على البحر ، كل شئ يغمره الهدوء من حولي حتى أن وقع قدمي مسموع بصوت عال ولا يكاد يخفيه إلا صوت أمواج البحر حين تتقدم هادرة مندفعة كأنما تجذب معها خيوط ضوء القمر الفضي لتتكسر قريباً من ناظري ، ويحتويني شعور بالعذوبة والجمال والرغبة في المرح والانطلاق دون حدود ...

لكني فجأة أسمع خطوات تقترب مني .. ألتفت إلى الوراء فإذا بي أرى وجهاً مألوفاً لدي .. أليس هذا هو أحد مذيعي التلفاز المشهورين جداً الذين يرتبطون بصداقة وطيدة مع مشاهديهم دون أن يعرفوهم عن قرب ؟ .. وحين تقترب الخطوات مني أكثر أتأكد من أنه بالفعل أحد نجوم الشاشة الصغيرة ، وعندما أحسست بأنه لاحظ نظراتي المحدقة فيه اعتذرت وعدت لتأمل البحر والأمواج .

قد تسألني : ولماذا حدقت فيه ما دمت لا أود الدخول معه في حديث أو حوار ؟

فأرد عليك : بأنه ذكرني بك قبل أن تترك مهنتك السابقة وتبتعد عن الشاشة الصغيرة .. في تلك الأيام البعيدة كانت تلوح في داخلي أسئلة كثيرة تراودني كلما شاهدتك وأنت تحيينا كل مساء من خلال التلفاز ، وكنت أتمنى لو أطرح هذه التساؤلات عليك لأعرف شيئاً ما عن وجه مألوف أراه كل يوم ..

وفي أمسية ما زالت ذكراها عالقة بذاكرتي قررت فجأة أن أتصل بك ، ولا أدري ما الذي دفعني إلى اتخاذ هذا القرار والبدء في التنفيذ ، وما إن سمعت صوتك المميز حتى أخبرتك بأنني مشاهدة تود طرح بعض الأسئلة عليك .. فأجبت علي بترحاب شديد وقلت لي في صوت يخالطه الاهتمام : وما هو أول الأسئلة ؟

قلت : هل ابتسامتك التي تطالعنا بها دائماً تنبع من داخلك كما يخيل إلي أم أنها طابع مرور إلى القلوب ومن مستلزمات المهنة التي تفرض الابتسام الدائم ؟

ورددت علي قائلاً : قد يكون تساؤلك فيه

بعض الصحة لكني بطبعي أحب الابتسام وأتمنى أن أخلق الفرحة والضحكة في كل العيون والنفوس ..

قلت لك : وهل تحس بأنك نجحت في هذه المهمة الصعبة ؟

أجبت : إلى حد كبير ، ولو أنني أحياناً أعجز عن زرع الضحكة في أعماقي حين يهاجمني الحزن دون هوادة ... لكنني أعتبر هذا إجازة من الفرح حتى يعود لي بشوق وحب أكثر ..

أعجبني الرد وبادرتك قائلة : هل تحس وأنت تخاطب المشاهدين بأنك تراهم وتتحدث إليهم عن قرب أم أنك بمرور الوقت لم تعد تتناوشك هذه الأفكار والمشاعر ؟

ردت على سؤالي بفترة صمت ثم أتبعتها بقولك : أحياناً أحس بأنني أخاطب إنساناً معيناً ... وأحياناً أتحدث دون أن أخص أحداً بحديثي ، هذا يتوقف على الظروف التي أعيشها .

وسألتك مجدداً : وهذه الأيام هل لديك إنسان معين تخاطبه من خلال الشاشة كل مساء ؟

قلت : أعتذر عن الإجابة بالتحديد ... لكنني أعتقد بأنني أفتقد هذا الإنسان منذ فترة طويلة ...

قلت لك : آسفة إذا كنت أثقلت عليك بأسئلتي ... وهنا أفضل التوقف ... لكن لي رجاء أخيراً . هل تسمح لي بالاتصال بك والحديث معك إذا راودني سؤال جديد !

رددت علي والبسمة تعود للتألق على قسمات صوتك : بالطبع .. وسيسعدني هذا السؤال ... وأرجو أن تكون الإجابة شافية ومقنعة لذكائك !

ابتسمت أنا الأخرى وشكرتك على هذا الاطراء وقبل أن أختم حديثي بادرتني أنت بالسؤال هذه المرة : لقد نسيت أن أسألك عن اسمك ... فما هو اسمك إذا لم تكوني تمانعين في معرفتي له ؟

قلت لك : بالعكس ، لا مانع هناك ، أنا ليلى ..

رددت ضاحكاً : وأنا لست « قيس » كما تعلمين !

وانتقلت عدوى الضحك إلي ثم أجبتك بقولي : لايهم .. وآسفة مرة أخرى على الازعاج .. قلت لي : لك مطلق الحرية في الاتصال متى شئت ... وأعتز بسماع رأيك في برامجي التي أقدمها إذا كانت لديك آراء ومقترحات معينة .. وخاصة لو لم تكن في صالحي تماماً !!

أجبتك بقولي : حتى الآن لا أجد شيئاً أنتقدك به ، لكن منذ اليوم وصاعداً سأكون الناقدة والمهاجمة الأولى كذلك إذا وجدت ما يستحق الهجوم ..

قلت : وأنا موافق ..

فقلت أنا : حسناً .. وإلى اللقاء مرة أخرى ..

عزيزي (....)

ما زالت كلمات تلك الأمسية مطبوعة في مخيلتي وتتردد أصداؤها في أذني حرفاً حرفاً كأنما حدثت بالأمس القريب ولا أدري هل هذا الحال معك أم لا ! ... لكنني أذكر أنني منذ تلك الليلة أصبحت متعلقة كثيراً ببرامج التلفاز وسهراته حتى أنني بدأت أحس بأنك تحدثني وتخاطبني وحدي من بين آلاف المشاهدين ... لكنني لم أحاول الانسياق بعيداً مع هذه الأوهام وكنت أعود مجدداً كل ليلة إلى أفكاري وعالمي الخاص الذي لا يشاركني فيه أحد ، فقد كنت مدركة بأنك مرتبط في حياتك بآخرين وأنه لا يوجد مكان لي في عالمك أكثر من مكان مشاهدة .. لكنك بمرور الأيام أصبحت أنت الذي تتصل بي وتطلب مني الحديث والكلمات ، وكم كنت أتمزق من الداخل وأنا أحدثك بلهجة أتكلف فيها العقل والهدوء بينما مشاعري تهفو إلى كلمة رقيقة كمثل تلك التي كنت تطالبني بها ، وتعيدها على مسامعي عشرات المرات لكنني كنت أرفض الإجابة ، فقد كنت موقنة في أعماقي بأن مشاعرك مهما كانت صادقة ومخلصة لكنها قد تجرح آخرين لاذنب لهم ولا جريرة ، ولا أود أن أكون أنا ــ الانسانة التي تتمنى لك السعادة الصافية الخالصة من كل الشوائب ــ من يسيء إلى حياتك ويدمرها بطريقة أو



بأخرى ولو على حساب سعادتي الخاصة ..

عزيزي (....)

لم أستطع الاختفاء طويلاً بأحاسيسي عنك فقد عرفت حقيقتها دون أن أنطق بها لذلك قررت الابتعاد عنك وعن عالمك مع حاجتي الشديدة إليه ... لكنهم يا عزيزي دائماً يتهمون المرأة الأخرى في حياة أي إنسان بالقسوة وانعدام الإحساس ، وهم لا يعلمون مدى العذاب الذي تعانيه هذه المرأة المسكينة ، فالنيران التي تصليها ليل نهار أضعاف مضاعفة لا يمكن أن يشعر بها أحد ، ألا يكفي أنه يتوجب عليها أن تعيش في الظل مع أنها لا ترتكب جريمة ولا إثما ولا تطالب إلا بحق طبيعي من حقوقها البشرية ؟

، ألا يكفي أنها تصبح الجانية والمجرمة في نظر الجميع لو حاولت الظهور والاعلان عن حبها ورغبتها في مشاركة الحياة مع من تحب ؟ ... ألا يكفي أن الجزء الأكبر من الاهتمام والعطف والرعاية لا تحظى به كالآخرين بل يجب عليها أن تعاني الحرمان دون أن تشكو منه ؟

الكل يتهم المرأة الأخرى بالأنانية وغلظة الشعور ولا أحد جرب أن يسألها عن حقيقة مشاعرها الداخلية .

لذلك اخترت أن أبتعد عنك وأتركك لهذه الأسباب التي تشكل حاجزاً كبيراً يفصلني عنك وقررت اللجوء إلى وحدتي من جديد ، هذه الوحدة التي لن يشكوني فيها أحد ولن أواجه بالاتهامات والنظرات التي تشع منها روح التساؤل والدهشة ...

عزيزي (....)

لا تستغرب إذا وصلتك هذه الرسالة بعد كل هذه السنوات فقد آثرت ألا أخبرك بالحقيقة الا بعد مرور وقت طويل حتى تكون أصبحت مجرد ذكرى لديك ، لكيلا تثير أشباح الألم والحزن في نفسك وحتى لا تظل عاتباً علي حتى النهاية ...

انتهيت من كتابة الرسالة وطويتها ووضعتها في مغلف أعددته .. وحين اقتربت بخطواتي من صندوق البريد حتى أضعها فيه وأنا أحاول السيطرة على أناملي المرتعشة رفرفت نسائم الربيع العذبة وطارت الرسالة واستقرت في أعماق البحر !!

زهرة المالكي

من شابه أخاه التوأم فما ظلم

بقلم : د . عبد المحسن صالح

يقولون في الحكم الموروثة « من شابه أباه فما ظلم » وعلى نفس المنوال نستطرد ونقول : ومن شابه أخاه التوأم فما ظلم ، وبالتحديد أخاه المتماثل معه ، فحيث يأتي هذا نسخة متشابهة لذلك في كل صفاتهما الوراثية ، فان التشابه لا ينطبق في حالة الأب وولده ، لأن المولود يرث صفات الأبوين ، أو هو سبيكة من أمه وأبيه ، ومن أجل هذا تنشأ الذرية بحصيلة الأبوين الوراثية ، وبذلك تكون الاختلافات التي نميز بها بين الاخوة والأخوات ، والآباء والأمهات ، فلكل انسان صفاته المحددة التي لا يشاركه فيها أي انسان آخر ، يستثنى من ذلك التوائم المتشابهة .. فلهذه صفات وسلوك وطباع وأمزجة تكاد تكون متكررة ، وهي — في الوقت ذاته — مثيرة ومحيرة ، ولن يتضح لنا معنى ذلك إلا من خلال هذه الدراسة التي تأسست على بحوث ذات أهداف محددة .





توأمان متطابقان — برونو وجيورجيو شرابير — وهما في عامهما الثاني ثم في سن الرجولة ، ولقد انعكس هذا التطابق الشكلي والوراثي على مزاجيهما وميولهما ، فكلاهما يدخن البايب ، ويلبس نظارة طبية ، وله نفس الشارب ، وكلاهما يشغل وظيفة أستاذ للحيوان ، لكن أحدهما في جامعة بارما بإيطاليا ، والآخر في جامعة بيلو هوريزونتي بالبرازيل .. وكم أحدث هذا التشابه من مفارقات مثيرة ، خاصة في المؤتمرات العلمية ، اذ كثيراً ما يختلط الأمر على زملائهما ، فيحسبون أن هذا هو ذاك !



التوأمتان المتطابقتان دافنى وبابارا وهما يبلغان من العمر عاماً ونصف عام (الاطار الصغير) ثم انفصلتا ، وتقابلتا بعد ٣٦ عاماً ، ورغم ذلك فمن الصعب أن يميز أحد دافنى من بربارا فكل شيء فيهما متماثل إلى حد مذهل

The Coffman Gallery area of the Coffman Union Program Council is responsible for the visual arts programs and exhibitions which are presented in its three formal gallery spaces and other facilities

The Coffman Gallery area of the Coffman Union Program Council is responsible for the visual arts programs and exhibitions which are presented in its three formal gallery spaces and other facilities.

رغم أن التنشئة كانت منفصلة ، ورغم أن كلا من دافنى وباربارا قد تلقيتا تعليمهما في مدرستين منفصلتين ، الا أن التشابه واضح في خطيهما ، ولهذا فمن الصعب إيجاد تعليل مقنع لمثل هذه الظاهرة .

في كتابه القيم « الوراثة البشرية » يقص علينا دكتور آشلي مونتاجو – رئيس قسم الانثروبولوجي (علم يبحث في أصل الانسان وأعراقه وتطوره وعاداته)بجامعة روتجرز الأمريكية – قصة توأمين متشابهين ، أحدهما يدعى أدوين ، والآخر يدعى فريد ، إذ تشاء الظروف (التي لم يذكرها مونتاجو) أن ينفصلا منذ طفولتهما المبكرة ، وتتبناهما عائلتان تسكنان مدينة نيوانجلند ، ولقد كانت ظروف هاتين العائلتين متشابهة ، فلم يرزقا بأطفال ، كما أن حالتهما الاجتماعية كانت متقاربة ، وكان الطفلان يذهبان إلى نفس المدرسة ، ودون أن يعرف أحدهما أن له شقيقاً توأماً ، لكن التطابق في الشكل والطباع كان بينهما واضحاً ، ورغم أن الطفلين قد لاحظا ذلك ، ألا أنهما لم يعيرا هذا الأمر اهتماماً ، نظراً لصغر سنهما ، وفي الثامنة من عمرهما ، انتقلت العائلتان إلى مدينتين بعيدتين ، فإحداهما كانت في ولاية ميتشيجان ، والأخرى في أيوا ، وعندما بلغا من العمر ٢٥ عاما ، علم أدوين أن له أخاً توأماً ، لكنه لا يعرف له موطناً ، وبمزيد من البحث والتقصي ، عرف أين يقيم شقيقه ، ومن ثم فقد أمكن ترتيب لقاء بينهما ، فتمخض عن ذلك حقائق غريبة ومثيرة .

ويستطرد مونتاجو في تقديم بعض هذه الحقائق فيذكر : رغم أن التوأمين قد عاشا منفصلين ، إلا أن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً يذكر .. فقد كان أدوين أطول من توأمه باثنى عشر ملليمترا لاغير ، ووزنه أثقل بنصف كيلوجرام فقط .. ولقد تطابق فيهما لون الشعر واللحية والعينين والأذنين في الشكل وفي المضمون ، وكذلك تسريحة الشعر ذاته ، كما تطابقت أمزجتهما وكل سماتهما الأخرى ، لدرجة أن التكوين غير السوي الذي ظهر في بعض القواطع (الأسنان) في الفك الأعلى كان بين الاثنين واحداً (رغم أن أدوين كان قد عالجه) ، ولقد ظهر هذا العيب في الجهة اليمنى لفك أدوين ، في حين أنه كان عند فريد في الجانب الأيسر من الفك ، لكن اتجاه منابت شعر الرأس كان إلى اليمين في كليهما ، كذلك كان كل منهما يستخدم يده اليمنى أكثر من اليسرى (لمزيد من المعلومات عن هذه الصفات انظر دراستنا عن التوائم في الشهر السابق من هذه المجلة) .

لكن هذه الصفات الجسدية الموروثة والمتوافقة مع التوأمين صفات متوقعة ، إلا أن الشيء الغريب أن تتوافق أيضاً أمزجتهما وميولهما رغم تنشئة أدوين وفريد في أسرتين منفصلتين ، ومع ذلك فقد احتفظا بميول جد متقاربة ، ولهذا يستطرد مونتاجو فيذكر في كتابه : « ورغم أن التوأمين عاشا منذ طفولتهما بعيدين ، ولا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً طوال ٢٥ عاماً ، فقد كانت أنماط حياتهما تقريباً واحدة ، فلقد تعلما نفس القدر من الدراسة ،وكان لكليهما ميول في المجالات الكهربية ، والتحق كل منهما في وظيفة فني في المواصلات التليفونية ، وفي فرعين مختلفين لنفس الشركة ، وتزوجا زوجتين متقاربتين في العمر والشكل والطباع ، وتم زواجهما في نفس السنة ، ورزق كل منهما بمولود واحد ذكر في نفس العام ، واقتنى كل منهما كلباً من سلالة فوكس تيريير ، وأطلق كل منهما على كلبه – صدق هذا أو لا تصدق – اسم تريكسي » !

ونحن لا نسوق هذا المثل هنا بغرض إثارة الدهشة والعجب ، رغم أن ما جاء فيه يدعو حقاً لذلك ، بل إنها حالة واحدة من حالات كثيرة يدرسها العلماء بغرض التوصل إلى إجابة محددة عن أسئلة مطروحة : فما الذي يحدد شخصية الانسان وميوله في الحياة ؟ .. وهل هي موروثة أو مكتسبة ؟ .. وكيف نفرق بين الموروث والمكتسب ؟ .. وماذا يمكن أن تقدم لنا حالة هذين التوأمين من نتائج علمية بجوار الدهشة والعجب ؟ .. الخ .

الواقع أن الاجابة على مثل هذه الأسئلة تحتاج إلى تحليل وتمحيص ، خاصة وأنه لا توجد حدود فاصلة أو محددة بين المكتسب والموروث ، فرب صفات موروثة قد نحسبها مكتسبة ، والعكس أيضاً صحيح ، ولا زالت تسيطر على أفكارنا مبادئ أو حكم يكاد يكون هناك شبه اتفاق عليها ، منها مثلاً ان الانسان ابن بيئته ، أو كما نقول بتعبير آخر : من شب على شئ شاب عليه ، أو من شابه أباه فما ظلم ، أي أن التنشئة أو التربية في بيئة محددة هي التي تشكل ميول الانسان ورغباته ، وتكون شخصيته التي يجيء بها عليها .. ولن يتضح لنا صحة ذلك أو خطأه ، إلا من خلال دراسة حالات أخرى ، توضح لنا مزيداً من النتائج ، لنستخلص منها أحكاماً عامة .

تماثل في الميول محير

في مجلة « العلم – ٨٠ » الأمريكية يسرد علينا ك . هولدين حالة توأمين متشابهين مات أبوهما قبل ولادتهما ، وماتت أمهما بعد ولادتهما بأيام ، وتبنت كل توأم عائلة منفصلة في ولاية أوهايو ، وكانت العائلتان من طبقة العمال ، ويعني هذا أن التنشئة لكل منهما كانت في بيئتين اجتماعيتين متقاربتين ، ولقد أطلقت كل عائلة على توأمها اسم جيم ، لكن أحدهما كان يعرف باسم جيم سبرنجر ، والثاني جيم لويس ، ولقد ظلا مجهولين لبعضهما تماماً حتى بلغا من العمر ٣٩ عاما ، وبعدها عرف كل توأم أن له أخا ، وعرفت الدوائر العلمية بدورها قصتهما ، ومن ثم بدأت دراستهما ، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بينهما ، وحصل فريق البحث على نتائج مثيرة ، تخللتها مصادفات غريبة .

فمن هذه المصادفات أو الميول المتشابهة عند كل من التوأمين ، أنهما تلقيا تدريبات في تطبيق القوانين المدنية ، وشغلا – بعض الوقت – منصب نائب العمدة - كل في مدينته ،وفضل كلاهما ولاية فلوريدا لقضاء إجازته فيها ، وامتلك كل منهما سيارة « شيفروليه » ، وكان لكل منهما هواية لتربية الكلاب ، ولهذا امتلك كل منهما كلباً أطلق عليه اسم « توي » ،وتزوج كل منهما فتاة تدعى ليندا ، ثم طلق كل منهما ليندا ، وتزوجا مرة أخرى ، وكان اسم الزوجة الثانية بيتي عند كليهما . والأغرب من هذا كله أن يرزق كل منهما بمولود ذكر وأطلق أحدهما على مولوده اسم جيمس آلان ، وأطلق الثاني نفس الاسم ، أي جيمس آلان ،ومثل هذه المصادفات الغريبة قد يصعب

من شابه أخاه التوأم فما ظلم

تصديقها ، وقد تقع ضمن بند « اللا معقول » أو « صدق أو لا تصدق » !

ويستطرد هولدين ، فيقول : هناك أيضاً ظواهر متشابهة أخرى قد تكون أكبر من اعتبارها مجرد صدفة ، من ذلك مثلاً أن التوأمين كانا في أثناء دراستهما يهويان العلوم الرياضية ، ولا يحبان هجاء الكلمات ، وكان لكليهما هوايات مشتركة في التصميمات والرسومات الميكانيكية ، وأيضاً أعمال وفنون النجارة ، ولقد تقاربت ميولهما كثيراً في التدخين والشراب ، وكان كلاهما يقرض أظافره بأسنانه حتى نتوئها (أي اتصالها وبروزها من اللحم) .

وعلى هذين التوأمين أيضاً قام الأطباء بفحوص طبية دقيقة لمعرفة أوجه التطابق والاختلاف بينهما في الصحة والمرض أو العمليات الفسيولوجية والكيميائية ؛ وتجيء بعض هذه النتائج لتوضح أن كليهما قد أصيب بالبواسير ، وأن وزن أحدهما قد زاد حوالي أربعة كيلوجرامات في فترة من حياته ، وأن هذه الزيادة قد حلت بالتوأم الآخر في نفس الفترة تقريباً ، ولقد اتضح أن كليهما كان يشكو من نوبات صداع نصفي ، وأن هذه النوبات قد بدأت تظهر في كليهما عندما بلغا من العمر ١٨ عاماً ، والأغرب من ذلك أنها كانت تصيبهما بنفس الدرجة من الألم ، وفي نفس الوقت من النهار — أي بعد العصر بقليل .. وبالاضافة إلى ذلك ، فقد كان ضغط الدم ، ومعدل النبض ، وطريقة النوم عند التوأمين واحدة ، كذلك كانت التقاطيع والشكل والقوام وفصيلة الدم ، وبصمات الأصابع وغير ذلك من صفات وراثية مكررة ومتماثلة مع هذا وذاك .

لكن هناك بعض اختلافات غير أساسية بينهما ، من ذلك مثلاً أن أحدهما كان يرسل شعر الرأس فوق جبهته ، والآخر يصففه إلى الخلف ، وكان أحدهما يتكلم بطلاقة ، والآخر ذو تعبير أدق في الكتابة ، وقد ترجع هذه الاختلافات الثانوية إلى تأثير البيئة العائلية التي نشأ فيها كل توأم ، ومع ذلك فقد كانت قدراتهما الذهنية متماثلة .

بين أختين توأمتين

ومن الحالات التي درسها عالم النفس توماس بوكارد حالة الأختين التوأمتين دافني وبربارا اللتين نشأتا منفصلتين منذ الصغر ، ورغم ذلك فقد تميزتا بقهقهة مميزة ومتطابقة تماماً بين الاثنتين ، رغم أن أحداً في العائلتين اللتين تبنتهما ليس « قهقاها » ، فهل هذا السلوك وراثي النشأة ، أم مكتسب من التنشئة ؟ .. والسؤال غريب ، والاجابة عليه قد لا يكون لها معنى ، لأن البيئة التي نشأت فيها كل من الفتاتين ليست موصوفة بالقهقهة ، كما أن أحداً قد لا يستسيغ أن تكون القهقهة أو الضحكة أو الابتسامة وراثية .. ولهذا فالأمر متروك لتقديرك على أية حال .

لكن الشيء المحير حقاً أن نمط الكتابة عند الفتاتين كان متقارباً إلى حد بعيد (كما هو واضح في الصورة المنشورة ضمن هذا المقال) .. وبحيث قد يحسب المرء من أول نظرة عابرة أن النمطين لشخص واحد ، خاصة وأن بعض الحروف متشابهة إلى درجة لا تكاد تصدق ، هذا رغم أن إحدى التوأمتين لم تر أختها منذ طفولتهما المبكرة ، مما ينتفي معه أن تكون إحداهما قد تأثرت بالأخرى ، أو أنهما قد تلقيتا أصول الكتابة من مصدر واحد !

ومن الأمور المتشابهة بين هاتين التوأمتين أنهما لا تلقيان أهمية لضغوط الحياة أو الاجهاد النفسي ، وتعترفان — كل على حدة من خلال الأسئلة المطروحة عليهما — أنهما تهملان مثل هذه الأمور ، وتتجنبان الخلاف في الرأي مع الناس ، وتصبحان سلبيتين في أي نزاع قائم بينهما وبين الناس ، وليس لأيتهما أية اهتمامات سياسية ، ومثل هذه السمات التي تشترك فيهما الأختان « ترجع إلى سلوكيات مكتسبة وليست موروثة » — على حسب ما يرى بوكارد .

وثمة أختين توأمتين متطابقتين هما إيرين وجانيت اللتان نشأتا منذ الصغر منفصلتين ، إذ عاشت أولاهما في انجلترا والأخرى في أسكتلندا ، وأظهرتا تطابقا في كثير من الخصال ، من ذلك مثلا تماثلهما في الخوف من أشياء (فوبيا) .. فعندما طلب من كليهما الدخول إلى حجرة رسام المخ الكهربي لتسجيل موجات المخ ، انتابتهما حالة من الذعر ، وأبدت كل منهما على حدة أنها سوف تستجيب لهذا الاختبار إذا كان باب الحجرة مفتوحاً ، كما أن كليهما تبديان نفس الدرجة من الذعر من النزول إلى الاستحمام في مياه الشاطئ ، وترفضان ذلك بشدة ، وكلتاهما تخافان من ركوب المصاعد أو رؤية عجلات الآلات المتحركة ، وعنيدتان في الاستجابة للأمور التي تريان فيها قهراً وتعسفاً ، واذا طلب من كليهما أن تفكرا في حل مسألة ، فانهما تطرحان جسميهما إلى الوراء على مسند الكرسي في وضع استرخاء ، وعندما تذهبان إلى النوم كانت كل واحدة تعد الأرقام تصاعديا حتى تنام !

ومن النتائج التي حصل عليها عالم النفس بوكارد أن أحد التوأمين المتطابقين يضع على عينيه نظارة طبية ، في حين أن الآخر لا يضعها ، وعندما عرض مثل هذه الحالة على طبيب عيون ، أفتى الطبيب بأن الآخر يحتاج بالفعل إلى نظارة وبنفس المقاس الذي لتوأمه الآخر ، لأن العيب واحد في عيني هذا وذاك ! .. وأحياناً ما يظهر أحد التوأمين نفس الميول التي للآخر ، كأن يشتري كلاهما نفس الهدية لأمهما ، أو يختارا نفس الكارت الملون والخاص بالتهاني ، أو قد يلبس كل منهما القماش ونفس اللون ، أو قد يكون كلاهما بنفس النمط من الشارب ، كما في حالة التوأمين أوسكار وجاك اللذين ولدا في ترينيداد ، وانفصلا منذ الصغر عندما انفصل والدهما ، فذهب أولهما مع أمه إلى ألمانيا ، والثاني عاش مع أبيه في الكاريبي ، وعندما تلاقيا في المطار لأول مرة بعد ٤٧ عاما ، حيث حدد لهما ذلك من قبل بواسطة المهتمين بدراسة التوائم ، دهش الجميع للتماثل المذهل بينهما ، فبجوار الشارب المتشابه بينهما ، كانا يرتديان نفس النمط من القميص — أي بجيبين ، ونسيج مقصب على الكتفين ، وتبين أيضاً أن لهما نفس السلوك والشخصية والمزاج ، فكلاهما يحب الطعام الحراق ، ونفس الشراب ، وشرود الذاكرة ، والنوم أمام التليفزيون ، والشعور بالخجل عند العطس أمام جمع من الناس ، وفتح السيفون لغسيل المرحاض قبل استخدامه ، ووضع أربطة رفيعة من المطاط حول رسغيهما ، وقراءة المجلات من الخلف إلى الأمام ، وغمس شرائح الخبز المدهونة بالزبد في فنجان القهوة .. إلى آخر هذه الأمزجة المتوافقة ، رغم أن أحدهما قد نشأ في حضانة أنثى ، والآخر في حضانة ذكر !

عود على بدء

بعد هذا السرد السريع للتطابق المذهل بين التوائم المتماثلة ، رغم تشابه أو اختلاف البيئة التي تربيا فيها ، نعود إلى السؤال القديم : هل شخصياتنا وطباعنا وأمزجتنا وميولنا متوارثة في تكويننا أو هل هي مكتسبة من بيئتنا التي ننشأ فيها ؟

الواقع أن الاجابة على هذا السؤال لها أكثر من جانب ، ذلك أن تكويننا البيولوجي تحكمه مورثات أو جينات تعطينا كل صفة من الصفات الجسدية كلون الشعر وملمسه ، والعينين وتكوينهما ، ولون البشرة ، والطول والقصر وفصيلة الدم وبصمات الأصابع وغير ذلك من مئات الصفات التي لا دخل لنا فيها ، لكن بعض هذه الصفات التكوينية الموروثة ليست بمعزولة عن البيئة ، لأن عوامل البيئة ذاتها قد تؤثر بدورها في بعض الجينات أو المورثات ، فتجعلها سائدة أحياناً ، ومتنحية أحياناً أخرى (أي لا يكاد أثرها يظهر) .. ويعني ذلك أننا لا نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين بعض عوامل الوراثة ، وبعض عوامل البيئة ، أو هي — كما تعبر عنها الدكتورة شارلوت أويرباخ في كتابها الممتع «علم الوراثة» بقولها : إن مثل الوراثة والبيئة كمثل القوانين الأساسية التي يقوم عليها علم الكهربية ، ذلك أن كمية التيار الكهربي السارية تعتمد على فرق الجهد الكهربي وعلى المقاومة التي يلقاها ذلك التيار ، إذ لا تيار بدون فرق جهد ، ولا مادة بدون مقاومة للتيار ، ومع ذلك فالفيزيائي يضع في اعتباره دراسة كل عامل من هذه العوامل مع تثبيت العوامل الأخرى ، كذلك يكون الأمر مع مسألة

الوراثة والبيئة ، فتأثير العناصر الوراثية يستلزم دراسة كائنات مختلفة الأنماط الوراثية تحت ظروف بيئية موحدة ، وتأثير البيئة يستلزم دراسة كائنات موحدة الصفات الوراثية ولكن تحت ظروف بيئية مختلفة ... » الخ .

لكن ما تقصده عالمة الوراثة لا يمكن تطبيقه على الانسان ، لأنه ليس حيوان تجارب ، وإن كان العلماء قد تغلبوا على ذلك بدراسة التوائم المتشابهة ، لأنها موحدة الصفات الوراثية ، وقد تكون موحدة البيئة إلى حد ما ، كأن تنشأ التوائم المتشابهة مع والديها تحت ظروف معروفة ومتقاربة ، أو تنفصل وتنشأ بالتبني مع عائلات لها نفس المستوى الاجتماعي ، لكنها ــ مع ذلك ــ ليست البيئات المثالية التي يطمع فيها العلماء ، إذ ليس المزاج أو السلوك أو العادات في هذه العائلة طبعة بالكربون مما يوجد في العائلة الأخرى ، لكن شيئاً أفضل من لا شيء على أية حال .. فاذا اكتسب توأم في عائلة بعض صفات تختلف عن شقيقه التوأم في العائلة الأخرى ، فان الأمر يستدعي إعادة النظر في تفاصيل طباع هذه العائلة وتلك ، وهي أمور ليست بالميسورة ، إذ قد لا تبوح العائلات التي تبنت التوائم المتماثلة بكل أسرارها ، فيغيب عن العلماء جزء من حقيقة البيئة التي نشأ بها التوأم ، فأثرت فيه ، وتأثر بها .

ومع ذلك فقد أوضحت التحليلات الاحصائية أن التوائم المتشابهة التي تنشأ مع والديها تحت ظروف موحدة ، تكاد تكون طبق الأصل من بعضها في الصفات الموروثة والمكتسبة ، أي في الوزن والطول والقوام والطبع والذكاء والسلوك العام وما شابه ذلك ، لكنها تفقد شيئاً من عنصر المماثلة أو المطابقة إذا انفصلت وعاشت في عائلات ذات مستوى اجتماعي وسلوكي متقارب ، ثم تتسع الهوة بين سلوك وطباع ومزاج التوائم المتماثلة ، كلما اتسعت الهوة في مستوى العائلات التي تتبنى تلك التوائم ، وهذه ــ بطبيعة الحال ــ استنتاجات عامة ، لكن لكل قاعدة شواذا ، والحكم لا يستخلص من الشواذ على أية حال .

مزيد من الايضاح

ذكرنا أن عناصر البيئة تؤثر كل منها في الأخرى ، فالذين يعتقدون أن الذكاء مثلا متوارث في بعض العائلات دون عائلات أخرى ، لم يجانبهم الصواب ، والذين يقولون إن الذكاء مكتسب من البيئة ، كانوا أيضا على حق فيما يقولون ، ويقال إن نوابغ الموسيقيين يظهرون بمعدلات أكبر في عائلات دون أخرى ، وكذلك نوابغ علماء الرياضيات .. إلى آخر هذه الاعتقادات التي تتداول بين الناس .

لكن بعض العلماء يعتقد أن النوازع الاجرامية فيها جانب موروث ، وآخر مكتسب ، وكذلك بعض الأمراض النفسية كفصام الشخصية ،



لا يوجد فرق واضح بين هاتين التوأمتين المتماثلتين لا في الطفولة ولا في الشيخوخة ، هذا رغم انهما انفصلتا وتربيتا في عائلتين منفصلتين منذ طفولتهما المبكرة .

وطبيعي أن كل هذه الاستنتاجات لم تنبع من فراغ ، بل تأتي جذورها من الدراسات التي أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وأيضاً على الأخوة والأخوات غير التوائم في العائلات الواحدة ، فهي في التوائم المتماثلة تتكرر بمعدلات أكبر بمرتين عنها في التوائم غير المتماثلة ، ويقال إن التوائم المتماثلة أيضاً تميل إلى ارتكاب نفس النمط من الجريمة ، ويعني ذلك أن هناك عناصر وراثية مشتركة بين التوأمين تدفعهما لذلك ، هذا بالاضافة إلى الظروف البيئية التي ينشأ فيها كل من التوأمين المتماثلين .

ويرى بعض العلماء أن النوازع العدوانية والاجرامية لا تورث ، فكل الأطفال يولدون أبرياء ، والفرق بين الذين يواصلون حياة مستقيمة ، والذين يميلون إلى حياة الانحراف والجريمة ، هي أن الفريق الأول ينشأ في بيئة صالحة وسوية ، في حين أن الفريق الثاني ينشأ عكس ذلك ، فتدفعه ظروف الحياة القاسية إلى القسوة والخروج على المجتمع الذي يعيش فيه .. صحيح أن الميول والأمزجة الموحدة التي ذكرناها في سياق هذا الموضوع عن التوائم المتماثلة (حتى ولو نشأت في بيئات متباعدة) قد تخدعنا وتجرنا إلى استنتاج أن الميول العدوانية قد تكون أيضاً موحدة ومتشابهة ، خاصة وأن الاحصاءات التي حصل عليها خمسة من العلماء تشير إلى أن معدل ارتكاب الجريمة أكبر عند التوائم المتماثلة لكن ذلك « قد يرجع إلى عوامل بيئية ونفسية أخرى لم يتنبه لها هؤلاء العلماء ، وبسببها تحدث الجرائم » ــ على حد استنتاج دكتور أشلي مونتاجو الذي يستطرد ويقول : لا توجد أشياء وراثية في تكويننا البدني تدفعنا مثلاً لمخالفة السرعة المقررة في قيادة السيارات ، أو للاستيلاء على أشياء ليست من حقنا ، أو للسطو على ممتلكات الغير ، أو الاغتصاب أو الاعتداء أو القتل أو أي إثم آخر من هذه الآثام الاجتماعية ، لكن توجد ضغوط البيئة التي تؤدي أيضاً إلى تغيرات نفسية سيئة تدفع الأفراد لارتكاب تلك الآثام ، بصرف النظر عن تكوينهم الوراثي ، لكننا ـ وكما نعلم ــ لا يجب أن نهمل الانماط الوراثية كلية ، لكن لأسباب وجيهة وعملية يستحسن اهمالها .. فلا توجد جينات أو مورثات متخصصة في الاجرام ، بل الاجرام وليد البيئة وضغوط الحياة » !

وهو رأي يكاد يكون سليماً ، رغم التطابق المذهل في سلوك التوائم المتشابهة ، فارتداء أو انتقاء نفس الملابس ، أو اختيار نفس الزوجين ، أو التساوي في درجة الذكاء ، أو غير ذلك من أمور متشابهة بين التوأمين ، لا يجب أن تدفعنا إلى اعتناق أو تقرير مبدأ علمي هام خاص بعناصر الوراثة ، فنقول إن هناك جينات أو مورثات تسيطر على الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة ، فهذه وغيرها من صنع البيئة التي ينشأ فيها الانسان .. إن خيراً فخيرا ، وإن شراً فشرا .

وسواء أكان أبو الفتى بالتبني أو بالوراثة ، وسواء أكان توأماً متشابهاً أو غير ذلك فان السلوك العام للأبناء تشكله النشأة والتربية والمستوى الاجتماعي للعائلة ، فلو عاش أحد التوأمين المتماثلين من البداية في بيئة يغلب على أفرادها الاستقامة وحب الثقافة والموسيقى وتداول المسائل العقلية التي تدرب الذهن وتنميه ، فأغلب الظن أنه سيكتسب هذه الصفات الجيدة وبها أيضاً ينمي ذكاءه ، ولهذا فان معظم الذكاء مكتسب من البيئة بالتدريب العقلي ، وكذلك الميل إلى سماع الموسيقى أو القراءة وما شابه ذلك ، لكن قد يظهر على هذا التوأم ــ الذي نشأ في بيئة طيبة ــ بعض الانحرافات التي يعاقب عليها القانون ، عندئذ يحق البحث عن سبب آخر ، إذ قد يكون انحرافه نتيجة لوقوعه ضحية أقران السوء ، أي خارج البيئة العائلية ، وهنا يتساوى مع شقيقه التوأم الآخر الذي ربما يكون قد تربى مع عائلة أخرى ليست حميدة الصفات ، فيكتسب بعض طباعها ، وعندئذ قد نرجع التشابه في انحراف التوأمين إلى عناصر وراثية مشتركة في تكوينهما البيولوجي ، وهو تعليل خاطئ ، فالانحراف أو النوازع الاجرامية مكتسبة من البيئة ، ولا دخل فيها لجينات أو مورثات .. فالبيئة الطيبة لا تنتج إلا أفراداً طيبين ، والسيئة لا تنتج إلا سوءاً ، و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .. وفي هذا فصل الخطاب لقوم يدركون ، ذلك أن أحداً لا يستطيع أن يغير أو يبدل في صفاته الوراثية ، فهذه لا دخل لأحد فيها ، ولا سلطان له عليها ، إنما يصح التغيير في أنماط الحياة ذاتها .. في البيت والشارع والمدرسة والجامعة .. في العدل الاجتماعي .. في معاملات الناس .. إلى آخر هذه العناصر الأساسية التي تشكل البيئة الاجتماعية ، إذ لو سارت كلها في الاتجاه الصحيح ، فلا شك أنها ستقلل النوازع العدوانية والاجرامية ، وبهذا لا يصح إلا الصحيح !

عبد المحسن صالح

قصة مدينة واحدة

بقلم : عبد التواب عبد الحي

هى ألف قصـــة وقصة . لكنهــا جميعــا قصة مدينة واحـــدة .. تغلق على زحام قصصها اثنتى عشـــرة بوابة ، وســـورا عظيما ! هى مدينة الحدائق الفردوسية ، والمبـــاني التـــاريخية .. فيها ينـــام صنـــاع تاريخ شبه القـــارة الهندية .. من الامبراطور شاه جيهان ، حتى الشـــاعر محمد إقبـــال الأب الروحى لباكســـتان !

عن لاهور ، العاصمة الثقافية لباكستان ، وعاصمة إقليم البنجاب ، أحكى . عنها قال الشاعر الفارسى مسعود السعد السلمان :

دانى توكه بابندكَرانم يارب
دانى توكه ضعيف وناتوانم يارب
شد درغم لوهور روانم يارب
يارب كه در آرزودى آنم يارب !
... والترجمة :
يارب أنت تعلم أنى موثق بأحزانى الثقيلة
وأنت أعلم كم أنا واهن وضعيف ..
لكن روحى تطير مع الأشواق إلى لاهور ..
كم أتوق إلى زيارتها .. يارب !

وقد سبق الإسكندر الأكبر بأشواقه الشاعر الفارسى مسعود السعد السلمان . حرك جنده الكثيف بالفعل من بيشاور فى اتجاه لاهور . لكن المرض داهمه . وانكسرت روح جنوده . وتوقف زحف جيشه عند قرية جيلوم مسيرة ١٠٠ ميل شمال لاهور ، كماء بلا تيار عند نهاية ترعة !

يسكن لاهور ٣,٥ مليون إنسان . إنها ثانية أكبر مدينة فى باكستان بعد كراتشي التى يبلغ تعدادها ٨,٥ ملايين . فى ميدانها الرئيسي ، عقد محمد على جناح مؤسس باكستان مؤتمرا شعبيا ضخما لمسلمى الهند فى ٢٣ مارس ١٩٤٠ ، وكان أهم قرار أصدره المؤتمر : إنشاء دولة باكستان لتضم مسلمي الهند . وتم تقسيم شبه القارة الهندية فى ١٤ أغسطس ١٩٤٧ ، وأصبح القرار حقيقة جغرافية وسياسية . وتخليدا لهذا المؤتمر التاريخى أقاموا فى نفس الميدان منارة ضخمة تحمل اسم « منارى باكستان » !

كان من الممكن أن تصبح لاهور ، يوم الإستقلال ، عاصمة لباكستان . كاد هذا الاختيار يستقر ويرجح ، لولا أن همس البعض فى أذن محمد على جناح بأن اعتبارات الأمن القومى تمنع ذلك . فالمسافة بين لاهور والحدود الهندية شرقها لا تتجاوز ٢٥ كيلو مترا . لهذا انتقل الاختيار إلى كراتشى كعاصمة للدولة . ثم بنيت إسلام أباد تاليا فى وادى مارجالا الممتد غرب مدينة راوالبندى العتيقة ، وانتقلت إليها الوزارات وأجهزة الدولة فى صيف سنة ١٩٦٥ ، لتصبح العاصمة الجديدة .. وأحدث عاصمة لدولة فى العالم !

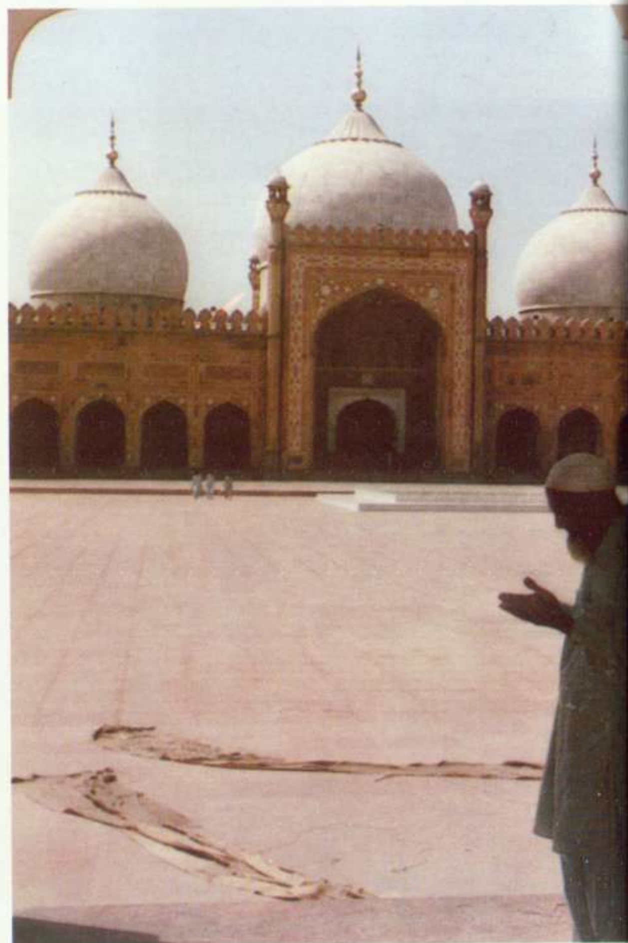
.. ولم تتحقق صحة المخاوف من اختيار لاهور عاصمة لباكستان إلا سنة ١٩٦٥ .. عندما اجتاحت القوات الهندية منطقة الحدود عند قرية « واجا » وتوغلت ٦ كيلومترات حتى وصلت إلى مدينة « باتابور » ، ولم يعد يفصلها عن لاهور غير ١٩ كيلومترا .. قال الهنود أيامها ان لاهور باتت فى قبضة المدفعية الهندية . لولا أن شن الباكستانيون هجوما مضاداً رد القوات الهندية إلى خط الحدود . ولقد جست هذه المنطقة ، ورأيت الترعة التى أعاقت تقدم القوات الهندية عند مدينة باتابور ، ووقفت فى قرية واجا على الحدود ، أطل على قرية أتارى الهندية القريبة .. والطريق المرصوف يمر بها منطلقا إلى مدينة أمريتسار عاصمة ولاية البنجاب الهندية .. ليت الطريق يكون مواصلة سلام وحضارة بين البنجابين ، وبين البلدين !

تعويذة أكيدة المفعول !

على باب متحف لاهور ، أو كما يسمونه بالأوردية « عجايب خانه » ، تجد مدفعا أثريا من البرونز يسمونه « زمزما » .. والمعنى : التنين الذى ينفث اللهب ! ولقد جاء المدفع زمزما إلى لاهور فى



« ديواني خاص » قلعة لاهور



جامع « باد شاهي » لاهور بناه الامبراطور اوران زيب



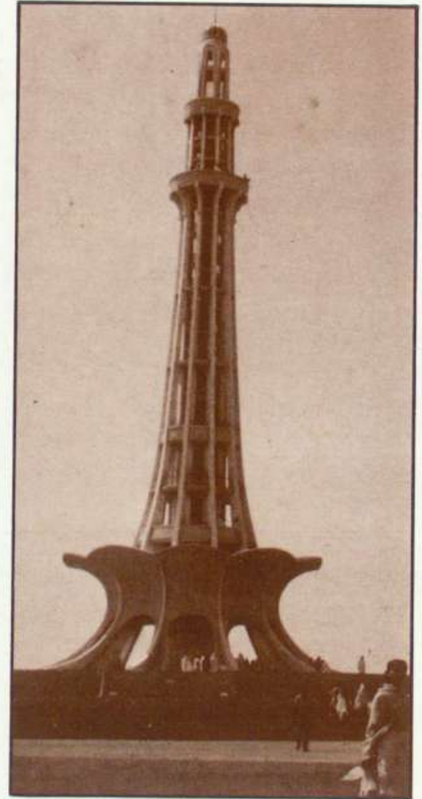
معبد السيخ في لاهور



في سوق المدينة القديمة

المدينــة التي شهدت أول قرار شعبي بإنشاء دولــة بـاكســتان

حديقــة شاليمــار في « لاهــور » تفــوق في جمــالها كل حدائق الدنيا المعروفة


منارى باكستان


البوابة الرئيسية للقلعة الملكية

عهد الملك أحمد شاه دورانى سنة ١٧٥٧ . وساد اعتقاد أيام دولة السيخ فى القرن الثامن عشر بأن زمزما تعويذة أكيدة المفعول .. وأن من يستولى على زمزما فقد استولى على البنجاب كله ! وعندما زار الشاعر البريطانى روديارد كبلنج الهند ، ورأى زمزما فى لاهور، تأثر به جدا وبتاريخه،أسماه بعد ذلك مدفع كيم . وكثير من أبطال أشعاره كان يحلو لهم أن يجلسوا فوق مدفع كيم .. ويحلموا بالمجد !

قالوا : إن أول من أسس مدينة لاهور هو الحاكم « لاليتاديتيا » فى القرن الثامن الميلادى .. أى أن عمرها الآن حوالى ١٢ قرنا من الزمان ! وقد بلغت المدينة أوج إزدهارها السياسى والمعمارى أيام حكم المغول ، وخاصة السلطان أكبر العظيم الذى اتخذها عاصمة لملكه فيما بين عامى ١٥٥٦ و ١٦٠٥ ميلادية . قبلها ، أيام المد الإسلامى ومملكة دلهى المسلمة ــ ١٢٠٦ : ١٥٢٤ م ــ حكمها حكام عظام أمثال السلطان محمد غور .. وقطب الدين أيبك المملوكى الذى أصر على أن تتم احتفالات تتويجه فى مدينة لاهور .. ثم سقط بعد ذلك من فوق حصانه وهو يلعب البولو فمات ، ومازال مدفونا فى ضريحه المتاخم لسوق أناركالى بالمدينة قرب البوابة اللاهورية ، إحدى بوابات المدينة الاثنتى عشرة ! ولعبة البولو نشأت فى الهند . وكانوا يسمونها « تشوجان » . ومنها انتقلت إلى أوربا وبريطانيا ، وأمريكا وكندا تاليا .. ومازالت اللعبة تمارس فى لاهور وشمال باكستان كلعبة شعبية !

ثم جاء الإحتلال البريطانى للهند ــ ١٨٤٩ : ١٩٤٧ ــ ليضيف إلى المدينة عددا من الأبنية يمتزج فيها الأسلوب المعمارى المغولى ، بالأسلوب المعمارى الفيكتورى .. تلحظ العين الخبيرة ذلك فى مبانى : المحكمة العليا ، المتحف المركزى « عجايب خانه » ، الكلية القومية للفنون ، قاعة مونتجمرى ، سوق تولينتون ، المجلس الوطنى ، وجامعة البنجاب !

وكل أثر تاريخى فى لاهور يحتاج إلى يوم كامل كى تزوره زيارة خاطفة ! قلعة لاهور التى بناها الأمبراطور أكبر العظيم . ومسجد باد شاهى الذى بناه الامبراطور أورا نجزيب سنة ١٦٧٣ م ، وأشرف على بنائه أخوه فى الرضاع فيداى خان كوكا . مآذنه العديدة التى تشرف من عل على مدينة لاهور بأسرها . قبابه المغولية الشكل . صحنه الذى يتسع لأكثر من مليون مصل !

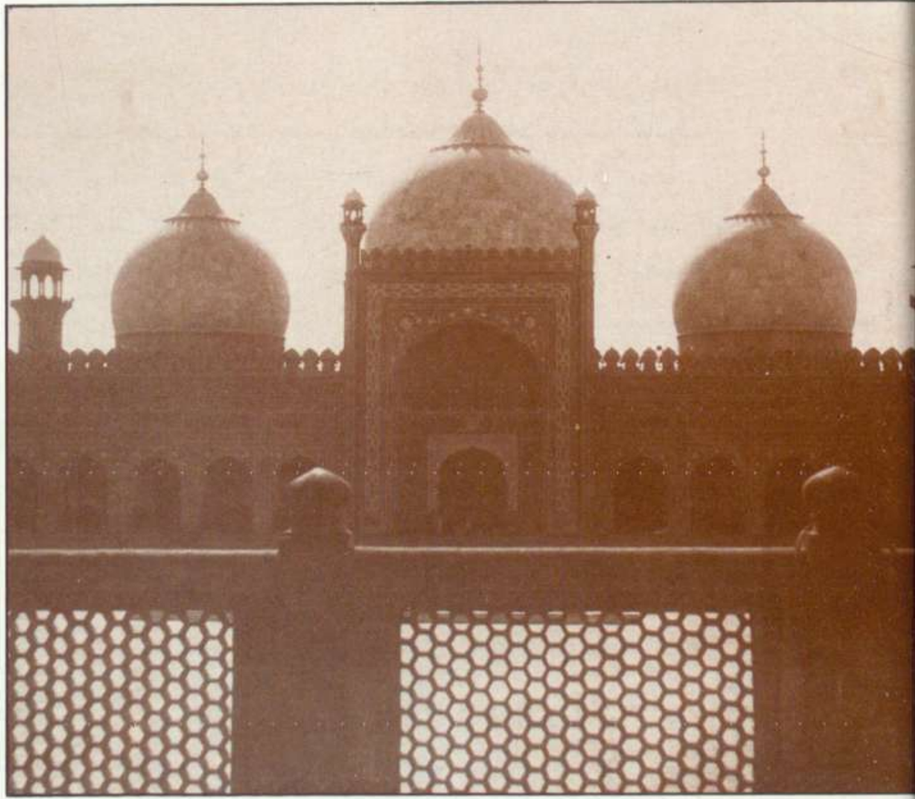
وقد أحاط المغول مدينة لاهور القديمة بسور ضخم من الطوب الأحمر ، بارتفاع تسعة أمتار ، تتوزع فوقه الإستحكامات والمتاريس ، ويحيط به خندق مائى يتصل بنهر راف ، أحد روافد نهر السند يمر بمجراه فى تخوم المدينة . أما داخل السور ، فثمة طريق دائرى تتفرع منه طرق أخرى عمودية إلى قلب المدينة ، مارة ببواباتها الإثنتى عشرة .. وما زال بعض هذه البوابات قائما للآن يتحدى الزمن وعوامل الهدم والتعرية !

وقرب مسجد بادشاهى تجد معبد « سامادهى » ، بناه المهراجا رانجيت سنج آخر من حكموا البنجاب من طائفة السيخ . ومازال المعبد مزارا لأبناء الطائفة يجيئون إليه من الهند وأنحاء الدنيا . تحفة أخرى فى العمارة المغولية ، هى مسجد وزيرخان . بناه حاكم البنجاب حكيم علم الدين أنصارى سنة ١٦٣٤ م . وضريح الامبراطور جيهانجير ، أو : قاهر العالم ، على ضفاف نهر راف ، مسيرة ثمانية كيلو مترات من لاهور .. وفى أحضانه ضريح زوجته الامبراطورة نورجيهان ــ أو : نور العالم !

لكن قلبى لم يخفق لضريح زرته مثلما خفق وأنا



المدخل الرئيسي لجامع باد شاهي



جامع باد شاهي «مسجد الملك»

أزور ضريح أبى باكستان الروحي وشاعر الشرق وفيلسوفه العلامة محمد إقبال . قرأت على روحه الفاتحة . ودفعنى الحنين بعد ذلك إلى زيارة بيته «جاويدمنزل» بلاهور ، ثم البيت الذى ولد فيه فى فبراير ١٨٧٣ بمدينة سيالكوت القريبة من عاصمة البنجاب . كما التقيت بابنه جاويد محمد إقبال رئيس المحكمة الشرعية العليا بلاهور . ومن حصاد كل هذا ، لعلى أكتب لك قريبا مقالا ينبش بالحب فى تراب إقبال .. وتبره !

ويذهب العقل !

حدائق مثل فيرساى فى باريس ، وهايدبارك فى لندن ، وسنترال بارك فى نيويورك ، تخفض أغصان التواضع أمام حديقة شاليمار بلاهور . إنها حديقة ، وتاريخ !

«إن الحديقة» .. يلاحظ الامبراطور بابور مؤسس الأسرة المغولية فى شبه القارة الهندية أوائل القرن الـ ١٧ .. «هى أنقى المسرات الإنسانية» ! وقد جاء خليفته شاه جيهان — أو : ملك العالم — ليترجم هذه الملاحظة إلى واقع أخضر . كلف على مردان خان حاكم لاهور — سنة ١٦٣٩ — بأن يمد قناة من نهر رافى إلى مكان حديقة شاليمار المزمع إنشاؤها على بعد ستة كيلو مترات من قلب المدينة . فى عامين اثنين فقط تم إنشاء القناة الملكية ، تحت إشراف خبير الهيدرولوجى مولا ألول مولك تونى . وانتقل التكليف الامبراطورى إلى النبيل المغولى خليل الله خان ليختار موقع الحديقة . وتم اختيار الموقع فى جزء من مجرى قديم هجره تيار نهر رافى . أنشئت الحديقة على الفور ، واستغرق إنشاؤها عاما واحدا وه أشهر و٤ أيام . وفى السابع من شعبان سنة ١٠٥٢ هجرية ، الموافق ٣١ أكتوبر سنة ١٦٤٢ ميلادية ، زار الأمبراطور شاه جيهان حديقة شاليمار أول زيارة رسمية !

وأصدق وصف لحديقة شاليمار أنها ، مثل الحب ، لا توصف ! لكن يمكن الإشارة إلى أن القناة التى تشقها نصفين ، ذات مسطحات متدرجة ثلاثة ، تملؤها ٤٠٠ نافورة . المؤرخ مولا عبد الحميد لاهورى أطلق على المسطح الأول أسم «واهب السرور» . أما المسطحان الأدنيان فأطلق عليهما إسم «واهب الوفرة» وتتعانق الطبيعة فى الحديقة عناقا لاينتهى أبدا . خرير ٤٠٠ نافورة ، مع عبق المئات من أحواض الورود والزهور ، وحفيف أغصان أشجار الصنوبر وهى تتمايل على الجنبين كفرقة فولكلورية راقصة هائلة كل راقصاتها فى زى أخضر ! أما فى الليل عندما تضاء الحديقة ، يجىء النور ، ويذهب العقل !

والأصل فى اسم حديقة شاليمار أنها مكونة من شقين : «شالي» بمعنى حقل الأرز ، فى اللغة الكشميرية . و «مار» بمعنى التربة الطفلية السوداء . شاليمار إذن تعنى : التربة الطفلية السوداء لزراعة الأرز ! وقد كانت هناك حديقتان مغوليتان تحملان نفس الاسم ، واحدة فى دلهى ، والثانية فى سريناجار عاصمة الجزء الهندى من كشمير . أما حديقة شاليمار مدينة دلهى فقد اندثرت ، بينما بقيت شاليمار سريناجار حية خضراء !

هذه هى قصة مدينة واحدة . تتواضع الكلمات فتقول إن كل ما فات من القصة ، لم يكن إلا عنوانها !

عبد التواب عبد الحى

لقطات من الكون المثير

من المسلم به أن البشر يختلفون في الأشكال والألوان والطباع والأصوات والبصمات والبروتينات وغير ذلك من صفات يتشعب فيها الحديث ويطول ، لكن قد تصل هذه الاختلافات إلى حدود يصعب تصديقها ، وبحيث يؤدي ذلك إلى أمور متناقضة تثير الاهتمام ، فمن طويل جداً إلى قصير جداً ومن مفرط في البدانة ، إلى مفرط في النحافة .. إلى آخر هذه الأمور التي قد يراها الناس غريبة ، ومن ثم صنفوها ووضعوا لها أرقاماً قياسية ، ولهذا فسوف نعرض في هذه اللقطات أربعاً من أغرب الحالات التي توضح بعض هذه المتناقضات .



أعظم البشر بدانة

هذه الكتلة البشرية « المكعبة » لشاب يدعى روبرت ايرل هيوز من ميسوري بالولايات المتحدة ، إذ وصل وزنه إلى ٤٨٥ كيلوجراما (أي وزن سبعة رجال وسطا) .. ولقد ولد بديناً ـ أي خمسة كيلوجرامات ، وعندما بلغ عمره ست سنوات ، ارتفع وزنه إلى ٩٢ كيلو جراماً ، ثم إلى ١٧١ في العاشرة ، ٣١٤ في الثامنة عشرة ، وفي العام الذي مات فيه (مات عن ٣٢ عاما في ١٩٥٨) وصل إلى أقصى بدانته ، لكن المرض جعله يفقد ١٣ كيلوجراما ، هذا وقد بلغ محيط خصره ثلاثة أمتار وعشرة سنتميترات ، وصدره ٢٦٤ سنتيمترا ومحيط أعلى ذراعه ١٠٢ سنتيمترا ، ووضع جثمانه في صندوق بلغ طوله ٢١٣ سنتيمترا ، وعرضه ١٣٢ سنتيمترا ، وارتفاعه مترا ، وأحضرت له رافعة (ونش) لتضعه في قبره ، حيث بلغ وزن الصـــندوق بما حوى حوالي طن أو بالتحديد ٩٨٠ كيلوجراماً .

نحيف لدرجة لا تكاد تُصَدَّق

وعلى النقيض من ذلك تأتي حالة الأمريكي المدعو ايدي ماشر الذي سمي فيما بعد لنحافته المفرطة « دود ـ الهيكل العظمي » ـ فرغم أن طوله كان عادياً ، أي في حدود ١٧٠ سنتيمترا ، إلا أن وزنه لم يتجاوز ٢٢كيلوجراما ، أي أن كل ٢٢ رجلاً من هذه العينة تساوي في وزنها واحداً مثل ايرل هيوز ، وترجع هذه النحافة إلى مرض فقدان الشهية العصبي ، والعكس أيضا مع البدانة المفرطة التي ترجع إلى شهية زائدة للطعام .. هذا وقد توفى ماشر عام ١٩٦٢ عن ٧٠ عاماً .. وبجوار ذلك تأتي حالة شاذة أخرى لفتاة تدعى لوسيا زارات من المكسيك ، إذ بلغ وزنها وهي في ربيعها السابع عشر كيلوجرامين لاغير ، وكان طولها حينئذ ٦٧ سنتيمترا ، وعندما بلغت العشرين عاما إرتفع وزنها مرتين ونصف ، أي خمسة كيلوجرامات ، ثم توفيت عن ٢٦ عاماً .



دنيا العمالقة

ذكر التاريخ عدداً من العمالقة الرجال ، لكن الأطوال التي بلغوها مشكوك في صحتها بفرط المبالغة فيها ، إلا أن الشئ المؤكد هو تلك الحالة التي ظهرت أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية لشخص يدعى روبرت وادلو (المنشورة صورته هنا) .. اذ ولد في عام ١٩١٨ بوزن قدره ٣,٨٥ كيلوجرامات ، وبدأ نموه السريع غير المعتاد يظهر وعمره سنتان ، حتى إذا وصل إلى الخامسة كان وزنه ٤٨ كيلوجراماً ، وطوله ١٦٣ سنتيمتراً ، وفي العاشرة ٩٥ كيلوجراماً ، وبطول ١٩٦ سنتيمتراً ، وفي الخامسة عشرة من عمره بلغ طوله ٢٤٢ سنتيمترا ووزنه ١٦١ كيلوجراما ، وأخيرا كان طوله ٢٧٢ سنتيمترا ، ووزنه ١٩٩ كيلوجراما عندما توفى عن ٢٢ عاما ، ويقال انه كان يستطيع حمل والده وهو في التاسعة من عمره (وزن والده كان ٧٢ كيلوجراما ، وطوله ١٨٢ سنتيمترا) .. وكان طول حذائه ٤٧ سنتيمترا ، أما طول راحة يده من الرسغ حتى نهاية الاصابع الوسطى ، فقد بلغ حوالي ثلث المتر ، والواقع أن مثل هذه الحالة ترجع إلى افرازات زائدة لهرمون النمو ، ولولا موته مبكراً ، لما توقف نموه ــ وكم في الناس من مفارقات ، وكم في الحياة من غرائب .





ليس طفلًا

وهذه اللقطة المثيرة تعبر عن واحدة من المفارقات العجيبة .. فالذي يقف على المنضدة شاب بالغ ، وهو أيضاً أمريكي (ويبدو أن أمريكا هي بلاد المتناقضات ــ حتى على مستوى البشر) ، ويدعى تشارلز ستراتون ، وهو الذي عرف فيما بعد باسم الجنرال « عقلة الاصبع » .. والغريب أن طوله في شهره الخامس بلغ ٦٤ سنتيمترا ، لكنه على مدى ١٣ عاماً لم يزد طوله إلا ستة سنتيمترات لاغير ، زيدت إلى سبعة سنتيمترات أخرى عندما بلغ الثامنة عشرة ، والأغرب أنه ظل ينمو بعد هذه السن ، فوصل إلى ٨٩ سنتيمترا وهو في الثلاثين ، وعند موته عن ٤٥ عاما ، وصل طوله إلى متر واحد وسنتيمترين ، وقد التقطت هذه الصورة وهو في الخامسة والعشرين !

صفحات من البطولات الخليجية

الإمام ورجل الدولة
أحمد بن سعيد

بقلم : أحمد العناني

كان بعض الأخوة القراء قد تساءلوا بعد الحلقة الرابعة من هذه المقالات إن كان موضوعها سيكون مقتصراً على تاريخ عمان ورجالاتها على الرغم من وضوح القصد في عنوانها ، فعمدت في المرة الفائتة وجعلت الحلقة الخامسة عن الملك الإحسائي الجبوري مقرن بن زامل الذي استشهد دفاعاً عن البحرين لدى مهاجمة البرتغاليين لها أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، ولكني في الحقيقة لم أكن راضياً عن ذلك الخروج عن النسق الذي أعلنته في المقالة الأولى عن سيري مع أقطار الخليج وأقاليمه ابتداءً من مدخله في عمان وانتهاء بأقصى شماله في البصرة .

وليس كثيراً أن نتناول بضعة رجال من العمانيين في مجال البحث عن الأبطال ، ومقارعة الاستعمار ، فمعروف أن عمان هي بوابة الخليج التي تتلقى عنفوان الهجمات البربرية والتوسعية كالبرتغالية قبل أن يتمكنوا من الدخول إلى مواقع كهرمز والبحرين والقطيف مثلا ، كما أن سواحل عمان منطلق مباشر إلى سعة المحيطات الرهيبة كالمحيطين الهندي والهادى ،كما أنها أول من يستقبل السفن الوافدة من الصين وأفريقيا ،ولذلك كان احتلالها مطمحاً للغزاة على مدى العصور ...

ويمكن أن يقال دون خشية الاتهام بالمبالغة بأن عمان شهدت من ارتفاع الحظوظ وهبوطها ، ما لم يشهد نظيره أي مكان آخر في الخليج ، وقد رأينا في مقالاتنا السابقة طبيعة التحديات القبلية وخلافات المذاهب الدينية وخطورة الانقسام في ذلك البلد بالذات خصوصاً إذا ما تسلل إلى صفوف العمانيين كائد يكيد لهم من خارج بلادهم .. وقد تمثل ذلك مرات متكررة في مداخلات بريطانية وفرنسية وفارسية . بالنسبة للانجليز كانوا معنيين على الدوام بوجود عمان قوية لا سيما في البحر طالما كان هناك منافس قوي للنفوذ الإنجليزي سواء على المستوى المحلي أم الدولي الخارجي ، فبريطانيا تؤيد عمان إلى حين انكسار شوكة البرتغاليين وبرود جمرة الصراع التجاري مع الهولنديين ، ثم تعود فتتنكر لها وتحاول أسوأ المحاولات أن تستغل ما زعمته عن رسائل متبادلة بين حكام مسقط ونابليون بونابرت فتعطي لنفسها حقوقاً تخالف عن كل الأعراف الدولية ، وجيران عمان على العدوة الأخرى من الخليج ما إن تصفو لهم الأحوال حتى يفكروا في التوسع على حساب جيرانهم ، وفي هذه الفترة بالذات من حكم أسرة جديدة بدأت في اقليم فارس ثم امتد نفوذها في الأقاليم الايرانية توسعاً في ناحية الشمال على حساب الإدارة العثمانية في البصرة ، ثم نجد استماتة في التدخل في أقاليم عمان واستخدام البطش الشديد لإثبات وجود فارسي في البلد العربي ...

أحمد بن سعيد والمسئولية الكبرى

هناك حقائق أساسية عن الامام أحمد بن سعيد يجب أن تكون موضع الملاحظة منذ البداية : فهذا الرجل ينتمي إلى اهل الساحل العمانيين الذين انتعشوا تجارياً انتعاشاً كبيراً بعد نهضة عمان في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبعد أن أصبح لأسطولها الحربي الهيمنة على دائرة كبيرة من المحيط الهندي تشمل إلى جانب جزر القسم الشرقي منه أقاليم من غربي الهند خاصة في اقليم جوجرات الذي ظل يحوي جالية عربية تجارية إلى مئات السنين ، وإلى أن غير الاحتلال البريطاني كل شئ في الهند ، كما تشمل قطاعات بارزة ذوات موانئ تجارية مزدهرة في مناطق زنزبار وكلوة وغيرها من شرقي أفريقيا ، وفي حماية ذلك الأسطول كان يتحرك أسطول تجاري ضخم عاد نشاطه بالخير العميم لا سيما على مناطق الساحل العماني الذي تطرزه الموانئ الحوافل بالنشاط الدائم ، ومنها ميناء صحار ، وهو الموقع الذي أسندت ولايته إلى أحمد بن سعيد قبل فترة طويلة من انتخابه اماماً ، حيث برز ليس فقط كتاجر رفيع المستوى ولكن أيضاً كإنسان متفكر حكيم قادر على حل المشكلات ، حسن الرؤية في احتمالات المستقبل ،واسع الصدر حيال الخلافات القبلية والمذهبية بحيث كان الجميع يخرجون من مجلسه متصافين متوادين بعد الشحناء والتدابر ، والكل يلهج بالثناء عليه ..

لقد كان الفضل في اكتشاف مواهب أحمد بن سعيد يعود للسلطان اليعربي سلطان بن سيف ، الذي شغل به ولم يتردد في اختياره مستشاراً خاصاً له ...

وقبل أن يغرينا ذكره بالدخول في تفصيلات دقيقة من حياته ينبغي أن نبرز ابتداء المجالات التي أكسبت أحمد بن سعيد سمة البطولة المتمثلة في إخلاص رجل الدولة الواعي الحكيم الذي يعرف كيف يراوح بين الشدة واللين إلى أن يحقق أهدافاً مخططاً لها ومدروسة أحسن دراسة .

أولا : دفع عادية العجم على سائر عرب الخليج .. فلقد اكتسح جيران العرب الشرقيين بعد تولي كريم زند خان المفاجئ الحكم ، وقيام حكم الأسرة الكاجارية ، إحساس مركب من العظمة والعجرفة وحب التنكيل بالعرب وتصميم مستميت للاستيلاء على الساحل العربي من الخليج .

حملات على البصرة وخـــــــور فكان

من المعروف كما ورد من قبل كان هناك استنجاد بالفرس للدخول في شأن داخلي بعمان ، ولكن المستغاث بهم انتهزوها فرصـــة وبدأوا ينزلون بأعداد وكيفيـــات توحي بالعزم على الإقامـــة الدائمة في عمـــان ،وزال كل شك من النفوس في هذا بحصار البصرة ومحاولة خنق التجـــارة العربية . وانظر طائفة من روايات العصر عن نزول العجم في عمان (١) .

..كان نزول جيش العجم بخور فكان آخر ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومئة وألف للهجرة (مايو ١٧٣٨ م) . وفي موضع آخر من نفس المصدر (٢) « وفي زمان سيدنا الإمام أحمد بن سعيد أراد كريم خان زند رئيس العجم وخانهم أن يسير قومه على عمان المحروسة ، وأرسل بقدر ستة آلاف وعبروا إلى الجزيرة ، ووصلوا إلى بلد سعيد بن قضيب الهولي ، وهي جزيرة لنجة ، فعلم مولانا الإمام وهرع أبناء عمومته فحصروا القوم بالجزيرة ... إلى آخر القصة وهي إجبار المهاجمين على الخروج بأسلحتهم » « ثم أن كريم خان أرسل أخاه صادق إلى البصرة وحاصرها حصاراً طويلاً فأرسل أهلها إلى سيدنا الإمام يريدون منه النصرة ، فأمنهم بالأقوام والمراكب (زودهم بالجنود والسفن) ومعهم والده قيس وسيف والشيخ الأكبر ماجد بن سعيد ابن قاسم المعري الحارثي »

ويعلق المؤلف على هذا الموضوع ساخراً بقوله « وطال قيامهم بالبصرة بعد أن تمكنوا من اختراق دفاعات العجم ، ولكن لم يصل اليهم أحد من المدد من جانب سلطان البرين وخاقان البحرين عبدالحميد خان ولا من باشا بغداد » .

والواقع أن الطراد الحربي العماني المدعو « الرحماني » هو الذي أدى مهمته بكل بسالة في فك الحصار الفارسي عن البصرة ، وأن السلطان عبدالحميد أصبح يقدم مكافأة سنوية لعمان على ذلك الجميل .

والواقع أن الإمام أحمد بن سعيد لم يتساهل مطلقاً في موضوع التدخل الأعجمي في عمان ، وكان يرى فيه خطراً عظيماً وإذلالاً مهيناً ، ولم يكن يفرق في ذلك بين البصرة وصحار أو أي موقع للعرب داخل الخليج أو في أي مكان فيه .

ثانياً : كان للإمام أحمد بن سعيد نظرة واسعة وشمولية في الأمور تتسم ببعد نظر عجيب ، وكان يرى أن تدخل الأجانب في أي مكان يدخل في المجال الاقتصادي الحيوي لبلاده هو بمثابة تدخل فيها نفسها ، ولذلك نراه يهرع لمساعدة المسلمين في الهند ضد التعديات الانجليزية عليهم ، كما حصل لدى اصطدام نظام حيدر آباد معهم .

ثالثا : كان له موقف صلب متشدد ضد القراصنة الأوروبيين الذين بدأوا يتكاثرون في المنطقة بين بحر العرب والساحل الغربي للهند ، وكان للحملات البحرية التي فاجأهم بها أثرها الكبير في تنظيف السواحل العربية وساحل مالابار أيضاً منهم .

رابعاً : وكان له موقف مستنير من حيث التعويل الكبير على قوة الأسطول البحري واعطائه الأولوية في تأمين مستلزماته من التسليح والذخائر ، وبذلك وضع عمان في موضع معتبر جداً ، فقد أحبط مطامح العجم فيها بإغراق سفنهم الحربية المحدودة العدد والفاعلية ، كما أزال خطرهم عن البصرة وأمن سلامة الخطوط التجارية مما كان له أكبر الفضل في تجاوز عمان للكوارث التي لحقت بها من جراء الحرب الأهلية الدامية ، التي انحاز فيها سيف بن سلطان إلى العجم ، وذلك حينما كان الإمام أحمد بن سعيد ما يزال مجرد تاجر مرموق في صحار وقع عليه الاختيار ليكون والياً على المدينة ، فكان المحرك الحقيقي لحركة المقاومة ضد الغزو الأجنبي في الوقت الذي كانت فيه الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدي اليعربي ، وكانت النصرة للامام الشرعي وعامله أحمد بن سعيد ، حتى لم يبق للعجم ومناصريهم موقع يحتفظون به في عمان سوى الموقع المسمى بالكثبان ، حيث تشبثوا به فترة طويلة ، توالت خلالها النجدات إليهم فوسعوا قاعدة احتلالهم وتقدموا ضد صحار للقضاء على واليها أحمد بن سعيد .

ولم يكن الوالي العماني غافلاً عما يمكن أن يحشده أعداؤه من قوى ضخمة بالنسبة لامكاناته هو في حرب برية ، لكنه كان رجلاً عملياً يعرف قيمة حشد كل الممكن أولاً ، ومع ذلك فان خسائر الجيش الامامي كانت مؤثرة وكبيرة وشملت أخاً للامام وطائفة من أفضل رجاله ومقاتليه ، ويقال إن حزنه وجراحه معاً أدت إلى وفاته وهو محاصر في حصن أحمد بن سعيد في صحار .

ووقع اختيار الناس من أهل الحل والعقد على إمام جديد هو بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف اليعربي في ٢٧ ربيع الثاني ١١٥٦ هـ الموافق لـ ٢٠ حزيران (يونيو) ١٧٤٣ م .

وأمتدت الحرب أيضاً ، رغم وفاة سيف بن سلطان صديق العجم ، الذي حل محله بلعرب بن سلطان .

أحمـــد بن سعيد ينهي الوجود العجمي في بلاده

وفيما انصرف الإمام الجديد بلعرب بن حمير إلى مشاحنات افتعلها مع مؤيديه في نزوى ، فحبس أشياخهم ، ولم يحسن معاملتهم وملأ بهم السجون ، أصم أحمد بن سعيد أذنيه عن سماع تلك الأخبار تاركاً للطاغية في نزوى حرية المسارعة إلى نهايته المحتومة ، فيما تفرغ هو لانهاء الوجود الأجنبي في الكثبان لئلا يعاود العجم تعزيز حامياتهم وتجديد الكارثة ، وقد أثبت أنه رجل دولة بكل معنى الكلمة حيث أنه حاصرهم وأوقع ضغطاً حربياً عليهم فلما كاد الأمر يصل بهم إلى مرحلة اليأس أظهر لهم جانب الكرم واللين فاتفقوا معه على النزوح بالسفن التي يقدمها لهم ومعهم مكتسباتهم من حملتهم على عمان وقد طلب بعضهم الإقامة الدائمة بعمان فأتيح له ذلك ، وهكذا تفرقوا وانتهى أمرهم . ويقول صاحب كشف الغمة (٣) « ذلك كان من فضل الله ووجود أحمد بن سعيد البوسعيدي ولو لم يكن هو في صحار وقاتلهم لدخل العجم عمان مرة أخرى وتملكوها لأن مرادهم كان ملكها وخرابها وهلاك أهلها ، فصدهم رب العباد بالشيخ أحمد بن سعيد جزاه الله خيراً »

أحمد بن سعيد إماماً

في الوقت الذي أنهى فيه خطر العجم على عمان كان الحال قد انتهى بإمام نزوى بلعرب بن حمير إلى أن يقع هو في السجن إلى أن أخرجه بنو غافر وتوجهوا به إلى الباطنة فالظاهرة فنزوى .

وفي ٢٣ جمادى الآخرة من عام ١١٦٢ هـ الموافق لـ ١٠ يونيو ١٧٤٩ م تم رأي أهل الحل والعقد على إعلان أحمد بن سعيد البوسعيدي إماماً لعمان ، فلم يشذ عن ذلك إلا القليلون ، ومنهم بالطبع بلعرب بن حمير في نزوى . ولكن الميزان كان في صالح أحمد بن سعيد الذي طاول خصومه كثيراً حتى تغلب على سائرهم ، ومنهم بلعرب بن حمير الذي قتل في معركة جرت بقرية فرق في ١٤ صفر ١١٧٦ هـ الموافق لـ ٣٠ آب من عام ١٧٦٢ م .

وبمقتل بلعرب بن حمير انتهى إلى الأبد حكم اليعاربة الذين أدى رجالاتهم الأوائل في النصف الأول من القرن السابع عشر دوراً عظيماً في طرد البرتغاليين .. وذلك بعد حكم دام مئة وأربعين سنة ..

لقد كان ظهور الأسرة البوسعيدية تأكيداً لانتصار عقلية جديدة متأثرة بالمفاهيم التجارية والبحرية في سواحل عمان على التوجهات التقليدية البالغة القدم في عمان .

وكان مؤسس هذه الأسرة عظيماً في عصره على قدر ما كان مؤسس اليعاربة ناصر بن مرشد عظيماً في مفاهيم زمانه .

أحمد العناني

هوامش :

(١) المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ـ تأليف الأزكوي وتحقيق عبد المجيد القيسي مطابع سجل العرب ٩ شارع عماد الدين ـ القاهرة ١٩٨٠ ص ١٤٠ .

(٢) نفس المصدر ولكن من ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٥١ .

إنسانية الآباء والأجداد في

ألف ليلة وليلة

بقلم : عباس خضر

ماذا جرى لنا وقد كنا فى أصلاب الآباء والأجداد عندما كانوا أهل خير ومروءة وشهامة ؟ هذا أحدهم ، أحد الأجداد ، تتحدث عنه شهرزاد إلى شهريار فى ليلة من الليالى الألف ، لا تقل انه خيال ، هو حقيقة خيال ، ولكن له معادلا فى الواقع ، والأدب العظيم ماكان كذلك : خيال على مثال الواقع .

ليس هذا الجد أميراً أو فارساً يفتخر به ، فما بنا حاجة الى الفخر .. إنه « وقاد » فى حمام ، يجمع الحطب وربما القمامة ويوقدها فى أفران الحمام كي يسخن ماؤه وتحمى مغاطسه التى يزيل الغطس فيها ما علق بالأبدان من أدران .

ولو أننا لا نزال نرى مثل ذلك قلة قليلة ، ولو أننا لم نره كثيراً فى الطفولة التى امتد بنا الزمن بعدها بأكثر من نصف قرن ، لقلنا بأنه خيال بعيد عن الواقع .

خرج وقاد الحمام مبكراً إلى عمله فى جمع الوقود من القمامة ، فرأى انساناً مكوماً على القمامة ، فظنه أولا جثة ، فقال فى نفسه : ألم يجد القاتل الأثيم إلا هذا المكان ؟ ثم لكزه فتحرك ، فقال : الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى نفسه فى أى موضع .. ثم نظر الى وجهه فرآه ذا بهاء وجمال لانبات بعارضيه ، فأخذته الرأفة وعرف أنه مريض وغريب ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، اغفر لي يارب أنى أسأت الظن بهذا الصبى ، وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب ، فما بالك اذا كان هذا الغريب مريضا ؟

حمله إلى بيته ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتعنى به ، ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة ، وسخنت ماء وغسلت يديه ووجهه ورجليه . ثم خرج الوقاد الى السوق وأتى بشيء من ماء الورد والسكر ، ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر ، وأخرج له قميصاً نظيفاً وألبسه اياه ، فشم نسيم الصحة وتوجهت إليه العافية واتكأ على المخدة فى شبه جلوس . ففرح الوقاد بذلك وقال : الحمد لله على عافية هذا الصبى ، اللهم إنى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى .

مازال الوقاد يتعهد الشاب ويحضر له السكر وماء الورد ويتلطف به ، حتى سرت الصحة فى جسمه وفتح عينيه .

ذات مرة دخل فرآه جالساً وعليه علامات العافية ، فقال لـه :

ـ كيف حالك الآن يا ولدى ؟

ـ بخير والحمد لله .

ـ أحمدك ربى وأشكرك .

كل يوم دجاجتان

ثم ذهب الى السوق ، واشترى عشر دجاجات ، وأتى إلى زوجته ، وقال لها :

ـ اذبحى له دجاجتين فى كل يوم ، واحدة فى أول النهار ، وواحدة فى آخر النهار .

قامت الزوجة من فورها وذبحت له دجاجة وسلقتها ، ثم أتت بها إليه ، وأطعمته وسقته



مرقها ، ونام الى العصر ، ثم سلقت دجاجة أخرى وأتته بها آخر النهار ، وقالت له : كل يا ولدى ، فجعل يأكل وهو متكىء على الوسادة . ودخل الوقاد فوجد زوجته تطعم الصبى ، فسر بذلك ، وجلس بجانبه وقال له :

ــ كيف حالك الآن يا ولدى ؟

ــ الحمد لله على العافية ، جزاك الله عنى خيراً .

ثم خرج الوقاد الى السوق وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه .

كان الوقاد يعمل كل يوم فى الحمام بخمسة دراهم ، فيشترى للصبى كل يوم مأكولات ومشروبات بدرهمين ، ومازال هو وزوجته يعنيان به ويلاطفانه حتى زالت عنه آثار المرض ورجعت إليه العافية . قال له الوقاد :

ــ يا ولدى هل تدخل معى الحمام ؟

ــ نعم .

فذهب الى السوق واكترى حماراً وأركبه وجعل يسنده الى أن وصل الى الحمام .

أخذ الوقاد يغسل جسد الصبى بالسدر والدقاق ويحك رجليه ، وبينما هو يفعل إذ جاء « بلان » أرسله معلم الحمام إكراماً للصبى ، فقال الوقاد : إن المعلم غمرنا بفضله وإحسانه . عنى « البلان » بغسل الصبى وحلق له رأسه .

وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قميصاً رقيقاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة . وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما . وقدمت لهما السفرة ، وصار الوقاد يفسخ لحم الدجاج ويعطى الصبى ويسقيه من المرق ، الى أن شبع وحمد الله تعالى وغسل يديه ، ثم قال للوقاد :

ــ أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك .

مـــن أنت

ــ دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت ؟ فإنى أرى على ملامحك آثار النعمة برغم ما كان من ذبول المرض .

ــ قل لى أنت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى .

ــ أما أنا فإنى وجدتك مرمياً على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر وتوجهت إلى عملى ، ولم أعرف من أمرك شيئاً ، وأخذتك الى منزلى . وهذه حكايتى معك .

ــ سبحان من يحيى العظام وهى رميم ، انك يا أخى ما فعلت الجميل إلا مع أهله ، وأرجو أن تجنى ثمرة عملك . ولكن قل لى أين أنا الآن ، أقصد فى أى البلاد .

ــ أنت فى مدينة القدس .

ــ إعلم أن اسمى « ضوء المكان » ولى أخت اسمها « نزهة الزمان » ، وكنا عائدين من الحجاز حيث أدينا فريضة الحج ، ونزلنا فى فندق بهذه المدينة ، ومرضت مرضاً شديداً ، وأنفقنا جميع ما نملك . واشتهيت اللحم ، ولما لم يكن معنا نقود فقد خرجت أختى لتخدم فى بعض البيوت ، وتأتى لى بالطعام ، ولم تعد .. ومكثت بضعة أيام أنتظرها وأنا مريض جائع ، ثم همت على وجهى .. ولم أشعر بشيء بعد ذلك الا وأنا هنا ، ولا يقلقنى الآن إلا مصير أختى نزهة الزمان ..

ــ ولكن ما أصلكما ؟

ــ أصلنا من بغداد .

ــ ولماذا لم تعودا إليها ؟

ــ خرجنا للحج رغم إرادة أبينا الذى طلب منا أن ننتظر الى العام القادم .

وأخفى ضوء المكان عن الوقاد حقيقة هائلة .. هى أنهما ولدا الملك عمر النعمان صاحب بغداد وبلاد الأفغان ، أخفى عليه ذلك حتى لا يظن أنه كاذب قد أختلط عقله !

طوى سره حتى يجيء وقته فيظهر .. قال للوقاد :

ــ كم بيننا وبين دمشق ؟

ــ مسيرة ستة أيام .

ــ هل لك أن ترسلنى إليها ؟

ــ كيف أدعك تذهب وحدك وأنت شاب صغير ، فإن شئت السفر إلى دمشق فأنا أسافر معك ، وإن أطاعتنى زوجتي وسافرت معى أقمت

إنسانية الآباء والأجداد في ألف ليلة وليلة

هناك ، فإنه لا يهون علي فراقك ، ثم قال الوقاد لزوجته :

ـ هل لك أن تسافري معي الى دمشق الشام أو تظلي هنا حتى أوصل ضوء المكان وأعود إليك ؟ فاني أخاف عليه من قطاع الطريق .

أجابت الزوجة في الحال :

ـ أسافر معكما .

ـ الحمد لله على الموافقة .

باع الوقاد أمتعته وأمتعة زوجته ، ثم أكترى حماراً وأركب ضوء المكان إياه ، وسافروا ، ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى أن دخلوا دمشق ونزلوا بها آخر النهار .

مكثوا خمسة أيام في دمشق ، ثم مرضت الزوجة أياماً قلائل ، وانتقلت الى رحمة الله تعالى .

عظم ذلك على ضوء المكان لأنه اعتاد عليها كأنها أمه ، وكانت تخدمه وترعاه كأنه ابنها ، وحزن عليها زوجها حزناً شديداً ، إلتفت إليه ضوء المكان وقال له :

ـ لا تحزن ، فإننا كلنا داخلون من هذا الباب .

قال الوقاد وهو يجفف دموعه :

ـ جزاك الله خيراً يا ولدي ، فالله تعالى يعوضنا بفضله ويزيل عنا الحزن .

سكت الوقاد قليلا ثم قال :

ـ هل لك يا ولدي أن تخرج وتتفرج في شوارع دمشق ؟

ـ الرأي رأيك .

أحمال وجمال

سارا الى أن أتيا دار والي دمشق ، فوجدا أحمالاً محملة من صناديق وأقمشة من الديباج وخيلاً مسرجة ومماليك يحرسونها ، والناس في هرج ومرج ، فقال ضوء المكان يسأل بعض الخدم :

ـ يا ترى لمن يكون هؤلاء المماليك والجمال والأقمشة ؟

قال الخادم :

ـ هذه هدية من أمير دمشق يريد إرسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام . لما سمع ذلك ضوء المكان عاودته الذكريات وتذكر أخته نزهة الزمان ، فبكى وأنشد :

إن شكونا البعاد ماذا نقول
أو تلفنا شوقاً فكيف السبيل
أو رأينا رسلا تترجم عنا
ما يؤدي شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما من الصبر عندي
بعد فقد الأحباب إلا قليل

قال له الوقاد :

ـ يا ولدي ، نحن ما صدقنا أن جاءتك العافية ، فطب نفساً ولا تبك ، فاني أخاف عليك من النكسة .

قال الوقاد ذلك ثم تذكر زوجته ، فبكى هو أيضاً ، ولكنه كفكف دمعه وجعل يلاطف ضوء المكان ، وبعد فترة صمت قال الوقاد لضوء المكان :

ـ كأنك تذكرت بلادك .

ـ نعم ولا أستطيع أن أقيم هنا ، أستودعك الله ، فاني مسافر مع هؤلاء القوم .

ـ وأنا معك ، فاني لا أقدر أن أفارقك ، اني أريد أن أتم ما فعلت معك بخدمتك .

ـ جزاك الله عني خيراً .

وفرح بسفر الوقاد معه . ثم إن الوقاد ذهب من ساعته الى السوق واشترى حماراً وهيأ زاداً ، ثم قال لضوء المكان :

ـ أنت تركب هذا الحمار في السفر ، فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش .

ـ بارك الله فيك وأعانني على مكافأتك ، فإنك فعلت معي من الخير مالا يفعله أحد مع أخيه .

وضع الوقاد زاداً وبعض الأمتعة في « خرج » ووضعه على ظهر الحمار ، ومن فوقه ركب ضوء المكان ، وسارا مع القافلة .

سيدة القافلة

ولم يدر ضوء المكان أن أخته نزهة الزمان في القافلة ، بل هي سيدتها .. إنها زوجة أمير القافلة : الحاجب الأكبر لوالي دمشق ..

ونزلت القافلة في مكان بالطريق لتستريح فيه . وبينما القوم نيام إرتفع صوت ضوء المكان بالشعر ، وحاول الوقاد أن يسكته خشية أن يحدث مالا يحمد عقباه . ولكنه لم يكف واسترسل يذكر أخته نزهة الزمان ويتحسر على فراقها .

سمعته نزهة الزمان فاستدعت أحد الحراس وأمرته أن يبحث عمن ينشد الشعر ويأتي به . وأتى به الحارس برغم الوقاد الذي حاول إخفاءه .. والتقى الأخوان في عناق وحنان . وحكى كل منهما للآخر ما جرى له من الأول الى الآخر ، وقد عرفنا ما جرى لضوء المكان .

أما نزهة الزمان فإنها خرجت من الفندق الذي كانت به مع أخيها المريض الذي اشتهى اللحم ، خرجت تبحث عن بيت تخدم فيه وتأتي لأخيها باللحم ، لقيها رجل بدوي في الطريق ، فاستمالها إليه واحتال عليها حتى رضيت أن تذهب معه . ثم أساء معاملتها وباعها لتاجر رقيق ، وعرف التاجر قيمتها فأغلى ثمنها وعزم على أن يقدمها لأمير دمشق . وقال للأمير ان هذه الجارية على مستوى كبير في العلم والأدب ، كما كانت فعلا .

وعقد الأمير جلسة حضرها القضاة الأربعة لكي يختبروا نزهة الزمان . وجلست خلف ستار وراحت تقول في سياسة الحكم وتشرح الأحكام الدينية ، فدهش الحاضرون جميعاً من سعة معرفتها وكمال عقلها .

وتزوجها حرة

أعتقها الأمير بعد أن اشتراها من التاجر ، ثم عرف من كلامها أنها أخته ! ! فأمير دمشق ابن الملك عمر النعمان .. وكان الحل أن يزوجها للحاجب الأكبر الذي أصبح ذا شأن بمصاهرته للأمير ، حتى صار أهلا لأن يرأس القافلة الذاهبة إلى الملك عمر النعمان بالهدايا وخراج دمشق .

صار الصبي ملكاً

وتفاجأ القافلة قبل بلوغها بغداد بنبأ وفاة الملك عمر النعمان ، ويجمع القوم على تولية ولده ضوء المكان مكان أبيه . ويجلس ضوء المكان على العرش ويستدعي الوقاد والذي ذهل مما رأى .. وأشار له الملك أن اجلس ، فأبى وقال :

ـ معاذ الله .. قد انقضت أيام قعودي في حضرتك !

ـ لا بل هي باقية الى الآن ، فانك كنت سبباً لحياتي ، والله لو طلبت مني ما شئت مهما كان لأعطيتك إياه .

ـ يا سيدي ، اني أخاف أن أتمنى شيئاً لا تقدر عليه ..

ضحك الملك وقال له :

ـ لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها ..

ـ أتمنى أن تكتب لي مرسوماً بأن أكون عريفاً على جميع الوقادين في مدينة القدس !

استغرق الملك والحاضرون في الضحك ، وقال الملك :

ـ تمن غير هذا ، تمن أمراً عظيماً لائقاً بمقامي .

وأسر إليه الوزير :

ـ لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه (الذي توفي) لولاك عليها .

قال الوقاد وهو ذاهل يجاري ما قيل له :

ـ أتمنى سلطة دمشق موضع أخيك !

أصدر الملك مرسوماً بذلك وأسماه « الزبلكان » وأمر الوزير أن يصحبه ويكون في خدمته . والتفت الملك الى « الزبلكان » قائلا :

ـ في رعاية الله وأوصيك بالرعية خيراً ، إصنع معهم مثل ما كنت تصنع معي .

عباس خضر

غسّان كنفاني ..

الأديب الشهيد



بقلم : حسني شحادة

بارح فلسطين مكرهاً ، وفي قلبه جمرات ظلم حامية ، وفي نفسه فوران طغيان موار ، وفي عزمه إيمان راسخ بأن الحق دائماً في انتصار ، فظل يردد مع « طاغور » شاعر المحبة الانسانية :

« إن بلادى عندما تثور
وتقف في وجه كل ظالم
تثور للحق الذي سينتصر »

في عكا ، قاهرة الغزاة ، وعلى سفح الكرمل ، الذي روت وروده دماء الشهداء على المدى ، ولد غسان كنفاني عام ١٩٣٦ ، إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ، التي أخفت جذوتها بقيام الحرب الكونية الثانية ، ولكن النكبة الفلسطينية الأولى عام ١٩٤٨ ، عاجلته ، لتحمله إلى لبنان ، ثم إلى سوريا ، حيث بدأ الصراع للحياة ، فأقبل على الدراسة المسائية ، حتى نال الشهادة الثانوية ، ثم ذهب ليعمل مدرساً في مدارس الكويت . فواظب على الدراسة الجامعية ، حتى نال الإجازة من كلية الآداب بجامعة دمشق . حيث أعد دراسة لنيل الشهادة الجامعية موضوعها : « العرق والدين في الأدب الصهيوني » .

وعاد إلى لبنان ، ليعمل محرراً في صحيفة « الحرية » الأسبوعية ، ثم انضم إلى صحيفة « المحرر » البيروتية اليومية ، رئيساً للتحرير ، وفي عام ١٩٦٧ م ، أخذ يحرر في صحيفة الأنوار البيروتية ، وله عمود يومي في صدر صفحتها الأولى عنوانه : « أنوار على الأحداث » ، كرسه لمعالجة القضايا العربية . ثم تسلم رئاسة تحرير مجلة « الهدف » .

آثاره القلمية

« شمس جديدة » باكورة أعمال غسان كنفاني ، قصة نشرها في مجلة الآداب البيروتية عام ١٩٥٦ ، فقد بدأ الكتابة في سن مبكرة ، يصور في قصصه عظم المأساة ، ولكن بنظرة مستقبلية تؤكد هدفه النهائي . بأن الحق في انتصار .

ثم انطلق قلمه الثائر ، فأصدر المؤلفات القصصية الآتية :

- موت السرير رقم ١٣ ، مجموعة قصص طبعت عام ١٩٦٢ م
- رجال في الشمس ، رواية طبعت عام ١٩٦٣ م
- أرض البرتقال الحزين ، مجموعة قصص قصيرة طبعت عام ١٩٦٣ م
- الباب ، مسرحية طبعت عام ١٩٦٤ م
- عالم ليس منا ، مسرحية طبعت عام ١٩٦٤ م
- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ، دراسة عن أدب الشعراء العرب في الأرض المحتلة ، طبع عام ١٩٦٦ م .
- ما تبقى لكم ، قصة ، طبعت عام ١٩٦٦ م ،
- سقوط الجليل ، رواية مطولة .
- في الأدب الصهيوني ، طبع عام ١٩٦٧ م
- عن الرجال والبنادق ، مجموعة قصص
- الأدب الفلسطيني المقاوم ، دراسة أدبية طبعت عام ١٩٦٨ م .
- أم سعد ، مجموعة قصص قصيرة ، طبعت عام ١٩٦٩ م
- عائدون إلى حيفا ، طبع سنة ١٩٧٠ م .

غسان في الطليعة

غسان كنفاني في الطليعة دائماً ، لا يعرف إلا الكلمة الخنجر ، والمواجهة الموجعة ، لا يعرف اللعب بالكلمات السحرية ، وقف منذ أن خط القلم كلمته الواعية ، متحدثاً عن الموت ، عن البرتقال الحزين ، الرمز المستمر للأرض ، التي لم يجف حليبها في فم الأبناء ، وظل يبحث في أعماق الأعماق ، يجري وراء الرجال الذين يبحثون عن الأمل ، في الدنيا الواسعة ، هرباً من مصير بائس ، وبحثاً عن شيء أي شيء ، بعيدا عما خالوه سجناً ، فإذا هم في أعماق المأساة ، فقال كلمته :

« ليس هناك في خارج الوطن إلا أبشع من الموت في زنزانة الحياة ، في المنافي ، فليس لكم إلا العودة إلى الأرض الأم ، الى المواجهة ، فالعالم ليس منا ، ولم يبق إلا الأرض نأخذها ، عن طريق الرجال والبنادق ، وهناك « أم سعد » تبذر البذرة في الأرض ، في الانسان ... هناك فلسطين العزيزة .. »

البناء الفني

إن استعراضاً سريعاً لمجمل القصص التي كتبها غسان كنفاني ، قبل عام ١٩٦٠ م ، والتي أبرزها « شمس جديدة » يبين أن كل قصة ترتبط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بخيط دقيق أو متين ، بتجاربه الشخصية عن الحياة ، فقد كتب غسان عن فلسطين كقضية قائمة بحد ذاتها ، عن الأطفال الفلسطينيين ، عن الإنسان الفلسطيني ، عن الآمال الفلسطينية ، كأشياء منفصلة عن عالمنا ، وكأنها وقائع محضة .

أما أسلوبه الأدبى ، فقد تطور بعد عام ١٩٦٢ م بالتحديد ، عندما أصبح غسان ، يرى فلسطين رمزاً إنسانياً متكاملاً ، فعندما يتناول في قصصه عائلة فلسطينية ، فإنه يكتب عن الواقع ، عن تجربة إنسانية ، لأن فلسطين في قصصه أصبحت لا تمثل العالم برمته ، فحسب ، بل لأن المشاكل في الحياة الفلسطينية هي الأكثر بلورة ومعاناة .

فالقصص القصيرة التي كتبها غسان كنفاني ، تستند في معظمها الى موقف عاطفي في بادىء الأمر ، ولا تلبث أن تعكس الواقع الذى غالبا ما يفتقر الى التحليل ، فإن الاسلوب الذي يتصرف به أبطال القصة ، والقرارات التي يتخذونها ، والأسباب التي تدفعهم لاتخاذها وبلورتها ، هي تعبير عن الواقع ، وبدون تحليل . لقد استوحى كافة أبطال رواياته من الواقع ، كما يفهمه ، واستوحى كافة أبطال رواياته من الواقع ، الذي يصدمه بقوة ، وليس من الخيال ، لقد كانوا جميعهم من المخيم ، وليس من خارجه .

أما الأساس الاستراتيجى الهادف لقصص غسان كنفاني فهو كونها تدور حول البطل الفلسطيني ، الذي — أبداً — يداهمه إحساس لا يقهر بأنه عائد ، فيسميه « أول عائد » ، وظهر ذلك واضحاً ، في قصة « لاشىء » حيث يظهر نموذج من الأبطال الذين يداهمهم إحساس لا يقهر أبداً ، بالعودة ، وكذلك قصة « إلى أن يعود » ، حيث نلمح منها أكثر من صلة شبه بينها ، وبين قصته « ما تبقى لكم » ، فالبطلان يعيشان الظروف نفسها ، فحامد دائماً تعود إليه الرؤيا الكابوسية ، من مقتل والده في « يافا » ، وكذلك بطل قصة « الى أن يعود » تعاوده هذه الرؤى .

كلمـــة

إن غسان كنفاني وأضرابه ، عائدون الى حيفا ، وكانت خطوة العودة الكبرى ، في ذاك السبت الغادر من شهر يوليو تموز عام ١٩٧٢ ، عندما انضم هذا البطل الى قوافل الشهداء ، الذين يعبدون للاجيال الآتية درب العودة ، ولتبقى حياته نموذجا ، فالشريط الممتد من دمه قد سبق ، ليرسم للأجيال الخريطة الجديدة للإنسان العربي ، الذي لم يكن يحلم به ، ولكنه بدأ فعلاً في بنائه .



بقلم: رءوف توفيق

السينما العالمية تكشف طريقاً جديداً



« كريستوفر لامبرت » في دور طرزان الجديد كما قدمه فيلم « اسطورة طرزان » والذي حقق أعلى الايرادات

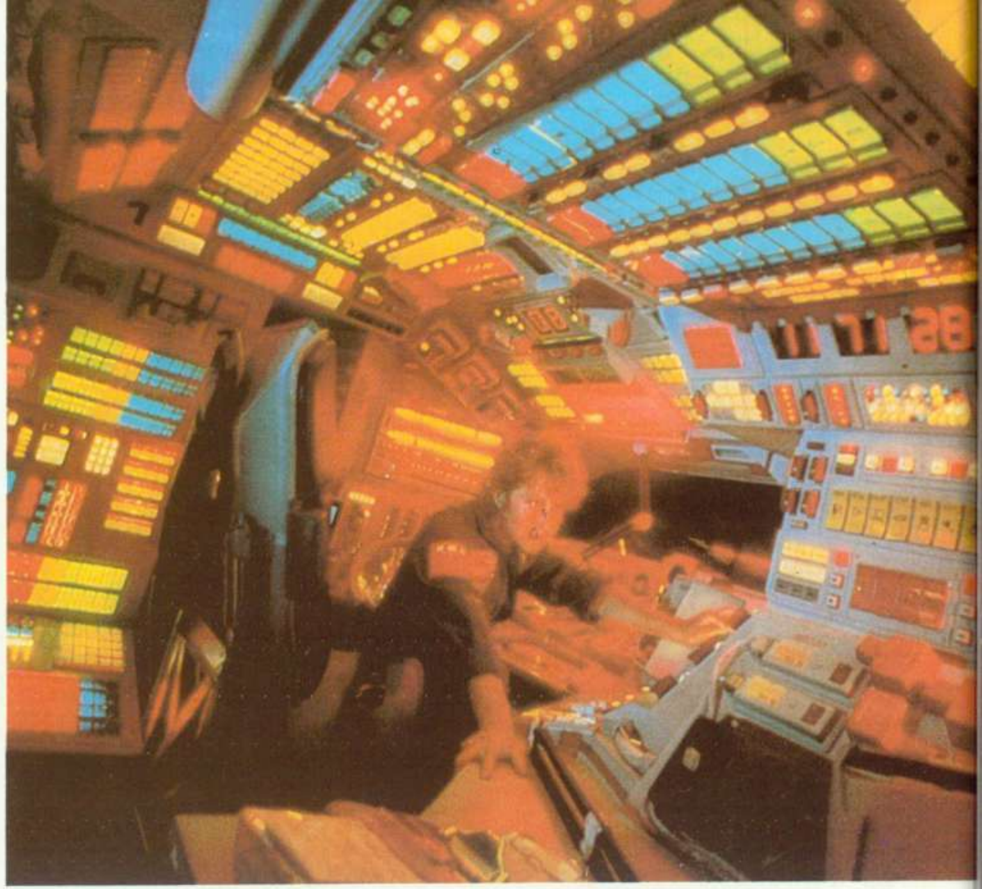
من أفلام الفضاء.. إلى أفلام الغابات!

إلى اليمين : المهندس الذي فقد ابنه يواجه تيارات الشلالات وبجواره ابنه الذي يبحث عنه.

وعلى اليسار : « شارلي بورمان » في دور مشابه لطرزان في فيلم «غابة الزمرد»



جون الطائر الفضي في أحضان كالا القردة



كل الازرار واللمبات الملونة .. فى مركبة الفضـاء كمـا بدت في فيلم « ٢٠١٠ » أحـدث الأفلام التي تناولت موضوع الفضاء .. ولم يحقق الايرادات المتوقعة !

منذ سنوات قليلة عثرت السينما العالمية على صيغة مناسـبة ، لاجتذاب الشباب إلى دور العرض السينمائي .. كانت الصـيغة هي : عالم الفضـاء بكل مافيه من غموض وخيال وإثارة .

وانهمـرت عشرات الأفـلام التي تصـورت مخلوقات الفضاء تغزو سـكان الأرض .. وفي المقابل رحلات سـكان الأرض لغزو الفضـاء .. وبين هـذا وذاك ، مخلوقات الفضـاء تهاجم بعضها في حروب شرسة وغريبة !!

ودخل في تلك اللعبة .. فنانون وأدعياء .. تجار وحواة .. ومتسلقو موجة !!



ومن فرط التهافت على هذا الاتجاه .. فقدت هذه الأفلام بريقها .. ولم تعد قادرة على اجتذاب الشباب !

ولأن صناعة السينما العالمية في صراع دائم من أجل الاستمرار ، وتحقيق أكبر نصيب من الأرباح .. فقد فكر عباقرة تلك الصناعة في إحداث انقلاب مضاد تماماً .. وخلق نوع من الصدمة المفاجئة للمشاهدين .

فإذا كانت المغامرة في عالم الفضاء لم تعد جديدة أومبهرة .. فلماذا لا تكون المغامرة على سطح الأرض في أماكن مجهولة ومثيرة للخيال ؟!

وهكذا انتقل الاتجاه من الفضاء .. إلى الغابات .

ومن موضوعات حرب الكواكب ، والمخلوقات الفضائية الغريبة الشكل .. إلى موضوعات إنسان الغابة بين الأحراش والحيوانات .

من المستقبل ، والخيال العلمي ، والأجهزة الاليكترونية في حروب الفضاء .. إلى الحياة البدائية في الغابات الكثيفة .. ورماة الأسهم المسنونة .. وحكايات طرزان !!

والنقلة غريبة جداً .. ولكن ليس هناك شيء غريب بالنسبة لمخططي صناعة السينما العالمية .. بل ان « الغريب » هو الذي يصنع مادة تلك الأفلام !

عناصر الإبهار والاثارة

والاعتماد الأساسي في هذه النوعية من الأفلام ــ سواء أفلام الفضاء أو الغابات ــ هو الابهار بالصورة الغنية بالتفاصيل .

في أفلام الفضاء .. اعتمدت الصورة على التطور الفني في الخدع السينمائية ، والمؤثرات الضوئية والصوتية .

في أفلام الغابات .. تعتمد الصورة على عناصر الطبيعة المتعددة الأشكال والألوان .

من أفلام الفضاء..
إلى أفلام الغابات!

والاثارة موجودة في كلا الاتجاهين .. ففي عالم الفضاء هناك الإثارة بالمجهول .. وفي عالم الغابات ، هناك أيضاً نفس الإثارة بالمجهول .. ولكن ذلك المجهول المختبئ وراء الأشجار والنباتات العملاقة !

أي أن المسألة محسوبة فنياً ..

والجديد في أفلام الغابات .. أن صناعها يخاطبون من خلالها اتجاهات موجودة بالفعل لدى الشباب الأوربي والأمريكي الآن .. بالعودة إلى الطبيعة ، كنوع من الرفض للصراع المادي وسباق التسلح النووي ، واكتساح الحضارة الصناعية للمشاعر الانسانية ..

أي أن هناك « مضموناً » فكرياً من الممكن أن يضاف إلى هذه الأفلام !

عودة طرزان

وقد بدأت صناعة السينما . عملية « جس نبض » السوق العالمي ، بفيلم « أسطورة طرزان » للمخرج « هيج هيدسون » .. وكانت الاستجابة مذهلة .. حقق الفيلم أرقاماً قياسية في الايرادات سواء بأمريكا ، أو أوربا خلال عام ٨٤ .. ولمع اسم الممثل « كريستوف لامبرت » الذي لعب دور طرزان الجديد .. وتحول هذا الممثل الذي لم يبلغ السابعة والعشرين من عمره ، إلى أسطورة بالنسبة للمراهقين والشباب ! !

وفي الشهر الماضي .. بدأ الانزال الجديد لعملية جس نبض السوق العالمي .. من خلال فيلم « غابة الزمرد » للمخرج جون بورمان .

وكل المؤشرات تؤكد أن فيلم « غابة الزمرد » سيكتسح الإيرادات في عام ٨٥ .. فقد أستقبل الفيلم في الاسابيع الأولى لعرضه ، بحفاوة ، واعجاب بالغين .

القصة الحقيقية التي تحولت لفيلم

وقد شاهدت فيلم « غابة الزمرد » في أول عرض عالمي له .. وكان ذلك في ختام مهرجان « كان » السينمائي ..

ومنذ الدقائق الأولى تكتشف سر الفيلم .. ولكنك لا تستطيع أن تقاوم سحره الخاص .. ورغماً عنك تجد نفسك وقد عدت إلى طفولتك .. تسترجع القصص والحواديت التي سمعتها عن الغابات ، ومغامرات طرزان .. وتمارس متعة الخيال والإثارة وقد تجسدت أمامك على الشاشة في جمال وتدفق .. وبكل امكانيات السينما الحديثة .. واستغلال الصوت المجسم الذي يشعرك بأنك في قلب الأحداث .. أو بمعنى أدق في قلب الغابة ، تسمع من حولك حفيف ورق الشجر .. وأصوات الطيور والزواحف .. وتساقط المياه ..

وموضوع فيلم « غابة الزمرد » مأخوذ عن قصة حقيقية نشرت تفاصيلها جريدة « لوس انجلوس تايمز » بتاريخ ٨ اكتوبر عام ١٩٧٢ ..

والقصة الحقيقية تروي ماحدث لمهندس انشاءات فوجئ باختطاف إبنه الصغير أثناء رحلة لهما على نهر الأمازون .. وبعد عشر سنوات من البحث المستمر عن الطفل المخطوف ، توصل الأب لمقابلة رئيس إحدى القبائل البدائية التي تعيش في غابات الأمازون .. وبين أفراد القبيلة توقف الأب أمام شاب عيونه زرقاء ، وما أن بدأ يدقق في ملامحه حتى اكتشف أنه هو ابنه الذي فقده منذ عشر سنوات ..

وضع كاتب السيناريو « روسبو باللنبرج » هذه القصة المنشورة أمام صديقه المخرج « جون بورمان » الذي قرر على الفور أن تكون موضوع فيلمه الجديد ..

وتم اختيار غابات الأمازون في البرازيل كمكان لتصوير أحداث الفيلم ..

وبدأ المخرج « بورمان » رحلة استكشاف لأماكن التصوير ، ولدراسة طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية داخل القبائل البدائية التي تعيش في هذه الغابات ..

المخـــرج في رحلة الاستكشاف

اصطحب المخرج معه في رحلته ، عالماً برازيلياً متخصصاً في علم الأجناس ، ومصورة فوتغرافية نذرت نفسها منذ سنوات ، للدفاع عن قبائل الهنود الذين يعيشون في غابات الأمازون ، والتنديد بأي محاولة للقضاء عليهم أو إبادتهم .

وسجل المخرج في مفكرته الخاصة .. يوميات تلك الرحلة المثيرة وملاحظاته التي قام عليها بناء الفيلم بعد ذلك ..

وداخل أحراش الغابات .. وصل المخرج ومرافقوه إلى قرية قبائل « الكاماميرا » التي تعيش في عزلة تامة عن كل مايجري في العالم .. وهذه القبائل لها قانونها الخاص المتوارث .. ولها طقوسها المثيرة في الأفراح والميلاد والوفاة .



« بورز بوث » الممثل الأمـــريكي الذي لعب دور المهندس الذى فقد ابنه فى الادغـــال



« ديرا بايس » ممثلة هندية تظهر لأول مرة في فيلم « غابة الزمرد » في دور الزوجة التى تختطفها عصابات الرجل الأبيض

وقد وصف المخرج هذه القرية في مفكرته بأنها « تشبه بدايات العالم » .. ووصف سقوط المطر بأنه « لا يشبه أي مطر نحن نعرفه .. إنه ينهمر كستارة كثيفة من الماء تحيط بك من كل جانب ، بحيث لا يمكن أن تلتقط أنفاسك .. بل تجد نفسك محاصراً بالبخار الكثيف المتصاعد .. »

وسجل المخرج في مفكرته عملية تلوين وجوه وأجساد أفراد القبيلة بواسطة المساحيق المستخلصة من الصخور والنباتات .. ونوعية السهام المستخدمة ، وكيفية اطلاقها ..

كما دخل المخرج إلى بيوت القرية .. المقامة في حلقة دائرية تتوسطها ساحة تشهد كل علاقاتهم .. ووصف المخرج هذه العلاقات بأنها « اتحاد كامل مع الطبيعة .. والحياة بسيطة جداً تخلو من التعقيدات .. فالرجل عنده من الزوجات بقدر ما يستطيع أن يرعاهن .. والأطفال كثيرون .. والعمل اليومي لم يتغير منذ مئات القرون .. النساء يخرجن في الصباح ليجمعن أنواعاً من النباتات ويجلسن بالساعات في ساحة القرية .. يخلطن النباتات ، ويسحقن ، ويغلين لتصبح نوعاً من المشروب الحلو المذاق .. أما الرجال فعملهم يبدأ وينتهي بتوفير الطعام من رحلات الصيد التي يقومون بها .. وكل شئ مستقر وثابت .. حتى يظهر الرجل الأبيض بين أحراش الغابة .. في هذه اللحظة تعلن حالة الخطر .. وتنتصب الأسهم المسنونة .. ويتفرق أفراد القبيلة في أماكن الرصد بين الأشجار والصخور المرتفعة .. لمتابعة تحركات الرجل الأبيض ومحاصرة خطره ..

كيف أقنع رئيس القبيلة ؟

وكان لابد للمخرج « بورمان » من استئذان رئيس القبيلة في تصوير الفيلم داخل هذه القرية .. وكانت وسيلة الاقناع التي قدم بها المخرج نفسه ، أنه يصنع فيلماً يدافع فيه عن بقائهم .. واذا استطاع أن يحقق فيلماً جيداً فإنه يضمن أن يراه الملايين في أنحاء العالم .. أي أن قبائل الهنود التي تعيش في غابات الأمازون ستكسب أنصاراً ومؤيدين . ويشكلون رأياً عاماً قوياً يقف ضد أي محاولة لإبادتهم .

ونجح المخرج في اقناع رئيس القبيلة .. ولم يحصل فقط على الموافقة بالتصوير .. ولكن حصل أيضاً على دعوة استضافة من أهم شخصية في قبائل « الكاماميرا » .. من الطبيب الساحر الذي يعالج أفراد القبيلة بمساحيقه الخاصة ، وبتعاويذه المتوارثة منذ آلاف السنين ..



« شارلي بورمان » ابن المخرج قام بدور الشاب الذي عاش عشر سنوات في الغابة وقرر بعدها ألا يعود للمدينة !



المخرج « جون بورمان » في أحراش غابات الأمازون يصور فيلمه



مسحوق عظام الأجداد يقدمه الطبيب الساحر للأبن تعميداً له بأنه وصل إلى مرحلة الرجولة

وهكذا انفتحت للمخرج « بورمان » كل الأبواب .. ليدخل هذا العالم المثير .

قصة الفيلم

يبدأ فيلم « غابة الزمرد » بداية سريعة من خلال ذلك المهندس الأمريكي وزوجته وابنته (٩ سنوات) والابن (٧ سنوات) .. وهم يعاينون شقة حديثة استأجرها الأب في تلك المدينة البرازيلية المطلة على نهر الأمازون .. والتي جاءها كمهندس خبير في إنشاء السدود .. ليشارك في إقامة سد ضخم على النهر .

من شرفة الشقة .. يقف الابن الصغير يسأل والده : « هل أستطيع أن أرى مكان عملك من هنا » ؟ ويجيب الأب بالايجاب مشيرا بيده إلى الموقع الذي بدأ فيه إنشاء السد ..

يواصل الابن أسئلته .. « هل أستطيع أن أراك وأنت تعمل ؟ » .

في المشهد التالي مباشرة .. نرى سيارة يقودها الأب وبجواره زوجته .. وفي المقاعد الخلفية يجلس الابن وشقيقته .. والسيارة تنطلق إلى موقع العمل في السد ..

من الواضح أن الأب استجاب لرغبة ابنه في أن يدعوه لمكان العمل ليشاهد عملية تقطيع أشجار الغابة .. وتمهيد الأرض بالكاسحات الثقيلة ..وإقامة العلامات والحدود لبناء جسم السد ..

وتبدأ الزوجة في إعداد الطعام .. وقد افترشت ملاءة على العشب بين الأشجار .. وينطلق الابن وشقيقته يلعبان حول المكان .

الابن يتبع بفضول طابوراً من حشرات الغابة تحمل على ظهورها أوراق الشجر وتسير بها .. يفاجأ بين فروع الاشجار بوجوه غريبة .. يصرخ في فزع .. ويجري لمكان والده ويحكي له عما شاهده .. الأب لا يصدق .. والابن يسحبه من يده إلى المكان الذي شاهد فيه هذه الوجوه .. الأب يحاول بث الطمأنينة في ابنه .. « إنني لا أرى أحدا .. يبدو أنك توهمت أشياء »

يستدير الأب ليرى انعكاس ما قاله على ابنه .. فلا يجده بجواره .. ينادي عليه .. ولكن لا فائدة .. يكاد الأب أن يجن .. يجري هنا وهناك يبحث عن ابنه .. ولكن الابن إختفى تماماً .. وفجأة يخترق الصمت ، صوت سهم يرتشق في الشجرة المجاورة للأب .. كأن قبائل الغابة أرادت أن تعلن له عن وجودها .. وعن مسئوليتها في اختطاف ابنه الصغير .

من أفلام الفضاء.. إلى أفلام الغابات!



جمال الطبيعة وتشكيلات الألوان كما أكدها المخرج «بورمان» في فيلمه «غابة الزمرد»



جون الطفل مع (أمه) كالا

يحاول الأب انتزاع السهم من الشجرة.. ينكسر في يده.. ويحمل السهم المكسور.. وينطلق محموماً يستنجد بكل زملائه في موقع انشاء السد.. الذين يتفرقون في الغابة المحيطة يحاولون العثور على الابن.. ولكن بلا جدوى..

لقاء الأب بابنه

بعد عشر سنوات على هذا الحادث.. وبعد أن تم بناء السد الكبير على النهر.. نرى الزوجة داخل أحد معسكرات الايواء لأطفال القبائل الهندية، تواصل البحث عن ابنها المفقود.. وهي تحكي للمسئول عن المعسكر.. عن كل محاولاتهم السابقة في البحث عن الابن.. وقد وصلتهم أخيراً معلومات عن احتمال أن يكون ابنها قد تم اختطافه عن طريق قبيلة معينة داخل أحراش الغابة.. وأن زوجها يسعى للعثور على وسيلة للذهاب إلى هناك.

وفي المشاهد التالية.. نرى محاولات الزوج للوصول إلى باخرة في رحلة بنهر الأمازون بصحبة مصور صحفي استهواه أن يسجل هذه المغامرة.

الأب يحمل في يده السهم المكسور.. ويسأل كل من يلقاه عن اسم القبيلة التي تستخدم هذا النوع من السهام.. حتى يأتيه الرد.. بأن هذه القبيلة مشهورة بأنهم أناس غير مرئيين، يستخدمون السحر في اخفاء وجودهم..

ويواصل الأب رحلته الطويلة داخل الغابة بعد أن انسحب المصور الصحفي لاحساسه باليأس والخوف..

وهكذا يتخلص الفيلم من هذه الشخصية الثانوية.. لينفرد الأب بالمغامرة.

وكما لم يتعمق الفيلم في تبرير كيف انقضت عشر سنوات على غياب الابن دون أن نرى على الشاشة أي انعكاس لها على شخصية الأم أو الأب.. سوى جملة الحوار المنطوقة التي قالتها الأم في معسكر الايواء..

وأيضاً كما لم يتعمق الفيلم في تبرير تأخير المعلومة التي تفيد باحتمال وجود الابن مع قبائل غير المرئيين يفاجئنا الفيلم بلقاء الصدفة بين الأب وابنه.. بعد معركة بالسهام والمدافع الرشاشة.. والمطاردات بين قبيلة شريرة.. والقبيلة الطيبة التي ينتمي اليها الابن.

هنا يتوقف الفيلم طويلاً ليستعرض طبيعة المكان من خلال المطاردات بين قمم الأشجار.. ومساقط المياه وفزع الطيور والحيوانات من صوت المدافع الرشاشة التي تلجأ اليها القبيلة الشريرة..

وفي الجانب الآخر ما تقوم به القبيلة الطيبة من الحرص على التقاليد ومحاكمة شاب منهم عاكس فتاة.. وقدرة رئيسهم الطبيب الساحر على استخراج رصاص المدافع الرشاشة من جسد المصاب بمجرد لمسة بسيطة من اليد.. وخلطة شرابهم الذي يقاوم الوهن.. ويدفع بالحيوية والشفاء للمريض!!

الانتصار لانسان الغابة!!

يفتح الأب عينيه بعد أن أفاق من غيبوبته، نتيجة المطاردات والأحداث التي مر بها في هذه المعركة بين القبيلتين.. ليجد نفسه أمام ابنه الذي ظل يبحث عنه.. يطلب الأب من ابنه أن يعود معه إلى المدينة.. وإلى أمه الملهوفة عليه.. ولكن الابن يهز رأسه بالرفض «أنا لا أنكر أنك أبي..

وقد ظللت أحلم بك كثيراً.. ولكن – مشيرا إلى الطبيب الساحر – هذا أبي أيضاً»..

ويثور الأب.. ويتوجه إلى الطبيب الساحر



جون مع القردة التي تبنته



طرزان ذو الاثني عشر عاماً يعيش اليتم مرة أخرى



رقصة النار .. أحد مشاهد فيلم « غابة الزمرد »

يتهمه بسرقة ابنه منه .. ويحاول الابن الدفاع عن الساحر .. « لقد مر وقت طويل على هذا الحادث .. وأنا أريد أن أبقى هنا .. فهنا أسرتي .. وفي هذه الليلة سأتزوج .. لماذا لا تبقى أنت معنا ؟ »

ويردد رئيس القبيلة .. « هنا مركز العالم .. وماوراء أشجار الغابة هو نهاية العالم .. زمان كانت نهاية العالم بعيدة .. أما الآن فالنهاية تقترب .. وعلينا أن نحافظ على أنفسنا » .

ويتسلل طوال هذا الجزء من الفيلم .. التلميح بشرور الرجل الأبيض .. والحضارة المزيفة التي يستند إليها .. فهذه القبيلة الشريرة التي تستخدم المدافع الرشاشة .. هى قبيلة مأجورة للرجل الأبيض الذي يوزع عليهم الأسلحة في مقابل أن يختطفوا فتيات القبيلة ــ وبالذات أجمل الفتيات ــ ليسوقوهن للعمل في الملاهي الليلية التي يديرها الرجل الأبيض لأمور الفساد !

وفي المقابل .. نجد القبيلة الطيبة تمارس طقوسها في انسجام .. وفي اتحاد تام مع الماضي السحيق لدرجة شرب مسحوق عظام الأجداد !

وهذه المقارنة المستمرة بين القبيلتين وانتماءاتهما .. ومع الغزل المستمر لجمال الطبيعة في الغابة .. والإشادة بالقوة والشجاعة والحب التي تتميز به القبائل الأصيلة .. لابد وأن ينتهي الفيلم بانتصار تلك القبائل ... بل إن هذا الابن الأبيض الذي رفض أن يعود مع والده .. هو الذي يقوم بالدفاع عن قبيلته .. وحماية فتياتها من الاختطاف والاغتصاب .. وهو الذي يعود لوالده في المدينة (في مشهد مثير متسلقاً حوائط العمارة الشاهقة ، ليدخل إلى غرفة والديه من النافذة ،

تأكيداً لمعنى أنه ابن الغابة الذي لا يلجأ إلى الوسائل العصرية كالمصاعد ، ليصل إلى شقة والديه) وهو يريد والده ليقف بجواره في قضيته لاسترجاع الفتيات المخطوفات ــ ومن بينهن زوجته ــ !

ويتحمس الأب لقضية إبنه .. ويدخل في معركة مع مختطفي الفتيات .. ويحررهن من قبضة الرجل الأبيض .. بل يذهب إلى أقصى مدى .. أن ينسف السد الكبير الذي أنشأه ليحمي قبائل الغابة من زحف المياه عليهم .. وليحفظ لهم مكانتهم في مركز العالم .. كما قال رئيسهم الطبيب الساحر !

وهكذا ينتهي الفيلم منتصراً لانسان الغابة .. وضد الحضارة .. وكأن الفيلم يريد أن يقول لنا إذا كنا نريد السعادة .. فلنعد إلى الغابة .

ولا شك أنها مغازلة تجارية واضحة للاتجاهات الحالية للشباب في أوربا وأمريكا ، الذين ينادون بالعودة إلى الطبيعة ..

والمناقشة الجادة للقضايا ليس مجالها هذا الفيلم .. وإذا استخدمنا المنطق والتحليل لوجدنا في الفيلم عشرات من الأخطاء والتجاوزات والتشويش الفكري ..

إنه فيلم تراه بعينيك فقط .. وكما قلت في البداية إنه يسحبك إلى عالم الخيال والطفولة ، لتستعيد ذكريات طرزان .. ولكن بسينما متطورة بالغة الأناقة والدقة الحرفية .

واذا كان المخرج الانجليزي الأصل « جون بورمان » قد اكتشف طريقاً له من خلال أفلامه الأخيرة ، (من أهمها فيلم اكسكاليبور ــ أو السيف المسحور عن أسطورة الملك آرثر) أن يصنع أفلامه من علاقة الانسان بالطبيعة .. فان فيلم « غابة الزمرد » يفتح مجالاً جديداً للسينما العالمية للدخول في عالم الغابات بكل أسرارها وكنوزها .. فقط نتمنى أن يكون هذا الدخول ببعض الحكمة .. والكثير من المنطق .

فالأطفال لا يظلون أطفالاً طول العمر !

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

تعتمد مادة هذا الباب على ما يبعثه إلينا القراء من رسائل تتضمن أسئلتهم واقتراحاتهم وتعليقاتهم حول ما تنشره المجلة من مواد مختلفة .
ونأمل الكتابة إلينا بخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة ، وكذلك كتابة اسم الباب على مغلف الرسالة ، ونجدد عهدنا بالاهتمام بكافة الرسائل القيمة التي تصلنا منهم .

المحــــرر

تهريب «اليورانيوم» إلى إسرائيل

جاءنا من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية (ص ــ ب ٨١١٧٩٣) بالعاصمة الاردنية عمان التعليق التالي على عملية تهريب سبعة واربعين طنا من «اليورانيوم» ذات المصدر البريطاني الى اسرائيل عن طريق دولة «لوكسمبرج» العضو الأصغر في حلف الأطلسي :

دولة اسرائيل وان لم تكن عضوا ملتزما في حلف شمال الاطلسي الا انها في حقيقة الحال متعاونة معه ومستفيدة منه الى أقصى حد بل ان مكانتها في نظر أعضاء الحلف تزيد على مكانة تركيا واليونان وتنال من الدعم العسكرى والاقتصادى أكثر مما تحصل عليه تلكما الدولتان ، ذلك لأن دولة اسرائيل في نظر مخططي الحلف ومنظري سياسته تعتبر قاعدة ذات أهمية استراتيجية بالغة ضد حلف وارسو ، وضد الأمة العربية لمنع قيام أي اتحاد أو وحدة بين دولها ولإحداث مزيد من التمزيق والتقطيع ولإنشاء دويلات طائفية متناحرة تجعل الحزام الأمني حول اسرائيل منيعا بحيث يعيش شعبها في أمن وطمأنينة ورغد عيش على الأرض العربية المقدسة .

ومن مظاهر تعاون دول حلف الاطلسي مع اسرائيل اعلان قيام حلف استراتيجي مابينها وبين الولايات المتحدة والسماح لها بتخزين أخطر انواع أسلحة الدمار على أرض فلسطين وامدادها بالتقنية الأميركية المتطورة جدا كأنما دولة اسرائيل احدى ولايات أمريكا المتحدة . وان مايجرى في الخفاء بين دول حلف الاطلسي واسرائيل هو أضعاف ماتكشف عنه وسائل الاعلام من تعاون ومن تهريب أسلحة متطورة ومواد خام نادرة .

وقد سبق قبل سنوات أن كشفت أجهزة الاعلام عن تهريب (عنصر اليورانيوم) الذى تصنع منه القنابل النووية الى اسرائيل وثارت في حينه موجة احتجاج ثم انتهى الأمر ، وكان آخرها ماتناقلته الأخبار عن وصول (٤٧) طنا من (اليورانيوم) ذات المصدر البريطاني الى اسرائيل عن طريق دولة (لوكسمبرج) العضو في حلف الاطلسي ، وتبرير ذلك بأنه عملية تهريب دون علم الحكومات .

فأى انسان ولو كان في مرحلة الطفولة يصدق أن (لوكسمبرج) الدولة الصغرى جدا تجرؤ على تهريب ٤٧ طنا من اليورانيوم دون علم دول حلف الاطلسي أو على الاقل دون علم وموافقة بريطانيا والولايات المتحدة ؟ يجب ان نعلم ان اسرائيل قد اصبحت منذ سنوات دولة نووية ولا يجوز أن نستسلم للأوهام وللبيانات المخدرة التي تصدرها الدول الكبرى . ومن الغباء ان نغمض أعيننا عن حقيقة واقعة ، حتى لقد قيل ان صواريخها النووية موجهة نحو العواصم العربية بحيث تنطلق باتجاهها في الوقت المناسب .

كل هذه الأخطار تتجمع من حولنا وتقترب وتكاد تتحكم في مصائرنا ومستقبل أجيالنا بينما الصراع ما بين القادة العرب يزداد عنفا وشراسة والتقاتل بين الفئات والطوائف والاحزاب بلغ حد التفاني ، فهل يجد المرء مهما فكر وقدر عبثا وغفلة واستسلاما اكثر مما نحن فيه ؟

لابد من الصحوة على الاخطار قبل ان تلتهم النار الجميع فلا يبقى الا الرماد .

البهــــائيـــة

ارجو اعطائي فكرة عن «البهائية» وهل هي خروج عن الاسلام أم لا ؟

هالة فهمي النادي/مصر

البهائية هي حركة دينية تنسب الى البهاء حسين بن علي المازنوراني (١٨١٧ ــ ١٨٩٢) ، وقد حدث أن غضبت عليه الحكومة العثمانية فنفته الى عكا بفلسطين ، وتوفي فيها ، فخلفه في الزعامة ابنه عباس أفندي الملقب عبد البهاء (١٨٤٤ ــ ١٩٢١) . وانطلق البهاء في دعوته التي تقوم على انشاء دين جديد ، معتبرا كتابه المسمى «الأقدس» في عداد الكتب السماوية المقدسة ، وادعى انه المسيح المنتظر ، وذكر أن الله سبحانه وتعالى يتجلى عليه ، ووصل قمة الكفر والضلال حينما ادعى الألوهية (!) ذاكرا أن الله يظهر بمظهر البهاء !! واعتبر البهائية هي الدين الأوحد الذي يجب أن تدين به البشرية جمعاء !

وللبهائية علاقة مباشرة باليهودية بدليل ان اليهود يحتضنونها ويزعمون بأن أسفار العهد القديم قد بشرت بظهور بهاء الله وابنه عباس !

كما أن البهائية من جانبها ترد «الجميل» لليهود بدعوتها علنا الى ضرورة التجمع اليهودى الصهيوني في أرض فلسطين ، اضافة الى تزلف عباس أفندي (ابن البهاء) لليهود ومجاهرته بصداقتهم .

هذا .. وقد قررت الجامعة العربية منذ فترة بعيدة مقاطعة البهائيين وحظرت التعامل معهم ، حيث اعتبرت البهائية مرتبطة بالصهيونية .

وتوجد للبهائيين اماكن عبادة في كل من حيفا وعكا بفلسطين العربية المحتلة .

ومما سبق يمكنك الاجابة عن الشق الثاني من سؤالك .

من جامعة اليرموك والجامعة الأردنية



رسالة من جامعة اليرموك

تلقينا من الاستاذ مجيد غنما مدير العلاقات الثقافية والعامة بجامعة اليرموك بالأردن رسالة يقول فيها :

يسرني أن أعرب لكم عن بالغ الشكر والتقدير لما قام به الاستاذ نبيل خالد الاغا من جهود في اعداد التحقيق المصور الذي نشرته . الدوحة عن جامعة اليرموك في عددها الصادر في آيار ١٩٨٥م .

إن التحقيق المتكامل عن جامعة اليرموك يعكس اهتمام مجلتكم بهذا الصرح العلمي وطموحاتها في نشر معلومات عن الجامعة بما يعكس الصورة المشرقة الي وصلت إليها الجامعة .

نكرر شكر وتقدير الجامعة وتمنياتها لكم بالتوفيق ، ولمجلتكم الرائدة اضطراد التقدم والازدهار .

ورسالة أخرى من الجامعة الاردنية

وتلقينا أيضا رسالة من الاستاذ وليد الموره لي مدير العلاقات العامة بالجامعة الاردنية يقول فيها :

لقد تشرفنا بالاطلاع على العدد الممتاز من « الدوحة » الصادر في شهر يناير ١٩٨٥م والذى تضمن استطلاعا شيقا عن الجامعة الاردنية .

وبهذه المناسبة يسعدني أن اتقدم اليكم بخالص الشكر وعظيم الاهتمام على الجهد الرائع الذي بذلتموه في اخراج هذا الاستطلاع بالصورة المشرقة التي اطلعنا عليها .

تحية لكل العاملين بالدوحة ، وتحية لكاتب الاستطلاع الاستاذ نبيل خالد الاغا ، متمنين « للدوحة » دوام التقدم والنجاح .

مساعدة ثقافية

تلقينا رسالة من السيد وحيد الزمان الكيرانوي الرئيس المساعد للجامعة الاسلامية دار العلوم بمدينة ديوبند بالهند ، تتضمن شرحا موجزا لتاريخ الجامعة التي تعتبر أعرق واكبر جامعة اسلامية في شبه القارة الهندية حيث يزيد عمرها عن قرن وربع القرن وتعرف « بأزهر » الهند . وخلال مسيرتها الطويلة خرجت رجالا اكفاء لخدمة الدعوة الاسلامية ، ويعب اليوم من منهلها العلمي نحو ثلاثة آلاف طالب توفر لهم الجامعة جميع حاجياتهم المعيشية والتعليمية .

وفى نهاية رسالته يعرب الرئيس المساعد للجامعة عن أمله في تطوير مكتبة الجامعة التي تعد من المكتبات الفريدة في المنطقة وجعلها قادرة على إسعاف الباحثين والدارسين في مجالات ابحاثهم ودراساتهم ، ويرجو من كل المؤلفين والكتاب المسلمين في العالم العربي والاسلامي ان يتكرموا بإهداء مكتبة الجامعة ما لا يقل عن نسختين من كل ما تم طبعه من ابداعاتهم العلمية والأدبية والفكرية وذلك خدمة للثقافة العربية والاسلامية .

هذا ويمكن للسادة المؤلفين وكذلك القراء ارسال الكتب على العنوان التالي :

DARUL ULOOM
Deoband (U.P.)
India

كتـب وصلتـنا

رحلة صعبة .. رحلة جبلية

تلقينا من الشاعرة العربية المبدعة فدوى طوقان نسخة من كتابها الجديد الذي صدر في الشهر الماضي تحت عنوان « رحلة صعبة ، رحلة جبلية » . وهو العنوان الذي اختارته فدوى لتدرج تحته أحداث مذكراتها الرائعة الشيقة ، والتي سبق « للدوحة » ، أن نشرتها كاملة ، واستمتع بقراءتها الآلاف من القراء على امتداد الساحة العربية ، حيث تم نشر الجزء الاول منها في شهر اكتوبر عام ١٩٨٣ م ، وحتى شهر مايو ١٩٨٤ م . كذلك تم نشر الجزء الثاني من هذه المذكرات ابتداء من شهر ديسمبر ١٩٨٤ وحتى شهر ابريل من العام الحالي ١٩٨٥ م .

هذا ، وقد صدر الكتاب عن « منشورات دار الأسوار بعكا » بفلسطين المحتلة ، ووقع في مائتين واربعين صفحة من الحجم الوسط . قدم الكتاب الشاعر الكبير سميح القاسم حيث يقول : « حين تنزاح هذه السطور من أمام القارىء فسيلقي نفسه منغمساً حتى أطراف أصابعه في مزيج رائع من وقائع التاريخ ونوازع الروح ، مسبوكة بشفافية ورشاقة وبوح أليف في كلمات شاعرتنا الكبيرة فدوى طوقان ، هذه الانسانة الشاعرة المنتصبة في حياتنا الثقافية والاجتماعية ظاهرة فريدة وتجربة رائدة على صعيدي الحياة والابداع معا » .. اما فدوى ذاتها فتقول ضمن مقدمتها : « ... لم أفتح خزانة حياتي كلها ، فليس من الضروري أن ننبش كل الخصوصيات . هناك أشياء عزيزة ونفيسة نؤثر أن نبقيها كامنة في زاوية من أرواحنا بعيدة عن العيون المتطفلة ، فلا بد من ابقاء الغلالة مسدلة على بعض جوانب هذه الروح صونا لها من الابتذال .

ان ما كشفت عنه هو الجانب الكفاحي فقط ، وكيف استطعت ــ في حدود ظرفي وامكاناتي ــ أن أتخطى ما كان يستحيل تخطيه لولا الارادة والرغبة الحقيقية في السعي وراء الأفضل والأحسن ، ثم اصراري على أن أعطي حياتي معنى وقيمة أفضل مما كان مخططا لها . » وعلى الجانب الآخر من الغلاف يرصد رجاء النقاش القيمة الحقيقية للمذكرات فيقول : « ..... ولا اشك انها أصدق وأرقى وأجمل مذكرات كتبتها أديبة عربية في هذا العصر ، وهي تستحق أن توضع الى جانب اهم المذكرات المعروفة في الادب العربي ..... وفدوى في هذه المذكرات قدمت شيئا جديدا هو التعبير بصدق وصراحة عن هموم المراة العربية ، فالمرأة العربية لم تكتب عن هذه الهموم الا بالرمز والتلميح والاشارة ، وجاءت فدوى تبوح بكل شيء في اسلوب بالغ الجمال والعذوبة ، وفي صدق وشجاعة جعلت من مذكراتها في آخر الأمر عملا أدبيا رفيعا ، ووثيقة اجتماعية من الدرجة الأولى ، وجعلت من هذه المذكرات قصة هذا الجيل كله وقصة همومه المختلفة ، وليست قصة فدوى وحدها » .

وأخيرا .. تحية لشاعرتنا الأصيلة فى هذا العمل الأدبي الرائع ، وتهنئة لمكتبتنا العربية بهذا السفر العربي الهام .

دوحة القراء

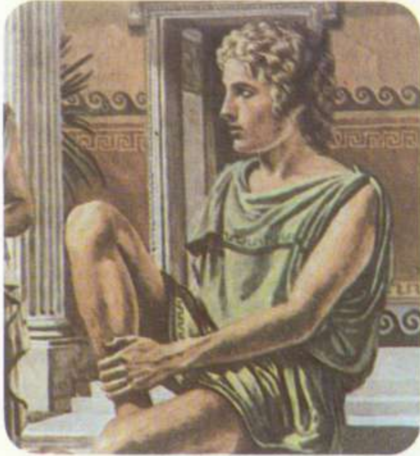


حاول أن تعرف



الصورة الأولى : أحد المساجد الشهيرة ، ويطلق عليه اسم مؤسسه الذى حرص على أن يدفن به — ما إسم هذا المسجد وفي أي مدينة عربية يقع ؟

الصورة الثانية :



واحد من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في التاريخ رغم أنه قد توفى في الثالثة والثلاثين من عمره — حيث كان ينوى فتح العالم بأسره . وقد ولد سنة ٣٥٦ قبل الميلاد ، وتوفى سنة ٢٣ قبل الميلاد أيضا ، وقد تتلمذ على أرسطو لذلك حرص على نشر الحضارة الإغريقية فى البلاد التي فتحها — وكان يأمل فى توحيد الشرق والغرب والربط بينهما لا بالقوة وإنما بالمساواة والمحبة .

من هو هذا الشاب ؟

هـــل تعـــلم؟

• أول من حمل لقب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أطلق عليه هذا اللقب لبيد بن ربيعة الذي ابتكر هذا اللقب حتى لا يقال له ياخليفة خليفة رسول الله .

• ان أول من وضع النقاط على الحروف العربية هو العالم العربي نصر بن عاصم بناء على طلب الحجاج بن يوسف الثقفي .

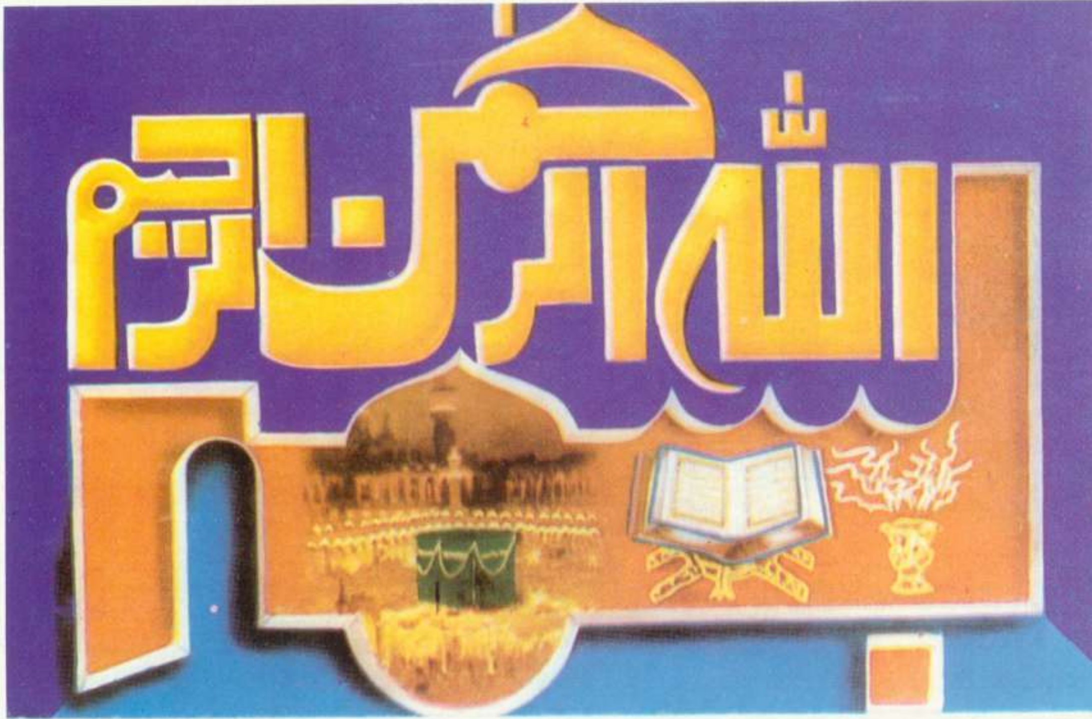
• ان أول من أنشأ الشرطة العربية كان الخليفة أبو بكر الصديق عندما أمر بطواف العسس فى الليل وكان عبد الله بن مسعود أول من قام بهذه المهمة .. أما إسم الشرطة فقد اطلقه علي بن أبي طالب على رجال الأمن .

• ان أول معركة بحرية إسلامية هي معركة ذات الصواري التي وقعت عام ٣٥هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان وقد قاد الاسطول الاسلامي عبدالله بن أبي سرح .

أحمد محمد باذيب

كريتر — عدن اليمن الديمقراطية

لقطة الشهر



في رحاب الله

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري
القارئة : لينا حربي مشتهى .
الدوحة ــ قطر

فن التأويل



يروى أن رجلاً قال للإمام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه ما تقول فى رجل قال : لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار وآكل الميتة وأشهد بما لم أر ، ولا أخاف الله .. وأصلى بلا ركوع ولا سجود ، وأبغض الحق ، وأحب الفتنة . فقال أبو حنيفة لمن حوله : ما تقولون أنتم فى هذا الرجل ؟ قالوا : شر رجل .. هذه صفة كافر . فتبسم أبو حنيفة وقال : لقد شنعتم القول فيه ــ هو والله من أولياء الله تعالى حقا ، فأما قوله : لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإنه يرجو رب الجنة ، ويخاف رب النار وأما قوله لا يخاف الله فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره .. قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » وأما قوله : يأكل الميتة .. فهو يأكل السمك وقوله : يصلى بلا ركوع ولا سجود ، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى على كل مسلم ومسلمة ويدعو للأحياء والأموات .

وأما قوله : ليشهد بما لم ير : فهو شهادة الحق .. يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وقوله : يبغض الحق .. فهو يحب البقاء .. ويكره الموت وهو الحق .. قال تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق »

وأما الفتنة : فإن القلوب مجبولة على حب المال والولد .. وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين .. قال تعالى .
« إنما أموالكم وأولادكم فتنة »

مجدى محمد جاد كشك
قليوب البلد ــ مصر

فصاحة فتى

سأل هشام بن عمرو ، فتى اعرابيا عن عمره فبادره هشام بالسؤال :

هشام : كم تعد يا فتى العرب ؟
الفتى : أعد من واحد إلى ألف وأكثر
هشام : لم أرد هذا ، بل أردت كم تعد من السن ؟
الفتى : إثنين وثلاثين سناً في فمي ستة عشر من فوق ومثلها من تحت
هشام : لم أرد هذا .. كم لك من السنين ؟
الفتى : قدرها لله سبحانه
هشام : قصدى أن أسألك ما سنك ؟
الفتى : سني من عظم
هشام : يا بني إنما أقصد ابن كم أنت ؟
الفتى : طبعا ابن اثنين أب وأم
هشام : يا الله أريد أن أسألك ماعمرك ؟
الفتى : الأعمار بيد الله لايعلمها إلا هو
هشام : ويحك يافتى ، لقد حيرتني ، ماذا أقول ؟
الفتى : قل كم مضى من عمرك ؟

عبدالوهاب النذير ــ الجزائر



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

المسابقة الشعرية



كان عبد الوهاب بن نصر المالكي من أهل بغداد .. وكان أديباً شاعراً .. ثم ساءت أحواله وسدت فى وجهه السبل .. فترك بغداد وهاجر إلى القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية فى ذلك الوقت وأقام بها .. وقبل مغادرته بغداد ، ودعها بقصيدة عبر فيها عما يشعر به من حزن لفراقها ويشير إلى أسباب رحيله عنها فقال :

سلام على بغداد من كل منزل
وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها
وإنى بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها
ولم تكن « المقصود » فيها تساعف

المقصود « أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر متكونة من سبعة حروف :

٣ ، ٤ ، ٥ شيء يؤكل .
١ ، ٢ ، ٦ ، ٤ ، ٧ عدم إمكانية التنوم .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها ؟

« إنه لا جدوى من إفهامك الطبيب أن مريضه محتاج إلى راحة أكثر وملابس أفضل ومأكل أنفع وبيت انقى فى هوائه وجداره وليست حاجته إلى العقاقير » .

هذه العبارة قالها كاتب ايرلندى ساخر فى روايته « حيرة الأطباء » .. وله روايات أخرى كثيرة منها « عقدة غير معقولة » و « الحب بين الفنانين » و « صناعة كاشيل بيرون » .. أما مسرحياته فكثيرة .. من أشهرها « أندروكليز والأسد » و « عربة التفاح » و « بيجماليون » و « قيصر وكليوباتره » .

إسم هذا الكاتب مكون من مقطعين وثمانية أحرف :

١ ، ٢ عكس بحر .
٣ ، ٤ ، ٥ لهب .
٣ ، ٨ ، ٢ عكس ظلام .
٧ ، ٥ عكس خير .
٦ ، ٨ ، ٣ كتب .

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية شهيرة .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة فى جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب حياته :

سنة الميلاد : ٧٢١ ميلادية .

مكان الميلاد : ما بين بغداد والكوفة .

المهنة : البحث فى العلوم ومكتشف علم الكيمياء .

أصله : اختلف الرواة فى أصله .. فمنهم من قال انه يوناني اعتنق الاسلام وتعرض للاضطهاد .

أعماله : قسم المعادن إلى :

١ ـ ما يمكن تشكيله مثل النحاس والفضة والذهب .

٢ ـ مالا يستطاع تشكيله ولا هو بمائع مثل الجواهر .

أهم كتبه :

١ ـ الأحجار .
٢ ـ الخالص .
٣ ـ القمر كتاب الفضة .
٤ ـ الشمس كتاب الذهب .
٥ ـ الأسرار .
٦ ـ الزئبق .
٧ ـ الخواص (وهو من أهم كتبه) .
٨ ـ إخراج ما في القوة إلى الفعل .. وغيرها .

يتكون إسم صاحب هذا الجواز من ثلاثة مقاطع مجموعها عشرة أحرف :

١ ، ٣ ، ٢ ، ٦ بمعنى رعديد .
٤ ، ٥ بمعنى رب .
٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٨ محب لنفسه .

مسابقة مدن العالم



حاول أن تعرف إسم هذه المدينة من خلال المعلومات التالية التى تساعدك في الوصول إلى الحل :

كانت قرية صغيرة تقع فى واد ضيق مجدب .. إسمها قديم كقدمها .. كانت عبر العصور مكان توقف القوافل لوجود مكان العبادات والاعتقادات القديمة بها .. وجد بها أول سوق للكلام يتبارى فيه الشعراء بالتلاعب باللفظ والمعنى ويكافىء سادتها أصحاب القول الحسن بالمال الوفير والطعام الطيب ، ورد إسمها فى القرآن الكريم ولكن مع استبدال الحرف الأول من اسمها .. ويقال ان عمالقة بابل حينما سكنوها أطلقوا عليها لفظاً معناه فى اللغة البابلية « البيت » ولها إسم آخر شهير هو أم القرى .

إسم هذه المدينة مكون من ثلاثة حروف :

٣ ، ١ قام أو بدأ

٢ ، ١ سؤال عن العدد

إنها عاصمة إسلامية كبيرة لم يتغير موقعها من الاسلام عبر العصور ..

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٥

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر عباس محمود العقاد هى : الثرى

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها : فيرثون

٣ ـ جواز سفر : إسم صاحب الجواز ت.س. اليوت

٤ ـ مسابقة مدن العالم : مدينة الجزائر

أسماء الفائزين

ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : تيسير فرج طه مصر

ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : حريكه يعقوب حماد ـ السودان

ـ فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارئة : سميحة محمد حسن ـ الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ محمد القاضى .... المغرب

٢ ـ حامد يونس إبراهيم .... العراق

٣ ـ سهام حسن زينى .... قطر

٤ ـ أنور محسن صالح العمري .... اليمن الديمقراطية

٥ ـ فتحى الصادق رجوبه .... ليبيا

٦ ـ القاضي فؤاد .... المغرب

٧ ـ ياسين زايد محمد .... السودان

٨ ـ مجيدة سبوعى .... الجزائر

٩ ـ حنان فتحى الحلاج .... مصر

١٠ ـ أحمد أحمد محسن .... اليمن

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٥

١ ـ أسماء الإمارات السبع التى تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة . هى : أبو ظبي ـ دبى ـ الشارقة ـ الفجيرة ـ أم القوين ـ رأس الخيمة ـ عجمان

الفائز : حسن محمد قراميش ـ الأردن

الفائزة : صفاء محيى الدين سعد الدين ـ السودان

٢ ـ الصورة الثانية : للعالم الألمانى « فيلهلم كونراد رونتجن »

الفائز : أحمد عمر سالم ـ السعودية

الفائز : حافظ محمد إبراهيم ـ باكستان

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٥

١ ـ أصل وصورة : العين ـ الخد ـ الفم ـ الشعر ـ السوالف : الحاجبان

٢ ـ لعبة الظلام : رقم ٢

٣ ـ لوحة لم تتم : الشاعر كامل الشناوى

٤ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٤)

٥ ـ لاقوياء الملاحظة : وردة ـ ثعبان ـ دبوس ـ طماطم ـ حقيبة ـ طائر .

٦ ـ المثل يقول : اللى بيته من زجاج لا يرمى الناس بالحجارة

إن طلع العيب من أهل العيب ما يبقى عيب

٧ ـ هات أجمل تعليق

أنا مهندس الكترونيات وانقاذ هذه المذيعة يحتاج إلى مهندس مجارى

التلفزيون سليم ولكن المذيعة دى تحب تمشي مع الموجة .

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ـ هاله مروان جراير .... الإمارات العربية المتحدة

٢ ـ إيناس عبد العزيز الكوارى .... قطر

٣ ـ هاشم حبيب الرسول هاشم .... السودان

٤ ـ عبد الوهاب خليل محمد .... السعودية

٥ ـ الماذونى هشام .... المغرب (إشتراك)

٦ ـ خالد سالم إبراهيم.............. الأردن

٧ ـ عبد العظيم عبد الحليم عبدالله . السودان

٨ ـ ماهر مصطفى العقاد .... الكويت

٩ ـ خالد صالح طه .... السعودية

١٠ ـ شهاب محمد الطيب .... مصر

١١ ـ أحمد على منصور .... البحرين

١٢ ـ وفاء كباشي الفحل .... السودان

١٣ ـ محمد إبراهيم السدحان ...... السعودية

١٤ ـ عبدالفتاح محمود إبراهيم .... مصر

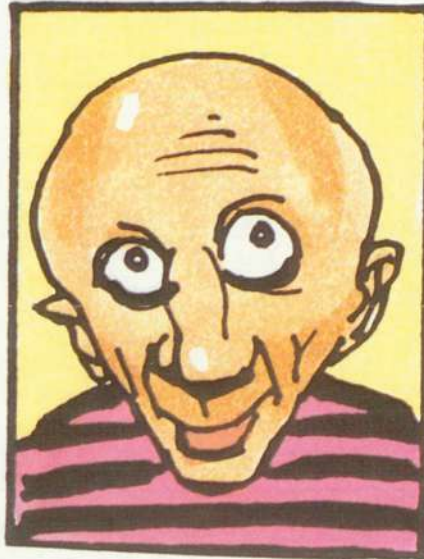


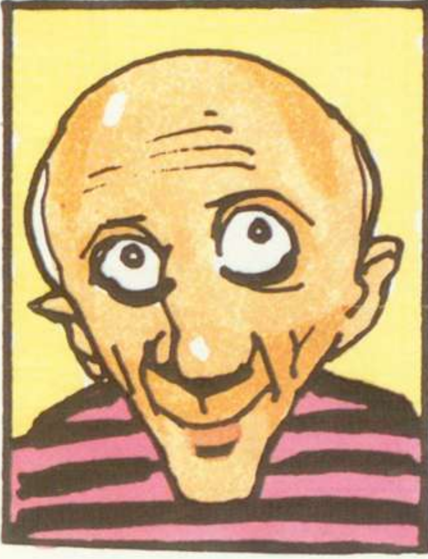
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رؤوف

أصل وصورة





إنه الرسام الأسباني بابلو بيكاسو الذي بلغ قمته في عام ١٩٢٧ عندما قدم لوحته الجدارية « جيرنيكا » التي صور بها الحرب الأهلية الأسبانية .. وفي أصل وصورة هذا الرسام هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

المثل يقول



فى هذا الرسم الكاريكاتيرى محاولة للتعبير عن مثل شعبى سائد نتداوله فى حياتنا اليومية .. أرسل لنا المثل الشعبى لتفوز بجائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لرياضى عربى مشهور .. أكمل اللوحة وتعرف على إسمه لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



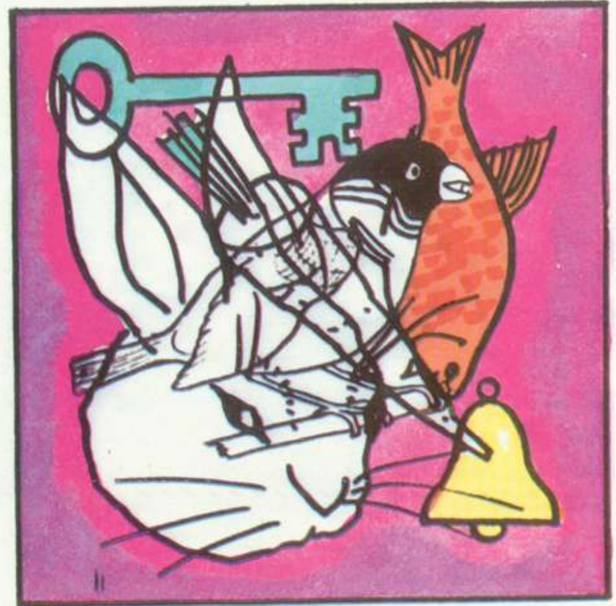
وقع هذا اللاعب فى حيرة شديدة ، لأنه لم يعثر على ظله الحقيقى ، حاول أن تساعده فى مهمته الصعبة لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



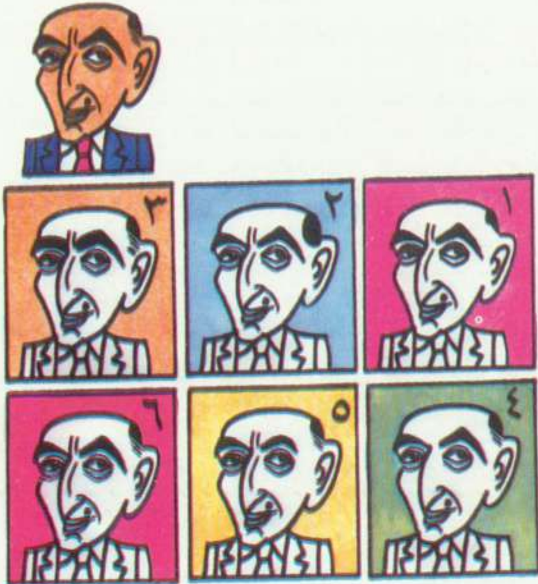
حاول ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. فقد تفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشاعر ابراهيم ناجى الذى تخرج من كلية الطب وكان شغوفاً بالأدب (١٨٩٨ ــ ١٩٥٣) ومن دواوينه « وراء الغمام » .. من بين اللوحات المنشورة واحدة تشبهه تماماً .. تعرف عليها لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة

بقلم
عبد الله الجفري



لأنهم ينسون العقل

نحن نقبل على كل الأشياء التي تبدو جاهزة على سطح هذه الحياة .. نلتهمها ، نستنزفها ، ندور حولها ، ونلهث ، ونتضخم ، ثم ننكمش .. نتضاءل ، وتعترينا حالات « التفاني » والامتصاص العجيبة ، ثم القاتلة أحياناً !

إننا بعد الأخذ والامتلاك نعترف ، أو نتحجج بأن ما أخذناه جاهزاً ، وفي محتوى أيدينا لم يكن أكثر من شيء رخيص ملقى باهمال ، وأن ذلك الشيء هو دعوة لاهتبال الفرص ، والاستقلال ، وأن الحياة في مخاضها الاجتماعي ليست أكثر من « فرص » إن لم نستغلها لا نكسب شيئاً ! !

وأحدكم يريدني أن أخرج من هذا الكلام المعمى ، أو من هذه الصورة غير الواضحة إلى الرؤية .. أو من التلميح إلى التصريح ، وأعترف أنني ــ ككاتب ــ يود معالجة ما أسميه حتى الآن ظاهرة ، أخجل كثيراً أن أجسد الاستغلال ، أو المادية المتعفنة في صورة إنسان ! !

ولكن حدث ذلك بالفعل .. واسمعوا الحكاية بظلالها الكاملة :

ــ هو شاب يضع قدميه على عتبة العشرين أو يكاد ، يعرف أن أهله الموسرين أو الصاعدين إلى الغنى يمرجحونه غالباً ، ولا يرفضون له طلبا ، فهو عزيز وغال .. اهتم أهله بالعاطفة فيه ، وبالمظهر ، وبالرغبات ، ونسي أهله أن يهتموا برأسه أو بالعقل الذي ينبغي أن يكون متوفراً فيه !

إنه ما زال طائشاً أو غير ملتزم ، ولكن الفلوس في جيبه كما يريد ، ومقود السيارة بين يديه متى شاء !

وجاء يوماً إلى أهله يطلب مبلغاً كبيراً من المال ليبدأ به مشروعاً تجارياً في مدينة أخرى ، ولكنهم لم يقتنعوا برجاحة عقله ما دام أن الأمر وصل إلى المال الكثير ، فقالوا له : ليس الآن ، وانما بعد أن نزوجك !

لم يعد على لسانه إلا هذا السؤال : متى ستزوجونني ؟! .. ونجح إلحاحه ، وانتشر كل أهله يبحثون عن عروس جميلة و « متريشة » أيضاً ، ورفض الكثير ، فالشاب معروف جداً جداً ! !

• • •

ولم ييأس الشاب حتى عثر على ضالته ، أو هكذا حسب ما وجد ، وتقدم لخطبة فتاة سأل والدها عنه بعض الناس فلم يخلصوا له النصح ، ورضي الأب وأقاموا الزينات احتفاء بعقد القران ، وكان الشاب فيما يبدو مرحاً .. دمث الأخلاق . لطيف المعشر . مهذب اللسان . حتى إذا انقضى شهر واحد على عقد القران فسخ الشاب مسوح الأخلاق الذي كان يرتديه وظهرت نواياه . كان يريد أن يجعل الزواج صفقة تجارية ، إذ لم ينجح في الحصول على رأس مال يبدأ به مشروعاً تجارياً ،فهداه تفكيره إلى استخدام الزواج كلعبة تجارية مربحة ومضمونة ، وأخذ يسيء التعامل مع خطيبته ويشتمها وأهلها بغرض أن ينفروا منه فيطلبون هم برغبتهم فسخ الخطبة .. حتى إذا تأكد من كراهيتهم له أخذ يساوم قائلا :

ــ لن أطلقها إلا بشرطين : أن تعيدوا إلي ما قدمته من مهر ، وأن تدفعوا لي ثلاثة أضعاف المهر لأوافق على الطلاق ! !

وهكذا أصبحت عملية تجارية بحتة ، وفي امكانه أن يكرر هذه اللعبة مع أكثر من أسرة باعتبار أن المخادع لا تغيب عنه حيلة ، وأنه يجد ربحا « ممتعاً » أكثر مما لو فتح مؤسسة تجارية ! !

وهكذا ــ أيضاً ــ وبهذه النظرة إلى مرئيات ومحسوسات الحياة .. نجد مثل هذا اللون من البشر يعالج أفكاره الصعبة ، أو أفكاره المتورمة في دماغه (بالعبط) أو باللامبالاة . إنه لا يقيم اعتباراً لأوزان الحياة ، ولا لمعنى جمال الحياة . كل ما أمامه يتساوى أمام الرغبة ، أو الطمع ، أو الشهرة .. سواء كان كلباً يعوي بعد منتصف الليل ، أو كان انساناً منكفئاً على سريره يتألم !

وهذه اللامبالاة .. فيها الجانب النفسي المعقد الذي تكالبت عليه صرخات الحياة وإغراءاتها . فبدت الحياة في نظر هذا اللامبالي أو الخادع خالية من الأشياء الصعبة ، أو لأنه لا يحفل أبداً بقيم أو بخلق أو بسلوك نظيف ، فلا يرى ما هو صعب في الحياة !

ولكن الصعوبة الوحيدة التي لا يقدر المرء أن يسقطها أو أن يهملها هي :أن لا يجد شيئاً مطلقاً .

إن التفاوت الملحوظ بين الناس .. يتضح في تناولهم لأشياء الحياة فقط .

ومن هنا اصطلحوا على مسميات تداولوها فيما بينهم .. إبتداء من : إنسان محترم .. أي إنسان يحترم نفسه أولاً قبل احترامه للآخرين ، وانتهاء بإنسان تافه .. أي إنسان له نتيجة عند الناس مستمدة من عدم احترامه لنفسه !

ولكن الفجيعة .. أن يصبح هذا الرباط المقدس .. المشمول بالعاطفة وبالرحمة والمودة كما يعلمنا القرآن الكريم .. لا أكثر من صفقة تجارية ، أو عملية تدليس ! !

• جدة



عصر المدافع القديمة

كانت القلعة بجدرانها المحصنة وبوابتها الضخمة فى عمان هى مركز الحكم التقليدى ، وتتميز المناطق العمانية بالأبراج والقلاع التي تقوم على التلال البارزة حول المناطق الزراعية للدفاع عن مداخل المدن ، وقد أخطأ كثير من الأوربيين عندما تصوروا أن كل القلاع فى عمان والخليج بناها البرتغاليون ، فهناك عدد من القلاع العمانية القديمة مثل بهلا والرستاق وغيرها ، ترجع إلى عصور ما قبل الاسلام ، كما أن قلعة صحار العظيمة ترجع إلى فترة سابقة على وصول البرتغاليين ..

إلا أن هذه القلعة التى تراها أمامك ، أقامها ــ فعلا ــ البرتغاليون ، فقد بناها فيليب الاسبانى بعد احتلال البرتغال للبلاد عام ١٥٧٥ م (٩٨٦ هـ) واكتمل بناؤها بعد عام واحد ، وقد عرفت فى الأصل باسم قلعة « سان خاو » نسبة لأحد القادة البرتغاليين البارزين ، وتسمى الآن قلعة « جلالى » وهى من القلاع الهامة التي تذكرك بالعصر الذي كانت تستخدم فيه المدافع القديمة التي تلقم من فوهتها !

طيران الخليج توفّر لكم ثلاث درجات ذهبيّة إلى أوروبا.



الدرجة الأولى

في إطار تطوير الخدمات لدى طيران الخليج تم بشكل مُبتكر في هذه الدرجة تصميم مقاعد وثيرة متحركة تجمع مُواصفات الرفاهية والراحة.
وتنفرد طيران الخليج بتقديم القهوة العربية ذات النكهة العطرة والتمر العُماني الشهي، إضافة إلى رحابة الوداع التقليدي العربي الذي يتمثل في رش ماء الورد عند نهاية الرحلة.

درجة الصقر لرجال الأعمال

هذه الدرجة الجديدة - إبداع آخر - صُممت على نهج حديث متقدم. فهي توفر لك مُعظم الرفاهيات المتاحة في الدرجة الأولى، بما فيها المقعد الوثير الواسع الذي يُسهل لك أداء عملك الخاص..
او الاستلقاء ومد جسمك في راحة وهدوء في مقصورتك الخاصة. حقيقة إن رحلات طيران الخليج تعُد إختيارًا أمثل لرجال الأعمال.

الدرجة السياحية الذهبية

تتميز هذه الدرجة بكافة المواصفات التي تتوقع وجودها في درجات رجال الأعمال لدى شركات الطيران الأخرى.

للمزيد من المعلومات إتصل بوكيل سفرياتك المُعتمد أو بطيران الخليج.

بإمكانكم إختيار أي من رحلات الصقر الذهبي من الخليج إلى أوروبا، حيث هناك ٢١ رحلة أسبوعيًا من الخليج إلى لندن.. ورحلة يومية إلى باريس.. وثلاث رحلات أسبوعيًا إلى فرانكفورت وأثينا.



أبوظبي أثينا البحرين الخرطوم الدوحة الرياض الشارقة الظهران القاهرة الكويت باريس بانكوك بومبي بيروت تونس جدة دبي دكا دلهي إسلام أباد صلالة صنعاء عمان فرانكفورت كراتشي كولومبو لارنكا لندن مانيلا مسقط هونغ كونغ

العـــدد ١١٨ - محـــرم ١٤٠٦هـ - أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

خمس قصص جديدة للكاتب الكبير نجيب محفوظ

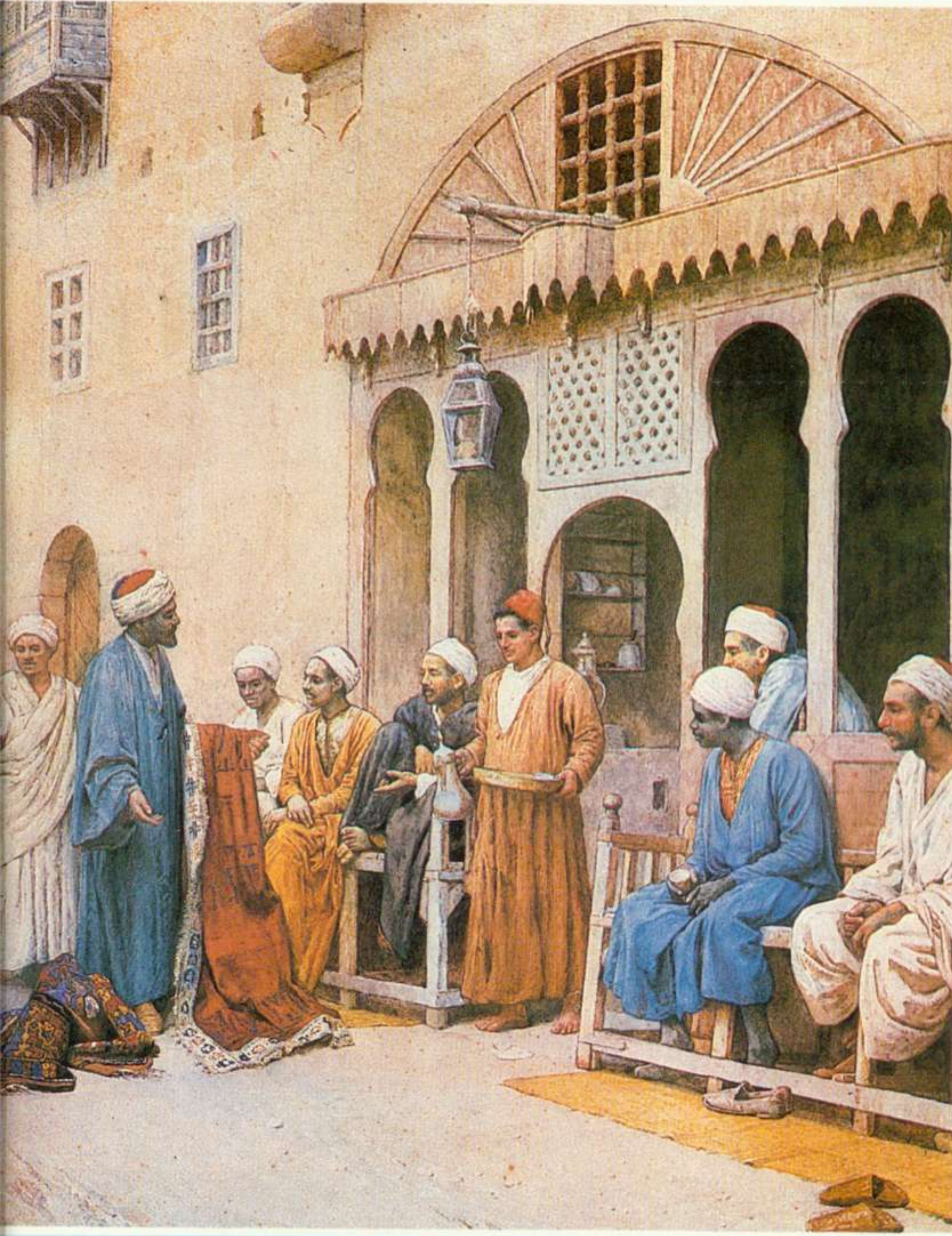


خطر يهدد الإنسانية: الشتاء النووي

متى يتوقف نزيف العقول في العالم العربي؟

الدكتور جلال عبد الله معوض

لوحة وفنان



المقهى الشعبي

مقهى من المقاهى الشعبية التى انتشرت فى العالم العربى خلال القرن التاسع عشر ..

وتقول الموسوعات العربية والأجنبية بأن المقاهى فى بداية ظهورها اشتهرت بأنها مراكز للثرثرة والمناقشات الأدبية والسياسية ، ولذلك فرضت عليها الحكومات ــ وقتئذ ــ قيودا باعتبارها أماكن يجتمع فيها الساخطون السياسيون !

وإذا كانت المقاهى فى لندن قد اشتهرت بأنها ملتقى للظرفاء والشعراء وأصحاب المواهب وأن إنتشار المقاهى فى فرنسا كان له أثر فى تطور الأدب والمسرح ، فإن المقهى الشعبى العربى إشتهر بالرواة الذين ينسجون من خيالهم قصصا شعبية يحبكونها بدقة حول أبطالنا ، وهى القصص التى أثرت فى جيل كامل من كبار الأدباء والكتاب ، كما كانت ــ أيضا ــ ملتقى لكثير من الشعراء والظرفاء والفنانيين .

ولوحة المقهى الشعبى التى نراها أمامنا يعود تاريخها إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وهى للفنان الايطالى « فردريكو بارتولينى » الذى عشق الرسم بالألوان المائية ، وسافر فى رحلة عبر شمال افريقيا ليرسم مشاهد من الحياة اليومية ومناظر من الشارع فى الجزائر وتونس ومصر .

والفنان الايطالي الذي قدم لنا تلك اللوحة ، تتميز أعماله بدقة التفاصيل والألوان المتقنة وبساطة الأسلوب وصدق التعبير .. إنه ــ باختصار ــ فنان موهوب لكنه مازال حتى يومنا هذا في دائرة الظل !

الدوحة

العــدد ١١٨ - محــرم ١٤٠٦هـ - أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير: رجاء النقاش

المراسلات:

التحرير والادارة: صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر.
العنوان البرقي: المجلة - الدوحة
تيلكس: 4521 MAGDO DH -
تليفونات:
رئيس التحرير: ٤٢١٢٢١
التحرير: ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري: ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري: ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات:

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية: تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم:	ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر:** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة
- **السودان:** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر:** مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا:** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق:** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا:** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .
- **الأردن:** وكالة التوزيع الأردنية: ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين:** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية:** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة
- **الكويت:** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان:** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية:** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية:** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة:** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان:** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - سلطنة عمان
- **تونس:** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب:** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر:** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



• د. عيسى الناعورى يكتب عن فدوى طوقان ورحلتها الجبلية الصعبة (ص: ٤٣)



• كيف تتخلص الأوبك من مخاطر الأزمة الـــراهنـــة؟ (ص: ٧٦)



• حلقة جديدة من قصة حياة عادية (د. يحيى الجمل ص: ٩٠)



• قناة السويس بين الألغام البحرية وأزمة أسعار البترول (ص: ٩٢)

• دراسات ومقالات •

• شؤون الخليج •

• أدب وفنون •

• جميـــع المراســـلات ترســـل باســم رئيس التحريــر

• المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

• أبــواب •

المدير الفني: سلمان المالكي

كلمة

الخليج اليوم



مبارك بن سيف آل ثانى

في يوم ٣ سبتمبر الماضي وبمناسبة ذكرى استقلال قطر المجيدة، صدرت صحيفة قطرية يومية جديدة هي جريدة « الخليج اليوم »، وصدور صحيفة جديدة في وطنناالعربي أشبه بفتح جامعة جديدة، فقد أصبحت الصحافة في هذا العصر من أهم وسائل التوعية والتنوير، فالصحيفة تدخل كل بيت في الصباح، ومعها الخبر الجديد والرأي والثقافة والتحليل وكل ما يساعد القارئ على أن يفتح نوافذ عقله وقلبه على ما يجري في العالم من أحداث، فيصبح القارئ من خلال صحيفته على صلة وثيقة بالدنيا التي يعيش فيها. وقد تطورت وسائل الإعلام بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً سريعاً ضخماً، وكان هذا التطور الكبير كفيلاً بأن يؤثر على وضع الصحافة، فتترك مكانها في الصدارة إلى مكان آخر في الصفوف الخلفية، ولكن ذلك كله لم يحدث فبقيت الصحافة في المقدمة، فهي رغيف الخبز اليومي الأول الذي لا يستغني عنه إنسان متعلم في هذا العالم. وأصبحت الشعوب الناهضة تهتم بالصحف وتعنى أشد العناية بإصدارها وتوزيعها على نطاق واسع.

وهاهي دولة قطر الناهضة الغالية تأخذ نصيبها من السباق الإعلامي الكبير في عالم اليوم، فتزدهر فيها الصحافة، وتستعين بأحدث وسائل التقدم في الطباعة وأجهزة الحصول على الأخبار، وبعد صدور الزميلة الجديدة « الخليج اليوم » يكون هناك ثلاث صحف يومية قطرية بارزة يلتقي بها القارئ كل صباح هي: العرب والراية والخليج اليوم.

وقد صدرت الخليج اليوم وفيها من الجهد الواضح والرأي الصريح والاتجاه القومي والاسلامي الأصيل، ما يؤكد أنها صحيفة حية ناجحة تستطيع أن تضيف إلى الجهد الإعلامي في قطر خطوات جديدة، وقد التقى في هذه الصحيفة مجموعة من الرجال المشهود لهم بالكفاءة والاخلاص وعلى رأسهم الشيخ جبر بن جاسم آل ثاني والشيخ مبارك بن سيف آل ثاني والسيد علي سلطان العلي ومجموعة أخرى من شباب الصحافة العربية اللامعين في قطر وخارجها، وقد سهر الجميع ليال طويلة، وبذلوا جهوداً متواصلة حتى يتمكنوا من إصدار هذه الصحيفة الجديدة، أو هذه المنارة الإعلامية الجديدة التي تساهم مع زميلاتها في تدعيم دور الإعلام القطري وتوسيع مجال عمله، مما يجعلنا ننتظر منها خطوات متواصلة في مجال النجاح الصحفي والتطور الإعلامي.

إن قطر تنهض بخطى واسعة وسريعة في مجال الإعلام وفي كل المجالات الأخرى بفضل توجيه ورعاية حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. وهذه النهضة القطرية بقيادتها الواعية المخلصة هي التي تفتح المجال واسعاً أمام الجهود الجديدة لأبناء قطر حتى يدخلوا بقوة ميدان المشروعات الجديدة ويساهموا في تدعيم النهضة القطرية الكبيرة التي تشمل كل مجالات الحياة.

والدوحة تهنئ الزميلة الجديدة « الخليج اليوم » وكل المسئولين عنها، ونرجو أن تحمل الأيام القادمة للزميلة العزيزة مزيداً من التوفيق والنجاح.

« الدوحة »

دراســة يجب أن يقــرأها
كل العــرب الآن

هل الشقاق طبع في العرب؟!

بقلم: ساطع الحصري

ظهر أخيراً عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، والذي يشرف عليه العالم العربي الكبير خير الدين حسيب، كتاب «آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع» للكاتب العربي الكبير ساطع الحصري «١٨٧٩ ـ ١٩٦٨». وقد جاء ضمن بحوث هذا الكتاب بحث بالغ الأهمية يجيب فيه الحصري عن هذا السؤال «هل الشقاق طبع في العرب؟»، وقد كتب الحصري بحثه في الأصل على سؤال وجهه إليه سنة ١٩٤٩ الأديب العربي الكبير أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة.

والحقيقة أن بحث الحصري وما ورد فيه من المناقشات والآراء يكاد كله يكون موجهاً إلى الأمة العربية في هذه الأيام، ولذلك تعيد «الدوحة» نشر هذا البحث الآن، لكي يقرأه كل عربي في الوقت الذي نتساءل فيه جميعاً بيننا وبين أنفسنا من خلال الأزمات والخلافات العربية التي نعاني منها اليوم نفس السؤال: هل الشقاق طبع في العرب؟!

صديقي الاستاذ...

لقد اطلعت على السؤال الذي وجهتموه إلي، في مقالكم المعنون «هل الشقاق طبع في العرب؟».

فقد أشرتم في المقال المذكور إلى حوادث الشقاق والتنافس والتخاصم التي توالت في تاريخ العرب، واستعرضتم الأحزاب السياسية والفرق الدينية التي ظهرت بينهم، ثم ذكرتم رأي ابن خلدون في هذا المضمار. وفي الأخير تساءلتم: «هل كتب الله على العرب أن يعيشوا أبداً بطبيعة البادية ونفسية الغابة وعقلية القبيلة؟»

فوجب علي أن ألبي طلبكم، فاكتب اليكم ما اعتقده في هذه القضية الهامة. غير أني رأيت من الضروري أن أحاول الإجابة عنه إجابة مباشرة.

ـ ١ ـ

فاسمحوا لي أن اسألكم بدوري: هل تظنون أن الاختلافات التي ذكرتموها كانت من خصائص الأمة العربية وحدها؟

أنا لا أشك في أن جوابكم عن هذا السؤال سيكون بالنفي، لأنكم تعرفون جيداً ـ كما يعرف ذلك كل من يستعرض التاريخ العام ـ أن تواريخ الأمم الأخرى لم تخل من أمثال تلك الاختلافات.

فيترتب على ذلك إذن أن أنقل البحث إلى كمية هذه الاختلافات وشدتها، فأسألكم: هل تعتقدون أن الاختلافات السياسية التي حدثت في تاريخ العرب كانت أكثر وأشد وأعنف من التي تجلت في تاريخ الأمم الأخرى؟

أنا أعرف أن الآراء الشائعة الآن لا تدع مجالاً للتفكير ملياً في هذا السؤال، لأنها تحمل الأذهان على الرد عليه فوراً بالايجاب.

وأعترف بأني أيضاً كنت ـ مدة من الزمن ـ من المتأثرين بهذه الآراء الشائعة، ومن المسلمين بأن تاريخ العرب يشذ في هذه القضايا عن تواريخ الأمم الأخرى شذوذا كبيراً. غير أني بدأت أشك في صحة هذه الآراء الشائعة عندما أخذت أتعمق في دراسة التاريخ العام، وازددت شكاً فيها كلما تغلغلت في هذه الدراسة، إلى أن أصبحت أعتقد اعتقاداً جازماً بأنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة أبداً، لأنها لا تقوم على مقارنات شاملة، بل تستند إلى استقراء ناقص جداً.

إننا ننفعل، ونتألم، ونغضب.. عندما نقرأ أخبار الاختلافات التي حدثت في تاريخ العرب.. ولا سيما عندما نتتبع نتائج هذه الاختلافات ونطلع على كيفية تضاؤل سلطة الخلافة، وتشتتها بين سلطات السلاطين وملوك الطوائف العديدين.

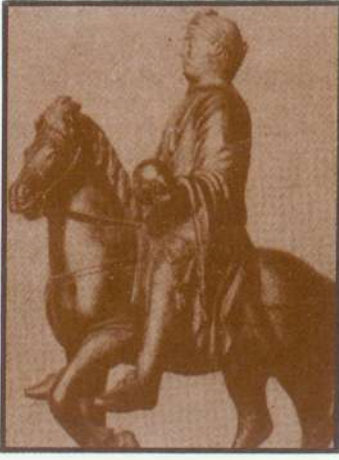
إننا ننفعل ونتألم من هذه الأخبار والحوادث التاريخية، لأننا نقيس أحوال القرون الماضية بمقاييس الأزمة الحاضرة... ولا نكلف أنفسنا عناء البحث في التاريخ العام بحثاً شاملاً، لكي نعرف ما إذا كانت تلك الأحوال من الأمور التي تشذ فيها



ساطع الحصري



ابن خلدون



شارلمان

الأمة العربية عن سائر الأمم، أو كانت من الأمور الطبيعية التي تتساوى فيها جميع الأمم في بعض الأطوار من تاريخها.

فيجب علينا قبل كل شيء، أن نطلق أذهاننا من ربقة هذه الآراء الشائعة، لندرس هذه القضايا من جديد، بنظرات علمية بحتة، مع استقراء الحوادث التاريخية استقراءاً تاماً.

فلنبدأ أولاً بقضية الاختلافات الدينية. ولنستعرض ماحدث منها في أوروبا، طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة.. نجد أنها لم تكن قط أقل تنوعاً ولا أخف عمقاً مما حدث في العالم العربي خلال الأزمنة المذكورة، إن لم تكن أكثر تنوعاً وأشد عنفاً منها..

احصوا المذاهب المختلفة التي نشأت في الغرب منذ ظهور المسيحية في مختلف البلاد الأوروبية خلال القرون المذكورة.. استعرضوا الخلافات الدينية والمذهبية التي حدثت بين الدول وبين الكنائس من جهة، وبين الكنائس من جهة، وبين الكنائس المختلفة من جهة أخرى.. استقصوا أخبار الحروب الأهليه والدولية التي نجمت عن هذه الاختلافات الدينية في مختلف أقسام البلاد الأوروبية، حتى في فرنسا التي تظهر الآن أكثر تباعداً عن الاهتمام بالأمور الدينية من جميع بلاد العالم.. قلبوا صحائف التاريخ التي سجلت أعمال محاكم التفتيش من جهة، وحياة المذاهب الدينية من جهة أخرى.. فإنكم تضطرون إلى التسليم بأن الاختلافات الدينية التي حدثت في البلاد الأوروبية كانت ــ بوجه عام ــ أوسع نطاقاً، وأكثر

• إن حدوث التفرقة والشقاق في الماضي لا يمنع اتحادنا في المستقبل.

• كانت فرنسا أسبق الدول الأوروبية إلى الوحدة السياسية الكاملة، ورغم ذلك ظلت مسرحاً لشتى أنواع الحروب في القرون الماضية

تنوعاً، وأشد عنفاً من التي حدثت في العالم العربي.

وأما الاختلافات السياسية، فأمرها يحتاج إلى بحث أشمل، وتفكير أعمق: فيجب علينا أن نلاحظ قبل كل شيء: أن العرب انتشروا ــ بعد الهجرة النبوية ــ بسرعة خارقة، في بقاع واسعة جداً من القارات الثلاث المعلومة قديماً. ففتحوا خلال قرن واحد، بلاداً أوسع بكثير مما فتحه الرومان خلال ثمانية قرون.

تصوروا الاتساع الهائل الذى وصلت اليه الدولة العربية في أوائل القرن الثامن للميلاد.. تتبعوا حدود تلك الامبراطورية التي كانت تمتد من ساحل بحر المحيط الاطلسي إلى شواطئ نهر السند وسهول كشغر، ومن سفوح همالايا إلى جبال البرنس والألب، ومن باب المندب إلى جبال القافقاس. وتذكروا في الوقت نفسه بساطة وسائط الناقلة والمواصلة ووسائل الحروب والسيطرة التي كانت معلومة ومستعملة في تلك العصور.. ثم قولوا لي: كيف كان يمكن أن تبقى تلك السلطنة المترامية الأطراف مصونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن، بالرغم من اختلاف الشعوب الكثيرة التي دخلت تحت حكمها، وضآلة الوسائط التي كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور.

قولو لي: أية سلطنة من السلطنات التي يذكرها التاريخ القديم والوسيط استطاعت أن تسيطر على مثل هذه البقاع المترامية الأطراف، مدة أطول من التي سيطر عليها العرب، دون أن تتعرض إلى اختلافات وانقسامات؟

لا ننس أن امبراطورية اسكندر الأكبر ــ في القرون الأولى ــ تجزأت بعد موت مؤسسها، مع أنها كانت أصغر بكثير من الامبراطورية العربية. كما أن امبراطورية شارلمان ــ في القرون الوسطى ــ لم تسلم من الانقسام بعد موت عاهلها، مع أنها كانت قليلة الاتساع جداً بالنسبة إلى اتساع الدولة العربية في أواخر عهد الاسرة الأموية، أوأوائل عهد الأسرة العباسية.

ولا ننس أن انقسام السلطنات والامبراطوريات الكبيرة وانحلالها إلى اقطاعيات صغيرة كانت من الأمور الطبيعية المألوفة في جميع أنحاء العالم المعروف في القرون الأولى والوسطى.

ــ٢ــ

ولذلك أعود وأسألكم مرة أخرى: كم أمة من

دراسة يجب أن يقرأها كل العرب الآن

الأمم التي عرفها التاريخ كانت أقل اختلافاً وأكثر اتحاداً من الأمة العربية من الوجهة السياسية؟ اليونان؟.. ولكن التاريخ يشهد شهادة صريحة على أن هذه الأمة لم تتحد سياسياً في يوم من الأيام.. كانت كل مدينة من المدن اليونانية الكثيرة مملكة قائمة بذاتها، دولة مستقلة عن غيرها. وهذه الحالة كانت تبدو لليونانيين طبيعية وضرورية، حتى أن كبار مفكريهم كانوا يحبذون هذه الحالة، وكانوا يشاركون الرأي العام في هذا المضمار. وقد قال أفلاطون: إن عدد المواطنين في الدولة – أي الجمهورية – يجب ألا يزيد على خمسة آلاف. وقال أرسطو إن الدول يجب أن تكون صغيرة حتى يستطيع جميع أفرادها أن يعرف بعضهم بعضاً معرفة مباشرة.

في الواقع إن هذه المدن المستقلة – أي هذه الدويلات الصغيرة – كانت تتفق وتتحالف من حين إلى حين، لدرء الخطر الخارجي الذي يحدق بالجميع. غير أن هذا التحالف كان لا يلبث أن ينفصم وينحل من جراء تنافس المدن الرئيسية على زعامة الحلف.

ومن المعلوم أن أشهر وأهم هذه المحالفات تكونت عند هجوم الميديين على بلاد اليونان. غير أن هذه المحالفة أيضاً لم تعمر طويلاً، بل انحلت وزالت قبل أن يمضي على تكوينها عقدان من السنين!

وقد انقضى تاريخ اليونان السياسي بالمنافسات والمنازعات التي قامت بين أثينة واسبارطة وكورنت. ومن المعلوم أن هذه المنافسات أدت إلى حدوث عدة حروب دامية بين مختلف المدن اليونانية، كان أشهرها الحروب التي عرفت باسم حروب البلوبونيز!

ولا ننس أن هذه الحروب التي اشترك فيها معظم المدن اليونانية، هي التي أدت إلى تحطيم الأسطول الاسبارطي من جهة، وإلى تدمير أسوار أثينة من جهة أخرى.

ولقد حدثت هذه المنافسات والمحاربات بين تلك الدويلات، مع أن مساحة البلوبونيز – مع شبه جزيرة آتيكا – كانت أقل من مساحة بعض المديريات في مصر، والمحافظات في سوريا، والمتصرفيات في العراق. ومع أن المسافة التي تفصل أثينة عن اسبارطة لا تختلف كثيراً عن المسافة التي تمتد بين القاهرة والاسكندرية، وتقل كثيراً عن التي تفصل دمشق عن بغداد، وتتضاءل تماماً أمام المسافات الشاسعة التي تفصل بغداد عن قرطبة ولا سيما بلخ عن لشبونة.

إن هذه المئات من الدويلات اليونانية التي تقاسمت هذه الرقعة الصغيرة من الأرض ظلت متفرقة متنافسة، متخاصمة، ولم تجتمع تحت إدارة واحدة إلا عندما دخلت تحت حكم دولة أجنبية.

ترون أيها الاساتذة، أن الأمة اليونانية لم تكن قط في حالة تحسد عليها من هذه الوجهة.

وأما الرومان، فلا شك في أنهم امتازوا بين أمم التاريخ القديم بالاتحاد والانتظام. والامبراطورية التي أسسوها عاشت مدة أطول من مثيلاتها بوجه عام.

غير أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الامتياز **نتج عن توافر عدة عوامل وأوضاع مساعدة لم تتيسر لغيرها أبداً.**

أولاً: أن السلطنة الرومانية تكونت بتدرج عظيم، وهذا التدرج ساعد على رسوخ الأوضاع الجديدة واستقرارها مساعدة كبيرة.

ثانياً: أن الامبراطورية الرومانية شملت جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط. ولا حاجة إلى القول بأن روما كانت في نقطة مركزية من هذا البحر، **فقد ساعد ذلك كثيراً على اتصال العاصمة بمختلف** أقسام السلطنة عن طريق البحر بسرعة وسهولة، بالنسبة إلى وسائط النقل والمواصلة المعلومة في تلك العصور القديمة.

ثالثاً: أن السلطنة الرومانية لم تتباعد عن السواحل كثيراً، ولم تتغلغل في الأقطار القارية أبداً. إنها لم تسيطر على جزيرة العرب ولا على مابين النهرين، فمعظم أقسام العراق، وجميع بلاد ايران وخراسان، وماوراء النهر والافغان ظلت خارجة عن حوزة السلطنة الرومانية، وذلك قلل إلى حد كبير مشاكل الحكم التي تلازم السلطنات المترامية الأطراف.

إن اجتماع هذه الأسباب الأساسية هو الذي ساعد على اطالة عمر الامبراطورية الرومانية بالنسبة إلى ماكان معتاداً في القرون الأولى والوسطى.

ومع كل هذا يجب ألا ننسى أن هؤلاء الرومان أيضاً لم يسلموا من آفات الاختلاف والتنافس: استعرضوا تاريخ روما بنظرة فاحصة، ولاحظوا كم من المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية، حتى في مدينة روما نفسها، وحتى في عهد الجمهورية! وكم من الحروب الداخلية نشبت بين القواد في عهد الامبراطورية! وكيف أصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة في تنصيب الأباطرة! وكيف كانت الغلبة والكلمة العليا في هذا الأمر تارة إلى الجيوش المرابطة في أسبانيا، وطوراً إلى الجيوش المرابطة في سوريا، وتارة إلى الجيوش المرابطة في أفريقيا! وكيف أصبح الوصول إلى العرش رهن النجاح في مؤامرات لا تعد ولا تحصى!

وإذا لاحظتم كل ذلك اضطررتم إلى التسليم بأن الامبراطورية الرومانية لم تعش سالمة من الاختلافات، بل إنما عاشت بالرغم من الاختلافات. وأما أخلاف الرومان القدماء، **فلا ننس أنهم عاشوا متفرقين مدة لا تقل عن خمسة عشر قرناً.**

وإذا تركنا السلطنات القديمة جانباً، وانتقلنا إلى الدول المعاصرة لنا، وتتبعنا أحوالها الماضية – طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة – وصلنا إلى نتائج مماثلة لما ذكرناه آنفاً.

ولنأخذ فرنسا مثلاً. فقد كان من المعلوم أنها أسبق الدول الأوربية إلى الوحدة السياسية الكاملة، والتماسك القومي المتين، ولكننا إذا استعرضنا أحوالها خلال القرون التي ذكرناها آنفاً وجدناها بعيدة عن الوحدة كل البعد، ومسرحاً لشتى أنواع الخلافات والحروب.

أنا لا أود أن أطيل الحديث في هذا الموضوع، ولذلك أكتفي بنقل كلمة كتبها مؤرخ فرنسا الشهير «أرنست لافيس» لتلخيص تلك الأحوال، قال المؤرخ:

«لقد مضى عهد من التاريخ كانت فرنسا فيه شبيهة بماكدونيا الحالية، منقسمة إلى أجزاء كثيرة، متخالفة متنابذة، متنافسة، متخاصمة. وقد وجب أن تسيل الدماء مدراراً حتى تلتحم هذه الأقسام المختلفة، فتصل فرنسا إلى وحدتها الحالية..».

هذه كانت أحوال فرنسا التي سبقت جميع الدول الأوربية في طريق الاتحاد. وأما إذا أنعمنا النظر في تواريخ الدول الغربية الأخرى، فنجد فيها أيضاً أحوالاً مماثلة لذلك تجلت بمقياس أوسع، وبشدة أعظم، واستمرت مدة أطول.

لابد من أن نتذكر – في هذا الصدد – أن ألمانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة حتى أوائل القرن الماضي، وكانت لا تزال منقسمة إلى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط!

إن اتحاد هذه الدول لم يتم إلا بعد جهود كبيرة وتضحيات عظيمة، وهذه الجهود قد اجتازت مرات عديدة أطوار فشل أليمة.

ولهذا كله أستطيع أن أقول بكل تأكيد: إننا كلما توسعنا وتعمقنا في دراسة تاريخ الدول الأوروبية، ازددنا يقيناً بأن معالم الاختلاف والانقسام فيها لم تكن قط أقل من التي تجلت في تاريخ العرب بوجه عام.

إنني أقول هذا بكل تأكيد، مع علمي بأنني أخالف بذلك آراء الكثرة الساحقة من الكتاب والباحثين.

وقد فكرت ملياً في الأسباب والعوامل التي حملت الرأي العام على التباعد عن طريق الصواب في هذه القضية الهامة، واعتقد أنني وصلت إلى معرفتها بكل وضوح:

إن مراكز رؤيتنا لتاريخ العرب تختلف ـ بوجه عام ـ عن مراكز رؤيتنا لتواريخ الأمم الأخرى.

فنحن ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى عن بعد، نظرة اجمالية، فندرك خطوطها الأساسية العامة دون أن نتعمق في تفاصيلها الفرعية. ولكننا ننظر إلى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية، فنطلع على كثير من تفاصيله دون أن نحيط علماً بخطوطه الأساسية.

وأستطيع أن أقول: إن موقفنا تجاه التاريخ العام موقف رجل يتفرج على الجبل من السهل البعيد.

وأما موقفنا تجاه تاريخ العرب، فهو موقف رجل في قلب الجبل ويتغلغل في وهاده.

ومن المعلوم أن الجبال تتألف عادة من وهاد ووديان، ومرتفعات ومنخفضات، وهضاب ومنحدرات، فلا تبدو عالية شامخة، إلا لمن ينظر إليها من بعيد، ويدرك شكلها العام دون أن يتبين خطوطها الفرعية المعقدة.

إن تواريخ الدول الأوروبية تبدو لنا جبالاً مرتفعة شامخة، لأننا ننظر إليها بنظر المؤلفين الأوروبيين، ومن الخارج ومن البعد. فلنغير موقفنا منها ونظراتنا إليها، وذلك بالتغلغل فيها، نر عندئذ أنها مؤلفة من وهاد ووديان بالرغم من منظرها الخارجي العام.

وأما تواريخ الدول العربية، فتبدو لنا مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة، لأننا ننظر إليها بنظر الاخباريين القدماء، ومن داخلها، فلنغير موقفنا منها، ولننظر إليها من بعد ـ نظرة تسمو على التفرعات ـ فنرى عندئذ أنها أيضاً مرتفعة شامخة، وبالرغم مما فيها من وهاد ووديان.

يجب علينا أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا على الدوام، وأن نسعى لتوحيد نظرتنا إلى صحائف التاريخ القومي والتاريخ العام، ولنعدل عن استعمال نظارات مكبرة للعيوب في الأولى، ومصغرة للعيوب في الثانية، كما اعتدنا إلى الآن.

وعندما نفعل ذلك نفهم حق الفهم أن الأحكام الشائعة بيننا على تاريخ العرب، إنما هي وليدة نظرات خاطئة، ومقارنات قاصرة، ولهذا السبب كانت في حاجة شديدة إلى التصحيح والتقويم بوجه عام.

وأما ماذكرتموه عن رأي ابن خلدون في هذه القضية، فهو أيضاً في حاجة إلى انعام النظر. فقد نقلتم الفقرات التالية، من مقدمة هذا المفكر العظيم:

«والعرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية، من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة».

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هذا الرأي في مقدمته المشهورة، ولكني أرى من الضروري أن نفطن جيداً إلى مايقصد من كلمة العرب الواردة في هذه الفقرات، ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب.

من الأمور التى يجب أن تبقى نصب أعيننا

• أهم أسباب نكباتنا هو بقاؤنا بعيدين عن تفهم روح العصر وتقصيرنا في التسلح بسلاح العلم الحقيقي

على الدوام ـ حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها ـ أن مؤلفها كان يقصد من كلمة «العرب» العربان بوجه خاص وفقاً لما هو متعارف بين العوام ـ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام، **كما نفهمها ونتصورها نحن الآن**.

إنني سردت الأدلة الكثيرة التي تبرهن على ذلك برهنة قاطعة في عدة مقالات نشرتها في بيروت وبغداد، وفي فصل خاص من الدراسات التي كتبتها عن مقدمة ابن خلدون، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث في هذا المقام. ولكن لما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت، رأيت أن أنقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها، وقد انتخبت أحدها من القسم الأول من المقدمة، والثاني من القسم الأخير منها، قلت:

فلنلاحظ الفصل الذي يقول فيه ابن خلدون «إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب» ولننعم النظر في الأدلة التي يذكرها لتعليل رأيه هذا:

«فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له. فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه اثافي للقدر فينقلونه من المباني فيخربونها عليه، ويعدونه لذلك. والخشب إنما حاجتهم ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه». (ص ١٤٩).

ومن البديهي أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام. ولا مجال للشك في أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال «لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع القدور، ولا إلى الخشب إلا لنصب الخيام» لم يفكر قط في أهل دمشق أو القاهرة، ولا بسكان تونس أو فاس. إنما قصد أعراب البادية وحدهم.

وقال: في الفصل الأخير من المقدمة «وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر، وأن العرب أبعد الناس عنها. وصارت العلوم لذلك حضرية، وبعد العرب عنها وعن سوقها» (ص ٥٤٤).

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب مرتين مقابلاً لكلمة الحضر، بشكل لا يترك مجالا للشك في أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الاطلاق. إني أرى من الضروري أن ألفت الانظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة: إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثاني، وعنوان الباب المذكور هو: «العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل ومايعرض في ذلك من الأحوال». وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء في هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون في حالة البداوة، ولا يشمل الذين يعيشون في المدن. ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل في نطاق البابين المذكورين.

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأي ابن خلدون في هذه القضية وفق أسلوب كلامنا الحالي ـ بالعبارات التالية: «أن العرب ـ عندما كانوا في حالة الفطرة والبداوة ـ لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكاً، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل عنهم التحاسد والتنافس، وتحملهم على الانقياد والاجتماع».

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون في هذا المضمار ـ عندما تفرغ في هذا القالب ـ تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التي توصل إليها علماء الاجتماع في العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه

دراســة يجب أن يقــرأها كــل العـــرب الآن

عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون : إن الممالك لم تتكون في بادئ الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التي قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين ، مستندين إلى المعلومات التي جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، في القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها فالاعتقاد بقوى خارقة للعادة ــ من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الايمان بالقوة الالهية ــ هو الذي مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية في أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الانجليزي المشهور « فرايزر » كتاباً ضخماً ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون للملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعي أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسي المشهور « فوستل دو كولانج » ــ في كتابه المدينة القديمة ــ أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً في سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة . الملك إله ... الملك ابن الإله ... الملك من نسل الآلهة ... الإله يتقمص جسد الملك ... الإله ينفخ في الملك شيئاً من روحه ... الإله يمد الملك بإلهاماته ... هذه أشكال مختلفة ــ وأطوار متتالية ــ من الاعتقادات التي كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة في تلك القرون القديمة .

أنا لا أرى هنا مجالاً لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التي تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفي بالاشارة إلى كتاب (تيارات التاريخ العالمي العظيمة) الذي نشره أخيراً « جاك بيرين » استاذ التاريخ في جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، (وهو المجلد الذي يلخص التطورات التاريخية التي حدثت في العالم منذ القدم حتى ظهور الاسلام) ، تجدوا في كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التي تنم عن الترابط المتين الذي كان قائماً في تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك في أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً في توسع الممالك وتكون الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولى على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود ملكه عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ماكانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شئ من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة ، وبين معتقدات البلاد المفتوحة . وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالاً مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهة جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ، فكان يصبح الملك ممثلاً لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهي من أتباع ذلك الإله الأعظم ... وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات المتنوعة ــ تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالي البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسوة لادامة ذلك الخضوع .

ولا أرى حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ماكان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة . ومع هذا أرى من الضروري أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان في أوروبا ــ في عهد تكوين الممالك ــ حتى القرن الثامن عشر : وهي النظرية القائلة بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الاصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التي شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول : إن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر في بادئ الأمر ــ إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك ــ بكل وضوح ــ أن ماقاله ابن خلدون في مقدمته المشهورة ، عن العرب في طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول ــ بكل تأكيد ــ إن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

ــ٣ــ

بعد هذه النظرات الانتقادية التي وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلي ، لنرى : هل الشقاق طبع في العرب؟

إن المقارنات التي قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الاجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام :

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزي في الانسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والايمان الديني أو القومي أو الوطني العميق .

في كل أمة من أمم الأرض ، وفي كل دور من

● لماذا نسينا أن المانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ٣٠٠ دولة ودويلة حتي أوائل القرن الماضي ؟

● غير صحيح أن تواريخ الدول العربية عبارة عن مرتفعات ومنخفضات مشوشة معقدة ، فهي مرتفعات شامخة رغم مافيها من وهاد ووديان !

● علينا أن نسعى لتوحيد نظرتنا إلى صحائف التاريخ القومي ، ولنعدل عن استعمال النظارات المكبرة لعيوننا !

أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب في نفوسهم الأنانية على العوامل التي ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأي العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء ، وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتي أحياناً في كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ ، تضعف فيها هذه القوى الوازعة ، فتنفلت الأنانيات عن عقالها ، وتتضاءل تأثيرات الرأي العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدي إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ماحدث ، ومايحدث ، وماسيحدث ، في كل أمة من الأمم ، وفي جميع أدوار التاريخ .

وليس في طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم في هذا المضمار .

هذا هو جوابي ، ياصديقي الأستاذ ، عن السؤال الذي وجهتموه إلي :

لا يوجد في طباع الأمة العربية مايجعلها شاذة عن سائر الأمم في أمر الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً ، بأن طبائع الأمم لاتبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : «إن من يتوهم الاستقرار في طبائع الأمم ، كمن ينشد البقاء في الموجات التي تحدث على سطح الماء عندما ترمي حجراً فيها» . فإن الماضي لايقيد الحاضر تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق في الماضي لايكفي لدرء أخطار التفرقة والشقاق في الحاضر ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق في الماضي لايمنع الاتحاد في المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضي كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً فلايجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولاأن نسعى لالقاء مسؤولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا ـ على وجه خاص ـ أن نستسلم إلى دواعي الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

لا ريب في أن حالتنا الحاضرة سيئة للغاية ، والنكبات التي منينا بها أخيراً كانت في منتهى الفظاعة ، كما أن الأخطار التي تهدد مستقبلنا عظيمة جداً .

غير أنه يجب علينا أن نعلم العلم اليقين أن أسباب ذلك لا تعود إلى طبائع أمتنا ، ولاإلى ماضينا البعيد ، بل انما تعود إلى أخطائنا نحن ، وإلى أحوال ماضينا القريب . إني لن أحاول في هذا المقام أن أحلل وأسرد الأسباب التي أدت إلى نكباتنا الأخيرة واستوجبت فشلنا الأليم ، ولن أبحث عن الأشخاص الذين يجب أن يعتبروا مسؤولين عن هذا الفشل وتلك النكبات . ومع هذا سأقول بلا تردد : أن أهم الأسباب ـ في نظري ـ هو بقاؤنا بعيدين عن تفهم وتمثل روح العصر الذي نعيش فيه ، وتقصيرنا في التسلح بسلاح العلم الحقيقي .

غير أني أرى أن هناك سبباً آخر ربما كان أبعد أثراً وأشد خطراً من كل ذلك ، هو ضعف ايماننا بقضايانا القومية ، وعدم اقدامنا على معالجة تلك القضايا بعزم وحزم .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد ، بدون عزم قوي وتنظيم متين وايمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كبيرة وانتهينا إلى فشل ذريع .

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لانقطع الأمل في النجاح في المستقبل وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ، إذ يجب علينا أن ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذي تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الوثابة تتعظ بالنكبات ، فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تغضب من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول . إن الايمان القوي العميق بإمكانات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوما بالأمل الذي لا يقهر...

هذه هي أهم مايترتب علينا من واجبات بعد هذه النكبات .

أقول هذا وأنا ألمح معالم الخور والقنوط بادية على معظم الوجوه ، وهمسات الشك والاعتراض منتشرة في كل الجهات... وكأني أسمع سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ماقلته آنفاً : ألا تدرك هول النكبات التي نزلت بنا أخيراً؟ أفلا تلاحظ فظاعة الاختلافات التي تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً؟ ألا تشعر بالأخطار التي صارت تهدد مستقبلنا في عقر دارنا؟..

نعم إني أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكاً تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً .

ومع هذا أرى من حقي أن أسأل بدوري : ألم تبتل أمم كثيرة بنكبات مثل هذه ، بل وأشد منها؟ فهل كانت نكبة بروسيا وألمانيا بعد واقعة ينا ـ مثلاً ـ أقل هولاً وفظاعة من نكبتنا الحالية؟ ومع ذلك ألم يستطع الألمان أن يتخلصوا من آثار تلك النكبة؟

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت في ألمانيا ـ قبل قرن واحد من يومنا هذا ـ أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة؟ ألم يقل بعض الساسة ـ عقب انحلال المؤتمر المذكور ـ « إن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم؟ »ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هي ألمانيا؟ هل لها وجود في غير مخيلة الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة »؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا في حياة من حضروا مؤتمر فرنكفورت الفاشل؟ .

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالاً لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لاتصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لايصبح تاماً إلا عندما يؤدي إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح..

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة واتمام الفشل بالاستسلام إلى القنوط والخور...

ساطع الحصري

في العدد القادم



حمد عبدالعزيز الكواري

مندوب قطر الدائم في هيئة الأمم المتحدة يكتب بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على تأسيس هيئة الأمم المتحدة

ابن فضلان.. رائد الفضاء المنسي

ابن فضلان يتحدث عن قرار خطير :

لما نمي إلى سمعي أن أمما غير عربية ستنجح في المستقبل في غزو الفضاء والوصول إلى كوكب القمر ، وستتباهى بما أنجزته ، صحت غاضبا آسفا : « ياللعار ! واخجلاه ! » .

واتخذت قراراً عاهدت نفسي على تنفيذه غير آبه للتضحيات مهما كانت جسيمة ، فإذا كان الأجانب سيصلون إلى القمر فإني سأحاول الوصول إلى المريخ حتى أخرس أي لسان يجرؤ على التفاخر ، وأثبت أن العرب خير أمة ، ولذا فقد امتطيت ناقتي ، وصحت بها آمراً : « سيري في الفضاء » .

فأطاعت أمري بلا تردد ، وانطلقت تمشي في الفضاء في رحلة دامت أشهرا عانيت فيها الكثير من العناء والأهوال والأخطار ، ولكني لم أتذمر أو أندم ، فأية مشقة تبدو تافهة إذا ما قورنت بالهدف السامي الذي سأظفر به في النهاية ، وهو الحفاظ على السمعة الحضارية للعرب .

اللحظات التاريخية :

بمشيئة الله الخالق ، العلي ، القدير ، الواحد ، الماجد ، الغني ، المغني ، الحي ، القيوم ، القهار ، الغفار ، السميع ، البصير ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، الخافض ، الرافع ..

بعونه تعالى جل جلاله ، وصلت إلى كوكب المريخ ، وما أن وطأت قدماي أرضه حتى تحلق حولي عدد كبير من رجال الشرطة والجمارك ، وكلموني ، فإذا لغتهم عربية فصحى تخلو من الأخطاء الشائعة ، ففرحت كأني الشاعر أدونيس وقد بلغه نبأ فوزه بجائزة نوبل للبحوث الزراعية ، ولكن فرحي كان سريع الرحيل إذ انهالت علي أسئلتهم غزيرة صارمة :

« من أنت ؟ »

« من أين أتيت ؟ » .

« لماذا جئت إلى بلادنا ؟ » .

« ماذا لديك من سلع محظورة ؟ » .

فأجبت عن أسئلتهم باسهاب ، مؤكداً إني قد أتيت من كوكب الأرض ، ومن الأرض العربية بالذات ، سائحاً صديقاً لا مستعمراً غازياً ذا نيات توسعية استيطانية ، وليس معي سوى ناقتي والثياب التي أرتديها ، فحملقوا إلي بريبة ، وفتشوني تفتيشا دقيقاً ، وحتى فمي فتشوه طويلا .

بعدئذ ، صادر رجال الجمارك ناقتي غير مبالين باحتجاجي ، قائلين إن قوانين البلاد تحظر استيراد البضائع الأجنبية ، حمايةً للصناعة المحلية ، ودعما لاستقلال البلاد الاقتصادى ، ثم استولى رجال الشرطة على معظم ما في جيوبي من مال ، قائلين لي إني لن أحتاج إلى مثل هذا المقدار من المال إلا إذا كنت أزمع انفاقه على أفعال مشبوهة مخالفة للقوانين ، فلم أنطق بكلمة ، واكتفيت بالابتسام .

وظللت محافظا على رباطة جأشي عندما انتزع رجال الجمارك ثيابي عن جسمي ، مؤكدين أنها أيضا تعد من السلع الأجنبية المحظورة ، ولكني قلت لهم بصوت متهدج خافت متوسل : « كيف سأسير في الطرقات ؟ ماذا سيقول الناس علي ؟ » .

فضحكوا بسخرية ، وقالوا لي : « سيظنون أنك رياضي » .

فقلت لهم وأنا أقف أمامهم خجلا شبه عار : « أنا رياضي ! من سيصدق أني رياضي وأنا هزيل عجوز وعظم بلا لحم ؟ » .

فلم يأبه أحد لقولي ، فقلت صابراً : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ولكن ما جرى لم يثبط عزيمتي ، وسارعت إلى البدء بجولتي الاستطلاعية في أرجاء كوكب المريخ ، متلهفًا على الاطلاع على معالمه ومعرفة أية حياة يعيشها أناسه .

رجال المستقبل الوضاء :

ولما كنت من المعتقدين أن من يعرف أطفال الحاضر يعرف رجال المستقبل ، فقد عنيت أولاً عناية خاصة بمعرفة أحوال الأطفال الذين يعيشون على سطح المريخ .

وأبهجني أنهم يكنون تقديرا عميقا للفن ، ويبيعون كتبهم المدرسية ليشتروا بثمنها بطائق لدخول دور السينما التي تعرض أفلاما مكتظة بالمسدسات والقتلى والنساء العاريات .

وقد لاحظت أن للأطفال أسلوباً مرحاً في التعبير عن براءتهم ، وهذا الأسلوب يتجلى عملياً في رجمهم نوافذ البيوت بالحجارة وشنق القطط واحراق الكلاب حية .

وإذا لعب هؤلاء الأطفال ، تبادلوا شتائم مبتكرة تنم عن ثقافة أصيلة شاملة .

وأعجبت ببسالتهم عندما علمت أن كل واحد منهم يحمل في جيبه سكينا تذبح جملا بضربة واحدة .

العلم في الصغر :

ودخلت احدى المدارس ، فإذا تلاميذها هم الناس الذين ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، بعضهم نائم ، وبعضهم يرقص ، وبعضهم يقامر ، وبعضهم يمتحن المعلمين ، وأي معلم لا يجيب عن سؤال ما يضرب حتى يبكي ، فشهقت ، ولم أدر إن كانت شهقتي استنكاراً أو دهشة أو اعجاباً وتقديراً .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

غرائب الحياة الثقافية :

وكان من البديهي أن أطرح أسئلة كثيرة حول الحياة الثقافية ، فعلمت أن الأدباء ثلاث فئات : الفئة الأولى تتألف من أدباء طاعنين في السن ، يؤمنون أن الأدب المبدع الأصيل لا ينتجه إلا من كان يحمل لقب دكتور ، وينتمي إلى أسرة ثرية ذات حسب ونسب .

والفئة الثانية تضم أدباء يعتبرون النتاج الأدبي وسيلة للشهرة الاجتماعية ، ولنشر صورهم بأوضاع مغرية جذابة .

أما الفئة الثالثة فأدباؤها يملكون دكاكين يبيعون فيها بأسعار لاتزاحم شتى الأفكار والقيم والمبادىء والشعارات .

والنقاد أيضا هم ثلاث زمر : زمرة تنتقد الكتب نقداً مراً من غير أن تقرأها ، وزمرة تمتدح الكتب قبل أن يكتبها مؤلفوها ، وزمرة ثالثة متقيدة بالحكمة القائلة إن السكوت من ذهب ، مع أن النقاد كافة يحبون الذهب والفضة والحديد والتنك .

والتلفزيون في كوكب المريخ ذو وجود فعال مؤثر ، ويقدم برامج متنوعة ترمي إلى تبيان محاسن الجنرال زعيم البلاد ، وفتنة المذيعين والمذيعات .

كما أن المسرح هناك نوعان ، مسرح جاد ذو جمهور نائم نوما عميقا ، ومسرح يستجدي ويهرج ويقدم لمشاهديه بسخاء لحماً عارياً وكلاماً طالعاً نازلاً .

أقوال بغير أفعال :

والكلام في كوكب المريخ مقدس والفعل محتقر منبوذ مطارد ، فإذا كان قد قيل قديما إنه إذا تم العقل نقص الكلام ، فإن كثيرين من مثقفي المريخ يعارضون هذا القول بازدراء ، ويعتقدون أن العقل ينقص إذا نقص الكلام .

السلطة الرابعة :

وسألت بفضول عن أوضاع الصحافة ، فقيل لي إن الصحافة سلطة ثانية لا سلطة رابعة ، وإن الصحافيين أحرار كالغيوم ، فصرخت بحماسة : « الله أكبر ! » .

واشتريت جريدة تتألف من ثماني صفحات ، وبادرت إلى قراءتها ، فوجدتها تشتمل على الآتي :

الصفحة الأولى : الأخبار السياسية للجنرال الذي يحكم المريخ وصوره .

الصفحة الثانية : أخبار الجنرال الاجتماعية وصوره .

الصفحة الثالثة : أخبار الجنرال الرياضية وصوره .

الصفحة الرابعة : أخبار زوجة الجنرال وصورها .

الصفحة الخامسة : أخبار أقارب الجنرال وصور الجنرال .

الصفحة السادسة : أخبار أقارب زوجة الجنرال وصور الجنرال .

الصفحة السابعة : أخبار وفيات المواطنين وصور الجنرال .

الصفحة الثامنة : بريد القراء وصور الجنرال .

وقد قرأت بريد القراء باهتمام بالغ ، فإذا به يشتمل على التالي :

رسالة من شاب : « أنا أفكر في القيام بعمل مناوئ للقانون والنظام أذهب بعده إلى السجن علني أرتاح . وحتى مهما تعذبت فلسوف أرتاح أكثر من سجن البيت ، فسجن الدولة لاشك أرحم » .

رسالة من قارئ : « شد انتباهي لدي استماعي إلى الاذاعة شاعر ألقى قصيدة شاملة عن قصة نضاله وجهاده في سبيل الحصول على رخصة قيادة سيارة ، وكيف أصابه الاخفاق والاحباط المرة تلو المرة ، وأخيرا كتب الله له النصر وفاز بها » .

رسالة من حائرة : « قيل لى إني إذا قرأت شعراً حديثاً زال الشحم المتراكم على جسمي ، فهل هذا صحيح ؟ » .

رسالة من قارئ يعنى بالشؤون السياسية : « بشطحة قلم واحدة من جنرالنا المعظم وزعيمنا الملهم ، تحولت الصحراء إلى سهل أخضر ، والجفاف إلى ماء ، والحرارة إلى اعتدال ، والتخلف إلى رقي ، والجهل إلى علم » .

رسالة بلا توقيع : « هل صحيح أن الشرف حينما يتسخ يغسل ؟ » .

وأفلتت أصابعي الجريدة كأنها قنبلة موشكة على الانفجار ، واشتريت مجلة أدبية فكرية ، فإذا غلافها تحتله صورة لراقصة ترتدي ما يشبه الثياب ، فتعجبت ، وفكرت في ذلك النهج الفريد الذي تتبعه المجلة ، وخلصت إلى الاقتناع بأن الرقص في كوكب المريخ غير منفصل عن الأدب والفكر .

ثم اشتريت مجلة أخرى فنية ، وكان غلافها مزيناً بصورة رجل طويل عريض ضخم ، مفتول العضلات ، وله وجه يشبه وجه رجل قتل ألف طفل وامرأة ، فقلت لمن حولي متسائلا : « من هذا ؟ أهو ملاكم أم مصارع ؟ » .

فقيل لي إنه مغن مشهور ، فغمرني رعب خفي ، دفعني إلى التساؤل سراً : إذا كان هذا المغني فكيف سيكون القاتل ؟

ولكنـــي لـم أتـراجـع ، وطردت رعـبـي ، واستأنفت جولتي العلمية الاستطلاعية .

حملة الملاعق :

ومشيت في الطرقات ، فتنبهت إلى أن المطاعم كثيرة لا يحصى عددها ، ومزدحمة دائما بروادها ، فكأن حمل الملاعق واجب انساني خطير ، وكأن التهام الطعام مساهمة فعالة في بناء حضارة جديدة .

بعضهم يأكل بنهم ودونما توقف أو راحة ، فتضخمت المعد حتى صارت الأجسام مجرد معد فقط ، ويحلو للناس أن يقضوا الساعات الطوال في التحدث عما تساقط في بطونهم من طعام ، مسهبين في وصف الشكل والمحتوى والرائحة والنكهة والكمية .

ولابد من الاشارة إلى أن الخبز المخصص لمحدودي الدخل لا يخلو من غرابة وطرافة ، وهو المسؤول عن ازدياد عدد الناس الذين يقصدون عيادات أطباء الأسنان .

فضائل السيوف والرماح :

ودخلت إلى مقهى شعبي ، وجلست بجوار طاولة يجلس إليها عجوز وشاب يلعبان النرد .

بعد دقائق ، خاطبت العجوز والشاب ، وقلت لهما إني غريب وأرغب في معرفة شيء عن أحوال البلاد ، وقلت لهما : « أي نوع من أنظمة الحكم هو السائد في البلاد ؟ » .

فتبادل العجوز والشاب النظرات الحائرة ، ثم تكلم العجوز قائلا لى : « نظام حكمنا لا مثيل له في الأرض والفضاء » .

وتحدث العجوز مطولاً مقرظاً مادحاً حتى بح صوته ، فبدا الحنق فجأة على وجه الشاب ، وقال للعجوز : « لماذا لا تختصر ؟ » .

والتفت إلي ، وقال : « أنا سأجاوب عن سؤالك وباختصـار شديـد ، الحكـم فى بلـدنـا لمن يملـك قوة أكثر . ولهـذا يعـامـل النـاس كأنهـم أسـرى لاحقـوق لهـم » .

فغادرت المقهى مسرعا وأنا أحمد الله لأن الأرض العربية تملك سيوفا ورماحا ، ولا تملك دبابات ومدافع .

كلام الجنرال :

ونمي إلي أنه سيقام حفل جماهيري سيخطب فيــه الجنــرال ، فهرعت إلى الحفـل مفعمـا بـالأشـــواق إلى سمـاع مـاسيقـولـه .

وقد تكلم الجنرال طوال ست ساعات كي يقول إن الحرية بلا قيود وضوابط ليست سوى فوضى تخدم مصلحة أعداء البلاد ، فأحسست أني لم أغادر وطني العربي لحظة واحدة ، فخلعت حذائي ، وركضت حافيا في الفضاء ، عائدا إلى الأرض .

ولما وصلت إلى بيتي ، تنهدت بأسى ، وقررت ألا أكتب حرفاً عن رحلتي الرائدة ، تاركا للأجيال القادمة مهمة الدفاع عن السمعة العربية .

الكهانية

أعلى مراحل الصهيونية النازية

بقلم : عصام شريح

ظاهرة النازية منتعشة هذه الأيام فى الكيان الصهيونى ، حيث أخذت الكهانية ، وهى صنو النازية ، بالتصاعد ، والانتشار بشكل ملفت للنظر ، وأحد الأعمدة التى تقوم عليها الكهانية النازية ، هو تنقية الكيان الصهيونى من العرق الأجنبى غير اليهودى أي الجنس العربى ، والقذف بالعرب إلى خارج هذا الكيان .

ويقول « ألوف هوربين » الباحث الاسرائيلي في مؤسسة « فان لير » بالقدس المحتلة ، « إن الدعوة لطرد العرب من اسرائيل » ، لم تعد تصدم الكثيرين من الشبان الاسرائيليين ، كما تقول صحيفة « يديعوت أحرونوت » الاسرائيلية في استطلاع للرأي أجرته فى الشهر الماضي : « إن الكهانية تنتشر بين الشباب من جميع الاتجاهات والطبقات ، وبين المتدينين والعلمانيين ، وبين اليهود الشرقيين والغربيين على حد سواء ! ! » .

كما تشير استطلاعات أخرى للرأي إلى أن عشر الاسرائيليين يؤيدون أفكار الحاخام مئير كهانا النازية ، كما قال ٤٢٪ من طلاب المدارس فى اسرائيل الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ ــ ١٨ عاماً ، إنهم يؤيدون أفكار كهانا .

وقد تظاهر أتباع الحاخام مئير كهانا بمدينة العفولة مؤخرا ، واصفينه بملك اسرائيل ، وبالمسيح (أي مخلص الشعب اليهودى من الاضطهاد والنفي) ! وفى الآونة الأخيرة ، كان هذا النازي الصهيونى ، يتحدث ذات يوم إلى صحفي أمام مبنى الكنيست بالقدس المحتلة ، عندما مرت مجموعة من ضباط الجيش الاسرائيلي ، كانت تقوم بجولة تدريبية ، وقد تعرف النصف الأخير من الصف على الحاخام كهانا ، فرفعوا قبضاتهم فى الهواء للاعراب عن تضامنهم وتأييدهم له ، ثم هتفوا بصوت واحد : « كهانا .. كهانا » وقد رد الحاخام النازي عليهم بالتلويح بقبضته عاليا في الهواء . (شعار حركة « كاخ » التى يتزعمها كهانا ، هو قبضة مرفوعة إلى أعلى) . ويقول كهانا نفسه واصفاً الشعبية المتزايدة لحركة « كاخ » إن الوقت يعمل لصالحه ، وتوقع أن يفوز حزبه بما يتراوح ما بين ١٠ ــ ١٥ مقعداً فى الكنيست القادم ، فى مقابل مقعد واحد في الكنيست الحالي يحتله هو نفسه .

النازية الهتلرية والنازية الصهيونية

وفي الواقع فإن تصاعد شعبية الحاخام مئير كهانا وحركته المسماة « كاخ » ومعناها « هكذا .. قبضة مرفوعة في الهواء تعبيراً عن القوة والبطش » لا يمكن فصلها عن واقع الكيان الاسرائيلي والحركة الصهيونية ، اللذين قاما على أسس عنصرية ونازية بحتة .

فالنازية الهتلرية ، قامت على قاعدة صفاء العرق ونقاء السلالة ، وكان الفيلسوف الألمانى « هيغل » بأفكاره العنصرية ، الوحي لهذه النازية وخلاصة أفكاره بهذا الصدد « أن لكل شعب فكرته التي تكون روحه الخاصة ، وهذه الروح الخاصة لشعب ما ، إن هي إلا مرحلة في عمر الجنس البشرى ، وقد تكون قوية إلى حد أنها تكون ممثلة للجنس البشرى في فترة ازدهارها وانتشارها ، فإذا كانت الروح اليونانية ، ثم الرومانية ، قد مثلت الروح العالمية في فترة ازدهارها ، فإن الحضارة الجرمانية ، الكامنة في روح الشعب الألماني ، هي التى تمثل هذه الروح العالمية في الجيل الجديد ، ولذلك فإن الشعب الألماني ، يحمل عبء الحضارة الانسانية بأسرها ، وعليه أن يقود الشعوب الأخرى . وقد أعجب هتلر بهذه النظرية ، كما تأثر بالنظرية العرقية القائلة بتفوق الرجل الأبيض ، وبضرورة الحفاظ على الصفاء الدموي للجنس الأبيض ، كما قرأ كتاب الكونت « دي غوبينو » ــ « عدم التوافق بين الأجناس » ، وكذلك ما كتبه « تشمبرلن »حول ضرورة سيادة « المدنية الأوروبية » على المدنيات الأخرى ، باعتبارها وليدة الجنس الآري ، وسيطرتها وسيادتها تتمان عن طريق الحفاظ على نقاء الدم الآري ! ! ، ومن هذه الفلسفات العنصرية خرج هتلر بنتيجة مؤداها أن الجنس الآري (الجرماني)

كان وما يزال أصفى الأجناس البشرية وأن من حقه بل من واجبه ، أن يسود الأجناس الأخرى ويقود البشرية فى تطورها ويحمى الحضارة وميراث المدنية ، ويصل هتلر إلى نتيجة أخرى فى كتابه « كفاحي » ، تقول « بأن الآري ما يزال يحمل المشعل الذي ينير الطريق أمام البشر ، فإذا توارى الآري ، فسيسود الظلام ، وتنهار الحضارة الانسانية في بضعة قرون » .

وإذا كانت هذه هي الخطوط العامة للفلسفة النازية ، فإن النازية الصهيونية لا تختلف في الواقع في نظرتها الشاملة لليهود وسيادتهم ، بل ما تزعم أنه « حقهم الإلهى في السيادة على البشر » عن صنوها النازية الهتلرية . فاليهود بحسب الفلسفة الصهيونية هم شعب الله المختار ، وبقية الشعوب « الغوييم » يحتلون المرتبة الثانية في الإصطفاء الإلهى المزعوم ، واليهود مخلوقون من العرق الإلهي كما يدعي كتاب التلمود ، أما بقية البشر ، فمخلوقون من نطفة حصان أو كلب ، وهذا الوضع يضعهم في مرتبة العبيد لليهود .. الخ هذه التخرصات التى ما أنزل بها الله من سلطان .

وفى خضم هذه الآراء الصهيونية النازية ، تصعد اليوم إلى واجهة الأحداث في الكيان الصهيونى ، حركة نازية منظمة ، هى « حركة كاخ » التي يتزعمها النازي الإرهابى الحاخام مئير كهانا ، فما هي الكهانية النازية هذه ؟؟

أفكـــار كهانـــا

على الرغم من أن الحاخام مئير كهانا قد أصبح ظاهرة وأفكاره تياراً في الكيان الصهيوني ، فإن آراءه تتسم بالتبسيط والحدة والمغالاة والقطع ، وهذه في الواقع سمات الفكر النازي تماماً ، إلا أن أهم ما يميز أفكار الحاخام كهانا وحركته « كاخ » عن الحركات الفاشية ، وبالتالي يضعها في خانة النازية ، هو ما تنادي به هذه الافكار من صفاء الجنس اليهودي وطهارة العرق .

فعندما يقترح كهانا سن قانون جنائى يقضى بالحكم بالسجن خمس سنوات على كل فتاة يهودية تتزوج غير اليهودي ، فإنه يكون بذلك قد تجاوز الحد ما بين الفاشية العادية ، والنازية المنهجية .

ولرسم صورة أكثر دقة للنازية الكهانية الصهيونية ، نلخص أفكار كهانا العنصرية المتطرفة بما يلي :

• بالنسبة للعرب : لابد من طردهم سواء من أراضى عام ١٩٤٨ ، أو الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وفي ذلك يقول كهانا : إنه إذا أصبح رئيسا للحكومة أو وزيراً للحرب ، فلسوف يذهب الى العرب ، ويقول لهم إرحلوا في مقابل تعويضات مالية ، فإذا رفضوا الرحيل ، فإن اليهود سيجبرونهم على ذلك بالقوة ، وذلك عن طريق وضعهم في عربات الماشية !! بعد منتصف الليل !! والقذف بهم خارج ما يسميه « بحدود إسرائيل » ، ويضيف كهانا : وعندما يتم إخراج العرب ، فإن ما يطلق عليه إسم « أرض إسرائيل » ستتطهر من التلوث الأجنبي ، وأكثر من ذلك يطالب كهانا العرب بأن يقبلوا بأن يكونوا عبيداً « لإسرائيل » ، مستشهداً في ذلك بالحاخام « موسى بن ميمون » الذي قال : « عليهم (أي العرب) أن يكونوا في الدرجة السفلى ، وأن لا يرفعوا رؤوسهم في وجه إسرائيل ، وإنما يجب أن يكونوا خاضعين لها » !! ، وانطلاقا من هذا القول ، فإن الحل المرحلي بالنسبة للوجود العربي في الكيان الصهيونى ، كما يتصوره كهانا ، هو القبول بالعبودية « إنه يتوجب على كل عربي يريد البقاء في إسرائيل أن يقبل العبودية » ويبرر الحاخام كهانا أفكاره هذه بقوله « إن العرب لن يستطيعوا الوقوف « للنشيد الوطني الاسرائيلي » ، وترديد أشواق اليهود ، إنهم لن يستطيعوا التعايش في دولة لها قوانين لا تنطبق إلا على اليهود .. » ، وإذا بقي العرب في « إسرائيل » ، فإنهم سيلدون أطفالا ،

• دعوة إلى طرد العرب من أراضي ١٩٤٨ والأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧

• العرب يتوالدون بسرعة سوف تؤدي إلى أن يصبحوا أغلبية في الأراضي المحتلة ... ويصبح اليهود الأقلية

وسيصبحون ٣٠٪ من مجموع السكان ، وتدريجياً ستصل نسبة العرب إلى ٤٠٪ ثم يصبحون الأكثرية الساحقة ، ودون أن يحتاج العرب لخوض أية حرب ضد اليهود ، فإنهم سيتمكنون من تحويل « إسرائيل » من دولة يهودية إلى دولة عربية . ويضيف كهانا : « إن هذا هو الاحتمال الأول ، أما الاحتمال الثاني ، فهو جوابى أنا .. نقل العرب إلى خارج « اسرائيل » .

• بالنسبة لأرض فلسطين المحتلة ، والأطماع الصهيونية التوسعية في بقية الأرض العربية ، يقول كهانا بكل وضوح : « إن أرض إسرائيل تمتد من الفرات إلى النيل ، وسنحررها بالتأكيد » ، ويضيف بكل تبجح : « إن الاسرائيليين ليسوا محتلين لأرض فلسطين .. فلمدة أربعة آلاف سنة كانت هذه الأرض يهودية !! .. إنها الأرض التى سار عليها إبراهيم وإسحق ، إنها أرض التوراة !! وهي الأرض التي رعى عليها داوود غنمه !! » ويزعم أيضا : « في التوراة لم يعط يهوه (اله اليهود) هذه الأرض لشعبه المختار فحسب ، بل إنه أمر اليهود بأن يعيشوا عليها ، لأن اليهودية دين يرتكز على الأرض !! » .

• وبالنسبة للديمقراطية ، يقول الحاخام كهانا بكل صراحة ، إن الديمقراطية التى هي مذهب سياسى غربي ، تتناقض كلياً مع الصهيونية : « لقد قلت مليون مرة إن الديمقراطية الغربية كما نعرفها ، لا تتلاءم مع الصهيونية ، فالصهيونية وجدت من أجل إقامة دولة يهودية ، والصهيونية تعلن أنه ستكون هناك دولة يهودية ذات أغلبية ساحقة من اليهود ، أما الديمقراطية فتقول : كلا .. إذا كان العرب أغلبية ، فلهم الحق في تقرير مصيرهم بأنفسهم .. وفي ظل الديمقراطية ، فإن للعرب الحق فى التمتع بحقوق سياسية موازية لحقوق اليهود السياسية ، وهذا يعني بدوره أن للعرب حق أن يلدوا أطفالاً ، وأن يصبحوا بالتالي أكثرية السكان .. ولكن أمن « أرض اسرائيل » ، وقدر الشعب المختار ، لايسمحان بوجود عربي أجنبى فيها .. ويضيف كهانا : « لكل هذا ، فإن الديمقراطية والصهيونية تقفان على طرفى نقيض ، وأنا أقول بوضوح : إنى أقف إلى جانب الصهيونية ، وأنني أريد « دولة يهودية » وليس « برتغال » ناطقة باللغة العبرية !! » .

• بالنسبة لعدد الإسرائيليين الذين يؤيدون كاهانا ، يقول الحاخام العنصري النازي : « إن الغالبية العظمى من اليهود في « اسرائيل » ، يفكرون بما أقول ، ولكن لا توجد لديهم الشجاعة لاعلان ما يؤمنون به » . ويضيف أنه عندما انتهت الجلسة الافتتاحية للكنيست الحالى صافحني معظم أعضاء الكنيست وشدوا على يدي ، ولقد أصبت بدهشة فعلاً ، من عدد اليهود الذين يؤيدونني سراً على ما أصرح به علناً !! » .

• وبالنسبة للسلام في المنطقة ، يقول كاهانا : « لن يكون هناك سلام أبداً بين العرب واليهود » ، وإذا بقي العرب فى هذه البلاد (فلسطين المحتلة) ، فإنهم سيطردون اليهود إلى الخارج ، أما إذا طردنا العرب خارجاً ، فسيكرهوننا من الخارج ، وأنا أفضل جاراً حاقداً من بعيد ، على جار حاقد من قريب ، وإذا أراد عدونا أن يحولنا إلى قلعة محاصرة ، فليكن ذلك ، وربما كان ذلك صعباً لكن اليهود وجدوا الحياة صعبة لسنين عديدة ، وهذا الذي يحدث ليس عرضياً ، بل إن يد « يهوه » هي التى تحرك الأحداث وتوجهها ، ولقد إختارنا « يهوه » شعبه الخاص ، فلا يمكننا أن ننحدر إلى الأسفل ! » .

قوانين كهانا النازية

يصل الحاخام مئير كهانا ذروة عنصريته وحقده على العرب ، بمشاريع القوانين التى وضعها ، تمهيدا لمطالبة الكنيست بتثبيتها وإقرارها والعمل بها كقوانين اسرائيلية نافذة المفعول ، ويقول النائب الاسرائيلى فى الكنيست

الكهانية
أعلى مراحل الصهيونية النازية

ميخائيل ايتان « إن مشاريع القوانين التي وضعها عضو الكنيست مئير كهانا ، تتطابق مع قوانين نيرينبرغ النازية ضد اليهود » . فمشروع القانون الأول الذي أطلق عليه الحاخام كهانا إسم « قانون الجنسية الإسرائيلية ، وتبادل السكان يهوداً وعرباً » يذكر المرء « بقانون جنسية الرايخ » الذى سن بتاريخ ١٩٣٥/٩/١٥ في ألمانيا النازية ، والقانون الثاني للحاخام كهانا يطلق عليه اسم « قانون منع الاندماج بين اليهود وغير اليهود ، وقدسية الشعب اليهودي » !! ، وهو يذكر « بقانون حماية الدم الجرماني والشرف الألماني » الذي سن في نفس التاريخ السابق ، ومن الواضح هنا أن مشاريع القوانين التى وضعها الحاخام كهانا هي كما يقول النائب الاسرائيلي ميخائيل إيتان ، « وثيقة نازية كتبت في إسرائيل » ، ويعرب عن قلقه من هذه الوثيقة ، ولكن ليس بسبب التمييز العنصري والبلاء الصهيوني الذي تصبه على رؤوس المواطنين العرب في وطنهم وبلادهم ، وإنما لأن « ملايين اليهود في المهجر ، يعيشون بسبب الحاخام كهانا في خطر دائم ، خشية أن يقوم صنو لكهانا يطالب بمعاملة يهود تلك الدول ، بمثل ما يطالب به كهانا من معاملة لغير اليهود في إسرائيل ، مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وغيرها ، والمقارنة المنشورة على الصفحة المقابلة التى وضعها النائب ايتان توضح التطابق بين صهيونية كهانا ونازية هتلر :

دليل « كاخ » اليومي

على الرغم من أن حركة « كاخ » لا تملك حتى الآن ايديولوجية مكتوبة بشكل منهجي ، باستثناء الأفكار التي يطرحها الحاخام مئير كهانا هنا وهناك في خطبه وتصريحاته ومحاضراته ، فإن الحركة تملك مع ذلك رؤية تكتيكية واضحة ومبرمجة وهادفة ، وقد دونت في كتيب صغير يحمل عنوان « الطريق إلى النصر » ، وهو دليل يومي يستخدمه الأعضاء النشيطون في حركة « كاخ » ، ويشتمل الدليل على تعليمات وتوجيهات تدور حول كيفية استخدام أجهزة الاعلام بصورة صحيحة ، وكيفية تسيير الفروع المحلية للحركة ، واستغلال جهات وأوساط في المدن المختلفة ، لتحقيق أهداف « كاخ » إضافة إلى توجيهات حول الأساليب التي يمكن أن تؤدي إلى اكتساب أعضاء في الكنيست ، أو إقامة علاقات معهم لاكتساب تأييدهم لمطالب الحركة .

وقد جاء في مقدمة الكتيب أو الكراس ما يلي : « منذ سنوات عديدة وحركة « كاخ » تعرب عن آراء يألفها قسم كبير من الإسرائيليين ، ولكن الوقت قد حان لترجمة التماثل الكامن في قلوب عشرات الألوف من الاشخاص إلى نشاط يومي ، يؤدي إلى إعتراف واسع بعدالة نهج الحركة ، ولهذا السبب ينبغي على كل نشيط أن يستغل وقته بصورة ناجحة جداً » .

ويمكن تلخيص المنهج التكتيكى لحركة « كاخ » بما يلي :

١ ــ الفروع المحلية للحركة : ينبه « الدليل اليومي » إلى أهمية العمل بنشاط في المدن الصغرى والمستوطنات لاكتساب جماهيرها إلى صف حركة « كاخ » وخاصة في مواسم الانتخابات ، لكن على النشيطين من أعضاء الحركة ، أن يتحركوا في جميع المناسبات وليس في المواسم الانتخابية فقط كما تفعل الأحزاب الأخرى عادة . أما الموضوعات التي يجب تناولها مع الجمهور ، فيجب أن يتحاشى مثيروها الخوض في القضايا الايديولوجية الشائكة ، والتركيز في جميع الندوات والمناقشات المنزلية وغيرها ، على قضايا محددة ، وقريبة من عقول وقلوب المستوطنين ، مثل البطالة الناجمة عن العمالة العربية كما في مستوطنة « بيت شيمش » ، والمعاملة المهينة لليهود التي تصدر عن جنود قوات الطوارىء الدولية العاملة في جنوب لبنان ، كما هو حاصل في مدينة طبريا ، حيث يتردد هؤلاء الجنود الدوليون على المدينة ، ومعاناة اليهود الفلاشا في أثيوبيا باثارة هذا الموضوع أمام أقربائهم من طائفة يهود أثيوبيا بمدينة صفد ، كذلك ينبغي على النشيطين من أعضاء « كاخ » وضع طاولة في مكان بارز في كل مدينة ومستوطنة وذلك لمرة واحدة في الاسبوع ، بهدف جمع التواقيع على عريضة تتضمن مطالبة الحكومة أو الكنيست أو السلطات الأخرى بتطبيق عقوبة الاعدام بحق الفدائيين الفلسطينيين ، أو إظهار معارضة لبعض برامج التليفزيون .. الخ .. وينبغي كذلك أن يكون على الطاولة إعلان آخر ، يدعو صاحب التوقيع إلى القيام بنشاط خلال الأيام القريبة القادمة ، مثل التظاهر تأييداً لمطالب حركة « كاخ » ، والقاء محاضرات ، وعقد ندوات منزلية ، ويتوجب أن تكون الطاولة مزينة بشعارات الحركة بشكل جيد ، ومن المفضل أن يقف دائماً أمام الطاولة شاب وفتاة . ثم ينبغى توزيع مطبوعات ومواد إعلامية على جميع الذين أخذت تواقيعهم على العرائض والبيانات بشكل فوري ، والطلب إلى هؤلاء أن يتبرعوا بالأموال للفرع المحلي للحركة بهدف وصول الفرع إلى استقلال مالي كامل ، وربط الجمهور بالحركة في المدينة أو القرية ، انطلاقا من الشعور الذي يتملك المتبرعين من أن أموال فرع حركة كاخ في مدينتهم أو مستوطنتهم هي أموالهم . كما يتوجب على النشيطين من أعضاء الحركة ، أن يكونوا على اتصال مستمر مع البلدية ، والاعراب عن رأيهم في كل موضوع مطروح ، وينبغى المبادرة أحيانا إلى القيام بنشاط مقبول لدي البلدية والسواد الأعظم من الجمهور ، مثل استضافة الجنود من الجيش الإسرائيلي ، وإعلان التأييد والدعم ليهود الاتحاد السوفيتى وأثيوبيا . ويطالب الكراس الأعضاء النشيطين في الحركة ، بالقيام بجولات على البيوت « الطرق على الأبواب » ، مرة في الشهر ، لجمع التواقيع على عرائض وجمع تبرعات مالية من هؤلاء ، ثم المبادرة إلى الاتصال بالصحف المحلية والمراسلين الصحفيين ، لتغطية أي حدث يقع في المدينة أو المستوطنة أو على المستوى الاسرائيلي ككل .

أما بالنسبة « لليسار » الاسرائيلي ، ويقصد بهذا اليسار العرب بشكل عام ، والعرب المنضوين تحت لواء حزب « راكح » ، يضاف إليهم اليساريون الاسرائيليون ، وبصورة أدق الليبراليون الاسرائيليون ، فإن منهج حركة كاخ يطالب أعضاء الحركة ، بتجاهل هؤلاء أحياناً ، وتسفيه آرائهم أحيانا أخرى ، حيث يقول الكراس المذكور : « أما مناقشة اليساريين ، فأمر غير جائز على الاطلاق ، وينبغى مقاطعتهم بجواب قصير : إنكم أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية ، إنكم فاشيون ، إنكم عنصريون .. الخ » ، أما الهدف من وراء إلصاق هذه التهم بهذه العناصر ، فهو أولاً عدم هدر الوقت في نقاش لا ينتظر الوصول منه إلى نتيجة مفيدة ، وثانيا إكتساب متعاطفين محتملين إلى جانب حركة كاخ ، من المقترعين في الانتخابات لحزبى « الليكود » و« هتحياه » ومن المتدينين .

بيد أن الكتيب ، لا ينسى تذكير أعضائه ، والنشيطين منهم بصورة خاصة ، بضرورة الامتناع عن ارتكاب أي مخالفة للقانون والتشاور مع المحامين في كل حالة يبرز فيها تخوف من إحتكاك مع رجال الأمن ، وكل ذلك بهدف بناء هيئة قوية لحركة « كاخ » في كل مدينة في الكيان الصهيوني ، كما يذكر الكتيب أعضاء الحركة بان الفوز في الانتخابات ، هو من نصيب الذين يمتلكون فعاليات أكبر أو نشيطين أكثر ، وهؤلاء يظهرون في حلبة الأحداث عندما يكون هناك عمل ملفت للانتباه ، ويقتضي إظهار الحماسة .

٢ ــ وسائل الاعلام : وبالنسبة لوسائل الاعلام ، يوصى الكتيب أعضاء (كاخ) بمتابعة الاحداث السياسية عن كثب ، وذلك عن طريق قراءة كل عضو نشيط في الحركة ، لصحيفة يومية واحدة على أقل تقدير ، والاستماع الى ثلاث نشرات إخبارية على الاقل ، والى شريط الأسبوع في الاذاعة ، ومشاهدة برنامج « مباط » الاخبارى في التليفزيون كما يوصى بأن يكتب الأعضاء النشيطون في « كاخ » رسالة في الأسبوع موجهة لهيئة التحرير في احدى الصحف الاسرائيلية ، دون أن يشير إلى هويته الحزبية ، ومن الأهمية بمكان الإكثار من هذه الرسائل لشرح موقف كاتبها من الانتخابات العامة القادمة ،

وكيف أنه سيدلي بصوته في الانتخابات القادمة لحركة «كاخ» بدلا من أحزاب الليكود وهتحياه وموراشا ، على أن يعلل تحوله هذا عن تلك الأحزاب لصالح «كاخ» بحدث واقعي ، ويوصي الكراس أيضا بالتركيز في كتابة هذه الرسائل ، على الصحف التالية : «يديعوت أحرونوت» ، «هآرتس» ، و «جيروزاليم بوست» ، وعلاوة على هذه الصحف ، ينبغي نشر رسائل أو مقالات في الصحف المحلية الصادرة في المدينة أو المستوطنة ، كلما لاحت فرصة لذلك .

أما الاذاعة ، فمن واجب أعضاء حركة «كاخ» النشيطين ، المشاركة في البرامج الاذاعية التي يتصل فيها المستمعون بالأستوديو ، واستغلال هذه البرامج لبث دعاية لصالح الحركة ، مثل استغلال «برامج التعارف» بحيث يتم الاتصال بالأستوديو لتوجيه سؤال إلى الشاب أو الفتاة حول ما إذا كانا مستعدين للزواج من عربي ، أو إثارة بعض «الجرائم الجنسية التي إرتكبها العرب ضد اليهود !!» أما برنامج الاذاعة المعروف «بيننا وبين أنفسنا» فهو البرنامج الأكثر أهمية لأعضاء «كاخ» ، ومن المهم أن لا يكشف المتصل بالبرنامج عن هويته الحزبية كعضو في حركة «كاخ» ، وإنما يطرح موضوعاً إجتماعيا أو إقتصاديا مثل إضراب المعلمين أو غيره من الموضوعات المشابهة .

وبالنسبة للتليفزيون ، فينبغي الإكثار من الرسائل إلى أسرة التحرير أو المشرفين على إدارته ضد اعتماد التليفزيون سياسة التمييز بين الأحزاب ، وارفاق ذلك بالأمثلة ، ولأن التليفزيون الاسرائيلي لا يجد منافسة من محطات أخرى ، فإن من المهم الإكثار من المطالبة بإقامة تليفزيون تجاري في رسائل موجهة لأعضاء الكنيست ، وخاصة الأعضاء منهم في أحزاب الليكود وهتحياه والأحزاب الدينية ، وإذا صدر عن أي عضو كنيست رد فعل ايجابي على الرسائل الموجهة إليه بصدد التليفزيون التجاري أو غير ذلك من القضايا السياسية والاجتماعية ، فينبغي توجيه رسالة شكر وتأييد له ، لأن الهدف هو تغيير رأي هذا النائب ، أما رسائل النقد الموجهة للنواب ، فينبغي أن تتسم بالتهذيب حتى وإن صيغت عباراتها بشكل لاذع . ومن المهم أن تستهل الرسالة بالإعراب عن تعاطف كاتبها مع هذا النائب والاشارة إلى أنه منحه صوته في الانتخابات الماضية ، ويستحسن إضافة عبارات التهنئة على مبادرة ايجابية قام بها عضو الكنيست هذا في الماضي كما تنطبق هذه المواصفات على المكالمات الهاتفية مع أعضاء الكنيست ، وينبغي القول دائما «إنك تتكلم باسم هيئة صغيرة ، حتى وإن كان أعضاؤها أنت وزوجتك فقط» . (أنظر الملف ــ المجلد الثاني ــ العدد ٣)

على أيه حال ، فان الحاخام كهانا الذي اكتفى برسم الاطار التكتيكي العنصري النازي لحركة أو حزب «كاخ» والذي يشبه النازية حتى بحركة التحية «قبضة مرفوعة في الهواء» تعبيراً عن القوة والعنف ، ليس بحاجة إلى عقيدة ، لأن الصهيونية النازية الحاقدة هي بحد ذاتها عقيدة «كاخ» ، وما يميز الصهيونية الكهانية النازية عن حزب العمل أو حتى الليكود ، هو أن الكهانية تتكلم بوضوح ودون مواربة ، وبعيداً عن لغة الدبلوماسية ، ومتعرجات السياسة ، بيد أن الحاخام كهانا ، إنما يمثل بأفكاره النازية التفكير الصهيوني الأصيل والرسمي ، فيما يحاول الكهانيون الآخرون من أمثال شمعون بيريس وأريئيل شارون وإسحق شامير وإسحق رابين وغيرهم من قادة «اسرائيل» اخفاء حقيقتهم الكهانية النازية ، وراء ستار من دخان السياسة والدبلوماسية الكاذب . وقد شهد شاهد من أهلهم عليهم ، حيث قال الصحفي والسياسي «الليبرالي» «يوري أفنيري» : «إنني أعرف بأن الحاخام كهانا لا يتكلم باسمه فحسب ، وإنما بإسم أولئك الذين يجلسون على قمة أحزاب العمل والليكود وهتحياه والمفدال ، أولئك الذين يؤيدون ويدعمون كهانا في جميع تصرفاته وتصريحاته فلقد بحثوا عن شخص يقوم عنهم بهذه الأعمال القذرة ، فوجدوه في شخص كهانا . ويبقى أن نقول إن الكهانية هي أعلى مراحل الصهيونية النازية ، وهي مغامرة غير مأمونة العواقب ، ولكنها لابد منها للصهيونية ، في ظل المآزق الخانقة التي .. نعيشها منذ سنوات ؟

عصام شريح

مقارنة بين الكهانية والنازية

قانون كهانا	القانون النازي
١ ــ تقام شواطىء منفصلة للاستحمام لليهود ، ولغير اليهود ، ويعاقب بالسجن لمدة ستة أشهر ، كل من يتواجد في الشاطىء المخصص لأبناء الشعب الآخر .	١ ــ يحظر على اليهود الدخول إلى حمامات السباحة العامة ، وفي أماكن الاصطياف والمنتجعات ، يجب الفصل بين اليهود وغير اليهود ، ولهذا السبب يجب تخصيص فنادق وبنسيونات منفصلة للنزلاء اليهود .
٢ ــ لا يمكن لغير اليهودى أن يعين في منصب سلطوي في «دولة اسرائيل» ولا يستطيع غير اليهودي ، التصويت في انتخابات الكنيست أو أية هيئة رسمية وشعبية أخرى . وعلى غير اليهودى أن يتعهد بدفع الضرائب والقبول بالعبودية ، وإلا فإنه سيطرد بالقوة من «اسرائيل» .	٢ ــ لا يمكن لليهود أن يصبحوا مواطنين في الرايخ ، وليس لهم حق الاقتراع السياسى ، ولا يمكنهم تولي مناصب عامة .
٣ ــ لا يحق لغير اليهود أن يسكنوا ضمن حدود منطقة القدس .	٣ ــ الشقق المؤجرة لليهود في كل من برلين وميونخ لا يعاد تأجيرها لهؤلاء دون إذن خاص .
٤ ــ محظور على الرجال والنساء اليهود في «اسرائيل» ، التزاوج مع غير اليهود ، سواء كان ذلك في «البلاد» أو في الخارج ، ولن يعترف مطلقا بمثل هذا الزواج المختلط .	٤ ــ محظور على المواطنين الألمان ذوي الدم الألماني أو ذوي الدم القريب منه ، التزاوج مع اليهود ، وأي زواج عقد خلافا لهذا القانون ، هو زواج باطل ، حتى لو عقد في الخارج .
٥ ــ محظور على اليهود واليهوديات من «مواطنى اسرائيل» ، إقامة علاقات زواج كاملة أو جزئية من أي نوع كان ، مع غير اليهود ، وينطبق هذا الحظر على أي علاقات خارج إطار الزواج أيضا ، ويعاقب بالسجن لمدة سنتين كل من يخالف ذلك كما يعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات ، غير اليهودي الذي يقيم علاقات زواج مع يهودية .	٥ ــ محظور على الألمان (ذوي الدم الالماني أو القريب منه) التزاوج مع اليهود . كما أنه لا يحق لليهود أن يستخدموا في منازلهم ، خدماً من الألمانيات تقل أعمارهن عن ٤٥ عاماً .
٦ ــ جميع مؤسسات التعليم في «أرض اسرائيل» تكون منفصلة لليهود ، ولغير اليهود .	٦ ــ محظور على التلاميذ اليهود أن يتلقوا العلم في مدارس ألمانية ، ومسموح لهم بذلك فقط في مدارس يهودية .
٧ ــ تلغى المصايف ، وجميع المؤسسات المختلطة في «اسرائيل» .	٧ ــ يمنع إشتراك تلاميذ وتلميذات من غير العرق الآري (الجرماني) ، من زيارة بيوت الشباب الالمان .

لماذا لانحتفل بالعيد الذهبي لصدور كتاب «حياة محمد»؟

بقلم: حافظ محمود


محمد حسين هيكل


معروف الرصافي


طلعت حرب

كنت قد اقترحت فى حديث إذاعى أن تحتفل المحافل الفكرية ، عربية واسلامية ، خلال سنة ١٩٨٥ بالعيد الذهبى ـ أى بمرور خمسين عاماً ـ على ظهور كتاب « حياة محمد » الذى صدر للدكتور محمد حسين هيكل سنة ١٩٣٥ فكان أول كتاب من نوعه يغير موازين الفكر الذى كان سائراً فى الجيل الجديد على الساحة الثقافية العربية فى تلك المرحلة .

كانت جامعة القاهرة قد أخذت طابعها الرسمى سنة ١٩٢٥ ، وكانت أبرز كليات الجامعة فى تلك المرحلة هى كلية الآداب التى كانت تعكس على الساحة الفكرية فلسفات طه حسين ومصطفى عبدالرازق ومنصور فهمى وغيرهم من نوابغ الأساتذة الجدد الذين كانوا يحاولون ، داخل الجامعة وخارجها ، فتح ثغرة بين تلال الجليد الفكرى بحركة مقاومة عمادها الفلسفات المعاصرة ، وكانت هذه المحاولة البريئة فى أصولها والجريئة فى بعض ماتفرع عليها ، قد أوجدت تياراً من الصراع الظاهر أو المستتر بين الفكر القديم وبين الفكر الجديد ، وفى هذا الصراع اختلفت بعض المفاهيم التى استثمرها بعض المفكرين المحدثين لكى يظهروا بأفكارهم على الفكر القديم ، كما استثمرها بعض دعاة أو رعاة الفكر القديم ليدقوا ناقوس الخطر على الأصالة الفكرية من الأفكار التى كانوا يسمونها « الأفكار الوافدة » ليصرفوا النظر عما بها من حتميات التطور .

ولقد بلغ هذا الصراع مبلغاً ذهب فيه خيال الناشئة ، وربما غير الناشئة أيضاً ، الى تقسيم المفكرين مدرستين ؛ مدرسة إيمانية تصون قيم التراث والتاريخ ، ومدرسة إلحادية تبشر بالفلسفات الجديدة التى نشرها غلاة الفكر الأوربى المعاصر تحت مظلة حضارة القرن العشرين .

ولقد امتدت هذه المعركة الفكرية ، بطبيعة الحال ، من القاهرة الى حواضر الوطن العربى الكبير ، وكان الشباب المقبل على التعليم ، بحكم تكوينهم ، مع ماسمي بالمعاصرة ، مما جعل المنصفين يتخوفون على المستقبل الفكرى أو القيمى للمغالين من هؤلاء الشباب .

قصة كتاب

يومئذ أشعل كاتب فرنسى هذه الموجة فنشر كتاباً بلغته الفرنسية عن « حياة محمد » ، وكانت



د . هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق



جان جاك روسو



محمد مصطفى المراغي

بدايات هذا الكتاب مشجعة ، مما حفز الدكتور محمد حسين هيكل الى ترجمة بعض الفصول الأولى من هذا الكتاب للنشر فى جريدة « السياسة الأسبوعية » ، ثم مالبث أن تبين فى الفصول التالية أن المؤلف الفرنسى قد أصيب بالشطط عن إدراك طبيعة التاريخ المحمدى ، وأدرك هيكل بحاسته الاسلامية أن هذا التاريخ بحاجة الى عرضه عرضاً علمياً موضوعياً يوقف تيار هذه الظنون الأجنبية ، فتحول من ترجمة الكتاب الفرنسى الى نقده نقداً موضوعيا ، ومن خلال هذا النقد الموضوعى تجمعت لدى الدكتور هيكل أصول كتابه عن « حياة محمد ».

لماذا الإحتفال؟

ويظهر كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل سنة ١٩٣٥ أحس أركان المدرستين اللتين أشرنا اليهما أنهما على طريق المصالحة بين القديم والجديد الذي تتقابل فيه الأصالة مع المعاصرة ... وما إن بدأ الدكتور هيكل بنشر فصول كتابه بجريدة « السياسة الأسبوعية » حتى انهالت عليه أسباب التشجيع ، فطلعت حرب زعيم مصر الاقتصادي إذذاك يعلن له استعداد « مطبعة مصر » وهي إحدى شركات بنك مصر لطبع هذا الكتاب . والناشرون يعرضون خدماتهم على المؤلف ، وقمم الأزهر الشريف تسانده ، وكان أكبر مظهر من مظاهر هذه المساندة أن الامام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ المراغي تولى بنفسه كتابة المقدمة لهذا الكتاب .

ولقد كانت هذه كلها هي حيثيات اقتراحي بالاحتفال بالعيد الذهبي لكتاب « حياة محمد » لأن هذا الكتاب كان نقطة تحول عن مخاطر الاندفاع وراء بعض الفلسفات الحديثة الوافدة بلا تمحيص إلى إقامة فكر عربي اسلامي متجدد لا يغمط حقاً لقديم أو جديد صالح ، واحسب أن هذا المعنى كان سبباً في أن تقبل مني جامعة الأزهر فكرة هذا الاحتفال تحت رعايتها مما أتوقع أن يتم ، باذن الله ، في الخريف القادم .

المصالحة بين القديم والجـــديد

ولعل في مقدمة الدلائل على أن ظهور كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل سنة ١٩٣٥ لم يكن مجرد نشر كتاب جديد قيم ، إنما كان بداية حركة فكرية عربية جديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، أن قادة الفكر في مصر وشقيقاتها قد سارعوا إلى متابعة هذا الطريق الذي بدأه هيكل فاذا بطه حسين يصدر كتابه « على هامش السيرة » واذا بالعقاد يصدر كتابه « عبقرية محمد » واذا بأعلام الفكر العربي في كل مكان يساهمون في هذه الحركة المباركة .

وعلى أثر ظهور كتاب « حياة محمد » دعي مؤلفه الدكتور هيكل لزيارة السعودية ، وبينما كان الرجل في دار النبوة بالمدينة المنورة ، هداه الله لفكرة كتابه الاسلامي الثاني ، الذي أسماه « في منزل الوحي » . وكان هذا الكتاب فتحاً جديداً في حياة الدكتور هيكل نفسه ، فمن عوائده بنى لنفسه منزلاً جميلاً بعد طول معاناة مع الزمن ، مما جعله يفكر في تسمية هذا المنزل باسم « منزل الوحي » ، ثم تعارضت هذه الفكرة مع تواضعه العلمي وحسه الايماني فعدل عن هذه الفكرة ، ورأى خيراً منها أن يستأنف المسيرة في تحديث التاريخ الاسلامي ، فأخرج كتاب « الصديق أبوبكر » ثم كتاب « الفاروق عمر » . وكان معتزماً أن يتم تحديث سير الراشدين لولا أن الأحداث السياسية التي كان يعيشها مع جماهير الوطن العربي حملته على أن يضع موسوعته السياسية التي أسماها « مذكرات في السياسة المصرية » في ثلاثة أجزاء موسعة ظهر الجزء الثالث منها بعد وفاته .

● الشيخ المراغي يتحمس لـكتاب حياة محمـــد ويقــدمـــه للقـــراء

● كتاب في منزل الوحي نجـح نجاحا رائعـــا وعاد على مؤلفه بـثروة مكنتـه من بناء بيت كبـير

لماذا لا نحتفل بالعيد الذهبي لصدور كتاب حياة محمد؟

مع هذا فإننا نقف في هذا الكتاب السياسي أمام ذات القيم التي نلاحظها في كتبه الإسلامية ، فلقد أرخ لأحداث السياسة في عصره بدقة لا تخلو من النقد الذاتي حتى لشخصه وللحزب الذي انتمى إليه ثم تولى رياسته . وتلك روح جديدة لم نجدها في مذكرات أي سياسي آخر ، لسبب بسيط ، هو أن العقلانية كانت تطغى على ماعداها من الأغراض السياسية .. وتلك هي ألمع نقطة في تاريخ الدكتور هيكل الذي لم تؤثر كل مناصبه على عقلانيته .

قلعة ثقافية

وفي تحليل شخصية الدكتور هيكل المفكر نجد أن هذه الشخصية قد تبلورت منذ أصدر كتابه « ثورة الأدب » في أواسط العشرينات ، فأنت تقرأ في هذا الكتاب كاتباً أكثر نضجاً من مؤلف قصة « زينب » ومن مترجم « اعترافات جان جاك روسو » ... وفي رأيي أن قصة « زينب » التي اعتبرها النقاد فتحاً لباب الرواية المصرية أو العربية الحديثة ليست إلا صيحة للنقد الاجتماعي من جانب مفكر شاب مستنير يريد الاصلاح كما كانت ترجمته لكتاب « اعترافات جان جاك روسو » صرخة من صرخات هذا النقد استناداً إلى ما جاء في اعترافات روسو من تعرية صريحة لمن كانت تحيطهم الهالات .

أما « كتاب « ثورة الأدب » فكان بمثابة النداء الذي وجهه الدكتور هيكل لبناء قلعة فكرية جديدة تصد الأعاصير عما في الماضي والحاضر من نقاء فكري لا يلوثه شطط ولا جور .

وربما كانت الأفكار التي عاشها الدكتور هيكل في إعداد كتاب « ثورة الأدب » ذات دخل كبير في اصدار جريدة « السياسة الأسبوعية » في الثالث عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٦ . وهي الجريدة الثقافية الخالصة للفكر الجديد الذي يحترم جانب الثقافة وحده في الفكر القديم بل ربما كانت « السياسة الأسبوعية » هي التي روجت لمعاني « الثقافة » الواضحة التي كانت غير منضبطة الوضوح من قبل ، فالتف حولها الجيل الفكري الجديد من الشباب الذين حيرهم الماضي فوجدوا فيها أنفسهم ، وظهر من بينهم طلائع الفكر المحدثون أمثال نجيب محفوظ وغيره من الطلائع الذين صاروا أعلاماً .

ولقد كانت لنهضة « السياسة الأسبوعية » أسبابها ، ومن هذه الأسباب أنها كانت أول جريدة ثقافية لها مراسلون في جميع أنحاء الوطن العربي الكبير ، فاستجاب هذا العالم معها فكنت تقرأ على صفحاتها شعر شاعري العراق العظيمين ، الزهاوي والرصافي ، وشعر ونثر أديب سورية جميل مردم ، وتحقيقات المفكر السوري الجليل سامي الكيالي . وغيرهم من قادة الفكر العربي في المشرق والمغرب ، فلا غرابة في أن يكون توزيعها خارج مصر موازياً لتوزيعها داخل مصر حوالي ستين ألف نسخة في مرحلة العشرينات التي كان أكبر أرقام توزيع الصحف فيها لا يتجاوز العشرين ألف نسخة .

وكان من أمجاد جريدة « السياسة الأسبوعية » برياسة تحرير الدكتور هيكل أنها هي التي دعت إلى انعقاد أول مؤتمر للأدباء العرب . وهو المؤتمر الذي انعقد بالقاهرة في شهر مايو سنة ١٩٢٧ تحت عنوان « مهرجان شوقي » ، وقد أشار سعد زغلول إلى هذا المعنى في كلمته التي ألقيت في افتتاح هذا المهرجان الفريد الذي اشترك فيه قادة الفكر من كل أنحاء العالم العربي بالاجماع .

لقد كانت هذه الجريدة الثقافية الهيكلية مدرسة تركت بصماتها على الأجيال الفكرية التالية ، ولقد أخطأ الدكتور هيكل ، وربما اضطراراً ، حينما أدخل عليها مادة السياسة الحزبية تحت وطأة الظروف السياسية العنيفة ، التي مرت بمصر في الثلاثينات . ومع هذا الخطأ فقد تركت هذه الجريدة للأجيال التالية مسلسلات هيكل وطه حسين والمازني وغيرهم في عالم الفكر الحر .

ولما كنت من تلاميذ هذه المدرسة فقد كان لزاماً علي أن أضع هذه الصورة على حقيقتها أمام الأجيال الصاعدة ليبحثوا فيها عن تاريخ الفكرة الثقافية العربية لعل فيها ما يتسلحون به فكرياً لمستقبل فكري أفضل .

حافظ محمود

الدكتور محمد حسين هيكل في سطور

• ولد محمد حسين هيكل في التاسع والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٨٨ ببلدة « أبو الشقوق » بإقليم الدقهلية بمصر .

• أتم تعليمه العام بمدينة المنصورة عاصمة الاقليم ، ثم التحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة . وتخرج فيها سنة ١٩٠٩

• حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس ١٩١٢ على رسالة موضوعها « الدين المصري العام » فكان أول من نال الدكتوراه في بلاده .

• رفض الوظائف الحكومية ، وعمل محامياً ، لا في القاهرة بل في المنصورة عاصمة اقليمه .

• تولى كرسي الاستاذية في مادة « القانون الدستوري » بالجامعة المصرية القديمة في سني الحرب العالمية الأولى .

• أسس مع صفوة من زملائه في أعقاب الحرب « الحزب الديمقراطي » ثم اندمج هذا الحزب الشبابي مع غيره في تنظيمات ثورة ١٩١٩ بمصر .

• تولى رياسة تحرير جريدة السياسة عند صدورها في نهاية اكتوبر سنة ١٩٢٢ ... وكان أحد أعضاء هيئة الصياغة بلجنة وضع الدستور المصري الذي صدر في ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ .

• أصدر جريدة « السياسة الأسبوعية » عن « شركة السياسة في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ » .

• عين عضواً بمجلس الشيوخ سنة ١٩٣٦ .. وفي سنة ١٩٤٢ تولى زعامة المعارضة بالمجلس .. وكان في نفس الوقت عضواً بمجمع اللغة العربية .

• عين وزيراً للدولة أول يناير سنة ١٩٣٨ ثم اختير وزيراً للمعارف .

• في ٩ يناير سنة ١٩٤٢ انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين فكان أول من تولى رياسة الحزب بالانتخاب .

• تولى رياسة مجلس الشيوخ ١٩٤٥ — ١٩٥٠ وفي هذه الفترة عقد بالمجلس أول اجتماع لوفود البرلمانات العربية لتشكيل الاتحاد البرلماني العربي ، ثم اختير رئيساً لمؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي في إحدى دوراته ، وهي الدورة التي انعقدت بمصر .. وكان في نفس الوقت رئيساً لوفد مصر لدى الأمم المتحدة . ومن أشهر أعماله فيها مشروع « إعادة تدوين الأخلاق الدولية » ومشروع « إعادة النظر في المعاهدات غير المتكافئة » وقد حاربت دول الاستعمار هذين المشروعين بضراوة .

• في ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ صدر المرسوم الملكي بعزله من رياسة مجلس الشيوخ بسبب حمايته لاستجواب الحكومة في قضية « الأسلحة الفاسدة » .

• توفي في الثامن من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٦

أشهر مؤلفاته هي :

• قصة « زينب » وقد أخرجتها السينما المصرية إخراجين وأحرز الاخراج الثاني جائزة مهرجان السينما العالمي في برلين الغربية .
• ترجمة « اعترافات جان جاك روسو » .
• تراجم مصرية وغربية .
• عشرة أيام في السودان
• في أوقات الفراغ
• في منزل الوحي
• ثورة الأدب
• حياة محمد « طبع ست عشرة طبعة »
• الصديق أبو بكر
• الفاروق عمر
• مذكرات في السياسة المصرية
• قصة « هكذا خلقت »

فكري هام



حقيقة الانتحار الذي تندفع إليه البشرية!

● شتاء بارد قارس، ومجاعة لا تعرف الرحمة!

فى هذا العام ١٩٨٥ يكون قد مرت أربعون سنة على مأساة مدينتى هيروشيما ونجازاكى اللتين ضربتا بقنبلتين ذريتين منذ أربعين سنة . وعلى الصفحات التالية تقدم الدوحة ملفاً فكرياً هاماً يتناول في الجزء الأول منه قصة « الشتاء النووى » الذى يمكن أن تتعرض له الحياة على الأرض بعد قيام أى حرب نووية محتملة ، والذى سوف يؤدى إلى برد قارس ومجاعة شاملة وينتهي بالقضاء على كل البشر وكل مظاهر الحياة من نبات وحيوان .. وفي الجزء الثاني من الملف دراسة عن الآثار الطبية لأي حرب نووية حيث ينتهي البحث الطبي إلى نفس النتيجة وهي أن الحرب النووية معناها انقراض الحياة البشرية فوق الأرض ، فهل يتعلم البشر من هذه الحقائق المثيرة المؤلمة .. قبل أن تقع الكارثة ؟! وهل تشهد السنوات القادمة يقظة حقيقية للضمير والعقل فتتوقف جهود الدمار لتتحول إلى جهود من أجل حماية الحياة وحل مشاكل الإنسان ؟!

هذا هو السؤال .

الشتاء النووي

خطر يهدد الإنسانية

بقلم: الدكتور عامر شيخوني

اقتربت سفينة الفضاء من كوكب المريخ وازداد النشاط في مركز المراقبة الأرضية وازداد الحماس .. فقد اقترب حلم الانسانية القديم من التحول إلى حقيقة واقعة . انشدت أنظار المراقبين إلى شاشات التصوير وهم يشاهدون لأول مرة سطح هذا الكوكب الصديق الذي طالما حلم العلماء والكتاب بزيارته ومشاهدته عن كثب .. والآن هاهي سفينة الفضاء تقترب منه وترسل إلى الأرض صوراً تليفزيونية عن تفاصيل سطحه الغريب .. وفجأة .. ظهرت غمامة هائلة من الغبار كادت أن تغطي سطح الكوكب بكامله ، وحجبت وراءها تفاصيل سطح المريخ وتضاريس أرضه الحمراء الجافة . ضاعت فرصة نادرة طال انتظارها .. وفتر الحماس وبردت الهمم في حين تابعت سفينة الفضاء إرسال نتائج دراساتها وقياساتها .. لدى دراسة هذه القياسات لاحظ العلماء انخفاضاً ملحوظاً في درجة حرارة سطح المريخ تحت غمامة الغبار في حين ارتفعت حرارة الأجواء العليا من سمائه ..! وقد فسرت هذه التغيرات بأن هذه السحابة الهائلة من الغبار قد قامت بامتصاص أشعة الشمس وحرارتها فارتفعت حرارة الأجواء العليا من سماء المريخ ، في حين حجبت أشعة الشمس وحرارتها عن الوصول إلى سطح الكوكب فانخفضت حرارته . كانت هذه الملاحظة من أوائل الدراسات التي لفتت نظر العلماء إلى أهمية الغبار في طبقات الجو .

في شهر آذار ـ مارس ـ من سنة ١٩٨٢ استيقظ بركان سانت هيلين في أمريكا ، وأطاح انفجاره بالثلث الشرقي من الجبل القديم وأحاله إلى سحابة كبيرة من الغبار .. انتشرت سحابة الغبار بسرعة فوق القسم الشمالي الغربي من الولايات الأمريكية وتحول النهار إلى ليل في المناطق المجاورة للبركان حيث حجب الغبار الشمس واضطر الناس هناك إلى استعمال الأنوار الكهربائية في عز الظهر ، وهنا أيضاً لاحظ العلماء انخفاضاً شديداً في درجة الحرارة على سطح الأرض في تلك المناطق ، واضطر الناس لاستعمال التدفئة وارتداء الألبسة الثقيلة في عز الربيع .! ترسب الغبار على سطح الأرض خلال أيام قليلة وعادت أشعة الشمس الدافئة إلى إنعاش الحياة من جديد .وسجل العلماء ملاحظة أخرى أشارت إلى عمق التغير الذي يحدثه الغبار في درجة الحرارة على سطح الأرض . بعد ذلك بشهر واحد انفجر بركان آخر في المكسيك ، وفي هذه المرة تابع العلماء قياساتهم لدرجات الحرارة وانتشار الغبار في طبقات الجو ، ولاحظوا أن هذا الغبار البركاني الدقيق قد انتشر حول الكرة الأرضية بكاملها خلال ثلاثة أسابيع فقط .! وثارت أسئلة جديدة محضة : ماذا سيحدث إذا تجمعت كميات كبيرة من الغبار والدخان في طبقات الجو على مر الزمن بسبب تلوث البيئة والصناعة ، ماالذي سيحدث على سطح الكرة الأرضية من انخفاض في درجة الحرارة إذا طرأ مايسبب انتشار كميات كبيرة من الغبار في طبقات الجو ؟ بل ماالذي سيحدث إذا قامت حرب نووية وشبت حرائق هائلة في كافة أرجاء المعمورة وعم الدخان والغبار في الجو وحجب عنا الشمس ؟ هل ستنخفض درجة الحرارة على سطح الأرض وتتحول الفصول إلى شتاء مستمر ؟ وكم سيدوم هذا الشتاء النووي الخطير ؟

نتائج الحرب النووية

كانت أكاديمية العلوم الملكية السويدية تتابع دراساتها النظرية عن تأثير الانفجارات النووية على طبقات الجو العليا ، وتركز بشكل خاص على التغيرات في تركيز غاز الأوزون فيها . وقبل أن تنتهي دراساتهم هذه بأشهر قليلة قرروا دراسة التغيرات في كمية الدخان في طبقات الجو العليا نتيجة الحرائق الواسعة المدى التي يتوقع حدوثها في أية حرب نووية . وعندما استخدموا الطرق النظرية والحسابية ذاتها فوجئوا بالنتائج ... فقد أظهرت حسابات الكومبيوتر أن حدوث حرب نووية في أوربا ستؤدي إلى حرائق شديدة في مساحات واسعة تكاد تساوي مساحة أسكندنافيا بكاملها .. وأن هذه الحرائق الهائلة ستنتج كميات ضخمة من الدخان الذي يمكن أن ينتشر بسرعة في طبقات الجو فوق أوربا وأمريكا وروسيا .. وأن هذا الدخان الكثيف سيحجب أشعة الشمس ويؤدي إلى

● ألف مليار دولار يصرفها العالم كل سنة على الأسلحة النووية

● مخزون الأسلحة النووية يصل حالياً إلى ١٥٠٠ «ميجاطن» يكفي تفجير مائة منها للقضاء على الجنس البشري

انخفاض شديد في معدل درجات الحرارة إلى ماتحت درجة التجمد لفترة قد تستمر ستة أشهر كاملة من الشتاء القارس ..!

إثر تزايد الحديث عن « الشتاء النووي » في الأوساط العلمية المهتمة بدراسة الطقس والبيئة ، قامت وكالة الفضاء الأمريكية في سان فرانسيسكو بدراسة هذه الظاهرة . وهنا أيضاً قام جهاز الكومبيوتر بحساب كافة الاحتمالات النظرية الممكنة والنتائج التي يمكن أن تترب على حدوث حرب نووية يتم خلالها تفجير ثلث الاحتياطي العالمي من الأسلحة النووية (وهذا ما يقدر الآن بحوالي ٥٠٠٠ ميجاطن) . أظهرت هذه الدراسات أن حرباً نووية على هذا المستوى ستؤدي إلى حدوث حرائق هائلة في المدن والغابات ومناطق البترول ،

وأن هذه الحرائق ستنتج كميات ضخمة من الدخان الذي سيرتفع بتأثير الحرارة إلى طبقات الجو العليا ويحجب أشعة الشمس عن سطح الأرض بحيث لا يصل إلينا أكثر من واحد بالمائة من الطاقة الشمسية التي تصلنا الآن ..! وأن هذا سيؤدي إلى انخفاض معدل درجة الحرارة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية إلى ماتحت الصفر .. وأن هذا البرد الشديد سيستمر حوالي ستة أشهر كاملة من الشتاء المعتم القارس ..!

إثر انتشار نتائج هذه الدراسات في الأوساط العلمية ، قامت أكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو سنة ١٩٨٢ بدراسة تفصيلية مشابهة درست خلالها نتائج حدوث حرب نووية عالمية .. وتوصل العلماء الروس أيضاً إلى أن الدخان الناتج عن الحرائق الهائلة التي ستنشب في أوربا وأمريكا سيؤدي إلى انخفاض معدل درجة الحرارة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية حوالي ١٥ إلى ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر ..! وأن هذا الشتاء النووي القارس سيستمر فترة ثلاثة إلى ستة أشهر كاملة !..

أثارت هذه النتائج المتماثلة قلق العلماء في كافة أنحاء العالم ، وتصدت بعض الآراء لانتقاد هذه



الشتاء النووي

الدراسات والطعن في استنتاجاتها ، وخاصة من الأوساط السياسية التي أقلقها هذا الخطر الجديد الذي يكمن وراء استعمال الأسلحة النووية .. إذ يبدو الآن وللمرة الأولى في تاريخ العالم أن خطر استخدام السلاح لقهر العدو في الحرب لن يكون محدوداً في مجال التدمير ، ولن يكون محدوداً في منطقة استعمال الأسلحة ، بل سيمتد ليشمل مناطق كثيرة من العالم ..

وإذا كانت هذه الحسابات النظرية صحيحة فإن استعمال الأسلحة النووية على نطاق واسع قد يكون بمثابة انتحار شامل للجنس البشري بما يسببه من تغيرات خطيرة في الطقس قد تكون وخيمة العواقب على كافة الأرجاء دون تمييز بين محايد أو مغلوب أو منتصر ..! وهكذا . بالنظر إلى أهمية هذه المشكلة في تحديد استراتيجية السياسة الدولية ، كلفت الحكومة الأمريكية المركز القومي لأبحاث الطقس في ولاية كولورادو بدراسة ظاهرة الشتاء النووي بشكل مفصل ودقيق .

ويعتبر هذا المركز من أكثر مراكز أبحاث الطقس تقدماً في العالم وأكثرها تجهيزاً بالعقول الالكترونية وأجهزة القياس الحديثة . قام العلماء في مركز الأبحاث هذا برسم دراسة مفصلة أخذت في اعتباراتها وجود المحيطات والشواطئ وخطوط الطول والعرض وتغيرات الرياح والتيارات البحرية في برنامج دقيق استخدم فيه الكومبيوتر وكمية هائلة من المعلومات عن معدل درجات الحرارة في كافة أرجاء العالم . درس العلماء في هذا البرنامج النتائج التي يمكن أن تنشأ عن حرب نووية يتم خلالها تفجير ثلث الاحتياطي العالمي من الاسلحة النووية ، وافترضوا أن هذه الحرب ستنشأ في فصل الصيف .. وكانت النتائج مذهلة في برودتها ..! فقد توصلوا إلى ان مثل هذه الحرب ستؤدي فعلاً إلى انخفاض معدل درجات الحرارة إلى حوالي ١٥ درجة مئوية تحت الصفر وخاصة في أوربا ، وأن هذا الشتاء النووي سيبدأ تقريباً في اليوم الثامن من الحرب ، وأنه سيستمر من ثلاثة إلى ستة أشهر بحسب المنطقة الجغرافية من العالم ..! وأن النصف الشمالي من الكرة الأرضية سيتأثر أكثر من النصف الجنوبي بسبب أن الحرب ستحدث غالباً في الشمال الأكثر سكاناً والأكثر تناقضاً . ولكن هذا لن يكفل الحماية لسكان النصف الجنوبي من الأرض لأنهم سيتأثرون أيضاً خلال اسبوعين أو ثلاثة حالما ينتقل الدخان في طبقات الجو العليا عبر خط الاستواء ويحجب الشمس عن جنوب الكرة الأرضية أيضاً ! كما قدروا أن الاختلاف الكبير في درجات الحرارة بين اليابسة والماء في المحيطات سيؤدي إلى عواصف ورياح عاتية ستغمر الشواطئ وتغرقها بالمطر والثلج والعواصف الرعدية الهائلة .. ولعل أكثر مايثير الاهتمام في نتائج هذه الدراسة هو أنهم عندما أعادوا حساباتهم ودرسوا النتائج المحتملة لاستعمال واحد بالمائة فقط من الأسلحة النووية الموجودة الآن في العالم واستخدام هذا المقدار في قصف المدن بشكل خاص فقد توصلوا إلى أن الشتاء النووي الذي يمكن أن ينتج سيماثل في شدته وطوله الشتاء النووي الذي يمكن أن ينتج عن استخدام ثلث الاحتياطي العالمي من الأسلحة النووية .!

التقرير المخيف

اهتم علماء البيئة في جامعة كورنل في نيويورك بهذه النتائج بشكل خاص ، ودرسوا احتمال التغير الذي يمكن أن يحصل في البيئات المختلفة في العالم تحت ظروف الشتاء النووي . وكان تقريرهم مخيفاً في نتائجه واستنتاجاته ..! فقد قدروا أن انخفاض معدل درجة الحرارة إلى ماتحت درجة التجمد ، وحجب أشعة الشمس مدة ثلاثة أو ستة أشهر سيؤدي إلى القضاء على المحاصيل الزراعية وعلى النباتات بشكل عام ..! واستطاعوا اثبات ذلك في دراسات مخبرية قاموا خلالها بتعريض النباتات الزراعية المختلفة إلى ظروف البرودة وقلة الضوء التي يتوقع حدوثها في الشتاء النووي .. وبالفعل فقد ماتت هذه النباتات خلال أيام قليلة ...! وهذا يعني القضاء على المحاصيل الزراعية وعلى النباتات ، إنه يعني المجاعة الشاملة .. لأن موت النباتات يعني موت الحيوانات التي تعتمد عليها ..

وهكذا لن يكون خطر الاشعاع النووي هو الخطر الوحيد الذي سيتعرض له الإنسان الذي سينجو من الفناء أثناء الانفجار النووي ، بل سيتعرض هذا الإنسان أيضاً إلى البرد القارس وإلى المجاعة الشاملة القاتلة ..!

وعند قراءة تقرير علماء البيئة في جامعة كورنل عن الشتاء النووي يخطر للمرء أن النجاة من المجاعة آنذاك قد تكون ممكنة باللجوء إلى المحيطات حيث يتوفر الغذاء في الأسماك والحيوانات البحرية ، أو باللجوء إلى الغابات الاستوائية حيث يتوفر الغذاء في الفاكهة والنباتات وحيوانات الغابة .. إلا أن التقرير يتابع رسم الصورة الباهتة البشعة لمستقبل الانسان بعد الحرب النووية .. فقد توصلوا في دراساتهم إلى أن برودة الشتاء النووي وحجب أشعة الشمس ونورها عن الوصول إلى سطح هذا الكوكب بسبب الدخان في طبقات الجو سيؤدي إلى القضاء على الكائنات الحية المجهرية الدقيقة الموجودة في المحيطات والتي تشكل الحلقة الأولى في سلسلة الغذاء في الماء .

وهذه الكائنات الدقيقة تعتبر مصدر الغذاء الرئيسي للحيوانات والنباتات البحرية الأكبر منها مثل صغار السمك والرخويات المختلفة التي تعمر البحار.. وتشكل هذه الكائنات البحرية بدورها مصدر الغذاء للكائنات البحرية الكبيرة.. وهكذا تتابع سلسلة الحياة في الماء بدءاً من نور الشمس.. ! فاذا تم القضاء على الكائنات البحرية الدقيقة بسبب عدم توفر ضوء الشمس فإن هذا سيؤدي تدريجياً إلى القضاء على الحياة البحرية كما نعرفها اليوم.. ولن تستمر المحيطات في كونها مصدراً كريماً للغذاء لا يعرف النضوب..!

هذا بالاضافة إلى أن الأعاصير والعواصف الهائلة التي ستشمل الشواطئ والبحار بسبب الاختلاف الكبير في درجات الحرارة بين اليابسة والماء ستجعل اللجوء إلى المحيطات أمراً مستحيلاً آنذاك .

الغابات والديناصورات

وماذا عن الغابات الاستوائية الوفيرة الخيرات الغنية بالفاكهة والألوان ؟ تظهر دراسات البيئة أن هذه النباتات الوارفة الظلال الضخمة الأشجار لا تمتد في الحقيقة على تربة غنية كما يظن المرء للوهلة الأولى ، بل تعتمد على وفرة الرطوبة والأمطار وضوء الشمس في تلك المناطق بالاضافة إلى امكانية هذه النباتات والحيوانات في الاستفادة من بعضها بكفاءة خارقة . وقد توصل علماء البيئة عملياً إلى إدراك مدى رقة وحساسية الغابات الاستوائية عندما حاول الانسان استعمار غابات الأمازون في البرازيل ظناً منه أن تحت هذه الغابات الوارفة تربة خصبة لابد وأنها ستنتج محاصيلاً زراعية رائعة .. وبعد أن قطعت الأشجار ومسحت الغابات اتضح أن سماكة التربة تحتها لا تزيد عن بضعة سنتيمترات ، وأن هذه التربة ليست غنية وغير صالحة للزراعة التقليدية .. ! ولذا يعتقد علماء البيئة في جامعة كورنل بأن الشتاء النووي سيؤدي إلى تغيرات خطيرة في درجة الحرارة والرطوبة والرياح وكمية الأمطار في المناطق الاستوائية ، وأن هذه التغيرات ستؤدي بدورها إلى القضاء على هذه الغابات الحساسة بكل مافيها من فاكهة وغذاء..!

توصل علماء المستحاثات مؤخراً إلى تفسير الغياب المفاجئ للديناصورات عن سطح الأرض..! فمنذ ملايين السنين كانت الديناصورات الجبارة تسيطر على الأرض ، وكانت هذه الزواحف الكبيرة تعيش على النباتات في وقت كانت فيه الغابات الهائلة تملأ الأرض .. وكانت

بعض هذه الزواحف حيوانات لاحمة تتغذى بأكل الحيوانات الأخرى ولا يكاد ينجو أحد من بطشها وجبروتها .. وخلال فترة قصيرة نسبياً من عمر الأرض المديد إختفت كل هذه الحيوانات العملاقة واختفت معها كل النباتات الضخمة ..! ولدى دراسة الحفريات والمستحاثات دراسة مستفيضة دقيقة لاحظ العلماء أن طبقة من التراب الناعم المتجانس يبلغ سمكها حوالي ثلاثة سنتيمترات تغطي بقايا هذه الحيوانات الضخمة ، وأن كل أثر للديناصورات اختفى بعدها ..! وكان التفسير الذي توصل إليه العلماء أخيراً في سنة ١٩٨٠ أن الأرض قد تعرضت في تلك الفترة القديمة من تاريخها إلى قصف متتابع من النيازك الهائلة على نطاق واسع ، وأن هذا القصف القادم من الفضاء قد أدى إلى تصاعد كميات كبيرة من الغبار إلى طبقات الجو العليا ، وأن هذا الغبار قد حجب ضوء الشمس ودفئها عن سطح الأرض فترة طويلة يصعب تحديدها .. إلا أن هذا الحجب كان كافياً لحدوث شتاء بارد طويل ماتت خلاله مساحات ضخمة من غابات الأرض ونباتاتها ، ومن ثم قضى على الحيوانات التي تتغذى عليها ، وعلى الحيوانات اللاحمة فيما بعد ... وفي فترة المجاعة الشاملة يتم القضاء أولاً على الحيوانات الكبيرة التي تحتاج إلى كميات كبيرة من الغذاء كالديناصورات التي غابت عن الوجود بسبب هذا « الشتاء الفضائي » ..! فقد ترسب الغبار تدريجياً بفعل جاذبية الأرض وغطى بقايا الحيوانات والنباتات الميتة .. وعادت أشعة الشمس تغمر بدفئها الأرض وتنعش الحياة من جديد .

الانتحار الشامل

والآن .. بعد أن عرفنا ماعرفناه عن احتمالات القضاء على الحياة تحت ظروف الشتاء النووي .. لايتمالك الانسان إلا أن يتساءل : هل سيقضي الانسان على وجوده وربما وجود الحياة ذاتها على سطح هذا الكوكب ؟ إن تفجير واحد بالمئة فقط من الأسلحة النووية الموجودة الآن في العالم يمكن أن يلقى بالأرض في سبات بارد طويل من الشتاء النووي .. شتاء بارد معتم سيقضي على الانسان والحيوان والنبات .. وربما أتى بعده ستار من الغبار والدخان يغمر الأرض فوق بقايا جنسنا البائد كما غمر الديناصورات الضخمة من قبلنا .. وتعود الحياة من جديد .. بأشكال جديدة ربما تكون أكثر منا نجاحاً وذكاء وحكمة .

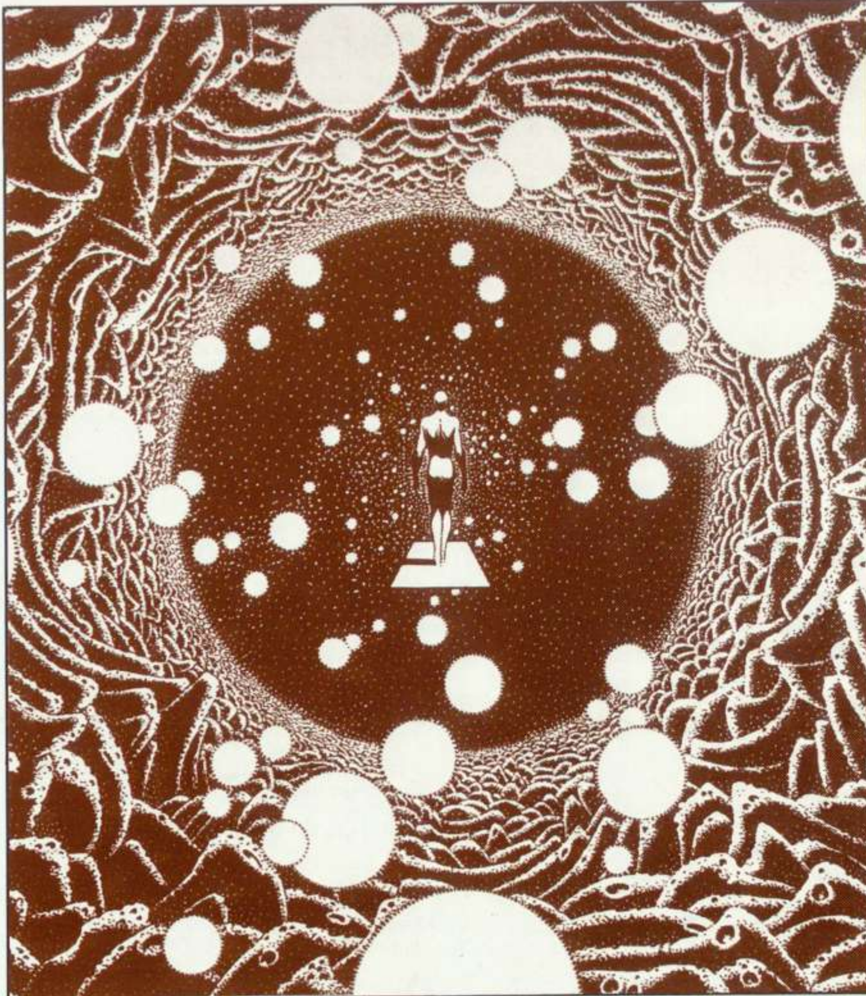
ولنتأمل قليلاً في هذه الأرقام : يصرف العالم الآن حوالي ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠دولاراً كل عام على الأسلحة النووية ، ويعمل حوالي ثلث علماء الأرض في أبحاث ودراسات تتعلق بهذه الأسلحة الفتاكة .. ويبلغ مخزون العالم من الأسلحة النووية حوالي ١٥٠٠٠ ميجاطن يكفي أن يفجر الانسان منها ١٠٠ميجاطن للقضاء على الجنس البشري .. ولنفكر قليلاً فيما يمكن أن يحدث لحضارة الإنسان من تقدم وازدهار فيما لو صرفت هذه الأموال ووضعت هذه العقول والخبرات في خدمة الانسانية ..!

نقف الآن أمام فترة تاريخية حاسمة من تاريخ وجودنا .. فقد بلغت قدرة الانسان حداً يمكنه من القضاء على نفسه وإبادة جنسه وربما إبادة كثير من المخلوقات على اليابسة وفي البحار والمحيطات ... وفي الحرب النووية لن يكون هناك غالب أومغلوب أومتفرج محايد .. بل سيكون انتحاراً شاملاً .. وسيشمل البلاء كل العالم ويهددنا جميعاً بالفناء في دمار الانفجارات النووية وفي إشعاعاتها القاتلة ، ثم في شتاء بارد مظلم طويل ومجاعة لاتعرف الرحمة .

سألني علامة حلب صديق والدي المرحوم خيرالدين الأسدي ذات يوم : هل تدري سبب تغير الطقس هذه الأيام ؟ فكما ترى لم يعد الشتاء شتاءاً ولا الصيف صيفاً .. قلت : لا . وظننت أنه سيكرر لي تلك النغمة المعهودة التي يحبها كبارنا بأن كل شئ كان أفضل في زمانهم مما هو عليه الآن في زماننا حتى الطقس والفصول والسماء ..! ولكنه قال بصوته الخافت البطيء : إنها تلك الانفجارات النووية التي يقوم بها الروس والأمريكان . وصمت . كان ذلك قبيل وفاته سنة ١٩٦٧ كما أعتقد . لم نكن نعلم حينها أي شئ عن الحروب النووية أو عن الشتاء النووي ..

وربما صدر ذلك التعليق منه عن احساس العليم أوحدس المتمرس الحكيم . وتابعت السير وحدي في الشارع الطويل . كانت الشمس تقترب من المغيب وتغطي السماء في الأفق البعيد بألوان زاهية واحمرار هادئ جميل وتغمرني بدفئها الربيعي اللطيف . أكاد أحس ببراعم العشب الصغيرة تحاول جاهدة أن تمد رؤوسها بين ذرات التراب كي تنعم بدورها بهذا الدفء والنور الحنون .. ورائحة الأزهار الذكية والأرض الندية تملأ المساء بالأمل ... وتذكرت قوله تعالى في كتابه الكريم : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » صدق الله العظيم .

عامر شيخوني



على اللوحة الرخامية التى تتصدر مقابر ضحايا هيروشيما حفرت هذه العبارة منذ اربعين عاماً « ناموا فى سلام .. لأن هذا الجرم لن يتكرر مرة أخرى » . ترى هل مازال العالم وفيا بوعده أم أن هذه الرغبة الوقتية تحولت الآن إلى تهديد ؟ !

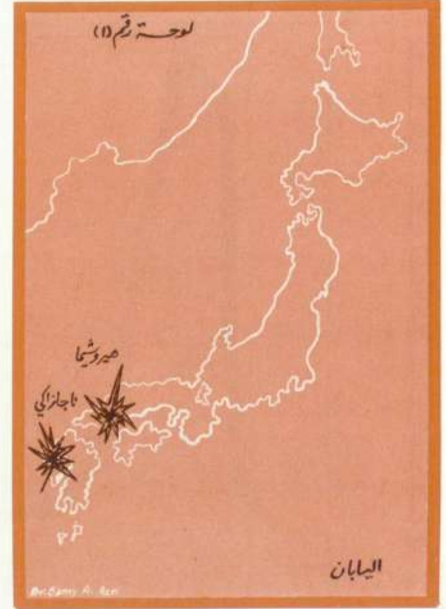
في ذكرى مرور ٤٠ سنة على ضرب هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية

ناموا في سلام فالجريمة لن تتكرر مرة أخرى

هذا ما كتبوه بعد مذبحة ١٩٤٥
ولكن الخطر يطل على العالم من جديد في هذه الأيام

بقلم : الدكتور سامي عزيز

تشير تقارير الأكاديمية القومية للعلوم « بواشنطن » إلى أن تعرض الولايات المتحدة الأمريكية لهجوم نووي في حدود ٦٥٠٠ ميجاطن سوف يعرض ٤٦ مليون أمريكي إلى جرعة اشعاع تعادل ١٠٠ « راد » .. وفي ضوء الدراسات التي أجريت على هيروشيما وناجازاكي (لوحة رقم ١) يتوقع الخبراء أن تصل نسبة الوفيات إلى ٢٨,٠٠٠ سنوياً ولمدة ٢٥ عاماً نتيجة الاصابة باللوكيميا (سرطان كريات الدم البيضاء) أومايعادل ٧٠٠,٠٠٠ خلال المدة كلها ويمثل الأطفال ١٦٠,٠٠٠ من اجمالي وفيات اللوكيميا .



خريطة توضح موقع مدينتى هيروشيما وناجازاكى

التأثير المباشر

يؤكد العلماء أن ٥٠٪ من الطاقة التى تنتج عن الأسلحة النووية الحديثة (١٠ ميجاطن مثلا) تكون في صورة ارتفاع شديد في الضغط .. وهذا الارتفاع في الضغط يندفع من مركز الانفجار في جميع الاتجاهات بسرعة قد تفوق سرعة الصوت .. وتستطيع موجة الضغط أن تنتقل إلى مسافة ستة أميال (١١ كيلومترا) في نحو ٣٠ ثانية ويبلغ خلالها معدل الضغط ٣ طن لكل متر مربع . وبالمقارنة نجد القنبلة التى القيت على هيروشيما باليابان أحدثت ضغطاً مكافئاً ولكن لمسافة ميل واحد فقط. ونتيجة لهذا الارتفاع الهائل في الضغط تتحطم الأجسام الخشبية والزجاجية ومعظم الهياكل الخرسانية وتتحول إلى قذائف ذات سرعة عالية مما يتسبب في وفاة نحو ٥٠٪ من السكان الموجودين داخل نطاق دائرة نصف قطرها ستة أميال ... وهذه المنطقة يطلق عليها عادة « المنطقة ألميتة » وتبلغ مساحتها اكثر من ١٠٠ ميل مربع . ونظراً لليونة أجسام الأطفال بالمقارنة إلى البالغين نجد اصابتهم نسبيا تمثل أعلى المعدلات . وتتبع موجة الاختلال في الضغط هبوب رياح ذات سرعة عالية مما يزيد من معدلات الاصابة والموت وتتسبب هذه الرياح في انتشار النيران التي لابد وأن تتبع الانفجار النووي .

حرارة الانفجار النووى

تخرج ٣٥٪ من طاقة الانفجار النووي في صورة حرارة (طاقة حرارية) وهنا تقترب درجة الحرارة من درجة حرارة الشمس ، أى مايعادل ملايين الدرجات المئوية .

فعند انفجار قنبلة هيروشيما مثلا ارتفعت درجة الحرارة خلال ٣ ثواني إلى مايعادل درجة حرارة الشمس ، وإلى مسافة ٢ ميل من مركز الانفجار ، ونتيجة لذلك احترقت اجزاء الجلد المكشوفة لكل آدمي موجود على مسافة ٢ إلى ٣ ميل من مركز الانفجار .

وتقدر الأبحاث أن انفجار قنبلة ١٠ ميجاطن سوف تحدث حروق من الدرجة الثالثة بنسبة ٥٠٪ لكل آدمي موجود على مسافة ١٠ إلى ١٥ ميلا من مركز الانفجار . ويمكننا أن نقول أن ٩٠٪ من حالات الوفاة النووية التى حدثت بعد انفجار قنبلة هيروشيما وناجازاكي ترجع إلى التأثير الحراري واختلال الضغط الذى صاحب الانفجار .

الاشعاع المصاحب

أما الجزء المتبقى من طاقة الانفجار ويقدر بنحو ١٥٪ فيخرج على صورة اشعاع متأين . وهذا الجزء من الطاقة مسئول عن ١٠٪ إلى ٢٥٪ من الوفيات التى تحدث فيما بعد ، ونصف هذه الوفيات ينتج عن الاشعاع ومايسببه من حروق وموت للخلايا وخاصة خلايا النخاع الشوكى والجهاز العصبي

● ماهو التأثير المباشر للانفجار النووي؟
● إلى أي مدى ترتفع درجة الحرارة وقت الانفجار النووي؟

والجهاز الهضمي خلال الأيام القليلة التى تلى الانفجار (تصل جرعة الاشعاع من ٦٠٠ إلى ٢٠٠٠ راد) والمعروف أن تعريض الجسم البشري إلى ٤٥٠ راد لمدة ٣٠ يوما تعتبر جرعة مميته بنسبة ٥٠٪ في حين أن جرعة ٦٠٠ راد تعتبر مميته بنسبة ٩٥٪ .. أما الأطفال فتعتبر جرعة ٢٥ إلى ١٠٠ راد ذات آثار جانبية خطيرة لذلك فالشخص البالغ السليم عند تعرضه لجرعة ٢٠٠ راد لا يصاب بأى ضرر في حين أن هذه الجرعة نفسها تعتبر مميته في الأطفال وصغار السن .

التأثير المبكر

في الأسابيع القليلة الأولى التى تلى الهجوم النووي ... تحدث ايضا بعض الوفيات من أثر الاشاعات المتبقية التى تصل قوتها من ١٥٠ إلى ٤٥٠ راد وتعرف « بالجرعات تحت المميتة » أو « الجرعات المتوسطة » وايضا نتيجة لانتشار الأوبئه والأمراض المعدية وسوء الصرف الصحي ، والمعروف أن تعرض النخاع العظمى والغدد الليمفاوية للاشعاعات يتسبب فى حدوث : نزيف (نتيجة نقص الصفائح الدموية) ، وتسمم دموي ، واضطراب الجهاز المناعي للجسم . لذلك فالشخص الذى تعرض للاشعاع يكون عرضة للموت لمجرد تعرضه للانفجارات المتوسطة وحدوث بعض الاصابات والحروق . وحتى لوعاش فهو عرضه للاصابة بالعديد من الأمراض المعدية كالملاريا والكوليرا والتيفود والالتهاب السحائي وغيرها من الأمراض التى تنتشر نتيجة تراكم الجثث وسوء الصرف الصحي . كما أن التقرحات التى تحدث بطول الجهاز الهضمي نتيجة التعرض للاشعاع تعرضه للاصابة بالتسمم الدموى وحدوث اسهال وقيء متكرر وفقدان للشهية واضطراب الجهاز الهضمي عامة ، لذلك تتميز المرحلة المبكرة للانفجار النووى بانتشار حالات الجفاف وسوء التغذية ، بالاضافة إلى التأثير السيكولوجي الخطير الذى ينعكس على كل من عاش لحظات الانفجار النووى من هلع ورعب .

التأثير المتأخر

يشمل التأثير المتأخر للانفجار النووى العديد من المشاكل التى غالبا ما تنتهى بالوفاة وأهمها السرطانات كاللوكيميا وسرطان الثدى فى الإناث وسرطان الغدة الدرقية خاصة بين من كانوا أطفالاً وقت حدوث الانفجار النووي بالإضافة إلى التغيرات الوراثية الخطيرة التى قد تمتد آثارها إلى العديد من الأجيال التى تعقب الانفجار النووى . ويهمنا هنا أن نؤكد أن معظم التقارير التى لدينا حالياً هي حصيلة الدراسات التي أجريت على سكان هيروشيما وناجازاكي ، إلا أن هناك بعض المحاولات الاجتهادية لتقدير الآثار التى قد تنتج عن استخدام الأسلحة النووية الحديثة مع الفارق الكبير طبعاً فيما تحتويه من كميات هائلة من النيترونات ، وبالتالى قد يكون الدمار اكثر بكثير مما نتصور .

وتعتبر الدراسة التى قامت بها « الوكالة الامريكية لدراسة آثار القنبله الذرية » التى تأسست سنة ١٩٤٦ بتكليف من « الأكاديمية القومية للعلوم » بواشنطن من أكبر الدراسات التى اجريت على سكان هيروشيما وناجازاكي ... تشمل الدراسة ٨٢٫٠٠٠ نسمة يمثلون من عاشوا بعد القاء القنبلة وكانوا على مسافة ٢٠٠٠ متر من مركز الانفجار وتم مقارنتهم بمن كانوا على مسافة ٢٥٠٠ إلى ١٠٫٠٠٠ متر من مركز الانفجار ، ويمكن تلخيص هذه الدراسة فى النتائج الآتية :

نـامـوا في سـلام
فالجريمة لن تتكرر مرة أخرى

التأثير الاشعاعي على الأجنة

تم دراسة تأثير الاشعاع على المواليد الذين تعرضوا للاشعاع الذرى وهم أجنة ، وكما يبدو من الجدول رقم (١) أنه تم تقسيم الحوامل إلى مجموعتين على الأساس الآتى :

المسافة بالكيلومتر بين مركز الانفجار ومكان تعرض الحامل للاشعاع .

وجود أو عدم وجود آثار التسمم الاشعاعى على الحامل كالحروق ونزيف اللثة والقئ والاسهال .

ويبدو من الدراسة أن نسبة وفيات المواليد اجماليا بلغت ٤٩ر٤٪ في المجموعة الأولى ، التى كانت على مسافة صفر إلى ٢ كيلو متر من مركز الانفجار ، والتى ظهرت عليها علامات الاشعاع .

أما نسبة الوفيات في المجموعة الثانية التى كانت على مسافة ٤ إلى ٥ كيلومترات من مركز الإنفجار ، فبلغت اجماليا ٦ر٢٪ ، أى أنها أقل من المجموعة الأولى سبع مرات .

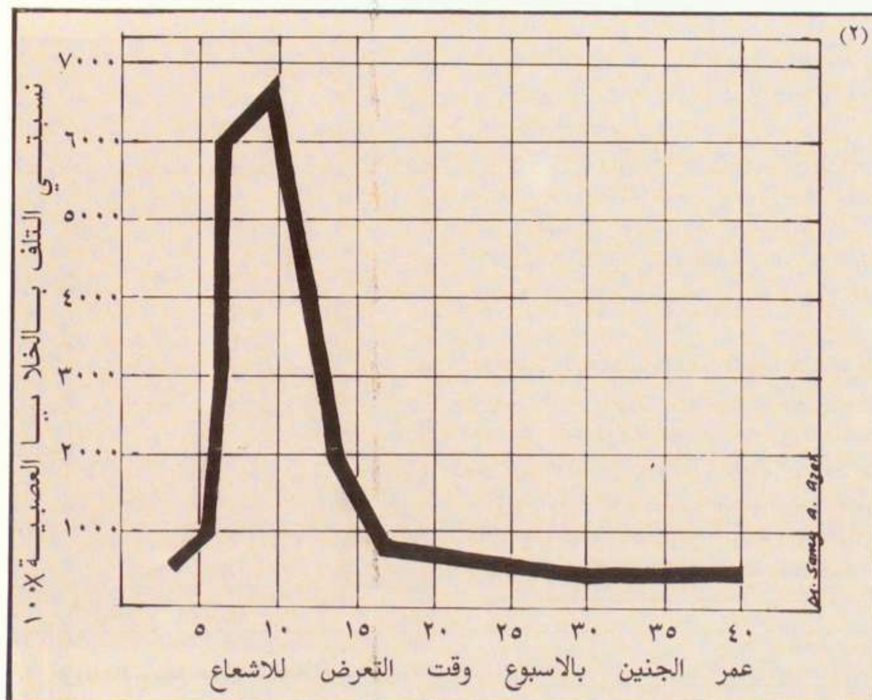
من هنا نستطيع أن نقول أن نسبة الوفيات في المواليد تتناسب مع جرعة الاشعاع التى تعرضت لها الأم أثناء حملها ، وبالاضافة إلى ذلك وجد انخفاض ملحوظ في معدلات الطول والوزن بين أطفال هيروشيما وناجازاكي بالمقارنة إلى ذويهم في مناطق أخرى من اليابان لم تتعرض للاشعاع .

ولكن ...

تعرض الجنين للاشعاع الذرى ... هل يؤدى إلى التخلف العقلي ؟

تشير الدراسة التى أجراها « بلوت وميلر » على أ ن ٦١٣ر١ من أطفال هيروشيما وناجازاكي تعرضوا للاشعاع وهم أجنة في أرحام أمهاتهم ، وتم تتبع حالتهم حتى بلغوا ١٧ سنة ... فتبين أن غالبيتهم غير قادرين على اجراء العمليات الحسابية البسيطة أو التحدث بطريقة طبيعية ، أو العناية بأنفسهم ، وتفيد الدراسة أن نسبة التخلف العقلى في ناجازاكي تزيد ١٢ مرة عن المعدل الطبيعى في المناطق التى كانت على مسافة ٣٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر من مركز الإنفجار ولم تزد قوة الاشعاع فيها عن ٥٠ راد .. أما المناطق التى تعرضت إلى ١٠٠ راد فإن نسبة التخلف العقلى زادت بمعدل ٥٢ مرة عن المعدل الطبيعي ، وقد وجد أن ٢٨ من بين ٣٠ طفلاً متخلفاً يعانون من صغر حجم الدماغ .

ويؤكد « بلوت وميلر » أن أنسجة الجهاز العصبي للجنين تكون في قمة قابليتها للتلف اذا ما تعرضت للاشعاع في الفترة من ٦ إلى ١٦ اسبوعاً من عمرها (لوحة رقم ٢) .



يؤكد « بلوت وميلر » أن أنسجة الجهاز العصبي للجنين تكون في قمة قابليتها للتلف إذا ما تعرضت للاشعاع في الفترة من ٦ : ١٦ أسبوعاً من عمر الجنين

كما تبين « لوود » في دراسة أخرى أن ١١ من بين ٢٤ مولوداً لأمهات كن على مسافة ٢٠٠ر١ متر من مركز الانفجار في ناجازاكي يعانون من صغر حجم الدماغ ، ولكن اثنين فقط من بينهم يعانيان من التخلف العقلي .

وتشير الدراسات إلى أن أقل جرعة لحدوث التخلف العقلي هى ٢٥ — ٥٠ راد .. أما الجرعات من ١٠ إلى ٥٠ راد فتحدث صغر حجم دماغ المولود ، وهذا يفسر لنا السبب فى حدوث حالات بها صغر حجم الدماغ دون التخلف العقلي .

● الإشعاع النووي .. كيف يؤثر على أجهزة الجسم المختلفة؟

● هل تكون أجيالنا القادمة متخلفة عقلياً أم مصابة باللوكيميا وكتاراكت العين؟

التأثير الاشعاعي على المولود

(١) اللوكيميا : تشير الدراسات إلى ارتفاع نسبة حدوث مرض اللوكيميا (سرطان كريات الدم البيضاء) بنوعيه الحاد والمزمن بين سكان ناجازاكي وهيروشيما الموجودين حاليا . وتؤكد الأبحاث أن حدوث اللوكيميا من عدمه يتوقف على مقدار جرعة الاشعاع (لوحة رقم ٣) كما وجد أن معظم من أصيبوا باللوكيميا كانوا دون العاشرة وقت الانفجار (لوحة رقم ٤) إلا أن اعراض المرض لم تبدأ في الظهور إلا بعد خمس سنوات من وقت التعرض للاشعاع .

(٢) سرطان الغدة الدرقية وغيرها : العديد من السرطانات وجدت بين من عاشوا من سكان ناجازاكي وهيروشيما وبمعدلات تفوق المعدل الطبيعى .. وأهم هذه السرطانات : سرطان الغدة الدرقية ، سرطان الثدى في الإناث ؛ سرطان الرئة ، سرطان المعدة . وتظهر هذه السرطانات عادة بعد مرور ١٥ — ٢٥ سنة من وقت التعرض للاشعاع ، كما تبين أنها تكثر بين من كانوا أقل من ١٩ سنة وقت الانفجار .

وعند دراسة سرطان الغدة الدرقية في ناجازاكي وهيروشيما اتضح أن نسبته تفوق ١٢ مرة المعدلات الطبيعية ، وعادة يبدأ المرض في الظهور بعد مرور ١٥ سنة من التعرض للاشعاع ، وغالبا ما يصيب من كان عمرهم أقل من ٩ سنوات وقت الانفجار ، كما ينتشر في كل من تعرض لجرعة اشعاع مقدارها (٥٠ راد) وهو عادة أكثر انتشارا في الاناث عن الذكور .

أما سرطان الثدى فيزيد بمقدار ٦ مرات عن المعدلات الطبيعية ، وخاصة في الإناث اللاتى كن في سن ١٠ — ١٩ سنة وقت حدوث الانفجار ؛ وعادة ما يبدأ في الظهور بعد مرور ٢٠ سنة من الإنفجار

(٣) نسبة الوفيات عامة : تشير الدراسات التي قام بها « موریاما وجيرالنك » إلى

(٣)

نسبة وفيات اللوكيميا د من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٧٤

كمية للاشعاع بالراد التي تعرضت لها المنطقة

نسبة وفيات اللوكيميا في هيروشيما وناجازاكي من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٧٤ بالمقارنة إلى كمية الاشعاع بالمواد التي تعرضت لها المنطقة

(٤)

نسبة الوفيات من اللوكيميا

توزيع السن عند سقوط القنبلة

نسبة الوفيات من مرض اللوكيميا في هيروشيما وناجازاكى بالمقارنة إلى السن وقت سقوط القنبلة

ارتفاع معدل الوفيات بين من تعرضوا لجرعة اشعاع تزيد عن ١٠٠ راد أو أكثر .. وتجدر الاشارة الى أن مجموعة من أطفال هيروشيما يتروح عمرهم بين ١٠ — ١٤ سنة وقت انفجار القنبلة ؛ في هذه المجموعة وجد أن ٨٦٪ فقط من الذين تعرضوا لجرعة ١٠٠ راد مازالوا أحياء حتى سنة ١٩٨٠ ، في حين أن المعدل الطبيعي للوفيات خلال هذه الفترة من العمر لا يزيد عن ٨٪ ، أى أن نسبة الوفيات في هيروشيما وناجازاكي بلغت ضعف المعدلات الطبيعية .

أيضا في هيروشيما وناجازكي ارتفع معدل الوفيات بين الاناث اللاتي كن وقت انفجار القنبلة ما بين ١٠ إلى ١٤ سنة . وهذه المعدلات العالية للوفيات يرجح أنها تعود إلى السرطانات المختلفة التى تنتج عن التعرض للاشعاع النووي .

(٤) اعتام عدسة العين (الكتراكت) : ترتفع نسبة الاصابة بمرض الكتراكت بعد حوالي ١٠ سنوات من وقت التعرض للاشعاع . ويتوقف حدوث المرض على كمية الاشعاع التي تعرض لها الفرد . وقد وجد أن الاصابة بالكتراكت تنتشر بين الأطفال خاصة من كان عمرهم أقل من خمس سنوات وقت انفجار القنبلة .

والجدول الآتي يبين نسبة الاصابة بالكتراكت في هيروشيما ونجازاكي :

المسافة بالكيلومتر من مركز الانفجار	نسبة الاصابة في الأطفال
١	٦٥٪
١ ـ ٢	١٤٪
أكثر من ٢	صفر٪

جدول رقم (١)

نسبة الوفيات بين المواليد الجدد والأجنة الذين تعرضوا لقنبلة ناجازاكي باليابان

المجموعة	المسافة بالكيلومتر عن مركز القاء القنبلة	ظهور علامات الاشعاع	عدد الحوامل	عدد (نسبة)	
				مولود ميت أو اجهاض	الوفيات بين المواليد الجدد
الاولى	صفر ـ ٢	+	٣٠	٧/٣٠ (٢٣,٣)	٦/٢٣ (٢٦,١)
الثانية	٤ ـ ٥	—	١١٣	٣/١١٣ (٢,٦)	٤/١١٠ (٣,٦)

التأثير الاشعاعي على الصفات الوراثية

تشير الدراسات التي أجريت سنة ١٩٧٩ على سكان هيروشيما وناجازاكي إلى أن العديد من التغيرات الصبغية (الكروموسومية) تحدث في خلايا الجهاز الليمفاوي وخلايا النخاع الشوكي ، وتشمل هذه التغيرات : انتقال الجينات (العوامل التي تتحكم في الصبغات) من أماكنها فيما بين الكروموسومات ، تشوه الكروموسومات وغيرها .

وتؤكد الدراسة انتشار التشوهات الخلقية في ٩٠٪ من السكان الذين كانوا على مسافة ٥٠٠ متر من موقع الانفجار .

والجدير بالذكر أن نسبة حدوث هذه التشوهات ترتفع مع زيادة جرعة الاشعاع . لذلك ينعدم حدوثها في المناطق البعيدة عن مركز الانفجار .

من هنا يتضح أن التأثير الاشعاعي على المدى الطويل يؤدي إلى :

ـ ظهور اللوكيميا وغيرها من السرطانات .

ـ احداث التغيرات الصبغية (الكروموسومية) ومايتبع ذلك من عيوب خلقية وتشوهات وصفات غير مرغوب فيها في الانسان وغيره من الحيوانات الثديية .

لذلك فالمأساة لم تنته وستظل آثارها قائمة ..

ترى هل لا زلنا أوفياء لضحاياها أم أننا ننتظر هيروشيما جديدة ؟!

سامي عزيز

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة


الشاعر الكبير بدوى الجبل مع كاتب المقال

بدويّ الجبل.. وإخاء أربعين سنة

مواقف الرجال في أيّام الأزمات

بقلم: أكرم زعيتر

قام العقيد أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري في سورية ، وراح يتنكر لكل داعية اتحادي ، وكان البدوي هدف مراقبة شديدة بعد أن أقصى وإخوانه عن النيابة فلاذ ببيروت .

وحرصت حين زرتها في مطلع سنة ١٩٥٢ على لقائه ، وكان في ضيق نفساني ولكنه يحمد الله الذي نجاه من الهم .. وروى لي كيف نجا قائلاً : اشتد عنف الشيشكلي ضد معارضيه ، وزج كثيرين منهم في السجون ... وتوقعت وأنا في اللاذقية أن يجيء دوري فأعددت حقيبتي ..

وحدث ذات ليلة ، وبعد انتصافها أن قرع جندي باب الدار .. وكانت المفاجأة النبيلة .. إذ رأيت صديقك المجاهد سعيد السيد محافظ اللاذقية يبرح السيارة ويسلم علي ويطلب إلي أن أصعد السيارة مستعجلاً وأن أضع الحقيبة فيها ، ففعلت وسألته : إلى أي سجن ؟ فاجاب ــ والسيارة تنطلق سريعة ــ : تلقيت منذ دقائق برقية مستعجلة من العقيد الشيشكلي تأمر باعتقالك ، فقررت أن أجيئك وأن أنقلك بسيارتي الرسمية والعلم عليها يرفرف ، إلى حدود لبنان حيث الأمان ، والمهم أن نصل إلى لبنان قبل طلوع الفجر ،وأوصلني إلى الحدود واطمأن إلى نجاتي ، ثم عاد ... فهل ترى أنبل من هذه المغامرة !

في ذكرى الزعيم رياض الصلح

وتألفت في بيروت لجنة وطنية لتخليد ذكرى الزعيم رياض الصلح ، الذي تفجع عليه عرب المشرق والمغرب ، والاحتفال بتأبينه في الذكرى السنوية الأولى لمصرعه ، وقررت اللجنة أن يكون تظاهرة عربية يتكلم فيها أعلام من الأقطار العربية . وألى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، كلفني اخوان رياض رجاء بدوي الجبل أن ينظم مشاعر سورية شعراً ، رصيفاً لشاعره الأثير أمين نخله ، فأجابني وقد بدت عليه ربكة : « آه .. رياض ! من كرياض ؟ لكنني يا صديقي لا أدري هل يأتيني الشعر بعد ساعة أو يوم أو أسبوع ويمكن ألا يأتيني أبداً ، فاذا رضي علي إلهام الشعر أو شيطانه ــ لا أدري ــ أديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، وإلا فمعذرتك والاخوان وعفوكم ... » واقترب الموعد ولما يساعفه الالهام ، وحدث أن توفى في بيروت صديق البدوي ، الوطني الكبير عادل العظمة ونقل جثمانه إلى دمشق وودعه على الحدود شقيقة الكبير المجاهد نبيه العظمة لأنهما كان محظوراً عليهما دخول دمشق . ودخلها عادل جثماناً بعدما حرمها عياناً وكان موكب التشييع إلى المقبرة متواضعاً مما شجا الشاعر ، وتذكر ــ والشجا يبعث الشجا ــ مصرع رياض في عمان ، وعودته جثماناً إلى بيروت ، وانبجست الذكريات دموعا وبدأ يهمهم بالشعر وواتاه المطلع الأروع :

لا تسلها ، فلن تجيب الطلول
المغاوير مثخن أو قتيل
موحشات يطوف في صمتها الدهر
فللدهر وحشة وذهول
غاب عند الثرى أحباء قلبي
فالثرى وحده الحبيب الخليل
وسقوني على الفراق دموعي
كيف يروى من الجحيم الغليل

قرأ لي هذا المطلع .. ثم راح يومين في غيبوبة شاعر يختمر فيهما الحزن شعراً .

وحان موعد الحفلة في السادس عشر من تموز ١٩٥٢ وتدفقت بيروت والجبل والوفود العربية من سورية والعراق ومصر والمغرب وفلسطين والأردن على الملعب البلدي الذي اتسع لأكثر من عشرين ألفاً .

وجلسنا ــ معشر الخطباء ــ على المنصة ، وبعد تلاوة آي من الذكر الحكيم ووقوفنا دقيقة صمت ،

وقف عريف الحفلة ، الزعيم اللبناني حميد فرنجية صديق رياض وزميله في وفد الجلاء ، يفتتح الاحتفال ويناجي البطل المحرر : « أعظم بك بانياً لوحدة اللبنانيين حاضراً وأعظم بك مثبتاً لوحدتهم غائباً ، ولولاك يارياض ولولا ايمان الناس بك لماكان للبنان استقلال ! » .

ومما قاله : « ووقعنا وثيقة الجلاء وصمت رياض طويلاً ثم قال : الآن يطيب لي أن أموت وتلألأت ثم انحدرت دمعة من عينه » .

وقال سامي الصلح رئيس الوزراء : « أأبكيك نسيباً وقريباً وحبيباً ، وأنت لم تكن لعائلتك ، بل كنت للناس جميعاً نسيباً وقريباً وحبيباً » . وعزفت الموسيقا لحن « سقيت أرضك من دمي » ثم تلا الشاعر العراقي أكرم أحمد خطاب جميل المدفعي رئيس مجلس الأعيان العراقي وفيه تحدث عن ذكريات رياض داعية عربياً يهفو للعراقي ويهتز للسوري ويهتف للمصري ويحن إلى الأهل الخلص من أبناء الجزيرة . « أخي رياض إن هذه الحثوة الترابية لا تطمر النجم وإذا زال الشبح الفاني فستبقى شخصيتك الخالدة نبراساً للسالكين من اخوانك في سائر أنحاء دنيا العرب » وتلا العريف برقية الرئيس شكري القوتلي ، بعث بها من منفاه يحيي فيها رياضاً الذي كان نارا مستعرة على المستعمر يجول في كل ملحمة من أجل لبنان والعروبة .

ودوى صوت الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية المصرية السابق ـ وله مكانة مرموقة لدى شباب العرب القوميين ـ يرثي صديقه « لا فقيد لبنان ولكن فقيد العرب جمعاء .. وفي مصر عرفناه وأدركنا مزاياه وأفدنا من سجاياه ، إلى حد يوجب الوفاء لذكراه مع الأوفياء من مواطنيه ، ولو قصر لبنان في إحياء ذكرى رياض لكان من واجب مصر أن تقوم بهذا الواجب المحتوم لفقيد العرب العظيم » وتحدث عن جهاد رياض في سبيل القضايا العربية وعن جهده في تأليف الجامعة العربية ، وعلى أن الموقف رهيب فقد انطلقت الأكف بالتصفيق واستعيد قول صلاح الدين ثلاث مرات : « وكما رفض العرب ، وأكثرهم مسلمون سيادة الدولة العثمانية كذلك رفضوا سيادة بريطانيا أوفرنسا أوأمريكا أوروسيا أوأي دولة من الدول على حد سواء فلا سيادة في أرض العرب لغير العرب . والسيادة العربية في أرض العرب معناها جامعة العرب بل وحدة العرب » .

وألقى الشاعر الكبير أمين نخلة قصيدته ذات الأبيات الستين ومطلعها :

ما على الحب إن مضى الأحباب
تسلم الذكريات والأسباب

ووصف رياضاً :

قيل لي : صفه ، قلت تعيا القوافي
قيل عدده ، قلت يعيا الحساب
ما تراني أقول في ذلك الظرف
إذا حفه البريق العجاب
اشعاع رهن التردد واللمح
توالي تحريكه الأعصاب
بينما أنت منه تنظر لمعاً
إذ توارى في طرفتين الشهاب
قضي الأمر ، قد تصفح ، قد مر
وأنت المحدق المرتاب

والتفت إلى الوفود العربية :

أيها النازلون بالأهل والدار
أتاكم يلجلج الترحاب
إن لبنان والجداول والروض
وخفق النسيم صفو يشاب
فاعذرونا على الهموم وهل بعد
رياض يقال : طبتم وطابوا

ثم نهض الزعيم المغربي الكبير علال الفاسي وتلا قصيدة نظمها مطلعها :

ذكراك تفعل في الجبل
فعل العقيدة في البطل

وأشار إلى جهاد رياض وأشاد بمناصرة رياض لقضايا المغرب ، ونادى بوحدة العرب :

شعب العروبة واحد
رغم انقسام مفتعل

ورثى أكرم زعيتر صديقه رياضاً وتحدث عن جهوده الاتحادية ومواقفه من قضية فلسطين وانتهى إلى أن رياضاً كان وطناً عربياً ملخصاً في انسان ، وطناً يحس كل عربي انه يملك فيه



الشاعر العربى بدوى الجبل فى السنوات الأخيرة من رحلة حياته

مواقف الرجال في أيام الأزمات

حصة ..» ثم حلل صديق رياض وتلميذه الاستاذ نصري معلوف شخصية رياض بأبلغ بيان ومما قال : «لقد مر عام على خروجه من بيته إلى غير أوبة ، ودخوله كل بيت إلى غير براح ، خلا مكانه في المجلس وامتلأ به كل مجلس فكأنه يعايش الناس ويساكنهم ويشاركهم في العام والخاص من أحوالهم فهو ثالث كل اثنين وروح كل جماعة وقياس كل مسألة وقاعدة كل تصرف» .

ثم أرهفت الآذان لسماع قصيدة البدوي خاتمة المهرجان ، وقد نَيفَت على المئة والعشرة من الأبيات ، ومالبث بعد ذلك المطلع الرائع (الذي أشرت إليه) حتى ندد بالذي نال «جبهة الليث في غمر الضحى» وهتف برياض :

ألف هيجاء لم تجدلكَ
أحقاً أنت الصريع الجديل
سيفك السيف لا يخاتل في الروع
وزكاه أنه المختول
واذا النصر كان عاراً فأرضى
للمروءات أنك المخذول
لقطاف الوغى شمائل كالناس
فنصر وغد ونصر نبيل
هتف الهاتفون : اين رياض
فانتحي في الثرى حسام صقيل
من رآه يخر في فجأة الغدر
رأى الراسيات كيف تميل
إن موت العظيم محنة تاريخ
ودنيا تفنى وكون يزول

وندد بالنزعات الشعوبية التي تقول بقومية غير القومية العربية ورمز إلى العروبة بقحطان :

سالف الشرق ملك قحطان
واليوم لقحطان والغد المأمول
وله هذه الجبال المنيفات
وتلك الربى وهذي السهول
والسماوات والكواكب في الشرق
لقحطان موطن وقبيل
قد ورثنا البحار من عبدشمس
وعليها الغزاة والاسطول
أرز لبنان أيكة في ذرانا
والفراتان ماؤنا والنيل

وكانت الثورة الاستقلالية ناشبة في تونس :

ورياحيننا على تونس الخضراء
خضراء أين منها الذبول
ما شكت جرحها على البعد إلا
رف قلبي على الجراح يسيل
ولثمت الجراح فهي ثغور
يتشهى عطورها التقبيل

واسترسل يؤبن تارة ويندد بالشعوبية أخرى حتى راح يناجي بارئه بتسابيح يرنمها من محراب ايمانه ثم يشدو :

عبراتي عبادة وابتهال
وشهيقي التكبير والتهليل
وصلاتي تأمل ومناجاتي
خشوع وزفرتي ترتيل

وعاد يناجي لدات شبابه الراحلين ثم يهتف بهم :

وأناجي قبوركم أعذب النجوى
وأشكو معاتباً وأطيل
وكأن القبور تسمع شكواي
وتدري حصباؤها ماأقول
غَيَّروا بالفلول بيض ظبانا
من قراع الزمان هذي الفلول
ذل مجد لم ينتسب لكفاح
فهو مجد «رث» المعالي هزيل

وتذكر صديقه المجاهد الراحل عادل العظمة وراح يعاتب غوطة الشام :

غوطة الشام منك صد وحرمان
ومنا العطاء والتنويل
الذي شردته عنك المعالي
آب وهو المكفن المحمول
غربة في العلى وينأى عن
الغمد فيبلى المهند المسلول
مثخن بالجراح يهفو إلى الأم
فأين الترحيب والتأهيل
ضنت الشام بالوفاء علينا
طلعة سمحة وود بخيل

وكأنه يعتذر للغوطة عن ثورته هذه فشدا :

لامنا اللائمون في حب حسناء
ملول وكل نعمى ملول
لا تحاسب أخا هوىً في هواه
كل ثغر على الهوى معسول

وبعد أن بكى رفاقه باسمائهم أنهى قصيدته ببيت ظللنا نردده كلما قضى عظيم مجحوداً من ذلك الرعيل :

أين أين الرعيل من أهل بدر
طوى الفتح واستبيح الرعيل

رسالة بدوى الجبل الى كاتب المقال

وحين عزمت على العودة إلى نابلس زرته مودعاً ورأيته يألم مما يلقاه ولده منير في دمشق ويكتب إليه مشجعاً : «إنني أتضرع إلى الله وهو مصدر الحق والخير والجمال أن يضفي على نفسك وعلى وجدانك عناصر الحق والخير والجمال . لا يضيق صدرك بالمصاعب ، فالرجولة والمجد لا ينتسبان إلى ترف وانما يبنى المجد بالتعب وتبنى الرجولة باحتمال المصاعب ثم بالتغلب عليها ..» .

روح دعابة ممراحه

وفي زيارة لبيروت مطلع سنة ١٩٥٣ أعلمت صاحبي أنني خطبت فتاة من نابلس وأني عائد قريباً لإجراء العقد فابتهج كثيراً وتتالت أسئلته عن الخطيبة : اسمها وروحها وثقافتها ومزاياها ؟ . ثم عدت بعد أيام الى نابلس واعتمرت بيت خطيبتي واذا بها تطالعني بقولها : «تلقيت بالبريد رسالة من صديقك بدوىالجبل .. إنه يحدثني عنك ، ويخوفني ، وينبهني إلى ما تخفيه عني من طباعك ..» فأضحكتني المفاجأة وقلت : «هاتي المكتوب !» فقالت : «إنه خصوصي ومكتوم» وبعد إلحاح تلطفت فسمحت لي بقراءته ثم بصورة عنه واحتفظت به في خصوصياتها . وفيه يبدو البدوي دعابة ممراحاً .. وموضوع «إخاء اربعين سنه» يجيز نشر الرسالة .. واستغفر القراء عن الأمدوحة تجيء على صورة أملوحة :

«آنستي العزيزة ، طاب صباحك بكل عطور الربيع وبكل سعادة الدنيا ونعمتها وبعد :

ان الرجل يعرف عن الرجل مالا تعرفه المرأة عنه مهما أكرمها الله وزينتها الطبيعة بإلهام الفكر


فى حفل تأبين رياض الصلح : بدوى الجبل فى قصيدته العامرة


الشاعر الكبير أمين نخلة يلقى قصيدته فى الحفل


د. محمد صلاح الدين .. طالب بأن تقوم مصر بتكريم فقيد العرب


الزعيم المغربى علا ل الفاسى فى قصيدته يخاطب رياض الصلح

وترف الذكاء وألمعية الحس . ونزولا على هذه القاعدة أعرفك التعريف الصحيح بخطيبك العزيز الأستاذ أكرم زعيتر :

إن ولى نعمتنا وولي أمرنا أكرم يمهد للاستيلاء على القلوب بأسلوب فريد في نوعه . فهو يمد من أريحته ومروءته وشمائله العذبة الندية أشراكاً من النور والعطور . حتى إذا أنست القلوب بما أغراها ، وعلقت بالشرك المنور المنضر . واطمأن الصائد الماهر إلى وقوع الطريدة بأشراكه ، حتى لاحيلة لها بالنجاة ولا طريق الى الفكاك . إذا اطمئن خطيبك الكريم الى هذا كله تنمر وتكبر ، وطغى وبغى ، وأذاق الطرائد من الجنسين من طغيانه وجبروت سلطانه ، مالم تذقه الشعوب من حكامها الطاغين .

فيا آنستى العزيزة ، حذار ثم حذار من شمائل أكرم المعسولة الندية ، ومن عبقريته الملهمة السخية ، ومن طباعه المعطرة بالأريحية ، ومن خفايا نفسه وهي أنضر من الصباح وأندى من الإقاح .

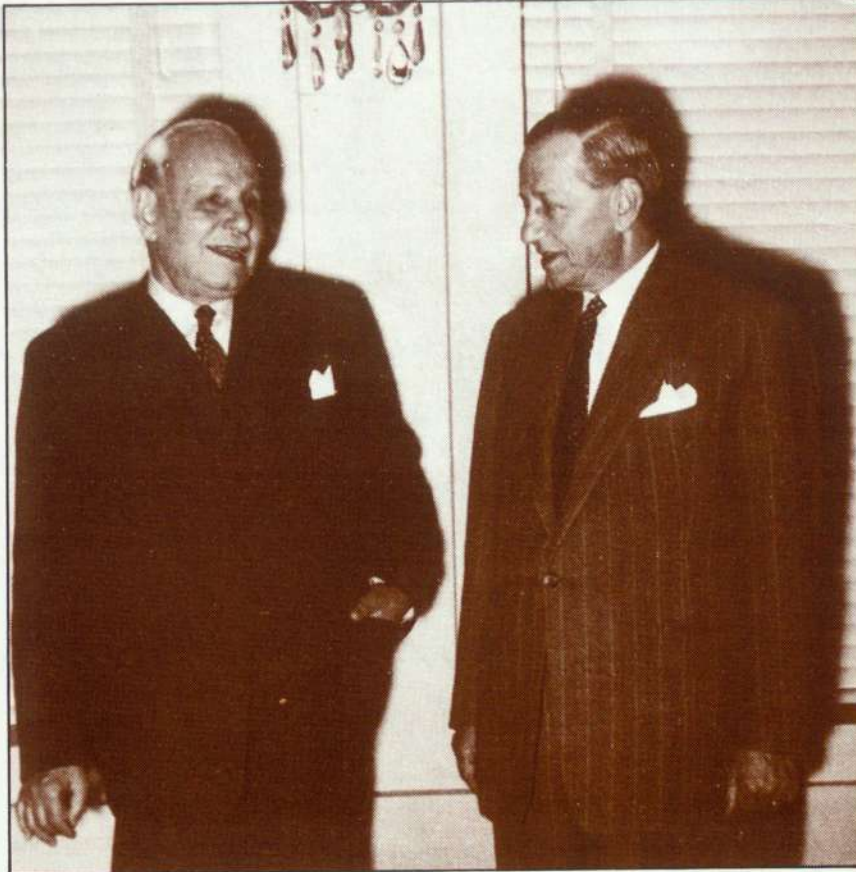
حذار من ذلك كله فهي أشراك لامتلاك القلوب ، متى فعلت فعلها تحول هذا الملاك الوديع الحيي إلى جبار في الارض لا ملجأ منه الا الى جبار السماوات . ونحن ، اخوانه القدامى نعاني من تحكمه وجبروته ومن إسرافه في التحكم والجبروت ومن الغريب العجيب اننا ننعم بهذه العبوديَة له ونهنأ بهذا الطغيان الذي يسومنا إياه ، حتى لو فكنا من قيوده ، وطردنا من حدوده ، لرجعنا إلى قيوده فأحكمناها في أعناقنا إحكاماً ورأيناها النعمة التى لا مَعدى منها ولا مناص عنها . يا آنستي ، إن هذا القيد من نور وعطور أسمى مايتقيد به روحان صافيتان مترفتان . فهنيئاً لك وله هذه العبودية الرفيعة الإلّهية ، واتركي لنا بعض الحلقات الصغيرة من هذه السلاسل لننعم برياها ونندى بذكراها . ولك كل تقديري واحترامي واخلاصي » .

ولما نشر في « الحياة » نبأ عقد القران تلقيت من البدوي وصديقه الكبير نبيه العظمة برقية يقولان فيها : « حياة المؤمن كفاح وجهاد ، وقد كسبت معركة الوطن بزواجك رفيقة تشد أزرك وتزيل بحبها وحنانها همك وصبرك » :

في كبرياء الشعر وعزة الشاعر

ودعيت والبدوي رسمياً إلى الاحتفال بتتويج الملك فيصل الثاني في بغداد حين بلوغه الثامنة عشرة في الثاني من مارس سنة ١٩٥٣ وهاتفني الدكتور فاضل الجمالي رئيس المجلس النيابي العراقي يؤكد الدعوة وعلمت منه أن وفوداً عربية ستحضر وذكر اسم الأمير سعود ولي العهد السعودي ممثلاً لوالده وأن وفداً يمثل الثورة المصرية يترأسه الوزير الدكتور نور الدين طراف (وقد كان وزميله الاستاذ فتحي رضوان صديقين أثيرين لدي) سيشترك في الاحتفال .

وقلت للبدوي : هل أعددت قصيدتك ؟ فأجاب : « نعم .. لقد جاءني الشعر بلاعناء ولا استعصاء . نفسي تجيش بذكريات .. وحال أمتي العربية .. ونكبة فلسطين .. ملهمات للقول . بالشعر أنفَسُ عنى الكربة . »


الأخوان الزعيمان عادل العظمة ونبيه العظمة ، وقد رثى البدوى الأول ومجد وطنية الثاني



الخطباء : حمد فرنجية ، نصرى معلوف ، أكرم زعيتر ، الشاعر العراقى أكرم أحمد ، جميل المدفعى ، زهير عسيران (نقيب الصحافة) ، بدوى الجبل ، الدكتور محمد صلاح الدين ، أمين نخلة ، علال الفاسى

ويممنا بغداد معاً ، ولم نتفارق في حفلات التكريم وفي جلسة يمين الملك الدستورية بمجلس الأمة .. وكانت الحفلة الكبرى تلك التي أقامها رئيس الوزراء جميل المدفعي في بهو أمانة العاصمة وقد افتتحها الملك نفسه بكلمة وتوالى الخطباء والشعراء وفيهم ، الأستاذ مهدي الجواهري الذي مجد «الملك الأغر» والأستاذ ميشيل ابوشهلا الشاعر اللبناني ثم دعى بدوي الجبل إلى إلقاء قصيدته التي أنافت على المئة بيت بدأها بتمجيد الشعر ، وما أحسب أنني قرأت قولاً في الاشادة بالشعر وكبريائه وعزة الشاعر ومنزلته أروع مما قال البدوي : وحسبي في هذه الذكريات أن ارتل معه :

شاد على الأيك غنانا فأشجانا
تبارك الشعر أطياباً وألحانا
ترنح البان واخضلت شمائله
فهل سقي الشعر من صهبائه البانا
هل كنت أملك لولا عطر نعمته
قلباً على الوهج القدسي نديانا
أيطمع الشعر بالاحسان يغمره
والشعر يغمر دنيا الله إحسانا
لو شاء عطر هذا الليل غالية
ونضر الرمل أشواقاً وريحانا
لو شاء نمنم هذا النجم قافية
وَنَغَّمَ الفجر أحلاماً وأوزانا
لو شاء أنزل بدر التم فاحتفلت
به الندامى سراجاً في زوايانا
ولو سقى الشمس من أحزانه نديت
على هجير الضحى حبا وتحنانا

● كان رياض الصلح وطنياً عربياً ملخصاً في إنسان

● النصر الوغد والنصر النبيل

● الرجولة والمجد لاينتسبان إلى ترف وإنما يُبنى المجد بالتعب وتُبنى الرجولة باحتمال المصاعب

وبعد شطحات واشتطاطات ، ورفعه الشعراء إلى السماوات ... تحدث باسمهم :

ننضر البؤس عند البائسين مُنًى
والعقل عاطفة والشكل إيمانا
وكل ذنب سوى الطغيان ننزله
على جوانحنا حباً وغفرانا
سبحان من أبدع الدنيا فكان لنا
أشهى القوارير من أطياب سبحانا
وبعدما ناجى صاحب التاج ومجد آل البيت تذكر التجاه إلى العراق :

وحين شردنا الطاغي وأرخصنا
حنا العراق فآوانا وأغلانا

حتى إذا تحدث عن عبدالجلوس وصف حال أمته العربية . وبلغ الغاية في الشكوى حين صرخ :

قد استرد السبايا كل منهزم
لم تبق في رقها الا سبايانا
دم بتونس لم يثأر له ودم
بالقدس ـ هان على الأيام ـ لا هانا
وما لمحت سياط الظلم دامية
إلا عرفت عليها لحم أسرانا
ولا نموت على حد الظبى أنفاً
حتى لقد خجلت منا مزايانا
تهلهلت أمتي حتى غدت أمما
وزُوِرَ الوطن المسلوب أوطانا
وقد عرفت الرزايا وهي منجبة
فكيف لم تلد الجلى رزايانا
ثارات يعرب ظمأى في مصارعها
تجاوزتها سقاة الحي نسيانا
يا وحشة الثأر لم ينهد له أحد
فاستنجد الثأر أجداثاً وأكفانا

وبعدما ناجى صاحب التاج بأبيات مؤثرات أنهى قصيدته ببيت رائع ردده خطباؤنا :

ما في العراق ولا في الشام موعدنا
على الثَّنِية من حطين لقيانا

وعدنا من العراق ، وبينما كنت في نابلس تلقيت من البدوي رسالة يخبرني فيها أن الحكومة العراقية قد منحته وسام الرافدين من الدرجة



رياض الصلح وعلى يمينه سعد الله الجابرى ، فعزة دروزة ، وعلى يساره الأمير مجيد أرسلان وصبرى العسلى

الثالثة ، وقد ثار وفار ، وأعد رسالة موجهة إلى رئيس الوزراء جميل المدفعي وبعث إليّ بنصها ، وقال إنه ارسلها الى جريدة الحياة لنشرها ، ولما قرأتها بادرت الى الابراق للحياة بألا تنشرها وإلى البدوى بألا يرسلها ، وارسلت الى العراق رسالة مستعجلة عاتبة غاضبة ، لائمة شاجبة وبعثت بصورة منها للبدوى راجياً أن يتريث .. وما هى الا أيام حتى أرسل الرئيس المدفعي الى البدوي يعتذر .. وجاء الوسام الأرفع يعتذر له وللشعر على استحياء .

وكان لرسالتي تأثير بليغ في نفس البدوي وقد أجابنى عليها بكتاب لا أبلغ ولا أروع منه وفيه يقول :

أخي الأحب الأعز ، تناولت كتابك وهو نقطة عطر من طيوبك . وجذوة مروءة من لهيبك ، فذكرني باخوان شاعر الحماسة :

لايسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على مـا قال برهانا

فجزاك الله على وفائك خير الجزاء . وما هى أول غمة طلع فيها جبينك والفجر وغبتك والنصر عندما أرسلت إليك الكتاب تلقيت بعض وساطات من بعض إخواننا أن اتريث في نشره ، وهكذا اجلت ارساله الى فترة لن يطول امرها . وأرجو الا يخامرك شك في عزمي وتصميمي ، فوالله ماتغير إبائي ولا حالت كبريائي ، ولكنني أتريث بضعة أيام لأمور لاتخفى على اللبيب الكيس ، وقد يفرضها ذوق ولياقة وأمور أخرى ..

أخي وسيدي ، والله لو استطعت أن أجمع من حبات القلوب ، لا من الرياحين باقة زكية ندية لجمعتها حباً حباً ، وقلباً قلبا ثم حييتك بها وشريكتك في أمجادك ، ورفيقتك في المقبل الميمون من جهادك . فأسبغ الله عليكما منضور النعمة ومنّور اليمن ، وندى الله طريق حياتكما بالرياحين فتندى كل خطوة ريحانة . وتتنفس بالنعيم أقحوانة .. سلمت لوطنك فخرا ولاخوانك ذخرا .

بدوى الجبل

وأما رسالته التى أعدها لتوجه الى الرئيس المدفعي فهى من ذخائر الأدب الرفيع ومن آيات الاباء المنيع وها هى ذي :



رياض الصلح يحمل جريدة الأهرام وعلى يساره أكرم زعيتر وبينهما كاظم الصلح رئيس حزب النداء

سيدى الرئيس

إنني أعتبر تفضلكم بإهدائي وسام الرافدين من الدرجة الثالثة امتهاناً لكرامة الفكر ، وازراء بشأن الأدب . واذا كان القائمون على الحكم في العراق لايحسنون وزن القيم الاجتماعية والأدبية والسياسية ، ولايقدرون رجال الفكر والعقيدة حق قدرهم فإنني في اعتذاري عن قبول هذا الوسام أعيد الأمور إلى نصابها . وأصون للأدب الرفيع عزته وكبرياءه وللفكرة القومية صفاءها وسموها .

وفى الحق ياصاحب الفخامة أن الحكم الذى يزري بكرامة الأدب والفكر يزري بنفسه ، ويتحدى كرامته . أما الفكر والأدب فكرامتهما تظل رفيعة مصونة سامية . ان الله ائتمنني ــ حين خلقني شاعراً ــ على أكرم ودائعه وأغلى نفائسه ــ وانني لأجزي الله على نعمته التي ائتمنني عليها بأن أصونها نقية رفيعة كما أبدعها وصانها ، وأن أدلل بإبائي كبرياءها وعنفوانها ، حتى اذا استرد الله وديعة الفن عند موتي استردها كما أنشأها بريئة نقية ، عزيزة .

وليعلم سيدي الرئيس أن الدولة لو أهدت إلى أرفع وسام فيها لكان ذلك تشريفاً للوسام وتمجيداً للدولة قبل أن يكون تشريفاً لي ولشعري . وإنني في ردي هذا الوسام أغضب لكرامة الأدب والعقيدة قبل كرامتي .. ولكن غضبي لا يتقحم حرم مروءتي ولاحرم عقيدتي ... وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول الاحترام والامتنان

٥٣/٦/١٥ بدوى الجبل

اكـرم زعيتر

رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في قطر

دفاعاً عن الإسلام في كل مكان

تحقيق: السيد حجازي

في المحاكم دائماً ينصب ميزان العدل ، ويعطي كل ذي حق حقه ، حسب أصول الشرع وقواعده .. هذا هو المفروض والمتوقع والمأمول دائماً وأبداً ..

وفي دولة قطر تنهض بهذه المسئولية الجليلة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ..

فهي تحتكم في كل ماتصدره من أحكام إلى الشريعة الاسلامية ، وتأخذ بنصوصها ، وتطبق ما تقول به متوخية ظروف العصر ، وتلائم بين هذه الأحكام والوضع المعاش بما يثبت أن الشريعة الاسلامية ــ برغم أنف المكابرين ــ صالحة لكل زمان ومكان ..

ولا تكتفي الرئاسة بهذا العمل الكبير والجليل فقط ..

إنها تقوم بعدة أعمال أخرى ، وتنهض بمسئوليات لا حصر لها ، تعطي لدورها صفة الشمولية ، وتمنحه أبعاداً جديرة بالتأمل ، وتستحق التقدير والقاء الأضواء الكاشفة عليها ، برغم أنها تسطع بنور الحق ، وتضيء بالعديد من الانجازات الكبيرة والعميقة ..

وفي الحديث مع فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية مايحقق هذا الهدف وأكثر ، وفي الحديث معه أيضاً إثارة للعديد من الموضوعات التي تهم المسلمين ، والقضايا التي تشغل بالهم ، والمشاكل التي تستصرخهم بالحل ..

فماذا قلت للشيخ عبدالرحمن وماذا قال لي ؟..

قبل أن نسترسل في تفاصيل الحديث الشامل مع فضيلته دعونا نلقي نظرة ضرورية على تاريخ القضاء في هذا البلد الطيب الآمن ..

إن هذا حق علينا لهؤلاء الذين أرسوا دعائم هذا القضاء ، ورسخوا أسبابه ، ووفروا له كل السبل حتى يقول كلمته ، وترفرف رايته ، ويعلو صوته فوق كل الأصوات ..

كانت البداية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ..

في ذلك الوقت البعيد استقرت أسرة آل ثاني في قطر ، ومارس الشيخ محمد بن ثاني سلطته الفعلية كحاكم ..

وكان أول من تولى القضاء الشرعي كما هو معروف في البلاد الشيخ محمد بن حمدان فيما بين عامي ١٢٨٥ و ١٣١٠ هـ

لكنه بعد هذا التاريخ انتقل إلى « دارين » بالمملكة العربية السعودية ، حيث توفي فيها ..

بعدها وقع الاختيار على الشيخ عبدالله بن أحمد بن درهم لتولي هذه المهمة ..

ولقد كان يقوم باجراءات التقاضي وهو في بيته ، أو في المسجد ، أو في السوق ..

وكانت هذه هي حال القضاة السابقين في ذلك الزمان ..

لكن مع كبر سنه أعفي من العمل .. وتولى بعده الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع ، الذي استدعي من البحرين بناء على طلب الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر في ذلك الوقت (١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٣ م) .. ويعرف الشيخ محمد بأنه كان من الفقهاء المشهورين ، ولقد أسندت إليه بعد مجيئه إلى قطر أمانة القضاء فيها ..

وعندئذ تم إنشاء بناء خاص ليمارس فيه عمله ، كان يعرف باسم المدرسة ، ويقع في منطقة الجسرة بالدوحة ..

كان هذا القاضي الشيخ ينهض بشئون التدريس والقضاء في نفس الوقت ، واستقال من عمله بعد ست سنوات ..

اجراءات التقاضي

ولقد كانت اجراءات التقاضي في ذلك الزمان سهلة وبسيطة غاية البساطة ..

وكان قضاة ذلك الزمان يصدرون الأحكام شفهياً ..

لكن إذا طلب أحد المتقاضين أن يكون الحكم مسجلاً ، كتبه القاضي بخط يده ، وسلمه إياه في نفس الوقت ..

لم تكن هناك سجلات وملفات وموظفون وادارات ومكاتب ..

لكن بمرور الوقت تغير الحال وتبدل وفرضت ضرورات الحياة ألواناً جديدة من العمل في مجال القضاء ، تتصل بالاجراءات ، والتنظيم ، والتوسعات المطلوبة ، ولا تتصل بالأحكام نفسها التي تستلهم الشريعة ،وتعلي كلمة الحق ..

وكانت البداية في عام ١٣٥٩ هـ ..

في ذلك العام قام حاكم قطر عندئذ الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني بأداء فريضة الحج ، يرافقه الشيخ حمد بن عبدالله آل ثاني وبعض أعيان آل ثاني ..

واجتمعوا إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ..

وفي ذلك الاجتماع طلب الشيخ حمد نيابة عن والده من الملك أن يرسل معهم قاضياً إلى قطر ..

وأضاف أن اختيارهم قد وقع على الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ..

وكان فضيلته في ذلك الوقت يقيم في الحرم المكي للتدريس والقضاء ..

وبالفعل صدر أمر ملكي بسفر الشيخ عبدالله إلى قطر برفقة حاكمها وابنه ، حيث تقلد أمانة القضاء منذ ذلك الوقت (شهر ذي الحجة ١٣٥٩ هـ ــ ١٩٤١ م) ، وباشر عمله في القضاء في محكمة شرعية في الدوحة تولى هو رئاستها ..

نظام للتسجيل والحفظ

وبدأ الشيخ عبدالله بوضع نظام لتسجيل القضايا والأحكام وحفظها ..

وقام بعدة تعيينات : الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً في تحرير الاقرارات واثبات الشهود وعقود الزواج ، الشيخ ابراهيم بن عبدالله الانصاري للنظر في القضايا المستعجلة في منطقة الخور ، وابرام عقود الزواج ، وتحرير الاقرارات والشهادات ، ولما توفى الشيخ ابراهيم الانصاري حل محله ابراهيم بن يوسف ..

وهكذا وضعت بدايات الأسس التنظيمية التي تناسب الظروف ، وتسهل العمل ، وتسير به نحو النظام المنشود ..

ومع تطور الأوضاع الاقتصادية بعد اكتشاف النفط ، وتطور الأوضاع الاجتماعية بالتالي ، وزيادة عدد السكان وتنوعهم زادت القضايا وتعددت أعمال المحاكم الشرعية واختصاصاتها ، ومن هنا تقرر انشاء رئاسة المحاكم الشرعية في أول محرم ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ م ، وأسندت رئاستها إلى فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ..

وكانت الرئاسة تضم في ذلك الوقت المحكمة الشرعية الكبرى ، والمحكمة الشرعية بالدوحة ، ودائرة الأوقاف والتركات ..

وبقيت تمارس أعمالها في مقرها القديم بمنطقة الجسرة لفترة طويلة ، حتى تم انشاء مبناها الجديد جنوبي قصر الدوحة ، والذي افتتحه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى عام ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ..

وأصبحت الدائرة تحمل اسم رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية منذ بداية عام ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م ، حتى يكون ذلك مطابقاً لما تقوم به من أنشطة ، وماتنهض به من أعمال ..

صلاحيات الوكيل

وتم تعيين وكيل لها خلال عام ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م ، وأوكل إليه فضيلة الرئيس تصريف أعمالها ، وخوله صلاحية التوقيع على كافة المعاملات والشيكات وكل ماله علاقة بأعمال الرئاسة والادارات التابعة لها ..

هذا الوكيل هو فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود الذي دار حديثي الطويل معه .. ودعوني أقدمه لكم ..

إنه من الشباب المؤمن ، الصالح المستنير ، والذى يرجى على يديه الكثير ، وهو متواضع أشد التواضع ، بسيط أكبر البساطة ، لايرد طلب أحد ، ولايخذل صاحب حق ..

تلقى تعليمه الابتدائي والثانوى فى قطر ، وحصل على الثانوية من المعهد الديني الثانوي ..

بعدها التحق بالأزهر الشريف .. بجمهورية مصر العربية ، وحصل على ليسانس في الشريعة والقانون من جامعة الأزهر عام ١٩٧٥

ثم توالت دراساته العليا التخصصية ..

حصل على دبلوم في القانون من جامعة القاهرةعام ١٩٨٠ ، ودبلوم في الشريعة الاسلامية من نفس الجامعة في العام الذي تلاه ..

وهو لا يكتفي بذلك ..

إنه يواصل دراساته العليا التخصصية في القانون حتى أعلى الدرجات ، وهو الآن مسجل لنيل درجة الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة القاهرة ..

وطريق العلم أمامه طويل وشاق ، ولكنه مصر على قطع العديد من الأشواط فيه ، فهذا هو سبيل العلماء ولا سبيل غيره ، وهذا هو ضمان الذين يتصدون للعمل الذي يخدم الناس ، ويقضي بينهم بالحق والعدل ..

وقد جمع فضيلة الشيخ عبدالرحمن بين هذا الطريق وطريق العمل الميداني ، اكتساباً للخبرة ، وجمعا للعلم والعمل ..

فهو إلى جانب أنه وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية : المشرف على تحرير مجلة الأمة ، ورئيس مجلس ادارة مصرف قطر الاسلامي ، وعضو في مجلس أمناء المؤسسة الخيرية الاسلامية العالمية بالكويت ، وعضو في مجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية الأفريقية بالخرطوم ..

أقدم الأجهزة

ويبدأ حديثي مع الشيخ عبدالرحمن ويطول حول المحاكم الشرعية في دولة قطر : كيف كانت مسيرة تطورها بالتفصيل ، ومن خلال الحقائق الواقعية الحية ، وعلى لسانه هو ..



مبنى رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

دفاعاً عن الإسلام في كل مكان

ويتفضل بالاجابة الشافية التفصيلية ..

إن المحاكم الشرعية في قطر هي في الحقيقة من الأجهزة القديمة في الدولة ، بل هي من أقدم الأجهزة فيها إن شئنا التحديد والدقة ..

وكانت في السابق قد بدأت بمحكمة شرعية واحدة ..

لكنها تطورت فشملت أيضاً ادارة للأوقاف والتي كانت تابعة لها ، وتطورت أكثر وأكثر فأصبحت رئاسة المحاكم الشرعية ، فضمت محكمتين اضافة إلى ادارة الأوقاف والتركات ..

وتطور الوضع بعد ذلك تطوراً ملحوظاً ..

هكذا يواصل الشيخ عبدالرحمن حديثه ويقول إن الرئاسة أصبحت مسئولة عن الشئون الدينية ، فضمت إدارة للشئون الاسلامية ، ثم أصدرت مجلة الأمة ، وفي الوقت الحاضر فإن الرئاسة تشتمل على ست إدارات ، لكل منها وظيفة محددة ، تختلف عن وظيفة الأخرى ..

هذه الادارات الست هي : إدارة المحاكم الشرعية وتتبعها المحكمة الشرعية الكبرى ، والمحكمة الشرعية الأولى ، والمحكمة الشرعية الثانية ، والمكتب الإداري والفني ، وقلم التنفيذ ، ومكتب لجنة القضايا العقارية ، ومكتب الشئون الزوجية ..

أما الإدارة الثانية فهي إدارة الشؤون الإدارية والمالية ، والإدارة الثالثة هي إدارة شؤون الأوقاف (الوقف والمساجد والهندسة والصيانة) ، والإدارة الرابعة هي إدارة الشؤون الاسلامية وتضم أقسام العلاقات الاسلامية والمؤتمرات والدعوة والارشاد ، والثقافة والمطبوعات ، والمكتبات ، ومعهد الأئمة والخطباء ..

وتتبع الإدارة الخامسة وهى إدارة التركات وشؤون القاصرين أقسام التركات والقاصرين والمحاسبة وتضم الإدارة الأخيرة والسادسة وهي مجلة الأمة أقسام التحرير والترجمة والنشر والمحفوظات والإدارة والتوزيع ..

ويستمر الشيخ عبدالرحمن في الحديث موضحاً الصورة أكثر وأكثر ..

إن المحاكم الشرعية كادارة مستقلة تتكون من ثلاث محاكم هي المحكمة الكبرى ، ومحكمتان شرعيتان أولى وثانية ..

وهي تنظر في القضايا التي تدخل في اختصاصها في مجالات الأحوال الشخصية والجنايات ، كما تنظر في جزء من قضايا الحقوق ..



مسجد الوكرة ذو الطراز الاسلامى المميز تتلألأ أنواره فى الليل

وهذه المحاكم تتميز بسرعة الانجاز وبقدرتها على النظر في عدد كبير من القضايا سنوياً ، وتنشر الاحصائيات التي تشير إلى ذلك باستمرار ، وتؤكده دائماً ..

وتقوم هذه المحاكم أيضاً باصدار الشهادات والوكالات الشرعية ، وتتولى قسمة التركات ، والاشراف على الصرف من أموال القاصرين حسب مصلحة القاصر ..

ونأتي إلى نشاط الأوقاف بشكل عام ..

هكذا يضيف وكيل الرئاسة ، ثم يستمر في الايضاح والتفسير ..

إن هذه الإدارة من أكبر إدارات الرئاسة ، وتشرف على المساجد والأوقاف في البلاد ، وتعمل على صيانتها ..

وهنا يجدر أن نشير إلى أن دولة قطر تتميز بكثافة ملحوظة في عدد المساجد ، تعد في الواقع أعلى نسبة مساجد في العالم ..

وهناك تشجيع لا يقف عند حد من جانب الدولة على هذا الاهتمام ..

لقد اعتمدت الدولة أخيراً أربعين مليون ريال كموازنة لانشاء المساجد في كافة أنحاء البلاد ، وتهتم الدولة إهتماماً ملحوظاً برعاية المساجد وصيانتها وإدارتها ..

مستويات هندسية عالية

وتمتاز قطر – والكلام ما زال للشيخ عبدالرحمن – بالعديد من المساجد الكبيرة والمبنية بمستويات هندسية عالية ..

ولذلك تشتمل إدارة شئون الأوقاف على قسم للهندسة ، وآخر للصيانة ، يتوليان أعمال الانشاء والاشراف على أعمال التصميم وتنفيذ المساجد وصيانتها ، سواء على نفقة الدولة أو على نفقة الأفراد ..

وهناك عدد كاف من المهندسين بالادارة للقيام بهذه المهمة ..

ويوجد أيضاً قسم لشئون المساجد ، يشرف على إدارتها بعد استلامها من قسم الهندسة ، ويتولى تعيين الموظفين ، والرقابة على أعمالهم ، والاشراف بشكل عام على المساجد ، لضمان حسن أداء العمل ، وسلامة التجهيزات داخل المسجد ..

وفي حالة وجود أي خلل يقوم قسم الصيانة بعلاجه واصلاحه على الفور ..

وتمتاز مساجد قطر بشكل عام بأنها مزودة بأجهزة التكييف والمياه الباردة ، والسجاد الذي يغطي كل مكان فيها ، كما توجد بها « محافظ » للمصاحف ، وخزانات للأحذية ، بالاضافة إلى أجهزة الصوت ..

ولقد تم انشاء عدد من المكتبات في المساجد الكبيرة ، وهي تفتح في فترات مناسبة يومياً للمطالعة ، وبها جميع المراجع والكتب الاسلامية والعربية ، وتزود بالمجلات الاسلامية ..

أما القسم الأخير في الأوقاف فهو قسم الوقف ..

وهو يتولى تسجيل كافة الأوقاف ، ويدير الأملاك الموقوفة المعدة للاستثمار ، ويشرف على البيوت الوقفية المخصصة لسكن أئمة المساجد ..

إذ تحرص الرئاسة على انشاء سكن خاص للإمام مع كل مسجد بقدر الامكان ..

أموال القصر

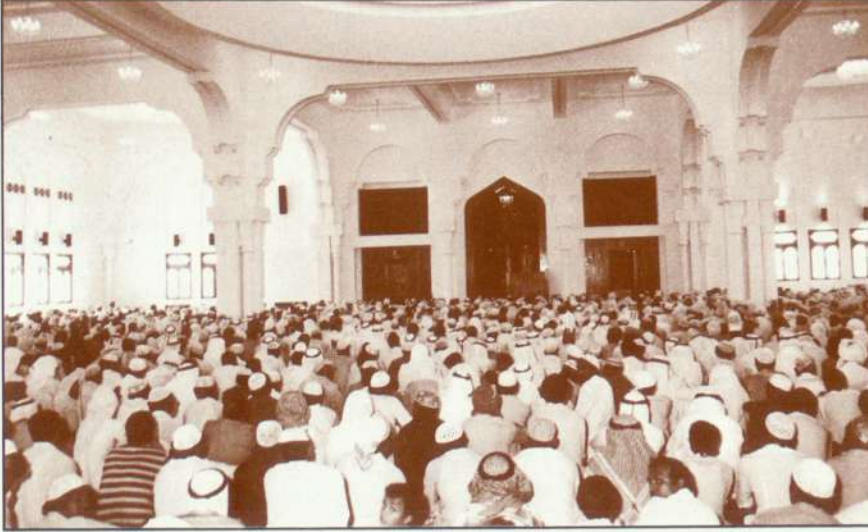
وينتقل الشيخ عبدالرحمن وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر إلى نقطة أخرى فيتحدث عن إدارة التركات ..

إن الرئاسة تقوم كجزء من عملها بالاشراف على أموال القصر أو الأيتام الذين لم يبلغوا السن التي تمكنهم من التصرف في أموالهم ..

تتولى الإدارة إدارة أموالهم حتى يبلغوا سن الرشد ، فتقوم باستثمارها بالوسائل الممكنة ،



الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله آل محمود وكيل الرئاسة



جموع المصلين تستمع في خشوع وايمان لخطبة الجمعة

بالاضافة إلى الاشراف على التركات لحين القسمة وتوزيعها ..

وتقوم الادارة أيضاً بالصرف على القاصرين على دفعات شهرية من حساباتهم ، بناء على أمر القاضي ، بعد دراسة حالة القاصر ، والموافقة على نسبة الصرف ..

وتسلم الإدارة مستحقات اليتيم بعد سن الرشد ، مضافة إليها الأرباح وماتم شراؤه من أراض أو عقارات وغير ذلك ، وذلك بأمر من القاضي ..

وللعلم فإن الإدارة تتعامل نتيجة لطبيعة عملها في مبالغ تصل إلى مايزيد على مائة مليون ريال من حسابات مختلفة سواء للتركات أو القصر ..

وهناك إدارة أخرى يتحدث عنها وكيل الرئاسة بنفس القدر من الاهتمام والتقدير ..

إنها إدارة الشئون الاسلامية ..

عنها يقول إنها الإدارة المختصة بالاشراف على أنشطة الوعظ والارشاد والدعوة الاسلامية بشكل عام في الداخل والخارج ..

تقوم بتنظيم برامج الدعوة داخلياً وخارجياً ، وتشرف على معهد الأئمة والخطباء الذي يشرف بدوره على تعليم الأئمة ، لرفع مستوياتهم العلمية ..

وتشتمل هذه الادارة على قسم للعلاقات الاسلامية يتولى أعمال الاتصال بالمنظمات والهيئات الاسلامية فى الخارج ويتلقى المراسلات والطلبات من الجاليات الإسلامية فى البلاد الخارجية ، واضافة الى تنظيم الاشتراك فى المؤتمرات الاسلامية العالمية يقوم برصد المؤتمرات الإسلامية الأخرى التي تعقد في أي مكان من العالم ويحفظ مقرراتها ، لمحاولة الاستفادة منها ودراستها ..

ويوجد بهذه الادارة قسم للمكتبات ، يتولى الاشراف على مكتبات الدائرة ، وتتبعه مكتبة اسلامية عامة تجمع المراجع والكتب الاسلامية الهامة ..

● الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود يضع الأسس التنظيمية للرئاسة ، والشيخ محمّد بن عمران أول من تولى القضاء الشرعي

● أربعون مليون ريال لإنشاء المساجد التي تفتح أبوابها للاستزادة من المعرفة الدينية

وهذه الإدارة تشرف كذلك على مكتبات المساجد ..

وبهذه المناسبة هناك ثمانون مكتبة مفتوحة في مساجد الدولة بشكل عام ، ويتولى القسم تزويدها باستمرار بكل جديد ، ويقوم أيضاً بسحب ماتلف وما انتهت مدته ..

كما يشرف هذا القسم على المكتبات المتخصصة ويزودها بالكتب الهامة في المجال القضائي والتشريعي ..

أما قسم الثقافة والمطبوعات فيتولى الرقابة على الأعمال الدينية التي ترد إلى البلاد ، أوتحول اليه من وزارة الاعلام ، سواء كانت كتباً أو مواداً مسجلة ..

ويتولى القسم أيضاً تنظيم موسم ثقافي اسلامي بشكل سنوي ، يتم فيه استدعاء محاضرين ومفكرين لالقاء محاضرات خلال كل موسم ، وهو والحمدلله موسم ناجح إلى حد كبير ..

يقوم القسم كذلك باقتراح اصدار كتب دينية مختلفة ..

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الإدارة قد أصدرت عدداً من الكتب سواء من المخطوطات المحققة أو الكتب المترجمة ، وقد صدر أخيراً كتاب تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام للامام بدر الدين بن جماعة ، وهو مخطوط تم تحقيقه بواسطة الإدارة ..

كما تمت ترجمة كتاب محمد في الكتاب المقدس وطبعه ..

وهو دراسة لأحد القسس الذي دخل في الاسلام ، والذي يثبت فيه ورود اسم محمد في الانجيل ..

خدمة ثقافية ودينية

ويصل الشيخ عبدالرحمن في حديثه معي إلى النشاط الأخير من نشاطات الرئاسة ، والذي يتمثل في إصدار مجلة الأمة ..

لقد كان أساس التفكير في اصدارها هو محاولة تقديم خدمة ثقافية ودينية للعالم العربي والاسلامي ، عن طريق اصدار مجلة اسلامية شاملة تصدرها دولة قطر ..

وبالفعل كان صدورها في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ..

ولقد كانت المرحلة التحضيرية لها صعبة للغاية ..

فلقد كانت المحاولة المبذولة هي ايجاد شخصية للمجلة تضمن لها النجاح ، ولاتكون مجرد رقم اضافي للمجلات الاسلامية التي تصدرها جهات رسمية في الدول الاسلامية بشكل عام ..

وفي هذا الصدد يقول وكيل الرئاسة :

ــ ونحمد الله أننا نجحنا في ايجاد الصيغة المناسبة والتي أدت إلى نجاحها ، وطبع ثمانين ألف نسخة من كل عدد في السنة الأولى ..

دفاعاً عن الإسلام في كل مكان

وأعتقد أن نجاح المجلة يعتمد على ركيزتين : المادة الجيدة ذات المستوى المتخصص الجيد ، واستخدام الفن الصحفي في إخراجها بمستوى فني لائق ..

ولقد كانت مهمة العثور على الطاقم الصحفي الذي يجمع بين العلم الشرعي والقدرة الصحفية مهمة شاقة .. لكن تحقق النجاح فيها إلى حد كبير ..

ولقد أدى هذا إلى نجاح المجلة في سنتها الخامسة في استمرار استقطاب القارئ المسلم في كل أنحاء العالم الاسلامي ..

إن العدد الواحد على سبيل المثال في موريتانيا يتمكن من قراءته عشرون شخصاً ..

وهذا نجاح كبير بكل المقاييس .

ويستمر حديث الشيخ عبدالرحمن عن المجلة وبنص كلماته :

ـ وقد حاولنا بالرغم من أن المجلة تصدر عن هيئة رسمية أن نبعدها عن أن تكون مجلة تقليدية لا يقرأها إلا نفر من المتخصصين والقراء الملتزمين ..

كانت محاولتنا هي الاتجاه للقارئ العادي ليقرأ المادة التي تشتمل على توعية دينية ، ومعلومات تربط المسلم بهموم دينه بشكل عام ..

وحاولنا أن نستخدم بالاضافة إلى المادة الجيدة : الاخراج الجيد ، حتى نجذب القارئ العادي ، لما لاحظناه من أن هذا القارئ يتجه إلى الصحافة العادية نظراً لامكانياتها المتطورة ..

وقد كان هذا التصور ناجحاً ، وأدى إلى زيادة الاقبال على المجلة من جانب القراء العاديين ..

وفكرنا أيضاً في اصدار سلسلة كتب ..

وكانت فكرتنا منها هي أن الشباب بشكل عام ، والمسلم العادي خاصة في البلاد الفقيرة ، يفتقر إلى الكتب الاسلامية التي تتناول موضوعات عصرية بسعر معقول ..

ومن هنا فضلنا أن يصدر كتاب دوري يوزع ضمن شبكة توزيع المجلة ، وبذلك يصل إلى أكبر عدد من القراء في العالم العربي والاسلامي ، بدلاً من اصدار كتب بأعداد قليلة توزع مجاناً ، وتكون الاستفادة منها محدودة ..

ولقد نجحت الفكرة نجاحاً كبيراً ..

فقد صدرت من بعض كتب الأمة ثلاث طبعات ، وصدرت منها طبعات خاصة ، وترجم بعضها إلى عدد من اللغات الأجنبية ، ووصل توزيعها في بعض الأعداد إلى مائة ألف نسخة ..

هناك عودة للدين

ويصمت الرجل قليلاً ثم يختم كلماته بقوله :

ونحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا سبباً لعمل يقوم على تثقيف المسلمين بشكل عام ، ومحاولة لاعطائهم قدراً من العلم الشرعي الذي يتناسب وذهنية الرجل العادي ..

وأسأل الشيخ عبدالرحمن بعد ذلك عن الثقافة الدينية التي تقدم الآن ومدى استفادة المسلمين منها

ويتكلم هو بصراحة وبساطة ..

الحقيقة أن هناك توجهاً كبيراً من المسلمين بشكل عام نحو الثقافة الدينية ، وهناك عودة للدين في غالبية دول العالم العربي والاسلامي ..

لكن يلاحظ أن هناك نقصاً في العلم الشرعي في كثير من المناطق ، مما يؤدي إلى أن يتصدى للفتوى أشخاص غير مؤهلين ، فيحرمون أموراً أحلها الله ، والعكس . وقد يضلل بعضهم بحسن نية مجموعات كبيرة من الاشخاص إن أحداثاً كثيرة تنبهنا إلى التأثير القوي والشديد للعقيدة الدينية ..

إنها قوة يجب ألا تنكر ..

وعلى الدول العربية والاسلامية أن تقوم بدورها في انشاء وتقوية المعاهد الشرعية والكليات التي تؤدي إلى تخريج أشخاص على مستوى عال من العلم ، بحيث يصبحون قادة دينيين ذوي كفاءة ..

وهنا فان المرجو أن تكون لمجلة الأمة وكتابها الدوري دور في توعية المسلمين عموماً ..

فان كلاً منهما يتناول العديد من الدراسات التي تتصل بأمور يحوطها جهل وأخطاء شائعة يتم تداولها ..

لذلك فان المجلة والكتاب قد أديا ويؤديان بالفعل دوراً جيداً في خلق وعي ديني رشيد لدى الشباب بصفة عامة ..

.. ومد اسلامي قوي

ولعل هذا يقودنا إلى الدعوة الاسلامية في الخارج وبالذات في الدول غير الاسلامية ..

هكذا يقول الشيخ عبدالرحمن ويواصل حديثه في هذا الموضوع الهام ..

إنه يرى أن هناك مداً اسلامياً قوياً في الحقيقة ، ووعياً متنامياً لدى الجاليات الاسلامية والطلاب المسلمين في الخارج ..

كما أن هناك حركة قوية لانشاء المساجد والمعاهد سواء في الدول الافريقية والآسيوية أوفي القارة الأمريكية وأوربا ..

هذه الحركة أصبحت واضحة الآن ، وهي لم تكن موجودة وظاهرة بهذه القوة قبل عشر سنوات مثلاً ..

إن في الولايات المتحدة الآن مساجد في معظم المدن ..

وهذا النشاط في مجمله يرجع إلى الصحوة الاسلامية لدى المسلمين المقيمين في الخارج ، والذين يذهبون للدراسة في عدد كبير من دول العالم ..

هذه الصحوة أثرت تأثيراً حقيقياً في الجاليات الاسلامية التي كانت خاملة ، والتي كادت تذوب في الجسم الغريب الأجنبي ..

والحقيقة أن خطر هذا الذوبان أدى بكثير من الغيورين على الاسلام إلى القيام بنشاط ديني ملحوظ داخل الجاليات التي ينتمون اليها ..

وقد تكون هناك بعض السلبيات ..

هذه حقيقة لا سبيل إلى نكرانها ..

إذ أن بعض المشاريع أكبر من القدرات المتاحة كبناء مسجد ضخم يضطر معه المسلمون إلى جمع التبرعات لسنوات طويلة ، وقد لا ينفذ ، اضافة إلى مواجهة مشكلة ادارة وصيانة المشروع مما يتطلب مبالغ سنوية أخرى جديدة ..

ولقد كان من الأفضل طبعا في مواجهة مثل هذا الموقف ــ وذلك في رأي الشيخ عبدالرحمن ــ أن توضع الأموال في وقف يدر دخلاً لانشاء المسجد ، بالاضافة إلى التبرعات ، إلى أن يصبح هناك مصدر مالي مستمر ، فيستمر العمل بالتالي دون مشاكل ..

المعاهد قبل المساجد

ويرى الشيخ عبدالرحمن وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر أن يكون التركيز في الدول التي بها جاليات اسلامية على انشاء المعاهد قبل المساجد ، بل يمكن استخدام المعهد كمسجد تؤدى فيه الصلوات أيضاً ..

فالملاحظ أن الجاليات الاسلامية تعاني من المستوى العلمي المتدني ..

وفي كثير من الدول نجد أن غير المسلمين ، نظراً لتعلمهم في مدارس تبشيرية ، استطاعوا أن يصلوا إلى تعليم جامعي متقدم ، وسيطروا على مقاليد الأمور في بلادهم ، بالرغم من كونهم أقلية بالنسبة للمسلمين ..

ولا شك أن خشية المسلمين على أبنائهم من المدارس التبشيرية في هذه البلاد هو السبب ..

لكن يمكن بكل تأكيد تعويض مافات ..

وهذا يتم بانشاء المدارس والمعاهد بشكل مكثف ومنظم لاستيعاب أبناء المسلمين ..

ويجب التركيز أيضاً في هذه البلاد على معاهد التدريب بالنسبة لابناء الجاليات الاسلامية ..

فنحن نلاحظ أن العمالة الماهرة التي تستقدم من بعض الدول الاسلامية لدول الخليج من غير المسلمين ..

وهذا يرجع إلى توفر معاهد التدريب أمامهم وعدم توفرها أمام المسلمين ..

ومن هنا فان تعليم المسلم وتدريبه على أداء عمل فني يؤدي إلى رفع مستواه ورفع مستوى أسرته ومجتمعه ..

ويثير الشيخ عبدالرحمن نقطة على جانب كبير من الأهمية ..

إن هناك نقصاً في الدعاة ومدرسي العلوم الشرعية واللغة العربية الذين يعملون في الدول الاسلامية الفقيرة ..

فماذا يحدث في المقابل من جانب الهيئات التبشيرية ؟

إنها تبعث بأعداد ضخمة من المدرسين والأطباء والمهندسين للدول الأفريقية والآسيوية ، لمحاولة التبشير لدياناتها ، عن طريق انشاء المعاهد والمدارس ومراكز التدريب والمستشفيات والمراكز الصحية ، وعن طريق الوعظ والكتب والنشرات ، ومحطات الإذاعة التبشيرية التي تدعمها امكانيات ضخمة ومستمرة ..

إن هذه الهيئات في أندونسيا مثلا تملك العديد من المطارات والطائرات التي تنقل المبشرين بين الجزر والموانئ الصغيرة ، وبين المدارس والمستشفيات ..

الجهود مبعثرة

وهذا التبشير المكثف والهادف يقابل في الحقيقة بعمل ضعيف من جانب الدول الاسلامية بشكل عام ..

فالجهود مبعثرة ، ولا يوجد تنسيق ، والفقر شديد في الموارد ..

وهذا يحدث بينما هناك أموال تنفق على مؤتمرات لا عائد لها أكثر من مجرد اللقاء والنقاش ، وكان من الممكن أن توجه بشكل سليم ويكون عائدها أفضل بكثير من نتائجها التي لا تغني ولا تفيد ..

اذن فالمشكلة في الحقيقة ليست بسيطة ..

انها تحتاج إلى جهد مكثف ودائم ..

ولكن هناك ما يدعو إلى التفاؤل برغم هذه الصورة القاتمة والمؤلمة ..

هكذا يؤكد الشيخ عبدالرحمن ..

إن وضعنا الآن أفضل مما كان عليه منذ سنوات ، وأحوالنا في تحسن مما يبشربالخير ..

ويضيف اننا نرجو أن يكون هناك اتجاه من الدول العربية الغنية للقيام بدورها بشكل فعال في خدمة الدول المحتاجة ..

وليس المقصود بذلك الدعم المالي فقط ، بل القدرة البشرية ..

وهي تتمثل في الدعاة والكتب والمواد الطبية والمساعدات والتجهيزات والانشاءات من مبان ومحطة اذاعة ومطبعة وغيرها ..

إن هذا ضروري من أجل مواجهة الخطر التبشيري القائم الآن ..

ولك أن تتصور مدى هذه الخطورة من كل الجوانب ، ومن شتى الصور ..

إن مؤتمراً في الولايات المتحدة دعت إليه الكنيسة البروتستانينية لتنصير المسلمين جمع تبرعات لهذا الهدف بلغت ألف مليون دولار ..

وهذا المبلغ لو وضع في بنك لكان دخله السنوي مائة مليون دولار ..

فماذا يمكن أن يفيد من أجل الغرض الذي رصد له ؟ ..

لا شك أنه يمكن أن يفعل الكثير ..

● توعية القارئ دينيًّا ومدّه بالمعلومات التي ترتبط بهموم دينه والوصول إلى الجاليات الإسلامية في الخارج

● المطلوب من المسلمين كثير في مجال الدعوة بالخارج ، وقد بدأوا دخول ميدان الإغاثة ، مما يدعو للتفاؤل الحقيقي

التفاؤل موجود

وعلى أية حال فمما يدعو للتفاؤل أيضاً بالنسبة للمسلمين أنهم بدأوا يدخلون ميدان الاغاثة في أكثر من دولة وفي أكثر من مجال ..

في السودان مثلاً اشتركت ولا تزال في الاغاثة بداخله دول اسلامية متعددة من ضمنها دول الخليج : السعودية والكويت وقطر ..

وهناك أيضاً الوكالة الاسلامية الأفريقية للاغاثة ..

هذه الوكالة مقرها السودان وهي تتبع منظمة الدعوة الاسلامية الأفريقية وتقوم بجهود طيبة في مجال الاغاثة ، وهي الوكالة المتخصصة الوحيدة في هذا المجال في العالم الاسلامي ..

وبعد هذا الحديث الطويل والمتشعب من جانب وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود ، طرأ على ذهني سؤال أخير ، قبل أن أتركه لأعماله الكثيرة ..

سألته عن جهود الرئاسة المستقبلية وخطتها القادمة في هذا المجال الهام .. مجال الدعوة الاسلامية وفي المجالات الأخرى المتعددة ..

وبنفس الهدوء والسماحة ورحابة الصدر ، جاءت الاجابة حاملة الكثير من المعلومات والاضافات ..

إن الإدارة تتعاون دائماً مع الجهات الاسلامية العاملة في الخارج ..

وهي تتبادل معها المعلومات والنشرات والمطبوعات ، وتتلقى من غالبية الجهات دعوات لحضور المؤتمرات الاسلامية المختلفة ..

كما تشترك في كثير من الانشطة الاسلامية على المستوى الدولي ، وتزود هذه الجهات بكل ما تحتاج اليه من أدوات ومطبوعات ، وتتبادل معها الرأي في بعض الأمور التي تهم الجانبين ، وتفيد الاسلام والمسلمين ..

وسوف تزيد الإدارة من هذا النشاط وهذا التعاون ..

والادارة أيضاً بحسب إمكانياتها المتاحة تحاول أن تستكمل تطوير نفسها ، بحيث تقوم بمهمتها بكفاءة عالية ، ونظم متطورة ، وجيدة ..

وهي تأمل أن تتمكن من أداء الدور المطلوب منها ، سواء في مجالات انشاء المساجد ورعايتها ، أو الدعوة والارشاد ، وخلق الوعي الديني داخل البلاد وخارجها ، عن طريق اصدار المطبوعات وايجاد دور للمسجد في التوعية الدينية عن طريق الوعاظ الذين يتم اختيارهم سنوياً بطريقة جيدة ..

خلق الوعي

ويختتم الشيخ عبدالرحمن حديثه بقوله :

ــ ونأمل حقيقة أن نقدم خدمة للمسلمين عن طريق طباعة عدد من الكتب المترجمة ، والتي يحتاج اليها المسلمون فعلاً في بلاد تفتقد إلى الكتاب الاسلامي بشكل عام ..

كما نأمل بامكانياتنا المتواضعة أن نتمكن من خلق وعي بالنسبة للأخطار التي تستهدف المسلمين في الكثير من الدول الاسلامية ، والتي وصلت في بعضها إلى مرحلة يكاد يقضي فيها على الهوية الاسلامية ..

ونأمل كذلك أن يصل العمل الاسلامي الخارجي إلى كل البقاع التي تحتاج اليه ، وأن يعتمد على مصادر مادية ثابتة ، لا تبرعات وقتية ، أو تبرعات تنخفض من دول الخليج بسبب الظروف الاقتصادية .

وقبل أن أتركه مودعاً علمت منه أن الرئاسة قد اشتركت في مؤسستين على مستوى عال من الكفاءة والتنظيم ، هما المؤسسة الخيرية الاسلامية في الكويت ، ونشاطها الفعلي في مرحلة البداية ، ومنظمة الدعوة الاسلامية في الخرطوم والتي قامت بجهود ضخمة في ميدان الدعوة في السودان والدول المجاورة له ..

وهكذا طال الحديث وتشعب وهكذا كانت الجولة مع المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر وعنها ، جولة مفيدة ، وضرورية ..

تعكس ماتقوم به من جهد في الدفاع عن الاسلام ..

السيد حجازى

أصوات

إلى كل شهيد عربي

شعر: محمد التهامي

مِنْ قَدِيمٍ أَلِفْتُ هَذِي الحِكَايهْ   طُولَ عُمْرِي فَقَدْ نَسِيتُ البدايهْ
بَيْنَ قَتْلِي ومَوْلِدِي مُفْزِعَاتٌ   هُنَّ عُمْرِي وَمَسْرَحِي والرِّوَايهْ
تَخْلِطُ المَوْتَ بالحَيَاةِ فَفِيهَـــا   لَيْسَ لِلْعُمْرِ مُبْتَدَاً أَوْ نِهَايــهْ
تَارَةً يَسبقُ الفَنَـــاءُ وُجُودِي   قَبْلَ نَبْضِ الحَياةِ تَسْعَى الجِنَايَهْ
طَالَمَا شُقَّتْ البُطونُ الحَبَالى   فانْتَهتْ مُضْغَةٌ وصَارَتْ نُفَايهْ
أَوْ هَوَى المَهْد فاستُرِدَّتْ حَياةٌ   مَالها بالحَيَاةِ أَدْنَى دِرَايَهْ ..
أَوْ عَوى مِدْفَعٌ فَطارت رءُوسٌ   خَنْدَقَتْ حَوْلَنَا تَصُدُّ الرِّمَايهْ
أصْبح المَوْتُ في حَياتِي طَرِيقَـــاً   وَرَفِيقاً عَلى الطَّرِيقِ وَغَايهْ
صَار إسْمي إذا ذُكِرتُ بِأَرْضٍ   عَنْ قَتِيلٍ بِغَيْرِ ذَنْبٍ كِنَايَهْ ..
حَلَّ ذَبْحِي لِكُلٍّ مَنْ كَانَ حَتّى   أَتْقَنُوه كَحِرفَةٍ أَوْ هِوايهْ ..
غَارَ أَهْلِي مِنَ العِدا فَتَبارَوْا   ثُمَّ صَارُوا أَشَدَّ مِنْهُم نكايهْ ..
يَفْجَعُ المَوتُ إنْ رَمَتهُ يَمينٌ   كُنْت في حِضْنِها أَصبُّ العِنايهْ
قَدْ قَصَدْنَا حِماهُمُ لَيْتَ أَنَا   مَا لَجأْنَا ولا نَشَدْنَا الحمايــهْ ..
عَرْبَد الغُولُ حين أُوهمُ أَنّا   قَد فَقَدْنَا غِطَاءَنا والوقايَهْ
وَتَوَلَّى مِنْ راحَتَيْنا سِلاحٌ   وَزَّعَتْهُ الرياحُ في كلِّ غَابهْ
وَغَدَوْنَا لِكُل غَاوٍ مَتَاعـــاً   يَبْتَغِيـــهِ ويَسْتَطِيبُ الغِوَايهْ
فَانْبرى يَزْعُمُ الوَلاءَ عَلَيْنَـــا   حَاسِباً أَنْ يُدِيرَ فِينا الوِصَايــهْ
فإذَا العَزْمُ شَامِخٌ في حِمَانا   وَلَهُ وَحْدَه تَعِز الوِلَايه ...
ذلِكَ الكَائِنُ العَجِـــيبُ لِشَعْبٍ   قَدْ بَنَتْهُ الخطُوبُ أَعتَى بِنَايَــهْ
كُلُّ طِفْلٍ وطِفْلَةٍ فيه صَخْرٌ   مُنْبتٌ في ذُرَا فِلسْطِينَ رَايَــهْ ..
رُوعَ الغولُ حِينَ أَدْرَكَ فِينَا   لِكَثيرٍ مِنَ الأَعَاجِيبِ آيَهْ
نَحنُ والقَتْلُ كالمُحِبَّيْنِ ذَابا   في عِتَابٍ بِلَوْعَةٍ وشكَـــايَهْ ..
قَدْ تَمادَى لِقاؤُنا فَائــتَلَفْنَا   لا عَذولٌ يَرُدُّنَا أَوْ وِشَايَهْ
كَمْ سَعى بَيْنَنَا سُعاةٌ كِثارٌ   ثُمَّ وَلَّتْ وَلَمْ تُعقِّبْ سِعَايَهْ
إنْ ضَلَلْنَا لِقاءَنا بَعْضَ يَوْمٍ   عَاوَدَتْنا وعاتَبَتْنا الهدايــهْ
فانظُروا فالحَيَاة والموتُ فِينــاً   وَاحِدٌ واشْهَدوا كَفَــاكُم عَمايهْ
ليسَ مَنْ مَاتَ راحِلاً بَلْ مُقيماً   مثلَ مَنْ عَاشَ يَسْتَحِث النهايه
كائِنٌ قد تَحارُ فِيهِ البَرايا   صامِداً خالداً يُعِيدُ الحِكايــهْ
أَرْضَعَ الثُّكْلُ صَبْرَهُ لليَتَــامَى   غَيَّرَ الحُزْن في الجَنائِزِ نَايَــهْ
أذْهَلَ الهَولَ أَننـــا لا نَراهُ   بَلْ نَرَى فِيهِ ما استَحَق الزِرايهْ
حَيَّرَ الغول أَنْنا قد كشَفْنَـــا   أَنَّ كُلَّ العِواءِ هٰذا دِعَــايهْ
أنْبتَ الْقَهْرُ مِخْلَباً في يَدَيْنَـــا   وَسقَى النَّابَ بالسُّمُومِ سِقَايَهْ
لِنذِيقَ الغَرِيبَ عَنَّـــا عَذابَـــاً   ونُرَبّي القَرِيبَ مِنــا رِبَـــايَهْ
قد أكَلْنَا لحومَهم حِينَ جُعْنَـــا   عَطَّلَ الشَّرْعُ في المَجَاعاتِ آيَهْ
وَسَحَقْنَا عِظامَهُم وحَفِظْنَـــاها   لِنَلْقَى لَدى الحِصَـــارِ الكفَــايَهْ
ذَاكَ بَعْضٌ مِنَ الَّذي قَدَّمُوه   فَعلى مَنْ جَنَى نَرُدُّ الجنَـــايَهْ
وَنَعيشُ الحَيَاةَ طُولاً وَعَرْضَـــاً   لِيَتِمَّ الرجـــوعُ كُلَّ الرِّوَايهْ

مع فدوى طوقان ورحلتها الجبلية الصعبة



بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

أخيرا صدرت مذكرات فدوى طوقان ، بعد أن ظهرت من قبل مقالات في الصحف والمجلات : صدرت في كتاب عن (دار الأسوار) في عكا ، بعنوان (رحلة صعبة ... رحلة جبلية) وقد تفضلت الأخت فدوى فأهدت الي نسخة من هذه (الرحلة الصعبة) قضيت معها يومين في أجواء فدوى التي أعرف بعضها ، وأجهل بعضها الآخر . وأول ما أعادني اليه الكتاب بيتها القديم ــ أو سجنها القديم ــ بكل الأوصاف التي جاءت على ذكرها في الكتاب ، كما أعادني الى جو الأسرة الذى عرفته في أوائل الخمسينيات جميلا مرحا ، ولم أعرف فيه غير البشاشة ، وكرم اللقاء ، من شقيقها الحاج رحمي ، ومنها ، ومن أمها وجميع شقيقاتها . ولذلك كان الكثير من الجو القاتم الكئيب الذى وردت أوصافه في الكتاب مجهولا عندى ، أو لعلي عرفت بعضه من رسائل فدوى العديدة ؛ وكانت المراسلة قد استمرت بيننا سنوات من أوائل الخمسينيات ، ثم عادت فدوى فاستردتها عام ١٩٥٤ .

في هذه الرحلة تكشف فدوى عن صفحة قاتمة كئيبة ، هي في الواقع صورة عهد الحريم ابان الحكم العثماني وما بعده ، وهو عهد التسلط المطلق من الرجل على المرأة : التسلط الذى كان يفرض على المرأة الاستسلام الأعمى لسلطة الرجل ، والجهل المطلق ، والسجن ، والعبودية ، منذ طفولتها الى أن تخرج من بيت أبيها الى القبر ، أو الى بيت الزوجية بالاكراه ؛ وبهذا تخرج من العبودية الى العبودية ، ومن السجن الى السجن : من عبودية الأب والاخوة والأعمام والأخوال ، والعمات والخالات ، الى عبودية الزوج ، والحما والحماة ، وبنات الحماة ، وغيرهم .

هذه الصورة ليست جديدة ، فقد عرفها جيلنا ؛ وربما لا يزال لها بقايا الى اليوم في كثير من البلدان العربية . قد تكون اليوم أهون قليلا مما كانت من قبل ، ولكنها في بعض البيئات ما تزال تبيض وتفرخ في أعشاشها . والمرأة في ذلك لم تكن تشارك في أى نوع من أنواع الخدمة الاجتماعية ،

أو تساعد الرجل في شيء من عمله ، أو تبدى رأيها في أمر من الأمور . حتى أمورها الخاصة لم يكن لها رأى فيها : الرأى للرجل وحده ، والخدمة بكل جوانبها ومعانيها للرجل وحده ، والمجتمع كله للرجل وحده ، ويقوم برأى الرجل وحده وفكره وجهده ، مهما كان مغرقا في الأمية والجهل .

وليت الأمر كان يقف عند هذا الحد ؛ فقد كانت المرأة محرومة من الشعور بالكرامة الانسانية ، ومن حقوق الانسان ، لأن الرجل كان كل شيء . وقد عرفت فدوى هذا النوع من الحياة ، وتألمت كثيرا ، وحرمت من كل شيء ، حتى من التعليم المنتظم ، وسجلت كل ذلك بملء الصراحة والجرأة ؛ فكأنما انتقمت بكتابها هذا لحق المرأة الذى طالما كان مهدورا ، ولكرامة المرأة التي طالما كانت مفقودة .

وفدوى تعبر عن ذلك في كل صفحات النصف الأول من الكتاب ، ولكنني أجتزىء بهذا المثل الصغير من ذلك في قولها ، في الصفحة (٤٠) من الكتاب :

« أما الجو العائلي فيسيطر عليه الرجل ، كما في كل بيت ، وعلى المرأة أن تنسى وجود (لا) في اللغة ، الا عند شهادة (لا اله الا الله) في وضوئها وصلاتها . أما (نعم) فهي اللفظة الببغاوية التي تتلقنها منذ الرضاع ، لتصبح فيما بعد كلمة صمغية ملتصقة على شفتيها مدى حياتها كله . حق التعبير عن النفس محظور عليها ؛ الضحك والغناء من المحرمات ، ويمكن اختلاسها بعد أن يغادر الرجال الى أعمالهم ؛ الاستقلال الشخصي مفهوم غائب لا حضور له اطلاقا في حياتها » .

ذلك بعض الصورة ... لقطة صغيرة جدا من الصورة السوداء التي التقطتها عدسة فدوى ، وقدمتها للقراء من قصة حياتها الأولى . وفدوى تقول إن قصتها « هنا هي قصة كفاح البذرة مع الأرض الصلبة : قصة الكفاح مع العطش والصخر » .

الشعور العميق بالظلم

وليست هذه أول مرة تبوح فيها فدوى بشعورها العميق بالظلم والسجن والعبودية ، فلذلك سوابق في شعرها ، وبعضه منشور في ديوانها الأول (وحدى مع الأيام) ، وبعضه في ديوانها الثاني (وجدتها) . ولعل قصيدتها (من وراء الجدران) في ديوان (وحدى مع الأيام) كانت من أشد قصائدها ثورة وتمردا على هذا الواقع المظلم . فهي تقول فيها :

بنته يد الظلم سجنا رهيبا
لوأد البريئات أمثاليه
وكرت عليه دهور وما زال
يمثل كاللعنة الباقية

وتلي ذلك نجواها الحادة المتمردة لجدران السجن ؛ وفي هذه النجوى كل العنف ، والتحدى ، وان يكن تحديا على الورق ، وفي الخيال الشعرى وحده ، وهو خيال أرق كثيراً من أن يهدم جدارا أو يسحق قيدا :

وقفت بجدرانه العابسات
وقد عفرت بتراب القرون
وصحت بها : يا بنات الظلام
ويا بدعة الظلم والظالمين
لعنت ! احجبي نور حريتي
وسدى علي رحاب الفضاء
ولكن قلبي ، هذا المغرد
لن تطفئي فيه روح الغناء
أغني ولو سحقتني القيود
أغاريد نفسي وأشواقها
تبارك لحني أمي الحياة
فلحني من عمق أعماقها

وفي ما عدا قصيدة (من وراء الجدران) ثمة قصائد كثيرة أخرى في ديوان (وحدى مع الأيام) ، المطبوع في مصر عام ١٩٥٢ ، والذى كان جل قصائده من وحي السجن والكبت والحرمان . خذ قصائدها : (هروب – أشواق حائرة – حياة – قلب يتعذب – طمأنينة السماء – في درب العمر – في ضباب التأمل – نار ونار) . في هذه القصائد جميعها قلب يتعذب ، وروح تتقلب على الجمر . في قصيدتها (قلب يتعذب) تقول :

غاصت ينابيع المنى يا حزين
فمن يروى فيك شوق السنين ؟
اذبل وجف اليوم في أضلعي
وارجع كما كنت حطاما دفين
تحت ثلوج الوحدة القاسية
نبكي معا آمالنا الذاويه
نبكى ضياع الذمم الوافية
في عالم ما فيه روح أمين

ثم ترى أن الموت هو المنقذ من السجن والعذاب ، فتقول متابعة نجواها لقلبها المعذب :

ما لك ؟ ما بالك واهي الوجيب ؟
تراك في كف الصراع الرهيب
لا ، لا تخف . فالموت أحنى يدا
مت ياصريع الغدر مت يا كئيب
أرقدك الجاني على مهد
من زهر الآمال ممتد
لم تدر أن الجمر في الورد
والسم في نفح العبير الرطيب !

الله ما أعذب شعرك القديم يا فدوى ، وما أشد سحره !

أما في ديوانها الثاني (وجدتها) فنحن أمام قصيدة تقطر دما ، هي التى عنوانها (الصخرة) ؛ وهي من الشعر الكلاسيكى ، على الرغم من أن فدوى حاولت أن تقطعها أشلاء ، على طريقة الشعر الحديث .

وفيها تقول :

أنظر هنا
الصخرة السوداء شدت فوق صدرى
بسلاسل القدر العتي
بسلاسل الزمن الغبي
أنظر اليها كيف تطحن تحتها ثمرى وزهرى
نحتت مع الأيام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي
دعني ، فلن تقوى عليها
لن تفك قيود أسرى
سأظل وحدى في انطواء
ما دام سجاني القضاء
دعني ، سأبقى هكذا
لا نور ، لا غد ، لا رجاء
الصخرة السوداء ما
من مهرب ، ما من مفر !

عندما تتكامل الصورة

هناك في هذه القصائد القديمة ، النابعة من قلب السجن ، ومن وراء قضبانه السميكة ، نبتت حكاية كتاب فدوى النثرى الجديد (رحلة صعبة ... رحلة جبلية) ، وبصدور هذا الكتاب تكتمل الصورة وتتماسك حلقاتها . والقارىء يمشى مع فدوى في كتابها هذا مشدودا اليه ، حتى يصل الى الصفحة (١٤١) ، وهو مع البلبل الأسير المعذب في قفصه ، يحاول أن يبسط جناحيه ويرفرف بهما لعله يطير ، فيصطدم جناحاه بضيق القفص وقسوة القضبان ، فيسقط خائرا واهن القوى .

بعد الصفحة (١٤١) تخرج فدوى من بين جدران السجن ، لتنغمس في حديث السياسة والعقائديين . وليت هذا الحديث لم يكن !

ومن حديث السياسة والعقائديين تطلق فدوى جناحيها وتطير بعيدا ، لتستمتع بالحرية والنور ، في بريطانيا . وحديث فدوى عن بريطانيا كله حب ، وفرح ، ونشوة ، واعجاب : حب لبريطانيا ، وللشعب البريطاني ، ولأخلاق البريطانيين . حب شديد لا حدود له .

تقول فدوى في الصفحة (٢٠١) :

« أيامي في انكلترا لاتنسى : في انكلترا عرفت الفرح الصافي ، وفيها ضربني الموت بالصاعقة . كان منبع الفرح تجربة رائعة حلوة تقطر عسلا .

تجربة غنية ، كأنما انفلتت من حدود الزمان وحواجزه ، لتصبح دقات القلب فيها هي المقياس الحقيقي للزمن » .

وتقول أيضا في أول الصفحة التالية : « كانت تجربة باهرة ، ستظل ذكراها تبعث بالدفء الى القلب طول الحياة ، والى أن ينطفىء هذا القلب في رماد الموت» .

كانت بريطانيا بالنسبة الى فدوى نقلة هائلة من الضد الى ضده : من السجن الرهيب ، ذى الجدران الصفيقة ، الى الحرية التي لا حدود لها ... من عبوس الحياة واكفهرارها الدائم ، الى البشاشة والطمأنينة وحرية الفكر والروح . ولذلك ليس عجيبا أن تفرح فدوى بهذه النقلة الهائلة من الضد الى ضده . انني أفهم ذلك ، وأعرف لماذا استقبلت فدوى هذه النقلة بحب كبير ، وفرح كبير ،واعجاب كبير . غير أن هذا لا يمنعني من أن أقول إن حصة بريطانيا كانت وجها آخر من وجوه الكتاب : كتاب (رحلة صعبة ... رحلة جبلية) . لقد ذهب قسم كبير من الكتاب لتمجيد بريطانيا ، من الصفحة ١٦١ الى الصفحة ٢٠٦ ؛ وما كان الكتاب ليتحمل كل ذلك - في اعتقادى - وليتني أكون مخطئا !

ولكن فدوى تعود الى جو الكتاب بعد ذلك ، من الصفحة ٢٠٧ الى ٢١٤ فقط ، حين تتحدث عن مصرع شقيقها نمر المأساوى . لقد كانت ما تزال في بريطانيا حين جاءها نعيه . وكان نمر هو الجناح الحنون الذى كان يظللها بعد أخيها ابراهيم ، ولذلك أعادها موته الى الجو المأساوى المعبر والموحي والمؤثر .

ثم تلي ذلك (صفحات من مفكرة - ١٩٦٦ - ١٩٦٧) ، وهي صفحات ، أو مذكرات ، لا أرى لها مكانا في الكتاب ، ولا هي من جوه . وأتساءل : لماذا شاءت فدوى أن تضيفها ؟ انني أدرك جيدا أن أفكار الانسان عزيزة عليه ، ولكن ليس كل ما لدى الانسان من أفكار يكون لائقا في كل مكان .

الاصطدام بالقيود

وبعد ، فيبدو لي أن الكاتب لا يستطيع أن يظل - على طول - في مستوى واحد من القوة والجودة والجاذبية . فطه حسين ، مثلا ، في كتابه (الأيام) كان رائعا في الجزء الأول منه ، ثم هبط الجزآن الثاني والثالث عن مستوى الأول ، مع أن الكاتب واحد في الأجزاء الثلاثة ، وكل منها يكمل ما قبله .وأنا نفسي استطعت أن أقدم في كتابي (الشريط الأسود) عملا أدبيا جيدا ، عده كثير من الكتاب الى جانب (أيام) طه حسين . وهو يتحدث عن فترة سوداء قاتمة من حياتي . وحين أردت أن اكتب بقية سيرة حياتي ، لم استطع أن أظل على المستوى نفسه من القوة والجودة والتأثير . وقد أدخل هذا في روعي أن التعاسة أقدر على العطاء الجيد ... وأما فدوى فقد استطاعت أن تكون رائعة مدهشة في النصف الأول من كتابها ، ولكنها خرجت عن روحها وأسلوبها في القسم الثاني منه :

كانت رائعة في حديثها عن مرحلة سجن الحريم ، والتقاليد التي تجعل الرجل السيدالمطلق المستبد ، والمرأة عبدا لا ارادة له ولا حرية ولا كرامة . فمن خلال حديثها عن نفسها وعن بيئتها الأولى ، استطاعت أن تصور مرحلة طويلة مجرمة من التاريخ ، كان نصف المجتمع فيها مشلولا أو ميتا .

لقد تحدثت فدوى عن هذه الفترة من حياتها ، وحياة المرأة العربية والشرقية عامة ، حديثا فيه شاعرية ، وتدفق ، وصدق ، وغنى ؛ وفيه فلسفة اجتماعية في بعض أجزائه . وكان حديثها بالغ التأثير ، وقد سكبت فيه كل روحها وكل شاعريتها المبدعة ، وعبرت عن طموح كبير كان يملأ نفسها منذ الصبى ، ولكنه كان يصطدم دائما بالجدران الصفيقة ، والقيود العاتية :

قفي ، أين تمضين ؟ فيم اندفاعك ؟
من ذا ترين بأفق الشرود ؟
وما هذه ؟ رجفة في كيانك
مما تشد عليه القلوب ؟
تمرد روحك في سجنه
يريد يحطم تلك السدود

كما تقول في قصيدتها (هروب) من ديوانها (وحدى مع الأيام) . أو تقول في قصيدتها (طمأنينة السماء) ، من الديوان عينه :

وكان أقسى ما شجا نفسها
وابتعث الراعب من هجسها
تدفق الظلمة في يومها
في غدها المحروم ، في أمسها
ظلمة عمر ، كل أيامه
ليل تدجى في مدى حسها
النور ؟ أين النور ؟ هل قطرة
تسيل منه في دجى يأسها ؟
من أين والأنوار قد جففت
منابع الأضواء من نفسها ؟

وفي قصيدة عنوانها (في ضباب التأمل) ، كانت فدوى قد أهدتها الى حين نشرتها في مجلة (الأديب) البيروتية ، قبل نشرها في ديوان (وحدى مع الأيام) ، تقول فدوى :

فهنا خيال شاحب
لم ترحم الدنيا ذبوله
هذا خيال طفولة
لم تدر ما معنى الطفولة
وهنا صبىّ عضت عليه
قيود سجن واضطهاد
بساك ، ذوت أيامه
خلف انطواء وانفراد
وهنا شباب ما يزال
يجوس قفرا اثر قفر
متحرق أبدا الى
شيء ... الى ما لست أدرى

ثم تتساءل الشاعرة حيرى قانطة :

لم جئت للدنيا ؟ أجئت
لغاية هي فوق ظني ؟
املأت في الدنيا فراغا
خافيا في الغيب عني ؟

وفي النهاية تقول :

فأنا سأمضي : لم أصب
هدفا ولا حققت غايه
عمر نهايته خواء
فارغ مثل البدايه !
هذى حياتي : خيبة
وتمزق يجتاح ذاتي
هذى حياتي . فيم أحياها ؟
وما معنى حياتي ؟

آثار القيود

هذه القصائد وأمثالها ، كانت يومئذ - في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات - زفرات مشتعلة ، تنفثها فدوى محاولة أن تطلق جناحيها من القيود . وكانت قد بدأت فعلا تنطلق من القيود ، ولكن آثار القيود كانت ما تزال محفورة في نفسها عميقة عميقة . فالقصائد اذن كانت بواكير لهذه الفصول التي عادت فدوى تدونها في نثر عذب كالشعر ، بعنوان (رحلة صعبة ... رحلة جبلية) ،وقد وفقت في التدوين نثرا ، مثلما كانت قد وفقت في التصوير شعرا .

عيسى الناعورى

جواب على رسالة شكوى



بقلم:

الدكتور عبد السلام العجيلي

صديقي العزيز

أحييك، راجياً أن لا تعتب علي إذ يجيئك جوابي متأخراً. رسالتك لم تصل إلي إلا منذ يومين. معنى ذلك أن رحلتها من يدك إلى يدي استغرقت من الوقت ثلاثة أسابيع بالتمام والكمال. ومع ذلك فليس لك أن تستغرب أو تستنكر هذه الأسابيع الثلاثة.

فالتأخر هو عادة البريد المألوفة في هذه الأيام في كل مكان، أو في شرقنا العربي على الأقل. ربما كان علينا أن نحمد حظنا أن يقتصر الأمر على تأخر وصول رسائلنا الينا، فلا تفقد في انتقالها من بلد إلى آخر، ولا سيما إذا كان محتوى تلك الرسائل مشهياً ومغرياً.

كان من عادتي أن أبعث إلى أصدقائي، من كل بلد أحله في أسفاري المتعددة، بطاقات بريدية مصوراً فيها أجمل ما تقع عيني عليه من مناظر أو من روائع فنية تضمها متاحف العالم المختلفة. إلا أني تركت هذه العادة في الزمن الأخير. تبين لي أن بطاقات تحتوي صوراً من أمثال تمثال القبلة لرودان أو آمور وبسيشيه لكانوفكا، وروائع فنية مشابهة، أقول تبين لي أن بطاقات مثل هذه تختفي دوماً في الطريق إلى من أرسلها اليهم.

كنت، مثلاً، أتحف بعض أصحابي بصورتي اللوحتين المشهورتين، مايا الكاسية ومايا العارية، اللتين رسمهما غويا لدوقة آلبا، في كل زيارة لي لمتحف البرادو في مدريد. إلا أن من أبعث بهاتين الصورتين إليهم يفتقدون في غالب الأحوال وجودهما في المظاريف التي يتلقونها مني. وإذا اسعد أحدهم الحظ فإنه يجد في مظروفه صورة مايا الكاسية وحدها، إذ يبدو أن من مد يده إلى ذلك المظروف معجب بعري دوقة آلبا لا بالثياب الملفوفة التي كساها بها غويا في اللوحة الأخرى...

هذا عن بطاقات البريد المصورة والممثلة لروائع الفن من لوحات وتماثيل. أما عن الكتب والدوريات المطبوعة وما شابهها فإن مصيبتي أنا وأصحابي فيها كبيرة. كثيراً ما تشاكيت وإياهم أمر فقدان الكتب التي ترسل الينا أو نرسلها نحن في البريد، حتى المسجل منه. وفي ذات مرة كتبت إلى الصديق الدكتور عيسى الناعوري رسالة عرجت فيها بالحديث عن هذه المشكلة وتساءلت عما إذا كان السبب في فقدان الكتب أن اللصوص أصبحوا في هذه الأيام مثقفين فنسعد بذلك، أم أن المثقفين أصبحوا لصوصاً فنأسى له؟ وقد تلقف الدكتور الناعوري هذه الكلمة فعقد عليها مقالاً في زاويته من جريدة الدستور، ناقلاً لها على لساني، مما سبب لي بعض العتب ممن قرأوا مقاله وظنوا أني أعنيهم بكلمتي. ولم يرتفع عني عتبهم إلا حين أقنعتهم بأنهم كانوا بعيدين عن تفكيري حين تساءلت ذلك التساؤل لأنهم، أعني أولئك العاتبين، ليسوا من هؤلاء ولا من أولئك...

وبعد، فأحسبك ياعزيزي تقول الآن إني، فيما كتبته لك، أذكرك بالتعبير الشائع: لا تشك لي فأبكي لك! وذلك لأني أجبت على شكواك بشكوى مثلها. وكان المنتظر أن أواسيك فيما تذمرت منه في رسالتك وأن أخفف من ضيقك به. وهو ما أشك في فعلي له، وستعلم مني لماذا.

شكواك ياصاحبي تتلخص في أن الرجل أحسنت إليه وأحطته بالرعاية والعناية، فارتفع بفضلك من الحضيض إلى مناصب ما كان يحلم بتسنمها في يوم من الأيام، هذا الرجل خانك وانحاز الى خصمك. وقد فاضت رسالتك بالمرارة من فعلته هذه، ومما

اكتشفته من مؤامرات كان يحيكها ضدك في وقت كانت يدك فيه تحمل إليه الطيبات وتدسها في حلقه . وبعض المرارة في رسالتك كان مبعثها ما اعتبرته أنت غباء منك حين غفلت عن لؤم ذلك الرجل . فضعة منبته وحقارة بداياته ، على ماكتبت لي في الرسالة ، كانتا جديرتين بأن تحذراك من احتمال انقلابه عليك في ذات يوم . إلا أنك غفلت عن ذلك الاحتمال وظننت أن اغراقك إياه بالفضل وتنصيبك له في مكانة ليس مؤهلاً لها سيجعلان منه عبداً مقيداً باحسانك الذي لا يمكن أن ينساه أو يجحده .

أبدأ فأقول إن هذه الشكوى التي سقتها إلي في رسالتك ليست الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات البشرية . الجحود ونكران الجميل ديدن متبع ومشهود في كل الأمكنة وكل الأزمان . ولابد أن بصرك يقع يومياً أكثر من مرة على اللافتات المعلقة في المكاتب والمحلات التجارية وأبهاء المنازل والتي تحمل هذه الحكمة المشهورة « اتق شر من أحسنت إليه » . فكأن إساءة من تحسن اليه ، إليك ، أمر محتم عليك أن تتهيأ له وتأخذ منه حذرك . وفي هذا المجال أروي لك حكاية تنقل عن الدكتور و ، الذي ما أظنك إلا وقد سمعت باسمه . فهو رجل معروف في بلده ، كان في أحد العهود البائدة ذا مقام سياسي بارز . كان الدكتور و . ذات مرة يتمشى على كورنيش الشاطئ في بلدته الساحلية ، وذلك بعد أن دالت دولته وظهر عليه خصومه السياسيون ، فوقفت إلى جانبه سيارة للبلدية فيها ثلاثة رجال تعاونوا على رفع برميل قمامة في السيارة وألقوا محتواه عليه . تطلع صاحبنا إلى الرجال الثلاثة ، متفرسا فيهم ، وقال : أنت يافلان أعرفك ... جئتني تشكو الفقر وكثرة العيال فعينتك في هذه الوظيفة في البلدية ... وأنت الآخر أعرفك جيداً ، فمنذ فتحت عيادتي في هذه المدينة وأنا أعالجك وأسرتك مجاناً ... أما أنت أيها الثالث ، فلا أذكر أن عيني وقعت عليك قبل اليوم ... لم أحسن إليك بشئ فيما مضى ، فما الذي يدفعك إلى الإساءة إلي ؟ !

اتق شر من أحسنت إليه ! لا تحسب ياصديقي أني ممن يحبون هذه الكلمة ، فأنا أثور دوماً في وجه من يعلقها مكتوبة في لافتة ، في منزله أو مقر عمله ، من أصحابي . إنها كلمة تدعو إلى التقاطع وتسد سبيل فعل الخير أمام فاعليه . وإذا كان من لوم في هذا المجال فإن جزءاً كبيراً منه يقع على فاعل الخير نفسه حين لم يحسن وضعه في موضعه ... كما فعلت أنت ، مثلاً ، ياعزيزي . من قراءتي لشكواك أجدني مسوقاً إلى أن أردد عليك المثل العربي القديم : يداك أوكتا وفوك نفخ . هذه الكلمة ، كما يذكرها الميداني في مجمع الأمثال ، قيلت لسابح قصد جزيرة في البحر على زق نفخه وما أحكم نفخه أو ما أحسن ربط فوهته بعد النفخ . أشرف ذلك السبـــاح على الغرق حين أخذ الهواء يتسرب من الزق والشاطىء بعيد منـــه ، فراح يستغيث ويشتكي مما أوقعه به الزق ، فقال له الآخر : لا تلم غير نفسك ... يداك أوكتا وفوك نفخ !

أرجو أن لا تعتبرها مني شماتة إذا جبهتك بلومي هذا . أنت انتقيت رجلك الذي تشتكي منه اليوم ، على الرغم من سابق معرفتك بعيوبه . فضلته على من هو أجدر منه بأن ينال قربك وبأن يتولى ما أسندت إليه من مناصب . قلت لنفسك إن هذا الهش الدنئ سيظل طوع بنانك لأنك أحللته ، على ضعفه وحقارته ، محل الخيرين الأكفاء . فانظر إلى مافعله بك البغاث حين استنسر . مرة أخرى أقول لك : لا تشتك ... يداك أوكتا ...

أعرف أنك في هذه اللحظة تبتسم لنفسك ، على الرغم من مرارة شكواك ، وتقول من أين جئت لي بهذا المثل الذي يحتاج إلى قاموس لفهم مفرداته . حسناً ... سأعيد عليك المعنى ذاته في صيغة ترضاها وتلقى هوى من نفسك ، أنت الذي تقول بالتقدمية وتشغف بالمعاصرة . صيغة تؤدي أحسن الأداء ما أريد التعبير عنه لك . إنه مثل روسي يخاطب من حالهم مثل حالك وشكواهم مثل شكواك فيقول لهم : تصنعـــون الأصنـــام من الثلج ، ثم تشتكـــون من أنها تذوب !

لك مني ، في الختام أطيب التمنيات ، واسلم لصديقك ..

الرقة ــ سورية



مع بشير نهضة المسلمين

نبش في تراب إقبال وتبره!

بقلم: عبد التواب عبد الحي


الشاعر محمد اقبال

من هو شاعر الشرق محمد إقبال ؟ من أين جاء ؟ وكيف قطع خطواته على خط الحياة ، وخاض بحار الشعر وأسرار ال « خودي » أو النفس ، ودار في دروب السياسة والفلسفة والقانون والاقتصاد ؟ ثم : كيف الآن مرقده ؟!

لقد تتبعته من موطن إلى موطن على أرض الواقع في باكستان .. من مسقط رأسه في سيالكوت ، إلى لاهور حيث عاش ومات .. ومن ديوان شعر لديوان .. حتى أوراقه الخاصة .. وحتى مرقده الأخير في أحضان مسجد بادشاهي العظيم بلاهور !

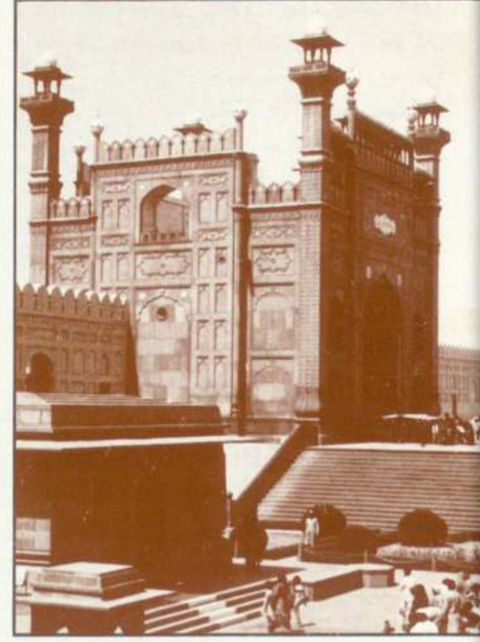
إنها محاولة لنبش تراب إقبال .. وتبره !

ابتدرني جافيد إقبال رئيس المحكمة الشرعية العليا في لاهور ، وابن الشاعر الفيلسوف السياسي الاقتصادي القانوني محمد إقبال : « لم يعد عندي كثير أضيفه إلى سيرة أبي ، فوق ما ذكرته في كتابي عنه ــ زنده رود ــ أو : « نبع الحياة الدائم » .. ثم أهداني الكتاب الضخم بأجزائه الثلاثة . وسهرت على الكتاب ٤ ليال متواصلة . كنت كلما ازددت معرفة بإقبال ، كلما إزداد عطشي إلى سيرته الحية !

زرت بيت العائلة الذي ولد فيه إقبال بمدينة سيالكوت ، مسيرة ٨٥ كيلومتراً من لاهور . يسمونه منزل إقبال « Iqbal Manzil » . وهو الآن متحف ومزار تاريخي . زرت كذلك البيت الذي بناه في لاهور ، وعاش فيه حتى مات . بناه وأسماه باسم ابنه جافيد ــ جافيد بالأوردية : الخالد الدائم ــ ثم وهبه له حال حياته ، وظل يدفع له كل شهر ٥٠ روبية إيجاراً ! وختمت الزيارة بمقبرته في أحضان مسجد بادشاهي العظيم بلاهور ، وقرأت الفاتحة على روحه وماتيسر من آي الله !

والسباحة في بحر إقبال عملية مضنية . أشعاره عميقة وعويصة حتى على من يجيدون اللغة الأوردية . وقد كانت مهمته في الحياة أيضاً عميقة وعويصة .. كان هدفه المصوب إليه : تدمير الأساطير المزيفة وعبادة الفرد .. وإفساح الطريق بين المخلوق والخالق مباشرة ! وكان أميناً مع الحياة ، ومع تعاليم الاسلام . إقرأه يقول : « عبد طريقك بفأسك .. فالطريق إلى جهنم أن تطأ طريق غيرك » !

في لقاءاتي بالرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق ، سمعته يردد كثيراً من أشعار إقبال وأفكاره السياسية . لكن أخطر حقيقة إكتشفتها في بحثي في حياة إقبال أنه لولاه ما استمر محمد على جناح ــ مؤسس دولة باكستان ــ في العمل السياسي ، ولولاه ما أنشئت للمسلمين في الهند دولة ! دلتنى هذه الحقيقة على أحداث قصة واقعية . كان ذلك صيف سنة ١٩٣٦ . تعقدت أمور السياسة في الهند ، وسد الانجليز كل المنافذ أمام أي أمل في الاستقلال . وبذرة إنشاء دولة للمسلمين في الهند كانت جنيناً في بطن استقلال شبه القارة الهندية بوجه عام . كانت جزءاً من كل . فاذا استعصى الكل ، استحال الجزء ! وسافر محمد علي جناح إلى لندن وفي نيته أن يعتزل النضال ، ويضع نهاية لعمله السياسي . سقط في قاع بئر اليأس . لولا أن كتب له إقبال خطاباً ملهماً مشحوناً بالوطنية والحث على استئناف النضال .. : « إنك المسلم الوحيد في الهند الذي تنظر إليه جماعة المسلمين ليرشدها إلى الخلاص » ! وكأن خطاب إقبال إلى جناح كان شحنة من كهرباء عالية الفولت . عاد محمد علي جناح إلى الهند . استأنف النضال . وعقد مؤتمراً عاماً لمسلمي الهند في لاهور ، ٢٣ مارس سنة ١٩٤٠ . واتخذ المؤتمر قراراً محدداً : إنشاء دولة لمسلمي الهند تشمل ولايات البنجاب والحدود الشمالية والسند وبلوشستان . ونشط تشودري رحمة علي ،الطالب بجامعة كامبريدج يرسم الخرائط المساحية للوطن المسلم الجديد . وابتكر اسم : باكستان . الباء أول حرف في ولاية بنجاب . والكاف من كشمير . والسين من السند . ومقطع « تان » من بلوشستان ! وإن قال البعض بتفسير آخر للاسم : « باك » بمعنى نقي في اللغة


مسجد بادشاهي في لاهور


محمد اقبال في طفولته

الأوردية . و « ستان » بمعنى مكان العيش . باكستان إذن : أرض الأنقياء ! وفي ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ أعلن ميلاد باكستان دولة لمسلمي الهند مستقلة . تحقق الحلم !

على أن حلم الدولة كان له في وجدان إقبال تاريخ قديم . في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، وفي مؤتمر لمسلمي الهند بمدينة الله أباد ، ألقى محمد إقبال خطاباً سياسياً جامعاً .. فيه قال : « إن من صالح الاسلام والمسلمين في جنوب آسيا أن تكون لهم دولة مستقلة ، على الأقل في ولايات الشمال الغربي من شبه القارة الهندية ، حيث تتركز الأغلبية المسلمة من الهند . ويبدو لي أن هذا هو المصير النهائي للمسلمين في تلك المناطق » .. وقد كان خطاب إقبال في الله أباد هو « حجر الأساس » لدولة باكستان . وإن تطور فكر إقبال تالياً بمناقشاته مع محمد علي جناح ، ليتسع نطاق الدولة حتى يشمل البنغال في شمال شرق الهند .. والذي انفصل بعد انشاء الدولة ، تحت إسم « بنجلاديش » !

بشير نهضة المسلمين !

في الجانب العقائدي ، كان محمد إقبال يؤمن بضرورة تحرير عقل المسلم من عقم خمسة قرون من النعاس والظلم . وكخطوة أولى ، كان يرى تطهير الطريق إلى الله من آفة عبادة الفرد ، ومن المرائين الذين يتظاهرون بالصلاح والتقوى « **Pharisees** » . وكان ينشد :

قوموا .. أيقظوا فقراء العالم من سباتهم .
هزوا شبابيك البيوت .. والحيطان .
دمروا كل آثار الماضي البغيض .
ابحثوا عن الحقول التي لا تنتج للفلاح خبز يومه ..
واجمعوا محصولها .. وفي الفرن أحرقوه !
انفوا من بيوت الله كل واعظ يعظ ..
بغمغمات تسدل حجاباً بين العبد والخالق !

وفي الجانب السياسي كان إقبال ضد التعصب ويعشق الحرية ـ هي عنده شيء لابد منه « **Sinequanon** » لتنمية النفس وازدهار الذات . يقول إقبال : « في ظل العبودية ، تصاب الحياة بهزال شديد وتتضاءل حتى تصبح كنهير صغير . بينما تزدهر في ظل الحرية وتتعاظم ، حتى لتصبح كمحيط بلا شطآن » !

وكان إقبال متعصباً للديمقراطية .. وضد الأوتوقراطية وحكم الفرد . نشرت له « الجريدة المدنية والعسكرية » ، في ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٠ ، رسالة بليغة .. فيها يقول : « إن ظن أحد أن الديموقراطية تشبه نزهة حالمة في بحيرة اللوتس ، فهو لم يقرأ في التاريخ ولاكلمة ! الحقيقة عكس ذلك تماماً . فالديموقراطية تطلق كل أنواع الطموح والالهام والهموم والآلام التي كتمها حكم الفرد ، أو عجز عن تحقيقها .

وهي في الغالب هموم وطموحات لا يمكن تحقيقها كاملة . لكن بمناقشتها على نحو مفتوح ، في الصحافة والبرلمان ، يتعلم الناس كيف يقبلون حلولاً لهمومهم وطموحاتهم ، قد لا تكون حلولاً مثالية ، لكنها حلول عملية طبقاً لظروف العصر ومعطياته . والحكومة الديمقراطية تواجه عادة بعض الصعوبات في إدارة دفة الحكم .. لكنها صعوبات أثبتت الخبرة الانسانية ، عالمياً ، أنه من الممكن التغلب عليها » !

وفي رسالة أخرى نشرتها له نفس الصحيفة ، ٢٨ مايو ١٩٣٧ ، يقول إقبال : « إن قبول الاسلام للديموقراطية الاجتماعية ، في صورة تتواءم مع مبادئه الشرعية والقانونية ، لايمكن أن يعتبره البعض ثورة . انه مجرد عودة الى النقاء الأصلي للشريعة الإسلامية » .

... لبعض هذا ، أولكله ، كان محمد علي جناح يطلق على إقبال لقباً طويلاً : النافخ في بوق فكر الاسلام وثقافته .. وبشير نهضة المسلمين !

للتاريخ رائحة !

من هو إقبال ؟ من أين جاء ؟ وكيف قطع خطواته على خط الحياة ، وخاصة بحر الشعر وأسرار ال « خودي » أو النفس ، ودار في دروب السياسة والفلسفة والقانون والاقتصاد ؟ ثم : كيف الآن مرقده ؟

هو ، في الأصل ، من كشمير . الجد كشميري نزح إلى مدينة سيالكوت العاصمة التاريخية القديمة لولاية البنجاب ، أواخر القرن ١٨ أو أوائل القرن ١٩ أي جد ؟ ربما كان جده الأكبر الشيخ جمال الدين ، أو جده الأول الشيخ محمد رفيق . أما أبوه الشيخ نور محمد فالمؤكد أنه ولد في سيالكوت . إذن هو يحمل اسماً كاملاً بهذا الطول : محمد إقبال نور محمد محمد رفيق جمال الدين . لاحظ أن الأسماء ثنائية !

ولدته أمه السيدة « إمام بيبي » في بيت العائلة بسيالكوت يوم ٣ ذوالقعدة سنة ١٢٩٤ هجرية ، ٩ نوفمبر سنة ١٨٧٧ ورأيت ساعة الحائط في غرفة نومه ببيته « جافيد منزل » بلاهور وقد توقفت بالضبط على لحظة موته : الرابعة وثلاث دقائق صباح ٢١ إبريل سنة ١٩٣٨ . تحسب عمره باليوم والساعة والدقيقة ، تجده : ٢٢٠٧٧ يوماً . و٤ ساعات . و٣ دقائق !

يطول تاريخ مدينة سيالكوت ، إنما يمكن ايجازه في ومضات سريعة . في فترة من تاريخها كانت تحمل اسم ساجلا . حكمها « راجا سول » وأسرته ١٥٠٠ سنة كاملة ، ثم سقط حكم الأسرة . اجتاح المدينة فيضان مدمر ، وعاشت أطلالها في سبات طويل ، إلى أن أعاد « سوم دات » بطريك كشمير بناءها .. وحكمها ! ويجمع المؤرخون الإغريق آريان وكيرتيوس وديودوتس على أن الإسكندر الأكبر حاول غزو المدينة سنة ٣٢٦ ق . م ، استعصت عليه ، فقد كانت محمية جيداً بالأسوار العالية تحيط بها خنادق الماء ! ثم أصبحت سيالكوت مركزاً لتعليم البوذية . وفي العصر الاسلامي ، خشى حاكم إقليم البنجاب من غزوة تجيئه من كابول عاصمة أفغانستان ، فنقل عاصمة ملكه من لاهور إلى سيالكوت . وتحقق الغزو على يد السلطان محمود الغزنوي ، وسقطت سيالكوت ، فنقل الراجا عاصمته إلى لاهور مرة أخرى !

نبش في تراب إقبال وتبره !

أدخل السلطان المغولي جيهانجير صناعة الورق إلى سيالكوت .. أفخر أنواع الورق ، وكان يسمى « الورق الجيهانجيري » .. وبالورق والقلم ، بدأت نهضة ثقافية كبيرة في المدينة ، حتى أصبحت عاصمة للأدب والثقافة في شبه القارة الهندية . ثم انتقل حكم إقليم البنجاب إلى أسرة من قبائل الباختون . وجاء السيخ فانتزعوا منهم السلطة ، وعينوا « جيت سنج » حاكماً للمدينة . وسقطت سيالكوت في بحر الاضمحلال ، وفقدت أهميتها السياسية والثقافية ، إلى أن جاء الاحتلال البريطاني للهند . قاومت سيالكوت الاحتلال تحت قيادة « حرمت خان » وأعوانه . لكن الجيش البريطاني أخضعهم . وقتل حرمت خان . ونكل بأهل المدينة ذبحاً وتقتيلا ! لم تلبث سيالكوت أن استعادت مكانتها . ولدت من جديد كمدينة صناعية حديثة من مدن البنجاب . وازدهر التعليم . وانتعشت أكثر بعد استقلال باكستان ، واشتهرت كمركز تجاري للأدوات الطبية ، وأدوات الرياضة ، والمنتجات الزراعية !

....

تدخل بيت العائلة ، أو منزل إقبال بمدينة سيالكوت ، تزكم أنفك رائحة التاريخ . جده الشيخ محمد رفيق إشترى هذا البيت في فبراير سنة ١٨٦١. من الصعب تحديد الغرفة التي ولد بها إقبال ، لكنها على الأرجح واحدة من غرف ثلاث في مؤخرة المنزل ذي الطابقين . وفي إحدى هذه الغرف أيضاً ولد جافيد إقبال في ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٤ . ظل إقبال في هذا البيت حتى الصف التاسع الدراسي ، ثم انتقل إلى لاهور ليواصل دراسته . لكنه لم ينقطع عن زيارته ، كل إجازة صيف ، وكأنه على موعد عاطفي ! وفي هذا البيت تلقى دروسه الأولى على يد والديه ، ثم شقيقه الأكبر الشيخ عطا محمد ، ومدرسه الخاص شمس العلماء سيد ميرحسان ، والشاعر ميرزا داغ حاكم ولاية دلهي ، وكان أول من رصد في إقبال وميض شرارة الشعر ! هنا أيضاً كتب إقبال أول قصيدة شعر ، فبراير سنة ١٩٠٠ ، وعمره لا يتجاوز ٢٣ سنة .. إنها « ناله يتيم » ، أو صرخة يتيم .. فيها يصور بؤس اليتيم ، وانعدام جذوره ، وضياعه ! أما أبوه الشيخ نور محمد فكان يقرأ أعماله قبل الطبع . وكان معجباً بصفة خاصة بأشعار ديوانه أسرار النفس "Asrar-i-Khudi" ، يترنم بها بفخار كلما خلا لنفسه !

بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣٠ ، تنازل محمد إقبال عن البيت لأخيه الأكبر الشيخ عطا محمد . ثم اشترت الحكومة الباكستانية البيت سنة ١٩٧١ ، لقاء ١٢٥ ألف روبية ، رممته وحولته إلى متحف وأثر تاريخي .

حبة مانجو واحدة !

كان إقبال متمكناً من اللغة العربية ، فقد حصل على درجة البكالوريوس فيها من جامعة البنجاب بلاهور . لهذا ترصد في أشعاره كثيراً من الكلمات العربية ، إلى جانب الكلمات التركية والفارسية ، وكلها مستوعبة ومذابة في اللغة الأوردية ! حصل بعد ذلك على ليسانس الحقوق من جامعة لندن سنة ١٩٠٥ ثم الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونيخ سنة ١٩٠٧ ، وكان موضوع رسالته « تطور ماوراء الطبيعة في فارس » . وبعد أن اشتغل لفترة مدرساً في المدرسة الشرقية بلاهور ، ثم الكلية الاسلامية ، هجر مهنة التدريس ، واشتغل بالمحاماة . وكان قنوعاً ، نفقاته الشهرية لاتتجاوز ٥٠٠ روبية ، ولا يقبل من القضايا أكثر مما يكفل له هذا المبلغ ! ثم ازدهر مالياً نسبياً عندما بدأت الشركات تسجل قصائده على اسطوانات .. دفعوا له ٥٠ روبية على الاسطوانة ، ارتفعت بعد ذلك إلى ١٥٠ روبية .. أي ما يعادل ٨ دولارات بأسعار هذه الأيام !

تزوج اقبال في حياته ٣ مرات . الأولى : كرم بيبي ، وأنجب منها ولداً إسمه أفتاب ، توفى أخيراً في كراتشي ودفن بها . والثانية : مختار بيجوم ، ولم ينجب منها . والثالثة : صدار بيجوم ، وأنجب منها جافيد رئيس المحكمة الشرعية العليا بلاهورالآن ، وابنة أسماها منيرة ، سيدة بيت متزوجة .

وكان كثير الأسفار . زار معظم دول أوربا . صلى في مسجد قرطبة . ومن وحيه كتب قصيدته مسجد قرطبة "Masjid-i-Qortoba" . وزار القدس فلسطين ليحضر إحدى دورات المؤتمر الاسلامي بها . وزار كابول عاصمة أفغانستان سنة ١٩٣٣ ، وشارك في وضع سياسة جديدة للتعليم هناك . وعاد ليكتب قصيدته مسافر « Musafir » . لكنه سقط مريضاً بالحمى ، وظل يعاني من المرض شهوراً طويلة !

له ١٠ دواوين تضم أشعاره . أول ديوان هو « أسرار النفس » . فيه يؤكد ، على مدى ١٥٦ صفحة باللغة الفارسية ، أن شكل الحياة يأخذ كل تأثيراته من نفس الإنسان ! وآخرها ديوانه « رسالة من الحجاز » أو "Armughan-i-Hijaz" .. ولم ينشر إلا في نوفمبر ١٩٣٨ .. بعد وفاته بستة شهور ! ومثلما نظم إقبال ، نثر .. له كتابان : « علم الاقتصاد » و « تاريخ الهند » .

في بيته « جافيد منزل » بلاهور ، والذي أصبح مزاراً تاريخياً ، تجد كل شئ على ما كان عليه لحظة وفاته في الرابعة وثلاث دقائق صباح ٢١ إبريل سنة ٣٨ . ملابسه . قمصانه بغير ياقات كموضة أيامنا هذه ! وكلها تشي بأنه كان متوسط القامة ، طوله في حدود ٥ أقدام وبضع بوصات ، ومقاس رقبته ١٦،٥ بوصة .. أي أنه كان ربعة يميل إلى الامتلاء . يؤكد ذلك ما عرف عنه من أنه كان شغوفاً بألوان الطعام . وكان يعشق فاكهة المانجو . منعه طبيبه من الإكثار منها ، فقد كان يعاني من الربو والحساسية .. لكنه زاره مرة فوجده يلتهم حبة مانجو في حجم الشمامة .. عاتبه .. رد إقبال : « ياسيدي الطبيب .. إنها حبة مانجو واحدة » ! وقد أصابته الحساسية والربو باختناق ، أواخر أيامه ، أودى بحياته !

وكان إقبال يدخن « الهكة » . وهي تحريف للحق ، بضم الحاء ، بمعنى الوعاء الصغير من المعدن . إنها الشيشة أو النرجيلة . تجدها بجوار سريره جاهزة ! وقد كان يلازم غرفة نومه كثيرا . وغالباً مايتناول طعامه بها . ويقوم على خدمته « علي بكش » خادمه الخاص !

ومازالت غرفة الصالون على ماهي عليه . لو تكلمت مقاعدها لحكت الكثير عما دار بين إقبال ومحمد علي جناح والبانديت نهرو في لقاءاتهم العديدة الطويلة في المكان ، في ماضي الزمان ! كان يحب ابنه جافيد . لكنه كان متعلقاً بابنته منيرة أكثر . عندما مات إقبال كان جافيد في الأربعين من عمره ، بينما لم تكن منيرة قد جاوزت ٨ سنوات .. لهذا كان قلقاً عليها .. وظل يردد اسمها كلما أفاق من أزمته الربوية ، حتى أسلم الروح !

٥ آلاف عنوان !

أين شاعر الشرق الآن ، والأب الروحي لباكستان .. وكيف مرقده ؟

كان من خطط محمد علي جناح أن يبني لإقبال مقبرة عظيمة ينقل إليها رفاته .. فور الاستقلال وإعلان ميلاد دولة باكستان في ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ لكن الأحداث السياسية الجسام أخرت بناء المقبرة حتى سنة ١٩٥١ !

وضع تصميم المقبرة المهندس الباكستاني نواب يارجانج بهادور . في خطوطها مزيج من العمارة الأندلسية والأفغانية . وقد بنيت في أحضان المسجد الكبير ، مسجد بادشاهي بلاهور ، فيما بين مدخله الرئيسي وإحدى مآذنه . واستعمل في البناء الحجر الرملي الأحمر . وداخل المقبرة مبطن بالرخام الأبيض ، منقوش عليه ٦ أبيات من قصيدة لإقبال . وأبيات أخرى تعبر عن موقفه الصارم من التفرقة العنصرية بين بني الانسان . أما رخام اللحد فهدية من الحكومة الأفغانية .

وقفت على لحد إقبال أقرأ الفاتحة وماتيسر من آي الله ، قبل أن أدلف إلى مسجد بادشاهي لأصلي الظهر .

....

ليس مافات هو كل بحثي عن إقبال ، ونبشي في ترابه وتبره . للبحث بقية . ربما في كتاب . لعله يضيف عنواناً جديداً إلى خمسة آلاف عنوان صدرت عنه حتى الآن .. باللغات الحية !

عبدالتواب عبدالحي

في غمضة عين

تحت الشجرة

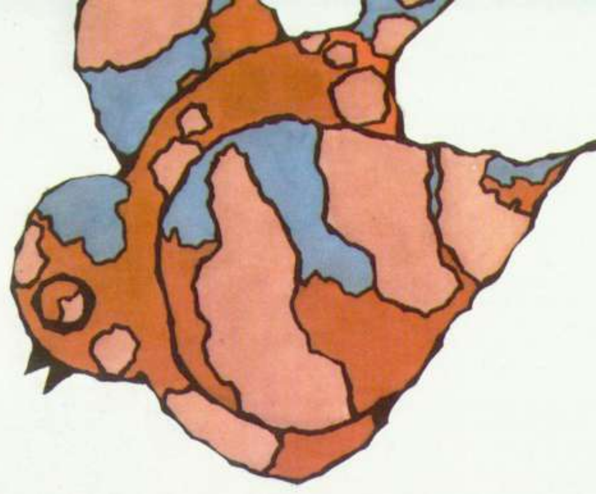
مولانا

خمس قصص جديدة للكاتب الكبير نجيب محفوظ



يسعد الدوحة أن تقدم هذه القصص الخمس القصيرة ، وهى قصص جديدة للكاتب الكبير نجيب محفوظ كتبها خصيصا للدوحة ، وقد رأينا فى هيئة تحرير المجلة أن ننشرها مرة واحدة ، عندما أحسسنا أن هناك تشابها بين هذه القصص فى الأجواء التى تصورها ، وكأن هناك خيطا مشتركا يربط بينها جميعا ، وسوف يجد القارىء فى هذه القصص الخمس ماتعود أن يجده دائما فى أدب نجيب محفوظ من متعة وعمق وأصالة ، بالإضافة إلى ذلك فإن الدوحة يسعدها أن تقدم هذه القصص مع مجموعة من اللوحات الرائعة أعدها الفنان القطرى الشاب سلمان المالكى

بريشة : سلمان المالكي



الهمس

يخطر لى أحيانا أن الراحة الحقيقية لا توجد إلا بزوالهما معا ، هو وهى . ولكنه مجرد خاطر يعبر القلب إذا اشتد العنت أو إدلهم الخطب . خاطر لا وزن له فى الواقع ، حلم يقظة أخرق . وهل تصبح الحياة حياة الا من خلال التعامل معهما معا ؟ ، وهل يمكن تخيل الوجود بدونهما ؟ . أما حيرة التردد بينهما فهى قدره الذى لا مفر منه . فى البدء تردد همسه بالمحاذير والدعوة إلى الاعتدال حيال بسماتها المغرية ، فتحدت هى محاذيره وهونت من ترشيداته . ويكفهر وجهه ويفجر انذاراته ، فتغضب هى وتغريني بتجاهله أو تشكك فى جديته ، وأنا لا غنى لى عنها ولا قدرة لى على تجاهله . فى أيام البراءة لعبنا معا — أنا وهى — فى نور الشمس تحت السمع والبصر ، ولكن همسه يقتحمنى قائلا:

— حافظ على نظافة ملابسك وسلامتها .

ولكن اللعب يحب الحرية ، أليس كذلك ؟ . فيهمس .

— اللعب الرشيد لا يتنافر مع النظام !

وامتعض وأتضايق . اللعب هو اللعب . لماذا يقيد لعبى بنواهيه ؟ . لماذا يفسد على مذاق الأيام الحلوة ؟ ! . فلتتسخ الملابس فثمة من يغسلها ، ولتتمزق فالسوق مليئة بالجديد . وهو كبير ولديه ما يشغله نهاره وليله فلم يهدر وقته فى تكدير صفوي رغم حبنا المتين المتبادل ؟ . وترنو هى الي بعينيها الصافيتين وتتساءل :

— أرأيت تعسفه ؟

ثم تواصل بحدة :

— لم لا يتركنا وشأننا ؟ ، ولم تعمل كل هذا الحساب لكلمة تصدر عنه ؟

ولكنه قوى ، والمالك الأوحد للبيت وأدوات اللعب وكل شىء . وعلمتنى التجربة أن الاستهانة به غير محمودة العواقب . ها هو يهمس أيضا .

— البنت ماكرة بقدر ماهى لطيفة ، أنا أعرفها كما أعرفك ، اسمع كلامى أنا ، ولست أمانع فى لعبك معها ، العب معها ماشئت ولكن عليك بالاعتدال والنظافة ، وتذكر أنها تلعب مع آخرين أيضا فعاملها بالمثل ، ولا تجعل منها كل شىء لأنك لست لها كل شىء ، انى أعرف أكثر منك فاسمع كلامى ..

تمنيت أن ألعب دون قيد أو شرط ولكنى تعثرت فى الخوف ولم أنس ما سمعت عن غضبه إذا غضب أو عقوبته إذا عاقب . وتضاعف عنائى عندما حملت الى المدرسة . والتعليم مشقة تتحدى اللهو والمرح وتلتهم الساعات بلا رحمة ، فهل قضي على أن أنفق العمر فى الصراع مع الجهل ؟ . أما هى فلم تكن تكترث إلا بالساعة التى هى فيها . ترمق انشغاله بازدراء واستنكار وتقول:

— اختر لنفسك ما يحلو

لو خيرت لا خترت ولكن همسه لا ينقطع عنى فما حيلتى ؟ . ولأعترف بأننى كنت أنحرف عن الخط أحياناً . أشرد عن الدرس لأفكر فيها ، أو أخلو إليها فى غفلة ونأخذ فى اللعب . ويسألنى دائما عن مواظبتى فأتورط فى الكذب . ويكفهر وجهه ويكتشف كذبى . وقلت لها إنه لا تخفى عليه خافية فقالت:

— أنت ضعيف فيتجلى الكذب فى عينيك !

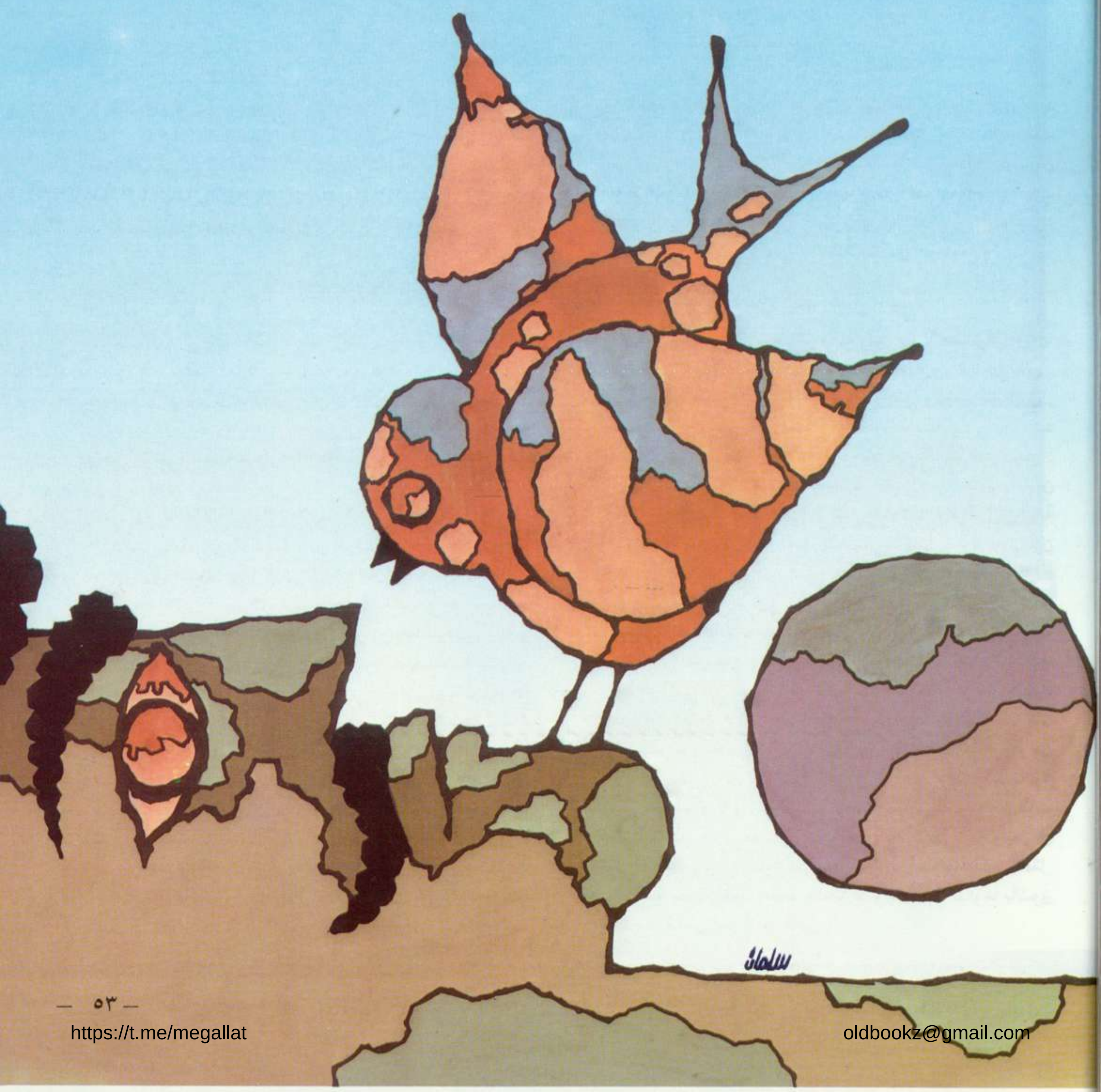
ويقول هو لى مؤنبا:

— الكذب أرذل من الجهل .

ياله من رجل . أى ضرر يصيب العالم اذا جهلت أن القاهرة هى عاصمة مصر ؟ .. أو اذا لم أحفظ جدول الضرب ؟ . ويقرصنى فى أذنى قائلا :

— الرجل الحقيقى يجب أن يعرف السماوات والأرض ، ليست الحياة لعبا ، أنظر الى النملة ! ، هل يرضيك أن تكون أدنى مرتبة منها ؟ !

ويغلبنى الارتباك فأقول له معاتبا :



الهمس

ـ أنت الذى جئتنى بها لألعب معها فابعدها عنى ..
فيقول باسما :
ـ انك أصغر من أن تشير على بما يجب ، ولن أرتكب خطأ فى حق الجيرة والقربى ، وهى بمنزلة ابنتى ، وليس بها من بأس كزميلة لك ، فلا منع ولا ابعاد ، ولكن عليك أن تعطى الدرس ما يستحقه ولك أن تلاعبها فى أوقات الفراغ .

تلك أيام مزقها العذاب وان بدت اليوم آية فى الجمال بسحر الزمن . وكان أن تغير صوتى فقالوا ناهز البلوغ . وهمس فى أذنى بحزم أن الآن حرم اللعب . ياللخبر . ماشعرت برغبة فى اللعب معها كما أشعر الآن . وهى ترمقنى من بعيد ولكن جرأتها تلاشت . يتكلم لسانها بكلام وعيناها بكلام آخر .
أقول لها خلسة :
ـ لا يمكن أن نهدم فى لحظة ما بنيناه فى عمر مديد
فتقول فى دلال :
ـ ولكنك لم تعد تقنع بلعب زمان !
ـ اللعب يتغير بتغير العمر .
ـ وله حدود لا يتعداها ..
من ناحية أخرى راح هو يحذرنى من الأخطاء ويخاطب فى الرجل الناشىء . تمنيت ولو فراقا مؤقتا ولكنه احتقر رغبتى وقال لى :
ـ الحياة اقتحام وحذر ولا مجال فيها للهروب ..
الأمور تتعقد وتزداد عسرا ، بل أضحت عذابا ومحنة . ولعله لم يبد لى منفرا كما يبدو الآن . ارتفع صوته درجات . قلت إنه هراء فى هراء . وانه يتدخل فيما لايعنيه . كأنه لم يمر بالشباب يوما . وكلما ظفرت مع هى بخلوة امحى وجوده تماما . أنا وهى كل شىء وهو لا شىء . كأنه خرافة . غير انها اعتصمت بحد لا تتعداه حتى خيل الىّ أن همسه قد انسرب اليها . وانفجر غضبى عليه فسخرت منه فى كل مكان . واعتبرت نفسى ندا له أو أقوى . ولما تيقنت من موقفى الجديد خافتنى وهربت منى . لعل ذلك بوحيه وتأثيره . وهالتنى وحدتى وتخبطت فى الفراغ . وشحنت برغبة دكناء فى الانتقام فاندفعت فى اقتراف أخطاء كثيرة بتشف واستهتار . أتحداهما معا وأعبث بذكراهما معا ولكنى لم أنج من غشاء الوحشة الذى وقعت فى شركه . وتوهمت أن الانفصال قد فرق بينى وبينه الى الأبد ولكن بدا أنه رغم صمته الظاهر لم يكف عن الاهتمام بأمرى . هكذا تبدل الحال فظفرت بوظيفة فى المجتمع وعقد قرانى بها فى ليلة بيضاء . وحق على أن أشكر فضله إلى الأبد ، وأن أقر بأنه لولا هباته العديدة وارثه القيم ما وسعنى أن أسعد بما نلت . واستقللت بمسكن جديد ، ومارست السيادة فى مملكتى الصغيرة ، وانغمست فى الحب والانجاب والعمل . وكدت أنساه تماما لا تمردا عليه هذه المرة ولكن انشغالا بالأعباء الجديدة . وبمرور الأيام تغيرت هى أيضا ، صارت زوجة لا حبيبة ، وأما وشريكة . لا تمسك عن المحاسبة والمطالبة والشكوى . وأتساءل أين الدلال والبسمات والكلمات العذبة . وهالنى العبء المتصاعد فانزلقت قدمى من جديد فى طريق الخطأ . وربما تمادى الخطأ فساقنى الى مالا تحمد عقباه . وفجأة وبعد انقطاع طويل تلفن لى فى مكتبى وذكرنى بوصاياه القديمة قائلا :
ـ ان فوائدها لم تنعدم بعد .
يا للعجب . كدت أنسى أنه مازال على قيد الحياة . هاهو يعيد الاسطوانة القديمة متناسيا أننى لم أعد طفلا . وأننى اليوم مثله تماما فى الحرية واتخاذ القرار . ومضيت فى سبيلى ولكن شيئا من الحذر خالط سلوكى وأهدافى . وأطرح كل ثمرات الجهد تحت أقدام الأسرة فتتلقفها دون كلمة شكر أو تقدير . وأقول لها :
ـ الشكر لايهم ولكنى أرجو شيئا من الرحمة ..
فتقول :
ـ انى أتعب مثلك واكثر ولكنك أنانى ..
وتبدى لى الزواج صيغة غريبة للتوفيق بين الحب والكراهية ، بين حب الحياة وحب الموت ، بين التضحية والرغبة فى القتل . ولكن السفينة صارعت الأمواج حتى صرعتها ونجت من الغرق . ونال الآخرون استقلالهم كما نلنا يوما استقلالنا . لم يعد أحد منهم فى حاجة إلى . ورجعت الى الوحدة جارة معها أثقال العمر . ولكننى لم استسلم للأسى . وطنت نفسى على تقبل قوانين الأشياء . وناجيت فى وحدتى الرضى والسلام . ولم أقلل من قيمة المسرات الزائلة ولا من سحر التحف والأغانى ، ولا حتى من جمال الأطعمة الشعبية . واذا بى أتذكره فجأة بعد طول نسيان . وكيف لا أتذكره مادام على قيد الحياة . وهو من جيل معمر يغبط على طول عمره وسلامة صحته . ولو كان أصابه تلف لترامت الينا أخباره فى حينها فلا شك أنه يمارس حياة طبيعية . وسيسعد برجوعى إليه مثل سعادتى وربما اكثر . وهيهات أن أنسى نواياه الطيبة ورحمته . اما عن رأيه فى فلا أحسبه فى صالحى ولكنه كان دائما أكبر من تقصيرى وأعلى . اليوم يبدو لى على حقيقته اكثر من أى عهد مضى . ثم انه اقام فى القرية منذ عهد بعيد وشد ماتهفو نفسى الى الخضرة والهواء النقى . انها أثمن فى النهاية من أثاث بيتى وتحفه وما جمعت من مال وبنين . سأمضى إليه وليس فى نيتى أن اعتذر أو أن أصوغ من سحر البيان جملة واحدة . سأمثل بين يديه باسما وأقول هامسا ها أنا قد رجعت ، مدفوعا بالشوق وحده ، فاقض بما أنت قاض .

في غمضة عين

ماظن يوماً أن زوال محنته يعني انزلاقه الى محنة جديدة . من أجل ذلك لم يستمتع طويلاً بعطر الخريف واماراته المشربة بالبياض الناعس التي تغازله في مجلسه بشرفة كافيتريا الجلوب . إلى جانبه وفي متناول من منكبه جلست رافعة بروفيل وجهها الأسمر الصافي الذي تفانى في حبه على مدى سنوات طويلة . هيأ نفسه منذ اللحظات الأولى للقاء ـ كالعادة ـ للتشاكي ، ولنفث نسمات الحب في مناخ الاحباط المحدق ، وللحومان حول هموم المسكن والخلو والجهاز والمهر ثم كيفية مواجهة تحديات المعيشة . استقلا معاً قارب الحب منذ المرحلة الثانوية ، وتلاعبت به أمواج الحياة المعاندة غير المواتية ، ولكنهما ظلا مصممين على البقاء جنباً لجنب قابضين بشدة كل على مجدافه ، رافضين الانهزام أمام العقدة التى تطوقهما . هذا الصباح تطالعه عيناها بمرآة جلية الصفاء لا ينضح بياضها النقي بفتور . لم يخل قط جمال نظرتها من كآبة خفية تتجلى حيناً وحيناً تستشف . وتاق قلبه لسماع أي خبر حسن . واحتسيا قدحي الجوافة على مهل في صمت حتى خرقه قائلاً :

ـ الحلم يتضخم في رأسي وغير بعيد أن يصبح واقعاً !

فقالت بثقة جديدة كل الجدة :

ـ غير بعيد على الاطلاق .

حقاً ؟ ! .. اقترح ذات يوم أن يتزوجا بالفعل وليكن مايكون . أجل سيظل في بيت والده بالقبيسي كما ستظل في بيت أبيها بالوايلي ، ثم يبحثان عن حل وهما حاملان معاً لأمانة الزوجية . أبوه رغم كونه موظفاً صغيراً ممن عجنهم الانفتاح إلا أنه لم يرتح أبداً لاختياره ابنة حلاق . لتكن جامعية وموظفة فأي قيمة لذلك اليوم؟ . ولكن الفتى نشأ رجلاً لا يتحول عن المطالبة بحقوقه الكاملة . تفرس في وجهها مأخوذاً بتعليقها القوي وقال :

ـ ماذا وراءك ؟ .. لديك شئ جديد ..

فقالت بثقة باسمة :

ـ أجل .

ـ حقاً ؟

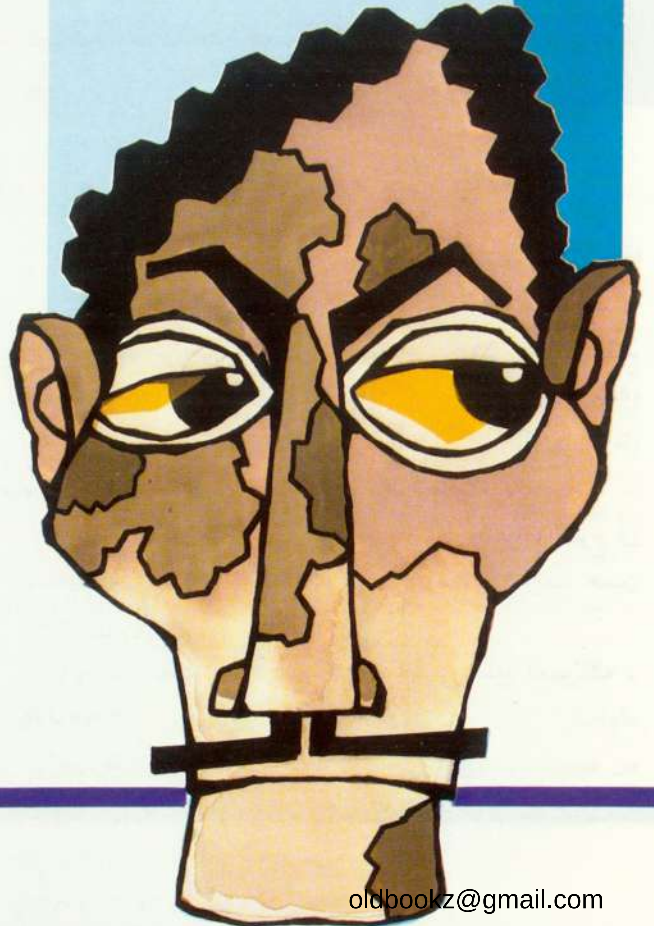
ـ تبخرت المشكلة ، انحلت العقدة ، هبط حل بارع من السماء !

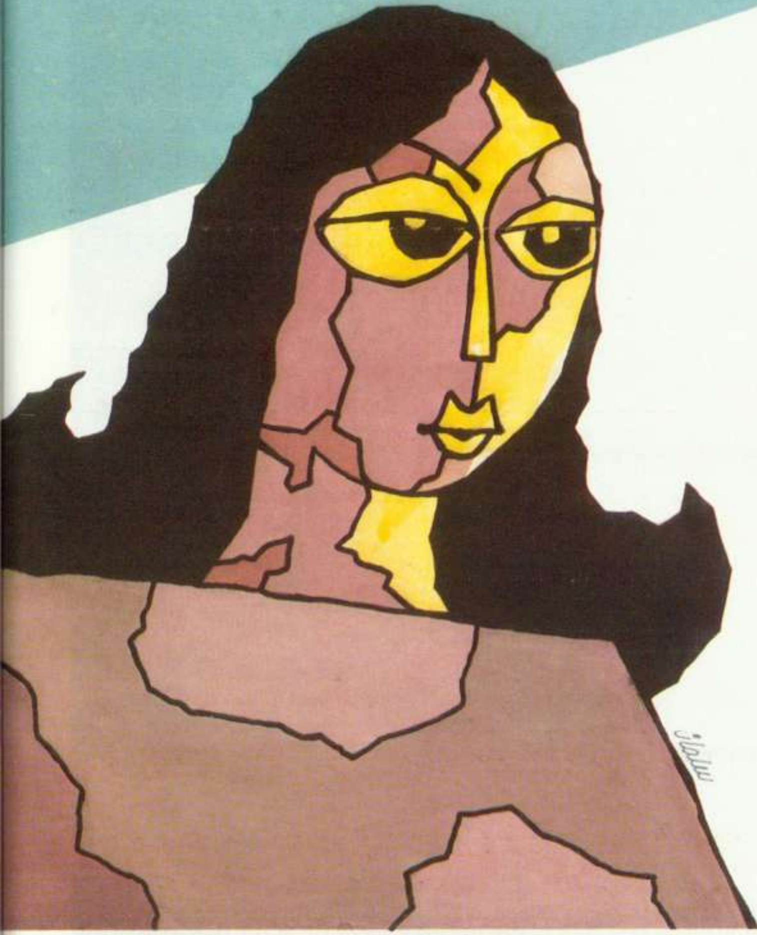
ـ ماذا عندك ؟

فقالت بانفعال لم تستطع كبحه :

ـ اسمع ، رجل أعمال عرض على أبي التنازل له عن دكانه نظير مبلغ خمسين ألفاً من الجنيهات ..

انعقد لسانه من طغيان الفرح . الخبر في ذاته خبر من الأخبار المتداولة في تلك الأيام ولكنه لم يتصور أن يطرق بابه كواقع حي .







في غمضة عين

ــ أرأيت ياعزيزي كيف تحل العقد بالسحر ؟ !

ــ حكاية لا تصدق ..

ــ هي الحقيقة ، وبعض زبائن أبي قدموا نصائح ثمينة ..

ــ مثال ذلك ؟

ــ أن يهجر حرفته ويعمل بالاستيراد ودلوه على الطريق لفتح مكتب ..

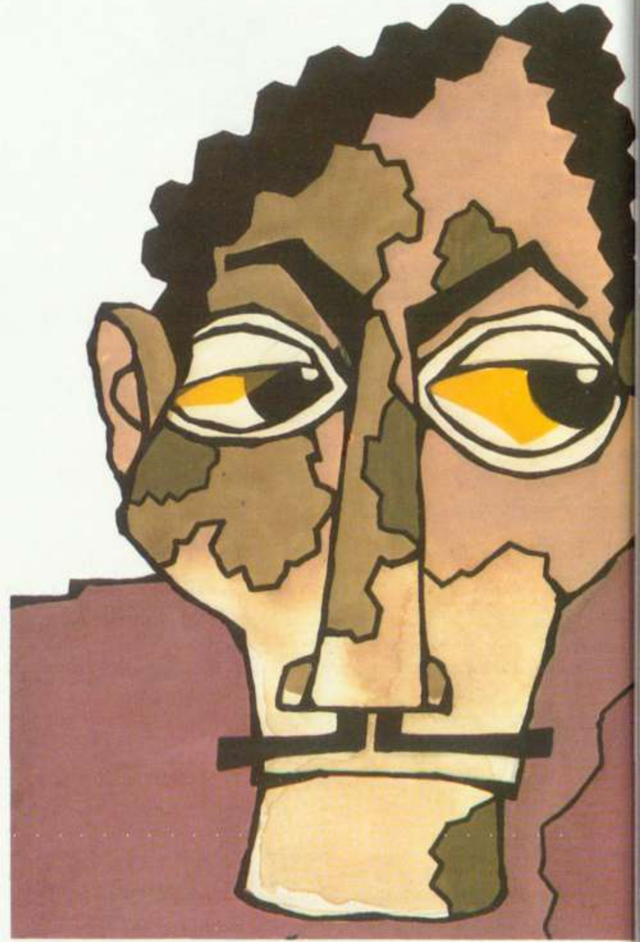
ــ استثمار وثراء مضاعف ..

فنقرت على ظهر يده بأظافرها الارجوانية وقالت :

ــ أبي يجهل اللغات الأجنبية ، سيسافر كثيراً ، أقترح أن نستقيل من بطالتنا المقنعة وأن نعمل في مكتبه بمرتب حسن ونسبة في الأرباح ..

ضحك . لبثت أساريره ضاحكة ، ونسى هموم العمر كله ، وقال :

ــ دخل خيالي .



ـ وتلاشت المشكلات دفعة واحدة ..
ونظرت اليه باسمة وكأنما تدعوه لاعلان موافقته وشكره فقال :
ـ توفيق ما بعده توفيق .
وتاه في الحلم تحت مراقبة عينيها مورد الخدين من الفرح وغائصاً في لجة من الخواطر ، ومسح بيده على شعر رأسه الغزير ، وتنفس بعمق ثم قال وكأنما يحاور نفسه :

ـ سنصبح منهم !
ـ من تعني ؟
ـ أنت تعرفين ماأعني تماماً .

الماضي لايمكن أن ينسى . إنه ماض حاضر . تجسد في حوار متواصل . انهال بألسنته المحمومة على الانحرافات والطفيليين ، من منطلق مثالية ناصعة بل انتماء لايخلو من تطرف . لكنها قالت :
ـ الصفقة مشروعة ولاغبار عليها .
ـ أسلم بهذا ، ولكنا لم نعفها من نقدنا المر .
فقالت محتجة :
ـ لابد أن نفرق بين ماهو شرعي وماهو منحرف ..
ـ معك الحق ، ولكن أصحابنا سيسخرون منا ..
ـ فليسخروا ماشاءوا ، المهم أن عملنا لاغبار عليه ..
ـ العمل لاغبار عليه ..
ـ من منهم يعرض عن فرصة مماثلة إذا سنحت له ؟
ـ لاأحد فيما أتصور .
ـ ولايوجد سبب واحد يدعو للتردد .
ـ هذا حق ، المسألة ..
وتوقف متفكراً فتساءلت بحدة :
ـ المسألة ؟ !
ـ ماذا أقول ؟ ، كنا نتكلم بين الأصحاب بحماس جاوز الحد ..
ـ حول المنحرفين ، دائماً المنحرفين ..
ـ ألم نعتبر بعض أنواع الاستيراد انحرافاً ؟
فقالت متجهمة :
ـ سنكون موظفين لاأكثر !
ـ صاحب المكتب هو أبوك وحموى !
ـ لن يكون مهرباً أو خطافاً ..
ـ طبعاً .. طبعاً ، ولن يمنعنا العمل الجديد من المحافظة على أفكارنا ..
ـ طبعاً .. طبعاً .. هل تتصور أن تضحيتنا بالفرصة هو الذي سيصلح المجتمع ؟
ـ طبعاً لا .
ـ لاتبال إذن بأي قول متعسف .
ـ هذا هو الرأي الصواب ..
ـ هل أعتبر الأمر منتهياً ؟ !
ـ أي نعم !
هكذا تلاشت المشاكل وابتسمت الحياة . آمن بذلك تماماً ولكنه شعر في الوقت نفسه بأن محنة جديدة تتربص به . بين الأصحاب أو في أعماق ذاته . ومن الآن فصاعداً ستكون السعادة هي المشكلة . ستكون المشكلة هي الدفاع عنها والمحافظة عليها للنهاية إن أمكن ..



يرغب في النـــــوم

غادر التاكسي عند مدخل شارع حسن عيد . الضحى ارتفع والشمس تريق أشعة حامية من سماء باهتة ، ودفقات متتابعة من الخماسين تزيد من الحرارة وتثير الغبار وتنفث الضيق والكدر . تغير كل شئ بقوة تفوق الخيال . الطريق من محطة مصر حتى هنا يكشف عن قاهرة أخرى . أين ذهبت القاهرة التي عاش فيها منذ نيف وخمسين عاماً ؟ جنت بالزحام والسيارات والصراخ والدمامة . ليس وجهه وحده الذي عبث به الزمن . وهو متوسط القامة نحيلها ، معروق الوجه ، أصلع ، شائب العذار والشارب . مطوق العينين والفم بالغضون ، يتوكأ على عصا ، ويتمتع بنشاط يحسد عليه بالقياس إلى سنه . هاهو قد رجع بعد عمر طويل فما الأمل ؟ . لم يرجعه عقل أو منطق ولكن نداء خفي ملح متعب مبدد للراحة قال له اذهب وانظر وافعل شيئا ما لعله يجعل نومك أعمق . وشارع حسن عيد يتراءى في تكوين جديد . حتى اسمه أمحى من الوجود وحل محله إسم جديد هو الشهيد مصطفى ابراهيم . وعلى الجانبين قامت العمائر العالية ، وتراصت في أسفلها الدكاكين ، وماج الطريق بالزبائن . انه سوق ولا أثر للبيوت القديمة والهدوء الشامل والذكريات المتلاشية كحلم . نداء عقيم ، ساقه بلاوعي ، وسيتمخض عن لا شئ . واتجه نحو العمارة الأخيرة في الجانب الأيمن . هنا قام يوماً البيت القديم . كأن الشارع لم يكنس منذ جيل ، والخماسين تشتد وتحمى منذرة بالمزيد من الارهاق . وحن إلى مهجره في الريف ، البيت والأولاد الذي اضطر إلى الابتعاد عنه بعد إقامة نصف قرن . بواب العمارة مشغول ببيع الفاكهة في مدخل العمارة معروضة على رف طويل تحت صناديق البريد ما بين برتقال وموز وليمون . وقعت عيناه على عينيه فانتبه الرجل متوقعاً زبوناً جديداً فحياه بسرعة وقال :

ـ هل تعرف عم محمد الشماع أو أي أحد من أسرته ؟

فتر اقبال الرجل وقال :

ـ لا أعرف أحداً بهذا الاسم .

ـ كان يقيم في البيت القديم الذي شيدت هذه العمارة محله ؟

ـ هذه العمارة قائمة منذ أربعين عاماً !

ـ لعل أحداً بهذا الاسم في عمارة أخرى ؟

ـ لا أظن ، وعليك أن تتأكد بنفسك بسؤال البوابين .

دورة من العناء والضجر واليأس ولا أحد يعرف الشماع أو أسرته . كانوا أسرة كاملة مكونة من أب وأم وأخ وأخت . من رحل يا ترى ومن بقي ؟ ، ونصف قرن ـ بل أكثر ـ ليس بالزمن القليل ، عمر طويل دالت فيه دول وقامت دول ، وهل تنسى أيام التعاسة الأولى ، أيام القحط والأزمة ؟ . وإن يكن جيل مضى ألم يخلف جيلاً جديداً ؟ ، ألا توجد همزة وصل تصل ما بينه وبين ذلك الزمن الغابر ؟ . هل يرجع كما جاء ليجد الذكريات فوق فراشه ترصده بنظراتها الباردة القاسية ؟ .ورجع إلى الشارع العمومي فشعر بالعرق ينساب على جسده خطوطاً لاذعة تحت جلبابه المخطط ، واشتدت الخماسين واكفهرت وأثارت مزيداً من التراب فحجب الأفق عن الرؤية . لا مفر من الانتظار حتى المساء ليعود مع قطار الصعيد . وقت طويل والتسكع لا يحلو في مثل هذا



اليوم . ترى أين أصحاب الشباب ومن بقى منهم على قيد الحياة ؟ . لعل عند أحدهم نبأ عما يبحث عنه ولكن أين هم وهل مازالوا يتذكرونه ؟ . لا .. لا .. بحث عقيم عن أناس اقتلعوا تماماً من وجدانه وكأنهم ماتوا وشبعوا موتاً . حتى أغاني ذلك الزمان لم تعد تطرب أحداًوتثير السخرية . وخطر له خاطر لا يدري من أين جاء . أن يزور المدفن القديم . ومن توه مضى إلى باب النصر . وجد القرافة عامرة بالسكان كما قرأ في الصحف . أصبحت في موسم دائم . ولكن حوشهم نجا لصغره إذا كان يحوي قبراً واحداً ، وخالياً من المرافق والمياه ولا يكاد يتسع لواقفين أو ثلاثة . وسأل عن التربي الذي نسى اسمه تماماً فجاء عجوز يسعى ، في سن أبيه لو كان على قيد الحياة ، ولعله ظن أنه أستدعي لرزق جديد . اطمأن إلى شيخوخة الرجل وحدس أن سيعرف من خلالها أشياء . وبعد تحية سأله :

ـ حوش الشماع ؟

ـ نعم

ـ إني اسأل عنه أو عن أي فرد من أسرته .

انطفأ وميض الأمل في عيني الرجل وسأله :

ـ من حضرتك ؟

ـ صديق قديم ويهمني جداً أن أهتدي إلى أي فرد من الأسرة .

ـ كنت على معرفة وطيدة بعم محمد الشماع الله يرحمه

ـ مات !

ـ ورقد في هذا القبر منذ أكثر من خمسين عاماً !

ـ والست الكبيرة ؟

ـ لحقت به بعد عام أو عامين .

ـ وماذا عن الآخرين ؟

ـ لم يفتح القبر منذ وفاة الست .. ولا علم لي عن الآخرين.

ـ كان للمرحوم ابن وبنت .

ـ كان له إبنان وبنت ..

خفق قلبه وهو يتساءل :

ـ ابنان ؟ !

ـ الابن الأصغر ، ربنا يجحمه حيث يكون .

ـ لماذا ؟

ـ ولد فاسد شرير ، كان يعمل في الدكان مع أبيه وأخيه ، وفي عز الأزمة سرق الخزانة وهرب ولم يسمع عنه خبر بعد ذلك ..

ـ أعوذ بالله ، لاشك أنه تركهم لأيام عسيرة ..

ـ محنة وفقر وتسول ، سرعان مامات الرجل كمداً ، ولحقت به امرأته ، انجب شيطاناً ، ولا أشك في أن الله قد انتقم منه شر انتقام ..

نظر إلى القبر ملياً ، ثم رفع بصره إلى السماء المغبرة ، وهمس:

ـ شكراً

فقال الرجل :

ـ ربنا يدلك على ابن الحلال ليرشدك إلى ماتريد .

وحياه وانصرف . سار كالأعمى لا يرى مابين يديه ..



تحت الشجرة

كأنما غادرها أمس . بمدخلها الضيق المتوج باسمها الرنان « فينكس ، كافيتريا ، بار » ، وحجرتها المربعة الواسعة بموائدها الرخامية وكراسيها الخرزانية ومقصفها المتصدر . وكالعادة مصابيحها مضاءة منذ الصباح لانزوائها في عمق بعيداً عن الشمس . وجوه غريبة لزبائن جدد فيهم نفر من الأجانب . اختار كرسياً وجلس . بجسمه الطويل النحيل المتهافت ، وبنطلونه الرمادي وقميصه الأبيض نصف كم ، ورأسه الكبير الموخوط بالشيب ، ووجهه الغامق الموسوم بالعناء . نظر فيما حوله ، وقلقت في عينيه الواسعتين نظرة حائرة . أقبل النادل ، ولما رآه من قريب اتسعت عيناه دهشة وسروراً ، وهتف :

ــ مبارك يا أستاذ .. حمدالله على سلامتك ..

وتصافحا . وطلب فنجان قهوة زيادة ولكن الرجل سأله قبل أن يذهب :

ــ كيف الصحة ؟

ــ كما ترى

ــ ستعود كما كنت وأحسن .

حقا ! ، سبع سنوات عجاف ، ولكنه قال :

ــ ربنا يسمع منك .

وذهب الرجل ورجع بالقهوة ثم صبها في الفنجان قائلا :

ــ هذا الفنجان على حسابي !

ــ تشكر

ــ أسفنا جداً ، ما باليد حيلة ، على أي حال فأنت بطل !

رشف رشفة وسأله :

ــ لماذا ؟

ــ السجن في سبيل المبدأ .

ــ عظيم ، هل أنت مستعد لذلك ؟

فضحك النادل الكهل قائلا :

فعبس متسائلا :

ـ كلهم ؟

ـ ولا واحد يوحد الله .

ـ عندك فكرة عنهم ؟

ـ طبعاً ، القاسم والأرملاوي ورضوان مدرسون في إحدى البلاد العربية .

ـ مرة واحدة ؟

ـ خير وبركة .

ـ والقائمة السوداء ؟

ـ لا سوداء ولا بيضاء .

ضحك على رغمه فقال النادل :

ـ سيملكون الشقق والسيارات ، لم لا ؟

ـ والسيوفي ؟

ـ السيوفي وبدران ورزق الله في فرنسا ، صحافة عربية ، ثراء ايضاً ، وقيل إن رزق الله اعتنق الاسلام !

ضحك مرة ثانية وتساءل .

ـ وأكرم ؟

ـ تاب ، ويعمل في الصحافة القومية .

ـ وجلال ؟

ـ يعمل في الأهالي

فضحك للمرة الثالثة وقال :

ـ لعله جن ؟

ـ كلا ، الذي جن هو الأستاذ البرديسي !

ـ تعني أنه في المستشفى؟

ـ كلا ، يرى أحياناً في الشوارع يحاور الهواء ..

ـ أفادك الله .

ـ حتى زملائي في القهوة هاجروا إلى العراق ، ولولا سني للحقت بهم .

ـ ربنا يعوض عليك .

فحدجه بنظرة باسمة ثم سأله :

ـ وأنت متى تهاجر ؟

فلم يجب وارتسمت على زاوية فمه ابتسامة ساخرة فقال النادل بنبرة ودودة :

ـ زمن المبادئ مضى وهذا زمن الهجرة .

ـ كلامك كله حكمة .

وتجهم وجهه فبدا أكبر من سنه بعشر سنوات . أي ماض وأي حاضر وأى مستقبل . أين ومتى يقابل جلال ؟ . وكيف يصارع العبث ؟ . وقال للنادل :

ـ فنجان قهوة آخر ، بن زيادة وسكر زيادة ..



ـ لست بطلاً مثلك .

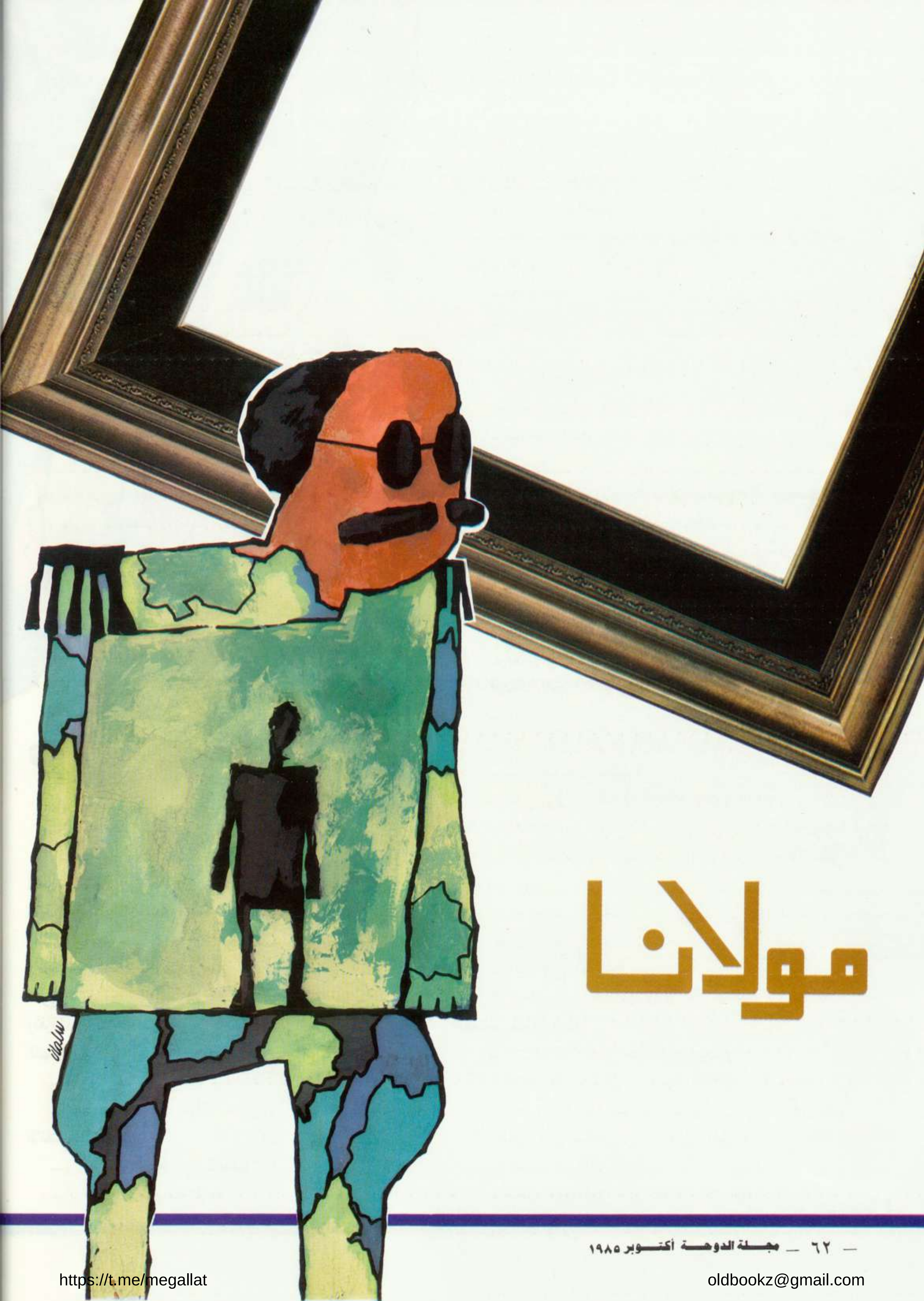
وذهب يلبي طلباً . أتى على الشراب فلم يبق إلا الرواسب في القعر والتصاوير في الجدران . وتذكر قول قارئة الفنجان في الزمان الأول ، قدامك سكة سفر وسعادة . يستوي قول الأول والآخر في الكذب . خمس سنوات ضاعت . وأبوه قال له « حذار من الجنون يا مجنون ، البلد مختنقة مهرولة ، لا هم للفقير إلا اللقمة ولا للقوي إلا الثروة » . الواضح أن الايقاع يتضاعف والجنون يتفشى . وتفرس في الوجوه من حوله بدهشة وانكار . ولما رجع النادل الكهل إليه قال له :

ـ لا أرى أحداً من زبائن زمان !

ـ لعلهم في البيوت ، هؤلاء سماسرة ورجال أعمال وسياح ، الانفتاح يا أستاذ ..

ـ والأصدقاء ألا يجيئون كالعادة ؟

ـ أبداً .. منذ سنوات طويلة


مولانا

ابن الأرض ، من أسرة الأعشاب البرية ، نشأ ونما وترعرع في البستان الذي توسط يوماً ميدان العتبة الخضراء القديم . من المجهول انبثق ، لتربيه الأيدي القذرة ، تطعمه لقمة وتلبسه جلباباً وتسلبه انسانيته . وذات يوم ــ وكان عوده قد اشتد وطال ــ أشار اليه عابر سبيل وقال لصاحبه بصوت مرتفع ضاحك :

ــ انظر ، كأنما هو الملك !

الملك ! . يعرف أنه يوجد ملك . ورأى من بعيد موكبه . ماذا يعني الرجل ؟ . وتكررت الاشارة والنظرة المندهشة . أيشبه الملك حقاً ؟ . أيمكن أن يحدث ذلك في هذا الوجود ؟ ! .وسعى إلى مرآة مصقولة معروضة عند مدخل محل لبيع الأثاث في أول شارع الأزهر ليرى صورته ، ليرى الملك . إذن فهذا هو الملك . لم تطمس شكله رثاثة الجلباب ولا قذارة الوجه وراح يغسل وجهه ويمشط شعره ويقطع الميدان بالطول والعرض فيحرز النجاح بعد النجاح ، ويتلقى الاشارات والتعليقات ، ويمضي باسماً مزهواً بصورته النفيسة . وعرف في المنطقة مع الأيام بمولانا ، مولانا صاحب الجلالة . وفسرت الظنون الساخرة الشبه العجيب بما عرف عن الملك الراحل الأب من رمرمة جنسية ، فمن يدري فلعله .. وأليس من الجائز أن .. وماوجه الاستحالة في أن يكون .. هكذا ألحقته السخريات بالدم الأزرق المصون لأسرة محمد علي . وهو لا يعرف لنفسه أماً ولا أباً فكل شئ محتمل . وجد على الأرض ، عارياً أو في لفة ، ونشأ في أحضان الطبيعة مثل أجداده الأول في العصور الغابرة . وحام مع الظنون حول أصله الرائع المجهول ، وانتظر من وراء ذلك الشبه خيراً وأي خير . والواقع أن فخامة منظره خففت عنه من بلاء التشرد وجنبته كثيراً هراوات الشرطة ، فكان أكرم المتشردين وآمن النشالين . وقال له أقرانه :

ــ إذا رفعك الحظ يوماً فلا تنسنا !

فوعدهم بالخير والحماية وتعلق أكثر بأحلامه الخرافية . وطرقت شهرته أخيراً قسم الشرطة وذهب المخبرون ورجعوا قائلين :

ــ الطول والشكل واللون ، إنه معجزة ..

وقرر المأمور أن يراه بنفسه ، ولما مثل بين يديه تفحصه بذهول ، ولما صرفه وجد نفسه يفكر فيه كمشكلة حقيقية . أيمكن أن يتغاضى عنه كدعابة لا وزن لها ؟ . هل يأمر بمراقبته حتى يقبض عليه متلبساً ؟ لم يقنع بهذا الحل أوذاك ، ورأى أن يبلغ الخبر إلى أحد الرؤساء في الداخلية الذي تربطه به علاقة حميمة . وجرت التحريات من جديد ، وارتبكت مراكز الأمن العليا واعتبرت الموضوع بالغ الأهمية والخطورة .

ــ قد يتكشف الأمر عن مضاعفات مجهولة ونسأل عند ذاك أين كنتم أيها السادة ..

ــ والعمل ؟

واستقر الرأي على اعتقاله ووضعه في الطور باعتباره من الخطيرين على الأمن الواجب استبعادهم . وتم التخلص من فاروق « الثانى » واطمأنت القلوب وكاد ينسى تماماً .

وقامت ثورة يولية . وانهالت المطارق على العهد البائد . وكتب أحد الصحافيين عن واقعة شبيه الملك المخلوع المنسي في المعتقل فكانت كلمته ايذاناً بالافراج عنه ..

رجع إلى تشرده ولكن بلا حلم هذه المرة ولكنه حمدالله على نعمة الحرية . ونشرت بعض المجلات صورته فاكتسب شهرة لم تخطر له في بال . وقررت إحدى الشركات السينمائية أن تنتج فيلماً يصور الفساد في عصر ماقبل الثورة ، وكان الملك يظهر فيه في منظر هامشي فيما وراء الأحداث ، واستدعت الشاب لتجربه في الدور فأداه أداء مقبولا لسهولته ، وحاز سمعة لا بأس بها ، ولكنها لم تفتح له طريق النجاح ولم تكتشف فيه موهبة ذات شأن . ورأى المسئولون أن الحديث يتكرر عن الشاب ، وأن صوره تنشر أكثر مما ينبغى . وإذا بمشكلة جديدة تنشأ من حيث لا يحتسب انسان . وقال شخص بعيد النظر :

ــ شعبنا طيب ، ولا يبعد أن يوجد فيه من يعطف على الملك رغم فساده ، وسيكون وجود هذا الشاب محركاً لهذا العطف ..

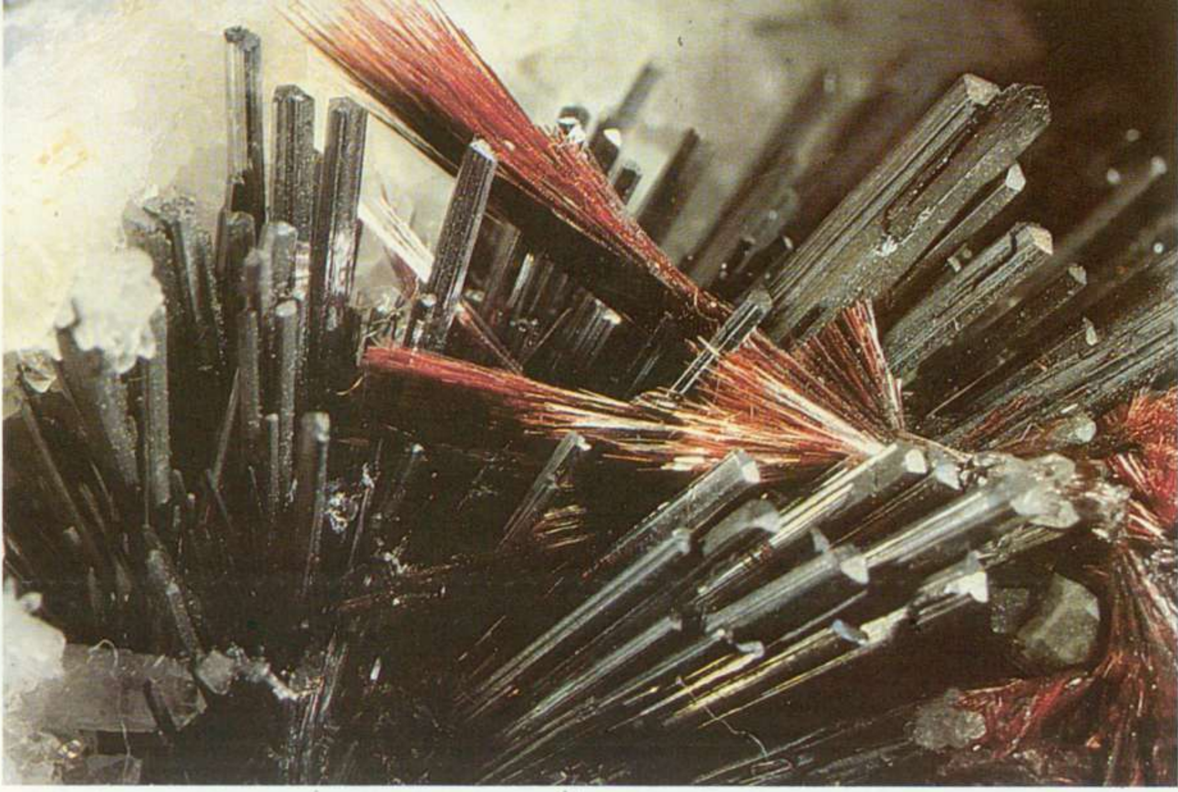
ــ إذن يمنع نشر صوره ..

ــ بل الأوفق أن يختفي تماماً !

وظن الشاب أنه ولد من جديد ليستقبل عهداً جديداً . وأشعل الدور الصغير الذي قام به في الفلم طموحه إلى أقصى حد ، وتوقع الخير مع طلعة كل شمس . وكلما شعر بمرارة الانتظار قال :

ــ إن الله لم يخلقني في هذه الصورة إلا لحكمة بالغة ..

ولكنه اختفى بلا سبب ظاهر . لم يعد أحد يراه في أي من مظانه . اختفى تماماً . بل يبدو أنه اختفى إلى الأبد .



على طريق النهضة في قطر

حجر الكحل الإثمد اشتهر فى تاريخنا نحن العرب بأنه الخام المعدنى ، الذى تصنع منه النساء (الكحل)

مشروع المتحف الجيولوجي بالدوحة

بقلم : درويش مصطفى الفار

لما كان اكتشاف النفط والغاز الطبيعى ، فى قطر ، وما حولها من الأقطار ، يرجع الى ما أفاء الله به على خلقه من نعمة تفهم القواعد والقوانين والأسس التى يقوم عليها علم الجيولوجيا ، فقد كان لزاما على متحف قطر الوطنى ، باعتباره أول مؤسسة علمية حضارية ، من نوعها ، فى المنطقة بأسرها ، أن يتيح لزواره من المواطنين ، بدوا وحضرا ، والوافدين ، عربا وأجانب ، فرصة التعرف على شذرات من ذلك العلم ، والثقافة بالإلمام ببعض جوانبه ، على تشعبها وتعدد فروعها وشجونها ، فاتخذ من أحد أركانه ، ما يمكن اعتباره نواة لمتحف جيولوجى متكامل يتم انشاؤه فى الدوحة العاصمة ، مستقبلا ان شاء الله ، ليضطلع بنشر الثقافة الجيولوجية عامة والنفطية خاصة ...



ماجنيتايت من أنقى خامات الحديد (وهذه العينة من أمريكا الجنوبية)



الاباثايت : بللورة من خامات الفوسفور تصلح أيضا كحجر كريم



من المغرب : سيروسايت (البلورات السمراء) باريت من خامات الباريوم



فلورسبار : من أهم الخامات الصناعية اليوم



زهور الصحراء لم تكن معروفة فى قطر قبل اكتشافها



رودكروزايت (كربونات المنجنيز) تستخدم فى علم الأحجار الكريمة المتواضعة

● عينات من أشهر الصخور المعروفة في العالم.. ونيازك سقطت على الأرض العربية !

واعتمد انشاء هذه النواة على مصادر ثلاثة للسير فى تحقيق الهدف الرامى الى تعريف الزائرين بمختلف درجات تعليمهم وسنى أعمارهم، على الصخور والحجارة، وما تتكون منه من المعادن والبللورات بمختلف الألوان والأحجام والخواص الأخرى.

تلكم المصادر هى :

(١) كل ما يمكن الحصول عليه من الصخور والحجارة والمستحجرات من شبه الجزيرة والجزر الواقعة فى مياه دولة قطر الأقليمية، وما يتبع ذلك من احتمالات الخامات المعدنية، وتطور إنشاء الخرائط والأدوات التى استخدمت منذ بدأ البحث عن النفط.

(٢) مختلف أقطار الوطن العربى والاسلامى، باعتبار قطر واحدا منها مع الإهتمام بالثروة المعدنية العربية وخاماتها الاستراتيجية من مثل الفوسفات والحديد والفحم، على وجه الخصوص، مما يتيح للأجيال فى قطر التعرف على ثروات الوطن العربى على سعته، لما لذلك من أثر مستقبلى.

جميع انحاء العالم، باعتبار أن الأرض كوكب واحد من وجهة النظر الجيولوجية، وأن الفهم الحقيقى لآفاق علم الجيولوجيا يتطلب معرفة أكبر عدد ممكن من صخور هذا الكوكب وحجارته وما فيه من معادن وخامات فى طبقات وكتل قشرته فى القارات أو قيعان المحيطات ...

ولما كان ذكرالصخر والحجر، وخاصة لدى عامة الناس فى المجتمعات النامية، لايستقطب الانتباه عند الوهلة الأولى، فقد كان لزاما عند تجميع مادة هذا الركن من مظانها الثلاث التى

مشـــــروع
المتحف الجيولوجي بالدوحة



بيريت معدن يتكون من الحديد والكبريت له بريق يشبه بريق الذهب ولهذا سموه « ذهب الحمقى »



بللورة متشققة من البيريت تبرق أيضا ببريق الذهب

اسلفنا ، أن نبحث الى جانب الصفة العلمية للصخر والحجر ، عن صفات جمالية تشد الانتباه وتدعو الى النظر والتفكير والاهتمام ، فاشتملت المجموعة الأساسية على البللورات الضخمة ذات الأشكال الهندسية الرائعة ، وعلى الخامات المعدنية ذات الألوان الجذابة والبريق الأخاذ ، بما فى ذلك الأحجار الكريمة المصقولة اللامعة ، وقطاعات الأخشاب المستحجرة وأنواع الأحياء البائدة المندثرة التى كانت حيوانا أو نباتا ذرأه الخالق جل وعلا فى هذه الأرض منذ ملايين السنين والاعوام ...

وفى غمرة الاهتمام بالجانب الجمالي بالموضوع ، لم يغب عن البال اعطاء الأهمية الأولى للناحية العلمية ، حيث تم ترتيب المعادن والخامات طبقا للاسلوب العالمى المتبع فى البدء بخامات العناصر الخالصة كالذهب والفضة والنحاس والكبريت والزئبق ، ثم بالكبرتيدات وانتهاء بالسليكات المعقدة التركيب .

وتم تقسيم الركن الى ناحيتين ، احداهما للخامات والصخور القطرية من الأحجار الجيرية بمختلف أنواعها والأحجار الطينية والرمال والحصى والجبس والسلستاين والباريت مما تحتويه صخور شبه الجزيرة ، وكذلك صخور جزر حالول وشراعوه التي تنتمى الى حقب الحياة القديمة.

ومع الصخور والخامات القطرية ، تعرض الصخور والخامات المعدنية العربية من موريتانيا غربا الى سلطنة عمان شرقا ، فتجد فى هذا القسم عينات من كل مناجم الفوسفات العربية ، ومناجم الحديد والفحم ومحاجر الرخام والمرمر .

أما الناحية الثانية فهى التى تشمل الصخور والحجارة والخامات من كل بلاد العالم خارج الوطن العربى ، حيث تجد عينات من أشهر الصخور المعروفة على سطح الأرض ، مثل الجرانيت الرمادى من السويد والذى يقدر العلماء عمره بأكثر من ألف وثمانمائة مليون سنة ، وخام الحديد الكندى الذى يرجع تاريخ تكوينه فى قشرة الأرض الى أكثر من ألفين وخمسمائة مليون سنة ...

والى جانب الصخور والحجارة والمعادن والأحياء المستحجرة والجواهر والبللورات وزهور الصحراء وآثار الرياح المحملة بالرمال فى نحت الصخور خلال الأحقاب ، وتطور صناعة الخرائط فى قطر وغيرها من أركان الوطن العربى والاسلامى ، وما يتخلل ذلك من شرح لمسيرة البحث عن النفط والغاز ، فقد زود هذا المشروع بالجداول والمخططات والصور والرسومات العلمية التى تبين الشروح العلمية للزلازل والبراكين ، وتوزيع العناصر المكونة لصخور قشرة الأرض ومعادنها ، وتقسيم الزمن الجيولوجى خلال ملايين السنين ...

وقد أمكن تزويد هذا المشروع بالعديد من نوادر الصخور والحجارة .

فهنا لك على سبيل المثال قطع من نيازك ورجوم سقطت على الأرض العربية فى مصر وعمان والمملكة العربية السعودية ... كما أمكن الحصول لهذا القسم من المتحف الجيولوجي الذى كان بالقاهرة ، قبل هدمه ، على عينات نادرة من حجر غريب لا يعرف مثيل له حتى اليوم فى أى مكان بالعالم ، على الرغم من أنه قد اكتشفته المساحة الجيولوجية المصرية سنة ١٩٣٢ قرب الحدود الغربية لمصر ، وسماه الجيولوجيون (زجاج السليكا) ، وظنوه من سواقط الفضاء ، ومنهم من قال بأنه من القمر ، ومنهم من دعا الى اتخاذه جوهرا كريما تعمل منه الفصوص للخواتم والقلادات واطلقوا عليه اسم (الجوهر الكونى) Cosmic Gem ، ولكن هذه الدعوة لم تلق رواجا ، ولا يزال أصل هذا الحجر الغريب ومنشأه من الأسرار التى لا تفتأ تثير الجدل بين العلماء ...

كذلك ، وحتى لاننسى ، فإن من مقتنيات هذا المشروع صخورا وحجارة من فلسطين ، منها قطعة من الصوان الصلب البراق ، مما استخرجه الحافرون تحت أسوار المسجد الأقصى فى بيت المقدس الشريف ...

ولعل زيارة لهذا القسم من متحف قطر الوطنى تغنى غناء أوفى مما يسطره مداد القلم فوق القراطيس .

درويش مصطفى الفار



بقلم : الدكتور محمد البهي

مسئولية الإنسان

• الانسان فى أجياله المتعاقبة ـ فى اعتبار الاسلام ـ لا يحمل خطيئة أو معصية ارتكبها سلف له من قبل . وعصيان آدم فى الجنة كان عصياناً فى طابعه الشخصى ولم يأخذ الطابع النوعى للانسان بحال . وجزاؤه على هذا العصيان ـ لذلك ـ كان طرده هو وحواء من الجنة : قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » الأعراف : ٢٣ ـ ٢٤ .. ولذا فكل مولود يولد .. هو على الفطرة .. لا يحمل وزراً سبق ، ولا يسهم فى خطيئة ارتكبت قبل مولده . وهنا فى الاسلام ليست جريمة ولا ذنب يتوارث : يسأل عنه جيل بعد جيل .

• والطابع الشخصى للمسئولية الانسانية يبرزه قول الله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه (أى أن حظ كل انسان من الخير والشر ، ومن العمل الحسن والعمل القبيح ، ملازم ومصاحب له :ومطوق به عنقه ، لا ينفك عنه بحال ، وطائر الانسان ، هو حظه . وجاء استعمال القرآن به ، جريا على قول العرب : جرى لفلان الطائر بكذا .. وبكذا ، من الخير والشر ، تفاؤلا أو تشاؤما) ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً (أى مسجلا مفتوحاً) : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة (أى لا تحمل نفس خاطئة) وزر أخرى (أى خطيئة أخرى) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (أى لانجازى أحداً بالعذاب على خطيئته وكفره الا بعد أن نقيم الحجة عليها بارسال الرسول المصطفى وبابلاغ رسالته إلى الناس عامة (الاسراء : ١٣ ـ ١٥) .. فهذه الآيات الثلاث توضح :

أولا : ـ أن عمل كل انسان من صواب وخطأ ، وخير وشر .. يسجل له ويصحبه لا يفارقه . ويوم الجزاء يعرض عليه ليراجعه .

وثانياً : أن نوع العمل الذى يباشره الانسان فى حياته ـ ان كان هداية أو ضلالاً ، أو احساناً أو سيئاً ـ هو له وحده ، ولا يختلط بعمل غيره بحال من الأحوال وأنه مهما كانت هناك صلة وثيقة أو قربى بين انسان وآخر .. فإن ايا منهما لا يحمل عن الآخر خطأه ، كما لا يضاف إليه صوابه : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » (فاطر : ١٨) .

ونظرة الاسلام إلى مسئولية الانسان الشخصية عن عمله .. هى نظرة الرسالة الالهية منذ أن أتى بها رسول من قبل الله جل شأنه .. حتى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وذلك فيما يقصه القرآن فى قول الله تعالى :

« أفرأيت الذى تولى . وأعطى قليلا واكدى (أى قطع عطاءه ويئس من عمل الخير) . اعنده علم الغيب فهو يرى (أى أن لا فائدة من صنع الخير) . أم لم ينبأ بما فى صحف موسى (وهى التوراة) . وابراهيم الذى وفى (أى وصحف ابراهيم الخليل ، وهى رسالته) . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » (النجم : (٣٣ ـ ٤٠) فما فى صحف : موسى وابراهيم وهما من أصحاب الدور الرئيسى فى الرسالة الالهية للبشر ـ ينبىء فى وضوح : عن تحديد المسئولية الانسانية الشخصية ، على نحو ما ذكرته آيات القرآن السابقة من :

(أ) أنه ليس للانسان الا سعيه ، وعمل الخير والصواب ، وأن هذا العمل سوف يعلم ويرى رأى العيان يوم الجزاء .

(ب) ثم : أنه لا تضاف إلى نفس اخطأت فى سلوكها أو فى اعتقادها أخطاء نفس أخرى . وانما هناك عدل تام : إن فى جانب العمل الصالح فلا تحرم منه نفس باشرته ، وإن فى جانب العمل السيىء فلا ينقل من نفس مسيئة إلى نفس قد أساءت كذلك .

• وتعود هذه المسئولية الشخصية ـ فى نظر الاسلام ـ إلى ما يتميز به الانسان من عقل وادراك ، عن بقية الكائنات الأخرى . فتميزه بالعقل جعل له السيادة والخلافة عن الله فى الأرض : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات .. ليبلوكم فيما آتاكم » (الانعام : ١٦٥) ولكن فى الوقت نفسه جعله مسئولا فيما يباشره من عمل : « ليبلوكم فيما آتاكم » .. ليختبركم فيما أعطاكم من نعمة العقل والخلافة عن الله فى الأرض ، وفضل بعضكم على بعض فى مستوى ما يرفع به الشأن درجات ، فى المال ، والجاه والاستطاعة والطاقات البشرية المتفاوتة .

• وقد صرح القرآن بمسئولية العقل فى الانسان عن تصرفات الانسان فى قوله : « ولا تقف ماليس لك به علم (أى لا تتبع مالا تعلم ولا يعنيك) . ان السمع ، والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : ٣٦) .. فمنافذ الادراك لدى الانسان هى : سمعه وبصره ، بالاضافة إلى ما يهدى هذا الادراك إلى الصواب ، وهو ايمان القلب .

كتاب الشهر

عرض وتقديم: حسني شحادة

الأسلحة والدروع الإسلامية

عني علماء الآثار بدراسة أنواع السلاح الأوروبي والأمريكي والياباني . وغيرها ، ولكن تاريخ الاسلحة الاسلامية ، لم يكتب عنه حتى اليوم ، بالطرق العلمية ، والفنية التي بحثت فيها مقومات ومعالم الحضارة الاسلامية المختلفة ، فاذا قلبنا أمهات كتب الفنون الاسلامية . التي ألفها كبار العلماء والخبراء ، وجدنا فراغاً شاملاً يسود هذا المجال فهاهي أمامنا مؤلفات « ديماند هارسيه » ، و « بيجون كونيل » و « زكي محمد حسن » وغيرهم ، لاتحتوي إلا على أسطر قليلة في هذا الموضوع .

ولكن كتب التراث العربي الموسوعية ، أوردت أبواباً مبسطة عن السلاح الاسلامي ، كل حسب مادته ، فكتب اللغة ، ككتاب « فقه اللغة » للثعالبي ، وكتاب « المخصص » لابن سيده ، أوردت أسماء الاسلحة الاسلامية ، وكذلك كتب الموسوعات الأدبية ، « كالعقد الفريد » لابن عبدربه الأندلسي ، الذي أورد في الجزء الأول من كتابه ، « كتاب الفريدة في الحروب » معلومات عن السلاح ، وكتاب « صبح الأعشى » للقلقشندي ، جاء في جزئه الثاني ، فصلاً عن السلاح ، وكتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » لأحمد بن عبدالوهاب النويري ، جاء في سفره الخامس « ذكر ماقيل في السلاح وأوصافه » .

ولا ينس جهد الكتاب المعاصرين في هذا الميدان ، أمثال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه « العسكرية العربية الاسلامية » ، كما أسهم اسهاماً حميداً في كتبه عن قادة الفتح الاسلامي ، وكذلك الدكتور عبدالرحمن زكي في كتابه « السيف في العالم الاسلامي » ، فقد اسهمت هذه الكتب وأمثالها كمقدمة للابحاث الآتية في هذا المجال ،

ومع اعتبارنا لأهمية هذه الكتب ، إلا أنها لم تغط هذا الموضوع تغطية علمية وفنية حتى طلع علينا « روبرت إلغود » في كتابه « الأسلحة والدروع الإسلامية » الذي جمع فيه سبعة عشر بحثاً ، لكبار كتاب الثقافة والفنون الاسلامية ، تلقي الأضواء على جوانب هامة من هذا الموضوع .

والكتاب يعيد إلينا التاريخ العربي الاسلامي ، تاريخ انتصارات الاسلام وفتوحه ، ووسيلة هذا الانتصار المادية ، التي شحذتها الوسيلة المعنوية المتمثلة بالايمان ، بالجهاد في سبيل الله ، انه كتاب الأسلحة والدروع الاسلامية .

إن معرفة الماضي هي وحدها ، تطوع لنا تصور المستقبل ، وتوجه جهودنا إلى الغاية السامية ، الجديرة بتراثنا العظيم ، لأن الماضي والحاضر والمستقبل ، وحدة لا سبيل إلى انفصامها ، فمعرفة تاريخنا ، بكل إشراقه ، وبريقه ، وتألقه ، هي وسيلتنا لتشخيص حاضرنا وتوجيه مستقبلنا (١) .



فرسان مسلمون بأسلحتهم .. وهى لوحة من لوحات كتب التراث المحفوظـة فى المكتبة البريطانية



فأس يستخدم فى القتال ، مدموغ بشعار النبالة ، وهو من عصر السلطان المملوكى « قايتباى »

خوذة حربية يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر ، وهى ضمن المقتنيات الاسلامية والعربية التى ضمت إلى متحف « وارسو » ببولندا عقب الحرب العالمية الثانية

السلاح الاسلامي

الأسلحة العربية الاسلامية كثيرة العدد ، وقد ازداد عددها كماً ونوعاً مع مرور الزمن ، فلم تبق على ما كانت عليه أيام غزوات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وسراياه ، بل تطورت ، وتكاثرت يوماً بعد يوم ، لأن العقيدة الاسلامية ، عقيدة إيجابية ، ولأن المسلمين يتحلون بمزايا التفتح والتحرك ، فكانوا يقتبسون صنوف الأسلحة من أعدائهم ، ويطورنها إلى الأفضل ، وكذلك في الأساليب والخطط العسكرية ، فهذا سيف الله « خالدبن الوليد » ، يقتبس أسلوب الكراديس قبل معركة اليرموك ، نتيجة لاستطلاعه الشخصي لقوات الروم قبل أن ينشب القتال ، فعبأ جيشه تعبئة لم يعرفها العرب المسلمون من قبل ، في ثلاثين كردوساً ، وباشر القتال بهذا الأسلوب ، فأحرز النصر على الروم في تلك المعركة الحاسمة (٢) .

لقد أوضح الكتاب الذي بين يدينا هذه الايجابية الاسلامية ، وذلك التفتح والعبقرية الاسلامية في تطوير الأسلحة الاسلامية .

أشرف الأسلحة

طرق البحث الأول من الكتاب موضوع السيف ، والسيف من أشهر وأشرف الأسلحة عند العرب المسلمين ، وله في العسكرية الاسلامية تاريخ عريق ، فقد جاوزت أسماؤه المئة في اللغة العربية ، وقد تحدثت كتب السيرة عن السيوف المنسوبة إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان لكل سيف اسم يخصه ، وقد نظم أحد الشعراء سيوف رسول الله في ثلاثة أبيات هي :

لـهـا دينـا مـن الأسيـاف تسـع
رسـوب والخـذم وذو الفقـار
قضب حتـف والبتـار غضب
وقلعي ومـأثـور الفجـار
وحكمتـهـا ينـاسب آي موسـي
وكل للعدا سبب البـوار

ومن السيوف التي اشتهرت في الجاهلية

الأسلحة والدروع الإسلامية

والاسلام «صمصامة» عمرو بن معدي كرب، الذي ضرب له المثل في كرم الجوهر، وحسن المنظر، والمخبر، والمضاء، يقول العتبي (٣): بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى عمروبن معدي كرب، أن يرسل إليه بسيفه المعروف «الصمصامة» فبعث به إليه. فلما ضرب به، وجده دون ما كان يبلغه عنه، فكتب إليه بذلك، فرد عليه «عمرو»: «إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به». ويقول في سيفه:

سناني ماحق لاعيب فيه
وصمصامي يصم إلى العظام

ثم وهبه عمرو بن معدي كرب، إلى خالد بن العاص، عامل رسول الله على اليمن، وقال فيه:

خليل لم أخنه ولم يخني
إذا ما الخطب أنحى بالعظام
حبوت به كريماً من قريش
فسر به وصين عن اللئام

لقد أكثر الشعراء العرب في وصف السيف، فهذا أبوعبادة البحتري يقول:

يتناول الروح البعيد مناله
عفوا، ويفتح في الفضاء المقفل
ماض وإن لم تمضه يد فارس
بطل، ومصقول وإن لم يصقل
يغشى الوغى، فالترس ليس بتحته
من حده، والدرع ليس بمقفل
وإذا أصاب فكل شيئ مقتل
وإذا أصيب فما له من مقتل

ويقول عبدالله بن المعتز في سيفه:

ولي صارم فيه المنايا كوامن
فما ينتضي إلا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه
بقية غيم رق دون سماء

أما ابن الرومي فيقول:

خير ما استعصمت به الكف عضب
ذكر هزه أنيث المهز
ما تأملته بعينيك إلا
أرعردت صفحتاه دون هز

ومن الافراط في وصف السيف قول النابغة:

يقد السلوقي المضاعف نسجه
ويوقد بالصفاح نار الحباحب

ومعنى هذا القول: أن هذا السيف يقد الدرع المضاعف والفارس والفرس ويصل إلى الأرض فيقدح ناراً!

وللهند شهرة في صناعة السيوف. وقد وصف كاتب المبحث الأول من الكتاب عن سيفين من الهند. على طرازين، أولهما السيف المستقيم ذو الحدين المتوازيين، والثاني يعرف «بالكوبيس» وهو على شكل المدية الافغانية الطويلة، وقد سمت العرب السيوف الهندية بالمهند، ويقول في ذلك ابن المعتز:

ولقد هززت مهنداً
عضب المضارب مرهفا
وإذا نولج هامة
الجبار، سار فأوجعا
عضب المضارب كالغدير
نفى القذى حتى صفا

دروع المقاتل

الدرع هو جبة من الزرد المنسوج، يلبسها المقاتل للوقاية من السيوف والسهام، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن داود عليه السلام أنه ألان له الحديد، فكان يعمل منه الدروع بقوله تعالى.

«ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير» (٤).

وقوله تعالى:

«وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون». (٥).

ومن الدروع مايقال لها «السلوقية». نسبة إلى «سلوق». وهي قرية من قرى اليمن، وربما قيل للدروع «حطومية» نسبة لحطوم. رجل من عبدقيس. (٦).

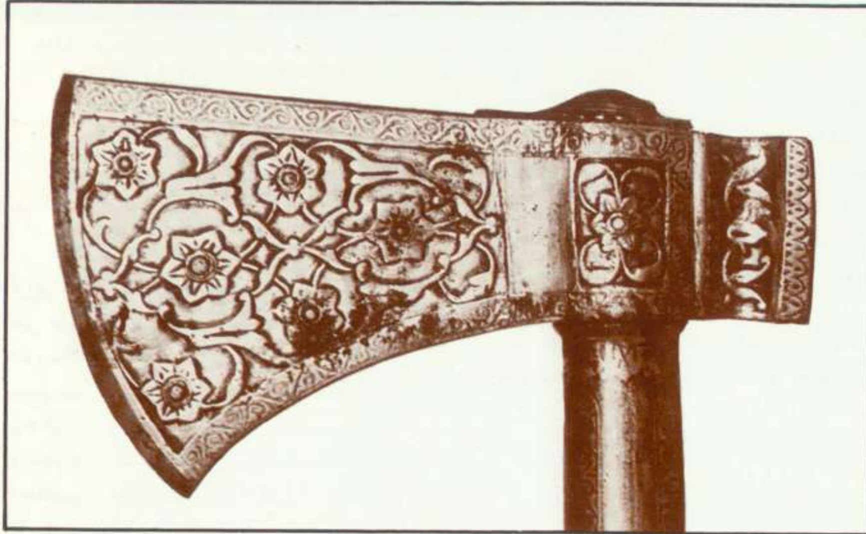
لبس المسلمون الدروع من الزرد، ثم غلب عمل «الفرملات» (٧) من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها فوق بعض، وكان للعرب أقوال في الدروع، فقد رؤي الجراح بن عبدالله بين درعين، فقيل له فيم ذلك فقال: «لست أقي بدني، وإنما أقي صدري» واشترى زيد بن حاتم أدرعاً فقال: «إني لست أشتري أدرعاً، وإنما أشتري أعماراً»، وقال حبيب بن المهلب ينصح بنيه: «لا يقعدن أحدكم في السوق، فإن كنتم لابد فاعلين، فإلى زراد (صانع الدروع) أو سراج، أو وراق».

أما عن الدروع في الفن الإسلامي، فقد أتى الكتاب بلوحات بديعة عن أشكالها، وألوانها، وأنواعها سواء منها ماصنع في سوريا والعراق، أو في مصر وإيران، أو في مختلف بلاد العالم الاسلامي. وأبرزت لوحات الشيرازي والتبريزي روعة هذه الدروع، ودقة نسجها، ثم ذكر الكتاب عن تطور صناعتها، لتناسب تطور الاسلحة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

القوس والنبل

حذق المسلمون استعمال القوس، فسموا في الحروب الاسلامية بالرماة، والقوس في اللغة العربية مؤنثة، وجمعها القسي، وهي على ضربين، أحداهما عربية، وهي التي تصنع من خشب، فإذا كانت من عود واحد قيل لها «قضيب»، وإن كانت من فلقين، قيل لها «فلق»، والثانية فارسية، وتتكون من أجزاء من خشب، وقرن، وعقب، وعراء. والقوس بالنسبة للمحارب كالبندقية، والنبل أو النبال كطلقاتها.

اهتم المسلمون بالقوس والنبل، فقد روي عن عقبة بن عامر (٨) قال: «سمعت رسول الله، وهو قائم على المنبر: وأعدوا لهم ما استطعتم من



رأس فأس استخدمه المقاتلون في معاركهم الشهيرة، وهو من صنع عمال مدينة «لاهور» بباكستان

قوة ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « اركبوا وأرموا ، وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا . » ويقول أيضاً عليه السلام : « كل لهو المؤمن باطل إلا في ثلاث : تأديبه فرسه ، ورميه من كبد قوسه ، وملاعبته امرأته ، فإنه حق ، وإن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب ، والقوى في سبيل الله » أي الرامي في سبيل الله .

وكان أرمي أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « سعد بن أبي وقاص » لأن رسول الله دعا له فقال :

« اللهم سدد رميه ، وأجب دعوته » فكان لايرد له دعاء ، ولا يخيب له سهم .

ويقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم » أي نزوتم ركبتم ظهور الخيل ، ونزعتم القوس وجاء الكتاب بأنواع القسي والسهام ، بلوحات تصويرية جميلة .

آلة المحارب

الترس آلة يحملها المحارب ، يتقي بها الضرب والرمي على الرأس والجسم ، وتسمى « الجنة » بضم الجيم ، أخذاً من الاجتنان أي الاختفاء ، وهي تارة ماتكون من خشب ، وتارة ماتكون من حديد ،

بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . إلى عمرو بن معدي كرب ، فسأله عن السلاح ، فقال له : فما تقول في « الترس » ؟ قال : « هو المجن وعليه تدور الدوائر » .

تفنن المسلمون في صناعتها في العصور الاسلامية المختلفة ، من حيث القوة والمتانة ، وقد وشيت بالزخارف . وجملت بالرسوم .

آلة الطعن

الرمح آلة الطعن ، والرمح ضربان ، أحدهما متخذ من القنا ، وهو قصب مسدود من الداخل ، ينبت في بلاد الهند ، ويوصف بالقنا الخطي ، نسبة إلى الخط ، وهي بلدة بالبحرين ، يجلب إليها الرماح من الهند ، وتنقل منها إلى بلاد المسلمين .

أما الضرب الثاني ، فيتخذ من الخشب كالزان ونحوه ، وتسمى « الذابل » وجمعها ذوابل ، ويقال للحديد الذي في أعلى الرمح « السنان » .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال (٩) : « جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري »

السلاح الفردي

ويسمى الطبر وهو الفأس ، سلاح فردي ، استعمل في العصور الاسلامية المتأخرة ، فقد



خنجر أفغاني له غطاء مزخرف من الخشب

استعمله الأتراك العثمانيون ، والمماليك ، وغالباً مايحمله حراس الملوك والأمراء ، لذلك كان التفنن كبيراً في صناعته ، فكان منها مايكون مقبضه من الذهب ، أما نصله فكان على أشكال مختلفة ، فيها الكثير من التفنن ، وعليها كثير من الزخارف والكتابة ، والرسوم ، حتى أتى بعضها تحفاً فنية ، تزهو بها المتاحف في بلاد العالم المختلفة .

والخنجر أيضاً سلاح فردي يتمنطق به المحارب ، ويستعمله للطعن ، ولكنه أصبح في العصور الاسلامية المتأخرة ، زينة يتمنطق بها الناس ، لذلك كان التفنن في صناعتها ، فكانت له أشكال كثيرة موشاة بالألوان والخطوط والزخارف .

كان قسم من نساء المسلمين يحملن الخناجر في الغزوات المختلفة للدفاع الشخصي .

ولا زال هذا السلاح مستعملاً في بعض البلاد إلى يومنا هذا ، مع زيادة في الزينة .

وهناك أسلحة فردية أخرى يحملها المقاتل أثناء الحرب ، ويرتب حاملوها حسب أوامر القائد . ومن أهمها :

• الدبوس : ويسمى العمود ، وهي آلة من حديد ، ذات أضلاع ، وتستخدم لقتال لابس البيضة والدرع ، ويقال بأن خالد بن الوليد رضي الله عنه ، كان يقاتل بها .

• البيضة : وهي آلة من حديد توضع على الرأس للوقاية من الضرب ، وقد يكون لها أطراف مسدولة على الرقبة والأذنين ، وربما جعل منها وقاية للأنف ، وقد تكون من زرد الدروع .

آلات الحصار

عندما توسعت الدولة العربية الاسلامية في فتوحها ، مجاهدة في سبيل الله لنشر دين الله ، أصبحت تواجه جيوشاً منظمة ، تملك الوسائل والآلات ، والعقلية الاسلامية ، عقلية صقلها الايمان ، فأصبحت متطورة إبداعية ، فاخترعوا الآلات الحربية ، إما اقتباساً من الأعداء ، أو بتطوير مالديهم ليتناسب والمعارك التي يخوضونها . ومن أهم هذه الآلات :

• المنجنيق اسم أعجمي ، لأن الجيم والقاف ، لا يجتمعان في كلمة عربية ، ويجمع إلى مجانيق أومناجيق ، ويقول الجوهري أصله « من جي نيك » وتفسيره بالعربية « ماأجودني » ، ويقول ابن قتيبة في كتابه « المعارف » ، وأبو هلال العسكري في كتابه « الأوائل » : « المنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان ، بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل المنجنيق التي يوضع بها الحجر ، ويجذب حتى ترفع اسافله على أعاليه ، ثم يرسل ، فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة ، فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئاً إلا اهلكه » .

ويقال بأن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ، ملك الحيرة على العرب .

وللمنجنيق ملحقات كالزبارات ، وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق ، حتى ينحط أعلاه ليرمي به الحجر .

• مكاحل البارود : وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط ، وهي على عدة حالات ، فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر ، وبعضها يرمي عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال إلى مائة رطل ، ويقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى : « وقد رأيت بالأسكندرية في الدولة الاشرفية ، شعبان بن حسين ، في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، مدفعاً قد صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد ، رمي عنه في الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماه . فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر ، وهي مسافة بعيدة » .

• قوارير النفط : هي قدور يجعل فيها النفط ، ويرمى بها بواسطة المنجنيق أومكاحل البارود (المدافع) على حصون الأعداء وقلاعهم فتحرقها ، على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج ، وإنما استعيرت في آلات النفط مجازاً .

• الستائر : وهي آلات للوقاية من الطوارق ، تستر بها الأسوار والسفن ، للتمويه على الأعداء .

مخطوطات هامة

التراث العربي الاسلامي العسكري ، تراث عريق ، ولكن أكثر ماكتب عنه ، لازال في

مخطوطات تقبع على رفوف المكتبات ودور الكتب في البلاد العربية والاسلامية والأجنبية ، ولما تحظ بعد بالعلماء الراغبين في تحقيقها ونشرها . ومن أشهر هذه المخطوطات (١٠) ومن أهم المصادر المصورة عن الاسلحة الاسلامية ، ما وضعته مدرسة بغداد بعد القرن الثاني عشر الميلادي التي تنسب إليها بعض مخطوطات الكتب النادرة ، العربية والفارسية ، فقد اشتملت على مناظر للقتال ، وللأحداث الهامة ، التي توضح أشكال الأسلحة الاسلامية ، ومن أهمها :

ـ مخطوطة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، الذي يرجع تاريخه إلى عام ٦١٤ هـ الموافق ١٢١٧م في الجزء الحادي عشر .

ـ مخطوطة من مقامات الحريري ، الموجود بدار الكتب الأهلية بباريس ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٦٣٤ هـ وقد كتبه وزينه بالصور ، يحيى بن محمود بن الحسن الواسطي ، ويشتمل على تسع وتسعين صورة .

ـ مخطوط الآثار الباقية من القرون الخالية للبيروني ، وهو موجود بمكتبة أدنبره ، ويرجع تاريخه إلى ٧٠٧هـ الموافق ١٣٧٩م وفي هذا المخطوط صورتان للسيف المشهور ذو الفقار بطرفه المزدوج .

ـ جوامع التاريخ لرشيد الدين . وهو موجود في مكتبة الجمعية الآسوية الملكية في لندن ، وهذه المخطوطة حافلة بالصور التي توضح بجلاء أنواع الأسلحة في عصر المغول .

أما المخطوطات الخاصة بالسلاح الاسلامي (١١) فقد ورد ذكر أسمائها في ثنايا أسفار الموسوعات العربية الأدبية والتاريخية ، ففي كتاب الفهرست لابن النديم ، جمع أهم ماكتب من الكتب المخطوطة في موضوع السلاح والحرب عند المسلمين حتى القرن العاشر الميلادي . ومن أهم هذه الكتب :

ـ كتاب الحيل للهرثمي الشعراني ، الذي ألفه للخليفة المأمون عن الحروب .

ـ كتاب آداب الحروب وصورة العسكر ، ألفه عبدالجبار بن عدي للخليفة المنصور .

ـ كتاب الأشميطي في الفروسية .

ـ كتاب آداب الحروب ، وفتح الحصون والمدائن ، وتربيص الكمائن ، وتوجيه الجواسيس ، والطلائع والسرايا ، وقد عمل لأردشير بن بابك وترجم إلى العربية .

ـ كتاب السيوف ، نعتها ، وصفاتها ، ورسومها ، وعلاماتها لباجهار الهندي .

ـ كتاب أمر تدبير الحرب ، وماينبغي للملك أن يتخذ من الرجال « لشاناق » الهندي .

ـ كتاب السيوف التي كانت عند العرب ، ويغلب الظن أن هذا الكتاب للفيلسوف الكندي .

ـ كتاب كفاية الملوك وأدب المملوك ، وهو في فن الحرب ، كتبه بالفارسية محمد بن منصور بن سعيد بن الفرح القريشي ، المعروف بفخر المدبر ،



خوذة مع « جاكيت » من المعدن لحماية المقاتل المسلم أثناء خوض القتال

القوات الاسلامية تواجه قوات المغول بأسلحتها المتنوعة

وأهداه إلى شمس الدنيا والدين أبي المظفر « إيلتتميش » السلطان الناصر أمير المؤمنين من سلاطين الأتراك ، وقد حكم في دهاي من ٦٠٧هـ — ٦٣٣هـ الموافق ١٢١٠ م — ١٢٣٦م ، ويتألف المخطوط من أربعين باباً في فن الحرب ، ومنها باب في فضائل وخصائص وأنواع السلاح .

—تحفة المجاهدين في العمل بالميادين ، للأمير لاجين بن عبدالله الذهبي الحسامي الطرابلسي عام ٧٣٨ هـ — ١٣٣٧ م ، وتحتفظ مكتبة برلين بنسخة نادرة منه موضحة بالصور والرسوم .

—كشف الكروب في معرفة الحروب لعماد الدين موسى بن محمد اليوسفي المصري ، كتبه عام ٧٠٩ هـ الموافق ١٣٥٨م بناء على أمر السلطان حقمق وقسمه إلى عشرة أبواب ، تبحث في فن الحرب ، ونظام الجند ، وتحتفظ دار الكتب المصرية بهذا المخطوط .

—الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية ، لمحمد بن منكلي نقيب الجيش في أيام الأشرف شعبان سلطان مصر ، ويبحث الكتاب في فنون القتال ، وهو مقسم إلى ١٢٢ باباً ، اشتملت على الرمي ، وعلى السفن الحربية وآلاتها وتحركاتها ، وتناول المؤلف الكلام عن السيف . وتوجد صورة لهذا المخطوط في دار الكتب المصرية . ولابن منكلي مخطوط آخر « التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية » موجود في مكتبة المتحف البريطاني .

—الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية ، لطيبوغا الأشرفي الرومي عام (٧٧٠ هـ — ١٣٦٨ م) وتبحث أقسامه في ركوب الخيل في الحرب ، وأسلحة الفارس واللعب بالسيف والرمح ، وفي دار الكتب المصرية نسخة مصورة للمخطوط .



درع لحماية الأيدى عند المبارزة ، وعليه نموذج من الخط العربى يعود تاريخه إلى عام ١١٠٣ هـ ، اضافة لبعض الزخارف الاسلامية

—الأنيق في المجانيق ، ألفه أرنبغا الزردكاش صانع الزرد ، وصف فيه أنواع المجانيق وكيفية استخدامها ، وأوضح كلامه بالرسم ، إذ يبلغ عدد الرسوم فيه حوالي خمسمائة رسم ، وتوجد صورة من المخطوط في دار الكتب المصرية .

إن السلاح الاسلامي جزء لايتجزأ من العسكرية الاسلامية عقيدة وتاريخاً ، ولغة وسلاحاً ، هذه العسكرية هي روح انتصاراتنا ، وفخر تاريخنا ، ونحن في هذا العصر ، ماأحوجنا إلى هذه الروح العسكرية الاسلامية لنعيد المجد والعز والنصر .

حسني شحاده

هوامش

(١) العسكرية العربية الاسلامية للواء الركن محمود شيت خطاب
(٢) العسكرية العربية الاسلامية للواء الركن محمود شيت خطاب ص ١٤٣
(٣) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي حـ١ ص ١٧٩
(٤) القرآن الكريم — سورة سبأ آية ١٠ ، ١١
(٥) القرآن الكريم — سورة الأنبياء آية ٨٠
(٦) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري حـ٥ ص ٢١٤
(٧) الدروع
(٨) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي حـ ١ ص ١٨٦
(٩) صبح الأعشى للقلقشندي حـ ٢ ص ١٣٨
(١٠) السيف في العالم الاسلامي للدكتور عبدالرحمن زكي ص ١٨
(١١) الفهرست لابن النديم ص ٤٣٦

نزيف العقول الذي نعاني منه

هجرة الكفاءات العربيّة إلى الأقطار الغربيّة

بقلم الدكتور: جلال عبدالله معوض

من أبرز مشكلات التنمية العربية هجرة الآلاف من أصحاب الكفاءات العربية إلى الأقطار الغربية ، فهذه الهجرة التى توصف بحق « بنزيف العقول » تؤدى إلى تبديد عنصر بشرى نادر تملكه الأقطار العربية وتحتاج اليه بشدة من أجل تنميتها الاقتصادية والاجتماعية .. وقبل تحليل آثار هذه الهجرة من الضرورى تحليل أسبابها ، وكذلك عرض بعض الاحصاءات عن حجمها وتخصصات المهاجرين .

تشير الاحصاءات المتاحة إلى أنه فى الفترة ١٩٥٣ ــ ١٩٧٤ بلغ عدد المهاجرين العرب من ذوى الكفاءات العلمية إلى الولايات المتحدة وحدها (١٠٢،٦١٩) مهاجراً ، جـاء في مقدمتهم المصريون (٣٠،٧٩١) مهاجراً وتلاهم الأردنيون والفلسطينيون (٢٨،٨٧٠) وأعقبهم اللبنانيون (١٩،٤٠٥) ثم العراقيون (١٣،٥٢١) وأخيراً السوريون (١٠،٠٣٢) مهاجراً (١)

ومن الملاحظ أن التكوين النوعى لهؤلاء المهاجرين تغلب عليه صفة التخصص العلمى الدقيق ، فخلال الفترة الممتدة من ٣٠ يونيو ــ حزيران ١٩٦٢ إلى ٣٠ يونيو ــ حزيران ١٩٦٩ كان من بين المهاجرين العرب إلى الولايات المتحدة :(٢)

• (١٢٨٣) من المهندسين ، منهم (٥٦٤) من مصر و (٢٧٧) من لبنان و (١١٧) من الأردن ــ فلسطين و (١٦٥) من العراق و (١٢٩) من سورية و (١٨) من المغرب و (٩) من الجزائر و (٤) من تونس .

• (٤٨١) من علماء الطبيعة ، منهم (٢٣١) من مصر و (٩٥) من لبنان و (٤٧) من الاردن ــ فلسطين و (٦٧) من العراق و (٣٠) من سوريا و(٦) من تونس و(٣) من المغرب و(٢) من الجزائر .

• (٦٥٦٠) من الفنيين المتخصصين ، منهم (٢٧٦١) من مصر و(١٢١١) من لبنان و(٨٨٦) من الاردن ــ فلسطين و(٧٩٤) من العراق و(٤٦٣) من سورية و(٢٣٨) من المغرب و(١٣٩) من تونس و(١١٣) من الجزائر .

• (٤٨٣) من الأطباء ، منهم (١٧١) من مصر و(١٦٩) من لبنان و(٢٧) من الأردن ــ فلسطين و(٤٥) من العراق و(٤٣) من سورية و(١٤) من المغرب و(١٣) من تونس و(١) من الجزائر .

• (٧٩) من علماء الاجتماع ، منهم (٣٢) من مصر و(٢٠) من لبنان و(١١) من الأردن ــ فلسطين و(٤) من العراق و(٥) من سوريا و(٦) من الجزائر و(١) من تونس .

وتأتى كندا فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة فى اجتذاب الكفاءات العربية ، حتى أنه فى الفترة ١٩٥٩ ــ ١٩٧٣ بلغ عدد المهاجرين العرب من ذوى الكفاءات إلى كندا (٧٨٩ و٣٣) منهم (١٤٦ و ١٦) من مصر و(٧٣٠ و ١١) من لبنان و (٩١٣و١) من سورية و(٤،٠٠٠) من العراق والاردن ــ فلسطين . وهؤلاء المهاجرون هم أيضاً فى معظمهم من أصحاب الكفاءات العلمية العالية ، فخلال الفترة المذكورة كان من بين المهاجرين المصريين والسوريين واللبنانيين وحدهم (٨٢٤) من المهندسين و(٨٠٦) من اساتذة الجامعات و(٧٦٣) من الأطباء و(٣٠٢٤) من الفنيين المتخصصين .(٣)

ونلاحظ منذ منتصف السبعينات استمرار تزايد أعداد المهاجرين من ذوى الكفاءات من الوطن العربى إلى الأقطار الصناعية الغربية ، حتى أنه فى خلال عام ١٩٧٩ وحده فقد الوطن العربى نتيجة لهذه الهجرة (٢٤) ألف طبيب و(١١٧) ألف مهندس .(٤)

أسباب الهجرة

ترجع هجرة الكفاءات العربية إلى الأقطار الغربية إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يمكن اجمالها فى :

١ ــ انخفاض دخول ومستويات معيشة أصحاب الكفاءات العلمية فى الأقطار العربية عموماً

بالمقارنة بفئات اجتماعية أخرى أدنى علماً وثقافة كالتجار ورجال الأعمال والفنانين بل والحرفيين، مما لايوفر لأصحاب الكفاءات العلمية الشعور بالرضا والاستقرار النفسى والاجتماعى والقدرة على التفرغ للبحث والدراسة.

٢ ـ تعيين أصحاب الكفاءات العربية فى وظائف ادارية وحكومية لا تتفق مع تخصصاتهم، بالاضافة إلى التعقيدات البيروقراطية التى تقتل قدرتهم على الابتكار والابداع.

٣ ـ طبيعة النظم التعليمية فى الأقطار العربية تشكل فى حد ذاتها عاملاً طارداً للكفاءات العربية، حيث مناهج التعليم بما تتضمنه من معارف واتجاهات غربية تعد الفرد ليصير أكثر دراية وانبهاراً بالمجتمعات الصناعية الغربية، ومن هنا يتطلع الفرد حال تخرجه إلى الهجرة إلى هذه المجتمعات متى سنحت له الفرصة حيث يجد مجالات خصبة لتطبيق ماتعلمه فى مجالات الطبيعة والذرة والالكترونيات ـ فى الوقت الذى لم تؤهله دراساته لمواجهة مشكلات الصناعات الصغيرة والمتوسطة والزراعة والبحث عن مصادر المياه الجوفية ومحو الأمية وغير ذلك من مشكلات مثارة فى البيئة العربية.

٤ ـ بعض الظروف السياسية التى تؤدى إلى عدم الاهتمام بتوفير مستلزمات الحياة الاجتماعية اللائقة بالعلماء والمفكرين وإلى تقييد حرية البحث العلمى مع إضفاء درجة كبيرة من السرية على تداول البيانات اللازمة لإجراء البحوث الانمائية، كل هذا يدفع بمعظم العلماء العرب إلى الهجرة للخارج. ومن الجدير بالذكر أن هناك اكثر من دراسة أجريت حول دوافع هجرة أصحاب الكفاءات العربية إلى الأقطار الغربية بما فيها الدوافع السياسية، ومن هذه الدراسات تلك التى قامت بها فى عام ١٩٧٣ مؤسسة علمية امريكية هى «مؤسسة العلم القومى» National Science Foundation

على عينة من (٨٠٠٠) من أصحاب الكفاءات العربية الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة فى الفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩ مع التركيز على المستقرين منهم فى «كاليفورنيا»، وبخصوص اجابات المبعوثين العرب عن الأسئلة التى تضمنتها استمارة هذه الدراسة يلاحظ مايلى: ـ(٥)

• فى معرض الاجابة عن سؤال يتعلق «بكراهية البيئة فى الدول الأصلية كعامل للهجرة»، رد (٣٧,٥ فى المائة) من أفراد العينة بالايجاب و(١٦,٨ فى المائة) بالنفى و(٤٥,٧ فى المائة) بعدم العلم.

فى معرض الاجابة عن سؤال يرتبط «بعدم توفر الحرية الفكرية والسياسية فى الدول الأصلية كعامل للهجرة»، رد (٢٥,٥ فى المائة) بالايجاب و(٢٠,٢ فى المائة) بالنفى و(٥٤,٣ فى المائة) بعدم العلم.

• وفى معرض الاجابة عن سؤال يتعلق «بعدم الرضا عن النظام الاجتماعى فى الدول الأصلية كعامل للهجرة»، رد بالايجاب (٢٠,١ فى المائة) وبالنفى (١٧,١ فى المائة) وبعدم العلم (٦٢,٨ فى المائة).

آثار هجرة الكفاءات العربية

تفرز هجرة الكفاءات العربية إلى الأقطار الغربية العديد من الآثار السلبية ـ من وجهة النظر العربية، ومن هذه الآثار:

١ ـ فقدان الجهود والطاقات الانتاجية لهذه الكفاءات والتى تصب فى شرايين الاقتصاديات الغربية لتزيدها قوة وتقدماً.

٢ ـ ضياع ما أنفقته الأقطار العربية من أموال على اعداد وتعليم أصحاب هذه الكفاءات.

وتشير احدى الدراسات إلى أنه بالنظر إلى ضخامة تكاليف اعداد وتعليم أصحاب الكفاءات العربية الذين يهاجرون إلى الاقطار الغربية ـ حيث يقدر متوسط هذه التكلفة بحوالى (٢٢٧) ألف دولار بالنسبة للمهندس و(١٩٨) ألف دولار بالنسبة لعالم الطبيعة و(٥٣٥) الف دولار بالنسبة للطبيب، فإن الخسائر التي منيت بها الأقطار العربية نتيجة لهذه الهجرة تجاوزت (١١) بليون دولار فى عقد السبعينيات.(٦)

٣ ـ تعثر جهود التنمية الاجتماعية العربية فى مجالات الصحة والتعليم والتخطيط الحضرى وغيرها من المجالات، نتيجة هجرة أعداد كبيرة من الأطباء والاساتذة الجامعيين وعلماء الاجتماع وغيرهم من الاقطار العربية إلى الاقطار الغربية.

٤ ـ ضعف الانتاج العلمى فى الأقطار العربية حتى بالمقارنة بالانتاج العلمى للباحثين العرب المقيمين فى أوربا وامريكا. تشير احدى الدراسات إلى أنه فى عام ١٩٧٧ بلغ عدد البحوث التى اجريت فى الأقطار العربية فى العلوم الهندسية والتقنية (٤٧٠) بحثاً مقابل (٥٧٦) بحثاً فى نفس المجال أجراها العلماء العرب فى أوربا وأمريكا، وبلغ عدد البحوث الفيزيائية والرياضية داخل الأقطار العربية (٢٢٦) مقابل (٨٠٩) فى أوربا وأمريكا على يد الباحثين العرب، وبلغ عدد الأبحاث الكيمائية (٦٢٧) داخل الأقطار العربية مقابل (٧٩٢) فى أوربا وامريكا على يد الباحثين العرب، وبلغ عدد أبحاث علوم الحياة (٨٦٦) داخل الأقطار العربية مقابل (١٦٣٣) فى أوربا وامريكا على يد الباحثين العرب.(٧)

المطلوب من المهاجرين

يتضح مما تقدم، أن هجرة الكفاءات العربية إلى الأقطار الغربية نتاج شبكة معقدة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن هذه الهجرة تطرح العديد من الآثار السلبية على التنمية العربية الشاملة، خاصة وأنها لم تعد قاصرة على أصحاب الكفاءات من أبناء الاقطار العربية غير النفطية بل صارت تشمل أيضا بعض أبناء الأقطار العربية النفطية.

يتبقى أن نشير إلى أن محاولات بعض النظم العربية لاستعادة المهاجرين العرب من ذوى الكفاءات والانتفاع بهم فى تنمية بلدانهم الأصلية (العربية) لم يقدر لها النجاح، سواء أخذت هذه المحاولات سبيل الاغراء بالمراكز المرموقة والامتيازات المالية أو تنظيم مؤتمرات «للمغتربين» لطلب مساعدتهم وخبرتهم بصدد نقل التكنولوجيا والمشاركة المالية فى بعض المشروعات، ويرجع اخفاق هذه المحاولات إلى رفض المهاجرين العرب الاستجابة لها في ظل خشيتهم من بعض العواقب.

بالاضافة إلى ما يترتب على عمق اندماجهم فى المجتمعات الغربية من صعوبة ادراكهم لحقيقة مشكلات البلدان العربية ومتطلبات التنمية فيها.

ومن هنا تبرز أهمية تحرك جامعة الدول العربية للاستفادة من هؤلاء المهاجرين، ولو من خلال توظيفهم كقوة ضاغطة على صانعى السياسة فى الأقطار الغربية فى مواجهة القوى الضاغطة الصهيونية المساندة لاسرائيل.

جلال عبدالله معوض

هوامش:

(1) Hossein Askari and John Thomas Cummings, Middle East Economic in the 1970's: A Comparative Approach New York Praeger Publishers, 1976, P. 314.

(٢) د. محمد رشاد الحملاوى، «السوق الرأسمالية للتكنولوجيا والدول النامية»، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمى السنوى الاول للاقتصاديين المصريين (التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية)، القاهرة: الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع، ٢٥ ـ ٢٧ مارس ـ آذار ١٩٧٦، ص٣٣٨.

(3) Hossein Askari and John Thomas Cummings, OP. Cit., P. 323.

(٤) د. محمد دويدار، الاقتصاديات العربية وتحديات الثمانينات: البترول العربى نعمة أم نقمة، الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢، ص٧١.

(5) Hossein Askari and John Thomas Cummings, OP. Cit., PP. 327 - 328.

(٦) د. محمد هشام خواجكية، «استنزاف العقول العربية: نتائج الظاهرة وأسبابها السياسية والاجتماعية»، مجلة المستقبل العربى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، عدد (٢٢)، ديسمبر ١٩٨٠، ص٤٣.

(٧) نفس المصدر، ص٣٥.



معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول بدولة قطر فى اجتماع الأوبك الأخير فى فيينا .

بمناسبة مرور ربع قرن على قيام منظمة الأقطار المصدرة للبترول

كيف تتخلص "الأوبك" من مخاطر الأزمة الرّاهنة؟

بقلم : بسام طالب

واجهت منظمة البلدان المصدرة للبترول ، والمعروفه باسم أوبك ، خلال ربع القرن الماضي العديد من العقبات والأزمات ، وفى وقت من الأوقات لم يراود الشك الغالبية العظمى من المراقبين من أن أوبك آيلة للسقوط لا محالة ، والمسأله برمتها تنتهي عند تحديد موعد هذا السقوط .

لكن واقع الحال أن هذه المنظمة استطاعت رغم المنعطفات الخطيرة التي مرت بها أن تحافظ على الحد الأدنى لتماسكها ووجودها . ويكاد التاريخ أن يسجل لها الأسبقية في كونها واجهت خندقا معاديا يسيطر على معظم مصادر القوة والتحكم العالميين ، ومسخرا له آخر ما وصلت اليه الحضارة من علم وخبره وتكنولوجيا ، ورغم كل هذا ورغم

كل عثراتها الداخلية ، ورغم كونها تنضوي بمجموع دولها الى معسكر دول العالم الثالث السائرة في طريق النمو ، أحرزت منظمة الأوبك انتصارات

مشهودة لعل أبرزها أنها مازالت مستمرة وبفعالية حتى الآن ، كما أدخلت تغييرات جذرية وأساسية في العلاقات الاقتصادية الدولية خلال العقدين الأخيرين من الزمن لصالح الدول المنتجة والمصدرة للسلع الاستراتيجية عامة ولسلعة النفط بشكل خاص . في حين أن التاريخ يشهد بأن التغيرات العميقة في البنى الاقتصادية للعلاقات الدولية لا يمكن أن تتحقق الا نتيجة تغيرات عميقة في الخارطة السياسية العالمية ، لاتصنعها الا الحروب الكونيه .

الأزمة الراهنة للأوبك

تمتد جذور الأزمة الراهنة للأوبك لسنوات عدة خلت ، ويمكن تحديداً القول بأن من أهم الأسباب



آفاق الغد الذهبيّة قادمة ولكن؟

وزير النفط الجزائرى ووزير النفط الأكوادورى وعدد آخر من وزراء نفط الأوبك



وزراء النفط فى المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة وليبيا وايران .

التي أدت الى هذه الأزمة :

— غياب استراتيجية واضحة بعيدة المدى لعمل المنظمة وخاصة ما يتعلق بمسألتي الانتاج والأسعار .

— الافتقار الى الحد المطلوب من ايمان والتزام أعضاء المنظمة بمنظمتهم .

— توافر مصادر للنفط خارجية ومنافسة لنفط الأوبك .

— نجاح سياسات وكالة الطاقة الدولية بأن تتولى ادارة الطلب العالمي على النفط بما فيه نفط أعضاء المنظمة .

— تحول مستمر في استهلاك الطاقة وذلك بالاعتماد المتزايد على مصدرى الفحم والطاقة النووية .

وكان من نتيجة ذلك انخفاض شديد في الطلب على نفط الأوبك ، ففي حين كانت الأوبك تغطي مساحة ثلثي الاستهلاك العالمي أصبحت صادراتها الآن تمثل ١٤,٥٪ من الاستهلاك العالمي . ولقد أسفرت جهود وكالة الطاقة الدولية الى هبوط انتاج أوبيك من ٣١ مليون برميل يوميا عام ١٩٧٣ الى ما يقارب ١٤ مليون برميل عام ١٩٨٥ ، هذا بالاضافة الى الضغوط المستمرة على الأسعار والتخوفات المستمرة من انهيار التركيبة السعرية للمنظمة ، بمعنى آخر فإن أوبك تعاني من تراجع حاد فى عائداتها النفطية في الوقت الذى تواجه ضغوطا كبيرة في الانفاق تعود الى خطط تنمية طموحة ومتسرعة بعض الشيء .

وقد لخصت صحيفة « زوددويتش تسايتونغ » الألمانية الغربية الموقف بكلمات أصابت كبد الحقيقة ، بغض النظر عن النوايا التى تقف خلفها ، عندما قالت الصحيفة :

إن الصعوبات الحالية للأوبك هي نتيجة للسياسة القصيرة النظر التي اعتمدتها دول المنظمة في الماضي والتي كانت تهدف في الدرجة الأولى الى جني أكثر ما يمكن من الأرباح في الوقت الذى كانت فيه الدول المستهلكة تعمل على دفع مواطنيها لتوفير الطاقة وتطوير مصادر جديدة كبديل للنفط .

إذن هناك تهديد حقيقي يواجه المنظمة ويدعوها الى مواجهة حقائقه بمنتهى الجرأة والوضوح . ولعل من أهم النجاحات التي حققها المؤتمر الرابع والسبعون للمنظمة الذى عقد أواخر يوليو الماضي في جنيف هو أنه تعامل مع المعطيات المستجدة في السوق النفطية تعاملا مباشرا ومرنا ، ولئن أتخذت القرارات التي انتهى اليها المؤتمر بالأغلبية إلا أن أحدا ما كان يتوقع أن ينتهي المؤتمر إلى ما إنتهى اليه من نتائج تعتبر بالقياس النسبي ايجابية وباهرة أيضا .



كيف تتخلص "الأوبك" من مخاطر الأزمة الراهنة؟

معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول القطرى أثناء توجهه لحضور إحدى جلسات مؤتمر الأوبك الأخير

الحاضر وتجاوز الأزمة

هناك اذن ثلاث إلى خمس سنوات عجاف أمام المنظمة يرجح أن يستمر انخفاض الطلب فيها على نفط الأوبك أو أن يستقر في أحسن أحواله ، يرافق ذلك تصاعد في الحملة الموجهة من دول وكالة الطاقة الدولية بقيادة الولايات المتحدة لتحطيم التركيبة السعرية للمنظمة والوصول إلى سعر ٢٠ دولارا لبرميل النفط أى بانخفاض يقارب ٨ دولارات للبرميل الواحد ، وإذا ماتم تحقيق ذلك ، دون أن يواجه بأية احتياطات وقائية من قبل الدول المنتجة فالنتيجة المعروفة ستكون انهيار الأوبك ودفع اقتصاديات معظم دولها نحو أزمة خطيرة .

لذا فإن التحرك الجدى من قبل المنظمة الآن هو الذى سيحدد ماذا ستكون عليه صورة الغد ، ولعل من أهم مظاهر هذا التحرك ما يلي :

ــ على دول المنظمة أن تؤكد قولا وعملا على تماسكها ووحدتها وذلك بالتزامها الجدى بأن تتقاسم رغيف الخبز اليابس إلى أن ينضج رغيف الخبز الطازج .

ــ عليها منذ الآن أن توظف هذه الأزمة لإزالة هذا الترهل الذى لحق بجسم هذه المنظمة وتسعى لوضع قاعدة راسخة لمواجهة الأزمات المتوقع أن تواجهها وأن تبحث عن الوسائل الكفيلة بفرض النظام داخل المنظمة .

ــ على المنظمة أن تولي جهدا مضاعفا لتنسيق سياساتها وتكثيف اتصالاتها مع المنتجين الآخرين خارج أوبك بهدف التشاور والتنسيق وتنظيم المعطيات المستقرة والمستجدة في السوق .

ــ على دول المنظمة أن تضع سياسات ملزمة لترشيد انفاقها ووضعه على المستوى الحدى ، والتخلص من ذلك النمط الاستهلاكي المضر بعملية التنمية الاقتصادية حتى تستطيع مواجهة ضغوط السيولة التي تدفع بعض دولها للتصرف بشكل انفرادي تضر بها وبدول المنظمة في آن واحد .

ــ يجب اعادة النظر كليا في الأجهزة الفنية والادارية للمنظمة بحيث تكون المرجع الأول الذى يستند عليه في اتخاذ القرار ، ولابد لتحقيق ذلك من أن يتوفر لها التمويل الكافي لتكون بمستوى تقديم مثل هذه الخدمات .

ــ يجب على المنظمة أن تفكر جديا بانشاء صندوق مشترك للوقوف بشكل فعال ومباشر مع الدول التي تواجه تراجعا حادا في عائداتها أو التي تحاول دول الغرب الصناعية أن تستفرد بها لتفرط عقد المنظمة دولة تلو أخرى .

ــ على المنظمة أن تبذل أقصى جهدها للحفاظ على التركيبة السعرية لها فقد اثبتت تجارب السوق السابقة أن الهبوط في الأسعار لن يؤدى الى زيادات المجموع الكلي للصادرات ، كما أثبتت معطيات السوق أنه حتى في أفضل الحالات فإن ارتفاع الطلب لا يكون بنسبة الهبوط الحاصل في السعر وذلك عائد للهيكل المتغير في سوق الطاقة ولوقوف حكومات الدول المستهلكة في وجه أن يكون المستهلك النهائي هو المستفيد المباشر من انخفاض السعر .

إن منظمة أوبك اذا استطاعت أن تتجاوز بأمان عنق الزجاجة هذا فلاشك بأن آفاق الغد الذهبية قادمة ...... ولكن ؟

ماذا تحمل الآفاق ؟

هناك حقيقة واضحة ومؤكدة وهي أن منظمة أوبك التي تملك ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط تنتج ثلث الانتاج العالمي ، ويمكن التعبير عن هذه الحقيقة بصيغة أخرى وهي أن من يملك ثلث الاحتياط العالمي ينتج حاليا ثلثي الانتاج العالمي ، وبعملية حسابية بسيطة يمكن الاستنتاج أنه مع بداية التسعينات سيزداد الطلب على نفط الأوبك في الوقت الذى ستنخفض فيه مصادر البترول خارج الأوبك ، هذا بالاضافة الى النمو الكبير المتوقع في

الطلب على النفط في منطقة الدول المتقدمة صناعيا من دول العالم الثالث كالهند والبرازيل والأرجنتين والدول الأخرى المرشحة للدخول للمعترك الصناعي .

وقد كشفت وزارة الداخلية الأمريكية ، كما تقول مجلة روزاليوسف بأن احتياطيات الولايات المتحدة من النفط والغاز في مناطق التنقيب تحت سطح البحر ، أقل بنسبة ٤٤ في المائة عما كان مقدرا لها ، ومعنى ذلك أن أمريكا سوف تضطر الى الاستيراد من الأوبك بكميات كبيرة قدتبلغ ٩ ملايين برميل يوميا في المستقبل .

وتقول دراسة قامت بها مكتبة الكونجرس الامريكي بأن أزمة الطاقة العالمية سوف تتجدد ، وأن دولا منتجة للنفط سوف تتحول الى دول مستوردة له ، كما أن الاقبال على استهلاك النفط سوف يزداد مستقبلا نتيجة لاجتياز العالم لحالة الكساد التي تكتنفه وتخيم بظلالها عليه في الوقت الحاضر .

وتوقعت دراسة لشركة « كونوكو » ازدياد الاعتماد العالمي على نفط الأوبك طوال التسعينات القادمة ليبلغ ٢٨ مليون برميل يوميا بحلول عام ٢٠٠٠ .

ويقول « الكس سالمون » مستشار بنك اسكتلندا لشئون النفط ، بأن تحسن الطلب على النفط لصالح الأوبك سيكون أقرب مما هو متوقع عموما ، فسوف يبلغ انتاج بحر نفط الشمال ذروته هذا العام ، بينما سيشهد العام المقبل ذروة انتاج كافة الدول الأخرى غير المنتمية لعضوية الأوبك .

ويؤكد تشارلز إيبينغر مدير برنامج الطاقة الاستراتيجية بجامعة « جورج تاون » الأميركية أن منظمة أوبيك سوف تستعيد قوتها في التسعينات حيث يتضاعف نصيبها في السوق النفطية العالمية ، وأن كل برميل نفط اضافي ستظهر الحاجة اليه في التسعينات سوف يرد من الأوبك .

وهذا ما أكدته دراسة علمية أعدتها جامعة الامارات كما جاء في صحيفة « البيان » حيث أشارت الدراسة الى أن الطلب العالمي على الطاقة سيتضاعف ثلاث مرات عام ٢٠٢٠ عما هو عليه حاليا وخاصة اذا استمر متوسط النمو الاقتصادى العالمي على نحو ما وصل اليه خلال الخمسين عاما الماضية .

ومن المؤشرات الهامة ايضا لصالح دول الأوبك انخفاض عمر الاحتياطي النفطي لدى الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الشرقي نتيجة الفارق الكبير النسبي بين الانتاج والاحتياطي ، فقد انخفض عمر الاحتياطي النفطي لدى دول هذا المعسكر من ٢٢ عاماً إلى ١٦ عاماً الآن بينما ارتفع عمر الاحتياطي في دول الأوبك من ٣٧ عاما سنة ١٩٧٣ الى ٨٥ عاماً هذه الأيام بمعدل انتاجها الحالي .

وكذلك فمن الحقائق المعروفة في هذا المجال هو التفاوت الكبير في تكلفة الانتاج بين خام الأوبك والخام المنتج في الدول الصناعية .

وتقول بعض التوقعات الأمريكية بأن حوالي ٥٦ بالمائة من احتياطي العالم المعروف من البترول و٢٣ في المائة من الاحتياطي غير المكتشف ما زال يكمن في الشرق الأوسط .

وأن حصة أوبك من سوق البترول العالمي سوف تتضاعف في التسعينات وتصل إلى حوالي ٥٥٪ من الطلب العالمي .

ويشارك « بيترووكر » وزير الطاقة البريطاني العديد من المحللين النفطيين الغربيين آراءهم بأن الحالة الراهنة للأوبك لن تدوم طويلا ، وأن أوبك سوف تستعيد قوتها في أسواق النفط في منتصف التسعينات .

معنى هذه المؤشرات

ماذا تعني كل هذه المؤشرات .... إنها ببساطة تدعو الى التفاؤل ، لكنها تدعو أكثر الى الحذر ،

أولاً وبادىء ذى بدء يجب التنبيه الى أن ما يصدر عن دول الغرب الصناعية من الضرورى أن ينظر اليه في منتهى الحيطة ، وأن يوضع تحت أدق المجاهر ، فكثيرا ما تلجأ وسائل الاعلام الغربية والدوائر المعلنة والمستترة التي تخدم أغراض وكالة الطاقة الدولية ، كثيرا ما تلجأ هذه المؤسسات الى اطلاق بالونات اختبار وبالونات تجربة ، الهدف منها هو توجيه الآراء باتجاه معين بهدف تنفيذ سياسة معينة ، فيجب إذن عدم التسليم ببساطة بما جاء به الغرب الصناعي من توقعات على هذا الصعيد .

ويجب ثانيا اعداد الدراسات الدقيقة من قبل أجهزة منظمة الأوبك والمؤسسات المتخصصة لدى الدول المنتجة الأعضاء في أوبك لتحرى الدقة واستكناه حقيقة الأمر .

وفي حال التوصل الى يقين حوله يجب ثالثا اعداد الخطط المستقبلية للتصرف حياله بشكل يوظف هذه الفرصة القادمة توظيفا استراتيجيا لمصلحة دول الأوبك خاصة ولمصلحة دول العالم الثالث بشكل عام .

كما يجب على دول الأوبك رابعا أن تضع نصب أعينها أن الدول الصناعية التي تعرف هذه الحقيقة ستسعى بأقصى ما تملكه من وقت وقوة وجهد لكي لا تعود قيادة السفينة النفطية ثانية بين يدى الأوبك ، ولن تتورع في استخدام حتى الوسائل غير المشروعة في النزاعات الدولية للحيلولة دون الوصول الى هذا الغد المشرق بالنسبة للأوبك ، وقد تكون مساهمتها في اشاعة بعض القضايا الراهنة حول مستقبل الطلب على نفط الأوبك هو لتوجيه مسار هذه المنظمة ، توجيها خاطئا ولتكريس عوامل الفرقة بين صفوفها .

إن التماسك والوحدة كفيلان بايصال الأوبك الى بر الأمان ، واذا ما استعادت الأوبك على مشارف التسعينات سيطرتها على إدارة الطلب العالمي على النفط فلاشك بأنها ستعود لاستلام فرصتها التاريخية ثانية وبمعطيات جديدة . وهذا يدعو الى الحيطة والحذر أكثر مما يدعو الى الراحة والاسترخاء ، وهذا يدعو أيضا الى مزيد من التنسيق والتكاتف أكثر مما يدعو الى تكريس الانقسام والفرقة .

إن التاريخ الطويل لصراع الأوبك مع الأزمات وتجاوز هذه الأزمات لدليل على حرص أعضاء هذه المنظمة على بقاء منظمتهم ، ولعل الحرص وحده لم يعد كافيا في هذه المرحلة ولابد أن يترافق بالتزام حقيقي بروح الفريق لتجاوز أزمة هذه السنوات العجاف ، واذا ما تم ذلك فلابد أن تبزغ آفاق الغد الذهبية لا محالة .

بسام طالب

تقديرات الطلب العالمي على النفط حتى ١٩٩٥

	بآلاف البراميل يومياً				تغير
الدول الصناعية	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٩٠	١٩٩٥	١٩٩٥_٨٥
الولايات المتحدة	١٤٥٢٢	١٤٣٠٢	١٤٦١٦	١٤٨٤٠	٣١٨ +
اوربا الغربية	١١٠١٢	١٠٨٥٩	١٠٩٠٦	١٠٨٤٦	١٦٦ــ
اليابان	٤١٣٦	٤١٥٣	٤٢٤٠	٤٤٠٢	٢٦٦ +
كندا ، استراليا ، نيوزيلندا	٢٣٢٥	٢٣٠٨	٢٢٩٢	٢٣١٦	٩ــ
مجموع الدول الصناعية	٣١٩٩٥	٣١٦٢٢	٣٢٠٥٤	٣٢٤٠٤	٤٠٩ +
الدول النامية					
آسيا ، الباسفيك ، الصين	٥٦٩٠	٥٩٠٩	٦٦٨٤	٧٩٦٣	٢٢٧٣ +
امريكا اللاتينية	٤٧٣١	٤٨٨٤	٥٤٣٢	٦٣٣٥	١٦٠٤ +
الشرق الاوسط	٢٩١٨	٣٠٦٦	٣٦٧٨	٤٢٥١	١٣٣٣ +
افريقيا	١٩٩٣	٢١٠٧	٢٥٠٤	٣٠٦٧	١٠٧٤ +
مجموع الدول النامية	١٥٢٢٢	١٥٩٦٦	١٨٢٩٨	٢١٦١٦	٦٢٨٤ +
الاتحاد السوفييتي واوروبا الشرقية	١١٤٢٤	١١٥٥١	١٢١٣٠	١٢٥٣٥	١١١١ +
مجموع بقية العالم	٢٦٧٥٦	٢٧٥١٧	٣٠٤٢٨	٣٤١٥١	٧٣٩٥ +

● تذكار من فلسطين

طبرية

عاصمة الأردن

بقلم: يوسف الخطيب

لعل من أدل الشواهد إطلاقاً على الوحدة القطرية الراسخة للإقليمين الفلسطيني والأردني ــ منذ فجر التاريخ العربي الاسلامي على الأقل ــ أن مدينة طبرية التي نستذكرها الآن في عداد البلدانية الفلسطينية المحتلة، لم تكن مجرد مدينة أردنية وحسب، بل لقد اتخذت أيضاً في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عاصمة لإقليم الأردن بأكمله، فيما كان يدعى آنئذ بالمصطلح الجغرافي العربي القديم «جند الأردن».. وقد كان هذا الجند يضم ــ إضافة إلى شمال شرق الأردن الحالي ــ شمالي فلسطين كله، بما في ذلك بيسان، والناصرة، وصفد، وعكا، وحتى مدينة «صور» أيضاً من لبنان الحالي بحدوده الانتدابية الفرنسية..

كل ما في الأمر أن «جند الأردن» كان مفروزاً عن «جند فلسطين» في تاريخنا الجغرافي العربي، بخط عرض أفقي قد نتخيله وهو يصل «وادي سرحان»، تقريباً، بشاطىء المتوسط الفلسطيني ربما على مقربة من «حيفا» الحديثة نسبياً، فأصبح في زماننا، وبموجب تقسيمات اتفاقية «سايكس بيكو» الذميمة بوجه خاص، مفروزا بخط طول شاقولي ينحدر مع انهدام الغور من جنوب بحيرة طبرية، حتى خليج أيلة، أو العقبة، سيان..

* * *

لم تكن طبرية إحدى المدن الرئيسية في فلسطين الانتدابية، ونادراً ما كانت كذلك خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني.. وأما فيما سبق ذلك من سفر التاريخ الاسلامي المجيد، فيبدو لنا أنها كانت ذات شأن بلداني خطير، بدلالة الحيز الهائل الذي شغلته من مصنفات المؤرخين والرحالة العرب القدامى، على نحو قل أن نجد له نظيراً بالنسبة لكبريات المدن الفلسطينية المعاصرة.. فلقد أتى اليعقوبي على ذكرها اعتباراً من القرن الثالث الهجري.. وكذلك الأصطخري والمقدسي من القرن الرابع.. والبكري وناصر خسرو من القرن الخامس.. والادريسي وابن جبير والهروي من القرن السادس.. وياقوت الحموي وابن الأثير من القرن السابع.. والدمشقي والقزويني وصاحب المراصد وصاحب حماة وابن بطوطة من القرن الثامن.. والقلقشندي من القرن التاسع.. ومجير الدين الحنبلي من القرن العاشر..

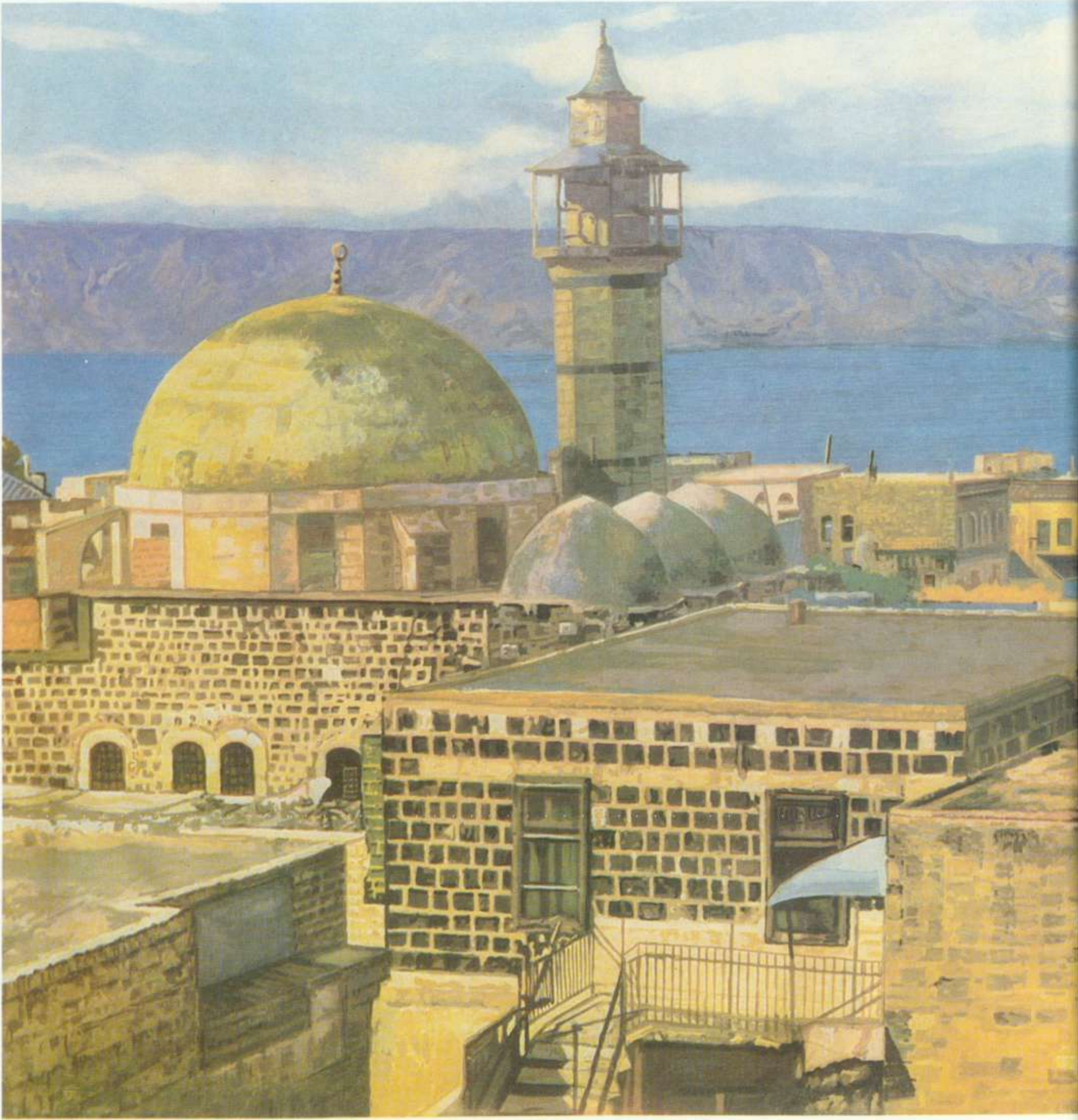
فهي عند اليعقوبي: «طبرية مدينة الأردن».. وعند الاصطخري: «وأما الأردن فمدينتها الكبرى طبرية».. وعند المقدسي: «وطبرية قصبة الأردن».. وعند الادريسي:

«طبرية مدينة الأردن الكبرى وهي قصبتها».. ثم يبدو أن شأنها المركزي هذا قد أخذ يتضاءل تدريجياً بعد الحروب الصليبية حيث نرى صاحب المراصد وقد اكتفى باعتبارها مجرد «بلدة من أعمال الأردن» وتبعه الدمشقي فإذا هي «من عمل صفد».. ذلك إلى أن زارها ابن بطوطة في أواخر القرن الثامن الهجري فألفاها أشبه ما تكون بمدينة أطلال: «ثم سافرت (من صيدا) إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة ضخمة، ولم يبق منها إلا رسوم تنبىء عن ضخامتها وعظم شأنها» في سالف الأيام..

من أوسمة الشرف التاريخية الرفيعة التى تتقلدها مدينة طبرية أن كان تحريرها العربي الاسلامي من نير الاحتلال البيزنطي على يد الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة سنة ١٣ هجرية.. وإذ كانت المدينة مركزاً لسك الدراهم الرومية فقد حولها خالد بن الوليد إلى سك الدراهم الاسلامية لأول مرة في بلاد الشام سنة ١٥ للهجرة..

كذلك شهدت المدينة وبحيرتها موكب الفاتح العربي الفلسطيني العملاق موسى بن نصير ــ من جبل الخليل ــ إذ هو مقبل وطارق بن زياد على الوليد بن عبد الملك في عاصمة الخلافة دمشق سنة ٩٦ للهجرة.. «وكان يوماً مشهوداً من أيام النصر في تاريخ الاسلام، إذ لم يسبق أن شوهد مثل هذا العدد من أمراء الغرب والأسرى الأوروبيين ذوي الشعور الصهباء، وقد جاؤا يقدمون خضوعهم لأمير المؤمنين» (برواية العلامة الدباغ عن فيليب حتي)..

على أن أكثر الصفحات إشراقاً في مجمل تاريخ طبرية هي معركة حطين الفاصلة التي حسمت إلى حد كبير موجة الطاعون الصليبية التي اجتاحت



مدينة طبرية بمسجدها المشهور باسم جامع «الزيداني». وهي لوحة بريشة الفنان: عزيز اسماعيل

سواحل المشرق العربي .. وقرية حطين هذه، وتلالها التي شهدت أوار المعركة الظافرة، هي من ضواحي طبرية التي تبعد عنها أقل من عشرة كيلو مترات ..

...

أخيراً .. سقطت مدينة طبرية بأيدي الغزاة الصهيونيين صبيحة يوم ١٩ نيسان عام ١٩٤٨، وحولوها منذ ذلك التاريخ إلى مدينة يهودية خالصة، لا أثر فيها لأي عربي على الإطلاق ..

تظهر اللوحة المقابلة ــ بريشة الفنان عزيز إسماعيل ــ جامع طبرية المعروف «بالجامع الزيداني» نسبة إلى قبيلة «الزيادنة» الحجازية التي هاجرت، في أواخر القرن العاشر الهجري على الأرجح، إلى الشمال السوري أولاً فاستوطنت ما بين إدلب ومعرة النعمان، ثم اتجهت إلى الجنوب الفلسطيني في جبل الخليل، ومن هذه القبيلة بزغ نجم «ظاهر العمر» الذي انطلق من مدينتي صفد، وطبريه ــ حيث بني مسجدها هذا ــ ليقود أول ثورة عربية هائجة ضد الحكم العثماني، استطاع من خلالها أن يستقل ردحاً من الزمن بكل من فلسطين، والأردن، ونصف لبنان الجنوبي حتى بيروت، ودخل دمشق بعد أن هزم حاميتها العثمانية، واتخذ من مدينة عكا، في أقصى شمال الساحل الفلسطيني، عاصمة لدولته العربية الفتية، إلى أن اغتيل في ظروف تاريخية غامضة سنة ١٧٨٢ للميلاد، فانتهت بذلك أسطورته البطولية التي شغلت البرالشامي بأكمله قرابة نصف قرن من الزمان ..

تجعل شريانها بلداً

(إلى سعاد الدجاني، الفلسطينية الحزينة)

شعر : حلمي سالم

تحاشتْ وردتي ،
وانسلّ إصبعها إلى الأفق المُغَيّمِ ،
كنت أرمقها وراء الراقصين تمد سماء عينيها
إلى قوسٍ يجاوزني ويطبق جمره في راحتيَّ ،
فأنتشي بالأسود المحفوف في عينين .
كان سؤالها فخاً لطير الروح :
« هل تأتي القصيدة بالأسى ؟ » .
هربتْ حروفُ إجابتي خلف المقاعد ،
قلتُ : رمحُ الشعر عكسُ القلب ،
والحزن اختباء من فضيحة وردتي .
هذي التي قَطعتْ مسافةَ كونها بثيابِها الصيفية البيضاء ،
مَرّتْ كالربابة في حقول القمح ،
ميَّلَتِ النخيلَ إلى أناملها ، ودسَّتْ ظله بيديّ .
داريتُ انخطافي في الكئوس ، سألتُ في غيبوبتي :
« زهراتُكِ الزرقاءُ في عينيكِ للغُيّابِ ؟ » .
قامت عن أريكتها الصغيرة نحو مدفأة الجدارِ
وأخرجتْ رسماً قديماً :
كان ساعاتٍ مفتتةً ،
تسيل على بلاط الروح ،
والعينان مثقلتان بالسفر .
استدارتْ وهي تهمس لي وللساعات :
« جرحُ الزهرة انفتحَ » ،
استدلّتْ بالأغاني الخافتات على المدينة ،
خلّصتْ أنفاسها من رملها المنثور في القمصانِ ،
قالت : « كنتَ محزوناً كأنك عاشق »
وبكتْ .
لماذا لم أُقَبّلْ دمعها المحبوس ؟
خطوَتُنا على صمت الطريق تشابهت والليلِ ،
حُلكةُ هذه الأشجار عرَّتْ وجهها المأخوذَ ،
فانسابت على طرقاتها الجنّيةُ المدفونةُ ،
انحلَّتْ أغانيها القليلةُ .
كنتُ أمشي حذوَ مهجتها ،
ولكني إختبأت ، كهِرّةٍ عطشى ، وراء قصائد الشعراء ،
حتى لا أذيعَ جنون قلبي .
هذه الخطواتُ تكشف آهة الرئتين
إصبعها إلى الأفق المُغَيّمِ ذاهبٌ ، لكن جمرتَها على كفيَّ
« هل تمشي قليلا ؟ »
لم أَبُحْ إلا بأن الليلَ حَفَّاظُ السريرةِ ،
والطريق مجهَّزٌ للسائرين .

« يداك باردتان »
وانكفأتْ تُسِرُّ لآلة الطبع الحقائق ،
لم تراقبْ جمرها بيديَّ .
رقصتُنا الأخيرة طوّحت بالوردةِ ،
انفرطتْ على أقداح مائدة العشاء .
« الآن نَخبُ الزهرة الزرقاء »



هذا الأسود المحفوف في عينين بعثرها أمامي ندهة مكتومةً
ومدىً مشعّاً من ضباب الخلقِ .
سرَّبتُ احتضاري في الحديث عن الطرازات العتيقة للبيوتِ
وعن مضامين التصوف . « هل سكرتَ » ؟ .
النايُ مفلوتٌ على أوراقها السرية ،
انتبهتْ على نغمٍ يقول :
« لقاؤنا كان افتتاحا للوداع » .
ختمتُ كذبتي الأخيرة سابحاً في فخّها الخفيِّ ،
لم أُلمِحْ إلى شجر يرفُّ وراء **أضلاعي** ،
وقلتُ : البدرُ مكتملٌ ، وأمنية الغريبِ قريبةٌ .
أنهتْ تراجمَها ، وخشَّتْ حلمَها المستوحشَ ،
المطرُ القليلُ يدبُّ فوق، فؤادها المبلولِ ،
تركض باتجاه المنزل الرَّحالِ ، تدخل ذاتها وتقول :
« كنتُ افرُّ مني »
ثم تسكن كاليمامة وهي تصنع قهوةً .
لو أنني كوَّمتُها بيديّ ،
لو أخفيتُها بالصدر مثل فراشةٍ بردانةٍ ،
لو شلتُ دمعتَها بعمري ،
هل أكون جرحتُ سُرَّةَ سرِّها المكنون ؟
هذا الدربُ يفتح بغتةً صندوقَ ذاكرتي ،
ويُدْني من دمي أسطورةً جرَّاحةً ، ويغيبُ .
« هل تعبتْ خُطاكَ » !
الراقصون يخبئون فضاءها عني ،
أفتش عن قلادتها النحيلة ،
عن عيونٍ نبضها عصفورتان كسيرتان .
القلبُ قربَ القلبِ ،
أشهدُ لحنها يهوي إلى قاعي ،
فتُبعدُ نايَـها عن وردتي ، وتقول :
« أعوامي ترفرف في شراع يبس لي »
وتواصل الطقسَ .
استراحتْ برهةً من حُزْنها ،
واستأنفتْ عزفاً بعيداً بُعدَ نجمتِها عن النجماتِ .
كنتُ أرمق مقلتيها وهي ترشف كأسها المنقوصَ ،
تضحك ملءَ **عينيها** ، كأن لم تضحك العمرَ .
الخُطى شرختْ سكونَ القوس بين سمائها وثراي ،
كان القلبُ قُربَ القلبِ ،
لكن الخرابَ الحلو بينهما يُراقص نفسَه ويطلُّ في ألقٍ .
وكنتُ كذوباً ،
اختبأتْ حروفي ، هِرَّةً عطشى ، وراء قصائد الشعراء .
طائرةٌ تُقِلُّ الجسم ،
أسألُ خافقي الساجي :
لماذا لم أقل لها
أنك تشبهين الشجرة التي ترف في قلبي ؟
لماذا لم آخذها في كفيّ
وأجري
إلى البحر؟]

ملتصقان معاً.. ومن المهد إلى اللحد!

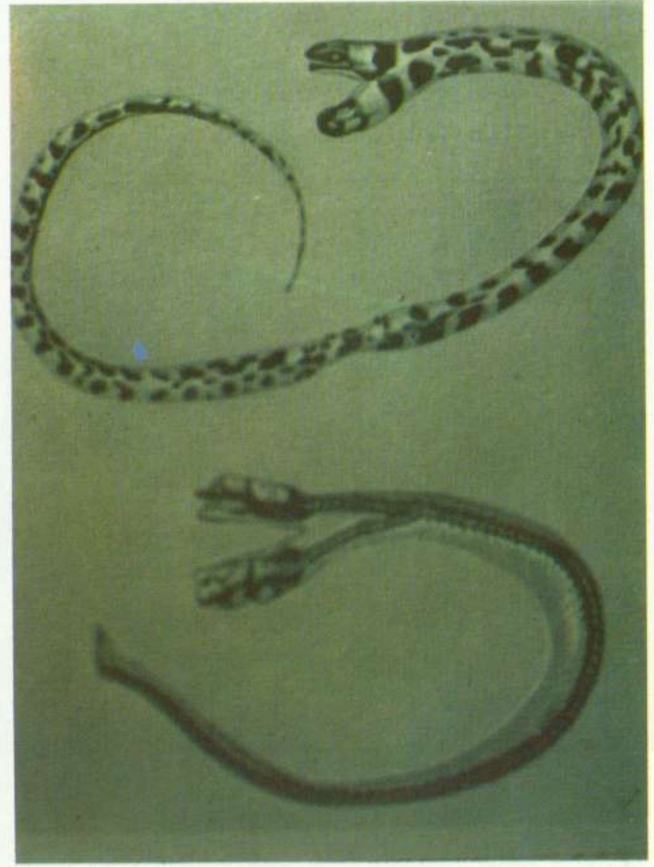
بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

ظل أحدهما ملازما للآخر كظله .. وهذا وصف حقيقى لا خيال فيه ولا مبالغة ، فقد نشآ فى بطن أمهما ملتصقين ، ثم ولدا معا ملتصقين ، ورضعا وحبيا ومشيا ونميا وتزوجا معا ملتصقين ، وأنجبا ذرية كثيرة ، ثم ماتا أيضا ملتصقين ، لكن أحدهما توفى قبل الآخر بساعات ، ولهذا دفنا ملتصقين ، ولا شك أن مجرد التفكير فى حياة تتم بتلك الصورة المثيرة ، قد تصيب النفس بالغثيـان والحيرة ، لكنها حالة واحدة من حالات غريبة على هذا الكوكب ، لتبين لنا كم فى الحياة من عجائب تستحق أن تعرف ، وغـرائب لزم أن تطرح .. وهذا ما سنتناوله فى هذه الدراسة ، لتتضح لنا أمور ربما لم تخطر لأحد على بال !



شكل (١) توأما سيام الملتصقان شانج وانج اللذان عاشا فى القرن الماضي حتى بلغا من العمر ٦٢ عاما . ويلاحظ الرباط النسيجي الممتد بينهما أسفل عظام صدريهما ، مما جعلهما أسيرين لبعضهما بداية من المهد حتى اللحد .

● التوائم الملتصقة فى عصرنا الحاضر أسعد حظا ، لأن الجراحة المتطورة ساعدت على فك القيود الأبدية للتوأمين !



شكل (٢) حية جاءت بجسد واحد ورأسين مستقلين ، وفي أسفل الصورة تظهر الحية مصورة بالأشعة ، حيث يتضح تفرع السلسلة الظهرية إلى سلسلتين تنتهى كل منهما برأس كامل



شكل (٣) صورة مكبرة لجنين سمكة السلمون ، وترى فيها رأسين مستقلين وجسدين ملتحمين لكنهما ينتهيان بذيل واحد. لاحظ مسار بداية السلسلة الظهرية في كل توأم ، والتحامهما عند بداية الذيل

فى أثناء تكوين الأجنة فى بطون أمهاتها ، قد تحدث أمور فى غير صالحها ، فيؤدى ذلك إلى تشوهات خلقية تتخذ أنماطا شتى ، وعندما تولد ، فانها تولد غالبا ميتة ، أو تعيش لبضع ساعات أو أيام ، ولكن القليل منها قد يعمر لعشرات الأعوام ، وهنا تصبح من أغرب الحالات التى تعيش بين الناس ، فتجذب انتباههم ، وتثير فضولهم ، ولهذا فعلينا أن نختار واحدة من هذه الحالات المشهورة ممثلة فى التوأمين الملتصقين عند أسفل القفص الصدرى ، والمعروفين باسم توأمى سيام (شكل ١) ، نسبة إلى مملكة سيام (تايلاند الآن) التى شهدت ولادتهما فى عام ١٨١١ ، ثم نشأتهما حتى بلغا سن الشباب .

لقد جاء هذان التوأمان المعروفان باسم انج وشانج لأب صينى وأم سيامية ، وعندما وضعتهما ، خرج رأس كل منهما بين ساقى الآخر ، ولقد مات أبوهما وهما فى الثامنة ، ورعتهما أمهما حتى بلغا سن الشباب ، ورغم التصاقهما غير المريح ، الا أنهما كانا متفقين فى الصفات الوراثية ، ولا بد أن يكونا كذلك ، لأنهما نشآ من بويضة واحدة ملقحة ، ولقد عاشا حياة عادية ، وكان بمقدورهما أن يلعبا ويجريا ويقفزا ويعوما معا ، ولقد جذبا أنظار الناس بشقاوتهما ونشاطهما وخفة روحهما ، وعندما بلغا من العمر ١٨ عاما ، اتفقا على أن يهاجرا إلى أمريكا ، فربما تكون الفرصة أمامهما متاحة لحياة أفضل ، وهاجرا إليها ، حيث عرضا نفسيهما فى دور السيرك والمعارض التى تقام هناك ، واشتهر أمرهما ، وذاع صيتهما ، ولهذا دعتهما بعض دول أوربا لرؤية هذه الحالة الغريبة والفريدة من نوعها ، وذهبا إليها ، واستضافهما بعض الملوك والأمراء فى بلاطهم ليروهما رؤية العين ، ويتحدثوا إليهما ، وهما بالفعل يستحقان المشاهدة ، ولقد ظلا بذلك سعيدين ، حيث كانا يحصلان على مبالغ طائلة من المال أينما رحلا أو أقاما ، ولقد فضلا أن يطلق الناس عليهما اسم « الأخوان المتحدان » بدلا من اسميهما اللذين عرفا بهما .

ولقد قرر المتحدان أو الملتصقان أن يتزوجا ، وكان ذلك أخطر قرار فى حياتهما ، اذ أن ذلك أثار أسئلة رديئة فى أذهان الناس ، اذ كيف سيتم هذا الزواج وهما ملتصقان ؟ المهم أنهما تشجعا وتقدما للزواج من أختين من نورث كارولينا تدعيان سارة وآدليد ييتس ، ووافقتا على ذلك ، وتم الزواج بالفعل فى عام ١٨٤٣ — أى عندما بلغا من العمر ٣٢ عاما ، واستأجرا لذلك بيتين مقامين على مزرعة ، وبينهما مسافة تقدر بحوالى الميل ، وقررا أن يتبادلا زيارة زوجتيهما كل ثلاثة أيام ، ودون أن يخلا بهذا القرار مرة واحدة ، وكان كل منهما يدير شئون منزله بالطريقة التى يراها مناسبة لحياته ، ولقد كان زواجا خصيبا ، فأنجبا من زوجتيهما ٢٢ طفلا — عشرة أطفال لشانج وسارة ، و ١٢ طفلا لانج وآدليد !

ورغم أن هذين التوأمين الملتصقين كانا متشابهين ، الا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الاختلافات فى المرض والطباع ؛ فلقد كان شانج أكثر عصبية ، لكنه كان الأضعف فى تكوينه الجسمانى ، وكان يكثر الشرب ، فى حين أن انج كان بليد الحس ، ولا يقرب الخمر ، ولقد ساعدته بلادته فى تحمل شقيقه وصبره على تصرفاته الحمقاء أثناء فترات الشراب ، وكانا — بطبيعة الحال — يمرضان ككل الناس ، لكن المرض لا يصيبهما فى نفس الوقت .. وفى السنوات الخمس الأخيرة من حياتهما أصيب شانج بشلل فى نصفه الأيمن ، وكان على انج أن يتحمله طوال هذه الفترة فى تنقله وترحاله .

على أن أدق وصف جاء عن هذين التوأمين ، هو ما أورده العالم البيولوجى ايزودور جيوفروى الذى عاصرهما فى القرن التاسع عشر . وكان مما كتبه « عندما يكون هذان التوأمان هادئين أو مفعمين

ملتصقان معاً.. ومن المهد إلى اللحد!

بالحيوية والنشاط ، كان تنفسهما ونبضات قلبيهما تسير على وتيرة واحدة ، لكن ذلك لم يكن كذلك في كل الأحوال ، فعندما ينحنى أحد التوأمين ليفحص آلية ساعة وهى تشتغل ، كان نبضه يرتفع ، في حين أن نبض الآخر لا يطرأ عليه أى تغير يذكر .. ومع ذلك فقد كانا في حالات الأنشطة الأخرى يتطابقان ، لكن ليس بالدرجة المذهلة التى ذكرتها الصحف الصادرة في الولايات المتحدة ولندن وباريس لتجذب بها القراء ، وتثير فضولهم .. صحيح أن وقت النوم كان متوافقا بينهما ، وكذلك رياضة المشى ، والشعور بالجوع والسعادة والغضب والألم ، لكن ليس صحيحا أن هذه الأحاسيس كانت تحل بهما في نفس اللحظة ، وبنفس الدرجة ، ولا كذلك كانا ينامان ويستيقظان معا في وقت محدد بالدقيقة والثانية ، بحيث لم ير أحدهما الآخر مطلقا وهو نائم ــ كما تذكر الصحف ــ (وهذا صحيح لأن أحدهما مات بينما كان الآخر نائما) .

ويستطرد جيوفروى فيذكر : ولقد كان كل منهما يتحدث مع الناس دون أن يلقى بالا للآخر ، وقلما يتبادلان الحديث معا وهما يتحدثان مع الناس ، واذا حدث ذلك ، تفوها بكلمات قليلة مبهمة .. والمرة الوحيدة التى هاجا فيها وماجا سويا كانت عندما أخبرهما دكتور هاريس أنه سيجرى لهما عملية جراحية ليفصل أحدهما عن الآخر ! (ربما لعلمهما أن العملية قد تودى بحياتهما) .

وفى عام ١٨٧٤ مات التوأمان عن حوالى ٦٢ عاما ، لكن شانج هو الذى مات أولا من جراء جلطة أصابته بينما كان انج يغط في نومه ، وعندما استيقظ ووجد أخاه ميتا ، مات بعده بثلاث ساعات ، ويقال إن موته بعد أخيه يرجع إلى صدمة عصبية أصابته نتيجة للرعب الفجائى الذى حل به عندما شعر بموت شانج الذى لازمه كظله من المهد إلى اللحد .

ولقد رفضت عائلتاهما أن يفصل الأطباء جسديهما ليستقر كل واحد في تابوته ، ولهذا وضعا معا ، ودفنا معا ، لكن بعد أن سمح أفراد العائلتين بتشريح جسديهما بعد إلحاح من طبيبيهما دكتور هولينزويرث ، فى ذلك خدمة للعلم والطب . وكان هذا الطبيب قد أسر إليهم أنه في حالة وفاة أحد التوأمين ، وبقاء الآخر على قيد الحياة ، أن يسارعا بابلاغه ذلك ، حتى ينقذ الحى من الميت ، ولقد حضر بالفعل من مسافة بعيدة ، لكن بعد فوات الأوان ، إذ لم تكن سبل المواصلات فى ذلك الوقت ميسرة كما هو الحال الآن ، فقد كانت عربات تجرها الجياد .

ولقد قام فريق من جراحي فيلادلفيا بعملية التشريح ، فوجدوا أن الرباط اللحمي كان يوصل بين صفاق هذا وذاك (أي الغشاء البريتوني المبطن للبطن من الداخل) ، ويعني ذلك أن التجويفين البطنيين كانا متصلين ، كذلك كانت الأوعية الدموية متصلة بين كبد شانج وكبد انج عن طريق هذا الرباط ، ويقال إن أمهما كانت تهدئ من غضب التوأمين وتضع حداً لشجارهما بربط الرباط الواصل بينهما بخيط غليظ ، وكأنما هي كانت تعتقد أن ذلك يحول بين سريان « دم الغضب » بين هذا وذاك ، ويقال إن هذه الطريقة قد أثبتت جدواها في تهدئة الصبيين ، ولا أحد يعرف تعليلاً مقنعاً لذلك ، وربما يكون نوعاً من الايحاء الذي يعتقد التوأمان في جدواه !

حالات أخرى تتخذ أنماطاً شتى

ولقد كانت حالة توأمي سيام أشهر حالات التوائم الملتصقة على المستوى العام والخاص ، فما من توأمين جاءا بعد ذلك ملتصقين ، سواء في الحيوان أو الانسان ، إلا ويطلق العلماء عليهما اسم « توأمي سيام » Siamese Twins ، نسبة لهما ، هذا وتقدر الاحصائيات التي جمعت من القرن الماضي حتى وقتنا الحاضر أن عدد التوائم الملتصقة في الانسان قد بلغت حوالي الألف حالة ، كما تبين أيضاً أن من بين كل خمسين ألف حالة ولادة ، تأتي حالة واحدة بتوأمين ملتصقين ، لكن ليس حتماً أن يأتيا على غرار توأمي سيام ــ أي ملتصقين عند أسفل الصدر ، بل قد يتخذ الالتصاق أنماطاً شتى ، فقد يحدث بين العجزين ، أو بين الجبهتين ، أو بين قمتي الرأسين ، أو أسفل البطنين ، أو بين الصدرين أو الظهرين .. الخ .

هذا ، وخروج التوأمين المتماثلين إلى الحياة ملتصقين يرجع إلى أن البدايات الأولى من تكوين الأجنة قد فشلت في عملية الانفصال التامة ، فينتج عن ذلك التصاق مستديم بين أجزاء متشابهة في مناطق من جسميهما . وأغرب مثال لذلك حالة وحيدة لفراشتين جاءتا ملتصقتين عند الصدرين ، وقد سبق أن قدمناهما على صفحات هذه المجلة (في لقطات من الكون المثير) ، لكن مجيء التوائم الملتصقة في الحيوانات الثديية والطيور قد عرف من قديم الزمن ، فقد حدث ذلك في العجول والظباء والقطط والخنازير والحملان والأرانب البرية والحمام والبط والدجاج .. الخ ، وأيضاً في الأسماك والضفادع والحيات الخ (شكل ٢ ، ٣) .

ولقد وصف أرسطو حيات برأسين ، وجسد واحد ، وإن كانت هناك حالات جد نادرة لحيات برؤوس ثلاثة ، وكأنما ذلك يعيد إلى أذهاننا بعض الحيات الخرافية التي وردت في الأساطير ، كذلك يصف لنا فرانسيسكوريدي باسهاب حية غريبة عاشت برأسين لمدة ثلاثة أسابيع ، وكان لها في جسمها الملتصق قلبان وكبدان ومعدتان ..الخ ، والأغرب أن رأسها الذى إلى اليمين قد مات قبل الرأس الذى إلى اليسار بسبع ساعات ، وأحياناً قد تأتي الحية بذيلين منفصلين !

وفي عام ١٨٨٨ تحدث باربور عن سلحفاة كانت تعيش برأسين يبرزان من صدفة واحدة أي بجسم واحد مشترك ، ولقد كان كل رأس مستقلا

شكل (٤) : حالة توأمية غريبة ظهرت في موسكو عام ١٩٣٨ .. وهي ــ كما ترى ــ برأسين ورقبتين وأربعة أذرع وجذع واحد ينتهي بساقين ، وكأنهما واحدة في اثنتين !





شكل (٥) كانتا ملتصقتين من جهة الأرداف ، لكن الجراحات الحديثة قد حررتهما من قيد أزلي كان من الممكن أن يجعلهما بالصورة التي نراها عليهما هنا !

بنشاطه عن الآخر تماماً ، بمعنى أن كلا منهما كان ينظر وينصت ويأكل ويشرب ويتنفس ويتحرك ويفتح عينيه في الوقت الذي يكون فيه الرأس الآخر مغمض العينين ، أو أن يكون أحدهما بارزاً خارج الصدفة ، والآخر مستكين في داخلها ، أو قد يبرزان معا ، فتنثني رقبة هذا إلى اليمين لتأكل ، والأخرى إلى اليسار لتشرب ، وكأنما يبدو للناظر إليهما أنه لا يجمع بينهما تآلف أو توافق ، فلقد كان الرأس الأيمن أكثر تهيجاً وجبناً واندفاعاً للاختفاء من الرأس الأيسر !

من السلحفاة إلى البشر

وفي الكتب العلمية والطبية حالات كثيرة من التوائم الملتصقة ، ولن نتعرض لها هنا لضيق المجال ، لكن حالة السلحفاة ذات الرأسين والجسد الواحد ، تجرنا إلى الحديث عن حالة غريبة ظهرت بين البشر ، وبالتحديد عام ١٨٢٩ بفرنسا ، وتدعى حالة (ريتا ــ كريستينا) ، ثم ظهرت حالة أخرى مماثلة في موسكو عام ١٩٣٨ وتدعى ايرا ــ جاليا (شكل ٤) وعليك أن تقرر بنفسك إن كانت هذه المخلوقة واحدة أو اثنتين ، لأن الأمر يدعو حقاً إلى الحيرة ، فهي برأسين مستقلين يشتركان في جسد واحد قمعي أو مخروطي الشكل .. هذا بالاضافة إلى ساقين وأربعة أذرع ، ولقد عاشت أو عاشتا (كما تحب في التعبير عنها أو عنهما) ثمانية شهور ونصف الشهر ، ووصف عالم التشريح الفرنسي سيريه حالة ريتا ــ كريستينا في مرجعه « بحوث تشريحية في الشواذ » الذي ظهر عام ١٨٣٢ ، وقال عنها جيوفروي سانت هيلير « ما أعجبها من حالة تدعو للتأمل في هذا الكائن المزدوج الذي يتصرف بارادتين وإحساسين مختلفين . فبينما يغط أحد الرأسين في نوم عميق ، تـرى الرأس الآخـر يصرخ من الجوع ، ثم يهدأ عندما يرضع ، أو قد يكون الرأسان مستيقظين ، وعندئذ قد يبكي واحد ، ويتطلع الآخر إلى وجه أمه ويبتسم ، وعندما تدغدغ الأم ذراع إحداهما ، فان رد الفعل يظهر على هذا النصف دون النصف الآخر ، وإذا وخزت القدم اليسرى وخزاً خفيفاً بدبوس ، شعرت به ريتا وحدها ، لكنها لا تشعر بالوخز إذا حدث في القدم اليمنى ، بل تشعر به كريستينا ، والغريب أيضاً أن إحساسهما بالجوع ليس متزامناً ، لكن اخراج الفضلات الصلبة يتم دائماً في نفس الوقت » !

وطبيعي أن تموت مثل هذه المواليد عند ولادتها ، أو بعد ذلك بشهور قليلة ، وحسناً أن يكون ذلك ، لأن استمرارها في الحياة يضعها ويضعنا في مأزق فكرية عويصة ، لأن مجرد التفكير في انسان يعيش برأسين منفصلين ، وله عقلان وفكران وذاكرتان وإرادتان مختلفتان ، سوف يجعلنا نضرب أخماساً في أسداس ، لأن حياة بمثل هذا النمط الغريب لا يمكن أن يعقلها العقلاء ، ولهذا فان الموت هنا رحمة بها وبنا !

مثل هذه الفوضى التكوينية ليس لها بيننا مكان ، ولهذا تختصر الطريق بموت يريحها ويريح والديها ويريح البشرية كلها .. فهناك حالات أخرى كثيرة جاء ذكرها في مراجع علمية متعددة ، فعالم التشريح الفرنسي بافون قد ألف مجلداً أطلق عليه « التاريخ الطبيعي » وضمنه وصفاً دقيقاً لمثل هذه الشواذ من الوجهة الشكلية والتشريحية ، وكذلك فعل سانت هيلير وبارثولين ومونتين .. ولا زالت هذه الحالات تسجل حتى الآن كلما جاءت التوائم ملتصقة ، وتستوي في هذا إن ولدت حية أو ميتة ، فان ماتت ، تحفظ في متاحف التاريخ الطبيعي ، وإن عاشت ، تناولها العلماء بالفحص والدراسة .

لكن .. كيف نقول « وإن عاشت » ؟ .. فهل يمكن أن تعيش رغم أننا قد سلمنا بأن الموت هو المنقذ الوحيد لها ولنا ؟

الواقع أن مثل هذه التشوهات والالتصاقات درجات ، فما كان منها سطحياً ومحتملاً ، تحمله التوأمان وعاشا به ، وغير ذلك ففوضى لا تستقيم بها ومعها الحياة .

توائم من نساء ملتصقات

وكما عاش التوأمان شانج وانج حياة شبه عادية ، وتزوجا فيها وأنجبا ، كذلك تحدثنا المراجع العلمية عن حالات من الإناث التوائم الملتصقات اللاتي عشن أيضاً حياة شبه عادية ، نظراً لأن الالتصاق بين التوأمين كان محتملاً .. ومن هذه التوائم حالة روزا ــ جوزيفا بلازيك اللتين جاءتا ملتصقتين عند الأرداف .. ومن المثير حقاً أن نذكر أن واحدة منهما قد تزوجت من رجل ، ومنه قد أنجبت ، وبقيت الأخرى عذراء ، وقد يدفعنا مثل هذا الزواج لأن نضرب الأخماس في الأسداس ، فهو بلاشك ــ يثير في أذهاننا أسئلة حرجة عن الكيفية التي تمت بها المعاشرة الزوجية بين اثنين في وجود ثالثة تلازمهما كظلهما ، لكن الشأن شأنهم ، والناس فيما يعشقون مذاهب !

وفي المجر ، وفي مدينة زوني تمت في مطلع القرن الثامن عشر ولادة التوأمتين الملتصقتين عند الأرداف أيضاً ، وتدعيان هيلينا ويوديث ، ولقد وصفهما بافون في مرجعه ، وذكر أنهما كانتا مختلفتين في المزاج وفي بعض الوظائف الفسيولوجية ، فلقد كان الطمث الشهري عندهما يحدث في أوقات مختلفة ، كذلك كان يختلف في شدته وفترته ، هذا رغم أن لهما عضواً تناسلياً مشتركاً ، لكن احساسهما بالتخلص من فضلاتهما الصلبة كان متزامناً ، ولم يكن كذلك في التبول ، كما أنهما كانتا تنامان في أوقات غير متزامنة ، فحيث تنام واحدة ، قد تبقى الأخرى مستيقظة ، ولقد توفيتا في ريعان الشباب عن ٢٢ عاماً ، ولم يتقدم لهذه أو تلك أحد للزواج !

وطبيعي أن ولادة التوائم الملتصقة ليس مقصوراً فقط على القرون الماضية ، لكنها تجيء نادرة في كل آن وحين ، ففي يناير عام ١٩٥٠ ولدت سيدة في الاتحاد السوفييتي توأمتين ملتصقتين أطلق عليهما اسم ماشا وداشا ، ولقد جاءتا برأسين وجسد واحد وأربعة أذرع ورجلين ، وماتتا بعد أيام من ولادتهما .

ملتصقان معاً.. ومن المهد إلى اللحد!



شكل (٦) تبدو الفرحة على وجه الجميع بعد أن تمت عملية فصل الرأسين المتصلين عند القمة لهاتين التوأمتين .. ولولا ذلك ، لكان من الصعب عليهما مواصلة الحياة

الأمل في فصل ما اتصل

لكن مما لاشك فيه أن التوائم الملتصقة التي تولد في عصرنا الحاضر أسعد حظاً من التوائم التى ظهرت في القرون الماضية ، إذ أن التقدم الطبي في مجالات الجراحة المتطورة قد ساعد على فك القيود الأبدية التي كانت تلزم التوأمين بالحياة معاً ، والموت معاً كذلك !

صحيح أن عمليات الفصل الجراحي هي وليدة عصرنا الحاضر ، لكن هناك محاولة وحيدة قد تمت في القرن العاشر الميلادي بالقسطنطينية (استانبول) لتوأمين ملتصقين عند بطنيهما ، ولقد ولدا بأرمينيا ، وصحبهما بعض ذويهم وهما صبيان إلى القسطنطينية ، ليشدا انتباه الناس على أنهما من عجائب المخلوقات ، وبهذا يدران الشفقة والمال ، لكن الهيئة الحاكمة اعتبرت هذا التكوين البشري الغريب فألاً سيئاً ومن عمل الشيطان ، ولهذا أمرت بطردهما وترحيلهما من المدينة ، وبعد فترة من الزمن عادا اليها ، ولم يلبث أحد التوأمين أن مرض ثم مات ، وحاول جراحو المدينة أن ينقذوا التوأم الآخر (الذي كان لا يزال حياً) فقاموا باجراء عملية جراحية لفصل بطن الميت عن بطن الحي ، ودفن أولهما ، أما الآخر فقد عاش ثلاثة أيام ثم مات ، ولحق بأخيه .

هذا وتذكر المراجع الطبية الحديثة حالات توائم ملتصقة تم فصلها وتحريرها من قيودها ، وعلى شرط أن يكون الالتصاق فيها محتملاً ومحدوداً ، ومن هذه الحالات نذكر حالة طفلتين فرنسيتين ولدتا ملتصقتين عند الردفين ، وتم فصلهما في أحد مستشفيات باريس منذ أكثر من ٣٥ عاماً ، ولا زالتا تعيشان حتى الآن (شكل ٦) .. كذلك تم حديثاً فصل توأمتين ملتصقتين عند قمة رأسيهما ، وكانتا أيضاً فرنسيتين .

وفي مايو عام ١٩٥٣ تكررت بتايلاند حالة ولادة سيامية لطفلتين ملتصقتين من بطنيهما (شكل ٧) إحداهما تدعى بريسنا والأخرى نابيت ، وعندما بلغتا من العمر ١٧ شهراً نقلتا إلى مستشفى بيلنجز التابع لجامعة شيكاغو ، وقام الجراح الشهير ليستر دراجستيد وفريق معاون من الجراحين باجراء العملية ، وتبين أن هناك اتصالاً بين كبديهما ، كما أن قلب نابيت كان جهة اليمين ، وبريسنا إلى اليسار ، وكانت عملية جراحية صعبة ، لكنها نجحت ، واستمرت الطفلتان تحت الرعاية الطبية حوالي خمسين يوماً ، ثم عادتا إلى بانكوك عاصمة تايلاند ، وظلتا تحت الملاحظة في أحد مستشفيات الأطفال هناك ، وبعد أن اطمأن الأطباء على أن حالتهما طيبة ، خرجتا لتواصلا الحياة .

ويبدو أن تايلاند هي بلد العجائب ، ولو كان ذلك على مستوى ولادة التوائم ، إذ ظهرت فيها بعد ذلك أيضاً حالتان سياميتان ، وكانت كل حالة من طفلتين ، وكلاهما ملتصقتان خلف عظام الصدر ، وتم فصلهما بعد أشهر من الولادة بواسطة الجراح التايلاندي سيم نيتيا ومعاونوه في أحد مستشفيات بانكوك الجامعية ، وفي حالة منهما عاشت التوأمتان ، وفي الأخرى ماتت واحدة ، وواصلت الأخرى الحياة .

آفاق جديدة

لكن مما لاشك فيه أن التقدم العلمي والطبي قد فتح للانسان آفاقاً واسعة ليتعامل مع أمور الكون والحياة بعقل راجح ، وفكر واضح ، ثم هو يحاول أن يستفيد مما بين يديه ، ليطور الأمور لصالحه ، ويوجهها وجهة تعود عليه بالخير ، حتى ولو كان ذلك على مستوى توائم ملتصقة أو متحررة .

فلقد جرته معرفته بأصول الاخصاب ، ونشأة الأجنة ، وأسباب مجيء المواليد مثنى وثلاث ورباع ، وظهورها كتوائم متشابهة أو غير متشابهة .. مستقلة أو متصلة ، ثم تحرير ما اتصل بعمليات جراحية .. كل هذا وغيره قد مد له السبيل لارتياد ميدان آخر يبشر بآمال عريضة في الاكثار من التوائم المتشابهة .. ليس على مستوى البشر ، لكن في عالم البقر .. فحاجة الانسان إلى سلالات ممتازة من الثروة الحيوانية ، قد دعته إلى التدخل الجراحي الدقيق على بدايات الأجنة ، أي عندما تكون البويضة الملقحة قد انقسمت إلى عدد قليل من الخلايا المتشابهة تماماً (أي قبل مرحلة

تمييزها إلى خلايا متخصصة) .. ومن الممكن الآن ــ وكما هو معروف ــ أن يتم الإخصاب بين خلايا جنسية من سلالة حيوانية في الأنابيب والأطباق ، ويمكن أيضاً أن تنقسم البويضة المخصبة إلى خلايا متماسكة ، ثم تنقل إلى رحم أنثى الحيوان ، لتواصل نموها .

لكن طرأ على عقل بعض العلماء فكرة وتساؤل : إذا كانت الحياة ذاتها هي مصدر التوائم المتماثلة تماماً ، فلماذا لا نقلدها في الأطباق ، ونشق كتلة الخلايا (أي البداية الجنينية) إلى شقين بعملية جراحية دقيقة تحت عدسات الميكروسكوب (شكل ٨) ، ثم نزرع كل نصف في بقرة ، لعل هذا النصف وذاك يتمخضان عن توامين متماثلين تماماً ، وبهذا نحصل على اثنين من واحد ؟ !

جرب .. لتتعلم وتعرف ، لأن التجربة العلمية هي الحد الفاصل بين الغث والسمين ، وقد كان ، والذي كان ، تستطيع أن ترى باكورته في شكل (٨) أيضاً .. فهذان الثوران التوأمان المتشابهان تماماً ، قد جاءا نتيجة لتدخل الانسان ، وقيامه بالسيطرة على انتاجهما بشق كتلة الخلايا التي تراها في أعلى الصورة .. أما الجهازان المثبتان فوق ظهري الثورين فمهمتهما دراسة فسيولوجية التوأمين ، لجمع مزيد من المعلومات ، لكشف المزيد من الأسرار ، وبها تتطور المفاهيم ، وتتسع آفاق العقل البشري .

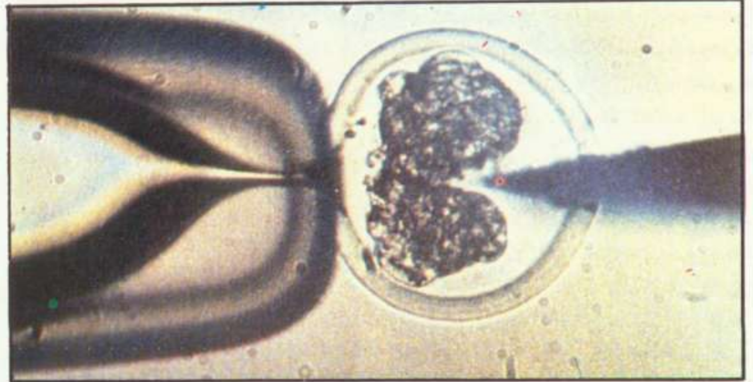
ولكن مما لاشك فيه أن البحوث العلمية تبدأ بسيطة ، ثم تتطور إلى الأرقى والأكفأ ، لتحقق أهدافاً لم تكن لتطرأ لأحد على بال .. إذ ما يدرينا مثلاً أن الواحد قد يصبح عشرة أو عشرين أو أكثر .. يعني أن بداية الجنين الواحد من السلالة الحيوانية الممتازة قد يمكن تفصيصها إلى عشرات الخلايا ، لتتحول كل خلية إلى توأم ممتاز له كل الصفات الحسنة التي تحملها التوائم الأخرى ، وبهذا يمكن الحصول على ثروة حيوانية ممتازة تجود علينا باللحم الكثير ، واللبن الوفير ، والصوف الغزير ، والبيض الكبير ، والزبد الذي يسر الناظرين ؟ .. إن هذا ليس بالأمر العسير ، فأول الغيث قطرة ، وإن غداً لناظره قريب .

وأخيراً .. فلقد كانت المجتمعات البدائية القديمة تعتبر التوائم الملتصقة نذير نحس وشؤم ، ثم يجيء الطب الجراحي الحديث ليخلص أمثال هذه التوائم من قيودها التي ولدت بها ، وأخيراً يضع العلم التجريبي كل امكاناته ليجري جراحات دقيقة على بدايات الأجنة ، فيفصصها إلى أجزاء خلوية ، ليصير كل جزء توأماً ، بغرض الاكثار من التوائم الممتازة ، لتساهم في ازدهار الثروة الحيوانية ، علها تسد جزءاً من حاجة البطون الجائعة ، وهذا ــ في حد ذاته ــ هدف عظيم يسعى العلماء إلى تحقيقه ، ولكل ما سعى ، فخير الناس ، أنفعهم للناس .. عملاً لا كلاماً ، وتطبيقاً لا شعاراً .

عبدالمحسن صالح



شكل (٧) حالة توأمية من تايلاند ملتصقة عند البطن ، وتم فصل التوأمين في أحد مستشفيات جامعة شيكاغو بنجاح في عام ١٩٥٥ .





شكل (٨) ١و٢ .. وهو ماتراه في تلك الصورة ..إذ يمكن اجراء عملية جراحية دقيقة تحت عدسات الميكروسكوب لفصل هذه الكتلة الخلوية لبداية جنين بقرة في طبق ، ثم ينقل كل نصف إلى رحم بقرة مستعدة لذلك ، ليصبح الواحد اثنين أي توأمين متماثلين تماماً ..هما الثوران .

في هذه الحلقة الجديدة يواصل الكاتب الكبير الدكتور يحيى الجمل رواية « قصة حياة عادية » بعد ما قدمه في الفصول الثلاثة السابقة من حديث ممتع عن حياة القرية والمدينة الصغيرة في الثلاثينيات



مرحلة خصبة وقلقة

بقلم: الدكتور يحيى الجمل

كانت مدرسة شبرا الثانوية تتمتع بين مدارس القاهرة بشهرة خاصة . ولم تكن شهرة طيبة على أي حال . اشتهرت تلك المدرسة إبان الحرب العالمية الثانية بأنها تضم عدداً من الطلاب الذين تكررت مرات رسوبهم . والذين اشتهروا بالعنف عند قيام المظاهرات . والذين فضلاً عن ذلك كله يسيئون إلى أساتذتهم على عكس ماكان شائعاً في تلك الأيام من احترام الأساتذة احتراماً مبالغاً فيه أحياناً إن جاز أن يصل احترام الأستاذ إلى حد المبالغة في أي وقت من الأوقات .

كذلك فقد كانت شبرا الثانوية تضم قسماً داخلياً يأوي اليه بعض الطلاب ويتخذون منه مسكناً . وكان أغلب طلاب هذا القسم من الطلبة السودانيين بل يبدو أن القسم الداخلي فى تلك المدرسة كان واحدا من الاقسام الداخلية المخصصة للطلبة السودانيين الذين يتلقون العلم في القاهرة .

ويبدو أن سمعة المدرسة وعنف الطلاب وحدة ماكانوا يقومون به من اضرابات لسبب ولغير سبب جعلت سلطات الدولة تفكر جدياً في أن تفرض على تلك المدرسة المشاغبة نوعاً من الحزم الحازم والضبط الشديد . وكانت وسيلة الدولة إلى ذلك هي أن يقذفوا تلك المدرسة بواحد من أشد نظار المدارس بأساً وأكثرهم حزماً وقسوة .

وعندما قدر لفتانا أن يبدأ دراسته الثانوية في تلك المدرسة كان ذلك الناظر الحازم قد أخمد جذوتها وفل حدتها وجعلها من أكثر مدارس القاهرة انتظاماً و « أدباً » وكانت الكثرة من أولياء الأمور يفضلونها على « التوفيقية » رغم سمعتها التاريخية . أما مدرسة « الأمير فاروق الثانوية » فكان ينظر اليها من الجميع على أنها من مدارس الدرجة الثانية .

وهكذا دخل صاحبنا المدرسة الثانوية وبدأت مرحلة جديدة من حياته . مرحلة خصبة وقلقة في آن معاً . بدأ يحس أنه لم يعد ذلك التلميذ الصغير ، وإنما هو الآن شاب أو مايشبه أن يكون شاباً . وبدأ يتفتح للحياة ويتطلع اليها ويريد أن يعرف أكثر وأن يعيش أكثر . وبدأت أجواء الاهتمامات السياسية تقترب منه ويقترب منها . بدأت حياته تتشكل من جديد على نحو مختلف عما كانت عليه . ساعد في ذلك نضجه من ناحية العمر ودخوله المدرسة الثانوية وانتقاله إلى القاهرة ، تلك المدينة الكبيرة الساحرة الصاخبة في آن واحد .

وتطلع أول ماتطلع إلى أن يلبس « بنطلون طويل » بدل ذلك البنطلون القصير الذي كان يلبسه في المدرسة الابتدائية . وأنه ليذكر ذلك اليوم الذي ذهب فيه مع والده إلى محلات « عمر أفندي » في قلب القاهرة ليشتري تلك « البدلة » ذات اللون الكحلي التي كان كل من يراها من أقارب الفتى يثني عليها وعليه فيها ثناءاً مستطاباً .وكان الفتى يسر لذلك سروراً شديداً .

ومازال حتى يومنا هذا يحب عندما يلبس شيئاً جديداً أن يسمع رضاً عليه أو ثناءاً ممن حوله . ماأعجب تلك النفس البشرية إنها لتبلغ في بعض جوانبها قمة النضج ولتظل في جوانب أخرى تلازم عمر الطفولة لاتكاد تتجاوزه .

وكان يقطع الطريق من حيث تقيم العائلة إلى المدرسة سيراً على الأقدام . كان يسير أغلب الطريق في شارع شبرا قادماً من ناحية الحدائق ماراً بالدوران إلى أن يصل إلى شارع طوسون فيدخل فيه إلى أن يصل إلى المدرسة ، وكانت المدرسة تحتل قصراً منيفاً من قصور الأمير عمر طوسون . وكانت تحيط به حدائق واسعة بها أشجار عتيقة ضخمة . وكانت تلك الأشجار الباسقة تحيط بالمدرسة من جوانب ثلاثة أما الجانب الرابع فكان شارعاً عموميا . وكان القصر القديم هو المبنى الرئيسي للمدرسة . وحول القصر كانت توجد الملاعب المختلفة . ملعب كرة القدم وملعب كرة السلة وملاعب التنس . وفي أقصى أطراف الأفنية الواسعة المتعددة بنيت بعض الفصول . وكان الفصل الذي ألحق به صاحبنا واحداً من تلك الفصول التي ابتنيت على حدود الفناء الذي يصل اليه الداخل أول مايدخل من باب القصر الضخم الذي يشبه أبواب قصور القرون الوسطى التي نراها أحياناً في الأفلام التاريخية .

كان ذلك الباب السامق الارتفاع لا تصل إليه الا بعد أن تمر في شارع تحيط به الأشجار الضخمة الكثيفة من كل جانب وتتلقى في النفس قبل الوصول اليه نوعاً من الرهبة والاكبار والتهيؤ في آن معاً .

ويبدو أن الأمير عمر طوسون كان واحداً من القلائل المثقفين في أسرة محمد علي . . . وكان أيضاً فيما يبدو واحداً من القليلين جدا في مثل هذه البيوتات الذين يدركون حركة التاريخ واتجاهه . وقد تبرع عمر طوسون بهذا القصر لوزارة المعارف لكي تقيم عليه تلك المدرسة الثانوية ومع ذلك فإن المدرسة لم يطلق عليها اسمه وإنما أطلق عليها اسم الحي الذي أقيمت فيه . وقد يكون مرجع ذلك أن الأمير عمر طوسون لم يكن على علاقة طيبة بالملك فؤاد الذي تم في عهده اهداء القصر .

وكان المبنى الرئيسي للقصر ضخماًفخماًمازال يحتفظ بكثير من روائه وعظمته وفخامته . كنت تصعد عدة درجات قبل أن تدخل إلى تلك الردهة البالغة الاتساع الشاهقة الارتفاع المزينة الجدران . ويذكر الفتى أنه بعد أن تدخل إلى تلك الردهة الضخمة فانك كنت تجد على يسارك مباشرة مرآة ضخمة جميلة إلى جوارها يقع باب حجرة الناظر ويجلس أمام تلك الحجرة عم « نور » وهو « فراش » سوداني طويل القامة ممشوق القوام جميل التقاطيع وقد كان عم « نور » في نظر تلاميذ المدرسة أقرب الناس إلى ناظرها الرهيب . ولكن عم « نور » على عكس الناظر كان قريباً أيضاً من نفوس الطلاب وكان لا يرى إلا مبتسماً .

وقد قدر لفتانا أن يدخل إلى حجرة الناظر بعد أقل من شهر من التحاقه بالمدرسة . وكان الدخول إلى تلك الحجرة أمراً يحسب له الطلاب كل حساب . كان الرجل ــ ناظر المدرسة ــ قصيراً أميل إلى النحافة لا ترى وجهه إلا صارماً أقرب إلى أن يكون عابساً . وكان يلبس نظارة سميكة الزجاج تبدو من ورائها عينان ضيقتان حادتان . وكان ذلك الرجل رغم قصره يبدو قوي الشخصية ثابت الجنان لا يهتز أمام شئ قط مما يتصور الطلاب أنه يهز الجبال . هكذا كانت صورته في نظر طلابه وهكذا ساعدته تلك الصورة في السيطرة الكاملة على المدرسة وبث الرعب في نفوس أولئك النفر من التلاميذ الذين كانوا مصدراً لكل الشغب وكل العبث الذي اشتهرت به مدرسة شبرا الثانوية في الماضي وقبل أن يأتيها ذلك الناظر .

أما كيف قدر لصاحبنا أن يرى ذلك الناظر ويتحدث إليه فقد كان لذلك قصة . كان الفتى في السنة الأولى الثانوية الفصل الثاني . ويبدو أن أوائل الطلبة المقبولين في السنة الأولى وزعوا حسب أعمارهم ــ إلى فصلين وكان هو في سنة « أولى ثاني » وكان أستاذ الانجليزي الذي يعلم طلاب ذلك الفصل رجلاً رياضياً مختالاً فخوراً تكاد الأرض لا تسعه وهو يسير فوقها . وكانت ربطة عنقه متميزة بحجمها الضخم وكان عادة يلبس الجاكته والبنطلون من لونين مختلفين . وكان ذلك الاستاذ ــ على الرغم ماأشيع عن علمه ودراسته في انجلترا ــ غير قادر على أن يصل بعلمه إلى طلابه أوهكذا كان إحساسنا . لم نكن نفهم منه على النحو

الذي نتوقع أونريد . ولما كان طلاب الفصل جميعاً من أوائل الشهادة الابتدائية ومن أصحاب المجاميع العالية فلم يكن من السهل أن ينسب اليهم الكسل أو الغباء ولم يكن من السهل على هؤلاء الطلاب أنفسهم أن يقتنعوا بشئ من ذلك ولم يكن أمامهم من حل ــ في تقديرهم غير أن يطلبوا تغيير ذلك المدرس . واتفقوا على أن يختاروا واحداً أواثنين منهم لمقابلة « المشرف » وعرض الأمر عليه . وكان صاحبنا هو الذي وقع عليه اختيار زملائه لحمل تلك الرسالة . وكان هو واحداً من المتحمسين لضرورة تغيير ذلك الاستاذ . وذهب إلى المشرف وطلب مقابلته وشرح له ماكلفه به زملاؤه . واستمع إليه المشرف غير ضجر ولكن في غير حماس . ولم يبد عليه أنه اقتنع بهذا الكلام ولكنه وعد أنه سينقله إلى ناظر المدرسة .

ومضى على مقابلته للمشرف يوم أويومان عندما جاءه استدعاء ليقابل « حضرة الناظر » بين حصتين من حصص النهار .

وذهب وجلاً لا يعرف ماذا ينتظره . وكان وجيب قلبه يرتفع كلما اقترب من حجرة ذلك الرجل الذي ذهب خيال التلاميذ في رسم صورته مذهباً فاق كل تصور .

ووقف على باب الحجرة فترة . ودخل « عم نور » ليخبر الناظر أن التلميذ المستدعى قد حضر . وخرج عم نور ولكن صاحبنا لم يؤذن له بالدخول . وبعد فترة كانت من أطول الفترات عليه وأقساها أذن له بالدخول . وكانت الحجرة واسعة جداً . الحجرة الرئيسية في قصر كبير . واضطربت خطوات صاحبنا وهو يسير من الباب متجهاً إلى نهاية الحجرة حيث مكتب الناظر . وكان هناك بعض الأساتذة وبعض الزائرين ممن لا يعرفهم . وكان الناظر مشغولاً مع بعض الإداريين في المدرسة . وكادر تعليماته حادة صارمة لا تحتمل الأخذ والرد . وكان الموظفون لا يكادون ينبسون ببنت شفه . كان المدرسون الأوائل هم وحدهم الذين يجلسون عندما يدخلون تلك الحجرة وكذلك الزائرون بطبيعة الحال . أما غير هؤلاء فما كان يجوز لهم غير الوقوف .

واقترب فتانا من منتصف الحجرة ثم وقف حائراً لا يعرف ماذا يفعل . ومضت برهة من الزمن كأنها دهر ورفع الناظر رأسه عن الأوراق التي أمامه ونظر إلى فتانا نظرة رهيبة ثم استدعاه ليقترب بصوت حاد غاضب . واقترب الفتى خائفاً يترقب .

وسأله الناظر عما يريد وهم بالحديث عن أن طلبة الفصل لا يفهمون كما ينبغي لهم أن يفهموا عن أستاذ اللغة الإنجليزية . ولم يكد يكمل عبارته حتى انهالت عليه ألفاظ التقريع والتوبيخ والاتهام بالجهل وقلة التربية وعدم الإدراك السليم . وجزم الناظر بأن هذا الأستاذ وأن كل أساتذة المدرسة هم من خيرة الأساتذة في المدارس الثانوية جميعاً وأنه انتقاهم بنفسه وأنه لا يقبل من مجموعة من التلاميذ الجهلة الأغبياء أن يقيموا من أنفسهم حكماً على الأساتذة .وحذر صاحبنا من العودة إلى مثل ذلك في المستقبل وإلا حل عليه أشد العقاب . وبعد ذلك صرفه صرفاً غير كريم ليعود إلى فصله كاسف البال مكسور الخاطر فقد كان يظن في لحظة من اللحظات أنه قادراً على اقناع ذلك الناظر الرهيب .

وعلى أي حال فان التلاميذ لم يصدقوا أن الناظر لم يودعه « بقلم » من تلك « الاقلام » المدوية التي كان يصفع بها وجوه الطلاب خاصة من كان منهم يتصور أن له وضعاً أوأنه يتمتع بين زملائه بقدر من النفوذ . ولكن الذي حدث أن الناظر لم يضربه فعلاً وإن كان قد نهره لينصرف ونهاه عن العودة لمثل هذا التصرف وأنذره إنذاراً شديداً .

ويبدو أن أستاذ اللغة الإنجليزية قد علم بما حدث من الطلاب . ويبدو أنه قد علم أيضاً أن صاحبنا هو الذي ذهب نيابة عن زملائه إلى المشرف ثم إلى الناظر . ويبدو أنه عرف ولكنه لم يقل شيئاً صريحاً ينبئ عن معرفته . ولكن سلوكه كله ونظراته كلها نحو فتانا كانت تقطع بأنه بكل ماقد حدث عليم . وكان الرجل كريماً فلم يدفعه ذلك إلى اضطهاد الفتى أو النيل منه بل عكس ذلك هو ماحدث فقد أحس الفتى أن الاستاذ يعطيه اهتماماً قد يكون أكثر من غيره ــ أو هكذا كان إحساسه ــ وكان يدعوه إلى الاجابة وإلى المناقشة وإلى القراءة وكان الفتى سعيداً بذلك كل السعادة مرحباً به كل الترحيب . وبدأ وجله وتهيبه وبعده النفسي عن ذلك الاستاذ يذوب قليلاً قليلا حتى لم يعد منه شئ في نفسه .

وكم كانت سعادة فتانا غامرة عندما دعاه أستاذه ذاك لحضور محاضرة كان سيلقيها في جمعية الشبان المسيحية . وكان هذا أول عهده بدخول تلك الجمعية ولكنه لم يكن آخر العهد بها .

وكان الفتى معجباً الاعجاب كله بأستاذ اللغة العربية « الأستاذ على فريج مهنا رحمه الله » الذي كان إلى جوار كونه أستاذاًقديراً شاعراً وحافظاً ومتعصباً أشد التعصب لشعر أحمد شوقي .وكان فتانا ــ على صغر سنه ــ ورغم أنه حفظ كثيراً من شعر شوقي وحفظ أغلب « مجنون ليلى » وأغلب « كليوباترا » ــ كان فتانا يريد أن يبدو وكأنه من أنصار حافظ ابراهيم وليس من شيعة شوقي . كان إحساسه منذ البداية قوياً في التعاطف مع المظلومين أومن يحس أنهم من المظلومين .

وكان لأستاذ اللغة العربية شقيق في كلية اللغة العربية بالأزهر وكان شقيقه ذلك زميلاً وصديقاً « لأمين » وكان أمين سعيداً بما يسمع عن ذلك الفتى الذي يحس أنه شارك في تنمية ملكاته الأدبية وحبه للقراءة والاطلاع .

وفي يوم من الأيام طلب الأستاذ من تلاميذه كتابة موضوع للإنشاء في قضية معينة لا يذكرها الفتى فقد مضى على ذلك أكثر من أربعين عاماً ــ الآن ــ وأذكر أنه كان موضوعاً سترصد درجته في واحدة من تلك الاختبارات التي كانت تجرى للطلاب على فترات أثناء العام . ولم يكن مفروضاً أن يسلم الطلاب موضوعات الإنشاء في نفس اليوم ولكن ضرب لهم أستاذهم موعداً . وفي الموعد المحدد قدم صاحبنا إلى أستاذه الموضوع . ومرت أيام . وجاء الأستاذ ومعه الأوراق .ووضعها أمامه ثم انتظر قليلاً ــ كعادته ــ وبدأ بعد ذلك الحديث فاذا به يثني ثناءً غير عادي على ماكتبه الفتى وإذا به يسلمه ورقته ويطلب منه أن يقرأ ماكتبه على زملائه . وكان الاستاذ قد أعطاه تسعة عشر درجة من عشرين .

وبعد أن انتهى الفتى من قراءة موضوعه أعاد الاستاذ ابداء استحسانه ثم ختم تعليقه بكلمة لم يدرك الفتى معناها أول الأمر ولكنه أدرك ذلك المعنى بآخره . قال له أستاذه ليتك لا تستعين بأحد وإنما تعتمد على نفسك اعتماداً كاملاً . ولعل إدراكه وثقته أنه لم يستعن بأحد وأن الموضوع كله من إنشائه جعله لا يلتفت إلى مايقصده الأستاذ .

وكان فتانا يذهب في كل يوم جمعة إلى دار الكتب في باب الخلق يعيد بعض الكتب ويستعير غيرها وكان ابن عمه أمين يسكن قريباً من دار الكتب في شارع محمد علي في عقار مملوك للأزهر كان طلاب الأزهر يطلقون عليه اسم « السراي » ــ وماكان له من اسمه أدنى نصيب ــ وكان الفتى بعد أن يفرغ من دار الكتب يذهب عادة لزيارة أمين .

وفي يوم من الأيام لقيه ابن عمه ذلك الكبير الذي كان يوشك أن ينتهي من دراسته الجامعية بحفاوة بالغة وترحاب غير عادي ثم أعطاه كتاباً اسمه « من عيون القصص الغربي » من منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر وكتب له على الكتاب بعض عبارات الاهداء والاطراء والتشجيع .

وسر الفتى بالكتاب أيما سرور ولكن وجهه كان يعكس تساؤلاً من غير ريب عن مناسبة ذلك الاحتفاء وذلك الاهداء . وأدرك أمين ماعلى وجه الفتى من تساؤل . وضحك ــ وقلما كان يضحك رحمه الله ــ وقال للفتى لماذا لم تقل للاستاذ أنني أنا الذي كتبت لك موضوع الانشاء « تخيل أن الرجل لم يصدق أنك وأنت في السنة الأولى الثانوية تستطيع أن تكتب بهذا الأسلوب وذهب ظنه أنني ساعدتك في الكتابة وأسر بذلك إلى أخيه لكي يطلب مني أن لا أفعل مثل ذلك مرة ثانية وكانت دهشة الاستاذ ودهشة أخيه بالغة عندما علما أنني لم أسمع من قبل عن هذا الموضوع كله وأن الأمر كله يرجع اليك وحدك .

وكان « أمين » سعيداً بحق .

أما الفتى فلاتسأل عن شعوره .

لقد كان عيداً بالنسبة له .

وما أكثر ماقتني من كتب وما أكثر مافقد منها . ومع ذلك كله ورغم مضي أكثر من أربعين عاماً حتى الآن على تلك الواقعة فمازال يحتفظ بذلك الكتاب الذي أهداه إليه « أمين » بهذه المناسبة التي مازال الفتى يذكرها بغير قليل من الرضا والسرور .

« إلى اللقاء فى العدد القادم »

فـــاروق ابـــاظـــة

قناة السويس

بين الألغام البحريّة وأزمة أسعار البترول!



كان إغلاق القناة في عام ١٩٧٣ سبباً في فقدان العالم ١٧٠٠ مليون دولار في كل عا



قناة السويس التي يمتد عمرها لأكثر من مائة عام.

● ماذا تعني القناة بالنسبة لتجارة الصادر والوارد في دول الخليج العربي؟

● عندما تعرّض نابليون للغرق في المستنقعات وهو يعاين بقايا برزخ السويس!

تفردت قناة السويس بين الأمكنة بصياغتها لملحمة استغرقت أحداثها مساحة زمنية طويلة فى التاريخ المعاصر ، فعندما شقتها السواعد العربية امتزج ترابها بدم ربع مليون من الضحايا ، وأصبحت بعد حفرها ليست مجرد مجرى للمياه يحمل السفن العابرة من الغرب إلى الشرق ، وإنما تركز حولها جشع وطموحات وأطماع المستعمر ..

إن قناة السويس تمثل أهمية خاصة لدول مجلس التعاون الخليجى فهى تحمل ثلث تجارة هذه الدول فى رحلة ذهاب ناقلات النفط إلى أوروبا وعودة الحاويات محملة بالسلع والبضائع ..

وطوال عمر القناة الذى يمتد إلى أكثر من مائة عام تأثرت بالأحداث السياسية والإقتصادية وأثرت فيها وكانت مياهها مؤشرا صادقا لهذه الأحداث ..

وعندما أغلقت عام ١٩٧٣ خسر العالم ١٧٠٠ مليون دولار عن كل سنة تعطلت فيها عن العمل وتجمدت أطراف القارة الأوربية وأستخدم أهلها الخيول والدراجات بدلا من السيارات والحافلات ..

منذ فجر التاريخ والمحاولات لم تنقطع لإستغلال الموقع الفريد لمصر كركيزة إتصال بين الشرق والغرب ، وذلك بشق قناة تصل بين كل من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وكان أول من فكر فى هذا المشروع الملك المصرى « سنوسرت الثالث » ، وطوال وقوع مصر تحت طائلة الإحتلال الفارسى والرومانى إستمرت هذه المحاولة ، فالتاريخ القديم يؤكد أن العالم إعتمد على مصر فى نقل تجارته باعتبارها شريان الإتصال بين قارات الدنيا ، وعندما قام الرحالة البرتغالى « فاسكو دى جاما »، بالالتفاف حول رأس الرجاء الصالح واكتشف الطريق الجديد المؤدى إلى الهند تبين التكاليف الباهظة لإستخدامه ، وعاد ليفكر مرة أخرى فى ضرورة شق برزخ السويس ، واستمرت المحاولات حتى قام المهندسون الفرنسيون الذين صاحبوا نابليون فى حملته إلى الشرق بدراسة المشروع ، وانتقل نابليون بنفسه إلى موقع الدراسة ، وكاد أن يغرق فى المستنقع الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة السويس وهو عائد من عيون موسى ، وكلف مهندس الحملة جاك لوبير برسم خريطة مفصلة للبرزخ القديم

ولم تنج القناة من إستخدامها كوسيلة للتعصب الصليبى الذى بدأ يعود إلى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، وذلك من خلال جماعة « سان سيمون » الفرنسية التى كان يرأسها قسيس يدعى (أنفنتان) فقد زار هذا القسيس الفرنسى مصر على رأس بعثة أقامت فى مصر أربع سنوات كاملة وأعدت مشروعا لشق قناة مستقيمة بين البحرين الأبيض والأحمر ، وقد كتب هذا القسيس رسالة



التفريعات الجديدة في القناة التي جعلت حركة الناقلات تنساب بسهولة بين الاتجاهين

قناة السويس
بين الألغام البحرية وأزمة أسعار البترول!

لأحد أصدقائه قال فيها « إن علينا أن نضع أحد قدمينا على نهر النيل والأخرى فى بيت المقدس وتصل يدنا اليمنى إلى مكة فنلمس باليد الأخرى روما متكئة فوق باريس .. ولكن يبدو أن القس « أنفنتان » فشل فى إقناع الوالى المصرى محمد على باشا بالمشروع ..

وبعد موت محمد على يظهر على مسرح الأحداث دبلوماسى فرنسى مغمور هو « فردينان ديلسبس » وكان والده ماثيوديلسبس قد خدم فى السلك القنصلى فى مصر إبان حكم محمد على ولقد أجمعت كتب التاريخ على أن فردينان ديلسبس لم يكن له دراية بالاقتصاد أو التجارة والهندسة ولكنه نجح فى أن يقيم أكبر مشروع هندسى بحرى فى القرن التاسع عشر وهو شق قناة السويس .

يقول المؤرخ الإنجليزى « مارلو » إن ديلسبس كان له صلات قوية مع سعيد باشا إبن محمد على وكان شابا بدينا ضخم الجثة وفرض عليه والده نظاما معينا فى الطعام على أن يجرى يوميا حول سور القلعة كى يخفف من الشحم الذى يغلف جسمه .. وكان ديلسبس يعرف مدى شره الشاب البدين للطعام فحرص على أن يقدم له أطباق المكرونة الشهية فى كل زيارة ..

وعندما تولى سعيد باشا الحكم إنتقل ديلسبس على الفور من فرنسا إلى القاهرة واستقبله صديقه البدين إستقبالا حارا وانتهز « ديلسبس » الفرصة ليعرض عليه مشروع شق القناة ، وعلى الفور أصدر سعيد فرمانا بموافقته فى ٣٠ نوفمبر عام ١٨٥٤ وجاء فى صدر هذا الفرمان ما يلى :

« وجه صديقنا فردينان ديلسبس نظرنا إلى الفوائد التى تعود على مصر من وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر بانشاء طريق للملاحة صالح لمرور السفن الكبرى ، وأبان لنا أن فى الإمكان تأسيس شركة لهذا الغرض تؤلف من أصحاب رؤوس الأموال من شتى الأمم ، وقد إرتضينا ما عرض علينا ورخصنا له بموجب هذا ترخيصا خاصا فى تأسيس وإدارة شركة عامة لشق برزخ السويس واستغلال القناة بين البحرين .. » ومنح سعيد لديلسبس حق إستخدام من يريد من الفلاحين المصريين فى عمليات الحفر ..

يقول المؤرخ الإنجليزى « إدوار ديزى » إنه لم يحدث أن منح أحد إمتيازا يكفل لصاحبه هذه المزايا ، فقد أصبح ديلسبس بموجبه أبرز أبطال السخرة فى التاريخ ، فقد وصل عدد من يستخدمهم من الفلاحين المصريين فى عمليات الحفر كل شهر ما يزيد على أربعين ألفا ، وقد اضطر ديلسبس إلى جلب ألف مشعل من القاهرة لإستخدامها فى الحفر أثناء وردية الليل ، ووصل الذين شاركوا فى عمليات شق القناة أكثر من مليون ونصف مليون فلاح استشهد منهم ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين ألفا .

الموت عطشا

هؤلاء الرجال الذين لفحت الشمس المحرقة أجسامهم كانت تعج بهم الصحراء . يملأون القفف بالرمال وهم فى قاع القناة يفرغونها بعيدا عن المجرى يستعينون على التعب بأغان عميقة الشجن مغلفة بالأحزان بينما يقف المشرفون عليهم من حولهم ويحولون دون هروبهم .. لقد زادت حملة الهجوم على « ديلسبس » وأمتدت من لندن إلى عدد من العواصم الأوربية وإن كانت حملة لندن على تسخير الفلاحين المصريين قد شنت لغرض فى نفس يعقوب وليس لوجه الإنسانية فقد كانت إنجلترا تخشى من كساد زراعة القطن فى مصر وتأثير ذلك على مصانعها وهى لم تنس بعد ما فعله نابليون فيها عند غزوته لمصر ..

لقد تعرض أبناء مصر الذين حفروا القناة لأبشع أنواع التعذيب من الجوع والعطش وقتل من حاول الفرار من هذا الجحيم كما يقول الدكتور عبدالعزيز الشناوى فى كتابه « السخرة فى حفر قناة السويس » .. كان العامل يعيش على قطعة الجبن القديم والمش والبصل .. وكانوا يسقطون وهم يطلبون جرعة ماء ، ومات أغلبهم بالدوسنطاريا الحادة والكوليرا ، كما ظهرت مادة طينية سائلة كانت تحتوى على الفوسفور الحارق للجلد مما أصاب الآلاف بالأمراض التى أودت بحياتهم خلال أيام .



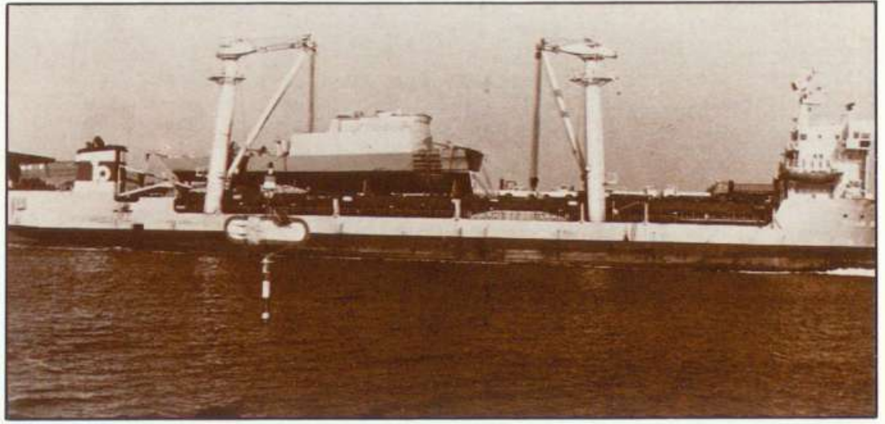
شاركت الخبرات العالمية فى أعمال تطوير القناة لتستقبل الناقلات العملاقة

... ومات محمد سعيد وتولى الحكم الخديوى إسماعيل باشا الذى عمل جاهدا لإتمام المشروع وكرس موارد مصر كلها من أجل هذا الهدف حتى أشرفت على الإفلاس ، وتحدد حفل إفتتاح القناة فى نوفمبر عام ١٨٦٩ ، ووجه إسماعيل الدعوة إلى أكثر من ٦ آلاف من عظماء وملوك أوروبا لحضوره .. وقد إستمرت ترتيبات الإحتفال نحو ٤٠ يوما . وجاءت « أوجينى » إمبراطورة فرنسا قبل الإحتفال بـ ٤٣ يوما .. وأقام الخديوى السرادقات الفخمة المكسوة بالديباج والحرير ، وقد أصطف الجنود بملابسهم الزاهيه بين رصيف « أوجينى » وبين السرادقات وقام بطريرك كنيسة القصر الإمبراطورى بباريس بعقد قران ديلسبس (٦٤ سنة) على هيلين دى براجار (٢١ سنة) .. وأقبل المدعوون على تناول الغذاء المكون من أصناف عديدة من الأطعمة التى زادت عن الألف صنف ، .. وأسرف بعض المدعوين فى الطعام ..

كانت كما وصفها المؤرخون أشهر ولائم التاريخ وحضرها الإمبراطور « فرانز جوزيف » والإمبراطورة أوجينى وأميرة هولندا وولى عهد روسيا والأمير جورج ولى عهد هانوفر والأمير عبد القادر الجزائرى ، وبعد إنتهاء العشاء إفتتحت الحسناء « أوجينى » الحفل الراقص بردائها الأرجوانى المرصع بالجواهر واليواقيت . رقص الجميع عدا الأمير عبدالقادر الذى آثر أن يحتفظ بوقاره ، ثم إنتقلت « أوجينى » على ظهر حصان عربى مطهم إلى قصر ضيافتها الفاخر على شاطىء بحيرة التمساح ، وضاقت قصور واستراحات إسماعيل بهذا العدد الكبير من الضيوف ، فأقام الخديوى ١٢٠٠ خيمة لإقامتهم ، بينما إنتقل العجوز « ديلسبس » مع عروسه الصغيرة إلى إستراحته بمبنى إدارة الهيئة بالاسماعيلية والتى تحولت اليوم إلى متحف يضم عربته التى كان ينتقل بها فى مواقع الحفر وحجرة نومه الصغيرة وتضم سريرا صغيرا .. « وطشت » كان يستخدمه فى إستحمامه ومكتبا وبعض الصور له ولأسرته وخزينة خشبية تضم متعلقاته الشخصية وأهمها عملات فضية قديمة عثر عليها أثناء حفر القناة وقد زارت حفيدته الحجرة منذ سنوات وطلبت تذكارا عبارة عن قطعة ورق كان يزين بها جدها حجرته وقد أهديت إليها ..

وبعد إفتتاح القناة وإفلاس مصر ، بدأت محاولات فرنسا وبريطانيا فى أكبر عملية سطو لشعب فى التاريخ خطط لها ديلسبس بنفسه ، فدبر بيع نصيب مصر من أسهم القناة وكذلك حصتها فى الربح من إيرادها . كما خدع ديلسبس الثائر أحمد عرابى الذى هب ليدافع عن مصر مع جيشها ضد غزو إنجلترا عندما كسر حياد القناة وسمح لسفن الجيش البريطانى بعبورها عام ١٨٨٢ ..

وفى عام ١٩١٠ حاول رئيس الوزراء المصرى بطرس غالى أن يمد إمتياز القناة لصالح كل من



الحاويات فى طريقها إلى دول الخليج العربية عبر القناة بعد أن توافرلها الأمان



جولة ديلسبس اليومية فى موقع الحفر



سرير ديلسبس وتحته طشت الاستحمام



م. محمد عزت عادل

● أكبر ناقلات العالم العملاقة عبرت القناة ومنها ناقلات للكويت والعراق

قناة السويس
بين الألغام البحرية وأزمة أسعار البترول!

فرنسا وانجلترا وعارض مجموعة من أعضاء الجمعية التشريعية هذا القرار بزعامة العضو إسماعيل أباظه باشا وتطوع الشاب إبراهيم الوردانى لقتل رئيس الوزراء الذى أراد أن يبيع بلده للمستعمر ...

وبعد ما يقرب من خمسين عاما وقف جمال عبدالناصر فى الاسكندرية . (٢٦ يوليو عام ١٩٥٦) ليعلن تأميم القناة لصالح مصر فطاش صواب الساسة فى إنجلترا وفرنسا وتحالفوا مع إسرائيل فى غزو مصر فيما عرف بحرب السويس عام ١٩٥٦ ..

التوقف ... ثم التطوير

وبعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ تم إغلاق القناة ...وظلت مغلقة لفترة ثمانى سنوات بلغت فيها خسارة العالم ١٧٠٠ مليون دولار سنويا تحملتها الدول التى تعتمد عليها وذلك طبقا لتقرير مؤتمر الأمم المتحدة بجنيف فى أكتوبر ١٩٧٣ . كما عانت الدول النامية فى جنوب القناة من تأخر خطط تنميتها ، ووضحت أهمية القناة كممر مائى دولى فهى توفر ٦٦ ٪ من المسافة بين بومباى وأوديسا ، ٥٥ ٪ من المسافة بين الخليج العربى وجنوا ، ٤٦ ٪ من المسافة بين الخليج العربى ولندن ..

وعندما بدىء فى تطهير القناة بعد حرب أكتوبر تبين أن هناك عشرة عوائق كبيرة تعترض مجراها من بينها ناقلات غارقه وكراكات بالإضافة إلى سد أسمنتى كبير يحتوى على ٨٠ ألف متر مكعب من الأتربه ، هذا السد أقامته إسرائيل لتستر إنسحابها عام ١٩٧٣ من الغرب إلى الشرق ، وكان هناك أيضا بعض الأجسام الحديدية وألغام وبقايا حطام وقنابل لم تنفجر .

وقامت الخبرات المصرية بأعمال التطهير تساعدها الامكانيات الفنية لكل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا .. وبعد التطهير بدأ مشروع التطوير وتحقق إزدواج مجرى القناة الحالى من خلال ثلاث تفريعات رئيسية جعلها قابلة لإستقبال ١٢٠ سفينة ، كما حدثت طفرة هائلة فى نظام إرشاد السفن بالقناة من خلال بناء أحدث شبكة الكترونية للإشراف على تمرير وعبور السفن والناقلات ، وذلك لتحقيق أقصى درجات الأمان للناقلات العملاقة وسفن الشحن والحاويات .. وقد تم فى العام الماضى عبور الناقلات العملاقة لقناة السويس من بينها الناقلة الكويتية العملاقة « الريجة » (٤٠٠ ألف طن) من بورسعيد إلى السويس فى رحلة العودة من أوروبا إلى موانىء الشحن بالخليج ، وتعتبر هذه الناقلة من أعرض عشر ناقلات فى العالم ، ويبلغ طولها ١٢٤٠ قدما وعرضها ٢٢٩ قدما وارتفاعها ٧٥ مترا . ، وقد شارك فى عملية إرشاد الناقلة فى رحلتها من غاطس بورسعيد إلى غاطس السويس ١٢ من أكفأ المرشدين فى القناة كما عبرت أيضا الناقلة العراقية حطين (٣٥٠ ألف طن) والناقلة التركية « سكولكو » ٤٢٣ ألف طن ، كما عبرت أخيرا الناقلة الكويتية « الرقة » حمولة (٤٠١) ألف طن ، ودفعت رسوما قدرها ٢٦٥ ألف دولار لهيئة القناة ، كما عبرت عشرات الناقلات العملاقة من جنسيات مختلفة .

وفى لقاء مع المهندس محمد عزت عادل رئيس هيئة قناة السويس قال « ــ لا شك أن الصراعات السياسية العالمية وبؤر الحروب تؤثر على قناة السويس ودخلها ، فقناة السويس هى « ترمومتر » للأوضاع السياسية والإقتصادية فى العالم ، والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة ، ومنها الصراع بين العراق وإيران فبمجرد نشوبه تطور ليشمل ضرب ناقلات البترول فى الخليج العربى ، وكان لذلك تأثيره المباشر على قناة السويس ، ولنا أن نعرف بأن تجارة الخليج العربى سواء المصدر منها أو المستورد تمثل ثلث حجم التجارة العابرة لقناة السويس . وهناك مثل آخر على تأثير الأوضاع السياسية بالنسبة لقناة السويس وهى مشكلة الألغام البحرية فى البحر الأحمر ، وخاصة فى مدخل القناة وتسميتها بالألغام البحرية ليست تسمية صحيحه ، فاللغم البحرى من المفروض إنفجاره فى



أكبر الناقلات العملاقة التى تعبر قناة السويس

مصروفات ولا إستهلاكات على مستوى إلتزامات هذا الخط الذى يمتد طوله إلى ٣٦٠٠ ميل عبر دول بينها تنافر سياسى ولا تمتلك ضمانات أمن وسلامة هذا الخط الطويل الذى يمر فى أرض لا يملكها أصحابه.

وقبل حرب ١٩٦٧ كان البترول يمثل بالنسبة لعائدات القناة ٧٠٪ من إيراداتها نتيجة مرور ناقلات البترول وكانت حركة نقل البضائع تمثل نسبة قليلة ، بينما كان البترول من أرخص مصادر الطاقة ، وبعد حرب ١٩٧٣ بدأت أسعار البترول فى الارتفاع بصورة متلاحقة وسريعة ، والنتيجة أن الدول المستهلكة فكرت فى البدائل كالبحث عن البترول فى مناطق غرب السويس مع إيجاد بدائل للطاقة بإستخدام الفحم والطاقة النووية والشمس والرياح ، كما حاولوا زيادة كفاءة المعدات المتحركة والتى تستخدم الطاقة لتعطى نفس القدرة بأقل كمية من الوقود ...

ويضيف رئيس هيئة قناة السويس أن عدد الناقلات العابرة للقناة قد بلغ منذ أول يناير ١٩٨٤ حتى ديسمبر من نفس العام ٣٥٧٦ ناقلة من بينها ست ناقلات قطرية وواحدة ليبية ، ٣٩ ناقلة عراقية ، ١٩ من الإمارات ، ٥١ من المملكة العربية السعودية ، ١١٧ ناقلة من الكويت ، ٨٢ من المغرب ، ٨ من الجزائر .. وبلغت الحمولة الصافية للناقلات العابرة خلال عام ١٩٨٤ ــ ١٣١,٢٥٨ مليون طن .

إن قناة السويس التى قال عنها الدكتور جمال حمدان مؤلف « شخصية مصر » منذ أن شقت ، ومنذ أن حل البخار محل الشراع الذى تعاكسه رياح البحر الأحمر أصبحت شريان المواصلات العالمية ، وتحولت إلى قبلة عالمية كأن العالم كله كان على ميعاد معها.

وقال عنها «هالفورد هوسكنز» «إنه من المحتمل أن عملا من أعمال الإنسان المادية لم يؤثر على علاقات الأمم بصورة أكثر عمقا من قناة السويس» ...

هذا الشريان المائى الحيوى ما زال أعظم منجزات الإنسان لتطويع البر والبحر لصالح البشرية فى أركان الدنيا .

والآن وصلت قناة السويس إلى أعلى مستوى عالمى فى الأداء داخل الممرات المائية ، وأصبحت تضم خبرات نادرة من المرشدين والفنيين الذين يؤدون الخدمات للسفن العابرة بأقصى كفاءة وتشهد شركات التأمين العالمية بانعدام الحوادث على صحفتها .. ومما يزيد فى إطمئنان القائمين عليها أن دول الخليج العربى مازالت تملك أكبر إحتياطى بترولى فى العالم ولا يمكن أن يستغنى عنه وبعد إنتهاء الحرب بين العراق وإيران وظهور الحاجة إلى تعمير ما خربته هذه الحرب ستتضح الأهمية الأكبر للقناة .

فاروق أباظة







ثلاث لقطات : الأولى موقع حفر قناة السويس بالقرب من الاسماعيلية .. والثانية مكتب ديلسبس وعليه بعض أوراقه .. ثم عربة ديلسبس فى متحف التاريخ

جسم المركب ليحدث فجوة فى قاعه ، أما ماحدث فقد كان مجرد إنفجارات بسيطة فى قاع البحر لاتمس جسم السفينة ، ولكنه يسبب تأثيرا لا وزن له ينتج عنه الفزع والخوف فقط ، وقد تأثرت الملاحة فى القناة لفترة بسيطة نتيجة هذه الانفجارات ، ثم عاد الإطمئنان لأصحاب السفن مرة أخرى ونتيجة لهذه التهديدات بدأ العالم يفكر ويدرك أن البحر الأحمر يمكن أن يهدد من الناحية الأمنية فبحث عن وسيلة أخرى لنقل البترول العربى إلى مناطق إستهلاكه فى أوروبا سواء بإستخدام خط الأنابيب لنقل البترول أو الإستغناء عن البترول العربى بالكامل ووضع سياسة للإعتماد على البترول فى غرب قناة السويس مثل بترول بحر الشمال والمكسيك ونيجيريا وخط غازات سيبريا وغيرها ...

ومن هنا بدأ التفكير فى مد خط أنابيب لنقل البترول من البحر الأحمر عبر قارة إفريقيا ، ويبدأ من بورسودان فى السودان ثم إفريقيا الوسطى حتى يصل إلى الكاميرون على المحيط وأنا أعتبر التفكير فى هذا المشروع لا يتسم بالنضج فلو حدث وأقيم هذا الخط فإن قناة السويس ستدخل معه فى منافسة شديدة وتقضى عليه بالافلاس ، فليس عندنا

● كلهم رقصوا فى «الباللو» ماعدا المجاهد العربى عبد القادر الجزائرى

● ربع مليون فلاح ماتوا من العطش والمرض وهم يحفرون القناة

● ديلسبس والخديعة الكبرى التى انتهت بفرمان «السخرة» وبيع الأسهم



السندباد أنا..

شعر: شجاع الأسد

السندباد أنا .. تنقاد أشرعتي   نحو الجمال فمن ايحائه زادي
سفينتي رفعت في البحر رايتها   وفي الشواطىء غنّى باسمها الشادي
وذكرها في مروج الشوق وشوشة   تموج .. تسرح في أنغام عوّاد
هي التي نصبت للحب ألوية   وضمّختها بعطر للهوى صادي

• • •

السندباد أنا .. تنقاد أشرعتي   نحو الجمال فمن إيحائه زادى
أطوف في جزر الأطيار شابكة   عنقاً بعنق ومنقارا بمنقار
تدور في حلبات الرقص ساجعة   كأنما هي في أعياد ميلاد
وفي الحقول فراشات متيمة   في حب سوسنة أو زهر عباد
وفي الشواطىء أنغام مغردة   من نفخ عُرْس .. ومن أصداء أعياد
والبحر يروي من الأسرار قصته   عن الهوى والجوى .. عن حرق أكباد
عن نجمة حلوة حيرى معذبة   تلتف في مئزر لليل مداد
عشيقة القمر النشوان .. تتبعه   برفقة في نجوم الليل سهاد
تصوغ للبدر في الأشواق ملحمة   يلهو بها الكأس أو يشدو بها الحادي
هذي الطبيعة لوحات أناغمها   كما أناغم بالتحنان أولادي

• • •

السندباد أنا تنقاد أشرعتي   نحو الجمال فمن ايحائه زادي
إني لأبحر في العينين تسلمني   أبعاد لونهما الصافي لأبعاد
ومثلما يتغذى النبت في دعة   من بسمة الشمس في استسلامها الهادي
أمتص من نظرات الغيد فتنتها   وأرشف السحر من أعطاف ميّاد
ومثلما يتمطى العطر منفلتا   صبيحة العيد من لفتات أجياد
ينساب للحسن إيماء يخدرني   فالشمس متكئي والنجم ميعادي
وأنظر الكون من علياء أخيلتي   كنظرة القمم الشماء للوادي

عمان ــ الأردن



بقلم: محمد أحمد الشدي

أوراق شخصيّة

السفر معك إلى المدن البيضاء

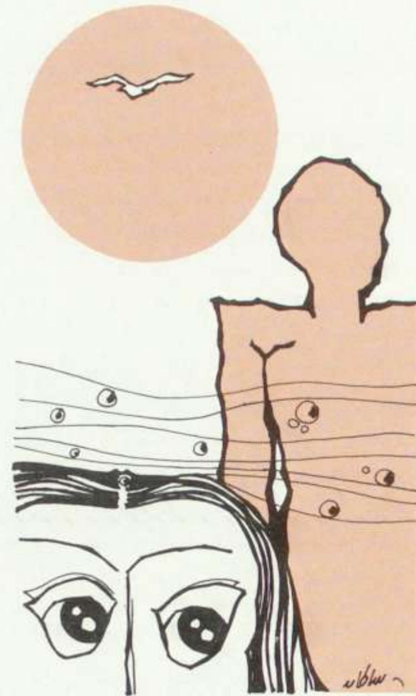
أتذكر .. أفتش بين أيامي المالحة عن قطرة من الندى .. أبحث بلهفة العاشق القديم .. عن لحظة يغتسل فيها القلب .. أمشي بذاكرتي المجهدة على الشوك والجمر .. والزجاج المكسور .. وأظل هكذا .. لا أنا أتعب ...... ولاينتهي المشوار .

أمس .. أمس فقط .. قررت أن أبوح وأن أكتب وأن أحمل النار بين أصابعي فما أنا أول من ينزف .. ويعشق .. وتشتهي دمه العشيرة .... ها أنا أكتب اليك أيتها المسافرة في دمي .. المبحرة في شراييني .. شوقا وولعاً وتذكاراً .. ها أنا بكل البراءة ... والعفوية .. والتحدى أسأل أين أنت ... أين أجدك : في أي الموانيء .. والمدن الأسطورية تقيمين وتحاشرين وتكتبين قصائد الحب اليتيمة ....

أول لقاء لنا .. كان صدفة عجيبة .. وما أندرها الصدف الجميلة فى هذا العالم ! ماكنت ... ماذا كنت أفعل .. أنا البدوى الشرقى المتوهج تحت شمس الصحراء .. فى ذلك المكان البعيد .. على بحيرة العشاق وفى مطار جنيف غريب الوجه واليد واللسان .. لا أدرى ولكنك كنت هناك أيضا .. تقفين كرمح أفريقى الى جانب النافذة بكل الثقة والكبرياء .. تنظرين الى لاشيء .. والى كل شيء وكان قلبى يحترق ويرف كعصفور على زجاج نافذة السيارة المفتوحة على قلبى تماما .

وفي الصالة .... العيون مصوبة اليك بضراعة طفل بريء ... الصالة غابة من الفاتنات الرشيقات .. يرتدين معاطف الفرو الثمينة .. والفساتين الزاهية الأنيقة ويشيع منهن العطر النفاذ .. ولكنك وحدك كل الفاتنات .. وكل العطر وكل الجاذبية والاهتمام .. هادئة جميلة ، تحيط بك القلوب .. وتهطل عليك النظرات كالأمطار الاستوائية الغزيرة ....

همست .. من الداخل .. فرنسية ألمانية .. لندنية .. شعر كأسلاك الذهب وعينان زرقاوان وقوام ممشوق .. وخطوات واثقة .. همست مرة أخرى نجمة سينمائية أم عارضة أزياء .. أم فتاة شرقية .. أم مسافرة الى لامكان ...



تقدم شاب أنيق نحوك .. أطلق كلمات سريعة .. أجبته بكلمات حادة وغير مسموعة .. فانكفأ وتلاشى .. عند ذلك عرفت معنى المستحيل ...

جاء صوت أنثوى ناعم .. يعلن عن اقلاع الطائرة المغادرة .. فخفق قلبى كفراشة مشتعلة .. نسيت كل شيء حولى .. ولهثت الى صالة المسافرين .....

فى الطائرة ..... حددت الصدفة مكانى ، كان رقمى واضحا قالت المضيفة .. هنا .. فجلست بنشوة الى جانبها .. بانتظار الذى يأتى :

كان على أن أبدأ .. فهى الآن جارتى فى الرقم على الأقل .. ترددت ... تلعثمت .. أخيرا بدأت .. الكلمة الأولى هى أصعب الكلمات ... ردت على تحيتى بكلمات عربية عذبة .. أهلا وسهلا .. فلم أصدق .. وأقلعت الطائرة ...

هذه الجميلة المستحيلة ترتحل الآن معى ...

هذه الوردة الخمرية .. تسافر فى دمى .. الى المدينة البيضاء .. شعرها ذهب .. وعيناها زرقة البحر منعكسة عليهما ....

من أين .. والى أين ؟.. ثم بدأ الحوار .. عرفت فى تلك اللحظة ماهو السحر ، وماهى الثقافة ، وماهو الشموخ العربى الأصيل .

ومرت الأيام ، ضاع العنوان مع حقائبى فى ميناء الوصول ، وبقيت أنتظر الصدفة .. الثانية ، صدفة اللقاء المستحيل .

أيتها النباتية الطاهرة ... إننى انتظر وأحمل جرحى حتى نهاية العالم ..

أيتها الغائبة .. لم يبق .. شارع .. أو ميناء .. الا ومعى منه ذكرى .. اننى لاأزال أرتحل وأطوف وفى كل مرة أعود بقلب دام أتلفه الحب والسفر والضياع .

الرياض

حول حديث جمال الغيطاني



تلقت الدوحة تعليقين حول حديث الكاتب الفنان المعروف جمال الغيطاني والمنشور فى عدد أغسطس ١٩٨٥ ، وقد كتب الغيطانى كلمة غامضة فى جريدة الأخبار المصرية ينكر فيها حديثا له فى إحدى المجلات ، وذلك دون أن يذكر اسم مجلة « الدوحة » ولا اسم كاتبة الحديث السيدة سارة ، وقد مر الآن شهران دون أن تتلقى الدوحة من الغيطانى أى تكذيب للحديث الذى نشرته أو تعديل لما ورد فيه من آراء ، وكما تحترم الدوحة حرية الغيطانى فى التعبير عن آرائه ، فإنها تحترم حرية الآخرين فى مناقشة هذا الآراء ، وعلى هذا الأساس ننشر التعليقين التاليين :

الكاتب.. وأخلاق الفارس

أجريت على مدى سنوات عشرات الحوارات ولم أواجه يوماً قط باتهامي بعدم الأمانة . قد أقبل إتهامات العديد من الزملاء الكتاب والصحفيين الذين انهالت علي مكالماتهم بعد نشر حواري مع الغيطانى وبعد نشره التكذيب بجريدة الأخبار ؛ قد أقبل إتهامهم لي بقصر النظر وعدم قدرتى على الحكم الصائب على الأشخاص ؛ وقد أقبل اتهامهم لي بحسن النية والطيبة إلى حد السذاجة ، وقد أقبل اتهامهم لي بأن حماسي لعمل ما أو لكاتب ما يفقدني وضوح الرؤية ، ويدفعنى هذا الحماس للسباحة ضد التيار ، وضد إجماع الآراء ، وقد أقبل أيضاً اتهام البعض لي بالتواطؤ مع الغيطانى لخلق هالة حوله « وهذا غير صحيح طبعا » ؛ لكني لم أقبل ولن أقبل اتهامي بعدم الأمانة ، لأنني ناضلت طوال حياتى من أجل لحظه صدق أعيشها مع نفسي ومع الآخرين ، وخسرت من أجلها كل شئ ، ولم يبق لي إلا احترامى لنفسي وقلمي ، وهذا ما سأدافع عنه حتى لو كان عمري هو الثمن .

لذلك كانت فجيعتي كبيرة بإنكار الغيطاني لآرائه ، وإدعائه أنني تعمدت الإثارة ، وأنه كان ضحيتي البريئة !!!

ولو كنت فعلا أبحث عن الإثارة لنشرت كل ما قاله من آراء ، ولكننى حماية له — بدافع التقدير — حرصت على نشر أقل آرائه إثارة ، وليس هناك ما يمنعني اليوم من نشر الأجزاء التي لم تنشر ، ولعل صنع الله ابراهيم وابراهيم أصلان وفاروق جويده أبرز شهودي على أنني لا أبحث عن الإثارة ، لأنني أثناء « تسجيل » حوارى معهم قالوا من الآراء ما يثير ، لكنهم بعد ذلك طلبوا حذف أو تعديل بعض الآراء ، وقد استجبت لرغبتهم ، مع أنه كان بإمكانى ألا أستجيب لأن آراءهم مسجلة ولامجال لإنكارهم .

كانت فجيعتي كبيرة لأنني لم أتحمس قط في حياتي لكاتب كما تحمست له — وهو أول من يعلم — وكل من قرأ الموضوع أصابه وهج من حماسي ، والمهزلة أنه في اللحظة التي كنت فيها بمكتب محمد جلال رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون أعاتبه على هجومه على الغيطاني وأدافع عنه بشراسة ، كان الغيطاني يطعنني فى ظهري ، ولن أنسى أبداً صوت محمد جلال — وأصوات أخرى كثيرة — وهو يهاتفني فى اليوم التالي بعد قراءته للتكذيب ، لقد كان صوته ذاهلا ورافضاً أن يصدق ماحدث ، لكنه حدث .

لقد واجهت بشجاعة هجوم معظم المثقفين المصريين . واجهت اتهامهم لي بالتطرف وانحيازي غير المبرر للغيطاني ، وجميعهم شهود بأن ردي عليهم كان « بأنني مؤمنة به ككاتب متميز وأتحمل مسئولية تقديمي له — بالصورة التي أدهشت الجميع — وإنني على استعداد للدفاع عنه حتى النهاية ومهما كلفني الأمر » .

و .. لكن

لأن الكاتب — في اعتقادى — يجب أن يتحلى بأخلاق الفارس ، ولأن الكتابة — فى اعتقادي أيضاً — فروسية ، ولأن الغيطاني بتكذيبه تخلى عن فروسية الكاتب ، فإنني أجد لزاماً على إن كان لي أن أعتذر عن خطأ ، فإننى أعتذر للقارئ أولاً وأخيراً ، لأنني شاركت — بسذاجة — فى تضليله بالسطور التى قدمت بها الغيطاني ، وإني أنكرها ، وأتبرأ منها .

وقد يتساءل البعض لماذ أنكر الغيطاني كل الآراء التي أثارت ضجة ، ولم ينكر رأيه في د . يوسف إدريس مع أن رأيه فيه أثار ضده الجميع ، والسبب بسيط جداً وهو أن رأيه هذا منشور وبالحرف الواحد فى مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية بالقاهرة — وقد تفضل هو باعطائي المجلة — ولكن نظراً لطبيعة المجلة فلم يلتفت أحد لها ، ولذلك لم يكن أمامه مجال للادعاء بأنني حرفت رأيه هذا أيضا ، ولعل من باب الرحمة — لا أدري لي أم له — أن كاتبنا الكبير جبرا ابراهيم جبرا لم يكن مقيما في القاهرة ، وإلا لأنكر ما قاله عنه أيضا .

ويبقى أن أذكر الغيطاني بأنني نبهته وراجعته قبل نشر الموضوع ، ويبقى أن أذكره أيضا بأنه لم يحتج على ماكتبته على لسان زوجته ولا على مااخترته من « التجليات » وقد قرأه قبل نشره !!

ويبقى أن أذكره رداً على إشاعته في الوسط الأدبي «باعتقاده بأني» مدسوسة عليه من جهة معادية ، لتدميره « تصوروا !!! » أذكره بأن حماسي الصادق تجاوز كتابة الموضوع ، ودفعني لتنظيم ندوة أدبية لمناقشته في أحد الأندية ، وقد تحملت اللوم لاختياره ، ودافعت عن هذا الاختيار .

ويبقى أيضاً أن أقول إن الغيطانى كاد ينجح في أن يبذر في نفسي النقمة على جيل كامل ينتمي إليه ، جيل آمنت بتميزه وتفرده ، وصرفت وقتي وجهدي لدراسته ، ولكن .. كان عزائي عشرات المكالمات التي انهالت علي تعتذر بالنيابة عنه وعن جيله .

ويبقى أيضاً أن أقول أن تكذيب الغيطانى بمثابة تحد لأمانتي ، وأعلن أنني قبلت هذا التحدي ، وليتخذ ماشاء له من إجراءات ، وسأتخذ ماشاء لي من إجراءات .

كلمة أخيرة أقولها له .

لقد خسرتني ، وخسارتك لي فادحة ، لأننا في هذا الزمن الصعب من المستحيل أن نجد من يدافع عنا بحماس ويقدرنا بحماس ، وقد وقفت إلى جانبك بشجاعة وأصالة ونبل .. لك العزاء .

ملحوظة :

مانشرته على لسان زوجة الكاتب فى حديثي الذى نشرته الدوحة « أغسطس ١٩٨٥ » مأخوذ من موضوع مطول كتبته « زوجته » بمجلة صباح الخير ، وقد كان هدفي المخلص من اختيار تلك السطور تسجيل لحظة إنسانية عميقة ومؤثرة ونادرة عاشها الكاتب مع زوجته ، ومانشرته تحت عنوان « الغيطانى يحكى لنا » مأخوذ من « التجليات » وقد قمت بالفصل بينها وبين الأسئلة التى طرحتها عليه بعنوان جانبي « أسأل أنا ويجيب الغيطاني » .

سارة — القاهرة

وقانا الله شرّ الغرور

شجعتني افتتاحية عدد أغسطس ١٩٨٥ من مجلة الدوحة الرصينة والجميلة ، حول فتح باب « المناقشة والرد على ما جاء من آراء في الحديث المثير » الذي أدلى به الأديب جمال الغيطاني إلى السيدة سارة ، والمنشور بنفس العدد ، على كتابة هذه السطور ، رداً وتصحيحاً لما تضمنه الحديث من آراء .

فقد تضمن هذا الحديث عدة مغالطات واتهامات وتجاوزات تمس مكانة الكثير من النقاد والكتاب والمفكرين ، وتشي بالنرجسية والاستعلاء والاستخفاف وتضخم الذات ، وهو ما سأوضحه في السطور التالية . ولكن الأخطر من هذا هو نقل الغيطاني فقرة كاملة من دراسة لي منشورة منذ نحو ثلاث سنوات ونسبتها لنفسه . ودراستي المقصودة عنوانها « الزيني بركات وتأصيل الرواية العربية » ، وقد نشرت بمجلة « البيان » الكويتية ، العدد ٢٠١ ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٢ . ومن الغريب أن الغيطاني أشار في حديثه إلى الدراسات المكتوبة عن روايته « الزيني بركات » في حين تعمد إغفال كل إشارة إلى دراستي واسمي ، بالرغم من نقله نص كلماتي ، في الحديث ، وتضمينه جوهر أفكاري حول موضوع التراث وتأصيل الرواية العربية في مواضع أخرى . لذا تعجبت من ذكر السيدة سارة ، التي أجرت الحديث ، أنه سجل في مقهى الفيشاوي بالقاهرة . فمع احترامي وتقديري للسيدة سارة وثقافتها الواضحة في الحديث ، إلا أني أتساءل : هل يمكن للغيطاني أن يحفظ كلماتي عن ظهر قلب ويمليها عليها !؟

يؤلمني أن أكتب هذه الكلمات عن أخ وكاتب تحمست كثيراً لكتاباته . وقد مررت بهذه التجربة أكثر من مرة عندما أقدم بعض الأصدقاء من الكتاب على تضمين بعض الكلمات والعبارات والأفكار من كتاباتي دون إشارة لأصولها . وكنت أسكت حرصاً على الصداقة ، بل كنت أفرح وأبتهج عندما أجد كلماتي وأفكاري تتردد في الصحف والمجلات والكتب مضمنة بأقلام كتاب آخرين .

ولكن أن يصل الأمر إلى النقل بالكامل وإلى انكار جهودي فهذا أمر غير مقبول .

وكنت قد أعددت منذ سنوات دراسة كبيرة بعنوان « نحو ثقافة عربية أصيلة » ، وأعلنت عنها في كتبي الصادرة خلال السنوات الأخيرة ، حول تأصيل الأشكال المسرحية والتمثيلية والقصصية والروائية في التراث العربي وبعثها في ثقافتنا العربية الحديثة ، بغية التحرر من التبعية للغرب والخلاص من آثار الغزو الفكري الاستعماري ، واستكمالا لشخصيتنا القومية المستقلة ، وتجديداً للابداع العربي وتأصيله ، ومن أجل تقديم إضافة عربية أصيلة في هذا المجال . وكتبت في هذا الصدد عدة دراسات ومقالات ، منها : « نحو تأصيل المسرح العربي » ، و « محاولات على طريق تأصيل الرواية العربية » ، و « الزيني بركات وتأصيل الرواية العربية » ،وهي الدراسة التي نقل منها الغيطاني كلماتي وأفكاري ونسبها إلى نفسه ، في حديثه لمجلة الدوحة .

ولقد اهتممت برواية « الزيني بركات » لأنها دخلت ضمن دراستي ودعوتي لإحياء الأشكال الفنية والأدبية التراثية في الأعمال الأدبية والفنية الحديثة . ومن هنا رحبت برواية « الزيني بركات » ، بالرغم من عيوبها الفنية التي أوضحتها في دراستي ، بسبب اتجاهها التراثي بقدر ترحيبي بأعمال روائية عربية أخرى تتجه نحو استلهام التراث شكلاً ومضموناً .

ولما كنت أعتزم الاستمرار في متابعة الدراسة التطبيقية على الأعمال الروائية والمسرحية والقصصية التى تستلهم الاشكال والموضوعات التراثية ، فقد خشيت أن ينسب جهدي إلى غيري ، خاصة بعد نشره في مجلة منتشرة ورصينة كمجلة « الدوحة » .

أما الفقرة المنقولة بالنص من دراستي المشار إليها من قبل ، فهي : « نشأت الرواية العربية الحديثة غريبة في أحضان الرواية الغربية منذ تحول الروائيون العرب الأوائل من ينابيع الفن القصصي والروائي في تراثهم العربي ، عندما شرعوا في كتابة رواية عربية حديثة ، واتجهوا صوب الغرب لينقلوا عنه رواياته ويقلدوها ويبدعوا على منوالها . فوقعوا في شباك الغزو الفكري الغربي متأثرين بالانموذج الحضاري الغربي المتقدم الوافد مع الاستعمار الغربي لبلادنا في أوج عنفوانه وازدهاره . وبدأت غربة الرواية العربية عن أصولها التراثية كاملة بتبنيها لموضوعات غربية وأشكال غربية نابعة من حضارة غربية وتراث غربي وثقافة غربية ... »

وفي فقرة تالية من الدراسة كتبت : « .. إذ أن الأشكال القصصية العربية في التراث العربي هي أشكال متميزة لا تخضع للشروط الغربية لفن القصة والرواية ، فلكل حضارة أشكالها وتراثها ومن ثم فإن استبعاد الأصول القصصية العربية على أسس ومقاييس غربية كان عملا تعسفياً من قبيل الخضوع للغزو الفكري الغربي . »

(مجلة « البيان » الكويتية ، عدد ديسمبر ١٩٨٢ ص ٩٤ و ٩٥)

وفي رده على سؤال السيدة سارة : هل هناك ثمة تناقض بين التجديد والاستفادة من التراث ؟ أجاب الغيطاني بكلماتي سالفة الذكر على هذا النحو : « الاستفادة من التراث هو لب التجديد ، فلقد نشأت الرواية العربية الحديثة غريبة في أحضان الرواية الغربية منذ تحول الروائيون الأوائل عن ينابيع الفن القصصي في تراثهم العربي ، عندما شرعوا في كتابة رواية عربية حديثة ، واتجهوا صوب الغرب لينقلوا عن رواياته ويقلدوها ويبدعوا على منوالها ، فوقعوا في شباك الغزو الفكري الغربي (؟!) بالانموذج الحضاري الغربي المتقدم الوافد مع الاستعمار الغربي لبلادنا في أوج عنفوانه وازدهاره . وبدأت غربة الرواية العربية عن أصولها التراثية كاملة بتبنيها لموضوعات غربية ، وكان المطلوب إيجاد خصوصية للرواية العربية ، إذ أن الأشكال القصصية العربية في التراث العربي هي أشكال متميزة لاتخضع للشروط الغربية لفن القصة والرواية ، فلكل حضارة أشكالها وتراثها ، ومن ثم فإن استبعاد الأصول القصصية العربية على أسس ومقاييس غربية كان عملاً تعسفياً من قبيل الخضوع للغزو الفكري الغربي . » (مجلة الدوحة) عدد أغسطس ١٩٨٥ ص ١٠٦) وقد صورت هاتين الفقرتين وأرفقتهما بهذه الرسالة .

هذا هو النقل الكامل من دراستي الذي قام به الأديب جمال الغيطاني بكل جرأة ، أما التضمين فيأتي في موضع آخر من الحديث . إذ قال الغيطاني : « اميل حبيبي من أكبر كتاب الرواية في العالم العربي ، وتجربته من أهم التجارب الروائية العربية بالنسبة لي لأننا نمضي في اتجاه واحد وهو تأصيل الرواية العربية ، و « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » من أكمل التجارب العربية وأتمها في هذا الاتجاه ، وتوجه أميل للتراث لم يأت من فراغ ولكنه كان نوعاً من حماية الذات القومية الفلسطينية .. » الدوحة ص ١٠٨)

وهذا هو أيضاً مضمون كلماتي في دراستي « محاولات على طريق تأصيل الرواية العربية » ، والتي تناولت فيها بعض أعمال اميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا والغيطاني ، والمنشورة بعدد يناير ١٩٨٥ الخاص بالابداع الروائي من مجلة « إبداع » المصرية . ومما ذكرته في هذه الدراسة قولي : « ويقدم اميل حبيبي تجربة فريدة حية وانموذجا فذا يؤكد أصالة الفن القصصي والروائي العربي ، وامكانيات إبداع رواية عربية أصيلة نابعة من تراثنا وروحنا وقيمنا وهمومنا ، ولا تقع في أسر الشكل الروائي الغربي . وقد نبع الشكل العربي

حول حديث جمال الغيطاني

الأصيل من تحديات المقاومة الفلسطينية وخصوصية القضية الفلسطينية ، التي فرضت على الروائي ، كأديب مقاوم ، ضرورة الرجوع إلى التراث العربي والتراث الشعبي الفلسطيني ، والمزج بينهما ، وإبراز الشخصية العربية الفلسطينية في مواجهة المحاولات الصهيونية لانتزاع الفلسطيني من أرضه وقمعه قومياً وثقافياً . » (مجلة « ابداع » عدد يناير ١٩٨٥ ص ١٣٩) . كما قلت ، في هذه الدراسة أيضاً ، « ويتقدم اتجاه روائيينا العرب المحدثين نحو تأصيل الرواية العربية ، من إحياء البناء الفني لحكايات الف ليلة وليلة ، وأسلوب التقابل الساخر ، وتوظيف التراث العربي من المقاومة والحفاظ على الشخصية القومية ، كما طالعنا عند الروائي العربي الفلسطيني اميل حبيبي ، إلى استخدام أسلوب الخط التراثي ، في شحنه بمضامين وهموم عربية معاصرة عند الروائي المصري جمال الغيطاني ابن الجمالية ، أحد أحياء القاهرة ، الغني بآثار التراث العربي ، وبزخم التاريخ العربي ، حيث ولد الغيطاني ، وأبدع روايته العربية الأصيلة « الزيني بركات » في اتجاه تأصيل الرواية العربية .. » (مجلة « ابداع » عدد يناير ١٩٨٥ ص ١٤٢)

وحتى السيدة سارة ، فقد استخدمت أيضاً نص كلماتي دون نسبتها لي ، ومع أنها فعلت هذا في سؤالها الأخير ، الموجه إلى الغيطاني : « فهل نستطيع اعتبار ـ المقتبس من عودة ابن اياس ـ وهداية أهل الورى ـ وكشف اللثام ـ بمثابة تخطيطات تمهيدية للزيني بركات ؟ » (« الدوحة » ص ١٠٤) وذلك نقلاً عما كتبته في دراستي « الزيني بركات وتأصيل الرواية العربية » : وتعد قصص الغيطاني الثلاث : « المقتبس من عودة ابن اياس إلى زماننا » ، « هداية أهل الورى لبعض ما جرى في المقشرة » ، و « كشف اللثام عن أخبار ابن سلام » ، بمثابة تخطيطات تمهيدية لرواية « الزيني بركات » ... » (مجلة « البيان » الكويتية عدد ديسمبر ١٩٨٢ ص ١٠٤)

أما آراء جمال الغيطاني الأخرى الواردة في الحديث المثير ، فهي مشحونة بالنرجسية وتضخم الذات والاستعلاء والاستخفاف وبالمغالطات أيضا . فمن المغالطات زعمه أنه ، مع جيل الستينيات ، « ولد خارج الأطر الرسمية ، وخارج الأطر الاعلامية » . فإذا صح هذا القول عن جيل الستينيات الأدبي فإنه لا ينطبق على الغيطاني الذي انتقل من عامل نسيج إلى العمل الصحفي في «مؤسسة أخبار اليوم » في الستينيات وعمل بجريدة « الأخبار » كما قدمه التليفزيون تقديما حافلاً في ذات الوقت ، ثم تبناه موسى صبري .. ومثل قوله بأن أجهزة الاعلام قابلت أعماله ، مع جيله أيضاً ، بالتعتيم الكامل ، وأضاف . « وقد فرض علينا حصار إعلامي طوال السبعينيات .. » فكيف يصح هذا ، وقد نشرت هيئة الكتاب الحكومية عددا من كتبه ، وقد نال الغيطاني جائزة الدولة التشجيعية في الرواية عن أحد هذه الكتب في نهاية السبعينيات وتسلم الجائزة من الرئيس المصري الراحل أنور السادات في حفل بثه التليفزيون المصري على الهواء ، وقد هلل له أيضاً كل من موسى صبري ومصطفى أمين على صفحات جريدة « الأخبار » ؟ !

ومن المغالطات وتضخم الذات أيضاً اتهامه النقاد جميعاً بالقول بعجز التراث عن التجديد وبالجهل بالتراث النقدي العربي ، وانه دحض بروايته « التجليات » إجماعهم على عجز التراث عن التجديد قائلاً : « ومن هنا ولدت التجليات التي دحضت إجماع النقاد بعجز التراث عن التجديد والابتكار والتفرد .. » وأضاف « .. ولكني اتهمهم بتأثرهم الكبير بالمدارس النقدية الغربية ، وعدم بذل أية محاولة جادة لتطوير المدرسة العربية في النقد ، وجهلهم بالتراث وما يحتويه . » (« الدوحة » ص ١٠٧) ويكفي أن أشير إلى دراساتي التراثية السابق ذكرها ، إذ لا يتسع المجال لذكر الدراسات الكثيرة للنقاد الكبار في هذا الصدد وعلى رأسهم الناقد الكبير الدكتور علي الراعي .

ومن مغالطات الغيطاني وتجاوزاته في هذا الحديث أيضاً قوله بأن الروائي الكبير جبرا ابراهيم جبرا ، الحائز على جوائز عالمية وعربية في الرواية ، لا قيمة له عنده كروائي ولكن كمترجم ، وزعمه أنه يتعامل مع التراث « تعامل خواجه » ورفضه لاعتباري روايته الفذة « البحث عن وليد مسعود » تجربة روائية يدفع فيها جبرا بمسيرته الروائية وثقافته الغربية نحو أصول التراث العربي ، واتهامي بالمبالغة في هذا القول ، وزعمه أيضاً أن جبرا قام بمجرد محاولة لتطعيم العمل الروائي بالتراث كزينة أو حلية . فقد أوضحت في دراستي لرواية « البحث عن وليد مسعود » أن توظيف التراث العربي لا يتوقف ، في تأصيل رواية جبرا ابراهيم جبرا ، عند حدود استخدام مقتطفات من الشعر العربي القديم أو التراث الشعبي الفلسطيني أو إحياء القيم العربية ، ولكنه يدخل في صميم المعمار الروائي ورسم الشخصيات وتكوينها ومواقفها ورؤاها . فينهض الشكل الروائي باعتماده على السمة الرئيسية للبناء القصصي في ألف ليلة وليلة ، القائم على الاستطراد من القصة الرئيسية المحورية إلى قصص فرعية ، وتتراكم هذه القصص الفرعية لتصب في مجرى القصة الأصلية فتعمقها وتثري موضوعها وتلقي أضواء جديدة على شخصياتها . فكل شخصية تروي سيرتها وذكرياتها عن شخصية « وليد مسعود » بطل الرواية الغامض المثير ، وتغذيها بعدة حكايات وأقاصيص فرعية عن علاقتها بوليد مسعود وبسائر شخصيات الرواية الأخرى . ومن خلال هذه الأقاصيص ينتقل الروائي ، في تركيزه على ماضي الحضارة العربية واستلهامه تراثها المجيد في أوج نهضتها ، وفي بحثه في مكونات شخصيات الرواية ، معمقاً الصلة بين ماضي الشخصية العربية وحاضرها ، فيصل جبرا الماضي العربي بالحاضر العربي عن طريق البحث في مكونات الشخصية العربية .

وهكذا فجبرا ابراهيم جبرا لم يستخدم التراث في روايته « البحث عن وليد مسعود » . كحلية أو كزينة ، بل قدم تجربة عظيمة في استيعاب وتمثل التراث هي الانموذج الكامل للابداع العربي الأصيل في الرواية الحديثة . وهو غير ما فعله الغيطاني في روايته « الزيني بركات » التي اكتفى فيها بنقل أسلوب ابن أياس ونقل نماذج من خطب ورسائل وبيانات عصر المماليك بتطويل ممل .

ومن مغالطات الغيطاني أيضاً ما قاله عن الأديب الكبير يوسف ادريس ، وهو مهما اختلفنا مع تقلباته الفكرية والفنية ، إلا أنه لا يمكن انكار انجازاته وريادته لفن القصة القصيرة مصرياً وعربياً وتأسيسه لقصة مصرية أصيلة وجديدة في الخمسينيات . فلننظر كيف يتعامل الغيطاني باستعلاء واستخفاف مع يوسف ادريس في قوله : « بالنسبة ليوسف ادريس فقد قرأت له عدداً من القصص المتفرقة في مرحلة متأخرة نسبياً لمجرد الفضول ، وقصصه تكرار لتشيكوف ، فهو لم يقدم جديداً غير التعبير عن الواقع المصرى فقط ، باستثناء محاولته الاستناد على التراث الشعبي فى الفرافير ، كما أنه يكتب بلغة عادية وبدون أدنى اهتمام بها ! فلا يضير يوسف ادريس أن لا يقرأ له الغيطانى ، ولكن هذا يعيب الغيطانى وأى كاتب قصة عربى لا يقرأ أدريس ، لأن ابداع يوسف ادريس يشكل مرحلة هامة فى تاريخ الأدب العربى الحديث لا يمكن القفز عليها أو تجاهلها . وحتى اذا كان كل ما أضافه يوسف أدريس هو التعبير عن الواقع المصرى ، كما يدعى الغيطانى ، فيكفيه هذا مجدا وريادة .

ثم تأتى آراء الغيطانى المتعالية والمتغطرسة واستخفافه بكبار النقاد والكتاب والمفكرين . فهو يختلف مع «جورج لوكاش» وكتابه «الرواية التاريخية» . أما الرائد رفاعة الطهطاوى فهو ، فى رأيه ، ساذج فى انبهاره بحضارة الغرب ، وقد «استسلم دون وعى لثقافة الغرب» . ولم يكتف الغيطانى باتهام الطهطاوى بالسذاجة وافتقاد الوعى ، بل أنه يشكك فى وطنيته و«اعتزازه بانتمائه وثقافته ووطنه»

وبلغ به الاستخفاف إلى حد اتهام معلمنا العظيم طه حسين بأنه «يمثل مدرسة المستشرقين» .

وتأتى الطامة الكبرى وقمة النرجسية وتضخم الذات فى زعم الغيطانى أنه تجاوز بأعماله الابداعات الهائلة ، كما وكيفا ، للأدباء العظماء : نجيب محفوظ وتولستوى ودو ستويفسكى ؟ ! وقانا الله شر الغرور .

أحمد محمد عطية

إبراهيم أصلان:

مذبحة الثقافة سبقت مرحلة الانفتاح الاستهلاكي البغيض!

في مقهى « زهرة البستان » المجاور لمقهى « ريش » قال لي ا براهيم أصلان : « لم أشعر أبداً أنني كاتب ولي قراء ، وإذا حدث والتقيت بواحد فإنني أرد ذلك إلى ظرف ما ، ولا أقبله على علاته أبداً ، أما قرائي الذين أعرفهم ، فهم زملائي من الكتاب ، هذا العدد القليل منهم الذي وثقت في ذوقه ، والذين أعلم أنهم وثقوا بي ، والذين أعمل من أجل أن لا أفقد ثقتهم أبداً ، ولقد كان ذلك غالباً عوناً وحيداً على الاستمرار ..

أن أكتب يعني أن أكون وحيداً ، وأن أكون وحيداً يعني أن أكون وسط زحام المقهى « لا تتعجبي » لقد كتبت « مالك الحزين » في المقهى — استغرقت كتابتها عشر سنوات — إنني أشعر بالوحدة بين الناس ، وعندما أكون وحيداً — فعلاً — في غرفتي أشعر بضجة الزحام ، والناس ، والأصوات ، ساعتها أشعر بالعجز عن الكتابة ..

عندما يحاصرني الليل ، يبحلق فى ، وأبحلق فيه ، أتذكر أننى فقدت جدران بيتى الحقيقى ، مات صلاح عبد الصبور ويحيى الطاهر عبد الله وأمل دنقل « تصوري ! » وهاجر جميل عطية إلى سويسرا وبهاء طاهر إلى جنيف وعبد الحكيم قاسم إلى ألمانيا « تصوري ! » وهاجر أيضا إبراهيم منصور إلى قبرص ، ومحمد البساطي إلى الخليج ، ماذا حدث لهم ؟ ماذا يحدث لي « مش عارف » أشعر أنني أقترب من الجنون كلما تذكرت الراحلين والمهاجرين ..

لماذا أنا حزين هكذا « مش عارف » ، مرة ، قال لي عبد الوهاب البياتي « ياإبراهيم ، يجب أن تحتفظ بمسافة مأمونة بينك وبين الواقع حتى لا ينكسر قلبك » .

زمان ، منذ سنوات تبدو لي بعيدة ، عندما نشرت أول قصة ، ولم أكن أعرف أحداً ، تحمل غالب هلسا وجميل عطية وابراهيم منصور مشقة البحث عني ، وجاءوا ليقولوا لي فقط إنني كتبت قصة جيدة ، كان كل كاتب يدرك أنه لايستطيع الكتابة بشكل جيد إلا إذا كان هناك من يكتبون بصورة جيدة أيضاً ، هذا لم يعد يحدث الآن « ليه ، مش عارف » .

أتحمس لحضور ندوات الآخرين ، ولكني لا أحضر أبداً ندوات تناقش أعمالي « ليه ، مش عارف ! » مرة واحدة فقط حضرت ندوة أدارتها الناقدة رضوى عاشور لمناقشة « مالك الحزين » ،

إبراهيم أصلان:

مذبحة الثقافة سبقت مرحلة الانفتـــاح الاستهلاكي البـغـيض!

ولكني لم أستطع الجلوس على المنصة ، وفضلت الجلوس مع الجمهور ، إنني أكره أن أكون في مكان عرضة لعيون الآخرين .

محيي الدين محمد .. البداية

وقال لي « مالك الحزين » أيضاً :

« حياتي لاتختلف كثيراً عن حياة أي شاب مصري ينتمي للطبقة الشعبية ، ولدت في مدينة طنطا في ٣ مارس ١٩٣٩ ، ونزحت أسرتي إلى القاهرة عندما بلغت عامي الثاني ، وتنقلت بين الحسين وباب الشعرية فترة قصيرة حتى بدأ استقراري في امبابة ، ولم أبارحها منذ ذلك الحين حتى اليوم ، التحقت بمدرسة لصناعة النسيج والسجاد ، ومكثت فيها عاماً فقط ، وبعدها انضممت لمدرسة عسكرية داخلية ، وواصلت دراستي فيها لمدة عامين حتى أغلقت بعد قيام الثورة ، وقد تم توزيعنا على مدارس صناعية ، وكنت أنا ضمن الطلبة الذين ألحقوا بمدرسة اسمها الجامعة للصناعات ، وبما أن المناهج كانت مختلفة تماماً عن مناهج المدرسة العسكرية ، فلم أمكث فيها إلا عاماً واحداً ، وخرجت لأعمل في هيئة البريد ، ثم التحقت بالهيئة القومية للمواصلات السلكية واللاسلكية وما زلت أعمل بها حتى اليوم .

كان أول كتاب قرأته النسخة الأصلية من ألف ليلة وليلة والتي ورثها أبي عن جدي ، وأيضاً كتاب دلائل الخيرات وقد لاحظ مدرس اللغة الإنجليزية في المدرسة الابتدائية إهتمامي بالقراءة ، فدلني على دار الكتب ، وهذا المدرس هو كاتب السيناريو محمد أبو يوسف ، ولكن قراءاتي في تلك الفترة المبكرة لم تكن منظمة ولم تكن خاضعة لمنهج ، حتى التحقت بهيئة المواصلات عام ١٩٦١ ، وقد شاء حسن طالعي أن يكون من ضمن زملائي في العمل المفكر السوداني محيي الدين محمد والذى كان يعمل أيضاً مراسلاً للآداب في تلك الفترة ، والآخر أحمد طه السياسي وعضو مجلس الشعب حالياً ، وقد كان نقابياً شهيراً ، وهو شقيق الشهيد عبد القادر طه الذي اغتيل قبل الثورة ، وتوطدت الصداقة بيني وبين محيي الدين محمد ، والذى يعود له الفضل في تنظيم قراءاتي وتعريفي بأهم الأسماء في الآداب العالمية والعربية ، وقد كان أول كتاب نصحني بقراءته « قصة الحضارة » كما أن له الفضل في اهتمامي بالمجلات الأدبية المتخصصة ومتابعتها ، وقد كان محيي الدين من أول الأذواق التي اعتمدت عليها عندما بدأت في كتابة القصة القصيرة ، ويعود له الفضل في نشر أول قصة لي عام ١٩٦٤ في مجلة « صباح الخير » عندما قام بتقديمها لعلاء الديب .

وقال لي « إبراهيم » وأنا وجهاز التسجيل نصغي :

كان الجميع يعتقدون أنني سأكون رساماً ، ولكن كانت بي رغبة ملحة للكتابة ، إلا أنني كنت حائراً ماذا أكتب ؟ بدأت بكتابة الشعر بالفصحى والعامية ، ولكني شعرت بالامتعاض تجاه ماكتبت ، حتى قادتني قراءاتي في المسرح إلى « تشيكوف » مسرحياً وقصاصاً ، وعندما انتهيت من قراءته ، أعدت قراءة رائعته الصغيرة « موت موظف » حينئذ ركبني العناد فوراً ، وقررت كتابة قصة قصيرة ، لازلت أذكر تلك الليلة ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ م ، ليلة رأس السنة ، والتي سهرتها برفقة محيي الدين محمد وقد فاجأته قراري بكتابة قصة قصيرة .

لقد كانت تجاربي الأولى بالغة السوء « وغشيمة » تماماً ، اندفعت للكتابة عن بعض الناس والأماكن التي أعرفها ، أو الحكايات التي سمعتها ، فعلت ذلك في إطار قصصي لايختلف في بنائه عن ذلك السياق الغالب من الكتابة ، والذي يبعث على الأسى أكثر مما يبعث على التقدير ، كتبت خلال ذلك العام أكثر من عشر قصص ومسرحيتين ، نشرت إحداهما « الساعة الواحدة » في مجلة الثقافة والتي كان يرأسها محمد فريد أبو حديد ، ونشرت لي أيضاً ثلاث قصص في مجلات أخرى ، وقمت بتمزيق الباقي ، ومر عام آخر في عذاب صبياني مع النفس ، وفي بداية عام ١٩٦٥ م عاودت الكتابة مرة أخرى ، وعرفت أن الكتابة وحدها هي التي تعلمك كيف تكتبها .

لقد بدأت الكتابة بإحساس من عدم الرضا ، لم تكن هناك أية إمكانية للقبول بشيء مطروح فنياً واجتماعياً ، ولم يكن هذا الرفض قائماً على أى أساس « وأغلب الظن أنه لازال » والصعوبة في ذلك أن تكون أنت وما تكتبه شيئاً واحداً ، تتعاونان في أريحية دائمة من أجل مماثلة كل مظاهر الاختلاف التي قد تنشأ بينكما ، يعدل كل منكما الآخر حتى تستويا شيئا واحداً ، لاأقصد بالصعوبة أن يكتب الإنسان كما يعيش ، ولكني قصدت بها أن تجد نفسك تعيش مثلما تكون الكتابة ، وليست هذه لحظة للتبجح ، ولكنها كشف عن سخرية الموقف ، « لاتكتب إلا إذا كانت لديك رسالة محددة تريد أن تنقلها إلى القارىء » . عبارة كان لها في وقتنا رنين الحكمة ، وكأن ساعي البريد قد أفرغ حقيبته .

لا أدري لماذا اخترت القصة القصيرة كشكل للتعبير ، ربما لأني لاأجد القدرة على مواصلة الحديث لفترة طويلة ، وربما بسبب من نظرتي الجزئية وولعي بتلك الأشياء الصغيرة ، لقد تعلقت بها ، وشعرت على نحو ما بأنني وجدت شيئاً يمكنني أن أودعه حلماً ، وأن تكاملي نفسياً واجتماعيا عبر الوصول إلى يقين ما ، وقف على مدى تقدمي في ذلك الإطار الفني وحده ، المهم أن ذلك كان يتوافق مع أغراضي المبهمة ، والأهم من ذلك كله أنه أعجبني أن أكون كاتباً للقصة القصيرة !

دلالات الجنون

كان لقاؤنا الثاني ـ لمواصلة الحوار ـ في منزله الصغير في امبابة ، وكما توقعت تماماً واجهتني « الموناليزا » بنظرتها المحيرة على جدار مكتبه ، وكما توقعت أيضاً كان يجاورها « دون كيشوت » شاهراً سيفه ، هذه هي إذن غرفة « يوسف النجار » بطل روايته « مالك الحزين » تماماً كما وصفها في الرواية ، الأرفف المثقلة بالكتب والمجلات ، ورائحة عتيقة تنبعث من أشيائه الصغيرة ، صينية شاي معلقة على الحائط كانت ضمن جهاز أمه يوم عرسها ، الراديو العتيق الذي اشتراه من بائع الروبابيكيا ، بيك آب عتيق ، قارب فرعوني ، أشياء ، أشياء بالغة العتق ، بالغة الجمال ، بالغة الإحساس .

قلت لإبراهيم :

• اثنان وعشرون عاماً مضت على أول قصة قصيرة نشرتها ومع ذلك لم يصدر لك حتى الآن سوى مجموعة قصصية « بحيرة المساء » عام ١٩٧١ م ، ورواية « مالك الحزين » عام ١٩٨٣ ، بماذا تعلل هذا « الكسل » الأدبي ؟

ـ حقيقة « مش عارف » أذكر منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، عندما طلبت مجلة « المجلة » من الدكتور شكرى عياد ، كتابة دراسة عن قصتى « بحيرة المساء » ، استدعاني للقائه ، وعندما أحس أن الكتابة بالنسبة لي مرهونة بمزاجي وتقلباته ، حذرني ونبهني بقوله إن عملية الإبداع الفني مرهونة بالإرادة والتصميم على الإبداع ، ربما أفتقد أنا هذه الإرادة ، وربما كما فسر البعض الخوف من الفشل بعد النجاح ، وربما ظروف الحياه غير الإنسانية التي تحاصرني ، وربما أيضاً لأنني محب للأدب والفن أكثر من مزاولته ، وحماستي للكتابة ليست حماسة كافية ، عموماً فأنا من الكتاب الذين علاقتهم بالكتابه علاقة بالغة القسوة مما يجعل القدر المتوفر من الحماس غير كاف لاستنزاف نفسي سنوات ، كما أن عملي يستهلك مساحة كبيرة من يومي ، وماتبقى لي أجد في نفسي ميلاً إلى استثماره في الإستماع والتذوق والقراءة أكثر من الكتابة ، جميع هذه الأسباب المطروحة أجد في نفسي ميلاً للاقتناع بها ، لأنها تبدو لي معقولة ، ولكن يبدو أن السبب الحقيقي مجهول وغامض حتى بالنسبة لي ، احيانا أشعر « بالزهق » من الكتابة ، وأحيانا « أتلكك » كي لا

أكتب ، عموماً فأنا لم أنشر كل ما كتبته ، ولدي من القصص ما يكفي لنشر مجموعتين .

• ولماذا لم تقم بنشرهما إذن ؟

ــ « مش عارف » لست متحمساً لذلك ! !

شهادة رقم (١)

إن إبراهيم أصلان ليس من ذلك الطراز من الكتاب الذي يسمى باللامنتمي ، إنه من طراز « الرافض » وليس الرفض عنده تمرداً صريحا مباشراً حاراً ، لقد رأيته في بعض القصص التي أعاد النظر فيها ، يحذف كلمة « جداً » ويستبدل لها بكلمة « كثيراً » لفرط حرصه على ألا يكون في عباراته مايشي حتى بالحماسة أو التأكيد على شيء ، « هذا الكاتب يريد أن يقول لنا بطريقة فعالة وجديدة . كل شيء ، كما أراه ، كما أريه لكم ، كما ترونه معي ، مرفوض » « إدوار الخراط » .

وسألته :

• لماذا تبدو دلالات الجنون في قصصك مكثفة سواء أكان المجنون صامتاً منزوياً عن العالم أم كان ثرثاراً لايكف للحظة عن الحديث ؟

ــ شخصياتي كما رسمتها في قصصي تبدو لي بعيدة كل البعد عن شبهة الجنون ، لقد أدهشني النقاد فعلاً عندما قالوا إن عالمي القصصي مشحون بالمجانين ودلالات الجنون ، يبدو أن الجميع قد ألفوا الإيقاع العام للحياة بمفاهيمه ومعتقداته على الرغم مما يحتويه من زيف وتشويه ، ولذلك يوصم بالجنون كل من يتلمس منفذاً للخروج من بؤرة « العفن » هذه ، والمدهش أنه كلما اقترب الكاتب مماهو حقيقي وصادق بدت لنا شخصياته غير حقيقية أو مختلفة لفرط ما ألفنا الزيف والتشويه .

• و .. لماذا تسيطر الرغبة في التعري على شخصياتك ، وهل ينطبق عليها التفسير الفرويدى الذى يقول ان رغبة الرجل الناضج في التعري تعود إلى رغبته في استرجاع فردوس الطفولة المفقود ، أم أن لديك تفسيراً آخر ؟

ــ لا يوجد لدى أي تفسير لهذه الرغبة المسيطرة على بعض الشخصيات في التعري ، فأنا عندما كتبت لم أكن أقصد الإيحاء بأي معنى ، ولكني وجدت أن لحظة التعري تلك ملائمة فنياً ، وبها تكون القصة أعمق وأفضل ، وإن أدت إلى معنى ، فهو معنى مضمر في شكل تجربة مختزنة ، وعلى ضوء هذه التجربة يظهر نوع من المعرفة لايتيحها لنا إلا الفن ، أنا شخصياً لا أهتم بأن يكون للقصه مغزى عند كتابتها ، بل إنني أستبعد كل شبهة حوله حتى لوجاءت عفواً ، أظنها مسألة خطيرة جداً ، مسألة المغزى هذه ، أن تتم عملاً ، هذا وحده كفيل بأن يفسد كل شيء ، إنها تثير جدلاً ولكنها لا تنتج فناً يرقى إلى مستوى التجربة التي يمكن أن تضاف إلى تجارب الناس ، أو تثريها ، أن تهتم بأن يكون لقصتك مغزى



غلاف رواية مالك الحزين

● عندما قال لي البياتي: احتفظ بمسافة بينك وبين الواقع حتى لاينكسر قلبك

● كان محيى الدين محمد حظاً ثقافياً سعيداً في حياتي

● علاقتي بالكتابة علاقة بالغة القسوة

يساوي أن تهتم بأن تضيف لطفلك أنفاً أو قرنا ، والمسألة في الكتابة ليست أن تلوي عملك ــ ولاطفلك ــ نحو وجهة ينمو فيها ، ولكن المسألة هي استبعاد كل مامن شأنه أن يعوق نمو هذا العمل

• وعن ذلك الحشد من المسنين في قصصه أيضاً قال :

ــ المسنون تجسيد حقيقي لوحدة الإنسان في العالم ، أنا أعيش في الأحياء الشعبية ، حيث المسن لايملك إلا الوحدة والجلوس أمام المقهى الشعبي ، أتكلم عن مسني أحيائي أنا الذين أحبهم ، وأنا خير من يقيم علاقات معهم ومع المرضى نفسياً ، ربما لأنني أمنحهم إصغائي بحب ، والليل لايحمل إلا الأشخاص الوحيدين ، منذ أحد عشر عاماً لم أنم الليل ، أكون مع مسن أو مع وحدتي ، أحياناً تصبح الوحدة كالشيخوخة ، والعزوف عن الأشياء الجميلة شيخوخة أيضاً ، وكذلك عدم القدرة على التواصل مع الآخرين .

شهادة رقم (٢)

« في قصص إبراهيم أصلان يتكشف لنا عالم غريب وطعم خاص لانجدهما عند غيره من الكتاب ، إن أشد مايبهرنا في هذه القصص هو تلك الروح الشاعرية التي تشيع فيها ، نستشف من ورائها معاناة عميقة وحادة تحمل في داخلها احتجاجاً بالغ المرارة ، والكاتب متمكن من أدواته الفنية يستعملها ببراعة فذة ، فهو يدخلنا في جو قصصه من التقاط قسمات العالم الخارجي وحركة الحياة العادية ، كما يتميز الكاتب بقدرة نادرة على إدارة حوار مقنع ومركز ، وعالمه يتأرجح بين العقل والجنون ، عالم يقف على الحافة » « غالب هلسا » .

• تلجأ في قصصك إلى حوار نمطي لايؤدى إلى تواصل أو انفتاح ، حوار يعود على الشك في كل شيء ، ويشير إلى أفعال وتصرفات ، يتعلق بظواهر خارجية ولكنه لايفصح قط عن حالة من حالات النفس ، بحيث يصعب علينا العثور على كلمة أو عبارة تشف عن أن في العالم عاطفة .

ــ إذا افترضنا أن الفن وسيلة الفنان التي تكاد تكون وحيدة لتكوين معرفة أكثر صحة بالإنسان وبالعالم ، إذا افترضنا هذا ، لوجب علينا الاعتقاد أن أفضل الوسائل لتحقيقها هو أن نلتقي مع الأشياء كما هى فى وجودها الواقعي ، بمعنى إذا تحدثت عن الشجرة أن أسميها باسمها ، شجرة أو نهر أو عصفور ، وأنا أظن أن إضفاء مشاعر الكاتب الخاصة على هذه الاشياء هو شيء شبيه بتزييف هذا الواقع ــ الأشياء وليس البناء ــ وأظن أن الخطأ الذي يقع فيه العديد من الكتاب هو اعتقادهم بأن القيمة الجمالية في العمل الفني هي استثارة المتلقى من خلال هذه اللغة التى تعتمد على التشبيهات

إبراهيم أصلان:
مذبحة الثقافة سبقت مرحلة الانفتاح الاستهلاكي البغيض!

والاستعارات وما إلى ذلك ، بينما القيمة الجمالية في العمل الفني تتركز أساساً في قيمة العلاقات والنسب الموجودة داخل هذا العمل ، وأنا أتخوف كثيراً، وحذر من أن تتحول اللغة عندي وبالذات لغة الحوار إلى قيمة تشكيلية ، وعندما أحاول التعبير عن بعض الهموم والجراح كتابة ، فأنا أفضل نزع الضماد عن الجرح لأكتب عنه كما أراه عاريا ، ولكن هناك من يفضل وضع الضمادات المتراكمة على الجرح ، والكتابة بالتالي عن الضماد لا الجرح .

• بماذا تفسر جملك « التلغرافية » ؟

ــ السبب مدهش جداً لم ينتبه إليه أحد ، بحكم عملي اطلعت على كم هائل من البرقيات التلغرافية الصادرة منا إلى دول العالم ، والواردة من دول العالم إلينا ، ولأن المسألة مرتبطة بخفض التكلفة فقد تفتقت أذهان الناس عن صياغات معجزة في عدد كلماتها وفيما تحمله من أخبار ومعلومات وأنباء ، يستوي في ذلك المتعلم والجاهل الذي يقوم بإملائنا صيغة برقية تحمل كل ما يمكن حمله من معان في أقل عدد ممكن من الكلمات ، صياغات مذهلة ، لا تحمل أي تلاعب باللغة ولاتحتمل إلا معنى واحداً يعتمد على العناصر الأولية للكلمات العادية المحددة الحاسمة .

• يأخذ عليك غالب هلسا أنك برؤيتك المحايدة المزدرية إلى حد ما لما يدور حولها ، أو بتعبير آخر اختيارك لمنهج « النظرة » الباردة ، تحذف أهم عنصر من عناصر التجربة الفنية وأكثر أدواتها فعالية للتعبير عن الواقع وهذا هو انحياز الفنان ؟

ــ ليس مهماً انحيازى ككاتب ، المهم أن تعين كتاباتي الآخرين على تحديد انحيازهم ، من الضروري أن تكون هناك مسافة مأمونة بيني وبين العالم الذي أبدعه ، وهذا لايعني بالتأكيد اتباع منهج النظرة الباردة ، إن المواقف المعلنة والمباشرة للكاتب بغيضة إلى نفسي ، وإن كنت ــ في الواقع ــ منحازاً في اختيارى للموضوع ، وفي اختياري للزاوية التي أنظر منها ، منحازاً في اختياري للكلمات والجو العام ، بل إن الكاتب يكاد يكون النص بكامله ، وبالتالى هذا ينفي وجود كاتب منحاز وآخر غير منحاز ، ولكن درجة الانحياز تختلف ، وصورها تختلف أيضاً .

• ويأخذ عليك أيضاً غالب هلسا ــ نمطية ثابتة في السلوك والنماذج تكاد أن تصل إلى حد الميكانيكية ، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى عقمك وجفاف موهبتك .

ــ هذا الكلام قيل عن « بحيرة المساء » وأعتقد أنني في « مالك الحزين » تجنبت هذه النمطية الثابتة في السلوك والنماذج .

• وكتب « غالي شكري » أيضاً بأن الوجه الرئيسي الذي يطالعنا لبطل قصصك هو وجه واحد لبطل محدد ، ولكن هذه القصص لا تتكرر من عنوان لآخر ، وإنما هي تتحرك من وضع إلى آخر ، ومن حالة إلى أخرى .

ــ وأنا لا أنفي هذا الكلام ، فإذا اتفقنا على أن الكتابة وسيلة لتكوين معرفة ما ، فقد كان من الضروري وجود مثل هذه الشخصية الرئيسية التي تكون قد عاشت تجربة ما ، وكان من الضروري لمتابعة نمو هذه التجربة واختزانها بما يؤهلها مع استمرار الوقت إلى امتلاك وعي ما أو رد فعل ما إلى أن تكون هناك شخصية محددة الملامح وليس عدداً متبايناً من الشخصيات ، ولقد حرصت على متابعة هذه الشخصية أثناء انتقالها من تجربة لأخرى من خلال القصص التي كتبتها ، حتى وصلت إلى مرحلة كتابة رواية « مالك الحزين » عندها شعرت أن معرفتي بهذه الشخصية قد توثقت وأنه قد آن الأوان لإعطائها مساحة أكبر في محاولة لاستنطاقها لنعرف أثر هذا الكم من التجارب على حياتها دون افتراض لردود فعل معينة .

شهادة رقم (٣)

« بالرغم من أن قصصه تبدو في جملتها وكأنها قصة واحدة إلا إن هذا يعني في نفس الوقت أن لا غنى عن قراءة هذه القصص بواحدة منها ، إن التكامل بين قصصه هو تكامل البناء الفني المتعدد الطوابق والأبعاد ، و « أصلان » لاينتمي إلى مدرسة « جاهزة » من مدارس الأدب الأوربي الحديث ، كما أنه ليس امتداداً مستقيماً لتيار محدد من تيارات الأدب العربي المعاصر ، وإنما هو كذلك الوجه الذي يطالعنا في قصصه تركيبة غنية العناصر والأصول متشابكة الجذور والفروع ، انتماؤها الأكبر والأشمل والأوسع إلى جيلنا وعصرنا ومرحلتنا التاريخية ، والرؤية التي تطالعنا من هذا الوجه رؤية « جديدة » أفسحت لكاتبها مكاناً بارزاً في طليعة كتاب القصة العربية القصيرة المعاصرة » « غالي شكري ».

و .. سألته :

• تتدثر قصصك بالغموض ، فهل هي حيلة فنية أردت أن تقول من خلالها أشياء دون أن تتعرض للملاحقة ؟

ــ لا ، بالتأكيد ، ربما ذلك ناتج عن أسباب لكني لا أعرفها ، لقد فوجئت بأن ماأكتبه غامض ، كان جهدي منصباً في أن أسمع إيقاع ما أكتبه ، لأنني لا أؤمن بأن الغموض شيء أساسي في القصة ، بل إنني أرفض ذلك ، ومقياسي الشخصي لنجاح القصة هو مدى وضوحها وإمكانية رؤيتها بشكل جيد .

• لماذا نحس بأنفاس « كافكا » متوهجة بين سطورك ؟

• هذه هي الملاحظة الثانية على تردد أنفاس « كافكا » في قصصي ، لقد سبقك محيي الدين محمد إلى ذلك عندما كتب لي معلقاً على قصة « الطواف » ، وأنا لا أجد ذلك غريباً فأنفاسه تتردد في أجواء عالمنا المعاصر ، بالإضافة إلى أنني أحببته كروائى ، وأحببت قصته القصيره « طبيب القرية » ولكني لم أحب « المسخ » لأنه ــ في رأيي ــ ليست مشكلة أن أستيقظ لأجد نفسي قد تحولت إلى حشرة ، ولكن المشكلة أن أستيقظ لأجد نفسي كما أنا .

• و .. لماذا اخترت « المقهى » ليكون مسرحاً لمعظم قصصك وبطلاً مكانياً في مالك الحزين ؟ .

ــ المكان شيء أساسي بالنسبة لي ، سواء كتبت تفاصيله أو لم تكتب ، لابد أن تكون الحدود الجغرافية التي تتحرك فيها القصة كاملة وواضحة أمام عيني ، وأنا أختار منها ما يعني العمل ، ولكن بقية التفاصيل التي لا تكتب « مثلها في ذلك مثل الكلمات التى لا تكتب » تظل موجودة وحاضرة في قلب ذلك القليل الذى يكتب ، أقول لنفسي أحياناً إن ما يقال يكتسب قيمته الباقية من تلك الأشياء المجهولة والتي لا تقال أبداً ، ولقد اخترت المقهى مسرحاً لأعمالي ، لأنه المكان الأكثر قرباً من نفسي ، والأكثر معرفة بجغرافيته وتفاصيله الصغيرة ، والمقهى في الحي الشعبي ليس مكاناً للقاء العابرين ، ولكنه مكان لنمو علاقات إنسانية تتشابك وتتعقد لتشكل أحداثاً تحتل مساحات عريضة من تاريخه وتاريخ رواده .

• يستوقفنى كثيراً عند قراءة بعض الدراسات النقدية المبالغة في تحليل شخصيات أي عمل روائي أو قصة بحيث تبعد تماماً عن ما أراد لها الكاتب ، وعلى سبيل المثال فإن أحد النقاد قال إنك أطلقت اسم « الهرم » على تاجر الحشيش في الرواية كرمز للأهرامات والتى ترمز بدورها للماضى والذى ينبغى أن لا نتوقف عنده طويلاً وإنما نتطلع للمستقبل ، لقد بدا لي هذا التفسير مضحكاً .

• ولقد بدا لي أنا أيضاً كذلك ، وكل ما في الأمر أن هناك فعلاً في منطقة « الكيت الكات » حيث دارت أحداث الرواية تاجر اسمه « الهرم » بل إن معظم شخصيات الرواية حقيقيه ان لم تكن كلها ، وأنا حريص على تتبع مصائر هذه الشخصيات ، فالسيد حسني صائد العميان مات العام الماضى وما يعزيني أنه طلب من بائع البسبوسة في المنطقة أن يقرأ له الرواية قبل وفاته وكان سعيداً بها ، أما صبحى بائع الدجاج فقد أصيب بمرض خبيث وتوفى بعد رحلة علاج إلى لندن ، و « الهرم » فقد زوجته التى كان يعشقها فتخلى عن تجارته وأطلق

لحيته وأصبح حريصاً على إيقاظ الناس لصلاة الفجر .

ما أردت قوله إن الحياة مليئة بالناس والأسماء والحكايات وليس هناك مبرر لاختلاق أسماء وحكايات .

شهادة رقم (٤)

« يكمن الفارق الأساسي بين عدد من الكتاب الذين تأثروا بالفكر والموقف الوجودي من الحياة والعالم ، أن النفي والإحساس بعبثية الأشياء وتقبلها قرفاً ، ليس اختياراً ، « للقرف » والغثيان ، وإنما هو يحتوى فى داخله على ضده ، مشروع الرفض الإيجابي ، الرفض لعالم معذب ، يصعب أن يكون سعيداً ، ولكن الصعوبة لا تلغي الإمكانية ، ويبقى عمله عمل فنان أصيل لا يرفع باسم جيله راية الهزيمة والعبث الوجودي المطلق ، ولكنه يسجل لنا وعلينا أننا جيل حزين » « فريدة النقاش » .

• هل تتفق مع الرأى القائل بأن « مالك الحزين » ما هى إلا مجموعة من القصص القصيرة تتشعب فى المكان تبعاً لحركة أشخاصها من البيت إلى المقهى إلى الشوارع الفرعية ؟

ــ ما أوافق عليه هو أنني كتبت الرواية بمزاج كاتب القصة القصيرة ، وعانيت بسبب هذا معاناة شديدة لأنني كنت أريد إعادة النظر والتخلص من أشياء معوقة فنياً ، ولاحظت أنني أستطيع وضع يدي على بعض الفروق ، امتلاكك للأداة يسعفك على كتابة القصة القصيرة ، ولكن لايسعفك على كتابة الرواية ، وأنا أرى نفسي كاتب قصة قصيرة ، ولم أكتب الرواية بقصد أن أكون روائياً ، وقد كتبت الرواية كتجربة علها تضيف إلى فنياً ككاتب حتى يمكنني معاودة القصة القصيرة بشكل أفضل ، لقد ركزت على ذلك حتى أوضح أنني لم أشأ أبداً أن أكتب رواية بل إنني لا أعرف من هو الذي جعلني أحس دائماً بأن كلمة روائي كلمة ثقيلة الظل على قلبي ، والمدهش فى هذه الكلمة أنك مهما قلبت فيها لن تجديها مقبولة أبداً وهي فى هذا الوقت بالتحديد إذا لم تكن مقرونة بلقب « الكبير » فإنها تضعك في قلب مهزلة ، وإذا قرنت بلقب الكبير أصبحت أنت المهزلة ، وهذا شيء غريب حقاً .

مذبحة الثقافة

وسألت « إبراهيم أصلان »

• لماذا أنت غاضب من الكبار ، نجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ؟

ــ أنا لست غاضباً من أحد ، ولكن ما حدث في أوائل السبعينيات ، عندما تم الإجهاز على الثقافة المصرية ، وهي الشيء الوحيد الذي يعطى لمصر قيمتها وأهميتها ، عندما أغلقت معظم المجلات الموجوده مثل مجلة المجلة ، الكاتب ، الطليعة ، الفكر المعاصر ، الفن الشعبي وغيرها ، عندما تمت عملية حصار للنشاط المسرحي ، عندما بدأت هذه الهجمات المتصلة ، المتعمدة ، وهي في تقديري كانت مقدمة لكل الإجراءات التي تلتها ، مذبحة الثقافة سبقت مرحلة الانفتاح الاستهلاكي البغيض ، عندما حدثت هذه المذبحة حاول أبناء جيلي مقاومتها ، وإن كانت مقاومتهم لم تكن فعالة لأنهم لم يكونوا أصحاب مناصب ومراكز مؤثرة ، فى تلك الفتره أدهشنا أن كتابنا الكبار اكتفوا بأدوار المتفرجين ، وكأن قضية الثقافة لاتعنيهم ، بل إنهم كانوا يكتبون في كل مشكلات حياتنا إلا المشكلة الثقافية ، نحن نلوم نجيب محفوظ ويوسف إدريس لأننا نتباهى بهما ونقدرهما ، وموقف الكاتب هو الذي يمنح كتاباته قيمة ، صحيح أن يوسف إدريس تصدى لأزمات حياتنا الثقافية بعد ذلك ، ولكن متى ؟ « بعد ما الدنيا خربت » !

• بماذا تفسر انتشار ظاهرة « أدب الماستر » ؟

ــ كان من الطبيعي أن تنتشر ظاهرة « الماستر »

> ● أنـــــــا..
> لســت غاضـبــاً
> من أحـــــد
>
> ● منــــذ
> أحـد عشـر عامــاً
> لم أنــم الليـــل

بعد تصفية كل المنابر الجادة وبغض النظر عن قيمة ما يطرحه « أدب الماستر » إلا أنني أرى أنها ظاهرة إيجابية تعبر عن القوى الخلاقة التي لايمكن قهرها في بلد كبير مثل مصر ، والأمر المؤكد أن بعضاً من هذه الدوريات استطاع أن يكون له قدرة على الاستمرار والقاء الضوء على الكتابات الجادة ، وفي مقدمة هذه المجلات الجادة تأتي « مصرية » و « أدب الغد » و « خطوة » و « النديم » و « إضاءة ٧٧ » ولقد كان لأدب الماستر دوره في دفع الدولة إلى محاولة إصدار مطبوعات جديدة وجادة مثل « إبداع » و « القاهرة » .

• و .. ما رؤيتك لأدب السبعينيات في مصر ؟

ــ هناك بين أبناء هذا الجيل كتاب جيدون ، وأنا أنظر من ناحيتي إلى كل كتابة جديدة تقدم باعتبارها إضافة الى رصيد الكتابة التي من المفروض أن تسود ، ولكنني من ناحيتي غير قادر على تلمس شيء يتباين مع أدب الستينيات ، يمكن أن نرجع هذا الى أننا طرحنا في الستينيات رؤى تتباين تماماً مع ما سبقها ، الحساسية الجديدة التي طرحناها تجسدت في الجيل القائم بابداعاته في الأدب والفن ، باختصار إنني أجد فيما يقدمه جيل السبعينيات مفاجأة . ومن أبرز كتاب هذا الجيل ، أحمد النشار ، يوسف أبو رية ، إبراهيم عبد المجيد ، وفيق الفرماوى ، محمود الورداني ، المخزنجي .

• ولكن ، هناك رأي لـ « محمد كشيك » يقول بأن الاغتراب الذي تفشى بين أبناء جيل الستينيات دفعكم إلى الانزواء داخل قواقع العبثية والتجريد والغموض ، مما أبعد فن القصة ــ إلى حد ما ــ عن قطاع عريض من القراء ، وأن جيل السبعينيات يبذلون محاولات جيدة لتجاوز سلبيات جيلكم .

ــ « كشيك » قبل أن يكون شاعراً فهو ناقد متمرس ، وبالتالى قدرته على المتابعة والمقارنة أكثر دقة ، وقد يكون ما يقوله صحيحاً .

• و .. عن مكان قصصه من الترجمة قال :

ــ ترجمت معظم قصصي إلى العديد من اللغات العالمية ، كما أن « مالك الحزين » سيتم إنتاجها كفيلم سينمائي بعد موافقة الرقابة من إخراج داود عبد السيد مخرج « الصعاليك » .

• و .. قال أيضاً :

ــ أهم الروايات العربية التي استوقفتني : « الوقائع الغريبة » لإميل حبيبي « الخبز الحافي » لمحمد شكري ، « قنطرة الذي كفر » للدكتور مصطفى شرفه ، « السائرون نياماً » لسعد مكاوي ، و « الحرافيش » لنجيب محفوظ . وبالنسبة للقصة القصيرة فإن أعمال الكاتب العراقي محمد خضير والأعمال الأولى ليوسف إدريس من أميز الأعمال في هذا المجال ، ومن أبناء جيلي : يحيي الطاهر عبد الله ، محمد البساطي ، وبهاء طاهر .

شهادة رقم (٥)

« مثل طفل سليمان الحكيم . وقف إبراهيم أصلان مدهوشاً يتنازعه النقاد ، أحدهم يتهمه بالرفض ، وثانيهم يحكم عليه بالتمرد ، وثالثهم يستعين عليه بفرويد ، ورابعهم يستعير من أجله كل النظريات العالمية ، وهو عنهم جميعاً لاه : قصاص رقيق ، هامس يعرف أدوات فنه جيداً ، ويعذبه سؤال تحاول قصصه كلها أن تجد له إجابة : لماذا ينعدم التواصل بين الناس ، وتقوم ــ فجأة ــ بينهم الحوائل والسدود » ؟

« فاروق عبد القادر »

و .. أنا أودع إبراهيم أصلان ، لاأدري لماذا تذكرت عنوان الدراسة التي كتبها الدكتور على الراعي عن روايته الوحيده « حزين .. مالك الحزين . »

سارة

أمام الشمس الغاربة

شعر: حسن توفيق

على شاطئ البحر كان النهار يبعثر آخرَ ذراته النائحه
وتتكئ الشمس متعبة فوق صدر المياه تحاول أن تستميت لتبقى
ولكن سدًى ....
فهاهي تسقط في البحر حيث يكفنها الموج ثم يواصل رحلَته الجامحه
وقربَ التقاء السماء مع الموج يولد شبه سواد خفي كأشباح غرقى
ويمتد ... يمتد حتى يحاصر روحي ... فأبكي ...
إلى أن تلوح وجوه صحابي ، فنمضي سويا ...
نحاول قهر الأسى ، أو نثرثر كي نغفل المشهدَا
تبعث في صبح اليوم التالي الشمس
وأقول لمَن يطرق في الصبح الباب
أين الأصحاب ؟
الأصحاب افترقوا بالأمس ....
أثبت قلبي بصدري ، وعنوانَ داري بجيبي ، وأخرج ... أسعى
أطارد صمتي بأغنية من أغاني الحياة يرددها في الليالي الصحاب
وعند الظهيرة أمضي إلى البحر ، حيث أرى الشمس تسعى ...
وتمعن في الأرض لسعًا
وجمراتها تقهر المستحمين ، والنائمين على الرمل — مقتربينَ ومغتربينَ —
وفي البحر ملح عتي ، وفي القلب ملح أشد عتوا ، يوشوش روحي
ثم يضج ، ويعلن أن نهارَ النضارة غاب
فأهتف بالمستحمين والنائمين على الرمل : أنتم تموتونَ صرعى
ألا تسألونَ لماذا ؟ إذن فامرحوا ياوجوهاً تغيب خلال الضباب
أتشاغل بالعبث المجنون بأصداف البحر
بحفيف الأغصان الجافة والخضراء
وأقول لروحي — وأنا ألمس بعض الصخر —
فلتنطلقي حتى لاتنتظري جثةَ أحد الأحياء .
يداهمني بالنعاس غريم قديم — جديد ... ولست أراه
وذاتَ صباح سيهرع أهلي إلى أصدقائي
يقولون : « إن فلاناً تخاذلَ رغما عن الأغنيات .. » ...
... ويخلو مكان فلان ، ليأتي سواه
فيجهش بعض من الأصدقاء : « رأيناه أمس يغني ...
ويرنو إلى نجمة في السماء ... »
ويبقى المكان
وتولد شمس الصباح ، وتغرق في البحر ، ثم تعود مع الصبح تولد ... إلا فلان ...
هو ذَا يرقد رطباً في الأرض الصخرية
يخرج — في زمن مَا — قطعةَ صخر
تتقاذفها أيدي الصبية
فوق شطوط البحر
وتبقى الحياة
تجدد دورتها باشتهاء ، وتخرج من ذاتها في سخاء ...
لتعنَى بميلاد أطفالها
ويبقى — على الرغم مما نراه — جياع يحيلون إشراقةَ المتخمين
شحوباً ، ويبقى جياع يغنونَ للمتخمينَ ...
وفي الليل يفتح كل نوافذه المغلقات ، فيصحو أساه
ويبقى شقي ينادي أخاه — نبقى نغوص بأوحالها ؟ » ..
وتبقى قصائد حب تمجد — رغم عذاب الحياة — الحياة

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● أحلام العام الجديد والوزراء الأدباء
● رأي الأزهريين في لبس القبعة

مقال طريف بقلم: الدكتور زكي مبارك

أحلام العام الجديد والوزراء الأدباء

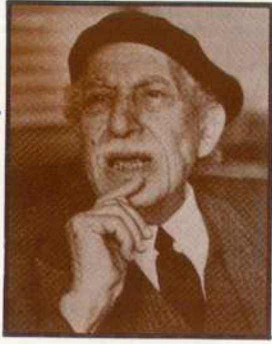
في هذا المقال الطريف الذي كتبه الدكتور زكي مبارك في بداية عام ١٩٤٢ ، خلال الحرب العالمية الثانية وما أثارته من أزمات ، يرشح الدكتور زكي مبارك عدداً من كبار الأدباء لتولي مناصب الوزارة ، ويتم تشكيل هذه الوزارة « الأدبية » على الشكل التالى : الزيات « رئيس للوزراء » العقاد«وزير للخارجية»، توفيق الحكيم «وزير للأوقاف » زكي مبارك نفسه « وزير للداخلية »، هذا هو نص المقال الطريف ومبررات تحديد المناصب من وجهة نظر الكاتب الكبير :

التفت أخونا الأستاذ الزيات فرأى العام الجديد لا يخيفه إلا من ناحية « استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف » ، فتوكل على الله وقرر أن «الرسالة ستستمر على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والإهداء مع المشتركين الجدد فيؤدون الاشتراك كاملاً أو غير مقسط» . وبهذا ظهر « امتياز » الصديق القديم على الصديق الجديد !

والتفت فرأيت العام الجديد يخيفني من ناحية غير تلك الناحية ، فأنا لا أشكو غلاء الورق ولا ارتفاع مواد الطباعة ، بعد أن أرجأت النظر في طبع مؤلفاتي الجديدة إلى أن تنتهي الحرب ، وإنما


الزيات : رئيس الوزراء


العقاد : وزير الخارجية


الحكيم : وزير الأوقاف

أحلام العام الجديد والوزراء الأدباء

أشكو غلاء العواطف وارتفاع أثمان الصدق إلى ألف ضعف لا عشرة أضعاف.

وما ظنكم بزمان لا يبرع شعراؤه في غير الحديث عن «الرغيف»، كالذي ترون من يوم إلى يوم في بعض الجرائد والمجلات؟

ماظنكم بزمان يعد فيه الحديث عن أحلام القلوب ضرباً من الفضول؟

إن هذه المحنة العاتية هي الفرصة لاختبار ماعند أدبائنا من عناصر الثروة المعنوية، فيها نعرف ماعندهم من أرزاق الروح والذوق والوجدان.

أيكون الكلام عن «الرغيف» تودداً إلى أهل البطون، وهم ألوف أو ملايين؟

إن كان ذلك فأين الأريستوقراطية الأدبية وهي تسمو على الحاجيات اليومية؟

أيكون الكلام عن الرغيف فرصة من فرص القول يهتبلها من لا يصل إلى بعض الجرائد والمجلات إلا بعناء؟

إن كان ذلك فأين تصون الأديب عن الكلام المبذول؟

سمعت ـ بل علمت ـ أن مدرساً في «قنا» أرسل إلى جلالة الملك برقية يشكو فيها انعدام الرغيف، فماذا وقع من الخطر حتى يجوز مثل هذا الصراخ؟ وماذا نصنع لو أصبحت بلادنا وهي ميدان حرب، وقد تصير كذلك إذا طال استمراء المتحاربين لما اندفعوا إليه من استطابة الجنون؟

وإذا استجاز «المدرس» أن ينظم القصائد الطوال في الشوق إلى الرغيف وهو مدرس يقتات بالعواطف والأحاسيس، فماذا يصنع «الفلاح» أو «الصانع» وهما شخصيتان تعتمدان في القوت على الرغيف؟

لعل الأيام أرادت أن تعلمني ماكنت أجهل، فقد طال مني التجني على الصوفية (وكانوا يدعون إلى التحرر من ربقة الرغيف) فهل كان للرغيف مثل هذه الآفة في العصور الخوالي؟

ولعل الأيام أرادت أن تقنعني بأني صرت من الحكماء من حيث لا أعرف، فقد هجرت الخبز منذ أعوام طوال، واكتفيت بما تيسر من الخضروات، بغض النظر عن اللحم الذي آكله باسم النقد الأدبي، وهو لحم غاب اسمه عن «دولة الحاكم العسكري» فلم يفرض على من يتناشه أي عقاب!!!

ماتهمني أزمة الرغيف، وإنما تهمني أزمة القلب.

ولو كان في وزراء مصر لهذا العهد من عانى أزمات القلوب لعرف كيف يحارب أزمة الرغيف، لأن القلب هو الأساس في فهم أخطار الوجود.

الظبية تجتزئ بالعشب فتستغنى عن الماء، ومن أجل هذا سميت جازية، و «جازية» من أسماء الملاح في هذه البلاد وإن لم يعرف الجمهور مافيه من معنى ملفوف.

فاذا فقدت الظبية العشب، فكيف تعيش وبه غنيت عن الماء؟

لن أنسى أبداً سخرية «فاجيه» من «أفلاطون»، وفاجيه كان أكبر من اهتممت بآثاره الأدبية والفلسفية من بين أقطاب الأدب الفرنسي، وعن سيرته تعلمت أشياء هي الهادي والدليل في حياتي الأدبية، فأنا أسجل كل مايعتلج في صدري قبل أن يضيع، ثم أقدمه للجرائد والمجلات حين أشاء، بلا تقيد بالمكان والزمان!

وفي هذه المرة أكون أعظم من أستاذي فاجيه، فقد سخر من تسامي الفلاسفة إلى ولاية الحكم وهو ينقد أفلاطون. أما أنا فأرى أن الفلاسفة هم أقدر الناس على إقامة الموازين بالقسطاس.

نحن، رجال القلم، أعرف خلق الله بما يشتجر في الصدور من آلام وآمال.

كانت الحكومة الى رجال يعيشون في حصون تقفل أبوابها بالنهار وبالليل: فلا يعرفون مايعاني الشعب من ظلمات الحوادث والخطوب...

ولم نكن كأولئك، فنحن قوم نعيش للشعب وفي صحبة الشعب، ولنا فيه أعمام وأخوال، ولن نتجنى عليه بأي حال.

ونحن مع هذا معرضون لدسائس سود، ومن الواجب أن نبدد تلك الدسائس، بلا تسويف، تمهيداً للوزارة التي سنؤلفها في العام الجديد.

قيل إن الزيات متأنق في الأسلوب، فهو يزاوج بين لفظ ولفظ بغير عناء، وأقول إن هذه النزعة تنفع في المزاوجة بين الطبقات والأحزاب، حين يمسي الزيات وهو رئيس الوزراء.

وقيل إن العقاد مولع بوصل مابين الشرق والغرب في الآفاق الفكرية، وأقول إنه أصلح الأدباء لتولي وزارة الخارجية.

وقيل إن أحمد أمين لا يجيد الكلام في غير البحث المطروق، وأقول إنه أصلح لوزارة المواصلات، فلن نجدد فيها إلا بعد انتهاء الحرب.

وقيل إن المازني أول أديب حج بيت الله في غير موسم الحج، فهو إذن أصلح الأدباء لأن يكون سفير مصر في الحجاز، وإن قال في صلاة «زكي باشا» ماقال.

وقيل إن توفيق الحكيم يحب «السيدة زينب» فهو إذن وزير الأوقاف.

وقيل إن طه حسين لم يجد في «هامش السيرة» غير الحديث عن «الراهب» فهو إذن وزيرنا في بلد النجاشي.

وقيل إن محمود تيمور لا يحسن القول إلا في وصف الطبقات الشعبية، فهو إذن وزير الشؤون الاجتماعية.

ولا موجب للحديث عن الأدباء الغدرة من أمثال: عبدالقوي أحمد ومحمد هيكل ومصطفى عبدالرازق، فقد تولوا الوزارة قبل أن يستأذنوا إخوانهم من رجال القلم البليغ!

بقي مكاني في الوزارة المنشودة، فما عسى أن يكون؟

هل أختار وزارة المعارف؟

وكيف وهي وزارة متعبة، وماتولاها رجل إلا عرف خطر المشي على الشوك؟

صار من تقاليد وزارة المعارف أن يهدم الخلف مابنى السلف، وأنا أكره التقلبات الكثيرة، وأبغض الضجيج المفتعل، والصياح المصنوع.

يضاف إلى ذلك أني نشرت مقالات تفوق العد والاحصاء في شؤون التربية والتعليم، ومن الجائز أن يطالبني الجمهور بتحقيق مااقترحت في تلك المقالات، وهناك الخطر كل الخطر، إلا أن أروض



زكي مبارك : وزير الداخلية



طه حسين : وزيرا للنجاشي

نفسي منذ اليوم على التنصل من تلك المقترحات!

هل أختار وزارة الداخلية؟

هذا هو المركز اللائق برجل يغضب للشعب، ويثور على الاحتكار والمحتكرين.

إن توليت وزارة الداخلية ــ وهذا أمر قريب ــ فسأفرض على رجال الحكومة في مختلف الأقاليم أن يعرفوا جميع البيوت وجميع الناس، ليدلوا الدولة على المستور من الثروات والنيات، وسأجعل من سلطة الشرطة جيشاً يمزق الشراذم الباغية على الأمن والنظام، وهل يهدد الأمن والنظام بمثل الإصرار البغيض على احتكار الأقوات؟

لن أنتظر حتى ينتفع الناس بوعظ الواعظين، وإرشاد المرشدين، فقد ظهر أن في الدنيا قلوباً لا يقومها وعظ ولا إرشاد، لن أنتظر غير حكم العدل، والعدل يوجب أن يعرف وزير الداخلية حقيقة الثروة المدفونة في زوايا البيوت، بيوت الأغنياء والفقراء، فأنا أخشى أن تكون هذه الأيام قضت بأن يكون في الفقر تزوير وافتعال «ولم يكن المصريون كذلك في الأيام الخالية، فقد كانوا يسترون الفقر عن الأقربين قبل الأبعدين»

إن توليت وزارة الداخلية ــ ويجب أن أتولاها ــ فسأحرم العمد نعمة الثرثرة فوق المصاطب، وسأحولهم إلى جنود نافعين، فأولئك أقوام يعلمون من أمور بلادهم كل شئ، ولكنهم يكتمون مايعلمون، فان طووا عني مايجب أن أعرف فسأقضي فيهم بالعدل، وهم يفهمون جيداً خطر العدل.

أليس من العار أن يصبح التموين مشكلة من المشكلات في مثل هذه البلاد؟

وكيف تكون الحال لو شاءت المقادير أن نطالب بتموين مئات الألوف من الجنود يوم يدعو الداعي إلى الجهاد؟

اللعب في أمثال هذه الأيام لا يليق، ومن اللعب القبيح أن يكنز ناس مايملكون من أصول الأقوات لينتفعوا بالربح الحرام على حساب الشعب المهدد بالجوع.

وأنا مع هذا أعرف ما تصير إليه سمعتي يوم أتولى وزارة الداخلية، فسيقول السفهاء من الناس إني خليفة الحجاج، وسيتخذون من شراستي دليلاً على أن المواهب الأدبية تنطوي على جحيم من الطغيان المكبوت.

وماخوفي من القال والقيل وأنا في غنى عن رضا الناس، ولن أتقدم يوماً بخوض معركة انتخابية؟

إن رجال الأقلام أصلح الرجال لسياسة الدولة في السنين العجاف. وهل يشقى أحد في سبيل الأمة كما نشقى؟ وهل يعرف أحد من متاعب الأمة بعض مانعرف؟

الوزراء في الأمم الدستورية لا يقدرون على الحزم إلا في أندر الأحيان، لأنهم مقيدون بعواطف الناخبين، وفي الناخبين خلائق لا تعطي أصواتها إلا لغاية مطوية، هي السكوت عن آثامها الثقال

ولن أكون وزيراً برلمانياً يحسب لعواطف الناخبين ألف حساب قبل أن يقدم على إعزاز شريعة العدل.

سأكون بإذن الله وزيراً يختار لغرض واضح صريح: هو القضاء على البغي والفساد، وزجر من يحرمون الشعب من الأقوات.

وقد فكرت في مصير البرلمان الحاضر، وهو برلمان طال حوله الخلاف، ثم صح الرأي على السكوت عن هذه المعضلة الدستورية إلى حين، فما يتسع وقتي للنظر في شئون تضر أكثر مما تنفع. وهل تحتاج الأمة إلى برلمان إلا حين يعوزها الحاكم الرشيد؟ ــ «إنما أسأل أمام ضميري لا أمام البرلمان».

سأفاضل بين الأحزاب على أساس غير الأساس المعروف، فلن تكون هناك أغلبية وأقلية، وإنما يكون التفاضل بقدرة هذا الحزب أو ذاك على توفير أسباب الرخاء.

لن يقول النحاس باشا: «أنا أول من أنذر بأزمة التموين» فسأسوقه سوقاً إلى الطواف بالبلاد لدعوة أنصاره إلى الإفراج عن القوت المحبوس.

ولن يقول الدكتور ماهر باشا: «أنا أول من تأهب للحرب»، فسأجره جراً إلى ميدان جديد هو حرب الغلاء!

سأغير من أخلاق الناس، إن دعيت إلى ولاية الحكم في هذه الأيام، وليس ذلك بالأمر البعيد، فقد جربت جميع القوى السياسية، ولم يبق إلا تجربة القوة الأدبية، وهي أقوى من الزمان.

أما بعد فهذا حلم من أحلام العام الجديد، ولكل عام أحلام هو لفتة روحية ستؤتي ثمارها بعد حين، فمن الشر الموبق أن يحال بين رجال القلم ومايشتهون من إقرار العدل، وماكانوا في الحاضر والماضي إلا موازين.

دعوناكم ألف مرة إلى الاعتراف بالسلطة الأدبية فلم تسمعوا، ونهيناكم ألف مرة عن تناسي السلطة الأدبية فلم تنتهوا. فهل جازيناكم صداً بصد، وإغضاء بإغضاء؟

لا، والله، وإنما مضينا على السجية الكريمة، فأوقدنا في صدر الأمة جذوة الشوق إلى التماسك والتساند والتآخي، فما كان في الأمة من خير فهو من صنع أقلامنا، وما كان في الأمة من شر فهو من جناية الراغبين في السيطرة والاستعلاء.

لن تصلح الأمور إلا يوم تصبح المقاليد بأيدي رجال القلم البليغ ومن قال بغير ذلك فهو بقية من بقايا الطغيان البغيض.

أتريدون الدليل؟

نحن نبخل بالحكم لقطعة شعرية أونثرية حين نراها بعيدة عن الجيد المستطاب، مع أن الحكم لقطعة شعرية أو نثرية لا يقدم ولا يؤخر في سياسة البلاد.

وأنتم تضفون الألقاب السنية على من تحبون بغير حساب، وقد تسندون بعض المناصب إلى من لا يزكيه غير رضاكم عن أسلوبه في حفلات الاستقبال.

الأدباء هم أقدر الرجال في مصر على عصيان الأهواء.

ألا ترون كيف نحارب منافعنا في سبيل النزاهة الأدبية؟

نحن نصاول الأحزاب والهيئات في كل يوم لنرفع قدر الفكر والرأي، ونرحب بجميع المتاعب في سبيل تلك الغاية العالية، فأين من يصنع بعض الذي نصنع؟ وأين الذي يعاني في سبيل المبادئ السامية بعض مانعاني؟

لو سخرنا أقلامنا في سبيل الغايات الوقتية لسددنا الطريق في وجوه الكثير من طلاب النفع الموقوت، وهم أعمدة المجتمع فيما يتوهمون.

إلى أقلامنا يرجع الرأي في سياسة هذه البلاد، وإن بعدنا صورياً عن المناصب الوزارية والبرلمانية ... فلكل وطن روح، وروح هذا الوطن هو رسالة القلم البليغ، ..

زكي مبارك

١٩٤٢

رأي الأزهريين في لبس القبعة

بقلم: محمد محمد المدني

كتبت فى إحدى « مراسلاتى » كلمة موجزة عن « اختلاف الأزهريين » سجلت فيها ظاهرة غريبة ربما عدت شأنا من شئون الأزهر الخاصة، وعلامة من علاماته المميزة: تلك هي التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها مع أن القوم يشربون من معين واحد، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت، وقد اختصرت فى ذلك بعض الأمثلة، ولم أعرض لذكر الأسباب فكتب إلى كاتبان فاضلان من قراء « الرسالة » يسألنى أحدهما أن أذكر بعض المثل واضحة مفصلة، ويسألنى الآخر أن أبين الأسباب التى تفضى بالأزهريين إلى هذا الخلاف فى الحين بعد الحين. ولست أحب أن أعرض لذكر الأسباب كما يريدنى أحد هذين الكاتبين، فأنه ليعلم أن القول فى ذلك مؤلم موجع فى بعض نواحيه، وفى الأزهر نفوس لا نحب لها أن تألم وجنوب عزيز علينا أن تقض. فحسبنا أن نذكر بعض المثل الواضحة فى هذا الشأن تبصرة وذكرى لعلهم يرجعون:

المثال الذى اخترته ليس فكرة من الفكر التى تشغل الناس اليوم وإنما هو فكرة تاريخية قد تداولتها عهود، ومرت بها أطوار تبتدىء من أواخر القرن الهجرى الماضى: ذلك المثال هو « رأى الأزهريين فى لبس البرنيطة ». وقد اشتغل الأزهريون بهذا الموضوع أربع مرات: اشتغلوا به لأول مرة فى عهد الشيخ محمد عليش مفتى السادة المالكية المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ، وقد سجلت « الرسالة » رأى هذا الشيخ فيما نشرته « للناقد الأزهرى » (بالعدد ٤١٦ ص ٨١٣ من السنة التاسعة)، وقد جاء فى ختام هذا الرأى ما نصه:

« إنه تقرر فى شريعة المسلمين أن حكم هؤلاء ــ يقصد لابسى البرنيطة ــ أمرهم بالتوبة والرجوع إلى دينهم والتزيى بزى المسلمين، وإمهالهم لذلك ثلاثة أيام، فإن فعلوا ذلك قبلت توبتهم، وخلى سبيلهم، وإن تمت الأيام الثلاثة ولم يتوبوا قطعت رقابهم بالسيف، ولا يغسلون، ولا يصلى عليهم لموتهم على الكفر..»

واشتغل الأزهريون بهذا الموضوع مرة ثانية فى عهد الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه، حينما سأله الحاج مصطفى الترنسفالى فى أنه يوجد أفراد فى بلاد الترنسفال تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد عليهم فهل يجوز ذلك؟ فأجابه بفتواه المختصرة التى أقامت الأزهر يومئذ وأقعدته. وهذا نصها كما جاء فى محفوظات دار الإفتاء المصرية (رقم ١٩٠ ــ ٦ شعبان ١٣٢١هـ): « أما لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخروج من الاسلام والدخول فى دين غيره فلا يعد مكفراً وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرة ».

ثم عرض الأزهر لهذا الموضوع مرة ثالثة فقيل إن جماعة كبار العلماء أو لجنة منها بحثته وأصدرت فيه رأيها وهو يقضى بعدم جواز لبس البرنيطة. ولم أطلع على سند هذا الرأى لأنه ليس للجماعة مكتب ولا سجل منظم تقيد فيه بحوثها، وتسجل آراؤها. وقد أردت فى العام الماضى أن أطلع على بعض الرسائل العلمية التى تنال بها عضوية الجماعة فتدافعنى الموظفون فى الإدارة العامة واحداً إلى واحد، ثم لم أهتد إليها ولم يبح لى أحد بسرها!

وأخيراً عرض لهذا الموضوع رجل الفقه والافتاء الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم، وقد سأله مفتى مدينة كوملجنة بتراقيا الغربية بما خلاصته: « إننى بصفتى الرسمية لا أقر لمن يلبسون القبعة فى بلادى ببدعتهم هذه، ولا أوقع على وراثتهم من المسلمين، ولا على زواجهم من المسلمات، فيسخطون على، ويتخذوننى شكية عند الناس وعند الحكومة، وفى اعتقادى أنى لا أحكم فيهم بغير ما حكم به الشرع الاسلامى، فإن كنت على حق فساعدونى رحمكم الله وأيدونى بكلمتكم الفصل، وإلا فدلونى على ما هو الحق الحقيق بالاتباع ».

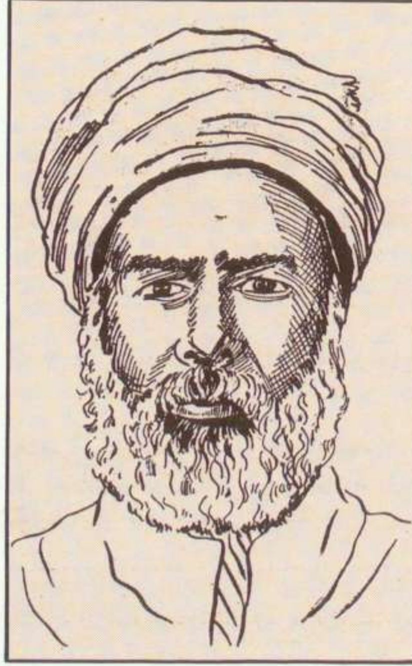
ولم يكن فضيلة الاستاذ الكبير عضوا بجماعة كبار العلماء حين صدر الرأى الذى أشرنا إليه، وإنما أسند إليه منصب الإفتاء وعين عضواً بالجماعة بعد ذلك، فماذا قال؟ إنى أثبت هنا نص فتواه التى هى فصل الخطاب فى هذا الباب، لما فيها من فقه جيد، ولما أرشدت إليه من مبدأ عام فى الحكم على الناس بالكفر أو الإيمان:

نص الفتوى

« .. أما بعد فاعلم ــ هدانى الله وإياك إلى الحق ورزقنا اتباعه وجنبنا الزلل فى القول والعمل ــ أن علماءنا قالوا إن الكفر شيء عظيم فلا نجعل المؤمن كافراً متى وجدنا رواية أنه لا يكفر ، فلا يكفر مسلم إلا إذا اتفق العلماء على أن ما أتى به يوجب الردة ، كما أنه لا يكفر مسلم متى كان لكلامه أو فعله احتمال ولو بعيدا يوجب عدم تكفيره ، فقد روى الطحاوى عن أبى حنيفة رحمه الله وأصحابنا أنه لا يخرج الرجل من الايمان إلا جحود ما أدخله فيه ، ثم ما يتيقن بأنه ردة يحكم بها له ، وما يشك بأنه ردة لا يحكم بها إذ الاسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الاسلام يعلو . وينبغى للعالم إذا رفع إليه هذا الا يبادر بتكفير أهل الاسلام مع أنه يقضى بصحة إسلام المكره ، وقد قال صاحب جامع الفصولين بعد نقله هذه العبارة ما نصه : « أقول : قدمت هذه لتصير ميزانا فيما نقلته فى هذا الفصل من المسائل فإنه قد ذكر فى بعضها أنه كفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة » أ . هـ .

وقالوا أيضاً : إن مناط الكفر والإكفار التكذيب أو الاستخفاف بالدين ، فقد نقل صاحب نور العين على جامع الفصولين عن ابن الهمام فى المسايرة أن مناط الإكفار هو التكذيب أو الاستخفاف بالدين . وقد قال فى جامع الفصولين ما نصه : « شد زناراً على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة كفر . قيل فى لبس السواد وشد الفائزة على الوسط ولبس السراغج ينبغى ألا يكون كفراً ، استحسنه مشايخنا فى زماننا ، وكذا فى قلنسوة المغول إذ هذه الاشياء علامة ملكية لا تعلق لها بالدين » أ . هـ .

إذا علمت هذا علمت أن مجرد لبس البرنيطة ليس كفراً لأنه لا يدل قطعاً على الاستخفاف بالدين الاسلامى ولا على التكذيب لشيء مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون فى ذلك ردة.نعم إذا وجد من لابس القبعة شيء يدل دلالة قطعية على الاستخفاف بالدين أو على تكذيب شيء مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردة فيكفر . وعلى ذلك يكفر من حبذ أو استحسن ما هو كفر إذا وجد منه مايدل على ذلك دلالة قطعية ، وإذا لبسها قاصداً التشبه بغير المسلمين ولم يوجد منه مايدل على الاستخفاف بالدين ولا على التكذيب لشيء مما علم من الدين بالضرورة كان آثما فقط لما روى أبو داود فى سننه : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا أبو النضر ــ يعنى هاشم بن القاسم ــ حدثنا عبد



الشيخ محمد عبده
كان له رأى فى جواز لبس البرنيطة

الرحمن ابن ثابت . حدثنا حسان بن عطية عن أبى جنيب الجرشى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وهذا إسناد جيد ، وبين ذلك فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام « فهو منهم » أنه كافر مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر كأن عظم يوم عيدهم تبجيلا لدينهم ،أو لبس زنادهم ، أو ما هو من شعارهم قاصداً بذلك التشبه بهم استخفافا بالاسلام كما قيد به أبو السعود والحموى على الأشباه ، وإلا فهو مثلهم فى الاثم فقط لا فى الكفر كما فى الفتاوى المهدية . وانما شرطنا فى الاثم قصد التشبه لأن فى الحديث ما يدل على ذلك إذ لفظ التشبه يدل على القصد ، ومن أجل ذلك قال صاحب البحر ما نصه : « ثم أعلم أن التشبه بأهل الكتاب لا يكره فى كل شيء ، فإنا نأكل ونشرب كما يفعلون ، وإنما الحرام هوالتشبه فيما كان مذموماً وفيمايقصد به التشبه . كذا ذكره قاضيخان فى شرح الجامع الصغير » .

وكتب ابن عابدين فى حاشيته على البحر تعليقاً على هذا ما نصه :

« أقول : قال فى الذخيرة البرهانية قبيل كتاب التحرى قال هشام : رأيت على أبى يوسف نعلين مخصوفين بمسامير فقلت : أترى بهذا الحديد بأسا ؟ قال : لا فقلت : إن سفيان وثور بن زيد رحمهما الله تعالى كرها ذلك لأن فيه تشبهاً بالرهبان : فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى لها شعر وإنها من لباس الرهبان. فقد أشار إلى أن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر ، وقد تعلق بهذا النوع من الأحكام صلاح العباد ، فإن الأرض مما لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلا بهذا النوع » أهـ .

وعلى هذا فهؤلاء الذين لبسوا القبعة آثمون إذا قصدوا من لبسها التشبه بالكفار . أما إذا لبسوها غير قاصدين التشبه بهم كأن كان لبسهم إياها لدفع برد أو حر أو غير ذلك من المصالح فلا اثم ، وهذا كله إذا لم يوجد منهم ما يدل دلالة قطعية على استخفافهم بالدين أو تكذيبهم لشيء مما علم من الدين بالضرورة وإلا كانوا كفاراً مرتدين يحكم عليهم بأحكام المرتدين من عدم صحة أنكحتهم وعد توريثهم من الغير إلى غير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم » .

* * *

أما بعد فهذا مثال نذكره لينتفع به من يريد الانتفاع ، وليعلم الذين يعجلون بالحكم على آراء الناس أن الريث أولى بهم وأجدر أن يهديهم سبيل الرشاد ، فإن قوماً منا قد اقترنت بعض الفكر العلمية فى أذهانهم بقداسة تجعلهم ينفرون ممن يعرض لها بوزن أوتمحيص ولو زيف أدلتها ، وبين ما فيها من خطأ ، فتراهم يجزعون لما يصيب هذه الفكر ويضطربون ، وتراهم يسفون أحيانا ويتزيدون ، وربما أضافوا إلى الباحثين ما لم يقولوا ، أو أولوا فى كلامهم مالم يقصدوا ، ذلك بأنهم لا يرجون علماً ، ولا يقصدون حقاً ، وإنما يريدون أن يثيروا كلاماً فى مقابلة كلام ليقول العامة الذين لا يفقهون : لقد رد فلان على فلان ! وآية ذلك أن كلامهم لا يصبر على البحث ، ولا يثبت أمام النقاش العلمى ، فتراه يتخاذل ويتهالك ويذوب كما يذوب الثلج تحت حرارة الشمس ، ولو شئنا لضربنا فى ذلك الأمثال ، ولكنا نضن بأنفسنا وبقرائنا أن نشتغل بأكثر من هذا المثال .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة
١٩٤٢

مرّة أخرى

من المحيط إلى الخليج

بقلم : عبد الله الشيتي

في عدد مضى من « الدوحة » طالعتنا كلمة « من المحيط إلى الخليج » . وهي عبارة عن رسالة الكاتب المغربي المعروف محمد زفزاف ، أثبتها رئيس التحرير « افتتاحية » جديرة بالاهتمام والمناقشة ، لأنها ــ أي كلمة الأديب المغربي ــ تتصدى لواحد من أهم الموضوعات القومية المصيرية ، بل هو أخطرها على الاطلاق ، ونعني (الوحدة العربية) ذلك الحلم القديم يتجدد ، كلما ادلهمت الخطوب ، وباعدت بيننا السبل ، مشرقاً ومغرباً ، فما ندري خلاصاً إلا بالوحدة أو الاتحاد ، ولا يفتأ هذا الأمل أو السراب يداعب مخيلتنا ومخيلات من سبقونا في كفاح وجهاد ، وأصداء ذلك النشيد المدرسي ما زالت في أسماعنا رجع حنين وذكرى :

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن
إلى مصر فتطوان !!

أين كنا ؟ أين أمسينا ؟ وكيف أصبحنا ؟ اعفوني ــ كما أعفيكم ــ من الاجابة ، والمثل العامي « المشرقي ! » يقول : لا تشكي لك ببكيلك ! وما أقدرنا على الشكاة والبكاء ، كأمة ، حتى في الغناء ! وتقويم هذه الأمة « التي كانت خير أمة أخرجت للناس » حافل بالمناسبات المحزنة ، والمؤسفة والذكريات السنوية المريرة،وقد جعلنا من قضية العرب الأولى المركزية فلسطين حائط مبكى جديداً ! ولسان حالنا مع كل ذكرى ، هزيمة كانت أو نكسة أو احباطاً أو يأساً :

رب يوم بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه !

وغدونا الآن : كلنا في الهم شرق ومغرب واخواننا في مغربنا العربي قد أصيبوا بعدوانا نحن المشارقة . ألسنا عرباً ؟ ! كما يقول الفيلسوف « الشعبي » غوار الطوشة ؟ اذن ، فمن الطبيعي أن تظل الخلافات العربية الأبدية ، تنخر فينا وفي ضمائرنا ، كما ينخر السوس السفينة ..

فكيف يا أخي (زفزاف) ، تريدنا أن نزف اليك أو تزف الينا «الوحدة الكبرى » ونحن أصلاً ، كأجزاء وكأنظمة وكمنظمات وكهيئات وطوائف وأشتات ، غير موحدين فيما بيننا ، حتى على النطاق الاقليمي أحياناً ، وكأنما قاعدة (فرق تسد) التي زرعها المستعمرون قبل أن يرحلوا هي وحدها السائدة ! وقد حدثني تونسي عجوز ذات يوم ، التقيته في واحدة من اسفاري ، فوضع مقارنة حكيمة أليمة ، حين ألمح إلى أن تلاحم مشاعر العرب ، فيما بينهم ، كان أيام الاستعمار وعهود الاحتلال أعظم وأشمل مما هو عليه اليوم ، في عهد الاستقلال والتحرر وتعدد الكيانات ! بل كان التقارب الثقافي والعلمي والاجتماعي والتزاور والتواصل ، أكثر الف مرة مما هو عليه اليوم ، مع تطور وسائل المواصلات ، دون جدوى ، فان انتقال انسان من الأرض إلى السماء بسرعة البرق ، مثلاً أسهل مليون مرة من انتقال كتاب صادر في هذا البلد ، الى البلد العربي الآخر ، فكيف تتم (الوحدة العربية) يا أخي زفزاف ، ونحن على ما نحن عليه ؟ وهل يكفي أن يتم التزاور الأدبي أو التبادل الثقافي أو عقد ندوة هنا ، وأمسية هناك ، وملتقى هنالك ، حتى نقترب من حلم الوحدة ليصبح حقيقة معاشة ، وواقعاً ملموساً ! لا أعتقد ! ذلك أننا حتى الآن اعتدنا أن تكون الوحدة فوقية ! وأية وحدة لا تكون افعالاً وتقوم على الانفعال ، صائرة إلى الفشل ، وفي الذاكرة أكثر من مثل صادق ، ومن دليل حي يساق ! بل إن زميلنا الاستاذ (زفزاف) يزف الينا (خبراً) لا يسر صديقاً ، ولكنه يستثير شماتة الأعداء ، برغم أن الخبر صحيح .. هو ذا يقول في كلمته تلك « أغلب الكتاب المغاربة ، رغم غيرتهم وتطلعهم إلى الوحدة العربية ينظرون دائماً جهة الغرب » ! فهل نلوم إلا أنفسنا يا أخي زفزاف ، قبل أن نلوم سوانا ونعلق على شماعة الغرب خيبتنا وانقسامنا وتشرذمنا ، طالما أن فينا بذور الفرقة تنمو ! وشعارات الانقسام والانكسار ترتفع تارة باسم الوطنية ، وطوراً باسم الحرية والاستقلالية ..

ان بين ظهرانينا ، تجربة دول مجلس التعاون مع الأمل بمزيد من التكامل وتطوير العمل الوحدوي في اطار هذه التجربة الحديثة ، فلماذا لا تكون تجربة معممة على اقطار الدول المتقاربة جغرافياً والمنسجمة عادات وتقاليد ، كفكرة (المغرب الكبير) . إن كلمة الوحدة قد تكون ذات حساسية ومدلول لفظي يحتمل ألف تأويل ، ولكن قيام مجلس تعاون ، أو تنسيق أو تكامل ، أو اتحادات كونفدرالية ثنائية يكون أفضل وأوثق وأقرب الى التحقيق كنواة وفعل .!

وتركنا الاستاذ زفزاف في ختام كلمته المختصرة ، دون أن يدلنا على ماهية (المبادرات العملية) التي نادى بوجوب ايجادها أو بعثها من مرقدها لانقاذ ما يمكن انقاذه ، لتحقيق وحدة العرب أو اتحادهم ... ترى ما أبرز هذه المبادرات التي يدعو إليها ولم لم يكشف عنها صراحة وتفصيلاً ؟

سوف أدلي بدلوي ــ باختصار شديد و... مفيد !

١ ــ الوحدات الاقليمية ــ على طريق التكامل الوحدوي أو الاتحادي بين الدول العربية المتشابهة ظروفها بعضها مع بعض .

٢ ــ وضع الاتفاقات الاقتصادية والثقافية والفنية والعلمية موضع التنفيذ .

٣ ــ تسهيل عملية دخول الكتاب من وإلى هذا البلد أو ذاك .

٤ ـ انشاء وكالة أنباء عربية واحدة
٥ ـ إنشاء وكالة توزيع مطبوعات عربية واحدة
٦ ـ تسهيل التبادل التجاري والثقافي
٧ ـ تسهيل اجراءات الدخول والاستثمارات والتملك
٨ ـ اعتماد إعلام قومي لا إقليمي
٩ ـ تطوير ميثاق جامعة الدول العربية بحيث تكون ذات جدوى في اتخاذ القرار .. الحاسم ، لا أن تظل اسماً بلا مسمى في كثير من الحالات الساخنة الخطرة لأنها مكتوفة اليدين !
١٠ ـ إزالة الخلافات أو تجميدها ، وعدم تدخل بلد في شؤون بلد آخر ، ومواجهة عدو واحد مشترك (ثم ان لنا من السوق الأوربية المشتركة) خير مثال على تعاون واسع مع الاحتفاظ بالشخصية الذاتية !!)
١١ ـ حرية دخول الصحف والمجلات من وإلى كل بلد عربي بعيداً عن حجر حرية الرأي وحرية الكلمة طالما كانت الحرية مسؤولية !

وأخيرا : تطوير المناهج الدراسية بحيث تكون من منطلق قومي وحدوي شامل !

هذا هو تصورنا لما يمكن أن يتحقق من تقارب وحدوي ، تلقائي وعفوي ودون الدخول في متاهة التفاصيل التي تؤدي إلى نفق الخلافات والانقسامات المظلم . ولعلي نسيت أمراً مهماً ، في الختام وهو أننا وقبل كل شيء ، مدعوون الى مزيد من (التعريب) في دول المغرب حتى تخف حدة الاتجاه نحو... الغرب !! وكذلك التفرنج في المشرق ! وباب المناقشة ما يزال مفتوحاً !

حاشية :

أذكر أني كنت أزور المغرب الشقيق قبل بضعة أعوام وقرأت في صحيفة مغربية دعوى ـ في صفحة كاملة ـ أقامها يومئذ المحامي محمد الفاسي ضد وزارة البرق والهاتف أو المواصلات ، أو الجهة المسؤولة عن تحصيل رسوم الهاتف ، وهي دعوى قضائية جزائية و (حقوقية) طالب فيها المحامي المغربي معاقبة تلك الجهة لأنها أرسلت إليه كتاب التحصيل مكتوباً بلغة فرنسية ، في بلد عربي حر مستقل ! وطالب بتعويض ضخم مؤكداً على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الأولى في البلاد ..!
فلنبدأ من الداخل ، يا أخي زفزاف ، ولنشرع بعدها ـ بعد ترتيب كل بيت عربي من الداخل أو كل نظام ـ في التغني « بوحدة ما يغلبها غلاب ، تباركها وحدة أحباب » لا يكون الانفصال متربصاً بها !

هي الأرض

شعر: محمد الظاهر



هي الأرضُ تجري في مَدارِجِها ، أَنا مشيتُ لها بينَ المَشيئَةِ وَالدَّمِ
وَلي ثَمَرُ العُشّاقِ ، أَطيافُ جَنَّةٍ ، مِنَ الياسمينِ الغَضِّ ، زُخْرُفُ بَهْوِها
وَمِنْ أُرْجُوانِ المَوْتِ ، بَوّابَةُ الوَقْتِ
تَخَطَّفَني بَرْقٌ ، فَقُلْتُ : أنا لَها
سَريرُ الوَرَى ، ماءُ الفُصولِ ، انْعِتاقُها ، جُنونُ المَجازاتِ ، انْفِصامُ
مَقالِعٍ مِنَ الحَجَرِ الصَّلْدِ ، انْفِتاحُ الرُّؤى
خَميرةُ قَتْلي مِنْ جَحيمِ تَناسلي
وَكُلُّ احْتِمالاتي شَوارِعُ رَغْبَتي
وَكُلُّ تَواريخي احْتِكامٌ ، وَطَقْسُها ، طُقوسُ الوَرى ، تَجْري رُؤوساً وَأَضْلُعاً
إلى مَلكوتِ الْخَوْفِ أَوْ غابَةِ الصَّمْتِ
أَنا جِئْتُها مِنْ عُرْوَةِ الرُّعْبِ ، هِجْتُها ، وَهَيَّجْتُها ، حَتّى اسْتَطالَتْ
جُذوعُها ، وَأَدْخَلْتُ فيها نَسْغَها ، كانَ خاتَمي ، يُضيءُ خَلاياها وَيُزْجي نَفيرَها
أَنا غَفْوَةُ الماضينَ ، قِشْرَةُ مَوْتِهِمْ ، أَنا صَحْوَةُ الآتينَ مِنْ ضَجَّةِ الخُطى
تَأَوَّلْتُ رُؤْيايَ ، اتَّقَدْتُ بِسِرِّها ، فَتَحْتُ إِزارَ الْوَمْضِ ، اغْتَسَلْتُ بِمَوْجِهِ
غَسَلْتُ رَمادَ الْخَوْفِ ، حَتّى إذا جَرى ، عَلى جِسْمِهِ ماءُ اليَنابيعِ رَفْرَفَتْ
طُيورٌ مِنَ الرَّعْدِ المُشاكِسِ ، وَانْبَرَتْ خُيولُ التَّحَدّي تَطْرُدُ الْمَوْتَ عَنْ دَمي
إذا اسْتُنْفِرَتْ هذي البِلادُ ، وقاتَلَتْ عَنِ الْحُلْمِ ، أَصْغَتْ سُدَّةُ اللهِ ، أَفْرَدَتْ
مُناخاً لَها في سُرَّةِ الْغَيْبِ ، أَوْمَأَتْ لِأَطْفالِها الآتينَ مِنْ نَبْضَةِ الْمَدى
أَنا جَسَدُ الأَرْضِ العَصِيَّةِ ، قَبْضَةٌ ، تَدُقُّ بُروجَ الْكَوْنِ ، تَثْقُبُ عُرْيَها ، وَتَمضي
إلى نارِ البَراءَةِ ، لا تَرى ، سِوى آيَةٍ لِلْحَرْبِ ، تَقْرَأُ سِرَّها
أَنا وَرْدَةُ التَّكْوينِ ، أُفْقُ رَصاصَةٍ ، تُعيدُ ائْتِلافَ الْحَرْفِ في هَيْكَلِ الصَّوْتِ



رامية السهام المائية

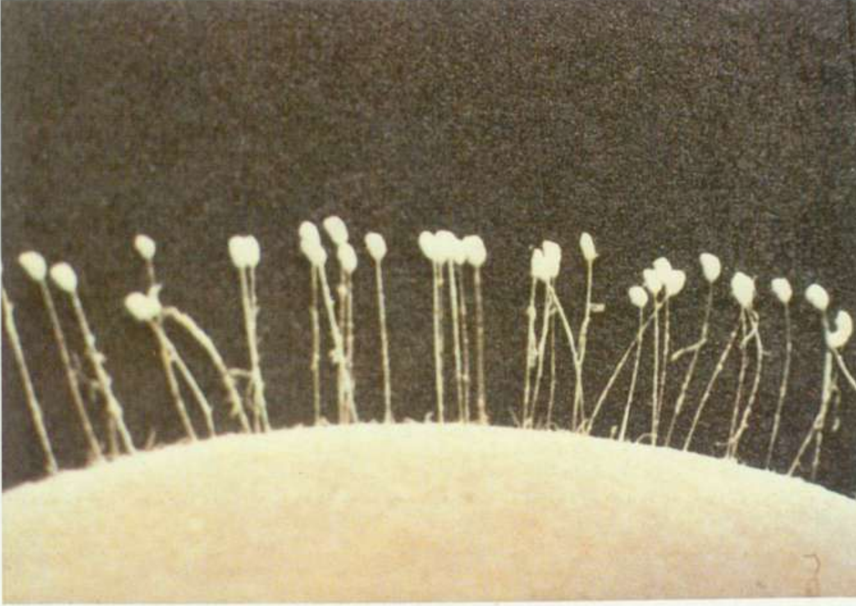
فكرة مبتكرة ، تعيش عليها تلك السمكة ، فهى تصطاد من الماء والهواء على حد سواء ، وصيد الماء معروف ، لكن أن تصطاد من الهواء ، فهذا شىء غير مألوف ، ومع ذلك فاللقطة التي تراها هنا خير دليل على هذه الحيلة الغريبة ، فإذا رأت السمكة حشرة تقف على ورقة نبات ، أخذت وضع الاستعداد والتصويب ، وفجأة تنطلق من فمها قطرات الماء بسرعة فائقة ، وكأنما هى قذائف منطلقة ، والقذائف غالبا تصيب ، وقلما تخيب ، فإذا بالصيد تشله المباغتة ، فيسقط إلى الماء ، ويصبح لها لقمة سائغة ، وهو ماتراه فى المربع المصاحب لهذه الصورة .. من أجل هذا سميت تلك السمكة باسم «الآرشر» أو رامية السهام ، وهو اسم على مسمى ، عدا أن قطرات الماء هى سهامها .. ولكى تصيب ، فمن المحتم أن تندفع القطرات بفاعلية وقوة على هدف قد يبعد عنها مترين أو ثلاثة ، فإذا أخطأت الهدف ــ وقلما تخطىء ــ فإن القطرات تفقد اندفاعها بعد خمسة أمتار .. وكم فى جعبة الحياة من أفكار .. «ولا جديد تحت الشمس» ــ وكذلك يقولون .

أحواض عائمة



التشكيلات التي تزخر بها الحياة لا تكاد تعد ولا تحصى ، لكنها دائما تأتي لتكون مناسبة للهدف الذي من أجله قد ظهرت .. وهذه اللقطة الغريبة التي تبدو كصوان واسعة ، أو كأحواض عائمة ليست إلا أوراقاً لنبات طاف من عائلة الزنابق المائية ، فى كل عام تنبت بذوره فى الماء ، ثم تخرج منها أوراق صغيرة ملفوفة كبرعم صغير ، وعندما تتفتح وتنمو وتتسع على سطح الماء ، فإن أقطارها قد تصل إلى حوالى المترين ، اى بمساحة قدرها ثلاثة أمتار مربعة للورقة الواحدة ، هذا بالاضافة إلى حافة بارزة قد يصل ارتفاعها إلى ١٥ سنتيمتراً ، وتستطيع الورقة أن تتحمل طفلا يبلغ من العمر ٦ ــ ٩ سنوات ، ودون أن تغوص به في الماء أو تتمزق ، وعندما تتفتح زهرتها التي يبلغ قطرها حوالى ثلث المتر ، فإنها لا تستمر إلا ليوم واحد فقط ، وفى اليوم التالى تغوص تحت الماء ، وتبقى فيه إلى أن تنضج بذورها ، وفى العام التالى تكرر الدورة ، لتنتشر على سطح الماء بتشكيلات يسعد العين مرآها .. أو كما نراها ! .

تشكيل غريب



من الصعب التعرف أوالاستدلال على طبيعة هذه الخيوط القائمة ، أوعلى ماتحمله في هاماتها ، فكل ما يخطر ببالك ، تخالفه هذه اللقطة ، لأن المعلقات هنا هي بويضات حشرة وضعتها فوق تلك المحاور الرفيعة ، أما كيف قامت بتنفيذ تلك الفكرة الغريبة ، فعليها أن تختار المكان المناسب على سطح نبات ، وتفرز من غدة في نهاية بطنها قطرة دقيقة من مادة صمغية ، وقبل أن تجف وتتصلب ، ترفعها إلى أعلى ، فتنسحب معها على هيئة محور رفيع سرعان مايتصلب ، وفي نهايته تضع بويضتها ، وتتكرر العملية حوالي مائة مرة ، لتبدو في النهاية على تلك الهيئة المثيرة التي تمثل حوالي ثلث ماوضعت ، لكن لماذا خالفت تلك الحشرة المعروفة باسم « ليسوينج » أو شبكية الجناح معظم الحشرات ، وعلقت بويضاتها على محاور ، بدلا من وضعها مباشرة على سطح النبات؟ لا أحد يعرف تفسيراً مقنعاً لذلك « ويخلق مالا تعلمون » .

على ظهرها حملت جلود ضحاياها !



وكما جاء التشكيل الغريب السابق لبويضات شبكية الجناح شاهداً على فكرة مميزة من أفكار الكائنات ، كذلك جاءت اليرقات التي تخرج من تلك البويضات بسلوك أغرب ، فلو أنك فحصت هذه اللقطة لعرفت في التو واللحظة أنها ليرقة أو دودة ، لكنها تأكيدا لن تعرف ماذا تحمل فوق ظهرها .. لأن ما تحمله كتلة غير مميزة لجلود عشرات الأموات التي قتلتها الدودة ، أما أصحاب هذه الجلود فقد ذهبوا لقمة سائغة في بطنها ، وتبدأ القصة بحقن الضحية (وهي غالبا من المن النباتي) بعصارة هاضمة تخرج من فكين دقيقين كابرتي الحقنة ، فيذوب شحم الضحية ولحمها ، وتمتصه الدودة ، ولا يبقى إلا جلدها الخاوى ، وعندئذ تلقيه فوق ظهرها ، وتضغط عليه حتى يثبت بين الشعيرات المتصلة التي تحملها على جسمها ، وتتجمع حصيلة عشرات أو ربما مئات الجلود الجافة والمتصلبة ، وكما تراها محمولة مثل كومة من القمامة فوق ظهرها . وطبيعي أن هذه « السفاحة » لا تحمل جلود ضحاياها لتكون دعاية لها عن قوة شكيمتها ، وعظمة بأسها ، بل هي « تلبس » جلود غيرها لتحميها من الطامعين في لحمها ، فكما أكلت ، فمن المحتمل أن تؤكل ، ولهذا إذا استشعرت الخطر ، انكمشت تحت « القمامة » ، فلا يستدل عليها عدوها ، وكأنما هي ضربت عصفورين بحجر واحد : طعام تأكله وخيمة وملبس تختفي تحته !

الخطابة والخطباء خلال قرن

بقلم: فتحي رضوان

لعل من الصعب على مؤرخى السياسية والأدب فى مصر، أن يقرروا بحسم ما اذا كان دور الصحافة فى الحياة السياسية المصرية خلال القرن الذى بدأ سنة ١٨٨٢ بالاحتلال البريطانى، وانتهى فى سنة ١٩٨٢، كان أفضل وأكبر، أم أن الخطابة هى التى صنعت الأحداث، وأن الخطباء هم الذين صاغوا أكبر الأمور.

لا أعتقد أن كاتباً منا، حاول أن يوقف كتاباً على الخطابة والخطباء، خلال هذا القرن الذي حددت بدايته ونهايته، يذكر أسماءهم، ويروي تاريخ حياتهم، ويحدد الأثر الذي خلفوه، ويحلل أساليب كلامهم وطبيعة مواهبهم، ولو توفر مؤرخ أدب، أو مؤرخ سياسة على هذا الجانب الخطير في حياتنا، لاستنفذ ذلك جهداً كبيراً، ولصادف كثيراً من العقبات، أكبرها جميعاً أن ما بقي من خطابة خطباء مصر العظام، هو القدر القليل، فقد مضى القرن دون أن يعرف الناس وسائل التسجيل التي كانت تعيننا الآن على سماع من ماتوا من خطبائنا أومتحدثينا في الأندية السياسية والأدبية، وفي معارك الانتخابات، وفي الندوات الخاصة التي ملأها الأدباء والشعراء والظرفاء ورواة النوادر واللطائف، بأمتع ماجادت به قرائحهم الخلاقة، وألسنتهم المصورة، والمبدعة.

فقد مات أحمد عرابي وعبدالله النديم ومصطفى كامل وسعد زغلول ومكرم عبيد وتوفيق دياب ومحمد شكري (كيرشان) قبل أن تذيع أدوات التسجيل، حتى أصبحت جزءاً من متاع الدنيا، يقتنيه كل فرد حتى ولو كان رقيق الحال، وضعيف الصلة بدنيا الفكر والفن. ولكن الخطباء الذين امتد بهم العمر، بعد هذا الرعيل الأول من الخطباء والمتحدثين فقد سجل لبعضهم إن لم يكن لهم جميعاً خطب كاملة، وأحياناً كل خطبهم، وأصبحت ثروة لأهل الأدب، والمؤرخين ولهواة جمع التسجيلات، فجمال عبدالناصر وأنور السادات وأحمد حسين وحافظ محمود وأنور أحمد، قد سجلت لهم خطب وأحاديث وأصبح من الممكن مراجعتها وتبين خصائصها كما سجلت روايات ومشاهد وأحاديث لفحول الممثلين

وكبريات الممثلات، أمثال يوسف وهبي ونجيب الريحاني وحسين رياض وأحمد علام، وفاطمة رشدي وأمينة رزق. أما نجوم المجالس والندوات أمثال حافظ إبراهيم (شاعر النيل) وعبدالعزيز البشري، وإمام العبد، ومحمد البابلي، فقد غادروا دنيانا ولم يبق من آثارهم إلا عدد من النوادر والمستطرفات، تعد على أصابع اليد الواحدة.

عبدالله النديم

نعود إلى الخطباء فنجد أن أول هؤلاء الخطباء، وأعظمهم أثراً. وأغناهم بالمواهب المتباينة من القدرة اللسانية، في الحديث وارتجال اللفظ المنثور والشعر والزجل والنادرة والقافية وأساليب أخرى من القول لا تعرفها إلا سرادقات الموالد إلى جانب الكتابة: كتابة المقال، والقصة والمسرحية والمقامة.. كان زعيم الجميع، هو عبدالله النديم، صاحب مطالع الثورة العربية، وكان أقرب الناس إلى زعيمها، بشر بمقدمها، وسار في ركابها يخطب في معسكرات الجند. يستقبل جموعهم ويودعهم، ويشد العزائم، ويبشر بالنصر، ويهدد الأعداء، ويتوعدهم بالويل والثبور، ويخرج للثورة جريدة خاصة بها، فاذا فشلت الثورة، لجأ إلى الاختفاء، وكان اختفاؤه قصة من قصص الكفاح الشعبي تثير الخواطر، وتتناقلها الألسن، كقصص المغامرات التي تتوقف لها الأنفاس وتتعلق لغرابتها في الصدور. فاذا انتهت الغمة، وأطلق سراح عبدالله النديم، بقى يحرك الناس، ويدعوهم إلى استئناف القتال سراً وايماءً حتى لقى الشاب مصطفى كامل، فعقد عليه كل أمله، ودعاه أن يتلقف منه العلم، وأن يسلك مثل مسلكه، فيكتب ويخطب، ويحرض ويهيج، ويشيد بجمال مصر، وبتاريخها ويضيف إلى ثقافة عبدالله النديم العربية الإسلامية البحتة ثقافة أوربية تلقاها في عواصم أوربا جميعاً: باريس ولندن وبودابست، وفيينا وفلورنسا وبوخارست.

ولكن الذين حفظوا لنا أكثر خطب عبدالله النديم، وكل خطب مصطفى كامل، لم يحدثونا عن

أسلوب أيهم في الأداء الخطابي . ولكن من السهل أن نحكم من قراءة ماترك لنا من خطبهم ، بأن موهبة عبدالله النديم ، في ارتجال الخطب ، وأنواع الكلام الأخرى ، أعظم من موهبة مصطفى كامل ، وأكثر الذين جاءوا بعده . وأن ارتجال عبدالله النديم كان مصحوباً ، بحركات من يديه ، وتعبيرات من قسمات وجهه ، وتلوينات في صوته ، تتفق مع مزاجه الميال إلى التمثيل وتجسيد الأفكار والمعاني لذلك يمكن القول بأن عبدالله النديم كان أشبه مايكون بالمسرح الشعبي المتجول ، لا يكتفي بالقول العربي الفصيح ، بل يعززه بأساليب القول الشعبية تضحك السامع ، وتسخر من الأعداء وتصورهم في أوضاع ، وبصور ، تنقص من مقامهم ،وتحط من قدرهم ، دون أن تخشى السلطة ، أوتعقب الشرطة .

ولذلك يمكن القول بأن عبدالله النديم ، هو رائد المكافحين ضد الاحتلال البريطاني ، وضد هيمنة القصر الخديوي والباشوات الذين كانوا يحيطون به ، ويأتمرون بأمره ، وبذلك يكون عبدالله النديم هو أعظم خطباء مصر في القرن العشرين ، وأولهم ، وهو الذي شق المتكلمين والمتحدثين والخطباء سبيلاً لمهاجمة الظلم والشخرية من الظالمين وإهاجة الخواطر ضد الاحتلال البريطاني وعملائه وصنائعه .

مصطفى كامل وخلفاؤه

أما مصطفى كامل ، فأغلب الظن أنه كان يكتب أكثر خطبه ،ويرتب أفكاره ترتيباً منطقياً ومنهجياً ثم يقف بين سامعيه في سمت جميل ، ووجه وسيم ، وزي أنيق وشباب متألق ، وصوت مسموع عال ، خال من كل عيوب أصوات الخطباء من ضعف ، أو حدة تخالطه تجرح الأذن ، كلها طبقات ، أو حدة تخالطة تجرح الأذن ، كلها طبقات رقيقة عالية ، ينقصها الامتلاء ، فتصبح أشبه بالصفير ، وهو حينما يخطب يتدفق ، ولكن دون أن تشوبه عجلة تجعل متابعته أمرا صعباً . وهو يحسن الوقوف عند المعاني التي تستثير تصفيق الجماهير ، أوتحرك حماسهم ، وقد يعتمد الوقوف عند هذه العبارات . التي يعدها سلفاً ، ليقاطع خطابه في مواقف عديدة ، فيعيد التصفيق والهتاف ، إلى تأكيد أثر الخطبة وتعميقها . وقد كان لطف شخصية مصطفى كامل كخطيب ، وشبابه ، مع وقاره وعدم تكلفه ، عوامل مساعدة لنجاح خطبه ، وتناقل الناس لعبارات له مثل قوله : لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً وقوله : إن من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة ، سقيم الوجدان . وقوله . لامعنى للحياة مع اليأس ، ولامعنى لليأس مع الحياة . وقوله : بلادي . بلادي لك حبي وفؤادي . لك قلبي وعقلي . « وأنت أنت الحياة ولا حياة إلا بك يامصر » . ولعل مصر لم تعرف متكلماً ذاعت كلماته وأصبحت من جوامع الكلم ، كما ذاعت كلمات مصطفى ، فحفظت ، ونقشت على المباني والمعاهد ، وبقيت حية إلى اليوم ، ولا ينافسه في ذلك المجال إلا شعر شوقي .

وقد جاء بعد مصطفى كامل من أتباعه وتلاميذه إثنان من الخطباء ولكنهما كانا من طراز الخطباء الذين لا يؤثرون بفصاحتهم ، ولا بريق ألفاظهم ، ولا بقدرتهم على الارتجال ، إنما بوضوح الفكرة ، وتسلسل الكلمة ، وصدق عاطفتهم ، وإيمان الناس باخلاصهم وأعني بهؤلاء محمد فريد ، وعبدالعزيز جاويش ، فقد استطاع محمد فريد أن يملأ فراغ مصطفى كامل مع اتساع البون بين موهبة الاثنين الخطابية ، وهدوء محمد فريد على المنبر كخطيب ، وتجرده من مزايا الصوت الجهير والاشارة العريضة والتدفق الحار ، إلا أن الذين سمعوه ، وعاشوا بعده حدثونا عن قدرته بوضوح فكرته وتأكيده على معانيه ، وتأثيره العميق بتجرده الظاهر وشجاعته في تحدي السلطة وعدم الاحتفال بها ، أوالخوف منها . حتى أصبح خطيب مصر ، وخليفة مصطفى كامل ، وثبت لدارسي الأساليب الخطابية أنه ليس للخطابة قالب واحد ، يجب أن يتبعه ويحتذى به كل الخطباء . وفي التاريخ الانساني خطباء عظيمو التأثير على الجماهير مع أن البيان الرنان والحرارة الشديدة تنقصهم . من أمثال هؤلاء المهاتما غاندى زعيم الهند ، الذى كان أشبه بالمدرس الشارح ، والمعلم الذى يحب التفاصيل ويؤكدها ، ومع ذلك تصمت الآلاف بين يديه وكأن على رؤوسها الطير ، ويكتم الحاضرون أنفسهم لكيلا تفوتهم كلمة .

أما الشيخ عبدالعزيز جاويش فلم يكن خطيباً بالمنشأ ، فسلاحه قلمه ، وقدرته في عبارته المكتوبة ، ولكنه حينما ألزمته الأحداث بعد وفاة مصطفى كامل ، وغياب محمد فريد في السجن . أن يرقى المنبر ، كان يعد خطبه ويتلو بعضها ، ويرتجل البعض الآخر ، وقد عوضه الله بسماحة وجه آسرة ، ووقفة ملهمة وشجاعة في ابداء الرأي نادرة ، فأحبه الناس خطيباً ، وتأثروا به ، وحرصوا على أن يلاحقوه أينما ذهب .

> ● من الخطأ ألا نهتم بتاريخ الخطابة المعاصرة في الوطن العربي فتاريخها هوتاريخ النهضة والوطنية

> ● كان سعد زغلول في عصره أخطب الخطباء في دنيا العرب، وكانت خطبه سلاحًا حاسمًا ضد الاستعمار

سعد زغلول ومكرم عبيد

ثم جاءت الحرب العظمى ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وأقفرت الأندية ، واختفت المنابر ، ولم يعد يسمع اسم خطيب ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، وانفجرت ثورة سنة ١٩١٩ ، في أخريات سنة ١٩١٨ على أثر ذهاب سعد وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي لمقابلة السير ونجت ممثل الاحتلال البريطاني في دار الحماية في ١٣ من نوفمبر من تلك السنة ، وتسامع الناس باسم وزير سابق ترك الوزارة سنة ١٩١٢ ، ولم يعد به نشاط بسبب الحرب والأحكام العرفية ، وتوقف عن المشاركة في الحياة العامة فاذا بهم أمام خطيب يجذب أسماعهم ، مع أن حياته السابقة لم تكن تهيؤه للخطابة الجماهيرية ، فقد كان محامياً ناجحاً ، ولكن البون شاسع بين المحاماة التي تحتاج إلى تنسيق الأدلة ، وقرع الحجة بالحجة ، وبين خطابة الجماهير ، وقد حبسته الوزارة سنين عن الاتصال بالشعب ، وحبسته من قبل المناصب القضائية فترة غير قصيرة ، ولكنه ماكاد يرقى منبر الخطابة في ظل تفجر غضب الجماهير ، حتى أصبح أخطب الخطباء لا في مصر وحدها ، بل في دنيا العرب ، وزاد من ضخامة أثره ، وسحر بيانه قامة طويلة ، ومشيب فوق الرأس كالتاج ، وقدرة على الارتجال ، وهيبته إياها دراسته الأزهرية ، وصوت يصل إلى آخر سرادقات ذلك الزمان ، بسهولة ويسر ، وعجز الذين حوله من الأعوان أو الخصوم ، عن أن يخطبوا الناس ولو بكلمة ، على الرغم من علو مكانهم ورفعة أقدارهم .

وقد بقي سعد زغلول مضرب المثل في الخطابة ، حتى جاء مكرم عبيد الذي سمي (بابن سعد) لشدة حبه له ، وقد ابتدع مكرم عبيد طرازاً جديداً من الخطابة ، هو الخطابة المسجوعة والمحفوظة ، والتي تلقي بعد ذلك من صاحبها كأنها مرتجلة . ولكن ماكانت تمتاز به من سجع ، خلا من الاصطناع والتكلف ، فحفظ الناس الكثير منها وأصبح مكرم عبيد خطيب العهد التالي لسعد زغلول . حتى ظهر جيل جديد من الخطباء يختلف عن جميع الذين سبقوهم في الشكل والأداء والهدف ، أعني بهم حسن البنا وأحمد حسين وحافظ وآخرين سأحدثك عنهم في مقال تال إنشاء الله .



جبل المقطم : لوحة من لوحات الفنان حسنى البنانى ، ضمن صوره الصادقة الملونة الفرحة فى عصرنا الحاضر

حسني البناني

رسام المناظر الخلوية

بقلم : صبحي الشاروني

كان الفنان الرائد « يوسف كامل » (١٨٩١ — ١٩٧١) رأساً لعائلة من الفنانين ينتمون اليه بالبنوة أو الزواج !

أنجب يوسف كامل ابناً واحداً وثلاث بنات ، أما الابن فهو الفنان صلاح يوسف كامل ، الذي كان له دور هام في تشييد مبنى « أكاديمية الفنون الجميلة المصرية في روما » .. وقد تولى ادارته لسنوات طويلة وحتى إحالته إلى التقاعد .

أما بناته الثلاث فقد تزوجت احداهن من المثال الراحل « جمال السجيني » (١٩١٧ — ١٩٧٧) ، والثانية من الرسام « كامل مصطفى » (١٩١٧ — ١٩٨٢) — الذي كان عميداً لكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية حتى بلوغه سن التقاعد — أما الثالثة فقد تزوجها الفنان « حسني البناني » (أطال الله عمره) ، أحد أعمدة الأسلوب التأثري (الانطباعي) في الفن المصري الحديث ...

ولدينا الآن أربعة من الفنانين الشباب يمثلون الجيل الثالث في هذه الأسرة الفنية ، هم ثمرة هذه الزيجات ..

كان يوسف كامل أستاذاً في الاتجاه « التأثرى » وهو أول من قدمه في مصر ، وقد ظل حسني البناني وفياً لأسلوب أستاذه ووالد زوجته ، حتى يعتبر فنه استمراراً متجدداً لمدرسته .

وقد ولد الفنان يوم ١٧ يناير عام ١٩١٢ في حي « باب الشعرية » بالقاهرة ، وعاش صباه في أحياء



سوق البطيخ



حي شعبي

الأزهر والحسين والغورية في قلب قاهرة المعز .. والدته من رشيد حيث يلتقي أحد فرعي النيل بالبحر الأبيض ، أما والده فمغربي عمل بتجارة الأقمشة ، وكان يملك متجراً لبيعها بالقرب من الحي الذي سكنه .

والتحق حسني البناني « بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية » بحي « درب الجماميز » ، وهو نفس الحي الذي أفتتحت فيه مدرسة الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٠٨ .. وعندما حصل على شهادة « الكفاءة » عام ١٩٢٧ اتجه مباشرة إلى « المدرسة العليا للفنون الجميلة » ليلتحق بها .

في طفولته كان يرسم الصور نقلاً عن الكتب والمجلات ، وقد حظي باعجاب المحيطين به في البيت والمدرسة ، وكان أول عمل يكلف به ، أنجزه لحساب أحد التجار من أصدقاء والده ، الذي طلب منه أن يقوم بزخرفة عدد من أغطية المناضد ومناديل الرأس النسائية برسوم تمثل الزهور والفراشات ، وكان ذلك عام ١٩٢٨ .

أما زملاؤه في مدرسة الفنون الجميلة العليا فهم « صلاح طاهر » و « حسين بيكار » و « صلاح يوسف كامل » و « عبدالسلام الشريف » ، وقد تخصص في دراسة فن الرسم الملون (التصوير الزيتي)على يدي الفنان الايطالي « كاميليو اينوشنتي » .. لكن « البناني » فصل من المدرسة عام ١٩٢٩ لاشتراكه في المظاهرات ، ولنشاطه السياسي ضد حكومة الأقلية (اليد الحديدية) التي حكمت مصر بدلاً من الحكومة الوفدية قبيل الأزمة الاقتصادية العالمية ..

أضطر الفنان للعمل في مصلحة التليفونات (الهاتف) وعين « عامل تليفون » بالأقصر في أقصى صعيد مصر ، حيث قضى أربعة أشهر نقل بعدها بنفس وظيفته إلى القاهرة .. وظل في هذا العمل لمدة عامين حتى التقى مصادفة بأحد زملائه الذين فصلوا مثله ، وعرف منه أنه أعاد قيده بمدرسة الفنون الجميلة كطالب جديد ، ففعل مثله ، والتحق بالمدرسة مرة أخرى ليبدأ سنة ١٩٣٢ ، بينما كان زملاؤه على وشك التخرج ، وواصل دراسة فن التصوير الزيتي ، كما التقى بأستاذه يوسف كامل الذي عمل مدرساً بالفنون الجميلة بعد عودته من بعثته الحكومية في ايطاليا .. وقد ربط بينهما حب البيئة الشعبية واتباع المذهب التأثرى في الرسم .. وقبل أن يتخرج عام ١٩٣٧ بدرجة الامتياز كانت قد ربطت بينهما المصاهرة .

في نفس عام تخرجه حصل على « شهادة الأهلية لتعليم الرسم » التي تؤهله لتدريس الرسم في مدارس التعليم العام . وقد رشحه مدير المدرسة الايطالي « اينوشنتي » للسفر إلى إيطاليا في بعثة دراسية لاستكمال أدواته الفنية .. لكنه فوجئ بأن البعثة المرشح لها قد حصل عليها فنان آخر ..

الطريق إلى روما

التحق بالعمل لمدة عام كرسام في المتحف الزراعي ــ الذي أقيم في ذلك التاريخ ــ بأجر يومي ٤٠ قرشاً ، ثم انتقل للعمل مدرساً للرسم بمدرسة بنها الابتدائية .. في ذلك الوقت سافر صلاح يوسف كامل (أخو زوجته) إلى إيطاليا في بعثة على نفقة الدولة .. فقرر « البناني » أن يحذو حذو والد زوجته الذي سافر عام ١٩٢٣ في بعثة تبادلية مع « راغب عياد » على نفقتهما الخاصة .. وراح يدبر نفقات رحلته .

وجاءت الفرصة عام ١٩٣٨ عندما كلفه « المتحف الزراعي بالدقي » أن يرسم عشرين لوحة دفعة واحدة ، بلغ أجره عنها ٤٠٠ جنيه ، كانت كافية في ذلك التاريخ لتغطية نفقات سفره ودراسته واقامته في روما عاماً كاملاً .

وطلب من وكيل وزارة المعارف إجازة دراسية بدون مرتب من عمله بمدرسة بنها الابتدائية ، لكن طلبه رفض ، مما اضطره إلى الاستقاله ليحقق هدفه ، وهو استكمال دراسته الفنية في إيطاليا .

حسني البناني

رسام المناظر الخلوية

وهكذا التحق عام ١٩٣٩ بأكاديمية الفنون الجميلة في روما بالسنة الثالثة طبقاً لمستواه الفني .. وما هي إلا بضعة أشهر حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، فعاد كل المصريين من ايطاليا بالباخرة إلى الاسكندرية .. وبعد ثلاثة شهور أخرى صرحت الحكومة المصرية للدارسين بالخارج أن يعودوا مرة أخرى لاستكمال دراستهم ، فعاد حسني البناني وواصل دراسته حتى بدأ امتحان الحصول على « ليسانس أكاديمية الفنون الجميلة بروما » .. في ذلك الوقت اشتدت الحرب ، وصدرت الأوامر بخروج المصريين فوراً من ايطاليا ، وعاد جميع الدارسين إلا « البناني » الذي لم ينفذ الأوامر وبقي حتى أتم الامتحان وحصل على شهادته الأكاديمية ، ولما اكتشفت السلطات تخلفه عن الرحيل ، اعتقلته حكومة موسوليني لمدة أسبوع ، ولم تفرج عنه إلا بعد حصوله على تأشيرة دخوله تركيا ، فأودعته القطار المتجه إليها ..

وفي تركيا بقي عشرة أيام في انتظار تصريح العودة عبر سوريا وفلسطين .. فقام برسم وجوه عدد من الشخصيات حتى يتكسب ويعول نفسه .. ووصل إلى القاهرة في أكتوبر عام ١٩٤٥ بعد رحلة مرهقة ليبحث عن عمل من جديد .

رسام الستائر المسرحية

عقب عودته اتجه إلى وكيل وزارة المعارف طالباً العودة إلى وظيفته السابقة كمدرس للرسم ، لكن الرجل الذي رفض من قبل التصريح له باجازة دراسية بدون أجر ، رفض مرة أخرى عودته إلى وظيفته بعد استقالته منها .. وبعد خروجه من مقر وكيل الوزارة ساخطاً صاخباً ، التقى مصادفة بالفنان الرائد « محمد بك حسن » زميل حميه ، وعرف بمشكلته ، فطلب منه أن يتوجه إلى « سليمان بك نجيب » الممثل الشهير ومدير دار الأوبرا ، الذي عينه على الفور رساماً للستائر المسرحية بدلاً من الفنان الايطالي الذي كان يتولى هذا العمل واعتقلته السلطات الانجليزية بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ، وكان أول عمل يقوم برسم ستائره المسرحية : هو ديكور مسرحية أمير الشعراء أحمد شوقي « الست هدى » .. وقد لفتت أعماله الأنظار ، فبدأ مخرجو السينما يستعينون بكفاءته في رسم مناظر الأفلام .

وأصبح البناني يتقاضى أجره مضاعفاً ، أحدهما بالنهار رساماً للستائر والمناظر ، والثاني عن عمله بالليل مرمما للديكور ، حيث لم يكن بدار الأوبرا رسام آخر يتناوب معه العمل ، واستمر في هذه الوظيفة حتى عام ١٩٤٩ وهو يتقاضى أجره باليومية .

وتوجه الفنان إلى « محمد بك حسن » يطلب تعيينه على درجة وظيفية أسوة بزملائه الذين عملوا بالوظائف الحكومية ، واستجاب الفنان الرائد لرغبته ، فانتقل للعمل أميناً لمتحف الطب الشرعي بكلية الطب جامعة القاهرة ، حيث حصل على درجة وظيفية ثابتة ، وراح يرسم العينات ويتعلم التحنيط على يدي أستاذ روسي اسمه « بلجاكوف » ، واستمر في هذه الوظيفة خمس سنوات أخرى .

في عام ١٩٥٠ تولى الفنان يوسف كامل منصب عميد « الكلية الملكية للفنون الجميلة » ، وهكذا انتقل البناني إلى وظيفة « مدرس مساعد » للفنان الرائد أحمد صبري رئيس قسم التصوير الزيتي في ذلك الوقت بالكلية .

ثم تولى رئاسة قسم الدراسات الحرة عام ١٩٥٦ ، ثم أصبح رئيساً لقسم التصوير الزيتي بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٦٥ حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٧٢ ليصبح أستاذا غير متفرغ لمدة ست سنوات أخرى .

وفي أثناء عمله بالتدريس أنتدب لتدريس الرسم النظري بكلية الهندسة في جامعة عين شمس كما انتدب بمعهد السينما ومعهد الفنون المسرحية من عام ١٩٦٠ وحتى ١٩٧٨ عندما تفرغ تماماً لانتاج لوحاته الزيتية في بيته ومرسمه بين حقول ضاحية المطرية بالقرب من مرسم والد زوجته الذي يقع في نفس الضاحية .

عاشق المناظر الطبيعية

خلال عمله أستاذاً بكلية الفنون الجميلة ، تخصص في تدريس مادة « المناظر » ، حيث طاف بتلاميذه في أحياء القاهرة وضواحيها : حي مصر القديمة وأحياء الأزهر والحسين وأمبابة .. وكان يرسم خلال هذه الجولات أمام تلاميذه فيتعرفون على رؤيته للمناظر وكيف تنعكس على لوحاته خطوطاً وألواناً وظلالاً ، فكان أفضل نموذج لتلاميذه الذين تألق عدد كبير منهم .

وقد عرف عن البناني أنه رسام المناظر الخلوية ، فهو أحد الذين أحبوا الطبيعة وقد أفنى عمره يتغنى بجمال الريف وأحياء القاهرة القديمة وأسواق القرى ، فهذه هي موضوعاته المفضلة على مدى نصف قرن .. في لوحاته يتضح عشقه للحقول وضوء الشمس والأشجار والتجمعات الانسانية .. تكاد حرارة ألوانه تنقل الينا الشعور بحرارة الشمس وضوئها الساطع .. تختلط في أعماله تجمعات الرجال والنساء بمناظر الحيوانات والطيور ، وتمتلئ بالحركة والحيوية في تكوينات محكمة ونظام لوني ساحر ، مع تحقيق الايقاع والتوازن والتوافق واجادة تحقيق الحوار بين الظل



بوابة المتولي



منظر بالقلعة

والنور وبين الخطوط والألوان .

اهتم برسم مساجد القاهرة القديمة في مجموعة من الأعمال التي تصور جانباً من جوانب الحياة المعاصرة حول هذه المساجد ، ويبلغ عدد لوحات هذه المجموعة أكثر من ٣٠٠ لوحة تصور الحياة في أحياء القاهرة القديمة وحول مساجدها .

ينتقي لأعماله أكثر الألوان غنائية ، فنحس في جنباتها حواراً بين همسات الظلال ، كما ينجح في نقل الاحساس بصخب الحركة والحياة في الأحياء القديمة مع تقديم أبرز ما يميز الحضارة الاسلامية العريقة التي نتجت عن عصور الازدهار .. إنه يسجل أهم سمات هذه الأحياء قبل أن يجرفها طوفان الزحف المعماري الحديث .

وهو يؤمن بأسلوبه الفني إلى درجة التعصب ، وألوانه المضيئة التي يدمنها لا تخلو منها إحدى لوحاته ، تعبر عن الفرحة العارمة والسرور والاندهاش .. فعالم حسني البناني يشيع في المشاهدين الاحساس الدائم بالشباب والطرب ، لمساته مملوءة بالنشاط والحيوية ، محملة بالألوان المتوهجة ..

وهو يتميز بالتدفق الغزير في الانتاج واللمسات الجريئة الصاخبة التي أصبحت علماً على أسلوبه منذ الأربعينات .. المناظر التي يرسمها تغتسل بالضياء وتكتحل بالظلال ، فهو ينقل الينا وهج الريف وزحام الأسواق ورطوبة الدروب والأزقة الضيقة التي تضم الباعة الجائلين والمقاهي والنسوة والرجال في ملابسهم الوطنية ، إنه يرى مواطن الجمال في كل ركن منها ، لوحاته نوافذ مفتوحة يطل منها المشاهد ولا يمل النظر .

إنه يلتقط المشهد ويختطفه على طريقة « التأثريين » الذين يقتنصون الأثر اللحظي للضوء في ساعة من ساعات النهار .. وفن حسني البناني يمثل صورة لأسلوبه الفني الصادر عن اقتناع وحب لمشاهد الريف والمدن .. إنه لم يتوقف عن الابداع ورسم الروائع على مدى نصف قرن ، ويقيم



قباب بيضاء



منظر من الريف



مصنع الخزف



سنابل القمح

حسني البناني
رسام المناظر الخلوية

معارضه الخاصة من حين لآخر لنتابع انتاجه ونتأكد في كل مرة من ثباته ووفائه لأسلوبه الفني .

المذهب التأثري

المذهب الذي يتبعه فناننا هو المذهب التأثري ـ الذي يطلق عليه البعض ، على سبيل الخطأ الشائع اسم التأثيرية أو الانطباعية ـ لكن هدف الفنانين الذين يتبعونه هو تقديم تأثرهم المباشر بالمشهد الذي يصورونه وليس ما ينطبع في ذهنهم عنه بعد عودتهم إلى مراسمهم فهم يعملون في الخلاء .. كما أنهم لا ينشدون تحقيق تأثير معين على المشاهد ، إنهم يكتفون بتسجيل تأثرهم بالمشهد وما يرونه في لحظة معينة .

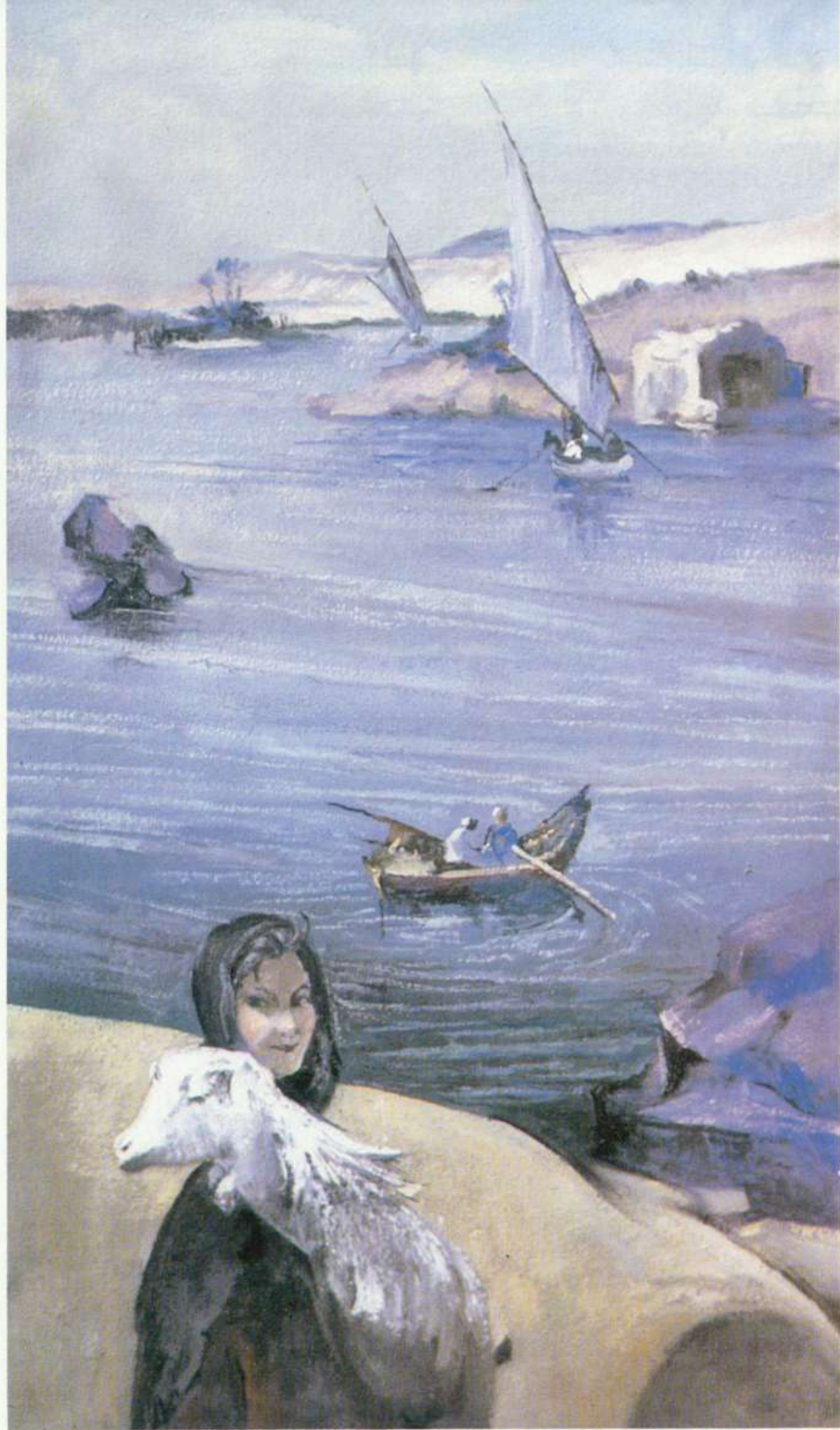
ولقد ظهرت التأثرية في فرنسا عام ١٨٧٤ ، وكان من بين روادها « ادجار ديجا » و « سيزان » و « مونيه » و « بيسارو » و « رينوار » و « سيسلي » و « بيرت موريزوت » وكانوا ثائرين على المذهبين السائدين في هذا الوقت وهما « الكلاسيكية الجديدة » ، « الرومانتيكية » ، كما أنهم اعتبروا أنفسهم امتداداً للمذهب الطبيعي الذي يصور الحياة والمناظر التي لم تؤثر عليها المدنية أو تهذبها يد الانسان .

كان ظهور هذا الاتجاه ناتجاً عن التقدم العلمي بعد اكتشاف تحليل الضوء واستخدام آلة التصوير الضوئي ثم التعرف على الفن الياباني الذي لم يتبع القواعد الصارمة في الرسم الأوربي قبل ظهور التأثرية .. وهكذا اهتم هؤلاء الفنانون بتسجيل انعكاسات الضوء الذى اكتشفوا أنه مركب من عدة ألوان ، وهو وحده الذي يحقق الصورة الفوتوغرافية ، ثم اكتشفوا قانون الألوان المتقابلة التي تبرز بعضها وتظهر قوتها وهي البنفسجي (المؤلف من الأزرق والأحمر) في مواجهة الأصفر ، والبرتقالي (المؤلف من الأحمر والأصفر) في مواجهة الأزرق ، والأخضر (المؤلف من الأصفر والأزرق) في مواجهة الأحمر .. بهذه القواعد العلمية تحقق قدر كبير من الحيوية والاشعاع في لوحات التأثريين .

واختفى اللون البني والأسود تقريباً من أعمالهم .. كما عمد بعضهم إلى وضع الألوان النقية في نقط صغيرة متجاورة لتقوم عين المشاهد بمزجها واستخراج اللون الناتج عن خلطها أثناء الرؤية وليس أثناء الرسم .

وهكذا حاول التأثريون أن ينقلوا صورة صادقة لانعكاسات الأضواء والألوان على ما يرسمون ، محققين لوحات ذات شكل جميل شاعري ممتع يعبر عن قوة الاضاءة بالدرجات اللونية من خلال لمسات الفرشاة الواضحة التي تدلنا على مقدار الجهد المبذول فيها . انهم لم يكترثوا بموضوع اللوحة ، وأصبح كل مشهد طبيعي قابلا للرسم والتصوير .. فأنتجت هذه المدرسة أروع الأعمال التي تصور أجمل المناطق والمشاهد في ريف فرنسا ومدنها بل وعلى مسارحها أيضا .

● عندما فاز الفنان العربي في معرض عالمي اشترك فيه ٧٩ فنانا من أنحاء العالم ، كان من بينهم "سلفادور دالي"



النيل في أسوان

رسام الجداريات

ويبلغ مجموع ما رسمه « البناني » من لوحات خلال حياته الفنية أكثر من ألفي لوحة ، لا يحتفظ في مرسمه إلا بعدد قليل منها .. وهو يستخدم السكين عادة في رسم لوحاته لأن لمساتها الجريئة والكثيفة ، ثم ألوانها الصريحة ، أقدر على نقل التأثر الأول بالشكل إلى المشاهد ، كما أنه ملفت للانتباه .. ومن مميزات الأسلوب التأثري أن المتلقي في أي بلد من بلاد العالم يستطيع أن يستوعبه ويتعرف من خلاله على عراقة آثار مصر الاسلامية وجمال ريفها .. لهذا ينتشر عدد كبير من أعماله في سفارات مصر ومكاتبها الثقافية في جميع أنحاء العالم .

لقد شارك الفنان في معرض عالمي للمناظر الطبيعية أقيم في مدينة سان فرانسيسكو عام ١٩٣٩ ، عرض فيه ٧٩ فناناً من أنحاء العالم كان من بينهم « سلفادور دالي » وقد فاز الفنان المصري بميدالية المعرض الشرفية (البرونزية) مع اقتناء اللوحة التي شارك بها .. كما فاز بالمرتبة الأولى في مسابقة لتصميم غلاف مجلة « هولي داي » بأمريكا في نفس التاريخ .. وقد قام بعدة رحلات إلى مختلف الدول الأوربية لمشاهدة فنونها ، ولم يؤد ذلك إلى تغير أسلوبه الفني .

لقد تفوق البناني في فن الرسم الجداري (التصوير الحائطي) وفاز في المسابقات الكبرى التي خاضها في هذا الميدان ، وقد رسم أكبر مساحات حائطية في مصر قام بتنفيذها فنان واحد .. فله لوحة تبلغ مساحتها ٧٥ متراً مربعاً في مبنى محطة القطار بمدينة بورسعيد ، وأخرى تبلغ مساحتها ٩٠ متراً مربعاً في مبنى مجمع المحاكم بشارع الجلاء بالقاهرة ، وله أربع لوحات بمبنى سنترال الأوبرا تبلغ مساحة الواحدة خمسة عشر متراً مربعاً ، بالاضافة إلى لوحتين تبلغ مساحة كل منهما ٧٠ متراً مربعاً خلف منصة الاستعراض بمدينة نصر ، وأخرى في محطة قطار (مترو) حلوان ومحطة القاهرة .

أما نشاطه في المعارض فيمتد من عام ١٩٣٧ حتى اليوم ، حيث شارك بانتظام في معرض صالون القاهرة السنوي حتى عام ١٩٥٦ ، كما يشارك في معارض الربيع السنوية ومعارض جماعة « الطبيعة والتراث » ، ويشارك في معارض بالخارج ، كمعرض الفن المصري الذي أقيم في مدينة واشنطن عام ١٩٥٨ ، وفي بينالي البندقية الدولي مرتين : الأولى عام ١٩٥٢ والثانية عام ١٩٥٦ ، كما شارك في معرض الفن العربي بدمشق عام ١٩٧٦ ، والبينالي الرابع « للرياضة البدنية في الفنون الجميلة » بأسبانيا عام ١٩٧٣ ، ثم معرض الكويت للفنانين العرب عام ١٩٦٥ ، وكذلك معرض السنتين العربي الثاني بالرباط عام ١٩٧٥ .

هذا بالاضافة إلى أنه قام برسم المناظر الخلفية لأكثر من ٢٠٠ فيلم سينمائي مصري ، وله عدد كبير من اللوحات في الفنادق الكبرى بالقاهرة ، كما تنتشر أعماله في المتحف الحربي بالعلمين ، ومتحف بورسعيد ، ومتحف مصطفى كامل بالقلعة ، ومتحف الجريمة بالدقي ، ومتحف الفن الحديث بالقاهرة ، ومتحف كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، ومتحف الجمعية الجغرافية ، والمتحف الزراعي بالدقي ثم متاحف دمشق والمغرب .

وقد أقام العديد من المعارض الخاصة بالقاهرة كما تمتع بعضوية لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حتى إلغائها .

ويمثل الفنان حسني البناني بنوعية انتاجه وغزارته نموذجاً للفنان المؤمن بأسلوبه الذي تميز به والذي علمه لعدة أجيال ، فأعماله الخالية من المفاجآت والتقلبات يتزايد عشاقها ويتضاعف جمهورها يوما بعد يوم .. فهي التي ستبقى دائماً صورة صادقة ملونة فرحة للمشاهد والمناظر في عصرنا الحاضر .

صبحي الشاروني

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي

علاج جديد للسمنة

يقدم الباحثون حلاً سحرياً لمن يعانون من السمنة ، فلقد توصلوا إلى دواء لعلاج زيادة الوزن دون الحاجة إلى بذل مجهود عضلي أو اتباع نظام غذائي قاس . ينصح الأطباء عادة من يريدون انقاص وزنهم بتفادي السكريات والنشويات ، ولكن باختراع الدواء الجديد سيتغير الوضع تماماً لأنه يجعل من يتناوله يستغني عن مذاق السكريات ومشتقاتها بدون أي اعمال للإرادة .

ففريق البحث الأمريكي الذي اخترع الدواء يعتقد أن السمنة ناجمة عن خلل في عمل بعض خلايا المخ ، وأن لا علاقة لها بالارادة أو العادات الغذائية .

ولقد أثبتت التجارب أن مادة « السروتونين » وهي من المواد الكيمائية الخاصة بالنسيج العصبي ، والتي تقوم بنقل المعلومات من خلية عصبية إلى أخرى ، هي المسئولة عن الرغبة في تناول المواد السكرية ، وعن حمل رسالة الشبع بعد وجبة غنية بالسكريات ، فعندما تختفي هذه المادة يشعر الشخص بالرغبة في تناول مواد سكرية .

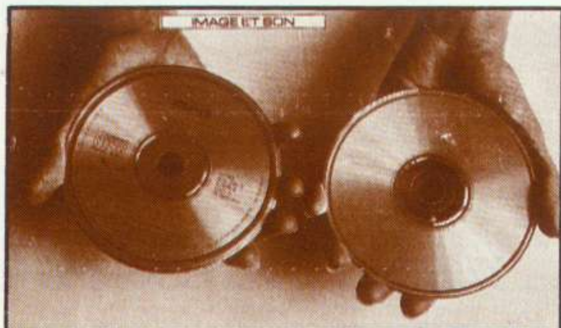
ونجح الباحثون في تركيب مادة تعمل عمل « السروتونين » وبتجربتها على عينة من المتطوعين حققت نتائج مدهشة ، حيث إبتعد أفراد العينة عن تناول السكريات والنشويات من تلقاء أنفسهم ، ونقص وزن كل واحد منهم ثلاثة كيلوجرامات في الشهر الأول وسبعة كيلوجرامات في خلال الشهور الثلاثة التالية .

ولإثبات أن الارادة ليس لها دخل في تعديل العادات الغذائية تم تجربة الدواء الجديد على الفئران ، وكانت النتيجة واحدة ، بدأت الفئران تعاف المأكولات السكرية ونقص وزنها نتيجة لذلك .

ويعتقد الباحثون أن هذه التجارب قد كشفت العديد من العمليات الفسيولوجية المسببة للسمنة ، وأن هذا الدواء الذي سيطرح في الأسواق في نهاية العام الحالي سيحدث ثورة حقيقية في علاج السمنة .


علاج جديد للسمنة

أسطوانة ضوئية جديدة



الأسطوانة الضوئية الجديد

توصل اليابانيون إلى صنع اسطوانة ضوئية ، يمكن اعادة التسجيل عليها ، فالمادة المستخدمة في صنعها تتحمل مليون عملية تسجيل ومسح دون أن تتأثر .

ويعتقد الباحثون أن الاسطوانة الجديدة ستمثل في المستقبل القريب منافساً خطيراً لأشرطة الفيديو ، فهي وسيلة أفضل لتسجيل الصوت والصورة .

ومن المتوقع طرح الاسطوانة الضوئية الجديدة في بداية عام ١٩٨٧ ويختلف تركيب هذه الاسطوانة تماماً عن تركيب الاسطوانة الضوئية التقليدية غير القابلة للمسح واعادة التسجيل ، فهي مصنوعة من ثلاثة معادن : التربيوم والحديد والكوبالت ، وهي مواد ذات حساسية ضوئية ومغناطيسية عالية .

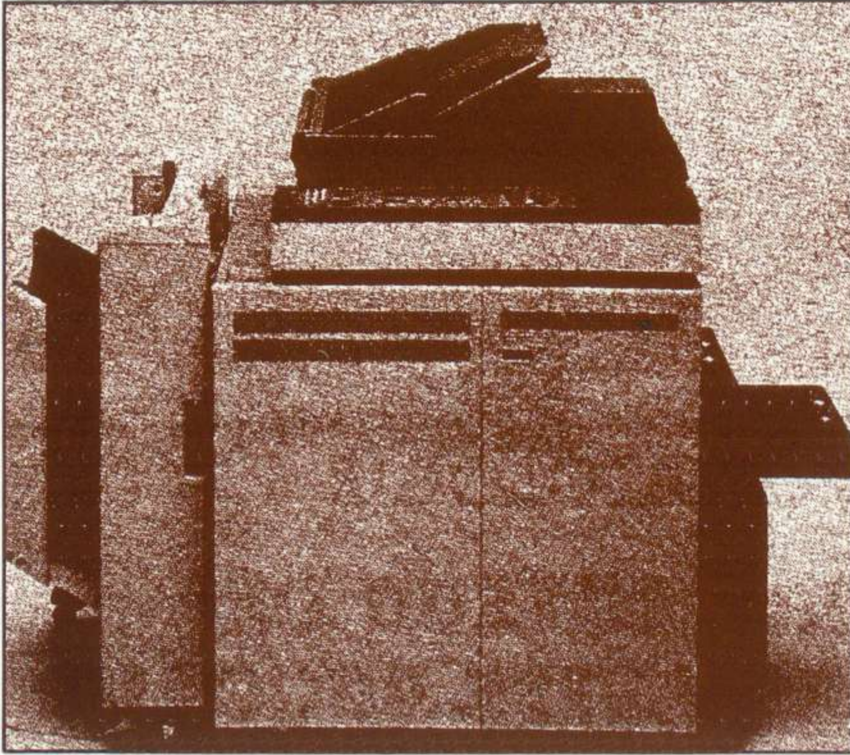
ولحماية هذه الأسطوانة الحساسة غلفت بطبقة شفافة تشبه الزجاج ثم بغلاف من الاكريليك . وسطح الاسطوانة يتكون من حلقات دائرية بارزة تساعد على توجيه أشعة الليزر ، سمكها لا يزيد عن ٠,٨ ميكروميتر ، أما الحلقات المحفورة التي تفصل بين الحلقات البارزة فسمكها ٠,٨ ميكروميتر .

وتستطيع هذه الاسطوانة التي يبلغ قطرها ٣٠ سم تخزين ٤٠ ألف صورة حجم ٢١ فى ٣٠ سم تقريباً ، أما الاسطوانة البالغ قطرها ١٢ سم فطاقة تخزينها ١٦ ألف صورة .

وتتميز الاسطوانة الضوئية الجديدة بطاقة تخزينية كبيرة بالمقارنة بالأشرطة المغناطيسية ، وذلك لأن عملية المغنطة تتم بطريقة متعامدة في الطبقة الواحدة بدلاً من أن تتم أفقياً مثل ما يحدث في حالة الأشرطة المغناطيسية مما يزيد من كثافة المعلومات المسجلة .

كما يمكن مسح الاسطوانة مليون مرة دون التأثير على حساسيتها وكفاءتها ، وهو أداء خارق لا يحققه أي شريط مغناطيسي . وتعتمد هذه الخاصية المميزة للاسطوانة الضوئية الجديدة على امكانية عكس اتجاه المغنطة بتسخين المادة الضوء مغناطيسية بواسطة أشعة ليزر . وبالتالي تقوم أشعة الليزر بعملية التسجيل وعملية المسح ، وذلك بالتحكم في اتجاه المغنطة .

التصوير بأشعة الليزر



الجهاز الجديد لتصوير المستندات

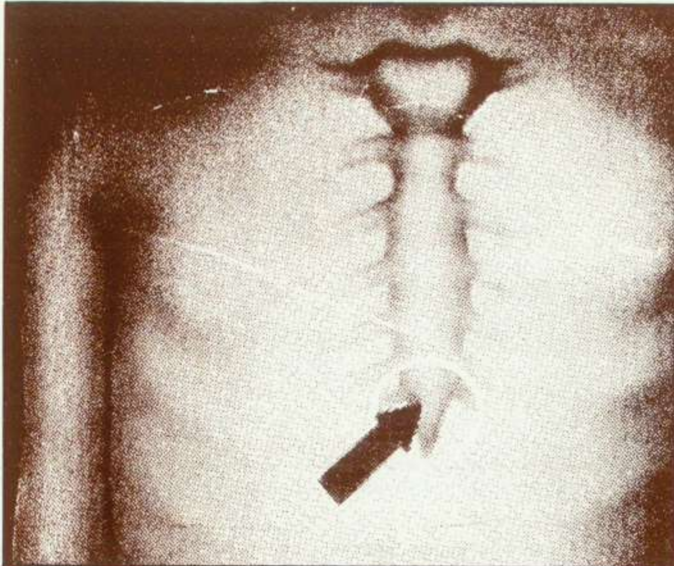
تشهد أجهزة تصوير المستندات تغيرات جذرية تزيد من امكانياتها ، فلم تعد العدسة هي المسئولة عن تكوين الصورة ، وانما يقوم شعاع الليزر بمسح المستند المراد تصويره وتوليد اشارة كهربية رقمية تستخدم في تعديل الشعاع المكون للصورة .

وبالتالي يمكن اجراء تعديلات في شكل المستند الأصلي . وذلك بحذف جزء منه أو تكبير وتصغير بعض أجزائه أوحتى تغيير موضوع بعض الفقرات .

ويتميز الجهاز الجديد بسرعة كبيرة فهو يعطي ثلاثين نسخة في الدقيقة ويتيح تصغيرا تدريجيا يصل إلى ٥٠ في المائة وتكبيرا يصل إلى الضعفين ، فهو مزود بميكروكمبيوتر يسمح له بنقل ــ اتوماتيكيا ــ صفحتين في صفحة واحدة أو العكس .

كما أن عملية النسخ تتميز بدرجة نقاء عالية لا تقارن بعملية النسخ التي يتم الحصول عليها بواسطة أجهزة تصوير المستندات التقليدية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى استخدام أشعة الليزر والاشارات الرقمية . •

الجديد في جراحة القلب



جراحة القلب الجديدة

حقق الفرنسيون انجازاً باهراً في مجال جراحة القلب وذلك بزرع جزء من عضلة الظهر لتعويض الأجزاء التالفة من قلب المريض .

وتتلخص هذه الجراحة في اجراء فتحة في القفص الصدري وإمرار جزء من العضلة الظهرية الواقعة خلف القلب مباشرة بكل ما يتصل بها من أوعية دموية ونسيج عصبي إلى موضع الجزء المراد استبداله من عضلة القلب .

وبعد عملية الزرع يتم تدريب العضلة الظهرية على مهمتها الجديدة كجزء من عضلة القلب . وتعتبر هذه المرحلة أصعب جزء في العملية الجراحية الجديدة . ولقد استغرق تصميم نظام لتنبيه وتدريب العضلة المزروعة سنوات من البحث .

ويتكون هذا النظام من أربعة أقطاب كهربية ومنظم للقلب يعمل بطريقة مبتكرة تماماً ، فيزود الجزء المزروع بثلاثة أقطاب كهربية يقوم المنظم بتوجيهها ، وينصل هذا المنظم بدوره بواسطة قطب كهربي رابع بباقي الأجزاء السليمة من عضلة القلب التي تمده بالنبضات بحيث يتولى المنظم نقل هذه النبضات الطبيعية والمنتظمة إلى العضلة المزروعة لتقوم بمحاكاتها .

وتستغرق عملية التدريب ٢٥ يوماً تصبح بعدها العضلة الظهرية قادرة على تعويض الجزء التالف من نسيج القلب .

ويعتقد الأطباء أن هذا التكنيك الجراحي الجديد يمثل بديلاً مناسباً لعمليات زرع القلب والقلب الصناعي لأنه لا يعرض المريض للمشكلات الناجمة عن رفض الجسم للعضو المزروع .



من روائع
الفن العالمي

بقلم: جمال قطب



السير جوشوا رينولدز (١٧٢٧ ـ ١٧٩٢)

جمال الطفولة

لاشك أن انجلترا لعبت في العصر الحديث دوراً عالمياً بارزاً، وكان أهم مايميزها هو اتساع رقعة سيطرتها على غيرها من الشعوب في أنحاء المعمورة.. حتى إذا ماكان القرن التاسع عشر، وجدنا أن بريطانيا امبراطورية لاتغيب عنها الشمس، ومستعمراتها تنتشر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ومابينها.. ومن هذا المضمون في الهيمنة على الجهات الأصلية والفرعية، شكل الانجليز علم بلادهم.. بينما شهد القرن العشرون تقلص الامبراطورية البريطانية شيئاً فشيئاً لتعود انجلترا إلى حجمها الطبيعي..

أما تكوين الدولة قديماً، فيرجع إلى نزوح قبائل الكلت من منطقة في شمال فرنسا تسمى «بريتاني» إلى الجزيرة المواجهة، وعرفت تلك الجزيرة منذ ذلك الحين باسم بريطانيا، وفي عهد الدولة الرومانية، ضم الرومان هذه الجزيرة وتوابعها إلى مناطق نفوذهم حتى أغارت عليها قبائل من الانجليز والسكسون، وكانت تسكن مايعرف الآن بألمانيا، وبهذا أخذت اسمها المعروف (بلاد الأنجلوساكسون) أو (انجلاند England)، وظلت هذه القبائل في نزاع وقلاقل حتى القرن الخامس عشر حيث توج (دوق يورك) عام ١٤٦١ ملكاً على البلاد. ولكن النهضة الحضارية الحقيقية لم تبدأ إلا في القرن السادس عشر في عهد الملكة اليزابيث الأولى التي تولت الحكم عام ١٥٥٨ م.

أما النهضة الفنية في فن التصوير فقد تأخرت كثيراً حتى القرن الثامن عشر، وبذلك سبقتها في هذا المضمار الابداعي، كثير من الدول الأوروبية ولا سيما إيطاليا ودول الشمال (الأراضي المنخفضة) وأسبانيا، ثم قامت نهضة شاملة في أنحاء أوروبا في القرن الثامن عشر الذي يعتبر نقطة تحول في يقظة الشعور وتفتح الوجدان الأوروبي من أقصاه إلى أقصاه!

وبذلك، ظهر عدد من عباقرة المصورين الانجليز من أمثال: هوجارت (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤)، ويعتبر أول من نجح في نشر الوعي الفني بين جماهير الانجليز، ورينولدز، وجينزبورو، ورومني، ولورانس، وهوبنر، وكونستابل، وتيرنر... وغيرهم كثيرون.

أما أكثر الفنانين الانجليز تألقاً وأكبرهم أثراً على حركة فن التصوير في القرن الثامن عشر، فهو سير جوشوا رينولدز (١٧٢٧ ـ ١٧٩٢) الذي تفخر انجلترا عن جدارة بموهبته الفنية النادرة، فقد استطاع أن يطبع صوره بطابع القومية الإنجليزية، وأن ينهض بتصوير الأشخاص على نحو قطع به الطريق على وفود المصورين الأجانب الذين كانوا يفدون تباعاً على انجلترا ليقوموا بمهمة رسم شخصياتها المرموقة آنذاك. وكان رينولدز يذكر دائماً بالعرفان ويدين بالفضل لما وصل إليه من موهبة متفوقة وفهم عميق لأسرار اللون وفلسفة الخط وحرارة التعبير.. إلى أساطين عصر النهضة العظام في إيطاليا وبلاد الشمال من أمثال تيتسيانو ودافنشي وأنجلو ورافاييل وفان ديك وروبنز، وكان تأثره بروبنز (على وجه الخصوص) عظيماً، كما كان يعترف ذلك أمام تلاميذه والمعجبين به.

وقد استطاع (رينولدز) بفضل صفاته الذاتية وما تمتع به من خلال رفيعة أن يتقلد منصب (عميد المجمع الملكي للفنون بلندن) أو ماعرف في التاريخ باسم: الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة. كما يرجع إليه الفضل في تعريف كلمة الفنون الجميلة عمليا، حيث كان هذا التعبير يخلط بين الفنون التطبيقية (وهي المصنوعات اليدوية المستخدمة في الحياة اليومية) وبين الفنون ذات الطابع الوجداني البحت.. فأنشأ الأكاديمية التي تحتوي على أقسامها الثلاثة وهي: الرسم والنحت والعمارة. أما باقي الصناعات الفنية التطبيقية فقد أطلق عليها Applied Art وفصلها عن الفنون الجميلة التي عرفت أولاً باسم (فنون اللياقة Polite Art) ثم مالبث أن استقرت التسمية المعروفة عالميا حتى الآن وهي Fine Art (ونلاحظ أنها دائماً بصيغة المفرد حتى لو تعني الجمع كما هو الحال في اللغة العربية حيث نقول: الفنون الجميلة).

وكعادة الفنانين الانجليز ـ وقد استعرضنا سوياً أهم أقطابهم على هذه الصفحات ـ اتخذوا من صور الشخصيات منهجاً وسمة مميزة لطابع النهضة الفنية الانجليزية.. إلا أن رينولدز كان مولعاً ـ بجانب رسم حسناوات عصره ـ بتصوير الأطفال.. وتجسيد البراءة في ايحاءات عاطفية رائعة مثيرة! وكثيراً ما كان يجمع بين جمال المرأة وجمال الطفولة في لوحة واحدة تحت معاني الأمومة والروابط الأسرية. كما عرف عنه كذلك براعته التي لا تبارى في رسم المناظر الطبيعية كخلفية للصور الشخصية، في تناغم ضوئي خلاب يخدم الصورة الأصلية ويركز النظر على جزيئاتها، فتبدو لوحاته كالنغم الموسيقي الساحر الذي يأخذ بالألباب.

وعلى الصفحة المقابلة يرى قراؤنا إحدى روائع رينولدز التي رسمها عام ١٧٨٨ وأسماها: جمال الطفولة.




فيدريكو جارسيا لوركا

بعد نصف قرن من اغتياله

لا يزال البحث عن لوركا مستمراً

رغم مرور قرابة نصف قرن على موته ... لا يزال البحث جارياً عنه من قبل النقاد والكتاب والمهتمين بالتراث الأدبي الرفيع .. ذلك هو قيثارة أسبانيا الخالدة « فيدريكو جارسيا لوركا » الكاتب المسرحي ، الموسيقي ، الرسام والشاعر الذي عبر باقتدار عن روح بلاده .. وحتى يومنا هذا لم ينقطع سيل الدراسات والأبحاث التي تؤرخ له وتدرس أعماله وتكشف الكثير من أسرار حياته وموته .

عن لوركا الانسان كتب نيرودا :

« كان التماعة برق مجسمة ، طاقة في حركة أبدية ، بهجة ، إشراقة ، سحراً خارقاً ... كان وجوده سحراً ذهبياً ... تفيض منه السعادة فيضاً » (١)

وعن لوركا الشاعر كتب صلاح عبدالصبور :

« كان أوضح ما في شاعرية لوركا هو هذه المصالحة القوية بين التراث والتجديد ، فهو حين اهتدى إلى ينبوعه الأول وهو الأغاني الغجرية لم يدع موهبته الشعرية ومقدرته على الخلق الجديد تتضاءلان أمام إغراء التراث وجاذبيته ..

بل أخذ من هذه الأغاني الغجرية جوهرها وأسرار روحها ، هذا العالم الحسي المليء بالرؤية الجديدة لكل مظاهر الحياة ، المتفتح للألوان والظلال والروائح والملمس تفتحاً عنيفاً ، الحزين في الوقت ذاته لحضور الموت في كل لحظة ، وتوقفه على مفترق الطريق القادم .. .. .. أخذ لوركا هذه الروح وصاغها صياغة جديدة هي صياغة إنسان معاصر » (٢)

وفي ٢٤ ابريل الماضي صدر في مدريد وسط ترحيب شديد من النقـاد ، وأثناء تقديم المسرح الوطني لواحدة من آخر مسرحيتين كتبهمـا لوركا قبل وفاته وهي « بيت برنارد ألبا » ـ المجلد الأول عن حياته في ٧٠٠ صفحــة بقلم « إيان جبسون » الناقد والمحاضر المتخصص في أدب لوركا .

صدر هذا المجلد بالأسبانية وتصدر ترجمة له بالانجليزية في العام القادم مع صدور المجلد الثاني بالاسبانية ويأتي هذا الاصدار في أغسطس ١٩٨٦ ليتزامن مع مرور نصف قرن على اغتياله في فزنار ـ غرناطة عام ١٩٣٦ ودفنه في قبر مجهول واحراق أعماله من قبل الحرس المدني وهو في الثامنة والثلاثين من عمره .

يقول جبسون (٤٧ سنة) الناقد الأيرلندي الأصل والذي حصل على الجنسية الأسبانية في العام الماضي ان التفكير في كتابة قصة حياة لوركا بدأ منذ ٢٠ سنة وإن كان الاعداد الفعلي لذلك لم يبدأ سوى منذ سبع سنوات رغم أنه طوال الوقت كان لا شعورياً مهيئاً للكتابة عنه لدرجة أنه حين عاد إلى مذكراته عن الفترة التي قضاها في غرناطة سنة ١٩٧٦ وجد أجزاءاً كاملة تصلح لهذا الكتاب . (٣)

وهذه ليست المرة الأولى التي يكتب فيها جبسون عن شاعره الأثير فقد سبق أن صدر له في ١٩٧١ كتاب بعنوان « القمع الوطني في غرناطة سنة ١٩٣٦ وموت لوركا » وهو الكتاب الذي جاء حصيلة تفرغ عام كامل من عمله كمحاضر بالأسبانية في جامعة الملكة ببلفاست وأقام خلاله في غرناطة ليعد أطروحته عن لوركا .

يقول جبسون :

« عندما ذهبت إلى هناك وبدأت أتحدث مع الناس اكتشفت أن كل واحد كان يعتقد أنني ذاهب للكتابة عن موت لوركا وكان ذلك من الممنوعات في عهد فرانكو ، ولكن سرعان ما بدأ الناس يتكلمون معي لأنني أجنبي فبدأوا يبوحون بأشياء ما كانوا ليبوحوا بها لأي أسباني بدافع الخوف » وفي البداية رفض كثير من الناشرين الانجليز نشر الكتاب فصدر بالأسبانية عن دار نشر فرنسية ولم تتهافت عليه دور النشر إلا بعد أن حصل على جائزة « نيس » للصحافة الدولية في ١٩٧٢ لنجده اليوم بأربع عشرة لغة آخرها الطبعة الروسية .

أما أسرة لوركا فقد ساعدت الناقد كثيراً في الاعداد لهذا الكتاب حيث زودته بعدد من الصور التي لم تنشر من قبل كما أعطوه فرصة للاطلاع على مراسلات الشاعر وأوراقه الخاصة وأصول أعماله المسرحية ومنها تلك المسرحية التي نشرت مؤخراً « أحلام العم أوريليا » والتي كان يجري الاعداد لتقديمها مع مسرحية « بيت برنارد ألبا » عند اغتيال لوركا .

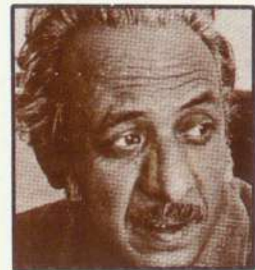
يقول جبسون ان عبقرية لوركا لم تأت من فراغ ، فهو ينحدر من أسرة مثقفة كان أفرادها مملوئين بالقدرات المتنوعة .. كانوا جميعاً موهوبين في الغناء والرقص والعزف والكتابة والرسم ... وجاء ليكون تتويجاً لكل هذه المواهب .. مجتمعة ..

في شعره استلهم لوركا تراث بلاده أسبانيا فكانت أغنيات الغجر ينبوعه الأول لدرجة أن بعض النقاد اعتبروه شاعر الغجر وإن كانت هذه التسمية لم ترق له كشاعر كان يرى أن له طريقه الخاص المتميز وتجربته الفريدة وأن التراث أبداً لم يكن سجناً له .

أما عن علاقة لوركا بسلفادور دالي الرسام رائد السيريالية ، تلك العلاقة التي تركت بصماتها الواضحة على شعره في مرحلة معينة ، فقد أفرد لها الكاتب جزءاً كبيراً من المجلد الأول وخاصة تلك الفترة التي جمعت بين الشاعر والرسام على مقاعد الدراسة في مدريد وأثناء إقامة لوركا في كاتالونيا في العشرينات وفي كاداكيس في الثلاثينات وهي القرية التي لا يزال دالي يعيش فيها حتى الآن . ومعظم المعلومات التي جاءت في الكتاب عن هذه المرحلة

ترجمة وتقديم : طلعت الشايب


سلفادور دالي


صلاح عبد الصبور

مصدرها سلفادور دالي نفسه وشقيقته « آنا ماريا دالي » التي ألفت كتاباً بعنوان « سلفادور دالي بعيون شقيقته » جاء فيه الكثير عن علاقة شقيقها بلوركا .. في جزء من هذا الكتاب تحكي عن فترة ما في سنة ١٩٢٥ عندما قام لوركا تحت ضغط واصرار من شقيقها بقراءة أحدث مسرحياته « ماريانا بيفيدا » أمامهم :

« مطلقاً العنان لكل مواهبه في التمثيل ... اندمج لوركا في الأدوار ليؤديها بطريقة بالغة التأثير أبكت جميع الحاضرين في المنزل ... حينئذ نظر دالي اليهم وكأنه يقول : ألم أقل لكم ؟ »

وجبسون — أو مجنون لوركا — الذي ترك التدريس في جامعة بلفاست وجامعة لندن سنة ١٩٧٥ ليتفرغ لكتاباته .. يعمل الآن أيضاً مع أحد المخرجين لإعداد فيلم وثائقي عن لوركا ... أما عن رأيه في شعره فهو يرى أن أفضل أشعاره هي تلك التي جاءت في ديوان « الشاعر في نيويورك » وعلى وجه الخصوص « قصائد من بحيرة آدم ميلز » تلك البحيرة التي زارها الشاعر وأثارت فيه كوامن الذكريات عن غرناطة فصاغها في غنائيات حزينة .

إن إهتمام النقاد والكتاب بتراث لوركا بعد نصف قرن ليؤكد أن الأعمال العظيمة تتحدى الزمن ذلك لأن الحياة قصيرة أما الفن الصادق فخالد أبداً .

هوامش :

(١) لوركا — مجموعة مقالات نقدية — اعداد مانويل دوران
(٢) في مدينة العشق والحكمة — صلاح عبدالصبور
(٣) مقابلة مع الكاتب في الهيرالد تربيون في ٨٥/٥/١٠


ميلينا ماركوري

أثينا عاصمة ثقافية لأوروبا

ميلينا ميركوري (٥٩ سنة) ، النجمة السينمائية السابقة ، والمعارضة السياسية التى جردت من جنسيتها من قبل الحكم العسكرى فى اليونان وعاشت فى المنفى من سنة ١٩٦٧ حتى سقوط حكم العسكر في ١٩٧٤ ، ميلينا ميركوري وزيرة الثقافة والعضو البارز فى حكومة اليونان الحالية نصبت نفسها هذه الأيام وزيرة للدفاع عن ثقافة أوربا ضد الغزو الثقافي لأوربا عن طريق التليفزيون ، أو ماتسميه هي بالتجنيس الالكترونى للثقافة الأوروبية عن طريق التليفزيون الأمريكى .

فكرت ميلينا ميركوري فى عملية هجوم مضاد للغزو القادم عبر الأطلنطى — كيف ؟

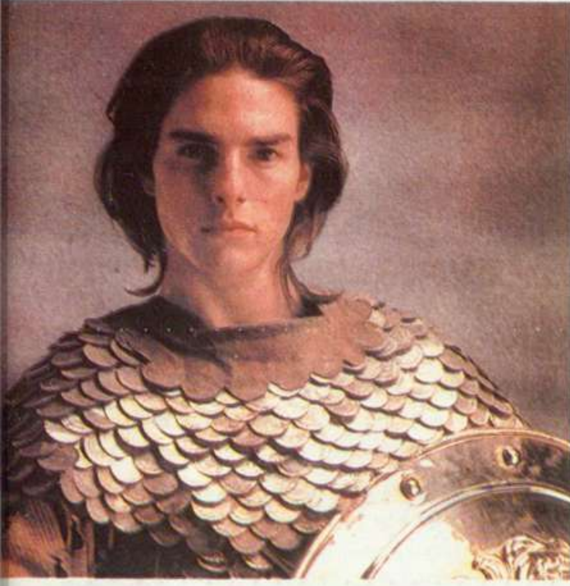
هذه الأيام .. تتجمل اثينا وترتدى أكثر ثيابها أناقة لتكون عاصمة ثقافية لأوربا لمدة ستة شهور تبدأ فى ٢١ يوليو من هذا العام ..

فرق مسرحية ومعارض وسينما ونماذج ثقافية مختلفة تمثل جميع دول السوق الأوروبية المشتركة تأتي إليها لتشارك فى مهرجانات ثقافية وفنية لمدة نصف عام فى ملتقى هو أشبه بأوليمبياد ثقافي تحرص كل دولة أن ترسل إليه خير ما يمثلها فيه .

ولأن ميركوري كما تقول لا تؤمن بسياسة الحدود المغلقة أمام الفن أو الثقافة ، ورغم أن الهدف الرئيسى لفكرة العاصمة الثقافية هو الدفاع عن الهوية الثقافية لأوربا .. فإن البرامج لن تقتصر على الفنون الأوربية أو التى من أصل أوربى .. هناك أكثر من مائة حدث فنى بينها الباليه ، والأوبرا من الاتحاد السوفيتي والجاز من أمريكا .

وبعد أن أسرت فكرة ميلينا ميركوري عقول وقلوب وزراء الثقافة فى بقية دول أوربا ، ينتظر أن يشارك عدد كبير من الرؤساء الأوربيين فى حفلات الافتتاح لتستمر أثينا عاصمة ثقافية لأوربا لمدة ٦ شهور تليها فى العام القادم فلورنسا وفى العام الذى يليه امستردام إلى آخر القائمة الطويلة من مدن أوربا التى تنتظر فستان العرس ..









« اسطورة » أحدث انتاج للسينما الانجليزية .. تم تصويره داخل انج
وبممثلين من انجلترا وأمريكا .. ومن اخراج «ريدلي سكو



سينما

من يكتب تاريخ السينما ...

جاذبية جيمس بوند .. أم الحقيقة الجافة ؟

سؤال بمناسبة عام السينما الانجليزية

بقلم : رءوف توفيق

منذ مارس الماضي ، والاحتفالات مستمرة في بريطانيا للدعوة إلى السينما الإنجليزية .

فهذا العام ــ ١٩٨٥ ــ هو عام السينما الإنجليزية .

والمناقشات الساخنة .. مابين منتهى التفاؤل ومنتهى التشاؤم .

البعض يقول : « إن بريطانيا هي أرض المستقبل في صناعة السينما .. »

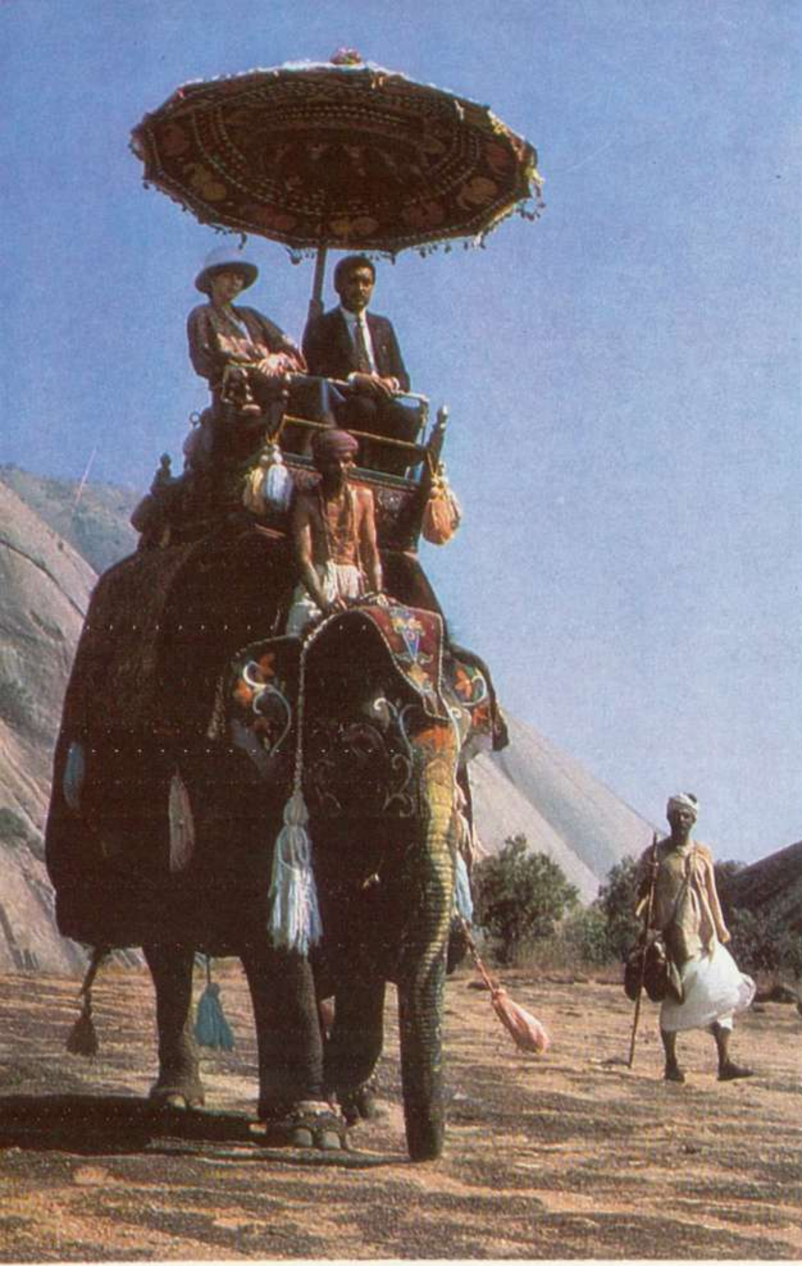
والبعض الآخر يقول باحتجاج : « إن استوديوهات بريطانيا تحولت إلى ساحة لتصنيع وتجميع الأفلام الأمريكية ، وإن الفيلم فقد كيانه وشخصيته أمام الدولار الأمريكي » ! !



المخرج «دافيد لين» أثناء تصوير فيلمه «ممر إلى الهند» وهو الذي قدم للسينما الإنجليزية أضخم انتاجها



لقطة من أحدث فيلم انجليزي عنوانه «تفاهة» وقد عرض في المسابقة الرسمية لمهرجان كان ولم يحصل على أي تقدير



الفيلم الإنجليزي «ممر إلى الهند» أحدث ما أخرجه عبقري السينما الإنجليزية وعجوزها «دافيد لين» .. حصل على جائزتين

ناقد سينمائي انجليزي «الكسندر والكر» يكتب رأيه مدافعاً بحماس : «من الجنون أن نتجاهل الخبرات الإنجليزية من كتاب ومخرجين وفنيين الذين ظهروا خلال الفترة الأخيرة ، نتيجة تشغيل الاستوديوهات والمعامل الفنية بكامل طاقتها .. وعلينا أن نستفيد من كوننا أرخص دولة أوربية تقدم تسهيلاتها لصناع الأفلام» .

مخرج سينمائي إنجليزي «بيترويث» يقول : «إنه من دواعي الأسف أن الأفلام الإنجليزية تشغل صفحات قليلة من تاريخ السينما .. ومن السهل أن ننسى ما حصلت عليه من جوائز أوسكار» .

أما المخرج والممثل «سير ريتشارد أتينبرو» ـ مخرج فيلم غاندي ، ورئيس الاحتفال بعام السينما الإنجليزية ـ فهو يقول مدافعاً : «في السنوات الأربع الأخيرة حصلت السينما الإنجليزية على ١٧ جائزة أوسكار .. وهذا العدد يفوق بكثير ما حصلت عليه السينما الإنجليزية من جوائز خلال ١٤ عاماً .. منذ أن فاز فيلم «أوليفر» بجائزة أوسكار لأحسن فيلم !

ولكن .. هل تقاس صناعة السينما بعدد جوائز الأوسكار ؟ !

«أتينبرو» يرد موضحاً : «بالتأكيد جوائز الأوسكار ليست هي المقياس على تقدم السينما الإنجليزية .. ولكن جوائز الأوسكار تتيح للأفلام توزيعاً عالمياً .. وتضمن عرضها في الولايات المتحدة ، وبالتالي تحقق ايرادات ضخمة تجعلها على نفس المائدة مع أهم الأفلام العالمية» !

حقيقة المشكلة

وربما كان هذا الرد من المخرج «أتينبرو» يوضح حقيقة المشكلة التي تكابدها السينما الانجليزية .. وهي عدم وجود أسواق لتوزيع أفلامها عالمياً .. إلا إذا رضيت شركات التوزيع الأمريكية بتبني هذه الأفلام .

وشركات التوزيع الأمريكية بالطبع تفرض شروطها ومواصفاتها الخاصة .

ومن هنا يحدث الصراع .. بين الذين يحرصون على أن يكون للسينما الإنجليزية طابعها وشخصيتها المستقلة .. وبين الذين يفضلون الانضمام للركب الأمريكي ، والاحتماء بمظلته ، في سبيل الانتشار والكسب والاستمرار ! !

وكل فريق له وجهة نظره .. والمناقشات ساخنة على صفحات الجرائد والمجلات ، وشاشات التليفزيون .. ليس داخل بريطانيا وحدها .. ولكن أيضاً بين كل المهتمين بصناعة السينما العالمية ..

جاذبية جيمس بوند.. أم الحقيقة الجافة؟

ورغم طول الاحتفالات بعام السينما الإنجليزية .. ورحلات النجوم إلى المدن الإنجليزية على مدار هذا العام ، والدعوة إلى الذهاب للسينما .. باعتبار أن دار السينما هي أفضل مكان لمشاهدة الأفلام (وهو الشعار المرفوع حالياً في بريطانيا) .

ورغم موائد التكريم .. والملصقات الملونة .. والبحث عن أمجاد السينما الانجليزية .. إلا أن القضية الأساسية .. وهي قضية « الانتماء » ، و « الثقافة القومية » .. هي أهم مايشغل المتخصصين والباحثين المراقبين لمسار الفن !

والقضية تهمنا .. حتى ولو كان يبدو ـ ظاهرياً ـ أن الموضوع لا يخصنا .. ذلك لأن المسألة باختصار تدور حول الأغنياء والفقراء !!

الأغنياء بقوة ونفوذ رأس المال .. والفقراء الذين لا يملكون سوى مواهبهم وأفكارهم !

وكيف يستطيع هؤلاء الفقراء أن يعبروا عن أنفسهم بلا ضغوط أو تنازلات ؟ وكيف يصل صوت هؤلاء الفقراء إلى جميع أنحاء العالم دون أن يمر بمصفاة الأغنياء ؟

الفقراء في السينما الانجليزية

وبالتأكيد .. يبدو غريباً أن نذكر السينما الانجليزية ونحن نتحدث عن سينما الفقراء (فما بالك بنا نحن السينما العربية والافريقية .. ومابال سينما أمريكا اللاتينية) ؟

ولكن المسألة نسبية ..

فالسينما الانجليزية .. حالها مثل حال السينما الفرنسية .. والسينما الايطالية .. والسينما الألمانية .. كل منها تملك امكانيات بشرية ومواهب فنية متميزة .. وكل منها تملك استوديوهاتها ومصانعها الخاصة للأفلام .. وكل منها أيضاً لها أحلامها في الفن .

ولكن أمام التيار الأمريكي الكاسح .. تتوارى وتتكسر الكثير من هذه الأحلام .. فالأحلام لا تعيش أو تزدهر بالأمنيات فقط .. وفي هذا الزمن الصعب ، زمن قوة رأس المال ، والاحتكارات والمؤسسات الصناعية الكبرى .. أصبح أمراً شاقاً ، وأحياناً مستحيلاً .. أن تنفذ الأفلام إلى شاشات العرض العالمية .. إلا من خلال « بوابة » التوزيع الأمريكي !!

وحتى الأفلام التي تفوز في المهرجانات العالمية ، وتحصل على الجوائز والسمعة .. تظل هذه الأفلام مجرد أسماء منشورة أو مذاعة .. ولا تتحقق لها هذه القاعدة العريضة من المشاهدين .. ولا مجالات الرؤية والمناقشة الواسعة .. إلا إذا أمسكت بيدها شركات التوزيع الأمريكية ، ودفعت بها للعالم من خلال فروعها ومكاتبها المنتشرة في العواصم المختلفة !

ورغم أن صناعة السينما في أوربا .. لديها المؤسسات الخاصة للانتاج والتوزيع .. وهذه المؤسسات قديمة وراسخة ولها خبرة طويلة بالسوق وبتقلب أذواق المشاهدين .. إلا أن المؤسسات ـ مثيلتها ـ الأمريكية ، تفوقها قوة ونفوذاً .. وتتميز عنها بسرعة الحركة والالتفاف والانتشار ، وقريب للأذهان ما تعرضت له مؤسسة « جومو » الفرنسية ـ (راجع مقال مأزق السينما الفرنسية ـ الدوحة عدد مايو الماضي) .

انخفاض المشاهدين

والسينما في انجلترا تعاني من الظاهرة العالمية في انخفاض عدد المترددين على دور السينما ..

والأرقام تشير إلى أن عدد المشاهدين انخفض في انجلترا من ثلاثين مليون مشاهد في الاسبوع (في فترة مابعد الحرب العالمية) إلى مليون مشاهد في الأسبوع (في الوقت الحالي) .

وانخفض بالتالي عدد دور السينما من (١٥٦٢) دار عرض في عام ٨٠ إلى (١٢٣٨) داراً حتى مارس ٨٥ (من بين هذا الرقم الأخير ١١٦ دار عرض تملكها شركة كانون لأصحابها مناحم جولان وجلوباس الاسرائيليين اللذين هاجرا بنشاطهما من اسرائيل إلى الولايات المتحدة .. وكونا شركة انتاج وتوزيع الأفلام وأعلنا أن خطتهما الانتشار في العالم من خلال شراء دور العرض السينمائي ـ راجع مقال السينما في عدد سبتمبر ٨٤ من الدوحة) !!

المهم .. أن عدد دور العرض انخفض في انجلترا .. وصاحب هذا الانخفاض .. انكماش في مساحة دار العرض وظهرت الصالات الصغيرة ذات المقاعد المحدودة .. ورغم هذا الانكماش ، ما زالت تبدو الصالات فارغة من الزبائن !

ومن هنا كانت براعة الشعار المرفوع في عام السينما الانجليزية .. بالدعوة إلى الذهاب للسينما .. (السينما هي أفضل مكان لمشاهدة الأفلام) .. وهو شعار ذكي وجذاب يحاول تأصيل عادة ارتياد السينما حيث المتعة كاملة ومختلفة عن مشاهدة الأفلام في التليفزيون أو من خلال الفيديو .

رغم أن الذين رفعوا هذا الشعار .. يعلمون جيداً أن الجمهور الانجليزي الذي يذهب للسينما .. يفضل مشاهدة الأفلام الأمريكية (!!) .. في آخر احصائية نشرت عن أفضل عشرين فيلماً حققت أعلى الايرادات في انجلترا خلال عام ٨٤ .. نجد أن من بين العشرين فيلماً .. ثلاثة فقط من الانتاج الانجليزي .. والباقي كله ـ ١٧ فيلماً ـ من الانتاج الأمريكي !

وتتصدر القائمة فيلم « انديانا جونز » للمخرج الأمريكي ستيفن سبيلبرج !!

زواج له تاريخ

ولم تقاوم السينما الانجليزية هذا الغزو الأمريكي .. بل كانت سياستها منذ البداية اعلان التقرب الواضح .. وتأكد هذا أخيراً في فتح كل الأبواب أمام صناعة السينما الأمريكية وتسهيل



الممثل الانجليزى بن كنجسلى مع جليندا جاكسون فى « يوميات السلحفاة »



نجم السينما الانجليزية البرت فيني



لقطة من فيلم راديو مفتوح أحد الأفلام الانجليزية التي حاولت قول الحقيقة

التصوير في الاستوديوهات والأراضي الإنجليزية وتقديم أعلى مستوى من الخدمات الفنية - وأرخصها - في المعامل .. وفوق كل هذا اعفاء بنسب كبيرة من الضرائب (تصل الاعفاءات إلى ٧٥٪ من مجموع الدخل .. سواء بالنسبة للكتاب أو المخرجين أو الممثلين أو الفنيين) !

وقد استفادت صناعة السينما الأمريكية من كل هذه التسهيلات والاعفاءات (مقارنة بارتفاع الأجور والخدمات في الاستوديوهات الأمريكية) .

واستفاد الاقتصاد الإنجليزي .. بتدفق الدولارات ..

وفي كتاب « السينما الجديدة في بريطانيا » يتولى مؤلفه الناقد الإنجليزي « روجر مانفيل » تحليل العلاقة بين السينما الانجليزية والسينما الأمريكية ، فيقول إن السينما الانجليزية فتحت ذراعيها لكثير من الخبرات الأوربية المهاجرة إليها خلال تصاعد النازية .. وكسبت السينما الإنجليزية من هذه الخبرات ، كما كسبت خبرات من أمريكا خلال فترة « المكارثية » .. بعض الكتاب والمخرجين تركوا أمريكا - بعضهم إلى الأبد - واستقروا في انجلترا .. منهم المخرج الشهير « جوزيف لوزي » - الذي توفى العام الماضي - والذي كان قد هرب من المكارثية وليستقر في انجلترا منذ عام ٥٢ .. وصنع للسينما الإنجليزية عدداً من أهم أفلامها .

ويقول الناقد في كتابه .. إن في عام ٦٧/٦٨ مثلاً كان الانتاج الإنجليزي سواء رسمياً أو فنياً يتضمن هذه الأفلام (اوديسة الفضاء ٢٠٠١) للمخرج الأمريكي ستانلي كوبريك - (رجل لكل العصور) للمخرج والمنتج الأمريكي فريد زينمان - (المهمة القاتلة) للمخرج الأمريكي سيدني لوميت .. ويتساءل الناقد أي من هذه الأفلام ظهر للعالم على أنه انتاج إنجليزي ؟ !

ويقول : « إن النقود الأمريكية وقفت وراء أفلام إنجليزية ذاعت شهرتها عالمياً .. من هذه الأفلام : لورانس العرب - بيكيت - توم جونز - ومجموعة أفلام البيتلز .

« وفي عام ٦٩ .. كان ٩٠٪ من انتاج السينما الانجليزية ممولاً بنقود أمريكية .. وكانت الدولارات الأمريكية مرحباً بها في الاقتصاد الإنجليزي .. ولكن التحكم في الأفلام الإنجليزية من هوليود أوبمعنى أدق من « وول ستريت » لم يكن مرحباً به من أولئك الذين يؤمنون بالثقافة الإنجليزية » .

هذا ماجاء في كتاب « السينما الجديدة في بريطانيا » .. وإذا علمنا أن هذا الكتاب صدر عام ٧٠ .. فعلينا أن نتصور حجم هذه المشكلة الآن .. مع ازدياد التمويل الأمريكي ، والنفوذ الأمريكي في السينما الإنجليزية !

الابتعاد في ركن معزول

وقد عاشت السينما الإنجليزية أزهى فتراتها في سنوات الخمسينات .. مع ظهور الرواية الأدبية الحديثة التي تعبر عن مجتمع الطبقة العاملة ..

فمن هذه الطبقة العاملة خرج مؤلفون وممثلون وعشاق حقيقيون للفن الذي يخاطبهم .. ولهذا نجحت رواية جون براين (غرفة فوق السطح) التي أخرجها للسينما جاك كلايتون عام ٥٨ .. ونجحت مسرحية « انظر خلفك في غضب » لجون أوسبورن والتي أخرجها « توني ريتشاردسون » في نفس العام - ٥٨ - ولعب بطولتها ريتشارد بيرتون .

وفي تلك المرحلة .. والتي تبلورت بعد ذلك بما أطلق عليه « موجة السينما الحرة » .. كان فيلم (ليلة السبت - صباح الأحد) من اخراج كارل رايز وتمثيل البرت فيني ..

ثم انضم اليهم بعد ذلك « ليندسي اندرسون » ليخرج أول أفلامه السينمائية عام ١٩٦٣ وكان الفيلم « هذه الحياة الرياضية » .. والغريب أن ليندسي اندرسون أخرج أول أفلامه وكان عمره



« بول سكوفيلد » رجل لكل العصور. ذلك الفيلم الرائع الذى أخرجه « فريد زينمان » وتم تصويره فى انجلترا .. ولكنهم يتساءلون :هل هو فيلم انجليزى .. أم أمريكى ؟

جاذبية جيمس بوند.. أم الحقيقة الجافة؟



لقطة من فيلم « أوليفر » رائعة المخرج « كارول ريد » وأحد الأفلام التي كتبت تاريخ السينما الانجليزية. قبل أن تؤجر استوديوهاتها للمغامرين الأمريكيين

أربعين عاماً .. ولنا أن نتصوركم من الوقت انقضى لتتاح له هذه الفرصة ؟!

هذا المخرج ــ ليندسي أندرسون ــ شغل منصب مدير معهد الفيلم البريطاني .. ولم يخرج في حياته سوى ستة أفلام فقط آخرها فيلم « مستشفى بريطانيا » الذي سخر به من كل شئ في بريطانيا .

وعندما سألوه أخيراً عن السينما الإنجليزية .. قال :

« في إنجلترا الآن لا توجد عملية خلق فنية .. ولكن يوجد نقاد كثيرون .. ومن هنا وجدنا أنفسنا مدفوعين إلى ركن معزول ، نفكر في أنفسنا كأشخاص صغار لا يحققون الربح مثل مخرجي أمريكا .. ولا يحققون الفن مثل بعض مخرجي فرنسا » !

التليفزيون الإنجليزي

وقد لعب التليفزيون الإنجليزي ــ منذ بداية الستينات ــ دوراً هائلاً في تدعيم السينما الإنجليزية بالكتاب والمخرجين والممثلين .. وأيضاً في مناقشة أوضاع الفئات العاملة من خلال التمثيليات والمسرحيات التليفزيونية .. مما ساهم في دفع الحماس بالسينما لمواصلة تقديم هذه الموضوعات .. وخرج من التليفزيون عام ١٩٦٢ المخرج جون شليسنجر ، ليقدم أول أفلامه السينمائية « نوع من الحب » ــ ثم تلاه بفيلم « بيلي الكذاب » وكان أحد أهم الأفلام الإنجليزية في ذلك الوقت وحتى الآن !.

ومازال التليفزيون الإنجليزي يلعب نفس الدور خصوصاً بعد أن أنشئت القناة الرابعة لتكون أهم سند للسينما الإنجليزية الشابة التي لا تجد لها فرصة وسط الزحام الأمريكي الذي يملأ الاستوديوهات .

تجارب عديدة وجريئة .. تتحملها القناة الرابعة في التليفزيون بتخطيط ذكي ومدروس .. ومن هذه التجارب تخرج الأفلام السينمائية لتعرض في المهرجانات التي لا تجري وراء الأضواء والأسماء اللامعة .. ولتكون هذه الأفلام هي الشاهد الوحيد الباقي على السينما الإنجليزية الخالصة !

أبيض وأسود

من هذه الأفلام .. فيلم « راديو مفتوح » للمخرج الانجليزي الشاب « كريستوفر بيتيت » الذي يحكي فيه رحلة شاب بسيارة من لندن إلى


« بيتر أوتول » أحد نجوم السينما الإنجليزية .

بريستول في محاولة لكشف أسرار موت شقيقه .

والفيلم يستعرض الرحلة .. وراديو السيارة مفتوح دائماً .. وهناك انفصال دائم بين مايذاع وبين إحساس الشاب بالوحدة والحزن .. سواء هذا الجندي المسرح من الجيش ».. أو هذه المرأة التي تبحث عن ابنتها المفقودة ..

وقد تم تصوير الفيلم بالأبيض والأسود .. وتعمد المخرج أن تكون عين الكاميرا أشبه بعين الزائر الوحيد الذي يهبط إلى مدينة فيراها لأول مرة .. ويتوقف عند الأشياء الصغيرة التي تشكل في


المخرج الانجليزى «سير ريتشارد أتينبرو» مخرج فيلم غاندي

مجموعها طعماً ومذاقاً للمكان ككل .

ومن هنا جاء الفيلم معبراً تماماً عن المكان والإنسان الإنجليزي ..

وهناك فيلم آخر يحمل عنوان « نظرات وابتسامات » لمخرجه الشاب «كين لواش » .. والذي صوره أيضاً بالأبيض والأسود .. ربما تأكيداً لصراحة هذين اللونين في التعبير عن معنى الجفاف الذي يسود جو أحداث الفيلم والذي يعبر عنه المخرج بقوله :

« إنه فيلم عن الشباب الذين يخرجون للحياة ، ويواجهون المجتمع .. إنه عن تفكيرهم وكيف يعيشون داخل نطاق الحدود المفروضة عليهم .. والحقيقة أن المستقبل أمام الشباب في انجلترا ، مظلم للغاية .. خصوصاً في هذه الأيام .. ومن الأمانة أن نعطي الصورة الحقيقية لهذا الوضع » !

وأحداث الفيلم تقع في مدينة « شيفلد » بشمال إنجلترا .. وهي مدينة مشهورة بصناعة الصلب .. وتواجه حالياً بأحداث صناعية مختلفة أهمها البطالة .. وقد تم تصوير الفيلم داخل المدينة نفسها ، واختار المخرج ممثلين مجهولين ، لم يمثلوا من قبل .. بل ويعانون أيضاً من البطالة .. وكان أول أجر يقبضونه هو نظير عملهم في هذا الفيلم ..

وبطولة الفيلم لشابين وفتاة تتراوح أعمارهم بين ١٧ ــ١٩ عاماً .. يعانون من مشاكل مع أسرهم .. فرص العمل مغلقة أمامهم .. فرص اللقاء يسودها الحزن والقلق .. وتظل رحلتهم طوال الفيلم يبحثون عن وظيفة يتقاضون منها أجراً .. ولا يتحقق لهم هذا ..

قد يقول البعض .. إن مثل هذه الأفلام تثير الكآبة والتعاسة .. وماذنب المتفرج الذي يذهب للسينما للمتعة والتسلية فيجد مايسد نفسه ويقتل شهيته ؟ !

وربما لهذا السبب بالذات .. تفتح استوديوهات السينما الإنجليزية أبوابها لأفلام « جيمس بوند » ليواصل مغامراته السحرية وألاعيبه الفذة ، ولتربح السينما الأمريكية من ورائه مئات الملايين ..

فمنذ أول أفلام جيمس بوند « دكتور نو » عام ١٩٦٢ .. وحتى هذه اللحظة .. صممت كل خرافات جيمس بوند داخل الاستوديوهات الإنجليزية .. وهم يفتخرون بهذا .. ويؤكدونه في نشراتهم دليلاً على اتقانهم الفني ..

ولكن من قال إن أفلام جيمس بوند تدخل تاريخ السينما ؟

رءوف توفيق


لقطة من فيلم غاندى الذى أخرجه « ريتشارد أتينبرو » وفاز الفيلم بثمان جوائز أوسكار ..

عندما كتب نعمان عاشور مقاله الممتع (لغة الحوار في المسرح) المنشور في العدد (١٠١) من الدوحة ، إختلف معه الكاتب والناقد حافظ أمين حول عدة قضايا من بينها أن المسرح فن المشاركة وليس الفرجة ، وأن الحوار الجيد يعتمد على الأسلوب أكثر من اعتماده على اللغة .

وفي هذا المقال يعاود الكاتب الكبير نعمان عاشور الدفاع عن وجهة نظره التي أثارها حول قضايانا المسرحية ..

عودة إلى لغة الحوار المسرحي

بقلم : نعـــمان عاشـــور

أعود اليكم مرة أخرى لأعاود الكتابة فلا أجد ما يصل الخيط بيننا الا هذا الرد الرقيق الذى عارض به نظرتي عن طبيعة الحوار المسرحى الأخ الصديق حافظ أمين في عدد سابق من الدوحة (١٠٤) أغسطس/آب ١٩٨٤ وقد يلزم أن أتوجه لمجلة الدوحة بالشكر على موقفها الحيادى بطرح الموضوع للمناقشة بقدر ما أشكر الصديق حافظ على متابعته الواعية لما كتبت . وليسمح لى بداية أن أصارحه بعجزى عن مجاراته فى لهجته المهذبة التى ساق الى بها خلافنا فى الرأى .. فالموضوع الذى طرحته عن لغة الحوار فى المسرح موضوع شائك كان ولا يزال من أبرز وأهم الموضوعات فى التطور بمسرحنا العربى لأننا نعانى من ازدواج لغوى فى كل قطر عربى . نكتب بلغة ونتكلم بلغة أخرى .. وهذه حقيقة لا سبيل الى انكارها وهى التى دفعتنى الى أن أعنون مقالى أو على الأصح أصف الحوار فى المسرح بأنه لغة وليس أسلوباً فى الكتابة .. ومن هنا جاء اللبس عند الصديق العزيز لأن صلب مناقشتى للموضوع أساسه التفرقة التى تميز الكتابة للمسرح عن بقية ألوان الكتابة الأدبية الأخرى .. فالمسرح لا تقوم له قائمة ولا يثبت له وجود ولا يتحقق له كيان الا اذا انتقل من مجرد كلام مكتوب على الورق الى كلام مجسد منطوق يشارك فيه الجمهور بالمشاهدة ، وعملية الانتقال هذه تجعل من المسرح فن فرجة جماعية أكثر منه فن قراءة فردية ..

المسرح فرجة حية

لا أدرى لماذ يختلف معى الصديق حافظ أمين فى استعمال كلمة « فرجة » ويطالب باستبدالها بعبارة « المشاركة الدرامية » .. فإذا كانت حجته أن المسرح لم يعد فرجة منذ انتشار التليفزيون فى المنازل كما يقول .. فإنها حجة مبتورة .. لأن هناك فرقاً كبيراً بين مشاهدة العرض المسرحى الحي المتجدد فى كل ليلة على خشبة المسرح وسط جمهور من المشاهدين .. ومشاهدة مسرحية مسجلة فى التليفزيون يمكن أن يشاهدها فرد واحد بمفرده .. فى حين يستحيل مشاهدة أو تقديم عرض مسرحى فى غيبة جمهور حي من المشاهدين .. وهذا ما يفرق المسرح عن السينما مثلا لأنه فى تسجيله التليفزيونى يصبح مجرد صورة ناطقة أكثر منه أداء مجسداً حياً .. أي فرجة حقيقية فعلية حية يشترك فيها الجمهور مع الممثلين ومع المخرج فى مشاهدة فصل غير مكتوب على ورق أو مسجل على شرائط من السيليلويد .. يعاد عرضه على شاشة تليفزيون .. والا انتفى وجود المسرح وفقد أبرز مميزاته عن بقية فنون المشاهدة الأخرى .. أما المشاركة الدرامية التى يقول بها الأخ حافظ .. فيمكن تحقيقها بواسطة أى تسجيل سواء كان فيلماً سينمائياً أو مسلسلة تليفزيونية أو برنامجاً إذاعياً مسموعاً وليس مرئياً .. وبسبب هذا لم ينكر مناجزى العزيز أن المسرح فن فرجة أصلا ولكنه لم يعد كذلك منذ انتشار التليفزيون .. وبهذا المفهوم الذى تخطى به الحقيقة الأصلية للمسرح كفن فرجة حية حتى بعد وجود التليفزيون .. وقع الصديق حافظ أمين فى خطأ كبير أدى به الى المطالبة الساذجة بأن يغير المسرح من طبيعته ليقدم عروضاً أخرى مختلفة عما تقدمه وسائل التعبير الفنية الأخرى ..

ولكن .. أى عروض ! !

إن المسرح رغم وجود التليفزيون وسابق وجود السينما لا يزال هو المسرح .وليس يلزم حتماً لكى يزداد المسرح انتشاراً أن نلغى طبيعته لنحيله الى تمثيلية تليفزيونية .. فهناك فرق شاسع وكبير بين الدراما التليفزيونية أو الاذاعية والدراما المسرحية وبالذات فى نوعية « المشاركة الدرامية » التى يقول بها .. لقد عينت منذ مدة عضواً فى لجنة شكلها المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون فى مصر .. أطلقوا عليها اسم « لجنة التمثيلية المسرحية والتليفزيونية والاذاعية » .. فاعتذرت عن قبول عضوية مثل هذه اللجنة الا اذا كانت قاصرة على المسرح وحده .. لأن المسرح فن درامى قائم بذاته وهو فن الفنون الدرامية جميعاً ولا يمكن أن يتساوى مع أى فنون تعتمد فى كيانها على الدراما .. ولست أحسب أن الصديق العزيز يختلف معى فى ذلك .

إن مبعث الخلط الكامن وراء مثل هذه المفهومات ليس جديداً على الصديق حافظ أمين .. تتسم به معظم كتاباته عن المسرح وهو يجيء عن نية صادقة ورغبة مخلصة لمحاولة توسيع رقعة المسرح وزيادة انتشاره لكسب جمهور متزايد من المشاهدين .. وحديثنا هنا ينصب على المسرح الجاد ، بالطبع .. لكنه فى هذه المرة يصل برغبته أو بالأحرى حرصه على المسرح الجاد وجمهوره الى ما قد يكون فيه تسخيراً للمسرح لخدمة وسائل التعبير الأخرى التى أصبحت أكثر جماهيرية وأكثر انتشاراً والا فكيف تجوز له مطالبة كتاب المسرح بتغيير أو تطويع مؤلفاتهم لكى تكون صالحة للتليفزيون حتى يشاهدها جمهور أكبر .. إن الكتابة للتليفزيون شيء مختلف تماماً عن الكتابة للمسرح .. لأن المسرح هو الأساس .. ودليلى على ذلك هو نفس دليله الذى ساقه عن نجاح مسلسل « عيلة الدوغري » فلولا وجود النص المسرحى لما نجح المسلسل التليفزيونى . ولعل هذا هو السبب الحقيقى لهبوط مستوى معظم المسلسلات التليفزيونية لأنها لاترتكن على الأصول الدرامية وانما تستمد موضوعاتها من قصص وروايات وكتابات تفتقر الى عنصر الدراما بمقوماته الراكزة التى لا يتكامل بدونها النص المسرحى نفسه .

مصدر المحنـــة

ان المحنة ليست محنة الكتابة للمسرح الجاد ولا محنة انصراف الجمهور عنه . ولكن المحنة

تتمثل فى السيطرة على وسائل التعبير .. وهذه السيطرة .. قد تكون سيطرة رسمية من جانب السلطة أو تجارية من جانب ممولي القطاع التجارى .. وهذه السيطرة هى التى دفعت بالزملاء الراحلين ميخائيل رومان ونجيب سرور ومحمود دياب الى الاحباط القاتل .. وماتوا فى ريعان شبابهم وهم يؤلفون أنضج إنتاجهم كما تقول .. لأن هذه الكتابات لم تكن تتفق مع رغبات المسيطرين على مسرح القطاع العام فحرموا عرضها والمسيطرين على مسرح القطاع الخاص الذين يسخرونه تسخيراً تجارياً خالصاً لبيع الضحك والتسلية .. ولذلك تدهور المسرح الجاد ابان الستينات هذا التدهور الواضح .. لا بسبب عجز كتاب الستينيات ولكن بسبب اختلاق كتاب رسميين معتمدين لكتابة ما يراد عرضه في المسرح طبقاً لما تقتضى المناسبات السياسية . ويكفى أثباتا لذلك أن أى مسرحية جادة لها قيمتها الفنية وذات رؤية مخالفة لما يراد تقديمه للمسرح امتنع التليفزيون عن تسجيلها .. بل الأدهى والأمر أن معظم المسرحيات التى سجلها التليفزيون لكتاب الستينات مسحت وأعدمت شرائطها ومن بينها مسرحياتى « الناس الى تحت » و « وابور الطحين » و « ثلاث ليالى » و « بلاد بره » وحتى مسرحيتى « عيلة الدوغرى » فإن الشريط المسجل لها الذى يعرض من آن لآخر منقول من شريط احد التليفزيونات العربية التى سبق اقتناؤه له عن تسجيله .

ثم قد لا يعلم الصديق العزيز أن لي ثلاث مسرحيات عرضت ابان السبيعينات وهي « الجيل الطالع » و « بشير التقدم » و « برج المدابغ » ولم يكلف التليفزيون خاطره بالتفكير في تسجيلها بل حوربت وهي تعرض لايقاف عرضها بشتى الوسائل.. هذا في الوقت الذي يسارع فيه التليفزيون إلى تسجيل وعرض كافة مسرحيات التسلية التي يقدمها المسرح التجاري وتكرار عرضها على مدار دورات برامجه .

المحنة إذن لسيت فى الكتابة المسرحية وتغيير أساليبها لتوائم وسائل التعبير الحديثة والا كان فى ذلك القضاء على المسرح .. وفى انجلترا وفرنسا بل وفى امريكا ذاتها رغم وجود عشرات المحطات والقنوات التليفزيونية هناك أيضاً عشرات المسارح التى تقدم ليلياً مئات المسرحيات الكلاسيكية وغير الكلاسيكية .. ولم تقفل أبوابها ولم تغير أساليب عروضها لتكون أكثر ملاءمة للشاشة الصغيرة التى تدخل كافة البيوت . المحنة عندنا اذن ليست فى الكتابة المسرحية ولكنها محنة السيطرة على وسائل التعبير رسميا وتجاريا وتسخير المسرح للأهداف السياسية والاجتماعية التى تتفق ومصالح أصحابها والمهيمنين عليها .. ولهذا فلا موضع للنصيحة الموجبة التى ينصح بها الصديق حافظ أمين كتاب الستينيات اذا أرادوا أن ينتجوا فى السبعينيات أو الثمانينيات أن يراعوا حاجة الجمهور ومتطلباته حتى يقدر لمسرحياتهم النجاح والانتشار وخطف الكاميرا من التليفزيون الى قاعات المسرح . فليطمئن من هذه الناحية ولا يجب أن يراوده الشك فى ادراكهم لحقيقة مشاكل الثمانينيات والتصدى لمعالجتها .. فليس المهم أن تقدم نصاً مسرحياً جاداً جيداً يقبل عليه الناس .. ولكن الأهم أن يسمح بعرض هذا النص أولا .. فما بالك بتسجيله للتليفزيون ؟!!

الحوار المسرحى لغة وليس أسلوباً

ونأتى للاختلاف الثانى بيننا .. وفيه يرى الصديق حافظ أمين أن الحوار المسرحى أسلوب وليس لغة كما وصفته . وهذه محاولة تعريفية جديدة لا تتفق بالذات مع طبيعة المسرح فى بلادنا العربية وتخرج بنا الى مفهوم مخالف للمسرح عامة كفن قوامه الحوار ولا دخل فيه للسرد .. ان الذى يدعونى لاستعمال كلمة « لغة » فى تعريفى للحوار المسرحى .. ما سبق أن أوضحته لاصقاً ببيئتنا العربية جميعها وهو هذا الازدواج اللغوى .. فنحن فى كل أقطارنا نتكلم بغير اللغة التى نكتبها ولا دخل هنا لاختلاف اللهجات .. وانما وجود لغة للتخاطب وأخرى للكتابة .. وهذا شىء لا نظير له فى كافة البلدان . ولذلك أوضحت بكل جلاء وبعرض تاريخى مركز لمشكلة اللغة فى مسرحنا المصرى على مدى تطوره خاصة بالنسبة لمعالجة القضايا والمشاكل الاجتماعية علاجاً كوميدياً .. وحتمية استعمال ما أسميه دائماً « اللغة الدرامية » وهى اللغة التى يمكن التوجه بها الى مخاطبة الجماهير عن طريق الحوار .. وكان هذا هو صلب موضوع مقالى ..

فاذا أخذنا بتعريف الصديق العزيز وهو أن المسرح « مشاركة درامية » فإن فى هذا التعريف الذى ابتدعه هو بنفسه ما يثبت أن هذه المشاركة يستحيل تحقيقها الا عن طريق ما أسميه الحوار الدرامى لأن الحوار فى المسرح لا يعتبر أسلوباً وانما هو صلب البناء الدرامى . فالمسرحية بداهة بناء حوارى .. أضف الى ذلك أن المسرح فن ناطق نابع من الشعر .. وكما أن للشعر لغته الخاصة (تركيبة لغوية مختلفة عن النثر) فمن باب أولى أن يكون للمسرح لغته الخاصة التى لا تعتمد على أسلوب الحوار وانما تعتمد على بناء الحوار وبالتالى اللغة التى تشكل هذا البناء تشكيلا ناطقاً مجسداً يحقق المشاركة الدرامية التى يقول الصديق عنها .

والأمر أبسط من أن يحتاج الى التدليل أو الايضاح لأن مبعث القضية هو ما أوجدته الازدواجية اللغوية التى تفرق بين لغة الكتابة المقروءة ولغة التخاطب المنطوقة .. أى .. الفصحى والعامية .. بينما ماناديت به بعد ممارسة متصلة فى الكتابة المسرحية مداها ثلاثون عاماً وحصيلتها ثلاث وعشرون مسرحية .. حتمية وجود لغة مسرحية .. تجمع بين أصالة الفصحى وطلاقة العامية . وهى اللغة التى أستعملها فى مسرحياتى وأعتقد أنها لم تعجز فى التعبير عن كل ما يمكن أن تعبر عنه اللغة الفصحى من فكر رفيع وخيال وثاب وعواطف جياشة وتأملات نفسية وفكرية ووجدانية بل وفلسفية .. وفى صور ابداعية جمالية .. أقرب الى الفصحى منها الى الحوار اليومى الدارج الذى نسميه اللغة العامية .

ولذلك سرعان ما تخلى الزميل حافظ أمين عن خلافه الثانى فلم يتشبث بما أطلقه على الحوار الدرامى من أنه أسلوب وليس لغة واندفع ليدلل على أن مشكلة المسرح ليست مشكلة حوار وانما مشكلة اختيار المؤلف لموضوع مسرحيته متفائلا بما يبدو من ارهاصات انبعاثة مقبلة للمسرح لافتاً النظر أن يحذر الكتاب من خطورة ظهور « الفيديو » بعد التليفزيون ومطالباً اياهم بتأليف مسرحيات مختلفة تماماً عن مسرحيات الستينيات . وهذا بالطبع خروج عن موضوع مقالى ..

ولذلك أحب أن استسمحه بأسلوبه المهذب فى متابعتى لهذا الاستطراد من جانبه لأطالبه بمراجعة موقفه الزجراج من مسرح الستينيات . فقد سبق أن فضل عليه ما سبقه من طفرات مسرحية على يد يوسف وهبى والريحانى وبقية الرواد .. ثم عاد يحبذ مهللا لما أنتج فى السبعينيات . مع أن ما قدمه مسرح الستينيات من نتاج مؤلف لا يمكن قياسه بحقبة الستينيات وحدها .. فهو نتاج أكثر نضجاً وتطوراً وقيمة فنية وفكرية واجتماعية عما سبقه وهو فى موضوعاته يغطى كافة الحقب التالية عليه ..

وتبقى النقطة الثالثة والأخيرة التى يختلف فيها معى وهى التى تحدثت فيها عن غياب الحرية .. وقد شرحت ذلك مطولا من قبل .. فما أقصده ليس حرية التعبير وانما ما يمكن أن أسميه حق التعبير الذى تولد عن السيطرة الرسمية ابان السبعينيات جنباً الى جنب مع غلبة وسيطرة المسرح التجارى .. فهذه السيطرة وحدها هى التى أدت الى انتكاس المسرح الجاد ومحاولة تحويله عن مفهومه فى الستينيات كمنبر اشعاع ثقافى ومنار توعية فكرية واجتماعية ومنطلق رؤية حضارية مستقبلية الى مجرد دور عرض تقدم مسرحيات مناسبات فى المسرح الجاد وهزليات إضحاك فى المسرح التجارى .. ولا عليك يا أخى من مزاعم الرقابة التى دأب البعض على أن يتخذها ذريعة لتبرير ضعف مؤلفاتهم أو يتخذها البعض الآخر لاضفاء صفة البطولة على أنفسهم . وأنا شخصياً لم يحدث أن اعترضت الرقابة على أى نص من نصوصى مع أنها كلها خالية من أدنى مجاراة للأوضاع القائمة التى تكتب فى ظلها ..

أشعر أننى أطلت .. ولكن الموضوع يستحق وقفة منا خصوصاً فى هذه المرحلة الفاصلة من حياة مسرحنا .. ولذلك أشكر الصديق العزيز على خلافه معى لأنه خلاف يهدف الى الوصول للحقيقة ولا يفقده مودتى وحبى .. وانما أدعوه الى مزيد من الخلاف .

دوحة القراء



حاول أن تعرف



الصورة الأولى

شيد قوس النصر بساحة الكاروسيل سنة ١٨٠٧ بإحدى العواصم الأوربية ، وهو مثال جيد لفن العمارة على الطراز المعماري في روما العتيقة ، ولقد وضع أساس قوس النصر عن نموذج القوس الذي بناه في روما الامبراطور « سبتيموس » .

في أي مدينة يوجد قوس النصر ومن الذي أمر ببنائه ؟



الصورة الثانية

هذا المخترع اطلق عليه لقب « أعظم المهندسين البريطانيين » ولد عام ١٧٣٦ م وتوفى عام ١٨١٩ م ، ولقد كان لإختراعه أثر كبير على التطور الصناعي في العالم .

من هو هذا المهندس الشهير وما هو اختراعه ؟

بلاغـــة مظـــلوم



روي أن رجلاً من العقلاء غصبه أحد الولاة ضيعة فأتى إلى المنصور فقال :

أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، أأذكر لك حاجتي أم أضرب لك مثلاً قبلها ؟ فقال بل اضرب المثل ، فقال إن الطفل الصغير إذا انتابه أمر يكرهه فإنما يفزع إلى أمه إذ لا يعرف غيرها وظناً منه أن لا ناصر له غيرها ، فإذا بلغ وصار رجلاً وحدث به أمر شكاه إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه ، فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه أنه أقوى من سواه . فإذا لم ينصفه السلطان شكاه إلى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان ، وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك إلا الله فانصفني والا رفعت أمري إلى الله فإني متوجه إلى بيته وحرمه المكرم ، فقال المنصور : بل ننصفك ، وأمر أن يكتب برد ضيعة هذا الرجل .

عبد العزيز محمد أحمد الفكى
الخرطوم السودان

مفهـــوم الألـــوان



أولا : اللون الأحمر يدل على العزم والقوة والشجاعة ويدل على وجود صعوبة مع معاملة الآخرين ويدل على الحب.

ثانياً: اللون البرتقالي يدل على الطموح.

ثالثاً : اللون الأصفر يدل على الغيرة والحسد وأصحابه من ذوى العقول الواضحة.

رابعاً : اللون الأخضر يدل على العاطفة وأصحابه يودون أن يؤدوا خدمات إلى غيرهم ويدل على الحنان « وانكار الذات ».

خامساً : اللون الأزرق يدل على أصحاب الأرواح الرقيقة والرفيعة والاخلاص والصداقة.

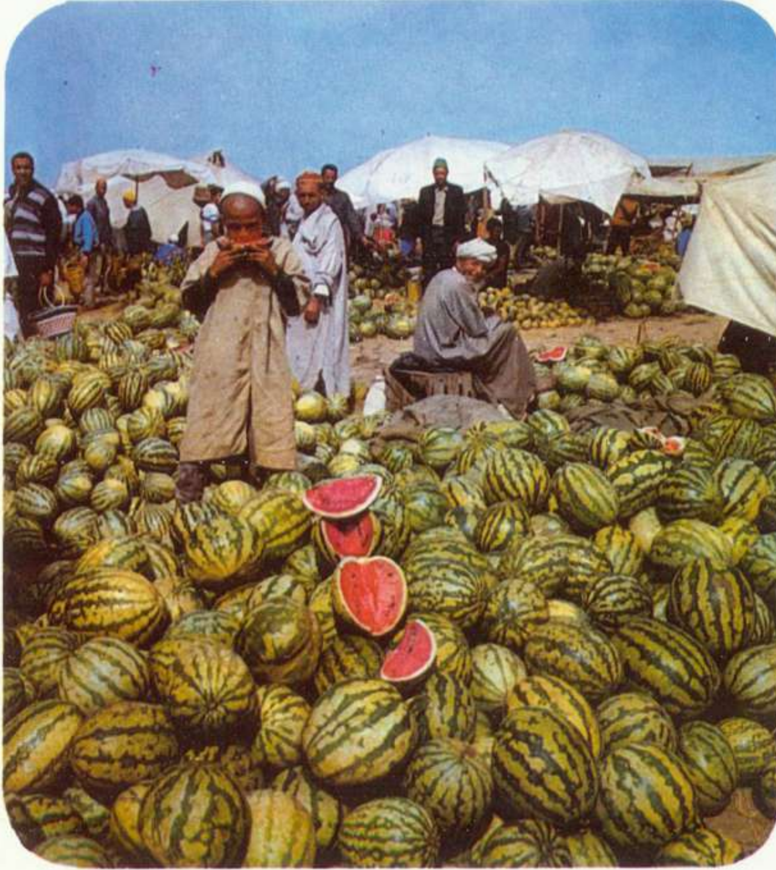
سادساً : يدل اللون البني على أن أصحابه عشاق معقدون وحازمون ماديون.

سابعاً : اللون البنفسجي : يدل على العظمة والعظماء ويدل على الابتكار والفنون.

ثامناً : اللون الأبيض : يدل على أن أصحابه من ذوي الفكر الواضح والمفتوح ويدل على الارادة القوية وأصحابه يعرفون كيف يحبون الآخرين.

ناجي أبو مسلم محمد
محافظة الشرقية ــ مصر

لقطة الشهر



ســوق البطيـخ

فاز بالجائزة وقدرها اشتراك لمدة سنة بمجلة الدوحة القارئ : السناوي محمد ــ الدار البيضاء ــ المغرب.

هــــل تعـــلم؟

• أصغر كاتب في العالم اسمه « دورثي ستريت » وقد نشر له كتاب عام ١٩٥٨ عندما كان عمره أربع سنوات ، أما اسم الكتاب فهو (كيف يبدأ العالم)

• أكبر إنفجار بركاني هو بركان « كراكاتو » في أندونيسيا وقد وقع عام ١٨٨٣م ودمر نحو ١٦٣ قرية ، وقتل نحو ٤٠ ألف شخص ، سمع دويه إلى مساحة ٥٠٠ كيلومتر ، وقوته تعادل نحو ٢٦ قنبلة هيدروجينية.

وليد سليمان
دمشق سوريا

ثــــلاثــــيات



ثلاثة لا يجتمعون :

لا مروءة للكذب ، ولا سؤدد للبخيل ، ولا ورع لسئ الخلق.

وثلاثة تقربها العيون.

المرأة الموافقة. الصديق الودود. الولد الصالح.

وثلاثة تكدر العيش :

الزوجة الشريرة. جار السوء. الولد العاق لوالديه.

ابراهيم محمد عبدالمجيد
المدينة المنورة ــ المملكة العربية السعودية



دوحة القراء

؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

المسابقة الشعرية

فى الفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ... وفد عليهم كثير من الشعراء وقد أغراهم كرم الخلفاء وعطاياهم ... وكان من هؤلاء الشعراء «عمارة اليمنى».

كان عمارة من تهامة باليمن .. وقد أرسله أمير مكة رسولاً إلى الخليفة الفائز .. وكان ذلك سنة ٥٥٠ هجرية .. وقابله الخليفة ومعه وزيره الصالح بالعطف والترحاب بعد أن استمع إلى أولى مدائحه فى القاعة الذهبية بقصر الخلفاء الفاطميين .. والتى قال فيها.

الحمد للعيش بعد العزم والهمم
حمداً يقوم بما أولت من النعم
قربن بعد مزار العزق نظرى
حتى رأيت إمام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
وفداً إلى كعبة «المقصود» والكرم

المقصود» أو الكلمة الأصلية» للشاعر مكونة من سبعة حروف:

٤ ، ٣ ، ٥ اسم أحد الخلفاء الراشدين

٧ ، ٦ ، ٥ ، ١ فى التو واللحظة

هذا الحوار لِمَنْ .. ومع مَنْ؟

اختار أحد كبار الكتاب أن يحاور حيواناً وجماداً .. ويخرج من هذه الحوارات بفلسفات خاصة ورؤية شخصية للحياة والناس والمجتمع .. من أشهر مؤلفات الكاتب الكبير .. الطعام لكل فم ــ سجن العمر ــ شهر زاد ــ أهل الكهف .. وقد اشتهر الحيوان مع اسم الكاتب واشتهر الجماد أيضا ..

وكان من حوارات الجماد معه هذا الحوار:

ــ ما هى مهمة الفنان؟ أهى أن ينقل الناس إلى دنياه أم هى أن يصور دنيا الناس للناس؟

الكاتب ــ دعينا الآن من مهمة الفنان .. ولننظر فى أمزجة الناس فإن فيها العجب .. كانت فرقة الشيخ سلامة حجازى المسرحية تجوب الحضر والريف بمسرحيات هاملت وروميو وجولييت وتليماك فتلقى النجاح الساحق .. فذهب يوماً الى الريف برواية عصرية تمثل «العمدة وشيخ الخفراء والمأذون» فلم تلق عندهم نجاحاً .. فقد سمعوا فيها لغتهم ورأوا صورهم على المسرح وخرجوا يقولون ساخطين «ما هذا؟ هذا شىء نسمعه ونراه فى كل يوم!!

اسم هذا الكاتب الكبير مكون من مقطعين وأحد عشر حرفا:

المقطع الأول بمعنى نجاح والمقطع الثانى يطلق عادة على الطبيب.

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ بمعنى مات

٥ ، ٦ ، ٧ بمعنى نطق

٨ ، ٩ ، ١٠ بمعنى سرد

١٠ ، ١١ بمعنى بحر

أما الجماد الذى يحاوره فمكون من مقطع واحد من ثلاثة حروف ٣ ، ١ ، ٢ أمر بعدم النطاعة

هل عرفت الكاتب؟ .. هل عرفت الجماد الذى يحاوره؟

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية شهيرة .. حاول أن تعرفه من خلال هذه البيانات التى تتعرض لجوانب هامة من حياته:

سنة الميلاد: ١١٣٦ ميلادية

مكان الميلاد: تكريت بشمال العراق

الجنسية: عراقى من أصل كردى

المهنة: حكم مصر وساعد على إنهاء حكم الفاطميين.

أعماله: تولى أمر الوزارة فى عهد الخليفة الفاطمى العاضد عام ١١٦٩م وكان عمره ثلاثة وثلاثين عاماً .. واستطاع فى أول سنى توليه الوزارة أن ينتصر على الحملة الصليبية عند دمياط مما دعم مركزه فى مصر وبدأ عهد الدولة التى حملت اسمه فى مصر. وقد تحدى الصليبيين فى أوج مجدهم وهزمهم فى معركة فاصلة عام ١١٨٧ م واستولى على بيت المقدس.

وفاته: توفى عام ١١٩٣ بدمشق حيث دفن بها.

اسم صاحب هذا الجواز مكون من ثلاثة مقاطع مجموعها ستة عشر حرفاً.

٤ ، ١ ، ٧ بمعنى جمع الحصول

٧ ، ٨ ، ٩ عقيدة

٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٥ ، ٩ غذاء الأطفال

مسابقة مدن العالم

حاول أن تعرف هذه المدينة من خلال المعلومات التى سنعطيها لك والتى تجعلك تصل إلى الحل :

• فى منطقة كامبانيا جنوب مدينة نابولى بايطاليا .. يوجد جبل عال ذو قمة مزدوجة وكان هذا الجبل فى العصور القديمة تكسوه الغابات والكروم .. والواقع أنه لم يكن جبلا حقيقيا .. بل كان بركانا خامداً يسمى فيزوف .

• وفى حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد .. أقام شعب كامبانيا مدينة صغيرة عند سفح هذا البركان بالقرب من الساحل .. ظلت تتسع وتتسع خاصة بعد وقوعها تحت الحكم الرومانى .. حتى أصبحت فى القرن الأول للميلاد مدينة للمتعة واللهو حيث يقضى فيها أثرياء الرومان فصل الصيف ..

• وفى يوم ٢٤ أغسطس سنة ٧٩ ميلادية .. وبلا إنذار سابق .. فوجىء سكانها بظهور سحابة ضخمة فوق فيزوف ظلت تمتد وتنتشر حتى غطت المدينة .. ثم انهال عليهم سيل من الرماد البركانى الساخن .. فلاذ الناس ببيوتهم فزعا على أمل انتهاء هذه الظاهرة المفزعة .. ولكن انهمار الحمم والرماد ازداد .. وبدأت الأسقف تتهاوى مع هزات الزلازل الشديدة .. فدفن الذين احتموا تحت أقبية منازلهم أحياء .. ومات الباقى مختنقين بالغازات السامة المتصاعدة من البركان.وفى فجر ٢٧ أغسطس .. أى بعد ثلاثة أيام .. كانت المدينة قد اختفت تماماً عن الأنظار تحت طبقة يبلغ سمكها ستة أمتار من الركام البركانى .

اسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من خمسة حروف :

١ ، ٢ ، ٣ جمع لإسم طائر ليلى يتشاءم منه الناس .

١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ اسم شائع يطلق على الكلاب (وبخاصة الصغيرة) .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٦

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة هى : الدموع .
٢ ــ عبارة شهيرة من هو قائلها : جميل بن عامر (جميل بثينة) .
٣ ــ جواز سفر : ابن خلدون
٤ ــ مسابقة مدن العالم : مدينة تعز .

أسماء الفائزين

١ ــ فاز بالحائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : عز الدين بن إبراهيم بن عمر ــ سلطنة عمان .

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : أحمد محمود متولى ــ مصر .

٣ ــ فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارئة : مقبوله الصادق بدوى ــ السودان .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ فاطمة يوسف عبد الله.......... البحرين
٢ ــ نافع محمد .... المغرب
٣ ــ أمل عاطف خميس .... الأردن
٤ ــ جهيدة سلوم .... الجزائر
٥ ــ أمل سعيد الكلثم.......... السعودية
٦ ــ رقية عبد الرحمن الأغبرى .... الجمهورية العربية اليمنية
٧ ــ كمال محمد تجور............... سوريا
٨ ــ محمود عبد العظيم محمود.......... قطر
٩ ــ بتول محمد حسن .... العراق
١٠ ــ سليمان محمد الضراط.......... ليبيا

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٦

الصورة الأولى : تقع مدينة تريم فى منطقة حضر موت باليمن الديمقراطية .

الفائز : عبد الله عبد الرحمن المتوكل ــ الجمهورية العربية اليمنية .

الفائز : ابراهيم أحمد منصور ــ السعودية .

الصورة الثانية : قاسم أمين ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب تحرير المرأة عام ١٨٩٩ م وكتاب المرأة الجديدة عام ١٩٠٦ م

الفائز : سعد سليم سعد ــ ليبيا

الفائز : فراج السيد موسى ــ مصر .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٦

١ ــ أصل وصورة : العينان ــ اللحية ــ الحاجبان ــ الشارب ــ الأنف ــ الأذن ــ العمامة .
٢ ــ لعبة الظلال : رقم (١)
٣ ــ لوحة لم تتم : الفنان وديع الصافى
٤ ــ لأقوياء الملاحظة فقط : موزة ــ فراولة ــ طماطم ــ جزرة ــ كمثرى ــ تفاحة .
٥ ــ يخلق من الشبة أربعين رقم (٦) .
٦ ــ المثل يقول :
من خاف من علته قتلته .
عند البطون تعمى العيون .
٧ ــ هات أجمل تعليق :
ــ ليس حادث سيارة ولكن مجرد هزار بسيط مع السيدة حرمنا !
ــ هذه الإصابات نتيجة اختلاف فى وجهات النظر مع السيدة حماتى !

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ــ عبد الرحيم أحمد حسن .... السودان
٢ ــ ناهد عبد العظيم محمود .... مصر
٣ ــ عثمان سكر.................. موريتانيا
٤ ــ السباعى كريمة .... المغرب (اشتراك)
٥ ــ عيسى على محمد............... البحرين
٦ ــ أمل أمام أحمد على .... مصر
٧ ــ محمد فؤاد محمد............... سورية
٨ ــ شيخة صالح الباكر .... قطر
٩ ــ وليد سرور محمد .... الأردن
١٠ ــ عبير ربان عبد العزيز........... مصر
١١ ــ حسين جعفر عبد العزيز.......... الامارات العربية المتحدة
١٢ ــ يحيى عبد الله العزيانى ...... السعودية
١٣ ــ على عبد القادر حسن.............. قطر
١٤ ــ فكرى فيصل عبد الله . اليمن الديمقراطية

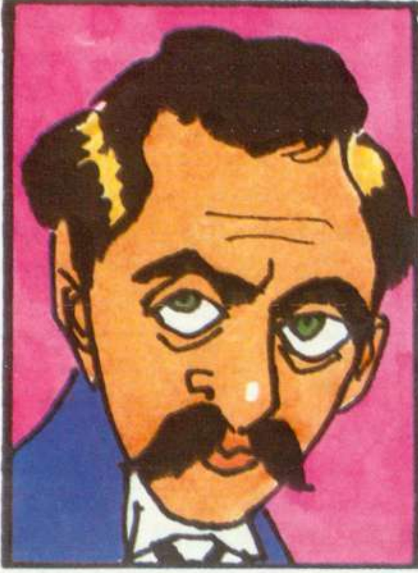
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف



أصل وصورة





يعتبر الشاعر اللبناني جبران خليل جبران عميد أدباء المهجر وأوسعهم تأثيراً وانتشاراً .. ولهذا مطلوب منك أن تعرف الاختلافات السبعة البسيطة التي بين أصل وصورة الشاعر الكبير لتحصل على جائزة .

المثل يقول



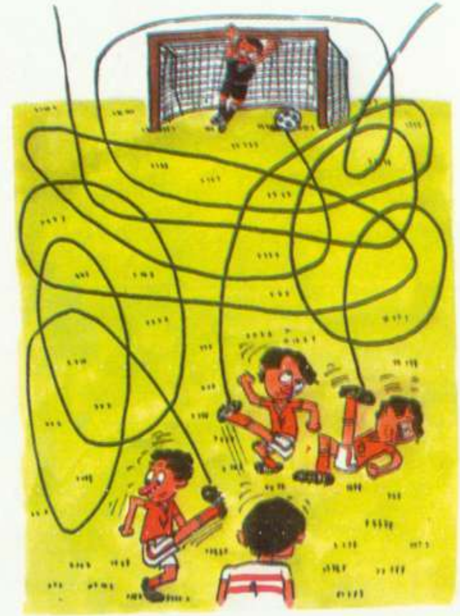
هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي معروف .. إذا تعرفت على هذا المثل أرسله إلينا لتفوز بجائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم لفنان عربي اشتهر باجادته للأدوار الشريرة في السينما .. حاول أن تكمل اللوحة لتتعرف على شخصية الفنان وتنال جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

لعبة الظلال



حاول أن تساعد هذا اللاعب في الحصول على ظله الحقيقي ، حتى تحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. إذا استطعت التعرف عليها فلك جائزة .

يخلق من الشبه أربعين















الصور الست المنشورة لست شخصيات قريبة الشبه من شخصية عميد الأدب العربي طه حسين .. من بين هذه **اللوحات المنشورة واحدة** تشبهه تماما .. **تعرف عليها لتحصل على جائزة .**

بقلم
عبد الله الجفري



احتجاج.. ضدّ التهجّي!

• إني أتوقف على جناح ذبابة، وأجيل النظر!

مسكون وجدان الانسان بالبغتة، والعقاب، والانطراح!

ينتمي شعوره إلى الرواسب والذكريات.. يتجمد على «الثانية» الفاصلة بين الضمير والخوف من شيخوخة العقل، ومن هرم الوجدان، ومن تضخم العمر!

إن قضية ما ـ انسانية ومبتذلة، ومشروخة بالوجع ـ هي رجع فكره، وهي معاناته وملابسات يومه.. هي الاشتهاء المنتصب في رغباته وعنعناته.. وهي في ذات الوقت: الاستهلاك البشع للطاقة.. في صحة التعبير الحياتي المطروح تحت أظلاف أحلام اليقظة!

ماهي ـ إذن ـ قضية انسان هذا الشرق.. المختنق في طيات هزائم النفس؟!

إن الارهاص الأدبي في الفكر العربي يعاني من أزمة الانفلاش.

البحث الفلسفي تصرخ عباراته بارهاق التيارات المتصادمة.

الشعر.. لا أكثر من رسم بالطباشير في أفئدة الناس.. تمحوه البغتة!

القصة... وصف لحالة، تتضح فيها ـ أحيانا ـ المحاكاة، وتضيع فيها ـ غالبا ـ التجربة الأصيلة.

إني أردد: (غيظي من هؤلاء المبدعين، وأحزاني لهم. إنهم يعاقبونني بهزيمتهم أكثر مما يعاقبني هذا الذباب بوحشيته)!

إن شيئاً من التعبير ينبلج من أحزان الناس، ولا تلبث أقدامهم أن تطأه في لحظة انسياق مللي.

لم يعد للوجدان العربي إلا شعراء المقاومة في أهازيجهم الوطنية ذات الايقاع المتأثر بطلقات الرصاص، وأنين السجناء في أرضهم!

عفوا... حتى شعراء المقاومة.. قاوموا ما في داخلهم!

لم تظهر رواية.. إلا وأكثر حوادثها تدور حول الانطراح الذاتي، أوحول مشهد غرامي ساذج.

أيضاً.. إنني أردد: (إن منظر الذكاء مبايعاً للغباء وتابعاً له.. كان أقبح منظر يشتم عقلي)!

• • •

لقد جلدني سؤال قاله لي أحدهم: ماذا تقرأ هذه الأيام؟!

أردت أن أضحك ساخراً، أو حزيناً. حتى السخرية لم تعد ذات جدوى. قلت له:

ـ إني أعيد قراءة كتاب قديم للمرة الرابعة!

إني أبحث عن جديد. إن الخيال لا يريح في كل وقت.. وفي ذهني حروف تتهجى نفسها، وهذا هو الأصعب!

في داخلي حشد من التثاؤبات الصدئة، وأتذكر عبارة قديمة تقول:

ـ (إن كل إنسان لابد أن يستهلك حياته في تعبير ما.. ولكن شيئاً مالم يتغير، لأن الناس رفضوه.. بل لأن نقيضه فرض عليهم)!

• • •

لأن الفكرة في خاطري قديمة، والحرف في رؤيتي مكتوب مائة مرة. وأغلفة الكتب عليها رسوم تجريدية بدون عناوين.. «كأن العرب رسبوا في مادة الاملاء!»...

لأن ذلك كله «واقع».. فنحن نحزن، ونتجلط، وننكفئ بالكلمات!

ربما أتذكر شيئاً آخر الآن!

أتذكر الكاتب اليوناني الذي ترك صوت «زوربا» ورحل، واسمه: «نيكوس كازانتزاكيس».. هو الذي قيل عنه انه «صنع الرؤية الكريتية ـ نسبة إلى جزيرة كريت ـ وبها أراد أن يوحد فكره وفنه بين الانطلاقة الروحية الحارة، والتأمل العقلي المجرد».

لهذا الكاتب حكاية رويت قبل وفاته، مع زوجته «الين»:

ـ قال لها: «أريد أن تكتبي كتاباً عني عندما أموت».

ـ قالت له: «لا... إن من يكتب عنك، ينبغي أن يكون كاتباً عظيماً، أما أنا...»

ـ قاطعها قائلاً: «لابد أن تكتبي أنت.. فان كثيرين سوف يقولون عني أشياء غير صحيحة، وهذا مؤسف، ولكنك الوحيدة التي تعرفينني جيداً. لكن... لا تنسي أن تذكري كلمتي: لا أهاب شيئاً. لا أطمع في شئ.. لأني إنسان حر»!

وكان يعني: أن ما نكتب عنه دون معرفته.. هو تجسيد للأسف الذي يفرخ ادعاء وتشويهاً!

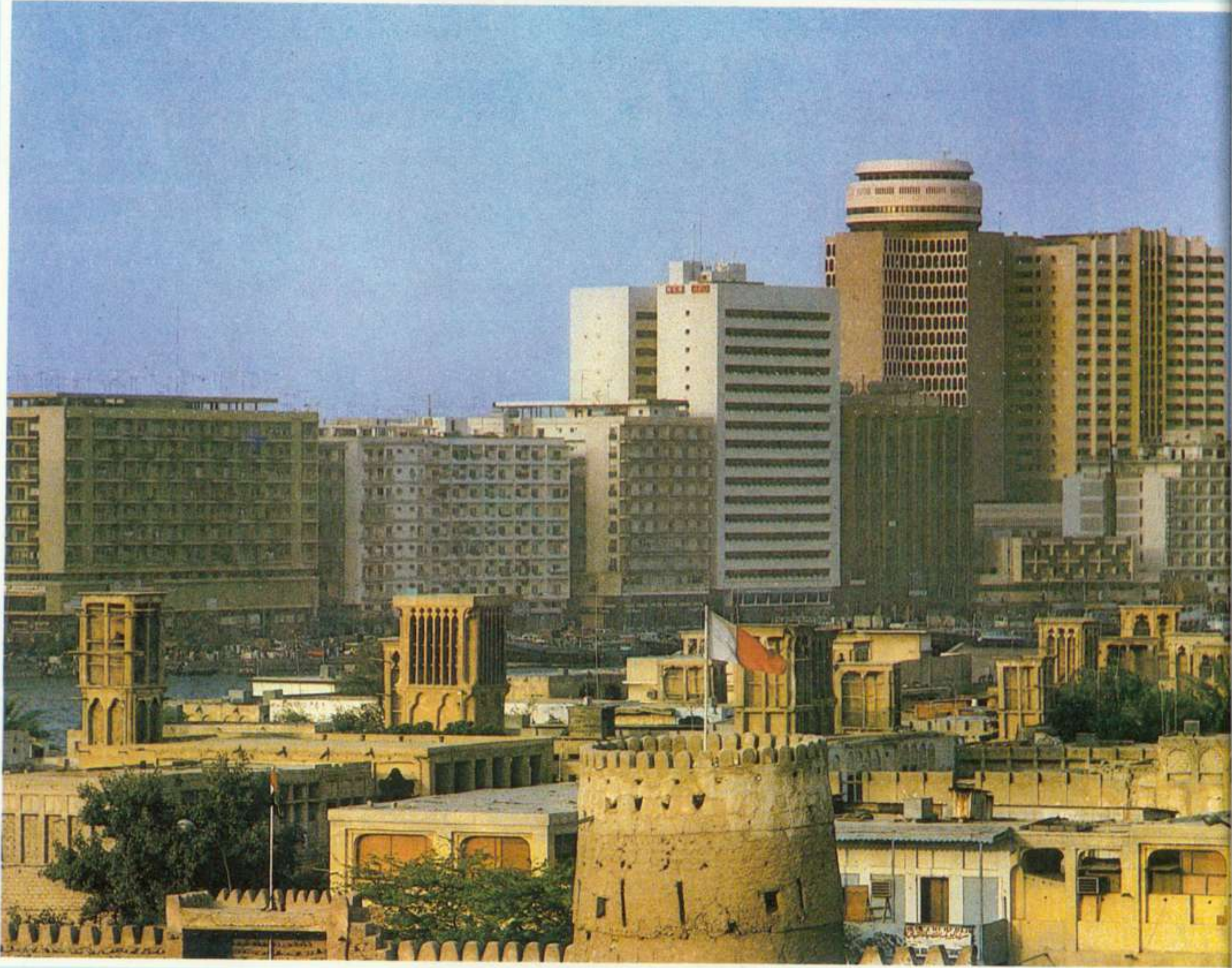
وكان يعني: أن دور الكاتب هو المعرفة الحقة. وهو إيقاظ احتياجاته.. تلك التي تبدو متلاحمة مع تعامله اليومي في زحام الحياة!

إذن؟!!

إني أتوقف على جناح ذبابة، وأجيل النظر!

إني لا أتبجح ضد «الشطارة» الفكرية في رؤوس الأدباء... لكني أحتج بعنف ضد استمرارية «تهجي» الحروف في أذهان المفكرين العرب، وضد تفاقم تهجي القيم والضمير!!

جدة



الماضي والحاضر

لقطة تجمع الماضى والحاضر فى دولة الامارات العربية المتحدة ، وبالتحديد فى مدينة دبى ، حيث نرى أبراج « البادكير » التى كانت تستخدم فى التهوية أيام زمان ، كما نرى قمة القلعة القديمة بالمدينة والتى تم تحويلها إلى متحف .

وفى مواجهة التاريخ القديم ، نرى العمارات الشاهقة والأبراج الحديثة وكأنها منظومة موسيقية رائعة .

وكما نعرف فإن دولة الامارات العربية المتحدة ، تقع فى قلب الشاطىء الجنوبى للخليج العربى ، وتبلغ مساحتها ٧٨ ألف كيلومتر مربع ، وتمتد أراضيها ٤٠ ميلاً على الساحل الجنوبى الغربى متوغلة فى الداخل لتضم امارات أبوظبى ودبى والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة ثم الفجيرة فى أقصى الشرق ، وتتبعها بعض الجزر في الخليج العربي.

طيران الخليج توفر لكم ثلاث درجات ذهبية إلى أوروبا.



الدرجة الأولى

في إطار تطوير الخدمات لدى طيران الخليج تم بشكل مبتكر في هذه الدرجة تصميم مقاعد وثيرة متحركة تجمع مواصفات الرفاهية والراحة.
وتنفرد طيران الخليج بتقديم القهوة العربية ذات النكهة العطرة والتمر العماني الشهي، إضافة إلى رحابة الوداع التقليدي العربي الذي يتمثل في رش ماء الورد عند نهاية الرحلة.

درجة الصقر لرجال الأعمال

هذه الدرجة الجديدة - إبداع آخر - صممت على نهج حديث متقدم. فهي توفر لك معظم الرفاهيات المتاحة في الدرجة الأولى، بما فيها المقعد الوثير الواسع الذي يسهل لك أداء عملك الخاص.. او الاستلقاء ومد جسمك في راحة وهدوء في مقصورتك الخاصة. حقيقة إن رحلات طيران الخليج تعد إختياراً أمثل لرجال الأعمال.

الدرجة السياحية الذهبية

تتميز هذه الدرجة بكافة المواصفات التي تتوقع وجودها في درجات رجال الأعمال لدى شركات الطيران الأخرى.

للمزيد من المعلومات إتصل بوكيل سفرياتك المعتمد أو بطيران الخليج.

بإمكانكم إختيار أي من رحلات الصقر الذهبي من الخليج إلى أوروبا، حيث هناك ٢١ رحلة أسبوعياً من الخليج إلى لندن.. ورحلة يومية إلى باريس.. وثلاث رحلات أسبوعياً إلى فرانكفورت وأثينا.



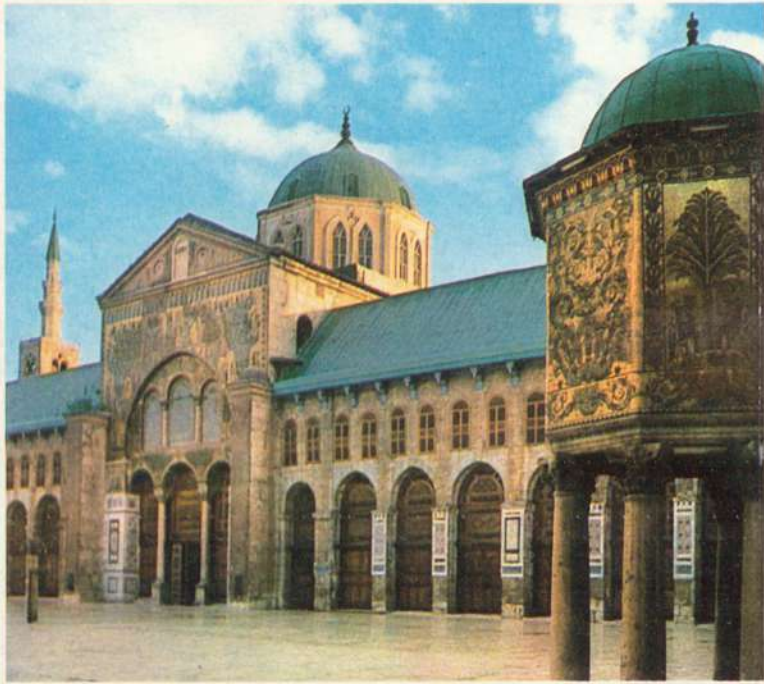
أبوظبي أثينا البحرين الخرطوم الدوحة الرياض الشارقة الظهران القاهرة الكويت باريس بانكوك بومبي بيروت تونس جدة دبي دكا دلهي إسلام آباد صلالة صنعاء عمان فرانكفورت كراتشي كولومبو لارنكا لندن مانيلا مسقط هونغ كونغ

العـــدد ١١٩ - صفـــر ١٤٠٦هـ - نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



• تطبيق الشريعة وحقوق الأقليات

د. يوســـف القرضـــاوي

• أزمة الواقعيّة: هل تؤدي إلى انتـــصار الرومانســـية؟

د. محمد جابر الأنصـــاري

كتاب الشـــهر:

العمارة في العالم الإسلامي

• مسقط: مدينة القلاع والحصون التي تطلّ على دنيا القرن العشرين



لاعبو الشطرنج

استولى الشطرنج على لب البشر منذ أقدم العصور .. وقد جاءت تلك اللعبة إلى البلاد العربية من الهند ، وانتشرت بسرعة البرق فى كل بلاد الشرق ، لينقلها العرب بدورهم إلى بلاد الأندلس ، ولتغزو من هناك كل أنحاء أوربا ، وتقام أولى مباريات الشطرنج العالمية فى لندن عام ١٨٥١ ..

وعندما زار الفنان « لوديك دوتش » البلاد العربية ، لفت نظره إقبال العرب على ممارسة تلك اللعبة التى تحتاج إلى ذكاء ومهارة وتركيز عقلي ، فسجل تلك اللوحة من وحي الحياة العربية فى عام ١٩٠٤ ، ولم ينس أثناء التسجيل أن يقدم لنا الزخرفة الاسلامية بألوانها الزاهية وارتباطها بالمكان فى بداية هذا القرن !

الدوحة

العدد ١١٩ - صفر ١٤٠٦هـ - نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● قطر :
دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة

● السودان :
دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .

● الأردن :
وكالة التوزيع الأردنية :
ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● البحرين :
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع
ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● السعودية :
الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة

● الكويت :
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت .

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .

● الجمهورية العربية اليمنية :
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧
المحافظة الاولى - عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد
ابو ظبى ص . ب ٧٩١

● سلطنة عمان :
وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦
مسقط - سلطنة عمان

● تونس :
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي All Bin All Printing Press - Doha

في هـــذا العـــدد



د. محمد جابر الأنصارى : العودة إلى رومانسية القلب الواعية (ص : ١٢)



الفريد فرج : زاوية أخرى للنظر فى أزمة النصوص المسرحية (ص ٣٨)



د. يحيى الجمل : قصة حياة عادية (ص ٢٦)



حوار مع الشاعر العربى بلند الحيدرى (ص : ٥٤)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميـــع المراســـلات ترســـل باســـم رئيس التحريـــر

• أبــواب •

المدير الفني : سلمان المالكي

كلمة



الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني

نموذج كريم

فقدت قطر في أواخر أكتوبر الماضي أحد رجالها البارزين وهو المغفور له الشيخ « فالح بن ناصر آل ثاني » ، وقد ظل هذا الرجل الذي توفى عن خمسة وسبعين عاماً يعيش حياته في حركة دائبة ونشاط لا يتوقف حتى اختاره الله إلى جواره ، وأهم ما كان يتميز به الشيخ فالح هو حبه الأصيل للثقافة ، وعدم تردده في بذل المال والجهد من أجل الحصول على الكتب النادرة وجمعها وترتيبها وإتاحة الفرصة للاستفادة منها لكل من يطلب العلم أو يبحث عن المعرفة ، ويقف اسم الشيخ فالح في هذا المجال مضيئاً مشرقاً بين أسماء أصحاب المكتبات الكبرى في العالم العربي ، مثل أحمد تيمور باشا ، الذي جمع مكتبة كبيرة ضخمة في حياته بذل من أجل تكوينها الكثير من المال والجهد ، ثم أوصى بإهدائها بعد وفاته لدار الكتب المصرية ، وهذه المكتبة التيمورية هي الآن جزء ثمين من دار الكتب ، وهو جزء زاخر بالكنوز والآثار الأدبية والفكرية والمخطوطات والطبعات الأولى التي ظهرت عند دخول المطابع لأول مرة إلى عالمنا العربي ، وكان هناك أيضاً أحمد زكي باشا الذي كانوا يسمونه باسم شيخ العروبة ، وقد قضى حياته في الدفاع عن الأمة العربية والثقافة العربية ، وكان دفاعه مبنياً على الحماس الصادق والعلم الواسع الغزير في نفس الوقت .

والشيخ فالح بن ناصر آل ثاني لا يقل في اهتمامه بالمكتبة العربية عن هؤلاء الرجال العظماء ، فقد جمع الشيخ فالح آلاف الكتب والمجلات النادرة الثمينة ، وكان الشيخ فالح كريماً وسخياً بالنسبة للباحثين والدارسين الذين يلجأون إلى مكتبته ، فلم يبخل بكتاب نادر على أحد ، بل كان يتبرع بكثير من الكتب للمعاهد والجامعات والمدارس العربية ، بل وللباحثين الأفراد كلما أتيحت له الفرصة لذلك .

لقد رحل الشيخ فالح إلى رحاب الله ، وترك في قطر وفي كل الوطن العربي أثراً طيباً كريماً لا يمحوه الزمن بين عارفيه والذين استفادوا من فضله وحبه الواسع الأصيل للعلم ، وليس هناك من وسيلة لتخليد ذكرى هذا الرجل الكبير أفضل من أن تقوم وزارة الاعلام بدولة قطر — من خلال إدارة الثقافة والفنون — بإنشاء مكتبة عامة تحمل اسم الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني وتضم ما تحتويه مكتبته الخاصة من كتب ثمينة ونادرة وطبعات لم يعد يمكن العثور عليها في أي مكان آخر سواء في المجلات أو الدوريات التي ظهرت في الحياة الثقافية العربية منذ منتصف القرن الماضي إلى اليوم .بمثل هذا العمل نستطيع أن نكرم الشيخ فالح ونجعل من ذكراه نموذجاً طيباً يهتدي به كل الذين يريدون خدمة قطر والعالم العربي والاسلامي ...

لقد كان الشيخ فالح وجهاً من وجوه الخير ومظهراً من مظاهر النهضة الحضارية والإنسانية في قطر ، تلك النهضة التي اشتد عودها وأثمرت أفضل الثمرات في عهد قائدها وراعيها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

« الدوحة »




تريجفي لي : أول أمين عام للأمم المتحدة (١٩٤٦-١٩٥٣)


داج همرشولد : (١٩٥٣-١٩٦١)

المنظمة العالمية
إنجازاتها الهامّة.. وتحدّيات المستقبل



يحتفل العالم هذا العام بمرور أربعين عاماً على إنشاء الأمم المتحدة التي تعتبر تجربة فريدة في تاريخ البشرية، ونموذجاً ليست له سابقة في التنظيم الدولي. وقد أدى وجود الأمم المتحدة إلى إحداث تغييرات جذرية في خريطة العالم السياسية إذ تبنت المنظمة قضية تصفية الاستعمار، وتحرير الشعوب المحكومة من سيطرة الدول الاستعمارية، وتعتبر تلك نقطة مضيئة في تاريخ المنظمة، ويكفي شاهداً على ذلك أن نذكر أن عدد أعضاء الأمم المتحدة عند التوقيع على الميثاق في ٢٦ يونيو ١٩٤٥ كان خمسين دولة، أما الآن وبعد مضي أربعين عاماً فقد تجاوز عدد الدول الأعضاء ثلاثة أمثال ذلك الرقم، ليبلغ ١٥٩ دولة، وبهذا تكون المنظمة العالمية قد حققت هدف شمولية العضوية لكل دول العالم. والواقع أنه لم يبق من بلدان العالم خارج المنظمة إلا تلك التي اختارت ألا تنضم، مكتفية بصفة المراقب مثل سويسرا، وكوريا الشمالية، وكوريا الجنوبية لظروف خاصة بوضعهما منذ التقسيم الذي أعقب الحرب الكورية، ثم هناك البقية الباقية للحكم الاستعماري القديم في أفريقيا الجنوبية وناميبيا وأخيراً فلسطين التي يناضل شعبها دون هوادة لتحتل دولته مكانتها بين دول العالم اعمالاً لحق تقرير المصير.

بقلم: حمد عبدالعزيز الكواري

وجدير بنا في هذه الذكرى الأربعين لهذه المنظمة العالمية الفريدة أن نحاول إلقاء الضوء على بعض انجازاتها الرئيسية، وعلى نواحي القصور فيها، وأن نستوحي من دروس الماضي دليلاً على العمل في المستقبل حتى يتاح للمنظمة أن تصل إلى آفاق من النجاح لم تصل إليها بعد، وأن تحقق هدفها النبيل في إحلال الأمن والسلام والتعاون محل الخلاف والنزاع والتنافس في علاقات أعضاء المجتمع الدولية.

والحديث عن الأمم المتحدة يطول، فهي حلبة تلاقي الأنداد وتراضي الأضداد، وفي قاعاتها يلتقي الشرق بالغرب والجنوب بالشمال والأسود بالأبيض والرأسمالي بالشيوعي والمحافظ بالثائر، ومن فوق منابرها تثار القضايا التي تهم دول العالم قويها وضعيفها، كبيرها وصغيرها، وهي الملجأ الذي تتجه إليه الدول إذا وجدت نفسها على شفا المواجهة المسلحة لتخرجها المنظمة من المأزق الذي ينذر بالاشتباك، ثم هي الحارس الأمين يقف بين القوات المتحاربة لحفظ السلم متى وضعت الحرب بين الطرفين أوزارها، وأخيراً هي المحفل الذي يجري فيه بحث أكثر الطرق جدوى من أجل التوصل إلى هدف نزع السلاح.

هذا المجال الواسع تحتاج تغطيته كله إلى عشرات المقالات، ولذلك فلا خيار لنا إلا أن نحدد نقاطاً معينة نتناولها كنموذج لنشاطات الأمم المتحدة وكمعيار لقياس فعاليتها. وقد اخترنا في هذا المقال ـ بعد تمهيد تاريخي عن عصبة الأمم المتحدة التي سبقت الأمم المتحدة في الوجود: تقييم معالجة الأمم المتحدة لقضية العرب الكبرى


يوثانت : (١٩٦١ــ١٩٧١)


كورت فالدهايم : (١٩٧٢-١٩٨٢)


دى كويلار : الأمين العام الحالى (١٩٨٢)

● لن يتغير موقف الأمم المتحدة من قضايانا العربية ما دمنا في حالة من التمزق والانقسام والضعف

● حق الاعتراض "الفيتو" جعل الدفاع الجماعي عن النفس في الميثاق حبراً على ورق

فلسطين ، ثم الأنشطة الاقتصادية للأمم المتحدة وأنشطتها في مجال القانون الدولي وأخيراً قضية نزع السلاح . ومن مجموع ذلك نلخص للقارئ صورة واضحة عن انجازات المنظمة خلال أربعين سنة ، والعقبات التي حالت دون بلوغ تلك الانجازات على المدى الذي كانت آمال شعوب العالم قد علقتها عليها عند انشائها .

وقد اعتاد الرأي العام أن يقيس انجازات الأمم المتحدة بالتركيز على انجازها في المجال السياسي متجاهلاً انجازاتها في مجالات حيوية هامة كالجانب الاقتصادي والانساني والثقافي ، وهي انجازات يحق للأمم المتحدة أن تفخر بها .

عصبة الأمم

كانت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) تجربة مريرة جاوزت خسائرها البشرية والمادية حدود الخيال . وكانت دافعاً للدول المنتصرة إلى التفكير في خلق تنظيم دولي يكفل عدم تكرار مثل تلك التجربة ، ويقوم على مبدأ استبعاد الحرب العدوانية كوسيلة لحل الخلافات بين الدول أو لتحقيق الأهداف الوطنية لأية دولة ، فكان أن تضمنت معاهدة فرساي (ميثاق عصبة الأمم) التي كان للرئيس الأمريكي ويلسون فضل التفكير في انشائها والدعوة إلى تأييد كافة الدول لها ، ومن سخرية القدر أن الولايات المتحدة لم تنضم إلى العصبة تحت تأثير بعض الاتجاهات الانعزالية التي كانت تريد أن تنأى بالولايات المتحدة عن المشاركة ، وبذلك رفض مجلس الشيوخ الموافقة على معاهدة فرساي وما تضمنته من ميثاق عصبة الأمم فكان نكوص الولايات المتحدة عن الاشتراك في العصبة أول عامل سلبي أثر على فعالية التنظيم الدولي الجديد .

وبالرغم من أن شمول العضوية لكافة دول العالم كان هدفاً مقصوداً من انشاء العصبة إلا أن الطابع الأوربي غلب عليها ، فلم يتجاوز عدد الدول غير الأوربية التي انضمت إلى عضوية العصبة إحدى عشرة دولة هي : أفغانستان والصين واليابان والهند ومصر والعراق وتركيا وايران وليبيريا والحبشة وسيام (تايلاند) ، بالاضافة إلى بعض دول أمريكا اللاتينية ، وكان هذا النقص من عوامل ضعف العصبة ، ولو أن قلة عدد الدول المستقلة في ذلك الوقت يمكن أن يفسر إلى حدما عدم شمولية العضوية لكافة دول العالم أو معظمها .

وكان تنظيم العصبة حسب ميثاقها يقوم على وجود جمعية عامة ومجلس هما الجهازان الرئيسيان للعصبة بالاضافة إلى محكمة العدل الدولية الدائمة ، المشكلة من خمسة عشر قاضياً . وكانت الجمعية العامة تجتمع في سبتمبر من كل عام ، ولو أن الميثاق لم ينص على اجتماعات سنوية لها ، وكان اجماع المشتركين في التصويت مطلوباً لاصدار قرارات الجمعية العامة ، ولو أن ذلك لم يعطل صدور القرارات كثيراً ، لأن الدول غير الموافقة كانت تكتفي عادة بابداء وجهة نظرها في اللجنة المختصة ، ثم تمتنع عن التصويت في الجمعية العامة ، وبذلك لا تحول دون الحصول على اجماع المشتركين في التصويت .

أما المجلس فكان مشكلاً من خمسة أعضاء دائمين من بينهم الولايات المتحدة ، التي لم تنضم إلى العصبة كما رأينا ، ومن أربعة أعضاء غير دائمين تنتخبهم الجمعية العامة لفترة محدودة . وقد زيد عدد الأعضاء غير الدائمين إلى ستة في ١٩٢٢ ثم إلى تسعة في سنة ١٩٢٦ فكانت لهم الأغلبية في المجلس ، وكان المجلس ينعقد أربع مرات في السنة وأيضاً في دورات غير عادية متى اقتضى الأمر ذلك .

وكان اختصاص المجلس الأساسي هو الشئون السياسية وأهمها المنازعات الدولية التي تهدد السلم وكذلك الخلافات بين الدول على مستوى أقل خطورة مثل الخلاف حول بنود بعض المعاهدات ومسائل تعيين الحدود ومعاملة الأقليات وما إلى ذلك ، وكانت طريقة اصدار قرارات المجلس تتطلب اجماع الدول الأعضاء غير ذات الشأن في النزاع المطروح ، وبذلك كان لكل دولة عضو حق النقض عملياً، ولو أن ذلك لم يحدث إلا في حالات قليلة جداً حيث كان المجلس يستهدف التوفيق ، فاذا تعذر كان يؤجل البت في المسألة المطروحة بدلاً من طرحها على التصويت .

وكان للعصبة أمانة عامة دائمة مشكلة من موظفين دوليين مستقلين عن حكومات الدول التي ينتمون إليها بجنسياتهم . ونجحت الأمانة العامة في اضفاء الحيدة على نشاطها واستهدف مصلحة العصبة في كل أعمالها فوق أي اعتبار آخر ، وكانت للعصبة أجهزة أخرى ثانوية بعضها ذو طابع



أربعـــون عـــامـــاً عـــلى الأمـم المتحـدة

قانوني أوسياسي مثل محكمة العدل الدولية الدائمة ولجان نزع السلاح والأقليات والانتداب أوبعضها الآخر ذو طابع اقتصادي مثل منظمة العمل الدولية ومنظمة المواصلات والنقل والمنظمة الاقتصادية والمالية.

على أن الضعف الذي صاحب العصبة منذ انشائها لم يلبث أن أثر على سير أعمالها وظهر جلياً أن الدول لم تقتنع بمبدأ عدم اللجوء إلى الحرب لتحقيق الأهداف الوطنية، ولم تعمل بالمبدأ الآخر الذي حواه الميثاق وهو أن العدوان على عضو يعتبر عدواناً على باقي الدول الأعضاء مجتمعة، وهكذا اعتدت اليابان على منشوريا ثم انسحبت من العصبة عقب صدور قرار بإدانتها، كما أن إيطاليا لم تتورع عن غزو الحبشة، وانسحبت كذلك من العصبة، ففقدت العصبة بذلك ماكان باقياً لها من فعالية في المجتمع الدولي. ومالبثت الحرب العالمية الثانية أن اندلعت فظلت العصبة خلال السنوات ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ قائمة شكلاً ومنعدمة فعلاً إلى أن تقرر حلها رسمياً في جنيف في أبريل ١٩٤٦ بعد أن حلت محلها في التنظيم الدولي «هيئة الأمم المتحدة» التي أبرم ميثاقها في سان فرانسيسكو في ٢٥ يونيو عام ١٩٤٥.

الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية

جرت العادة أن يحتل الحديث عن نزع السلاح الصدارة حين يتعرض الكاتب للأمم المتحدة، لأن الهدف الرئيسي الذي قامت من أجله هذه المنظمة في الأساس كان «انقاذ الأجيال القادمة من ويلات الحروب».

ولكننا سنخرج عن هذه القاعدة لنتحدث أولاً عن الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية باعتبارها القضية الأولى للعرب، وأم القضايا للأمم المتحدة لكونها ولدت في أحضانها، وأول مايدور في ذهن مواطننا عن الأمم المتحدة هو دورها في هذا المجال وعجزها حتى الآن عن تحقيق نتائج واضحة وملموسة.

ويمكن أن يقال بغير تجاوز إن القضية الفلسطينية ولدت على يدي الأمم المتحدة عندما أصدرت الجمعية العامة قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ بانشاء دولة عربية وأخرى يهودية ومنطقة دولية تضم مدينة القدس. وكانت تلك أول مرة تقطع فيها أوصال اقليم ذي كيان محدد، بقرار منظمة دولية. وهناك شك كبير في أن للأمم المتحدة السلطة أوالحق في اتخاذ مثل ذلك القرار الذي يتضمن إنكاراً لمبدأ جوهري من مبادئ الميثاق هو مبدأ تقرير المصير، لا فرض أمر واقع على شعب من الشعوب. لذلك لم يكن غريباً أن يرفض الشعب الفلسطيني هذا القرار، وأن يبدأ مسيرة نضال طويل وشاق لن يتوقف مهما بلغ حجم التضحيات حتى يعود إلى وطنه، ويقيم دولته.

إن لمجلس الأمن ــ بوصفه الجهاز الرئيسي للأمم المتحدة ذى الصلاحيات التنفيذية والمسئول عن حفظ الأمن والسلم الدوليين ــ اتصال مباشر ومستمر بالقضية الفلسطينية منذ يومها الأول وحتى هذه اللحظة، وفي خلال أربعين عاماً لم يوفق مجلس الأمن للأسف إلى معالجة تتمثل فيها العدالة لتلك القضية التي لا تزال تهدد الأمن والسلم الدوليين ليس في المنطقة العربية فقط بل وفي العالم كله نتيجة لمضاعفاتها غير المقصودة التي يصعب التنبؤ بها أوالتحكم فيها.

لقد كان لمجلس الأمن دور في محاولة ايقاف حرب ١٩٤٨ فأصدر قراراته المعروفة بوقف الأعمال العسكرية واعلان الهدنة، كما أنشأ فريق مراقبة الهدنة. غير أن محاولات المجلس لم يحالفها التوفيق وأخطأها النجاح لسبب هام هو تضارب سياسات الدول العظمى ــ الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ــ التي لابد من توافق أصواتها الايجابية من أجل انجاح أي قرار للمجلس. لذلك فإن تقييم العارفين وحكم التاريخ على مجلس الأمن وموقفه من حرب ١٩٤٨ هو أن «قرارات المجلس كانت بصفة عامة غير مجدية في وقف النزاع المسلح في فلسطين» وأن «سلطات المجلس في ظل الميثاق لم تمارس بشكل جدي»، كما قال الفقيد الدولي استيفان بوغاني في كتابه: «مجلس الأمن والنزاع العربي الاسرائيلي» الذي صدر عام ١٩٨٤.

مضت على حرب فلسطين أعوام ثمانية إلى أن وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، فكان لابد لمجلس الأمن أن يتصدى لذلك الوضع المهدد للسلم والأمن الدوليين، ولكن المجلس كان مكتوف اليدين، لكون دولتين من دول العدوان الثلاثي وهما بريطانيا وفرنسا من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، فتقرر إحالة الموضوع إلى الجمعية العامة مما جعل مساهمة مجلس الأمن في مواجهة حرب عام ١٩٥٦ شبه معدومة بسبب خرق دولتين من أعضائه الدائمين مبادئ الميثاق التي تحظر استخدام القوة لحل الخلافات الدولية.

ثم جاءت حرب عام ١٩٦٧ التي أتاحت لمجلس الأمن فرصة اصدار أهم قراراته في النزاع العربي الاسرائيلي، وهو أكثر القرارات إثارة للجدل ونقصد بذلك القرار رقم ٢٤٢، والذي حدد فيه المجلس الأسس التي رآها لانهاء النزاع. وأهم تلك الأسس عدم اكتساب الأراضي بالقوة وانسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وتعايش جميع دول المنطقة بسلام.. ولا جدال في أن هذا القرار من أخطر القرارات إذ أن تنفيذه يلقي على الأمة العربية القبول باسرائيل كدولة ذات سيادة بالوضع الذي كانت عليه حين قامت بعدوانها عام ١٩٦٧.. كما أن هذا القرار يتجاهل تجاهلا تاماً الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ويعتبر القضية الفلسطينية قضية لاجئين، والمستقبل سيقرر إذا كان هذا القرار قد ساهم في احقاق الحق أو أنه في حد ذاته إحدى العقبات الرئيسية لتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية، حيث أنه ومنذ صدور ذلك القرار فإن الولايات المتحدة الأمريكية تشترط على منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف به، كشرط أولي لتعاملها معها.

ورغم ذلك فإن الكيان الصهيوني مازال يجادل في تحديد مدلول ذلك القرار وهل يلزمه بالانسحاب من جميع الأراضي المحتلة أو من بعضها فقط، وكانت حجة ذلك الكيان على غرار أسانيد دارسي التلمود ضرباً من الحرفية غير المعقولة وتغليب المبنى على المعنى فتمسكت بعدم وجود أداة التعريف في كلمة «أراضي» في النص الإنجليزي للقرار، رغم أن مهندس القرار اللورد كارادون الذي كان المندوب الدائم لبريطانيا قد ذكر في مقال له منشور في مجلة الشئون العربية الأمريكية عدد الخريف عام ١٩٨٤ «أن مبدأ اكتساب الأراضي بالقوة، المنصوص عليه في ديباجة القرار مرتبط بالنص الوارد في صلب القرار على الانسحاب من كافة الأراضي المحتلة لا من بعضها دون البعض الآخر».

إن ما آلت إليه القضية الفلسطينية من ضعف وتراجع في المحافل الدولية انما يعكس الأوضاع التي آل إليها العرب.. وإني لأتفق مع ما ورد في مقال للدكتور محمد الفرا، الأمين العام المساعد للجامعة العربية، في مقال له في إحدى الجرائد العربية تحت عنوان: الأمم المتحدة في عيدها الأربعين، نحن والأمم المتحدة أمس واليوم:

«كنت في الأمم المتحدة بعد ثماني سنوات من انشائها.. كانت ما زالت هناك نقمة كبيرة على المنظمة وقراراتها. والنظرة العربية لها كانت لا تخلو من عدم الرضى. وكان تمثيل العرب فيها لا يتعدى سبع دول عربية. وكان العرب يهاجمون المنظمة في كل مناسبة: هي المسئولة عن اقامة اسرائيل.. وهي التي تنكرت لميثاقها.. وهي التي تعمل كأداة لأمريكا ونواياها الخبيثة، وأمريكا سخرتها لانتزاع تراب فلسطين من أهلها الشرعيين.. وتقديمه للحركة الصهيونية لتقيم عليه اسرائيل.

وأخذت دول العالم تحتفل بيوم الأمم المتحدة كل عام، وعقد البرامج للمشاركة في الاحتفال لاذاعتها في الإذاعة والتلفزيون ولتنقل في صحفها. وأخذت تعد كلمات من رؤساء الدول بهذه المناسبة ولهذه المناسبة.

أما الدول العربية فكانت تمتنع عن المشاركة في مثل هذه المهرجانات.

«ومرت الأيام.. وتغيرت النظرة للأمم المتحدة. وقبل العرب قراراتها.. وطالبوا بتنفيذها.. وأصبحت هذه القرارات تكاد تكون مطلباً قومياً.. ورفضت اسرائيل كل القرارات بعد أن استغلتها مدة طويلة لتحقيق أغراضها وتنفيذ ما تريد.. وأخذ العرب يطالبون بتنفيذ هذه القرارات

وأخذت اسرائيل ترفض تنفيذ أي من هذه القرارات » .

« وبعد ..

لم تتغير الأمم المتحدة بالنسبة لتقسيم فلسطين .. ولم يتغير القرار الذي رفضناه ومن أجله عاقبنا الأمم المتحدة بعدم المشاركة في احتفالاتها .. بل إن قراراتها التي نصفق لها اليوم تحمل أقل بكثير من مطالبنا القومية ، وأقل بكثير من ما أقرته المنظمة نفسها عند مقاطعة احتفالاتها .. ولم تتغير نظرتها لنا .. ولا لقضيتنا التي نقول إنها القضية المركزية أوقضية العرب الأولى . انما نحن الذين تغيرنا .. نظرتنا التي تغيرت .. اصرارنا الذي تغير .. ايماننا بامكانية تحرير ترابنا هو الذي تزعزع .. روح النضال التي أخذت بفضل مواقفنا الكثيرة المتباينة .. وبسبب تفكك صفنا هي التي تغيرت .. نظرتنا القومية هي التي تغيرت واستبدلت بنظرة قطرية ضيقة » .

ولا أعتقد أننا نتوقع أن يتغير موقف الأمم المتحدة من قضايانا العربية ما دمنا على ما نحن عليه من تمزق وانقسام وضعف . وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

على أن للمجلس انجازات جزئية في اطار القضية الفلسطينية من الانصاف أن نشير اليها ، وأهمها دور المجلس في المعالجة الفورية للأزمات المستعجلة ومنع خطرها من الانتشار ومن تهديد سلم العالم بأسره ، وانشاء قوات حفظ الأمن التي قامت بدور مشكور ، رغم الصعاب التي تحيط بها والعقبات التي توضع في طريقها .

حق الاعتراض .. أو « الفيتو »

ما كان للموضوع أن يستكمل حقه من الدراسة دون التطرق للحديث عن حق الاعتراض (الفيتو) ، إذ بهذا (الفيتو) تمكنت الدول المتمتعة به قتل الكثير من القرارات ، التي كان يمكن أن تتيح لمجلس الأمن أن يحقق بواسطتها إعادة الاعتبار والثقة له ، وحق الاعتراض تمنحه المادة ٢٧ من الميثاق للدول ذات العضوية الدائمة ، والذي من شأنه أن يحول دون صدور القرار قد أسيء استعماله مرات عديدة من جانب الدول المتمتعة به ، وترتب على ذلك شل فعالية مجلس الأمن بحيث أصبح حق الاعتراض من أهم المشكلات التي تقتضي الدراسة، ولو أن السبيل العملي لتعديل الميثاق بهذا الصدد غير متاح لأن التعديل نفسه عرضة لاستخدام حق الفيتو .. وقد أوضح العلامة هانز مرغنثو في كتابه الشهير « السياسة بين الأمم » عيوب حق الاعتراض ومن بينها (١) أن ذلك الحق يمنع امكانية اتخاذ الأمم المتحدة لأية تدابير جماعية ضد دولة عضو دائم في مجلس الأمن . (٢) نتيجة لذلك فإن سلطة مجلس الأمن في تطبيق أحكام الميثاق التنفيذية قاصرة في الواقع على الدول الصغرى والمتوسطة التي ليست من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن .(٣) أن حق الاعتراض يجعل من الدفاع الجماعي عن النفس طبقاً للمادة ٥١ من الميثاق حبراً على ورق لأنه قل أن يوجد أي نزاع مسلح في هذا العصر لا تكون إحدى الدول الأعضاء الدائمين منحازة لفريق فيه دون فريق .

وكما قال الدكتور حامد سلطان في كتابه : (القانون الدولي العام) « حق الاعتراض لا ينطوي على ضرر دائماً ، بل يكون فيه نفع في بعض الحالات وعلى الظروف التي يستعمل فيها ، ولا يعيب الحق من حيث هو أن يسيء صاحبه استعماله ، ولاشك أنه إذا عادت الدول العظمى إلى ذلك التعاون الرائع الذي قام بينها للفوز بالنصر في الحرب العالمية الثانية ، فإن بناء الأمم المتحدة سيظل قائماً سليم الجوهر يثمر للعالم أطيب الثمار ، أما إن ظلت عوامل التنابذ والتفرق قائمة فلا فائدة من قيام بناء مختل الأساس ، ولا أمل في استتباب السلم والأمن الدوليين » .

النشاط الاقتصادي للأمم المتحدة

لقد تعاصر اهتمام الأمم المتحدة بالأمور الاقتصادية على المستوى العالمي مع نشأة الأمم المتحدة ذاتها ، إذ نص الميثاق في الفصل العاشر منه (المواد من ٦١ إلى ٧٢) على تشكيل « مجلس اجتماعي واقتصادي » يعتبر من الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة .

على أن الاهتمام بالمسائل الاقتصادية ــ وخاصة من زاوية تنمية اقتصاد بلدان العالم الثالث ــ قد ازداد منذ أوائل الستينات حينما أعلنت الجمعية العامة « عقد التنمية الأول » لدفع حركة التنمية الاقتصادية في البلدان النامية خلال الستينات ، واصطحب ذلك بتكتل الدول النامية فيما عرف باسم « مجموعة ال ٧٧ » التي شكلت في عام ١٩٦٤ م من ذلك العدد من الدول والتي يبلغ عدد أعضائها الآن ١٢٨ دولة ، وهدف هذه المجموعة هو الترابط الاقتصادي بين الدول النامية والدفاع عن مصالحها المشتركة إزاء الدول الصناعية المتقدمة .

ثم كانت سنة ١٩٧٤ م من المعالم البارزة في النشاط الاقتصادي للأمم المتحدة ، ففيها عقدت الجمعية العامة دورتها الخاصة السادسة لبحث الوضع الاقتصادي العالمي ، وأسفرت تلك الدورة عن اصدار الاعلان الخاص « بالنظام الاقتصادي الجديد » الذي استهدف أسس العدالة والانصاف والمساواة بين الدول والاعتماد المتبادل بينها سعياً نحو أهداف مشتركة بغض النظر عن وضعها من حيث النمو الاقتصادي أو اختلاف نظمها الاجتماعية والاقتصادية ، كما أصدرت الدورة الخاصة السادسة « برنامج عمل » خاصاً بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد شمل قطاعات الاقتصاد العالمية مثل مشاكل النظام النقدي الدولي وأسعار المواد الأولية ، والتصنيع ونقل التكنولوجيا ، والتعاون بين الدول النامية فيما بينها وازالة العوائق من طريق التبادل التجاري الدولي ، إلى غير ذلك . كما أكد برنامج العمل على حق كل دولة في السيطرة الكاملة على مواردها الطبيعية وثرواتها القومية دون تدخل أوتأثير من أي دولة أخرى .

وخلال عام ١٩٧٤ كذلك أصدرت الدورة العادية للجمعية العامة « ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية » الذي يستهدف وضع أسس وقواعد تحسم العلاقات الاقتصادية العالمية ، مع رسم حدود واضحة لحقوق وواجبات كل دولة عضو في المجتمع الدولي ، ذات مسؤولية مشتركة تجاه باقي دول العالم .

ومن أهم مبادئ هذا الميثاق التأكيد على الحق الكامل لكل دولة في السيطرة الدائمة على ثرواتها الطبيعية داخل حدودها ، وحقها الكامل في تنظيم وتقنين طرق وأسس الاستثمار الأجنبي في بلادها ، بما في ذلك ، حق التأميم ونقل ملكية هذه الاستثمارات الأجنبية ، مع دفع التعويضات المناسبة على هذه الأملاك حسب القوانين المحلية لكل دولة أو أي طرق أخرى عند موافقة جميع الأطراف على ذلك .

وبعد انتهاء عقد التنمية الأول في نهاية الستينات ، أعلنت الجمعية العامة أن السبعينات ستكون «عقد التنمية الثاني» ثم أعلنت أن الثمانينات ستكون « عقد التنمية الثالث » وقد اصطحب اعلان هذين العقدين وضع « استراتيجية دولية للتنمية » الغرض منها هو وضع غايات وتحديد أهداف ورسم وسائل التعجيل بالتنمية الاقتصادية للدول النامية في الفترة من ١٩٨١ ــ ١٩٩٠ يقينا من الأمم المتحدة بأن تنمية تلك الدول بصورة مضطردة أمر ذو حيوية للاقتصاد الدولي وضرورة لاستقرار أمن العالم وسلامته . ومن أهم الأهداف التي تحدد الاستراتيجية الدولية للتنمية في عقد التنمية الثالث :

- ينبغي أن يكون متوسط المعدل السنوي لنمو الناتج المحلي الاجمالي للبلدان النامية ٧ بالمائة .
- ينبغي أن يكون التوسع في الصادرات والواردات من البضائع والخدمات بمعدلات سنوية لا تقل عن ٧,٥ بالمائة و٨ بالمائة .
- ينبغي أن يزداد اجمالي المدخرات بحيث يبلغ ٢٤ بالمائة من الناتج المحلي بحلول عام ١٩٩٠
- زيادة سريعة وكبيرة في المساعدات الانمائية الرسمية التي تقدمها الدول الصناعية المتقدمة إلى الدول النامية ، وذلك بهدف بلوغ الهدف الدولي المتفق عليه وهو ٠,٧ بالمائة من الناتج القومي الاجمالي للبلدان المتقدمة النمو التي تمنح تلك المساعدات .
- ينبغي أن يكون متوسط المعدل السنوي للتوسع في الانتاج الزراعي هو ٤ بالمائة .
- ينبغي أن يكون متوسط المعدل السنوي للتوسع في الانتاج الصناعي هو ٤ بالمائة .
- تهدف الاستراتيجية الانمائية الدولية إلى تحقيق العمالة الكاملة بحلول عام ٢٠٠٠ ، مع



زيادة متوسط عمر الأفراد وتدبير التعليم الالزامي لهم .

وبالاضافة إلى ذلك ، تضع الاستراتيجية تدابير محددة في السياسة العامة للتجارة الدولية والتصنيع والأغذية والزراعة والموارد المالية لأغراض التنمية وتسخر العلم والتكنولوجيا ، والنقل والتعاون وتتخذ تدابير خاصة لأقل البلدان نمواً والبلدان الجزرية النامية والبلدان غير الساحلية .

وبمناسبة مرور عشرة أعوام على اصدار ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية شكلت الجمعية العامة لجنة خاصة لمراجعة وتقييم طرق تنفيذ هذا الميثاق في العلاقات الاقتصادية الدولية ... ولقد أتمت اللجنة أعمالها في شهر ابريل ١٩٨٥ م وأحالت نتائج أعمالها إلى الجمعية العامة للنظر فيها واتخاذ قرارها بشأنها .

هذا ويعتبر ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية ، من أهم الوثائق التي أصدرتها الأمم المتحدة للمحافظة على حقوق الدول النامية وبخاصة الدول الصغيرة في علاقاتها الاقتصادية مع القوى الاقتصادية العالمية .

ورغبة في اخراج النظام الاقتصادي الدولي الجديد من حيز الفكر إلى حيز العمل عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخاصة الحادية عشر في سنة ١٩٨٠ م من أجل البدء في مفاوضات عالمية شاملة بغرض تطبيق مبادئ وأسس النظام الاقتصادي الدولي الجديد ، غير أن تلك المفاوضات تعثرت نظراً لتشبث الدول الغربية ومعها اليابان بمواقفها ، وتعددت المحاولات لاحياء تلك المفاوضات بين الشمال الصناعي المتقدم ، والجنوب السائر في طريق التنمية من غير جدوى ملموسة حتى الآن . ويعود ذلك إلى تعنت دول الشمال وأنانيتها ، وسوف تنظر الجمعية العامة في هذه المسألة من جديد في دورتها هذا العام (١٩٨٥) م. ومع ما هو واضح من أهمية جهود ونشاطات الأمم المتحدة في المجال الاقتصادي إلا أنه يجب الاعتراف بما يحيط هذا القطاع من صعوبات جمة ناجمة عن تضارب المصالح الاقتصادية المباشرة للدول ، وخاصة تلك الدول التي يعطيها النظام الاقتصادي الدولي الراهن مزايا كبيرة قد لا يحققها النظام الجديد ، غير أن هذا الموقف يقوم في الواقع على قصر النظر والتمسك بمزايا وقتية في مواجهة نتائج مستقبلية وخيمة العقبى على الدول كلها غنيها وفقيرها فيما لو استمرت المشكلات المعقدة الحالية دون حل ، ومن أهمها تأثير الركود الاقتصادي على اقتصاد البلدان المتقدمة نفسها على المدى الطويل ، وعلاج الأزمة النقدية العالمية ، وأزمة ديون العالم الثالث ، وضمان أسعار عادلة ومجزية للمواد التي تنتجها الدول النامية ، ثم تنظيم نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة إلى الدول النامية في مجال تصنيع تلك الأخيرة ... وتعتبر هذه المشكلة الأخيرة مثالاً واضحاً على العقبات التي تواجه عمل الأمم المتحدة في المجال الاقتصادي والعراقيل التي تصادف اخراج القرارات إلى حيز التنفيذ ، فقد عقدت الأمم المتحدة في عام ١٩٧٩ م في مدينة فينا مؤتمراً دولياً للعلم والتكنولوجيا لأغراض التنمية وكان من أهم قرارات ذلك المؤتمر قرار بانشاء « صندوق الأمم المتحدة الدائم لتسخير العلم والتكنولوجيا لأغراض التنمية » . وقد تم الاتفاق منذ عامين فقط ــ أي بعد أربع سنوات من اتخاذ القرار ــ على قواعد ووسائل تمويل هذا الصندوق ، ولكن لم يتم انشاؤه حتى الآن نظراً لصعوبة الاتفاق على مقادير التبرعات التي يجب أن تدفعها كل من الدول النامية والدول المتقدمة لهذا الغرض .

الأنشطة القانونية للأمم المتحدة

نقطة الانطلاق في الحديث عن الأنشطة القانونية للأمم المتحدة هي المادة الثالثة عشرة (ب) من الميثاق ، التي تنص على أن من وظائف الجمعية العامة تشجيع التقدم المطرد للقانون الدولي وتدوينه ، وتباشر الجمعية العامة هذا الاختصاص الهام من خلال جهازين من أجهزتها بصفة أساسية ، وعن طريق مؤتمرات دبلوماسية تعقد خصيصاً في مناسبات قليلة .... والجهازان المذكوران هما : لجنة القانون الدولي ولجنة القانون التجاري الدولي .

واللجنة الأولى أقدم عهداً من الثانية التي لم تبدأ نشاطها إلا في عام ١٩٦٨ م .

وتتشكل لجنة القانون الدولي من أفراد تنتخبهم الجمعية العامة ، بصفتهم من فقهاء القانون الدولي العام وليسوا ممثلين للدول التي ينتمون إليها بجنسياتهم ، مع مراعاة التوزيع الجغرافي بصفة عامة ، وتمثيل كافة النظم القانونية . وعدد أعضاء اللجنة حسب التنظيم الحالى أربعة وثلاثون ، وهى تعقد دورة سنوية في جنيف من مايو إلى يوليو كل عام وتعرض تقريرها على الدورة التالية للجمعية العامة في خريف العام نفسه .

وتختص لجنة القانون الدولي بالتطوير التدريجي للقانون الدولي العام ، الذي يحكم علاقات الدول فيما بينها بوصفها دولاً ، وبتدوين ذلك القانون حيث أن معظمه غير مدون بل ترد أحكامه في مصادر شتى بعضها مكتوب كالمعاهدات والاتفاقات الدولية وبعضه الآخر غير مكتوب كالعرف والممارسات التي درجت عليها الدول في معاملة بعضها البعض . وفي قيامها بمهمتها تحت إشراف الجمعية العامة تقوم لجنة القانون الدولي باعداد مشروعات ومعاهدات دولية متعددة الأطراف في الموضوعات التي تقترحها عليها الجمعية العامة أو تتخذ اللجنة المبادرة باقتراحها وتعتمدها الجمعية العامة .

وأحياناً تدعو الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمرات دبلوماسية لبحث تلك المشروعات واعتمادها ، ثم فتح باب التوقيع عليها ، ومن ثم التوقيع والتصديق أصبحت الاتفاقية جزءاً لا يتجزأ من القانون الدولي العام في شكله المطور والمدون .

ومن أهم انجازات لجنة القانون الدولي من هذا القبيل تدوين كامل للقانون الدبلوماسي في اتفاقيات فينا الشهيرة الخاصة بالعلاقات الدبلوماسية وبالعلاقات القنصلية ، ثم بالبعثات الخاصة ، فقد قننت هذه الاتفاقيات الثلاث كل أحكام القانون الدبلوماسي في نصوص جامعة .

ومن تلك الانجازات كذلك اتفاقية فينا الخاصة بقانون المعاهدات التي دونت فيها كافة أحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية من حيث انعقادها ونفاذها وتفسيرها وانقضائها ، وكذلك الاتفاقية الأحدث عهداً الخاصة بالمعاهدات التي تبرم بين إحدى الدول ومنظمة دولية حكومية أو بين اثنتين أو أكثر من تلك المنظمات .

ولا تزال لجنة القانون الدولي ماضية في عملها المشكور ، ومن أهم الموضوعات التي لا تزال مطروحة عليها موضوع الأنهار الدولية في استعمالاتها غير الملاحية ، وموضوع الحصانات القضائية للدول الأجنبية وموضوع المسئولية الدولية .

أما لجنة القانون التجاري الدولي فتختص بالمسائل القانونية المتعلقة بالتجارة الدولية . فهي تعمل في مجال القانون الخاص ــ الذي يحكم ملابسة الأفراد فيما بينهم ــ لا في مجال القانون العام ــ الذي يحكم علاقات الدول فيما بينها . وترجع أهمية هذه اللجنة إلى اعتبار هام هو أن تباين أحكام القوانين الوطنية السارية داخل كل دولة من شأنه ايجاد صعوبات واثارة شبهات متى تجاوزت العلاقات حدود الدولة الواحدة أي متى كان البائع مثلاً مقيماً في دولة معينة والمشتري مقيماً في دولة أخرى كما هو الحال دائماً في التجارة الدولية . وتسعى لجنة القانون التجاري الدولي إلى توحيد القواعد القانونية المنطبقة على شتى أنواع النشاط التجارى الدولى ، بحيث تنطبق تلك القواعد الموحدة وحدها دون القواعد الوطنية المتباينة للدولتين التى ينتمى إليها طرف العلاقة التجارية وذلك لتحاشى الصعوبات الناتجة عن الاختلافات فى أحكام القوانين الوطنية المتعددة .

وخلافاً للجنة القانون الدولي المشكلة من أفراد من الفقهاء ، فان لجنة القانون التجاري الدولي مشكلة من ممثلين للدول الأعضاء أي أن عضوية اللجنة هى للدول التى توفد بالطبع ممثلين مشهودا لهم بالمعرفة فى القانون التجارى الدولي . وتعقد هذه اللجنة دورة سنوية ، كما قد يكون لها اجتماعات أخرى لفرق ، أو لجان فرعية ، ويعرض تقرير اللجنة على الدورة السنوية للجمعية العامة . ومن أهم انجازات لجنة القانون التجارى الدولى الاتفاقية الخاصة بعقود البيع الدولى للسلع والاتفاقية

الخاصة بالتوفيق والتحكيم في المنازعات التجارية . ولاتزال اللجنة تواصل عملها ، ومن أهم ماهو مطروح عليها الآن تقنين قواعد النظام الاقتصادى الدولي الجديد ، وتوحيد أحكام السندات الاذنية في العلاقات التي تتجاوز حدود الدولة الواحدة .

ولعل أهم انجاز قانوني للأمم المتحدة تم عن طريق مؤتمر خاص وليس عن طريق أي من الجهازين سالفي الذكر « اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار » التي استغرق اعدادها عدة سنوات من العمل المستمر والجهد الصادق ، وتعتبر تلك الاتفاقية فتحاً جديداً في مجال التعاون الدولي وتحتوي على تجديدات في القانون الدولي العام ، لعل أجدرها بالذكر اعتبار ثروات قيعان البحار ملكاً مشتركاً لدول العالم كله تستغل عن طريق (السلطة) التي أنشأتها الاتفاقية ، ويعود مردودها على كافة الدول لا على الدول الصناعية المتقدمة القادرة بإمكاناتها الخاصة على استغلال تلك الثروات دون غيرها من الدول . وقد قامت دولة قطر بالتوقيع على اتفاقية قانون البحار في ٢٧/نوفمبر/١٩٨٤ م وبذلك بلغ عدد الدول الموقعة عليها إحدى وثلاثين دولة . ومن المأمول أن يتم التصديق على الاتفاقية قريباً من عدد كاف من الدول التي وقعت عليها ، وبذلك تدخل هذه الاتفاقية الهامة حيز النفاذ .

وإذا ذكرت الأنشطة القانونية للأمم المتحدة فلابد من الاشارة إلى دور الأمين العام كوديع للمعاهدات والاتفاقيات الدولية طبقاً للمادة ١٠٢ من الميثاق . وتقوم الأمانة العامة بنشر تلك المعاهدات تباعاً في « سلسلة المعاهدات » التي صدر منها حتى الآن أكثر من ألف مجلد ، وهي تعتبر مرجعاً لاغنى عنه لكل المشتغلين بالقانون الدولي وبالعلاقة الدولية . وفي مجال النشر تصدر الأمم المتحدة كذلك « الكتاب السنوي القانوني » و « حولية لجنة القانون الدولي » و « حولية لجنة القانون التجاري الدولي » و « سلسلة قرارات التحكيم الدولية » و « السلسلة التشريعية » التي يختص كل منها بموضوع معين . وكل هذه المنشورات مراجع قيمة لاغنى عنها للباحث .

وللأمم المتحدة أيضاً برنامج يسمى « برنامج الأمم المتحدة للتعريف بالقانون الدولي والتوسع في تدريسه وتقديره العلمي » ويتضمن ندوات سنوية وفترات من التدريب العملية يستفيد منها بصفة خاصة أبناء البلدان النامية من العاملين في حقل القانون الدولي .

وأخيراً لابد من الاشارة العابرة إلى محكمة العدل الدولية التي هي الجهاز الرئيسي للأمم المتحدة ، وتقوم بدور لاتخفى أهميته في حل

المنازعات القانونية بين الدول طبقاً لأحكام القانون الدولي العام الذى تعتبر المحكمة الأمين على تطبيقه والساهر على احترامه في التنظيم الدولي المعاصر .

الأمم المتحدة ونزع السلاح

كان طبيعياً وقد قامت الأمم المتحدة في الأصل بغية « انقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب » أن يكون نزع السلاح ـ أوعلى الأقل وقف سباق التسلح ـ على رأس القضايا التي تهتم بها المنظمة ، رغم علم الجميع بأن المسئولية الأولى في سباق التسلح تقع على الدول نفسها ، ولا يمكن احراز أي تقدم نحو نزع السلاح مالم تبرهن الدول على ارادة سياسية كافية لتحقيق نتائج ايجابية

وقد عقدت الجمعية العامة دورة استثنائية في عام ١٩٧٨ خصصتها لنزع السلاح صدرت عنها وثيقة ختامية أكدت أن للأمم المتحدة دوراً رئيسياً حول مفهوم ذلك « الدور الرئيسي » الذي للأمم المتحدة ، وتحديد الوسائل العملية التي تستطيع بها المنظمة القيام بتلك المسئولية الأساسية .

والواقع الملموس أن وقف سباق التسلح النووي بصفة خاصة قد أصبح قضية محصورة فيما بين القوتين العظميين وتدور المفاوضات حولها ـ إن دارت ـ خارج نطاق الأمم المتحدة فيما بين أصحاب الشأن مباشرة،ولكن الأمم المتحدة سعياً منها إلى تأمين جو النجاح وإمكانات التوصل إلى اتفاق قد طالبت بوضع اجراءات لتدعيم الثقة بين الدول الكبرى من خلال الرقابة الدولية للتحقق من خطوات نزع السلاح وحث الدولتين العظميين على استئناف المفاوضات بشأن الأسلحة النووية . وسوف يعقد هذا العام ١٩٨٥ مؤتمر دولي (هو الثالث من نوعه) تحت رعاية الأمم المتحدة لاستعراض ما تم من اجراءات تنفيذية لاتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية (وهي التي كان للأمم المتحدة فضل وضع نصوصها ، والدعوة إلى الانضمام إليها) والأمم المتحدة في ذلك تنطلق من واقع ادراك دول العالم قاطبة لكون وقف سباق التسلح ـ نووياً كان أم تقليدياً ـ أمرا يهم الدول كلها كبيرها وصغيرها وليس من الشئون الخاصة بالدولتين العظميين أوالدول الكبرى دون سواها .

ولسباق التسلح جانب آخر غير تهديد السلم والأمن الدوليين ألا وهو تأثيره السيء على التنمية الاقتصادية للدول النامية ، وهذا الترابط بين قضية التنمية وقضية نزع السلاح كان ولا يزال من اهتمامات الأمم المتحدة ذات الأولوية ، وقلما تخلو دورة للجمعية العامة من قرار يصدر بهذا الشأن ، ولا يقتصر الأمر على تبديد موارد الدول الصناعية المتقدمة على التسابق في التسليح مما يؤثر على قدرتها على تقديم العون الاقتصادي للدول النامية ، بل أن الدول النامية نفسها لم تسلم من شرور سباق التسلح ، إذ تجد نفسها مدفوعة إلى الانفاق العسكري المتزايد مستهلكة في ذلك مواردها المحدودة التي هي في مسيس الحاجة اليها من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية لشعوبها المتطلعة إلى حياة أفضل . وتبذل الأمم المتحدة مايمكنها بذله من جهود من أجل معالجة هذا الجانب من جوانب قضية نزع السلاح ووقف سباق التسلح .

والواقع أنه لا مهرب من الحقيقة المرة وهي أن سباق التسلح لن يقف ، ونزع السلاح لن يتحقق إلا إذا نجحت المنظمة في اقامة نظام عالمي جديد على أساس الأمن الجماعي وتسوية المنازعات بالطرق السلمية ، وهو الهدف الذي داعب آمال شعوب العالم عند صدور الميثاق ، وقد مضت على ذلك أربعون سنة ولم ينفذ بعد نظام الأمن الجماعي الذي نص عليه الميثاق ، وما ذلك إلا بسبب الهوة التي تفصل بين الواقع السياسي وبين المثل العليا التي قامت عليها منظمة الأمم المتحدة

وبعد ...

إن لمرور أربعين سنة مغزى كبيراً في المفهوم الثقافي العربي ، فقد وصف القرآن الكريم سن الأربعين بأنها سن النضج والاكتمال للفرد (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) ـ الأحقاف السورة٤٦ الآية ١٥ . وما أجدر أن يكون كذلك بالنسبة للتجمعات الانسانية وعلى رأسها المنظمة العالمية فيكون انقضاء أربعين سنة على انشائها بشيراً بتجاوزها مرحلة النمو ، بما يصاحبها من كبوات ، وبدخولها في مرحلة النضوج والاكتمال بما تتطلبه من حفز الجهود ، وتقوية العزائم ، على علاج النقائص وتقوية الايجابيات انطلاقاً نحو ترجمة مبادئ الميثاق إلى حقائق تحياها شعوب العالم في ظل السلام والرفاهية والتقدم .

لقد نجحت الأمم المتحدة بتجنيب العالم ويلات حرب عالمية ثالثة أربعين عاماً ، بينما لم ينقض بين الحربين الأولى والثانية إلا نصف تلك المدة وهذا في ذاته انجاز يحق للأمم المتحدة أن تعتز به ، والواقع الذي سيسجله تاريخ البشرية ، أن انشاء الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وبرامجها العالمية واستمرار ذلك كله طوال أربعين عاماً هو حدث لا سابقة له في التاريخ ، وهو بداية موفقة لتنظيم عالمي شامل لم ير العالم مثيلاً له من قبل ، ويعتبر وجوده بداية مرحلة جديدة في تاريخ الشعوب تنتقل بها من عصر السيادات الوطنية المتصارعة إلى عصر المجتمع الدولي الذي يتعايش أفراده من الدول ويتعاونون في اطار تنظيم هيكلي يضمهم جميعاً ، ويحفز على تقوية تضامنهم وتعاونهم وشعورهم بالانتماء إلى مجتمع واحد مشترك لكل منهم فيه نصيبه العادل ، ولعل أكبر التحديات التي تواجهها الأمم المتحدة في قابل أيامها هو تقوية ذلك الإطار التنظيمي للمجتمع الدولي بما يزيد من شعور الانتماء ويقلل من النوازع الانفرادية للدول الأعضاء بحيث يسير عالمنا قدماً نحو مستقبل من الخير والبركة والنماء والتقدم لجميع شعوب العالم في رحاب مجتمع أفراده الدول ولديه من الهياكل الأساسية ومن البنيات التنظيمية ومن الوسائل التنفيذية ما يكفل له البقاء والنماء ويضمن لشعوب العالم الأمن والسلم والرخاء .

حمد عبدالعزيز الكواري

مندوب قطر الدائم في هيئة الأمم المتحدة

بعد بلادة الواقعية وتعتيم الغموض

العودة إلى .. رومانسية القلب الواعية!

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

بعد أن أخرج من زحمة المدارس الأدبية من كلاسيكية ورومانسية وواقعية وسريالية ، وهي مدارس واتجاهات أدبية يعيشها المرء بحكم الحرفة الأكاديمية والهواية النقدية .. بعد أن أخرج من زحمة هذه المدارس وفلسفتها وعلومها الكلامية ، وحروبها النقدية ، بكل ما تخلفه في الذهن والنفس من ضجيج متفلسف ومتفنن ، يخالجني الشوق ـ من أجل استعادة صفاء النفس ـ إلى ترديد أبيات بسيطة .. (وساذجة جداً في عرف المدارس الوقورة المذكورة أعلاه) .. مثل قول الشاعر العربي القديم :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

ومثل قول الآخر :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادي القرى .. إني إذن لسعيد

وكقول جبران :

أعطني الناي وغن
فالغنا سر الخلود
وأنين الناي يبقى
بعد أن يفنى الوجود

أو قول أبو القاسم الشابي :

اهدئي يا جراح
واهدئي يا شجون
راح عهد النواح
وزمان الجنون
وأطل الصباح
من وراء القرون !

مثل هذه الأبيات وما ينحو منحاها في البساطة والحديث المباشر إلى القلب الإنساني والشعور الإنساني الطفل ، هي التي تستطيع أن تبقى على الزمن ، وأن تخرج منتصرة بعد سيادة مدرسة أدبية وأخرى ، أو بعد انحسار جميع المذاهب الأدبية ، لتقول للمتأدبين المتحذلقين :

فقل لمن يدعي في العلم معرفة
عرفت شيئاً .. وغابت عنك أشياء !

ولكنها .. الرومانسية !

لكن ، لو أردنا العودة إلى لغة المسميات والمصطلحات ، لاكتشفنا أن هذا المنحى الشعوري الوجداني البسيط هو الذي يطلق عليه « الرومانسية » أو « الرومنطيقية » ، وأن جبران والشابي ، اللذين استشهدنا بشعرهما قبل قليل هما من أقطاب هذه المدرسة في أدبنا العربي .

هذه النزعة الرومانسية ـ ولنسمها نزعة أو منحى لتجنب تقسيمات المدارس والمذاهب المغلقة ـ هي النزعة الشعرية الأدبية القادرة على التجدد في عصور كثيرة ، وتلبية احتياجات القلب الانساني والعودة به إلى نقائه الوجداني وصفائه الشعوري ، كلما ألمت به تعقيدات الحضارة ، أو فذلكات الفلسفة ، أو جفاف العلم المختبري ، أو أسلاك التكنولوجيا الشائكة أو تلوث البيئة أو اضطراب البورصة وتدهور سعر الأسهم !

• • •

الرومانسية احتاج لها الإنسان في عصر الكهوف ، واحتاجها بعد الثورة الصناعية وغربة المدن الكبرى ، وسيحتاج لها اليوم وغداً عندما تحيط به النفايات النووية في العالم الأول أو العالم الثالث على حد سواء ، فيسارع إلى قيثارته الشعرية ليقول شيئاً بسيطاً جداً وعميقاً جداً ضد إثم



الكاتبة الفرنسية
كاترين ريهوا

● سيحتاج الإنسان إلى الرومانسية عندما تحيط به النفايات النووية !

● كاتبة فرنسية تقول : التكنولوجيا ألغت القلب .. لم نعد ندري .. أنحن نركب السيارة .. أم السيارة هي التي تقودنا ؟!

الحضارة والتمدن والتعقيد الذي ظل يطارده منذ خرج من الكهف .. إلى أن وصل القمر !

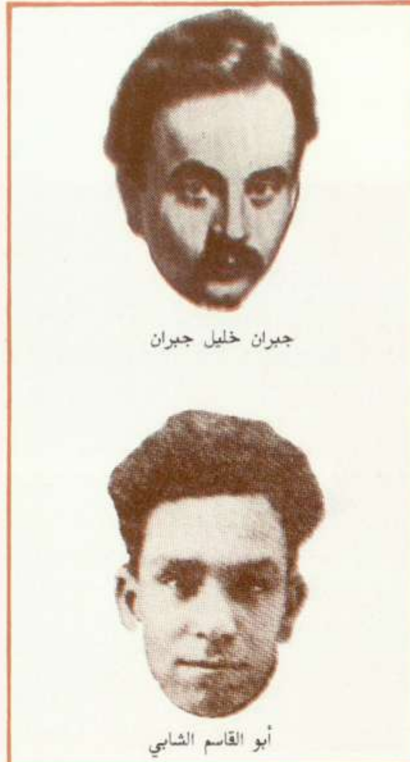
• • •

لذلك لم أستغرب عندما لاحظت هذا الصيف بباريس الترحيب الحار الذي يقابل به القراء ودور النشر روايات الكاتبة الفرنسية « كاترين ريهوا » في ذلك الجو الأدبي الفرنسي المشبع بالوجودية والسريالية والواقعية الجديدة ومختلف المدارس الأدبية التي صدرتها فرنسا إلى العالم ، وحيث الرومانسية تصنف تاريخياً كمدرسة تجاوزها الزمن ..

هناك في قلب أوربا التي تعيش عصر ما بعد الثورة التكنولوجية اكتشف الإنسان أنه بحاجة من جديد إلى شئ من الرومانسية !

وهذا ما تمثله ظاهرة الروائية « كاترين ريهوا » التي تقول :

« يجب رد الاعتبار إلى القلب (في وجه العقل الجاف والتكنولوجيا) وتضيف : هدفي إعلان الحب على الإنسان (بدل الحرب) وشعاري : العالم هو القلب ! ».



جبران خليل جبران

أبو القاسم الشابي

ولأن رواياتها التي تترجم إلى لغات عدة ، ستأخذ بعض الوقت للوصول إلى المكتبة العربية ، فإن في أقوالها وأحاديثها المباشرة ما يجسد باختصار هذه النزعة الجديدة أو القديمة المتجددة .

هكذا تتكلم كاترين ريهوا : « التكنولوجيا ألغت القلب . لم نعد ندري أنحن نركب السيارة أم السيارة هي التي تقودنا ، وتحدد اتجاهنا . هل بقي مكان فوق سطح القمر لأحلامنا بعد أن تكاثرت عليه المركبات الفضائية ؟ يقولون ان أجيال المستقبل ستكون أطفال أنابيب .. إنهم يجهلون أن جيلنا أيضاً من أطفال الأنابيب . جلدنا بفضل التكنولوجيا صار رداء حديدياً . الوصول إلى الكواكب شئ رائع . فكل المسافات سقطت بفضل العلم .. كل المسافات إلا المسافة بين الإنسان والإنسان ! »

الأرض .. لم تعد كروية

وتضيف : « الكرة الأرضية لم تعد كروية . صارت غرفة مربعة بمقاعد خشبية وكتب مهملة وعيون نصف مغلقة وعقول مغلقة تماماً وتلفزيون متواصل البث يدعونا للتكيف مع الانهيار . كل ما أفعله في كتاباتي هو محاولة تدمير الجدران

العــودة إلى ..
رومانسيّة القلب الواعيـة !

الأربعة في الغرفة المربعة واعادة الأرض إلى شكلها الكروي . والتأكيد على أن قلبي لم يعد جهازاً ثانوياً في جسم ثانوي »

وتعود إلى الارث الرومانسي الأول عندما تعيد إلى ذاكرة العالم ، هذا المأخذ : « العقل منذ ديكارت يعطي للبربرية كل مبرراتها، يجب أن نقتل الآن حتى لا يقتلنا أحد غداً ، يجب أن نضع رؤوسنا في حبل المشنقة حتى لا يظل الجلاد عاطلاً عن العمل ، وتتفشى البطالة ! .. هذه هي واقعية العالم الجديدة . العقل يجب أن ينتهي إذا كان دوره يقتصر على تحطيم الخيال (الخيال هنا بمعنى الرؤية البعيدة النافذة لعمق الأشياء وكبديل لتعريفاتها العقلية المحددة الضيقة) . وعلينا أن نثبت أن القلب بامكانه أن يغير وجه العالم .. » .

تحطيم الوجودية

وفي التفاتة أخرى لتحطيم وجودية سارتر القائلة « الجحيم هم الآخرون » تقول ريهوا : « لو سكن كل منا الآخر لألغينا على الفور الجحيم في هذا العالم » .

والرومانسية الجديدة تدرك بأنه لا يمكن الاستغناء عن المنهج العقلي والعلمي في حياة العصر ، لذلك تقول ريهوا : « إن هدفي ببساطة أن تتكيف التكنولوجيا مع الإنسان ، لا الإنسان مع التكنولوجيا . أعرف أنني أبدو أفلاطونية بهذا القول ، لكن هل من حل آخر ؟ » .

كلام .. يطفىء الشمس

وتسخر من « واقعية » الاعلام المعاصر قائلة : « بدلاً من سلة الخبز التي تعود بها ربة البيت إلى المنزل نجد سلة مليئة بالجرائد . كلام يطفىء بداخلك آخر أصابع الشمس . لا تحاول أن تفتح الجرائد على مصراعيها ، على الأقل حتى لا تفاجأ بقنبلة ما تستقر في وجهك » .

أخيراً تسجل شهادتها النهائية : « لا أحد يملك عصا موسى الآن . لكن الكثيرين يملكون البنادق . شاهدت صوراً من كمبوديا لأحد الأدغال التي اكتشفوا بها حقلاً للجماجم البشرية . لم تكن الجماجم ميتة قط، فقد نبت فيها العشب وبعضها تحول إلى أوان للأزهار بكل معنى الكلمة . إذن هذه الجمجمة التي لا تزال عالقة حتى الآن — ويا للعجب — فوق أكتافنا يمكن أن تكون مكاناً لغابات البنفسج » .

• • •

هذه الرومانسية الجديدة ، كما يتضح ، ليست رومانسية كئيبة منزوية . إنها رومانسية انتقادية ساخرة استوعبت حقائق العالم ، ثم قررت أن تعيده إلى مملكة القلب . أي مملكة الوجدان والايمان .

.. وغارودي يقف هنا أيضا !

وكاترين ريهوا ، بموقفها القلبي الايماني الرومانسي الرافض للعقل المادي المختبري الذي يقدس التكنولوجيا ، تلتقي إلى حد كبير مع الموقف الايماني والروحاني للمفكر الفرنسي المسلم رجاء غارودي الذي اتخذ في كتابه « كيف أصبح الإنسان إنساناً » — وذلك قبل أن يسلم رسميا — النظرة ذاتها تجاه مادية الاستهلاكية الغربية من رأسمالية وماركسية — وقيم حضارات الإنسان من حيث جوهرها الروحي والصوفي والايماني أي من حيث هي ممالك للقلب ومحبة الإنسان لا من حيث هي أسواق ومصانع وغزوات واختراعات للدمار .

تحويل العالم إلى .. شعر

الرومانسية الجديدة ، كاترين ريهوا وغيرها، ماذا تعني لنا أدبياً ؟؟ .. تعني ألا نكرر مع التقنية والمادية والاستهلاكية ما وقع فيه الغرب . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى أن نتجاوز مدرسة الغموض والرموز العمياء في شعرنا الجديد بالعودة إلى رومانسية القلب الواعية .

فهذا النوع من الرومانسية المستوعبة لواقع العالم والقادرة على تحويله مرة أخرى إلى شعر ، قد تمثل في أدبنا العربي القفزة المنتظرة فوق بلادة الواقعية الرتيبة التي انتهت إلى واقعية .. مضادة تتسلح بكهنوت الغموض المظلم ..

« واعطني الناي وغن
فالغنا سر الوجود ! ! »

محمد جابر الانصاري

● الرومانسـية الجديـدة تـدرك بأنـه لا يمكـن الاسـتغناء عن المنهـج العقـلي في حيـاة العصـر !

● السخريـة من واقعيـة الإعـلام المعـاصر والدعـوة إلى مملكـة الوجـدان والإيـمـان !

حواريـــة

شعر: محمد إبراهيم أبو سنّة

كانت ترقبني ..
.. ترسل مخلبَ عينيها
يتحسس أعضائـي
كانت تعرف أن دمـائي
تصرخ في منحنيات عروقي
تتسكع في أجزائي
باحثةً عن ثقب يدخل منه النور إلى قلبي
كي ترحل آلاف الأحلام
بآلاف الأجنحة
إلى زمن آخر
لتقيمَ بأعلى جبل في الجزء القطبي من العالم
....
عيناي تجوَّلتا
.. حول المائدة الخاوية الباردة الأطباق
يتساقط منها بعض شعاع
من إشفاق
عيناي دموع وأشعّـه
....
كانت تسألني
ـ هل تعشق أخرى ؟
ـ مالــي والعشق
ـ عيناك الهائمتان تقولان
بأنك تخفي أسرارا ؟
ـ أخفــي نفســيَ عن نفسي
فأنا أنقل أحجار الأيام
صبحا ومساء
هذا حجرٌ للذكرى
تنتفض عليه نقوش الأحلام
تتراقص في صفحته
« غزلان مذبوحه »
هذا حجر القلب الأول
يمشــي تتناثر منه تجاعيد الشيخوخه
هذا حجر الأصحاب القدماء
يأخذني لسراب الصحراء

ـ أنت تضللنــي
ما معنى هذى الأحجار الكاذبة الخرساء ؟
أنت تحب امرأةً أخرى
ـ ياسيدتي
لا يشغلني الآن العشق
ـ ما يشغلك سواى ؟
ـ يشغلني العتق
تشغلني الأحجار
فأنا أبني هرماً للأسرار
وأراوغ هذا الزمنَ الدوار
أن يمهلَني حتى أبني للجسد المنهار
قبراً يرقد فيه الإعصار
ـ أنت تراوغني
هل ذَبلَ جمالي ؟
ـ لست سوى صعلوك يملك مملكةً
يوشك أن يخلَعَ عنه التاج
ياسيدتي
لست سوى محتاج
لقليل من ضوء الشمس
لهواء يقبل من ناحية البحر
لفضاء يأخذ أجنحتي
يلقيني في الجزء القطبيّ من العالم
يا سيدتي
لا يشغلني الآن العشق
يشغلني في عصر الأحجار
الأحجار
الأحجار
أن يصعد قمرٌ من قلب الأشجار
فأمد إليه عيونــي
يتسارع في قلبــي الخفق
لا يشغلنــي الآن العشق
يشغلني
ياسيدتي
« العتق » !

تطبيق الشريعة وحقوق الأقليات

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

من مظاهر الصحوة الاسلامية المعاصرة فى العالم الاسلامى ، ارتفاع أصوات الجماهير منادية بضرورة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، واحلالها محل القوانين الوضعية المستوردة ، ويكاد يكون هذا مطلبا اجماعيا ، التقت على المناداة به شتى الطبقات . فلم يعد مطلب علماء الدين وحدهم ولا الجماعات الدينية وحدها بل هو مطلب الشعوب المسلمة التى تريد به تحقيق وجودها الاسلامى ، و التحرر من كل رواسب الاستعمار الغربى والاستجابة لداعى الله ، والاذعان لأمره وحكمه ، بمقتضى عقد الايمان والاسلام « وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

ولقد كان من ضغط الشارع المسلم ، وتأثير الرأى العام الاسلامى الكاسح ، أن رأينا بعض العلمانيين يتراجعون ـ ظاهرا على الأقل ـ ويعلنون فى صراحة : إننا لانرفض شريعة الله ولكن نرفض التفسيرات الخاطئة لها ، أو نرفض العجلة فى تطبيقها دون اعداد كاف لتقديم البدائل ، ولا تهيئة للإطارات البشرية القادرة على قيادة المسيرة المرتقبة بقوة وأمانة .

ومعنى هذا أن الجميع غدوا يؤمنون (مبدئيا) بوجوب تحكيم الشريعة وانما البحث فى الكيفيات أو الاجراءات . وهذا تقدم كبير بالنسبة لما كان عليه الحال قبل نصف قرن مضى .

بيد أن هناك شبهات أو اعتراضات يثيرها بعض الناس ، ينبغى أن يتصدى لها أهل الفكر بالرد ، احقاقا للحق ، وتصحيحا للمفاهيم .

ومن أبرز الشبهات التى يثيرها أعداء الاتجاه الاسلامى كلما نادى مناد بحتمية الحل الاسلامى وبوجوب العودة الى نظام الاسلام وأحكام الاسلام : ان فى البلاد الإسلامية أقليات لاتدين بالاسلام ، ففى البلاد العربية ـ مثلا ـ توجد أقليات مسيحية أورثوذكسية أوكاثوليكية ، وربما بروتستانتيه ، .. كما يوجد بعض اليهود فى بعض الأقطار .

فكيف يقبل هؤلاء « الحل الاسلامى » وهو يستمد أحكامه من دين لايؤمنون به ، ولايرتضونه حكما فى شئون حياتهم ؟ وكيف يرغم هؤلاء على أمر يخالف دينهم ؟ وهذا ينافى مبدأ « الحرية » الذى قرره إعلان حقوق الانسان كما ينافى مبدأ « عدم الاكراه » الذى قرره الاسلام نفسه منذ أربعة عشر قرنا حين قال : « لا إكراه فى الدين »

لهذا يكون الأولى أن يحكم المواطنون جميعا حكما علمانيا ، يستوى فيه أهل الأديان جميعا ، ولامجال فيه لطائفية ولاعصبية دينية كما هو مفهوم الدولة الحديثة ، فالدين لله والوطن للجميع .

هذه هى شبهة القوم حول الأقليات غير المسلمة فى المجتمع الاسلامى ، وهى شبهة واهية ، بل باطلة . كما سنبين ذلك فيما يلى : ـ

الحل الاسلامى ومبدأ الحرية

أما دعواهم : أن الاتجاه الى الحل الاسلامى والشرع الاسلامى ينافي مبدأ الحرية لغير المسلمين وهو مبدأ مقرر دوليا واسلاميا ، فقد نسوا أو تناسوا أمرا أهم وأخطر ، وهو أن الإعراض عن الشرع الاسلامى والحل الاسلامى من أجل غير

المسلمين — وهم أقلية — ينافي مبدأ الحرية للمسلمين في العمل بما يوجبه عليهم دينهم وهم أكثرية .
واذا تعارض حق الأقلية وحق الأكثرية فأيهما نقدم ؟
إن منطق الديمقراطية — التي يؤمنون بها ويدعون اليها — أن يقدم حق الأكثرية على حق الأقلية .
هذا هو السائد في كل أقطار الدنيا ، فليس هناك نظام يرضى عنه كل الناس فالناس خلقوا متفاوتين مختلفين . وانما بحسب نظام ما ، أن ينال قبول الأكثرين ورضاهم ، بشرط ألا يحيف على الأقلين ويظلمهم ويعتدى على حرماتهم . وليس على أهل الأديان الأخرى بأس ولاحرج أن يتنازلوا عن حقهم لمواطنيهم المسلمين ليحكموا أنفسهم بدينهم : وينفذوا شريعة ربهم حتى يرضى الله عنهم ولايكونوا من الفاسقين أو الظالمين أو الكافرين ، اذا لم يحكموا بما أنزل الله كما قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. فأولئك هم الظالمون .. فأولئك هم الفاسقون » . سورة المائدة .
ولو لم تفعل الأقلية الدينية ذلك ، وتمسكت بأن تنبذ الأكثرية ماتعتقده دينا يعاقب الله على تركه بالنار ، لكان معنى هذا أن تفرض الأقلية دكتاتورية على الأكثرية .

الحكم الاسلامي والحكم العلماني

● وهذا على تسليمنا بأن هناك تعارضا بين حق الأكثرية المسلمة : وحق الأقلية غير المسلمة .
والواقع أنه لاتعارض بينهما .
فغير المسلم الذي يقبل أن يحكم حكما علمانيا لادينيا ، لايضيره أن يحكم حكما اسلاميا .
بل الكتابي الذي يفهم دينه ويحرص عليه حقيقة ينبغي أن يرحب بحكم الاسلام ، لأنه حكم يقوم على الإيمان بالله ورسالات السماء ، والجزاء في الآخرة كما يقوم على تثبيت القيم الايمانية ، والمثل الاخلاقية ، التي دعا اليها الأنبياء جميعا ، ثم هو يحترم المسيح وأمه والانجيل ، وينظر الى أهل الكتاب نظرة خاصة ، فكيف يكون هذا الحكم — بطابعه الرباني الاخلاقي الانساني — مصدر خوف أو إزعاج لصاحب دين يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر ؟ على حين لايزعجه حكم لاديني « علماني » يحتقر الأديان جميعا ، ولايسمح بوجودها — ان سمح — الا في ركن ضيق من أركان الحياة ؟ !
من الخير للكتابي المخلص أن يقبل حكم الاسلام ونظامه للحياة ، فيأخذه على أنه نظام وقانون ككل القوانين والأنظمة ، ويأخذه المسلم على أنه دين يرضى به ربه ، ويتقرب اليه .
ومن الخير لأهل الكتاب - كما قال الاستاذ حسن الهضيبي رحمه الله : — أن يأخذه المسلمون على أنه دين ، لأن هذه الفكرة تعصمهم من الزلل في تنفيذه ، وعين الله الساهرة ترقبهم ، لارهبة الحاكم التي يمكن التخلص منها في كثير من الأحيان (١) .
ومن هنا رحب العقلاء الواسعو الأفق من أهل الكتاب بالنظام الاسلامي بوصفه السد المنيع في وجه المادية الملحدة التي تهدد الديانات كلها ، على يد الشيوعية العالمية كما سنذكر شيئا من ذلك من كلام العلامة فارس الخوري .

الحكم الاسلامي لايرغم أهل الكتاب على أمر يخالف دينهم

● والادعاء بأن سيادة النظام الاسلامي فيه إرغام لغير المسلمين على مايخالف دينهم ، ادعاء غير صحيح .
فالاسلام ذو شعب أربع : عقيدة ، وعبادة ، وأخلاق ، وشريعة . فأما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الاسلام على أحد .
وفي ذلك نزلت آيتان صريحتان حاسمتان من كتاب الله : احداهما مكية والأخرى مدنية .
في الأولى يقول تعالى مخاطبا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :
« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٢) .
وفي الثانية يقول سبحانه في أسلوب جازم « لااكراه في الدين » (٣) .
وقد نزلت هذه الآية في شأن رجال من الأنصار كان لهم أبناء على الديانة اليهودية أو النصرانية ، فأرادوا أن يجبروهم على تغيير دينهم الى الاسلام ، فنزلت الآية قاطعة مانعة « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » . (٣) .
وجاء عن الصحابة في أهل الذمة : اتركوهم ومايدينون .

● الأخلاق - في أصولها - لاتختلف بين الأديان السماوية ، فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والإحسان

● أطلق الإسلام على اليهود والنصارى : أهل الكتاب ، أهل الذمّة

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم ، في حرية وأمان ، كما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد أبي بكر وعمر ، مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل ايلياء « القدس » .
ومن شدة حساسية الاسلام أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين ، لما لهما من صبغة دينية . باعتبارهما من عبادات الاسلام الكبرى — مع أن الزكاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية وكلفهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرؤوس ، أعفى منها النساء والاطفال والفقراء والعاجزين وهي ماسمي « الجزية » .
ولئن كان بعض الناس يأنف من اطلاق هذا الاسم ، فليسموه مايشاءون . فان نصارى بني تغلب من العرب طلبوا من عمر أن يدفعوا مثل المسلمين صدقة مضاعفة ولايدفعوا هذه الجزية وقبل منهم عمر ، وعقد معهم صلحا على ذلك ، وقال في ذلك : هؤلاء القوم حمقى ، رضوا بالمعنى ، وأبوا الاسم ! (٤) .
أما الأخلاق فهي — في أصولها — لاتختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض ، فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والاحسان والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء ، والتعاون على الخير (إلا ماوضعه اليهود في شريعة « التلمود » الخارجة على الأديان والأخلاق جميعا) .
فالزنا — مثلا — محرم في هذه الديانات كلها . والمسيح يقول : من نظر بعينه فقد زنا ؛ والرسول يقول : العينان تزنيان وزناهما النظر : واليدان تزنيان وزناهما البطش .. الخ . والظلم والغش ، وأكل مال اليتيم ، والقسوة على الضعفاء . وغير ذلك من الرذائل ، تحرمها كل الأديان .
بقيت شعبة الشريعة بالمعنى الخاص : معنى القانون الذي ينظم علائق الناس بعضهم ببعض ، علاقة الفرد بأمته وعلاقته بالمجتمع ، وعلاقته بالدولة ، وعلاقة الدولة بالرعية وبالدول الأخرى .
فأما العلاقات الأسرية فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك ، فهم مخيرون بين الاحتكام الى دينهم والاحتكام الى شرعنا . ولايجبرون على شرع الاسلام باعتبار هذه « الأحوال الشخصية » كما تسمى مما له علاقة مباشرة بالدين ومساس به وقد أمرنا بتركهم ومايدينون « لااكراه في الدين » فمن اختار منهم نظام الاسلام في المواريث مثلا كما في بعض البلاد العربية فله ذلك ، ومن لم يرد فهو ومايختار .
وأما ماعدا ذلك من التشريعات المدنية والتجارية والادارية ونحوها فشأنهم في ذلك كشأنهم في أية تشريعات أخرى تقتبس من الغرب أو الشرق ، وترتضيها الأغلبية .
وفي العقوبات قرر الفقهاء : أن الحدود لاتقام عليهم الا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنى (٥) ، لا فيما يعتقدون حله كشرب الخمر .
ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون اليها ان شاءوا والا — لجأوا الى القضاء

تطبيق الشريعة وحقوق الأقليّات



الاسلامى ، كما سجل ذلك التاريخ .

يقول المؤرخ الغربى (آدم متز) فى كتابه عن «الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى» :

«لما كان الشرع الاسلامي خاصا بالمسلمين فقد خلت الدولة الاسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم . والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم أنه كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا ، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون . ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل ـ الى جانب ذلك ـ مسائل الميراث وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم مما لاشأن للدولة به .

على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ الى المحاكم الاسلامية ، ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر الى ذلك بعين الرضا . ولذلك ألف الجاثليق تيموتيوس ـ حوالى عام ٢٠٠ هـ ـ ٨٠٠ م ـ كتابا فى الأحكام القضائية المسيحية (لكى يقطع كل عذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون الى المحاكم غير النصرانية بدعوى نقصان القوانين المسيحية) إلى أن يقول :

«وفى عام ١٢٠ هـ ـ ٧٣٨ م ولى قضاء مصر خير بن نعيم ، فكان يقضى فى المسجد بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضى بين النصارى .. ثم خصص القضاة للنصارى يوما يحضرون فيه الى منازل القضاة ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضى محمد بن مسروق الذى ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ فكان أول من أدخل النصارى فى المسجد ليحكم بينهم .

ثم قال متز : أما فى الاندلس ، فعندنا أكثر من مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضى الا فى مسائل القتل» (٦) .

وبهذا نرى أن الاسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه فى دينهم واجبا ولاعلى فعل أمر يرونه عندهم حراما ، ولا على اعتناق أمر دينى لايرون اعتقاده بمحض اختيارهم .

كل ما فى الأمر أن هناك أشياء يحرمها الاسلام مثل الخمر والخنزير وهم يرونها حلالا والأمر الحلال للانسان سعة فى تركه ، فللمسيحى أن يدع شرب الخمر ولاحرج عليه فى دينه ، بل لا أظن دينا يشجع شرب الخمور ، ويبارك حياة السكر والعربدة . وكل مافى الانجيل : أن قليلا من الخمر يصلح المعدة ولهذا اختلف المسيحيون أنفسهم فى موقفهم من الخمر والسكر .

وكذلك بوسع المسيحى أن يعيش عمره كله ولايأكل لحم الخنزير ، فأكله ليس شعيرة فى الدين ، ولاسنة من سنن النبيين ، بل هو محرم فى اليهودية قبل الاسلام ومع هذا نرى جمهرة من فقهاء الاسلام أباحوا لأهل الذمة من النصارى أن يأكلوا الخنزير ، ويشربوا الخمر ويتاجروا فيهما بينهم وفى القرى التى تخصهم ، على الا يظهروا ذلك فى البيئات الاسلامية ولا يتحدوا مشاعر المسلمين .

وهذه قمة فى التسامح لامثيل لها : ألا يضيق عليهم حتى فى شئ أحل لهم ، وحرمه الاسلام تحريما قطعيا ، مع أن المباحات لاحرج فى تركها دينا ولاخلقاً ، بل يحبذ تركها إذا كان فيه ايذاء للآخرين ، فكيف اذا كان هذا المباح عندهم مثل الخمر التى أجمع على أضرارها أهل الدين والدنيا جميعا ؟ وقامت جمعيات لمنع المسكرات ومقاومة الكحوليات فى العالم كله ؟ ومنعها بعض الدول بقوانين وضعية وجادل ذلك آخرون وأن اخفقوا فى النهاية .

العلمانية لا ترضى الجميع

أمـا القـول بـتفضيل الاتجـاه العلمـانى على الاتجاه الاسلامى ، لأنه يجمع المواطنين جميعا دون تفرقة ولاطائفية ولاعصبية دينية ، فهذا القول مردود .

فالاتجاه العلمانى دائما تعارضه ـ من الناحية القومية البحتة ـ أقليات ترى أن لنفسها قومية غير قومية الأغلبية .

فاذا كان الكتابى يقبل الحكم العلمانى . لأنه غير ملزم بشريعة ولأن كتابه يقبل قسمة الحياة بين قيصر والله «دع مالقيصر لقيصروما لله لله» فالمسلم ـ مادام مسلما ـ لا يقبله ، لأنه مقيد بشريعة مفصلة تحدد له منهج حياته من أدب المائدة ، الى بناء الدولة ، وشئون الخلافة أو الامامة العظمى ، ولأن الحياة عنده لاتقبل القسمة بين الله وبين أحد غيره ، فقيصر وغيره والناس جميعاً عباد لله ، يجب أن يخضعوا لأمر الله وشرع الله .

والحكم العلمانى بطبيعته ضد رغبات المسلمين لأنه ضد التزامهم بعقيدتهم وشريعة ربهم ، فكيف يقال إنه يجمع المواطنين جميعا ، وهو يعارض دين الأغلبية واتجاهها ؟؟

بقيت قضية لا أحب أن أهرب من مواجهتها بصراحة ، وهى قضية عقوبة المرتد عن الاسلام

وأود أن أبين هنا أن المرتد عن الإسلام نوعان :

إما مسلم جديد ، دخل الاسلام حديثا ، ثم أراد أن يعود مرة أخرى الى دينه القديم ،

وإما مسلم قديم الاسلام أصيل فيه ، برقت له بارقة ما ، فأراد أن يخرج منه ليدخل فى دين آخر ، أو ليبقى زنديقا بغير دين .

فأما الأول فلا شك أن الجميع يعلمون أن الاسلام لايكره أحدا على الدخول فيه بأى حال من الأحوال ، وهو فى هذا واضح كل الوضوح ، حاسم كل الحسم والقرآن الكريم مكيه ومدنيه ينكر هذا ويمنعه كما أشرنا من قبل . ففى المكى يقول تعالى لرسوله «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» وفى المدنى يقول «لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي» كما جاءت آيات شتى تلغى اعتبار أى ايمان لايصدر عن ارادة حرة واختيار كامل .

ولكن الاسلام لايرضى من الناس أن يجعلوا الدين «ملعبة» يدخل أحدهم فيه اليوم ليخرج منه غداً على طريقة اليهود الذين قالوا فى عهد النبوة «آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» .

ولطالما شكا المسيحيون فى مصر من أولئك المتلاعبين بالدين من النصارى حتى أن أحدهم ليترك دينه رغبة فى التخلص من زوجته المسيحية ، وآخر يدخل الاسلام ليتزوج من حبيبته المسلمة ولا مانع لدى هذا أو ذاك أن يرجع لدينه القديم متى حن الى زوجته ، أو نفر من حبيبته والاسلام غني عن هذا الصنف الذى لايعتنق إلا لغاية دنيوية زائلة والمسلمون لايعتزون بهؤلاء ولايرحبون بهم .

والعلاج الناجع لهؤلاء وأمثالهم أن يعلموا مقدما أن الاسلام لايقبل الهزل والتلاعب والتنقل بين الاديان كتنقل المتفرج بين المسارح والملاهى : وأن من دخل فى الاسلام يجب أن يدخله بعد اقتناع

كامل بصحته ،ويقين تام بأحقيته وأن من دخله بارادته الحرة لم يجز له الخروج منه ، فمن أراد الاسلام فليؤمن به على هذا الشرط . فإذا آمن بهذا الوصف أصبح واحدا من جماعة المسلمين ومن حق الجماعة أن تعاقب من يخونها ويتمرد عليها من أبنائها ، بعد أن التزم مختارا بشريعتها . فهذا ما يتعلق بمن دخل جديدا في الاسلام ثم أراد الخروج منه .

وأما المسلمون القدماء فلا وجه للاعتراض على عقوبة المرتد منهم ولم تحدث فى تاريخ أى بلد اسلامى ردة تكون إشكالا ، فان ارتداد المسلم إلى النصرانية أمر فى غاية الندرة بل الشذوذ ، والمجتمع الاسلامى عموما لا يقبله ولا يسكت عليه لو حدث وان لم يكن هناك تشريع بعقوبة المرتد .

فالأولى منع هذا بالتشريع المحكم بدل أن يترك لعواطف العامة ومشاعر الجماهير التى لا أساس لها ولاقيود تضبطها . على أن هذه الحالات الشاذة ليست هى المقصودة بالتشريع المذكور (عقوبة المرتد) أولا وبالذات انما المقصود الأول هو من يرتد عن الاسلام الى غير دين بل يعتنق مذاهب مادية لاتؤمن بالله ولابرسالاته ، لا بمحمد ولا بالمسيح وتريد هدم الأديان كلها كالشيوعية التى تزعم أن الدين أفيون الشعوب ، وتعمل على اقتلاع المجتمعات الدينية قاطبة لحساب الالحاد العالمى الأحمر ولا أحسب المسيحيين فى أى بلد يشجعون هذا اللون من الردة لأنه خطر علينا وعليهم جميعا ولهذا يتنادى المؤمنون بالدين فى العالم كله بالتعاطف والتكاتف لصده والوقوف فى وجهه .

اذن لاداعى لهذه الضجة ولامبرر لها ، ولاثمرة لمثل هذا الموقف الا الاستفزاز واثارة الحزازات .

الحكم العلمانى والعصبية الدينية

• أما القول بأن الحكم العلمانى لامجال فيه لطائفية ولاعصبية دينية مما يفهم أن الحكم الاسلامي يثير التفرقة الطائفية والتعصب الدينى ، فكلا الأمرين غير صحيح .

فقد يوجد الحكم العلمانى وتوجد معه التفرقة الطائفية والعصبية الدينية . وهذا لبنان بلد علمانى الحكم ، ولاتزال الطائفية فيه على أشدها ، ولايزال المسلمون والدروز يشكون من سوء نصيبهم فى مناصب الدولة ومغانم الحكم ، حتى انتهى الوضع الى الحرب الأهلية الأخيرة التى جرت الخراب على الجميع ، والتى يأسف لها كل ذى دين وكل ذى عقل .

وفى بـريـطـانـيـا مظـاهـرات الـكـاثـوليـك واحتجاجاتهم المتكررة فى ايرلندا وقد تحولت فى السنوات الأخيرة إلى ثورة دامية .

وفى الهند تقوم المذابح الرهيبة بين حين وآخر ، يذهب ضحيتها عشرات الألوف من المسلمين ، الذين يكونون أقلية ضخمة تزيد على ثمانين مليونا مع أن الحزب الذى يحكمها الآن هو حزب « المؤتمر » المعروف بعلمانيته .. كما تقوم المذابح بين السيخ والهندوس من فترة لآخرى .. وقد ذهبت ضحية ذلك رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندى .

وفى البلاد الشيوعية التى يقوم حكمها على الالحاد وعدم الاعتراف بأى دين يعامل المسلمون خاصة معاملة شاذة مصدرها بقايا الحقد القديم من أيام بطرس ودولة الخلافة العثمانية (٧) .

وبهذا — وأمثاله كثير — تسقط الدعوى القائلة بأن الحكم العلماني لا يدع مجالا للتفرقة الطائفية ولا للعصبية الدينية .

الحكم الاسلامى والتعصب الدينى

• بقى ما يلمح به فريق ، ويصرح به آخرون ، من اتهام الحكم الاسلامى بالتعصب الدينى ، والحيف على الفئات الأخرى ، التى تعيش فى ظل دولته وفي كنف سلطانه .
وهو اتهام ظالم ، ليس له أساس من شريعة الاسلام ولامن تاريخه .

العدل والتسامح

أما شريعة الاسلام فحسبنا قول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (٨) .

والخلط يقع دائماً بين الصنفين المذكورين : الذين نهى الله عن توليهم لأنهم عادوا المسلمين وآذوهم وأعانوا عليهم ، والذين رغب الله في برهم والاقساط إليهم لأنه يحب المقسطين .

وإذا كانت هاتان الآيتان نزلتا في شأن المشركين ، كما هو مبين في أسباب نزول السورة — الممتحنة — فان لأهل الكتاب منزلة خاصة في اعتبار الاسلام ، فقد أباح القرآن مؤاكلتهم ومصاهرتهم . أي اعتبر ذبيحتهم حلالاً . كذبيحة المسلم على حين حرم ذبيحة الملحد والوثني ، وأجاز للمسلم أن يتزوج كتابية عفيفة كما قررت ذلك سورة المائدة . ومعنى هذا أنه أباح للمسلم أن تكون ربة بيته وشريكة حياته وأم أولاده كتابية ، وأن يكون اصهاره وأخوال أولاده وخالاتهم وأجدادهم وجداتهم من أهل الكتاب . وهذا ذروة التسامح .

أطلق الاسلام على اليهود والنصارى الذين يعيشون في كنف دولته اسمين يوحيان بمعان كريمة سامية :

الأول : اسم « أهل الكتاب » اشارة إلى أنهم في الأصل أصحاب كتاب سماوي وهذه التسمية لسائر اليهود والنصارى وإن لم يعيشوا في دار الاسلام .

والثاني : اسم « أهل الذمة » ايماء بأن لهم ذمة الله وذمة رسوله : أي عهد الله وعهد رسوله ألا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أوتخدش حرماتهم ، وهذا الاسم خاص بالذين يعيشون في ظل سلطان الاسلام .

وفي الحديث الشريف « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » (٩) والمعاهد يشمل من له عهد مؤقت بأمان ونحوه وهو المستأمن ومن له عهد مؤبد وهو الذي عهده أوثق وأوكد ، وهو الذمي .

وفي حديث آخر : « من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه ، فأنا حجيجه يوم القيامة » (١٠) وقد كتبت بحثاً مستقلاً وضحت فيه حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي وضمانات الوفاء بهذه الحقوق وما عليهم من واجبات بازاء هذه الحقوق ، فليرجع اليه .(١١)

يوسف القرضاوى

بقية الدراسة فى العدد القادم

هوامش

١ من رسالة « دستورنا » للاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام السابق للاخوان المسلمين .
٢ يونس / ٩٩
٣ البقرة / ٢٥٦
٤أنظر المغنى لابن قدامه جـ٩ ص ٣٥٥ ، ٣٣٦ طمطبعة العاصمة شارع الفلكي بالقاهرة .
٥ ويرى أبو حنيفة أن عقوبة الذمى والذمية فى الزنى هى الجلد أبدا لا الرجم لأنه يشترط الاسلام فى توفر الاحصان الموجب للتغليظ فى العقوبة . على أن فى اقامة الحدود عامة على أهل الذمة كلاما وخلافا بين الفقهاء انظر المحلى لابن حزم جـ(١١) المسألة ٢١٨٣ .
٦ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لادم متز ترجمة الدكتور أبى ريدة جـ(١) ص ٨٥-٨٧ .
٧ أنظر كتاب : الاسلام فى وجه الزحف الأحمر للغزالى .
٨ سورة الممتحنة .
٩ رواه البخارى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص .
١٠ رواه أبو داود .
١١ نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة تحت عنوان « غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى » كما نشرته مؤسسة الرسالة فى بيروت .

الحيطان السعيدة

شاهدت أديباً أعرفه واقفا قبالة حائط بيت ، وكان يتكلم وحده بصوت خافت ، فدنوت منه متعجبا ، وسألته بفضول : « مع من تحكى ؟ » .

فأشار بسبابته الى الحائط قائلا : « مع هذا الحائط » .

قلت : « لو لم أكن واثقا بسلامة قواك العقلية لاتهمتك بالجنون » .

قال : « أن تتهمنى بالجنون خير من أن يصبح أبنائى الأيتام فى مآدب اللئام والكرام » .

فقلت له متسائلا بهزء خفي : « وماذا تقول للحائط وماذا يقول لك ؟ » .

قال : « أنا اقول له ما أشاء من أفكار وآراء دون أن أخشى أن ينقل ماقلته منقحاً الى مالكي السياط والقيود والعصي والسجون » .

فابتعدت بخطى مسرعة عن ذلك الأديب مشفقاً ومقتنعاً بأنه فريسة لنوع غريب من الجنون الخطر ، ولكني عندما نمت الليل شاهدت فى أثناء نومى العرب من المحيط الى الخليج يكلمون الجدران بأصوات خفيضة ، ولم أشاهد مواطنا يخاطب مواطنا . وما أن أفقت من نومي صباحا حتى بادرت الى ارتداء ثيابى ، وهرعت الى المقهى الذى اعتدت التردد اليه ، وهناك جلست مع ثلاثة من أصدقائى ، ورويت لهم منامي ، وطلبت منهم تأويلاً له .

قال الصديق الأول : « هذا نذير بأن البلاهة السائدة الآن ليست سوى مقدمة لجنون آت لاريب » .

قال الصديق الثاني : « مارأيته يفضح تأثرك بآراء مظلمة لاتؤمن بأن الانسان أثمن رأس مال » .

قال الصديق الثالث : « منامك باختصار هو تعبير عن حنين خفي الى أن تصبح بورجوازياً صغيراً » .

ففكرت مليا فيما قاله أصدقائى الثلاثة ، فرأيت أن تفسيراتهم لاتقنع دجاجة غبية ، فقصدت أبا معشر الفلكى ، ونبأته بما رأيته في نومى ، فابتسم ، وقال لي : « منامك سهل التفسير ، أنت تتمنى أن تتحول من مواطن عربى الى حائط ، وستفوز بأمنيتك فى يوم ليس بالبعيد ، فتأهب لاستقباله » .

فتخيلت فوراً أني قد صرت حائطا لايجوع ولايمرض ولايحزن ولايتألم ولايرتعد ذعرا كلما كتب كلمات للنشر ، فطغى علي فرح عظيم لم أعرف له مثيلا من قبل ، وانتظرت بلهفة مقدم ذلك اليوم المنشود ، ولم يطل انتظارى ، وتحولت الى حائط سعيد ، ولكن أحدهم جاء ، والصق بي صورة كبيرة لراقصات سياسيات ، فلم أجرؤ على التذمر أو الاحتجاج خوفا من المعاول .

لاتحكوا ولاتمشوا

حكيم قديم ، مجهول الاسم والجنسية ، قال ما يلي :

للكلام ست فوائد موثوق بها ، وهى التالية :

أولا : الكلام رياضة تمرن اللسان بوصفه عضلة اذا لم تستخدم باستمرار ضمرت وهزلت وأصبحت مهددة بالاضمحلال .

ثانيا : الكلام من غير أفعال يبدد مافي القلوب من عواصف وأعاصير ، فيسعد الحاكم والمحكوم .

ثالثا : من يتكلم يبرهن على أنه ذو صوت ، والأصوات فى البلدان الديمقراطية لها أهمية وقيمة وثمن .

رابعا : الانسان هو الذى يتكلم بينما الحيوان لايتكلم . ومن المثير التمتع بمزايا هذا الفارق ولاسيما أنه بات فى العصر الحديث يحتاج الى أدلة لاثباته .

خامسا : كان المدعو ديكارت يقول : أنا أفكر اذن أنا موجود ، أما الذي يتكلم فهو يقول : أنا أتكلم اذن أنا موجود ، وينام مغتبطا بأنه موجود وجوداً يوافق عليه الفلاسفة ، وينجو من شكوكهم .

سادسا : الميت هو الفاقد القدرة على الكلام بينما الحي هو الذي يتكلم ، والحي خير من الميت .

وقال حكيم معاصر لتلاميذه معلقا على الفوائد الست للكلام : « تكلموا ليل نهار ، أما الفعل فاجتنبوه ، فلا فوائد له ، ويجلب الضرر فقط ، فهو ذاك الذي يمتلك القدرة على أن يبدل ويغير ، فاذا كنتم من أنصار الفعل ومن خصوم الكلام هلكتم أوهلك ظالمكم ، فاختاروا ما ترغبون فيه » .

فأطاع تلاميذه ، وفكروا محاولين اختيار إما الفعل وإما الكلام وإما الفعل والكلام معاً ، فلم يتمكنوا من اتخاذ قرار ، وماتوا من دون أن يتكلموا أو يفعلوا .

هل الكتابة جليس سوء ؟

الكاتب : « سأكتب نقداً لسياسة راجيف غاندي » .

الرقيب : « أأنت من المناوئين لكتلة عدم الانحياز » ؟ .

الكاتب : « سأندد بسياسة ريغان وغورباتشوف » .

الرقيب : « قد يفسر ماستكتبه تفسيرا يسئ الى الصداقة بين الشعوب » .

الكاتب : « سأكتب عن مواطنين تزهق أرواحهم في السجون » .

الرقيب : « أتريد الكتابة عن الأوضاع الداخلية في السلفادور ؟ السلفادور بعيدة جداً عن البلاد العربية . اكتب عن همومنا » .

الكاتب : « سأستنكر أحوال الثوار الفلسطينيين » .

الرقيب : « من تدخل فيما لايعنيه سمع ما لا يرضيه » .

الكاتب : « سأكتب عن الأسباب التي أدت الى ضياع فلسطين » .

الرقيب : « اكتب عن ضياع الأندلس » .

الكاتب : « سأكتب عن الحب العذري » .

الرقيب : اكتب عن حب الشعوب

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

الكاتب : « سأكتب عن الصوفية » .
الرقيب : « اكتب عن القطن ثروتنا القومية » .
الكاتب : « سأكتب عن الطيور » .
الرقيب : « اكتب عن الأسماك والقطط » .
الكاتب : « سأكتب عن الجبال » .
الرقيب : « اكتب عن الوديان » .
الكاتب : « سأنتقد نجوى فؤاد » .
الرقيب : « انتقد محرم فؤاد » .
الكاتب : « سأكتب ممجداً الحرية » .
الرقيب : « هذا موضوع غير لائق وطنيا اذ يضلل الناس فكريا وسياسيا ، ويحضهم على الاهتمام بقضايا هامشية غير مصيرية » .
الكاتب : « سأبكى » .
الرقيب : « لاتبك . البكاء تخاذل يسر أعداء أمتنا العربية » .
الكاتب : « سأضحك » .
الرقيب : « لاتضحك . الضحك في المرحلة الراهنة هو شماتة وسخرية من آلام الشعب العربى » .
الكاتب : « سأموت » .
الرقيب : « مت فى ساحات الوغى وأنت تردد الأناشيد الحماسية » .
الكاتب : « سأكتب محاولا الوصول الى جواب عن السؤال التالي : من أنا ؟ » .
الرقيب : « لا تتعب وترهق نفسك بلا مبرر . أنت كاتب يكفل له القانون حرية التعبير عن أفكاره » .

الوطن خاو

أصبت برضوض في يدي اليمنى التي تعودت امساك القلم والكتابة ، كما أصيبت عيناي بالتهاب حاد حرمني متعة الحملقة الى أبناء آدم ، فاحترت وأحسست أني أرمني في تركيا في عهد السلطان عبد الحميد ، فاذا لم أكتب لم آكل .

وقد فكرت مطولاً باحثاً عن حل ما ، ولما لمحت قلمى ابتسمت بحبور ، وقلت له بلهجة تهديد ووعيد : « من لايشتغل لايأكل » .

قال القلم : « مساكين قراؤك . ابتعد عن الرموز والأحاجي والألغاز ، وقل ما تريد بلا مراوغة » .

قلت للقلم : « ما أريد قوله هو أنك اذا لم تشتغل فستنفد نقودي القليلة وأجوع وتجوع ، ولايبقى لدي ما يكفي لاشباعك أردأ نوع من أنواع الحبر » .

قال القلم : « أنا مستعد للقيام بأي عمل شريف ، وسترى نشاطا يدهشك وينتزع اعجابك » .

قلت : « اذهب وعش مع الناس واكتب عن آلامهم » .

قال القلم : « ما تطلبه ليس بالأمر العسير ، وسأنفذه فورا » .

وغاب القلم من الصباح الى المساء ، ثم عاد ، وقدم الي بعض الأوراق قائلاً لي باعتداد : « اقرأ ماكتبته ، وستفخر بي حتما » .

قلت : « وما الذى تشتمل عليه هذه الأوراق ؟ » .

قال القلم : « مقابلات مثيرة مع شخصيات خطيرة » .

فأمسكت الأوراق ، وشرعت في قراءة التالي :

تجولت فى العديد من الشوارع العربية ، وكان النسيم يهب عليلاً لحظة التقيت دجاجة لايفارق منقارها التراب ، فسألتها : « عما تبحثين ؟ » .

الدجاجة : « أحفر خندقا » .

القلم : « ولماذا تحتاجين الى الخندق ؟ » .

الدجاجة : « لأدفن فيه الكيان العنصري الصهيوني الدخيل ، وليكون مقبرة للغزاة كافة » .

القلم : « مارأيك في الأوضاع العربية الحالية ولاسيما الفكرية ؟ » .

الدجاجة : « وضاءة » .

القلم : « والمستقبل ؟ » .

الدجاجة : « جليل ساطع » .

القلم : « هل لديك شكوى ما ؟ » .

الدجاجة : « شكواى الوحيدة منحصرة في السؤال الآتي : لماذا أبيض وحدي ؟ » . فتركت الدجاجة لتستأنف عملها ، ثم قابلت حماراً ينهق بنزق .

القلم : « لماذا تنهق ؟ » .

الحمار : « اعجاباً بالشعر الحديث والقصة الحديثة والمسرح الحديث والنقد الحديث » .

القلم : « ماهي مطالبك ؟ » .

الحمار : « لا مطلب لي سوى أن تسود المساواة قليلاً ، فهناك أدباء أقل موهبة وأصالة مني ، ومع ذلك فهم ناجحون ماديا ومعنويا بينما يقال على بهزء إني حمار » . فابتعدت عن الحمار مسرعاً لأشاهد بعد قليل غراباً جاثماً على غصن شجرة بلا حراك .

القلم : « لماذا لاتعمل وتشارك في تنمية المجتمع وتطوير الوطن ؟ » .

الغراب : « ومن ذا الذي كذب وقال لك إني لا أعمل ؟ » .

القلم : « هل أصدق كلامك وأكذب عينى ؟ » .

الغراب : « أنا أفكر . أليس التفكير عملا ؟ » .

القلم : « وفي أي موضوع خطير تفكر ؟ » .

الغراب : « أفكر في ايجاد وسيلة ما تخلصني من لوني الأسود الذي لا أستحقه ، فلماذا يظل غيري أبيض مع أن ما يفعله يوميا يؤهله لأن يصبح أسود الوجه والدم ؟ » .

توقفت عن قراءة ما كتبه القلم ، وقذفت بالأوراق الى الأرض بحركة مفعمة بالاحتقار ، وصحت قائلا للقلم بغضب : « ما هذا الهراء ؟ أنا طلبت منك أن تكتب عن الناس وآلامهم ، فاذا أنت قد كتبت عن دجاجة وحمار وغراب » .

قال القلم : « هل تريد مني أن أكذب ؟ الشوارع كانت خاوية . وعندما سألت عن الناس قيل لي إن بعضهم قتيل وبعضهم متوار عن الأنظار وبعضهم يبيع ويشتري ولاوقت لديه لاجراء المقابلات ، فلماذا غضبت ؟ » .

فلم أنطق بكلمة واحدة ، وكان سكوتي شبيها بالاعتراف بغباوتي ونسياني المخجل لكثير من الحقائق المتباهية بعروبتها الأصيلة .

رحيل الى عالم القرود

لكل سنة فى عالم القرود أزياؤها الفنية والفكرية والسياسية ، وقد انتشر طوال أعوام تمثال لثلاثة قرود بأوضاع مختلفة غير متشابهة .

القرد الأول يضع يديه على عينيه : لايرى ولن يرى ولايريد أن يرى .

القرد الثاني يضع يديه على أذنيه : لايسمع ولن يسمع ولايرغب في أن يسمع .

أما القرد الثالث فهو يضع يديه على فمه : لن يتكلم ، ولسانه مجرد أداة لمزج الطعام باللعاب حتى يسهل ابتلاعه .

وكانت هذه القرود الثلاثة تطمح الى تقديم حكمة مفادها أن القرد الذي يعيش في عالم القرود اذا أراد أن تكون حياته آمنة سعيدة ، فينبغى له ألا يبصر وألا يسمع وألا يتكلم ، أما اذا خالف هذه الحكمة وتجاهلها فان عالم القرود سينبذه ويعامله المعاملة التي لاتليق بقرد محترم .

وفيما بعد من السنين ، شاع تمثال مشابه ، ولكن قروده الثلاثة كانت أوضاعها مختلفة عن الأوضاع السابقة .

القرد الأول يضع على عينيه منظاراً ضخم الحجم : سيبصر كل شئ ، ولن يعتمد على عينيه فقط لنيل غايته .

القرد الثاني يلصق بفمه بوقاً كبيراً : سيتكلم صارخاً بأقوى صوت .

القرد الثالث ذو أذنين تشبهان أشرعة سفينة ، وهما مصممتان على سماع همس النمل .

وقد وجه مفكرو عالم القرود نقداً قاسياً مراً الى هذين النوعين من تماثيل القرود ، فالنوع الأول ذو مساوئ جمة ، فالقرد الذي لايرى سيتكلم ويسمع ، والقرد الذي لايتكلم سيرى ويسمع ، والقرد الذي لايسمع سيتكلم ويرى .

أما مساوئ النوع الثاني من تماثيل القرود ، فهي تتلخص في أنه لايوجد في عالم القرود ماهو جدير بالمشاهدة والسماع والتكلم عنه .

ولذا فان مهمة صانعي التماثيل في عالم القرود هي درس الواقع بعمق ونزاهة واخلاص ، وتصميم تمثال جديد يتلاءم مع حقائق ذلك الواقع .

ومن المتوقع أن يكون التمثال الجديد على النحو التالي :

لن يكون التمثال لثلاثة قرود بل سيكون تمثالاً لقرد واحد .

واذا كان لكل قرد من القرود الثلاثة في التماثيل القديمة يدان ، فالقرد الواحد فى التمثال الجديد لن تكون له يدان بل ستكون له ست أيد ، يدان على العينين ، ويدان على الأذنين ، ويدان على الفم ، فالمطلوب في عالم القرود الغاء البصر والسمع والصوت فى آن واحد .

وكل مايريده عالم القرود المعاصر يظفر به .

الإسلام يدعو إلى استقلال القضاء

بقلم : عبدالقادر بن محمد العماري

لا يوجد دين احتفى بالعدل وأشاد به وأقام ميزانه كدين الاسلام ، فقد أكد القرآن في آيات عديدة منه على وجوب الالتزام بالعدل ، والاتصاف به وإقامته بين الناس ، ومدح القائمين بالعدل وأشاد بهم ، وذم أهل الظلم والبغي والانحراف ، لأن العدل هو أساس الحياة الآمنة المستقرة للعباد ، فهو هدف كل الأديان وكل الرسالات وكل الحكماء وكل الفلاسفة وكل العقلاء .

وقد طالب الاسلام اتباعه أن يكونوا رواداً في العدل ونصراء للمظلومين . (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) النساء /١٣٥ (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة/٨ (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥٨ (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاءَ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) النحل/٩٠ (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) الشورى/١٥ (سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) المائدة/٤٢ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص/٢٦ (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات /٩ (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لاتكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) الانعام/١٥٢ .

أول منشور قضائي

والرسول عليه السلام حث على العدل ، وبين مقامه عند الله وندد بالظلم والظالمين في أكثر من حديث نبوي فمن ذلك قوله (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وماولوا) رواه مسلم والنسائي . وقوله (اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي . وقوله (إن الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته وقرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وغير ذلك من الاحاديث الكثيرة ، على ضوء تلك الآيات القرآنية وغيرها وتلك الاحاديث النبوية وغيرها واقتداء بسلوكه عليه الصلاة والسلام في قضائه وحكمه قام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضع أسس للقضاء في الاسلام لتكون دليلا ومرشداً للقضاة في عملهم لأن السلطة القضائية أهم مجال للعدل بين الناس،فمما جاء في هذا الشأن كتابه إلى قاضيه بالبصرة أبي موسى الأشعري ، ونستطيع أن نصف هذا الكتاب بأنه أول منشور قضائي في الاسلام يبين بوضوح واجبات القاضي في عمله ، وقد جعل الامام ابن القيم كتاب عمر هذا موضوعاً للكتاب الذي ألفه والمسمى « أعلام الموقعين » والذي شرح فيه كتاب عمر بالتفصيل ، ونص كتاب عمر هو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس سلام عليك . أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي اليك ، وانفذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآسي بين الناس في وجهك ، وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ،

فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، وأعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن أدعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه ، فان أحضر بينة أخذت له بحقه ، وإلا وجهت القضاء عليه فان ذلك أبلغ للعذر وأجلى للغمة .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً (متهما) في ولاء أو نسب فان الله سبحانه تولى منكم السرائر ودرء بالبينات والايمان ، وإياكم والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ،فان الحق في مواطن الحق يعظم الأجر ويحسن به الذكر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته ـ والسلام) .

فالقضاء فريضة فرضها الله من أجل حفظ التوازن بين الأفراد ، فلا يطغى كبير على صغير ، ولا قوي على ضعيف ، ولا يتصارع الناس بعضهم بعضا فتعم الفوضى في المجتمع ، ويقوض الأمن والاستقرار ، وقد عرفت المجتمعات من قديم نظام القضاء ، ولذلك قال عمر إنه سنة متبعة .

ضرورة فهم القضية

ويشير خطاب عمر إلى أمر مهم في واجبات القاضي وهو أنه يتحتم عليه أن يتفهم القضية المطروحة أمامه ،ويلم بها من جميع وجوهها حتى يكون عنها رأياً صحيحاً ، فاذا ألم بعناصر القضية بالنسبة للوقائع ، وبالنسبة للقانون الواجب تطبيقه عليها أمكنه أن يكون الرأي الصحيح ، وبمقتضاه يصدر الحكم المطابق للأدلة المقدمة فيكون حكمه مطابقاً للحق الملزم باتباعه في كل تصرفاته ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان القاضي متعمقاً في العلم ، ويتمتع بقوة في الادراك والفهم ، والعلم بمفرده لا يكفي ، كما أن الذكاء بمفرده لا يكفي .

جاء رجل إلى أياس وكان قاضياً مشهوراً بالعلم ويضرب به المثل في الذكاء ، فقال له علمني القضاء ، فرد عليه اياس أن القضاء لا يعلم ، إنما القضاء فهم ، ولكن قل علمني العلم ، ولذلك قال تعالى عن داود وسليمان (وداود وسليمان إذيحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) فخص سليمان بفهم القضية . ويقول عمر بن العزيز (خمس من الخصال إذا أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة (أن يكون فهماً حليماً عفيفاً صليباً عالماً سؤلاً) . والحلم والأناة من مستلزمات القضاء الصحيح المطابق للحق ، والغضب في حالة الحكم يؤدي إلى اختلال النظر الصحيح إلى الأمور ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يقضين حكم بين إثنين وهو غضبان) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة وأبو داود والنسائي . وقد أجمع العلماء أن هذا الحكم يشمل جميع المؤثرات من جوع وعطش ومرض وغير ذلك مما يخل بالتوازن العقلي .

والتثبت في الحكم يقتضي عدم الاصغاء لأحد طرفي القضية دون الآخر ، فليس للقاضي أن يعتمد على كلام أحدالخصمين من غير أن يمكن الآخر من دفاعه عن نفسه . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن قاضياً (فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول) وقال علي رضي الله عنه (إذا جاءك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقضين له فلعل الآخر قد فقئت عيناه) . وجاءت امرأة إلى القاضي شريح تشكو زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديداً ، فقال له أحد جلسائه أصلحك الله ما أراها إلا مظلومه ، فقال له شريح وما أعلمك أنها مظلومة فقال إنها تبكي ، فقال له شريح : فان أخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون . ومن الانحراف عن الحق أن ينحاز القاضي لأحد الخصمين لمجرد أنه فقير وأن الخصم الآخر غني ، والواجب أن ينظر القاضي إلى الادلة ، وموضوع القضية ، ولا يتأثر بأمرعاطفي ، فقد يلجأ غني أو كبير إلى القضاء فيكون هناك قاض تأخذه العاطفة نحو الفقير ، أو ليقال أنه جرئ وعادل ، وكذلك من الانحراف أن يسعى القاضي لارضاء الجمهور على حساب العدالة ، فيحكم بالظلم ، فهذا النوع يستوي مع من حكم بالظلم للطرف الأقوى ، أو حكم بالرشوة ، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه القضية ، وأوجب التقيد بالعدل في قوله تعالى (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

ويجب أن يكون القاضي مستقلاً في قضائه ، ولا يخشى أحداً إلا الله (فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) المائدة/ ٤٤ .

ومواقف القضاة في التاريخ الاسلامي وعدم تأثرهم بنفوذ السلطة التنفيذية قد بلغ مبلغاً لا تصل أليه أنظمة القضاء الحديثة ، وقد كان الخلفاء والأمراء يخضعون للقضاء ولا يعترضون على أحكامه ، وإذا حاول أحد التدخل والاعتراض فيوقف عند حده ، وهذه نماذج من مواقف القضاء الاسلامي .

نماذج من القضاء الاسلامي

٭ ـ تخاصم عمر بن الخطاب وهو في الخلافة مع أبي بن كعب على حائط (بستان) ، فترافعا إلى زيد بن ثابت ، فادعى أبي بأن الحائط له وأن عمر لاحق له فيه ، ولما لم تكن بينةمع أبي ، طلب من عمر أن يحلف أنه لا حق له في الحائط ، فوجه زيد بن ثابت اليمين على عمر فحلف عمر أن الحائط ملكه ، وأنه لا حق لأبي بن كعب فيه فاستحق عمر الحائط بيمينه ، وقبل أبي هذا الحكم واقتنع أنه لا حق له في الحائط بعد أن حلف عمر اليمين ، وهذه الواقعة هي التي قيل فيها المثل المشهور (في بيته يؤتى الحكم) إذ عندما جاء عمر ومعه أبي بن كعب إلى بيت زيد بن ثابت قال زيد : هلا أرسلت إلي يا أمير المؤمنين لآتيك فقال عمر (في بيته يؤتى الحكم) . كما أنه عندما أخرج زيد وسادة ليجلس عليها عمر قال عمر : هذا أول الجور ليلفت نظر زيد إلى أنه لا يجوز أن يميزه في المجلس على خصمه ، وما يجدر ذكره هنا أن هذه القضية أثارت جدلاً بين الفقهاء حول مسألة فقهية وهي هل يجوز الحكم بالنكول في حالة امتناع المدعى عليه عن اليمين ؟ أو لابد من اليمين ليحكم القاضي للمدعي . وهذه المسألة فيها خلاف بين فقهاء المذاهب مبين في كتاب المحلىلابن حزم جـ ١٠

٭ ـ أمر القاضي نصر بن ظريف اليحصبي بتسجيل ضيعة تحت يد حبيب القرشي لكونه قيماً عليها وليست ملكه ، وكان حبيب يريد اغتصابها وادخالها في ملكه ، فشكى حبيب إلى الأمير عبدالرحمن بن معاوية فطلب الأمير من القاضي أن يتريث في الحكم ولا يستعجل ، فاحتج القاضي على تدخل الأمير ، وأصدر حكمه في الحال ونفذه ، فغضب الأمير وقال للقاضي ما الذي أقدمك على الحكم وقد أمرتك بالتأخير؟ فقال القاضي : أقدمني عليه رسول الله فانما بعثه الله بالحق ليقضي به على القريب والبعيد ، والشريف والدنيئ ، وأنت أيها الأمير ما الذي حملك أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض وأنت تستطيع بأن ترضي من مالك ؟ فما وسع الأمير إلا أن يتراجع أمام صلابة القاضي بل ويشيد بالقاضي وبموقفه .

٭ ـ اشتكى إلى قاضي قرطبة المصعب بن عمران أيتام ، بأن لوالدهم ضيعة اغتصبها العباس بن عبد الملك المرواني ، فدعى القاضي العباس ليجيب على الدعوة ، فلم يحضر فسمع الشهود في غيابه وأعلمه بأن يقدم دفاعه وطعنه فيما تقدم به المدعون ، وأعطاه مهلة لذلك ، ولما انتهت المهلة أعلمه أنه سيصدر عليه الحكم ، فهرع العباس إلى الأمير وطلب منه أن ينقل القضية إليه لينظر فيها ، وأن يمنع القاضي عن الحكم فيها ، فأرسل الأمير إلى القاضي ليحيل إليه القضية ، ولكن القاضي رد على الأمير أن القوم قد أثبتوا حقهم ولزمهم في ذلك عناء طويل ونصب شديد لبعد مكانهم وضعف حالتهم ، فلست أتخلى عن النظر وانفاذ الحكم لوجهه ، فليفعل الأمير ما يراه صواباً بعد ذلك من رأيه ، فأرسل الأمير إلى القاضي مرة أخرى بعد أن أغراه العباس وقال له : إن القاضي يستخف بك

الإسلام

يدعو إلى استقلال القضاء

وبأمرك ، ولما حضر رسول الأمير أمره القاضي بالجلوس ثم أنفذ الحكم وأشهد عليه ثم قال للرسول قد حكمت بالعدل فلينقضه الأمير إن قدر ، ولما بلغ الأمير ذلك استشاط غيظاً ولكنه أطرق ملياً ، ثم أقر حكم القاضي .

● ــ وكانت للقضاء هيبته وحرمته حتى في وقت تكون فيه الأوضاع السياسية غير سليمة ، فأبو جعفر المنصور على جبروته وقوته لا يتدخل في شؤون القضاء ، بل يخضع لأحكامه فقد تحاكم مع زوجته الحميرية عند غوث بن سليمان بعد أن طلبت هي ذلك فقدمت الحميرية كتاباً بصداقها وشروطها على أبي جعفر فتسلم غوث الكتاب من الوكيل وقرأه على أبي جعفر ، ثم قال لأبي جعفر أتقر بذلك ، فاعترف أبو جعفر بما في الكتاب فقال غوث إن في الكتاب شروطاً وسأله فهل عندما خطبت إليهم ولم تقبل هذه الشروط أكانوا يزوجونك ؟ فقال لا . فقال غوث فبهذا الشرط تم النكاح وأنت أحق من وفى لها بشرطها ، فقال أبو جعفر لغوث علمت إذا اجلستني هذا المجلس أنك ستحكم علي .

● ــ جاءت امرأة إلى شريك قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم ، فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال لها من ظلمك ؟ قالت : الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين ، كان لي بستان على الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً ،فاشترى الأمير من اخوتي وساومني في نصيبي فلم أبعه ، فلما جاءت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط ، فإصبحت لا أعرف من نخلي شيئا ، فأرسل القاضي في طلب الأمير للحضور ليجيب على الدعوى ، وعندما وصل رسول القاضي إلى الأمير أرسل الأمير إلى صاحب الشرطة ، وقال له امض إلى شريك وقل له ما أعجب أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي ، فقال صاحب الشرطة إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك ، فقال امض ويلك فخرج صاحب الشرطة وجاء إلى شريك وقال له ما أمره به الأمير ، فما كان من شريك إلا أن سجن صاحب الشرطة ومن معه من رجاله لأنهم تدخلوا فيما لا يعنيهم ، والمفروض أن يكونوا مع المظلوم وينفذوا أمر القضاء ، فركب الأمير إلى باب السجن وأطلق سراح صاحب الشرطة ورجاله ، ولما علم بذلك القاضي قال لغلامه الحق بثقلي إلى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الاعتزاز إذا تقلدناه ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد ليرفع الأمر إلى الخليفة ، وعندما علم الأمير ركب وذهب خلفه وجعل يناشده الرجوع فلم ينتقل من مكانه حتى استجاب الأمير لجميع ما طلب منه ، ومن ذلك أن يحضر الأمير مجلس القضاء ، فحضر الأمير وجاءت المرأة فقال لها القاضي هذا خصمك فما تقولين ؟ فذكرت قصتها فاعترف الأمير ــ فقال القاضي : ترد ما أخذت منها وتبني حائطها سريعاً كما كانت ، قال الأمير : أفعل ذلك واستجاب للأمر .

وقد دعم الخلفاء الراشدون استقلال القضاء بمواقفهم الرائدة ، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يفقد درعه يوم صفين فيجدها عند يهودي ، فلم يشأ أن يأخذها بيده بقوة سلطته كأمير للمؤمنين ، ولكنه لجأ إلى القضاء ، والقاضي لم يقبل دعوى الامام علي إلا ببينة فطلب منه تقديم البينة ولما رأى اليهودي العدل من القاضي أقر بالدرع للأمام علي واعتنق الاسلام لأنه دين العدل .

والقاضي في الاسلام حر في قضائه ، يقضي بما يمليه عليه ضميره ، وطبقاً لاجتهاده المعتمد على نصوص الشريعة ، ولا يجوز عزله إلا إذا جار في أحكامه متعمداً ، وثبت ذلك باقراره أو بالبينة ، وكذلك إذا ظهر عجزه أو عدم كفاءته ، أو إذا ولى وظهر أن هناك من هو خير منه ، لأن ولاية غير الكفؤ مع وجود الكفؤ تعتبر خيانة من قبل الذي ولاه لما رواه الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تولى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين) . وقد عزل عمر بن الخطاب شرحبيل بن حسنة عن القضاء فقال له : أعن سخط عزلتني ؟ فقال عمر لا ولكن وجدت من هو مثلك في الصلاح وأقوى منك في العمل ، فقال يا أمير المؤمنين إن عزلك لي عيب فاخبر الناس بعذري ، ففعل عمر. وجاء في كتاب الأحكام السلطانية لابي يعلي الفراء الحنبلي (وليس للمولى أن يعزل القاضي ما دام مقيماً على الشرائط لانه بالولاية يعتبر ناظر للمسلمين على سبيل المصلحة لا عن الامام) .

وتعسف القاضي ضد الخصوم يدخل في باب الجور الذي يعزل بسببه القاضي ، فقد حدث أن تظلم يتيم للقاضي في مصر يحيي بن ميمون وأتى ببينة على شكواه ، فلم يستمع القاضي إليه ، فأرسل اليتيم إلى القاضي أبياتاً من الشعر يدافع فيها عن ظلامته ، فأمر القاضي بسجنه بسبب أبيات الشعر ، فرفع الأمر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب إلى عامله بمصر الوليد بن رفاعة ما يلي (اصرف يحيي عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً وتخير لقضاء جندك رجلاً عفيفاً ورعاً فقيهاً سليماً من العيوب لا تأخذه في الحق لومة لائم) فعزله .

● لضمان سلامة القضاء حرّم الإسلام الرّشوة والهديّة على القاضي

ولخطورة منصب القاضي فقد جاء في الحديث الصحيح (القضاة ثلاثة واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) .

ولضمان سلامة القضاء حرمت الرشوة والهدية على القاضي ، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي والساعي بينهما ، كما حرمت الرشوة والهدايا أيضاً على كل من يتولى وظيفة عامة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام(هدايا الأمراء غلول) وبعث رسول الله من الأزد على الصدقة اسمه ابن اللتبية فلما جاء قال هذا لكم وهذا أهدى إلي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً في المسجد وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال ما بال العامل نبعثه يجئ فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي ، ألا جلس في بيت أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا نبعث أحداً منكم فيأخذ شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، قال الراوي أبو حميد الساعدي فرفع يديه حتى رأيت عفرة ابطيه فقال اللهم هل بلغت ثلاثاً . متفق عليه . كما أنه ليس للقاضي أن يعمل في التجارة أو غيرها مما يؤدي إلى انشغاله عن عمله ومحاباته ، والمهم من كل ذلك ألا يكون القضاء عرضة للمؤثرات ، فشرع ما يحميه منها وما يحمي الخصوم من انحرافه وإذا كانت الدول الحديثة قد نصت في دساتيرها وقوانينها على استقلال القضاء وحمايته من المؤثرات بفصله عن السلطة التنفيذية والتشريعية ، وجعلت هناك مجالس قضائية للنظر في كل ما يتعلق بالقضاة ، وحددت مرتباتهم وحقوقهم بحيث لا يكون هناك مجال للتأثير من قبل أي جهة ، فإن ذلك هو ما يدعو إليه الاسلام ليأمن الناس على حقوقهم ودمائهم وأعراضهم ومن أجل أن تعلو كلمة الحق فلا يطمسها ظالم أو صاحب نفوذ .

وقد دلت السوابق التاريخية في الاسلام أن رئيس الدولة هو الذي يقوم بتعيين القضاة ، ويدعو الاسلام إلى أن يتحرر القاضي من كل شعور الخوف من أي سلطة أو جماعة أو فرد فلا يفكر أنه مدين في تعيينه أو ترقيته إلى جهة من الجهات ، بل عليه أن يعتقد أنه انما حصل على هذا المركز نتيجة كفاءته وأهليته لهذا المنصب ، ومن الضمانات التي أقرتها الدول الحديثة أن يقوم مجلس قضائي مكون من عدد من القضاة المتخصصين باختيار القضاة الأكفاء وتثبيتهم وترفيعهم ونقلهم ، على أن تكون هذه القرارات الصادرة من المجلس حائزة على موافقة الدولة ، قال الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس في كتابه(القضاء في الإسلام) إن هذه الطريقة هي أقرب الطرق سلامة وتحقيقاً لاستقلال القضاء ، وهي أقرب الطرق إلى روح الاسلام وقواعده العامة ، بل إن السوابق التاريخية في نظام القضاء الاسلامي قريبة من هذه النظرة وقد كان قاضي القضاة في عهد

العباسيين يختار القضاة ويشرف عليهم ويراقب أحوالهم وأقضيتهم ويعزلهم بعد أن ينال هو موافقة رئيس الدولة ، ومن الضمانات أيضاً في الأنظمة الحديثة لا يعزل القاضي ولا ينقل ولا يحال إلى التقاعد إلا إذا كان هناك أسباب موجبة لذلك ، وأن يتولى العزل وغيره جهة قضائية مختصة بعيدة عن السلطة التشريعية والتنفيذية ، ومن ضمانات استقلال القضاءأن القاضي غير مسؤول عن الأحكام الصادرة عنه ، لا مسئولية جزائية ولا مدنية إلا إذا تبين أنه كان متعمداً الإساءة في حكمه إلى أحد من الناس فلا يعاقب القاضي على خطئه في الحكم وكل ما هنالك أن تقوم الجهة العليا المختصة بنقض الحكم .

ونحن نأسف أن نرى العدالة في بلاد المسلمين منقوصة ، فقل أن تجد قضاء مستقلاً لا تأثير ولا سلطان لأحد عليه ، بينما نرى في الدول الغربية أن كل من تعرض لهضيمة من جانب كبير أو صغير أو حكومة أو مصلحة حكومية أو غيرها ، يلجأ إلى القضاء لينال حقه الذي أقرته له القوانين السائدة كاملاً غير منقوص فهنالك القضاء الاداري وهناك القضاء المدني والقضاء الجنائي فلا يصدر أمر أو قرار أو تصرف من أي جهة كانت حكومية أو غير حكومية إلا وهو عرضة للتظلم أمام القضاء .

ونحن المسلمين الذين كان تاريخنا ناصعاً في القضاء ، لا نرى منه الآن شيئاً فلا نحن مع الاسلام ولا نحن مع الحضارة الحديثة ، فان مما سجله التاريخ للمسلمين أن قاضيهم حكم بسحب الجيش الاسلامي من سمرقند بعد أن اشتكى أهل سمرقند أنهم أخذوا على غرة ، ولم ينبذ إليهم كما تقضي بذلك الحرب في الاسلام أي أنهم لم يعلنوا بالحرب ، وذلك مخالف لما جاء في القرآن الكريم . فأحال الخليفة قضيتهم إلى القاضي الذي حكم بأن ينسحب جيش المسلمين من المدينة ويعطيهم الفرصة للاستعداد للحرب ، والتفكير في شروط الاستسلام ، إلا أنهم بعد أن حكم القاضي بصحة دعواهم وسحب جيش المسلمين وعرفوا عدالة الاسلام قبلوا الدخول في الاسلام وحكم الاسلام في مدينتهم .

فلابد أن نسعى إلى الكمال ولا نقف عند نظام معين فالتطور في النظام مطلوب ولا نجمد على كل قديم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان في بداية تكوين المجتمع وهو يعتبر رئيس أول دولة اسلامية يجمع بين الولاية العامة والقضاء ثم خصص قضاة عندما اتسعت الدولة وكذلك خليفته أبو بكر ، ثم عندما اتسعت الدولة أكثر في عهد عمر فصل القضاء عن الولاية العامة وجعله مستقلاً ، فلم يجمع الخليفة بين القضاء والخلافة وقام عمر رضي الله عنه بادخال أنظمة كثيرة في الدولة فادخل نظام الديوان وهو نظام أجنبي .

وهكذا الظروف والأحوال تقتضي التطور إلى الأحسن والأنسب والأصلح،أما آن لنا أن نفعل مثل ما كان يفعل سلفنا الصالح ؟

عبدالقادر بن محمد العماري

حارس الصمت

شعر : محمد القيسي

أنا حارسُ الصمتِ ، والنزهاتِ القصيرةِ ،
أنفقت عمريَ في اللومِ ،
كابدتُ في اليومِ ،
عاما
توزَّعنـي مثلَ قَشِّ البيادرِ في الريح ، هذا الهوى
وانكسرتُ تماما

هي الوحشةُ المغربيةُ تعبَقُ فيَّ ،
ويعبَقُ بُعْدُ الندامـى

ألا مَنْ يقولُ هــلا
ألا مَنْ يقولُ ســلاما

إذا جئتَ يوَم الخميسِ ، إذن ، فافردينـي
قميصاً علـى شـرفة .
وأطلقيني حماماً

رجاءً ، ولا تقتليني
إذا جئتِ يوَم الخميسْ
دعـي العشبَ يقتاتُ روحـي ،
وينشرنـي في الجهات خُزامـى
ولا تقتليـني تماما
دعـي ساعديك ينامان مثلَ أسـيرينِ ،
لا يعرِفَانِ خِصاما
إذا جئتِ يوم الخميسِ ، دعـي مقعدينا ،
دعـي البحرَ حيثُ أقامـا
وحـيداً ،
ولا تقتليـني تماما
دعـي الموجَ حتـى يناما
دعـي كلَّ شيءٍ على حالهِ ،
مـرمـريني ملاما
إذا جئتِ يوَم الخميسِ اقتليـني تماما
ولا تصمتي سـاعةً ،
دون أن تُشعِلي الأرضَ لوزاً ،
وأن تملئيـني زحاما
أنا حارسُ الصمتِ ،
كابدتُ في اليومِ عاما .



قصة حياة عادية

في هذه الحلقة يواصل الكاتب الكبير يحيى الجمل رواية « قصة حياة عادية » بعد ان قدم في الحلقات السابقة صفحات من الذكريات التي عاشها في الثلاثينيات .

بين دار الكتب والسّراي والأزهر

كان الفتى في يوم الجمعة من كل أسبوع يركب الترام من شبرا إلى العتبة الخضراء ثم يبدأ السير في شارع محمد علي متجهاً نحو « باب الخلق » حيث توجد دار الكتب . وكان شارع محمد علي في تلك الأيام مليئاً بالمكتبات . بعضها يشغل أجزاء من مباني الشارع وبعضها يحتل جوانب أعمدة « البواكي » . وكان فتانا خبيراً بذلك الشارع ومكتباته إلا أنه كان يؤثر بائع كتب معينا نسي الآن اسمه وإن كان ما يزال يذكر صورته . كان شيخاً يلبس جلباباً فوقه « جاكتة » لونها كالح .ظهره محني قليلاً . يعرف أسماء الأدباء والكتاب وأسماء المؤلفات حتى الكتب المترجمة يعرف أسماءها أيضاً وأسماء مؤلفيها ، إلا أنه كان ينطق ذلك كله بلهجة لا تخلو من سذاجة وغرابة . وكان فتانا ينال من هذا الرجل خصماً يجاوز عشرة في المائة في أغلب الأحيان ، إذ كان يشتري منه كل شهر كتباً بما يقرب من جنيه كامل . وكان هذا يعني أن الفتى يشتري خمسة أو ستةكتب من مستوى كتب طه حسين أو العقاد أو توفيق الحكيم بهذا الجنيه . وأغلب الظن أن مكتبة صاحبنا على كثرة ما أصابها من انتقال مازالت تضم بعض الكتب التي يرجع تاريخها إلى تلك الفترة منذ أكثر من أربعين عاماً .

وبعد أن كان يراجع الكتب ويعرف أسماء المؤلفات الحديثة كان يكمل طريقه إلى دار الكتب في ميدان باب الخلق . وهناك كان يودع ما معه من أوراق وكتب في مكان قرب الباب ، ثم يدخل ومعه ما يريد أن يعيده من كتب مستعارة انتهى من قراءتها ، وفي ذهنه ما يريد استعارته من كتب جديدة .

ولم يكن الفتى يستعير بطبيعةالحال إلا ما لا يقدر على شرائه ، إما لأنه غال الثمن أو لأنه من كتب التراث التي لا يسهل العثور عليها .

ويذكر الفتى أنه استعار ديوان المتنبي شرح « العكبري » وأنه قرأ أجزاءه الأربعة وأنه حفظ بعض قصائده ، وأنه كان يقرأ في الوقت نفسه « مع المتنبي » للدكتور طه حسين ، وكان يجد في تلك القراءة متعة لا تعدلها متعة أخرى .

لا يذكر الفتى أن يوماً من أيام الجمعة طوال السنة الدراسية لم يكن يشهد رحلته هذه من حيث يقيم في شبرا إلى ميدان العتبة راكباً الدرجة الثانية في الترام ثم سائراً على قدميه في شارع محمد علي إلى حيث يصل إلى ذلك المبنى العتيق الجليل ، مبنى دار الكتب بباب الخلق . وكثيراً ما كان يتوقف قبل أن يصل إلى قاعات الفهارس أو قاعات المطالعة في تلك القاعات الواسعة التي كانت تعرض فيها بعض المصاحف النادرة أو بعض المخطوطات القديمة ثم يكمل رحلته إلى حيث يعيد بعض ما إنتهى من قراءته ، ولكي يستعيد ما قد جاء قاصداً استعارته من كتب . وقد أصبحت دار الكتب بالنسبة له مكاناً مألوفاً يأنس إليه ولا يجد فيه وحشة ، ويعرف غير قليل من موظفيه وسعاته ، ويعرفه غير قليل من هؤلاء . وأظن أن الفتى كان من أصغر المترددين على الدار سناً وأكثرهم انتظاماً في إعادة ما استعار والمحافظة عليه . بدأت علاقته بالدار وهو لم يكمل الخامسة عشرة واستمرت بعد ذلك إلى ما شاء الله .

وكانت « السراي » قريبة من دار الكتب وميدان باب الخلق على يمين المتجه إلى القلعة سائراً في شارع محمد علي بعد أن ينتهي من باب الخلق . وكانت تلك « السراي » تقع من شارع محمد علي في الموقع الذي تتفرع عنده حارة يقال لها « الحبانية » .

ولا يدري الفتى إذا كانت تلك الحارة « الحبانية » ما زالت بهذا الاسم أم أن تلك العادة الخبيثة التي لا تنبئ عن فهم ولا علم ولا وعي لابحقائق التاريخ ولا بحقائق الجغرافيا ولا بمبادئ علم الاجتماع ، عادة تغيير أسماء الشوارع قد نالت من تلك الحارة واسمها ما نالته من غيرها : لقد غيرنا ميدان العتبة الخضراء بعديد من الاسماء ، ولكن الناس حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يعرفون لذلك الميدان اسماً آخر . وشارع محمد علي أطلقنا عليه على ما أظن اسم شارع القلعة وكأن محمد علي باني مصر الحديثة ومؤسس الدولة فيها وأحد صناع التاريخ الحديث لا يستحق أن يطلق اسمه على ذلك الشارع الذي ينتهي بالقلعة التي أقام فيها قصراً حكمت منه مصر سنين عدداً . ومع ذلك فإن المصريين لا يعرفون هذا الشارع إلا باسم « محمد علي » وهم في ذلك على حق .

كان فتانا عند ما ينتهي من زيارته الأسبوعية لدار الكتب يتجه إلى « السراي » حيث كان يسكن عدد من طلاب الأزهر لقاء قروش قليلة يدفعونها . كانت تلك « السراي » بديلاً عما يعرف في أيامنا هذه بالمساكن الجامعية . والحقيقة أن ذلك المبنى لم يكن له من مقومات السرايات شئ قط . كان عبارة عن منزل قديم من منازل شارع محمد علي المملوكة للأوقاف والتي لا تحظى بأقل قدر من العناية أو الصيانة . وكان الطلاب يعيشون فيما يشبه « العنابر » التي تمتلئ بالأسرة . وكان يعيش في تلك « السراي » إثنان من أقارب الفتى : أما أولهما فهو « أمين » الذي التقينا به كثيراً من قبل ، وأما ثانيهما فهو « محمود » . وكان محمود من قرية مجاورة ، أما أمه فكانت « عمة » الفتى أو في حكم ذلك . وكان محمود مثالاً فريداً من شباب تلك الفترة في حياة المجتمع المصري .

كان كسولا كأشد ما يكون الكسل ، طيباً كأعمق ما تكون الطيبة ، سهلاً سمحاً لا يحمل في قلبه إلا المشاعر الطيبة للناس أجمعين . وكان أزهرياً في كلية الشريعة . ولم يكن بينه وبين الأزهرولابينه وبين الشريعة أي صلة نفسية . وما كان يخفي ذلك أو ينكره . وكان يبذل أقل جهد ممكن من أجل الدراسة وتحصيل المعرفة . ورغم كسله الشديد إلا أنه كان يحب المشي حباً جما حتى أنني لا أكاد اتخيل صورته إلا ماشياً .ورغم أنه من أعماق الريف ومن قرية موغلة في التخلف ـ بالنسبة لقريتنا على الأقل ـ إلا أنه كان لا يحب أن يغادر القاهرة إلى القرية . ومما يروى عنه أنه كان يتعمد أن يبقى بعض مواد الامتحان للدور الثاني حتى يجد في ذلك حجة يعود بها إلى القاهرة كأسرع ما يستطيع . كان أبوه ، رحمه الله ، يعتقد أن ابنه لا يتمتع بأي قدر من الذكاء . وكثير من الآباء لا يتصورون أبناءهم إلا أطفالاً صغاراً غير ناضجين مهما بلغوا من العمر . وكان رأي والده في ذكائه لا يرضيه بطبيعة الحال ، وأراد محمود أن يظهر لوالده كيف أن أصدقاءه وزملاءه يعتبرونه « حجة » بينهم ويلجأون إليه كلما حزبهم أمر من الأمور . فاتفق مع واحد من هؤلاء الأصدقاء عرفت عنه خفة الدم وطلاقة اللسان وسرعة البديهة على أن يكون رسوله عند والده ليظهره على ما يتمتع به محمود من « عبقرية » وحظوة لدى إخوانه ولداته .

وذهب صاحبنا ذاك يزور محمود في القرية وجلس إلى والده واخوته ، وأخذ يتحدث ويفيض في الحديث ، وكيف أن الأساتذة عندما يطرحون مشكلة من المشاكل الدراسية العويصة يعجز الطلاب جميعاً عن إيجاد حلها فيتصدى لها « محمود » ، فاذا به يجد الحل الصائب السديد ، وكيف أن الزملاء إذا صادفهم في حياتهم العامة أو الخاصة مالا يقدرون على مواجهته أو التصدي له لجأوا إلى محمود ليجدوا عنده النصيحة والرأي السديد . واستمر ذلك الصديق على هذا النحو من المديح والاطراء واظهار براعة « محمود » وعبقريته



بقلم: الدكتور يحيى الجمل

وتميزه أكثر من ساعة ، ووالد محمود يسمع ذلك كله وهو صامت لا ينبس ببنت شفه حتى إذا انتهى صاحبنا من حديثه وأطرق ليرى أثر كل هذا الذي قاله على والد صديقه إذ بذلك الوالد العجوز الصغير الحجم يقول كلمة واحدة لا يزيد عليها « دا غبي » !! ووقعت تلك الكلمة على المجلس وكأنما قد ألقت على الجالسين مزراباً من الماء الشديد البرودة ولاذ الحاضرون جميعاً بصمت عميق .

كان فتانا إذا انتهى من زيارته لدار الكتب يذهب إلى « السراي » ليلقى هذين القريبين اللذين يكبرانه سناً بفارق بعيد واللذين لا يتعاملان معه مع ذلك على أنه بالنسبة لهما فتى صغيراً وكان يحمل إليهما أحيانا بعض الرسائل من البلدة أو يستعير كتاباً من « أمين » أو يناقش معه كتاباً سبق أن قرأه . أما « محمود » فكان يلقاه هاشاً باشاً مرحباً ترحيباً شديداً على أن ذلك كله لم يكن يخرج محمود عن كسله أو يدفعه إلى الحركة . وما أكثر ما كان الفتى يذهب قرب الظهر ليجد أن محمود ما زال في سريره لم يغادره ولكن يسمعه يقول له إن الله ساقه إليه لكي يشتري له افطاراً يتناوله في وقت يكون فيه الناس يستعدون لوجبة الغداء.ولكن محمود بكل الكسل المحيط به لا يريد أن يبرح سريره طوال صبيحة يوم الجمعة ومع أنه أزهري ومع أنه طالب في كلية الشريعة إلا أنه لم يكن يكترث كثيراً لمواعيد الصلاة حتى ولو كانت صلاة الجمعة .

كان أخوه « سعيد » في كلية الحقوق ، وكانت أسبابه قد اتصلت بالاخوان المسلمين ، وكان من الشباب القريب من حسن البنا ، وكان أكثر حرصا على دينة واهتمامه به من كثيرين من الأزهريين وغير الأزهريين وما أكثر ما كان يثور الجدل بينه وبين أخيه حول بعض القضايا الدينية ويبدو أن الفتى منذ شبابه الباكر وهو أكثر ميلا إلى إعمال العقل واخضاع ما يمكن إخضاعه له . وكان أخوه أكثر ميلا إلى العاطفة والمشاعر والوجدان . وكانت مناقشاتهما حول تلك القضايا توشك أن لا تنتهي وكان الوقت المفضل لهما هو أثناء رياضة المشي بعد العشاء في شارع شبرا الذي لم يكن له صلة من حيث الازدحام وكثرة المارة بما هو عليه الآن . كانا يسيران ويذكر الفتى أنهما كانا يسيران لابسين جلبابا وفوق الجلباب « جاكتة » ولم يكن مثل ذلك اللباس آنذاك نشازا أو غير مألوف في الطريق العام . وكان حديثهما يدور إما حول تلك القضايا العقلية وإما حول الأهل وتصرفاتهم . وكان سعيد يأخذ في الأغلب الأعم موقفا نقديا من هذه التصرفات وكان الفتى بحكم صغره أكثر ميلاً إلى الاستماع لما يقوله أخوه يوافق على بعضه ولا يوافق على بعضه الآخر ولكنه مستمع في الأغلب من الوقت وعلى أي حال فإن سعيدا لم يكن على استعداد ليعطه فرصة الكلام في كل حين .وحتى ان أعطاه تلك الفرصة فإنه لم يكن يشجعه كثيرا على أن يختلف معه في الرأي.كان سعيد يحب أن يشجعه وأن يدفعه إلى الأمام ولكن في مواجهة الأخرين فإذا تعلق الأمر به فإن علاقة الأخ الكبير بالأخ الصغير هي التي يجب أن تسود .

وكانت حركة الاخوان المسلمين تشتد عودا وتمتد في كل اتجاه وتكسب كل يوم أنصارا جددا خاصة بين الشباب المثقف . وكان أخوه قد ارتبط بتلك الحركة وأصبح من الشباب البارز في صفوفها . ويبدو أن صفاءه ونقاءه وحرصه على درس الثلاثاء من كل أسبوع قربه ذلك كله من الأستاذ حسن البنا . وكان يعود كل ثلاثاء متأخرا جدا إلى البيت ليجد أمه قد تركت له عشاءه على المائدة يتناوله وحيدا . أو قد يجد فتانا في انتظاره ليسمع منه ما جرى في اجتماع ذلك اليوم من حديث ومن مناقشات .

وسمع صاحبنا أسماء مثل سعيد رمضان ومصطفى موسى وحسان حتحوت وغير ذلك من أسماء شباب الإخوان المسلمين الذين التقى بهم بعد ذلك في قادم الأيام . وكانت صحابة أخيه ورفقاؤه الذين يترددون عليه في تلك الأيام جلهم من شباب تلك الجمعية المتحمسين لها ، المؤمنين بمبادئها المعتقد ين أن طريقها هو طريق الخلاص .

وكان الفتى يسمع ذلك لكله ويعجب به وينفعل معه ولكنه لم يفكر في الانخراط في الجمعية رغم أنه تردد أحيانا على بعض شعبها ورغم أنه لم يكن بعيدا نفسيا عما تنادى به . ولكن الفتى كان قد اتخذ طريقا آخر من طرق العمل العام .

عرف في مدرسة شبرا الثانوية « أحمد مجاهد » وأعجب به . سمعه يخطب في مظاهرة من المظاهرات بمناسبة « وعد بلفور » ذلك الوعد الذى أعطاه وزير خارجية بريطانيا للزعيم الصهيوني وايزمان يقرر له فيه أن بريطانيا ستمكن الصهاينة من أن تكون فلسطين وطنا قوميا لهم ، وبذلك اعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق . وخرج تلاميذ المدرسة لكى يلتقوا بتلاميذ المدارس الأخرى ويهتفون جميعا بسقوط وعد بلفور وفى ذلك الوقت لم تكن دولة اسرائيل قد قامت وإن كانت الوكالة الصهيونية قد أعدت كل شيء .

أعجب الفتى بأحمد مجاهد أيما إعجاب ، ورأى فيه صورة مصغرة لمصطفى كامل الذى قرأ عنه وأحبه من بعيد ، وأحس بعمق حبه لمصر . وكانت سعادة الفتى بالغة إذ عرف أن صاحبه هذا من شيعة مصطفى كامل ، وممن ينتمون إلى الحزب السياسى الذى أسسه ذلك الزعيم ، والذي كان يعرف باسم « الحزب الوطنى » .

وكان الحزب الوطنى حزبا صغيرا من أحزاب الأقلية في مصر وكن قوامه مجموعة من الطلاب والمثقفين المتطهرين الذين لا يرضون عن الاستقلال الكامل لمصر والسودان ووحدتها بديلا.ورغم أن مصر والسودان كانتا محتلتين بالقوات البريطانية فإن الحزب الوطنى كان يرفض مبدأ المفاوضة مع المحتل وينادى أن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء .

ودعاه أحمد مجاهد مرة ليذهب معه إلى نادى الحزب الوطنى في المنيل ومنذ ذلك اليوم أصبح فتانا واحدا من شباب ذلك الحزب .

ولم يكن الحزب الوطنى بعيدا عن الحركة الاسلامية ولا عن الأفكار الاسلامية منذ نشأته وتأسيسه ولذلك فإن صاحبنا لم يجد تناقضا بين ما كان يسمعه من أخيه ويميل إليه نفسيا وما تعلمه عن القضية الوطنية من رجال الحزب الوطنى ودفعه إلى أن يكون بين شباب هذا الحزب .

وما أكثر ما كان الفتى يتحمس لتلك المفاوضات التى كانت تجرى أحيانا بين زعماء الأخوان المسلمين ورجال الحزب الوطني لتوحيد الحركتين أو التأليف بينهما على نحو أو على آخر . كان الحزب الوطنى مجموعة من القيادات والشباب المثقف تكاد لا تتعدى حدود العاصمة وكانت حركة الاخوان المسلمين قد انتشرت في كل نجع وكفر ويبدو أن كلا من الفريقين كان يجد عند الآخر شيئا يفتقده ومن هنا كان سعي الواحد منهما للآخر ذلك السعى الذى لم ينته إلى شيء محدد والذى ضاع كله فيما ضاع بعد ذلك في تيه الحياة السياسية المصرية وما أصابها من إعصار .

ورغم أن فتانا قد تفتح للحياة السياسية إلا أن اتجاهاته الأدبية ورغبته في تثقيف نفسه كانت غلابة على كل شيء وعرف بين لداته في المدرسة بحبه للقراءة الأدبية وشغفه بها أكثر مما عرف به باعتباره من هواة السياسة .

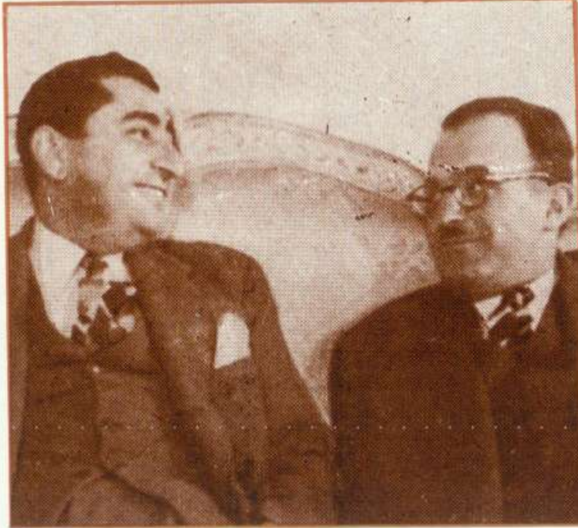
وكانت مجلة « الثقافة » هى التى تتربع على عرش المجلات الأدبية في تلك الفترة من منتصف الأربعينيات واشترك الفتى في « الثقافة » وكتب عنوانه على المدرسة . ولم تكن إدارة التوزيع في المجلة تعرف شيئا عن ذلك المشترك إلا أنه مشترك في المجلة وحسب . وكانوا يكتبون اسمه مسبوقا بوصف الأستاذ إذ يبدو أنه لم يخطر لهم إلا أن يكون ذلك المشترك استاذا في المدرسة ، ولكن ذلك الوصف لم يمر بسهولة ، واستدعى الفتى إلى حجرة الناظر مرة أخرى حيث لقى من التعنيف ما لقيه ، وطلب منه الناظر أن يكتب لإدارة الثقافة ليخبرها أنه مازال « تلميذا » وليطلب منها أن لا تصفه بوصف « الأستاذ » .

وانصاع الفتي وصدع بالأمر بطبيعة الحال .

وكانت مكافأته الكبرى ، حدث في الجمعية الأدبية في مدرسة شبرا الثانوية .

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

بدويّ الجبل.. وإخاء أربعين سنة



الشاعر الكبير بدوى الجبل مع كاتب المقال

شاعر بين العواصف

بقلم: أكرم زعيتر

لما علم البدوي أن رسالته إلى الخطيبة لم تحل دون استعجال العقد ، بادر والزعيم نبيه العظمه إلى الابراق إلي يقولان : « حياة المؤمن كفاح وجهاد وقد كسبت معركة الوطن بزواجك رفيقة تشد أزرك ، وتزيل بحبها وحنانها همك وصبرك » .

الشاعر الوزير

ثم حدث أن تمرد من الجيش السوري متمردون على العقيد اديب الشيشكلي وتألب عليه الوطنيون فقرر مغادرة سورية ، وبذلك أنهى عهده ، وعقد الوطنيون من ممثلي الأحزاب مؤتمراً في حمص برآسة هاشم الأتاسي رئيس البلاد الشرعي ، واستدعي البدوي من بيروت إلى المؤتمر ، ولكنه لم يكد يصل إلى اللاذقية حتى أقعدته الحمى عن مواصلة السير .. وقرر المؤتمر أن تقوم وزارة مؤتلفة تضم ممثلي الأحزاب الوطنية ، ورشح الحزب الوطني بدوي ليكون أحد الوزراء الأربعة الذين يمثلونه في الوزارة واختير وزيراً للصحة . فكتبت إليه مهنئاً واعتذرت عن تقاعسي عن الشخوص إلى دمشق للتهنئة بكوني أرتقب مولوداً ، وأومأت إلى الأمل الذي أعلقه على العهد الجديد وحنيني الدائم إلى دمشق ، وما لبثت حتى تلقيت منه الجواب ، وإذا أنا حرصت على نشر رسائله الاخوانية ، فلأنها مرآة كاتبها ، وأسلوبه « العفوي » في المراسلة ، وهي ذاتها من ذخائر الأدب . يقول البدوي في رسالته التي أرخها : ٥٤/٤/١٨ :

« أأقول لك إنني مشتاق إليك . إن هذه الكلمة — وحقك — مهما كانت قوية صادقة ، حارة ، لا تعبر عن بعض ما يغمر قلبي من حنين إليك وظمأ ملح إلى لقياك وإلى السعادة بقربك . أم أقول لك إن كتابك — على ما فيه من ايجاز — قد سرني وأسعدني . حروفك وكلماتك وتوقيعك نقلتني من العالم الهزيل الحقير المظلم إلى عالم وفائك وإخائك . وحروفك وكلماتك هذي تشيع في نفسي غبطة رفيعة ، حتى ولو حملت شتيمة ! فأنا أقرأ فيها ما لا تعنيه الحروف وأرى فيها ما لا تجلوه الكلمات . نحن نعيش بجو لا وصف له . لأنه لم يمر بخاطر من وضعوا الكلمات للمعاني حتى يجدوا له الكلمة المعبرة المصورة . ومن أول يوم وليت فيه الوزارة كان كل همي أن أراك قريباً مني ولكنني كنت أوجل دعوتك حتى يصفو الجو قليلاً ، فيطلع علينا اليوم الثاني بما هو أكثف ظلمة وجهامة .. ومهما يكن من أمر فو الله ما فارقتني



وزيـــــر الصحـــــــة بــــــدوى الجبل يزور احـــــــد المستشفيــــــــات عـــــــام ١٩٥٤



في دار الحياة (٢-١٢-١٩٥٩) من اليمين : كامل مروة صاحب الحياة ، دكتور هاني فياض ، اكرم زعيتر ، بدوى الجبل ، الشــاعــر الليبـــي عـــبـــد ربـــه الغنـــاي ، السفيـــر عـــبـــد الجليل الـــراوى .

ذكراك ، ولا الحنين إليك . وما حمل لك إنسان — عدا أهلك — وهذا موضع شك كذلك ما أحمله لك من إجلال وحب ووفاء وإخاء .

هل أقبل الحادث السعيد المنتظر . إننا نترقب ولي عهدك ، ووارث مجدك ، وترف عليه قبل قدومه ضمائرنا ، وتحنو عليه سرائرنا ، فاذا كانت بشائر قدومه عطرت الدنيا فاطبع على وجنتيه — أو وجنتيها — فالأنثى تصلح لأن تكون ولية عهد في عرفي ومذهبي — أخلص قبلاتي مشفوعة بأفضل تمنياتي . أرجو أن تقدم للسيدة الرفيعة الغالية تحية أخ لأخته وإجلال قومي عربي للمرأة الممتازة التي وكل إليها القدر الرحيم أمرك ، فكنت وديعة هذه الأمة لديها ، وهي خير من يرعى الوديعة ويصونها ويكرمها . احترامي وإجلالي لاستاذنا وإمامنا عادل بك ولك كل ما في نفسي من حب ووفاء واخلاص .. »

وكتبت إليه أعلمه : أنني رزقت ولداً أسميته سرياً (من السراوة) ثم أخبرته ما اتصل بي من رغبة تكليفي العمل مساعداً لأمين سر الجامعة العربية وما رأي الوزارة السورية ؟ فتلقيت منه جواباً يقول فيه : « لا أعلم كيف أعتذر اليك عن الانقطاع في المراسلة وشفيعي إليك أنك واثق من إجلالي لك ومن حبي ووفائي . فأنت لست صديقاً ولست أخاً ولست موجهاً فحسب : بل أنت هذه كلها مجتمعة في إطار رفيع من الخلق العالي ومن القومية المؤمنة ومن السجايا التي يعز نظيرها في دنيا العرب . وشهد الله أنني أرى بشرف إخائك أثمن ما حصلت عليه في حياتي . إن الارهاق في العمل وما يحيط بنا من مشاكل داخلية وخارجية لا تجعل في نفسي الصفاء الذي يجب أن يغمرني عند سعادة الكتابة إليك فاشملني بعفوك إذا قصرت .

إن ما تفضلت به من أمور هي موضع فخر لي واعتزاز . بل هو عمل وطني أنت الدائن ونحن المدينون . وثق أن موقفي من ذلك — حتى ولو لم تنبهني إليه — هو موقف نفسك من نفسك . أرجو أن تقدم كل احترامي وحبي الأخوي إلى السيدة الرفيعة وأن تقبل عني ولي العهد الذي تربطني به رابطة لا أمتن منها ولا أوثق .

احتراماتي لعلامتنا الأكبر(١) . ولك كل إخلاصي وإجلالي وحبي .. ١٣ — ١٢ — ٥٤ .
بدوي الجبل

وهاتفني يدعوني إلى دمشق للمذاكرة والمشورة ، ولحظت من الحاحه ما يحتم الاستجابة لدعوته فاعتمرت دمشق وضيفني في بيته وكانت ثم أزمة وزارية والحاح من السياسي العبقري فارس الخوري المكلف بتأليف الوزارة على البدوي في دخول الوزارة وزير دولة للدعاية والأنباء . ومن الذكريات حينئذ أن انعقدمؤتمر الأدباء العرب في دمشق وكان الدكتور طه حسين مقدمة الحضور ، وفي حفل عام لفت نظر البدوي أن سفير مصر في سورية أبى أن يصافح الدكتور طه حسين حين مد يده إليه ، ذلك لأن طه حسين كان قد أدلى بتصريح يستروح منه أن العهد في مصر لا يبيح الحريات ! فكان مما قاله البدوي الوزير في خطابه موجهاً الكلام إلى طه حسين : « يفنى الرؤساء ، ويزول الحكام ، وتبقى أنت .. يذهب العظماء ويبقى أدبك خالداً .. » ولما انتهى المؤتمر وأراد طه حسين العودة إلى مصر ماراً ببيروت أبرق البدوي إلى صاحب « الحياة » الأستاذ كامل مروة يؤذنه بموعد وصول طه حسين فاتصل برئيس وزراء لبنان عبدالله اليافي الذي بادر الى اقامة مأدبة لتكريم عميد الأدب العربي ، وقد رافقه البدوي وزميله الوزير الأديب الدكتور منير العجلاني إلى بيروت مبالغة في تكريمه ووداعه .

وعدت من دمشق إلى نابلس وكتبت إليه شاكراً حفاوته بي ومهنئاً بالوزارة الجديدة ومشيراً إلى خيبة أملي في العهد الجديد ، فأجابني بكتاب قال في مقدمته : « كتابك في يدي ، وقد قرأته بعيني وقلبي وبكل جوارحي .. وأنت على حق في كل ما تقوله . واخوانك شركاء مع الحوادث القاهرة في ظلمك وفي ظلم أنفسهم . ومن ظلمك من إخوانك فهو في الواقع يظلم نفسه وخلقه ووجدانه » فكتبت إليه راجياً ألا يهتم بالموضوع ، وحسبه النهوض بأعبائه الجسام في هذا الظرف العصيب .. وما أسرع ما أجابني برسالة ورد فيها : « كتابك كأنه ليس كتاباً . بل رسولاً وفياً يتحدث إلي وأتحدث إليه ... أما أنا فأعيش حياة أقل ما يقال فيها إنها ممتلئة ، ولكنه امتلاء خير منه الفراغ . امتلاء فيه مغارم الامتلاء بلا جدوى ! نسأل الله العفو والعافية والخاتمة الحسنة ، ولا بارك الله بالساعة التي جرني فيها الضعف الإنساني إلى النيابات والوزارات . » ثم شفع هذه الرسالة بأخرى كانت أشبه بوسام زين به شاعر العربية سيرة أخيه بقوله : « يشهد الله يا أكرم أنني لأغبط نفسي على شرف صداقتك . أنت كنز من المروءات ومن تجاوز هذا الكنز فما جنى على الكنز ولا على قلائده وفرائده ، بل جنى على نفسه . » ويقول : « إننا في مهب عواصف داخلية وخارجية ، عواصف لا تهدأ ولا تفتر ونحن في الدوامة نسأل الله فرجاً وخلاصاً » وشاء أن يختم رسالته مداعباً : « وقبلاتي لصاحب السمو ولي العهد المعظم أمتع الله به وبأبيه وأمه . »

ولا أدل على غربة البدوي النفسية يومئذ من رثائه صديقه الزعيم الصفدي المجاهد النازح : علي رضا النحوي ، وقد ألقاه في أربعينه . وفي مطلعه يقول : « هذه الغوطة الخضراء تحنو بعطور أورادها وبعطور أمجادها ، وبالعبق من كبريائها ، وبالوهج من دم شهدائها على قبرك أيها النازح الشهيد ، فتكاد وأنت وديعة الثرى ورهن الردى

شاعر بين العواصف

تنهل الشذا كما تنهل الريحانة الندى . وفيها : « وواحسرتا لهذه القبور الظامئة تطوف بها أحلام صرعاها ، أحلام نسيم وطنها ونجومه ولباناته وذكرياته ، والسنابل في وهاده ، والدروب الملتوية في أنجاده . الأحلام المغفية في غابات الزيتون بالكرمل ، الحالمة عند ملاعب الموج على رمال حيفا . لشد ما تستوحش هذه القبور ! هي في مكان ، وطيوفها وذكرياتها في مكان . وواحسرتاه لها ، انها صامتة كئيبة ولكنها في صمتها تتكلم لأنها تتألم ، وواحسرتاه لقبرك بينها ، إنه يطوي جوانحه على أرفع لهفة لأرفع هوى ، لأرفع وطن . حتى القبور تبكي وتستوحش وتتغرب » وفيها : « عالم القبور هو الدنيا التي ينور بها بياني ووجداني ، وتندى بها سريرتي وأريحيتي ، أما عالم الناس فأنا غريب عنه ، وهو غريب عني ، كلانا ينكر ملامح صاحبه ، ما أشد وحشتي منه وما أوجع غربتي . كلما طعنني الغدر قررت بدمائي وأشلائي إلى القبور الحبيبة أناجيها وتناجيني وأشكو إليها وتشكو إلي .. وما أمره من يأس يردني عن الأحياء إلى الأموات » وختم المرثية ، وهي طويلة : « ويا أيها النازح الشهيد ، إن تحية العروبة لفلسطين ، تحية العين لإنسانها ، والسريرة لوجدانها والعقيدة لايمانها » .

المؤامرة المزعومة

وتأزمت الحال في دمشق ولا سيما بعد أن اغتيل الضابط المتحمس عدنان المالكي ، وأسرف المكتب الثاني للجيش في الاتهام ، وبالغ في الاعتقالات ، وعلمت أن البدوي برح دمشق ولجأ إلى بيروت نجاة بنفسه ، وأنه في محنة نفسية بسبب مايلقاه بكر أولاده من العنت .. فيممت بيروت ، وقد سجلت في « يومية » الثاني والعشرين من آذار (مارس) ١٩٥٧ ما يلي : «نزلت فندق ريزيدانس ، حيث ينزل البدوي وأسرته ، لأكون قريباً منه وأستطيع مواساته ، إن مما يرمضه أن محكمة عسكرية بدمشق أخذت تحاكم إخوانا له من ذؤابات الوطنية بتهمة التآمر على سلامة سورية وجيشها ، وقد ورد اسمه في شهادة أحد الشهود أمامها فحمد الله الذي نجاه من البلاء بوجوده في بيروت . ومما علمته أن ولده « منير » قد عذب عذاباً شديداً لحمله على الإقرار باشتراك أبيه في المؤامرة المزعومة . جاءه ذات ليلة جندي يخبره أن المحكمة قضت باعدام أبيه وخاله ، ونفذت الحكم فيهما رميا بالرصاص ، فلا ضرر من اعترافه بصلتهما بالمؤامرة لأنهما ماتا ، ولكنه ينجو هو بنفسه . فكان يكتب « إفادته » ويشير إلى أبيه بقوله المرحوم أبي .. وسمع « طقطقة » سلاح وجاء من أنبأه أن المحكمة قررت اعدامه رمياً بالرصاص فكتب وصيته لأمه ثم أخبر أن التنفيذ قد تأجل ريثما يستدعى شيخ ليلقنه الشهادة ... وكان يحز في قلب البدوي أن يجري هذا ورئيس الجمهورية ، شكري القوتلي الزعيم المناضل لا يستطيع ردع العسكريين وحماية إخوانه من الوطنيين المتهمين !! كلا ، بل إنه في خطاب له لمح إلى المؤامرة كما لو كانت صحيحة !! ويقص البدوي أنه كتب للرئيس يرجوه انقاذ ولده فما أجدت الكتابة ، وكتب لعبد الحميد سراج رئيس المكتب الثاني الذي يتولى تلك الأفاعيل ، فأطلق سراح الولد بكفالة رمزية وأذن له بالسفر إلى بيروت والالتحاق بأبيه .. » .

أيها المعرض عني   ما الذي أبعدك مني
أنت حلو في الرضى السمح وحلو في التجني
١ دع يقيني وهو الجمر إلى آيات ظني
٢ كي تذوب الحب سيستمني بها قلبي وبغني
٣ المنى ضاعت فهبني منك نعماء التمني
تعدل الدنيا طرف علمت منك تجني
وأنا البلبل في الأيك وفي الأسر يغني
٨ ترف الأحلام أن أضفي على بلدي حسن
قد حباني الله من نعماه إشراقة عدن
أنا والأنجم أغفينا على مهد وحضن
وابتدعنا ألف دنيا وحلمنا ألف فن
٥ أنا والأنجم لا نفنى على الدهر ونفني
أنا ابن آدم من الله مابه الشوه يدني
ناحم النور ثمالي والأعاصير تمتني
يظمأ العشق فأسقي العشق أسطورة حب
لم يضم حبي بها آلام من هفة وغبن
أنزل الأيام أصيافا على جنة عدني

٢ - ١٢ - ٥٩

بخط بدوي الجبل

بخـــــط بـــــدوى الجبل

وفي يومية « أخرى » تلا علي البدوي بضعة أبيات من قصيدة هائلة مهولة يعاتب فيها كبيراً مسؤولاً .. فأخذتها ونشرتها في جريدة « الحياة » تحت عنوان : « إلى صديق قديم » ، وقلت في تقديمها : « هذه رائعة خالدة لشاعر العربية الأكبر ، بدوي الجبل ، وفيها يعرب البيان البليغ العبقري والقول الناصع السري عن مشاعر أرهفتها الأحداث وسكبتها سحراً تتباهى به الكلمة ويتجاهى به الشعر ، » وهذه هي الأبيات :

مـا راعنـا الـدهر بالبلوى وغمرتها
لكننـــا بـــالإبــاء المر رعنـــاه
إن نحمل الحزن لا شكوى ولا ملل
غـدر الأحـبـة حزن مـا احـتملناه
وما رعانا على عصف الخطوب بنا
هـوى حـبيب رعينـاه ونـرعـاه
ليت الـذيـن وهـبنـاهـم سـرائرنا
في زحمة الخطب أغلوا ما وهبناه
ولا وفـاءَ لقلب حـيـن نـؤثـره
حـتـى تـكـون رزايـانـا رزاياه
أشـامت عنـد جلانـا ومـا نزلت
إلا على الحب والإيثـــار جلاه
لاه ومحنـتـي العصمـاء داميـة
راو ومـن لـوعـتـي الشمـاء سقياه
مـا ضج في قلبـه جـرح فـكـابـده
ولا ألـــم بـــه وجـــد فعانـــاه
تضن بـاللهفة الحرى جـوانحـه
والقلب أخصبـه بـالنـور أسخاه
فمـا تـرشفت ايمـانـاً بمعبـده
ولا شممت طيـــوبـاً في مصلاه
قـد هان حتى سمت عنه ضغينتنا
فمـا حقـدنـا عليه بل رحمناه
يـرضيـه أن يـتشفى من مدامعنا
لـم نـبك منـه ولكننا بـكـيـنـاه
حسب الأحـبـة ذلا عـار غـدرهـم
وحسبنـــا عزة أنـــا غفرنـــاه
أغضى النـدي حـيـاء حين أنهبنا
للشـامـتـيـن : هوىً كالروح صناه
جـاه خلقنـاه مـن ألـوان قـدرتنـا
فـكـيـف يـكـفر فـينـا من خلقناه ؟
لـو رف حـبـك في بـيـداء لا هـبـة
على الظمـاء رحـيقـاً مـا وردنـاه
جليت طـيفك عـن عـيني فأسلمه
إلى الـدجـى وإلى الأعصار مـأواه
فـيـا لـكنز شـكـت منـه جـواهـره
وضاع عـن نفسـه لما أضعنـاه

على أنني قرأت بعد حين في مجلة « شعر » هذه الأبيات في قصيدة طويلة ذات أربعة وسبعين بيتاً تحت عنوان « اللهب القدسي » وجعل المخاطب فيها أنثى .. ثم جاءت القصيدة تحت العنوان ذاته في ديوانه في واحد وثلاثين بيتاً .. ولم أفطن إلى ذلك إلا بعد طبع الديوان !

ومما يدخل في ذكريات هذه القصيدة أن مجلة « الهلال » المصرية قد نشرت بعد سنوات أبياتاً من القصيدة وعزتها خطأً إلى أديبة لبنانية تحت عنوان « عزة المغفرة » وكان البيت الأول :

يـا مـن سقـانـا كـؤوس الـهـجـر مـتـرعـة
بـكـى بـسـاط الـهـــوى لما طـويـنـاه

وكان البيت الأخير :

صحـــا الفؤاد الـــذي مزقتـــه اربـــاً
حـــرى الجـــراح وللمنـــا بقـــايـــاه



من اليمين : جورج صيدح ، شفيق المعلوف ، وبدوى الجبل فى بيروت ربيع ١٩٥٤ .



فى دار الحياة ببيروت من اليمين : اكرم زعيتر ، الشاعر جورج صيدح ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، الشاعر عادل الغضبان ، السيدة زينة اكرم زعيتر .

وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات في « الهلال » فأرسل إلى من باريس قصاصتها وعلق عليها : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد أمامها قوافي الشعر ، ويحني هامتهم شعراء العصر .أدعو لها بطول العمر . » فبادرت إلى اطلاع البدوي على عبارة صيدح التي جاءت على وجازتها تقويماً عفوياً لشعر من شاعر .. ثم ما لبثت المجلة حتى صححت أغلوطتها .

البدوي في مغترب نفسي

وعدت إلى نابلس وقصصت على شقيقي عادل وعلى زوجتي محنة البدوي في مغتربه النفسي ثم سكبت مشاعرنا في كتاب بعثت به إليه ، وما أسرع ما أجابني : « إذا كان فى الدنيا ما تندى به سريرتى ، ويطمئن إليه إيماني ، ويغفو على هناءته وجداني فهو ، يميناً بمروءتك وأريحيتك ، هذا الاخاء تغمرني بنعمته ، وهذا الوفاء يبدع جمال الحياة بقدرته . ولقد كان لي ثلاثة أهفو في الهجر إلى ظلالهم ، وفي ظمأ التيه والوحدة إلى الرحيق المصفى في شمائلهم .. أما سعد الله فقد طواه الردى ، وأكرم الله به الثرى ، وزين به جنات الرضى .. وأما « الصديق القديم » فقد .... وبقيت لي وحدك ياأكرم عزاء عن سعد الله ، وصورة أنيقة وسمة عن سعد الله . متعني الله بك ، وفديت من عيني بضيائها ومن جوانحي برجائها ، فأنت وحدك البسمة في هذه الغمرة من الكآبة ، والأنس والنور والفرح بهذه الظلمة الحالكة من تنكر الاخوان وخيانة الأتراب والأصحاب .والأحقاد اللئيمة والضغائن المتبرعة المتطوعة !

كتابك بين يدي أقرأه فهل تقرأ الريحانة ؟ وأعيده ثم أعيده متملياً بكل كلمة من كلماته . بل بكل حرف من حروفه ، وإنني لمعتز بالعاطفة النبيلة التي تشمل بها أم سري ولدي منيراً وما تفضل به أستاذنا الأكبر (٢) فخر العربية وزهوة بيانها الأصيل من أسى ومشاركة لنا في المحنة التي ألمت بنا والتي نحتسبها عند الله وعند الوطن .. »

وأقول استطراداً إنني والبدوي سرنا بعد عشر سنوات في تشييع الرئيس القوتلي (الصديق القديم) بدمشق وظللنا نسبل الدمع غزيراً ونشعر لظى حرقتنا القلبية لوداعه باستعراض ذكريات ما أغلاها !

وعدت إلى بيروت لاجراء « عملية » جراحية في مستشفى الجامعة الأمريكية .. وكان البدوي يعودني صباح كل يوم ومساءه ، وكان كثيرون من الأدباء والأصدقاء ولا سيما السوريين السياسيين النازحين إلى بيروت يوالون الزيارة ويتواصون بألا أخلو إلى نفسي ، وبحجب الصحف عني ، ثم علمت بعد الشفاء أن شقيقي الأكبر وأستاذي عادل توفى في نابلس ، حين كنت رهن مبضع الجراح وكتمت الخبر حتى اندمل الجرح الجثماني ليتفتح الجرح النفساني !

وكانت جلسات البدوي واخوانه في العيادة اليومية أشبه بندوات أدبية وقومية .. وأذكر أنني تلقيت ــ وأنا في المستشفى ــ من صديقي الوطني الوفي النائب المصري محمد محمود جلال برقية نبيلة يسأل فيها عن صحتي . وحدثت الاخوان عن هذا السري الأمثل ومما قلت : أنه يتذوق الأدب . خطيب شاعر . وانه معجب بالشاعر المجدد خليل مطران ويردد معجباً ، هذا البيت :

كسالك وعر راقه حسن كوكب
فأرجله تدمى وعيناه في السما

واستعادني البدوي البيت ثم قال : « الصورة رائعة أما الديباجة فدون الصورة فهلا قال :

ومنفرد في البيد أغرته نجمة
فأرجله تدمى وعيناه في السما

وهنا ذكرت قول شفيق معلوف في « البستاني » :

يداه على التراب ومقلتاه
معلقتان بالأفق البعيد

وقال الشاعر عمر النص الذي كان البدوي يعجب بشعره :

تظل تغذ السير هيمان لا تعي
وطرفك في الأفق القصي معلق

• • •

وفي حديث عن أهمية إلقاء الشعر في نفوس السامعين .. وأن القارئ أدرى من السامع بقيمة الشعر ، فروى البدوي لنا : « كنا مدعوين إلى تأبين أحمد شوقي في أربعينه في القاهرة .. وأجلسنا معشر الشعراء على المسرح وقد امتلأت القاعة بالحضور . وكان الشاعر خليل مردم بك يجلس بجانبي . ولمحنا فلاناً (وسمي شاعراً نظاماً من لبنان) يدخل القاعة ، ويصعد المنبر فتساءل خليل مردم بك : ومن الذي دعاه ؟أيجوز أن يكون مثله في صف مؤبني شوقي في هذا الحفل ؟ فأجبته :اصبر وسترى ما يسرك !! ودعى المذكور إلى إلقاء قصيدته ، فلم يكد يتلو البيت الأول بالقائه البديع حتى دوت القاعة بالتصفيق واستعيد البيت ، وتصاعد التصفيق الحاد وصاح أحدهم : « والله إن مثل هذا الشعر لا يجوز أن يتلى إلا ونحن وقوف » فوقف الجمهور ، ووقفت وخليل مردم بك تحية لهذا الشاعر مع الواقفين وأمرنا لله ، حتى أنهى قصيدته في عواصف من التصفيق ، وأخرج مردم بك « علبة » سيكارة من جيبه وكتب على ظهرها عبارة سخرية لاذعة من جمهور كهذا .. »

وسأل أحدهم البدوي عن قصيدته يومئذ فذكر مطلعها :

لا الأمس يسلبك الخلود ولا الغد
هيهات أنت على الزمان مخلد
تتجدد الدنيا وقلبك وحده
دنيا تعيد شبابها وتجدد

ومن أبياتها :

خلع الحياة على البلى فكأنه
للبعث من قبل الأوان يمهد

وختامها :

شاعر بين العواصف

ولك الأمـارة في البيـان يقـرهـا
أمس الزمـان ولا يضيـق بـهـا الغد !

وذات صباح قال لي : اخوانك يقدمون إليك باقات الزهور ، ويهدون إليك مجامع الحلوى .. وأما أنا فدونك هذه الطاقة من زهور هذا الصباح !

إلى أخي الأعز الأغلى أكـرم زعـيتـر
لي أخ سكب المروءات إذا الـداعي دعـاه
أريحـي اليـد والفكـر ، وللفكـر نـداه
مـا حكـاه الهنـدواني ولا أغنـى غنـاه
أكـرم الـود تفيـأنـا على الجلى حمـاه
صاغـه الخيـر مـن الخيـر لبـابـاً واصطفاه
معرق الأمجـاد والأنسـاب ، طـابت نبعتـه
فـاذا عـدت غـطـاريـف العلى فـاذكـر أبـاه(٣)
وإذا عـدت أسـاطـين النهى فـاذكـر أخـاه(٤)
وإذا الميـدان جلى الشـوط كـان ابـن جلاه
ضاحك مـا شئت تخفي عزة الكـبـر أسـاه
عـبـقـري القلب والعقل تـرشفنـا سنـاه .

وعدت إلى نابلس ويممت ضريح شقيقي الذي غاب من دون أن أودعه وأن أجثو على قدميه في الساعات العصيبة الأخيرة في حياته الضخمة ..

من ذخائر المحفوظات

وفي أربعينه حمل إلي البريد رائعة البدوي في تأبينه وهاهي ذي تجمل هذه الحلقات ، وما أجدرها بأن ترويها الرواة من ذخائر المحفوظات :

« أخي وسيدي ، ما أروع هذا الحزن الوسيم الكريم . إنه حزن العبقري الذي يخلع من لوعته ومن دموعه جمالاً على الدنيا وحناناً يؤنس كل ما هو موحش منها وينضر حتى الرمال الظامئة وينور حتى الهجير اللهفان .

هؤلاء الذين نفقدهم من أحبابنا ، أحقاً إنهم انتهوا وانطوا . أم واقع الأمر وجوهره أننا نعيش فيهم ونطوف جزءاً صغيراً دقيقاً في عالمهم الكبير الغني بالطوف والأحلام والذكريات . هؤلاء الذين فقدناهم ، ما أقربهم إلينا عيناً ساجية ورنوة حالمة وابتسامة ناعمة وصمتاً وكلاماً وهناءة أسارير وكآبة ملامح . هنا في سرائرنا مغان مأهولة بهم . هنا في سرائرنا نسكب لاحبابنا كؤوس الحنان ليرتشفوها نهلة نهلة ! هنا في سرائرنا ننمنم لاحبائنا أنغام الجنان ليستعيدوها أغرودة أغرودة ! هنا يعيشون على الشهي من لباناتنا ، وعلى المصفى من صباباتنا . إن النسيان وحده هو المنية ، فما أبعد أحبابنا عن المنية ، أعني عن النسيان . هنا في ضمائرنا قصورهم السندسية ، وخمائل هواهم ، ومساحب الذيول تنفح بالطيب . وكل ما يتخيلونه من نعيم وزهو وربيع وشباب وترف فكر وترف حضارة . نعطي أحباءنا كل هذا ونأخذ أحزانهم وأسقامهم وسهد عيونهم ، فما أسعد أحباءنا وما أشقانا بهم ! ما أترف ما ينعمون منا وما أقسى ما نلاقيه منهم ! بعض الحنان أيها الأحبة الغائبون عن نواظرنا ، الساكنون في ضمائرنا . بعض الحنان . ويالها من مرارة حين تسأل الحياة من الموت حنانه ورفقه !

لك الله يا أخي أبا سري ، إنني لأتسرب مع أحزانك في وجدانك فتروعني فيها ألوان من الجمال مقطوفة على طلة الندى من سدرة المنتهى . ألوان من الحزن مجلوة بزينتها ، وفتنتها ليشهدها الله بين جراح الشهداء ودموع المؤمنين المستغفرين في الاسحار . ـ كلها وأحزانك بينها ـ تتبرج لتصل الى الله رائعة وسيمة ولتنسكب على الأديم القدسي أوراداً من خميلة ، وأوراداً من عبادة .

ان الحزن ليحب الوجدانات الرفيعة ويهنأ بها غدوة وروحة حتى ليصبح جزءاً منها أو تصبح هي جزءاً منه . كل عبقرى فى الدنيا ينزل الحزن على وجدانه نزول الكريم على الكريم فيختلط الدمع بالعطر والكآبة بالأريحية . أحزان العبقريين احزان أحلى من حور الجنة وحزنك بينها أصفاها نميراً وأنداها عبيرا !

إننى أسكب أحزانى في وجدانك ، لتستعير منه بعض الجمال ، بعض السحر بعض الرحيق المصفى ، وأريد أن تسكب أحزانك في وجدانى لتستعير منه بعض السلوان ، ولا أقول النسيان ، وقد يكون السلوان أحياناً أمر في قلوبنا من الأحزان وأقسى على قلوبنا من الخطوب .

ويا أيها الأحباب الذاهبون : سلوا الله بنعمته عليكم في جواره ، وبمحنته لنا في فراقكم ، سلوا الله أن يندي قلوبنا باللوعة الهادئة والدموع الوافية ولا تسألوه أن يمنحنا النسيان ، فلو ألمت بنا خاطرة منه لطفنا بقبوركم نجدد هوانا ونستغفر أسانا » ..
١٨ ـ ١٢ ـ ٥٧ .

بدوى الجبل

وما كدت أقرأ هذه المرثية وأمسح بيد التجلد دموع الحنان لذكري أخي ، حتى ابرقت إليه :

« ما إن قولاً سرياً نبيلاً ـ ومن القول سري ونبيل ـ قيل فى التأساء مثل هذا القول العبقري . إنها آية الآيات وسر أسرار البلاغات . بها يجمل شجني ويسرو حزني ويسمو تجلدي واصطباري ويتعاظم بأخي اعتزازي وبمروءتكم افتخاري حفظكم الله لجمال العبقرية وللوفاء » .

وفى الرابع عشر من آذار ١٩٥٨ أقيم في نابلس احتفال تأبينى كبير لذكرى عادل زعيتر رثاه فيه اعلام الأدب فى مصر والعراق وبلاد الشام : بنت الشاطىء والشعراء محمد عبد الغنى حسن وعادل الغضبان ومحمد الشريقى والأدباء العلماء مصطفى جواد وعمر البرغوتي ونظير زيتون وقدرى طوقان وكامل مروة وممثلة الهيئات النسائية ونقيب المحامين . ثم وقف عريف الحفل الاستاذ عجاج نويهض يقول : « بينما كان الاستاذ بدوى الجبل يهم بالمجيء وقع عارض فأصيبت يده ، فأبرق ـ حفظه الله للعربية ـ الى شقيق الفقيد بالبرقية التى وصلت الآن وفيها يقول : « لقد انسجم في أخيك العظيم البيان العبقرى الأصيل ، والخلق الوديع المتكبر ، والقومية المؤمنة الصافية لحناً سماوياً عاد الى معدنه ، فهو طيوب من سدرة المنتهى ينعم بها الرفيق الأعلى ، ويميناً بشمائلك المترفة وبما ضمت جوانحك من كنوز الحق والخير والجمال ، لقد حز في قلبي أنني لا أستطيع أن أكون إلى جانبك فى هذه الذكرى وأنت الذى غمرتني بمروءاته واريحياته ، وكان لى عند محنة الدهر وخيانه الصديق ضياء وعزاء ورجاء » .

وأقبل عيد الفطر وهو أول عيد يطل علينا بعد وفاة شقيقى عادل ، فتلقيت من صديقى البدوى برقية يقول فيها : « ينزل العيد على آلامك فيسكره جمالها . والآمك وضيئة كسريرتك ، رفيعة كإيمانك خصيبة كعبقريتك » .

لقد ترددت كثيراً في ايراد بعض هذه الرسائل والبرقيات ثم استجبت للهاتف الجوانى يهامسنى : « من تمام الحديث عن إخاء أربعين سنة ألا تتغافل عما أنعم به عليك أخوك البدوى من سراوات وإن هو أفرط بالتكرمة وبالغ في السخاء !

كانت سنة ١٩٥٨ حافلة بالأحداث فى العراق وسورية ولبنان ، محكمة المهداوي في بغداد غبرت في وجه محاكم الثورات !! وكاد شررها يصيب الشاعر القابع بمنزله في بيروت ! وكان همى حين



العلامـة المرحـوم الاستـاذ عـادل زعـيـتـر



أحمد شوقي

(61) بخط بدوي الجبل

إلى أخي الأعز الأغلى أكرم زعيتر

أخي أغر سكب المروءات إذا الداعي دعاه
ما حكاه الهندواني ولا أغنى عناه
أكرم الود تفيأنا ظل الحلى حماه
صاغه الخير من الخير لبابا واصطفاه
معرق الأمجاد والأنساب طابت بنعماه
فإذا عددت عظماء بيت العلى فاذكر أباه (١)
وإذا عددت أساطين النهى فاذكر أخاه (٢)
وإذا الميدان جلى الشوط كان ابن جلاه
ضاحك ما شئت تخفي عزة الكبر أناه
عبقري الكتب والمقل ترشفنا سناه
أريحي السيماء

٥ – ١١ – ٥٧ بدوي الجبل

(١) الشيخ عمر زعيتر زعيم لواء نا
(٢) العلامة الكبير عادل زعيتر

بخـــــط بـــــدوى الجبل (٥-١١- ١٩٥٧)

زرت بيروت أن القى البدوى فنتباثث الهموم ، ونتواصى بالصبر . واهتديت إلى منزله في أقصى حي من الأشرفية في معزل عن الناس إلا عن صديقه وشاعره الأثير أمين نخلة . وقد ترافدت عليه الهموم ، فحملته على مغادرة صومعته وزيارة أصدقائه .

فن الشوق

وحدث أن زرت صديقى القصصى النابغ ، الشاعر الثائر الاستاذ توفيق عواد السفير في وزارة الخارجية اللبنانية وكنت لم ألقه منذ سنوات ، فكان عناق بعد طول الفراق .. وبادرني توفيق قائلاً : « أنت يا أكرم من عصبة مهما طال فراق أهلها فإنهم يظلون مجتمعين كل يوم . وراح يهمهم ثم نهض الى مكتبه وكتب الأبيات التالية ووقعها وأعطانيها فشدوتها معجباً :

عصبـــــــة مـــــــن خلصاء
هـــم على الـــدهـــر مجنـــي
نلتقـــى يـــومـــاً وعـــامــاً
لا تسل عنهـــم وعنـــي
ففلان قلت عنــــــــــــه
وفلان خـــــال أنـــــي
وأنــــا إمــــا تغنـــوا
رفـــرفت روحـــى تغنـــي
أو بكـــوا أترعت كـــأســي
بـــالمرارات وَدَنـــــي
أو بنـــوا مجـــداً تطـــاولت
على النـــاس كـــأنـــي
لست ادرى منهـــم شيئـــا

ولا يـــــدرون منـــــي
قـــد جعلنـــا البعد فـــن
الشـــوق أو علم التمنـــي

وفي جريدة « الحياة » اطلعت البدوي على هذه القصيدة فردد معجباً : « قد جعلنا البعد فن الشوق » ونشرت القصيدة في « الحياة » ..

وفي أمسية اليوم التالي ، في لقائنا في جريدة « الحياة » فاجأنا البدوي بقصيدة عارض فيها قصيدة العواد ورنحنا وهو يتلو :

أيهـــا المعرض عنـــي
مـــا الـــذي رابك منـــي ؟
أنت حلو في الـــرضى السمـــح
وحلو في التجنـــــــي
دع يقيني ــ وهـــو الجمر ــ
إلى أفيـــــاء ظنـــــي
لي كنـــوز الحب يستغنـــي
بهـــا قلبـــي ويغنـــي
والمنـــى ضاعت فـهبنـــي
منك نعمـــاء التمنـــي
تعدل الـــدنيـــا طيـــوف
علقت منك بجفنـــي
وأنـــا البلبل في الأيك
وفي الأســـر يغنـــي
تـــرف الإحســـان أن أضفي
على دنيـــــاي حسنـــي
قـــد جلانـــي الله مـــن نعمـــاه
إشـــراقـــة يمـــن
أنـــا والأنجـــم أغفينـــا
على مهـــد وجفن
وابتـــدعنـــا ألـــف دنيـــا
وخلقنـــا الـــف فـــن
أنـــا والانجـــم لا نفنـــى
على الـــدهـــر ونفنـــى
أنـــا إن أدن مـــن الله
فإن الشـــوق يـــدنـــي
نـــاعم النـــور نمـــانـــي
والاعـــاصيـــر نمتنـــي
يظمـــأ العقل فـــأسقـــي
العقل أسطـــورة جـــن
لـــم يضق حـــبي بمـــا القـــاه
مـــن حقـــد وغـــبن
أنزل الآثـــام أضيـــافـــاً
على جنـــة عـــدنـــي

ولم يكد ينتهي من تلاوتها حتى رن جرس الهاتف .. وقال العامل : « المطار يطلب الاستاذ أكرم » إنه الشاعر جورج صيدح العائد من باريس يقول لي :

بلغوا العواد عنـــــــي
أن فـــن الشـــوق فنـــي

وإلى اشعار آخر وفي اليوم التالي نشرت الحياة قصيدة البدوي ، وفي المساء اتصل صيدح بالحياة ليكمل قصيدته ذات الأبيات الستة :

بلغوا العواد عنـــــــي
أن فـــن الشـــوق فنـــي
عـــاش في قلبـــي شعوراً
لـــم يعش علمـــاً بـــذهنـــي
مـــا تـــراني بيـــن أحـــبابـــي
بلا علم أغنـــــــي ؟
عـــدت يـــا مـــن عـــاد قبلي
للمنـــــى لا للتمنـــــي
للقـــا يسكب نعمـــــاه
على عـــينـــي وأذنـــي
شـــاعـــري ، ليتك تـــدري
أي حب لك منـــــــي

وبينما كنا نتسامر أقبل الآذن يقول : « ضيف من ليبيا » وأقبل الضيف يقول بعد السلام : « أخوكم عبد ربه الغناي المستشار في الاستئناف العالي في بنغازي » فرحبنا به ثم قال : « لقد تابعت المساجلة الشعرية بين بدوي الجبل وعواد وصيدح فوددت أن تكتنف المساجلة شطراً آخر من الشعراء .. وينتظم العقد بشاعر من ليبيا شقكم الغربي العربي » ثم أنشد :

هـــاجنـــي شـــوق لفن
فـهفا قلبـــي يغنـــي
وانـتشـــى مـــن خمـرة الـــروح
ومـــن عـــطـــر التمنـــي
وأنـــا النـــازل مـــن لبنـــان
في جنـــة عـــدن
هـــات مـــن شعرك فجـــراً
يبعد الظلمـــاء عنـــي

وقد اشترك في هذه المساجلة نحو عشرين شاعراً من لبنان وسورية والكويت وفلسطين والأردن وضمن بعضهم معارضتهم بيت البدوي :

أنت حلو في الـــرضى السمـــح
وحلو في التجنـــــي

أكرم زعيتر

هوامش :

(١) المرحوم الاستاذ عادل زعيتر .
(٢) المرحوم الاستاذ عادل زعيتر.
(٣) المرحوم الشيخ عمر زعيتر الزعيم الفلسطيني الكبير .
(٤) المرحوم العلامة عادل زعيتر

أخطاء وردت في الحلقة السابقة

مصطف وصحيحها مصطفى
نيسان سنه ١٩٤٥ وصحيحها ١٩٤٦
ولحدت وصحيحها ولججت
والقى حكمة وصحيحها كلمة
من راح يحمل في جوانحه وصحيحها في جوانحه الضحى
ومحمود على وصحيحها ومحمد كرد على
وردن جنابها وصحيحها حنانها
وفي الصورة جاءت عبارة علي محمد الخوري وصحيحها علي يمين الخوري

حركة أبناء البلد هل هي سرطان في جسم إسرائيل ؟

يتسم النضال الفلسطيني بسياسة النفس الطويل والاصرار على الهدف الاستراتيجي ، والصبر والأناة ، وتحمل صنوف الآلام المبرحة ، والقدرة على تقديم التضحيات مهما كبرت وغلا ثمنها . وتلك لعمرى ، معطيات لم يدركها العدو الصهيوني ، عندما بدأ مشروعه العدواني لتهويد فلسطين ، والمضي بعد ذلك في سياسة التوسع في الأراضي العربية لتحقيق حلمه المريض : « اسرائيل من النيل الى الفرات » !

والذين يعرفون تاريخ الشعب الفلسطيني العربي ، يدركون هذه الحقيقة ، كما يدركون قيمتها التى لا تقدر بثمن في الصراع التاريخي والحضاري بين الصهيونية والأمة العربية .. ونشير هنا بشكل عابر إلى أن النضال الفلسطيني ضد الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية إنما بدأ في وقت مبكر من هذا القرن ، حيث تنبه الفلسطينيون إلى الخطر الصهيوني والتآمر الاستعماري على بلادهم منذ صدور « وعد بلفور » المشؤوم بتاريخ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ .

بقلم : عصام شريح

بعد دخول قوات الانتداب البريطاني الى فلسطين ، بدأت المقاومة الفلسطينية ضد الانتداب والصهاينة ، وتمثلت أولا بالتظاهرات والاضرابات الشاملة ، وفي عام ١٩١٩ نشب أول صدام دام بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال البريطاني التى كانت تحمي الصهاينة الوافدين ، أما الثورة الأولى فقد نشبت في عام ١٩٢٠ ، وتبعتها ثورات ١٩٢١ و١٩٢٥ و١٩٢٩ و١٩٣٣ و١٩٣٥ ، ثم الثورة الكبرى التى استمرت حوالي أربع سنوات ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ثم ثورة عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ .

ولم يتوقف الفلسطينيون عن النضال بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، وإن كان هذا النضال محدوداً بسبب ظروف عربية ودولية متشابكة ، لكن ما إن جاء عام ١٩٦٥ ، حتى كان ميلاد الثورة الفلسطينية المعاصرة .

أما في الأرض المحتلة في عام ١٩٤٨ ، فإن الفلسطينيين الذين لم يكن يزيد تعدادهم آنذاك عن مئتي ألف ، والذين أصبحوا الآن سبعمئة ألف نسمة ، لم يتوقفوا أبداً عن النضال ضد الغزاة الصهاينة ، حيث بدأوا منذ مطلع السبعينات في انشاء الحركات والتنظيمات التي يمكن من خلالها متابعة النضال والمقاومة .

وقد كانت حركة الأرض ، ثم حركة « أبناء البلد » ، أهم هذه التنظيمات وهي مدار حديثنا في هذه المقالة .

أبنـــــاء البلد

كان تأسيس « حركة أبناء البلد » التي هي في الواقع امتداد « لحركة الأرض » ، التي منعت السلطات الاسرائيلية أعضاءها من مزاولة أي عمل سياسي ، في عام ١٩٧٠ ، دليلا جديداً وبرهانا آخر دامغاً على حيوية الشعب الفلسطيني ، وقدرته على ابتكار أساليب النضال ، في أشد الظروف ظلاماً وظلماً .

وقد بدأت الحركة نشاطها في ذلك العام . بمجموعة من المثقفين والمهنيين لا يزيد عددها عن عشرين شخصا ، على رأسهم المحامي محمد كيوان وحسن جبارين وكان ميلاد هذه الحركة في بلدة « أم الفحم » التي عرفت بنضالها الصلب ضد النازية الصهيونية .

ويقول محمد كيوان ، وهو محام يملك مكتباً للمحاماة بقرية « الخضيره » حالياً ، إن اسم « أبناء البلد » لا يعبر بشكل دقيق عن فكر الحركة ، « فنحن أبناء البلد خاضعون لسيادة المغتصبين المستعمرين ، واسمنا بالعربية هو أبناء البلد ، وهو اسم يقود إلى مغالطات أحيانا ، حيث أن كلمة بلد تعني قرية ، أو بلاد ، أو وطن » ويضيف كيوان : « ونحن لسنا أبناء القرية فحسب ، بل نحن أيضا أبناء هذه البلاد ، وأبناء الوطن (فلسطين) » .

وفي الواقع فإن حركة أبناء البلد ، قد وجدت

تجاوباً واسع النطاق على الصعيد الشعبي بين عرب ١٩٤٨ ، فبعد سنوات قليلة من تأسيسها وبالتحديد فى عام ١٩٧٦ ، امتدت نشاطاتها الى قرية « كابول » ، حيث تكونت فيها نواة من بعض الشبان مثل : مصطفى بداح ، وصالح حمود ، وابراهيم ريان ، ثم مالبثت أن انتشرت في مدينتي الناصره وعكا . وقرى كفر كنا وكفر ياسيف وشفا عمرو وسخنين ومعليا . ويقول محمد كيوان الذي يعتبر أبرز قادة حركة أبناء البلد ، إن الحركة جسم صغير ، لكن تأثيرها يتعدى حدود قرية أم الفحم ، وجميع قادة الحركة يتفاخرون بتأثير حركتهم على الصعيد القطرى ، مشيرين إلى أن للحركة اليوم فروعاً في معظم قرى الجليل والمثلث ، مثل قرى الطيبة والطيره وعاره وعرعره ونحف وجث وعرابه وكابول ، إضافة الى القرى والمدن التى سبق ذكرها ، بل إن للحركة فروعا ونشاطات في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة ، وفى تل أبيب وحيفا وبئر السبع واللد أيضا .. لكن وزير الدفاع الصهيونى مناحم بيجن الذى كان كذلك رئيسا لحكومة العدو ، سارع بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٨١ ، إلى اصدار أمر منع بموجبه « لجنة التنسيق » التى تمثل التنظيم القطري للحركات والمنظمات العربية العاملة فى منطقتي الجليل والمثلث من عقد أي اجتماعات أو مزاولة أى نشاط بحجة أنها وضعت نصب عينيها محاربة اسرائيل والصهيونية الأمر الذي دفع بحركة أبناء البلد ، الى استبدال اسم الحركة في بعض الفروع خارج المركز الرئيسى في بلدة أم الفحم ، فأصبح اسم الحركة في الجامعات الاسرائيلية : القدس وحيفا وتل أبيب حيث يدرس حوالى ألفي طالب عربى ، « الحركة الوطنية التقدمية » ، وفي بلدة الطيبة ، أصبح اسم الحركة « النهضة » ، وان كانت هاتان الحركتان قد أخذتا في تمييز نفسيهما خلال السنتين الماضيتين عن حركة أبناء البلد ، دون أن تقطعا صلتهما بها ، ويرأس الحركة الأولى المحامي ابراهيم نصار ، فيما يرأس الثانية صالح برانسي ، وهذا الأخير من مؤسسى حركة الارض ، وقد زجت به السلطات



محمد كيوان



حسن جبارين

● ميلاد هذه الحركة كان في بلدة « أم الفحم » التي عرفت بنضالها ضد الصهاينة

الصهيونية فى سجونها لمدة عشر سنوات .

ويقدر أعضاء حركة أبناء البلد بمئات النشيطين وآلاف المؤيدين لكن نقطة الضعف التى تعانى منها ، تتمثل في قلة مواردها المالية ، واضطهاد سلطات الاحتلال الصهيونى لأعضائها ، وضعف بنائها التنظيمي الناجم عن ضعف التنسيق بين فروعها ، بسبب طبيعة نشأتها . وبالنسبة لتمويل الحركة ، يقول الناطق باسمها حسن جبارين ، إن الحركة تتلقى تبرعات من عرب ١٩٤٨ ، ويضيف أنه قام في عام ١٩٨٣ ، بجولة في الولايات المتحدة لجمع تبرعات مالية للحركة من خلال إلقاء محاضرات بدعوة من منظمة خريجى الجامعات الفلسطينيين ، كما حصلت الحركة على تبرعات من « الصندوق الأمريكى الفلسطينى » الذي يرأسه الدكتور هشام شرابي ، حيث تبرع الصندوق بستة آلاف دولار للمجلس المحلي بأم الفحم ، ومع ذلك ، فإن سلطات العدو ، توجه بين الفينة والأخرى اتهامات للحركة بتلقى مساعدات مالية من منظمة التحرير الفلسطينية ، بهدف إرباك تحركاتها وتخويف قادتها وجماهيرها .

النظام الداخلى للحركة

مع تصاعد التفاف عرب ١٩٤٨ حول حركة أبناء البلد ، وجدت الحركة نفسها أمام ضرورة ملحة لوضع نظام داخلى ، ينسق عملها ويحدد مسؤوليات القياديين فيها ، فكان أن تم وضع هذا النظام في عام ١٩٧٦ . وقد حدد النظام الداخلى المؤسسات التنظيمية للحركة على الوجه التالي :

أولاً : المؤتمر العام وهو أعلى سلطة في الحركة ، وتعتبر قراراته ملزمة للأعضاء والهيئات ، وهو يعقد مرة في السنة بشكل دوري ، ويمكن عقده في دورات طارئة إذا استلزم الأمر ، أما مهمة المؤتمر العام ، فهي تقرير الاتجاه الاستراتيجى العام للحركة بين دورة وأخرى .

ثانيا : الهيئة الادارية وتتكون من خمسة

حركة أبناء البلد
هل هي سرطان في جسم إسرائيل؟

أعضاء ، يتم انتخابهم من قبل المؤتمر العام ، والهيئة الادارية مسؤولة عن ادارة وتوجيه نشاط الحركة بين فترات انعقاد المؤتمر العام ، وتشكيل لجان فرعية تابعة للحركة .

ثالثا : لجنة الرقابة ومهمة هذه اللجنة هي مراقبة جمع مؤسسات الحركة وأعضائها .

رابعاً : اللجنة المالية وتتولى جمع الاشتراكات الشهرية من الأعضاء وتنظيم الحملات والتبرعات المالية .

ولابد من الاشارة أيضا ، الى أن حركة أبناء البلد ، تعتمد من حيث التنظيم على خلايا في التجمعات السكنية والجامعات ، إضافة الى خلايا للأشبال والفتيات .

الأهداف السياسية

ينفى الناطق باسم حركة أبناء البلد حسن جبارين ، أن يكون للحركة برنامج سياسي وفكري مكتوب ، لكنه يشير الى وجود برنامج متفق عليه شفهياً ، ومع ذلك يقول جبارين « إن الشعب الفلسطيني يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الوحيد ، وعرب ١٩٤٨ جزء من الشعب الفلسطيني ، وكل موقف تتخذه المنظمة يجب أن يأخذنا بالحسبان» ويضيف : « ان القيادة العسكرية الاسرائيلية لم تستطع قصم ظهر حركة المقاومة الفلسطينية ، وقد حاولوا القيام بعملية تدمير بيولوجي للفلسطينيين .. لكن لن يكون هناك تنازل عن المطالبة بإقامة دولة فلسطينية على أرض الوطن ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، كما لا مناص من رفع العلم الفلسطيني في مدينة القدس » .

أما محمد كيوان فيقول : « لقد قامت حركة أبناء البلد لكي تعالج مشاكل محلية ، مثل نهب الأراضي ومصادرتها ، وإهمال المدارس والخدمات العامة الجماهيرية » . ويضيف كيوان : أنه في هذا المجال ، فإنه لا يوجد فرق بين حزبى المعراخ (العمل) والليكود ، كما أنه لا يوجد أي فارق بين تهويد منطقة الجليل وما يصفه الصهاينة بتطوير الجليل .

وفي الواقع فان حركة أبناء البلد ، تعمل بحذر وتكتم ، فهي لا تعلن بشكل صريح في أكثر الأحيان عن أهدافها الوطنية الاستراتيجية ، ولذلك نراها ترفع شعارات مختلفة كأهداف آنية أو مرحلية ، مثل رفع مستوى الحياة في القرى العربية ، وإلغاء النظام العشائرى ، ورفع مستوى التعليم ، ووقف مصادرة الأراضي .. الخ .

بيد أن التصريحات التي يدلي بها بعض المسؤولين في الحركة ، والنشرات الصادرة عنها ، والمواقف المعلنة في المناسبات والأحداث الوطنية ، تلقي مزيداً من الضوء على الأهداف الاستراتيجية لحركة أبناء البلد ، وتضع الحركة بالتالي في واجهة الأحداث ، كإحدى أدوات النضال الفلسطيني في الداخل .

وربما كان الكراس الذي نشره أحد قادة الحركة ، واسمه « محمد محارب » في مجلة « الدستور » الصادرة بلندن (العددان ٤٣٦ و٤٤١ ــ ١٩٧٩) ، يشكل برنامج عمل ومنهجاً سياسيا استراتيجياً لحركة أبناء البلد . ويتكون البرنامج من سبعة أبواب ، يضم كل منها عدة بنود .

ففى الباب الأول ، تتناول الحركة قضية الشعب العربى الفلسطيني منذ فجر نضاله ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيونى ، مؤكدة على وحدة الشعب الفلسطيني ــ على الرغم من تشتته ــ وعلى أن حركة أبناء البلد ، جزء لا يتجزأ من هذا الشعب ، وأن أي حل للقضية الفلسطينية ، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ، مصير عرب ١٩٤٨ ضمن هذا الحل . وترى الحركة ، أنه لابد للشعب الفلسطيني من أن يمارس حقه في تقرير مصيره بنفسه على أرض وطنه ، كما تؤمن الحركة بأن منظمة التحرير الفلسطينية ، هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

ويتحدث الباب الثاني عن الحركة الصهيونية ، وممارساتها الاستيطانية في فلسطين المحتلة ، ويصف منهاج الحركة الصهيونية في هذا الباب ، بأنها حركة استيطانية استعمارية عنصرية ، ترمي إلى بناء وجودها على أنقاض الشعب الفلسطيني ، فضلاً عن ارتباطها مصيريا بالاستعمار الدولي ، ويستخلص المنهاج من ذلك ، أن الحركة الصهيونية وأداتها « اسرائيل » ، عدوتان للشعب الفلسطيني والأمة العربية .

أما الباب الثالث فيتطرق الى المسألة اليهودية ، وتقترح حركة أبناء البلد في هذا الباب من منهاجها ، على الشعب العربي الفلسطيني « وعلى اليهود » ، أن يمارسوا ما تصفه « بحقهم في تقرير المصير ، في إطار مجتمع علماني ديمقراطي اشتراكي !! وفي نطاق وحدوي تقدمي ، مع الوطن العربي ، تكون الحقوق القومية والدينية والحضارية مضمونة فيه ، لمختلف الأقليات القومية والدينية » .

وفي الباب الرابع ، يحدد المنهاج ، نضال الجماهير الفلسطينية الرازحة تحت نير الاحتلال منذ عام ١٩٤٨ ، فتراه جزءاً لا يتجزأ من نضال الشعب العربى الفلسطيني ، ومن حركة التحرر الوطني والقومي الشاملة ضد الاستعمار العالمي .

وفي الخامس تؤكد حركة أبناء البلد ، أن الظروف الموضوعية والمرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب الفلسطينى والأمة العربية ، تؤكد أن النضال في الأساس ، هو نضال تحريري وطني .

أما في الباب السادس ، فيعطي المنهاج صورة عن نضال الشعب الفلسطيني اليومي في الأرض المحتلة في عام ١٩٤٨ ، ضد سياسة النظام الصهيونى العنصري ، وممارساته القمعية والقهرية .

وفي الباب السابع تحدد حركة أبناء البلد ملامح أسلوب نضالها ، فتقرر أنه نضال سياسى واجتماعي وتربوى وحضاري ، يهدف الى تنظيم وتعبئة الجماهير العربية فى منطقتى الجليل والمثلث وكل المناطق الأخرى المحتلة في عام ١٩٤٨ ، من أجل تحقيق أهداف الحركة ، وتؤكد حركة أبناء



جانب من مظاهرة وطنية اشترك فيها عرب الارض المحتلة في قرية «ام الفحم»

البلد ، رفضها لجميع التسويات السياسية ، وخاصة تلك التى ينص عليها قرارا مجلس الأمن الدولى رقما ٢٤٢ و٣٣٨ .

عودة الى حركة الأرض

ولاستكمال عملية تسليط الضوء على حركة أبناء البلد ، لابد من العودة الى جذور هذه الحركة ، أعني العودة إلى حركة الأرض ، التى تأسست في عام ١٩٥٩ ، خلال اجتماع ضم بعض المفكرين والكتاب من الشبان من عرب ١٩٤٨ ، هم منصور كردوش وحبيب قهوجي ومحمود السروجي وعبد الرحن يحيى ، وتوفيق عوده وحنا مسمار وزكى البحري . وقد تم اختيار اسم « حركة الأرض » للتنظيم ، للتعبير عن تعلق الفلسطينيين بأرضهم ، وقد أصدرت الحركة ، التى أخذت تمارس نشاطها بشكل شبه سرى ، لعدم اعتراف السلطات الاسرائيلية بها ، أصدرت جريدة خاصة بها تحت اسم « الأرض » ، ولما ماطلت هذه السلطات في الترخيص لها ، بدأ أعضاء الحركة بإصدارها باسم كل عضو مرة ، حيث وجدوا أن القانون يتيح لكل فرد اصدار نشرة لمرة واحدة دون ترخيص ، وهكذا صدرت « الأرض » بأسماء الأعضاء على التوالى ، وتحت عنوان مختلف بعض الشيء في كل مرة ، مثل « الأرض الطيبة » و« شذى الأرض » و« نداء الأرض » و« هذه الأرض » .. الخ ،

بيد أن سلطات العدو أغلقت الجريدة وصادرت أعدادها في عام ستين ، بعد أن شنت حملة تشويه عنيفة ضد أعضاء الحركة الذين انضم اليهم خلال هذه الفترة كل من صبرى جريس والياس معمر . لكن جماعة الأرض ، حاولوا تسجيل حركتهم كحزب سياسى في عام ١٩٦٤ ، وأعدوا مذكرة بهذا الشأن رفعوها الى السلطات الاسرائيلية ، ووضعوا أمامهم أهدافا تنص على « حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في نطاق الأماني العليا للأمة العربية » . غير أن السلطات الصهيونية رفضت المذكرة ، وأصدرت اتهاما ضد حركة الأرض « باعتبارها جمعية تهدف الى المس بكيان اسرائيل وبسلامتها » . وطالبتها بحل نفسها ، وأتبعت هذا الاتهام باعتقال القياديين في الحركة ، ثم ما لبث رئيس حكومة العدو الصهيونى آنذاك « ليفي اشكول » أن أصدر قرارا بحل « حركة الأرض » وباعتبارها خارجة على القانون وهكذا بقي نشاط الحركة مجمداً حتى عام ١٩٦٥ ، عندما عادت إلى الظهور ثانية ولآخر مرة ، حيث شكل أعضاء الحركة قائمة لخوض الانتخابات العامة للكنيست السادس ، وكان من أعضاء هذه القائمة صالح برانسى وحبيب قهوجي وصبري جريس ومنصور كردوش وغيرهم ، غير أن السلطات الصهيونية رفضت ترشيح القائمة أو أي من أعضائها ، كما نفت أربعة من قياديي الحركة إلى أماكن متفرقة داخل فلسطين المحتلة ، لتحول بينهم وبين

خوض الانتخابات ، وكان ذلك إيذانا بتشتيت « حركة الأرض » وبعثرة قادتها ، الذين تعرض بعضهم للاعتقال عشية حرب عام ١٩٦٧ ، فيما تعرض البعض الآخر للابعاد من وطنه ، مثل حبيب قهوجى وصبرى جريس .

لكن فشل « حركة الأرض » ، لم يثن عرب ١٩٤٨ ، عن ايجاد صيغة أو صيغ أخرى للنضال ، فكانت « حركة أبناء البلد » أهم التنظيمات الفلسطينية التى انبثقت الى الوجود في مطلع السبعينات وأثبتت قدرة في المناورة ، مستفيدة من الدورس السابقة ، التى واجهتها « حركة الأرض » .

شعب لا يمل النضال

إن مسيرة حركات النضال لعرب عام ١٩٤٨ ، تثبت بجدارة حيوية الشعب الفلسطيني ، وقدراته الخارقة على التكيف مع المراحل النضالية واجتياز جحيم الآلام والعذابات ، واصراره على التعلق بالأرض ، والدفاع عن الحضارة العربية والتراث العربى .

وحركة أبناء البلد تأتى في الخط الأمامي في مصادمة الأعداء ، والتصدي لهم بكل الوسائل المتاحة ، فهذه الحركة ، لا تعمل تحت الأرض ، بل في العلن وفي وضح النهار ، ولذلك فإن الزائر اليوم لبعض قرى منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، وخاصة قرية « أم الفحم » ومدينة الناصرة تأخذه الدهشة إزاء جرأة الأعضاء في حركة أبناء البلد ، الذين تركوا بصماتهم في كل مكان من هذه القرى ، وعلى سبيل المثال ، تطالعك وأنت تدخل قرية « أم الفحم » التى تصدت للحاخام العنصري مئير كهانا قبل عام ونيف ومنعته من اقتحامها ، تطالعك علامات وشعارات الاستنكار والشجب والتنديد بالسلطات الصهيونية ، وبسياسة الاستيطان ، في كل شارع وعلى كل جدار في البلدة ، حيث رسمت أعلام فلسطينية ، وكتبت شعارات تقول : « كلنا فدائيون » ، « دم الثوار يطالبكم بالاضراب » ، « شعب واحد » ، « طريق واحد » وبعد هذا كله ، فإننا قد لا نعجب ، ونحن نسمع أحد جنرالات الجيش الصهيونى البارزين ، الجنرال « افيغدور بن غال » ، يصف عندما شغل منصب قائد المنطقة الشمالية ، عرب عام ١٩٤٨ ، والبالغ عددهم سبعمئة ألف نسمة حاليا ، بأنهم « سرطان في جسم اسرائيل » .

عصام شريح

لاشك أن قسما معتبرا من جمهور المسرح العربى يفتقد فنه المحبب ..

فالجمهور العربى للمسرح ليس موحد الذوق والهوى الفنى ، ولايرضى بعضه عما ينشئه القطاع الخاص المسرحى من قيم فنية أو فكرية .

مايزال بعض الجمهور يتطلع بشوق إلى مسرح جاد فى هزله كما فى جده ، عاقل فى إرسال عواطفه ، مترفع عن الهذر والإسفاف ، تتوازن فيه القيم الأدبية والقيم الفنية ، يرسخ الشخصية العصرية للمواطن ، ويلبى بعض احتياجاته الثقافية والحضارية والنفسية .

●● زاويـة أخـرى للنظـر فى ...

أزمة النصوص المسرحية

بقلم : الفريد فرج

وليس هذا الشوق وهذا الأمل مما يهتم له بعض الجمهور فحسب ، وانما تهتم به أيضا السلطات الثقافية الرسمية فى معظم الاقطار العربية ، حيث تتطلع تلك السلطات والإدارات إلى أن يكون للمسارح القومية والمسارح المدعومة من المال العام .. عائد ثقافى وفنى لائق يوازى ما تغدقه تلك السلطات من مال على هذا الفن العربى اللامع .

ولأن الانتاج المسرحى الرسمى بخاصة وغير الرسمى بعامة لايطال هذه الأشواق والتمنيات ، ولايرتفع إلى سمت الآمال المعقودة عليه .. يتردد على صفحات الصحف وفى الندوات أن المسرح فى أزمة .

وأول ما يطالعنا فى الصحف وفى أقوال وآراء الفنانين فى هذه القضية هو الشكوى من ندرة النصوص المسرحية الجيدة ، ومن انصراف كتاب المسرح بخاصة وكتاب الدراما عموماً عن المساهمة الجادة أو الكافية فى إقالة المنصة من عثراتها .

وما دام هذا الجمع الكبير من الفنانين والنقاد قد اتفقوا على أن ندرة النصوص المسرحية الجيدة هى من أهم أسباب الأزمة ، فلا بديل لنا عن موافقتهم والدخول إلى لب المشكلة من بابهم .

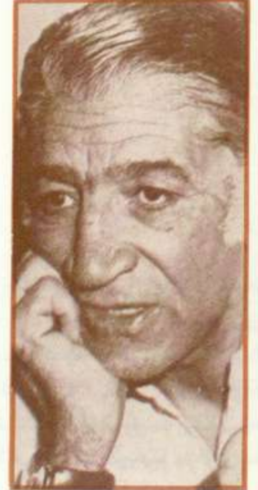
أزمة النصوص المسرحية مشكلة .

نعم . ولكن .. هل هى مشكلة كامنة فى مكاتب المؤلفين وفى بيوتهم ، أم هى مشكلة فى الادارات المسرحية ذاتها .. أى فى منهج التعامل مع النصوص المسرحية ؟

ولايتعجل أحد بالمصادرة علي بالتوهم أو الايهام بأن اختيار النصوص المسرحية الجيدة ان وجدت هو المبادرة البديهية والتى لايختلف عليها أحد فى أى مسرح .

لا . ان اختيار النصوص المسرحية ليس عملا عشوائيا وانما يحكمه منهج يعبر عن فكر ورأى واتجاه الادارة المسرحية .

ولكى أوضح ذلك فانى أعرض للمسرح القومى بالقاهرة وأميز بين أسلوب اختيار النصوص المسرحية فيه خلال ثلاث مراحل من تاريخه .


نعمان عاشور


عزيز أباظه


خليل مطران


زكي طليمات


سعد الدين وهبة

مرحلة البرج العاجى

أنشئت الفرقة القومية المصرية فى أكتوبر ١٩٣٥ ، وتولى إدارتها شاعر القطرين خليل مطران طوال سبع سنوات .

وقد أنشئت الفرقة بدعم من الدولة فى جو من الأزمة كان يعانى منه فن المسرح كله . وكانت الأزمة تتمثل فى النسبة العالية للبطالة بين الممثلين وفى هبوط المستوى الفنى للمسرح بعد الأزمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٣٠ .

ولأنها كانت أول تجربة للدولة فى مجال المسرح ، ولأن الدولة خشيت أن يتدنى مسرحها إلى مستوى المسرح الخاص ، ولأن الحكومة كانت حكومة توفيق نسيم باشا التى تضم نخبة من نجوم الأرستقراطية الزراعية وأبنائهم من خريجى السوربون واكسفورد ..

.. فقد حرصت فى تشكيل الفرقة على أن تضع على رأسها الشاعر الكبير خليل مطران ، وأن تؤلف لجنة اشرافية تساعده برئاسة الدكتور حافظ عفيفى وعضوية الدكتور طه حسين والأستاذ محمد العشماوى وكيل وزارة المعارف والدكتور محمد حسين هيكل والدكتور أحمد ماهر .

أما لجنة القراءة فقد ضمت الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والأساتذة عبد العزيز البشري وخليل مطران ومحمد عبد الرازق وخليل ثابت وهم على حد تعبير الصحف المعاصرة « أئمة الأدب بمصر » .

وقد رسمت اللجنة العليا للجنة القراءة سياسة تلتزم بها فى اختيار النصوص فقررت أن الفرقة لابد أن « تلتزم باخراج الروائع العالمية مترجمة بأقلام الصفوة من أهل الأدب » .. ثم اشترطت على الفرقة « ألا تقدم أية مسرحية باللغة العامية » !

وطبقا لهذا المنهج الذى اتفقت عليه قيادات الفرقة لم يجد الأدب المسرحى الواقعى أو المتصل بحياة الناس العصرية ثغرة ينفذ منها إلى تلك المنصة الرفيعة . وكيف يمكن أن تصل إلى تلك المنصة شخصيات من عامة الناس كانت تجذب الجمهور فى مسرح الريحانى ويوسف وهبى ؟ .. حتى توفيق الحكيم لم يجد طريقه الى الفرقة إلا بمسرحيتين بالفصحى هما « أهل الكهف » « وسر المنتحرة » .

وبدلا من أن يكون المسرح مرآة تعكس حياة الناس ، أصبح مرآة تعكس نزوع قياداته إلى التغريب والانبهار بالنموذج الفني الأوروبى .

● اختيار النصوص المسرحية ليس عملاً عشوائيًّا ، وإنما يحكمه منهج يعبّر عن فكر ورأي

● كيف تحوّلت الفرقة القومية المصرية عند إنشائها إلى مرآة تعكس التغريب والانبهار بالنصوص الأوربيّة ؟

وهكذا قدمت الفرقة خلال ٧ سنوات ٣٢ مسرحية مترجمة ، و٦ مسرحيات مقتبسة ، فى مقابل ١٥ مسرحية مؤلفة .

وكانت مسرحياتها المؤلفة فى مجملها تلتهب بالعبارات البلاغية الجياشة فى الفصحى متعلقة بحبال التغريب ذاته .

ولانجد مع ذلك مؤلفا أحب تكرار تجربته مع المسرح ، ففيما عدا مسرحيتى الحكيم ومسرحيتين للشاعر أحمد شوقى نجد مسرحية واحدة لكل من محمد السوادى والسعيد يوسف موسى وطاهر حقى ومحمد خورشيد وابراهيم رمزى .. إلى آخر القائمة .

وكانت الفرقة تسمى المسرحيات العربية « بالتأليف المحلى » ، فى مقابل « المسرحيات العالمية » صفة للمسرحيات المترجمة ، مما يوضح مرتبة المؤلف العربى عندهم .

ولم يكن انكار الفرقة للغة العامية رغبة منها فى تثبيت الهوية العربية للمسرح . وهو هدف لو توخاه أصحاب الشأن لأثمر أفضل الثمرات وثبت اقدام « المؤلفين المحليين » .. عفوا أقصد المؤلفين العرب ، فوق منصة فرقتهم « القومية » . ولكن كان انكار العامية فى الفرقة تأكيدا لمنهجها فى الترفع عن حياة الناس ، والتعلق بأوهام البرج العاجى وبروح الصفوة والشعور بالامتياز .

الثقافة عندهم لم تتمثل فى فهم قضايا الناس ، وانما كانت تتمثل فى الترفع عن الخوض فى تلك القضايا ، والتخلص منها .

وقد تمثل ذلك النزوع الغريب فى اختيار الفرقة نصوص شكسبير وراسين وسوفوكليس وشيللر . ولم يلحظ أحد المثقفين المهيمنين على الفرقة أن المسرح الفرنسى ذاته ، أو المسرح الانجليزى لم يقدم مسرحية كلاسيكية أو قديمة إلا ليثير قضية معاصرة ويطرح رأيا فى مشكلة معاصرة .

زاوية أخرى للنظر في ...

أزمة النصوص المسرحية

حتى ذلك لم تحاوله الفرقة قط ، وانما كانت تقدم تلك المسرحيات الحية بعد أن تستل منها الروح وتطرحها ميتة على المنصة .

ولاتجد الفرقة الى جانب ذلك قد قدمت مسرحية واحدة لتشيكوف أو جين أونيل أو جان انوى أو ابسن أو بيراندللو .. وكانوا فى ذلك الوقت أكثر الكتاب التماعا وملء السمع والبصر فى أوروبا وأمريكا .

فقد أنكرت الفرقة الواقعية والأدب الأوربى الحديث كله .. فيما عدا مسرحية وحيدة لبرنارد شو هى « تلميذ الشيطان » .

ولكن ترفع الفرقة لم يمنعها أحيانا فى مواجهة العزلة وإعراض الجمهور أن تتدنى لتتملق الناس بالاحتيال على المنهج وتقديم بعض المسرحيات الأوربية الرخيصة وتنتحل لها صفة « الروائع العالمية » . فقدمت بذلك مسرحيات لمارسيل بانيول ، وبرنشتاين ، والفونس دوديه ، وسمرست موم ، وهم من كتاب المسرح التجارى المثير .. فى محاولة يائسة لخدمة سيدين متناقضين : القيادة المثقفة المترفعة ، والجمهور المتعجب من مسرح الدولة الذى يحتضر .. بينما .. مسارح الريحانى ويوسف وهبى والمسرح الغنائى المستند الى تراث سيد درويش تمتلئ بالجمهور !

وقد انتهت حياة الفرقة القومية الأولى نهاية فاجعة تليق بترفعها وكبريائها الثقاف المزعوم ، بعد سبع سنوات من الاعراض عن الجمهور ، بقرار بحل الفرقة أصدرته حكومة الوفد عام ١٩٤٢ اتهمت فيه الفرقة بالفشل وبتبديد أموال دافعى الضرائب بلا طائل .

دفاع الشاعر

وقد دافع الشاعر خليل مطران عن سياسة الفرقة المنحلة فى بيان نشرته الصحف .. قال فيه :

« ان ما يقال من أن الفرقة فشلت فى أن تجمع للحكومة إيرادا هو آخر ماكنت أظن أن أحداً يأخذه علينا . فحين عهد إلينا بادارة الفرقة لم يقل لنا المسئولون إن هذا واجبنا .. بل قيل لنا إن مهمتكم هى ترقية التمثيل باخراج المسرحيات العظيمة والانتصار للغة العربية الفصحى وتثقيف الجمهور عن طريق الفن .

« فاذا كان جهدنا لم يأت بالايراد الذى يتناسب مع تكاليفه فليس الذنب ذنبنا ، ولا يمكن لمنصف أن يعتبر هذا مقياسا لنجاح الفرقة أو فشلها ..

« ان الصالات فى مصر تربح أكثر من أى مسرح آخر ..

« وأكبر كتاب علمى يطبع وينشر على الناس لايزيد عدد النسخ التى توزع منه عن خمسين أو ستين نسخة .. بينما تباع من الروايات والكتب الرخيصة عشرات آلاف النسخ كل يوم » (!)

واضح أن الشاعر غضب ، ولعل اللجان المؤلفة من أئمة الأدب قد غضبت بدورها .

من البرج العاجى .. إلى السوق

ألفت الدولة فرقة جديدة باسم « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » .

وألفت لجنة اشرافية للفرقة من د . محمد صلاح الدين (وزير الخارجية فيما بعد) ومحمد الشريف (مدير البحوث الفنية بوزارة الشئون الاجتماعية) ويوسف وهبى ومحمد عبد الوهاب وزكى طليمات .

وكتب الأستاذ المخرج فتوح نشاطى الذى عاصر العهدين يقارن بينهما فذكر أنه « مما لاشك فيه أن الفرقة القومية كانت تسير فى الطريق السوى بما تقدمه من روائع الأدب العالمى ومن المسرحيات المصرية الرفيعة شعرا ونثرا ، بيد انها كانت برجا عاجيا من أبراج الثقافة العالية (!) يخاطب

● كان المسرح القومي يرى أن انطلاق المسرح يكمن في الزواج الصحيح والصحي بين المسرح العربي والأدب العربي

● هكذا اتجهت الفرقة الجديدة إلى الناس ، بل ونازعت الفرق الهابطة جمهورها !


شيللر


سوفكليس


ابسن

● عندما دافع الشاعر خليل مطران عن سياسة الفرقة المنحلة في بيان نشرته الصحف

الخاصة أكثر مما يخاطب العامة ويضع سدودا بيننا وبين الشعب . وكان هذا من أهم اسباب ركود الفرقة القومية .. فجاءت اللجنة الجديدة وفتحت النوافذ المغلقة ، وكان من أولى حسناتها أن قررت تمثيل المسرحيات المحلية باللغة الدارجة الى جانب المسرحيات الأدبية » .

اتجهت الفرقة الجديدة إلى الناس .

قدمت فى سنواتها الأولى ثلاث أوبريتات لسيد درويش .

وقدمت خلال ١٤ سنة ٥٠ مسرحية مؤلفة بالفصحى وبالعامية مقابل ٣٠ مسرحية مترجمة و ٣٠ مسرحية مقتبسة .

وقد أدار الفرقة الأستاذ محمد حسن ، وهو موظف حكومى ، مدة ٦ سنوات ، ثم تقلب عليها من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ ستة مديرين غيره خلال ثمانى سنوات من اضطرابها فى منهج اختيار المسرحيات .

ويتضح هذا الاضطراب فى أن خمسين مسرحية مؤلفة قدمتها الفرقة فى ١٤ سنة كان من بينها ٣٠ مسرحية من تأليف يوسف وهبي وحده ، وهى مسرحيات مقتبسة قديما تغيرت أسماؤها مع مرور الزمن !

وكان للشاعر عزيز أباظة من جملة هذه المسرحيات سبع مسرحيات فقط ، بينما لم تقدم الفرقة لتوفيق الحكيم غير ثلاث مسرحيات ، وقدمت على أحمد باكثير فى ثلاث مسرحيات ومحمود تيمور فى ثلاث مسرحيات .. ثم مسرحية يتيمة لم تتكرر لكل من باقى المؤلفين الذين كره بعضهم تكرار التجربة وفشل بعضهم فى تكرارها .

فاذا دققنا فى الوصف وأدخلنا مسرحيات يوسف وهبى ضمن المسرحيات المقتبسة فان الفرقة تكون قد قدمت ٦٠ مسرحية مقتبسة و ٣٠ مسرحية مترجمة مقابل ٢٠ مسرحية مؤلفة .

ولعل الفرقة الجديدة قد تعلمت الدرس من فاجعة الفرقة القديمة أكثر مما ينبغى لها أن تتعلمه ، فانها نزلت السوق ونازعت الفرق الهابطة جمهورها ، وقررت غواية الجمهور بمسرحيات مقتبسة تراوحت عناوينها بين « كلنا كده » و « ابن مين فيهم ؟ » و « شارع البهلوان » و « أول بختى » و « بناقص واحد » و « زوج أمريكانى » و « ياتلحقونى » !

أضف إلى ذلك المواسم الكاملة لمسرحيات رمسيس وفواجع يوسف وهبى وميلودراماته الفاقعة التى تحولت بمرور الزمن إلى هزليات فكاهية يتندر بتقليده فيها الطلبة فى حفلات المدارس .

وفى إبان الحركة الوطنية والسياسية فى الأربعينات كانت الفجوة بين الفرقة والناس تتضح والخرق يتسع ، وتملق الجمهور تقل جدواه .

لم تستطع العامية أن تقرب المسرح للناس ، ولا استطاع اقتباس المسرحيات الأجنبية بكثرة أن يقنع الجمهور بأن المسرح مسرحه أو أن الفن موجه له ومن أجله ، حيث أن العامية وحدها لم تكن الا شكلا فنيا خاويا حيث كان المسرح لا يجأر بشكوى الناس أو يردد أمانيهم أو يحلق فى آفاقهم الفنية .

وقد استمر حال الفرقة مضطربا فكريا وجماهيريا حتى أدركته وزارة الارشاد القومى على عهد الوزير الأستاذ فتحى رضوان والوزير الدكتور ثروت عكاشة فتقرر تكوين المسرح القومى ثم مؤسسة المسرح على أسس جديدة .

المؤلفون

قياسا على ما قدمته الفرقة المصرية من مسرحيات خلال ١٤ سنة قدم المسرح القومى خلال نفس المدة من ١٩٥٦ إلى ١٩٧٠ :

٧٣ مسرحية مؤلفة .. مقابل ٢٠
٢٨ مسرحية مترجمة .. مقابل ٣٠
٨ مسرحيات مقتبسة .. مقابل ٦٠

ومن بين المسرحيات المؤلفة قدم المسرح القومى ١٠ مسرحيات لتوفيق الحكيم ، و ١٠ مسرحيات لنعمان عاشور ، و ١٠ مسرحيات لسعد الدين وهبه ،و ٦ مسرحيات لكاتب هذه السطور ،و ٥ مسرحيات ليوسف إدريس ، ومسرحيتين لفتحى رضوان وثلاث مسرحيات ليوسف السباعى وثلاث مسرحيات لعبد الرحمن الشرقاوى وثلاث مسرحيات لرشاد رشدى ، كما قدم أكثر من عشرة مؤلفين مسرحيين لأول مرة للجمهور .

وهذه النسبة الواضحة بين مرحلة ومرحلة توضح اختلاف المرحلتين فى منهج التعامل مع النصوص المسرحية .

التعامل مع المسرحية المؤلفة تغير .. فبعد التعالى والترفع الأجوف فى المرحلة الأولى ، وبعد التصاغر والتدنى أمام الآداب الأوروبية ومحاولة تقليدها واقتباسها والتعلق فى حبالها .. فى المرحلة الثانية ، بادر المسرح القومى فى مرحلته الثالثة الى الاحتفاء بالمؤلف وضمان حقوقه على عمله والثقة فى حكمه وفى حقه فى التجربة والمبادرة ، ووضعه فى مكانته مما أتاح لعدد معتبر من المؤلفين أن يتخصصوا للمهنة ويتوفروا عليها .

وحتى توفيق الحكيم الذى زعم فى يوم من الأيام أنه كان غائب الوعى خلال المرحلة الأخيرة للمسرح القومى .. فقد كان حاضرا بمسرحه حضورا مكثفا لم يسبق أن تمتع به قبلها أو بعدها ، منتجا ومجربا وجماهيريا كما لم يكن فى أى وقت آخر .

وقد كان الاتجاه الى تكثيف الانتاج المسرحى المؤلف هو الطريق الصحيح لتأصيل هذا الفن فى التربة الوطنية ، وسار مسيرته بنجاح ، بالفصحى وبالعامية ، بالشعر وبالنثر ، فى الاطار الواقعى والعصرى وفى الاطار التاريخى وفى أطر التراث ..

ولم يكن هذا كله مجرد مبادرات للمؤلفين ، وانما كانت مبادرة حاسمة للمسرح فى منهج تعامله مع النصوص والحرص عليها أثناء عمليات الانتاج المعقدة وتكريم مؤلفيها بذلك الحرص فى انتاجها .

ان لكل مسرح منهجاً فى التعامل مع النصوص المسرحية : وهذا المنهج ينطلق من نظرية فكرية كاملة تملى عليه المفاضلة والانتخاب .. بما يحقق نظرية الفرقة الفكرية وغاية وظيفتها .

اهتمامات المسرح وتوجهاته هى الأبواب المفتوحة للكتاب مترجمين كانوا أو مقتبسين أو منشئين وهى الصلة الوثيقة بين المنصة وكتابها .

وقد كان المسرح القومى فى مرحلته من ١٩٥٦ إلى ١٩٧٠ التى ذكرنا صورة لبرنامجها قد قرر أن تأصيل فن المسرح العربى لايتحقق إلا بالتأليف العربى ، وبالزواج الصحيح والصحى بين المسرح العربى والأدب العربى . وهذه كانت نقطة انطلاق هامة فى تاريخ المسرح .

ولنعد إلى أول الموضوع .

أزمة النصوص المسرحية مشكلة .. نعم ، ولكن .. هل هى مشكلة فى مكاتب الادارة المسرحية ذاتها ؟ .. أى فى منهج التعامل مع النصوص المسرحية ، الذى تمليه النظرية الفكرية التى تحدد أهداف المسرح كمؤسسة ثقافية وقومية ؟

هذا هو السؤال .. الذى حاولت من جانبى الاجتهاد فى الإجابة عليه من وجهة نظرى .

الفريد فرج

التراث العربي

بين السابق.. واللاحق

بقلم: جمال الغيطاني


محمد على


جمال الدين الأفغاني


الجبرتى

أثار الحوار الذي أجرته مجلة الدوحة معي (عدد اغسطس ١٩٨٥) ردود فعل مختلفة، وقد آثرت كتابة هذا المقال لتوضيح بعض الأفكار التي جاءت به، ومن أجل مناقشة موضوعية.

.. بداية يجب القول إن توجهي الى التراث العربي بمفهومه الشامل، من تراث مكتوب، وفن عربي، وعمارة عربية، كان نتيجة عوامل عديدة وربما امكنني ايضاح بعضها الآن، من ذلك طبيعة نشأتي في حي عريق ما زال التاريخ القديم سيالا حيا فيه، لا يتمثل فقط في الآثار المعمارية، وشوارع وحارات لم تنلها مخططات المدن الحديثة، انما يمتد ليتواجد في العلاقات الانسانية بالناس، ايضا رغبتي وطموحي منذ بدئي الكتابة في عام ١٩٥٩ الى الوصول الى أشكال فنية جديدة من التعبير، ليس التوصل الى أشكال فنية جديدة فقط هو الهدف في حد ذاته، لكنها الرغبة في إيجاد أفضل شكل ممكن للتعبير عما أريد أن أعبر عنه، شكل يحقق لي قدرا أكبر من حرية التعبير، وقد وجدت من خلال توجهي التلقائي الى التراث العربي أن هذا التراث يحتوي على عناصر القص، وفلسفة الرؤية التي تمكنني من تحقيق هذا القدر من الحرية، وأذكر انني عندما كتبت قصة «هداية أصل الورى لبعض ما جرى في المقشرة» أن أحد الأصدقاء قرأها مخطوطة، وقال لي، انها مرحلة جديدة في القصة، ويومها عدت الى البيت وأنا أردد بيني وبين نفسي «انه يجاملني.. أحقا تمثل شكلا جديدا»، ولكن بعد صدور مجموعتي القصصية الأولى «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، كتب النقاد عديداً من الدراسات حولها، هذه الدراسات ساعدتني في بلورة وتعميق اتجاهي الى التراث العربي، والشعور الأعمق بالثقة فيه، والاتجاه الى وصل السابق باللاحق، اذ إنني نشأت على التراث العالمي في الابداع، في نفس الوقت كنت أعي شيئاً فشيئاً أن ثمة اشكالاً من القص والحكي والروى، قد انقطع عهدنا بها، أو اذا جاز التعبير قد حدث انفصال بيننا وبينها، وقد جاء هذا الانفصال أو بدأت هذه الفجوة في تقديري اعتباراً من نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، وبالتحديد منذ قدوم الحملة الفرنسية الى مصر بقيادة الجنرال بونابرت، حدثت هذه الفجوة في الابداع في اطار توجه عام الى الحضارة الأوربية، شمل جميع المجالات، بدءا من المعمار وحتى أساليب الكتابة، وصاحب ذلك شعور عام أن الحضارة الأوربية هى المصدر، وهي المرجع الذي ينسب اليه القياس، ووصل ذلك في بعض المراحل الى شعور بالدونية الثقافية، في الفلسفة مثلا نجد أن معظم الجهود التي تمت، تمت في حدود نقل فلسفات ولدت في الغرب، وشرحها، وفي الجانب المقابل نجد بعض الجهود التي اتجهت الى شرح الفلسفة الاسلامية، واعادة نشر بعض مصادرها ــ وليس كلها أو معظمها ــ ولم تتم حتى الآن محاولة متكاملة تستهدف التوصل الى فلسفة ذات أصول عربية متكاملة، وان تنوعت الاجتهادات والجهود، وأخص منها بالذكر جهود الدكتور ابراهيم مدكور في تحقيق مصادر الفلسفة العربية والاسلامية وشرحها وتدريسها، والجهد العلمي الممتاز الذي بذله الدكتور حسين مروة، والدكتور الطيب التزيني، والاجتهادات الاخيرة والدراسات التي يقوم بها الدكتور محمد عابد الجابري والدكتور جلال أمين والدكتور محمد عمارة وعادل حسين والشاعر الكبير ادونيس، كل منهم في مجال اختصاصه، وفي حدود اجتهاداته، وبالطبع فإن عرض أفكار كل منهم مما يخرج عن هدف هذا المقال، ان الجهود عديدة، والقضية مثارة في أكثر من مجال، ولكن ما يعنيني هو المجال الابداعي، هو اعادة التئام هذه الفجوة التي حدثت بين القديم والحديث، بين السابق واللاحق، بين ما تعلمته وترسب في وجداني من تراث عالمي. وتراث عربي أصبح مهجورا.

من خلال تجربتي الخاصة، ومن خلال كتابات النقاد عنها، والجهود الفكرية الحديثة التي تتخذ التراث العربي محوراً لها، وليس بهدف التقوقع، أو الاحتماء بالقديم، ومن خلال فهمي للتراث على هذه العناصر الحية المستمرة فى واقعنا اليومي المعاش، وفى عناصر الثقافة الشفاهية أو المكتوبة، ومن خلال احساسى بخطورة التوجه الكامل الى الحضارة الأوروبية، والذي ترجع

جذوره إلى الحملة الفرنسية ، أمكنني بداية تحديد المنابع أو المصادر التي يمكن ان نثرى بها فن القص العربي ، ويمكنني أن أوجزها فيما يلي :

• هناك بالطبع المصادر التي يتحدد فيها القص العربي المباشر ، وأبرزها ، شكل المقامة ، والملاحم العربية الكبرى التي أصبح بعضها شعبيا وشائعا ، مثل سيرة عنترة ، وسيرة سيف بن ذي يزن ، والزير سالم ، والأميرة ذات الهمة وأبو زيد الهلالي ، وقد وجدت السيرة الأخيرة شاعرا كبيرا يهتم بها ويجمع نصوصها الشفاهية من صعيد مصر ، والجزيرة العربية ، وتونس ، وحتى حدود تشاد ، أعني الشاعر عبدالرحمن الابنودي ، والذي آمل أن ينشر ما قام به من جهد خلال السنوات العشرين الماضية ، عندئذ سيضاف الى التراث العربي ، نص ملحمي فريد ، قد تكون له آثاره العميقة على الابداع الروائي في المستقبل ، هناك أيضا أيام العرب ، وموسوعات الأمثال العربية ، وأخص بالذكر موسوعتين الأولى للميداني ، والثانية للزمخشري . ان أهمية هاتين الموسوعتين لا تقتصر فقط على ايرادهما لآلاف الأمثال العربية التي مازال كثير منها حيا حتى الآن ، ولكن في ايرادهما لمئات الحكايات التي تشرح الاحداث التي أدت الى ضرب هذه الامثال ، سوف نجد فيهما فنا فريدا للقص ، خاصة للقصة القصيرة ، أسلوب خاص جدا لا يمكن إلا أن نجده في هذين المصدرين .

• اما الشق الثاني من المصادر فلأسميه أساليب القص غير المباشرة ، ومن ذلك حوليات التاريخ العربي الكبرى ، تلك التي تسجل الأحداث التاريخية الكبرى ، والتي تصل في دراميتها الى مستوى العمل الابداعي ، أو توحي بأعمال ابداعية كبرى ، أو تلك الحوليات التي تسجل ملامح الحياة العادية للناس في أزمنة مختلفة ، يمكننا أن نجد هنا أساليب مختلفة للقص هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية المضمون فلا حدود للحوادث الموحية ، والتي تضفي عمقا على الحاضر ، اليومي المعاش الآن وهنا أذكر حوليات الطبري ، وابن كثير ، والدينوري ، أما فيما يتعلق بتاريخ مصر ، فإنه يكاد يكون مدونا يوما بيوم منذ الفتح العربي وحتى يومنا هذا ، بدءا من ابن الحكم مروراً بالقضاعي والمسبحي والمقريزي وابن واصل وابن تغري بردي وابن اياس وابن عبدالظاهر والجبرتي ، بل ان هذا الشكل من الكتابة « الحوليات » ينفرد به التراث العربي ، وهناك العديد من الدراسات الاستشراقية لعلم كتابة التاريخ عند العرب ، أبرزها دراسة روزنتال .

• ينفرد التراث العربي أيضا بوجود شكل آخر من التأليف أعتبره مصدرا هاماً من مصادر القص ، أقصد « الخطط » ، حيث يدون تاريخ المكان ، ليس مجردا ، انما في تطور ما جرى عليه من أحداث ، وما تعاقب عليه من بشر ، وما جرى عليه من معمار وهدم . وأشير هنا الى خطط المقريزي ، وخطط علي باشا مبارك ، وخطط الشام لمحمد كرد علي .

• مؤلفات السحر والتنجيم في التراث العربي ، مثل شمس المعارف الكبرى ، وتذكرة العارفين ، وغيرهما ، وهنا أشير إلى التراث الشعبي في هذا المجال ، فلم نكن نعيشه كتراث ، ولكن كواقع حي ، فالطفل الذي يمرض وتعد له أمه حجابا تفعل ذلك باعتباره تصرفا حيا وجزءا من ممارساتها اليومية ، قد يقول البعض إنني ادعو الى الخرافة ــ فما أكثر ما عانيت من سوء الفهم ــ ولكنني أبادر إلى القول انني ألفت النظر الى أساليب القص في هذه المؤلفات وهو أسلوب جدير بالدراسة .

• في التراث العربي فرع هام يمكنني أن أسميه « كتب العجائب » والتي هي في معظمها تفسير للعديد من الظواهر الطبيعية التي كان الذهن البشري يعجز عن تفسيرها بحكم محدودية العلم الطبيعي في هذه الحقب ، وأخص بالذكر كتاب عمر بن الوردي « خريدة العجائب » وكتاب ابراهيم بن وصيف شاه « مختصر العجائب » ، والجزء الأول من تاريخ الرسل والملوك للطبري ، لماذا ينظر البعض إلى هذا الجزء من التراث على أنه اقل من تراث الأساطير اليونانية ؟ ألم تحفل قصائد الشعر العربي بالرموز اليونانية ولم يجر التعامل مع التراث العربي بنفس القدر ــ باستثناء المرحوم الشاعر أمل دنقل ــ ، وأبادر الى القول أيضا أنني لست ضد الميثولوجي اليوناني أو الاغريقي ، ولكنني أدعو الى الاهتمام بنفس القدر ، بنفس المستوى بالتراث الأسطوري العربي ، أدعو الى عدم اعتباره أقل شأنا من التراث الذي تعلمناه من الغرب ، ان التوجه اليه ليس فقط لتفرده ، وانما لأنه متصل بأعماقنا ، وكثير من عناصره مستمرة في حياتنا الحاضرة ومؤثرة أكثر مما نتصور ، لقد وجهت اهتمامي خلال السنوات الأخيرة الى محاولة استيعاب التراث الفارسي والهندي ، كثيرون منا يعرفون الالياذة والاوديسة ، لكن كم اهتم بقراءة « المهابراتا » الهندية ، أو الشاهنامة الفارسية ، وهنا يجب الاشارة الى صعوبة الحصول على مصادر هذا التراث ، فالشاهنامة الفارسية التي ترجمها الدكتور عبدالرحمن عزام لم تطبع الا مرة واحدة في الأربعينات ،كذلك ترجمات الدكتور يحيى الخشاب للقصص الفارسية ، أما المهابراتا فلم تطبع الا مرة واحدة في بيروت ، والأدب الفارسي يظل محصورا في اطار الدراسات الجامعية على الرغم من الدراسات العميقة التي قدمها الدكتور حسين مجيب المصري والدكتور أمين عبدالمجيد بدوي وغيرهما من الباحثين ، للأسف فان معرفتنا بتراث الشعوب الأخرى والثقافات الأخرى تظل محكومة بما وصل الينا عن طريق الغرب .

• من مصادر القص العربي أيضا المؤلفات التي تدور حول الآخرة ، حول تصور ما سوف يجري في العالم الآخر ، ومضمون هذه المؤلفات قائم على عملية ابداع متكاملة . وأشهرها « التذكرة في أحوال الموتى والآخرة » للقرطبي ، ومؤلف آخر عن الآخرة للشيخ حسن العدوي ، اضافة الى أن العديد من حوليات التاريخ تتناول هذا الموضوع .

• من أهم المصادر للقص العربي ، التراث الصوفي . في رأيي أن دراسة الأدب العربي لن تكتمل الا بتوجه جديد الى هذا التراث الروحي ، الصوفي ، وأن البحث عن أصول القصة العربية أو الرواية العربية ، أو فن القص العربي ، يجب الا يقتصر على دراسة المقامة ، والمنامة (الوهراني) ، والسير والملاحم ، انما يجب أن يشمل التراث الصوفي . خاصة قصص الكرامات . فالكرامة باختصار هي خرق العادة ، الخروج الى اللامألوف . الى تجاوز الواقع ، المكان والزمان . انها قصص قصيرة ، مركزة ، موحية ، ضامرة المحتوى . انني لست بصدد الخوض في الكرامة أو تفسيرها ، ولكنني أحاول لفت الأنظار اليها كجنس أدبي ، وقد سبقني الى ذلك الدكتور علي زيعور في كتابه « الكرامة الصوفية » وهو جزء من موسوعته الكبرى « التحليل النفسي للذات العربية » وهي الدراسة العلمية الوحيدة لموضوع الكرامة . ان الخيال الابداعي في أدب الكرامة جدير بالتوقف طويلا والتأمل ، كثيرون انبهروا عندما قرأوا « مائة سنة من العزلة » وتوقفوا أمام مشهد طيران احدى بطلاتها في الهواء ، والتراث العربي الصوفي حاشد بالذين مشوا فوق الماء ، وعبروا المسافات البعيدة في الزمن القليل ، ولم يتوقف أمامهم أحد .

.. تلك هي معظم العناصر التي توجهت اليها في التراث العربي في محاولة لتأصيل شكل عربي من القص ، في فرنسا ، سألني أكثر من صحفي أو مثقف ، هل عرف العرب فن الرواية ، وكنت اجيب قائلا ، ان الفن القصصي العربي عرف أعظم ــ في رأيي ــ نص قصصي في العالم ، وهو ألف ليلة وليلة ، ولكن عندما يوجه البعض مثل هذا السؤال ، فانما يقصد الشكل الروائي كما عرفته الثقافة الأوروبية ، هذا ما يبحثون عنه أو يتساءلون عنه في التراث العربي ، بالطبع لن نجد هذه الأشكال الابداعية ، ولكن المؤكد أن التراث العربي فيه أشكاله الخاصة من القص .

• • •

إن همي الأساسي ينحصر في البحث عن العناصر التي عرضتها سابقا ، وتوجيه هذا كله الى النشاط الابداعي ، غير ان الأمر لا يتم بمعزل عن أطراف عديدة ، منها مثلا التوجه الى الغرب ، واعتباره المصدر المهيمن الذي نستقي منه التقاليد الثقافية ، والأشكال الابداعية ، والفلسفة ، وأساليب الحياة ، لقد بدأ هذا التوجه مع مجيء الحملة الفرنسية التي أحدثت صدمة حضارية لا شك فيها ، ولكن عندما جاءت الحملة لم يكن في منظور قائدها أو منظميها أو أفرادها نقل الحضارة الغربية الى مصر وبالتالي الى الشرق ، ولكن كان

التراث العربي
بين السابق.. واللاحق

الهدف استعماريا بحتاً ، صحيح أن نابليون أتى معه بالمطبعة ، ولكنه لم يأت بها ليطبع الكتب العربية ، انما ليطبع المنشورات التي يوجهها الى الشعب المصري ، صحيح أنه أتى بالعلماء الفرنسيين ولكن لا لينقل العلم الحديث الى أبناء الشعب ، ولكن ليدرس هذه البلاد تمهيدا لجعلها هامشاً للحضارة الأوروبية وتابعة ، وقراءة مصادر الحملة الفرنسية تؤكد نظرة المستعمر لديهم ، سواء في اليوميات التي كتبها بعض قادة الحملة ، أو في الصحيفتين اللتين أصدرهما نابليون في مصر ، « كوريبه دي ليجيبت » و « لاديكاد اجيبسيان » حيث ترد تعبيرات كثيرة منها « الشعب الهمجي » ، « الجهلاء » ، « المتخلفون » .. الخ ، لقد كانت الحملة الفرنسية بمثابة الحد القاطع الذي وضع حداً لتطور طبيعي كان يمكن أن يمضي ، انني من المؤمنين أن كلمة « لو » لا محل لها في التاريخ ، فما حدث وما جرى جرى ، ولكن ما يدعوني اليوم الى الاجتهاد هو محاولة لتدارك آثار التوجه التام الى الغرب ، بعد أن وصلت الى حد خطير في السبعينات دخل الى صميم حياة الناس اليومية ، والى النسق القيمي للمجتمع . لقد كانت الحملة الفرنسية بمثابة بتر لتطور تاريخي يمكن أن يستمر في مصر بشكل طبيعي ، البعض منا لا يريد أن يرى أي امكانية للنهوض أو التقدم خارج الأنماط الأوروبية ، ولكن ما أريد أن أقوله هو أن مصر شهدت محاولات للتقدم والنهوض قبل مجيء الحملة الفرنسية بمعزل عن المؤثرات الأجنبية وأشير على المستوى السياسي الى محاولة علي بك الكبير التي أجهضت ، وفي رأيي أن بذور التحرك الداخلي المنطلقة من الظروف الخاصة لواقعنا لم تدرس تماما ، لقد بدأت بدايات نهضة مبكرة في مصر وتركيا قرب نهاية القرن الثامن عشر . العثمانيون بدأوا محاولة ادخال تحسينات على الجهاز العلمي والاداري والعسكري ، بدأ ذلك في عهد سليم الثالث ، ولم تكن مجرد محاولات ، بل أصبح نهجا ثابتا تم اقراره على الرغم من المعارضة القوية في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ — ١٨٣٩) الذي قضى على عسكر الانكشارية والذين كانوا يمثلون قوة محافظة تعمل على ابقاء أسس النظام القديم ، أما في مصر فلم يكن الأمر جامدا عند مجيء الحملة الفرنسية ، بل كانت هناك ارهاصات أولى لهذا التطور الذي كان ممكنا أن يمضي طبيعيا لولا مجيء الحملة الفرنسية . ثم اتسعت الفجوة مع مجيء محمد علي ، وبالقضاء على المماليك في مذبحة القلعة انقطع العهد تماما بالقديم وكل ما كان ممكنا أن يحمله من إمكانيات ، وبدأ التوجه الى الغرب ، لقد أوفد محمد علي باشا البعثات الى أوروبا في جميع المجالات ، والى مصر جاء الأوروبيون ليحدثوا الجيش ، وليؤسسوا مدارس الطب والهندسة والحربية ، وأصبحت مصر في عهده دولة قوية ، ووصلت جيوشه الى مشارف الآستانة ، غير أن نظام محمد علي انهار في عام ١٨٤٠ . هذا الانهيار استوقفني طويلا ، لماذا حدث وكأن النظام القوي الذي شيده محمد علي أقيم فوق بحر من الرمال ؟ صحيح أن القوى الاستعمارية تضافرت عليه ، وقد كانت وما زالت استراتيجية الاستعمار تحرص على عدم قيام دولة قوية في مصر ، لأن مصر قلب العالم كما قال نابليون ، في نفس الوقت كانت هذه القوى حريصة على تهميش الدور المصري خاصة الثقافي ، ومن خلال المثقفين الذين درسوا في أوروبا وعادوا الى مصر بدأ الاتجاه الى الغرب يتخذ مساراً أكثر عمقا ، يمس البنية الثقافية الاساسية للمجتمع . وللأفكار . والتقاليد والعادات ، لقد كان هؤلاء مخلصين لوطنهم عندما درسوا في الغرب ونقلوا العلوم الحديثة الى مصر ، ولكن لم تبذل محاولة في اتجاه محاولة استيعاب هذا الوافد ، من خلال القديم ، كما أن المؤسسات الثقافية التقليدية اتخذت موقفا متحجرا وانغلاقيا تجاه العلوم الجديدة والأفكار الجديدة ، وساهم النظام الحاكم في تعميق الاتجاه الى الغرب ، حتى ان الخديوي اسماعيل أعلن أنه يريد ان يجعل مصر قطعة من أوربا ، لقد أصبحت أوروبا اذن هى المثل ، وهى المرجع ، والمقصد ، وبدأ ذلك ينعكس على أوجه الحياة المختلفة ، ومعه بدأ أيضا ذلك الاحساس بالدونية تجاه الحضارة الاوربية وأنماطها الثقافية ، يقول جمال الدين الأفغاني :

« لقد شيد العثمانيون عددا من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف من شبانهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب ، وكل ما يسمونه « تمدنا » ، وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني ، فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك ، وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة ؟ .. نعم . ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية (القومية) وما شاكلها . وسموا أنفسهم زعماء الحرية ، ومنهم آخرون قلبوا أوضاع المباني والمساكن ، وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية ، وسائر الماعون ، وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية وعدوها من مفاخرهم .. فنفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم ! وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم . وهذا جدع لأنف الأمة ، يشوه وجهها ويحط بشأنها ! لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الاعداء اليها ، وطلائع لجيوش الغالبين ، وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم .. » (١)

• • •

ربما كانت العمارة أقرب الفنون الى الرواية ، من هنا جاء اهتمامي بها ، خاصة العمارة الاسلامية العربية التي نشأت في ظلال جدرانها ، وانطبعت تفاصيلها على الصفحات الأولى من ذاكرتي ، كما أن العمارة من ألصق الفنون بحياة الانسان ، اذ انها الاطار الذي يقضي فيه حياته ، سواء في بيته ، أو عمله ، أو عند تأدية شعائره الدينية . يقول الدكتور ثروت عكاشة :

ما من شك في أن الانسان منذ أن وجد على الأرض وهو دائب الجهد في تكييف الطبيعة حوله لملاءمة حاجاته الجسدية والروحانية وانه كذلك بفطرته وحسه المرهف للجمال وعشقه للابداع قد حاول أن يصوغ كل ما تشكله يداه في قالب فني ، يحكيه مرة صورة ومرة تمثالا ومرة كلمة ومرة نغمة (٢)

اذن .. العمارة امتداد للبيئة . جزء من الواقع نفسه . ولكل واقع عمارته ومفهومه الخاص لهذا الفن النابع من الواقع ، من المناخ ، من التقاليد الاجتماعية من المواد المحلية المتاحة ، وقد كانت العمارة العربية نابعة من الواقع نفسه ، تتكيف معه ، وتخضع لخصائصه ، واذا ما دخلنا أحد بيوت القاهرة القديمة ، على سبيل المثال بيت السحيمي ، سوف نجد عمارته تعكس التقاليد الاجتماعية، والتقاليد الفنية ، فالبيت مفتوح على الداخل ، حياة الانسان الخاصة مصانة . النوافذ تطل على الفناء الداخلي حيث الحديقة ، تماما كلوحات الخط العربي حيث تتجه حركة الخط الى الداخل في حركة مستمرة لا نهائية . تدور حول مركز موقعه القلب . مركز العمارة العربية ومحورها كان الانسان نفسه ، فالجدران مصممة بطريقة خاصة لتدرأ الريح والحر وقسوة المناخ ، وابتكر المعماري وسائله الخاصة للتهوية (الملقف)

● صحيح أن نابليون أتى معه بالمطبعة.. ولكنه لم يأتِ بها ليطبع الكتب العربية !

● إذا كان الاجتهاد مباحًا في أمور الدّين ، أفلا يكون مباحًا في القضايا الفكريّة ؟!


نابليون


على مبارك


الخديوى اسماعيل

ولتسخين المياه أو تبريدها . وفي ذروة الحرارة تكون درجة الحرارة داخل بيت السحيمي أقل من الخارج عشر درجات هكذا يقول المهندس المعماري العظيم حسن فتحي ، وفي العمارة الاسلامية العربية نفسها نجد فروقا واضحة . فالمئذنة العراقية لها شخصيتها المتميزة ، ولو ان معماريا مصريا وضع مئذنة عراقية على بناء مسجد مصرى لما اتسق الأمر . فما البال عندما تم استيراد الطرز المعمارية الغربية من بلاد الثلوج والضباب لنزرعها في قلب مدننا الحارة ، ما البال وقد شيد المعماريون الذين درسوا المعمار الأوروبي ونقلوا تصميمات أبراج الالمونيوم المصمتة الى قلب عواصمنا العربية الحارة ، هنا يبدو الاتجاه الأعمى الى الغرب ، والانقياد التام ، ولكن كنت ابتسم ساخرا عندما أرى بعض الأثرياء الجدد وقد بنوا بيوتهم الخاصة ذات أسقف محدبة ، أسقف محدبة في بلاد لا يسقط فيها الثلج أما مطرها فشحيح ، يقول المهندس حسن فتحي في كتابه « عمارة الفقراء » هل يمكن تخيل شجرة ليمون تطرح ثمرة تفاح ؟ . بالطبع لا . والوضع في العمارة التي استوحت تصميماتها من الغرب يترجم هذه المحاولات الشائعة لزرع طرز مستوردة غريبة في بيئة مختلفة ، انه نفس المنطق الكامن وراء انتشار الأسماء الأجنبية في السبعينيات للمتاجر والمراكز التجارية ، حتى أن متجرا تخصص في بيع الأزياء الاسلامية أطلق صاحبه عليه « شوبنج سنتر » . لقد بدأ اتجاه العمارة الى الغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حيث أصبحت العمارة الغربية هى النموذج الذي يحتذى مع توجه الصفوة الى الغرب ، واعتباره المصدر الى أن وصل الامر الى ما وصل اليه في السبعينيات ، لقد تم التخلي عن تقاليد العمارة العربية ، وتحول البيت من الداخل الى الخارج ، واستبدلت مواد البناء بمواد غير ملائمة لطبيعة المناخ (الاسمنت ــ الألمونيوم) ، واليوم تقوم في القاهرة وفي العديد من العواصم العربية أبراج هائلة تقتدي بناطحات السحاب في نيويورك وتحمل أسماء أجنبية أصبح تداولها سهلا وشائعا (سكاي سنتر ــ كايرو سنتر ...الخ) ، وانتقل التشويه الى القرية المصرية نفسها ، فتخلى المعماري الريفي عن المواد الملائمة للطبيعة والمناخ التي كان يبني بها الأجداد منذ آلاف السنين ، ليستخدموا الطوب الأحمر والإسمنت ، ولم تلق نظريات المهندس فتحي طريقها الى التنفيذ ، وهى نظريات قائمة على تطويع العمارة للانسان بحيث تكون نابعة من البيئة . لقد انمحت الخصوصية التي تعبر عن ضرورة حياتية وليس عن قيم فنية مجردة ازاء تزايد الاتجاه الى الغرب والنقل المباشر عنه بدون مراعاة الواقع المحلي . وما يقال عن العمارة ينطبق أيضا على تخطيط المدن ، كان تخطيط المدينة العربية القديمة يخضع لاعتبارات عديدة نابعة من الواقع ذاته ، يقول الدكتور ثروت عكاشة :

وكان العرف المتبع في بعض قواعد التخطيط مثل مراعاة العوامل الجوية ، ومتطلبات الأمن والناحية التعبيرية الجمالية مطبقا في كلا المستويين الواعي والتلقائي ، فكانت الشوارع والحارات تخطط متعرجة ضيقة لأن المساكن والقصور والمباني العامة تضم أفنية وحدائق تستقبل الشمس والهواء من ساحاتها الداخلية التي لا تجعلها في حاجة الى الشارع المتسع ، فاقتصر اتساعه على ما يفي بمطالب المرور وغدو الباعة الجائلين ورواحهم . كما كان بتعرجه وضيقه يوفر مساحات ظليلة ويتيح اختزان الهواء الرطب ليلا حتى يشيعه اثناء ساعات القيظ ملطفا من حرارة الجو . على العكس من الشارع المستقيم الواسع كالبولفار الأوروبي المعاصر الذي تستبيحه الريح صباحا ومساء (٣)

لقد بدأ التغير الكبير في مدينة القاهرة على يدي علي باشا مبارك الذي وضع أساس التخطيط الاوربي الحديث للمدينة . وشق مجموعة من الشوارع المستقيمة على نمط الشوارع الباريسية . شارع محمد علي شق وكأنه نسخة أخرى من شارع ريفولي بباريس ، وبسبب شق هذا الشارع أزيل اكثر من ثلاثين أثرا اسلاميا ، وهكذا بدأ تغريب المدينة ، وعند مراجعة ما حدث للقاهرة ، فلا يعني هذا التهجم على دور علي باشا مبارك أو الانتقاص منه ، ولكنه قام بذلك في اطار مفهوم معين يرى أن تطوير المدينة وتحديثها يجب أن يتم على النسق الاوربي ، وكان ذلك حلقة في الاتجاه الى الغرب ، ما أريد أن اؤكد عليه أو أوضحه ان مراجعة دور علي باشا مبارك أو غيره من كبار المثقفين المصريين أو العرب الذين رأوا أن النقل عن الحضارة الأوروبية سوف ينتقل ببلادهم قدما لا يعني النيل من شخوصهم ودورهم ، لقد اجتهدوا ، وحق لنا أيضا أن نراجع ما قاموا به وأن نجتهد أيضا ، وإذا كان الاجتهاد مباحا في أمور الدين ، أفلا يكون مباحا في القضايا الثقافية ، وتاريخ الفكر ، والتطور الفني ، والمعماري ؟ انني أرى باختصار شديد أن الاتجاه الى الغرب ، أو التغريب قد وصل الى نقطة خطيرة ، خاصة في سبعينيات هذا القرن ، بحيث أصبحت خصائص الشخصية القومية في معظمها مهددة بالاندثار والتغير ، ورافق هذا ظروف عالمية عديدة ، فالاستعمار القديم في الماضي كان يستفز المشاعر القومية ، والرغبة في الحفاظ على السابق ، وفي المغرب العربي الكبير . سواء في المغرب أو الجزائر أو تونس ، تمت المحافظة على الطابع المعماري للمدن القديمة ، صحيح أن العمارة الأوروبية موجودة ولكننا قائمة بعيدا عن الأقسام القديمة وفي تونس مثلا نجد الوزارات الهامة ورئاسة الوزراء في المدينة القديمة ، كما أن فاس القديمة ماتزال محتفظة بطابعها ، لقد كان الاستعمار القديم غشوما ، يستفز المشاعر القومية لأنه يحمل السلاح ، ويسعى الى الطمس التام للقديم ، أما ما نتعرض له في العقود الأخيرة فغزو من نوع آخر . غزو هادىء . يتم بالفيلم . بالفكر ، بتعميق الدونية الثقافية ، يتم باشاعة أنماط معينة من الحياة ، بمتاجر الأكلات الأجنبية ، وهو لا يأتي الينا على ظهور البوارج ، بل ان قوما منا يذهبون ويدفعون الأموال الطائلة ليأتوا به .

وهنا يجب أن أوضح أنني لست ضد الفكر الغربي أو الابداع الغربي ، فمنجزات الحضارة الاوربية ملك للانسانية الآن كلها ، ولكن ما أنبه اليه أن الخصوصية مهددة بالزوال ، وهذا يعني فقدان الأمة لهويتها ، لا أريد استخدام تعبيرات تبدو مبالغة ، لكن هذا ما استشعره خلال السنوات الأخيرة ، والقضية الأساسية التي أتصور أن الفكر العربي والفن العربي مطالبان بالتوجه اليها ودراستها والتوصل الى نتائج محددة فيها ، هى كيف يمكن تزاوج السابق باللاحق ، بدون أن يطغي السابق على اللاحق ، وبدون أن يطمس اللاحق ما سبق .. تلك هى القضية .

جمال الغيطاني

هوامش

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ص ١٩٥ ــ ص ١٩٧

(٢) القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ص ١٢

(٣) القيم الجمالية في العمارة الاسلامية د. ثروت عكاشة ص ٥٨

أود الاشارة الى أن القسم الأول من الحوار الذي أجرته معي مجلة الدوحة عبارة عن مقتطفات من روايتي (كتاب التجليات) ، اختارتها السيدة المحررة . والتجليات عمل فني وليس سيرة ذاتية كما هو معروف .

كما ان الجزء الذي بدا وكأنه على لسان زوجتي مقتطف اختارته المحررة من موضوع صحفي نشر بمجلة صباح الخير القاهرية (فبراير ١٩٨٥) .



العصبية والتضامن الاجتماعي عند ابن خلدون

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

من القضايا التي انشغل بها الفلاسفة والمفكرون عبر التاريخ ، قضية تفسير طبيعة التضامن الاجتماعي والأسباب التي تدفع ببعض المجتمعات الإنسانية إلى الافصاح عن درجة عالية من التماسك الداخلي والوحدة دون غيرها ، وعوامل تغير هذه الحالة في نفس المجتمع من مرحلة تاريخية لأخرى . وفي هذا المجال تعددت الاجابات وتنوعت التفسيرات : فهناك من يقول بالدين ، وآخر يؤكد على اعتبارات الوطنية والقومية ، وثالث يقول بالحمية القبلية أو العشائرية التي تستند إلى رابطة الدم ، ورابع يتحدث عن المصالح الاقتصادية .
فأين موقع مؤلفنا العظيم عبدالرحمن بن خلدون في هذا الشأن ؟ وأين مفهومه عن العصبية في هذا السياق ؟

لعل نظرية العصبية تعتبر من أهم النظريات التي توصل اليها ابن خلدون ، بل ربما لا نغالي إذا قلنا أنها المحور الذي تدور حوله معظم المباحث الاجتماعية الأخرى في مقدمته ، وكما يذكر الأستاذ ساطع الحصري فانها أنظومة تامة التكوين في الاجتماع بصفة عامة والاجتماع السياسي بصفة خاصة (١) ولذلك نجد أن ابن خلدون قد تناولها من زوايا مختلفة في فصول مقدمته ، ويمكن تحديد أهم هذه الفصول فيما يلي (٢) .

ــ فصل أن سكن البدو لا يكون إلا بالقبائل أهل العصبية والفصول الخمسة التي تليه أي ص ١٢٧ ــ ١٣٤ .

ــ فصل أن الغاية التي تجري لها العصبية هي الحكم ص ١٣٩ ــ ١٤٥ .

ــ فصل أن الملك والدولة إنما يحصلان بالقبيلة والعصبية ، والفصول الستة التي تليه ، أي ص ١٥٤ ــ ١٦٢ .

ــ فصل أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة ، والفصل التالي ، أي ص ١٦٤ ــ ١٧٦ .

ــ فصل حقيقة الملك ص ١٨٧ .

ــ فصل كيفية طرق الخلل للدولة ص ٢٩٤ .

ــ فصل وجود العصبية في الأمصار ص ٣٧٧

ويقرر ابن خلدون أن الأساس الذي تقوم عليه العصبية هو الطبيعة الإنسانية والقرابة في الحياة الاجتماعية ، فصلة الرحم طبيعية في البشر وهي نزعة طبيعية (ص ١٢٩) وتلك النزعة في التقارب تؤدي إلى الالتئام والاتحاد والانصهار في بوتقة واحدة وتحمل البشر على التعاضد والتشيع والتناصر (ص ١٥٤) وعلى هذا الأساس نجد أن أفرادالنسب الواحد يتشاركون في حمل الديات ويتعاونون في دفع العدوان ، وعلى ذلك يمكن القول ان العصبية تتولد في القرابة من حيث الأساس وتستند إلى وحدة النسب في الدرجة الأولى (٣) .

ولا يكتفي ابن خلدون بذلك ولكنه يوسع مفهوم النسب من معناه الدموي الضيق ليضم الحلف

والولاء ويقول إن العصبية تكون بالنسب أوما في معناه (١٢٩) وأن اللحمة الحاصلة عن الولاء كلحمة النسب تماماً (ص ١٢٩) .

ثم يقرر ابن خلدون أن العصبية تكون قوية في الحياة البدوية ، ولكن في الحياة الحضرية فإن النسب والعصبية يفقدان قوتهما وذلك لأن البداوة تحمل في فحواها شيئاً من العزلة وعدم اختلاط الأنساب إلا فيما قل وندر (ص ١٢٩) كذلك فإن البداوة تفترض بطبيعتها نوعاً من العصبية القوية لأن الأفراد يقومون بمهمة الدفاع عن أنفسهم أما المنفردون بلا عصبية فيقعون ضحية يلتهمهم الأعداء (ص ١٢٨) ، أما سكان الحضر والمدن والأمصار فيعتمدون في الدفاع عن أنفسهم وأموالهم على الحكم (ص ١٢٥) ولهذا فلا حاجة بهم إلى العصبية .

وبالرغم من أن ابن خلدون اعتبر العصبية من خصائص البادية وأن الحياة الحضرية تؤدي إلى ذبولها إلا أنه أوضح وجود العصبيات وتغلب بعضها على بعض في الأمصار (ص ١٧٧) وأن الالتحام شئ طبيعي عند البشر وإن لم يكونوا أهل نسب واحد ولكن يكون أضعف مما لوكان عند الأنساب وهو يرى أن أهل الأمصار معظمهم ملتمون بالصهر ويتجاذب بعضهم بعضاً حتى يكونوا لحمة وقرابة وتجد أيضاً بينهم عداوات وصداقات مثل الموجودة بين القبائل والعشائر وهكذا يتفرقون إلى شيع وعصائب . وعندما ينزل الهرم بالدولة وتضعف يتنازع كل صاحب صاحبه وفي النهاية لابد للبعض أن يغلب البعض الآخر وهكذا فإن الأسباب التي دعت إلى التنافس هي تقلص قوة الدولة من ناحية والتحام بعض القرابات حتى صارت عصبية من ناحية أخرى .

الآثار الاجتماعيـــــة والسياسية للعصبية

كما ذكرنا من قبل فإن العصبية تحمل الأفراد على التعاضد والتشيع والتناصر في القتال والمدافعة وهي ضرورية لأن من أراد بلوغ أي هدف لابد له من القتال لما في نفوس البشر من الاستعصاء وعند القتال لابد من العصبية (ص ١٢٨) وهنا يدرس ابن خلدون علاقة العصبية بالدولة ثم بالدين .

يرى ابن خلدون (١٣٩ ، ١٥٧) أن العصبية تلعب دوراً أساسياً في تكوين الدولة فغاية العصبية هي الملك ، فإن صاحب العصبية كلما نال مرتبة طلب مافوقها (ص ١٣٩) ، وأنه في داخل كل قبيلة توجد عادة عدة عصائب ولكن تكون هناك عصبية واحدة أقواها تعلو هذه العصائب المتعددة

وعندما تتغلب هذه العصبية على قومها تسعى إلى التغلب على أهل عصبية أخرى وثالثة وهكذا حتى تصبح قوتها في قوة الدولة .

فالعصبية ضرورية لتأسيس الدولة والملك ولكن بعد أن تستقر الدولة فقد تستغني عنها ، ففي أول الأمر تكون الدولة غير مألوفة عند الناس ويصعب على نفوسهم الخضوع لسلطانها والانضواء تحت لوائها ولن يتم ذلك إلا بقوة من العصبية ولكن عندما تستقر الرئاسة عبر فترة من الزمان يألف الناس وينسون ماكانوا عليه وتستقر فيهم روح الولاء ويومئذ لا يحتاج الحاكم لعصبية في حكمه (ص ١٥٤ ــ ١٥٥) .

● لمـاذا قـدّم ابن خلدون تفســـيرًا للتطـــــور السـّــياسي أســاســه فكــرة العصبيـــــة ؟

الفارابي



ساطع الحصري



وينتقد ابن خلدون الطرطوشي لقوله ان حماية الدولة تكون للجند وذلك لأن الطرطوشي أخطأ في اطلاق حكمه بناء على ملاحظة محدودة ذلك أنه شاهد دول الطوائف في فترة الاستقرار فقط دون أن يفطن إلى أن العصبية لابد منها في فترة التكوين (ص ١٥٦) ، ويؤكد مرة أخرى أن في مرحلة تكوين الدولة لابد من العصبية ، ويزيد ابن خلدون من أثر العصبية في بناء الدولة فيرى أن اتساع الدولة يتناسب تناسباً طردياً مع قوة العصبية وأن كل دولة لها حصة معينة من الممالك والمواطن لا تزيد عليها (ص ٦١) .

وهكذا فإن ابن خلدون يرى بأن نطاق الدولة محدود بالعصبية واتساع الدولة رهين بقوتها ويتزايد معها .

وعندما تنقص عصبية الدولة وتفقد قوتها تتجاسر عليها المدن والدول المجاورة وتستولى على بعض أجزائها (ص ١٦٩) ولتأكيد نظريته يستشهد ابن خلدون بالعرب في صدر الاسلام فعندما كانوا ذوي عصبية قوية غزوا العالم ولكن عندما فقدوا عصبيتهم تقلصت هذه الحدود وتراجعت أطرافها .

ولكن إذا كانت العصبية تلعب دورها كعامل مؤسس للدولة فانها يمكن أن تكون أيضاً عنصرا معوقاً لها فيكتب ابن خلدون فصلاً بعنوان:الأوطان كثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة ، ويعلل ذلك بأن اختلاف الآراء وتعدد العصبيات يؤدي إلى كثرة الخروج على الدولة حتى وإن كان الحاكم له عصبية قوية لأن كل عصبية تظن في نفسها القوة والمنعة،ويستشهد بما حدث في شمال أفريقيا والمغرب في بداية عصر الإسلام فإن ساكنيها من البربر من ذوي القبائل والعصبيات ارتدوا وثاروا حتى بعد استقرار الدين فيهم وعادوا إلى الخروج (ص ١٦٤) والسبب في ذلك أن قبائلهم بالمغرب كانت أكثر مما تحصى ولذلك نجد طول فترة التمهيد والتكوين في أفريقيا والمغرب لتأسيس الدولة (١٦٥) وهذا يدل دلالة واضحة أن كثرة العصبيات تحمل في طياتها عدم الاذعان والانقياد وبعكس ذلك فإن الدول القليلة العصبيات أو الخالية منها أسهل ماتكون في تأسيس دولة (ص ١٦٤ ، ١٦٥) ويستشهد ابن خلدون في ذلك بالشام والعراق في صدر الاسلام فنظرا لعدم وجود العصبيات وكون الحاميات من فارس والروم غلبهم المسلمون على أمرهم وتأسست الدولة بسرعة ، كذلك يستشهد بمصر والأندلس فلم يتطلب تأسيس الدولة فيهما عصبية كبيرة نتيجة لعدم وجود العصائب الداخلية (ص ١٦٥ ــ ١٦٦) .

العصبية والتضامن الاجتماعي عند ابن خلدون

وهكذا فإن هناك علاقة وثيقة بين العصبية وتماسكها من ناحية وتأسيس الدولة من ناحية أخرى ويبلور ابن خلدون هذه العلاقة عندما يتحدث عن أطوار الدولة وهي في رأيه :

(١) طور الظفر ويتم بقوة العصبية (ص ١٨٣) .

(٢) طور الفراغ والدعة حيث تسود الراحة والطمأنينة .

(٣) طور القنوع والمسالمة .

(٤) طور التبذير والاسراف ومن ثم انقراض الدولة وذبولها .

ولكن كيف يتم هذا التطور ؟ وما هي طبيعة هذه العملية ؟ يرى ابن خلدون أن الملك يقوم على أساسين :

١ ـ العصبية أو الجند .

٢ ـ المال الميسر لهؤلاء الجند .

والخلل يبدأ من هذين الأساسين فيقرر أنه في بداية الأمر لابد من وجود عصبية كبيرة وقوية تجمع العصبيات المتعددة ولكن هذه العصبية تزول في الطور الثاني للدولة وذلك لاستبداد صاحب الدولة بهم من ناحية ، ونتيجة لتأثير الترف في نفوسهم من ناحية أخرى نظراً لاشتراكهم في الحكم . وهكذا فان الترف والقهر يؤديان إلى زوال العصبية (ص ٢٩٥) .

وعندما يتم الفصل بين الملك وعصبيته الأصلية تتجاسر العصائب الأخرى عليه ويخرجون ضده وقد تنقسم الدولة حينئذ (ص ٢٦٥) ولكن قد يطول أمد الدولة بعد ذلك فتستغني عن العصبية وذلك برسوخ روح الانقياد والخضوع في أبنائها حتى تظهر عصبية أخرى جديدة ناشئة تقيم دولة جديدة وتبدأ الدورة من جديد . وهكذا يمكن القول أن ابن خلدون قدم تفسيراً للتطور السياسي أساسه فكرة العصبية فهو من ناحية مصدر الجماعة السياسية . ومن ناحية أخرى عنصر التطور الحركي فيها .

وبينما يؤكد ابن خلدون ضرورة العصبية الدينية فإنه يلاحظ نوعا من التشابه بين تأثير الدين وتأثير العصبية في الحياة الاجتماعية ، فالديانة تؤلف بين القلوب وتوجهها وجهة واحدة وينتج عنها التعاضد والتشيع (ص ١٥٧) ، ومن ثم فإن الدعوة الدينية تزيد قوة الدولة على ماكان لها من قوة نتيجة عصبيتها فالاجتماع الديني يضاعف قوة العصبية فإذا حدث في قوم ما توفرت لهم الغلبة على من هم أقوى وأكثر عدداً منهم ، ولكن يلاحظ أنه إذا فقد هؤلاء القوم ذلك التجمع الديني فان التغلب الحاصل بفضل هذا الاجتماع سيزول وعندئذ يكون الغلب بناء على العصبية وحدها دون النظر للدين (ص ١٥٨) ويستشهد لتأكيد رأيه بما حدث للعرب في صدر الاسلام حين انتصروا في مواقع القادسية واليرموك على جموع فارس وهرقل مع أن الأولى كانت نحو مائة وعشرين ألفاً بالقادسية والثانية أربعمائة ألف باليرموك ، ويستشهد أيضاً بما حدث بين المصامدة وزناتة في دولة الموحدين فعندما لبس المصامدة لباس الدين تضاعفت عصبيتهم فغلبوا زناتة شر هزيمة رغم أنها أكثر بداوة ووحشية ولكن عندما تخلوا عن الدين هزمتهم زناتة .

وهكذا نجد أن أفكار ابن خلدون هي أقرب ما تكون إلى دائرة تدور حول فكرة محورية هي العصبية .

ابن خلدون وفلسفة التاريخ

يعتبر ابن خلدون من أوائل من تعرضوا لما عرف في أوروبا في القرن الثامن عشر بفلسفة التاريخ ويقصد به البحث الفلسفي في التاريخ



ومحاولة استخلاص العناصر التي تحركه . لقد قدم لنا ابن خلدون دراسة في الاجتماع السياسي وفي الأساس الاجتماعي للنظم السياسية والتفاعلات الاجتماعية المتصلة بالجماعة السياسية الاجتماعية ، فالاوطان الكثيرة العصائب قل أن تستحكم فيها دولة وبالعكس الأوطان الخالية من العصبيات يسهل اقامة الدول فيها (١٦٤) كما نجد لدى ابن خلدون صياغات لعديد من الأفكار والنظريات المعروفة اليوم في العلوم الاجتماعية المعاصرة فالبعض يربط مثلا بين آرائه المتعلقة بالعصبية المركبة والعصبية البسيطة من حيث تتألف الأولى من عدة عصبيات بسيطة مكونة درجة أعلى من العصبية ورأى دوركهايم في المجتمعات المركبة والمجتمعات الحلقية ، كما نجد لديه بعضاً من مفاهيم النظرية العضوية في الدولة فهو ينظر للدولة نظرته للفرد ويرى أن لها عمراً وأنها تهرم (ص ١٧١) وأن حدوث الهرم هو أمر طبيعي كما يحدث في الحيوانات ، وشبه ابن خلدون قوة العصبية بسائر القوى الطبيعية ويرى أن أثرها في مركز الدولة أقوى منه في أطرافها وذلك شأن الأشعة والأنوار عند انبعاثها من المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء .

ان ابن خلدون يقدم مثالاً واضحاً لعظمة الفكر الاجتماعي العلمي في الإسلام فهو يعطينا صورة تحليلية للمجتمع في حركته الواقعية . لم ينشغل ابن خلدون بتقديم صورة مثالية للمجتمع الذي ينشده أو يبتغيه أو يتصوره للمدينة الفاضلة كما فعل اخوان الصفا والفارابي من قبل ولكنه اهتم برصد وتحليل التفاعلات الاجتماعية والسياسية في المجتمع وتحديد أنماط هذه التفاعلات وتفسير أسبابها وبواعثها ، ومن ثم قيمته المستمرة في مجال البحث الاجتماعي والسياسي في الشرق والغرب على حد سواء .

علي الدين هلال

هوامش

(١) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٣) ص ٣٣٤ ..

(٢) عمر فروخ : كلمة في ابن خلدون ومقدمته (بيروت ١٩٤٣) ص ١٤ ...

(٣) ساطع الحصري : مرجع سابق ص ٣٣٣ ...

نعَمْ أنت لا تدخّن .. ولكنك محاصرٌ بالضَرَر في كل مكان !

التدخين السلبي



نعم أنت لا تدخن ، وهذه خطوة هامة للحفاظ على صحتك ، ولكنك بكل أسف معرض لأضرار التدخين أو مايسمى بالتدخين السلبي ، في المكاتب والمنازل ، وأماكن التجمعات المختلفة . فالخطر يلاحقنا في كل مكان ، وهو لا يكتفي بايذاء المدخنين أنفسهم ، ولكنه يطارد أيضاً غير المدخنين الذين يتعرضون لدخان السيجارة اللعينة . بل إن الخطر يلحق بالصغار الأعزاء حتى وهم مازالوا أجنة ، ما دام الأب مصراً على التدخين والأم تقلده في هذه العادة اللعينة ويظل الخطر يلازم الصغار في كل سنوات حياتهم ، حتى يشبوا متأثرين به أبلغ الأثر..

والآثار والأمراض والمتاعب التي يتركها التدخين السلبي على حياة غير المدخنين لا حصر لها ولا عد ، وقد أثبتتها الدراسات العلمية الحديثة ، وهي تصل إلى حد الاصابة بالسرطان ، وولادة أطفال مشوهين ، وظهور أعراض الذبحة الصدرية وزيادة سرعة ضربات القلب وارتفاع الضغط ، وغير ذلك من المضار التي نتناولها هنا بالتفصيل . ولا شك أن هذه الخطورة تتطلب منا جميعاً خطوات بالغة الأهمية ، لنواجه هذا الأخطبوط الحقيقي ، قبل أن نتحول جميعاً إلى صرعى له ..



بقلم

الدكتور : عبدالله الباكر

وبداية فان التدخين السلبي : هو تعرض غير المدخنين لا إرادياً لدخان ومخلّفات احتراق التبغ في الأماكن المغلقة ويعرف أيضاً باسم « التدخين اللاإرادي أو الاجباري » « والتدخين من الدرجة الثانية » .

دخان التبغ يسير في تيارين

١ ــ التيار الرئيسي « Main Stream » وهذا هو الدخان الذي يسحبه المدخن أثناء شفطه للسيجارة ، ويتجه رأساً إلى رئتيه ، ثم إلى أجزاء جسمه الأخرى ويخرج جزء منه مع الزفير .

٢ ــ التيار الجانبي « Side Stream » وهذا هو الدخان الذي يخرج من طرف السيجارة أو وسائل التدخين الأخرى ، وهو ناتج عن احتراق التبغ ، ويذهب رأساً إلى الهواء .

إذن فالمدخن السلبي يستنشق دخان التيار الجانبي والدخان الذي يخرج مع زفير المدخن .

مكونات دخان التبغ

يحتوي دخان التبغ على أكثر من ٣٠٠٠ مادة معروفة ، وهذه المواد إما في شكل غازات أو في شكل دقائقي أو جزيئي ، وتوجد بتركيز أكثر في دخان التيار الجانبي والغازية منها بالذات . انظر جدول (١) الذي يبين أهم المواد الموجودة في دخان السيجارة مع نسبة وجودها في التيار الجانبي إلى التيار الرئيسي . هذه المواد الخطرة في الدخان بعضها مواد مسرطنة ، ولها تأثير على المدى البعيد . أما المواد الأخرى والتي لها ضرر حاد وسريع فهي أول أكسيد الكربون ومادة النيكوتين ، وهي ترتفع في الدم بعد ساعات قليلة من التعرض للدخان ، ويمكن اكتشافها في بقية الافرازات .

التدخين السلبي

المكونات في الحالة الغازية	الكمية في التيار الرئيسى	نسبة الكمية فى التيار الجانبي/ التيار الرئيسى	المكونات في الحالة الدقائقية	الكمية في التيار الرئيسى	نسبة الكمية في التيار الجانبى/التيار الرئيسى
ثانى أكسيد الكربون	٢٠ ــ ٦٠ ملغم	٨,١ ضغفاً	القطران	١ ــ ٤٠ ملغم	١,٣ ضغفاً
أول أكسيد الكربون	١٠ ــ ٢٠ ملغم	٢,٥ ضعفاً	الماء	١ ــ ٤ ملغم	٢,٤ ضعفاً
الميثين	١,٣ ملغم	٣,١ ضعفاً	تولين	١٠٨ مايكروغرام	٥,٦ ضعفاً
الاسيتالين	٢٧ مايكرو غرام	٠,٨ ضعفاً	فينول	٢٠ ــ ١٥٠ مايكرو غرام	٢,٦ ضعفاً
الامونيا	٨٠ مايكرو غرام	٧٣ ضعفاً	ميثايل نفثالين	٢,٢ مايكرو غرام	٢٨ ضعفاً
سيانيد الهيدروجين	٤٣٠ مايكرو غرام	٠,٢٥ ضعفاً	بايرين	٥٠ ــ ٢٠٠ ضعفاً	٣,٦ ضعفاً
نيثايل فيوران	٢٠ مايكرو غرام	٣,٤ ضعفاً	بنزو بايرين	٢٠ ــ ٤٠ مايكرو غرام	٣,٤ ضعفاً
سينونايتران	١٢٠ مايكرو غرام	٣,٩ ضعفاً	أنيلين	٣٦٠ ملغم	٣٠ ضعفاً
ايروين	٣٢ مايكرو غرام	١٠ أضعاف	نيكوتين	١ ــ ٢,٥ ملغم	٢,٧ ضعفاً
ايمثايل نايتروكين	١٠ ــ ٦٥ مايكرو غرام.	٥٢ ضعفاً	٢ ــ نفثايل أمين	٢ ملغم	٣٩ صعفاً

بعض مكونات دخان السيجارة والنسبة بين كميتها في التيار الرئيسي والتيار الجانبي

وهناك من الدراسات ما يبين بأن النيكوتين يمكن اكتشافه لمدة طويلة في غير المدخنين المعرضين باستمرار للدخان السلبي ، مثل بعض الذين يعيشون في المدن المزدحمة .

أما أول أكسيد الكربون فإن أية زيادة في نسبته في البيئة الداخلية وهوائها عن « ٩ أجزاء من المليون » تعتبر خطراً على الصحة ، وآثار ذلك الفسيولوجية والصحية معروفة حيث إن هذا الغاز ينافس الأوكسجين في الارتباط بالهيموجلوبين وقوته تفوق الأوكسجين ٢١٠ مرات في هذا الشأن مكوناً اكسيجمور الكربون في الدم ، ليشكل خطراً على أنسجة الجسم بحرمانها من الاوكسجين الذي يحتاجه . ولولا أن التهوية تخفف من تركيز هذا الغاز لظهرت آثاره واضحة بالذات إذا علمنا أن التيار الجانبي من طرف سيجارة واحدة يقذف في هوائنا ٢٠٠ جزء من المليون .

وتأثير هذه المواد ونسبها الموجودة في التيار الجانبي يخضع لعدة عوامل ، منها عامل تخفيف التركيز عند الاختلاط بهواء الغرفة الأمر الذي يبين أهمية التهوية الجيدة ودورها ، عدد السجائر المدخنة في المكان ، عدد الأشخاص الذين يدخنون ، نوع السجاير المدخنة سواء بالفلتر أو بغيره ، وهل نسبة القطران والنيكوتين بها قليلة أو عالية ، حيث أن سجاير الفلتر والتي تحتوي على قطران ونيكوتين أقل ، أشد خطراً ، وتحتوي على نسب عالية من المواد في التيار الجانبي . كذلك الحال بالنسبة للسيجار بمختلف أحجامه ، والغليون . لذلك فإن درجة الحرارة والرطوبة والجفاف لها دور في التأثير ، مضاف اليها قرب المدخن أو سيجارته من غير المدخن أو المدخن السلبي .

التدخين وتلوث البيئة الداخلية

يتجه العالم اليوم إلى توفير الطاقة والحد من استهلاكها بالاتجاه إلى بناء الحجرات الصغيرة الحجم القليلة الارتفاع ، والتي تعتمد على الاضاءة الداخليةمع الاعتماد على العازل الحراري ومواده الكيماوية التي تكمن الخطورة في أكثرها .

فهناك من الدراسات الحديثة بالذات على المكاتب ومناطق العمل ما يؤكد أنه كلما ازداد الاتجاه في المكاتب الحديثة لتوفير الطاقة كلما ازدادت الضرورة إلى ايجاد نظام للتهوية غير المتوفر حالياً . فالخطر كامن في الدخان ، وفي المواد الكيميائية المنبعثة من بعض أنواع العازل الحراري ، ومن تفاعلات المواد الكيميائية في الدخان مع مواد العازل أو مواد اشعاعية في الجو ، حيث يحولها هذا التفاعل إلى مواد مسرطنة .

وتفيد نشرة حديثة صادرة من مؤسسة حماية البيئة الأمريكية عن الملوثات في البيت الأمريكي وتأثيرها على التحول الاحيائي أو الطفرة في الخلية البكتيرية ، بأن البيوت التي تستعمل أساليب طبخ غير كهربائية فان الملوثات في هوائها تؤدي من ١٠٠ ــ ٢٠٠ تحول احيائي في كل سم مكعب وهذا الفرق في التحول سببه المواد الملوثة الموجودة في التدخين .

ولقد قدرت نسبة أول أكسيد الكربون في بعض المناطق التي يكثر فيها الدخان ، وعلى سبيل المثال :

في قاعة المؤتمرات ٨ ــ٣٣ جزءاًمن المليون
في الغواصات ٤٠ جزءاً من المليون
في الحانات ١٢ ــ ١١٠ أجزاءً من المليون
في الغرف ١٥ ــ ٦٠ جزءاً من المليون

المهم أن نعرف أن التعرض إلى هواء يحتوي على ٣٨ جزءاً من المليون لمدة ساعة واحدة يساوي تدخين سيجارة واحدة من النوع متوسط القطران .

قياس التعرض للتدخين

أصبح من المكن قياس التعرض للتدخين السلبي بعدة طرق وأهمها قياس نسبة النيكوتين أو « الكوتينين » وهو من مخلفات تمثيل النيكوتين في الجسم وأكثر دقة في القياس ، كذلك تقاس نسبة أول أكسيد الكربون ومادة الثايوسينيت . ويستعمل من أجل قياس تلك المواد الدم والبول واللعاب والسائل الأمنيوتي والأغشية الشيمية ، وحتى حليب الأمهات وافرازات الثدى .

التدخين السلبي والسرطان

١ ــ سرطان الرئة : لا يزال سرطان الرئة يحتل المراكز الأولى في قائمة الوفيات في معظم البلدان . وبدأت نسبته تزداد في النساء إلى درجة أنه في الدول الغربية قارب نسبة حدوث سرطان الثدي ، ومن المتوقع أنه سيفوق نسبة الوفيات من سرطان الثدي في الولايات المتحدة في الثمانينات ، وذلك بسبب عادة التدخين التي انتشرت عند النساء .

إن علاقة التدخين بسرطان الرئة وصلت إلى درجة من القوة والتأكيد بحيث أن العلماء يميلون



فتاة أوربية تدخن وسط جو العمل .. وسواء كان المدخن رجلاً أوامرأة ، فإن هناك ارتفاعاًواضحاً الآن في خطورة الاصابة بالسرطان في الأشخاص الذين يتعرضون للتدخين السلبي ..

● المدخّن السلبي يستنشق دخان التيّار الجانبي والدخان الذي يخرج مع زفير المدخّن!

● تدخين الزوج يُعرّض زوجته غير المدخّنة للإصابة بسرطان الرئة بنسبة ستّين في المائة!

إلى عدم البحث عن سبب آخر لهذا السرطان غير السيجارة ، فهل للتدخين السلبي دور أيضاً في إحداث هذا السرطان ؟

لقد كان من الصعب الرد على هذا السؤال حتى أواخر السبعينيات وكان أي رد لا يحمل إلا التوقع والاعتقاد إلا انه منذ اوائل الثمانينات حتى يومنا هذا أصبح بالامكان الرد على هذا السؤال من خلال الدراسات المتوفرة الآن . في عام ١٩٨١ أطلق « هيراياما Hirayama » أول صيحة عن هذا الدور في دراسة أجراها على ٩١٥٤٠ امرأة من غير المدخنات والتى استمرت ١٤ عاماً .

وقد وجد أن النساء اليابانيات المتزوجات من رجال يدخنون يزداد خطر وفاتهم بسبب سرطان الرئة عن النساء اللائي لا يدخن أزواجهن . وبرر ذلك على أساس تعرض النساء المتزوجات لدخان أزواجهن الدائم أثناء سنين الحياة الزوجية ، وبين أيضاً أن نسبة الخطورة تزداد مع زيادة التدخين وعدد السجائر المدخنة في اليوم ، وأظهر نسب الخطورة هذه على النحو التالي :

١ ــ نساء لايدخن ولايدخن أزواجهن ١,٠ .

٢ ــ نساء لا يدخن ويدخن أزواجهن أقل من علبة في اليوم ١,٦

٣ ــ نساء لا يدخن ويدخن أزواجهن أكثر من علبة في اليوم ٢,١

وتزداد هذه النسبة في الخطورة في المناطق الزراعية في النساء المتزوجات لمدخنين وفي عمر متقدم .وأكد بذلك أن هناك علاقة واضحة بين الجرعة و بين ما تحدثه من أثر وأتبع « هيرايايا » ذلك بدراسة تكميلية عام ١٩٨٣ أي بعد ١٦ عاماً من الدراسة الأولى لتؤكد نتائجه الأولى ، ليس فقط على الوفيات بالنسبة للسرطان بل بالنسبة لحدوث السرطان نفسه . وقال : إن تدخين الزوج بغض النظر عن عدد السجائر يعرض المرأة غير المدخنة إلى اصابتها بسرطان الرئة بنسبة ٦٠٪

في هذه الدراسة الأخيرة لوحظ أن خطر الاصابة بسرطان الجيوب فوق الأنفية يزداد بشكل واضح أيضاً ، تبعاً لعادة الزوج في التدخين وكميته .

ولم يكن «هيرايايا» في الميدان وحده ، بل جاءت دراسة اليوناني « تروكوبولوس ومجموعته » سنة ١٩٨١ ، لتظهر نفس النتيجة وأعقبتها دراسة أخرى سنة ١٩٨٣ لتختتم الدراسة بنفس الاستنتاج . وفي الوقت نفسه صدرت دراسة كبيرة في أمريكا Garfinkel et al وبالرغم أن استنتاجها يؤيد ما توصلت إليه الدراسات الأخرى ، إلا أن الوفيات الاحصائية في النسب ليست ذات دلالة كبيرة . أما الدراسات الأمريكية "Correa et al" والألمانية « Knota et al » سنة ١٩٨٣ ودراسة ضخمة عن السرطان سنتعرض لها فيما بعد في أمريكا سنة ١٩٨٥ فنتائجها تؤيد النتائج الأخرىالتي نستخلص منها أن استنشاق دخان الآخرين لفترة طويلة من الزمن له علاقة بزيادة نسبة الخطورة من الاصابة أو الوفاة بسرطان الرئة ، وأن تدخين أحد الزوجين في المنزل وبالذات الرجال في مجتمعاتنا يؤدي إلى تلك النتيجة يضاف على ذلك خطورة تعرضنا خارج البيوت لدخان الآخرين أثناء العمل أو في المحلات العامة .

٢ ــ أنواع السرطان الأخرى :

إن علاقة سرطان الفم والبلعوم والمرئ والقصبات الهوائية والبنكرياس والمثانة ، وأخيراً أضيف اليها سرطان عنق الرحم بالتدخين بمختلف أشكاله أمر واضح ومعلوم ، لدرجة أن هذه الأنواع تسمى السرطان المتعلق بالتدخين . إلا أن النقاش حول دور التدخين السلبي فيها وفي أنواع السرطان الأخرى « غير المتعلقة بالتدخين » لم يظهر بوضوح إلا في الآونة الأخيرة ، بعد أن نشر الدكتور ساندلر ومجموعته « Sandler et al » في أوائل سنة ١٩٨٥ دراسة بعنوان « التدخين السلبي في البالغين وخطورة الاصابة بالسرطان » والتي بين فيها ما يلي :

١ ــ هناك ارتفاع واضح في خطورةالاصابة بالسرطان عامة في الأشخاص الذين يتعرضون للتدخين السلبي .

٢ ــ هناك علاقة بين الجرعة والأثر حيث تزداد خطورة الاصابة بالسرطان بزيادة كمية التدخين وزيادة عدد المدخنين في المنزل الواحد .

٣ ــ أن خطر الاصابة به يزداد أيضاً كلما زادت فترة التعرض ، فالذين يتعرضون أثناء الطفولة وبعد البلوغ وفي فترة النضوج يكون الخطر فيهم أكثر من الذين يتعرضون لفترة واحدة فقط .

٤ ــ أن النســاء أكثر عرضة للاصابة بالسرطان ، وأن من هم أقل من خمسين سنة من العمر معرضون أكثر

٥ ــ يؤكد ما استنتجته الدراسات المذكورة أعلاه عن علاقة التدخين السلبي بسرطان الرئة ، مع أن عدد الحالات في دراسته كانت قليلة .

٦ ــ إن الربط بين التدخين السلبي ومواقع محددة للسرطان واضح احصائيا في هذه الدراسة ، حيث تبين :

• أن خطورة الاصابة بسرطان عنق الرحم تصبح ضعفين في حالة النساء اللائي يدخن أزواجهن ، ويؤكد بذلك ما سبقته من دراسات في هذا المضمار .

• أن خطورة الاصابة بسرطان الثدي تزداد بالتعرض للتدخين السلبي ، وأن هذه الخطورة ثابتة في مختلف الأعمار بين ٢٠ ــ ٥٠ سنة .

• وجد أن التدخين السلبي له علاقة بسرطان الغدد الصماء ، مع أن العدد الذي شملته الدراسة لم يكن كثيراً ومن بينهم ١١ حالة سرطان في الغدة الدرقية .

أمراض القلب والشرايين

مع أن العلاقة المدعمة بالأدلة العلمية بين التدخين بمختلف أشكاله وأمراض القلب والشرايين أصبحت في حكم المؤكد والمسلم به ، الأمر الذي تعترف به شركات السجاير بالرغم من نفوذها وسلطانها وتضعه في شكل عبارات تحذيرية على علبها ، إلا أن دور التدخين السلبي في هذه العلاقة واحداث المرض لا يزال في مراحله الأولى والأبحاث فيه قليلة . لكن تأثير هذا النوع من التدخين على مرضى القلب أصبح في حكم المعروف .

فلقد بين « اورنو Aronow et al » في أربع دراسات نشرها منذ سنة ١٩٦٤ أن وجود الدخان وتجمعه يؤدي إلى تقصير مدة ظهور أعراض الذبحة الصدرية في مرضى القلب بنسبة ٢٢٪ بعد اجراء التمارين في غرفة جيدة التهوية وتقصير المدة أيضاً بنسبة ٣٨٪ ان أجري التمرين في غرفة رديئة التهوية هذا بالاضافة إلى زيادة سرعة ضربات القلب ، وارتفاع الضغط وزيادة نسبة الكربوكسكي هيموجلوبين في الدم في الحالتين مع زيادته في الغرفة السيئة التهوية .

يعتقد أن اول أكسيد الكربون يلعب دوراً كبيراً إلى جانب النيكوتين في ظهور تلك الأعراض .كما أن دراسات أخرى وجدت أن سرعة ضربات القلب



التدخين في حضور الآخرين في البيت ، يترك أثاراً ضارة نتيجة الدخان المتصاعد ، تصل إلى الاصابة بالسرطان ..

● يجب أن نمنع التدخين تماماً في المكاتب والمؤسسات حرصاً على احترام حقوق غير المدخنين وحفاظاً على صحتهم

تزداد ، ويرتفع الضغط في الأطفال أيضاً عند تعرضهم للدخان الكثيف ، وأن الأطفال الذين يعيشون في بيوت ويدخن والداهم ، لديهم زيادة في الضغط وسرعة النبض أكثر من الأطفال الذين يعيشون في بيوت لا يدخن أحد فيها .

لذلك ينصح الأطباء جميع مرضى القلب سواء المتعالجين بالدواء أو الذين أجروا عمليات في الشريان التاجي بالامتناع عن التدخين ، والامتناع عن ارتياد الأماكن المكتظة سواء أماكن العمل أو البيوت ، أو أماكن التسلية التي يكثر فيها التدخين .

هذا إلى جانب أن بعض الدراسات الحديثة في محاولة لتفسيرها لعملية تصلب الشرايين تربط بين التدخين السلبي وتأثيره على الصفائح الدموية ، حيث أن قدرتها على الالتصاق تزداد بسبب نقص حساسيتها لمادة أوستاجلندين المضادة لالتصاق الصفائح ، وهذا يؤدي إلى ترسيبها في جدار الأوعية الدموية .

التأثير على الأجنة

العلاقة بين تدخين الأم الحامل والمشاكل التي تصيب الأجنة مثل هبوط وزن المولود ، الولادة المبكرة قبل النضوج ، والاجهاض ، والنزيف أثناء الحمل ، وارتفاع نسبة الوفيات أثناء الحمل أو عند الولادة والتشوهات الخلقية وظاهرة الموت المفاجئ في الأطفال الرضع ، جميع هذه المشاكل مدونة علمياً . ولقد وجدت مجموعة من الباحثين أن النيكوتين أو ناتج التمثيل منه « الكوتينين » موجود في دم الأجنة والسائل الأمنيوتي وأنسجة المشيمة في النساء المدخنات .

أما في النساء غير المدخنات واللاتي يتعرضن للتدخين السلبي أثناء الحمل ، فلقد وجد أن السائل الأمنيوتي يحتوي على كمية من الكوتينين ، ولا يعرف هل هذا ناتج من الأم أم أنها فضلات النيكوتين التي تكونت في الجنين ، ويسمى هذا التدخين السلبي « تدخين من الدرجة الثالثة » لدرجة أن دراسة من « ساوثهامبتون » بانجلترا تعتقد أن ثلثا إلى ثلثي الأجنة هناك إما أن يكونوا مدخنين من الدرجة الثانية أو الثالثة .

التأثير على الأطفال

١ ــ التأثير على الجهاز التنفسي :

يربط العديد من الدراسات بين التدخين السلبي وأمراض الطفولة ، وزيادة أعراضها ، وغالبية هذه الدرا سات توضح أن التأثير يزداد إذا كان الوالدان يدخنان ، وأن تدخين الأم أكثر أثراً وخطورة .

فالأطفال دون سن الثالثة والرضع في السنة الأولى بالذات معرضون للاصابة بأمراض الجهاز التنفسي كالتهاب الشعب الهوائية وداء الرئة في بيوت المدخنين ، مع ظهور هذا الأثر بسبب تدخين الأمهات لقربهن الدائم من الأطفال في هذه السن .

هذه الأمراض يقل حدوثها بعد سن الثالثة . ومع أن استمرار التعرض يحدث أعراضاً وأمراضاً في الجهاز التنفسي بعد ذلك إلا أن بعض هذه الأمراض التي تظهر في آخر مراحل الطفولة ومراحل النضوج يرى بعض الباحثين إرجاع أسبابها إلى الإصابة في مرحلة الطفولة الأولى . هذه الأمراض يعتقد أن سببها الإثارة من جراء تشبع أجواء المنزل وانتقال الميكروبات عن طريق الكحة التي يعاني منها المدخنون . لكن بعض الدراسات بينت حدوثها ،



حتى إذا كان الوالدان غير مصابين بأي مرض أو أعراض مرض الجهاز التنفسي.

أما الأطفال بعد ذلك من سن الثالثة فما فوق فإنهم معرضون للاصابات المزمنة كالكحة المزمنة وزيادة البلغم. كما أنهم معرضون أيضاً للالتهابات الحادة في الجهاز التنفسي حتى أن بعض الدراسات اعتمدت عدد عمليات اللوزتين كمؤشر لالتهابات الجهاز التنفسي المتكررة من جراء التدخين السلبي.

وتجمع الدراسات أيضاً على أن الأزيز يزداد في الأطفال المعرضين للتدخين السلبي أكثر من غيرهم ويخضع لنفس الأسس المذكورة أعلاه، حتى أن بعض الأطفال معرضون للأزيز المستمر الأمر الذي يحدث الارتباك والخوف في وسط العائلة هذا الازيز والتأثر بالدخان قد يؤديان إلى الاصابة الصريحة بمرض الربو في الأطفال الذين يدخن والداهم.

ولقد بينت إحدى الدراسات أن تحسناً قد ظهر على حالات الأطفال الذين توقف والداهم عن التدخين بينما لم يطرأ أي تحسن على الذين لم يتوقف والداهم.

٢ ـ التأثير الفسيولوجي على جهاز التنفس:
بينت الدراسات الحديثة مع شيء من التأكيد أن التدخين يؤثر على وظائف الجهاز التنفسي باضعافها، وأن درجة هذا التأثير يمكن أن يكون لها دور كبير في معرفة الأشخاص المعرضين للاصابة بأمراض الجهاز التنفسي المزمنة كالتهاب القصبات الهوائية المزمن والانفزيما. هذا الاستنتاج جاء نتيجة تجارب مختبرية واكلينيكية على وظائف الجهاز التنفسي في الأطفال. حيث وجد بالاضافة إلى القصور في هذه الوظائف أن درجة نمو الرئة في أطفال المدخنين تقل بنسبة ٥٪ عن الأطفال العاديين.

٣ ـ التأثير على الأجهزة الأخرى:
ظهرت أخيراً دراسات مختلفة تبين أن التدخين السلبي له دور في التهاب الأذن الوسطى، واستمرار تدفق الإفرازات منها، وله دور أيضاً في احداث المغص المعوي لدى الرضع والأطفال الصغار، ويؤثر على الانتاج المدرسي والتركيز الذهني. كما بينت دراسة كبرى من بريطانيا على الأطفال من ٧ ـ ١١ سنة أن التدخين السلبي يؤثر على الطول حيث وجد أن أطفال المدخنين أقصر «بسنتيمتر واحد» من الأطفال غير المدخنين.

يبقى مع ذلك كله أن الأطفال الذين يدخن والداهم، أو أحدهم في الغالب يتجهون للتدخين، وفي سنين مبكرة مضيفيين بذلك خطرا جديداً لصحتهم.

بعض الظواهر المرضية

١ ـ ظاهرة فرط الحساسية في بعض الأشخاص: وحدوث الطفح الجلدي الاستشرائي. وهذه يحدثها النيكوتين حيث يعتقد أنه يعمل كمثير للأجسام المضادة، وبالامكان أن يحدث عند بعض الناس الحساسة لمجرد تعرضهم لنفخة واحدة.

٢ ـ ظاهرة رينود Raynaud وهي عبارة عن ازرقاق فجائي في الأطراف العليا، ويعتقد أن النيكوتين في التدخين السلبي يؤدي إلى تقلص شرايين الأصابع. ولقد سجلت هذه الحالة في زوجتين تزوجتا رجلاً يدخن بكثرة، وتم شفاء الأولى بانفصالها النهائي عنه وشفاء الثانية بالابتعاد عن مناطق الدخان.

٣ ـ التأثير النفسي البدني Psychosomatic
التغيرات في وظائف النفس بدنية أيضاً نالت قسطاً من الدراسة سواء الوظائف التأملية أو التي تستدعي الانتباه والتركيز. فالتدخين بما فيه من زيادة في أول أكسيد الكربون تقلل من القدرة على التركيز في قيادة السيارات بالاضافة إلى ضعف رد الفعل السريع، والتأثير على البصر من حيث القدرة على تمييز الألوان والتفرقة بين الأشياء وتقدير قوة اللمعان. كما أنه يؤثر على حقل الابصار واستعادة القدرة على البعد الجيد بعد التعرض للضوء الشديد، كما أن له أثراً على ترابط الكلام وانسيابه.

٤ ـ التأثيرات الحادة:
كثير من الدراسات بينت أن الكثيرين يشكون من تعب واحمرار في العيون مع افراز الدموع، وهي شكوى عامة في الأماكن المليئة بالدخان. ويأتي الصداع كشكوى بعد ذلك وتليه الاثارة للغشاء الأنفي، والبلعوم والكحة التي تصل إلى حد المضايقة. هذه التأثيرات تظهر بشكل أسرع وأكثر مضايقة في الأشخاص الحساسين والمصابين بأمراض مختلفة كالربو مثلاً، حيث تظهر أعراضه بسرعة عند تعرضهم للدخان.

٥ ـ لا يفوتنا أن نذكر الاشمئزاز من الرائحة الكريهة التي تنبعث من أماكن التدخين، وبالذات إذا كان الاشخاص في أماكن مغلقة. ويكفي لمعرفة ذلك أن يشم غير المدخن ملابسه في اليوم الثاني بعد خروجه من مكان فيه مجموعة من المدخنين.

نصائح محددة

ـ مساعدة الجمعيات والمؤسسات الصحية في مكافحتها للتدخين، ومطالبتها بوضع خطط جديدة لتنقية هوائنا من الدخان، على أن تركز هذه الخطط على غير المدخنين ليعرفوا حقوقهم وحريتهم في رفض التدخين السلبي وأضراره، وأن يدافعوا عنها بكل قوة تفوق قوة وصلف المدخنين واصرارهم.

ـ منع التدخين كلية في المكاتب والمصالح والمؤسسات وأماكن التجمع العامة احتراماً لحقوق غير المدخنين وحفاظاً على صحتهم.

ـ حيث أن دخان التبغ هو أحد الملوثات الخطيرة الشائعة في البيوت وهي من الأماكن التي نقضي فيها أكثر أوقاتنا، فإن أسلم الأمور أن نمنع هذا التلوث بعدم السماح بالتدخين داخل المنزل أو داخل الحجرات الصغيرة، حتى بالنسبة لضيوفنا دون مجاملة أو تنازل، لأن في ذلك مصلحة للجميع، حتى المدخنين أنفسهم، حيث يقل استهلاكهم، وربما يؤدي إلى اقتناعهم بالتوقف النهائي.

ـ حفاظاً على صحة الأسرة ابتداءً من أجنتها في بطون الأمهات حتى أكبر انسان فيها، لابد من منع التدخين في المنازل واستعمال مختلف الأساليب والنصائح المتوفرة للجميع لدى الجمعيات والمؤسسات الصحية التي تكافح التدخين.

ـ نوجه نظر العائلات إلى حالات الكحة المتكررة في أطفالها وحالات التهاب الممرات الهوائية، أن يخبروا طبيبهم «حتى إذا كان مدخناً.. مع الأسف!!» بصراحة عن تاريخ التدخين وطبيعته في المنزل، إذ أنه في الغالب له علاقة بالمرض.

ـ على المرضى المصابين بأمراض القلب إلى جانب ضرورة امتناعهم عن التدخين، أن يتجنبوا أماكن وجود وتجمع المدخنين، وأن ينبهوا المدخنين إلى وجودهم، ولا داعي للمجاملة أبداً في ذلك، وعليهم أيضاً حمل لواء مكافحة التدخين والتدخين السلبي إذ أن مجموعة كبيرة منهم كانوا من ضحاياه. كذلك الحال بالنسبة لمرض الربو والحساسية بمختلف أشكالها.

وبعد. إذا كان توجه الناس منذ سنين ومطالبتهم بمنع التدخين في الأماكن العامة هو شكل من أشكال التعبير عن استيائهم بسبب المضايقة والإثارة ورائحة الدخان الكريهة فإن مطالبتهم اليوم يجب أن تكون تعبيراً عن معرفتهم بخطورة التدخين السلبي عليهم، وعلى الأجيال القادمة من بعدهم ولا داعي للمزيد من الضحايا لإثبات خطورة سموم الدخان.

عبدالله الباكر

الشاعر العربي بلند الحيدري

الشاعر المُزيَّف أوجد الناقد المُزيَّف

حوار: مفيد فوزي

الحوار مع شاعر كبير ، يتطلب الكثير !

ــ من الضرورى ، بداية ، التعرف على قصائده والسكنى فيها .. إن أمكن !

ــ من المهم ، التحرى عنه انساناً ، والا كان اللقاء به .. كالابحار بلا شراع !

ــ من المفيد الاهتداء ، برأى النقاد فيه ، فالنقد الجاد ، اعادة اكتشاف للمبدع .

ــ من الواجب الائتناس بنظرة رفقاء جيله له ، إن كان هذا متيسراً .

ــ من الانصاف ، الخضوع لنزواته المشروعة ومزاجه المتقلب ، فهو شاعر وليس موظفاً فى مرفق حكومى . وهذا المزاج ــ مهما كانت درجته ــ جزء من نسيجه الإنسانى ، وربما كان المحرض على الشعر !

....

بأمانة شديدة حاولت أن أطبق النقاط الخمس على الشاعر العراقي الكبير « بلند الحيدرى » الذى كان فى العاصمة الأردنية عمان ضمن وفد شعراء العراق لمهرجان جرش . حين سألت عنه تليفونيا فى الفندق الذى يقيم فيه .. لأحدد موعداً ، جاءنى صوته المهذب والآسر فى نفس الوقت . قال لى انه يحب أن يرانى قبل أن يحدد الموعد لأنه لا يرحب بلقاء انسان ملثم . وصحح لى طريقة نطق اسمه . قال إن الباء بالضمة وليس بالفتحة !

وقبل أن أذهب للتعرف عليه ، ذهبت أبحث عن مجموعته الشعرية الكاملة . وقضيت معها ثلاث ليال متواصلة ، وأعترف أننى فى البداية لم استوعب أبيات الحيدرى لأنها ــ على حد قول الروائى الناقد جبرا ابراهيم جبرا ــ « ليست سخافات مقفاة » . ثم « عاشرت » القصائد بتركيز شديد ، فدلفت إلى رأسه وأظن أننى وضعت قدمي على عتبة عالمه الشعرى الفسيح .

« على عـــالــــم نصفه ميت
فتحت عـيــونـي واغمضتـهـا »

هكذا يقول بلند الحيدرى (بضم الباء) !

وقابلت الشاعر عبد الوهاب البياتى فى جرش فى مدرج ارتيميتس حيث يلقى الشعراء قصائدهم .. وسألته عن رفيق جيله بلند ، فقال إنه « شاعر مبدع فى أساليبه الجديدة التى حققها وفى طريقته التى لا يقف فيها معه الا شعراء قلائل من العراق » .

وصارحت البياتى باحساسى الأول عن قصائده . فقال إن فن بلند برقي ، مكثف الاحساس . إنه فن صعب ، والفن الصعب فن جيد تشم فيه رائحة الابداع .

وقال لى البياتى ــ الذى تربطنى به صداقة ولدت ذات ليلة فلامنكو أسبانية ــ إن بلند يعيش الآن فى لندن .

وعثرت على رأى للشاعر الراحل بدر شاكر السياب فى كتاب (أصوات من العراق) يقول عن بلند الحيدرى إن « قصائده الرائعة أكثر واقعية من مئات القصائد التى يريد منا المفهوم السطحى أن نعتبرها واقعية .. » .

وكنت أتناول الغداء مع الأستاذ الدكتور محمود الشلبى أستاذ اللغة العربية فى جامعة اليرموك ورئيس لجنة الشعر فى مهرجان جرش ، حين جاءت سيرة بلند الحيدرى فقال « لعل ما كتبه الصحفى الانجليزى الباحث دزموند



● لا أحب صوت ناظم الغزالي ولا طريقة أدائه!

● السياسة حوّلت الشاعر إلى أسد سيرك!

● إذا كان الرجل هو التاريخ فالمرأة هي الجغرافيا

ستيوارت بعد أن قرأ أشعاره مترجمة يجيب على تساؤلك : « ما يميز بلند الحيدرى عن شعر معاصريه أن قصائده تنفذ إلى صميم فكر قارئها حيث تبث جذورها لتثمر بعد حين . انها قصائد صادقة بعيدة عن المبالغة وعن الشعور المصطنع . إنه يعبر عن الشعور بالخيبة الذى يمتاز به العصر الحديث ، وهذا التعبير هو أصدق من قصائد الحماسة المتعددة التى ينظمها الشعراء السياسيون » .

وعكفت على دراسة للناقد جبرا ابراهيم جبرا وكان يقول عن بلند الحيدرى « ان قصيدته لن تستطيع أن ترفع منها بيتاً واحداً من مكانه دون أن تترك فجوة ظاهرة فى المعنى والتركيب » .

وذهبت أراه فى مدرج أرتيميتس بجرش قبل موعدنا الذى حدده . شعرت أنه « سفر تجارب » . رأسه الكبير ، رأس طبيب جراح ولا أدرى لماذا أعطانى هذا الانطباع . هل يشبه جراحاً كبيراً .. أعرفه ؟ ربما !

وأنا أستمع لقصيدة من قصائده ، خيل إلى أنه يقدم سيناريو لحادثة موزونة .. الكلمات مداليل للأشياء فى ذهنه .

صحيح فاتنى فهم بعض ما يقصده ولكنى تذكرت قول الأب بريمون (لا حاجة لفهم الشعر فالسحر المنبعث من موسيقاه يغنى عن هذا الشعر ..) .

القصيدة عند بلند الحيدرى لا يقوم جمالها على الانسجام الصوتى المجرد والحذر الناجم من تناسق الألفاظ أو جرسها كما هو الحال عند نزار قبانى أو سعيد عقل . القصيدة عند الحيدرى مشبعة بصدق الانفعال وممتلئة بحقائق الوجود . واكتشفت شيئاً غريباً انه من المهم أن أتعرف على الشاعر وهو فى حالة « نزيفه المستحب » أى قراءته لقصائده كما يسميها نزار قبانى . اننى لا أستطيع أن أفصل بين الشاعر المسكون والشاعر الحركة !

صباح اليوم الذى سألتقى بالشاعر بلند الحيدرى فيه ، كان صديقى شاعر الأردن حيدر محمود يقول لى — هاتفياً — انه قرأ عبارة جميلة للناقد جبرا ابراهيم جبرا يقول فيها عن الحيدرى « فى صباه ترك المدرسة ليتمرد عن طريق الشعر وبينما راح أقرانه يدرسون الشعر فى الجامعة كان هو من الشارع والمقهى يلقنهم طرائق فى التجديد لا تعرف عنها الجامعة شيئاً .. » .

....

ها أنذا أجلس مع الشاعر بلند الحيدرى وكعادتى أتسلل إلى حلبة الحوار بنعومة شديدة تجعل الحوار قصة حب .. على حد قول غادة السمان !

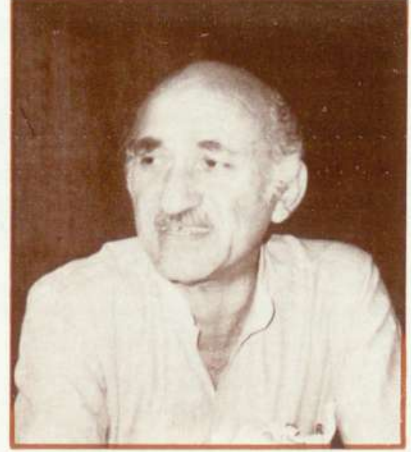
وكلما قابلت عراقياً تغنيت بحبى لناظم الغزالى ، مغنى العراق الراحل ، غير أن بلند الحيدرى — فى أول لحظة — صفعنى برأيه فى ناظم !

قال وهو يشعل غليونه .. لا أحب صوت ناظم الغزالى ولا أداءه . ربما كان له فضل ايصال الغناء العراقى إلى خارج العراق فقط . ولكن فى العراق مغنون أفضل منه حنجرة وأداء ! !

ولذت بالصمت !

قطعت الصمت بسؤال عن معنى كلمة « بلند » ، فقال : معناها فى اللغة التركية والكردية : عال . وهذا اسم شائع فى تركيا .

الشاعر العربي بلند الحيدري



بلند الحيدري

قلت مداعباً « أنت عالى المقام .. كشاعر » ابتسم .

وقال « الشاعر بقصائده ، بعطائه ، بخصوصيته » .

قلت لبلند الحيدرى : من قراءتى لبعض قصائدك شعرت بالمعمار الهندسى فى التركيب ، كأنك تلعب الشطرنج بمهارة !

فاجأنى بقوله « ربما لا تعرف أن الشطرنج من هواياتى .. » .

قلت له .. حاورت مرة الروائى فتحى غانم وهو لاعب شطرنج ماهر .. ووجدت نفسى أطرح السؤال بصور متعددة فاذا أفلت من سؤال وهرب من الثاني ، وقع فى فخ الثالث » !

قال بلند الحيدرى : الشطرنج رياضة ذهنية ، ولكنها ليست أسلوب حياة . السياسة أيضاً من بعض هواياتى ولكنى أعترف بأنها هواية خطرة ! » .

لا أدرى لماذا ربطت بين الشاعر العراقى بلند الحيدرى والشاعر التركى ناظم حكمت فى هذه اللحظة ! هل هو تداعى معان ؟ ربما ! لكنى وجدت نفسى أدخل حلبة الحوار !

....

قلت للشاعر بلند الحيدرى : حين كنت أقرأ ديوانك ، خيل إلى أنى أقضى وقتاً بين أسوار سيرتك الذاتية !

قال : نعم ، من الممكن القول إن شعرى « تاريخ خاص » لى ، فالعديد من قصائدى تحمل اشارات إلى ظروف معينة مررت بها ومرت بى !

قلت : أريد شهادتك على شاعر اليوم في الوطن العربي .قال بلند الحيدري : جيل الريادة الذي بدأ ببدر السياب وزملائه في تجربة الحداثة مازالت تتواصل معه الأجيال التي تلته وطورت فيه وأضافت إليه ، ومن شتت به التجارب بعيداً عن ذلك ضاع في متاهة وفقد خصوصيته وتميزه وصار شعره هذياناً وصوراً متدحرجة على غير طائل !

قلت : هل إستطاع الشعر أن يقف على قدميه في زمن التكنولوجيا؟

قال : ذات مرة قال إليوت ان الشاعر سيوضع يوماً في حدائق الحيوانات وقال غيره بل في المتاحف القديمة والحقيقة أن الشاعر مازال حياً وإن خفت صوته فكل عصر له مايميزه في الملحمة أوالرواية أوالقصة القصيرة أو المعلقة ولما كان الشعر هو الأساس في أي جهة ، في القصة أوالرسم أوالنحت أوالموسيقى والعمارة فهو بلا شك باق فيها وباق ضمن سمات متنوعة أومتوحدة في العمل الشعري فلا خلاص من الشعر وعلى الأخص عند الإنسان العربي الذي نما عليه وشبت عليه حضارته !

قلت : هناك شعراء حولك أريد أن أعرف كيف تراهم : البياتي ، نزار قباني . عبد المعطي حجازي . صلاح عبدالصبور ، وأرجو ألا تهرب من الإجابة !

قال : بل سأهرب مع سبق الاصرار ، فكل منهم شاعر كبير وله مايميزه في خاصية تعاطف معها مريدوه فأقاموا منها منحنى وأعني تجربة الحداثة الشعرية في الوطن العربي وإذا كانت محاولاتي في الشعر تقترب من محاولات أحدهم أوتبتعد فذلك لا يخولني أن أكون في موقف الناقد منها .. بل في موقف من يحترم اختلافه عنهم .. لاغناء وحدة التنوع التي تلتقي بالتالي في مرمى حضاري يوسمها بخصوصيتها .

قلت : تجربتك الشعرية ، من أي الجداول شربت ؟

قال : لقد مد بي العمر إلى الستين ونيفت تجربتي الشعرية على الأربعين عاماً . المهم فيها هو أنني كنت فيها نفسي عبر خصوصيتي في الطابع البرقي للقصيدة وعبر بنائي لقصيدتي على أساس (من أول ووسط ونهاية) كما يقول ارسطو تنمو في أحداثها وموسيقاها . أعمل في القصيدة بوعي ، فإن كان ٣٠٪ منها الهاماً .. فإن ٧٠٪ منها جهد واع في الصنعة ولكن الصنعة في اخفاء الصنعة لتظل للقصيدة رهافتها وعفويتها .

اعترضت قائلاً : في ديوانك (خفقة الطين) بدا في شعرك بعض التأثر بشعراء مثل عمر أبوريشة .

قال الحيدري : نعم ، هذا صحيح . لقد تأثرت ربما بعمر أبوريشة والياس أبي شبكة . وكان هذا عام ١٩٤٦ ، وهو تأثر سرعان ما اختفى نهائياً في ديواني الثاني (أغاني المدينة الميتة ..)

قلت : ملاحظة صغيرة تقفز في ذهني . أنت تعيش في لندن والبياتي في مدريد ... السؤال هو أنت والعراق ، أخذ وعطاء .

قال الحيدري : ومازال الأمر كذلك . وكلما ابتعدت عنه ازددت قرباً إليه . اشتدت معاناتي معه .. ومنه أيضاً .

وكان لابد للحيدري أن يتوقف قليلاً ويشعل غليونه ، ويطلب لي وله فناجين من القهوة ويجتر في صمت بعض أحزانه !

• • •

قلت لبلند الحيدري وهو يصغي باهتمام : النقد للشعر : هل هو حقيقة أم وهم يسري فوق الصحف ، وماذا أعطى أو أفاد ... ؟

أجاب بهدوء : النقد ــ بالأمس ــ حقيقة . واليوم : وهم . لأننا لا نجده إلا على صفحات الجرائد اليومية حيث تتوزع الألقاب بلا وازع ولا دراسة وفي أيدي صحفيين صغار . طه حسين أفاد . مارون عبود أفاد . مندور أفاد ، ولكن عندما ثار شاعر السبعينيات والثمانينيات على اللغة والموسيقى والمضمون ، لم يدع أمام الناقد من أدوات النقد أي شئ غير المقاسات النقدية الصغيرة لهذه الصحيفة أو تلك ، فالشاعر المزيف أوجد ناقداً مزيفاً والخوف كل الخوف أن يتلو ذلك جمهور مزيف ! !

قلت : الشاعر في الوطن العربي ، مكانه .. نظرة السلطة له ..

قال بلند الحيدري : « أسد سيرك » .. هكذا حولته السياسة . فمن الشعراء من تعود أن يقوم بأداء ألعابه البهلوانية لقاء قطعة الحلوى الصغيرة ومنهم من لايزال يقاوم هذا الإغراء ويوسع جسده لمزيد من ضربات السياط وربما في النهاية سيؤدي مايريدونه منه ، فليس الشاعر بالضرورة بطلاً أوضحية أو شهيداً .

قلت : الحيدري والمرأة ، تجربة في عمق إحساسك . ماذا أعطتك أوالهمتك وماذا سلبت منك ؟

قال الشاعر : إذا كان الرجل في نظري هو التاريخ .. فالمرأة هي الجغرافيا التي تحتضنه . وإذا كان الرجل يحيا في الحدث الذي سرعان مايغيب وينتهي ، فالمرأة هي الولادة الدائمة ومن هنا فإن من يكره الحياة .. يكره المرأة . شوبنهور ، المعري وغيرهما . هي في الرمز كذلك في غير قصيدة من قصائدي .. بل ربما لم أعرفها لحماً ودماً في شعري إلا في قصائدي الساذجة الأولى التي أملتها سنوات المراهقة . ومن التفاهة أن يقتصر الكثير من شعرنا العربي على تلك العلاقة القائمة مابين امرأة ورجل ! مجرد رجل وامرأة فقط !

قلت : أعرف جيداً أن الناقد فيك له وجود . ولا أدري كيف يرى ريادية بلند الحيدري .. الشعرية ؟

ضحك الشاعر بطفولة وقال : أحياناً صيغة السؤال تثير محاورك للاجابة مع أن السؤال بسيط !

قلت : حين أحاور شاعراً ، أجعل من نثري


عبدالوهاب البياتي


جبرا ابراهيم جبرا


ت.س. إليوت


بدر شاكر السياب

المتواضع سراب شعر إن استطعت!

رد الحيدري وقال: لبدر السياب مايميزه في رهافة ذاكرته العينية وللبياتي هرماه في القصيدة القائمة على حدة الصورة ولبلند أسلوبه البرقي الذي يحاول من خلاله أن يؤكد على تكثيف المعاني بأقل مايمكن من المفردات. العديد من قصائدي، يوحي بالبعد الزمني عبر رسم الحدث في زمنين متباينين. كما سعيت إلى الإفادة من الفنون التشكيلية والموسيقى والتقطيع السينمائي لاعطاء قصيدتي خصوصيتها سواء بطبيعة موضوعاتي أوبأسلوب أدائها..

قلت: ترجمت لك أعمال شعرية، هل أعطت المعنى كاملا؟

قال بلند الحيدري: لقد ترجمت بعض قصائدي إلى غير لغة من اللغات العالمية. ولكل لغة من تلك اللغات خصوصية ايقاعاتها وتراكيب جملها. كما أن لكل شعب مميزاته. فاذا كان الشعب الفرنسي يعجب بالإيقاعات، فإن الإنجليزي يكتفي من القصيدة بشدة قدرة صورها على إثارة إحساسه بها. وعلى المترجم أن يدرك ذلك بكثير من الدقة، فهو لا يترجم معنى فقط ولا ينقل صورة لوحدها فإن للايقاع دوره الهام في تكثيف أثر القصيدة. ولذلك فلا عجب من أن تفشل قصيدة ماجيدة عند الترجمة. بصورة عامة، فإن القصيدة العربية تخسر الكثير من مقوماتها الأصيلة التي يتعذر على المترجم نقلها. إن نخبة من المترجمين الكبار قد ترجم بعض دواويني والكثير من قصائدي إلى الإنجليزية.. مثل دزموند ستيوارت وعبدالله العذري والدكتور عبدالواحد لؤلؤه والدكتور حسين هداوي والدكتورة سلمى الخضراء والدكتور تيسير كاملة وغيرهم ولكل منهم جهده في التفاضل على غيره ومع ذلك فإن أياً منهم لم يستطع أن يتجاوز قصور موسيقى اللغة الإنجليزية بالنسبة إلى اللغة العربية وخاصة عندما يتعلق الأمر بشاعر يركز الكثير من همه على البناء الإيقاعي لشعره كما هو الحال معي.

• • •

● القصيدة العربية تخسر الكثير بالترجمة

● لن يذهب الشاعر إلى المتحف في زمن التكنولوجيا

● السياسة من بعض هواياتي ولكنها هواية خطرة

● أتعوّد على صداقة الموت قبل أن ألقاه غدًا

قلت للشاعر بلند الحيدري. أنت والكون، كيف تحس به؟

قال: أتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر.

قلت: أنت والموسيقى، كيف يستقبلها وجدانك؟

قال: أعيش معها طول نهاري وأعيش مع موسيقانا وغنائنا العربي في الكثير من أماسينا التي ألتقي فيها وأصدقائي العراقيين والعرب في لندن.. حيث أعيش الآن.

قلت: ماضرورة الشعر في الحياة؟

قال: ضرورة الخبز!

قلت: تنحاز لمن، للشعر أم للشاعر؟

قال: للشعر، للمضمون، للخصوصية، وحين أتغنى بالشعر، أتساءل: لمن هذه الأبيات؟!

قلت: سمات شاعر جيد؟

قال: «وعي نقدي جيد» بشعره!

قلت: لماذا تكتب شعراً؟

قال: سؤال سهل وشديد الوعورة. لا أعرف لماذا أكتب شعراً. الشعر وثيقة. الشعر تطوير لتجربة حياتية. من خلاله أعمق الإحساس الإنساني وأحول الأحداث إلى رموز!

قلت: هل تعتز بنقدك النثري؟

قال: إنه «قصيدة» أخرى!

قلت: هل تقوم بزيارة قصائدك القديمة؟

قال مبتسماً: كأنك تسألني هل تزور حبك القديم.. والإجابة، نعم، وأحياناً أشذب في بعض قصائدي القديمة وأهذب!

• • •

سألت الشاعر العربي بلند الحيدري: كيف ترى الموت؟

فقال: في مثل سني ــ يا سيدي ــ لابد من أن أتعود على صداقته، بحيث لا يرعبني عندما سألقاه.. غداً!

(مفيد فوزي ــ من عمان)

• تذكار من فلسطين

بحيرة طبريّة

بقلم: يوسف الخطيب

يمثل المشهد المقابل بداية انعطاف نهر الأردن غرباً (في أقصى يسار الصورة إلى أسفل) قبيل تخلصه من الزاوية الجنوبية الحادة لبحيرة طبرية ، آخذاً طريقه من ثم عبر انهدام الغور الشديد الانحدار باتجاه مصبه الأخير في البحر الميت ..

وأما الحائط الجبلي الهين (في أعلى الصورة) فيمثل الجزء الأخير ، الجنوبي ، من هضبة الجولان السورية ، عند تلاشيها الحاد بمحاذاة الشاطئ الشرقي للبحيرة ، قبيل أن يعترضها ــ أي الهضبة ــ مجرى نهر اليرموك الذي يرفد وادي الأردن من جهة الشرق ..

تنخفض هذه البحيرة مايقرب من ٢١٠ أمتار عن سطح البحر ، وهي في رسمها الجغرافي تشبه حبة أجاص منتصبة على عنقها ، وتكتنفها المرتفعات الجبلية الحادة من على شاطئها الشرقي والغربي ، وتنحدر إليها من هذه المرتفعات عدة أودية وسيول رافدة ، من أبرزها وادي المسلخة ، ووادي عبدان ، ووادي الجاموسة ، ووادي العمود ، ووادي الربضة ، ووادي الحمام ..

وبرغم أن بحيرة طبرية ــ بالقياس إلى غيرها من بحيرات العالم الأخرى ــ لاتزيد عن كونها مجرد بركة ماء كبيرة ، لاتزيد مساحتها عن ١٦٨ كيلومتراً مربعاً ، فان ماتختص به من سيرة تاريخية حافلة ، وثروة اقتصادية وفيرة ، وشهرة سياحية فائقة ، قل أن نجد له نظيراً في كثير من البحيرات الكبيرة ، لدرجة أن بعض الأدبيات الجغرافية والدينية لاتسميها « بحيرة طبرية » .. بل « بحر الجليل » ..

فعدا عن سيرة البحيرة التاريخية التي لا مجال هنا حتى لمجرد الإشارة إلى أبرز مفاصلها الرئيسية في مثل هذا الحيز المحدود ، فإنها ، اقتصادياً ، بمثابة خزان الماء الطافح الذي يكفي لسقاية بستان الغور الأردني الفلسطيني بأكمله .. هذا الذي يمثل بدوره شريحة شبه مقتطعة من نماء إفريقيا الخضراء ، أراد الله لها أن تنزرع هنا بين الأردن وفلسطين .. على حين تعد أسماك البحيرة اثنين وعشرين نوعاً من أطيب ما أحل الله لعباده من صيد البحر .. كما تغتني شطآن البحيرة أيضاً بمحصولاتها الزراعية العديدة والوفيرة ، لدرجة أنه قد احتشد على شاطئها الغربي ، الفلسطيني ، الذي قد لا يزيد عن ٣٥ كيلو متراً ، ما يقرب من عشرة توضعات بلدانية ، من أهمها مدينة طبرية ذاتها ، والطابغة والمجدل ، وسمخ ، إضافة إلى المستعمرات الصهيونية الكثيرة التي أقيمت أساساً على مواقع كنعانية قديمة ، أو عربية إسلامية في عصور لاحقة ..

كذلك تمتاز بحيرة طبرية بموقعها السياحي الفريد .. فهي المشتى الفلسطيني الثاني بعد أريحا ومنطقة البحر الميت ، ولكنها مع ذلك تفوقهما بمياهها العذبة وبحماماتها المعدنية ذات الشهرة العالمية الواسعة ، حيث يؤمها السواح من شتى أصقاع الأرض بغية الاستشفاء والاستجمام ..

• • •

يبدو سطح البحيرة ، في الصورة ، هادئاً صقيلاً كأنه سطح المرآة .. ولذلك فإن قارئ أبي الطيب المتنبي (وقد أقام في كنف والي طبرية ، بدر بن عمار الطبرستاني ، قرابة ثلاث سنوات) ، لابد أن يدهش ، للوهلة الأولى ، من وصفه لتلاطم أمواج هذه البحيرة كأنها البحر الهائج الزاخر في حكايات سندباد ، وذلك في مثل مديحه لعلي بن ابراهيم التنوخي :

لولاك لم أترك البحيرة والـ
ـغور دفيء ، وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة
تهدر فيها ؛ وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها
فرسان بلق تخونها اللجم
كأنها ، والرياح تضربها
جيشا وغى ، هازم ، ومنهزم

على أن شاعرنا الخالد ، للأمانة ، لم يذهب به خياله الجامح بعيداً عن الحقيقة .. ذلك بأن سطح البحيرة الذي غالباً ما يبدو ساجياً ورائقاً هكذا في النصف الأول من النهار ، حتى الظهيرة تقريباً ، سرعان ما ينقلب إلى أمواج هائجة متلاطمة في كثير من الأماسي والآصال حتى منتصف الليل .. ومرد ذلك ، علمياً ، إلى هبات نسائم البحر الأبيض

المتوسط التي تفد عليه باردة أول الأمر ، ثم ما إن تهبط من حفافي الجبال العالية نسبياً إلى منخفض البحيرة الدافئ ، حتى تتحول إلى شبه زوابع عمودية تهيج سطح البحيرة بالأمواج العاتية ، شالة بذلك حركة الصيد وقوارب السياحة حتى الهزيع الأخير من الليل ..

ومن معجزات سيدنا المسيح عليه السلام أنه مشى بقدميه فوق هذه الأمواج المتلاطمة .... « ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة .... ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم » ..

وفي محكم التنزيل القرآني عن مثل معجزات السيد المسيح هذه : « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .. (آل عمران — الآية ٤٩) ..



الخطابة والخطباء خلال قرن

الجيل الجديد بعد جيل الزعماء

بقلم : فتحي رضوان

في العدد الماضي من مجلة « الدوحة » تحدثت عن الرعيل الأول من الخطباء الذين كان لهم دور هام في الحياة السياسية .. وفي هذا العدد انتقل إلى الحديث عن الجيل الجديد من الخطباء الذين كان لهم طابع خاص في الشكل والأداء ، ومن بينهم : حافظ رمضان ، وتوفيق دياب ، وابراهيم عبدالهادي ، ومحمد شكري ، وأحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفكري أباظة ، وحسين صبري ، وعبده أبو شقة .

■ كان الكُتّاب الكبار أتباعًا للخُطَباء يتأثّرون بهم ويروِّجُون لأفكارهم


ابراهيم عبدالهادي


فكري أباظة


حافظ رمضان

تحدثت عن الخطباء الزعماء في مصر خلال القرن الذي لازلنا نعيش فيه ، أي عن سعد زغلول ومصطفى كامل ومن عاصرهما أو لحق بهما مباشرة أمثال أحمد عرابي وعبدالله النديم ومحمد فريد وعبدالعزيز جاويش ، ولكن الجيل الذي تلا هؤلاء ، وإن جاء في المرتبة الثانية من حيث استفاضة الشهرة ، وذيوع الاسم وسطوع النجم إلا أنهم كانوا أوسع ثقافة ، وربما أعظم مقدرة على الارتجال ، من جهة ، والتعمق في الموضوعات التي يتناولها بخطبه ،ومرد ذلك أمور عديدة ، أولا : كثرت المدارس العليا في مصر ، وابتدأ خريجوها يشغلون المناصب الكبيرة من جهة ، ويقدمون للمكتبة العربية سيلاً متدفقاً من المؤلفات والمترجمات التي ارتفعت بالمستوى الفكري وعددت وجوه البحث ، وأرست قواعد التعبير وقطعت صلتها باللغة العربية العثمانية التي سادت في عهد المماليك وأوائل عهد محمد علي قبل أن تؤول الزعامة الفكرية إلى رفاعة رافع الطهطاوي وعلي مبارك وعبدالله فكري وكتاب الصحافة الجدد أمثال أديب اسحق وعبدالله أبو السعود وابراهيم اللقاني .

ثانياً : كثرت البعوث إلى أوربا ، فاتصل جيل جديد بأساليب السياسة الحديثة في انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وطالعوا كتب لوك وهوبز وهربرت سبنسر وجون ستيوارت مل وفولتير من جهة ومونتسكيو وروسو وفولتير وديدرو من جهة أخرى .

ثالثاً : كبرت الأحداث التي تواجه مصر ، واحتاجت إلى زعامات أكبر تجربة ، وأوسع اطلاعاً ، وأقدر على الكلام في المسائل الدستورية ، وقواعد الانتخابات ، وأصول الحكم في الماضي والحاضر .

رابعاً : دخل إلى ميدان الكتابة سواء في مجال التأليف أو مجال الصحافة عدد من الأزهريين الذين تمرسوا بالكتابة العربية الصحيحة ، ثم اتصلوا بالعلم الأوربي ، وبالمؤلفات الغربية في مجال القصة والترجمة الذاتية والقصيدة والمقالة فجمعوا بين الحسنيين : وهي حلاوة الأسلوب العربي وصحة العبارة نحوياً ، ووفرة العلم الحديث ، فعرفت مصر والوطن العربي كله أمثال علي يوسف ومصطفى المنفلوطي ومحمد عبده وعبدالرحمن البرقوقي ومصطفى صادق الرافعي كما عرفت سوريا ولبنان أحمد الشدياق والبستاني والكواكبي ، وشكيب أرسلان ، وفي المغرب عبد العزيز الثعالبي وبشير الابراهيمي وغيرهم وغيرهم .

القيادة للخطباء

وقد استمرت القيادة معقودة للخطباء في هذه الفترة ، وكان الكتاب مهما كبر مقامهم ، أو علا كعبهم ، أتباعاً للخطباء ، يسيرون في ركبهم ويروجون لهم ، ويتأثرون بهم ، فقد كان العقاد

من أتباع سعد زغلول ومثله مصطفى لطفي المنفلوطي ، وعبدالقادر حمزة ، وبقي أحمد حلمي ومحمد فريد وجدي وأمين الرافعي من أتباع مصطفى كامل ، وبقي محمد حسين هيكل ومحمود عزمي ومصطفى عبدالرازق أتباعاً لزعماء حزب الأحرار الدستوريين ، وإن لم يكن نصيب هؤلاء الزعماء من المقدرة الخطابية محدوداً ، وتأثيرهم قليلاً ، إلا أنهم كانوا هم الخطباء إذا انعقدت الندوة وأقيم المنبر .

وكان خطباء المرتبة الثانية ، إذا خطبوا أبدعوا ، واستبدوا بالأسماع ، وأثاروا الخواطر ، ولم يكن ينقصهم شئ في مجال الخطابة ، إنما كان ينقصهم ثقتهم بأنفسهم ، وحرصهم على أن يبزوا الأقران في مجال الخطابة ، ويتحدثوا تحدث من انعقدت له الزعامة وواتت لهم الجماهير .

وفي مقدمة هؤلاء جميعاً حافظ رمضان باشا الذي خلف كلاً من الزعيمين الخالدين مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكان مصطفى كامل كما سبق القول خطيباً ساحراً يأسر قلوب سامعيه ، لا بتدفق عباراته ، وسهولة أسلوبه ، انما كان له من شبابه الغض ، وحلاوة قسماته ، ولطف إشاراته ، وشدة إخلاصه ، لما يقوله ، وانعدام المنافس له في مجال الخطابة ، ما يحببه إلى القلوب ، ويقربه من النفوس ويفتح له الأسماع . أما محمد فريد فقد سبق القول إلى أنه كان من طراز يشبه غاندي وهو الطراز الذي لا تواتيه العبارة الحارة ، ولا التشبيهات الأخاذة ، ولا الصورة البراقة ، إنما يأخذ بألباب الجماهير بوضوح فكرته الشديد ، وتسلسل معانيه واتصال بعضها ببعض ، وبصلابة موقفه من السلطات التي يحاربها ، الأمر الذي يكسبه ثقة الأنصار والأتباع ، وتصديقهم لما يقوله .

جيل الشباب

على كل حال انتهى هذا الجيل ، جيل الخطباء الزعماء ، وحل محله جيل الذين يعتبرون أقرب إلى الشباب ، وحداثة السن ، وجدة الاسم ، وكان حافظ رمضان هو أجدر هؤلاء جميعاً بأن يكون خطيب مصر الأول ، ولا سيما بعد أن تولى سعد الوزارة في مارس سنة ١٩٢٤ ، فمنعه المنصب ومسئوليات الحكم من مخالطة الجماهير ، ومحاولة استثارة مشاعرها ، وقد تلت فترة الحكم ، فترة منع فيها سعد من عقد الاجتماعات الحاشدة ، فقد حالت السلطة بينه وبين النشاط السياسي ، وذلك بعد اغتيال مفتش الجيش المصري القائد الانجليزي السير لي ستاك (باشا) في نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، ثم جاء مجال الأحزاب المصرية في سنة ١٩٢٥ ، فهدأت له الحياة السياسية ، وقلت بفضله الاجتماعات الحزبية ، والخطب النارية .

وقد كان حافظ رمضان خطيباً مفوهاً لطيف العبارة ، جميل السمت ، يعتني بملبسه ومظهره ، ويعينه طول قامته على أن يملأ العين ، ويلفت النظر ، وكان إطلاعه الواسع على دقائق السياسة الخارجية في أيامه ولا سيما مايتصل فيها بالقضية المصرية ، وماسمي في ذلك العهد بالمسألة الشرقية ، وكانت المسألة الشرقية تعني المشكلات الناشئة عن تفكك دولة الخلافة الاسلامية وتنافس الدول الكبرى الاستعمارية في تلك الأيام ، بريطانيا وفرنسا وروسيا وبروسيا على الممتلكات العثمانية في شرق البحر الأبيض وهي العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ، وفي شرق أوربا وهي رومانيا وبلغاريا واليونان والجبل الأسود .

وكانت قوة حافظة حافظ رمضان تعينه على أن يكتب الخطبة وكأنها مقال ، منمق ، ثم يقرؤها مرتين أو ثلاثاً ، فاذا هي انطبعت في ذهنه ، فإذا وقف يخطب ، بدا وكأنه يرتجل .

ولكنه إذا أراد أن يخطب فور البديهة ، لم تعوزه العبارة ويتدفق تدفق السيل العرم ، ويحسن صناعة الخطابة ، وهي مجموعة من الأصول المرعية ، فهو يعرف كيف يدق الطاولة التي أمامه بقبضة يده تفزع بعض الجالسين أمامه ، وهو إذا تحدث عن شيء يؤلم أو عن فاجعة وطنية ، اختنق صوته بالدموع ويتوقف لحظات من فرط الألم . وهو يحسن السخرية بخصومه وخصوم حزبه ، وهو في خطبه بين بين ، فلا يطيل حتى يسبب سأم الحاضرين وهو لايوجز حتى يقوم الحاضرون ، وهم يحسون أنهم لم يشبعوا من قول الخطيب ، ولم يقفوا على كل ما كانوايحتاجون إلى بيانه .

ولكن عيب حافظ رمضان القاتل ، هو كسله الشديد ، فهو لايلبي دعوة أنصاره لحضور الاجتماعات التي يعقدونها إلا قليلاً ، وهذا حال كان ييئس محبيه ومريديه ، فلا يحاولون طلب حضوره ، ولولا هذا النقص فيه ، لبز كل معاصريه ، فلم يكن فيهم أحد يناظره في جمال الطلعة ، ولا مهابة القامة ، ولا في جمال الصوت ، ولا في حسن الأداء ، ولا في التحكم في ناحية اللغة ، ولا في الاحاطة بالموضوعات التي يطرقها ، ولم يجن هذا الداء المميت على مكانة حافظ رمضان الخطابية فحسب ، بل على زعامته فضؤل شأن حزبه ، وتحول إلى جماعة من أهل الفكر ، أشبه برهبان القضية السياسية وهم أصلاً مجاهدون دخلوا السجون ونفوا إلى المنافي خارج بلادهم ، واتهموا بأخطر التهم السياسية .

والذي يقرأ خطب حافظ رمضان تشوقه فحافظ رمضان من القلائل الذين يكتبون إذا خطبوا ويخطبون إذا كتبوا ، يعني أن كل مايصدر عنه ، سهل التناول ، لا يبعث على السأم .

القدرة على التأثير

من خطباء ذلك العهد محمد توفيق دياب ، وهو ابن عائلة من عائلات الريف ، التي لا تعتبر من عائلات الثراء الكبير ، ولكن ميسورة الرزق ، تعلم في مصر وبعثه أبوه إلى انجلترا ، ولكنه لم يتم تعليمه هناك . ولكنه أفاد كثيراً جداً من إقامته في لندن يغشى ندوات الصوفية ، والاشتراكيين والأحرار وكل هؤلاء عدتهم الأولى القدرة الخطابية والتأثير على الناس بالحجة والبرهان ، ولذلك فقد تدرب على الخطابة والمناظرة ، وأعانه على ذلك لسان ذرب ، يتدفق منه الكلام تدفقاً يهز وجدان السامع ، ويستثير دهشته واعجابه . وقد أطال توفيق دياب تردده على آني بزانت زعيمة المتصوفين في تلك الفترة ، وكانت خطيبة ممتازة استهوت الكثيرين من أبناء عشيرتها إلى أفكارها ، واتسعت شعبيتها ، وعظمت شهرتها ، فلما عاد توفيق دياب إلى بلاده كان قد تم له ثلاثة أمور : الأمر الأول امتلاء نفسه بأخطاء آني بزانت ، والأمر الثاني تمكنه من الحديث والخطابة والمحاضرة ، والأمر الثالث ، حسن ظنه بنفسه ، واستعداده لدعوة مواطنيه لأفكار بعثتها فيه اقامته في بريطانيا والمقارنة المستمرة بين ماكان يراه في بلاد البريطانيين ، ومايراه عند عودته إلى بلاده .

وعاد دياب إلى مصر ، وفتحت له إحدى الجمعيات العلمية الأجنبية قاعتها القريبة من دار الآثار المصرية (المتحف) بالقاهرة فذهب إلى جمهور لا هو كبير ، ولا هو ضئيل ، وراح يبشر بأفكار غير مقبولة ، وهي أفكار أقرب إلى مخالفة الإسلام والخروج عليه ، وقد جرؤ يوماً على مناقشة عقيدة الحساب والعقاب بعد الموت ، مما أثار غضب الحاضرين ، فحاول بعضهم البطش به ، ولكنه نجا ثم عدل عن هذا المسلك الغريب ، وأخذ يلقي محاضرات قرر لها رسماً قدره (خمسة قروش) فكان أول محاضر في الوطن العربي ، يفرض رسماً على محاضراته ، ولكن الناس لا تزال تذكرها ، وقد حدثني عنها منذ سنين مضت ، أول محافظ للبنك المركزي المرحوم محمد أمين فكري عن مدى اعجابه بأسلوب توفيق دياب الخطيب . وإن كان الآخرون يعيبون على هذا الأسلوب الجهد العضلي الذي كان يقوم به توفيق دياب وهو يخطب ، وكان آخرون يسمون خطابته بالأسلوب العضلي . وكان صديق توفيق وأحد مشاهير عصره المرحوم الدكتور محجوب ثابت يتندر به فيقول خطيب بخمسة قروش .

ولكن توفيق دياب كان خطيباً مؤثراً ، وقد ترك كثيرين من ورائه يتأثرون خطاه ويتشبهون به .

وللحديث بقية باذن الله .

"الدوحة" في الأراضي المقدّسة ضمن بعثة الحج القطرية

رحلة المُشتاق إلى

المدينة المنوّرة

بقلم: نبيل خالد الأغا

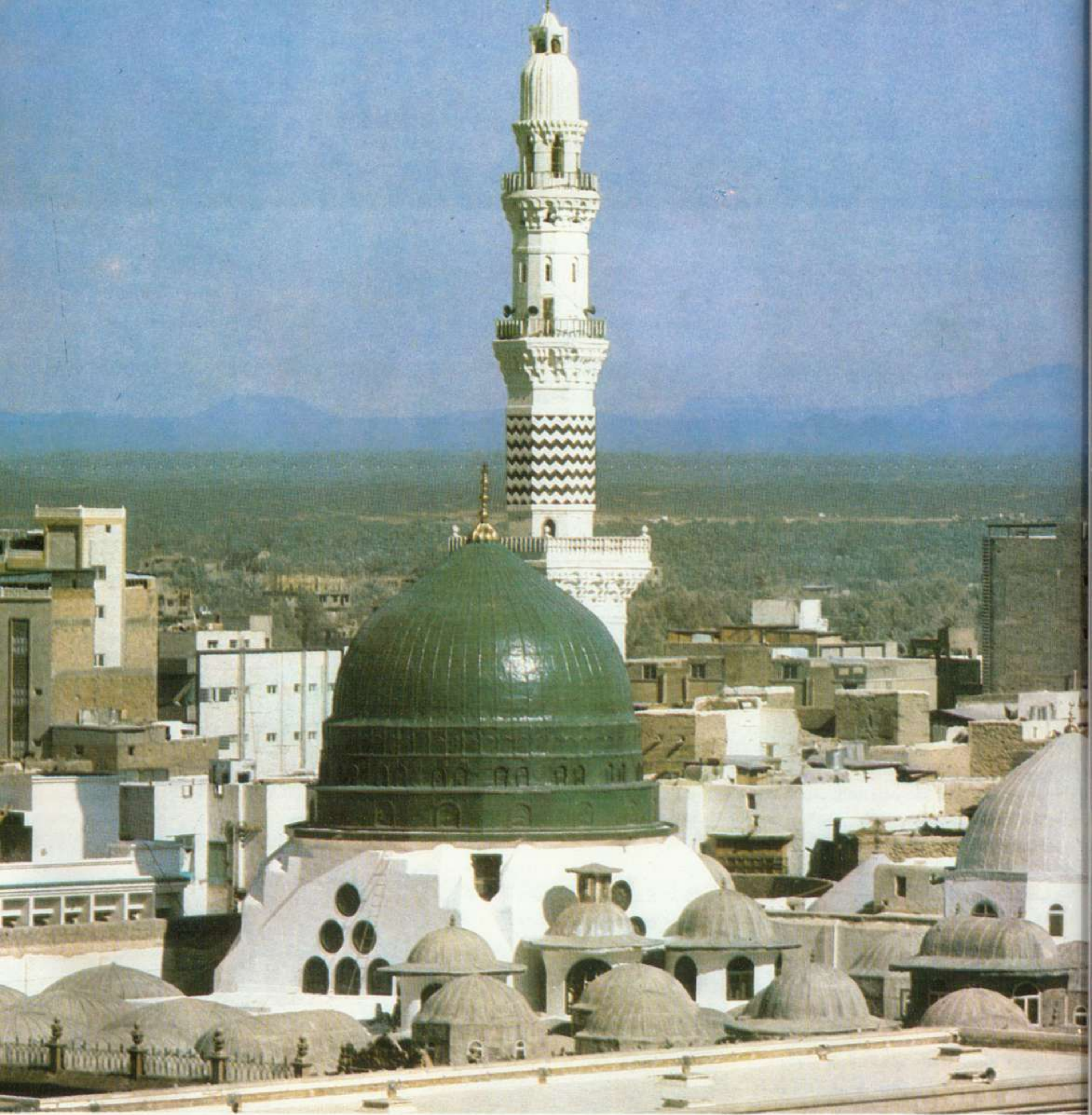




لقطة جانبية لمسجد الرسول الكريم .. ثم لقطة لمجموعة من الحجاج أمام المسجد

منذ فترة بعيدة وأنا أمني النفس بزيارة أرض الطهارة والقداسة لأداء فريضة الحج ، بعد أن أنعم الله ــ عز وجل ــ على عبده الفقير إلى رحمته بالقدرة والاستطاعة على تأدية الركن الخامس من أركان ديننا الاسلامي الأعظم .

ولقد شاءت إرادة الله ــ مؤخراً ــ لأمنية الأمنيات أن تتحقق بعد أن تهيأت الأسباب ، فأدرج اسمي ضمن الوفد الاعلامي المرافق لبعثة الحج القطرية .



مسجد الرسول الكريم

وذات يوم محجل ، وعند بزوغ شمس اليوم الرابع عشر من ذي القعدة لعام ١٤٠٥ هـ الموافق للواحد والثلاثين من شهر يوليو «تموز» لعام ١٩٨٥ م ، تسلمت بطاقة العضوية التي أصدرتها رئاسة بعثة الحج ، وركبت سيارة الوفد الاعلامي المندرجة ضمن قافلة البعثة المكونة من ثمان وعشرين سيارة مختلفة الأنواع والاحجام والمهمات ، تتقدمها عدة سيارات اسعاف مجهزة تجهيزاً طبياً كاملاً .

وانطلقت القافلة صوب الديار المقدسة في واحدة من أعظم المهمات الرسمية مكانة وأجلها منزلة .

وعند قرية «أبوسمرة» القطرية الحدودية توقفت القافلة لانجاز تأشيرات الخروج ، فالتقيت بالمشرف المالي والاداري الاستاذ فتحي الأمين وسألته عن السيد رئيس البعثة فأخبرني بأن الاستاذ محمد عبدالله الانصاري ــ وكيل وزارة التربية والتعليم بالوكالة ــ رئيس البعثة ، قد توجه قبل عدة أيام إلى الديار المقدسة ليشرف بنفسه على الترتيبات الضرورية لاستقبال البعثة في مقراتها الدائمة بمكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ومنى وكذلك الاطمئنان على مقار إقامة الحجاج القطريين .

وواصلنا مسيرتنا الخيرة ، هانحن قد وصلنا إلى «سلوى» أول قرية حدودية سعودية شرقاً ، فتستضيفنا لأكثر من ثلاث ساعات نخضع خلالها لاجراءات تفتيش وتدقيق ، وبعد الظهيرة تحتضننا مدينة «الاحساء» وهي واحدة من سبع وعشرين امارة يطلق عليها جميعاً «المنطقة الشرقية» . امارتها «الظهران» ومركزها «الدمام» .

ننزل في أحد مطاعمها المفندقة لتناول طعام الغداء ، قلبي مشفق على العم «أحمد» الرجل اليمني الطيب القلب الذي فوجئ بهذه «الغارة» المباغتة من الجائعين الظمآنين المتعبين تغزوه في

رحلة المُشتاق إلى

المدينة المنوّرة

عقر عمله دونما موعد أو انذار !

وكما يحدث في كثير من الغارات لم يكن العم أحمد مستعداً لمواجهة مائة وسبعين عنصراً في لحظة واحدة ، لكن الغارة في مجملها أسعدته برغم أنها أربكته ، وسرعان ما استجمع قواه ومقدراته فاستنفر كافة أبنائه وجيرانه لاحتواء الآثار الايجابية لهذه « الغزوة » السلمية !

بعد مسيرة عدة مئات من الكيلو مترات وصلنا مشارف العاصمة السعودية فتوقفنا قبل منتصف الليل بقليل ، وخلدنا إلى النوم تحت المظلة السماوية ، وفي الهزيع الأخير من الليل تقرر فرزنا إلى قسمين : قسم يتوجه إلى مكة المكرمة والآخر يتوجه إلى المدينة المنورة .

ولما سألت الأخ الاستاذ عبدالرحمن الحمادي ـ مدير منطقة دخان التعليمية ـ سكرتير بعثة الحج عن سبب هذا التقسيم أجابني بقوله : من المعلوم أن البعثة مكونة من سبعة أقسام هي : قسم الوعظ والارشاد ، القسم المالي والاداري ، القسم الطبي ، القسم الوقائي ، القسم الاعلامي ، القسم الكشفي ، وقسم الخدمات العامة .

والمهمة الاساسية لكافة هذه الاقسام العمل على خدمة وراحة الحجاج القطريين وكافة حجاج بيت الله الحرام .

يفضل بعض الحجاج زيارة المدينة المنورة قبيل أدائهم لمناسك الحج ، وبعضهم يفضلها بعد اتمام الفريضة ، لذلك فنحن نعد أنفسنا لخدمة الطرفين في كلا الفترتين وكلا المدينتين المقدستين .

ويعتبر القسم الطبي والقسم الوقائي من أبرز الأقسام وأهمها بالنسبة لكافة ضيوف الرحمن ، فهنالك ثلاثة وأربعون عضواً بين طبيب وصيدلي وممرض يقومون بالخدمة على مدار الساعة .

... إلى مدينة الرسول

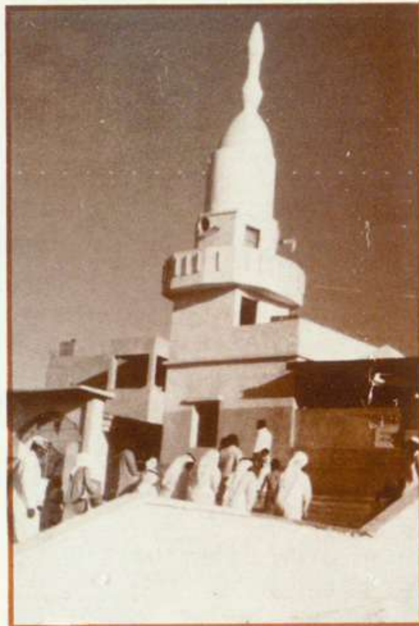
في الساعة الثالثة من فجر يوم الخميس تحرك ركبنا المتجه إلى مدينة رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم ، كم أنا في شوق إليك يا حبيبي يا رسول الله ، فلقد مضت أقل من ثلاثة أعوام على أول زيارة زرتها لك حين ذهبت معتمراً في العشر الأواخر من رمضان المبارك عام ١٤٠٣ هـ وعندما وقفت على أعتاب قبرك الطاهر دعوت الله يومها أن ييسر لي حجة أعاود خلالها شرف زيارتك . فاستجاب رب الخلائق لدعوتي ، وهأنذا في طريقي اليك يا سيد الخلائق كلها ، أنا عائد إلى مدينتك المنورة التي أنارها الله بطلعتك النورانية التي عكست وهجها على كل ذرة تراب بها وستظل كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وفيما أنا غارق في لجة نجواي وإذا بقافلتنا تحوم وتدور تبطئ وتتردد ، فعرفت أننا ضللنا الطريق إلى المدينة المنورة وسط غابة من الكباري والجسور والطرق الملتوية والمتداخلة حول مدينة الرياض .. لؤلؤة الصحراء العربية .

ولم ينقذنا من وهدتنا إلا سائق شاحنة ضخمة أوقفه بعض الزملاء عنوة حينما اعترضوا طريقه ، وبرغم أنه بدا متذمراً إلا أنه أرشدنا للطريق الصحيح بعد أن ثبت فشل وتقاعس غيره من سائقي الشاحنات الذين كانوا سادة الموقف في تلك الساعة المبكرة من الفجر !

وحينما وضعنا اطارات سياراتنا على أول الطريق ابتدأت المرحلة الثانية من رحلة عمرنا الميمونة . قطعنا خلالها مئات أخرى من الكيلو مترات ، ومررنا بعشرات القرى والمدن السعودية المتناثرة في انحاء شبه الجزيرة العربية (وأضيف على مسئوليتي الشخصية بأنها شبه القارة العربية أيضاً بالنظر إلى اتساع مساحتها وترامي أطرافها) !

وعندما وصلنا إلى مدينة « الزلفي » كان الأعياء مع الجوع والنعاس قد بلغوا منا مبلغهم ، فعرجنا عند القيلولة على أحد المطاعم المفندقة فتغدينا وصلينا الظهر والعصر جمع تأخير وقيلنا ، والواضح أن صاحب المطعم لم يفاجأ بمقدمنا كمفاجأة رصيفه اليمني في الاحساء ! و « الزلفي » مدينة جميلة مورقة ، وبها نهضة زراعية جيدة ، لكن الانطباع الايجابي الممتاز الذي تركته في نفسي بعد ذلك مدينة « بريده » سيبقى منتصبا بشموخ في



مسجد القبلتين

ذاكرتي كلما تذكرت أبعاد هذه الرحلة المباركة .

وكان اسم « بريدة » محفوراً في خيالي منذ نيف وعشرين عاماً حيث كان إبن العم « فتحي » يعمل مدرساً في إحدى مدارسها ، وكنا يومئذ في مدينة خان يونس ـ رد الله بردتها العربية الاسلامية ـ نراسله بعنوان : بريدة ـ منطقة القصيم .

لقد تضافرت إرادة الله وإرادة الانسان فكانت هذه المدينة الفاتنة التي منحها الخالق طبيعة خلابة ، ومنحها الانسان الجهد والمال ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

... ...

القافلة تسير برتابة مملة ، وبقية الزملاء في السيارة أخذتهم سنة من النوم ، تترنح أعناقهم ورؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال ، ما خلا قائد مركبتنا الصحراوية الأخ محمد جابر المري ابن البادية القطرية الذي استعار من الجمل صبره ودهاءه ، ومن الصقر حدة نظره وذكاءه ، ومن الرمل صفاءه ونقاءه ، لذلك كان النعاس لا يداعب أجفان « أبي جابر » فقد تمرس على مقاومته بانشاد الأغاني والأهازيج البدوية الموحية .

زميلنا الأخ طلعت موسى المذيع التلفزيوني المرح يتصفح كالعادة خريطة الشرق الأوسط التي أصدرها النادي القطري للسيارات والسياحة . ويطمئننا دوما عن المسافة التي اجتزناها ، والمسافة المتبقية أمامنا . إنه يوقظنا من شرودنا ونومنا صائحاً : اذكروا الله يا حجاج ، نحن الآن في قلب قرية « الحناكية » ، بيننا وبين المدينة المنورة مائة كيلومتر فقط ، وبذلك نكون قد قطعنا منذ غادرنا الدوحة المعززة حوالي ألف وخمسمائة كيلومتر .

الرسول يدعو للمحبوبة

وشيئاً فشيئاً نطوي المسافة ببطء شديد ، ونشترك معاً في ايقاظ معلوماتنا المترسبة في الذاكرة عن المدينة الحبيبة التي يحتفظ لها التاريخ بأكثر من عشرين اسماً من أشهرها : يثرب ، طابه ، جابرة ، المجبورة ، المحبوبة والطاهرة ، وهذه الكثرة في الأسماء دليل اضافي على عظمتها وفضلها ، فمنذ أن شرفها الله بهجرة نبيه ورسوله إليها دخلت ميدان الحياة الرحيب ، وأضحت العاصمة الأولى للدولة الاسلامية الوليدة .

لقد عرفت المدينة بأنها مدينة الجهاد ، هكذا كانت قبل فتح مكة ، وهكذا بقيت بعد فتحها ، فمنها وجه النبي القائد قواده في غزوة تبوك ، ومنها جهز قواته في غزوات بدر وأحد وقريظة وخيبر حتى جمع العرب كلهم تحت لواء الاسلام .

والمدينة هي التي عناها الرسول عند خروجه

● وسط مشاعر الشوق الملتهب بدأنا نردد النداء الخالد

● المنطقة المحيطة بمسجد الرسول أمسى ليلها كنهارها من شدة سطوع الأنوار

من مكة مهاجرا حينما قال : اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع الي ، فأسكني في أحب البقاع اليك » .

ولأنها أضحت غداة الهجرة موئلاً للرسول وللرسالة فقد أحبها وأحبته ودعا لها ولأهلها بالخير والبركة . فهاهو يدعو لها قائلاً : اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخليلك ، دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين .

أبيع العمر بساعة

انظروا ... انظروا .. تلكم أضواء المدينة تلوح على بعد ، وها نحن نشم أريجها العبق .. هكذا صاح فينا الزميل المصور السينمائي مصطفى حسين الذي بدأ يتحسس آلته التصويرية متحفزاً لاعداد فيلم حي عن الرحلة لصالح تلفزيون قطر .

ووسط مشاعر الشوق الملتهب بدأنا نردد النداء الخالد للحجاج والعمار . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وعلى هدى من مشيئة الله وتوفيقه ، وعلى بصيرة من محبة المختار ونوره وصلنا في الحادية عشرة ليلاً إلى مقر بعثة الحج القطرية قبالة مسجد الاجابة بشارع الستين .

وبرغم أن الاعياء سكن في كل جزيئات جسومنا ، إلا أنني والزميل مصطفى قررنا التوجه إلى المسجد النبوي الشريف ، غير أن حارس العمارة اليمني العم محمد أخبرنا بأن القائمين على المسجد يغلقون أبوابه بعد العاشرة ليلاً وحتى الثالثة فجراً ، أحد الزملاء الظرفاء علق قائلاً : جاءت منك يا جامع !

خلدنا إلى النوم ، واستيقظنا على الصوت الندي الخالد أبداً : الله أكبر الله أكبر .. حي على الصلاة ..

فلبينا الدعوة ، واتجهنا إلى المسجد النبوي الذي يبعد عنا حوالي ألف متر ، كافة الطرق والازقة والشوارع الفرعية والرئيسية المؤدية إلى المسجد تزدحم بالذاهبين للصلاة ازدحاماً شديداً ، أناس مختلفة أعمارهم وأنواعهم وأجسامهم ، متباينة أشكالهم وهوياتهم وألوانهم جمعتهم كلهم شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

المنطقة المحيطة بالمسجد أمسى ليلها كنهارها من شدة سطوع الأنوار بها ، وحارة « الأغوات » القديمة التي جاورت المسجد مئات السنين أزالتها هندسة الاعمار السعودية منذ أقل من عام وحولتها إلى ساحة مستوية ساعدت على تخفيف الزحام ..

وكشفت واجهة المسجد الغربية والقبة الخضراء ، وسور البقيع في الناحية الأخرى .

ووسط غابة من الأيدي والاقدام والجسوم والرؤوس دلفت أحد أبواب المسجد النبوي .. مهبط الوحي ومبعث النور ، ومعهد الايمان ، نبضات القلب المسكين تتالى ، وأنفاس العبد الضعيف تتلاحق . وجذوة الشوق تزداد تأججاً .

فرجت لي فرجة بين الكتل البشرية ، وما كدت أفرغ من أداء ركعتي السنة حتى أقيمت الصلاة . صوت الامام الشيخ علي الحذيفي يذوب مشاعرنا بصوته المخملي الفائض رقة وعذوبة ، تنتهي الصلاة .وأسعى إلى الروضة الشريفة ، والقلب يسبح ويحمدل ويستغفر ، ووجدتني أسترجع حديث المصطفى : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » . ويتحول الجسد المثقل بالهموم والآثام ، إلى نيزك نوراني يشتعل في سويداء القلب فينير جوانحي كلها وتتولد في النفس آمال وتنتعش أمنيات . فيا لله ما أجل هذه البرهة ، وما أعظم هذه الوقفة . وتشدني كل قوانين المغناطيسية والجاذبية الروحية إلى حجرة الحبيب الأعظم فأنتفض انتفاضاً ، وأرتعش ارتعاشاً وروحي تناجيه في مرقده بكل ما مكنها الله من أساليب المناجاة الصامتة والناطقة . وتنطلق الدفعة الأولى من وابل العبرات الساخنة ، تعقبها دفعات ودفعات ، وتالله ما وددت إيقاف هذا الوابل المنهمر ولو وددت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، ولماذا أفكر في إيقافه وقد طال احتباسه انتظاراً لهذه الساعة التي أبيع العمر كله بها !

بين يدي المصطفى

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله ، الصلاة والسلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين ، أشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين .

سيدي يا إمام المتقين :

إن الله عز وجل قد أنزل الكتاب عليك وقال فيه « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » ، وإني جئتك مستغفراً إلى ربي من ذنوبي مستشفعاً بك :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبي الذي ترجى شفاعته
عند الصراط إذا ما زلت القدم

سيدي ياأمير الأنبياء :

إن قلوبنا وهنانة ، ونفوسنا ملتاعة ، وأحوالنا متردية ، عشقنا الدنيا على حساب الآخرة ، وقايضنا النعيم المقيم بالزائل ، واستسلمنا لشياطين الانس والجن ، فاستأسد الجبناء علينا ، فمزقوا لحمنا ، ودنسوا قبلتك الأولى ، وصادروا أرض اخوانك الأنبياء ، وشتتوا شمل أمتك في أنحاء متفرقة من عالمنا الاسلامي ، فماذا نفعل ؟!

ماذا نفعل يا سيدي يا أبا القاسم ؟ لقد دعونا الله بأن ينصرنا على أنفسنا وعلى أعدائنا ملايين الدعوات لكنه سبحانه وتعالى لم يستجب لنا ، واكتشفنا مؤخراً بأننا تواكلنا عليه ولم نتكل به . وبأننا لم نغتسل من خطايانا عندما دعوناه ، لا ولم نتطهر من ذنوبنا عندما توسلنا اليه .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أدع الله ربك أن ينعم على أمتك بالهداية والمغفرة والغلبة ، فنحن أولاً وأخيراً عباده الضعفاء ،وأنت أولاً وأخيراً نبينا وشفيعنا يوم المشهد العظيم .

أفقت من عالمي الروحاني على صوت الزميل مصطفى حسين وهو ينبهني إلى أن شمس يوم الجمعة قد بزغت منذ فترة ليست وجيزة ، وعلينا أن نعود إلى مقر البعثة لننال قسطاً من الراحة ، فاستجبت لرغبته خصوصاً وقد كنت فرغت من زيارة قبري الخليفتين الماجدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسلمت عليهما .

في مسجد قباء

وبعد عصر ذلك اليوم أخبرنا المسئولون بأن علينا التوجه للسيارات لنقوم بزيارة بعض الأماكن التاريخية المهمة ، فابتدأنا بمسجد قباء في الجنوب الغربي من المدينة . وكان يرافقنا الشيخ محمد فتح الله عبدالكريم إمام مسجد السويدي بالدوحة والموجه الديني بالبعثة فأورد بعض المعلومات عن هذا المسجد الذي أسسه رسول الله على التقوى حين وصوله مهاجراً من مكة إلى المدينة وصلى فيه ثم خرج إلى المدينة .

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد رأيتنا ورسول الله وأبا بكر في أصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله وجبريل عليه السلام .

ولمسجد قباء (بضم القاف) قيمة عظيمة فهو أول مسجد يبنى في تاريخ الاسلام وتم تشييده حيث بركت ناقة النبي أول ما بلغ ناحية قباء ولم يزل يزوره مدة حياته ،وبشر المصلين فيه بالثواب

الكبير حيث قال : « من توضأ فأسبغ الوضوء ، وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمره » .

في مسجد القبلتين

لقد صلى النبي في هذا المسجد متجها إلى قبلة المسلمين الأولى ببيت المقدس ، وحدث بعدما صلى ركعتين في الظهر أن جاءه جبريل عليه السلام فأمره أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار الرسول وأكمل صلاته ، وبذلك يكون النبي قد صلى ثنتين إلى المقدس ، وثنتين إلى الكعبة ، وقد كان هذا التحول مظهر استقلال عظيم للمسلمين أدى إلى اشعال الحقد الدفين في قلوب اليهود ، فتقاولوا فيما بينهم : « ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » ، فرد عليهم العزيز الحكيم : « قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » .

زيارة لجبل أحد

أخبرنا الأخ علي أحمد الهيل العضو الإداري النشط بالبعثة بأن نستعد لزيارة جبل أحد عصر يوم الأحد ، وفي الموعد المحدد توجهنا نحوه بالسيارات ، ذاك هو الجبل ... هذا هو الجبل .. أجل جبل أحد بعينه الذي قرأنا الكثير عنه ، والذي امتدحه الرسول قائلا : « هذا جبل يحبنا ونحبه » . انه الجبل الذي شهد واحدة من أعظم المعارك في تاريخ الاسلام ، يوم جاء كفار قريش بخيلهم وخيلائهم لمحاربة رسولنا الأعظم ، وهم يتميزون حنقاً وغيظاً لقاء ما أصابهم من الهزائم الساحقة في غزوة بدر الكبرى ، والتقوا بالمسلمين في يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان بينهم من القتال ما أكرم الله به من أكرم من المسلمين بالشهادة بين يدي رسولنا الكريم .

ووقفت تحت سفح الجبل الأشم أصور ميدان المعركة ، واسترجع انتصار المسلمين أول الأمر ، واستخذاءهم عندما خالف رماتهم أمر الرسول القائد بعدم مبارحتهم نتوءاً في الجبل خشية التفاف الكفار عليهم ، واستذكرت احتيال خالد بن الوليد الفرصة (كان يومئذ واحداً من عتاة المشركين) وشده على مكان الرماة الباحثين عن الغنائم ، فأثخن وقومه الكفرة الفجرة بالمسلمين ضرباً وقتلاً ، ووقع الرسول القائد في أرض المعركة ، فانكسرت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شفته . وانجلت المعركة عن استشهاد سبعين بطلاً من كماة المسلمين وعلى رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب . ويتراءى أمامي مشهد هند بنت عتبة وقد مثلت بجسده الطاهر شر تمثيل تشفياً وسخيمة ، فلما رآه الرسول على هذه الهيئة تأثر كما لم يتأثر من قبل وقال : لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا . ثم قال : جاءني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في السموات السبع .

سلام الله عليك أسد الله وأسد رسول الله .

جنة البقيع

البقيع هي مقبرة المدينة ، وتقع على نحو من خمسمائة متر من المسجد النبوي الشريف . وهي بقعة متسعة مستطيلة المساحة ، يحيط بها سور عال من الأسلاك الحديدية ، ويستطيع الناظر إليها أن يرى أرضاً شبه مستوية فيها بعض الحجارة المتناثرة ، ربما هي علائم لساكنيها من أهل الجنة إن شاء الله .

ويرقد في البقيع عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك جميع أزواج النبي سوى خديجة فانها مدفونة بمكة المكرمة ، وقبر ابنه ابراهيم ، وقبور بناته ، وقبور عثمان بن عفان ، وجعفر الصادق ، ومالك بن أنس ، والعباس بن عبدالمطلب ، والحسن بن علي ، وصفية بنت عبدالمطلب ، وعقيل بن أبي طالب وغيرهم ، وغيرهم .

فسلام الله عليكم دار القوم المؤمنين ، وانا إن شاء الله بكم لاحقون .

وداعاً .. مدينة الرسول

مكالمة هاتفية عاجلة وردتنا من رئاسة البعثة في مكة المكرمة تخطرنا بضرورة التوجه غداً إلى العاصمة المقدسة لنكون في خدمة ضيوف الرحمن .

سبعة أيام قضيتها في رحاب المدينة المنورة ، نهلت خلالها كثيراً من الخيرات والبركات ، وأحمد الله أن مكنني من أداء غالبية الصلوات في أبهاء المسجد النبوي ، وفي الروضة الشريفة ، وزرت قبر المصطفى وصاحبيه عدة زيارات . وأكرمني الله فدعوت بالخير والبركة لأهلي وأقربائي وأنسبائي وأصدقائي ، ويشهد الله أنني ما تذكرت صديقاً أو زميلاً أو جاراً إلا ودعوت الله له ولأهله بالخير ، وما تذكرت أحداً من أموات المسلمين إلا ودعوت له بالرحمة والمغفرة ، وهذا خير ما استطعت عمله لأحبابي واخواني . ولولا أن حاصرني ضيق المساحة المخصصة لهذا الاستطلاع لأفضت الحديث عن المدينة ومكارم أهلها ، وضيوفها ، ونهضتها .

ولا يفوتني أن أدعو بالخير لكافة المسئولين في وزارة الاعلام السعودية بالمدينة لما قدموه لوفدنا الاعلامي من خدمات جليلة كان أبرزها السماح لنا بالتصوير فوتغرافياً وسينمائياً للأماكن المقدسة والأثرية ، ومرافقة أحد كرام موظفيها الزميل الشاب صلاح سليمان الردادي لنا في جولاتنا .

ربنا لك الحمد على ما أنعمت وتفضلت ، ربنا ثبت إيماننا ، وأجعل تقواك رداءنا ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا وأكتب لنا ولكافة اخواننا عودة كريمة لزيارة مسجد رسولك ، ومثوى نبيك صلى الله عليه وسلم . ولنا لقاء قادم عن زيارة مكة المكرمة إن شاء الله .

نبيل خالد الأغا

جانب من أعضاء بعثة الحج القطرية أمام جبل أحد

بقلم : الدكتور محمد البهي

المثل في القرآن

المثل في القرآن : هو وصف في مضمونه ، يقصد به التوضيح : « وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (الروم : ٣٧) .. أي لله جل شأنه الوصف الكامل في الوجود كله : في السموات والأرض .

• وقد يكون التوضيح عن طريق المثل — كوصف في المعنى — ناشئاً عن « شاهد » مما يجري في الحياة الانسانية على هذه الأرض . نقرأ قول الله تعالى : « مثلهم (أي مثل المنافقين) كمثل الذي استوقد ناراً (أي أوقد وأشعل ناراً) فلما أضاءت ما حوله .. ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون » (البقرة : ١٧) فإذ يجعل القرآن المنافقين : في ايمانهم أولاً ، ثم في عدولهم عن الايمان بعد ذلك ، نظراء من أشعل النار فأضاء ما حوله ، ثم لم يلبث أن أطفأها وعاد بنفسه إلى الظلام لا يبصر شيئاً .. إنما يصفهم في حقيقة الأمر : بالحيرة بعد الهداية ، وبالضلال بعد الرشد .

ونقرأ كذلك قول الله تعالى في وصف من أعرض عن الايمان بعد أن بلغته رسالته واتبع ماديات الحياة وحدها : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها (أي فلم يتبع هدايتها) فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها (أي ولو أراد الله هدايته عن طريق آياته — وهي قرآنه — ورفعه بهذه الهداية إلى المستوى الخالص في الانسانية .. لوفقه إلى اتباعها) ولكنه أخلد إلى الأرض (أي ولكن بدلاً من أن يتبع هداية الله في كتابه وآياته .. مال وانجذب إلى الأرض والميل إلى الأرض والانجذاب إليها كناية عن الرضاء بماديات الحياة وعن الاستغراق فيها وحدها) واتبع هواه (وبميله إلى الاستغراق في ماديات الحياة وحدها .. اتبع هواه ولم يستطع السيطرة عليه) فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه (أي تضطهده) يلهث (أي يظهر القلق وعدم الرضاء) أو تتركه (أي بدون اضطهاد وتتبع) يلهث (أي يظهر القلق وعدم الرضاء كذلك) » (الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦) .. فتنظير من اتبع هواه من الناس وانجذب إلى ماديات الحياة وحدها : بالكلب في قلقه وعدم رضاه على أية حال .. هو وصف للمتبع هواه في واقع أمره بالقلق الدائم في حياته : إن في حال حصوله على ماديات الحياة فهو قلق عليها خشية ضياعها ، وإن في حال عدم حصوله عليها فهو قلق بسبب تلهفه ورغبته فيها .

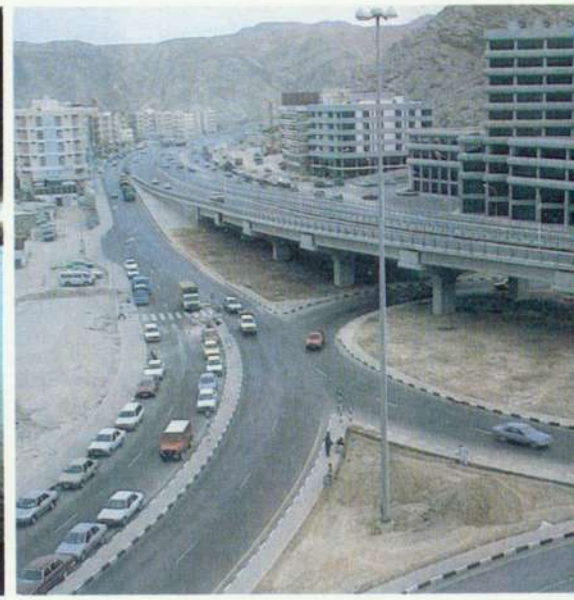
وكذلك إذا وقفنا عند قول القرآن الكريم : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا : كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض (أي فتشابك بسبب الماء .. النبات واختلط بعضه ببعض لفرط نموه) فأصبح هشيماً تذروه الرياح (أي ثم بعد نموه وازدهاره وكثافته في اتصال عيدانه بعضها ببعض .. أصبح هشاً بعد أن جفت عيدانه وخف وزنها ، تطير به الرياح من مكانه إلى أي مكان آخر) » (الكهف : ٤٥) . إذا وقفنا عند هذا القول نرى أن هذا المثل في الآية يصل في وصف الحياة الدنيا بأن ازدهارها هو ازدهار مؤقت ، يعقبه حتماً : فناء لها .. وإلى أن المتعة بها كذلك هي متعة موقوتة وخادعة ، لا تلبث أن تزول كأن لم تغن بالأمس ..

وقد يكون الوصف الذي يقصد من المثل هو لتوضيح ادعاء ، لا يقوم عليه دليل في نفس الأمر . كادعاءات المعارضين لرسالة القرآن من المشركين الماديين . فإذ نقرأ قوله تعالى في كشف كذب المعارضين من هؤلاء : « وجعلوا له من عباده جزءا (أي نسبوا إلى الله فريقاً مما خلق — وهم الملائكة — على أنها بنات له ، سبحانه) إن الانسان لكفور (أي إن شأن الطبيعة البشرية هو الكفر ، لو تركت من غير ايمان وتوجيه) أم اتخذ مما يخلق بنات ، وأصفاكم بالبنين ؟ . وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (أي أنه سبحانه وتعالى لم يتخذ بنات مما خلقه وخصكم أنتم أيها المشركون الماديون بالذكور من هذا الخلق . وكيف تنسبون إلى الله البنات وأنتم إذا أخبر أحدكم بمولود هو أنثى كره الحياة ونفر منها إلى أن يتخلص نهائياً مما ولد له ؟ إنه تناقض : إن ترضوا لله ما لا ترضونه لأنفسكم ، فكيف يكون رباً وخالقاً لكم ، وهو في اعتباركم عندئذ أقل شأناً منكم ؟) (الزخرف : ١٥ — ١٧) .. إذ نقرأ هذه الآيات الثلاث نرى : إن الوصف عن طريق المثل الذي يرد على لسان المعارضين للقرآن — وهو تنظير الله جل شأنه بالانسان في نسبة الولد إليه وعلى الخصوص : الأنثى — يستهدف توضيح ادعاء من جانب هؤلاء المعارضين ، لا يثبت صدقه في واقع الأمر . لأن مقتضى كون الله رباً في نظرهم — إذ أنهم لا ينكرون ربوبيته ، وانما فقط يشركون غيره معه فيها — : أن لا يكون أقل شأناً من أي واحد منهم . فإن هم لم يرضوا أن يبشروا بأنثى لهم ، فكيف ينسبون الملائكة له على أنها بناته ؟

وعلى هذا النحو قوله تعالى في شأن القرآن : « وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (أي هلا نزل عليه دفعة واحدة ، ولم ينزل تباعاً ومنجماً) كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . (أي ولكن هكذا : نزلناه منجماً وعلى مهل .. لتطمئن به نفسك) ، ولا يأتونك بمثل (أي لا يأتون بوصف يستهدفون به توضيحاً لادعاء كاذب) إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (أي إلا أوضحنا كذبه ووضعنا ما ينبغي أن يكون ويتحقق موضعه) » (الفرقان : ٣٢ ، ٣٣) . ومن أجل استهداف المعارضين للقرآن من : « المثل » توضيح : ادعاء كاذب في حقيقته . قطع القرآن عليهم السبيل إلى ذلك ، بأن كشف في جملة واحدة .. غايتهم من هذه الأمثال . ولذلك واجههم بالنهي عنها في صورة عامة ، فقال : « فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » (النحل : ٧٤) .. وكأنه قيل لهم : كفوا عن ضربكم الأمثال فقد بان كذبكم وتهافتكم فيها .



أضواء مدينة مسقط في الليل



الجسور العلوية الحديثة في العاصمة

العاصمة التي تستقبل اللقاء السادس
لقادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية

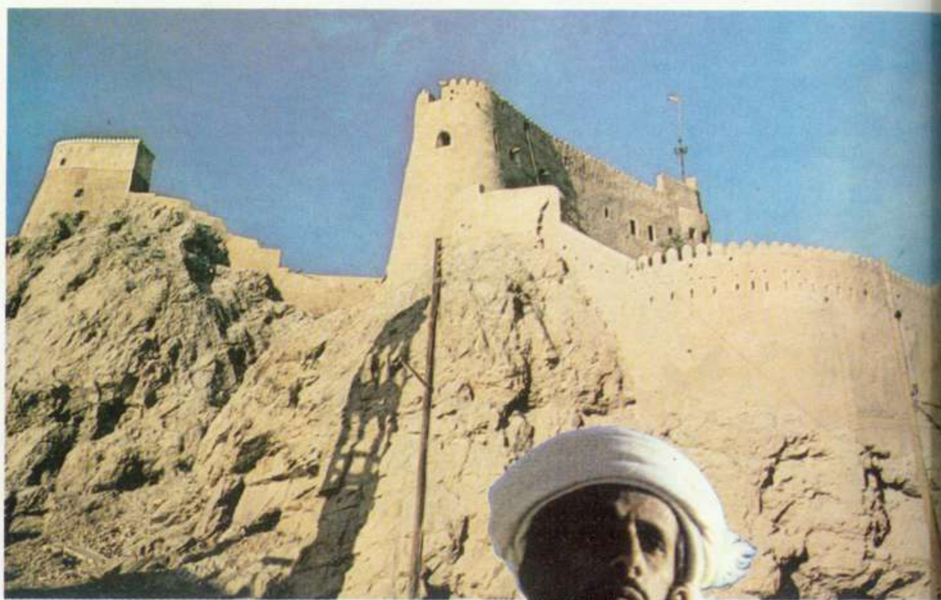
مسقط

مدينة القلاع والحصون التي تطلّ على دنيا القرن العشرين

بقلم: يوسف الشاروني

في هذا الشهر تستقبل «مسقط» عاصمة عمان اللقاء السادس لقادة دول مجلس التعاون الخليجي .. وهى مدينة تجمع بين التاريخ القديم متمثلا فى القلاع والحصون والصناعات المحلية التقليدية المتوارثة منذ أقدم العصور .. والتطور الحضارى الحديث المتمثل فى بناء المستشفيات والمدارس والمصانع وشق الطرق وإقامة حياة جديدة تجعل المواطن ـ هنا ـ يطل على دنيا القرن العشرين !





ثلاث لقطـات : عمـانـي بـالزي التقليـدي .. وأهم حصنيـن بنـاهمـا البـرتغاليـون (ميـرانــي والجلالي) .. ثـم طـالبـة عمـانـيـة في معمل البحـوث العلميـة



وقد بدأت الحياة العصرية فى العاصمة منذ عام ١٩٧٠ ، بعد أن زحف العمران والبناء فى كل من مطرح ومسقط اللتين تكونان الآن جزءا من العاصمة الحالية ، وكان حول كل منهما في الماضى سور قديم ، تم هدمه ، لتدخل عمان بأسرها إلى مرحلة جديدة من التطور والنمو .

مسقط القديمة

جاء فى كتاب « الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان » للمؤرخ العمانى حميد بن محمد بن رزيق (١٢٧٥ هـ) أن مسقط مدينة معروفة ، والعامة تسميها مَسكَد غلطا ... عمرتها بعض عرب عمان ، وهم يمن الأنساب ، فغرسوا فيها نخيلا وأشجارا تسقيها آبار ، وآثار هذه الآبار باقية إلى هذه الغاية ، سنة الخمس والسبعين والمئتين والألف . ثم اشتراها النصارى البرتكيسية (يقصد البرتغاليين) منهم فسوروها من حد جبل المكلا إلى جبل السعالى ، وأحدثوا فيها حصنيين كبيرين : شرقيا وغربيا .

فلما اصطلمها (هنا بمعنى استولى عليها) العرب منهم سموا حصنها الشرقى الجلالى ، وسموا الحصن الغربى الميرانى .

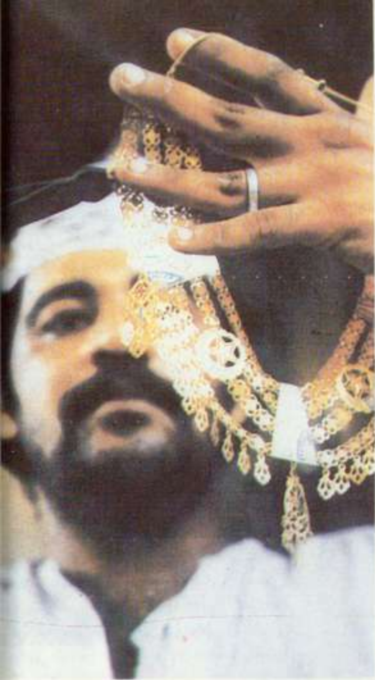
وأحدثت النصارى فيها بروجا على السور وأبنية على رؤوس جبالها وخمس عقبات : الأولى من أول المطرح إلى أول ريام ، والثانية من آخر ريام إلى أول مسقط ، والثالثة من آخر كلبوة إلى أول مسقط ، والرابعة من آخر سداب إلى أول مسقط إلى جانب سهيل ، والخامسة من آخر جبال مسقط إلى

● منذ ٤٠٠ عام كانت مدينة متّسعة الأرجاء مليئة بالبساتين والحدائق ومزارع النخيل

● مطارها الدولي يستقبل ويُودّع كل عام مليون زائر ومسافر

مسقط

مدينة القلاع والحصون





لقطتان : الأولى لإنتاج أفضل أنواع النحاس .. والأخرى للحرفة التقليدية العريقة ، صياغة الذهب

أول الوادى الذى يفضى إلى دار سيت (حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان فى ذكرى أئمة عمان ، وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥) .

وكان الفونسو دا البوكيرك قد انطلق فى عام ١٥٠٦م إلى الشرق حاملا رسالة ملكية من الملك مانسيل بتعيينه نائبا للملك على الهند وحاكما لها ، بدلا من فرانسيسكو ديل الميدا . وقد توقف فى طريقه على عدد من موانىء أفريقيا الشرقية ، كما توقف على عدة موانىء عمانية منها مسقط التى ذكر أنها « المركز التجارى الرئيسى لملكة هرمز . وكتب يقول : إن مسقط مدينة ضخمة كثيرة السكان ... فيها بساتين وحدائق ومزارع للنخيل وبرك من الماء لريها بواسطة محركات خشبية . أما ميناؤها فصغير وله شكل حدوة الحصان ، يوفر الوقاية من كل الرياح ... كانت مسقط فى الآونة الأخيرة سوقا لنقل الخيول والتمور . وهى مدينة على درجة كبيرة من الأناقة والجمال ، ومنازلها بديعة جدا يتم تموينها من المناطق الداخلية بكميات كبيرة من القمح والذرة والشعير والتمور تكفى لتحميل كل السفن التى تأتى لشرائها (دونالد هولى ، عمان ونهضتها الحديثة ، مؤسسة ستايس الدولية ، لندن ، ١٩٧٧ ، ص ٢٩) .

وقد قاومت مسقط البوكيرك وجنوده فكان نصيبها التدمير والحرق . فلما استولى عليها أقاموا الحصنين المعروفين اليوم بالجلالى والميرانى كتحصينات دفاعية . وفى عام ١٦٥٠ أجلى العمانيون البرتغاليين عن مسقط كما سبق أن أجلوهم عن عمان بعد حوالى قرن ونصف قرن من الاحتلال البرتغالى .

إن الثروة التى جلبتها التجارة البحرية جعلت عمان بلداً ذا منازل يبدو عليها الترف والفخامة ، كما أنها بلد القلاع والحصون . وما يزال فى مسقط نفسها حوالى اثنى عشر بيتا تم بناؤها ما بين أوائل وأواخر القرن الثامن عشر . وكل هذه البيوت ذات المظهر الخلاب المتناسق لها أفنية فى وسطها تحيط بها المبانى التى تعلوها بروزات تماثل فى شكلها تلك التى نجدها فى العمارة المنغولية . ووضع النوافذ فى غاية التناسق ، كما أنها ــ وكذلك الأبواب ــ ذات نقوش رائعة ، ويفضى سلم حجرى بسيط إلى الدور الأول .

وتعتبر الدكتورة سعاد ماهر أن بيوت مسقط الأثرية ضمن العمارة الحربية باعتبار أن تصميمها المعمارى يراعى أن يكون القصر أو الدار قلعة حربية يمكن أن تحمى نفسها وقت الحاجة ، وقد ذكرت البيوت التى لا تزال باقية من غرب مسقط إلى شرقها فإذا هى اثنا عشر داراً (الدكتورة سعاد ماهر ، الاستحكامات الحربية فى مسقط ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨١ ، حـ ٢ ص١٤٤ ــ ١٤٥) .

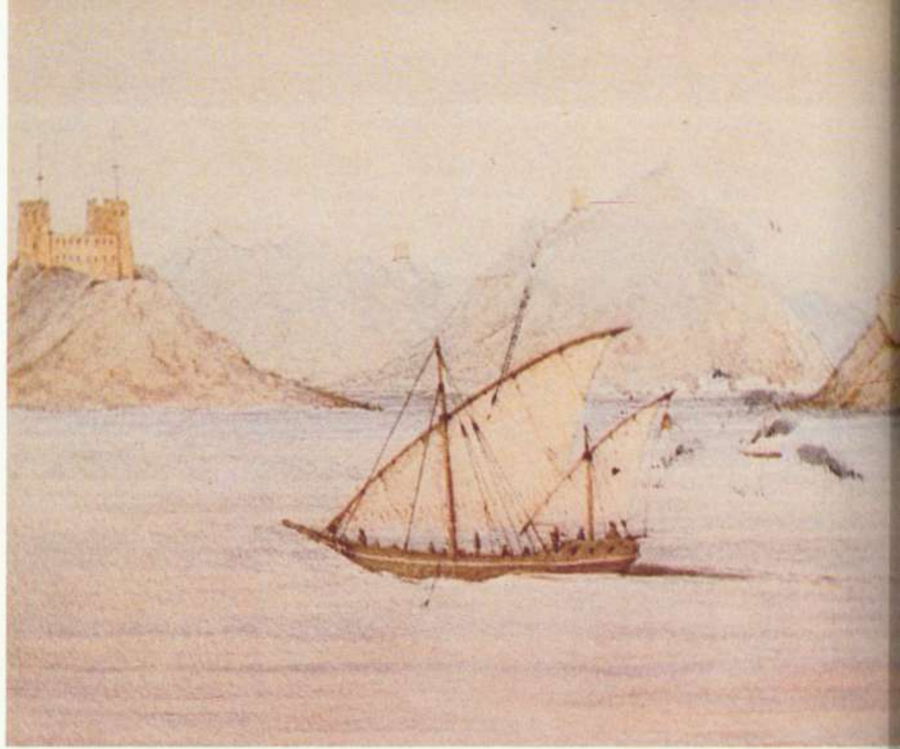


تعليم الفتيات

ومسقط قبل عام ١٩٧٠ ــ عام بدء النهضة التى قام بها جلالة السلطان قابوس ــ لم تكن أكثر من نصف ميل ساحلى يقع بين قلعتى الجلالى والميرانى ، يحيط بها سور تغلق بوابته عند غروب الشمس بعد أن يطلق أحد المدافع طلقاته إيذانا وإنذارا بإغلاق البوابة ، فلا يستطيع أحد الخروج أو الدخول .

... وواضح من ذلك أن مسقط فى ظل مثل هذه الأوضاع كانت تنتمى إلى القرون الوسطى حتى عام ١٩٧٠ ، لكنها فى أقل من خمسة عشر عاما أصبحت فى قلب القرن العشرين بفضل جلالة السلطان قابوس الذى عرف كيف يستغل النفط المكتَشَف لخدمة البلاد وتطويرها وفى مقدمتها عاصمتها مسقط يعاونه فى ذلك مجموعة من شباب عمان المتحمسين لبلدهم .

وهكذا بسطت العاصمة الحديثة جناحيها لتمتد ثلاثين ميلا عبر الأراضى الساحلية ابتداء من مسقط ومروراً بمطرح وبوشر حتى السيب ، يحدهاشرقا وغربا القصران السلطانيان : قصر العلم شرقا وقصر السيب غربا .



هذه اللوحة يعود تاريخها لعام ١٨٠٥ ، وهي تظهر تحصينات مسقط



سوق السمك

مسقط الحديثة

ولقد كانت سرعة تحول مسقط من عاصمة ضيقة أشبه بمدن القرون الوسطى إلى منطقة إعمار متسعة مترامية سرعة مذهلة . ففى عام ١٩٧٠ كانت أيسر وسائل الانتقال هى المشى ، أما الآن فقد أصبحت السيارة ضرورة لا بد منها لمن يرغب فى التنقل فى منطقة العاصمة .

ولعل المظهر الذى يرمز إلى زوال الحواجز القديمة زوالاً سريعا هو انهيار الباب الكبير ، وهو البوابة المفضية إلى مطرح والتى بنيت فى القرن السابع عشر ، فقد انهار عام ١٩٧٣ ، ومن المعتقد أن انهياره يرجع إلى السيارات التى هزت أساسه . وهو رمز — على أية حال — لقضاء الجديد على القديم .

وكان أول برنامج إنشائى فى عمان هو تعمير الشريط الساحلى من مسقط إلى مطرح . وجعلت الحكومة الاسكان من أولوياتها الرئيسية بعد عام ١٩٧٠ ، وأصبحت هناك سجلات للملكية .

وكانت هناك تلال ومرتفعات تعترض سهولة الإتصال بين مناطق العاصمة بسبب طبيعتها الجبلية ، فلم تتردد الدولة فى استخدام البولدزرات والوسائل الحديثة فى شق الطرق بين الجبال ، بحيث أن ما كان يستغرق عبوره ربما أكثر من نصف يوم صعودا ونزولا على أحد التلال للوصول من منطقة إلى أخرى أصبح الآن لا يستغرق أكثر من خمس دقائق على طريق ممهد .

وربما كان آخر ما شاهدته العاصمة فى العام الماضى جسر دار سيت وبعض الكبارى العلوية فى الشوارع الرئيسية ، مما ساعد على انسياب حركة المرور .

ومن أهم وأفضل المشاريع السكنية الجديدة مدينة قابوس التى تبعد عن مسقط القديمة باثنى عشر كيلومترا ، لكنها تقع فى منطقة العاصمة عند القرم بين مسقط القديمة والسيب . وكان مشروع هذه المدينة يهدف إلى أمرين : حل أزمة الاسكان ، ومنع طغيان الجانب الحديث من المبانى الخاصة والتجارية على مدينة مسقط القديمة .

كما بنيت مدينة الإعلام لتوفير مكاتب ومقر لوزارة الإعلام ، ولإنشاء محطة إذاعة واستوديوهات للبث التليفزيونى . كما أنشئت قرية دبلوماسية تضم مبانى السفارات ومساكن موظفيها . وكذلك منطقة صناعية تقع غربى السيب هى منطقة الرسيل .

كما أصبحت روى — التى كانت مركزا صغيرا — ترتبط الآن مع مطرح بأوتوستراد وتفخر بمركزها المدنى التجارى . وقريبا منها تقع مبانى الغرفة التجارية والبنك المركزى وبعض المساجد .

أما الوطية — التى لا تبعد كثيراً عن روى — فقد ضمت المعهد الاسلامى والاستاد الرياضى الذى يقام فيه سنوياً الاحتفال بالعيد الوطنى . وقد أشرفت شرطة عمان على بناء هذا الاستاد الذى يضم ملعباً تعادل مساحته الملاعب الأولمبية ومضماراً للعدو ويبلغ طوله ٤٠٠ متر وأماكن لعشرة آلاف متفرج .

● **إنها أكثر عواصم العالم أمنا ، رغم وجود عدد كبير من الوافدين**

كما بنيت مجموعة من الفنادق الفخمة الحديثة منها فندق الفلج وفندق روى وفندق انتركونتيننتال وفندق الخليج وفندق نوفوتيل بجوار المطار ، كما أوشك العمل أن ينتهى فى فندق البستان المطل على شاطىء البحر والذى يقع فى مكان فى غاية الروعة لينزل فيه ضيوف الدورة السادسة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية .

كما تضم العاصمة خمسة مستشفيات كان آخرها مستشفى ابن سينا للأمراض النفسية ، إلى جانب العيادات الخاصة لعدد من الأطباء المتخصصين . كما انتشرت مدارس الذكور والأناث من ابتدائية واعدادية وثانوية ، إلى جانب حضانات الأطفال التى تشرف عليها وزارة التربية والتعليم . ولم يكن بالسلطنة كلها قبل عام ١٩٧٠ إلا ثلاث مدارس إبتدائية ، وكتاتيب منتشرة فى القرى لتحفيظ القرآن الكريم ومبادىء الحساب واللغة العربية . وفى عام ١٩٨٦ سيتم إنشاء جامعة قابوس ليواصل الطلبة العمانيون تعليمهم العالى فى بلادهم .

وقد كان من أكثر ما تحتاج إليه عمان مطار دولى حديث ليحل محل المطار القديم الذى لم يكن يستقبل إلا الطائرات الصغيرة الحجم ، والذى كان يعرض الطائرات للخطر أثناء هبوطها بسبب ما يحيط به من جبال صخرية . لهذا فقد أقيم مطار السيب على بعد عشرين ميلاً من مسقط القديمة على السهل الساحلى ، وقد تم إنشاؤه عام ١٩٧٣ بممرات تكفى لهبوط جميع أنواع الطائرات الحديثة بما فيها طائرات الكونكورد الأسرع من الصوت ، وبدأت كثير من شركات الطيران فى إنشاء خطوط مباشرة لها ما بين مسقط وعواصم الدول الأخرى مما رفع عدد المسافرين الذين استخدموا مطار السيب الدولى عن مليون شخص سنوياً .

مسقط

مدينة القلاع والحصون



كورنيش مطرح على طول استدارة الساحل في المرفأ الجميل

كذلك من بين الإنجازات الهامة التى أضيفت لمدينة مسقط ميناء قابوس الذى توجد به الآن عشرة مراس عميقة . كما أن هناك ميناء الفحل الذى تقع أمامه جزيرة الفحل وأقيمت قريبا منه مصفاة النفط . وفى هذا الميناء تتم تعبئة ناقلات النفط العملاقة بالبترول .

ومسقط مركز النشاط الصحفى فى عمان ، تصدر منها صحيفتان يوميتان باللغة العربية وثالثة باللغة الإنجليزية ، كما تصدر ست مجلات ما بين أسبوعية ونصف شهرية اثنتان منها باللغة الانجليزية .

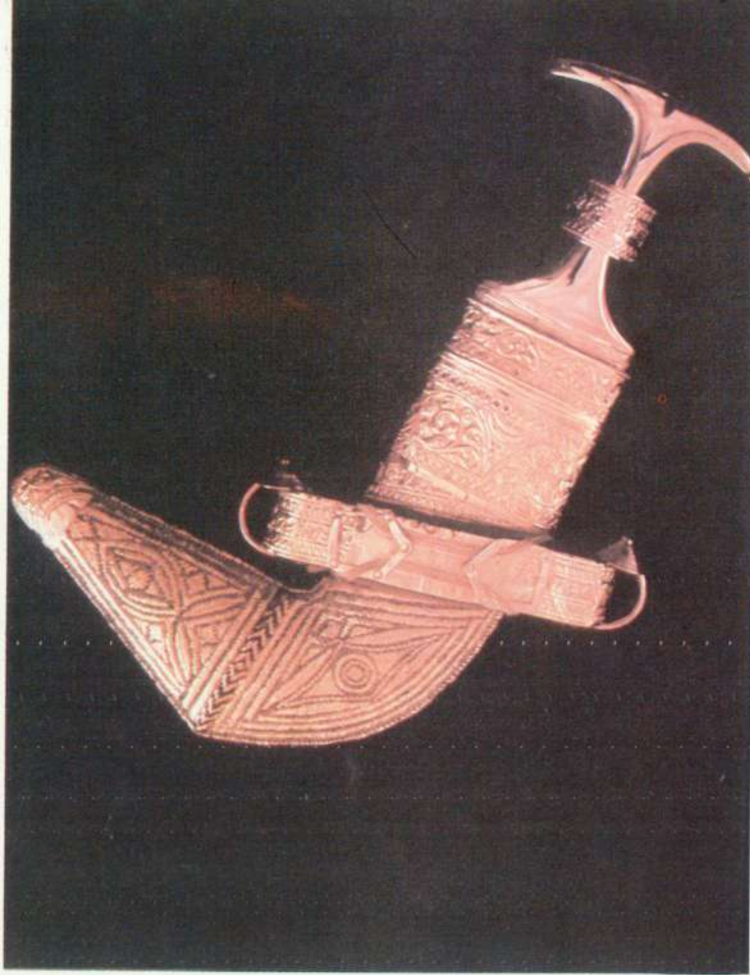
وأقل الشهور حرارة فى مسقط شهر يناير ، إذ تتراوح درجة الحرارة ما بين ٢٧ م نهاراً و ١٦ م ليلا ، بينما تبلغ الحرارة أقصاها في شهر يونيو إذ تتراوح ما بين ٤١ م نهاراً و ٢٨ م ليلاً . أما شهر نوفمبر الذى تنعقد فيه دورة مجلس التعاون لدول الخليج العربية فإن الحرارة تتراوح بين ٣٠ درجة نهارا و٢٠ درجة ليلاً .

وكما تمثل مسقط في تطورها التاريخي والحضارى تطور عمان كلها فإنها كذلك من الناحية الجغرافية تتمثل فيها كثير من خصائص عمان لا سيما تعانق صخورها بالبر (ومسقط معناها مكان السقوط) . أما كلمة مطرح فمعناها مكان الرسو مما يشير إلى المكان الذى كانت تلقى فيه قوافل الجمال القادمة من الداخل أحمالها بعد رحلة تطول أو تقصر عبر الجبال والوديان .

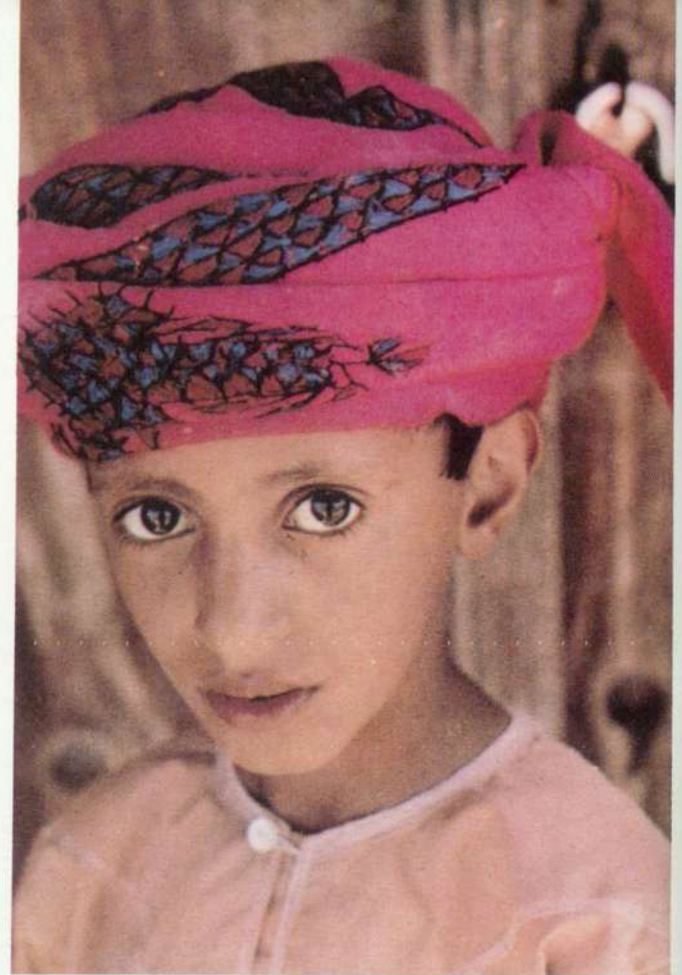
وأهم معالم مطرح هو سوقها القديم الذى يتميز ــ شأنه شأن جميع الأسواق الشرقية القديمة ــ بطرقه الضيقة المسقوفة الملتوية ودكاكينه المرتفعة عن الأرض قليلا ببضع درجات ، تفوح منه رائحة العطارة الشرقية ، ويزدحم بالمشغولات العمانية الشعبية كالخناجر والدلات (جمع دله وهى إناء معدنى خليجى لإعداد القهوة العربية) والكمات (جمع كمة وهى غطاء الرأس المطرز للرجل العماني ، وجمعها باللهجة العمانية كميم) والمشغولات الذهبية والفضية العمانية ، كل هذا جنبا إلى جنب مع محلات أحدث الأقمشة والملابس المستوردة ، وألعاب الأطفال الالكترونية ،والأدوات المنزلية الكهربائية ... إلى آخره . إن هذا السوق الذى يجمع بين القديم والحديث رمز لعمان المعاصرة التى تحافظ على تراثها وتتفتح على دنيا القرن العشرين .

ولعل مواطني مسقط ــ وربما مواطنو عمان بوجه عام ــ يمثلون هذين التيارين اللذين يحفظ وجودهما معا لعمان ــ فى مرحلة تطورها الحالية ــ شخصيتها من ناحية وتفتحها على العالم من ناحية أخرى . فهناك العمانيون الذين كانوا قد غادروا عمان قبل عام ١٩٧٠ إلى الدول الخليجية الأخرى وقبل ذلك إلى ساحل أفريقيا الشرقى وجزيرة زنجبار (الآن جزء من دولة تانزانيا ، وكانت يوما ما مقراً لسلطان عمان فى القرن التاسع عشر) . وهؤلاء عادوا ليشاركوا فى بناء النهضة ، وهم أكثر تحرراً ، ويتحدثون الانجليزية بطلاقة بحيث تكاد تكون اللغة العربية لغة ثانية بالنسبة لبعضهم . ثم هناك العمانيون الذين آثروا البقاء فى الوطن الأم وهؤلاء أكثر محافظة . ولا شك أن عمان الحديثة ستصهر الأجيال الجديدة فى بوتقة واحدة بظهور جيل جديد يجلس الآن جنبا إلى جنب فى مقاعد فصول دراسية واحدة ، ويستمع إلى برامج اذاعية واحدة وبث تليفزيونى واحد .

وإذا كان صحيحاً أن مبانى أية مدينة دلالة على قاطنيها ولغة تعبر عنهم ، فإن مقارنة بسيطة بين مبانى مسقط القديمة ومسقط الحديثة توضح لنا مدى التطور بل القفزة التى قفزها الشعب العمانى فى



خنجر الزينة العماني بمقبض وغمد من الذهب



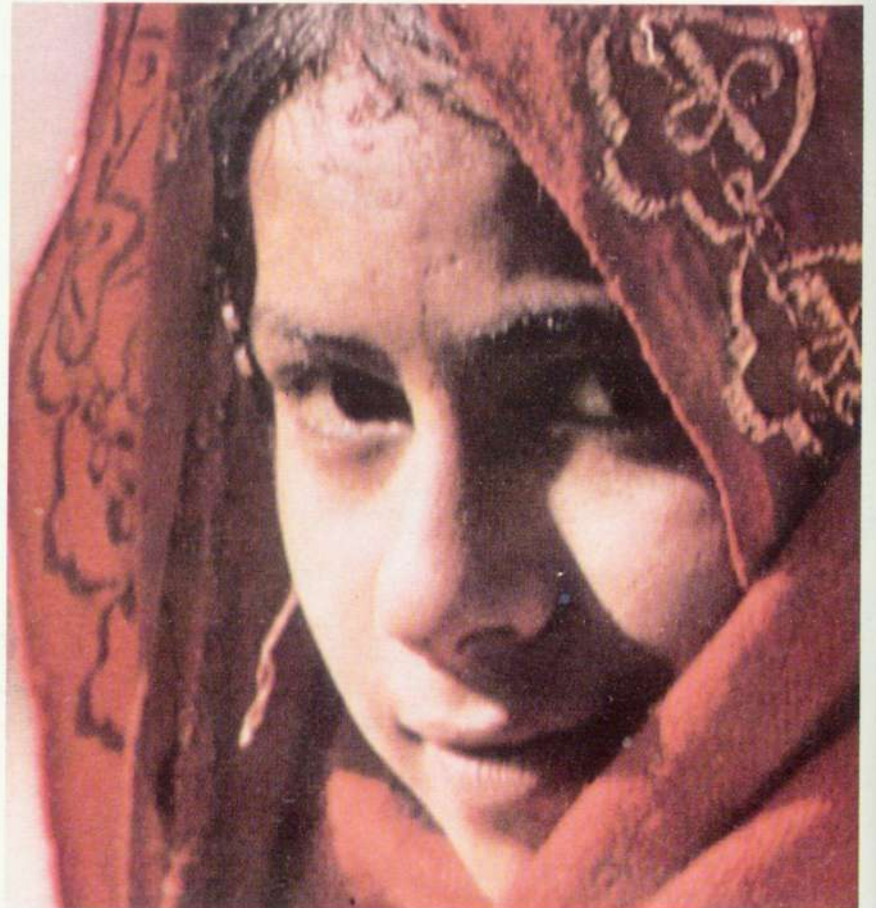
وجه لطفل بالزي العماني

الخمسة عشر عاما الأخيرة، ولعل وجود المستشفيات والمدارس ومبنى المجلس الاستشارى للدولة فى منطقة السيب بالعاصمة دلالة على أن بناء الإنسان العمانى يسير جنبا إلى جنب مع بناء المصانع والفنادق والبنوك والمصالح الحكومية والمحلات التجارية التى هى أولا وأخيرا من وإلى الإنسان العمانى الذى يصنع حاضره وهو يتطلع إلى مستقبله .

وأخيراً فإن مسقط تعتبر ــ وعمان عموما ــ من أكثر عواصم العالم ودوله أمنا ، فوقوع الجريمة أمر نادر الحدوث برغم وجود عدد وفير من الوافدين من مختلف الجنسيات يساهمون فى عملية بناء عمان الحديثة بدءاً من الخبراء حتى العمال . وإذا سرت فى شوارع مسقط الهادئة النظيفة ــ رغم طبيعتها الجبلية ــ فإنك تشعر أنك تسير فى طرقات بلد شعبه عريق ، ولا عجب فحضارة عمان تمتد جذورها إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

كما أن من يتجول اليوم فى طرقات مسقط يلحظ بوضوح أنه فى كل يوم تضاف إليها لمسة هنا وأخرى هناك ما بين تشجير أو إقامة جسر علوى أو مد طريق أو رصفه تطبيقا لقرار تجميل العاصمة الذى صدر منذ حوالى عام ، وذلك استعداداً لاستقبال ضيوفها من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عند إنعقاد الدورة السادسة فى شهر نوفمبر الحالى . إن المدينة تستعد اليوم لاستقبال قادة دول الخليج العربية .

يوسف الشارونى



طفلة عمانية .. أمل المستقبل

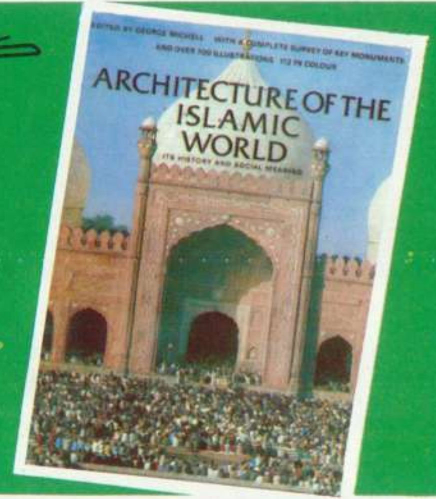




فناء مسجد دلهي بعمارته الاسلامية .. ثم لقطة لبوابة أحد خانات القوافل في تركيا .. وعلى اليسار لقطة لجدران أحد المساجد بأفغانستان

كتاب الشهر

العمارة في العالم الاسلامي



عرض وتقديم: حسني شحادة

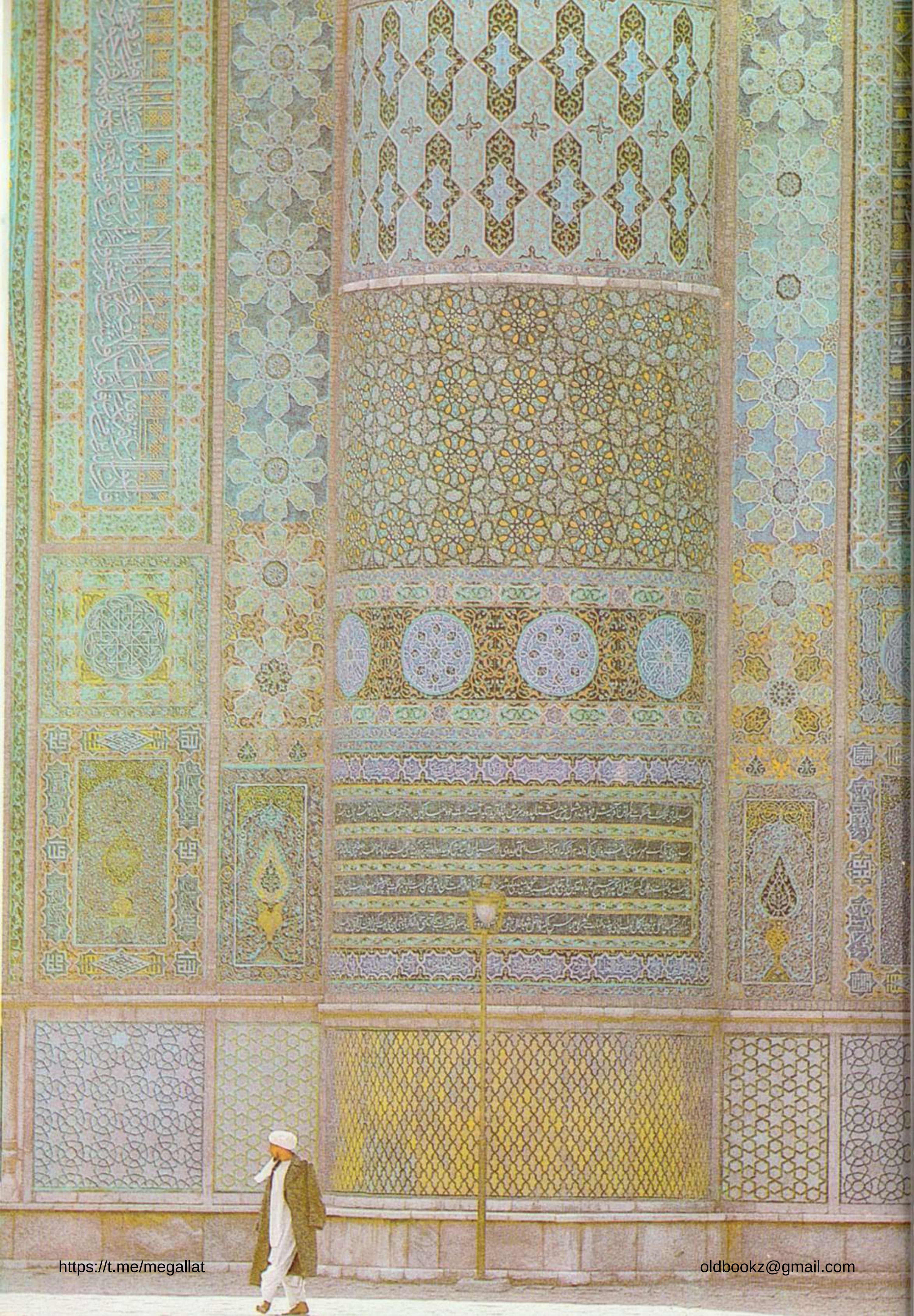
رغم أهمية فن العمارة في العالم الاسلامي ، فمازال الفراغ يكتنف المكتبة العربية في الدراسات الجادة عن هذا الفن الأصيل .. وحتى الآن لم يعتن علم الآثار الحديث به إلا قليلاً ، فقد ألفت كتب تناولت جانبا من العمارة الاسلامية ، في قصر الحمراء ، ومساجد القاهرة ، والمسجد الاقصى ، والمسجد الأموى ، ومسجد قرطبة ، وغيرها، ولكنها لم تتناول هذا الموضوع بشمولية، حتى طلع علينا كتاب « العمارة في العالم الاسلامى » الذي اشترك في إعداده ، عدد من العلماء المتخصصين وزود بلوحات تمثل فن العمارة الاسلامية في كافة بلدان العالم الاسلامى . فأماط اللثام عن هذا الجانب المشرق الجميل من الحضارة العربية الاسلامية .

فن البناء والتعمير ، قديم قدم البشرية ، وهو في أصله تلبية لحاجة أساسية من حاجاته ، ولكنه نتاج فنى ككل ما يصنعه الانسان لأنه يعبر في كل ما يصوغه عن روحه ، وذوقه ، وفكره .

فقديما ، استطاع العرب أن يجسدوا قيمهم الروحية ، وحاجاتهم المادية ، في مرئيات تتصف بالرمزية والجمال . فممالك الأنباط ، وتدمر ، والحضر ، لعبت دوراً ذا شأن في التجارة الدولية ، ومدن تلك الممالك كالبتراء ، ومدائن صالح ، وتدمر ، والحضر ، تضم الكثير الرائع من الآثار المعمارية . أما في اليمن ، وما تخلف لنا من آثاره القديمة ، من قصور ، ومنشآت تدلل على الولوع بالبناء الضخم ، حيث ظل العرب يتناقلون الاعجاب بها على مر العصور ، فالهمذاني ــ أحد مؤلفي القرن العاشر ــ يحدثنا في كتابة « الاكليل » عن قصر غمدان ، فيصفه بأنه صرح شاهق على هيئة برج ، أقيمت به تماثيل لأسود تزأر ، وقاعة مقببة مزينة بالزخارف ، كما أن سد مأرب ، كان دون ريب ، منشأة هندسية على مستوى العظمة التي وصفته به الأساطير . وكذلك في أقصى الشمال حيث كانت مملكتا اللخميين في العراق ، والغساسنة في الشام لا تزالان مزدهرتين قبل ظهور الاسلام بقرن ، وظل الشعراء يتغنون قروناً عديدة بقصر الخورنق ، الذي بناه الملك النعمان .

الفن الاسلامي

ما نكاد ننتقل إلى القرن السابع الميلادى ، إلى المرحلة التى بدأت تتكون للاسلام خلالها ثقافة عالمية الأبعاد ، حتى نرى فن العمارة الاسلامي ، له شخصية مميزة ، وله خلفية جمالية وفلسفة واضحة ، تحقق وحدة فن العمارة الاسلامية التي



اكتسبت أشكالاً جديدة ، فيعم أرجاء العالم الاسلامي تصور جديد لأشكال التعبير المرئية .

ولئن كان لهذا التعبير جذور من الماضي ، وتجلى ذلك بمقارنته مع انتشار اللغة العربية كلغة للقرآن الكريم ، التي حلت ما أمكن محل اللغات المحلية في جميع البلاد التي أشرق عليها نور الاسلام ، فارتباط الفن الاسلامي ، بإيديولوجية واحدة ، ومنهجية واحدة ، هي تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، حمل شخصية واحدة ، رغم اختلاف البلاد والعباد ، ليكون حضارة جديدة هي الحضارة الاسلامية ، التي وظفت لمنهجها كل ما اقتبست من أشكال الفنون ، وألوان العلوم ، ما كان منها فارسياً أو بيزنطيا أو رومانيا أو اغريقيا أو ما نشأ في آسيا الصغرى ، وكان هذا الاقتباس في جميع الأحوال ، مصحوباً بالتغيير ، مصبوباً في أشكال جديدة ، على نحو مدهش ، باتساقه واضطراده ، يكسب التالد المطور ، والطارىء المستحدث حياة خاصة متميزة ، سواء في حال الازدهار أو الركود والذبول ، ثم تجددا عبر العصور ، ليصبحا الحقيقة المجسدة والمتطورة لحضارة الاسلام ، ويحيطان المؤمنين من المغرب إلى اندونسيا ، ببيئة متميزة لا تخطئها ، ولا يخفى ما تمثله هذه الخصائص من ظاهرة فريدة مميزة ، وبصفة خاصة في فن العمارة الاسلامية .

اللغة التعبيرية الرائعة

قام الفنانون المسلمون إبان القرنين السابع والثامن للميلاد بالمواءمة بين ما كان لدى المسلمين من جديد الحاجات والمتطلبات ، وبين ما خلفته لهم الحضارات السابقة في لغة تعبيرية رائعة الثراء ، فظهر في العالم فن معماري جديد ، هو الفن المعماري الاسلامي ، أطول الفنون المعمارية عمرا على مدى الزمان ، فساد خلال ثلاثة عشر قرناً بين القرنين السابع والتاسع عشر للميلاد ، بلاد ما بين الصين وشمال اسبانيا ، ومازال شامخاً حتى يومنا هذا وعلى امتداد الزمان الآتي إن شاء الله .

لقد تجلت قدرة الفنانين المعماريين المسلمين الأول ، في تطوير هذا الفن ، فشهد القرن الأول بعد الفتح نتاجاً معمارياً جديداً ، تجلى فيه الابداع الفني . من حيث الإنشاء والتكوين ، ومن حيث استخدام العناصر القديمة والمقتبسة ، التي طورها الفنانون المعماريون المسلمون ، واستخدموها بأسلوب مختلف ، يتفق مع الذوق الاسلامي ، والثقافة الاسلامية .

ذلك هو دور التأسيس خلال القرن الأول الهجري ، وكلما تقدم الزمن استمر التعديل والتجديد ، وبدأت واضحة الخصوصية الاسلامية في الفن المعماري ، في القباب ، والسقوف ، والأبواب ، وتيجان الأعمدة ، وفي العقود ، وفي النقوش الزخرفية وفي الهندسة والتخطيط .

فلسفة الجماليات

جاءت المنشآت المعمارية الاسلامية ، تلبية لحاجات وشرائط العقيدة الاسلامية ، والثقافة العربية الاسلامية ، وكان ذلك من أهم أسباب ظهور الفن المعماري الاسلامي ، في خصوصيته المتميزة .

فلسفة العمارة الاسلامية جعلت للعمارة في كل أقطار العالم الاسلامي خصائص عامة يتصف بها هذا الفن ، كالزخرفة والتنويع ومراعاة التناظر ، والشمولية ، وتجنب تصوير كل ذي روح ، كالانسان والحيوان ، والتعويض عن ذلك بالمواضيع الزخرفية ، والاشكال الهندسية ، ومناظر الطبيعة .

لقد أعطت هذه الخصوصية للفن المعماري الاسلامي ، شخصية متميزة ، جعلت لنتاجه طابعاً عاماً ، ووحدة . ومما يؤكد هذه الوحدة ، أن

سوق الأقمشة الحريرية في القاهرة ، كما صوره الفنان دافيد روبرت في عام ١٨٤٩



أى إنسان يستطيع التعرف على العمارة الاسلامية ، أينما كانت في ديار الاسلام .

أما سبب هذه الفلسفة المعمارية الاسلامية الواحدة المتميزة فهو ، وحدة العقيدة والحضارة والثقافة للأمة الاسلامية في شتى أقطارها . حيث ينهلون جميعا من معين الاسلام ، فالاسلام عقيدة وشريعة ، وهذا ما جعل العمارة في العالم الاسلامي متشابهة في ديار الاسلام ، حيث تفرض العقيدة شروطاً على الشكل والتخطيط ، وعلى نوعية الزخارف ، كما كانت الصلات الدائمة بين أقطار العالم تتوثق باستمرار عن طريق الخلافة وعن طريق الأسفار وتبادل السلع ، وارتحال الفنانين ، وتنافس الحكام على اجتذابهم من جهة ثانية .

عناصر فن العمارة

إذا أعرنا التفاتة الى شتى أقطار العالم الاسلامي ، نجد كثيرا من آثار فن العمارة الاسلامية ما تزال قائمة ، تحكي عظمة هذا الفن وروعته ، مع مرور أكثر من ألف عام على انشائها ، بزخارفها ، وأعمدتها وأقواسها ، وما تزال تقاوم تقلبات الفصول والأجواء ، سواء في بلاد الشرق الاسلامي أو بلاد الغرب الاسلامي ، وغالباً ما تتألف من العناصر المميزة التالية :

أولا : الأعمدة وتيجانها

عندما انتشر الاسلام ، وجد المسلمون كثيرا من المبانى المتداعية من آثار الحضارات البائدة كالاغريقية والرومانية والبيزنطية ، فانتفعوا بأعمدتها ، وتيجانها ، كما تشهد بذلك مبانيهم الأولى التي تضم عدداً من الأعمدة الغربية المصدر ، ولما استنفد المسلمون ما وجدوا ، اضطروا بحكم الطبيعة الى انشاء ما يحتاجون ، وطبعوا عليه طابعهم الخاص الذي كانوا يتميزون به في جميع آثارهم والتي ترى بوضوح في قاعة الأسود بقصر الحمراء .

ثانيا : الأقواس

امتاز فن العمارة العربى القديم بالأقواس المصنوعة على شكل نعل الفرس ثم طورت العمارة الاسلامية الأقواس في مصر والأندلس والمغرب حيث اكتسبت شكل نعل الفرس أو القوس ، وأصبحت هذه الاقواس صفة لفن العمارة الاسلامية في شتى أقطارها .

ثالثا : المآذن

أوجبت ضرورة دعوة المسلمين الى الصلاة في أوقاتها ، إقامة المآذن في جميع المساجد في شتى أقطار العالم الاسلامي ، وتختلف أشكالها باختلاف البلدان ، فهى مخروطية الشكل في بلاد فارس ، مربعة في بلاد الاندلس وافريقيا ، اسطوانية في تركيا .



قصر العظم فى دمشق



مطرقة لأحد الأبواب على هيئة أسد تعود للقرن التاسع عشر



...تخدام الطوب في زخرفة الجدران لاحداث مستويات ...ختلفة من التأثير الفني بتباين الضوء والظلال

● أشهر المساجد في العالم الإسلامي التي تتجلى فيها روعة الفن المعماري

● كيف واجه المعماري المسلم في البلاد الحارة مشاكل التهوية والإضاءة ؟

وقد تجلت روعة فن العمارة الاسلامية في إقامة هذه المآذن كمثل مئذنة مسجد قايتباي في القاهرة التى تعد من العجائب المعمارية .

رابعا : القباب

ليست القباب مما اخترعه المسلمون ، وإن كان أصل الكلمة عربيا فقد كانت معروفة عند البيزنطيين . وكان للأكاسرة من بنى ساسان قباب في قصورهم . وانما ابتكر المسلمون القباب ذات الحفر .

ويختلف شكل القباب الاسلامية باختلاف البلدان ، فهي منخفضة في افريقية كما في جامع القيروان ، أما في مصر ، فتقام القباب على المزارات أو على الحجرات المجاورة للمساجد ، والمشتملة على أضرحة الصحابة والصالحين ، ومن أشكالها القباب نصف الدائرية ، والقباب البيضاوية الأسطوانية ، والمخروطة ، والمجاوزة والمقرنة .

خامسا : المتدليات

انفرد فن العمارة الاسلامية بالمتدليات ، إذ لم توجد عند أمة حتى الآن ، فقد كره المسلمون أوجه المباني الملس ، الموحدة الزوايا ، والاشكال القائمة ، فكانوا ينشئون الكوى الصغيرة الناتئة المثلثة والكرية تتدلى بعضها فوق بعض في الفضاء تدلياً هندسيا تدريجيا ، وما كاد القرن الثانى عشر للميلاد يحل ، حتى كان أمرها شاملا لجميع البلاد الاسلامية ، وقد استخدمها المسلمون في ربط أطناف أورقة المآذن بأوجهها القائمة وفي ملء قباب المساجد ، وفى وصلها بالجدر القائمة عليها، وفى وصل القباب الكرية بالأوجه المربعة . وهكذا .

وقد تفنن المسلمون في الأندلس في بنائها ، فحولوا تجويفاتها الكرية الى مناشير من بلور بقاعدة مثلثة الاضلاع ، ذات وجوه مقعرة .

النقوش العربية

فن الزخرفة والنقش في العمارة الاسلامية ، ذو طابع خاص متميز بزخارف من رسوم هندسية ممزوجة بالكتابات .

وللخط العربى شأن كبير في الزخرفة ، فهو ذو انسجام عجيب مع النقوش العربية ، وتؤخذ هذه الكتابات من القرآن الكريم ، وأكثر الكتابات استعمالا البسملة « بسم الله الرحمن الرحيم » ، أو القول الجامع الذي يلخص به الاسلام وهو التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أشكال العمارة الاسلامية

تعد العمارة الاسلامية في جوهرها عمارة تستهدف الجماعة ومصلحتها نرى ذلك في المنشآت العديدة التى أقيمت لخدمة المسلمين ، استملى الفنان المسلم فيها مدلولات عقيدته ، فحسمها وصورها وأبدعها على تلك الصور التى تتحلى بها العمارة الاسلامية ، والتى تميزت عن سائر العمارات ، لأنها من فيض الاسلام ووحيه .

ومن أبرز نماذج العمارة الاسلامية . المساجد والمدارس والاضرحة ، القصور والقلاع والحصون ، الأسواق والخانات والبيوت والمساكن .

المساجد : ينبع الفن الاسلامي في جوهره من العقيدة الاسلامية السمحاء ، التي لا تكتمل إلا بالاخلاص ، ولا تأخذ طريقها الى ضمير المؤمن ووعيه إلا بالتطهر والتجرد ، وطبيعى أن يكون مهد هذا الفن المعمارى الاسلامى هو المسجد .

ومن أشهر المساجد في العالم الاسلامي والتى تتجلى فيها روعة الفن المعمارى الاسلامى : بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، والمسجد الأقصى ، ومسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف ، وجامع القيروان ، وجامع قرطبة ، ومسجد عمرو بن العاص بالقاهرة ، ومسجد المتوكل بسامرا ، وجامع السليمانية في استانبول وغيرها كثير .

المدارس : يشكل تعليم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والعلوم العملية والنظرية ، جزءاً هاماً من حياة المسلم ، وقد كان التعليم يجرى في المسجد حتى إنشاء الجامع الأزهر سنة ٩٧٠ ميلادية .

وأقدم ما نعرفه من مدارس الاسلام ، بناء يتألف من فناء وإيوان واحد فسيح وعدد من الغرف ، ومنها ما أنشأه السلطان الأيوبى نور الدين سنة ١١٦٠ في حلب ودمشق ، وماشيد منها خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر في عدد من مدن الاناضول ، مثل « قيصرى » و« قونيه » ، التي تزهو بمدارس ظفرت بأكبر قدر من الترف والاسراف والزخارف . مثل مدرسة « انجي منارة » التى أنشئت سنة ١٢٦٠ م و« مدرسة الامير قاراتاي » سنة ١٢٥٢ م والتى تتميز بمداخل فخمة من الحجر المحفور ، كما تزينها من الداخل بلاطات فسيفسائية بديعة .

الأضرحة : إن كراهية الاسلام لإنشاء الأضرحة كان له أثر في امتناع المسلمين السنيين عن بناء الأضرحة الفخمة ، والبناء الوحيد الذي ينتمي إلى عمارة الأضرحة والذي يعد أقدم ما حفظه لنا الزمن كاملاً ، هو ضريح اسماعيل الساماني في بخارى ويرجع تاريخه إلى سنة ٩٢٧ هـ . ولهذا الضريح قيمة معمارية كبيرة ، إذ يسمح لنا بتصوير نوعين مختلفين من التطور المعماري : الأول هو طراز المقابر الملكية لفيرغ « سنجر » في مرو سنة



استخدام الزخرفة الاسلامية في العمارة

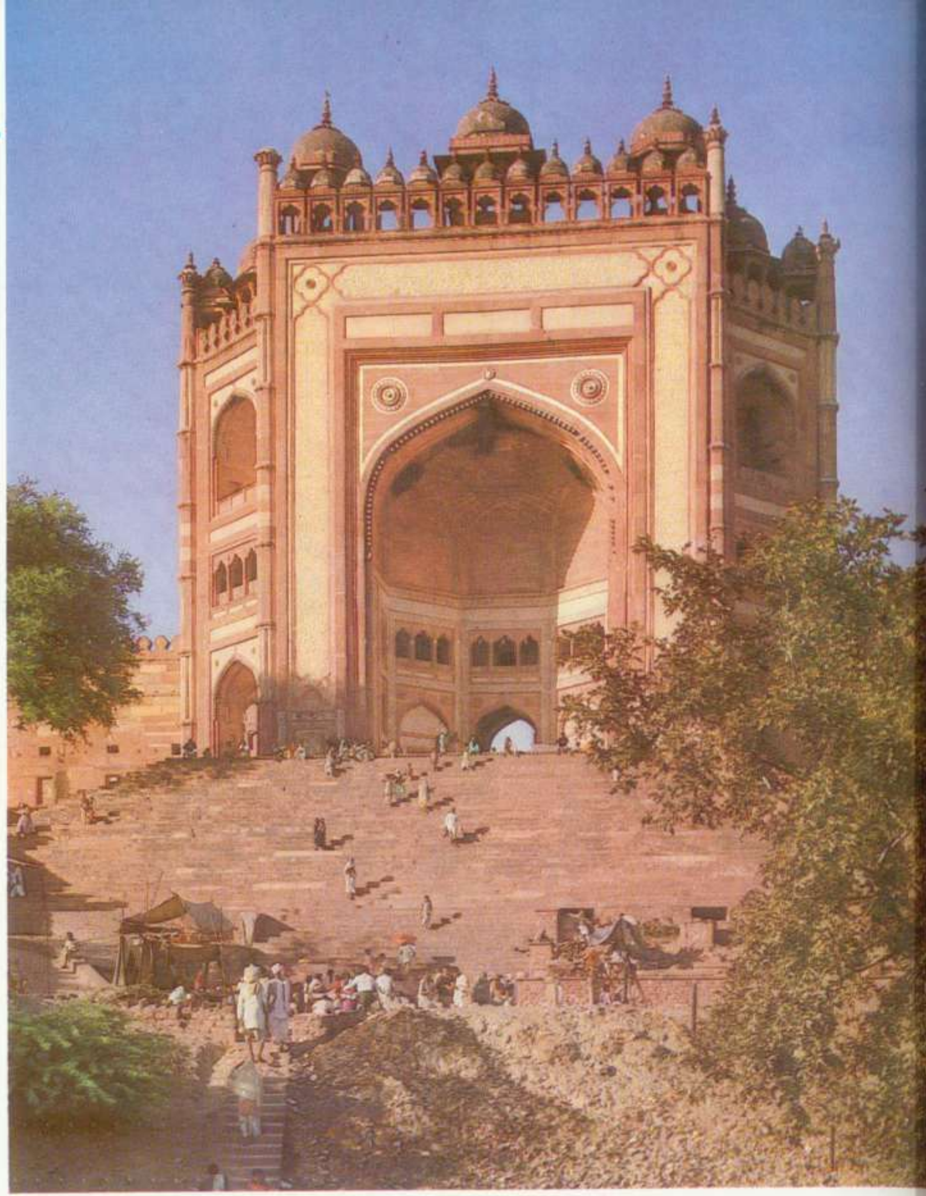
(١١٥٧) ، وضريح « أولجياتو » بالسلطانية في ايران سنة (١٣١٦) ، والمقابر التيمورية مثل مقبرة جوهر شاد ، وضريح تاج محل المشهور في اجرا والذي شيد سنة ١٠٠٦ قرب مدينة جرجان على ساحل قزوين . ويتألف الطراز الثاني من المقابر وهو ما لم تتعد وظيفته احتواء رفات الميت .

القصور : شيد الخلفاء الامويون قصوراً عديدة خارج العاصمة دمشق حوت كثيرا من آثار الترف والبهجة المتجلية فى فن العمارة ، وما فيها من زخارف وفسيفساء ونقوش . وأقدم القصور التى سلمت لنا من عوادي الزمان ، قصر المشتى الذي بناه الوليد بن يزيد حوالي عام ٧٤٠ .

تتميز القصور الاسلامية المبكرة في العهد الأموى بإقامة قاعة العرش فى مركز القصر .

وعندما قامت الدولة العباسية حلت التقاليد الفارسية المتبعة فى عمارة قصور خراسان ، محل التقاليد الأموية ، مثل قصر الأخيضر فى العراق والذي يرجع إلى القرن الثامن الميلادي .

وغالبا ما تكون القصور شبيهة بالقلاع



بوابة النصر (١٥٦٩) وتوحي بالشموخ والقوة ، وهما من صفات العمارة الاسلامية



منارة الجامع الكبير في مدينة دمغان بإيران

والحصون التى كانت تبنى على الثغور وغالبا ما تكون القلاع ذات أبراج مبنية بناء متيناً رائعاً .

وهناك جزء رئيسى في المدينة الاسلامية ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم العمارة التجارية ويلاحظ الدارس والباحث أن تنظيم الأسواق في الاسلام كان أوثق صلة بالروح الاسلامية منه بالنظم البلدية . وعرفت القيصرية في العهد المملوكى ، أما البازارستان « سوق القماش » فهو ظاهرة منقولة عن العثمانيين .

ثم شاع نوع آخر من المباني منذ عهد السلاجقة ، وهو خانات القوافل التى كان المقصد منها إيواء التجار المسافرين وحراستهم . وكانت بعض هذه الخانات مثلا رائعاً لفن العمارة الاسلامية مثل خان شاه الذي أنشأ (رباط سفرق) وخان شاه حسين باصفهان .

أما الأسواق فى العمارة الاسلامية فنلاحظ أن تنظيمها كان أوثق صلة بالروح الاسلامية فهى تختلف عن السوق في الحضارات الأخرى ، فنجد القاهرة تتميز عن سائر المدن ببعض الخصائص ، فهناك شارع رئيسى طويل وهو المعروف بالقصبة ، يخترقها من الشمال الى الجنوب ، من باب الفتوح إلى باب زويله وتتخلله دخلات تشغلها الأسواق التى تعقد في الشوارع والساحات ، وتحف العقبة أبنية فخمة من قصور الخلفاء وتليها المساجد والمدارس ومدافن السلاطين من المماليك وكانت تشمل أقساماً ، خصص كل منها لنوع من أنواع التجارة كالخيامية ، والنحاسين ، والعطارين والمغربلين الى غير ذلك .

لم ينل هذا الجانب من العمارة الاسلامية حظاً كافيا من الدراسة ، ولكن يلاحظ أن معظم مدن العالم الاسلامى كانت تتبع فى بناء منازلها تصميماً مشتركا في هيكله العام ، يراعي فيه ظروف المناخ ، حتى توفر الرطوبة ، وتقى أهلها لفحات الحر ، فالمنزل غالبا ما يتكون من « الصحن » الذي استخدم فى تكييف حرارة الجو ، ويحيط به ايوان للاستقبال عن شماله ، وآخر عن يمينه ، ولا يكاد يخلو صحن البيت من نافورة أو حوض ماء تنعكس على مياهه صفحة السماء التي يعشقها العربى المسلم ويتجه إليها .

وقد واجه المعماري المسلم في البلاد الحارة مشكلات التهوية ، والاضاءة ، واستقبال أشعة الشمس ، فصمم « ملقف الهواء » ، وهو طاقة مفتوحة في السقف بأعلى الركن الشمالي للقاعة ، تحتضنها جدران أربعة مرتفعة قليلاً ؛ تمثل بئر هواء علوي ، وأحياناً يصمم المشربية ، كحل مؤقت للتغلب على مشكلات التهوية والإطلال على الخارج .

• • •

والخلاصة ، أن كتاب العمارة في العالم الاسلامي لمؤلفه « جورج ميشيل » يتسم بشمول النظرة إلى العمارة الاسلامية في عهودها المختلفة وأنماطها البديعة ، حيث جمع بين دفتيه عدداً من الآثار التي لم تتح لكتاب قبله ، إذ لم تكد عيناي تصافحان لوحات هذا الكتاب ، حتى وجدتني أنفذ إلى عالم من سحر العمارة الاسلامية ، يمتد من مشارف آسيا حتى اسبانيا ، فأنتقل بين آثار يستأثر جمالها بالوجدان ، ويسكب في النفس دقات من الورع والامتاع .

حسني شحاده

نافذة خليجية في بلاد الشمس المشرقة

فنوننا الشعبية وتراث الأجداد في طوكيو

بقلم : حسن الملّا

شهدت طوكيو عاصمة اليابان أخيرا وبالتحديد فى الفترة من التاسع عشر الى السادس والعشرين من سبتمبر الماضى المهرجان الثقافى الأول لشباب مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والذى كان

بحق نافذة واسعة تطل منها بلاد الشمس المشرقة على فنوننا الخليجية التى استحوذت على اعجاب اليابانيين ، ولاقت الاقبال الشديد منهم ، وقوبلت كل فقرة من الفقرات التى قدمت بالاستحسان الواضح ، الأمر الذى يشجع على تكرار التجربة وتقديمها فى اليابان وغيرها من بلاد العالم المختلفة ..



ولقد رأس وفد قطر فى هذا المهرجان الثقافى لشباب مجلس التعاون لدول الخليج العربية الشيخ محمد بن عيد آل ثانى ، وضم الوفد خمسة وستين عضوا من الفنانين التشكيليين والفنانين الشعبيين ، بالاضافة إلى عدد من الاداريين . وقد استطاع وفدنا فى المهرجان بما قدمه من فنون قطرية وخليجية متنوعة أن يضيف الكثير الى اللوحة الجميلة للفن الخليجى التى قدمتها كل الفرق وكافة الفنانين بأبعاد جديدة استحوذت على اهتمام المتفرجين فى عاصمة اليابان .

في مدينة طوكيو تم افتتاح المهرجان الأول لشباب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وتضمنت مراسم الافتتاح كلمة لرئيس المهرجان الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود ممثلاً لدول الخليج ، وكلمة للسيد وزير التنمية والاشغال اليابانى الذى حضر الافتتاح وقدم التحية لأبناء مجلس التعاون وأشاد في كلمته بالتعاون والعلاقات القائمة بين اليابان ودول الخليج العربية . وقال إن بلاد العالم الصناعية يجب عليها أن لاتنظر الى البلاد العربية نظرة اقتصادية ضيقة كسوق مصدرة للنفط فقط ، بل إن على الدول الكبرى أن تعترف بما للبلاد العربية من تاريخ حضارى مشرق وتقاليد خالدة وتراث عظيم . وأضاف اننا لنعتز كثيراً بالحضارة العربية الاسلامية ، تلك الحضارة التى أسهمت فى تطور العالم وقيادته الى طريق المدنية وهي حضارة يدين لها العالم بما حققه اليوم من تطور وتقدم .

المعارض الفنية

بعد ذلك قدمت الفرق المشاركة فى المهرجان عروضها من الفنون الشعبية التقليدية : بدأتها بلوحة مشتركة تضمنت أغنية أنا الخليجى التى تعبر عن وحدة دول المنطقة العربية فى الخليج وآمال شعوبه وتطلعاتها .

وبعد انتهاء العروض الشعبية المتمثلة فى الايقاعات الخليجية تم افتتاح المعارض المشتركة التى أقيمت بهذه المناسبة والتى تضمنت العديد من اللوحات الفنية التى تمثل مختلف جوانب الحياة فى دول الخليج العربية . كما اشتملت هذه المعارض على الأزياء الشعبية والأدوات التقليدية المختلفةاضافة الى رسوم الأطفال .

وفى هذه الاثناء تم توزيع المطبوعات والنشرات الاعلامية لدول المجلس . وفى احدى صالات المعرض نصبت خيمة كبيرة محلاة بزخارف جميلة عرفتها حياة الصحراء . وقد استخدمت هذه الخيمة لاستضافة الزوار وتقديم القهوة العربية لهم مع تقديم بعض الفقرات الموسيقية المختلفة والتى حازت اعجاب اليابانيين .

العروض الشعبية

ولقد قدمت الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية مجموعة من الفقرات خلال المهرجان أهمها لوحة « العرضة » وهى احدى الرقصات الشعبية التقليدية المنتشرة فى منطقة الخليج العربى . وقديماً كانت تؤدى فى حالة الاستعداد للقتال وبعد الحرب والانتصار فيها ، وفى المناسبات القومية والأفراح . وهى تعنى القوة والصبر والفروسية والشجاعة ويؤديها الكبار والصغار على ايقاعات الطبول و« الطارات » و« الشيلات » المنظمة .



ثلاث لقطات من المهرجان للفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، والفرقة العمانية ، وفرقة الفنون الشعبية في دولة الامارات العربية المتحدة





كما قدمت الفرقة القطرية فاصلا سامريا وهو لون من ألوان الفنون الشعبية القطرية ويؤديها الرجال أثناء سمرهم بمصاحبة الطارات والطبل .

وقدمت كذلك « الليوا » وهى من الفنون الشعبية النازحة والتى تفاعلت مع البيئة الخليجية وأصبح لها شكلها المميز . وقد لاقت قبولاً كبيراً من الشباب كما أن لها أشكالاً متعددة فى منطقة الخليج وتؤدى بمصاحبة الصرناى والطبول المتنوعة . كما قدمت الفرقة القطرية الفجرى (إفجرى) وهو لون من ألوان الفنون التى تمت بصلة كبيرة إلى حياة الناس فى الخليج العربى ، لارتباط هذا الفن بحياتهم اليومية سواء فى البحر أو البر فى العمل والسمر ، ويعبر هذا الفن عن معاناة أهل الخليج فى البحث عن الرزق . ومن الألوان التى قدمتها الفرقة أيضا الطنبورة ، وهى من الفنون الشعبية النازحة وتؤدى على أنغام آلة الطنبورة ، وايقاعات الطبول والمنجور ويؤديها معا الرجال والنساء .

وفرق الخليج الأخرى

كما اشتركت من الكويت فرقة التلفزيون المعروفة برقصاتها المصاحبة للغناء الخليجى المنوع ، واشتركت سلطنة عمان بفرقة شعبية مختلطة من البنين والبنات وأهم الرقصات التى قدمتها وأبهرت الجمهور هى زفة الحسنة والتى تمثل مراسم الزواج فى عمان والمصاحبة بأغان وايقاعات خاصة بالعرس .

أما فرقة الامارات الشعبية فشاركت بعدة فقرات أهمها رقصة الليوه وقد لاقت قبولا كبيراً من الجمهور اليابانى ، مما جعلهم يصعدون على خشبة المسرح ويشاركون فى الرقص .

ومن الفرقة الشعبية السعودية استمتع الجمهور برقصة السمسمة ، ومن الفرقة البحرينية استمتع الجمهور برقصة دق الحب .

ولاشك أن هذا المهرجان يمثل انطلاقة من انطلاقات مجلس التعاون لدول الخليج العربية للعمل على وحدة متكاملة عن طريق العمل الثقافى . فالهدف الأساسى هو التضامن واللقاء بين شباب دول مجلس التعاون ، واختيار اليابان لاقامة هذا المهرجان خطوة لتعميق الروابط بيننا وبين الشعب الياباني ولنتعرف عليه ويتعرف علينا ولنعرض ثقافتنا وفنوننا وتاريخنا ، وحتى يتم تنشيط العلاقات فى جميع المجالات وليس فى المجال الاقتصادي فقط بين دول مجلس التعاون وبين اليابان .

ومن خلال متابعتنا لأنشطة المهرجان فى الأيام الأولى منه ومدى اقبال رواد المسرح والمعارض كان شعورنا هو التخوف من عدم نجاح المهرجان ذلك لما رأيناه فى البداية من قلة عدد الجمهور والرواد للفعاليات . وكان ذلك يرجع لضعف الاعلان عنه وحاجته إلى كثافة أكثر ، الا أنه بعد مضى يوم أو يومين من الافتتاح بدأ الجمهور يتوافد عليه مما أثلج صدورنا .

وقد لوحظ أن أكثر المترددين على المهرجان الثقافي الأول كانوا يبدون إعجابهم الملحوظ بتلك الفنون التي تعرفوا عليها لأول مرة في حياتهم ، وتمنوا أن تنتقل تلك العروض إلى بقية المدن اليابانية ، كما استقبلت وسائل الاعلام بما فيها التليفزيون والصحف هذا المهرجان الخليجي بكثير من الترحيب .

ولعل هذه التجربة المفيدة تضيف الى خبراتنا فى هذا المجال الشئ الكثير ، حتى يأتى أى عمل فى صورة متكاملة ، تقدم وجه الخليج وحضارته العريقة .

وطن العشق

شعر: مازن شديد

وسأرفع أشرعتي للريح
كي أبدأ مع شمس الصبح الأولى نحو سواحِلك الابحارْ
حتى لو كان الدرب إليك مسيرة عُمر
أو كان على صخر من جَمْر
أو بين الرَّعد وحدّ السيف ووهج النارْ
لابدَّ من البدء وحسم الأمر
حتى لو هاجت في وجهي غيلان الأرض وأمواج البحر
وسأسمع قول العرَّافة
ساعة فتحت دفتر كفِّي كي تقرأ
سمَّت باسم الله وقالت :

حوَّطتكَ باسم الله
ياولدي واسمع :
« لابدّ لكي نحيا أن تعشق
في هذا الزمن المفروش ببارود العصر وأزهار المعدن
أو أن تُصلب أو تُشنق
بخيوط من حبل حرير مجدول متقن
فالعشق هو الصَّك الأول
لبراءتك الأولى
ولخطوتك الأولى
وهو بكل لُغات الأرض وطن

العشق وطن
العشق وطن
فارفض ياولدي أن تتنازل عن وطنك
وارفض أن لا تعشق
كي تصل إلى خيمتك الصعبة
حتى لو كانت أيامك ولياليك
سفراً مراً في يمِّ الغُربة
وارفض أن تدخل هذا اليمّ وبين يديك حجاب
فالعشق حجــاب
والرّغبــة والعزم حجــاب

فتوكل
وابدأ في السّفر ولاتتمَّهلْ
ياولدي واسمع :
إنك حتى تصل إلى خيمة من أحببت
في هذا الزمن المفروش ببارود العصر وأزهار المعدن
ستُعدّي سبعة أبحار
وستقطع سبعة أنهار
وتنزل سبعة وديانْ
وتهاجمك أُسود سود
قطعانا قطعان
واسمع ياولدي :
إنك حتى تصل إلى خيمتها
ستواجه أمطار رصاص وجنود
وستسمع صلصلة قيود
لكنك ستواصل سفرك
لأنك ستواصل عشقَكْ
لضفائر شعر مسيٍّ مُسدلْ
لينابيع من ماءٍ مُخملْ
حتي لو كانت ترصد دربك حيتان البّر وغربان البين
أو طارت نحو ضلوعك في الليل
سهام قبائل همجية
لم ترها من قبل العين
حتي لو ألقوك بقاع البئرْ
فالعشق له سرّ
وسرّ العشق مواصلة الدرب
ياولدي واسمع :
إنك في يوم ما
إن كان قريبا أو كان بعيداً
ستحوّطها بين يديك وتسكن فيها
وتعانقها
سوسنة تزرعها في القلبْ

العقبة ــ الأردن



سلوك الحيوان في قصص عجائب الهند

بقلم: الدكتور أنور عبد العليم

لم يكن غريباً على الملاحين العرب إذا ما نزلوا سواحل حديثة أو حطت مراكبهم على جزر نائية أن يهتموا بملاحظة كل شئ .. ولهذا رأينا في قصص عجائب الهند منذ ألف سنة معلومات طريفة عن الحياة البرية والحيوانات البحرية كالسلاحف والسرطانات .. ولم يقتصر الأمر على الاحياء بل تعداه إلى وصف سلوكها .. وهكذا سجل هؤلاء الملاحون قصب السبق في تعريفنا بكل التفاصيل الدقيقة التي كنا نعرفها عن السلوك الحقيقي للحيوان ، لتصبح تلك الحقائق ذات أهمية كبرى ـ اليوم ـ في تاريخ العلوم .

اتصف العرب سكان البادية بصفتين جديرتين بالاعتبار وهما حب الاستطلاع وقوة الملاحظة ، وهما الصفتان اللتان تميزان حياة البادية إلى جانب الكرم والشجاعة والحمية وما إليها من صفات البادية الأصيلة .

وتشترك الصحراء مع البحر في سعة الأفق والامتداد اللانهائي وعدم وجود معالم واضحة يستدل المسافر بها على طريقه ، ومن ثم فقد كان الاهتداء بالنجوم هو السمة المميزة لمسافر الصحراء أو لراكب البحر مصداقاً لقوله تعالى : «وعلامات بالنجم هم يهتدون» (سورة النحل الآية ١٦) وقوله عز وجل «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون» (سورة الأنعام آية ٩٧) .

هذا وقد ساعد صفاء السماء ووضوح الرؤية وحدة البصر العربي على مراقبة حركات النجوم في أبراج السماء والتعرف على الجهات الأربع الأصلية وتحديد الوقت في ساعات الليل المختلفة .

ولهذا السبب لم يكن غريباً على الملاحين العرب إذا ما نزلوا بسواحل حديثة أو حطت مراكبهم على جزر نائية أن يهتموا بملاحظة كل ما يقع تحت بصرهم من كائنات وظواهر طبيعية ، وتنطبع في أذهانهم صور عن الناس وعاداتهم وطبائعهم .

وإذا كان الرحالة الأندلسي أبو الحسن محمد أحمد البلنسي الشهير بابن جبير (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ) قد اهتم بتدوين يومياته في رحلته المشهورة ، فإن زميله الطنجي ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ) لم يكن يدون مذكرات في رحلاته الطويلة التي استغرقت الجانب الأكبر من حياته ، بل أملاها في نهاية حياته على الكاتب محمد بن جزي الكلبي الذي كلفه السلطان بتدوينها .

وإن المرء ليعجب كيف استوعبت ذاكرة هذا الرحالة كل تلك التفاصيل الدقيقة عن الأماكن التي زارها والناس الذين قابلهم والحوادث التي اعترضت طريقه .

وفي قصص عجائب الهند نجد إلى جانب المغامرات البحرية معلومات طريفة عن الحياة البرية يرد فيها ذكر النمور والقردة والفيلة والحيات والثعابين والطيور البحرية والطيور الجارحة إلى جانب ذكر الأنواع المختلفة من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى كالسلاحف والسرطانات ، ولا يقتصر الأمر على مجرد ذكر هذه الأحياء بل يتعداه إلى وصف سلوك بعض هذه الحيوانات على ما هي عليه في الواقع .

ولئن خامر هذا الوصف التهويل والتضخيم في بعض الأحيان ، ففي أحوال أخرى تعبر المشاهدة تعبيراً صادقاً عن السلوك الحقيقي للحيوان والذي يتفق إلى حد كبير مع ما هو معروف اليوم من الدراسات .

ويجب ألا ننسى أن ما ورد في «عجائب الهند» متعلقاً بسلوك الحيوان قد مر على تدوينه أكثر من ألف سنة .

وسنحاول في هذا المقال استعراض بعض هذه الملاحظات القديمة كما وردت في الكتاب .

سلوك القردة

يرد الحديث عن سلوك القردة في أكثر من قصة من قصص العجائب وكلها قصص طريفة مشوقة تنم عن قدر من الذكاء والتصرف يتسم به سلوك هذه الحيوانات .

وقبل أن نأتي على ذكر نماذج من هذا السلوك يهمنا أن نعرف أن كثيراً من الحيوانات الراقية تعيش حياة اجتماعية في قطعان أو جماعات يرأسها ذكر يحكم الجماعة ويأتمر الباقون بأمره ، وغالباً ما يكون هذا الذكر أقوى أفراد الجماعة وكثيراً ما يحتل الذكر مركزه بعد صراع مرير بين اثنين أو أكثر من المرشحين لرئاسة الجماعة .

كما أن لكل جماعة من جماعات القرود أرضاً تحتلها لتعيش فيها وتمارس فيها حياتها الجماعية وتعتبر بمثابة الحمى لأفرادها تشترك جميعاً في الدفاع عنها ولا تسمح لقردة غريبة بالاقتراب منها .

سلوك الحيوان
في قصص عجائب الهند

لقد لاحظ الأقدمون من الملاحين والتجار على سواحل المحيط الهندي وجزره أنماط السلوك المذكورة وأتوا على ذكرها في قصصهم كما يتضح من النماذج الآتية :

● الأجهزة الحسّاسة التي تجعل الحيوان الأعجمي يكتشف الشر قبل وقوعه

● قصة القردة التي تعاطفت مع الملاحين ودلتهم على كنوز الذهب



ما أشبه الليلة بالبارحة : قلنا إن القرد في قصص عجائب الهند يتدرب على القيام بأعمال المنزل.. وها هو نفس القرد في الأزمنة الحديثة يساعد ربة البيت على كنس الحجرات ، ولكن بمكنسة كهربائية هذه المرة !

كبير القرود

يقول الربان في معرض حادثة حصلت لهم في غابات جاوة وسومطرة احتكوا فيها مع قافلة من القردة ربما كانت من فصيلة إنسان الغاب المعروف باسم « أورانج أوتان » لكبر أحجامها — ما نصه : « وذاكرت الربان محمد بن بابشاد في حديث القردة وما يحكى عنها فحدثني بصفات كثيرة وأن لكل فرقة منها كبير خلقته أعظم من خلق باقيها ، وأنهم ربما خرجوا من الفيافي إلى الطرق والمسالك فتضرب (القردة) السفارة فتمنعهم السبيل دون أن يعطوهم شيئاً من الحيوان مثل الغنم والبقر وغير ذلك من المأكولات ، وذكر محمد بن بابشاد أنه حدثه غير واحد أنه اجتاز على قطعة منهم مع جماعة معه فمنعوهم (أي القردة) من المشي فحاربوهم فمزقوا ثيابهم وتواثبوا عليهم من كل مكان وقطعوا قربهم وهم في مفازات بعيدة عن الماء فأعطوهم شيئاً فتركوهم ولا ماء لهم فمات أكثر القوم عطشاً ولم يصل إلى الماء الثاني إلا قليل » .

وفي هذه الحكاية ما يدل على شراسة هذا القطيع من القردة وقطعهم الطريق على المسافرين ما لم يعطوهم نصيباً مما يحملونه معهم من زاد ليدعوهم وشأنهم .

وعلى النقيض من ذلك نجد في الحكاية التالية كيف ساعدت القردة الملاحين الذين عطبت مركبهم ودلتهم على منجم للذهب . تقول الحكاية :

القردة تتعاطف مع الملاحين

« وحدثني بعض البحريين أن مركباً كان يمضي إلى صِنْف (الصين) من عمان فأصيب وسلم من أهله نحو عشرة في قارب فحملتهم الرياح إلى جزيرة مجهولة لا يعرفونها فرموا بنفوسهم على ساحلها وليس لهم حركة لشدة ما لحقهم في البحر من الأهوال والشدائد فمكثوا هناك بقية يومهم ثم قاموا فاحتالوا في القارب إلى أن جروه إلى الساحل وباتوا ليلتهم معه . فلما أصبحوا مشوا في الجزيرة فوجدوا فيها ماء عذباً كثيراً وغوطة حسنة وأشجاراً متكاثفة فيها ثمار شتى وموز كثير وقصب سكر ولم يروا فيها إنسياً . فأكلوا مما اشتهوا من الثمار وشربوا من ذلك الماء وانصرفوا إلى قاربهم فجروه إلى البر وسندوه بالخشب وجمعوا من ورق الموز والشجر فظللوه وأحكموا أمره وأصلحوا لأنفسهم إلى جانبه موضعاً يسترهم .

فلما مضت عليهم خمسة أيام أو ستة فاذا هم بقطعة قرود قد أقبلوا يتقدمهم قرد كبير جسيم فوقفوا (القرود) على القارب وفزع القوم منهم فصعدوا إلى القارب فلم يعرضوا لهم وأقاموا رئيسهم بمكانه فجعل يفرقهم يميناً وشمالاً كما يُنفِذ العامل رجاله ثم عادوا إليه وجعل بعضهم يومئ إلى بعض كأنهم يتحدثون بشيء فلما أمسوا انصرفوا ، فورد على القوم من هذا أمر عظيم وخافوا على نفوسهم أن تقتلهم القردة ، وجعلوا يفكرون في الخلاص ليلهم وهم بسوء حال ولا زاد معهم ولا يعرفون الطريق ولا يهتدون لحيلة .

فلما أصبحوا جاءتهم قردة فطافت بهم ثم مضت وعادت ومعها قردة أخرى فأومأت إليها بشيء ، قال رجل فتبعت القرود إلى أن دخلوا الغوطة ثم خفت على نفسي فرجعت بعد مدة مضت من النهار إلى أصحابي فسألوني فأخبرتهم فلما كان من غد عاودت القرود على تلك الصورة الأولى وجلس رئيسهم على القارب ونفذهم في حوائجه على الرسم . فلما مضت ساعة من النهار جاء قردان مع كل واحد منهما قطع ذهب في نهاية الجودة فطرحوها بين يديه ثم عادوا بأجمعهم فأومأ بعضهم إلى بعض وانصرفوا ونزلنا إلى الأرض فأخذنا الذهب فإذا هو مثل العروق الغلاظ في نهاية الجودة ، فورد علينا السرور بذلك مانسينا معه بعض مانحن فيه » .

مع الحيوانات المفترسة

وفي هذه الحكاية نجد أن كل فريق منهما :

علم سلوك الحيوان الأمريكيين يدعى « ألن بون » **Allen Boon** قام بتجارب عديدة على الحيوانات المفترسة والحيوانات السامة ومنها الكوبرا. وخلاصة تجاربه هي ما وضحناه في الرأى الثاني.. أعنى الموجات التي تنبعث من الانسان والتي تنبيء عن انفعالاته إزاء الحيوان الغريم.

وقد سمى هذا المؤلف كتابه « كيف نتعايش مع الحيوان »، وجدير بالذكر أن هذا المؤلف كان قد قام بتدريب الكلب البوليسي الشهير « رن تن تن » في الأفلام السينمائية وصار هذا الكلب مرموقا في الخمسينيات من هذا القرن.

ومما يؤيد هذه النظرية التي خلاصتها: أنك إذا لم تضمر للحيوان شرا فلن يؤذيك. اننا كثيرا مانسمع في قرى مصر والهند وربما في بلاد أخرى أن بعض الثعابين السامة تأوى للنوم في فراش الانسان طلبا للدفء وإذا أحس بها القروى أبعدها بيده وبسكون عن فراشه دون أن يكون في نيته ايذاؤها فلا تصيبه بسوء وتنصرف لحال سبيلها.

ولكن الأمر في الواقع يتطلب قدرا كبيرا من التماسك وضبط النفس والتحكم في الأعصاب وقد يكتسب الانسان هذا السلوك بالتعود والمران لأن الخوف غريزة طبيعية في الإنسان تستثار بمجرد رؤيته للحيوان المفترس أو السام فجأة أمامه.

وأكبر دليل على أن الحيوان الأعجم والمفترس منه بنوع خاص يتفهم بسهولة الحالة النفسية للانسان الذى أمامه ما نراه من سلوك حيوانات السيرك مع مدربيها، فالمدرب في الواقع يحب حيواناته ويعطف عليها ويطعمها ويدللها وهي تحس بكل ذلك وتطيع أوامره ولا تصيبه بسوء إلا فيما ندر، وقد يكون ذلك أيضاً بسبب سوء الفهم من أحد الطرفين.

الأعمال العجيبة

وإذا كنا نشاهداليوم في عروض التلفزيون بعض الأعمال العجيبة التي تدربت القردة على أدائها كركوب الدراجات والأكل بالشوكة والسكين والعزف على الآلات الموسيقية ومساعدة المعوقين وما إليها. فإن الملاحين القدماء منذ ألف سنة وأكثر شاهدوا من سلوك القردة أمورا عجيبة منها تدريبهم على القيام بأعمال المنزل وعلى مساعدة أرباب الصنائع وعلى أعمال الحراسة.

ويتضح ذلك من الحكايات الآتية التي وردت في عجائب الهند:

« وحدثنى من رأى قردا بقرية من قرى ... في منزل بعض التجار يخدمه ويكنس المنزل ويفتح الباب لمن دخل ويغلقه خلفه ويقدّ النار تحت القدر وينفخ فيه حتى يقدّ ويطاعمه الحطب وينش الذباب على المائدة ويروّح على مولاه بالمروحة ».

ونحن لانجد أى تهويل في مثل هذه الحكاية ولانشك في صحتها.



ليس الجمـــال وقفاً على الإنـــاث في عـــالـــم الطيـــور..
فهـــا هـــو الطـــاووس يختـــال بـــألـــوان ريشـه وجمـــال منظـــره

فريق الملاحين وفريق القرود كان متوجسا خفية من الآخر ودارت مناورات واستطلاعات قبل أن يطمئن كل واحد بأن الفريق الآخر لن يضمر له سوءا، فلما اطمأن فريق القردة لذلك وتفاهم رئيسهم معهم بلغتهم أرادوا أن يكافئوا الملاحين البؤساء بالذهب، ولم يؤذوهم بل دلوهم على طريق البحر حينما ضل البعض منهم أثناء تجوالهم في الغابة.

ويقال في علم سلوك الحيوان: إن الحيوان الأعجمي كالقرود والقروش والنمور وحتى الهوام كالثعبان والعقرب لديها أجهزة حساسة تستطيع أن تحس بها إذا ما كان غريمها الذى أمامها يضمر لها شرا من عدمه، فتستعد للهجوم والقتال إذا أحست الشر أو تمر لحالها وتدع غريمها طالما لم يكن في نيته ايذاؤها.

وهناك تفسيران لمثل هذه الحالة: الأول منهما أن الإنسان إذا صادف ثعبانا أمامه فجأة ينتابه الخوف لساعته ويفرز جسمه هورمون الادرينالين بكمية كبيرة وتنقبض الأوعية الدموية ويفرز العرق وتتصاعد منه روائح تنبئ عن هذه الحالة فتستعد الأفعى للهجوم أو الكلب الذى أمامه للقتال ومثله الحيوان المفترس في الفلاة إذا تصادف وجوده.

أما إذا لم يضمر الإنسان للحيوان شرا فلا تحدث هذه الاضطرابات الفسيولوجية في جسمه ويطمئن الحيوان، وأما الرأى الآخر ــ ويحتاج إلى مزيد من الدراسات التدعيمية في المعامل ــ فيقول بأن الموجات التي تنبعث من مخ الانسان يستقبلها الحيوان ويكيف استجابته للموقف بناء على هذه الاشارات.

ومنذ مدة طويلة قرأت كتابا طريفا لأحد طلاب

سلوك الحيوان
في قصص عجائب الهند

وفي الحكاية التالية نجد القرد يساعد الحداد على النفخ في الكور :

« وحدثت أنه كان بظفار من مدائن اليمن حداد عنده قرد ينفخ على الكور طول نهاره أقام عنده كذلك نحو خمس سنين وترددت إلى البلد سفرات فانا أبصره عنده » .

عن ذكاء القرود

أما عن ذكاء القرود وحسن تصرفها فقد قرأنا في تجارب علم النفس السلوكي كيف أن القرد المحبوس في القفص اذا ما وضعنا معه عصاتين قصيرتين يمكن أن تدخل إحداهما في الأخرى لتصير عصا واحدة طويلة ووضعنا خارج القفص بعضا من أصابع الموز على مسافة لاتستطيع عصا واحدة منهما أن تجذبه نحو القرد سنجد أن القرد بعد محاولات قليلة سيتمكن من ايلاج إحدى العصاتين في الأخرى ليجر الموز إليه .

وبالمثل لو علقنا الموز في أعلى القفص وتركنا مع القرد فيه ثلاثة صناديق من الورق المقوى بحيث لو صعد القرد على واحد منها فلا يصل إلى الموز ، فسوف نجد بعد بعض المحاولات أن القرد سيضع الصناديق بعضها فوق بعض ثم يمتطيها ليتمكن من الاسماك بالموز المعلق في أعلى القفص .

وتسمى مثل هذه التجارب بالتعلم بالمحاولة والخطأ ويستطيع الانسان تدريب حتى الحيوانات الدنيا على التعلم بها . وقد أجريت بعض هذه التجارب على الأسماك في أحواض مستطيلة تنتهي بنفقين متماثلين ، يوضع على أحدهما من الخارج ضوء أحمر وعلى الثاني ضوء أخضر .

فلو دخلت السمكة النفق الأول المعلم بالضوء الأحمر أصابتها صدمة كهربائية خفيفة واذا دخلت النفق الأخضر لاتصدم ووجدت طعاما تأكله وبتكرار التجربة تعرفت الأسماك على النفق الآمن وتجنبت النفق الخطر .

وتجارب تعليم الحيوانات عن طريق التجربة والخطأ أو بالاستعانة بقانون الفعل المنعكس الشرطي الذي يرتبط فيه السلوك بمؤثر معين هي تجارب شيقة أستعين بها على تعليم الحيوانات وتدريبها على القيام بحركات معقدة ، فنرى في إحدى هذه التجارب أن الديك إذا نقر الجرس بمنقاره وسمع صوته يسقط له في إناء حبا يأكله ، والماعز إذا نطحت طلمبة الماءبقرنها وانساب الماء انفتحت لها طاقة وجدت فيها عشبا شهيا تطعمه وهكذا .

وفي هذه التجارب ارتبط السلوك بالحصول على الطعام .

وتنم الحكاية الآتية التي وردت في عجائب الهند عن ذكاء القردة وحسن تصرفها .

« ذلك أن رجلا من أهل اليمن اشترى لحما وجاء به إلى منزله وأومأ إلى القرد الذي يربيه أن يحافظ عليه فتغافل القرد عن الحراسة فجاءت حدأة وخطفت اللحم فبقي القرد متحيرا . وكان في الدار شجرة فصعد إلى رأسها ورفع مؤخرته نحو السماء وطوى يديه على جانبيها وضع الاستعداد وأدلى رأسه إلى أسفل فحسبته الحدأة بقية من اللحم وانقضت عليه فقبض عليها القرد بيديه ووضعها تحت جفنة (حلة الطعام) وغطاها بشيء ثقيل . وحين جاء صاحبه ولم يجد اللحم قام إلى القرد ليضربه فأسرع الأخير إلى الجفنة واستخرج الحدأة من تحتها ففطن صاحب الدار لحيلة القرد وكافأه وعاقب الحدأة .

الفيلة تتدرب على البيع

ومن غريب ما ورد في عجائب الهند عن الفيلة أن أربابها يدربونها على قضاء حوائجهم من الأسواق كما يتضح من الحكاية الآتية :

« وأخبرني بعضهم أنه شاهد ببعض بلدان الهند فيلة تتصرف في حوائج أربابها وأن الفيل يدفع إليه الوعاء الذي تشترى فيه الحوائج وفيه الودع وهو نقد القوم ، وأنموذج الحاجة كائنا ما كانت ، فيكون معه في الوعاء شيء من ذلك الجنس والنقد (أي لو أراد شراء خبز مثلا وضع كسرة من الخبز مع مقدار مناسب من الودع) ويمضي إلى البقال ، فإذا رآه البقال نزل من جميع شغله ولو كان على رأسه من يشترى منه كائنا من كان وأخذ الوعاء من الفيل وعد الودع الذي فيه ونظر ما يريد بأنموذج متاعه ودفع إليه أجود ماعنده من ذلك النوع بأرخص سعر ، ويستزيده (الفيل) فيزيده وربما عد البائع الودع فغلط فيه فيشوشه الفيل بخرطومه فيعد البقال عدة ثانية ويمضي الفيل بما اشتراه ، فربما استقله صاحبه فيضربه فيعود إلى البقال فيشوش متاعه ويخلط بعضه ببعض ، فإما أن يزيده أو يرد عليه الودع .

وأن الفيل الذي على هذه الصورة يكنس ويرش ويدق الأرز ويستقى الماء وذلك أنه يأخذ الوعاء الذي يستقى فيه الماء وفي الوعاء حبل مشدود يدخل خرطومه فيه ويحمله ، ويقضى جميع الحوائج ويركبه صاحبه في حوائجه البعيدة ويركبه الصبي ويمضي عليه إلى الصحراء فيقطع الحشيش وورق الشجر بخرطومه ويدفعه إلى الصبي فيجمعه في وعاء معه ويحمله فيكون ذلك طعامه وأنه إذا كان على هذه الصفة يبلغ مالا عظيما وقيل عشرة آلاف درهم . » .

حديث الأسماك والحيتان

الأسماك الطائرة : كان القدماء يعتقدون من كثرة ماراوا في البحر من عجائب أن كل حيوان من حيوانات البر له شبيه يعيش في البحر وفي ذلك يقول مؤلف العجائب :

« ويقال إن كل طائر في الهواء وعلى وجه الأرض في البحر من السمك مثله أوما يشبهه ولقد رأيت في جون أيلة من البلاد الشامية سمكا صغيرا لونه يشبه لون الشقراق يطير من الماء ويغوص فيه . » .

وهذه ملاحظة صحيحة للغاية فهناك أسماك طائرة في البحار تندفع بقوة هائلة بحركة عضلات ذيلها فتترك سطح الماء وتفرد زعانفها المحورة إلى ما يشبه الأجنحة وتحوم في الهواء كالطائرة الشراعية لمسافة قد تصل إلى خمسين مترا . وقد رأينا هذه الأسماك في المحيط الهندي تطير لمسافات كبيرة فإذا نفذ جهدها حطت فوق السفينة غير أن القول بأن كل حيوان على البر له شبيه في البحر غير صحيح .

ثعابين البحر وثعابين البر

وعن أنواع الحيات والثعابين يقول مؤلف العجائب :

« وفي البحر ألوان الحيات إلا أن فعلها في الماء ضعيف فأشد الحيات ماكان في الجبال والفياف والأرض المتعطشة والبعيدة عن المياه ، وفي جبال عمان حيات تقتل لوقتها ، وفيما بين صحار وهي قصبة عمان وبين جبال اليَحمَد (في اليمن) موضع لا يسلكه أحد ، فيه واد يسمى وادي الحيات قيل إن فيه حيات مقدارها شبر ودون ذلك تجمع الواحدة منها رأسها مع ذنبها وترتفع إلى الفارس فإن نهشت قتلت للوقت وإن نفخت أعمت وقتلت فإذا سلك المسافر تلك الطريق تقافزت عليه من كل جهة فلا تخطئه وذلك طول الطريق فترك سلوكها والسلام » .

وفي الحقيقة توجد في البحار الحارة أنواع من الثعابين يفوق سمها في شدته سم الكوبرا .

عن الحيتان

« وحدثني اسماعيلوية الناخذا أن هذا السمك (يقصد الحوت) كثير ببحر الزنج وبلجة سمرقند ويقال له « الوال » وهو بكسر المراكب مولع ، فإذا تعرض للمركب ضربوا الخشب بعضه ببعض وصاحوا وضربوا الطبول وانه ربما نفخ الماء فيرتفع مثل المنار ويبين من بعد مثل شرع المراكب وأنه ربما لعب بذنبه وأجنحته فيرى من بعد أيضا مثل شرع القوارب »

وهذه ملاحظات صادقة تماما أبدتها الدراسات



هـــذا الفيل الــــذي يمـــرح في الماء ، جـــاء ذكـــره في قصص عجــــائب الهـــنــــد ، حيث كـــان النـــاس يـــدربـــون الفيلة على شـــراء احتيـــاجـــاتـهـــم مـــن الأســـواق !

الحديثة ، غير أن الحوت ينفث هواء الزفير الحار فيتجمع حوله بخار الماء فى الهواء فيبدو كالنافورة ولكنه لاينفث نافورة من الماء كما يعتقد البعض .

وعن ضخامة بعض الحيتان والمعنى هنا هو الحوت المنوى ذو الرأس الضخم الذى يحوى قدرا كبيرا من الزيت يقول الراوى :

« وحدثت عن بعض العراقيين ممن يضبط أنه رأى فى اليمن عند بعض إخوانه سمكة قد ذهب لحمها وبقى عظمها (هيكلها) صحيحا ، فدخل الرجل من إحدى حدقتيها وخرج من الجانب الآخر وهو قائم من غير أن ينحنى . وكان حملَ فى سنة عشر وثلاثمائة من عمان إلى (الخليفة) المقتدر من ذلك السمك وأن فك سمكة رفع من الرَوشن ولم يدخل من الأبواب . وحدثنى أن هذه السمكة التى حمل فكها إلى بغداد نزف من عينها خمسمائة جرة أو زيادة عليها دهنا . » .

وتعليقنا على هذه الرواية أنها صحيحة أيضا .

سمكة السيف تخترق جدار المركب

وفى الرواية الآتية تنطح سمكة السيف وهى سمكة ضخمة لها قرن مدبب صلب طويل قاربا فيخترق قرنها جدار القارب ولايغرق لأن الجزء النافذ من القرن يعمل كالسدادة يمنع الماء من الاندفاع للقارب ويبقى رأس السمكة معلقا بالقارب . يقول الراوى :

« وحدثنى أبو محمد الحسن بن عمرو أنه سمع بعض البحريين يحكى أنه خرج فى مركب من عدن إلى جدة وأن سمكة نطحت (مركبه) بحذاء زيلع نطحة منكرة لم يشك أهل المركب أنها قد كسرته وانحدر الباتانية إلى الجمة فلم يجدوا الماء قد زاد على رسمه فعجبوا من ذلك إذ كانت هذه النطحة العظيمة لم تؤثر .

فلما وصلوا إلى جدة نجلوا المركب وأنزلوه وتركوه إلى البر ووجدوا رأس السمكة فى جوف المركب قد سجن وسد الموضع حتى ليس فيه خلل ، وإذا هى نطحت المركب ولم يمكنها الخلاص فانقطعت من حلقها وبقى رأسها فى موضعه » .

ملازمة دواب البحر للمراكب

من المعلوم عند ركاب البحر فى المحيطات اليوم أن بعض جحافل الأسماك والثدييات كأسماك التونة والدلافين والحيتان تتبع المراكب لمسافات طويلة أثناء سيرها فى عرض المحيطات وهى قد تفعل ذلك بقصد اللهو والتسلية أو لالتقاط ماترميه السفن من فضلات فتقتات عليها .

وقد قيل قديما إن القروش المفترسة كانت تتبع مراكب القراصنة الأوربيين التى تحمل الرقيق للتجارة بين افريقيا وأوربا حيث كان يلقى بالمرضى أو بالأموات أو بالمتمردين منهم فى البحر فتنهش القروش أجسامهم ويكونون عبرة للآخرين .

إلا أن ربابنة العرب لم يلجأوا مطلقا لهذا السلوك الوحشى . وقد شاهدوا ظاهرة ملازمة الأسماك والحيتان للمراكب وفى ذلك يقول الراوى مستفسرا من الربان عن السبب :

« فسألته عن السبب فى ملازمة دواب البحر مع المراكب ومحاذاتها فقال ذلك يختلف فمنها مايحاذى المركب ليسقط منها شىء فتلتقمه أو تكون قد وقعت قبل ذلك بمركب قد عطب فنالت منه فصارت إذا رأت مركبا حاذته طمعا أن يحدث منه ماحدث من غيره وظنا منها أن المراكب كلها تكون كما وجدت فى الأول ، فصارت كأنها ضارية على ذلك .

ومنها مايرى المركب فيتعجب من شكله ويظنه حيوانا بعضه فى الماء وبعضه فى الهواء فيمرح معه ويجاريه عشقاً له وتأنساً به مدة إلى أن يعي فيفارق .

ومنها مايجارى المركب على سبيل المغايرة والمعاندة والمقاواة ، فإذا أعيى وقصر ورأى المركب تتقدمه رجع إليه فحمل عليه حملة واحدة فإن سلم وإلا فنسأل الله العفو .

ومنها ما إذا رأى المركب فر منه وهرب وذعر خوفا على نفسه واستيحاشا منه .

وأخلاقها (يعنى دواب البحر المذكورة) تختلف باختلاف مواضعها المسلوكة المعهودة بعبور السفار والصيادين وقرب السواحل المعمورة والبحار المنقطعة المهجورة والبعد عن السواحل المعمورة وعمق البحار وعدم البر (أى البعد عنه) والجزائر والسواحل وهو عالم آخر تبارك الله أحسن الخالقين » .

وليس لنا من تعليق على هذا الكلام سوى أن كاتبه ربان خبير قوى الملاحظة .

سلوك الطيور البحرية

أتعرف أيها القارىء العزيز كيف تتغذى بعض الطيور البحرية على الحيوانات التى لها درقة سميكة تختبىء فيها أو صدفة لايمكن فتحها بسهولة ؟

إنها تلتقط مثل هذا الحيوان وتحلق به فى السماء ثم تلقى به من حالق فوق صخور الشاطىء فتتحطم الدرقة أو الصدفة ويلتهم الطير اللحم الطرى الشهى .

يقول علماء الحيوان إن مثل هذا السلوك لم يعرف إلا منذ مائة سنة أو نحو ذلك . ونحن نقول إن الملاحين العرب قد دونوا هذه الملاحظة فى قصص عجائب الهند منذ أكثر من ألف سنة تأمل الحكاية الآتية :

« وحدثنى غير واحد من الربابنة أنه سمع أن بسقالة الزنج من الطيور ماتأخذ الوحش بمنقاره او بمخاليبه وتحمله فى الهواء ثم ترمى به ليموت وينكسر ثم ينزل عليه فيأكله . وقد سمعت أن فى بلاد الزنج طائرا ينقض على السلحفاة الكبيرة فيخطفها ويرفعها إلى الجو ويرمى بها إلى الأرض على جبل أو صخرة فتنكسر فيسقط عليها ويأكلها » .

وبعد : فمثل هذه الملاحظات السابقة الذكر عن سلوك الحيوانات فى كتاب عجائب الهند الذى مضى على تدوينها ألف سنة هجرية إلى اليوم تعتبر ذات أهمية كبرى فى تاريخ العلوم وتسجل للملاحين العرب قصب السبق فى تعريفنا بها .

أنور عبد العليم

لم تعد الصحراء ذات المساحات الشاسعة والرمال الصفراء أرضاً بلا فائدة ..

لقد تحولت إلى مكان تهفو اليه النفس وتتطلع إلى الاقامة فيه بعد أن كسته الخضرة ، وأحاطت به الأزهار ..

وقد تحققت هذه « النقلة » الكبيرة في حياة الصحراء بعد توظيف كل وسائل العلم الحديثة والتكنولوجيا المتطورة ، وبفعل الارادة الصلبة التي لا تعرف اليأس ..

وهكذا تحولت مساحات واسعة من الصحراء في قطر إلى مزارع للخضراوات ، بحيث يمكن أن تساهم في تزويد السوق المحلية بما تحتاج اليه يومياً ..

تجربة علميّة جريئة في قطر

الزراعة المحميّة

لتحقيق الأمن الغذائي المنشود

أسلوب زراعي جديد تنفرد به قطر: الزراعة بالرمل في الأكياس البلاستيكية

تحقيق : السيد حجازي ● تصوير : أمين بدوى



بدأت الثمار تؤتي أكلها وتسر الناظرين

لم يكن ذلك سهلاً أو بسيطاً ، ولم يكن ليحدث بين يوم وليلة ..

فقد تطلب جهوداً مضنية وطويلة خرجت بالمشروع أخيراً إلى حيز التنفيذ ، وإلى أن تبرز نتائجه الهامة المتوقعة ..

ووصلت الجهود العلمية إلى طريقة للزراعة اسمها الزراعة المحمية .

ونجحت تجاربها نجاحاً فاق كل التصورات والتوقعات ..

ولذلك فانها تستحق أن نسجلها على الطبيعة ، وأن نرصد الجهود التي وقفت وراءها ..

وها هي نتائج الزيارة التي قمنا بها إلى أحدث مشروع في صحراء قطر ، بدأ يؤتي ثماره ، ويحقق ما كان مستحيلاً خلال مدة وجيزة هي ثلاثة شهور فقط ! ..

ولقد كانت بداية التفكير في المشروع سنوات طويلة من الدراسات والبحوث ..

وكان يقف وراء هذه الدراسات والبحوث المركز الفني للتنمية الصناعية ..

وفي البداية ظهرت معوقات وصعوبات ..

كانت هذه المعوقات والصعوبات تتمثل في ارتفاع الحرارة والرطوبة والرياح المحملة بالغبار والأتربة والآفات وعدم توفر المياه ..

وهي كلها تعيق عملية التوسع في الزراعة وتنظيم الانتاج الزراعي ..

وهكذا كان لابد من اللجوء بالتدريج إلى الزراعة في بيوت محمية ..

فعن طريقها يمكن التحكم في تنظيم عوامل البيئة ، لتكون في صالح النبات ، وحتى يستمر الانتاج بصورة مستمرة وعلى مدار السنة ..

وللعلم فان هذه الطريقة في الزراعة تمتاز عن الطرق التقليدية ..

كيف ؟

انتاج مرتفع

انها ذات معدلات انتاج مرتفعة تصل إلى أضعاف أضعاف الطرق العادية .

إن انتاج الهكتار مثلاً من ثمار الطماطم في الطرق العادية يصل إلى ثمانية عشر طناً ..

لكنه يصل في البيوت المحمية إلى حوالي مائتي طن ، فضلاً عن تحسن نوعية الثمار وجودتها ..

في الوقت نفسه فإن أسلوب الزراعة الذي يستخدم في البيوت المحمية يتمثل في الزراعة بالرمل في الأكياس البلاستيكية ..

وهذه الطريقة في الواقع تنفرد بها دولة قطر .

وقد جاءت نتيجة تجارب مكثفة قام بها المركز الفني للتنمية الصناعية خلال الأعوام السابقة ،

هذه هي أحدث طريقة لزراعة الخضروات تطبق في قطر



بعض ثمار الطماطم قبل أن تصل إلى درجة النضج الكامل

● **سنوات طويلة وشاقة من التجارب والبحوث قبل بداية التجربة العلمية الجديدة**

● **إنتاج الخضروات على مدار السنة، ومعدَّل الإنتاج يفوق بكثير معدَّل الطرق التقليدية**

وهي تعتبر من أحدث طرق الزراعة في العالم..

وأسأل المهندس محمد تيسير صوان رئيس قسم الزراعة بالمركز الفنى للتنمية الصناعية والذي وقف وراء المشروع منذ اللحظة الأولى، عن المزيد من التفصيل حول هذه الخطوة الرائدة..

ويوضح لى العديد من الحقائق العلمية والفنية..

النطاق الصحراوى

يقول المهندس تيسير إن دولة قطر من الدول الواقعة ضمن النطاق الصحراوي..

وهذا النطاق يتميز بالجو الحار معظم أيام السنة، وبارتفاع الرطوبة النسبية في الصيف، وقلة الأمطار، وبوجود الرياح الموسمية المحملة بالأتربة والغبار وندرة المياه العذبة الصالحة للزراعة، وقلة نسبة الأراضي الصالحة للزراعة..

وكل هذه العوامل مجتمعة أدت في رأيه إلى اقتصار الزراعة في الماضي على أشجار النخيل..

والسبب أنها هي فقط التي كانت تقاوم هذه الظروف المناخية الصعبة..

ولما كانت محاصيل الخضراوات من النباتات الحساسة أثناء نموها لعوامل المناخ والتربة، حيث أنها تتطلب ظروفاً مناخية وبيئية خاصة لكل نوع منها، فقد اتجه المركز الفني اتجاهاً معيناً..

أخذ يدرس أنجع الوسائل للتحكم في ضبط العوامل المناخية والبيئية المحيطة بالنبات، باستخدام الزراعة المحمية، واستخدم بدائل للتربة، كالزراعة في الرمل وهي المادة المتوفرة في البلاد ورخيصة الثمن..

وكان الهدف من ذلك هو اعداد الوسط الزراعي المناسب لكل مشاكل التربة الحالية المتميزة بالملوحة والأمراض الفطرية..

وكان الهدف أيضاً البحث عن أسلوب حديث في الزراعة لانتاج الخضراوات على مدار السنة دون التقيد بالمواسم، لتوفير هذه السلع للناس في كل وقت، وتمشياً مع سياسة الأمن الغذائي..

وفي الوقت نفسه كان العمل يدور حول ترشيد استخدام مياه الري بمقننات ثابتة، دون تبذير في هذا المورد الثمين، وزيادة الانتاج في وحدة المساحة، وانتاج الشتلات للزراعة الخارجية في الوقت الذي يصعب انتاجها في الخارج لظروف الطقس غير المناسبة..

اضافة إلى ذلك روعي التعرف على الجدوى الاقتصادية لانتاج الخضراوات بهذا الاسلوب من الزراعة، ودراسة وتطوير البيت الزراعي المناسب

تجربة علميّة جريئة في قطر

مع البيئة المحلية في دولة قطر ، بغرض استخدامه على مدار السنة ، ولانتاج الخضراوات المطلوبة للناس بدلاً من استيرادها من الخارج ..

هذه التجارب

وهكذا خرج إلى حيز الوجود ـ كما يقول المهندس تيسير صوان ـ نظام الزراعة المحمية في مزارع المركز عام ١٩٨٠ ..

في ذلك الوقت تم تركيب أربعة بيوت زراعية محمية مبردة ومغطاة بالبلاستيك في مزرعة المركز رقم ٢ ، والتي تمثل وسط البلاد ..

وفي عام ١٩٨٢ تم تركيب أربعة بيوت زراعية محمية مبردة ومغطاة بالبلاستيك بالمزرعة رقم ١ في شمال البلاد ، وهي من نفس النوع السابق ..

ولقد لوحظ أن جهاز التبريد الصحراوي المستخدم للتبريد في هذه البيوت المحمية لا يكون تبريده كافياً ، خلال أشهر الصيف ، لدرجة تضمن الانتاج الجيد ..

لهذا فان موسم الزراعة باستخدام هذه البيوت كان يبدأ في الخامس عشر من سبتمبر وينتهي في أوائل يونيه الذي يليه ، حيث أن الانتاج خلال هذه الفترة يكون غير مناسب في الكمية والنوعية ..

وفي عام ١٩٨٣ تم تركيب عشرة بيوت زراعية محمية بدون تبريد ، وتبلغ مساحة الواحد منها ٣٠٠ متر مربع ..

وكان الغرض منها زراعة محاصيل صيفية مثل الملوخية والخيار في موسم الشتاء ، حيث لا يمكن انتاج هذه المحاصيل في الخارج ..

وعلى هذا فان هذا النوع كان ولا يزال يصلح في فصل الشتاء ، ولأنواع محددة من المحاصيل ..

أمام هذه التجارب وفي مواجهة نتائجها وبعد البحوث والدراسات المتواصلة أمكن التوصل إلى الطريقة الحديثة الأخيرة ، والتي بدأ تطبيقها بالاتفاق مع إحدى الشركات الهولندية المتخصصة وهي شركة **H.B.A.**

في الشحانية

وفي داخل المشروع في قرية الشحانية ، حيث أطلق على المزرعة اسم مزرعة الشحانية نسبة إلى القرية ، نرى الخضرة تكسو الصحراء ، والانتاج المحلي من الخضراوات ينقل إلى الأسواق ..

وخلال الجولة الميدانية على الطبيعة يأتي الحديث على لسان فان اكتوفن مدير المشروع المعين من قبل الشركة ، مليئاً بالاعجاب ، والتقدير ، والزهو ..

لقد أمكن زراعة الخيار و« الكوسة » والفاصوليا والفلفل . وأمكن انتاج فراولة انتهى محصولها ، ومن الأزهار أنتج القرنفل والجلاديوس ..

وها هو الانتاج يصل الآن إلى الأسواق ، لمحاولة تغطية نسبة كبيرة من الطلبات على الخضراوات ..

ولقد بدأ المشروع فقط منذ عدة شهور ..

وكان العمر الحقيقي للتشغيل في ١٨ فبراير عام ١٩٨٥ ..

وبدأ أول انتاج في ٢٣ أبريل الماضي ..

وكان هذا الانتاج قليلاً إلى حد ما ..

لكن دائما ـ هكذا يضيف .فان أكتوفن ـ فان البداية صعبة ..

ثم أخذ الانتاج في الزيادة التدريجية ..

انتاج يوم واحد

لقد بلغ مثلاً (أمس) قبل زيارتنا للمزرعة بيوم :

٨٠٠ كيلو جرام من الخيار و« الكوسة » والفاصوليا ، من وحدتين ونصف وحدة فقط ..

ويزداد الانتاج مع تقدم المشروع ..

ويأتي المحصول الحالي المزروع من وحدتين ونصف وحدة مزروعة بالطماطم من الأصناف غير المحدودة النمو ..

كما يأتي من نصف وحدة مزروعة بالفاصوليا ..

وتبلغ الوحدة مساحة ١٢١ متراً في ٢١ متراً أي ما يساوي ٢٥٠٠ متر مربع ..

وبها ستة آلاف ومائة نبتة تقريباً ..

وتوضع كل نبتة في كيس من البلاستيك سعته ١٠ لترات ، ومملوء بالرمل ..

ويتم الري ، كما رأينا ـ بطريقة التنقيط ..

أما طريقة الزراعة بصفة عامة فهي الزراعة بالمحاليل المائية المغذية أي الاسمدة ..

ويتكون البيت الواحد من بيوت الزراعة المحمية كما يقول مدير المشروع من غطاء من الفيبرجلاس المنفذ لأشعة الشمس ..

تبريد صحراوي

أما التبريد فيتم بواسطة التبريد الصحراوي خلال ساعات النهار ..

وأسأل عن تفسير التبريد الصحراوي ، وتجيئني الاجابة العلمية المحددة ..

إن التبريد الصحراوي عبارة عن جدار مرطب ، حيث يتكون من مواد سيلوزية ويرش عليها الماء ..

وبالجهة المقابلة من الجدار توجد مراوح تعمل على سحب الهواء من داخل البيت الزراعي المحمي ، ليدخل هواء بارد بواسطة مروره بهذا الجدار الرطب ..

وبذلك تنخفض درجة الحرارة داخل البيت الزراعي المحمي ..

وتتم عملية التبريد الصحراوي خلال النهار عندما تكون الرطوبة النسبية في الجو أقل من خمسين في المائة ..

ويستخدم التبريد بالماكينات أثناء الليل خصوصاً في ليالي الصيف الحارة الرطبة .. اذ تعمل أجهزة التكييف على تكثيف الرطوبة الجوية وتبريد الهواء أيضاً ..

وفي ليالي الشتاء الباردة توجد أجهزة تدفئة خاصة لبعض النباتات التي لا تتحمل البرودة مثل الخيار ..

وتوجد ستارة للتظليل أثناء ارتفاع شدة الحرارة أو الاضاءة في النهار ، وتقلل حجم الهواء اللازم للتبريد عند تشغيل المكينات ..

وتعمل هذه الستارة أوتوماتيكياً بواسطة أجهزة التوقيت ..

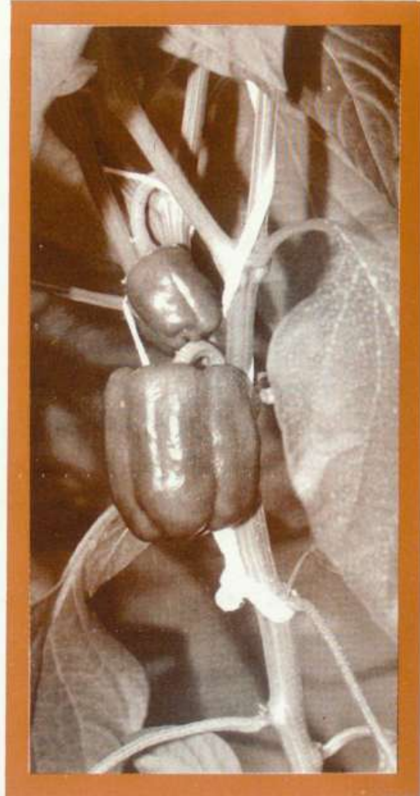
١٢ بيتاً

وبصفة عامة ـ والحديث مازال يأتي على لسان فان أكتوفن ـ فان المشروع يتكون من ٢١ بيتاً ، تبلغ مساحتها الاجمالية ٣٢ ألف متر مربع ..

ومن مزايا هذه البيوت التي يضمها المشروع العمل على انتاج الخضراوات على مدار السنة صيفاً وشتاء ، وفق برنامج معد لذلك ، بحيث لا يكون



وفرت الزراعة المحمية كثيراً من احتياجات السوق المحلية



سوف يحقق المشروع مستقبلاً أكبر معدلات في الانتاج المميز

هناك تعارض في انتاج المشروع مع انتاج المزارع الأخرى الخاصة ..

ويشمل المشروع أيضاً وحدة تحلية المياه بواسطة الضغط الاسموزي العكسي ، نظراً لأن المياه الجوفية بالمزرعة عالية الملوحة ، ولا تناسب نظام خلط الاسمدة بها ، لأنها ترفع من ملوحتها ، وبالتالي فانه يجب اجراء عملية التحلية لهذه المياه ، لتصل إلى ملوحة معقولة . بعدها يمكن خلط الاسمدة بها ..

والهدف من ذلك محدد : أن يعطي النبات أقصى معدلات الانتاج ، وفي الوقت نفسه يحافظ على جدار التبريد الذي يتأثر بتراكم الأملاح ..

وللعلم فان طاقة الوحدة تصل إلى انتاج ما قدره ٦٠٠ متر مكعب يومياً ..وهي كمية تكفي حاجة المشروع من تبريد دوري

وتخزن هذه المياه في خزانات خاصة ، لامداد المشروع بالمياه لمدة أربعة أيام دون توقف .. وتمضي جولتنا داخل المزرعة لنشاهد جانباً آخر من الاستعدادات ..

في مبنى الادارة والخدمات توجد مكاتب الادارة والمختبر والمخازن ومحطة ضخ المياه ومحطة تحلية المياه ، ومحطة توصيل ومراقبة التيار الكهربائي ، وكذلك المخازن المبردة لحفظ المنتجات لحين تسويقها ، ومخازن البذور والكيماويات وقطع الغيار وغيرها ..

وهناك أيضاً المعدات والآليات ..

وهي تشمل وسائل نقل المنتجات من البيوت الزراعية المحمية إلى مجمع التعبئة في مبنى الادارة والخدمات ، وهنا يلاحظ وجود آلة خاصة لتعبئة الأكياس البلاستيكية بالرمل ، وكذلك آلة خاصة لتدريج ثمار الطماطم وتعبئتها حسب أحجامها ، بالاضافة إلى لوازم الزراعة ..

في نفس الموقع

كما تفقدنا مساكن الموظفين والعمال ، وهي في نفس الموقع ..

فنظراً لاستمرار العمل في مثل هذه المشاريع ، فان اقامة العاملين على ادارة وتشغيل المشروع لابد أن تكون في الموقع نفسه ..

ومن هنا فانه يوجد سكن لموظفي الادارة وعائلاتهم . كما يوجد سكن للعمال بحيث يسهل استدعاؤهم في أي لحظة يحتاج فيها اليهم خارج ساعات الدوام ..

وسوف يقوم فنيون من الشركة المنفذة للمشروع ـ كما عرفت ـ بادارة العمل لمدة سنتين ، حيث يتم خلالها تدريب الكوادر المحلية على استلام المشروع وتشغيله ..

وفي تقدير المهندس محمد تيسير صوان رئيس قسم الزراعة بالمركز الفني للتنمية الصناعية أن هذه الكوادر قادرة خلال هذه المدة على استيعاب كل العمليات الفنية ، ومباشرة دورها بكل كفاءة واقتدار ..

وقد بدأت العمل فعلاً وهي ماضية على أحسن وجه ..

وأسأله عن التكاليف التي تكلفها المشروع وهل هي ستغطي من خلال الانتاج ولو على سنوات طويلة ..

تكاليف المشروع

وتجيئني الاجابة التي تضع النقاط على الحروف ..

إن المشروع تكلف حوالي ٢٨ مليون ريال قطري شملت كل التجهيزات والمعدات والآلات ، وغيرها ، وهي تكلفة أساسية ضرورية في البداية ..

بعدها وقف المشروع ثابتاً ، وبدأ الانتاج في مدة وجيزة كما ترى ..

وليس الهدف من هذا المشروع الزراعي الكبير ـ هكذا يضيف المهندس تيسير ـ هو العائد الاقتصادي ..

إن الهدف بالدرجة الأولى هو نجاح التجربة وتطويع الظروف المناخية والبيئية لعملية الزراعة والاعتماد على الانتاج المحلي شيئاً فشيئاً ..

وهي عملية ذات عائد كبير على المدى الطويل ..

فالمهم هو تغيير الفهم والنظرة ، والعمل على تثبيت أسلوب زراعي متطور وتعميمه بالتدريج ، والاستفادة من كل نتائجه ، والتوسع فيه ، حتى تصل فوائده إلى كل الناس ، ويصبح الانتاج المحلي هو السائد ، والذي يحقق مانتشده من سياسة الأمن الغذائي ..

وهذه هي الفائدة الحقيقية ..

إن المشروع يمثل في الحقيقة قمة ما توصلت إليه التكنولوجيا الزراعية الحديثة في المناطق ذات الأجواء الصحراوية القاحلة ..

وسوف يحقق انتاجاً عالياً من مساحة الهكتار الواحد على أرض غير زراعية ، وسوف يتم انتاج الخضراوات على مدار السنة بغض النظر عن العوامل الجوية ، وسوف ترتفع جودة ونوعية الثمار ، وتسد ثغرات موجودة في الانتاج المحلي ، وسوف يكون المشروع قاعدة أساسية للتوسع المستقبلي واكتساب الخبرات ..

المكاسب الحقيقية

ومن هنا فان المكاسب التي يمكن الحصول عليها من هذا المشروع الجديد هي مكاسب لا حصر لها ، وهي تستحق أن تكون في المقياس الموضوعي الحقيقي هي العائد الشامل من المشروع ..

والحقيقة أن ما قاله المهندس تيسير بحماس غير عادي ، هو ما يمكن فعلا أن يعطي للمشروع القيمة الحقيقية

وهي قيمة كبيرة وعميقة وثرية على المدى الطويل ..

لقد عرفت مثلاً أن العائدات من المشروع في السنة الثانية من التشغيل سوف تغطي وتزيد عن نفقات التشغيل السنوية المقدرة ..

كما عرفت أيضاً أنه يمكن التوسع مستقبلاً بالمشروع على مساحة أكبر وبنفس الامكانيات الحالية بأقل قدر من التكاليف الاضافية ..

وكانت الزيارة إلى هذا المشروع المستقبلي قبل افتتاحه رسمياً ، تعطي الانطباع الحقيقي بأنه لا مستحيل في مواجهة أية معوقات وصعوبات مناخية وبيئية وأن الممكنات كثيرة بالعلم والاصرار والايمان بالهدف ..

وهذا المشروع هو محصلة لكل ذلك وأكثر منه ..

وسوف ينظر إليه بعد سنوات طويلة على أنه كان بداية للمرحلة الخضراء في صحراء قطر ، لتنتج لأبنائها ولكل من على أرضها الخير .. كل الخير ..

السيد حجازي

يكتبها: محمد سعيد

زيارة لبيت فيكتور هوجو في باريس

● عاشق باريس ورحلة حياته داخل ١٨ بيتاً في مدينة الفن والثقافة

● كيف ينظر - اليوم - الضمير الفرنسي والعقل الأوربي إلى اسم "هوجو"؟


زوجة فيكتور هوجو في لوحة ضمن مقتنيات بيت هوجو


قاعة الطعام وبها بعض الأواني الصينية التي تفوق هوجو في صناعتها، وحرص على اقتناء النادر منها

لا تزال مكانة فيكتور هوجو وشهرته كما هي برغم مرور قرن على وفاته .. ندرك هذه الحقيقة — ولا نغالي — عندما نرى مدى التعلق بكتاباته بعد مائة عام على وفاته .. وخاصة من خلال هذه الاحتفالات الكبيرة التي تصاحب الذكرى المئوية لرحيله عن الحياة، ومن متابعة بيانات المكتبة الوطنية الفرنسية التي توضح أن حركة الاقبال على اقتناء مؤلفاته باللغة الفرنسية، وأن ترجمة كتبه إلى معظم اللغات في العالم تزداد من عام إلى آخر وتحقق في العام الحالي أعلى مستوى في منحنى الارتفاع والصعود في حركة الترجمة وفي حركة التوزيع.

وفي أثناء رحلتي إلى العاصمة الفرنسية مؤخراً، لاحظت مدى حجم الوفاء الذي تكنه باريس لعاشقها، ففي أكثر من مكان وجدت الملصقات التي تحمل بعضاً من عباراته وهي مدونة على لوحات أبدعها الفنان التشكيلي المعاصر، وتحمل توقيع هوجو على بعض من أقواله:

— أهدي ٥٠ ألف فرنك للفقراء.

— أريد أن أدفن في مقابر العامة والبسطاء.

— أرفض زيف الوداع الأخير.

— أنا مؤمن بالله.

إن مأثورات فيكتور هوجو ترسم ملامح شخصيته، التي يصفها السياسي الفرنسي «جاك شيراك» عمدة مدينة باريس بأنها مثل الفنار، فهذا العملاق صاحب الشخصية المؤثرة في الفكر الانساني، الرائدة في الأدب الفرنسي له ما للفنان من ضياء الإبداع ودليل السلامة، ومن هذا الفهم فإن كل من لقيتهم من نماذج بشرية في باريس، حرصوا على التأكيد بأن حفاوة الاحتفال بالذكرى المئوية لفيكتور هوجو أمر طبيعي يتناسب مع الحظوة التي حققها بجهده وابداعه الذي أوصله إلى تبوأ المكانة الأولى بين الشعراء والروائيين والمسرحيين والنقاد ممن تركوا بصماتهم على الثقافة والتراث في القرون الأخيرة..

ورغم هذا فإن فيكتور هوجو وكما يقول عمدة باريس «جاك شيراك» هو الوحيد الذي يجمع بين عبقرية الشعر والرواية والدراسة (التأليف) لأن شاعر «الأصوات الداخلية» وناقد «العقوبة» وصاحب الرؤية في «التأملات» هو المؤلف الثوري في مسرحية «أرنيني»، وهو عميق المعرفة بالسلوك البشري في «البؤساء»، وهو القريب من فهم نقاط الضعف الانساني في «أحدب نوتردام»، في كل هذه الأشكال الأدبية كان هوجو صاحب بصمات عبقرية.

إن فيكتور هوجو الانسان يعد عملاقاً مثل أدبه، وكما يردد نقاد عصره كان هوجو مخلصاً لأصدقائه وفياً لعقائده.. يعشق الحرية.. عميق الصلة بالناس، وهو على حد وصف عمدة المدينة التي عشقها هوجو «لم يصبر على هجرها»، وهذا يؤكد شخصيته الفرنسية، ومن هنا فإن عام ١٩٨٥ الذي يمثل العام المئوي لوفاته يأتي مع كل هذه الاحتفالات التي تكرم هذا المفكر متعدد المواهب، غزير الخصال».

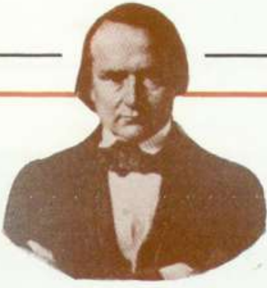
فيكتور هوجو وكثرة التنقل

لقد كانت ظروف اقامتي في باريس تسمح لي بمتابعة مظاهر تكريم أديبها الكبير فيكتور هوجو عبر عشرات المعارض والندوات والأمسيات والاحتفالات التي بدأت مع مايو ١٩٨٥ لتنتهي في مايو ١٩٨٦، وكان البحث عن مكان البداية يمثل

زيارة لبيت فيكتور هوجو في باريس



هوجو في شبابه (١٨٢٧)



في سنوات النضج (١٨٤٨)

صعوبة في ظل هذا التنوع والاحتفاء في التكريم والتقدير.

وفي المكتبة القومية في باريس بحثت عن بيت فيكتور هوجو في خريطة تجيب على السؤال عن مكان اقامة فيكتور هوجو في باريس عبر رصد الأماكن التي استقر فيها في العاصمة التي لم يبرحها منذ مولده وحتى وفاته سوى لرحلات قصيرة أو عندما قرر الامبراطور نابليون الثالث نفيه إلى جزيرة «جرينزيه»..

إن متابعة الأماكن التي استقر فيها فيكتور هوجو في باريس تبرهن على أنه كان كثير التنقل من مكان إلى آخر، فلم يكن يطيل الاستقرار في مكان منها، وكانت أطول فترة أمضاها في مكان هي الفترة التي قضاها في الموقع الذي أختير ليكون متحفه، وهو بيت فيكتور هوجو الواقع فيما يسمى بالميدان الملكي (ميدان رويال) أو ميدان «فوسيجا» حسب تسمية هذه الأيام، وقد عاش فيه فيكتور هوجو مدة ١٦ عاماً من عام ١٨٣٢ وحتى عام ١٨٤٨

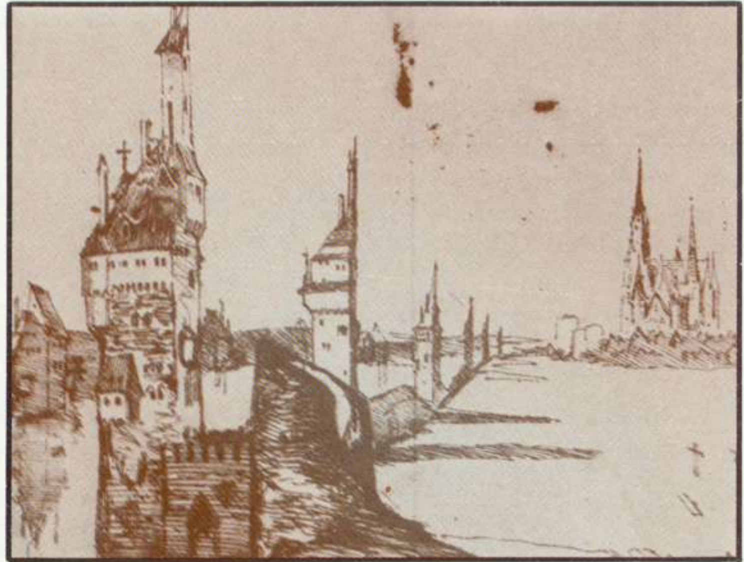
أما خريطة اقامة فيكتور هوجو في باريس فتضم عنوان (١ شارع الطريق الجديد في عام ١٨٠٤) و (٢٤ شارع شليش من عام ١٨٠٤ وحتى ١٨٠٩) ثم (شارع سان جاك رقم ٢٥٠ في عام ١٨٠٩) حيث أقام أيضاً في (١٢ شارع فولانتين) وفي عام ١٨١٣ أقام في (٢ شارع فيل) وفي عام ١٨١٥ في (٤١ شارع سانت مرجريت) وفي عام ١٨١٨ في (١٨ شارع أوجستين) وفي عام ١٨٢٠ في (١٠ شارع فريير) وفي عام ١٨٢٢ في (٣٠ شارع دراجون) وفي عام ١٨٢٣ في (شارع ميدي) وفي عام ١٨٢٧ في (١١ شارع نوتردام) وفي عام ١٨٣٠ في (١٣ شارع جان جويجون) وفي الفترة من عام ١٨٣٢ وحتى عام ١٨٤٨ في (المنزل الكائن بالميدان الملكي (سابقا) أو ميدان فوسيجا (حاليا) وفي عام ١٩٤٨ في (٣٧ شارع افريجين) وفي الفترة من عام ١٨٥٦ وحتى ١٨٧٠ في (جزيرة «جرينزيه») وفي عام ١٨٧١ في (١٦ شارع روشنوكيلد) وفي عام ١٨٧٤ في ٢١ شارع شليش وحيث سبق له الاقامة بجوار هذا المنزل قبل ٦٥ سنة ثم في عام ١٨٧٨ في (٣٠ شارع إيلو بجوار ميدان فيكتور هوجو «الآن»).

وعندما ذهبت إلى بيت فيكتور هوجو أو أحد أهم البيوت التي عاش فيها الأديب الكبير، وجدت أنه أصبح اليوم مزاراً يحمل اسم متحف فيكتور هوجو على اعتبار أنه المكان الذي قضى فيه هوجو أطول سنوات اقامته في باريس، فقدعاش فيكتور هوجو ١٦ عاماً في هذا المكان الواقع في ساحة «فوج» أكبر فترة اقامة في مكان ما خلال حياته، بينما كانت أطول فترة اقامة في مكان آخر في جزيرة «جرينزيه» التي عاش فيها حوالي ١٥ عاماً!

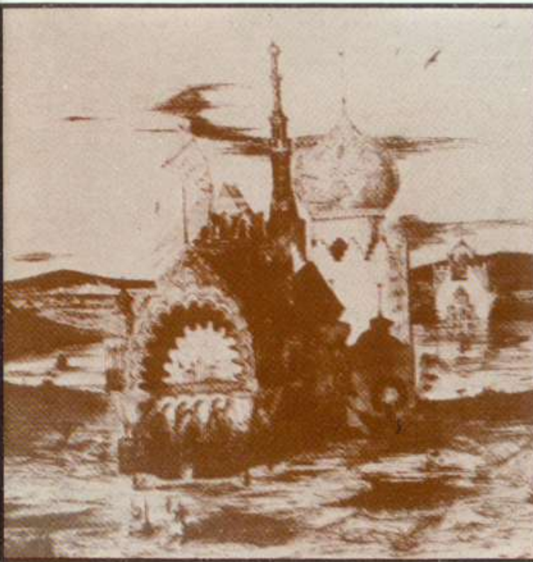
وبيت فيكتور هوجو الذي زرته أقيم في القرن السابع عشر، في الساحة الملكية (ميدان رويال) والتي تسمى الآن ميدان فوج، وقد عاش في هذا المكان في الفترة من عام ١٨٣٢ وحتى عام ١٨٤٨، وشاركه الاقامة فيه زوجته وأبناؤه الأربعة، وكان المسكن في الطابق الثاني من هذا العقار الذي شهد أخصب سنوات الأديب الشهير وأعوام معاناته الاجتماعية والسياسية والثقافية وأيام تألقه وابداعه وظهور انتاجه الخصب الغزير.

والشقة التي عاش فيها فيكتور هوجو مع أسرته كانت تطل على اتجاهين .. غرف المعيشة كانت تطل على الممر الخلفي ومن بينها غرفة نومه، بينما القاعة (صالون الاستقبال) كانت تطل على الساحة الملكية (رويال بالاس).

وفي هذا البيت كتب فيكتور هوجو مسرحياته الكبيرة (ماري تيودور) أو «الملكة» — (روي بالا) — (كريس برجوا) وهي تسميات لشخصيات شهيرة، وكتب أيضاً دواوينه الشعرية مثل (أناشيد الغروب)، (أصوات داخلية)،



من رسومات «هوجو» في متحف بيته بباريس، حيث تحولت القاعة الكبرى إلى متحف يضم أهم لوحاته



الشرق في خيال هوجو: من وحي زيارة الأديب الكبير إلى مدينة الاسكندرية وإلى فلسطين وسورية في سبعينيات القرن الماضي


في شيخوخته (١٨٨٤)

- مــــازال المكـــان يحتــــفظ ببــعض أوراق الأديـب ومخطوطاتـــه وذكريات أيـــام زمـــان!
- هنا كتب الروائي الكبير "أغنيات الشوارع والغابات" وأعماله المسرحية الكبيرة
- باريــس عنــد "هوجــو" هي الشمس التي تشرق على نهــر الســين!

(أشعة وظلال) .. كما كتب كذلك أغلبية صفحات روايته الشهيرة (البؤساء) ، وبدأ كتابة (أسطورة القرون) ، و (التأملات) !

ولا يزال المكان يحتفظ في لوحات زجاجية ببعض أوراق الأديب الكبير ومخطوطاته التي توضح خطه اليدوي وطريقة تدوينه لكتاباته والهوامش التي كان يغرم بتوضيحها مع كل مضمون يتناوله بالتسجيل على الورق .

وفي القاعة الكبرى من الشقة التي أقام فيها فيكتور هوجو في البيت الذي تحول إلى متحف ومزار ، نعرف من بيانات الجدران ومن معلومات الدليل المقيم في المكان أن الأديب الفرنسي الكبير استقبل في هذه القاعة أبرز عمالقة عصره من المفكرين والأدباء والعلماء والباحثين أمثال بلزاك وتيوفييل جويتيه وأندريه دي مان والدوق دي رليان والفنان التشكيلي بول موريس الذي برع في تصوير البورتريه ورسم أحد أهم صور فيكتور هوجو !

وفي بيت هوجو المطل على الميدان الملكي ، عرف هذا المكان وقائع تركت بصمات عديدة على حياة فيكتور هوجو مثل زواج ابنته « ليوبولدين » على « شارل فيكوريه » ثم تعرف فيكتور هوجو على ملهمته جولييت ، ووقعت حادثة غرق ابنته وزوجها بعد عدة شهور من زواجهما ..

شهد بيت هوجو الذي تحول إلى متحف ومزار انتخابه للمرة الأولى عام ١٨٤١ في الأكاديمية الفرنسية ، وبعد فشل ٤ مرات في انتخابات سابقة ، ثم وصوله إلى الانتخابات الجمهورية ليصبح عضواً في الجمعية الوطنية في يونية ١٨٤٨ ، وفي هذا البيت ــ أيضاً ــ اقتحم الثوار مسكنه واضطرت عائلته إلى الفرار والرحيل !

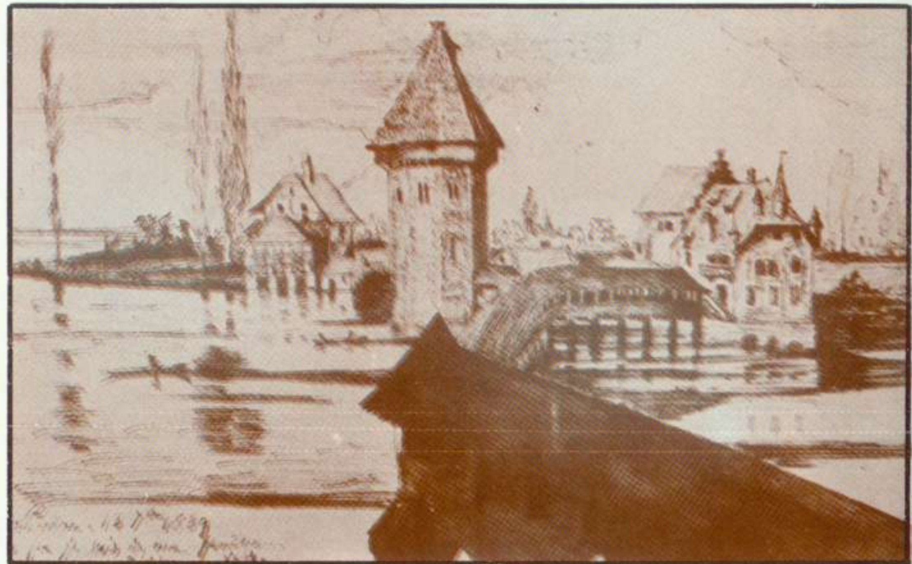
وبالسؤال عن تاريخ تحويل البيت الذي عاش فيه فيكتور هوجو إلى متحف يحمل اسمه ، عرفت من مدير البيت أن عمر هذا المتحف يعود إلى ٨٣ عاماً مضت ، أما عمر العقار فيقترب من القرون الثلاثة ، وقد أقيم هذا المتحف في مناسبة مرور مائة عام على مولد فيكتور هوجو ، وكان ذلك في عام ١٩٠٢ عندما احتفلت بلدية باريس صاحبة العقار بمناسبة تخصيص البيت ليكون متحفاً لحياة وأعمال فيكتور هوجو ، وقد أفتتح المتحف في عام ١٩٠٣ ويضم المتحف بجانب متعلقات فيكتور هوجو كل مقتنيات صديقه الفنان الكبير « بول موريس » الذي ترك له مقتنياته في وصية خاصة ، ومقتنيات بول موريس تضم مجموعة كبيرة من التحف والقطع النادرة ، وهناك عدد آخر من المقتنيات تركها آخرون وأوصوا بها لبيت فيكتور هوجو أسوة بالفنان بول موريس على أن يتم ذلك بعد وفاتهم !

وإذا كان الطابق الأول المخصص للمقتنيات لم يصبه أي تغيير يذكر ، فإن الطابق الثاني قد خضع لبعض التغيير ، ولم يعد أحد يتخيل كيف كان شكل شقة الدور الثاني على أيام هوجو ، فالمعروف أن معظم أثاث المسكن كانت قد باعته زوجة هوجو في عام ١٨٥٣

ويضم الطابق الثاني من البيت معظم ذكريات آل هوجو: بورتريهات العائلة .. التماثيل النصفية .. الهدايا التذكارية .. الرسومات التي رسمها هوجو ووقع عليها .. متعلقاته الخاصة .

ومن أبرز مكونات الطابق الثاني في بيت هوجو القاعة الصينية التي صنع فيكتور هوجو بنفسه كل مكوناتها وزخارفها وأركانها وديكوراتها ومفروشاتها .. وعلى مقربة من القاعة الصينية وبعد عبور ممر صغير (كوريدور) نجد غرفة النوم التي أمضى فيها فيكتور هوجو بداية سنوات العمر الأخيرة ، وأبرز ما في هذه الغرفة ــ غير السرير ــ منضدة عالية تؤكد ما ذهب الرواة إلى سرده من أن فيكتور هوجو كان يميل إلى الكتابة وهو واقف ، فلم يكن يحب الكتابة جالساً !

وإذا تفقدنا مقتنيات الطابق الأول من متحف


الحيــاة على النهــر : إحــدى لــوحاتــه الجميلة التــى استــوحــى فكــرتهــا مـــن الحيـــاة على نهـــر الســين فى بـــاريس


الحصان : إحـدى لـوحـات الأديـب الكــبيــر

زيارة لبيت فيكتور هوجو في باريس

فيكتور هوجو فسوف نعرف أنه يضم ٤٠٠ قطعة من الرسوم ، من بينها ٣٠٠ قطعة رسمها فيكتور هوجو بنفسه ، وهذا اضافة إلى مكتبة مفتوحة للباحثين بها مخطوطات عديدة بخط يده ، وبها أيضاً مراسلاته إلى أصدقائه وأقاربه ومعارفه في جميع أنحاء العالم .

ويضم متحف فيكتور هوجو في باريس بعض متعلقات هوجو في بيته الذي نفي إليه في جزيرة « جرينزيه » ، وقد أهديت مقتنيات هذا البيت إلى بلدية باريس ، ويوضح ما تركه هوجو في هذا البيت قيمة مواهب فنان متعدد المواهب ، فهو شاعر في تعامله مع الأخشاب عندما يصمم الأشكال ويصنع ما بداخلها من بلاط وجدران وكذلك الأثاث وقطع النحت والحفر على الخشب والنقش على الجدران ، وكان يتفوق في أغلب المهارات الفنية باحساس الشاعر الموهوب وتذوق ومهارة الصانع المبتكر ، وقد تفوق في هذه المهارات اليدوية بداية من صناعات الأخشاب ونهاية بصناعات القيشاني الملون وحتى التطريز بالفصوص وصياغة الأعمدة المزخرفة وصنع التماثيل وقطع النحت وما إلى ذلك من مظاهر الزخرفة المختلفة .

ويضم بيت هوجو في باريس بعض المعلومات عن اقامته في بيت المنفى في جزيرة « جرينزيه » وفيه كان يميل إلى الكتابة من خلال تأمل البحر في غرفة مطلة على المحيط كتب فيها « أسطورة القرون » — وأنهى : « البؤساء » — « وليم شكسبير » — « أغنيات الشوارع والغابات » — « عمال البحار » وغيرها التى نشرت أيضاً بعد وفاته .

العشق يبدأ من هنا

كان فيكتور هوجو من اكثر عشاق مدينة باريس ، فقد كانت بالنسبة له أسطورة وليست مجرد مكان يتعلق به ، ولهذا فهي تكرمه كما لم تكرم أحداً غيره — على حد تعبير السيدة « فرانسواز دي نيفييوه » مسئولة الثقافة في بلدية باريس ، فقد كانت باريس تسيطر على خاطر فيكتور هوجو ، وكثيراً ما دون عنها الخواطر في مخطوطاته الباقية في بيته الذي يبرهن على أن علاقته بباريس كانت علاقة عضوية من خلال شعوره بالانتماء إليها وفي شعوره بأنه جزء منها ، كان يتأمل المدينة ويدون الملاحظات عنها ، ومن هنا كان عشقه لباريس موضوع كتاب ضخم له يحمل اسم (باريس : أشياء رأيتها) .

ومن كلماته المأثورة عن باريس ما يقوله في هذا الكتاب :

ادخلي في عينيه
حتى أتذكرك

وباريس عند هوجو هي جماهير كل مكان ، وهي الشمس التي تشرق على نهر السين ، وهي متاحف الفن ، وهي المكتبات ، وهي التي جعلت عاشقها فيكتور هوجو هذا المفكر الهادىء في ثورة والصاخب في نظام وترتيب .

وحتى عندما ترك هوجو باريس في سنوات المنفى ظلت باريس في ذاكرته ، لم يهجرها فكره ، ولهذا كتب عن تلك الفترة كتابه (دليل باريس) الذي صدر في عام ١٨٦٧ .

وغير هذه الكتب الصريحة « دليل باريس » .. « أشياء رأيتها » جعل فيكتور هوجو باريس تعيش في « البؤساء » حتى لقد قال عنها :

« ليس من الضروري أن أقول إنني أحبها فهي مدينة المولد وهي مدينة الذهن والذاكرة .. الأماكن التي عشت فيها والأخرى التي لم أشاهدها والتي قد لا أراها مرة أخرى ، بقيت في الذهن وتعود إلى الذاكرة والذكريات وتأتي في الأحلام لتجعل للمكان قدسيته .. إن باريس هي الجزء الذي يبقى في الذكريات » .

هوجو ومعنى التكريم

بدأ عام تكريم هوجو في شهر مايو ١٩٨٥ بافتتاح معرض أفيشات هوجو ، ثم ليالي مسرحيات هوجو ، بعدها أمسيات أشعار هوجو التي انتقلت من باريس إلى المدن الفرنسية والعواصم الأوربية وكبرى المدن العالمية

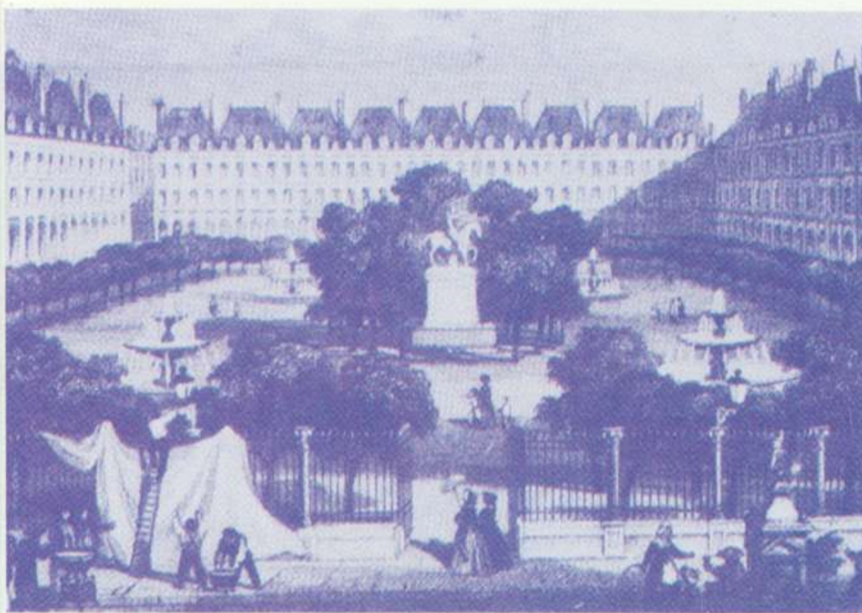
ويشمل عام التكريم — أيضاً — افتتاح معرض رسومات هوجو في الخامس من أكتوبر ١٩٨٥ ، وسوف ينتهي في ٣١ ديسمبر ١٩٨٥ ، ويقام في بيت فيكتور هوجو في فندق المدينة .

وقد أقيم معرض حول فيكتور هوجو ومدينة باريس بدأ في ٢٨ يوليو ١٩٨٥ ، وانتهي في ١٥ أكتوبر من نفس العام ، وهو غير معرض رسوم ومخطوطات فيكتور هوجو الذي بدأ في ٤ أكتوبر ١٩٨٥ وينتهي في ٥ يناير ١٩٨٦ ويقام في متحف القصر الصغير .

إن اقبال سكان باريس والشعب الفرنسي وزوار باريس من الأجانب على متابعة مظاهر تكريم فيكتور هوجو بعد قرن من رحيله عن الحياة له أكثر من معنى فهذا الاقبال يبرهن على أن شعبية فيكتور هوجو ما زالت قوية من بعد قرن من الزمان ، وهي تعبر عن شئ غامض يستعصي على التفسير على حد اجماع نقاد فرنسا من معاصري هوجو ممن تناولوا أعماله وكتبوا عن شخصيته ووصفوا ابداعاته تحت مجهر التحليل فقالوا إن هوجو شاعر كبير الحجم .. كثيف العطاء .. تنطلق الأحاسيس من كتاباته .. المثقف ينطلق بها إلى آفاق رحبة ، وبسيط الثقافة ينفعل بها فتدفعه إلى الأفضل .

اعترف فاليري وبول كلوديل وهما من نقاد وشعراء عصره أن تكريمه هو في الاعتراف بأنه أحلى من عبر بشعره عن اللغة الفرنسية ، وللحلاوة هنا مرادف آخر يلتصق بالأحاسيس والمشاعر ، وهي غير تألقه في استخدام الصور الشعرية ومقدرته في تطويع الألفاظ وتمكنه من التراكيب والصياغات الفنية .

يقول فيكتور هوجو في واحدة من قصائده التي عادت تتردد في العاصمة الفرنسية في العام المئوي على رحيله :



الميدان الملكي ، حيث يوجد بيت الأديب الكبير ولم يطرأ على المكان أي تغيير ، واللوحة تعود إلى عام ١٨٣٦ وهي ضمن مقتنيات المكتبة الوطنية بباريس

فلننس .. هذا هو القانون الأبدي .
لا أحد يستطيع الهروب منه
الكل ينحني ..
وهذه الأشعة يخترقها كيان ضخم
ونحن كالشهباء نهرب
ماهذا الضجيج الذي يذوب مع المغيب .
وأشجار الأرو تتحطم تريد التضحية .

وتتردد ـ أيضاً ـ عبر الاذاعتين المرئية والمسموعة وفي الأمسيات الشعرية التي تقدم روائع أعماله مثل هذه القصيدة التي تخاطب باريس :

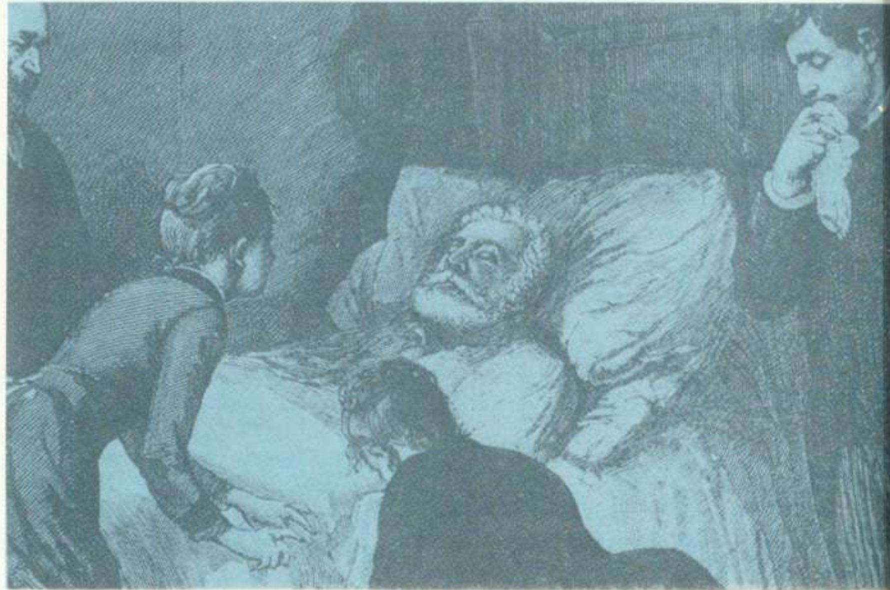
يا مدينة هل تجعلين التاريخ يركع أمامك
هل تحبسين كل هذا الحزن الكبير .
ليعيش في دموعك
دعيني أتكأ على الصخر البارد لأقول لطفلي
ياطفلي : هل تشعر بوجودي ؟

إن شعبية فيكتور هوجو التي تزداد اليوم وبعد قرن من رحيله عن الدنيا ليس مرجعها فقط اعتباره من العظماء ووضع جثمانه في مقبرة « البانثيون » التي تضم رفات عظماء التاريخ الفرنسي ، ولكنها تعود أيضاً إلى تجسيد فيكتور هوجو في أعماله ومن خلال شخصيته لقسمات ومعالم الشخصية الفرنسية وقد تدعم هذا الرأي حال مفارقة فيكتور هوجو للحياة في يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٨٥ عندما أعلنوا خبر وفاته وليصاب الناس وقتها بحالة من الذهول وليعم الحزن كل فرنسا بداية من رئيس الوزراء « هنري بريسون » وحتى بسطاء الريف والحضر ممن ترقبوا ما أعلنه هنري بريسون في الجمعية الوطنية من أن الحكومة الفرنسية ستتقدم بمشروع لكي تصبح جنازة فيكتور هوجو مسيرة قومية ، في حين تقدمت بلدية باريس باقتراح وضع رفاته في مقبرة البانثيون مع عظماء التاريخ الفرنسي . لم يكن يكفي هذا التكريم الرسمي ، وهنا تقدمت الملايين من خلال الجماهير التي ازدحم بها طريق الشانزليزيه ممن طافوا حول الجثمان وهم يرددون في صوت يحرك الصخر : « يحيا هوجو » ..

إن مثل هذه العواطف الشعبية الجماعية نادرة التكرار في العالم كله ، وهي لم تحدث في فرنسا إلا في حالة وداع فيكتور هوجو ، كما تكررت عند وفاة السياسي الفرنسي الجنرال شارل ديجول ، وهي في رأي أساتذة علم النفس السياسي تعبير عن الوحدة « الغموضية » التي تربط بين الشعب ورجل أحسن التعبير عنه ولذلك منح الشعب هذا الملهم في غيابه صفة الخلود .

إن مرور مائة سنة على المشهد المؤثر لوداع فيكتور هوجو لم يذهب معها حجم هذا الرجل في الوجدان الانساني ، وهاهي نظرة على مقتنيات بيته في ساحة « فوجه » تبرهن على ذلك .. بعد قرن من الزمان لا زال فيكتور هوجو مؤثراً .. هاهو تمثال « جوزيت » مع الجردل في اليد يصور حال نماذج روايته « البؤساء » وكأن جوزيت تسير في الغابة المظلمة في اللاشعور المتخفي لدى كل من قرأ روايته ، وهو شعور يلازم كل تابع لأسلوبه المبدع


جوليت دورو : ملهمة هوجو .. واللوحة ضمن مقتنيات بيت الأديب الكبير في باريس


هوجو على فراش الموت

زيارة لبيت فيكتور هوجو في باريس

وتعبيراته الرصينة وهو يصف « جان » وهي تتناول الخبز الجاف في غرفة معتمة !

ولم يكن كل الناس والنقاد مع فيكتور هوجو ـ وهذه هي طبيعة الأمور ـ ولكن قلة من أصحاب الرأي عارضوه بقسوة ومنهم أندريه جيد الذي قال فيه كلمات عنيفة حتى بعد وفاته ويذكر عنه قوله : الحمد لله لقد مات فيكتور هوجو » .. أما المفكر « جول لومتر » فقد رأى أن أعمال هوجو غير مترابطة وأنه ظهر في زمن غير زمنه !وهناك « روجيه فيمينيه » الذي وصل الأمر به إلى أن قال عن هوجو إنه رجل ليس له قيمة في أيامه على الرغم من أن له مكانة شعبية لاتنكر !

تملق الجماهير

لقد كانت الذكرى المئوية للاحتفال برحيل فيكتور هوجو عن الحياة فرصة لكي يعيد النقاد والكتاب والمشتغلين بالفكر والفن والأدب وعشاق تراث هذا الموهوب العظيم لكي يعيدوا ترتيب أوراق أهميته التاريخية بين تفخيم من يعرفون قدره وتصغير من يهونون من أمره ، وأتذكر في حوار لي مع الكاتب الفرنسي «كلود نيكولوزييه » اجابته رداً على سؤال حول : لماذا هذا التضارب في تقدير فيكتور هوجو بين تخليد الكثرة وهدم القلة لمكانته الهامة ؟

أجابني الكاتب الفرنسي بسؤال آخر : إن الاجابة في تساؤل آخر حول هوجو : ولماذا كل هذه المكانة التي يحتلها فيكتور هوجو ؟ وهل تعود هذه المكانة إلى عظمة الفكر الذي عبر عنه في البؤساء ؟ هل تعود إلى فكره الذي ساهم في التمهيد للجمهورية الفرنسية ؟ أم هل ترجع إلى التسامح الذي كان يظهره هذا المتواضع العظيم حيال من يختلفون معه ويخالفونه الرأي ؟..

إن أكثر المتشددين في فهم فيكتور هوجو ممن يتهمونه بتملق الجماهير يعرفون أنه لم يكسب رصيداً مضافاً إلى صفة السياسي أو البرلماني لمواهبه وصفاته المتعددة بعد أن أنتخب في عام ١٨٤٨ لعضوية البرلمان ثم في عام ١٨٧١ لعضوية الجمعية الوطنية ثم في عام ١٨٧٦ لعضوية مجلس الشيوخ ، ولكن عبقرية هوجو الأصلية كانت في قدراته الشعرية وفي خياله الخصب وقدرته الفائقة على استخدام الألفاظ واختيار المفردات والحرص على العبارة التي تضم المعنى ، والحذر من عدم تكرار



من رسومات فيكتور هوجو وعليها توقيعه

● العواطف الشعبية الجماعية التي أحاطت وداع "هوجو" لم تتكرر إلا عند وداع ديجول

التعبير الواحد ، ولهذا فإننا يجب أن نبحث عن الأسلوب المتميز عند هوجو قبل أن نبحث عن دلائل عظمته وعبقريته في مواهب ومجالات أخرى كان له فيها الكثير من العطاء غير المحدود .

لقد بدأ التوهج الفكري عن هوجو مع المعاناة في سن مبكرة ، عندما انفصلت أمه عن أبيه ، وأثر ذلك عليه فآثر الوحدة ، وبدأ يترجم مشاعره إلى قصائد وأعمال ابداعية متأثراً في البداية بأعمال لامارتين وشاتوبريان ، ثم بدأت الحياة تشرق له عندما التقى برفيقة حياته « أديل موفوشيه » التي تزوجها وهو في العشرين من عمره لتنتعش معنوياته وليقبل على الحياة ، حتى كانت صدمته في غرق ابنته الكبرى ووفاة ابنته الثانية ، ومن ثم اتجاهه للتعرف على الحياة العامة في فرنسا هرباً من قسوة حياته الخاصة ، ثم كانت مشاركته فيها ولقاءاته مع رجال السياسة ، وقد انعكس هذا الحال في أعماله خاصة عندما نتأمل تحول بطل روايته « جان فالجان » في البؤساء من حياة الشر إلى حياة الخير ومن احتراف الحرام إلى حياة الشرف فاصبح محباً للخير مشاركاً للضعفاء والبؤساء في سخطهم .

وينعكس الموقف الفكري لفيكتور هوجو على سلوكه العام ، خاصة عندما يصطدم بالامبراطور نابليون الثالث الذي ينفيه خارج باريس مع زوجته وصديقته أو ملهمته « جوليت » التي ظلت تخفف عنه قسوة الأيام بعد موت زوجته حتى ماتت هي أيضاً نتيجة مرض خبيث قبل أن يلحق بها هوجو في عام ١٨٨٥ .

لقد انعكس الموقف العام من الحياة على موقف فيكتور هوجو من الفن والأدب ، ومن هنا فقد كان همه من حرصه على ابداع ثقافته الذي جمعه من فروع المعرفة المختلفة أن يصر على رسالة الفن ، فهو يرى أن للموهوب رسالة تجعله يحترم المشاعر الانسانية ويتعاطف معها ، وهو يلتزم في عطائه بهذا المعنى الذي يرى فيه الشاعر صاحب رسالة ، ويتضح هذا في انتاجه الشعري الذي يضم ١٥٣ ألف بيت شعر ، صاغها خلال ٧٠ عاماً هي عمر ابداعاته التي كان فيها متعدد المواهب فهو الشاعر ـ الروائي ـ المسرحي ـ المؤرخ ـ الناقد ـ المترجم ـ الرسام ـ السياسي ـ الفنان التشكيلي !

إنه الفنان الذي سبق معاصريه من المتخصصين ، فهو متعدد المواهب الذي صور في لوحاته أول دعوة لالغاء عقوبة الاعدام ، وهو المسرحي الذي تناول قضايا العدالة والحق والاختيار في أعمال عديدة أشهرها ما يعاد تقديمه الآن مثل مسرحيته (ايرناني) اخراج انطوان فيتز .

وهو أيضاً الروائي الذي نجح في السينما وكانت هناك الأفلام الشهيرة المأخوذة عن رواياته ، حتى أن « البؤساء » قدمت في أفلام عديدة في أكثر من جنسية سينمائية وتليفزيونية ، وعبر ٣٥ فيلماً في فرنسا والولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفيتي والمجر ومصر وايطاليا ، وكان أشهرها ذلك الفيلم الايطالي الفرنسي المشترك الذي مثله « ميشيل بيكولي » مع « روبرت حسين » و « لينو فينتورا » ، وأيضا فيلم أحدب نوتردام الذي جسد شخصياته أنطوني كوين مع جينا لولو بريجيدا .

إن أبرز ما قيل في التعرض لظاهرة فيكتور هوجو في الحياة والفكر والسياسة ما أوضحه الناقد الشاعر « شارل بودلير » وكان من معاصري هوجو فهو يرى فيه فناناً يتملق الجماهير حتى ولو صدر ذلك منه عن نية خالصة صافية ، فقد كان يعيب عليه تلك النبرة المباشرة في كتاباته السياسية التي تجعل لمفهوم « البروباجندا » وضوحاً في توجهاته وكتاباته حتى أن بعض أشعاره كانت تتميز بايقاع الدعاية الانتخابية الساخنة .

غير أن مايراه « بودلير » مباشراً في كتابات هوجو يراه غيره الآن وبعد تأمل في تراثه بعد قرن من رحيله مختلفاً على نحو يظهر في مضمون كتاب السيرة الذاتية لفيكتور هوجو الذي وصفه المؤرخ الأدبي الفرنسي « آلان ديكو » الذي يرى أن هوجو يبدو مقبولاً ، مريحاً في أشعاره الرومانتيكية ، وفي كتاباته المأساوية ، وحيث تصل غالبية كتاباته إلى مستوى النموذج والقدوة في الأدب الفرنسي ، وحيث يبدو فيكتور هوجو بعد مائة عام من رحيله في وضع لا يمكن مقارنته مع مجد أي كاتب آخر لأن المقارنة تظلم غير فيكتور هوجو .

محمد سعيد

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

●● من خواطر الدكتور زكي مبارك ●● في مستشفى الكلب ●● مأساة شهيدة عربية

من خواطر الدكتور زكي مبارك



علاج النفس

كتب إلينا حضرة (...) الموظف بوزارة المالية خطاباً يذكر فيه أنه يعانى أزمات نفسية تتمثل فى تجسيم الخلاف الذى يثور بينه وبين أهله وأصدقائه من حين إلى حين ، وهو يستحلفنا بالله أن ندله على طريق الخلاص من هذه الأزمات السود .

ونحن من جانبنا نستحلفه بالله أن ينظر فى الصور الآتية :

١ ـ رجل صائم يشعر بأن الصيام قد يحمله على سرعة الانفعال ، فهو يتجنب الاصطدام بالناس ، لئلا يؤذيهم بغير حق .

٢ ـ رجل ترك التدخين بعد طول العهد بالتدخين ، فهو يعرف أنه فى الأيام الأولى محتاج إلى التصبر ، ومضطر إلى البعد قليلاً عن المجتمع ، لئلا يحمله ضيق النفس على الوقوع فى محرجات لاتليق .

٣ ـ رجل مأزوم يخفى كربه عن زوجته وأبنائه ، فهو يبتعد عامداً عن الحديث فى المطالب المعاشية ، لئلا تلوح فرصة يثور فيها كربه فتنفرج شفتاه عن بعض الألفاظ الغلاظ فى إيذاء الزوجة والأبناء .

٤ ـ قاض ينسحب من الجلسة وقد أحس بنوبة مَرضية خوفاً من الإضرار بالمتقاضين ، لأنه يعرف أن العلة ولو كانت خفيفة تعرض أحكامه للاعتلال .

٥ ـ مدرس غاضب على أحد التلاميذ ، وهو لحرصه على النزاهة يرفض امتحان ذلك التلميذ ، لئلا يؤثر غضبه فى تقدير الدرجات ، وهو نوع من القضاء .

٦ ـ غريب يشعر بالضجر من أحد البلاد ، فيمنعه العقل من اغتياب ذلك البلد ، إيماناً بأن الغربة قد تلون أحاسيس المغتربين بالحزن والانقباض ، فهم يرون الدمامة ويعمَون عن الجمال .

٧ ـ خصم شريف يعرف أن الخصومة قد تفسد أحكام الرجال على الرجال ، فهو يحاسب نفسه قبل أن ينطق بكلمة تسيء خصمه اللدود .

فما رأيك فى هذه الصور السبع ، ولها أمثال تفوق الإحصاء؟ .

●● من خواطر الدكتور زكي مبارك

إن كان حكمك على هذه الصور يوافق أحكام أولئك الرجال فادرس نفسك وزمانك لتعرف أنك معرض لآفات نفسية تفرضها عليك الظروف فى هذه الأيام « البيض » .

احترس كل الاحتراس من نفسك فى هذه الأوقات ، واعلم أن سلامة الأعصاب تعرضك لمصاعب لا تطاق ، ومن النادر أن تجد رجلاً يساير الحياة بقلب سليم ، وقد قضت متاعب الحرب بأن يصير الناس جميعاً مجندين ، ولو كانوا من سكان المغاور والكهوف .

يومك الحاضر متعب ، ولاتمر فيه لحظة بلا منغصات ، ولذلك أرجوك أن تسارع فتتهم نفسك قبل أن تتهم الأهل والأصدقاء عند اشتجار الخلاف .

ومن المؤكد أن « مرض العصر » لايمسك وحدك ، لأنه وباء ، والوباء لايقتصر شرُّهُ على الأفراد ، فهو يمس الجميع بلا استثناء .

فهل تكون عند حسن الظن بك فتقف موقف الطبيب من مرضاه ؟ .

ومع من تجسم الخلاف ؟ .

إنك تعامل أقواماً ضعفت أعصابهم أقبح الضعف ، بسبب المضجرات التي ساقتها أعوام الحرب ، فهم فى حقيقة الأمر مرضى لأصحاء ، والعاقل لايطالب المريض بما يطالب به الصحيح .

وأنا مع هذا أنصحك بما لاأنصح به نفسى ، فأنا أكتب هذه الكلمات فى أعقاب ثورة نفسية قضت بالقطيعة بينى وبين صديق لاذنب له غير العيش فى أيام تجسم فيها أشباح الهفوات .

وماجاز عندى أن أنصحك بما لا أنصح به نفسى ، إلا لأنى أرجو أن تكون قدرتك على نفسك أكبر من قدرتى على نفسى ... وليتك تتأدب بأدبى ، فأنا لا أنفض يدى من صديق إلا بعد الصبر عليه عدداً من السنين الطوال ، ثم لا يكون عقابه غير الهجر الجميل .

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك !! .

صورة إسلامية

فى أحد أيام سنة ١٩٣٨ وكنت ضيف العراق أطلعنى السيد صادق الوكيل رحمه الله على قصة صدرت فى بيروت تسمى « خطيئة الشيخ » أو « توبة الشيخ » فما أذكر اسمها بالضبط ، ولعل إحدى المكاتب ترسلها إلى بالثمن محولاً على البريد فأعرف ما فيها من مقاصد وأغراض .

أخذ السيد صادق الوكيل يقرأ من تلك القصة صفحات معينة ، وهى الصفحات التى يشرح فيها المؤلف كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، بصورة مزج فيها القَصص بالتعليم ، ثم عقب فقال : ترضينى هذه الطريقة ، فأنا أخشى أن يجيء يوم ننسى فيه كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ! .

وفى صيف سنة ١٩٣٩ قضيت أياماً فى الاسكندرية لأستكمل الصور المنشودة لكتاب « أدب الشواطئ » وهو كتاب صرفتنى عنه صروف الحرب ، أو صرفنى عنه إقفار الشواطئ من احتراب العيون والقلوب ، وسأرجع إلى إتمامه ونشره يوم يرجع الأمان إلى صدر الزمان .

وأواجه الغرض من هذه الكلمة فأقول :

فى ساحة الفتون بالشاطئ الإسكندرى لقينى الشيخ محمد أبو العيون ، وهو أزهرى طيب القلب جدا ، وقد تهم حين تراه بأن تسأله الدعاء ، على قلة هذا النوع فى هذا الجيل ، وإنى لأرجو أن يتفضل فيذكرنى بالدعوات الصالحات حين أخطر فى البال .

كنت أمتع عينى بأحد ملاعب « التنس » فى الشاطئ حين لقينى الشيخ أبو العيون ، ولملاعب التنس فوق الشاطئ الإسكندرى جاذبية تفوق الوصف ، ولكن قدوم هذا الشيخ الصالح صدنى عن ذلك النعيم ، وأشعرنى أن للتقوى جاذبية رائعة ، وأن النظر فى وجه الرجل العابد يوحى من الشعر مالا يوحيه النظر فى طلعة البدر الوهاج .

ولم يكن بد من صحبة هذا الشيخ فى ذلك الوقت ، وكانت الشمس تتأهب للاستحمام ، وهى تستحم فى البحر كل يوم قبَيل الغروب ، ولعل هذا هو السبب فى أن جسمها خالد الإشراق ! .

ــ هل يضايقك أن نتعشى معا ، ياحضرة الدكتور ؟ .

ــ أنا لا أتناول طعاماً بالليل ، ويكفى أن أكون فى ضيافتك الروحية .

ــ تعالى معى إلى الفندق ، فهنالك مشكلة ينفع فى حلها تعاون الرفاق .

ــ وما تلك المشكلة ؟ .

ــ خادم بالفندق يرفض أن يتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، مع أنى عرضت عليه خمسة قروش . ولو أنه استزادنى لزدته ؛ ولكنه يرفض .

مضينا معاً إلى الفندق لحل تلك المشكلة ، وأنا أبتسم إبتسامةً تخفى على الشيخ ، فمن « المضحك » أن يفكر رواد الشواطئ فى تعليم خدَمَة الفنادق كيفية الوضوء وكيفية الصلاة .

ونظرت إلى الخادم فرأيته فتى تشهد ملامحه بأنه مسلم لفظاً لا معنى ، وأن طول عهده بخدمة الفنادق والقهوات راضه على اليقين بأن المصطافين ليس فيهم من يذكر الله بصدق وإخلاص ... وهل تزار الأسكندرية فى الصيف لأداء الصلوات ؟

عَرض الشيخ من جديد خمسة قروش ، وعرضت عشرة قروش فقبل الخادم (وهو يضحك ضحكة السخرية) أن يطيعنا فيتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة .

أخذ الشيخ يعلم الفتى كيفية الوضوء بإيجاز ،

وكان الموقف فى جملته من غرائب المضحكات ، لأن قروش الشيخ وقروشى جعلت الفتى من المأجورين المأزورين ، ولا قيمة لعبادة يكون جزاؤها بأيدى الناس !

كان الفتى يضحك ويلعب ، ثم تغير وجهه فجأة فصار فى خشوع النساك ، واحتجزنا ساعتين لنعلمه سائر الفروض الإسلامية ، ولم يَفته أن يرد القروش التى أخذها من الشيخ والقروش التى أخذها منى ، برغم الإلحاح فى قبول الهدية ، وكانت حجته أنه قضى فى صحبتنا لحظات هى أثمن وأنفس من أطايب الأموال .

وفى الأسبوع الماضى زرت الأسكندرية لبعض الشئون ، فراعنى أن أجد فتى يهجم على يدى يقبلها بحرارة وشوق ، ثم يسألنى الدعاء ، وهو الفتى نفسه ، الفتى الذى علمناه كيف يصلى وكيف يصوم .

خذ علمى واعطنى إيمانك ، أيها الجاهل السعيد ، فلا حياة للعلم بدون إيمان .

المنافق الجميل

هو شجرة الخلاف أو الصفصاف ، وهى شجرة غرستها بيدى عشرات المرات ، قبل أن أهاجر من سنتريس إلى باريس .

لايدوم جمال هذه الشجرة غير سنتين أو ثلاث ، ثم تخَوخ ، والتخويخ فى عرف أهل مصر هو أن تعتل الشجرة بعلة الجوف ، فيكون لها ظاهر صحيح ، وباطن عليل ، على نحو ما تكون شجرة الصفصاف بعد أعوام قصار ، وعلى نحو ماتكون ضمائر الأصدقاء المزيفين بعد أيام طوال ! .

رجال القلم هم أطباء النفوس والقلوب والعقول ، والطبيب بلا مَرضَى كالمحامى بلا قضايا والمدرس بلا تلاميذ .

ومن أجل هذا أحبك ، أيها المنافق الجميل ، لأن وجودك فرصة لدرس الغرائز والسرائر والأهواء .

أدام الله عليك نعمة الغدر ، وأدام على نعمة الوفاء .

زكى مبارك — ١٩٤٢

في مستشفى الكلب

بقلم : نقـــولا الحـــداد

قصدت بعد أن عضني الكلب إلى مستشفى الكلب المجاور للقصر العيني . وكان أول ماأنعش نفسي أن رأيت على باب المكتب الداخلي لوحة كتب عليها مامفاده : ــ أنشأ هذا المستشفى الدكتور محمد باشا شاهين لعهد وزارة دولة صدقي باشا ، وقد افتتحه رسمياً المغفور له الملك فؤاد الأول في إبرايل سنة ١٩٣٢ . فقلت في نفسي : كم كانت لشاهين باشا غفر الله له من مآثر جسام في مصلحة الصحة قبل أن صارت وزارة ! وكان أول وزير لها ، ثم توفاه الله إلى جواره بعد بضعة أسابيع مأسوفاً عليه . (أقول هذا لأني كنت على صلة صداقة خالصة به كل حياته . وكنت أذيع مآثره في الجرائد والمجلات كما يعلم كثيرون من أصدقائه وأصدقائي)

قدمت نفسي إلى مدير المستشفى ، وكم كانت دهشتي عظيمة حين علمت أن هذا المدير هو الدكتور ابراهيم بك شاهين نجل المغفور له مؤسس هذا المستشفى . وعجبت أن ملامحه الرضية وسماحة محياه ووداعته استظهرت في مخيلتي صورة أبيه محمد باشا ــ سبحان من خلق وسوى .

وكان الدكتور إبراهيم يتوقع قدومي لأني رأيت أن نبأ عقر الكلب لي قد سبقني إلى المستشفى وسجل في سجله الخاص . ورأيت فيه اسمي وعنواني وحادث الكلب نفسه الذي عقرني . فعجبت من هذه العناية والتدقيق في تناول المعلومات عن حوادث الكلب من مستشفى الكلاب في العباسية تلفونياً كل يوم . فقلت له : « هب أني لم آت إليكم للعلاج » قال « نطلبك أولاً وثانياً فإن لم تأت كان ذنبك على جنبك » .

قلت : وهب أني لم آت لظني أن الكلب سليم ثم ظهرت علي الأعراض ، أفلا يخشي أن أعدي أحداً ؟ قال : نعم يحتمل أن يتلوث شخص آخر بلعابك فيصاب . فقلت : وهل يجدي العلاج حينئذ ؟ قال كلا . لا يجدي علاج بعد ظهور الأعراض . وما جنت إلا على نفسها براقش . ولكن مامن أحد اشتبه بعقر الكلب إياه إلا أسرع إلى المستشفى إذا لم يكن غبياً . وستنزعج قليلاً من الحقن بالمصل كل يوم مدة ١٥ يوماً . قلت أليس العذاب في سبيل الحياة خيراً من العذاب في سبيل الهلاك ، العذاب الذي لا يطاق والذي لا يريحني منه إلا الموت .

وجعلت أتردد كل يوم في الميعاد المعين ١٥ يوماً إلى أن أمنت الداء وحصلت على المناعة سنة كاملة . وعلمت أن ذلك الكلب التعس نفق في اليوم الثاني في المستشفى .

قلت يوماً لمدير المكتب ، إن هذا المستشفى نعمة عظيمة للناس لا تقدر بمقدار . قال : ليت الناس كلهم يعرفون هذا . نأتي بكثير منهم بالوعد أو بالوعيد لكي نعالجهم مجاناً لوجه الله فلا يلبثون أن يهربوا . والذين يجاء بهم من الأرياف ينزلون في المستشفى فيعالجون من جراحهم ويحقنون بالمصل ويأكلون ويشربون وينامون مجاناً ومع ذلك لا يرضون !

قال لي أحد أطباء المستشفى وهو الدكتور عزمي توفيق إن في المستشفى نحو ١٧٠ سريراً في طابقين من البناء ، وإذا زاد عدد المصابين على عدد الأسرة دبرناهم بالتي هي أحسن . فنضع الطفل منهم مع شخص آخر في سرير كبير مثلاً ، وقد يكون عندنا في وقت واحد نحو ٢٢٠ مصاباً أو أكثر . ومن كان له أقارب في القاهرة ينزل عندهم ويتردد على المستشفى فيبقى محله لغيره .

قد يدهش القارئ إذا علم أن هذا المستشفى يعالج أكثر من عشرة آلاف مصاب في السنة يعطيهم فيها نحو ١٥٠ ألف حقنة من اللقاح الذي يحضر في المستشفى عدا معالجة الجراح .

لا تكون الاصابات من عضة كلب فقط ، بل تكون من الحيوانات الأخرى كالحمار أو الحصان أو الدجاج ، لأن هذه تسعر كالكلاب ويعدي بعضها بعضا وتعدي الإنسان ، فإذا عقر الحيوان الكبير

في مستشفى الكلب

إنساناً فقد يكسر ساقه أو يسحق ذراعه أو كتفه. وهذه الجروح تستغرق وقتاً طويلاً وعلاجاً متواصلاً فضلاً عن الحقن بالمصل.

والمصل يحضر في معمل المستشفى فيستعمل طازجاً في اليوم الثالث من تحضيره النهائي. ويحضر اللقاح من مخ الأرنب أودماغه. ويمكن أن يحضر من مخ أي حيوان مصاب. ولكن الأرنب أرخص الحيوانات ثمناً وأسهلها مراساً. ويستعمل لهذا الغرض كل يوم نحو ٥٠ أرنبا يقدمها متعهدون للمستشفى.

وأما كيفية تحضير المصل فدراسة فكهة، وهي أن تجرح جلد قمة رأس الأرنب جرحاً بقدر سنتيمترين وتقلب إلى الجانبين ليظهر من الجمجمة قدر القرش الصغير. ثم تثقب الجمجمة ثقباً صغيراً، ثم يحقن النخاع بنقطة من سائل فيه ميكروب الكلب، ثم يضمد الجرح ويعاد الأرنب إلى مأواه. وفي اليوم الرابع أو الخامس تظهر عليه أعراض الداء. يبدأ بشلل في قوادمه، ثم تتزايد الأعراض بضعة أيام إلى أن يدنو الموت فيذبح الأرنب ويؤخذ نخاع رأسه لتحضير المصل منه.

وبينما كانت هذه العملية تعمل أمامي قلت: مسكين هذا الأرنب! ماذنبه حتى تثقب جمجمته لكي تزرع في دماغه جرثومة الكلب ثم يقاسي آلام الداء وأخيراً يقتل.

فقال الدكتور عزمي توفيق الذي كان يريني سلسلة عمليات المصل: حقاً إنه لظلم. ولكن إذا علمت أن هذا الأرنب يفدي ثلاثة أو أربعة من المصابين بهذا الداء العقام لا يعود يصعب عليك أن يؤلم أرنب لكي يوقى أربعة أشخاص من آلام لا تطاق. ويظن أن الأرنب أقل احساساً من الإنسان بالآلام.

يوضع خمسون جراماً من نخاع الأرنب في هاون وتدهس دهساً شديداً حتى تصبح كالعجينة الرخوة. ثم تمرث بواسطة شاشة سميكة في محلول من الملح النقي ٧ بالألف، وعشرة بالألف من المغنيول. تمرث مرثاً دقيقاً حتى تخرج من الشاشة مستحلباً دقيقاً جداً ليس فيه كتل البتة، ثم يصب في زجاجة خاصة بسعة لتر وتكمل الزجاجة من المحلول الملحي نفسه. بعد ذلك تودع الزجاجات في ثلاجة مدة ٢٤ ساعة. وفي أثناء ذلك تفحص «عينة» منها فحصاً بكتيريولوجيا لئلايكون قد تطرق إليها مكروب آخر أجنبي. ومتى ثبت أن ليس فيها مكروب ولا جراثيم حية يصبح المصل صالحاً للاستعمال.

قال الدكتور عزمي: ولكن في جميع عملياتنا لم نجد المصل ولا مرة ملوثاً بأي مكروب. على أن عملية الفحص البكتريولوجي لابد منها للاطمئنان على سلامة من نعالجهم.

في هذا المصل مادة مولدة من نمو المكروب في مخ الأرنب تسمي أنتيجن Antigen. هذه المادة تولد في جسم الشخص المحقون مادة أخرى تسمى «ضد الجسيمات» Antibodies. ولها وظيفتان: الأولى أنها تتلف المادة السامة التي تولدت من مكروب الكلب بأنها تتحد معها فتتكتلان أوترسبان، وفي كلتا الحالتين تبطل قوتهما السامة. والثانية أنها تحرض كريات الدم البيض على إلتهام المكروب، أوبالأحرى أنها تهيئ المكروب أوتطبخه ليكون غذاء لهذه الكريات التي تعتبر جنود الجسم المدافعة عنه في مدة العلاج التي تتراوح بين عشرة وعشرين يوماً حسبما يتراءى للطبيب من ظروف الإصابة، يهلك المكروب وينعدم سمه وينجو المصاب من العذاب والموت، وقاك الله.

مكروب الكلب لا يرى تحت الكروسكوب ولا تمنعه مصفاة باستور Bastour Filter ويقدر حجمه بنحو $\frac{١}{٥٠٠٠}$ من المليمتر فتأمل: ذرة لا ترى بمجهر (ميكروسكوب) ولا تفرز بمصفاة تفعل هذا الفعل الفظيع بهذا الإنسان الجبار! تالله ماأضعف هذا الإنسان تجاه أحقر المخلوقات. فحتى متى هذه النفخة يا إنسان! إن جرثومة صغيرة جداً كجرثومة الكلب أو الكولرا أو الملاريا تبيد من البشر إذا لم تتق أكثر مما تبيد القنبلة الذرية.

ليس في القطر المصري غير هذا المستشفى للكلب. وإنما توجد وحدة صغيرة في الاسكندرية بإدارة الهلال الأحمر. وقد تقرر أن تتخذها وزارة الصحة وتجعلها مستشفى تاماً تحت إدارة مستشفى القاهرة. وسينشأ أيضاً مستشفى آخر في أسيوط أو في الأقصر، وآخر في بورسعيد أو السويس ويكونان بإدارة مستشفى القاهرة ـ فألف شكر للحكومة الجليلة!

وكنت أود أن أعيذ القارئ من تصديع خاطره بوصف أعراض هذا الداء الخبيث لولا أن البحث يبقى ناقصاً. فأوجز الوصف ماأمكن لكي يعرف الجمهور خطر هذا الداء العقام ويتخذ الحذر الشديد من التعرض له وتعريض الآخرين. وعند أقل شبهة في كلب أو حيوان يجب أن يعرض الحيوان على الطبيب البيطري، والطبيب يضعه تحت المراقبة حتى إذا اشتدت الشبهة أعدمه.

ومن نكد الدنيا أن هذا المكروب اللئيم لا يتبوأ عرشه إلا في دماغ فريسته، فيجعل جميع الجهاز العصبي تحت سلطانه. وهذا هو سر ماينجم عنه من الآلام، لأن الجهاز العصبي مصدر اللذة والألم.

وتكون العدوى بعقر المخلوق المعدي إنساناً أو حيواناً أوتلويث أي غشاء مخاطي فيه كالفم أو أي جرح أو خمش أو سجح بلعاب الحيوان المسعر (المسعور) وفي بحر أسبوع إلى أسبوعين تظهر الأعراض وأحياناً نادرة تتأخر شهراً أو أشهراً.

في الإنسان تبتدىء الأعراض بهبوط عقلي وخوف شديد وهلع وترديد الكلام اللغو. ثم الهياج العصبي والاضطراب الجسدي. ثم تفقد الشهية للطعام ويستمر الأرق والصداع والشعور بما لا يطاق من الإضطراب الفظيع.

ثم يتعذر الإزدراد بسبب شلل الحلقوم والبلعوم إلى أن يستحيل البلع، فيكره المصاب السوائل ويخاف منها وينزعج من رؤية الماء ومن سماع خريره من الصنبور. ويصبح حساساً جداً لكل باعث خارجي أو حركة أو صوت أو منظر.

ثم يتشنج ويتلوى ويمتد الشلل إلى أطرافه وأحياناً يشخر وينخر فيحسبه الشاهدون نابحاً أو عاوياً. وأحياناً يعض أي شئ، ولكن لا يلبث أن يرتخي فكه الأسفل ويتدلى، ويمتلئ فمه لعاباً كثيفاً لزجاً لا يستطيع أن ينفثه أو يبتلعه، وبالطبع يشتد عطشه، ولكنه لا يستطيع الشرب ولا المضغ، وتطرأ عليه حمى عالية. ومتى بلغت هذه الأعراض أشدها تضعضع العقل وذهب الوجدان وأشرف المصاب على الموت الساعة بعد الساعة.

ولو كان فقد الوجدان يبتدئ مع الأعراض لكان المصاب قليل الشعور بالألم ثم عديمه. ولكن وأسفاه يبقى واعياً شاعراً متعذباً إلى أن يقترب ملاك الموت. وقد تدوم هذه الأعراض يومين أوثلاثة أو أكثر قبل أن يرحمه الله ويريحه من هذا الجحيم بسل روحه من جسده ـ اللهم رفقاً بعبادك ـ ترى لوأعطي المصاب جرعات من المورفين في العضل أما تخفف عنه هذه الآلام؟

أما وقد عرف القراء عذاب هذا الداء وعجز أي دواء عن تخفيف آلامه أوعن شفائه، أفلا يجدر بهم أن يأخذوا حذرهم من كلابهم المحبوبة ومن اختلاطها بكلاب أخرى، أوما يجب عليهم أن يقضوا عليها في الحال بلا شفقة ولا أسف إذا ظهرت بعض الأعراض للطبيب البيطري سواء كانت الأعراض مشككة أومؤكدة لئلا يقع البلاء في الأهل؟ أو ما عليهم إذا لامسهم لعاب الكلب المصاب أن يسرعوا إلى هذا المستشفى الكريم لاتقاء المرض؟

نقولا الحداد ـ ١٩٤٨

مأساة شهيدة عربية
"حياة بلابسي"

عثر رجال الهلال الأحمر ، بعد مجزرة دير ياسين على جثة فتاة فى قميص النوم ، ملقاة بالقرب من طريق فرعية مؤدية إلى القرية ، فتعرف عليها بعضهم فإذا هي المعلمة حياة بلابسى .

عرفتها فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقت أن قدمت للاذاعة موضوعاً أدبيا أرفقته بكتاب تقول فيه : « أرجو أن أتمكن من إذاعة حديثى هذا فى أقرب فرصة ممكنة » .

وبعد أيام من ورود هذا الحديث قابلت أحد قضاة القدس فذكرنى (بحياة) وأوصانى بها خيراً .. ثم قابلت أحد مفتشى معارف فلسطين فنبهنى إلى حديث (حياة) وضرورة الاعتناء به .. ثم قابلت أحد أدباء القدس فقال لى : ألا تهتم بحياة وأحاديثها فهى فتاة تحتاج إلى مساعدة وتشجيع .. ثم قابلت مديرة مدرسة فى يافا فسألتنى إذا كنت قد تلقيت حديثاً من (حياة) واستفسرت عن مدى استعدادى لمساعدتها .

فساءلت نفسى : من تكون حياة بلابسى هذه ؟ .. وما الداعى إلى كل هذا الاهتمام بها ؟.. وأخذت أترقب الفرصة لمقابلتها والتعرف اليها عن كثب .

وفى عصر أحد أيام يناير من هذه السنة ، وكان الثلج يتساقط بكثرة فى القدس ، والرياح الباردة العاتية تعصف بشدة ، دخلت على حياة وقد تدثرت بمعطف بسيط ، ولفت رأسها بمنديل من الصوف وقد رصع بقطع صغيرة من الثلج ، فظهرت وكأنها إكليل من زهر الليمون ، رمز العفة والطهارة ، يطوق رأسها الجميل .

وفى هذه المقابلة عرفت منها مأساتها :

لقد فقدت أباها منذ أمد غير بعيد ووالدتها كسيحة طريحة الفراش ، وأختها صغيرة غير قادرة على العمل ، فوقع على عاتقها عبء الاعتناء بوالدتها وأختها ، والقيام بجميع شؤون البيت ، والعمل فى الوقت ذاته على كسب المعاش إذ لا مورد لأسرتها تعتاش منه ، كما أن والدها لم يترك أى مبلغ من المال ، أو أى نوع من العقار .

وهكذا رأت نفسها مضطرة إلى ترك المدرسة قبل أن تحصل على شهادة (المتريك) ، وأن تسعى إلى العمل كمعلمة إضافية فى مدرسة ابتدائية ، فقيل لها فى دائرة المعارف : ليس بوسعنا أن نجد لك مكاناً شاغراً فى القدس لكننا نحتاج إلى معلمة إضافية لقرية دير ياسين ، فقبلت حياة العمل لقاء راتب شهرى قدرة ثمانية جنيهات .

وقرية دير ياسين تقع إلى الغرب من القدس وعلى بعد عشرة كيلومترات منها ، وطرق المواصلات إليها غير متوفرة فكانت حياة تضطر للذهاب إليها والعودة منها سيراً على قدميها ، فتترك القدس فى الساعة السادسة صباحاً مجتازة فى طريقها بعض أحياء القدس اليهودية وهى ميا شعاريم ، وبيت اسرائيل ، ومحنا يهوداً ، وروميما .. ثم تمر بواد وعر إلى أن تصل مستعمرة بيت هاكيرم ، ومن ثم تتجه رأساً إلى دير ياسين .

هذا هو طريق الآلام الذى كانت تعبره حياة مرتين فى اليوم صيفاً وشتاءً .

وهى مع أنها صبية جريئة كانت تشعر أحيانا برهبة عند مرورها فى الوادى ، فتخشى أمراً لاتعرف كنهه ... فتنتظر بعض الوقت إلى أن تمر بها القرويات الذاهبات إلى القرية أو العائدات منها فترافقهن ... إلا أن هذه الخشية أخذت تتلاشى قليلاً ، وصارت حياة تعبر الوادى بمفردها محيية الحراثين والرعاة ، فيجيبونها محيين مرحبين ، مستفسرين منها عن أولادهم ومقدار تقدمهم ونجاحهم فى دروسهم ، سائلين الله أن يكلأها بعين عنايته ورعايته .

ولم تحصر حياة عملها فى القرية على التعليم وإنما كانت تعمل فى فترات من النهار ممرضة أيضاً ، فتمد من هو بحاجة إلى الإسعاف الأولى بمختلف الأدوية ، وتمر على المرضى فى أكواخهم ، وإذا رأت أن فيهم من تتطلب حالته دخوله المستشفى اتصلت على الفور بدائرة الصحة فى القدس تلفونيا أو ذهبت بنفسها إلى تلك الدائرة عند عودتها إلى بيتها .

وما إن أتمت حياة السنة الأولى من عملها فى دير ياسين حتى غدت معبودة سكانها يترادف اسمها مع التربية والطهارة والوطنية الصحيحة .

وفى ذات يوم عادت الفتاة إلى القدس فوجدت أمها قد فارقت الحياة ، فتحملت الصدمة بقلب قوى ، ولم تنهزم أمام صروف الدهر القاسية وثابرت على عملها فى دير ياسين بما طبعت عليه من عزيمة وثبات ، فحمل ذلك دائرة المعارف على أن تزيد راتبها الشهرى جنيهين آخرين .

وأعلنت هيئة الأمم المتحدة تحقيق ما حلم به هرتزل سنة ١٨٩٥ فى كتاب (الدولة اليهودية) ، فهب العرب يدافعون عن أراضيهم ومواطن معيشتهم ، وانتصب ملاك الموت والمحصد فى يده يجنى الرؤس آحاداً ، ثم عشرات ، ثم مئات ...

وكان على حياة أن تختار أحد أمرين : إما أن تقبع فى بيتها تنتظر حظها من الزواج ، وإما أن تسكن دير ياسين لتتابع كفاحها فى سبيل العلم والصحة .

ولم تتردد الفتاة كثيراً فحملت بعض أمتعتها ورحلت إلى القرية ، وسكنت فى غرفة من غرف مدرستها .

وفى هذه الغرفة عانت المعلمة أنواعاً شتى من الحرمان وشظف العيش .. أما الضوء فكان مصباح الزيت ... وأما التدفئة فكان الحرام تلفه على نفسها وهى تراجع الدفاتر ، وتعد الدروس .

وانتشرت الحوادث بسرعة إلى أن شملت دير ياسين أيضاً ... ولما كانت هذه القرية محاطة بأربع مستعمرات يهودية ، خشيت خيانة جيرانها فألفت من فتياتها وفتيانها حامية وكانت حياة من أركانها .

قالت لى ذات يوم : حدث بينما كنت أتدرب على إطلاق النار من البندقية أن أخطأت الهدف وراحت الرصاصة تزغرد فى مستعمرة مجاورة ! .

ومضت أيام وأسابيع تأزمت فى أثنائها العلائق بين دير ياسين والمستعمرات التى حولها ، ولم يدر القرويون أن القيادة اليهودية قد اختارت قريتهم كبدء مرحلة جديدة فى خططها « العسكرية » .

وعند الساعة الثالثة من صباح يوم قاتم أطبق ألفان من اليهود المسلحين بالبنادق السريعة الطلقات والخناجر ، على سكان القرية النيام ، ونشبت بينهم وبين الحامية معركة لم تدم طويلا ، فتغلب المعتدون على المناضلين القرويين ، وبدأت المجزرة ! .

أما حياة فما إن سمعت أزيز الرصاص وانفجار القنابل حتى هبت من فراشها وهى فى قميص النوم ، وهامت على وجهها فى الحقول وبين التلال ... وبعد لحظات وجدت نفسها فى مكان أمين خارج القرية ، وبوسعها الالتجاء إلى قرية عربية أخرى .. إلا أنها سمعت فى هذه الآونة أنيناً بالقرب منها ، فاتجهت إلى مصدره وإذا هى أمام جريحين من حامية دير ياسين ، فتقدمت منهما ومزقت جزءاً من قميصها ضمدت به جراحهما ، ثم قر رأيها على أن تضعهما فى مغارة فى تلك الناحية إلى أن تتمكن من إخبار رجال الهلال الأحمر عنهما ، فحملت أحدهما على كتفها وصارت به نحو المغارة ... وبعد مسير عشرة أمتار مزق الجو صوت طلقات سريعة فسقط الجريح قتيلا ، وسقطت حياة فوقه مضرجة بدمائها .

أما الجريح الثانى فقد قدر له أن يعيش ويروى خاتمة حياة فتاة تذوقت الجهاد فى سبيل العلم ، والأسى فى سبيل العائلة ، والبطولة فى سبيل الوطن ! ..

نجاتى صدقى ــ ١٩٤٨

الشاعر العبقري في مواجهة الحسد والجهل

شكسبير مع مُعَاصريه

بقلم: عبدالحق فاضل

يقال إن المعاصرة حجاب . لكن العباقرة كثيراً ما يخرقون هذا الحجاب ويفرضون أنفسهم على جيلهم فيبصرهم حتى العميان ولا سيما في الأمم الراقية . وقد رأينا في جيلنا أسماءً لمعت وسطعت في مجتمعاتها وفي العالم ولو بعد كفاح وصراع مع آفتي الجهل والحسد . وكذلك كان شأن شكسبير .

أما الحسد فيظهر أوضح ما يكون في موقف (روبرت جرين) R. Grone وفي بعض المواقف حتى من صديقه (بن جونسن) كالذي بقي مسجلاً في مدونات لابد أن ماضاع منها كثير ، وأكثر منه مالم يدون . وماكان بن جونسن وجرين الوحيدين في ذلك سوى أن سوء حظهما أبقى لنا بعض التسجيلات عنهما وعن قليلين غيرهما تشي بهم ، وأكثرهـا بأقلامهم . على أية حال ثمة من معاصري شكسبير من أطروه مثل (كامـدن) Camden ، و (ديـقز) Digges ، و (ميرس) Merse . ومن ذموه مثل جرين وطلاب كمبردج ، وهناك بن جونسن الذي ثلبه وأثنى عليه .

كان المؤلفون المسرحيون يكرهون شكسبير بوجه عام حسداً وجهلاً ، أما الجهل الذي ساعد على حجب شكسبير عن جيله إلى حد ما فنقصد به الجهل الضمني ، لا الظاهري ، لأن عصر شكسبير لم يكن فقيراً بالعلماء والأدباء والمؤلفين المسرحيين ، لكن هؤلاء لم يفهموا شكسبير الجديد المتحرر ، وانما كان الذين يفهمونه ويتجاوبون معه ويعجبون به ويصفقون له هم على الأغلب الجهلاء من الناس ، الذين لم (يتعلموا) أسرار المسرح التقليدي وقواعده ولم يفتقدوا في مسرحياته الأساليب التلادية (الكلاسيكية) البلاغية والتفاصحية . وهؤلاء هم الذين كان فن شكسبير يخاطب فيهم وجداناً فطرياً لم يتقولب ويجمد على الأساليب المدرسية ، فكان فنه المتحرر من كل ذلك يتمتع باعجاب العامة بالدرجة الأولى ، يفهمونه بمعاييرهم الإنسانية الطبيعية ، بمقدار ماكان يتمتع بنقمة العلماء المسرحيين الذين يعتبرون مجرد نجاح المسرحية لدى الجمهور دليلاً على رداءتها وسفول فنها . وهي قاعدة في الواقع صائبة ـ لا تزال ـ إلى حد بعيد . لكن مسرحيات شكسبير كانت ظاهرة غريبة تجتذب العامة بالرغم من سمو فنها . حصيلة القول إن جهابذة التأليف المسرحي كانوا يجهلون فن شكسبير ، والعامة تجهل فنهم ، فنفعها جهلها فنهم في فهم فن شكسبير !

بالرغم من هذا ، وبالرغم من كون شكسبير في معاييرنا أعظم منه في معايير معاصريه ، وربما في معاييره أيضاً ، وبالرغم من أن تحليقاته تجعل الكثير من كلامه يتطلب قدرة خاصة على الفهم والتقبل ، لم يخل جيله من أذهان متوقدة متفتحة تهش للجديد وتشرئب إلى المبتكر لنفاسته ، وأحياناً لمجرد خروجه على القديم .

ذهبوا وبقي وحده !

ممن قدره وأشاد به من علماء جيله (وليم كامدن) W. Camden وهو علامة له شأنه في دنيا الثقافة الانكليزية . «وكان كتابه (بريطانيا) Britaine قد جعله أوفر الكتاب نصيباً من الاعجاب» . وقد قال في كتابه هذا : «إذا أنا أتيت إلى زماننا فأية دنيا يمكنني أن أقدم غير (سير وليم سيدني) Sir W. Sidney و . . و . . ويذكر اثني عشر اسماً ختامها اسم شكسبير ... وقرائح أخرى فائقة الخصب من زماننا هذا الذي يمكن أن يحظى عن جدارة باعجاب العصور اللاحقة» (٢٧٢/١) .


وليم شكسبير


بن جونسون


جان دارك : احدى مسرحيات شكسبير

لكن إدراج اسم شكسبير في آخر قائمة الاثنى عشر لا يجعله متميزاً عليهم ، كما هو متميز في الحقيقة عليهم وعلى « القرائح الأخرى الفائقة الخصب » التي لم يذكر (كامدن) أسماء أصحابها ، وظنها ستنال إعجاباً باقياً على الأجيال ، فعفى الزمن على معظمها وطمس ذكرها وبقي شكسبير وحده الذي صان الدهر آثاره و« أعجب بها عن جدارة » ومازالت تقرأ وتستعاد ، وكلما تقادم عهدها زادت جدة .

ملك الشعراء

أما (هوف هولاند) Hugh Holland فقد ذكر شكسبير في قصيدة له في مقدمة الفوليو الأول — أي مجموعة المسرحيات — باعتباره « ملك الشعراء » (١/٢٧٧) . وقد كان شعر شكسبير (السونيتات المئة والأربع والخمسون) أقرب من مسرحياته إلى أذواق مثقفي جيله على كل حال ، ولا سيما التلاديين « الكلاسيكيين » منهم .

مع زميليه

وممن عرفوا تفرده وتحليقه فوق زمانه ، زميلاه الممثلان اللذان اضطلعا بجمع مسرحياته في ١٦٢٣ بعد سبعة أعوام من وفاته ، وهما (جون همينغز) و (هنري كوندل (٢) اللذان قالا في إهداء المجموعة إنهما جمعاً شتات المسرحيات « لحفظ ذكرى صديق كان من رفعة القدر بحيث كان شكسبيرنا » (٣/٣٣٦) . وقالا في مقدمة المجموعة : « كان وهو المقلد اللبق للطبيعة بالغ الرقة في التعبير عنها ... لكن ليس في اختصاصنا — الذي يقتصر على جمع أعماله واعطائك إياها — أن نمتدحه . وانما لك أنت أن تقرأه . اقرأه اذن مرة ، وثانية وثالثة . وإذا لم يعجبك عندئذ فلاشك أنك في خطر جلي من عدم فهمك إياه » .

إطراء عام يفصح عن اعجاب قائليه الممثلين اللذين عرفاه وعملا معه سنين طوالاً وأحباه صديقاً مهذباً أميناً ، وتلقيا الكثير من التصفيق عند تمثيلهما مسرحياته . لكن ثناءهما هذا الصادق لا يفصح عن مستوى شكسبير إلا عن القليل العام .

الحب المتعصب

ليونارد ديقز Leonard Digges : عالم كاتب وشاعر ، أسهم في طبعة ١٦٤٠ للقصائد ، بقصيدة مما جاء فيها :

... سترى انه لا يستعير

عبارة واحدة من الاغريقية ، ولا يقلد اللاتينية ، لا يترجم عن اللغات الأجنبية ،

ولا يلتقط سواقط الحاصدين (أي المؤلفين الآخرين) ،

ولا هو يستجدي مشهداً من صديق ذي قريحة ، ليرقع به فصلاً ، كل مايكتبه خالص من عنده ، بلغة رائعة (٤/١٥٦)

يعقب المؤلفان (أوكبرن) (٤) على هذا بقولهما « إن ديقز يجعل من الواضح كل الوضوح أن شكسبير كان كل شيء عدا المقتبس من الكتاب المسرحيين الآخرين . (انه استمد طبعاً بحرية من التلاديات (الكلاسيكيات) لكنه لم يخطف منها فقرات بجملتها كما كان يفعل جونسن وآخرون ، وانما كان يعيد صياغة المادة في شيء جدير و— انكليزي) .وإن كان لم يسط على عبارات من التلاديات فلا لأنه لم يكن قادراً على ذلك » (٤/١٥٦ و ١٥٧) .

وتقول (شوت) إن ديقز قال « بنتيجة معلومات خاطئة أنه — شكسبير — ابتدع جميع حبكات مسرحياته » (٣/٣٣٤) .

أما الجمل والفقرات فالحق أن شكسبير كان يقتبسها فعلاً في بعض الحالات ، بالنص أحياناً ، فان فنه كان يفتش دائماً عن الأصلح في المكان الأنسب ولا يتردد في اقتباسه حيث يجده ، بنصه أو بتحويره أو قلبه عقباً على رأس .

وفي (انطونيو وكليوباطرة) مثلاً عينات من المواقف والعبارات المستعارة من بلو تارخ . وفي مسرحية (يوليوس قيصر) عبارات وأحداث صحيحة أو محرفة أو معكوسة .

أما (الحبكات) فكلها في رأي الباحثين مقتبسة من التاريخ أو حكايات سابقة ، لا يستثنون إلا مسرحية أو اثنتين ، وبعضهم لا يستثني .

إن كلام (ديقز) غريب على كل حال والتعقيب عليه أغرب . والرأي فيما نرجح أن الأمر لا يعدو أن يكون اندفاعاً من ديقز في المديح بحافز من حبه المتعصب لشكسبير أو بغضه الشديد لجونسن الذي نال حصة كبيرة من تهجم ديقز وكأنما لم يكن اطراء شكسبير في هذه القصيدة إلا تمهيداً لثلب جونس .. أو كليهما ، أي حب ذلك وبغض هذا .

إن عظمة شكسبير لا تتجلى في خلق الحكاية بل في تشييد المسرحية الباهرة من خامة الحكاية المقتبسة حيث ينحت لك « فينوس » من الصخرة الجامدة .

ويظهر أن (ديقز) نظم قصيدته بعد اطلاعه على قصيدة جونسن في الفوليو الأول حيث استفزه قول بن جونسن في المقدمة « إن الشاعر الحق يصنع مثلما أنه يولد » فظن فيما يبدو أن هذا استهانة بموهبة شكسبير وبنبوغه الفطري ، فنظم قصيدته هاته التي ظهرت بعد (١٧) سنة (في ١٦٤٠) في مجموعة القصائد والتي افتتحها قبل كل شيء بالرد على عبارة جونسن هذه بقوله « ان الشعراء يولدون ، ولا يصنعون » .. ثم انساق إلى مدح شكسبير وذم جونسن تلميحاً وتصريحاً . ومما قال : ان أية من شخصيات شكسبير : فولستاف Fallstaff أوياجو Iago . أو ملفوليو Mellvolio . أو بياتريس — جلبت من النقود لشركة (خدام الملك) Kinges mes أكثر من أية واحدة من المسرحيات التي كتبها جونسن لهم . (٣/٣٣٤) .

شكسبير مع معاصريه

ولعل أهم تقييم لشكسبير وأعماله ، وأنفعه للباحثين ، هو ذلك الذي أتى به (فرانسز ميرس) Francis Meres وهاهو :

خزانة الذكاء

في ظلام تاريخ الحقبة الأدبي يشع أمام الباحثين كتاب أشبه بالمشكاة يضيء ناحية كبيرة الأهمية من الأدب الشكسبيري . ذلك هو (بلادس تاميا) ، أو (خزانة الذكاء) (٥) الذي ألفه (فرانسز ميرس) خريج كلية (بمبروك) في كمبرج . وكان الكتاب نوعاً من المسح للحالة الأدبية والفنية في انكلترة (٤١/٦) .. استعرض فيه عدداً كبيراً من المؤلفين المسرحيين الاليزابثيين (١٨٠/٣) .

ولئن كان اسم شكسبير جاء سادساً بين أولئك الأدباء فلقد كان هو أهمهم وأوفاهم حظاً من مديح وتفصيل خصه المؤلف منهما بما ضن به على الآخرين أجمعين .

هذا و « كان شكسبير شاباً عامئذ (١٥٩٨) في الرابعة والثلاثين من عمره — لم تكن أحسن مسرحياته قد كتبت » (٤٢/٦) .

وطريقة (ميرس) في تقريظ الأدباء الانكليز هي مقارنتهم بالشعراء الاغريق واللاتينيين والايطاليين من العهود الغابرة ممن كتبوا في أبواب مماثلة في الأدب :

« إن روح (أوفيد) (٧) الحلوة الذكية تعيش في شكسبير العذب ، المعسول اللسان ، تأمل له قصيدتي (فينوس وأدونيس) و (لوكريس) (٨) وقصائده السكرية بين خاصة أصدقائه ، إلخ . وإذا عد (بلاوتوس) و (سنيكا) أحسن كتاب الملاة والمأساة بين اللاتين فان شكسبير بين الانكليز هو الطراز الأعلى في كلا النوعين للمسرح » . (٤٢/٦) . ويدرج هنا ميرس ست مسال وست مآس لشكسبير كانت قد صدرت إلى ذلك الحين .

إن وضع شكسبير في منزلة أوفيد ، وسنيكا ، وبلاوتوس ، لهو غاية مايرقى إليه التقدير والاطراء أيامذاك وخاصة عند التلاديين من الأدباء وهم الأكثرون .

كان وليم شكسبير الوحيد الذي خصه ميرس بالشرح المستفيض ، والسبب الجلي هو اعجابه به : « أقول إن (الميوزات) (٩) كن يتكلمن ببيان شكسبير المصقى لو تكلمن الانكليزية » (١٨٠/٣)

وإذا كانت مسرحية (أفلح سعي العاشق) (١٠) التي أوردها (ميرس) بين المسرحيات الاثنتي عشرة — اسما بديلاً للمسرحية المعروفة باسم (ترويض الشرسة) (١١) كانت لدينا عملياً قائمة تامة (بالمسرحيات التي أنتجها شكسبير إلى ذلك الحين) . النقص الوحيد هو ثلاثية (هنري السادس) التي يمكن تحقق عائديتها لشكسبير من مصادر معاصرة أخرى (١٧٩/٣) . وقد كان من العسير تأريخ بعض مسرحيات شكسبير بأي يقين من دون هذا الدليل . (١٦٩/١) .

« لو لم يكن ميرس على معرفة بأحد من شلة شكسبير نفسه لما كان في استطاعته أن يعرف أنه كان يوزع في « خاصة أصدقائه سونيتات (قصائد) مسكرة » ولكان ميرس جديراً بأن يكون أقل معرفة بمسرحيات شكسبير ما دام القليل منها كان قد طبع وأكثره غفل من الاسم . ومع ذلك استطاع ميرس أن يهيىء قائمة طويلة من المسرحيات كان شكسبير قد كتبها » (١٧٩/٣) .

● المعجبون بشكسبير كانوا من العلماء والأدباء ، لا من المؤلفين المسرحيين سجناء القواعد !

أما أنا فأذهب إلى أبعد من ذلك ، فمن المحتمل عندي أن ميرس لم يكن يعرف أحد أفراد زمرة شكسبير فقط بل ربما كانت له معرفة بشخص شكسبير فعاونه في احصاء مسرحياته التي صادف أن كان عددها متساوياً من المآسي والمسالي — ستاً بست . أما مسرحية (هنري السادس) فربما أنف شكسبير أن يعزوها إلى نفسه لأنه لم يكتب كل أجزائها مستقلاً بنفسه بل كان مشاركاً كما هو معلوم ، أومظنون ، ولا سيما في الجزئين الثاني والثالث منها .

« هذه هي القائمة الوحيدة من نوعها التي أعطيت قط عن مؤلف مسرحي اليزابثي ، كما أنها بالمصادفة الحالة الوحيدة التي بقيت فيها كل النصوص لأحد من الكتاب المسرحيين . وأنه لمنتهى حسن الحظ أن يكون أعظم المؤلفين المسرحيين الاليزابثيين قد كان كذلك أحسنهم تضبيراً (١٢) . لقد أسدى (ميرس) إلى شكسبير خدمة جلى أنكرها على جميع الآخرين » (١٧٩/٣ و ١٨٠) .

ويلاحظ أن هؤلاء المعجبين بشكسبير : كامدن وهولاند وديقز وميرس ، كانوا من العلماء والأدباء ، لا من المؤلفين المسرحيين سجناء القواعد التلادية .

أما المسرحيون من معاصري شكسبير فنبدأ بأشدهم عداوة : روبرت جرين :

الإطراء الحقود

إن أقدم إطراء حقود مسجل وصلنا عن شكسبير كان من المؤلف المسرحي (روبرت جرين) Robert Greene الذي قصد الثلب والمناوأة ، لكنه اعترف بصيغة معكوسة غير مقصودة أن شكسبير أحسن من كتب شعراً مرسلاً (أي مسرحيات ، لأنها كانت تنظم بشعر مرسل ، أي غير مقفى) .

من هو جرين ؟

« كان يكسب بقلمه رزقاً مرضياً ، فقد كان كبير الرواج لدى الناشرين الذين يزودهم بسلسلة من قصص الغرام وتلفيق الفضائح من عالم لندن السفلي ، وحتى التشهير بالبابا » (٨١/٣) وكان ينقم على « الممثلين أنهم لم يدركوا فضله حق الادراك . فبالرغم من كونه واحداً من أكثر جميع المؤلفين المسرحيين شعبية في لندن لم يعاملوه بالاحترام اللازم ، ولا هم أدوا له الكافي من المال » (٨١/٣) .

وفي رواية نثرية له نشرت في ١٥٩٠ شرد فجأة عن الموضوع ليعلن شكواه من كون الممثلين مغرورين وجشعين ووقحين ، وأنهم لم يقدموا شيئاً سوى « نوع من الجهد الآلي » (٨١/٣) .

واذا كان يعزو كل بؤسه إلى الممثلين فالواقع أنه هو الذي أسرف على نفسه وعلى جيبه في حياة من التهتك والعربدة انغمس واستهلك نفسه وماله فيها . ولكي يشفي غليله حين كان على فراش الموت عهد إلى صديقه (هنري جتل) H. Chettle أن ينشر بعد وفاته كراسه الأخير « شروى شعير من الذكاء » (١٣) .

والكراس موجز سيرة ذاتية يصف فيه انحداره من (شعر مسرحي قمة) إلى (كراريسي مدقع) « امتصه حتى أنضبه الممثلون الذين كانوا متشردين حتى عهد قريب فصاروا يتبخترون الآن أسياداً في بحبوحة من العيش » (١٠٦/١) .

في هذا الكراس يتوجه جرين بالخطاب إلى ثلاثة من أصدقائه الكتاب المسرحيين نوه بهم تلميحاً دون أن يذكر أسماءهم ... « مناشداً لهم أن يكفوا عن كتابة المسرحيات والكدح لأجل الممثلين « فانه لمن المؤسف أن رجالاً لهم مثل هذه القرائح النادرة عليهم أن يخضعوا لمرضاة مثل هؤلاء السواس السمجين » . وقد أفضح جرين قبل عامين عن مبلغ كرهه لأولئك الممثلين الذين اشتروا منه بعض المسرحيات ، لكن فكرة رفاههم المفرط بينما يرقد هو مفلساً محتضراً زادت هياجه اشتعالاً . انهم « قرود ، وفلاحون » ، وهم « مزدانون بألواننا » (٨٢/٣) .

فمن هنا يجيء حقده على شكسبير الممثل ، والمنافس في التأليف المسرحي أيضا .

مما قال في كراسه المذكور يخاطب زملاءه المؤلفين المسرحيين : « نعم ، لا تثقوا بهم ، فان ثمة غراباً محدث نعمة ، مزداناً بريشنا ، يخيل اليه وهو ذو قلب النمر المتلفع بجلد ممثل ، أنه قادر كذلك على تنميق شعر مرسل كأحسن واحد فيكم ، ويظن وهو « أبو سبع الصنايع » (١٤) المستبد أنه في خيلائه (الشيك ــ سين) الوحيد في البلد ، آه ، فلهذا أناشد قرائحكم النادرة أن تستخدموها في سبيل أجدى » .

وقد أجمع الشراح ــ عدا اللاشكسبيريين ــ على أن هدف هجوم جرين هذا هو شكسبير ، بدليلين صريحين . أحدهما ايراد اسمه في تحوير المقطع الثاني منه في صيغة « شيك ــ سين » Shake - Scene بدل « شيك ــ سبير » Shake - Speare كما كان يكتب أحياناً) . وثانيهما تعبير « قلب النمر المتلفع بجلد ممثل » الذي يومئ إلى عبارة لشكسبير في الجزء الثالث من مسرحية (هنري السادس) نصها : « آه ، يا قلب النمر المتلفع بجلد امرأة » (المسرحية ١/٤ : ١٢٧) .

وواضح من كلام جرين أنه يهاجم ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً في شخص واحد .

« وقد تبين بدلالة وثيقة بلاطية بعد عامين أن وليم شكسبير كان في هذا الوقت ممثلاً بارزاً في لندن » (٨٣/٣) .

واذا تذكرنا وصف جرين للممثلين عامة بالغرور والجشع ونعتهم بالقرود والدمى ــ نجد أنه كان كريماً متهاوداً مع غريمه شكسبير إذ اكتفى بنعته بالغراب محدث النعمة المزدان بريش المؤلفين المسرحيين .. دون شتائم .

ويرى هارت (H. E. Hart) أن جرين وبيل ومارلو (١٥) كانوا قد قرروا ــ أو اقترح عليهم ــ أن يجعلوا من عصر هنري السادس موضوعاً لمسرحية ، فقسموا العصر ثلاثة أقسام ... وقد عاون شكسبير كلاً من بيل ومارلو في الجزئين الثاني والثالث بموافقتهما وارشادهما بحيث يعزى اليه أن نصيبه بلغ النصف من الجزء الثاني ونحو الثلثين من الجزء الثالث . أما جرين ــ المكلف بالجزء الأول ــ فلم يحالفه التوفيق ، فاضطر أصحاب المسرح أن يسلموا مسودة مسرحيته إلى شكسبير ليقيم اعوجاجها ويكمل نقصها ، فنهض بهذا العمل بسرعة وعلى أكمل وجه ممكن (١٦)

من هنا فيما يلوح ــ إن صح الخبر ــ كانت حفيظة جرين على شكسبير خاصة ، بالاضافة إلى اضطغانه على الممثلين عامة .

بعد وفاة جرين ببضعة أسابيع نشر له صديقه (هنري جتل) كراسه الأخير ذلك (شروى شعير من الذكاء) ـ بناءً على (وصية الاحتضار) (١٠٦١) .

وأخذ هذا الناشر على عاتقه مسؤولية إخماد شيءٍ من عنف جرين ومن ذلك تخفيف هجومه على مارلو كملحد (٨٣/٣) .

وقد استنكر مارلو اشارات جرين إلى الحاده واتهم جتل بأنه تجني بعدم حذف العبارات المسيئة مع أنه مخول ،كمحرر نشر ، أن يفعل . وفي مطبوع لجتل نشره بعد ثلاثة أشهر من وفاة جرين ، دافع عن نفسه بقوة لكنه أضاف أنه آسف لنشر العبارة عن الغراب المحدث النعمة ، وهو رجل لم يكن يعرفه أوانذاك لكنه اهتم منذئذ بالتعرف عليه (١٠٨/١) .

● كان "جرين" متهاودًا مع غريمه شكسبير، إذ اكتفى بوصفه بالغراب محدث النعمة !

إن واحداً أو اثنين من « مختلف كتاب المسرحيات » الذين خاطبهم جرين استاؤوا حسب رواية (هنري جيتل) الذي يقول : « لم أكن متعارفاً مع أي واحد من ذينك اللذين استاءا . وأحدهما لا أبالي بأن أعرفه قط ، والآخر لم أكن في ذلك الوقت قد استثنيته كما أتمنى لوأنني فعلت ... إني آسف كما لوكانت الغلطة الأصلية غلطتي ، لأني أنا نفسي رأيت سلوكه لا يقل دماثة عن امتيازه في التمثيل (١٧) الذي يحترفه . عدا ذلك ذكر كثيرون من ذوي المقام الرفيع استقامته في المعاملة التي تفصح عن امانته ، وظروف لباقته في الكتابة ، مما يعزز فنه » (٨٤/٣) .

وكما تبرع جرين بمدح شكسبير سلبياً بطريقته الهجومية معترفاً عن غير إرادة بأنه أحسن من كتب المسرحية ــ نشكر نحن له ذلك الهجو البناء الذي أنتج لنا كذلك تصريح (جتل)هذا الكبير الأهمية في البرهنة على احتراف شكسبير التمثيل مع التأليف وعلى امتيازه فيه وعلى بعض سجاياه مما نفتقده فيما بقي من التسجيلات .

إن الحقد على شكسبير من معاصريه بسبب تفوقه حز في نفوس آخرين ــ لابد أنهم كثيرون ــ عدا جرين ــ منهم ثلاثة من طلاب كمبرج مدحوه في ذمهم له على طريقة جرين المعكوسة ، في مسلسلة مسرحية من ثلاثة أجزاء بعنوان « العودة من برناسوس » (١٨) . في الجزء الأول منها يقول معتوه المسرحية إنه يمجد (السيد شكسبير الحلو) تهكماً على هذا اللقب الذي كان شائعاً له . وجاء في الجزء الثاني أن أحد زملاء شكسبير يقول عنه إن « صاحبنا شكسبير » أقدر على انتاج المسرحية من أي رجل متعلم في جامعة (٢٢٤/٣ و ٢٢٥) . إن كلمة (أقدر) أو (أحسن) نفسها التي استعملها جرين ، هي السكين الذي يحز في قلوب الحاسدين . والحسود يكفيه .. ماهو فيه .

لكن هذا ليس نقداً بل مجرد هجوم حاقد . أما النقد مع الهجوم فيزودنا به بن جونسن (وقد سبق الحديث عنه في عدد تموز « يوليو » من هذه « الدوحة » الغراء .

عبدالحق فاضل

هوامش :

1. F.E. Halliday, the Life of Shakespeare.
2. John Heminges & Henry Condell.
3. Marchette Chute, Shakespeare of London.
4. Dorothy Ogburn & Charlton Ogburn Jr., "Shakespeare" (The Man Behind the Name).
5. Palladis Tamia, or : Wits Treasury.
6. T.I.B. Spencer, Shakespeare : A Celebration.

٧ ــ : شاعر روماني (٤٣ ق م ــ ١٧ ب م) .

8. (Venus and Adonis) & (Lucrece).

٩ ــ الميوزات: ربات الشعر والموسيقا والفنون والالهام .

10. Lover's Labour Won.
11. The Taming of the Shrew.

١٢ ــ التضبير : نقصد به حفظ الوثائق في أضابير . والمضبرة : مكان حفظها أي مايسمى (الأرشيف) .

١٣ ــ : شروى شعير من الذكاء . 13. Groatsworth of Wit.
وشروى الشئ : ما يعادل ثمن شرائه .

١٤ ــ أورد هذا التعبير باللاتينية : Johannes de fac totum يقابله بالانكليزية Johnny-do-everything (٨٤/٣) أو : Jack-of-all-trades (١٠٧/١) .
ويقابله في عربيتنا الدارجة (أبو سبع الصنايع) .
والمقصود أن شكسبير يجمع بين التمثيل والتأليف المسرحي .

15. George Peele & Christopher Marlowe.

١٦ ــ محمد عوض محمد ، في مقدمته لترجمة (هنري السادس) .

١٧ ــ Quality كانت المصطلح الاليزابثي لحرفة التمثيل (١٨٤/٣) .

18. The Return from Parnassus.

كل خلق متناسق ، ومن أجل هذا تعودنا على حب التناسق ، واتخذناه فى حياتنا سبيلا .. لكن أى حيود عن قواعد ذلك التناسق ، نعتبره شاذا وغير مرغوب فيه ، وقد يغتفر هذا الحيود فى بعض أنماط حياتنا التى نسيطر عليها بأفكارنا ، كأن يكون ذلك مثلا فى تكوين لوحة ، أو تنسيق باقة ، أو ترتيب حجرة ، أو تخطيط مدينة ، أو تأليف أشعار وألحان .. الى آخر هذه الأمور التى لو شذت عن القواعد المألوفة ، لكانت نشازا يؤرق السمع والبصر والفؤاد ، لكن كل ذلك قد يهون أمره إذا ما قورن بالشذوذ الذى قد يحل بتكوين الكائنات الحية ، فيعبر عن نفسه بأنماط غريبة ، هى لب هذه الدراسة المختصرة .

القاعدة هي التناسق.. لكن لكل قاعدة شواذ!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

من قديم الزمان ، شاهد الناس أصنافا من المخلوقات تحمل تشوهات غير مألوفة فى الحيوان والانسان ، لكن اهتمامهم الأعظم ، وحيرتهم الكبرى قد تركزت على الشذوذ الذى يظهر فى البشر ، كأن يولد الطفل مشوه الوجه ، أو ضامر الرأس ، أو أفطس الجبهة ، أو عديم الرقبة ، أو شاذ الأطراف ، أو يحمل على جسمه أعضاء ضامرة لجنين آخر ملتصق على جلده .. الى آخر هذه التشوهات التى أفزعته ، فراح يفسرها بقدر ما أسعفه خياله ، أوبما يتناسب مع الأفكار التى كانت سائدة فى زمانه .

فلقد كان الانسان البدائى أو القديم يعتقد فى وجود مخلوقات غير مرئية ، أو أشباح ومردة وأرواح شريرة ، وظن أن لهذه الكائنات الأسطورية القدرة على التزاوج مع نساء البشر ، ومن أجل هذا كن يحملن ويضعن مواليد مشوهة أو « ممسوخة » ، ولقد أدى هذا الاعتقاد الخاطىء الى قتل النساء اللاتى عاشرن الشيطان ، لأن القتل هو السبيل الوحيد لتخليص القبيلة من ذلك الدنس الذى حل بأحدى نسائها ، أما المولود ، فكان فى أغلب الأحيان يولد ميتا ، واذا عاش ، كان مصيره كمصير أمه .

وتعتقد بعض القبائل البدائية أن المواليد المشوهة هى نتيجة حتمية لمعاشرة شاذة بين الانسان والحيوان ، أو أن بعض الأرواح الشريرة تتجسد فى صورة انسان أو حيوان ، ثم تعاشر النساء فى غفلة منهن ، ونفس هذه الفكرة البدائية لازالت تجد هوى عند بعض الناس ، فيعتقدون فى المعاشرة بين الانسان والحيوان ، وأنه بالإمكان حدوث الإخصاب ، وتكوين الأجنة لكنها لا تأتى على هيئة متناسقة أو سوية ، وهو اعتقاد لاشك خاطىء ومجاف لكل فكر سليم ، كذلك يقال إن هذا راجع إلى حضور الشيطان أثناء المعاشرة الزوجية ، ولهذا يأتى الوليد « ممسوخاً » ، كما تعتقد بعض الجاهلات أن التشوه قد يكون بسبب النظر إلى قرد أو أى حيوان آخر ، وهذا — بطبيعة الحال — جهل فادح .

وفى كتابهما عن « النمو » يذكر كل من دكتور جيمس تانر وجوردون تايلور أن هذه التشوهات قد

جذبت أنظار البشر منذ العصر الحجرى ، ولهذا سجلها الفنان القديم على جدران الكهوف ، كما وصفها حكماء بلاد ما بين النهرين (العراق الآن) على ألواح الفخار ، وأوضحوا باسهاب ظهورها فى الرأس والفم والأذنين والأنف والأطراف ، ويعتقد المؤرخون أن البابليين قد اعتبروا ظهور العاهات الخلقية فى المواليد نذير نحس أو كارثة ، ولهذا احتفظوا بأنماطها ، حتى اذا تكرر ظهور هذا النمط أو ذاك من الشواذ استطاعوا أن يتنبأوا بالكارثة قبل وقوعها .

كذلك يذكر دكتور ا . م . ونشستر أستاذ البيولوجيا بجامعة كولورادو فى كتابه « الوراثة فى حياتك » بعض التشوهات التى ربطها الناس باعتقادات خاطئة وخرافية ، من ذلك مثلا أن هناك تشريعاً نرويجياً قديماً يحرم عرض الأرانب المذبوحة فى محلات الجزارين حتى لا تراها النساء الحوامل ، فربما ينطبع فى ذاكرتهن شكل الشفة العليا المشقوقة للأرنب ، مما قد يؤثر على تكوين الجنين ، فيأتى بشفة عليا مشقوقة كذلك (وهو ما يعرف باسم الأشرم) ، لكن الشق تشوه خلقى يظهر نادراً فى البشر ، ولا علاقة له بالنظر إلى أرنب حي أو مذبوح !

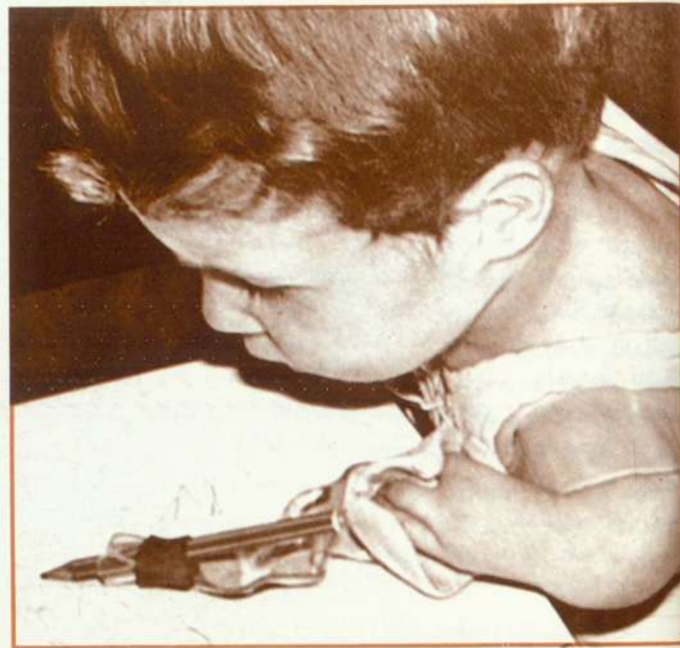
أو قد يأتي المولود ببشرة خشنة ذات قشور قريبة الشبه من حراشيف الأسماك ، وعندئذ تعتقد الأم أن سبب ذلك يرجع إلى أنها قد أزالت حراشيف بعض الأسماك أثناء حملها للجنين ، فخرج وليدها بهذا التشوه الجلدى نتيجة لذلك ، ويذكر ونشستر أيضاً أنه قد ناقش أمّاً فى أحد مراكز رعاية الأطفال بولاية فلوريدا وكانت تصحب ابنها الذى ولدته بدون ذراع يسرى وراحت تعلل له ذلك بأنها رأت – وهى حامل فى الشهر الخامس – حادثة مروعة ، سالت فيها الدماء ، وبترت الأطراف ، فأصابها رعب قاتل ، وظلت صورة هذه الحادثة الأليمة فى ذاكرتها طوال أشهر الحمل ، ولهذا تأثر بها الجنين – على حد اعتقادها ، وخرج إلى الحياة مبتور الذراع ، وراحت تؤكد إمكان حدوث ذلك من القصص التى سمعتها من أترابها عن إمكان تأثر الجنين بما يحدث حوله من أحداث .. وطبيعى أن اعتقاداتها خاطئة ، لأن التشوه قد حدث بالتأكيد قبل أن تشهد الحادثة ، ففى الشهر الخامس تكون كل أطراف الجنين قد تكونت وتحددت معالمها ، ولا يمكن – والحال كذلك – أن تكون الرؤية قد بترت ذراع جنينها !

ولاشك أن الناس يحاولون تعليل كل ما هو غير مألوف بتفسيرات غير مألوفة ، وهم هنا كمثل من يحاول أن يربط بين حظوظ الناس فى الحياة وبين

● لماذا اعتبر البابليون القدامى ظهور العاهات الخِلقِيَّة في المواليد نذير نحس أو كارثة ؟!

● ظهرت المواليد المشوّهة عام ١٩٥٩ بعد استعمال الحوامل الألمانيات لحبوب الثاليدوميد

أحد ضحايا أقراص الثاليدوميد المهدئة التي تناولتها الأمهات الحوامل ، فولدن آلاف الأطفال المشوهين في الأطراف .. وهذا الطفل المشوه الطرف يتلقى تدريبات في أحد مراكز المعوقين على استخدام ذراعه المشوه .



تشوه واضح في عظام الرأس ، وضمور في المخ ، وشذوذ في الوجه ، وغياب الرقبة ، وقد أرجع الأطباء ذلك الى طعام ملوث بالمبيدات دأبت الأم على تناوله أثناء فترة الحمل الأولى ، فظهر أثره على وليدها الذي جاء ميتا ، وهي حالة واحدة من حالات كثيرة .



القاعدة هي التناسق.. لكن لكل قاعدة شواذ!

البروج الفلكية التى ولدوا فيها ، وهو خطأ شائع ونابع من أساطير قديمة ظلت تعشش فى العقول حتى يومنا هذا ، لكن العلم يرى فيها رأياً آخر ، ورأيه يقوم على أساس من الملاحظة والبحث والتجربة ، وبهذا يستطيع أن يتوصل إلى الحقيقة ، ويعيد الأمور إلى أسبابها .

العلم يدحض الخزعبلات

وطبيعى أن العلماء فى عصرنا الحاضر يرون فى ظهور هذه التشوهات رأياً آخر يخالف ما استقرت عليه ظنون الناس ، فلقد جمعوا من أصناف هذه العيوب ما يزيد على الألف ، ومع ذلك فلا أحد يستطيع أن يزعم أن العلم قد وصل فيها إلى نهاية المطاف ، اذ كلما مر الزمن ، وتشعب البحث ، وتطورت المعرفة ، اكتشف العلماء أنماطاً جديدة من هذه العيوب أو العاهات التى لم تكن معروفة من قبل ، بداية من الأمراض الوراثية ونهاية بالتشوهات الخلقية التى تأتى أحياناً بمخلوقات شاذة ومخيفة .

فالأصل فى الخلق التناسق ، وما يطرأ عليه من شذوذ عن المألوف هو فى الحقيقة شيء عابر ، أى نتيجة لعوامل طارئة تتسلط على بعض الأجنة فى بدايات تكوينها ، فتحيد بها عن بعض مساراتها الصحيحة ، وتوجهها وجهة خاطئة ، فيعبر الخطأ (أو الأخطاء) عن نفسه بظهور عاهات قد تكون ظاهرة أو خافية ، وبقدر قوة العامل المؤثر ، تتحدد درجة التشوه أو الشذوذ فى تكوين الجنين .

وبعض هذه التشوهات قد يكون من صنع البشر .. كأن تتناول الحامل بعض الأقراص المهدئة ، كما حدث مثلا مع حبوب الثاليدوميد Thalidomide التى تسببت فى ولادة الاف الأطفال المشوهين ، ولقد أنصبت التشوهات على الأطراف .. ومن حسن الحظ أن أثرها لم يصل إلى الأمخاخ ، بدليل أن الأطفال لم يصابوا بتخلفات عقلية ، وقصة الثاليدوميد الذى أنتج فى عام ١٩٥٨ بألمانيا الغربية معروفة ، وكان فى الأصل بمثابة علاج مهدىء للتوتر العصبى والأرق ، كما أنه كان دواء مثالياً ، فليست له أعراض جانبية تذكر ، كما أن مداومة استعماله لا تسبب الادمان ، بجوار أن الجرعات الكبيرة منه لا تقتل ، إذ أن أكثر من مائة شخص قد تناولوه بغرض الانتحار ، ولم يمت منهم أحد ، ولهذا لم يجد الأطباء غضاضة فى وصفه للحوامل الألمانيات ، وبعدها بدأت المواليد المشوهة فى الظهور عام ١٩٥٩ ، ثم أخذت تتزايد حتى وصلت أعدادها إلى أكثر من ٥٠٠٠ حالة بعد ثلاث سنوات ، بالاضافة إلى أكثر من ألف حالة أخرى ظهرت فى كندا وأمريكا الجنوبية واليابان وبعض الدول الأوربية التى استوردت هذا الدواء واستخدمته على نطاق محدود .. ولقد استطاع طبيب ألمانى يدعى دكتور فيدوكند لينز أن يتوصل الى وجود علاقة مؤكدة بين تشوهات المواليد وتعاطى أقراص الثاليدوميد فى بداية أشهر الحمل الأولى ، وعندئذ منع انتاج هذا الدواء ، (رغم أنه لا يسبب عاهات فى الكبار) لكن بعد أن ترك مآسيه على آلاف الأطفال .

أو قد تظهر التشوهات فى الأجنة نتيجة لتعرض الحوامل للاشعاعات الذرية ، خاصة فى بداية الحمل ، ولقد تجلت هذه الحقيقة بوضوح عندما ضرب الحلفاء مدينتى هيروشيما وناجازاكى اليابانيتين بقنبلتين ذريتين فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولقد انتشر الاشعاع الذرى على المناطق المجاورة للمدينتين ، وكان تأثيره واضحا على بعض المواليد التى ظهرت مشوهة بعاهات مختلفة ، ولهذا يحظر استخدام الأشعة السينية فى الكشف على بطون الحوامل فى بداية أشهر الحمل .

وقد تنتج التشوهات الخلقية فى المواليد نتيجة لتناول الحوامل طعاما ملوثا بالمبيدات ، اذا أن هذه المركبات الغريبة تمتص وتدور فى الدم ، وتنتقل إلى الجنين أثناء التكوين ، ثم تتداخل فى مكوناته الوراثية المبرمجة فى الخلايا ، فتغير بعض برامجها الكيميائية ، وتحيد بها عن طرقها المرسومة ، مما يؤدى الى تغيير فى التفاعلات البيوكيميائية ، والعمليات الوظيفية أو الفسيولوجية التى تنعكس بدورها على تشوهات وعاهات تختلف باختلاف الجينات أو المورثات التى أخل هذا الدنس بنظامها المتقن .

أو تأتى بعض التشوهات من اصابة الحامل بالحمى أو بمرض فيروسى عندما يكون الجنين فى الشهور الثلاثة الأولى من الحمل ، من ذلك أن تصاب الحامل بالانفلونزا أو بالحصبة الألمانية ، مما قد يؤثر على بدايات تكوين القلب أو العينين وما شابه ذلك ، فيولد الطفل بعاهات مختلفة .. ربما فى أذنيه أو فى عينيه ، أو قد يولد أعمى ، أو به صمم ، كذلك قد يصاب قلبه ببعض التشوهات الخلقية . الخ

عوامل وراثية تسبب العاهات

كذلك قد يزيد معدل أنماط خاصة من التشوهات فى سلالات بشرية عن سلالات أخرى مما قد يشير الى أن أسبابها كامنة فى التكوين الوراثى لهذه السلالات ، ومن هذه التشوهات زيادة اصابع اليدين والقدمين عن معدلاتها المعروفة ، اذ قد تكون ستة أو سبعة أصابع بدلا من خمسة .. لكن هذه الظاهرة أكثر احتمالا بحوالى عشر مرات فى السلالة الزنجية عنها فى السلالة البيضاء ، وعلى العكس من ذلك تكون معدلات التشوهات فى الجهاز العصبى ، كأن يأتى المولود برأس ومخ غير كاملين ، إذ تظهر مثل هذه الحالات فى البيض أكثر من السود .. الخ .

وقد تتدخل العناصر الوراثية نفسها فى احداث التشوهات ، ذلك أن كل عضو أو نسيج أو تكوين صغر شأنه أو كبر محكوم بعدد من المورثات أو الجينات ، وقد يحدث فيها خطأ لأسباب بعضها معروف ، والبعض الآخر مجهول ، وقد تنتقل الجينات الخاطئة من السلف الى الخلف ، فتظهر على عظام غير سوية ، أو عضلات شاذة ضامرة ، أو فى عين أو أذن أو اصبع أو ظفر أو ثقب فى قلب .. الى آخر هذه العاهات التى تعبر عن نفسها بعلامات ظاهرة وخافية . .

خذ على سبيل المثال تشوهات الأيدى والأرجل وما يتصل بها من أصابع وأظافر ، فأحيانا ما يأتى الاصبعان ملتحمين أو تظهر الأصابع بعددها المعروف ، لكن الضمور يصيب بعض سلامياتها (عقدها العظمية) ، فيؤدى ذلك إلى أصابع قزمية أو قصيرة ، أو قد لا تنمو بعض الأصابع ، فيأتى المولود بثلاثة أصابع أو أربعة أو قد تستطيل الأصابع الى أطوال غير عادية ، فيطلق عليها الأصابع العنكبوتية (نسبة الى أرجل العناكب الطويلة الرفيعة) ، وأحيانا يظهر التشوه فى اليد أو القدم ذاتها (الأحنف) فتبدو معوجة) .

والواقع أن ذلك قليل من كثير ، ولايتسع المجال لذكر المزيد ، لكن الثابت أن هذه التشوهات نتيجة طفرات تحدث فى البروجرام الوراثى للخلايا أثناء تكوين الجنين والطفرات دائمة الحدوث فى الجينات ، فتغير ما بها ، لكن ليست كل الطفرات سيئة بل هناك طفرات حسنة ، وبها

● مولود بأصابع عنكبوتية وآخر يشبه فى تكوينه حوريات الماء الأسطورية!

● أعلى نسبة تشوّهات الدماغ والمخ في إيرلندا وغرب بريطانيا ، وكثرة تعدّد الأصابع الزائدة في إفريقيا !

يتخطى الكائن الظروف الصعبة التى تجابهه فى الحياة ، لكن موضوع الطفرة طويل ومتشعب ، ولن نتعرض له هنا الا بالقدر الذى يوضح لنا أن السبب فى التشوهات يرجع الى طفرات سيئة تحل بالجينات المسئولة عن تحديد صفات المخلوقات .. ثم هى قد تنتقل من جيل الى جيل ، خاصة اذا حدث التزاوج بين أفراد العائلة أو القبيلة الواحدة ، فظهور بعض أفراد احدى قبائل جنوب افريقيا بأقدام مشوهة ، ثم تنتهى كل قدم باصبعين يشبهان الكلابات أو المخالب ، يشير الى أن هذا الخطأ متوارث فى أفراد هذه القبيلة دون غيرها ، إذ أنه ينتقل من الآباء الى الأبناء ، ورغم أن هذا التشوه منفر ، الا أنه محتمل ، بدليل أن المواليد تواصل الحياة ، لكن قد يصل التشوه فى الأطراف أحيانا الى أقصى درجاته ، كأن يلتحم الفخذان والساقان والقدمان التحاما تاما وبحيث يبدو الجنين أو المولود وكأنما هو يشبه فى تكوينه حوريات الماء الأسطورية (كائنات خرافية لها جسم امرأة وذيل سمكة) وطبيعى أن تكون مثل هذه التشوهات الكبيرة غير محتملة ، ولابد والحال كذلك أن تأتى المواليد ميتة ، أو نادرا ما تعيش لبضع ساعات أو أيام قليلة .

تصفيات لابد منها

وطبيعى أن يهتم العلماء بدراسة هذه التشوهات ، لمعرفة الأسباب التى تؤدى الى حدوثها ، وبهذا يمكن ترشيد الناس عامة ، والحوامل خاصة بتجنب بعض العوامل المسببة لها ، أو علاج ما يمكن علاجه قبل فوات الأوان ، خاصة وأن درهم وقاية خير من قنطار علاج ، اذ لو ثبت مثلا أن هذه العاهات أو التشوهات تحدث بسبب دواء ، أو أى مركب آخر ضار ، أو من ميكروب أو فيروس ، أو تلوث الماء والغذاء بالمبيدات ، أو أية عوامل أخرى موجودة فى البيئة ، أو من نقص هرمونات ، أو زيادة أخرى ، أو من البيئة المحيطة بالأجنة فى الأرحام ، أو من طفرات وراثية سيئة يحملها الآباء أو الأمهات ، أو الاثنان معا ، فيورثونها الى ذرياتهم .. كل هذا وغيره يستحق البحث والدراسة والتمحيص ، اذ لا تطبيق ولاعلاج يفيد بدون معرفة سابقة بأسباب هذه التشوهات .

لكن الحياة ذاتها تختصر الأمر ، فتتدخل من البداية لتضع حدا لانتشار مثل هذه التشوهات بين المخلوقات ، ولهذا تحكم عليها بالاعدام ، وهو أمر فى ظاهره قسوة ، لكن فى باطنة رحمة ، لأن انتشار هذه الاخطاء عبء على الحياة ذاتها ، ولهذا تضع فى اعتبارها تصفية حساباتها مع المنحرفين والخارجين على سننها وشرائعها وقوانينها ، وكلما كان الانحراف كبيراً ، كان الحكم بالاعدام أكيداً ، ولهذا تطرد أرحام الحوامل مثل هذه الأجنة قبل اكتمال نموها ، أو قد يكتمل نموها ، لكنها تولد ميتة ، واذا ولدت حية ، فلا تعمر الا ساعات أو أيام معدودات ، واذا عمرت وكانت التشوهات أو العاهات محتملة ، عاش بها المخلوق ، لكنه لا محالة سيجابه عملية التصفية أو الاختيار الطبيعى الكائنة حوله فى الحياة ، وهى عملية لا تحيز فيها ولا محاباة ، ففى عالم الانسان تكون فرص الزواج من ذوى التشوهات والعاهات أقل بكثير من فرص الاصحاء والأقوياء ، أو قد تكون المجتمعات البشرية رحيمة ومتعاطفة مع مثل هذه الحالات ، لكن ذلك لا يسرى على المخلوقات الأخرى التى تعيش فى البحار والغابات ، فقانونها هو قانون الغاب ، فالقوى يقضى على الضعيف ، لكن أول المقضى عليهم يكونون عادة من ذوى العاهات ، لأن عاهاتهم لا تساعدهم على الصراع أو الهرب ، ثم أن مبدأ الحياة المطبق بين كائناتها يمكن ترجمته فى كلمتين اثنتين : « اضرب » أو « اهرب » ... وكلاهما يحتاج لمخلوق يجيد هذا الفعل أو ذاك ، أو ربما الاثنين معاً .. ويمثل هذا التشريع الحكيم تسعى الحياة إلى تنقية نفسها من هذه الأدران ، فيبقى الصالح ، ويزول الطالح .

مزيد من التحريات العلمية

والواقع أن سر اهتمام العلماء بهذا الموضوع الحيوى والهام ، وجمع أكبر قدر ممكن من أنماط هذه التشوهات ، ومعرفة الأسباب التى تؤدى إلى حدوثها ، ثم القيام بتجارب علمية على حيوانات التجارب ، للكشف عن العوامل الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والوراثية التى يمكن أن تؤدى إلى التشوهات .. كل هذا وغيره قد تمخض عن علم يعرف باسم علم شواذ أو غرائب المخلوقات Teratology . والغرض منه انقاذ ما يمكن انقاذه من المواليد البشرية ، خاصة وأن أعدادها التى تفد حية على هذا الكوكب لا يستهان بها ، اذ تتراوح ما بين مليونين وثلاثة ملايين مشوه كل عام !

فمن الاحصائيات المتاحة فى بعض الدول المتقدمة يتبين أن معدل المواليد ذوى العاهات الوراثية والتشوهات الخلقية يقع فى حدود ٤٪ من كل المواليد .. فهناك دراسة قام بها مركز كولومبيا الطبى بأمريكا على حوالى ست آلاف سيدة حامل ، وبداية من الشهر الرابع للحمل ، ونهاية بالسنة الأولى بعد الولادة (حيث تتضح بعض العاهات التى كانت خافية) ولقد ثبت من هذه الدراسة أن حوالى ١٦٠ ألف طفل يولدون سنوياً فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بعاهات تعبر عن نفسها بتخلفات عقلية ، أو تشوهات خلقية ، وهى نسبة عالية تستحق أن تؤخذ فى الاعتبار ، وفى دراسة أخرى تبين أن ٣٪ من المواليد يصابون بعاهات وتشوهات من الدرجة الخطرة ، هذا زيادة على نسبة أخرى تتراوح ما بين ١٠ ــ ١٥٪ من المواليد المصابين بعاهات بسيطة ، ويمكن علاجها بالجراحة أو الأدوية .

ويذكر تقرير آخر حديث أن حوالى ٢٠٪ من المواليد المشوهة تشوها واضحاً تولد ميتة ، أو تعيش لبضعة أيام على أكثر تقدير ، أو قد يولد بعض الأطفال دون أن تظهر عليهم عاهات تذكر ، لكن هذه العاهات تبدأ فى الظهور بعد أسبوعين أو أكثر قليلا ، ويصل معدلها إلى حوالى ٢٠ حالة بين كل ألف ولادة ، وعندما يبلغ الأطفال من العمر خمس سنوات تظهر حالات أخرى بمعدل ٦ فى الألف ، ومعظمها يعبر عن نفسه بتخلفات عقلية متفاوتة الشدة ، وبعد هذه السن قلما تظهر عيوب خلقية ، واذا ظهرت ، فهى شيء عارض فى الحياة ، أى لا دخل لها بتشوهات حدثت أثناء تكوين الأجنة .

هذا وتختلف أنواع التشوهات باختلاف المواقع الجغرافية للدول ، وباختلاف السلالات البشرية ، من ذلك مثلا أن ايرلندا وغرب بريطانيا لديهما أعلى نسبة فى تشوهات الدماغ والمخ ، اذ قد تأتى المواليد بدون أمخاخ أو بأمخاخ ضامرة ، ويقال إن هذا المعدل فيهما أعلى بحوالى ٢٠ مرة من أية دولة أخرى .. كذلك يظهر تعدد الأصابع الزائدة بين سكان القارة الافريقية بمعدلات أكبر من أية قارة من القارات الأربع ، لكن الأسباب الكامنة وراء هذه الاختلافات غير معروفة على وجه الدقة ، والزمن والبحوث العلمية والطبية كفيلة بالكشف عن سر هذا الغموض .

ثم أن أخطر هذه العاهات تتمثل فى الأمراض الوراثية ، وعلى رأسها التخلفات العقلية ، لأن كثيرين يعيشون بها ، فيشكلون مآس حقيقية لأسرهم وللمجتمع الذى يعيشون فيه ، بالاضافة إلى أنهم عبء ثقيل عليه .. لكن ذلك موضوع آخر هام سوف نفرد له دراسة مستقلة .. أما الذين يختصرون الطريق إلى الدار الآخرة بتشوهاتهم وعاهاتهم غير المحتملة ، والتى لا يمكن أن تستقيم معها حياة ، فقد استراحوا وأراحوا . صحيح أن أحداً لا يحب الموت أو يحبذه ، لكن « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرلكم » .. وفى هذا فصل الخطاب .

عبد المحسن صالح

آخر صعاليك الشعر العربي

صعلوك الشعر العباسي بين خراسان وأسوان !

صعاليك الشعراء في الجاهلية كانوا كثيرين ، ولم يعرف صدر الإسلام صعلوكاً شاعراً على مثالهم ، ثم ختم التاريخ صفحة الشعراء الصعاليك ، بهذا المغامر العجيب الذي كان صعلوك الشعراء في العصر العباسي الأول..
نحاول هنا أن نقرأ تاريخه من جديد ، ونتأمل ملامحه الحقيقية وسط ركام الأخبار التاريخية المتناقضة ..

بقلم : كمال النجمي

من خلال كتب الأدب والتاريخ ، يطل علينا الشاعر دعبل بن علي الخزاعي ، في صورة « شاطر » جريء القلب ، عربي الأرومة ، لا أعجمي الدم كغالبية الشطار وقطاع الطرق في عصره .. واسع العلم بلغات العرب وأساليبهم في الشعر .. يشبه أن يكون فوضوياً سابقاً لعصره ، لا يستقر له قرار في الفكر والسياسة ، غير أنه يرى نفسه صاحب رأي من الآراء التي اشتجرت في زمانه ، لا تحيد سريرته عن رأيه ، ولا يخالفه قولاً وعملاً ! ..

وفي سبيل رأيه ــ كزعمه ــ خاصم دعبل مؤسسات عصره السياسية والفكرية والعلمية والأدبية ، ومن يمثلون هذه المؤسسات من حكام وعلماء ووجهاء وشعراء وأدباء ، حتى ظن أنهم خافوا جميعاً من لسانه ، وتوهم أنهم أهدروا دمه فطاردته مخاوفه من مكان إلى مكان ، واعتاد أن يعيش هارباً متوارياً ، إلا في الفترات التي يجنح فيها إلى مسالمة خصومه ، فعندئذ يقف على أبوابهم يلتمس جدواهم من مال أو طعام .. ناسياً خشبته التي خَيّل إليه الوهم أنه يحملها على كتفيه أنى سار ، من ليل أونهار .. قال بعض الرواة ــ كما ورد في كتاب الأغاني ــ : « رأيت دعبل بن علي وسمعته يقول : أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .. » ! ..

فلماذا لم يصلبوه على خشبته المزعومة هذه ؟! ..

لأن العباسيين الذين كان دعبل يهجوهم ، استهانوا به وعرفوا أنه إنما خرج عليهم بلسانه فقط ، أما جنانه فهو لصيق بدنياهم الزاهرة ، يريد أن يصيب منها كما أصاب غيره من الشعراء والأدباء ، فلم يصادروا حريته ، ولم يطاردوه في الفلوات مطاردتهم لعدو يحرصون على اقتناصه ، حتى إن الخليفة المأمون حين قيل له : لقد هجاك ! .. قال : أنا أحلم عنه وأصفح ! .. ثم تلطف به فاستقدمه إلى مجلسه فلم يعنف به ، ولا عاتبه بكلمة ، بل طلب إليه أن ينشده قصيدته الجنائزية المؤثرة التي ليس له مثلها في شعره كله :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

فأنشده إياها والخليفة يبكي حتى اخضلت لحيته بدموعه ، ثم أجلسه وأنس به وأحسن إليه ! ..

وقبل إحسان « المأمون » إليه كان إحسان « الرشيد » .. فإنه لما شاعت أبيات دعبل الغزلية الرقيقة التي منها :

لا تعجبي يا سلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى

.. غنى ابن جامع « كبير المطربين » بهذا الشعر بين يدي الرشيد فسأله عن صاحبه ، فأخبره أنه « غلام » من قبيلة خزاعة اسمه دعبل ..

فاستقدمه الرشيد واستنشده وخلع عليه من ثيابه ، ودفع إليه عشرة آلاف درهم ، وأجرى عليه رزقاً وشجعه على الاستمرار في قول الشعر وكان حينئذ ناشئاً فيه يتتلمذ على الشاعر الكبير مسلم بن الوليد .. قال أحد الرواة : « فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السني ، والغنى بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول ، بأقبح مكافأة ، وهجاه حتى وهو ميت » ..

ولم يبغضه ويغضب عليه من الخلفاء إلا المعتصم ، ويمكن أن نذكر أيضاً ابراهيم بن المهدي ــ عم المعتصم ــ وكان حاقداً على دعبل الذي هجاه لزعمه أنه « الخليفة » في بغداد بعد مقتل « الأمين » .. ولكن زعمه الخلافة سرعان ما سقط حين شغب عليه الجند وطالبوه برواتبهم ولم يكن في بيت ماله شيء ، فقال دعبل أبياته



المشهورة التي يذكر فيها اشتغال ابراهيم بن المهدي بالغناء وضرب العود، ويسخر من البيعة له بالخلافة قائلاً:

بيعة ابـراهـيـم مشئـومـة
يقتل فيـهـا الخلق أو يقحط
وهكـذا يـرزق أجنـاده
خيفة مصحفه البـربط

والبربط هو العود الذي كان ابراهيم بن المهدي يضرب عليه في غنائه .. وكانت هذه الأبيات من أسباب انصراف الناس عن ابن المهدي، لأن الخليفة صاحب مصحف، لا صاحب بربط..

وكان دعبل يبغض الوزير الخطير محمد بن عبدالملك الزيات .. أنشده غير مرة مديحاً فيه فلم يأبه له، بينما كان ابن الزيات يطرب لمديح أبي تمام، ويقف على قدميه تعظيماً له، ويعطيه ألوف الدراهم ويعتذر إليه من قلة العطية قائلاً: « يا أبا تمام .. إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك ودرر معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر !.. وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة » !.. وكان أبو تمام أبغض الناس إلى دعبل !.

كذلك كان دعبل يبغض قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد، لشدة إعجابه بأبي تمام، وقد أعطاه في إحدى قصائده ألف دينار، غير ملتفت إلى دعبل ولو بدينار واحد !.. فهجاه دعبل فلم يلتفت إلى هجائه !..

وقد كان ابن الزيات وابن أبي دؤاد من جبابرة عصرهم، لكنهما لم يعاقبا دعبلاً بشيء، مع أن ابن الزيات هو صاحب « التنور » المشهور في تاريخ الأدب وتاريخ السياسة، وقد عذب فيه الكثيرين، وكان أهون شيء لديه أن يمسك بدعبل ويزج به في التنور، ثم لا يخرجه منه حيا !..

ولم يكن ابن أبي دؤاد أقل في جبروته من ابن الزيات، ولكنهما ـ حيال دعبل ـ كانا يتأسيان بالمأمون حين حرضه بعض خصوم دعبل على قتله فقال لهم: « أما القتل فإني لست أستعمله فيمن عظم ذنبه، أفأستعمله في شاعر؟! .. »

لقد كان دعبل لا يزيد في الحقيقة على شاعر تدعوه بواعثه النفسية إلى الهجاء، وليس له وراء الهجاء عمل ضد السلطان، بل ولا ضد أحد من عامة الشرطة في أقصى مدن الدولة، ومع ذلك أوشك التاريخ أن يرسم له صورة شاطر مغامر من شطار الكوفة، يرمي نفسه في المهالك، ويحمل من فرط شجاعته واستخفافه بالموت، خشبته على عنقه ليوفر على من يريد صلبه عناء البحث عن الأخشاب !.. ولم يكن ذلك صحيحاً، فهذا هو المأمون لا يراه إلا شاعراً ثرثاراً لا خطر له .. أما عبدالله بن طاهر ـ وهو من أكبر رجال العسكرية العباسية ـ فيقول: « قصاراي إن ظفرت به أن أضربه مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصيره في المطبق » ..

وقد استمرأ دعبل استهانة الكبراء به وإحجامهم عن قتله، فاقتحم بهجائه على الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، والقائد طاهر بن الحسين وابنه عبدالله بن طاهر، ولم يحجم عن هجاء أحد مخافة بطشه أو طمعاً في عطائه، أو شكراً لصنيعه، ولم يسلم من هجائه حتى أستاذه مسلم بن الوليد الذي تخرج على يديه في الشعر، فهجره وقطعه مستهيناً به:

فهبك يميني استأكلت فقطعتها
وجشمت قلبـي صبـرَه متشجعا

كان دعبل صعلوكاً غير فاتك، تستهويه حياة الصعلكة بعيداً عن المدن العباسية الكبيرة .. وكانت الصعلكة من ثمرات حياته وتربيته وتكوينه النفسي منذ صباه، فلم تطرأ عليه في كبرته-حين استهوته بعض المذاهب-أية رغبة في تحويل الصعلكة إلى نضال من أجل مذهبه، فظل مذهبه هذا حبيس أبيات قليلة من شعره الكثير .. وانسلخ عنه في واقع حياته، وإن لبث في خصومة شخصية مع أكبر عدد من أصحاب الكلمة النافذة، فعاش يهجوهم بسبب هذه الخصومة الشخصية البعيدة في الحقيقة عن الخصومة المذهبية، وهو في هذا يشبه ـ ولو من بعيد ـ كُثَيِّرَ عزة الذي كان يمدح بني مروان ويقبض جوائزهم، ولا يجمعه وإياهم مذهب في السياسة ..

كان دعبل وهو غلام، يتشطر في أرباض الكوفة فيقطع الطريق ويسرق المارة حتى أوشك صاحب الشرطة أن يقطع يده، ثم اكتفى بضربه ثلاثمائة سوط، فخرج من الكوفة مثخناً بالجراح، ولم يعد إليها إلا وقد اكتهل وصار شاعراً مشهوراً وأقلع عن قطع الطريق بالسلاح، واستعاض من ذلك قطع الطريق بالأوزان والقوافي !..

ثم تقلب دعبل في الدنيا فكان كما يقول كتاب الأغاني: « يغيب سنين، يدور الدنيا كلها، ويرجع وقد أفاد وأثرى .. وكانت الشراة ـ الخوارج ـ والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وأنشدهم، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره، وكانوا يواصلونه ويصلونه ».

ولعل دعبلاً كان الصعلوك الوحيد الذي يصحب المغنين وآلات الطرب في أسفاره !..

قال دعبل يصف أسفاره هذه وطولها ومشقتها، ولم يذكر شيئاً عن المغنين وآلات الطرب:

آخر صعاليك الشعر العربي

حللت محلاً يقصر البرق دونه
ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

وقال :

ما أطول الدنيا وأعرضها
وأدلني بمسالك الطرق

كان دعبل يحن إلى العيش المستقر ، ويرتاح إلى النعمة إذا وجدها ، وقد اتفق له غير مرة أن استقر فترة بعد فترة في بعض المدن ، وبخاصة في بغداد التي اشترى فيها داراً ، ولبس السواد كالعباسيين وأشياعهم وحمل على عاتقه سيفاً كالجند وخاصة الناس ..

وكانت له في تلك الأيام نعمة ظاهرة ، ومكانة عند عارفيه الكثيرين ، وله إماء وعبيد ، وخيل وبراذين ، وماشية ودجاج ذكرها في شعره وهو يهجو أناساً سرقوا شيئاً منها ..

وأنجب دعبل بنين وبنات ، واستقر حيناً ، وجلس مع أصحابه في مجالس الغناء ، وغدا وراح هنا وهناك .. حتى طمع بعض أقاربه من الخزاعيين في توبته عن هجاء الناس واستقراره في بغداد ، فنصح له قائلاً :

ـ ويحك يا دعبل .. قد هجوت الناس جميعاً ، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كففت عن هذا ، وصرفت هذا الشر عن نفسك !..

جاءت هذه النصيحة ودعبل « تائب » فعلاً .. مستقر في حياته ، متطلع إلى مستقبله ، فحملته نصيحة قريبه الخزاعي على التفكير في مرحلة أخرى من الاستقرار ، يدخل بها في زمرة ذوي السلطان والمال ، فلم يلبث أن قرر السفر إلى مصر عسى أن يجد فيها مايرجوه ، معترفاً لبعض أصدقائه أنه إنما يتعاطى الهجاء لتخويف من يريد عطاءهم ، لأن الهجاء يبتز من أموالهم ما يقصر دونه المديح !..

كان المطلب بن عبدالله بن مالك الخزاعي والياً على مصر سنة ١٩٨هـ.. ولاه عليها الخليفة المأمون ، فذهب المطلب إلى مصر وهي كثيرة الاضطراب والفتن .. قال صاحب النجوم الزاهرة : « إن أهل مصر كانوا يومذاك فرقتين ، فرقة من حزب الخليفة محمد الأمين ، وفرقة من حزب أخيه المأمون ، فقاسى المطلب بمصر شدائد » .. ثم عزل وقبض عليه وسجن بأمر المأمون حتى ثار الناس على الوالي الجديد لظلمه فأعيد المطلب إلى الولاية ، وصفا له الجو هذه المرة .. « ورفق بالرعية وأجزل لهم أعطياتهم وأحسن إليهم » .. وطارت شهرته إلى الآفاق فقصده الشعراء ، وكان أحقهم بقصده شاعر قبيلته دعبل الخزاعي ، فوفد إليه سنة ١٩٩ هـ وليس في الدنيا يومئذ شاعر أشهر منه ، وهو فخر « خزاعة » كلها ..

وفي مصر مدح دعبل الخزاعي ابن عمومته المطلب الخزاعي فقال :

أبعد مصر وبعد مطلب
ترجو الغنى .. إن ذا من العجب
إن كاثرونا جئنا بأسرته
أو واحدونا جئنا بمطلب

فطرب المطلب وأرسله والياً على مدينة أسوان التي تقع في جنوبي مصر « على بعد تسعمائة وخمسين كيلومتراً من الفسطاط » .. وكانت حينذاك مازالت عند أكثر المصريين تحمل اسمها المصري القديم « سوانو » .. ومعناه « السوق » لوقوعها في ملتقى التجارات بين مصر والأقطار الافريقية .. وكانت ثغراً للمسلمين يرابط بها الجند لصد غارات الأعداء ..

عاش دعبل بضعة أشهر والياً على أسوان .. يجلس للحكم والقضاء ويصلي بالناس ويلقي خطبة الجمعة ويدعو للخليفة العباسي ، ولكنه تبرم من قلة عطائه ، ولم تعجبه المدينة القاحلة المحصورة بين الجبل والصحراء ، فعاودته حماقته وهجا قريبه الخزاعي والي مصر ، فعزله وأهانه وأخرجه من مصر على شر حال ، فانقلب إلى العراق وهو يردد هجاءه في قريبه والي مصر :

تنوط مصر بك المخزيات
وتبصق في وجهك الموصل

عاد دعبل بعد خروجه من مصر ينتقل على غير هدى بين العراق والشام والحجاز وخراسان ، طوال خلافة المأمون وقد أمن على حياته ، حتى تولى المعتصم الخلافة ، فهجاه دعبل ، فطلبه المعتصم فهرب منه إلى الجبل وثابر على هجوه حتى بعد موته ، إلا أنه أنكر كل الإنكار أنه هو القائل في هجائه :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

وقال دعبل : أراد ابراهيم بن المهدي أن يغري المعتصم بقتلي فنحلني هذا الشعر !..

وفي عهد الواثق ثم في عهد المتوكل ، كان دعبل قد أوغل في السن ، وبلغ من العمر أرذله حتى شارف المائة ، ولم يبق مكان في الدولة لم يلجأ إليه ، ولا ذو مال أو سلطان لم ينله بالذم بعد المدح .. وأناخ عليه ضعف الشيخوخة والاملاق والعجز عن الكسب ، فوقف يقول لأحد ممدوحيه وقد أثقلته الحاجة القاصمة :

جئت بلا حرمة ولا سبب
إليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فإنني رجل
غير ملح عليك في الطلب

عاش دعبل ثمانية وتسعين عاماً .. ولد سنة ١٤٨ هـ في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، ومات سنة ٢٤٦ هـ في عهد الخليفة المتوكل .. ولم يتعرض طوال هذا العمر الشاسع للقتل ، إلا تهديداً ووعيداً ..

ثم جاءت نهايته أخيراً ! هجا والي البصرة فقبض عليه ودعا بالسيف والنطع ليضرب عنقه ، فلم تسعف دعبلاً في هذا الموقف الضنك قوة أو حيلة أو لجاجة ، وهو شيخ كبير.. فجحد الشعر الذي هجا به الوالي وحلف على جحده بكل يمين .. « وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه » .. فأعفاه الوالي من القتل ولكنه انهال عليه ضرباً بالعصا حتى انهار ووقع مغشياً عليه ، مهاناً أشد إهانة .. ثم خلى سبيله !..

ضاقت الدنيا بدعبل .. لم يكن يستطيع وهو في ضعف شيخوخته الفانية أن يسكت عن الهجاء ، ولا أن يخرج من أرض الدولة العباسية الممتدة بين الهند والمحيط الأطلسي ، وبين بلاد الروم والمحيط الهندي ..

كان خروجه منها مستحيلاً ، فليس وراءها إلا أرض الروم وهي « دار كفر » .. أو أرض الأندلس وهي أرض بني أمية في ذلك الزمن .. ولا طاقة له بالسعي إلى هذه الأرض أو تلك ــ لو أراد أن يخرج من الأرض العباسية ــ وقد أثقلته الحياة بثمانية وتسعين من أعوامها الثقال كالجبال !

وهكذا برك دعبل في مكانه كالبعير غير قادر على شيء غير التسليم للمقادير !..

إن كلمة « دعبل » في اللغة معناها البعير المسن العظيم البدن .. وقد كان دعبل رجلاً ضخماً طوالاً كأنه الدعبل حقاً وصدقاً .. عاش كما شاء ورأى الدنيا تتقلب تحت عينيه من حال إلى حال في عهود تسعة خلفاء حتى أنكرها وأنكرته ، وأبغضها وأبغضته ، ولكن لم يقتله السأم من طول الحياة كما فعل بالشاعر « لبيد » من قبل ، وإنما استطال أعداؤه عمره ، فدسوا له السم ليريح ويستريح !..

مات بالسم غيلة هذا الشاعر المغامر المتصعلك الذي ضرب الأعناق والرءوس بلسانه وبيانه ، دون سيفه وسنانه ، وثار طول حياته بالكلام لا بالصدام ، ونشر ظله في أعرض رقعة من الزمان والمكان ، وعاش خائفاً آمناً ، مستقراً شريداً ، شقياً سعيداً !.. يقفز من بغداد إلى أسوان ، ومن أسوان إلى خراسان !..

لقد خر البعير المسن العظيم على كلكله الغليظ ، بضربة عصا مسمومة سددها أعداؤه إلى ظهره ، بعد أن ظل ثمانين عاماً يرميهم بهجائه المسموم في وجوههم .. فاستوت في النهاية جريمة القتل ورذيلة الهجاء ، واستندت الجريمة على ذراع الرذيلة ، وحفرتا للدعبل الصعلوك الذي أتعبته الأيام والليالي ، حفرة الراحة الأبدية !..

كمال النجمي

ما وقف الغريب عن المسير..

شعر: سميح الشريف

فوق الرحاب وهبت وجه جزيرتي للبحر
بيني وبين البحر سرُّ القطرة الأولى
وسرُّ الرحلة الأولى ،
ولدنا في رحاب الدهر
والدهر السرير

• • •

سجادة للبحر وجه جزيرتي ،
رست الدهور على حواشيها كأعشاش
وفرخت الدهور

• • •

قدمايَ فوقَ الموج مبحرتان
تدنيني المسافة من ينابيعي
وثوبي من نسيج الريح
ها أنذا سكنت مدينة الأصداف
واختفت التخوم
ملكاً أجئ إلى ينابيعي وحاشيتي الرذاذ
صادفت عند مساقط الشلال روحي البكر
فاختلج الجماد

• • •

اقبل حبيبي أيها الملك المتوج بالغيوم
حقلاً من النوار مجدولا
وموجاً من عبير

• • •

ما كنت أدري كيف صرنا اثنين
لكنا أتينا خلسة في الليل
نحمل طفلةَ الأرض البهية
واختبأنا ألفَ دهر
في الصخور

• • •

كنا صغيرين ابتدانا من أصابعنا
ركبنا الزورق الفضي
أقلعنا وراء الضوء أشتاتاً
وعدنا نحمل القمر الصغير

• • •

هاتيك ألف جزيرة أخرى
تَناسلُ في السكون وراء إغفاء الطبيعة
كان الصحاب بها كدفق الصبح ينتشرون
مذ أبصرتني فيهم ،
عرفت بأنني الفرد الكثير

• • •

من أين أنشبهم نبات البحر
كانوا إخوة يتطافرون على السفوح ،
وتحبل الغابات والقمم البعيدة
من فؤوسهمو
ووجه الأرض مائدة الصباح البكر ،
مائدة الظهيرة والمساء
اقبل حبيبي من وراء الأفق ،
مازلنا على مرمى من الضوء المعلق
بالفضاء .
مازالت الأسحار تعبرني ،
وتحمل كل أطواري
فأخرج كل طور في إهاب
تمتص من نسغي الجذور أنا الجذور
وجدول الأنساغ يجرى من عبابي
وأجيء عشباً يرتقي جبلا إليك ،
ويأكل العصفور في طبقي
ويلبس من ثيابي
وأجيء من طوري القصي ، هناك

أهتف ياحبيبي الآن اقبل
فأنا انتظارك
شرفتي الجبل البهيُّ ،
وقامتي الصخر العتيُّ
تطل عليك من كيس الضباب

• • •

قد كنت طينتك الرخية ذات يوم ،
ثم بعد تمخضت جبلاً
وصار بداخلي كهف لسرك
ها أنت تبعثني على ورق الصخور الجرد
أ شجارا تَناوح عند باب الكهف
أقواساً لنصرك .

• • •

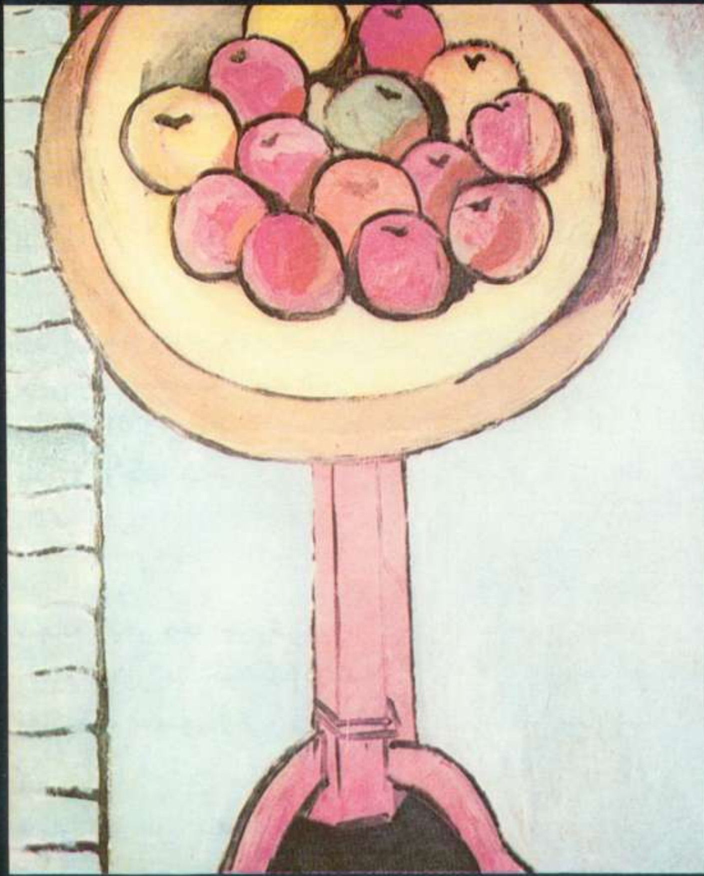
وأظل كالأشجار تدفعني الجذور
إلى العلاء
وأظل أرفع هامتي وأمدها
نحو السماء
أعلو وأعلو ثم أهوى تارة أخرى
فينميني على الجذر البقاء
يا أيها الحب الذي حط الصباح على جدائله
وودعها المساء
ما راعت الأنواء من قممي
إني أنا الجبل الذي حفرت منازلها
عليه الكبرياء ..

• • •

للنهر أغنية يرنمها ويمضي كالغريب .
فآه من قلبي الذي أصغى
وآه منك يا قدمي التي وقفتْ
وما وقف الغريب عن المسير ..



جوان ميرو : في هذه اللوحة تأثر بفن الأطفال ليثبت اللمسة الابداعية الكامنة في رسوماتهم !



هنري ماتيس : في هذه اللوحة فعل ما يفعله الطفل عادة فرسم سطح المنضدة دائرياً !

الإبداع في رسوم الأطفال .. لماذا نفسده؟!

بصمات الطفولة في لوحات الفنانين العالميّين

بقلم : الدكتور محمود البسيوني

ينظر البعض إلى رسوم الأطفال على أنها نشاط عقيم لا إبداع فيه . وهذه النظرة الخاطئة ترجع إلى تعصبهم اللاشعورى المسبق لمبادىء الفن الأكاديمية ، التي يتخذون منها اطاراً جائراً للحكم على هذه الرسوم ، وينتهى بهم الأمر إلى عدم تذوقها ، واستنكار قيمتها الابداعية ، والضغط عليها من قريب أو بعيد لتحريفها عن مسارها التلقائي حتى تتسم ، إن آجلاً أو عاجلاً ، بالصيغة الأكاديمية ، وحينئذ يستريحون .

وقد كشفت المبادىء الأكاديمية فى الفن التشكيلى إبان عصر النهضة الايطالى . ومن خلال محاولة الفنانين محاكاة الطبيعة ، والعودة بالفن إلى مظاهره البصرية الممثلة فى الفنين الاغريقى والروماني ، ولم تكن الكاميرا قد كشفت بعد . ثم أخذت هذه المبادىء ردحاً من الزمان لتحفظ ، وتعلم ، وتنتشر ، وتتداولها الأجيال فى كليات الفن ، ومعاهده ، وأكاديمياته ، فى أوروبا ، وأمريكا ، والشرق الأوسط . ومن البديهيّ أن ذوى العقلية الأكاديمية فى مجال الفنون التشكيلية الذين تدربوا على حفظ قواعد : المنظور والظل والنور ،

سؤال يحير رجال التربية :

كيف نتعرف على رسوم الطفل المبدع ؟



مارك شاجال : في لوحته ، بلور أحلام الطفولة في خيال طليق يعيشه الأطفال



بول كلي : تأثر في هذه اللوحة بالروح السائدة في رسوم الأطفال

والنسب ، والتشريح ، يكونون عادة فتوغرافية في الرؤية ، وأى مظهر تشكيلي يتنافى معها يصدرون عليه حكمهم المتعصب بخلوه من الابداع ، وكان هذا شأنهم عند النظر إلى رسوم الأطفال . ويخضع لهذه الرؤية الجمهور غير المثقف فنياً ، الذى منه الآباء والأمهات ، والمدرسون والكتاب ، ونفر من المشتغلين بالتربية الفنية الذين دفعت بهم الأقدار إلى هذه الوظيفة دون إعداد مهنى مسبق .

والحقيقة أن بعض رسوم الأطفال يحمل إبداعاً ، بل وإبداعاً أصيلا ، وبعضها الآخر تنخفض فيه هذه الصفة ، وكثيرا ما يكون آلياً ، مليئاً بالعادات المحفوظة نتيجة عدم توافر التوجيه الملائم .

والتساؤل الذى يحير المشتغلين بالتربية الفنية ، والفنانين التشكيليين ونقاد الفن بوجه عام : كيف يتعرفون على رسوم الأطفال التى تحمل إبداعاً ؟ وكيف يميزونها من سيل الرسوم التى تؤدى كروتين تقليدى يحاكى فيه الأطفال بعضهم البعض ، ويكررون محفوظاتهم تكراراً آلياً يخلو من الحس والتفكير ؟

الطفل المبدع له تكامله الذاتى ، وحينما يرسم فإن عاداته ، واتجاهاته ، ومفاهيمه ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، بل ولا تنفصل عن حركاته الجسمية .. إن أداءه يتمشى مع طبيعته الكلية، ولذلك حينما يبدأ أول خط فوق فراغ الورقة ، يحدث تقسيماً فى الفراغ ، وإذا أضاف خطاً ثانياً انقسم الفراغ إلى مساحات أضيق ، فإذا أضاف ثالثاً ، ورابعاً ، وخامساً ، حدثت عدة تقسيمات للفراغ تنم عن إيقاع وتوافق يعبر عنهما الطفل بطريقة لا شعورية ، فتظهر وحدة العمل وتناغمه ، بتآلف إيقاعى هو انعكاس لكيان الطفل ككل : عقل وجسم ، روح وجسد ، شعور ولا شعور ، ذات وموضوع ، فرد وبيئة ، حاضر وماض مجتمعان فى قالب جديد فريد يمثل لحظة الابداع التى يمر بها الطفل .

والشكل المنشور ضمن رسومات الأطفال على الصفحات التالية لطفل قطرى عبر فيه عن « أسرتى » . لقد رسم الخط الخارجى لفراغ المسكن ، وقسمه عدة حجرات تقسيماً رمزياً ، ثم وضع فى كل غرفة بعض أفراد الأسرة بدون أيدي . والأبناء فى قطر كثيرو العدد ، وقد لاحت هذه الكثرة فى التعبير ، وظاهرة الابداع تنحصر فى التنظيم الايقاعى لأفراد الأسرة ، فكل فرد وهو يمثل الموجز الشكلى الذى حققه الطفل ، وأخذ يكرره ، لكن التكرار فيه تنوع واضح ، فهو ليس على وتيرة واحدة ، والتنوع يحدث فى أوضاع الأشخاص وفى استقامتها أو ميلها ، وفى كبر حجمها أو صغره ، وتظهر الأشخاص بقدمين أو بقدم أو بدون . كما أن تقاطيع الوجه تحمل أحياناً عينين وأنفاً على شكل مثلث من ثلاث نقاط ، وأحياناً أخرى من نقطتين فقط ، والجسم فى الغالب مستطيل ، لكن بعض الأجسام أرفع من البعض الآخر ، ويقترب بعضها من مخروط ناقص ، أما الرءوس فهى أشكال أقرب إلى الدوائر ، وتتكيف مع كل وضع تكيفاً إيقاعياً واضحاً . والشكل الكلى فى مجموعه يحمل الابداع لأن الطفل وهو يرسمه لم يتردد فيه ، ورسمه بجرأة ، وسيطر على الفراغ بطريقته الخاصة ، ونقل إلينا معرفته عن كثرة أعضاء الأسرة فى تآلف موسيقى ، يحمل فى طياته حساً أيقاعياً أشبه بالحس الذى يتولد في الرقص الجماعى .

بصمات الطفولة
في لوحات الفنانين العالميين

وهناك رسم لطفلة قطرية في سن السابعة تعبر فيه عن موضوع «أسرتي»، فكان لها خيال آخر. والأسرة كبيرة لاشك، ومكونة من عشرة أشخاص متفاوتي الأحجام، ويلتفون حول المائدة التي تبدو مسطحة ولها كيان بيضاوي واسع من اليمين، وضيق من اليسار، وأمام كل عضو طبق، وفي وسط المنضدة طبق كبير به نقط لعلها ترمز للأرز. وجميع الأشخاص المرسومين مبحلقون للمتفرج كأنهم ينتظرون أن تلتقط لهم صورة، كما أن لهم أذرعاً، وهذا اعتراف من الطفلة بأنهم يأكلون. ولو قارنا بين اللوحتين للمحنا نوعاً من الابداع في كل رسم. ورغم أن الموضوع واحد، لكن ادراكه في الحالتين يوضح أن لكل طفلة شخصية مميزة، وتفرد منذ البداية في التصور، وفي الأداء، وفي المعلومات التي سجلتها عن الموضوع، المرتبط بالإطار الاجتماعي القطري.

وفي شكل آخر رسمت طفلة حديقة الحيوان، والابداع قاصر في الصورة على استخدام الدائرة والمستطيل، وهما الشكلان اللذان يمثلان القاموس التشكيلي للطفلة، ويتكرران في الصورة ليكونا عناصرها المختلفة، فالدائرة هي رأس الإنسان، ورأس الحيوان، والشمس، والزهرة، وثقب الشجرة. أما المستطيل فهو القفص، والشجرة، وجسم الإنسان، والإشعاعات الخطية واردة في الشمس، وفي القضبان، وفي العشب الأمامي، وفي فروع الشجرة. إن الأشخاص من طابع مميز، والواحد منهم يتمايل في اتزان مع الآخر، وهو يواجه المتفرج. أما الحيوانات فرءوسها الدائرية تواجه الرائي، ويمكن النظر إلى اللوحة كشرطان ابداعية مصممة طولياً من اليسار إلى اليمين، فالصف الأول يحوى أشخاصاً، والثاني أقفاصاً، والثالث شجرة، والرابع أشخاصاً، والخامس أقفاصاً، وتتناغم حركة الصورة فتنقل معاني متزنة، ومعلومات إيقاعية عن مفهوم حديقة الحيوان، لدى طفل قطرى في سن السابعة.

وهناك رسوم لعشرين طفلاً قطرياً في سن التاسعة عن رسم «الأسد» ويلاحظ للوهلة الأولى أن العشرين بدون استثناء رسموا الوجه من الأمام والجسم من الجانب، وحاولوا ابراز الصوف المحيط برأس الأسد بأساليب متنوعة. أما الأرجل فهي اثنان أو ثلاثة أو أربعة. ورسوم الأسد هذه تثبت بوضوح أن الرسم بالنسبة للطفل لغة لها معالم، ومفردات، وتراكيب يخضع لها سائر الأطفال وإن اختلفوا في التناول الفردي حسب طراز كل منهم ورؤيته الابداعية المثيرة (١).

إن أمثلة الابداع في رسوم الأطفال كثيرة لو احترسنا نحن الكبار من التدخل المفسد لهذه الرسوم، والتدخل يتم عادة بفرض أساليب الكبار الفجة، ومنطقهم غير الفني على الصغار، وكأن الحقيقة الفنية الوحيدة هي الفتوغرافية التي يعرفها الكبار بدنياهم المتعصبة المحدودة ولا شيء غير ذلك، ولو راجع الكبار أنفسهم لوجدوا أن تعصباتهم تفسد بطريق غير مباشر رسوم أبنائهم، وتحرمها الانطلاق، والتعبير عن مكنوناتهم، ووجدانهم، الذي يحمل الشعر، والخيال، والآفاق غير المحدودة.

لقد تصفح العلماء آلافاً من رسوم الأطفال: شرقية، وغربية، وكتبوا عنها المراجع، وسلموا بأنها تمثل لغة مشتركة بينهم، رغم اختلاف جنسياتهم، ودياناتهم، ولغاتهم، وألوانهم، وبيئاتهم، وكل تعصباتهم، لكن مع ذلك قد ظهر أن لكل جنسية لهجتها الخاصة وسط هذا الإطار العام، وكثيراً ما تضغط البيئة في كل قطر بمفاهيمها الغثة لتقتل فن الأطفال، وهو في مهده، نتيجة سيل الرسوم الغريبة التي تعرض على الأطفال في كتب المطالعة، والمجلات، والاعلانات، والميكى ماوس، والكاريكاتير، والشرطان الكوميدية. وبعد حين يختفي هذا الفن التلقائي، ويستبدل بالمزيف، الذي لا يمثل أصالة، ويشين المظاهر التشكيلية لمدنيتنا المعاصرة.

وقد يتساءل المرء: أي نفع يمكن أن تجنيه المدنية من رسوم الأطفال هذه؟ والواقع أن مقومات الابداع، ومراحله الأولى، تظهر في تلك التخطيطات الأولية التي ينتجها الأطفال تلقائياً، وترى آثارها على الورق، وفوق الجدران، وفي ساحات الشوارع والأرصفة. ولكل طفل الحق في أن يعبر بالرسم عن انفعالاته، وأفكاره، وينقل للمتفرج شيئاً من خبراته المستحدثة في الحياة من خلال هذا الرسم، فهو حق من حقوقه كانسان، هذا الحق يكمن فيه احترام فرديته، وحريته، وبخاصة قبل أن يتعلم النطق، أو الكتابة والقراءة، فيصبح الرسم أداة اتصال، والتي من خلالها ينقل الطفل مشاعره لغيره، ويتعلم أن يكون انساناً حراً، يبدى رأيه مرسوماً بطلاقة، وبلا خوف أو تحفظ.



مجموعة من الأسود مختارة من رسوم أطفال قطريين تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والعاشرة

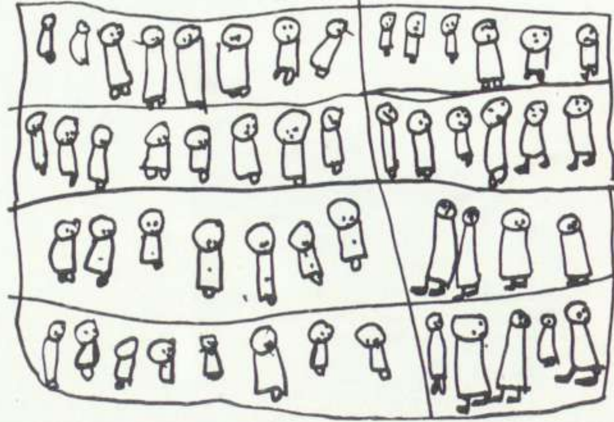
أما إذا وجد الطفل وجوهاً مكفهرة، وعيوناً متهكمة ساخرة، وهي تطل على رسومه، فإنه لابد أن ينكمش، ويكبت انفعالاته، ويتوارى، وينطوى على نفسه، ويجبن، ويخشى ابداء رأيه، ويؤثر كل هذا في صحته النفسية، ويزداد الطين بلة حينما يتدخل الكبير بجهالة ليصحح له مفاهيمه التي يترجمها بالرسم، فيعلمه حرفنة الكبار، والنظرة الفوتوغرافية الأكاديمية، فيقتل فيه الابداع منذ وقت مبكر. وتضيع على المدنية كثير من المواهب التي وضعها الخالق الأعظم في الأطفال وهم في مهد حياتهم، نتيجة الضغط الاجتماعي الأعمى الذي لا يرحم وتسرب الذوق الفاسد إلى الروح اليانعة فيحرمها حقها في الوجود.

إن الطفل يمارس ذوقه وتجربته الخاصة من خلال الرسم، والتوجه المهني المثمر يصقل هذا الذوق، وينمى الابداع، وبالتالي يحفظ لشخصية الطفل معالمها، وقوتها، وفرديتها الذاتية، وكلما كان هذا النمو صحياً مهد لمدنية ذواقة، مبتكرة، انسانية، سمحاء، وخالية من العقد.

إن الكثيرين من الكبار يعترفون صراحة بفقدانهم براءة الطفولة، وصفاء سريرتها، وحسها النقي الصادق المباشر. وودوا لو أنهم ظلوا محتفظين بتلك الصفات التي فقدوها خلال معركة البقاء الطاحنة، في رحلة الحياة.

أليس بابلو بيكاسو (١٨٨١ – ١٩٧٣) هو القائل: حينما كنت في سن الثالثة عشرة كنت أرسم مثل رافاييل، وقد أخذت وقتاً طويلاً وجهداً، لأعود وأرسم كالأطفال (٢). إنها شهادة من هذا العملاق تبين النفحة الابداعية الكامنة في رسوم الأطفال والتي أثبتت الدراسات المقارنة مدى الصلة بين خصائص هذه الرسوم، والأسس التعبيرية التي قام عليها الفن المصرى القديم، والآشورى، والمكسيكى القديم، والفنون الشعبية والبدائية. وتأثر عدد من قادة الفن الحديث في العالم، بالروح السائدة في رسوم الأطفال، فكانت منبعاً للتحرر بالنسبة إليهم.

ومن بين هؤلاء الفنانين الذين تأثروا برسوم الأطفال بطريق مباشر أو غير مباشر روفينو تمايو المكسيكى (١٨٩٩) وبول كلي السويسرى (١٨٧٩ – ١٩٤٠) وهنرى ماتيس الفرنسى (١٨٦٩ – ١٩٥٤) وجوان ميرو الأسبانى (١٨٩٣ – ١٩٨٣) وجين دى بوفيه الفرنسى (١٩٠١) وبن شان الأمريكى (١٨٩٨ – ١٩٦٩) ومارك شاجال الروسى (١٨٨٩ – ١٩٨٥) وكثيرون غيرهم. وهذا يبين مدى حيوية هذه الرسوم وفاعليتها، وحاجة الكبار لاحاطتها بجو من







ثلاث لوحات لأطفال قطريين ـ ٦ ، ٧ سنوات ـ الأولى والثانية بعنوان أسرتى ، والثالثة بعنوان : حديقة الحيوان

الرعاية لتؤتى أكلها وتثمر ، وتضفى طابعها الابداعى الإنسانى على المدنية المعاصرة . وها هى أمثلة واضحة لنخبة من قادة الفن المعاصر تبين إلى أى حد احتضن كل فنان بطريقته الخاصة احدى نزعات الأطفال فى التعبير وبلورها ، وأعطاها حنكة الكبار ، ومهاراتهم دون أن تفقد القوة التعبيرية المتدفقة ، وتلقائية الحس الذى يتميز به الأطفال .

فهناك لوحة للفنان بول كلى ، تعبر عن الشخص الموصوم ، وببساطة صنع الرأس أقرب للشكل الدائرى ، ويمكن مقارنته بالرءوس الواردة فى رسوم الأطفال المنشورة فى المقال لإدراك العلاقة المشتركة . وقد أكمل كلى الوجه بخطوط هندسية ليعبر عن تلك العلاقات المميزة للوجه الذى صوره بألوان محدودة ، الأحمر ، والأسود ، والأصفر ، وباستخدامه الدائرة والخط قال الكثير .

كما أن هنرى ماتيس لم يقتنع بأن يرسم سطح المنضدة بالطريقة الأكاديمية بيضاوياً ، وإنما فضل أن يكون دائرياً ، فكأنه نظر الى سطح المنضدة من أعلى ، بينما غير موضعه ونظر إلى عمود المنضدة من الأمام . وهذا ما يفعله الطفل عادة ليعبر بطلاقة عما يريد رسمه ، فيغير موقفه تجاهه ليصفه من كل جانب ، بل وأحياناً من أعلى وأسفل بالإضافة . فكأن ماتيس أخذ سمة من تعبيرات الأطفال التى تظهر فى رسومهم وبلورها بحس الفنان الناضج المتمكن ، فجاء تعبيره فيه حنكة الكبار ، وبراعة الأطفال .

والفنان جوان ميرو أحد قادة الحركة السيريالية فى العالم المعاصر يعبر عن العصفور المحبوس تعبيراً رمزياً : فالوجه أقرب إلى المربع ، والعينان دائرتان ، البقع هنا وهناك تمثل « شخبطة » أقرب إلى ما يفعله الصغار ، بألوان استخدم فيها الدق أحياناً ، والخربشة أحيانا أخرى ، وتلقائية انسكاب اللون فى الأرضية المحيطة تشير إلى هذا العالم المحرر فى الرؤية من كل قيد أكاديمى ، وكل ما فيه يشير بوضوح إلى نظرة ممتدة ، متعمقة ، مثيرة لفن الطفولة .

أما الفنان مارك شاجال الروسى المولد والذى استوطن فرنسا ورحل حديثاً عن عمر فوق التسعين . فقد بلور أحلام الطفولة فى خيال طليق أشبه بما نقرأه فى « ألف ليلة وليلة » . فقد صور الديك فى أكبر حجم ممكن يطير فى السماء فوق قريته التى تبدو متناثرة البيوت من أسفل ، بينما تنطلق فتاة أحلامه مجاورة الديك بطول فارع غير عادى ، وتظهر يد الفنان ووجهه وفرشته وهو يقترب من فتاة أحلامه . إن صدق التعبير وطلاقته هى التى يعرضها الأطفال فى رسومهم ، ويحتاجون إلى عقليات مستنيرة لتوجيههم الوجهة السليمة . لقد اعطى شاجال المثل لانطلاق الخيال فحقق حلماً يعيشه الأطفال ، وعبر فى فنه عن احساس الشاعر بالأشكال والألوان .

لقد احتضن كثير من الفنانين نزعات رسوم الأطفال الابداعية ، وانطلقوا بها إلى آفاق بعيدة ، أكسبتهم شهرتهم ، ومذاقهم ، وحررت رؤية جمهور عشق فنهم ، وعلينا كآباء وأمهات ومعلمين أن نبعد عنها المؤثرات الخارجية المفسدة ، ونيسر فى طريق الصغار : الأوراق ، والأقلام ، والألوان ، ونشجعهم على الإسترسال فى ابداعاتهم ، وحينئذ سينشدون بالرسم أشعارهم بلا خوف أو وجل .

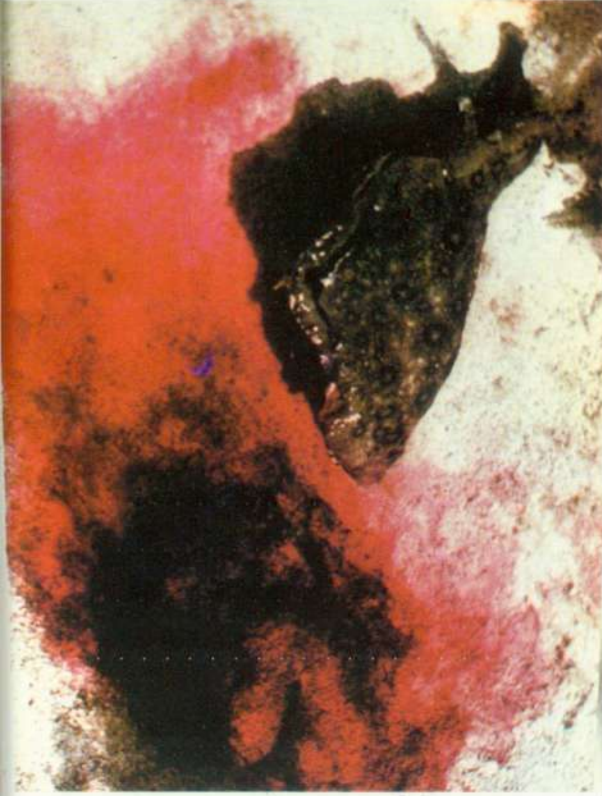
محمود البسيونى

هوامش

(١) الأسود من استخراج الدارسة : فوزية جاسم فخرو فى مقرر (٤١٠) المشروع الفنى تحت اشراف الكاتب ـ جامعة قطر . انظر أيضاً للكاتب : سيكلوجية رسوم الأطفال ، القاهرة . دار المعارف ، ١٩٨٤ط ـ ٢ .

2. H. El Bassiouny, Art Education - West to Middle East, Cairo: Dar El-Maarif, 1984, 17.

هل ينزف هذا الكائن؟



يبدو أن كل فكرة بشرية ليست جديدة تماماً ، اذ لو بحثت فى أصول الخلق السابق ، لوجدت أن معظم الحيل والخدع التي يلجأ إليها الانسان ليتخطى بها المواقف أو المآزق التى قد تجابهه فى حياته ، موجودة بطريقة أو بأخرى عند أنواع مختلفة من الكائنات .. وهذه اللقطة توضح فكرة شبيهة بساتر الدخان الذى يحمى الجنود أثناء تقدمهم فى ميدان القتال ، لكن هذا الكائن البحرى المعروف باسم أرنب البحر ـ وهو واحد من عائلة المحاريات العريانة ، أى المحرومة من صدفة تحميها ـ لا يستطيع أن يستخدم ساتراً من الدخان ، بل يقذف فى الماء ساتراً ملوناً يشبه الدم ، وما هو بدم ، بل صبغة حمراء تنتشر حوله فى الماء ، كلما داهمه عدو يريد التهامه ، فيربكه بالساتر الملون ويخيفه ويحول انتباهه عن مكان وجوده ، إلى أن يختفى فى مكان أكثر أماناً ، هذا ومن المعروف أيضاً أن الكائن الرخوى المعروف باسم السيبيا أو السبيط أو السبيدج أو أم الحبر أو الحبار (تعددت الأسماء والمخلوق واحد) يفرز بدوره مادة سوداء تشبه الحبر ، (ومن هنا كانت التسمية) ، لكنها تؤدى أيضاً نفس الهدف ، مع التسليم طبعاً بأن فكرة هذه الكائنات أصيلة وأصلية ، لكن فكرة البشر بدائية وتقليدية .

لعبة الاختفاء





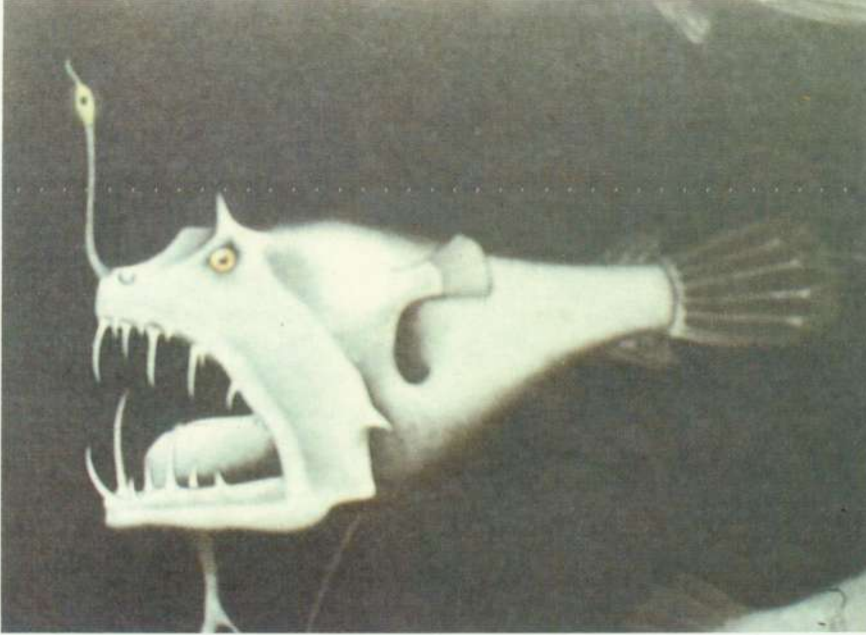




وما دام الشيء بالشيء يذكر ، فمن المناسب أن نقدم هنا أيضاً فكرة « طاقية الاخفاء » التى وردت فى الأساطير أو بعض الروايات الخيالية ، لكن هذا الخيال البشرى ، له بالتأكيد أساس حشرى ، أى أن طاقية الاخفاء موجودة ، ولكن بصور أخرى مختلفة ، ذلك أن كثيراً من الحشرات أو غيرها من كائنات كثيرة ، تلبس « ثوبا » جلدياً يخفيها عن أعين أعدائها ، وبحيث يصعب اكتشافها بعين حيوانية أو حتى بعين بشرية .. وصور هذا الاختفاء كثيرة جداً ، لكن يكفى هذه الصورة التى تضم أربع فراشات ، يمكن اكتشاف بعضها ، فى حين أن البعض الآخر قد أتقن الاختفاء أو التمويه ، وبحيث يتلاءم تماماً مع البيئة التى يرتكز عليها ، ثم ألا ترى معنا أن الانسان قد اهتدى أخيراً جداً إلى نفس هذه الفكرة السابقة على وجوده ؟ .. إن أكبر دليل على ذلك هو فكرة التمويه على العدو في ميدان القتال ، فيلبس الجنود ثياباً تناسب البيئة .. خضراء إن كانت البيئة خضراء ، أو صفراء ان كانت صفراء ، كذلك يغطون معداتهم بألوان البيئة ذاتها .. ولا جديد تحت الشمس .. لا فى سواتر الدخان ، أو فى ملابس الميدان ، فهذه أفكار سابقة لحيل الانسان !

مَنْ صاحب هـذه الفكـرة؟

إذا رأيت انساناً يجلس على شاطىء بحر ليصطاد الأسماك بشص أو « سنارة » ، فاعلم أيضاً أن أسماكاً تصطاد أسماكاً أخرى بنفس هذه الفكرة ، مع الاختلاف طبعاً بين شص وشص ، اذ ليس من المعقول أن يكون شص السمكة من خيوط ومعادن ، بل من أنسجة حية مشتقة من السمكة ذاتها .. وكما يعرف الانسان أن أسراب الأسماك تنجذب إلى الضوء ليلا ، كذلك عرفت السمكة صاحبة الشص هذه الحقيقة قبل عشرات الملايين من السنين ، ومن أجل هذا جاءت نهاية الشص بجزء مضىء ، والاضاءة هنا نتيجة لتفاعل حيوى ، ولها فى حياة السمكة أعظم فائدة ، لأنها تعيش فى أعماق البحار التى تطويها الظلمات ، وعندما تحرك شصها المضىء ، تنجذب إليه الأسماك الأخرى ظناً منها أنه صيد ميسر ، وهى لا تدرك أن من وراء هذا الصيد صياداً يخفيه الظلام ، وبحرص شديد تسحب السمكة الصيادة شصها دون أن يتنبه الصيد للخدعة ، وفجأة يروح فى بطنها لقمة سائغة ، وكأنما ينطبق عليه المثل « جاء يصيده ، فاصطاده » !



افتـــح ياســمسـم!

وسمسم هنا هو العنكبوت الذى بنى لنفسه خندقاً أو مغارة فى باطن الأرض ، ليعود برزقه إليها ، ويحتمى فيها ، لكن الشيء المثير حقاً أن العنكبوت قد اهتدى إلى فكرة الباب ذى المزلاج ، أى أنه نجار ونساج ، لكن بابه ليس من خشب ، بل من خامة الأرض وأعشابها ، فيسوى هذه مع تلك ، ثم يقويهما بنسيج ينسجه حولهما ليعطيهما متانة وصلابة ، وفى جانب من الباب يصنع المزلاج (أو الفصلة) بنسيج من حريره ، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك ، ويغطى السطح العلوى من بابه ببعض الأعشاب الصغيرة المتساقطة حول مغارته ، وبحيث يصعب اكتشاف مكان الغطاء نتيجة للتمويه المتقن الذى أضافه إليه ، ليضمن عدم التعرف عليه ، فاذا داهمه عدو ، أغلق بابه ، واختفى فى داره ، وعند الصيد قد يلزم باب داره (كما تراه فى هذه الصورة) ، حتى اذا مرت دودة عابرة ، أوحشرة هائمة ،جذبها ودخل بها ، وأحياناً يتجول هنا وهناك حول الدار ، ثم يعود بما اصطاد ، بعد أن يكون قد لدغه فخدره ، وبجوار الباب يضعه ، ثم يرفع الغطاء ، ويسحب الصيد ، ويبقى سعيداً مطمئنا بطعام يغذيه ، وبيت يؤويه ، وباب يحميه ، ولا غرو أن أطلق على هذا العنكبوت اسم عنكبوت الباب المسحور !



كتابات شرقية وغربية

قنبلة روائيّة يفجّرها كاتب ياباني


الكاتب الياباني.. موريو كيتا

« منزل نير House of Nire » واحدة من أهم الروايات التي صدرت في الأدب الياباني المعاصر ، وهي تعكس إلى حد كبير مدى تأثر كاتبها بأسلوب وأفكار « توماس مان » الذي يكن له إعجاباً شديداً ، ويتمنى أن ينال ما ناله من شهرة وانتشار .

الرواية صدرت للمرة الأولى في عام ١٩٦٤ ، وطبعت حتى الآن ٨٧ مرة ، وبيع منها أكثر من مليون ونصف نسخة ، وترجمت إلى الانجليزية في الربيع الماضي فقط ، أي بعد ٢١ سنة من صدورها الأول . وهي تعتبر تاريخاً اجتماعياً لليابان في الفترة ما بين ١٩١٨ ، ١٩٤٦ أي من نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى الغزو الجماعي للدولة المهزومة بعد الحرب العالمية الثانية .

هذه الرواية التي تعكس بأسلوب كوميدي ساخر التغيرات التي طرأت على المجتمع الياباني من خلال مجموعة من الشخصيات المتباينة يقول عنها « يوكيو ميشيما » إنها من أهم الروايات التي صدرت في اليابان في سنوات ما بعد الحرب .

وقبل أن نتكلم عن الرواية نفسها ، دعنا نتعرف على بعض ملامح شخصية مؤلفها .. ولد موريو كيتا في سنة ١٩٢٧ لوالد كان شاعرا مشهوراً بالاضافة إلى عمله الأصلي كطبيب نفساني . ودون أي حماس أو حرص على أن يكون طبيباً أيضاً ، التحق بكلية الطب في ١٩٤٨ وتخرج منها في ١٩٥٣ (نفس العام الذي توفى فيه والده) ، وحصل على الماجستير عن دراسة عن انفصام الشخصية في ١٩٦٠ . وطوال عمله كطبيب نفساني في المستشفى الذي كان يديره شقيقه الأكبر كانت الكتابة هي شاغله الرئيسي ، إلى أن تفرغ لها تماماً وهو في الثلاثين من عمره .

وقد أفادته كثيراً ممارسته للطب النفسي أثناء فترة الحرب ، فكانت استكشافاته الحساسة لعقول ونفسيات المرضى ذات قيمة كبيرة له ، حيث ساعدته على رسم شخصياته وابراز جوانبها الذهنية والنفسية . ولذلك يقول عنها إنها لم تكن استكشافات طبيب بقدر ماكانت استكشافات كاتب يسبر غور شخصياته ، ليعيد صياغتها من جديد وبدرجة لا تخلو من المبالغة في معظم الأحيان .

والمؤلف نفسه شخصية غير عادية . فهو يقول مثلاً إن ٩٠٪ من أعماله (٦٠ كتابا) عديم القيمة ، ذلك لأن « اليابانيين عموماً يكتبون أكثر مما يجب » ورغم أنه كان يتمنى أن يكون في مثل شهرة « توماس مان » ، إلا أنه يرى كتاباته الساخرة أقرب إلى كتابات « تشارلز ديكنز » و « مارك توين » . وإذا كان توماس مان « يكتب من العقل » فإنه « يكتب من الجنون » كما يقول .

المؤلف أيضاً شخصية غاية في الغرابة يكفي أن تعرف أنه اشتهر في اليابان باسم « المكتئب المجنون » وهي تسمية لا تزعجه مطلقاً .. !

« لا أحد يراني في اليابان انساناً سوياً... أنا أعترف بأنني مجنون ولأنني نشأت في مستشفى للأمراض العقلية ، فأنا أعرف جيداً هذا النوع من المرضى .. ونحن لا يجب أن نخجل منهم أو نخشاهم .. أنا مريض ولست طبيباً .. » هكذا يقول عن نفسه ..

ورغم أن سلوكه الشخصي يوحي بأنه انسان عادي ، إلا أن اليابانيين يرونه غير ذلك .. فالحكايات التي يروونها عن نفسه وعن حياته وإن كانت تبدو عادية بالنسبة لأي مستمع أمريكي

إعادة الفلسفة الحديثة إلى القيم الأخلاقيّة

في تقويمه لتلك الآلة البشرية التي لا تتوقف عن التفكير والمعرفة باسم « موريتمر آدلر Mortimer Adler يقول « ديفيد ريسمان » أستاذ الاجتماع بهارفارد ان أبرز ما يميزه هو تلك المثابرة التي لا تكل . وهذا بالفعل ما يعكسه مؤلفه الذي ظهر مؤخراً بعنوان « عشرة أخطاء فلسفية » والذي يفند فيه أعمال مشاهير الفلاسفة منذ توما الإكويني .(١) وآدلر الفيلسوف صاحب الاهتمامات الفكرية الواسعة استطاع بثقة واقتدار أن ينتهي من هذا المؤلف في خمس عشرة جلسة صباحية من الكتابة العاصفة . « الكتابة هي الجزء السهل ، إن التفكير الذي يسبق الكتابة هو الذي يستغرق الوقت الطويل » هكذا يقول .

ورغم كونه في الثانية والثمانين من عمره فالكتابة ليست فقط هي كل ما يقوم به ، فهو كأستاذ سابق في فلسفة القانون في جامعة « شيكاغو » انتهى حديثاً من رحلة حول العالم للدعاية للموسوعة البريطانية التي يرأس هيئة تحريرها كما كان أحد مؤسسي سلسلة « أمهات الكتب في العالم الغربي » التي تصدرها نفس الموسوعة وجاءت في ٥٤ مجلداً كتب بنفسه تقديماً لها جميعاً . إضافة إلى ذلك فهو الذي أنشأ ولا يزال يدير حتى الآن معهد البحوث الفلسفية .

وكتابه حصيلة خمسين عاماً من التأمل لأفكار الفلسفة الحديثة لينتفض انتفاضة الأسد على الفريسة لدحض بعض آراء « لوك » و « هيوم » و « روسو » و « هوبز » و « ماركس » ومجموعة كبيرة من مفكري ما بعد القرن السادس عشر والذين كان خطأهم « الكارثة » كما يقول « هو محاولة تأسيس أنواع جديدة من المعرفة دون محاولة البناء على الحقائق القديمة كما لوكانوا بدون أسلاف . »

أما فيلسوفه الأثير فهو أرسطو الذي قرأ أعماله أكثر من ٢٥ مرة .

وبينما يسلم بأنه قد حدث تقدم في المنطق والنظرية السياسية وفلسفة العلم يزعم أنه باستثناء « توما الإكويني » وأبحاثه الشاملة في اللاهوت فإن الفلسفة لم تخط خطوة واحدة إلى الأمام منذ أرسطو .

وهو قاس بنوع خاص على التجريبيين (٢) وعلى « لوك » بالتحديد ، فهو يرى أن خطأه الكبير يكمن في افتراضه أن الأفكار هي ما يمارسه افرد عن وعي ، فطالما أن خبرات وتجارب الأفراد المختلفة هي أيضاً مختلفة بالضرورة فلابد وأن تجئ أفكارهم أيضاً مختلفة . يرى آدلر أن هذه المفاهيم لا تتفق مع العقل ويعيد إلى الذهن النظرة التومانية (٣) المأخوذة عن أرسطو وهي أن الأفكار هي المفاهيم الأساسية والحقائق النهائية التي نفهم

ترجمة وتقديم: طلعت الشايب

مثلاً، إلا أنها تبدو غاية في الغرابة بالنسبة لأي ياباني.

وهو أحياناً ما يقوم بأعمال «مجنونة».. إذ أعلن مرة أن بيته والمساحة المحيطة به منطقة مستقلة عن اليابان، وبناء عليه فليس مطلوباً منه أن يقوم بدفع الضرائب! مرة أخرى رسم عملة مزيفة وضع على وجه منها صورته، وعلى الوجه الآخر صورة لص في ثياب مضحكة.!

ومنذ صدور الترجمة الانجليزية للمجلد الأول من الرواية في العام الماضي وترجمة المجلد الثاني منذ شهور، اتسع نطاق شهرته خارج اليابان، وأصبح يقرن في كثير من الأحيان بديكنز، ومارك توين، وذلك لمقدرته الفائقة على إبداع مجموعة من الشخصيات الهزلية الحية تجعله يزعم أحياناً أن العالم غير محق في اتهامه للشعب الياباني: بأنه لا يتذوق الفكاهة ولا يحبذ المرح.

أما الرواية «منزل نير» فهي تحكي قصة عائلة من طوكيو بأجيالها الثلاثة، ترجع جذورها إلى فلاح فقير من فترة «الميجي»، تدير مستشفى للأمراض النفسية إلى أن يتم تدميره في الحرب. هذا المستشفى بما فيه من شخصيات مريضة وغريبة يرمز إلى اليابان، رغم محاولته أن ينفي ذلك بقوله «أسرتي هي التي كانت تدير المستشفى وأفرادها هم المرضى.. وليست اليابان هي المجنونة بالطبع».

يأتي وقت تضعف فيه الأسرة من جيل إلى جيل. فبعد الشخصيات القوية في فترة «الميجي» فترة التطور السريع لليابان نصل إلى شخصيات عادية في «فترة الشووا». لذلك يقول المؤلف إنه يصف الانتقال والتغيير من الأكبر إلى الأصغر.. من الأقوى إلى الأضعف «لذلك جعلت شخصية والدي وهو تتسوكيشي في الرواية تبدو أصغر مما كانت عليه في الحقيقة».

أسلوب الرواية وبناؤها يعكسان الحالة الوطنية المتغيرة لليابان... الانتقال من حالة عدم الاكتراث بالحرب العالمية الأولى إلى التطلع إلى المستقبل إلى تنامي الوطنية في الثلاثينيات، ثم أخيراً إلى فترة ما بعد الحرب.

والكاتب يجاور بين تاريخ أسرة نير والأحداث الهامة التي تزامنت مع تطورها مثل زلزال طوكيو المدمر في ١٩٢٣، ونهوض طوكيو من بين الانقاض لتصبح من كبريات المدن العالمية.. وصعود العسكرية، وغزوات الصين والحروب التي نجمت عنها، وقصف بيرل هاربور وهي الحدث الهام الذي ينتهي به المجلد الأول من الرواية.

وفي المجلد الثاني يتحول الأسلوب من السخرية الخفيفة إلى الفكاهة السوداء التي تمتزج بمأساوية حادة، مع أحداث جسام مثل معركة بحر المرجان والقنبلة الذرية والغزو الروسي لمنشوريا وسخالين في أغسطس ١٩٤٥، والتي استطاع الروائي توظيفها ليعكس الأعباء النفسية والمادية لها على شخصياته..

والرواية بمجلديها هي حياة عائلة «موكيشي سايتو» والد الكاتب، أما الكاتب فيظهر هو نفسه في شخصية «شوجي» وهو شاب كسول من شباب ما بعد الحرب، كما تظهر أمه في شخصية «روكو» القوية التي لاتستسلم ويظهر أيضاً شقيقه في شخصية «شينشى».

والمؤلف يقول إن توماس مان يعتقد بأن الفن يصف العالم عن طريق رسم الشخصيات «وأنا عندما فكرت في أفراد عائلتي ابتداء من جدي «كيشيرو» وجدت عدداً من الشخصيات الغريبة لدرجة شعرت معها بأنني أصف جزءاً من اليابان».

ورغم أن شخصياته بها الكثير من المبالغة، إلا أنه يرى أن شخصية الجد كانت فعلاً شخصية رجل قوي، يعجب بظاهر الأشياء، بينما يمثل الأحفاد فترة ما بعد الحرب حيث الاكتئاب.. المرض الذي يسيطر على الجميع.

من الأعمال الشهيرة لنفس المؤلف سلسلة كتب «دكتور مانبو» التي تحكي مغامرات خيالية يقوم بها طبيب على احدى السفن أثناء رحلة بحرية عبر أوربا، ورغم الشهرة التي تحققت له، إلا أنه يعتقد أن كتابه «الأشباح» الذي صدر في سنة ١٩٧٤ أكثر كتبه حساسية وأقربها إلى نفسه، لأنه يتناول وفاة والده وشقيقته وأصدقائه.

مؤخراً.. انتهى الكاتب من رواية عن المهاجرين اليابانيين الأوائل إلى البرازيل.. وفي مقابلة أجريت معه في منزله في طوكيو منذ فترة قريبة كانت تبدو عليه السعادة الغامرة باحتفالات ذكرى انتهاء الحرب لأنه يرى أن «الانسان المهزوم.. يصبح أكثر تعقلاً وأكثر حكمة...!



موريتمر آدلر: متعته الحقيقية هي الوصول إلى القارىء العادى

بها الخبرات، وهي حقائق ثابتة وإلا لما كان لدى البشرية قاعدة مشتركة للتفاهم ولا كان لديها قيم عامة مثل الخير والعدل والحق وهي قيم يؤمن آدلر بها تماماً.

وهو يأخذ على «هوبز» و«هيوم» وآخرين تأكيدهم أن عقل الانسان أداة حس أكثر منه أداة تفكير وينتقد «دارون» بشدة لاعتباره الانسان مجرد حيوان يمتلك وسائل إدراك حسية أرقى أكثر منه كائن حي وأنه الوحيد بين الكائنات الحية الذي يمكنه فهم أو تصور الأفكار المجردة مثل الصواب والخطأ.

و«آدلر» قاس أيضاً وبنفس الدرجة على «الحتميين (٤) مثل ماركس على أساس أنه إذا كانت جميع النتائج مقررة ومعروفة سلفاً كما يقولون لما كان هناك إنسان مسئول عن أفعاله.

وخلال الكتاب كله يحاول المؤلف وباصرار شديد أن يعيد الفلسفة الحديثة والقارىء — بالطبع — إلى الحقائق الإنسانية الثابتة والقيم الأخلاقية كما تعرفها الفلسفة الكلاسيكية ولا يطيق صبراً مع أي محاولة لتفسير تلك الحقائق والقيم على أنها آراء قديمة.

«لو كانت الفلسفة مجرد رأي لما كانت هناك أخطاء فلسفية.» وهو يعتقد أن آراءه لن تجد قبولاً ورغم ذلك فإن متعته الحقيقية كما يقول هي في الوصول إلى القارىء العادي فهو يعتبر نفسه فيلسوف كل الناس.

هوامش

(١) راهب وفيلسوف وعالم لاهوت إيطالي (١٢٢٥ — ١٢٧٤)

(٢) التجريبية مذهب يقول بأن المعرفة كلها مستمدة من التجربة

(٣) نسبة إلى توما الإكويني.

(٤) الحتمية مذهب يقول بأن أفعال المرء والتغيرات الاجتماعية ... الخ هي ثمرة عوامل لا سلطان للمرء عليها.

شخصية شهرزاد المُفْتَرَى عليها!

بقلم: عباس خضر



« شهـــرزاد » راويــة حـكـايـات ألـف لـيلة ولـيلة فـتـاة فـدائـيـة ، إذ تعرضت لـسـيـف الملك شـهـريـار الـذى فتك بـبنـات المدينـة ، وأرادت أن تفديـهـن ، فوضعت نفسـهـا أمام النـطـــع والسـيـــف ، مـتحـــديـــة ، بعزيمـــة صادقـــة وقلب حـــديـــد .

هذه الفتاة لابد أن تكون على مستوى عظيم من الخلق ، وهي الى ذلك قد تسلحت بالعلم والحكمة والمعرفة ، وأصرت على أن تواجه السفاك بهذا السلاح ، تريد إصلاحه وتقليم أظفار الشر فيه ، وهى أظفار قد نبتت واستطالت من جراء جريمة شنعاء ارتكبتها زوجته فقتلها وقتل العبيد ، وحقد على النساء جميعا . ولم يقف نهر الدم عند ذلك ، بل امتد جريانه حتى شمل بنات المدينة ، ولم يبق الا شهرزاد بنت وزيره ، ندبت نفسها للخطب الجسيم ، والجميع يتوقعون أن يلحق رأسها برؤوس من سبقنها من البنات ، ولكنها استطاعت أن تروض الوحش فى شخص شهريار .

كيف حدث ذلك وكيف استلت سخيمة الرجل التي تكونت في نفسه من هول ما رأى ؟ فعلت ذلك شهرزاد بشخصيتها العجيبة .. بما قصت عليه من حكايات أغرقته في دوامتها فنسي ماكان ..

قالوا إنها حصلت علما وحكمة مما قرأت من كتب ، لم يكن ما تقصه عليه فارغاً ليس فيه إلا التسلية والانبهار ، بل كان جداً في صور هزل ، كان الهدف أن تصحح ما في نفسه من خطأ ، وتغير حقده على جميع النساء .

الجارية تودد

قالت له مرة فى حكاية « الجارية تودد » : إن امرأة بزت جميع الرجال من فقهاء ومفسرين ومحدثين وأطباء وفلكيين وغيرهم ، وجعلتهم يشعرون بالعجز العلمي أمام علمها الغزير وفهمها العميق .

ذلك أن الجارية تودد قالت لسيدها الشاب الذي أضاع ثروته ولم يبق عنده غيرها ـ قالت له :

إذهب بي إلى هارون الرشيد وبعني له ، ولا تقبل في ثمني أقل من عشرة آلاف دينار ، وأنا كفيلة أن أقنعه بأني أساوي أكثر من ذلك .

وفي مجلس الرشيد قالت تودد :

« إني أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير والحديث واللغة والبلاغة ، وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين ، وأعرف القرآن العظيم ، وقد قرأته بالقراءات كلها ، وأعرف مافيه من الناسخ والمنسوخ والمدني والمكي وأسباب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية ، ونظرت في علوم الفلسفة والرياضة والهندسة وعلم المنطق . وضربت العود وعرفت مواقع النغم ومواقع حركات أوتاره وسكناتها ، وبالجملة فإني وصلت إلى شيء لم يعرفه الراسخون في العلم » .

فلما سمع هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها ، والتفت إلى مولاها وقال : إنى أحضر من يناظرها ويسألها فى جميع ما ادعته ، فان أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة ، وان لم تجب فأنت أولى بها .

هذه الجارية أعلم منى

واستدعى الخليفة العلماء والفقهاء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والفلاسفة والمهندسين . وحضروا جميعا وناقشوها كل فى تخصصه ، فأجابت إجابات جعلت بعضهم يقول : ياأمير المؤمنين ، هذه الجارية أعلم مني .. وكانت كلما فرغت من إجابة أحدهم عن أسئلته قالت له :

ـ قد سألتني ماسألتني ، وأجبتك ، وإني أسألك فأجبني .

ـ سلي ماشئت .

وتوجه إليه ما يعجز عن إجابته ، فتقول :

ـ يا أمير المؤمنين مره يخلع جبته أو طيلسانه وأنا أجيب عن سؤالي ..

ـ أجيبي أولاً وأنا آمره .

ثم تقول الإجابة الصحيحة ، فيأمره الخليفة بخلع جبته أو طيلسانه ، ويخرج بدون الجبة أو الطيلسان مقهوراً مهزوما ..

وقد تضمنت المناظرة علماً غزيراً ودقائق في كل فرع من فروع المعرفة في سياق قصصي ممتع .

وبعد المناظرة العجيبة قال لها الخليفة : هل تعرفين شيئاً من آلات الطرب ؟ قالت : نعم فأمر بإحضار عود ، تناولته ، وضربت عليه وغنت ، فطرب أمير المؤمنين وقال لها : بارك الله فيك ورحم من علمك . ثم أمر بإحضار المال ، ودفع لمولاها مائة ألف دينار ، وقال لها :

ـ يا تودد تمني علي .

ـ تمنيت عليك أن تردني إلى سيدي الذي باعني ، ولا تسترد منه الثمن .

ـ لك ماتمنيت وزيادة .. خمسة آلاف دينار لك أنت .

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ـ فاعجب أيها الملك الرشيد من فصاحة هذه الجارية ومن غزارة علمها وفهمها في كل أنواع المعرفة ، وانظر إلى مروءة أمير المؤمنين هارون الرشيد .

جريمة الرواة والمنشدين

كيف يتصور المرء أن شهرزاد ـ وتلك صفاتها ـ تنطق بألفاظ الفحش والخنا ؟

وبخاصة أنها « تعالج » أزمة الملك مع زوجته ، فكيف تخاطبه بمثل ما أغضبه بقتل العذارى واحدة إثر واحدة ؟

من أين إذن جاء مايشتمل عليه بعض الحكايات من القليل الذي يجرح الحياء ويخدش الخجل ويصور الفسق في صور مثيرة مغرية ؟ إنه لابد من تزويد الرواة والمنشدين ، وهو الذي دعا رجال الشرطة والقضاء في مصر يصادرون النسخة التي كانت تطبع وفيها ذلك الرجس ويحكمون بالغرامات على من كان يطبعها وينشرها .

أفكانوا يتركونها وقانون الآداب العامة قائم يحمي من كل مايخل بالآداب العامة ؟

ومن تزويد الرواد أن بعضهم كان يحب « السمك المقلي » فأقحمه على الموائد مع الأطعمة الفاخرة في بعض الحكايات .

وقامت قيامة الكتاب والصحفيين احتجاجا على مازعموه من المساس بالتراث والحرية ،

شخصية

شهرزاد المُفتَرى عليها!

وأكثرهم لم يقرأ التراث ولا حتى ألف ليلة وليلة ، أما الحرية فما أكثر ما يرتكب باسمها !

وفي من كتبوا وثاروا لذلك كاتبات وصحفيات ، وكان أجدر بهن أن يلزمن جانب الحياء .

جنوا على ألف ليلة

والعجيب أن هؤلاء الكتاب حاربوا الأفلام السينمائية الهابطة التى تعتمد على الإثارة بعرض الانحرافات ، ومازالوا يحاربون أفلام الفديو التى من هذا القبيل . وحسنا فعلوا ويفعلون ، ولكن كانوا على العكس من ذلك فى الدفاع عن التراث الفاحش . إنهم جنوا على ألف ليلة وليلة بدفاعهم هذا ، كأنهم سلموا بأن الفحش فى أصله ، ودافعوا عنه بفحشه ، وهو فى أصله ــ كما بينا ــ مبرأ من الفحش . وقد أشار وكيل النيابة إلى نسخة من الكتاب مطهرة بقلم المرحوم أحمد رشدى صالح ، وإلى نسخة أخرى كتلك صدرت عن دار الهلال ، فالكتاب لم يصادر لذاته وانما لما ألصق به .

وامتد دفاع المدافعين عن المجون والفساد إلى كتب التراث الأخرى المشتملة على حكايات المجون وأشعار المجان مثل « أخبار أبى نواس » وبئس أبو نواس وبئس التراث الذى يشتمل على أخبار المجان والمجون . وبعض مؤلفى هذه الكتب يحاول أن يبرر ذلك بأنه فكاهات لا بأس بها .. والواقع أن ذلك ، أى كتابة هذه « الفكاهات » كان فى زمانهم حين كانت الكتب مخطوطة غير متداولة بين قراء كثيرين ، انما كان المؤلف يؤلف للخاصة وخاصة الخاصة ، ويشبه الحال فى ذلك مايلجأ إليه بعض الناس الآن عندما يريدون أن يتفكهوا بالنكات الخليعة ، فيلتفتون الى الصغار الموجودين فى المجلس ويأمرونهم بالذهاب الى حجراتهم واستذكار دروسهم ..

أما الآن والكتب تطبع وتصير فى متناول القراء جميعا صغارا وكبارا ، فتية كانوا أو فتيات ، فانه لا يليق مطلقا أن يكون الكتاب أداة مفسدة كأفلام الفيديو الفاسدة المفسدة .



وعلى أى حال ليس كلام أولئك المؤلفين مسلما مقبولا ، بل هو مرفوض ، ومجونهم مرذول وغير مقبول فى زماننا هذا الذى انتشرت فيه الطباعة والقراءة ، ولا يجدى أن نقول لأحد الأولاد : دع هذا الكتاب واذهب الى حجرتك واستذكر دروسك ..

ليس هذا كذاك

وبعض الكتاب استشهد فى دفاعه عن التراث « الماجن » بما ورد فى القرآن الكريم من آيات فى الجنس مثل قوله تعالى :

« وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ، وقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين »

نلحظ أولا أن الآية تضمنت تنفيرا من الفاحشة وحثا على التعفف ، ونقول ثانيا إن ماورد فى القرآن الكريم من أمثال ذلك إنما كان موضوعيا جادا وبألفاظ مهذبة ، وكذلك مايرد فى الفقه وفى العلم الطبيعى ، ليس فيه إغراء ولا فيه مايجرح الحياء ، وهو يهدف الى معرفة الأحكام والعلم بالحقائق ، على خلاف ماق التزيدات المضافة الى ألف ليلة وليلة ، وماق كتب التراث الأخرى من الحكايات والعبارات المجونية الفاحشة ، ولا يقصد بهذا وذاك الا الإثارة والتظرف الوقح ، هنا كلمات وعبارات وتصويرات جنسية مغرية لا تختلف كثيرا عما اشتمل عليه كتاب « رجوع الشيخ إلى صباه » الممنوع من التداول ، وغنى عن البيان أن الاستشهاد هنا غير ممكن بحكم الحياء ونظافة الكلام ، وكذلك بحكم القانون الذى يحفظ الآداب العامة ويحمى المجتمع من السوء والفحشاء .

إن الأولاد يدرسون فى المدارس التلقيح فى النبات والحيوان دراسة علمية موضوعية ترمى الى المعرفة البريئة المجردة من « قلة الأدب » ولا ضير فى هذا لخلوه من الإثارة .

تحية إلى رجال الشرطة والقضاء الساهرين على أمن الناس وحماية المجتمع ماديا ومعنويا ، وتحية إلى كتاب الف ليلة وليلة البرىء مما دسه فيه الفاحشون ظلما وجهلا ونسبوه إلى الأديبة العظيمة الفاضلة : شهرزاد .

عباس خضر

الآمال.. والموت المُزَخرَف

شعر: حسن توفيق

بعينيكِ آمالي التي يرتجيها العمرُ مذْ باتَ قلبي مؤرقًا
وتعشقُ فيك الروحُ نُضرةَ أيامي ونبضَ كآبتي
كأنك وعدٌ في عيون الجميلات اللواتي نأى عنهن ركبُ صبابتي
وجئتِ .. فجاء .. الوعدُ كي يتحقَّقَا...

• • •

أريدكِ قربي ـ آه ـ لكنَّ أمواجاً من الخوف تُقبلُ
فنحن التقينا فوق أرضٍ مدمَّاةٍ بها الحبُّ أعزلُ
يُخوِّض في المستنقعاتِ وبالأحجارِ يرشقُه الأوغاد، أيَّانَ يرحلُ
وبالغشِّ يُسحلُ

• • •

أخاف من العدوى وأن تكذب النجوى وأن تشهدَ الأحلامُ موتاً مزخرفًا
يعللنا أن الحياةَ بها تسري فنبقى نهلِّلُ
فما زال فينَا مَنْ نراه يضلِّلُ
ومازالت الأشجار تثمرُ حيَّاتٍ ويصعقُ سجنُ الأفقِ طيراً مرفرفًا

• • •

تقولين لي: حاذرْ.... ستفتحُ باباً للهواجسِ تدخلُ
تنفَّسْ شذى روحي ودعْ عنك ظلًّا يستطيبُكَ عابسًا
صحيحٌ بأنَا حين نشهدُ أقمارَ البراءةِ تأفلُ
تداهمنا الحُمَّى.... ولكننا لن نصلحَ العالَمَ الذي تكوَّمَ يابسًا

رفيقةَ أحزاني هو الفقر يغتالُ الحديقةَ في الروحِ التي تتفتحُ
هو الفقر طاغوتٌ يطوِّحُنَا مثل الغصون المحوَّخه
فكيف سَنُفلحُ
إذا نحنُ أحببنَا فسرنا فوقَ أرضٍ ملطخه

• • •

تشهيتُ فيك الوعدَ... قلتُ: حبيبتي
وأطلقتُ عصفوري الظمىّ من العشِّ الذي كَمْ تَبعثَرا
لعلَّ مع الأيام تثمرُ لقياكِ ابتساماً منوَّرَا
يلاقي أناشيدي فتنفضُ أوراقَ انتظارى حديقتي

• • •

عَلَى أننا لسنا نسير كما نرجو.... فكَمْ خابَ مأملُ
وماذا سنفعلُ
سوى أن نشدَّ الأزرَ.... قلبي يناديكِ ابتهالاً ويأملُ
وقلبك يسقيني الأمان من النبعِ الذي ليسَ يبخلُ

• • •

أصاحبتي... قلبي بحبِّكِ مأسورٌ ترنَّم مغرمَا
فلا تلفظي قلبي إذا تهتُ في الأرض الشحيحةِ مرغمَا
رهاهي آمالي بعينيكِ زهراتٌ تفتَّحْنَ أنجمَا
فلا تتركيني أسأل الريحَ عنها...



بقلم: جمـــال قطـب

فارس الحرس

من خلال لقاءاتنا على هذه الصفحات ، لاشك أن قراءنا قد تبينوا الهدف المزدوج لاستعراضاتنا الفنية على مدى السنوات الماضية ألا وهو الاستمتاع الوجداني بما نقدمه من روائع الابداعات العالمية لأساطين الفن العظام ، وإلقاء الضوء على الحقائق العلمية والتاريخية التي واكبت هذه الأعمال الخالدة . أو بمعنى آخر استيعاب المعلومة الثقافية في اطار من الجمال الفني المثير !

ومن المعروف أن مدارس الفن ونزعاته واتجاهاته غالباً ما تساير التحولات والتطورات الاجتماعية وقد تصحح مسيرتها في بعض الظروف .. وهذا ما حدث ــ مثلاً ــ في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، حيث وجدنا أن فنون القرن الثامن عشر في معظم دول أوروبا قد انحرفت إلى الرونق والإبهارات البصرية والانغماس في الزخرف والتنميق ، دون اعتبار للقيم الفنية وروح الأصالة والابتكار .. تلك التي كانت من سمات فنون عصر النهضة الذهبي في القرنين السابقين . وظلت هذه المارسات المبهرة .. تقلد أساليب فناني عصر النهضة وتسير على نهجهم دون أن يكون للفنانين مقومات العبقرية الفنية التي كان يحظى بها هؤلاء الأفذاذ السابقين .. ولذلك سميت فنونهم بطراز النهجية والباروك والروكوكو وغيرها من الأسماء التي تعني التقليد والتزويق والتنميق ، وأصبح الفن هيكلاً جميلاً مبهراً يفتقر إلى روح الجدية والتعمق والتجديد .

وقد عرفنا في لقاءات سابقة كيف هبت رياح التغيير من الجذور مع إطلالة الثورة الفرنسية التي زلزلت الكيان الفرنسي عام ١٧٨٩ ، وتزعم هذا التغيير في مفهوم الفن (جاك لويس دافيد) الذي انتخب سنة ١٧٩٢ عضواً بالجمعية الوطنية ضمن قادة الثورة الكبار وأصبح الحاكم بأمره في كل ما يتعلق بشئون الفن آنذاك . ومن موقعه الدكتاتوري القيادي ، فرض على الفنانين العودة إلى مناهل التراث والميثولجيات الوطنية ذات الأسلوب الرصين المتزن والجمال الرياضي الذي يتميز به الفن الاغريقي القديم .. وبذلك نبذ الفنانون أساليب البهرجة الغارقة في الطلاوة والنعومة المترفة .. وعادوا إلى كلاسيكية الأجداد .. وأطلق على هذه النزعة المرتدة : الكلاسيكية الجديدة ، أو الكلاسيكية العائدة .

ودارت عجلة الأحداث .. وتوالت التقلبات السياسية والاجتماعية .. وانتهى دافيد بنهاية نابليون ونفيه إلى (سانت هيلانة) .. فقد نفي الفنان بدوره إلى بروكسل من عام ١٨١٦ حتى وفاته عام ١٨٢٥ ولكن (الكلاسيكية الجديدة) ظلت سائدة بزعامة تلامذته من أمثال (جرو Gros) و آنجر Ingres) ردحاً من الزمان .. وتهاوت قبضتها عاماً بعد عام ، حتى منذ أواخر عهد دافيد نفسه .. لأن الفنانين ــ كطبيعة الفن ذاته ــ لا يحبون إملاء الأوامر والشروط وفرض المناهج والحجر على قرائحهم وملكاتهم .. ولذلك رأينا فناناً مثل (تيودور جيريكو Theodore Gericault) يتمرد تمرداً سافراً على مدرسة دافيد المتزمتة ويشتق لنفسه ولغيره من الفنانين المتحمسين ، منهجاً مشحوناً بالانفعال والحركة والحيوية .. عرف باسم (الرومانتيكية) .

والرومانتيكية في الفن شئ غير الرومانسية .. بل نقيض لها .. فالأولى تقوم على مبدأ المبالغة في تصوير الأحداث الدرامية والمشاهد التراجيدية ، بعكس الثانية التي تعني التحليق والشاعرية . والواقع أن كلمة (رومانتيكية) مشتقة من لفظة (رومان Roman) ومعناها في اللغة الفرنسية قصة درامية أو حكاية ، وقد اعتمد الفن الرومانتيكي ، منذ البداية ، على المبالغة والانفعال في تجسيد الأحداث : فالحركة أشد عنفاً من الواقع ، والأبطال أعظم بطولة ، والأشرار أشد فتكاً وشراسة ، والنساء أروع فتنة وجمالاً .. فهو أسلوب لا يعترف بالرزانة ولا يطيق الصمت والاتزان .. وحتى في رسم الأبطال والفرسان والخيول ، نجد أن المحارب لابد أن تستثار قوته ، والحصان لابد أيضاً أن يتقلص حركة وانفعالاً ! كل هذا يجسده الفنان في كفاءة فنية متحررة وعاطفة متقدة واحساس ساخن بروح الحدث وايحاءاته الدرامية المروعة !

وقد رسخت المدرسة الرومانتيكية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر وأنتج فنانوها عدداً من آيات الفن الرفيع .. وإذا كان تيودور جيريكو هو أول من رفع لواء هذه النزعة الواقعية العاطفية العنيفة ، فإليه أيضاً يرجع الفضل في تحطيم قيود (الكلاسيكية الجديدة) التي كبلت عزائم الفنانين وكبتت ميولهم وملكاتهم ومشاركتهم الوجدانية في أحداثهم المعاصرة ! واللوحات الرومانتيكية ، قد لا تثير فينا اليوم أي شعور بالاستغراب ، إلا أنها كانت تعد حينذاك ثورة على التقاليد المرعية والمثاليات التي التزم بها الفنانون كدستور أجبروا على ألا يحيدوا عنه قيد شعرة واحدة !

وكما نقول دائماً ، فالرواد هم الذين يخلدون في ضمير الفكر الانساني وفي سجلات التاريخ .. واليوم ونحن نشاهد أعمال جيريكو في متحف اللوفر وفي غيره من المتاحف العالمية ، حري بنا أن نتمثل الفنان الثائر وهو يعرض رقبته للمقصلة الرهيبة في كل لحظة .. لإيمانه بانطلاقة الفكر وتحطيم الأغلال التي كبلت بصائر المبدعين في عصره وحالت دون الخيال المبتكر والتعبير عن الانفعالات النفسية المتصارعة .وإذا كانت الحركة الرومانتيكية قد بدأت بالفن كمظهر من مظاهر الفردية في مجتمع الطبقة الوسطى الجديدة التي تمخضت عنها التحولات الاجتماعية في فرنسا والتي عرفت (بالبورجوازية) ، إلا أنها سرعان ما امتدت إلى العالم كله في الفن وفي مجالات الفكر والشعر والمسرح ، وانتشر الأدب الرومانتي (أوالرومانتيكي) في جميع أنحاء أوروبا ، فظهر في فرنسا على يد هوجو ودي موسيه ، وفي إنجلترا على يد شيللي وبايرون ، وفي ألمانيا على يد جوته وشيللر ، كما ظهر في روسيا على يد بوشكين .

نعود إلى فناننا الفرنسي رائد الرومانتيكية تيودور جيريكو لنجده كالزهرة التي عطرت الأجواء بأريجها .. ولكنها سرعان ما اقتطفتها يد القدر وهي لم تبلغ أوج تفتحها وازدهارها .. فقد وافاه الأجل المحتوم قبيل افتتاح (صالون باريس) لعام ١٨٢٤ ببضعة أيام .. ذلك المهرجان الفني العالمي الكبير الذي أودعه آخر وأهم روائعه الخالدة .. وكانت وفاته اثر وقوعه من فوق حصانه وهو لما يزل في الثالثة والثلاثين من عمره !

وعلى الصفحة المقابلة نرى إحدى روائع جيريكو التي رسمها عام ١٨١٢ وهو في سن العشرين وأسماها فارس الحرس الامبراطوري .. ولنتأمل روعة التعبير .. وعنف الحركة وحرارة التفاعل وذروة الانفعال ! وتعتبر هذه اللوحة من أولى اللوحات التي بشرت بالرومانتيكية وانطلاق الثورة الفكرية من عقالها .



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

أحدث طرق الاسترخاء



الاسترخاء على الطريقة اليابانية

يعتبر التوتر العصبي مرض العصر ، خاصة في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ولذلك فكر اليابانيون في وسيلة طبيعية لا تعتمد على الأدوية المهدئة لعلاج التوتر والوقاية منه . وتستقي هذه الطريقة جذورها من التراث الياباني المتميز بتدريبات التأمل لسيطرة الروح على الجسد .

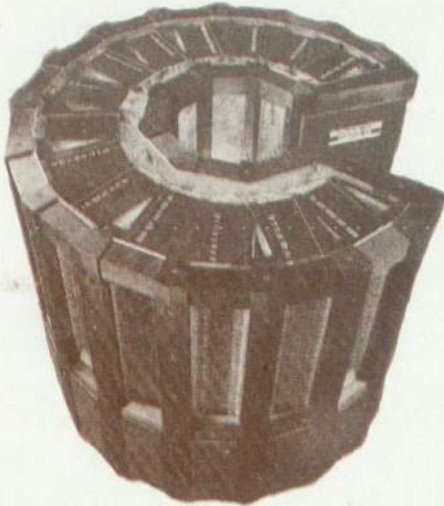
في إحدى عيادات العلاج النفسي في طوكيو يجلس المريض في مقاعد ذات شكل خاص أقرب الى شكل بيضة كبيرة مبطنة من الداخل باللون الأسود ، وأمام هذه المقاعد منظر طبيعي ضخم لغابة خضراء وينابيع مياه . وزودت المقاعد بأجهزة تسجيل وسماعات ترسل مجموعة من الأصوات لا رابط بينها ، فهي خليط من أصوات الطبيعة مثل صوت زخات المطر وزقزقة العصافير والعواصف الرعدية ، وأصوات آلية مثل ايقاع مرور القطار وأزيز الطائرة النفاثة ، ويتخلل كل ذلك عزف للجيتار الياباني .. ويستمر إرسال كل صوت من هذه الأصوات لمدة دقيقتين .

وأثناء استماع المريض لهذه الأصوات ، يقوم الطبيب بقياس رد الفعل لكل صوت يستقبله عن طريق رسم الذبذبات الكهربية للمخ ، مستخدماً جهازاً متطوراً يستطيع توضيح التغيرات المفاجئة التي تطرأ على مزاج المريض . ويحصل الطبيب في نهاية هذه الجلسة على تحليل يضع على أساسه البرنامج الصوتي الأمثل الذي يناسب كل مريض ، ويمنحه الاسترخاء المنشود .

ويجد المريض في الزيارة التالية الشريط العلاجي الخاص به .ويوضح الطبيب المعالج أن المخ يرسل في حالة الاسترخاء موجات ذات ترددات خاصة تتراوح بين ٨ و١٢ هرتز وتسمى موجات « ألفا » وأنه لكي يحافظ الانسان على توازنه النفسي والعصبي عليه أن يستمتع بموجات « ألفا » لمدة ساعة يومياً .

ويؤكد الطبيب أن مرضاه يصلون إلى حالة الاسترخاء بعد ساعة واحدة على الأكثر من الاستماع إلى الشريط العلاجي المعد للحصول على موجات « ألفا » .

أقوى كمبيوتر في العالم



الكمبيوتر « كراي ــ ٢ »

أنتجت المعامل الأمريكية أقوى جهاز كمبيوتر في العالم واسمه « كراي ــ ٢ » فهو يستطيع إجراء مليار عملية حسابية معقدة في الثانية ، ومعنى ذلك أن أداءه أسرع مليون مرة من أفضل ميني كمبيوتر موجود حالياً في الأسواق . وهو رقم لم يسبق تحقيقه من قبل .

وتتسع ذاكرته لتخزين ٢٥٦ مليون كلمة ويتميز « كراي ــ ٢ » بأنه يضم أربعة مراكز للعمليات الحسابية ومعالجة البيانات ، وهي تعمل بالتوازي فيما بينها ، وتعتبر ذاكرة الكمبيوتر مشتركة للمراكز الأربعة .

ولتحقيق أكبر سرعة ممكنة لانتقال الالكترونات داخل الدوائر الالكترونية اضطر المهندسون إلى تقريب هذه الدوائر إلى أقصى حد من بعضها البعض . ولذلك فان « كراى ــ ٢ » يتميز بصغر حجمه الذي لا يتناسب مع قوته وقدراته .ولكن تقارب الدوائر يخلق مشكلة تبريد ، لأن الحرارة الضخمة المتولدة أثناء تشغيل هذه الدوائر تهدد بسرعة تلفها ،وهي مشكلة كل الأنظمة الاعلاماتية القوية . إلا أن تبريد « كراي ــ ٢ » يتم بشكل مبتكر لأن الجهاز بكامله مغمور في حمام من مادة فلوريد الكربون التي تعمل على تبريد الحرارة .

والغريب أنه بالرغم من الامكانات المذهلة لهذا الكمبيوتر الذي بدأ عمله مؤخراً ، فان المعامل تستعد لانتاج « كراي ــ ٣ » الذي يتوقع الباحثون أن يكون أسرع وأكفأ عشر مرات من « كراي ــ ٢ » . ولكم أن تتصوروا !! .

قارئ إلكتروني لفاقدي البصر



القارىء الالكتروني

يحقق هذا الجهاز الالكتروني الصغير مزيداً من حرية الاطلاع لفاقدي البصر ، فهو يتيح لهم قراءة أي نص مطبوع أو مكتوب . ويتكون هذا الجهاز الذي لا يزيد حجمه عن حجم آلة كاتبة صغيرة من :

• ميكروكاميرا الكترونية للتعرف على الحروف والكلمات المكتوبة ، وهي مزودة بجهاز صوتي مساعد لتنبيه القارئ عند تخطي سطر من السطور . فالكفيف يمسك بهذه الكاميرا الصغيرة في يده ويحركها على النص المكتوب .

• ميكروكمبيوتر يقوم بتحويل النبضات الالكترونية المستقبلة من الكاميرا إلى حروف مرة أخرى .

• شاشة في جانب الجهاز تظهر عليها الحروف « بالبرايل » بحيث يتعرف عليها الكفيف باللمس .
• لوحة مفاتيح كتب فوق كل مفتاح وظيفته « بالبرايل » ويستطيع الكفيف بواسطة هذه المفاتيح تشغيل الجهاز أو إيقافه أو تعديل البعد البؤري لعدسات الكاميرا لتقريب أو تكبير الحروف .. الخ .

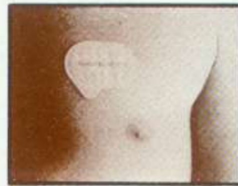
كما أن هذا الجهاز الذي يسمى « دلتا » مزود بذاكرة طاقتها التخزينية ٢٥٦ حرفاً ، وهي تسمح بالاحتفاظ بما سبق قراءته لاعادته مرة أخرى على الشاشة عند الحاجة .

وتزن « دلتا » أربعة كيلو جرامات ، وهي تعمل ببطارية ١٢٠ فولت تؤمن ٨ ساعات تشغيل متواصلة قبل إعادة شحنها .

ولا يتطلب هذا الجهاز القارئ سوى ١٠ أيام من التدريب ، ويمكن توصيله بعدد من الأجهزة الالكترونية مثل طباعة « برايل » أو ميكروكمبيوتر .. الخ

طريقة جديدة لتناول الدواء





لقطتان : القرص اللاصق لعلاج الذبحة الصدرية ..ثم كيس يحتوي الدواء لعلاج الجلوكوما

يشهد عالم الدواء تغيرات جذرية ، فلقد بدأ استخدام نوع جديد من الأدوية تصل مباشرة إلى العضو المراد علاجه دون أن تعاني من أي تحلل أو تغيير عند مرورها خلال أنسجة الجسم المختلفة .

فالأدوية في شكلها الحالي تفقد الكثير من تأثيرها وفاعليتها نتيجة تعرضها للانزيمات التي يفرزها الجسم سواء في القناة الهضمية أو الكبد أو حتى الدم ، والتي تؤدي الى تحللها .

ومن ناحية أخرى فان بعض نواتج هذا التحلل قد تكون ضارة ، خاصة عند تفاعلها مع أدوية أخرى أو بعض أنواع الطعام والكحوليات .. ولذلك فإن الأطباء يشبهون الدواء التقليدي بقنبلة عشوائية تصل إلى هدفها ، ولكن بعد أن تكون قد لوثت الجسم بفضلاتها .

ولتفادي هذه الأخطاء ، توصل الباحثون إلى طرق مختلفة تسمح للدواء ببلوغ هدفه مباشرة دون أن يتعرض لأي تحلل .

ولقد تمت تجربة دواء للمعدة يتخذ شكل برشامة صغيرة صنع غلافها الخارجي من مادة عضوية قابلة للانتفاخ عند مرورها في القناة الهضمية ، مما يجعل البرشامة تقف في المعدة ولا تستطيع المرور إلى الاثنى عشر ، وعندئذ تفرغ العقار الفعال داخل المعدة حيث يتم امتصاصه مباشرة من خلال الغشاء المخاطي المبطن لها .

كما يقدم الطب شكلاً آخر من الدواء يتم امتصاصه من خلال الجلد ، ولقد استخدم هذا النوع من العلاج في حالات الذبحة الصدرية حيث يلصق قرص صغير يحتوي على مادة « الترينيترين » على صدر المريض (كما توضح الصورة) وينفذ الدواء تدريجياً من خلال الجلد إلى القلب والشرايين التاجية . واستخدمت نفس الفكرة في علاج « الجلوكوما » مع اختلاف بسيط ، فلقد تم تثبيت كيس صغير بين كرة العين والجفن الأسفل وصنع جدار هذا الكيس بحيث يفرز الدواء ببطء داخل العين .

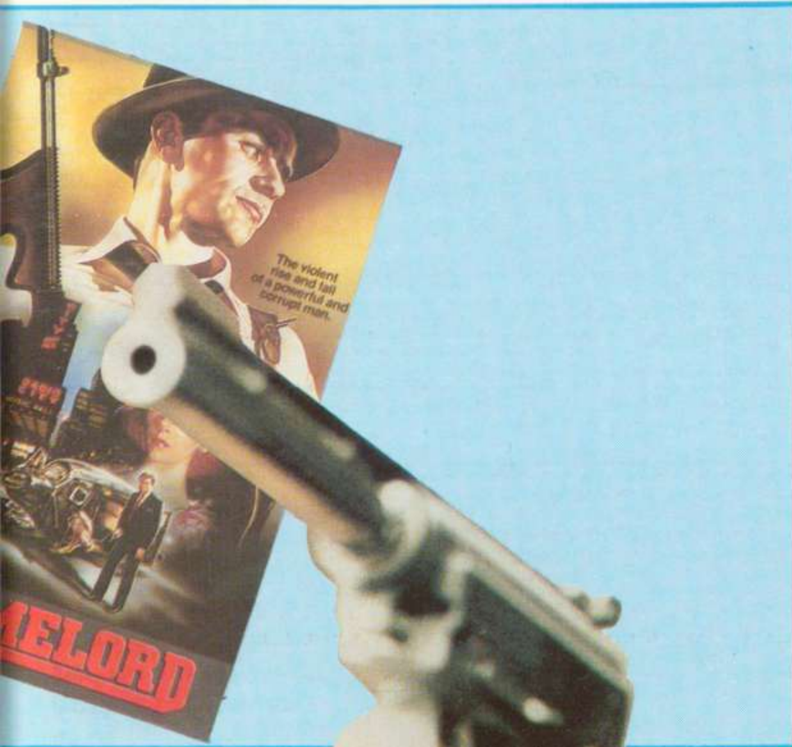
وتتميز هذه الطريقة الجديدة بأنها طويلة المدى ، فلا يحتاج المريض إلى تغيير القرص اللاصق أو الجيب إلا بعد عدة شهور قد تصل إلى سنة .

لم يكن الأمر يحتاج إلى ضوء أخضر ، لكي تكتسب ظاهرة أفلام العنف ، طابعاً خاصاً ومتميزاً في السينما الأمريكية .. ولكن جاء تصريح الرئيس « ريجان » ليبارك هذا الاتجاه ، عقب حادث الطائرة الأمريكية المختطفة في بيروت منذ شهور .. إذ قال فيما يشبه الدعابة ، عند استقباله للرهائن الامريكيين بعد الافراج عنهم : « لقد شاهدت فيلم (رامبو) .. وأصبحت أعرف كيف أتصرف في المرات القادمة » !

تصدير العنف في شرائط ملوّنة !



بقلم : رؤوف توفيق



شارلز برونسون يشهر مسدسه .. فمن يخاف ؟!

اكتسبت هذه العبارة أهمية شديدة ، ليس فقط بين منتجي وموزعي أفلام العنف ، ولكن بين المراقبين المحللين لاتجاهات السينما الأمريكية وتأثيرها على المجتمع .

فقد كانت هذه هي السابقة الأولى التي يعلن فيها رئيس أمريكي ، العلاقة بين السياسة والسينما بهذا الوضوح !

والذي أثار الدهشة .. أن هذا الفيلم (رامبو) نموذج للأفلام الرديئة التي تمجد العنف والقوة بشكل ساذج ومتوحش .

ولكن الواضح أن الاشادة بهذا النموذج من الأفلام ، كان على أساس أنه يقدم الحلم الأمريكي الجديد ، لصورة البطل الذي يتحدى الصعوبات ، ويقهر الأعداء بلا خوف أو تردد .. والذي لا يعرف لغة للحوار ، سوى لغة العنف وسفك الدماء .. أحياناً بقبضة اليد الفولاذية .. وأحياناً بالمدفع المتدفق دائماً بالنيران .. والحل دائماً يبدأ وينتهي بمنطق القوة !

« الوهم » .. بالانتصار !

فهذا البطل الأمريكي الجديد .. هو الذي كان يستطيع إنقاذ الطائرة الأمريكية من مختطفيها ، وفك أزمة الرهائن في دقائق .. كما فعل « رامبو » ، عندما اقتحم معسكرات الجيش الفيتنامي لتخليص الأسرى الامريكيين .. فقام بالمعجزة بمفرده .. وحقق نصراً أسطورياً عجزت عنه كل أسلحة الجيش الأمريكي ، وقادته ، ومخابراته طوال سنوات مريرة !!

ها هو البطل الأمريكي ينتصر على شاشة السينما .. ليعوض الهزيمة في الواقع ..

وكأن المطلوب هو خلق هذا « الوهم » بالانتصار والقوة !

ومن هنا .. لاقى فيلم « رامبو » رواجاً تجارياً هائلاً .. وبلغت ايراداته ١٤٠ مليون دولار خلال سبعة أسابيع فقط من عرضه في دور السينما بالولايات الأمريكية وحدها !

وجاء تصريح الرئيس الأمريكي ليثبت أقدام الفيلم .. ويمنحه مزيداً من الشرعية والقدوة !

وتحول « سيلفستر ستالون » بطل الفيلم والذي شارك في تأليفه وقام بإخراجه .. تحول إلى بطل شعبي تطبع صوره على الملابس والملصقات داخل المنازل .. ويتحلى الصبية والمراهقون بنماذج من الأسلحة التي استخدمها في الفيلم .

وهنا ، مكمن الخطورة ، أن يصبح العنف وسفك الدماء ، هو قمة البطولة والمثل الأعلى .. وأن تصبح أدوات العنف هي الحلية التي يتزينون ويتفاخرون ويحلمون بها !

منذ أعوام قليلة ــ أقل من ثلاث سنوات ــ كانت السينما الأمريكية تروج لمخلوقات الفضاء .. وخلقت أسطورة « إي . تي » ، ثم أسطورة « جيداي » ، وامتلأت الأسواق والمكتبات بنماذج من البلاستيك والخشب والفيلين لكل هذه المخلوقات .. ومضت الأعوام القليلة ، لتصبح هذه النماذج الكارتونية ، وكأنها من عصور الرومانسية الغابرة .. ولتحل محلها نماذج وصور « رامبو » !

ونشطت الأسواق الأمريكية لتصدير البطل الجديد إلى أسواق العالم ، لتفرضه بقوة الدعاية ، ليصبح البطل المرغوب المنتظر !

وليس غريباً بعد هذا .. أن تقف الجمعيات والمنظمات التي تدعو للسلام العالمي .. ضد هذا التيار الزاحف من السينما الأمريكية .

اسرائيل تدفع بالمليارات !!

ولكن السينما الأمريكية في سباقها الرهيب من أجل الربح والانتشار .. تصطاد تلك اللحظة ، وتتشبث بها ، لتستثمرها إلى آخر رمق .

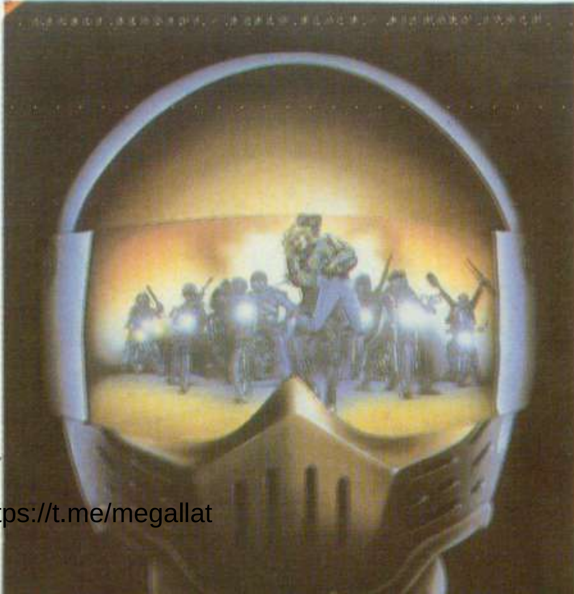


نوعية من اعلانات الأفلام الجديدة : عنف ورعب وشباب يحاول اثبات وجوده !!

« رامبو » أو الممثل « سيلفستر ستالون » بعضلاته البارزة والاسلحة في كل يد !



نوعية الأفلام القادمة : تفضحها عناوينها ورسوماتها !



تصدير العنف في شرائط ملونة !



« العجائز وسحب القنابل .. ومن يحمي الآخر في عالم عنيف » لوحة مرسومة لفيلم أمريكي

وهاهو المنتج والمخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » يعرض على بطل « رامبو » — سيلفستر ستالون — أجراً مقداره ١٢ مليون دولار نظير دوره في فيلم جديد بعنوان « فوق القمة » سيخرجه جولان لحساب شركته « كانون » ! !

وليس الرقم هو مايثير الدهشة — رغم أن إحدى المجلات الفرنسية ترجمته إلى الفرنكات . فوصل إلى ١٠ مليار « فرنكى فرنسي » قديم (! !) ولكن مايثير الدهشة والترقب هو ماالذى سيفعله هذا المخرج الاسرائيلي بتلك الأسطورة الأمريكية الراهنة . وإلى أي اتجاه سوف يحرك الخيوط ؟!

والمعروف تماماً .. وكما كتبت مراراً في مقالات السينما بالدوحة .. أن هذا المخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » انتقل بنشاطه من السينما الاسرائيلية إلى قلب السينما الأمريكية .. وكون مع شريكه « جلوباس » شركة انتاج وتوزيع سينمائية باسم « كانون » ، تضخمت وانتشرت بطريقة أخطبوطية في أمريكا وكندا وأوربا وآسيا وفي مدة لم تتجاوز السنوات الخمس .

ومن يدفع ١٢ مليون دولار كأجر لمثل .. فهو لا يغامر مع المجهول .. ولا يبتغي بالطبع وجه الفن .. خصوصاً إذا كان اسرائيلياً مدرباً على أساليب القنص والخداع .. وتسانده المؤسسات الصهيونية العالمية !

من يقدم عنفاً أفظع ؟!

وإذا كان الضوء الأخضر ، أعطى الشرعية لسينما العنف .. فهذه السينما كانت موجودة من قبل .. ولكنها لم تصل إلى هذا الحد من الانتشار والكثرة العددية ، والشراسة في الموضوعات .. كما حدث خلال العامين الماضيين .

فقد أشارت الاحصاءات التي أجريت على أفلام السينما الأمريكية .. أن نسبة أفلام العنف تزداد سنوياً بمعدلات مخيفة .. فمن عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٢ .. كانت نسبة الزيادة ٢٣٪ .. ولكن في عامي ٨٣ ، ٨٤ زادت النسبة إلى ٦٨٪ من جملة الانتاج السينمائي الأمريكي ..

ويمكن ملاحظة هذه الزيادة من خلال نظرة سريعة على برامج الأفلام التي تعدها الشركات السينمائية الأمريكية .. لتغزو بها العالم خلال العام القادم — ٨٦ .. ومن قراءة لعناوين الأفلام وتأمل بعض لقطاتها المرسومة على الملصقات والاعلانات التي تبشر بها .. نستطيع أن ندرك كم من قذائف الدم والرصاص ستنهمر على رؤوس المتفرجين !

وهناك مباراة معلنة لزيادة الشهية للعنف .. من خلال العبارات المصاحبة لهذه الأفلام .. وكأن الأمر تحول إلى سوق للقتلة والسفاحين .. من يهشم العظام ويفقأ العيون .. ويحرق المزارع والمساكن .. وينسف الجسور والخزانات ؟!

والمسألة محسوبة .. من يقدم المزيد ؟

فقد أشار أحد المحللين لفيلم « رامبو » .. أنه يتضمن حوالي مائة وخمسين عملاً من أعمال العنف .. ومعنى هذا أن الفيلم الذي سيتفوق على « رامبو » هو من يسجل رقماً قياسياً جديداً في أعمال العنف ! !

الحصار من كل جانب

وحصار المتفرج بمشاهد العنف .. لا يقتصر على السينما فقط بل أصبح العنف هو المادة الرئيسية للمسلسلات التليفزيونية .. ودلت الاحصائيات أن مسلسلات العنف زادت بنسبة ١٠٠٪ خلال خمس سنوات فقط ! !

وأصبح من المعروف أن الموضوعات التي تدور حولها تلك المسلسلات .. تحكي العنف في الحروب وبالذات الحرب في فيتنام .. ثم العنف في الفضاء بين مخلوقات الكواكب وسكان الأرض .. ثم موضوعات العنف اليومي بين اللصوص والبوليس وعمليات السطو والاغتيالات .. الخ ..

وانتقل العنف إلى برامج ومسلسلات الرسوم المتحركة التي تقدم للأطفال .. واخترعت المعامل الأمريكية شخصيات خارقة تلهب خيال الأطفال .. وتنمي في داخلهم بذرة العنف والغضب المدمر ..

وقد حذرت كل المؤسسات والمنظمات التي تهتم بالطب النفسي ، من خطورة هذه التغذية اليومية الفاسدة التي يلتهمها الأطفال والكبار على السواء .. وأعلنت كثير من الدراسات والأبحاث التي تؤكد أن نسبة العنف في التعامل اليومي ومن خلال الرؤية المجردة للشارع الأمريكي .. هي نتيجة طبيعية للشحن المستمر ، بمشاهدة العنف سواء من التليفزيون أو السينما ..

ولكن رغم هذه التحذيرات .. فإن تجارة العنف تزداد عمقاً واتساعاً .. وتزداد انتشاراً في جميع أنحاء العالم ، من خلال شبكات التوزيع الأمريكية التي تصدر هذه الشرائط الملونة إلى محطات

التليفزيون المختلفة ، والى دور العرض السينمائي .. مسبوقة بحملات دعاية مكثفة .. ومستفيدة بأسماء كبار النجوم ، وبإمكانات التكنولوجيا الأمريكية في المعامل والاستوديوهات .. وحيث يبدو كل شيء ، جيد الصنع ، جذاباً ، مثيراً للخيال !

وهكذا تسلل وباء العنف إلى العالم !

المخرج الذي تنبأ بما حدث

ومن المثير ، أن أحد مفكري السينما الأمريكية ، قد تنبأ بظاهرة العنف المتوحش .. وأخرج فيلماً منذ أربعة عشر عاماً قدم فيه رؤيته للمستقبل ، بعنوان « البرتقالة الميكانيكية » !

وأحدث الفيلم أيامها صدمة للمشاهدين وللنقاد أيضاً .. وأعتبره بعضهم أنه نموذج مخيف « لأفلام العنف » !

ولكن هذا المخرج الأمريكي « ستانلي كوبريك » كان قد أذهل عشاق السينما في العالم ، قبل هذا الفيلم بثلاثة أعوام .. حينما قدم تحفته السينمائية « ٢٠٠١ ، أوديسة الفضاء » متنبئاً فيها بالصراع بين الانسان والآلة المعقدة التي اخترعها ليكتشف بها الفضاء ..

وعرض هذا الفيلم عام ١٩٦٨ وسجل « ستانلي كوبريك » أنه كان من أوائل المخرجين الذين تعرضوا لهذا الموضوع المستقبلي برؤية ثاقبة فيها العلم والفكر والفن .

ثم كان فيلمه التالي عام ١٩٧١ ، وهو الذي يحمل عنوان « البرتقالة الميكانيكية » يتنبأ بالعنف القادم ..

وسألوه لماذا اختار هذا الموضوع عن الرؤية المستقبلية للعنف .. بعد أن كان في فيلمه السابق يحلق في الفضاء .

قال المخرج « ستانلي كوبريك » :

« أثناء المحاولات الأولى لاكتشاف الفضاء .. كثيرون ادعوا أنه من الخطأ للانسان أن يخوض في اكتشاف الفضاء ، بينما لا يستطيع ذلك الانسان أن يتعامل مع جاره على الأرض .. ولكن الكثير مما حدث بعد ذلك ، وبعض ما أوردته في فيلم : « ٢٠٠١ ، أوديسة الفضاء » أصبح مألوفاً بالفعل .. وبالمثل كل الاكتشافات الطبية والعلمية ستصبح مألوفة وطبيعية في المستقبل .. وانني أرى المستقبل مليئاً بالعنف والشذوذ .. عالم مشوش مضطرب .. عصر يتميز فيه متوسطو وكبار العمر ، بالمزيد من اللامبالاة والفتور وعدم الثقة بالنفس ، وسرعة التأثر بالنقد .. بينما يسيطر العنف على الصغار وينشرون توترهم » !

العنف والسياسة

وفيلم البرتقالة الميكانيكية ، مأخوذ عن رواية بنفس العنوان للكاتب « انتوني بيرجس » وقد قام المخرج « كوبريك » بكتابة السيناريو .

وتدور أحداث الفيلم في المجتمع الإنجليزي .. حيث نتعرف على ثلاثة شبان لم يتجاوزوا العشرين من عمرهم .. مازالوا طلبة بالمدارس الثانوية .. متعتهم العنف لمجرد العنف .. ضرب العجائز واغتصاب النساء .. ويقع زعيمهم في قبضة الشرطة .. إنه أكثرهم شراسة وقسوة (يلعب الدور : مالكولم ماكدويل) .. لتبدأ رحلة العذاب داخل السجن الإنجليزي .

إنهم يعاملونه عند الاستقبال بمنتهى القسوة .. الضرب والتعذيب .. ويأتون له بالمدرس الذي كان يشكو منه دائماً ، انه الآن يفرغ كل ضيقه منه وشماتته. ويبصق المدرس عليه .. ويضربه رجل البوليس .. والشاب يتأوه بصوت مجروح : « العنف يلد العنف » بينما المدرس لا يكف عن الشماتة وهو يقول له « ها أنت أصبحت قاتلاً .. سفاحاً »

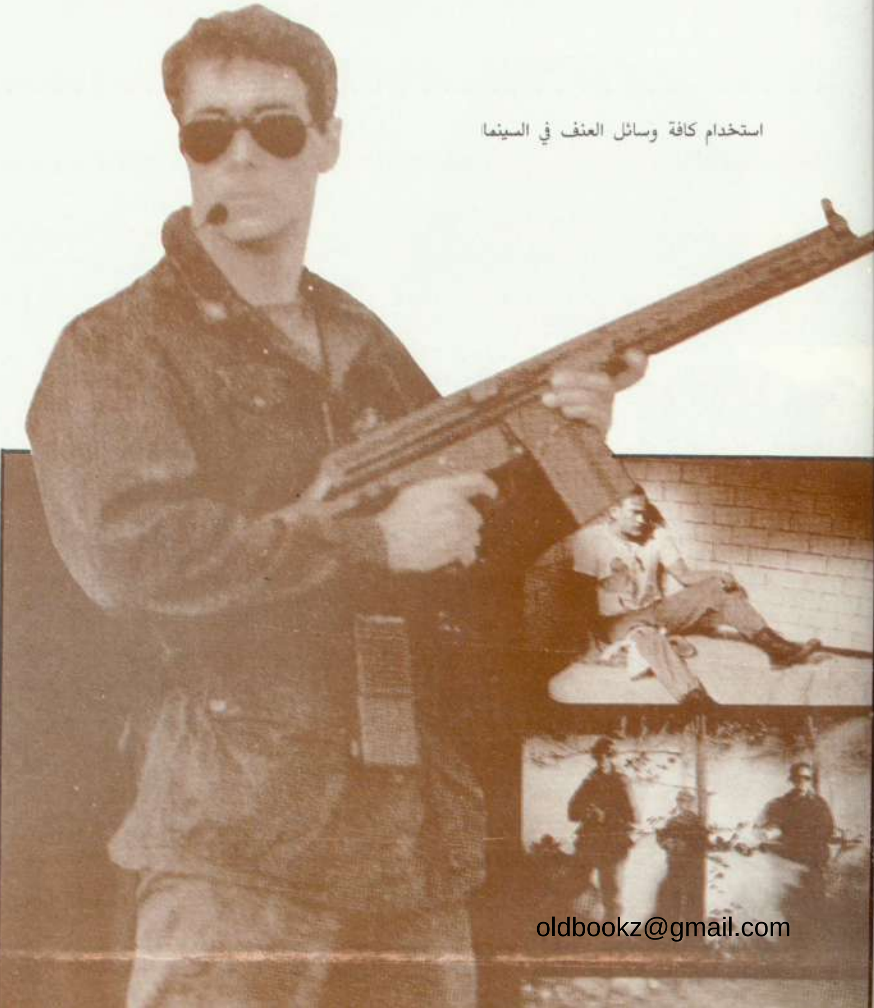
ويصدر الحكم عليه بالسجن .. لينتقل الفيلم إلى الجزء الثاني منه .. حيث يقرر العلماء بموافقة وزير الداخلية الإنجليزي اجراء تجارب جديدة لاستئصال العنف .. ويبداون تجاربهم على هذا الشاب .. ويترقبون النتائج لاستغلالها في الدعاية لبرنامجهم الحزبي .. أي أن المسألة كلها سياسة !

ولكن ماهي هذه التجربة العلمية ؟ .. انهم يضعون ذلك الشاب داخل حجرة مظلمة ويعرضون





أعلى : « كلينت استوود » راعي البقر الباحث عن فيتنام جديدة .. والصورة الأخرى « مالكولم ماكدويل » الذي لعب بطولة فيلم البرتقالة .



استخدام كافة وسائل العنف في السينما

تصدير العنف
في شرائط ملونة !

عليه مشاهد عديدة من عمليات العنف .. مشاهد صورت خصيصاً تتضمن كل أنواع العنف والقسوة .. والمفروض أن يشاهدها كلها بعيون مفتوحة ، وحتى يتحقق هذا تماماً ، فإنهم يشدون جفون العينين بنوع خاص من القطرة ، حتى تظل العينان قادرتين على العمل لفترات طويلة دون إغلاق الجفون ! انها الرؤية الاجبارية .. أو العقاب بالرؤية !

والغرض من هذه التجربة العلمية .. هو تحطيم الإرادة .. وتحطيم كل الدوافع للعنف .. فهذا الشاب يخضع للمشاهدة الاجبارية لساعات طويلة لمدة خمسة عشر يومياً ، مع حقنه بحقن خاصة للتهدئة وسلب الارادة . حتى يصرخ الشاب من شدة الألم ، ومن توالي جرعة العنف والاشمئزاز .. ويطلب أن يغلقوا عينيه .. « لقد اقتنعت بأن العنف شيء مروع جداً » .

ويشعر العلماء ورجال السجن والمسئولين في وزارة الداخلية .. أن التجربة العلمية قد نجحت تماماً .. ويعقدون اجتماعاً موسعاً يحضره رجال الاعلام المتخصصون في علم الجريمة ، ليشاهدوا هذا « الانسان » الذي تم اصلاحه !

ويضعون الشاب تحت الأضواء الباهرة ، ويحضر وزير الداخلية ومعه بعض رجال الحزب ، ليتوجوا هذا الانتصار الجديد لحزبهم !

وتبدأ أمام الحاضرين مجموعة من التجارب لاستفزاز الشاب ودعوته لاستخدام العنف .. ولكنه أصبح جسداً بلا حياة .. هادئاً .. مذعوراً .. كلما استفزوه للعنف ، كلما أعلن عن استيائه ، واشمئزازه .. حتى أنه يعلن استسلامه التام ويلعق بلسانه حذاء رجل حاول استفزازه !

ويفرح وزير الداخلية بهذه النتيجة .. وان كان أحد رجال الدين يعترض ، ويعلن أمام كل الحاضرين : أن هذا الانسان لم ينصلح حاله .. بل إن إرادته قد تحطمت .. وفعل الخير لن يأتي إلا بالاختيار .. وأين الاختيار هنا ؟!

ويضيع هذا الصوت بين ضجيج الباحثين عن انتصارات جديدة للحزب الحاكم .. ويخرج الشاب ليواجه الحياة من جديد .. ويكتشف أنه لا يستطيع التأقلم .. محطم تماماً .. يصطاده اثنان من رجال الشرطة وينهالون عليه ضرباً .. ويكتشف أنهما صديقاه اللذان كانا يشاركانه جرائمه الأولى .. ويصرخ متألماً « العالم كله لا يريدني .. انني أعاني » .

ويكتشف أحد رجال المعارضة ما حدث لهذا الشاب ويحاول استغلاله سياسياً لفضح التجارب التي أجريت عليه .. ولكن الحزب الحاكم يسرع بنقل الشاب إلى أفخر مستشفى في العاصمة ويأتي وزير الداخلية ليدلله ويرجوه ألا يورطه في مواجهة مع المعارضة .

ويدرك الشاب اللعبة السياسية التي تدور حوله .. فيغالي في طلباته .. ووزير الداخلية يوافق على كل شيء .. وفجأة تظهر على باب الغرفة بالمستشفى فتاة رائعة الجمال .. فيتحرك الوحش بداخله .. ويدرك الشاب أنه عاد إلى حالته الأولى ويصيح فرحاً بأعلى صوت .. « لقد شفيت » .

بينما يظن وزير الداخلية أنه نجح في لعبة السياسة .. فيبتسم لعدسات المصورين في سعادة وانتصار ..

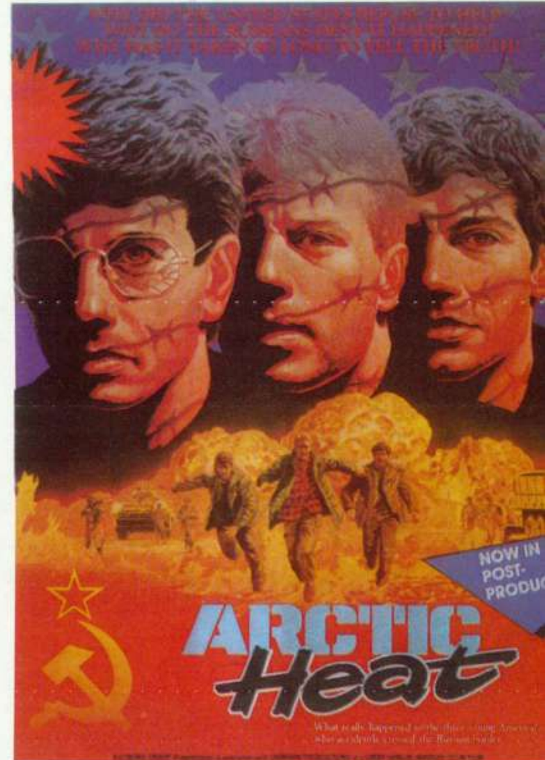
وينتهي الفيلم ساخراً في ادانة كاملة لضراوة المجتمع وصراع السياسة ..

فلقد أخضع هذا الشاب إلى تجارب معملية ، بالصدمات والأسلاك والمثبطات والحقن المهدئة .. ولكن هذه الرأس الآدمية لن يتغير ما بداخلها بمحاولات غسيل المخ .. وإنما التغيير يبدأ من الخارج .. من المجتمع ككل !

رد الاعتبار .. والبحث عن بطل

وتحقق ما تنبأ به المخرج « ستانلي كوبريك » في فيلمه منذ ٢٤ عاماً .. ساد العنف .. وجاءت السياسة لاستثمار العنف وليس لاستئصاله .


العنف والرعب يجتمعان وكأن مشاكل العالم الحقيقية قد انتهت إلى الأبـــد !



العنف القادم الذي تستغله السياسة في الارهـاب

فبعد هزيمة الجيش الأمريكي في فيتنام .. والاحساس بالمأساة والتورط داخل كل بيت أمريكي .. كان لابد من كسر حدة هذا الحزن والمرارة .. وبدأت السينما تخلق انتصارات وهمية ، لاعادة الاحساس بالقوة .

فالقاتل الأمريكي كما تصوره السينما الآن .. هو مزيج من طرازان وسوبر مان وجيمس بوند .. وأخيراً هو « رامبو » ذو القوة العضلية الهائلة والارادة الحديدية

وهو أيضاً راعي البقر النبيل ، الذي يقف بجوار المظلومين ويستجيب لنداءاتهم .. لينتقم لهم من الأعداء بحكمته وهدوئه وقوة مسدسه الذي لا يخطئ الهدف أبداً ! !

وليس من باب المصادفة .. أن يعود النجم الشعبي المحبوب « كلينت أستوود » ليمثل ويخرج فيلماً عن راعي البقر ، المخلص ، والمنقذ .. فهناك قرية يصلي أهلها من أجل حدوث معجزة تنقذهم من القراصنة الذين يهددون أمنهم .. فتستجيب لهم السماء (!!) .. ويظهر « كلنت أستوود » ممتطياً حصانه الأبيض ليؤدب الأعداء ويحصدهم الواحد تلو الآخر بمجرد لمسة ساحرة من اصبعه على زناد مسدسه .

والفيلم اسمه « الفارس الشاحب » ..

وقد استقبل الشباب الأمريكي هذا الفيلم بحماس بالغ .. وسط حملة دعاية منظمة وذكية تستهدف احياء الفارس الأمريكي القديم ، ذلك الرمز المرتبط بالقوة والصلابة ..

وتصدرت صورة « كلينت أستوود » أغلفة أكبر المجلات السياسية الأمريكية ، وأفردت الصفحات خلال شهور متتالية قبل عرض الفيلم ، وبعده .. للحديث عن شخصية « أستوود » وعقد المقارنات بينه وبين الرئيس « ريجان » في مدى الشعبية .. وبينه وبين « ابراهام لنكولن » في مدى الشبه بملامح الوجه (!!)

ولم يعد خافياً سر هذا الاهتمام المتجدد بهذا الممثل .. ولكن أبلغ تلخيص للموقف ، عبر عنه أحد الكتاب الفرنسيين عندما قال عن « كلينت أستوود » : « إنه الباحث عن فيتنام جديدة » !

• •

ومن حق السينما الأمريكية أن تصنع الأساطير والأوهام .. وتتاجر بالعنف وتستخدمه كيفما شاءت ..

ولكن من حقنا نحن المشاهدين أن نعرف الحقيقة .

ومن واجبنا أن نغلق الأبواب أمام هذه التجارة المسمومة .. وأن نضع الحدود لما نستورده من هذه الشرائط الملونة .

فقد يكون العنف جميلاً ومنعشاً بالنسبة لهم .. أما بالنسبة لنا ، فبالتأكيد ليس كذلك !

رءوف توفيق

« سوبر مان » ما زال موجودا .. وهو مستعد لأية كارثة !



عنف الشباب في لقطة ..



كواليس زعماء الجريمة



هموم رجل يعيش معنا

بقلم: بشرى ناصر

فتحت باب عربتي .. وجلست خلف المقود .. دفعت بمفتاحي .. ورحت أدير محركها بطريقة آلية . إندفعت الآلة .. وراحت عجلاتها تلتهم الشارع المسفلت .. كما تندفع كل يوم .. الأمس .. وقبله .. الأسبوع الماضي .. والشهر الماضي . بحركة آلية أيضاً .. امتدت يدي تدير جهاز الراديو .. تنساب أغنية رخيصة .. امرأة تدلل على أنوثتها بطريقة ممجوجة .. راحت أصابعي تعبث في المؤشر بحثاً عن شئ يتناسب وذوقي . سمعت زوجتي مرة تردد هذه الأغنية في المطبخ .. فثرت . الأشجار تبدو من خلال نافذتي المقفلة ـ لضرورة التكييف ـ مكتظة ، متلاصقة .

إشارة المرور توقفني .. وكالمعتاد أيضاً .. أنتظر .

الضوء الأصفر ،
ثم الأخضر ،
ثم أنطلق .

انطلقت ورأسي فارغ .. ليس من جديد يفرضه الواقع .. ماذا حدث هذا اليوم مختلفاً عن ما قبله ؟ أو عن الشهر الماضي ، بل قل عن العام الفائت ؟

إنني أدور كدوران عجلات عربتي الأمريكية تلك .

موظف ..

عدت من دراستي الجامعية .. أحمل شهادتي دون اعتزاز أو فخر ، خطوة آلية تحدث لأي شاب في قرننا الحالي .. كنتيجة حتمية أو قرار جاهز لما بعد الثانوية العامة .. وعينت في وظيفة جاهزة .. وماذا يعقب الوظيفة ؟! لقد أصبح من الضرورة جداً الآن الاستقرار .. قال أبي . ـ توجد بنت الحلال .. جاهزة .. فقط قل إنك تريدها .. قالت أمي .

أنا موافق .. خرجت من فمي .. ورقص كثير من أصدقائي في عرسي .. وتساقطت الأوراق

قدية ذات الحجم الكبير نقوطاً .. من أجل بني ، أو من أجل المظاهر الخادعة .. لا أدري .. مظاهر وهم يغشى العيون .. ويعمي البصيرة .. نا منافقون .. ولكن المشكلة للأغبياء وحدهم .. ين يجهلون كيفية التوفيق بين اللا أخلاقية التي كن أعماقنا .. والممارسات الأخلاقية ظاهرياً . جدت نفسي أباً لثلاثة أطفال ..

ترس الحياة يدور .. والأيام لا تتوقف لتنتظر حداً منا .. استقبلت وظيفتي الجديدة .. ومكتبي جديد .. ومنصبي الجديد . رئيس لقسم في ئرتي .. كان فرحي يومها .. فرح طفل يمتلك بة جديدة .. الفرح كان فقط لأنها جديدة .. بدأت مخيلتي تحبك مشاهد قديمة .. شوشة .. كأنها استجابة لفوضى العالم .. كان سيطر علي إحساس بالدونية والتفاهة .

أية قوة أدعي ؟

لست غير جرذ ضخم لايحمل نفسه فوق اقتها . أتراني أتمتع بشئ من الحقيقة ؟ إني سلم مرتباً .. آكل .. أسكن إلى امرأتي .. ينتفخ طنها ، وتنجب ، يزداد عدد المخلوقات الصغيرة لنضوية تحت لوائي .

رجل .. ينجب كثيراً .. وفي ظهره الكثير من ذكور . فهل يثبت ذلك أنني حي ؟ هاأنت صديقي ستعود إلى منزلك لتبدأ لعبة القناع .. تلقي بالتحية .. تدخل غرفة الطعام .. تأخذ كانك المعتاد على المائدة .. تجيئك الزوجة صناف الطعام المعتادة لتملأ معدتك .. ليس من ضرورة للتجديد .. فلماذا تكلف نفسها بالبحث ن طقوس رائعة ؟

ماالذي يحدث لي ... هل هو الاسم الذي يفجر الذاكرة عالماً من البوح والأسرار ؟

الاسم .. هو ذلك الذي يعود بي إلى حديقة طفولة .. فأرتد نحوها كالحالم .

وهاأنا ... مع الظبية التي أحببت ..

راشد علي خلف ...

شقيقها يحمل نفس الاسم .. وليست هي صادفة التي دفعت بأوراقه في ملف لتحمل وقيعي ... حتماً هي ليست المصادفة . التقيت وجهها المبارك .. حين كنت مخلوقاً فاضلاً .

بالمناسبة : ماهي الفضيلة ؟ هل هي المزاوجة ين النفس والعالم ؟ (إن النفس هي ذلك الجزء ذي يخصني .. ويتحتم علي الدفاع عنه ..) الت : طهرني من أدران الفكرة ... خذني حيث وخ يكفيني .. حيث النفس هادئة بالقناعة . في غابات .. تتساوى العصافير .. وتتعانق حبات رمل . حيث التلقائية وحدها تحدد الرغبات .. م أكن وقتها بطلاً شكسبيرياً ، أمقت ون كيشوت ، لم أتح لمخيلتي العنان لتنطلق وراء حرب لا طائل وراءها .

كان الزواج بها حرباً من النوع الدونكيشوتي .. لماذا أجازف ؟ ولكنه كان حلماً شرعياً مباحاً .

لماذا لم أمنح نفسي فرصة الاسترسال فيه ؟ لماذا إعتددت قتل كل رغبة تتأجج بداخلي حتى تتحول إلى هم مقلق ؟ كان يتوجب علي الاستمرار في دوري ليصل إلى ذروة التأزم حتى تنتهي فصول حياتي بفصل حر .. يتمرد على قواعد المسرح المألوفة .. والمتفق عليها .. فلا يحدث كما أعرف : أن يقتنص « الممثل العابر » دور البطل .. أو أن يسقط البطل في منتصف العرض .. كما يحدث لي الآن .

ماتزال عربتي تقودني .. وهمومي تقودني .. والذاكرة تقودني .. كحصان أبيض بري .. منطلق في السهول .

كم يحلو لي العودة إلى حظيرة الطفولة .. كنت مهووساً بالبحث عن كنه الماء .. لم أكن أكتفي بالمعرفة العابرة .. الشائعة ، بل أطمح إلى الشامل المحدود . ماذا أقرأ الآن ؟ لا شئ .. غير الصحف اليومية التي لاأتكلف بشرائها .. بل تجئ إلى مكتبي كل صباح .. كما يسبقني فنجان قهوتي الأول . أحملها إلى المنزل .. فتمدها الزوجة على مـــــائـــــدة الـطعام كـي لايتســــخ المفرش .. وتلقي بصفحاتها ومخلفات الأكل في القمامة . إنني أساعد بشكل أو بآخر على إشاعة الرذيلة .. ليست هي الرذيلة بالمفهوم المتعارف عليه .. ذلك المفهوم الساذج .. ولكن .. إنها ذلك الشعور بالتآمر على



التلقائية والعفوية والبساطة .. إذ ... حتى عند لقائي بزوجتي .. تموت العفوية وتختفي .. لاأدري ماهي الحقيقة .. هل هي التي تخدعني في كل مرة ؟ واستسلم للرقاد تحت هاجس كلمات مخادعة .

كانت عربتي توشك أن توصلني المنزل .. وتناقضاتي تتزايد حدة وتوتراً .. أصبح الآن .. لزاماً علي أن أتهيأ للظهور على مسرح الأحداث لأعيد صياغتها من جديد .. وبالصورة التي كان يجب أن أتخذها من قبل .. الساعة تتجاوز الثانية وعلي أن أبدأ خطوتي ، حربي ، تمردي .. لأحصن نفسي ضد كل ميكروب ..

أثارني مرأى الشارع الممتد والمؤدي إلى منزلي .. أثارت حفيظتي تلك التدخلات البشرية من أجل الجمال .. فردوس قاس ..شوهته أيد بشرية

آه .. ماذا بعد .. هل نعيد من جديد بناء حضارة القوة والخلود ؟ بينما تمتلئ بالمتناقضات ويسكنك اليأس والخوف ؟ هل هو الإسم الذي يدفع بدمك إلى رأسك بعد أن كبتت فورانه المدنية الجديدة .. والخوف اللاواعي ؟ الفعل .. هو السيد .. والقرار هو الطريق . لافرق أن تكون ضحية أوشهيداً .. بدأت أشعر بالجوع يقرص أمعائي .. ليت الزوجة الآن تعاتبك .. تحزن .. تنتظرك عند الباب .. لتسألك : لماذا تأخرت .. كدت أموت قلقاً .. ولكن ذلك لايحدث .. إنها آلة .

لقد حدث ذلك مرة .. تأخرت فيها .. لأمر طارئ .. ومع ذلك .. فقد اكتفت بدفع الطعام إلى معدتها ومعدة أولادها .. ورفع حصتي من الغداء .. واكتفت بالتعليق : سأجهز غذاءك . غذاؤك وحدك .. وليس غذاءنا .. حسناً فقد فهمت .

مباغتة .. ودون تصور مسبق .. ماالذي حدث .. يبدو أن أفكاري انحدرت بي .. أو أن المقود هذه المرة خانني .. أو ربما هو من كابح السرعة .. لاأدري ... الظلام يحيط بي .. وثمة شئ ساخن يسيل على وجهي .. أين ذهبت مفاصلي ؟ اني لاأشعر بيدي .. ولا ظهري .. سقطة قوية .. لاأعرف بالضبط ماهي .. ولكن .. فلأتبين الأمر .. يبدو أنني وعربتي دخلنا تحت شاحنة كبيرة .. عربتي ليست في وضعها المعتاد الأنيق ، الزجاج يملأ دشداشتي المحشوة بي .. كل ذلك يحدث في سرعة خاطفة .. والسائل الأحمر الحار يملأ فمي .. ويتدفق من فتحتي أنفي .. أشعر بسخونته تغسل وجهي .. ثمة خطأ ما .. خطأ في اتخاذ القرار .. ولكنه يبقى في النهاية قراراً .. حتى ولو تدخل القدر في تحويره .. ابتسمت بهدوء .. يبدو أن زوجتي ستنتظر عودتي طويلاً هذه المرة ... طويلاً جداً .. وربما ستتناول عشاءها مع أبنائها بكل هدوء .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى

أقدم مساجد المغرب العربي ، حيث أن عمره يزيد عن الألف وثلاثمائة عام ، وقد بناه أحد الفاتحين المسلمين (٦٧٠ ميلادية) وتم تجديده (١٧١٢ م) ولا يزال هذا المسجد الكبير محتفظاً برونقه وجمال عمارته الاسلامية ، حيث ترتفع مئذنته المربعة الشكل إلى ارتفاع ٣٤,٥ متراً ولا تزال المدينة التي بها هذا المسجد الكبير عاصمة للعلوم الاسلامية

في أي مدينة عربية يقع هذا المسجد؟ .. ومن الذي أمر ببنائه ؟



الصورة الثانية

لقطة للأمير سلطان بن سلمان أول رائد فضاء عربي في عصرنا الحديث .. فمن هو أول رائد طيران عربي ؟



دوحة القراء

من أمثال الشعوب

- الناس لا يلقون الحجارة إلا على أغصان الشجرة المثمرة (م . فرنسي)
- أكثر الناس كذباً أكثرهم حديثاً عن نفسه (م . صيني)
- يخسر دموعه من يبكي أمام القاضي (م . ايطالي)
- بالرقة والوداعة تمتلك النفوس وليس بالصلابة والقساوة (م . برازيلي)
- تزوج من امرأة قصيرة .. لأن ثيابها تكلفك أقل (م . ايراني)
- اقتصد في انفاق الدراهم فانها لجراح الفاقة (م . عربي)
- عيوب الناس تحفرها على النحاس أما فضائلهم فتكتبها على الماء (م . إنجليزى)
- الكلام بلطف يفتح الأبواب الحديدية (م . تركى)
- أفقر الناس من عاش بلا أمل (م . المانـي)
- لا تبصق في البئر .. فربما احتجت يوماً أن تشرب منها (م . روسـي)

وليم اسكندر يونان

ج . م . ع . بني سويف

قرأت: الطلاق بالقافيـة!



لم يكن من المقبول عند العرب أن يتحدث الانسان عن زوجته في الشعر أو يذكرها فيه ، وإن تحدث عن معشوقة كان اللوم أقل ، وكان من العيب أن يروي الرجل شعراً قيل في أمه ، وان كان القائل أباه ، وقل من شعراء العرب من رثي زوجته كجرير وابن الزيات والطغرائي ، فضلاً عن أن يطلقها في الشعر ! ..

ومن غريب ما قرأت : أن أعرابياً كان يحب ارتجال الشعر ، وكان مرة مع صحبه في البادية فرأى إبلاً ترعى نبتين يسميان «العرار» و «الجثجاث».

فقال مرتجلاً :

تـرعـى العرار الغض والجثجـاثـا

وارتج عليه ولم يستطع أن يتم البيت فاستحى أمام صحبه ، فألحق البيت قائلاً :

وأم عمـــرو طـالـــق ثلاثـــا

وأم عمرو هي زوجته .

فصار البيت :

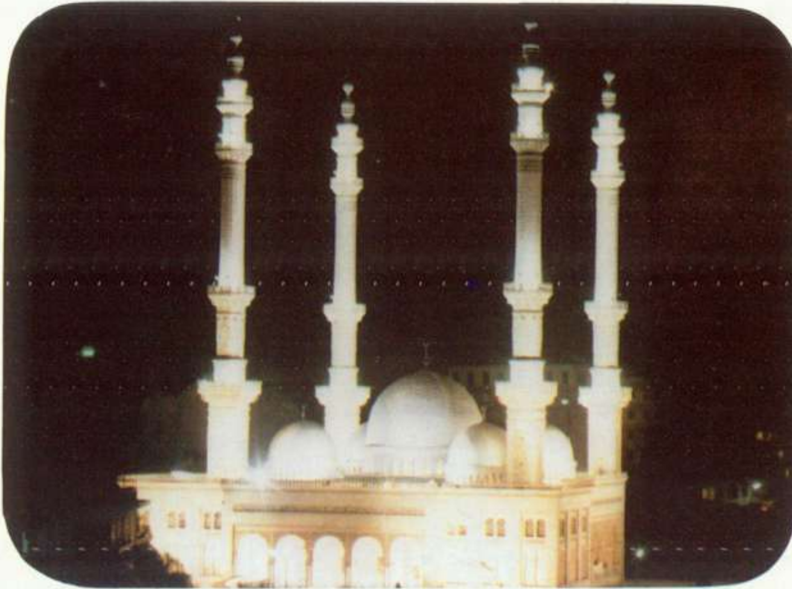
تـرعـي العرار الغض والجثجـاثـا

وأم عمـــرو طـالـــق ثلاثـــا

ولما سئل : ماذنب أم عمرو حتى طلقتها ؟
قال : هكذا اقتضت القافية ، وهكذا ذهبت أم عمرو ضحية القافية في حين أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فكيف إذا كان بلا سبب ؟!

عبدالناصر منصور
حلب ـ سورية

لقطة الشهر



نـــور عـــلى نـــور

لقطة لمسجد التوحيد بمدينة حلب فازت بجائزة قدرها مائة ريال قطري القارئة : نجاح بريمو ـ حلب ـ سورية

للزوجـــات فقـــط



قرأت رأياً لطبيبة معروفة تقول فيه :
إن عدد الأرامل في ازدياد مستمر ، فالرجال يموتون في الغالب قبل زوجاتهم ، لا بسبب ضعفهم وانما بسبب أمراض القلب والشرايين التي تلعب فيها مشاكسات الزوجات ومعاكستهن لأزواجهن دوراً حيوياً . لذلك فإنني أشير على الزوجات اللاتي يؤلمهن أن يترملن في سن مبكرة أن يساهمن بسخاء لانشاء مؤسسة للبحث عن أنجع الوسائل لأمراض القلب والشرايين عند الرجال ، أو يرحمن أزواجهن وأنفسهن ويكففن عن اثارة أزواجهن وتحطيم أعصابهم !

بحراوي يوسف
المحمدية ـ المغرب



دوحة القراء

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

المسابقة الشعرية

في مسرحية «الحسين ثائراً» لعبدالرحمن الشرقاوي .. وفي حوار بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم حول مبايعة يزيد حيث يطلب مروان من الحسين أن يقول كلمة «بايعت يزيد»

مروان : (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا

الحسين : أتعرف ما معنى الكلمه ..؟

مفتاح الجنة في كلمه
دخول النار على كلمه
وقضاء الله هو الكلمه

الكلمة لو تعرف حرمه
زاد مذخور الكلمة نور
وبعض الكلمات قبور
بعض الكلمات قلاع «المقصود»
يعتصم بها النبل البشري

المقصود «أو الكلمة الأصلية» عند الشاعر مكونة من خمسة حروف :

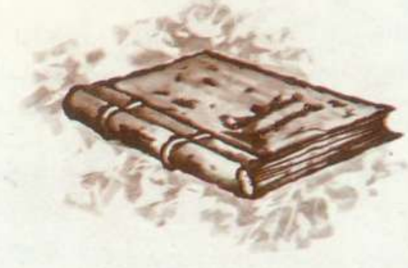
٣ ، ٤ أهم جزء في رأس الانسان
٢ ، ٣ ، ٥ ضد حرة

لمن هذا الكتاب؟

• كتاب «بيت الموتى» هو قصة رجل كان سيداً من أصحاب الأراضي ولد في روسيا .. ثم صار سجيناً مع المجرمين لأنه قتل زوجته ... وبعد عشر سنوات أطلق سراحه ... وعاش عيشة هادئة بسيطة في إحدى مدن «سيبريا» ليكسب رزقه من تعليم أولاد الموظفين .. ولكنه كان يكتب مذكراته عن فترة السجن ... وتدور حول مائتين وخمسين سجيناً بعضهم يرحل وبعضهم يموت ، ومنهم من ارتكب كل أنواع الجرائم . وفي الكتاب وصف دقيق للسجن .

مؤلف هذا الكتاب من أشهر كتاب القصة في العالم .. وله قصة من أشهر قصص الأدب العالمي وهي «الجريمة والعقاب» .

إسمه مكون من تسعة حروف وهو روسي الأصل .



٨ ، ١بمعنى تعب
٢ ، ٨ ، ٣ بمعنى توقف عن الكلام
٥ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٩ بمعنى يتشابه

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية أوروبية موسيقية شهيرة ... حاول أن تعرفه من خلال هذه البيانات التي تتعرض لجوانب هامة من حياته :

تاريخ الميلاد : ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠
مكان الميلاد : بون بألمانيا الغربية

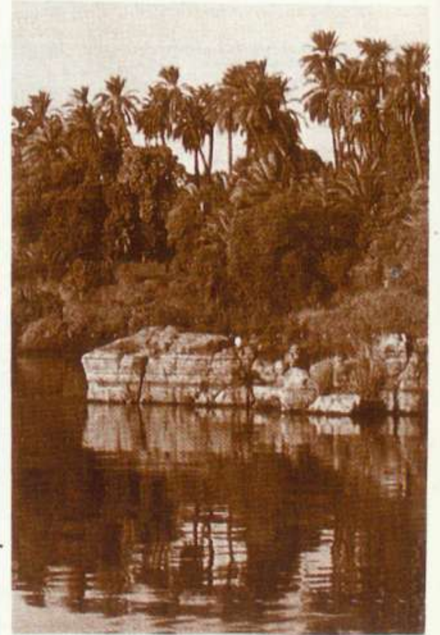
الجنسية : ألماني

المهنة : موسيقار يعد من أشهر مؤلفي الموسيقى في العالم .. ورغم نجاحه الباهر فقد بدأ الصمم يزحف إلى أذنيه قبل أن يبلغ الثلاثين وأخذ يتزايد مع سنوات حياته حتى فقد سمعه تماماً ... فتوقف لفترة عن التأليف الموسيقي .. وعاش في فقر وعوز وحزن لعدم إمكانه الاستماع إلى عزف أصابعه على البيانو ... ورغم ذلك فقد عاد لاستئناف التأليف الموسيقي .. وأنتج بعضاً من أشهر أعماله مثل سوناتا ضوء القمر والسيمفونية الخامسة التي تسمى «القدر» والسيمفونية السابعة وكونشرتو الكمان .

اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطع واحد مكون من سبعة حروف :

١ ، ٢ ، ٣ بمعنى منزل
٣ ، ٥ ، ٦ ، ٢ إنتقل إلى رحمة الله

مسابقة مدن العالم



• حاول أن تعرف اسم هذه المدينة من خلال المعلومات التالية والتي تجعلك تصل إلى الحل : على شاطئ أحد الأنهار الكبرى تقع هذه المدينة العربية وفي ضواحيها توجد محاجر كان القدماء يقطعون منها الكتل والصخور لصنع التماثيل وأعمدة المعابد ... كما كانت أحجار الطواحين في العهد الاسلامي تقتطع من هناك أيضاً ... وقد اشتهرت بتمرها الجيد في القرون الوسطى ... وأنواع التمر فيها أكثر من الموجود في العراق . وكان هناك معبد تاريخي مقام على جزيرة في وسط النهر تسمى جزيرة فيلة ... وأطلق العرب على هذا المعبد اسم « قصر أنس الوجود » ... وقد تم نقل هذا المعبد إلى مكان آخر لظروف خاصة .

اسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من خمسة حروف :

٣ ، ٢ ، ٥ بمعنى إشتد نعاسه .

١ ، ٥ ، ٤ ، ٢ بمعنى جمع من الناس .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٧

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر عبدالوهاب بن نصر المالكي هي : الأزرق

٢ ــ عبارة شهيرة من هو قائلها : الكاتب الأيرلندي برنارد شو

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز العالم العربي جابر بن حيان

٤ ــ مسابقة مدن العالم : مدينة مكة المكرمة

أسماء الفائزين

١ ــ فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري

القارئة : خوله علي محاسنه ــ المملكة العربية السعودية

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري

القارئ : صلاح محمد فايق ــ ج.م.ع

٣ ــ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري

القارئ : حاتم كمال محمود ــ قطر

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ــ عادل محمد السمعلي .... تونس
٢ ــ مالك سيد أحمد .... الهند
٣ ــ بلقاسم أحمد .... المغرب
٤ ــ أنور محمد كتبي .... ايران
٥ ــ الأزهر بدراوي .... الجزائر
٦ ــ هشام محمد مختار .... ليبيا
٧ ــ أسامه مختار بشير .... السودان
٨ ــ منى جعفر باقر .... الامارات العربية
٩ ــ وليد فوزي الشبكي .... الأردن
١٠ ــ سالم سعيد باحم ...... اليمن الديمقراطية

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٧

الصورة الأولى : مسجد محمد علي بالقاهرة .

الفائزة : فضائل الرحمن محمود الطموني ــ الكويت .

الفائز : محمد الفاتح حسن الهدي ــ السودان .

الصورة الثانية : الاسكندر المقدوني .

الفائز : عبدالخالق جريب سالم ــ الامارات العربية المتحدة

الفائز : فردوس زارع حسن زارع ــ ج.م.ع .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٧

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ الحاجبان ــ الأنف ــ الفم ــ الأذن ــ الجبهة ــ الذقن

٢ ــ لعبة الظلال : رقم (١)

٣ ــ لوحة لم تتم : لاعب كرة القدم محمود الخطيب

٤ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٦)

٥ ــ لأقوياء الملاحظة : سمكة ــ مفتاح ــ أرنب ــ عصفور ــ جزرة ــ جرس

٦ ــ المثل يقول :

• من صدقت لهجته ظهرت حجته

• اسمع كلامك يعجبني أشوف أمورك أتعجب

٧ ــ هات أجمل تعليق :

• ما تحطهاش على دماغك يابابا أحسن تتعدى منها !

• لعيب كورة ولا تاجر بطيخ !

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة

١ ــ حنان عبدالرحيم اسماعيل .... السودان
٢ ــ الطاهرى هشام .... المغرب اشتراك
٣ ــ عبد الجليل الأحمدى .... سوريا
٤ ــ نفرتيني عثمان محمود .... السودان
٥ ــ أوخاجه عبد الله .... المغرب ــ اشتراك
٦ ــ محمد صالح الشمرانى .... السعودية
٧ ــ مصطفى الشيخ إدريس .... السودان
٨ ــ هاله ابراهيم شحاته .... البحرين
٩ ــ صالح حسن قايد .... قطر
١٠ ــ أفنان جعفر حبيب .... البحرين
١١ ــ خديجة أمين بيكار .... ج . م . ع
١٢ ــ صفاء كامل .... السودان
١٣ ــ بسمات محمد عبد السلام ..... ج . م . ع
١٤ ــ يسرى عبد السميع مراد .... ج . م . ع

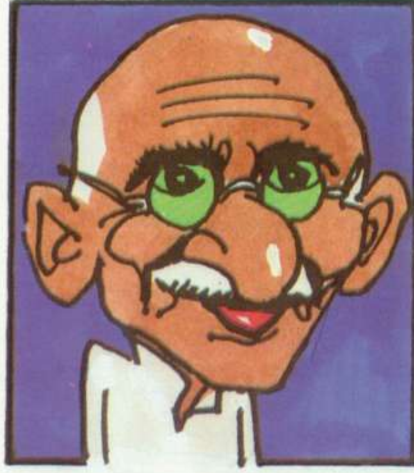
استراحة الدوحة

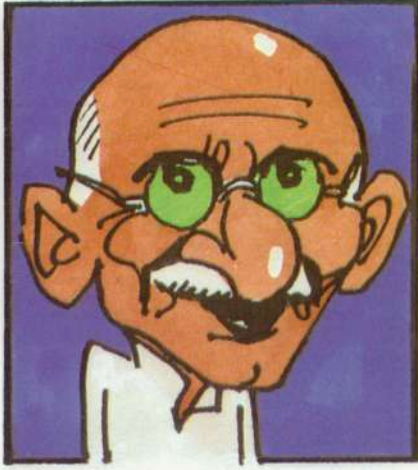
مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف



أصل وصورة





يعتبر المهاتما غاندي أكبر زعيم سياسي أنجبته الهند في العصر الحديث (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨) .. وبين أصل وصورة هذا الزعيم هناك سبعة اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف عليها ، ففي انتظارك جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي .. إذا تعرفت على المثل فلك جائزة .

لوحة لم تتم



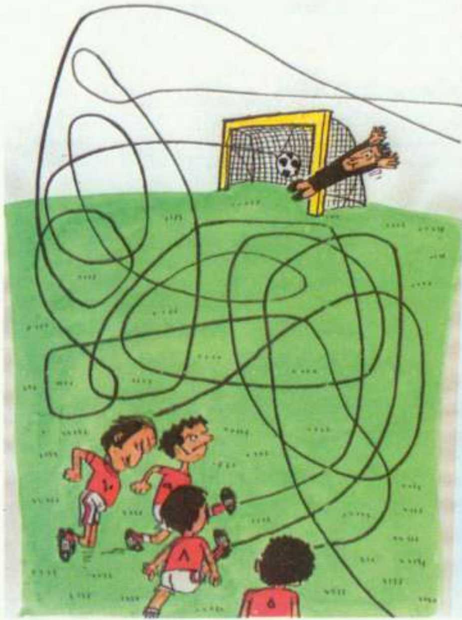
هذه اللوحة التي لم تتم لفنان عربي راحل اشتهر بدور الفتي الأول أكثر من أربعين سنة متوالية .. أكمل اللوحة وتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟.. حاول حتى تحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا االرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وأرسله إلينا لتحصل على جائزة

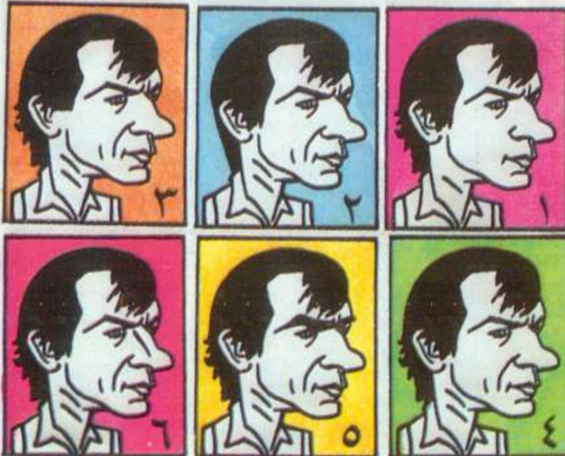
لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. إذا استطعت التعرف عليها ، أرسل لنا الحل في انتظارك جائزة

يخلق من الشبه أربعين





اللوحات الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشاعر معين بسيسو الذي كان من آخر مسرحياته « محاكمة كتاب كليلة ودمنة » .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً وفي البقية اختلافات بسيطة .. تعرف عليها لتحصل على جائزة

بقلم
عبد الله الجفري



أبها.. المدينة الرائعة!

كانت نظراتي تستطرد خلف السحب الرمادية الخفيفة، ولكنها لا تقدر أن تعود! كانت السحب تغري تلك النظرات أن تدخل فيها، وأن تغيب في تلافيفها، وأن تنغمر وتبزغ كنجمة تطل على تلك المساحات العريضة الواسعة من أرض بلادي!

وكنا عندما نذهب إلى لندن، أو نقرأ عنها.. نصفها بأنها مدينة الضباب، وكنا نرى أهل لندن يركضون من رصيف إلى آخر كلما انتشرت الشمس في الناحية الأخرى، والشمس هناك نادرة، ولكننا كنا نحن بعكس أهل لندن.. ننتقل من الرصيف الذي انتشرت فيه الشمس إلى الرصيف الآخر بحثاً عن الغيم، أو عن الضباب، وكنا نسمي هذا الضباب: جواً شاعرياً، فنحن نفتقد الفيْ. وهم يفتقدون الشمس، وكل منا يفتش عن الذي ينقصه!

أما عندما وصلت إلى مدينة أبها في جنوب المملكة، فالشعور قد اختلف، والحب أيضاً يختلف!

لقد جمعت في عيني: الشمس والمطر. فقد كانت الشمس ساطعة والمطر ينهمر، أوكأنني أخاله هو الطقس «العربي» تماماً!

ولقد ركضت تحت السحب وبين الأشجار، وصعدت الدروب الجبلية العالية، وفي صدري كما أحسست: زخات ندية من الغيث والاطمئنان والراحة النفسية!

كانت مدينة أبها كما شفة تبتسم وتمنحك التعارف السريع والعميق، وكانت ابتساماتي تزهر على رؤوس الجبال، وتتفتح على حفافي الوديان، وتدعوني أن أتمدد كجذع شجرة، وأن أتدلى كغصن قد أينع، وأن أتمرجح كخصلة شعر تتوج رأس حسناء على الفطرة.. لم تشوه المدينة نفسيتها، ولم تضحل الماديات عواطفها!

كنت عاشقاً لهذه الطبيعة التي أراها تلون رمال وحجار بلدي، وكان الحب في صدري مكنوناً ومباحاً تماماً كتوافق الشمس والمطر في لحظة واحدة!

وعندما وقفت على سطح جبل في منطقة السودة بأبها.. رأيت هذه السحب فتنة، وسمعتها غزلاً وبوحاً، ووجدت النفس الأصيلة للإنسان حينما كنت أشاهد جبال تهامة ووديانها وقد غمرها الضباب!

تلك لوحة رائعة.. اكتشفتها في بلدي بمعان تختلف عن كل اللوحات الجميلة التي شاهدتها في رحلاتي الكثيرة خارج بلدي!

وحينما كانت نظراتي تشرف على تهامة وتختفي في السحب وتبزغ منها.. كان الحب في صدري ينبض ويتهدج ويتدفق، وما تمنيت «سرمدية» أحلى وأجمل من سرمدية هذه الوديان، وتلك الجبال، والسحب فوقها تزخ الغيث فتخضر كل بقعة أراها، وكل بقعة تلاحقها نظراتي فتضيع وراءها!

والتقيت هناك بسائح شقيق جاء من منطقة الخليج العربي ليقضي أيام عيد الفطر في أبها..

ــ وسألني قبل أن يعرف لهجتي: هل أنت من الخليج، أم من السعودية؟!

ــ قلت له: نحن واحد إذا أردت العرق واللغة والعقيدة والأرض!

ــ قال سعيداً: صدقت، ولكني أقصد من سؤالي: أين تسكن؟!

ــ قلت: أسكن مدينة جدة، وجئت إلى أبها هارباً من رطوبة البحر ومن حرارة الطقس في جدة!

ــ قال: إني أحسدكم على هذه الطبيعة، وأشعر بالأسف لأنني لم أكتشفها إلا قريباً، فقد كنت أذهب في كل صيف إلى أوربا، ولكني في العام الماضي عرفت عن أبها وجئت إليها، وقررت أن أزورها كل صيف، فهنا مع الطبيعة الجميلة أجد الهدوء الذي افتقدناه في المدن الكبرى.. أجد نفسي!

ــ قلت: وهل زرت الباحة، الطائف، والسراة، والجنوب كله؟!

ــ قال: أبداً.. أشعر أن أبها أعطتني [...] شئ!

ــ قلت: أبها معطاء ورائعة في طبيعته[...] ولكن لكل منطقة ذكرتها لك جمالاً وانعاماً وحس[...]

ــ قال: سأراها، ولكني أتطلع إلى مزيد [...] الخدمات في هذه المناطق ليزداد عدد الزائرين له[...]

ــ قلت: أوافقك ان المنطقة تحتاج إلى مزيد [...] الخدمات رغم أن المشاريع تتضاعف فيها كل عا[م] ولكن هناك عبارة قالها بعض الذين كانوا يعرف[ون] أبها والجنوب قبل عشر سنوات، وشاهدوها ال[...] بالصورة الجديدة.. فقد قالوا: إن من لم يشا[هد] الجنوب، وأبها بالذات، قبل عشر سنوات [...]

لا يستطيع اليوم أن يلحظ الفارق الكبير والشاسع [...] فقد أقامت الدولة في هذه المنطقة الكثير [...] الانجازات التي حسنت من خدماتها وشكله[ا] واستطاع الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير [...] يحدث التغيير ويشق الطرق ويعبدها ويجـ[...] السواح يصلون إلى السودة، والمحالة، وإلى رؤو[س] الجبال، ويهبطون الوديان. وقامت الدولة بشـ[...] الطرق وربط الجنوب كله بالطرق الطو[...] المسفلتة.

ــ قال: سـأذهب ــ إذن ــ إلى الباحـ[ـة] بالسيارة!؟

ــ قلت: كل الطرق مرتبطة.. من هنا [...] الباحة، والطائف، ومكة وجدة والرياض، [...] هنا إلى الجنوب كله.

ــ قال ضاحكاً: هل تصدق.. لقد اكتشف[...] شاعراً في أعماقي!

ــ قلت: لأدعك مع الشعر، ولأذهب[...] فمازلت أطارد نجمة خلف غيمة حبلى بالمطر[...]

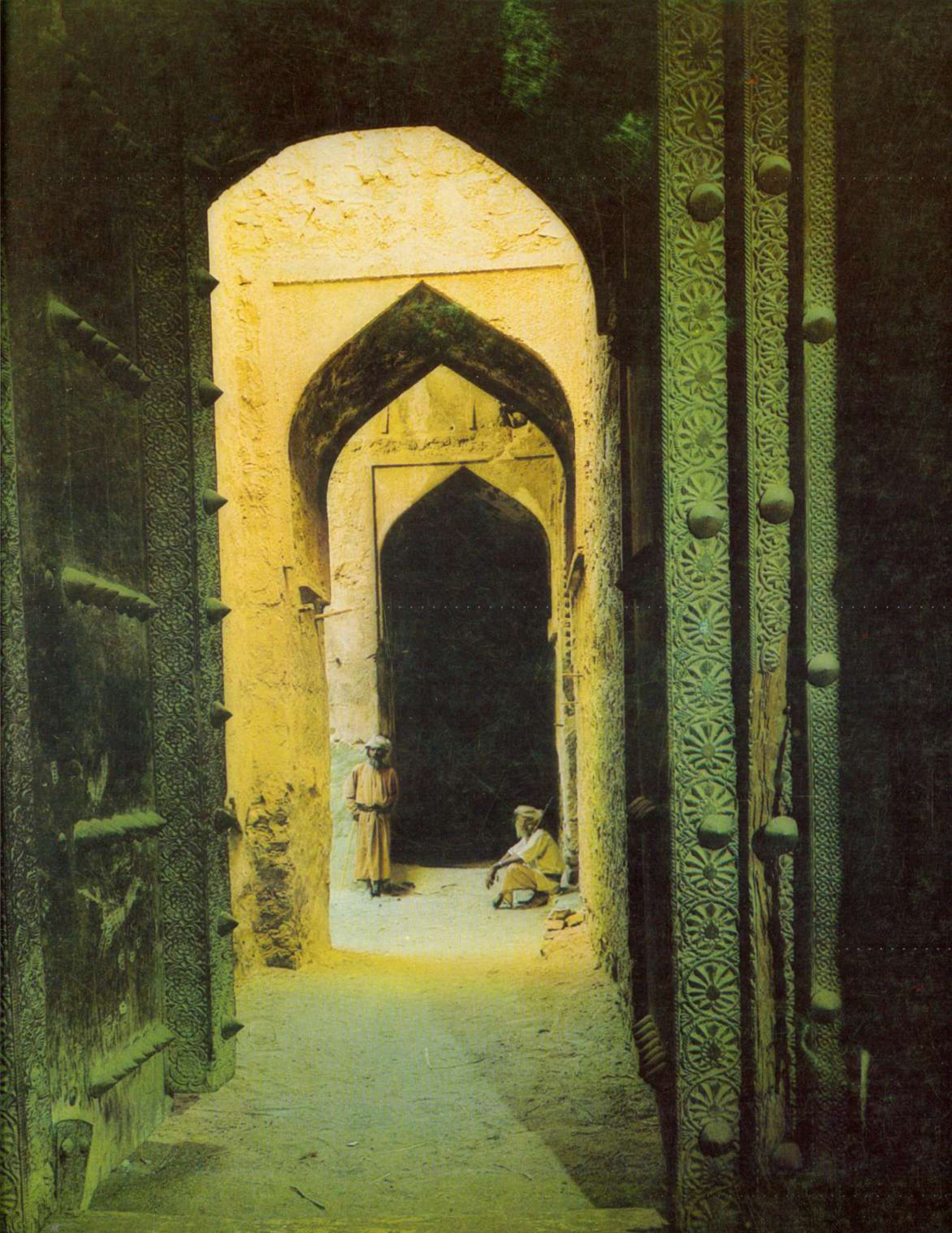
* جد[...]

لقطات من الخليج

الكويت الحديثة

شارع فهد السالم الذى يؤدى إلى قلب المدينة التجارى ، ويعتبر من أهم شوارع الكويت العاصمة .. ومعظم شوارع الكويت عريضة ومستقيمة ، ومع أنها خططت فى الستينيات إلا أنها توفر هيكلا طيبا للتوسع والتطوير والتحديث ، أضف إلى ذلك أن الكويت قد حباها الله سعة فى الأراضي لم تعمر بعد ، مما يسهل شق الطرق دون الحاجة الى إزالة المبانى والبيوت القديمة إلا فى المنطقة الواقعة فى قلب المدينة .





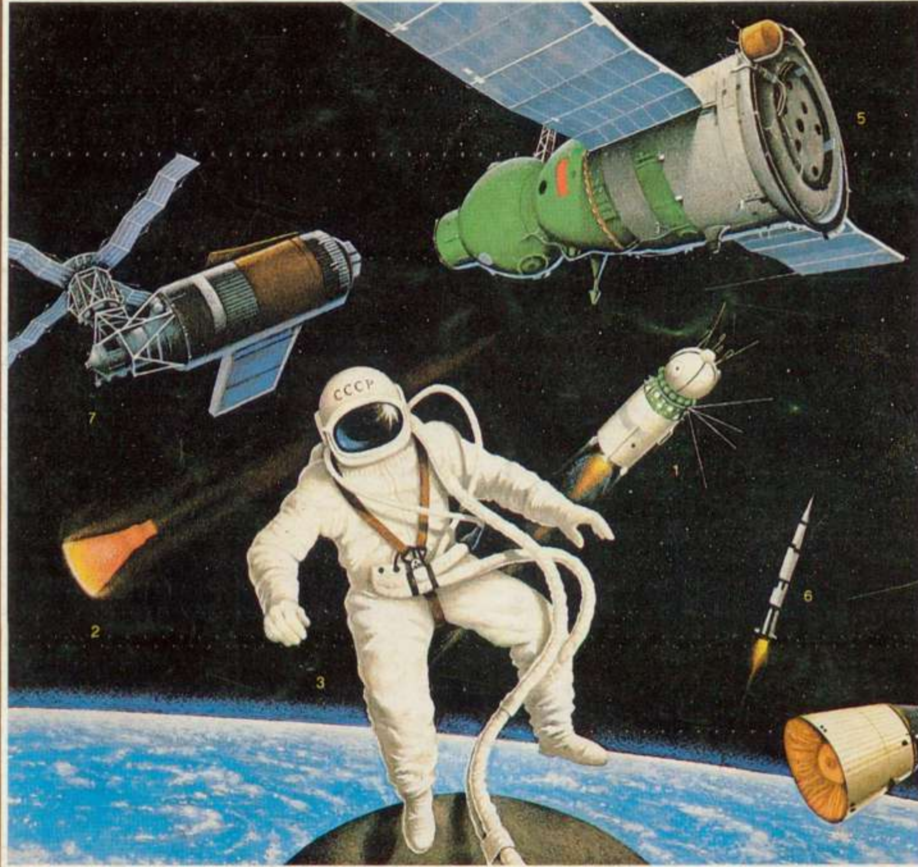
داخل قلعة عمانية

العـدد ١٢٠ - ربيـع الأول ١٤٠٦هـ - ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٥م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



تطور استخدام الفضاء

كيف يتمّ القبض على الأقمار الصناعية؟

سعد شعبان

من تاريخ العدل والتسامح في الإسلام

د. يوسف القرضاوي



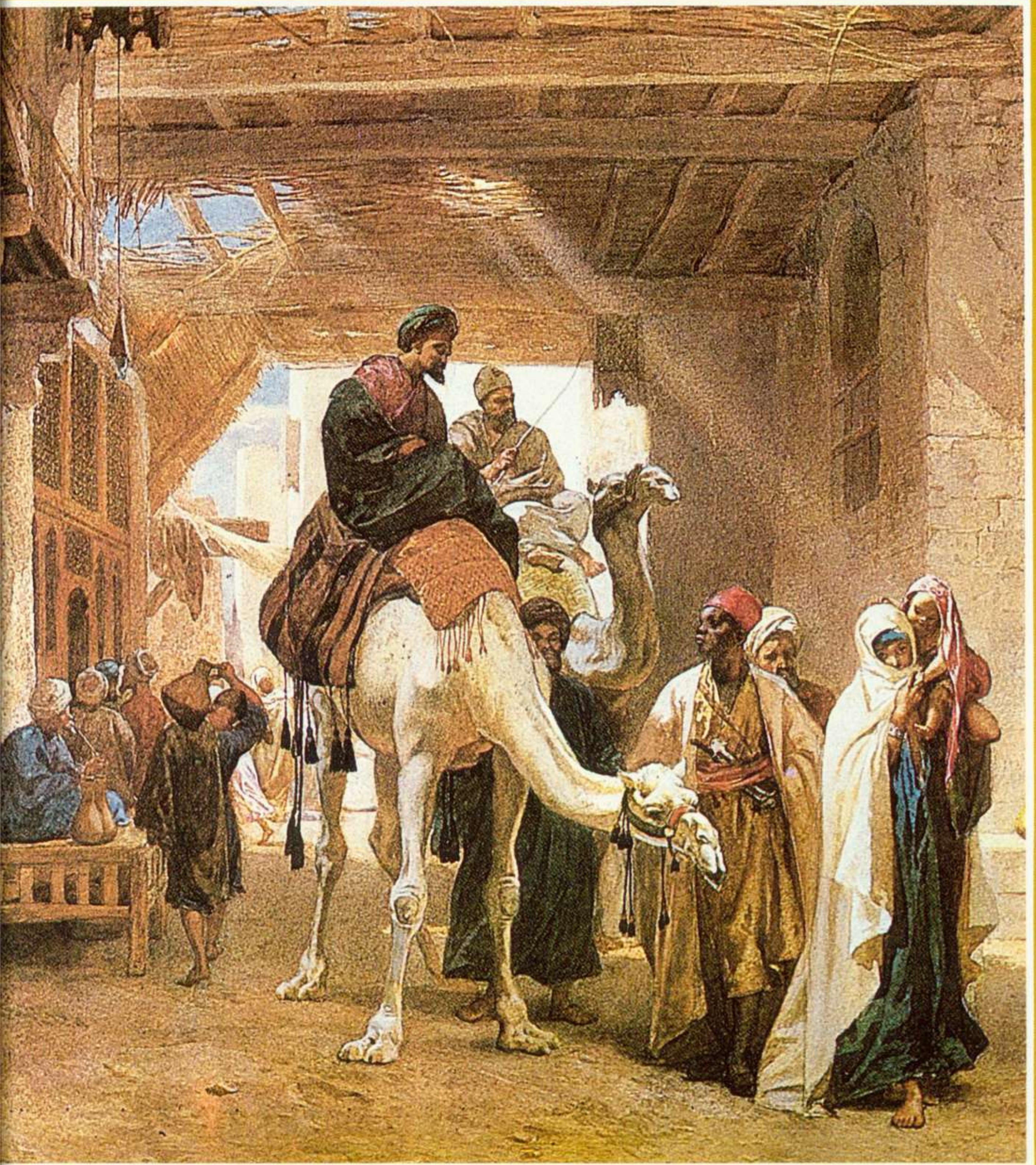


محمود درويش

في حديث صريح عن الشعر والحياة

وفدوى طوقان

تكتب عن تجربتها في الأرض المحتلة



لوحة وفنان

الرحـــــــــلة

قدم الرحالة العرب ــ على مر العصور ــ خدمات عظيمة في دراسة أحوال البلاد العربية والاسلامية من مختلف نواحيها . وكانوا يحرصون على القيمة الأدبية في كل ما قدموه من معلومات ، كما عرفنا عنهم إهتماماً كبيراً بالأسلوب الأدبي وفنونه بداي من السرد القصصي إلى الحوار والوصف ، ولهذا أعطانا « أدب الرحلات » متعة ذهنية عظيمة من خلال رحلات ابن جبير واب بطوطة والشدياق وغيرهم .

ومن وحي « الرحلة » قدم لنا الفنان الانجليزي فردريك جودول » (١٨٢٢ ــ ١٩٠٤) هذه اللوحة التي نرى فيها بعض الرحالة العرب ، والغريب أن هذا الفنان الإنجليزي قد تعرضت معظم لوحاته ــ التي تركها بعد وفاته ــ للإحتراق أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم ينج منها إلا القليل ، ومن بينها تلك اللوحة التي تعبر بصدق عن قافلة الرحلة عند دخولها إلى المدين العربية !

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ــ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ــ ص . ب ٣٥٨ ــ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ــ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ــ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ــ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ــ بغداد .
- **ليبيا :** المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ــ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ــ طرابلس ــ فرع بنغازى ــ ص . ب ٣٢١ ــ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ــ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ــ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ــ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ــ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ــ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ــ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ــ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى ــ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ــ شارع المطار الجديد أبو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ــ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ــ ص . ب ٤٤٠ ــ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ــ ص . ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء .
  MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ــ الجزائر .
  ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١٢٠ - ربيع الأول ١٤٠٦هـ - ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ــ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ــ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ــ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـذا العـدد

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

كلمة

زيارة تاريخية

قام حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر في شهر نوفمبر الماضي بزيارة رسمية إلى لندن تبعتها زيارة أخرى إلى باريس . وقد كانت هذه الزيارة الأوروبية موضوع اهتمام بالغ وتعليقات واسعة من أجهزة الإعلام الغربية والعربية على السواء ، ذلك لأن هذه الزيارة كانت زيارة تاريخية استطاع فيها أمير البلاد المفدى أن يؤكد الحضور القطري في عاصمتين عالميتين تشاركان في صنع القرارات الدولية المهمة ، وقد لقي سمو الأمير المفدى أعظم الترحيب والتقدير والتكريم على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي في إنجلترا وفرنسا ، وكان هذا التكريم لقائد عربي بارز دليلاً واضحاً على أن العرب قد استطاعوا أن يحققوا انتصاراً لاشك فيه ضد القوى المعادية لهم وعلى رأسها القوى الصهيونية ، فلم تستطع هذه القوى المعادية أن تحجب التأثير العربي ، رغم كل المحاولات التي جرت لاسكات الصوت العربي ، والوقوف في وجه حقوق العرب في كل الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية ، ومع ذلك فإن هذه المحاولات التي يبذلها أعداؤنا ، لا تمر بسهولة ويسر ، فما يلبث الجسم العربي أن يتحرك ويرد ويحاول بقوة أن يتصدى ويفتح أمام مستقبلنا كل الأبواب المغلقة ، وقد كانت رحلة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى إلى أوروبا في الشهر الماضي إحدى هذه المحاولات القوية الناجحة لفتح آفاق التطور والنهضة أمام العرب ومواجهة ما يتعرض له الواقع العربي من مشاكل ، فرحلة الأمير المفدى هي خطوة على طريق مضيء بدأ منذ أن تولى سمو الأمير المفدى مقاليد الحكم في البلاد وهو طريق إنشاء المجتمع الحديث والدولة الحديثة في قطر ، على أساس من الايمان بتقاليدنا الأصيلة وجذورنا الراسخة مع الاستفادة من كل ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدم ، ولقد كانت رحلة الأمير المفدى عملاً صادقاً مدروساً لاختيار أفضل السبل والوسائل والخبرات لاستغلال الثروة القطرية بالطرق العصرية السليمة حتى تعود بالنفع الواسع على قطر والأمتين العربية والإسلامية . على أن هذه الرحلة التاريخية لم تقتصر على الاهتمام بالشئون القطرية ، بل كان واضحاً أن الأمير المفدى قد رفع الصوت العربي الأصيل أمام زعماء وقادة الدولتين الكبيرتين إنجلترا وفرنسا ، وذلك فيما يتصل بالقضية الفلسطينية ، وهي قضية العرب الأولى ، ونادى الأمير المفدى في خطبه ومباحثاته بضرورة الحل العادل الذي يحفظ لشعب فلسطين بقيادة منظمته الشرعية كل الحقوق ، كذلك كان هناك اهتمام من جانب الأمير المفدى بالتأكيد على سرعة إنهاء الحرب العراقية الإيرانية ووضع حد لها بعد ما تكبده أبناء الشعبين المسلمين من مال ودماء ، وبعد ما تعرض له السلام في المنطقة من مخاطر كبيرة .

لقد كانت الزيارة التاريخية لسمو الأمير المفدى إلى لندن وباريس فرصة قوية لطرح وجهة النظر العربية في هذه القضايا الحاسمة . وسوف يكون لهذه الرحلة التاريخية آثارها المثمرة على المستوى المحلي والمستوى العربي معاً ، وهكذا تتقدم قطر في ظل قائدها وأميرها المفدى لتؤدي دورها المنشود على الساحة الدولية ، وفي المسيرة الخليجية والعربية والإسلامية من أجل التقدم والازدهار والعدل والسلام والحرية .

« الدوحة »

● أبــواب ●

المدير الفني : سلمان المالكي

من أصداء الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية والقطاع



بقلم : فدوى طوقان

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، ومن خلال الانهيار التام للسقف الفلسطيني ، قام الجسر بين شقي البيت المشطور ، وضمن هذا الواقع الجديد المشؤوم ، واقع الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع أخذ أفراد العائلة الفلسطينية يسعون عبر ذلك الجسر إلى لقاء بعضهم بعضاً ، وكانت ابتسامات اللقاء آنئذ تندى بدموع الانكسار ، وكانت القلوب تنزف تحت الراية المطعونة بخنجر الأيام الستة .

منذ اليوم الأول للاحتلال التزمت بيتي ولم أبرحه قبل مرور شهرين أو أكثر على دخول الجيش الاسرائيلي إلى نابلس ، كنت أحس بضربات قلبي تتسارع كلما فكرت بالنزول إلى المركز التجاري لشراء بعض ما أحتاج إليه ، فلقد كان مجرد تصوري للواقع المتجسد بوجود الجنود بأسلحتهم ودباباتهم وانصاف مجنزراتهم يهز كياني ويعطل قدرتي على الحركة .

خلال هذه الأيام الأولى من الاحتلال شرع يفد علي بعض الزائرين من الشباب العربي المقيمين في حيفا ويافا والناصرة وعكا وسواها من المدن والقرى العربية ممن لهم اهتمام بالشعر والأدب ، وكان وجه القاص « توفيق فياض » من أوائل الوجوه التي هلت علي في ذلك الحين وانعقدت بيني وبينهم مودة وصداقة . كان يقاسم حينئذ محمود درويش وسميح القاسم السكن في بيت واحد ، وكان ثلاثتهم يتقاسمون الجوع والحياة الصعبة . كان حديثه عنهما يشوقني ، فقد كانا مع توفيق زياد وسالم جبران قد أصبحوا بالنسبة إلينا في العالم العربي رموزاً وطنية تجسد المقاومة والرفض والصمود والتمسك بالهوية القومية وسط عالم وواقع رهيب يهددهم ويهدد الأقلية العربية في اسرائيل بالاندثار والفناء .

ولقد كان توفيق فياض يوافيني في كل زيارة بجريدة « الاتحاد » وبمجلتي « الجديد » و« الغد » وكانت ولا تزال من الصحف المحظور توزيعها في الضفة والقطاع . من خلال هذه الصحف الواعية تعرفت على أميل حبيبي والدكتور أميل توما والأستاذ صليبا خميس وسواهم من رسل القوة وأعداء الضعف والانهيار ، أولئك المعلمون الكبار حاملو الشرارة من النار المقدسة والمبشرون بانتصار الحياة .

في يوم من أيام منتصف أيلول عام ١٩٦٧ أرسلت إلى جريدة « الاتحاد » بواسطة توفيق فياض قصائدي الخمس الأولى : « مدينتي الحزينة » « الطاعون » « إلى صديق غريب » « الطوفان والشجرة » « حي أبداً » وقد نشرت هذه القصائد في جريدة الاتحاد بتاريخ ٢٢/ ايلول/ ١٩٦٧ .

في الأخير ، كان لابد لي من أن ألم نفسي وانتزعها من الانهيار والدمار والغربة والاغتراب في الذات والوطن . وقد انتزعتها فعلاً ويممت وجهي شطر حيفا لألتقى بهم وفي يدي هديتي إليهم ، قصيدتي « لن أبكي » .

وفي بيت عصام عباسي والصديقة سلمى ماضي بحيفا كان لقائي الأول بمحمود درويش . قال محمود وهو يضحك : « ها نحن نلتقي يافدوى ، وقد اصبحت أخشى من مجيء يوم تأتي الينا فيه أم كلثوم ونزار قباني » لم تخدعني ضحكته ، فقد كان وراءها دموع غير منظورة .

حين انتهيت من انشاد قصيدتي « لن أبكي » قال : نحن مدينون لك منذ اليوم بقصيدة .

وسألتني الصديقة سلمي ماضي انشاد قصيدة أخرى فتلوت قصيدتي « الفدائي والأرض » التي نظمتها على اثر استشهاد البطل الفلسطيني مازن أبو غزاله في معركة « طوباس » التي قامت بين رجال المقاومة والجيش الاسرائيلي بعد مرور شهور قليلة على الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع .

منذ ذلك اليوم ، يوم زيارتي الأولى لحيفا ، تكررت زياراتي لحيفا والناصرة وأذكر أن سميح القاسم كان في تلك الفترة محكوماً بالاقامة الجبرية في البيت فكنا نذهب إليه لقضاء بعض الأمسيات في غرفته الصغيرة المتواضعة .

وهكذا تم التصاقي بمحرري وكتاب جريدة « الاتحاد » ومجلتي « الجديد » « والغد » . لقد كانوا بالنسبة إلى قطرات الضوء في ليل الاحتلال البهيم ، فبين أولئك الكتاب والشعراء الذين كانت السياسة والانتماء الحزبي عملهم من أجل الحياة ومن أجل الوطن ومن أجل الانسان ، بين أولئك وجدت نفسي ، ومعهم وجد التحول النوعي طريقه إلى نفسي وتفكيري وكأنما لمستني كف المعجزة . كنت أعود من لدنهم بعد كل لقاء وفي نفسي ترتعش المشاعر المعافاة كارتعاش الأزهار .

في واحدة من الأماسي في بيت محمود درويش قرأ علينا شاعر الشعراء مسودة رباعياته المهداة إلي : « يوميات جرح فلسطيني » ، ولعل هذا هو المكان المناسب لأذكر أن محموداً حين قال في الرباعية الثانية من هذه القصيدة :

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام

ولـــذا لـــم يتفتت حبنـــا بيـــن السلاسل
نحـــن يـــا أختـــاه مـــن عشـــرين عـــام
نحـــن لا نكـــتب أشعاراً ولكنـــا نقـــاتل

إنما كان يشير إلى قصيدتى التى نشرت قبل ذلك فى جريدة « الاتحاد » وفيها أخاطب صديقاً حالت الهزيمة الحزيرانية دون لقائه :

لو أن الهزيمة لا تمطر الآن أرض بلادي
حجارة خزي وعار
ولو أن قلبي الذي تعرف
كما كان بالأمس لا ترعف
دماه على خنجر الانكسار
ولو أنني يا صديقي كأمس
أدلّ بقومي وداري وعزي
لكنت إلى جنبك الآن، عند شواطيء حبك أرسي
سفينة عمري
لكنا كفرخي حمام

ولعل من الجدير بالذكر أيضا أن المقاطع ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من رباعيات جرح فلسطيني تشير إلى البطل الشهيد مازن أبو غزاله والذي أنشدت قصيدتي فيه « الفدائي والأرض » أمام محمود فى لقائنا الأول فى حيفا .

* *
*

ذات مساء تلقيت مكالمة هاتفية من محمود ، وكان آنذاك رئيس تحرير مجلة « الجديد » سألني فيها المساهمة فى الكتابة من أجل باب جديد استحدثه فى المجلة عنوانه (صفحات من مفكرة) . قال محمود إنه من هذا الباب يتسلل إلى يوميات الكتاب والشعراء الخاصة ، ويسرق منها صفحات يهديها إلى القراء ، ولكن عملية التسلل تجري بأسلوب جديد إذ يعلن محمود لصاحب اليوميات المرشحة للسرقة أن يومياته معرضة للفضيحة ، وما عليه لكى ينجو من الفضيحة ــ إلا أن يتبرع بصفحات مختارة من يومياته .

بالطبع استجبت لرغبة محمود ، ونشرت صفحات من مفكرتى فى أحد أعداد مجلة الجديد . ومن المناسب أن أذكر الآن أن تلك الصفحات التى نشرت آنذاك فى باب (صفحات من مفكرة) كانت النواة التى انبثق عنها فيما بعد كتابى « رحلة صعبة ــ رحلة جبلية » والذي نشرت منه عدة حلقات فى مجلة الجديد ما بين عامى ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ حين كان يرأس تحريرها سميح القاسم .

* *
*

بعد هزيمة حزيران بعدة شهور زارني واحد من جماعة « الكويكرز » وكان يقيم في قبرص بحكم عمله . خلال حديثى معه عن الواقع الجديد الذي نكابده فى الضفة والقطاع ، أشرت إلى الحصار الثقافي الذي قطعنى عن مواكبة الفكر والأدب العربى الحديث ، والذي حرمني بالتالي من الاطلاع على المجلات الأدبية التي تصدر فى بيروت ومصر وسواهما من البلاد العربية ، فتعهد ذلك الانسان الكريم بتزويدي بالمجلات التى أفضلها ، فاكتفيت بذكر مجلتين هما « الآداب » مجلة الدكتور سهيل ادريس ومجلة « مواقف » التى كان يصدرها الشاعر الصديق ادونيس . وهكذا صرت أتلقى هاتين المجلتين بانتظام عبر « بريد خاص » .. وكان يسعدني جدا أن أوافي « محمود وسميح » بهاتين المجلتين بعد مطالعتهما . ولقد كان محمود مفتوناً بأدونيس وبمجلته « مواقف » إلى حد الاصرار على الاحتفاظ « بمواقف » لنفسه ، وكنت أتنازل له عنها مع أحساس هو مزيج من الغبطة والأسف .

* *
*

فى أيلول عام ١٩٧٣ وجهت إلى سميح القاسم دعوة باسم « نادي الفتيات » ليتحفنا بأمسية شعرية فى نابلس . وفى رسالته المتضمنة استجابته للدعوة قال سميح : (رغم كوني مدين لك بعدة مجلات فإنني أجد فى نفسي المزيد من الجرأة لأطلب المزيد من المجلات والصحف ، وحتى لو أنت فقدت بعض هذه المجلات ــ ويشير هنا إلى احتفاظه ببعض مجلاتى لديه ــ فلن تخرب الدنيا أكثر مما هى عليه من خراب :

أنا فاقد وطناً فما أسفي على فقدان زهرة ؟ ثم ألف شكر على قصيدة « أريش فريد » التى بعثت بها لتنشر فى « الجديد » ، فهو شاعر يهودي نمساوي « يحب » اسرائيل كما نحبها نحن !.. سأنشر القصيدة فى الجديد لأنها شهادة شاهد من أهله .

* *
*

فى لقائي بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر رحمه الله ــ كان ذلك فى أواخر شهر ديسمبر عام ١٩٦٨ ــ حدثته عن أولئك المتجذرين فى أرضهم منذ عام ١٩٤٨ رغم كل تحديات الحركة الصهيونية التى تواجههم لاسيما المحاولات المبذولة لترسيخ العدمية القومية في وجدان الأقلية العربية فى اسرائيل . كما حدثته عن معاناة المثقفين الوطنيين وما يكابدونه من الاعتقالات وأوامر الاقامة الجبرية التى تحدد تجولهم فى وطنهم والتى أصبحت جزءاً من حياتهم اليومية بسبب رسالتهم الكفاحية التى يحملونها ويبشرون بمضمونها الوطني والانساني فى الوسط العربي هناك ، وقد غمرني الشعور بالسعادة حين سمعت من إذاعة القاهرة التحية الحارة التى وجهها جمال عبد الناصر بعد ذلك اللقاء إلى العرب الصامدين المكافحين تحت جناحي الخفاش الكبير ..

بالرغم من كون سلطات الاحتلال تمنعني دائماً من الاشتراك فى الندوات الوطنية والأدبية فى عكا والناصرة وسواهما من بلدان أرضنا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فقد تمكنت من التسلل إلى بعض الاحتفالات التى تقيمها فى الناصرة كل عام حركة النساء الديمقراطيات ، وفى الاحتفال الذي أقامته النساء الديمقراطيات بمناسبة النصر الذي حققه شعب مدينة الناصرة بانتخاب بلدية ديمقراطية ألقيت قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها :

أنا اليوم جئت إلى مهرجانك أشرب من كأس هذا الفرح
لأني ، لأني نسيت الفرح
لأني على طول تسع سنين من القحط ما ذقت طعم الفرح
أتيت لكى أسترد اليقين بأن الحياة تظل سخيه
لكى أستمد لقلبى منك وريداً يضخ دماء جديدة
لكى استرد لنفسي رؤيا تعافت وحلماً بدنيا سعيدة

والخطاب هنا موجه إلى المرأة العربية الديمقراطية فى الناصرة وقد نشرت القصيدة فى جريدة « الاتحاد » التى تصدر فى حيفا .

* *
*

لا أزال أذكر الحملة التى شنها بعض المزاودين فى العالم العربي على الشاعرين محمود درويش وسميح القاسم بسبب اشتراكهما مع الوفد الاسرائيلي فى مهرجان صوفيا للشباب ، كنت فى عمان اتصفح ذات صباح جريدة « الأنوار » اللبنانية وأنا أحتسي القهوة فى مقهى « الدبيلومات » ، ووجدتنى أصعق وأذهل أمام مقال مزدحم بتهم وافتراءات موجهة ضد الشاعرين وكان واضحاً أن القصد من ذلك المقال هو تحطيم هذين الرمزين الوطنيين وتشويه صورتيهما فى الوجدان العربى . قمت للفور واشتريت من مكتبة مجاورة للمقهى بعض أوراق للكتابة وعدت إلى المقهى لأكتب من هناك رسالة إلى غسان كنفاني رحمه الله ، ــ وكان آنذاك محرراً فى جريدة الأنوار ــ ضمنتها عتبي الشديد على الجريدة لنشرها مثل ذلك المقال الخطير والمغرض ، ثم حدثته عما يعانيه الشاعران فى وطنهما بسبب مواقفهما الملتزمة ، ومقاومتهما لسمك القرش المفترس فيما هما يكابدان تجربة اللجوء والاغتراب على أرض الوطن المسروق . قلت فى رسالتى : « ... أنت ياغسان أول من عرفنا بشعراء المقاومة الرافضين ، وأول من علمنا تقديس أولئك الذين يقاتلون العدو الصهيونى الشرس من جبهة الكتابة ، فكيف تسمح بنشر مثل ذلك المقال ؟ الخ .. » وحين زرت غسان فى جريدة الأنوار ببيروت عبر لي عن حقيقة كونه لم يطلع على المقال قبل ظهوره فى الصحيفة ولولا ذلك لحال دون نشره ، كما حدثنى عن تمزيقه لمقال آخر شبيه بالأول كانت قد بعثت به إلى الأنوار فتاة فلسطينية تحاول كتابة الشعر ، وكانت قد غادرت إسرائيل حديثاً لتقيم فى بيروت .

* *
*

هذه بعض جوانب من تجربتي الخاصة بالنسبة إلى التفاعل الحيوى المثمر الذي ظل محافظاً على استمراريته من جراء التحام كتاب الضفة والقطاع بالكتاب الفلسطينيين المقيمين فى الجزء المحتل من فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ومن هذا التفاعل ستظل تتكون قطرات الضوء فى ليل الاحتلال وسوف يستمر العمل معاً لإعادة تركيب ما هو كائن انطلاقاً من الحلم بما سيكون !

العدل والتسامح في تاريخ الإسلام

بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

في العدد الماضي من مجلة « الدوحة » تحدثت عن موقف الاسلام السمح والعادل من الأقليات غير المسلمة من مصادر الشريعة ونصوصها ، وهو موقف ثابت ، وفي هذا الجزء الثاني نشير إلى الحقيقة المؤكدة والناصعة ، وهي أن تطبيق الشريعة الاسلامية لا يضر بحقوق غير المسلمين ، بل يضمنها ويثبتها بشهادة التاريخ وشهادة المنصفين ..

أما تاريخ المسلمين في معاملة غير المسلمين ، فلم تر البشرية مثله نصاعة واشراقاً ، إنه صحائف رائعة من التسامح الفذ المنقطع النظير بين المؤمنين بالايديولوجيات دينية أو علمانية مما جعل الشعوب المسيحية وغيرها ترحب بالحكم الاسلامي منقذاً لها من تعصب حكامها الذين كانوا في بعض الأحيان على دينها ، ولكن يخالفونها في المذهب .

ولن أنقل هنا كلام أحد من المسلمين ، وأكتفي بما سجله المؤرخون الباحثون من غير المسلمين .

يذكر لنا المؤرخ « لودفيج » في كتابه « النيل ـ حياة نهر » كيف استقبل أقباط مصر الجيش الإسلامي ـ بقيادة عمرو بن العاص ـ استقبال المنقذين لا استقبال الغزاة الفاتحين وكيف كان ترحيبهم بالغاً حد الحماسة (١) .

ويقول لودفيج : انه ما عدا فرض الجزية على المسيحي فان عمرا لم يفرق في المعاملة بين المسلمين والمسيحيين ، بل إنه أعلن حمايته لحرية الأديان جميعاً ، ولاقامة شعائرها وكفل المساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين على السواء ، مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم ، بما في ذلك وظائف الدولة ، بغض النظر عن الجنس أو الدين (٢) .

يقول جيروم وجان تارو :

إن فضيلة التسامح التي كانت أزهى السمات الخلقية في العرب ، والتي ندر أن تتوافر لغيرهم في جميع الأزمان ، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطري وذوقهم الفني ونزعاتهم : لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح (٣) .

يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » متحدثاً عن عدل الفاتحين المسلمين وسماحتهم :

« كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم ، وأن يقترفوا من المظالم مايقترفه الفاتحون عادة ، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم .. ولكن العرب اجتنبوا ذلك فقد

أدرك الخلفاء السابقون - الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ماندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة - أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً(٤) فعاملوا - كما رأينا - أهل سورية ومصر وأسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب، إذا ماقيست بما كانوا يدفعونه سابقاً، في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم(٥) » وينقل عن جوتييه في كتابه « أخلاق المسلمين وعاداتهم » :

« لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية فضيلة المسامحة التي لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً. ومافكر العربي قط في أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفئ بالدماء دينا منافساً لدينه، وقد جاءنا العالم (متز) في باب التسامح الإسلامي بتفاصيل أشد غرابة من هذه. قال : إن من أعظم بواعث الاستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأسر في الدول الإسلامية - وقد شوهد المسلم في بلاده يحكم عليه النصارى، وحدث مرتين في القرن الثالث للهجرة أن كان من النصارى وزراء حرب، وكان على القواد - حماة الدين - أن يقبلوا أيدي الوزير وينفذوا أمره، هذا والدواوين غاصة بالكتاب من النصارى ».

ولم يكن التسامح مقصوراً على عهد الراشدين أو المسلمين الأولين أو جنس العرب كما يظن ذلك بعض الناس، بل بقي هذا التسامح صفة أصيلة ملازمة للمجتمع المسلم، وللحكم الإسلامي في كل عصر وفي كل مكان، أيا كان الحاكمون وكان المحكومون، حتى في أشد العصور اشتهاراً بالعصبية الدينية، بل كانت الدولة الإسلامية هي الملاذ الذي يلجأ إليه المضطهدون من أي دين، فيجدون فيها التسامح والأمان والاطمئنان.

يقول توماس أرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » : « وحدث أن هرب اليهود الاسبانيون المضطهدون في جموع هائلة، فلم يلجأوا إلا إلى تركيا في نهاية القرن الخامس عشر »..

ويقول أيضاً « حتى إيطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى التركي لعلهم يحظون كما حظى رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بهما في ظل أي حكومة ».

ويقول ريتشارد ستييز من أبناء القرن السادس عشر :

« على الرغم من أن الأتراك بوجه عام شعب من أشرس الشعوب.. فقد سمحوا للمسيحيين جميعاً : للاغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة في القسطنطينية وفي أماكن أخرى كثيرة جداً، على حين أستطيع أن أؤكد بحق - بدليل اثنى عشر عاماً قضيتها في أسبانيا - أننا لا نرغم على مشاهدة حفلاتهم البابوية فحسب، بل إننا في خطر على حياتنا وأحفادنا ».

وهذا ما جعل بطريك انطاكية واسمه مكاريوس يقول : أدام الله دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون مافرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء كان رعاياهم مسيحيين أويهوداً أو سامره (٦).

والعجيب أن يتم هذا التسامح في الوقت الذي كان المسلمون يبادون من الأندلس بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون ينشرون العلم والحضارة ويهدون أوروبا إلى طريق النور في زمن لم تكن ترى فيه الضوء إلا من مثل سم الخياط، وظل هذا التسامح سارياً في كل الديار الإسلامية ومع كل الطوائف والأقليات ما دام الشرع الإسلامي هو الذي يحكم ويسود.

حتى اليهود الذين يتصرفون كثيراً تصرفات تثير مواطنيهم عليهم وتوقد شعلة الكراهية لهم، وخاصة حين يدبرون المكايد خفية أو ينشرون الفساد جهرة.. حتى هؤلاء اليهود عاشوا في المجتمع الإسلامي آمن مايكونون على أنفسهم ومعابدهم وأعراضهم وأموالهم التي لم يتورعوا عن استخدامها في الربا المحرم عند المسلمين.

وأكتفي هنا بذكر وثيقة تاريخية تبين لنا كيف يعامل الحكم الاسلامي الأقليات ولو كانت يهودية.

● وثيقة هامة تبين لنا كيف يعامل الحكم الإسلامي الأقليات

● هكذا حاول الغرب أن ينشر بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين في الشرق

وهذه هي الوثيقة نص الفرمان « الظهير » الذي نشره السلطان محمد بن عبدالله سلطان المغرب في ٥ فبراير سنة ١٨٦٤ م :

« بسم الله الرحمن الرحيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نأمر من يقف على كتابنا هذا من سائر خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر أيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحدهم منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام والا يعتدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا في أموالهم، وألا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ونحن لا نوافق عليه : لا في حقهم ولا في حق غيرهم، ولا نرضاه لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ومن ظلم أحداً منهم أوتعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله، وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا، ومعروفاً محرراً، لكن زدنا هذا المسطور تقريراً وتأكيداً ووعيداً في حق من يريد ظلمهم وتشديداً ليزيد اليهود أمناً إلى أمنهم ومن يريد التعدي عليهم خوفاً إلى خوفهم.

صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ١٢٨٠ ثمانين ومائتين والف ». (٧)

وكفى بهذه الوثيقة وحدها ردا على الأفاكين الذين يثيرون العجاج ويفتعلون الضجيج، بغير مسوغ ولا برهان.

ماسر هذه الضجة ؟

وليت شعري إذا كان هذا هو موقف الاسلام الواضح المبين في شريعته وفي تاريخه، وهو البر والاقساط والتسامح مع غير المسلمين فما سر هذه الضجة حول « الأقليات » ؟ ومامعنى هذا التوجس والقلق الذي يبديه غير المسلمين كلما ذكر الحكم الاسلامي، وكلما دعا الداعون بضرورة العودة إلى نهج الاسلام وشرع الاسلام؟

والجواب إن هذا التوتر لم ينبع من الداخل وإنما جاء من الخارج، جاء من الغرب الذي شن على المنطقة حملات صليبية وحشية متكررة ولم يرفع يده عنها بعد والعجب أنه شنها باسم المسيح رسول المحبة والسلام والمسيح منها ومن أهلها براء.

ولا زال الغرب يكيد للمنطقة وأهلها متذرعاً إلى ذلك بشتى الذرائع المختلفة ومنها مسألة الأقليات.

إن السياسة التي اتبعها الغرب خلال ثمانية قرون هي استخدام مسألة الأقليات في الشرق لاثارة الفتن والقلائل التي تخدم أغراضه دائماً، وذلك بخلق جو من الريبة والعداء الدائم بين المسلمين والأقليات، ويصف المؤرخ ليدوفيك دي

العدل والتسامح في تاريخ الإسلام

كونتش هذه السياسة فيقول : «كان الغرب يعمل جاهداً على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين في نفوس المسيحيين يتلقونها خلفاً عن سلف ويرضعها الطفل من شعور أمه كما يرضع اللبن من ثديها ، فتسري في كيانه مسرى الدم في عروقه وينشأ على عقيدة تقضي على العلاقة بين المسيحي وبين المسلم إلى الأبد (٨)».

وفي سبيل هذه الغاية الشريرة حاول الغربيون أن يشوهوا تاريخ التسامح الإسلامي الذي لم تعرف الإنسانية له نظيراً ، متذرعين بحوادث جزئية قام بها بعض العوام والرعاع في بعض البلاد وبعض الأزمان ، نتيجة لظروف خاصة تحدث في كل بلاد الدنيا إلى يومنا هذا.

من هذه الظروف أن التسامح الإسلامي هيأ للكثير من أهل الذمة مراكز قوية في النواحي المالية والادارية فلم يحسنوا معاملة المسلمين بل أظهروا التسلط والتعنت والجبروت.

وفي هذا يقول «متز» وكانت الحركات التي يقصد بها مقاومة النصارى موجهة أولاً إلى محاربة تسلط أهل الذمة على المسلمين . (٩)

ويقول أيضاً : إن أكثر الفتن التي وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر ـ يعني في القرون الأولى ـ نشأت عن تجبر المتصرفين الأقباط (١٠) ومن هذه الظروف أن بعض النصارى كانوا يبدون ارتياحاً إذا انتصر الروم النصارى على المسلمين فيؤدي ذلك إلى هياج العوام عليهم.

ولا ننكر أن هناك حكاماً ظلموا أهل الذمة أو تشددوا عليهم ولكن مثل هذا يعتبر شذوذاً عن القاعدة العامة في التسامح الإسلامي مع غير المسلمين.

وفي الغالب أن هذا النوع من الحكام يظلم المسلمين قبل اليهود والنصارى فإن الظالم لا يقف ظلمه عند حد .

بل إن كثيراً من ظلام الحكام كان يرفق بأهل الذمة رعاية لذمتهم على حين يقسو على أهل ملته من المسلمين ويحيف عليهم ، حتى وجدنا الشيخ الدردير علامة المالكية وشيخ علماء عصره يذكر عن أمراء زمانه : أنهم أعزوا أهل الذمة ورفعوهم على المسلمين. حتى يقول : وياليت المسلمين عندهم كمعشار أهل الذمة وترى المسلمين كثيراً ما يقولون : ليتهم يضربون علينا الجزية كالنصارى واليهود ، ويتركونا بعد ذلك كما تركوهم ؟ «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (١١) .

ولكن الرجاء معقود بعقلاء المسيحيين الذين يدركون كيد الغرب ونواياه الشريرة التي لم تشرب روح المسيحية قط ، حتى يوم غزت هذا الشرق باسم المسيح ، وتحت عنوان الصليب.

فإن كان المسيحيون وغيرهم من الأقليات يخافون سيادة الاسلام ، فلا محل لهذا الخوف ، وقد أمنوا في ظله قروناً طوالاً .. وإن كان بينهم من يحقدون على الإسلام ، ويكرهون سيادته ، فهذا مالا حيلة لنا فيه ونسأل الله أن يطهر قلوبهم وقلوبنا من الضغن والسخيمة.

الإسلام تراث حضاري

على أن هنا أمراً له أهميته ، ويجب التنبيه عليه . وهو أن الاسلام بالنظر للمسيحيين العرب ـ بالذات ـ يعتبر تراثاً قومياً وحضارياً لهم ، فهم وإن لم يؤمنوا به ديناً ، يؤمنون به ثقافة وحضارة يعتزون بها ويفخرون بأمجادها وآثارها.

وهذا ماجعل بعض المنصفين من المسيحيين في مصر وفي سوريا وغيرها يقول «أنا مسيحي ديناً ، مسلم وطناً وثقافة» !

ولا عجب أن رأينا كثيراً من أدباء النصارى يحفظون القرآن كله أو جله باعتباره كتاب العربية الأكبر.

كما كان السياسي المصري المسيحي الشهير مكرم عبيد ، وكما حكى عن نفسه الكاتب الأديب نظمي لوقا في مقدمة كتابه القيم «محمد : الرسالة والرسول» ووجدنا كثيراً من هؤلاء الأدباء يكتبون عن محمد رسول المسلمين مقالات وقصائد جيدة بوصفه عندهم أعظم شخصية عربية.

● عندما قال فارس الخوري : لا قوّة بغير الإسلام ، وما أعظم رصيد الأمة العربية الثقافي في البلاد الإسلامية

يقول الشاعر الماروني ـ رشيد الخوري :

شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت
عروبتي مثلي الأعلى وايماني

ويقول أمين نخله : «الاسلام اسلامان : واحد بالديانة ، وواحد بالقومية واللغة ومن لا يمت إلى محمد بعصبية ، ولا إلى لغة محمد ، وقومية محمد ، فهو ضيف ثقيل علينا ، غريب الوجه بيننا.

ويامحمد : يمينا بديني ودين ابن مريم .. أننا في هذا الحي من العرب نتطلع اليك من شبابيك البيعة ، فعقولنا في الإنجيل ، وعيوننا في القرآن !» .

ولا غرو أن وجدنا أيضاً بعض القانونيين المسيحيين يدرسون الفقه الاسلامي ويدافعون عنه ، ويعتبرونه تراثاً تشريعياً للأمة كلها ، مسلمين وغير مسلمين.

بل وجدنا من زعماء المسيحيين المعدودين من يدعو إلى تبني النظام الاسلامي في السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع.

من أقوال فارس الخوري

وأبرز مثل لذلك هو الزعيم السوري الشهير فارس بك الخوري ، الذي شغل منصب مندوب سوريا في هيئة الأمم ، كما شغل منصب رئيس الوزراء مدة من الزمن.

فهذا الاستاذ محمد الفرحاني تلميذه وملازمه وراويته يحكي عنه فيقول :

قال لي فارس الخوري ذات يوم في مجلسه بحضور عدد من زواره ومن بينهم القسيس البروتستانتي داود متري :

«أنا مسيحي ولكنني أجاهر بصراحة : أن عندنا النظام الاسلامي ، وبما أن الدول العربية المتحدة» كان ذلك في عهد الوحدة المصرية السورية واتحادها مع اليمن «بأكثريتها الساحقة مسلمة ، فليس هناك ما يمنعها من تطبيق المبادئ الإسلامية في السياسة والحكم والاجتماع.

«عقيدتي ويقيني أنه لا يمكننا محاربة النظريات الهدامة التي تهدد كلاً من المسيحية والإسلام إلا بالإسلام .. وأن هذا هو الذي يحد من نشاط الشيوعية ويقضي عليها القضاء المبرم لأن حقائقه تهزم أباطيلها وتدمرها» (١٢) .

«فالاسلام هو الدرع الحصينة ضد الشيوعية ، وهذا ماصرحت به مراراً وتكراراً سواء في المحافل الدولية أو في مجالس الخاصة للعرب ، ولا قوة بغير الاسلام .. هذا أمر أنا أومن به . ولقد كنت في هيئة الأمم المتحدة منسجماً كل الانسجام مع وفد

الباكستان وغيره من الوفود الإسلامية ، وكان الباكستانيون يدافعون عن قضايانا بأشد من الروح التي يدافعون بها عن قضاياهم ... إنهم يحبون العربي حباً عظيماً بل يقدسونه تقديساً » .

ويقول الأستاذ الفرحاني :

قال لي فارس الخوري :

هذا هو إيماني . أنا مؤمن بالاسلام وبصلاحه لتنظيم أحوال المجتمع العربي وقوته في الوقوف بوجه كل المبادئ والنظريات الأجنبية مهما بلغ من اعتداد القائمين عليها ، لقد قلت ولا زلت أقول : لا يمكن مكافحة الشيوعية والاشتراكية مكافحة جدية إلا بالإسلام والاسلام وحده هو القادر على هدمها ودحرها (١٣) .

ولقد نقلت هذا الكلام في حينه إلى الاستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق فقال لي :

من الغريب حقاً أن يستهان بأمر الإسلام ، من قبل بعض أبنائه ، ويعمل على ابعاده عن واقع الحياة ، في حين يقف أعظم مسيحي في الشرق يجهر بضرورة الأخذ بأحكام الاسلام والعمل بشريعته (١٤) .

والأعجب من ذلك أننا نراه يؤيد قيام حكومة اسلامية قوية حازمة ، بل دكتاتورية لتضرب بشدة على أيدي مروجي الالحاد والفساد والانحلال فيقول : « نحن بحاجة إلى حكومة حازمة تؤمن بالاسلام كدين ونظام متكامل ، وتعمل لتطبيقه ، فكما أن الشيوعية تحتاج لدكتاتورية حازمة تشق لها طريق الانتشار والازدهار والثبات فالاسلام أشد حاجة لمثل ذلك .

ومن ذا الذي يرضى ضميره ويطمئن قلبه إلى سلامة أمته وكيان بلده وهو يعلم أن التحلل والفساد منتشران لدرجة يصعب معها صدهما وايقاف تيارهما ومن ذا الذي ينكر على المسئولين فيه ، مكافحة ذلك التحلل ، وذلك الفساد بشريعة هي من تلك الأمة وفيها (١٥) .

وفي مناسبة أخرى يبين الاستاذ الخوري فضل التشريع الجنائي الاسلامي في تحقيق الأمن والأستقرار للمجتمع ، والقضاء على الجريمة والمجرمين فيقول :

« تذكرون ولاشك عندما تضعون الموازنة العامة للدولة المبالغ الطائلة التي تخصص للأمن العام ، والشرطة والدرك والمحاكم كرواتب ونفقات ..

فلو طبق الشرع الاسلامي وقطعت يد في حلب مثلاً .. وجلد آخر في دير الزور ورجم ثالث في دمشق ، وكذلك في بقية المحافظات ، لانقطع دابر هذه الجرائم ولتوفر على الدولة ثلاثة أرباع هذه الموازنة .

واستدرك الأستاذ فارس الخوري يقول :

في العهد العثماني كان في دمشق ثلاث محاكم شرعية وصلحية تنظر في الدعاوي الجزائية والبدائية .. وكان قضاة هذه المحاكم ، يقضون أغلب أوقاتهم في مراكز عملهم بدون عمل .. فاذا

● لماذا يُستَهان بأمر الإسلام من قِبَلِ بعض أبنائه ، ولماذا نحاول إبعاده عن واقع الحياة ؟!

قسنا ذلك الظرف وقارناه بظرفنا الحالي وجدنا أن السبب في كثرة المحاكم اليوم يعود إلى تدني الأخلاق ، وانتشار الفساد وعدم الاكتراث بما تفرضه الدولة من عقوبات غير رادعة ولا زاجرة ، لعدم تطبيق التشريع الاسلامي في الحكم . (١٦) .

ولقد انتبه هذا السياسي الكبير إلى علاقة العرب بالعالم الاسلامي ومالهم من رصيد كبير لدى الشعوب المسلمة ينبغي الحرص عليه والاستزادة منه فكان يقول « إننا نستطيع أن نثير بهذا الاسلام ، قوى خطيرة جبارة ، ليس في العالم الاسلامي فحسب ، وانما في جميع أقطار الدنيا . فالمسلمون بروابطهم الدينية الوثيقة واتجاههم نحو قبلة واحدة وايمانهم بكتاب واحد وعملهم بسنة نبي واحد انما هم يشكلون أمة واحدة متماسكة مفروض بها أنها تتعاون على البر والتقوى ، والعدل والاحسان ، وإن لم تكن كذلك تختفي عنها صفة الاسلام ، هذه الأمة الاسلامية إذا ماأثيرت بأفرادها العاطفة الدينية بشكل جيد ، وأحسن تسييرها فباستطاعتها أن تغير مجرى التاريخ (١٧) .

ومما لفته إلى هذا الأمر مالمسه من حماس المندوبين الاسلاميين في هيئة الأمم للقضايا العربية ـ كما ذكر ذلك من قبل ، كما أنه شهد مرة حفلاً أقيم لتكريم رئيس أندونيسيا ورفقائه فلما وصل ضيف الشرف الرئيس الأندونيسي ومن معه من وزراء وسفراء أندونيسيين فوجئ المرحوم فارس بك بأنهم يحدثونه باللغة العربية الفصحى فعجب وسألهم أين تعلموا اللغة العربية ؟ فأجابوه بأنهم تعلموها في أندونيسيا ، حيث تقوم ألوف من المدارس العربية المتخصصة بتعليم اللغة العربية حيث جعلت اللغة العربية لغة التدريس الأساسية لجميع العلوم .

فاعجب فارس بك جداً بما سمع وخاطب الحاضرين من المدعوين العرب قائلا : ماأعظم رصيد الأمة العربية الثقافي في البلاد الاسلامية ، وماأجدرنا ، نحن العرب ـ المسيحيين منا والمسلمين ـ أن نعض بالنواجذ على صلاتنا بالأقطار الاسلامية وأن نوثق علاقتنا بمئات الملايين من سكانها الذين يكنون لنا أصدق مشاعر الحب والولاء ، فإن لنا بذلك فوائد عظيمة ثقافية وسياسية واقتصادية وان من واجب الأمة العربية ان تسعى هذه الحقيقة وتعرف كيف تفيد من هذه الكنوز الثمينة المدخرة لنا في أقطار العالم الاسلامي (١٨) .

وبعد هذه النقول الناصعة من زعيم مسيحي منصف لم يبق هناك مجال لمتوجس أو متعنت فقد حصحص الحق ووضح الصبح لذي عينين .

ومع هذا زيادة في البيان وقطعاً لكل تعلة ـ نسجل هنا ماكتبته مجلة « الدعوة » القاهرية في عددها الصادر في ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ تحت عنوان « المسيحيون في مصر والحكم بشرع الله » فقد وجهت بعض الاسئلة إلى بعض أهل الفكر من ممثلي الطوائف المسيحية في مصر ، فكانت اجاباتهم امتداداً لما نقلناه عن الزعيم السوري فارس الخوري . قالت الدعوة :

« وربما انبعثت أصوات هنا وهناك تتساءل : وماذا عن الأقليات في هذا المجتمع الذي يطبق شرع الله ؟ وربما هذا السؤال ليس له ما يستدعيه . شريعة الله لكل خلق الله : عدل كاف وصون للمال والعرض والحياة وفي ذلك توجهت الدعوة بأسئلة محددة إلى إخواننا أهل الرأي الممثلين للطوائف المسيحية في هذا البلد تستطلع رأيهم الحكيم في شرع الله وهجر كل القيم والقوانين والنظريات الوضعية .

وقد وجهت الدعوة سؤالين محددين :

● إذا كان الاسلام والمسيحية ملتقيين في تحريم الزنا ـ مثلا ـ ومحاربته ، فهل عندكم مانع في تطبيق حد الزنا وبقية الحدود الاسلامية الأخرى على من استوجب اقامتها عليه في المجتمع المصري ، وهل ترى في تطبيقها ما يمس حقوق المسيحيين أويضايقهم ؟

● من خلال دراستكم للتاريخ ماذا ترون في حكم الاسلام بالنسبة للأقليات من ناحية العبادة والأموال ، والأعراض ؟

عن السؤال الأول يجيب الكاردينال اصطفانوس بطريك الأقباط الكاثوليك :

● الأديان السماوية تشير إلى تحريم القتل والزنا ، وإلى المحبة ، والمعروف أن من يحب الله يجب أن يحب أخاه ومن يدعي أنه يحب الله ولا يحب أخاه فهو كاذب ، فالقتل والزنا والسرقة إلى آخر المنكرات ضد المحبة لأن الله خلق الانسان ليكون مستقيماً غير منحرف ، ويستفيد من التعاليم الآلهية ، ولذلك فالذي يشذ عن نظام الله وتعاليمه ـ بعد أن تكفل له أسباب العيش ومستلزماته ـ يجب أن تطبق عليه حدود شريعة

العدل والتسامح في تاريخ الاسلام

الله ليرتدع ويكون عبرة لغيره، وحتى لا تعم الفوضى عندما يقتل أحد أخاه ولا يقتل، أو يسرق ولا تقطع يده، أو يزني ولا يقام عليه حد الزنا، وهذا ماوجدناه في القوانين الوضعية التي تجامل الناس وتلتمس لهم مختلف الأعذار، مما جعل المجتمع غير آمن على نفسه أو ماله أو عرضه، وأعود فاكرر أن تطبيق حدود الشريعة الاسلامية ضروري على الشخص وعلى المجتمع حتى تستقيم الأمور وينصلح حال الناس، وليس في تطبيقها ــ أبداً ــ مايمس حقوق المسيحيين أو يضايقهم. كما يجيب غبطة الكاردينال عن السؤال الثاني فيقول:

• إن الذي يحترم الشريعة الاسلامية يحترم جميع الأديان، وكل دين يدعو إلى المحبة والاخاء، وأي إنسان يسير على تعاليم دينه لا يمكن أن يبغض أحداً أو يلقى بغضاً من أحد، ولقد وجدت الديانات الأخرى ــ والمسيحية بالذات ــ في كل العصور التي كان الحكم الاسلامي فيها قائماً بصورته الصادقة، مالم تلقه في ظل أي نظام آخر، من حيث الأمان والاطمئنان في دينها ومالها، وعرضها وحريتها».

أما الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي والدراسات العليا وممثل الأقباط الارثوذكس، فيجيب عن السؤال الأول السابق قائلا:

• إن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية أمر لاشك فيه ولا اعتراض عليه، فالشرائع السماوية نور وهداية للبشر، ونحن نؤمن أن الدين لم يعط للناس إلا ليكون عوناً لهم، لتصير حياتهم به أفضل مما تكون بغيره، والهدف من الوحي الإلهي تحديد الطريق الذي يساعد الانسان على أن يعيش بمبادئ الدين سعيداً كريماً. وقال: إن موضوع تطبيق الحدود السماوية في نظري يجب أن نتناوله من شقين..

الأول: شق التوجيه والحض على الفضيلة والتمسك بالقيم الروحية الدينية. ولكي يجدي هذا لابد من اصلاح الأسرة حتى تستقيم العلاقة بين أفرادها، والاهتمام بتعليم الدين بجميع مراحل التعليم عن طريق المدرسين الأكفاء المنتقين لهذه الرسالة علماً وقدوة فالدرس هو المدرس! كما يجب صرف مكافآت للمدرسين الذين يؤدون واجبهم في هذا المجال بأمانة، وكذلك للطلاب الذين ينبغون في مادة الدين .ولكي تثمر هذه المادة في تقويم النشء والشباب يجب ألا ننسى دور وسائل الاعلام من إذاعة وتليفزيون وسينما، حيث يجب أن تتضمن بث الدعوة الروحية بين الشباب وتقديم الأمثلة والنماذج الحية من الماضي والحاضر. وتبغيض الناس في الشر، وتنفيرهم من الرذيلة عن طريق التلميح من غير عرض لصور الخطيئة الفاضحة التي تستثير الشباب وتغريهم على الخطيئة.

أما الشق الثاني: وهو جانب الردع والعقاب والمنع لما يتعارض مع مبادئ الدين والفضيلة والقيم الروحية.. وهذا ما تتولاه الحدود السماوية التي شرعت لردع المستهترين أومعاقبتهم ليكونوا عظة لأنفسهم وعبرة لغيرهم. وأضاف الأنبا غريغوريوس قائلا: رغم أن الديانة المسيحية ليس في نصوصها قطع يد السارق أو قتل القاتل الخ.. إلا أننا كمسيحيين لا نعارض في تطبيق حدود الشريعة الاسلامية إذا كانت هذه رغبة اخواننا المسلمين وفي نظري أن هذا لن يتحقق كما يجب إلا إذا ضمنا للقضاء سيادته الكاملة التي تعطي له حرية التحقيق الشامل والتقصي للجريمة وأسبابها.

أما السؤال الثاني فيجيب عنه أسقف البحث قائلاً:

لقد لقيت الأقليات غير المسلمة ــ والمسيحيون بالذات ــ في ظل الحكم الاسلامي الذي كانت تتجلى فيه روح الاسلام السمحة كل حرية وسلام وأمن في دينها، ومالها وعرضها.

أما القس برسوم شحاته وكيل الطائفة الإنجيلية في مصر فكان رده على السؤال الأول: ان الأديان كافة تحرم الجريمة، والنفوس الانسانية يجب أن تعالج من الوقوع في الجريمة وقبل الوقوع بكل وسائل الاصلاح والتربية الجادة القائمة على احياء القيم الروحية وسريانها في النفوس والارتباط بالشرائع السماوية في ارشادها وهديها، أما النفوس المتحجرة والقلوب القاسية التي لا يجدي معها النصح والارشاد والتوجيه فهذه تعتبر شاذة وجرثومة في جسم المجتمع يجب انقاذه منها..

وهنا لابد من تطبيق حدود الشريعة الاسلامية لتحقيق العدالة والسلام والحب في المجتمع، ويطالب في نظري بدقة التنفيذ الجاد لهذه الحدود وزير الداخلية الذي يمثل سلطة الأمن شخصياً، مع ضرورة أن تعود للقضاء سيادته وحرمته التي تعطيه الحرية الكاملة في البحث والتقصي عن كل حادثة أو جريمة.

ويضيف وكيل الطائفة الإنجيلية مجيباً على السؤال الثاني بقوله:

• في كل عهد أوحكم إسلامي التزم المسلمون فيه بمبادئ الدين الاسلامي كانوا يشملون رعاياهم من غير المسلمين ــ بكل أسباب الحرية والأمن والسلام، وكلما قامت الشرائع الدينية في النفوس بصدق بعيدة عن شوائب التعصب المقوت والرياء الدخيلين على الدين، كلما سطعت شمس الحريات الدينية والتقى المسلم والمسيحي في العمل الايجابي والوحدة الخلاقة.

وأخيراً..

وبعد أن وضحت الأمور وأصبح مؤكداً اجماع كل الفئات على ضرورة تطبيق حدود الشريعة الاسلامية، فإن السؤال الآن:

هل هناك بعد ذلك ما يحول أو يقف أمام تطبيق الشريعة الاسلامية.. ومن الذي يستفيد من عمليات التسويف المستمرة والاحتجاج بالاقليات وغير الاقليات؟!

إن المناخ الآن مهيأ.. والفرصة سانحة.. والظروف تستحث وتنادي.. وعلينا أن نعقد العزم، ونعد الخطط، ونهيء الأسباب لتطبيق اسلامى سليم، يعود علينا بالخير في ديننا ودنيانا.. ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

يوسف القرضاوي

هوامش

(١، ٢، ٣) الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس (المرحلة الأولى) للأستاذ محمد على الغنيت ص ٧٤ ــ ٧٥.

(٤) الواقع أن هذا الادراك من الخلفاء الأولين ليس راجعا إلى مجرد عبقرية سياسية كما ذكر الكاتب، بل إلى تعاليم الاسلام التى كانت هى الموجه الأول لهؤلاء الخلفاء والتي علمتهم أن: لا اكراه فى الدين وغرست فيهم روح العدل والسماحة المنقطعة النظير.

(٥) حضارة العرب ص ٥، ٦.

(٦) أنظر «الدعوة إلى الاسلام» لتوماس ارنولد ترجمة د. ابراهيم حسن وزميله فهو يحوى مئات الوقائع والأمثلة على سماحة المسلمين.

(٧) تاريخ العرب فى القرن العشرين تأليف روم لاندو ترجمة نقولا زيادة، نقلا عن كتاب «خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية» للأستاذ عبد الله التل ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٨) الغرب والشرق السابق ذكره ص ٩٧.

(٩) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ــ ١٠٦.

(١٠) المصدر نفسه ص ١١٢.

(١١) من الشرح الصغير للدردير المطبوع مع حاشية الصاوى جـ ١ ــ ص ٣٦٦.

(١٢) عن كتاب فارس الخوري وأيام لا تنسى للأستاذ محمد الفرحانى ص ٢٦٧.

(١٣) نفس المصدر ص ٢٧، ٢٧١.

(١٤) نفس المصدر ٢٧٢، ٢٧٣.

(١٥) نفس المصدر ص ٢٦٩.

(١٦، ١٧، ١٨) نفس المصدر ص ٢٧٢.

ملامح التغير في بعض الظواهر الاجتماعية في قطر

بقلم : بشير يوسف الكحلوت

يمر المجتمع القطرى كغيره من المجتمعات الخليجية والمنتجة للنفط بوجه عام بفترة من فترات التحول الاقتصادي والاجتماعي الناجمة عن انخفاض ايرادات النفط وترشيد معدلات الانفاق ، وهناك أيضا بعض التحولات التى طرأت على الظواهر الاجتماعية في البلاد بتأثير عوامل أخرى غير ترشيد الانفاق ، ونحاول فى هذه المقالة أن نتحدث عن بعض الظواهر الاجتماعية لمعرفة ما حدث من تبدل وتغير مع دراسة الاتجاهات الجديدة لتلك الظواهر والعوامل التي أثرت فيها وندرس بوجه خاص الظواهر التالية : التردد على دور السينما ، الليالي السياحية ونزلاء الفنادق ، التردد على دور الكتب ، زوار العيادات الخارجية ، عدد المواليد أحياء .

أولاً : التردد على دور السينما :

ارتفع عدد المترددين على دور السينما باضطراد خلال السبعينيات مما شجع على بناء دارين حديثتين للعرض فى مدينة الدوحة هما سينما الخليج والدوحة . وقد بلغ عدد المترددين على دور السينما ذروته فى عام ١٩٧٨ عندما تجاوز المليون ونصف المليون مشاهد ، عرض عليهم نحو ٩٠٤ فيلماً منها ٨٣١ فيلماً أجنبيا و٧٣ فيلماً عربياً . وابتداءاً من عام ١٩٧٩ تراجع عدد المترددين على دور السينما تدريجياً وصاحب ذلك زيادة فى عدد الأفلام المعروضة في محاولة للحد من تراجع عدد المترددين ، ورغم ذلك انخفض العدد إلى أقل من ١,٢ مليون مشاهد فى عام ١٩٨٠ رغم ارتفاع عدد الأفلام المعروضة إلى ١١٤٠ فيلما منها ١٠٦٢ فيلما أجنبياً .

وقد استمر تراجع عدد المشاهدين فى السنوات التالية بصورة مضطردة إلى أن بلغ أقل مستوياته فى عام ١٩٨٤ حيث انخفض العدد إلى نحو ٢٧٦ ألف متفرج فقط وفي المقابل تراجع العدد الكلى للأفلام المعروضة إلى ٨٤٨ فيلما فقط في عام ١٩٨١ وظل حول هذا المستوى تقريباً فى السنوات التالية . وقد كان التراجع على حساب الأفلام الأجنبية فى حين حافظت الأفلام العربية على قدر أكبر من الثبات عند مستوى ٧٠ فيلماً فى السنة الواحدة .

وإذن لدينا ظاهرة واضحة وهي انخفاض عدد المترددين على دور السينما في قطر منذ عام ١٩٧٨ ، وقد يكون هناك بعض العوامل التى نرجح أن تكون وراء حدوث هذه الظاهرة وهي :

١ ــ انخفاض عدد العمال الأجانب بعد انتهاء الكثير من المشروعات الصناعية والعمرانية .

٢ ــ استغناء بعض الشركات الخاصة والادارات الحكومية عن بعض الموظفين والعمال الأجانب .

٣ ــ انتشار استخدام أجهزة الفيديو وتعدد محلات بيع وتأجير أشرطة الكاسيت .

٤ ــ تزايد عدد ساعات البث التليفزيونى بعد افتتاح البرنامج الثانى (القناة ٣٧ من تليفزيون قطر) ووصول البث التليفزيونى من دول الخليج المجاورة بشكل واضح أغلب فترات السنة .

٥ ــ الاقبال على النشاطات الرياضية والترفيهية الأخرى .

ثانياً : الليالي السياحية ونزلاء الفنادق :

تتوفر لدينا بيانات عن هذه الظاهرة منذ عام ١٩٨٠ فقط ويتبين من تلك البيانات أن النشاط الفندقى قد ارتفع تدريجياً ليصل ذروته فى عام ١٩٨٢ عندما بلغ عدد النزلاء نحو ١٢٥,٨ ألف شخص قضوا فى مجموعهم نحو ٤١٠ ألف ليلة وخلال العامين التاليين تراجع عدد النزلاء ليصل إلى نحو ١١٠ ألف شخص في العام الماضى ١٩٨٤ مع حدوث انخفاض أكبر في عدد الليالي السياحية حيث وصلت إلى نحو ٢٦٦ ألف ليلة . أي أننا هنا أمام ظاهرة انخفاض عدد الليالي السياحية في البلاد من مستوى الذروة عام ١٩٨١ عندما بلغت ٤٢٠ ألف ليلة إلى نحو نصف هذا الرقم في عام ١٩٨٤ مع انخفاض بنسبة أقل فى عدد النزلاء . ومن بين الأسباب المحتملة لتفسير هذه الظاهرة مايلي :

١ ــ ترشيد الانفاق منذ عام ١٩٨٣ فى البلاد ، وانتهاج سياسة مالية تتفق مع خطط الترشيد المدروسة بعناية .

٢ ــ الانفراج الذي تم فى مسألة السكن باستكمال إنشاء الآف الوحدات السكنية التي جعلت من الممكن توفير السكن للقادمين الجدد بعد فترة وجيزة من الاقامة في الفنادق بدلاً من الاقامة لفترات طويلة كما كان يحدث في السابق .

٣ ــ قد يكون للتطور في هذه الظاهرة أيضاً علاقة بتنظيم دخول وإقامة الأجانب في البلاد .

جدول رقم (١)

تطور عدد رواد دور السينما والأفلام المعروضة

١٩٧٦ — ١٩٨٤

السنوات	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
عدد الرواد « بالمليون »	١,١٤٢	١,٢١١	١,٥٦٩	١,٤٧٢	١,١٦٦	٠,٨٠٢	٠,٧٠٧	٠,٥٢٣	٠,٢٧٦
عدد الافلام	٦٩٢	٩٨٨	٩٠٤	١٠٢٩	١١٤٠	٨٤٨	٨٩٦	٨٨٧	٨٣٦

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ص ١٣٦

ثالثا : التردد على دور الكتب :

بينما شهدت دور الكتب العامة فى قطر زيادة مضطردة في عدد المترددين عليها والمستعيرين كتبها فإن عدد الكتب المستعارة قد تراجع بشكل واضح منذ عام ١٩٨٢ . فقد زاد عدد المستعيرين من ٥٥١٦ شخصاً فى عام ١٩٨١ إلى ٩٣٤٦ شخصاً فى عام ١٩٨٤ بزيادة نسبتها ٦٩ بالمائة فى حين زاد عدد الكتب المستعارة فى عام ١٩٨٢ قليلاً إلى ٢٠٦٨٩ كتاباً ثم انخفض بشكل تدريجى ليصل إلى ١٦١٧٢ كتاباً فى عام ١٩٨٤ أي بانخفاض نسبته ٢٢ بالمائة بالمقارنة بعام ١٩٨٢ . ويلاحظ أن هذه الظاهرة قد حدثت فى دارين للكتب فقط هما دار الكتب بالدوحة ومكتبة الخور العامة فى حين كانت هناك زيادة مضطرده فى عدد الكتب المستعارة فى المكتبات الأخرى وهي مكتبات الشمال والخنساء والريان ومكتبة المرحوم الشيخ على آل ثاني . ورغم هذه الزيادة الأخيرة واصل الاتجاه العام للظاهرة — أى اجمالى عدد الكتب المستعارة — انخفاضه المستمر وقد نتج عن ذلك تراجع واضح فى متوسط ما يستعيره الشخص الواحد فى العام حيث كانت النسبة ٣,٦٤ كتاباً للشخص فى عام ١٩٨١ وانخفضت إلى ١,٧٣ كتاباً فقط فى عام ١٩٨٤ .

وقد يكون وراء هذه الظاهرة عامل إيجابى يتمثل فى تركيز المترددين على عنصر النوع دون الكم فى عملية الاستعارة أو قد يكون الأمر على النقيض من ذلك ويدل على عزوف الشباب عن القراءة بتأثير انتشار استخدام الفيديو ووسائل الترفيه والأنشطة الرياضية المختلفة ، كما قد يكون وراء الظاهرة سبب ثالث يتمثل فى انتشار المكتبات الخاصة فى الأندية والجامعة والمؤسسات والادارات الحكومية بحيث أن الشخص الواحد لا يستعير كتباً من المكتبات العامة فقط بل من المكتبات الخاصة أيضاً التى له علاقة بها سواء كان طالباً أو باحثاً أو موظفاً .

رابعاً : التردد على العيادات الخارجية

يلاحظ أن هناك زيادة مستمرة فى عدد المترددين على العيادات الخارجية والمراكز الصحية ، فقد زاد هذا العدد من نحو ١,٤٨ مليون مريض فى عام ١٩٧٩ إلى نحو٢,٤٤ مليون مريض فى عام ١٩٨٤ أي بزيادة مقدارها مليون مريض فى الفترة محل الدراسة وبنسبة ٦٥ بالمائة . ومن بين الأسباب المحتملة لهذه الظاهرة :

• الزيادة فى عدد السكان ، وهذا السبب لا يفسر إلا جانبا بسيطا من الظاهرة باعتبار أن الزيادة الطبيعية في السكان لا تزيد عن ٤ بالمائة سنوياً كما أن معدلات الهجرة إلى الداخل قد تناقصت كثيراً

• ادخال نظام الرعاية الصحية الأولية في البلاد وانتشار المراكز الصحية في أنحاء متفرقة من الدوحة بعد أن كانت تتركز في العيادات الخارجية لستشفى الرميله ومثل هذا الانتشار يساعد عادة فى تيسير تردد المواطنين على العيادات وحصولهم على العلاج اللازم في وقت قصير خاصة وأن عدد الاطباء قد تضاعف فى نفس الفترة وبلغ نحو ٥٠٤ طبيباً فى عام ١٩٨٤ مقارنة بـ٣٠٧ في عام ١٩٨١ وأقل من ذلك في عام ١٩٧٩ .

• انتشار الوعي الصحى بين المواطنين كنتيجة منطقية لانتشار التعليم وتأثير أجهزة الاعلام المختلفة التى تهتم ببرامج الرعاية الصحية .

• إزدياد حالات الإصابة ببعض الأمراض وتشير البيانات الأحصائية بهذا الخصوص إلى أن عدد حالات الإصابة بمرض القلب قد زادت من ٥٦٥٦ حالة في عام ١٩٨٢ إلى ١٤٧١٠ حالة فى عام ١٩٨٤ كما زاد عدد المصابين بمرض السكري إلى

جدول رقم (٢)

تطور عدد نزلاء الفنادق وليالي الاقامة

السنوات	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
نزلاء الفنادق بالألف تقريباً	١٠٢	١٠٩	١٢٦	١٢٤	١١٠
الليالي السياحية بالألف تقريباً	٢١٤	٤٢٠	٤١٠	٣٣٠	٢٢٦

المصدر السابق ص ١٤٢

جدول رقم (٣)

تطور عدد المستعيرين والكتب المستعارة من المكتبات العامة

السنوات	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
عدد المستعيرين	٥٥١٦	٦١٥٠	٨٩٧٦	٩٣٤٦
عدد الكتب المستعارة	٢٠١٢٠	٢٠٦٨٩	١٧٢٩٩	١٦١٧٢

المصدر السابق ص ١٤٠

جــدول رقم (٤)

تطور عدد المترددين على العيادات الخارجية والمراكز الصحية

السنوات	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
العدد لأقرب ألف	١٤٨١	١٥٦٢	١٥٩٦	١٦٠١	٢٠١١	٢٤٣٧

المصدر السابق ص ١١٩

أكثر من الضعف في نفس الفترة وحدثت زيادات مماثلة في المصابين بأمراض الربو والأنف والأذن والحنجرة والكبد والمسالك البولية والعيون والأمراض العصبية والعظام والروماتيزم وغيرها .

• إنشاء مستشفى حمد العام وتزويده بأحدث أنواع الأجهزة الطبية وبالاخصائيين في مختلف التخصصات الطبية مما ساعد على استقطاب المرضى ليس من دولة قطر فحسب بل من الدول المجاورة .

هذه مجموعة من العوامل التى ساهمت جميعها وإن بدرجات متفاوتة فى زيادة عدد المترددين على العيادات الخارجية والمراكز الصحية ، وهي كغيرها ظاهرة تحتاج إلى مزيد من الدراسة لتطوير الجوانب الايجابية فيها كزيادة عدد المراكز الصحية ونشر الوعي الصحي بين الناس والتصدى للجوانب السلبيه المتمثلة في ازدياد حالات الاصابة ببعض الأمراض .

خامساً : عدد المواليد أحياء .

يلاحظ أن هناك زيادة مستمرة في عدد المواليد أحياء بحيث تضاعف العدد فى عشر سنوات من ٤٥٥٩ مولودا في عام ١٩٧٥ إلى نحو ٨٦١٣ مولودا فى عام ١٩٨٤ . ورغم هذه الزيادة في العدد الكلى للمواليد فإن هناك تبايناً في الزيادات التى تطرأ بين سنة وأخرى على عدد المواليد القطريين والزيادات التى تطرأ على عدد المواليد غير القطريين فمنذ عام ١٩٧٥ كان العدد السنوي للمواليد أحياء يزداد بمعدل ١٩٠ مولوداً بالنسبة للقطريين و٢٥٤ مولوداً بالنسبة لغير القطريين . وحدث فى عام ١٩٨٤ أن تناقصت الزيادة فى عدد مواليد غير القطريين لأول مرة منذ عام ١٩٧٥ حيث بلغ عدد المواليد أحياء نحو ٤٨٠١ مولوداً مقابل ٤٨٤٥ مولوداً فى عام ١٩٨٣ . ونتيجة لذلك تناقصت نسبة المواليد غير القطريين إلى الاجمالي لتصبح ٥٥,٧٤ بالمائة فى عام ١٩٨٤ مقابل ٥٨,٦٤ بالمائة في عام ١٩٨٣ . وفي المقابل ارتفعت نسبة المواليد القطريين إلى ٤٤,٢٦ بالمائة مقابل ٤١,٣٦ بالمائة فقط فى عام ١٩٨٣ . وإذا استمر هذا الاتجاه في عام ١٩٨٥ فإنه يكون نتيجة منطقية للظروف الاقتصادية .

ويكون بذلك أحد التغيرات الإيجابية التى ستعمل على تصحيح الخلل في التركيبة السكانية للمجتمع القطرى .

سادساً : احصاءات المباني :

تعتبر احصاءات المباني من المؤشرات الهامة فى الدلالة على مستوى النشاط الاقتصادى ، حيث ينخفض عدد الوحدات المبنية عادة كنتيجة لانخفاض مستوى النشاط الاقتصادي فى البلاد مع وجود فارق زمني بين حدوث التغير فى مستوى النشاط والتراجع في عدد الوحدات المبنية ، والعكس صحيح فى حالة الزيادة .

وقد تزايد عدد الوحدات المبنية في قطر بإضطراد خلال السبعينيات وبلغ الذروة في عام ١٩٨٣ ببناء نحو ٢٥٨٤ وحدة ، ثم تراجع العدد في عام ١٩٨٤ إلى ٢١٠١ وحدة أي بانخفاض نسبته ٢٣ بالمائة .

وفى المقابل فإن الرخص الممنوحة للبناء قد بلغت ذروتها في عام ١٩٨٢ عندما أعطيت الموافقة لبناء ١٩٩١ مبنى تشتمل على ٧٨٦٥ وحدة ، وفي العامين التاليين تراجع عدد الرخص بشدة إلى ١١١٥ رخصة في عام ١٩٨٤ تشتمل على ١٩٠٥ وحدة فقط . وهذا التراجع الشديد في عدد رخص البناء يجعلنا نتوقع بالتالى استمرار انخفاض عدد الوحدات المبنية في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ وخاصة فيما يتعلق ببناء العمارات السكنية التى انخفض عدد التصاريح الخاصة بها من ٦٣١ رخصة فى عام ١٩٨٢ إلى ٢٤٦ رخصة في عام ١٩٨٣ ثم إلى ٨٩ رخصة فقط فى عام ١٩٨٤ .

إذن نحن بصدد ظاهرة انخفاض نشاط قطاع البناء والتشييد بوجه عام وتراجع عدد العمارات السكنية الجديدة بوجه خاص .

الخلاصة التى نخرج بها من هذا الاستعراض السريع لبعض الظواهر الاجتماعية فى قطر أن هناك تغيراً ملحوظاً يطرأ على اتجاهات تلك الظواهر وأن هذه التغيرات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث لمعرفة مسبباتها الأصيلة وقياس التأثير الكمي لتلك المسببات إن أمكن ومعرفة اتجاه تلك الظواهر خلال الأعوام القادمة .

بشير يوسف الكحلوت

جــدول رقم (٥)

تطور عدد المواليد أحياء المسجلة حسب الجنسية

١٩٧٥ ــ ١٩٨٤

السنوات		١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
قطـريون	عــدد	٢٠٤١	٢١٨٠	٢٢٦١	٢٨١٣	٢٧٥٢	٢٨٥٣	٣٠٠٢	٣٤٥٧	٣٤١٦	٣٨١٢
٪		٤٤,٨	٤٤,٦	٤٢,٦	٤٧,١	٤٥,٤	٤٢,٣	٤١,٧	٤٣,٠	٤١,٤	٤٤,٣
غير قطريين											
عــدد		٢٥١٨	٢٧١٣	٣٠٥٢	٣١٦٤	٣٣٠٥	٣٨٩٧	٤١٩٠	٤٥٧٤	٤٨٤٥	٤٨٠١
٪		٥٥,٢	٥٥,٤	٥٧,٤	٥٢,٩	٥٤,٦	٥٧,٧	٥٨,٣	٥٧,٠	٥٨,٦	٥٥,٧
الاجمالي		٤٥٥٩	٤٨٩٣	٥٣١٣	٥٩٧٧	٦٠٥٧	٦٧٥٠	٧١٩٢	٨٠٣١	٨٢٦١	٨٦١٣

المصدر السابق ص ١٧ .

جــدول رقم (٦)

تطور عدد المباني والرخص الممنوحة للبناء

السنوات	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
عــدد المبانى	٥٤١	٨٨٣	٩٠٣	٦٩٦
ما تم بناؤه :				
عــدد الوحدات	١٣٤٥	١٨١٨	٢٥٨٤	٢١٠١
عــدد المباني	٢٦١١	١٩٩١	١٥٦٥	١١١٥
الرخص الممنوحه				
عــدد الوحدات	٥٩٧٣	٧٨٦٥	٤٠٤٠	١٩٠٥

المصدر السابق ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

شاعر خليجي أهمله التاريخ

دعوة إلى جمع ديوانه ورسائله وتقديم آثاره للأجيال الجديدة



بقلم : عبد الرزاق البصير

بخل تاريخنا الأدبي في أن يحدثنا حديثاً يرسم صورة لهذا الأديب أبي عبدالله محمد بن يوسف المعروف بالأربلي ، هذا الشاعر العربي الخليجي الغني بما منحه الله من مواهب عديدة . فقد كان إماماً مقدماً في علم العربية متفنناً في أنواع الشعر ، ومن أعلم الناس بألوان الأدب وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظراً في اختياره . استطاع أن تكون له يد في علم الهندسة فقد قال المؤرخون عنه بأنه حل كتاب إقليدس أشهر علماء الرياضيات في العصور القديمة ، فكل من يستطيع أن يتفهم كتابه المتضمن أصول علم الرياضيات المعروف بكتاب « الأصول » ، من يتفهم هذا الكتاب فإنه يعد نابغة من النوابغ ، لذلك نجد المؤرخين يعدون تفهم هذا الكتاب علامة بارزة على تفوق هذا الشاعر المجيد .

وقد شاء الله أن يولد هذا الأديب في عصر ضعفت فيه أمور الحكم وشاع فيها الفساد بحيث أصبح الحكم ريشة في مهب الرياح . فقد توزع النشاط العلمي الذي كان منحصراً في بغداد إلى العواصم التي اتخذتها الدول المستقلة مستقراً لها ، إذ أن السلطان العربي القوي الواسع تفتت إلى دويلات صغيرة وكبيرة .

وكانت كل دولة تسعى إلى أن يكون لها مجد مؤثل ، وذلك بأن تبستقطب الأدباء والعلماء والشعراء ، تغدق عليهم الأموال وتنزلهم أشرف المنازل لتشيع مكانتها الأدبية بين الناس . وكانت أكثر هذه الدول يقوم أمرها على عنصر غير العنصر العربي كالسلاجقة والبويهيين والفرس ، ولم تكن الحالة الاجتماعية أفضل من الناحية العلمية . فقد كان العنصر العربي يشعر بغربة شديدة منذ قيام الدولة العباسية ، ثم أخذت هذه الغربة تشتد على النفوس حين بنى المعتصم « سامراء » وجعلها عاصمة للأتراك واعتمد عليهم فكنت ترى العنصر العربي يبذل كل ما في وسعه لتخفيف هذه الغربة عن نفسه فكان يبرز قوته قدر المستطاع . فقد رجع العرب إلى قبائلهم يستعينون بها على ايجاد سلطة لهم . فلما قووا أخذوا يحتلون القلاع والمدن يؤسسون الدويلات كالعقيليين والحمدانيين والمرداسيين والمزيدين . وقد نبغ منهم شعراء اعتزوا بعروبتهم كأبي تمام والمعري والمتنبي وغيرهم كثيرون ، كما نبغ منهم أبطال خاضوا المعارك وأبلوا فيها أحسن بلاء . وبرز فيهم مفكرون استطاعوا أن يسيروا دنيا السياسة « كالربيع بن يونس وابنه الفضل » .

أشهر أجواد العرب

وليس من شك أن العنصر العربي كان يعتز حين يرى منهم شاعراً يضيء دنيا الأدب أو مفكراً أو فيلسوفاً يبرز في دنيا الفلسفة أو فارساً ينجح في قيادة المعارك أو سياسياً يبرز في علم السياسة، وكيف لا يشعر العنصر العربي بهذا الشعور وهو يرى فرسانه يضطرون إلى الاختفاء لأن السلطان العربي لا يجد من ينتصر له إلا حين تضيق الأمور. والأدلة على ذلك كثيرة. منها ما جرى «لمعن بن زائد الشيباني» ذلك الفارس الذي تجسدت فيه المروءة العربية، فقد قال المؤرخون عنه إنه كان من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي. وكان ينتقل من منصب إلى منصب آخر في الحكم، فلما صار الأمر إلى بني العباس طلبه المنصور، فتستر وأمعن في البادية خوفاً من دسائس الأعاجم عليه، فلما كان يوم الهاشمية وثار جماعة من أهل خراسان على المنصور وقاتلوه ثارت في نفسه الغيرة القومية فتقدم وقاتل بين يدي المنصور حتى أفرج الناس عنه، عندها عرف المنصور «لمعن» مكانته فأكرمه وجعله في خواصه، فولاه اليمن فسار إليها محتملاً ما لقيه من مصاعب، ثم ولي سجستان وابتنى بها قصراً وطبقت شهرته الآفاق لكرمه وشجاعته. لكن العنصر الأجنبي لم يرقه ما تمتع به هذا الفارس العربي من مكانة رفيعة فدخل عليه أناس في زي العمال فقتلوه غيلة.

وأخباره كثيرة باهرة نرجو أن نعود إليها في فرصة أخرى لنعطيه بعض حقه. على أن من يتتبع سيرة التاريخ في تلك العصور يجد الخلافة تسير إلى الانحدار بسرعة شديدة حتى بلغ من ضعف الخلافة أن الطامعين بالحكم لا يكتفون بخلع الحاكم وإنما يسملون عينيه ليكون عدم صلاحه للخلافة واضحاً للناس كما حدث «للقاهر» الخليفة العباسي، فقد وقف يستجدي في جامع المنصور فأعطاه رجل خمسمائة دينار. وقد بلغ من ضعف السياسة الإدارية أن وصلت الأمور أن «أم موسى القهرمانية» أصبحت تشير بتعيين وزير وعزل آخر وتنصيب وال وتنحية غيره، أو تتوسط فتمنع مصادرة أموال المعزولين والمقبوض عليهم من محاسيبها وأنصارها، لا لكفاية أو مقدرة أو علم وإنما لأنها قهرمانة ترعى وترأس جواري القصور. فأي ضعف أعظم من هذا الضعف!

● كان شاعرنا محظوظاً لأنه عاصر انتصار صلاح الدين الأيوبي ورأى كيف استرد المسلمون كرامتهم

● قصيدة عصماء لهذا الشاعر أطالب بأن تُغْرَس في نفوس ناشئينا ليحفظوها عن ظهر قلب

موهبة الشعر

وقد شاء الله أن ينشأ شاعرنا البحريني في هذه الظروف الرديئة، إلا أنه كان محظوظاً لأنه عاصر انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين مما جعل العزة تسري في قلب كل مسلم بصورة عامة وفي قلب كل عربي بصورة خاصة. وكانت موهبة الشعر قد ملأت نفس شاعرنا منذ صباه، وظل يعزز موهبته بما يذيع من قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي بعد أن رحل إلى دمشق ليشاهد استرداد كرامة العرب والمسلمين بإبعاد الصليبيين عن البلاد، وكان يكتب عدة رسائل يرسم فيها ما يجول في نفسه من أفكار وآراء حتى اجتمعت له من ذلك رسائل حسنة، وكان له القدح المعلى في الشعر. وكان والده من أهل إربل وصنعته التجارة وكان يتردد من إربل إلى البحرين ويقيم بها مدة لتحصيل اللآلئ من المغاصات أسوة بأمثاله من التجار. ولعل أشهر قصيدة عرف بها الشاعر الموهوب، تلك القصيدة التي مدح بها (زين الدين أبو المظفر) صاحب إربل، ذلك الوالي الذي استطاع أن ينشر الأمان والاستقرار في تلك البلاد. ومن يقرأ هذه القصيدة يجد فيها التعبير الكامل عما ألم بالأمة العربية والاسلامية من خطوب وأهوال أدت إلى وهنها وجرح عزتها وكرامتها في تلك العصور مما قد أشرنا إليه فيما سبق وأي تعبير أقوى من قوله:

كنت مشغوفاً بكم إذ كنتم ... شجراً لا يبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل إلا حولها ... حرس ترشح بالموت ظباها
وإذا مدت إلى أغصانها ... كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الأمر حتى أصبحت ... هملاً يطمع فيها من يراها
تخضب الأرض فلا أقربها ... رائداً إلا إذا عز حماها
لا يراني الله أرعى روضة ... سهلة الأكناف من شاء دعاها
وإذا ما طمع أغرى بكم ... عرض اليأس لنفس فثناها

أين الديوان؟

ومعظم هذه القصيدة العصماء تجري على هذا النسق وأعتقد أنني محق إذا اقترحت أن تغرس في نفوس ناشئينا ليحفظوها عن ظهر قلب فإنها من الشعر الذي يحبب العزة والكرامة في النفوس. وقد ذكر «ابن خلكان» أن لشاعرنا «أبي عبدالله الأربلي» ديوان وعدة رسائل ولقد اجتهدت في أن أعثر على ديوانه ورسائله فلم أوفق إلى ذلك، فهل لمن لديه ديوان هذا الأديب ورسائله أن يحققها لتبصر النور فإنه إن فعل ذلك فسيحيي أديباً متمكناً تنطوي جوانحه على نفس أبية عزيزة، أما إذا أردت أن تعرف مقدار رحلته في هذه الدنيا فإنك لن تظفر بذلك لأن تاريخنا الأدبي لم يخبرنا عنه إلا أنه توفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة دون أن يشير إلى مقدار عمره وكل ما ذكر عنه أنه اختصر «عمدة بن رشيق» و «مفضليات الضبي» إلا أن المنية عاجلته دون إتمامه. وكم من كنز من كنوزنا الأدبية والفكرية حرمنا منها وبقيت في ركام النسيان.

كلام من تعودوا السكوت..

قالت الغيمة :

ـ لست متجنية ولا حاقدة ، ولا أبوح بسر من الأسرار إذا ما قلت إن رحلات السندباد ليست سوى سبع رحلات فقط ، ومع ذلك فقد كتبت عنها الحكايات الطويلة المثيرة المشوقة الطريفة ، وترجمت إلى شتى لغات الأمم ، وتحولت إلى أفلام سينمائية للكبار وللصغار ، أما أنا فمنذ ولادتي إلى مماتي دائمة الرحيل من بلد إلى بلد من غير توقف ، ولا ألجأ في أية ليلة الى فندق كي أنام فيه ، ولا أحد كتب منوهاً برحلاتي ، ولا أحد سيتمكن من اقناعي بأن السندباد لم يكن ثرياً يحسن استثمار أمواله ، وكلف بعض الأدباء بالكتابة عنه لتخليده ، ونال ما رغب فيه ، ولكن ما فعله السندباد لا أستطيع فعله لأني فقيرة ، ولا أملك سوى المطر ، والمطر من غير ثمن .

قالت الكلمات :

ـ لكل زمان دولة ورجال وحملة أقلام ، في القديم كان الأدباء يتبارون في التضحية بحياتهم في سبيلي ، أما الآن فكثيرون هم الأدباء الذين يضحون بي من أجل نيل مآرب غير أدبية .

قال الباب :

ـ في قديم الزمان ، كانت الأبواب العربية مفتوحة دائماً كي يخرج منها الرجال الذين كرسوا حياتهم لتحرير البشر من الظلمة والظلم والأصفاد ، ثم استسلم هؤلاء الرجال للكسل أو النوم ، تاركين الأبواب مفتوحة ، فدخل منها الغزاة محتلين ، ثم ظلت الأبواب مفتوحة ليخرج منها الغزاة مطرودين ، وينبغي اليوم لمن يهمه الأمر التنبه إلى أن الأبواب مفتوحة وبلا حماية والغزاة يتأهبون للعودة ، وعودتهم في هذه المرة ستكون صارمة قاسية ، وسيعقبها اختفاء نهار الانسان .

قال الخروف :

ـ مطلع على حقائق الحياة ، وصادق ذاك الذي قال إن السكوت من ذهب . أثغو بوداعة فأذبح ، ويغرد العصفور فيسجن في قفص ، وتخور البقرة فيسلب منها حليبها ، ويئن الناس قنوطاً أو غضباً فتحفر لهم القبور .

قال السيف :

ـ أنا مظلوم ومنسي في بلاد العرب ، فالتمجيد كله تستأثر به البندقية وحدها بينما لا وجود لأي فرق بيننا : أنا في المتاحف والبندقية في المخازن ، ولا تستخدم إلا نادراً .

قال الشتاء :

ـ لقد قرأت كثيراً عن نكران الجميل ، ولكني أعتقد أن أبشع أنواعه هو الذي يتجلى عملياً في سلوك المصانع المنتجة للثياب الصوفية ، فلولاي لما اشتغلت وأغلقت أبوابها وأشهرت افلاسها ، ومع ذلك فلم أتلق منها في أي يوم برقية شكر .

قال رغيف الخبز :

ـ لو رشحت نفسي لمنصب رئيس جمهورية في بلد من بلدان العالم الثالث لنلت أعلى نسبة من أصوات الناخبين ، وهزمت المنافسين كافة ولو بلغ عددهم الملايين .

قال الالتزام الأدبي :

ـ كثيرة هي الجرائم التي ترتكب باسمي ، فأصرخ مستنجداً ، معلناً أني بريء ، وأن المذنب هو الأديب الذي لا موهبة له ، فلا ينصت أحد لصراخي ، وتستمر معاملتي بوصفي المسؤول الأول عن تشويه الأدب الأصيل .

قالت العقرب :

ـ ما أكثر الجهات المختلفة التي تصدر الارشادات التي تحذر من سمي القاتل ، فلماذا لا تصدر ارشادات مماثلة تحذر من سموم أكثر فتكاً من سمومي وتختفي في صفحات الجرائد والمجلات أم أن سموم الأفكار مرغوب فيها لأنها تقتل ببطء ، والتشريح يثبت أن الموت كان طبيعياً ؟

قال الجدار :

ـ يقولون إن للحيطان آذاناً ، ولكنهم لا يقولون أيضاً إن الحيطان لا تكتب ما تسمعه بخط جميل ، وتقدمه إلى جهات رسمية مسؤولة ، طامحة إلى الفوز بمكافأة ما .

قال الورد :

ـ أنا غاضب ويائس وأنوي الانتحار احتجاجاً ، فالناس لا يبالون بي حين أكون حياً ذا جذور متغلغلة في التراب ، ولكني حين أنطع وأباع في الدكاكين ميتاً يبادرون إلى شرائي بأسعار غالية ، فهل الميت أجمل من الحي ؟

قال القطار العتيق :

ـ بعض الصحافيين يكتب ممجداً دخاني ، محاولاً اقناع القراء بأن دخاني هو دخان معمل أو هو سحابة توشك أن تمطر فوق أرض عطشى ، ومن المدهش أن هذه المحاولة لا تخفق ويسخر منها بل تظفر بقدر كبير من النجاح المادي والمعنوي .

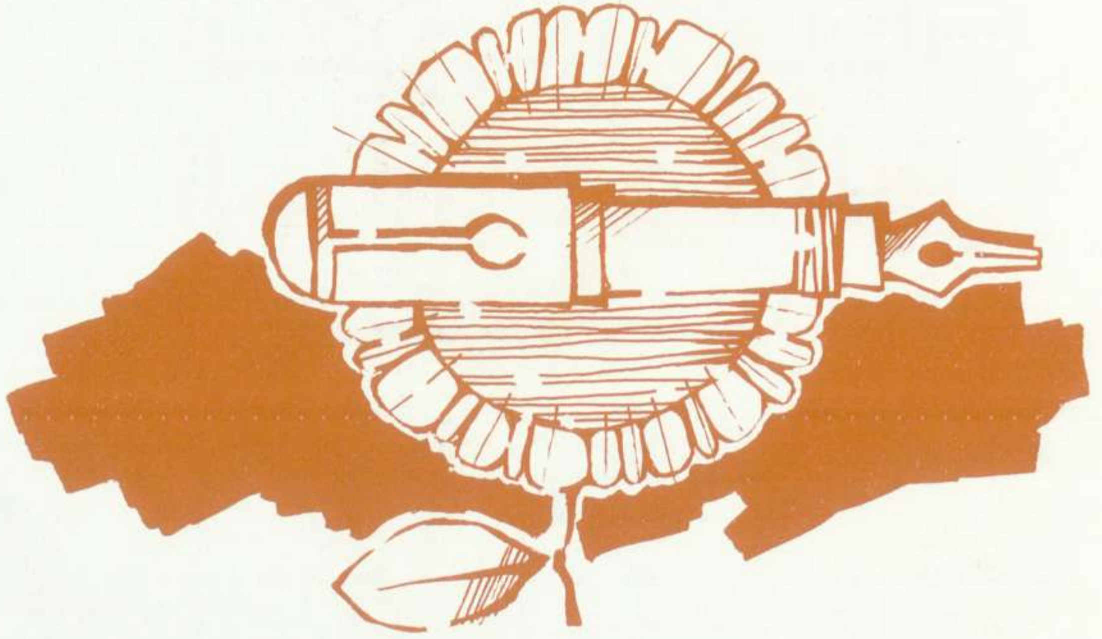
قال الحبر :

ـ أخشى أن ينقرض استخدام الحبر ذي اللون

خواطر تسر الخاطر



بقلم : زكريا تامر



الأسود واللون الأزرق ، ويحل محلهما الحبر الأحمر ، فالدماء العربية تهرق بغزارة ، وتعبئتها في زجاجات أقل كلفة من صنع أردأ نوع من أنواع الحبر الأسود أو الأزرق .

قال القط :

ــ شكوى الكتاب من فقدان حرية التعبير عن أفكارهم مضحكة ولا مبرر لها ، فأنا أموء كما أشاء ومتى أرغب من دون أن أمنع أو أحاسب أو أعتقل .

قال قابيل :

ــ أنا لم أقتل أخي هابيل إلا لأنه ثبت لدي أنه يؤيد الغزو الاستيطاني ، ويدعم الكيان العنصري الصهيوني ، وقتل الأخ في سبيل قضية مصيرية مقدسة هو تضحية كبرى يجب أن تحظى بما تستحق من تكريم واجلال .

قالت النجوم :

ــ يستحسن أن نتوارى ونختفي من السماء لأنه لا أحد ينظر إلينا ، فمن يرغب في رؤيتنا سيضطر إلى رفع رأسه بينما الزمان المهيمن زمان الرؤوس المحنية ، أما رافعو الرؤوس فهم ينظرون إلى أعلى باحثين فقط عن أنشوطة مشنقة يخشون أن تباغتهم .

قالت المجلة الأدبية :

ــ إذا كنت لا أحظى باقبال القراء على قراءتي ، فاللوم يجب أن يوجه إلى رؤساء التحرير الذين لا ينشرون صوراً للأدباء في مرحلة ما قبل ابتكار الثياب .

قالت السمكة :

ــ لو كنت أستطيع الحياة خارج الماء لآثرت البقاء في الماء ولم أفارقه لحظة . ومن كان فضولياً وسأل عن السبب ، فليبحث عن الجواب في حياة الذين يعيشون على سطح الأرض ، وحين سيعثر عليه ، فلابد من أنه سيحسدني لأنه لا وجود للإذاعة والتلفزيون في الأنهار والبحار .

قال الكلب :

ــ يغرد العصفور ، فيحظى بقصائد المديح ، وأنبح طارداً اللصوص والغرباء ، مثبتاً أني أكثر نفعاً من العصفور ، فلا يأبه لي أي شاعر ، فهل تأويل هذا الأمر الغريب يكمن في أن العصفور صاحب دار نشر أم أن الشعراء هم عشاق لكل ما هو غير نافع ؟

قالت الدجاجة :

ــ ما زلت سعيدة الحظ ، فلحمي يؤكل بتلذذ ويرمى عظمي في صناديق القمامة بينما المرحلة الراهنة هي مرحلة أكل اللحم والعظم ولا سيما إذا كان المأكول شعباً .

قال قلم الناقد :

ــ ليتني أصبح عصا غليظة تؤدب الذين حولوا الحداثة في الأدب إلى رجس من عمل شيطان رجيم !

قالت كرة القدم :

ــ أنا أفضل حالاً من الناس ، فالأقدام التي تتقاذفني أقدام لاعبين سبق لهم أن تدربوا طويلاً ، واكتسبوا خبرة في تحقيق الأهداف ، أما مصائر الناس فيتقاذفها لاعبون ناشئون ، وطائشون عن قصد ، تعوزهم الموهبة ، ولا تعوزهم القوة .

قالت الشجرة :

ــ كل سنة ، لي خريف ولي ربيع . أنا عارية الأغصان في الخريف ، أما في الربيع فأنا خضراء مزهرة واعدة بالثمار ، غير أن ثمة نتاجاً أدبياً لا يهيمن عليه إلا الخريف ، ولن يزور عالمه أي ربيع .

قال الغراب :

ــ فليكف الكتاب عن هجائي بسبب لوني الأسود ، فريشي وحده هو الأسود ، أما قلبي فلا مكان فيه لأي لون قاتم .

قالت الصحيفة اليومية :

ــ أمنيتي الوحيدة هي أن أصدر ذات يوم بيضاء من غير سوء ، تعبيراً عن احترام حقيقي لعقل كل مواطن سواء أكان مثقفاً واعياً أم أمياً جاهلاً .

قال جواز السفر :

ــ إذا بقيت الخلافات بين الدول محافظة على وجودها ، فسيأتي يوم أستخدم فيه للانتقال من غرفة إلى غرفة في منزل واحد .

قال الشعر العربي المعاصر :

ــ وا معتصماه !

وقال زكريا تامر :

ــ سأنجب ابناً ثالثاً ، وأسميه : أيوب الثالث .

مهرجان بغداد المسرحي الأول

يطرح الأسئلة .. ويقدم الإجابات

بقلم : الفريد فرج

منذ سنوات لم ألتق بمثل هذا الجمع الكبير من نخبة الفنانين المسرحيين العرب .. الذين سعدت بلقائهم في مهرجان بغداد المسرحي الأول في الشهر الماضي ، واستمتعت بانتاجهم الفني الرفيع ومناقشاتهم الحية في الندوة اليومية التي انعقدت طوال أيام المهرجان .



« المسرح التصويرى » .. استخدام أثواب القماش فى الملك لير

• اجتمع هذا الشمل المسرحي الكبير بمدينة بغداد ، فكانت المدينة بعمرانها الجديد الرائع .. بنظافتها وجمال ميادينها ونافوراتها وتماثيلها .. بمسارحها الثلاثة الجديدة الجميلة .. تضفي على اجتماع المسرحيين من روحها لمسة من الجد والحداثة ، ومن كبرياء الابداع وعزة الطموح ونبل النضال والدفاع .. ما يؤطر ذلك الإبداع الفني الرفيع وتلك المناقشات الحية بإطار يليق برؤية فنانين يتطلعون إلى مستقبل الحضارة العربية .

وقد نظم المهرجان منتدى الأدباء الشبان ، فأضفى الشباب على المهرجان نغمة خاصة .. وعمق ذلك المعنى الخاص الذي ينطوي عليه الفن في كل العصور ، وهو أنه شباب الأمة وأنه إشارات للمستقبل .. وأنه رؤيا للغد .

ولكن روح الاحتفال التي تميزت بها المناسبة ، وفرحة اللقاء بين أصدقاء المهنة وأبنائها .. لم تستطع نفي ما يشغلهم من أسئلة وما يجتهدون لطرحه من إجابات .

وقبل أن نتعرض للأسئلة والاجابات .. فلنستعرض ما قدمته الفرق العربية من مسرحيات .

قدمت العراق « مقامات أبي الورد » ،وهي مسرحية تستلهم التراث من تأليف عادل كاظم واخراج ابراهيم جلال .. و « لمن الزهور » وهي مسرحية نفسية من تأليف محيي الدين زنكنة واخراج عزيز خيون ،و « الانسان الطيب » لبرتولد برخت واخراج عوني كرومي ، ورائعة شكسبير « الملك لير » من اخراج د . صلاح القصب .

وقدمت فرقة البحرين مسرحية « رجل من عامة الناس » تأليف عقيل سوار وإخراج قحطان القحطاني .. وهي على نمط الحواديت الشعبية القديمة .

وقدمت فرقة المسرح العربي الكويتي « رحلة حنظلة » اقتبسها سعدالله ونوس عن بيتر فايس اقتباساً رائعاً وأخرجها فؤاد الشطي ، وهي عبارة عن رحلة رجل بسيط خلال ضغوط الحياة الطاحنة .

وقدمت فرقة المسرح المتجول القاهرية « منين أجيب ناس ؟ » لنجيب سرور واخراج الفنان الشاب الصاعد بقوة إلى القمة مراد منير .

وقدمت الفرقة اللبنانية « صانع الأحلام » من اخراج ريمون جبارة وهي مسرحية غنائية معربة عن المسرحية الغنائية الأمريكية الشهيرة « رجل من لامانشا » تأليف جو داريون وميتش لي ، وهي تروي قصة سجن سيرفانتس مؤلف دون كيشوت .

وقدمت الفرقة المغربية « الدجال والقيامة » من تأليف عبدالكريم برشيد واخراج مصطفى التومي ، وهي مسرحية فكرية حديثة حاشدة بالرموز .

وقدمت الفرقة التونسية « من أين هذه البلية » مترجمة عن جريجوري جورين وباخراج المنصف السويسي ، وهي مسرحية تحلل ظروف نمو الروح النازية في مجتمع ما .

وقدمت فرقة الممثلين العرب التي كونتها الفنانة نضال الأشقر من عناصر فنية من الأقطار العربية مسرحية « ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ » تأليف د . وليد سيف واخراج الطيب الصديقي .. وهي عبارة عن صور تراثية في إطار مسرحي احتفالي .

مساحة التأليف

وقد نال التأليف المسرحي جائزتين في المهرجان ، هما الجائزة التقديرية التي نالها اسم المرحوم نجيب سرور ،مؤلف « منين أجيب ناس » وجائزة التأليف التي نالها عبدالكريم برشيد ، الكاتب المغربي عن مسرحية « الدجال والقيامة » .

ومع ذلك فلم تستطع الجائزتان أن تحجبا أن نسبة التأليف إلى مجموع النصوص في خيرة انتاج



« منين أجيب ناس ؟ »
تأليف نجيب سرور.. إخراج مراد منير



« حنظلة » في المسرحية الكويتية
الفائزة بالجائزة الأولى

مهرجان بغداد المسرحي الأول..

المسرح العربي بالمهرجان لم تتجاوز النصف، وهي نسبة تدل على مشكلة وتشير إلى أزمة لم يتغاض عنها الفنانون في الندوات اليومية التي شغلت أيام المهرجان.

فمن جملة الأوضاع الهيكلية للمسارح العربية والمؤسسات الثقافية أنها استطاعت أن تهيء للممثل وللمخرج التكوين المهني اللائق، وفرصة التجريب، وأتاحت لهما ظروف الاحتراف.. بينما لم تهيء نفس الفرصة للمؤلف بالدراسة أو بالبعثة إلى الخارج أو باحتراف مهنة الكتابة المسرحية أو الانتماء للمسرح وظيفياً.. ما عدا الحالات الخاصة لبعض المؤلفين.

لذلك تشكو معظم المسارح العربية من ندرة النصوص المسرحية العربية المؤلفة، بينما تشكو بعض هذه المسارح أيضاً من تضخم أعداد الممثلين!

وهي قضية لها جانبها المهني، ولها جانبها الثقافي والفني.

أما جانبها المهني فلن أتناوله هنا، أو أشير إلى مادار من مناقشات حوله..لأنه قد لا يهم مجموع القراء.

أما جانبها الثقافي والفني فهو أمر لا يخطئه التفكير البديهي.

فان أية تنمية مسرحية في بلادنا لا تتأسس على التأليف العربي ستتعرض حتما إلى منزلق التعريب.. وتبتعد بمسرحنا عما ينبغي له من ترسيخ لهويته الوطنية والقومية، وترسيخ لشعبيته.

كما أن تطور مسرحنا القومي في جانب الاخراج والتمثيل مع استمرار ضعفه في جانب التأليف سيدفعه حتماً إلى منزلق الشكلية وتنمية الاطار والزينة الفنية تعويضاً عن ضعف المحتوى والمضمون، أو قد يدفعه إلى منزلق مسرح النجم والممثل الواحد القادر على تعويض ضعف الموضوع.. وهو ما نرى صورته في المسرح التجاري الشائع، ويخرج بالمسرح عن وظيفته الأصلية كمنبر ثقافي قومي وظيفته إدارة الحوار الاجتماعي والسياسي والقومي والفلسفي مع المجتمع في إطاره الجمالي.

الغاية من استلهام التراث

لا شك أن استلهام التراث القومي والموروث الشعبي في فن المسرح هو من الأساليب المحببة إلى الفنان وإلى الجمهور.

وليس استلهام التراث من ابتكارات المسرح العربي التي يختص بها، فالمسرح في كل عصوره وفي كل بلاد العالم قد استلهم التراث القومي أو الانساني بأساليب مختلفة وبصور مختلفة.

فلا ينبغي أن يفوتنا ملاحظة أن «أوديب» و «اجاممنون».. الخ هي قصص من التراث اليوناني استلهمها المؤلف الاغريقي القديم واقتبسها للمسرح..

كما أن تاريخيات شكسبير وفانتازياته هي في الأساس قصص من التراث البريطاني والأوروبي اقتبسها المؤلف للمسرح.

وقد استلهم المسرح الأوروبي التراث في كل العصور، كما أن المسرح العربي منذ بداياته الأولى عرف الاقتباس من قصص ألف ليلة وليلة، ومن التاريخ المكتوب والمروي ومن القصص القديمة.

المسرح كانت له دائماً علاقة ما بالتراث.. علاقة سحرية، وحبل سري لم ينقطع.

إلا أن جيلنا من الفنانين قد وظف هذا الاستلهام من التراث وظيفة تتلاءم مع شعاراته الفنية ودعاواه الفنية لخصها في وعده باستلهام التراث بهدف تأصيل هوية فن المسرح العربي ووصله بالثقافة العربية والفنون والآداب العربية العريقة المتصلة الحلقات..

كما حدد فنانو جيلنا هدفهم من استلهام التراث بتحقيق أسلوبهم في الاعراب المسرحي دون التورط في تغريب فن المسرح، ووعدوا باليقظة بحيث لا يغربهم استلهام التراث بالغيبة عن الواقع وعن الحاضر وعن المستقبل أو بالغيبة عن قضايا الأمة وآلامها وآمالها الحاضرة.

فلم يكن استلهام التراث للمسرح توجهاً جزافياً أو شكلياً أو فارغ المحتوى، كما لم يكن حلماً بالماضي فراراً من الواقع.

ومع أن مناقشات كثيرة قد دارت حول هذه القضية الحيوية التي تمس نصف عدد المسرحيات المؤلفة التي قدمت في المهرجان.. وانتهت المناقشات إلى مثل ما أوردته من رأي حول القضية بالاجمال.. فاني أود أن أضيف إلى ما دار من مناقشات ملحوظة أراها هامة.

نحن دائماً نتحدث عن استلهام التراث في مجال التأليف المسرحي، ولا نجد مادة لذلك الموضوع في مجالي الاخراج والتمثيل.

وهذا سؤال أطرحه على فناني المسرح، وأرجو أن يتأملوه.. وربما عرضت له ثانية في موضوع التجريب المسرحي الذي يثير عندي بعض الملاحظات.

التجريب المسرحي

يثيرني لابداء هذه الملحوظة أن نصف المسرحيات التي شاهدناها في المهرجان تتصف بصفة التجريب المسرحي، وقد تبارى المخرجون في مجال التجريب في هذه المسرحيات بابداع لاشك فيه.

ولكني سأقتصر على ايراد تجربتين أثارتا إهتمام الفنانين وجمهور المشاهدين هما تجربتا إخراج «الملك لير» للدكتور صلاح القصب، و«ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ» إخراج الطيب الصديقي.

سمى د. القصب تجربته بالمسرح التصويري، وقد اكتفى في إقامة الديكور بأثواب طويلة من القماش الأبيض استخدمه كستائر وكأثواب وكمخابئ للأبطال وكأدوات للتداول بالأيدي.. بأسلوب خلاب ومؤثر، أتاح له أن يجعل من المسرح صورة متحركة حية درامية تصور فاجعة الملك الحزين وأبطال المسرحية التائهين الضائعين.

جعل المخرج من المسرحية قطعة موسيقية من الصور المتحركة، مع احتفاظه المقتدر بوحدة اللون وبوحدة أغراض الصور.

أما تجربة الطيب الصديقي التي سماها الفنان بالمسرح الاحتفالي فهي تتأسس على كشف اللعبة المسرحية فالمثلون لا يبرحون المنصة، والملابس التي سيبدلونها ـ ليقوم المثل الواحد بتمثيل شخصيات متعددة ـ معلقة على المنصة، والأدوات الموسيقية موجودة حين استعمالها أو قبل استعمالها، وأدوات الاضاءة ظاهرة..

والمسرحية تبدأ وتستمر وتنتهي والممثلون مجتمعون دائماً على المنصة في مجموعات كأنها تابلوهات حية.. فالمسرحية عبارة عن احتفال اتفق جماعة من المتسامرين على أدائه والقيام بأدواره أمام الجمهور اتفاقاً صريحاً، وقد وضع المخرج صور الفسيفساء التراثية في إطار احتفالي من الغناء والرقص والاستعراض، كأنها حفلة سمر تراثية يقوم بها أفراد الجماعة بلا تكلف أو تظاهر أو إيهام.

ويعتبر الطيب الصديقي واحداً من أهم الرواد في ابتداع هذا الشكل المسرحي الاحتفالي وأكثر المساهمين في مجاله من الفنانين، وهو تطوير أصيل لمسرح الحلقة المغربي الشعبي..

ومع ذلك فإننا لهذه المناسبة لابد أن نذكر واحدا من رواد هذا الشكل المسرحي، وهو فنان كبير ننساه دائماً.. ربما لأننا لانحب شططه ونزقه الفكري والسياسي، وإن كان ذلك لا ينبغي أن ينسينا جهده الفني، وانتماء ذلك الجهد بالضرورة للمسرح العربي..

ذلك الفنان هو كاتب يسن، ومسرحه الاحتفالي الشعبي في بلعباس بالجزائر، ومسرحيته النقدية المشهورة «٢٠٠٠ سنة» ذات الطابع الاحتفالي الشعبي.. التي أرجوأن يشاهدها فنانونا، أوأن أكتب عنها في فرصة متاحة.

هاتان التجربتان الملفتتان للنظر لا ينبغي أن تحجبا عنا تجريبية الفنان الشاب مراد منير في

توظيف الديكور المتحرك توظيفاً تعبيرياً مؤثراً ، أو أن تحجبا عنا تجربة الطيب الصديقي نفسه في استخدام الخيمة العربية استخداماً تعبيرياً حياً ، أو تجربة المخرج الشاب عزيز خيون في توظيف إيقاع التمثيل للتعبير عن الجنون .

كل هذه التجارب أثرت الأمسيات المسرحية في مهرجان بغداد ، كما أثارت المناقشات في الندوات ..

إلا أنني أعود إلى ملحوظة مؤجلة لأتساءل : لماذا يقترن استلهام التراث عادة بالتأليف ، ولماذا لا يعطي المخرجون مادة تجريبية في استلهام الموروث الشعبي كما أعطى الطيب الصديقي ؟

وأشير هنا إلى أن التجريب المسرحي ، تماماً كما أن استلهام التراث في المسرح .. يجب أن يكون له غرض وله وظيفة .

فالمرء يشعر أحياناً ، حيال تجربة في الإخراج أنها لا تمت إلا للترف الفني ولا تنتمي إلا إلى الارستقراطية الفنية ..

المسرح له مشاكل معروفة .

والتجريب أخلق به أن يكون توجهاً فنياً نحو مشاكل المسرح ، وجهداً أساسياً في حل هذه المشاكل .

خليق بالتجريب في المسرح أن يتجه إلى زيادة شعبية المسرح وتأصيل التذوق المسرحي لدى الجماهير العريضة .

وخليق بالتجريب في المسرح في مجال الإخراج والتمثيل أن يعاون التأليف في قضية ترسيخ الفصحى في المسرح دون أن يخل ذلك بالواقعية الفنية . فالتأليف قد ساهم بمجالات متنوعة في هذا السبيل ، وبقي أن يجرب الممثل والفريق المسرحي والمخرج في التصدي لهذه القضية .

إلى آخره ..

الجوائز

إلى جانب جائزتي التأليف نال المنصف السويسي جائزة الإخراج ، ومحسنة توفيق جائزة الممثلة الأولى وسامي عبدالحميد جائزة الممثل الأول .

بينما نال عرض الكويت « رحلة حنظلة » الجائزة الكبرى للمهرجان .

وكانت الجائزة الغائبة الحاضرة هي التي نالها المسرح العربي كله بالمستوى المتفوق للفرق المشاركة ، وهو المستوى الذي كان إشارة واضحة إلى أن المسرح العربي يجتهد لتجاوز عثراته بعزم على الابداع والتفوق سنرى آثاره في المستقبل القريب ..

فالنهضة ماثلة وممكنة ، وحشد المسرحيين الذين اجتمعوا في بغداد قد وعدونا بها .

الفريد فرج



« الدجال والقيامة » تأليف عبد الكريم برشيد



« من أين هذه البلية ؟ » .. إخراج المنصف السويسي



« صانع الاحلام » .. إخراج ريمون جبارة

المعرفة في مسرح شكسبير



شكسبير ..
لم يتعلم فى جامعة ولكنه علم نافسه فاكتسب من المعرفة الانسانية ، ما لا يستطيع استيعابه أكبر الجامعيين

بقلم : عبدالحق فاضل

● اتساع المعلومات وكثرتها وتنوّعها في مسرح شكسبير دفع بالكثيرين إلى إنكار قدرة شكسبير على كتابة المسرحيات المنسوبة إليه !

● شكسبير لم يتعلم أكثر من ست سنوات في مدرسة ثانوية ، والبعض يقول إنه لم يكمل هذه السنوات السّت

بديهي أن الكلام على معارف شكسبير التي كان نصيبها من الجدل أكبر مما نالته أية واحدة من النقاط الأخرى المجهولة تفاصيلها في حياته ، يتطلب البدء ببدايته المدرسية التي كثر الجدل فيها كذلك لما يكتنفها من غموض واحتمالات . لا يوجد تسجيل عن دخوله أية مدرسة مثلما توجد نصوص عن تعميده وزواجه وشرائه ثاني أكبر منزل في بلدته (ستراتفورد) مثلاً . لكن في جملة السجلات الباقية أن أباه « جون شكسبير » انتخب عام ١٥٦٨ محافظاً للمدينة حين كان هو طفلاً في الرابعة . « وكان مشروطاً في ميثاق ستراتفورد أن يكون في البلدة مدرسة ثانوية (١) مجانية لتعليم الأطفال وتربيتهم » (٢) . ومن الطبيعي ألا يتردد رجل يتسنم أرفع منصب في المدينة في إدخال ابنه هذه المدرسة عند بلوغه سن الدرس . لكن هذا الأب اعتزل المنصب بعد تسع سنوات ، في ١٥٧٧ ، حين كان الابن في الثالثة عشرة ، لسبب لا يزال مجهولاً ، ويرجح أنه صدمة مالية مفاجئة .



مارك أنطونيو في «يوليوس قيصر»



الممثل كولن بلاكلي في مسرحية «تيتوس اندرينيكوس»

والسؤال هنا هل استمر الابن (وليم) في الدرس بعد ذلك أم سحبه أبوه من المدرسة ؟

أما اللاشكسبيريون — الذين يعزون المسرحيات إلى أشخاص آخرين غير شكسبير ابن بلدة (ستراتفورد) Strat Ford — فيتمسكون برواية (راو) Nicolas Rowe التي تقول «إن عسر ظروفه وحاجته إلى مساعدته في المنزل أجبرا أباه على سحبه من المدرسة» (٣) لكن أقاويل (راو) لا يوثق بها دائماً لأنه كان أشبه بحاطب الليل، جمع كل ما صادفه من حكايات واشاعات دون تمييز بين خطأ وصواب حتى لقال فيه (أدموند مالون) Edmund Malon بعد طول تحقيق: «إن نيكولاس راو أدلى باحدى عشرة إفادة من حياة شكسبير، ثمان منها يمكن البرهنة على بطلانها» (٤)

وقال بعض من ينكرون أصالة هوية شكسبير: «حين كان (ويل شاكسبر) Will Shak Sper في الثالثة عشرة كان أبوه يعاني مصاعب مالية كانت ستزداد خطورة، وربما كان قبل ذلك يفكر بامعان فيما إذا كان يسمح بأن يدع من يستطيع الكسب في العائلة متمتعاً بترف الذهاب إلى المدرسة» (٥).

إننا نحسب أن الأب — محافظ البلدة السابق — كان أرقى تفكيراً من هذا، فمن المستبعد أن رجلاً مثل (جون شكسبير) المثقف الطموح كالذي يظهر من سيرته يحرم ابنه من الاستمرار في الدرس، بعد المضي فيه نحو ستة أعوام، ليكون شيئاً ما في المستقبل.. لا يصده عن ذلك عسر مالي، ونحن نرى الكثيرين من فقرائنا العوام الأميين يصرون على تعليم أولادهم ولو بحرمان أنفسهم ضرورات المعيشة لتوفير متطلبات فلذات الكبد، حتى الدراسة العليا.

على أن هذا الأب «لم يكن قط بالرجل المعوز ولا كان عليه أن يتخلى عن ثلاثة بيوت كان يملكها في شارع (هنلي) Henley (٢)».

ويقول المصدر المعارض لأصالة شكسبير في شيء من الحماسة: «إن المانع الأكبر من ذهاب (شاكسبر) إلى المدرسة نادراً ما ذكره (الستراتفورديون) وهو أن المقدرة على القراءة والكتابة كانت شرطاً للقبول في مدرسة ستراتفورد» (٤). ولعدم ظهور تسجيل عن وجود مدرسة أولية يتعلم فيها الصغار حروفهم الأولى التي تؤهلهم لدخول تلك المدرسة الثانوية طفق الشكسبيريون يتكهنون ويقترحون معلمين خصوصيين من الأفراد الذين حفظت السجلات

أسماءهم باعتبار أن ابن جون شكسبير ربما كان قد تعلم عليهم. ومهما يكن من سداد التخمينات أو خطلها فهي لا ضرورة لها لأن الأمر لا يخص الصبي وليم شكسبير وحده بل هو يشمل جميع أطفال البلدة، فما دامت هناك مدرسة ثانوية تشترط معرفة القراءة والكتابة للقبول فلابد أنه كان ثمة تدبير ما للتعليم الأولي وإلا لما كانت هناك مدرسة ثانوية. وإذا كان أولياء أطفال (ستراتفورد) قادرين على ذلك التدبير فمن المعقول أن يقدر عليه رئيسهم، السيد المحافظ.

على أن تلك المدرسة لم تعلم شكسبير شيئاً عدا اللاتينية أما المواضيع الأخرى فقد تعلمها بنفسه فيما بعد في لندن(٢) بل اننا نعتقد أنه تعلم الكثير من قراءاته الخاصة في كتب القصص والرحلات والأساطير، قبل الرحيل إلى لندن أيضا.

سعة معارفه

كثيرون من الباحثين أنكروا على شكسبير هذا (الستراتفوردي) أن يكون هو مؤلف كل تلك الذخيرة العالمية من المسرحيات الفذة، واقترحوا لها أشخاصاً آخرين من معاصريه من كبار العلماء أو خريجي الجامعات. والذي جنى عليه هذه الجناية سعة معارفه المتنوعة في مسرحياته عن شؤون البلاط وقصور النبلاء وما يتصل بحياتهم وأطوارهم من أمور الصيد والفروسية والألعاب والمراسم، بالاضافة إلى شؤون الجندية والقتال والملاحة، وبالاضافة إلى الجغرافيا والتاريخ والأساطير والقانون، مما لا يمكن أن يكون قد تعلمه في تلك البرهة المدرسية الوجيزة. وقد استقر اختيار معظم (الشكسبيريين) أخيراً على ايرل اكسفورد (ادوارد دي فير) (٥) لأنه جامعي، وجندي، وحقوقي، وشاعر، ومؤلف مسرحي، وعلى معرفة حسنة بلغات أجنبية مختلفة ومنها الإغريقية واللاتينية، وبلاطي، بل الشخص الأول في البلاط وفي الدولة بعد الملكة اليزابيث.



المعرفة في مسرح شكسبير

ولو كانوا قد اقترحوا علينا ــ أنت وأنا ــ أن نرشح أحد الرجلين ــ ابن ستراتفورد أو ايرل اكسفورد ــ ليؤلف لنا هاته الروائع المسرحية لما كنا ترددنا كلانا في اختيار الثاني. لكن ما العمل وشكسبير لم يخضع، أو لم تخضع عبقريته لهذه الاعتبارات الصريحة التي ترجح كفة اكسفورد عليه؟

ثمة براهين ووثائق تؤكد أن مؤلف المسرحيات إنما هو شكسبير ابن ستراتفورد ولا شكسبير سواه، وأخرى تؤكد أنه لا يمكن أن يكون هو اكسفورد، ستأتي أنباؤها.

قبل كل شيء يجب أن نتذكر أن أنبغ الشعراء والأدباء في الدنيا ليسوا هم الذين درسوا الأدب والشعر في الجامعات.

كذلك يجب أن نلاحظ أن روائع شكسبير ليس فيها ما ينبئ بتخصص المؤلف وتعمقه في أية فلسفة أو علم جامعي، وإنما هي معارف عامة يمكن أن يلتقطها أي مثقف طلعة ذكي الفؤاد من قرآءاته الغزيرة ومسموعاته ومخالطاته التي تنبئ القرائن أنها كانت كثيرة. كما أنه ما من جامعة تعلم طلابها كل المعارف التي جاء بها شكسبير، ولا سيما دقائق الشؤون الاجتماعية والمعاشية لمختلف الطبقات في المدينة والقرية، مع معرفة دقيقة في الزراعة وأنواع النباتات والحشرات والطيور والزهور بريها وبساتينها... مما عرضه عرض خبير في مسرحياته.. بالاضافة إلى ما تقدم ذكره من شؤون الصيد والملاحة والأساطير.. كأنه يعرف كل شيء. إن معلوماته على ضخامتها جهد شخصي قطعاً. حتى لو كان المؤلف هو اكسفورد حقاً لكانت هذه المعرفة الفسيحة الأبعاد المتعددة الجوانب المتنوعة المذاهب مستغربة منه ولكان علينا أن نحاسبه خاصة على معرفته بمختلف مناحي حياة الطبقة الدنيا ونسائله: أنى لك هذا؟

أما قولة جونسن المشهورة إن شكسبير كان يعرف القليل من اللاتينية والأقل من الاغريقية فقد تعني أنه لم يكن يحسن الكتابة بهما، لكنه لا يعني أنه لم يكن يحسن قراءتهما. كثيرون من العرب يعجزون عن كتابة بضعة سطور صحيحة بلغتهم العربية نفسها لكنهم يملكون ثقافة واسعة في قراءة الكتب والمجلات بكل سهولة.

الذي نراه أن الشيء الذي تعمق فيه شكسبير وتخصص ولم يباره أحد فيه من العلماء والجامعيين المسرحيين، هو تعمقه ببصيرته الثقافية وحسه الرهيف، في (علم الحياة)، ومنه التغلغل في مختبآت النفس والنبش في أسرار العلاقات البشرية. تدعم ذلك قوة ملاحظته ودقتها، وصفاء قريحته وتدفقها، ونشاط ذاكرته واستجابتها عند الطلب واستحضارها الفوري للملابسات والمتشابهات والمتناقضات من الأحداث والأفكار والأشياء، والالفاظ... وتتوج ذلك كله موهبة فريدة في التعبير.

إنها معارف انسانية مما لم تعلمه ولم تتعلمه أية جامعة إليزابثية أو غيرها، ولا وجود له في مدرسة غير (مدرسة الحياة) يغترف المرء من منهلها على قدر سعة مكياله.

وقد ساعد على كل شيء أنه خلق منذ البداية ميسراً للمسرح تمثيلاً وتأليفاً. قال فيه (وارد) Ward كاهن البلدة: «سمعت أن مستر شكسبير كان قريحة فطرية دون أي فن (تعلم) على الاطلاق. وكان يختلف إلى المسرحيات كل أيام حداثته» (٢). وعندما يشغف الانسان بشيء أو هواية أو يتعشق فناً، لا يمكننا أن نتصور الجهود التي في وسعه أن يبذلها والمحاولات التي قد يندفع فيها والطاقات التي قد تفجره ويفجرها في سبيل الوصول إلى مبتغاه والتمكن من تعلمه واتقانه. وقد عشق شكسبير المسرح صبياً، ولابد أن ذلك قد قاده إلى قراءة كل ما وقع عليه من حكايات وأساطير وكتب رحلات.. مما حولته طبيعته وموهبته إلى شعر ومسرحيات ــ كالنحلة ترشف طلعاً وتمج شهداً.

● كيف استطاع شكسبير أن يدرك خبايا البلاط وقصور النبلاء، وهو رجل من أوساط الناس وبعيد كل البعد عن المجتمع الأرستقراطي

؟!

فهذا الولع قاده فيما يظهر إلى المسرح حين نزح من بلدته إلى لندن فالتمس العمل ممثلاً أول الأمر لا محالة، ثم اكتشف موهبته مؤلفاً أيضاً. ومن ذلك قول (ليونارد ديقز) L. Digges فيه: «إن الشعراء يولدون، ولا يصنعون» (٢). ومثل ذلك قول أحد الشخوص في مسرحية (العودة من بارناسوس) (٦) من باب التهكم «إن صاحبنا شكسبير أقدر على انتاج المسرحية من أي رجل تعلم في جامعة» (٢) فهذه المسرحية التي ألفها طلاب جامعيون من كمبرج تؤكد أن شكسبير لم يكن جامعيا مثل اكسفورد. ويوضح تهكمها عن نقمة الجامعيين على شكسبير لمنافسته إياهم وتفوقه عليهم.

كل الظواهر تدل على شراهته القرائية التي كانت ولابد جد واسعة كما يتجلى في معلوماته هذه المتنوعة المتباينة التي تكاد تشمل كل ما في حياة الناس ووجداناتهم وخفايا عالم الحيوان والنبات والصناعة والزراعة، وكل شيء. ونحسب أن نقص دراسته النظامية كان له الفضل في تأجيج شهوة القراءة عنده واستفزازه إلى الحفظ وإعادة القراءة كما يفعل الطلاب. نستنبط ذلك من كثرة الأسماء الأجنبية الغريبة والأحداث والعقائد والايماءات الأسطورية التي لا يمكن استظهارها واستحضار الذاكرة لها بتلك السهولة والعفوية والغزارة، من قراءة واحدة ولا من خمس قراءات عابرات، ولا سيما ما يطالعنا في مثل مسرحية (تيتوس اندرونيكوس) المحشوة بأسماء أشخاص وأحداث أسطورية مزدحمة مع أنها من أوائل مسرحياته، مما يدل على أنه تعلمها مبكراً في شبابه. فإنما هو الشوق المشتعل إلى التهام المعرفة، والاستظهار الدؤوب شأن التلميذ الجاد يتأهب لامتحان عسير. وما أكثر ما كان تعليم الذات أنجح وأجدى من تعليم الجامعات. فكم يا ترى من فطاحل علماء الانكليز وأساتذتهم الجامعيين كان يعرف كل تلك الأساطير الاغريقية والرومانية التي ذكرها أو لمح إليها شكسبير؟ ولابد أن تعييره من قبل خصومه بالافتقار إلى التعلم كان يزيده إقبالاً على القراءة والدرس ليبرهن لهم في مسرحياته، وقد فعل، على أنه لا يقل عنهم، بل يفوقهم معرفة بالتاريخ والأساطير وغير ذلكم من متطلبات التأليف المسرحي. وبعد هذا لا يجوز أن تدهشنا معرفته الدينية التي تعرضها لنا استعاراته في كثير من المناسبات من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

على هذا إخال أن من حسن حظ شكسبير أنه لم يتخرج في جامعة، إذن لفقد الكثير من مزاياه

(الشكسبيرية) ولاسيما نزعة التمرد والخروج على القواعد الفنية المتوارثة التي رسختها الدراسات التقليدية في نفوس غيره من خريجيها وعقولهم فلم يعودوا يستطيعون منها فكاكاً . وحري بالنقاد والشكسبيريين أن يقدروا لهذه الظاهرة وزنها في المقارنة بين شكسبير ابن ستراتفورد و(الشكسبيريين) الآخرين المزعومين .

معارفه الحقوقية

من المعارف التي ينكرها اللاشكسبيريون على ابن ستراتفورد ثقافته الحقوقية ومعرفته بالمصطلحات القانونية التي لا يمكن أن تتأتى من المطالعات العامة . من ذلك مثلاً قوله في المحامي في مسرحية هاملت : « أين سفسطته الآن وتورياته ؟ وقضاياه وعقوده ؟ وألاعيبه ؟ ... رهونه والتزاماته واستقطاعاته وكفالاته وتحويلاته ؟ » (٧) .

لهذا كان (فرانسز بيكن) F. Bacon الحقوقي العلامة من أوائل الأشخاص الذين عزيت إليهم المسرحيات . لكن المتأخرين يقولون إن في بعض المسرحيات من الأخطاء الحقوقية المضحكة ، مالا يمكن أن يتورط في مثله (بيكن) .

فمن جهة لا يمكن أن تصدر معرفته هذه الحقوقية عن جاهل بالقانون ، ومن جهة لا يمكن لأغلاطه تلك « المضحكة » أن تصدر عن عالم بالقانون . ويفترض بعضهم أن شكسبير كان قد عمل في شبابه كاتباً متدرباً عند محامي البلدة أو عند سواه حيث تلقى « معرفته الباهرة بالقانون والمصطلحات والاجراءات القانونية » (٣) الآنف ذكر نموذج منها . ومع عدم تأييدنا لصحة « معرفته الباهرة » نرى أن تدريبه عند أحد المحامين يعطي التفسير المعقول للمشكل فيكون شكسبير قد مارس العمل الحقوقي وقتاً ما ، وتعلم المصطلحات وبعض المعاملات دون أن يتفقه ويتعمق . وما دام اللاشكسبيريون لا يفترضون إلا أسوأ الفروض ليدحضوا حتى الحقائق المسجلة فمن حق الشكسبيريين الموضوعيين أن يأخذوا بالمعقول المنطقي من الافتراضات حلاً لمشاكل غياب التسجيل .

معلوماته البلاطية

ومما يرجح كفة ايرل اكسفورد على شكسبير ـ لدى اللاشكسبيريين ـ المعلومات البلاطية المعروضة في أرجاء المسرحيات التاريخية . لكن فئة من الباحثين يقولون إننا لا نعلم مدى صحة المعلومات الشكسبيرية عن البلاط ورسومه وتقاليده . وهي فيما يلوح كلمة حق لا يحسن



سير لورانس أوليفيه « شايلوك » في مسرحية « تاجر البندقية »

إغفالها . فلو ظهر الآن كتاب قديم من عهد شكسبير أو حواليه ، يصف حياة البلاط وسير الأمور والمقابلات الملكية والسفارات فيه وصفاً دقيقاً صحيحاً لظهرت أخطاء شكسبير البلاطية مثل ظهور أخطائه الحقوقية والجغرافية ، التي ستكون خير دليل على أن شكسبير هو شكسبير وأن مسرحياته مسرحياته .

لقد ظهر في مسرحيته (يوليوس قيصر) مثلاً بعض مظاهر الحياة الرومانية مثل الساعة الدقاقة وعصب الرأس بمنديل في حالة المرض وحمل الحرفيين شارات حرفهم عند السير في الشوارع . فلو لم يعرف الانكليز عن يقين أن هذه الشؤون وأمثالها مستعارة من الحياة اللندنية في العهد الاليزابثي ولا وجود لها عند الرومان لقال اللاشكسبيريون : « ما أعلمه بدقائق الحياة الرومانية » ولكانت حجة لديهم على أن شكسبير لابد أن يكون العلامة ايرل اكسفورد المتضلع من تاريخ الرومان .

وما أدرانا كيف كان شكسبير يستكمل ما ينقصه من معرفة بحياة البلاطات وأطوار النبلاء ؟ وما أكثر من كتبوا في أوربا وغيرها عن البلاطات وحيوات القادة والملوك والنبلاء وكبار الساسة المتنفذين وهم لم يدخلوا عمرهم بلاطاً ولا قابلوا ملكاً ولا قائداً ولا سفيراً . ولابد أن الكثير مما كتبه شكسبير عن ذلك تضمن أخطاء ونواقص شأنه في القانون والجغرافيا وسواهما .

يقول بعض المنكرين عن شكسبيرهم (ايرل اكسفورد) : « من الواضح أن عالم الملوكية والنبالة هو العالم الذي كان يشعر فيه أنه في بيته .... ولا توجد ولا شخصية واحدة مجسدة تجسيداً كاملاً في طبقة المجتمع التي ينتمي إليها (شكسبير) ـ أي ابن ستراتفورد ـ ... لقد كتب شكسبير عن أفراد بواقعية تجعلهم أحياء إلى اليوم كما كانوا في أي وقت . إنه رسم صوراً من الحياة التي عرف » (٤) .

فهل كان المتشردون والأوباش الذين صورتهم المسرحيات « بواقعية تجعلهم أحياء إلى اليوم » كانوا من الحياة التي عرفها شكسبير البلاطي ، ايرل اكسفورد ؟

لقد كتب شكسبير باتقان وواقعية عن السوقة ، وعن اللصوص وقطاع الطرق وغيرهم من أبناء الحياة الدنيا التي لم يعرفها اكسفورد ولا شكسبير الذي لم يندمج فيها ولعله رأى نماذج منها بقدر ما رأى وسمع سواه من الناس . وأكبر الظن عندنا أن بعض زملائه المسرحيين رأى وسمع أكثر مما سمع هو ورأى من أنماط حياة العالم السفلي اللندني مثل (روبرت كرين) . لكن شكسبير كان في تصويرها يقيس الكثير الذي يجهل على القليل الذي يعلم مرخياً لخياله العنان ومطلقاً لقلمه حرية البيان . مثل هذا يقال عما سمع عن حياة (البلاط) وشاهد من أنماطها ـ عن طريق اندماجه مع النبلاء ، والباقي تكفل به ذلك الخيال الحي الجواب .

أما (التجسيد الكامل) للشخصيات فلم يقصره شكسبير على العلية لأنهم علية وإنما كان يعني بتصوير الشخصيات الرئيسية في المسرحية من أية الطبقات كانوا . وقد كان التقليد المتبع في القصص القديم أن يكون أبطال الحكايات من الأكابر . حتى المؤرخون كانوا ـ وما زال الكثيرون منهم ـ يؤرخون الأقطار والشعوب بأخبار القادة والحكام . فاذا اتفق أن كان في القصة شخيص (٨) من عامة الناس أو غمارهم نال من قلم شكسبير نصيبه الذي يستحقه من التجسيد ، مثل (شيلوخ) Shylock الوغد في (تاجر البندقية) ، و(ياكو) Jago الوغد الآخر في (عطيل) . وعطيل نفسه شخيص المسرحية لم يكن من الملوك ولا الأمراء ولا النبلاء ذوي النسب

المعرفة في مسرح شكسبير

واللقب ، بل إنساناً نشأ مغموراً في الفقر والمصائب ، وعصامياً ، سمت به نفسه وكفايته إلى الأوج . ولم يكن تجسيد الملك جون مثلا أتم من تجسيده .

في موطن آخر يقول المعترضان . « في جميع مسرحيات شكسبير لا توجد ولا شخصية واحدة تامة التجسيد بأبعادها الثلاثة ملتقطة من طبقة المجتمع الذي ينتمي إليه شاكسبر » (٤) الستراتفوردي .

يخيل لنا أن ذينك المخلوقين الوغدين (شيلوخ وياكو) وهذا الانسان الشريف (عطيل) قد صورهم شكسبير — ولو أنهم ليسوا من النبلاء — بأبعادهم الثلاثة ، بل الأربعة . والرابع التألق .

ثم ما أدرانا أن أشخاص بيئة شكسبير — بل شخصية شكسبير نفسه أيضاً — لم يتسربوا بعاداتهم وأهوائهم وحركاتهم ونزواتهم في لمحات متفرقات ضمن الشخصيات الرئيسية التي جسدها تجسيداً كاملاً ، فساعد ذلك على اتقان تصويرها واكسابها لمحة الحياة ؟

وكيف يمكن أن تكون المساوئ والمفاسد التي أوردها في شخصيات النبلاء وقفا عليهم لا وجود واقعي لها إلا في النبلاء ؟ أي أبناء بيئة اكسفورد ؟ إن كانوا يحسبون مؤلف المسرحيات نبيلا لأنه يعرف شيئاً من أحوال البلاط فهل كان حمالاً ليعرف شؤون الرعاع ؟

إنه إنما عرف كل ما عرف بالاضافة إلى قراءاته الكثيرة ، بقوة ملاحظته وتفوق ملكته .

أما قول المنكرين « إن شكسبير كتب عن أفراد بواقعية تجعلهم أحياء إلى اليوم كما كانوا في أي وقت ، وانه رسم صوراً من الحياة التي عرف » فيوهم — إذا كان شكسبير هو أكسفورد — أن مسرحياته لا تحوي بين دفاتها الكثيرة بشراً أسوياء من غير عالم الملوكية والنبالة ، وقد نسيا كل من ذكرنا آنفاً ومن لم نذكر من أوغاد بني آدم الذين أجادت براعة شكسبير تصويرهم مثلما أجادت تصوير الملوك والنبلاء ، وهو لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وإن كان هناك من يقول إنه يمقت العامة من الناس لأنه ندد بهم في كثير من المواقف فإذا نحن أردنا أن نستنتج ونستنطق الأحداث إتضح لنا بجلاء أنه كان أشد مقتاً لأولئك العلية منه لصعاليك الطبقة الدنيا في المجتمع الإنجليزي . والجرائم والنذالات التي رواها عنهم تربو على جرائم العامة والدهماء . قرأت لأحد شراح (يوليوس قيصر) أن قتل الغوغاء للشاعر (سينا) Cinna كان أفظع قتلة أو أفجعها في مسرحيات شكسبير كلها . وقد فاته أن ثمة قتلة أبشع وأنذل تصبح تلك القتلة الشنيعة هينة إلى جانبها هي الفتك بالصبي الأمير (ادوارد) ابن الملك هنري السادس — الأعزل — حين يطعنه ثلاثة رجال أشداء بسيوفهم ، بالتعاقب في تلذذ وحشي وشماتة ، أمام عيني أمه .

وما كان هؤلاء من العامة ولا السوقة . إنهم الملك ادوارد وأخواه (هنرى السادس — ج ٣ : ٥/٥ : ٣٨ — ٤٠) . فهل هذي هي البيئة التي يجد اكسفورد نفسه فيها في بيته ؟

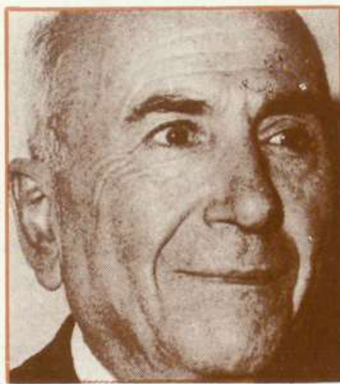
وكأني بمسرحيات شكسبير التاريخية مجموعة من التنديد بوغدية حكام أوربا ومن يليهم من السادة والأشراف في بلاده وغيرها من الأقطار الأوربية في عهود جاهليتها التي لم يضبطها دين ولا قانون ولا خلق . مجموعة قد تصلح موسوعة بشرية للقسوة والأنانية والوحشية .. إلى آخر الرذائل .

وأرى من الضروري تمحيص هذه المساوئ بامعان لتمييز ما جاء منها في مصادر شكسبير التاريخية أو القصصية وما أضافه شكسبير من عند نفسه .فبذلك نتبين حقيقة شعوره نحو الأشخاص .

مخالطة العلية

لاشك أن شكسبير تعلم الكثير من شؤون البلاط وحياة القصور من مخالطة النبلاء ،ومن تمثيله مع فرقته في قصورهم وفي البلاط . وقد ذكر (هنري جتل) Henry Chettle مثلاً أنه سمع عن أمانته واستقامة سلوكه من « كثيرين من ذوي المقام الرفيع » مما يدل على تعامل وخلطة وثيقة وأواصر عميقة الجذور معهم . وأن وصف شكسبير لنوع من صلة الممثلين بالنبلاء (في هاملت) لغني عن التعقيب . وكان النبيل (ايرل ساوثامبتن) Earl Southampton مثلاً « يذهب إلى المسرح كل يوم . أولاً ليرى المسرحية ، ثم ليسمع مسرحية ، ثم ليدرس فن التمثيل ... وكان من عادته أن يسدي نصيحة حسنة إلى جميع الممثلين عن عملهم ، كما هي على الأغلب عادة الهواة » (٤) . وحري بكل البارزين من الممثلين أن يكون لهم صداقات مع أمثال هذا الايرل من النبلاء ورجالات البلاط ، وخاصة من كان له من المزايا والخصال والجاذبية الشخصية (وللبحث فيها مكان آخر) ما كان لشكسبير .

ولابد أنه بقوة ملاحظته وموهبته الخارقة قد تعلم الكثير من شؤون أبناء تلك الطبقة وأطوار معيشتها من مرافقتهم في حفلات رياضة وصيد ، ومشاهدتهم في منافسات ومنازعات . ومخالطتهم في ظروف وأحوال لا تخطر لنا على بال . وما أكثر ما تعلمه بالسماع أيضاً دون مشاهدة . وما أصدق قول العرب : رب سامع أوعى من مشاهد .



الياس فرحات ..
ترك المدرسة وهو فى العاشرة ومع ذلك فقد أصبح من كبار الشعراء العرب وله عشرة دواوين فيها الكثير من جيد الشعر .



العقـاد ..
نال الابتدائية فقط ولكنه عن طريق تعليمه لنفسه كان من كبار المثقفين فى تاريخ العرب المعاصر والقديم على السواء

تفسير آخر يطرحه الدكتور (رايت) Dr. Right هو أنه قرأها في كتب التاريخ. «وما دام السرد في مثل أعمال (هولنشد) Holenshed وحتى المحادثات قد كتبت بنثر جيد فكل ما كان على شكسبير أن يفعله هو أن يحول النثر إلى شعر مرسل» (٤).

وبالرغم مما في هذا الرأى من تعميم فضفاض فإنه يصدق ولاشك على بعض الحالات، فضلا عن أن تفاصيل الكثير من الأحداث المعروضة في أعمال (هولنشد) وغيره من هذا القبيل تثري معلومات شكسبير البلاطية وتساعده على تخيل أحوال الملوك والنبلاء بعامة مما يجيد تعلمه والافادة منه في مسرحيات لاحقة، عقل واع متطلع كعقل شكسبير وقريحة ملبية كقريحته.

وهكذا تكونت (ثقافته) البلاطية سماعاً ومشاهدة وقراءة. وأكمل الباقي تخيلا.

وعلى أية حال كانت أخطاؤه في بعض مناحي معارفه شهادة له بأنه هو نفسه.

ملاحظـــاته

لا تلفت نظرنا وفرة معلوماته فقط بل كثرة ملاحظاته البارعة من واقع الحياة كذلك. ومن يحسن ملاحظة ما يرى يحسن تفهم ما يقرأ.

ملاحظاته في شؤون الناس يعرفها الناس وإنما تعجبنا وأحيانا تسحرنا لأننا حين نراها نحس بها احساسا غامضاً ينجلي حين ينبهنا شكسبير إليها. وقد رصد الباحثون عدداً منها قالت (فولومينا) تستعطف ابنها (كوريولانوس) ليكف عن محاربة مدينته روما: «هذا الطفل الذي لا يعرف ماذا يريد بل يركع ويرفع يديه تقليداً لنا» (مأساة كوريولانوس: ٣/٥).. ومنها قول آخر كناية عن طيبته وسذاجته في مسرحية (منتيوس): «أنا أحابى أول المشتكيين» (٤/٥).. وقول ليدى مكبث وهي تحرض زوجها على اغتيال الملك (دنكان): «لولا أنه يشبه أبي وهو نائم لكنت أنجزت المهمة بنفسى» (مكبث ٢/٢: ١٧ و١٨).. ذلك أنه ــ شكسبير ــ لاحظ أن لبعض الشيوخ ملامح مشتركة تشبه ما لأبيه.

ملاحظاته لم يعجبنا أننا لم نعرفها قبل أن يذكرها لنا، بل أعجبنا أننا كنا نعرفها ونشاطره إياها ولم يخطر لنا أن نقولها. وحين نسمعها منه نحس كأننا نحن قائلوها... وما إلى ذلك من نظرات انسانية بسيطة وعميقة تعمل عملها في القلوب لدى العامة والخاصة.

وتوجد ملاحظات كثيرة مبثوثة في مسرحياته نضرب صفحاً عنها لأن ايرادها يتطلب بيان ظروفها وشرح مناسباتها مما يطول بنا حديثه.

● حُجج الذين ينكرون وجود شكسبير وعبقريته والرّد على هذه الحُجج

كذلك شأن الكثير من معارفه.. فإنما هي من ملاحظاته القرائية. انه قرأ ما قرأ سواه، لكن سواه نسي تلك المعلومات أو اختزنها في ذاكرته وحسب لا في وعيه الكامن أيضا. فلهذا لم تنطبع في وجدانه ولا هو يستطيع استحضارها، بل الأصح أنها لا تستطيع الحضور التلقائي في مناسباتها. فكيف إذا كان شكسبير قد قرأ أكثر مما قرأ سواه، وبلهفة ونهم؟ ولابد أن هذا قد حصل. كثرة الأسماء الأسطورية الغريبة ــ اغريقية ورومانية ــ تدل على قراءات هائلة ومتكررة وذاكرة جبارة.

كم من طبيب أو محام أو مهندس.. أبدع المسرحية أو القصيدة أو القصة. ففي أية جامعات تعلموا؟

لقد نسب «اللاشكسبيريون» تلك الروائع الشكسبيرية مرة إلى (مارلو)، ومرة إلى (بيكن)، ومرة إلى (ايرل اكسفورد)، ومرات إلى نحو خمسين آخرين من الناس. وكلهم لا تصدق عليهم جميع (المواصفات) المطلوبة، مما يدل على مجرد الرغبة في انكار شكسبير على نفسه وتفضيل أي أحد عليه.. كأن شكسبير هو الوحيد الذي لا يحق له أن يكون شكسبير.

يقول المنكران (دور وثى وجارلتن): «إنه لكثير أن يسألونا أن نصدق أن كائناً بشرياً له على أكبر تقدير ست سنوات في الدراسة يستطيع أن يحرز معرفة تكاد تكون عالمية، في زمانها، كما كانت معرفة شكسبير» (٥)

كلام سمين الظاهر وهو في الحقيقة هزيل. إن عباس محمود العقاد لم يتعلم أكثر من (ست سنوات) أيضا حين أكمل دراسته الابتدائية. وكان ذلك آخر عهده بالدراسة (ولو أن هذا لا يعنى أننا نقارنه بشكسبير). ومن المعروف أنه كان أكثر الناس قراءة. وثمة (كائن بشري) آخر معروف، هو الشاعر المهجري إلياس فرحات ترك مدرسة قريته (كفر شيما) بلبنان وهو في العاشرة من عمره (٦)، أي كان له من الدراسة نحو نصف ما كان للعقاد منها، وذلك كل شيء. وقد أصبح من كبار شعراء المهجر وخلف عشرة دواوين فيها الكثير من جيد الشعر.

ولهما من الكائنات البشرية في العرب وغيرهم أمثال. وان كان خط كتابة شكسبير رديئاً كما يدعى المنكران استناداً إلى تواقيع لم يثبت أنها بخط يده ــ فتأويل ذلك فيما نظن أن دراسته القليلة لم تتح له المدة الكافية لتحسين كتابته التى لم يمارسها إلا قليلاً، على حين أنه مارس القراءة في كل ضرب من ضروب المعرفة وقع في طريقه، بغير حساب.. فتحسنت المعرفة وساء الخط.. على فرض أنه كان سيئاً حقا.

حقائق كثير عديدها إيجابية يجهد اللاشكسبيريون أنفسهم في محاولة نقضها من أجل حل مشكلة واحدة هي سعة معارف شكسبير. لا شيء غيرها يثير شكاً جديراً بكبير اهتمام. فبدلاً من أن يفتشوا عن حل معقول لهذه المعضلة يحاولون خلق ما لا يحصى من المشاكل غير المعقولة لدحض (مصداقية) هويته، وهي تأبى أن تندحض. يبحثون عن أي واحد ليخلقوا منه شكسبيراً بدل شكسبير، ولا عيب فيه يبرر تجريده من مسرحياته ومن نفسه سوى أنه عبقري (أكثر من اللازم).

عبد الحق فاضل

الهوامش

(١) (كرامر سكول) grammar school: مدرسة انجليزية شبه ثانوية تهتم بتدريس الاغريقية واللاتينية.

(٢) Marchette Chute, (Shakespeare of London)

(٣) F.E. Halliday, (The Life of Shakespeare)

(٤) Dorothy Ogburn & Charlton Ogburn jr., (Shake-Speare) (The Man Behind the Name)

(٥) Edward de vere, the 17th earl of Oxford.

(٦) The Return from Parnassus

(٧) هاملت. ترجمة جبرا ابراهيم جبرا. ص ١٤٤

(٨) الشخيص، كشريف: الشخص المهم. نستعملها بمعنى الشخصية الرئيسية في المسرحية أو القصة.

(٩) جعفر الخليلي. (هكذا عرفتهم) ج ٦/ ص ١٤٠.

(١٠) نفسه ص ١٥٧.

مناجاة أوراس

"من وحي زيارة إلى الجزائر"

شعر: محمد التهامي

إلىَ متىَ تعْظُمُ البَلْوى وتُحتمل ... «أوراس» لم يَبْقَ إلاَ أنْتَ والأَمَلُ
دَعْني إلىَ الهامة الشَّمَاءِ يغْمُرهُا ... من حُرْقَتي وهَوايَ الدَّمْعُ والقُبَلُ
فالنَّارُ في قَلْبك المطْوِيّ يُوقِظُها ... طوفانُ دَمْعى عَلَيْها وَهْو يَنْهَمِلُ
فَلَيْس دَمْعيَ ماءً إنَّهُ شَرَرٌ ... تَرمي به النَّار في جنبيَّ تَشْتَعِلُ
لا تعْجَبَنَّ إذا سالت به مُقَلٌ ... فكم تلظَّتْ على نيرانِهِ مُقَلُ
فالنَّار من أَدْمعى والنَّار في جَبَلٍ ... تَعانَقَا فَتلظَّى السَّهْل والجَبَلُ
يَالَيت طُوفانَها يَجْرى فَيَغْرقُنَا ... لا تَحْتَمى امرأةٌ منه ولا رجُل

* * *

عَفْوا عزيزَ بلادى إنْ قسا نَغَمي ... فإنَّ شيطان شعرى كاد يَختَبِلُ
مِنْ هَولِ ماذقتهُ من أخوة عربٍ ... من هَوْلِ ما أحجَموا عَنْه وما فَعَلوا
قَد أقدموا وأكفُّ القهر تَدْفَعُهمْ ... إلى الهَوانِ وظَنُّوا أنّهم وصلوا
وأحْجَموا في انتفاضاتٍ مُبَعْثَرةٍ ... كَمَا تَعَثَّر في أقْدَامِهِ الثَّمِلُ
لَمْ يأبهوا لسياط الذُّلِّ تصفعهم ... ونازَعوا في قُيودِ الذُّل واقْتَتَلوا
وعَرْبَدوا وبِساط الأَرْض تَحْتَهم ... يُطْوى حثيثاً وتمضي منهمُ السُّبل
عبُّوا الضَّياعَ وذاقوا مُرَّ غُرْبَتهِ ... واستمرأوا السُّمَّ ظَنُّوا أنه عَسَلُ
تَبَرَّأتْ أرْضُهم مِنْهُم وخَاصَمهَمْ ... حُرُّ الترابِ الَّذى في وجهه وَحِلُوا
لَنْ يْغسلَ البَحْرُ وَحْلاً عَنْ شَقِيهمُ ... وَلَوْ قَضى عُمْره في البحر يَغتَسِلُ
فالأرضُ من تحتهم عَافَت بُنُوَّتَهمْ ... وان هَمَتْ مُقلتاهَا بَعْدما انتقَلُوا
يَاويلها أمنا الثكلى قد افْتَقَدَتْ ... كَلَّ البنينِ بِمَنْ حَلُّوا ومَن رَحَلُوا
وأُرْغمتْ وَهْى عَزْلاءٌ ومُوثَقَةٌ ... عَلى لَقِيط يُنادِيها فَتَمْتَثِلُ
لَولا قيود تشُـدُّ الأرضَ محْكَمَةٌ ... لا يُسْتطاع عَلى إحْكَامِها عَمَلُ
لَزُلزلَتْ أَرْضُنا في كلِّ نَاحيةٍ ... وأسكنت جَوْفَها كلَّ الألى نَزلوا
لَم يبق إلا بَنوها اينمَا وجدُوا ... مَهْمَا تَناَءوا فَفَى إقْدامِهم أمَلُ

إنْ يَمْلِك الغولُ كلَّ الأرض قَاطبةً ... فَزُمْرةُ الحق لاتعييهم الحيلُ
إنْ يَغْرِسوا الموتَ شَبَّتْ حولَه قِمَمٌ ... تَرمْي الحَيَاة حَوالَيْهَا فَتَتَّصِلُ
ويلبث الناس طَعْمُ الموت في فمِهم ... لأنهم من حياض الموت قد نَسلوا
أبناء موت إذا ما الهول لاحقهم ... تَغْدُو المنى عِنْدَهم أنْ يسبْق الأَجَلُ
وَلَوْ فَنُوا كلُّهُم تَبْقى جُذُورُهُمُ ... علىَ الكَرامة تنْمو ثم تَكْتَمِلُ
وَيبرأ الجُرح مهما اشْتَدَّ نازِفُهُ ... إنَّ الجراح على الأيام تَنْدَمِلُ
إلاَّ جراحٌ يسيل السُّمُّ في دَمِها ... مِنَ الهوان فليست مثلها عِلَلُ
مِنْها اللَّظى للذى يَرْضى مذلَّتهُ ... وللمقاوم منها في الدُّجى شُعَلُ
وتَعْرِفُ النصر خَطَّ الدمُّ وِجْهَتَه ... حُرُّ الدِّماءِ إلى أَهْدافِها تَصِلُ



«أوراس» إنْك في الدُّنيا مُعَلِّمُنا ... فَمِنْ رحابك دَوْماً تَلْمَعُ المُثُلُ
كَانت أَعاديكَ أَطْواداً مُسَلَّحَةً ... تَطغى وَليس لِمَخلوقٍ بها قِبَلُ
وأنت زُمرةُ أفراد مُبَعْثَرةٍ ... لكنَّها بسيوف الحَق تَشْتَمِلُ
لَم تَرهبِ الموتَ بَلْ مارسْته هدفاً ... تَسْعى إليه وتدعوه وتَبتهلُ
أعطيته باقة المليون باسمةً ... كَأَنَّها بلِقَاءِ الموتِ تَحْتَفِلُ
فأَصْبَحَ الموتُ في كفيكَ صَاعقةً ... ذَابت جُنودُهُم فيها يَا حَملوا
شلَّتْ مدافعُهم وارتَدَّ صَاعِقُها ... لَمَّا طَواها ذِراعٌ مَدَّهُ بَطَلُ
إن الأَظَافر والأسنان إنْ صَدَقَتْ ... تَغْدو السلاحَ الذى تَعْنو له القُلَلُ
وإن مَسَّها الوهْنُ حُبُّ الموتِ يدفعها ... يَشْتَدُّ فيها ويجْلُوها فَتَنْصقِلُ
ولا تَنْثَني عَنْ مراميها ذخيرتها ... ولاتخيبُ ولا يَنْتابها الخَلَلُ
«أوراس» هذى دروس منك بالغة ... أبناؤك الصيدُ للدُّنْيا بها رسُل
جئناك يَشْرب من مغْناك ظَامِئنا ... لِيلْتَقي فيك من عَلُّوا وَمنْ نَهلُوا
في حِضْنك الدوح أغصانٌ مجنَّحَةٌ ... ونحن مِمَّنْ عليه الدَّوْح يَشْتَمِلُ
فَلَيسْ بِدْعاً إذا جئناكَ في أمَلٍ ... «أوراس» لمَ يْبقَ إلاَ أنت والأَمَلُ

بـدويّ الجبـل .. وإخاء أربعـين سـنـة

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

الشاعر الكبير بدوى الجبل مع كاتب المقال

رحلة الشاعر في دنيا الاغتراب

بقلم: أكرم زعيتر

في زيارة خاطفة لبيروت سنة ١٩٦٠ توالت لقاءاتنا. وكنت أحمله على ترك عزلته وبراح بيته، ومسامرة نخبة من الأصدقاء الأدباء ورفاق الدرب القومي في مكتب صاحب « الحياة » الاستاذ كامل مروة، نابغة الصحافة.

وبينا نحن نتسامر صك أسماعنا نبأ وفاة جميل مردم بك الزعيم السوري الداهية في القاهرة، وقال الناعي: « ونقل جثمانه إلى دمشق التي عرفته مناضلاً فذاً ومقارعاً شجاعاً عنيداً ورئيساً لوزارتها الوطنية ووزيراً لخارجيتها، ولم تودعه القاهرة التي عرفته سفيراً ألمعياً، ومن بناة الجامعة العربية ومؤسسيها، الوداع اللائق، وإن وفاه بعض حقه في صحفها الاستاذ حبيب جاماتي .. » وكان تأثرنا بالغاً .. ونهض البدوي لينتحي زاوية من « الصالة » ..وقد امتقع وجهه، وترجمت العبرات في مقلتيه. وراح يكتب رثاء في غير تلبث .. (وآليت أن أفيه بعض حقه في أربعينه وقد فعلت).

وظهرت « الحياة » صبح اليوم التالي وفي صدرها مقال البدوي وعنوانه: (حياة بطولة) تجاوز الغاية في الروعة، وقد بدأه قائلاً: « رقد مجهداً بعد الكفاح الطويل المرير. في ثرى المدينة الخضراء. التي أحبها فوهبها الريق من شبابه والوسيم من طموحه على قيد خطوات من رفاق جهاده وأمجاده، وإذا منع الموت فوزي الغزي وعادل العظمة ونجيب الريس واخوانهم من السيوف المغمدة في التراب، المثلمة من الضراب، أن يرحبوا بالصديق العائد من معركة الحياة، فلا



بـدوي الجبل وسبحـة حـبيب كحـالـة



لقاء في فندق شبرد في بحمدون عام ١٩٥٩ من اليمين : أكرم زعيتر ، بدوي الجبل ، كامل مروة ، إميل بستاني خليل تقي الدين ، الياس فرحات ، محمد قرة علي ، الشاعر القروي



جميل مردم بك



مع الأديبة كوليت خوري ووزير الاعلام السوري السابق الأديب د . سامي الجندي ويقف بينهما أحمد نجل البدوي

أقل من أن ترحب القبور بالقبور والذكريات بالذكريات . وإذا عز الوفاء عند جيل من الناس لهؤلاء الأبطال الذين يتساقطون واحداً بعد الآخر في زحمة الردى وغمرة النسيان ، بعد أن هدتهم المعركة اللاهبة هداً .وألحت عليهم أربعين عاماً توسعهم ضرا ويوسعونها كبرا ، وتركت سماتها جراحاً فوق جراح على جباههم وصدورهم ، تعودوا أن يعطوا المعركة الجبهات والصدور ، حيث تتألق البشاشة ويضطرم الإباء ، إذا عز الوفاء عند جيل من الناس أو عند الجحدة من الناس . فلن يعز على النسمة اللينة الساجية تغمر قبورهم بعبير ميسلون وأغنيات بردى وأحلام قاسيون وزغاريد جلاء . ولن يعز الوفاء على الأيك الملتف ، يحنو على القبور الظمأى بأفيائه وأندائه على ندة قمر ، على أغرودة بلبل » إلى أن قال : « لقد أغفى جميل مردم اغفاءته الأخيرة في حضن الخميلة الزهراء ، في عنفوان الربيع . في جوار النخبة من إخوانه على أطياف ذكريات كأنها ندام الحور ورفيف أجنحة الملائكة . أطياف السجون في أرواد والحسكة . أحكام الاعدام . المنافي والتشريد .. » وراح البدوي يردد ذكريات بطولات قومية للفقيد :

« ومن هذه الذكريات ما يندى بمرح الطفولة ، ومن هذه الذكريات ما يلفح بجمرة الشباب . ومن هذه الذكريات ما يغمض عينيه على كهولة تحلف أنها والشباب من جوهر واحد ، ومن أريحية واحدة . تتمرد على السقم ، وتتكبر على الداء ، وتحمل أعباء الستين في مرح العشرين ، وتداور المرض كما داورت السياسة سنين طوالاً ، حتى روضته وتألفته فخلعت عليه طلاقتها ، ولم يستطع أن يخلع عليها عبوسه .. »

« نشأ جميل مردم والقضية العربية لدات طفولة وشباب ، فأصفاها الكريم من وده ، والمترف من عهده ، وبدت طلائع عبقريته في مؤتمر باريس العربي (١٩١٣) رائعة في زينتها ، أصيلة في سجيتها ، وتوسم أصحاب الفراسة من كهول القضية وشيوخها بالشباب الكيس الأنيق الطموح بشائر زعامة ، وفواتح رئاسة ، وعنوان فتوح ومقدمات نصر » .

ووصف مردم بك ورباطة جأشه ورحابة صدره وسعة حيلته « واقعي التفكير ، ولكنه لا يضن على الواقع بنشوة الخيال وجوانح الإيمان » ، وعرض مشاهد قصيرة متتابعة من حياة مخصبة عريضة مشرفة ، منها استطاعته أن يحول الأقلية الوطنية في المجلس النيابي إلى أكثرية ترد المعاهدة الفرنسية « ويعلم المندوب الفرنسي بذلك وهو في المجلس النيابي ، والجلسة معقودة ، فيهرع إلى المنبر ليعلن حل المجلس وليفوت على الوطنيين نصرهم ، ولكن ابن مردم تقحم المنبر تقحماً ، ونحى عن ذروته المندوب الفرنسي ، وبادر الجميع بطرح المعاهدة على التصويت فطرحت ورفضت وقد تم كل ذلك في دقائق معدودات ، خلعت عليها رجولة ابن مردم وإخوانه أعمار السنين الطوال » ... « وكان في أسلوب كفاحه يكر ويفر ويتقدم ويتأخر ، ويظهر ويختفي ، ويشتد ويلين ، ولكنه يأخذ على عدوه في كل هذه الحالات كل الثنايا ، فلا يترك له ساعة للهدوء ، ولا فترة للراحة . بل يشيع القلق في صفوف العدو في كل ناحية ، وعند كل زاوية ، وهو رابط الجأش طلق الأسارير ، كلما انتهت واحدة من مكائده في العدو ، مد يده إلى جراب دهائه فأخرج من جديده ما يزري بالقديم » .

سمراء

ولحظت أن صاحبي قد أعجب بسمراء لبنانية قد فتنته رقتها ، وأخذته لباقتها ، ولكنه لم يبح لها بإعجابه هذا .. ثم فوجئت به ينظم أبياتاً ، وأراد الاستاذ كامل مروة صاحب « الحياة » أن ينشرها فاشترط عليه ألا تكون موقعة باسم الشاعر ، فنشرها ومهد لها بقوله : « لعل غواة الشعر يعرفون صائغها من درره » .

فديت سمراء في لبنان لو رضيت
هوت لسمرتها الأقمار سمارا
قدسية الحسن ، يستجدي براءتها
عاري الذنوب فيكسي الطهر والغارا
يوزع الليل من أحلام غفوتها
عطراً ويبدع أطيافاً وأسرارا
شعري وحسنك ـ أغلى الله سحرهما ـ
كلاهما صيغ أطياباً وأنوارا
جاران فوق جبين الشمس قد نزلا
لا ينبل الجار حتى يكرم الجارا

• • •

لا تعجبي من صبابات الكهول ولا
تروعي الشيب إجفالاً وانكارا
نحن المحبين أغرار وقد زحمت
غرارة الحب أقداراً وأعمارا
أكرمت حسنك بالأشعار مترفة
هل يكرم الحسن أحزاناً وأشعارا
إن شطت الدار عن عيني فما رضيت
لغير لبنان أحباباً ولا دارا

• • •

وقبل أن أبرح بيروت قدمت للبدوي كتاب الرسائل الفلسفيه لفولتير وقد ترجمه شقيقي عادل قبيل وفاته وحرصت على نشره في دار المعارف بعد وفاته . وكتبت للحياة مقالاً سكبت فيه رأيي صريحا في الأوضاع العربية .

أنت كالربيع

وكتبت فور عودتي إلى نابلس رسالة مؤذناً البدوي بوصولي ومتحدثاً عن بعض شؤوننا

رحلة الشاعر في دنيا الاغتراب

وشجوننا ، وما لبثت حتى تلقيت منه الرسالة التالية :

« أنت كالربيع تسكب زيارتك في سرائر إخوانك العطر . وتفارقهم فتترك لهم نشوة الذكر ، ولكن الربيع أحنى منك قلباً فهو يطيل الإقامة ليمتع العيون والقلوب بنعمته طويلاً وأنت توجز الإقامة فتنغص على محبيك هناءتهم فيك . وعذرك واضح فربيع الطبيعة يفنى في حر الصيف ولهيبه ، فهو يتأنى لذلك ويتريث ، وأما ربيعك فهو يتركنا إلى ربيع آخر . ربيع أم سري وأعزائها . وما شاء الله من طيوب الحنان والحب والإيثار ومن الجنة مختصرة في لهفة زوجة ورنوة طفل .

لقد كان للمقال دوي ورجة أي رجة ، ولا أقول لك ذلك تظرفاً أو تحبباً أو فضولاً أو كلمة مجاملة ، بل أقول بعض ما لقيه مقالك من صدى في جميع الأوساط ، ولا غرابة في ذلك ، فإن وجدان الأمة ما يزال سليماً رغم ما ران عليه من صدأ ، فهذا الوجدان يتأثر ولو مؤقتاً لكل ما تمليه العاطفة الصادقة والمنطق السليم والبيان المجنح ، ولو سلمت الحريات لهذه الأمة لرجعت إلى هداها فترة لا يطول أمرها ولاستطاع إيمان المؤمن أن يدحر كل ضلالة وكل زيف وكل تهويل وتدجيل . ومقال كمقالك بين الفترة والأخرى ، يبني بعض ما تهدم ، ويعيد الصفاء إلى بعض النفوس الكدرة ، والإنصاف إلى من عبثت الدعاية بإنصافهم . جزاك الله عن عقيدتك وعن أمتك خير الجزاء .

كل احترام وإعزاز لك وللسيدة أم سري مع تقبيل وجنات الأعزاء واحداً واحداً بترتيب العمر حتى لا يكون هنالك اخلال بالبروتوكول !

أنهيت « رسائل فلسفية » ووالله لا أعتقد أن الأصل يصل من وضاءة البيان وجزالة الديباجة وانتقاء المفردات إلى ما وصلت إليه الترجمة رضي الله عن أخيك عداد مآثره في لغة العرب وللغة العرب . « البدوي ».

وعلمت أن البدوي يكابد في بيروت ضيقاً نفسانياً وأن أحداثاً داخلية جعلته هدف رقابة شديدة أخذ يجنح بسببها إلى هجرة جديدة ، فبادرت إلى بيروت .

مع بشارة الخوري

وكانت بيروت آنئذ تزهر بوجود نخبة من كبار الشعراء الذين اعتمروها لتكريم الشاعر الكبير بشارة الخوري الملقب بالأخطل الصغير . وكنت أعلم في زيارتي السابقة من البدوي أن الأخطل الصغير قد هتف له يستزيره مستعجلاً .. فلما فعل ، قال له : « اسمع يا بدوي : إن كرام الأدباء يعتزمون الاحتفال بتكريمي في مهرجان أشبه بالمهرجان الذي أقيم لشوقي قديماً . وأشعر بأن قريحتي لا تساعفني بقصيدة تحية وشكر ، وأنت الشاعر الوحيد الذي يرضيني أن يعزى شعره إلي . فهل تتفضل علي بنظم أبيات تحيي فيها المكرمين وتشكرهم ، وتذكر الرئيس الجنرال شهاب والحكومة والشعب والخطباء ، وتخص الخطباء بالتمجيد . ضع نفسك مكاني فماذا كنت تقول ؟ فأجابه البدوي : أستغفر الله ، وأنى لي أن أحل محلك . إنني اعترف لك بعجزي عن نظم أبيات يجوز أن تعزى إلى شاعرنا الكبير .. ولكنه لم يقبل عذري وألح في التكليف مما حملني على أن أعده بالتفكير في الأمر .. والواقع أنه يستحيل علي أن أنظم بيتاً واحداً لغيري ، وأعاد الأخطل الصغير الاتصال وأصررت على الاعتذار .

ثم أقيم المهرجان وألقى فيه شعراء كبار قصائدهم في تمجيد الشاعر ، ولما لقيت البدوي سألته رأيه فيما ألقي فيه من قصائد .. فأجاب كانت قصيدة أمين نخلة أروع ما قيل ولو أوتي بعض قدرة الأستاذ عمر أبي ريشة على الإلقاء لكان وقعها أضعاف ما كان .. وأما قصائد كبار الشعراء : أبي ريشة والجواهري ونزار وغيرهم فكانت دون مستواهم الرفيع ، وهنا أذكر من قصيدة أمين نخلة قوله :

أيقولون أخطل وصغير ؟
أنت في دولة القوافي الأمير
ولك التاج والمطارف والبرد
وركن مجلل وسرير
فاسحب الذيل ما تشاء وجرر
إن ملك البيان ملك كبير
وضع العصر في يديك أمانات
القوافي ، والعبء حيث الجدير
فارفع الصوت إنه صوت لبنان
وردد به ، ونعم الجهير
لم تغرد فصاحته العرب : إلا
كان منا المغرد الشحرور

ومما تردد يومئذ قول بشارة في هذه المناسبة :

أيوم أصبحت لا شمسي ولا قمري ؟
من ذا يغني على عود بلا وتر
صغت القريض ، ومالي في القريض يد
يد الطبيعة فيه أو يد القدر
إن المواهب لا فضل لصاحبها
كالصوت للطير أو كالنشر للزهر

وقد ذكرني هذا بقول شوقي في مهرجان تأميره سنة ألف وتسعمئة وسبع وعشرين عن نجوم البيان الذين كرموه :

إنما أظهروا يد الله عندي
وأذاعوا الجميل من إحسانه
ما الرحيق الذي يذوقون من كر
مي ، وإن عشت طائفاً بدنانه
وهبوني الحمام لذة سجع
أين فضل الحمام في تحنانه
وتر في اللهاة ما للمغني
من يد في صفائه وليانه

• • •

ودعا المهندس السياسي الاقتصادي أميل البستاني ، صديق الأدباء جمهرة منهم إلى تكريم الشاعر بشارة الخوري في دارته ، ولما أقبل البدوي هتف أمين نخلة : هذا هو أميرنا ، وقال عبدالله المشنوق وزير الداخلية للشاعر المصري صالح جودت مشيراً إلى البدوي : « هذا هو قمة الشعر العربي » وبعد أن انفض السامر ، استبقى البستاني نحو عشرين من الأدباء وفاجأهم بدعوة البدوي إلى إلقاء بعض شعره فشدا أبياتاً عنوانها : الشاعر .. وسمع صالح جودت يردد مترنحاً : الله الله ده إيه ؟ هذا فوق الشعر ! » .

خمرة الأحزان

وفي لقاء أسمعني البدوي قصيدة رثى فيها صديقه شاعر لبنان شبلي ملاط ، وكانت بينه وبين البدوي آصرة صداقة حميمة . كما أن ابنه وجدي ملاط (نقيب المحامين فيما بعد) والشاعر أمين نخلة كانا يبذلان فوق الجهد لايناس البدوي وخدمته . وجاءت القصيدة في نحو مئة بيت سكب فيها أشجانه وهدهد وجدانه ، وقد ألقاها بعد حين في حفل التأبين .. وجعل عنوانها « خمرة الأحزان » ومطلعها :

لا الحقد خمرة أحزاني ولا الحسد
من جوهر الله صيغ الشاعر الغرد

ومن أبياتها التي يمكن أن تعد في السائرة :

وأكبرت عن أدمعي من كان مضطهداً
ورحت أبكي لمن يطغى ويضطهد
للشعر والشمس هذا الكون لا عدد
يطغى على النور في الدنيا ولا عدد
لقد حلفنا على الجلى وزحمتها
ألا يفارقنا عز ولا صيد



الأربعة الّذين رثاهم البدوي : ١ ـ فارس الخوري ٢ ـ شكري القوتلي ٣ ـ سعد الله الجابري ٤ ـ هاشم الأتاسي (يصافح القوتلي) . ويرى في الصورة بين الخوري والقوتلي محسن البرازي ووراءه حسن جباره . وعلى شمال الخوري عاصم النائلي



السيد جميل مردم بك سفير سورية في مصر قلد وساماً للشاعر خليل مطران ، ويبدو في الصورة من اليمين : سامي السراج ، نسيب شهاب ، مرافق السفير مردم بك ، عوني عبد الهادي سفير الأردن ، زهير القباني ، جميل مردم بك ، أكرم زعيتر ، خليل مطران وعلى صدره شارة الوسام ، وليد ماجد ، الشاعر نزار قباني ، أسعد المحفل (وهم من أركان السفارة السورية بالقاهرة) .

وعلى عادته في رثاء عزيز ، كان لابد له من تذكر إخوانه الراحلين :

طوت جفون الردى بيضاً غطارفة
لو أنهم ماجدوا شمس الضحى مجدوا
مصارع الصيد من قومي فكل ثرى
بدر وكل أديم موحش أحد
لو كان يعلم سعدالله (١) ما ابتدعت
بي الخطوب تنزى الفارس النجد
ولو درى هاشم (٢) حزني لدللني
ورد عني العوادي الضيغم الحرد
أحبتي الصيد شل الموت سرحهم
وقد حننت إلى الورد الذي وردوا
يصونهم من حتوف الناس مجدهم
كأنهم من جلال المجد ما فقدوا

في استانبول

وجرت في بيروت محاولة « انقلاب » أخفقت ، وضوعفت الرقابة على السياسيين السوريين اللائذين ببيروت ، وخشي البدوي أن تمتد إليه بالأذى يد النظام القائم يومذاك ، ولمح زبانية يراقبون مدخل بيته فخرج من بابه الخلفي ويمم بيت صديق له ثم لاذ بالصرح البطريركي فرحب به البطريرك المعوشي ـ وكان عربي النزعة ـ (كما رحب قبل ذلك بالشاعر القروي) ثم أجرى إخوانه تدابير مكنته من اللجوء إلى استانبول . وفي استانبول ،نزل فندق هيلتون الفخم وصار يطعم في « مطعم عبد الله » ، وهو فيما علمت أيام وجودي مهاجراً إلى استانبول من أنفس المطاعم ..

وحدث أن جئت دمشق سفيراً للأردن فيها ، وحرصت على أن أتنسم أخباره فعلمت أنه انتقل من هيلتون إلى فندق جم التواضع اسمه « شاهانه » وصار يأكل في مطعم يغري بالتقشف ويتردد إليه فقراء الطلبة .. وكتبت إليه أبثه مع الشوق توقاني إلى أخباره فأجابني برائعة أنهاها بهذه الأبيات الساخرة :

أبعد صروح هيلتن شامخات
وطوع يدي من المتع الكنوز
أقيم بشاهانا مريضاً
تطل علي شمطاء عجوز
وبعد طعام « عبدالله » صرنا
وغاية ما نرد به « عزيز »
إذا سيم الفتى نأياً وعسراً
أجاز لنفسه ما لا يجوز

السبحة

وللإطراف والإحماض أذكر أن صديقي وصديقه الأستاذ حبيب كحالة صاحب مجلة « المضحك المبكي » روى لي أنه حين لقي البدوي في بيروت ، كان يحمل سبحة أعجبت البدوي فوعده بأن يبعث إليه بمثلها من دمشق ، وتذكر وهو في مغتربه الوعد ، فأرسل إليه يستنجزه الوعد بهذه الأبيات :

أنا في جُلى فهل تسعدني ؟
بالذي يؤنس في عسر وبين
سبحة عطرك في حباتها
ترف الكف ونعمى كل عين
من ثلاث وثلاثين على
فرعها الحلية من أغلى اللجين
وانتخبها خير ما تملكه
لا تكن نعماك عندي بين بين
كلما سبحت فيها مرة
ذكر القلب « حبيباً » مرتين
ولنا وعد ببيروت بها
كيف ننساه ووعد الحر دين
لا يرجى الخير إلا من فتى
« كأبي جورج » كريم النبعتين
قد بلونا الدهر في حالاته
ولقينا الصرف من زين وشين
سبة الدنيا لئيم حاقد
بطر النعمى كريم الأبوين

البلبل الغريب

وتناءت الديار فشرقت من دمشق إلى طهران وغرب من استانبول إلى فينا ولكن ما افترقت روحانا ، ولا انقطعت رسائلنا ..

وفي فينا نظم قصيدة« البلبل الغريب » في اثنى عشر ومئة بيت ، وبعث بها إلي منشورة في صدر« الحياة » .. كلها حنين سري ، وحنان عبقري ، وقد رنحتني ونشرتها في « الإخاء » الطهرانية .. ولست أعلم في كل ما قرأت عن الحفيد الطفل لبداعتها نظير ولا لروعتها خطير ، ولو ترجمت إلى أي لغة لكانت في أوابدها :

وهل دللت لي الغوطتان لُبانة
أحب من النعمى وأحلى وأعذبا
وسيماً من الأطفال لولاه لم أخف
ـ على الشيب ـ أن أنأى وأن أتغربا
تود النجوم الزهر لو أنها دمى
ليختار منها المترفات ويلعبا
وعندى كنوز من حنان ورحمة
نعيمي أن يغرى بهن وينهبا
يجور وبعض الجور حلو محبب
ولم أر قبل الطفل ظلماً محببا
ويغضب أحياناً ويرضى وحسبنا
من الصفو أن يرضى علينا ويغضبا
وإن ناله سقم تمنيت أنني

فداء له ، كنت السقيم ، المعذبا
ويوجز فيما يشتهي وكأنه
بإيجازه دلاً أعاد وأسهبا
يزف لنا الأعياد عيداً إذا خطا
وعيداً إذا ناغى وعيداً إذا حبا
كزغب القطا لو أنه راح صادياً
سكبت له عيني وقلبي ليشربا
وأوثر أن يروى ويشبع ناعماً
وأظمأ في النعمى عليه وأسغبا
وألثم في داج من الخطب ثغره
فأقطف منه كوكباً ثم كوكبا
ينام على أشواق قلبي بمهده
حريراً من الوشي اليماني مذهَبا
وأسدل أجفاني غطاء يظله
وياليتها كانت أحن وأحدبا
وحملني أن أقبل الضيم صابراً
وأرغب تحناناً عليه وأرهبا
تدلهت بالايثار كهلاً ويافعاً
فدللته جداً وأرضيته أبا
وتخفق في قلبي قلوب عديدة
لقد كان شعباً واحداً فتشعبا .

• • •

ويارب من أجل الطفولة وحدها
أفض بركات السلم شرقاً ومغربا
وصن ضحكة الأطفال يارب إنها
إذا غردت في موحش الرمل أعشبا
ويارب حبب كل طفل فلا يرى
وإن لج في الإعنات وجهاً مقطبا
وهيىء له في كل قلب صبابة
وفي كل لقيا مرحباً ثم مرحبا
ويارب : إن القلب ملكك إن تشأ
رددت محيل القلب ريان مخصبا

ولا أجيز لنفسى هنا أن أغفل أشرف لوحة شعرية ترسم وطنية الشاعر فى ابيات :

ويارب : درب في الحياة سلكته
وماحدت عنه لو عرفت المغيبا
ولي وطن أكبرته عن ملامة
وأغليه أن يدعى ـ على الذنب مذنبا
وأغليه حتى قد فتحت جوانحي
أدلل فيهن الرجاء المخيبا
تنكر لي عند المشيب ـ ولا قلىً ـ
فمن بعض نعماه الكهولة والصبا
ومن حقه أن أحمل الجرح راضيا
ومن حقه ألا ألوم وأعتبا
وما ضقت ذرعاً بالمشيب فإنني
رأيت الضحى كالسيف عريان أشيبا
يمزق قلبي البعد عمن أحبهم
ولكن رأيت الذل أخشن مركبا
وأستعطف التاريخ ضناً بأمتي
ليمحو ما أجزى به لا ليكتبا

وياله ختاماً أخاذاً لقصيد عبقرى فى ثلاثة أبيات :

تغرب عن مخضلة الدوح بلبل
فشرق فى الدنيا وحيداً وغربا
وغمس في العطر الالهي جانحاً
وزف من النور الالهي موكبا
تحمل جرحاً دامياً في فؤاده
وغنى على نأى فأشجى وأطربا

بلابل دوح

وقرأ شاعر الشام الكبير الذي سينصفه تاريخ الآداب إذا جحدته اليوم دنيا العرب شفيق جبري ، هذه القصيدة فتأثر بها ، وترقرقت عيناه ، ونظم بوزنها وقافيتها رائعة دعاها « بلابل دوح » أرسلها إلى البدوي في مقره فى جنيف .. ومطلعها :

سل الشام من غنى حماها فأطربا
ومن راح يسقيها الشراب المطيبا
تمطى عليها الليل حتى كأنما
تسد دياجيه على الصبح مذهبا

وفيها :

فتى الشعر : غن الشام عني فإنني
بححت ، فهل القى من الشعر مهربا
فما أنت إلا من عنادل جنة
إذا غردت هزت ثراها فأعشبا
لقد هجت مني أدمعاً صنت درها
اتحسب أنى لن انوح وأنحبا
اتحسب لا تدمي جراحك مهجتي
متى كان قلبي في جراحك صلبا
متى كان دمعي لا يسيل على الحمى
إذا أقفر الربع المنيف وأجدبا
أخي في القوافي ، لا أخى حول مكسب
فما نبتغي في دولة الشعر مكسبا
رضينا من الدنيا بعز كرامة
هنيئاً لمن أضحى على الذل أشعبا
إذا زحموا دون السباسب منكبا
مشينا إلى العلياء نزحم منكبا
فغرد وغن الشام لحناً يهزها
إذا قلت شعراً هاج منها وألهبا
بلابل دوح عن ذراها مذودة
وغربان سوء مفلتات لتنعبا

والقصيدة طويلة يتحدث فيها عن اغترابه بين قومه واعتزاله في الجبال .. ثم يهتف بالبدوي الشاعر :

أخي غن عني غوطة الشام إنها
تفيض سروراً إن أفضت وتطربا
ألم تر آثار القوافي بيعرب
وهل حركت إلا الأناشيد يعربا
وسل دولة الإغريق كيف « عميرها »(٣)
بناها فأعلى من ذراها وأطنبا
فلولا حماسات القوافي وأهلها
لما جر حد السيف نصراً ومغلبا
إذا أجدبت أرض سقتها رضابها
فأحيت ثراها فاستطال وأخصبا

حنين الغريب

وأشجت قصيدة شفيق جبرى رصيفه البدوي وغدا إلى ضفة بحيرة ليمان في جنيف مرات وتفتقت قريحته عن رائعة في نحو مئة وأربعين بيتاً دعاها « حنين الغريب » رد فيها تحية شفيق بأمثالها .. وما تقول في حنين يسكب في مئة وخمسة عشر بيتاً ، أما كان الأجدر بأن يدعى القصيد (ديوان الحنين) .. أما المطلع فهو :

وفاء كمزن الغوطتين كريم
وحب كنعماء الشآم قديم
وشعر كآفاق السماء تبرجت
شموس على أنغامه ونجوم
يلم (شفيق) كوكباً بعد كوكب
ونسق منها العقد فهو نظيم
معان بألوان الجمال غنية
كما زف ألوان الطيوب نسيم
ووشي كأحلام الشباب يصوغه
أنيق بأسرار البيان عليم
سقاني سلاف الشعر حتى ترنحت
دموع وغنت لوعة وكلوم
ففي كل بيت ريقة وسلافة
وريحانة شامية ونديم

وفي القصيدة ، الديوان ، نجاوى وحنين ، ولوعات وأنين .. وليس أصعب من الاجتزاء ببعضها عن كلها .. ولكنها أبيات منثورة هنا وهناك نتذوقها كالسلفة تغري بالوجبة :

وللمجد أعباء ولكنها مني
وللمكرمات الغاليات هموم
يلاقي العظيم الحقد في كل أمة
فلم ينج من حقد الطغام عظيم
ويقذى بنور العبقرية حاسد
ويخزى بمجد العبقري لئيم
قد اختصرت دنيا بقلبي وعالم
كما اختصر العلم الشتيت رقيم
وتوجز في قارورة العطر روضة
وتوجز في كأس الرحيق كروم
وأعرض إعراض الخلي من الهوى
وبي من هواها مقعد ومقيم
وما حيلتي أن نم عن نفسه الهوى
هو العطر والعطر الزكى نموم



بدوي الجبل وحفيده محمد والوقوف : ولده أحمد وولده منير ، وزوجته زلفاء ، وولده المرحوم عدنان وحسيبة زوجة ولده منير (بيروت ١٩٦١) .



بدوي الجبل يحمل حفيده الأول في الاحتفال بمضي سنة على ولادته ، ويحيط به ولده منير وزوجته وولداه أحمد وولداه (١٩٦٢) .

ويارب تدري الشام أني أحبها
وأفنى وحبي للشام يدوم
ولي في ثراها من لداتي أعزة
حماة إذا استخذى الشجاع قروم

الرسالة الرائعة

ورحب الصديق نذير فنصة محرر « الإخاء » في طهران بنشر القصيدتين في صدر مجلته (الاخاء) ، وقدم لهما بمعلقة نثرية في تمجيد الشاعر . وبعثت إلى البدوي برسالة تحنان مشفوعة بالمجلة .. وجاءني الجواب الأروع ، ولم يتوافر لي قدر كاف من التواضع لحجبها عن قارئي ، ومن قرأها غفر لي هذا التجاهي بها :

أخي وسيدي : رسالتك تحمل ربيعا إلى قلبي في شتاء جنيف ، وطمأنينة إلى نفسي في هذا الجو المكفهر العابس الكئيب . ويشهد الله أن ذكرك في هذه الأشهر القصار الطوال كان عطراً في سريرتي ، وأغرودة على شفتي . والإنسان إذا بعد عن مواطن شبابه ، ونظر من بعيد وهو في محنته واغترابه ، استطاع أن ينعم بما لم يكن يتملى النعمة فيه من قريب . وأنا الآن أنعم بذكرياتك ، كما كنت بل وفوق ما كنت أنعم بلقاءاتك . وأهنأ منها بما يهدهد من أحزاني ويدلل من آلامي . فيا أخي وصديقي حين عز الأخ ، واستحال الصديق : جزاك الله عن نعمة إخائك خيراً وعلى سالف وفائك وجديده ، كفاء هذه النعمة شباباً دائماً ، ومجداً ملازماً ، وأقر عينك بالزوجة الفاضلة الكاملة والبنين الذين تنطق مخايلهم بالنجابة وتشير إلى عبقرية أصيلة عرق فيها الأب والأم .

أنا في جنيف منذ ثلاثة أشهر ونصف شهر ، وكنت قد قضيت قبلها شهرين مريضاً في فينا ، كما أنني عرجت قبل هذه وهذه على روما وتونس فقضيت فيهما قرابة شهر ، ولم أكن استطيع الكتابة إليك ، وأنت في دمشق ، وجوها جوها ، وملابساتها ملابساتها ، ولكن أولادي كانوا ينقلون إلي أنباءك وعوارفك . ثم قرأت وصولك إلى طهران فقلت : أؤخر الكتابة حتى ينتهي من المراسيم . ثم أخرتها حتى تنتهي زيارة جلالة الملك .. وهكذا وهكذا حتى بدأتني بالفضل كما تعودت دائماً والمروءة فيك طبع لا تطبع ، والنبل سجية لا عطية .

الأخ نجيب الراوي (٤) لقيته مرتين أو ثلاثة . أما الأخوان حسين وأحمد (٥) فنحن نجتمع كل يوم تقريباً في مقهى على ضفاف البحيرة ، ومجالسنا في جنيف حالية بذكرك ، عابقة بعطرك . وقد كنت رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً ، وأنا أنظم قصيدتي « البلبل الغريب » في فينا ، وقصيدتي « حنين الغريب » في جنيف . وكنت استشيرك في كل نغم وأسارك في كل ألم ، وأنتقي وإياك المفردات ، ونغير هنا كلمة ونبدل هناك كلمة ، كما أنك رفيقي دائما عند كل روضة مطلولة أورفة معسولة .

إن لي عند كل نفحة بستان
من الورد أو من الياسمينا
لفتة وانتباهة اتمنى
أن تكوني حللت فيما يلينا

وبعد فإذا كان لهذه المحنة من خير ، فخيرها أنها كشفت لنا ما كان خفياً من أخلاق ومزيفاً من شمائل ومزوراً من صداقات .

يسرني وجودك في طهران لأنك خير من يرد ديون سيبويه والفيروزآبادي ومئات غيرهم ، وخير من يمتن صلات الإيمان والإسلام .

أما تقدير مزاياك وتقييم سجاياك فهو واحد في كل مكان ، ومكانتك مكانتك في دمشق وبيروت ولبنان ، وفي القاهرة وعمان ، والعبقرية واحدة في كل زمان ومكان ، فهنيئا بك لطهران ، أرجو أن تتفضل بتقديم خالص احترامي وإكباري للعقيلة وقبلاتي لأبنائك وبناتك ولاسيما لسري ، ولي عهدك وعزة مجدك وأضمك إلى قلبي مقبلاً معانقاً متلهفاً » .

البدوي ــ ١٨ ــ ١ ــ ٦٤

أكرم زعيتر

تصويب

في حلقة عدد ١١٨ أكتوبر (تشرين أول) ورد في شطر من شعر البدوي : فانتحى في الثرى حسام صقيل ، والصحيح فانتخى . ووردت عبارة « وغبتك والنصر وصحيحها » وغضبتك والنصر » .

هوامش :

١ ــ سعد الله الجابري
٢ ــ الرئيس الزعيم هاشم الأتاسي
٣ ــ هوميروس
٤ ــ السفير الوزير العراقي المقيم في جنيف
٥ ــ أبو الفتح صاحب جريدة المصرى .

إسرائيل .. بين التعصّب والخوف من المستقبل

بقلم : عصام شريح

تشكل عملية الاستيطان ، العمود الفقري للحركة الصهيونية ، حتى إن دافيد بن جوريون لخص المفهوم الرئيسي للصهيونية بأنه : «التجمع والاقتحام» ، أي تجمع المهاجرين اليهود ، ثم التوسع في الأرض العربية لبناء المستوطنات عليها . لذلك شغلت عملية الاستيطان حيزاً واسعاً ، وبشكل مستمر ، في الفكر الصهيوني ، الأمر الذي جعل الأحزاب المختلفة ، تتبارى في تقديم برامج شاملة ودقيقة حول الاستيطان ، وتتنافس في الاندفاع لتقديم شتى المساعدات والوعود للمستوطنين .

ومن هذا المنطلق طلع علينا المنظرون الصهاينة بأفكار خطيرة في مجال الاستيطان في السنوات الأخيرة ، وكان من أهم الوثائق التي صدرت مؤخراً حول الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، الوثيقة التي كتبها «ميرون بنفنستي» وقد حاول الدكتور بنفنستي في هذه الوثيقة ، التظاهر بالموضوعية والروح العلمية دون انحياز لرأي أي من الأحزاب الاسرائيلية ووجهات نظرها بالنسبة لمستقبل الأراضي العربية المحتلة ، لكنه سرعان ما كشر عن أنيابه الصهيونية ، كمؤيد للإستيطان واغتصاب الأراضي العربية ، وتشريد المواطنين العرب من أراضيهم ووطنهم ، حتى أن أعضاء في حزب «شينوي» (التغيير) ، أعلنوا بصراحة ، أن بنفنستي يؤيد سياسة ضم الأراضي العربية المحتلة ، وأن جميع جهوده وأبحاثه ، انما استهدفت تبرير عملية ضم واغتصاب الأرض العربية من أصحابها الشرعيين ، كما أن جماعة ما يسمى «بحركة السلام الآن» قالوا إن الوثيقة التي كتبها بنفنستي كان لها هدف واضح هو خدمة حزب الليكود ، الذي ينادي علناً بضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين الى الكيان الصهيوني .

لكن ماذا قال الدكتور بنفنستي هذا في وثيقته ؟

لقد حاول بنفنستي الإيهام بأنه لا يؤيد ضم الأراضي العربية المحتلة ، لكن محاولة الخداع هذه سرعان ما سقطت عندما قال : «ان اسرائيل من خلال الاجراءات التي اتخذتها ، والسياسات التي طبقتها في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٦٧ ، قد استطاعت ربط تلك المناطق بالمناطق المحتلة في عام ١٩٤٨ ، وبالتالي فإنه ليس بالإمكان فصل الضفة والقطاع عن جسم الكيان الصهيوني فصلاً كاملاً .»

وأضاف أنه «بعد أن قام بعملية تدقيق في الوضع السائد في هذه الأراضي ، توصل الى استنتاج فحواه ، أن الضم قد أصبح حقيقة واقعة ، وان الفرصة أمام أي قوة سياسية داخل الكيان الصهيوني ، لوقف مسيرة الضم ، ضئيلة جداً ، كما أن الفرصة محدودة جداً ، أمام قيام المجتمع الدولي بارغام اسرائيل على تغيير سياستها في الضفة الغربية وقطاع غزة» ، ويحاول بنفنستي إعطاء حكم قاطع بالنسبة لمستقبل الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وذلك بالإيحاء بان الضم سياسة لا يمكن التراجع عنها ، سواء من قبل حزب العمل أو حزب الليكود ، حيث يقول : «إن ابتلاع اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة ، قد نجح نجاحاً عظيماً ، بحيث لن يتمكن أي اتفاق سياسي محتمل من وقفه» .

وباختصار يمكن تلخيص الفرضيات التي انطلق منها بنفنستي في تقريره بما يلي :

(١) ان تفكيك المستوطنات القائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مقابل «سلام» مع العرب ، أمر مرفوض .

(٢) ان خيار اقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع المحتلين هو خيار مرفوض أيضا ، وبالتالي فإن الفكرة القائلة بامكان استمرار وجود المستوطنين اليهود كأقلية ضمن الدولة الفلسطينية ، هي فكرة خرقاء ، لأنها تتنافى مع المنطق الصهيوني ، الذي يعتبر اليهود سادة ، والعرب عبيداً .

(٣) ان موضوع مدينة القدس لم يعد مطروحاً للنقاش والجدل ، باعتبار القدس جزءاً لا يتجزأ من الكيان الصهيوني .

بيد أن بنفنستي لم يستطع اخفاء حقيقة المقاومة الفلسطينية المتصاعدة ضد سياسة التهويد والضم ، ومالها من أثر واضح في حدوث انقسام بين الأحزاب الاسرائيلية حول سياسة ضم الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، حيث قال إنه «اذا كانت عملية ابتلاع الضفة والقطاع قد نجحت نجاحاً فائق التصور ، فإن الصراع العربي الصهيوني لم ينته بعد ، بل إنه تحول إلى صراع داخلي في اسرائيل ، وهو صراع عنصري ، حيث أصبحت هناك أقلية فلسطينية كبيرة ، بحيث أصبح في اسرائيل مجتمعان ، أحدهما عربي والآخر يهودي» .

كما لا يخفي بنفنستي قلقه من امكانية ما يصفه «بطلب الفلسطينيين في الضفة والقطاع ، الانضام الى اسرائيل في نهاية المطاف ، من أجل الحصول على حقوق متساوية !!» .

مشروع دروبلس

من نظريات الاستيطان الصهيوني أيضا ، نظرية «متنياهو دروبلس» ، التي يقترح فيها اقامة ما بين ١٢ ــ ١٥ مستوطنة صهيونية في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، كل سنة ، وبحيث تتوزع المستوطنات على الضفة الغربية بأسرها .

● جنــــون الاســتيــطان الصهيــوني في مواجهــة مليون ونصف مليون عــــربي

وأهم المرتكزات في مشروع دروبلس ، وهو رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، هي التالية :

(١) التشديد على أهمية بناء المستوطنات الجديدة بين التجمعات والمدن العربية ، وفي داخلها .

(٢) يتوجب أن تكون المستوطنات عبارة عن كتل استيطانية متراصة ، لتجنب فرض العزلة عليها .

(٣) اعتبار الاستيطان ، المرتكز الحيوي للأمن ، الأمر الذي يفرض زرع المستوطنات في مواقع استراتيجية ، تسمح بتعزيز الأمن الداخلي والخارجي للمستوطنين ، كما تسمح بفرض سيطرة المستوطنين على الأراضي العربية المحتلة كلها .

ويطالب دروبلس في مشروعه بانتهاج نموذج حديث من الاستيطان ، يسميه «بالاستيطان الجماعي المختلط» ، وهو يستند الى وسائل انتاج لا تحتاج الى أراض واسعة أو كميات كبيرة من المياه ، كما أنه يتلاءم مع طبيعة أرض الضفة الغربية ، بحيث تتكون المستوطنة في البداية من ٧ ــ ٢٠ عائلة ، على أن تصبح نتيجة للتطور الزمني ما بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ عائلة . كما يطالب دروبلس بزرع المستوطنات في أماكن مختلفة ، كقمم الجبال ومحاور الطرق الرئيسية ، لفرض رقابة وسيطرة دائمة على المدن والقرى العربية ، ومنع أي توجه عربي نحو الاستقلال إضافة الى أن هذه المستوطنات تشكل في رأيه « الأسلوب الصحيح والفعال ، لإزالة أي شك لدى المواطنين العرب بشأن نوايا اليهود بالبقاء في « أرض اسرائيل » الى أبد الآبدين . »

وبناء لخطة كبرى أعدها قسم الاستيطان بالوكالة اليهودية ، وتحمل توقيع دروبلس والنائب في الكنيست الصهيوني « ميخائيل ديكل » تنقسم الضفة الغربية الى ثلاث مناطق طلب ، « عال » و « متوسط » و « أدنى » ، وتستند مقاييس هذا التعريف ، بمدة السفر الى القدس ومستوطنة « غوش دان » إضافة إلى ما تصفه الخطة بالجاذبية الايجابية (المشهد الطبيعي) مقابل الجاذبية السلبية (القرب من السكان العرب) » . وبناء على هذا التعريف ، فإن «منطقة الطلب العالي» للاستيطان اليهودي ، تقع على نحو ثلاثين دقيقة من السفر من منطقة تل أبيب ، ونحو عشر دقائق من السفر من القدس و « غوش دان ــ ناتانيا » ، وتغطي هذه المنطقة شريطا يتراوح عرضه ما بين ١٠ ــ ١٥ كم شرقي « خط الهدنة » من طولكرم (شمالاً) إلى القدس و« غوشى عتسيون » (جنوبا) .



ميرون بنفنستي

أما حدود «منطقة الطلب المتوسط» ، فتقع حسب التعريف السابق ، على بعد نحو خمسين دقيقة من السفر من تل أبيب ، ونحو خمس وثلاثين دقيقة من السفر من القدس والمستوطنات الواقعة على طول محور الشاطيء ، وتشمل هذه المنطقة ، المرتفعات الجبلية في الضفة ومنطقة مستوطنات : ريحان ــ دوتان ، وكتلة ريمونيم ــ كوخاف ــ هاشاحر ــ عوفرا ، والشريط الممتد من محور مستوطنتي عاموس ــ افرات ، الى مستوطنة «غوشى عتسيون» . أما «منطقة الطلب الأدنى» ، فتمتد من شرقي المرتفعات الجبلية في منطقة نابلس ، الى المنحدرات الجنوبية الغربية لجبل الخليل .

مشروع شارون

وبالطبع فإن أريئيل شارون ، الذي يمثل قمة الغطرسة والتعصب الصهيونيين ، لم يتخلف هو الآخر عن تقديم مشروع خاص به للاستيطان ، وقد أطلق عليه اسم «مشروع المحور المضاعف» أو « العمود الفقري المزدوج » ، وينادي شارون في مشروعه هذا بنشر المستوطنات على خطين متوازيين ، تربط بينهما شبكة واسعة من الطرق الطولية والعرضية ، كما يشتمل المشروع على خطة لإقامة ثلاثة مراكز مدينية كبيرة عند مداخل مدينة القدس ، بحيث تشكل مراكز دفاعية للمدينة ، وهذه المراكز الاستيطانية هي :

« غفعون » و « معاليه أدوميم » و « افرات » ، كما يتضمن المشروع إقامة كتلة من المستوطنات في المثلث الصغير بشمال الضفة الغربية المحتلة ، بهدف ربطها بمنطقة الساحل من جهة ، ومن جهة أخرى إيجاد خط استيطاني يفصل بين التجمعات العربية الضخمة في مدينتي نابلس وجنين ، والتجمعات العربية الواقعة على طرفي «خط الهدنة» وذلك لمنع أي اتصال بينهما ، ويبرر شارون هذا المخطط بقوله إن عرب الضفة الغربية يزحفون « استيطانياً » نحو الغرب ــ أي نحو المناطق المحتلة في عام ١٩٤٨ . ويقترح شارون كذلك في مشروعه شق شبكة واسعة من الطرق الطولية والعرضية ، من ضمنها طريق باسم « حوتسيه شومرون » أي « عابر السامره » وهو عبارة عن محور عرضي رئيسي ، يتيح حركة مرور مكثفة من المنخفض الساحلي في المناطق المحتلة في عام ١٩٤٨ ، إلى غور الأردن وشمالي الضفة الغربية ، ومن شأن هذا الطريق الإسهام بصورة كبيرة في تكثيف الوجود الاستيطاني الصهيوني في الضفة المحتلة ، حيث يشتمل مشروع شارون أيضا على بناء معسكرات للجيش الاسرائيلي ، إضافة الى مراكز استيطانية مختلفة الأحجام . أما في منطقة الخليل ، فإن المشروع يقترح إقامة كتلة من المستوطنات يمكن ربطها بمستوطنة (كريات أربع) ، ويرمي شارون من وراء مشروعه هذا الى رفع نسبة المستوطنين في الأراضي المحتلة من ١ ٪ كما هو حاليا الى عشرين أو ثلاثين بالمئة خلال العقد القادم .

مشروع فايتسمن

أما المشروع الذي اقترحته وزارة الحرب الصهيونية ، وتبناه وزير الحرب الأسبق عيزر فايتسمن ، فيرمي الى تجميع المستوطنات الصغيرة والمبعثرة في ستة مراكز مدينية ضخمة ، ثلاثة منها حول القدس ، لتكريس «الطابع اليهودي» المزعوم للمدينة ، وثلاثة أخرى في شمال الضفة الغربية المحتلة ، ويرى فايتسمن أن إقامة مدن كبيرة في مناطق محددة من شأنها تقليص حجم الاحتكاك والتداخل بين المستوطنين الصهاينة وعرب الضفة الغربية ، على أن يتم ربط هذه المدن الاستيطانية بالجزء المحتل من فلسطين في عام ١٩٤٨ ، بواسطة «طرق التفافية» تتحاشى المرور بالمدن والقرى العربية .

واقع الاستيطان

وعلى الرغم من الحملات المسعورة للأحزاب المختلفة ، بشأن ضرورة تكثيف المستوطنات والمستوطنين في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، فإن تلك الحملات والأحلام التي ترافقها ، شيء ، والواقع شيء آخر ، وبهذا الصدد ذكرت صحيفة «هآرتس» في عددها الصادر بتاريخ «٢٤ ــ ٥ ــ ١٩٨٤» ، أنه استناداً إلى المعطيات المتوفرة ، فإن عدد المستوطنات التي بنيت في

إسرائيل..
بين التعصب والخوف من المستقبل

الضفة الغربية المحتلة ، منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٨٤ ، قد بلغت ١١٢ مستوطنة ، وكان إنشاؤها قد بدأ في «غور الأردن» على أساس «مشروع ألون» ، وتواصل بعد ذلك في قمم الجبال على يدي عصابة غوش إيمونيم ، وتعاظم البناء بشكل مكثف في سائر أنحاء الضفة المحتلة على أساس السياسة الاستيطانية لحكومة حزب الليكود السابقة . وتعترف الصحيفة ، بأن أكثرية المستوطنات الجديدة المقامة في أراضي الضفة الغربية هي «مستوطنات صغيرة جدا» ، لايزيد عدد سكان أي منها ، عن ١٠٠ — ٣٠٠ نسمة ، وحسب التقديرات التي بحوزة صحيفة «هآرتس» فإن عدد المستوطنين الصهاينة في الضفة الغربية المحتلة ، لم يتعد ٢٨ ألف مستوطن فقط ، فيما يصل عدد المواطنين العرب فيها الى نحو ٨٠٠ ألف نسمة ، يتوزعون على أكثر من ٤٥٠ مدينة وقرية ، أي أن نسبة اليهود في الضفة الغربية الى العرب ، لا تتعدى ٣,٥ بالمئة فقط .

وينقسم الاستيطان اليهودي في الضفة المحتلة ، الى مستوطنات مدينية ، مبنية على نسق المدن ، ثم مستوطنات جماعية شبه مدينية ، وضواح مدينية قرب مدن كبيرة تقع داخل الأراضي المحتلة في عام ١٩٤٨ ، ثم مستوطنات قروية زراعية ، ومع ذلك فإن عدد سكان المستوطنات المدينية الست الكبيرة نسبياً ، وهي : أريئيل — معالية أدوميم — كريات أربع — معاليه افرايم — الكانا وعمانوئيل ، يبلغ اليوم نحو ١٣ ألف نسمة فقط ، أي ما يعادل ٤٦,٤ بالمئة من مجمل عدد المستوطنين في الضفة الغربية ، أما بقية المستوطنات ، فتستوعب بقية المستوطنين أي حوالي ١٥ ألف يهودي يتوزعون على ٥٢ مستوطنة ، لا يزيد عدد سكان الواحدة منها عن مئة نسمة ، وعلى ٤٤ مستوطنة أخرى يتراوح عدد سكان الواحدة منها مابين ١٠٠ — ٣٠٠ نسمة ، كما أن هناك سبع مستوطنات يصل عدد سكان الواحدة منها ألف نسمة أو يزيد .

وبإمعان النظر في هذه المعطيات ، ووزنها في ضوء عمليات الاستيطان المحمومة في الضفة الغربية المحتلة ، خلال ستة عشر عاماً من الاحتلال الصهيوني ، يمكن وضع الاستنتاجات التالية :

ان مستوطنات بلغ حجم سكانها ٢٨ ألف مستوطن خلال ١٦ عاما من الاستيطان ، أي بمعدل سنوي يساوي ١٧٥٠ يهودياً ، لا تشكل نسبة ذات دلالة كبيرة في سياق العملية الاستيطانية ، ناهيك عن أن متوسط التكاثر الطبيعي للمستوطنين في الضفة سنوياً ، يشكل فقط $\frac{1}{7}$ نسبة مثيله لدى العرب .

وتشير «هآرتس» الى أن من الأهمية بمكان ، الأخذ بعين الاعتبار ، «أن الجزء الأساسي من الاستثمار في البنية التحتية والتطوير واستغلال طاقة التأهيل لدى أصناف مختلفة من المستوطنين من متدينين وقوميين متعصبين وشبان ومستثمرين على أنواعهم ومغامرين ، قد نفد خلال العقد الماضي» ، وإزاء هذا الواقع فإن وزارة مالية العدو ، تتخبط اليوم في صعوبات تمويل استمرار مشروع الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ، وذلك في ضوء تضاؤل مصادر التمويل ، فضلاً عن الأضرار التي لحقت باستثمارات رجال المال والأعمال الصهاينة ، والتي لا يمكن أن تستمر الى مالا نهاية له .

ولعل أهم الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها هنا ، ان الهدف الذي رسمته حكومات العدو الصهيوني (معراخ وليكود) ، وهو زرع ٥٣٠ ألف مستوطن يهودي في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حتى عام ٢٠١٠ ، مايزال في نقطة انطلاق متدنية جداً ، وذلك بعد ان استثمرت هذه الحكومات جل أموالها ونخبة المستوطنين في هذا المشروع ، وتقول «هآرتس» في هذا الصدد ، «ان فرص نجاح المشروع الاستيطاني في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، تبدو ضعيفة الى حد يثير شكا كبيرا تجاه مستقبله .

أما بالنسبة لقطاع غزة بالتحديد ، فإن الهدف الاستيطاني المتمثل بزرع خمسة آلاف عائلة صهيونية في القطاع المحتل ، يبدو هزيلا جدا ، وتقول صحيفة «دافار» (١٧ — ٦ — ١٩٨٤) انه عندما يتحقق هذا الهدف قبيل نهاية القرن الحالي ، فإن عدد المواطنين العرب في قطاع غزة ، سيقفز الى مليون نسمة ، وهكذا فإن الخمسة آلاف عائلة — حوالي ثلاثين الف يهودي — لن تشكل أكثر من نقطة في بحر ، علماً بأن عدد المستوطنين الصهاينة في القطاع حاليا يبلغ نحو ١٥ ألف يهودي موزعين على ست مستوطنات دائمة ، وخمس عشرة مستوطنة عسكرية تابعة لما يسمى بقوات «الناحال» — «أي الشباب الطلائعي المحارب» لكن معظم هذه المستوطنات تبدو شبه مهجورة وعديمة الجدوى على المدى البعيد ، حيث أنها جميعاً مستوطنات زراعية ، تعاني من ضائقة اقتصادية شديدة ، وأكثر المستوطنين الذين منحوا أراض واسعة لأغراض الزراعة بعد مصادرتها من أصحابها العرب ، لا يعملون في هذه الأراضي ، وقد فضلوا العمل داخل «اسرائيل» — القطاع المحتل من فلسطين في عام ١٩٤٨ .

وهؤلاء يغادرون مستوطناتهم في الصباح للعمل داخل «اسرائيل» ولا يعودون اليها الا في ساعات المساء ، لذلك فإن معظم المستوطنات الصهيونية في قطاع غزة ، تبدو في النهار شبه خالية ، إلا من دوريات الحرس المدني التي شكلها المستوطنون لحراسة منازلهم في الليل والنهار . وهذا الوصف ينطبق بصورة أو بأخرى على المستوطنات المزروعة في الضفة الغربية المحتلة ، خاصة في ضوء تصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية ضد المستوطنين مؤخراً .

مصير المستوطنين

في ضوء هذه المعطيات والوقائع ، فإن مصير المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لا يبدو لامعاً ، بل انه في ضوء تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية مرشح لمزيد من التراجع ، وقد رسم أحد السياسيين الاسرائيليين البارزين ، صورة قاتمة للاستيطان في الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وقال «أريبه ألياف» في كتابه «أرض الغزال» (وهو عضو كنيست سابق والأمين العام السابق لحزب العمل) ، قال : ان المستوطنين سيضطرون الى الاقامة في دولة فلسطينية — أردنية ، أو الى العودة الى أماكنهم داخل «الخط الأخضر» ، واستخف ألياف ما ينادي به ميرون بنفنستي من ضرورة تكثيف الاستيطان في الضفة والقطاع المحتلين رغم تأخر إسرائيل في ذلك ، ويقول الياف : «ما معنى استيطان مكثف؟؟! في الأراضي المحتلة حاليا حوالي ٣٠ ألف مستوطن يهودي ، والى أن نتزحزح ، سيكون ثمة ٥٠ ألفا ، مقابل مليون ونصف المليون من العرب ، أي أن النسبة ستكون ٣ بالمئة لليهود فقط» .

ويضيف ألياف متسائلاً : «وعلاوة على ذلك ، ما معنى أن يعمل ٩٠ بالمئة من المستوطنين في السهل الساحلي والقدس (فلسطين المحتلة في عام ١٩٤٨) . ويخاطب بنفنستي قائلاً : «واذا كنت تتحدث عن كثافة استغلال الأرض ، فلا أعتقد أن المستوطنين يستغلونها الى هذا الحد ، وثمة قسم تافه منهم يقوم بأعمال خلاقة .. انهم يجلسون هناك في المنازل ، بعضهم يصلي ، وبعضهم يعمل في المدن الكبيرة ، والبعض الآخر يحيك المؤمرات في السر .» ويتساءل ألياف : «هل نقول بسبب شق طريق واسع ، وبسبب موشيه ليفنغر وزملائه في حركة غوش ايمونيم ، إن النهاية قد حلت ؟؟ وهل نتحول ، أنت (مخاطباً بنفنستي) وأنا وابني ، بسبب ذلك ، الى مسوخ وننشىء ههنا مسوخاً أيضا ؟؟» .

وبالطبع فإنني لا أرمي من وراء هذه المقالة ، الى التهوين من خطر الاستيطان في أرضنا المحتلة ، ولا من خطر المشاريع الصهيونية على هذا الصعيد ، لكنني رميت إلى فضح التهويل الذي تستثمره أجهزة الدعاية الصهيونية ، في وصفها للاستيطان ومشاريعه ، وذلك في رأيي يستهدف الابتزاز أولاً وأخيراً .

عصام شريح

ملف فكري بالغ الأهمية

العرب وأفريقيا

حقائق صارخة لا يجوز أن تغيب عن العقل العربي الآن



في العام العشرين من الهجرة دخل العرب المسلمون العاصمة الأفريقية القاهرة (الفسطاط) ثم انتشروا خلال سنوات إلى كل الشمال الأفريقى ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وموريتانيا . فالارتباط العربى بأفريقيا ارتباط قديم ، ويعود إلى المراحل الأولى ليقظة الحضارة فى كل منهما فى وقت واحد . وكأن مرحلة النمو الحضارى فى كليهما جعلتهما توأمين .

غير أن اللافت للنظر أن يتجه العرب بعد ذلك إلى عبور البحر واحتلال جزره جميعا ثم النزول إلى أوروبا فى أسبانيا وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا ، وحتى حول البحر الأسود إلى جنوب موسكو . كل ذلك دون أن يعبروا الصحراء الأفريقية الكبرى إلى وسط أفريقيا . ولو كانوا عبروا هذه الصحراء الكبرى لكانت أفريقيا اليوم كلها عربية .

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

ملف فكري بالغ الأهمية

العرب وأفريقيا

ومن الراجح أن عبور العرب المفترض لهذه الصحراء الأفريقية كان أسهل عليهم من عبور البحر الذى كانوا يخافونه ، حتى أن عمر بن الخطاب يصرح بهذا الخوف فى رسالة رسمية . ثم أن عبور الصحراء الأفريقية ليس أصعب من عبور الصحارى الآسيوية التى فصلتهم عن الشام وعن مصر وعن اليمن .

وقد كانت مخاطرة أجدادنا فى عبور البحار دون اجتياز الصحارى المعتادة ، مردها إلى أنهم كانوا يلاحقون عقيدة تختلف ، يريدون تصحيحها فكان اتجاههم نحو أوروبا وانشغالهم بها عن أفريقيا التى كانت محايدة بلا عقيدة ولا دين اللهم إلا فى الحبشة . وظل هذا الانشغال عن أفريقيا الوسطى والجنوبية ١٣ قرنا كاملا ، حتى جاء محمد على باشا فهداه طموحه وتوثبه إلى الاتجاه جنوبا نحو السودان ثم منابع النيل . وهو توسع سهل جدا كان فى استطاعة العرب المسلمين الأوائل القيام به ، ودون حاجة إلى اجتياز الصحارى والفيافى الأفريقية .

ومن المؤكد أيضا أن هذا الغزو الذى قام به محمد على لو أنه تم أثناء الفورة الأولى للهجمة العربية الاسلامية على أفريقيا لكان تاريخ أفريقيا ووضعها اليوم مختلفين .

والوضع الآن هو أن الشمال الأفريقي كله عرب . وأن هذا الشمال العربى الأفريقى يكون ستارا واقيا بين الاستعمار الأوربى وبقية القارة ، ويكون موصلا حضاريا بينهما فى نفس الوقت ، فالعرب يحمون أفريقيا من الشمال ، وينقلونها إلى الحضارة المعاصرة ، وفى نفس الوقت يشاطرون معا أصلا واحداً وطفولة حضارية مشتركة .

وبلغة الأرقام فإن العرب والأفارقة يشكلون الآن ٤٠٪ من الأصوات فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية . وهم فى نفس الوقت يكونون معا كل الهدف المستهدف من الاستعمار العالمى تقريبا . والمقاومة فى وجه الاستعمار الذى يستهدفهما معا هى همهما المشترك .

بدأ استعمار أفريقيا بالاستعمار البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ، ثم انعقد مؤتمر برلين بعد سنتين اثنتين أي عام ١٨٨٤ ، حيث عقد اتفاق بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا على اقتسام القارة الأفريقية بشطريها العربى وغير العربى (الزنجى) . وكان قد اكتشف الماس فى الترنسفال والنحاس فى روديسيا فى نفس هذه الفترة ظفرت بريطانيا فى هذا المؤتمر الخطير بنيجريا وكينيا وأوغندة وزنجبار وروديسيا وجنوب أفريقيا ، وحصلت فرنسا على تشاد


محمد الفاتح


علي بك الكبير

● الذهب الذي حصل عليه العرب استغلوه لخدمة القارة الأفريقية ، أما الأوربيون فقد نقلوا الذهب إلى بلادهم مقابل الخرز الملوّن !

وداهومى وجابون ومدغشقر ، وغزت ألمانيا توجو والكاميرون وافريقيا الشرقية وحصل ملك بلجيكا على الكونغو كملك خاص وحصلت البرتغال على أنجولا وموزمبيق .

هكذا اقتسموا القارة وهم جالسون على مائدة غداء . ثم تشدقوا فى نفس الوقت بالغاء الرق ، واتهموا العرب بالذات — دون أمريكا — بتجارة الرقيق الأفريقي ، والمهم أنهم فى نفس الوقت تماما كانوا يقتسمون أراضى العرب ذاتها أيضا .. أراضى تجار الرقيق !! دخلت فرنسا الجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ ومراكش ١٩١٢ ، بينما احتلت أسبانيا شمالى مراكش قبل ذلك .

وكما عقدوا مؤتمر برلين لاقتسام الوليمة الأفريقية ، عقدوا مؤتمر بطرسبرج فى روسيا عام ١٩١٦ : أعطوا سوريا والموصل فى شمال العراق إلى فرنسا . وأعطوا جنوب العراق (البصرة وبغداد) وجنوب سوريا (فلسطين والأردن) لبريطانيا وأعطوا وعد بلفور عن فلسطين لليهود . ثم تعاظم الدور الصهيونى تدريجيا ، حتى حل محل بريطانيا وفرنسا فى نفوذهما فى المنطقة طاردا اياهما لحساب أمريكا .

وبعد خروج بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وأسبانيا من المستعمرات الأفريقية التى ذكرناها أصبحت اسرائيل تطمع أن ترث هذا النفوذ كله . بل هى تطوق ذراعيها حول القارة بتحالفها الاستراتيجى مع جنوب أفريقيا ، والذى وصل — فيما يبدو — الى التعاون الذرى .

ثم بعد كل هذا النهب الاستعمارى يتكلمون عن تجارة الرقيق وأن العرب — وهم أفارقة شماليون — يتاجرون بالأفارقة الجنوبيين بيعا وشراء ، مما أقلق الضمير الملائكى الزاهد والمتصوف لهذا المستعمر الأوربى !

فرية الرق

لا تعدو أن تكون تهمة الرق التى كرروا نسبتها إلى العرب فرية لا أساس لها فالرق كما مارسه العرب عبر التاريخ كان لصالح الرقيق ، حيث وصل الرقيق هذا لا إلى المساواة بالأسياد ولكن كونوا الطبقة الحاكمة مرات ومرات . فدولة المماليك سواء البحرية أو البرية (البرجية) كانت دولة حكام كلهم كانوا رقيقا . وحكموا مئات السنوات ، وحكموا العرب وهم لا يتكلمون العربية .. وحكموا العرب برضاء العرب ، حتى أن ملكا منهم طعن في أنه ليس مملوكا فخلع ، وكانت المملوكية — الرق — ميزة لا سبة ولا مهانة .

وكثير من ألمع أسماء قادة التاريخ الإسلامى هم أبناء أمة أشتريت بالمال أو غنمت فى الحرب . نذكر منهم — كعينة فقط — محمد الفاتح وعلى بك الكبير . وكان محمد الفاتح — الذي فتح القسطنطينية — أدرى الناس بنفسية أخواله السابقين ومدى افترائهم على الاسلام فكان شديد التكبر عليهم لو تعرضوا لأى فرد مسلم : فكان



محمد علي باشا



الخديوي اسماعيل

الفرد العادى إذا جاس خلال مدينة أوربية دقت أجراس الكنائس له احتراما ومهابة ، وخشية أن يلحقه أذى فيؤدبهم محمد الفاتح باجتياح بلادهم .

هؤلاء هم الرقيق عندنا . الرقيق الذين تباكوا عليهم ، وهم يجلسون على مائدة يقتسمون بلاد أفريقيا كلها فى عام ١٨٨٤ ثم على مائدة أخرى عام ١٩١٦ ، ليقتسموا كل بلاد العرب .. تجار الرقيق ..

قارن هذا بأسلوب عمر بن الخطاب الذى كان عنده رقيق وهو يكتب إلى عمرو بن العاص — الذى كان عنده رقيق فيقول له عن أقباط مصر — وهم على غير دينهما — « إن أهل هذه البلاد هم اليوم حلفاؤنا ومواليتا . ومن اللازم ألا نطلب منهم المغارم (الضرائب) قبل موسم الحصاد ، وأن يخصص ثلث ما فى بيت المال (مال المسلمين) لإصلاح القناطر والسدود (قناطر وسدود النصارى) حتى لا يكون للناس شكاة . وهكذا سوف يتضاعف الدخل . أما الخلافات الدينية فإن الله سيسويها » .

هكذا قال عمر لعمرو . وكلاهما عنده رقيق . وكان الرقيق يؤاكله ويعيش معه أخا وزوجا وعلى قدم المساواة . وإذا أنجبت الأمة أصبحت حرة . وإذا أراد السيد تقربا من الله اشترى عبدا واعتقه وآخاه .

أما هؤلاء الأدعياء البيض الذين يعبدون المادة فإنهم يقتسمون البلاد والقارات بما فيها من عبيد وأحرار وثروات ثم يبتزون خيرات هذه البلاد بثمن لا يغطى مصاريف الانتاج مما يغرق هذه البلاد جميعا فى ديون سحيقة القرار .

ســـر الفـــرية

كما يوضح لنا خطاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص مدى اختلاف مفهوم الاستعمار عند العرب عنه عند الغرب ، حيث هو عند الأول تعمير ، وعند الآخرين نهب . يقول عمر لعمرو لا تبهظ الضرائب ، ولا تجمعها إلا بعد تواجد المال لدى الممول ، واترك الخلافات الدينية للزمن . أما عند الغرب فعبادة الدولار والنظرية المادية تعنى الربا ومص دماء الفريسة ، ولو أدى ذلك إلى حروب وخراب اقتصادى وانتشار الثورات والأمراض السرية والفقر .

● التجارة العربية فى أفريقيا خلقت حضارات وأقامت دُوَلاً ونشرت الرخاء والسلام ، ثم جاء الغرب لينهب ويسرق

كما يوضح لنا هذا الخطاب هذه الفروق فى تبسيط كامل ، فان نظرة العرب إلى الرق غير نظرة الرجل الأوروبى . فسقراط نفسه ، وهو مشعل الفكر الأوربى يعتبر الرق ضرورى للحضارة ولكن هذه الضرورة إنما مرجعها إلى أنه « رجل من رصاص » إذا قورن بالرجل النحاسى أو الرجل الذهبى ، أو أنه كالقدمين بالنسبة إلى الجسم . فالرق تقوم عليه حضارة الرجل الأبيض حيث هو يقوم بالعمل السخرة لصالح الغير .

وحتي عندما مكنت الماكينة — فيما بعد — الرجل الأبيض من أن تقوم الماكينة بالعمل محل الرقيق استغل الرجل الأبيض طبقة العمال بحيث اعطاهم من الحقوق المحدودة ما أشعل حرب الطبقات . فإذا أدى العلم وانتشار التعليم إلى تقارب طبقة العمال من باقى الطبقات ، انتقل الرجل الأبيض إلى استغلال شعوب المستعمرات ! ولازالت أساليب اسرائيل في الاستيلاء على أرض الغير وهدم منازل أهل الأرض الأصليين واستعمال الحديد والنار علاوة على استنزاف الأموال ، تمثل خلاصة وحصيلة معنى كلمة الاستعمار لدى العقل الغربي .

هذا الفرق بين التعمير العربى وبين الاستعمار الغربى أقل كثيرا من الفرق بين معاملة العرب للرقيق ومعاملة الغرب له . فالرقيق لدى العرب الأفارقة هو الذى أنشأ امبراطورية مالى وامبراطورية سنغهاى ومملكة عمر بن سعيد (المملكة التكولورية) ومملكة بورنو ومملكة سامورى وامبراطورية رابح ومملكة سوكوتو ، بينما الرق لدى الغرب فى نفس هذه الفترة الزمنية هو الذى زرع القطن فى أمريكا مجانا تبعا لنظرية سقراط ، وهو الذى استخرج الماس مجانا للرجل الأبيض فى جنوب أفريقيا واستخرج الذهب فى جوهانسبرج مجانا ، واستخرج النحاس فى روديسيا مجانا . ثم اكتوى بعد ذلك بالتفرقة العنصرية فى أمريكا وفى أفريقيا الجنوبية وفى روديسيا .

وللأسف فإن العرب لا يتقنون عرض قضاياهم فهم لا يتتبعون نقاط ضعف التفرقة العنصرية ولا يفسحون المجال لضحايا التفرقة العنصرية ليبسطوا قضاياهم عبر الأدب العربي ولا في مجالات الإعلام العربي . ويكتفي العرب بمجرد نقل ما تقوله أجهزة الغرب فقط مثل « كوخ العم توم » أو مثل نشرات الأخبار عما يجري في جنوب أفريقيا . ولو فهم العرب العقل الأوروبي كما يجب لجلبوا من هذا الأمر قضية اعلامية وقضية أدبية كبيرة جداً تدين الرجل الأبيض وتشينه وتفضحه .

ولو أتقن العرب عرض قضاياهم ، لبينوا للعالم أن العرب هم وحدهم من دون شعوب الأرض كلها الذين كونوا دولاً في أفريقيا لا عن طريق الغزو ولا النهب ولا الاستعباد ولكن عن طريق التجارة . فالتجار العرب هم الذين انشأوا امبراطورية مالي وسنغهاي وعمر بن سعيد وبورنو وساموراي ورابح وسوكوتو أنشأوها عن طريق الأخذ والعطاء والتبادل التجاري الذي لم يعرف الربا ، ولا الديون ولا

ملف فكري بالغ الأهميّة

العرب وأفريقيا

صناديق النقد الدولي ولا تجارة العملة ، بل وكانوا يتبادلون الرأى والمعرفة الإنسانية ، قبل تبادل السلع !.

وإذا كانوا أثناء تجاراتهم هذه يأخذون « عبيداً » ويبيعونهم فانما كان هؤلاء عند « الأسياد الجدد » يمثلون أخوة وأزواج ، وكثيرون منهم كونوا مراكز لا يحلمون بها في بلادهم . كان كبير ياوران الملك وكل كادر السراي بل وكل حي عابدين ذاته من هؤلاء العبيد . وعندما رفض أهل مصر نداء محمد علي لتقديم بناتهم تلميذات لمدرسة التمريض الأولى في الشرق الأوسط، كانت هؤلاء الجواري السود هن التلميذات الوحيدات لها . وبعد أن تخرجن زوجهن محمد علي من ضباط مصريين وأعطى كل زوجين بيتاً مؤثثاً وركوبة ، وامتيازات مادية . أين هذا مما فعلته أمريكا أو جنوب أفريقيا أو رودسيا بأمثالهم ؟!

والتجار العرب الحضارمة هم الذين أنشأوا دولاً اسلامية في جاوة وسومطرة وجزر الهند الشرقية والفلبين . وهي ظاهرة حضارية فذة ، خصوصاً إذا قورنت بأفعال شركات التجارة العالمية المعاصرة وما ترتكبه من استغلال ورشوة ونقل لتراث أهل البلاد الأصليين .

الهموم المشتركة بين العرب والأفارقة

هناك تداخل بين المنطقتين أفريقيا والعرب جغرافياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً وهناك معاناة مشتركة لبقايا التمييز العنصري . وإذا لم يبرز هذا التمييز في الحياة اليومية فانه يبرز عند التعامل السياسي .وهناك معاناة مشتركة في حركة التمرد من الاستعمار سواء كان استعماراً قديما وكان المستعمر في بلاد العرب هو نفسه المستعمر في أفريقيا ، أو كان استعماراً اقتصادياً حديثاً ، ومرة أخرى نفس المستعمر هنا هو نفس المستعمر هناك .

وهناك قضية مشتركة بينهما الآن ، هي أن النظام الاقتصادي العالمي المعاصر ظالم لكليهما ، وأن الحوار الذي تم بين الشمال والجنوب لم يؤد إلى شيء وأن كليهما يشعر أنه لامندوحة له عن نظام اقتصادي عالمي جديد قائم على العدل وعلى الروحانيات والأخلاقيات ويحتفظ بالانسانية في تعاملاته . وهو شعور عميق لدى الطرفين ، يفتقده تماماً الرجل الأوروبي الذي اعتبر المنفعة هي كل فلسفته وهي معبوده .



ابن رشد



سقراط

● القوانين الإسرائيلية ضد العرب متطابقة تماماً مع قوانين التمييز العنصري في أفريقيا

وهناك أخيراً العامل المشترك الاقتصادي بينهما ، وهو أن كليهما ينتج لمواد خام يأخذها العالم الغربي بما يكاد يكون مجاناً ، بينما يصدر إليهما صناعاته وأغلبها كماليات غالية الثمن بشكل مبالغ فيه ، وبذلك يرفع مستوى عمال الغرب ويعالج بطالتهم بينما يتضور المنتج الأفريقي والعربي أو يغرق في الديون والتخلف والتبعية .

وقد تمثلت مأساة العرب في فلسطين وتمثلت مأساة الأفارقة في التمييز العنصري وكلا القضيتين يكاد يكون المتهم فيهما واحد أو من عائلة واحدة . وكانت الاستجابة العاطفية والنفسية في كليهما متطابقة مع الأخرى .

وهناك تطابق نفسي شديد بين العرب والأفارقة : فالعرب عرفوا الصحراء التي ليس لها مالك وانما هي مشاعة للجميع وعرفوا الرعي مشاعاً للجميع . كما عرف الأفارقة أيضاً الغابة مشاعة للجميع ولا يدعي أحد ملكية خاصة . ومع ذلك فكلاهما وصل إلى نظرة انسانية ودستور أخوي قبائلي ولم يخلصوا إلى النظريات المادية السائدة رغم ممارستهما للمساواة الحقيقية بطريقة انسانية خاصة بكليهما . وهذا يجزم بالتمايز الكامل بين العقلية العربية والأفريقية وبين العقلية الأوربية أو الغربية . تميزاً مبنياً على الطابع الأخوي والعائلي والإنساني والاجتماعي لدى العرب والأفارقة وبالطابع المادى النفعي التقاتلي لدى الغرب .

وفي باب التمايز الخلقى بين العرب الأفارق وبين الغرب نلاحظ تأثير الذهب على كل منهما . فالتجار العرب كانوا يذهبون إلى أفريقيا بحثاً عن الذهب . بل إن محمد على باشا أعلن أن أحد أهدافه من غزو السودان كان الحصول على الذهب . ولكن يلاحظ أن التجار العرب هؤلاء وأن محمد علي هذا انفق الذهب داخل أفريقيا ذاتها ولصالح تمدينها بينما الرجل الأبيض ذهب إلى أفريقيا بدعوى تمدينها ونقل منها ــ ولا يزال إلى هذه اللحظة ــ ذهبها إلى بنوكه . لقد ظل محمد علي وأحفاده ينفقون على كشف منابع النيل وانشاء المدن الحديثة واقامة المستشفيات وفتح المدارس واقامة القانون والعدالة في وقت كان تجار أوربا المرابون يقايضون على سن الفيل بالخرز الملون .

وحتى الأوربي الذي كان يستخدمه محمد علي أو اسماعيل في عملية التنوير والتمدن هذه كان يتشرب روح سيده ويختلف تماماً عن الأوربي الذي يعمل لصالح الامبريالية . نذكر كمثال في هذا الصدد الدكتور أمين باشا حاكم خط الاستواء أيام الثورة المهدية وقد انقطع عنه كل مدد من الشمال .. من مصر . هذا الطبيب كان اسمه الأصلي شفيتزر فاسلم وسمى نفسه أمين . وتزوج من زنجية من أهل البلاد (فريدة) وأنجب منها بنتاً


ابن خلدون

وظل ١٣ سنة محتفظاً بعلم مصر مرفوعاً على بحيرة فكتوريا حيث انشأ اسطولاً للملاحة عبر شطآنها وزرع القطن وغزله في مصانع خاصة انشأها في قلب القارة المظلمة في وقت لم تكن مصانع لانكشير قد أنشئت بعد . وطوال هذه الثلاثة عشر عاماً كان يصدر أوراقاً نقدية باسم خديوي مصر ويتداولها الرعايا هناك بكل ثقة واطمئنان .

هل هناك مثال أوضح من هذا عن تقارب العقلية العربية من العقلية الأفريقية وامكانيات تعايشهما معاً في أحلك الساعات ؟ فرغم نشوب ثورة أفريقية هي ثورة المهدي ظل هذا المجتمع معززاً مكرماً تحيط به الثورة من كل اتجاه دون أن تمس شعرة في رأس أحد أفراد هذا المجتمع . هل كان هذا ممكناً لمجتمع أوربي تحيط به ثورة أفريقية دينية متحمسة ؟

نظرية سنجور عن التطابق العربي الأفريقي

في محاضرة للرئيس السابق سنجور بجامعة القاهرة أمام عبد الناصر قال سنجور إن هناك تطابقاً وتعايشاً بين الزنجية والعروبة . وعلل ذلك بأن أفريقيا كانت مهد الانسانية منذ العصر الحجري ثم قال إن أفريقيا فيها جنسان أبيض وأسود ، الأول كون البربر في شمال أفريقيا والآخر كون زنوج الوسط ، ولكن كلاهما أفريقي وكلاهما متمازج مع الآخر كابنين لجنس واحد وأن هذا التمازج انتشر بعد ذلك خارج أفريقيا . وذكر أن هناك تلاقياً لغوياً وفكرياً بين اللغات العربية وكل اللغات الأفريقية وان مفكري العرب لعبوا دور الوسيط بين العقل الأوربي والعقل الأفريقي ، وزيادة على دور الوسيط هناك دور الرائد أيضاً كدور ابن خلدون الأفريقي في الفكر المادي ودور ابن رشد في اللاهوت والفلسفة .


سنجور

● ثلثا استهلاك أفريقيا من البترول تقدمه الدول العربية .. ومع ذلك فالغرب هو الفائز بالثروة والنفوذ في القارة الأفريقية

ولكن أهم ما قاله سنجور إن العامل الموحد بين العرب والأفارقة هو اللغة العربية والاسلام بطابعهما الذي يصنع الوحدة ولا يفرق . وهذا واضح في مقارنة مع الغزو الأوربي فتعدد اللغات الأوربية وتعدد الكنائس وتعدد المعتقدات والطقوس الدينية تختلف تماماً عن الطابع الواحد والموحد للعروبة وللاسلام .

الانتاج الذهنى الأفريقى باللغة العربية

اللغات المحلية الأفريقية كانت حتى أعوام قليلة مضت تكتب بالحروف العربية ، وكثير من المعاهدات بين فرنسا والدول الأفريقية كتبت باللغتين العربية والفرنسية ، واللغة السواحلية لغة فيها من الألفاظ العربية مفردات كثيرة جدا . والطرق الصوفية العربية وخاصة التابعة للشمال الافريقي موجودة فى كل قرية افريقية ، وكتب التفسير مثل الجلالين والبيضاوى والبخارى ومسلم وكتب الفقه والتصوف تأتى على رأس قائمة التصدير بين العرب والأفارقة ، والأدب الدينى والخطابة على المنابر والانطلاقات الصوفية كلها ذات روح عربية متحمسة للعروبة أكثر من حماسة العرب أنفسهم .

وفى الانتاج الأدبى كالشعر والقصص يغلب فن الصياغة والأسلوب على الأفكار متأثرين فى ذلك بالمنهج العربى القديم .

ولازال الأزهر يمثل لأبناء « البلاد الأفريقية » نوراً وناراً يريد كل أفريقى أن يأخذ منها قبسا .

العلاقات الاقتصادية بين العرب والأفارقة

هناك حاليا منظمات عربية لانماء الاقتصاد الأفريقي : الصندوق الكويتى وصندوق أبى ظبى . الصندوق السعودى . المصرف الليبى . البنك العربى الدولى ، البنك العربى للتنمية ، الصندوق العربى للقروض ، الصندوق العربى للتعاون الفنى ، البنك الاسلامى للتنمية ، بنك التنمية الأفريقي .

وتقدم الدول العربية البترولية تسهيلات بترولية وقروضا تساوى ثلثى ما تستهلكه الدول الأفريقية (عدا جنوب أفريقيا) وتقدم الثلث الباقى بقية الدول ولكن فيها ايران وفنزويلا ، ومن هنا نرى أن العرب يساهمون فى أفريقيا مساهمة أساسية وفعالة .

ومع ذلك فإن الحصاد السياسى أقل كثيرا جدا من البذور الموضوعة .

التوجه السياسى الأفريقى

حتى عصر محمد على كانت أفريقيا الوسطى مجهولة من كتب الجغرافيا كلها ، وظلت تسمى هذه المناطق « بالمجاهل الأفريقية » أو القارة المظلمة أو القارة السوداء وذلك حتى فى الحسب المدرسية الجغرافية .

فمنابع النيل نفسها لم تكتشف إلا فى عصر محمد على واسماعيل وسميت اسماء البحيرات كلها

العرب وأفريقيا

باسماء المكتشفين الأجانب وكأنه لم يكن لها اسم أفريقى قبل ذلك .

ولقد كان دخول الاستعمار البريطانى إلى مصر عام ١٨٨٢ هو بدء المشروع البريطاني للسيطرة على القارة ، حيث تغلغل إلى السودان ثم الوسط الأفريقي ، وكانت بريطانيا متواجدة في جنوب أفريقيا وأزمعت انشاء أمبراطورية بريطانية في أفريقيا وكان العمود الفقرى لهذه الأمبراطورية المستهدف هو خط حديد القاهرة الكاب .

ولكن ..
خلال الحرب العالمية الأولى قال الإمبراطور الألماني غليوم : ويل للمغلوب . وفعلا لما غلبت ألمانيا فى الحرب الأولى خلعت خلعا من أفريقيا وطردت من مستعمراتها الأفريقية .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد خرجت بريطانيا وفرنسا أيضا من أفريقيا . هل كانتا مغلوبتين فى هذه الحرب أمام المنتصر الحقيقى وهو روسيا وأمريكا أم ياترى يجب أن نصحح مقولة غليوم ونقول : ويل للغالب والمغلوب معا ؟

المهم أنه بعد خروج أوروبا من أفريقيا أصبح المسرح الأفريقى من الوجهة السياسية مسرحا بين أمريكا وروسيا مع غياب واضح للدور العربى رغم علاقاته اللغوية والعرقية والمالية ، ليس هذا فقط ولكن أفريقيا تعانى حاليا من الاستيطان الاسرائيلى كما يعانى العرب من الأمر نفسه . واستيطان اسرائيل فى أفريقيا يتم عن طريق التجارة ومشاريع البناء وأيضا عن طريق خبراء السلاح وحرس أو بطانة بعض الحكام . فهو استيطان فعال دون حاجة إلى أفراد ولا أعداد من السكان هم من الأصل قليلون عند بنى اسرائيل .

بين التمييز العنصرى والاستيطان الاسرائيلى

إن أى مقارنة ولو سريعة بين قوانين الاستيطان الاسرائيلى وبين قوانين التمييز العنصرى الذى يمارس ضد الأفارقة تعطى انطباعا وكأن الاثنين هما توأمان أو ابنان لأب واحد أو رضعا من ثدى واحد ..

فى اسرائيل : قوانين الاستيطان : قانون استملاك الأراضي وقانون أملاك الغائب وهي تصادر ودون تعويض أملاك أي رعية من لبنان أو مصر أو سوريا أو السعودية أو الأردن أو العراق أو اليمن ، وتصادر أملاك أي شخص فلسطينى يقيم بهذه الدول وكل شركة نصف اعضائها أو نصف رأسمالها فى الخارج تصادر وتشمل كلمة الملك الأرض والنقود والمنازل والتجارة .
ثم قانون التصرف : وهو أنه إذا لم يتصرف صاحب الملك تصرفا فعليا بنفسه وبيده وكانت الحكومة محتاجة إلى ملكه للتوطين صادرت ملكه هذا بدون تعويض .

وفى جنوب أفريقيا قوانين التمييز العنصري : يقصر حق المواطنة على المنحدر من أصل أوربى أما أصحاب البلاد الأصليون فمحرومون بحكم القانون والعرف من تولى أي مركز أدارى ولو فى الأحياء الشعبية . وقانون مقاومة الشيوعية يعطى وزير العدل سلطة اقصاء أي شخص من ملكه ومن منطقته ويعطى الحق باقصاء القبيلة بأكملها لمعاقبة فرد فيها وذلك بدون محاكمة . وهناك أيضا قانون التوفيق الذي يحرم الأفارقة أصحاب الأرض الأصليين من ممارسة قوانين الصلح والتحكيم والتوفيق .



مازال المواطنون الافريقيون يكتوون بنار الاستغلال الغربى لكل خيرات بلادهم

والهدف فى قوانين اسرائيل وقوانين التمييز العنصرى هو أن « يظلوا أسيادا » على العرب وعلى الأفارقة . وأن الاستعمار قد تحول عند اسرائيل وعند جنوب أفريقيا إلى استحمار ثم إلى ابادة .
وفى المستقبل سوف يجد العرب ويجد الأفارقة انهما فى بوتقة واحدة وأنهما يواجها إبادة واحدة وأن معركتهما سوف تكون واحدة وليست مجرد حركة تحرر وطنى هذه المرة ، إنها معركة إفناء كاملة .

إن الأصل المشترك بين العرب وبين الأفارقة والامتزاج الحضارى والذهنى بينهما خلا ل الأربعة عشر قرنا والتداخلات السياسية والثقافية بين العنصرين ، تحتم عليهما أن يوحدا صفهما الآن فى مواجهة هجمة نهائية مشتركة ضدهما تدبرها الآن الصهيونية والعنصرية وبالأسلحة الذرية . ولكن هيهات أن تبيد مغولية جديدة حضارات إنسانية أصيلة لها تاريخ وجذور .

السيد فهمى الشناوى



بقلم : الدكتور محمد البهي

الكتاب المصدّق

• يقول الله تعالى في سورة الأحقاف :

« ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق ، لسانا عربيا ، لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » الأحقاف : ١٢)

• يذكر القرآن في بيان حجتيه ، وأنه من عند الله ، بأن سبقه كتاب موسى عليه السلام — وهو التوراة — كشريعة ورحمة للمؤمنين ، أرسل به من قبل ربه . وما جاء في القرآن هو على نحو ما في كتاب موسى . فهو شريعة كذلك ، ورحمة للمؤمنين به . ولذا فهو مصدق له ، ولكنه بلسان عربي .

وكتاب موسى كان معروفا وسبق الإيمان به . فإذا كان القرآن مساويا لما نزل فيه فليست هنا موانع تقف في طريق الايمان به كذلك ، إلا إذا كانت موانع من : حرص على جاه أو زعامة ، أو من تأثر بتقاليد . وهذه موانع خارجة عن موضوعه .

وتوافق القرآن مع التوراة في تفصيل رسالة الله ، كنظام لحياة الانسان ومنهج يسير عليه الانسان في سلوكه وفي علاقته بالآخرين ، إن كان حجة لصحة نزول القرآن والوحى به ، كما تهدف الآية ، فلا ينبغى أن يتخذ سبيلا — كما يروجه كثير من المستشرقين — لادعاء : أنه لهذا التوافق : من تأليف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، تأثر فيه بما لليهود من كتاب . إذ أن القرآن في الوقت الذي يؤيد فيه ما نزل في التوراة ، رسالة موسى ، يكشف أيضا عما اختلف اليهود فيه من هذه الرسالة بما أضافوه ، أو حرفوه ، أو أولوه من أقوالها : « إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل : ٧٦) . وهو لهذا معيار لرسالة الله في ذاتها .

ولـو أنـه كـان مؤلفا خاصا للرسول عليه الصلاة والسلام — كما يروجه هؤلاء المستشرقون — متأثرا فيه بما لليهود من دين ، لما كان فاصلا بين الحق في ذاته ، وهو ما في التوراة كرسالة الله على عهدى موسى .. وباطل بنى اسرائيل ، وهو ما أضافوه ، أو حرفوه ، أو أولوه واختلفوا فيه عن هذه الرسالة . وكون القرآن مصدقا لكتاب موسى ، ثم حاكيا لما اختلف فيه بنو اسرائيل ، دليل صدقه هو فيما جاء به من عند الله . إذ كيف يتسنى للرسول عليه الصلاة والسلام — كمؤلف للقرآن ، حسب إدعاء هؤلاء المستشرقين ، وإدعاء السابقين من أهل الكتاب — أن يفصل في تراث اليهود الديني بين ما هو من قبل الله جاء به موسى ، وما صنعوه هم : إمالة برسالة الله إلى تمييز عنصرى لهم ، أو إلى تبرير مواقفهم من الأنبياء بعد موسى ، أو مواقف كبرائهم من ضعفائهم : في إخراج بعضهم بعضا من ديارهم وحل سفك الدماء في سبيل الابقاء على زعامات خاصة ؟

• ومهمة القرآن — بعد كونه مصدقا لما سبقه من كتاب — هي مهمة الرسالة الالهية في كل عهد : أن ينذر به الرسول صلى الله عليه وسلم : الظالمين لأنفسهم برفضهم قبوله ، ويبشر به المحسنين لأنفسهم وفي سلوكهم الانسانى على العموم الذي آمنوا به .. ينذر الظالمين بسوء جزائهم في الدنيا والآخرة . ويبشر المحسنين المؤمنين بحسن جزائهم في الدارين معا ، كذلك .

فالظالمون الذين يعارضون قبول الايمان بالقرآن هم أولئكم الذين وقعوا — أو يقعون — تحت طغيان « المادية » في حياتهم . ويخشون بالايمان به فوات جاه مادى ، هو جاه الزعامة والرياسة ، أو فوات متعة مادية ، هي متعة ترفهم على حساب حرمان الضعفاء فيهم وشقائهم . فالقرآن : كل دعوته تتمثل في العدل في المبادلة والمعاملة ، وفي الاحسان في الاعطاء أكثر من الأخذ . والعدل يشكل موازنة لاغبن فيها . والاحسان يعطى الدليل على انسانية المحسن في سلوكه مع الآخرين . وفي قبول دعوة القرآن تنازل عن الرياسات والزعامات التي تحصل لأصحاب الرياسة والزعامة : متعا مادية وترفا ماديا ، على حساب الآخرين .

وقد جاء في العهد الذي أخذه الله على بنى اسرائيل ، أن طلب إليهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فيما تذكره الآية :

« واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وأنهم إليه راجعون» (البقرة : ٤٥ ، ٤٦) .. طلب إليهم أن يستعينوا بالصبر في عودتهم إلى الايمان . لأن انتقالهم من وضعهم المادى في الرياسة والمبالغة في الاستمتاع بالمتع المادية .. إلى الايمان بالاعتدال في الاستمتاع بالدنيا وزينتها وعدم الاسراف في طيباتها — وهو نتيجة الايمان بالله — ليس من السهل أن تتحمله النفس البشرية العادية . ولذا لابد من فضيلة الصبر على ذلك .. كما طلب إليهم — في هذه الآية كذلك — أن يستعينوا بالصلاة في هذا الانتقال ، لما في الصلاة من اتصال مباشر بالله ، وبعد عن طغيان المادية .

وفي الوقت الذي يطلب القرآن إليهم الاستعانة بالصلاة .. يحكم على : أنها لكبيرة ، وعظيمة شاقة بالنسبة لأصحاب الرياسات ، لأنها دليل التحول بالفعل من المادية إلى الروحية . وهذا أمر يشق عليهم . أما الخاشعون الضعفاء فيهم ، الذين لا تسيطر المادية عليهم فلا ينكرون اليوم الآخر ، ويظنون أنهم مع ذلك ملاقوا ربهم ، فلا تكبر عليهم الصلاة ولا تشق عليهم . إذ تحولهم من وضعهم السابق . إلى الوضع الجديد في الايمان بالله ، أيسر من تحول المستكبرين فيهم . لأنهم قد لا يخسرون ماديا شيئا وان هم خسروا شيئا ، فقليل ما يخسرون .

فهؤلاء الظالمون يكون القرآن انذاراً لهم بسقوط مجتمعاتهم ، أو بالانتقام منهم عن طريق الحاقدين عليهم فيها ، ثم بعقاب الله لهم في آخرتهم . ومن أجل هذا الجزاء الأليم في دنياهم ، وفي آخرتهم .. يتضح ظلمهم لأنفسهم .

أما المحسنون فالقرآن بشرى لهم ، بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في دنياهم وفي آخرتهم على السواء . لأنهم لم يصنعوا سوءاً ، يضمر لهم غيرهم العداء بسببه في دنياهم . ثم يجازيهم الله عليه في لقائهم معه في الآخرة جلت قدرته ، لأنهم أحسنوا أي أعطوا أكثر مما أخذوا . وبذلك كانوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم . فلهم حسن السمعة في الدنيا ، ورضاء الله في الآخرة .

أول رواية عربيّة تسبق الرواية الغربيّة

بقلم : أحمد محمد عطية

يدعونا واجب العمل القومي ، من أجل تأصيل ثقافتنا العربية الحديثة لمراجعة كثير من المسلمات التى نقلناها عن الغرب ، وثبتها الغزو الثقافى الغربي فى كل المجالات وبالأخص فى مجال الأدب والفن ..

فقد ألفنا على نسبة الفن الروائي إلى الغرب ، ونقلناه عنه ، وجعلنا الرواية الغربية مثالا يحتذى ويقتدى به وفقا للمقاييس والأشكال الغربية وقلنا بأسبقيتها وريادتها .. وذلك نظرا لقوة الغزو الحضارى الأوروبي ، وللتعتيم الاعلامى الغربي المفروض على الثقافات والفنون والآداب فى أنحاء العالم الأخرى .. وما استهدفه الغزو الفكرى

الاستعمارى من محو تراثنا والحط من شأنه ، وغسل عقولنا وقولبتها لصالحه ، إتماما لاستلابنا وتبعيتنا له ، مما يحتم علينا مراجعة تلك المسلمات الغربية والعودة إلى الينابيع الروائية والقصصية والفنية فى تراثنا ، لدراستها وبعثها واستلهامها ، من أجل إبداع رواية عربية أصيلة ومتميزة بالخصائص العربية ومعبرة عن الوجدان العربى والقيم العربية والشخصية العربية .

فإذا كانت الرواية الأوروبية قد نشأت فى القرن الثانى عشر وازدهرت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فإن الرواية اليابانية ، مثلا ، سبقتها إلى الظهور فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر . وتذكر الكاتبة الغربية « ديانا

سبيرمان » فى دراستها عن بزوغ الرواية فى الشرق الأقصى ترجمة عبد الواحد محمد أن « قصة جنجي » التى كتبتها سيدة البلاط اليابانية « موراسكى » فى ذلك الوقت المبكر ، « تمثل مانعنيه بالضبط بكلمة رواية » وأنها « لم تكن من النوع الذى يتوقعه كل من ألف الأدب الأوروبى » وأضافت الباحثة الغربية قائلة عن كتاب « قصة جنجى » « انه مع ابتعاده حقا عن العديد من العناصر التى نعدها دائما هنا فى الغرب كعناصر ضرورية ، فإن هذا الكتاب يحتفظ فى نصه المترجم لابطاقة خلق الاثارة وحدها بل بطاقة خلق الانفعال الزاهى زهاء الانفعال الذى تحدثه الروايات الأوروبية » (مجلة « آفاق عربية » عدد ايلول تشرين ١٩٨٣) .

الرواية الشرقية

وتلاحظ هذه الباحثة الغربية « أن الأدب القصصى النثرى فى اليابان كان يتبع مسارا مضادا

● لماذا لا نعود إلى الينابيع الروائية والقصصية والفنية في تراثنا لبعثها واستلهامها؟

بالضبط لمسار نظيره الأوروبى .. قبل أن يأتيه التغيير بفعل التأثيرات الأوربية» بل ان الصينيين لم يعدوا الروايات أدبا أبدا إلا حين تحولوا كلية صوب الأفكار الغربية . بالرغم من قدم الفن القصصى الصينى وأسبقية الرواية الصينية فى الظهور فى القرن السادس عشر .

وقد تخلقت الرواية الصينية من ربط مسلسلات المغامرات الأسطورية الصينية وتطورت فى طريق ابداع رواية مختلفة الشكل عن الرواية الغربية ، وتميزت ببراعة رسم الشخصيات ، سابقة بذلك نظيرتها الأوروبية . مثلما سبقت الرواية اليابانية مثيلتها الأوربية فى الاهتمام بالزمن ، فكما تقول « ديانا » ان سينكلر وا .م فورستر ونورثروب فراى يعدون الاهتمام بالزمن ميزة خاصة بالرواية تتميز بها جميع أشكال الأدب الاخرى . وهذا الاهتمام بالزمن هو مااكتشفه أحد مؤرخى الأدب اليابانى على الأقل فى قصة جنجى .» .

وهذا يؤكد أسبقية الرواية فى الشرق على الرواية فى الغرب وتميزها بأشكال خاصة بها تغاير الشكل الغربى ، لذا « فمن الطبيعى أن رواية الشرق الأقصى لاتشبه الرواية الأوربية .. لأن خلفية رواية الشرق الأقصى الاجتماعية لاتشبه كليا خلفية الرواية فى انجلترا القرن الثامن عشر .» ومن هنا فالقول بضرورة الربط بين نشوء الرواية وبزوغ الطبقة الوسطى لايصح بخصوص الرواية فى كل مكان لاختلاف ظروف النشأة والمجتمع والثقافة

ولأن «التاريخ الصيني يختلف جدا عن التاريخ الأوروبى ، كذلك الحال فى موقع التجار والكسبة وشخصيات الطبقة الوسطى الأخرى فى الصين ، فلا يبدو هناك أى سبب يدعو لإنتاج أدبى شبيه بنظيره الأوروبى ... فابتكار الرواية فى اليابان لم يرتبط بأى حال بنمو طبقة جديدة وإنما ارتبط باضمحلال طبقة قديمة ، وليس هناك من دليل على أن أياً من الكتاب أوقراء الرواية الصينية الأولى كان ينتمى إلى طبقة جديدة » .

لكل حضارة أشكالها

وهكذا فلكل حضارة تراثها وأشكالها وثقافتها الخاصة المتميزة وان هذا التميز هو الطريق الصحيح لتأصيل الابداع العربى والرواية العربية وتجديدهما أيضا . ومن ثم فإن استبعاد الأصول القصصية والروائية العربية اعتماداً على أسس ومقاييس غربية كان عملا تعسفياً من قبيل الخضوع للغزو الفكرى الغربى . ولهذا كثيرا ما نجد بعض الباحثين العرب والأجانب يستبعدون الفن القصصى والروائى من التراث العربي قياسا على أشكال غربية ومفاهيم غربية ، غير منتبهين إلى أصالة الشكل القصصى العربى وتميزه وتفرده عن سواه من الأشكال القصصية الأخرى فى العالم

وقد تطور الشكل الروائي ، واتسعت مفاهيم الرواية في الأدب العالمي ، إلى حد نقٍ أسسها المتعارف عليها في الفن الروائي ، من استبعاد الشخصية البطولية ، واختفاء الأبطال ، وتقطيع الزمن والمكان ، وتفتيت الشخصيات ، وتقليص دور الراوي والسرد ، والتركيز على الأشياء دون البشر ، والاكتفاء بالمشاهد المتحركة والمتداخلة .. إلى غير ذلك من التطورات المتلاحقة في المعمار الروائي ، المصاحبة لتطور الفن الروائي ، وانعكاس التطور الاجتماعي والتقدم العلمي والقيم ومشاكل الحضارة على صفحات الرواية العالمية الحديثة وبنيتها ، التي تنوعت حسب ظروف كل حضارة من الصين وروسيا إلى أمريكا اللاتينية ... بحيث لا يمكن وضع تعريف جامع مانع لفن الرواية ينطبق على كل الروايات . كما أن مقدمات الرواية الغربية ، في القصص والحكايات والملاحم ، تجد مثيلاً لها في التراث القصصي العربي .

وقد عرف العرب الفن الروائي والفن القصصي ، وقدموا إبداعات ثرية وأصيلة ومتميزة في هذا المجال سبقت الفنون الروائية والقصصية الغربية وأثرت فيها . ويكفينا هنا ــ حسبما يسمح المجال ــ ذكر تأثير عمل قصصي وروائي عربي واحد كألف ليلة وليلة في الرواية الغربية ، وهو


عنترة بن شداد


أبو العلاء المعري

تأثير عميق وشامل تجاوز حد التأثير إلى النقل والاقتباس ، وامتد من البنية القصصية والروائية إلى الجو العام ، والقيم والشخصيات ، والأساطير والرموز ، وهذا يدلنا على أصالة فن القصة العربية وصلاحيته للتطور والتقدم ، وتغذية الفن الروائي الحديث ، بالرغم من اختلاف الأشكال القصصية والروائية ، بين القديم والحديث ، وبين العربي والغربي .

أصالة القصة العربية

ولا ترجع أصالة الفن القصصي العربي إلى « ألف ليلة وليلة » وحدها ولكنها تنهض على تراث قصصي عظيم ، بدءاً من الأدب النثري والقصصي المعبر عن معارك « أيام العرب » في الجاهلية ، ومروراً بقصص الجاهلية اليمنية ، والقصص القرآنية والاسلامية ، إلى سير « عنترة بن شداد » و « سيف بن ذي يزن » و « بني هلال » ، ومقامات الهمذاني والحريري ، والقصص الفلسفية في « رسالة الغفران » للمعري ، و « قصة حى بن يقظان » لابن طفيل (التي اقتبس منها الروائي الانجليزي دانيال ديفو روايته الشهيرة « روبنسن كروزو ») ، وقصص التجار العرب وسواها من القصص والروايات العربية ، مع الكثير من كتب الأدب والتاريخ العربية ذات الصياغة القصصية رغم طابعها الشعري أو الاخباري أو التاريخي ، والتي تشكل جانباً كبيراً من التراث العربي ، مثل أخبار ابن دريد والأغاني للأصفهاني ...

وليس أدل على صلاحية هذه الأشكال التراثية العربية للاحياء في الفن الروائي الحديث من تجربتي الأديب الأرجنتيني « جورج لويس بورجيس » والروائي الأمريكي « مايكل كريتون » .

فقد « ابتكر بورجيس جنسا أدبياً طليقاً أطلق عليه اسم Fiction وهو يجمع بين القصة والمقالة ، أو بالأحرى يقوم بعملية دمج بين القصة والخبر ، أو بين الأدب والتاريخ ، وأحب أن أزعم أن أسس الأداء الفني في هذا الجنس الأدبي قد استفادت من تجربة القصة في التراث العربي .. ولهذا فمادة القصة لديه كثيراً ما تعتمد على مصادر عربية وإسلامية ، وقد كانت « ألف ليلة وليلة » وكتب الأخبار العربية وكتب التاريخ الاسلامى من المصادر الأثيرة لديه .. » كما كتب الناقد السورى خلدون الشمعة فى بحثه الممتع « بورجيس وفن الخبر العربي » (المنشور بالعدد الممتاز من مجلة « المعرفة » السورية عن تأثير الأدب العربي في الآداب الأجنبية ــ كانون الثاني ــ شباط ١٩٧٨) وأثبت خلدون الشمعة ، في هذا البحث ، أن كتاب بورجيس « الكائنات الخيالية » هو مجموعة من القصص والحوادث المقتطفة من التراث العربي الإسلامي ، في الطبري وألف ليلة وليلة ومن كتاب « منطق الطير » للشيخ المتصوف فريد الدين العطار .

أما الروائي الأمريكي « ما يكل كرايتون » فقد استلهم ، في روايته « أكلة الموتى » (ترجمتها تيسير كامل ونشرت في روايات الهلال عدد مايو ١٩٨٥) ، مخطوطة العالم الرحالة العربي ابن فضلان ، المكتوبة في أوائل القرن العاشر الميلادي (بين ٩٢٤ ــ ٩٢٦) عن رحلته إلى بلاد الشمال الأوروبى ، تركيا وروسيا وبلغاريا واسكندنافيا ، وقد اعترف الكاتب الأمريكي « مايكل كرايتون » بتميز أسلوب ابن فضلان قائلاً : « قد يبدو أسلوبه في تدوين مشاهداته ذاتياً بالنسبة للمقاييس الغربية ، فهو لا يروي لنا قصة كما تعودنا أن نسمع القصص .. ولكن ابن فضلان كان كاتباً ، ولم يكن هدفه الرئيسي التسلية .. » (الترجمة العربية ص ١٦) وقد حققت هذه الرواية الأمريكية العربية الأصل أعلى أرقام التوزيع في أوربا والولايات المتحدة ، كما ذكر مصطفى نبيل في مقاله بمجلة

المصور «أكلة الموتى ـ أول تقرير ديبلوماسي يكتبه عالم مسلم من ١٠٠٠ عام.» (المصور عدد ٢٤ مايو ١٩٨٥)

كتاب التيجان

وهذا كتاب «التيجان في ملوك حمير»، وهو عمل قصصي كبير وقد يتضمن أول رواية عربية كاملة ومتميزة في التاريخ، سبقت الرواية الغربية. فهو «كتاب فني يسجل ميلاد فجر القصة العربية، وطريقة روايتها»، كما كتب الشاعر اليمني الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح في تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب التي أصدرها مركز الدراسات والأبحاث اليمنية في صنعاء عام ١٩٧٩. (ص ٨) ويوضح المقالح أهمية الكتاب الأدبية والفنية ومدى تأثره به قائلاً: «قرأته هذه المرة بعين وقلب الشاعر لا بعقل الباحث أو المؤرخ، وقد أدهشني حقاً وحملني إلى عوالم من الخيال والأساطير تتضاءل أمامها تلك الأفلام الغربية المدهشة التي تمطرنا بها استديوهات هوليوود..» (ص ٦) ويضيف الباحث والناقد اليمني د. عبدالعزيز المقالح: «أن كتاب التيجان يجمع بين الحادثة التاريخية والقصص الديني، وبين الخرافة والأسطورة..» (ص ٧).

أما فاروق خورشيد فقد وصفه، (في كتابه «في الرواية العربية عصر التجميع» وهو من مراجعنا الرئيسية في هذه الدراسة، الطبعة الثانية ص ٥٥) بأنه «المنبع الأول لما عرف العرب من أساطير حول نشأة الكون وقصص مبدأ العالم وظهور اللغات ونشأة اللغة العربية..» وأضاف فاروق خورشيد قائلا إن «كتاب التيجان لوهب بن منبه.. وهدف أصحابه إلى الامتاع من ناحية واشباع حاجة العرب إلى أبطال يحوون جماع فضائلهم الحربية والنفسية.. كما هدف أصحابه أيضاً إلى ابراز المضامين الدرامية التي حوتها حياة العرب وعاشوا في إسارها.. وهي بهذا كله قد جمعت تراثاً فنياً عربياً زاخراً استمد منه العرب في مختلف أطوار حياتهم الروائية المتأخرة، ويستمدون منه بعد ذلك في كل أعمالهم، فآثاره تظهر في الأعمال الروائية المتأخرة، مما يدل على اطلاع أصحاب الروايات المتأخرة التأليف على أعمالهم وتقديرهم لها وتأثيرهم بها..» (ص ٢٠٦).

وكتاب «التيجان في ملوك حمير» أبدعه الأديب العربي القديم «وهب بن منبه» (المتوفى سنة ١١٠ هجرية) ورواه أبو محمد عبدالملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي ادريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه. وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٤٧ هجرية بمطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدر آباد. وقد تم العثور على النسخة الأصلية في صنعاء، وهي نسخة قديمة يبلغ عمرها خمسمائة عام تقريباً، فقد انتهى من كتابتها، في يوم السبت ٢٦ من شهر رجب سنة ١٠٣٤ هجرية، وكتبها بخط يده مطهر بن عبدالرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين، وهو سجين بسجن قصر صنعاء اليمن المسمى بالدار الحمراء، وكان قد مضى عليه في السجن ـ كما يقول في خاتمة النسخة الأصلية ـ سبع سنوات وخمسة أشهر.. (ص ٥٠٠) أي أن تدوين الكتاب تم في عصر لاحق للروايات.

ووهب بن منبه أديب عربي مبدع ومثقف، لذا سمي بفقيه اليمن، إذ كان يعرف عدة لغات كالعبرية والسريالية والأرامية والحميرية، وقد ألف عدة كتب أشهرها وأهمها كتاب «التيجان..» الذي يجمع بين الثقافة والفن والابداع. فقد اعتمد وهب بن منبه، في كتابه الذي يروي قصص ملوك حمير على قراءات وروايات متعددة لقصص وأخبار العرب من الجاهلية إلى الاسلام. فهو تجميع وابداع وصياغة لقصص وكتب وروايات عربية قديمة وأصيلة ومتميزة. ولا شك أن الرواة الذين تناقلوا محتويات الكتاب قد أضافوا الكثير إلى كلمات وهب بن منبه وحكاياته وقصصه ورواياته.. فجاء العمل تعبيراً عن الفن الروائي العربي والوجدان العربي معاً.

وقد اختتم «السيد زين العابدين الموسوي» كتاب «التيجان» بكلمات تؤكد ريادة هذا الكتاب للفن الروائي والقصصي العربي قائلاً إن «القصص والأشعار التي ذكرت في هذا الكتاب أغلبها نادرة جدا وغريبة حق الغرابة بحيث لا يوجد أكثرها في غير هذا الكتاب..» (ص ٥٠٣).

وقد تردد ذكر كتاب التيجان واسم وهب بن منبه في كثير من الكتب والمراجع العربية القديمة والحديثة، غير أن النص الكامل للكتاب ظل مجهولا حتى قدر له الظهور حديثا، في طبعة مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، بهمة وحماسة الدكتور عبدالعزيز المقالح، الذي أصدره وقدم له في سلسلة المائة كتاب. وهذه الطبعة الحديثة هى مصدرنا في هذه الدراسة.

أمتع القصص

يستهل وهب بن منبه كتابه «التيجان في ملوك حمير» بالحديث عن قراءاته للكتب قائلا إنه قرأ ثلاثة وتسعين كتابا، ثم يسرد قصص خلق العالم الأسطورية حسب تصوره بأسلوب قصصي يجمع بين الخيال والأصول الدينية الاسلامية ليصور خلق الانسان وآدم وحواء والجنة والنار والملائكة والشياطين والأزمنة والفصول، مؤيدا بآيات من القرآن الكريم. ويمزج وهب رواياته الخيالية الممتعة بأبيات من الشعر المتخيل على ألسن آدم وقابيل وإبليس ونوح وسواهم. فهو ينطلق من الأسس الدينية الاسلامية ليبدع حكاياته ورواياته الخيالية والأسطورية في ابداع فني مشوق. ومن أجمل هذه الروايات روايته التفصيلية لقصة نوح وسفينته والطوفان..


دانيال ديفو

كما يتضمن كتاب «التيجان» روايات وهب بن منبه عن ملوك حمير، وهى روايات تجمع بين التأريخ لسير الملوك وصراعاتهم وغزواتهم وبين الأساطير والفن القصصي والشعر والأخبار والحكمة والقيم العربية وآيات القرآن الكريم. وهى روايات وقصص خصبة الخيال وتصلح للاحياء والبعث إذا أعيدت صياغتها في أدبنا العربي الحديث، لما تجسده من نماذج البطولات العربية التي تتحدى قسوة الطبيعة وقوى الحيوان الفتاكة، مثل «قصة المغارة التي فيها شداد بن عاد والصعاليك الثلاثة حين دخلوها وما جرى عليهم». (ص ١١٤) التي تصور بطولة «الهميسع» ومواجهته الصعبة للجبال والثعابين والتنين، تصويرا أسطوريا يجمع بين الخيال والواقع.

ومن أمتع القصص التي يرويها وهب بن منبه قصة «ملك الصعب ذي القرنين»، إذ يلعب الخيال دورا عظيما في بناء القصة وتسلسلها الشيق. وهو خيال واسع الأفق يشمل الأرض والسماء والنجوم والبشر والجن والحيوان والطير والجنة والنار، مع قوى الطبيعة من رياح وعواصف وأمطار، ويستخدم أسلوب الحلم في صياغة واقعية. وتشغل قصة ذي القرنين عددا كبيرا من صفحات كتاب التيجان، ومع ذلك نتابعها بشوق واستمتاع دون أن يتسرب الملل إلى قارئها، لما تحتويه من خيال خصب ووقائع قصصية مثيرة تدور في أمكنة متعددة تشمل العالم كله.

ويسرد وهب هذه الروايات والقصص الأسطورية للايماء إلى حكم عربية وقيم إسلامية نبيلة تأتي في شكل أدبي يمزج القصة بالشعر.

ويحتوي كتاب «التيجان» عددا هائلا من الروايات والقصص التاريخية والأسطورية



د . عبد العزيز المقالح

والواقعية التي تقع في عصور وأزمنة وأمكنة مختلفة ومتعددة ، مثل قصة لقمان والنسور السبعة وقصة سيف بن ذي يزن وغيرها .. مما لا يتسع المجال للإحاطة بها . ذلك أن الكتاب عمل قصصي عظيم من أول سطوره حتى آخر صفحاته . (٥٠٦ صفحة قطع كبير) .

رواية « موطن الموت »

غير أن أهم ما يحتويه كتاب « التيجان في ملوك حمير » روايات وقصص الحب العربية ، وأبرزها رواية « موطن الموت » التي تصور أعذب وأقدم قصة حب عربية بين « مضاض بن عمرو الملك » وابنة عمه « ميا ابنة مهليل بن عامر » . وهي قصة حب عفيف تتمثل فيها خصائص البيئة العربية والشخصية العربية والقيم العربية ، والأسلوب العربي والبناء الروائي العربي الذي ينهض على دعامات قوية من الشخصيات الروائية والصراع الدرامي المشوق والشعر العربي والأخلاق الإسلامية .

فبطلا الرواية ، مضاض وميا ، أو « مي » كما يتكرر اسمها في الكتاب ، يتميزان بالجمال ، وقد شبا في حي واحد ، وربطهما الحب العفيف ، فقد صان مضاض « مئزره عنها » ، « فلما بلغ بهما الهوى مبلغه وحذرا من الفضيحة أو السقم والموت » (١٩٩) بعثا إلى الحارث بن مضاض ملك مكة يشكوان « ما نزل من شوق بعضهما إلى بعض » . فأبلغ الحارث أباها ، مهليل بن عامر بن عمرو ، بقصة حبهما ، ووافق الأب على زواجهما ، غير أن الوقت كان يوافق شهر رجب ، الذي لا يحدث فيه سوى العمرة والطواف ، ومن ثم تأجل الزواج إلى ما بعد شهر رجب .

فذهب مضاض ليعتمر ، وكذلك فعلت ميا عندما علمت برحيل مضاض ، لكن حادثا عكر صفو الحب ، إذ رأت « ميا » حبيبها « مضاض » يناول « رقية بنت البهلول » الماء لتروي ظمأها الشديد .فاشتعلت الغيرة في قلب « ميا » وسقطت مغشيا عليها ظنا منها بأن مضاض يحب رقية .

وزاد الأمر تعقيدا أن تدخل « قبيس بن سراج الجرهمي » ، الذي أحب ميا أيضا ، فأبلغ ميا بقصة حب مختلقة بين مضاض ورقية . بل انه افتعل حوارا شعريا أداره بين مضاض ورقية يثبت قصة الحب بينهما . مما أكد شكوك ميا وظنونها ودفعها لقطع رحلة العمرة متوهمة غدر حبيبها مضاض . وطلبت ميا من أبيها السماح لها بالرحيل إلى مقر أخوالها ومقاطعة كل مكان يوجد به مضاض .

فلما عرف مضاض بدسيس قبيس ، استعد لقتاله ، غير أن قبيس فر واختفى . وحاول مضاض إقناع مي ببراءته من قصة الحب المختلقة مع رقية ، ودار بينهما الحوار الشعري التالي :

قال :

يعشى عن الناس لحظ طرفي
وعنك يا مي غير عاشي
أتهجريني بغير ذنب
وتقتليني بقول واشي

فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعاً وتبعها وهي تقول :

كذبت هوى وحنثت إذا يميني
إذا طالبت اثراً بعد عين
سأرحل والفؤاد له وجيب
واقطع للنوى بيناً ببيني

(ص ٢٠٢)

وهكذا افترق الحبيبان . ورحل مضاض مع اثنين من رفاقه . وعاود مضاض محاولته الشعرية مع ميا خلال ارتحالهما ، ولكن ميا صدته . فقرر مضاض الانتحار عطشا قائلا : « والله لا أشرب بعدها ماء أبدا » ، وولى وأنف أن يدخل مكة ومضى معه صاحباه يستعطفانه على شرب الماء ، فأبى لهما ، فجال حتى غلب عليه العطش وانصدع قلبه في صدره لما خامره اليأس حتى بلغ هذا الموضع فغشيه الموت ، فأناخ ناقته وأخذ رأسه عمرو وجعله في حجره وقال له : قصفك الدهر يا مضاض ففتح عينيه وقال له : قصفني قبيس » (ص ٢٠٤ و ٢٠٥) .

وأوصى مضاض بدفنه « بموطن الموت بين الدوحتين » وحفر له ضريحا ،ووضع عليه « صخرة عظيمة » . ثم تنفرج عقدة الرواية بلقاء يتم بين رقية وميا ويدور بينهما حوار تكتشف ميا من خلاله براءة حبيبها من قصة الحب المزعومة التي اختلقها قبيس للوقيعة بينهما . فقررت مي الانتحار عطشا أيضا للحاق بحبيبها ،وأنشأت تقول شعرا :

أيا موطن الموت الذي فيه قبره
سقتك الغوادي الساريات الهوامع
ويا ساكنا بالدوحتين مغيبا
لان طرت عن إلف فإلفك تابع

(ص ٢٠٧)

« وآلت على نفسها أن لا تشرب ماء حتى يرد جمل أبيها هوز — وكان هوز لا يرد إلا عن خمس — فأقامت يومين وليلتين ، فلما كان اليوم الثالث ولا أحد يعلم بها غير سلمى — غشيها الموت مع الليل الى الربوة ، فولت إلى الربوة وتبعتها سلمى . فلما بلغت أعلى الربوة سقطت ، قالت سلمى : « فوضعت يدي على فمها فوجدته كالحجر الصلد ، فرفعت رأسها إلي بلسان غليظ وصوت خفي ، فقالت بكلام ضعيف لا أكاد أبينه : (قولي لأبي يدفنني بالدوحتين بجوار مضاض) » .

وتضيف الرواية قائلة إن أباها نفذ وصيتها ودفنها مع حبيبها مضاض في الدوحتين أو « موطن الموت » .

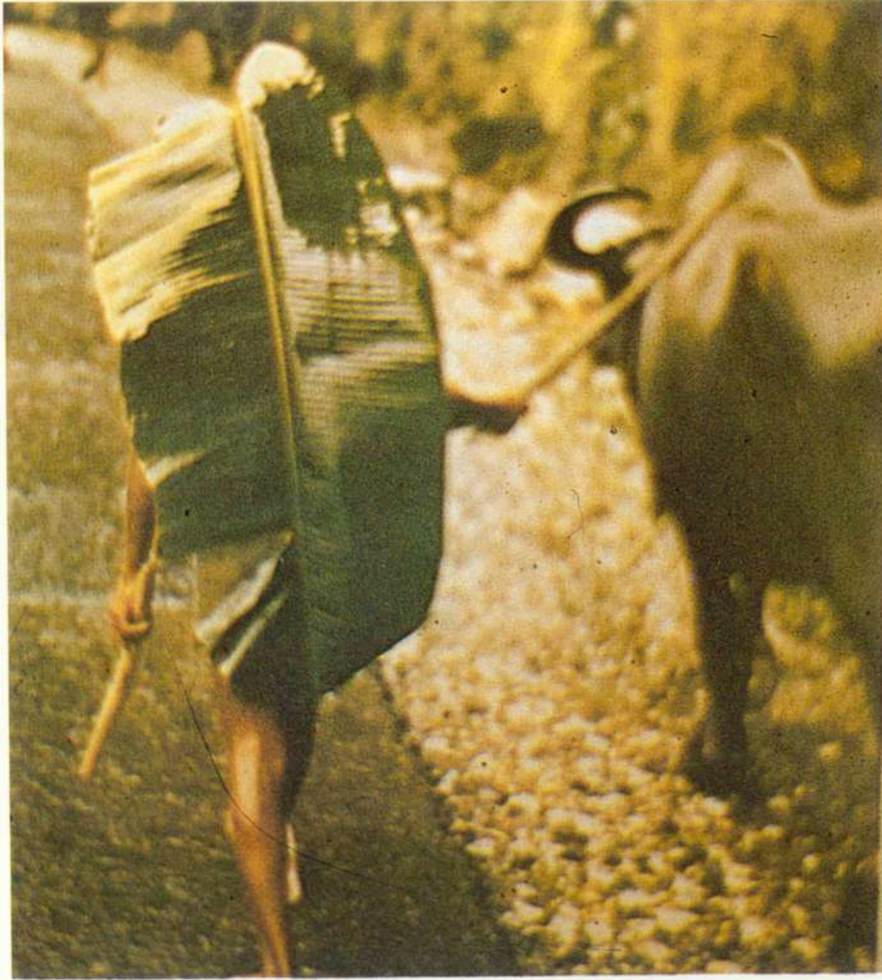
هذه هي أول رواية عربية في التاريخ ، عربية في بيئتها الصحراوية التي يعلو فيها شأن الماء ، وقد لعب الماء دورا محوريا هاما في تعقيد رواية الحب وفي ختامها أيضا ، رومانسية في تصوير قصة الحب العفيف وفي انتحار الحبيبين ، كما فعل روميو وجولييت في عصر لاحق . فهي رواية عربية كاملة ومتميزة وأصيلة وسابقة على الرواية الغربية . وهي تصلح شكلا ومضمونا للاحياء والبعث والتضمين في الرواية العربية الحديثة ، لما تتضمنه من شخصيات وحوار وصراع ، ولعذوبة أسلوبها الشعري والقصصي واستيعابها للتقاليد والطقوس والقيم الاسلامية .

وتثبت هذه الرواية العربية القديمة أصالة الفن الروائي العربي وتميزه وأسبقيته على الفن الروائي الغربي . ولعل هذا يؤكد ما ذكرته في مستهل هذه الدراسة من ضرورة مراجعة كثير من المسلمات التي نقلناها عن الغرب ، وخاصة حول نسبة الفن الروائي اليه والكتابة على منواله . فإن لنا فنوننا وآدابنا العربية منذ أقدم العصور ، وواجبنا أن ننتقي منها وأن نطورها في أعمال عربية حديثة ، حتى نضيف للغرب ولا نتبعه .

● في رواية "موطن الموت" نرى البناء الروائي العربي الذي يؤكد الأصالة والأسبقية على الفن الروائي الغربي

أحمد محمد عطية

لقطات من الكون المثير





رغم الاختلاف توصلا لنفس الفكرة

من مصدرين مختلفين ، اخترنا هاتين اللقطتين ، وهما كما ترى ، إحداهما تمثل عالم البشر ، والأخرى تمثل عالم القرود ، أو بالتحديد عالم القردة العليا كالشمبانزى والغوريلا وإنسان الغاب .. ولقد وحدت بينهما الظروف المناخية السيئة فى فكرة الاهتداء إلى طريقة يحتميان بها من هطول المطر ، رغم اختلافهما فى الزمان والمكان ، ووضعهما فى سلم المخلوقات .. فالبشر بشر ، والقرود قرود ، والهوة الفكرية أو الذهنية واسعة جدا بين هؤلاء وهؤلاء ، لكن أحيانا ما تهتدي القردة العليا الى حيل ذكية لتتغلب بها على ما يقابلها من صعاب ، فرغم أن هذا الصبى قد اهتدى إلى ورقة موز طويلة وعريضة ، لكى يحمى بها نفسه من هطول المطر ، إلا أن ذلك يعتبر أمرا طبيعيا بمستوى الفكر البشرى ، لكن أن يفكر هذا الشمبانزى الصبى كما يفكر صبيان البشر ، فيضع غطاءً من الأوراق فوق رأسه ليتقي هطول المطر ، فهذا شيء يدعو إلى إعادة النظر ، فهل يمكن أن تفكر مثل هذه المخلوقات بطريقة أقرب إلى البشر ؟..

قد يكون ذلك ، وقد لا يكون ، فهذا يتوقف على تحديد مفهوم الفكر بين الانسان وغيره من كائنات ، وأيا كانت الأمور ، فإن هاتين اللقطتين تحددان جانبا من جوانب السلوك الذي يعتبره البعض غريزة أو بداية ذكاء ، أو وحيا وإلهاما كالذي نراه مثلا في النحل « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .. وفى ذلك الكفاية لقوم يدركون .



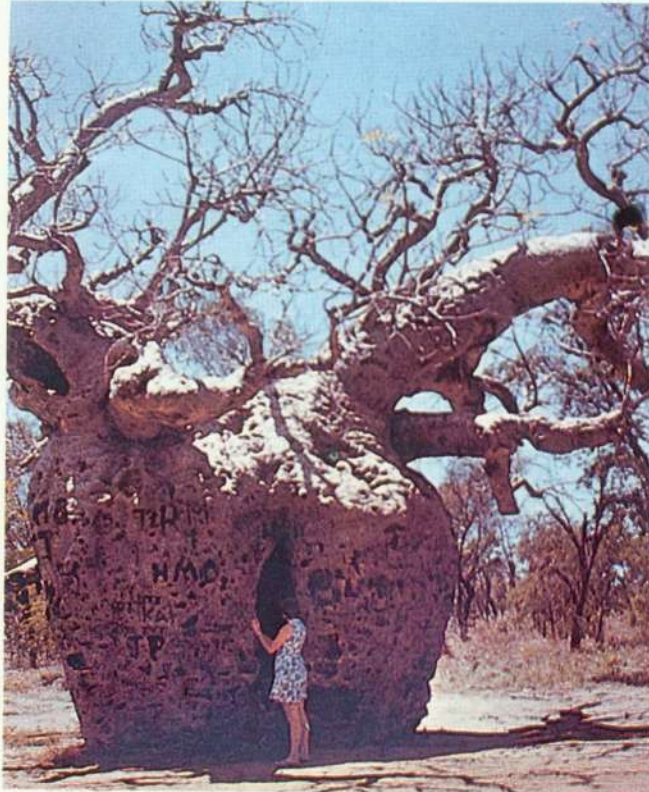
من مفارقات الحياة الساخرة والمضحكة أنها تهضم أحيانا حق الذكر، وتجعل السيادة للأنثى : حجماً ووزناً وكياناً، وأكثر من ذلك أنها تجعل منه طفيليا، فلا يستطيع الحياة بدون أنثاه .. فهذه السمكة الغريبة ـ التي يحتل فمها ثلث جسمها، وتبدو لنا كالضاحكة أو الساخرة ـ هي الأنثى، أما الذكر فتستطيع أن تتبينه وهو ملتصق بفمه على بطنها، والواقع أنه ليس ذكراً واحداً، بل ذكرين ضامرين، وحالهما هنا كحال جنينين يحصلان على غذائهما من دم أمهما، فعندما يجد الذكر الضئيل حجماً ووزناً أنثاه، يسرع إليها، وبفمه وأسنانه الحادة يعض جسمها، فيحدث فيه جرحاً، ثم يلتئم الجرح على فمه مدى الحياة، وتصبح دورته الدموية مشتركة مع الدورة الدموية لأنثاه، فتغذيه بدمها، وتمده بأوكسجينها، فيضمر قلبه وخياشيمه وأمعاؤه، إذ ليس لها من فائدة، وعلى حساب ما ضمر منه، تتضخم غدده الجنسية، ويصبح بمثابة جهاز تلقيح لا أكثر ولا أقل .. ولا تعليق على ذلك إلا قولنا : مسكين حال هذا الذكر، وكل ذكر يعيش على كد أنثاه !

شـجـرة غـريبـة بـين الأسـطـورة والحقيـقـة

هي ـ بلا شك ـ من أغرب الأشجار التي أثارت فضول الانسان، نظرا لتكوين جذعها، وتفرع أغصانها، فكأنما الجذع ينمو بالعرض، وكأنما الأغصان العارية تبدو من بعيد كجذور الشجر، ومن ثم فقد حيكت حولها الأساطير،

وأيا كانت تفسيرات القدماء لهذا النمط الغريب من الأشجار، فلا شك انها جاءت بهذا الجذع الضخم لحكمة، فهذا النوع يستطيع أن ينمو في المناطق الحارة التي قد تطول فترات الجفاف فيها، فكأنما الشجرة قد احتاطت للأمر، واستفادت من يومها المطير، لغدها الجاف، فراحت تختزن كميات هائلة من الماء في جذعها المتضخم، لدرجة أن الجذع الواحد قد يحتفظ بداخله بحوالى ١٢٠ ألف لتر من الماء، أو أكثر من ستة آلاف صفيحة، هذا ويصل قطر الشجرة إلى حوالى عشرة أمتار، ومحيطها إلى ٣٢ مترا.

بقى أن نعرف أن اسم هذا النوع من الأشجار هو التبلدي أو «البا أو باب»، الذي يكثر في أواسط السودان الغربي من النيل إلى النيجر، وبفضل ما يختزنه من كميات هائلة من الماء، جعل الحياة ممكنة في أكبر منطقة لانتاج الصمغ العربي في العالم.



دواب الأرض في القرآن الكريم

كيف ميز الله الإنسان وكرمه وخلقه في أحسن تقويم؟

بقلم: الدكتور محمد رشاد الطوبي

يحتوى القرآن الكريم بين دفتيه على كثير من الآيات البينات التى تشير بشكل واضح وصورة ملموسة إلى المخلوقات العديدة التى تحيط بالانسان فى كل مكان وزمان ، والتى تجعل من الأرض التى نعيش عليها معرضا منقطع النظير لألوان من الحياة الحيوانية أو النباتية على حد سواء ، وتعتمد كل تلك الألوان والأشكال والأنواع فى بقائها وانتشارها على الماء الذي يهبط عليها من السماء مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

« والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها » .

صدق الله العظيم

فحياة الأرض التي يعيش عليها الانسان هى في حياة تلك المخلوقات من نبات أو حيوان .

فإذا تناولنا الحيوانات الأرضية بالشرح والإيضاح نجد أن الله سبحانه وتعالى قد وهب لكل منها نوعاً من الحياة يضمن لها النمو والبقاء ومنافسة الحيوانات الأخرى التى تشاركها العيش على سطح الأرض ، فهى قادرة على البحث عن الغذاء والابتعاد عن الأخطار التي تهددها أو الأعداء الذين يتربصون بها ، فقد أتيحت لها وسائل الدفاع عن النفس بالقدر الذي أتيحت به مصادر الغذاء ، وقد نتلمس مثل تلك المعانى الرائعة فى الآية الكريمة التالية :

« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » .

صدق الله العظيم

و« المستقر » هو المكان الذي استقرت فيه كل واحدة من تلك الدواب ، هذا مع العلم بأن كلمة « الدابة » ـ كما جاء فى المعجم الوسيط ـ هى كل ما يدب على الأرض ، فجميع الحيوانات الأرضية على اختلاف أشكالها وأحجامها هي من « الدواب » . ولعل أصغرها حجما ـ ولكن ليس أقلها شأنا ـ هو النمل والنمل الأبيض ، ولكل منهما قصة طريفة فى القرآن الكريم .

وأولى هاتين القصتين هى التي ورد ذكرها فى الآية الكريمة التالية :

« حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » .

صدق الله العظيم

ولما كان سيدنا سليمان عليه السلام على معرفة بلغة الطير والحيوان فقد استطاع تبيان حديث تلك النملة لرفاقها من جماعات النمل وتحذيرها لهم ، حيث تستطرد الآية التالية بعد ذلك ... « فتبسم ضاحكاً من قولها » .

والواقع أن النمل يعيش فى مستعمرات على أكبر جانب من الرقى والتخصص ، حيث تعيش مختلف أفراد الجماعة داخل المستعمرة الواحدة ولكل منهم وظيفة محددة يؤديها لخدمة المجتمع بأكمله ، وتكون الأغلبية العظمى من تلك الأفراد من العمال أو الشغالة التى تكد وتشقى للقيام بجميع الأعمال المدنية التى تهدف إلى بقاء المستعمرة ونموها ، ومن تلك الأعمال على سبيل المثال جمع الغذاء وتخزينه فى مستودعات تحت الأرض لاستخدامه فى وقت الجفاف ، ورعاية صغار النمل وتغذيتها والحفاظ عليها ، وتنظيف مختلف أجزاء المستعمرة وما تحتوى عليه من الحجرات أو المساكن التى يستقر النمل بداخلها أو الدروب والممرات التى يسلكها فى غدوه ورواحه فى رحلات جمع الغذاء وغير ذلك من الأعمال المنزلية .

وهناك أيضا الجنود أو المقاتلون ولهم رؤوس ضخمة وفكوك قوية أعدت خصيصا للدفاع عن المستمرة من كل اعتداء يقع عليها أو على الأفراد المقيمين فيها . وهناك أيضا الملكات (الإناث الخصيبة) التى تبدأ كل منها بتكوين المستعمرة الخاصة بها ، وعدد محدود من الذكور تقتصر وظيفتهم على إخصاب الملكات ، فتنتج من النسل ما يكفى لنمو المستعمرة عددياً وتعويض ما يفقد من أفرادها نتيجة للموت أو الفناء .

أما القصة الثانية فتتعلق بمجموعة أخرى من الحشرات يطلق عليها أحيانا اسم « النمل الأبيض » ، ولكنها فى واقع الأمر ليست من النمل فى شيء ، بل هى فى رتبة أخرى من الحشرات التى تتغذى على الأخشاب بكافة أنواعها وأيضا على المنتجات الخشبية ، فهى تنخر فيها من الداخل تدريجيا حتى تلتهمها تماما ، ولا يبقى منها سوى القشرة الخارجية الرقيقة التى تحجب تلك الحشرات عن الضوء ، وذلك لأنها لا تعيش إلا فى الظلام ، ونظرا لتلك الطبيعة الغذائية فقد اطلق عليها اسم « الأرضة » ، وكانت الأرضة معروفة عند العرب حيث وصفت بأنها « دويبة بيضاء تشبه النملة » ، وقد اشتق اسمها من فعل « أرض » ، وجاء فى المعجم الوسيط ما يلى : « أرضت الأرضة الخشب أرضا أكلته » .

وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم تحت اسم « دابة الأرض » كما يتضح من الآية التالية :

« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » .

صدق الله العظيم

والمنسأة هى العصى الغليظة التى تكون مع الراعى ، والمقصود بتلك الآية الكريمة هو سيدنا سليمان عليه السلام ، وقد أدركه الموت وهو واقف على قدميه ومرتكز على عصاه ، وظل فى وقفته ردحا من الوقت حتى انتهت « الأرضة » من التهام تلك العصى ، إذ أنها كانت تنخر فيها من الداخل حتى أتت عليها ، وسرعان ما سقط على الأرض حيث عرفت وفاته بعد ذلك .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يلفت أنظارنا إلى أهمية تلك المخلوقات ، وإلى أن لكل منها مجتمعاً خاصا بها يتشابه مع المجتمعات البشرية فكانت الآية الكريمة التالية :

« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » .

صدق الله العظيم

والوقع أن النمل والأرضة (دابة الأرض) اللتين ورد ذكرهما فى الآيات السابقة من الحشرات التى تعيش فى مستعمرات متكاملة ومتعاونة مما جعل علماء الحشرات يطلقون عليها اسم « الحشرات الاجتماعية » (Social Insects) وتشترك معها فى تلك الظاهرة جماعات النحل الذى يعيش فى مستعمرات مشابهة ، وقد تكلمت عن ذلك بالتفصيل فى كتاب سابق لى عنوانه « طبائع النحل » أصدرته « المكتبة الثقافية » (العدد رقم ١٠٢ ــ ١٩٦٤) .

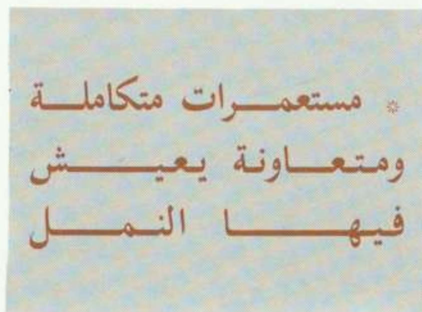
ولم تقتصر الآية السابقة على « دواب الأرض » بل امتدت أيضا إلى « طيور السماء » حيث وصفتها هى الأخرى بأنها « أمم أمثالكم » ويعرف المختصون بدراسة الطيور أن لها جماعاتها الخاصة التى تعيش فى نظام دقيق وحياة منسقة ، وتتضح تلك الحياة الجماعية أكثر ما تتضح عند الطيور المهاجرة فى مواسم هجرتها ، وعند الطيور البحرية فى مواسم تكاثرها .

وتقطن الطيور المهاجرة أساساً المناطق الشمالية من نصف الكرة الشمالى فى قارات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية ، وعند حلول فصل الشتاء حيث تكتسى الأرض بالجليد ويصبح الغذاء نادرا تندمج تلك الطيور فى جماعات كبيرة تحتوى كل منها على آلاف مؤلفة من الأفراد ، ثم تبدأ تلك الأسراب هجرتها السنوية إلى الجنوب حيث يكون الجو أكثر دفئا والغذاء أكثر وفرةً وتنوعاً ، وهى تمضى هناك فى تلك الاقاليم الجنوبية الدافئة فصل الشتاء ، ثم تعود بعد ذلك إلى أوطانها وقد امتلأت شحما ولحما وأصبحت مستعدة للتكاثر .

ومن أهم الطيور البحرية التى تندمج فى جماعات كبيرة أثناء موسم التكاثر الطيور المسماة « طيور البطريق » ، وهى طيور بحرية فقدت القدرة تماما على الطيران ، وتحورت أجنحتها إلى زعانف تستخدمها فى السباحة داخل الماء ، وهى تقضى معظم وقتها فى البحر حيث تشارك الأسماك فى مسابحها ، كما تعتبر الأسماك البحرية غذاءها الرئيسى ، وفى موسم التكاثر تترك طيور البطريق بيئتها المائية وتصعد إلى اليابسة فى القارة القطبية الجنوبية ، ويكون صعودها إلى تلك الأرض التى يكسوها الجليد طول العام فى جماعات كبيرة . وهنا تضع تلك الطيور بيضها حيث يتبادل حضانته كل من الذكر والأنثى فى تعاون وثيق ، وبعد فقس البيض ، وانتهاء موسم التكاثر تعود جميع تلك الطيور (كبيرها وصغيرها) إلى البحر لاستئناف حياتها من جديد ، وقد ضمنت تلك المعلومات وغيرها فى كتاب أصدرته لى « دار المعارف » فى سلسلة « كتابك » وعنوانه « حياة الطيور » (رقم ١٦٦ عام ١٩٨٤) وإنى أذكره هنا لمن أراد مزيدا من المعلومات .

ونعود بعد ذلك مرة أخرى إلى « دواب الأرض » التى ورد ذكرها فى الآيات السابقة ، فهى فى واقع الأمر لا تقتصر على تلك الدويبات الصغيرة « كالأرضة » التى أكلت عصى سيدنا سليمان ، أو « النملة » التى خاطبت أقرانها لتحذيرها من خطر كان يقترب ، بل إن هناك أيضا أنواعاً كثيرة كبيرة الحجم سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان كما يتضح من الآيتين الكريمتين التاليتين :

*** جماعات من الطير تعيش في نظام دقيق وحياة منسقة**



*** طيور بحرية فقدت القدرة على الطيران وتعلمت السباحة !**

« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة »

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » .

صدق الله العظيم

والنَعَم وجمعها نعمان وأنعام كما جاء فى « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٠ تطلق فى الأصل على « الابل » ، كما أنها تطلق أيضا على « الابل والبقر والغنم » على التوسع ، وهى جميعا كما هو معروف من « ذوات الأربع » أى أنها تمشى على أربعة أرجل ، وقد أشار إليها القرآن الكريم مرة أخرى فى تلك الآية الكريمة التى تتعلق بالحركة والانتقال من مكان إلى مكان وهى :

« فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » وليس هناك بين جميع المخلوقات من يمشى على رجلين مشيا صحيحا وحقيقيا ومتوازنا سوى الانسان الذى وضعه الله سبحانه وتعالى على رأس المخلوقات جميعا ، فهو يسير على قدميه معتدل القامة مرفوع الرأس بطريقة لا يدانيها أى مخلوق من المخلوقات الأخرى على الاطلاق ، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »

صدق الله العظيم

وآية أخرى فى نفس المعنى وهى : « الذي خلقك فسواك فعدلك » .

صدق الله العظيم

وهو ما يوضح بطريقة لا تدعو إلى اللبس أو الغموض إلى حسن القوام واعتدال الجسم كما هو مشاهد وملموس ، وقد اختار الله سبحانه وتعالى لبنى الانسان « أحسن تقويم » تكريماً له وتمييزاً عن باقى المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها التى لا يكاد يدركها حصر ولا عد .

وقد أدت استقامة القامة وارتكاز الجسم على رجلين إثنتين بدلا من أربعة أرجل (كما فى باقى الدواب والأنعام التى خلقها الله سبحانه وتعالى) ، أدت تلك العملية إلى تحرير الرجلين الأماميتين حيث تحورتا إلى ذراعين يستخدمهما الانسان فى مختلف الأعمال والأغراض ولعل من أهم تلك التحورات انزلاق الأبهام ليصبح فى مواجهة الأصابع الأخرى حيث يستطيع الانسان عن طريق تلك اليد القابضة الإمساك بمختلف الآلات والأدوات .

ويعزى كثير من العلماء تفوق الانسان وتقدمه فى العلوم والفنون ، وإتقانه لكثير من الحرف اليدوية التى تحتاج إلى مهارات عالية ، ونجاحه فى ولوج الميادين الزراعية والصناعية وغيرها ، يعزون كل تلك القدرات إلى امتلاكه لتلك اليد القابضة التى يقع فيها « الابهام » فى مواجهة الأصابع الأخرى فى اليد .

محمود درويش للدوحة:



حوار: مفيد فوزي

استكشاف حياة شاعر ، فى جلسة أو جلستين أو ثلاث .. رهان على مستحيل !

الشاعر كائن استثنائى . طائر اعتاد التحليق فى سماوات بعيدة ، وإخطاره بالتوقف ليروى قصة حياته ، محاولة لقص جناحيه ! أين يسكن الشاعر ؟! .. فى قصائده . أين يقيم بالضبط ؟ .. فى قصائده . من هو على وجه التحديد ؟ راجع قصائده ! لهذا تسلحت ـ قبل أن أراه ـ بديوانه ، وكتاب نقدى عنه لرجاء النقاش : شاعر الأرض المحتلة .. محمود درويش .

أصعب ما فى شاعر مزاجه الشخصي . قلت وأرددها إنه كائن استثنائى ، فلا أستطيع أن أعرف ماذا يثير شهيته للكلام ، ولا أعرف متى يتدفق .. فى النهار أم الليل ؟ ولا أعرف المحاذير التى إذا تطرقت إليها قد تسد مسامه ويتحول أمامى إلى قارة مغلقة الحدود . أظن أنه من حق القارىء أن يعرف خلفية الحوار قبل الحوار نفسه . فالخلفية النفسية ترسم صورة للشاعر حتى ولو حاول إخفاءها . وعلى المستوى الشخصى كان عندى فضول لأرى محمود درويش وأقدم « الانسان » قبل « الشاعر » فتجربة طفل فى السادسة أيقظته أمه من النوم فجأة « فوجدت نفسى مع مئات من سكان القرية أعدو فى الغابة وكان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا ولم أفهم شيئا مما يجرى . بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربى الضائعين فى كل الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين تساءلت بسذاجة : أين أنا ..؟ وسمعت للمرة الأولى كلمة لبنان . يخيل إلى أن تلك الليلة وضعت حداً لطفولتى بمنتهى العنف وأحسست فجأة أنى أنتمى إلى الكبار ..» تجربة طفل أحس أنه « ينتمى إلى الكبار » منذ السادسة جديرة بالرصد .. ومحاولة استكشاف آفاقها .

وقد فهمت بعض العادات المزاجية عن محمود درويش .

ـ انه يفضل « الليل » كثيرا فى الحوار لأنه يثير فيه التأمل والتحليق .

ـ لا محاذير عنده ولا محظورات فى الحديث .

ـ انه لا يحب « المباشرة » يكره أن يتحول إلى « مصدر » لصحفى أو « موضوع » لكاتب . يحب « المعايشة » .. وإلا كان « مغلقا للتحسينات » !

ـ إذا كنت قارئا لشعره واحفظ بعضه ، ارتفعت درجة شهيته للحديث وإذا كنت لم أتعرف عليه بعد كشاعر .. أحس هو بغربة وقد يسألنى فجأة :« من تريد أن تقابل ؟ » !

ـ أقفز بذكاء فوق حادث طلاقه من زوجته السابقة الشاعرة !

جرى الحوار بينى وبين الشاعر محمود درويش فى عمان ، العاصمة الأردنية فوق أحد تلالها . هناك فى بيت صديق « فاروق القاضى » . كنا قد مررنا على الشاعر ـ بعد الغروب ـ فى الفندق . واصطحبناه وعباءة الليل تغطى بيوت

● كتبت قصائد باللغة العبرية في مراهقتي
● أنا وسميح القاسم نسير نحو هدف واحد باتجاهين
● علاقتي بأبي عمّار ليست علاقة مثقف بالسُّلطة
● وصل توزيع كتبي إلى المليون نسخة

عمان . وفى السيارة قلت لمحمود درويش إن الليل يحرض على الكتابة . وقلت له إن هناك « وشوشات » أسمعها تصوغ حروفا متشابكة فوق الورق . وقلت له إنى أكتب الأوراق الرسمية المقدمة للحكومة فى النهار . وقلت له إني أكتب فى حضن صوت فيروز . وقلت له إن أول أبيات شعر كتبتها فى حياتى كانت لبنت الجيران ، ويبدو أنه لفرط ركاكتها ، أحبت واحداً غيرى كان يلعب كرة القدم في المدرسة.وضحك محمود درويش بطفولة ، اهتز كل شيء فيه ، كان يضحك كالأطفال عندما يرون شارلى شابلن « يتكعبل » في شيء ما ! وشعرت أن كلانا يقترب من الآخر . وأخذت أستعيد فى ذهنى تجربة رجاء النقاش التحليلية عنه ، فالناقد « مكتشف » لقارة الشاعر بصورة ما . وعندما صعدنا التل بالسيارة وألقينا نظرة على عمان من أعلى ، قلت لمحمود درويش « أظن أن جسر الملك حسين ليس بعيدا من هنا » وقال الشاعر بكلمات محددة وقد ذكرته بالأرض المحتلة ، فالجسر هو الحدود الفاصلة بين الأردن والضفة ..

« هل تعرف أنى من قرية البروة ؟ إنها على بعد ٩ كيلو من عكا . كان لها اسم رومانى وحرف تحريفا صغيرا . قريتى الفلسطينية تسكننى تماما . فأول طلقات رصاص انطلقت فى سماء القرية الهادئة كان عمرى ٦ سنوات » . وصمتنا . وشعرت أن محمود درويش لا يهرب فى جميع الأحوال من « موضوعه الرئيسى » الذي يملأ عليه وجدانه وشعره بحيث أننا نستطيع أن نقول دون أن نخشى الخطأ ، إن كل شعر محمود درويش يتصل بموضوع أساسى واحد هو وطنه وجرحه فلسطين .

محمود درويش « أنبته جذع زيتوننا الخالدة . أورق وأثمر فأنشد للجذع الراسخ ، والأرض الملوعة والطير المهاجر .. يحتضن أعشاشه ويدعو أسرابه إلى العودة » (حنا أبو حنا فى مقدمة ديوانه الثانى ١٩٦٤) . كنا قد وصلنا . ولم أشأ بدء الحوار مباشرة . كنت ببساطة أحاول أن أحافظ على « مفردات » مزاج الشاعر .

● حين قلت لمحمود درويش .. سأطرح أسئلتى من أبيات قصائدك ، قال متهللا « أرحب بهذه الطريقة لأنها تستفز ذكرياتى وتفتح شهيتى للكلام ! » .

قلت له :

أنا من قرية عزلاء منسيه

شوارعها بلا أسماء

.... فهل تغضب .

سجل ..

أنا عربى .

قال محمود درويش : هذه القصيدة كتبتها قبل ما يزيد على ربع قرن . وأخذ الشاعر نفسا طويلا من سيجارة لا تفارق شفتيه .. وقال لم تكن قصيدة كانت مجرد حادثة شخصية . ذهبت عندما بلغت سن الرشد إلى وزارة الداخلية الاسرائيلية للحصول على بطاقة هوية وبدأت فى تعبئة الاستمارة . كتبت المزايا الشخصية ولون العينين والشعر والعنوان الى أن وصل الموظف إلى السؤال التقليدى عن القومية . وكان الحوار باللغة العبرية فقلت له « أنا عربى » . فسقط القلم من يد الموظف الاسرائيلي وقال : ماذا تقول ؟ قلت « نعم ، سجل أنا عربى » قلتها بالعبرية وخرجت من مكتبه فى مدينة عكا لأستقل الاتوبيس إلى قريتى ووجدت نفسى أدندن بهذا الاستفزاز سجل : أنا عربى إلى أن تطور إلى هذا الشكل النهائى . لم أكن أعتقد أن هذا النص يتحول إلى قصيدة . كنت أظنها صرخة استفزاز لموظف اسرائيلي استهجن أن أكون

● فلسطين ليست قضية سياسية إنها قضية جماليّة

● أنا لا أدّعي معرفتي بالمرأة .. ولن أعرفها !

عربياً ، ولكن عندما قرأت هذا النص فى أحد المهرجانات الخطابية فوجئت بأن الناس استعادته ثلاث مرات على الأقل . وعندما أصبحت هذه القصيدة هويتى الشخصية الشعرية حاولت أن أتمرد عليها لأنى كنت ومازلت مهووساً بالتفوق على نفسى وتطوير تجربتى الشعرية ولكن الناس – مثلك – لازالوا يلاحقوننى بهذه القصيدة حتى الآن . واستسلمت للعلاقة بين القصيدة والناس ..

همست مقاطعاً محمود درويش « من المستحيل استرداد قصيده احتلت وجدان الناس » .

قال : أصبت الحقيقة ، والدليل أننى عندما كنت أذهب إلى القرى الفلسطينية أكتشف أن الأطفال عندما يرون الشرطة الاسرائيلية يلاحقونها ويقولون « سجل أنا عربى » تحولت إلى نشيد شعب .

واستطرد محمود درويش يقول : فى القصيدة أكثر من محطة استفزاز لإسرائيل . الأولى ، أنى عربى . الثانية ، كثرة النسل العربى ، فأنا أقول : أطفالى ثمانية وتاسعهم يأتى بعد صيف ، والعامل الثالث فى الاستفزاز هو أنى من الطبقة العاملة فلاح .

قلت لمحمود درويش مستفسراً : « هل كتبت يوماً شعراً باللغة العبرية التى يبدو من حديثك أنك تجيدها »؟

قال الشاعر : « كتبت قصائد غزلية في مرحلة المراهقة . لكنى كنت كاتبا سياسيا باللغة العبرية كنت أكتب مقالاً أسبوعيا فى مجلة اسرائيلية وأحاضر وأخطب بالعبرية !

● ● ●

قلت لمحمود درويش :

إننى مندوب جرح لا يساوم
علمتنى ضربة الجلاد ..
أن أمشى ثم أمشى ثم أقاوم

وفى مثل وظيفتك هذه ، الاستقالة .. ممنوعة !

سرح الشاعر وقال : اخترت الطريقة التى تفجر بها الراقد والمخزون !

ابتسمت فى سرى ، فقد شعرت أنى أتحاور مع محمود درويش على نفس الموجة وربما نفس الذبذبات .

قال الشاعر : الأبيات من قصيدة تذكرنى بمجزرة كفر قاسم .

محمود درويش للدوحة:

• شاعر وشاعرة.. لا يستطيعان أن يعيشا معا !

وقد أتيح لى أن أزور هذه القرية بعد عشر سنوات من المجزرة .. وحرضتنى على كتابة هذه القصيدة . فلا قدر لى إلا أن أمسى على جرحى وأقاوم . والاستقالة غير واردة ولا أفكر فيها من حيث الوعى بضرورة الاستمرار فى الايمان والمقاومة !

همست مقاطعاً ولكن لك قصيدة أخرى بعنوان : « ويسدل الستار ولهذا أستقيل » !

ضحك محمود درويش وقال : فى حوارك .. شيء من التربص !

قلت : بل كثير من الاهتمام !

عاد الشاعر يقول : يسدل الستار قصيدة كتبتها بعد خيبة ٦٧ .

وهى قصة ممثل مسرحى يمل دوره ويكتشف أنه أداة فى يد المخرج ولهذا يتمرد على دور ليس له ، أى أنه يستقيل من دور الزيف ومن القناع الذى يضعه على وجهه . إنها استقالة ممثل مسرحى اكتشف بعض الحقائق عن خيبة ٦٧ وليست استقالة من عملية المقاومة أو التشبث بمبادىء المقاومة .

• • •

فجأة ، قلت لمحمود درويش : اسمح لى أن أكون تصادميا !

قال بسرعة : السؤال التصادمى ليس بحاجة إلى إذن . إنه يفرض نفسه !

قلت : عندما يقارنون بينك وبين الشاعر سميح القاسم ، تبدو المقارنة ليست بصالحك . يقولون إن سميح القاسم مازال يجلس على ربوة الصمود ويقولون بالحرف الواحد إن محمود درويش قد اغتنى ويقولون إن التجربة الدرويشية تسللت إليها الرفاهية .. وها أنذا أصغى لك !

قال محمود درويش .. وكلماته تصاحبها سحابات الدخان :

ــ أولا ، يشرفنى أن أواصل عمليتى الشعرية بزمالة مشرفة مع سميح القاسم . لقد بدأنا كتابة الشعر معا ، وعشنا معا فى شقة واحدة وسرنا فى طريق واحد ومازلنا نسير فى طريق واحد .. هو فى اتجاه وأنا فى اتجاه نحو نفس الهدف . هو يمثل الوجه الباقى فى الأرض المحتلة وأنا أمثل وجه المقاومة التى يخوضها الشعب الفلسطينى خارج الأرض المحتلة . أى أننا نمشى خطوة واحدة فى اتجاهين متعاكسين . لا يعنينى أن أقارن بأحد . إنما يعنينى أنا وسميح القاسم وغيرنا أن نضيف أبياتا شعرية على النشيد الفلسطينى الذي لم يكتمل .

استطرد يقول : أما أنى قد اغتنيت فانا أعترف بذلك . نعم لقد اغتنيت بتجربتى الشعرية وثقافتى الشعرية وبتطوير شعرى ومساهمتى المتواضعة فى تطوير الشعر العربى الحديث ، من هذه الناحية أنا غنى جداً وغنى بعدد قرائى . نعم أنا غنى لأنى أحد الذين وصل توزيع كتبهم إلى المليون نسخة !

• • •

همست مقاطعاً : لا أعرف رأيك فى الشاعر نزار قبانى . أنا أراه الأكثر شهرة وحضورا على الساحة العربية . أراه الأكثر تمرداً على القوالب .. شعرية كانت أو اجتماعية . أراه صاحب لغة خاصة به اخترعها ولا أحد يعرف من أي نبع يغرف .. إن صديقى الشاعر الأردنى يشبهه بالمليونير الشديد الغنى الذي لا يحتاج حين يريد شراء أى شيء إلا إلى مجرد التوقيع على ورقة صغيرة ، فتوقيع هؤلاء كما تعرف معترف به فى كل أنحاء الدنيا .

قال محمود درويش : ستفاجأ عندما أقول لك ان نزار قبانى أحد آبائى الشعريين ولا يستطيع أى شاعر من أبناء جيلى أن ينفى أو يخفى أبوة نزار قبانى الشعرية على هذا الجيل . كلنا تأثر بأناقة الجملة الشعرية عند نزار قبانى وتمرده على الكلاسيكية . وعندما ينمو الشاعر ينتقل من الافتتان إلى الاستقلال بشخصيته . نزار قبانى لا يعنيه ــ مثلا ــ أن نقول عنه إنه شاعر ثورى وهو لا يدعى ذلك . هو شاعر جميل يكتب هموم الناس سواء كانت هموما عاطفية أو هموما سياسية وأنا أيضا لا أدعى أنى شاعر ثورى . هذا متروك للتاريخ ومتروك لتفاعل الناس .

قلت همسا : كيف « تصنف » نفسك ؟

قال : أنا شاعر مهووس بخلق معادل لغوى للواقع العربى الذى نعيش فيه . أى أننى أخلق واقعاً لغوياً . لا يهمنى أن أكون شاعرا ثوريا أو رومانسيا . فى قصيدتى الواحدة عدة مدارس . أنا أستفيد من كل المدارس واكتب قصيدة متميزة اسمها قصيدة درويشية ومن دلائل ذلك أن علاماتى ، بصماتى الشعرية موجودة على جيل كامل .

قلت لمحمود درويش :\
فلسطينية كانت\
ولم تزل ...

قال الشاعر : هذه القصيدة كتبتها فى أحد السجون الاسرائيلية فى سجن الرملة على وجه الدقة وعنوانها « عاشق من فلسطين » وقد لاحظ النقاد والقراء أن شعر القصيدة لا يصنف الى أغراض شعرية ، أى ليس لى قصيدة غزلية ، وقصيدة فى وصف الطبيعة وأخرى قصيدة رثاء أو قصيدة حب . كل هذه المشاعر والموضوعات تذوب فى قصيدة واحدة . هذه القصيدة هى قصيدة حب للأرض أو قصيدة حب لامرأة تلخص الأرض . ليس عندى معلبات شعرية . النص الشعرى مفتوح على كل الأغراض والموضوعات .

همست .. أعترف بأنى أردت أن أدلف إلى قلبك !

همس بالمقابل : أعترف أنى لا أدعى معرفة بالمرأة .. !

همس : هل أصابك بعض الأذى منها ؟

همس بالمقابل : أحيانا ..

ثم اعتدل محمود درويش فى جلسته وقال : لا أستطيع أن أدعى كما يدعى الشعراء أنى خبير بشئون المرأة وعواطفها . لى علامات كثيرة فى حياتى الشعرية والعاطفية ، لا تؤهلنى للادعاء بمعرفة المرأة ..

قلت لمحمود درويش ــ رغم أني محذر من الخوض فى هذه السيرة لكنى بعناد طفولى سألت : الشاعرة فى حياة الشاعر هل من الممكن أن تكون رفقة جميلة .. و ...

قال مقاطعا : لا .. شاعرة وشاعر لا يستطيعان أن يعيشا معاً !

قلت : لا .. بدون تفكير ؟!

قال مكررا إجابته بحسم وهو يضغط على الحروف : شاعرة وشاعر لا يستطيعان أن يعيشا معا !

قلت : هل هناك امرأة ما تريح الشاعر ؟

قال بعد تردد : لا أعرفها ؟!

قال ضاحكا : ويبدو لى أنى لن أعرفها لأن الشاعر أيضا ليس حالة موحدة . الشاعر انسان ولكل انسان طبيعة وكيمياء نفسية مختلفة . أنا من الشعراء الذين « لا يحتملون » بضم الياء فى معاشرة طويلة لأن لى مزاجاً حاداً ولى تقلباتى النفسية والعاطفية ولا يحق لأى امرأة أن تتحملها لذلك لا أعرف المرأة التى تريحنى . من يريحنى الآن يتعبنى غدا . من يريحنى فى هذه الساعة قد لا يريحنى بعد ساعة ..!

ان مزاجى الخاص يرهقنى . أصارحك .. عندما أجريت آخر فحوص لقلبى منذ شهر ، قال لى أحد الأطباء « أنت الذى استدرج الجلطة القلبية من فرط توترك ونزقك !!! »

قلت :\
حبنا أن يضغط الكف على الكف\
ونمشى\
وإذا جعنا تقاسمنا الرغيف\
وفى ليالى البرد أحميك برمشى

● مازلت أتهجى نشيدي الطويل!

● نزار قباني أحد آبائي الشعريين

وبأشعار على الشمس

تطوف ...

رد محمود درويش هذا هو حلمي . هكذا أفهم الحب . هل حققته ؟

هذا سؤال آخر . المشكلة أن الرجل يضع نمطاً للمرأة من اختراعه .. والمرأة تضع نمطا من اختراعها للرجل . الانسان ليس نمطا . الانسان كائن متغير ومتطور دائما . لا يمكن أن يكون ثباتا نمطياً .

قلت لمحمود درويش : من الحب إلى الحرب . لو أتيح لك أن يكون لك عمل نضالى فى منظمة التحرير ..

قاطعنى الشاعر : أجمل ما فى حوارك أنك لا تحب الوقوف طويلاً فى المحطات . قطارك يعرف طريقه جيداً ! وأرد على تساؤلك لقد مارست مهاما وظيفية فى المنظمة منذ انخراطى فيها وفى مقدمتها أنى كنت رئيسا لتحرير المجلة الفكرية للمنظمة . وكنت مديراً عاماً لمركز الأبحاث . وفيما بعد أرغمتنى المهام الوطنية على قبول رئاسة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وأرأس أيضا مجلة أدبية . لذلك أنا أحتل مواقع فى منظمة التحرير . ولكن لو كان سؤالك يعنى « منصباً رسمياً لى » فأنا أتمنى أن أبعد عنى هذه الكأس ! تسألنى بعينيك : لماذا ؟ والاجابة لأبقى هامشاً فاصلاً بين الانخراط فى العمل السياسى اليومى وانتاجى الثقافى والشعرى !

قلت : هل هناك حساسية ما بسبب علاقتك بأبي عمار . سؤال صريح ، هادىء ؟

قال : علاقتى بأبي عمار علاقة واضحة وسهلة . لا صعوبة فيها اطلاقا ، لأنه « قائدى » . هذا هو الاطار الكبير ، وعلى الاطار الشخصى هو صديقى . ولذلك لا أشعر بأى حساسية فى علاقتى به . إن السؤال عن العلاقة بين المثقف والسلطة سؤال مطروح . بمعنى أن علاقتى بياسر عرفات ليست علاقة مثقف عربى بسلطة عربية . لأن ياسر عرفات مازال فى تعامله معنا مواطنا فلسطينيا عاديا . ولا أحد يحسده على قيادة السفينة الفلسطينية التى تتجه فى محيط هائج . إننا نشعر أنه « أبونا » جميعا ولكننا نشعر أيضاً أنه « ابننا » نشعر أننا مطالبون بأن نغدق عليه كمية أكبر من الحنان . ومن هنا سؤال السلطة والمثقف غير وارد . إنه يبحث عن بر أمان للشعب الفلسطينى ونحن معه .

• • •

قلت لمحمود درويش : هل أساء البعض من العرب موقفك فى الأرض المحتلة . هل واجهت يوما ما أي اتهام لك واضطررت للرد عليه ؟

قال الشاعر : أنا لا أشكو إلا من فرط الحب الأعمى . فى يوم من الأيام استقبل النقاد العرب قصائدنا نحن السجناء بطريقة مؤذية .. بمعنى أنه لا شعر خارج الأرض المحتلة . ولكن الحاجة النفسية لدى المواطن العربى المهزوم إلى مصادر قوية تأتيه من الأرض المحتلة وقداسة القضية الفلسطينية جعل التقييم النقدى مضللاً . ومن هنا كتبت مقالتى الشهيرة « انقذونا من هذا الحب القاسي » وقلت نحن لم نأت من فراغ ولسنا بنباتات شيطانية ، نحن أبناء المدرسة الشعرية العربية الحديثة ولسنا سوى مساهمين صغار فى هذه الحركة . أما الاتهامات فجاءت فى مرحلة متأخرة عندما اتهمنا بعض المتطرفين بأننا « جنسية اسرائيلية » وهناك فرية قذرة تقول إننا (سميح القاسم وأنا) قد رفعنا العلم الاسرائيلى !!! أي صفاقة وخسة ، من هذه التهمة ! انه خيال أسود .

غيرت الموضوع .. وقلت لمحمود درويش :

انا نحب الورد
ولكنا نحب القمح أكثر .
ونحب عطر الورد
لكن السنابل منه أطهر ..

قال محمود درويش : أنا لم أذهب فى الطبيعة ولم اخترها موضوعاً شعريا ، أنا ابن الريف وجدت نفسى فى الطبيعة ، فأنا كل عالم صورى الأولى هو من طبيعة بلادى وأنا انتمى الى أرض هى أجمل أراضى وأوطان العالم ، فلسطين ليست فقط قضية سياسية وإنسانية ، هى أيضا بالنسبة لى قضية جمالية ، هى فعلا قضية مفقودة ، كل صورى وكل أزهارى وأعشابى وأشجارى وطيورى هى ليست مستوردة من مرجعية ثقافية . إنما مأخوذة من طبيعة معاشة ، أنا واحد من أبنائها ! ابن هذا البرتقال وابن هذا الزيتون ابن هذا التنوع اللامتناهى من أزهار الربيع الفلسطينى . فعلاقتى بالطبيعة ، يعنى لى أرضى الأولى وسمائى الأولى وفصول الأولى التى هى وطنى .

قلت للشاعر : عندي سؤال يرضى فضول الشخصى : كيف يمكن للفن أن يتعايش مع الأيديولوجية ؟

قال : أنا بالفعل استهجن خوف كثيرين من المثقفين الذين يرون تعارضا بين الفن والأيديولوجية . أنا لا أجد تضاربا بينهما . المهم أولا أن تكون مبدعا مثقفا أو مؤمنا بعقيدة أو ملتزما بفطرة ما أو ساعيا نحو رسالة ما أما الخطورة فهى أن تخضع الفن اخضاعا ميكانيكيا لخدمة هذه الايديولوجية . الخطورة ليست فى أن يحمل الشاعر ايديولوجية الخطورة هى تقديم الفن كخادم مباشر لهذه الايديولوجية .. والموهبة فقط هى التى تستطيع أن تخفى الفكرة المباشرة .

• • •

قلت لمحمود درويش : هل عرفت الهزيمة فى الحب ؟

قال : أنا دائما مهزوم فى الحب !

قلت : هل الهزيمة وقود .. الشاعر ؟

قال : ياسيدى ، كل عاشق هو مهزوم ، بمجرد أن يقع فى الحب !

قلت : هل دموعك سهلة ؟

قال : دموع طفل !

تابعت أسئلتى القصيرة ذات الايقاع السريع وأخذ الحوار يقترب من الشاطىء .

وقلت : ما هو الهوس عندك ؟

قال : التعلق بشيء يصل عدم تحقيقه حد محاولة الانتحار .

قلت : من أين تأتيك البهجة ؟

قال : من نهار جميل أو إحساس غامض بالاقبال على الحياة .

قلت هل أنت ثائر أم شاعر؟ إنه سؤال ساذج ..

قال : أنت يريحك أن تطلق عليه سؤالا ساذجا وهو فى الحقيقة سؤال ماكر .. أنا شاعر وأنا ثائر .. أو قل أنا شاعر ثائر . أو قل أنا ثائر شاعر . ببساطة أنا اعتبر نفسى شاعراً ثوريا .

لم يفقد محمود درويش درجة شهيته للحديث ثانية واحدة . دخن عشرات السجائر قطعنا الوقت بسيفه . وبعد فنجان قهوة ، سألته عن عدوه : من يخاف ؟

فقال : لى عدو واحد هو الضجر . أنا لا أخاف إلا من الضجر ، لا أخاف من الموت ، خاصة وأنى عرفت الموت دقيقة ونصف دقيقة وكان نوما أبيض ومريحا . لكنى أخاف الضجر وهو أن تتكرر الأشياء بطريقة لا جديد فيها . أن تتكرر الصور بطريقة لا جديد فيها . أن تتكرر الهزيمة عربيا بنفس الشكل !

قلت : هل هناك القصيدة التى لها « القدرة على التغيير » ؟

قال وهو يضع رأسه بين يديه : لا أعتقد أن قدرة الشعر على التغيير هى قدرة آنية أو يومية . هى قدرة بطيئة جداً وسرية جداً وغير واضحة . ومازلت كشاعر لم أقل ما عندى . أشعر أنى مازلت أتهجى نشيدى الطويل ولم أدخل فيه !! ثم صمت محمود درويش .

• • •

.. وخشيت من « الضجر » عليه . فانسحبت من أمامه .. وتركته يواصل التحليق .

مفيد فوزى

"الدوحة" في الأراضي المقدسة ضمن بعثة الحج القطرية

بينما كنت ووفدنا الاعلامي المنضوي تحت لواء بعثة الحج القطرية ننعم بالإقامة المؤقتة في مدينة رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وإذ بأحد مسئولي البعثة ينبئنا بضرورة التوجه صباح الغد إلى مكة المكرمة لنكون في خدمة ضيوف الرحمن بناء على توجيهات رئيس البعثة .

كان الخبر مفاجئاً لي ، فأنا ما زلت متعطشاً للبقاء في المدينة المنورة ، وما برحت ظمآن للصلاة والدعاء في مسجد الرسول ، ولكنني عزيت نفسي بالسعادة المرتقبة في المسجد الحرام حيث الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه ، وبأنني تارك المدينة لا محالة استعداداً لأداء فريضة الحج التي طالما تمنيتها وحلمت بها في يقظتي وسباتي .

كانت لحظة وداعي لقبر رسولنا الأعظم شديدة الوطء على نفسي . ففاضت دموع العين مني صبابة وتأثراً ، ودعوت الله أن يكتب لي عودة أخرى لتلك البقاع الطاهرة .

في رحاب مكة والمسجد الحرام

بقلم : نبيل خالد الأغا

لم يكن قائد مركبتنا يعلم شيئاً عن طبيعة طريق « الهجرة » الجديد الممتد بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، لأجل ذلك تطوع أحد سائقي البعثة المخضرمين فرافقنا حتى قرية « أبيار علي » على بعد ١٥ كم وهي ميقات أهل المدينة ومن حولها حيث نوينا وأحرمنا بالعمرة والحج ، وواصلنا مسيرتنا ونحن نردد نداء الخلود : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وبعد مضي ثلاث ساعات ونيف وصلنا مشارف مكة ، ورائحة الطهر والقداسة تعبق في صدورنا وقلوبنا ،وما كدنا نصل مقر البعثة حتى انطلقنا إلى المسجد الحرام متلهفين لإدراك صلاة الجمعة فيه .

هأنذا أدخل باسم الله باب السلام ، وفجأة أرى وجه حبيبتي المشع فرحاً ونوراً ،إنه أجمل وأروع وأقدس ما رأيت وماسوف أرى ، ويفيض القلب حباً ومناجاة : لقد وصلت إليك أخيراً يا كل شوقي والتياعي ، بعد طول تمن وتلهف ومكابدة ..

أقبل بثغري الآثم وجهك المشرق أبداً ، أتعلق بضفائرك الأجمل ، أتمسح بثوبك الأعطر ، أتدثر بستائرك الأطهر ، ثم أدعو لك العلي القدير : اللهم إن هذا بيتك الذي عظمته وكرمته ، اللهم فزده تعظيماً وتكريماً وتشريفاً ، وأدعوه سبحانه : « رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ».

أبدأ بتحيتك ، وتحيتك هي الطواف ، فأطوف حولك ، وأكاد لا أصدق عيني اللتين تكتحلان بمرآك ، أطوف وأكاد لا أقوى على حمل قدمي اللتين أعيتهما رهبة المكان والزمان . أطوف .. وأطوف حولك كما طافت الملايين والملايين من قبلي .. وأنت أنت الكعبة الكعبة ذات الأسماء

باب الكعبة المشرفة وهو من الذهب الخالص



الشريفة المذكرة والمؤنثة ، فأنت بكة التى بكت ودقت أعناق الجبابرة . وأنت البيت الحرام الذي حرمه الله على المشركين ، وأنت البيت العتيق الذي أعتقه الله من الكفار والجبابرة ، وأنت التي تتربعين بكل الاعزاز وبكل التعظيم والاكبار وسط ألف مليون مهجة ، ووسط ألف مليون قلب ، ووسط ألف مليون كبد هي مهج وقلوب وأكباد المسلمين كل المسلمين .

انتهى الشوط الأول .. والثاني ، وأنا أدعو وأسبح وأحمدل واستغفر وأقرأ القرآن ، ومن شدة الرهبة يتلعثم لساني ، ومن شدة الزحام تتعثر قدمي ، الصهد يلفح وجهي ، والعرق ينز من كل أعضائي ، وقرص الشمس منصب على الرأس شبه العاري ، لكن كل ذلك يهون ولا يكاد يبين أمام عظمة الموقف ، وأخيراً انتهى الشوط السابع على خير ،وصليت ركعتين قريباً من مقام ابراهيم ، وهو المقام الذي وقف عليه الخليل عليه السلام حين بنى الكعبة وأذن للناس بالحج ، ودلفت إلى ماء زمزم أعب منه عباً فلا أكاد أرتوي ، وتذكرت حديث رسولنا الأعظم : ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفي به شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به .

واستحضرت من ذاكرة التاريخ ساعة فجر الروح الأمين جبريل عليه السلام ماء زمزم لأول مرة ليشرب منها اسماعيل الوليد سقياً من الله تعالى .

توجهت بعدئذ إلى مرتفع الصفا حيث ابتدأت السعي والدعاء : رب اغفر وارحم ، واعفو وتكرم وتجاوز عما تعلم ، انك تعلم ما لا نعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم . « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ».

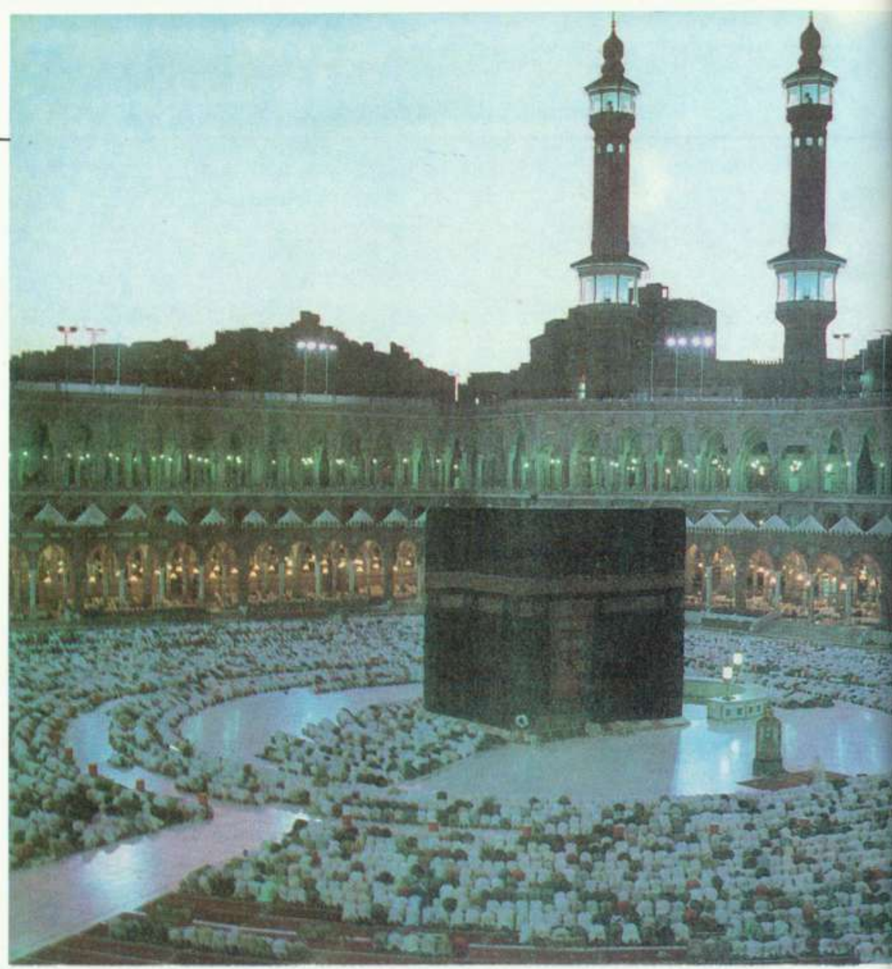
وقطعت ما يقرب من سبعمائة متر حتى وصلت إلى مرتفع المروة وبذلك انتهى الشوط الأول ، ولما أتممت أربعة أشواط بدأ المؤذن يكبر لصلاة الجمعة .. ويا لروعة هذه الصلاة الجامعة المعبرة عن أوضح مظاهر الايمان في الأمة الاسلامية ، حينما تستجيب لنداء واحد ، ولرب واحد ، وارادة واحدة .

تنتهي الصلاة وأواصل السعي ، فلما انتهيت منه لجأت إلى أحد الرجال فقص بضع شعيرات من رأسي ، وبذلك أكون قد تحللت من إحرامي وأديت مناسك العمرة .. فحمدت الله حمد الشاكرين .

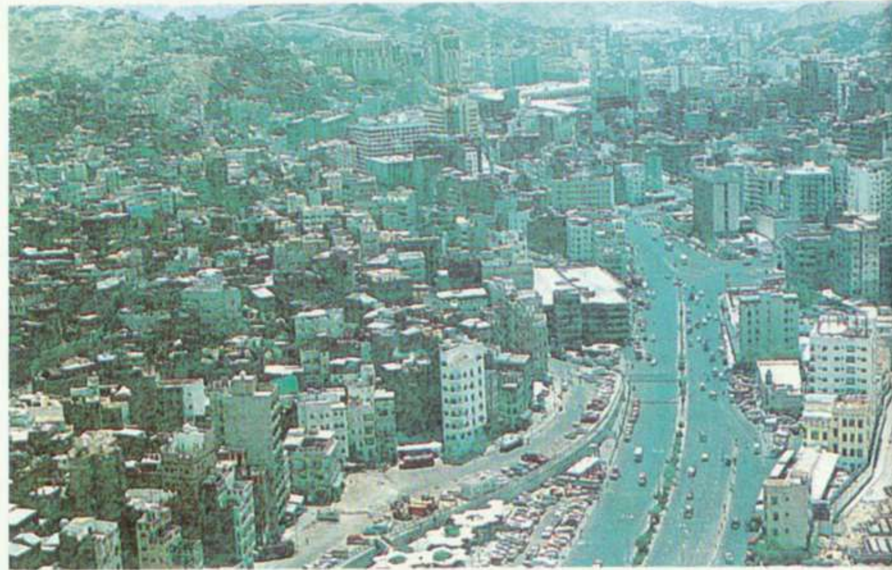
سويعات في جدة

كان ضمن نشاطات وفدنا الاعلامي خلال موسم الحج زيارة الحجاج القطريين في أماكن إقامتهم التي حددها لهم المقاولون (المطوفون) القطريون ، وتسجيل تحياتهم وأشواقهم إلى أهليهم وأصدقائهم لبثها في برنامج يومي بتلفزيون قطر .

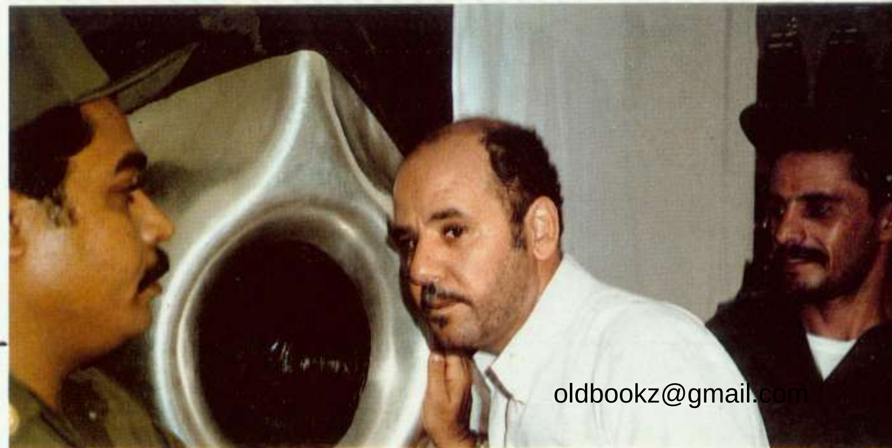
وتكفل بهذه المهمة الزميلان مصطفى حسين مصطفى وطلعت موسى ، وكان يتحتم على الوفد



الكعبة المشرفة



المناطق المحيطة بالحرم المكى .. ثم لقطة أخرى لكاتب المقال بجوار الحجر الأسود



الاعلامي تأمين وصول دفعتين من شرائط التسجيل أسبوعياً إلى الدوحة عن طريق السفارة القطرية في جدة، ووجدتها فرصة ثمينة أزور فيها هذه المدينة التي أحببتها على البعد، وتمنيت زيارتها على القرب.

ولما اقتربنا منها زدنا شوقاً إليها، وأدهشتني ايما دهش سلسلة الجسور والكباري المتعانقة في مداخل ومخارج ووسط المدينة، وعندما تعمقنا في أعماقها دهشت أكثر وأكثر، فأنا لم أكن أتصور أن جدة تتمتع بهذه الدرجة العالية من الجمال والسحر والجاذبية، أبرز ما ارتسم في ذاكرتي اتساع ونظافة شوارعها وميادينها ومحلاتها ومتنزهاتها. إضافة إلى الذوق الرفيع الذي يتمتع به المواطن السعودي في اختيار التصميم الأنيق لعمارته أو داره، أو متجره.

لكن فرحتي بزيارة جدة لم تكتمل نظراً لقصر الوقت من ناحية ولاستحالة السير على القدمين ظهراً والتجول فيها بسبب شدة الحرارة المشبعة برطوبة البحر الأحمر.

هذا.. وقد سعدنا بزيارة الأخ الاستاذ ماجد العلي القنصل القطري في جدة. الذي أكرم وفادتنا وقدم لنا كافة التسهيلات، وكذلك أعضاء السفارة القطرية.

وعرجنا أثناء تجوالنا على مقر وزارة الاعلام السعودية، وحصلنا من المسئولين فيها على تصاريح تخولنا تصوير الأماكن المقدسة وحرية التجول فيها.

نشاط الفريق الكشفي

تقترب الأيام رويداً رويداً من شهر ذي الحجة، والعبد الفقير إلى رضوان ربه يغبط نفسه على وجوده في عاصمة الاسلام المقدسة. معتمرا وحاجاً وصحفياً في وقت واحد. وقد حاولت أثناء وجودي أن أشبع فضولي الصحفي بالرغبة في كتابة بعض التحقيقات الثقافية بمكة والمدينة فكانت الأجابة شبه جاهزة أمامي من لدن المسئولين السعوديين: نحن مستعدون.. ولكن بعد انتهاء موسم الحج إن شاء الله. وكنت في قرارة نفسي أشعر بالأسف لأن ذلك غير ممكن نظراً لارتباطي ببعثة الحج القطرية ذهاباً واقامة ومغادرة. فأستسلم لأمر الله، على أمل تحقيق ذلك مستقبلاً.

أما داخل مقر البعثة في حي المعابدة وفرعها في شعب عامر فكانا يموجان بالحركة الدائمة، فبالإضافة إلى خدمات البعثة الطبية المستمرة على مدار الساعة فهناك النشاط المكثف للفريق الكشفي المؤلف من أربعة عشر عضواً، إضافة إلى القائدين النشطين ثامر مشعل الدوسري وعلي منصور المنصوري، وإني لأشهد للحق بأن هذا الفريق قد أدى مهمته كاملة غير منقوصة في الحراسة والمتابعة وإرشاد الحائرين والتائهين، وبناء وترتيب معسكرات البعثة ومخيماتها في منى وعرفات وسط جو قائظ لم تقل فيه درجة الحرارة مطلقاً عن أربع وأربعين درجة مئوية طوال موسم الحج.

وهذا التنسيق البديع أدى إلى أن يكون مقر البعثة في منى واحداً من أجمل وأنظف مقار البعثات الاسلامية بكل فخر وتواضع. وكان لاشراف ومتابعة الاستاذ محمد عبدالله الأنصاري ــ وكيل وزارة التربية والتعليم بالوكالة ــ رئيس بعثة الحج، وكذا جميع المسئولين الاداريين أثر واضح في تجسيد هذا الانجاز الكبير.

في جوف الكعبة

توجهت في الساعة السادسة من صباح يوم السبت غرة ذي الحجة الموافق للسابع عشر من أغسطس (آب) عام ١٩٨٥ م مع بضع عشرات من الاعلاميين الاسلاميين ورؤساء البعثات الاسلامية وكذلك بعض السفراء لحضور وقائع الغسيل السنوي للكعبة المشرفة من لدن سمو الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة نائباً عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

ولقد فرحت لهذا الحدث فرحاً شديداً لأنه ستتاح لي خلاله الفرصة النادرة للزيارة الهادئة، والفرصة الوحيدة للتصوير داخل المسجد المكي.

عندما وصلت المسجد ألفيت مئات الجنود والضباط وقد أحاطوا المنطقة بسياج أمني محكم أتاح لي لأول مرة ــ وربما لآخر مرة ــ فرصة الوصول بأمان واطمئنان ودونما زحام إلى الحجر الأسود، وقد تشرفت بتقبيله عدة مرات، والجديد الذي أضفته إلى معلوماتي في تلك اللحظات هو أن الحجر ليس أسود كما يطلق عليه، بل هو بني اللون تبدو فيه بضع نقاط، ويحيط به إطار من الفضة حفاظاً عليه وصوناً له.

لكن مفاجأة المفاجآت بالنسبة لي في هذه الرحلة الروحانية هي دخولي في جوف الكعبة حيث صليت فيها عدة ركعات، ولكنني في غمرة فرحي ورهبتي وانتفاض جوارحي لم أعرف عددها، هل كانوا أربعاً أم زادوا واحدة؟ أم كانوا ثلاثاً؟ الله أعلم!

لقد استشعرت الرهبة بمجرد أن لامست قدماي السلم المتحرك الموصل إلى بابها، وسرت في جسدي قشعريرة زادت حدتها عندما دلفت في جوفها. واختلطت زخات العرق بزخات الدمع، وتزاحمت على قلبي ولساني أدعية وتوسلات وآيات تداخلت كلها وتشابكت، وتشكلت منها كلها سيمفونية فريدة من الضعف الانساني المنسحق أمام جبروت الله الرحمن الرحيم.

وبالله ما تمنيت أن أبقى منغرساً في مكان مثل هذا المكان، وما دبت في قلبي رهبة من قبل مثلما دبت في هذا المكان. لكن هذه النعمة لم تدم طويلاً... عشر دقائق تقريباً غرقت خلالها في لجة الأنوار السماوية، وإذا بيد بشرية مسبوكة من الفولاذ والعنف تشدني من كتفي وتدفعني إلى لجة الأنواء الدنيوية، وإذ بي خارج الكعبة جوار مقام سيدنا ابراهيم أكمل صلاتي ونسكي.

وبعد لحظات دخل سمو الأمير ماجد إلى جوف الكعبة وتشرف بغسلها بالماء والعطور، ثم خرج الجميع، وكان الشيخ طه شيبي كبير سدنة بيت الله الحرام آخر الخارجين حيث قفل باب الكعبة بمفتاح كبير الحجم وضعه في جراب خاص كان يحمله.

ولم تكد تمضي بضع دقائق على سحب السلم المتحرك حتى فك الجنود الطوق الذي أقاموه، فانهمر طوفان بشري باتجاه الكعبة والحجر الأسود. وعناية الله وحدها هي التي سلمت عظامي وآلة تصويري من التكسير.

على صعيد عرفات

اليوم هو الثامن من ذي الحجة المعروف بيوم التروية، ارتدينا في الظهيرة ملابس الاحرام، وتوجهنا إلى معسكر البعثة في منى قبالة مسجد حجاج البر، فأدينا صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصراً بدون جمع، وبعد فجر يوم التاسع من ذي الحجة توجهنا إلى عرفة.. ها نحن قد دخلنا في اليوم المشهود، والحديث النبوي المختصر البليغ «الحج عرفة» يدفعنا إلى مضاعفة الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن.

والذي أثار انتباهي بصورة مباشرة أن عرفة ليس جبلاً ضخماً، ولا سلسلة من الجبال كما كنت أتخيل من خلال مفهوم سابق عن جبل عرفات، فعرفة ــ أو عرفات ــ ميدان واسع أرضه مستوية ويبلغ طوله نحو ميلين وعرضه كذلك. وإلى الشمال منه جبل واحد اسمه جبل الرحمة.

أما الأمر الثاني الذي لفت انتباهي فهو شدة اكتظاظ الحجاج في ذلك اليوم حيث بلغ عددهم مليون ونصف المليون حاج. وليس في عرفات مساكن ولا مبان حجرية ولا شجر أو ظل.. أما هذا العدد الهائل فمستقره الخيام وظلال الشاحنات والحافلات!

يا لعظمته يوماً من أيام البركة والمغفرة، وما أحيلاها مشاعر الغبطة والنشوة والقناعة نستشعرها ونحن على ثقة بأن الله قد تجاوز عن سيئاتنا وغفر لنا ذنوبنا.

لقد شعرت بأن روحي قد سمت فوق مستواها الانساني الذي ألفته وعاشت في عالم شبيه بعالم ملائكي، وشعرت بأنني أقترب رويداً رويداً من عالم الأنبياء والصديقين والأبرار والشهداء.

كنت أمعن النظر في مئات الألوف من المسلمين أمامي وقد وحدوا ملابسهم، وتجردهم، وأهدافهم.. ومواقفهم، وتمنيت عليهم أن

ولأننا أتينا إلى المكان مبكرين نوعاً ما فلم نتعرض للضغط الخانق الذي يتعرض له كثير من الحجاج ، ثم عدنا مشياً على الأقدام إلى معسكرنا فتحللنا من احرامنا بالحلق أو بالتقصير ، وكنا قد دخلنا في أول ساعات يوم عيد الأضحى المبارك حيث صلينا الفجر ونحرنا .

وفي اليوم الثاني توجهنا بعد صلاة العشاء ورمينا إحدى وعشرين حصاة وزعناها بالتساوي على (الشياطين الثلاثة) . وصادفنا هناك تلالا من الشباشب والأحذية وبقايا المظلات التالفة وزجاجات المياه الفارغة منتشرة في كل جوانب المنطقة ، مما يدل على آثار « معركة » ضارية بين الحجاج والشياطين ! !

وفي صباح اليوم الثالث من أيام العيد شهدنا فتيان الكشافة يؤدون التحية للعلم القطري ساعة إنزاله عن السارية الرئيسية بمعسكر البعثة بمنى ، وتمت إزالة نيف وعشرين خيمة خلال ساعات محدودة ، ثم توجهنا إلى منطقة رمي الجمرات وقذفنا الشياطين أيضاً بأحدى وعشرين حصاة ، وعدنا إلى مكة المكرمة وتوجهنا إلى الحرم وطفنا طواف الوداع .

وقد حدث أثناء ذهابي إلى المسعى أن أقيمت صلاة العشاء فصليت على السلم (الدرج) ! هل جربت ذات مرة الصلاة عليه ؟ لقد جلست على درجة عليا وصرت أسجد على الدرجة الأسفل منها . تجربة طريفة لاشك . انها تشعرك بمزيد من الخضوع والانكسار لله عز وجل ،ألا ليت كل المتكبرين وكل الذين في قلوبهم مرض أن يصلوا على السلم ولو مرة واحدة ، فلعلهم يستشعرون ضآلة أحجامهم أمام عظمة الواحد القهار .

• • •



النهضة العمرانية الحديثة في مكة المكرمة

يتوحدوا خارج عرفات كما توحدوا داخله ، وأن يضموا صفوفهم خارج الحرم كما ضموها داخله ، وأن يستمروا في طاعة الله خارج المشاعر المقدسة كما أطاعوه سبحانه داخلها .

ثم رحلت بعيداً في أعماق الزمن الخالي ، وطويت بذاكرتي العقود والقرون ، وعدت إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة مضت ، وامتثلت النبي محمداً هاهنا فوق عرفات في حجة الوداع سنة تسع من الهجرة ، لقد أحرم مثل احرامنا ، واستغفر كاستغفارنا ، وخضع لله خضوعنا ، انني امتثله يخطب بمائة ألف حاج بيَن لهم أمور دينهم ودنياهم . فألف ألف صلاة وتسليم عليك يا رسول الله الأمين .

رمي الجمرات

عند الغروب نفرنا إلى مزدلفة ، وما أدراك ما الطريق إلى مزدلفة !؟ زحام يعجز المرء عن وصفه حتى يخيل إليك أن السائرين على أقدامهم إليها أسعد حظاً من المتطين صهوات السيارات والحافلات . أقول هذا برغم ما تبذله الشرطة السعودية من مجهودات عظيمة ، وبرغم ما صنعته الهندسة السعودية من مسارب وممرات عديدة تستحق التقدير والثناء . وبمناسبة الحديث عن الخدمات السعودية فصدقوني أنني حمدت الله مراراً وتكراراً أن وهب المملكة العربية السعودية الخير الوفير لتوظف جزءاً كبيراً منه لخدمة الاسلام والمسلمين ، وكم تساءلت أمام بعض الزملاء : ماذا تتوقعون أن يكون الحال لو كان الأمر مغايراً لما هو عليه اليوم ؟!

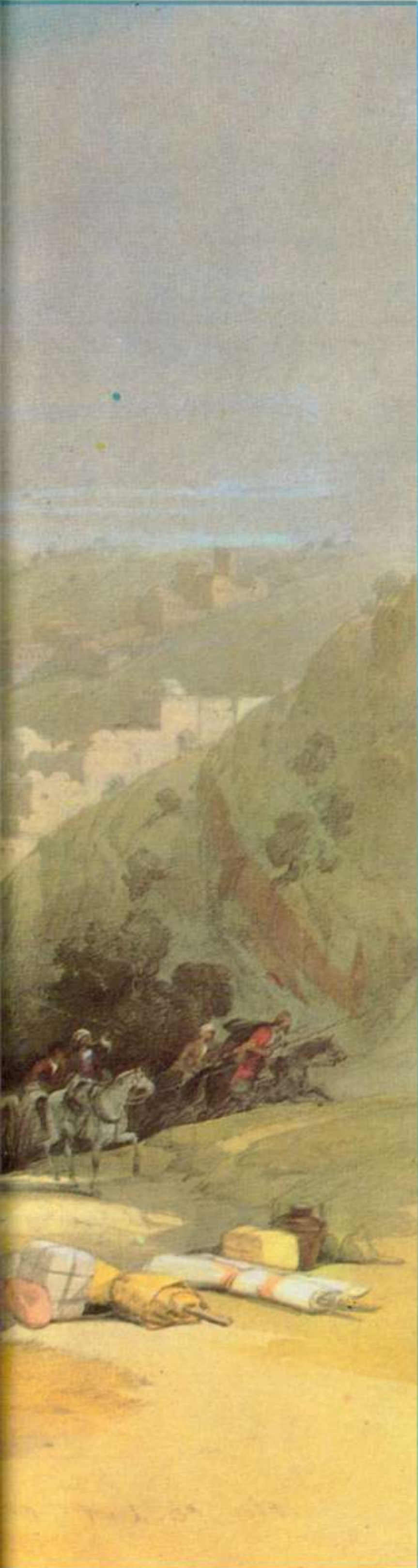
عندما وصلنا إلى مزدلفة ، نزلنا جوار أحد الجسور فصلينا المغرب والعشاء جمع تقديم وخلدنا إلى النوم قليلاً ، وبعد منتصف الليل بقليل توجهنا إلى مكان رمي الجمرات بين مكة ومنى ، فرمينا جمرة العقبة الكبرى ، وهي أكبر الجمرات الثلاث . وهناك من الناس من يطلق عليها اسم الشياطين ، ويصنفونها بالشيطان الكبير والصغير والأوسط .

بعد انتهائي من تأدية آخر منسك من مناسك الحج سكنت في قلبي السكينة ، واطمأنت في نفسي الطمأنينة ، واستقر الرضى في كل جانحة من جوانحي ، وما برحت أستشعر نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على عباده ، مضيفا إلى كل دعواتي وتوسلاتي اليه عز وجل أن يبصرنا في ديننا ، وأن يعمق مخافته ومهابته في قلوبنا وجوارحنا ، وأن يكتب للمسلمين نصراً حاسماً على أنفسهم وشهواتهم وتخاذلهم وتناحرهم ، وأن يجمعهم دوماً على صراطه المستقيم ، وأن يكتب للمسجد الأقصى الأسير وما حوله العتق والتحرير ، ولكافة المطحونين والمقهورين في دنيا الله الواسعة الرحيبة .

ما أكرمك ربنا وما أعظم رحمتك .. قضيت لنا أن نعتمر ونحج ، فهيأت السبيل ، ويسرت الطريق ، فتقبل ربنا حجتنا وعمرتنا ، ويسرهما لكل من يظمأ لهما من المسلمين ، وهيئ اللهم لنا من أمرنا رشدا .

نبيل خالد الأغا

وَاتَّخَذ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً



يناهز عمر مدينة الخليل نيفاً وخمسة آلاف سنة ، منذ أن ابتناها الكنعانيون الأوائل في موقعها الجبلي باسم « قرية أربع » ، نسبة إلى مؤسسها « أربع العناقي » من أحد بطون كنعان ، وربما كان ذلك سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد .. ثم بعد ما يقرب من ستة عشر قرنا وفد إليها النبي العربي ، الحنيف ، المسلم ، إبراهيم عليه السلام ، إثر هجرته من مدينة « أور » بالعراق ، فيما يقارب مطلع القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وفق أرجح التقديرات ، فاتخذها موطناً له ولأسرته ، وعاش ، وتوفي ، ودفن في ثراها الطهور ..

ظلت المدينة محتفظة باسمها الكنعاني هذا ، باستثناء فترة الاحتلال اليهودية الأولى التي عرفت فيها مؤقتاً ، وتوراتياً فقط ، باسم « حبرون » ، نسبة إلى حبرون بن كالب بن يفنه ، أحد قادة الغزو بإمرة يوشع بن نون ، هذا الأخير الذي يعتبر الأب الروحي ، والمعلم الأول ، لجميع القتلة العنصريين في « اسرائيل » الراهنة ، من هول ما ارتكب من فظائع إجرامية عاتية ضد المدن الفلسطينية التي احتلها ، خاصة مدينة أريحا التي أهلك جميع أحيائها من إنسان وحيوان ، بنص التوراة الحرفي : « وأهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .. (يشوع ــ ٦ : ٢١) ..

ثم ما إن أطل على بلاد الشام فجر الفتح الإسلامي العميم ، حتى أخذت تعرف المدينة باسم « الخليل » أو « خليل الرحمن » ، تبركاً بمثوى الرفات الابراهيمية الطاهرة فيها ، وتيمناً بالآية القرآنية الكريمة التي تنص على خلة إبراهيم ــ أي محبته القصوى ــ عند الله : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، واتخذ الله إبراهيم خليلا » ..(النساء : ١٢٥) ..

وفي هذا الليثوغراف المقابل (من مجموعة روبرتس الفلسطينية في أوائل القرن الماضي) ، يبدو الحرم الابراهيمي بمئذنته في يمين الصورة ، بينما لا يظهر من المدينة ذاتها إلا مجرد انطباع فني عن طراز معمارها العربي الإسلامي العريق ، وتمثيل تقريبي لطبيعتها الجبلية العامة ..

تعاني مدينة الخليل حالياً ، ومنذ أن لحقت بالاحتلال الصهيوني الذميم في نكبة حزيران الأسود عام ١٩٦٧ ، من واقع وضعها على رأس قائمة الأطماع الصهيونية ، بعد القدس مباشرة ، في مجال تهويدها واستلاب هويتها العربية والاسلامية الضاربة في أعماق التاريخ .. فما كادت سلطات الاحتلال تفرغ من أول قرار لها بضم القدس القديمة إليها بصيغة الأمر الواقع ، بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ ، (أي بعد عشرين يوماً من احتلالها) ،حتى كان قرارها الثاني مباشرة هو الاحداق بمدينة الخليل بمجموعة مستعمرات « كفار عصيون » الجبلية الاستراتيجية ، بتاريخ ١٩٦٧/٩/٢٧ ، ثم تلا ذلك الاستيلاء على مساحات واسعة من ضواحي المدينة لإقامة حزام أول من المستعمرات الملاصقة تماماً لعمران الخليل التاريخي ، على نحو ما تمثله مستعمرة « كريات أربع » المشرفة من عل على الحرم الابراهيمي ، كما أعقب ذلك التوسع في مصادرة أراضي القرى القريبة ، بسبيل اقامة حزام ثان من المستعمرات ، يتألف هذه المرة من مستعمرة « كرمئيل » المقامة على أراضي قرية « يطة » العربية ، ومستعمرة « متسفي » على أراضي قرية « ترقومية » ، ومستعمرة « تشيغوت » على أراضي قريتي « صوريف » ، وبيت أمر » ..

زد على ذلك أنه علاوة على استكمال مخطط تهويد « الحرم الابراهيمي » ذاته ــ وهو ما سنأتي عليه في حلقة مستقلة من هذه التذكارات الفلسطينية ــ فلقد قطع الغزاة اليهود شوطاً بعيداً وخطيراً في محاولة تهويد المدينة العربية الإسلامية من داخلها بإقامة حي يهودي مثير للاشمئزاز بمعماره اليهودي البشع ، في قلب الأحياء القديمة ذات القيمة التاريخية والأثرية الفائقة ..

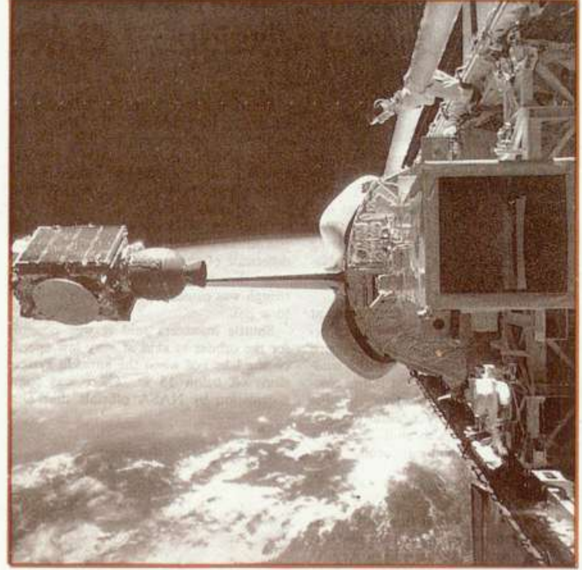
فمدينة الخليل ، عموماً ، هي هدف التهويد الثاني مباشرة بعد القدس الشريف .. ولست أدري ، لقد ناقشنا ذات مرة في إحدى دورات مجلسنا الوطني الفلسطيني العتيد ــ ولكن دون طائل للأسف العميق ــ مشروع تأسيس رابطة « التوأمية البلدانية » بين سائر المدن الفلسطينية المحتلة ، وكبريات شقيقاتها العربيات على متسع الوطن الكبير ، بكل ما تعنيه مثل هذه التوأمية من تعاطف وتواجد مع المدن والقرى الفلسطينية في محنتها الرهيبة هذه ، وبكل ما يستلزمه شرف الأخوة العربية من بذل وتضحية في سبيل استنقاذها من براثن التهويد .. وفي هذا المجال ،

لئن كانت القدس (بوصفها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين) خليقة بتوأمية مكة المكرمة .. فإن مدينة الخليل لخليقة دون ريب بتوأمية المدينة المنورة في نطاق بلدانية المملكة العربية السعودية .. وكذلك هي النسبة والمقياس على مستوى مدن الوطن الكبير ، من المحيط إلى الخليج ..

بقلم : يوســـف الخطيب



تطور استخدام الفضاء



القمر « عربسات ـ ٢ » لحظة اطلاقه من المكوك

بقلم : سعد شعبان

شهدت البشرية في العامين الأخيرين تطورات مذهلة في استخدام الفضاء باعتباره أحدث تكنولوجيا في العصر الحديث . ولقد لعب الدور الرئيسي في هذا المضمار على الجانب الأمريكي « مكوك الفضاء » الذي تكررت رحلاته ، وأصبح الفاصل الزمني بينها قصيراً إلى حد قرب من شهر واحد أو أقل ، وذلك بفضل تعدد أنواع وأجيال المكوك الذي ظهر منه حتى الآن أربعة أنواع هي « كولومبيا ، وتشالنجر ، وديسكوفري ، وأتلانتس » ولقد قام رواد رحلات المكوك الأمريكي الأخيرة بانجازات فضائية تميزت بجديتها سواء في المجالات العلمية أو التطبيقية أو العسكرية .

كما سجل الرواد السوفيت قصب السبق في مجال آخر ، يرتكز على استخدام المحطات المدارية ، وبقاء رواد الفضاء بها مدداً طويلة لا تقاس بالأيام ولكن بالشهور ، وضربوا أرقاماً قياسية فاقت الأرقام الأمريكية بكثير .

رغم أن حلبة التنافس في الفضاء ، لم يدخلها غير عدد محدود من الدول إلا أن الميدان يكاد يكون قاصراً على الدولتين الأعظم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي لأن اسهام الدول الأخرى ما زال محدوداً وخاصة في مجال اطلاق سفن الفضاء ، وانتاج الصواريخ العابرة للقارات .

ورغماً من ذلك فإن التنافس بينهما يأخذ عدة أوجه وصور ، وتؤدي في النهاية إلى الاستخدامات العسكرية . ولذلك فإن روح التربص في كلا الجانبين تغلب على روح البحث العلمي والتطبيقات السلمية ، وينظر كل منهما إلى الجانب الآخر بعين الحذر ، خشية سنوح فرصة للتفوق في جانب لم يتح له . وإن كانت هناك تجارب تجرى في سرية تامة منذ سنوات في كلا الجانبين لاستخدام الفضاء للأغراض العسكرية ، إلا أن هذه القضية أصبحت معلنة في كل وسائل الاعلام بعدما أعلن الرئيس الأمريكي ريجان عام ١٩٨٤ عزمه على استخدام الفضاء للأغراض العسكرية في أوائل الحقبة القادمة من التسعينات ليكتمل الاستخدام الأمثل للفضاء في أوائل القرن المقبل ، وأطلقت الصحافة العالمية على ذلك اسماً غير معبر هو « حرب الكواكب » أو « حرب النجوم » . وهو في حقيقته نقل ساحة الحرب من وجه الأرض إلى « أغوار الفضاء » .

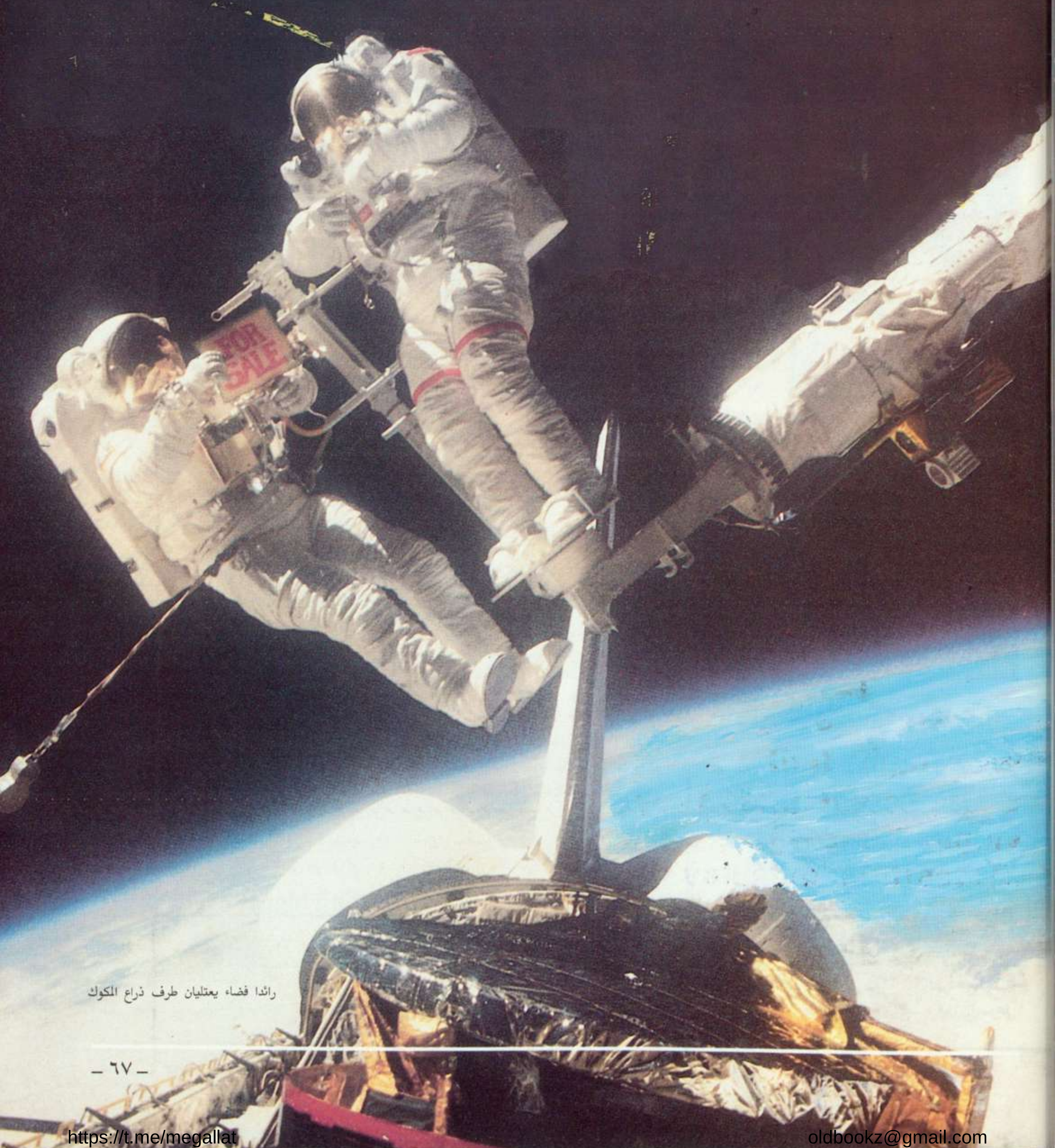
إلا أن الحقيقة أن مجالات التحول في التطبيقات الفضائية ليست في المجال العسكري وحده ، ولكنها تحولات شاملة في كل اتجاه . ومن المؤكد أن هذه التطبيقات ستدفع بكثير من الوسائل المستخدمة حالياً إلى عالم النسيان خلال سنوات محدودة . ولذلك سنستعرض في مقالنا هذا ، أهم هذه التحولات الفضائية لنرى أننا على عتبات حقبة جديدة في عصر الفضاء .

أرقام قياسية للحياة في الفضاء

مضى على إطلاق المحطة المدارية السوفيتية « ساليوت ـ ٧ » الآن ما يزيد على ثلاث سنوات وما زالت محلاً لتجارب فضائية متقدمة . فقد

● كيف يتمّ القبض على الأقمار الصناعيّة؟

● قصّة التنافس الحاد بين أوربّا وأمريكا في مجال الفضاء



رائدا فضاء يعتليان طرف ذراع المكوك

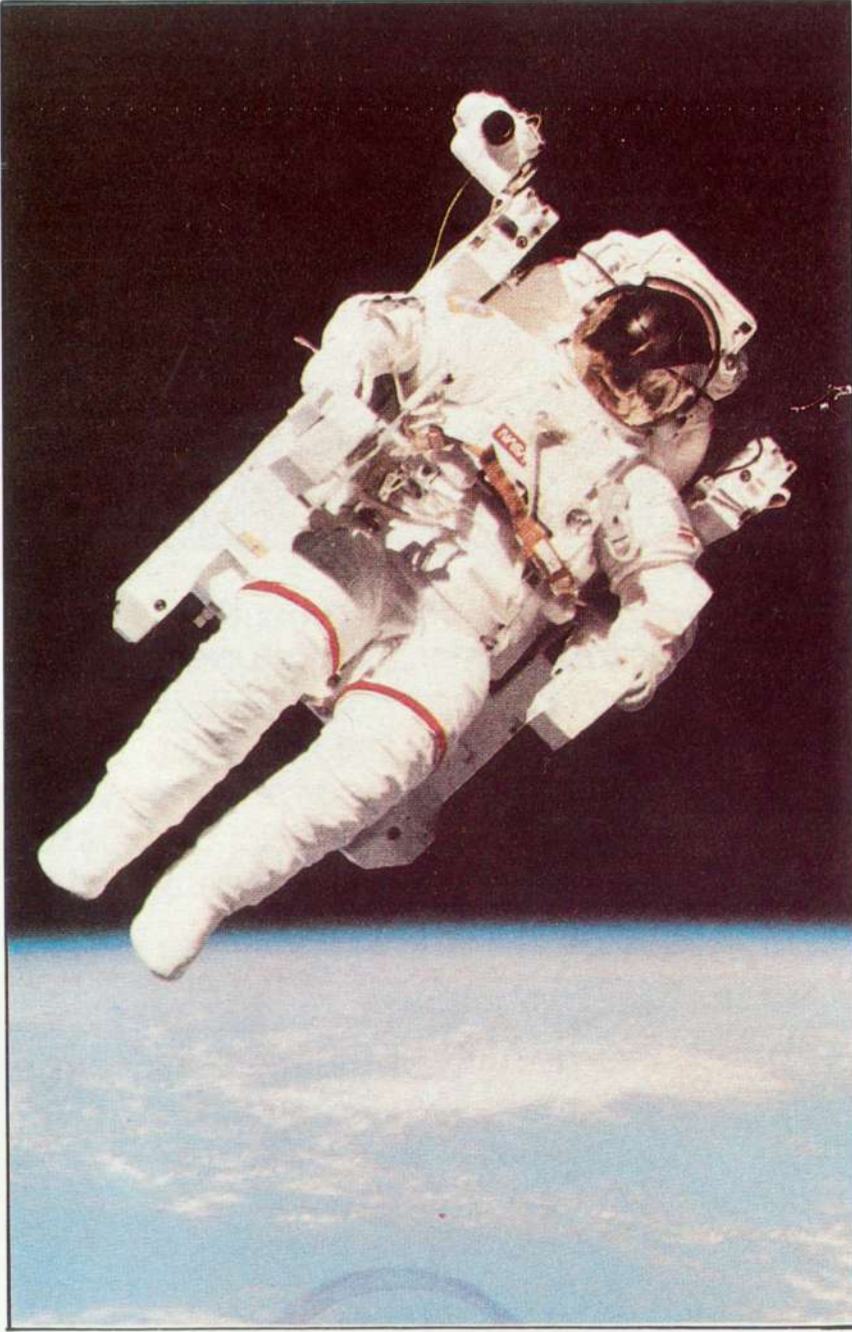
تطور استخدام الفضاء

جعل منها العلماء السوفييت محطة استقبال لرواد فضاء يسافرون إليها على متن سفن فضاء من طراز « سويوز » لتلتحم بها ، ثم ينتقل روادها إلى المحطة المدارية ليظلوا بها أياماً أو شهوراً . ولقد تكررت تجربة الالتحام عدة مرات خلال هذه السنوات ، وفي كل مرة يقوم رواد السفينة مع رواد المحطة المدارية بتجارب متقدمة أو يسبحون خارجها ليؤدوا بعضاً من هذه التجارب .

ولم يقتصر الأمر على التحام سفن الفضاء وحدها ، بل تكرر الأمر بالتحام « شاحنات الفضاء » من طراز « بروجريس » تقوم بنقل الوقود والماء والغذاء والملابس والأجهزة لرواد المحطة المدارية . الأمر الذي مكن ثلاثة من رواد هذه المحطة عام ١٩٨٤ للبقاء في الفضاء مدة ٢٣٧ يوماً . وهي مدة قياسية بالنسبة للرحلات الفضائية السابقة سواء السوفيتية أو الأمريكية . ولم يحطم هذا الرقم السوفييتي حتى الآن ، إذ أن الرقم القياسي الأمريكي كان ٨٤ يوماً وسجله رواد معمل الفضاء الأمريكي « سكاي لاب » عام ١٩٧٣ .

وفي عام ١٩٨٥ نجح التحام سفينة الفضاء « سويوز ــ تي ــ ١٣ » ثم « سويوز ــ تي ــ ١٤ » ، وقد أمضى رائدان منهما في المحطة المدارية « ساليوت ــ ٧ » مدة قربت حتى أكتوبر ١٩٨٥ من أربعة شهور ، ويبدو أن هناك نية لتسجيل رقم قياسي جديد .

ومن أهم التجارب التي كان يقوم بها الرواد عمليات السباحة خارج المحطة المدارية للقيام بمهام متقدمة ، دون أن يكونوا مرتبطين بالمحطة الأم . وفي مضمار السباحة خارج سفن الفضاء يحاول رواد كلا الطرفين أيضاً ضرب أرقام قياسية .. إذ قد تستلزم بعض المهام مدداً طويلة تمتد إلى عدة ساعات . ولقد سجل الرواد السوفيت مدة بقاء قياسية للسباحة في الفضاء قدرها خمس ساعات متواصلة في أغسطس ١٩٨٥ قام أثناءها رائدان بتركيب ألواح تحمل خلايا شمسية اضافية للمحطة المدارية « ساليوت ــ ٧ » لزيادة الطاقة الكهربية التي تستمدها أجهزة المحطة منها وجدير بالذكر أن الأرقام القياسية الأمريكية للسباحة في الفضاء خارج السفن قد تجاوزت هذا الرقم بعد ذلك بأقل من شهر إذ تمكن رائدان أمريكيان في سبتمبر ١٩٨٥ من الخروج من مكوك الفضاء (ديسكوفري) والبقاء خارجه مدة سبع ساعات وخمس عشرة دقيقة . وقد قضيا هذه المدة في محاولة اصلاح القمر الصناعي (لي سات ــ ٣) الذي كان معطلاً في الفضاء قبل ذلك بعدة شهور ، لعدم بلوغه المدار المخصص له .



الكرسي النفاث

وعندما يسبح رائد الفضاء خارج سفينته فانه يعتمد في ذلك على وجود مستودع للأوكسيجين المضغوط يحمله خلف ظهره ليستمد منه الغاز اللازم لتنفسه . ويحمل معه أيضاً مستودعاً آخر لنفث الهواء المضغوط من فتحات ضيقة ليمكنه التوجه والحركة للاقتراب والابتعاد عن السفينة . كما أنه يرتدي زياً يحميه من اشعاعات الفضاء الضارة ، ويوفر له الدفء اللازم لجسمه .

إن الغاية من تجارب البقاء في الفضاء مدداً طويلة واضح أنها تتم في اطار الاستعداد لغزو الكواكب بواسطة سفن مأهولة بالرواد ، بعد أن فرغوا من غزو القمر . كما يتم ذلك أيضاً وفي اطار التدريب لاقامة مستعمرات دائمة في الفضاء تدار بواسطة الحواسب الالكترونية والتي ما زال العقل البشري سيدها إلى الآن .ولذلك فإن التغلب على مصاعب البقاء في الفضاء مدداً طويلة يتم في هدوء وبالتدريج ، إذ أن حالة انعدام الوزن تقف عقبة كأداء أمام سلامة حياة الرواد . فرغم امكان التغلب عليها ، خلال الرحلات الأخيرة وبدرجة كبيرة إلا أن ذلك لم يجرب إلا لشهور معدودة حتى الآن ، بينما الأمر قد يستوجب سنوات طويلة . ولقد سجل العلماء التغيرات الجمة التي تطرأ على أجسام الرواد عند تعرضهم لحالة انعدام الوزن ، وعلى



القبض على القمر الصناعي الأندونيسي لسحبه داخل المكوك

الأخص الدورة الدموية، وتمدد عضلة القلب، وافرازات الغدد الصماء، والتأثيرات العصبية. وكان آخر ما اكتشفه علماء الطب اختلال

سرعة ترسيب الكالسيوم في عظام الرواد، وتعرض أجسام كثير منهم لطول مفاجئ يتناقص بالتدريج بعد انتهاء الرحلات.

استقرار تكنولوجيا إطلاق الأقمار

حتى عام ١٩٨٣ كانت الأقمار الصناعية تطلق إلى الفضاء بواسطة صواريخ الدفع المتعددة المراحل، التي تعتمد على حرق الوقود السائل أو الجاف، وتصعد إلى المدارات العليا في الفضاء حاملة الأقمار الصناعية. وتستقر الأقمار الصناعية

على مداراتها لتبدأ في الدوران بسرعات منتظمة لا يعوقها شيء لأن الفضاء ليس فيه احتكاك، فهو خلو من أي مادة أو غازات يمكن أن تحدث هذا الاحتكاك. وتوجد حالياً عدة آلاف من الأقمار

الصناعية تابعة لعدد غير قليل من الدول، بعضها يدور على مدارات منخفضة وبعضها يدور على مدارات عالية، لتحقق أغراضاً لا عد لها ولا حصر. ولقد تشعبت أوجه استخدام الأقمار الصناعية خلال السنوات الأخيرة وأصبحت تستخدم في مجالات حيوية تفيد جميع أغراض التنمية. كما استخدمت لأغراض سلمية ومعروفة، وأغراض عسكرية غير معلنة أيضاً تحت مسميات الاستطلاع أو الانذار المبكر وحقيقة الأمر أنه تجسس يتمثل في التصوير الفضائي من علو شاهق لنقل ما لا يخطر على بال من المعلومات والتقاط مالا يكاد يسمع من الأصوات.

ويقف على قمة الاستخدامات السلمية للأقمار الصناعية استخدامها لتحقيق الاتصالات فوق رقع

● ماذا كانت مهمة الرائد العربي الأمير سلطان في مكوك الفضاء الذي أُطلق في يونيو ١٩٨٥ ؟

شاسعة المساحة . سواء في ذلك الاتصالات الاذاعية أو المرئية أي التليفزيونية أو تحقيق الاتصالات الهاتفية .

وقمر واحد من أقمار الاتصالات يمكن أن يغطي قارة بأكملها أو عدة قارات بالبث الاذاعي والتليفزيوني فتتمتع الدول التي يغطيها بسهولة نقل المعلومات والثقافات والبرامج الترفيهية والعلمية والاخبارية والتعليمية خلال ثوان . كما يستطيع نفس القمر أن يحقق عبر قنواته سرعة نقل آلاف المكالمات التليفونية . الأمر الذي يغني عن استخدام مئات من محطات الاذاعة اللاسلكية أو التليفزيونية أو السنترالات التليفونية وما يلزم لربطها من آلاف الكيلومترات من كوابل نقل المكالمات التي تحفر لها الأرض أو يلزم مدها تحت مياه البحار والمحيطات .

لذلك خلقت أقمار الاتصالات عالماً سهلاً أحدث ثورة في نقل المعلومات وهز العالم بابهار شديد جعل شرايين المواصلات تنقل في يسر ما كان يحتاج لوقت طويل خلال ثوان معدودة ، وما كان يتكلف أموالاً طائلة بتكاليف زهيدة . واليوم لا يقتصر استخدام أقمار الاتصالات على نقل الاذاعات والمكالمات فحسب ، بل امتد إلى نقل الصحف اليومية ، فأصبح قارىء صحيفة في الشرق يستطيع قراءتها في نفس يوم صدورها في عدة دول أخرى . وأصبحت الدول ذات الجزر المتعددة كاليابان وأندونيسيا والفلبين حريصة على ربط هذه الجزر عبر أقمار الاتصالات لأنها أفضل من كل وسائل التكنولوجيا التقليدية .

ولابد لكي يحقق القمر الصناعي للاتصالات دقة بث اذاعاته أن يصل إلى مدار عال فوق خط الاستواء تماماً على ارتفاع ٣٥٨٨٠ كيلومتراً حتى تتوافق سرعة دورانه حول الأرض مع سرعة دوران الأرض حول محورها ، ويصبح القمر معلقاً فوق هذا المدار أو ثابتاً في مكانه ولذلك يطلق عليه اسم « المدار الثابت » .ولكنه يميل بزاوية محدودة ليحقق بث اذاعاته إلى المنطقة المراد تغطيتها .

ولقد تعددت أوجه استخدام الأقمار الصناعية في مجالات أخرى غير الاتصالات ، على رأسها مجال « التنبؤ الجوى » أي خدمة الأرصاد الجوية للحصول على نشرات جوية دقيقة وطويلة الأمد تستطيع أن تتنبأ بالظروف الجوية التي تصل إلى مدة سبعة أيام مقبلة أو تقصر إلى بضع ساعات . والذين أسعدهم الحظ برؤية التليفزيون الأمريكي يرون دقة الصور الفضائية التي ترسلها أقمار التنبؤ الجوي وكيف يتم تحليلها لاعطاء نشرة جوية



راشد الفضاء العربي الأمير سلطان بن عبد العزيز أثناء إجراء تجارب على انعدام الجاذبية قبل قيامه برحلة الفضاء

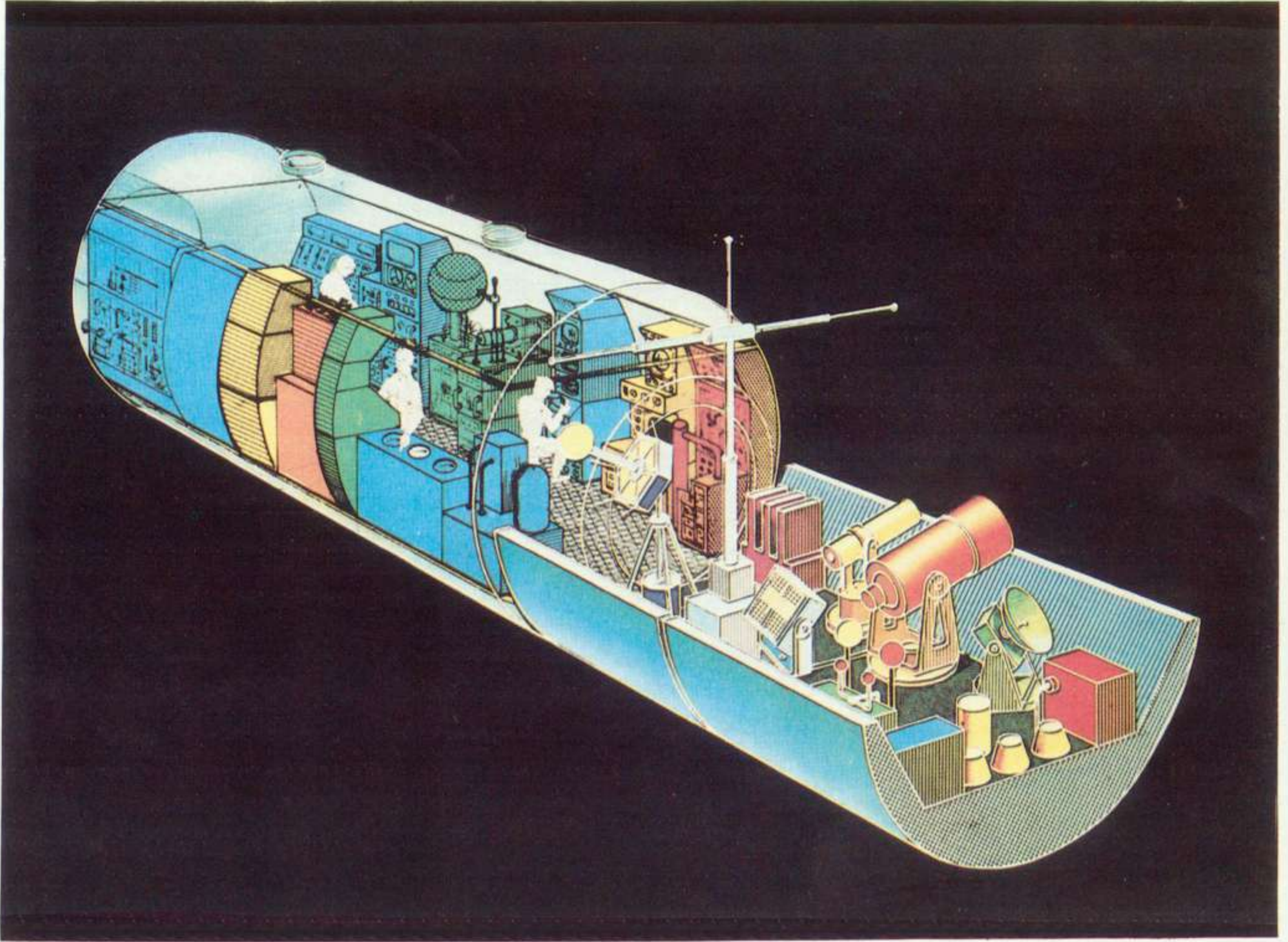
دقيقة ، تحذر الناس وتبصرهم بأحوال الطقس ساعة بساعة بل دقيقة بدقيقة وخاصة في أحوال هبوب الأعاصير وهطول الأمطار وحدوث الظواهر الجوية التي لها تأثير على حركة السياحة والرياضة والنقل والأحوال العسكرية والملاحية الجوية والبحرية .

كما تعددت أوجه استخدام الأقمار الصناعية في مجالات كثيرة لخدمة التنمية بتحليل الصور الفضائية كالمسح وتحديد الأرض الزراعية والمساحات القاحلة ورصد ظواهر زحف الرمال أو التصحر ،ونحر الشواطئ وتصوير المناطق التي تكسوها مياه الفيضانات أو التي تحدث بها كوارث الزلازل والبراكين . وخدمة أغراض التعمير والنقل واستصلاح الأراضي والزراعة وتحديد مناطق انتشار الآفات الزراعية والمناطق الصالحة لصيد الأسماك ورصد المساحات التي تكسوها بحيرات الزيت في البحار والمحيطات ورصد مصادر التلوث الكيماوي في الأنهار والبحار ، ومتابعة هجرة وحركة أسراب الطيور والحيوانات. وأصبحت البشرية تعيش دنيا متطورة تضع اللمسات الفنية فيها الأقمار الصناعية باستخدام تكنولوجيا الفضاء المتطورة والمبهرة .

فإذا أضفنا إلى كل ذلك ما تهتكه أقمار التجسس العسكري من أسرار ، فإننا في الحقيقة نعيش عالماً جديداً تلعب فيه الأقمار الصناعية أهم الأدوار .

ولقد شهدت الأعوام الأخيرة تكنولوجيا مستحدثة لاطلاق الأقمار الصناعية من فوق متن مكوك الفضاء الأمريكي بدلاً من اطلاقها بواسطة صواريخ الدفع من الأرض . وكان أحد الأقمار التي قيض لها نجاح الاطلاق بهذه الطريقة القمر الصناعي العربي الثاني « عربسات ــ ٢ » الذي أطلق في يونيو ١٩٨٥ ، رغم أن « عربسات ــ ١ » الذي أطلق في فبراير ١٩٨٥ كان قد أطلق بالوسيلة التقليدية بواسطة صاروخ أوروبي من طراز « اريان » .

والحقيقة أن المحاولتين الأولى والثانية لاستخدام المكوك الأمريكي كمنصة اطلاق منيتا بالفشل ، ووقتها قيل ان القمرين ضاعا في الفضاء والحقيقة أنهما لم ينجحا في بلوغ المدار الثابت لأقمار الاتصالات فوق خط الاستواء . ولكن بعد ذلك بشهور قليلة استقرت تكنولوجيا اطلاق أقمار الاتصالات من فوق متن المكوك ونجحت عمليات اطلاق أقمار أمريكية وأقمار أخرى لصالح عدة دول



المرصد الفلكي الأوربي

منها كندا واندونيسيا والمكسيك والهند والدول العربية وكثير من دول أوروبا . وأصبح مكوك الفضاء منافساً في اطلاق الأقمار لأنه أقل تكلفة من الصواريخ ، إذ يبلغ ثمن اطلاق قمر صناعي واحد بواسطة المكوك ما يقرب من ٢٥ مليون دولار ، ويستطيع المكوك حمل قمرين في رحلة واحدة .

القبـــــض علـــى الأقمار الصناعية

في نوفمبر عام ١٩٨٤ أمكن اجراء أول عملية استعادة لقمر صناعي معطل في الفضاء بواسطة رواد المكوك والعودة به إلى الأرض لاصلاحه . وقد تم ذلك بالنسبة للقمرين الصناعيين اللذين كانا قد أطلقا من قبل ولم يبلغا المدار المخصص لهما وهما (بالابا ــ ٣ ب) الاندونيسي ، و « وي ستار » الأمريكي واعتبر ذلك بدءاً لتكنولوجيا جديدة ، أول منافعها إنقاذ ملايين الدولارات التي كان يمكن أن تضيع هباء في الفضاء تمثل ثمن القمر الصناعي نفسه . وثانيها أنها بدأت حقبة جديدة في فن جديد هو فن إنقاذ الأقمار الصناعية فقد كان كل قمر يفشل قبل ذلك ، ويظل كصندوق معطل في الفضاء لانفع منه ولا أمل فيه ، بل هو يشكل عقبة إذ قد تصطدم به سفن الفضاء في المستقبل . ولكن الحقيقة أن باباً جديداً فتح على مصراعيه بهذا الانجاز الجديد ، يمكن أن يكون فاتحة لنشاط عسكري جديد . إذ ما دام القبض على قمر صناعي في الفضاء قد أصبح ميسوراً وعملية العودة به إلى الأرض قد أصبحت سهلة ، فماذا يمنع من يملكون مرونة الحركة في الفضاء بالمكوك من أن يقبضوا على أي قمر مهما كانت هويته أو جنسيته ، ولاشك أن ذلك سيكون حقيقة واقعة في المستقبل .

ولقد حققت مرونة الحركة في الفضاء ، وسهولة انتقال الرواد خارج سفنهم وتوجههم نحو القمر الصناعي لاصلاحه أو الامساك به لوضعه داخل المكوك ، وجود ذراع آلية مفصلية يمكن أن تبرز من المكوك لمسافة خمسة عشر متراً ، ولها ثلاث وصلات فيمكن أن تنثني وتنتهي بمخلب يمكن التحكم فيه ليمسك بالأشياء فيسحبها إلى داخل المكوك .

ولقد أجريت تجربة التحكم في هذه الذراع الآلية بواسطة رائدة الفضاء الأمريكية الأولى « سالي رايد » التي نجحت في القيام بهذه العمليات بواسطة حاسب اليكتروني داخل المكوك . وتمت التجربة الأولى بنجاح بالامساك بعبوة فضاء أمريكية على هيئة صندوق ألماني الصنع أطلق عليه اسم « سباسو ــ ١ » ، قذف في الفضاء ليبتعد عن المكوك مسافة ٨٥٠ متراً ، وظل طافياً خارجه عشر ساعات ، حتى أمكن استعادته بالذراع الآلية مرة أخرى وأدخل في المكوك ثانية . ولقد أضاف إلى مرونة الحركة استخدام رواد الفضاء لما يطلق عليه اسم « الكرسي النفاث » الذي يستخدمونه عند السباحة في الفضاء . فهو بمثابة مقعد يجلس عليه الرائد وله ظهر يحوي مستودعاً للأوكسيجين والغاز المضغوط ، وتتحقق مرونة الحركة عند السباحة في الفضاء بخروج الغازات المضغوطة من ٢٤ فتحة نفث تسمح بالحركة في ثلاثة اتجاهات قربا من أو بعداً عن المكوك مسافة عدة كيلومترات ثم يعودون إليه محمولين فوق هذا الكرسي .

ولقد تحقق بفضل هذه المرونة في الحركة إنقاذ عدة أقمار صناعية معطلة في الفضاء منذ سنوات كان أولها القمر الأمريكي « سولارماكس » الذي ظل معطلاً في الفضاء أربع سنوات حتى تحقق اصلاحه عام ١٩٨٤ .. فاذا تعذر الاصلاح في الفضاء بتغيير الأجزاء التالفة منه فان القمر يمكن أن يقبض عليه

● احتمالات واسعة لصناعة أدوية فضائية جديدة لعلاج عدد من الأمراض المستعصية

ليعود مع المكوك إلى الأرض لتجرى عليه الاصلاحات اللازمة قبل اعادة اطلاقه مرة أخرى كما حدث بالنسبة للقمر الصناعي الاندونيسي « بالابا ــ ب ــ ٢ » ، والذي أعيد اطلاقه بعد عدة شهور فتحقق بذلك لأندونيسيا انقاذ ٧٥ مليون دولار كانت معرضة للضياع في الفضاء . ويستخدم الرواد لتحقيق ذلك قفصاً معدنياً ذا محور طولي على شكل الحربة ليمكن أن يسحبوا به القمر الصناعي المعطل حتى يقترب من المكوك . ولقد أتاح ذلك للأمريكيين مرونة حركة في الفضاء ليست متاحة للسوفييت حتى الآن،الأمر الذي قد يحقق بعض النجاح في مجال عسكرة الفضاء ، لذلك فمن المتوقع خلال سنوات أن تنتقل ساحة الحرب من على وجه الأرض إلى أغوار الفضاء حيث ستمتزج تكنولوجيا صناعة الصواريخ مع توليد أشعة الليزر والحرب الاشعاعية لصنع ملحمة جديدة في الاطلال على أهل الأرض من عل ، فتنتقل ترسانات الأسلحة من على وجه البسيطة إلى أعماق السماء اللانهائية .

رواد فضاء من كل جنس

تميزت الحقبة الأخيرة بانطلاق رواد فضاء من جنسيات مختلفة ، في رحلات سوفييتية بسفن « سويوز » ، أو في رحلات أمريكية بواسطة المكوك . ولقد شارك في هذه الرحلات رواد من تشيكوسلوفاكيا والهند واندونيسيا وفرنسا وكندا ، وكان أحدهم عربياً سعودياً هو الأمير سلطان بن سلمان الذي شارك في رحلة مكوك الفضاء في يونيو ١٩٨٥ ، وعمل كمراقب لاطلاق القمر الصناعي العربي « عربسات ــ ٢ » ، وقام باجراء أربعة تجارب علمية في المكوك ، صمم لها ولتحقيق النفع منها في المنطقة العربية لفيف من العلماء العرب السعوديين . واحدة منها تعني بتصوير بعض المعالم الطبوغرافية والجيولوجية في منطقة الخليج والجزيرة العربية . وتجربة أخرى تتعلق بلزوجة عينات عن خام زيت البترول أخذت من الجزائر والكويت والسعودية ، لدراسة إطالة أعمار آبار البترول العربية ، والتي بدأ بعضها ينضب ويضن باعطاء المعدلات المعتادة من الخام الأسود ، وتجربة ثالثة تتعلق بتأين الغازات في طبقات الجو العليا وآثار هذا التأين على نقل الاتصالات بين الأقمار الصناعية . كما شارك رائد الفضاء العربي في تجربة طبية مع الرائد الفرنسي الذي كان معه في نفس الرحلة . ولاشك أن اشتراك رواد من مختلف الجنسيات في رحلات الفضاء يكسر حاجز الجمود في حقل أبحاث الفضاء ، ويقوي أواصر التعاون بين الدول ، وينهي وقفة المتفرج التي تقفها كثير من الدول في انبهار بانجازات الفضاء دون أن يصاحب ذلك حركة ايجابية لمشاركة فعلية .. ذلك أن كل رحلة يسبقها تدريب علمي وعملي للرواد والعلماء ، وتتم في اطارها عملية تبادل معلومات ، تفتح أذهان رهط كبير من المتخصصين على ما يجري في هذا العالم المتقدم .

وهناك تصريح أمريكي بأن أول راكبة فضاء من المدنيين ستسافر إلى الفضاء كراكبة لتحقق امكان السياحة الفضائية ستكون مدرسة أمريكية ، وستطير عام ١٩٨٦ على متن المكوك .

كما سيشهد عام ١٩٨٦ مشاركة رواد فضاء من جنسيات أخرى حجزوا أدوارهم في رحلات مكوك الفضاء التالية منهم كندي وآخر ياباني واندونيسي وصيني ومكسيكي وفرنسي ومجري ، ومن ثم فان أواصر التعاون ستقوى . غير أن ثمة تعاوناً أكثر ايجابية يتم في إطار تصنيع بعض الأجهزة والمعدات التي تستخدم في مكوك الفضاء . فعلى سبيل المثال تشارك تشيكوسلوفاكيا في صنع بعض أجهزة التصوير التي يستخدمها السوفييت في سفن « سويوز » ، كما شاركت اليابان في صنع أجهزة تصوير ذات حساسية فائقة يستخدمها الرواد الأمريكيون في التصوير الليلي ، كما شاركت كندا في صنع الذراع الآلي المفصلي الذي يستخدم في المكوك .

أوروبا تدخل حلبة المنافسة

بدأت أوروبا تنشط في مجال الفضاء من خلال منظمة أبحاث الفضاء الأوروبية المعروفة باسم « ايسا » ESA . ولقد كان أول انتاج لهذه المنظمة في فجر عهدها في السبعينيات هو صنع نوعين من الصواريخ المتعددة المراحل تحت اسم « أوروبا ــ ١ » و« أوروبا ــ ٢ » ونجحا في حمل قمرين صناعيين يحملان نفس المسمى « أوروبا » . غير أن تطوراً شاملاً طرأ على نشاط المنظمة ، وتحول انتاجها إلى انتاج صاروخ متعدد المراحل تحت اسم « اريان » (ERIAN) وتعددت مرات إطلاقه ونجاحه في اطلاق أقمار صناعية أوروبية ، وفي إطلاق أقمار صناعية لدول أخرى . وكان من هذه الأقمار القمر الصناعي العربي الأول « عربسات ــ ١ » الذي أطلق يوم ٨ فبراير ١٩٨٥ وأنهى عزلة العرب وجعلهم يشاركون في حقائق عصر الفضاء بايجابية . وتوسعت منظمة « ايسا » في عمليات الاطلاق إلى درجة أن بعض شركات الاتصالات الفضائية الأمريكية ، تفضل إسناد عمليات اطلاق أقمارها اليها . غير أنها منيت بخيبة أمل كبيرة ، عندما فشلت عملية إطلاق اريان الخامس عشر في شهر سبتمبر ١٩٨٥ عندما توقفت المرحلة الثالثة منه عن الاشتعال ، فاضطروا لتفجيره في الجو ، وكان يحمل قمرين صناعيين أحدهما أوروبي والآخر أمريكي وتكبدت المنظمة خسارة قدرها ٥٠ مليون دولار .

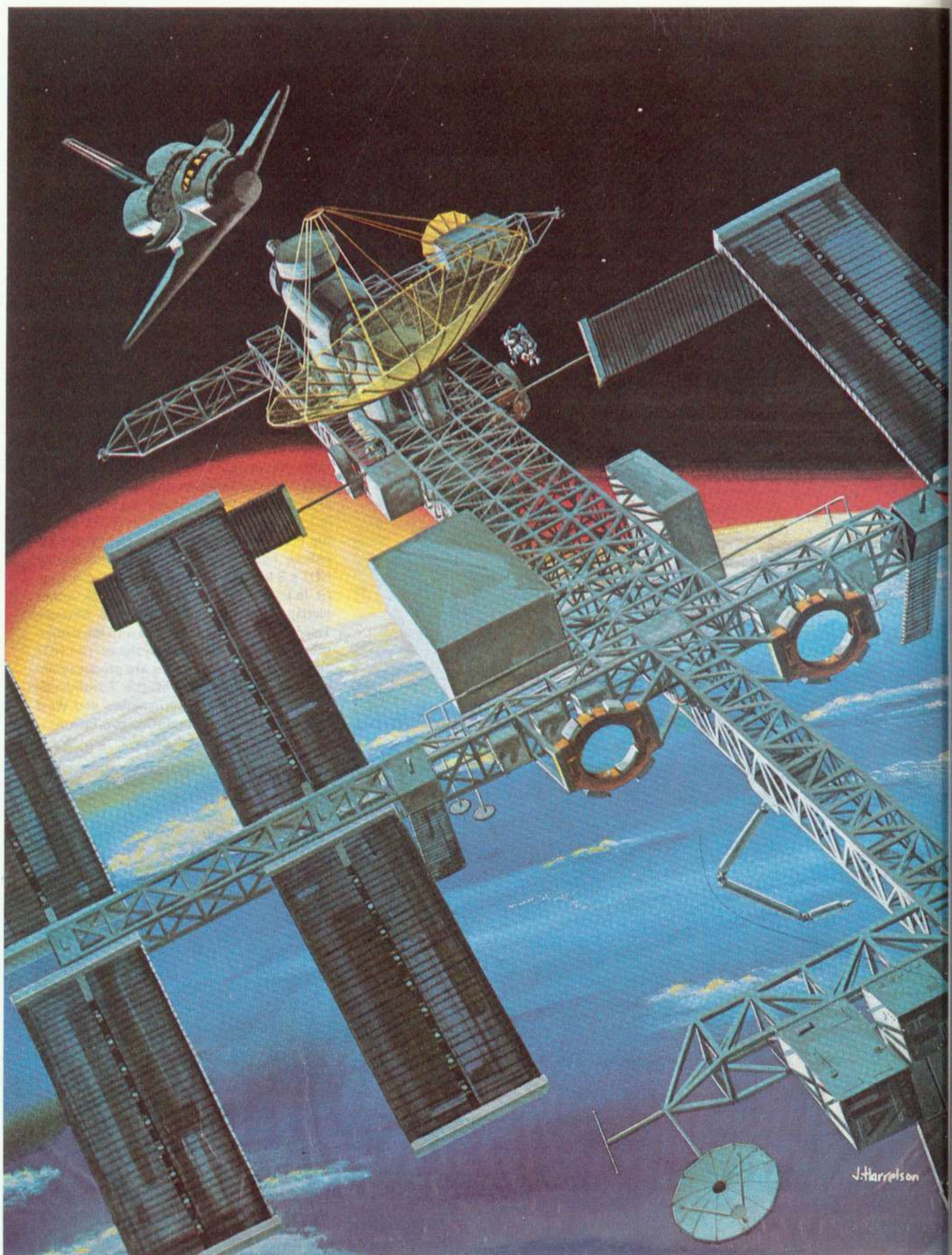
إلا أن حلبة المنافسة الفضائية بين أوروبا وأمريكا تمثلت في عدة أنشطة أخرى منها اعتزام فرنسا انتاج مكوك فضاء تحت اسم « هرمس » . ومنها أفكار تدور حول انتاج أول سفينة فضاء أوروبية لغزو الكواكب تحت اسم « كولومبوس » ، ومنها تعديل جوهري على تصميم الصاروخ اريان تحت اسم (اريان ــ ٥) ، ومنها أيضاً أفكار بريطانية عن انتاج مكوك فضاء يقلع أفقياً دون الاستعانة بالصواريخ كالمكوك الأمريكي ويهبط في المطارات مثله . وتوجت هذه الأفكار بنجاح فرنسا منفردة في انتاج شبكة من أقمار الموارد الأرضية تحت اسم سبوت(SPOT) ، تعمل على منافسة الأقمار الأمريكية للموارد الأرضية المعروفة باسم « لاندسات » . وتنافس أقمار « سبوت » مثيلاتها الأمريكية في مناطق التغطية بالتصوير الفضائي بكاميرات التصوير في ضوء الشمس النهاري ، وفي التصوير بكاميرات الاحرار التي تعمل بالأشعة الحمراء للتصوير في ظلام الليل الدامس . إذ تلعب الصور الفضائية دوراً يتعاظم يوماً بعد يوم في تقديم العون لكافة ضروب التنمية اعتماداً على شمول الصور الفضائية وتغطيتها لمساحات كبيرة واكتشافها أدق التفاصيل .

كما تعاونت منظمة ايسا الأوروبية مع وكالة الناسا الأوروبية في اطلاق معمل أبحاث أوروبي أطلق عليه اسم « معمل الفضاء » (LOP) ، على متن المكوك في رحلتين متباعدتين . وحشدت في هذا المعمل أعداداً من الأجهزة الحديثة المتطورة لخدمة أوجه مختلفة من العلوم والأبحاث التطبيقية البيولوجية والطبية والفلكية والهندسية . وعمل على المعمل في رحلتي اطلاقه علماء متخصصون من دول أوروربا ، وليسوا رواداً للفضاء .

ويوما بعد يوم تتطلع دول أوروبا إلى اللحاق بالولايات المتحدة في ركب الفضاء حتى لا يزيد هذا التخلف بينهما . ولكن يبدو أن الأمر بالغ الصعوبة لأن التكاليف الباهظة التي تتطلبها عمليات الفضاء لا يصمد لها الاقتصاد الأوروبي .

مصانع في الفضاء

بدأت جهود التصنيع في الفضاء منذ عدة



المستعمرات الفضائية ، ستحتل مكانها في الفضاء في التسعينيات

تطور استخدام الفضاء

سنوات باجراء لحام بعض المعادن بعضها إلى بعض اثناء الرحلات الكونية ، وتخليق أنواع من السبائك تحت حالة انعدام الوزن للوصول إلى معادن أكثر تماسكاً ، وأقوى امتزاجاً ، ولا تتخللها فقاقيع للهواء . ولقد تم ذلك من جانب كل من السوفييت والأمريكيين وتكرر ذلك عدة مرات ، وفي رحلات متعددة ، ووصفت اللحامات بأنها تتم بدون تسخين ، حتى شهد عام ١٩٨٥ تجربة رائدة جديدة في تخليق بلورات فائقة الدقة في حجمها المتناهي في الصغر ، إذ قيل ان ١٨٠٠٠ بلورة منها لا يزيد حجمها عن حجم رأس دبوس ، وهي مع حجمها الدقيق جداً فانها بالغة النقاء ، ذلك أن الخواص الطبيعية المتوفرة في الفضاء تتيح تكون بلورات آحادية الجزيئ كبيرة الحجم نظراً لانعدام قوى الدفع الناتجة عن الجاذبية الأرضية وقوى الحمل ، كما تنعدم الفقاعات والغازات والأبخرة التي تتصاعد على سطح الأجسام المائية والمعادن المنصهرة . وتتخلق بلورات المواد المصنعة في الفضاء في كروية منظمة للغاية . ولذلك سارعت شركات الأدوية والعقاقير الطبية إلى التقاط هذا الانجاز للتفكير في تصميم مشروع أول مصنع فضائي للأدوية ، وتحدد عام ١٩٨٩ لبناء هذا المصنع الأمريكي لصنع عقاقير فائقة النقاء ، لأنها بعيدة عن كل مصادر التلوث المعهودة على الأرض كالاشعاع أو الجراثيم أو الفيروسات . ويزمع العلماء استخدام الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء اللازمة لأول مصنع فضائي ، وسيكون عدد العاملين فيه عالمين فقط حيث سيتم التحكم في أجهزته بالحواسب الالكترونية .

ولن يقيم العالمان في هذا المصنع بصفة دائمة بل سيعودان إلى الأرض ويترددان عليه من آن لآخر ، لأن عماد العمل سيقوم به « الروبوت » المزود بحواسب اليكترونية تقوم بكل الخطوات . كما أن الانتاج الفضائي سينقل إلى الأرض من آن لآخر . ليصبح لدى العلماء خامات فائقة النقاء ، وبلورات فائقة الانتظام . ومن بين العقاقير المزمع تصنيعها في الفضاء هرمونات جديدة وأمصال لم يكشف النقاب عنها بعد ، قد تفيد في علاج بعض الأمراض المستعصية كالشيخوخة ، ومن الأمصال التي يدور حولها البحث مصل لعلاج الانفلونزا ودواء لعلاج السكر ودواء آخر له القدرة على إذابة الجلطات التي تسد الشرايين .

غير أن طموح العلماء في استغلال الصناعات الفضائية يتجه إلى عالم المواد من الجوامد أنصاف الموصلات وأشباه الموصلات والتي أحدثت في عالم الأليكترونات ثورة ، بتصغير أحجام المكونات الاليكترونية إلى أحجام صغيرة للغاية ، مكنت المهندسين من صنع أجزاء أجهزة الاتصال والحواسب الاليكترونية والسنترالات وأجهزة التوجيه في أحجام تقرب من علب الكبريت . ولو كانت صنعت بالطرق التقليدية القديمة لشغلت عدة آلاف من الغرف . ذلك أن التحكم في تكوين بلورات المواد وتكوينها الذري الداخلي هو الذي فتح باباً جديداً في عالم الدوائر الاليكترونية جعل البلورة الصغيرة من مواد السيلينيوم والجاليوم والارسنيد ، تحقق ما كان يعمله جهاز اليكتروني كبير الحجم .

لذلك ستشهد الحقبة الجديدة مصانع فضائية تخدم صناعات متعددة ، على رأسها العقاقير والأجزاء الاليكترونية والسبائك ، ولن يقف التطور عند حد ، بل ستنطلق صناعات أخرى كثيرة .

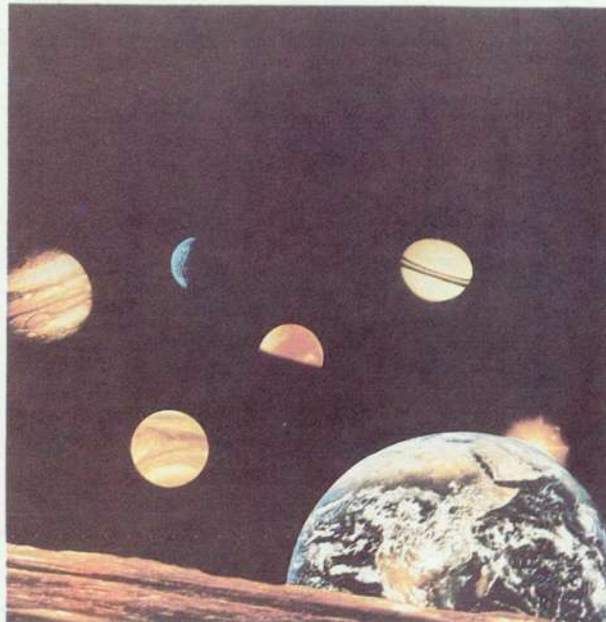
مستعمرات في الطريق إلى الفضاء

عندما أعلن الرئيس ريجان عام ١٩٨٣ استخدام تكنولوجيا الفضاء للأغراض العسكرية ، فقد حدد أوائل حقبة التسعينات لجعل هذه القفزة حقيقة واقعة . ويستند في ذلك على اطلاق مستعمرات فضائية تكون بمثابة قواعد ثابتة تطل على الأرض من ارتفاعات شاهقة وتستطيع القيام بما لا تستطيعه الطائرات أو الصواريخ أو سفن الفضاء منفردة أو مجتمعة . فمن هذه المستعمرات يمكن أن توجه « مدافع الموت » أو « بنادق الموت » متمثلة في « أشعة الليزر » الخارقة نحو الصواريخ المعادية العابرة للقارات ، فتعطلها عن بلوغ غايتها قبل أن تصل إليها . ولقد كانت هناك خيارات كثيرة لجعل « عسكرة الفضاء » حقيقة واقعة بتثبيت مرايا دائرية عاكسة ذات أقطار كبيرة ، قدروا أنها قد تبلغ ٣٠ متراً قطراً ، لتوضع فوق المستعمرات الفضائية فتوجه اليها اشعاعات الليزر من محطات أرضية ، لكي تنعكس عليها عند توجيهها نحو الصواريخ المعادية وهي في الفضاء ، فتعطلها عن بلوغ أهدافها . ويتحكم في حركة هذه المرايا وتحديد زوايا اتجاهها حواسب اليكترونية توصلها بمحطات التحكم الأرضية . وكان ثاني هذه الخيارات هو تعاكس الأوضاع ، بحيث توضع المرايا على الأرض ، وتوضع محطات توليد أشعة الليزر على المستعمرات الفضائية ، فتوجه نحو الأهداف المعادية لتمنعها من مواصلة طريقها .

وهناك خيارات أخرى كثيرة ، أفرزتها عقول العلماء ولم يستقر على أيها بعد . لكن الأمر الذي تم العزم عليه ، هو ضرورة اقامة « مستعمرات فضائية » لتكون ركيزة الانطلاق نحو منع الصواريخ المعادية من مواصلة سيرها . ومن هنا وجدت أفكار كثيرة للعلماء عن تصميمات مختلفة للمستعمرات الفضائية وما تحويه من أجهزة ومعدات بما يكفل مواصلة الحياة لرهط من العاملين والعلماء للبقاء عليها ومواصلة العمل منها سواء لوضع الحواسب الاليكترونية أو المرايا العاكسة أو العبوات المتفجرة . ولن تأتي حقبة التسعينيات إلا وسيكون مكوك الفضاء قد حمل أجزاء من هذه المستعمرات إلى الفضاء ليعمل رواد الفضاء على ربط أجزائها بعضها إلى بعض ليتكون منها الهيكل الشامل لها . ولقد بدأت فعلاً المصانع الأمريكية في تصنيع أجزاء من هذه المستعمرات .

سعد شعبان

● أول راكبة تسافر إلى الفضاء للسياحة ستقوم برحلتها عام ١٩٨٦



صورة (كولاج) التقطتها سفن الفضاء ، وتبين من على اليسار في اتجاه عقارب الساعة : جوبيتر ، ثم هلال عطارد ، فهلال المريخ ، فزحل وحلقته ، ثم الأرض ، بينما تظهر الشمس متوهجة من خلفها ، وأخيراً الزهرة

هونج كونج

مدينة مفتوحة ما زالت غارقة في الأساطير

مجدي نصيف

انسابت بنا السيارة من مطار هونج كونج الدولي إلى وسط المدينة . الشوارع عصرية حديثة ، ترتفع على جانبيها ناطحات السحاب إلى ستين طابقا ، وتنتشر بين أرجائها المحلات المليئة بالبضائع .

وفجأة تدخل بنا السيارة إلى وسط المدينة ، حيث يقع الفندق ، الشوارع ضيقة واللافتات تعترضها بكتابات صينية مثل الرسم ، ملونة باهرة الألوان ، والألوان النيون تصل من المحلات على جانبي الشوارع الضيقة إلى منتصفها ، تبهر الأبصار بألوانها الزاهية المتعددة .

بعدها بدأنا جولتنا في المدينة : بلد صيني أصيل ، وإن كانت تغطيه قشرة رقيقة غربية في مظهرها ، فوسط جزيرة لكاولون الشوارع غربية المظهر ثرية ، هادئة ، وفي هونج كونج هناك الشوارع القديمة المزدحمة ، على جانبيها الحوانيت الصينية التقليدية ، تعلوها منازل للسكنى ، وهي لا تفترق في كثير أو قليل عن الشوارع الصينية في القرن التاسع عشر ، الفارق الرئيسي في نوعية السلع المعروضة ، حيث تعرض هذه الحوانيت حالياً البضائع الحديثة إلى جانب البضائع الصينية التقليدية .

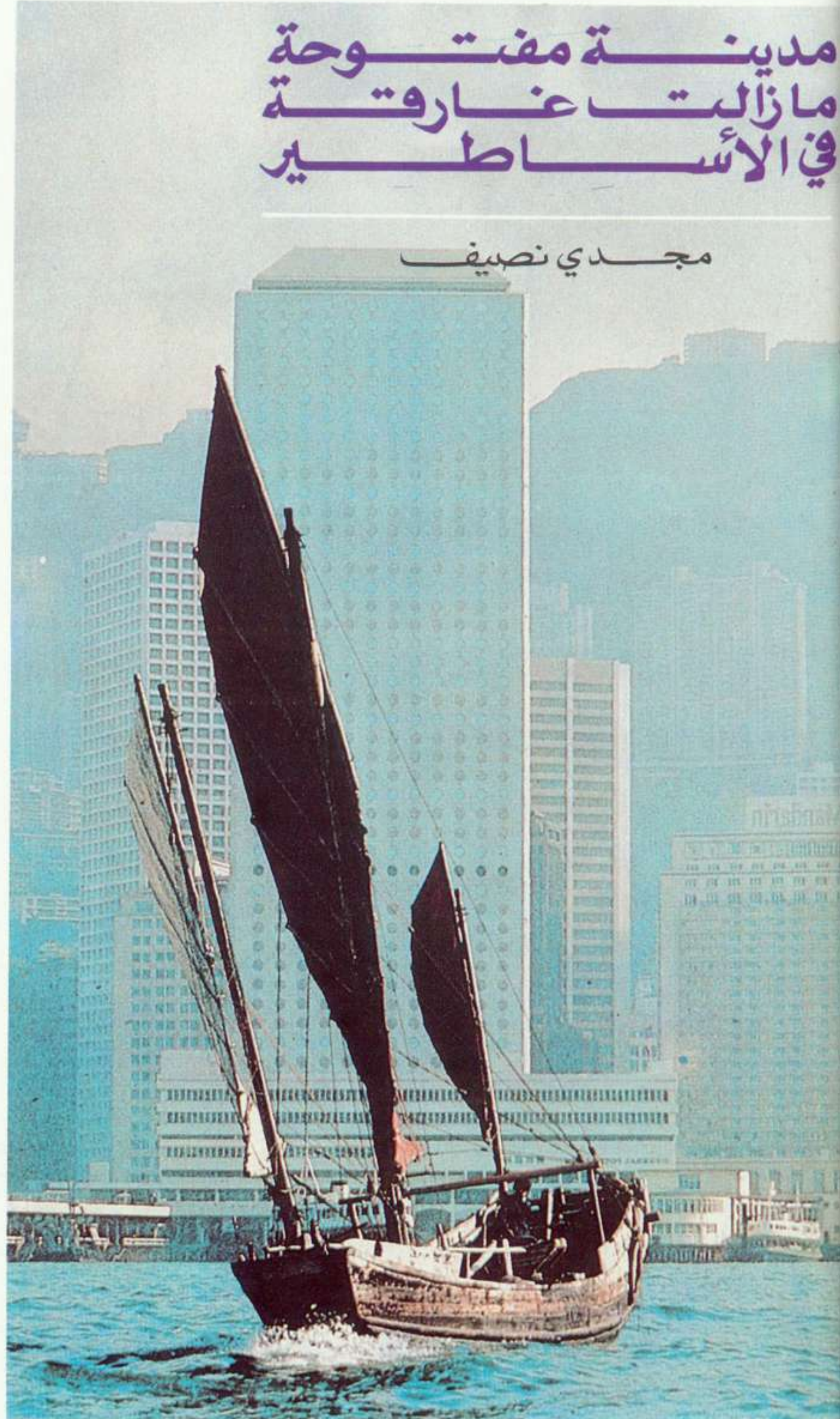
سحر الشرق القديم

لكن المدينة رغم هذه القشرة الغربية الرقيقة تعبق بسحر الشرق القديم .

وفي المناطق النائية من هونج كونج ، مازالت الحياة تسير كما كانت عليه منذ مئات السنين وفق حياة الريف الرتيبة الهادئة .

وفي شوارع وسط المدينة ، تتناثر الحوانيت وإلى جانبها المطاعم الصينية التقليدية ، التي مازالت تحتفظ بطابعها .

وتمنح هونج كونج زائريها مناظر طبيعية خلابة عديدة ، فمستعمرة هونج كونج (البريطانية حتى الآن) تتكون من مئات الجزر الصغيرة المتناثرة جنوب بحر الصين ، وكثير منها غير مأهول ، ويصل عددها كلها إلى ٢٣٦ جزيرة ، شواطئ هادئة منعزلة ذات مناظر خلابة ، وهضاب تنظر إلى المدينة والشواطئ من عل ، هذا



مدينة هونج كونج ، التي تحولت إلى عاصمة للمال والتجارة

هونج كونج

مدينة مفتوحة مازالت غارقة في الأساطير

إلى جانب ما أضافه مخططو المدن من جمال إلى الجزيرة : البحيرات الصناعية وسط الوديان الخضراء ، والطرق المحفورة وسط الجبال ، بمناظر تطل على الميناء ، وناطحات السحاب التي ترتفع إلى ستين طابقاً .

التاريخ والحضارة

وصلت بريطانيا بتجارتها إلى الصين في القرن الثامن عشر ، وأدارت تجارتها من مستعمرة « ماكوا » البرتغالية التي مازالت موجودة حتى الآن .. وحصر الصينيون التجار البريطانيين فيما بين نهر بيرل ومدينة كانتون . وكان الدفع بالفضة يعوض البريطانيين عن تجارتهم في الشاي والحرير ، ورغم ذلك كان ميزان المدفوعات في صالح الصينيين ، هنا لجأ البريطانيون إلى تجارة مدمرة هي « تجارة الأفيون » وتحول شعب الصين إلى تابع لهذا الكيف ، مما حدا بامبراطور الصين عام ١٧٢٩ أن يصدر قانوناً ضد هذه التجارة المحرمة ، وخاضت الصين ضد بريطانيا حربها المعروفة باسم « حرب الأفيون » لتمنع بريطانيا من تصدير الأفيون إلى شعبها .

كانت كمية الأفيون التي صدرتها بريطانيا إلى الصين عام ١٨٣٦ حوالي ٢٦ ألف طن .

وكانت إحدى نتائج حرب الأفيون « مولد » مستعمرة هونج كونج ، فقد تنازلت « امبراطورية » الصين عنها لبريطانيا حسب « معاهدة نانكين » عام ١٨٤٢ م ، ثم أضيفت جزيرة كولون إلى المستعمرة ، بعد معاهدة أخرى وقعتها بريطانيا مع الصين عام ١٨٦٠ م . وفي عام ١٨٩٨ حصلت بريطانيا على عقد مع الصين لإبقاء هونج كونج في حوزتها لمدة ٩٩ عاماً ، أي تنتهي عام ١٩٩٧ م . ولم تخض الصين أي حرب بعد استقلالها وإعلان « جمهورية الصين الشعبية » عام ١٩٤٩ ، أي حرب لتحرير هونج كونج ، وإنما ظلت مبقية على الوضع منتظرة ، بل وتحولت المدينة إلى باب خلفي للصين تحصل منه على العملة الصعبة ، وتصدر إليها البضائع الصينية التقليدية التي مازال هناك اقبال في العالم أجمع على شرائها .

ودخلت في مباحثات مع بريطانيا منذ عام



طفل من هونج كونج بالزي الصيني القديم في أحد الاحتفالات بالعاصمة



لقطة بانورامية للمدينة التي اشتهرت بمناظرها الطبيعية الخلابة



من كل لون طبق ، في أشهر الأسواق بالعاصمة

١٩٨٤ م ، مصممة على استردادها وإن كانت تصرح بأن وضع المستعمرة سيظل كماهو عليه دون تغيير بعد انضمام المستعمرة إليها . وفي الفترة ما بين عامي (١٨٤٠ ــ ١٩٥٠) ،قامت « مستعمرة هونج كونج » بدور المنطقة « الترانزيت » للتجارة بين الصين والغرب ولكن ما إن حلت الحرب الكورية عام ١٩٥١ حتى حظرت الولايات المتحدة الأمريكية أي سلع أساسية واستراتيجية للصين الشعبية ، هنا بدأت تجربة هونج كونج الخاصة ، وبدأت تتشكل بشكلها الحالي . اتجهت إلى التصنيع والسياحة ، وتدفقت عليها رؤوس الأموال الأوربية والأمريكية مستفيدة من الأيدي العاملة الرخيصة ، وعدم وجود ضرائب ، وازدهرت المستعمرة ، وزاد عدد سكانها الصينيين حتى وصل الآن إلى خمسة ملايين ونصف مليون نسمة . وبعد أن كان الاقتصاد يعتمد على التجارة أساساً ، تحول إلى التصنيع والتصدير ، حيث قامت صناعات كبيرة وحديثة مشهورة مثل صناعة النسيج والقماش ، وصناعات الالكترونيات وصناعة البلاستيك ، ولعب الأطفال .

ونتيجة لهذه القفزة ، تمت هجرة واسعة من الصين الدولة الأم إلى مستعمرة هونج كونج ، وكان الصينيون يلجأون إليها بأعداد كبيرة منذ عام ١٩٤٩ ، وهو عام استقلال الصين ، وإن توقف ذلك بعد حين .

وقفز عدد سكان المستعمرة من ٦٠٠ ألف نسمة عام ١٩٤٥ إلى خمسة ملايين ونصف هم عدد سكانها الآن .

ويمثل الصينيون ٩٨٪ منهم ، ويعيش في المستعمرة حوالي ٢٠ ألف بريطاني ، وهذا بخلاف القوات البريطانية المتواجدة هناك ، وهناك كذلك ١٣ ألف أمريكي ، إلى جانب ٨٥ ألفاً من جنسيات أخرى .

ويعيش كل هؤلاء في مساحة لا تزيد عن ٤٠٠ ميل مربع ، وحتى الآن يستصلح المزيد من الأراضي بانتزاعها من البحر . ولذا يعيش الصينيون في مستعمرة هونج كونج في كل مكان ، الفقراء يتزاحمون في الأكواخ والأحياء الفقيرة ، والطبقات القادرة والثرية تسكن ناطحات السحاب . فالمدينة تقف شاهقة على قدميها ، وبمعنى آخر فإن التوسع تم رأسياً بدلاً من أن تتوسع المدينة بشكل أفقي لحل مشكلة السكان ، فازداد عدد الناطحات على هذه المساحة الصغيرة ، هذا إلى جانب الآلاف (من ثلاثة أجيال) يعيشون في القوارب ويطلق عليهم اسم « سكان القوارب » إن « هونج كونج » مدينة مفتوحة : الضرائب

● أصبح سكانها خمسة ملايين نسمة ، ومازال أهلها يقيمون المهرجانات الصينية القديمة !

منخفضة (بل وتكاد لا توجد) وليس هناك ضريبة استيراد مما جعلها أرخص من السوق الحرة في مطار هونج كونج نفسه ، وضريبة الاستيراد لا تفرض إلا على التبغ وبعض منتجات البترول والعملات حرة الحركة لا يعوقها عائق . وهذا ما أعطى هونج كونج طابعها الخاص ، إذ تحولت إلى إحدى عواصم العالم للمال والتجارة والعملة ، والصناعة .

بقايا الصين القديمة

وإذا كانت هناك أشياء قد اختفت من الصين الأم ، فقد ظلت باقية هنا في هونج كونج . فالمنجمون على سبيل المثال مازالت سوقهم رائجة ويؤخذ رأيهم في كل شئ . فإذا كان المهندسون على سبيل المثال يحددون كيف تبنى ناطحة السحاب بالنسبة للبحر والرياح ، فإن المنجمين يدلون برأيهم حول الأرواح الشريرة في الناطحة وكيفية مجابهتها .

ومازلنا نرى الأساطير والحكايات الصينية القديمة ، من خلال الأفلام المنتجة محلياً باللغتين الماندارية والكانتونيزة . ومازالت الأوبرات الصينية تذاع من الراديو والتليفزيون ، أما الاحتفالات والمهرجانات الصينية القديمة ، فمازال أهلها يحتفلون بها جميعاً ، وخاصة في عيد رأس السنة الصينية .

مجدي نصيف

فنان عربي تتحمّس له ألمانيا



غازي الدليمي

اللون الأخضر والأمل في مستقبل الانسان

بقلم: صبحي الشاروني

يعتبر إقليم ــ أو مقاطعة ــ شمال غرب ألمانيا من أهم الأقاليم الصناعية فى المانيا الاتحادية ، ومدينة دوسلدورف هى عاصمة هذا الاقليم التى يسميها البعض (باريس ألمانيا) ، وذلك لأن بها تجمعا يضم أهم الفنانين الألمان . كما تتركز فيها تجارة اللوحات العالمية فى ألمانيا الاتحادية .

وخلال مروری بهذه المدينة وأنا فى طريقى إلى برلين الغربية نبهنى بعض الأصدقاء إلى وجود فنان عراقي شاب يحتل مكانة متميزة بين فناني هذه المدينة ، وانه متفرغ لفنه ، كما يحظى برعاية المسئولين عن الثقافة فى تلك المقاطعة .

لهذا طلبت أن التقي به وأزور مرسمه خلال رحلة عودتي من برلين التي ذهبت إليها مدعوا لأحاضر عن الفن العربي مستعينا بالشرائح الملونة فى تقديم صورة محددة الملامح للحركة الفنية العربية .



علامة الاستفهام : إحدى لوحات الفنان العربي غازي الدليمي بألوانها المبهجة ورموزها التي توحي بالقوة الهائلة القادمة لإنقاذ العالم !

سلمنى صديقي سماعة التليفون لأضرب موعدا مع الفنان ، واتفقنا على اللقاء في مقهى بميدان محطة القطار الرئيسية ، وطمأننى أننى سأتعرف عليه بسهولة من خلال لحيته وسحنته العربية التي لن أخطئها .. وكان يوما مشمسا حيث ركبت إلى جانبه فى سيارة نصف نقل مقفلة ..

وأوضح في الطريق أنه اختار هذه السيارة لكى يسهل عليه نقل لوحاته بها من مكان لآخر ، ولأنه أحيانا يبيت فيها خلال رحلاته الطويلة داخل ألمانيا وخارجها .

بين العراق والمانيا

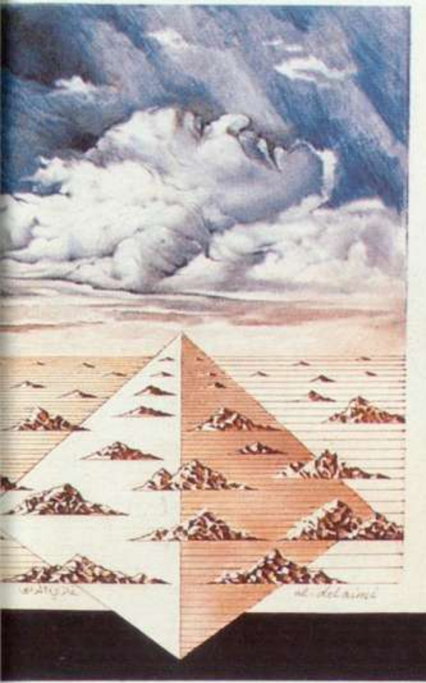
ولد الفنان غازى الدليمى فى مدينة بغداد عام ١٩٤٨ ، وانتقل مع عائلته إلى مدينة كركوك وهو فى سن الخامسة حيث التحق بالمدرسة الابتدائية ثم ثانوية كركوك بنين ، وحصل على البكالوريا عام ١٩٦٨ . بعدها التحق لمدة عام باكاديمية الفنون فى جامعة بغداد حيث درس أصول الخط العربي .. ثم سافر إلى ألمانيا الاتحادية لدراسة فنون (الرسم والتصميم) ، والتحق بجامعة دوسلدورف عام ١٩٧١ حيث أمضى خمس سنوات فى هذه الدراسة حصل في نهايتها على دبلوم التخصص في الرسم والتصميم .

لكن الألمان لا يقنعون بالشهادات الدراسية ، وتحتم تقاليدهم أن يقضى خريج الجامعة بضع سنوات في مواقع الانتاج العملى والمتصل باحتياجات المجتمع ، وبعد هذا الاحتكاك يتم الاعتراف بكفاءته وتصبح له مكانته كمتخصص ذى خبرة فضلا عن شهادته .. وسار غازى الدليمي فى نفس الطريق ، فالتحق بالعمل فى مواقع ومراكز الاعلانات التى تستخدم الرسم وأساليب الطباعة الفنية فى الدعاية للمنتجات الصناعية ..

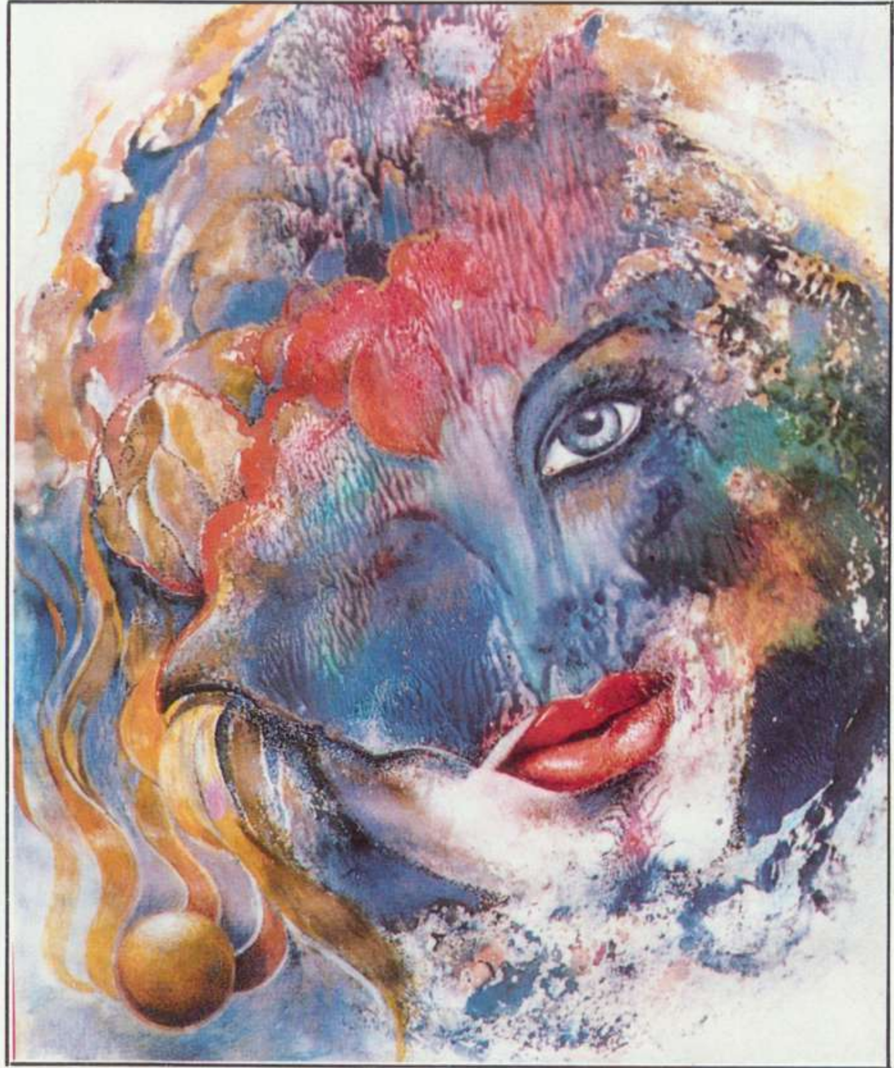
وتخصص فى تصميم الاعلانات لاحدى شركات السيارات ، وتدرب على الأساليب العملية لاستخدام خبراته ودراسته في تلبية الاحتياجات اليومية التي تخدم المجتمع الصناعي . وامتدت فترة العمل كمصمم للاعلانات خمس سنوات كاملة . وفى عام ١٩٨٠ بدأ يحس أنه سئم العمل في ميدان الاعلانات ، وأنه لن يكتسب خبرات جديدة في هذا المجال ، بالاضافة إلى أنه أحس باشتياق إلى الانتاج الفنى الخالص .. فصار يرسم

غازي الدليمي

اللون الأخضر والأمل في مستقبل الإنسان



في السحاب



وجه وأنغام وألوان



تنويعات على الكرة

لوحاته في غير أوقات العمل .. وشاهد مدير شركة الدعاية التي يعمل بها عددا من لوحاته .. فدعاه إلى زيارته في منزله مع كل رسومه التي لا تتصل بعمله في فن الاعلان ، وخلال هذه الزيارة اقترح عليه إقامة معرض لهذه الأعمال في مقر الشركة لأنه تحمس لها إذ وجد فيها جديدا لا يشبه ما يعرضه الآخرون .

طريق الفن

في هذا المعرض الأول الذي أقامه عام ١٩٨١ لمس الفنان إقبال المشاهدين من الجمهور الألماني ، حيث باع لهم عددا من هذه اللوحات ، ومن هنا أدرك أن الطريق مفتوح أمامه للإنتاج الفنى الخالص ، وانطلقت شرارة الفن التي يغذيها الإقبال والتقدير .. وأحس أن الفن يعطيه أضعاف ما يعطيه عمله فى الدعاية وتصميم الاعلانات ..

وتحمس أحد أصدقائه الألمان الذين يعملون معه فى شركة الاعلان ، واقترح أن يقيم معرضه الثاني فى بنك (اكسبرس) .. في هذا المعرض الثاني تأكد أن طريق الفن هو طريقه وبعده تفرغ تماما للرسم والتصوير الزيتي وتوقف عن تصميم الاعلانات .. وتوالت معارضه الخاصة والمشتركة مع الفنانين الألمان .. وتم الاعتراف به رسميا عندما قبلت لوحاته التى تقدم بها للمشاركة فى معرض فناني مدينة دوسلدورف السنوي الكبير ، حيث تقوم لجنة من كبار نقاد وفناني المدينة باختيار الأعمال التي تصلح للعرض من بين أعمال المتقدمين .. وقد شارك (الدليمي) فى هذا المعرض بثلاث لوحات ..

وأحس نتيجة لهذا أن رسومه لها قيمتها فى هذا المجتمع ، ودفعه هذا الاعتراف إلى مواصلة الطريق حيث كان قبول أعماله في هذا المعرض الكبير هو صك الاعتراف بكفاءته .. وتم تعيينه مشرفا على النشاط الفني فى أحد نوادي الشباب التي تفتح أبوابها مساء . وفي هذا العمل يقوم بتدريس أصول الرسم للهواة بينما يتفرغ لفنه صباحا .

الأمطار الحمضية

أما موضوعات فنه وتلك التي تدور حولها أعمال تلاميذه فهى موضوعات تعالج القضايا والمشاكل التي تشغل الناس فى أوربا عامة وألمانيا خاصة ، وعلى رأسها موضوعات تلوث البيئة والخوف من الإشعاعات الذرية والتفجيرات النووية وما أشبه ..

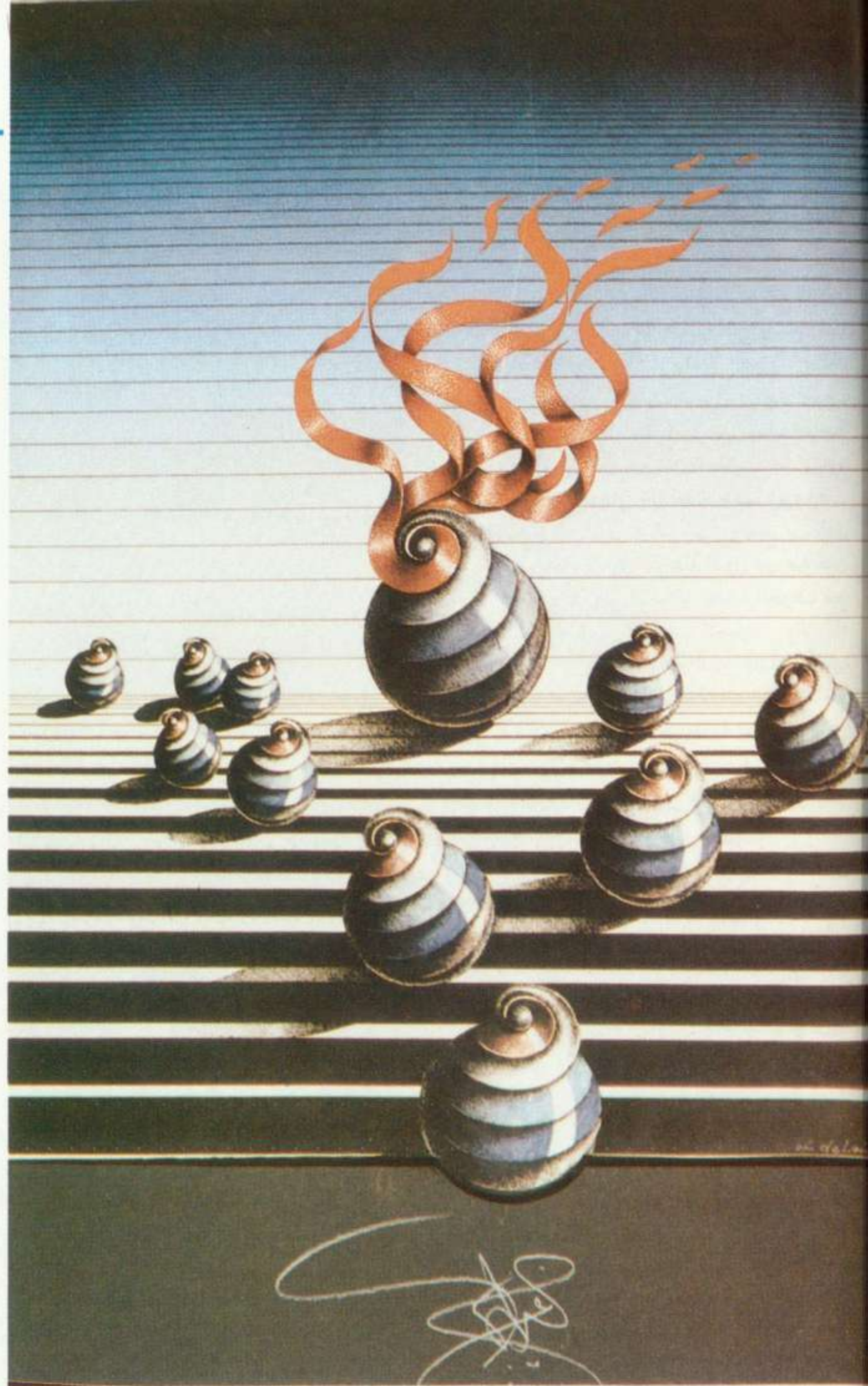
لقد انشغل الألمان منذ فترة وجيزة بقضية (الأمطار الحمضية) التى أدت إلى تدمير جانب كبير من الغابات فى شمال المانيا .. وظاهرة موت وانقراض الأشجار الدائمة الخضرة فى بعض المناطق نتيجة للأبخرة والفضلات الغازية التى تفرزها المصانع ثم تختلط بالسحب وتعود مع مياه الأمطار فتقتل نباتات وأشجار الغابات التي تسقط فوقها ، لامتصاصها هذه المواد السامة من التربة أو نتيجة لتراكمها على الاغصان فتعوق العمليات الحيوية كالتنفس والنتح والتمثيل الضوئى .. وهكذا لم تبق فى مساحات شاسعة من غابات شمال ألمانيا سوى الأشجار التي تتجدد أوراقها كل عام ، أما تلك الدائمة الخضرة فقد ذبلت وماتت فى تلك المناطق التى نكبت بالأمطار الحمضية الناتجة عن تلوث البيئة .

هذه المسألة شغلت معظم أفراد الشعب الألماني وترتب عليها قيام حزب قوى له عدد لا يستهان به من المقاعد فى البرلمانات ومجالس المدن ، إلى الحد الذى جعل الأحزاب السياسية الكبرى تعمل على إرضاء هذا الحزب وكسب تأييده وإضافة جوانب من برنامجه إلى برامج تلك الأحزاب الكبرى .. هذا الحزب يطلق على نفسه اسم (حزب الخضر) اشارة إلى اهتمامه بالدفاع عن المناطق الخضراء من حقول وغابات فى مواجهة الزيادة المستمرة فى معدلات تلوث البيئة .

مثل هذه القضية التي لم تحتل بؤرة اهتمام كل شعوب الأرض بنفس القدر الذي نجده عند الشعب الألماني ، تعتبر من أهم الموضوعات التي يدور حولها فن (غازى الدليمى) .. وقد أطلق على أحد معارضه اسم (الجحيم) لأنه يجسد المخاطر التى تهدد الانسان من تلوث البيئة . وقد ساهم الأعضاء المتحمسون فى حزب الخضر بشمال ألمانيا فى الدعاية لهذا المعرض .

اعتراف رسمى وشعبي

ثم ما لبثت بلدية المدينة بعد الاهتمام الواسع بهذا المعرض أن اختارته عضوا بلجنة التحكيم فى مسابقة لعمل الأشكال الفنية من تجميع أشياء مختلفة ملونة (فن الكولاج) .. وكانت هذه اللجنة تضم ناقدا فنيا وموظفا بوزارة الثقافة ومدير مجمع الفنون بشمال الراين ــ المنظم للمسابقة ــ بالإضافة



« لوحة » : من أعمال الفنان عام ١٩٨٢

مرسم على (الراين)

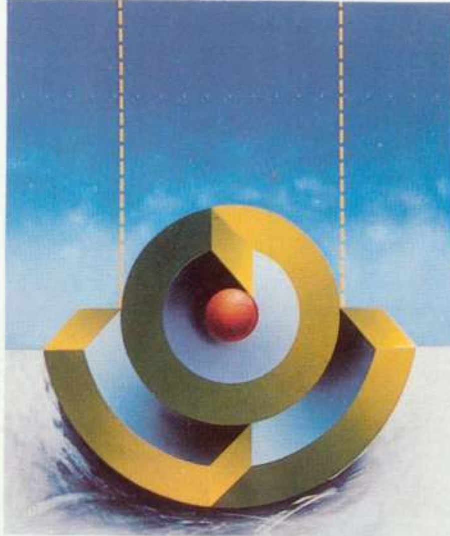
وعندما أعلنت بلدية مدينة دوسلدورف عن وجود مراسم للفنانين بإيجار رمزى فى أجمل المناطق الهادئة المطلة على نهر الراين ، تقدم الفنان بطلبه مشفوعا بنماذج من أعماله ليتأكد المسئولون فى بلدية دوسلدورف من جدية الطالب ومستواه الفني .. وبلغ عدد المتقدمين للمرسم الواحد ٢٥ فنانا معظمهم من الألمان،لكن،اللجان المسئولة عن هذه المراسم اختارت الفنان العراقي ليشغل أحدها ، وهو عبارة عن طابق فى قصر قديم من طابقين بني منذ مائة عام بالقرب من مدينة دوسلدورف .. وفى هذا المرسم أقام الفنان بعض معارضه كما عرض لزملائه من الفنانين ، فأصبح موقع جذب لعشاق فنه ومجموعة من الأصدقاء تتسع باستمرار .

وعندما شارك (الدليمي) في أحد المعارض الجماعية تصدرت صورة هذا القصر دليل المعرض .

أما الصحافة الألمانية وخاصة جريدة الراين المحلية فهي تتابع نشاطه من حين لآخر سواء المعارض التي يقيمها لتلاميذه من الهواة الملتحقين بنادى الشباب أو معارضه الخاصة .

غازي الدليمي

اللون الأخضر والأمل في مستقبل الإنسان



لوحة للفنان من مرحلة الفن البصري (١٩٧٥) ونرى فيها التدرج والتجسيم في هذا الاتجاه لأول مرة



في هذه اللوحة التي تمثل - أيضاً - مرحلة الفن البصري في المشوار الفني للفنان (١٩٧٢) يحاول أن يبعث فينا الأمل في حياة جديدة ونبت جديد

إلى رسام ومثال ، وعرضت أعمال المتسابقين فى متحف (يوجر هوف) أكبر متاحف مقاطعة شمال غرب ألمانيا .

وفى مايو عام ١٩٨٤ أقام الفنان معرضا فى مدينة (مونستر) بالاشتراك مع الفنان التركي (إحسان أجا) وكان معرضا كبيرا عبر فيه الفنان عن مشاعر المغتربين المقيمين فى ألمانيا .. ويقول « الدليمي » إن بداية اعتراف أفراد الشعب الألماني بالفنانين الأجانب المقيمين بها بدأ من ذلك التاريخ .. فقد شاهد المعرض جمهور غفير وعبر الجميع عن دهشتهم للمستوى الذى حققه فنانان أجنبيان بحيث ينافس ويتفوق على مستوى نظرائهما الألمان .

خلال فترة المعرض دعا أكبر فناني مدينة (مونستر) الفنان العراقي لزيارته في بيته تعبيرا عن إعجابه بفنه وتكريما لموهبته ، وقام بشراء احدى لوحاته كما اشترت ابنته لوحة أخرى .

وهكذا ظهر اسم غازى الدليمي فى قاموس فنانى مدينة دوسلدورف السنوي حيث احتلت إحدى لوحاته المطبوعة بالألوان مع نبذة عن حياته وفنه إحدى صفحات القاموس ، وقدمه واضعو هذا القاموس على أنه ينتمى إلى المذهب السريالى .

مميزات فنه

وتتميز أعمال الفنان بالدقة فى الرسم مع تناسق الألوان ، كما أن المجموعة اللونية التي يستخدمها لها خصوصيتها ووقعها المتميز بصريا .. فقد أضاف التجسيم إلى (الفن البصري) الذي عرف بأنه يتلاعب بالألوان المتضاربة على سطح اللوحة دون الاهتمام بالتجسيم أو العمق . أما رسوم (الدليمي) فهي توحى بأن لها حجمها وبروزها .

ونلاحظ انه ليس هناك شيء واضح من الفن الشرقي فى أعماله ، وفى المرحلة الأولى من فنه كان يعتمد اعتمادا كليا على الأشكال الحادة الحواف مع استخدامه للألوان النقية الحمراء والزرقاء والصفراء .. لقد عاش خمسة عشر عاما فى ألمانيا وكان لهذه السنوات تأثيرها الشديد على انتاجه الفني ، بالطبع له وجهة نظر نقدية للمجتمع الذي يعيش فيه ولما يحدث حوله ، لكنه فنان يفكر من خلال الألوان والأصباغ ويعبر عن الأوضاع المحيطة به من خلال هذه الأدوات .

فى مرحلة أخرى كان اللون الأزرق غالبا على أعماله ويسيطر على المساحة الخلفية فى كل صوره ، ويتدرج من الأزرق القاتم إلى السماوى الفاتح ويمكن أن نرد هذا إلى سماء بلادنا الصافية التي يتشوق إلى استعادتها فى ذاكرته عوضا عن السماء الألمانية الداكنة والملبدة دائما بالغيوم .. وهو يرسم لوحاته بصبر شديد حتى أن بعضها يتكون من ملايين النقط الصغيرة المتجاورة ، وهو يحقق ذلك بأسلوب غاية فى الدقة والاتقان وبألوان ناصعة مبهجة .

إن موضوع تهديد العالم بالخراب نتيجة للمخترعات الحربية الحديثة ، هذا الموضوع يشغل جانباً كبراًمن لوحاته التى يختار لها أسماء تشير إلى هذا القلق والتوجس : (ولادة الحياة بعد دمار البشرية) . (ثقب فى الكرة الأرضية) . (الكرة الحائرة) (بعد الكارثة) ..

وتحت عنوان «ضوء وألوان» كتب أحد النقاد مقالا طويلا حول الإضاءة في أعمال (غازى الدليمي) وكيف أنها تتبع منطقا رياضيا نابعا من نوعية الألوان التي يستخدمها وطريقة تدرجها مع اتباع المنهج السريالى في ترتيب العناصر . سألته عن الهرم وإلى أى شيء يرمز فى لوحاته أجاب : الازدهار والارتفاع ..

أما أعماله فيتغير شكلها وتأثيرها تبعا لاختلاف زاوية النظر إليها . إنها ملفتة للنظر بشكل ملحوظ ، فرغم أنه يتناول موضوعات متشائمة تذكرنا بالتهديد بفناء البشرية إلا أنه يغلف هذا الموضوع التراجيدى بألوان مبهجة ورموز توحى بقوة هائلة ستأتي لتنقذ العالم ، فيبعث فينا الأمل في حياة جديدة ونبت جديد ونشء جديد مجددا الأمل والثقة فى أن الانسان لن يرتكب هذه الحماقة أبدا .

صبحى الشارونى

ثلاثية

شعر: عيد صالح

-١-

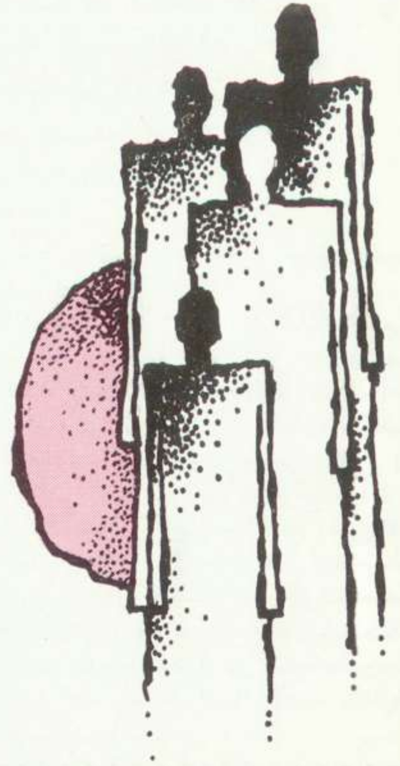
أخرج للطرقات
مرتدياً ثوب الأرصاد
أسترجع أوراقي .. خطط اليوم ... لقاءاتي
آخر ما بثته الأخبار
والأقمار
أستجمع أسلحتي .. أقنعتي .. قواتي
« في الجمع الثرثار الهارب
أتمادى في تصريحاتي
وألوّح بنفوذي وكنوزي
وفتوحاتي »
لكني حين أعود
تترنح خطواتي
أسقط مقهوراً
في ظلماتي
وفراغاتي

-٢-

لو أني كنت كغيري
منتفخاً مملوءاً باللاشيء
وركبت المدّ اليومي
أنساب خفيفاً ورشيقاً
أتداخل في الناس
يتداخل فيَّ الناس
أضحك من أعماقي
وأكشر عن أنياب الغضب الوحشي
حين يهاجمني الأوباش
أنفض عني
أتربة الطرقات
ودُخان الغرفات
ورذاذ المدّ اليومي
أعود كأني
لم يمسسني يومي
لو أني
لو أني

-٣-

أصحو من صحوي
منتفخ العينين
رأسي رأسين
جسدي النائم في أحضان الإجهاد
أسحبه عنوه
أطرحه في الماء البارد
أحقنه بالقهوة والسيجاره
أنخسه بمواعيد اليوم الضاري
لكن جوادي المتداعي
يصهل فجأة
يرفع خاصرته
يسقط في ميدان البيت
وخوار الموت المنقض
يطفح من شدقيه .





محمد مزالي ، مع رفيق العمر والفكر البشير بن سلامة

مهرجـان أدبي بمناسبة مرور ٣٠ عاماً على "مجلة الفكر"

حياة حافلة بأهمّ القضايا الفكرية

بقلم : رابـح لطـفي جمعـة

أسعدتني الظروف بحضور مهرجان أدبى رفيع أقيم فى تونس خلال الفترة من ٧ إلى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٨٥ احتفالاً بمرور ثلاثين عاماً على صدور مجلة الفكر لصاحبها ومؤسسها الأستاذ الأديب والمفكر العربى محمد مزالى . وقد شاركت فى هذا المهرجان الأدبى وفود من بعض الدول العربية منها مصر والعراق والأردن والمغرب وسوريا ، كما حضره محمود درويش الشاعر الفلسطينى المعروف وجاك بيرك من فرنسا وغيرهم من رجال الفكر والأدب والصحافة فى أوروبا وأمريكا فضلا عن أدباء تونس وشعرائها ونقادها .

لقد صدرت مجلة « الفكر » عام ١٩٥٥ مع تباشير فجر الاستقلال الوطنى لتونس كمشروع قومى ورسالة وطنية ولكنها مع ذلك كانت وليدة إرادة ذاتية وجهد شخصي ولم تكن منذ صدورها وحتى الآن تابعة لأية جهة رسمية أو لسان أية مؤسسة حكومية ، فكان صدورها ــ كما قال محمد مزالى فى كلمته فى حفل افتتاح المهرجان :

« فى المرحلة الفاصلة بين عهد الاستعمار وفجر الاستقلال بمثابة بواكير تونس الجديدة ، تونس الحرة والمستقلة ، تونس الأصالة والتفتح ، تونس المعتزة بعروبتها وإسلامها والمنطلقة إلى حضارة جديدة وفكر رائد وأدب ينبع من الذات ويعبر عن الواقع ويلتزم ــ بدون إلزام ــ بقضايا الشعب ويشارك باختيار حر فى مسيرة التقدم ومعركة البناء » .

والحديث عن مجلة « الفكر » متشعب النواحى متعدد الاتجاهات ، فهى مجلة عربية رائدة فى مجالات شتى وميادين مختلفة ، ولعل تأكيدها على إبراز الشخصية التونسية فيما تنشره من نتاج فكرى وأدبى أن يكون من أهم ما يميزها ، تلك الشخصية التونسية التى يجد الانسان فيها ــ كما يقول رجاء النقاش ــ نموذجاً أصيلاً للجانب المتحضر الراقى من الشخصية العربية .

وفى هذه الصفحات لن أتحدث عن ظاهرة استمرارية صدور المجلة دون انقطاع أو تعثر طيلة ثلاثين عاماً ولا عن طول نفسها وصمودها وتجاوزها كل العقبات والصعوبات التى كانت تعترض الطباعة والنشر إبان صدورها ، ولا عن نضال مؤسسها طوال هذه الفترة ووقوفه بعزيمة وإصرار فى وجه جميع المثبطات التى واجهها وثباته أمام جميع التحديات التى صادفته ومقاومته لعوامل التخذيل والاحباط ، تعاونه كوكبة من رفاق القلم المؤمنين برسالة الفكر فى بناء الانسان العربى المعاصر وفى مقدمتهم رفيق الدرب الأستاذ الأديب البشير بن سلامة رئيس تحرير المجلة .

ولن أتحدث عن المعارك التى خاضتها المجلة فى سنواتها العشر الأولى من عمرها فى سبيل استقلال تونس الكامل وفرض السيادة التونسية وتجسيم إرادة الشعب وتحرير المرأة التونسية وترسيخ الشخصية التونسية وتكوين الانسان العربى تكويناً يحقق الهوية العربية الاسلامية ودعم اللغة العربية وتعريب التعليم تأكيداً لانتماء تونس إلى الحضارة العربية الاسلامية .

ولن أتحدث عن دور المجلة فى تدعيم حرية الفكر وحرية الأدب وفتح أبوابها على مصاريعها بعد أن عانت تونس فى ظل الاستعمار الفرنسى وتحت الحماية الأجنبية أشد صنوف الكبت والحرمان .

ولن أتحـــدث عن دور المجلة الطليعى وإسهاماتها المتعددة فى مجالات الفكر والأدب والثقافة والابداع الفنى وتفتحها على كل التيارات والاتجاهات والمذاهب الأدبية والفكرية والثقافية المعاصرة ، وتجنبها القوالب الجاهزة والتقوقع فى الأساليب المتحجرة أو اللجوء إلى البروج العاجية ، ولا عن رعايتها لكل المواهب الأصيلة والمحاولات الجادة الواعدة سواء فى ميدان الشعر أو القصة أو الرواية أو المقال أو الدراسات النقدية أو الاجتماعية أو التاريخية ، ولا عن إتاحة الفرصة لأجيال الشباب المتعاقبة للكتابة على صفحاتها وإبراز صورة حية وصادقة للحياة الأدبية والفكرية المعاصرة فى تونس .

ولن أتحدث عن أهم ما تتميز به المجلة من أصالة ومعاصرة وتفتح ، تلك الملامح الأساسية التى جعلت منها مجلة عربية رائدة فى مجال الصحافة الأدبية والثقافية الرفيعة فى العالم العربى بقدر ما جعلت منها منارة مشعة وعلامة بارزة على طريق النهضة الفكرية والأدبية التونسية المعاصرة .

ولن أتحدث عن معالجة المجلة لقضايا تونس المستقلة وقضية إثبات الذات العربية الاسلامية وقضية النمو والتطور وقضية التونسة والتعريب



العدد الأول من مجلة الفكر (١٩٥٥)

وقضية الحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى ، وجميعها أفكار ومبادىء نادى بها محمد مزالى فى كتاباته ومحاضـــراته وعمل على ترسيخها وتجسيدها فيما تنشره المجلة حتى أننا نستطيع أن نقول إن آراء مزالى ونظرياته تعد الأساس الفكرى والنظرى الذي يمكن أن نلمحه بقدر أو بآخر فى الاتجاهات الفكرية التى طبعت المجلة بميسمها خلال ثلاثين عاماً .

لن أتحدث فى هذه الصفحات عن شيء مما سبق ، فهذا كله يحتاج إلى عشرات من المقالات والبحوث والدراسات ، وإنما سوف أقصر حديثى على ناحية واحدة أعتقد أن أحداً من الذين كتبوا عن « الفكر » لم يتناولها بما تستحقه من الالتفات إليها والاهتمام بها بالرغم من أن مؤسس المجلة الأستاذ محمد مزالى قد نبه إليها فى أكثر من مناسبة ، تلك هى دور المجلة فى مد الجسور الفكرية والأدبية والثقافية بين المغرب والمشرق العربيين ، وبعبارة أخرى دورها فى التواصل والتلاقح الفكرى والأدبى والثقافى بين أقطار الوطن العربى الكبير .

لقد كانت « الفكر » منذ صدورها وحتى الآن ملتقى للأقلام الجادة فى تونس ومن مختلف البلدان العربية ، فالتقى فى ساحتها المفكرون والأدباء العرب من المشرق والمغرب ، ودرج فى رحابها جيل من الشيوخ والكهول والشباب على اختلاف اهتماماتهم ونزعاتهم وتباين مشاربهم ومذاهبهم وتعدد أساليبهم ومناهجهم وتفاوت أعمارهم وأجناسهم واختلاف أقطارهم وأمصارهم ، فلم تكن مجلة شخص أو مجموعة من الأشخاص بعينها وإنما كانت كما قال بحق الاستاذ محمد مزالى فى السنوات الأولى من صدورها « ملتقى لأسرة الأدباء والمفكرين ومنبراً لكل الآراء الصادقة والأفكار البناءة ورائدة فى إبراز التراث الفكرى فى الوطن العربى » .

لقد تمسكت « الفكر » منذ صدورها بحرية الفكر والذود عن حرية المفكر والأديب رائدها إبراز الشخصية الأدبية القومية وتعزيز مقومات الثقافة الوطنية ، والاسهام فى إثراء التراث الفكرى فى الوطن العربى الكبير ومد الجسور والتواصل الفكرى والثقافى بين المغرب والمشرق إيماناً منها بأن النهضة الأدبية المنشودة ثمرة لجميع جهود الأدباء مهما كانت أساليبهم ومدارسهم وأعمارهم وأقطارهم .

وبقدر ما كانت الفكر « أحسن بطاقة تعريف للثقافة القومية والأدب التونسى الحديث » كما يقول الأستاذ الأديب رشيد الذوادى ، بقدر ما جعلت من أهدافها الأساسية التى وضعتها نصب عينيها رعاية الأدب العربى فى المغرب العربى وخلق حركة أدبية ونقدية فعالة ومؤثرة وتشجيع الحوار الإيجابى البناء بين مختلف الأفكار والتيارات وإقامة الجسور الفكرية والثقافية بين المغرب والمشرق العربيين .

لقد أسهمت « الفكر » فى تقريب الرؤية وتبادل الخبرات والتجارب بين المثقفين العرب على اختلاف أقطارهم وتمكنت من الانتشار فى الداخل والخارج بفضل ما ينشر فيها من نتاج يتميز بالأصالة والمعاصرة والابداع والابتكار والدسامة والثراء ، فكانت بحق مجلة الأدباء والمفكرين العرب على الصعيد القومى وعلى الصعيد العربى .

هذا التفتح على جناحى العالم العربى مشرقه ومغربه ، وهذا التواصل الفكرى والأدبى والثقافى بين المغرب والمشرق ، أعطى لمجلة « الفكر » عند القراء طعماً خاصاً ومذاقاً متميزاً بين المجلات الأخرى فى العالم العربى ، وهذا هو الذى جعلها تتبوأ مكانها بين المجلات الفكرية والأدبية والثقافية التى عرفها الوطن العربى فى العصر الحديث ، وهيأ لها أن تكون رائدة فى مجالات شتى وميادين مختلفة ومنارة توجيه وشاهدة عصر ووثيقة تاريخية لحركة الفكر والأدب والثقافة ليس فى تونس فحسب بل فى العالم العربى أجمع .

وقد أكد الأستاذ محمد مزالى على أهداف « الفكر » فى مد الجسور الفكرية والثقافية والأدبية بين الأقطار العربية فقال « إن ما وصلت إليه المجلة إنما هو انطلاق محمود فى سبيل غايات أخرى أهمها الزيادة فى رواج المجلة فى الوطن العربى إحكاماً لمد الجسور بين الأقطار العربية وضمان التلاقح المجدى بين النخب العربية حتى تتكامل أو تصل إلى انتاج من شأنه أن يلفت أنظار العالم بخصائصنا وابداعنا ويجعلنا نساهم فى الثقافة الانسانية برصيد مرموق يعترف به القاصى والدانى » .

- هذا التواصل الفكرى والثقافى والأدبى بين المشرق والمغرب ، جعل من مجلة « الفكر » نافذة نطل منها نحن المشارقة على إنتاج تونس بل على إنتاج المغرب العربى كله ، فقد أسهمت المجلة فى إخراج الأدب التونسى من الطوق الذي أحكم حوله وجعله لا يتخطى حدود تونس ، فأصبح بفضل هذه المجلة ــ كما يقول مزالى ــ معروفا لدى الأوساط الأدبية والعربية والأجنبية . وإذا كان من أهداف المجلة أن تمكن الأدب التونسى من تكسير الطوق الذي ضرب حوله وتنشره بين الناس فى الوطن العربى ليكون مرجعاً للباحثين والدارسين ، فقد حققت المجلة هذا الهدف .

فمنذ أن ظهرت « الفكر » وقطعت هذه الخطوات العديدة فى طريق الحياة الأدبية والفكرية فى تونس ، استطعنا نحن المشارقة بكل وضوح فى الرؤية وبكل تذوق للفن والابداع أن نتعرف على الأدب التونسى وأن نقف على سمات هذا الأدب وخصائصه ومميزاته ومقوماته ، فعرفنا أنه أدب غنى وعريق وأصيل ووفى لماضيه وتراثه الحضارى العربى والاسلامى ، يحمل فى ثناياه الكثير من العناصر الجمالية والمقومات الفنية والتجديد والتطور ، وتعرفنا من خلال المجلة على أسماء تونسية مبدعة فى الشعر والقصة والرواية والمقال والدراسات النقدية والاجتماعية والتاريخية ، وقبل هذا كله وبعد هذا كله وقفنا على الذاتية التونسية أو الشخصية التونسية المتميزة فى هذا الأدب واستطعنا أن نتعرف على الروح التونسية الأصيلة العريقة فى النتاج الأدبى والفكرى وأن نلمس المقومات والعناصر العربية والاسلامية التى يستند إليها هذا النتاج والتى استوحاها واستلهمها كتاب المجلة وشعراؤها ، كل هذا عرفناه ولمسناه ووقفنا عليه وتذوقناه بعد أن ظهرت مجلة « الفكر » منذ ثلاثين عاماً .

وهكذا كانت « الفكر » منبراً تعرف المشرق العربى من خلاله وبواسطته على الأدب التونسى المعاصر بخاصة والأدب المغربى بعامة ، وهكذا كانت « الفكر » مشعلا فى طريق النهضة الأدبية فى تونس واصلت وتواصل مسيرتها لتؤدى رسالتها فى خدمة الأدب وتطويره ومد الجسور بين الأجيال المتعاقبة وتحقيق التلاقح بين التيارات الفكرية التي يزخر بها عصرنا الحديث .

وبعد .. فهذه تحية خالصة وتهنئة حارة أزجيها لمؤسس « الفكر » الأستاذ محمد مزالى ولرفيق الدرب والقلم الأستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير المجلة بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على صدورها متمنياً لها الازدهار ولمؤسسها ولجميع أعضاء هيئة التحرير دوام التوفيق والسداد .



أحمد بن ماجد
الملاح العربي المفترى عليه

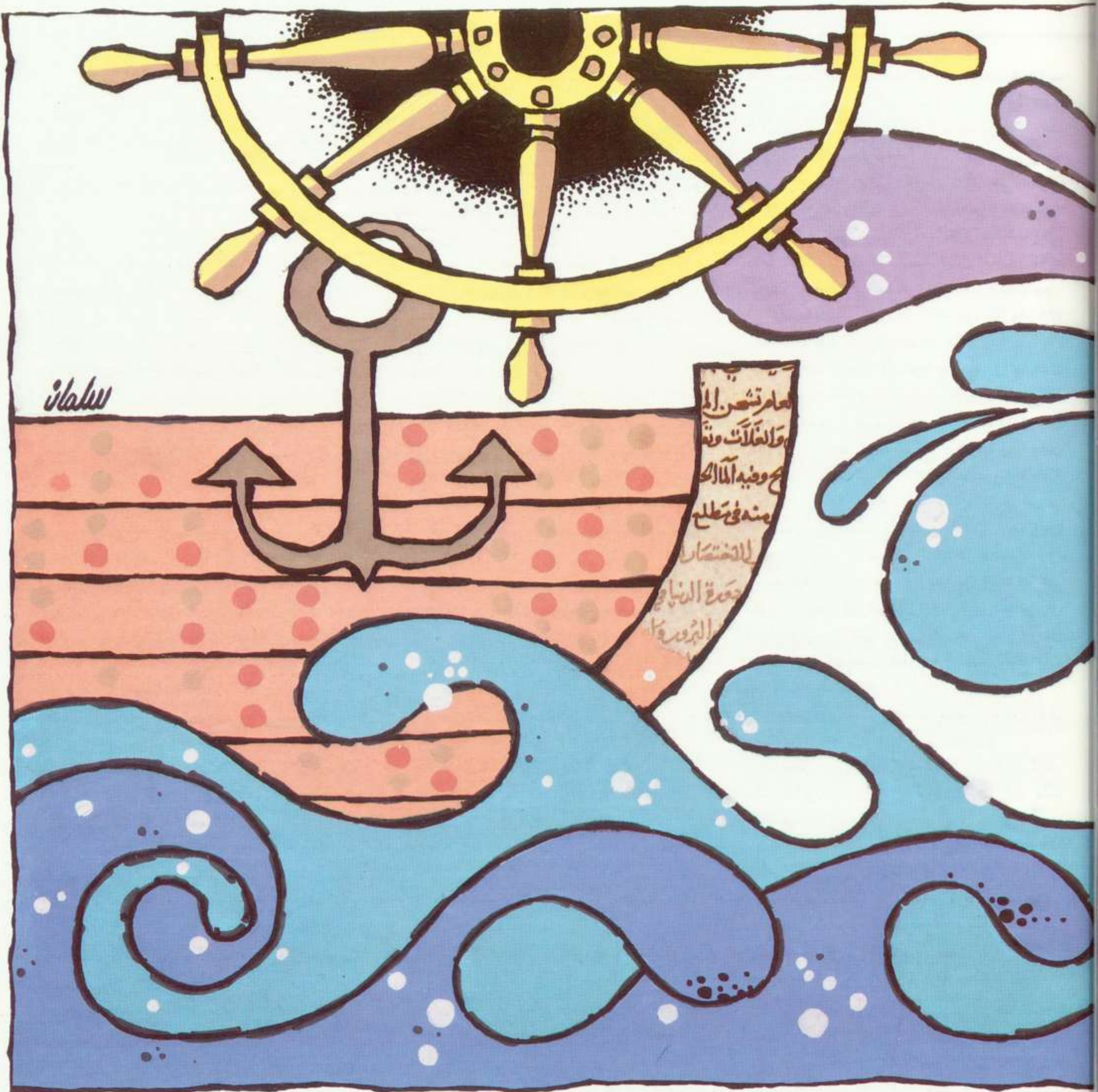
بقلم : الدكتور أنور عبد العليم

لست أدرى لماذا نصر على أن نفخر بما ليس مدعاة للفخر ونساق وراء خطأ وقع فيه مستشرق فرنسى منذ أكثر من نصف قرن ، فُتِنّاً به وصرنا نردده وراءه وكأنه قضية مسلمة دون أن نكلف أنفسنا حتى مجرد مناقشته .

إن مسألة ارشاد الملاح العُماني أحمد بن ماجد لسفينة فاسكودى جاما البرتغالى من ميناء ماليندى على ساحل كينيا إلى الهند أمر مشكوك فيه إلى حد كبير، واليك البرهان .

البرتغال وتجارة الهند

خلال القرن الخامس عشر الميلادى كانت تجارة الهند فى أيدى العرب والطريق إليها عبر الثغور المصرية والشامية فالبحر الأحمر فى قبضة المسلمين . ولما كانت حاجة أوروبا إلى توابل الشرق ماسة للغاية فقد سعى الأسبان والبرتغال بصفة خاصة إلى البحث عن طريق آخر يوصلهم إلى الهند اعتمادا على فكرة كروية الأرض واتصال بحر الظلمات بأرض الهند . أما كريستوفر كولبس الإيطالى الجنسية فقد أبحر بأسطول جهزه له ملك أسبانيا فى ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢ غرباً فى بحر الظلمات فاكتشف نصف الكرة الغربى التى ظن أنها



الهند فى أول الأمر وعادت مراكبه إلى أسبانيا فى ١٥ مارس سنة ١٤٩٣ دون أن يدرى أنه اكتشف الدنيا الجديدة !

وأما البرتغال فقد سلكوا سبيلا آخر ، إذ قاموا بعدة محاولات ملاحية منذ منتصف القرن الخامس عشر حول الساحل الغربى لأفريقيا بغية الوصول إلى الهند. واكتشف ربانهم المسمى برتليميو دياز رأس العواصف (التى سميت رأس الرجاء الصالح فيما بعد) فى عام ١٤٨٧ ــ ١٤٨٨ أى قبل أن يبحر فاسكو دى جاما إلى الهند بعشر سنوات . وفى نفس الوقت كانوا يرسلون الجواسيس لجمع معلومات عن الهند عن طريق السفر عبر البحر الأحمر متظاهرين بالتجارة . ومن هؤلاء بعثة ألفونسو دى بايفا وبيرو دى كوفيلهام وقد سافرا إلى مصر سرا قبل كولمبس بعشر سنوات أيضا متظاهرين بالاسلام وأخذا مركبا عربيا من القلزم إلى عدن ومن ثم إلى الهند حيث زار دى كوفيلهام ميناء قاليقوط على الساحل الغربى للهند وهى أول ميناء نزل بها دى جاما فيما بعد ثم عبر دى كوفيلهام المحيط الهندى على سفينة هندية من الشرق إلى الغرب ونزل بميناء سفالة على ساحل أفريقيا الشرقى على خط عرض ٢٠ درجة جنوب خط الاستواء . وعاد الى مصر عن طريق النيل ومعه ذخيرة من المعلومات عن تجارة التوابل والطريق إلى الهند . كل هذا قبل أن يبحر دى جاما من البرتغال لأول مرة بعشر سنوات تقريبا .

ومن ثم يمكن القول بأن بعثة دى جاما إلى الهند قد أحسن تخطيطها والإعداد لها وكان البرتغال على علم بما يجرى فى المحيط الهندى فى ذلك الوقت .

الابحار إلى الهند

أبحر دى جاما من ميناء صغير بالبرتغال فى يوم ٢٥ مارس سنة ١٤٩٧ م على أسطول مكون من ثلاث سفن هى سان جبرائيل وهى سفينة القيادة وسان رافائيل بقيادة باولو شقيق دى جاما ، وسان ميجيل وتولى قيادتها الربان نيقولا كولخا وكان جملة بحارة الأسطول مائة وخمسون فردا .

أحمد بن ماجد
الملاح العربي المفترى عليه

احتضن فاسكو دى جاما الساحل الغربى لأفريقيا طول الوقت حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح فى أقصى الجنوب من القارة الأفريقية فاجتازها فى يوم ٢٢ نوفمبر من نفس السنة وواصل رحلته على الساحل الشرقى لأفريقيا فوصل اقليم ناتال في عيد الميلاد وسميت الأرض بهذا الاسم تيمنا بالمناسبة (وكلمة ناتال تعني الميلاد وهى مناسبة ميلاد المسيح).

وفى شهر يناير سنة ١٤٩٨ فقد دى جاما السفينة سان ميجل نتيجة العواصف وحمل بحارتها على السفينتين الباقيتين وواصل الملاحة شمالا على الساحل الشرقى لأفريقيا حتى بلغ ثغر ماليندى فى مملكة كامبيا (كينيا الآن) على خط عرض ٣ درجة جنوب خط الاستواء وذلك فى شهر مارس سنة ١٤٩٨. وهناك ألقى مراسيه لبضعة أسابيع للاستجمام والإعداد لرحلة عبور المحيط. كما عرف بأن الهند تبعد عن ماليندى بنحو ١٦٠٠ فرسخ. وفى تلك المدة تصادق الربان البرتغالى مع ملك ماليندى وطلب إليه أن يوفر له مرشدا يعينه على معرفة الطريق إلى الهند. فأرسل إليه الملك «ربانا مسلما من جوزرات» وأبحر دى جاما يوم ٢٤ أبريل سنة ١٤٩٨ بارشاد الربان المذكور شرقا إلى الهند فوصل ميناء قاليقوت بعد ٢٢ يوما دون عناء، وتجمع المصادر البرتغالية ـ كما سنرى عما قليل ـ على أن اسم الربان المذكور هو المعلم «كانا» أو «كاناكا». ومن المعلوم أن مقاطعة جوزرات كانت ولا تزال تابعة للهند وتقع فى الركن الشمالى الغربى لشبه القارة الهندية على ساحل المحيط جنوب السند ومن موانيها المشهورة «ديو» و«سورات» ومن سكانها مسلمون منذ القرن الأول للهجرة.

الملاحة عبر المحيط الهندى

والواقع أن الملاحة عبر المحيط الهندى من الساحل الأفريقي إلى الساحل الهندى مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفا (من شهر مارس أو أبريل إلى شهر سبتمبر) كانت معروفة لربابنة المحيط الهندى من العرب والعجم والهنود والزنوج من قبل عصر دى جاما وابن ماجد بقرون طويلة. وتعكس هذه الرياح اتجاهها فى فصل الشتاء فتسير الملاحة فى الطريق المضاد أى من الهند وجنوب الجزيرة العربية نحو ساحل الزنج. وفى ذلك يقول ابن خرداذبة فى كتاب «المسالك والممالك» الذي يرجع زمن تأليفه لعام ٨٤٦ ميلادية (القرن الثالث الهجرى):

«وسئل اشتيامو البحر عن المد والجزر فذكروا أنه يكون فى بحر (فارس) على مطالع القمر وأنه لا يكون فى البحر الأعظم (المحيط الهندى) إلا مرتين فى السنة مرة يمد البحر فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر.. ومرة يمد فى شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر (يعنى التيار البحرى)».

وفى كتاب «عجائب الهند» للربان بزرج بن شهريار الرامهرمزى (القرن الرابع الهجرى) يرد ذكر ربابنة هنود وعرب وعجم كانوا يسافرون بين موانىء الخليج العربى والهند وساحل الزنج باستمرار.

وفى عصر ابن ماجد كانت قوانين الملاحة مدونة ضمن قوانين الدول المطلة على المحيط الهندى مثلما فى قوانين مملكة الملايو الصادرة بأمر الأمير محمود شاه وابن ماجد نفسه كانت له مساجلات فى علم البحر مع ربابنة عجم وعرب وزنوج وهنود وقد قرأ مؤلفاتهم. وهو يقول فى «حاوية الاختصار» (١):

قد راح عمرى فى المطالعات
وكثرة التساؤل فى الجهات

● كان ابن ماجد يهاجم البرتغاليين، فكيف يقوم بإرشادهم فى رحلاتهم البحرية؟

وكم رأيت من خطوط الشول
ونظمهم والنثر والفصول
وكم نظرت فى الحساب العربى
وحسبة الهند مذ كنت صبى
وفى جنوبى جاوة والصين
والفال علما صادقا يقينى

كما يقول فى أرجوزته المسماة «ميمية الابدال» فى معرض انتصاره على قرنائه من الربابنة الآخرين:

والقوا سلاح الجهل لما تحققوا
مقالى فى عرب وعجم وديلم

مرشد السفينة فى المصادر البرتغالية

تجمع المصادر البرتغالية ومنها يوميات الرحلة وأقوال المؤرخين البرتغال الذين أرخوا لحملات البرتغال فى المحيط الهندى (٢) ولعصر الملك مانويل الثانى الذى حكم البرتغال بين سنوات ١٤٩٥ ـ ١٥٢١ م وتمت الكشوف الجغرافية الكبرى فى المحيطات على عهده (وتوافق هذه الفترة فترة حكم السلطان الغورى فى مصر ١٥٠١ ـ ١٥١٦ م) على أن مرشد فاسكو دي جاما فى رحلته الأولى إلى الهند كان ربانا هنديا مسلما من جوزرات بالهند (وقد خلط البعض بين كلمة مسلم وكلمة بربرى أو Moor التى كانت تطلق على مسلمى الأندلس وقتئذ) كما أن كلمة معلم أو «معلمو» بالسواحلية تعنى الربان أو الحاذق فى صناعته وهى كلمة كانت شائعة الاستعمال بين ربابنة المحيط الهندى فى ذلك الوقت على اختلاف جنسياتهم.

يقول المؤرخ البرتغالى خوادى باروش (٣) Joao de Barros فى هذا الصدد:

«فى أثناء وجود فاسكو دي جاما فى ماليندى تقابل مع جماعة من الهنود على ظهر سفينته وكان بينهم أحد «البربر» (يعنى مسلما) من الجوزرات يدعى معلمو «كانا» جرت بينه وبين مواطنينا (يقصد البرتغال) محادثات.ورغبة منه (من الربان المذكور) فى ارضاء ملك ماليندى قبل أن يتوجه به إلى الهند. وبعد محادثات بينه وبين دي جاما رضى الأخير كل الرضا عن معلوماته (٤) ووجد فيه «كنزا» ثمينا وخشية أن يفقده أمر على الفور بالابحار إلى الهند فى ٢٤ أبريل فوصل الى قاليقوت فى ٢٠ مايو أي فى أقل من شهر وأرسل الربان البرتغالى معلمو كانا إلى اليابسة ليبلغ ملك البلاد بوصول سفنه».

ويقول المورخ البرتغالى لوبيز دي كاستنهيدا (٥) Castenheda de F. Lopez:

«وصل دي جاما إلى ماليندى فى ١٥ مارس سنة ١٤٩٨ م وفى ٢٢ أبريل ارسل إليه ملك ماليندى ملاحا من الجوزرات يدعى المعلم «كاناكا» وفى ٢٤ أبريل أبحر دى جاما بارشاد هذا الملاح إلى كاليكوط متجها صوب الشرق فوصلها فى ٢٠ مايو بسلام وهى على الضفة الغربية للهند (٦)».

وحتى شاعر البرتغال العظيم فى القرن السادس عشر واسمه لويس كاموس L. Camoes لم يذكر مطلقا فى ملحمته الشعرية Os Lusiados اسم ابن ماجد على الاطلاق.

ويقول المؤرخ البرتغالى داميو دي جويس الذي أرخ لعصر الملك مانويل الثانى ملك البرتغال عن ملاح فاسكو دي جاما فى مذكراته ما نصه «أعطى ملك ماليندى فاسكو دي جاما ملاحا ماهرا هو «مسلم» (والنص الأصلى يعنى بربريا) من الجوزرات يعرف باسم معلمو «كانا» Cana.

ويتضح من هذه النصوص السابقة كلها والتى يؤيد اتفاقها وصحتها اتفاق التواريخ واسم الملاح المرشد وموطنه الأصلى على أنه ربان هندى مسلم من مقاطعة الجوزرات. ثم إن تواريخ هذه النصوص أقرب ما يكون لرحلة فاسكو دي جاما إلى الهند، وما جاء من نصوص بعدها متعلقا بجنسية المرشد متأخر فى الزمن عنها.

ويحق لنا أن نتساءل إذن عمن أقحم ملاحنا العربى القدير أحمد بن ماجد النجدى فى هذه القضية وتحت أية ظروف؟ وهل يعقل أن يحرف اسم المعلم «كانا» أو «كاناكا» إلى أحمد أو إلى ابن

ماجد؟ وهل كانت مقاطعة جوزرات الهندية موطنا لملاحنا العربى بحال من الأحوال؟

المستشرق الفرنسى وابن ماجد

جابرييل فران Gabriel Ferrand مستشرق فرنسى ألمعى أجاد اللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية إجادة تامة، كما ألم بلغات شرقية أخرى كالسواحلية والأردية والهندية ولغة الملايو وقد عمل فى السلك السياسى الفرنسى لفترة طويلة فى بلاد الشرق وأغلب انتاجه العلمى يتصل بالملاحة العربية ولا يمكن بحال من الأحوال إلا أن ندين له بالفضل فى هذا المجال، وليس معنى هذا أن نأخذ كل ما يقول قضية مسلمة لا تقبل المناقشة.

فى الثلث الأول من القرن العشرين عثر فران فى ارشيف المكتبة الأهلية بباريس على مخطوطين هامين عن الملاحة العربية الأول منهما تحت رقم ٢٢٩٢ والثانى تحت رقم ٢٥٥٩ ويتكون المخطوط الأول من ١٨١ ورقة تحتوى على تسع عشرة أرجوزة تصف الطرق البحرية وأصول الملاحة الفلكية فى البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندى للربان العربى شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدى بن أبى الركائب النجدى حاج الحرمين الشريفين المكنى بالمعلم العربى وناظم القبلتين (مكة وبيت المقدس) وبشهاب الدنيا والدين وبأسد البحر وليث الليوث. أما المخطوط الثانى فيتكون من ١٨٧ ورقة تحتوى على خمس أراجيز فى علم البحر اثنان منهما لابن ماجد وتكرر تدوينهما فى المخطوط الأول. أما الثلاثة الاراجيز الباقية فلربان عربى ماهر آخر عاصر ابن ماجد وهو سليمان المهرى من عرب الشحر.

وهذه المصنفات الأخيرة تحمل عناوين: العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية والمنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر وتحفة الفحول فى تمهيد الأصول وهى مرشدات ملاحية لا تختلف كثيرا عما ورد فى مؤلفات ابن ماجد، والمرجح أن سليمان المهرى توفى بعد ابن ماجد بسنوات وذلك فى حوالى عام ١٥١١ م.

درس فران المخطوات الملاحية آنفة الذكر، كما اطلع على كتاب ملاحى هام كتبه باللغة التركية الأميرال التركى سيدى على حسين المعروف باسم كاتب رومى وسماه باسم «المحيط فى علم الأفلاك والأبحر» عام ١٥٥٧ م. وكان لهذا الملاح شرف قيادة حملة بحرية كبرى قامت من السويس فى عام ١٥٥٤ وقوامها عشرون سفينة لمحاربة البرتغال فى المحيط الهندى، وتقابل فى بحر العرب مع ٣٤ سفينة برتغالية وجرت بين الأسطولين معركة حامية زاد من قوتها هبوب العواصف التى شتتت مراكب الفريقين فلجأ الاميرال التركى بما تبقى من أسطوله وقوامه تسع سفن إلى ميناءى ديو وسورات Diu & Sorat بالهند وقضى الاميرال قرابة سنتين فى الخليج العربى وقف فيهما على مؤلفات الشيخين أحمد بن ماجد وسليمان المهرى وضمنها كتابه آنف الذكر.

وقد ربط فران بين كتاب «المحيط» هذا وبين المصادر العربية لابن ماجد والمهرى ونقد المؤلف التركى نقدا مرا إذ ظن أنه ترجم ترجمة حرفية أعمال الشيخين (٨) وللانصاف نقول إن فران قد غالى فى نقده فقد أشار الاميرال التركى إلى أعمال الشيخين كما احتوى كتابه على معلومات وخرائط جديدة. ومما تجدر الاشارة إليه أن كتاب «المحيط» لا ترد فيه أية أشارة لقضية ارشاد ابن ماجد لفاسكو دى جاما إلى الهند علما بأن الربان التركى قد عاش قرابة سنتين فى الخليج العربى واختلط بربابنته واطلع على المؤلفات العربية وأشاد بأصحابها وبابن ماجد كمؤلف وربان قدير بصفة خاصة، ولو أنه سمع من الربابنة العرب شيئا عن قصة الارشاد المزعومة لما تردد فى اثباتها. هذا وقد عاد الربان التركى إلى القسطنطينية عن طريق السند وخراسان وقوبل فى مدينة أحمد أباد عاصمة «جوزرات» بترحاب كبير وكان كاتبا وشاعرا وأديبا له مكانته وتوفى هذا الربان فى عام ١٥٥٩ م ودفن فى ديار بكر.

● البرتغاليون كانوا يحرقون سفن المسلمين ويقطعون الطرق البحرية عليهم

وفى عام ١٩٢٢ م نشر جابرييل فران فى حوليات الجمعية الجغرافية بباريس عجالة بعنوان «الربان العربى لفاسكو دى جاما فى القرن الخامس عشر الميلادى» (٦) ذكر فيها ابن ماجد بالاسم على أنه الربان المعنى الذى أرشد سفينة البرتغال وقد اعتمد فران على نص عثر عليه فى مخطوط تاريخى لمؤرخ يمنى هو قطب الدين النهروالى. وقد ولد هذا المؤرخ فى سنة ٩١٧ هـ وتوفى فى سنة ٩٩٠ هـ ويوافق هذا التاريخ سنوات ١٥١١ — ١٥٨٢ م. وبمعنى آخر لم يكن النهروالى قد ولد بعد يوم حضر فاسكو دى جاما إلى الهند، كما أن تاريخ ميلاد النهروالى يوافق السنة التى توفى فيها سليمان المهرى وبالتالى يكون قد مضى على وفاة ابن ماجد سنوات. وقد لقى مخطوط النهروالى الذى يحمل عنوان «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» عناية فى القرن الماضى (١٨٩٤) من المستشرق الفرنسى سلفستر دى ساسى كما أشرف على تحقيقه وطبعه مؤخرا المؤرخ السعودى حمد الجاسر بمدينة الرياض.

الحوادث الفوادح

يقول النهروالى تحت باب «فى ذكر انتقال الدولة باليمن من بنى طاهر إلى الأمير حسين من الجراكسة: «وقع فى أول القرن العاشر (الهجرى) من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون زقاق سبتة (مضيق جبل طارق) فى البحر ويلجون فى الظلمات (أى فى بحر الظلمات وهو المحيط الأطلسى) ويمرون خلف جبال القمر — بضم القاف وسكون الميم وجمع أقمر أي أبيض وهى مادة أصل بحر النيل — ويصلون إلى المشرق ويمرون بموضع قريب من الساحل فى مضيق أحد جانبيه جبل والجانب الثانى بحر الظلمات فى مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم وتتكسر ولا ينجو منهم أحد. واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلص منهم غراب (سفينة) إلى بحر الهند فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنجة وكان يقال له الأملندى (يعنى الملندى أى الاميرال) وعاشره فى السكر فعلمه الطريق فى حال سكره وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا فى البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج. فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا فى بحر الهند وبنوا فى كوة — بضم الكاف العجمية وتشديد الواو بعدها هاء اسم لموضع من ساحل الركن هو تحت الافرنج الآن (يقصد جوا) من بلاد الركن قلعة يسمونها كوتا (اسم القلعة بالبرتغالية) ثم أخذوا هرموز وتقووا هناك وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا ويأخذون كل سفينة غصبا إلى أن كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين...».

تعقيب على هذه الرواية

واضح أن قطب الدين النهروالى لم يكن قد ولد بعد يوم أن دخل فاسكو دي جاما إلى بحر الهند ولا فى السنوات التى تعاقبت فيها حملات البرتغال على المنطقة، واستطاعوا فيها السيطرة على ساحل الهند الغربى ثم إن كتابه آنف الذكر يرجع تاريخ تأليفه لعام ١٥٧٧ أى بعد دخول البرتغال إلى المحيط الهندى بنحو ثمانين سنة فمن أين استقى معلوماته عن ابن ماجد وإرشاده لأسطول البرتغال وروايته تخلو من أى مصدر يمكن الاعتماد عليه. ولو كانت هذه الرواية صحيحة ومتداولة لكان الأجدر بالربان التركى مؤلف كتاب «محيط» أن يذكرها وهو الذى كان أقرب فى تسلسل الحوادث من النهروالى بنحو ربع قرن.

أحمد بن ماجد
الملاح العربي المفترى عليه

وأما الحملة التى يشير إليها النهروالى بقيادة الأمير حسين الكردى فكانت بحرية مصرية أرسلها السلطان قانصوه الغوري فى عام ١٥٠٥ م الموافق ٩١١ هـ أي قبل دخول الاتراك العثمانيين مصر وابحرت من السويس وبصحبتها جماعة كبيرة من البنائين والنجارين مع الجنود لتحصين ميناء جده وإنشاء الابراج اللازمة للدفاع عنها إذا ما فكر البرتغال فى مداهمتها . وفى نفس الوقت كان أسطول البوكيرك البرتغالى قد غادر المياه الهندية واستولى على جزيرة سوقطرة وأغار على عدن وعبر باب المندب بقصد الاتصال بملك الحبشة للتحالف معه ضد المسلمين فتصدى له الأسطول المصرى وطارده وتمكن من انزال الهزيمة به على سواحل الهند فى موقعة شوال ، وظل البحر الأحمر منيعا على الأسطول البرتغالى لا يستطيع دخوله . وواضح من رواية النهروالى أيضا أن ابن ماجد دل البرتغال على الطريق إلى الهند من رأس الرجاء الصالح وهى المنطقة التى تتطلب التوغل فى البحر أثناء الدوران حول الرأس وابن ماجد كما هو معلوم لم يكن له خبرة ولا علم بساحل أفريقيا إلى الجنوب من سفالة .

أما التهمة التى ألصقها هذا المؤرخ اليمنى بالربان العربى الورع الفاضل والتقى الأمين وهى أنه « عاشر الربان البرتغالى فى السكر ودله على الطريق فى حال سكره » ففرية كبرى تجافى الحق والمنطق وتتنافى مع ما اتصف به هذا الربان من أخلاق فاضلة حميدة وما كان عليه من ديانة وورع وخشية لله وهو القائل :

خــف مــن الله ولا تــؤذ أحــد
هــذا طــريــق الحــق لا تخش أحـد

وهو الذى كان لا يخرج إلى البحر قبل أن يسجد شكراً لله وفى ذلك يقول فى قصيدته المكية

ركــبت على اسـم الله مجـرى سفينتــى
وعجلت فيـهــا بــالصلاة مبــادرا

ولطالما كان يحض الربابنة الآخرين على دوام النظافة والطهارة فى البحر وفى ذلك يقول فى كتاب الفوائد :

« وينبغى أنك إذا ركبت البحر تلزم الطهارة فانك فى السفينة ضيف من أضياف البارى عز وجل فلا تغفل عن ذكره »

أو قوله : كن حازما قويا فى كلامك وأقوالك وأفعالك ، ولا تصحب من لا يطيعك فى ما يعنيك وكن شجاعا عازما ذا بأس ، قليل الغفلة كثير الهمة » .

« واترك مالا يعنيك وانه جميع الركاب عن كثرة المزاح فى البحر فما ينجم عنه إلا الشر والبغض والعداوات . ولا تركب سفينة الهداية والدلالة وأنت فيها غير مطاع » .

ثم تأمل قوله : « ولا تكن ذا غفلة فإن الخطأ (فى البحر) فعل داع لتلف الأرواح والأموال » فهل يتفق كل ذلك والتهمة الشنيعة التى ألصقها النهروالى بربابنا الحازم الورع ؟

ثم إن ابن ماجد وقت وصول دى جاما إلى المحيط الهندى كان قد جاوز السبعين من عمره وأغلب الظن أنها سن لا تسمح بعبور المحيط بمركب شراعى فى ذلك الوقت .

وأخيرا وليس آخرا فهل كان الربان البرتغالى من السذاجة ــ إذا صدقنا كلام النهروالى ــ بحيث يسلم قيادة سفينته لرجل لعبت الخمر برأسه .

وهل كان ابن ماجد وهو الربان المثقف الواعى الذى يعرف جيدا بأن تجارة التوابل كانت فى أيدى العرب ليسمح للبرتغال بانتزاع هذه السيادة منهم فيدلهم على الطريق إلى الهند بهذه البساطة ؟ اللهم فأشهد .

● لماذا حاول المستشرقون أن يُلصِقوا بابن ماجد تهمة مساعدة البرتغاليين؟!

● كان أحمد بن ماجد رجلاً صاحب عقيدة، وكان مسلمًا مخلصًا، ولم يكن بالإمكان أن يخدم أعداء العرب والمسلمين

وماذا يقول علماء الاستشراق ؟

توجد فى مكتبة الاستشراق بمدينة لننجراد مخطوطة تحتوى على ثلاث أراجيز فى علم البحر لم تنشر من قبل ومصنفها هو الملاح العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد . وقد نوه بهذه المخطوطة المستشرق السوفيتى الشهير اغناطيوس كراتشكوفسكى فى كتابة المنشور عام ١٩٤٥ بعنوان « مع المخطوطات العربية » . هذا وقد كلف هذا العالم تلميذه تيودور شوموفسكى بتحقيق هذه المخطوطة والتعليق عليها فى رسالة قدمها الأخير للحصول على درجة الكانديدات (٧) . وقد قام شوموفسكى بتصوير الأراجيز فى رسالته ولم يقم بطبعها بحروف المطبعة ربما لصعوبة فك رموزها . واهتم بتقطيع الأوزان الشعرية ، وهو يعترف بصعوبة المادة التى احتوتها الأراجيز .

والغريب فى الأمر أنه لا توجد إشارة واحدة فى هذه الأراجيز توحى للقارىء بأن ابن ماجد أرشد أو قاد سفينة للبرتغال أو حتى جرت محادثة على أى شكل كائنا ما كان بين الربان العربي والبرتغال . بل على النقيض من ذلك تتضح فى أرجوزته ثورة عارمة على البرتغال المستعمرين المستبدين الذين كانوا يضمرون الشر والبغض للاسلام والمسلمين .

ومع ذلك فقد جرى كراتشكوفسكى ومن بعده شوموفسكى على سنة جابرييل فران فى نسبة قصة ارشاد ابن ماجد لسفينة فاسكو دي جاما . بل إن رسالة شوموفسكى تعتمد اعتمادا كبيرا على مؤلفات فران ومراجعه وتحاول هى الأخرى تطويع النصوص البرتغالية لخدمة نفس الغرض .

إن المرء ليعجب حقا إن كان شوموفسكى قد فهم الأبيات الآتية لابن ماجد التى وردت فى أرجوزته السفالية التى صورها فى رسالته ، فكيف تسول له نفسه أن يلصق بابن ماجد تهمة هو فيها برىء بل ويتشدق بمثل قوله :

« ولأول مرة فى التاريخ البشرى وبفضل استاذية الملاح العربى فى فنه يمهد الطريق البحرى من أوربا إلى ثروات الشرق الأوسط التى كان الغرب يتحرق شوقا إليها » والطريق إلى الهند من أفريقيا لم يكن يحتاج لأستاذية بل كان مطروقا لجميع الربابنة كما أشرنا من قبل .

أو قوله « إن الربان العربي قد قاد السفينة ثم ندم وأنبه ضميره وهبطت حالته المعنوية » ، أو قوله ان ابن ماجد قبل أن يعمل مرشدا للبرتغال نظير أجر كبير يناله !

أما الأبيات المشار إليها فتتعلق بقدوم البرتغال من الغرب فى عام ٩٠٠ هـ واستغرقت رحلتهم سنتين ومالوا للهند على اليقين ثم رجعوا مرة أخرى لساحل الزنج . وبعد ذلك بست سنوات جاءوا الهند مرة أخرى واشتروا البيوت وصاحبوا السوامر حكام الساحل الغربى للهند وأعملوا القتل والنهب فى سفن التجار المسلمين فانقطعت رحلاتهم (المسلمين) عن هذا الساحل . يقول ابن ماجد فى الأرجوزة السفالية نسبة إلى ثغر سفالة على ساحل الزنج :

جــاءتـهــا فى عــام تسعمــايــة
مــراكب الأفــرنــج يــأخـايــة
فجــروا عــامـيــن كــامليــن
فيـهــا ومــالــوا الـهـند بــاليقيـن
ورجعوا مــن هنــدهــم للزنــج
فى هــذه الطــريــق الأفــرنــج
وبعد ذا فى عـــام تسعمـــايــة
وست جــاءوا الهـنـد يــأخـايـة
واشتــروا البـيـوت ثــم سكنــوا
وصاحبــوا وللســوامــر ركنــوا
والنـــاس تضرب فيـهـم الظنــونــا
ذا حــاكـم أو ســارق مجنــونــا

وفى موضع آخر من الأرجوزة يقول :

وجــالكــا ليكــوت خــذ ذى القائــدة
لعام تسعمــــائــــة وست زايــــدة

وبـــاع فـيهـــا واشتـــرى وحكمـــا
والســـامـــرى بـــرطله وظلمـــا
وصار فـيهـــــا مبغض الاسلام
والنـــاس فى خـــوف واهتمـــام
وانقطـــع المكى عن أرض الســـامـــرى
وشـــد جـــردفـــون للمســـافـــرى

هل توحى هذه الأبيات لأى إنسان بأن ابن ماجد قد سافر فوق سفينة برتغالية أو أرشد ربانها إلى الهند ؟

إن ابن ماجد رجل أمين وصادق وعلى وعى بنوايا البرتغال ، ولو كان قد أرشد سفنهم فلن يتردد فى ذلك فهو لا يعرف المداراة والمداورة ولا يبيع ضميره نظير أجر مرتفع يناله كما يقول شوموفسكى . ولا يجب أن نستبعد وجود هدف سياسى من وراء تبنى المستشرقين لفكرة ارشاد ابن ماجد لسفن البرتغال لاظهاره بمظهر البطل المغوار القدير بقصد استمالة العرب لجانبهم . ويفصح عن ذلك قول شوموفسكى نفسه فى رسالته المطبوعة عام ١٩٥٧ .

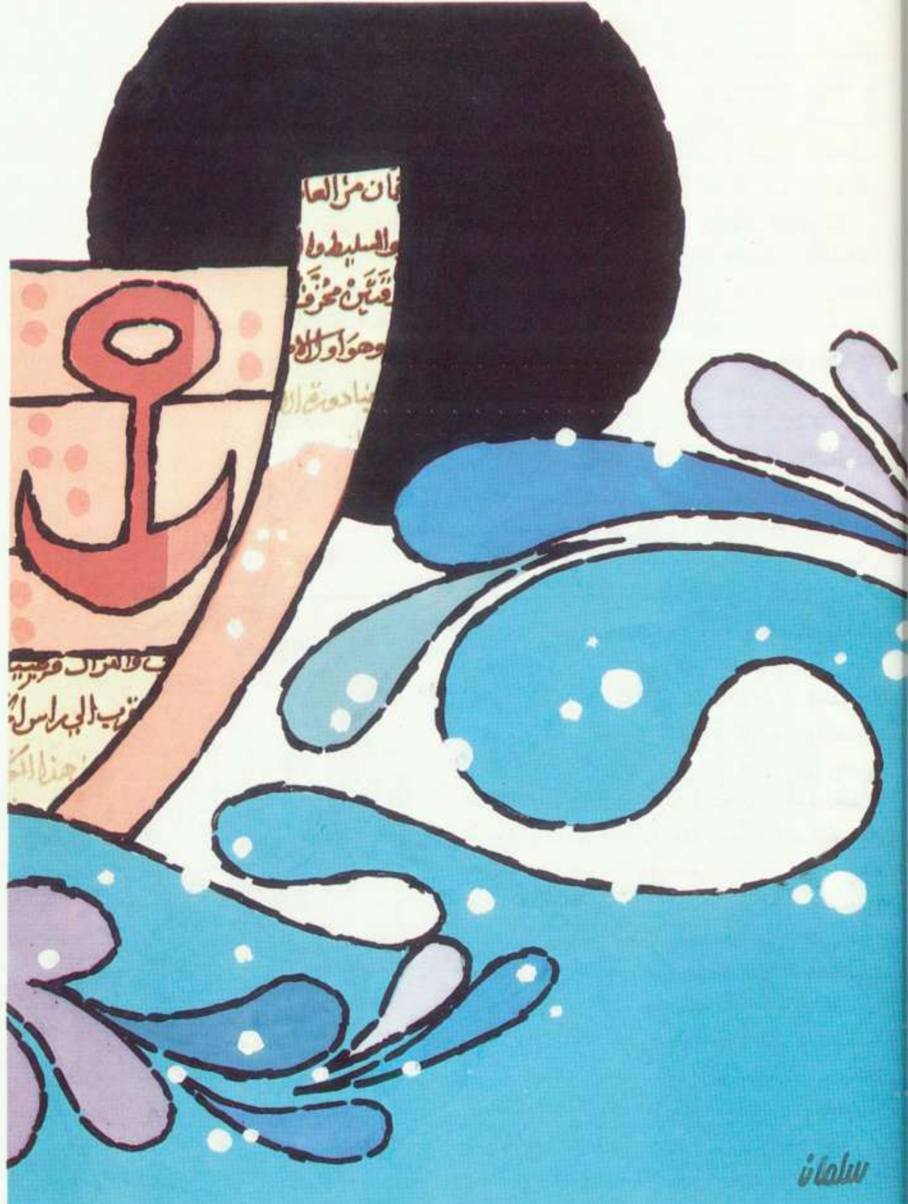
« وقد أخذ المبادرة منا (أى من السوفيت ويعنى بالمبادرة موضوع الملاحة العربية فى المحيط الهندى) فران وزملاؤه من العلماء الممثلين للامبراطورية الفرنسية والذين ساعدوا على تغلغل نفوذها إلى الشرق . وعلمنا يحركه غرض نبيل نحو شعوب الشرق ويجب أن نسمع صوته ونعلى كلمته فى مجال أدب الملاحة البحرية » .

كلمة أخيرة

بقيت كلمة أخيرة لابد من ذكرها وهى أنه عندما قمنا بتقديم ابن ماجد لقراء العربية لأول مرة فى كتابنا المنشور فى سلسلة « أعلام العرب(٨) سنة ١٩٦٧ كان يخامرنا الشك فى صحة قصة إرشاد ابن ماجد لسفينة فاسكو دى جاما إلى الهند وقلنا بالحرف الواحد (ص ٥٦) :

« وإذا كان ابن ماجد قد دون هذه الوقائع (عن البرتغال) فى أراجيزه فلا يتضح من كلامه أنه أرشد البرتغال إلى الهند مما يجعلنا نتشكك فى صحة الرواية التى أوردها فران وأقرها معه علماء السوفيت . وعلى أى حال فإن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق وربما أفردنا له بحثا مستقلا » .

وبالفعل قطعنا الشك باليقين فى كتابنا بعنوان « الملاحة وعلوم البحار عند العرب » (٩) المنشور فى سلسلة عالم المعرفة عدد يناير ١٩٧٩ وفى بحث آخر قدم للمؤتمر الدولى الثالث لتاريخ علوم البحار الذى عقد فى وودز هول بالولايات المتحدة سنة ١٩٨٠ .



الهوامش

(١) فى هذه الأبيات يقصد ابن ماجد « بالشول » طائفة الشوليان من الهند ويسكنون ساحل كروماندل وجزر الفال هى جزر اللاديف واللكاديف .

(٢) توالت حملات البرتغال فى المحيط الهندى بعد رحلة فاسكو دى جاما الاستكشافية التى تمت فى سنوات ١٤٩٧ – ١٤٩٩ فخرجت حملة من البرتغال بقيادة ديجو دياز سنة ١٥٠٠ واكتشفت جزيرة مدغشقر وفى أواخر هذه السنة نفسها خرجت حملة أخرى فى ست مراكب بقيادة الفاريز كابرال وكان معه يهودى يدعى جاسبار للتفاوض مع ملك السامريين وهم سكان الساحل الجنوبى الغربى للهند ومقره ميناء قاليقوت فى احتكار تجارة التوابل . وتصدى له التجار العرب فضرب كابرال مراكبهم بالمدافع وأحرقها ثم وصلت حملة أخرى فى عام ١٥٠١ من البرتغال بقيادة جان دي نوفا وفى عام ١٥٠٢ عاد فاسكو دي جاما مرة ثانية إلى الهند حاكما عاما عليها بأمر الملك مانويل الثانى . وتوافق سنة ١٥٠١ م سنة ٩٠٦ هـ التى وردت فى أراجيز ابن ماجد متعلقة بعودة البرتغال إلى الهند واعمالهم القتل والحرق واحتلالهم قاليقوت وفى ذلك يقول ابن ماجد :

وجـــاء لكـــاليكـــوت خـــذ ذى القاشـــدة
لعام تسعمـــــائـــــة وست زائـــــدة
وبـــاع فـيهـــا واشتـــرى وحكمـــا
والســـامـــرى بـــرطله وظلمـــا
وصار فـيهـــــا مبغض الاسلام
والنـــاس فى خـــوف واهتمـــام

(٣) Joao da Barros (1553) – Decada da Asia. Lisbon

(٤) Femando Lopez da Castandheda (1554) – Historia. Lisbon

(٥) Damiao da Goes (1566) – Chronica do reci D. Manuel. Lisbon

(٦) G. Ferrand (1922) Le pilote Arabe de Vasco da Gama Ann. Georg – 31 : 289 - 307

(٧) تيودور شوموفسكى (١٩٥٧) – ثلاث راهمنجات المجهولة لأحمد بن ماجد ربان فاسكو دى جاما – منشورة باللغة الروسية فى لننجراد . ترجمها إلى اللغة العربية وعلق عليها الدكتور محمد منير مرسى – طبع القاهرة سنة ١٩٦٩ .

(٨) أنور عبد العليم (١٩٦٧) – ابن ماجد الملاح – الكتاب رقم ٦٣ فى سلسلة أعلام العرب . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر – القاهرة .

(٩) أنور عبد العليم (١٩٧٩) – الملاحة وعلوم البحار عند العرب – الكتاب رقم ١٣ فى سلسلة عالم المعرفة الناشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت .

أنور عبد العليم

فارس العصر

بقلم: ســليــمان فيــاض

وجه « أ . ن »

كنا صحبة . ريفيون حالمون . قراء أدب كسوس الخشب . مشاريع كتاب نبحث عن حظوظنا في العاصمة ، والجامعات . كلنا كنا ندرس العلوم النظرية والانسانية نشترى الكتب بقروشنا القليلة لنقرأها ، ونجد أكثر ما نقرأ فى مكتبات الأحياء العامة ، والكليات . ونتردد على مقاهي الأدب وندواته :

إيزافيتش ، وريش ، والعجمي ، وعبدالله . في كل مقهى كانت صحبة ومجموعة ، شلة أو جماعة أدبية ، لا يجمع بين أفرادها سوى المعرفة والصداقة والصحبة .

صحبني الصديق ، القصصي الشاب آنذاك ، « أ . أ » . إلى صديقه الناقد اللامع « أ . م » . إذ كنا أنا ، و « أ . أ » طلاباً بالمنصورة ، تصادقنا ، وجئنا معاً إلى القاهرة . وكان « أ . أ » يكتب قصصاً تنشر بآخر صفحة أو صفحتين بمجلة « ر » الثقافية الأدبية الأسبوعية ، وكان : « أ . م » نجم الحركة النقدية بالمجلة . صاحب أسلوب أدبي فريد ، ونظرة نقدية خاصة ، لما يعرضه من أعمال الأدب التي تنشر آنذاك وفيما يخوضه من معارك أدبية ساخنة . كان « أ أ » فارس المجلة « ر » والحركة الأدبية على اتساعها في أواخر الأربعينيات ، وأوائل الخمسينيات . وكان « أ . أ » قد حرص على لقائه والتعرف به ، وتوطدت بينهما صداقة الأستاذ بالتلميذ ، وقدمني « أ . أ » إليه ، بمقهى عبدالله بالجيزة .

كنا نجلس على هامش المجلس على رصيف المقهى ، بميدان الجيزة ، في الصيف ، وبداخله في الشتاء ، وكان مجلساً يومياً .نسمع ، ونرى ، ونحتفظ بآرائنا في داخلنا فيما نسمع . في ندوة « أ . م » الأسبوعية هذه ، وكانت مجلة « ر » قد احتجبت . رأينا شعراء كباراً وأساتذة جامعيين ، وتعرفنا إلى شباب مثلنا ، ريفيين حالمين ، مشاريع كتاب ، ونمت بيننا الصحبة : « ر » ، « و » . و« ص » ، و« ع » ، و « غ » ، وكثيرون ، بعضهم شق طريقاً ، وبعضهم توارى عن الدنيا ، أو تخلى عن حلمه .

بدا لي الكاتب « أ . م » مثلما تخيلته في تعقيباته النقدية ، فارساً حقيقياً في حديثه ، ومرحه ، واعتزازه بنفسه ، وتعاليه على آلامه الخاصة ، لا أعرفها ، ولا أظن أنه باح بها كثيراً إلا لقلة قليلة . لم أنفذ قط إلى قلبه عدة سنين . مثل صديقي : « أ . أ » ، و « ر . ن » . وكنت أعلم أن بين كل منهما ، و « أ . م » مودة القلب ، والسر ، والنجوى . لكن « أ . م » كان قادراً أبداً على أن يوزع حبه ، وحفاوته ، على الجميع ، في مجلسه ، فلا يشعر أحد من ناشئي الكتاب خاصة بغبن ما . وأحياناً كنا نجد « أ . م » يلعب الشطرنج ، أو النرد ، فنجلس نتفرج . كانت له ضحكة حلوة ، ما أرقها ، وأعذبها ، وأقربها إلى النفوس ، وهو صامت ، وهو يدخن ، وهو يتسلى باللعب . وكان من عادته أن يحيي أي وافد جديد من ناشئة الأدب ، بشاي ، أو قهوة ، مرة واحدة ، بعدها يشرب الوافد على حسابه ، فقد أصبح تلقائياً عضواً في الندوة ، من حقه أن يتكلم إذا شاء ، ويصمت إذا شاء ، وينكت إذا أحب . النبل كان يشع من وجهه ، وروحه ، وابتسامته الندية أبداً . وكان بوسع أي أحد أن يقرأ له شعراً ، أو يعطيه قصة يقرأها في بيته ، ودائماً كان « أ . م » يقول رأيه فيما قرأه ، لصاحب الشعر أو القصة منفرداً ، خاصة حين تكون له ملاحظات غير طيبة عما سمعه من شعر ، أو قرأه من قصة . وكنا جميعاً نجل قوله ، مثلما نجله . ونعتبر رأيه فيما كتبناه درساً ، ينبغي أن نفكر فيه ، قبلنا رأيه أو رفضناه .

كان يحدثنا أحياناً عن صديقه الشاعر الراحل : « ع . م . ط » ، فروسيته ، ونبله ، وحبه لترف الروح ، والجسد ، والطعام ، والبيت ، الذي لم نره نحن ، العامر بالتحف والتماثيل ، وكنا نشعر من حديثه عنه ، أنه قد فقد بفقده نصف روحه ، ونصف حياته .

قرأ لي قصتين ، لم يرض عنهما ، فأعادهما لي ، وقال :

ــ استمر . ما كتبته محاولة .

ولزم الصمت . وشعرت بالحرج . فلم يقل أي تعليق آخر .

الصمت

نشــر صديقــي « أ . أ » مجمــوعته القصصية الأولى ، وتصدرت قصص مجموعتــه مقــدمة ضافيــة ، مليئة بالتحليل والرضى ، كتبها : « أ . م » ، عن قصص : « أ . أ » . وكنت قد بدأت أنشر قصصاً في مجلة « أ » البيروتية ، وأذيعها هي نفسها في البرنامج الثاني بإذاعة القاهرة . اخترت من بينها ثماني قصص لنشرها في كتاب ، وقدمتها إلى : « أ . م » ليقرأها ، ويقدم لها ، إن رضي عنها ، وشاء ذلك . هكذا قلت له . أخذ ملف القصص وحملها معه إلى بيته . سألته بعد شهر ، بعد شهرين ، وكان يقول لي :

ــ لم أقرأها بعد .

ويلوذ بصمت عميق . لم أشفق على نفسي من الحرج ، بقدر إشفاقي على حرجه معي . حدثتني نفسي أنه غير راض عما صنعت . ولمته في نفسي لأنه لا يقول ذلك ، ودون أي حاجة مني إلى اعتذار منه فأنا أحبه ، بقدر ثقتي بما كتبته .

كانت قد حدثت جفوة ، بسبب سوء تفاهم ، بيني وبين الصديق « ر . ن » وقيل لي إنه قد شكاني إلى « أ . م » ، وانه لذلك يلزم الصمت ، وكأنه قد



عزف عن التقديم لقصصك . تركت هذا الأمر في نفسي مفتوحاً لاحتمالات المصارحة يوماً ، وكانت في النفس مرارة ، يطويها في القلب ذلك الحب للصديقين . وسافرت للعمل بالسعودية .

عدت بعد أشهر تسعة . سألت «أ . م» عن المجموعة . طلبتها لأنشرها فأعادها إلي ، ولم أعاتبه . ولم يعتب علي في أمر . لكنني كنت أرى في عينيه حزناً لا أعرف سببه . قلت لنفسي : هذا الرجل لا يكتب إلا إذا أحب الكتابة والكاتب معاً وكان علي أن أتعلم من نبله ، وصمته ، وترفعه درساً . فطبعت من مجموعتي الأولى ، على قدر مالي ، ألف نسخة ، وأهديت أول نسخة إليه ، قال لي :

ــ مبروك .

ولزم الصمت ، وحياني بقهوة بعد غيبة . وغادرت القاهرة إلى السعودية بعد يومين ، عائداً إلى عملي ، مدرساً بالطائف هذه المرة .

بداية النهاية

إذ عدت إلى القاهرة ، دهشت للحفاوة التي استقبلت بها مجموعتي القصصية الأولى من الأدباء الشبان ، والنقاد الشبان ، خاصة ، كتبوا عنها خمسة عشر مقالاً .

ولم ألتق بالصديق «أ . م» ، فقد كان علي الرحيل إلى مركز البداري ، الذي عينت به مدرساً بمدرسة الاعدادية الثانوية . وحزنت أشد الحزن ، إذ علمت أن صديقنا «أ . م» قد نقل من عمله ، كعضو بالادارة الثقافية العليا بوزارة التربية والتعليم . كان رئيس الادارة عندئذ هو «س . ح» . وكان يعمل بها الناقد «س . ق» ، والقصاص «ع . ج . س» فيما أذكر . وقيل لي إن كليهما : «أ . م» ، و «س . ح» ، لم يهضم الآخر ، وإن الخلاف قد كبر بينهما وغذي ، فنقل «س . ح» صديقنا الفارس مدرساً بمدرسة ثانوية بحدائق القبة . وصار الحزن عميقاً في القلب حين عدت في زورة إلى القاهرة ، وكنت قد نقلت إلى الأسكندرية ، وجلست مع «أ . م» في ندوته اليومية . كانت ضحكته العذبة قد صارت ممرورة ، وحزينة ، وبدا لي أنه كعادته ، يترفع ، ويتصالب . حدثنا فيما حدث ، قال :

ــ هل تتصورون أن ناظر المدرسة خصص لي يوماً للاشراف على حوش المدرسة . مهمتي فيه أن أحمل عصا ، وأمنع التلاميذ من التزويغ ، ونط السور ؟ لم أكترث بشيء مما قاله ، وتركت التلاميذ يفعلون ما يشاؤون ، فغضب ، وأظن أنه سيتخذ إجراء ما .

ساد بيننا الصمت في المجلس . وبدا هو كأنه لا يبالي بهذا الأمر . عاد إلى الحديث ، والنقاش .



وكأنه قد لام نفسه على بوحه وشكواه . وجاء صديق شاب ، كان بلا عمل ، فقال له «أ . م» ، إنه قد حدث صديقه رئيس التحرير «فلان» . فوافق على عمله بمجلته . وطلب منه الذهاب إليها . وعاد يؤكد له أنه سيذهب معه إليه غداً .

وحدثت الواقعة . قدم «أ . م» استقالته من عمله كمدرس . وبقي بلا عمل . ينام ويقرأ نهاره ، ويسهر ليله بندوته مع الكتاب والأدباء ، من كل الأجيال . عجبت لأمر صاحبنا «أ . م» ، يقدم خدماته ، ويستثمر علاقاته لغيره ، ويأبى أن يطلب ذلك لنفسه . وربما لأننا كنا نهابه ، ونعرف ترفعه ، فيما يخصه ، لم نحدثه في هذا الأمر .

المأساة

علمت وأنا بالاسكندرية أن صديقنا الفارس قد صار نائباً لرئيس تحرير مجلة «م» ، التي يرأس تحريرها «ى . ح» ، مع «ف . د» ، وبأجر مضحك هو خمسة وعشرون جنيهاً . زرته في المجلة ، فرحب بي ضاحك الثغر ، وقدمني إلى «س . ح» . وعدت إلى الأسكندرية .

فوجئت ، ذات صباح ، بمقال كتبه «غ . ش» بصحيفة «أ» ، يروي فيها مأساة صديقنا الفارس «أ . م» . انسلخ من الوسط كله بالقاهرة . ومن المدينة بأسرها . وحمل «غ . ش» الحياة الثقافية ووزارة الثقافة المسؤولية . وطالب له بكذا وكذا .

عدت إلى القاهرة مفزعاً . علمت أن صديقنا «أ . م» قد غطس في الأسكندرية عند أقارب له ، وأنه شوهد يسير شارداً ، ساهماً في الليالي الباردة بالبيجاما والشبشب .

أخذت العنوان . وذهبت أبحث عن الحي ، وعن البيت ، نهاراً ، فلم أجده . قيل لي إنه خرج ، ولا يعرف أحد متى يعود . تركت له خطاباً حاراً مخضباً بالدموع . أطلب لقاءه ، وأدعوه للإقامة في بيتي إلى أن يهدأ نفساً .

وعاد «أ . م» إلى القاهرة ، ولم ألقه بالأسكندرية ، بعد أيام لا أذكر عددها . لكنني على يقين أن حب الصحبة له هو الذي أعاده .

عاد يجلس على المقهى ، وجئت للقائه . وجدته في أطيب حال . يؤكد أنه سوف يعود للكتابة ، وأنه سيكتب عن ، وعن . ويقهر ضغط الدم الذي يعاني منه بالقلم وحده . وسعدنا به ، ورجونا . وتساءلت في نفسي : هل سيستطيع ، هو الفارس ، أن يعيش من قلمه ، وهو يأبى في روحه المجاملة ، ووضع أي حسابات في اعتباره ؟!

العشاء الأخير

سهرنا معه بالمقهى ، ذات ليلة . كان يتحدث ويضحك ، ويعد بالمنى نفسه ، ويعدنا بها معه . وأخذ يلعب «الطاولة» مع صديقه الناقد «ع . ق» ، وغادرناه ، ثم ذهب هو إلى مطعم كازينو بالهرم ، فيما أذكر ، مع صديقه الأثير «ع . ق» ، ليسهرا ، ويتعشيا معاً .

في اليوم التالي ، حمل إلينا نعيه . بهت . ولم أبك . حتى اليوم لم أبكه قط . لكنه ظل حياً في القلب .

علمنا أنه أكل سمكاً ، ورفه عن نفسه في مجلسه مع صاحبه ، وعاد إلى بيته . قيل لنا إنه وجد نفسه مرهقاً ، وإنه قد وضع رأسه في حجر أمه ، ليغفو ، وربما تقلبت عليه مواجع النفس مع مواجع الجسد . كان يعيش طول حياته أعزب ، وحيداً في بيت صغير بالدقي . ولفظ نفسه الأخير بين يدي أمه . قيل لنا إن أمه ، بحثت ليلاً عمن تتصل به ، أو تخبره ، بما حدث لفارسها . فلم تجد سوى بطاقة عليها اسم «ن . ع» ، ورقم تليفونه ، فحدثته في قلب الليل ، تخبره ، وتدعوه .. لنجدتها .

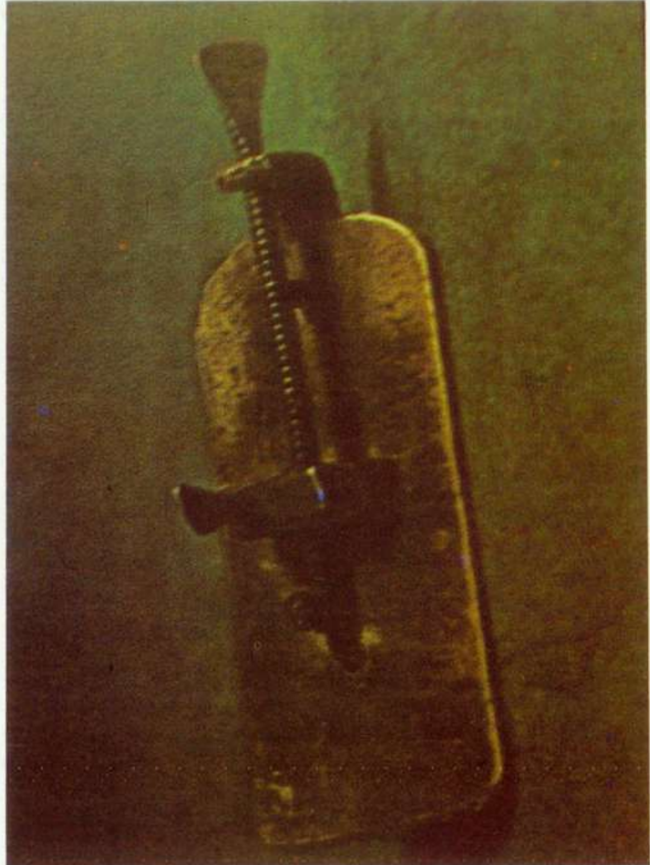
عيون ترى «ما لا عين رأت» !

العيون نوعان : عيون من صنع البشر ، وعيون من صنع خالق مقتدر ، وهذه الأخيرة لا يقدر على محاكاتها أحد ، فهى بلا شك آية رائعة من آيات الخلق ، وبها نرى عالمنا بكل ما فيه من أشكال وألوان وأحجام وأنواع وقبح وجمال ، لكن عيوننا ذات الخلق المتقن ، والتكوين المذهل ، لها حدود ضيقة فيما ترى وترقب ، ولكنها تستطيع أن تكشف الضئيل جداً ، والبعيد جداً ، إذا أرادت ألا يغيب عنا وعنها عوالم كثيرة تزخر بها الأرض والسماوات !

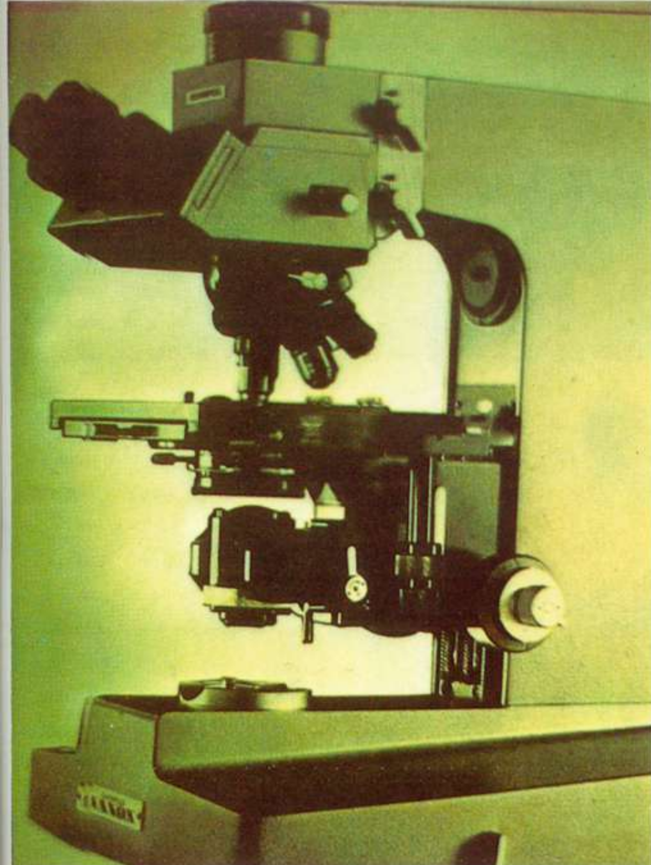
وهذه الدراسة محاولة مختصرة وسريعة لرؤية عوالم تخفى عن عيوننا ، لكنها ليست كذلك بالنسبة لعيون العلم التي ترى « ما لا عين رأت » .

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

شكل (١) أحد ميكروسكوبات ليفنهوك البدائية جداً ، لكنه رغم بساطته وبدائيته ، فقد كان بمثابة أول عين توضح عالماً آخر لا نراه .



شكل (٢) الميكروسكوب الضوئي المركب الأنيق ، لكنه لايستطيع أن يتعدى حدوده في الكشف عن أكوان أصغر (قوة تكبيره لا تزيد عن ألفي مرة) .



ولا شك أن عيون العلم كثيرة ومتنوعة ، فالذي نرى به البعيد جدا يعرف باسم المناظير الفلكية أو التليسكوبات ، والذي نرقب به الصغير جدا يسمى المجاهر أو الميكروسكوبات ، وحتى لا يتشعب بنا الموضوع ، ويؤدى إلى متاهات ، كان من الأوفق أن نقصر حديثنا هذا على الميكروسكوبات ، فرغم أنواعها الكثيرة ، وطرزها الوفيرة ، وتعقيداتها الكبيرة — خاصة فيما يتعلق بالميكروسكوبات الاليكترونية والأيونية والتجسيدية وما شابه ذلك ، إلا أن بداياتها كانت جد متواضعة ، إذ لم تكن إلابثابة لعبة بدائية لا تقارن على الاطلاق بما وصلت إليه الميكروسكوبات الأنيقة فى أيامنا الحاضرة.

والغريب أن الذى صنع أول ميكروسكوب بدائى لم يكن عالما ، ولا كان ينتمى إلى زمرة العلماء ،بل كان حاجب بلدية مدينة « دلفت » بهولاندا ، لكنه شغل وقت فراغه بصقل العدسات من الزجاج ، وزاد شغفه بتلك الصنعة ، كلما اكتشف أن بعضها يريه الأشياء بصورة أوضح وأغرب وأعجب مما يراه بعينيه المجردتين ، ولقد ظل هذا الرجل البسيط الذي يدعى أنطون فان ليفنهوك (١٦٣٢ — ١٧٢٣) يفحص كل ما تقع عليه عيناه بميكروسكوباته البدائية التى صنع منها المئات .. ظل على هذا الحال أكثر من ربع قرن من الزمان ، ورغم أن الرجل ظل مغمورا ، وبين قومه مغبونا ، وظنه البعض مجنونا .. رغم ذلك ، فلقد كان أول إنسان يكتشف عالم الميكروبات الذي ظل خافيا عن كل الأجيال السابقة ، نظرا لعيون البشر القاصرة ، وقدم للعلم وللبشرية نواة فكرة « عين » علمية تكشف ما خفي عن عيوننا وبعدها تطورت الميكروسكوبات — بفضل سعى العقول الباحثة عن المعرفة — إلى آفاق واسعة ، لتفتح لنا نافذة هائلة ، لننظر من خلالها إلى عوالم خافية ، تنطوى على كل ما هو متقن ومنسق ومنظم وأصيل (شكل ١ ، ٢ ، ٣) .

رحلة من عالم محسوس إلى آخـــر مجهـــول

وطبيعى إننا لن نتحدث عن الميكروسكوبات ، ولا طبيعتها وتركيبها ، ولا كيف ترى الأشياء .. الخ ، لكننا سنتعرض للوجه المثير الذي تكشفه لعيوننا إذا سلطت على أى شيء نراه ظاهرا ، ولا نتطلع إليه باطنا ، لأن الباطن أصغر وأدق من أن نراه بأبصارنا .. لهذا تخير أي شيء منظور أو ملموس مما تعودت عليه عيوننا ، وليكن ذلك سطح ورقة ، أو جزءاً من زهرة ملونة ، أو جناح بعوضة أو فراشة ، أو قطعة خشب ، أو ملح طعام ، أو قطرة ماء من مستنقع .. إلى آخر هذه التكوينات الكثيرة جدا والتى لا نستطيع لها عدا ، وضعها بطريقة خاصة (وهى غالبا ما تكون على هيئة شرائح رقيقة غاية الرقة) تحت عدسات المجهر ، وسلط عليها قوى تكبيرية فأكبر فأكبر ، لتراها مكبرة عشرات ومئات وآلاف المرات ، وعندئذ ستتجلى الحقيقة — فى كل مرة — بصور لم تكن لتطرأ لأحد على بال !

ولكي نترجم هذا الكلام إلى واقع ملموس ، دعنا نقوم — نيابة عنك — بهذه المهمة الصعبة ولنأخذ تكوينا واحدا مما تقع عليه عيوننا ليل نهار ، وليكن ذلك بشرة ظهر أيدينا أو باطنها ، ولتفحصها بالعين المجردة ، فهذا أمر ميسور ، أو سلط عليها عدسة مكبرة تكبرها عدة مرات ، وعندئذ سترى خطوطا متداخلة ، لكن بوضوح أكثر ، وتفاصيل أحسن مما نراه بعيوننا المجردة .. ثم تتسع بعد ذلك آفاق الرؤية عندما يصل التكبير إلى عشر أو عشرات المرات (شكل ٤) .. لكن الأمر قد يغم على العقل ، إذا رأت العين جزءا من التكوين ذاته مكبرا مئات المرات ، فالصورة التى يحتفظ بها العقل فى ذاكرتنا لما تقع عليه عيوننا المجردة من تكوينات حية وجامدة ، تختلف كثيرا عما تفضحه عدسات الميكروسكوب مكبرا لذات التكوين (شكل ٥) .

لكن كبر أكثر ، تر أعجب .. خاصة عند الذين لم يمارسوا عيونا غير عيونهم ، لرؤية دقائق عالمهم .. فماذا لو عرضت مثلا الصورة السابقة والصورة التى تراها بعدها (شكل ٦) وهى مكبرة آلاف المرت على زيد من الناس ، وطلبت منه أن يرجع هذه الصورة أو تلك إلى أصولها ؟ .. تأكيدا لن يستطيع أن يصل إلى السر ، أو يعرف أن ما يراه ليس إلا مساحة جد ضئيلة من بشرة ظهر اليد ، ولا شك أن الظنون ستذهب به كل مذهب ، وقد يعيد الصور إلى تصدعات أرضية ، أو أخاديد غائرة التقطتها طائرة محلقة ، أو ربما كانت مسارات لحمم بركانية ، أو أية تضاريس أخرى غير « التضاريس » الغريبة التى ترتسم على بشرتنا ، ولا نكاد نعرفها إلا خطوطا دقيقة لتغطيها شيئا من طبيعتها المرنة المطاطة كلما جابهتها عوامل الشد والارتخاء ، فتتسع هذه « الأخاديد » وتنفرج عند شدها ، وتضيق وتزيد عمقا عند ارتخائها .. أي أنها لم تخلق هكذا عبثا !



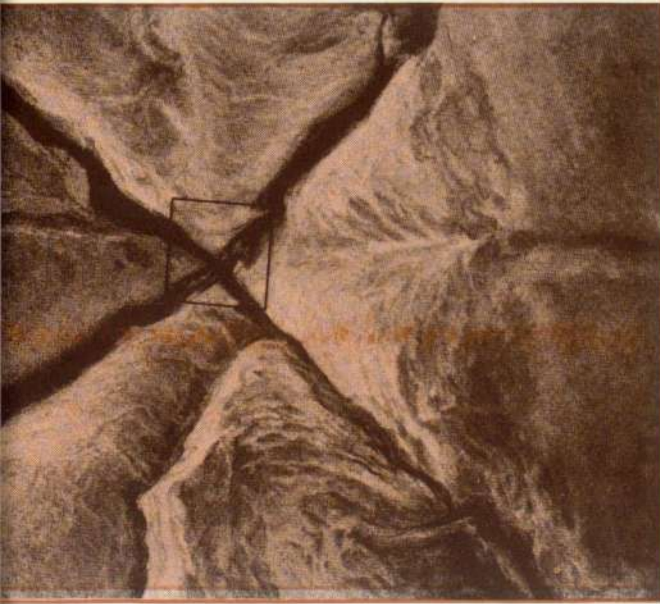
شكل (٣) الميكروسكوب الاليكتروني الحديث الذي يصور العوالم الدقيقة بتكبيرات تصل إلى عشرات الألوف من المرات ، ومع ذلك فلا زلنا نحتاج لعين أقوى ، لتكشف لنا عوالم أدق وأدق .

● الرجل الذي صنع أول ميكروسكوب في العالم لم يكن من زمرة العلماء ، وظنه البعض مجنونا !

«ما لا عين رأت»!



شكل(٤) بشـــرة ظهـــر اليـــد وقـــد ظهـــرت بهـــذا التكـــويـــن الجـــديـــد ، لأننـــا كـــبـــرنـــاهـــا بعدســـة عـــدةمـــرات قليلة .



شكل (٥) جزء صغير من التكوين السابق في شكل (٤) والمحدد بمربع ، وهو مكبر مائة مرة .. ولهذا فمن الصعب أن يتصور أحد أن ذلك لبشرة اليد .

بين الظاهر والباطن

لقد كان الهدف من هذه الرحلة السريعة التى عرضناها فى ثلاث تكبيرات متتالية ، أن نوضح حقيقة هامة لاشك أنها كانت تجول بخاطرنا ، كما جالت قبل ذلك بخاطر العلماء ، هذه الحقيقة تشير إلى أن كل شيء نراه بعيوننا ، ليس حتما أن يظهر لنا مكبرا بنفس الصورة التى ترتسم له فى عقولنا ، بل إن الشيء ــ مهما اختلفت طبيعته ــ يتراكب من وحدات أصغر ، لتتألف فى وحدات أكبر وأكبر ، ومن هذا المنطلق ، كانت أهمية عيون العلم فى توضيح الأسس أو اللبنات الدقيقة التى قامت على أساسها المخلوقات أياً كانت طبيعتها ونوعها وشكلها وحجمها .. الخ .

ودائما ما تلح على العقول المفكرة أسئلة متلاحقة ، علها تجد لها الأجوبة المقنعة التي توصلها إلى لب الحقيقة فى خلق الأشياء ، من ذلك مثلا ــ وفيما يختص بموضوعنا الذي نعرضه هنا ــ هذا السؤال : وماذا قد تحوى صورة البشرة المكبرة حوالى ألف مرة من تكوينات جديدة ، لو أننا عرضناها للتكبير عشرة آلاف أو مائة ألف مرة ؟ .. وما نهاية المطاف فى مثل هذه الرحلات المثيرة التي نطلع فيها على أكوان أخرى أعمق وأغزر وأدق من أكواننا التي نراها بعيوننا المحدودة ؟

الواقع أننا سنرى تفاصيل أكثر ، لكنها فى النهاية تنطوى على متاهات أكبر ، وألغاز أعظم ، ثم هى ستباعد بين حقيقة ما انطبع فى عقولنا لمفردات عالمنا المنظور ، وبين مفردات مثيرة لعالم غير منظور ، ولدرجة يصعب معها أن نصدق أن هذا التكوين من صنف ذاك .

● المتاهات والألغاز التي ستواجهنا عندما نرى مفردات مثيرة لعالم غير منظور!

خذ على سبيل المثال شعرة من شعور رؤوسنا ، وتمعن فيها بعينيك المجردتين ، وطبيعى أن يطرأ هنا تساؤل ، وماذا يمكن أن يكون فى الشعرة التى لا يزيد سمكها عن عشر ملليمتر (١، مم) من تكوينات تستحق النظر أو الدراسة ؟

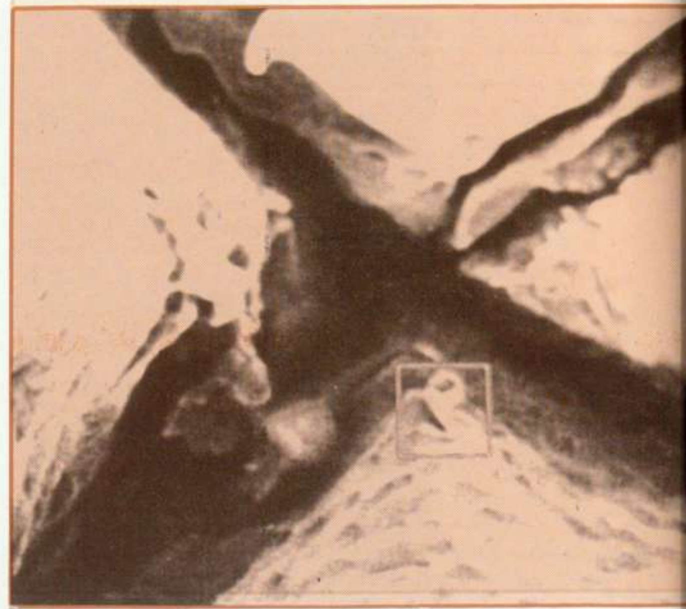
وهو تساؤل وجيه ، طالما لا نمتلك وسيلة أخرى غير عيوننا لننظر بها إلى الشعرة ، لكن الشعرة شيء ضخم جدا بالنسبة لعيون العلم الحديثة التي استطاعت أن تصل فى تكبيرها للأشياء إلى أكثر من ٥٠٠ ألف مرة ، ومع هذا التكبير الفائق ، فلا تزال المكونات الدقيقة لأى شيء فى عالمنا المنظور لا تفصح عن بعض تفاصيلها الدقيقة ، فهى ــ أي الميكروسكوبات ذات التكبير الفائق ــ لا تستطيع أن ترينا كيف تنتظم الذرات فى جزيئات صغيرة ، ولا الجزيئات الصغيرة فى جزيئات كبيرة ، فعلى هذه أو تلك تتأسس النظم فى شعرة أو خلية أو ما دون ذلك ، أو ما أكبر من ذلك !

ولتقريب صورة تكبير الشيء لنصف مليون مرة فى الأذهان ، دعنا نتعرض لمعنى هذا التكبير على مستوى الشعرة ، عندئذ سيصبح قطرها خمسين مترا ، أو أن محيطها سيصل إلى ٣١٤ مترا ، أى أنها تحتاج إلى مائتى رجل ليحيطوا بها وهم متشابكو الأيدى ، وممدودو الأذرع .. وطبيعى أننا لن نضع الشعرة كلها فى مجال هذه التكبيرات الهائلة ، فليس لذلك معنى ، لكن يمكن تجهيز شرائح خاصة تحمل مكونات أو أجزاء ضئيلة جدا من الشعرة ، وبهذا يمكن رؤيتها ، أو رؤية بعض تفاصيلها الدقيقة جدا (وهو ما سنتعرض له فى دراسة قادمة عن طبيعة الشعر وتكوينه وأهميته) .

لقد ضربنا هذا المثل من قبيل تقريب الصورة للأذهان ، لكن العلماء ــ مع ذلك ــ يتعاملون مع تكوينات فى الخلايا الحية أو غيرها أضأل من سمك الشعرة بآلاف وعشرات الآلاف من المرات ، لكن تكبيرها عدة مئات الآلاف من المرات يظهرها كصور يمكن استيعابها .. من ذلك مثلا أنهم استطاعوا رؤية الأشرطة الوراثية التى تسجل



شكل (٧) شريطان وراثيان حلقيان مكبران حوالي ٣٠٠ ألف مرة ، ورغم هذا التكبير الفائق ، فلم توضح الصورة تفاصيل الشريط ، فهو لاشك يتكون من جزيئات أصغر فأصغر عجز الميكروسكوب الاليكتروني عن ايضاحها .



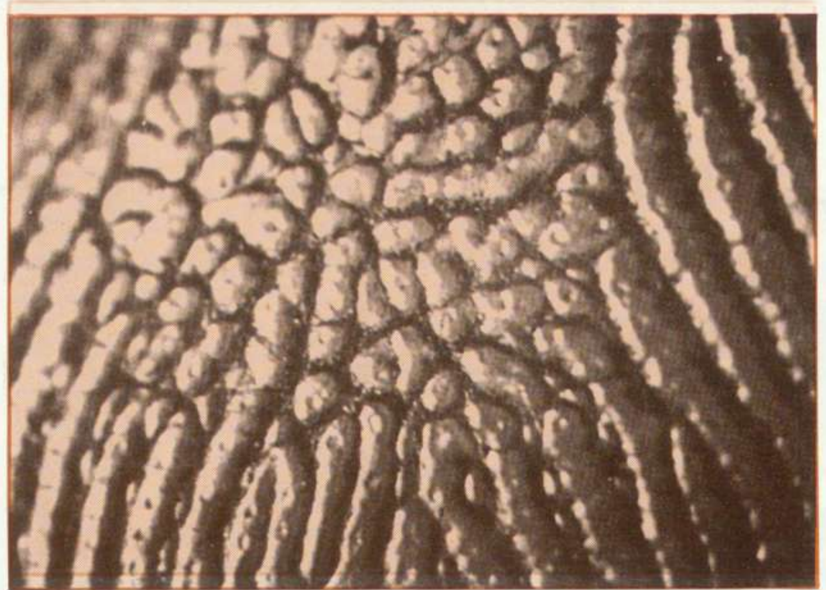
شكل (٦) جزء من جزء الجزء السابق وهو مكبر حوالي الف مرة ، فتبدو البشرة كتضاريس غريبة ، أو مسارات غائرة لحمم بركانية

عليها صفات كل المخلوقات (شكل ٧) ، هذا ويبلغ سمك الشريط الواحد جزئين اثنين من مليون جزء من المليمتر .. أى أقل سمكا من شعرة الرأس بحوالى ٥٠ ألف مرة !

من البصمات إلى ما دونها

لكن دعنا نعود مرة أخرى إلى التكوينات التى تعودت عليها عيوننا ، فهذا أيسر من الولوج فى متاهات ليس مجالها هنا ، ولنلق نظرة فاحصة على الخطوط المتعرجة فى أطراف أصابعنا ، والتى نعرفها باسم البصمات .. إنك بالكاد تستطيع أن تراها بصورة عامة دون التفاصيل ، لكن التكبير يوضح لنا كثيرا من التفاصيل .. ودائما تكبير أعظم ، يكشف لنا عن تفاصيل أضخم (شكل ٨) .

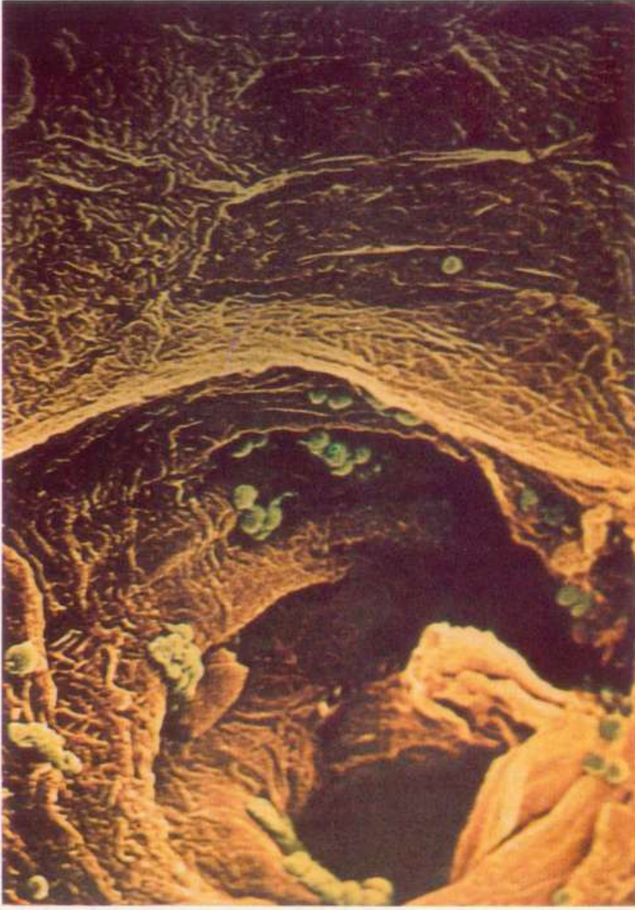
حاول بعد ذلك أن تتعرف على المنظر الذي يلى ذلك (شكل ٩) .. عندئذ قد يعتقد الكثيرون أنهم أمام صورة لفوهة بئر ، أو فتحة كهف تنمو على حوافها بعض نباتات بدائية ، لكن الصورة ــ فى الواقع ــ هى جزء جد صغير من الصور السابقة ، فلو أنك تمعنت فيها ، لوجدت بضع ثقوب صغيرة تنتشر هنا وهناك على البصمات ، لكنها ليست ثقوبا بالمعنى التقليدى ، بل هى فتحات تؤدى إلى الداخل ، حيث توجد الغدد العرقية ، لكن التكبير الفائق قد أوضح لنا واحدة على هيئة فتحة كهف غريب ، أما الذى ينتشر عليها كنبات بدائى ، فنوع من البكتيريا العنقودية التى تتحين



شكل (٨) تكوين بصمة أحد الأصابع مكبرة عدة مرات ، ولهذا توضح تفاصيل لا يمكن أن تتجلى لعيوننا ، ومن هذه التفاصيل فجوات أو ثقوب دقيقة منتشرة على الخطوط المتعرجة .. لكن ما هي طبيعة هذه الفجوات ؟

● لولا هذا السور العظيم من بلايين الصفائح التي تصنعها خلايا البشرة قبل موتها لما كان هناك من يكتب أو يقرأ !

"ما لا عين رأت"!



شكل (٩) هذا الكهف الغريب ليس إلا فتحة الغدة العرقية مكبرة مئات المرات .. لاحظ البشرة وقد ظهرت بدورها كتضاريس متموجة .



شكل (١٠) صورة نادرة ومكبرة عدة آلاف من المرات بالميكروسكوب الاليكترونى المجسد للقاء المحتوم بين كرة دم بيضاء ومجموعة من البكتيريا التى نفذت إلى الداخل من خلال فتحة الغدة العرقية .. لاحظ ضخامة الكرة الدموية المدافعة وهى تمد أذرعها لتلتهم بها الميكروبات ، وكأنما هى ديناصور أو أخطبوط ضخم فى عالم دقيق لا تراه عيوننا .

الفرص المناسبة لغزو الجسم عن طريق فتحة الغدة العرقية ، فإذا نجحت ــ وقلما تنجح نظرا لوجود موانع تحول بينها وبين غزو ميسر ــ تكاثرت وغزت ودارت معركة بينها وبين كرات الدم البيضاء ، ونتج عن ذلك دمل أو خراج ، أما الصديد فهو علامة على المعركة التى مات فيها البلايين من الجانبين (شكل ١٠) .. لاحظ أيضا حجم فوهة الغدة العرقية مع حجم الخلايا البكتيرية ، وكأنما هذه بالنسبة لتلك كباب واسع بالنسبة لقط أو كلب ، كما أن البشرة ذاتها ، تبدو متراكبة من كسف أو صفائح رقيقة نراها بوضوح أكثر فى مدخل فتحة الغدة العرقية ، وهى ــ أى

الصفائح ــ ليست إلا خلايا ميتة تحولت إلى كسف من « الكيراتين » وهو نوع من البروتينات الذي تصنعه خلايا البشرة قبل موتها ، حتى إذا حل بها الضعف والموت ، ووجدت نفسها مدفوعة إلى قدرها ، فقدت حياتها ، وتحولت مادتها إلى قشور صغيرة رقيقة لتحمى برفاتها الخلايا الرقيقة الحية التى تكون أجسام الكائنات ، إذ لولا هذا السور العظيم من بلايين الأموات ، لما كان هناك من يكتب ، ولا كان من يقرأ !

الموضوع ــ بلا شك ــ طويل ومتشعب ومثير ، ونحن لا نريد أن نقدم كلاما يقرأ ، بل علينا أن نفسح المجال لصور لم تتعود عليها العين البشرية ، ولا طافت بالذهن ، لكن المجاهر الحديثة قد فتحت لنا نافذة واسعة لننظر من خلالها إلى كون الله العظيم فى أنفسنا ، وفى كل ما حولنا ، فربما نقدره حق قدره « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .. ولنا مع هذا الموضوع عودة ، لنرى أكثر ، ونتبين أعمق ، ونعلم ما لم نكن نعلم من بديع الخلق فى الكون والحياة .

عبد المحسن صالح

الســــلالــم

بقلم: إبراهـيم أصـلان



عندما انتهيت من طلوع السلم العريض العالى، وخطوت إلى الصالة الطويلة المضاءة، فى الليل، رأيته هناك أمام ساعة الميقات المعلقة، بخشبها الأصفر المصقول.

كان يجذب ذراع الساعة الجانبى على فترات متباعدة، وبين المرة والأخرى، كان يشب ويميل، كمن يقرأ شيئا فى شريط التوقيع. وكنت، وأنا واقف هنا فى حلق الباب، أستريح وأسمع صوت الأسطوانة الداخلية وهى تدور، وأقول، إنه محمود زميل الدفعة القديم. لم يكن ممكنا أن أخطئه بهذه القامة التي لا تزيد على المتر إلا قليلا. غير أننى لم أكن واثقاً، بسبب من تلك السنوات الطويلة التى مضت، وذلك القميص الخفيف الواسع، وهذه الوفرة من لمبات النيون التى توهت ملامح الوجه البعيد، ثم إنني لم ألبث أن سمعته وهو يسعل فى صوت نسائى نحيل، ويجذب الشريط الورقى من قلب الساعة حتى خفت أن يقطعه. تراجع به حيث الجدار المدهون، ورفعه هكذا بين يديه، واستغرق فى الاطلاع على عشرات الأسماء المكتوبة، وظل يفعل ذلك حتى مال بجسده ورآنى.

وقف ينظر ناحيتى ويداه عاليتان كما هما ثم ترك الشريط الورقى يتهدل مزدوجاً على البلاط الخشن المغسول، وبدأ يخطو متردداً بنظارته الطبية حتى تأكد لى أنه محمود: «محمود القزعة». ونظرت فى الوجه القريب: «أهلاً يا محمود».

«أهلاً أهلاً. إزيك؟»

«أزيك إنت؟ إنت انتقلت هنا والا إيه؟»

«لا أبداً».

«أمال إيه؟»

هز رأسه كمن ينفى شيئاً. وشبك ذراعيه على صدره، وتراجع بلحيته النابتة البيضاء، ونظر جيداً إلى وجهى. وتوقفت عيناه عند شعرى، وشاربى:

«لازم عندك ليل النهارده؟»

ابتسمت وقلت: «أنا عندى ليل على طول».

«كويس. ومضيت حضور والا لسه؟»

«لأ لسه».

«بتمضي فى الكشف والا فى الساعة؟»

«فى الاثنين. زى زمان».

«كلكم؟».

«كلنـا».

«رجاله وبنات؟»

«رجاله وبنات. لكن للأسف مفيش بنات فى وردية الليل».

شاركنى الابتسام فتباعدت ملامح وجهه قليلاً، وقال إنه يعرف. فكرت أن ماجده لن تصدق عندما أخبرها بذلك اللقاء. محمود مراد زغلول. كنا نسميه القزعة لأنه اعتاد أن يعتلى أسطح المكاتب لكى يطول خانات الحفظ التى كانت تطولها البنات وهى واقفة فى مكانها. كان يقفز من مكتب إلى آخر دون حذاء، بالجسد الدقيق، والوجه الأسمر الضاحك. وخطر لى أنه الوحيد الذى يعادل مرتبه مرتبى بالمليم، وقدمت له سيجارة، ولكنه اعتدل فجأة وقال: «طيب سلام».

«سلام ازاى؟ أنا لازم أشوفك».

«إن شاء الله».

«قبل ما تسافر».

«ضرورى طبعا»، وتوقف قليلاً، وضيق ما بين حاجبيه وقال: «هو إنت كنت بتقول إيه؟».

«باقول لازم أشوفك».

«لا الأول».

«الأول امتى؟».

«الأول خالص، قبل ما تسلم على».

شعرت بالحيرة، وابتسمت.

«طيب سلام» وهز رأسه مودعاً.

بدأ ينزل الدرجات العريضة بقميصه الخفيف الواسع. أخرجت قلمى من جيبى، ولمحت يده الصغيرة على السياج الخشبى الناعم، بينما هو يميل عند انحناءة السلم، ويختفى.

أزمة المسرح العربي

• شهادات حيّة أوّلها: شهادة نعمان عاشور

رسالة القاهرة تكتبها: سارة



مشهد من مسرحية «أحرف وأبطال» اخراج أحمد ماهر



مشهد من مسرحية عبدالرحمن الشرقاوي «عرابي زعيم الفلاحين»

● ضعف الإمكانيات لا يحول دون تقديم عمل مسرحي باهر

● عندما صرخت فلاحة بين الجمهور: «هايلين يا أولاد»..!

● تأجّل عرض مسرحية «كيف تتسلّق دون أن تتزحلق» بسبب سوء حالة دورة المياه..!

● ممثل في مسرح السامر يؤدي دوره بنجاح وحماس أمام جمهور من خمسة أفراد

انصرفت في الشهور الأخيرة لدراسة ومحاولة فهم واستيعاب التجربة الأدبية الثرية لجيل الستينيات في مصر من روائيين وقصاصين ، هذا الجيل الذي آمنت بتميزه وتفرده وعطائه الثري ، جيل من المبدعين اكتنفهم الضباب . وإن أردت الدقة جيل تكاتفت ضده ظروف « تحيرني » أجهضت حقهم المشروع في الصدارة . وبانغماس في عالمهم المشحون بالغضب المترف بدلالات الخلق الوضئ المسكون بالخوف وبارتعاشات الرجاء ، لم أعد أصغي لتلك الضجة الزاعقة التي تنعي حال الأدب في مصر وما آل إليه .

و .. فجأة قررت التوقف إلى حين ، وأقول إلى حين ، وقررت أيضاً الكتابة عن ما سمي « بأزمة » المسرح العربي .

.. حاولت أن أجمع شتات ذاكرتي لأحدد متى وكيف كانت بداية تفكيري واهتمامي بموضوع هذه « الأزمة » .

البداية ، أو البدايات تحمل في طياتها الكثير من التناقضات و .. الدهشة أيضاً ، الغضب والتساؤلات أيضاً ، والكثير مما يدفع للتقدير والفرح أيضاً .. و .. الفرح ــ في اعتقادي ــ بشارة بالآتي ، والآتي هم جيل من شباب المسرح المصري عاشقون له حتى الثمالة .

البداية كانت ..

إعلان صارخ يتكرر في التليفزيون لإحدى فرق مسرح القطاع الخاص ، أغرى صغيري بإجباري على حضور هذا العرض ، وكان أن انصعت لرغبته ، وذهبت لأفاجأ بإسفاف جعلني أشعر بالخزي لوجودي في هذا المكان ، وما أثار دهشتي أن الجمهور كان في حالة « انبساط » وكان يحتل كل المقاعد . ! !

و .. للعلم فإن قيمة التذكرة خمسة عشر جنيهاً ، ومن يرغبون ــ وما أكثرهم ــ بالتقاط صور « تذكارية » مع « نجوم » المسرحية يدفعون عشرة جنيهات لكل صورة ، هذا عدا الأسعار الملتهبة للمأكولات والمشروبات . وبنظرة فاحصة لنوعية الجمهور تكتشف أن ما يشاع من أن جمهور هذا النوع من المسرحيات هم فئة « الصنايعية » الجديدة أكذوبة ، أقول هذا بعد جولات متكررة لمثل هذه العروض وفي مواسم مختلفة .

ملحوظة اعتراضية : اتفق معي الناقد سامي خشبة في حوار دار بيننا على الرأي الذي يرفض الربط بين المسرح الهابط وفئة « الصنايعية » .

البداية كانت ..

خبر صغير في إحدى الصحف المصرية يقول إن أبطال مسرحية نعمان عاشور « مولد وصاحبه غايب » طالبوا بإيقاف العرض لانخفاض عدد الجمهور إلى عشرة أفراد فقط . وعندما استفسرت عن حقيقة الخبر نفاه لي نعمان عاشور نفياً قاطعاً واعتبر ذلك خطة مقصودة لمحاولة إيقاف المسرحية . وقد ذهبت لمشاهدة المسرحية التي أخرجها سعد أردش ، وأستطيع أن أقرر مطمئنة أن عدد رواد هذه المسرحية الجيدة والجادة بالقياس لرواد المسرح التجاري يعد مؤشراً خطيراً لتحديد ملامح هذه الأزمة وعمقها . و .. للعلم فإن قيمة التذكرة تتراوح بين جنيهين وخمسة جنيهات .

البداية كانت ..

تجربة جادة وثرية عايشتها عن قرب في مركز شباب الساحل ، مجموعة من الشباب انغمسوا في عشق المسرح بعيداً عن الضجيج والأضواء .

« أحرف وأبطال » مسرحيتهم التي وصلوا بها إلى دور التصفيات على مستوى المحافظات لمراكز الشباب ، من إعداد وإخراج الفنان القدير أحمد ماهر ، الذي دفعه انتماؤه للمكان أن يبذل ساعات طويلة من يومه تمتد حتى إشراقة الفجر لتدريبهم رغم أعبائه التي تلتهم مساحات عريضة من يومه .

و .. شهدت يوم الافتتاح ، وشهدت إستقبال الجمهور الحار للمسرحية إعداداً وإخراجاً وأداء ، لقد أثبتت هذه المجموعة أنهم نجوم جديرون بالاهتمام والتقدير ، وأثبتوا أن ضعف الإمكانات لا يحول دون تقديم عمل باهر ، لأن المسرح ــ في اعتقادي ــ يمنحك بقدر ما تمنحه من حب وتفان ، ولعل أبلغ تعليق ما قالته سيدة ريفية كانت تجلس بجواري ، وأنا واثقة أنها لا تعرف من هو سبارتاكوس ، محمد كريم ، الأفغاني ، وطفاء ، ابن الحكم ، وغيرها من شخصيات المسرحية ، ولكن بهرها صدق الأداء ، وروعة الإخراج ، فقالت وهي تصفق : « هايلين يا ولاد » .



...د من مسرحية « مآذن المحروسة » تأليف أبو العلا السلاموني

شــهادة نعـمان عاشور



● القــــول بـأن العـــــرب القـــــدماء عرفــــوا المســــــرح هــــو نـــــوع من المكـــابـــرة

● أزمــة المســــرح بدأت مع نكســـة ١٩٦٧

هل أبدو لكم شديدة الحماس ، ربما لأنني شديدة الثقة بجيل الشباب المصري على اختلاف مواقعه واهتماماته وثقافته وعطائه ؟

البداية كانت ..

تأجيل عرض مسرحية « كيف تتسلق دون أن تتزحلق » بمسرح الطليعة أسبوعاً كاملاً ، وعندما استفسرت عن السبب علمت أن المبلغ المخصص لاصلاح دورات المياه في المسرح قد تأخر صرفه لإجراءات إدارية روتينية ، وبالتالي تأجل عرض المسرحية !!

البداية كانت ..

دراسة للناقد سامي خشبة بعنوان « المسرح المصري ، الأزمة ، والانفراج ، والحقيقة » جاء فيها « وكان نفي نوعية معينة من النصوص إلى مسرح المثقفين « مسرح الطليعة » الذي لا يرتاده « الجمهور » والغالبية العظمى من رواده طلاب معهد المسرح أو ضيوفهم ، وضيوف الفرق وعائلاتهم الفرحانة بأولادها على مشارف النجومية وما يتلوها ، هكذا تظن العائلات على الأقل » و .. قررت الذهاب إلى هذا المنفى الذي لا يرتاده « الجمهور » لاستطلاع الحقيقة ، وواظبت على ذلك ليال متعددة . لأكتشف أن مسرح المثقفين لا يرتاده حتى أشباه المثقفين إلا نادرا . وأن غالبية جمهوره هم بسطاء الناس الذين ارتبطوا به عبر تاريخه الطويل ، والذين لا علاقة لهم بالفرق وضيوفها أو معهد المسرح وضيوفه ، ولعلني لا أبالغ إذا قلت بأن تمسك مسرح الطليعة والمسرح المتجول بقضايا المسرح الجاد والتزامهما الرصين وسط هذا السيل العارم من الإسفاف والابتذال نوع من البطولة التي تستحق التكريم . للعلم .. فإن قيمة التذكرة خمسون قرشاً !

البداية كانت ..

ساعات قضيتها مع عامل البوفيه وعامل الكهرباء وآخرين في مسرح السامر ، حدثوني فيها عن تاريخهم الطويل مع هذا المسرح وأدانوا الجمهور على عدم اهتمامه بالعروض الجادة ، وأخبروني أن عدد المتفرجين يكاد لا يزيد عن أصابع اليد أحياناً ، وأحياناً أخرى يجدون أنفسهم مضطرين لأن يقوموا هم أنفسهم بدور الجمهور ، والمدهش أثناء حضوري لعروض تلك الليلة وقد كان مونودراما « أضرار التبغ » لتشيكوف أن الممثل الشاب مجدي عبيد كان يؤدي دوره بحماس كما لو أن المقاعد أمامه مكتظة بالجمهور ، وحقيقة الأمر بأننا فعلاً لم نتجاوز أصابع اليد !

وللعلم أيضاً .. فإن دخول مسرح السامر مجاناً !!

البداية كانت ..

حضوري بروفات مسرحية « الكلاب وصلت المطار » تأليف وإخراج علي سالم ، المدهش في هذه المسرحية أنها مغامرة حقيقية لأنها ضد كل قواعد وحسابات السوق ، فهي مسرحية بلا نجم ولا حتى أنصاف نجوم ، ومع ذلك فكاتبها على ثقة بأنها ستكون انقلاباً في تاريخ الكوميديا المصرية لأنها ثورة فنية على كل المقاييس ، و .. أعترف أنني لم أستطع أن أخفي قلقي وشكي أمام هذا الرجل الذي بلغ الخمسين وما زال قادراً على أن يحلم كطفل لم تدجنه خيبات الزمن . قال لي : « لا تقلقي هذه حسابات لا يعرفها إلا العاشق ، فأنا على موعد حب مع متفرجي الذي أحبه وينتظرني » .

و .. في محاولة « متواضعة » لفهم تناقضات هذه البدايات ، وفي محاولة « متواضعة » أيضاً لحل ما اختار سامي خشبه أن يسميه « بلغز » أزمة المسرح المصري كان لقائي مع أبرز كتاب المسرح المصري ونجومه ومخرجيه ونقاده ، وإن غابت أسماء فهذا ذنب الصيف والاجازات .

نعمان عاشور (٢٣ مسرحية)

• نحن لم نعرف المسرح الحديث كما هو معروف في الدول الأوربية ، فتاريخنا الأدبي عرف الشعر ولم يعرف المسرح ، وأنا ضد كل الآراء التي تدعي أن العرب عرفوا المسرح ، فإذا كان قد ورد في الشعر أو في مقامات الحريري أو غيرها العنصر الدرامي ، فهذا لا يعني وجود مسرح ، لأن العنصر الدرامي موجود في كل الأشكال الأدبية ، أما المسرح بشكله المعروف وهو وجود مجموعة تشخيص وجمهور يتلقى ونص مكتوب فهو أمر لم يكن معروفاً في البيئة العربية ، وأي محاولات تبذل لإثبات عكس ذلك أعتبرها نوعاً من المكابرة ، ولكن التراث العربي مليء بالقصص كألف ليلة وليلة ، مقامات الحريري ، والأغاني والتي تصلح أن تكون ركائز موضوعات للمعالجة المسرحية .

• ومصر عرفت المسرح في بداية القرن التاسع عشر وقد كانت مظاهره تتمثل في الأراجوز وفي خيال الظل . ومع نهاية الحملة الفرنسية ونهاية عهد محمد علي كان هناك ميل للأخذ بمظاهر الحضارة الأوربية ، البعض يقول إن الذي أوجد المسرح في العالم العربي هو مارون النقاش في سوريا وهو تاجر وشاعر أجاد اللغة الفرنسية فتأثر بموليير وعاد إلى دمشق ليؤلف فرقته المسرحية ومن ثم انتقل بها إلى بيروت ، وأنا لا أعتقد أن هذه هي البداية الحقيقية . ولا أوافق على هذا الرأي ، فهناك بداية أخرى لازمتها وربما سبقتها وهي بداية وجود المسرح على يد يعقوب صنوع في عهد إسماعيل .

• ولأن السلطة العثمانية كانت تعتبر التمثيل والتشخيص إحدى المحرمات فقد طاردت مارون النقاش ، وجاء بعده ابن أخيه سليم النقاش الذي واجه نفس العقبات فقرر الهجرة إلى مصر حيث كانت التربة ممهدة على يد يعقوب بن صنوع ، وهو مثقف يهودي كان مدرساً للرقص والغناء في بلاط الخديوي واستطاع أن يتقرب من اسماعيل ، وأسس فرقة كانت تعرض داخل السراي مسرحيات تقليدية إقتبسها من المسرحيات الفرنسية ، وكان يمجد من خلالها الخديوى إسماعيل ، بعدها أنشأ مسرحه الخاص في الازبكية واتصل بالحركة السياسية التى كان يقودها الافغاني ومحمد عبده ، وتحول مسرحه من مسرح إجتماعى إلى مسرح سياسي هاجم فيه سياسة إسماعيل فحكم عليه بالنفي خارج البلاد .

• إذن نفي يعقوب بعد أن وضع بذرة المسرح الأولى التي مجدها الأفغاني في أقواله وكان قد سبقه في الاهتمام والدعوة لقيام المسرح رفاعة الطهطاوى الذي دعا إلى كتابة مسرحيات بالعامية على شرط أن تكون مطعمة بالفصحى ، ولازالت كلمته تلك كلمة أساسية في قضية اللغة التي هي من أعسر القضايا التي يواجهها المسرح .

• بعد نفي يعقوب انشأ سليم النقاش مسرحه في الاسكندرية وهي العاصمة الحقيقية للمسرح ، واستدعى من بيروت أديب اسحق وأسسا « مسرح الاسكندرية » وقاما بتقديم مترجمات راسين وموليير ، واستعانا أيضاً بالأعمال التي أعدها مارون النقاش عن ألف ليلة وليلة مثل مسرحية أبو حسن المغفل ، لكن قيام الثورة العرابية أطفأ جذوة هذا المسرح .

• وعلى نقيض ذلك فقد ساعد قيام الثورة العرابية على قيام مسرح عبدالله النديم الذي دعا إلى مقاومة الاستبداد وإلى القومية العربية وهي الدعوة التي ارتبطت بعد ذلك بعبدالناصر والحقيقة أنها دعوة قديمة ممتدة في التاريخ العربي ومرتبطة بكل الفنون ، ولكن مسرح النديم فشل لأن السلطات لم تكن تسمح إلا بالمسرح التعليمي الساذج ولأن البيئة المصرية لم تكن بعد قد تدربت على تذوق فن المسرح .

• في ظل الاحتلال وبعد فشل الثورة العرابية برزت حركة مسرحية تمثلت في الفرق التي هربت من اضطهاد مندوب الولاية العثمانية في الشام ، وهاجر إلى مصر مجموعة من المسرحيين منهم أبو خليل القباني ، وألفوا فرقاً مسرحية في الاسكندرية كان يحميها تجار المدينة والذين كان أغلبهم أيضاً من الشام ، وكان مسرحهم يعتمد على الغناء والنكت والتهريج ، وكان بعيدا تماماً عن القضايا الاجتماعية والسياسية .

• ظل هذا حال المسرح حتى بروز شخصية الزعيم مصطفى كامل الذي كان يؤلف المسرحيات ويمثلها وهو تلميذ ، فاحتضن المسرح ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح المسرح جزءاً لا ينفصل عن مظاهر الحياة الفنية الأخرى ، وقد أدت الحركة السياسية الكبرى التي سبقت ثورة ١٩١٩ إلى ظهور مجموعة من المسرحيين منهم جورج أبيض وإنشاء جمعية أنصار التمثيل والسينما ، وكان من أعضائها محمد



● اشترى مني التليفزيون مسرحياتي ولم يعرضها
● قدمت مشروعاً كاملاً لحل أزمة المسرح ولم يأخذ به أحد
● الممثلون أصبحوا مليونيرات هذا العصر
● ثلاثة من كُتّاب المسرح ماتوا من القهر
● لماذا رفض يوسف السباعي حضور مسرحيتي عن رفاعة الطهطاوي ؟

تيمور ، وقدم الشيخ سلامة حجازي ومنيرة المهدية المسرح الغنائي ، وحاول عزيز عيد ونجيب الريحاني خلق شكل جديد للمسرح ، إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى ، وأصيبت الحركة المسرحية بانتكاسة جديدة .

• مع قيام ثورة ١٩١٩ تألق المسرح من جديد ، حيث ظهر مسرح محمد تيمور الوطني وخرج الريحاني من نطاق الصالات ليؤسس فرقته وكذلك يوسف وهبي وعزيز عيد وفاطمة رشدي والكسار ، واستمر المسرح في تألقه حتى عام ١٩٣٢ عندما داهمت الأزمة العالمية الجميع ، فعجزت هذه الفرق عن الاستمرار . وتبعثر شملهم .

• عام ١٩٣٥ قامت الحكومة بخطوة رائدة حيث قررت احتضان المسرح فأنشأت الفرق القومية المصرية ، وهي أول فرق حكومية جمعت فيها شتات الممثلين الذين تفرقوا بعد انهيار فرقهم . وكان أول عرض لهم مسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم .

في تلك المرحلة كتب عزيز أباظه وباكثير العديد من المسرحيات وكتب شوقي مجنون ليلى ومصرع كليوباترا . لكني أستطيع أن أقول إن تلك النهضة المسرحية كانت نهضة محدودة لأنهم كانوا يقدمون مسرحياتهم بالفصحى وفي نطاق الاقتباس وكانوا يفتقدون النصوص المسرحية المحلية التي تعالج قضايا المجتمع وهمومه .

• في تلك المرحلة أيضاً انتعش المسرح على يد الريحاني بفرقته الخاصة لأنه قام بتقديم مسرحيات اجتماعية كوميدية تمس حياة الناس الذين عزفوا عن الفرق الحكومية وأقبلوا بحماس على مسرح الريحاني حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وفرض نظام التعتيم الكساد على الحياة المسرحية وانتعشت صناعة السينما .

• بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان الريحاني الوحيد الذي استطاع أن يعيد تكوين فرقته وظل حتى عام وفاته ١٩٤٩ يقدم كل شهر تقريباً مسرحية أو يعيد بعض المسرحيات ، وكانت سنواته تلك من أثرى السنوات ، ولاقى نجاحاً منقطع النظير في حين كانت الفرق القومية تتعثر لعدم وجود مؤلفات ولاعتمادها على المترجمات والاقتباسات ، وكان الريحاني أيضاً يعتمد في مسرحياته على الاقتباسات ، ولكنه كان من الذكاء بحيث طعمها بشخصيات ومواقف محلية ومنحها مضموناً اجتماعياً محلياً .

• في تلك المرحلة نجح زكي طليمات بإقناع المسئولين بافتتاح معهد للفنون المسرحية وبذلك اتخذ المسرح صبغة علمية ، وهذا المعهد هو الذي قام بتخريج دفعات من الممثلين والمخرجين والنقاد الذين تعتمد عليهم حياتنا المسرحية اليوم .

• أصبحت الأرض إذن ممهدة لقيام مسرح ثابت الأركان ، ولكنه كان يفتقد أهم أركانه ، وهو المؤلف المسرحي ، حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو والتي كانت سبباً رئيسياً لظهور حركة الستينيات المسرحية وبروزها لأن قادة الثورة لم يكونوا خطباء ، ولأن الثورات تحتاج عادة إلى منابر للتعبير عنها فقد كان المسرح هو أفضل منبر اختارته الثورة ، بالإضافة لذلك وجود حركة ثقافية ضخمة سبقت الثورة ، فحملة راية المسرح في الستينيات هم أنفسهم مثقفو الأربعينيات ، وهكذا كان المسرح مواكباً للثورة في سنواتها الأولى ، وقام لأول مرة بتقديم مؤلفات مسرحية صميمة من واقع الحياة المصرية .

• ولذلك أستطيع أن أقرر مطمئناً أن مسرح الستينيات هو البداية الحقيقية للمسرح المصري المحلي المتكامل اجتماعياً لأنه كان قائماً على نصوص نابعة من البيئة ، وقد يعترض البعض ويقول بأن مسرح يوسف وهبي عرف المسرحيات الاجتماعية ، ولكن — في رأيي — أغلبها مسرحيات مفتعلة أو مقتبسة ، والوحيد الذي كان في مسرحه رنة اجتماعية سليمة هو الريحاني ولكن في بعض الموضوعات . وما يميز كتاب هذه المرحلة أنهم كانوا يكتبون للمسرح مباشرة « يعني مسرحيات جاهزة للعرض » وأنا مثلاً كنت أطبع مسرحياتي بعد عرضها بثلاث أو أربع سنوات ، قبل ذلك كان توفيق الحكيم يكتب مسرحياته لتظهر في كتاب ، وهذا منح المسرحية قيمة أدبية ، ولكن عندما يراد تقديمها على المسرح فلابد من إجراء تغييرات وتعديلات حتى تصبح صالحة للعرض المسرحي ، وأعتقد أن موهبة كتابة مسرحيات جاهزة للعرض توفرت لكتاب الستينات فقط بفعل ظروف الثورة التي ولدت الحاجة لوجود مسرح ، والظروف أيضاً ، اقتضت أن يقوم هذا المسرح على أساس التأليف المباشر .

• أزمة المسرح المصري بدأت بالتحديد مع نكسة ٦٧ فالعناصر المضادة للثورة والتي أسماها عبدالناصر بالحزب السياسي غير المعلن كانت تقاوم المسرح باعتباره منبراً لتأكيد هذه التغييرات ، فكان لابد من محاولة هدمه ، لقد كان المسرح القومي يقدم ٢٤ مسرحية في الموسم الواحد كلها تتضمن دعوات اجتماعية جديدة . ولذلك بدأت محاولة إضعاف مسرح القطاع العام بالترويج للمسرح التجاري ومازال مسرح الستينيات يتعرض للحرب بواسطة العناصر الناهضة لأفكار ومبادئ ثورة ٢٣ يوليو . هذه العناصر التي حاربتها الثورة وساندها مسرح الستينيات في محاربتهم بما حمله من أفكار مناهضة للأوضاع القائمة ، لقد كان مسرحنا مسرحاً رافضاً .

• ودليلي على ذلك أن التلفزيون في بداياته كان حريصاً على تسجيل مسرحياتنا وإذاعتها أما الآن فإنه يتجاهلنا ويحرص على تقديم مسرحيات القطاع التجاري ، مسرحيات فؤاد المهندس وسعيد صالح والهنيدي ، وأحاط هؤلاء الذين لا يقدمون مسرحاً بالمعنى الحقيقي ، أحاطهم بهالة ضخمة من الدعاية وذلك لمحاربة المسرح الجاد ، بل زاد على ذلك بتأسيس ما سمي بمسرح التلفزيون والذي تكون من عشر فرق لإغراق الحركة المسرحية ، وهذه الفرق هي التي أفرخت المسرح التجاري ، فعندما أغلق مسرح التلفزيون تفرق ممثلوه وأنشأوا مسارحهم الخاصة « والله أعلم كانت بتمول من فين » وأغرقوا الحياة المسرحية بالتفاهات وطمسوا معالم المسرح الجاد .

• منذ ثلاث سنوات اشترى التلفزيون مني ثلاث مسرحيات ، المغناطيس ، والناس اللى فوق ، وصنف الحريم ، ودفع لي أجراً مساوياً لأجر توفيق الحكيم وهو أعلى الأجور ، وحتى اليوم لم يتصرف في أي مسرحية منها ، وقد كتبت لهم عارضاً عليهم إعادة المبلغ لاسترجاع المسرحيات لأن هناك شركات تريد تقديمها ، لكني لم أتلق رداً ، بعد عامين سيسقط حق التلفزيون وسأستعيد مسرحياتي المجمدة ، وأنا أعتقد أن هذا التصرف سياسة مرسومة ومخططة لمحاربتنا .

• إذن فأزمة المسرح ليست أزمة كاتب أو ممثل أو مخرج ولكنها أزمة سياسية واجتماعية واقتصادية اقتضت تكميم المسرح الجاد وإنعاش المسرح التجاري لينحدر بالتالي ذوق الجمهور .

أزمـــــــة المسرح العربي

ومما ضاعف المحنة مرحلة الانفتاح في السبعينيات التي أوجدت طبقة طفيلية لا يعنيها الفكر أو الثقافة .

• وفي مرحلة الثمانينيات مازال المسرح التجاري هو السائد ، ولكن الفارق في هذه المرحلة أن المناخ السياسي يساعد على إعادة المسرح الجاد وإحيائه ، وأنا واحد من الذين يدعون لعودة مسرح الستينيات من جديد ، وأن نبتدئ من حيث انتهى ونضيف إليه ، ولكن المشكلة تبقى كيف نستعيد الجمهور الذي فقدناه بتأثير المسرح الهابط . لقد قدمت مشروعاً منذ عامين لحل هذه الأزمة ، ووافق عليه وزير الثقافة ، ولكن لم يتم تنفيذه حتى اليوم ، ويتلخص هذا المشروع في حصر كل المسرحيات الجادة ذات القيمة الفنية والتي قدمت منذ عام ١٩٣٥ حتى اليوم ، واستخراج الأجود منها ، وحسب تقديري الخاص فإننا نستطيع استخراج مائتي نص ، وهنا يبدأ دور التليفزيون في تقديم هذه المسرحيات واستغلال جموع الممثلين العاطلين في القطاع العام ،وبذلك يستطيع التليفزيون أن يغطي نفسه لمدة أربعة أعوام بتقديم خمسين مسرحية جادة كل عام ، وذلك سوف يساعد بصورة مؤكدة وحاسمة في الارتفاع بذوق الجمهور الذي انحدر بفعل الظروف التي ذكرتها طوال الأعوام السابقة ، وهذه مهمة صعبة ، أعترف بذلك ، ولكن علينا أن نحاول ، وأن نستمر في الكتابة ، لأنها طريقنا الوحيد لمقاومة هذا الوضع السائد والمتردي ، ولكننا جميعاً لا نستطيع النجاح إلا بواسطة أجهزة الدولة ، وبالذات التليفزيون ــ الذي مازال مصراً على تجاهل المسرحيات الجادة ــ لأنه الغول الذي يبتلع كل وسائل التعبير الأخرى .

• المشكلة الثانية التي نواجهها هي عدم قدرة نجوم المسرح المصري على الصمود أمام إغراءات التليفزيون والسينما ، وعدم قدرة مسرح القطاع العام على تقديم إغراءات لجذبهم لأن ذلك فوق طاقته ، لقد وجدت أنا شخصياً صعوبة في إقناع ممثلين لتقديم مسرحيتي الجديدة ، وعلى الرغم من أن كل واحد منهم تقاضى ٥٠٠٠ جنيه ، وهم لا يعدون من ممثلي الدرجة الأولى ، إلا أنهم كانوا غير راضين بهذا المبلغ ، إن الممثلين ــ في اعتقادي ــ أصبحوا مليونيرات هذا العصر .

• النقد تابع لاستمرارية وجودة الإنتاج ، فإذا كان هناك انتاج مسرحي جيد يكون هناك بالتالي نقد جيد ، ولكن هذا لا يمنع من أن للنقد دوره خارج نطاق وجودالعمل الفني ، لقد انقلب النقد المسرحي الآن إلى مجرد انطباعات خاطفة من كثرة عدد الصحفيين الذين منحوا حق الكتابة في الأعمدة ، سوف تجدين أن في كل جريدة خمسة أو ستة أعمدة يكتب فيها من ليس لهم علاقة بالنقد أو غيره ، أما النقاد الدارسون فهم قلة ، وأغلبهم أكاديميون . أما النقاد المشتغلون بالقضايا العامة مثل د . الراعي و د . لويس عوض ، فقد توقفوا عن ممارسة النقد لأنه ليس هناك ما يثير فعلاً حماسهم للكتابة ،أما النقاد الجدد فلا يهمهم رعاية الحركة المسرحية، بمعنى دراسة أحوال المسرح وأزماته وأسباب ، انهياره بقدر ما يهمهم تسجيل انطباعاتهم الخاطفة ، وهذه إحدى أزمات المسرح .

• أنا من أنصار وجود الرقابة في حدود معينة ، ولقد كنت مديراً للرقابة على المصنفات الفنية عام ١٩٥٤ وشاركت مع المجموعة الإدارية في وضع القانون الذي يطبق حتى اليوم والذي يرتكز على نقطتين أساسيتين هما منع العبث بالأخلاقيات العامة المتعارف عليها وحظر الهجوم على النظام السياسي هجوماً مباشراً ، والقضية ليست قضية إلغاء الرقابة بقدر الدعوة إلى تقويمها والمطالبة برقابة رشيدة ، واعية وقوية ، وقد أدى ضعف سلطة الرقابة إلى انتشار هذا الاسفاف الذي نعاني منه ، فهل من المعقول إذاً أن أطالب بالغائها أمام هذا الوضع المزري وسيطرة القطاع التجاري؟ أنا أفضل الابقاء عليها «كشبح» مهما كانت ضعيفة على أن أطالب بالغائها ، وقد أجريت مؤخراً بعض التعديلات على نظام الرقابة كلجنة التظلمات والهيئة العامة للرقابة .

• من الصعب الحكم على الجيل المسرحي الجديد لأن عنصر الاستمرار والثبات شرط أساسي لابداء الرأي ، ولكني أستطيع أن أحدد اسمين لأبرز كتاب المسرح الجدد وهما يسري الجندي وأبو العلا السلاموني ، وقد قدم كل منهما سبع مسرحيات وهذا نوع من الثبات والإخلاص للمسرح ، وبالنسبة للممثلين فهناك أحمد ماهر ومحمود مسعود ولكن من يضمن استمرارهما وعدم رضوخهما لاغراءات التليفزيون ، وأعتقد أن مسرح الطليعة مصدر هام لتزويد الحركة المسرحية بالممثلين والمخرجين المتازين ، وله جهوده التي لا تنكر للحفاظ على تقاليد المسرح الجاد وكذلك المسرح المتجول .

• من المسرحيات الجيدة التي قدمت مؤخراً مسرحية «منين أجيب ناس» لنجيب سرور وبطولة محسنة توفيق و «عرابي زعيم الفلاحين» للشرقاوي وبطولة أحمد ماهر ، و «الوزير العاشق» وإن كان نجاحها ، اعتمد على نجمين بارزين هما سميحة أيوب وعبدالله غيث .

• أغزر سنوات انتاجي كانت في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٥ ــ ١٩٦٦ ، فقد كنت أكتب مسرحية كل عام ، أما بعد ذلك التاريخ فكنت أكتب مسرحية كل عامين وربما كل ثلاث سنوات أو أربع .

• لقد تعودت أن تصاحب مسرحياتي حملات معادية أو مؤيدة ، فبعد وفاة عبدالناصر وانهيار مسرح الستينيات ، التزم بعض كتاب المسرح الصمت ، والبعض اضطر للهجرة كالفريد فرج ومن النقاد محمود أمين العالم ، ومن المخرجين سعد أردش وكرم مطاوع ، والبعض الآخر أصابته كوارث ، مات نجيب سرور وميخائيل رومان ومحمود دياب ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يعانون من مقاومة حادة لما يكتبون حتى أن البعض قال إنهم ماتوا قهراً ، وهكذا انفرط عقد المجموعة التي كانت تشكل أساس الحركة المسرحية ، وكنت أنا الوحيد تقريباً الذي ظللت أقاوم بالكتابة مستفيداً من وضعي الخاص ككاتب أديب لا يمكن إلغاؤه، ومكتسباً الشرعية بحكم مكانتي وبحكم تاريخي . ولأنه لا يمكن تجاهلي فقد بذلت محاولات عديدة لتحجيمي و «تطويحي» ومن ذلك ما حدث عام ٧٤ لمسرحيتي «باحلم يا مصر» والتي كان من المفروض أن يتم افتتاح المسرح القومي بها ، لكني فوجئت بأنه تم تحويلها لمسرح الجمهورية ، وبالرغم من ذلك فقد نجحت المسرحية وكانت الجماهير تخرج في شبه مظاهرة وهي تردد كلمات رفاعه الطهطاوي ، الأخيرة وهو يحتضر «لا مصر بدون الحرية» مما اضطر قسم الأزبكية إلى إرسال عساكر ليمنعوا الناس من الخروج في شبه مظاهرة ، ومع ذلك فقد رفض يوسف السباعي وكان وزيراً للثقافة مشاهدتها مع أنه حضر كل العروض الأخرى متعللاً بأنها مسرحية مليئة بالصخب والضجيج ، وهذا ما حدث أيضاً لمسرحية «برج المدابغ» والتي كان من المفروض أن يتم افتتاح المسرح القومي بها وتم تحويلها للمسرح الحديث وبذلت محاولات لتعطيلها منها مثلا منح أربعة ممثلين اجازات دون علمي وعلم المخرج سعد أردش ومحاولات أخرى كثيرة أيضاً مع مسرحيتي «لعبة الزمن» ، أما بالنسبة لمسرحيتي الجديدة «مولد وصاحبه غايب» فقد ظهر من يريد محاربتها من الانفتاحيين ومن يسير في ركابهم والمستفيدون منهم ، أما النقاد «المحترمين» فقد كانوا راضين عن النص ، وأستطيع أن أقول إن المسرحية لم تنجح جماهيرياً كما كنت أطمع كما أنها لم تفشل أيضا ، وأسباب عدم نجاحها أن المسرح كان مكشوفاً ، والمسرحية كانت تحتاج إلى مسرح مغلق لأنها أكثر جدية من الكوميديا العادية ، كما أن المسرح غير مطروق ، بالاضافة إلى ذلك فقد صادف عرض المسرحية أسوأ ظروف جوية لم تشهد القاهرة مثلها من قبل ، بالاضافة إلى ضعف الاعلانات .

سارة

في العدد القادم :

شهـــادات فنيـــة أخـــرى حـــول أزمـــة المســـرح يقـــدمهـــا يـــوسف ادريس ــ سعد الـــديـــن وهبـــة ــ علي ســـالـــم ــ يســـرى الجندى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

• العرب أمة المستقبل •• أحمد الله اليك

العرب أمة المستقبل



بقلم: عبد الرحمن عـــزام

يتلقى الساسة في المغرب ، وبعض أشباه الساسة في المشرق ، الدعوة إلى الوحدة العربية بقليل أو كثير من السخرية والاستهتار ، على قدر جهلهم بالحقيقة ، وانخداعهم بالمظاهر ، وقد كان أمثال هؤلاء الساسة في القرن الماضي يسخرون من الوحدة الطليانية والوحدة الجرمانية بمثل ما يسخرون منها اليوم .

ففي إيطاليا كان وجه الشبه مفقوداً بين « الصقلي » أسمر الأديم أسود العينين نحيف الجسم حاد المزاج وبين « البيومنتي » ناصع البياض أزرق العينين ، ضخم الهيكل ، شمالي المزاج ، كان وجه الشبه بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال مفقوداً ، وكان تباين اللهجة على نسبة البعد ، وكان الزعماء والقواد والكهنة قد جعلوا من ايطاليا جسما محطما متناكراً يستعصي على السابك والناصح ، فلا يجمعه صهر ولا يؤلفه لين . كانت ايطاليا على هذا الحال قبل تمام وحدتها بعشر أو عشرين سنة ، فكان ساسة أوروبا يسخرون من « مازيني » وأضرابه ، ممن دعوا إلى الوحدة الطليانية عن إيمان وإلهام ونفاذ بصيرة .

العرب أمة المستقبل

كذلك كان الشأن فى ألمانيا ، تلك البلاد التي كانت مسرحاً لحرب دينية أهلية دامت أجيالا ، وخلقت في جنوبها قلعة الكثلكة وفي شمالها عاصمة المنشقين على الكنيسة ، الخوارج على السلطة الربانية المثلة في مقام البابوية . كانت المانيا بين الكثلكة والبرتستانتية ، وما بين هاتين من شيع فريسة الفرقة الدينية ، ثم الفرقة السياسية فكان في كل ناحية تاج وعرش وفي كل تاج معضلة ، وكان في كل اقليم بيت وفى كل بيت مشكلة والأمة الالمانية بين التيجان والبيوت تحيا حياة الفتنة فلا ينتظم لها عقد .

كانت ألمانيا على هذا التخاذل ، وكان الداعون للوحدة الألمانية في نظر الساسة الأوروبين قوماً حالمين خياليين ، فلما تهيأت بروسيا لزعامة التيجان المتحدة وجاءت حرب ١٨٧٠ ظهر أن الحالمين الخياليين أبعد نظراً وأهدى سبيلا .

منذئذ لم تستطع أكبر قوى العالم أن ترد ألمانيا للفرقة وقد ذاقت الجاه والغنى والأمن ، فتألب عليها العالم . تألبت ٢٨ دولة في الحرب العامة فلم تستطع أن تحيي ما قضت عليه الوحدة من السخائم المحلية أو السخافات الطائفية . لم تستطع بريطانيا ، ووراءها خمس الدنيا ولا الولايات المتحدة ووراءها قارة ولا فرنسا ولها من القوة والملك مالها ، ولا روسيا تعبيء في زحف واحد ١٢ مليوناً من الجنود ، ولا العنصر الأصفر ممثلا ربع البشر . لم يستطع هؤلاء جميعاً أن يمزقوا ألمانيا بعد أربعين سنة من اتحاد شعوبها .

وقد كان هذا الاتحاد قبل وقوعه حلما وخيالا عند الساسة الأوروبيين .

هذان مثلان في التاريخ الحديث يجب أن يعيهما العرب . ويجب على دعاة الوحدة العربية أن يضعوهما نصب أعينهم وأن يتخذوا منهما القدوة والعبرة . وليس العرب في العالم أقل شأنا من الجرمان ولا بالطبيعة من الطليان ، ولا من جهة العدد ، ولا المميزات الأخرى .

فقد اختص العرب بنصف دائرة البحر المتوسط ، ويطلون على المحيط الهندي من ناحية والأطلسي من الناحية الأخرى . والعنصر العربى في أقاليم معظمها معتدل ، وأرض غنية بالنبات والحيوان والمعادن ، فيها ثلاثة أنهار من أعظم أنهار الدنيا ومنابع للغاز من أغناها ، ومناجم للمعادن على اختلاف أنواعها ، وهو عنصر أهل لاستثمار ثروات أرضه ، وكفؤ لاخراج حضارة مادية بجانب المعنوية التي امتاز بها من قبل .

والعنصر العربي فوق ثراء أرضه وكثرة عدده ، له على العموم عدة العزيمة والنشاط والجلد والمغامرة .

ووحداته المكونة له ، سواء في آسيا أم في افريقيا ، لا تزال فتية لم تمسها الشيخوخة ، فجميع شعوبه في عنفوان الصبا ، غير منهوكة بترف ولا مصابة في أبدانها أو عقولها بشيء من أمراض الأمم القديمة . فإن العنصر العربي مع أنه من العناصر القديمة التي مدت العالم بحضارات عظيمة ، قد انتفع بانتشاره وتجوله فهيأ له ذاك الامتزاج بشعوب سوداء وأخرى تغلب عليها ودمجها في ذاته ثم هضمها واستوى إلى أصله ، فأمدته بفتوة وحيوية لا يتمتع بها شعب من الشعوب القديمة . ولا شك أن الوحدة العربية تحت الظروف الحديثة ستبرز العنصر العربى متهيئا بقوى جديدة ومميزات مضافة إلى تلك التى كانت له في ظهوره الأول على الرومان والفرس وأمم المشرق والمغرب منذ ثلاثة عشر قرنا .

وسيجد دعاة الوحدة كلما ساروا بدعوتهم إلى الأمام ، وكلما تغلبوا على الأقطار العربية المرتابة ، أو المترددة ، أن أمرهم ظاهر ، وأنهم على بينة منه ، سيجدون أنهم يستندون في دعوتهم على حقائق ثابتة ، وأنهم يحسبون حسابهم على قواعد رياضية لن تخطيء . سيجدون أولا سيادة اللغة العربية كاملة في العرب والأمم المستعربة كسيادة اللغة الالمانية أو الايطالية أو الانجليزية ، وسيجدون اللهجات مهما اختلفت لا تختلف إلا في استعمال المترادفات العربية ، وأن الجميع تربطهم لغة القرآن ، لغة الكتابة والأدب .

ثم سيجدون عرفا شاملا وأدباً متحداً ومزاجاً منسجماً واحداً يرجع إلى دين العرب ، أو أدب العرب ، أو عادات العرب ، فانتشار العنصر العربي من هذه الناحية لم يباعد بين أجزائه ، ولم تتلون هذه الأجزاء بصيغات الأمم التي حلت محلها ، بل صبغت الجميع بصبغتها وبقي الطابع العربي على اللسان والسيماء والمزاج ، وانك لتسير في البلاد العربية من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي فلا تستطيع أن تقول هنا يبتدىء قوم ، ومن هنا يختلف الناس . نعم لو أنك قابلت بين أطراف العنصر العربي على حدود فارس وحدود فاس لوجدت رجلين على تباين ، ولكن ما بين هذين الرجلين من التباين يتلاشى شرقاً وغرباً ، وانما العبرة بالمزاج الوسط الذي هو الأمة العربية . وهذا الفارق بين الأطراف موجودة في كل عنصر وكل أمة ، وقد أشرنا إلى وجوده في ايطاليا ، وهو كذلك في روسيا من الشرق إلى الغرب ، من الشمال إلى الجنوب ، من البريتون إلى أهل البرينيه . وظاهر كذلك في انتشار العنصر البريطاني .

فالوحدة العربية حقيقة واقعة ، وحقيقة تاريخية ، ودعاتها أبعد الناس عن الخيال وأمسهم بالعلم .

وتمزيق الأمة العربية إلى شعوب ليس دليلا على انحلالها ولا على فقدان حيويتها ، وإنما هو أثر من آثار الجهل ، ومظهر من مظاهر الغلبة الافرنجية في الشرق ، ولكنه لا يحول بين ظهور الأمة العربية بالمكانة التي يستحقها ظهور عنصر ممتاز بالذكاء والشجاعة والنشاط والجلد والصبر ، وممتاز فوق ذلك بالذوق السليم .

ذلك فضلا عن ثراء أرضه ، واعتدال اقليمه ، فلا يحول بين هذه الأمة وبين رسالتها في العالم إلا الجهل ، وقوة المستعمرين ، فعلى أبناء العربية أن يقاوموا الجهل وأن يستبسلوا في مقاومة المستعمرين ، وهم ان فعلوا لا يخدمون أمتهم فحسب ، بل ينقذون العالم بانقاذ الغرب ، ذلك العالم الذي شاخت حضاراته ، وتكاد تفلس مدنيته ، ذلك العالم الذى بسطت المادية عليه جناحها منذ أن غربت الحضارة العربية ، ثم ها هي حرب الطبقات تقرب قيامته ، وليس في العالم عنصر يدين بالمساواة ويعلو على المادة كالعنصر العربى ، فإذا ساد ، سادت معه المساواة التامة وهبطت الحياة المادية لتصعد الحياة النفسية وإذا وهب العرب المساواة والحياة للعالم فقد أنقذوه مما هو فيه وخلقوه خلقاً جديداً .

فحاجة العرب إلى الوحدة لا شك فيها ، وحاجة العالم إلى العرب لا ريب فيها ، وإذا وجدت الحاجة فترقب ظاهرة — ترقب أمة المستقبل ، أمة العرب .

عبد الرحمن عزام

١٩٣٢

*** تمزيق الأمة العربية إلى شعوب ليس دليلا على انحلالها ، ولا على فقدان حيويتها**

معركة طريفة مع طه حسين

أحمد الله إليك

بقلم: الدكتور زكي مبارك

في شهر يولية سنة ١٩٢٨ تلقيت وأنا في باريس خطاباً من الأستاذ الدكتور طه حسين بك جاءت فيه عبارة: «أحمد الله إليك»، فالتفت ذهني إلى هذه العبارة، لأنها لم تكن من العبارات المألوفة إلي، وقلت لنفسي: من أين وصل هذا التعبير إلى الدكتور طه حسين وهو في هذه الأيام يعيش في جيرار بير؟

وصح عندي بعد التأمل أن الدكتور طه قد يكون مشغولاً بمراجعات متصلة بالسيرة النبوية، لأن عبارة «أحمد الله إليك» تكثر في الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء.

وبعد أعوام أخرج الدكتور طه كتابه «على هامش السيرة» وتفضل فأهداني نسخة ممهورة بعبارة كريمة من عبارات الإهداء، وكنت حينئذ أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ، فرأيت أن أتحدث عنه إلى قرائي بعناية تحملهم على اقتناء ذلك الكتاب تحقيقاً للتضامن بين المؤلفين.

فماذا قلت؟ قلت: إن الدكتور طه يجيد أعظم الإجادة حين يتروى في التأليف، وكتابه الجديد أثر من آثاره الجيدة في ترويه، فهو مشغول بموضوعه منذ سنة ١٩٢٨، وإن لم يقل ذلك، فقد كتب إلي خطاباً في شهر يولية من تلك السنة يقول فيه: «أحمد الله إليك»، وقد فهمت من هذه العبارة أنه كان مشغولاً بدراسات متصلة بالسيرة النبوية، وكذلك عرفت أن الظن قد يبلغ درجة اليقين، وقد يقوم مقام المعاينة عند صدق الاحساس.

فكيف استقبل الدكتور طه هذا التقريظ الطريف؟

مضى يقول: هذا اختراع جديد من اختراعات زكي مبارك في الأسمار والأحاديث، فليس من المعقول أن أكتب إليه خطاباً أقول فيه «أحمد الله إليك»، وهي ليست من عبارات هذا الجيل!

ولقيني بعد ذلك، فجدد استغرابه من العبارة التي نسبتها إليه، فقلت: إنها حق، فقال: إنها من المستحيلات!

ومضيت أبحث عن ذلك الخطاب، فلم أهتد إليه، لأن الدنيا كانت أسرفت في اللجاجة واللدد، فنقلتني من أحوال إلى أحوال وبعثرت ما كنت أحرص عليه من رسائل الأهل والأصدقاء، وعدت على مكتبتي بالقلب والإعلال، فلم يبق أمل في الوصول إلى نص الخطاب المنشود.

ثم أخذت أتحدث في مقالاتي ومؤلفاتي عن أشياء وقعت بيني وبين الدكتور طه حسين، فكان إذا سئل عن بعض تلك الأشياء أجاب بأنها اختراع من نوع «أحمد الله إليك»!!

ومنذ أيام مضيت لمقابلة سعادة الأستاذ الجليل الدكتور السنهوري بك وفي يدي نسخة مهداة إليه من كتاب «الأسمار والأحاديث» فوجدت الدكتور طه بك هناك، وسألني السنهوري بك عن بعض أغراض الكتاب، فقلت: فيه أقوال فاه بها الدكتور طه ولم ينشرها، فنشرتها بالنيابة عنه على نحو ما كان يصنع أفلاطون مع سقراط!

واللطف الملحوظ في هذه العبارة لم يمنع الدكتور طه من أن يقول: لابد أن تكون اختراعات على طراز «أحمد الله اليك».

وسألني السنهوري بك عن القصة فأجملتها في كلمات قصار فراراً من الدخول في جدل جديد مع الدكتور طه حسين، فقال وهو يبتسم: يجب أن يكون الخطاب صحيحاً ما دمت تحدثت عنه في البلاغ!

فقلت: وإن وجدت أصل الخطاب؟

فقال الدكتور طه: إن وجدته فسيكون بخطك؟

فقلت: وإن كان بخط «توفيق»؟

فقال: هذا مستحيل!

فقلت: وهل عندك مانع من أن تحمد الله إلي؟

فقال: أنا أحمد الله في كل وقت، ولكني لا أذكر أني حمدته إليك!

ثم انصرفت وقد اطمأن من حضروا هذا الحوار إلى أني أتزيد على الناس حين أشاء.

أين ذلك الخطاب؟ وأين أنا من سنة ١٩٢٨ وقد شرقت وغربت، وانتقلت من دار إلى دار، وبعثرت أوراقي مئات المرات؟

أما تسمح المقادير بأن أصل إلى ذلك الخطاب ليعرف الدكتور طه حسن أني لم أتزيد عليه؟

إلي يا أوراقي، إلي، إلي، فقد طال عهدك بالحجاب، واشتقت إليك أشد الاشتياق!

ورجعت إلى تلك الأوراق، الأوراق التي سبقت هجرتي إلى بغداد، رجعت إليها في حذر وخوف، لأنها تذكرني بعهود يطول عليها بكائي إن فكرت في أيامها الطيبات.

فماذا رأيت؟

رأيت ألوفاً من أطياف الشباب الذي أبليته في الدرس بلا ترفق ولا استبقاء.

ورأيت قصائد منسية كنت نظمتها أيام كنت أومن بأن الدنيا أهل لأن يعيش فيها الرجل وهو مرهف الحس خفاق الفؤاد.

ورأيت رسائل مهجورة أملتها قلوب خوافق لا أعرف مصيرها اليوم، ولا أدري مكانها بين الحياة أو الموت.

ورأيت مواعيد وفيت منها بما وفيت، وأخلفت منها ما أخلفت، يوم كانت الدنيا تسمح بأن أتخير من المواعيد ما أشاء. ومن أخصب تخير. فيا زمن الخصب أين أنت؟ وكيف ألقاك؟

ورأيت صوراً غالية كادت تبليها الأنفاس والمدامع، لطول ما عانت من لوعتي وأساي، قبل أن يروضني الدهر على اصطناع الصبر الجميل:

وإن أك عن ليلى سلوت فإنما
تسليت عن يأس ولم أسل عن صبر

ورأيت خطابات لا تستحق الحفظ، لأن أصحابها ضيعوا العهد، وأخلفوا الميعاد.

أحمد الله إليك

وقد مزقت تلك الخطابات شر ممزق ، ثم رجعت فجمعت أوصالها بترفق وتلطف ، لأني تخيلتها جثثاً هوامد لأرواح قتلها الغدر والجحود ، ولا يباح التمثيل بجثث الأموات .

ورأيت رسائل من هند ، فعرفت أن بلائي بها قديم العهد ، وكنت أحسب هواها ابن أمس !

ورأيت ما دلني على أن فلاناً كان ينزعج حين تخلو حياته من وجهي يوماً أو بعض يوم ، وقد صار إلى ما صار إليه ، فلا ألقاه إلا بعد استئذان .

فيا فلان ، كيف حالك ، فلست أنت الذي أراه حين أستأذن في الدخول عليك ، وانما هو خيالك ، خيال الصديق العزيز الذي كنت أعهد ، وما هو خيالك ؟إنما هو الهيكل الذي احتل روحك اللطيف بغير حق ، فأين أنت يا صديقي لأقدم إليك تحية الوجد والشوق ؟ أين أنت ، فما تخيلت فجيعتي فيك إلا طار صوابي ؟!

ورأيت عناوين محفوظة لأحباب أوفياء ، فأين أولئك الأحباب لأكتب لأحدهم خطاباً أقول فيه : « أحمد الله إليك » ؟

ومن يضمن بقاء تلك العناوين ، وخرائط البلاد تغير من يوم إلى يوم ؟ وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بأن نأخذ المواعيد في القطارات لعام أو عامين ثم نفي بتلك المواعيد كما كنا نصنع ؟

هـــي دنيـــا قـــد تـــولت
فعلى الــــدنيـــا الســـلام

إلي يا أوراقي ، إلي ، فقد بقيت مآرب يعز علي أن تضيع وما هذه الأشياء ؟ ما هذه الأشياء ؟ وبأي حق حفظتها في أصونة الأوراق ؟

هذه كسرات من آنية مصدوعة ، فما تاريخ تلك الآنية ؟

أسندت رأسي بيدي وفكرت عساني أذكر ذلك التاريخ .

ثم تذكرت بعد لأي أني كنت ذهبت إلى الهافر لأشهد الاحتفال بعيد « العنصرة » هنالك في سنة ١٩٢٧ ونفدت نقودي فرجعت إلى باريس بدون أن أشتري شيئاً من طرائف ذلك الثغر الجميل .

وسألتني ربة البيت الذي كنت أقيم فيه عن رحلتي إلى الهافر فذكرت أني متوجع لأن النقود خانتني فلم أشتر شيئاً من طرائف تلك المدينة ، فنظرت إلى ابنتها بطرف غضيض وهي تقول : سأعوض عليك ما ضاع منك ، ثم أتحفتني بزهرية جميلة كانت اشترتها من هناك .

وانصدعت الزهرية بعد أحايين فجمعت كسراتها وضممتها إلى ما أحفظ من رسائل ذلك العهد ، فهي اليوم روح من أرواح تلك الذكريات .

فما أخبار صاحبة الزهرية ؟ وكيف حال طرفها الغضيض ؟

أفي الحق أن باريس عانت مخاوف الحرب وإطفاء الأنوار بالليل ، ثم انتهت بها الخطوب إلى الاشتمال بأثواب الحداد ؟

متى نلتقي وفي جيبي كسرات تلك الزهرية التي عاشت بين أوراقي وهي مصونة في مدة زادت على أربعة عشر عاماً ؟

متى نلتقي لتحدثني وأحدثها عما صنع الزمان بأحلامها وأحلامي ؟ وهل أعرفها حين أراها أو تعرفني حين تراني بلا بشير بالتلاقي ؟

عندي صورتها وعندها صورتي ، ولكن أين نحن مما كنا عليه سنة ١٩٢٧ وقد تبدلنا بأحوال ؟ ومن ذا الذي لا يتغير ، يا ربة الطرف الغضيض ؟!

أنا بخير وعافية ، وإن صنع الدهر ما صنع ، فكيف أنت ؟ومتى تعود ليالينا بمطالع الأقمار في باريس ؟ومتى تعود سيرتنا الأولى ، سيرة الأطفال الذين يرضون ويغضبون في اللحظة الواحدة عشر مرات ؟

حدثيني متى أرد إليك أصداع الزهرية ومعها أصداع قلبي ، القلب الذي أخذ عنك درس الثقة بالقلوب ، فلم يعرف بعدك غير الأسف على حسن الثقة بالقلوب ؟!

كنت نسيت أني أخذت الدرس عن طفلة ، وكذلك يندم من أخذ الدروس عن الأطفال !

ولكن أين خطاب الدكتور طه حسين ؟ وأين عبارة « أحمد الله اليك » ؟

إن أسفاري في البحث عن هذا الخطاب ستطول ، وقد لا أصل إليه أبداً ، وما قيمة التعلق بتاريخ قديم تنكر له عارفوه ؟ وما الفائدة في رجع هذا الدكتور إلى حساب تمت تصفيته منذ أعوام طوال ؟ وهل أقدر على بعث الأموات من الذكريات ؟ تلك معجزة صحت لبعض الأنبياء ولن تعود ، فليقل الدكتور طه إني افتريت عليه وليسرف في اتهامي كيف شاء ، فحسبي من الطمأنينة أن أعرف أني كنت من الصادقين .

ولكن ما هذه الخريطة ؟ ولأي سبب حفظتها في أوراقي ؟

هي خريطة لمقبرة بيرلا شيز في باريس .

فكيف عرفت تلك المقبرة وكيف احتفظت بالخريطة فنقلتها من باريس إلى مصر الجديدة بلطف ورفق لأرجع إلى درس معالمها حين أريد ؟

كنت في درس المسيو « تونلا » أستاذ الأدب الألماني بالسوربون ، وكانت دروس هذا الرجل تستهويني كل الاستهواء ، فقد كانت تنقلني إلى آفاق من الفكر لا أصل إلى مثلها في صحبة رجل سواه ، وفي دروس هذا الرجل عرفت سيدة ألمانية لم تكن مع زوجها على وفاق ، وكانت فيما حدثتني من شواعر برلين ، وكانت ملامحها وشمائلها تشهد بأنها على صلة وثيقة بشياطين الشعر الجميل . ويظهر أن الزوجية قيد لا يستريح إليه بعض هذا النوع من الجنس اللطيف .

ولم يكن للشاعرة بد من رجل تشكو إليه جهالة زوجها الغبي البليد ، فهدتها الفراسة إلى أن أذني أصلح الآذان للترحيب باغتياب الأغبياء والبلداء ، وكذلك أخذت تصب في أذني شكايات هي أعذب وأخطر من صهباء الرضاب .

كنت أعرف أن الغيبة من الكبائر ، وأن السامع شريك القائل في الإثم ، ولكني نسيت الأدب مع الشرع ، لأن تلك الكبيرة كانت تساق إلى أذني في لغة فرنسية ملحونة ، وأنا أعبد اللحن في اللغة الفرنسية إذا صدر عن الألمانيات الملاح ، وهل في الدنيا لغة أحلى وأعذب من لغة باريس حين تمضغها ظبية من برلين ؟

واتفق في تلك الأيام أني كنت مشغول الفكر والقلب بدرس طوائف من الشعراء العشاق منهم الفريد دي ميسيه ، وقد كتب في تاريخ هواه عشرات من المؤلفات الجياد ، فحدثتني النفس بأن أحج إلى قبر ميسيه مع تلك الألمانية الحسناء ، لأذوق حلاوة النجوى في رحاب ذلك « الشهيد » .

وكذلك مضينا إلى مقبرة بير لا شيز في صباح يوم مطير لا يدفع غيومه الثقال غير ما في قلوبنا من صفاء .

وأسرع البواب فقدم إلينا خريطة المقبرة بثلاثة فرنكات ، ولم يكن بد من الاهتداء بالخريطة ، لأن تلك المقبرة فيها ألوف من المقابر ، ولن نصل إلى قبر ميسيه بغير دليل .

وماذا تقول الخريطة ؟

إنها لا تعين غير أسماء العلماء والشعراء والكتاب والمجاهدين ، وهي أسماء معدودات ، فأين أسماء المجهولين والمنسيين بتلك المقبرة الفيحاء ؟

أولئك أقوام دفنوا همومهم في صدورهم فلم يتحدث عنهم شاعر ولا كاتب ولا خطيب .

أولئك أقوام كانوا أحجاراً في بناء الوطنية الفرنسية ، ولو كانوا من أصغر الطبقات ، فكيف نسيهم الناس فلم يحفظ لهم في الخريطة مكان ؟

تلك حظوظ من يعملون وهم صامتون ، وقد يكون فيهم من أدى لوطنه خدمة منسية ، وقد يكون فيهم من حفظ العهد لأخوانه الناسين ، وقد يكون فيهم من شرب من رحيق الوجود أكثر مما شرب كبار الشعراء .

وما هي إلا لحظات حتى التفتت رفيقتي فرأت عيني مغرورقتين بالدمع ، ورأتني لا أطيق الجواب من فرط الحزن والذهول .

وصوبت الرفيقة بصرها إلى ما صوبت إليه بصري فرأتني أحدق في لوحة رقمت فوقها هذه العبارة الصارخة :

فرنسا ! تذكري !

وهي عبارة مسطورة فوق قبر رجل استشهد في الدفاع عن الألزاس أيام حرب السبعين .

فقالت : وماذا يهمك من هذه العبارة ؟

فأجبت : أشتهي أن أوجه مثل هذه العبارة إلى وطني .

وكنت في صبيحة ذلك اليوم تلقيت من مصر خطاباً يشهد بأن وطني لا يحفظ الجميل . فما هو ذلك الخطاب ؟

هو خطاب له تاريخ يضيق عنه هذا الحديث .

وفي طريقنا إلى قبر ميسيه مررنا بقبر حوله أحواض من الأزهار ، فأخذت رفيقتي تجمع الزهر الذي تساقط على الأرض .ونظرت فرأيت أحد الحراس يراقبها من بعد ، ثم انقض كالصاعقة يسألها عما جنت يداها ، فأجابت . هذه أزهار ذوابل أسقطتها العواصف . فانصرف الحارس وهو مجلل بالخجل والكسوف !

ثم وصلنا بعد لأي إلى ميسيه وبجانبه تمثال الشاعر وهو كهل لا تنطق معارف وجهه بأنه كان حلم الغانيات في باريس أما شجرة الصفصاف التي أوصى الشاعر بأن تغرس بجانب قبره فقد رأيتها في صفرة الموت .

ثم قضينا بقية اليوم في تدوين ما كتب فوق القبور لأقارنه حين تسنح الفرص بما يكتب فوق المقابر المصرية ، وهو مقال لم أكتبه بعد ، وقد كان في بالي حين زرت مقابر الكرخ ومقابر بغداد .

والكاتب قد يجيل فكره في الموضوع الواحد عدداً من السنين .

• • •

أين خطاب الدكتور طه ؟ أين ؟ أين ؟

ولكن ما الموجب للحرص على خطاب صديق لم تصح لي صداقته غير عشرة أعوام كانت أقصر من عشر دقائق ؟

وماذا يهمني من أن يعرف أني لم أتحدث عنه بغير الصدق ولم تبق لذكراه في قلبي غير أطلال ؟

هذا الصديق يهمني جداً ، لأنني خلقت منه عدواً عظيماً ، وأنا أتخير أعدائي كما أتخير أصدقائي .ولكن أين الخطاب ؟

هذه أوراق وأوراق وأوراق . هذه مئات من الرسائل التي تشهد بأني كنت على صلات مع أرواح جاذبتها زمناً أطراف المحبة والعتاب .

رباه ! متى تعود أيامي ؟ متى تعود ؟!

ثم تشاء الأقدار أن أجد الخطاب المنشود ، وبخط « توفيق » (١) الذي صار من أيام دكتوراً في الحقوق من الجامعة المصرية .

تشاء الأقدار أن أجد الخطاب الذي يقول :

« أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضا بالاقامة في باريس ، وأتمنى لك المزيد من هذا الرضا ، كما أتمنى أن تنتفع بأيامك في فرنسا إلى أبعد حد ممكن ، وتقبل من السيدة ومني تحية خالصاً وشكراً جميلاً » وتاريخ الخطاب ٢٦ يولية سنة ١٩٢٨

وقد ابتسمت حين وجدت « تحية خالصاً » فهي غلط من « توفيق » (٢) لا من الدكتور ، إلا أن يكون لها وجه ضعيف !

ثم ماذا ؟

ثم تشاء الأقدار أن أجد خطاباً للدكتور طه كتبه إلي من الإسكندرية ، وفيه يقول :

« صديقي العزيز الدكتور زكي مبارك .

أنا مدين لك بشكر كثير : فقد قرأت كتابيك وتسلمت السفرين اللذين تفضلت بإرسالهما إلي . ولست أدري كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون ، وأنا مقتنع فيما بيني وبين نفسي بأنها لا تستحق هذه العناية . ومع ذلك فسأشتري « المقطم » منذ اليوم لأقرأ ما تكتب لأنك أنت الذي سيكتبه لا لأني أنا موضوعه . وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تكتبه عن الحرية الصادقة القاسية ، لا عن الإخاء والمودة اللذين يدفعان في كثير من الأحيان إلى شيء من الرفق لا يخلو من إثم .وأنا أعيذ أصدقائي من أن يتورطوا من أجلي في إثم الاسراف في البر ، كما أكره أن يتورطوا في إثم العقوق . وقد كنت أحب أن يقف كتابي عند هذا الحد ، ولكن الله يأبى إلا أن يضاعف ديني لك حتى يتجاوز قدرتي على الأداء ، فأنا أريد أن تتكلف السعي إلى إدارة السياسة حيث تلقى صديقنا المرصفي وتطلب منه أصول الجزء الثاني من حديث الأربعاء فقد كلفته أن يجمعها لك ، وأشكرك إن دفعتها إلى مصطفى أفندي محمد ليبدأ في طبعها . وأنا أرجو أن تكون بخير مطمئن النفس ، وأن تكتب إلي في شيء من الإطالة والحرية ، فإن كتبك وأحاديثك تقع من نفسي دائماً موقعاً حسناً.

وليس لدي الآن ما يشغلني عن قراءة كتبك ، فأنا أقضي من بقى من أيام الراحة في قراءة متفرقة لا نظام ولا نفع فيها ، وأرجو أن أراك بخير حين أعود إلى القاهرة في الاسبوع الأول من الشهر المقبل ، إن شاء الله ، وتقبل تحيتي الخالصة » .

طه حسين

وتاريخ هذا الخطاب (٣ أغسطس سنة ١٩٢٥)

وفيه غلطة نحوية وقعت من « توفيق » (٣) لأنه أساء النقل عن الدكتور ، كما كان يتفق له في بعض الأحيان .

فإن قيل : وكيف أمكن بعد ذلك الوداد الوثيق أن تفسد العلائق بيني وبين الدكتور طه حسين ، فإني أجيب بأن لله حكمة فيما وقع بيني وبين هذا الصديق .

لم يكن لي بد من خصومة أتخذ منها فرصة لتوجيه الجمهور إلى الحقائق الأدبية ، وكذلك خاصمت عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حسين .

وأنا اليوم في حياد ، أو غير محارب ، وهما حالتان متقاربتان ، فمتى أخلق خصومات جديدة أذكي بها نار الأدب من جديد ؟

أنا حاضر للخصومة ، على شرط أن أجد خصماً في مثل مواهب الدكتور طه حسين ، فما أرضى بمنازلة الشادين في الأدب من الذين لم يأخذوا زادهم إلا من قراءة الهوامش بالجرائد والمجلات .

• • •

يا دكتور طه

إن كنت أنكرت أن تحمد الله إلي فخطابك تحت يدي أقدمه إليك حين تشاء ، فإن لم تحمد الله إلي فأنا أحمده إليك.

وإن أذن الله بانقشاع ظلمات الحرب فستراني حيث تحب أو حيث تكره بأبحاث طوال عراض تعود على الأدب بأجزل النفع ، وتملأ مسامع الزمان .

والله يحفظك للخصم الذي يتمنى لك دوام العافية والتوفيق .

زكي مبارك

١٩٤٠

هامش

١، ٢، ٣ : المقصود هو الدكتور توفيق شحاتة سكرتير الدكتور طه حسين



أنشودة الوزير العاشق

عبدالله غيث ، الوزير العاشق

صفحة من الملحمة الأندلسية الكبيرة

بقلم : الدكتور صلاح فضل

يقول : « بريخت » إن الطابع التاريخي للمسرح يؤدي إلى تأمل نظام اجتماعي محدد من وجهة نظر نظام آخر . وإن تطور المجتمع هو الذي يصنع وجهات النظر . وتتجلى تاريخية المسرح في الكف عن تقديم الإنسان كفرد عادي لا معنى له ، ومحاولة الكشف عن البنية الاجتماعية التاريخية العميقة التي تتراءى دائماً خلف مظاهر الصراع الفردي .

وإذا كان هذا القدر من التاريخية ضرورياً وحتمياً في جميع أشكال المسرح لدى الواقعيين فإنه يمثل الحد الأدنى الذي لا يمكن تجاهله في المسرح التاريخي عند جميع الاتجاهات النقدية إذ لا محيد له في بعثه لبعض ملامح العصور السابقة أن يتمثل القوى التاريخية الفاعلة في تشكيلها ، ويرصد طرفاً من حركتها . ولا مفر للبطل التاريخي أن لا يكون مجرد تجسيد لشخصية فردية محصورة في ذاتها ، بل بؤرة مشعة تتركز فيها عناصر رؤية متماسكة ومنطقية ، تشف عن الوعي بالأحداث ، والقدرة على إدراك دلالتها . وما زال المسرح الشعري في أدبنا العربي بحاجة إلى استقطاب جهود المبدعين والنقاد ، مما يجعل مسرحية « الوزير العاشق » للشاعر فاروق جويدة تكتسب بريقاً متألقاً في هذا الموسم ، تسهم فيه حملة إعلامية متقنة ، ونخبة تمثيلية من أقدر نجوم المسرح المصري العريق ، تعرضها في عدة عواصم عربية ، من القاهرة إلى الجزائر وتونس وعمان ، وإن كان على القراءة النقدية أن تتخفف من تأثير هذه العوامل الخارجية ، لتواجه النص فحسب ، بتنسك علمي موحش ومؤنس معاً .

سجناء الهوى

وتقدم المسرحية شخصية الشاعر الأندلسي المتفرد أبي الوليد ابن زيدون ، وهو يلهو بلعبتي العشق والوزارة ، فيطارح ولادة بنت المستكفي المرأة المتحررة غراماً لاعجاً ، ويساومها على خطة لاسترجاع عرش أبيها وتوحيد الإمارات الأندلسية تحت تاجها ، فتأبى خوض غمار الفتنة ، وتعرض عليه أن يقنع بالحب والشعر ويكفكف من طموحه الجموح ، فيرد عليها :

إني أحب الشعر حبي للحياة ..
والشعر سيف ليس في يده قرار ..
وأنا أريد الملك
إني أريد السيف والسلطان ..
فالحلم أكبر من حكايا الشعر ..
أكبر من أقاويل اللسان .
..
السيف للسلطان
والقلب للفنان

لكن تدبيره لا يلبث أن يفتضح ، إذ يتولى غريمه في السياسة والهوى ، الوزير « ربيع » إبلاغ الملك وتأليبه عليه ، فيلقى به في قاع السجن ، وتحاول ولادة أن تستنقذه استعطافاً عزيزاً فتبوء بالخيبة ، ويمعن ربيع في كيده ، فيسعى إلى ولادة يراودها كي يشغل المكان الشاغر في بيتها ، فإذا تأبت عليه لوح لها بالسجن حتى تلين ، وتستعصي على التهديد فيجرب معها سلاحاً آخر كي يرغمها على القبول ، فيخيرها بين حياة ابن زيدون أو الرضوخ لما يبتغيه ، فتؤثر الإبقاء على الشاعر وتخضع لحماية ونزق غريمه بعد أن تدرك أنه قد حاصرها وجند حراسها . ويعلم ابن زيدون بخيانتها فيشتد عليه عذاب السجن وألم الحرمان ومواجده . ويذهب إليه خادمه زياد الذي كانت تربطه بزهراء وصيفة ولادة قصة حب موازية فيعرف منه أنهما قد اقترنا ، وأنجبا طفلين أطلقا عليهما اسمي سادتهما « وليد » و « ولادة » ، وعندما ينصرف زياد ويخلو الشاعر إلى نفسه يفيض بشعر رائق عذب ، يحسن فيه فاروق جويدة استلهام ابن زيدون وترجيع أصدائه ، ويطعمه بفقرات من الجمل الشعرية العاجية المأثورة فيقول :

مــن يــرحــم القلب مــن شوق يـكـابـده
الله يعلم أن الشـــــوق أضنـــــانـــــي
« مـا كنت أحسبنـي أحيـا إلى زمـن »
أنسـاك فـيـه .. ولا بـالـبعد تنسـانـي
آه مـــن الـــدهـــر لا يـبقـي على أمل
إنـي كفرت بحب كـان إيمـانـي
« يـا روضة طـالما » أسكنـتـهـا قلبـي
بـالله كـيـف تـوارت فيك ألحـانـي

ويتولى المؤرخ الراوية في المسرحية « أبو حيان » سرد الأحداث كما قدم لها ، فيزور ابن زيدون في سجنه ، ونعرف من حوارهما الكوارث التي تحيق بإمارة قرطبة ، وبقية بقاع الأندلس ، فربيع الذي يقود الجيش ليس سوى عميل لأخواله من الفرنجة ،فنستشعر فداحة المصير ونشم رائحة المأساة القادمة وتذهب ولادة أكثر من مرة لزيارة السجين ، فإذا بثها شكواه وأحزانه باحت له بسر ما تعرضت له من خوف وهوان . وعندئذ يتعالى الضجيج خلف المسرح ، فليس العمر هو الذي ضاع فحسب ، وإنما الأرض أيضاً . وسارق الحب هو سارق الأرض وتصل الحرب إلى شوارع المدينة ، ولا أحد ينقذ الوطن الممزق الذي باعه السماسرة وخانه الحكام . ويدخل جيش الفرنجة قرطبة ، وبسقوطها تسقط الأندلس في المسرحية ويتعالى صوت أبي حيان الذي يمثل الجوقة والمؤرخ والضمير الحي للجماعة مستغيثاً برسول الله ومناشداً له كي لا تغيب كلمته بينما تقرع أجراس الكنائس ويتلاشى صوت المؤذن بالتدريج بينما يهبط الستار .

وتتوزع هذه الأحداث على قسمين ، أو فصلين ، يتضمن الأول ثمانية مشاهد والثاني سبعة ، في توازن دقيق ، وتنقل رشيق بين قصور ابن زيدون وولادة والملك وبيت زياد المتواضع ، ثم قاعات السجن وردهاته حيث تنمو الوقائع وتتوالى في انسياب عفوي وإيقاع مسرحي مضبوط . فمؤلفها الشاعر يمتلك إذن قدرة على البناء ، وخلق الشخصيات وتنسيق الأدوار ، وقيادة الأوركسترا الدرامية حتى تصل إلى نهاية اللحن المسرحي الهادر . ومن ثم يتعين علينا أن نأخذ عمله بجدية بالغة ، بقدر ما نعلق عليه من أهمية في المسرح الشعري في أدبنا العربي المعاصر .

المجتمع الآخر

بيد أن أول ما نفتقده في هذه المسرحية هو يقظة الحس التاريخي وعمق الوعي بمتطلبات الموقعة



سميحة أيوب

فاروق جويدة

أنشودة الوزير العاشق

الزمانية للأحداث ، أسطورة الحب المدوي بينه وبين هذه المرأة اللعوب التي كانت تتوشح ، فيما تروي كتب الأدب ، بغلالة رقيقة قد طرز عليها :

أنا والله أصلح للمعالي
وألبس حلتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من صحن خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

وقد كانت لديه فرصة ذهبية لاستثمار هذه الطبيعة الفتانة لولادة ليجعل تحولها عن ابن زيدون ، بعد أن تبينت أنه لا يعشقها هي وإنما يعشق الملك ، ولم يكن ذلك ناجماً عن رعبها الذليل من مكيدة ربيع وتمسكها الساذج بحياة ابن زيدون على حساب عرضها ، مما لا ترضى به جارية وضيعة ، ناهيك بإمرأة نبيلة ، وإنما استطابة للذة الجديد في الغرام ، واستمراء لنزق الشعر والتحرر والهوى المتنقل كما ترسم لنا كتب التراث شخصيتها الجسورة المعقدة . على أن فقدان الحس التاريخي يتمثل جلياً بالاضافة إلى ذلك في ظاهرتين بارزتين إحداهما : إطلاق مجموعة من التسميات الحديثة على الوظائف والمواقف التي كان ينبغي توثيق مصطلحاتها القديمة ، فلم يكن هناك من يسمي بوزير الأمن وإنما صاحب الشرطة ولا يطلق على المكوس والجبايات كلمة الضرائب ، وقد أطلق على إحدى شخصياتها « عبدون » رجل مباحث ، وبالطبع لابد أن يسمى عيناً أو من العسس ، وأيسر معرفة بالتاريخ العربي الإسلامي تجعلنا نستبعد أن تكون هناك صورة ضخمة للملك على جدران القصر ، ولا نتوقع على الإطلاق أن تعزف الموسيقى من خلف الكواليس السلام الملكي في فترة ملوك الطوائف الأندلسية !

أما الظاهرة الثانية اللافتة للنظر في هذا الصدد فهي الاتكاء الشديد على مقولة « الشعب » وتكرارها المسرف المخالف لمبدأ الاحتمال في السياق التاريخي للمسرحية .فقد استخدم شوقي مثلاً في « مصرع كليوباترا » كلمة الشعب بالرغم من عدم احتمالها قائلاً :

انظر الشعب « زيون »
كيف يوحون إليه
يا له من ببغاء
عقله في أذنيه

فاستطاع أن يدفع ـ بمنظور رجل القصر المترس ـ فكرة الجماهير ويبرز غوغائيته بصورة شعرية فذة تقرن الكتلة البشرية المجتمعة بالطائر الناطق الآلي الذي ليس له من عقل سوى أذنيه ، ولا تتعدى قدراته تكرار ما يلقى عليه . أما فاروق جويدة فيردد مقولة الشعب ، ويتغنى بها عشرات المرات بشكل يخالف معطيات العصر الذي تدور فيه المسرحية ويناقض منطقه . ولا يقف الأمر عند حد التعبير اللغوي المستحدث فحسب ، والذي كان يؤدى حينئذ بكلمات أخرى مثل الناس أو المسلمون أو العامة أو غير ذلك ، وإنما يتجاوز هذا إلى الدور المنوط بهم ، فليس صحيحاً أن الشعب كان هو الذي يولي الوزير كما يقول ابن سالم لابن زيدون « الشعب قد ولاك خيرة أمره » ولا يحتمل أن تقول ولادة له :

وتركت شعبك
للضياع .. وللفساد .. وللهوان
الشعر سيفك يا وليد
والشعب جيشك .

ولايمكن أن تقول له « اذهب لشعبك » فيرد عليها « من قال إن الشعب في يده القرار » ونفس كلمة « القرار » هذه التي تتردد كثيرا في المسرحية ليست سوى صدى موجع للغة السياسة المعاصرة عندما تمارس شبق الحكم وتنتصب في يدها آلته في لحظة الانفراد بلذة السلطان المطلق . وإبراز دور الشعب في صياغة مصيره لا يتأتى بكثرة الإشارة المباشرة إليه وتسميته ، وإنما بالتركيز على وضع القوى الشعبية الفاعلة موضع التأثير الحاسم في مجريات الأمور حضوراً وغيبة ، استجابة لمنطق الأحداث ، لا أن تكون الدسائس والمؤامرات من جانب الخبثاء ، والأسر والاستسلام ، ثم النواح والعويل قصارى جهد الأبطال الايجابيين هي محركات الموقف العام ، فيحاول المؤلف تغطية هذا التصور المثالي للأشرار والأخيار بدعوى الخيانة ، متغنياً بالشعب ، دون أن يحرك أحد منه ساكناً للدفاع عما يملك أو لا يملك .فإسقاط هذه الكلمات المعاصرة ، وما تحمله من تصورات لطبيعة المجتمع ونظمه في سياق موقف زمني محدد على فترة أخرى يؤدي إلى الخلط بين العصور ، وشحوب الفوارق الجوهرية فيما بينها ، مما قد يضعف من وعينا بمحصلة التطور ، ويجعل وجهة نظرنا قاصرة عاجزة عن فهم ما حدث ، ويصبح النداء الأخير مجرد متنفس سهل يفثأ به المحبطون غضبهم ، دون أن يكون سلوكهم الماثل في المسرحية ، ولا قيمهم المحركة لأحداثها نموذجا للشعور الديني الحقيقي ، ولكنه حيلة ماهرة يستغلها المؤلف ليثير في القراء والمشاهدين رعشة ختامية تهتز لها قلوبهم وأيديهم بالانفعال والتصفيق .

الرخصة والعزيمة

منذ أرسطو ونحن نعرف أن الشعر أعمق فلسفة من التاريخ ، إذ يعبر عما هو عام ، بينما يقتصر التاريخ على الوقائع الخاصة المحددة ، ولما كان من المستحيل على أي عمل أدبي أن يقدم جميع التفاصيل الثرية للوقائع التاريخية ، فلا مناص له من اختيار بعضها طبقاً لمبادئ جمالية وفكرية هي التي تكون رؤية الشاعر وتوجه انتقاءه . بينما لا يتعين على كاتب التاريخ أن يقوم بهذا الاختيار الفني ، وأقصى ما يضطر إليه هو أن يروي ويحكي ، فتصطبغ كتاباته بطابع ملحمي واضح . ولعل هذا هو السبب في أن المسرح التاريخي يعتمد عادة على التكنيك الملحمي الذي ينجح بقدر ما يعدد المؤلف من موضوعات موصوفة ويتدخل في تنظيمها ، إذ أن من العسير ـ إن لم يكن من المستحيل ـ عرض التاريخ وهو يقع ويحدث بشكل درامي ، ومن هنا فإن وسيلة الراوي الذي يحكي ويعلق تصبح الحبل السري الذي يربط المسرح بالتاريخ .

ولقد أدرك فاروق جويدة هذه العلاقة الحميمة بين المسرح التاريخي والملحمة ، وأقام بناءه على تصور صائب لدور الراوي في تكثيف الوقائع وتقطيرها ، وأباح لنفسه جملة من الرخص لا يستطيع أحد أن يماري في مشروعيتها ، فذكر في مقدمته المكتوبة بعض الجوانب التي خالف فيها التاريخ ، مثل طبيعة شخصية ولادة وابن زيدون وأسباب الخلاف بينهما ، ونصوص شعر ابن زيدون وموقفه من الملك ، والرجل الذي أحبته ولادة فيما بعد وعاشت معه بقية حياتها ، وهي عناصر لابد للشاعر المبدع أن يتصرف فيها حتى يخلق مواقفه وشخصياته كما يتراءى له ، مهما كان مقيداً بما يحاكيه .

غير أن هناك مجموعة أخرى من الرخص نخالف الشاعر في اتخاذها ، ونعتقد أنها من قبيل العزائم التي لا ينبغي تجاوزها فهو يقول مثلاً عند تقديمه لشخصياته « تدور أحداث هذه المسرحية خلال الفترة الأخيرة من حكم المسلمين للأندلس ، وهي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون فترة ملوك الطوائف » . وإذا راجعنا كتب التاريخ تذكرنا أن المسلمين قد فتحوا الأندلس عام ٧١١ م وبدأت بعد ذلك بثلاثة قرون تقريباً فترة ملوك الطوائف في منتصف القرن الحادي عشر ثم تلتها عصور المرابطين والموحدين ، ودولة بني نصر في غرناطة التي استمرت وحدها ترفع أعلام الاسلام الأندلسي ما يربو على قرنين ونصف قرن . ومعنى هذا أن الحكم العربي للأندلس قد دام قرابة ثمانية قرون ، وليس ٧٠٠ عام كما يذكر الشاعر في نفس هذه السطور ، وأن مدينة قرطبة ـ عاصمة الخلافة ـ لم تكن هي التي « شهدت نهاية المسلمين في الأندلس » ، بل إن غرناطة ظلت بعدها قلعة محصنة من ١٢٣٦ حتى ١٤٩٢ ، وفي تقديري أن هذه ليست تفصيلات صغيرة تخضع لاعتبارات مسرحية فنية ، بل إنها حقائق كبرى أولية مستقرة في وجدان المتلقي المثقف ، أو ينبغي لها أن تستقر ، مما يجعله يشعر بكثير من الحرج عندما يخرج عنها المؤلف دون ضرورة ، فإنهاء الحكم الأندلسي بسقوط قرطبة إلغاء للجزء الأكبر المزدهر



مدحت مرسي يخرج من بين جماهير مهرجان جرش في بداية عرض مسرحية الوزير العاشق

حضاريا من هذا التاريخ ، وإذا كان من حق المؤلف أن يودع ابن زيدون في السجن طيلة حياته تقريباً ، بينما لم يقض فيه في الواقع سوى عامين ، وأن يغير أسماء ملوك الطوائف وولاة الأندلس فيصبح « ابن زيري » « ابن بيت الزر » في المسرحية ، ويبتدع اسماء « ابن عابد » و « الخليل » فإنه في تحمسه الملتهب لأمجاد الأندلس وتغنيه الجميل بعظمتها كان عليه أن يتريث في هذه الخاتمة التي أراد بها أن يقرن مصير البطل بمصير الوطن وضياع الحب بضياع الأرض ، فتعجل هذا الضياع قبل أوانه بقرون مما لايتسق مع هدف المسرحية ولا يطابق حقائق التاريخ الأساسية .

اللغة الثالثة

لقد استقر في النقد الأدبي ، منذ أن أبرز الشكليون الفروق الجوهرية بين لغتي النثر والشعر ، أن هذه اللغة الثانية تتشكل على السطح الأملس المحايد للغة النثر ، وتمارس فوقه تنظيم نسيجها ورسومها وخواصها التعبيرية والتصويرية المتميزة . وجسد المحدثون هذا الفرق بمصطلح الانحراف ، ويعني أن شعرية اللغة تقتضي خروجها الفاضح على العرف النثري المعتاد ، وكسر قواعد الأداء المألوفة لابتداع وسائلها الخاصة في التعبير عما لا يستطيع النثر تحقيقه من قيم جمالية . ويبدو أننا بحاجة لإنماء هذه الأفكار النقدية وترسيخها في مجالنا العربي ، ومد مظلتها على بقية الأجناس الأدبية الأخرى . وأحسب أن لغة المسرح الشعري ينبغي أن تتمكن من الرقي إلى مستوى ثالث تلتقي فيه القدرة الشعرية الخالقة للغة بقدرات أخرى على تكوين الشخصيات وتصوير حركتها الداخلية والخارجية في تفاعلها الدرامي الحي المتوهج .

هذه اللغة الثالثة لابد لها أن تزاوج بين الوظائف الشعرية والدرامية ، أن ترينا اللغة وهي تتخلق ، والحياة وهي تحدث ، أن تجعلنا نحضر مولد الكلمات ونشهد انبثاق الأحداث ، ومن ثم فإنها تحتاج إلى عبقرية حقيقية لمبدع متعدد المواهب ، فإذا أضيف إلى ذلك عامل آخر ، وهو أن الشخصية المحورية في مسرحيتنا شاعر وصل إلى ذروة التفوق الغنائي بألحانه المعتقة الأصيلة ، إذا استحضرنا كل ذلك ، تبين لنا أن فاروق جويدة شاعر متعدد المواهب بالفعل ، اتقن اختيار مساحته الدرامية ، وصنع نماذجه ، واستطاع عبر لحظات مرهفة أن يلتقط روح الشعر الذي كان يسبح في رياض الأندلس ، ويضمخ الحياة فيها بعبير غنائي شفيف . وأقصى ما يمكن أن نلاحظه في بعض المشاهد هو تفاقم جرعات الصحافة اليومية بلغوها وغثائها ، مما ينبغي لشاعر رقيق مثل فاروق جويدة أن يترفع عنه ، ويغسل لغته منه . فنقرأ في القسم الأول مثلاً حواراً غزلياً بين ابن زيدون وولادة يقول فيه :

إذا كنت يوماً عرفت النساء

وجربت في الحب دون ارتواء

فإني رأيتك صبحاً جميلاً

فليس من الأرض هذا الضياء

فترد عليه ولادة بعد قليل مشيرة إلى توليه للوزارة :

أحببت فيك القلب قبل المنصب

وأنا أخاف من المناصب

يوماً تجيء ... غداً تضيع ..

ونعيش نحلم بالذي قد كان ..

ونظن أن الناس تصنعها الكراسي والرتب

فنشعر أننا أمام لغة نثرية ــ وإن كانت منظومة ــ طغت عليها العبارات المتناثرة من زبد الصحافة اليومية مثل عرفت النساء وجربت الحب وأخاف المناصب ونعيش نحلم ، وهي عبارات هينة مفرغة بالاستعمال اليومي المكرور ، تنزلق على سطح مسرحي نتوقع فيه تركيزاً مجازياً وتفنناً استعارياً وفلذات تصويرية مبتدعة ساخنة يحترق بلهبها رماد الإهمال ويعبق عطر الشعر ، خاصة ونحن بحضرة ابن زيدون ، يجيش في أعماقنا هدير روائعه ، مثل « ودع الصبر محب ودعك » ، ومثل هذه الأبيات التي لا أجد مفراً من إثباتها ليتذكر القارئ طبقة هذا الشعر القوي والتي يقول فيها :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ، ومرأى الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله

كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم

كما شققت عن اللبات أطواقا

ونقرأ مشهداً آخر في القسم الثاني من المسرحية ، على لسان ولادة تبرر فيه استجابتها الذميمة لابتزاز ربيع ومعاشرتها إياه ، بالرغم من استمرار حبها لابن زيدون ، خوفاً وطلباً للأمن ، فتقدم عذراً أقبح من الذنب إذ تقول :

كلاب الصيد تحمينا

ولم تخلق لنعشقها

أتيت به ليحرسني

وأعرف أنه كلب ..

تراني أعشق الكلبا ..

ولأن الموقف ضعيف ، والاختيار سيء ، فإن العبارة المؤدية له مهما توشحت بلون من التصوير تظل متدنية عامية ، لا تليق بإمرأة نبيلة مترفة ، ولا تمثل هجاء لربيع ، بقدر ما هي إدانة تصم قائلتها وتهبط بمستواها عندما ترتد إليها .

فإذا كانت المسرحية لا تقوى ــ كما أشرنا ــ على استيعاب قدر وفير من البيانات التاريخية الوثيقة ، وتنتظمها في كتلة غنية بالأحداث والتفاصيل ، مما يمكن أن يخلع عليها صبغة ملحمية كاملة متعددة الأصوات عالية الإيقاع ، ولا تقع على مفصل دقيق تنشطر لديه الحياة الباطنية للبطل وتتكلس ممزقة بين طرفي صراع يتجاذبانه ، بل وتنزلق فوق هذه اللحظة الحرجة عندما تعاني مخاضها ولادة دون أن تتعمقها وتحسن تأملها والانفلات منها ، فتظل الشخصيات مصمتة لم تنقسم في قلبها هذه الشعرة الدرامية التي لابد وأن تنشطر نصفين كي تتولد من شررها طاقة متفجرة تضيء المسرح بوهجها الساطع .

وإذا كان التعبير الشعري في المسرحية قد تراوح بين القوة والضعف ، والغنائية والنثرية ، فان المحصلة الأخيرة لهذه التجربة تجعلها في أحسن حالاتها أنشودة عذبة ، لابد أن يجتهد الشاعر في متابعتها بأناشيد أخرى مسرحية ، تندرج في نسق الملحمة الأندلسية الكبيرة .

صلاح فضل

المخابرات
في عهد الدولة الأيوبيّة

بقلم: محمد سيد كيلاني

كثيراً ما يهمل التاريخ ذكر أناس لعبوا في حياة أممهم أدواراً خطيرة . ومن هؤلاء رجال المخابرات في عهد الدولة الأيوبية .

فحينما ألغى صلاح الدين الخلافة الفاطمية وتولى هو ملك مصر كانت القاهرة تموج بجماعات كثيرة من أنصار تلك الخلافة ، وممن كانوا ينعمون بخيراتها . يذكر صلاح الدين في تقرير أرسله إلى الخليفة العباسي ببغداد ما نصه « ووصلنا البلاد ـ يعني مصر ـ وبها أجناد عددهم كثير وسوادهم كبير ، وأموالهم واسعة وكلمتهم جامعة . وهم على حرب الإسلام أقدر منهم على حرب الكفر . وبها راجل من السود يزيد على مائة ألف رجل كلهم أغتام أعجام . وبها عسكر من الأرض باقون على النصرانية ، موضوعة عنهم الجزية »

هذه هي الظروف التي أحاطت بصلاح الدين حين جاء إلى مصر وتولى أزمة الحكم . فرأى بثاقب رأيه أن ينشئ إدارة للمخابرات ووكل إليها السهر على أمن الدولة في الداخل والخارج ، ففرضت رقابة شديدة على كل من عرف بميوله الفاطمية من أدباء وشعراء وأمراء وكبار رجال الدولة السابقين .

وقد استطاع رجال المخابرات أن يجندوا بعض الافرنج وآخرين للعمل لحسابهم . وكان بين صلاح الدين وبلدوين ملك بيت المقدس رسائل مجاملة متبادلة بينهما وهدايا . وكان للملك الصليبي كاتب اسمه جورج يرسله بخطابات إلى صلاح الدين ظاهراً ، وفي الباطن ليتصل بأنصار الفاطميين ويرسم معهم خطط التآمر .

رسالة تحذير

وحينما جاء جورج ليضع اللمسات الأخيرة للمؤامرة تلقت المخابرات الأيوبية من عملائها في القدس رسالة تحذير ، جاء فيها أن جورج يحمل رسالة مخاتلة ، لا رسالة مجاملة ، ويحمل بلية لا هدية .

ولما وصل جورج قابله بعض رجال المخابرات بالترحيب وأكرموا وفادته واحتفوا به احتفاء عظيماً ، وأوهموه أنهم غافلون عن كل ما يصدر منه حتى اطمأن وخرج ليلاً تحت جنح الظلام وتقابل مع بعض المتآمرين واتفق معهم على أن يجتمعوا به في إحدى الأماكن . وقد دست المخابرات بعض الرجال فاختلطوا بهم وسمعوا مادار من أحاديث ونقلوها إلى المصريين . وسرعان ماصدر الأمر باعتقالهم ، والتحقيق معهم . فمنهم من أقر بذنبه طائعاً ، ومنهم من أقر بعد ضربه . وقدموا للمحاكمة وقد جاء في صحيفة الاتهام وهي بخط القاضي الفاضل :

« ولا تخلو سنة تمر ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه وفساد يتسرعون إليه وحيلة يبرمونها ومكيدة يتممونها . وكان أكثر ما يتعللون به ويستريحون إليه المكاتبات المتواترة والمراسلات المتقاطرة إلى الفرنج ـ خذلهم الله ـ يوسعون لهم فيها سبل المطامع ويزينون لهم الإقدام والقدوم » .

وقد صدر الحكم باعدامهم ، وكان منهم الشاعر عمارة اليمني .

وعلى إثر هذه الأحكام أدرك أنصار الفاطميين أن رجال الأمن لم يكونوا غافلين واشتد بهم الخوف فرحل فريق منهم إلى اليمن ومنها إلى الهند حيث استقروا هناك وهم طائفة البهرة . وفي ذلك يذكر صلاح الدين « استنجدوا علينا الافرنج . وشرعنا في تلك الطوائف فأخرجناهم من القاهرة تارة بالأوامر المرهقة لهم والذنوب الفاضحة لهم ، وبالسيوف المجردة والنار المحرقة حتى بقي القصر ـ يعني قصر الخلافة ـ ومن به من خدمه قد تفرقت شيعه وتمزقت بدعه » .

وهكذا أمن صلاح الدين على سلامة الجبهة الداخلية من الخونة ، واستعد لقتال الصليبيين . وقد حدث أن اجتمع بعض الفقهاء مع نفر من أرباب السيوف ، وأطلقوا ألسنتهم في صلاح الدين وشرعوا يتباحثون في نظام الحكم وهل من حق صلاح الدين أن يلغي الخلافة الفاطمية ، ويدعو للخليفة العباسي ؟فنقل رجال المخابرات أنباء هذه الاجتماعات والمباحثات للسلطان . واقترح

المسئولون عن أمن الدولة أن يسدي السلطان النصح لهؤلاء الفقهاء بالكف عن الكلام في مثل هذه الموضوعات . ومن لم يمتثل فانه سوف ينفى إلى مكان بعيد .

مهمة ناجحة

انصرف صلاح الدين إلى ميدان القتال . وكان العدو قد حاصر ثغر عكا من البر والبحر ، ومنع عنه السلاح والطعام والمال . وكان أهلها في حاجة شديدة إلى مثل هذه الضروريات . وهنا انبرى رجال المخابرات لأداء هذه المهمة الشاقة والخطرة . وكان في حوزتهم سفينة ضخمة من سفن الفرنج التي سبق أن وقعت في الأسر فشحنوها بالسلاح والطعام والملابس والأموال . وكلفوا بعض البحارة المسلمين بأن يتزيوا بزي بحارة العدو ، ويحلقوا لحاهم كما هي عادة البحارة الإفرنج ، ويعلقوا صلبانا ضخمة على صدورهم فلم يشك أحد أنهم صليبيون ووضعوا معهم بحارا يجيد اللغة اللاتينية . ثم انطلقت السفينة إلى ميناء عكا . فقابلتها إحدى سفن العدو ، وحذرتها من دخول الميناء لئلا تقع في أيدي المسلمين . فتظاهرت السفينة الإسلامية بأنها سوف تعود من حيث أتت . وفي تلك اللحظة جاءت سفينة صليبية قاصدة الدخول إلى الميناء ظناً منها أنه وقع في أيدي الصليبيين واشتبكت السفينتان في مناقشة طويلة فانتهزت السفينة الاسلامية الفرصة وحولت قلاعها نحو ميناء عكا ، وساعدتها الريح فأدت مهمتها على خير وجه وفرح بقدومها أهل الثغر .

وكان رجال المخابرات مكلفون بمراقبة حركات العدو خارج الحدود ، يبلغون حكومة القاهرة عن هذه الحركات أولاً بأول . وفي يوم من الأيام جاء الحمام الزاجل حاملاً نبأ خطيراً . وهو أن العدو سير أسطولاً في البحر الأحمر ، أو بحر الهند كما كانوا يسمونه أو البحر الحجازي . وأنه أغار على ثغر عيذاب فنهب وأسر ، وخرب ودمر . كما أغار على سواحل اليمن والحجاز وأن العدو قد أشاع الخوف والفزع بين الناس بل كان في نيتهم الإغارة على المدينة المنورة ، وسرعان ما توجه الأسطول المصري بقيادة الحاجب لؤلؤ ، وباغت مراكب الصليبيين عند رابغ وسواحل الحوراء وحطموها فتركها العدو ، ونزل إلى الشاطىء واعتصم بالجبال . فطاردهم المسلمون وقضوا عليهم قتلا وأسرا بعد مطاردة استمرت خمسة أيام . وبلغت جملة الأسرى مائة وسبعين رجلاً فقيدوهم بالسلاسل وأيديهم خلف ظهورهم ، وأرسلوا بعضهم إلى المدينة المنورة ليذبحوا فيها وأما الباقون فإنهم ساقوهم إلى مدينة القاهرة ودخلوها راكبين جمالاً ووجوههم إلى ذيولها . وقد طلب رجال المخابرات أن يذبحوا وألحوا في ذلك ، ومما جاء في مذكرتهم « وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ،ولا للشرع في بقائهم فسحة ، ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة . فليمض العزم في قتلهم ليتناهى أمثالهم عن فعلهم وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها » .

● المهمة الشاقة والخطرة التي قام بها رجال المخابرات عندما حاصر الصليبيون ميناء عكا !

● اهتم الأيوبيون بالتوجيه المعنوى فاتخذوا من القصص وسيلة للدعوة إلى الجهاد !

ورجال المخابرات الذين طالبوا بقتل هؤلاء المعتدين كان معهم الحق كل الحق فهؤلاء لم يحاربوا جيشاً وإنما أغاروا على الآمنين وقتلوا ونهبوا وحرقوا ودمروا . فلم يكن من جزاء لهم سوى القتل .

وفي تقرير للمخابرات عن علاقة مصر بامبراطورية الروم « والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع أن يكون صديقاً ، ولا ضر أن يكون عدواً » وهذا دليل على أن رجال المخابرات المصرية كانوا على دراية تامة بما كانت عليه الدولة الرومانية الشرقية من ضعف وانحلال .

وفي تقرير آخر يسجل ما وقع من خلاف بين ملك قبرص وملك أنجلترا ، ومكاشفة الأول للثاني بالعداوة والحرب ، وأن ملك قبرص أخلى السواحل من كل ما يمكن أن ينتفع به الإنجليز من طعام وكساء . وكان امبراطور الروم قد طلب مساعدة مصر ضد ملك قبرص ، فعارضت المخابرات في ذلك معارضة شديدة .

بل إن المخابرات منعت السلطان صلاح الدين من أداء فريضة الحج فامتثل لأمرها واستمع لنصحها ، وكانت قد بنت معارضتها على « أن الفرنج لم يخرجوا بعد من الشام ولا سلوا عن القدس ، ولا وثق بعهدهم في الصلح فلا يؤمن بقاء الافرنج على حالهم واختراق عسكرنا وسفر سلاطيننا سفرا مقدرا معلوما مدة الغيبة فيه أن يسروا ليلة فيصبحوا القدس على غفلة فيدخلوا إليه ـ والعياذ بالله ـ ويفرط من يد الاسلام .

الأيوبيون يهتمون بالتوجيه المعنوي

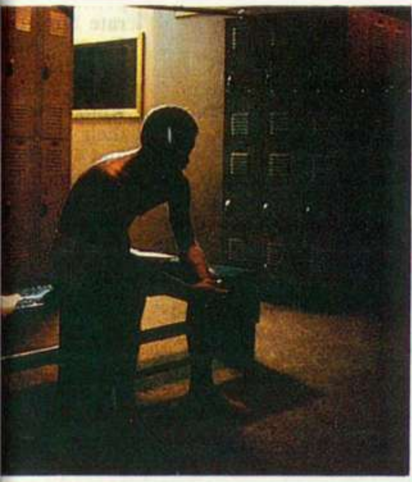
عنى الأيوبيون بالتوجيه المعنوى فاتخذوا من القصص وسيلة لنشر الدعوة إلى قتال الصليبيين فعينوا القصاص في المساجد وفى صفوف الجيش ليقصوا على الناس أخبار المسلمين الأولين الذين أبلوا بلاء حسنا فى سبيل نشر الاسلام فانتصروا على الامبراطوريتين الفارسية والرومانية انتصارا تاما فحطموا الأولى وقضوا عليها ، واقتطعوا من الثانية كل ممتلكاتها فى آسيا وإفريقيا .

وكان القصاص يذكرون للناس سير الأولين فيشعلون فى قلوبهم الرغبة فى التضحية والذود عن حياض الوطن والدين . وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب من صلاح الدين يذكر له شيئا من أخبار الجهاد . وقد ألفت له عدة كتب فى الجهاد . ذكر القاضى ابن شداد فى كتاب « النوادر السلطانية » وأنا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه وكل حديث روى فى فضله وشرحت غريبها . وكان رحمه الله كثيرا ما يطالعه حتى أخذه منه ولده الأفضل » .

وليس من شك فى أن الدعاية للجهاد قد سيطرت على جميع مؤلفي ذلك العصر . فإذا وضع أحدهم كتابا في الأدب أفرد بابا خاصا للشجاعة وأخبار الشجعان وخصص بابا آخر للجهاد وثوابه وحشد فيه كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد عنى الأيوبيون بإنشاء مدارس خاصة أطلقوا عليها « دور الحديث » وعينوا فيها كثيرين ممن عرفوا بسعة الرواية فى الأحاديث . وقد روى القاضى ابن شداد عن صلاح الدين أنه كان شديد الرغبة فى سماع الحديث ، ومتى سمع عن شيخ ذى رواية عالية وسماع كثير فإن كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه واسمع من يحضره فى ذلك المكان من أولاده ومماليكه والمختصين به وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالا له . وإن كان الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين ، ويتحامى عن الحضور فى مجالسهم ، سعى إليه وسمع عليه . تردد إلى الحافظ السلفى بالاسكندرية وروى عنه أحاديث كثيرة . وكان يحب أن يقرأ الأحاديث بنفسه ، بل إن صلاح الدين كان يتبرك بسماع الحديث وهو على ظهر جواده فى ميادين القتال وساحات الوغى .

إن إدراك القدماء لقيمة التوجيه المعنوى وأثره فى تقوية الروح المعنوية للأمة لا يقل عن إدراكنا له فى هذه الأيام .



هذا الخطر الذي يهدد حياة الإنسان

الايدز

مرض العصر في الدول المتقدمة



بقلم: الدكتور عبد الله الباكر

تم التعرف على مرض الايدز في صيف عام ١٩٨١، عندما أصدر مركز الرقابة على المرض في أمريكا (C.D.C.) تقريراً عن خمس حالات من لوس انجيلوس مصابة بذات الرئة، لها علاقة بنقص المناعة، وأن هذه الحالات تمثل ظاهرة مرضية مختلفة عن ظواهر قبلها، وحدثت في مجموعة شابة من الشواذ، وأصدر تقريرا آخر عن ٢٦ حالة من مجموعة مشابهة في لوس انجيلوس ونيويورك مصابة بغَرَن قابوزي «Kaposis Sarcoma» وهو نوع من السرطان، ومنذ ذلك الوقت توالت الأحداث حتى أن هذا المركز أصبح يسجل ١٠٠ حالة جديدة كل أسبوع!

ولقد سجل هذا المركز ١٢٩٣٢ حالة حتى ٣٠ أغسطس ١٩٨٥، أكثر من نصفهم تم تسجيله في الأثنى عشر شهرا الأخيرة، توفى منهم أكثر من ٦٤٨٠ حالة وكان ٧٥٪ منهم من الحالات التي شخصت قبل يناير ١٩٨٣، وهذه الحالات المسجلة يمثل الشواذ جنسياً ومتعاطو المخدرات بالإبر ٩٠٪ من عددها!

ولقد نشرت أحدث خريطة تمثل نسب الاصابة ومعدلاتها في مختلف الولايات الأمريكية، فرأينا الزيادة الخطيرة والواضحة في السواحل الأمريكية مثل كاليفورنيا ونيويورك وفلوريدا، حيث تكثر المجموعة الشاذة «الشكل (١)».

هذا ويتوقع أن يصل العدد إلى الضعف بعد عام، فهذا العدد يمثل المصابين بالصورة الكاملة للمرض، أما الذين يحملون الفيروس والذين يحتمل أن تكون نتائج فحوصهم للدم ايجابية فيقدر عددهم بمليون شخص «هكذا توقع د. كوران رئيس مركز الرقابة على الأمراض فرع الايدز».

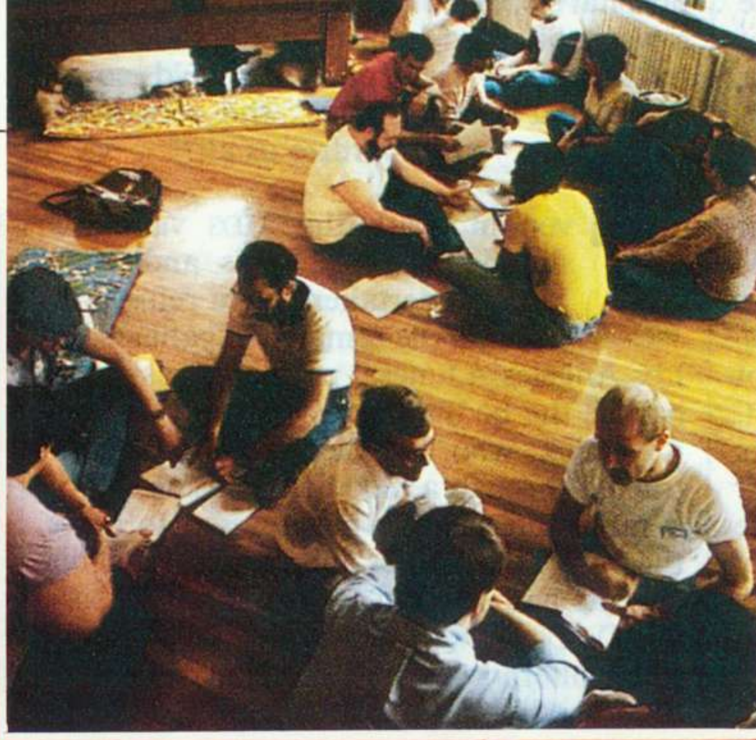
إن الأمر لم يعد محصوراً على أمريكا التي تمثل الحالات المسجلة فيها ٩٠٪ من الحالات في العالم، بل تخطاها إلى دول أخرى حيث أن الفيروس لم يعد يعترف بالحدود، فقد ظهر في مختلف الدول الغربية الأخرى تتقدمهم فرنسا حيث يوجد بها ٤٢٠ حالة من مجموع ١٢٧٤ حالة، وقد بدأ في الشواذ جنسياً، أيضا.

أما منظمة الصحة العالمية، فقد ذكرت أنه في شهر سبتمبر ١٩٨٥ يوجد أكثر من ١٥٠٠٠ حالة في جميع أنحاء العالم.

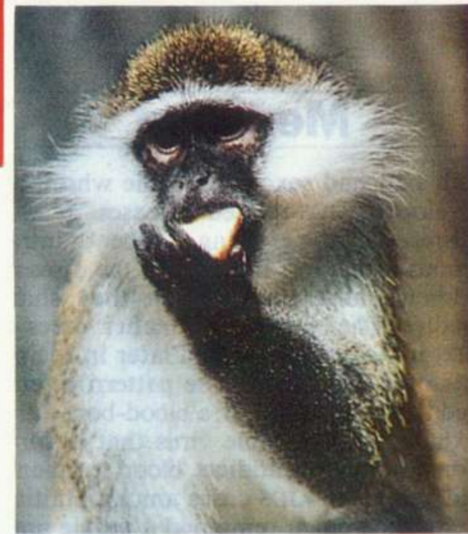
ما هو مرض الايدز؟

حتى الآن لا يوجد تعريف محدد لمرض الايدز، إذ أنه ظاهرة كبيرة تشمل عدة أمراض أو أعراض للأمراض التي سببها اصابة فيروسية لجهاز المناعة المحددة في الجسم، وحتى يعتمد تشخيصه لابد من وجود اصابة خطرة بالكائنات الانتهازية الطفيلية أو حدوث نوع غريب من السرطان «غ قابوزي» أو الاثنين معاً.

وهذا النوع من التعريف بناءً على توصية مركز



● منظمة الصحة العالمية تؤكد أن هناك أكثر من ١٥ ألف مصاب بالإيدز في جميع أنحاء العالم !



ثلاث لقطات : الأولى لأحد المرضى أثناء إجراء الفحوص .. واللقطة الأخرى للتدريبات التي تتم من أجل اكتشاف أعراض هذا المرض الخطير .. أما اللقطة الثالثة فهي للقرد الأخضر الذي يعتقد البعض أنه السبب في انتقال الفيروس ، وتجرى دراسات عليه اليوم في أمريكا .. لتحضير الطعم المضاد للفيروس .

مراقبة المرض بأمريكا .

إلا أن فيروس الأيدز الذي تم التعرف عليه في المختبرات وأمكن فحصه حتى الآن ،لم يأخذ اسماً واحداً ، فهو يسمى في أمريكا بناء على توصية مكتشفه الدكتور روبرت جالو HTLV-III-R. Gallo .. وفي فرنسا يسمى « LAV » ومعناها الفيروس المصاحب لتضخم الغدد الليمفاوية وذلك بناء على توصية مكتشفه الدكتور لوك مونتانييه L. Montagnier ، وهو المكتشف الأول للفيروس (مايو ١٩٨٣) . وهناك اسم ثالث للمرض أيضاً .. أما الاسم النهائي فقد ترك تحديده لموافقة اللجنة الدولية لتصنيف الفيروسات .

وهذا الفيروس بغض النظر عن تسميته الآن ، يصيب جهاز المناعة المحددة ، وبالذات الخلايا الليمفاوية ت « آ » والمساعدة منها بالذات ، وقد تصيب الخلايا ب « B » .. أحياناً .

ولادراك خطورة هذا الميكروب لابد من القاء الضوء على طريقة عمل خلايا المناعة الطبيعية المحددة في الجسم ، فخلايا المناعة المحددة هي الخلايا الليمفاوية « ت آ » و « ب B » ، وللاثنين ارتباط وثيق والشكل « أ » يبين ذلك إذ نرى أنه في حالة وجود جسم غريب في داخل الجسم « ميكروب » مثلاً يتم التعرف عليه من قبل الخلية البلعمية « Macrophage » فتنذر الخلايا الليمفاوية ت آ والتي تحس به هي أيضاً فتتكاثر هذه الخلايا تحسباً للخطر فتنتج أشكالاً مختلفة أهمها :

• خلايا « ت آ » المساعدة وهي الخلايا التي تحدث توجيها في الخلايا الليمفاوية ب « B » لانتاج الأجسام المضادة المعروفة بالجاماجلوبيولين التي تقوم بمهاجمة الجسم الغريب وإبادته .

• خلايا آ المهبطة :وهي توقف انتاج الخلايا ب(B) ، وتعتبر النسبة بين الخلايا المساعدة والخلايا المهبطة أحد المؤشرات لقوة وضعف المناعة المحددة .

• خلايا (آ) تنتج موادا تعرف بالليمفوكاين ، والمثل المعروف لها مادة انترليوكين ــ ٢ (Interleukin) ولها دور في تقوية جهاز المناعة وقد استعملت في العلاج .

• خلايا (آ) قاتلة للخلايا ولها دور كبير في مهاجمة الأجسام الغريبة داخل الخلايا وخلايا السرطان .

أما الشكل (١ ــ ب) فيمثل فيروس مرض الايدز الذي يهاجم الخلايا ت (آ) المساعدة فيشل حركتها ويستوطنها ويستعملها في عملية تكاثره ويقطع صلتها بالخلايا ب (B) ، وكلما زاد عددها عن طريق حدوث التهابات أخرى كلما زاد نشاط الفيروس وتكاثر . لقد احتار العلماء في بادئ الأمر في قدرة هذا الفيروس على تخطي جهاز الانذار والتحسس ، إلا أنه أكتشف أخيراً أن الجزئ أو مولد المضاد على سطح الخلية ت (آ) مشابه للجزئ المستقبل (Receptor) على الفيروس مما يسهل عليه دخول الخلية (آ) ت بدون مشاكل .

أما الأشكال الشائعة الدالة على مرض الايدز :

١ ــ صورة المرض الكاملة . وهي تمثل التعريف الذي وضع بواسطة « C.D.C. » . مركز مراقبة المرض الأمريكي والذي ذكرناه سابقاً .

٢ ــ مجموعة الأعراض المتعلقة بالايدز :
AIDS Related Complex

• تضخم الغدد الليمفاوية المنتشر .
• فقدان الوزن ــ ارتفاع الحرارة .
• اسهال مزمن ــ عرق غزير بالليل
• ضعف عام وعدم القدرة على التركيز .

الايدز
مرض العصر في الدول المتقدمة

• نقص الخلايا الليمفاوية بالدم .
• نقص الكريات البيضاء بالدم .
• فقر دم .
• نقص الصفائح الدموية الأولى .
• تغيرات في الحالة المناعية .
• طفح بالفم .

٣ ــ ظاهرة تضخم الغدد الليمفاوية المزمن :
Chronic Lymphadenopathy Syndrome

وتمثل وجود تضخم في الغدد الليمفاوية في الأشخاص الشاذين جنسياً لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر بدون وجود سبب آخر لذلك ، شريطة أن يكون هذا التضخم في مجموعتين أو أكثر غير مجموعة الغدد الليمفاوية الإربية (الحوضية) .

٤ ــ ما قبل الايدز : الأشخاص الذين يعانون من أعراض متعلقة بنقص المناعة المكتسبة والذين ستظهر عليهم صورة المرض الكاملة في أغلب الأحيان .

مصدر المرض

لا يوجد تأكيد قاطع عن مصدر هذا المرض ، لكن المعلومات المستقاة من غالبية الدراسات الأخيرة تبين أن هذا المرض يعتبر مشكلة صحية عامة في افريقيا الاستوائية « الوسطى بالذات » والهاييتي حيث أن هناك مجموعة منهم تعيش في أمريكا ينتشر بينهم المرض ، إذ أن نسبة الحالات الموجودة في بعض مدن أفريقيا الوسطى بالامكان مقارنتها بالذي حدث في نيويورك وسان فرنسيسكو ، وقد تبين أن لها علاقة بممارسة الشذوذ في احدى تلك المناطق أو أنهم مهاجرون منها ، وهناك دراسة أخيرة من ترينيداد بينت أن المجموعة المصابة تنحدر غالبيتها من أصل افريقي مقارنة باختلاف الجنسيات في ذلك البلد .

إلى جانب ذلك فلقد وجد أن مجموعة من القرود بالذات ، القرد الأخضر يصاب بنوع من الفيروس يشابه فيروس الإنسان ، ويعتقد بأن قرب هذا الحيوان من الناس ــ وربما عن طريق العض ــ قد أدى إلى انتقال الفيروس الذي توطن فيه مع مرور الزمن ، وعندما نزح هؤلاء الناس المصابون إلى المدن تم انتقاله للآخرين عن طريق الممارسة الجنسية الشاذة .

وسائل انتقال المرض

تم عزل عامل الفيروس من السائل المنوي والدم واللعاب والدموع ولكن الدراسات أثبتت حتى الآن أن العدوى تتم ــ فقط ــ عن طريق التعرض للسائل المنوي والدم ومكوناته ، ولم تبين أية علاقة بين اللعاب والدموع والاصابة .

إن وسائل إنتقال المرض تتلخص في التالي :

• الاتصال الجنسي : فقد أصبح مرض الايدز علامة بارزة في تاريخ الشذوذ الجنسي ومرتبطاً به سواء كان هذا الشذوذ مع نفس الجنس أو مع الجنس الآخر ، ويشكل هؤلاء المصابون نسبة كبيرة تصل مابين ٧٥ ــ ٨٠٪ من مرضى الايدز ، ويتم انتقال المرض هنا عن طريق السائل المنوي من خلال جروح وتهتكات سواء في الشرج أو المهبل أو الفم .

● كيف تتم العدوى؟.. ومن هم الأشخاص والمجموعات المعرّضة للإصابة بهذا المرض الخطير؟

هذا ولقد تبين أخيراً أنه بالامكان انتقال المرض عن طريق الاتصال الجنسي العادي ، مثل اتصال المرأة بزوجها المريض أو من الجماعات في المجموعة الخطرة والتى نتائج فحص دمها إيجابيا . أو بطريق غير شرعي برجل آخر من المجموعات الخطرة « هذه هي الطريقة التي تصاب بها النساء ، ومن النادر حدوث انتقال عكسي من المرأة للرجل عن طريق الاتصال العادي المشروع إلا في حالات الساقطات .

• مدمنو المخدرات : ينتقل اليهم المرض عن طريق استعمال الابر الملوثة والاشتراك فيها ، وهم يشكلون مالايقل عن ١٥٪ من الاصابات ، وتعتبر النساء أكثر اصابة عن هذا الطريق .. هذا وقد بينت الدراسات أن الاسراف في تناول الكحول يقلل المناعة ويهيئ الجسم للاصابة ، كذلك حدثت اصابات في الشواذ الذين يستنشقون الكوكايين بسبب تجريح الاستنشاق للغشاء المخاطي للبلعوم .

• نقل الدم أو مكونات الدم : جميع مكونات الدم وجميع العوامل سواءً في حالة طازجة أو مجففة أو مجمدة تحمل في طياتها خطر انتقال الفيروس

ملحوظة : مضادات الأجسام وطعم الالتهاب الكبدي (ب) تعتبر سليمة حيث أنها تعرض لعدة تأثيرات اثناء عملية التحضير ، ولا يوجد خطر من استعمالها حيث أن الدراسات أكدت ذلك ، كذلك فان عامل المضاد للهيموفيليا المسخن أو المعامل لا يوجد خطر منه .. ويتضح أن الجماعات الذين ينقل اليهم الدم أو مكوناته من مصادر متنوعة معرضون للاصابة بشكل أكبر ، لذلك تجد أن مرضى الهيموفيليا « A » معرضون أكثر وكلما اشتد المرض بهم كان الخطر أكبر بسبب احتياجهم الشديد إلى كمية كبيرة من العامل الذي ينقص فيهم .

• انتقال الفيروس من الأم إلى طفلها : إن غالبية الرضع المصابين هم من أمهات مصابات بالمرض أو من المجموعات المعرضة لخطورة الاصابة ، يتضح أن الانتقال يتم عن طريق المشيمة أثناء وجود الجنين داخل الرحم حيث تم استنتاج ذلك بسبب اصابة الرضيع عند الولادة أو بعد ذلك بمدة قصيرة جداً ، حديثاً وصفت اصابة طفل « تغيراً ايجابياً في دمه » نتيجة لاصابة والدته من جراء نقل دم بعد الولادة ، ويعتقد أن الرضاعة قد يكون لها دور أو أي شئ في العلاقة الحميمة بينهما .

• بعد ذلك لايوجد ما يثبت أن العلاقات الاجتماعية الأخرى بما فيها السكن والدراسة والصداقة وغيرها لها دور في نقل المرض ، كما أن الاصابة به لا تتم عن طريق المواد الغذائية ولا تنتقل عن طريق ناقل وسيط كالحشرات أو غيرها . أما بالنسبة للعاملين في القطاع الصحي فإنه بالرغم من الضجة والخوف والهلع الذي أصابهم إلا أن الدراسات لم تثبت أن تعاملهم مع المرض أو وخز الابر في أصابعهم أو أي مكان آخر يؤدي إلى اصابتهم بالرغم من أن حالة واحدة قد سجلت لاصابة ممرضة في انجلترا بالمرض بعد « شكة ابرة » وكانت المدة من شكة الابرة حتى ظهور الأجسام المضادة في الدم من ٢٧ ــ ٤٥ يوماً ، وعلى كل يجب تنبيه الناس على أن الذين يعملون في الخدمات الصحية عموماً إن لم يكونوا من المجموعات الخطرة فإن إمكانية انتقال العدوى من خلالهم إلى مرضاهم أو غير مرضاهم أمر غير وارد .

ومن أهم الأشخاص أو المجموعات المعرضة لخطر الاصابة بمرض الايدز :

١ ــ المصابون بالشذوذ الجنسي سواء مع نفس الجنس أو مع الجنسين في آن واحد .
٢ ــ المتعاطون للمخدرات عن طريق الحقن
٣ ــ المصابون بمرض الهيموفيليا بمختلف

اشكاله والذين نقل إليهم عامل التجلط قبل معاملته .

٤ ـ الذين نقل اليهم دم من مصابين ولم يكن قد تأكد خلوه من الفيروس .

٥ ـ زوجات المجموعات الأربع السابقة بعد اصابتهم والنساء اللاتي مارسن معهن الجنس بطرق غير شرعية

٦ ـ ممارسة الجنس بين الجنسين بطرق غير شرعية وبالذات من الرجال إلى النساء وأحياناً العكس كما حدث أخيراً

٧ ـ الأطفال الذين تنجبهم النساء المصابات من المجموعات السابقة .

الفترة الكامنة

يعتقد أن الفترة بين الاصابة وتشخيص مرض الأيدز كاملاً ربما تكون طويلة ، إذ أنها تبلغ في المتوسط فيمن نقل إليه دم مصاب ٢٩ شهراً في البالغين و ١٤ شهراً للرضع ، وفي دراسة حديثة تبين أن الفترة الكامنة ٤ سنوات ونصف بالنسبة لنقل الدم المصاب وبالنسبة للشاذين جنسياً كانت أكثر من ٣ سنوات . وهناك حالة طفل سجلت بعد أن ظهر عليه المرض بعد خمس سنوات ونصف من التعرض للإصابة .

الاصابة بالفيروس

تستمر الاصابة بالفيروس في الحيوانات لمدة طويلة وغالباً مدى العمر . أما الاصابة في الانسان فمن خلال الخبرة القصيرة يتضح أنها تستمر لسنين وقد تكون أيضاً لمدى العمر حيث أنه تم التمكن من عزل الفيروس بعد مرور سنين من الاصابة .

وهناك دراسة بينت أنه تم عزل الفيروس من عينات الدم التي أخذت من متبرعين بعد ٢٨ شهراً من التبرع ، ولقد كان جميع هؤلاء المتبرعين بدون أعراض ما عدا واحدا منهم عند التبرع .

يبقى أن نعرف أن مجرد ايجابية فحص الدم ووجود أجسام مضادة للفيروس حتى بدون وجود أعراض المرض المذكورة أعلاه يعتبر تأكيداً لوجود العدوى وإمكانية عدوى الآخرين ، ولكن ما هو العدد المتوقع إصابته بالمرض من المصابين بالفيروس ؟

إن الذين يصابون بالفيروس يسيرون إلى طريق المرض ويتضح حتى الآن أنه أمر محتوم ولكن لا توجد طريقة تمكننا من معرفة الوقت أو الزمن الذي سيتم ذلك فيه ، وفى دراسة أجريت في سان فرنسيسكو على ٤٧٤ من الشواذ جنسياً على مدى أربعة سنوات ، القى العلماء بعض الضوء على ذلك حيث تبين أن المرض شخص في ٢،٧ ٪ منهم وان ٢٥،٨ ٪ منهم لديهم ما يؤكد حالة المرض المتعلقة



الاختبارات التي تجرى داخل المعامل

● مازالت العقاقير المضادة عاجزة عن التخلص نهائياً من الفيروس



من أعراض هذا المرض الخطير ظهور بقع على جسم المريض

بالايدز بينما وجدوا أن ٥٧ ٪ من الذين ليست لديهم اعراض كانت نتائج فحوص دمهم ايجابية .

إلى أين ؟

حتى الآن لم يتمكن مصاب واحد بمرض الايدز من الشفاء . هذا وقد قدر معدل الحياة بعد الاصابة بالمرض الكامل :

- في حالات غرن قابوزي ١٢٥ أسبوعا
- حالات الالتهاب الرئوي ٣٥ أسبوعا
- الأنواع الأخرى من العدوى ١٨ أسبوعا

ويتضح أن أعراض المرض الأخيرة والأسباب المؤدية للوفاة ناتجة من مضاعفات الاصابة من الفيروس حيث تتعرض أجهزة الجسم المختلفة إلى اصابات مختلفة بمختلف الكائنات الأنتهازية والسرطان بمختلف أنواعه ، والصورة المنشورة تبين غرن قابوزي والذي يختلف شكله عن الشكل الأصلي الذى ظهر عليه الغرن في السابق .

لقد أثبتت الاحصائيات أن ٤٦ ٪ من مرضى الأيدز يقضون حوالي ٣٠ ٪ من الأسابيع الباقية من حياتهم في المستشفيات وأن ٣٢ ٪ منهم يحتاجون لقضاء على الأقل نصف حياتهم الباقية داخل المستشفى .

التطعيم ضد الفيروس

إن التطعيم ضد الفيروس أمر ضروري الآن بعد الصعوبة التي يواجهها المجتمع في العلاج ، والهدف الأساسي منه هو منع حدوث حالات جديدة لا علاج المصابين . إلا أن النتائج حول هذا الموضوع ليست واضحة إذ أن الفيروسات المعزولة تختلف في تكوينها الوراثي بشكل واسع وتختلف فيها صفات مولد المضاد « Antigen » هذه الاختلافات هي التي تؤدي إلى عدم فعالية الطعم ولكن الدراسات تركز الآن على وجود منطقة بروتينية قوية مشتركة لمختلف الأنماط حتى يتم من خلالها امكانية توليد مضادات الأجسام المؤثرة . وهناك اعتقاد أنه بمجرد التوصل إلى ذلك سيكون انتاج الطعم على نطاق واسع باستخدام التقدم الذي تم في تكنولوجيا الخلية .

استراتيجية العلاج

تعتمد استراتيجية العلاج على محاولات وطرق مختلفة مستندة على ما هو متوفر من المعرفة عن المرض .

الايدز

مرض العصر في الدول المتقدمة

• استعمال العقاقير المضادة للفيروسات : وهذه تعتمد على قدرة هذه العقاقير على عكس التغييرات الانزيمية المصاحبة للاصابة بالفيروس وهذه العقاقير تؤدي إلى توقف الفيروس عن العمل الوظيفي ولكنها لا تؤدي إلى التخلص منه نهائياً لذلك يعود إلى عمله بعد سحبها اضافة على أنها قد تؤثر على الكلية .

• طرق زيادة مناعة الجسم : تستهدف إلى عكس التأثيرات الضارة التي يحدثها الفيروس في جهاز المناعة ومنها استعمال الانترفرون ، الانترليوكين ـ ٢ ، استعمال خلايا لمفاوية جديدة ، زرع نخاع عظمي للحث على انتاج خلايا جديدة واستعمال جلوبيولين المناعة بكميات كبيرة ، وحتى الآن لم تثبت بصورة قاطعة فعالية أي من هذه الطرق لدرجة أن نقل نخاع عظمي من توأم غير مصاب إلى توأم مصاب قد فشل في اظهار أي نتيجة أو أي تغيير في مسار المرض المزمن .

• استعمال الطريقتين السابقتين معاً في محاولة لايقاف الفيروس وتقوية جهاز المناعة لم تحقق النجاح أيضاً حيث أن هناك تخوفاً من الاستعمال الطويل الأجل للعقاقير المضادة للفيروسات .

• علاج مضاعفات الايدز : هذه المضاعفات فيها أنواع تستجيب إلى العلاج ولكنها أيضاً تعود إلى حالتها الأولى بعد توقف العلاج بأسبوعين ، أما البعض الآخر فلا يستجيب أبداً ، وهناك ما يقرب من ١٠٠ نوع من الأدوية المستعملة حتى الآن وبدون أي نتائج تذكر .

الوقاية من المرض

وهكذا نرى أن العالم يواجه ظاهرة مرضية خطيرة تتفشى في فئة ضالة من المجتمع من الصعوبة كبح جماحها فهي قوية وبارزة في المجتمعات المتقدمة استناداً على فهم خاطئ للحرية ، حيث أن لها تجمعاتها وزعماءها ومنتدياتها الخاصة ومختفية مجهولة الحجم والقوة في الدول النامية الأمر الذي يشكل خطورة قد تكون أكبر لو انتشر المرض فيها . ولو كانت هذه الظاهرة استمرت أو أن هناك دلائل تبين أنها ستبقى في هذه الفئة لقلنا أنه عقابهم الذي يستحقونه ، ولكن الخطر بدأ يظهر في انتقال المرض إلى عائلات هؤلاء ثم إلى الأبرياء الآخرين . وما دام العلاج كما تبين لم يعط أي نتائج فإن الذي يبقى أمامنا هو الوقاية .

إن كل فرد يستطيع أن يوفر الحماية لنفسه أكثر بكثير مما يستطيع العلم أن يوفره له من الحماية في الوقت الحاضر وذلك باتباع ما يلي :

(١) الابتعاد عن الشذوذ الجنسي والاتصالات الجنسية غير المشروعة .

(٢) يجب الابتعاد عن المخدرات بكل أشكالها






لقطتـــان للممثل الامريكي الشهير روك هـدسـون : قبل المرض وبعده

وبالذات التي تؤخذ عن طريق الحقن الملوثة المستعملة من قبل عدة أشخاص .

(٣) على السيدات المصابات بالمرض أو الحاملات للفيروس حتى بدون أعراض أن يتوقفن عن الانجاب حتى لا ينجبن جيلاً مريضاً .

(٤) المرضى الذين يحتاجون إلى نقل دم أو مكونات الدم عليهم أن يتأكدوا من سلامة الدم المنقول لهم .

(٥) في حالة احتياج المريض لنقل الدم أثناء اجراء عملية ولا يوجد تأكيد لسلامة الدم يستحسن من جميع النواحي والضوابط أن يستفاد من طريقة نقل الدم الذاتي .

(٦) على مرضى الهيموفيليا أن يصروا على نقل عوامل التجلط المسخنة أو المعاملة بطرق تقضي على الفيروس .

(٧) يجب التأكد من أن المتبرعين بالدم والأنسجة والأعضاء والحيوانات المنوية للتلقيح الصناعي غير مصابين أو حاملين للفيروس وذلك عن طريق التحليلات المختبرية .

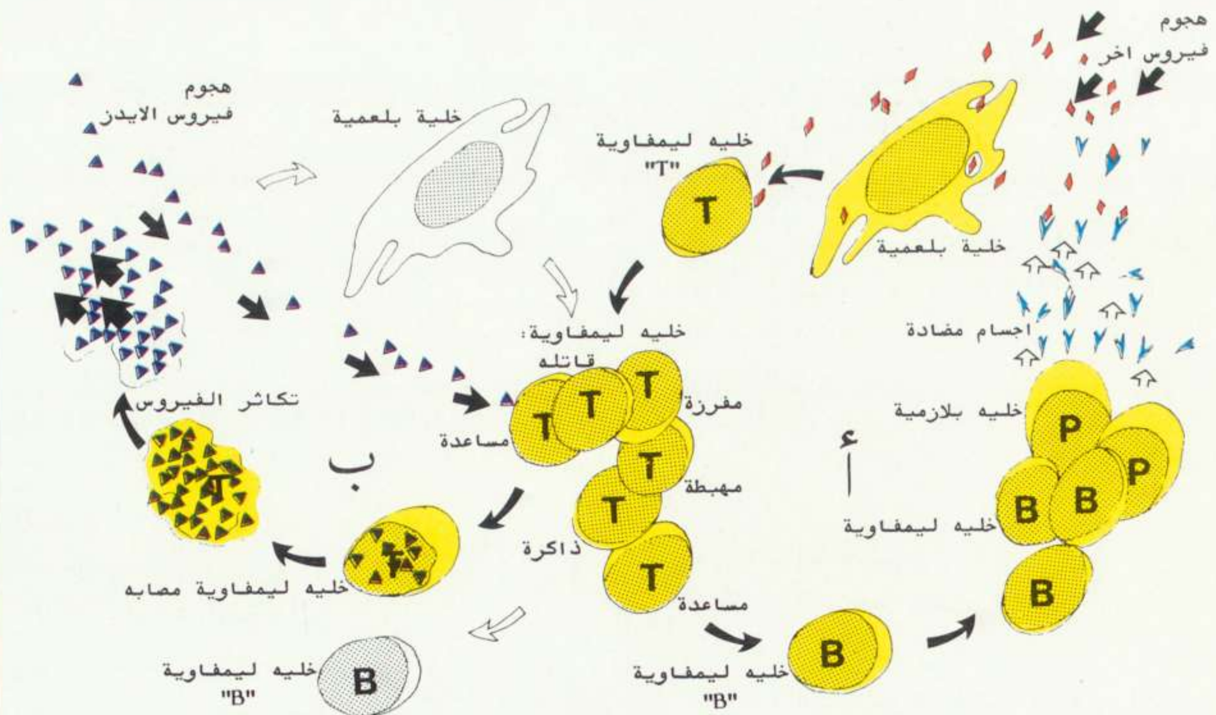
(٨) ينصح بعدم الاشتراك في فرش الأسنان وشفرات الحلاقة وأي أدوات شخصية قد تؤدي إلى التجريح ونقل الملوثات بالدم .

(٩) على العاملين أن يلتزموا بطرق السلامة التي توجد لها كتيبات عن كيفية التعامل مع المرضى ومع مخلفاتهم في المختبرات والمستشفيات .

(١٠) الادلاء بجميع المعلومات الخاصة التي تطلبها الهيئة الطبية عن العلاقات والأقارب وغيره إذ أن ذلك سيكون محاطاً بالسرية فمهمة الطب وشرف المهنة يستدعيان المحافظة على ذلك .

إن المشكلة التي نواجهها الآن ليست صحية فقط ، بل هي صحية اجتماعية وسياسية ، والقضاء عليها لن يتم بالتأكيد إلا بالتغيير في السلوك الآدمي وفي أسلوب حياة الأفراد ، وما أصعب المهمة التى نواجهها ، إذ أن التدخل مهما كانت أشكاله لتغيير السلوك الآدمي ليس إلا كالسباحة ضد التيار .

عبدالله الباكر



شكل ١ (أ) : يوضح مسار المقاومة الطبيعية عند دخول فيروس للجسم (ب) المسار المغاير الذي يسلكه فيروس الايدز وتحطيمه للمناعة

تشاركني في الجنون الجميل!

شعر: عـــزت الطـــيري

(١)

وترحلُ
كل القطارات ترحلُ
كل المحطات ترحلُ
كل الفراشات صرعى
وكل العصافير جوعى
وكل الحقولِ .. مواتْ
وتحضرُ ..
كل المسافات شبرُ
وكل المدارات شِعر
وكل المحبين يجتمعونَ
على الأمنياتْ
إلهي .. أدِمْ نعمة الحبِ ،
ألهِمْ فؤادي القصائدَ
والأغنياتْ

(٢)

أنا الآن أسألُ
مَنْ يطرد الوجعَ المتخثر في القلبِ
مَن ينقذ القمر المتعثر في السُحْبِ
من يترك الآن للأغنيات الأعنّهْ
« من يُخرج الآنَ هذي الخيول المسنّه
من بساتيننا
من حشائش أيامنا المطْمَئنّه

(٣)

تشاركني في الجنون الجميل
تشاركني الرقة العاطفيه
تشاركني اللذة الفوضويه
وأنتَ الذي قلتَ : إن النساء إذا ما عشقنَ ،
يصرن قطيفا وكَرْما من العنب الساحليّ ،
ويسقين جرح الحبيب سلافة أرواحهنَّ ،
يقطّعنَ أيديهنَّ ، وينقشنَ اسم الحبيبَ على الصدرِ ،
يأخذن زينتهنَّ وينسين أقراطهنَّ ـ إذا ما انتشينَ ـ
على مصطبات الهوى ...
ولكنَّ تلك التي أعشقُ الآنَ ، ترفض كل حديث الغرام
وترفض همسَ القصائدِ ، توقن أن الطريق إلى القلبِ
يبدأ من عند بيت أبيها !!!

(٤)

لماذا أحبك
أنت المقامر بالقلب ،
أنت المسافر في الغيبِ ،
أنتَ الأمينُ ، الحنونُ ، المَدينُ ، المُدانُ ،
المواظبُ ، أنت المراقبُ ، أنت المحاصر بالطمي ،
والنار والأفعوان ، وأنت الرقيق المعذَّب في العشقِ ،

والعشق عذبنا بالعيون الجميلات ، أرَّقنا بالخصور النحيلاتِ ،
أغرقنا في بحار التهجد باسم الحبيب الظلوم ، وخدَّرنا
بالطزاجة والدفء حين يرفرف صوت الحبيبة كالدمعِ ،
كالفجرِ ، كالمطر المتساقط بعد رحيل الغيوم ....

(٥)

طيور التذكر
ترجع أيامنا الضائعاتِ ، وترسم دائرة للتأملِ ،
شمس الغروب ، الشوارع موبوءة بالتسكعِ ،
سيارة الرش ، همس البنات اللواتي يوزعنَ أحلامهنَّ ،
ويخلفن ميعادهنَّ ، المقاهي ، وأمسيَّة الأربعاء ،
المفاعيل والفاعلات ، الشواطئ ، رائحة البحرِ ،
لافتة الانتظار ، المدرَّج ، كراسة الدرسِ ،
طير التذكر ، يرسم دائرة للتأملِ
يرسم دائرتينَ
ثلاثا
وأربعْ
أنا الآن أروعْ
أنا الآنَ أزرع ريحانةَ الشعرِ ،
أهدم مصطبةً للتقوقعْ
أنا الآن أروعْ
أنا الآن أروعْ
أنا الآن أروْ ...
أنا الآنَ أرْ......

الأفق الرحب

شعر: سالم زين باحميد
« اليمن »

وقفت على الخمسين والنفس لم تزل
كعاب ، تغنى للحياة وللحب

وقفت على الخمسين ، والشوط واسع
سأمضى صعوداً ، ثابت الخطو فى دربي

عركت زمانى لم تثرنى مواجعى
فلست أبالى بالجديب ، وبالخصب

هو العيش ، لا شيء يدوم بحاله
ولست أخاف الخوف ، أهتز للرعب

صبور أبى دائما ذو شكيمة
عرفتُ حياتى فى السرور وفى الخطب

فسيان عندى كل شيء عركته
عرفتُ رغيف العيش ، والعيش فى الجدب

فلم أر خيرا من رضى ومحبة
وعيش اشتياق ، فى بعاد وفى قرب

أرى الحب نبراس الحياة يزينها
هو الحب فى الأعماق ينساب فى القلب

اذا عرف القلب المحبة صادقاً
يظل شباباً دائما فى هوى صب

هو الحب أكسير الحياة مقدس
به شبحُ الأرواح فى أفق رحب



بقلم: جمــال قطـب

الغجرية

المتتبع لهذه السلسلة على صفحات (الدوحة) يجد أننا استعرضنا جميع مدارس الفن العالمي تقريباً، منذ عصوره التاريخية الأولى، مروراً بكلاسيكيات القرون الوسطى وفنون عصر النهضة وما تلاها من طرز النهجية والباروك والروكوكو .. وعودة الكلاسيكية الجديدة في فرنسا والحركة الرومانتيكية ومدرسة باربيزون التي كانت تعني برسم المناظر الطبيعية .. ثم الواقعية .. ووقفنا طويلاً أمام الحركة التأثيرية بإشعاعاتها المبهجة وألوانها الدافئة المتلألئة لمدى أهميتها عالمياً، ولأننا في منطقتنا العربية قد بدأنا نهضتنا الفنية الحديثة ـ بعد اندثار مدارس الفن الاسلامي التي سادت في عهود الازدهار الماضية ـ بهذا الأسلوب التأثيري، وذلك عندما افتتحت أول مدرسة للفنون الجميلة في العصر الحديث بالقاهرة في أوائل هذا القرن، وبالتحديد في عام ١٩٠٨ وأوردنا عشرات من روائع الفن العالمي لأقطاب التأثيريين العالميين من العرب والأجانب.

وبين هذا وذاك، وعلى مدى السنوات الماضية، تدارسنا سوياً سير الفنانين وخواص نزعاتهم وثقافاتهم وانتماءاتهم المنهجية من خلال ما ننشره من لوحات على هذه الصفحات. ونلاحظ أن فنون عصر النهضة الذهبي الإيطالي، وفنون دول الشمال الأوروبي (الفن الفلمنكي)، والفن الأسباني، كانت أسبق من الفن الفرنسي والبريطاني .. حيث أن الحركة الفنية الفرنسية، وكذلك الانجليزية، لم تزدهر وتثبت أقدامها على أرض الابداع العالمي إلا في القرن الثامن عشر، الذي كان بمثابة نقطة انطلاق التحولات الفكرية الأوروبية والتفتح الوجداني الشامل. كما نلاحظ أن فرنسا ـ منذ أوائل ذلك القرن ـ قد أخذت زمام المبادرة في الحركات الفنية والمذاهب الفكرية الجديدة، وأصبحت باريس ملتقى ابداعياً ومركز إشعاع يقود العالم كله، ولا سيما في القرن التاسع عشر، ولذلك حظي الفنانون الفرنسيون بالنصيب الأوفر من استعراضاتنا السابقة. وعلى الضفة الأخرى من الجزيرة البريطانية، وجدنا أن النهضة الفنية تأخذ طابعاً خاصاً ميزها عن باقي النزعات الأوروبية، فبينما نرى أن فنون العصر الذهبي في ايطاليا يغلب عليها الطابع الديني والتحليق الروحي، نرى أن فنون دول الشمال (الأراضي المنخفضة) تعنى بجمال الطبيعة وسمات الحياة الشعبية والزراعية .. وفي أسبانيا، عندما وصلت الدولة في القرن السادس عشر إلى كونها قوة سياسية واقتصادية عظيمة رأينا أن فنها لم يصل إلى هذه الدرجة من الازدهار والرسوخ، ولكن القوة الدافعة جاءت إليها من الخارج عن طريق فن الشمال (الفلمنكي) وفنون النهضة الإيطالية وغيرها، وبدأ الأسبان يعالجون أساليبهم الفنية بطريقتهم الخاصة التي استمدوها من هذه المصادر، وفي فرنسا .. كان طابع فن القرن الثامن عشر (الروكوكو) هو الترف والنعومة والبذاخة الملكية .. ولذلك أطلق عليه اسم: فن البلاط .. ثم قامت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .. وأحدثت انقلاباً في كل شيء .. وبعدها توالت المدارس الفنية المستحدثة .. تلك التي قادت وراءها فنون الدول الأخرى كما ذكرنا .. أما في بريطانيا فلم تقم نهضة فنية حقيقية إلا في القرن الثامن عشر .. ويرجع الفضل في وضع أسس هذه النهضة آنذاك إلى الفنانين الأجانب من الايطاليين ومن دول الشمال الذين استدعاهم الملك هنري الثامن في القرن السادس عشر للعمل في بلاطه .. وبذلك أسسوا ما عرف بعد ذلك بطابع انجليزي خاص، كان يركز أساساً على خدمة السلطة الدينية خلال القرون الوسطى، وتحولت أعمال الفنانين إلى فنون تطبيقية تلبي متطلبات الكنيسة الكاثوليكية وقصور الحكم. على أن مجال التصوير قد انكمش تدريجياً منذ أن حل المذهب البروتستانتي محل الكاثوليكي، فلم تعد الكنيسة ترحب أو تبيح ما كان مرغوباً من قبل. وكان أمراً حتمياً وقتئذ أن يبحث المصورون عن مجالات أخرى يمارسون فيها نشاطاتهم، فاتجهوا إلى مصادر الالهام والجمال ممثلاً في الطبيعة وفي حسناوات العصر، ورسم الشخصيات المرموقة .. ولم يكن المسيطرون على هذه الابداعات إلا الأجانب الذين كانوا يفدون على انجلترا بدعوة من ملوكها ورجالاتها المرموقين .. وظلت الأمور تسير على هذا الحال حتى ظهر فناننا وليم هوجارث (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤) William Hoganth وكان أول من نجح في نشر الوعي الفني بين الجماهير .. ولا نتصور أن هذا الأمر كان سهلاً ميسراً! فكما نعرف، فإن الانجليزي بطبعه متحفظ لا يميل إلى التغيير بسهولة .. بل هو إنسان تقليدي يحب الالتزام، كما أنه موضوعي يبحث عن المنفعة المباشرة، ولذلك رأينا أن الإنجليز لم يتقبلوا في بادئ الأمر هذا التحول في تذوق الفنون الوجدانية، إذ لم يألفوا من قبل إلا الفن التطبيقي الذي يعطي نفعه بصورة مباشرة في حياتهم.

وهنا، اتجه هوجارث إلى مخاطبة الشعب من منطلق مشاكله الخاصة، تماماً كما يفعل فنان الكاريكاتير في أيامنا هذه .. لقد أخرج لوحات كانت أقرب إلى المقالات النقدية اللاذعة .. ورسم سلسلة من اللوحات تكون في مجموعها قصة تتناول حياة الناس بالتحليل، وتعد مجموعة الصور التي أسماها (الزواج العصري) .. أروع ما خلفه هوجارث .. وأعظم ما ترك أثره في مجتمعه البريطاني آنذاك. ولم يوقف الفنان عبقريته على رسم حسناوات عصره وعظماء قومه كما فعل غيره من مشاهير الفنانين الإنجليز من بعده، ولكنه فنان الطبقات الفقيرة والوسطى .. وكانت معظم لوحاته نقدية تهكمية لاذعة يرسمها من تلقاء ذاته لإظهار رأيه وتحقيق أفكاره فحسب!

ولما كان فن التصوير يعتبر المصدر الرئيسي للرزق بين المصورين الانجليز، وجدنا أن هوجارث يرسم بين الحين والآخر بعض الشخصيات من سيدات ورجال المجتمع البريطاني. ولذلك جمعت آثاره الفنية الرائعة بين اتجاهه الأساسي في لوحاته النقدية الهادفة، وبين السمة التي تميز بها الفن البريطاني وهو رسم الصور الشخصية.

وعلى الصفحة المقابلة، نرى إحدى لوحات هوجارث الشهيرة التي رسمها عام ١٧٤٠ وأسماها « بائعة الجمبرى أو الروبيان » وقد أسميناها مجازا « الغجرية » .. فلنتأمل هذه الرائعة التي أبدعها الفنان بعفوية وجرأة وانطلاق، كما لو كانت رسماً تحضيرياً سريع اللمسات، نابض الحيوية وكأن ألوانها لم تجف بعد .. إن سخونة التعبير العاطفي في هذه اللوحة قد جعل منها مثلاً رائعاً لتمكن الفنان وجرأته واقتداره على نقل انفعالاته مباشرة لسطح لوحاته .. ولينظر المعنيون بتذوق الفن وأسرار (التكنيك)، كيف استخدم هوجارث اللونين الأحمر والأخضر في تناغم واتساق وتوافق مثير!

إن فرشاته المحملة بأشجانه وحرارة عاطفته ووجدانه، تنطلق متحررة في سلاسة وسهولة .. ولكنه السهل الممتنع الذي لا يقدر عليه إلا الأفذاذ من فناني التاريخ الكبار!



فلسطين..
الجرح والطريق

شعر: معروف رفيق

الشاعر الفلسطيني الكبير معروف رفيق يصدر له بعد أيام ديوانه الجديد «فلسطين.. الجرح والطريق»، ويسعد الدوحة أن تقدم هذه القصائد المختارة من الديوان الجديد:

ماذا تريدون؟

هل تعرفُ الدنيا حقيقة موقفي
ومدى طموحي أو طبيعةَ مطلبي
إني أريد مسافةً في موطني
آوي إليها بعد طول تغرُّبِ
قبراً، يهدهِدُ جثتي، ويضمّها
في موطن الآباء.. في مسرى النبي

نهبوا مركز الأبحاث الفلسطيني

نهبوا التراث وصادروا عقلي
وتناوشوه، وأنكروا فضلي
سلبوا الثقافة وهي مفخرتي
يا مجرمون.. فحسبكُمْ قتلي
وثقافتي استُلبت فوا أسفي
يا ضيعةَ الموروثِ عن أهلي
من كان يحرق كلَّ ما تركوا
لينالَ من مجدي ومن أصلي
ويظن أن أصالتي نَفَدَتْ
ويزوّرُ التاريخَ بالجهل
من كان يفعل ذا.. فقد علِمَتْ
كلُّ الشعوب، أصالةَ النَّخلِ

فريق للمروءات يوم قصفوا مركز الأبحاث

قصَفوا الفكرَ فزادوه التماعا
احرَقوا الأقلامَ فازدادت بريقا
وصمدنا فكرةً وقادةً
وصنعنا من ضحايانا طريقا

وأفاق العجزُ من غفوته
وصحا العقل وقد كان غريقا
قدرة الانسان من تصميمه
شمعةٌ تشعل في الذل حريقا
ليس للذل حياةٌ بيننا
فلنشكّل للمروءات فريقا

رموز عربية ومسلمة في المعركة

الرمز لا يكفي ، ولكنّ الدلالةَ واضحةْ
نبضُ العروبة لم يمت ، رغم الوجوهِ الكالحة
فأولئك الأبطال :
من يَمَنٍ وتونسَ والجزائرْ
من مصرَ من لاهورَ اذْ ركبوا المخاطرْ
ضربوا مثالاً في التصدي
للطيور الجارحة
لكنّ هذا الرمزَ في معنى العقيدة والعروبة :
معناهُ في (فرض الكفاية)
أما الجهاد ففرْضُهُ
هو « فرضُ عَيْنْ »
فرضٌ ودينْ ..

رسالة عن طريق البريد البعيد

أخي الشاعر
أديب رفيق محمود

تحياتي
إليك أخي ببلدتنا الكئيبة
إلى الاخوان كلِّهِمُ
إلى الأعمام والأخوال في السهل
على الجَبَلين في الوادي وفي التلِّ
إلى العمّاتِ والخالاتِ لو يسْمَعْنْ
إلى الزَّهَرات حولَ النار في كانون
إلى كل الأحباء
تحياتي ...

تحياتي كزوبعةٍ خريفيةْ
كاعصارٍ يزمجر في حنايا الأفق
يزور عوالما كُثرا
ويحملُ فوقها شوقي
يرى باريس أو روما
يرى برلين أو لندن
ويحمل دفء أشواقي
بظرف ضمّ أوراقي
لعلّ لعلّ يبلغكم
ليفرد تحت أعينكم
تحياتي ...

وأكتب في ثنايا الليل لو تَدْري
واستوحي رُكامَ الليل إذا تعوي أعاصيُرهْ
وأسأل كل سانحةٍ
وأعصر كل جارحةٍ
لعلي أقطف الفكرةْ
لأزرعَها بأوراقي
لأمهرَها بأشواقي
لعلَّ الظَّرفَ يبلغُكُمْ
ليفردَ تحت أعينكم
تحياتي ...

ومها طالت الأيام
ومها اشتدت الآلام
سنبقى نحمل الصخرةْ
كما سيزيفَ نحملُها
ونحمل جرحَنا لو سال
وننشد ليلنا لو طال
سنبقى نحمل الصخرة
فلا تجزع ولا تحزن
فإن الصبرَ مذ أيوب علّمنا
عرفناه .. وخبأناه في مخزن
لنقبس منه حاجَتَنا ، وبُلغتنا
فلا زلنا
على أكتافنا الصخرة
وبلّغ كل من يسأل
تحياتي ...



لوحة لقلعة قايتباي يعود تاريخها إلى أيام الحملة الفرنسية

قايتباي

أهمّ القلاع على البحر الأبيض المتوسّط



جزء من أرضية المسجد بالدور الأول في القلعة

بقلم : ليلى الحريري

دمر الزلزال العنيف الذي عصف بمدينة الاسكندرية عام ٧٠٧ هـ ضمن ما دمر ، منار الاسكندرية القديم الذي كان يقع عند الطرف الشرقي لجزيرة صغيرة اسمها فاروس تمتاز بموقعها الهام عند مدخل الميناء الشرقية للاسكندرية ، ورغم أن السلطان محمد بن قلاوون حاكم مصر في ذلك الوقت أمر بترميمه واعادته إلى صورته الأولى وقد تم ذلك بالفعل ، إلا أنه لم يصمد أكثر من بضع سنوات تهدمت بعدها جميع أجزائه عام ٧٧٧ هـ ١٣٧٥ م .

ومرت السنون ، تولى بعدها الحكم السلطان الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي الظاهري الذي قدم إلى مصر ولم يتجاوز العشرين من عمره . اشتهر السلطان قايتباي بحبه للفنون جميعاً وغرامه الشديد بفن العمارة على وجه الخصوص حتى أنه أقام لها شاد للعمائر كوظيفة أساسية من وظائف الدولة قامت بالاشراف على العديد من العمائر في مختلف بقاع مصر وخارجها أيضاً .

وحين توجه السلطان قايتباي عام ٨٨٢ هـ ١٤٧٧ م لزيارة مدينة الاسكندرية ، قصد إلى موضع المنار القديم الذي تهدم وأمر مهندسه قجماس الاسحاقي وهو أشهر من تولى منصب شاد العمائر في ذلك الوقت ، أن يقيم في هذا المكان ، وعلى نفس الأساس القديم برجاً عرف بقلعة أو طابية قايتباي استغرق بناؤها أكثر من عامين وتكلف ذلك ما يزيد على المائة ألف دينار وأوقف عليها الأوقاف الجليلة .

وتعتبر قلعة قايتباي من أهم الحصون الدفاعية على ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد أقيمت على ما يزيد عن أربعة أفدنة أي مساحة قدرها حوالي ١٧٥٥٠ مترا مربعا بنيت عليها الأسوار الخارجية والاستحكامات الحربية ، بينما بني البرج الرئيسي في الجهة الشمالية الغربية من تلك المساحة

والبرج الرئيسي عبارة عن بناء مربع ضخم من ثلاثة طوابق يزيد ارتفاعها عن سبعة عشر متراً بني بالحجر الجيري الصلد ذي القطع الكبير ، في كل ركن من أركانه الأربعة ، أربعة أبراج مستديرة يبلغ قطر كل منها ستة أمتار . أما الطوابق الثلاثة فيختلف كل منها عن الآخر اختلافاً واضحاً في التخطيط والارتفاع حيث يشغل معظم الطابق الأرضي مسجد ، كما يتكون الطابق الثاني من عدة حجرات تختلف في مساحتها وربما كانت للسكنى في ذلك الوقت . أما الطابق الثالث فيتكون من عدة حجرات صغيرة متشابهة تفصل بينها ممرات وكانت على الأرجح تستعمل كمخازن للأسلحة والذخيرة .

ونظراً للأهمية البالغة لقلعة قايتباي من الناحية العسكرية ، فقد اهتم بها سلاطين مصر وحكامها منذ انشائها وحتى وقتنا هذا . فحين تولى السلطان الأشرف أبو النصر قنصوة الغوري أمر البلاد في عهد المماليك أولاها اهتماماً خاصاً ورعاية فائقة .



باب القلعة الرئيسى



واجهة البرج الرئيسي على البحر



لوحة السلطان الغوري أعلى الباب

وعندما أحس بقرب الخطر العثماني زاد من قوة حاميتها وشحنها بالسلاح والعتاد وأصدر مرسوماً عسكرياً ينهى فيه عن اخراج السلاح منها بل وجعل الشنق والاعدام عقوبة كل من تسول له نفسه الاقدام على السرقة من داخل القلعة . وقد أمر بنقش هذا الأمر على لوحة من الرخام مثبتة بأعلى الباب المؤدي إلى الفناء وكتب عليها ... « بسم الله الرحمن الرحيم .. رسم بأمر مولانا المقام الشريف الملك الأشرف أبو النصر قنصوة الغوري خلد الله ملكه ، أن لا أحد يأخذ من البرج الشريف بالاسكندرية سلاح مكاحل ولابارود ولا آلة ولا غير ذلك . ومن يخالف ذلك من جماعة البرج من مماليك وعبيد وزرد كاشيه وخرج منه بشيء ، شنق على باب البرج وعليه لعنة الله . بتاريخ شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعمائة من الهجرة » .

وعندما تولى الأتراك العثمانيون حكم مصر ، استخدموا جميع القلاع المنتشرة في مصر لحمايتهم مثل قلعة القاهرة ودمياط والبرلس وقلعة العريش وكان على رأس هذه القلاع قلعة قايتباي بالاسكندرية التي أقاموا على حراستها طوائف من الجند والمشاة والفرسان والمدفعية اضافة إلى جماعات من الطبالين ونافخي الأبواق وبعض المعماريين والنجارين .

وحين ضعفت قوة العثمانيين الحربية ، ضعفت وفقاً لذلك حامية قلعة قايتباي وبالتالي فقدت أهميتها الحربية . وظل الحال كذلك حتى استولى الفرنسيون على مدينة الاسكندرية عام ١٧٩٨ م فسقطت القلعة في أيديهم وإن ظلت محتفظة بشكلها وعمارتها الأولى .

واستقر الحكم في مصر لمحمد علي ، فكان أن اهتم بحماية الأمن في البلاد داخلياً مثلما اهتم بتحصينها ضد المعتدي الخارجي . واهتم بتحصين السواحل فأقام العديد من القلاع الجديدة اضافة إلى تجديد الحصون القديمة ومنها قلعة قايتباي بالاسكندرية فأمر بتجديد مبانيها المتصدعة ، وترميم أسوارها الخارجية ثم زودها بالأسلحة الحديثة وخاصة المدافع الساحلية .

وحكم مصر خلفاء محمد علي تباعاً ، واستمر اهتمام كل منهم بهذه القلعة القديمة حتى كانت سنة ١٨٨٢ م عندما اندلعت الثورة العرابية ضد الاحتلال البريطاني ، وهاجم الأسطول الإنجليزي مدينة الاسكندرية في اليوم الحادي عشر من شهر يوليه من نفس العام فهدم قلاعها وأصاب حصونها وأحدث بمبانيها تدميراً كبيراً نتيجة انفجار قذائف المدافع بداخلها خاصة في الواجهة الغربية منها .

وظلت قلعة قايتباي كما هي عليه من دمار وتهدم إلى أن كان عام ١٩٠٤ م حيث استرعت انتباه المعنيين بدراسة الآثار الاسلامية في مصر وعلى رأسهم لجنة الآثار العربية فمدت إليها يد الاصلاح وقامت بجمع المستندات التاريخية والأثرية لهذه القلعة مرجعها في ذلك الدراسات التي سبق وأن قام بها علماء الحملة الفرنسية على مصر والتي نشرت في كتاب « وصف مصر » كما اعتمدت أيضاً على الدراسات التي خلفها الرحالة كاسيوس ونشرها في كتاب صدر له في باريس عام ١٧٩٩ م .

ثم توقفت يد الاصلاح في هذه القلعة زهاء قرن من الزمان فوصلت إلى حال سيئة نتيجة تأثير العوامل الطبيعية وغيرها مما أدى إلى تآكل الأحجار الخارجية والداخلية في مبانيها وتهدم بعض أجزائها المطلة على البحر . إلى أن قامت هيئة الآثار المصرية منذ عامين وفي اطار سلسلة من المشاريع التي تقوم بتنفيذها لترميم وتطوير وتجميل المناطق الأثرية ، باعداد مشروع قامت بتنفيذه لترميم هذه القلعة الشهيرة التي وقفت شاهداً على صمود مدينة الاسكندرية في مواجهة أي اعتداء خارجي عليها وكانت بذلك خط الدفاع الأول البحري لحماية البلاد كلها .

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي

الربوت «عامل النظافة»

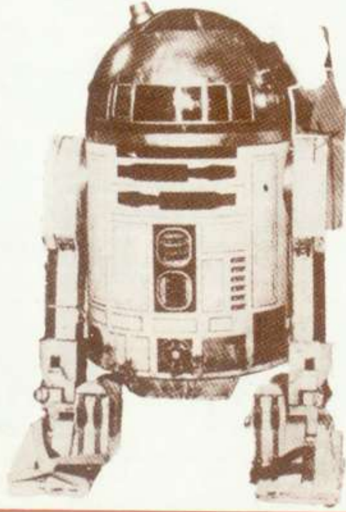
قد تصبح فرنسا أول بلد في العالم يستخدم الربوت في أعمال النظافة العامة فمن المعروف أن باريس تملك أكبر شبكة مترو أنفاق في العالم وتتكلف عملية تنظيفها حوالي مائتي مليون فرنك سنوياً .

ولذلك قررت الهيئة المشرفة على مترو أنفاق باريس استخدام ٥٠٠ ربوت ليحلوا محل ١٥٠٠ عامل نظافة خلال فترة لا تزيد عن عشر سنوات ومعنى ذلك أن الربوت سيخرج من المصانع والورش لينزل إلى الشارع ويعيش في وسط الناس وهو ما يتطلب منه أن يكون أكثر ادراكاً للبيئة التي يتحرك فيها وأن يكتسب قدراً أكبر من الاستقلال الذاتي .

ويجري الباحثون الفرنسيون تجاربهم وصولاً إلى جيل جديد من الربوت يستطيع التحرك بحرية واتخاذ القرارات المناسبة لكل موقف فضلاً عن تمتعه بحاسة الابصار واللمس مما يمكنه من الوقوف على الأشياء والتمييز بينها ، فسيتولى هذا الربوت اختيار خط سيره والتصرف بلباقة مع الجمهور بل وقد يضطر في بعض الأحيان إلى تغيير خطة عمله .

وإذا كان الباحثون لم يتفقوا بعد على شكل الربوت « عامل النظافة » ـ عدة نماذج مقترحة ـ فهناك إجماع على أنه سيزود بكاميرا تلفزيونية بدلاً من العينين وبهوائي خارجي للاتصال بمركز قيادته لاستقبال وإرسال الاشارات وبعدد من أجهزة الرصد بعضها يعمل بأشعة الليزر لتحديد المسافة بين الربوت والأجسام التي قد تعترض طريقه بسرعة مذهلة أما البعض الآخر فيعمل بالأشعة تحت الحمراء والموجات فوق الصوتية للتمييز بين الأجسام وتحديد موقعها . كما سيزود هذا الربوت بنظام الكتروني يمنعه من الاصطدام بالأجسام سواء الساكنة أو المتحركة .

أما ملايين الدوائر الالكترونية المتطورة التي ستقوم باستقبال ومعالجة كم المعلومات الهائل التي تجمعها حواسه أثناء عمله فستختفي وراء هيكل فولاذي صلب . كما سيزود بأقدام مفصلية لصعود ونزول الدرج .


أحد النماذج المقترحة للربوت « عامل النظافة »

أصغر نظام فيديو

يحافظ اليابانيون على تفوقهم في مجال التصوير بمختلف أنواعه الكيميائي منه والالكتروني فلقد انتجوا مؤخراً أصغر نظام فيديو متكامل . فهو يضم في قطعة واحدة الكاميرا وجهاز التشغيل ولا يزيد وزنه عن كيلو جرام واحد ، ويستخدم هذا النظام أشرطة فيديو ٨مم ويصل وزنه بعد إضافة البطاريات والشريط إلى ١,٤كج .

وفضلاً عن صغر حجمه وخفة وزنه فهو يتميز بسهولة استعماله فلقد صمم بحيث يستطيع الهاوي استخدامه للحصول على أفضل النتائج فزودت العدسة بدوائر لضبط المسافات الطبيعية أو التركيز على الوجه . أما ضبط الاضاءة فيتم أتوماتيكياً ، وهناك طريقتان لضبط الاضاءة الأولى للضوء الطبيعي والثانية للضوء الصناعي .

وتعطي الكاميرا ساعتين من التسجيل فالشريط يتحرك بسرعة ١,٤٣سم في الثانية كما تعمل البطاريات بشكل متواصل لمدة ثمانين دقيقة قبل أن تحتاج إلى إعادة شحن . وبعد الانتهاء من التصوير يمكن توصيل جهاز الفيديو مباشرة بجهاز التليفزيون لعرض الفيلم .



أصغر نظام فيديو (كاميرا وجهاز تشغيل) في العالم

معمل تحليل منزلي

تطورت تقنيات التحاليل الطبية في السنوات الأخيرة تطوراً كبيراً فأصبحت أقل تعقيداً وساعد على ذلك استخدام الأجهزة الالكترونية لتحديد نتائج الاختبارات بدقة متناهية.

ولعل الجديد في هذا المجال هو انتاج مجموعة من التحاليل والاختبارات لا تتطلب أي خبرة طبية بحيث يستطيع الشخص العادي حماية حالته الصحية وهو في منزله وتحديد نسبة الجلوكوز في دمه مثلا أو نسبة الكولسترول أو الصوديوم ... الخ فالباحثون الألمان يقدمون لمرضى السكر جهازاً دقيقاً لقياس مستوى الجلوكوز في الدم إذ يقوم المريض بوضع نقطة دم على شريط بلاستيكي معالج كيمائياً وبعد دقيقة يدخل الشريط في الجهاز المبين بالصورة حيث يتم تحديد مستوى الجلوكوز في العينة بالتحليل الضوئي للتغيرات التي تطرأ على لون الشريط وتظهر النتيجة في شكل رقمي على شاشة صغيرة أعلى الجهاز.

أما بالنسبة لتحديد مستوى الكولسترول والبوتاسيوم والصوديوم في بلازما الدم ــ وهي من المكونات التي لها تأثير كبير على وظائف القلب والجهاز الدوري ــ فلقد ابتكرت احدى شركات التصوير الألمانية شريحة في حجم طابع البريد مغطاة بطبقة متناهية الدقة من المواد الكيمائية المستخدمة في الكشف عن المركبات. ويتم إدخال هذه الشريحة بعد وضع عينة الدم عليها في جهاز تحليل الكتروني صغير الحجم وسهل التشغيل بحيث يعطي الجهاز نسبة الكولسترول والبوتاسيوم والصوديوم بسرعة ودقة كبيرتين.



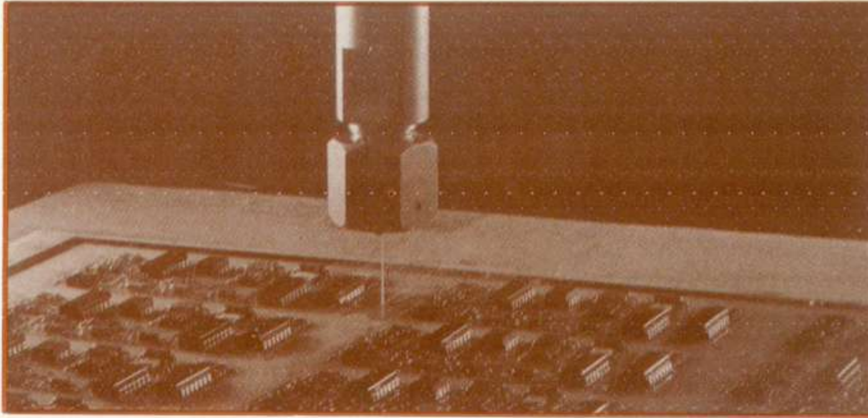
الجهاز المنزلي لتحديد نسبة الجلوكوز في الدم.

شعاع الليزر وشعاع الماء

بدأ تيار الماء المضغوط ينافس شعاع الليزر في عمليات التقطيع الصناعي. فهو يندفع تحت ضغط ٤ آلاف بار من فتحة لا يزيد قطرها عن واحد على عشرة من المليمتر وبسرعة ألف متر في الثانية أي ثلاثة أضعاف سرعة الصوت بحيث يكون هذا الشعاع المائي المندفع شديد التماسك وشبيهاً بشعاع ليزر سائل. (سرعة الصوت ٣٤٠ متر في الثانية).

والمدهش أن الماء عند هذه السرعة لا يبلل المادة التي يقوم بتقطيعها. ويستخدم هذا الشعاع المائي في تقطيع أنواع مختلفة من المنتجات ابتداء من المعجنات والشكولاته إلى الصوف الزجاجي وقضبان الكربون والدوائر الالكترونية. وباضافة مواد كاشطة لتيار الماء المضغوط يصبح قادراً على تقطيع المعادن وهو مجال كان حكرا على أشعة الليزر. ومن ناحية أخرى يمكن تركيب شعاع الماء المضغوط في الذراع الآلية للربوت الصناعي مما يجعل هذه الأداة الجديدة أكثر فاعلية. ويتميز استخدام شعاع الماء بدلاً من شعاع الليزر مع الربوت بأن الأول لا يحتاج إلى تركيبات معقدة مثلما هو الحال مع شعاع الليزر إذ يكفي توصيل الأنبوب المندفع منه تيار الماء في طرف يد الذراع الآلي.

ولقد بدأت بالفعل بعض المصانع الأمريكية والفرنسية في استخدام شعاع الماء في تقطيع مكونات هياكل السيارات وألواح التيتان المستخدمة في صناعة الطائرات وقضبان الفولاذ.



شعاع الماء بدلاً من شعاع الليزر في تقطيع الدوائر الالكترونية



شعاع الماء والذراع الآلي للربوت يقوم بتقطيع نعال جلدية للأحذية

عام التحول في السينما المصرية

الجمهور يُضرِبُ عن مشاهدة الأفلام الرديئة والمخرجون الكبار يعودون إلى الشاشة بأفكار جريئة

مع نهاية عام ٨٥ .. تغلق السينما المصرية صفحة من تاريخها ، شهدت تحولاً خطيراً في مسارها .. ففي ذلك العام .. أعلن الجمهور رفضه للأفلام التافهة .. وجاء هذا الاعلان بطريقة عملية ، انعكست في الانخفاض الهائل بإيرادات تلك الأفلام .. وانسحبت الأفلام من السوق بعد أسبوعين فقط من عرضها الأول .. الشيْ الذي لم يحدث منذ سنوات ! !

بقلم : رؤوف توفيق

حدث ارتباك في دور العرض بالقاهرة .. ولأول مرة تغلق أبواب خمس دور عرض درجة أولى ، خلال شهر واحد ، وبحجة الاصلاحات والتحسينات .. وتضطر بعض دور العرض الأخرى ، أن تعيد تقديم أفلام قديمة !

ورغم كل البوادر ، التي كانت تشير إلى هذا التحول من الجمهور .. إلا أن الكثيرين من صناع السينما المصرية لم يتوقعوا أن يتم هذا التحول بتلك الطريقة الحاسمة ، والتي كلفتهم اجهاض أحلامهم بالثراء السريع !

غياب التخطيط العلمي

وأي صناعة في العالم ، لابد أن تعتمد على دراسات السوق ، واحتياجات المستهلكين ، ومؤشرات المستقبل إلا صناعة السينما في مصر .. فهي تعتمد على الاجتهادات الشخصية ! فليست هناك احصائيات دقيقة عن عدد المشاهدين ، ومتوسط أعمارهم ، وتوزيعهم الجغرافي على خريطة مصر .. وليست هناك معلومات جدية عن أذواق جمهور السينما ، وأي الأفلام يفضلها : كوميدية ـ اجتماعية ـ بوليسية .. الخ .. ومن هم النجوم الذين يسعون لمشاهدة أفلامهم ..

وباختصار .. ليس هناك أساس علمي يتحرك من خلاله رجال صناعة السينما في مصر..

من هنا تصبح مسألة استقراء الواقع وتخطيط المستقبل .. مسألة شخصية تماماً .. يقوم بها المنتجون حسب قدرة كل منهم على فهم السوق !

ومع دخول عدد كبير من أصحاب رءوس الأموال إلى صناعة السينما ـ بهدف استثمار نقودهم وبعائد سريع ومجز ـ تحولت مهنة

سعاد حسني .. في دور فتاة خرساء في فيلم « عصفور من الشرق »



توفيق الحكيم يظهر بشخصيته الحقيقية في فيلم « عصفور من الشرق » يحاور بأسلوبه الساخر الممتع « نور الشريف » الذى يريد أن يعيد تجربة الحكيم فى باريس وفى الريف المصرى .

الانتاج السينمائي في مصر .. إلى مهنة بلا ضابط أو رابط ، وشهدت صناعة السينما في مصر خلال السنوات العشر الأخيرة .. نماذج غريبة من المنتجين ، أقحموا أنفسهم في لعبة الأفلام ، دون أن تكون لديهم أية فكرة عن السينما .. سوى أنها مجرد أضواء ومكاسب ! !

وعجزت غرفة صناعة السينما في مصر ، عن تحديد مواصفات المنتج السينمائي الذي يحق له العمل في هذه الصناعة .. وما زالت الغرفة ـ حتى كتابة هذه السطور ـ تؤجل الفصل في هذا الموضوع !

عام التحول في السينما المصرية



فريد شوقي ومديحة كامل في لقطة من فيلم «ملف في الآداب» إخراج عاطف الطيب

التجـارة الفاسـدة

وكان من نتيجة هذا الوضع المتردي .. أن امتلأت الساحة السينمائية في مصر .. بكثير من المغامرين والمضاربين ، ولأن رأس المال جبان .. فقد راهن أغلب المستثمرين الجدد على الجواد الرابح .. وهو الفيلم الكوميدي !..

والحجة التي كانت قائمة في ساحة الرهان .. أن المتفرج المصري يعاني من ضغوط كثيرة في حياته اليومية ، ولهذا فهو يذهب للسينما لكي يضحك ويتسلى وينسى همومه !

وانهمرت مجموعة هائلة من الأفلام التي توحي بأنها كوميدية .. ولكنها لم تكن تحمل من صفات الكوميديا سوى الاسم فقط وبدأ الجمهور يكتشف هذه الخدعة .. وأنه يذهب للسينما ولا يضحك ولا يتسلى .. بل تزداد حسرته على ضياع نقوده !! التي دفعها ثمناً للتذاكر .

وأسرع بعض المنتجين بتغيير اتجاههم .. فقد اكتشفوا جوادا جديداً يربح .. وهو الأفلام التي تنتقد سياسة الانفتاح الاقتصادي وما سببته من تأثيرات على المجتمع المصري ..

ولقد نجحت بعض الأفلام التي ناقشت هذا الموضوع .. وحصلت على تقدير المثقفين والنقاد .. وأرضت في نفس الوقت نفسية المتفرجين .. فما كان من هؤلاء المنتجين ، إلا أن تشعلقوا بهذا الخيط .. وانهمرت مجموعة من الأفلام تعرض لحكايات من الفساد ، والتهريب ، والثراء غير المشروع ، الحلال والحرام ، والشرفاء والنصابين .

وتاجرت تلك الأفلام بالقضية الاقتصادية التي هزت المجتمع المصري .. حتى أصبحت تلك الأفلام جزءاً من التجارة الفاسدة !!

واكتشف الجمهور مرة أخرى هذه الخدعة ..

وقرر إعلان احتجاجه .. ومقاطعة تلك السينما ، وبدأت المؤشرات تؤكد انخفاض ايرادات جميع الأفلام .. حتى الأفلام الجيدة !

وكأن سوء الظن بالأفلام .. أفقد الشهية للتردد على دور السينما !

مواصلة الرهان الخاسر

ولأنه ليس هناك منهج علمي لدراسة السوق .. فقد بدأ المنتجون يفسرون ظاهرة انخفاض ايرادات أفلامهم .. كل بطريقته !

البعض اعتبرها حالة طارئة .. والبعض ألبسها الظروف الاقتصادية القائمة .. والبعض بررها بانتشار الفيديو الذي وصل للقرى والمقاهي الصغيرة .. والبعض قال انه مجرد سوء حظ !!

ولكن قليلاً جداً منهم ، من اعترف برداءة الفيلم الذي يقدمونه .. والدليل الذي يجعلهم يستبعدون هذا السبب .. أن الأفلام كلها هبطت إيراداتها .. الجيد والرديء !

وأمام الحلم بانتعاش السوق .. واصل هؤلاء التجار مراهناتهم على الجواد الذي لا يخيب على مر العصور .. جواد الكوميديا !

وإذا كان عادل امام ، قد رفع أجره إلى رقم لم تعرفه السينما المصرية من قبل .. فهناك نجوم كوميديا آخرون من الممكن أن يتحملوا مسئولية فيلم ، وبأجور أقل !

وهكذا صنعوا مجموعة من الأفلام قليلة التكاليف ، ولم ينشغلوا كثيراً أو قليلاً بالموضوع الذي يقدمونه .. وانما كان الهدف هو حشد مجموعة من ممثلي الكوميديا ، وتركهم أمام الكاميرات ليخترعوا الحوار والقفشات الضاحكة التي اشتهروا بها .

ولم يكن هذا في صالح ممثلي الكوميديا .. وبالطبع لم يكن في صالح الأفلام نفسها .. وسقطت تلك الأفلام .. صحيح أن أصحابها لم يخسروا كثيراً ، بل ان بعضهم جنى بعض الأرباح ! لكن الخسارة الحقيقية كانت من رحيل ثقة الجمهور في هؤلاء الممثلين .. والأهم هو اهتزاز الثقة بالفيلم الكوميدي ..

في بداية عام ٨٥ عرضت دور العرض بالقاهرة فيلم التريللا (سمير غانم) ــ فيلم مغاوري في الكلية (يونس شلبي) ــ فيلم الرجل الذي عطس (سمير غانم) ــ فيلم محطة الأنس (مجموعة من ممثلي الكوميديا) ــ فيلم هنا القاهرة (محمد صبحي)

وتراوحت مدة العرض من ثلاثة إلى خمسة أسابيع .

ولكن في الثلث الأخير من عام ٨٥ ــ عرض فيلم المجنونة (اسعاد يونس) ولم يستمر أكثر من أسبوعين فقط ، رغم أن هذا الفيلم قد يكون من أفضل أفلام تلك النوعية .. إلا أن رد فعل الجمهور كان حاسماً !

وقد سجلت أعلى الأفلام ايرادات ، تلك التي استمر عرضها من ١٢ إلى ١٥ أسبوعاً .. بينما كانت بعض الأفلام في العام السابق تزيد مدة عرضها عن العشرين أسبوعاً ..

ولأول مرة أغلقت خمس دور عرض درجة أولى أبوابها في القاهرة خلال شهر واحد هو شهر رمضان هذا العام .. برغم أن المعروف أن سهرات ليالي رمضان في القاهرة من بينها الذهاب إلى دور السينما .. ولكن يبدو أن الجمهور فضل الجلوس أمام التليفزيون .. فهذا أضمن وأوفر وأقل مشقة ! ونتيجة للانسحاب السريع والمفاجئ لكثير من الأفلام بعد أسبوعين أو ثلاثة من عرضها .. حدث ارتباك في جداول دور العرض .. مما اضطرها إلى اعادة عرض أفلام قديمة سبق عرضها من قبل مثل أفلام حمام الملاطيلي ــ أنف وثلاث عيون ــ أبي فوق الشجرة ــ المذنبون ..

وارتفعت كثير من الأصوات داخل صناعة السينما المصرية تعلن حالة الطوارئ .. وقال البعض ان السينما لم تعد مجالاً جيداً للاستثمار .. وانسحبت بعض رؤوس الأموال المغامرة ، وفي الحقيقة كان هذا في صالح السينما المصرية ..ولم يكن ما حدث سوى أزمة الخروج من طور إلى طور

عودة المخرجين الأربعة الكبار

فبينما كانت أصوات التجار المغامرين تندب خيبة أملها .. كانت استوديوهات السينما المصرية ومعاملها تشهد أكبر تجمع من السينمائيين المخلصين لرسالتهم، يعملون في اصرار وتحد ، لاسترداد الجمهور المفقود ، والسمعة الملطخة بآثام المغامرين !

ولأول مرة منذ سنوات طويلة .. يستعد المخرجون الأربعة الكبار في السينما المصرية لتقديم أفلامهم الجديدة ..

• المخرج صلاح أبو سيف .. يعود إلى العمل بعد انقطاع طويل ومنذ اخرج فيلم «القادسية» للسينما العراقية .. بدأ أخيراً يقف وراء الكاميرات في صحراء سقارة ليصور فيلمه الجديد «البداية» الذي اشترك في كتابة السيناريو له مع لينين الرملي ليحكي عن العلاقات الانسانية في لحظة مواجهة الخطر والمصير المجهول .

• والمخرج كمال الشيخ .. استقر أخيراً على الصورة النهائية لفيلم «قاهر الزمن» الذي يخطو به إلى مجال الخيال العلمي لأول مرة في السينما المصرية .. وقد ظل كمال الشيخ متردداً ازاء هذه التجربة لمدة تزيد عن ثلاث سنوات .. وكانت أكثر مخاوفه تتعلق بالجمهور وكيفية استقباله لهذه النوعية من الأفلام ، ولكنه اكتشف كما قال لي ، أن جمهور الفيديو في المنازل ، من الممكن أن يساند هذه التجربة بالاضافة إلى جمهور المتعلمين الذين ما زالوا مرتبطين بعادة الذهاب إلى السينما .. وعلى هذا بدأ العمل في تصوير الفيلم لكي يكون جاهزاً للعرض في عام ٨٦ .

• والمخرج توفيق صالح .. بعد أن عاد إلى مصر منذ أكثر من عام .. ظل يبحث عن الموضوع الذي يقدمه لجمهوره .. ويلتقي بالكتاب والفنانين في محاولة لتقديم فيلم يليق باسمه وتاريخه ، ويليق بعودته .. وكان دائماً يصطدم بالمتغيرات الهائلة التي حدثت في صناعة السينما المصرية ومن نوعية الجمهور .. ولكن اصراره كان أقوى من الاستسلام . تحمس لرواية «قرية ظالمة» للدكتور محمد حسين هيكل ثم ظهرت مشكلة ارتفاع ميزانية الفيلم وصعوبة تمويله .. فقرر تأجيل هذا المشروع مؤقتاً .. وواصل البحث عن موضوع آخر .. حتى نشر نجيب محفوظ روايته الجديدة «يوم مقتل الزعيم» فعاد إليه حماسه واتفق مع (صلاح جاهين) على إعدادها سينمائياً .. ليبدأ تصويرها في عام ٨٦ .

• والمخرج يوسف شاهين.. بعد خطوته للسينما العالمية بفيلم .. وداعاً بونابرت .. بدأ يستعد لفيلمه الجديد «اليوم السابع» ليصوره بين القاهرة وباريس .

جيل الشباب .. يتقدم .

وفي نفس الوقت الذي يعود فيه المخرجون الأربعة الكبار للعمل في وقت واحد .. يعود أيضاً مخرجون من جيل الشباب الذين حاولوا أن يغيروا وجه السينما المصرية :

• المخرج علي بدرخان .. بعد توقف طويل منذ فيلم «أهل القمة» ــ عام ٨١ ــ يعود للعمل من خلال قصة «سارق النعمة» لنجيب محفوظ .. وقد اختار لها عنوان سينمائياً «المواجهة» ليلعب بطولته أحمد زكي أمام سعاد حسني ويسرا ..

• والمخرج خيري بشارة .. انتهى من تصوير فيلمه الثاني «الطوق والاسورة» الذي يعود به للسينما بعد توقف ثلاث سنوات منذ قدم أول أفلامه الروائية الطويلة «العوامة ٧٠» وكان فيلماً مشرفاً .. أعلن بوضوح عن فكر سينمائي ومتطور ، هاهو ينتقل بأفراد فيلمه الجديد إلى الأقصر ليجسد رواية الأديب «يحيى الطاهر عبدالله» ومن خلال ممثليه عزت العلايلي وفردوس عبدالحميد وشيرين ..

• والمخرج رأفت الميهي .. انتهى من اعداد فيلمه الجديد «للحب قصة أخيرة» ليناقش من خلاله العلم والشعوذة .. موضوع جريء يواصل به رحلته السينمائية بعد الضجة الهائلة التي أحدثها فيلمه السابق «الأفوكاتو» .

• والمخرج محمد راضي .. يعود للسينما عام ٨٦ ليعرض فيلمه «الناس والجن» بطولة عادل امام ويسرا .. ويناقش فيه أيضاً مسألة الخرافات .. بعد أن قدم في آخر أفلامه «أمهات في المنفى» عام ــ ٨١ ــ شريحة للمتغيرات الاجتماعية نتيجة سياسة الانفتاح الاقتصادي ..

• والمخرج علي عبدالخالق .. يواصل خطه البياني المتصاعد .. فبعد آخر أفلامه «الكيف»



نور الشريف في دور «عصفور» الرجل الغامض في رواية نائب في الأرياف



ممدوح عبد العليم في أنجح ظهور سينمائي له في فيلم «مشوار عمر» حيث يلعب دور عامل بسيط

عام التحول في السينما المصرية

أول تجربة من نوعها للمشاركة بفنيين من السينما المصرية لتقديم الفيلم السينمائي الأول لجمهورية « مالديف » الاسلامية .. والفيلم بعنوان « يوسف وزينب » الذي يلعب بطولته فاروق الفيشاوي مع عدد من الممثلين المالديفيين ، الذين يواجهون كاميرات السينما لأول مرة .

• والمخرج عاطف الطيب .. الذي يفاجئنا دائماً بهذا التدفق الفني المتجدد .. فبعد رائعته « سواق الاتوبيس » ثم « الحب فوق هضبة الهرم » يقدم فيلم « الزمار » قصيدة سينمائية عن الباحثين عن الحق والعدل .. كتب مفرداتها اللغوية في حوار عذب الشاعر الراحل عبدالرحيم منصور .. وكان أول وآخر فيلم يكتبه .. ولعب بطولته نور الشريف ومحسنة توفيق وصلاح السعدني .

ثم يقدم المخرج عاطف الطيب فيلمه الثاني « البريء » من تأليف وحيد حامد .. ليعرض لمأساة القهر السياسي من خلال المعتقلات التي تمتلئ بأصحاب الرأي المعارض ، ومن وجهة نظر جندي حراسة ، شاب ريفي نقي إلى أقصى حد مخلص في عمله لأقصى حد .. أفهمه رؤساؤه ، أن هؤلاء المعتقلين هم أعداء الوطن .. فتعامل معهم على هذا الأساس ، حتى اكتشف ذات يوم أن من بين المعتقلين الجدد ، أحد أبناء قريته ، شاب جامعي يعرفه تماماً ، ويحترمه جداً ، ويعتبره أوفى أصدقائه ومثله الأعلى .. فكيف يكون هذا الشاب



نبيلة عبيد وأحمد زكي في فيلم « شادر السمك » للمخرج علي عبد الخالق الذي يحلل من خلاله عملية صعود أحد التجار الصغار ليصبح صاحب الصوت المسموع في سوق السمك

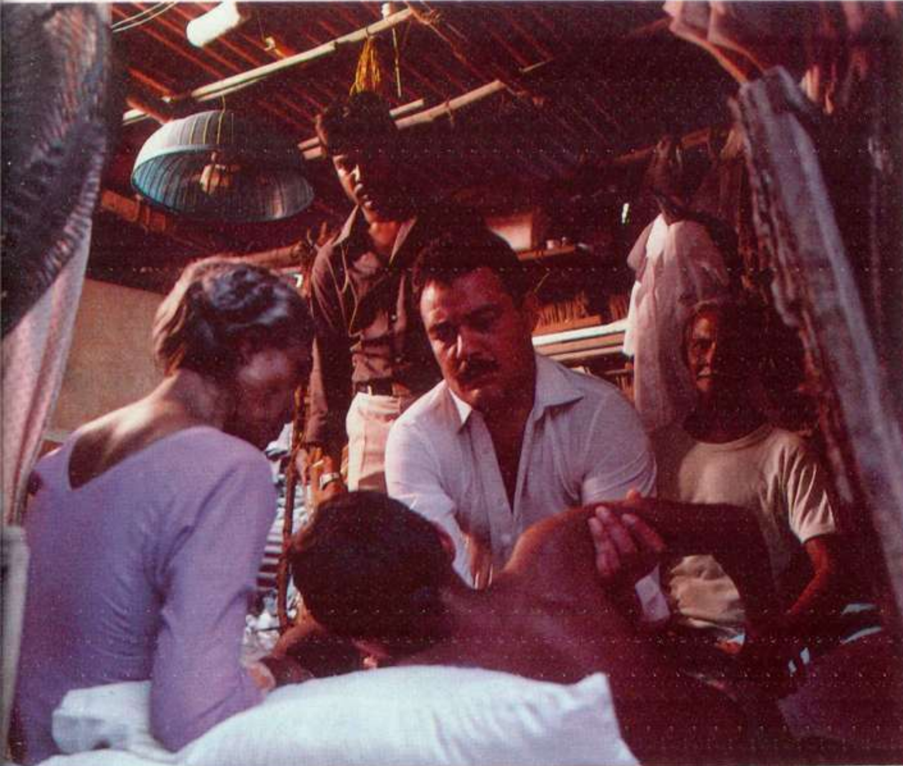
والذي ما زالت أصداؤه مستمرة حتى الآن ، محققاً أرقاماً قياسية في الايرادات .. يقدم في أوائل عام ٨٦ فيلمه الجديد « شادر السمك » بطولة أحمد زكي ونبيلة عبيد ليحكي من خلاله مايدور في كواليس السوق وكيف يتحكم التجار في الأسعار وفي مصير صغار البائعين ..

• والمخرج محمد خان .. يدخل مرحلة جديدة من مراحل نضجه السينمائي ليقدم في عام ٨٦ ثلاثة أفلام انتهى من تصويرها ..

فيلم « مشوار عمر » ويعرض نموذجاً لشاب من الطبقة الجديدة التي ظهرت في مصر .. حيث الثراء بلامجهود ، والرغبة الجامحة في الاستمتاع بكل لحظة وأحداث الفيلم كله تدور في الطرق التي تربط القاهرة بالدلتا ، ثم بالبحر الأحمر .. عبر سيارة فارهة ، وسيارة أخرى للنقل .. ويقوم ببطولة الفيلم فاروق الفيشاوي ومديحة كامل وممدوح عبدالحليم .

وفيلم « عودة مواطن » الذي يدخل به الفنان يحيى الفخراني تجربة الانتاج الأولى له .. حيث يلعب الأخ الكبير الذي سافر للعمل في احدى الدول العربية ثم عاد إلى أسرته المكونة من أخوته .. فوجد كلاً منهم قد اختار طريقاً ولم يعد يجمعهم غير البيت القديم .. وقصة ذلك الفيلم كتبها الفنان المتميز « عاصم توفيق » صاحب التجربة السابقة مع محمد خان في فيلم « خرج ولم يعد » .

أما الفيلم الثالث للمخرج محمد خان .. فهو



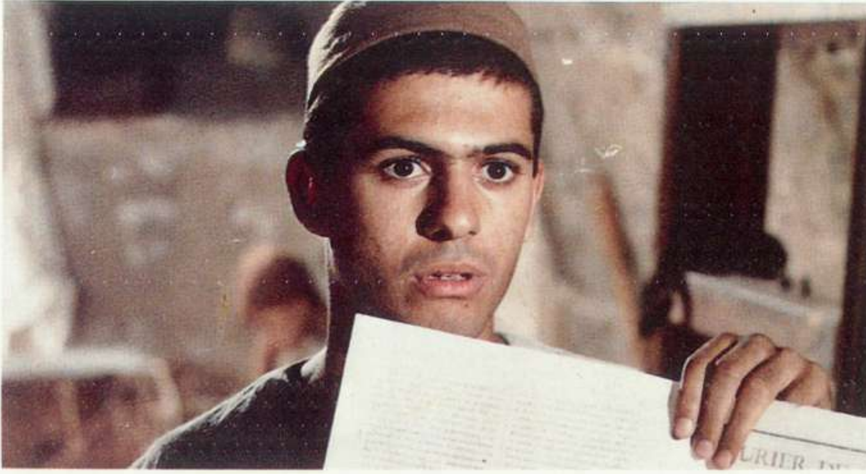
فاروق الفيشاوى .. داخل بيت حقيقي في إحدى جزر « المالديف » ومن حوله ممثلون يقفون لأول مرة أمام كاميرات السينما .. في إحدى لقطات فيلم « يوسف وزينب »

من أعداء الوطن !؟؟ ويدافع عنه .. ويعصي لأول مرة أوامر رؤسائه .. وينال عقابه .. وتتفتح بصيرته ليدرك مدى الخدعة التي تورط فيها، طوال الفترة الماضية ..

إن « أعداء الوطن » هؤلاء ما هم إلا زملاء وإخوة وأبناء للأرض التي ننتمي إليها .. ويعلن تمرده وغضبه على الذين استغلوا براءته ونقاءه .

أحد أجمل الأفلام التي قدمتها السينما المصرية خلال السنوات الأخيرة .. ومن المتوقع أن يكون هذا الفيلم « البريء » من أهم أفلام عام ٨٦ ..

وبنفس التدفق الفني .. ينهي المخرج عاطف الطيب فيلمه التالي « ملف في الآداب » .. ويبدأ في تصوير « أبناء وقتلة » ليحكي ما حدث لأسرة مصرية منذ عام ٥٦ ، بداية تأميم قناة السويس، وحتى عام ٨٥ ..



محسن محيى الدين في فيلم « وداعا بونابرت » للمخرج يوسف شاهين

أحمد زكى فى فيلم « البرىء » يلعب أهم أدواره السينمائية مجسداً شخصية الفلاح البسيط ، النقى .

• توفيق الحكيم .. ممثلاً

ومن التجارب الفنية الجديدة التي تشهدها السينما المصرية عام ٨٦ .. أول فيلم يخرجه كاتب السيناريو (بشير الديك) في محاولة للتعبير عن أفكاره بالقلم والكاميرا معاً .. والفيلم بعنوان « الطوفان » ويلعب بطولته محمود عبدالعزيز وفاروق الفيشاوي ..

• ويعود الفنان التشكيلي يوسف فرنسيس إلى الاخراج السينمائي بعد فيلم المدمن .. ليقدم مغامرة جريئة في فيلم « عصفور من الشرق » متصوراً أن الكاتب توفيق الحكيم يعود إلى باريس بعد خمسين عاماً من زيارته الأولى لها .. ويقارن ما يراه الآن بما كانت عليه الصورة زمان .. ويلتقي بشاب ، « نور الشريف » ، القارئ العاشق لكل ما يكتبه توفيق الحكيم .. والذي يقرر أن يعيد تجربة الحكيم كما كتبها في رواية عصفور من الشرق .. وروايته « يوميات نائب في الأرياف » .

تجربة سينمائية جريئة .. يشارك توفيق الحكيم شخصياً في التمثيل بالفيلم .. ويلعب نور الشريف دورين مختلفين تماماً .. دور توفيق الحكيم في شبابه ، ودور « عصفور » الرجل الغامض في رواية « نائب في الأرياف » .. وتلعب سعاد حسني دور « ريم » دون أن تنطق بحرف واحد .. معتمدة على التعبير بوجهها فقط .

هذه بعض ملامح السينما المصرية في عام ٨٦ .. ولا شك أن الصورة مختلفة تماماً عن الأعوام السابقة .. وهذا يؤكد حقيقة قديمة ومتجددة دائماً .. أن الفنان يعطي أفضل ما عنده .. إذا شعر أن المناخ العام من حوله يحترم العمل الجيد ، ويقدره .

وشكراً للجمهور الذي أضرب عن مشاهدة الأفلام الرديئة .. فهذا الاضراب الذي تصور تجار الفن أنه أزمة .. لم يكن في الحقيقة إلا اعلاناً بميلاد جديد للذوق العام ، وللفكر والفن ..

رؤوف توفيق

نافذة على الثقافة العالمية

يقدمها : طلعت الشايب

كاتبة أفريقية كان نكروما حبها الأول

أما آتا آيدوو Ama Ata Aidoo كاتبة من غانا وواحدة من أشهر أدباء إفريقيا نشرت أولى أعمالها سنة ١٩٦٥ وهي مسرحية بعنوان « ورطة شبح » أما أعمالها التي تلت ذلك فتشمل مسرحية أخرى بعنوان « أنووا » ومجموعة قصصية بعنوان « لا توجد حلاوة هنا » ــ صدرا في ١٩٧٠ .

أول رواية لها « شقيقتنا كليجوي » وصدرت في ١٩٧٧ كما أصدرت مجموعة شعرية بعنوان « شخص ما يتحدث لوقت ما » في يوليو الماضي .

عينت آما آتا وزيرة للتربية في غانا ولكنها لم تستمر في المنصب طويلاً وتعيش الآن في زيمبابوي .

في عدد اكتوبر ٨٥ من مجلة الجنوب South التي تعنى بشئون العالم الثالث كان معها لقاء، تحدثت فيه عن إفريقيا وعن الأدب وعن نفسها وهذه مقتطفات مما جاء به :

• كان عمري خمس عشرة عندما اتخذت قراري وحددت طريقي . أذكر أنني قلت مرة لمدرستي إنني أريد أن أكون شاعرة .. شاعرة وليست كاتبة .. الكتابة عمل منفرد مثل العزف المنفرد .. اهتمام شخصي،كما هي هم شخصي في ذات الوقت .. وكما تستهلك الوقت تستهلك الكاتب ، وإصراري على الكتابة ترك بلا شك ظلالاً سيئة على حياتي الشخصية كامرأة .

• ليس من السهل أن تكون كاتباً إفريقياً ... فما بالك إذا كنت كاتبة ؟ المتاعب ستكون مضاعفة أو مزدوجة كما يقولون في غانا .. كل الأدب المعاصر والنقد موجه تقريباً إلى الرجل ..

منذ فترة ليست بالبعيدة زار أستاذ ألماني المكان هنا وألقى محاضرة طويلة عن الكتابة الإفريقية .. لمدة ساعتين تقريباً لم يذكر اسم كاتبة واحدة .. وعندما سئل اعتذر ببساطة قائلاً : آسف .. ولكن ذلك كان أمراً طبيعياً .. !

• معظمنا ــ كتاب إفريقيا ــ نكتب بلغات لا تصل إلى شعوبنا . التاريخ نفسه جعل من المستحيل أن يكون الفنان أو المبدع محبوباً من أبناء مجتمعه . إذا كنت تكتب بالإنجليزية في غانا أو نيجيريا أو زيمبابوي بينما ٧٠٪ من المواطنين لا يفهمونها .. فكيف يحبونك ؟ إنهم لا يعرفون شيئاً عنك .. والعلاقة بين القلة التي تفهم اللغة التي تكتب بها وبينك هي علاقة « الاحترام ــ الخوف » الصلة بمن يسمع عنك موجودة فقط في صالات الدرس حيث أنت مجرد نص في كتاب ..



الكاتبة الافريقية آما آتا آيدوو

إنهم حتى لا يختارون أعمالك عن قصد ..

• نعم .. هناك ما يمكن أن نطلق عليه اسم أدب العالم الثالث .. إنه يتناول الثقة المفقودة .. الفقر .. يعكس البيئة وحياة الناس وطموحاتهم .. رواية من غانا بالقطع سوف تكون أقرب إلى رواية صادرة في سيرلانكا منها إلى رواية من إنجلترا واذا كانت مجتمعاتنا لا تزال ترزح تحت نير الإحساس بالظلم الناتج عن علاقات مع الغرب تمتد بعمق السنوات الخمسمائة الأخيرة .. فكيف يستطيع الكاتب أن ينتزع نفسه من هذه الدوامة ؟

على أية حال لا يجب أن تكون أعمالنا مجرد انعكاس لبؤس بلادنا لأن جزءاً من العبء الذي يحمله الكاتب هو كفاحه ليخلق من وسط ركام الفوضى التي يعيشها أشياء ذات معنى .. وأن يجعل الأشياء أكثر بهجة .

• ليس لدينا حتى الآن تقاليد نقدية أو معايير نقدية إفريقية خاصة بنا قائمة على أخلاقيات نابعة من بيئتنا .. الآن الموجود جماعة قليلة من المتأفرقين الغربيين يصدرون أحكاماً على هيئة مراسيم عن الأدب الإفريقي ويعلنون ربما من تكساس أو لندن تصنيفاتهم لأعمالنا .. « هذا جيد . وهذا رديء » .

في الموسيقى،هناك صوت للموسيقار الإفريقي .. أما في الأدب فلم يحدث نفس الشيء .

أما عن أسباب عزلة الكاتب الإفريقي فأهمها فقدان الاتصال المباشر بالناس .. والسؤال المطروح الآن هو : هل نتوقف عن الكتابة لأننا لا نستخدم اللغات المحلية ونكتب باللغات الأوروبية؟

منا من لا يملك لغة إفريقية بحكم المولد والنشأة والتاريخ . فهل يتوقف عن الكتابة أيضاً ؟

أنا أعتقد أن الكتابة بأية لغة أفضل من عدم الكتابة على الإطلاق ... كما أن على المسلحين بلغة إفريقية الكتابة بها .

• أنا واحدة من الناس ولدت على وعي سياسي .. كان والدي سياسياً .. أذكر أن عمري كان عشر سنوات عندما شاهدت كوامي نكروما لأول مرة ... بعد عشر سنوات أخرى كنت أراه كثيراً وأسمعه أكثر .. وكان قد أصبح قائداً وطنياً ..

لا أعتذر عن قول أنه كان بالنسبة لي مثل الحب الأول .. كان بطل زمانه الذي نسجت حوله الجماهير الحكايا الأسطورية حتى قبل الاستقلال . أبرز سماته كانت رؤيته إلى خارج حدود غانا ..وحتى يومنا هذا لا أستطيع أن أفاضل بين شخصية نكروما السياسي الطموح الذي حاول أن يكون قائداً في إفريقيا وبين شخصية نكروما الحالم الذي كان كله إصرار على أنه بدون إفريقيا موحدة فإننا محكوم علينا بالفناء كشعب ..

كل ما كان يقوله كان يبدو وكأنه حتمية تاريخية .. والآن بدأ الناس يعودون إلى أحلام نكروما،فعلى وجه التحديد منذ ١٩٦٦ لم تستطع إفريقيا أن تجد طريقاً آخر .. ونظرة واحدة إلى القارة وإلى قياداتها الحالية تريك أنهم ليسوا قادرين على تجاوز حدود « اقطاعياتهم » .

• لم أستمر في الحكومة لمدة طويلة ــ ١٨ شهرا فقط ــ عانيت من اشكالية كوني كاتبة ووزيرة في نفس الوقت .الذي أعرفه هو أنني عندما كنت وزيرة لم أتمكن من الكتابة .. كان كل جهدي موجهاً من أجل العمل ولم أشبع ظمئي إلى الكتابة .

هل يمكن أن يكون الانسان مبدعاً منتجاً وفي نفس الوقت يمتلك الطاقة العملية المطلوبة للتعامل مع قضايا سياسية ساخنة بالطريقة الصحيحة ؟

بالتأكيد لم أكن الأولى التي تتعرض لهذه التجربة .. كان هناك سنجور .. ، وأوجستينو نيتو ... كان شاعراً أيضاً ..

إن رؤية الفنان للمجتمع وللحياة ممتدة .. جذورها تضرب في المستقبل .. وأنا مستقبلية إلى درجة كبيرة .. ولكنك في المنصب الرسمي تجد نفسك مطالباً بأن تتعامل مع اليوم الذي أنت فيه .. وإن كان ليس بالضرورة أن يتعثر كل كاتب أو فنان في موقع السلطة في هذه الاشكالية .... لقد بدأت أميل إلى الاعتقاد بأن هذه الاشكالية لم تكن سواي أنا ! .. « آما آتا آيدوو » .

الجينز والديسكو والأفلام الأمريكية في بكين



رقص الديسكو الذي كان يعتبر شيئاً كريهاً ومبتذلاً منذ عامين فقط في الصين أصبح شيئاً مألوفاً ولم يعد انتشاره مقصوراً على أوساط الشباب بل جذب العديد من أبناء الجيل القديم الذين يعتبرونه أسلوب ترويح عن النفس ووسيلة للاحتفاظ بلياقتهم البدنية أيضاً .

وليس رقص الديسكو سوى نموذج للثقافة الغربية التي وجدت طريقها إلى الصين منذ فتحت أبوابها للعالم الخارجي في أواخر السبعينات .. حيث يمكنك الآن الاستماع إلى أشهر عشر أغنيات أمريكية مذاعة من راديو بكين كما تستطيع أن تشاهد أفلاماً غربية مثل « كرامر ضد كرامر » ، « على البحيرة الذهبية » ، « ذئب البحر » أو تراقب شرلوك هولمز وهو يحل ألغاز قضية تلو الأخرى على شاشة التلفزيون ، في الشوارع أيضاً تستطيع مشاهدة الجينز والملابس الغربية على أجسام الناس مما يعطيك صورة تتعارض تماماً مع الصورة القديمة المألوفة وموجة « الكل أزرق » التي ظلت سائدة في الصين لسنوات طويلة .

في العاصمة بكين وحدها ثلث المحلات الخاصة بالأزياء أصبحت تتفنن في انتاج الجينز وتقلد موديلات هونج كونج والولايات المتحدة .. قرية واحدة اسمها « هوانج زيك » في ولاية « زهي شانج » استطاع صانعو الجينز فيها تكوين ثروة من انتاج وبيع الجينز إذ يكفي أن تعرف أن هذه القرية أنتجت ٢,٤ مليون بنطلون في عام ١٩٨٤ فقط .

ويقول المراقبون إن جميع مظاهر الثقافة الغربية سواء الديسكو أو الأزياء ستبقى عرضة للرقابة الحكومية الصينية وسوف يتوقف استمرارها على مدى النجاح الذي تحققه في ملاءمة الذوق الصيني وخدمة أهداف المجتمع .

وعندما زارت فرقة الرقص الإنجليزية Wham بكين وجوانج زهو في العام الماضي سرعان ما نفدت التذاكر من الأسواق وامتلأت صالات العرض بالمشاهدين ولكن معظمهم كما قالوا بعد ذلك أصيبوا بخيبة الأمل أو كانوا على الأقل في حيرة شديدة ربما لتعارض الأوركسترا مع أذواقهم أو مقاييسهم الفنية . وأياً كان الأمر فقد نسيت الفرقة وضاع أثرها تماماً ولم يعد يذكرها أحد إلا في مجال نقد « الاستيراد الأحمق للثقافةالغربية غير المقبولة » .

ورغم أن الاحتكاك الصيني الغربي بدأ منذ عدة قرون من خلال تجارة البحر وعن طريق « خط الحرير » الشهير الذي كان يبحر فيه « ماركو بولو » فإن النظرة دائماً إلى الغرب من قبل الصينيين كانت ترى أنه أقل شأناً رغم المعلومات القليلة عنه ، هذه النظرة من قبل أمة ظلت تعتبر نفسها طيلة ثلاثة آلاف سنة مركزاً للحضارة ..

ولكن بدء تدفق البضائع الغربية والثقافة معها بالطبع جاء في منتصف القرن التاسع عشر عندما ضربت سفن الغرب بمدافعها أبواب الصين لتفتحها على مصاريعها ، كذلك اهتزت الثقة الشديدة بالنفس نتيجة حرب الأفيون وإبرام المعاهدات غير المتكافئة فأدى الخوف من « اليانج دارن » أو السادة الأجانب ، والذعر من تكنولوجيا هؤلاء الأجانب وثقافتهم بالصين إلى التعلم من « البرابرة » ..

وأثناء عملية النقل والتعلم من الغرب انتهج الصينيون أسلوباً عملياً لهضم واستيعاب كل ما هو مفيد لهم وصرف النظر عن كل ما عدا ذلك ، هذا الأسلوب هو تماماً ما لخصته فيما بعد عبارة ماوتسي تونج الشهيرة : « فلتكن كل الأشياء الأجنبية في خدمة الصين » .

ومنذ عام ١٩٤٩ أصبحت الصين معزولة عن الغرب بسبب الحصار المضروب حولها من الولايات المتحدة والدول الغربية ، ثم في الستينات أصبحت معزولة أيضاً عن الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الشرقي ، هذه العزلة التى أدت إلى نقص المعرفة بالتطورات الحديثة وما يدور في العالم الخارجي ، ولم ينكسر طوق هذه العزلة إلا في أواخر السبعينات حين بدأت الصين تعكف على التحديث وفتحت أبوابها أمام التقدم التقني القادم من الغرب ، ومعه الأفلام والأدب والموسيقى والفنون والأزياء ... حتى مودات تصفيف الشعر بهرت الصينيين وأشعلت فضولهم . وتفتحت شهية المواطن الصيني لنماذج الثقافة القادمة من خارج الحدود ولم يكن غريباً أن يكتب أحد سائقي الحافلات في بكين إلى رئيس مكتب الثقافة التابع لبلدية المدينة يطلب المزيد من الثقافة الأجنبية فيقول :

« لقد عشنا في صحراء ثقافية من سنة ١٩٦٦ إلى سنة ١٩٧٦ ، ونحن لكي نبني بلدنا يجب أن نتعرف على جميع أنواع الثقافات التي طورتها البشرية » . ولفترة ليست بالقصيرة ظل الحماس والتوق للثقافة الأجنبية ينمو لدرجة أن البعض أصبح يعتقد أن كل ما هو قادم من الغرب جدير بالنقل والتعلم ولكن الكثيرين انتقدوا هذا الاتجاه واعتبروه مجرد « عبادة عمياء لكل ما هو أجنبي » .

وسرعان ما ظهرت الآثار السلبية للانفتاح غير المنضبط ... في الفترة ما بين عامي ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ارتفع معدل الجريمة (رغم أنه ظل أقل بكثير مما هو عليه في الغرب) وبدأت تجارة الصور العارية وكتب الجنس في الانتشار وانزعجت الحكومة وانزعج الشعب فقامت الدولة بحملة واسعة في عام ١٩٨٣ للتصدي لكل مظاهر « التلوث الأخلاقي » وأنزلت بالمخالفين عقوبات صارمة حيث حكم على واحد من باعة الصور العارية بالسجن لمدة ١٠ سنوات مثلاً .. وفي أقل من شهرين هبط معدل الجريمة من ٤٠ ٪ إلى أقل من ٠,٠٥ ٪ .

وعموماً أدت الحملات المنظمة ضد « التلوث الأخلاقي » إلى تهدئة حمى عبادة الأشياء الأجنبية ومكنت الناس من التمييز بين نقاط الضعف ونقاط القوة في مظاهر الثقافة الغربية .

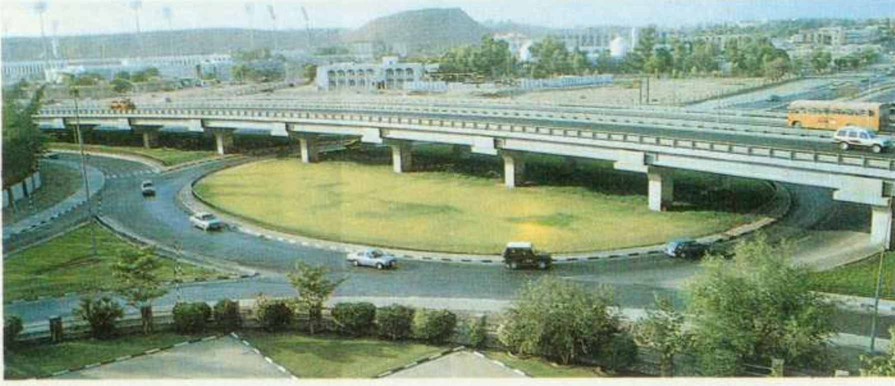
وفي الحقيقة فإن عملية تنقية أو غربلة الثقافة الغربية كانت مستمرة طوال الوقت توجهها القوانين والقيم الأخلاقية التي رسخت منذ آلاف السنين وتكاد تكون نار الفضول قد خمدت في تبادلهم الثقافي مع الغرب ..

وتأكيد القيم الأخلاقية يمكن رصده من الثمانينات عندما أثارت لوحة جدارية رسمت في مطار بكين جدلاً شديداً بسبب عري بعض الأجسام فيها .. حيث تم تغطية الأجزاء العارية من اللوحة بطبقة جديدة من اللون لينتهي الجدل في هدوء ..

كذلك في حالات كثيرة يتم تعديل العناصر المقبولة من الثقافة الغربية لتناسب المجتمع الصيني وتأخذ النكهة الصينية ... فهذه مثلاً رائعة شيكسبير « روميو وجوليت » تتحول إلى « دراما من التبت » على المسرح الصيني وهذه « عطيل » تتحول إلى أوبرا في بكين بطريقة تعكس الإصرار على المحافظة على الهوية الثقافية الصينية حتى وهم يفتحون أبوابهم للثقافة الغربية .



دوحة القراء



حاول أن تعرف

الصورة الأولى :

من مسقط عاصمة سلطنة عمان ، حيث انعقدت القمة الخليجية فى الشهر الماضى .
متى وأين ! انعقد المؤتمر الأول لقادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ؟ .

الصورة الثانية :



أحد مشاهير القادة العسكريين فى العالم ، حيث استطاع هذا القائد فى إحدى المعارك الشهيرة فى الشمال الأفريقى أن يحسم الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء .

ما اسم هذا القائد العسكرى الشهير ، واسم منافسه القائد الألمانى الماكر ، وما هى المعركة التى جمعت بينهما ؟

من أمثـــال الشـــعوب

• الضمير خير من ألف شاهد
مثل إيطالى

• إن لم تصعد الجبل لن تستكشف السهل
مثل صيني

• ما سهل الحصول عليه يسهل فقدانه
مثل أمريكى

• ينام عميقا من لا يملك ما يخاف عليه
مثل فرنسى

• لا يوجد حزن مهما عظم لايخففه الزمن
مثل ألمانى

• إذا نظف كل منا أمام بيته .. صار الشارع نظيفا
مثل بريطاني

• لو أعطيت الأحمق خنجرا .. أصبحت قاتلا
مثل روسي

• ليس بامكاننا إطفاء النار .. بالبنزين
مثل أمريكي

توفيق بوستـة
تونس

لقطة الشهر



حتى الجمل يتشبث بأرضه ويقاوم

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء ابراهيم حامد إلياس ج . م . ع — الاسكندرية .

من هو ثقيل الظل ؟

— قيل لاعرابي صف لنا الثقيل فقال : والله انه ثقيل الطلعة ، بغيض التفصيل ، والحجلة ، بارد السكون ، والحركة ، قد خرج عن حد الاعتدال ،

وذهب فى ذات اليمين إلى ذات الشمال ، يحكي ثقل الحديث المعاد ، ويمشي على القلوب والأكباد ، كأن وجهه المصائب وليالي النوائب ،

وكأنما قربه بعد الحبائب وسوء العواقب ، وكأنما وصله عدم الحياة وموت الفجاءة ، هو أثقل من الدين على وجع العين ، ثقيل السكون بغيض

الحركة كثير الشؤم ، قليل البركة ، فهو بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخمص والنعل حصاة .

رياض الصباغ

دمشق — سورية



العجيب في عالم النمل

يعيش النمل فى مستعمرات فى نظام غريب وعجيب ، فهناك ما يطلق عليه « الملكة النملة » وما يطلق عليه الشغالات وما يطلق عليه شغالات الملكة .. ، ألقاب اشتقها العلماء من ذلك النظام الدقيق الذى يسير داخل المستعمرة . الأمر الذى حير العلماء وقاموا بمجهودات قيمة لمعرفة السر وراء هذا النظام كيف يتم ، وكيف تصدر الأوامر وما السبيل لمعرفتها داخل المستعمرة .

بعد مجهودات عظيمة فى هذا المجال توصلوا إلى أنسب الطرق فى التعامل داخل المستعمرة . فقد ثبت أن النمل لا يستخدم الإشارات الحركية فى طريقة التعامل مع بعضه بل يستخدم مواد كيميائية خاصة موجودة فى غدد خاصة على جسم كل نملة . فالغذاء مثلا يتم البحث عنه عن طريق مجموعة من الشغالات وعند حصول إحداهن على الغذاء تأكل حاجتها وترجع للمستعمرة وحتى لا تضل الطريق تقوم أثناء عودتها بوضع مادة كيميائية على هيئة خط متقطع . والغريب ما ان تشم الشغالات تلك المادة حتى تندفع وتنجذب انجذاباً شديداً نحو الطريق المؤدى إلى المادة . وهذا يفسر لنا تلك الخطوط المنتظمة التى تنتظم فيها شغالات النمل مع المسار المتقطع لتلك المادة ، والأغرب من كل هذا أن الشغالات تندفع لتلك المادة الدالة على مكان وجود الغذاء بدون وعى أو إدراك . حتى أن العلماء أخذوا جزءاً كبيراً من تلك المادة ووضعوه بالقرب من المستعمرة فاندفعت إليها الشغالات وبأسرع ما يمكن . لا للغذاء فقط ، بل هناك شفرات كيميائية خاصة يتعامل بها النمل فى مستعمرته كحالات الخوف أو الموت بالخلية .

والمشاهد لعالم النمل يرى أن للنمل نظاماً عجيباً ، غريباً فى السلم وفى الخوف بمستعمرته وكأن هناك أمراً يتم بالأوامر .

أليس ذلك عجيبا ؟

عباس عبد المجيد باغى

طبرق — ليبيا



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي المعروف بالمتنبي في محلة كندة بالكوفة سنة ٣٠٢ هـ ... وفي سنة ٣٣٧ هـ .. اتصل بسيف الدولة الحمداني وأصبح لساناً ناطقاً يشيد بمدحه ... وله في ذلك قصائد كثيرة .. كما كانت له قصائد في الفخر حيث يقول في إحداها :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير « المقصود »
وغنى به من لم يغني مغردا

المقصود « أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر وهي مكونة من خمسة حروف :

٤ ، ٣ ، ١ أعاد شيئاً تالفاً لحالته الأصلية

٥ ، ٢ ، ١ أتنسم الشيء بأنفي

من هو هذا الفنان الشهير؟

هو مثال ورسام .. ولد في فلورنسا سنة ١٤٧٥ .. وما إن جاوز العشرين من عمره حتى أصبح معترفاً به كأعظم مثال في عصره . وفي السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، عرض في روما تمثاله المسمى « المنتحبة » كما قام برسم مناظر رائعة من العهد القديم في كنيسة سيستيني بالفاتيكان استغرق سنوات عديدة لانجازها .

وقد توفى سنة ١٥٦٤ عن تسعة وثمانين عاماً ودفن في روما ... ولكن واحداً من أبناء أشقائه سرق جثمانه ليلاً ونقله في عربة إلى فلورنسا حيث تم دفنه في كنيسة سانتاكروز .

اسم هذا المثال مكون من مقطعين ومن عشرة أحرف :

٧ ، ١٠ ، ٥ آلة نسيج الأقمشة

٣ ، ٤ ، ١ ، ٩ بمعنى يتمم

٢ ، ٥ ، ٨ ، ١ ، ٦ ، ٩ بمعنى الحسن

فهل عرفت اسمه ؟

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية شهيرة :

• سنة الميلاد : ١٨٤٨ م

مكان الميلاد : حلب ـ سوريا

• المهنة : كاتب عربي . أول من نادى بضرورة إقامة تنظيم دولي يضم جميع الدول الاسلامية ، وقد أوضح ذلك كتابة في كتابه المشهور « أم القرى » .

• أعماله : عندما اكتمل نموه وظهر علمه ... تولى بعض الوظائف الحكومية في سورية .. ثم تخلى عنها وبدأ يطوف في البلاد الاسلامية دارساً وباحثاً .. حتى استقر به المقام في مصر ... وقد كان له دور كبير في مقاومة المستعمرين ، له الكثير من المقالات في الصحف المصرية .. جمعها في كتاب سماه « طبائع الاستبداد » .

• وفاته : توفي في مصر ودفن بها سنة ١٩٠٢

يتكون اسم صاحب هذا الجواز من ثلاث مقاطع مجموعها سبعة عشر حرفاً :

٢ ، ١ ، ١٧ ، ٣ ـ ١٠ ، ١١ ، ٨ ، ٩ ، ٤ ، ٥ ، كلمتان بمعنى « من الصعب الحصول عليه » والكلمة الأولى عكس قريب .

١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٨ بمعنى حديث أو حوار

٤ ، ٥ ، ٧ ، ٦ عكس البرد

١٣ ، ١ ، ٣ أعطى وعداً

١٦ ، ١٥ ، ١٧ ذرف الدموع

١٤ ، ٢ ، ٩ بمعنى رثى متوفياً

حل المسابقة الثقافية ١١٨

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر عمارة اليمنى هى : المعروف .

٢ ـ لمن هذا الحوار : الحوار يدور بين الأديب الكبير توفيق الحكيم وعصاه .

٣ ـ جواز سفر : اسم صاحب الجواز القائد العربى صلاح الدين الأيوبى .

٤ ـ مسابقة مدن العالم : مدينة بومبى .

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : عصام عيسوى السيد عيسوى ـ جمهورية مصر العربية .

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء : صلاح على محمد ـ السودان .

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : هيثم محمد الحسن ـ سورية .

مراسيم الهوى

شعر: محمود صقر

قال المُعنّى وانكفا
والدمعُ من عينيهِ سالْ
هذي مراسيمُ الهوىٰ
قتلٌ وقتلٌ ونوىٰ
وجراحٌ في الضميرْ

* *

قال المُعنّىٰ
كيف أسلوها وفي الصّدر صراخ
كيف أسلوها ودنيايَ نواح ونواحْ
كيف يبدو العمر قَفْراً دون راحْ
كيف ... كيف

* *

قال المُعنّىٰ
واحتسىٰ الحزنَ كأسا
وتغنّىٰ بالجراح
وتمنّىٰ ما تمنّىٰ
طيفُها المغبونُ يأتيهِ

مساءً أو صباحْ
كهديلٍ
أو نُواحْ

* *

قال المُعنّىٰ
حُزنُها حزني بلادٌ من أنينْ
وتواشيحُ غرام

* *

قال المُعنّىٰ
ألأغدو صادقا
أبيع من أحببت
ولأغدو راضيا
أو عاشقاً أبيع مَنْ عشقتْ

* *

قال المُعنّىٰ وانكفا
والدمعُ من عينيه سال
هذي مراسيمُ الهوى
قتل وقتل ونوىٰ ....

حل مسابقة حاول أن تعرف للعدد ١١٨

الصورة الأولى : قوس النصر يقع فى مدينة باريس ولقد أمر ببنائه نابليون بونابرت .
• الفائز : عبد المحسن سالم الرملى ــ ليبيا .
• الفائز : صالح سليمان بدره ــ السعودية .

الصورة الثانية : جيمس وات مخترع الآلة البخارية .
• الفائز : محمد طريف فرعون ــ سورية .
• الفائز : على محمد الشيخ ــ السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ حافظ محمد ابراهيم سومرو ..... باكستان
٢ ــ محمد عوض الله عوضين .... قطر
٣ ــ يحيى طاهر .... إيران
٤ ــ جوهره سعيد قاسم .... الجمهورية العربية اليمنية
٥ ــ علاء الدين مبارك سليم .... ليبيا
٦ ــ زادني محمد المختار .... المغرب
٧ ــ نواف يوسف الشبعان........... البحرين
٨ ــ نمير يحيى عبد الرازق .... العراق
٩ ــ حمزاوى محسن .... الجزائر
١٠ ــ صالح سعد سالم التريمى................. اليمن الديمقراطية

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٨

١ ــ أصل وصورة : الأنف ــ الشارب ــ الحاجبان ــ الأذن ــ الذقن ــ الشعر ــ الجبهة .
٢ ــ لعبة الظلال : رقم (١)
٣ ــ لوحة لم تتم : الفنان محمود المليجى
٤ ــ لأقوياء الملاحظة : تفاحة ــ بقرة ــ حذاء ــ كتكوت ــ قطة ــ إبريق شاى .
٥ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٥)
٦ ــ دورى الكاريكاتير : رقم (٧)
٧ ــ المثل يقول : لبس البوصة تبقى عروسة
• جاءت الحزينة تفرح لم تجد لها مطرح

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١١٨

١ ــ محمود منصور خطاب....... ج . م . ع
٢ ــ عصام عبد الله الخطيب............. الجمهورية العربية اليمنية
٣ ــ أمين آدم عبد الحميد............. ليبيا
٤ ــ عائشة أحمد عزاز .... السودان
٥ ــ فاطمة يوسف الأنصارى......... البحرين
٦ ــ خالد يحيى الحصين...................... الجمهورية العربية اليمنية
٧ ــ أمجد ماجد حسن ....الأردن
٨ ــ بشير أحمد جبر.................. قطر
٩ ــ غسان زهير صادق .... الكويت
١٠ ــ جمال كامل الشفره .... قطر
١١ ــ هياء دخيل الله مفلح............ السعودية
١٢ ــ ماجد صبحى العطار.......... ج . م . ع
١٣ ــ عادل محمد عبد الله .... السودان
١٤ ــ عماد عزت أمين............. ج . م . ع

استراحة الدوحة



مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رووو

أصل وصورة





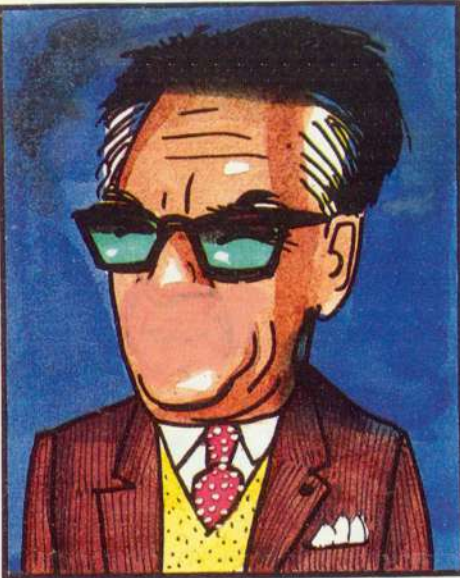
• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان السعودى طلا ل مداح هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة ...

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة لم تتم لرائد من رواد السينما العربية ، هل تستطيع إكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان لتحصل على جائزة ؟

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، ففى انتظارك جائزة

هات أجمل تعليق :



• هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا ففى انتظارك جائزة

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. حاول أن تتعرف على هذا المثل الشعبى لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الكاتب الاسلامي المعروف خالد محمد خالد .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة ؟ .

بقلم
عبد الله الجفري



خائف من الإصغاء!

• خائف أنا من هذا « الاصغاء » الذى يفعله « الداخل » فى نفسي !

حزين أنا .. أمام هذا « التوقف » المفاجيء والصدامى الذي ألزمت به أفراحي ، وغربتي ، وابتساماتي ، وأدمعي !

الانسان يتعب ..

الانسان لا يحتمل المطاردة فى مساحات طويلة .. فيتمنى أن تلوح أمامه « محطة » يتوقف عندها . يستعيد أنفاسه . يستعيد ذكرياته . يلتفت خلفه ليرى عمره !

لكن هذا الانسان يضيق بالتوقف . يمل انتظار خطوات جديدة يواصل بها مطاردة مسافات العمر والأيام !

وبلا توقيت .. يغادر الانسان المحطة . يتنازل عن لحظات توقف للراحة وللرؤية .. ويعدو من جديد ، ويلهث من جديد .

ويتعب من جديد .. ويتطلع إلى محطة أخرى !

• • •

شهور تتعاقب .. تستطرد أيامها ، وتتفاوت نسب الاحساس بالسعادة فيها ، أو بالتعاسة !

لكن .. هناك « حصيلة » ذلك .. تتحكم عندما يستيقظ « الداخل » في نفس الانسان ، ويطلب الاصغاء .. يطلب كشف الحساب ، والأرباح ، والخسائر .

وفي لحظات ذلك « التوقف » .. تتردد أصداء الرغبة ، والأمنية ، والخفقة .. ودواعي النفس الرافضة لوحدتها .

تقول تلك الأصداء حينذاك :

ـ متى يسفر صبح النفس ؟!

متى تتحرك نجمة الليل المتوقفة ، ومتى تبدو هذه النجمة شجاعة الخطوات ؟!

ولقد ترددت تلك الأصداء بعد التوقف أمام « محطة » كان « داخل » النفس ـ لحظتها ـ يصغي . كان الحزن واجما بـ « التوقف » المفاجيء والصدامي !

• • •

إذن .. ما أسباب « التوقف » وما دواعي هذا الاصغاء ؟!

الليل موجوع يا صمت النجمة !

ظلال القمر .. فقدت النطق ، وتلاشت ، وضاعت ..

فالى أين الخطوات .. وعلى أي درب ؟!

خائف كل واحد .. عندما يصغي « الداخل النفسي » .

اندهشت حين تساءلت : لماذا يركض الناس .. لماذا لا يتوقفون كل يوم في منتصف لياليهم ، ويصغون إلى صوت من داخلهم ، ويتأملون ما فعلوه ، ويفكرون في كل ما كسبوه ، وما خسروه ؟!

الناس .. لا يطيقون الوحدة ..

وحدة المكان ، أو وحدة الدقائق ، أو وحدة النفس والأعماق !

إن حرصهم مرهق ، وهم يحاولون ملء مكانهم بأناس حولهم ، وملء دقائقهم بعمل .. بتفكير .. بـ « شرود » يطاولون به الأنجم ، ويرتفعون إلى كوكب « الزهرة » !

إنهم يحاولون ـ أيضا ـ ملء نفوسهم بسجن آلامهم ، وحساسيتهم ، ورقتهم .. بنشوة أفراحهم ، وغرورهم ، وتفاؤلهم !

وهذا الارهاق فى حرصهم .. يدفعهم دائما إلى مزيد من الجري ، وإلى مزيد من تكثيف المشكلات ، وإلى مزيد من غربة النفس والألم !

كان الناس يخافون من الكلام .. أما اليوم فقد أصبحوا يخافون من الاصغاء ، ومن الصمت !!

• • •

• وقفة :

• أيها النسيان المفروض :

أنت تتهاوى في قلوب الذين لم يكذبهم خفقهم !

إنني أرفضك واقعا مفروضا .. لأنك لست الحقيقة !

مرة .. أرادك بطل رواية « غادة الكاميليا » لكي يهرب من تصرف أكبر من مقدرته ، وصور هذه الارادة المجسدة للهروب .

لكن بطل الرواية مات بذلك الداء .. والأحياء يرفضون الموت على هذه الصورة !!

لقطات من الخليج

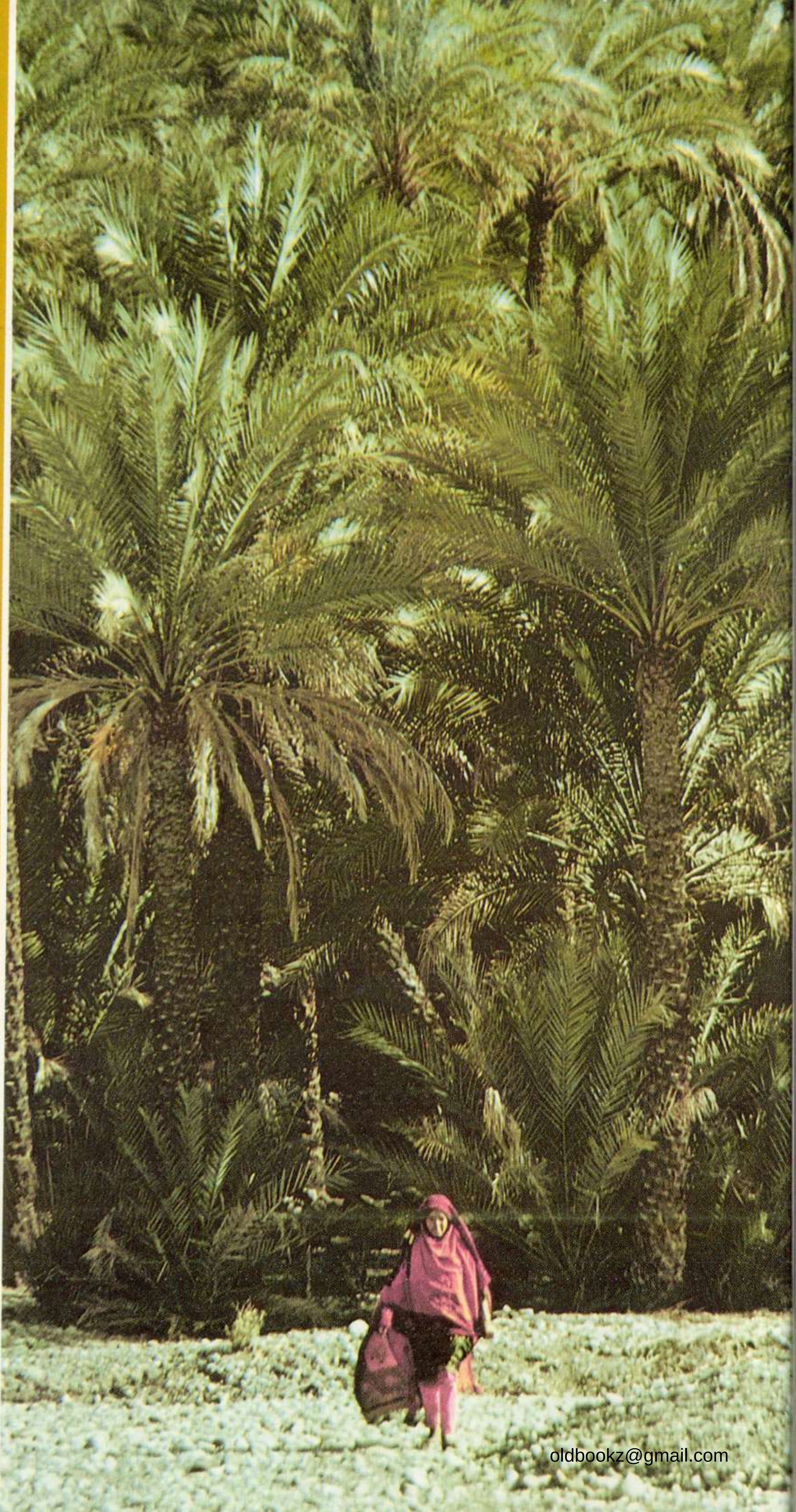
غابة من النخيل

يزرع الفلاحون في سلطنة عمان محاصيل متعددة كالتمور والموز والطماطم والخس وغير ذلك من أنواع الانتاج الزراعي الوفير ، إلا أن زراعة أي محصول في السلطنة تعتمد ــ بالطبع ــ على الظروف المناخية لكل منطقة ، حيث نرى مثلاً الاعتدال المناخي في منحدرات الجبل الأخضر ، والأمطار الموسمية في سهل صلالة ..

وفي هذه اللقطة نشاهد غابة من النخيل ترويها مياه وادي السمايل في عمان ، حيث يهتم السكان بانتاج التمور وتصنيعها وتصديرها إلى الخارج .

وثمار النخيل تنضج دائما في أواخر الصيف والخريف ، ولها قيمة غذائية عظيمة لما تحتويه من مواد سكرية وبروتين وأملاح وفيتامينات .. ومن أشهر المناطق التي تنتج التمور : المملكة العربية السعودية ، اليمن ، مصر ، العراق ، تونس ، الجزائر ، كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ..

وقد كانت التمور حتى عهد قريب تمثل الغذاء الرئيسي لسكان البادية والواحات ، ومع شق الطرقات ووصول الخدمات لهؤلاء السكان أصبحت التمور أهم مايقدم على المائدة العربية !




الأطفال والبحر
للفنان القطري: محمد الجيدة